



مركز المنهاج للأشرف والفتوى والبحوث  
سلسلة إشارات المركز

# الْقُرْآنُ

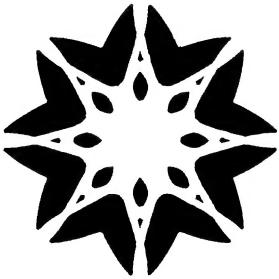
تَفْسِيرٌ وَتَدَبُّرٌ وَعَمَلٌ

الْفِكْرُ وَالْإِعْتِدَادُ

مركز المنهاج للأشرف والفتوى والبحوث

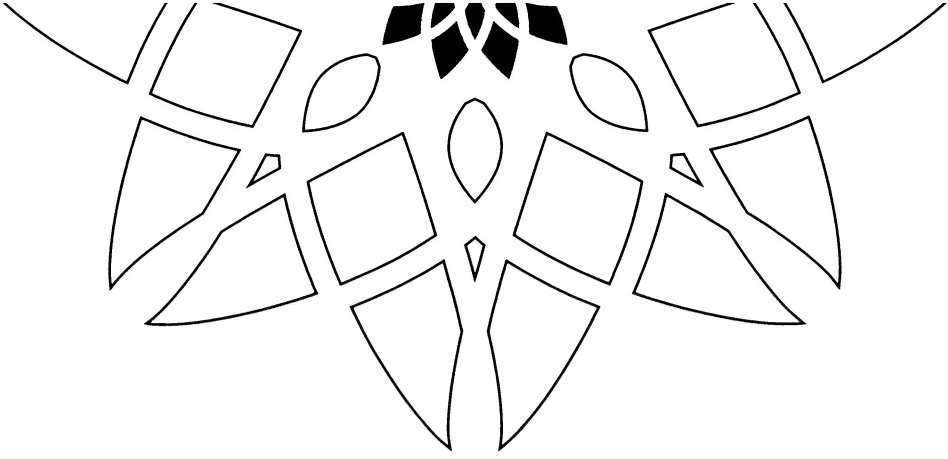
الْحَبِيبُ الْأَمِينُ  
الْعَلِيَّةُ الْمُنِيرَةُ





الْقُرْآنُ  
تَفْسِيرُهُ وَتَدْبِيرُهُ وَعَمَلُهُ





ح دار أصول المنهاج للنشر، ١٤٤٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر.  
مركز المنهاج للإشراف والتدريب التربوي  
القرآن تفسير وتدبر وعمل . / مركز المنهاج للإشراف والتدريب  
التربوي - ط ٢ .. الرياض ، ١٤٤٢ هـ  
١٢٢٤ ص ، ٢٤×١٧ سم  
ردمك : ٩٧٨-٦٠٣-٩١٥٤٤-٧-١  
١ - القرآن - التفسير بالمأثور . أ . العنوان  
ديوي ٢٢٧.٣٢ ٣٧٩٦ / ١٤٤٢

رقم الإيداع: ٣٧٩٦ / ١٤٤٢

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٩١٥٤٤-٧-١

مُحْفُوظَةٌ  
جَمِيعُ حَقُوقِ



مَرْكَزُ الْمِنْهَاجِ لِلْإِشْرَافِ وَالتَّدْرِيبِ التَّرْبَوِيِّ

Almenhaj Center for Educational Supervision and Training

المملكة العربية السعودية - الرياض - هاتف: ٩٥٣.٠٩٦٦٥٠٠

الموقع الإلكتروني: www.kholasah.com

البريد الإلكتروني: info@kholasah.com





**الملحوظات  
والمقترحات**





..... القارئ الصوتي للقرآن .....  
تدبر وعمل



..... الدليل الإرشادي لكتاب .....  
القرآن تدبر وعمل



..... مختصر المنهاج .....  
لتفسير ابن كثير



..... الملاحظات والمقترحات.....



## المقدمة

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۖ ﴿١﴾ قِيمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ [الكهف: ١، ٢]، أكمل نعمه على عباده بإنزال كتابه وحفظه وتيسيره، فلا نحصى ثناءً عليه، هو كما أثنى على نفسه سبحانه، والصلاة والسلام على خير من تعلم القرآن الكريم وعلمه وعمل به؛ نبينا محمد وعلى آله وصحبه، وبعد:

فإن من أراد الارتقاء في منازل العبودية والقرب من ربه يلزمه لتحصيل ذلك تحقيق المراد من إنزال القرآن الكريم، واتباع السنة النبوية الصحيحة، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]، وهذا يحصل بفهمهما والعمل بهما وفق منهج السلف الصالح.

وإسهاماً من مركز المنهاج للإشراف والتدريب التربوي بالرياض في نهضة الأمة ومساعدتها على تحقيق المراد من إنزال القرآن الكريم أجرى دراسة لتوضيح مراتب أخذ القرآن الكريم الخمس؛ وهي:

- ١- الاستماع: قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤].
- ٢- التلاوة: قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ الْكِتَابُ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَةٍ﴾ [البقرة: ١٢١].
- ٣- الحفظ: قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ يَنْتَظِرُ فِي صُُدُورِ الَّذِينَ أُوْتُوا الْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩].
- ٤- التدبر: قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَذَّبَ آيَاتِهِ﴾ [ص: ٢٩].
- ٥- العمل: قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [الزمر: ١٨].

ولئن كان إقبال المسلمين على كتاب ربهم -سماحاً وتلاوة وحفظاً- مشهوداً وظاهراً، وبخاصة من قبل المنتسبين لحلق تحفيظ القرآن الكريم ومدارسه؛ حيث حققت تلك الحلقات نجاحاً كبيراً وانتشاراً واسعاً على مستوى الأمة؛ إلا أن هذا النجاح ظل محصوراً في رتب: الاستماع، والتلاوة، والحفظ؛ أما التدبر والعمل فيغلب إهماله.

وبحسب الدراسة فإن من أسباب ذلك: عدم وجود منهج تدريبي لرتبتي: التدبر، والعمل؛ يقتضي أثر الصحابة رضوان الله عليهم وطريقتهم في أخذ القرآن الكريم؛ كما قال ابن مسعود رضي الله عنه: «كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن» [تفسير الطبري: ٤٤/١، وصحح إسناده أحمد شاكر].

ولأجل ذلك نشأت فكرة إعداد منهج يعين على تيسير تدبر القرآن الكريم والعمل به، ويخاطب مختلف الراغبين والحريصين على ذلك، فكان هذا المنهج الذي نضعه بين يديك أخي القارئ الكريم؛ سائلين الله تعالى أن ينفع به الكاتب والقارئ والمعلم والمتعلم، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وحجة لمن قام على إعداد العمل به.

(القرآن: تدبر وعمل): هو منهج متكامل محكم ومتخصص في التدريب على تدبر القرآن الكريم والعمل به وفق منهج أهل السنة والجماعة.

مكونات المنهج: قسّمنا المصحف إلى (٦٠٤) وحدات دراسية؛ كل وحدة منها مكونة من وجه من أوجه المصحف الشريف -وفق طبعة مجمع الملك فهد بالمدينة النبوية- مضافاً إليه أربع فقرات رئيسة هي:

١. الوقفات التدريبية: سبع وقفات تدريبية اعتت بمقاصد الآيات (الإيمانية، والتربوية وغيرها) استخرجناها من ستة عشر كتاباً من أمهات كتب التفسير المعتمدة، والتزمنا فيها بنص كلام المفسر إلا إن وُجد خطأ في بعض الألفاظ من حيث الطباعة أو اللغة والإعراب ولا يحتل الصحة بأي وجه، فحينها نصح الكلمة ونضعها بين معقوفين هكذا [ ]. وذكرنا في آخر كل وقفة مرجعها؛ معتمدين في ذلك ذكر اسم المفسر بدلاً من اسم الكتاب، ثم رقم الجزء والصفحة وفق الطبعة المعتمدة في المشروع.

وقد بلغ مجموع وقفات المنهج (٤٢٢٨) وقفة جرى اختيارها من بين نحو (١٥٠٠٠) وقفة تمثل أرشيف المشروع.

وحرصنا ألا يزيد عدد الوقفات في الآية الواحدة أو جزء منها عن ثلاث وقفات، كما حرصنا ألا ننقل عن مفسر واحد أكثر من ثلاث وقفات في الوجه الواحد.

ثم وضعنا على الوقفة سؤالاً يساعد المتدرب على تحصيل ملكة التدبر، ويستطيع الإجابة عليه من الوقفة نفسها دون الحاجة إلى الرجوع إلى مراجع أخرى.

٢. جدول معاني الكلمات: وفيه معاني بعض الكلمات الغريبة في وجه المصحف، مأخوذة من كتاب «السراج في غريب القرآن» لفضيلة الشيخ الدكتور محمد بن عبد العزيز الخضير.

٣. العمل بالآيات: من أجل تدريب القارئ على رتبة العمل بالقرآن الكريم اقترحنا ثلاثة أعمال تطبيقية مقيسة مستتبطة من آيات الوجه، ووضعنا أمام كل عمل نص الآية التي استتبطة منها.

٤. التوجيهات: ذكرنا ثلاثة توجيهات عامة مستقاة من آيات الوجه -تربوية أو عقدية أو فقهية... إلخ- وأمام كل توجيه نص الآية التي استتبطة منها التوجيه.

المصادر والمراجع من كتب التفسير التي اعتمدناها في استخراج الوقفات التدريبية:

١. جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ت: ٣١٠ هـ. طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٠ هـ.
٢. معالم التنزيل للبغوي ت: ٥١٦ هـ. تحقيق د. عثمان ضميرية وآخرين، طبعة دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٣ هـ.
٣. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية ت: ٥٤٢ هـ. طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢ هـ.

٤. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ت: ٦٥٦هـ. تحقيق د. عبد الله التركي وفريقه العلمي، طبعة دار الرسالة، بيروت، ١٤٢٧هـ.
٥. الجامع لكلام الإمام ابن تيمية في التفسير ت: ٧٢٨هـ. جمع وتحقيق إياد القيسي، طبعة دار ابن الجوزي، الدمام، ط ١، ١٤٣٢هـ.
٦. التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ت: ٧٤١هـ. تحقيق محمد سالم هاشم، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ.
٧. بدائع التفسير الجامع لما فسرہ الإمام ابن قيم الجوزية ت: ٧٥١هـ. جمعه: يسري السيد، وراجعته ونسق مادته ورتبها صالح الشامي طبعة دار ابن الجوزي، الدمام، ط ١، ١٤٢٧هـ.
٨. تفسير القرآن العظيم لابن كثير ت: ٧٧٤هـ. طبعة دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط ٥، ١٤١٧هـ.
٩. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي ت: ٨٨٥هـ. ت. عبد الرزاق المهدي، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.
١٠. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير لمحمد بن علي الشوكاني ت: ١٢٥٥هـ، طبعة دار الفكر، بيروت.
١١. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي ت: ١٢٧٠هـ. طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت.
١٢. محاسن التأويل لمحمد جمال الدين القاسمي. ت: ١٣٣٢هـ. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
١٣. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ت: ١٣٧٦هـ. تحقيق عبد الرحمن اللويحق، طبعة مكتبة الرشد، الرياض، ط ٣، ١٤٢٢هـ.
١٤. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين الشنقيطي ت: ١٣٩٣هـ. طبعة دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ.
١٥. تفسير التحرير والتتوير لمحمد الطاهر ابن عاشور ت: ١٣٩٤هـ. طبعة الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.
١٦. أسرار التفاسير لكلام علي الكبير لأبي بكر جابر الجزائري. ت: ١٤٣٩هـ، طبعة مكتبة العلوم والحكم، المدينة النبوية، ط ٥، ١٤٢٤هـ.

#### أهداف المشروع:

١. إحياء رتبة التدبر لكتاب الله.
٢. إحياء رتبة العمل بكتاب الله.
٣. تقديم منهج علمي مُحَكَّم لمادة «التدبر والعمل بالقرآن الكريم» لتطبيقه في المدارس والمعاهد والكليات.



٤ . الإسهام في إيجاد حلقات نموذجية خاصة بتدبر كتاب الله والعمل به .

٥ . مساعدة المتعبدین بالقرآن الكريم لاستكمال تحقيق مراتبه الخمس .

٦ . توضيح الغاية من تدبر كتاب الله، وهي العمل به .

٧ . المساعدة على ترسيخ الحفظ وضبط المتشابه من الآيات .

طرق مقترحة للاستفادة من المنهج:

الطريقة الأولى: الاستفادة الفردية:

الوقفات: يُجيب القارئ وحده عن أسئلة الوقفات وحده، ويفضل أن يتدارس هذه الإجابات في وقت لاحق مع غيره .

الأعمال: يختار القارئ ما يناسبه من الأعمال المقترحة في الصفحة ويطبّقها قبل انتقاله إلى الصفحة التالية .

التوجيهات: لتتبع أساليب تحصيل الملكة التدريبية يقترح قراءة التوجيهات في كل صفحة .

الطريقة الثانية: الاستفادة الجماعية:

وهي طريقة مقترحة للجهات التعليمية: مثل: دور التحفيظ وحلقاته، المدارس، المعاهد، الجامعات، حلقات المدارس .

• الوقفات: يُجيب القارئ عن أسئلة الوقفات ثم يعرضها على المشرف في الجلسة نفسها أو في الجلسة التالية لتقويمها .

• الأعمال: يختار القارئ عملاً واحداً على الأقل يطبقه قبل الجلسة القادمة .

• التوجيهات: يتدارس المشرف التوجيهات مع الدارسين .

• ملحوظة: يقترح في المؤسسات التعليمية تقويم الدارسين ووضع درجات لذلك .

هذا، ونشير إلى أن الموقع الإلكتروني يتضمن دليلاً إرشادياً للاستفادة من مشروع: (القرآن تدبر وعمل) .

فريق المشروع:

جَمْعُ المادة العلمية والصياغة الأولية: نخبة من المشايخ الفضلاء المتخصصين في القرآن الكريم وعلومه تحت إدارة شركة الخبرات الذكية، وهم:

١ . د . حمد بن عبد الله الجمعان . (إشراف تربيوي)

٢ . د . أبو بكر محمد فوزي .

٣ . د . أحمد بن صالح النقيب .

٤ . د . عبد الرحمن السيد جويل .

٥ . د . محمد منقذ عمر فاروق .



٦. د. محمود علي البعداني.

٧. د. موسى سليمان.

٨. د. وائل عبد القادر حجلأوي.

٩. د. يوسف بن أحمد خليفة.

الإعداد والصياغة النهائية: مركز المنهاج للإشراف والتدريب التربوي.

الإشراف العلمي والمتابعة: خالد بن صالح السلامة: المشرف العام على مركز المنهاج للإشراف والتدريب التربوي.

التدقيق والمراجعة العلمية: ١. محمد بن سليمان المفدى: نائب المشرف العام على مركز المنهاج للإشراف والتدريب التربوي.

٢. بهاء الدين عقيل: عضو المجلس العلمي سابقاً بمركز المنهاج للإشراف والتدريب التربوي.

التحكيم: هذا المنهج مُحَكَّم من قبل نخبة من أساتذة الجامعات المتخصصين في القرآن الكريم وعلومه؛ وهم:

١. أ. د. مصطفى بن محمد مسلم: أستاذ الدراسات العليا سابقاً في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وجامعة الشارقة.

٢. د. محمد بن عبد العزيز الخضير: عضو هيئة التدريس بجامعة الملك سعود في قسم القرآن وعلومه.

٣. د. محمد بن عبد الله الربيع: عضو هيئة التدريس بجامعة القصيم في قسم القرآن وعلومه.

رعاية إعداد المادة العلمية: وقف الشيخين سعد وعبد العزيز الموسى رحمهما الله، وجعله في موازين حسناتهما.

موقع القرآن تدبر وعمل: [www.altadabbur.com](http://www.altadabbur.com).

**المشرف العام**

**خالد بن صالح السلامة**

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:  
فإنَّما للفائدة، وتحقيقاً لرغبة كثير من قراء [القرآن تدبر وعمل] في الجمع بينه وبين تفسير القرآن ألحق به مركز  
المنهاج كتاب: [مختصر المنهاج لتفسير ابن كثير].

وقد حرص المركز في إعداد هذا المختصر على المحافظة على نص ابن كثير - رحمه الله - وعدم إضافة كلام من خارجه  
إليه، إلا ما كان من توضيحات يسيرة في الهامش دون المتن كما هو مبين في خطة الاختصار. كما التزم المركز بالألا يتجاوز  
تفسير الوجه الواحد من أوجه المصحف صفحة واحدة تكون مقابلة لوجه المصحف أو صفحة التدبر، مع الحرص على عدم  
الإخلال بتفسير الآيات؛ فيجتمع للقارئ في موضع واحد: التفسير والتدبر والعمل.  
ونُوضِّح في الأسطر التالية على وجه التفصيل خطة العمل في هذا المختصر.

#### خطة اختصار تفسير ابن كثير:

##### ● النسخة المعتمدة:

اعتمدت خطة العمل مختصر تفسير ابن كثير المسمى: (عمدة التفسير) للعلامة أحمد شاكر مرجعاً أساساً  
يجري عليه مزيد اختصار. وعند الاختلاف في لفظة أو عبارة بين عمدة التفسير وأصل ابن كثير نقارن بين نسخ  
الأصل التي تحت أيدينا ونعتمد الأنسب للسياق والأقرب للمراد.

##### ● الحذف والاختصار:

أ- ما حُذِفَ بصفة مطردة من أصل التفسير هو ما التزم أحمد شاكر بحذفه عند إعداد مختصره؛ وذلك يشمل:

١. حذف أسانيد الأحاديث والآثار مع إبقاء اسم الصحابي راوي الحديث.

٢. حذف الإسرائيليات.

٣. حذف الأحاديث الضعيفة؛ ما لم يكن لإيراد الحديث الضعيف غرض - كالرد على من استدلل به مثلاً -

فيذكر الحديث مع بيان حاله والغرض من إيراده.

ب- ما حُذِفَ بسبب التزاحم (ويبدأ بحذف الأقل أهمية حسب الترتيب الآتي):

١. الأحداث التاريخية المطولة تختصر ويقتصر على موضع الشاهد منها.

٢. الحديث الطويل يقتصر على موضع الشاهد منه.

٣. الأبحاث الكلامية والفروع الفقهية يبقى منها ما له اتصال مباشر فقط بالآيات المفسرة.

٤. حذف المكرر من الشواهد الشعرية، والاقتصار على ما لا بد منه.

٥. حذف المكرر من أقوال الصحابة والتابعين.

٦. حذف الروايات المكررة للحديث الواحد والاقتصار على أصح الروايات وأكثرها ارتباطاً بالآيات.

٧. الاقتصار على حديث واحد من الأحاديث المتعددة المتعلقة بالآيات، ويُختار أصحها وأكثرها ارتباطاً بها.

٨. الاكتفاء ببعض الآيات المستشهد بها عند التكرار والتزاحم.

## ● خدمة التفسير المختصر:

١. الكلام في هذا المختصر هو كلام ابن كثير في أصل التفسير. وما ليس من كلامه فقد وُضع بين معقوفين [ ]؛ وهو يسير جدًا، ولا يكون إلا في الآتي:

- أ. مقدمة كل سورة: وفيها ما صح من فضائلها، وكونها مكية أو مدنية، وعدد آياتها، وسبب نزولها إن وجد.
- ب. عند وجود خطأ طباعي أو لغوي في جميع النسخ ولا يحتمل أي تصحيح نضع اللفظة الصحيحة بين المعقوفين.
- ج. تخريج الحديث بعده مباشرة؛ فإن كان في الصحيحين أو أحدهما اكتفي بالعزو إليه، وإن كان في غيرهما خرجناه وذكرنا حكم ابن كثير نفسه إن كان له حكم على الحديث، فإن لم يكن له حكم عليه أوردنا باختصار حكم أحد المحدثين: أحمد شاكر أو الألباني -رحمهما الله- وفي مواطن يسيرة ذكرنا حكم شعيب الأرنؤوط [خمس مواضع]. أما الآثار فلم نلتزم بتخريجها إلا ما قد يُذكر عرضًا.

٢. عند اختلاف القراءة في جزء الآية الذي يورده ابن كثير نذكر بالهامش من قرأ بها من القراء العشرة.
٣. ذكرنا في الهامش شرح بعض الكلمات الغريبة أو القواعد الأصولية أو الفقهية التي يعتمد عليها فهمُ المراد وإزالة أي لبس.

٤. عند إحالة ابن كثير تفسير بعض الآيات على موضع سابق في كتابه بينّا في الهامش مكان ذلك.
٥. إذا أغفل ابن كثير تفسير آية أو عدة آيات ومسّت الحاجة لبيان ذلك أوردنا تفسيرها في الهامش؛ إما من كلام ابن كثير نفسه في موطن آخر، أو من تفسير السعدي، أو من تفسير الطبري، أو من التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي.

## ● الشكل والإخراج:

١. اعتمدنا إخراج الكتاب في عمودين في الصفحة الواحدة حتى لا تستعصي القراءة على العين ولا تخطئ عند الانتقال من سطر لآخر.

٢. في أغلب الأحيان نستعيض عن ذكر الآية أو الآيات المفسرة في بداية المقطع بذكر رقمها باللون الأحمر، اعتمادًا على أن الآيات المذكورة في وجه المصحف الموجود في الصفحة المقابلة.

٣. اعتمدنا اللون الأسود لنص التفسير والآيات المستشهد بها. واعتمدنا اللون الأحمر لأرقام الآيات، والآيات المفسرة أو أجزائها، وتخريجات الأحاديث، وتخريجات الآيات المستشهد بها، وأرقام الهوامش سواء في المتن أو الهامش.

٤. التزمنا كتابة الآيات المفسرة أو المستشهد بها أو أجزائها بالرسم العثماني وفق رواية حفص عن عاصم، ببرنامج مصحف المدينة النبوية للنشر الحاسوبي؛ فإن كان جزء الآية الذي يورده ابن كثير بقراءة أخرى ويختلف رسمها كتبناه بالرسم الإملائي لتتمكن من إظهار الفارق؛ وذلك في مواطن يسيرة وننبه عليه في الهامش.

وختامًا نسأل الله أن يجزي خيرًا كل من أسهم في خدمة هذا المشروع بعمل أو مشورة أو تمويل، أو طبّقه أو نشره في الأمة.

وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المشرف العام

خالد بن صالح السلامة





## ● الوقفات التدريبية

﴿ اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ ﴾ ﴿ تِلْكَ اَيَّاتُ الْيَوْمِ ﴾  
كانه سبحانه يقول: يا عبادي ان كنتم تحمدون وتعظمون للكمال الذاتي والصفاتي فاحمدوني فاني انا «الله»، وان كان للإحسان والبرية والإنعام فاني انا «رب العالمين»، وان كان للرجاء والطمع في المستقبل فاني انا «الرحمن الرحيم»، وان كان للخوف فاني انا «مالك يوم الدين»، الألوسي: ٨٦/١.

السؤال: ما دلالة الأوصاف الأربع في بداية سورة الفاتحة على الحمد لله؟  
﴿ اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ ﴾ ﴿ تِلْكَ اَيَّاتُ الْيَوْمِ ﴾ ﴿ اِيَّاكَ تَعَلُّوْا وَلِيَّاكَ نَسْتَعِيْذُ ﴾ ﴿ اَعِدْنَا الْفِرْعَوْنَ الْمُنْتَغِيْءَ ﴾

لما كان سؤال الله الهداية إلى الصراط المستقيم أجل المطالب ونيله اشرف المواهب علم الله عباده كيفية سؤاله، وأمرهم ان يقدموا بين يديه حمده والثناء عليه، وتجيده ثم ذكر عبيديتهم وتوحيدهم، فهاتان وسيلتان إلى مطلوبهم: توسل إليه بأسمائه وصفاته، وتوسل إليه بعبوديته. وهاتان الوسيلتان لا يكاد يرد معهما الدعاء، ابن القيم: ٣٦/١

السؤال: ذكرت في الآيات وسيلتان لاستجابة الدعاء، ما هما؟

﴿ اِيَّاكَ تَعَلُّوْا وَلِيَّاكَ نَسْتَعِيْذُ ﴾

ذكر الاستعانة بعد العبادة مع دخولها فيها لاحتياج العبد في جميع عباداته إلى الاستعانة بالله تعالى؛ فإن لم يعنه الله لم يحصل له ما يريده من فعل الأوامر واجتناب النواهي. السعدي: ٣٩.

السؤال: الاستعانة نوع من أنواع العبادة، فلماذا أفردها الله بالذكر بعد ذكر العبادة الشاملة للاستعانة وغيرها؟

﴿ اِيَّاكَ تَعَلُّوْا وَلِيَّاكَ نَسْتَعِيْذُ ﴾

العبادة أعلى مراتب الخضوع ولا يجوز شرعاً ولا عقلاً فعلها إلا لله تعالى لأنه المستحق لذلك لكونه مولياً لأعظم النعم من الحياة والوجود وتوابعهما. الألوسي: ٨٦/١.

السؤال: لماذا حصرت العبادة لله تعالى؟

﴿ اِيَّاكَ تَعَلُّوْا وَلِيَّاكَ نَسْتَعِيْذُ ﴾ ﴿ اَعِدْنَا الْفِرْعَوْنَ الْمُنْتَغِيْءَ ﴾

في قوله: (نعبد) بنون الاستتباع إشعار بأن الصلاة بنيت على الاجتماع. البقاعي: ١٧/١.

السؤال: لماذا كانت صيغة العبادة والاستعانة والدعاء في سورة الفاتحة بالجمع؟

﴿ اَعِدْنَا الْفِرْعَوْنَ الْمُنْتَغِيْءَ ﴾

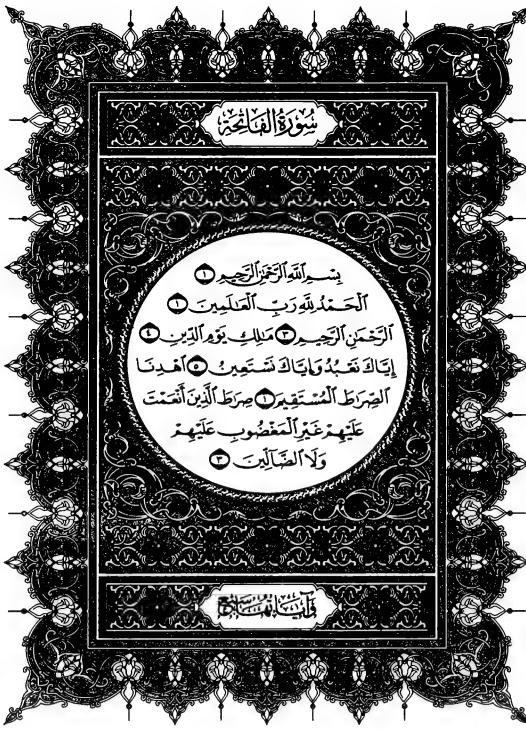
الحاجة إلى الهدى أعظم من الحاجة إلى النصر والرزق؛ بل لا نسبة بينهما؛ لأنه إذا هُدي كان من المتقين، ومن يثق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب. ابن تيمية: ١١٦/١

السؤال: لماذا كانت الحاجة إلى الهدى أعظم من الحاجة إلى النصر والرزق؟

﴿ اَعِدْنَا الْفِرْعَوْنَ الْمُنْتَغِيْءَ ﴾

على قدر ثبوت قدم العبد على هذا الصراط الذي نصبه الله لعباده في هذه الدار، يكون ثبوت قدمه على الصراط المنصوب على متن جهنم. وعلى قدر سيره على هذا الصراط يكون سيره على ذاك الصراط؛ فمنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالمطرف ... فليُنظر العبد سيره على ذلك الصراط من سيره على هذا؛ حدو الفضة بالفضة جزءاً وفاقاً؛ (هل تجزون إلا ما كنتم تعملون) النمل: ١٩٠. ابن القيم: ٣٥/١

السؤال: ما العلاقة بين التزام العبد الصراط المستقيم في الدنيا وسيره على الصراط في الآخرة؟



## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
بِسْمِ اللَّهِ	أَي: ابْتَدِئْ قِرَاءَتِي مُسْتَعِينًا بِاسْمِ اللَّهِ.
يَوْمِ الدِّينِ	يَوْمِ الْجَزَاءِ وَالْحِسَابِ.
غَيْرِ الْمَغْضُوبِ	الْيَهُودُ، وَمَنْ شَابَهُمْ فِي تَرْكِ الْعَمَلِ بِالْعِلْمِ.
الضَّالِّينَ	النَّصَارَى، وَمَنْ شَابَهُمْ فِي الْعَمَلِ بِغَيْرِ عِلْمٍ.

## ● العمل بالآيات

١. ادع الله، وابدأ الدعاء بالحمد والثناء عليه سبحانه كما ابتدأت سورة الفاتحة، ثم أسأله ما تريد كما ختمت السورة: ﴿ اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ، ﴿ اَعِدْنَا الْفِرْعَوْنَ الْمُنْتَغِيْءَ ﴾ .

٢. سورة الفاتحة أعظم سورة في القرآن وأكثر سورة قراءتها، اقرأ تفسيرها من أحد التفاسير وأكثر من تدبر آياتها، ﴿ بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ ﴾ ﴿ اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ . الآيات... إلى آخر السورة

٣. حدد مجموعة من أهل الخير والصلاح وأكثر من مصابحتهم ومجالستهم، ﴿ رِبِّطْ اَلَّذِيْنَ اَسَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ .

## ● التوجيهات

١. هذه السورة مقسمة بين الله وعبد؛ فالله (إياك نعبد) مع ما قبلها لله، (وإياك نستعين) مع ما بعدها للعبد، فتأمل، ﴿ اِيَّاكَ تَعَلُّوْا وَلِيَّاكَ نَسْتَعِيْذُ ﴾ .

٢. لن عبد الله حق العبادة حتى يعينك الله على ذلك، ﴿ اِيَّاكَ تَعَلُّوْا وَلِيَّاكَ نَسْتَعِيْذُ ﴾ .

٣. الحذر من اتباع منهج اليهود: (تقديم الهوى على الشرع)، ﴿ اَلْتَّعٰزُبُ عَلَيْهِمْ ﴾ ومن منهج النصاري: (العبادة بالبدعة والجهل)، ﴿ وَكَذٰلِكَ اَلْكَانِئُ ﴾

تفسير سورة الفاتحة

الآية (٣): قال القرطبي: إنما وصف نفسه بـ ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ بعد قوله: ﴿رَبِّ الْمَلَكِينَ﴾؛ ليكون من باب قرن الترغيب بعد

... تفسير سورة البقرة

وعجمي، وكتابي من انسي وجني.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].  
الآية (٣): ﴿يُؤْمِنُ﴾ قال ابن عباس: بصدقته. وقال الزهري:

تاریخ: ۱۴۰۲/۰۵/۰۵ (پنجشنبه)



## ● الوقفات التدريبية

١ ﴿ذَلِكَ الَّذِي كُتِبَ لِرَبِّهِ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾

إنما ذكرت هذه الحروف في أوائل السور التي ذكرت فيها بياناً لإعجاز القرآن، وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله، هذا مع أنه مركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها... ولهذا كل سورة افتتحت بالحروف فلا بد أن يذكر فيها الانتصار للقرآن، وبيان إعجازه وعظمته، وهذا معلوم بالاستقراء. ابن كثير: ٣٧/١-٣٦.

السؤال: ما سبب ارتباط الحروف المقطعة بذكر عظمة القرآن وإعجازه؟

٢ ﴿ذَلِكَ الَّذِي كُتِبَ لِرَبِّهِ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾

لم يقل: هدى للمصلحة الفلانية، ولا للنسيء الفلاني؛ لإرادة العموم، وأنه هدى لجميع مصالح الدارين؛ فهو مرشد للعباد في المسائل الأصولية والفروعية، ومبين للحق من الباطل، والصحيح من الضعيف، ومبين لهم كيف يسلكون الطرق النافعة لهم في دنياهم وأخرهم. السعدي: ٤٠.

السؤال: كيف يستدل بهذه الآية على شمول هداية القرآن لمصالح الدارين؟

٣ ﴿الَّذِينَ يُؤْتُونَ بِالْقَلْبِ وَيُؤْتُونَ السَّمْعَ وَنَا رَفَعَهُمْ يُؤْتُونَ﴾

الإيمان بالقلب حظ القلب، وإقام الصلاة حظ البدن، (ومما رزقناهم ينفقون) حظ المال، وهذا ظاهر. القرطبي: ٧٤٥/١.

السؤال: جمعت الآية بين ثلاثة من مواضع التقوى، فما هي؟

٤ ﴿وَيُؤْتُونَ السَّمْعَ﴾

لم يقل: يفعلون الصلاة، أو يأتون بالصلاة؛ لأنه لا يكفي فيها مجرد الإتيان بصورتها الظاهرة؛ فإقامة الصلاة: إقامتها ظاهراً بإتمام أركانها وواجباتها وشروطها، وإقامتها باطنياً بإقامتها روحاً؛ وهو حضور القلب فيها، وتدبر ما يقوله ويفعله منها. السعدي: ٤١.

السؤال: لماذا عُبر عن فعل الصلاة بالإقامة؟

٥ ﴿وَمَا رَفَعَهُمْ يُؤْتُونَ﴾

وأتى بـ (من) الدالة على التبعيض؛ لينبههم أنه لم يرد منهم إلا جزءاً يسيراً من أموالهم، غير ضار لهم، ولا مثقل، بل ينتفعون هم بإنفاقه، وينتفع به إخوانهم، وفي قوله: (رزقناهم) إشارة إلى أن هذه الأموال التي بين أيديكم، ليست حاصلة بقوتكم وملكم، وإنما هي رزق الله الذي خولكم، وأنعم به عليكم؛ فكما أنعم عليكم وفضلكم على كثير من عباده فاشكروه بإخراج بعض ما أنعم به عليكم. السعدي: ٤١.

السؤال: لماذا جيء بـ (من) الدالة على التبعيض؟

٦ ﴿الَّذِينَ يُؤْتُونَ بِالْقَلْبِ وَيُؤْتُونَ السَّمْعَ وَنَا رَفَعَهُمْ يُؤْتُونَ﴾

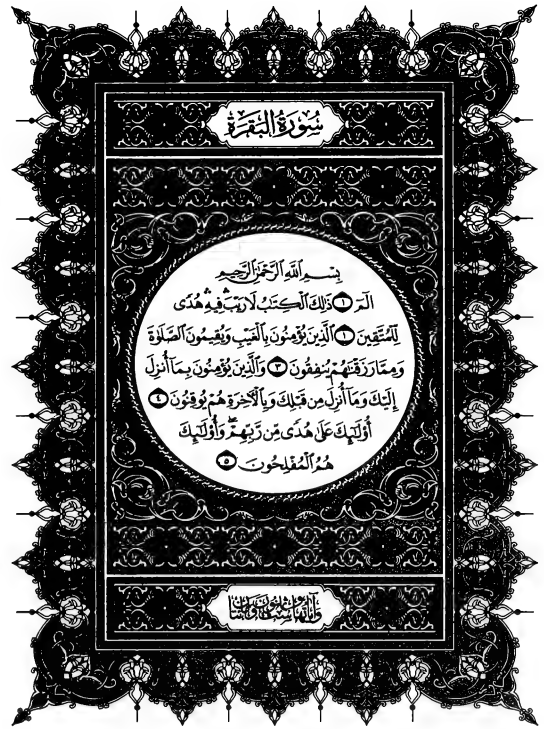
وجه ترتب الإنفاق على الإيمان بالغيب أن المدد غيب؛ لأن الإنسان لما كان لا يطلع على جميع رزقه كان رزقه غيباً، فإذا أيقن بالخلف جاد بالعطية، فمتى أمد بالأرزاق تمت خلافته، وعظم فيها سلطانه، وانفتح له باب إمداد برزق أعلى وأكمل من الأول. البقاعي: ٣٠/١.

السؤال: ما وجه ترتب الإنفاق على الإيمان بالغيب؟

٧ ﴿وَمَا رَفَعَهُمْ يُؤْتُونَ﴾

واليقين أعلى درجات العلم؛ وهو الذي لا يمكن أن يدخله شك بوجه. ابن عطية: ٨٧/١.

السؤال: كلما عظم العلم بالآخرة عظم العمل لها، وضح ذلك من الآية.



## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
الْم	هَذَا الْقُرْآنُ مُؤَلَّفٌ مِنْ هَذِهِ الْحُرُوفِ، وَلَا يَسْتَطِيعُونَ الْإِتْيَانَ بِمِثْلِهِ.
لِلْمُتَّقِينَ	مَنْ جَعَلُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَذَابِ اللَّهِ وَقَائِدَ يَفْعَلِ الْأَوَامِرَ وَتَرْكِ النَّوَاهِي.

## ● العمل بالآيات

١. مبني التقوى على مخالفة شرع الله لهوى نفسك اختصاراً لإيمانك، فحدد أمراً في حياتك ترى أنك تقدم فيه هوى نفسك على شرع الله سبحانه وتراجع عنه مستغفراً ربك، ﴿ذَلِكَ الَّذِي كُتِبَ لِرَبِّهِ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾.
٢. حاسب نفسك في أمر الصلاة، وتفقد اليوم جوانب التقصير فيها فكملمه، واقمه على الوجه المطلوب شرعاً، ﴿الَّذِينَ يُؤْتُونَ بِالْقَلْبِ وَيُؤْتُونَ السَّمْعَ﴾.
٣. اختبر إيمانك باليوم الآخر وبقينك به بالإنفاق اليوم من مال الله الذي آتاك، مؤكداً أن الله تعالى سيخلفه عليك في الدنيا والآخرة، ﴿الَّذِينَ يُؤْتُونَ بِالْقَلْبِ وَيُؤْتُونَ السَّمْعَ وَنَا رَفَعَهُمْ يُؤْتُونَ﴾.

## ● التوجيهات

١. من أسباب حصول الهداية بالقرآن تقوى الله تعالى، فقدم دائماً مراد الله على هوى نفسك، ﴿ذَلِكَ الَّذِي كُتِبَ لِرَبِّهِ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾.
٢. سعادتك بالفلاح، والفلاح لا يناله إلا من اتصف بهذه الصفات، ﴿الَّذِينَ يُؤْتُونَ بِالْقَلْبِ وَيُؤْتُونَ السَّمْعَ وَنَا رَفَعَهُمْ يُؤْتُونَ﴾ وَأَلَّذِينَ يُؤْتُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَلْبِكَ وَمَا آخِرُ هُمُ يُؤْتُونَ ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.
٣. من أهم صفات المؤمنين: حياتهم على إيمانهم في حال الغيب وحال الشهادة، ومراقبتهم لله على كل الأحوال، ﴿الَّذِينَ يُؤْتُونَ بِالْقَلْبِ﴾.



## ● الوقفات التدريبية

﴿ حَتَّمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ ﴾

الذنوب إذا تتابعَت على القلوب اغلقتها، وإذا اغلقتها اتاها حينئذ الختم من قبل الله تعالى والطبع؛ فلا يكون للإيمان إليها مسلك، ولا للكفر عنها مخلص، فذلك هو الختم والطبع الذي ذكره في قوله تعالى: (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم). ابن كثير: ٥/١.

السؤال: كيف يحصل الختم على القلب؟

﴿ حَتَّمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً ﴾

ثم ذكر الموانع المانعة لهم من الإيمان، فقال: (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم) أي: طبع عليها بطابع لا يدخلها الإيمان، ولا ينفذ فيها، فلا يعون ما ينتفعهم، ولا يسمعون ما يفيدهم، (وعلى أبصارهم غشاوة) أي: غشاء وغطاء وأكسنة تمنعها عن النظر الذي ينتفعهم. وهذه طرق العلم والخير قد سدت عليهم؛ فلا طمع فيهم، ولا خير يرجى عندهم، وإنما منعوا ذلك وسدت عنهم أبواب الإيمان بسبب كفرهم وجحودهم. السعدي: ٤٢.

السؤال: لماذا حُصِتْ هذه الأعضاء بالختم والتغشية؟

﴿ حَتَّمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً ﴾  
ويع تقديم السمع على البصر في مواضعه من القرآن دليل على أنه أفضل فائدة لصاحبه من البصر؛ فإن التقديم مؤذن بأهمية المقدم؛ وذلك لأن السمع أتم لتلقي المعارف التي بها كمال العقل، وهو وسيلة بلوغ دعوة الأنبياء إلى إلهام الأمم على وجه أكمل من بلوغها بواسطة البصر لو فقد السمع. ابن عاشور: ٢٥٨/١.

السؤال: الوسائل السمعية والوسائل البصرية أيهما أكثر اثراً في البشر؟

﴿ وَرَبَّنَا آتِنَا مِن مِّثْلِ قُدْرَةِ الْآخِرِينَ ﴾  
لما تقدم وصف المؤمنين في صدر السورة بأربع آيات، ثم عُرِفَ حال الكافرين بهاتين الآيتين، شرع تعالى في بيان حال المنافقين الذين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر، ولما كان أمرهم يشبه على كثير من الناس؛ أطنب في ذكرهم بصفات متعددة. ابن كثير: ٤٥/١.

السؤال: في مقدمة سورة البقرة وصف الله أحوال المؤمنين بأربع آيات،

والكافرين بآيتين، والمنافقين بثلاث عشرة آية، فلماذا؟

﴿ وَرَبَّنَا آتِنَا مِن مِّثْلِ قُدْرَةِ الْآخِرِينَ ﴾  
نبه الله سبحانه على صفات المنافقين لئلا يفتخر بظاهر أمرهم المؤمنون؛ فيقع لذلك فساد عريض من عدم الاحتراز منهم، ومن اعتقاد إيمانهم وهم كفار في نفس الأمر، وهذا من المحذورات الكبار. ابن كثير: ٤٦/١.

السؤال: ما أهمية معرفة المسلمين لأحوال المنافقين؟

﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾  
(في قلوبهم مرض) أي: بسكونهم إلى الدنيا وجهم لها، وغلطتهم عن الآخرة وإعراضهم عنها. وقوله: (فزادهم الله مرضاً) أي: وكلهم إلى انفسهم، وجمع عليهم هموم الدنيا؛ فلم يتفرغوا من ذلك إلى اهتمام بالدين. (ولهم عذاب أليم) بما يقضى عما يبقى. وقال الجنيدي: علل القلوب من اتباع الهوى، كما أن علل الجوارح من مرض البدن. القرطبي: ٣٠٠/١.

السؤال: ما سبب حلول المرض بقلوب المنافقين؟

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهَدْيِ فَأَنُوحَتْ بِعَرَبِهِمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾  
أي: رغبوا في الضلالة رغبة المشتري بالسعة التي من رغبته فيها يبذل فيها الأثمان النفيسة، وهذا من أحسن الأمثلة؛ فإنه جعل الضلالة التي هي غاية الشر كالمسألة، وجعل الهدى الذي هو غاية الصلاح بمنزلة الثمن. السعدي: ٤٣.

السؤال: كيف تشتري الضلالة بالهدى؟

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢﴾ وَرَبَّنَا آتِنَا مِن مِّثْلِ قُدْرَةِ الْآخِرِينَ ﴿٣﴾ وَمَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ وَلَئِنَّ اللَّهَ وَالدِّينَ ءَامِنٌ أَوْ مَانِحٌ عُتُورٌ ﴿٤﴾ لَا أَنْفُسُهُمْ وَمَا يَسْعُرُونَ ﴿٥﴾ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿٧﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٨﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ الْأَوَّلُونَ كَمَا ءَامَنَ السَّافِهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السَّافِهَاءُ وَلَكِن لَّا يَتَذَكَّرُونَ ﴿٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنُوا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَؤُونَ ﴿١٠﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهَدْيِ فَأَنُوحَتْ بِعَرَبِهِمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٢﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
حَتَّمَ اللَّهُ	طَبَعَ اللَّهُ
غِشَاوَةً	غِطَاءً
مَرَضٌ	شُكٌّ، وَنِفَاقٌ
يَعْمَهُونَ	يَحْزِرُونَ، وَيَعْمُونَ عَنِ الرُّشْدِ

## ● العمل بالآيات

١. بين لمن حولك الخطورة والأكاذيب ممن يزعمون أنهم يدافعون عن حقوق المرأة وهم يريدون تحرير الوصول إليها، ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ ١١ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ٨.
٢. استعد بالله من النفاق، ﴿ وَرَبَّنَا آتِنَا مِن مِّثْلِ قُدْرَةِ الْآخِرِينَ ﴾ ٣ وَمَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ وَلَا يَنْتَهِونَ ٤.
٣. ادع اليوم بان يكفي الله الأمة شر المنافقين ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ ٧.

## ● التوجيهات

١. المعصية قد تكون سبباً لأن يختم الله على القلب فلا يستطيع الوصول إلى الحق، ﴿ حَتَّمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ ﴾.
٢. فضل الله أحوال الكافرين في آيتين، وأحوال المنافقين بثلاث عشرة آية لأن خطر المنافقين اشد من خطر الكافرين؛ فلنناقشهم ينخدع بهم عوام المسلمين، ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ ٧.
٣. من صفات المنافقين احتقار الصالحين والتقليل من شأنهم، ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ الْأَوَّلُونَ كَمَا ءَامَنَ السَّافِهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السَّافِهَاءُ وَلَكِن لَّا يَتَذَكَّرُونَ ﴾ ٩.

الآية (١١-١٢): الفساد: هو الكفر، والعمل بالمعصية. قال ابن جرير: فأهل الفساق مفسدون في الأرض بمعصيتهم فيها ربه، وركوبهم فيها ما نهاهم عن ركوبه، وتضييعهم فرائضه، وشكهم في

﴿وَالسَّمَاءَ بَنَاءً﴾، وهو السقف، و﴿وَأَنْزَلَ﴾ لهم ﴿مِنْ السَّمَاءِ مَاءً﴾ - والمراد به السحاب ههنا- في وقته عند احتياجهم إليه ﴿فَأَخْرَجَ﴾ لهم ﴿بِهِ﴾ من أنواع الزروع والثمار ما هو مُشاهد؛ ﴿رَبَقًا﴾ لهم ولأنعامهم. ومضمونه: أنه الخالق الرازق مالك الدار وساكنها، ورازقهم، فهذا يستحق أن يُعبد وحده ولا يُشْرَكَ به غيره؛ ولهذا قال: ﴿فَكَلَّا تَحْمِلُوا اللَّهَ آثَدًا﴾ أي: لا تتركوا بالله غيره من الأنداد التي لا تنفع ولا تضر، و﴿وَأَنْتُمْ قَلِيلٌ﴾ أنه لا رب لكم يرزقكم غيره، وأن الذي يدعوكم إليه الرسول ﷺ من توحيده هو الحق الذي لا شك فيه. عن ابن مسعود قال: قلت: يا رسول الله، أيُّ الذنوب أعظم؟ قال: «أن تجعل لله نداً، وهو خلقك» [متفق عليه].

وعن ابن عباس قال: الأنداد: هو الشرك، أخفى من ديب النمل على صفاء سوداء في ظلمة الليل. وهذه الآية دالة على توحيد تعالى بالعبادة وحده لا شريك له، وعلى وجود الصانع بطريق الأولى؛ فإن من تأمل هذه الموجودات السفلية والعلوية واختلاف أشكالها وألوانها وطبائعها ومنافعها، علم قدرة خالقها وحكمته وعلمه وإتقانه وعظيم سلطانه.

الآية (٢٣-٢٤): ثم شرع تعالى في تقرير النبوة، فقال مخاطبًا الكافرين: ﴿وَلِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا زَكَّيْنَا عَنْ عَبْدِنَا﴾ يعني: محمدًا ﷺ ﴿فَأَنَّا يُشَوِّرُ﴾ من مثل ما جاء به، إن زعمتم أنه من عند غير الله، فعارضوه بمثل ما جاء به، واستعينوا على ذلك بمن شتم من دون الله، فإنكم لا تستطيعون ذلك. ﴿فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَكِنْ تَقْعَلُوا﴾ أي: ولن تفعلوا ذلك أبدًا. وهذه أيضًا معجزة أخرى، وهو أنه أخبر خبرًا جازمًا قاطعًا مقدمًا غير خائف ولا مُشْفِق أن هذا القرآن لا يُعَارَضُ بمثله أبدًا، وكذلك وقع الأمر، لم يُعَارَضْ من لدنه إلى زماننا هذا ولا يمكن، وأتى يتأتى ذلك لأحد، والقرآن كلام الله خالق كل شيء! وكيف يشبه كلام الخالق كلام المخلوقين، ومن تدبر القرآن وجد فيه من وجوه الإعجاز فنونًا ظاهرة وخفية من حيث اللفظ ومن جهة المعنى، فجميعه فصيح في غاية نهايات البلاغة، فإنه إن تأملت أخباره وجدتها في غاية الخلاوة، وإن أخذ في الوعيد والتهديد جاء منه ما تقشعر منه الجبال الصُّمُّ الراسيات، وإن وعد أتى بما يفتح القلوب والأذان، ويشوق إلى دار السلام ومجاورة الرحمن، وإن جاءت الآيات في الأحكام اشتملت على الأمر بكل معروف والنهي عن كل قبيح.

وقوله تعالى: ﴿فَأَنفَعُوا النَّارَ النَّارَ﴾ وقودها ﴿الْوَقُودُ﴾ هو ما يُلقَى في النار لإضرارها كالخشب ونحوه، ﴿أَعِدَّتْ﴾ الأظهر أن الضمير عائذ إلى النار التي وقودها الناس والحجارة، ويحتمل عودَه على الحجارة، ولا منافاة بين القولين في المعنى؛ لأنها متلازمان. و﴿أَعِدَّتْ﴾ أي: أُرصدت وحصلت ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ بالله ورسوله. وقد استدل كثير من أئمة السنة بهذه الآية على أن النار موجودة الآن لقوله تعالى: ﴿أَعِدَّتْ﴾ أي: أُرصدت وهُيئت.

الآية (١٧-١٨) تقرير هذا المثل: أن الله سبحانه، شبههم في اشترائهم الضلالة بالهدى، وصبرورهم بعد التبصرة إلى العمى؛ بمن استوقد نارًا، فلما أضاءت ما حوله وانتفع بها وأبصر بها ما عن يمينه وشماله، وتأنس بها، فبينما هو كذلك إذ قُطعت ناره، وصار في ظلام شديد، لا يبصر ولا يهتدي، وهو مع ذلك أصم لا يسمع، أبكم لا ينطق، أعمى لو كان ضياء لما أبصر؛ فلهذا لا يرجع إلى ما كان عليه قبل ذلك، فكذلك هؤلاء المنافقون في استبدالهم الضلالة عوضًا عن الهدى، واستحبابهم النقي على الرشد. وقوله: ﴿وَدَهَبَ اللَّهُ بَسْمَهُمْ﴾ أي: أذهب عنهم ما ينفعهم، وهو النور، وأبقى لهم ما يضرهم، وهو الإحراق والدخان ﴿وَوَرَّكُمُ فِي ظُلُمَاتٍ﴾ وهو ما هم فيه من الشك والكفر والنفاق ﴿لَا يَبْصُرُونَ﴾ لا يبتدون إلى سبيل خير ولا يعرفونها، وهم مع ذلك ﴿صُمٌّ﴾ لا يسمعون خيرًا ﴿بِكُمْ﴾ لا يتكلمون بها ينفعهم ﴿عُمٌّ﴾ في ضلالة وعماية البصيرة، فلهذا ﴿لَا يَرْجِعُونَ﴾ إلى ما كانوا عليه من الهداية التي باعوها بالضلالة.

الآية (١٩-٢٠): وهذا مثل آخر ضربه الله تعالى لضرب آخر من المنافقين، وهم قوم يظهر لهم الحق تارة، ويشكون تارة أخرى، فقلوبهم في حال شكهم وكفرهم وترددهم ﴿كَسِبَ﴾، والصيب: المطر، نزل ﴿مِنْ السَّمَاءِ﴾ في حال: ﴿وَعَلَّيْتُ﴾ وهي الشكوك والكفر والنفاق. ﴿وَوَعَدْتُ﴾ وهو ما يزجج القلوب من الخوف، فإن من شأن المنافقين الخوف الشديد والفرح، و﴿وَوَرَّ﴾ هو ما يلمع في قلوب هؤلاء المنافقين في بعض الأحيان، من نور الإيمان؛ ولهذا قال: ﴿يَجْعَلُونَ أَسْمِعًا بِآيَاتِهِ مِمَّا قَالُوا﴾ أي: لا يجدي عنهم حذرهم شيئًا؛ لأن الله محيط بهم بقدرته، وهم تحت مشيئته وإرادته. ﴿يَكَادُ الْكَذِبُ يُخَفِّفُ أَعْيُنَهُمْ﴾ قال ابن عباس: أي لشدة ضوء الحق، ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشْرَافُهُ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ أي كلما ظهر لهم من الإيمان شيء استأنسوا به واتبعوه، وتارة تغرض لهم الشكوك أظلمت قلوبهم فوقفوا حائرين. وهكذا يكونون يوم القيامة عندما يُعْطَى الناس النور بحسب إيمانهم، فمنهم من يُعْطَى من النور ما يُضيء له مسيرة فراسخ، وأكثر من ذلك، وأقل من ذلك، ومنهم من يُطْفَأُ نوره تارة ويضيء له أخرى، فيمشي على الصراط تارة ويقف أخرى، ومنهم من يُطْفَأُ نوره بالكلية، وهم الخُلُص من المنافقين. ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ﴾ لِمَا تركوا من الحق بعد معرفته. ﴿وَإِنَّ اللَّهَ عَلَّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ قال ابن جرير: إنها وصف تعالى نفسه بالقدرة على كل شيء في هذا الموضع؛ لأنه حذر المنافقين بأسه وسطوته وأخبرهم أنه بهم محيط، وعلى إذهاب أساعهم وأبصارهم قدير. ومعنى ﴿قَدِيرٌ﴾: قادر.

الآية (٢١-٢٢): شرع تبارك وتعالى في بيان وحدانية الوهيته، بأنه تعالى هو المنعم على عبده، بإخراجهم من العدم إلى الوجود وإسباغهم عليهم النعم الظاهرة والباطنة، بأن جعل لهم ﴿الْأَرْضَ رِبَاسًا﴾، أي: مهبطًا كالفرش مُفَرَّقة موطأة مثبتة بالرواسي الشاخات،





## ● الوقفات التذيرية

١ ﴿مَنْ لَهُمْ كَنْزٌ أَلْفَى اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ۝ صُتُّوا بِكُرْهِ قُلُوبِهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ۝ أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَنُقُرٌّ يُصْعِقُونَ ۝ وَإِذَا أَنْهَمُونَ الصَّوْبَ حَذَرَ الْمَوْتِ ۝ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ۝ يَكَاذِبُونَ وَيَخْتَفُونَ أَمْ يَقُولُونَ كَلِمَاتٌ أَهْلًا عَلَيْهِمْ قَامُوا ۝ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَفِيٌّ ۝ يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فَرَشًا وَالسَّمَاءَ بَنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا ۝ فَلَاحِقُوا اللَّهَ أَنْدَادًا وَأَنْشُرُوا تَعْلَمُونَ ۝ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ۚ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْزِقُوا النَّارَ الَّتِي وَعَدْنَا النَّاسَ وَلِلْجَارَةِ أَعْدَتٌ لِلْكَافِرِينَ ۝﴾

فإن قيل: ما وجه تشبيه المنافقين بصاحب النار التي أضاعت ثم اظلمت؟  
فالجواب من ثلاثة أوجه: أحدها: أن منفعتهم في الدنيا بدعوى الإيمان شبيه بالنور، وعذابهم في الآخرة شبيه بالظلمة بعده، والثاني: أن استخفاف كفرهم كالنور، وفضيحتهم كالظلمة، والثالث: أن ذلك فيمن آمن منهم ثم كفر، فإيمانه نور، وكفره بعده ظلمة، ويرجع هذا قوله: (ذلك) بأنهم آمنوا ثم كفروا. ابن جزي: ٥٤/١.

السؤال: ما وجه تشبيه المنافقين بصاحب النار التي أضاعت ثم اظلمت؟

١ ﴿سَمِيعٌ عَمِّي فَمَنْ لَا يَرْجِعُونَ﴾

قال تعالى (عنهم: صم) أي: عن سماع الخير، (بكم) أي: عن النطق به، (عمي): عن رؤية الحق، (فهم لا يرجعون: لأنهم تركوا الحق بعد أن عرفوه، فلا يرجعون إليه، بخلاف من ترك الحق عن جهل وضلال؛ فإنه لا يعقل، وهو أقرب رجوعاً عنهم. السعدي: ٤٤.

السؤال: لماذا وصف الله سبحانه وتعالى المنافقين بأنهم لا يرجعون؟

١ ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَفِيٌّ ۝﴾  
إنما وصف الله تعالى نفسه بالقدرة على كل شيء في هذا الموضع؛ لأنه حذر المنافقين بأسه وسطوته، وأخبرهم أنه بهم محيط، وعلى إذهاب أسماعهم وإبصارهم قدير. ابن كثير: ٥٥/١.

السؤال: ما وجه ختم الآية بوصفه سبحانه بالقدرة على كل شيء؟

١ ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

(أصبوا ربكم): يدخل فيه الإيمان به سبحانه، وتوحيده، وطاعته؛ فالأمر بالإيمان به لمن كان جاحداً، والأمر بالتوحيد لمن كان مشركاً؛ والأمر بالطاعة لمن كان مؤمناً. ابن جزي: ٥٦/١.

السؤال: بين أنواع الناس المدعوين في الآية.

١ ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

هذه الآية من الحكم الذي اتفقت عليه الشرائع واجتمعت عليه الكتب، وهو عمود خشوع، وعليه مدار الدال والخضوع. البقاعي: ٥٩/١.

السؤال: في هذه الآية ضابط لعبادة الله، فما هو؟

١ ﴿وَرَبِّ كُنْتُمْ فِي رَبِّ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ۚ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾

أي: ولن تفعلوا ذلك أبداً، وهذه أيضاً معجزة أخرى، وهو أنه أخبر خبراً جازماً قاطعاً مقدماً غير خائف ولا شفق أن هذا القرآن لا يعارض بمثله أحد الأبدان، ودهر الدهرين، وكذلك وقع الأمر لم يعارض من لدنه إلى زماننا هذا، ولا يمكن، وأني يتأتى ذلك لأحد. ابن كثير: ٥٨/١.

السؤال: هذه الآية تدل على معجزة ظاهرة للقرآن الكريم، وضحها.

١ ﴿وَعَدْنَا النَّاسَ وَلِلْجَارَةِ أَعْدَتٌ لِلْكَافِرِينَ﴾

وبدا سبحانه بالناس؛ لأنهم الذين يدركون الآلام، أو لكونهم أكثر إيقاداً من الجماد؛ لما فيهم من الجلود واللحوم والشحوم، ولأن في ذلك مزيد التخويف. الألويسي: ١٩٩/١.

السؤال: لماذا قدم الناس على الحجارة في إيقاد النار؟

مَنْ لَهُمْ كَنْزٌ أَلْفَى اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ۝ صُتُّوا بِكُرْهِ قُلُوبِهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ۝ أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَنُقُرٌّ يُصْعِقُونَ ۝ وَإِذَا أَنْهَمُونَ الصَّوْبَ حَذَرَ الْمَوْتِ ۝ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ۝ يَكَاذِبُونَ وَيَخْتَفُونَ أَمْ يَقُولُونَ كَلِمَاتٌ أَهْلًا عَلَيْهِمْ قَامُوا ۝ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَفِيٌّ ۝ يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فَرَشًا وَالسَّمَاءَ بَنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا ۝ فَلَاحِقُوا اللَّهَ أَنْدَادًا وَأَنْشُرُوا تَعْلَمُونَ ۝ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ۚ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْزِقُوا النَّارَ الَّتِي وَعَدْنَا النَّاسَ وَلِلْجَارَةِ أَعْدَتٌ لِلْكَافِرِينَ ۝

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
بُكْمٌ	لَا يَنْطَفِقُونَ بِالْحَقِّ.
كَصِيبٍ	كَمَطَرٍ شَدِيدٍ.
أَنْدَادًا	نُظَرَاءَ، وَأَمْثَالًا.
رَبِّ	شَكٍّ.

## ● العمل بالآيات

١. اقرأ اليوم مثلاً واحداً من أمثلة القرآن، واجتهد في فهمه: ﴿مَنْ لَهُمْ كَنْزٌ أَلْفَى اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾.
٢. نور القلب بيد الله سبحانه، فادع الله بقولك: «اللهم اجعل في قلبي نوراً، وفي سمعي نوراً، وفي بصري نوراً»، ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾.
٣. تأمل هذه الآية: ثم استخرج منها فائدة وارسلها في رسالة: ﴿فَأْتُوا اللَّهَ أَنْدَادًا وَأَنْشُرُوا تَعْلَمُونَ﴾.

## ● التوجيهات

١. عبادة الله سبحانه وتعالى هي الغاية من وجودك، ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾.
٢. التأمل في مخلوقات الله سبحانه سبب لزيادة اليقين والإيمان في قلب العبد، ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فَرَشًا وَالسَّمَاءَ بَنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا ۝ فَلَاحِقُوا اللَّهَ أَنْدَادًا وَأَنْشُرُوا تَعْلَمُونَ﴾.
٣. من الخلل العقلي والشرعي أن يكرمك الكريم، ثم تشارك معه غيره، ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فَرَشًا وَالسَّمَاءَ بَنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا ۝ فَلَاحِقُوا اللَّهَ أَنْدَادًا وَأَنْشُرُوا تَعْلَمُونَ﴾.



## ● الوقفات التديرية

﴿ وَيَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾

وفيه استحباب بشارة المؤمنين وتنشيطهم على الأعمال بذكر جزائنها ومثباتها؛ فإنها بذلك تخف وتسهل. السعدي: ٤٧.

**السؤال: ما أهمية البشارة في حياة المؤمنين؟**

﴿ وَيَبْشِرُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾

قال معاذ رضي الله عنه: العمل الصالح: الذي فيه أربعة أشياء: العلم،  
والنية، والصبر، والإخلاص. البغوي: ٢٧/١.

**السؤال: كيف يكون العمل صالحاً؟**

﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾

أكمل محاسن الجنات جريان المياه في خلالها؛ وذلك شيء اجتمع البشر كلهم على أنه من انفس المناظر. ابن عاشور: ٣٥٤/١.

**السؤال: لماذا ذكرت الآية الكريمة جريان الأنهار من تحت الجنان؟**

﴿ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴾

فلم يقل: «مطهرة من العيب الفلاني» ليشمل جميع أنواع التطهير؛ فهن مطهرات الأخلاق، مطهرات الخَلْق، مطهرات اللسان، مطهرات الأبصار.

السعدي: ٤٦.

**السؤال: لماذا أطلق سبحانه وصف «مطهرات» للحوار العيني ولم يقيد؟**

① ﴿وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

هذا هو تمام السعادة؛ فإنهم مع هذا النعيم في مقام أمين من الموت والانتقطاع، فلا آخر له ولا انقضاء، بل في نعيم سرمدي أبدي على الدوام.

ابن كثير: ٦١/١.

**السؤال: لماذا ختم ذكر نعيم أهل الجنة بأنهم خالدون فيها؟**

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾

ثم لمن يضل به؛ فإنه فاسق، ليس أنه كان فاسقا قبل ذلك؛ ولهذا تأولها سعد بن أبي وقاص في الخوارج؛ وسماهم «فاسقين» لأنهم ضلوا بالقرآن؛ فمن ضل بالقرآن فهو فاسق. ابن تيمية: ١/١٧٨.

**السؤال: من حرف معاني القرآن عن فهم سلفنا**

ذلك من الآيات.

﴿ يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴾

اي: بركة اعتقادهم الخير، وتسليمهم له الأمر، يهديهم ربهم

يؤمنهم؛ فيفهمهم المراد منه، ويشرح صدورهم لما فيه من العارف؛ فيزيدهم به إيماناً وطمانينة وإيقاناً. والمهديون كثير في الواقع، قليل بالنسبة إلى الضالين. البقاعي: ١/٧٧.

**السؤال: مَنْ الْأَوَّلَى بِهَدَايَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ لِفَهْمِ الْقُرْآنِ؟**

وَيَسِّرَ الْآيَاتِ ؕ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّ لَهُمْ حِسَابًا  
يَجْزِيهِمْ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارَ ؕ كَمَا رَزَقُوا مِنْهَا مِنْ شَجَرَةٍ  
رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رَزَقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِمْ مُتَشَابِهًا  
وَلَهُمْ فِيهَا أَنْجُومٌ مُطَهَّرَةٌ ؕ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٥١﴾ إِنَّ  
اللَّهَ لَا يَسْتَعِجُ أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا يَحْكُمُ ؕ فَمَا قَرَّبَهَا قَوْمًا  
الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونُ ؕ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ؕ وَأَنَا  
الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا  
بُضْضٌ لَهُمْ كَيْدٌ ؕ وَلَهُدًى لَهُمْ كَيْدٌ ؕ وَأَمَّا ضُلُوبُهُمْ  
إِلَّا الْفَسَادُ ﴿٥٢﴾ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ  
مِيثَاقِهِ ؕ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ  
فِي الْأَرْضِ ؕ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٥٣﴾ كَيْفَ  
تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكَيْفَ تُشْكِرُونَ ؕ تَأْتُوا قَوْمًا لِيُتْرِكَكُمْ  
ثُمَّ يُخَيِّبْكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٤﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ  
لَكُمْ مَافِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ  
فَمَنْ لَهَا سَبْعَ سَمَوَاتٍ ؕ وَهُوَ عَلِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾

## معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
مُتَشَابِهًا	فِي اللَّوْنِ، وَالْمَنْظَرِ، لَا فِي الطَّعْمِ.
اسْتَوَى	قَصَّدَ.

## ● العمل بالآيات

١. اكتب ثلاث صفات تتمناها وقد ذكرها القرآن في الجنة ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنُوتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَنْجُمٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

١. تَذَكَّرْ عَهْدًا قَطَعْتَهُ عَلَى نَفْسِكَ وَأَخْرَجْتَ الْوَفَاءَ بِهِ، وَيُلَاحِظُ بِذَلِكَ ﴿الَّذِينَ يَتَقَضُّونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾، وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ ۖ

٢. قم اليوم بزيارة بعض أرحامك، أو إرسال هدية لهم، أو الاتصال والسؤال عنهم: ﴿وَيَقُطُّونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾.

## ● التوجيهات

السكن، والرزق، والزوجة، والأمن من الموت؛ هذه أمنيات الإنسان،  
واستكمالها ودوامها لا يكون إلا في الجنة، لَمْ حَسَبْ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ  
كَلِمًا رِزْقًا مِنْهَا مِنْ شَرَرٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُفِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنَّا بِه  
نَسْتَبْشِرُهَا وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا آدَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَمَنْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٥٠﴾

١٠. المؤمن إذا جاءه امر عن الله تعالى قابله بالتسليم والامتثال، وأما المنافق فيكثر الجدل بقصد إبطاله، ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْمَلُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ۚ

٧. الإيمان يكسب صاحبه فراسته يعرف بها الحق من الباطل، ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ۖ﴾

الآية (٢٥): لما ذكر تعالى ما أعد لأعدائه من العذاب والنكال، عطف بذكر حال أوليائه من السعداء المؤمنين به وبرسله، الذين صدقوا لإيمانهم بأعمالهم الصالحة. وهذا معنى تسمية القرآن «مثنائي» على أصح أقوال العلماء، وهو أن يذكر الإيمان ويُبَيِّنُهُ بذكر الكفر، أو عكسه، أو حال السعداء ثم الأشقياء، أو عكسه، وحاصله: ذكر الشيء ومقابله؛ فلهذا قال تعالى: ﴿وَكثيرَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكثيلاً أَفْضَلْتِ أَنْ لَمْ جَنَّتْ تَجَرُّ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾، فوصفها بأنها تجري من تحتها الأنهار، كما وصف النار بأن وقودها الناس والحجارة، ومعنى «تَجَرُّ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ» أي: من تحت أشجارها وغُرُفها. وقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ معناه: مثل الذي كان بالأمس، «وَأَوَّلَ يُدْخِلُونَهَا» يعني: في اللون والرأى، وليس يشبهه في الطعم. وقوله: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَرْبَابٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ قال ابن عباس: مطهرة من القلر والأذى. وقوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا خَلِيدُونَ﴾ هذا هو تمام السعادة؛ فإنهم مع هذا النعيم في مقام أمين من الموت والانتقطاع، فلا آخر له ولا انقضاء، بل في نعيم سرمدٍ أبديٍّ على الدوام.

الآية (٢٦-٢٧): معنى الآية: أنه تعالى أخبر أنه «لَا يَسْتَحْيِي» أي: لا يستخف، وقيل: لا ينجس. «أَنْ يَصْرَبَ مَثَلًا» أي: أي مثل كان. وقوله: ﴿بِئْسَ مَا قَوَّعُوا﴾ فيه قولان: أحدهما: فادونها في الصغر والحجارة، كما إذا وصف رجل باللؤم والشح، فيقول السامع: نعم، وهو فوق ذلك، يعني: فيها وصفت. والثاني: «فَمَا قَوَّعُوا»؛ فإيا هو أكبر منها؛ لأنه ليس شيء أحقر ولا أصغر من البوضة. وهذا اختيار ابن جرير.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَسْجُدُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ قال قتادة: أي: يعلمون أنه كلام الرحمن، وأنه من عند الله. «وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا» كما قال: ﴿وَلَيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [الدحر: ٣١]، وكذلك قال ههنا: «يُضِلُّ يَوْمَ كَثِيرًا وَيَهْدِي يَوْمَ كَثِيرًا». قال ابن مسعود وغيره: «يُضِلُّ يَوْمَ كَثِيرًا» يعني: المنافقين «وَيَهْدِي يَوْمَ كَثِيرًا» يعني: المؤمنين، فيزيد هؤلاء ضلالة إلى ضلالهم؛ لتكذيبهم بها علموه حقاً يقيناً من المثل الذي ضربه الله لها ضربه له، وأنه لما ضربه له موافق، فذلك إضلال الله لإياهم به، «وَيَهْدِي يَوْمَ كَثِيرًا» يعني: بالمثل «كَثِيرًا» من أهل الإيمان والتصديق، فيزيدهم هدى إلى هداهم وإيماناً إلى إيمانهم؛ لتصديقهم بها قد علموه حقاً يقيناً أنه موافق ما ضربه الله له مثلاً وإقرارهم به، وذلك هداية من الله لهم به. «وَمَا يُضِلُّ يَوْمَ إِلَّا الْفَاسِقِينَ» الفاسق في اللغة: هو الخارج عن الطاعة. فالفاسق يشمل الكافر والعاصي، ولكن فسق الكافر أشد وأفحش، والمراد من الآية الفاسق الكافر، بدليل أنه وصفهم بقوله: ﴿الَّذِينَ يَقْسُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَدِلٍ وَيَقْسُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِمْ أَنْ يُصَلِّوا وَيُقِيمُوا فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ النَّارُ﴾ [البقرة: ٢٥]، وهذه الصفات صفات الكفار المبينة لصفات المؤمنين، كما قال تعالى في سورة الرعد: ﴿أَمَّا يَوْمَ أَنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْمُنَى كَنْ هُوَ أَحْسَنُ لِمَا يَذْكُرُ أَهْلُ الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ٢٥] الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَقْسُونَ عَلَيْهِنَّ ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِمْ أَنْ يُصَلِّوا وَيُقِيمُوا رِبَّهْمُ وَيَقْفُونَ سَوْءَ

الآية (٢٨): يقول تعالى عجباً على وجوده وقدرته، وأنه الخالق المصرف في عباده: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾ أي: كيف تمحلون وجوده أو تعبدون معه غيره؟! «وَكُنْتُمْ أَشْرَكَ قَاتِلِينَكُمْ» أي: قد كنتم عنفاً فأخرجكم إلى الوجود. وقال ابن عباس: أوما في أصلا بآبائكم لم تكونوا شيئاً حتى خلقكم، ثم يبيِّنكم مائة الحق، ثم يبيِّنكم حين يمتكم قال: وهي مثل قوله: ﴿وَبَدَّلْنَا الْأَشْيَاءَ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ [غافر: ١١].

الآية (٢٩): لما ذكر تعالى دلالة من خلقهم وما يشاهدونه من أنفسهم، ذكر دليلاً آخر عما يشاهدونه من خلق السموات والأرض، فقال: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَنَافِيَ الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ أي: قصد إلى السماء، والاستواء ههنا مُضَمَّنٌ معنى القصد والإقبال، لأنه عُدِّي بـ (إلى)، «فَسَوَّاهُنَّ» أي: فخلق السماء سبواً. «وَهُوَ يُكَلِّمُ مَن يَشَاءُ» أي: وعلمه محيط بجميع ما خلق، كما قال: ﴿الَّذِينَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ [الملك: ١٤].

الآية (٣١-٣٣): هذا مقام ذكر الله تعالى فيه شرف آدم على الملائكة، بما اختصه به من علم أساء كل شيء دونهم، وهذا كان بعد سجودهم له، ليبين لهم شرف آدم بما فُضِّل به عليهم في العلم، فقال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ علمه أسماء الأشياء كلها: ذواتها وصفاتها وأفعالها، عن أنس عن النبي ﷺ قال: «يُجْتَمِعُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُونَ: لَوْ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنا! فَيَأْتِيَنَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: أَنْتَ أَبُو النَّاسِ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَاسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتُهُ، وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ، فَاشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ حَتَّى يَرْبِحَنا مِنْ مَكَانِنا هَذَا» [رواه البخاري]. فدل هذا على أنه علمه أساء جميع المخلوقات ﴿فَتَمَّ عَزَمُهُمْ عَلَى أَلْمَلِكِيَّةِ﴾ يعني: السَّمِياتِ ﴿فَقَالَ أَنُؤْيِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أي لم أخلق خلقاً إلا كنتم أعلم منه، فأخبروني بأسماء هؤلاء إِنْ كنتم صادقين. ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ



## ● الوقفات التحذيرية

❶ ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ❷ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَأِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ❸ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ❹ قَالَ يَتَقَدَّمُ أُنثَىٰ مِنْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ❺ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَأِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ❻ وَقُلْنَا يَتَّخِذْ مِنْ دُونِكَ إِلَهًا حِينَئِذٍ يَكْفُرُونَ ❼ وَرَوَّجْنَا لَهُ يَجَنُّ وَيَقْنُنَ لِأَسْمَائِهِ يَكْفُرُ ❽ وَرَوَّجْنَا لَهُ يَجَنُّ وَيَقْنُنَ لِأَسْمَائِهِ يَكْفُرُ ❾ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ❿﴾

هذه الآية أصل في نصب إمام وخليفة يُسمع له ويُطاع؛ لتجتمع به الكلمة، وتنفذ به أحكام الخليفة، ولا خلاف في وجوب ذلك بين الأمة ولا بين الأئمة القرطبي: ٣٩٥/١.

السؤال: بقاء الأمة بلا إمام ذنب يأثمون به لكثرة المفساد، وضع ذلك من الآية.

❶ ﴿أَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾

فهذان السببان اللذان ذكرتهما الملائكة هما اللذان كتب الله على بني إسرائيل القتل بهما. ابن تيمية: ١٩٢/١.

السؤال: ما السببان المؤديان إلى هلاك الأمم إذا انتشرا فيها؟

❶ ﴿أَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾

وقول الملائكة هذا ليس على وجه الاعتراض على الله، ولا على وجه الحسد لبني آدم ... وإنما هو سؤال استعلام واستكشاف عن الحكمة في ذلك ابن كثير: ٦٧/١.

السؤال: لأم الله سبحانه إبليس على سؤاله، ولم يعاتب الملائكة على سؤالهم، فلماذا؟

❶ ﴿قَالُوا أَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾

(أتجعل فيها من يفسد فيها) بالمعاصي، (ويسفك الدماء): وهذا تخصيص بعد تعميم؛ لبيان شدة مفسدة القتل. السعدي: ٤٨.

السؤال: لماذا حُصِّ سفك الدماء بالذكر مع أنه داخل في الإفساد؟

❶ ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾

الواجب على من سئل عن علم أن يقول إن لم يعلم: الله أعلم، ولا ادري؛ اقتداء بالملائكة والأنبياء والفضلاء من العلماء، لكن أخبر الصادق أن يموت العلماء يُقبض العلم، فيبقى ناس جهال يُستفتون؛ فيُفتون براهيم؛ فيضلون، ويضلون. القرطبي: ٤٢٥/١.

السؤال: ماذا نقصد من قول الملائكة: (سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا)؟

❶ ﴿وَلَا تَقْرَأُ هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونًا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾

النهى عن القرب يقتضي النهي عن الأكل بطريق الأولى، وإنما نهى عن القرب؛ سدا للذريعة، فهذا أصل في سدِّ الذرائع. ابن جزى: ٦٢/١.

السؤال: ما الطريقة المثالية في الحذر من المعاصي؟

❶ ﴿فَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾

سبقت رحمته غضبه؛ فيرحم عبده في عين غضبه، كما جعل هبوط آدم سبب ارتفاعه، وبعده سبب قربه، فسبحانه من تواب ما أكرمه، ومن رحيم ما أعظمه. الألويسي: ٢٣٨/١.

السؤال: بعد قصة آدم - عليه السلام - لا نياس من رحمة الله سبحانه، وضع ذلك.

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ❷ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَأِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ❸ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ❹ قَالَ يَتَقَدَّمُ أُنثَىٰ مِنْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ❺ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَأِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ❻ وَقُلْنَا يَتَّخِذْ مِنْ دُونِكَ إِلَهًا حِينَئِذٍ يَكْفُرُونَ ❼ وَرَوَّجْنَا لَهُ يَجَنُّ وَيَقْنُنَ لِأَسْمَائِهِ يَكْفُرُ ❽ وَرَوَّجْنَا لَهُ يَجَنُّ وَيَقْنُنَ لِأَسْمَائِهِ يَكْفُرُ ❾ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ❿﴾

٦

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
وَيَسْفِكُ	يُزِيلُ.
وَنُقَدِّسُ لَكَ	نُعْبُدُكَ، وَنُطَهِّرُ ذِكْرَكَ عَمَّا لَا يَلِيْقُ.
رَعْدًا	تَمَعًا هَيْبًا وَاسِعًا.
فَازْلَهُمَا	أَوْفَعُهُمَا فِي الْخَطِيئَةِ.

## ● العمل بالآيات

١. ضع لنفسك جدولاً تتعلم فيه أهم المسائل التي تحتاجها، وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَأِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ.
٢. اقرأ قصة آدم عليه الصلاة والسلام من كتب التفسير وقصص الأنبياء، ثم استخرج ثلاث فوائد تهلك في حياتك، وَقُلْنَا يَتَّخِذْ مِنْ دُونِكَ إِلَهًا حِينَئِذٍ يَكْفُرُونَ وَرَوَّجْنَا لَهُ يَجَنُّ وَيَقْنُنَ لِأَسْمَائِهِ يَكْفُرُ ❽ وَرَوَّجْنَا لَهُ يَجَنُّ وَيَقْنُنَ لِأَسْمَائِهِ يَكْفُرُ ❾ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ❿.
٣. تذكر ما وقع منك أو من أسرتك من ذنب، ثم قل: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَكُ نُفْرًا لَّنَا وَرَبِّحْنَا لَنَاكَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

## ● التوجيهات

١. اعرف قدر أهل العلم، وتادب معهم، فقد أمر الله تعالى الملائكة بالسجود لآدم بسبب علمه، ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَأِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾.
٢. التسبيح من صفات الملائكة؛ فتشبه بهم ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾.
٣. تواضع لله تعالى مهما بلغت من درجات في العلم، واطلب منه سبحانه الزيادة، ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾.



## ● الوقفات التدبرية

● ﴿يَبْقَىٰ إِسْرَءِيلَ﴾

مُهَيِّجاً لَّهُمْ بِذِكْرِ أَبِيهِمْ إِسْرَائِيلَ، وَهُوَ نَبِيُّ اللَّهِ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَتَقْدِيرُهُ: يَا بَنِي الْعَبْدِ الصَّالِحِ الْمَطِيعِ لِي، كُونُوا مِثْلَ أَبِيكُمْ فِي مَتَابَعَةِ الْحَقِّ، كَمَا تَقُولُ: يَا ابْنَ الْكَرِيمِ: أَفْعَلْ كَذَا، يَا ابْنَ الشَّجَاعِ: بَارِزَ الْأَبْطَالِ، يَا ابْنَ الْعَالَمِ: اطْلُبِ الْعِلْمَ، وَنَحْوَ ذَلِكَ ابْنِ كَثِيرٍ: ٧٨/١.

السؤال: لماذا نادى اليهود ناسياً إياهم إلى أبيهم إسرائيل (يعقوب) عليه السلام؟  
﴿وَأَمْسُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَاذِبِينَ﴾

تصديق القرآن للتوراة وغيرها، وتصديق محمد ﷺ للأنبياء والمتقدمين له ثلاث معانٍ: أحدها: أنهم أخبروا به، ثم ظهر كما قالوا؛ فثبت صدقهم في الإخبار به، والآخر: أنه ﷺ أخبر أنهم أنبياء، وأنزل عليهم الكتب، فهو مصدق لهم؛ أي: شاهد بصدقهم، والثالث: أنه وافقهم فيما في كتبهم من التوحيد وذكر الدار الآخرة وغير ذلك من عقائد الشرائع؛ فهو مصدق لهم لاتفاقهم في الإيمان بذلك، ابن جزى: ٦٤/١.

السؤال: كيف يكون القرآن مصدقاً للكتب السابقة؟

﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِحَبْنِ قُلُوبِكُمْ قَاتِلُونَ﴾

وهذه الآية وإن كانت خاصة ببني إسرائيل فهي تتناول من فعل فعلهم؛ فمن أخذ رشوة على تغيير حق أو إبطاله، أو امتنع من تعليم ما وجب عليه، أو أداء ما علمه - وقد تعيّن عليه - حتى يأخذ عليه أجراً؛ فقد دخل في مقتضى الآية القرطبي: ١١/٢.

السؤال: كيف يشتري الإنسان بآيات الله ثمناً قليلاً؟

﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكُونُوا الْآلِفَ وَأَنْتُمْ تَمْلِكُونَ﴾

أُسْتَدِيلُ بِالْآيَةِ عَلَى أَنَّ الْعَالَمَ بِالْحَقِّ يَجِبُ عَلَيْهِ إِظْهَارُهُ، وَيَحْرَمُ عَلَيْهِ كِتْمَانُهُ بِالشَّرْطِ الْمَعْرُوفَةِ لَدَى الْعُلَمَاءِ الْأُلُوسِيِّ: ٢٤٧/١.

السؤال: بماذا أُسْتَدِيلُ بِالْآيَةِ؟

﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾

وليس المراد: ذمهم على أمرهم بالبر مع تركهم له، بل على تركهم له؛ فإن الأمر بالمعروف معروف، وهو واجب على العالم، ولكن الواجب والأولى بالعالم أن يفعله مع أمرهم به ولا يتخلف عنهم... فكل من الأمر بالمعروف وفعله واجب، لا يسقط أحدهما بترك الآخر. ابن كثير: ٨٢/١.

السؤال: صاحب المعصية إذا رأى غيره يفعلها؛ هل يسكت عنه؟

﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾

أخبر الله - جل ثناؤه - أن الصلاة كبيرة إلا على من هذه صفته. الطبري: ٢٢/١.

السؤال: ما الصفة التي تحجب الصلاة للمؤمن، وتشوقه إليها؟

﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾

وإنما لم تنقل عليهم؛ لأنهم عارفون بما يحصل لهم فيها، متوقفون ما ادخر من جوابها؛ فتقوى عليهم، ولذلك قيل: من عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل، ومن أيقن بالخلف جاد بالعطية. الألوسي: ٢٤٩/١.

السؤال: لماذا لم تنقل الصلاة على الخاشعين؟

فَلَمَّا أَهْطَوْا مِنْهَا جَمِيعًا فَأَمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مَتَى هُدَىٰ فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢﴾ يَبْقَىٰ إِسْرَءِيلَ يَلْ أَدْرُوكُوا إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَفَوْقَ أَيْمَانِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَارَهِبُونَ ﴿٣﴾ وَءَامِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَاذِبِينَ وَلَا تَشْتَرُوا بِحَبْنِ قُلُوبِكُمْ قَاتِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكُونُوا الْآلِفَ وَأَنْتُمْ تَمْلِكُونَ ﴿٥﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٦﴾ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَمْلِكُونَ ﴿٧﴾ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨﴾ وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٩﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقَوْنَ رَبَّهُمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٠﴾ يَبْقَىٰ إِسْرَءِيلَ يَلْ أَدْرُوكُوا إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَفَوْقَ أَيْمَانِي عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١١﴾ وَأَقِيمُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُصْرُونَ ﴿١٢﴾

بِئْنَ

٧

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
فَارْهَبُونَ	خَافُونَ.
وَلَا تَلْبِسُوا	لَا تَخْلِطُوا.
يَظُنُّونَ	يُوقِنُونَ.
عَدْلٌ	فِدْيَةٌ.

## ● العمل بالآيات

١. ذَكَرَ الْيَوْمَ مِنْ حَوْلِكَ بِنِعْمِ اللَّهِ عَلَيْكَ وَوَجِبَ شُكْرُهَا حَتَّى تَدُومَ، ﴿يَبْقَىٰ إِسْرَءِيلَ يَلْ أَدْرُوكُوا إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَفَوْقَ أَيْمَانِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَارَهِبُونَ﴾.
٢. احرص اليوم على التذكير لصلاة الجماعة، وذكر غيرك بفضلها، وأكثر من تعظيم الله في الركوع، ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾.
٣. حدد فعلاً خاطئاً تغلبك نفسك عليه أحياناً، وحذر منه غيرك، لعله يثير فيك الحياء من الله؛ فتركه أبداً، ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَمْلِكُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

## ● التوجيهات

١. اتَّبِعْ تَعَالِيمَ الدِّينِ يَحْصِلُ بِهِ الْأَمْنُ وَانْشِرَاحَ الصَّدْرِ، وَبَعِيدَ الْخَوْفِ وَالضِّيقِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.
٢. لا تجعل هدهك من حفظ كتاب الله وفهمه تحصيل شيء من متاع الحياة الدنيا، ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِحَبْنِ قُلُوبِكُمْ قَاتِلُونَ﴾.
٣. بالصبر والصلاة تتيسر الحياة، ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾.

الآية (٣٨-٣٩): يقول تعالى: كيف يليق بك يا معشر أهل الكتاب، وأنتم تأمرون الناس بالبر - وهو جماع الخير- أن تنسوا أنفسكم، فلا تأمروا بما تأمرون الناس به، وأنتم مع ذلك تطلون الكتاب، وتعلمون ما فيه على من قصر في أوامره؟ أفلا تعقلون ما أنتم صانعون بأنفسكم؟ فَتَنَبَّهُوا من رَقَدَتكم، وَتَبَصَّرُوا من عَيايتكم؟! وقال ابن عباس: «وَتَنَسَّوْا أَنْفُسَكُمْ» أي: تتركون أنفسكم «وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ» أي: تنهون الناس عن الكفر بما عندكم من النبوة والعهد من التوراة، وتتركون أنفسكم، أي: وأنتم تكفرون بما فيها من عهدي إليكم في تصديق رسولي، وتتقصون مثيقي، وتحجلون ما تعلمون من كتابي. وليس المراد ذمهم على أمرهم بالبر، بل على تركهم له.

الآية (٤٥-٤٦): يقول تعالى آمراً عبده، فيما يؤملون من خير الدنيا والآخرة، بالاستعانة «بِالتَّوْبَةِ وَالصَّلَاةِ» قال مقاتل بن حيان: استعينوا على طلب الآخرة بالصبر على الفرائض والصلاة. فأما الصبر فقيل: إنه الصيام، وقيل: المراد بالصبر: الكف عن المعاصي. والضمير في قوله: «وَرَبَّانِي» عائد إلى الصلاة. «لِكَبِيرَةٍ» أي: مشقة ثقيلة «لَا عَلَى الْخَائِضِينَ» أي: الخاضعين لطاعته، الخائفين سطوته، المصدقين بوعدته ووعيده.

والآية وإن كانت خطاباً في سياق إنذار بني إسرائيل، إلا أنها عامة لهم ولغيرهم. وقوله تعالى: «الَّذِينَ يَطُئُونَ أَنْهَمُ ثُلُثُوا رَجِيمًا» أي: وإن الصلاة الثقيلة إلا على الخاشعين الذين يظنون أنهم محشورون إليه يوم القيامة، معروضون عليه «وَأَنْتُمْ إِلَيْهِ رَجِئُونَ» أي: أمورهم راجعة إلى مشيئته، يحكم فيها ما يشاء بعدله، فلهاذا لما أيقنوا بالمعاد والجزاء سهل عليهم فعل الطاعات وترك المنكرات.

الآية (٤٧): يذكرهم تعالى سالف نعمه على آبائهم وأسلافهم، وما كان فضلهم به على سائر الأمم من أهل زمانهم.

قال أبو العالية في قوله: «وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ» قال: بما أعطوا من الملك والرسل والكتب على عالم من كان في ذلك الزمان؛ فإن لكل زمان عالماً، ويجب الحمل على هذا؛ لأن هذه الأمة أفضل منهم.

الآية (٤٨): لما ذكرهم تعالى بنعمه أولاً، عطف على ذلك التحذير من حلول يقوهم يوم القيامة فقال: «وَأَنْتُمْ يَوْمًا» يعني: يوم القيامة «لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ كَيْفًا» أي: لا يعني أحداً عن أحد كما قال الله: «وَلَا يُزِيْرُ وَازِرَةً وَوَدَّ أُخْرَى» [الأنعام: ١٦٤].

وقوله: «وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَقَرَةٌ» يعني عن الكافرين كما قال: «فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَقَرَةُ الْغَنِيِّينَ» [المدثر: ٤٨]. وقوله: «وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَذْلٌ» أي: لا يقبل منها فداء كما قال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّهُمْ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِنَّ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ» [الأنعام: ٣٦]. وقوله تعالى: «وَلَا هُمْ يُصْرُونَ» أي: ولا أحد يغضبهم فينصرهم وينقذهم من عذاب الله كما قال: «قَالَ لَهُمْ مُؤْمِنُو رَبِّكَ لَا تُبَرِّكُوا لَهُ» [الطارق: ١٠].

الآية (٣٨-٣٩): يقول تعالى محبباً عما أنذر به آدم وزوجته وإبليس حين أبطههم من الجنة - والمراد الذرية-: أنه سينزل الكتب، ويبعث الأنبياء والرسل «فَمَنْ يَجْعَلْ هَذَا» أي: من أقبل على ما أنزلت به الكتب وأرسلت به الرسل «فَلَا حُجُومَ عَلَيْهِمْ» أي: فيما يستقبلونه من أمر الآخرة «وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ» على ما فاتهم من أمور الدنيا. «وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» أي: مخلدون فيها، لا يحيد لهم عنها، ولا يحصى.

الآية (٤٠-٤١): يقول تعالى آمراً بني إسرائيل بالدخول في الإسلام، ومتابعة محمد عليه من الله أفضل الصلاة والسلام، ومهتجاً لهم بذكر أبيهم إسرائيل، وهو نبي الله يعقوب عليه السلام، وتقديره: يا بني العبد الصالح المطيع لله كونوا مثل أبيكم في متابعة الحق. وقوله تعالى: «اذْكُرُوا بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي بَعَثْتُ لَكُمْ» قال مجاهد: نعمة الله التي أنعم بها عليهم فيما سمى وفيما سوى ذلك؛ فجبر لهم الحجر، وأنزل عليهم المن والسلوى، ونجّاهم من عبودية آل فرعون. وقال أبو العالية: نعمته: أن جعل منهم الأنبياء والرسل، وأنزل عليهم الكتب. «وَأَوْفَرُوا بِهَدْيِ أَوْفٍ بِهَدْيِكُمْ» قال ابن عباس: بههدي الذي أخذت في أعناقكم للنبي ﷺ إذا جاءكم أنجز لكم ما وعدتكم عليه بتصديقه واتباعه، بوضع ما كان عليكم من الإصر والأغلال التي كانت في أعناقكم بذنوبكم التي كانت من أحداتكم.

وقوله: «وَلِئَلَّا يَفْهَمُونَ» أي: فافهموا. «وَمَا أَرْسَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ» يعني به القرآن الذي أنزله على محمد النبي الأمي، مصدقاً لما بين يديه من التوراة والإنجيل. وقوله: «وَلَا تَكْفُرُوا أُولَئِكَ كَافِرُونَ» قال ابن عباس: ولا تكونوا أول كافر به وعندكم فيه من العلم ما ليس عند غيركم. وقال أبو العالية: يقول: ولا تكونوا أول من كفر بمحمد ﷺ.

وأما قوله: «أُولَئِكَ كَافِرُونَ» فيعني به أول من كفر به من بني إسرائيل؛ لأنه قد تقدمهم من كفار قريش وغيرهم من العرب بشر كثير. وقوله: «وَلَا تَشْرَبُوا بِإِيتَانِي ثَمَنًا قَلِيلًا» يقول: لا تعناضوا عن الإيمان بأياتي وتصديق رسولي بالدنيا وشهواتها، فإنها قليلة فانية. ومعنى قوله: «وَلِئَلَّا يَفْهَمُونَ» أنه تعالى يتوعدهم فيما يعتمدونه من كتب الحق وإظهار خلافه، ومخالفتهم الرسول ﷺ.

الآية (٤٢-٤٣): يقول تعالى نهيًا لليهود عما كانوا يعتمدونه من تلبس الحق بالباطل، وتحميه به وكتائبهم الحق وإظهارهم الباطل: «وَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىَّ يَلْتَخِلْ وَتَكْتَبُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَكْفُرُونَ»؛ فنهاهم عن الشينين معاً، وأمرهم بإظهار الحق والتصريح به. وقوله تعالى: «وَتَكْتَبُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَكْفُرُونَ» أي: لا تكتبوا ما عندكم من المعرفة برسولي وبما جاء به، وأنتم تجدونه مكتوباً عندكم فيما تعلمون من الكتب التي بأيديكم. «وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ» قال مقاتل: أمرهم أن يصلوا مع النبي ﷺ «وَأَذْكُرُوا الزَّكَاةَ» أي: يدفعونها إلى النبي ﷺ. وقوله تعالى: «وَأَذْكُرُوا مَعَ الرِّبَّانِيِّينَ» أي: وكونوا مع المؤمنين في أحسن أعمالهم، ومن أخص ذلك وأكمل الصلاة.



الآية (٥٤): هَذِهِ صَفَةُ تَوْبَتِهِ تَعَالَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ عِبَادَةِ الْعِجْلِ، قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: ذَلِكَ حِينَ وَقَعَ فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ شَأْنِ عِبَادَتِهِمُ الْعِجْلَ مَا وَقَعَ حِينَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَكَّاسُوطٌ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا﴾ الآية [الأعراف: ١٤٩]. قَالَ:



## ● الوقفات التدرية

● ﴿وَأَعْرِفْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَشَدُّ نَظَرُونَ﴾

أعرفناهم وأنتم تنظرون؛ ليكون ذلك أشفى لصدوركم، وأبلغ في إهانة عدوكم. ابن كثير: ٨٧/١.

السؤال: تودع فرعون المؤمنين بالصلب؛ ليتشفى بهم، فعامله الله بمثل ما توعّد به، بين ذلك.

● ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ أَخَذْنَا الْعِجْلَ مِنْ بَدْوِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾

وخصّ الليل بالذكر؛ إشارة إلى أن النجاة فيه البقاعي: ١٣٣/١.

السؤال: لماذا خصّ الليل دون النهار بالمنجاة؟

● ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يُقَوِّمُ إِلَيْكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ إِنِّي أَخَافُكُمْ الْعِجْلَ فَتَوَلَّوْا إِلَىٰ بَارِيكُمْ﴾

العمل الذي فعلوه فظلموا به أنفسهم هو ما أخبر الله عنهم من ارتدادهم باتخاذهم العجل ربا بعد فراق موسى إياهم. الطبري: ٧٢/٢.

السؤال: غياب العلماء والصالحين عن المجتمع مظنة انحرافه، وضع ذلك.

● ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يُقَوِّمُ إِلَيْكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ إِنِّي أَخَافُكُمْ الْعِجْلَ﴾

جعلتم أنفسكم متذللة لمن لا يملك لها شيئاً ولمن هي أشرف منه، فهذا هو أسوأ الظلم؛ فإن المرء لا يصلح أن يتذلل ويتعبد لملكه، فكيف لمن دونه من حيوان (ككيف بما يشبهه بالحيوان من جماد الذهب الذي هو من المعادن. البقاعي: ١٣٤/١).

السؤال: أسوأ الجهل الجهل بالربوبية، وضع ذلك.

● ﴿وَلَكَلْنَا عَلَيْكُمُ الْقَمَاحَ وَأَرْزَلْنَا عَلَيْكُمُ اللَّحْنَ وَالسَّلَوى﴾

لما ذكر تعالى ما دفعه عنهم من النقم شرع يذكّرهم أيضاً بما أسبغ عليهم من النعم فقال: (وظللنا عليكم القمام). ابن كثير: ٩٠/١.

السؤال: ما علاقة هذه الآية بما قبلها من الآيات؟

● ﴿وَلَكَلْنَا عَلَيْكُمُ الْقَمَاحَ وَأَرْزَلْنَا عَلَيْكُمُ اللَّحْنَ وَالسَّلَوى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾

فكان ينزل عليهم من اللن والسوى ما يكفيهم ويقيتهم (كلوا من طيبات ما رزقناكم) أي: رزقا لا يحصل نظيره لأهل المدن المترفين. فلم يشكروا هذه النعمة، واستمروا على قساوة القلوب وكثرة الذنوب. السعدي: ٤٩.

السؤال: ما سبب توالي العقوبات وشدها على بني إسرائيل؟

● ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾

والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على تزايدهم في الظلم

واستمرارهم عليه. الألوسي: ٢٣٤/١.

السؤال: لماذا عبر عن ظلم بني إسرائيل بالفعل الماضي والمستقبل؟

وَلَا تَجْعَلْ لَكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ٥ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ٦ وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ أَخَذْنَا الْعِجْلَ مِنْ بَدْوِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ٧ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ٨ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ٩ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يُقَوِّمُ إِلَيْكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ إِنِّي أَخَافُكُمْ الْعِجْلَ فَتَوَلَّوْا إِلَىٰ بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ١٠ وَإِذْ قُلْتُمْ لِمُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّيْحَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ١١ ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ١٢ وَظَلَلْنَا عَلَىٰكُمْ الْقَمَاحَ وَأَرْزَلْنَا عَلَيْكُمُ اللَّحْنَ وَالسَّلَوى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ١٣

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
فَرَقْنَا	فَصَلَّنَا.
بَارِيكُمْ	خَالِقِكُمْ.
الْقَمَاحَ	السَّحَابَ.
اللَّحْنَ	شيء يشبه الصمغ كالعسل.

## ● العمل بالآيات

١. اكتب قائمة بالنوازل والمخاطر التي حفظ الله منها المجتمع وكفاهم إياها، ثم أرسلها برسالة تذكير بالشكر؛ فإن الله يحب الشاكرين، ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.
٢. ذكر غافلاً بأن شرط توبة عصاة بني إسرائيل كان أن يقتلوا أنفسهم، وأما عصاة أمة محمد ﷺ فخفف الله عنهم بالاعتصام على طلب الاستغفار والتوبة الصادقة، ﴿فَتَوَلَّوْا إِلَىٰ بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ﴾.
٣. راجع قائمة طعامك، وابعد عن شتيبه به؛ فإن البدائل الحلال كثيرة، واقتصر على الطيب من الرزق، ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾.

## ● التوجيهات

١. كلما اشتد ظلم طاغية اقترب زوال ملكه، ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾.
٢. لا تياس من كثرة معاصيك؛ فإن كان الله سبحانه يفضر الشرك -وهو أكبر المعاصي- إذا تاب العبد منه، فما عليك إلا أن تقبل على الله سبحانه بالتوبة الصادقة، ﴿ثُمَّ أَخَذْنَا الْعِجْلَ مِنْ بَدْوِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ ٥ ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.
٣. من رحمة الله بالعباد أنه يمهلهم ولا يعاجلهم العقوبة لمعلم يتوبون إليه ويستغفرونه؛ فيفضر لهم، ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿وَأَذِّنَا أَنْذَلُوا هَذِهِ الْقُرْآنَ فَكَلَّمُوا بِهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَرَعَدُوا وَأَدْخَلُوا الْبَابَ سَجْدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾

وحاصل الأمر: أنهم أمرُوا أن يخضعوا لله تعالى عند الفتح بالفعل والقول، وأن يعترفوا بذنوبهم، ويستغفروا منها، والشكر على النعمة عندها... ولهذا كان عليه الصلاة والسلام يظهر عليه الخضوع جداً عند النصر، كما روي أنه كان يوم الفتح -فتح مكة- داخلًا إليها من الثنية العليا، وإنه لخاضع لربه، حتى إن عشقوه ليمس بمورك رحله شكرًا لله على ذلك، ثم لما دخل البلد اغتسل وصلى ثماني ركعات، ابن كثير: ٩٤/١.

السؤال: ما الذي ينبغي على المسلمين أن يفعلوه حالة النصر والفوز والظفر؟  
﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَفَإَعْطَاكُمْ بِضْرًا قَلِيلًا لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءَ بِغَضَبِي مِنْ آلِهِ﴾  
فيه تهديد لهذه الأمة بما غلب على أهل الدنيا منهم من مثل أحوالهم باستبدال

الآذنى في المعنى من الحرام والمتشابه بالأعلى من الطيب البقاعي: ١٤٩/١.

السؤال: ماذا تعيد هذه الأمة مما حصل لليهود، وما يحصل لهم؟

﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾

ولما كان الذي جرى منهم فيه أكبر دليل على قلة صبرهم، واحتقارهم لأوامر الله ونعمه؛ جازاهم من جنس عملهم، فقال: (وضربت عليهم الذلة) التي تشاهد على ظاهر أفعالهم، (والمسكنة) بقلوبهم. السعدي: ٥٣.

السؤال: لماذا كانت الذلة والمسكنة عقوبة مناسبة لمعاصي بني إسرائيل؟

﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾

ومعنى لزوم الذلة والمسكنة لليهود أنهم فقدوا البأس والشجاعة، وبدا عليهم سيما الفقر والحاجة مع وفرة ما أنعم الله عليهم؛ فإنهم لما سئموا صارت لديهم كالعدم، ولذلك صار الحرص لهم سجية باقية في أعقابهم. ابن عاشور: ٥٢٨/١.

السؤال: الحرص والطمع صفة يهودية، كيف دلت الآية الكريمة على

اتصاف اليهود بها؟

﴿وَيَقُولُونَ الْيَتِيمَ يَتَرِ الْمَتَى ذَلِكَ يَأْخُذُ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾  
(ذلك بما عصوا) بأن ارتكبوا معاصي الله، (وكانوا يعتدون) على عباد الله؛ فإن المعاصي يجر بعضها بعضًا، فالخفلة ينشأ عنها الذنب الصغير، ثم ينشأ عنه الذنب الكبير، ثم ينشأ عنها أنواع البدع والكفر وغير ذلك، فنسأل الله العافية من كل بلاء. السعدي: ٥٣.

السؤال: إذا استسلم الغافل للصغار؛ أوقعته بالكبائر، ثم الكفر، وضع ذلك من الآية.

﴿وَالَّذِينَ يَكْفُرُونَ يَكْفُرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ الْيَتِيمَ يَتَرِ الْمَتَى ذَلِكَ يَأْخُذُ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾

إدمان المعاصي يقضي إلى التغافل فيها، والتنقل من أصغرها إلى أكبرها. ابن عاشور: ٥٣/١.

السؤال: انتقل بنو إسرائيل من المعاصي الصغيرة إلى الكفر وقتل الأنبياء؛ ماذا يفيد هذا؟

﴿وَالَّذِينَ يَكْفُرُونَ يَكْفُرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ الْيَتِيمَ يَتَرِ الْمَتَى ذَلِكَ يَأْخُذُ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾

والعنى: أن الذي حملهم على الكفر بآيات الله تعالى وقتلهم الأنبياء إنما هو تقدم عصيانهم، واعتدائهم، ومجاوزتهم الحدود، والذنب يجر الذنب.

الألوسي: ٢٧٧/١.

السؤال: ما الذي حمل اليهود على الكفر بآيات الله تعالى وقتلهم الأنبياء؟

وَأَذِّنَا أَنْذَلُوا هَذِهِ الْقُرْآنَ فَكَلَّمُوا بِهَا حَيْثُ شِئْتُمْ  
رَعَدًا وَأَدْخَلُوا الْبَابَ سَجْدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرَ لَكُمْ  
خَطِيئَتَكُمْ وَسَيَرِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٥﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ  
ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا  
جَزَاءً مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٦﴾ وَإِذْ أَنسَقَفَ  
مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ  
مِنْهُ آثِنَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرُوعَهُمْ كَلِمًا  
وَأَشْرَبُوا مِنْ رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُغْسِدِينَ ﴿٥٧﴾  
وَأَذِّنَا لِقَوْمِ بْنِ نَصِيرٍ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُنَا  
رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُثَمِّلُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِطَافِهَا  
وَمُورِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلَهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ  
أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهَاطُوا بِضْرًا لَّيِّنًا لَّكُمْ مَا سَأَلْتُمْ  
وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءَ وَبَغَضَ مِنِّي  
اللَّهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ  
الَّذِينَ يَبَيِّنُونَ الْحَقَّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٥٨﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
وَقُولُوا حِطَّةً	أي: قُولُوا احْطُطْ، وَضَعْ عَنَّا ذُنُوبَنَا.
جَزَاءً	عَذَابًا.
وَلَا تَعْتُوا	لَا تَسْعُوا.
وَبَاءُوا	رَجَعُوا.

## ● العمل بالآيات

١. احرص اليوم على السنن الرواتب، واستمر في المحافظة عليها، ﴿وَسَيَرِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾.
٢. اقرأ الألفاظ والأذكار الصحيحة الواردة في الصلاة من أحد كتب صفة الصلاة الموثقة بالأدلة الصحيحة، وصح ما عندك فيها من أخطاء، ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾.
٣. ذكر أسرتك بنعمة يستقلونها بينما تفقدوها كثير من الأسر، ﴿وَأَذِّنَا لِقَوْمِ بْنِ نَصِيرٍ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُثَمِّلُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِطَافِهَا وَبَصَلَهَا وَبَغَضَ مِنِّي اللَّهُ﴾.

## ● التوجيهات

١. احذر أن يفتح لك باب رحمة وعمل صالح فتضيعه بتفريط منك، ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾.
٢. لا تستقل رزق الله لك فبيدك الله ما ظاهره الخير وهو شر لك، ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾.
٣. من عاقبة العصية، الذل، والفقر، وغضب الله، ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءَ وَبَغَضَ مِنِّي اللَّهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَبَيِّنُونَ الْحَقَّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾.

وذكروا عيشهم الذي كانوا فيه، وكانوا قوماً أهل أعداس وبصل وقوم، فقالوا: ﴿يَتَمَوَّنُونَ لَكَ تَصْبِيرًا عَلَى طَعَابٍ وَجِدَ لَنَا نَيْفًا يُخْرِجُ لَنَا مِمَّا تَأْتِيكَ الْأَرْضُ مِنْ بَقَالَةٍ وَقَفَّالَةٍ وَفُومَةٍ وَعَدِيدَةٍ وَبَصَلَةٍ﴾ والبقول والقفاء والعلس والبصل كلها معروفة. وأما «الفوم» فقد اختلف السلف في معناه، فوقع في قراءة ابن مسعود «وثومها» بالفاء، وكذلك فسره مجاهد والربيع بن أنس، وسعيد بن جبير، وقال آخرون: الفوم: الحنطة، وهو البر الذي يعمل منه الخبز. وروى ابن جرير عن ابن عباس قال: الفوم: الحنطة بلسان بني هاشم. وقال البخاري: وقال بعضهم: الحبوب التي توكل كلها فوم. وقوله تعالى: ﴿قَالَ أَتَنْتَبِذُونَكَ الْذِي هُوَ أَذَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ فيه تقرير لهم وتوبيخ على ما سألوا من هذه الأطعمة الدنية مع ما هم فيه من العيش الرغيد، والطعام الهنيء الطيب النافع. وقوله تعالى: ﴿أَفَظِلُّوْا بِمُضْرَاكِ﴾ المراد مصر من الأمصار، كما روي عن ابن عباس وغيره، لأن موسى عليه السلام يقول لهم: هذا الذي سألتهم ليس بأمر عزيز، بل هو كثير في أي بلد دخلتموه وجدتموه، فليس يساوي -مع دنائته وكثرة في الأمصار- أن أسأل الله فيه؛ ولهذا قال: ﴿أَتَنْتَبِذُونَكَ الْذِي هُوَ أَذَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَفَظِلُّوْا بِمُضْرَاكِ فَإِنَّ لَكُمْ ثَمًّا سَأَلْتُمْ﴾ أي: ما طلبتم، ولما كان سؤالهم هذا من باب البطر والأشر ولا ضرورة فيه، لم نجابوا إليه.

يقول تعالى: ﴿وَتَرَبَّصْتَ عَلَيْهِمْ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾ أي: وضعت عليهم وألزموا بها شرًا وقدرًا، أي: لا يزالون مستذلين، من وجدتم استذلهم وأهانهم، وضرب عليهم الصغار، وهم مع ذلك في أنفسهم أذلاء مُستكينون. قال الحسن: أذلهم الله فلا منعة لهم، وجعلهم الله تحت أقدام المسلمين. ولقد أدركتهم هذه الآية وإن المجوس لتجبيهم الجزية. وقوله تعالى: ﴿وَبَاءُوا بِمُضْرَئِكَ إِلَهًا﴾ قال الضحاك: استحقوا الغضب من الله. وقال ابن جرير: يعني بقوله ﴿وَبَاءُوا بِمُضْرَئِكَ إِلَهًا﴾: انصرفوا ورجعوا. فمعنى الكلام إذا: فرجعوا منصرفين متحلمين غضب الله، قد صار عليهم من الله غضب، ووجب عليهم من الله سخط.

وقوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِعَالِيَتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ وَيَتَرَبَّصْنَ﴾ يقول تعالى: هذا الذي جازيناهم به -من الذلة والمسكنة، وإحلال الغضب بهم- بسبب استكبارهم عن اتباع الحق، وكفرهم بآيات الله، وإهانتهم حملة الشرع -وهم الأنبياء وأتباعهم- فانقصوهم حتى أفضى بهم الحال إلى أن قتلوهم، فلا كفر أعظم من هذا. وفي الحديث المتفق على صحته أن رسول الله ﷺ قال: «الكبر بطل الحق، وغبط الناس». ولهذا لما ارتكب بنو إسرائيل ما ارتكبه من الكفر بآيات الله وقتل أنبيائهم، أحل الله بهم بأسه الذي لا يرد، وكساهم ذلاً في الدنيا موصولاً بذل الآخرة جزاءً وفاً. وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ هذه علة أخرى في مجازاتهم بما جاوزوا به: أنهم كانوا يعصون ويعتدون، فالعصيان: فعل المناهي، والاعتداء: المجاوزة في حد المأذون فيه أو المأمور به.

الآية (٥٨-٥٩): يقول تعالى لا تأتيا لهم على نكولهم عن الجهاد ودخول الأرض المقدسة -التي هي ميراث لهم عن أبيهم إسرائيل- وقاتل من فيها من العالين الكفرة، فنكلوا عن قتالهم وضعفوا واستحسروا، فرامهم الله في التيه عقوبة لهم: ﴿وَإِذْ قُلْنَا أَذْخُلُوا هَذِهِ الْأَفْئَةَ﴾ والصحيح أن هذه البلدة هي بيت المقدس وقد قال الله تعالى: ﴿يَقْوِمُوا أَذْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة: ٢١]. قوله: ﴿سُجَّكَ﴾ أي: شكرًا لله تعالى على ما أنعم به عليهم من الفتح والنصر، وردّ بلدهم إليهم وإنقاذهم من التيه والضلال. وروى ابن جرير عن ابن عباس في قوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا أَتَأْتِيكَ سُجَّكَ﴾ قال: زُجْجًا من باب صغير. وقوله: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ قال ابن عباس: مغفرة، استغفروا. وقال الحسن وقائدة: أي احططوا عنا خطايانا. ﴿فَمَنْزِلُكُمْ فَطَنَكُمْ وَتَزِيدُ الْمُتَسِينَ﴾: هذا جواب الأمر، أي: إذا فعلتم ما أمرناكم غفرنا لكم الخطيئات، وضاعفنا لكم الحسنات. وحاصل الأمر: أنهم أمروا أن يخضعوا لله تعالى عند الفتح بالفعل والقول، وأن يعترفوا بذنوبهم ويستغفروا منها، والشكر على النعمة عندها والمبادرة إلى ذلك من المحبوب لله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿بَدَأَ الْإِنْسَانُ ظُلْمًا فَلَمْ يَخَفْ الْإِنْسَانَ إِلَّا أَنْفَهُ﴾ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله لبني إسرائيل: ﴿وَإِذْ قُلْنَا أَتَأْتِيكَ سُجَّكَ وَقُولُوا حِطَّةٌ فَمَنْزِلُكُمْ فَطَنَكُمْ﴾ فبدلوا، ودخلوا الباب يزحفون على أستاههم، فقالوا: حبة في شعرة» [رواه البخاري]. وعن عبد الله بن مسعود: وقيل لهم: ﴿وَإِذْ قُلْنَا أَتَأْتِيكَ سُجَّكَ﴾ فدخلوا مُقْنِي رؤوسهم، أي: رافعي رؤوسهم خلاف ما أمروا. والحاصل أنهم بدلوا أمر الله لهم من الخضوع بالقول والفعل، فأمروا أن يدخلوا سجدًا، فدخلوا يزحفون على أستاههم رافعي رؤوسهم، وأمروا أن يقولوا: احطط عنا ذنوبنا، فاستهزؤوا فقالوا: حنطة في شعرة. وهذا في غاية ما يكون من المخالفة والمعاندة؛ ولهذا أنزل الله بهم بأسه وعذابه بفسقهم، وهو خروجهم عن طاعته؛ ولهذا قال: ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنْ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ قال ابن عباس: كل شيء في كتاب الله من الرجز يعني به العذاب. وقال أبو العالية: الرجز الغضب. وقال سعيد بن جبير: هو الطاعون.

الآية (٦٠): يقول تعالى: واذكروا نعمتي عليكم في إجابتي لنبيكم موسى عليه السلام حين استسقاني لكم، وتيسيري لكم الماء، وإخراجه لكم من خبَرٍ يُحْمَلُ معكم، وتفجيري الماء لكم منه من ثنتي عشرة عينًا، لكل سبط من أسباطكم عين قد عرفوها، فكلوا من المن والسلوى، واشربوا من هذا الماء الذي أنبئتم لكم بلا سعي منكم ولا كد، وابدعوا الذي سخر لكم ذلك ﴿وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ ولا تقابلوا النعم بالعصيان ففسدوها.

الآية (٦١): يقول تعالى: واذكروا نعمتي عليكم في إنزالي عليكم المن والسلوى، طعامًا طيبًا نافعًا هنيئًا سهلًا، واذكروا دبركم وضجركم مما رزقكم، وسؤالكم موسى استبدال ذلك بالأطعمة الدنية من القول ونحوها مما سألتهم. وقال الحسن البصري: فبطروا ذلك ولم يصبروا عليه،





## ● الوقفات التدرية

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغِينَ مِّنَ آمَنٍ بِلِلَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَكَمِلَ صِلَاحُ قُلُوبِهِمْ أَفَرَأَيْتُمْ أَن تَقُولُوا لَا تَحْزَنْهُمْ وَلَا يَحْزَنُوا ﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَرَعْنَا عَنْهُمْ فَرَاسُخًا مِّنَ الْوَعْدِ وَأَمَّا أُولَئِكَ لَمَّا جَاءَهُمْ قَوْمٌ مِّنْ بَيْنِهِمْ أَذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّهُمْ يَقْنَعُونَ ﴿٥٤﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْنَا مَن بَعْدَ ذَلِكَ قَوْمًا فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدُوا لَكُمْ فِي السَّيِّئَاتِ فَعَلْنَا لَهُمْ كُفْرًا بَرْدَةً خَاسِعِينَ ﴿٥٦﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَآخِذَها وَمَوْجِزَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَجِدْنَا هُزُوعًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَن أَكُونَ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا أَذْءُ لَنَا رَبِّكَ بَيْنَ يَدَيْهَا قَالِ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِصَ وَلَا يَكْرَ عَوَانٍ بَيْنَ ذَلِكَ فَاقْبَلُوهَا مَا تَوْمَرُونَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا أَذْءُ لَنَا رَبِّكَ بَيْنَ يَدَيْهَا قَالِ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴿٦٠﴾

وهذه طريقة القرآن: إذا وقع في بعض النفوس عند سياق الآيات بعض الأوهام، فلا بد أن تجد ما يزيل ذلك الوهم؛ لأنه تنزيل من يعلم الأشياء قبل وجودها، ومن رحمته وسعت كل شيء، وذلك - والله أعلم - أنه لما ذكر بني إسرائيل وذمهم، وذكر معاصيهم وقبائحهم، ربما وقع في بعض النفوس أنهم كلهم يشملهم الذم، فأراد الباري تعالى أن يبين من لم يلحقه الذم منهم بوصفه. ولما كان أيضاً ذكر بني إسرائيل خاصة يوم الاختصاص بهم؛ ذكر تعالى حكماً عاماً يشمل الطوائف كلها؛ ليتضح الحق، ويوزل التوهم والإشكال. السعدي: ٥٤.

السؤال: لماذا وردت هذه الآية بعد ذكر قبائح بني إسرائيل؟

● ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَرَعْنَا عَنْهُمْ فَرَاسُخًا مِّنَ الْوَعْدِ وَأَمَّا أُولَئِكَ لَمَّا جَاءَهُمْ قَوْمٌ مِّنْ بَيْنِهِمْ أَذْكُرُوا مَا فِيهِمْ لَعَلَّهُمْ يَقْنَعُونَ ﴾ المراد بالقوة الجد والاجتهاد وعدم التكاسل والتغافل. الألوسي: ٢٨١/١.

السؤال: إلى ماذا يشير أخذ ما أنزل الله بقوة في الآية؟

● ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُفُّوا رُءُوسَهُمْ وَأَنصِتُوا يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَإِنَّا نَاسِرُونَ ﴾ ولقد علمتم اليهود في السبت ما كنتم تعلمون في اليوم الجمعة لأن الله الذي ترتب عليه العصيان - وهو دخول الحيثان للحياض - يقع في يوم السبت ابن عاشور: ٥٤/١.

السؤال: لماذا جعل اعتداء اليهود في السبت مع أنهم حضروا يوم الجمعة؟  
● ﴿ جَعَلْنَاهُمْ نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَآخِذَها وَمَوْجِزَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ ولكنها لا تكون موعظة نافعة إلا للمتقين، وأما من عداهم فلا ينتفعون بالآيات. السعدي: ٥٤.

السؤال: لماذا خُصَّت الموعظة بالمتقين؟

● ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَجِدْنَا هُزُوعًا قَالِ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِصَ وَلَا يَكْرَ عَوَانٍ بَيْنَ ذَلِكَ فَاقْبَلُوهَا مَا تَوْمَرُونَ ﴾ قال الماوردي: وإنما أمروا - والله أعلم - بذبح بقرة دون غيرها؛ لأنها من جنس ما عبده من العجل؛ ليهون عندهم ما كان يرونه من تعظيمه، وليعلم بإجابتهم ما كان في نفوسهم من عبادته. القرطبي: ١٧٧/٢.

السؤال: ما الحكمة في أمر الله تعالى لهم بذبح بقرة؟

● ﴿ قَالُوا أَتَجِدْنَا هُزُوعًا قَالِ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَجِدْنَا هُزُوعًا قَالِ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِصَ وَلَا يَكْرَ عَوَانٍ بَيْنَ ذَلِكَ فَاقْبَلُوهَا مَا تَوْمَرُونَ ﴾ (٥٨) قَالُوا أَذْءُ لَنَا رَبِّكَ بَيْنَ يَدَيْهَا قَالِ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴿٦٠﴾ على أنه لا يليق بمقام الرسول؛ ولنا تبرأ منه موسى. ابن عاشور: ٥٤/١.

السؤال: لماذا رد موسى على سؤال قومه بقوله: (أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين)؟  
● ﴿ قَالُوا أَذْءُ لَنَا رَبِّكَ بَيْنَ يَدَيْهَا قَالِ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِصَ وَلَا يَكْرَ عَوَانٍ بَيْنَ ذَلِكَ فَاقْبَلُوهَا مَا تَوْمَرُونَ ﴾ (٥٨) قَالُوا أَذْءُ لَنَا رَبِّكَ بَيْنَ يَدَيْهَا قَالِ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴿٦٠﴾ فلو لم يعترضوا لأجزأت عنهم أذن بقرة، ولكنهم شدوا فشدوا عليهم، حتى انتهوا إلى البقرة التي أمروا بذبحها فوجدوها عند رجل ليس له بقرة غيرها، فقال: والله لا انقصها من ملء جليها ذهباً، فأخذوها بذبحوها ابن كثير: ١٠٣/١.

السؤال: ما خطورة التعتن والتشدد في الدين؟

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغِينَ مِّنَ آمَنٍ بِلِلَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَكَمِلَ صِلَاحُ قُلُوبِهِمْ أَفَرَأَيْتُمْ أَن تَقُولُوا لَا تَحْزَنْهُمْ وَلَا يَحْزَنُوا ﴿٥٤﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَرَعْنَا عَنْهُمْ فَرَاسُخًا مِّنَ الْوَعْدِ وَأَمَّا أُولَئِكَ لَمَّا جَاءَهُمْ قَوْمٌ مِّنْ بَيْنِهِمْ أَذْكُرُوا مَا فِيهِمْ لَعَلَّهُمْ يَقْنَعُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْنَا مَن بَعْدَ ذَلِكَ قَوْمًا فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدُوا لَكُمْ فِي السَّيِّئَاتِ فَعَلْنَا لَهُمْ كُفْرًا بَرْدَةً خَاسِعِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَآخِذَها وَمَوْجِزَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٥٨﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَجِدْنَا هُزُوعًا قَالِ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِصَ وَلَا يَكْرَ عَوَانٍ بَيْنَ ذَلِكَ فَاقْبَلُوهَا مَا تَوْمَرُونَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا أَذْءُ لَنَا رَبِّكَ بَيْنَ يَدَيْهَا قَالِ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴿٦٠﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
وَالصَّابِغِينَ	قَوْمٌ بَاقُونَ عَلَى فِطْرَتِهِمْ، وَلَا دِينَ لَهُمْ يَتَّبِعُونَهُ.
فَارِصٌ	مُسِنَّةٌ هَرِمَتْ.
يَكْرٌ	صَغِيرَةٌ قَبِيْثَةٌ.
عَوَانٌ	مُتَوَسِّطَةٌ بَيْنَ الْمُسِنَّةِ وَالصَّغِيرَةِ.
فَاقِعٌ	شَدِيدَةُ الصُّفْرِ.

## ● العمل بالآيات

- أخرج اليوم إلى أعمالك الدينية والدنيوية مبكراً، وحاول أن تكون أكثر جدية، وأعلى همّة، ثم تأمل الفرق في النتائج ﴿ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَادْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾.
- ارسل رسالتك لمن حولك تذكر فيها أن المعصية بتحايل أكثر جلباً لنسخط الله من المعصية بلا تحايل، ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُفُّوا رُءُوسَهُمْ وَأَنصِتُوا يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَإِنَّا نَاسِرُونَ ﴾.
- ارسل رسالتك تذكر المجتمع فيها بعلم الله سبحانه بالفرق بين التقوى الكاذبة والتقوى الصادقة، ﴿ قَالُوا أَذْءُ لَنَا رَبِّكَ بَيْنَ يَدَيْهَا قَالِ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴾.

## ● التوجيهات

- على المسلم أن يتمسك بدينه بقوة، وأن لا يكون سريع التنازل عن شيء منه أمام الأحداث والصائب، ﴿ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ ﴾.
- ما يحصل لغيرك من عقوبة فيه عبرة وعظة لك، ﴿ جَعَلْنَاهُمْ نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَآخِذَها وَمَوْجِزَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾.
- اذكر فضل الله ورحمته عليك بهذا الإسلام، واشكره على ذلك؛ فلو لاه لكانت من الخاسرين في الدنيا والآخرة، ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْنَا مَن بَعْدَ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿وَإِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾

لولا ان القوم استثنوا فقالوا: (وانا ان شاء الله المهتدون)، لما هودا اليها ابداً.  
ابن كثير: ١/١٠٤.

السؤال: ما الفائدة التي عادت على قوم موسى من الاستثناء؟

﴿سَأَلُوا النَّبِيَّ بِالْحَقِّ﴾

وهذا من جهلهم، والا فقد جامعهم بالحق اول مرة، فلو انهم اعترضوا  
أي بقرة لحصل المقصود، لكنهم شددوا بكثرة الأسئلة؛ فشدد الله عليهم.  
السعدي: ٥٥.

السؤال : على ماذا يدل قول قوم موسى (الآن جنت بالحق)؟

﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾

لصبيانهم وكثرة سؤالاتهم، او لغلاء البقرة -فقد جاء انها كانت لبتيمة،  
وانهم اشتروها بوزنها ذهب- او لقلته وجود تلك الصفة؛ فقد روي انهم لو  
ذبحوا ادنى بقرة اجزأت عنهم، ولكنهم شددوا فشدد عليهم. ابن جزي: ٧٠/١.  
السؤال: التقوى الكاذبة تجلب للعبد العنت والمشقة، بعكس التقوى  
الصادقة، بين ذلك من الآية.

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسَوَةً﴾

ثم وصف قسوتها بأنها كالحجارة، التي هي اشد قسوة من الحديد؛ لأن  
الحديد والرمصاص إذا أذيب في النار ذاب، بخلاف الأحجار. السعدي: ٥٥.  
السؤال: لماذا شُبِّهَتْ قلوبهم القاسية بالحجارة، ولم تشبه بالحديد مثلاً؟  
﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسَوَةً﴾  
وقوة القلب الحمودة غير قسوته اللزومة، فإنه ينبغي ان يكون قويا من  
غير عنف، ولينا من غير ضعف. ابن تيمية: ٢٤٣/١.

السؤال: ما الفرق بين قوة القلب وقسوته؟

﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَجَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ  
مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَّا يَجِيطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾

إن من الحجارة ما هو انفع من قلوبكم؛ لخروج الماء منها، وترديها، قال  
مجاهد: ما تردى حجر من رأس جبل، ولا تفجر نهر من حجر، ولا خرج  
منه ماء الا من خشية الله؛ نزل بذلك القرآن. القرطبي: ٢٠٨/٢.

السؤال: بين من خلال الآية كيف تكون بعض الحجارة انفع من  
القلوب القاسية.

﴿أَفْطَمَعُونَ أَن يُؤْمِرُوا بَكُم وَقَدْ كَان قَرِيبَ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ  
ثُمَّ يَحْرِفُوهَ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَسْكُوتُونَ﴾

(من بعد ما عقلوه؛ أي: عرفوه وعلموه. وهذا توبيخ لهم؛ أي: إن هؤلاء  
اليهود قد سلفت لأبائهم افاعيل سوء وعناد، فهؤلاء على ذلك السنن،  
فكيف تطمعون في إيمانهم؟ ودل هذا الكلام أيضا على أن العالم بالحق  
المعاند فيه بعيد من الرشد؛ لأنه علم الوعد والوعيد ولم ينفه ذلك عن  
عناده. القرطبي: ٢١٣/٢.

السؤال: أيهما أقرب للهداية: الجاهل أم العالم المعاند؟

قَالُوا أَنْعِنْ لَنَا مَا هِيَ إِنْ الْبَقَرُ تَشْبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا  
إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ أَذَلُولٌ  
تُخِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيشَةَ فِيهَا قَالُوا  
أَلْقِنْ جَنَّتْ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٠٥﴾ وَإِذْ  
قَتَلْتُمْ نَفْسًا قَدْ زُكِّتَ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجُ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿١٠٦﴾  
فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُخَيِّ اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُزَكِّي  
عِبَادَهُ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٠٧﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ  
فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسَوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَجَجَّرُ  
مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَّا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ  
مِنْهَا لَمَّا يَجِيطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾  
﴿أَفْطَمَعُونَ أَن يُؤْمِرُوا بَكُم وَقَدْ كَان قَرِيبَ مِّنْهُمْ  
يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يَحْرِفُوهَ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ  
يَسْكُوتُونَ﴾ وَإِذْ لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا  
خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا اتَّخَذُوا لَهُمْ سَمَافِحَ اللَّهُ  
عَلَيْكُمْ لِيُحَاجِرَكُمْ بِهِ وَعِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
لَا ذُلُولٌ	غَيْرُ مُذَلَّلَةٍ لِلْعَمَلِ فِي الْحِرَافَةِ.
مُسَلَّمَةٌ	خَالِيَةٌ مِنَ الْعُيُوبِ.
لَا شِيشَةً	لَيْسَ فِيهَا عَلَامَةٌ مِنْ لَوْنٍ يُخَالِفُ لَوْنَهَا.
فَادَارَأْتُمْ	تَنَازَعْتُمْ، وَتَدَافَعْتُمْ تَهْمَةَ الْقَتْلِ.

## ● العمل بالآيات

١. «ميزان القلب خلواته» انفراد بنفسك منشغلاً بعبادة من العبادات؛ فالله تعالى يعلم ما تخفي وما تظهر، ﴿وَاللَّهُ يُخْرِجُ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾.
٢. احذر طول العهد بمرفقات القلوب، واعمل اليوم عملاً يرق قلبك؛ كتفصيل ميت، أو دفنه، أو زيارة لقسم الطوارئ، أو لأحد العباد أو الزهاد، ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسَوَةً﴾.
٣. ارسل رسالتك أو مقالاً عن بعض نماذج النفاق المعاصرة، ﴿وَإِذْ لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِشَعْهْمُ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا اتَّخَذُوا لَهُمْ سَمَافِحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجِرَكُمْ بِهِ وَعِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

## ● التوجيهات

١. الاستجابة للأوامر الشرعية بعد كثرة طرحة الأسئلة المتكسفة نوع من التعتن أو التقوى الكاذبة، ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾.
٢. الله قادر على اظهار ما تخفيه من الذنوب؛ فلا تجعله امون الناظرين اليك، ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا قَدْ زُكِّتَ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجُ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾.
٣. المعاصي هي سبب قسوة القلب، ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾.

عن ابن عباس: فصارت قلوب بني إسرائيل مع طول الأمد قاسية بعيدة عن الموعظة بعد ما شاهدوه من الآيات والمعجزات، فهي في قسوتها كالحجارة التي لا علاج للينها أو أشد قسوة من الحجارة، فإن من الحجارة ما تنفجر منها العيون الجارية بالأهار، ومنها ما يشقق فيخرج منه الماء، وإن لم يكن جارياً، ومنها ما يهبط من رأس الجبل من خشية الله، وفيه إدراك لذلك بحسبه، كما قال: ﴿سُبْحُ لَهْ أَكْثَرُ السَّبْحِ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبُحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا حَلِيمًا غَوْرًا﴾ [الإسراء: ٤٤].

تنبيه: اختلف علماء العربية في معنى قوله تعالى ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارِ أَزْ أَشَدَّ قَسْوَةً﴾ بعد الإجماع على استحالة كونها للشك، فقال بعضهم: (أو) ههنا بمعنى الواو، تقديره: فهي كالحجارة وأشد قسوة، وقال آخرون: (أو) ههنا بمعنى بل، فتقديره: فهي كالحجارة بل أشد قسوة الآية (٧٥-٧٦): يقول الله تعالى: ﴿أَفَنْظَرُونَ﴾ أيها المؤمنون ﴿أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾ أي: ينقاد لكم بالطاعة هؤلاء الفرقة الضالة من اليهود، الذين شاهد آباؤهم من الآيات والبنات ما شاهدوه، ثم قست قلوبهم من بعد ذلك. ﴿وَقَدْ كَانَ قَرِيبٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يَحْرِثُونَ﴾ أي: يتأولونه على غير تأويله ﴿وَيَنْبَغِدُ مَا عَقَلُوهُ﴾ أي: فهموه على الجلية ومع هذا يخالفونه على بصيرة ﴿وَهُمْ يَسْلُكُونَ﴾ أنهم مخطفون فيما ذهبوا إليه من تحريفه وتأويله!

قوله: ﴿يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يَحْرِثُونَ﴾، قال ابن زيد: التوراة التي أنزلها الله عليهم يحرفونها، يفعلون الحلال فيها حراماً، والحرام فيها حلالاً، والحق فيها باطلاً، والباطل فيها حقاً؛ إذا جاءهم السُّحْقُ برشوة أخرجوا له كتاب الله، وإذا جاءهم المبطل برشوة أخرجوا له ذلك الكتاب فهو فيه مُحَقٌّ، وإن جاءهم أحد يسألهم شيئاً ليس فيه حق ولا رشوة ولا شيء؛ أمره بالحق، فقال الله لهم: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَذَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٤٤].

عن ابن عباس: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا﴾ أي: أنَّ صاحبكم رسول الله ﷺ، ولكنه إليكم خاصة. ﴿وَإِذَا خَلَا بِضَعْثُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا﴾: لا نتحدثوا العرب بهذا، فإنكم قد كنتم تستفتحون به عليهم فكان منهم، فأنزل الله: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِضَعْثُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ أي: يُقَرُّون بأنه نبي، وقد علمتم أنه قد أخذ له الميثاق عليكم باتباعه، وهو يخبرهم أنه النبي الذي كنا ننتظر ونجد في كتابنا؛ اجحدوه ولا تُقَرُّوا به.

الآية (٧٠): ﴿إِنَّ أَلْأَنفَرَكَيْنِ عَلَيْنَا﴾: لكثرتها، فميز لنا هذه البقرة وصفها وجعلها لنا. ﴿وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ إذا بيتتها لنا ﴿لَمُهْذُونَ﴾ إليها.

الآية (٧١): ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولَ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْقَرْيَ﴾ أي: إنها ليست مُذَلَّلَةً بالحرارة، ولا مُعَدَّةً للسقي في السانية، بل هي مكرمة حسناء صبيحة ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ صحيحة لا عيب فيها ﴿لَا يَبِغِي فِيهَا﴾ أي: ليس فيها لون غير لونها. ﴿وَسَأَلُوا أَتَنْ يَحْتِ بِأَلْحَى﴾ قال قتادة: الآن يثبت لنا ﴿تَذَبُّحُهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ قال ابن عباس: كادوا ألا يفعلوا، ولم يكن ذلك الذي أرادوا؛ لأنهم أرادوا ألا يذبحوها. يعني: أنهم مع هذا البيان، وهذه الأسئلة والأجوبة والإيضاح ما ذبحوها إلا بعد الجهد، وفي هذا ذم لهم، وذلك أنه لم يكن غرضهم إلا التلذذ، فلهذا ما كادوا يذبحونها.

قال ابن جرير: وقال آخرون: لم يكادوا أن يفعلوا ذلك خوف الفضيحة، إن أطلع الله على قاتل القاتل الذي اختصموا فيه. ثم اختار أن الصواب في ذلك: أنهم لم يكادوا [أن] يفعلوا ذلك لغلاء ثمنها وللفضيحة. وفي هذا نظر، بل الصواب - والله أعلم - ما تقدم عن ابن عباس على ما وجهناه.

الآية (٧٢-٧٣): ﴿فَأَذَرَتْهُمُ فِيهَا﴾ قال مجاهد: اختلفتم. وقال عطاء الخراساني، والضحاك: اختصمتم فيها. ﴿وَاللَّهُ يُخْرِجُ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ قال مجاهد: ما تُكْتُمُونَ. ﴿فَقُلْنَا أَصْرَبُوهَا بِبَيْتِهَا﴾ هذا البعض أي شيء كان من أعضاء هذه البقرة فالعجزة حاصلة به، وخرق العادة به كائن، وقد كان معيناً في نفس الأمر، فلو كان في تعيينه لنا فائدة تعود علينا في أمر الدين أو الدنيا لبينه الله تعالى لنا، ولكن أبهمه، ولم يبيح من طريق صحيح عن معصوم بيانه، فنحن نُبهمه كما أبهمه الله. ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ الْآيَاتِ﴾ أي: فضرِبوه فحسب. وتبَّه تعالى على قدرته وإحيائه الموتى بما شاهدوه من أمر القاتل، فجعل تبارك وتعالى ذلك الصنع حجة لهم على المعاد، وفاصلاً ما كان بينهم من الخصومة والعناد.

والله تعالى قد ذكر في هذه السورة ما خلقه في إحياء الموتى في خمسة مواضع: ﴿ثُمَّ يَنْفُخُ فِي سَافِرَتَيْكَ﴾ [البقرة: ٥٠]، وهذه القصة، وقصة الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت، وقصة الذي مرَّ على قرية وهي خاوية على عروشها، وقصة إبراهيم والبطور الأربعة.

الآية (٧٤): يقول تعالى توبيخاً لبني إسرائيل، وتقريماً لهم على ما شاهدوه من آيات الله تعالى، وإحيائه الموتى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ كله ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارِ﴾ التي لا تلين أبداً.

ولهذا نبى الله المؤمنين عن مثل حالهم فقال: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنْ آلِهَةٍ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَلَمْ تَأْتِهِمْ آيَاتُ اللَّهِ فَكُنَتْ قُلُوبُهُمْ كَالْحِجَارِ فَكُنَتْ قُلُوبُهُمْ كَالْحِجَارِ﴾ [الحديد: ١٦].



الآية (٧٧): ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ أَنْ اللَّهَ يَعْلَمَ مَا بِيَدِهِ﴾ من كفرهم بمحمد ﷺ وتكذيبهم به، وهم يجحدونه مكتوباً عندهم. ﴿وَمَا يَمْلِكُونَ﴾ حين قالوا لأصحاب محمد ﷺ: آمنا.

الآية (٧٨-٧٩): ﴿وَمِنْهُمْ﴾ أي: ومن أهل الكتاب. قاله مجاهد: ﴿أُمِّيُّونَ﴾ الأميون: جمع أمي، وهو: الرجل الذي لا يحسن الكتابة، وهو ظاهر في قوله تعالى: ﴿لَا يَمْلِكُونَ الْكِتَابَ﴾ أي: لا يدرون ما فيه. ولهذا في صفات النبي ﷺ أنه أمي؛ لأنه لم يكن يحسن الكتابة، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَا تَرْتَابَ الْأُمِّيُّونَ﴾ [النبوة: ٤٨].

﴿وَلَا أَمَانَةَ﴾ قال ابن عباس: قولاً يقولونه بأفواههم كذباً. وقال مجاهد: إن الأميين الذين وصفهم الله أنهم لا يفقهون من الكتاب - الذي أنزل الله على موسى - شيئاً، ولكنهم يتخرون الكذب ويتخرون الأباطيل كذباً وزوراً. «والتأمي» في هذا الموضع: هو تخلف الكذب وتخترسه. وقال ابن عباس: ﴿وَأَنْ هُمْ لَا يَطْنُونَ﴾ أي: ولا يدرون ما فيه، وهم يجحدون نبوتك بالظن. وقوله: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيُشْرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ الآية هؤلاء صنف آخر من اليهود، وهم الدعاة إلى الضلال بالزور والكذب على الله، وأكل أموال الناس بالباطل. «والويل»: اهلاك والدمار، وهي كلمة مشهورة في اللغة. وعن ابن عباس: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ قال: هم أحبار اليهود. وعن ابن عباس قال: يا معشر المسلمين، كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزل الله على نبيه أحدث أخبار الله، تقرؤونه محضاً لم يُشَبَّ؟ وقد حدثكم الله تعالى أن أهل الكتاب قد بدلوا كتاب الله وغيروه، وكتبوا بأيديهم الكتاب، وقالوا: هو من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً؛ أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مساءلتهم؟ ولا والله ما رأينا منهم أحداً قط سألهم عن الذي أنزل إليكم. [رواه البخاري]. «ثَمَنًا قَلِيلًا» قال الحسن البصري: الثمن القليل: الدنيا بحذافيرها. وقوله: ﴿فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: فويل لهم مما كتبوا بأيديهم من الكذب والبهتان والافتراء ﴿وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ ويل لهم مما أكلوا به من السحت.

الآية (٨٠): يقول تعالى إخباراً عن اليهود فيما نقلوه وأدعوه لأنفسهم، من أنهم لن تمسهم النار إلا أياتاً معدودة، ثم يتنجون منها، فرد الله عليهم ذلك بقوله: ﴿فَلَا تَعْزَمْ أَنَّ اللَّهَ عَاهِدٌ﴾ أي: بذلك؟ فإن كان قد وقع عهده فهو لا يُخْلَفُ عهده. ولكن هذا ما جرى ولا كان. ولهذا أتى بـ ﴿أَمْ﴾ التي بمعنى: بل، أي: بل ﴿فَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْمَلُونَ﴾ من الكذب والافتراء عليه.

الآية (٨١-٨٢): يقول تعالى: ليس الأمر كما تمنيتم، ولا كما تشتهون، بل الأمر: أنه من عمل سيئة ﴿وَأَخْطَأْتُ بِهِ خُطِيئَةً﴾، وهو من وافي يوم القيامة وليس له حسنة، بل جميع عمله سيئات - فهذا من أهل النار، ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بالله ورسوله ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ - من العمل الموافق للشرعة - فهم من أهل الجنة.

وهذا المقام شبهه بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ ﴿٣٣﴾ ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يظلمون فيها﴾ [النساء: ١٢٤، ١٢٣]. وعن ابن مسعود: أن رسول الله ﷺ قال: «يَأْكُم وَتُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، فَإِنَّهُمْ يَجْتَمِعُونَ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يُبْلِكَنَّهُ» [رواه أحمد، وصححه إسناده أحمد شاكر].

وقال ابن عباس: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾: أي من آمن بما كفرتم، وعمل بما تركتم من دينه، فلهم الجنة خالدين فيها. يخبرهم أن الثواب بالخير والشر مقيم على أهله أبداً، لا انقطاع له.

الآية (٨٣): يذكر تبارك وتعالى بني إسرائيل بما أمرهم به من الأوامر، وأخذ ميثاقهم على ذلك، وأنهم تولوا عن ذلك كله، وأعرضوا قصداً وعمداً، وهم يعرفونه ويذكرونه، فأمرهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً. وبهذا أمر جميع خلقه، ولذلك خلقهم كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا رُوِيَ إِلَيْنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥٠]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَتَحْسِنُوا الصَّلَاةَ﴾ [النحل: ٣٦]. وهذا هو أعلى الحقوق وأعظمها، وهو حق الله تعالى، أن يُعْبَدَ وحده لا شريك له، ثم بعده حق المخلوقين، وأكدهم وأولاهم بذلك حق الوالدين، ولهذا يقرن الله تعالى بين حقه وحق الوالدين، كما قال تعالى: ﴿إِنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْلَا ذَلِكَ لِي الْفَقِيرُ﴾ [لقمان: ١٤]. وقال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا يَاقَاهُ وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الأنبياء: ٢٣]. وعن ابن مسعود، قلت: يا رسول الله! أي العمل أفضل؟ قال: «الصلاة على وقتها». قلت: ثم أي؟ قال: «بر الوالدين». قلت: ثم أي؟ قال: «الجهاد في سبيل الله» [متفق عليه].

﴿وَالْيَتَامَى﴾ وهم: الصغار الذين لا كاسب لهم من الآباء. ﴿وَالْمَسْكِينِ﴾: الذين لا يجدون ما ينفقون على أنفسهم وأهليهم. ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ أي: كلّموهم طيباً، وليتوا لهم جانباً، قال الحسن البصري: فالحسن من القول: يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويعلم، ويعفو، ويصفح، ويقول للناس حُسْنًا كما قال الله، وهو كل خلق حسن رضى الله. وناسب أن يأمرهم بأن يقولوا للناس حُسْنًا، بعدما أمرهم بالإحسان إليهم بالفعل، ثم أكد الأمر بعبادته والإحسان إلى الناس بالمعنى من ذلك، وهو الصلاة والزكاة، فقال: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ﴾، وأخبر أنهم تولوا عن ذلك كله، أي: تركوه وراء ظهورهم، وأعرضوا عنه على عهد بعد العلم به، إلا القليل منهم، وقد أمر تعالى هذه الأمة بنظر ذلك في سورة النساء: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا شِرْكَ لَهُ. سَبِيحًا لِلَّذِينَ إِحْسَانًا وَبِذَى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦]. فقامت من ذلك بما لم تَقُمْ به أمة من الأمم قبلها، والله الحمد والمنة.



## ● الوقفات التدريبية

﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنَّهُمْ لَا يَظُنُّونَ ﴾  
(لا أماني): تلاوة بغير فهم. ابن جزي: ٧٢/١.

السؤال: كيف تفهم من هذه الآية الدم لمن يقرأ القرآن بغير فهم؟

﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنَّهُمْ لَا يَظُنُّونَ ﴾  
هذه صفة من لا يفقه كلام الله، ويعمل به، وإنما يقتصر على مجرد تلاوته، كما قال الحسن البصري: نزل القرآن ليعمل به؛ فاتخذوا تلاوته عملاً. ابن تيمية: ٢٤٧/١.

السؤال: ترك تدبر القرآن الكريم والعمل به مذموم في القرآن الكريم؛ بين ذلك.

﴿ قَوْلِي لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيُشْتَرَوْا بِهِ، ثُمَّ قَلِيلًا ﴾

وإنما فعلوا ذلك مع علمهم (ليشتروا به ثمناً قليلاً)، والدنيا كلها من أولها إلى آخرها ثمن قليل، فجعلوا باطلهم شركاً يصطادون به ما في أيدي الناس، فظلموهم من وجهين: من جهة تلبيس دينهم عليهم، ومن جهة أخذ أموالهم بغير حق، بل باطل الباطل، وذلك اعظم ممن يأخذها غصباً وسرقة ونحوهما. السعدي: ٥٦.

السؤال: من حرف نص الكتاب أو معناه فهو ظالم من جهتين: بينهما.

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾  
وامرناهم بالوالدين إحساناً. وقرن الله عز وجل في هذه الآية حق الوالدين بالتوحيد لأن النشأة الأولى من عند الله، والنشأة الثانية -وهو التربية- من جهة الوالدين، ولهذا قرن تعالى الشكر لهما بشكره. القرطبي: ٢٢٩/٢.

السؤال: لماذا قرن الله سبحانه بين حقه وحق الوالدين؟  
﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾

وناسب أن يأمرهم بأن يقولوا للناس حسناً بعد ما أمرهم بالإحسان إليهم بالفعل؛ فجمع بين طريقتي الإحسان الفعلي والقولي. ابن كثير: ١١٥/١.

السؤال: لماذا ذكر القول الحسن بعد أن ذكر الإحسان؟

﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾  
وجعل الإحسان لسائر الناس بالقول؛ لأنه القدر الذي يمكن معاملة جميع الناس به، وذلك أن أصل القول أن يكون من اعتقاد، فهم إذا قالوا للناس حسناً فقد أضمرنا لهم خيراً. ابن عاشور: ٥٨٣/١.

السؤال: لماذا جعل الله تعالى الإحسان لسائر الناس بالقول؟  
﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾

هو اللين في القول، والمعاشرة بحسن الخلق. البغوي: ٧٢/١.  
السؤال: بين فضل الإحسان في القول ومكانته في الدين.

أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُرْسُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٥٥﴾  
وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنَّهُمْ لَا يَظُنُّونَ ﴿٥٦﴾  
قَوْلِي لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيُشْتَرَوْا بِهِ، ثُمَّ قَلِيلًا ﴿٥٧﴾  
قَوْلِي لَهُمْ وَمَا كُنْتُمْ أَتَدِينَهُمْ وَقَوْلِي لَهُمْ وَمَا كُنْتُمْ أَتَدِينَهُمْ ﴿٥٨﴾  
وَقَالُوا لَنْ نَسْتَأْذِنَكَ إِلَّا أَنْتَ أَمَّا مَعْدُودَةٌ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ وَأَمَّا تَقُولُ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾  
بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَاطِبُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٦٠﴾  
رَأَيْتُمْ أَتَدِينَهُمْ أَمْ أُوتُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٦١﴾  
وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٦٢﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
أُمِّيُّونَ	يَجْهَلُونَ الْقِرَاءَةَ وَالْكِتَابَةَ.
أَمَانِي	تِلَاوَةً أَوْ أَكَاذِيبَ تَلَقَّوْهَا عَنْ أَحْبَابِهِمْ.
قَوْلِي	هَٰذَا، وَذَمَّارٌ.
مِيثَاقٌ	الْعَهْدُ الْمُؤَكَّدُ.
حُسْنًا	كَلَامًا طَيِّبًا.

## ● العمل بالآيات

- أرسل رسالة عن أهمية إصلاح السيرة من خلال هذه الآية الكريمة، ﴿ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُرْسُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾.
- ابدا اليوم ببرنامج في فهم آيات القرآن من خلال قراءة أحد التفاسير المبصرة؛ لتكون ممن فهم كلام الله تعالى، ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنَّهُمْ لَا يَظُنُّونَ ﴾.
- اختر إحدى هذه العبادات، ونفذها اليوم حتى تكون عاملاً بالقرآن، وانظر كيف تجد قلبك بعد ذلك، ﴿ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ ﴾.

## ● التوجيهات

- تذكر أن الله يعلم ما تسر وما تعلن؛ فلا يربيك في سر ولا يفتيك إلا على خير، ﴿ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُرْسُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾.
- لا تنهوا عن عذاب؛ فذلك يفضي إلى القسوة ومزيد من المعاصي، ﴿ وَقَالُوا لَنْ نَسْتَأْذِنَكَ إِلَّا أَنْتَ أَمَّا مَعْدُودَةٌ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا ﴾.
- قرن الله حق الوالدين بحقه؛ فلا تتساهل في حق والديك، ﴿ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾.



## ● الوقفات التحريية

﴿ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أَكْثَرُ ثَقَدُوهُمْ ﴾

وردت الآثار عن النبي ﷺ أنه فك الأسارى، وأمر بفكهم، وجرى بذلك عمل المسلمين، وانهقد به الإجماع، ويجب فك الأسارى من بيت المال، فإن لم يكن فهو فرض على كافة المسلمين، ومن قام به منهم أسقط الفرض عن الباقيين. القرطبي: ٢٤٢/٢.

السؤال: ما واجبنا تجاه أسارى المسلمين في العالم؟

﴿ أَفْتَوِيُونِ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَكُفَرُوتِ بَعْضِ ﴾

وفيهما أكبر دليل على أن الإيمان يقتضي فعل الأوامر واجتناب النواهي، وأن المأمورات من الإيمان. السعدي: ٨٨.

السؤال: كيف ترد بهذه الآية على من يزعم الإيمان وهو لا يعمل؟

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ﴾

أخبر تعالى عن السبب الذي أوجب لهم الكفر ببعض الكتاب والإيمان ببعضه، فقال: (أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة). السعدي: ٨٨. السؤال: ما السبب الذي جعل بعض الناس يؤمنون ببعض الكتاب، ويكفرون ببعض؟

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾

التأييد بروح القدس لمن ينصر الرسل عام في كل من نصرهم على من خالفهم من المشركين وأهل الكتاب. ابن تيمية: ٣٦٨/١.

السؤال: من الذي ينصره الله تعالى بروح القدس؟

﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ ﴾

وسمي الهوى هوى؛ لأنه يهوى بصاحبه إلى النار، ولذلك لا يستعمل في الغالب إلا فيما ليس بحق، وفيما لا خير فيه. القرطبي: ٢٤٥/٢.

السؤال: إلى أين يجر الهوى صاحبه؟

﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾

قلوبنا مغطاة بأغشية خلقية، مانعة عن نفوذ ما جئت به؛ فيها إقناط النبي ﷺ عن الإجابة، وقطع طمعه عنهم بالكليّة؛ فأقصاهم الله تعالى عن رحمته. الألوسي: ٣٦٨/١.

السؤال: ماذا قصد اليهود من قولهم (قلوبنا غلف) وبماذا عوقبوا؟

﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾

أضرب الله سبحانه عنه بقوله: (بل) أي: ليس الأمر كما قالوا من أن هناك غلفا حقيقيا، بل (لعنهم الله) أي: طردهم الملك الأعظم عن قبول ذلك؛ لأنهم ليسوا بأهل للسعادة بعد أن خلقهم على الفطرة الأولى القويمّة لا غلف على قلوبهم؛ لأن اللعن إبعاد في المعنى والمكانة. البقاعي: ١٨٢/١.

السؤال: لماذا لعنهم الله وأبعدهم عن رحمته؟

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَ كُفْرٍ وَلَا تَخْرُجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ شَاهِدُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ أَنْشَرَهُمْ هَؤُلَاءِ تَقَاتُلُوا أَنْفُسَكُمْ وَتَخْرُجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدَاوَاتِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسْرَى تَقْتُلُوهُمْ وَهُمْ مَحْرُومُونَ ﴿١٦﴾ إِخْرَجَهُمْ أَفْتَوِيُونِ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَكُفَرُوتِ بَعْضِ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْكُمْ وَالْآخِرَةُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِمُعْذِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٨﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
تَفَادَوْهُمْ	تَسَعَوْا فِي تَحْرِيرِهِمْ مِنَ الْأَسْرِ.
جَزِي	ذُلٌّ، وَقَضِيحَةٌ.
وَقَفَّيْنَا	أَتْبَعْنَا.
غُلْفٌ	مُغْطَاةٌ.

## ● الفصل بالآيات

١. اسع في فك أسير أو سجين بشفاعته، أو بتقديم مال، أو بدعوة صالحة في جوف الليل، أو في ساعة إجابته. ﴿ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أَكْثَرُ ثَقَدُوهُمْ ﴾.
٢. اطلب النصيحة من أحد زملائك، وأقبلها طالما أنها حق، ولا تردّها لأنها لا توافق هواك. ﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقَاتُلُونَ ﴾.
٣. قل: «رضيت بالله ربا، وبمحمد ﷺ رسولا، وبالإسلام ديناً». ﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ ﴾.

## ● التوجيهات

١. تأمل كيف سمي الله تعالى قتل بعضهم بعضاً قتلاً لأنفسهم؛ لأن المؤمن مع أخيه كالنفس الواحدة؛ يحزنه ما أحزنه، ويفرحه ما أفرحه، ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم. ﴿ تَقَاتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾.
٢. الإيمان بالله سبحانه هو الرضى بالدين كاملاً، أما انتقاء بعض الأحكام ورد البعض الآخر فنوع من النفاق والعياذ بالله. ﴿ أَفْتَوِيُونِ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَكُفَرُوتِ بَعْضِ ﴾.
٣. اليهود غير مؤتمنين على التوراة التي بين أيديهم؛ فكيف يؤتمنون على غيرها من المعاهدات والمواثيق. ﴿ أَفْتَوِيُونِ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَكُفَرُوتِ بَعْضِ ﴾.

يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّسُولُ وَالْأَحْبَارُ  
يَمَا اسْتَحْفَظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ﴿الآية الثالثة: ٤٤﴾،  
ولهذا قال تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا مِنْ مِّنْ دُونِهِ بِالْحَسْبِ﴾ قال السدي: اتَّبَعْنَا.  
وقال غيره: أَرَدْنَا. والكلمة قريب؛ كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوَّلَيْنَا رُسُلَنَا  
تَتَرًّا﴾ [الأنبياء: ٤٤] حتى ختم أنبياء بني إسرائيل بعيسى ابن مريم،  
فجاء بمخالفة التوراة في بعض الأحكام، ولهذا أعطاه الله من البينات  
-وهي المعجزات- ما يدلُّهم على صدقه فيما جاءهم به. فاشتدَّ  
تكذيب بني إسرائيل له وحسدُّهم وعنادهم لمخالفة التوراة في  
البعض.

فكانت بنو إسرائيل تعامل الأنبياء عليهم السلام أسوأ المعاملة،  
فريقاً يكذبونه، وفريقاً يقتلونهم، وما ذاك إلا لأنهم كانوا يأتونهم  
بالأمور المخالفة لأهوائهم وآرائهم ويلزمهم بأحكام التوراة التي قد  
تصرَّفوا في مخالفتها، ولهذا كان يشقُّ ذلك عليهم، فيكذبونهم، وربما  
قتلوا بعضهم؛ ولهذا قال تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى  
أَنفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِقْنَا بَيْنَكُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ روح القدس هو جبريل، كما  
نصَّ عليه ابن مسعود في تفسير هذه الآية، وتابعه على ذلك ابن عباس  
مع قوله تعالى: ﴿نَزَّلَ بِهِ الرُّوحَ الْأَمِينُ﴾ ﴿٣٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾  
[الشعراء: ١٩٣-١٩٤].

الآية (٨٨): عن ابن عباس: ﴿عُلْفٌ﴾ أي: في أكِنَّةٍ. وقال  
السدي: يقولون: عليها غلاف، وهو الغطاء. وعن ابن أسلم، في  
قوله: ﴿عُلْفٌ﴾ قال: يقول: قلبي في غلاف فلا تخلص إليه ما تقول،  
وقرأ: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا أَكْفَرُنَا بَدَلْنَا إِلَيْهِ﴾ [نصت: ٥]. وهذا هو  
الذي رجَّحه ابن جرير، واستشهد [بحديث]: «القلوب أربعة. فذكر  
منها: وقلب أغلف مغضوبٌ عليه، وذاك قلب الكافر» [رواه ابن جرير  
مرفوعاً من حديث أبي سعيد الخدري، وقال ابن كثير: إسناده جيد حسن].

وعن ابن عباس قال: يقولون: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾: مملوءة، لا نحتاج  
إلى علم محمد ولا غيره. ولهذا قال تعالى: ﴿بَلْ لَّمْ يَكْفُرْهُمْ قَلِيلًا  
مَّا يُؤْمِنُونَ﴾، أي: ليس الأمر كما ادَّعوا، بل قلوبهم مملوءة مطبوع  
عليها، كما قال: ﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا  
يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٥٥].

﴿قَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ قال بعضهم: قليل من يؤمن منهم. وقيل:  
قليل لإيمانهم. بمعنى أنهم يؤمنون بما جاءهم به موسى من أمر المعاد  
والنواب والعقاب، ولكنه إيمان لا ينفعهم؛ لأنه مغمورٌ بما كفروا به  
من الذي جاءهم به محمد ﷺ.

الآية (٨٤-٨٦): يقول الله مُنْكَرًا على اليهود الذين كانوا في زمان  
رسول الله ﷺ بالمدينة، وما كانوا يُعانونه من القتال مع الأوس  
والخزرج، وذلك: أن الأوس والخزرج كانوا في الجاهلية عبَاد أصنام،  
وكانت بينهم حروبٌ كثيرة، وكانت يهود المدينة ثلاث قبائل: بنو  
قينقاع، وبنو النضير، وبنو الخزرج، وبنو قريظة حلفاء الأوس.  
فكانت الحرب إذا نشبت بينهم قاتل كل فريق مع حلفائه، فيقتل  
اليهوديُّ أعداءه، وقد يقتل اليهوديُّ الآخر من الفريق الآخر، وذلك  
حرام عليهم في دينهم ونص كتابه. ويُخرجونهم من بيوتهم وينهبون ما  
فيها من الأثاث والأمتعة والأموال، ثم إذا وضعت الحرب أوزارها  
استغفكوا الأسارى من الفريق المغلوب، عملًا بحكم التوراة؛ ولهذا  
قال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾، ولهذا  
قال تعالى: ﴿وَلَا أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ  
أَنفُسَكُمْ بَيْنَ يَدَيْكُمْ﴾ أي: لا يقتل بعضكم بعضًا، ولا تُخرج من  
منزله، ولا يُظاهر عليه، وذلك أن أهل الملة الواحدة بمنزلة النفس  
الواحدة. ﴿ثُمَّ أَفْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ شَهَادَتَكُمْ﴾ أي: ثم أفررتُم بمعركة هذا  
البنائِق وصحته وأنتم تنهضون به.

﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ مِّنَ  
دِينِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسْرَى  
تُفَدُّوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾ والذي أرشدت إليه الآية  
الكريمة: ذم اليهود في قيامهم بأمر التوراة التي يعتقدون صحتها،  
ومخالفة شرعها، مع معرفتهم بذلك وشهادتهم لها بالصحة، فلهاذا لا  
يُؤْتَمِنُونَ على ما فيها ولا على نقلها، ولا يُصدقون فيما يكتُمونه من  
صفة رسول الله ﷺ وَصْفُهُ وَنَبِيِّنِهِ وَخُرُوجِهِ، وغير ذلك من  
شؤونه، التي قد أخبرت بها الأنبياء قبله، واليهود عليهم لعائن الله  
يتكاثرون بينهم، ولهذا قال تعالى: ﴿فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلْ ذَلِكَ  
مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي: بسبب مخالفتهم شرع الله  
وأمره ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ﴾ جزاء على ما كتموه من  
كتاب الله الذي بأيديهم ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٥٥﴾ أُولَئِكَ  
الَّذِينَ اشْتَرَوْا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾ أي: استحبوها على الآخرة  
واختاروها، ﴿فَلَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ﴾ أي: لا يفتقر عنهم ساعة  
واحدة ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ أي: وليس لهم ناصر يُقذِّمهم مما هم فيه من  
العذاب الدائم السرمدي، ولا يُخبرهم منه.

الآية (٨٧): يَنْتَ تبارك وتعالى بني إسرائيل بالعتوِّ والعناد  
والمخالفة، والاستكبار على الأنبياء، وأنهم إنما يَتَّبِعُونَ أهواءهم، فذكر  
تعالى أنه أتى موسى الكتاب -وهو التوراة- فحرفوها وبللوها،  
وخالفوا أوامرها وأولوها. وأرسل الرسل والنبيين من بعده الذين  
يُحْكُمُونَ بشريعته، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ

الآية (٨٩): ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ﴾ يعني اليهود ﴿كَتَبَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ وهو: القرآن الذي أنزل على محمد ﷺ ﴿مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾ يعني: من التوراة ﴿وَكَاثِبُونَ قَبْلَ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: وقد كانوا من قبل يجيء هذا الرسول بهذا الكتاب يستصرون بمجيئه على أعدائهم من المشركين إذا قاتلوهم، يقولون: إنه سيبيح نبي في آخر الزمان نقتلكم معه قتل عاد وإرم. عن ابن عباس: أن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله ﷺ قبل مبعثه. فلما بعثه الله من العرب كفروا به، وجحدوا ما كانوا يقولون فيه، فقال لهم معاذ بن جبل، ويشر بن البراء بن معرور، وداد بن سلمة: يا معشر يهود، اتقوا الله وأسلموا؛ فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن أهل شرك، وتخبرونا بأنه مبعوث، وتصفونه بصفته. فقال سلام بن مشكم أخو بني النضير: ما جاءنا بشيء نعرفه، وما هو بالذي كنا نذكر لكم. فأنزل الله في ذلك من قوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾ الآية [رواه ابن إسحاق بسند حسنه مؤلف كتاب المسبور من التفسير بالماثور].

الآية (٩٠): قال السدي: ﴿يُسَبِّحُوا أَشْرَرًا بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾ يقول: باعوا به أنفسهم، يعني: بشئ ما اغتاصوا لأنفسهم ورضوا به وعدلوا إليه. وإنما حملهم على ذلك البغي والحسد والكرهية له ﴿أَن يُزِيلَ اللَّهُ مِنْ قُلُوبِهِمْ عَنْ مَن يُشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ ولا حسد أعظم من هذا. ﴿فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ﴾ قال ابن عباس: فالغضب على الغضب: غضبه عليهم فيما كانوا ضيعوا من التوراة وهي معهم، وغضب بكفرهم بهذا النبي الذي أخذت إليه بهم.

ومعنى ﴿فَبَاءُوا﴾ استوجبوا، واستحقوا، واستقروا بغضب على غضب. ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ﴾ لما كان كفرهم سببه البغي والحسد، ومنشأ ذلك التكبر - قوبلوا بالإهانة والصغار في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]. وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، عن النبي ﷺ قال: «يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُورِ النَّاسِ، يَلْعَلُهُمْ كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الصَّغَارِ، حَتَّى يَدْخُلُوا سَجَنًا فِي جَهَنَّمَ، يُقَالُ لَهُ: بُوئْسَ قَبْلُهُمْ نَارُ الْأَنْبَارِ، يُسْقَوْنَ مِنْ طِينَةِ الْحَبَالِ: عُصَاةُ أَهْلِ النَّارِ» [رواه أحمد والترمذي، وصححه إسناده أحمد شاكر].

الآية (٩١-٩٢): يقول تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ أي: لليهود وأمثالهم من أهل الكتاب: ﴿ءَايِسُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ أي: على محمد ﷺ، صدقوه واتبعوه ﴿قَالُوا نَزَمْنَا بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا﴾ أي: يكفينا الإيمان بما أنزل علينا من التوراة والإنجيل، ولا نقر إلا بذلك، ﴿وَيَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَهُ﴾ أي: بما بعده ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ﴾ أي: وهم يعلمون أن ما أنزل على محمد ﷺ الحق ﴿مُصَدِّقًا﴾ أي: في حال تصديقه لما معهم من التوراة والإنجيل، فالحجة قائمة عليهم بذلك، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَرَوْنَهُ كَمَا يَرَوْنَ آبَاءَهُمْ﴾

[البقرة: ١٤٦]. قال تعالى: ﴿قُلْ لِمَ تَقُولُونَ أُنْيَاةَ اللَّهِ مِن قَبْلِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ أي: إن كنتم صادقين في دعوكم الإيمان بما أنزل إليكم، فلم قلتم الأنبياء الذين جاؤوكم بتصديق التوراة التي بأيديكم والحكم بها وعدم نسخها، وأنتم تعلمون صدقهم؟ قلتموهم بغيرها وعنادًا واستكبارًا على رسل الله، فلستم تتبعون إلا مجرد الأهواء والآراء والشهوى، كما قال تعالى: ﴿فَقُلْنَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧]. وقال أبو جعفر بن جرير: قل يا محمد ليهود بني إسرائيل - [الذين] إذا قلت لهم: ﴿ءَايِسُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نَزَمْنَا بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا﴾ - لم تقلتم - إن كنتم يا معشر اليهود مؤمنين بما أنزل الله عليكم - أنبياءه، وقد حرم الله في الكتاب الذي أنزل عليكم قتلهم، بل أمركم فيه باتباعهم وطاعتهم وتصديقهم، وذلك من الله تكذيب لهم في قوله: ﴿نَزَمْنَا بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا﴾ وتعير لهم.

﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي: بالآيات الواضحات والدلائل القاطعة على أنه رسول الله، وأنه لا إله إلا الله. والبيّنات هي: الطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والعصا، واليد، وقلق البحر، وتظليلهم بالغمام، والمن والسلوى، والحجر، وغير ذلك من الآيات التي شاهدها ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾ أي: معبودًا من دون الله في زمان موسى وآياته. وقوله: ﴿مِن بَعْدِهِ﴾ أي: من بعد ما ذهب عنكم إلى الطور لمناجاة الله، كما قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذْتُمْ مَوْنًا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ عِلْمِهِ عَجَلًا جَسَدًا لَّهُ خَوَارٍ﴾ [الأعراف: ١٤٨]. ﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ في هذا الصنيع الذي صنعتموه من عبادتكم العجل، وأنتم تعلمون أنه لا إله إلا الله، كما قال تعالى: ﴿وَلَمَّا سَقَطَ فِي يَدَيْهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٩].

الآية (٩٣): يُعَذِّدُ، تبارك وتعالى، عليهم خطأهم ومخالفاتهم للميثاق وعتوهم وإعراضهم عنه، حتى رفع الطور عليهم حتى قبلوه ثم خالفوه؛ ولهذا قال: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَيْنَا فِي قُلُوبِهِمْ أَلْوَجَلُ يَكْفُرِهِمْ﴾ قال قتادة: أشربوا حُبًّا، حتى خلص ذلك إلى قلوبهم. ﴿قُلْ يَسُبُّكُمْ إِيَّاهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ أي: يتسبوا بآيات الله في قديم الدهر وحديثه، من كفركم بآيات الله ومخالفتكم الأنبياء، ثم اعتادكم في كفركم بمحمد ﷺ، وهذا أكبر ذنوبكم، وأشد الأمور عليكم، فكيف تدعون لأنفسكم الإيمان وقد فعلتم هذه الأفاعيل القبيحة، من نقضكم الميثاق، وكفركم بآيات الله، وعبادتكم العجل من دون الله؟!



## ● الوقفات التدرية

١ ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَمَّا نَزَّلَ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾

كفرهم كان مجرد العناد الذي هو نتيجة الحسد لا للجهل، وهو ابلغ في الذم؛ لأن الجاهل قد يعذر. الأنوسي: ٣٢٢/١.

السؤال: ما سبب كفر اليهود؟

٢ ﴿ يَسْأَلُ أَشْتَرُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَعَثْنَا أَنْ نُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَكَوْهُ بِمَا عَلَى عَصَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾

لما كان كفرهم سببه البغي والحسد، ومنشأ ذلك التكبر؛ فويلوا بالإهانة والصغار في الدنيا والآخرة. ابن كثير: ١٢٠/١.

السؤال: الجزء من جنس العمل، وضع ذلك من الآية.

٣ ﴿ فَبَاكُوا بِعَصَبِ عَلَى عَصَبٍ ﴾

فلعنهم الله، وغضب عليهم غضباً بعد غضب؛ لكثرة كفرهم، وتوالي شكهم وشرهم. السعدي: ٥٩.

السؤال: لماذا باء اليهود بغضب بعد غضب؟

٤ ﴿ وَهُوَ الْحَقُّ مُصِيقًا لِمَا مِمَّهُمْ ﴾

فلم يؤمنون بما أنزل عليهم، وتكفرون بنظيره؛ هل هذا إلا تعصب واتباع للهوى؟ السعدي: ٥٩.

السؤال: بين القرآن أن سبب كفرهم بالقرآن إنما هو التعصب والهوى، وضح ذلك من خلال الآية.

٥ ﴿ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾

في إضافة (أنبياء) إلى الاسم الكريم تشريف عظيم، وإيدان بأنه كان ينبغي لمن جاء من عند الله تعالى أن يعظم وينصر، لا أن يقتل. الأنوسي: ٣٢٤/١.

السؤال: على ماذا تدل إضافة اسم أحد المخلوقات إلى اسم الله تعالى؟

٦ ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَسْمِعُوا ﴾

(ورفعنا فوقكم الطور): الجبل العظيم؛ الذي جعلناه زاجراً لكم عن الرضا بالإقامة في حضيض الجهل، ورافعا إلى أوج العلم ... ومن سمع

فلم يقبل كان كمن لم يسمع. قال: (واسمعوا)، ولا دفناكم به؛ وذلك حيث يكفي غيركم في التأديب رفع الدرة والسوط عليه فينبعث للتعلم.

البقاعي: ١٩٨/١.

السؤال: تأديب المعاند على قدر عناده، إلى أي مدى بلغ تأديب اليهود؟

٧ ﴿ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَسْمِعُوا ﴾

أي: سماع قبول، وطاعة، واستجابة. السعدي: ٥٩.

السؤال: ما نوع السماع الذي أراد الله سبحانه منا للقرآن الكريم؟

وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿١﴾ بِشَسْمَا أَشْتَرُ وَلَوْ بِهِمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَعَثْنَا أَنْ نُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِعَصَبِ عَلَى عَصَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا لَهُمْ عَهْدًا مِنْهُمْ أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا تَوَاصَوْا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَابْكُرُوا بِمَا وَدَّهْهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ أَخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٤﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَسْمِعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَيْنَا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِشَسْمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيْمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٥﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
يَسْتَفْتِحُونَ	يَسْتَنْصِرُونَ بِهِ عَلَى الْمُنْكَرِ كُنْ.
فَبَاءُوا	رَجَعُوا.

## ● العمل بالآيات

- استعد بالله من البغي والحسد، ﴿ يَسْأَلُ أَشْتَرُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَعَثْنَا أَنْ نُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾.
- اسأل الله سبحانه أن يرزقك التواضع، ودرب نفسك عليه؛ فإنه مفتاح الخير، كما أن الكبر مفتاح الشر؛ ﴿ يَسْأَلُ أَشْتَرُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَعَثْنَا أَنْ نُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾.
- قل هذا الدعاء وحافظ عليه: «اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك»؛ فإن اليهود لما سخط الله عليهم فضح عيوبهم واسرارهم على رؤوس الخلق؛ ﴿ قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَيْنَا فِي قُلُوبِنَا أَنْ يَجْعَلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾.

## ● التوجيهات

- حسد الآخرين على فضل الله عليهم عاقبته غضب الله تعالى، والعذاب المهيّن، ﴿ يَسْأَلُ أَشْتَرُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَعَثْنَا أَنْ نُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِعَصَبِ عَلَى عَصَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾.
- عليك أن تتمسك بدينك بقوة؛ فإن المؤمن القوي المتمسك بدينه خير من المؤمن الضعيف، ﴿ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ ﴾.
- الإصرار على العناد يؤدي إلى أن يتشر به قلب المعاند، ويصبح كأنه حقيقة لديه، ﴿ قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَيْنَا فِي قُلُوبِنَا أَنْ يَجْعَلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ يَسْأَلُ بِأَمْرِكُمْ بِهِ إِيْمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾.



## ● الوقفات التدريبية

﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ لَكُمْ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾

لأن من اعتقد أنه من أهل الجنة كان الموت أحب إليه من الحياة في الدنيا؛ لما يصير إليه من نعيم الجنة، ويذول عنه من أذى الدنيا. القرطبي: ٢٥٧/٢.

السؤال: لماذا أمر الله تعالى اليهود أن يتمنوا الموت؟

﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ لَكُمْ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾

لأن ذلك علم على صلاح حال العبد مع ربه، وعمارة ما بينه وبينه ورجائه للمقابلة... فعلى قدر نفرة النفس من الموت يكون ضعف منال النفس مع المعرفة التي بها تأنس بربها فتمتنى لقاءه وتحيه، ومن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه. البقاعي: ٢٥٠/١.

السؤال: ما دلالة تمنى لقاء الله؟

﴿ وَلَنَجْذِثَّهُمْ أَشْرَكَ النَّاسِ عَلَى حَورٍ وَمِنْ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرَحِّزٍهُ مِنْ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾

ذمهم بتهالكهم على بقائهم في الدنيا على أي حالة كانت؛ علماً منهم بأنها -ولو كانت أسوأ الأحوال- خير لهم مما بعد الموت. البقاعي: ٢٥٢/١.

السؤال: ما سبب حرصهم على البقاء في الدنيا على أية حال؟

﴿ وَمَا هُوَ بِمُرَحِّزٍهُ مِنْ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾  
(وما هو بمزحزحه: مباحده، من العذاب: من النار. أن يعمر: أي: طول عمره لا ينقذه. البغوي: ٧٩/١).

السؤال: هل طول العمر منقذ للعبد من عذاب الله تعالى؟

﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾  
وخص القلب بالذكر؛ لأنه موضع العقل والعلم وتلقي المعارف. القرطبي: ٢٦٢/٢.

السؤال: بين ما يدل على أهمية القلب وعظيم شأنه.

﴿ فَإِنَّكَ اللَّهُ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴾

من عادى ولياً لله فقد عادى الله، ومن عادى الله فإن الله عدو له، ومن كان الله عدوه فقد خسر الدنيا والآخرة. ابن كثير: ١٣٧/١.

السؤال: ما خطورة معاداة أولياء الله سبحانه؟

﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ بَشِّرَ قَوْمٌ مِنَ الَّذِينَ أُرُوا الْكِتَابَ كَتَبَ اللَّهُ وَرَأَى ظُهُورَهُمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾  
قال سفيان بن عيينة: أدرجوها في الحرير والديباج، وحلوا بالذهب

والفضة، ولم يعملوا بها؛ فذلك نبذهم لها. البغوي: ٨٢/١.

السؤال: ما الإكرام الحقيقي، وما النبذ الحقيقي لكتاب الله تعالى؟

قُلْ إِنْ كُنْتُمْ لَكُمْ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١﴾ وَلَنَجْذِثَّهُمْ أَشْرَكَ النَّاسِ عَلَى حَورٍ وَمِنْ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرَحِّزٍهُ مِنْ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَلَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴿٥﴾ أَوْ كَلِمَاتٍ عَمَلُوا عَهْدًا بَيْنَهُمْ وَفَرَّقَ مَعَهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ بَشِّرَ قَوْمٌ مِنَ الَّذِينَ أُرُوا الْكِتَابَ كَتَبَ اللَّهُ وَرَأَى ظُهُورَهُمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
بِمُرَحِّزِهِ	بِمُبْعِدِهِ.
نَبَذَهُ	طَرَحَهُ.

## ● العمل بالآيات

١. ضع مخططاً لحياتك، واجعل فيه عملاً صالحاً كبيراً يجعلك تشاق للآخرة، ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ لَكُمْ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾.
٢. سل الله تعالى حسن الخاتمة، والشوق للقاء الله في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة، ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ لَكُمْ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾.
٣. راجع قائمة زملائك وأصدقائك، وحاول أن تدخل فيهم من تظن أنه من أولياء الله سبحانه، ﴿ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَلَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴾.

## ● التوجيهات

١. كلما كثرت ذنوب العبد اشتدت غفلته عن الموت وذكره، ﴿ وَلَنْ يَسْتَمِعُوهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾.
٢. من أحبه الله أحبته الملائكة، ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾.
٣. احذر أن تكون عدوًّا لأولياء الله؛ فإن الله تعالى يعادي من يعادي أولياءه، ﴿ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَلَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴾.

ثم قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ﴾ ورُسْله تشمل رُسْله من الملائكة والبشر، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَلِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ الْأَنْبِيَاءِ﴾ [الحج: ٧٥]. ﴿وَيَجْنِبُكَ اللَّهُ مِنَ الْيَهُودِ﴾ وهذا من باب عطف الخاص على العام، فإنها دخلت في الملائكة، ثم عموم الرسل، ثم تخصيصاً بالذكر؛ لأن السياق في الانتصار لجبريل، وهو السفير بين الله وأنبيائه، وقرن معه ميكائيل في اللفظ؛ لأن اليهود زعموا أن جبريل عدوهم وميكائيل وليهم، فأعلمتهم أنه من عادى واحداً منهما فقد عادى الآخر؛ لأنه - أيضاً - ينزل على الأنبياء بعض الأحيان، كما قرن برسول الله ﷺ في ابتداء الأمر، ولكن جبريل أكثر، وهي وظيفته، وميكائيل مُوَكَّل بالنبات والقطر، هذا بالهدى وهذا بالرزق، كما أن إسرافيل موكل بالصور للنفخ للبعث يوم القيامة. وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ كان إذا قام من الليل يقول: «اللهم رب جبرائيل وإسرافيل وميكائيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهْدِنِي لِمَا اخْتَلَفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ عَهْدِي مِنْ نَشْأَةٍ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» [رواه مسلم]. وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّكَ اللَّهُ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ فيه إعلامهم أن من عادى أولياء الله فقد عادى الله، ومن عادى الله فإن الله عدو له، ومن كان الله عدوه فقد خسر الدنيا والآخرة.

الآية (٩٩-١٠١): قال ابن جرير: أي: أنزلنا إليك يا محمد علامات واضحات دالات على نبوتك، وتلك الآيات هي ما حواه كتاب الله من خفايا علوم اليهود، ومكنونات سرائر أخبارهم، وأخبار أوائلهم من بني إسرائيل، والنبأ عما تضمنته كتبهم التي لم يكن يعلمها إلا أخبارهم وعلماءهم، وما حَرَفَ أوائلهم وأواخرهم وبدلوه من أحكامهم، التي كانت في التوراة. فأطلع الله في كتابه الذي أنزله إلى نبيه محمد ﷺ، فكان في ذلك من أمره الآيات البينات لمن أنصف نفسه، ولم يَدْعُهُ إلى هلاكها الحسد والبغى، إذ كان في فطرة كل ذي فطرة صحيحة تصديق من أتى بمثل ما جاء به محمد ﷺ من الآيات البينات التي وَصَفَ، من غير تعلم تعلُّمه من بَشَرٍ ولا أخذ شيئاً منه عن آدمي. كما قال ابن عباس: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ يقول: فانت تتلوه عليهم وتخبرهم به غدوة وعشية وبين ذلك، وأنت عندهم أُمِّي لا تقرأ كتاباً، وأنت تخبرهم بما في أيديهم على وجهه. يقول الله: في ذلك لهم عبرة، وعليهم حجة لو كانوا يعلمون. وقال قتادة: ﴿بَيِّنَةً فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾ أي: نقضه فريق منهم. فالقوم ذمهم الله بنبذهم اليهود التي تقدم الله إليهم في التمسك بها والقيام بحقها. ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾ الآية. أي: طَرَحَ طائفة منهم كتاب الله الذي بأيديهم، مما فيه البشارة بمحمد ﷺ وراء ظهورهم، أي: تركوها، كأنهم لا يعلمون ما فيها، وأقبلوا على تعلُّم السحر واتباعه.

الآية (٩٤-٩٦): عن ابن عباس: أي: ادْعُوا بالموت على أي الفريقين أكذب. فأبوا ذلك على رسول الله ﷺ ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ أي: يعلمهم بما عندهم من العلم بك، والكفر بذلك، ولو تمنوه يوم قال لهم ذلك ما بقي على الأرض يهودي إلا مات. وروى ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «لو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا، ولرأوا مقاعدهم من النار، ولو خرج الذين يُبَاهِلُونَ رسول الله ﷺ لرجعوا لا يجدون أهلاً، ولا مالاً» [رواه أحمد وصححه إسناده أحمد شاكر]. وهذا الذي فُتِرَ به ابن عباس الآية هو السُّمْنِيُّ، وهو الدعاء على أي الفريقين أكذب على وجه المباهلة. ﴿وَلَنَجْذِثَنَّهُمْ أَشْرَكَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَى حَيَاتِهِمْ﴾ أي: على طول عُمر؛ لما يعلمون من مأثم السيئ وعاقبتهم عند الله الخاسرة؛ لأن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، فهم يودُّون لو تأخروا عن مقام الآخرة بكل ما أمكنهم. وما يحذرون واقع بهم لا عالة، حتى وهم أحرص من المشركين الذين لا كتاب لهم. وقال مجاهد: ﴿يُودُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُشْرَكَ أَلْفَ سَكَّةٍ﴾ قال: حَبِثَ إليهم الخطيئة طول العمر. وعن ابن عباس: ﴿وَمَا هُوَ بِمُتَخَوِّعٍ مِنْ أَلَدَابٍ أَنْ يُعَذَّبَ﴾ أي: ما هو بمُتَخَوِّعٍ من العذاب؛ وذلك أن المشرك لا يرجو بعثاً بعد الموت، فهو يحب طول الحياة، وأن اليهودي قد عرف ما له في الآخرة من الخزي بما صنع بما عنده من العلم. ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ أي: خبير بما يعمل عباده من خير وشر، وسيجازي كل عامل بعمله.

الآية (٩٧-٩٨): قال ابن جرير: أجمع أهل العلم بالتأويل جميعاً أن هذه الآية نزلت جواباً لليهود من بني إسرائيل، إذ زعموا أن جبريل عدو لهم، وأن ميكائيل ولي لهم. ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أي: من عادى جبريل فليعلم أنه الروح الأمين الذي نزل بالذكر الحكيم على قلبك من الله بإذنه له في ذلك، فهو رسول من رسل الله مَلَكِيٍّ. ومن عادى رسولاً فقد عادى جميع الرسل، كما أن من كفر برسول فإنه يلزمه الكفر بجميع الرسل، كما قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [١٥٠، ١٥١]. ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ [النساء: ١٥٠، ١٥١]. فحكم عليهم بالكفر المحقق؛ إذ آمنوا ببعض الرسل وكفروا ببعضهم، وكذلك من عادى جبريل فإنه عدو لله؛ لأن جبريل لا ينزل بالأمر من تلقاء نفسه، وإنما ينزل بأمر ربه، كما قال: ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ [مريم: ٦٤]. ولهذا غضب الله لجبريل على من عاداه، فقال: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي: من الكتب المتقدمة ﴿وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: هدى لقلوبهم وبشرى لهم بالجنة، وليس ذلك إلا للمؤمنين، كما قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَبُشْرَى وَالَّذِينَ لَا يُوْمِنُونَ فِي مَآذِنِهِمْ وَقُرْهُو عَلَيْهِمْ عَذَابٌ﴾ [نصفت: ٤٤].



الآية (١٠٢-١٠٣): عن ابن عباس قال: كان أصف كاتب سليمان، وكان يعلم الاسم الأعظم، وكان يكتب كل شيء بأمر سليمان ويدفنه تحت كرسيه، فلما مات سليمان أخرجه الشياطين، فكتبوا بين كل سطرين سحراً وكفراً، وقالوا: هذا الذي كان سليمان يعمل بها، قال فأكفره جهل الناس وسبوه، ووقف علماءهم حتى أنزل الله على محمد ﴿وَاتَّبِعُوا﴾ أي: واتبع اليهود - الذين أوتوا الكتاب بعد إعراضهم عن كتاب الله الذي بأيديهم ومخالفتهم الرسول محمد ﷺ - ﴿مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ﴾، أي: ما ترويه وتخبر به وتحدثه الشياطين. ﴿عَلَىٰ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾ وعدها به (على)؛ لأنه ضَمَنَ (تتلو) تكذب. وقوله: ﴿وَمَا أَنزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِأَيْلِ هَرُوتَ وَمَرُوتَ﴾: اختلف الناس في هذا المقام، فذهب بعضهم إلى أن «ما» نافية، قال ابن جرير: فتأويل الآية على هذا: واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان من السحر، وما كفر سليمان. ولا أنزل الله السحر على الملائكة، ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر. ثم شرع ابن جرير في رد هذا القول، وأن «ما» بمعنى الذي، وأطال القول في ذلك، وقد روي في قصة هاروت وماروت عن جماعة من التابعين، وقصها خلق من المفسرين من المتقدمين والمتأخرين، وحاصلها راجع في تفصيلها إلى أخبار بني إسرائيل، إذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح متصل الإسناد إلى الصادق المصدوق المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ، وظاهر سياق القرآن إجمال القصة من غير بسط ولا إطناب فيها، فنحن نؤمن بما ورد في القرآن على ما أراده الله تعالى، والله أعلم بحقيقة الحال. ﴿وَمَا يَمْلِكُ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَ إِنَّمَا نَحْنُ قَسَّةٌ فُلَا تَكْفُرُ﴾ الفتنه: هي المحنة والاختبار، وكذلك قوله تعالى إخباراً عن موسى عليه السلام، حيث قال: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ أي: ابتلاؤك واختبارك وامتحانك ﴿فَضِلُّ بِهَا مِنْ نَفْسِكَ وَتَهْدِ مِنْ نَفْسِكَ﴾ [الأعراف: ١٥٥]. وقد استدل بعضهم بهذه الآية على تكفير من تعلم السحر، ويؤشده له بالحديث: «من أتى كاهناً أو ساحراً فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ». [رواه البزار وغيره، قال ابن كثير: يسند جيد].

﴿فَيَعْلَمُونَ مِنْهَا مَا يَكْفُرُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرَّةِ وَرَبِّهِ﴾ أي: فيتعلم الناس من هاروت وماروت من علم السحر ما يتصرفون به من الأفاعيل المذمومة ما إنهم ليفرقون به بين الزوجين مع ما بينهما من الخلطة والانتلاف. وهذا من صنيع الشياطين. عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ، قال: «إن الشيطان ليضع عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه في الناس، فأقرهم عنده منزلة أعظمهم عنده فتنة، يجيء أحدهم فيقول: ما زلت بفلان حتى تركته وهو يقول كذا وكذا. فيقول إليس: لا والله ما صنعت شيئاً. ويجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين أهله، قال: فيقره ويؤديه ويلتزمه، ويقول: نعم أنت» [رواه مسلم]. وسبب التفرق بين الزوجين بالسحر ما يجلب إلى الرجل أو المرأة من الآخر من سوء منظر، أو خلق أو نحو

ذلك، أو عقد أو بضعة أو نحو ذلك من الأسباب المقتضية للفراق. ﴿وَمَا هُمْ بِضَاكِرِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ قال سفيان الثوري: إلا بقضاء الله. وقال محمد بن إسحاق: إلا بتخليه الله بينه وبين ما أراد. ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ أي: يضرهم في دينهم، وليس له نفع يوازي ضرره. ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ﴾ أي: ولقد علم اليهود الذين استبدلوا بالسحر عن متابعة الرسل لَمَنِ فعل فعلهم ذلك، أنه ما له في الآخرة من خلاق. قال ابن عباس: من نصيب. ﴿وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾: وليس البديل ما استبدلوا به من السحر عوضاً عن الإيمان ومتابعة الرسل، لو كان لهم علم بما وعظوا به. ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَانُوا وَآتَقَوْا لَمَثُوبَةٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ﴾ أي: ولو أنهم آمنوا بالله ورسله واتقوا المحارم، لكان مثوبة الله على ذلك خيراً لهم مما استخاروا لأنفسهم ورضوا به، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَلَكُمْ ثَوَابٌ مِنَ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ [القصص: ٨٠]. وقد يستدل بقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَانُوا وَآتَقَوْا﴾ مَنْ ذَهَبَ إِلَى تكفير الساحر، كما هو رواية عن الإمام أحمد بن حنبل وطائفة من السلف. وقيل: بل لا يكفر، ولكن حَذَّه ضَرْبُ عنقه، [فقد] كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن اقتلوا كل ساحر وساحرة. [رواه البخاري]. وهكذا صح أن حفصة أم المؤمنين سحرها جارية لها، فأمرت بها فقتلت.

الآية (١٠٤-١٠٥): نهي الله تعالى المؤمنين أن ينشبهوا بالكافرين في مقامهم وفعالهم، وذلك أن اليهود كانوا يُعَاتُونَ من الكلام ما فيه توراة لما يقصدونه من التنقيص -عليهم لعائن الله- فإذا أرادوا أن يقولوا: اسمع لنا. يقولون: راعنا. يُؤَرُونَ بالرعونة، كما قال تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُخَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمِعْ غَيْرَ مَسْمُوعٍ وَرَدِّعْنَا لِئَلَّا يَأْسِنَهُمْ وَطَعْنَا فِي الَّذِينَ﴾ [النساء: ٤٦] وكذلك جاءت الأحاديث بالإخبار عنهم، بأنهم كانوا إذا سلموا إنما يقولون: السام عليكم. والسام: هو الموت. ولهذا أمرنا أن نرد عليهم به «وعليكم». وأنه يستجاب لنا فيهم، ولا يستجاب لهم فينا. والغرض: أن الله تعالى نهي المؤمنين عن مشابهة الكافرين قولاً وفعلاً. عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «من تشبه بقوم فهو منهم» [رواه أحمد وغيره، وصححه إسناد أحمد شاكر]. ففيه دلالة على النهي الشديد والتهديد والوعيد، على التشبه بالكفار في أقوالهم وأفعالهم، ولبائهم وأعيادهم، وعبادتهم وغير ذلك من أمورهم التي لم تُشرع لنا ولا نُقر عليها. قوله: ﴿مَا يَدْعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْكُفْرَانِ أَنْ يُتَزَلَّ عَلَيْهِمْ مِنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ يبين تعالى بذلك شدة عداوة الكافرين من أهل الكتاب والمشركين، الذين حذر تعالى من مشابهتهم للمؤمنين؛ ليقطع المودة بينهم وبينهم. وينبه تعالى على ما أنعم به على المؤمنين من الشرع التام الكامل، الذي شرعه لنبيه محمد ﷺ، حيث يقول تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصِرُ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَرْوَتَ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا فِتْنَةُ فَلَانٍ نَكْهَرُ فَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يَفُتَّرُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلَّمُوا لَنَاسٍ آسَرْتَهُمْ مَالَهُمْ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَآتَقَوْا لِمَنْبُوءٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ يَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعُوا وَتَقُولُوا نَنْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكَمُ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾﴾

ويستعان في تحصيله بالتقرب إلى الشيطان بارتكاب القبائح؛ قولاً؛ كالرقى التي فيها الفاظ الشرك، ومدح الشيطان، وتسخير، وعملاً؛ كعبادة الكواكب، والالتزام الجنايية، وسائر الفسوق. الألوسي: ٣٣٨/١.

السؤال: لا يتعلم السحر إلا بشرك وكفر، وضع ذلك من الآية.

﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾

كما أن الملائكة لا تعاون إلا أختيار الناس المشبهين بهم في المواظبة على العبادة، والتقرب إلى الله تعالى بالقول والفعل؛ كذلك الشياطين لا تعاون إلا الأضرار المشبهين بهم في الخبائث والنجاسة قولاً، وفعلًا، واعتقاداً؛ وبهذا يتميز الساحر عن النبي والولي. الألوسي: ٣٣٨/١.

السؤال: ما علاقة كل من الملائكة والشياطين بالبشر؟

﴿وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾

وفي هذه الآية وما أشبهها: أن الأسباب مهما بلغت في قوة التأثير فإنها تابعة للقضاء والقدر، ليست مستقلة في التأثير. السعدي: ٦١.

السؤال: ما النظرة السليمة التي يجب أن يكون عليها المسلم تجاه الأسباب؟

﴿وَيَعْلَمُونَ مَا ضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾

يتعلمون منها السحر الذي يضرهم في دينهم، ولا ينفعهم في معادهم. الطبري: ٤٥/٢.

السؤال: ما المراد بالنفع المنفي من الآية؟

﴿وَلَقَدْ عَلَّمُوا لَنَاسٍ آسَرْتَهُمْ مَالَهُمْ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَكِنَّ سَكَرُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾

السحر لا ينفع في الآخرة، ولا يقرب إلى الله، وأن من اشتراه ما له في الآخرة من خلاق؛ فإن مبناه على الشرك، والكذب، والظلم، مقصود صاحبه الظلم، والفواحش. ابن تيمية: ٢٨٧/٢.

السؤال: لماذا السحر لا ينفع، ولا يقرب إلى الله تعالى؟

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَآتَقَوْا لِمَنْبُوءٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾

(لمنوبة من عند الله)؛ لم يقل: (لمنوبة الله) - مع أنه أخصر - ليشعر التنكير بالتقليل؛ فيفيد أن شيئاً قليلاً من ثواب الله تعالى في الآخرة الدائمة خير من ثواب كثير في الدنيا الفانية، فكيف وثواب الله تعالى كثير دائم؟

الألوسي: ٣٤٧/١.

السؤال: لماذا وردت كلمة (منوبة) في الآية تكرة، ولم تضاف إلى لفظ الجلالة؟

﴿يَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعُوا وَتَقُولُوا نَنْظُرْنَا وَاسْمَعُوا﴾

كان المسلمون يقولون حين خطابهم للرسل عند تعلمهم أمر الدين: (راعنا)؛ أي: راع أحوالنا؛ فيقصدون بها معنى صحيحاً. وكان اليهود يريسون بها معنى فاسداً؛ فانتهزوا الفرصة؛ فصاروا يخاطبون الرسول بذلك؛ ويقصدون المعنى الفاسد، فهني الله المؤمنين عن هذه الكلمة سداً لهذا الباب؛ فنهى عن الجائر إذا كان وسيلة إلى محرم. السعدي: ٦١.

السؤال: استنبط من الآية أحد الآداب الإسلامية في مخاطبة الآخرين.



## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
اشْتَرَاهُ	اِخْتَارَهُ.
خَلَقٍ	نَصِيبٍ.
رَاعِنَا	كَلِمَةً كَانَ الْيَهُودُ يَقُولُونَهَا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَصْدِ السُّبِّ، وَنَسَبِهِ إِلَى الرُّعُونَةِ.

## ● العمل بالآيات

- استعد بالله من شر جاسد إذا حسد، ومن شر النفاثات في العقد، ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾.
- اسع في صلح بين اثنين؛ وخاصة زوجين، واعلم أن الشيطان وجنده يسعىون للإفساد بين الناس والأزواج، فكن أنت مصلحاً، ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾.
- حذر المجتمع من وجود السحرة فيه، ووضح خطرهم عليه ووجوب السعي والتعاون لكف شرهم، ﴿وَلَقَدْ عَلَّمُوا لَنَاسٍ آسَرْتَهُمْ مَالَهُمْ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَكِنَّ سَكَرُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

## ● التوجيهات

- كفر الساحر وتحريم تعلم السحر، واستعماله، ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾.
- من تعلق بالله كفاه الله شر كل ذي شر، ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾.
- دأء الحسد عنصر مؤثر في علاقات أهل الكتاب مع أمة محمد ﷺ، ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكَمُ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

معرفة هذا الباب أكيدة، وفائدته عظيمة، لا يستغني عن معرفته العلماء، ولا ينكره إلا الجهلة الأغبياء، لما يترتب عليه من النوازل في الأحكام، ومعرفة الحلال من الحرام. القرطبي: ٣٠٠/٢.

السؤال: ما أهمية معرفة باب النسخ في الشريعة ودراسته لمن يريد استنباط الأحكام الشرعية؟

﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾

فمن علم أنه تعالى وليه ونصيره - لا ولي ولا نصير له سواء - يعلم قطعاً أنه لا يفعل به إلا ما هو خير له؛ فيفوض أمره إليه تعالى. الألويسي: ٣٥٤/١.

السؤال: ما فائدة الإيمان بولاية الله تعالى ونصرتة؟

﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سَأَلْتَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ ﴾

والمراد بذلك أسئلة التعنت والاعتراض... وأما سؤال الاسترشاد والتعلم فهذا محمود قد أمر الله به. السعدي: ٦٢.

السؤال: متى تكون الأسئلة الشرعية محمودة؟ ومتى تكون مذمومة؟

﴿ وَكَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُّوْكُمْ مِنْ بَدِ إِمْنِكُمْ كَغَارَ حُكَاةٍ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَدِ مَا بَيْنَ لَهُمْ لَحُوقٌ ﴾

(ود كثير من أهل الكتاب)؛ أي: تمنوا. ونزلت الآية في حيي بن اخطب وأخيه أبي ياسر، وشابهاهما من اليهود؛ الذين كانوا يحرصون على فتنة المسلمين، ويطمعون أن يردوهم عن الإسلام. حسد: ابن جزي: ٧٨/١.

السؤال: ما رأيك فيمن يهون من عداوة أهل الكتاب للمسلمين، ويتهم المسلمين بنظرية المؤامرة؟

﴿ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

(بلى من أسلم وجهه لله)؛ يقول: من أخلص لله... (وهو محسن)؛ أي: اتبع فيه الرسول ﷺ؛ فإن للعمل المتقبل شرطين: أحدهما: أن يكون خالصاً لله وحده، والآخر: أن يكون صواباً موافقاً للشرعية، فمتى كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يُتَقَبَلْ. ابن كثير: ١٤٧/١.

السؤال: ما شروط قبول العمل؟ وما الدليل عليها؟

﴿ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

(من أسلم وجهه لله)؛ أي: أخلص لله أعماله، متوجهاً إليه بقلبه (وهو محسن) في عبادة ربه؛ بأن عبده بشرعه، فاولئك هم أهل الجنة وحدهم... ويفهم منها أن من ليس كذلك فهو من أهل النار المالكين، فلا نجاة إلا لأهل الإخلاص للمعبود، والمتابعة للرسول. السعدي: ٦٤.

السؤال: لماذا يُرد عمل الرياء؟ ولماذا تُرد البدع فلا تقبل عند الله؟

﴿ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

وإنما يدخل الجنة من أسلم وجهه لله؛ أي: أخلص دينه لله، وقيل: أخلص عبادته لله، وقيل: خضع وتواضع لله وأصل الإسلام: الاستسلام والخضوع، وخص الوجه؛ لأنه إذا جاد بوجهه في السجود لم يدخل بسائر جوارحه. البيهقي: ٩٣/١.

السؤال: من المستحق لدخول الجنة فضلاً من الله وكرماً؟

﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾

﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سَأَلْتَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ فَقَدِ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾

﴿ وَكَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُّوْكُمْ مِنْ بَدِ إِمْنِكُمْ كَغَارَ حُكَاةٍ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَدِ مَا بَيْنَ لَهُمْ لَحُوقٌ فَاغْفِرُوا وَأَصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تَقَدَّمُوا لَأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾

﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾

﴿ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
نَسَخَ	نَزَلَ، وَتَرَفَعَ.
نُسِهَا	نَحَىهَا مِنَ الْقُلُوبِ.
سَوَاءَ السَّبِيلِ	وَسَطَ الطَّرِيقِ، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ.

## ● العمل بالآيات

- استعد بالله من الحسد، وكن على حذر من أهله ﴿ وَكَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُّوْكُمْ مِنْ بَدِ إِمْنِكُمْ كَغَارَ حُكَاةٍ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ ﴾.
- أرسل رسالته، أو اكتب مقالة تبين فيها أن كثيراً من اليهود والنصارى يودون انحراف المسلمين عن دينهم؛ كما أخبر القرآن بذلك، ﴿ وَكَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُّوْكُمْ مِنْ بَدِ إِمْنِكُمْ كَغَارَ حُكَاةٍ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ ﴾.
- بادر إلى الصلوات الخمس في وقتها، ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تَقَدَّمُوا لَأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ ﴾.

## ● التوجيهات

- النسخ في الأحكام نوع من التدرج في التشريع، وهو رحمة من الله تعالى بالمؤمنين، ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾.
- كن على يقين أن الخير فيما اختاره الله، والشر فيما حرمه الله سبحانه، ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾.
- العضو والصنع من أخلاق المسلمين العظيمة، سواء مع المسلمين، أو مع غيرهم، ﴿ فَاغْفِرُوا وَأَصْفَحُوا ﴾.

الآية (١٠٩): يحذّر تعالى عباده المؤمنين عن سلوك طريق الكفار من أهل الكتاب، ويُعلمهم بعداوتهم لهم في الباطن والظاهر، وما هم مشتملون عليه من الحسد للمؤمنين، مع علمهم بفضلهم وفضل

الآية (١١٣): [سبب النزول]: عن ابن عباس قال: لما قدم أهل نجران من النصارى على رسول الله ﷺ أنتم أحبار يهود فتنازعوا عند رسول الله ﷺ، فقال رافع بن حرملة: ما أنتم على شيء، وكفر بعيسى وبالإنجيل. وقال رجل من أهل نجران من النصارى لليهود: ما أنتم على شيء، وجدد نبوة موسى وكفر بالتوراة. فأنزل الله في ذلك من قولها: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَكَانَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودَ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتَّبِعُونَ الْكُتُبَ﴾. قال مجاهد: قد كانت أوائل اليهود والنصارى على شيء. وظاهر سياق الآية يقتضي ذمهم فيها قالوه مع علمهم بخلاف ذلك؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَهُمْ يَتَّبِعُونَ الْكُتُبَ﴾ أي: وهم يعلمون أن شريعة التوراة والإنجيل كل منهما قد كانت مشروعة في وقت، ولكن تمحادوا فيها بينهم عناداً وكفراً ومقابلة للفاسد بالفاسد.

﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ يَتَّبِعُونَ يَتَّبِعُونَ يَتَّبِعُونَ﴾ يبين بهذا جهل اليهود والنصارى فيما تقابلوا من القول، وهذا من باب الإيلاء والإشارة. ﴿قَالَ اللَّهُ يَتَّبِعُونَ يَتَّبِعُونَ يَتَّبِعُونَ﴾ كما كانوا كأولئك يَتَّبِعُونَ ﴿يَتَّبِعُونَ﴾ فيجمع بينهم يوم المعاد، ويفصل بينهم بقضائه العدل الذي لا يجر فيه ولا يظلم مثقال ذرة.

الآية (١١٤): اختلف المفسرون في المراد من الذين تمنعوا مساجد الله وسعوا في خرابها على قولين: أحدهما: عن ابن عباس ومجاهد: هم النصارى؛ كانوا يطرحون في بيت المقدس الأذى، ويمنعون الناس أن يصلوا فيه. والثاني: عن ابن زيد قال: هؤلاء المشركون حين حالوا بين رسول الله ﷺ يوم الحديبية وبين أن يدخل مكة، حتى نحر هديه بذى طوى وهادهم. ﴿أَوَلَيْكَ مَا كَانُوا يَكُونُونَ﴾ أي: لا تمكثوا هؤلاء -إذا قلتم عليهم- من دخولها إلا تحت الهدنة والحزبة. وهذا هو الخزي لهم في الدنيا؛ لأن الجزء من جنس العمل. فكما صدوا المؤمنين عن المسجد الحرام، صدوا عنه، وكما أجلسوهم من مكة أجلسوا عنها؛ وفي: إن هذا بشارة من الله للمسلمين أنه سيظهرهم على المسجد الحرام وعلى سائر المساجد، وأنه يذل المشركين لهم حتى لا يدخل المسجد الحرام أحد منهم إلا خائفاً يخاف أن يؤخذ فيقابع أو يقتل إن لم يسلم. وقد أنجز الله هذا الوعد. ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ على ما انتهكوا من حرمة البيت، وامتنعوه.

الآية (١١٥): وهذا فيه تسلية للرسول ﷺ وأصحابه الذين أخرجوا من مكة وفارقوا مسجدهم ومضلاهم، وقد كان رسول الله ﷺ يصلي بمكة إلى بيت المقدس، والكعبة بين يديه. فلما قدم المدينة وجهه إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً، ثم صرّفه الله إلى الكعبة بعد، ولهذا يقول تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الشَّرْقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾، وقيل: نزلت إذنا من الله أن يصلي المتطوع حيث توجه من شرق أو غرب، في مسيره في سفره، وفي حال المسافة وشدة الخوف. فعن ابن عمر أنه كان يصلي حيث توجهت به راحلته. ويذكر أن رسول الله ﷺ كان يفعل ذلك (رواه مسلم). وقيل: نزلت في قوم عمّيت عليهم القبلة، فلم يعرفوا شطرها، فوصلوا على أنحاء مختلفة. قال ابن جرير: ويحتمل: فأينما تُولُوا وجوهكم في دعائكم في فهناك وجهي أستجيب لكم دعاءكم. قال ابن جرير: ويعني قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ﴾ يسع خلقه كلهم بالكفاية، والإفضال والجلود. ﴿عَلَيْهِمْ﴾ بأعمالهم، ما يغيب عنه منها شيء، ولا يعزب عن علمه، بل هو بجميعها عليهم.

الآية (١١٦-١١٧): اشتملت هذه الآية الكريمة، والتي قبلها على الرد على النصارى، وكذا من أشبههم من اليهود ومن مشركي العرب، ممن جعل الملائكة بنات الله، فأكذب الله جميعهم في دعواهم وقولهم: إن الله ولد، فقال تعالى: ﴿سُبْحَنَهُ أَيُّ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ وَتَوَزَّ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾. ﴿بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: ليس الأمر كما افترؤا، وإنما له ملك السموات والأرض، وهو المتصرف فيهم، وهو خالقهم ورازقهم، ومُقدِّرهم ومُسخرهم، ومُسَبِّرهم ومُصَرِّفهم كما يشاء، والجميع عبيد له ومُلك له، فكيف يكون له ولد منهم؟ والولد إنما يكون متولداً من شيئين متناسين، وهو تبارك وتعالى ليس له نظير، ولا مشارك في عظمته وكبريائه ولا صاحبة له، فكيف يكون له ولد؟! ﴿كُلُّ لَّهُ قَنِينٌ﴾ القنوت: هو الطاعة والاستكانة إلى الله، وذلك شرعي وقدري، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظُلُمًا لَّهُمْ وَالْقُدُّو وَالْأَصْنَافُ﴾ [الرعد: ١٥]. ﴿يَدْعُو السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضُ﴾ أي: خالقهما على غير مثال سبق، وقال ابن جرير: مُبْدِعُهُمَا. ومعنى البديع: السَّمِيشُ وَالْمُخْدِثُ ما لم يسبق له إنشاء مثله وإحداثه أحد. ﴿وَإِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾: يبين بذلك تعالى كمال قدرته وعظيم سلطانه، وأنه إذا قدر أمراً وأراد كونه ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ﴾ أي: مرة واحدة ﴿فَيَكُونُ﴾ أي: فيوجد على وفق ما أراد. وبه تعالى بذلك أيضاً على أنه خلق عيسى بكلمة: كُنْ، فكان كما أمره الله، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩].

الآية (١١٨): [سبب النزول] عن ابن عباس، قال: قال رافع بن حرملة لرسول الله ﷺ: يا محمد، إن كنت رسولا من الله كما تقول، فقل لله فليكلمننا حتى نسلم كلامه. فأنزل الله في ذلك من قوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَرْأَيْنَا آيَةً﴾. وحكى القرطبي: ﴿لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ﴾ أي: لو يخاطبنا بنوتك يا محمد. قال ابن كثير: وظاهر السياق أعم، والله أعلم. قال أبو العالية، والربيع بن أنس، وقتادة، والسدي في تفسير هذه الآية: هذا قول كفار العرب ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ يَتَّبِعُونَ يَتَّبِعُونَ يَتَّبِعُونَ﴾ هم اليهود والنصارى. ويؤيد هذا قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، وغير ذلك من الآيات الدالة على كفر مشركي العرب وعوتهم وعنادهم وسؤالهم ما لا حاجة لهم به. وقال مجاهد: النصارى تقول: وهو اختيار ابن جرير، قال: لأن السياق فيهم. وفي ذلك نظر.

وقوله: ﴿تَشَهِتُ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: أشهت قلوب مشركي العرب قلوب من تقدمهم في الكفر والعناد والعوت كما قال الله: ﴿كَذَلِكَ مَا آتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَلْمًا أَوْ جَبْهًا﴾ [الأنعام: ٥٢، ٥٣]. ﴿قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُؤْفِكُونَ﴾ أي: قد وصَّحنا الدلالات على صدق الرسل بما لا يحتاج معها إلى سؤال آخر وزيادة أخرى، لمن أيقن وصدق وتابع الرسل، وفهم ما جاؤوا به عن الله تبارك وتعالى. الآية (١١٩): ﴿وَلَا تَسْأَلُ عَنْ أَحَبِّ الْخَبِيرِ﴾ أي: لا نسألك عن كفر من كفر بك، ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ [الرعد: ٤٠]، وقرئ: ﴿وَلَا تَسْأَلُ﴾ بفتح التاء، أي: لا نسأل عن حالهم.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ الْمَسْكَنَةُ عَلَى سَنَى وَقَالَتِ الْمَسْكَنَةُ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى سَنَى وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ ﴾

فهم- كما قال الإمام أحمد - ... «مختلفون في الكتاب، مخالفون للكتاب، مجمعون على مفارقة الكتاب». قد جمعوا وصفي الاختلاف الذي ذمه الله في كتابه؛ فإنه ذم الذين خالفوا الأنبياء، والذين اختلفوا على الأنبياء. ابن تيمية: ٣١١/١.

السؤال: جمع اليهود والنصارى وصفي الاختلاف؛ فما هما؟

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا ﴾  
وإذا كان لا أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه؛ فلا أعظم إيمانا ممن سعى في عمارة المساجد بالعمارة الحسية والمعنوية؛ كما قال تعالى: (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر) [التوبة: ١٨]. السعدي: ٦٣.  
السؤال: كل من عمارة المساجد، أوتخريبها له شأن عظيم عند الله سبحانه، وضَّح ذلك.

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا ﴾  
من اعلام قيام الساعة: تضييع المساجد؛ لذلك كل أمّة وكل طائفة وكل شخص معين تطرق بجرم في مسجد يكون فعله سبباً لخلاله فإن الله عز وجل يعاقبه بروعة ومخافة تناله في الدنيا. البقاعي: ٢٢٥/١.

السؤال: من علامات قيام الساعة تضييع المساجد، فكيف يكون تضييعها؟  
﴿ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا ﴾

(وسعى): أي: اجتهد وبذل وسعه. (في خرابها): الحسي والمعنوي؛ فالخراب الحسي: هدمها وتخريبها، وتقديرها، والخراب المعنوي: منع التذكير باسم الله فيها. وهذا عام لكل من اتصف بهذه الصفة السعدي: ٦٣.  
السؤال تخريب المساجد؟ وإيهما أكثر انتشاراً في الأمة اليوم؟

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَنَزِّلُنَا آيَةً ﴾  
يطلبون آيات التعنت، لا آيات الاسترشاد، ولم يكن قصدهم تبين الحق؛ فإن الرسل قد جاؤوا من الآيات بما يؤمن بمثله البشر. السعدي: ٦٤.  
السؤال: قد طلب الكفار آيات ولم يستجب الله لهم؛ فلماذا؟

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَنَزِّلُنَا آيَةً كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَبْلِهِمْ تَنْزِيلُ قُلُوبِهِمْ ﴾  
(تنزيل قلوبهم): الضمير للذين لا يعلمون وللذين من قبلهم، وتشابه قلوبهم في الكفر، أو في طلب ما لا يصح أن يطلب. ابن جزى: ٨١/١.  
السؤال: في أي شيء تشابه قلوب (الذين لا يعلمون) مع قلوب (الذين من قبلهم)؟

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُشْغِلُكَ عَنْ آصَافِ الْجَحِيمِ ﴾  
المрад: إنا أرسلناك لأن تبشر من أطاع وتندّر من عصى، لا لتجبر على الإيمان، فما عليك أن أصروا أو كابدوا. الألويسي: ٣٧٠/١.  
السؤال: ماذا يستفيد الداعية من هذه الآية؟

وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ الْمَسْكَنَةُ عَلَى سَنَى وَقَالَتِ الْمَسْكَنَةُ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى سَنَى وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٣١١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣١٢﴾ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَشَهِدَ اللَّهُ مِنْهُ وَلَهُ يُسْمِعُ الَّذِينَ يَقُولُونَ ﴿٣١٣﴾ وَلِلَّهِ السُّبْحَانَةُ بَدَلُ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَدِيرٌ ﴿٣١٤﴾ يَدْبِقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٣١٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَنَزِّلُنَا آيَةً كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَاهَتْ قُلُوبُهُمْ فَقَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٣١٦﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُشْغِلُكَ عَنْ آصَافِ الْجَحِيمِ ﴿٣١٧﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
فَاتِنُونَ	خَاضِعُونَ، مُنْقَادُونَ.
يَدْبِقُ	الْخَالِقُ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَابِقٍ.

## ● العمل بالآيات

١. تعاون مع إخوانك في ترتيب المسجد، وتهئية أسباب الترفيه فيه؛ فذلك من تعظيم شعائر الله، ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا ﴾.
٢. اجلس في المسجد ذاكراً لله تعالى من الصلاة إلى الصلاة، ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ ﴾.
٣. احب السنة، وصل النافلة حيث توجهت السبابة أو الطائفة أو السفينة التي تركبها، ﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَشَهِدَ اللَّهُ مِنْهُ وَلَهُ يُسْمِعُ الَّذِينَ يَقُولُونَ ﴾.

## ● التوجيهات

١. تضليل الآخرين وتبديعهم لا بد له من أدلة صحيحة، ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ الْمَسْكَنَةُ عَلَى سَنَى وَقَالَتِ الْمَسْكَنَةُ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى سَنَى وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ﴾.
٢. احذر أن تكون سبباً في منع إقامة طاعة من الطاعات في بيوت الله، فهذا من أشد الظلم، ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ ﴾.
٣. جاء رسولنا الكريم ﷺ بالبيشارة والندارة؛ فمن اهتم بالبيارات وحدها فقد اخطأ، ومن اهتم بالنذرات وحدها فقد اخطأ، ومن جمع بينهما فقد أصاب، ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾.



## ● الوقفات التدريبية

﴿وَلَنْ رَضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرَىٰ حَتَّىٰ تَبْعَ يَأْتِيَهُمْ﴾ ١

فدع طلب ما يرضيهم ويوافقهم، واقبل على طلب رضا الله في دعائهم إلى ما بعثك الله به من الحق. ابن كثير: ١٥٥/١.

السؤال: إذا كان اليهود والنصارى لن يرضوا عنك، فما الواجب عليك تجاههم؟

﴿وَلَنْ رَضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرَىٰ حَتَّىٰ تَبْعَ يَأْتِيَهُمْ﴾ ١

ليس غرضهم يا محمد بما يقترحون من الآيات أن يؤمنوا، بل لو أتيتهم بكل ما يسألون لم يرضوا عنك، وإنما يرضيهم ترك ما أنت عليه من الإسلام واتباعهم. القرطبي: ٣٤٥/٢.

السؤال: ما هدف اليهود والنصارى في طلباتهم من المسلمين؟

﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ ١

وتلاوة الكتاب هي اتباعه، كما قال ابن مسعود في قوله تعالى: (الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته) قال: يحللون حلاله، ويحرمون حرامه، ويؤمنون بمتشابهه ويعملون بمحكمه. ابن تيمية: ٣٣٩/١.

السؤال: كيف تكون تلاوة الكتاب حق تلاوته؟

﴿وَإِذْ أَنْتَ لِبَرِّهِمْ رَبُّهُ بِكَلِمَتٍ فَأَتَتْهُمُ قَالَ إِنِّي جَائِلٌ لِّنَّاسٍ إِمَامًا قَالَ وَبَيْنَ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ ١

استدل جماعة من العلماء بهذه الآية على أن الإمام يكون من أهل العدل والإحسان والفضل مع القوة على القيام بذلك... فاما أهل الفسوق والجور والظلم فليسوا له بأهل؛ لقوله تعالى: (لا ينال عهدي الظالمين). القرطبي: ٣٧٠/٢.

السؤال: ما شرط تولي المناصب القيادية للمسلمين؟

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا لِبَنِي إِسْرَءِيلَ لِنَّاظِرًا﴾ ١

(مثابة)، أي: مرجعاً يرجعون إليه بكتلياتهم؛ كلما تفرقوا عنه اشتاقوا إليه، هم أو غيرهم، آية على رجوعهم من الدنيا إلى ربهم. البقاعي: ٢٣٩/١.

السؤال: ما دلالة قوله تعالى: (مثابة للناس)؟

﴿أَن يَكُونُوا لِبَنِي إِسْرَءِيلَ لِنَّاظِرًا﴾ ١

(والركع السجود): لأنهم أقرب أحواله إليه تعالى، وهما الركعتان الأعظمان، وكثيرا ما يكنى عن الصلاة بهما. الأنوسي: ٣٨١/١.

السؤال: للركوع والسجود أهمية على بقية أعمال الصلاة، كيف عرفت ذلك؟

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنْ ثَمَرِهِ وَأَنْ كُنْتُمْ مِنَ الثَّاقِثِينَ عَلَيْهِمُ اللَّهُ وَآلِهِمُ الْآخِرُ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمْتِمْهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْرِبْهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ ١

تعليم تعميم دعاء الرزق، وإن لا يحجر في طلب اللطف؛ وكان إبراهيم عليه السلام - قاس الرزق على الإمامة؛ فنهيه سبحانه على أن الرزق رحمةً دينوية لا تخص المؤمن بخلاف الإمامة. الأنوسي: ٣٨٢/١.

السؤال: هل رزق الله في الدنيا خاص بالمؤمنين؟

وَلَنْ رَضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرَىٰ حَتَّىٰ تَبْعَ يَأْتِيَهُمْ  
إِنَّ هَذَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهَدَىٰ وَلَئِنْ آتَيْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي  
جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ١  
ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ءُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ  
يَكْفُرْ بِهِ ءُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ٢  
الَّذِي آمَنْتُ عَلَيْهِكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ٣  
لَا تَجْرِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يَقْبَلَ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا  
شَفَعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ٤  
وَإِذْ أَنْتَ لِبَرِّهِمْ رَبُّهُ بِكَلِمَتٍ فَأَتَتْهُمُ قَالَ إِنِّي جَائِلٌ لِّنَّاسٍ  
إِمَامًا قَالَ وَبَيْنَ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ٥  
وَإِذْ جَعَلْنَا لِبَنِي إِسْرَءِيلَ لِنَّاظِرًا  
وَأَمَّا وَالتَّحَدُّثُ مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ  
وَاسْمَعِيلَ أَنَّ طَهَرَ ابْنِي لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ  
٦  
وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ  
مِنْ الثَّمَرَاتِ مِنْ ءَمِنْ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَآلِهِمُ الْآخِرُ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ  
فَأُمْتِمْهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْرِبْهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ٧

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
مَثَابَةً	مَرْجَعًا يَأْتُونَهُ، ثُمَّ يَرْجِعُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ.
أَضْرَبُهُ	أَلْجَفُهُ.
الْمَصِيرُ	الْمَرْجِعُ، وَالْمَقَامُ.

## ● العمل بالآيات

١. اكتب رسالتك، أو مقالاً تبين فيه شدة عداة عموم اليهود والنصارى، وأن غاية رغبته تركنا الدين، مستنداً بالآية وشواهد الواقع المعاصر، ﴿وَلَنْ رَضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرَىٰ حَتَّىٰ تَبْعَ يَأْتِيَهُمْ﴾.

٢. ضع لك طريقة، وحافظ عليها عند تلاوة القرآن الكريم، أو حفظه، وهي أن تستخرج عملاً من الآيات، وتطبقه، ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾.

٣. قل: «ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً» ﴿وَلَنْ رَضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرَىٰ حَتَّىٰ تَبْعَ يَأْتِيَهُمْ﴾.

## ● التوجيهات

١. لا يمكن للمسلم أن يحصل على الرضا التام من غير المسلمين إلا بأن يدخل في دينهم؛ فليبحث عن رضا الله سبحانه فقط، ﴿وَلَنْ رَضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرَىٰ حَتَّىٰ تَبْعَ يَأْتِيَهُمْ﴾.

٢. ليس هناك هدى إلا في كلام الله سبحانه وكلام رسوله ﷺ، فاجتهد في تأملهما، ﴿إِنَّ هَذَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهَدَىٰ﴾.

٣. كان إبراهيم إماماً للمصلحين والمهتدين بسبب قيامه بشريعة الله أتم قيام، فمن أراد أن يكون إماماً فليعمل بعلمه، ﴿وَإِذْ أَنْتَ لِبَرِّهِمْ رَبُّهُ بِكَلِمَتٍ فَأَتَتْهُمُ قَالَ إِنِّي جَائِلٌ لِّنَّاسٍ إِمَامًا﴾.

الله، ولا يكونون أئمة فلا يقتدى بهم. وأما قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا يَأْتِلُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ فقال ابن عباس: يخبره أنه كائن في ذريته ظالم لا ينال عهده، ولا ينبغي أن يولي شيئاً من أمره وإن كان من ذرية خليله، وتحسن استنفذ فيه دعوته، وتبلغ له فيه ما أراد من مسأله.

الآية (١٢٥): مضمون ما فسر به الأئمة هذه الآية: أن الله تعالى يذكر شرف البيت، وما جعله موصوفاً به شرعاً وقدرًا، من كونه مثابة للناس، أي: جعله محلًا تشتاق إليه الأرواح وتحن إليه، ولا تقضي منه وطراً، ولو تردت إليه كل عام، استجابة من الله تعالى لدعاء خليله إبراهيم عليه السلام، في قوله: ﴿فَاعْمَلْ أَعْمَدًا مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ إلى أن قال: ﴿رَبَّنَا وَنَقِصْ دَعَاكَ﴾ [إبراهيم: ٣٧-٤٠]. ويصفه تعالى بأنه جعله أمناً، من دخله أمين، ولو كان قد فعل ما فعل ثم دخله كان أمناً. وفي هذه الآية الكريمة نبه على مقام إبراهيم مع الأمر بالصلاة عنده، فقال: ﴿وَأَعِزُّوْا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾. وقد اختلف المفسرون في المراد بالمقام ما هو؟ فروى ابن أبي حاتم: عن ابن عباس قال: مقام إبراهيم: الحرم كله. وقال سعيد بن جبير: الحجر مقام إبراهيم نبي الله، قد جعله الله رحمة، فكان يقوم عليه ويناوله إسماعيل الحجارة. عن جابر قال: «استلم رسول الله ﷺ الركبن، فرمل ثلاثاً، ومشى أربعاً، ثم نهد إلى مقام إبراهيم، فقرأ: ﴿وَأَعِزُّوْا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾. فجعل المقام بينه وبين البيت، فصل ركعتين». [رواه مسلم]. وعن ابن عمر قال: «قدم رسول الله ﷺ فطاف بالبيت سبعاً، وصلى خلف المقام ركعتين» [رواه البخاري]. فهذا كله مما يدل على أن المراد بالمقام إنما هو الحجر الذي كان إبراهيم، عليه السلام يقوم عليه لبناء الكعبة. قوله: ﴿وَعَوَّدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهَّرَا بَيْتِي﴾ قال الحسن البصري: أمرهما الله أن يطهرا من الأذى والتنجس ولا يصيبه من ذلك شيء. وقال مجاهد وسعيد بن جبيرة: إن ذلك من الأوثان والرب وقول الزور والرجس. [الطائفين] الطواف بالبيت معروف: ﴿وَالْمَكِينِ﴾: المقيمين فيه. وأما قوله تعالى: ﴿وَأَرْكَعَ السُّجُودَ﴾: فقال ابن عباس: إذا كان مصلياً فهو من الرُّكْع السجود.

الآية (١٢٦): قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّرَاتِ مِّنْ آمَنٍ مِّنْهُمْ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾: عن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن إبراهيم حرم بيت الله وأمنته». [رواه مسلم]. وقوله تعالى إخباراً عن الخليل أنه قال: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾ أي: من الخوف، لا يرعب أهله، وقد فعل الله ذلك شرعاً وقدرًا كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ [آل عمران: ٩٧]. وقوله تعالى: ﴿وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّرَاتِ مِّنْ آمَنٍ مِّنْهُمْ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَيُفْسِقُ الصِّبْغَةَ﴾: قال أبي بن كعب: هو قول الله تعالى. وهو الذي صوره ابن جرير. وقوله: ﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَيُفْسِقُ الصِّبْغَةَ﴾: أي: ثم ألجته -بعد مناعه في الدنيا وبسطننا عليه من ظلمها- إلى عذاب النار وبس الصير. ومعناه: أن الله يُظهِرهم ومُنْهَلهم ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر.

الآية (١٢٠-١٢١): قال ابن جرير: وليست اليهود -يا محمد- ولا النصارى براضية عنك أبداً، فدع طلب ما يرضيهم ويوافقهم، وأقبل على طلب رضا الله في دعائهم إلى ما بعثك الله به من الحق. وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُوا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ﴾ أي: قل يا محمد: إن هدى الله الذي بعثني به هو الهدى، يعني: هو الدين المستقيم الصحيح الكامل الشامل. ﴿وَلَيْسَ اتَّبَعْتُ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْآيَاتِ مَا لَكَ مِنْ اللهِ مِنْ وَكِيلٍ وَلَا تَنْصِيرُ﴾: فيه تهديد وعيد شديد للأمة عن اتباع طرائق اليهود والنصارى، بعد ما علموا من القرآن والسنة، عياداً بالله من ذلك، فإن الخطاب مع الرسول، والأمر لأئمة. قوله: ﴿الَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَكْثَرُ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَةٍ﴾ عن قتادة: هم اليهود والنصارى. وروي عن قتادة: هم أصحاب رسول الله ﷺ. وقال ابن مسعود: والذي نفسي بيده إن حق تلاوته أن يُحِلَّ حلاله ويحرم حرامه ويقراه كما أنزله الله، ولا يحرف الكلم عن مواضعه، ولا يتأول منه شيئاً على غير تأويله. وقوله: ﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾: خبر عن ﴿الَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَكْثَرُ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَةٍ﴾ أي: من أقام كتابه من أهل الكتب المنزلة على الأنبياء المتقدمين حتى إقامته -أم بما أرسلتك به يا محمد كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْبَةَ وَالْإِحْسَانَ وَمَا أَنزَلُ إِلَيْهِمْ مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكْبَرُوا فِي تَقْوَاهُمْ وَمِن تَحْتِ أَيْدِيهِمْ﴾ [البقرة: ٦٦].

ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾ [معد: ١٧].

وفي الصحيح: «والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة: يهودي ولا نصراني، ثم لا يؤمن بي، إلا دخل النار» [رواه مسلم]. الآية (١٢٢-١٢٣): قد تقدم نظير هذه الآية في صدر السورة، وكُرِّثَ هنا للتأكيد والحث على اتباع الرسول النبي الأمي الذي يجدون صفته في كتبهم ونعته واسمه وأمره وأمنته. يحذرهم من كتمان هذا، وكتمان ما أنعم به عليهم، وأمرهم أن يذكروا نعمة الله عليهم، من النعم الدنيوية والدينية، ولا يحسدوا بني عمهم من العرب على ما رزقهم الله من إرسال الرسول الخاتم منهم. ولا يحملهم ذلك الحسد على مخالفته وتكذيبه، والحيدة عن موافقته ﷺ.

الآية (١٢٤): يقول تعالى مُنْثَباً على شرف إبراهيم، وأن الله جعله إماماً للناس يقتدى به في التوحيد: ﴿وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ أي: واذكر -يا محمد- هؤلاء المشركين وأهل الكتابين الذين يتحللون ملة إبراهيم وليسوا عليها، وإنما الذي هو عليها مستقيم فانت والذين معك من المؤمنين، اذكر هؤلاء ابتلاء الله إبراهيم، أي: اختباره له بما كلفه به من الأوامر والنواهي ﴿فَأَتَتْهُمْ﴾ أي: قام بهم كلهم. وقوله تعالى: ﴿بِكَلِمَاتٍ﴾ أي: بشرائع وأوامر ونواهي. ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ أي: جزاء على ما فعل، كما قام بالأوامر وترك الزواجر، جعله الله للناس قدوة وإماماً يقتدى به ويحتذى حذوه. قوله: ﴿قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَأْتِلُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾: لما جعل الله إبراهيم إماماً، سأل الله أن تكون الأئمة من بعده من ذريته، فأجيب إلى ذلك، وأخبر أنه سيكون من ذريته ظالمون، وأنه لا ينالهم عهد



الآية (١٣٤): قوله تعالى: ﴿تِلْكَ أَمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ أي: مَضَتْ ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ﴾ أي: إن السلف الماضين من آبائكم من الأنبياء والصالحين لا يتبعكم انتسابكم إليهم إذا لم تفعلوا خيرا يعود نفعه عليكم، فإن لهم أعمالهم التي عملوها، ولكم أعمالكم: ﴿وَلَا تَسْتَلُونَهُمْ عَنْ أَكْثَرِ مَا يَعْمَلُونَ﴾.



## ● الوقفات التدريبية

١ ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾

(تقبل منا) أي: عاملنا بفضلك، ولا ترد علينا؛ إشعاراً بالاعتراف بالتقصير؛

لحقارة العبد - وإن اجتهد - في جنب عظمت مولاهم البقاعي: ٢٤٢/١.

السؤال: لماذا دعى إبراهيم وإسماعيل بالقبول؟

٢ ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ

الْقَلِيمُ﴾

وآخر صيغة المضارع مع أن القصة ماضية استحضاراً لهذا الأمر؛ ليقبلي

الناس به في إتيان الطاعات الشاقة مع الإبتال في قبولها، وليعلموا عظمت

البيت المبني فيعظموه الألوسي: ٣٨٣/١.

السؤال: لماذا أثار صيغة المضارع (يرفع) مع أن القصة ماضية؟

٣ ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا

وَتُبَّ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾

ولما كان العبد - مهما كان - لا بد أن يعتريه التقصير ويحتاج إلى

التوبة، قالوا: (وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم). السعدي: ٦٦.

السؤال: لماذا طلبا التوبة من الله سبحانه وتعالى مع مكانتهما العلية في الدين؟

٤ ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا

وَتُبَّ عَلَيْنَا﴾

التوبة تختلف باختلاف التائبين: فتوبة سائر المسلمين: الندم، والعزم

على عدم العودة، ورد المظالم إذا أمكن، ونية الرد إذا لم يمكن، وتوبة

الخواص: الرجوع عن المكروهات من خواطر السوء، والفتور في الأعمال،

والإتيان بالعبادة على غير وجه الكمال، وتوبة خواص الخواص لرفع

الدرجات والترقي في المقامات. الألوسي: ٣٨٦/١.

السؤال: هل تختلف التوبة باختلاف الأشخاص؟ وضح ذلك.

٥ ﴿رَبَّنَا وَأَنْبِئْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ

وَالْحِكْمَةَ﴾

والحكمة: المعرفة بالدين، والفقه في التاويل، والفهم الذي هو سجية

ونور من الله تعالى. القرطبي: ٤٠٣/٢.

السؤال: ما الحكمة التي دعا بها نبي الله إبراهيم عليه السلام؟

٦ ﴿رَبَّنَا وَأَنْبِئْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ

وَالْحِكْمَةَ وَزَيِّنْ لَهُمْ لَكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

(الحكمة) هي: السنّة، لأن الله أمر أزواج نبيه أن يذكرن ما يتلى في

بيوتهن من الكتاب والحكمة، والكتاب: القرآن، وما سوى ذلك مما كان

الرسول يتلوه هو السنّة. ابن تيمية: ٣٤٥/١.

السؤال: ما المقصود بالحكمة؟ وما الدليل؟

٧ ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾

فقوموا به، واتصفوا بشرائعه، وانصبغوا بأخلاقه، حتى تستمروا على

ذلك، فلا ياتيكم الموت إلا وأنتم عليه؛ لأن من عاش على شيء مات عليه،

ومن مات على شيء بعث عليه. السعدي: ٦٧.

السؤال: كيف أمرهم بالموت على الإسلام والإنسان لا يملك نفسه حال موته؟

وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٨﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبَّ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٩﴾ رَبَّنَا وَأَنْبِئْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤٠﴾ وَمَنْ رَغِبَ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ أَبْطَقْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّا فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ وَأَسْمِعْ ﴿٤٢﴾ قَالَ أَشَأْنَتْ لِي رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَوَضَعِي يَدَاهُ إِبْرَاهِيمُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ وَيَبْقَى إِلَهُكَ اللَّهُ أَصْطَفَى لَكُمْ الَّذِينَ فَلَا تَمُوتُونَ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهُمَا وَجِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٤٥﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُنتُحُونَ عَنْهَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٦﴾

٢٠

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
الْقَوَاعِدُ	الْأُسُسُ.
وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا	بَصُرْنَا بِمَعَالِمِ عِبَادَتِنَا لَكَ.
وَيُزَكِّيهِمْ	يُطَهِّرُهُمْ مِنْ الشَّرِّ وَالْأَخْلَاقِ.
يَرْغَبُ	يُعْرِضُ وَيَنْصَرِفُ.
سَفِهَ نَفْسَهُ	سَفِيهَ، جَاهِلٌ.

## ● العمل بالآيات

١. تذكر أعمال خير عملتها، ومع تذكر كل عمل كبر قول: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.
٢. ادع اليوم بدعاء واشمل به ذريتك، واشركهم فيه، ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبَّ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.
٣. مع محافظتك على تلاوة القرآن الكريم؛ حاول أن تبدأ اليوم بقراءة في كتب السنّة، خاصة صحيح البخاري ومسلم، ﴿رَبَّنَا وَأَنْبِئْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَزَيِّنْ لَهُمْ لَكَ﴾.

## ● التوجيهات

١. الدعاء بالصالح والاستقامة للذرية شأن الأنبياء والصالحين بعدهم، ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبَّ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.
٢. كلما عملت عملاً تتعبد الله فيه فادع بهذا الدعاء: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.
٣. لقد كانت الأنبياء تسأل الله التوبة، فنحن أولى منهم بذلك، ﴿وَتُبَّ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿ قُولُوا مَا مَعَكُمْ يَا اللَّهُ ﴾

أي: بأنسنتكم متواطئة عليها قلوبكم، وهذا هو القول التام المترتب عليه الثواب والجزاء؛ فكما أن النطق باللسان بدون اعتقاد القلب نفاق وكفر، فالقول الخالي من العمل-عمل القلب- عديم التأثير، قليل الفائدة. السعدي: ٦٧.

السؤال: هل المراد بالإيمان مجرد القول؟

﴿ قُولُوا مَا مَعَكُمْ يَا اللَّهُ وَمَا أَنْزَلَ إِلَهُ الْإِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أَوْفَى مُوسَى وَيَسَى وَمَا أَوْفَى النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾

وقدم الإيمان بالله لأنه لا يختلف باختلاف الشرائع الحق، ثم عطف عليه الإيمان بما أنزل من الشرائع. ابن عاشور: ٧٣٩/١.

السؤال: لماذا قدم الإيمان بالله تعالى على الإيمان بالشرائع؟

﴿ وَمَا أَوْفَى النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾

دلالة على أن عطية الدين هي العطية الحقيقية المتصلة بالسعادة الدنيوية والأخروية؛ لم يأمروا أن يؤمنوا بما أوتي الأنبياء من الملك والمال ونحو ذلك، بل يأمروا أن يؤمنوا بما أعطوا من الكتب والشرائع. السعدي: ٦٨.

السؤال: من أكثر الناس حظاً في عطايا الله سبحانه؟

﴿ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكُنْ فِيكُمْ اللَّهُ هُوَ السَّيِّئُ الْمَكِيدُ ﴾

(فسيفيكهم)، وعد ظهر مصداقه؛ فقتل بني قريظة، وأجل بني النضير، وغير ذلك. ابن جزى: ٨٥/١.

السؤال: عدد ثلاثة مواطن من مواطن كفاية الله نبيه من أذى الكفار.

﴿ سِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ سِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عٰبِدُونَ ﴾

أي: الزموا صبغة الله، وهو دينه، وقوموا به قياماً تاماً بجميع أعماله الظاهرة والباطنة، وجميع عقائده في جميع الأوقات، حتى يكون لكم صبغة وصبغة من صفاتكم، فإذا كان صفة من صفاتكم أوجب ذلك لكم الانقياد لأوامره، طوعاً واختياراً ومحبة، وصار الدين طبيعة لكم بمنزلة الصبغ التام للثوب الذي صار له صفة، فحصلت لكم السعادة الدنيوية والأخروية. السعدي: ٦٨.

السؤال: لماذا سُمِّيَ الدين بصبغة الله؟

﴿ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴾

قال سعيد بن جبیر: الإخلاص أن يخلص العبد دينه وعمله لله؛ فلا يشرك به في دينه، ولا يراني بعمله. قال الفضيل: ترك العمل لأجل الناس رياء، والعمل من أجل الناس شرك، والإخلاص أن يعافيك الله منهما. البغوي: ١١٣/١.

السؤال: ما حقيقة الإخلاص لله تعالى؟

﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَنْهَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

كررها؛ لأنها تضمنت معنى التهديد والتخويف؛ أي: إذا كان أولئك الأنبياء على إمامتهم وفضلهم يجازون بكسبهم فانتهم أخرى. القرطبي: ٤٢٥/٢.

السؤال: ذكرت هذه الآية من قبل (آية ١٣٤)، فلم ذكرت هنا مرة أخرى؟

وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلَ إِلَهُنَا وَمَا أَنْزَلَ إِلَهُ الْإِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أَوْفَى مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أَوْفَى النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا تَفْرِقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكُنْ فِيكُمْ هُوَ اللَّهُ هُوَ السَّيِّئُ الْمَكِيدُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلْ أَتُحِبُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّكُمْ وَعَدُّكُمْ وَلَكُنَّا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلْنَاكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ الْإِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ إِنْ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ وَمَنْ أَظَاهَرُ مِنْكُمْ شَهِدَةً عِنْدَهُ مِنْ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِخَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَنْهَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾

## ● معاني الكلمات

المعنى	الكلمة
الأنبياء من ولد يعقوب، الذين كانوا في قبائل بني إسرائيل.	وَالْأَسْبَاطُ
خلاف شديد.	شِقَاقٍ
الزموا دين الله وفطرته.	صِبْغَةَ اللَّهِ

## ● العمل بالآيات

١. اسأل الله تعالى الهداية دائماً، ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾.

٢. اقرأ في الركعة الأولى من سنة الفجر هذه الآية: ﴿ قُولُوا مَا مَعَكُمْ يَا اللَّهُ وَمَا أَنْزَلَ إِلَهُنَا وَمَا أَنْزَلَ إِلَهُ الْإِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ ﴾.

٣. أعلن الحق للناس، وأظهر التزامك به؛ فهو ادعى للثبات عليه، وقبول الناس له، ﴿ قُلْ أَتُحِبُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّكُمْ وَعَدُّكُمْ وَلَكُنَّا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلْنَاكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴾.

## ● التوجيهات

١. على المؤمن أن لا يهتم بالشعارات والادعاءات، ولا تغريه الكلمات، بل عليه أن يبحث عن الحقائق المؤيدة بالأدلة الصحيحة، ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾.

٢. لا هداية ولا سعادة في الدارين إلا بالإسلام، ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾.

٣. لا بد للمسلم أن يظهر عقيدته الصحيحة، ويصدق بها، ويدعو لها؛ إذ هي أصل الدين وإساسه، ﴿ قُولُوا مَا مَعَكُمْ يَا اللَّهُ ﴾.

في توحيد الله والإخلاص له والانقياد، واتباع أوامره وترك زواجره ﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ التصرف فينا وفيكم، المستحق لإخلاص الإلهية له وحده لا شريك له؟! ﴿وَلَكَّا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ﴾ أي: نحن برآء منكم ومما تعبدون، وأنتم برآء منا، كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَلَنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلٌ وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُمْ بَرِّيعُونَ وَمَا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ وَمِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ٤١] وقال تعالى: ﴿فَإِنْ سَأَلْتَهُمْ لَقَدْ أَمَرْنَا النَّاسَ بِحُسْنِ عَمَلٍ فَقُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَمْرِي وَأَطِيعُوا أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَنْتُمْ بَارِعُونَ وَأَنْتُمْ كَارِعُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠]. وقال تعالى إخباراً عن إبراهيم: ﴿وَصَاحِبَهُ قَوْمَهُ قَالَ أَتَحْتَجِرُونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِي وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِدَوْلَا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ٨٠] وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ سَلَخَ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ الآية [البقرة: ٢٥٨]. وقال في هذه الآية الكريمة: ﴿وَنَحْنُ لَهُ خَاطِبُونَ﴾ أي: نحن برآء منكم كما أنتم برآء منا، ونحن له خالصون، أي: في العبادة والتوجه.

الآية (١٤٠): ثم أنكر تعالى عليهم في دعواهم أن إبراهيم ومن ذكر بعده من الأنبياء والأسباط كانوا على ملتهم، إما اليهودية وإما النصرانية، فقال: ﴿قُلْ أَنتُمْ أَغْلَمُ أَرَأَيْتُمْ﴾ يعني: بل الله أعلم، وقد أخبر أنهم لم يكونوا هوداً ولا نصارى، كما قال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧] الآية والتي بعدها.

وقوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَبَ شَهَادَةً عِنْدَ رَبِّهِ﴾ قال الحسن البصري: كانوا يقرؤون في كتاب الله الذي أتاهم: إن الدين الإسلام، وإن محمداً رسول الله، وإن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا برآء من اليهودية والنصرانية، فشهد الله بذلك، وأقروا به على أنفسهم لله؛ فكتبوا شهادة الله عندهم من ذلك. وقوله: ﴿وَمَا اللَّهُ بِقَبِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾: تهديد ووعيد شديد، أي: علمه محيط بمعملكم، وسيجزىكم عليه.

الآية (١٤١): ثم قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السُّبُلَ﴾ مضت ﴿لَهَا مَآكِبٌ وَلَكُمْ مَآكِبٌ﴾ أي: لهم أعمالهم ولكم أعمالكم ﴿وَلَا تُسَلِّطُوا عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وليس يغني عنكم انتسابكم إليهم من غير متابعة منكم لهم، ولا تغفروا بمجرد النسبة إليهم حتى تكونوا مثلهم متقادين لأوامر الله واتباع رسله، الذين بُعثوا مبشرين ومنذرين، فإنه من كفر بنبي واحد فقد كفر بسائر الرسل، ولا سيما من كفر بسيد الأنبياء وخاتم المرسلين، ورسول رب العالمين إلى جميع الإنس والجن من المكلفين، صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر أنبياء الله أجمعين.

الآية (١٣٥): [سبب النزول]: روى محمد بن إسحاق: عن ابن عباس قال: قال عبد الله بن صوريا الأعور لرسول الله ﷺ: ما الهدى إلا ما نحن عليه، فاتبعنا يا محمد تبعك. وقالت النصرانية مثل ذلك. فأنزل الله عز وجل: ﴿وَقَالُوا كُتِبُوا هُودًا وَنَصَرُوا يَنْتَدُوا﴾. وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السُّبُلَ﴾ أي: لا تريد ما دعوتونا إليه من اليهودية والنصرانية، بل تتبع ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: مستقيماً. وقال مجاهد: خلاصاً.

الآية (١٣٦): أرشد الله تعالى عباده المؤمنين إلى الإيمان بما أنزل إليهم بواسطة رسوله محمد ﷺ مفصلاً، وما أنزل على الأنبياء المتقدمين مجملًا، ونص على أعيان من الرسل، وأجل ذكر بقية الأنبياء، وأن لا يفرقوا بين أحد منهم، بل يؤمنوا بهم كلهم، ولا يكونوا كمن قال الله فيهم: ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ الآية [النساء: ١٥٠، ١٥١]. عن أبي هريرة قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويُفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: ﴿لَا تَصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلَا تَتَّبِعُوهُمْ﴾، وقولوا: ﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ [رواه البخاري].

وقد روى مسلم وأبو داود والنسائي عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ أكثر ما يصلي الركعتين اللتين قبل الفجر بـ ﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ الآية، والأخرى بـ ﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّكَ مُسْلِمٌ﴾ [آل عمران: ٥٢]. وقال الخليل بن أحمد وغيره: الأسباط في بني إسرائيل، كالقبائل في بني إسماعيل.

الآية (١٣٧): يقول تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا﴾ يعني: الكفار من أهل الكتاب وغيرهم ﴿يُؤْمِنُ مَا ءَامَنُوا بِهِ﴾ أيها المؤمنون، من الإيمان بجميع كتب الله ورسله، ولم يفرقوا بين أحد منهم ﴿فَقَدْ أَهْتَدُوا﴾ أي: فقد أصابوا الحق وأرشدوا إليه ﴿وَلَنْ تُولَّوْا﴾ أي: عن الحق إلى الباطل بعد قيام الحجة عليهم ﴿فَلَمَّا هُمْ فِي شِقَاقٍ تَنَبَّيْتُمْ عَنْهُمُ﴾ أي: فستنصركم عليهم وتظفركم بهم ﴿وَهُوَ السَّيِّئُ الْمَكِيدُ﴾.

روى ابن أبي حاتم عن زياد بن يونس، حدثنا نافع بن أبي نعيم قال: أرسل إلي بعض الخلفاء مصحف عثمان بن عفان ليُصلحه. قال زياد: فقلت له: إن الناس ليقولون: إن مصحفه كان في حجره حين قُتل، فوقع الدم على ﴿تَنَبَّيْتُمْ عَنْهُمْ﴾ قال نافع: بضرت عيني بالدم على هذه الآية.

الآية (١٣٨): وقوله: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ قال ابن عباس: دين الله. وانتصاب ﴿صِبْغَةَ﴾: إما على الإغراء كقوله: ﴿فُطِرْتَ اللَّهُ﴾ [الروم: ٣٠] أي: الزموا ذلك، عليكموه. وقال بعضهم: بدلاً من قوله: ﴿يَوْمَ يُصْبَغُ﴾. وقال سيويه: هو مصدر مؤكد انتصب عن قوله: ﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ﴾ كقوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾ [النساء: ١٢٢].

الآية (١٣٩): يقول الله تعالى مرشداً نبيه صلوات الله وسلامه عليه إلى درء مجادلة المشركين: ﴿قُلْ أَتَمَاجُوتُنَا فِي اللَّهِ﴾ أي: أتناظرنا

الآية (١٤٥): يَخْبَرُ تَعَالَى عَنْ كُفْرِ الْيَهُودِ وَعِنَادِهِمْ، وَخَالَفَتِهِمْ مَا يَعْرِفُونَهُ مِنْ شَأْنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَنَّهُ لَوْ أَقَامَ عَلَيْهِمْ كُلَّ دَلِيلٍ عَلَى صِحَّةِ مَا جَاءَهُمْ بِهِ، لَمَا اتَّبَعُوهُ وَتَرَكُوا أَهْوَاءَهُمْ. وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا أَنْتَ بِشَيْءٍ قِيلْتُمْ﴾ إِبْخَارٌ عَنْ شِدَّةِ مُتَابَعَةِ الرُّسُولِ ﷺ لِمَا أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ، وَأَنَّهُ كَمَا هُمْ مَتَمَسِّكُونَ بِأَرْثِهِمْ وَأَهْوَائِهِمْ، فَهُوَ أَيْضًا مُسْتَمْسِكٌ بِأَمْرِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ وَاتِّبَاعِ مَرْضَاتِهِ، وَأَنَّهُ لَا يَتَّبِعُ أَهْوَاءَهُمْ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ، وَمَا كَانَ مُتَوَجِّهًا إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ؛ لِأَنَّهُ قِبْلَةُ الْيَهُودِ، وَإِنَّا ذَلِكَ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى. ثُمَّ حَذَرَ تَعَالَى مِنْ خَالَفَةِ الْحَقِّ الَّذِي يَعْلَمُهُ الْعَالَمُ إِلَى الْهَوَى؛ فَإِنَّ الْعَالَمَ [تَكُونُ] الْحِجَّةُ عَلَيْهِ أَقْوَمُ مِنْ غَيْرِهِ؛ وَهَذَا قَالَ مُخَاطِبًا لِلرُّسُولِ ﷺ -وَالْمُرَادُ الْأُمَّةَ-: ﴿وَلَكِنَّ أَتَّبَعَكَ أَهْوَاءَهُمْ بَرٌّ بِعَدِمَا جَاءَكَ مِنْ أَلَمِي لَكَ إِذَا لَيْنَ الظُّلُمَاتِ﴾.



## ١ الوقفات التدريبية

﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْنَاهُمْ عَنْ قِبَلِهِمُ النَّارَ كَانُوا عَلَيْهِمْ

العاقل لا يبالي باعتراض السفهاء، ولا يلقى له ذهنه، ودلت الآية على انه لا يعترض على احكام الله إلا سفهاء جاهل معاند، وأما الرشيد المؤمن العاقل فيلتقي احكام ربه بالقبول والانقياد والتسليم؛ كما قال تعالى: (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من امرهم) [الأحزاب: ٣٦]، (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم) [النساء: ٦٥]، السعدي: ٧٠.

السؤال: ما موقف المؤمن الحقيقي من الاحكام الشرعية؟

﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْنَاهُمْ عَنْ قِبَلِهِمُ النَّارَ كَانُوا عَلَيْهِمْ

وتقديم الإخبار بالقول على الوقوع لتوطين النفس به؛ فإن مفاجأة المكروه أشد إيلاها، والعلم به قبل الوقوع أبعد من الاضطراب، ولما ان فيها إعداد الجواب؛ والجواب المد قبل الحاجة إليه اقطع للخصم، الألوسي: ٢/٢.

السؤال: لماذا قدم الإخبار بقولهم قبل وقوع الحادث؟

﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْنَاهُمْ عَنْ قِبَلِهِمُ النَّارَ كَانُوا عَلَيْهِمْ قُلْ لِلَّهِ الشَّرِيقُ وَالْمَغْرِبُ ﴾

وقد كان في قوله: (السفهاء) ما يفني عن رد قولهم، وعدم المبالاة به، ولكنه تعالى مع هذا لم يترك هذه الشبهة حتى أزالها وكشفها مما سيعرض لبعض القلوب من الاعتراض، فقال تعالى: (قل لهم محبباً: لله للشرق والغرب)، السعدي: ٧٠.

السؤال: هل يكفي وصف العتريين على الاحكام الشرعية بالسفاهة عن الرد عليهم؟

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا

والوسط هنا الخيار والأجود ... ولما جعل الله هذه الأمة وسطاً خصها بأكمل الشرائع، وأقوم المناهج، وأوضح المذاهب، ابن كثير: ١/١٨١.

السؤال: كيف تدل الآية على افضلية دين الإسلام على غيره من الأديان؟

﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَتَّبِعُوا فِئَتَكَ

لواقم عليهم كل دليل على صحة ما جاءهم به لما اتبعوه وتركوا أهواءهم؛ كما قال تعالى: (إن الدين حق عليهم كلمت ربك لا يؤمنون) \* ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم) (يونس: ٩٦)، ولهذا قال هاهنا: (ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك)، ابن كثير: ١/١٨٤.

السؤال: الهداية منه من الله سبحانه وليس بمجرد الإقناع العقلي، وضح ذلك من الآية.

﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَتَّبِعُوا فِئَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ فِئَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ فِئَتَهُ بَعْضٍ

بيان لتصلبهم في الهوى وعنادهم بأن هذه المخالفة والعناد لا يختص بك؛ بل حالهم فيما بينهم أيضاً كذلك؛ فإنكارهم ذلك ناشيء عن فرط العناد، الألوسي: ١/٧٢.

السؤال: هل مواقف الكفار والمنافقين وشبهاتهم ناتجة عن تفكير منطقي أو علمي؟ وضح ذلك.

﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْوَلِيمِ إِنَّكَ إِذَا لَئِنَ الظَّالِمِينَ

ثم حذر تعالى عن مخالفة الحق الذي يعلمه العالم إلى الهوى؛ فإن العالم الحجة عليه أقوم من غيره، ابن كثير: ١/١٨٤.

السؤال: لماذا خُصَّت حالة العلم بالذكر والتهديد والوعيد هنا؟

\* سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْنَاهُمْ عَنْ قِبَلِهِمُ النَّارَ كَانُوا عَلَيْهِمْ قُلْ لِلَّهِ الشَّرِيقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٨٦﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعَ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ عَمَلَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءٌ وَفٍ وَرَحِيمٌ ﴿١٨٧﴾ قَدْ تَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَلِلَّهِ الْاَزْمَانُ وَلِلَّهِ الْاَكْثَرُ لَيَعْلَمُنَّ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَتَّبِعُوا فِئَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ فِئَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ فِئَتَهُ بَعْضٍ وَلَئِنْ أَتَيْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْوَلِيمِ إِنَّكَ إِذَا لَئِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٨٩﴾

## ٢ معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ	يَرْتَدُّ عَنْ دِينِهِ.

## ٣ العمل بالآيات

١. افتعال الأزمات وتضخيم القضايا شأن المنافقين والكفار، حذر المجتمع برسالة فيها ثلاث قضايا استخدم الإعلام فيها هذه الأساليب، ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْنَاهُمْ عَنْ قِبَلِهِمُ النَّارَ كَانُوا عَلَيْهِمْ ﴾.

٢. حدد فتنة التباس فيها الحق على المسلمين، واسأل الله تعالى الهداية والتوفيق فيها، ﴿ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾.

٣. انصح أحد القصرين في صلاتهم، وبين له أن الله سمي الصلاة إيماناً، وأنه قد كتب واقع كل مسلم مع الصلاة ليحاسبه عليها، ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ عَمَلَكُمْ ﴾.

## ٤ التوجيهات

١. السفهاء هو الذي يعترض على حكم الله تعالى، ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْنَاهُمْ عَنْ قِبَلِهِمُ النَّارَ كَانُوا عَلَيْهِمْ ﴾.

٢. اختبار إيمانك هو أن تعمل بما أمرك الله تسليماً له، راضياً بحكمه، عرفت الحكمة أو لم تعرف، ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعَ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ﴾.

٣. فرق بين تأليف قلوب المدعويين واتباع أهوائهم بسخط الله، ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْوَلِيمِ إِنَّكَ إِذَا لَئِنَ الظَّالِمِينَ ﴾.



## ● الوقفات التدريبية

## ١ ﴿ فَاسْتَعِزُّوا بِالْحَزْبِ ﴾

من سبق في الدنيا إلى الخيرات فهو السابق في الآخرة إلى الجنات؛ فالسابقون أعلى الخلق درجة... ويستدل بهذه الآية الشريفة على الإتيان بكل فضيلة يتصف بها العمل؛ كالصلاة في أول وقتها، والمبادرة إلى إبراء الذمة من الصيام، والحج، والعمرة، وإخراج الزكاة، والإتيان بسنن العبادات وآدابها؛ فقله ما أجمعها وأنفعها من آيات السعدى: ٧٣.

السؤال: هذه الآية قليلة الأنفاظ كثيرة المعاني، وضع ذلك باختصار.

١ ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لِلْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ ﴾ ومن التفت بقلبه في صلاته إلى غير ربه لم تنفعه وجهته بدنه إلى الكعبة؛ لأن ذلك حكم حق، حقيقته توجه القلب، ومن التفت بقلبه إلى شيء من الخلق في صلاته فهو مثل الذي استدبر بوجهه عن شطر قبيلته. البقاعي: ٢٧٢/١.

السؤال: ما حقيقة التوجه للقبلة؟ ولماذا؟

## ١ ﴿ فَادْكُرُوهَ إِذْ كُنْتُمْ رُكُوعًا وَكُنُوفًا وَلَا تَكْفُرُونَ ﴾

لكل ذكر خاصيته وثمرته، وأما التهليل فثمرته التوحيد؛ أعني التوحيد الخاص؛ فإن التوحيد العام حاصل لكل مؤمن، وأما التكبير فثمرته التعظيم والإجلال لذى الجلال، وأما الحمد والأسماء التي معناها الإحسان والرحمة - كالرحمن، الرحيم، والكريم، والغفار، وشبه ذلك - فثمرتها ثلاث مقامات؛ وهي: الشكر، وقوة الرجاء، والمحبة؛ فإن المحسن محبوب لا محالة. ابن جزى: ٨٨/١.

السؤال: لكل ذكر ثمرته الخاصة في قلب العبد، بين ذلك مع التمثيل.

## ١ ﴿ فَادْكُرُوهَ إِذْ كُنْتُمْ رُكُوعًا وَكُنُوفًا وَلَا تَكْفُرُونَ ﴾

لكل ذكر خاصيته وثمرته... وأما الأسماء التي معناها الإطلاق والإدراك - كالعليم، والسميع، والبصير، والقريب، وشبه ذلك - فثمرتها المراقبة، وأما الصلاة على النبي ﷺ فثمرتها شدة المحبة فيه، والمحافظة على اتباع سنته، وأما الاستغفار فثمرته الاستقامة على التقوى، والمحافظة على شروط التوبة مع

النكسار؛ القلب بسبب الذنوب المتقدمة. ابن جزى: ٨٨/١.

السؤال: ما أثر ذكر العبد لربه بصفات السميع والبصير والقريب؟

## ١ ﴿ وَكُنُوفًا وَلَا تَكْفُرُونَ ﴾ ﴿ يَتَذَكَّرُ الَّذِينَ آمَنُوا أَسْتَعِينُوا بِالْغَيْبِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾

لما فرغ تعالى من بيان الأمر بالشكر؛ شرع في بيان الصبر والإرشاد والاستعانة بالصبر والصلاة؛ فإن العبد إما أن يكون في نعمة فيشكر عليها، أو في نقمة فيصبر عليها. ابن كثير: ٨٧/١.

السؤال: العبد لا يخلو من حالين ما هما؟ وما الواجب عليه في كل منهما؟

## ١ ﴿ أَسْتَعِينُوا بِالْغَيْبِ وَالصَّلَاةِ ﴾

إذا كانت صلاة العبد صلاة كاملة، مجتمعا فيها ما يلزم فيها وما يسن، وحصل فيها حضور القلب... لا جرم أن هذه الصلاة من أكبر المعونة على جميع الأمور؛ فإن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولأن هذا الحضور الذي يكون في الصلاة يوجب للعبد في قلبه وصفاً وداعياً يدعو إلى امتثال أوامر ربه، واجتناب نواهيه. هذه هي الصلاة التي أمر الله أن نستعين بها على كل شيء. السعدى: ٧٥.

السؤال: كيف تكون الصلاة معينة للعبد على امتثال أوامر ربه، واجتناب نواهيه؟

## ١ ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾

هذه معية خاصة، تقتضي محبته ومعونته، ونصره وقربه، وهذه متقية عظيمة للصائرين؛ فلو لم يكن للصائرين فضيلة إلا أنهم فازوا بهذه المعية من الله لكفى بها فضلا وشرفا. السعدى: ٧٥.

السؤال: ماذا تقتضي المعية الخاصة؟ ومن أهلها؟ وضع ذلك من الآية.

الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ۚ  
وَأَنْزَلْنَا مِنْهُمْ لِقَاءَ كُتُبِهِمْ ۖ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝ الْحَقُّ  
مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ۝ وَلِكُلِّ وَجْهٍ  
هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَاسْتَقْبُوا الْخَيْرَ ۚ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ بِكُمْ ۚ  
جَمِيعًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ  
فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَإِنَّهُ لِلْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ  
وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ  
وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا  
وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ۚ فَلَا تَحْضُرُهُمْ وَأَنْحَرُوا ۚ وَالَّذِينَ  
ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَحْضُرُهُمْ وَأَنْحَرُوا ۚ وَلَا تَعْمَلُوا عَلَيْهِمْ  
وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو  
عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ  
وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ۝ فَادْكُرُوهَ إِذْ كُنْتُمْ  
رُكُوعًا وَكُنُوفًا وَلَا تَكْفُرُونَ ۝ يَتَذَكَّرُ الَّذِينَ آمَنُوا  
أَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّادِقِينَ ۝

## ● معاني الكلمات

المعنى	الكلمة
المُعْتَرِينَ	الشَّاكِينَ.

## ● العمل بالآيات

١. سابق اليوم إلى الصف الأول، أو كن أول من يتصدق بصدقة، أو أول من يقرأ قرآنا؛ فإن للسابقين منزلة ليست لغيرهم، ﴿ فَاسْتَعِزُّوا بِالْحَزْبِ ﴾.
٢. قل: «رب زدني زكاة وعلمًا وحكمة»، ﴿ وَزَكَّيْكُمْ وَتَعْلَمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾.
٣. حافظ على أذكار الصباح والمساء وأدبار الصلوات، وعلمها غيرك، ﴿ فَادْكُرُوهَ إِذْ كُنْتُمْ رُكُوعًا وَكُنُوفًا وَلَا تَكْفُرُونَ ﴾.

## ● التوجيهات

١. من اكتفى بالحد الأدنى من فعل الخيرات ضعف نشاطه إلى حد العجز والكسل، ومن ألزم نفسه بسباق غيره ثبت وزادت منزلته عند ربه، ﴿ فَاسْتَعِزُّوا بِالْحَزْبِ ﴾.
٢. لا يظن العبد أنه يستطيع الهرب من قدرة الله بالأسباب التي يفعلها؛ فالله تعالى قادر عليه على كل حال، وفي كل مكان، ﴿ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ بِكُمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾.
٣. أفضل علاجين عند نزول المصائب: الصبر والصلاة، ﴿ يَتَذَكَّرُ الَّذِينَ آمَنُوا أَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾.

الجاهلية، ويخرجهم من الظلمات إلى النور، ويُعلّمهم الكتاب -وهو القرآن- والحكمة -وهي السنة- ويعلمهم ما لم يكونوا يعلمون. فكانوا في الجاهلية الجهلاء يُسْفَهُونَ بالقول الفَرَى، فانتقلوا ببركة رسالته، وَيُغْنِي سِفَارَتَهُ، إلى حال الأولياء، وسجاياء العلماء فصاروا أعمق الناس علماً، وأبرّهم قلوباً، وأقلهم تكلفاً، وأصدقهم هجة. وقال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَزَكَاةً﴾ الآية [آل عمران: ١٦٤]؛ وذم من لم يعرف قدر هذه النعمة، فقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كَفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْآلِيَاءِ﴾ [إبراهيم: ٢٨]. قال ابن عباس: يعني عمداً ﴿كَأَنَّ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ﴾ يقول: كما فعلتُ فاذكروني. وعن سعيد بن جبير: اذكروني بطاعتي أذكركم بمغفرتي، وفي رواية: برحمتي. ولهذا ندب الله المؤمنين إلى الاعتراف بهذه النعمة ومقابلته بذكره وشكره، فقال: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾. [عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله عز وجل: يا ابن آدم، إن ذكرتني في نفسك ذكرتك في نفسي، وإن ذكرتني في ملا ذكرتك في ملا من الملائكة - أو قال: ملا خير منهم - وإن دنوت مني شبراً دنوت منك ذراعاً، وإن دنوت مني ذراعاً دنوت منك باعاً، وإن أنيتني ثميتي أتيتك أهزول] [أخرجه البخاري]. ﴿وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾: أمر الله تعالى بشكره، ووعده على شكره بمزيد الخير، فقال: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧]. وعن أبي رجاء العطاردي قال: خرج علينا عمران بن حصين وعليه مطرف من خمر لم نره عليه قبل ذلك ولا بعده، فقال: إن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ نِعْمَةً؛ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَى خَلْقِهِ» [رواه أحمد، وصححه الألباني].

الآية (١٥٣): لما فرغ تعالى من بيان الأمر بالشكر شرع في بيان الصبر، والإرشاد إلى الاستعانة بالصبر والصلاة، فإن العبد إذا كان يكون في نعمة قَسِيْرَ عليها، أو في نقمة قَصِيْرَ عليها؛ كما جاء في الحديث: «عَجَبًا لِلْمُؤْمِنِ! لَا يَفْضِي اللَّهَ لَهُ قَضَاءٌ إِلَّا كَانَ خَيْرًا لَهُ: إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ فَشَكَرَ، كَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ فَصَبَرَ، كَانَ خَيْرًا لَهُ» [رواه مسلم]. ويترتب تعالى أن أجود ما يستعان به على تحمّل المصائب: الصبر والصلاة، كما تقدّم في قوله: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥]. وفي الحديث: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ صَلَّى» [رواه أحمد، وحسنه الألباني]. والصبر صبران: فصبرٌ على ترك المحارم والمآثم، وصبرٌ على فعل الطاعات والقربات، والثاني أكثر ثواباً؛ لأنه المقصود.

الآية (١٤٦-١٤٧): يخبر تعالى أنّ علماء أهل الكتاب يعرفون صِحَّةَ ما جاءهم به الرسول ﷺ كما يعرف أحدهم ولده، والعربُ كانت تضرب المثل في صحة الشيء بهذا. ثم أخبر تعالى أنهم مع هذا التحقق والإيقان العلمي ﴿يَكْفُرُونَ أَحَقُّ؟﴾ أي: ليكتمون الناس ما في كتبهم من صفة النبي ﷺ ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ﴾. ثم ثبت تعالى نبيه والمؤمنين، وأخبرهم بأن ما جاء به الرسول ﷺ هو الحق الذي لا مِرْيَةَ فيه ولا شك، فقال: ﴿أَحَقُّ مِنْ ذِكِّكَ فَلا تَكْفُرُونَ مِنَ الْمُشْكِرِينَ﴾.

الآية (١٤٨): قال أبو العالية: لليهودي وجهة هو مولئها، وللنصراني وجهة هو مولئها، وهذاك -أنتم أنبأ الأمة- إلى القبلة التي هي القبلة. وروي عن مجاهد وعطاء نحو هذا.

وهذه الآية شبيهة بقوله تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لَسَبَلَكُمْ فَاسْتَقِمْوا أَلْحِزَّتْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٤٨]. وقال ههنا: ﴿إِنِّ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، أي: هو قادر على تجميعكم من الأرض، وإن تفرقت أجسادكم وأبدانكم.

الآية (١٤٩-١٥٠): هذا أمر ثالث من الله تعالى باستقبال المسجد الحرام من جميع أقطار الأرض. وقوله: ﴿وَإِنَّمَا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ أي: أهل الكتاب؛ فإنهم يعلمون من صفة هذه الأمة التوجّه إلى الكعبة، فإذا فقدوا ذلك من صفتها ربما احتجوا بها على المسلمين، أو لئلا يحتجوا بموافقة المسلمين لإياهم في التوجّه إلى بيت المقدس. وهذا أظهر.

﴿وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ يعني: مشركي قُريش. وَوَجَّهَ بعضهم حُجَّةَ الظُّلْمَةِ -وهي داحضة- أن قالوا: إن هذا الرجل يزعم أنه على دين إبراهيم: فإن كان توجُّههُ إلى بيت المقدس على ملة إبراهيم، فلم رجع عنه؟ والجواب: أن الله تعالى اختار له التوجُّه إلى بيت المقدس أولاً لئلا له تعالى في ذلك من الحكمة، فاطاع ربّه تعالى في ذلك، ثم صَرَفَهُ إلى قبلة إبراهيم -وهي الكعبة- فامتثل أمر الله في ذلك أيضاً، فهو - صلوات الله وسلامه عليه - مطيع لله في جميع أحواله، لا يخرج عن أمر الله طُرُقَةً عَيْنَ، وأُثْمَةً تَبَعُ لَهُ.

وقوله: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾ أي: لا تخشوا شُبَّةَ الظُّلْمَةِ المتعنتين، وأفرِّدوا الخشية لي، فإنه تعالى هو أهل أن يُخْشَى منه. وقوله: ﴿وَالَّذِينَ يَمْنَنَ عَلَيْكُمْ﴾ عطف على ﴿وَإِنَّمَا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ أي: ولأئمتي نعمتي عليكم فيما شرعته لكم من استقبال الكعبة، لتكتمل لكم الشريعة من جميع وجوها، ﴿وَلَكُمْ فِي تَهْدُوكَ﴾ أي: إلى ما صَلَّتْ عنه الأمم هديناكم إليه، وَخَصَصْنَاكُمْ بِهِ، ولهذا كانت هذه الأمة أشرف الأمم وأفضلها.

الآية (١٥١-١٥٢): يُذَكِّرُ تعالى عباده المؤمنين ما أنعم به عليهم من بعثة الرسول محمد ﷺ إليهم، يتلو عليهم آيات الله مبينات ويُزَكِّيهم، أي: يطهرهم من رذائل الأخلاق ودَسَسِ النفوس وأفعال



[رواه مسلم]. وعن حبيبة بنت أبي تخرّاء، قالت: رأيت رسول الله ﷺ يطوف بين الصفا والمروة، والناس بين يديه، وهو وراءهم، وهو يسمى حتى أرى ركبته من شدة السعي يدور به إزاره، وهو يقول: «استمّوا، فإن الله كتب عليكم السعي» [رواه أحمد، وصححه الألباني]. وقد استدل بهذا الحديث على مذهب من يرى أن السعي بين الصفا والمروة ركنٌ في الحج، وقيل واجب، وليس بركن، وقيل بل مستحب والقول الأول أرجح، لأنه ﷺ طاف بينهما، وقال: «لتأخذوا عني مناسككم» [رواه مسلم]. فكل ما فعله في حَجَّتِه تلك واجب لا بد من فعله في الحج، إلا ما خرج بدليل. «مِن سَعَايَ اللَّهِ»، أي: مما شرع الله تعالى لإبراهيم في مناسك الحج، وأصل ذلك مأخوذ من طواف هاجر وتزادها بين الصفا والمروة في طلب الماء لولدها، كما يُقَدِّمُ ماؤها وزادها، حين تركها إبراهيم ﷺ هنالك ليس عندها أحد من الناس، فلما خافت الضيعة على ولدها هنالك، ويُقَدِّمُ ما عندها قامت تطلب الغوث من الله عز وجل، فلم تزل تَرُدُّ في هذه البقعة المشرفة بين الصفا والمروة متدلّلة خائفة وجلة مضطرة فقيرة إلى الله عز وجل، حتى كَشَفَ الله كُرْبَتَهَا، وَأَتَسَّ غُرْبَتَهَا، وَفَرَّجَ شِدَّتَهَا، وَأَتَمَّعَ لها زمزم.

الآية (١٥٩-١٦٢): هذا وعيد شديد لمن كنتم ما جاءت به الرُّسُلُ من الدلالات البيّنة على المقاصد الصحيحة والهدى النافع للقلوب، من بعد ما بيّنه الله لعباده في كتبه، التي أنزلها على رُسُلِهِ. ثم أخبر أنهم يلعنهم كل شيء على صنيعهم ذلك، فكما أن العالم يستغفر له كل شيء، حتى الحوت في الماء والطير في الهواء، فهؤلاء بخلاف العلماء فيلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون. عن أبي هريرة وغيره: أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكْتَمَهُ، أَلْحَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِحَامٍ مِنْ نَارٍ» [رواه أحمد، وصححه إسناده أحمد شاكر]. [وعنه ﷺ]: لولا آية في كتاب الله ما حدثت أحداً شيئاً: «إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْكِتَابِ وَالْحُكْمِ» الآية [رواه مسلم]. وقد جاء في الحديث: «إِنَّ الْعَالَمَ يَسْتَغْفِرُ لَهُ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى الْخَيْتَانِ فِي الْبَحْرِ» [رواه أحمد والترمذي، وصححه الألباني]. وَ«الَّذِينَ يَكْتُمُونَ» هم كل فصيح وأعجمي، إما بلسان المقال أو الحال، أو لو كان له عقل، أو يوم القيامة. ثم استثنى الله تعالى فقال: «إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا» أي: رَجَعُوا عما كانوا فيه وَأَصْلَحُوا أَعْيَالَهُمْ وَأَحْوَالَهُمْ، وَبَيَّنُّوا للناس ما كانوا كَتَمُوهُ، «فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ». وفي هذا دلالة على أن الداعية إلى كفر أو بدعة، إذا تاب إلى الله تاب الله عليه. ثم أخبر تعالى عمن كفّر به واستمر به الحال إلى مماته بأن: «عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةُ وَالنَّاسُ أَجْمَعِينَ»، «خَالِدِينَ فِيهَا» أي: في اللعنة البالغة لهم إلى يوم القيامة، ثم المصاحبة لهم في نار جهنم التي «لَا يَخْفَقُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ» فيها، أي: لا يَنْقُصُ عَذَابُهم هم فيه، «وَلَا يُمْطَرُونَ» أي: لا يُغَيَّرُ عنهم ساعة واحدة، ولا يُغَيَّرُ، بل هو متواصل دائم، فنعوذ بالله من ذلك.

الآية (١٦٣): يُخَبِّرُ تعالى عن تَقَرُّبِهِ بالإلهية، وأنه لا شريك له ولا عديل له، بل هو الأحد الفرد الصمد، لا إله إلا هو الرحمن الرحيم.

الآية (١٥٤): يُخَبِّرُ تعالى أَنَّ الشَّهَدَاءَ فِي بُرْزَخِهِمْ أَحْيَاءٌ يُرْزَقُونَ، كما جاء [في الحديث]: «إِنَّ أَرْوَاحَ الشَّهَدَاءِ فِي خَوَاصِلِ طُيُورٍ خُضِرَ تَسْرَحُ فِي الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى قَنَادِيلٍ مُعَلَّقَةٍ تَحْتَ الْعَرْشِ» [رواه مسلم]. وعن كعب بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ طَائِرٌ تَعْلُقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يُرْجِعَهُ إِلَى جَسَدِهِ يَوْمَ يَبْعَثُهُ» [رواه أحمد، وصححه الألباني]. ففيه دلالة لعموم المؤمنين أيضاً، وإن كان الشَّهَدَاءُ قَدْ خُصِّصُوا بِالذِّكْرِ فِي الْقُرْآنِ، تَشْرِيفاً لَهُمْ وَتَكْرِيمًا وَتَعْظِيمًا.

الآية (١٥٥-١٥٧): أَخْبَرَ تعالى أَنَّهُ يَبْتَغِي عِبَادَهُ، أَي: يَخْتَارُهُمْ وَيَمْتَحِنُهُمْ، كما قال تعالى: «وَتَبْتَغِيكُمْ حَتَّى تَمُوتَ الْمُجَاهِدِينَ يَنْكُرُوا الْمُصْبِينَ وَتَبْكُوا أَخْبَارَكُمْ» [عصم: ٣١] فتارة بالسراء، وتارة بالضراء من خوف وجوع، كما قال تعالى: «فَأَذَقْنَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ» [النحل: ١١٢] فَإِنَّ الْجَائِعَ وَالْخَائِفَ كُلُّ مِمَّا يَظْهَرُ ذَلِكَ عَلَيْهِ؛ وَهَذَا قَالَ: لِبَاسِ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ. وَقَالَ هُنَا: «يَبْتَغِي مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ» أَي: بِقَلِيلٍ مِنْ ذَلِكَ، «وَنَقْصٍ مِنَ الْأَتْمَلِ» أَي: ذَهَابِ بَعْضِهَا، «وَالْأَنْفُسِ» كَمَوْتِ الْأَصْحَابِ وَالْأَقْرَابِ وَالْأَحِبَابِ، «وَاللَّمَرَّتِ» أَي: لَا تَعْمَلُ الْحَدَائِقَ وَالْمَزَارِعَ كَعَادَتِهَا. وَكُلُّ هَذَا وَأَمثالِهِ مَا يَخْتَبِرُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ، فَمَنْ صَبَرَ أَثَابَهُ، وَمَنْ قَطَعَ أَلْحَلَ بِهِ عِقَابَهُ. وَهَذَا قَالَ: «وَيَنْبَرِي الصَّابِرِينَ». ثُمَّ بَيَّنَّ تعالى مِنَ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ شَكَرَهُمْ، فَقَالَ: «الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ» أَي: تَسَلَّوْا بِقَوْلِهِمْ هَذَا عَمَّا أَصَابَهُمْ، وَعَلِمُوا أَنَّهُمْ مُلْكُ اللَّهِ يَتَصَرَّفُ فِي عِبِيدِهِ بِمَا يَشَاءُ، وَعَلِمُوا أَنَّهُ لَا يَضِيعُ لَدَيْهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَحْدَثَ لَهُمْ ذَلِكَ اعْتِرَافَهُمْ بِأَنَّهُمْ عِبِيدُهُ، وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ. وَهَذَا أَخْبَرَ تعالى عَمَّا أَعْطَاهُمْ عَلَى ذَلِكَ فَقَالَ: «أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ» أَي: ثَنَاءٌ مِنْ اللَّهِ عَلَيْهِمْ «وَرَحْمَةٌ». قَالَ سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ: أَي: أَمْنَةٌ مِنَ الْعَذَابِ. «وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَهْتَدُونَ»، وَكَذَلِكَ هَؤُلَاءِ، أَعْطُوا ثَوَابَهُمْ وَزِيدُوا أَيْضًا. وَقَدْ وَرَدَ فِي ثَوَابِ الْأَسْتِرْجَاعِ، وَهُوَ قَوْلُ: «إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ» عِنْدَ الْمَصَائِبِ - أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ. فَمِنْ ذَلِكَ: عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: أَتَانِي أَبُو سَلَمَةَ يَوْمًا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: لَقَدْ سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَوْلًا سُرَرْتُ بِهِ. قَالَ: «لَا يُصِيبُ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ مُصِيبَةٌ فَيَسْرَجِعَ عِنْدَ مُصِيبَتِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: اللَّهُمَّ أَجْزِنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأُخْلِيفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا فُعِلَ ذَلِكَ بِهِ» قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: فَحَفِظْتُ ذَلِكَ مِنْهُ، فَلَمَّا تَوَفَّى أَبُو سَلَمَةَ اسْتَرْجَعْتُ وَقُلْتُ: اللَّهُمَّ أَجْزِنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأُخْلِيفْ لِي خَيْرًا مِنْهُ، فَلَمَّا انْقَضَتْ عِدَّتِي اسْتَأْذَنَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَخَطَبَنِي إِلَى نَفْسِي [رواه مسلم].

الآية (١٥٨): [سبب النزول] عَنْ عَاصِمِ بْنِ سُليمان قَالَ: سَأَلْتُ أَنَسًا عَنِ الصَّفا وَالْمَرْوَةِ؟ قَالَ: كُنَّا نَرَى أَنَّهُمَا مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ أَمْسَكْنَا عَنْهُمَا، فَأَنزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ سَعَايَ اللَّهِ» [رواه البخاري]. وَ[عن] جَابِرٍ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا قَرَعَ مِنْ طَوَافِهِ بِالْبَيْتِ، عَادَ إِلَى الرُّكْنِ فَاسْتَلَمَهُ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْ بَابِ الصَّفا، وَهُوَ يَقُولُ: «إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ سَعَايَ اللَّهِ» ثُمَّ قَالَ: «أَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللَّهُ بِهِ»



## ● الوقفات التدريبية

❶ ﴿إِنَّ اللَّهَ نَعَّ الصَّابِرِينَ﴾ ❶ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَعْيَاةٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿﴾

إشارة إلى أن كون الله معهم لا يمنع أن يستشهد منهم شهداء، بل ذلك من ثمرات كون الله معهم؛ حيث يظفر من استشهد منهم بسعادة الأخرى، ومن بقي بسعادة الدارين. البقاعي: ٢٧٩/١.

السؤال: هل معية الله للمجاهدين الصابرين تمنع من استشهادهم؟

❶ ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَعْيَاةٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿﴾

ومن المعلوم أن الحبيب لا يتركه الماقل إلا لحبيب أعلى منه وأعظم؛ فأخبر تعالى أن من قتل في سبيله -بأن قاتل في سبيل الله- تكون كلمة الله هي العليا، ودينه الظاهر، لا لغير ذلك من الأغراض -فإنه لم تقتله الحياة الحبيوية، بل حصل له حياة أعظم، وأكمل مما تظنون وتحسبون. السعدي: ٧٥.

السؤال: متى يترك الإنسان محبوبه؟

❶ ﴿وَلَتَنُوتُنَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْنِ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَتَنْقُصُ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالْعَرْشِ وَبَيْنَ الصَّابِرِينَ ﴿﴾

قيل: إنما ابتلوا بهذا ليكون آية لمن بعدهم؛ فيعملوا أنهم إنما صبروا على هذا حين وضع لهم الحق، وقيل: أعلمهم بهذا ليكونوا على يقين منه أنه يصيبهم، فيوطنوا أنفسهم عليه، فيكون أبعد لهم من الجزع، وفيه تعجيل ثواب الله تعالى على المزم، وتوطئ النفس. القرطبي: ٤٦٢/٢.

السؤال: لماذا أعلم الله تعالى عباده بحصول الابتلاء عليهم؟

❶ ﴿وَلَتَنُوتُنَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْنِ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَتَنْقُصُ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالْعَرْشِ ﴿﴾

السراء لو استمرت لأهل الإيمان، ولم يحصل معها محنة؛ لحصل الاختلاط الذي هو فساد، وحكمة الله تقتضي تمييز أهل الخير من أهل الشر. هذه فائدة المحن، لا إزالة ما مع المؤمنين من الإيمان، ولا ردهم عن دينهم، فما كان الله ليضيع إيمان المؤمنين، فأخبر في هذه الآية أنه سيبتلي عباده (بشيء من الخوف) من الأعداء (والجوع) أي: بشيء يسير منهم؛ لأنه لو ابتلاهم بالخوف كله، أو الجوع، لهلكوا، والمحن تمحص لا تهلك. السعدي: ٧٦.

السؤال: لماذا كان الابتلاء بشيء من الخوف والجوع، ولم يكن به كله؟

❶ ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿﴾

أي: مملوكون لله، مدبرون تحت أمره وتصريفه؛ فليس لنا من أنفسنا وأموالنا شيء، فإذا ابتلانا بشيء منها فقد تصرف أرحم الراحمين بماليكه وأموالهم، فلا اعتراض عليه. السعدي: ٧٦.

السؤال: لماذا كان من المناسب قول من أصابته مصيبة: (إنا لله)؟

❶ ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿﴾

(إنا لله) اللام للملك، والملك يفعل في ملكه ما يشاء (راجعون). تذكروا الآخرة لتنهون عنهم مصائب الدنيا، وفي الحديث الصحيح: أن رسول الله ﷺ قال: (من أصابته مصيبة فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبي، وأخلف لي خيرا منها) أخلف الله له خيرا مما أصابه. قالت أم سلمة: فلما مات زوجي أبو سلمة قلت ذلك فأبدلني الله به رسول الله ﷺ. ابن جزي: ٨٩/١.

السؤال: ما الدعاء المستحب قوله عند نزول المصيبة؟

❶ ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿﴾

جعل هذه الكلمات ملجأ لدنوي المصائب، وعصمة للممتحنين لما جمعت من المعاني الباركة؛ وذلك توحيد الله، والإقرار له بالعبودية، والبعث من القبور، واليقين بأن رجوع الأمر كله إليه كما هو له، وقال سعيد بن جبير: لم يعط هذه الكلمات نبي قبل نبينا، ولو عرفها يعقوب لما قال: (يا أسفا على يوسف). ابن عطية: ٢٢٨/١.

السؤال: ما الحكمة من تقرير هذا الدعاء عند المصائب؟

وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَعْيَاةٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٥﴾ وَلَتَنُوتُنَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْنِ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَتَنْقُصُ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالْعَرْشِ وَبَيْنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٧﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحمةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْتَخِرُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴿إِنَّ الصِّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوَاعْتَرَفَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاقِرٌ عَلَيْهِ﴾ ﴿١٥٩﴾ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعُونُ ﴿١٦٠﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّاهُ أُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦١﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦٢﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٣﴾ وَاللَّهُ كَرِيمٌ وَحْدَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٤﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
يَلْعَنُهُمْ	يَطْرُدُهُمْ.

## ● العمل بالآيات

- اسأل الله تعالى الشهادة صادقا من قلبك، ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَعْيَاةٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾.
- قل عند سماع مصائب المسلمين في شتات الأخبار: «إنا لله وإنا إليه راجعون»، ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾.
- اسأل الله العافية، ثم احفظ الذكر المستحب عند نزول المصيبة: (من أصابته مصيبة فقال: ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾، اللهم أجرني في مصيبي، وأخلف لي خيرا منها؛ أخلف الله له خيرا مما أصابه).

## ● التوجيهات

- قد يبتلى المؤمن بالمصائب في النفس والأهل والمال فيصير؛ فترتفع درجته، ويعلم مقامه عند ربه، ﴿وَلَتَنُوتُنَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْنِ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَتَنْقُصُ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالْعَرْشِ وَبَيْنَ الصَّابِرِينَ﴾.
- كتمان العلم والحق عاقبته اللعن والطرود من رحمة الله تعالى، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعُونُ﴾.
- عالم السوء يلعنه كل اللاعنين، وعالم الحق يستغفر له كل المستغفرين، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعُونُ﴾.



## ● الوقفات التدريبية

﴿وَالْفُلُكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾

وجه الآية في الفلك: تسخير الله إياها حتى تجري على وجه الماء، ووقوفها فوقه مع ثقلها. القرطبي: ٩٤/٢.

السؤال: بين وجه الآية بالفلك التي تجري في البحر؟

﴿وَتَصْرِيفَ الرِّيحِ وَالْغَاسِقِ الَّتِي تَسْخَرُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لِتَنْفِثَ بِقُوَّتِهَا وَيَنْفِثَ فِيهَا رِيحًا رَافِقًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ﴾ (سورة الفرقان: ٤٨)  
(وتصريف الرياح). إرسالها من جهات مختلفة - وهي الجهات الأربع وما بينها - وبصفات مختلفة: فمنها ملقحة للشجر، وعقيم، وصر، وللنصر، وللهلاك. ابن جزي: ٩١/١.

السؤال: بين عظمة الله وقدرته في تصريف أنواع الرياح؟

﴿وَتَصْرِيفَ الرِّيحِ وَالْغَاسِقِ الَّتِي تَسْخَرُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لِتَنْفِثَ بِقُوَّتِهَا وَيَنْفِثَ فِيهَا رِيحًا رَافِقًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ﴾ (سورة الفرقان: ٤٨)  
قيل: تصريفها أنها تارة تكون لينا، وتارة تكون عاصفا، وتارة تكون حارة، وتارة تكون باردة، قال ابن عباس: اعظم جنود الله الريح والماء البغوي: ١٣٢/١.

السؤال: ما اعظم جنود الله؟

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ (سورة البقرة: ١٦٥)

واعلم أن محبة الله إذا تمكنت من القلب ظهرت آثارها على الجوارح من الجد في طاعته، والنشاط لخدمته، والحرص على مرضاته، والتلذذ بمناجاته، والرضا بقضائه، والشوق إلى لقائه، والأنس بذكركه، والاستيحاء من غيره، والفرار من الناس، والانفراد في الخلوات، وخروج الدنيا من القلب، ومحبة كل من يحبه الله، وإيثاره على كل من سواه. ابن جزي: ٩٢/١.

السؤال: ما علامة تمكن المحبة من القلب؟

﴿إِذْ تَبَرَأَ الَّذِينَ أُتُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَفَتِ بِهِمُ الْأَشْيَابُ﴾ (سورة البقرة: ١٦٥)  
ظنوا أن لها من الأمر شيئا، وأنها تقر بهم إليه، وتوصلهم إليه: فخاب ظنهم، وبطل سعيهم، وحق عليهم شدة العذاب، ولم تدفع عنهم آثامهم شيئا، ولم تخف عنهم متاع ذرة من النفع، بل يحصل لهم الضرر منها من حيث ظنوا نفعها، وتبرأ المتبوعون من التابعين، وتقطعت بينهم الوصل التي

كانت في الدنيا؛ لأنها كانت لغير الله، وعلى غير أمر الله. السعدي: ٨٠.

السؤال: ما موقف المتبوعين من الاتباع يوم القيامة؟

﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كُنَّا نَدْرِكُهُمْ لَسَخَّطْنَا لَهُمْ عَذَابَهُمْ لَكُنَّا لَهُمْ عَدُوًّا مَنًّا كَذَلِكَ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ عَذَابَ الْكَافِرِينَ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ (سورة البقرة: ١٦٥)

أعمالهم التي يؤملون نفعها وحصول نتيجتها انقلبت عليهم حسرة وندامة... وحينئذ يتمنى التابعون أن يردوا إلى الدنيا فيتبرأوا من متبوعيه؛ بأن يتركوا الشرك بالله، ويقبلوا على إخلاص العمل لله. السعدي: ٨٠.

السؤال: متى يقتنع الكفار والمشركون من الاتباع بخطأ أعمالهم؟

﴿كَذَلِكَ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ عَذَابَ الْكَافِرِينَ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ (سورة البقرة: ١٦٥)

قال السدي: ترفع لهم الجنة فينظرون إليها وإلى بيوتهم فيها لو أطاعوا الله تعالى، ثم تقسم بين المؤمنين؛ فذلك حين يندمون. واضيف هذه الأعمال إليهم من حيث هم مأمورون بها... والحسرة أعلى درجات الندامة على شيء فانت. القرطبي: ١١/٣.

السؤال: كيف يبلغ الكفار درجة الحسرة يوم القيامة؟

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلُكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَخْبَأَ بِهِ الْأَرْضَ بِعَذَمِهَا وَابْنِ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ وَالْغَاسِقِ الَّتِي تَسْخَرُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لِتَنْفِثَ بِقُوَّتِهَا وَيَنْفِثَ فِيهَا رِيحًا رَافِقًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (سورة الفرقان: ٤٨)

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
وَالْفُلُكُ	السُّفُنُ.
وَبْنٌ	نَشْرٌ.
وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ	تَقْلِيلُهَا، وَتَوَجُّيْهَا.
الْغَاسِقَاتُ	الضَّلَّاتُ.
حَسْرَاتٍ	فَدَامَاتٍ.

## ● العمل بالآيات

١. اختر واحدة من المخلوقات المذكورة في الآية، ثم استخرج ثلاث فوائد تدل على قدرة الله وحكمته فيها، ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلُكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾.

٢. استخرج من القرآن ثلاثة أعمال يحبها الله سبحانه، واعمل بها اليوم، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾.

٣. اصتَبْ نَوْعًا مِنَ الْأَكْلِ أَهْتَى الْعُلَمَاءِ بِتَحْرِيمِهِ، وتساهل الناس فيه، مع فتوى لأحد العلماء، وأرسلها في رسالته لمن تعرف، ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّ أُمَّةٍ فِي الْأَرْضِ حَلَاكًا ظَلِيمًا وَلَا تَنْفَعُهُمْ خَطُوطُ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾.

## ● التوجيهات

١. محبة المخلوقين إن زادت من حدها قد تصل إلى شرك المحبة؛ فلا تتجاوز الحد في محبتهم مهما كانت منزلتهم، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾.

٢. كثرة ذكر المحبوب دليل على شدة حبه؛ فذكر العبد لربه كثيرا يدل على أن حبه لربه كبير، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾.

٣. من أولى خطوات الشيطان: الأكل الحرام؛ كما وقع لأبينا آدم عليه السلام، ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّ أُمَّةٍ فِي الْأَرْضِ حَلَاكًا ظَلِيمًا وَلَا تَنْفَعُهُمْ خَطُوطُ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾.

ثُمَّ تَوَعَّدَ تَعَالَى الْمَشْرِكِينَ بِهِ، الظَّالِمِينَ لَأَنْفُسِهِمْ بِذَلِكَ، فَقَالَ: ﴿وَلَوْ رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرْثُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ أَي: أَنَّ الْحُكْمَ لَهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ جَمِيعَ الْأَشْيَاءِ تَحْتَ قَهْرِهِ وَغَلْبَتِهِ وَسُلْطَانِهِ

الآية (١٦٨-١٦٩): لَمَّا بَيَّنَّ تَعَالَى أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَأَنَّ  
الْمُسْتَقْبَلَ بِالْخَلْقِ، شَرَعَ يُبَيِّنُ أَنَّهُ الرَّازِقُ لَجَمِيعِ خَلْقِهِ، فَذَكَرَ فِي مَقَامِ  
الْإِمْتِنَانِ أَنَّهُ أَبَاحَ لَهُمْ أَنْ يَأْكُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ فِي حَالِ كَوْنِهِ حَلَالًا مِنْ  
اللَّهِ طَبِيعًا، أَيْ: مُسْتَطَابًا فِي نَفْسِهِ غَيْرَ ضَارٍّ لِلْإِبْدَانِ وَلَا لِلْعُقُولِ. وَنَهَاهُمْ  
عَنْ اتِّبَاعِ خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ، وَهِيَ: طَرِيقُهُ وَمَسَالِكُهُ فِيمَا أَضَلَّ اتِّبَاعُهُ  
فِيهِ مِنْ تَحْرِيمِ الْبَحَائِرِ وَالسَّوَابِغِ وَالْوَصَائِلِ وَنَحْوِهَا مِمَّا رَزَقَهُ لَهُمْ فِي  
جَاهِلِيَّتِهِمْ، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ قَالَ قَتَادَةُ السَّيِّئِ: كُلُّ  
مَعْصِيَةِ اللَّهِ فِيهِ مِنْ خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ. ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾: تَنْفِيرُ  
عَنْهُ وَتَحْذِيرُ مِنْهُ. وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالشُّوْءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى  
الْأَلْوَامِ لَا تَعْلَمُونَ﴾ أَيْ: إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِعَدْوَمِ الشَّيْطَانِ بِالْأَفْعَالِ السَّيِّئَةِ،  
وَأَعْلَظَ مِنْهَا: الْفَاحِشَةُ كَالزَّانَا وَنَحْوِهِ، وَأَعْلَظَ مِنْ ذَلِكَ: وَهُوَ الْقَوْلُ  
عَلَى اللَّهِ بِلَا عِلْمٍ، فَيَدْخُلُ فِي هَذَا كُلُّ كَافِرٍ وَكُلُّ مُتَبَدِّعٍ أَيْضًا.

قال قتادة: غير باغ في الميتة، أي: في أكليه: أن يتعدى حلالاً إلى حرام، وهو يجذ عنه مندوحة.

الآية (١٧٤-١٧٦): ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ الْكِتَابِ﴾ يعني: اليهود الذين كتموا صفة محمد ﷺ في كتبهم التي بأيديهم، مما يشهد له بالرسالة والنبوة، فكتموا ذلك لئلا تذهب رياستهم، وما كانوا يأخذونه من العرب من الهدايا والتحف على تعظيمهم إياهم، فخشوا -لنهم الله- أن أظهروا ذلك أن يتبعه الناس ويتروكهم، فكتموا ذلك إبقاءً على ما كان يحصل لهم من ذلك، وهو تَزَرُّ يسير، فباعوا أنفسهم بذلك، واغتاضوا عن الهدى واتباع الحق وتصديق الرسول والإيمان بما جاء عن الله بذلك التَزَرُّ اليسير، فخابوا وخسروا في الدنيا والآخرة؛ أما في الدنيا: فإن الله أظهر لعباده صدق رسوله، بما نصَّبَه وجعله معه من الآيات الظاهرات والدلائل القاطعات، فصَدَّقَه الذين كانوا يخافون أن يتبعوه، وصاروا عوناً له على قتالهم، وباؤوا بغضب على غضب، وذمَّهم الله في كتابه في غير موضع. من ذلك هذه الآية الكريمة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ وهو عَرَضُ الحياة الدنيا، ﴿أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾ أي: إنما يأكلون ما يأكلونه في مقابلة كتمان الحق نَارًا تَأْجُجُ في بطونهم يوم القيامة، ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: وذلك لأنه غضبان عليهم، لأنهم كتموا وقد علموا، فاستحقوا الغضب، فلا ينظر إليهم ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ أي: يثني عليهم ويمدحهم، بل يلعنهم عذاباً أليماً. ثم قال تعالى تحريماً عنهم: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾ أي: اغتاضوا عن الهدى، وهو نُشْر ما في كتبهم من صفة الرسول وذكر مبعثه والبشارة به من كتب الأنبياء وأتباعه وتصديقه - استبدلوا عن ذلك واغتاضوا عنه بالضلالة، وهو تكذيبه والكفر به وكتمان صفاته في كتبهم، ﴿وَالْعَذَابُ بِالْغَفْوَةِ﴾ أي: اغتاضوا عن المغفرة بالعذاب، وهو ما تعاطَوْه من أسبابه المذكورة. ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾: يُخْبِر تعالى أنهم في عذاب شديد عظيم هائل، يتعجب من رَأْم فيها من صبرهم على ذلك، من شدة ما هم فيه من العذاب والنكال والأغلال، عياداً بالله من ذلك. وقيل: أي فما أدومهم لعمل المعاصي التي تُفْضِي بهم إلى النار. ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ سَرَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ أي: إنما استحقوا هذا العذاب الشديد لأن الله تعالى أنزل على رسوله محمد ﷺ وعلى الأنبياء قبله كُتُبَ بتحقيق الحق وإبطال الباطل، وهؤلاء اتخذوا آيات الله هزواً، فكتابهم يأمرهم بإظهار العلم ونشره، فخالفوه وكذبوه. وهذا الرسول الخاتم يدعوهم إلى الله تعالى، ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، وهم يكذبونه ويخالفونه ويحسدونه، ويكتمون صفته، فاستهزؤوا بآيات الله المنزلة على رسله؛ فلهذا استحقوا العذاب والنكال.

الآية (١٧٠-١٧١): ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَوْلَا الْكُفْرَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿أَتَبْنُو مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ على رسوله، واتركوا ما أنتم فيه من الضلال والجهل، ﴿قَالُوا﴾ في جواب ذلك: ﴿بَلْ نَتَّبِعُ مَا آفَقْنَا﴾ أي: وَجَدْنَا ﴿عَلَيْهِ آيَاتُنَا﴾ أي: من عبادة الأصنام والأنداد. قال الله تعالى منكراً عليهم: ﴿أَوَلَوْ كُنَّا نَسْكُوهُمْ﴾ أي: الذين يقتدون بهم ويقتفون أثرهم ﴿لَا يَسْقُطُوكَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ أي: ليس لهم فهم ولا هداية. ثم صَرَّب لهم تعالى مثلاً، كما قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ﴾ [النحل: ٦٠]، فقال: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: فيها هم في من الغي والضلال والجهل كاللدواب السارحة التي لا تَفْقَهُ ما يُقَال لها، بل إذا نَعَقَ بها رَاجِعُها - أي: دعاها إلى ما يُرِيدُها - لا تَفْقَهُ ما يقول ولا تفهمه، بل إنها تسمع صوته فقط. وقيل: إنها هذا مثل صُرِب لهم في دعائهم الأصنام التي لا تسمع ولا تُبصر ولا تعقل شيئاً، اختاره ابن جرير، والأول أولى؛ لأن الأصنام لا تسمع شيئاً ولا تعقل ولا تُبصر، ولا تَبْطِشُ لها ولا حياة فيها. ﴿سَمِعْتُمْ عُنِيَ﴾ أي: صُمَّ عن سماع الحق، بِكُمْ لا يَقْوَهُونَ به، عُنِيَ عن رؤية طريقه ومسلكه ﴿فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ أي: لا يعقلون شيئاً ولا يفهمونه.

الآية (١٧٢-١٧٣): يقول تعالى أمراً عباده المؤمنين بالأكل من طيبات ما رزقهم تعالى، وأن يشكروه على ذلك، إن كانوا عبيده، والأكل من الحلال سَبَبٌ لتَقَبُّل الدعاء والعبادة، كما أن الأكل من الحرام يمنع قبول الدعاء والعبادة، كما في حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أبها الناس، إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَامْتَلُوا صُلِحُوا﴾ [المؤمن: ٥١]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾، ثم ذكر الرجل يُطِيطُ السفر أَشْعَثَ أَغْبَر، يمدُّ يديه إلى السماء: يا رب، يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغُدِّيَ بالحرام، فأتى يُسْتَجَاب لذلك؟! [رواه مسلم]. ولما امتنَّ تعالى عليهم برزقه، وأرشدهم إلى الأكل من طيبه، ذكر أنه لم يُحَرِّم عليهم من ذلك إلا الميتة، وهي التي تموت خَفَّتْ أنفها من غير تَذَكُّيَّة، وسواء كانت مُنْخَفَّة أو موقودة أو مُتَرَدِّية أو نطيحة، أو قد عدا عليها السَّحْبُ. وكذلك حَرَّمَ عليهم لحم الخنزير، سواء ذُكِّي أو مات خَفَّتْ أنفه، ويدخل شُحْمُه في حكم لحمه، وحَرَّمَ عليهم ما أُجِلَّ به لغبر الله، وهو ما ذُبِح على غير اسمه تعالى من الأنصاب والأنداد والأزلام، ونحو ذلك مما كانت الجاهلية ينحرون له. ثم أباح تعالى تناول ذلك عند الضرورة والاحتياج إليها، عند فَقْدِ غيرها من الأطعمة، فقال: ﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ أي: في غير بُغْي ولا عدوان، وهو مجاوزة الحد، ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ أي: في أكل ذلك، ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.



## ● الوقفات التدريبية

﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَتَعُكُّ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءَ وَنِدَاءَ ۚ صُمُّ بَيْنَهُمْ عَنْهُ فَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴾

التقليد، وإخلاصهم إلى ما هم عليه من الضلالة لا يلقون ذهانهم إلى ما يتلى عليهم، ولا يتأملون فيما يقرر معهم؛ فهم في ذلك كالبهائم التي تنقع عليها وهي لا تسمع إلا جرس النغمة ودوي الصوت. الألويسي: ٤٢/٢.

السؤال: لماذا وصف الله الكفار بهذه الأوصاف؟

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾

والأمر بالشكر عقيب النعم لأن الشكر يحفظ النعم الموجودة، ويحلب النعم المفقودة، كما أن الكفر ينفر النعم المفقودة ويزيل النعم الموجودة. السعدي: ٨١.

السؤال: ما علاقة الشكر بالنعم؟

﴿وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾  
 الشكر حقيقة: البذل من الطيب؛ فشكر كل نعمة إظهارها على حدها من مال أو جاه أو علم أو طعام أو شراب أو غيره، وإنفاق فضلها والانتفاع منها بالأدنى، والتجارة بفضلها ليمتعي الأجر، وإبلاغها إلى أهلها المؤدي الأمانة؛ لأن أيدي العباد خزائن الملك الجواد. البقاعي: ٣٦/١.

**السؤال: ما حقيقة الشكر؟**

﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

لما كان هذا الدين يسراً لا عسر فيه، ولا حرج، ولا جناح؛ رفع حكم هذا التحريم عن المضطر. البقاعي: ٣١٨/١.

السؤال: الشريعة صالحة لكل زمان ومكان لأنها راعت كل الأحوال، وضع ذلك من الآية.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيُسْتَرُونَ بِهِ ۖ ثُمَّ  
قِيلَ أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ ۚ وَلَا يَكْلَهُمُ اللَّهُ يَوْمَ  
الْقِيَامَةِ ۚ وَلَا يُرْكَبُ فِيهِمُ الْعَرْشُ ۚ﴾

﴿وَلَا يَزْكِيهِمْ﴾ كما يزكي بذلك من يشاء من عباده: لأنهم كتموا عن لعباد ما يزكيهم، **وَلَا** هذا تعظيم لذنوب كتم العلم (وهم) مع هذا العذاب عذاب عظيم) لما أوقعوا فيه الناس من التعب بكتهم عنهم ما يقيمهم على

لمحجّة السهلّة البقاعي: ٣٢٠/١.

**السؤال: ما سبب نفي التزكية عن الذين يكتمون ما أنزل الله؟**

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ،  
مِمَّا قَلِيلًا أَوْ لَظِيمًا مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ ﴾

وسماه (قليلاً) لانقطاع مدته وسوء عاقبته، وقيل: لأن ما كانوا يأخذونه من الرشا كان قليلاً. وهذه الآية- وإن كانت في الأخبار- فإنها تتناول

من المسلمين من كتم الحق مختاراً لذلك بسبب دنيا يصيبها ... وفي ذكر البطون أيضاً تنبيه على جشعهم، وأتهم باعوا آخرتهم بحظهم من لطعم الذي لا خطر له. القرطبي: ٤٨/٣-٤٩.

السؤال: من المقصود على وجه العموم بهذه الآية؟ وما دلالة قوله في بطونهم؟ ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾

أي: فما أدومهم لعمل المعاصي التي تقضي بهم إلى النار. ابن كثير: ١٩٦/١.

لسؤال : كيف وُصفوا بالصبر على النار وهم لم يدخلوها بعد؟

وَلَا ذَاقِلْ لَهُمْ أَنْتُمْ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَنْبَغُ مَا آتَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَتَّقُ يَمَّا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دَعْوَةً وَنَذَاهُ صُخْرٌ يَنْكُرُ عَنْهُ فَأَعْقَلُونَ ﴿٣٦﴾ بَلَىٰ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كَلِمَاتُكَ مَا رَفَعْنَا عَنْكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ كُفْرَ الْمَنِيَّةِ وَاللَّحْمَ الْخَنِيزِ وَمَا أَهْلَ بِهِ لغيرِ اللَّهِ فَمَنْ أَضَلُّ مِنْ غَيْرِ بَاغٍ وَلَا عَادٍ وَلَا إِنْ عَلِمَ عَلَيْهِ أَنَّ اللَّهَ عَفُوٌّ رَحِيمٌ ﴿٣٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ الْكِتَابِ وَيَسْتَرْوِبُوا بِهِ فَمَتَىٰ أَقْبِلُوا أَوْلِيَكُمْ مَا يُكَلِّمُونَ فِي بَطْنِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يَكْتُمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يَكْفِيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٩﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَشْرَوْا صَلَاحَهُمْ بِالْهَدْيِ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿٤٠﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٤١﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
يَنْعِقُ	يَصِيحُ.
أَهْلٌ بِهِ لَغَيْرِ اللَّهِ	مَا ذُكِرَ عِنْدَ ذَبْحِهِ اسْمُ غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى.
غَيْرِ بَاغٍ	غَيْرِ ظَالِمٍ فِي أَكْلِهِ فَوْقَ حَاجَتِهِ.
وَلَا عَادٍ	غَيْرِ مُتَجَاوِزٍ حُدُودَ مَا أُبِيحَ لَهُ.
شِقَاقٌ يَبْعِدُ	مُنَازَعَةٌ، وَخِلَافٌ يَبْعِدُ عَنِ الْحَقِّ.

## ● العمل بالآيات

١. ارسل رسالته تذكر فيها إخوانك بترك التقليد الأعمى، والحرص على اتباع الدليل الصحيح، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَحْنُ نَحْمُ مَا آتَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ﴾.
٢. أحمد الله تعالى بعد الأكل؛ فكم من إنسان يتمنى مثل طعامك ولا يجده، ﴿يَأْتِيهَا الذِّكْرُ﴾ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنَّكُمْ سَتَشْكُرُونَ.
٣. ارسل رسالته فيها أسماء أطعمة مشبهة فيها، وأسماء أطعمة حلال بديلا عنها، ﴿يَأْتِيهَا الذِّكْرُ﴾ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ.

## ● التوجيهات

١. المؤمن يحرص على اتباع الدليل الصحيح من الكتاب والسنة، ولا يتبع من يتكلم بلا دليل صحيح، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۖ﴾.
٢. الشكر عبادة، فاحرص عليها، ﴿وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ۖ﴾.
٣. من رحمة الله أن الأصل في الأطعمة الإباحة، أما المحرم فمحمور في اصناف محدودة، ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ ۖ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿ وَمَا أَقْبَلَ عَلَىٰ حَيْدِهِ ذِي الشُّرْبِ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالْيَتَامَىٰ فِي الرِّقَابِ ﴾

(ذو القربى) وما بعده ترتيب بتقديم الأهم فالأهم والافضل: لأن الصدقة على القرابة صدقة وصلته بخلاف من بعدهم، ثم اليتامى لصغرهم وحاجتهم، ثم المساكين للحاجة خاصة، وابن السبيل الغريب، وقيل: الضعيف، والسائلين وإن كانوا غير محتاجين. ابن جزى: ٩٥/١. السؤال: في الآية الاهتمام بالأولويات وبالأهم فالأهم، وضع ذلك.

﴿ وَمَا أَقْبَلَ عَلَىٰ حَيْدِهِ ﴾

فمن أخرجه مع حبه له تقرباً إلى الله تعالى كان هذا برهاناً لإيمانه ومن إيتاء المال على حبه: أن يتصدق وهو صحيح شحيح، يامل الفنى، ويخشى الفقر، وكذلك إذا كانت الصدقة عن قلبه كانت افضل؛ لأنه في هذه الحال يحب إمساكه لما يتوهمه من العدم والفقر، وكذلك إخراج النفيس من المال، وما يحبه من ماله السعدي: ٨٣.

السؤال: اذكر شيئاً من صور إيتاء المال على حبه.

﴿ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَىٰ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ يَهْدِيهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّادِقِينَ فِي الْبَنَاءِ وَالْفَرَءِ وَبَيْنَ الْبَنَاءِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾

أي: هؤلاء الذين اتصفوا بهذه الصفات هم الذين صدقوا في إيمانهم؛ لأنهم حققوا الإيمان القلبي بالأقوال والأفعال، هؤلاء هم الذين صدقوا، وأولئك هم المتقون؛ لأنهم اتقوا المحارم، وفعلوا الطاعات. ابن كثير: ١٩٨/١.

السؤال: ما علامة صدق الإيمان؟

﴿ وَالصَّادِقِينَ فِي الْبَنَاءِ وَالْفَرَءِ وَبَيْنَ الْبَنَاءِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾

وهذا من باب الترقى في الصبر من الشديد إلى الأشد؛ لأن الصبر على المرض فوق الصبر على الفقر، والصبر على القتال فوق الصبر على المرض. الأنوسي: ٤٨/٢.

السؤال: هل تتفاوت درجات الصبر؟

﴿ فَمَنْ عَفَىٰ عَنْ شَيْءٍ فَإِنَّهُ عَلَىٰ الْمَعْرُوفِ وَأَدَّاهُ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ﴾

وصية العافي بأن لا يشدد في طلب الديّة على المعفو له، وينظره إن كان معسراً، ولا يطالبه بالزيادة عليها، والمعفو بأن لا يعطل العافي فيها، ولا يبخس منها، ويدفعها عند الإمكان. الأنوسي: ٥٠/٢.

السؤال: بماذا وصى الله الطرفين عند أخذ الديّة أو العفو؟

﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَتَأُولَىٰ آلَ أَبِي لَهَبٍ لَّمَّا كُنْتُمْ تَقُولُونَ ﴾

(ولكم في القصاص حياة) بمعنى قولهم: «القتل أنفى للقتل»؛ أي: إن القصاص يردع الناس عن القتل، وقيل: المعنى أن القصاص أقل قتلاً؛ لأنه قتل واحد بواحد، بخلاف ما كان في الجاهلية من اقتتال قبيلتي القاتل والمقتول حتى يقتل بسبب ذلك جماعة. ابن جزى: ٩٦/١.

السؤال: كيف يكون في القصاص حياة؟

﴿ فَمَنْ بَدَّلَهُ بَدَلًا مِّمَّا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ ﴾

فمن بدل الوصية وحرّفها فغير حكمها، وزاد فيها، أو نقص -ويدخل في ذلك الكتمان لها بطريق الأولى- (فإنما إثمه على الذين يبدّلونه) قال ابن عباس وغير واحد: وقد وقع أجر الميت على الله، وتعلق الإثم بالذين بدّلوا ذلك. ابن كثير: ٢٠١/١. السؤال: حسن اختيار الناظر على الوصية أمر في غاية الأهمية، وضع ذلك من الآية.

\* لَيْسَ إِلَهَ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْإِلَهَ مَنْ أَمَّنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَكُ وَالْكِتَابُ وَالنَّبِيُّنَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حَيْدِهِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالصَّادِقِينَ فِي الْبَنَاءِ وَالْفَرَءِ وَبَيْنَ الْبَنَاءِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٢٧﴾ يَتَأُولَى الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ أَلْحِقُوا بِالْعَبْدِ وَلَاحِقْهُ بِأُلْحِقْ بِالْأَنْثَىٰ فَمَنْ عَفَىٰ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَّاهُ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَتَأُولَىٰ آلَ أَبِي لَهَبٍ لَّمَّا كُنْتُمْ تَقُولُونَ ﴿٢٩﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنْ بَدَّلَهُ بَدَلًا مِّمَّا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣١﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
الْبَرُّ	التَّوَسُّعُ فِي فِعْلِ الْخَيْرِ وَالطَّاعَةِ.
وَابْنَ السَّبِيلِ	الْمُسَافِرُ الْحَتَّاجُ الْمُنْقَطِعُ عَنْ أَهْلِهِ.
وَبَيْنَ الرِّقَابِ	فِي تَحْرِيرِ الرِّقَابِ مِنَ الرِّقِّ وَالْأَسْرِ.
الْبَنَاءِ	الْفَقْرُ.
وَالضَّرَاءِ	الْمَرَضُ.
وَبَيْنَ الْبَنَاءِ	حِينَ شِدَّةِ الْفِتَنِ.
تَرَكَ خَيْرًا	تَرَكَ مَا لَا كَثِيرًا.

## ● العمل بالآيات

١. ضع جدولاً زمنياً لتوزيع صدقاتك وهداياك مما تحب على الأصناف المذكورة في الآية: ﴿ وَمَا أَقْبَلَ عَلَى حَيْدِهِ ذِي الشُّرْبِ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالْيَتَامَى وَالْفَرَءِ وَبَيْنَ الْبَنَاءِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾.
٢. اذهب إلى الصلاة مبكراً، ﴿ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ ﴾.
٣. بادر بكتابة وصيتك بعد استشارة من له خبرة في ذلك، ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ ﴾.

## ● التوجيهات

١. اجمع بعض أعمال القلوب، ثم تعرف على كيفية تحقيقها في قلبك، ﴿ لَيْسَ إِلَهَ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْإِلَهَ مَنْ أَمَّنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾.
٢. المؤمن وفي بالعهده لا يخلفه، بل هو احرص شيء عليه، وإنما ينقض العهد المنافق، ﴿ وَالْمُؤْتُونَ يَهْدِيهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ﴾.
٣. القصاص من أسباب استقرار المجتمعات وأمانها، ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَتَأُولَى آلَ أَبِي لَهَبٍ ﴾.

وهو الضراء. ﴿وَجَنَ الْبَاسِ﴾ أي: في ساحة القتال والبقاء الأعداء ﴿وَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَدَدُوا﴾ الذين أَصَفُوا بهذه الصفات هم الذين صَدَقُوا في إيمانهم؛ لأنهم حَقَّقُوا الإيمان القلبي بالأقوال والأفعال، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ لأنهم اتقوا المحارم وفعلوا الطاعات.

الآية (١٧٨-١٧٩): يقول تعالى: ﴿كُذِّبَ عَلَيْكُمْ﴾ العُدْلُ في القصاص -أيًا المؤمنين- حُرُّكُمْ بِحُرِّكُمْ، وَعَذَابُكُمْ بِعَذَابِكُمْ، وَأَنْتُمْ كَمَا بَأْسَكُمْ، وَلَا تَتَجَاوَزُوا وَتَعْتَدُوا، كَمَا اعْتَدَى مِنْ قَبْلِكُمْ وَغَيَّرُوا حُكْمَ اللَّهِ فِيهِمْ، فَأَمَرَ اللَّهُ بِالْعَدْلِ فِي الْقَصَاصِ، وَإِنْ لَا يَبُغِ سَبِيلَ الْمُسْلِمِينَ الْمُحَرِّفِينَ، الْمُخَالِفِينَ لأحكامِ اللَّهِ فِيهِمْ، كَفَرًا وَغِيًّا. ﴿فَمَنْ عَفَى لَكَ﴾ قال ابن عباس: أن يقبل الدية في العمد. ﴿وَأَدَّاهُ إِلَيْهِ يَحْسِنُ﴾ قال ابن عباس: يُؤَدِّي المطلوب بإحسان. ﴿ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ إنما شَرَعَ لَكُمْ اخْذَ الدِّيَةِ في العمد تخفيفًا من الله عليكم ورحمة بكم، مما كان محتومًا على الأمم قبلكم، من القتل أو العفو، عن ابن عباس قال: كتب على بني إسرائيل القصاص في القتل، ولم يكن فيهم العفو. ﴿فَمَنْ عَفَاكَ بَعْدَ ذَلِكَ فَكَهُ عَدَاؤُكَ إِلَيْهِ﴾ فمن قَتَلَ بعد اخْذِ الدِّيَةِ أو قبولها، فَلَهُ عَذَابُ مَنْ قَتَلَ بَعْدَ اخْذِ الدِّيَةِ، وَكَفَّ فِي الْقَصَاصِ حَيَوَةً، وفي شَرَعَ القصاص لكم -وهو قتل القاتل- حكمة عظيمة، وهي بقاء السُّمُوحِ وَصَوْنُهَا؛ لأنه إذا عَلِمَ القاتلُ أنه يُقْتَلُ انْكَفَى عَنْ صَنِيعِهِ، فكان في ذلك حياةً للنفس. وفي الكتب المتقدمة: القتلُ اتقى للقتل. فجاءت هذه العبارة في القرآن أَفْضَحَ وأبلغ وأَوْجَزَ: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوَةٌ﴾. ﴿يَتَأْوَلِي الْآلِيبَ لَمَّا كُنْتُمْ تَتَّقُونَ﴾ يا أولي العقول والأفهام والنُّهى، لعلكم تَنْزَجِرُونَ فتتركوا محارمَ الله وَمَنَاجَاتِهِ، «والتقوى»: اسم جامع لفعل الطاعات وترك المنكرات.

الآية (١٨٠-١٨١): اشتملت هذه الآية على الأمر بالصورة للوالدين والأقربين وقد كان ذلك واجبًا -على أصح القولين- قبل نزول آية الموارث، فلما نَزَلَتْ آية الفرائض نُسِختْ هذه، وصارت الموارث المقررة فريضة من الله، يأخذها أهلها حتى من غير وصية ولا تحمل مَنَه الموصي، عن عمرو بن خارجة مرفوعًا: «إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه، فلا وصية لوارث» [رواه الترمذي، وصححه إسناده أحمد شافعي]. «إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾ أي: مَالًا. قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وغيرهم. ثم منهم من قال: الوصية مشروعة سواء قُلَّ المال أو كَثُرَ كالورثة، ومنهم من قال: إنها يُوصي إذا تَرَكَ مَالًا جَزِيلًا. ﴿وَالْمَعْرُوفُ﴾ أي: بالرفق والإحسان، يُوصي لأقربيه وصية لا تُجْهِفُ بورتته، من غير إسراف ولا تقتير كما ثبت في الصحيحين أن سعدًا قال: يا رسول الله، إن لي مالا ولا يرثني إلا ابنة لي، أفأوصي بثلثي مالي؟ قال: «لا» قال: فبالشطر؟ قال: «لا» قال: فالثلث؟ قال: «الثلث، والثلث كثير؛ إنك أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس». ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ بَدَلًا مَا جُمِعَ لَهُ﴾ فمن بَدَّلَ الوصية وَخَرَفَهَا، فغَيَّرَ حُكْمَهَا وزاد فيها أو نقص -ويدخل في ذلك الكتمان لها بطريق الأولى- ﴿فَإِنَّمَا أَنشَأَ عَلَى الَّذِينَ يَدْعُونَهُ﴾، وقد وَقَعَ أَجْرُ المِيتِ على الله، وتعلق الإثم بالذين بَدَّلُوا ذلك، ﴿لِأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ أي: قد اطلَّع على ما أوصى به المِيت، وهو عليم بذلك، وبما بَدَّلَهُ الْمُوصِي إِيَّاهُ.

الآية (١٧٧): اشتملت هذه الآية الكريمة، على مجمل عظيمة، وقواعد عميقة، وعقيدة مستقيمة. فإن الله تعالى لَمَّا أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ أَوَّلًا بِالتَّوَجُّهِ إلى بيت المقدس، ثم حَوَّلَهُمْ إلى الكعبة، شَقَّ ذلك على نفوس طائفة من أهل الكتاب وبعض المسلمين، فَأَنزَلَ الله تعالى بيانَ حكمته في ذلك، وهو أن المراد إنما هو طاعة الله عز وجل وامتثال أوامره، والتَّوَجُّهُ حيثما وَجَّهَ، واتباع ما شَرَعَ، فهذا هو البر والتقوى والإيمان الكامل، وليس في لزوم التَّوَجُّهِ إلى جهة من الشرق إلى المغرب بَرٌّ ولا طاعة، إن لم يكن عن أمر الله وشَرَعَهُ. فمن أَصَفَ بهذه الآية، فقد دَخَلَ في عَرَى الإسلام كلها، وَأَخَذَ بمجماع الخير كله، وهو الإيمان بالله، وصَلَّى بوجود الملائكة الذين هُمُ سَفَرَةُ بَيْنِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، ﴿وَالْكِتَابُ﴾ يشمل الكتب المنزلة من السماء على الأنبياء، حتى خُتِمَتْ بأشرفها، وهو القرآن، وآمن بأنبياء الله كلهم. ﴿وَمَاءَ نَزَلْنَا عَلَى حَبِيبٍ﴾ أي: أَخْرَجَهُ، وهو مُجَبُّ لَهُ، رَاغِبٌ فِيهِ. كما في حديث أبي هريرة مرفوعًا: «أفضل الصدقة أن تصدَّقَ وَأَنْتَ صَاحِبُ شَيْءٍ، تَأْمَلُ الْفَنَى، وَتُخْشَى الْفَقْرَ» [متفق عليه]. وقال تعالى: ﴿وَيُطِيعُونَ أَمْرًا عَلَى حَبِيبٍ﴾ [الإنسان: ٨]. وقال: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى نُنْفِقُوا مِنَّا مَحْبُوسِينَ﴾ [آل عمران: ٩٢] وقوله: ﴿وَيُؤْتِيهِمُ اللَّهُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَوْ كَانُوا بِعَيْنِ خَاصَّةٍ﴾ [الحشر: ٩] نَمَطٌ آخَرُ أَرْفَعُ مِنْ هَذَا، وهو: أنهم أَتَرَوْا بِمَا هُمْ مضطرون إليه، وهؤلاء أعطوا وَأَطَعُوا ما هُمْ مُجَبُّونَ لَهُ. وقوله: ﴿ذَوِي الْقُرْبَى﴾ وهم: قُرَابَاتُ الرجل، وهم أولي الناس بكَ وَبِرِّكَ وإعطائك. ﴿وَالْيَتَامَى﴾ هم: الذين لا كاسب لهم، وقد مات آبائهم وهم ضِعفاء صغار دون البلوغ والقدرة على التكسب. ﴿وَالْمَسْكِينُ﴾ وهم: الذين لا يَجِدُونَ ما يَكْفِيهِمْ في قوتهم ويُسَوِّغُهُمْ وسكناتهم، فيُطْعَمُونَ ما تُسَدُّ بِهِ حاجتهم وَخَلَّتْهُمْ، وفي الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ليس المسكين بهذا الطواف الذي ترده التمرة والتمرتان واللقمة واللقمتان، ولكن المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه، ولا يظن له فيصدق عليه» ﴿وَأَيْنَ السَّيْلُ﴾ وهو: المسافر المُجْتَازُ الذي قد فَرَّغَتْ نَفَقَتُهُ فَيُعْطَى ما يُوصِلُهُ إلى بلده، وكذا الذي يُريد سفرًا في طاعة، فيُعْطَى ما يَكْفِيهِ في دَعَابِهِ وإِيبَابِهِ. ويدخل في ذلك الضَّيف، كما قال ابن عباس: ابن السَّيْلِ هو الضَّيف الذي يَنْزِلُ بالمسلمين. ﴿وَالسَّالِيلِينَ﴾ وهم: الذين يَتَعَرَّضُونَ لِلطَّلَبِ فيُطْعَمُونَ من الزكوات والصدقات. ﴿ذَوِي الْقُرْبَى﴾ وهم: الْمُكَاتِبُونَ الذين لا يَجِدُونَ ما يُؤَدُّونَهُ في كتابتهم. وقوله: ﴿وَأَنفَاءَ السَّلَاةِ﴾ أي: وَأَنْتُمْ أفعال الصلاة في أوقاتها بركوعها، وسجودها، وطماينتها، وخشوعها، على الوجه الشرعي السَّمَرِيِّ. ﴿وَمَاءَ الزَّكَاةِ﴾ يُجْتَمَلُ أن يكون المراد به: زكاة النفس، وتخليصها من الأخلاق الدنيئة الرذيلة، كقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَكَّهَا﴾ [النس: ٩]. ويُجْتَمَلُ أن يكون المراد زكاة المال، ويكون المذكور من إعطاء هذه الجهات والأصناف المذكورين إنما هو التَطَوُّع والبرُّ والصلة. وقوله: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ يَهْدِيهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾، كقوله: ﴿الَّذِينَ يُؤْتُونَ يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَا يَفْضَحُونَ أَلَيْبَهُمْ﴾ [الرعد: ٢٠] وعكس هذه الصفة: النفاق. كما صح الحديث: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان» [متفق عليه]. وقوله: ﴿وَالضَّالِّينَ فِي أَلْبَاسِهِمْ وَالْمَرْتَبَةِ﴾ أي: في حال الفقر، وهو البأساء، وفي حال المرض والأسقام،



منه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١]. وقال: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ شَرِّكَكُمْ﴾ [الدخان: ٣]، ثم نزل بعد مفرقا بحسب الوقائع على رسول الله ﷺ. وقوله: ﴿هُدًى لِلنَّاسِ﴾. هذا مدح للقرآن الذي أنزله الله هدى لقلوب العباد من آمن به وصدقه وأتبعه ﴿وَبَيِّنَتْ﴾ أي: ودلائل وحججاً بيّناً واضحة جلية لمن فهمها وتدبرها دالّة على صحة ما جاء به من الهدى النافي للضلال، والرشد المخالف للغي، ومفرقا بين الحق والباطل، والحلال والحرام. وقوله: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾: هذا إيجاب حتم على من شهد استهلال الشهر -أي كان مقبياً في البلد حين دخل شهر رمضان، وهو صحيح في بدنه- أن يصوم لا محالة. ونسخت هذه الآية الإباحة المتقدمة لمن كان صحيحاً مقبياً أن يفطر ويفدي بإطعام مسكين عن كل يوم. ولما حتم الصيام أعاد ذكر الرخصة للمريض وللمسافر في الإفطار، بشرط القضاء فقال: ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ من كان به مرض في بدنه يثق عليه الصيام معه، أو يؤذي، أو كان في حال سفر -فله أن يفطر، فإذا أفطر فعليه عدة ما أفطره في السفر من الأيام. وهنا مسائل تتعلق بهذه الآية: [الأولى]: ذهب آخرون من الصحابة والتابعين إلى وجوب الإفطار في السفر؛ لقوله: ﴿فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ والصحيح قول الجمهور، أن الأمر في ذلك على التخيير، وليس بحتم؛ لأنهم كانوا يخرجون مع رسول الله ﷺ في شهر رمضان. قال: «فمنا الصائم ومنا المفطر، فلم يعب الصائم على المفطر، ولا المفطر على الصائم» [رواه مسلم]. فلو كان الإفطار هو الواجب لأنكر عليهم الصيام، بل الذي ثبت من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان في مثل هذه الحالة صائماً، لما ثبت في الصحيحين عن أبي الدرداء قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان في حر شديد، حتى إن كان أحدهما يضع يده على رأسه من شدة الحر وما فينا صائم إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبد الله بن رواحة.

[الثانية]: القضاء، لا يجب [فيه] التابع، بل إن شاء فرق، وإن شاء تابع. وهذا قول جمهور السلف والخلف، وعليه ثبتت الدلائل؛ لأن التابع إنما وجب في الشهر لضرورة أدائه في الشهر، فأما بعد انقضاء رمضان فالمراد صيام أيام عدة ما أفطر؛ ولهذا قال: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ﴾ أي: إنما أُرخص لكم في الإفطار للمرض والسفر ونحوهما من الأعذار لإرادته بكم اليسر، وإنا أمركم بالقضاء لتكميلوا عدة شهركم. ﴿وَلِتُكْمِلُوا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَا هَدَانَكُمْ﴾ أي: ولتذكروا الله عند انقضاء عبادتكم، كما قال: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مِنْ شَأْنِكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ﴾ [البقرة: ٢٠٠]. ﴿وَلَمَّا كُمُ تَشْكُرُونَ﴾ إذا قمت بما أمركم الله من طاعته بأداء فرائضه، وترك محارمه، وحفظ حدوده.

الآية (١٨٦): عن أبي موسى [قال: قال رسول الله ﷺ]: «يا أيها الناس، ازمعوا على أنفسكم؛ فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً، إنما تدعون سميماً بصيراً؛ إن الذي تدعون أقرب إلى أحدكم من عنق رحلته» [متفق عليه]. والمراد من هذا: أنه تعالى لا يجيب دعاء داء، ولا يشغله عنه شيء، بل هو سميع الدعاء. وفيه ترغيب في الدعاء، وأنه لا يضيع لديه تعالى. وفي ذكره تعالى هذه الآية الباعثة على الدعاء، مُتَحَلِّلَةً بين أحكام الصيام إرشاد إلى الاجتهاد في الدعاء عند إكمال العدة، بل وعند كل فطر.

الآية (١٨٢): ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوسِمٍ جَنَفًا أَوْ إِفْكًَا﴾ قال ابن عباس وغيره: الجَنَفُ: الخطأ. وهذا يشمل أنواع الخطأ كلها، بأن زاد وارثاً بواسطة أو وسيلة، كما إذا أوصى ببيع الشيء الفلاني عبادة، أو أوصى لابن ابنته ليزيدها، أو نحو ذلك من الوسائل، إما مخطئاً غير عامد، بل بطبعه وقوة شفقته من غير تبصر، أو متعمداً أتما في ذلك، فللوصي -والحالة هذه- أن يضلح القضية، ويُعدل في الوصية على الوجه الشرعي. ويُعدل عن الذي أوصى به الميت إلى ما هو أقرب الأشياء إليه وأشباه الأمور به، جماعاً بين مقصود الموصي والطريق الشرعي. وهذا الإصلاح والتوفيق ليس من التبديل في شيء.

الآية (١٨٣-١٨٤): يقول تعالى مخاطباً للمؤمنين من هذه الأمة وأئمتها لهم بالصيام، وهو: الإمساك عن الطعام والشراب والوقاع، بنية خالصة لله عز وجل، لهما فيه من زكاة النفس وطهارتها وتنقيتها من الأخلاط الرديئة والأخلاق الرذيلة. وذكر أنه كما أوجب عليهم فقد أوجب على من كان قبلهم، فلهم فيه أسوة، ﴿لَمَّا كُنْتُمْ تَتَّقُونَ﴾ لأن الصوم فيه تزكية للبدن وتضييق لمسالك الشيطان؛ ولهذا ثبت في الصحيحين: «يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج؛ ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء». ثم بين مقدار الصوم، وأنه ليس في كل يوم، لئلا يشق على النفوس فتضئف عن تحله وأدائه، بل في أيام معدودات.

ثم بين حكم الصيام على ما كان عليه الأمر في ابتداء الإسلام فقال: ﴿فَمَنْ كَانَتْ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ أي: المريض والمسافر لا يصومان في حال المرض والسفر؛ لهما في ذلك من المشقة عليهما، بل يفطران ويقضيان بعدة ذلك من أيام أخر. وأما الصحيح المقيم الذي يطيق الصيام، فقد كان محجراً بين الصيام وبين الإطعام، إن شاء صام، وإن شاء أفطر، وأطعم عن كل يوم مسكيناً، وإن صام فهو أفضل من الإطعام. ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾، عن سلمة بن الأكوع قال: كان من أراد أن يفطر يفتدي، حتى نزلت الآية التي بعدها فنسختها [رواه البخاري]. ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ﴾ قال عبد الله [بن مسعود]: يَتَجَشَّعُونَهُ. ﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ﴾ يقول: أطعم مسكيناً آخر ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾، فكانوا كذلك حتى نسختها: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾. وقال ابن عباس: ليست منسوخة، هو للشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما، فيطعمان مكان كل يوم مسكيناً [رواه البخاري]. فحاصل الأمر: أن النسخ ثابت في حق الصحيح المقيم بإيجاب الصيام عليه، بقوله: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾، وأما الشيخ الفاني الهرم الذي لا يستطيع الصيام فله أن يفطر ولا قضاء عليه؛ لأنه ليست له حال يصير إليها يتمكن فيها من القضاء، ولكن هل يجب عليه إذا أفطر أن يطعم عن كل يوم مسكيناً إذا كان ذا جدة؟ فيه قولان للعلماء، أحدهما: لا يجب عليه إطعام؛ لأنه [خفف] عنه لسنه، فلم يجب عليه فدية كالصبي؛ لأن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها، وهو أحد قولي الشافعي. والثاني -وهو الصحيح، وعليه أكثر العلماء- أنه يجب عليه فدية عن كل يوم. ومما يلتجئ بهذا المعنى: الحامل والمرضع، إذا خافا على أنفسهما أو ولديهما.

الآية (١٨٥): يمدح تعالى شهر الصيام من بين سائر الشهور، بأن اختاره من بينهن لإنزال القرآن العظيم فيه... [قال] القرآن نزل جملة واحدة إلى بيت العزة من السماء الدنيا، وكان ذلك في شهر رمضان، في ليلة القدر



## ● الوقفات التدريبية

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَكُمْ تَفَقُّونَ ﴿١٨٣﴾ أَيُّهَا مَا مَدَّوَدَتِ﴾

والقصد بقوله: (كما كتب على الذين من قبلكم)، ويقولوه: (أياماً معدودات)، تسهيل الصيام على المسلمين، وملاطفة جميلة. ابن جزي: ٩٥/١. السؤال: جمع سبحانه في شرعه بين الحكمة والرحمة، وضع ذلك من خلال الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ لأنه من الشرائع والأوامر التي هي مصلحة للخلق في كل زمان، وفيه تنشيط لهذه الأمة بأنه ينبغي لكم أن تنافسوا غيركم في تكميل الأعمال، والمصارعة إلى صالح الخصال، وأنه ليس من الأمور الثقيلة التي اختصتكم بها. السعدي: ٨٦.

السؤال: ما الذي يُفاد من الإخبار بأن هذا الصيام كان فرضاً على من قبلنا؟  
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَكُمْ تَفَقُّونَ﴾

أي: كي تحذروا للعاصي؛ فإن الصوم يعقم الشهوة التي هي أمها، أو يكسرها، ... قال لنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج؛ فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم؛ فإنه له وجاء). الألويسي: ٥٧/٢.

السؤال: كيف يؤدي الصيام إلى التقوى؟

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَكُمْ تَفَقُّونَ﴾

(يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصُّومَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ...) الْحَدِيث: خص الصوم بأنه له - وإن كانت العبادات كلها له - لأمريين بابين الصوم بهما سائر العبادات؛ أحدهما: أن الصوم يمنع من ملاذ النفس وشهواتها ما لا يمنع منه سائر العبادات إلا الصلاة. الثاني: أن الصوم سر بين العبد وربه، لا يظهر إلا له، فلذلك صار مختصاً به، وما سواه من العبادات ظاهر، ربما فعله تصنعاً ورياء، فلهذا صار أخص بالصوم من غيره. القرطبي: ١٢٣/٣.

السؤال: بين فضل عبادة الصوم على غيرها من العبادات.

﴿وَلْيَسْتَجِيبُوا إِلَيَّ وَلْيَذْكُرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْتَهُمْ﴾

ومن أعظم أسرارها أنه لما كان العيد محل فرح وسرور، وكان من طبع النفس تجاوز الحدود لما جبلت عليه من الشره - حارة غفلة، وقارة بغيا - أمر بالتكبير. البقاعي: ٣٤٥/١.

السؤال: لماذا أمر الله بالتكبير في ليلة عيد رمضان؟

﴿وَلَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾

ذكر في هذه الآية أنه جل وعلا قريب يجيب دعوة الداعي، وبين في آية أخرى تعليق ذلك على مشيئة جل وعلا؛ وهي قوله: (فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتتنسون ما تشركون) [الأنعام: ٤١]، وقال بعضهم: التعليق بالمشيئة في دعاء الكفار كما هو ظاهر سياق الآية، والوعد المطلق في دعاء المؤمنين، وعليه فدعائهم لا يُرد؛ إما أن يعطوا ما سألوا، أو يدخر لهم خير منه، أو يدفع عنهم من السوء بقدره. الشنقيطي: ٧٤/١.

السؤال: ما الفرق بين دعاء المؤمن ودعاء الكافر من حيث الإجابة؟

﴿وَلَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِلِقَائِهِمْ يَوْمَ يُرْشَدُونَ﴾

وفي هذه الآية إيماء إلى أن الصائم مرجو الإجابة، وإلى أن شهر رمضان مرجوة دعواته، وإلى مشروعية الدعاء عند انتهاء كل يوم من رمضان. ابن عاشور: ١٧٩/٢.

السؤال: ما الحكمة من دخول آية الدعاء بين آيات الصيام؟

فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْسٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَكُمْ تَفَقُّونَ ﴿١٨٤﴾ أَيُّهَا مَا مَدَّوَدَتِ كَانَتْ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ. وَإِنْ أَنْصَرْتُمْ تَحَارَرْتُمْ أَنْ تَكُونَ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٥﴾ شَهْرُ رَجَبٍ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ سَهِدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ. وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُدِ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُعَذِّبُكُمْ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَكُمْ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٦﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِلِقَائِهِمْ يَوْمَ يُرْشَدُونَ ﴿١٨٧﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
جَنَفًا	مِيلًا عَنِ الْحَقِّ خَطَاً وَجَهْلًا.
تَطَوَّعَ خَيْرًا	زَادَ فِي الْفِدْيَةِ بَدَلَ الصَّيَامِ.
فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي	فَلْيُطِيعُوا نِيَّ.
يُرْشَدُونَ	يَهْتَدُونَ.

## ● العمل بالآيات

- أصلح اليوم بين متخاصمين، أو متدائنين، متذكراً أهمية الصلح، ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْسٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.
- تعاهد نفسك بصيام ثلاثة أيام من كل شهر ولو متفرقة؛ لأن ذلك ضرورة لصلاح القلب ونماء التقوى فيه، ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَكُمْ تَفَقُّونَ﴾.
- حدد مطلباً كبيراً ترجوه في حياتك، ثم صم يوماً، واتح على الله بالدعاء فيه، محسناً الظن بالله تعالى، ﴿وَلَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾.

## ● التوجيهات

- من حكم الصيام: الإعانة والتدريب على تقوى الله تعالى، ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَكُمْ تَفَقُّونَ﴾.
- في الصيام - واجباً كان أو مندوباً - أنواع من الخير للمؤمن يعلمها أو لا يعلمها، ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.
- الدعاء تحصل الهداية والرشاد، ﴿وَلَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِلِقَائِهِمْ يَوْمَ يُرْشَدُونَ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾  
 وفي إباحته تعالى جواز الأكل إلى طلوع الفجر دليل على استحباب السحور؛ لأنه من باب الرخصة، والأخذ بها محبوب. ابن كثير: ٢١٠/١.

السؤال: كيف يستدل بالآية على استحباب السحور؟

﴿ وَلَا تَبْشِرُوا مَوْتَكُمْ ﴾ وَأَشْرَ عَلَيْكُمْ فِي الْمَسْجِدِ ﴿

وفي ذكره تعالى الاعتكاف بعد الصيام إرشاد وتنبية على الاعتكاف في الصيام، أو في آخر شهر الصيام. ابن كثير: ٢١٣/١.

السؤال: ما الذي يدل عليه ذكر الاعتكاف بعد الصيام؟

﴿ وَلَا تَبْشِرُوا مَوْتَكُمْ ﴾ وَأَشْرَ عَلَيْكُمْ فِي الْمَسْجِدِ ﴿

فلا يكون الاعتكاف إلا في المساجد باتفاق العلماء؛ كما قال تعالى: (ولا تبشروهن وانتم عاكفون في المساجد)؛ لا يكون الاعتكاف لا بخلوة، ولا غير خلوة؛ لا في غار، ولا عند قبر، ولا غير ذلك مما يقصد الضالون السفر إليه والعكوف عنده؛ كعكوف المشركين على أوثانهم. ابن تيمية: ٤٤٨/١-٤٤٩.

السؤال: هل يصح اعتكاف في غير المساجد؟ استخرج الدليل من الآية.

﴿ يَذَّكَّرُ أَنْ يَحْمِلَ ذُنُوبَكُمْ وَأَنْ يَكُونَ لَكُم مِّنْ آيَاتٍ ﴾

أبلغ من قوله: (فلا تفعلوها)؛ لأن القربان يشمل النهي عن فعل المحرم بنفسه، والنهي عن وسائله الموصلة إليه، والعبد مأمور بترك المحرمات والبعد منها غاية ما يمكنه، وترك كل سبب يدعو إليها. السعدي: ٨٧-٨٨.

السؤال: لماذا نهى الله عن قربان حدوده المحرمة بدلا من النهي عن فعلها؟

﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْمَكَارِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

لما ذكر سبحانه الصيام وما فيه؛ عقبه بالنهي عن الأكل الحرام المفضي إلى عدم قبول عبادته من صيامه واعتكافه. الألوسي: ٦٩/٢.

السؤال: ما علاقة النهي عن أكل الحرام بالصيام؟

﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْمَكَارِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

لا تصانوا بأموالكم الحكام وترشوهم؛ ليقضوا لكم على أكثر منها... اتفق أهل السنة على أن من أخذ ما وقع عليه اسم مال - قل أو كثر - أنه يفسق بذلك، وأنه محرم عليه أخذه. القرطبي: ٢٢٦/٣.

السؤال: من محافظة الصائم على صومه ابتعاده عن الرشوة، وضع ذلك من سياق الآيات.

﴿ وَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَنَّكُمْ تَأْكُلُونَهُ ﴾

من اتقى الله تعالى تفجرت ينبابيع الحكمة من قلبه، وانكشف له دقائق الأسرار حسب تقواه. الألوسي: ٧٤/٢.

السؤال: ما ثمرة التقوى؟

أَحِلَّ لَكُم مَّا كُنَّا نَهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَارِ إِلَىٰ سَائِرِكُمْ هُنَّ  
 لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ  
 تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَاقْنِ  
 بَشِيرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَمَّا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا  
 حَقًّا يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ  
 الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصَّيَامَ إِلَى الْآيِلِ وَلَا تُبْشِرُوا هُنَّ وَأَنْتُمْ  
 عَنْكُمْ فِي الْمَسْجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ  
 يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢١٠﴾ وَلَا تَأْكُلُوا  
 أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْمَكَارِ  
 لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ  
 ﴿٢١١﴾ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ آيَاتِ اللَّهِ تُقَرَّبُ إِلَيْهِمْ وَلَكِنَّ  
 وَلَيْسَ الْبِرَّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ  
 مَنْ اتَّقَىٰ وَأَتَى الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَأَذْنَبَ اللَّهُ  
 لَكُمْ فَوَاحِشَ ﴿٢١٢﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ الَّذِينَ  
 يُقْلِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٢١٣﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
الرَّقُوتُ	الجماع.
لِبَاسٌ	سَكَنٌ، وَسِتْرٌ عَنِ الْحَرَامِ.
تَخْتَانُونَ	تُخَوِّنُونَ، فَتَقُونُ فِي الْمَعْصِيَةِ.
بَاشِرُوهُنَّ	جَامِعُوهُنَّ.
حُدُودُ اللَّهِ	مُحَرَّمَاتُهُ وَمَنْعَاتُهُ.
وَتُدْلُوا	تَدْفَعُوا.

## ● العمل بالآيات

- اكتب خمسة من أضرار الرشوة على الفرد والمجتمع، وأرسلها في رسالة،  
 ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْمَكَارِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾.
- تعاون مع غيرك لاسترداد حق مسلم أخذ بسبب الرشوة، ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْمَكَارِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾.
- تذكر مسلماً أخطأ عليه، واعتذر منه ولو برسالة حتى يحبك الله سبحانه، ﴿ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾.

## ● التوجيهات

- الغاية من إنزال الشرائع ووضع الحدود تقوى الله عز وجل، ﴿ يَذَّكَّرُ أَنْ يَحْمِلَ ذُنُوبَكُمْ وَأَنْ يَكُونَ لَكُم مِّنْ آيَاتٍ ﴾.
- لا تقترب من الشبهات فتقع في الحرام، ﴿ يَذَّكَّرُ أَنْ يَحْمِلَ ذُنُوبَكُمْ وَأَنْ يَكُونَ لَكُم مِّنْ آيَاتٍ ﴾.
- احذر أكل أموال الناس بالباطل، ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْمَكَارِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾.

الحق عليه، وهو يعلم أنه أثم أكل حرام.

وقد ورد في الصحيحين عن أم سلمة: أن رسول الله ﷺ قال: «إنا أنا بشر، وإنا يأتيني الخصم، فلعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فأقضي له، فمن قضيت له بحق مسلم، فإنما هي قطعة من نار، فلتخيلها، أو ليذرها». فدلّت هذه الآية الكريمة وهذا الحديث على أن حكم الحاكم لا يغير الشيء في نفس الأمر، فلا يحل في نفس الأمر حراماً هو حرام، ولا يحرم حلالاً هو حلال، وإنا هو مؤلزم في الظاهر، فإن طابق ما في نفس الأمر فذاك، وإلا فللحاكم أجره وعلى المحتال وزره، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْخِلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِيَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَسْمُونَ﴾ أي: تعملون بطلان ما تدعونونه وتروجون في كلامكم.

قال قتادة: اعلم - يا ابن آدم - أن قضاء القاضي لا يحل لك حراماً، ولا يحل لك باطلاً، وإنا يقضي القاضي بنحو ما يرى ويشهد به الشهود، والقاضي بشر يخطئ ويصيب، واعلموا أن من قضى له باطل أن خصومه لم تنقضي حتى يجمع الله بينها يوم القيامة، فيقضي على المبتل للمحقق بأجود مما قضى به للمبتل على المحق في الدنيا.

الآية (١٨٩): ﴿مَوَاقِيْتُ لِلنَّاسِ﴾ قال أبو العالية: جعلها الله مواقيت لَصَوْمِ المسلمين وإفطارهم، وعدة نسايتهم، وتحل دينهم. وقوله: ﴿وَلَيْسَ الْبِرَّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ [سبب النزول] عن البراء قال: «كانوا إذا أحرموا في الجاهلية أتوا البيت من ظهره، فأنزل الله: ﴿وَلَيْسَ الْبِرَّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾» [رواه البخاري]. وقوله: ﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ﴾ فافعلوا ما أمركم به، واتركوا ما نهاكم عنه ﴿لَكُمْ لَكُمْ تَقْلِيحُوكَ﴾ غداً إذا وقفت بين يديه، فيجزيك بأعمالكم على التمام والكمال.

الآية (١٩٠): قال أبو العالية في قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَقْتُلُونَكُمْ﴾: هذه أول آية نزلت في القتال بالمدينة، فلما نزلت كان رسول الله ﷺ يقاتل من قاتله، ويكف عمن كف عنه، حتى نزلت سورة براءة. وفي هذا نظر؛ لأن قوله: ﴿الَّذِينَ يَقْتُلُونَكُمْ﴾ إنما هو تحييج وإغراء بالأعداء الذين همّتهم قتال الإسلام وأهله، أي: كما يقاتلونكم فقاتلوهم أنتم، كما قال: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾ [التوبة: ٣٦].

وقوله: ﴿وَلَا تَسْتَدُوا رَأْيَ اللَّهِ لَئِنْ جِئْتُمُ الْمُشْرِكِينَ﴾ أي: قاتلوا في سبيل الله ولا تعتدوا في ذلك. ويدخل في ذلك ارتكاب المناهي من المثلة، والغلول، وقتل النساء، والصبيان، والشيوخ الذين لا رأي لهم ولا قتال فيهم، والرهبان، وأصحاب الصوامع، وتحريق الأشجار، وقتل الحيوان لغير مصلحة. ولهذا جاء عن بريدة أن رسول الله ﷺ كان يقول: «اغزوا في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا، ولا تغلروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً» [رواه مسلم].

الآية (١٨٧): هذه رخصة من الله تعالى للمسلمين، ورفع لما كان عليه الأمر في ابتداء الإسلام، فإنه كان إذا أفطر أحدهم إنا يحل له الأكل والشرب والجماع إلى صلاة العشاء أو بنام قبل ذلك، فمضى نام أو صلى العشاء حرم عليه الطعام والشرب والجماع إلى الليلة القابلة. فوجدوا من ذلك مشقة كبيرة. «والرفث» هنا هو: الجماع. قاله ابن عباس. وقوله: ﴿هُنَّ بَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ بَاسٌ لَهُنَّ﴾ قال ابن عباس: يعني هن سكن لكم، وأنتم سكن لهن. وقال الربيع بن أنس: هن لحاف لكم وأنتم لحاف لهن. وحاصله: أن الرجل والمرأة كل منهما يخالط الآخر ويؤاسه ويضاجعه، فناسب أن يخصص لهم في الجماعة في ليل رمضان، لئلا يشق ذلك عليهم، ويمرجوا. [سبب النزول] عن البراء رضي الله عنه قال: «لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء ومضيان كُله، وكان رجال يخونون أنفسهم، فأنزل الله: ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ﴾» [رواه البخاري].

وقوله: ﴿وَأَتَقُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ قال أبو هريرة، وابن عباس، وأنس، وغيرهم: يعني الولد. وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: يعني: الجماع. وقوله: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ أباح تعالى الأكل والشرب، مع ما تقدم من إباحة الجماع، في أي الليل شاء الصائم، إلى أن يبين ضياء الصباح من سواد الليل، وعبر عن ذلك بالخيوط الأبيض من الخيط الأسود، ورفع اللبس بقوله: ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾. وفي إباحته تعالى جواز الأكل إلى طلوع الفجر دليل على استحباب السحور؛ لأنه من باب الرخصة، والأخذ بها محبوب. وقوله تعالى: ﴿تُذَكِّرُوا الصَّائِمِينَ إِلَى آتِلِ﴾ يقتضي الإفطار عند غروب الشمس حكماً شرعياً، كما جاء عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أقبل الليل من ههنا وأدبر النهار من ههنا، فقد أفطر الصائم» [متفق عليه].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا رِوَاكُ﴾ وأنتم عليكم في المسجد في رمضان أو في غير رمضان، فحرم الله عليه أن ينكح النساء ليلاً أو نهاراً حتى يقضي اعتكافه. ثم المراد بالمباشرة: إنما هو الجماع ودواعيه، من تقبيل، ومعانقة ونحو ذلك، فأما معاطاة الشيء ونحوه فلا بأس به. وقوله: ﴿بَلَّغْ﴾ أي: هذا الذي بيّناه وفرضناه وحددناه من الصيام وأحكامه، وما أبخنا فيه وما حرّمنا، وذكّرنا غايته ورخصه وعزائمه، ﴿عُدُّوْهُ﴾ أي: أي شرعها الله وبيّنها بنفسه ﴿فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾ أي: لا تجاوزوها، وتعتدوها. ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ﴾ أي: كما بين الصيام وأحكامه وشرائعه وتفصيله، كذلك بين سائر الأحكام على لسان عبده ورسوله محمد ﷺ ﴿لَكُمْ لَكُمْ تَقْلِيحُوكَ﴾ أي: يعرفون كيف يبتدون، وكيف يطيعون.

الآية (١٨٨): قال ابن عباس: هذا في الرجل يكون عليه مال، وليس عليه فيه بيتة، فيجحد المال ويخاصم إلى الحكم، وهو يعرف أن

الآية (١٩٦): ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ ظاهر السياق: إكمال أفعالهما بعد الشروع فيهما؛ ولهذا اتفق العلماء على أن الشروع في الحج



## ● الوقفات التدريبية

● ﴿وَأَفْتَنَهُ أَشَدُّ مِنْ الْقَتْلِ﴾

أي: فتنة المؤمن عن دينه أشد عليه من قتله، وقيل: كفر الكفار أشد من قتل المؤمنين لهم في الجهاد، ابن جزى: ١٠٠/١.

السؤال: كيف يستدل بهذه الآية على أن حفظ الدين أهم مقاصد الشريعة؟

● ﴿وَأَفْتَنَهُ أَشَدُّ مِنْ الْقَتْلِ﴾

ولما كان الجهاد فيه إزهاق النفوس وقتل الرجال؛ نبه تعالى على أن ما هم مشتملون عليه من الكفر بالله والشرك به والصمد عن سبيله أبلغ وأشد وأعظم وأطم من القتل؛ ولهذا قال: (والفتنة أشد من القتل) ابن كثير: ٢١٥/١-٢١٦.

السؤال: ما المقصود بالفتنة؟ وما المقصود بالقتل في الآية؟ وأيها أشد؟

● ﴿وَقِيلُوا لَهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الَّذِينَ لِلَّهِ﴾

ذكر تعالى المقصود من القتال في سبيله، وأنه ليس المقصود به سفك دماء الكفار، وأخذ أموالهم، ولكن المقصود به أن يكون الدين لله تعالى؛ فيظهر دين الله تعالى على سائر الأديان، ويدفع كل ما يعارضه من الشرك وغيره. السعدي: ٨٩.

السؤال: دلت الآية على المراد الحقيقي من قتال الكفار ودفع ما يتوهم من بعض الناس، وضح ذلك.

● ﴿فَمَنْ أَعَدَّتْكُمْ عَلَيْهِمْ فَأَعِدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعَدَّتْكُمْ عَلَيْهِمْ وَأَنْتُمْ لِلَّهِ﴾

ولما كانت النفوس في الغالب لا تقف على حدها إذا رخص لها في المعاقبة -طلبها التشفي- أمر تعالى بلزوم تقواه التي هي الوقوف عند حدوده، وعدم تجاوزها. السعدي: ٩٠.

السؤال: لماذا أمر سبحانه بالتقوى عند رد العدوان؟

● ﴿وَأَنْتُمْ لِلَّهِ وَالْعَمَلِ أَنْ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾

لما كان في هذه التقوى خروج عن حظ النفس؛ أعلمهم أنه تعالى يكون عوضاً لهم من أنفسهم بما اتقوا وداوموا على التقوى، حتى كانت وصفاً لهم، فأعلمهم بصحبته لهم. البقاعي: ٣٦٧/١.

السؤال: ما سبب معية الله للمتقين في الآية؟

● ﴿وَأَنْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾

قال أبو أيوب رضي الله عنه: نزلت فينا معشر الأنصار؛ وذلك أن الله تعالى لما أعز دينه، ونصر رسوله قلنا فيما بيننا: إنا قد تركنا أهلنا وأموالنا حتى فشا الإسلام، ونصر الله نبيه، فلورجعنا إلى أهلينا وأموالنا فاقمنا فيها، فأصلحنا ما ضاع منها، فأنزل الله تعالى: (وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة)؛ فالتهلكة: الإقامة في الأهل والمال، وترك الجهاد. البغوي: ١٧١/١.

السؤال: ما المقصود بالتهلكة؟

● ﴿وَأَنْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَنْتُمْ لِلَّهِ وَالْعَمَلِ﴾

لما كانت النفقة من أعظم دعائم الجهاد، وكان العيش في أول الإسلام ضيقاً، والمال قليلاً؛ فكان ذلك موجباً لكل أحد أن يتمسك بما في يده، ظناً أن في التمسك به النجاة، وفي إنفاقه الهلاك؛ أخبرهم أن الأمر على غير ما يسول به الشيطان من ذلك؛ (الشيطان يعدكم الفقر) الآية: ١٣٨. البقاعي: ٣٦٧/١.

السؤال: بِم تكون النجاة، وبِم يكون الهلاك إذا دعا داعي الجهاد؟

وَأَقْتُلُوهُمْ حَتَّى تَقْتُلُوهُمْ وَأَخْرَجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تَقْتُلُوا مَنْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يَقْتُلُوا فِيهِ إِنْ قَتَلْتُمْ قَتْلَكُمْ قَتْلَكُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ۖ فَإِنْ أَنْتُمْ هُمْ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۖ وَقَتْلُوا مَنْ هُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الَّذِينَ لِلَّهِ فَإِنْ أَنْتُمْ هُمْ فَلَا عُدُونَ إِلَّا لَعَلَّ الظَّالِمِينَ ۖ وَالشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنْ أَعَدَّتْكُمْ عَلَيْهِمْ فَأَعِدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعَدَّتْكُمْ عَلَيْهِمْ وَأَعْتَمُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ۖ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ۖ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تُلْجُوا لَهُ وَنُفُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ ۚ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ رُحِيصًا وَادَّيَّ مِنْ رَأْسِهِ فَبَدَّةٌ ۚ مِنْ صِبَاٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَلِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ۚ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ۚ فِي الْحَجِّ وَسَعَةً ۚ إِذَا رَجَعْتُمْ مِنْ ذَلِكَ عَشْرَةٍ كَامِلَةٌ ۚ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
تَقْتُلُوهُمْ	وَجَدْتُمُوهُمْ.
وَالْفِتْنَةُ	أَذَى لِلْمُسْلِمِينَ، أَوْ شَرِكٌ بِاللَّهِ.
وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ	لَا تَوْفَعُوا أَنْفُسَكُمْ.
التَّهْلُكَةِ	الهِلَاكُ بِبَرَكِ الْجِهَادِ، وَالْإِنْفَاقُ فِيهِ.
أُحْصِرْتُمْ	مُنْعَمْتُمْ لِمَرْضٍ، أَوْ عَدُوٍّ.
الْهَدْيِ	مَا يُهْدَى إِلَى الْبَيْتِ مِنَ الْأَنْعَامِ.
نُسُكٍ	ذَبِيحَةٍ، شَاةٍ تُذْبَحُ لِلْفُقَرَاءِ الْحَرَمِ.
حَاضِرِي	سَاجِدِي.

## ● العمل بالآيات

١. اهد هدية لعائلة أحد المشتغلين في خدمة هذا الدين، ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.
٢. أحسن اليوم إلى فقير، أو عاجز؛ فإن الله تعالى يحب منكم هذا، ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.
٣. ضع خطة مالية وزمنية -ولو طال مدتتها- لجمع تكلفة حج، أو عمره، مستعيناً بالله عز وجل، ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾.

## ● التوجيهات

١. الإنفاق في سبيل الله أمان للفرد والمجتمع، والإمسك عن النفقة هلاك، ﴿وَأَنْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾.
٢. اتقن الأعمال الخيرية التي تعملها لتتأهل لمحبة الله تعالى، ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.
٣. اهتم بإخلاص العبادة لله سبحانه، ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿لَحَجَّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ مِّن رَّضٍ فِيهِمْ لَحَجٌّ فَلَا رَفْعَ وَلَا مُسَوِّفَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾

قال الحسن: الحج البرور هو أن يرجع صاحبه زاهداً في الدنيا، راغباً في الآخرة.  
القرطبي: ٣٢٤/٣

السؤال: كيف يكون حج المؤمن مبروراً؟

﴿فَلَا رَفْعَ وَلَا مُسَوِّفَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَّمْلِكُهُ اللَّهُ﴾

تحريض وحث على حسن الكلام مكان الفحش، وعلى البر والتقوى في الأخلاق مكان الفسوق والجidal. القرطبي: ٣٢٨/٣.

السؤال: بين عناية القرآن الكريم بالكلمة الطيبة، والبعد عن الكلام السيء.

﴿وَسَكَرُودُوا فَلَمَّا خَرَّ الزَّادُ النَّفْقَى وَأَثْقُونُ يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ﴾

وخص- جل ذكره- بالخطاب بذلك أولي الأبواب؛ لأنهم هم أهل التمييز بين الحق والباطل، وأهل الفكر الصحيح والمعرفة بحقائق الأشياء التي بالعقول تدرك، وبالأبواب تفهم، ولم يجعل لغيرهم من أهل الجهل في الخطاب بذلك حظاً. الطبري: ١٦١/٤.

السؤال: لم خص الله تعالى أولي الأبواب بالأمر بتقواه؟

﴿وَسَكَرُودُوا فَلَمَّا خَرَّ الزَّادُ النَّفْقَى وَأَثْقُونُ يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ﴾

نزلت الآية في طائفة من العرب كانت تجيء إلى الحج بلا زاد، ويقول بعضهم: نحن المتوكلون، ويقول بعضهم: كيف نحج بيت الله ولا يطعمنا؟ فكانوا يبقون عالة على الناس، فنهوا عن ذلك، وأمرُوا بالتزود. ابن عطية: ٢٧٣/١.

السؤال: من ترك السبب فليس بمتوكل، وضح ذلك من خلال الآية.

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ﴾

لما نهى عن الجدال في الحج، كان مظنة للنهي عن التجارة فيه أيضاً؛ لكونها مفضية في الأغلب- إلى النزاع في قلة القيمة وكثرتها؛ فعبث بذلك بذكر حكمها. الألوسي: ٨٧/٢.

السؤال: لماذا بين تعالى جواز التجارة في الحج بعد النهي عن الجدال؟

﴿فَلَمَّا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ وَأَشْكَرُوا ذِكْرًا قَلِيلًا﴾

وقرن سبحانه الذكر بالدعاء؛ للإشارة إلى أن الاعتبار من الذكر ما يكون عن قلب حاضر، وتوجه باطن؛ كما هو حال الداعي حين طلب حاجته، لا مجرد التقوى والنطق به، ... وبدأ سبحانه وتعالى بالذكر لكونه مفتاحاً للإجابة، ثم بين- جل شأنه- أنهم ينقسمون في سؤال الله تعالى إلى من يغلب عليه حب الدنيا؛ فلا يدعو إلا بها، ومن يدعو بصلاح حاله في الدنيا والآخرة. الألوسي: ٩٠/٢.

السؤال: لماذا قرن سبحانه الذكر بالدعاء ولماذا بدأ بالذكر؟

﴿وَأُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾

قيل لعلي رضي الله عنه: كيف يحاسب الله الناس على كثرتهم؟ قال: كما يرزقهم على كثرتهم. ابن جزي: ١٠٣/١.

السؤال: كيف يحاسب الله الخلق على كثرتهم؟

لَحَجَّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ مِّن رَّضٍ فِيهِمْ لَحَجٌّ فَلَا رَفْعَ وَلَا مُسَوِّفَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَّمْلِكُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ﴿٣٦﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَقَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْتُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الصَّاغِرِينَ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ أَفِضُوا مِنْ حَيْثُ أَقَاصَ النَّاسِ وَأَسْتَغْفِرُوا لِلَّذِينَ تَابُوا عَنِ الْقَوْمِ الرَّجِيمِ ﴿٣٨﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ وَأَشْكَرُوا ذِكْرًا قَلِيلًا إِنَّ النَّاسَ مِنْ يَغُولٍ رَبَّنَا إِنِّي أَتِيَا الدُّنْيَا وَمَا لِي فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا إِنِّي أَتِيَا الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٣٩﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤٠﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ	هي: شَوَّالٌ، وَذُو الْقَعْدَةِ، وَعَشْرٌ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ.
رَفْعٌ	الْجَمَاعُ وَمَقْدَمَاتِهِ الْقَوْلِيَّةُ وَالْفِعْلِيَّةُ.
فَضْلاً	رِزْقاً بِالتَّجَارَةِ.
أَقَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ	دَفَعْتُمْ بَعْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ، رَاجِعِينَ مِنْ عَرَفَاتٍ.

## ● العمل بالآيات

- استعن بالله تعالى، وضع خطة زمنية مالية توفر فيها احتياجاتك المالية، وتكف بها نفسك عن ذل السؤال، مع الحرص على ألا تشغلك عن أوامر الله تعالى، ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ﴾.
- استغفر اليوم بعد كل عبادة وعمل صالح، اعترافاً بالتقصير، وجبراً للنقص، واجعلها صفة دائماً لك، ﴿ثُمَّ أَفِضُوا مِنْ حَيْثُ أَقَاصَ النَّاسِ وَأَسْتَغْفِرُوا لِلَّذِينَ تَابُوا عَنِ الْقَوْمِ الرَّجِيمِ﴾.
- اصتر اليوم من الدعاء الوارد في الآية الكريمة، ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَتِيَا الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾.

## ● التوجيهات

- المدركون لمقاصد العبادات هم الأحسن علماً وتربية وخلقاً، ﴿فَمَنْ رَضِيَ فِيهِمْ لَحَجٌّ فَلَا رَفْعَ وَلَا مُسَوِّفَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾.
- كما تهتم بالأسباب الدنيوية- كالطعام والشراب- اهتم بالأسباب الشرعية؛ كصلاح القلب وتقواه، ﴿وَسَكَرُودُوا فَلَمَّا خَرَّ الزَّادُ النَّفْقَى وَأَثْقُونُ يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ﴾.
- لا تحقرن من المعروف شيئاً مهما صغراً؛ فالصغير في عينك قد يكون كبيراً عند الله سبحانه، ﴿وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَّمْلِكُهُ اللَّهُ﴾.

عَرَفَتْ عرفة: موضع الموقف في الحج، وهي عمدة أفعال الحج. عن عبد الرحمن بن يَعمَرَ الدَّيْلِي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الحج عرفات - ثلاثاً - فمن أدرك عرفة قبل أن يطلع الفجر، فقد أدرك» [رواه أحمد، وأهل السنن، وصححه الألباني]. ووقت الوقوف من الزوال يوم عرفة إلى طلوع الفجر الثاني من يوم النحر؛ لأن النبي ﷺ وقف في حجة الوداع بعد أن صلى الظهر إلى أن غربت الشمس، وقال: «لتأخذوا عني مناسككم» [رواه مسلم]. وتُسمى عَرَفَات: المَشْعَر الحلال، والمشعر الأقصى، وإِلَال - على وزن هلال - ويقال للجبل في وسطها: جَبَلُ الرَّحمة. «فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ»، قال ابن عمر: المَشْعَر الحرام المزدلفة كلها.

والمشاعر هي المعالم الظاهرة، وإنما سُمِّيت المزدلفة: المَشْعَر الحرام؛ لأنها داخل الحرم. وقوله: «وَأَذْكُرُوا كَمَا هَدَيْتُكُمْ»: تبيين لهم على ما اتَّعَم به عليهم من الهداية والبيان والإرشاد إلى مشاعر الحج، على ما كان عليه إبراهيم الخليل عليه السلام، ولهذا قال: «وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الصَّاكِينَ» قيل: من قبل هذا الهدى، وقيل: القرآن، وقيل: الرسول ﷺ، والكل متقارب ومتلازم وصحيح.

الآية (٢٠٩): «هُدًى» كأنه تعالى أمر الواقف بعرفات أن يذَّع إلى المزدلفة؛ ليدرك الله عند المَشْعَر الحرام، وأمره أن يكون وقوفه مع جمهور الناس بعرفات، عن عائشة قالت: كانت قريش ومَن دَانَ دينها يقفون بالمزدلفة، وكانوا يُسَمُّونَ الحُجَّس، وكان سائر العرب يقفون بعرفات. فلما جاء الإسلام أمر الله نبيه ﷺ أن يأتي عرفات، ثم يقف بها ثم يفيض منها، فذلك قوله: «وَمَنْ حَيْثُ أَفْكَاسُ النَّكَاسِ» [رواه البخاري]. «وَأَسْتَقْبِرُوا إِلَيْكَ اللَّهُ غَوْرٌ رَحِيمٌ»: كثيراً ما يأمر الله بذكره بعد قضاء العبادات؛ ولهذا ثبت أن رسول الله ﷺ كان إذا فرغ من الصلاة يستغفر ثلاثاً [رواه مسلم].

الآية (٢٠٠-٢٠٢): «يَأْمُرُ تَعَالَى بِذِكْرِهِ وَالْإِكْتَارَ مِنْهُ بَعْدَ قَضَاءِ الْمَنَاسِكِ وَفَرَاعِهَا». وقوله: «كَيْدُكُمْ مَكِبَاءُكُمْ»: كما يُلْهَج الصبي بذكر أبيه وأمه، فكذلك أنتم، فاهْبُجُوا بذكر الله بعد قضاء التَّسْبِيح. والمقصود منه: الحث على كثرة الذكر لله عز وجل.

ثم إنه تعالى أرشد إلى دُعائه بعد كثرة ذكره، فإنه مظنة الإجابة، وَدَعَمَ من لا يسأله إلا في أمر دنياه وهو مُعْرِض عن أخراه، فقال: «فَمِنْ النَّكَاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ» أي: من نصيب ولا حظ. وتضمن هذا التَّفْصِيلُ عن التشبه بمن هو كذلك، «وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً» وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ. فجمعت هذه الدعوة كل خير في الدنيا، وصرفت كل شر؛ فإن الحسنه في الدنيا تشمل كل مطلوب دنيوي. وأما الحسنه في الآخرة فأعلى ذلك: دخول الجنة وتوابعه من الأمن من الفزع الأكبر في العرصات وتيسير الحساب.... وأما النجاة من النار فهو يقتضي تيسير أسبابه في الدنيا، من اجتناب المحارم والآثام وترك الشبهات والحرام. وعن أنس بن مالك قال: كان النبي ﷺ يقول: «اللَّهُمَّ رَبَّنَا، آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ» [رواه البخاري].

الآية (١٩٧): مذهب مالك وأبي حنيفة وأحمد صحة الإحرام بالحج في جميع السنة، ومذهب الشافعي إلى أنه لا يصح الإحرام بالحج إلا في أشهره، وهو مروي عن ابن عباس وجابر. «أَشْهُرُ مَعْلُومَاتٍ» قال ابن عمر: هي شوال، وذو القعدة، وعشر من ذي الحجة. وقوله: «مَنْ وَصَّ فِيهِكَ الْحَجُّ» قال ابن جرير: أجمعوا على أن المراد من الفَرْض ههنا: الإيجاب والإلزام. وقال ابن عباس: «فَمَنْ وَصَّ فِيهِكَ الْحَجُّ»: من أحرم بحج أو عمرة. وقوله: «فَلَا رَيْبَ» أي: من أحرم بالحج أو العمرة، فليجتنب الرَيْبَ، وهو الجُماع كما قال تعالى: «أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةُ الْاَصْيَارِ أَزْفَتُ إِلَى يَسَابِكِكُمْ» [البقرة: ١٨٧]. وكذلك يحرم تعاطي دواعيه، من المباشرة والتقبيل ونحو ذلك، وكذا التكلم به بحضرة النساء. وقوله: «وَلَا شُؤْكَ» قال ابن عباس: هي المعاصي. وقال ابن عمر: الفسوق: ما أُصِيبَ من معاصي الله به: صَبَدًا أو غيره. [و] الفسوق ههنا هو جميع المعاصي؛ كما نبى تعالى عن الظلم في الأشهر الحرم، وإن كان في جميع السنة منهياً عنه، إلا أنه في الأشهر الحرم أكْذُ، ولهذا قال: «وَمِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الَّذِينَ أَلْفَيْتُمْ فَلَا تَقْلِبُوا فِيهِمْ أَنْفُسَكُمْ» [التوبة: ٣٦]. وقال في الحرم: «وَمَنْ يَرِدْ فِيهِ بِالْحَكَامِ يُظْلَمُ ثِقَةً مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ» [الحج: ٢٥]. وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ حَجَّ هَذَا الْبَيْتَ فَلَمْ يَرْثُ وَلَمْ يَفْسُقْ، خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ» [متفق عليه]. وقوله: «وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ» فيه قولان: أحدهما: ولا مجادلة في وقت الحج وفي مناسكه، وقد بينه الله آنفً بياناً ووضحه أكمل إيضاح. والقول الثاني: أن المراد بالجدال ههنا: المخاصمة. عن ابن مسعود قال: أن تماري صاحبك حتى تُغْضِبَ. وكذلك قال ابن عباس. وقال ابن عمر: الجدال: في الحج: السباب والمنازعة. وعن عكرمة: الجدال: الغضب، أن تُغْضِبَ عليك مسلماً. وقوله: «وَمَا تَحْلُوا مِنْ حَيْرٍ يَسْلَمُهُ اللَّهُ»: لما نهاهم عن إتيان القبيح قولاً وفعلًا، حَثَّهم على فعل الجميل، وأخبرهم أنه عالم به، وسيجزيهم عليه أوفر الجزاء يوم القيامة. وقوله: «وَنَسْرُدُوا»: عن ابن عباس، قال: كان أهل اليمن يُحْجُونَ ولا يتزودون، ويقولون: نحن المتوكلون! فأنزل الله: «وَنَسْرُدُوا فَلَا رَيْبَ لَأَزِيدَنَّ الْقَتْلَى». [رواه البخاري]. وقوله: «فَلَا رَيْبَ لَأَزِيدَنَّ الْقَتْلَى»: لَمَّا أَمَرهم بالزاد للسفر في الدنيا، أرشدهم إلى زاد الآخرة، وهو استصحاب التقوى إليها، كما قال: «وَلْيَأْسَ الْقَتْلَى ذَلِكَ حَيْرٌ» [الأعراف: ٢٦].

لما ذكر اللباس الحَسَنَ نَبَّه مُرْشِدًا إلى اللباس المعنوي، وهو الخشوع والطاعة والتقوى، وذكر أنه خيرٌ من هذا وأنفع. «وَأَتَّقُوا يَتَأُولَى الْأَلْتَبِ» يقول: واتقوا عقابي ونكالي، وعذابي لمن خالفني، ولم يَأْتِ بِأَمْرٍ، يا ذوي العقول والأفهام.

الآية (١٩٨): [سبب النزول] عن ابن عباس، قال: كانت عكاظ، ومجئة، وذو المجاز، أسواق الجاهلية، فتأثموا أن يتَّجروا في المواسم، فنزلت: «لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ» في مواسم الحج [رواه البخاري]. «كَيْدًا أَقْضَيْتُمْ مِنْ



الآية (٢٠٣): قال ابن عباس: «الأيام المعدودات» أيام التشريق، و«الأيام المعلومات» أيام العشر. وقال عكرمة: «وَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ» يعني: التكبير أيام التشريق بعد الصلوات المكتوبات: الله أكبر، الله أكبر. وعن عتبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق عيدنا أهل الإسلام، وهي أيام أكل وشرب» [رواه أحمد وأصحاب السنن، وصححه الألباني]. وعن ثيبشة الهذلي قال: قال رسول الله ﷺ: «أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر الله» [رواه مسلم]. وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ بعث عبد الله بن خُدافة يطوف في منى: «لا تصوموا هذه الأيام؛ فإنها أيام أكل وشرب، وذكر الله عز وجل» [رواه أحمد والنسائي، وصححه الألباني]. وقال ابن عباس: الأيام المعدودات: أيام التشريق، أربعة أيام: يوم النحر، وثلاثة بعده. ولما ذكر الله تعالى النحر الأول والثاني، وهو تفرق الناس من موسم الحج إلى سائر الأقاليم والأقاف بعد اجتماعهم في المشاعر والمواقف، قال: ﴿وَأَتَاكُمْ اللَّهُ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تَحْشَرُونَ﴾، كما قال: ﴿وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٩].

الآية (٢٠٤-٢٠٧): ﴿وَمَنْ أَلْتَأَسَّ مِنْ مَّيْجَنَاتِكَ قَوْلَهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ عالم في المنافقين كلهم وفي المؤمنين كلهم. ﴿وَتَشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قُلُوبِهِ﴾ معناها: يُظْهِرُ للناس الإسلام ويباشرُ بها في قلبه من الكفر والنفاق، كقوله تعالى: ﴿يَسْتَحْفَوْنَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَحْفَوْنَ مِنَ اللَّهِ﴾ الآية [النساء: ١٠٨]. وقيل: معناه أنه إذا أظهر للناس الإسلام خلف وأشهد الله لهم: أن الذي في قلبه موافق للسان. وهذا المعنى صحيح. ﴿وَهُوَ الَّذِي أَخْصَرَ﴾: الأَلَدُ في اللغة: الأعوج، ﴿وَتَنْزِيلُ يَوْمَئِذٍ أُنْزِلَ﴾ [مریم: ٩٧] أي: عوجًا. وهكذا المنافق في حال خصوصته، يكذب ويَزُورُ عن الحق ولا يستقيم معه، بل يفتر ويُفْجِرُ، كما ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر» [رواه مسلم بمتناه]. وعن عائشة رَفَعَهُ قال: «إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم» [متفق عليه]. وقوله: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَكَتَ فِي الْأَرْضِ لِيُفَسِّدَ فِيهَا وَهِيَ لَكَ الْخَبْرُ وَالسَّلَ وَاللَّهُ لَا يَجِبُ الْفَسَادُ﴾ أي: هو أعوج المقال، سعى الفعّال، فذلك قوله، وهذا فعله: كلامه كذب، واعتقاده فاسد، وأفعاله قبيحة. والسعي ههنا هو: القصد. كما قال إخبارًا عن فرعون: ﴿ثُمَّ أَذْبَرَ يَمِينَهُ وَاسْتَشَارَ النَّجَاتِ﴾ [٣٢] فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَكْبَرُ [التازعات: ٢٢-٢٤]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا دُعِيتُمْ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمٍ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩] أي: اقصدا واعدوا ناوين بذلك صلاة الجمعة، فإن السعي الحسي إلى الصلاة منهي عنه بالسنّة النبوية: «إذا أتيتم الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون، وأتوها وعليكم السكينة والوقار» [متفق عليه بمتناه]. فهذا المنافق ليس له همة إلا الفساد في الأرض، وإهلاك الحرث، وهو: تحل ناء الزروع والثمار. والنسل، وهو: نتاج الحيوانات. للذين لا قوام للناس إلا بها. ﴿وَاللَّهُ لَا يَجِبُ الْفَسَادُ﴾ أي: لا يجب من هذه صفته، ولا من يصدر منه ذلك.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾ أي: إذا وعظ هذا الفاجر في مقاله وفعله، وقيل له: اتق الله، وانزع عن قولك وفعلك، وارجع إلى الحق امتنع وأبى، وأخذته الحمية والغضب بالإثم، أي: بسبب ما اشتمل عليه من الآثام، ﴿فَحَسْبَهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ إِلْهَادُ﴾ أي: هي كافيته عقوبة في ذلك. ولما أخبر عن المنافقين بصفاتهم الذميمة، ذكر صفات المؤمنين الحميدة، فقال: ﴿وَمَنْ أَلْتَأَسَّ مِنْ مَّيْجَنَاتِكَ قَوْلَهُ﴾ قال ابن عباس، وأنس، وسعيد بن المسيب، وجماعة: نزلت في صُهيْب بن سنان الرومي، وذلك أنه لما أسلم بمكة وأراد الهجرة، منعه الناس أن يهاجر بباله، وإن أحب أن يتجرّد منه ويهاجر فقل. فتخلّص منهم وأعطاهم ماله، فأنزل الله فيه هذه الآية. وأما الآخرون فحملوا ذلك على أنها نزلت في كل مُجاهد في سبيل الله كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْحَيَاةُ يُعْطُونَ﴾ في سبيل الله فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِمْ حَقًّا فِي التَّوْبَةِ وَالْإِخْلَافِ وَالْفَتْرَةِ وَإِنَّ أَوَّلَ يَهْدِيهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَشِيرُوا بِرَأْيِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ. وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْرُ الْعَظِيمُ [التوبة: ١١١].

الآية (٢٠٨-٢٠٩): يقول تعالى أمرًا عباده المؤمنين به، المصدّقين برسوله: أن يأخذوا بجميع عرى الإسلام وشرائعه، والعمل بجميع أوامره، وترك جميع زواجره ما استطاعوا من ذلك. عن مجاهد، وطاوس، والضحاك، وعكرمة، وقتادة، والسدي، وابن زيد، في قوله: ﴿أَدْخُلُوا فِي الْإِسْلَامِ﴾ يعني: الإسلام. وقال الضحاك، عن ابن عباس، وأبو العالية، والربيع بن أنس: الطاعة. وقال قتادة أيضًا: الموادعة. وقوله: ﴿وَلَا تَسْبَحُوا حُطُوتِ السَّحَابِ﴾ أي: اعملوا الطاعات، واجتنبوا ما يأمركم به الشيطان فـ ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالشُّبُهَاتِ وَالْمُنْكَرِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٦٩]، ﴿وَلَمَّا يَدْعُوا بِهِمْ يَنْصَرِفُوا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ﴾ [فاطر: ٦]، ولهذا قال: ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾. وقوله: ﴿فَمَنْ رَكِبْتُمْ مِنْ بَدَنٍ مَا جَاءَكُمْ تَكُفُّوا عَنْ يَدَيْكُمْ﴾ أي: عدلتم عن الحق بعد ما قامت عليكم الحجج، ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ أي: في انتقامه، لا يفوته هارب، ولا يغلبه غالب. ﴿حَكِيمٌ﴾ في أحكامه، ونقضه وإبراهيمه.

الآية (٢١٠): يقول تعالى مُهْدِدًا للكافرين بمحمد صلوات الله وسلامه عليه: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلُمٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَطَرِ﴾ يعني: يوم القيامة، لفصل القضاء بين الأولين والآخرين، فيجزي كلّ عامل بعمله، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر؛ ولهذا قال: ﴿وَوُفِّي الْأَمْرَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ كما قال تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًا﴾ [٣١] وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا [٣٢] يَوْمَ يَنْفُخُ بَنفُثَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَنْدَعُ الْإِنْسَانُ وَأَنْ لَهُ الذِّكْرَى [الفرج: ٢١-٢٣]، وقال: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ الْمَلَأِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨].



## ● الوقفات التحذيرية

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ. وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾

وفي الآية إشارة إلى أن شدة المخاصمة مذمومة؛ عن النبي ﷺ: (ابغض الرجال إلى الله تعالى الألد الخصم). وشدة الخصومة من صفات المنافقين؛ لأنهم يحبون الدنيا؛ فيكثرون الخصام عليها. الألويس: ٩٥/٢. السؤال: الخصومة جائزة، والشدة فيها مذمومة؛ وضع ذلك من خلال الآية: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ. وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾. وإذا تولى سعى في الأرض يغيب فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد.

ففي هذه الآية دليل على أن الأقوال التي تصدر من الأشخاص ليست دليلاً على صدق ولا كذب، ولا بر ولا فجور؛ حتى يوجد العمل المصدق لها، المزي لها، وأنه ينبغي اختيار أحوال الشهود والمحق والمبطل من الناس بسبر أعمالهم، والنظر لقرائن أحوالهم، وأن لا يغتر بتبويهم، وتركيتهم أنفسهم. السعدي: ٩٤.

السؤال: ما الاختبار الحقيقي لمصادقية كلام للناس؟

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ. وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾

وفي هذه الآية دليل وتنبيه على الاحتياط فيما يتعلق بأمور الدين والدنيا، واستبراء أحوال الشهود والقضاة، وأن الحاكم لا يعمل على ظاهر أحوال الناس وما يبدو من إيمانهم وصلاتهم حتى يبحث عن باطنهم؛ لأن الله تعالى بين أحوال الناس، وأن منهم من يظهر قولاً جميلاً، وهو ينوي قبيحاً. القرطبي: ٣/٢٨٣.

السؤال: تعود كثير من أخطائنا إلى الخطأ في تقويم الناس، وقد حذرتنا الآية من ذلك، وضع ذلك.

﴿ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسَاوِيَةَ ﴾

(وإذا تولى؛ انصرف عمن خدمه بكلامه، سعى): مشى في الأرض ليُفسد فيها؛ يداخل الشبه في قلوب المسلمين، ويستخرج الحيل في تقوية الكفر. القاسمي: ٨٢/١.

السؤال: من الحكمة الربط بين أقوال الرجل وأفعاله، بين ذلك من الآية: ﴿ يَأْتِيهَا الذِّبْرُ ۖ مَأْمُوءٌ ادْخُلُوا فِي السِّلَاحِ كَافَّةً ۚ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ﴾.

(ادخلوا في السلم كافة): أي: في جميع شرائع الدين، ولا يتركوا منها شيئاً، وإن لا يكونوا ممن اتخذ إلهه هواه؛ إن وافق الأمر المشروع هواه فعله، وإن خالفه تركه، بل الواجب أن يكون الهوى تبعاً للدين، وإن يفعل كل ما يقدر عليه من أفعال الخير. السعدي: ٩٤.

السؤال: لماذا أمرنا بالدخول في السلم كافة؟

﴿ يَأْتِيهَا الذِّبْرُ ۖ مَأْمُوءٌ ادْخُلُوا فِي السِّلَاحِ كَافَّةً ۚ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ﴾

ولما كان الدخول في السلم كافة لا يمكن ولا يتصور إلا بمخالفة طرق الشيطان، قال: (ولا تتبعوا خطوات الشيطان). السعدي: ٩٤.

السؤال: لماذا أمر بعدم اتباع خطوات الشيطان بعد الأمر بالدخول في السلم كافة؟ ﴿ فَإِن رَّكَلْتُمُ مِنَ بَدَنِّ مَا جَاءَهُ نَسَمٌ الْإِنْتِنَ ۚ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

وفي الآية دليل على أن عقوبة العالم بالذنوب أعظم من عقوبة الجاهل به. القرطبي: ٣/٢٥٥. السؤال: عبادة العالم أعظم من غيره، ومعصية العالم أعظم من غيره، وضع ذلك من الآية.

المجزة

﴿ وَأَذْكُرُوا لِلَّهِ فِي آيَاتِهِ مَعْدُودَاتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِشْرَ عَلَيْهِ ۖ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِشْرَ عَلَيْهِ ۚ لَمَن أَتَىٰ وَأَتَقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ. وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ۝ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِشْرَ ۚ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْمِهَادُ ۝ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُبْشِرُ نَفْسَهُ بِنَيْعَةٍ ۖ أَيْبَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ۝ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلَاحِ كَافَّةً ۚ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝ فَإِن رَّكَلْتُمُ مِنَ بَدَنِّ مَا جَاءَهُ تَكُفُّوا أَلَيْسَتْ فَاغْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْعَمَامِ وَالْمَكْتَبَةِ ۚ وَقُضِيَ الْأَمْرُ إِلَىٰ اللَّهِ فَتَرَجَعَ الْأُمُورُ ۝

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
أَلَدُّ الْخِصَامِ	شديد العداوة والخصومة.
فَحْسَبُهُ	كافيه.
الْمِهَادُ	الفراش، والمضجع.
ظُلُلٍ مِّنَ الْعَمَامِ	قطيع من السحاب.

## ● العمل بالآيات

١. تقويمنا الآخرين يقع بين إفراط وتفریط، تشاور أنت ومن حولك، ثم اكتبوا قواعد مفيدة في تقويم الآخرين، ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ. وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾.
٢. حدد اسماً معاصراً تظن أنه ممن شرى نفسه ابتغاء مرضاة الله، ثم تأمل سيرته، ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُبْشِرُ نَفْسَهُ بِنَيْعَةٍ ۖ أَيْبَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ﴾.
٣. تذكر معصية وقعت منك أكثر من مرة، ثم حدد خطوات الشيطان عليك فيها لتكون أكثر حذراً من أول خطواته، ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾.

## ● التوجيهات

١. الكبر مانع من قبول النصيحة، فأكثر من الاستعاذة والتحذير منه، ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِشْرَ ۚ ﴾.
٢. كن ممن باع نفسه ووقته ابتغاء مرضاة الله تعالى، وطمعاً في جنته، ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُبْشِرُ نَفْسَهُ بِنَيْعَةٍ ۖ أَيْبَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ﴾.
٣. احذر الشيطان ووساوسه، وتذكر دائماً أن له خطوات يستدرج بها المؤمن فأكثر من الاستعاذة بالله منه، ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾.



## ● الوقفات التديرية

﴿سَلِّ بَنِي إِسْرَءِيلَ كَمَا آتَيْنَهُمْ مِنْ آيَاتِنَا وَمَنْ يَذِلْ فَعِمَّةٌ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾

أصل هذا التبديل: رد علم العالم عليه، ورد صلاح الصالح إليه، وعدم الاقتداء بعلم العالم والاهتماء بصلاح الصالح. البقاعي: ٣٩٠/١.

السؤال: ما أصل التبديل في الآية؟

﴿ وَمَنْ يُدِلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾

من أنعم الله عليه بنعمة دينية أو دنيوية فلم يشكرها، ولم يقم بواجبها  
اضمحلت عنه وذهبت، وتبدلت بالكفر والمعاصي، فصار الكفر بدل النعمة، وأما  
من شكر الله تعالى وقام بحقوقها فإنها تثبت وتستمر، ويزيده الله منها. السعدي: ٩٥.

**السؤال: كيف تثبت النعم؟ وكيف تزول؟**

﴿ ١ ﴾ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴿

يسخرون بمن تبعك من أهل الإيمان والتصديق بك في تركهم المكاره والمفاخرة بالدنيا وزينتها من الرياش والأموال: بطلب الرياسات، وإقبالهم على طلبهم ما عندي برفض الدنيا، وترك زينتها. الطبري: ٢٧٣/٤.

**السؤال: ما مقاييس أهل الدنيا للفضو والفلاح؟**

﴿ فَهَدَىٰ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اٰخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ۚ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ إِنَّ مِرْقَاطَ مُسْتَقِيمٍ ﴾

عن عائشة أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا قَامَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ يَقُولُ: (اللَّهُمَّ رَبَّ جَبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتَفَى فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ؛ إِنَّكَ تُهْدِي مَنْ تُشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ). ابن تيمية: ٤٩٣/١.

**السؤال: كان ﷺ يطلب الهداية من الله فيما اختلف فيه، فما دعوؤه؟**

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ سَسَّيْتُمْ لِلْآسَاءِ وَالْفَاسِقِينَ وَذَلُّوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾

(أَمْ حَسِبْتُمْ): خطاب للمؤمنين على وجه التشجيع لهم والأمر بالصبر على الشدائد (ولما يأتكم): أي: لا تدخلوا الجنة حتى يصيبكم مثل ما أصاب من كان قبلكم. ابن جزى: ١٠٧/١.

**السؤال: من خلال فهمك للآية، ما شرط دخول الجنة؟**

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ سَمِعْتُمْ أَلْسِنَهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَهُمُ الْفَتْحَ وَذُرُّوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾

إِعلام بأن الله سبحانه وتعالى إنما يفرج عن أنبيائه ومن معهم بعد انقطاع أسبابهم ممن سواهم؛ ليمتحن قلوبهم للتقوى؛ فتتقدس سرائرهم من الركون لشيء من الخلق، وتعلق ضمائرهم بالله تعالى وحده، البقاعي: ٣٩٧/١.

السؤال: لماذا يتأخر النصر أحياناً؟ وضح ذلك من خلال الآية.

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أُنْفِقُ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّذِينَ وَاللَّذِينَ وَالْأَقْرَبِينَ  
وَالْيَتَامَىٰ وَالسَّكِينِ وَإِنَّ السَّبِيلَ وَنَافَعُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلَيْهِ﴾  
ختم بالعلم؛ لأجل دخول الخلل على النساء في الإنفاق؛ لأنه من أشد شيء

تتأهيه به النفس، فكاد لا يسلم لها منه إلا ما لا تعلمه شمالها. البقاع: ٤٠/١.

السؤال: ما دلالة ختم الآية بصفة العلم لله سبحانه؟

سَلِّ بِنِي إِسْرَءِيلَ لَكَ ءَاتِيَتْهُمْ مِنْ ءَآيَاتِنَا يَتَذَكَّرُونَ مِنْ يَدِّ بَعْمَةِ  
 آلِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ آلَ اللَّهِ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٣٠﴾ رُئِيسَ  
 الَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَّةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ  
 اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ؕ وَاللَّهُ تَزْرُقُ مِنْ يَشَاءِ بِغَيْرِ حِسَابٍ  
 ﴿٣١﴾ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ  
 وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَنَّ النَّاسُ  
 فِيهَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ  
 مَا جَآءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ هَٰذَا يَتَذَكَّرُ آلَ اللَّهِ ءَالُ  
 لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِآيَاتِهِ ؕ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ  
 إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٢﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا  
 يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْزِئِينَ ؕ وَالنَّسَاءُ  
 وَزُلُفُهُنَّ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى  
 نَصْرُ اللَّهِ ؕ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٣٣﴾ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ  
 مَا أَنفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّهِ وَلِذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِمَا كُفِّرُوا وَتَسْتَكْبِرُوا  
 وَلِلنَّاسِ السَّبِيلُ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ آلَ اللَّهِ بِذِهِ عَلَيْهِ

## معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
البِئْسَاءُ	الفَقْرُ.
وَالضَّرَاءُ	الْمَرَضُ.

## العمل بالآيات

١. أرسل رسالتة تبين فيها أن لباس النساء المتبرج من كفر النعمة، ﴿وَمَنْ يَذِلَّ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

٢٠. الحمد لله كثيرا على أنزال القرآن وحفظه؛ فحفظه بقي الدين ثابتا، ولم يُحرف كما حُرِفَت الديانات الأخرى، ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْحَقَّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾.

٣. زر مسلماً نزل به ابتلاء، وذكره انه لا يتلى إلا للمؤمن، وان عاقبة الابتلاء الجنة. ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ سَقَمُوا الْبَاسَ وَالضُّرَّةَ أُنْزِلُوا ﴾

## التوجيهات

الثبات على الدين والقيم والمبادئ أمان للفرد والمجتمع، ﴿وَمَنْ يُدِلْ فِئْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

١٠. بداية خذلان الأمة، وتعرضها للخسارة والدمار ان تختلفت في كتابها ودينها طلبا للرئاسة، وجريا وراء الأهواء والعصبيات، ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيْهِ اِلَّا الَّذِيْنَ اُوْتُوْهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ بِمَا يَنْهَوْنَ﴾.

٣. التحذير من طغيان محبة زينة الحياة الدنيا، واستيلائها على القلب، ﴿زَيْنَ اللَّيْلِ كَفَرُوا الْهَيْوَةَ النَّيِّا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾.

وقوله: ﴿يَا ذِيْقُرْبَىٰ﴾ يعلمه، بما هدهام له ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾  
أي: من خلقه ﴿إِنَّا مَرْطَبُ شَيْئِينَ﴾ أي: وله الحكم والحجة البالغة.  
عن عائشة: أن رسول الله ﷺ كان إذا قام من الليل يصلي يقول:  
«اللهم، ربَّ جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض،  
عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون،  
اهدني لما اختلفت فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط  
مستقيم» [رواه البخاري ومسلم].

الآية (٢١٤): يقول تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ﴾ قبل  
أن تُبْتَلُوا وتُخْتَبَرُوا وتُفْتَحُوا، كما فعل بالذين من قبلكم من الأمم؛  
ولهذا قال: ﴿وَلَمَّا يَأْتِكُم مِّثْلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ تَسْتَكْبِرُ التَّكْبَرُ  
وَالْفَرَارُ﴾ وهي: الأمراض والأسقام، والآلام، والمصائب والنوائب.  
﴿وَزُلْزِلُوا﴾ خوفاً من الأعداء زلزالاً شديداً، وامتنحوا امتحاناً عظيماً،  
كما جاء عن خُباب بن الأرت قال: قلنا: يا رسول الله، ألا تستنصر  
لنا؟ ألا تدعو الله لنا؟ فقال: «إِنَّ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانَ أَحَدُهُمْ يُوْضِعُ  
الْمِنْشَارَ عَلَى مَفْرَقٍ رَأْسِهِ فَيُخْلَصُ إِلَى قَدَمَيْهِ، لَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ،  
وَيُتَشَبَّطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا بَيْنَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ، لَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ  
دِينِهِ» [رواه البخاري ومسلم].

وقد حصل من هذا جانب عظيم للصحابة رضي الله عنهم في يوم الأحزاب،  
كما قال الله تعالى: ﴿إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ قِبَلِكُمْ وَهَنٌ أَسْفَلُ مِنْكُمْ وَإِذْ رَاغَبُ  
الْأَبْصَرُ وَيَلْعَبُ الْقُلُوبُ الْهَكِيلُ وَتَنْظُرُونَ بِاللَّهِ الظُّنُونُ ١١﴾ هَذَا  
أَبْغَى الْمُتَشَوِّكُ وَزُلْزِلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا [الأحزاب: ١٠-١١].

وقوله: ﴿مِثْلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ﴾ أي: سُبَّتُمْ. كما قال تعالى:  
﴿فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَجَعَلْنَا مَثَلَهُ لِكُلِّ قَوْمٍ﴾ [الزخرف: ٨].  
وقوله: ﴿وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ﴾  
أي: يستفتحون على أعدائهم، وَيَدْعُونَ بِقُرْبِ الْفَرْجِ والمخرج عند  
ضيق الحال والشدة. قال الله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾، كما قال:  
﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا [الشرح: ٥-٦]. وكما تكون الشدة  
ينزل من النصر مثلها؛ ولهذا قال: ﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾.

الآية (٢١٥): قال مقاتل: هذه الآية في نفقة التطوع. ومعنى الآية:  
يسألونك كيف ينفقون؟ قاله ابن عباس ومجاهد، فين لهم تعالى ذلك،  
فقال: ﴿قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَلِلَّهِ وَلِلَّذِينَ آمَنُوا وَلِلْيَتَامَىٰ وَلِلْفُقَرَاءِ  
النَّسِيبُ﴾ أي: اصرفوها في هذه الوجوه. كما جاء في الحديث: «أَمَّا  
وَأَبَاكَ، وَاحْتَنَكَ وَأَخَاكَ، ثُمَّ أَدْنَاكَ أَدْنَاكَ» [رواه أحمد وصححه إسناده أحمد شاكر].  
وتلا ميمون بن مهران هذه الآية، ثم قال: هذه مواضع النفقة ما ذكر  
فيها طبعاً ولا مزاراً، ولا تصاوير الخشب، ولا كسوة الحيطان ثم  
قال تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ أي: مهما صدر  
منكم من فعلٍ معروف، فإن الله يعلمه، وسيجزىكم على ذلك أوفر  
الجزاء؛ فإنه لا يظلم أحداً مثقال ذرة.

الآية (٢١١): يقول تعالى - مُخْبِرًا عن بني إسرائيل -: كم قد  
شاهدوا مع موسى ﴿بَيْنَ يَدَيْهِ يَنْبِتُ﴾ أي: حجة قاطعة على صدقه فيما  
جاءهم به، كيدوه وعصاه وقلقه البحر وضره الحجر، وما كان من  
تظليل الغمام عليهم في شدة الحر، ومن إنزال المَنِّ والسلوى، وغير  
ذلك من الآيات الدالّات على وجود الفاعل المختار [سبحانه  
وتعالى]، وصدق من جرّت هذه الخوارق على يديّهم، ومع هذا أعرض  
كثير منهم عنها، وَدَبَلُوا نعمة الله كَفَرًا، أي: استبدلوا بالإيمان بها  
الكفر بها، والإعراض عنها. ﴿وَمَنْ يَدْبُلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ  
شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾، كما قال إخبارًا عن كفار قريش: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ  
بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ٢١﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا  
وَيَكْسَرُونَ الْأَعْنَاقَ [إبراهيم: ٢٨-٢٩].

الآية (٢١٢): ثم أخبر تعالى عن تزيينه الحياة الدنيا للكافرين  
الذين رَضُوا بها واطمأنوا إليها، وجعوا الأموال ومنعوها عَنْ  
مصارفها التي أُمروا بها بما يرضي الله عنهم، وَسَخَرُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا  
الذين أعرضوا عنها وأنفقوا ما حصل لهم منها في طاعة ربهم، وبذلوا  
ابتغاء وجه الله؛ فلهذا فازوا بالمقام الأسعد والحظ الأوفر يوم  
معادهم، فكانوا فوق أولئك في محشرهم وَمُنْتَهَرَم، ومسيرهم  
ومأواهم، فاستقروا في الدرجات في أعلى عليين، وَخُلِدَ أَوْلُكُ فِي  
الدركات في أسفل السافلين؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ  
بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي: يرزق من يشاء من خلقه، ويعطيه عطاء كثيراً  
جزيلًا بلا حصر ولا تعداد في الدنيا والآخرة.

الآية (٢١٣): روى ابن جرير: عن ابن عباس، قال: كان بين نوح  
وآدم عشرة قرون، كلهم على شريعة من الحق، فاختلفوا، فبعث الله  
النبيين مبشرين ومنذرين. قال: وكذلك هي في قراءة عبد الله: «كان  
الناس أمة واحدة فاختلفوا» [أخرجه الحاكم، وقال الألباني: موقوف قوي]. وقال  
العوفي، عن ابن عباس: ﴿كَانَ أَتَّشَأُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ يقول: كانوا كفارًا.  
والقول الأول عن ابن عباس أصح سندًا ومعنى؛ لأن الناس كانوا على  
ملة آدم، حتى عبدوا الأصنام، فبعث الله إليهم نوحًا، فكان أول رسول  
بعثه الله إلى أهل الأرض. ولهذا قال: ﴿وَأَنْزَلَ مَعَهُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ  
يُحْكُمُ بَيْنَ الَّذِينَ فِيهَا أَنْتَفَعُوا فِيهِ وَمَا أَخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ  
مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَيْنًا بَيْنَهُمْ﴾ أي: من بعد ما قامت عليهم الحجج  
وما حملهم على ذلك إلا البغي من بعضهم على بعض ﴿فَهَدَى اللَّهُ  
الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى أَسْمَاءٍ اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِآيَاتِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ  
مُسْتَقِيمٍ﴾. عن أبي هريرة في قوله: ﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى أَسْمَاءٍ اخْتَلَفُوا  
فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِآيَاتِهِ﴾ الآية، قال: قال النبي ﷺ: «نحن الآخرون  
الأولون يوم القيامة، نحن أولُ الناس دخولًا الجنة، يَبْدَأُ بِهِمُ أَوْتُوا  
الكتاب من قبلنا وأوتيتهم من بعدهم، فهذا لنا الله لا الله، فالتناس لنا فيه تبع،  
بإذنه، فهذا اليوم الذي اختلفوا فيه، فهذا لنا الله، فالتناس لنا فيه تبع،  
فغدًا لليهود، وبعد غدٍ للنصارى» [رواه البخاري ومسلم].

الآية (٢١٦): «هذا إيجاب من الله تعالى للجهاد على المسلمين: أن يَكُونُوا شَرَّ الأَعْدَاءِ عَنْ حُوزَةِ الإسلام». وقال الزهري: الجهاد واجب على كل أحد، غزا أو قعد؛ فالقاعد عليه إذا اسْتَعْنَى أن يُعَيَّنَ، وإذا اسْتَعْنَى أن يُعَيَّنَ، وإذا اسْتَنْفَرَ أن يَنْفِرَ، وإن لم يَحْتَجْ إليه قعد.

ولهذا بَيَّنَّ في الصحيح: «من مات ولم يغزْ، ولم يحدث نفسه بغزو، مات ميتةً جاهلية» [رواه مسلم]. وقال ﷺ: «لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية، وإذا اسْتَنْفَرْتُمُ فَانْفِرُوا» [رواه البخاري ومسلم].

وقوله: ﴿وَمَوْزِعَةٌ لَكُمْ﴾ أي: شديد عليكم ومشقة. وهو كذلك، فإنه إما أن يُقتَلَ أو يُجرح مع مشقة السفر ومجالدَةِ الأعداء. ثم قال تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكُونُوا شِغَاً وَمَوْجِزًا لِّكُم﴾ أي: لأنَّ القتالَ يعقبه النصر والظفر على الأعداء، والاستيلاء على بلادهم وأموالهم وذرائعهم وأولادهم. ﴿وَعَسَى أَنْ تَكُونُوا شِغَاً وَمَوْزِعَةً لِّكُم﴾: وهذا عام في الأمور كلها، قد حُبَّ المرءُ شيئاً، وليس له فيه خيرة ولا مصلحة. ومن ذلك القُودُ عن القتال، قد يَعْقِبُهُ استيلاء العدو على البلاد والحكم.

ثم قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ يَبَلِّغُ مَا يُنْزِلُ وَلَا تَلْمِزُوهُ﴾ أي: هو أعلم بعواقب الأمور منكم، وأخبرنا فيه صلاحكم في دنياكم وأخراكم؛ فاستجيبوا له، وانقادوا لأمره، لعلكم تترشدون.

الآية (٢١٧-٢١٨): عَنْ جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ رَهْطًا، وَبَعَثَ عَلَيْهِمْ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ، فَلَمَّا ذَهَبَ يَنْطَلِقُ، بَكَى صَبَابَةً إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَجَلَسَ، فَبَعَثَ عَلَيْهِمْ مَكَانَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ، وَكُتِبَ لَهُ كِتَابًا، وَأَمْرُهُ أَلَّا يَقْرَأَ الْكِتَابَ حَتَّى يَبْلُغَ مَكَانَ كَذَا وَكَذَا، وَقَالَ: لَا تُكْرِهَنَّ أَحَدًا عَلَى الْمَسِيرِ مَعَكَ مِنْ أَصْحَابِكَ. فَلَمَّا قَرَأَ الْكِتَابَ اسْتَرْجَعَ، وَقَالَ: سَمِعْنَا طَاعَةَ اللَّهِ وَلِرَسُولِهِ. فَخَبَّرَهُمُ الْخَبَرَ، وَقَرَأَ عَلَيْهِمُ الْكِتَابَ، فَرَجَعَ رَجُلَانِ، وَبَقِيَ بَقِيَّتُهُمْ، فَلَقُوا ابْنَ الْحَضَرَمِيِّ فَقَتَلُوهُ، وَلَمْ يَذَرُوا أَنْ ذَلِكَ الْيَوْمَ مِنْ رَجَبٍ أَوْ مِنْ مُجَادَى. فَقَالَ الْمَشْرُوكُونَ لِلْمُسْلِمِينَ: قَتَلْتُمْ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ! فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْهَارِ يُتَالَى فِيهَا قُلْ فِتْنَةٌ فِيهَا كِبِيرٌ﴾ الآية [رواه ابن أبي حاتم، بإسناد صحيحه أحمد شاكر].

الآية (٢١٩): روى الإمام أحمد: عن عمر أنه قال: لما نزل تحريم الخمر قال: اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا. فنزلت هذه الآية التي في البقرة: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ فدُعي عمر فقرئت عليه، فقال: اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا. فنزلت الآية التي في النساء: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى﴾ [النساء: ٤٣]، فكان مُنادي رسول الله ﷺ إذا أقام الصلاة نادى: ألا يقرئ الصلاة سكران. فدُعي عمر فقرئت عليه، فقال: اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا. فنزلت الآية التي في المائدة: ﴿دُعي عمر، فقرئت عليه، فلما بلغ: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ؟﴾ [المائدة: ٩١] قال عمر: انتهينا، انتهينا.

وهكذا رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن أبي حاتم وابن مردويه. قال علي بن المديني: هذا الإسناد صالح وصححه الترمذي. فقولوه: ﴿وَسَيَلُونُكَ عَنْ الْحَمْرِ وَالنَّبِيرِ﴾. أما الحمر فكما قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب: إنه كل ما خامر العقل. والميسر: هو القمار. وقولوه: ﴿قُلْ فِيهِمَا إِنْتُمْ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾. أما إثمها فهو في الدين، وأما المنافع فدينوية، من حيث إن فيها نفع البدن، وبعضهم الطعام، وإخراج الفضلات، وتشجيد بعض الأذهان، ولذة الشدة المطربة التي فيها. وكذا بيعها والانتفاع بشمها. وما كان يُقَفَّسه بعضهم من الميسر فيُنفقه على نفسه أو عياله. ولكن هذه المصالح لا توازي مضرته ومفسدته الراجحة، لتعلقها بالعقل والدين، ولهذا قال: ﴿وَرَأَيْتُهُمَا أَكْبَرَ مِنْ نَفْسِهِمَا﴾؛ ولهذا كانت هذه الآية ثمرةً لتحريم الخمر على النبات، ولم تكن مُصرِّحةً بل مُعرِّضة؛ ولهذا قال عمر رضي الله عنه لما قرئت عليه: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً. حتى نزل النصريح بتحريمها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْأَسْبَابُ وَالْأَذْكَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالنَّبِيرِ وَيَسُدَّ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَبِهُونَ ﴿٩١﴾﴾. وقوله: ﴿وَسَيَلُونُكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْاَمْشَوْ﴾. قرئ بالنصب وبالرفع، وكلاهما حسنٌ مُتَّحِدٌ قريب. قال ابن عباس: ﴿الَمْشَوْ﴾ ما يفضَّلُ عن أهلك. وكذا روي عن ابن عمر وجاهد وقناة وغير واحد.

عن أبي هريرة قال: قال رجل: يا رسول الله، عندي دينار؟ قال: «أَنْفِقْهُ عَلَى نَفْسِكَ». قال: عندي آخر؟ قال: «أَنْفِقْهُ عَلَى أَهْلِكَ». قال: عندي آخر؟ قال: «أَنْفِقْهُ عَلَى وَلَدِكَ». قال: عندي آخر؟ قال: «فَأَنْتَ أَبْصَرُ». [رواه مسلم]. وعن جابر: أن رسول الله ﷺ قال لرجل: «أَبْدَأْ بِنَفْسِكَ فَتَصَدَّقْ عَلَيْهَا، فَإِنْ فَضَّلَ شَيْءٌ فَلِأَهْلِكَ، فَإِنْ فَضَّلَ شَيْءٌ عَنْ أَهْلِكَ فَلِذِي قُرْبَاتِكَ، فَإِنْ فَضَّلَ عَنْ ذِي قُرْبَاتِكَ شَيْءٌ فَهَكَذَا وَهَكَذَا» [رواه مسلم]. وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى، واليد العليا خير من اليد السفلى، وأبدأ بمن تتعول» [رواه مسلم]. وفي الحديث أيضاً: «إِنَّ آدَمَ، إِنَّكَ أَنْ تَبْذُلَ الْفَضْلَ خَيْرٌ لَكَ، وَأَنْ تُحْسِبَهُ شَرٌّ لَكَ، وَلَا تُلَامَ عَلَى كِفَافٍ» [رواه مسلم].

وقد قيل: إنها منسوخة بآية الزكاة، كما رواه علي بن أبي طلحة،  
والعوفي عن ابن عباس، وقاله عطاء الخراساني والسدي. وقيل: مُبَيَّنَةٌ  
بآية الزكاة. قاله مجاهد وغيره، وهو أَوْجَهُ.

وقوله: ﴿كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ﴾ أي: كما فصل لكم هذه الأحكام وبينها وأوضحها، كذلك يبين لكم سائر آيات في أحكامه ووعده ووعيدته؛ ﴿لَمَّا كُم تَنفَكُونَ﴾ (٣١) في الدنيا والآخرة.



## ● الوقفات التدريبية

١ ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ رَشٌّ لَّكُمْ ﴾

هذا الكره من حيث نفور الطبع عنه؛ لما فيه من مؤنة المال، ومشقة النفس، وخطر الروح، لا أنهم كرهوا أمر الله تعالى. البغوي: ٢٠٣/١.

السؤال: كيف يكون القتال في سبيل الله تعالى مكرهاً للمؤمنين؟

٢ ﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾

لأن القتال يعقبه النصر والظفر على الأعداء، والاستيلاء على بلادهم وأموالهم وذرياتهم وأولادهم. ابن كثير: ٢٣٩/١.

السؤال: كيف يكون القتال خيراً مع أن ظاهره المشقة والألم؟

٣ ﴿ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ رَشٌّ لَّكُمْ ﴾

القعود عن القتال قد يعقبه استيلاء العدو على البلاد والحكم. ابن كثير: ٢٣٩/١.

السؤال: قد يفرح المجتمع بترك القتال، ويكون ذلك شراً له؛ فكيف ذلك؟

٤ ﴿ يَسْتَأْذِنُكَ عَنْ أَهْلِ الْكُرَارِ قَالِ يَدُ قُلٍّ قِتَالٍ يَدُ كَبِيرٍ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدَ الْكُرَارِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ. وَنُهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ﴾

إن كان قتل النفوس فيه شر، فالفتنة الحاصلة بالكفر وظهور أهله أعظم من ذلك؛ فيدفع أعظم الفسادين بالتزام أدانهم. ابن تيمية: ٥٠١/١. السؤال: سير المجتمع إلى الكفر، أو سيره إلى الجهاد، أيهما أعظم مفسدة؟

٥ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ ﴾

إشارة إلى أن العبد ولو أتى من الأعمال بما أتى به؛ لا ينبغي له أن يعتمد عليها ويعمل عليها، بل يرجو رحمة ربه، ويرجو قبول أعماله ومغفرة ذنوبه وستر عيوبه. السعدي: ٩٨.

السؤال: في الآية تنبيه عظيم لأصحاب الأعمال الصالحة، فما هو؟

٦ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

وإنما قال (يرجون) وقد مدحهم؛ لأنه لا يعلم أحد في هذه الدنيا أنه صائر إلى الجنة، ولو بلغ في طاعة الله كل مبلغ؛ لأمرين: أحدهما: لا يدري بما يختم له، والثاني: لئلا يتكل على عمله. القرطبي: ٣٢٧/٣.

السؤال: لماذا قال سبحانه: (يرجون) -وهي صيغة محتملة- مع أن أعمالهم عظيمة؟

٧ ﴿ كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾

أي في الآيات، فتستنبطوا الأحكام منها، وتقهموا المصالح والمنافع المنوطة بها؛ فترجي التفكير غاية تبين الآيات، فتأخذون بالأصلح وتجتنبون عما يضركم ولا ينفعكم، أو يضركم أكثر مما ينفعكم.

الألووسي: ١١٦/٢.

السؤال: ما فائدة التفكير في آيات القرآن؟

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ رَشٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قَاتِلْ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدَ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تَزَالُ وَرَقَتُنَا تَكْفَرُ حَتَّى تُرَدَّ وَكَمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ وَمَنْ يَزِدْكُمْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَمَّيْتُمْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعَةٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ الْغَفْوُكَ ذَلِكَ بَيْنَ اللَّهِ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٤﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
وَالْفِتْنَةُ	الشُّرْكُ.
وَالْمَيْسِرِ	القمار، وهو أخذ المال، أو إعطاؤه بطريق المغالبات التي فيها عوض من الطرفين.

## ● العمل بالآيات

١. تذكر شيئاً تعلقك به نفسك فصرفه الله عنه، أو كرهته فقدر عليك، واحمد الله؛ فقد يكون في ذلك خير لك، ﴿ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ رَشٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَسْأَلُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾.
٢. اكتب ثلاث فوائد من هذه الآية القرآنية العظيمة، ﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ رَشٌّ لَّكُمْ ﴾.
٣. كرر اليوم هذا الدعاء: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»، ﴿ وَمَنْ يَزِدْكُمْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَمَّيْتُمْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾.

## ● التوجيهات

١. الجهاد في سبيل الله شريعة ماضية إلى يوم القيامة، ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾.
٢. المسلم الصادق يسلم أمره لله؛ ولو خالف هواه، ﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾.
٣. السبب الأول للحرب على بلاد المسلمين هو الدين؛ مهما لبسوا الحرب بلباس آخر، ﴿ وَلَا يَزَالُ وَرَقَتُنَا تَكْفَرُ حَتَّى تُرَدَّ وَكَمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ ﴾.



## ● الوقفات التدبيرية

﴿ وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّى تُؤْمِنُ ۖ وَلَا أُمَةٌ مُؤْمِنَةٌ حَتَّىٰ تَمُوتَ ۚ حَيْثُ مِن مُّشْرِكَةٍ وَلَا أُعْجِبَتْكُمْ ۚ وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ حَرٌّ مِّنْ مُّشْرِكٍ ۚ وَلَا أُعْجِبُكُمْ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۖ ﴾

(أولئك يدعون إلى النار)؛ أي: في أقوالهم أو أفعالهم وأحوالهم؛  
فمُخَالَطُهُمْ] على خطر منهم، والخطر ليس من الأخطار الدنيوية،  
إنما هو من الشقاء الأبدي. ويستفاد من تعليل الآية: النهي عن مخالطة  
كل مشرك ومبتدع؛ لأنه إذا لم يجز التزوج مع أن فيه مصالح كثيرة  
فالمخالطة المجردة من باب أولى، وخصوصاً الخلطة التي فيها ارتفاع  
المشرك ونحوه على المسلم. السعدي: ٩٩.

السؤال: كيف تستفيد من الآية خطورة مخالطة المسلم للمبدعة والمشركن؟

﴿أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى الْفَارِّ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْحَقِّ وَالْمَعْفِرِ يَازِينَةَ وَسَيْنُةَ ۚ إِنَّهُمْ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾

المقصود من الآية أن المؤمن يجب أن يكون حذرا عما يضره في الآخرة وأن لا يحوم حول حمى ذلك ويتجنب عما فيه الاحتمال، مع أن النفس والشيطان يعاونان على ما يؤدي إلى النار. الأتوسي: ١٢/٢.

**السؤال: متى يكون المسلم أكثر عرضة للهلاك؟**

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾

تأنيساً لقلوب التخرجين من معاودة الذنب بعد توبة منه، أي: ومن معاودة التوبة بعد الوقوع في ذنب ثانية، لما يخشى العاصي من أن يكتب عليه كذبة كلما أحدث توبة وزل بعدها فيعد مستهزئاً، فيسقط من عين الله ثم لا يبالي به، فيؤفقه ذلك عن التوبة البقاعي: ٤٢١/٤.

السؤال: لماذا عبر بصيغة التواوين التي تفيد الاستمرار؟

﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ١

لم يذكر المُنشَر به ليدل على العموم، وأن لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وكل خير وانتفاع كل صير رتب على الإيمان، فهو داخل في هذه البشارة السعيد: ١٠.

**السؤال: لماذا لم يذكر الله المَبْشُر به في هذه الآية؟**

﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ ﴾

المعنى: لا تستكثروا من اليمين بالله؛ فإنه أهيأ للقلوب؛ قال تعالى: (واحفظوا أيمانكم) (المائدة: ٨٩)، وذم من كثر اليمين فقال (ولا تطع كل حلاف مهين) (القلم: ١٠)، القرطبي: ١٣/٤.

**السؤال: ما فائدة التقليل من الحلف واليمين؟**

﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

نَهاهم الله أن يجعلوا الحلف بالله مانعاً لهم من فعل ما أمر به؛ لئلا يمتنعوا عن طاعته باليمين التي حلفوها. ابن قيميّة: ١/٥١٧.

**السؤال: متى يكون الحلف واليمين مذمومًا؟**

﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

ثم ختم الآية بهذين الاسمين الكريمين، فقال: (والله سميع) أي: لجميع الأصوات، (عليم) بالماقصد والنيات؛ ومنه سماعه لأقوال الحالفين، وعلمه بمقاصدهم هل هي خير أم شر؛ وفي ضمن ذلك التحذير من مجازاته، وأن أعمالكم ونياتكم قد استقر علمها عنده، السعدي: ١٠٠-١٠١.

**السؤال : ختام الآية بين عظم اليمين وأهميتها، وضح ذلك.**

فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ  
 خَيْرٌ وَأَنْ تَطْلُوهُُمْ فَاِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ  
 الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْتَبْتُمْ مِمَّنْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَزَبَ عَنْكُمْ  
 ٣٥ وَلَا تَسْكَبُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يَبُوءَ مِنْهُنَّ وَلَا مِمَّنْ مَوْفِقُهُنَّ  
 خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تَسْكَبُوا الْمُشْرِكِينَ  
 حَتَّىٰ يَبُوءُوا وَلِعَبَدَ مَوْفِقٌ مِّنْ خَيْرٍ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ  
 أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْحَيَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ  
 بِآيَاتِهِ وَيُبَيِّنْهُ لِّلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ٣٦  
 وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا مِنَ النِّسَاءِ فِي  
 الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَظْهَرْنَ فَإِذَا تَظْهَرْنَ فَأْوِهِنَّ  
 مِمَّنْ جِئْتِ أَهْرُكُنَّ إِنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ لِلَّذِينَ اتَّقَوْهُ مِنْهُنَّ مَخْرَجًا  
 ٣٧ سَأَأْتِيَكُمُ الْكُفْرُ فَأَوْا حَرِّكُمْ أَمْ يَقُولُونَ سَأَتْمُرُوهَا  
 لِأَنفُسِكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُّلْكُهُ وَوَيْسِرُ  
 الْمُؤْمِنِينَ ٣٨ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ غَرْصَهُ لَا لِئَمْنِيَنَّكُمْ أَنْ تَبْزُرُوا  
 وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا آيَاتِ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٣٩

## معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
لَأَعْتَبُكُمْ	لَتَضِيقُ عَلَيْكُمْ.
حَرَّتْ لَكُمْ	مَوْضِعُ زَرْعِ لَكُمْ، تَضَعُونَ التُّطْفَةَ فِي أَرْحَامِهِنَّ فَيَحْمِلْنَ.
أَنَّى	كَيْفَ أَزِدْتُمْ، مَا دَامَ ذَلِكَ فِي مَوْضِعِ الْحَرِّ؛ وَهُوَ الْفَرْجُ.
عُرِضَتْ	مَإْنَعًا.

## ● العمل بالآيات

۱. اكرم یتیم، او اسع ۾ ڪفالتہ، ﴿وَسَلُّوْكَ عَنِ الْاَيْتَمٰی قُلْ اِصْلَاحٌ لِّمَنْ حَرِیْذٌ﴾  
وَرَن تَحْلِطُوْهُمۡ فَاِخْوَانُكُمْ ۝

٢. يختبر الله سبحانه كل مجتمع بإيجاد دعاة إلى الخير، ودعاة إلى الشر، فحدد دعاة الخير في مجتمعه، واسع في مساعدتهم، والدعاة لهم، ﴿أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ﴾.

٣. جدد وضوءك اليوم لكل صلاة: ولو كنت على وضوء، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ  
التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُطَهِّرِينَ﴾.

## ● التوجيهات

١٠. سؤال الموثقين عن أحكام الأموال وحفظ الحقوق سمة من سمات المتقين  
المفلحين، ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَسْرِ قُلْ إِصْلَاحٌ لِّمَنْ خَيْرٌ﴾.

٦. وصية الله سبحانه للمؤمن أن يبحث عن الزوجة المؤمنة، صاحبة الدين، ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنَ وَلَأَمَّا مُؤْمِنَةٌ حُرٌّ مِّنْ شُرُكِكُمْ فَلَوْ أَغْبَيْتُمْكُمْ

٣. الإسلام عنوان النظافة والطهر، وقد بين أدق تفاصيل الطهارة في كتابه الكريم، ﴿وَسَأَلُواكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْرِضُوا إِلَيْهَا فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهَا حَتَّى يَطْهَرُوا﴾.

الآية (٢٢٠): ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾ الآية: [سبب النزول] روى ابن جرير عن ابن عباس قال: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتَامَىٰ إِلَّا بِآلِ يَتَىٰ هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء: ٣٤] ﴿وَالَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠] انطلق من كان عنده يَتِيمٌ فعزل طعامه من طعامه، وشرابه من شرابه، فجعل يفضل له الشيء من طعامه فيُحس له حتى يأكله أو يشرب، فاشتد ذلك عليهم، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ، فأنزل الله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَلَمَّخُوا نَفْسَهُمْ﴾ فخلطوا طعامهم بطعامهم، وشرابهم بشرابهم. وهكذا ذكر غير واحد في سبب نزول هذه الآية كمجاهد وعطاء والشعبي.

فقوله: ﴿قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾ أي: على حدة ﴿وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَلَمَّخُوا نَفْسَهُمْ﴾ أي: وإن خلطتم طعامكم بطعامهم وشرابكم بشرابهم فلا بأس عليكم؛ لأنهم إخوانكم في الدين؛ ولهذا قال: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ أي: يعلم من قسده ونيته الإفساد أو الإصلاح. وقوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَغْنَيْنَاكُمْ عَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ﴾ أي: ولو شاء لضيق عليكم وأخرجكم، ولكنه وسع عليكم، وخفف عنكم، وأباح لكم مخالطتهم بالتي هي أحسن، بل قد جوز الأكل منه للفقير بالمعروف، إما بشرط ضمان البدل لمن أيسر، أو مجاناً.

الآية (٢٢١): هذا تحريم من الله عز وجل على المؤمنين أن يتزوجوا المشركات من عبدة الأوثان. ثم إن كان عمومها مراداً، والله يدخل فيها كل مشركة من كتابية وثنية - فقد خص من ذلك نساء أهل الكتاب بقوله: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُخْتَصِينَ عَنْ مَسْجِدِينَ﴾ [المائدة: ٥]. قال ابن عباس: استثنى الله من ذلك نساء أهل الكتاب. وهكذا قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبر وغيرهم. وقيل: بل المراد بذلك المشركون من عبدة الأوثان، ولم يرز أهل الكتاب بالكلية، والمعنى قريب من الأول، والله أعلم. قال ابن جرير بعد حكاية الإجماع على إباحة تزويج الكتابيات: وإنما كره عمر ذلك؛ لثلا يزهده الناس في المسلمات، أو لغير ذلك من المعاني.

قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا مَنَافِعَ دِينٍ مَشْرُوكَةٍ وَلَا أَغْبَيْتُمْ﴾ عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «تُنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها؛ فاظفر بذات الدين تربت يداك» [رواه البخاري ومسلم]. وقوله: ﴿وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا﴾ أي: لا تزوجوا الرجال المشركين النساء المؤمنات، كما قال تعالى: ﴿لَا هُنَّ لَكُمْ وَلَا هُمْ يُعْلِنُونَ﴾ [المنحة: ١٠]. ثم قال تعالى: ﴿وَلَمَّا دُعِيَ الْيَهُودُ إِلَىٰ مَشْرُوكَةٍ وَلَا أَغْبَيْتُمْ﴾ أي: ولرجل مؤمن - ولو كان عبداً حبشياً - خير من مشرك، وإن كان رئيساً عربياً ﴿وَأُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى الْآثَارِ﴾ أي: معاشرتهم ومخالطتهم تبعث على حب الدنيا واقتنائها وإيثارها على الدار الآخرة، وعاقبة ذلك وخيمة، ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَالْإِيمَانِ بِاللَّهِ﴾ أي: بشرعه وما أمر به وما نهى عنه ﴿وَيَتَّبِعُوا آيَاتِهِ لِنَالِ لَعْنَتِهِمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

الآية (٢٢٢): [سبب النزول] عن أنس: أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة منهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوها في البيوت، فسأل أصحاب النبي ﷺ النبي ﷺ، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَجِيسِينَ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَأَعَزُّوهُمُ النَّسَاءَ فِي الْمَجِيسِينَ وَلَا تَقْرَبُوهُمْ حَتَّىٰ يَتَّخِذُوا إِذَا تَخَلَّوْا﴾ حتى فرغ من الآية. فقال رسول الله ﷺ: «اصنعوا كل شيء إلا النكاح». فبلغ ذلك اليهود فقالوا: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه! فجاء أسيد بن حضير وعباد بن بشر فقالا: يا رسول الله! إن اليهود قالت كذا وكذا، أفلا نجتمعن؟! فتغير وجه رسول الله ﷺ حتى ظننا أن قد وجدَ عليها، فخرجنا، فاستقبلتها هدية من لبن إلى رسول الله ﷺ، فأرسل في آثارهما، فسقاما، فعرفا أن لم يجدَ عليها. [رواه مسلم]. فقوله: ﴿فَأَعَزُّوهُمُ النَّسَاءَ فِي الْمَجِيسِينَ﴾ يعني: في الفرج، لقوله ﷺ: «اصنعوا كل شيء إلا النكاح» [رواه مسلم]. ولهذا ذهب كثير من العلماء أو أكثرهم إلى أنه يجوز مباشرة الحائض فيها عدا الفرج. فقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَّخِذُوا﴾ تفسير لقوله: ﴿فَأَعَزُّوهُمُ النَّسَاءَ فِي الْمَجِيسِينَ﴾، ونهي عن قربانين بالجماع ما دام الحيض موجوداً، ومفهومه حله إذا انقطع.

وقوله: ﴿فَإِذَا تَخَلَّوْا فَأَتَوْهُمُ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ فيه نذبة وإرشاد إلى غشيانهم بعد الاغتسال. وقوله: ﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد: يعني الفرج. وفيه دلالة حيثنذ على تحريم الوطء في الدبر. وقال أبو زرير وعكرمة والضحاك وغير واحد: ﴿فَأَتَوْهُمُ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ يعني: طاهرات غير خُصص، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَّيِينَ﴾ أي: من الذنب، وإن تكرر غشيانهم، ﴿وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ أي: المتزئنين عن الأقذار والأذى، وهو ما نهوا عنه من إتيان الحائض، أو في غير المأني.

الآية (٢٢٣): وقوله: ﴿يَسْأَلُكُمْ رَبُّكُمْ عَنْ صِيَامٍ﴾ موضع الولد ﴿فَأَتَوْا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ أي: كيف شئتم مقبلة ومُبدرة في صيام واحد. [سبب النزول] عن جابر قال: كانت اليهود تقول: إذا جامعها من ورائها جاء الولد أحول، فنزلت: ﴿يَسْأَلُكُمْ رَبُّكُمْ عَنْ صِيَامٍ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [رواه البخاري]. وقوله تعالى: ﴿وَقَرَأُوا لِأَنبِيَاكُمْ﴾ أي: من فعل الطاعات مع امتثال ما أمركم عنه من ترك المحرمات؛ ولهذا قال: ﴿وَيَاقُوهَا اللَّهُ وَعَلِّمُوا أَنْتُمْ لَعَلَّكُمْ﴾ أي: فيحاسبكم على أعمالكم جميعها. ﴿وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: الطيبين الله فيها أمرهم، التاركن ماعنه زجرهم.

الآية (٢٢٤): يقول تعالى: لا تجعلوا آياتكم بالله تعالى ممانعة لكم من البرِّ وصلة الرحم إذا حلقتن على تركها، كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتِيَنَّ أُولَئِكَ الْفَضْلُ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [النور: ٢٢]. فالاستمرار على اليمين أتم لصاحبها من الخروج منها بالكفر. وقال ابن عباس: ﴿وَلَا تَجْمَعُوا اللَّهُ غُرَضَةً لِيَمْنِكُمْ﴾ قال: لا تجعل غُرَضَةً ليمينك ألا تصنع الخير، ولكن كُفِّر عن يمينك واصنع الخير.



وقوله: ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ أي: عزيز في انتقامه ممن عصاه وخالف أمره، حكيم في أمره وشرعه وقدره.

الآية (٢٢٩-٢٣٠): هذه الآية الكريمة رافعة لما كان عليه الأمر في ابتداء الإسلام، مِنْ أَنَّ الرجل كان أَحَقُّ بـرجعة امرأته، وإن طلقها مائة مرة ما دامت في العدة. فقال: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِيسَافٌ بِمُتْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَنٍ﴾ أي: إذا طَلَّقَهَا واحدة أو اثنتين، فانت تَحْرِيرُها ما دامت عدتها باقية، بين أَنْ تَرُدَّهَا إِلَيْكَ نَاوِيَا الإِصْلَاحَ بها والإِحْسَانَ إِلَيْهَا، وبين أَنْ تتركها حتى تنقضي عدتها، فَيَبْنَى مِنْكَ، وَتُطَلِّقَ سَرَاحًا مُخْسِنًا إِلَيْهَا، لا تَظْلَمُهَا مِنْ حَقِّهَا شَيْئًا، وَلَا تُضَارُّهَا.

وقوله: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمُ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا﴾: أي: لا يحل لكم أن تضأجروهن وتضيقوا عليهن، ليفتدين منكم بما أعطيتموهن من الأصدقة أو بيعضه، فأما إن وهبته المرأة شيئاً عن طيب نفس منها، فقد قال تعالى: ﴿إِنْ طِبَّ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ رَيْنَتْهُ فَاسْقُواوهَا مِمَّا كَسَبَتْ﴾ [النساء: ٤]، وأما إذا تناقش الزوجان، ولم تقم المرأة بحقوق الزوج، وأبغضته ولم تقدر على معاشرتها، فلها أن تفتدي منه بما أعطهاها، ولا حرج عليها في بذلها، ولا عليه في قبول ذلك منها؛ ولهذا قال تعالى: ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يَتَّبِعَاْ حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾، فأما إذا لم يكن لها عذر وسألت الافتداء منه، فقد روى الإمام أحمد عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «أيما امرأة سألت زوجها الطلاق في غير ما بأس، فحرام عليها رائحة الجنة» [رواه أحمد، وصححه الألباني].

وقوله: ﴿تَنَكَحُهُنَّ اللَّهُ فَلَاحُتَدُّنَّهَا وَمَنْ يَتَّخِذْ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ أي: هذه الشرائع التي شرعها لكم هي حدوده، فلا تتجاوزوها. ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا حِلَّ لِمَنْ بَعْدَ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ أي: أنه إذا طلق الرجل امرأته طلاقاً ثالثة بعد ما أرسل عليها الطلاق مرتين، فإنها تحرم عليه ﴿حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ أي: حتى يطأها زوج آخر في نكاح صحيح، وعن عائشة قالت: دخلت امرأة رفاعة القرظي وأنا وأبو بكر عند النبي ﷺ - فقالت: إن رفاعة طلقني البتة، وإن عبد الرحمن بن الزبير تزوجني، وإنما عنده مثل الهذبة، وأخذت هذبة من جلبابها، فقال رسول الله ﷺ: «كانك تريدان أن ترجعي إلى رفاعة؟! لا، حتى تذوقي عسلته ويلوق عسلتك» [رواه البخاري]. والمقصود من الزوج الثاني أن يكون راعياً في المرأة، قاصداً لديموم عشرتها كما هو المشروع من التزويج، أما إذا كان قصده أن يُحِلَّهَا لِلأول، فهذا هو الْمُحْلَلُ الذي وردت الأحاديث بِلَدِّهِ ولَعِنَهُ، فروى الإمام أحمد عن عبد الله [ابن مسعود] قال: «لعن رسول الله ﷺ الْمُحْلَلُ وَالْمُحْلَلُ» [له]. [رواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي، وصححه الألباني].

وقوله: ﴿فَإِنْ سَلَّمْتُمْهُ﴾ أي: الزوج الثاني بعد الدخول بها ﴿فَلَجُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَرَكَحَا﴾ أي: المرأة والزوج الأول ﴿إِنْ طَلَّأَ نَافِيَةً حُدُودَ اللَّهِ﴾ أي: يتعاشرا بالمعروف، ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ أي: شرائعه وأحكامه، ﴿يَنْبَغِيهَا﴾ أي: يوضحها ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

الآية (٢٢٥): ﴿لَا يُؤْخَذُكُمْ اللَّهُ بِالَّذِي فِى أَيْمَانِكُمْ﴾ أي: لا يُعاقبكم ولا يُلْزِمكم بما صَدَر منكم من الأيمان اللاعبة، وهي التي لا يقصدها الحالف، بل تجري على لسانه عادةً من غير تعقيد ولا تأكيد، قالت عائشة: «هم القوم يتنذرون فى الأمر، فيقول هذا: لا والله، وبلى والله، وكلا والله .. لا تُعَدُّ عليه قلوبهم».

﴿وَلَكِنْ يَأْخُذْكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾: قال ابن عباس: هو أن يحلف على الشيء وهو يعلم أنه كاذب.

﴿وَاللَّهُ عَزَّوَجَلَّ﴾ أي: غفور لعباده، حلیم عليهم.  
 الآية (٢٢٦-٢٢٧): الإبراء: الحلف ﴿لَّذِينَ يُؤْتُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ﴾  
 أي: يحلفون على ترك الجماع من نسائهم. ﴿رَبْعَ أَشْهُرٍ﴾ أي:  
 ينتظر الزوج أربعة أشهر من حين الحلف، ثم يُوقَفَ ويُطَالَبُ بِالْفَيْتَةِ  
 أو الطلاق. ولهذا قال: ﴿إِنْ قَالُوا﴾ أي: رجعوا إلى ما كانوا عليه،  
 وهو كتابة عن الجماع، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَفْوٌ رَحِيمٌ﴾ أي: لما سلف من  
 التقصير في حقهن بسبب اليمين.

وقوله: ﴿وَإِنْ عَرِّبْنَا أُمَّتَكَ﴾: فيه دلالة على أن الطلاق لا يقع بمجرد مُضِيِّ الأربعة أشهر، والذي عليه الجمهور: أنه يُوقَفُ قِطَابُ إِمَاهَذَا أَوْ هَذَا، وَلَا يَقَعُ عَلَيْهَا بِمَجْرَدِ مُضِيِّهَا طَلَاً.

الآية (٢٢٨): هذا الأمر من الله سبحانه وتعالى للمُطَلَّقات - المدخُولَ بهن من ذوات الأَقْرَاء- بأن يترصَّن بأنفسهن ثلاثة قروء، أي: بأن تمكث إحداهن بعد طلاق زوجها لها ثلاثة قروء؛ ثم تتزوج إن شاءت. وقد اختلف السلف والخلف في المراد بالأقراء على قولين: أحدهما: أن المراد بها: الأطهار. والقول الثاني: أن المراد بالأقراء: الحيض، فلا تنقضي العدة حتى تطهر من الحيضة الثالثة، زاد آخرون: وتغتسل منها. وقال ابن عبد البر: لا يختلف أهل العلم بلسان العرب والفقهاء أن القُرء يُراد به الحيض ويُرَاد به الطهر، وإنما اختلفوا في المراد من الآية ما هو على قولين. وقوله: ﴿وَلَا يَحِلُّ لهنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ﴾ أي: مِنْ حَبْلٍ أَوْ حَيْضٍ قَالَ ابن عباس وابن عمر وغير واحد. ﴿إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُنَّ بِآلِهِ وَكَيْدُهُنَّ أَكْثَرُ﴾ تهديد لهن على قول خلاف الحق. ودل هذا على أن المرجح في هذا الیهن؛ لأنه أمر لا يعلم إلا مَا جِئْتِهِنَّ، وتعمد إقامة البينة غالباً على ذلك، فَرُدَّ الأمر إليهن، وَتَوَعَّدَنَ فِيهِ، لثَلَاثِ غَيْرِ الحق، من غير زيادة ولا نقصان. وقوله: ﴿وَيُؤْتِلْنَهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِسْلَامًا﴾ أي: وزوجها الذي طَلَّقَهَا أَحَقُّ بِرَدِّهَا مَا دَامَتْ فِي عَدَّتِهَا، إذا كان مراده بِرَدِّهَا الإصلاح والخير. وهذا في الرجعيات. وقوله: ﴿وَمَنْ مِثْلَ الَّذِي عَلَيْنَ بِالْمُتَّحِرِّينَ﴾ أي: وَلَهُنَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ الحقِ مِثْلُ مَا لِلرِّجَالِ عَلَيْنَ، فليؤدَّ كل واحد منهما إلى الآخر ما يجب عليه بالمعروف. وقوله: ﴿وَاللِّجَالِ عَلَيْنَ دَرَجَةً﴾ أي: فِي الْفَضِيلَةِ فِي الْخَلْقِ وَالْخُلُقِ، وَالْمَنْزِلَةِ، وَطَاعَةِ الْأَمْرِ، وَالْإِنْفَاقِ، وَالْقِيَامِ بِالصَّالِحِ، وَالْفَضْلِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، كَمَا قَالَ: ﴿الرِّسَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَكَّلَ اللَّهُ بِهِمْ عَلَى بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [النساء: ٣٤].



## ● الوقفات التدريبية

● ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِالْفُلُوِّ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ قُلُوبَكُمْ وَاللَّهُ عَزُوفٌ حَلِيمٌ﴾

والشارع لم يربط المؤاخذة إلا على ما يكسبه القلب من الأقوال والأفعال الظاهرة، كما قال: (ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم)، ولم يؤاخذ على أقوال وأفعال لم يعلم بها القلب، ولم يتعمدها، وكذلك ما يحدث به المرء نفسه: لم يؤاخذ منه إلا بما قاله، أو فعله. ابن تيمية: ٥١٧/١.

السؤال: متى يحاسب الإنسان على تصرفاته؟ وضع ذلك من خلال الآية.

● ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِالْفُلُوِّ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ عَزُوفٌ حَلِيمٌ﴾

لا يعاجلهم بالأخذ. والحلم احتمال الأعلى للأذى من الأدنى. البقاعي: ٤٦١/١.

السؤال: ما دلالة ختم الآية بـ صفة الله الحليم سبحانه؟

● ﴿وَلَمْ يَكُنْ مِثْلَ الَّذِينَ عَلَيْنَ بِالْمَعْرِفِ وَالرِّجَالِ عَلَيْنَ دَرَجَةً﴾

قال ابن عباس رضي الله عنهما: إنني أحب أن أتزين لامراتي كما تحب امرأتي أن تتزين لي؛ لأن الله تعالى يقول: (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف) البغوي: ٢٢٥/١.

السؤال: لم يرد الشرع دفع أسباب الطلاق فقط؛ بل أراد وجود السعادة بين الزوجين، وضع ذلك.

● ﴿وَلَمْ يَكُنْ مِثْلَ الَّذِينَ عَلَيْنَ بِالْمَعْرِفِ وَالرِّجَالِ عَلَيْنَ دَرَجَةً وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

ما يوجب العقد لكل واحد من الزوجين على الآخر ... ليس بمقدر؛ بل المرجع في ذلك إلى العرف؛ كما دل عليه الكتاب في مثل قوله تعالى: (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف). ابن تيمية: ٥٢٣/١.

السؤال: ما المعتبر في مقدار حقوق الزوجية؟

● ﴿وَالرِّجَالُ عَلَيْنَ دَرَجَةً﴾

ولا يخفى على لبيب فضل الرجال على النساء؛ ولو لم يكن إلا أن المرأة خلقت من الرجل؛ فهو أصلها، وله أن يمنهما من التصرف إلا بإذنه، فلا تصوم إلا بإذنه، ولا تحج إلا معه. القرطبي: ٥٣/٤.

السؤال: ينادي الكفار والمنافقون بتساوي الرجل مع المرأة، فكيف ترد على ذلك؟

● ﴿أَلَطَّقَ مَرَّتَانِ﴾

لأن من زاد على الثنتين؛ فإما متجبر على المحرم، أو ليس له رغبة في إمساكها، بل قصده المضارة. السعدي: ١٠٢.

السؤال: لماذا قُصِرَ الطلاق الرجعي على المرتين فقط؟

● ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهَا أَنْ يَرْجِعَ إِنْ ظَنَّ أَنْ يُعِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾

في هذا دلالة على أنه ينبغي للإنسان إذا أراد أن يدخل في أمر من الأمور -خصوصاً الولایات الصغار والكبار- أن ينظر في نفسه؛ فإن رأى من نفسه قوة على ذلك ووفق بها أقدم، وإلا أحجم. السعدي: ١٠٣.

السؤال: كيف يتعامل الإنسان مع الولایات التي تعرض عليه؟

لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِالْفُلُوِّ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ قُلُوبَكُمْ وَاللَّهُ عَزُوفٌ حَلِيمٌ ٣٦  
أَرْصَةً أَشْهُرٌ فَإِنْ فَاءَ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ٣٧  
أَلَطَّقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٣٨  
ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَجِلُّ لَهُمْ أَنْ يَكُنْ مِنْ مَآخِلَقِ اللَّهِ فِي أَنْحَاثٍ  
إِنْ كُنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَنُوعِلْنَهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ  
وَالرِّجَالُ عَلَيْنَهُنَّ دَرَجَةً وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٣٩  
فَأَمَّا كُمُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيعٍ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَجِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا  
بِمَاءٍ أَنْتُمْ شَرِبْتُمْ إِلَّا أَنْ تَخَافَ الْأَلْفِيفَ مَا حُدَّ اللَّهُ  
فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُعِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ  
بِذَلِكَ حُدُودَ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهُمَا مَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ  
هُوَ الظَّالِمُونَ ٤٠  
فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَتَكَبَّرَ فِيهَا  
غَيْرُهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ  
يُعِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَذَلِكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ٤١

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
بِالْفُلُوِّ فِي أَيْمَانِكُمْ	الْيَمِينُ اللَّأَعِيَّةُ هِيَ: الْيَمِينُ الَّتِي لَا يَقْصِدُهَا صَاحِبُهَا.
يُؤَلُّونَ	يَحْلِفُونَ أَلَّا يُجَامِعُوا نِسَاءَهُمْ.
تَرْبُصُ	انتظار.
فَاءُوا	رجعوا.
يَتَرَبَّصْنَ	يَنْتَظِرْنَ.
ثَلَاثَ قُرُوءٍ	ثَلَاثَ جِئِصَ.

## ● العمل بالآيات

١. لا تحلف مبنياً هذا اليوم؛ تعظيماً لله عز وجل، ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِالْفُلُوِّ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾.
٢. اشتر اليوم هدية؛ وقدمها لزوجتك، أو أعطها والدك ليقدمها لوالدتك باسمه، ﴿وَلَمْ يَكُنْ مِثْلَ الَّذِينَ عَلَيْنَ بِالْمَعْرِفِ﴾.
٣. أرسل رسالة تحذر فيها من التحريف في حقوق المرأة، ثم اتخاها ذريعة لإفسادها من قبل المنافقين ومن خدع بمنهجهم، ﴿وَلَمْ يَكُنْ مِثْلَ الَّذِينَ عَلَيْنَ بِالْمَعْرِفِ وَالرِّجَالِ عَلَيْنَ دَرَجَةً﴾.

## ● التوجيهات

١. من حكم العدة أن الزوجين يختبران فيها عواطفهما ومصالحهما قبل الفرقة، ﴿وَأَلْمَطَلَقْتُ بِرَبِّصَةٍ أَنْفُسَهُنَّ ثَلَاثَ قُرُوءٍ﴾.
٢. لكل من الزوجين حقوق وواجبات لا تسعد الأسرة إلا بتحقيقها جميعاً، ﴿وَلَمْ يَكُنْ مِثْلَ الَّذِينَ عَلَيْنَ بِالْمَعْرِفِ﴾.
٣. للرجل منزلة زائدة على المرأة؛ فمن زعم أنهما متساويان فقد أخطأ وخالف كلام خالقهما الأعلم بحالهما، ﴿وَالرِّجَالُ عَلَيْنَ دَرَجَةً﴾.



## ● الوقفات التحريية

﴿ وَلَا تَنْجِدُوا ءَايَتِ اللَّهِ هُرُوءًا ﴾

بان تعرضوا عنها، وتهاونوا في المحافظة عليها؛ فجذبوا في الأخذ بها، والعمل بما فيها، وارعوها حق رعايتها. الألويسي: ١٤٣/٢.

السؤال: التلاعب بأحكام الزواج يؤدي إلى التلاعب بأحكام الطلاق والاستهزاء بأحكام الشرع، وضح ذلك.

﴿ وَلَا تَنْجِدُوا ءَايَتِ اللَّهِ هُرُوءًا ﴾

الاستهزاء بدين الله من الكبار، والاستهزاء هو السخرية؛ وهو حمل الأقوال والأفعال على الهزل واللعب. ابن تيمية: ٥٤٣/١.

السؤال: ما حكم الاستهزاء بدين الله تعالى؟

﴿ وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَنْ أَجْلَهُنَّ فَلَا تَمْسُلُوهُنَّ أَنْ يَكُنَّ آذَانَهُنَّ إِذَا تَرَصُوا بَيْنَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾

نزلت هذه الآية في الرجل يطلق امراته طلاقاً أو طلاقين؛ فتتقاضى عدتها، ثم يدوله أن يتزوجها وأن يراجعها، وتريد المرأة ذلك؛ فيمنعها أولياؤها من ذلك، فهي الله أن يمنعوها ... وفيها دلالة على أن المرأة لا تملك أن تزوج نفسها، وأنه لا بد في النكاح من ولي. ابن كثير: ٢٦٧/١.

السؤال: كيف تستدل بهذه الآية على اشتراط الولي للمرأة في النكاح؟

﴿ وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَنْ أَجْلَهُنَّ فَلَا تَمْسُلُوهُنَّ أَنْ يَكُنَّ آذَانَهُنَّ إِذَا تَرَصُوا بَيْنَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَتْلُمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

والإشارة في (ذلكم أزكى) إلى ترك العضل، وأزكى وأطهر معناه: أطيب للنفس، وأطهر للعرض والدين؛ بسبب العلاقات التي تكون بين الأزواج، وربما لم يعلمها الولي؛ فيؤدي العضل إلى الفساد والمخالطة على ما لا ينبغي، والله تعالى يعلم من ذلك ما لا يعلم البشر. ابن عطية: ٣٩٠/١.

السؤال: متى يكون دخول طرف ثالث في قضايا الزوجية ضرراً عليهما؟

﴿ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾

وفيه إيدان بأن المشار إليه امر لا يكاد يتصوره كل أحد؛ بل لا بد لتصور ذلك من مؤيد من عند الله تعالى. (يوعظه به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر) خصه بالذكر لأنه المسارع إلى الامتنال؛ إجلالاً لله تعالى، وخوفاً من عقابه. الألويسي: ١٤٥/٢.

السؤال: لماذا خص المؤمن بالله واليوم الآخر بهذه الموعظة؟

﴿ وَالْوَلَدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنَ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنِمَّ الرِّضَاعَةَ ﴾

يدل على أن هذا تمام الرضاعة، وما بعد ذلك فهو غذاء من الأغذية. ابن تيمية: ٥٥٣/١.

السؤال: ما حد إتمام الرضاعة؟

﴿ لَا ضَعَاكُ وَلَدٌ يُولَدُهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ يُولَدُ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ ﴾

لا تاتى الأم أن ترضعه إضراراً بابيه، أو تطلب أكثر من أجر مثلها، ولا يحل للاب أن يمنع الأم من ذلك؛ مع رغبته في الإرضاع. القرطبي: ١١٦/٤.

السؤال: كيف تكون مضارة كل من الأم أو الأب بالآخر في امر الرضاع؟

وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَنْ أَجْلَهُنَّ فَلَا تَمْسُلُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرَحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تَمْسُلُوهُنَّ ضَرَارًا لَعَنَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا ءَايَتِ اللَّهِ هُرُوءًا وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يُعَظِّكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْمَلُوا أَنْ اللَّهَ يَكُلْ شَيْءٌ عَلَيْهِ ۝ وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَنْ أَجْلَهُنَّ فَلَا تَمْسُلُوهُنَّ أَنْ يَكُنَّ آذَانَهُنَّ إِذَا تَرَصُوا بَيْنَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝ وَالْوَلَدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنِمَّ الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا ضَرَّ أَوْلَادُهُ يُولَدُهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ يُولَدُهَا وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا ءَاتَيْتُمُ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْمَلُوا أَنْ اللَّهَ يَجْعَلَ لَكُمْ بَصِيرًا ۝

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
ضَرَارًا	مُضَارَةً.
تَمْسُلُوهُنَّ	تَمْنَعُوهُنَّ.
فِصَالًا	فِطَامًا.

## ● العمل بالآيات

١. أرسل رسالتك تبين فيها أن من تلاعب بأحكام الزواج تلاعب بأحكام الطلاق، وهنا من الاستهزاء بحدود الله، ﴿ وَلَا تَنْجِدُوا ءَايَتِ اللَّهِ هُرُوءًا ﴾.

٢. إذا أصبحت فقل: (اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك، فلك الحمد، ولك الشكر)، وإذا أمسيت فقل: (اللهم ما أمسى بي من شيء إلا إليك، فلك الحمد، ولك الشكر)، ﴿ وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾.

٣. انصح أهل زوجين متخاصمين، أو مطلقين، بتسهيل تراجعهما ﴿ فَلَا تَمْسُلُوهُنَّ أَنْ يَكُنَّ آذَانَهُنَّ إِذَا تَرَصُوا بَيْنَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾.

## ● التوجيهات

١. الرجل الكريم النفس، الطيب الخلق، لا يعامل زوجته إلا بالمعروف؛ سواء أحبها، أو كرهها، ﴿ وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَنْ أَجْلَهُنَّ فَلَا تَمْسُلُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرَحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ﴾.

٢. الغضب والخلاف لا يجيزان الاستهزاء بأحكام الشرعية، ﴿ وَلَا تَنْجِدُوا ءَايَتِ اللَّهِ هُرُوءًا ﴾.

٣. اقبل الموعظة، ولو جاءتك ممن هو اقل منك، وتاملها كثيراً؛ فإن ذلك دليل على إيمانك بالله واليوم الآخر، ﴿ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾.

المسؤوليات إلى أزواجهم، وترك الحمية في ذلك، أذكى لكم وأطهر لقلوبكم ﴿وَاللَّهُ يَتْلُمُ﴾ أي: من المصالح فيما يأمر به وينهى عنه، ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي: الخبرة فيما تأتون ولا فيما تدرن.

الآية (٢٣٣): هذا إرشاد من الله تعالى للوالدات: أن يرضعن أولادهن كإل الرضاة، وهي ستنان، فلا اعتبار بالرضاة بعد ذلك؛ ولهذا قال: ﴿لَنْ أَرَادَ أَنْ يُمَّ الرِّضَاعَةَ﴾ وذهب أكثر الأئمة إلى أنه لا تجزئ من الرضاة إلا ما كان دون الحولين، فلو ارتضع المولود وعمره فوقها لم يجز. وعن أم سلمة قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا تجزئ من الرضاع إلا ما فتح الأمعاء، في الثدي، وكان قبل القطام» إرواه الترمذي، وصحه الألباني. ومعنى قوله: في الثدي، أي: في محل الرضاة قبل الحولين، وقوله: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ يَرْضَعُ وَيُسَوِّغُهُ بِالْمَرْوِيِّ﴾ أي: وعلى والد الطفل نفقة الوالدات وكسوتهن بالمعروف، أي: بما جرت به عادة أمثلهن في بلدتهن من غير إسراف ولا إقتار، بحسب قدرته في يساره وتوسطه وإقتاره. قال الضحاك: إذا طلق زوجته وله منها ولد، فأرضعت له ولده، وجب على الوالد نفقتها وكسوتها بالمعروف. وقوله: ﴿لَا تُضَاكِرُ وَلَدَهُ يُولَدُهَا﴾ أي: لا تدفعه عنها لتضار أباه بتريته، كما لا يحل له انتزاعه منها لمجرد الضرار لها. ولهذا قال: ﴿وَلَا مَوْلُودَ لَهُ يُولَدُوهُ﴾ أي: بأن يريد أن ينتزع الولد منها إضرارًا بها. وقوله: ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ يَسُدُّ ذَلِكَ﴾ قيل: في عدم الضرار لقربيه. وقيل: عليه مثل ما على والد الطفل من الإنفاق على والدة الطفل، والقيام بحقوقها وعدم الإضرار بها. وقوله: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَائِهِمَا فَكُلَّاهُ فَلَاحُ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ أي: فإن اتفقا: والدا الطفل على فطامه قبل الحولين، ورأيا في ذلك مصلحة له، وتشاورا في ذلك، وأجمعا عليه، فلا جناح عليهما في ذلك، فيؤخذ منه: أن انفرد أحدهما بذلك دون الآخر لا يكفي، ولا يجوز لواحد منهما أن يستبد بذلك من غير مشاورة الآخر. قاله الثوري وغيره. وهذا فيه احتياط للطفل، وإلزام للنظر في أمره، وهو من رحمة الله بعباده، حيث حجب على الوالدين في تربية طفلها وأرشدتهما إلى ما يصلحه ويصلحها، كما قال: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَارْضَعْنَ لَهُنَّ وَأَنْتُمْ بِرُءُوفٍ وَإِنْ تَأْسَرْتُمْ فَاسْتَغِيثْ لَهُ الْآخَرَيْنِ﴾ [الطلاق: ٦]. وقوله: ﴿وَلَنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا بَيْنَ يَدَيْكُمْ بِالْمَرْوِيِّ﴾ أي: إذا اتفقت الوالدة والوالد على أن يتسلم منها الولد إما لعذر منها، أو عذر له، فلا جناح عليهما في بذله، ولا عليه في قبوله منها إذا سلمها أخرجها الماضية بالتي هي أحسن، واسترضع لولده غيرها بالأجرة بالمعروف.

وقوله: ﴿وَأَنْفَقُوا﴾ أي: في جميع أحوالكم ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ أي: فلا يخفى عليه شيء من أحوالكم وأقوالكم.

الآية (٢٣١): هذا أمر من الله عز وجل للرجال إذا طلق أحدهم المرأة طلاقاً له عليها فيه رجعة أن يحسن في أمرها -إذا انقضت عدتها، ولم يبق منها إلا مقدار ما يمكنه فيه رجعتها- فإما أن يمسهها، أي: يرجعها إلى عصمة نكاحه بمعروف، وهو أن يشهد على رجعتها، وينوي عشرتها بالمعروف، أو يسترها، أي: يتركها حتى تنقضي عدتها، ويخرجها من منزله بالتي هي أحسن، من غير شقاق ولا خصاصة ولا تقاض، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مِمَّا زَوَّجْتُمْ عَلَيْكُمْ حَتَّى تَرْضَوْا﴾ قال ابن عباس ومجاهد وقناة وغير واحد: كان الرجل يطلق المرأة، فإذا قاربت انقضاء العدة راجعها ضراراً، لئلا تذهب إلى غيره، ثم يطلقها فتعتد، فإذا شارفت على انقضاء العدة [راجعها ثم] طلق لتطول عليها العدة، فنهاهم الله عن ذلك، وتوعدهم عليه فقال: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ أي: بمخالفته أمر الله تعالى. وقوله: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا زَوَّجَ اللَّهُ هُزُؤًا﴾ قال مسروق: هو الذي يطلق في غير كنهه، ويضار امرأته بطلاقها وارجاعها، لتطول عليها العدة. وقال الحسن، وقناة، وغيرهما: هو الرجل يطلق ويقول: كنت لاعتب! أو يعتق أو ينكح ويقول: كنت لاعتب! فانزل الله: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا زَوَّجَ اللَّهُ هُزُؤًا﴾ فالزم الله بذلك. وقوله: ﴿وَأَذْكُرُوا يَمَنَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ أي: في إرساله الرسول بالهدى والبيّنات إليكم، ﴿وَمَا أَرْزَلْ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ﴾ أي: السنة، ﴿يُطَيِّرُ بِهِ﴾ أي: يأمركم وينهاكم ويتوعدهم على ارتكاب المحارم، ﴿وَأَنْفَقُوا﴾ أي: فيما تأتون وفيما تدرن، ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَكْفِي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمٌ﴾ أي: فلا يخفى عليه شيء من أموركم السرية والجهرية، وسيجازيكم على ذلك.

الآية (٢٣٢): قال ابن عباس: نزلت هذه الآية في الرجل يطلق امرأته طلاقاً أو طلقين، فنقض عدها، ثم يبدو له أن يتزوجها وأن يرجعها، وتريد المرأة ذلك، فيمنعها أولياؤها من ذلك، فنهى الله أن يمنعوها. وهذا ظاهر من الآية، وفيها دلالة على أن المرأة لا تملك أن تزوج نفسها، وأنه لا بد في النكاح من ولي، كما جاء في الحديث: «لا تزوج المرأة المرأة، ولا تزوج المرأة نفسها» إرواه ابن ماجه، وصحه الألباني. [سبب النزول] عن معقل بن يسار: أنه زوج أخته رجلاً من المسلمين، على عهد رسول الله ﷺ، فكانت عنده ما كانت، ثم طلقها تطليقة لم يرجعها حتى انقضت العدة، ثم خطبها مع الخطأب، فقال له: والله لا ترجع إليك أبداً، فانزل الله: ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَكُنَّ أَجَلَهُنَّ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [رواه البخاري]. وقوله: ﴿ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ﴾ أي: هذا الذي نهيانكم عنه من منع الأوليا أن يتزوجن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف، يتأمر به ويتعظ به ويتقيل له ﴿مَنْ كَانَ مِنْكُمْ﴾ أي: الناس ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ أي: يؤمن بشرع الله، ويخاف وعيد الله وعذابه في الدار الآخرة، وما فيها من الجزاء ﴿ذَلِكَ أَنْتُمْ لَكُمْ وَأَطِيعُوا﴾ أي: اتباعكم شرع الله في رد

ها. وقوله: ﴿أَوْ كَسَنَتْ فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ أي: أَصْمَرْتُمْ في أنفسكم خُطْبَتَهُنَّ ولهذا قال: ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَكَدْتُمْ عَنْهُنَّ﴾ أي: في أنفسكم، فَرَقَ الْحَرْجَ عنكم في ذلك، ثم قال: ﴿وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ قال الحسن البصري والنخعي وغيرهم: يعني الزنا. واختاره ابن جرير. وروي عن سعيد بن جبير والشعبي وغيرهم: هو أن يأخذ ميثاقها ألا تنزوج غيره، وقال ابن زيد: هو أن يتزوجها في العدة سرًّا، فإذا حَلَّتْ أظهر ذلك. وقد يحتمل أن تكون الآية عامة في جميع ذلك؛ ولهذا قال: ﴿إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ قال ابن عباس ومجاهد وسعيد: يعني به ما تقدّم من إباحة التعريض. كقوله: إني فيك لراغب. ونحو ذلك. وقوله: ﴿وَلَا تَزِمُوا عَقْدَةَ الْنِكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾ يعني: ولا تعقدوا العقد بالنكاح حتى تنقضي العدة. وقد أجمع العلماء على أنه لا يصح العقد في مدة العدة. وقوله: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَدْلُمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ تَوَعَّدَهُمْ على ما يقع في ضمايرهم من أمور النساء، وَأَرْشَدَهُمْ إلى إضمار الخبر دون الشر، ثم لم يُؤيِّسَهُمْ من رحمته، ولم يُنْظِطِهِمْ من عاقبته، فقال: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُوٌّ كَرِيمٌ﴾.

الآية (٢٣٦): أباح تبارك وتعالى طلاق المرأة بعد العقد عليها وقبل الدخول بها. قال ابن عباس: المس: النكاح. بل ويجوز أن يطلقها قبل الدخول بها، والفرض لها إن كانت مُقَوَّضَةً، وإن كان في هذا انكيسارٌ لِقَلْبِهَا؛ ولهذا أمر تعالى بإمتاعها، وهو تمويضها عما فاتها بشيء تُعْطَاهُ من زوجها بحسب حاله، على السُّوَيْسِ قَدْرَهُ وعلى السُّقْتَرِ قَدْرَهُ. وقال ابن عباس: ثُمَّة الطلاق أعلاه الأخادم، ودون ذلك الورق، ودون ذلك الكسوة. ومنع الحسن بن علي عشرة آلاف.

الآية (٢٣٧): وهذه الآية الكريمة مما يدل على اختصاص المتعة بما دلت عليه الآية الأولى، حيث إنما أوجب في هذه الآية نصف المهر المفروض، وإذا طُلِّقَ الزوج قبل الدخول، فإنه لو كان ثم واجب آخر من متعة لبيئتها، لا سيما وقد قرّنها بما قبلها من اختصاص المتعة بتلك الآية. وتشطير الصداق - والحالة هذه - أمرٌ يُجْمَعُ عليه بين العلماء، لا خلاف بينهم في ذلك، فإنه متى كان قد سَمِيَ لها صداقًا، ثم فارقتها قبل دخوله بها، فإنه يجب لها نصف ما سَمِيَ من الصداق. وقوله: ﴿إِلَّا أَنْ يَتَوَفَّاكَ﴾ أي: النساء عما وَجِبَ لها على زوجها من النصف، فلا يجب لها عليه شيء. قال ابن عباس: إلا أن تعفو النِّسْبَ قَتْلَهُ حَقًّا. وقوله: ﴿أَوْ يَتَوَفَّاكَ أَلَدَى يَدَيْهِ عَقْدَةُ الْنِكَاحِ﴾ الذي بيده عقدة النكاح حقيقة: الزوج، فإن بيده عقدها وإبرامها ونقضها وانهدامها، وكما أنه لا يجوز للولي أن يهب شيئًا من مال المولية للغير، فكذلك في الصداق. وقوله: ﴿وَأَنْ تَمُوتُوا أَقْرَبَ لِلتَّوَفِّيِّ﴾ قال ابن جرير: قال بعضهم: تُخَوِّطُ به الرجال، والنساء. وعن ابن عباس: أقربها للتقوى الذي يعفو. وقال مجاهد، والضحاك وغيرهم: الفضل ههنا أن تعفو المرأة عن شطرها، أو إتمام الرجل الصداق لها. ولهذا قال: ﴿وَلَا تَسْأَلُوا الْقَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ أي: الإحسان، قاله سعيد، وقال الضحاك وقتادة والسدي: المعروف: يعني: لا تهملوه بينكم.

الآية (٢٣٤): هذا أمر من الله للنساء اللاتي يَتَوَفَّيْنَهُنَّ أزواجهن: أن يعتدّن أربعة أشهر وعشر ليالٍ، وهذا الحكم يشمل الزوجات المدخول بهن، وغير المدخول بهن بالإجماع، ومستنده في غير المدخول بها عُموم الآية الكريمة، وحديث ابن مسعود [أنه] سئل عن رجل تزوّج امرأة فمات ولم يدخل بها، ولم يفرض لها؟ فرددوا إليه مرارًا في ذلك، فقال: أقول فيها برأيي، فإن يكن صوابًا فمن الله، وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان، والله ورسوله بريئان منه: لها الصداق كاملاً. وفي لفظ: لها صداق مثلها، لَا وَكَسْ وَلَا شَطَطُ، وعليها العدة، ولها الميراث. فقام معقل بن سنان الأشجعي فقال: سمعت رسول الله ﷺ قضى به في بَرُوق بنت واشق. ففرح عبد الله بذلك فرحاً شديداً [رواه أحمد وأصحاب السنن، وصححه إسناده أحمد شاكر]. ولا يخرج من ذلك إلا التوفى عنها زوجها، وهي حامل، فإن عدتها بوضع الحمل، ولو لم تمكث بعده سوى لحظة؛ لعموم قوله: ﴿وَأُولَئِكَ الْأَحْمَالُ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٤]. وكان ابن عباس يرى أن عليها أن تربص بأبَعِدِ الأجلين من الوضع، أو أربعة أشهر وعشر، للجمع بين الآيتين، وهذا مأخذٌ جيد ومسلّك قوي، لولا حديث سُبَيْعَةَ الأَسْلَمِيَّةِ السُّخْرِيَّةِ في الصحيحين من غير وجه: أنه توفي عنها زوجها سعد بن خولة، وهي حامل، فلم تنشب أن وضعت حملها بعد وفاته، وفي رواية: فوضعت حملها بعده لبالي، فلما تعلت من نفاسها تحملت للخطاب، فدخل عليها أبو السنابل بن بَعْكُك، فقال لها: ما لي أراك متجملة؟ لعلك ترجين النكاح! والله ما أنت بناكح حتى يمر عليك أربعة أشهر وعشر. قالت سُبَيْعَةُ: فلما قال لي ذلك جمعت علي ثيابي حين أمسيت، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته عن ذلك، فأثناني بأني قد حلت حين وضعت، وأمرني بالتزويج إن بدا لي.

قوله: ﴿فَإِذَا بَلَغَ أَجَلُهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا قَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ يَمَّا تَصْنَعُونَ خَيْرٌ﴾ يستفاد من هذا وجوب الإحداذ على المتوفى عنها زوجها مدة عدتها، والإحداذ هو ترك الزينة من الطيب، ولبس ما يدعوها إلى الأزواج من ثياب وخيل وغير ذلك. وقوله: ﴿فَإِذَا بَلَغَ أَجَلُهُنَّ﴾ أي: انقضت عدتهن. ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ قال الزهري: أي: على أوليائها ﴿فِيمَا قَعَلْنَ﴾ قال ابن عباس: إذا طُلِّقَت المرأة أو مات عنها زوجها، فإذا انقضت عدتها فلا جناح عليها أن تَتَزَيَّنَ وتَتَصَنَّعَ وتَتَمَرَّضَ للتزويج، فذلك «المعروف».

الآية (٢٣٥): يقول تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ أن تَعْرِضُوا بخطبة النساء في عدتهن من وفاة أزواجهن من غير تصريح. قال ابن عباس: التعريض أن تقول: إني أريد التزويج، وإني أحب امرأة من أمرها ومن أمرها - يعرض لها بالقول بالمعروف - وفي رواية: إني لا أريد أن أتزوج غيرك إن شاء الله، ولوددت أني وجدت امرأة صالحة، ولا يتنصب للخطبة ما دامت في عدتها. فالتعريض يجوز لِلْمُتَوَفَّى عنها زوجها من غير تصريح لها بالخطبة. وهكذا المطلقة المبتوتة. فأما المطلقة الرجعية: فلا خلاف في أنه لا يجوز لغير زوجها التصريح بخطبتها ولا التعريض



## ● الوقفات التدريبية

١ ﴿وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنكُمُ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَرْصَنَ بِأُشْهِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾  
الإحداد: ترك المرأة الزينة كلها من: اللباس، والطيب، والحلي، والكحل،  
والخضاب بالحناء؛ ما دامت في عدتها؛ لأن الزينة داعية إلى الأزواج،  
فنهيت عن ذلك قطعاً للذرائع، وحماية لحرمان الله تعالى أن تنتهك.  
القرطبي: ١٣٣/٤.

السؤال: بين شيئاً من حكمة الشرع في إحداد المرأة.  
١ ﴿وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنكُمُ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَرْصَنَ بِأُشْهِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾  
قال سعيد بن المسيب: الحكمة في هذه المدة أن فيها ينفخ الروح في الولد،  
ويقال: إن الولد يرتكض: أي، يتحرك في البطن. البغوي: ٢٣٨/١.

السؤال: بين حكمة تحديد مدة الحداد على الزوج بأربعة أشهر وعشر.  
١ ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَا فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾  
دليل على أن الولي ينظر على المرأة، ويمنعها مما لا يجوز فعله، ويجبرها  
على ما يجب، وأنه مخاطب بذلك، واجب عليه. السعدي: ١٠٥.

السؤال: ما واجب الولي مع موليته؟  
١ ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَحْضُرُوا أَوْ تَقَرَّضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً  
وَيَتَوَهَّجْنَ عَلَى الْمَوْتِ قَدَرَهُ وَعَلَى الْمَوْتِ قَدَرَهُ مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ﴾

أباح تبارك وتعالى طلاق المرأة بعد العقد عليها وقبل الدخول بها ... وإن  
كان في هذا انكسار لقلبها، ولهذا أمر تعالى بإمتاعها؛ وهو تمويضها عما  
فاتها بشيء تعطاه من زوجها بحسب حاله؛ على الموسع قدره، وعلى المقتر  
قدره. ابن كثير: ٢٧٢/١.

السؤال: لماذا أمر تعالى بتمتع المرأة المطلقة التي لم يدخل بها؟  
١ ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبَ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ  
بَصِيرٌ﴾  
معاملة الناس فيما بينهم على درجتين: إما عدل وانصاف واجب؛  
وهو: أخذ الواجب، وإعطاء الواجب، وإما فضل وإحسان؛ وهو: إعطاء ما  
ليس بواجب، والتسامح في الحقوق، والفضض مما في النفس؛ فلا ينبغي  
للإنسان أن ينسى هذه الدرجة، ولو في بعض الأوقات. السعدي: ١٠١.

السؤال: نهينا عن نسيان الفضل بيننا، فما المقصود به؟  
١ ﴿وَلَا تَنسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾  
والفضل بمعنى الإحسان؛ أي: لا تنسوا الإحسان الكائن بينكم من قبل،  
وليكن منكم على ذكر؛ حتى يرغب كل في العضو مقابلة لإحسان  
صاحبه عليه. الألوسي: ١٥٥/٣.

السؤال: لماذا طلب من الزوجين تذكر الفضل بينهما؟  
١ ﴿وَلَا تَنسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾  
من حق الزوج الذي له فضل الرجولة أن يكون هو العافي، وأن لا يأخذ  
النساء بالعضو، ولذلك لم يأت في الخطاب أمر لهن ولا تحريض، فمن أقبح ما  
يكون حمل الرجل على المرأة في استرجاع ما آتاه ... فينبغي أن لا تنسوا ذلك  
الفضل. البقاعي: ٤٤٨/١.

السؤال: ما دلالة قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾؟

وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنكُمُ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَرْصَنَ بِأُشْهِهِنَّ  
أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ  
فِيمَا فَعَلْنَا فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ  
وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ  
أَوْ أَكْنَ تَنكِحْنَ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلَى اللَّهِ أَكْثَرُ سِتْرًا وَأَعْلَمُ  
وَلَكِنْ لَا تَوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا  
وَلَا تَزْنُوا عَقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ  
وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا  
أَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ عَلِيمٌ لَأَجُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ  
مَا لَمْ تَحْضُرُوا أَوْ تَقَرَّضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى  
الْمُوسَمَّعِ قَدَرَهُ وَعَلَى الْمَقْتَرِ قَدَرَهُ مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى  
الْمُحْسِنِينَ وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ  
فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَوَضَّفْ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ  
أَوْ يُصَفُّوا أَوْ يَدَّوْهُ عَقْدَةَ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى  
وَلَا تَنسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
عَرَّضْتُمْ	لَمَحْتُمْ.
أَكْنَ تَنكِحْنَ	أَضْمَرْتُمْ.
عَقْدَةُ النِّكَاحِ	عَقْدُ النِّكَاحِ.
تَقَرَّضُوا	تَحَدَّدُوا.
فَرِيضَةٌ	مَهْرًا.
وَمَتَّعُوهُنَّ	أَعْطَوْهُنَّ شَيْئًا مِنَ الْمَالِ جِبْرًا لَهُنَّ.

## ● العمل بالآيات

١. درب نفسك هذا اليوم في خلواتك ومخاطبتك أن لا تفكر إلا في خير،  
﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾.
٢. تب إلى الله تعالى من ذنب من ذنوب السر؛ ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي  
أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ عَلِيمٌ﴾.
٣. تذكر أحداً أخطأ عليك، واعف عنه محتسباً على ربك أن يعوضك التقوى  
في قلبك، ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبَ لِلتَّقْوَى﴾.

## ● التوجيهات

١. الاستسلام لخواطر الشر بداية المعصية فادفعها عنك قدر الإمكان،  
﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾.
٢. اجعل معاملتك للناس قائمة على الفضل والإحسان إليهم، ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبَ  
لِلتَّقْوَى وَلَا تَنسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾.
٣. وصى الإسلام بحفظ الجميل والفضل؛ فذلك ادعى للعضو عن الناس،  
﴿وَلَا تَنسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.



## ● الوقفات التدريبية

﴿ حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾

إن الله سبحانه وتعالى يعطي الدنيا على نية الآخرة، وإبى أن يعطي الآخرة على نية الدنيا؛ خلل حال المرء في دنياه ومعاده وإنما هو عن خلل حال دينه، وملاك دينه وأساسه وإيمانه وصلاته؛ فمن حافظ على الصلوات أصلح الله حال دنياه وأخراه. (البقاعي: ٤٥/١).

السؤال: ذكر آية الصلاة بين آيات الطلاق يوحى بعلاقة بين صلاح الأسرة والصلاة، فما هذه العلاقة؟

﴿ حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾

قال بعضهم: هي إحدى الصلوات الخمس لا بعينها؛ أيهما الله تعالى تحريضا للعباد على المحافظة على أداء جميعها؛ كما أخفى ليلة القدر في شهر رمضان، وساعة إجابة الدعوة في يوم الجمعة، وأخفى اسمه الأعظم في الأسماء؛ ليحافظوا على جميعها. (البغوي: ٢٥٢/١).

السؤال: أحيانا يرد فضل لعبادة ولا تحدد العبادة بعينها، فما الحكمة من ذلك؟

﴿ إِنْ خِفْتُمْ فِرَاجًا أَوْ رُكْبَانًا ﴾

ويلزم على ذلك أن يكونوا مستقبلي القبلة وغير مستقبلين، وفي هذا زيادة التأكيد على المحافظة على وقتها؛ حيث أمر بذلك ولو مع الإخلال بكثير من الأركان والشروط، وأنه لا يجوز تأخيرها عن وقتها ولو في هذه الحالة الشديدة، فصلاتها على تلك الصورة أحسن وأفضل، بل أوجب من صلاتها مطمئناً خارج الوقت. (السعدي: ١٠٦).

السؤال: على ماذا يدل الأمر بالصلاة رجالاً أو ركباً في حال الخوف؟

﴿ أَنْتُمْ تَرَاهِ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ﴾

المقصود من هذه الآية الكريمة: تشجيع المؤمنين على القتال بإعلامهم بأن الضرار من الموت لا ينجي؛ فإذا علم الإنسان أن فراره من الموت أو القتل لا ينجيه هانت عليه مبارزة الأقران والتقدم في الميدان. (الشنقيطي: ١٥٢/١).

السؤال: ما مقصود الآية الكريمة؟

﴿ أَنْتُمْ تَرَاهِ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ﴾

جعل الله تعالى هذه القصة لما فيها من تشجيع المسلمين على الجهاد، والتعرض للشهادة، والحث على التوكل، والاستسلام للقضاء؛ تهيئاً لقوله تعالى: (وقاتلوا في سبيل الله). (الألوسي: ١٦٢/٢).

السؤال: لماذا أورد الله تعالى هذه القصة قبل الأمر بالقتال؟

﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَفْرِضُ اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا فَيَضَعُهُ لَهُ أَشْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقِضُ وَيَبْصِطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾

(قرضاً حسناً) يعني: محتسباً طيباً بها نفسه، وقال ابن المبارك: «من مال حلال»، وقيل: لا يمن، ولا يؤذي. (البغوي: ٢٥٢/١).

السؤال: كيف يكون القرض قرضاً حسناً؟

﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَفْرِضُ اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا ﴾

استهتام يرد به الطلب والحض على الإنفاق، وذكر لفظ القرض تقريباً للأفهام؛ لأن المنفق ينتظر الثواب كما ينتظر الملسف رد ما أسلف. (ابن جزي: ١١٨/١).

السؤال: ما وجه التعبير بـ (القرض) في الحث على الإنفاق؟

حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿١﴾ إِنْ خِفْتُمْ فِرَاجًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَدِّكُمْ وَاللَّهُ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لَا ذَرِيَّةَ لَهُمْ مَتَّعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ إِنْ خَرَجْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْتُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣﴾ وَالْمُطَلَّاتُ مَتَّعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ كَذَلِكَ يَتَّبِعُ اللَّهُ لَكُمْ أَيْدِيَهُمْ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦﴾ وَقَدْ تَلَوْنَا سَبِيلَ اللَّهِ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ مَنْ ذَا الَّذِي يَفْرِضُ اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا فَيَضَعُهُ لَهُ أَشْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقِضُ وَيَبْصِطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى	صَلَاةُ الْعَصْرِ.
قَانِتِينَ	مُطِيعِينَ خَاشِعِينَ.
فِرَاجًا	مَاشِينَ.

## ● الصل بالآيات

١. اذهب إلى صلاة العصر مبكراً، ﴿ حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾.

٢. تأمل صور من يسجدون للأضرحة والأصنام، ويدبحون لها، ويطلبون حولها، ثم اشكر الله تعالى على نعمته الهداية، ﴿ فَأَدِّكُمْ وَاللَّهُ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾.

٣. اقترض ربك قرضاً حسناً؛ فستحتاجه كثيراً وقت الوفاء، ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَفْرِضُ اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا فَيَضَعُهُ لَهُ أَشْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقِضُ وَيَبْصِطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾.

## ● التوجيهات

١. في ذكر الصلاة ضمن آيات الطلاق دليل على أن محافظة الأسرة على الصلاة من أهم أسباب استقرارها وسعادتها، ﴿ حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾.

٢. حافظ على جميع الصلوات في وقتها؛ وخصوصاً صلاة العصر، ﴿ حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾.

٣. الأسباب لا ترد القضاء؛ فلا بد من التسليم للقضاء مع اتخاذ الأسباب، ﴿ أَنْتُمْ تَرَاهِ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ﴾.

يُمنَعن من ذلك؛ لقوله: ﴿فَإِنْ حَرَجْنِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْتُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ مِنْ مَعْرُوفٍ﴾ وهذا القول له اتجاه، وفي اللفظ مساعدة له، وقد اختاره جماعة، منهم ابن تيمية. وقول عطاء ومن تابعه أن ذلك منسوخ بآية الميراث، إن أرادوا ما زاد على الأربعة أشهر والعشر فمُسَلَّم، وإن أرادوا أن سُكِنَ الأربعة أشهر والعشر لا تجب في تركة الميت، فهذا محل خلاف بين الأئمة. وقوله: ﴿وَلَا تُطْلَقَنَّ مَتَّعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَوَكِّلِ﴾ استدلت بهذه الآية من ذهب من العلماء إلى وجوب التمتع لكل مطلقة، سواء كانت مفوضة، أو مفروضا لها، أو مطلقة قبل المسيس، أو مدخولا بها. ومن لم يوجبها مطلقا مُخَصَّص من هذا العموم بمفهوم قوله: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكَ إِنْ طَلَقْتُمُ الْمَرْأَةَ مَا لَمْ تَمْسُوهَا أَوْ تَقْرُبُوا لَهَا قَرْيَةً﴾ [البقرة: ٢٣٦] وأجاب الأولون: بأن هذا من باب ذكر بعض أفراد العموم، فلا تخصيص على المشهور المنصور.

وقوله: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ﴾ أي: في إحلاله وتحريمه، وفروضه، وحدوده، فيما أَمَرَكم به ونهاكم عنه، بيَّنه ووضَّحه وفسَّره، ولم يتركه مجملا في وقت احتياجكم إليه ﴿لَمَلَّكُمْ تَعَلَّقُوا﴾ أي: تفهمون، وتدبرون.

الآية (٢٤٣-٢٤٥): عن ابن عباس: قال: كانوا أربعة آلاف، خرجوا فرارا من الطاعون، حتى إذا كانوا بموضع كذا وكذا قال الله لهم: ﴿مُوتُوا﴾ فماتوا، فمَرَّ عليهم نبي من الأنبياء، فدعا ربه أن يُحييهم فأحياهم، فذلك قوله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ الآية. وكان في إحياهم عبرة ودليل قاطع على وقوع المعاد الجسدي يوم القيامة، ولهذا قال: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ أي: فيما يُريهم من الآيات الباهرة والمُجِيع والدلالات الدامغة ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ أي: لا يقومون بشكر ما أنعم الله به عليهم في دينهم ودنياهم. وفي هذه القصة عبرة ودليل على أنه لن يُغني حذر من قدر، وأنه لا ملجأ من الله إلا إليه. وقوله: ﴿وَقَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ أي: كما أن الحذر لا يُغني من القدر، كذلك الفرار من الجهاد وتجنُّبه لا يقرب أجلا، ولا يُبعد، بل الأجل المحتوم والرزق المقسوم مقدر مُقَيَّن، لا يُزاد فيه ولا يُنقص منه.

وقوله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ﴾ بحث تعالى عباده على الإنفاق في سبيل الله ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ عن عمر وغيره من السلف: النفقة في سبيل الله. وقيل: النفقة على العيال ﴿فِيْضَوْفَهُ لَهُمْ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ كما قال: ﴿كَشَلِ حَبَّةَ أَذْبَتِ سَعْيَ سَتَائِلٍ فِي كُلِّ سُبُلَةٍ يَأْتِيَهُ حَبْرٌ﴾ [البقرة: ٢٦١].

﴿وَاللَّهُ يَقْضِي وَبَيِّضُ﴾ أي: أنفقوا ولا تبالوا، فالله هو الرزاق، يضيئ على من يشاء في الرزق، ويؤشعه على آخرين، له الحكمة البالغة في ذلك ﴿وَالَّذِينَ يُرْتَبَعُونَ﴾ أي: يوم القيامة.

الآية (٢٣٨-٢٣٩): يأمر الله تعالى بالمحافظة على الصلوات في أوقاتها، وحفظ حدودها وأدائها، عن ابن مسعود قال: سألت رسول الله ﷺ: أي العمل أفضل؟ قال: «الصلاة على وقتها» [متفق عليه]. وَخَصَّ مِنْ بينها بمزيد التأكيد: الصلاة الوسطى. وقد اختلف فيها: أي صلاة هي؟ [والأصح] أنها صلاة العصر. وهو قول أكثر علماء الصحابة وغيرهم، وقال ابن عبد البر: هو قول أكثر أهل الأثر. والدليل على ذلك: عن علي قال: قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب: «شغلونا عن الصلاة الوسطى: صلاة العصر، ملاأهل قلوبهم ويوتهم نارا» [متفق عليه]. وقد ثبت السنة بأنها العصر، فتعين المصير إليها. وقوله تعالى: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ أي: خاشعين ذليلين مُسْتَكِينِينَ بين يديه، وهذا الأمر مُسْتَلَزِم ترك الكلام في الصلاة، لمنافاته إياها؛ عن زيد بن أرقم قال: كان الرجل يُكَلِّم صاحبه في عهد النبي ﷺ في الحاجة في الصلاة، حتى نزلت هذه الآية: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ فَأُمرنا بالسكوت. [متفق عليه]. ولما أَمَرَ تعالى عباده بالمحافظة على الصلوات والقيام بحدودها، وشدَّد الأمر بتأكيدها - ذكر الحال التي يشتغل الشخص فيها عن أدائها على الوجه الأكمل، وهي ساحة القتال واليخام الحرب، فقال: ﴿فَإِنْ حَفِظْتُمْ رِيْبًا وَلَا أَرْكَبْنَا﴾ أي: فصلُّوا على أي حال كان، رجلا أو ركبا، يعني: مُسْتَقْبِلِي القبلة وغير مُسْتَقْبِلِيها. وهذا من رُخصة الله التي رَخَّص لعباده، ووضَّعه الأصار والأغلال عنهم. ﴿فَإِذَا أَنْتُمْ قَادِرُونَ عَلَى أَنْ تَقِيمُوا صَلَاتَكُمْ كَمَا أُمِرْتُمْ، فَأَتُوا رُكُوعَهَا وَسُجُودَهَا وَقِيَامَهَا وَقُعُودَهَا وَخُشُوعَهَا وَهَجُودَهَا كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ أي: مثل ما أنعم عليكم وهذاكم للإيمان، وعلمكم ما ينفعكم في الدنيا والآخرة فقابلوه بالشكر والذكر.

الآية (٢٤٠-٢٤٢): قال المأثورون: هذه الآية منسوخة بالتي قبلها، وهي قوله: ﴿يَرْزُقْنِي يَا فَسِيْهُنَ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾. وعن ابن عباس في قوله: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَّتَعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ فكان للمتوفى عنها زوجها نفقتها وسكنائها في الدار سنة، فنسختها آية الموارث، فجعل لها الثمن أو الربع. وعنه أيضا قال: كان الرجل إذا مات وترك امرأته اعتدت سنة في بيته، يُنفق عليها من ماله، ثم أنزل الله: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَرْزُقْنِي يَا فَسِيْهُنَ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤]. فهذه عدة المتوفى عنها زوجها، إلا أن تكون حاملا، فعندها أن تضع ما في بطنها، وقال: ﴿وَلَهُمْ فِي الرِّبْعِ مِمَّا تَرَكَتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّلُثُ﴾ [النساء: ١٢]، فيئن ميراث المرأة، وترك الوصية والنفقة. وقوله: ﴿وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ﴾ أي: يوصيكم الله بهن وصية، كقوله: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ [الأنعام: ١١].

﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ فأما إذا انقضت عدتهن بالأربعة أشهر والعشر، أو بوضع الحمل، واخترت الخروج والانتقال من ذلك المنزل فلهن لا



الآية (٢٤٦): ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ جَاءُوا إِسْرَءِيلَ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَنِي مُوسَى إِذْ قَالُوا لَنَبِيِّ آلِهَتِنَا أَنُفِثَ لَنَا مِلَكًا يُدْنِيَلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَيَّكُمْ الْفَتَاةَ أَنْ لَا نَقْبَلَهُ؟﴾ كان ذلك في زمان داود عليه السلام، وقد كان بين داود وموسى ما ينيف عن ألف سنة.

[وقد أوحى الله إلى ذلك النبي من بني إسرائيل] وأمره بالدعوة إليه وتوحيده، فدعا بني إسرائيل فطلبوا منه أن يقيم لهم ملكًا يقاتلون معه أعداءهم، وكان الملك أيضًا قد باد فيهم، فقال لهم النبي: فهل عسيتم إن أقام الله لكم ملكًا ألا تقفوا بما التزمتم من القتال معه؟! ﴿قَالُوا وَمَا لَنَا أَنْ لَا نَقْبَلَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْرَجَنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا﴾ أي: وقد أخذت منا البلاد، وشيبت الأولاد؟

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا كَتَبَ عَلَيْهِمُ الْفَتْكَالَ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ أي: ما وفوا بما وعدوا، بل تكفل عن الجهاد أكثرهم، والله عليم بهم.

الآية (٢٤٧): ﴿أَيُّ مَا تَطْلُبُوا مِنْ نَّبِيِّهِمْ أَنْ يُعَيِّنَ لَهُمْ مَلَكًا مِنْهُمْ، فَعَيَّنَ لَهُمُ طَالُوتَ، وَكَانَ رَجُلًا مِّنْ أَجْنَادِهِمْ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ بَيْتِ الْمُلْكِ؛ لِأَنَّ الْمُلْكَ كَانَ فِي سَبْطِ يَهُوذَا، وَلَمْ يَكُنْ هَذَا مِنْ ذَلِكَ السَّبْطِ.

فلهذا ﴿قَالُوا أَتَى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا﴾ أي: كيف يكون ملكًا علينا ﴿وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ؟﴾ أي: ثم هو مع هذا فقير، لا مال له يقوم بالملك.

وهذا اعتراض منهم على نبيهم وتعتت، وكان الأولى بهم طاعة وقول معروف. ثم قد أجابهم النبي قائلًا: ﴿إِنَّ اللَّهَ أَصْلَفُكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ أي: اختاره لكم من بينكم، والله أعلم به منكم؛ يقول: لسئ أنا الذي عيَّته من تلقاء نفسي، بل الله أمرني به لما طلبتم مني ذلك.

﴿وَرَّادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْرِ﴾ أي: وهو مع هذا أعلم منكم، وأنبئ وأشكّل منكم، وأشدّ قوةً وصبرًا في الحرب ومعركة بها، أي: أتمّ علمًا وقامة منكم. ومن ههنا ينبغي أن يكون الملك ذا علم وشكّل حسن وقوة شديدة في بدنه ونفسه.

ثم قال: ﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلِكَهُ مَن يَشَاءُ﴾ أي: هو الحاكم الذي ما شاء فعل، ولا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون، لعلمه وحكمته ورأفته بخلقه؛ ولهذا قال: ﴿وَاللَّهُ رَاسِخٌ عَلَيْهِ﴾ أي: هو واسع الفضل يختص برحمته من يشاء، عليم بمن يستحق الملك ممن لا يستحقه.

الآية (٢٤٨): يقول لهم نبيهم: إن علامة بركة ملك طالوت عليكم أن يردّ الله عليكم التابوت الذي كان أخذ منكم.

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ﴾، قيل: معناه: فيه وقار وجلالة.

وقال ابن جريج: سألت عطاء عن قوله: ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ﴾ قال: ما تعرفون من آيات الله، فتسكنون إليه. وكذا

قال الحسن البصري.

وقوله: ﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ﴾ روى ابن جرير: عن ابن عباس في هذه الآية قال: عصاة ورُضاض الألواح. وكذا قال قتادة وغيره.

وقوله: ﴿تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ﴾ قال ابن عباس: جاءت الملائكة تحمّل التابوت بين السماء والأرض، حتى وضعته بين يدي طالوت والناس ينظرون.

وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُم﴾ أي: على صدقي فيما جئتكم به من النبوة، وفيما أمرتكم به من طاعة طالوت ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ أي: بالله واليوم الآخر.



## ● الوقفات التدريبية

﴿ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِينِنَا وَأَبْنَاءِنَا قُلْنَا كَيْبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَالِمُ الْغَاطِبِينَ ﴾

وموضع العبرة هو التحذير من الوقوع في مثل حالتهم بعد الشروع في القتال، أو بعد كذبهم عليهم. ابن عاشور: ٤٨٤/٢.

السؤال: ما موضع العبرة من هذه الآية؟

﴿ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِينِنَا وَأَبْنَاءِنَا قُلْنَا كَيْبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَالِمُ الْغَاطِبِينَ ﴾

فيه إشعار لهذه الأمة بأن لا تطلب الحرب ابتداء، وإنما تدافع عن منعها من إقامة دينها؛ كما قال سبحانه وتعالى: (أَيُّدِ الَّذِينَ يَقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا) (الحج: ٣٩)، فحق المؤمن أن يأبى الحرب ولا يطلبه؛ فإنه إن طلبه فإوتيه عجز كما عجز هؤلاء حين تولوا إلا قليلاً. البقاعي: ٤٧٠/١.

السؤال: الأصل أن نبدا بالدعوة، فمتى إذا بشرع الجهاد؟

﴿ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِينِنَا وَأَبْنَاءِنَا قُلْنَا كَيْبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَالِمُ الْغَاطِبِينَ ﴾

فإنما سبحانه وتعالى أنهم أسندوا ذلك إلى غضب الأنفس على الإخراج، وإنما يقاتل في سبيل الله من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا. البقاعي: ٤٧٢/١.

السؤال: من أسباب خذلان الله سبحانه للمقاتل أن تكون نيته ليست لله سبحانه، وضح ذلك.

﴿ قُلْنَا كَيْبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَالِمُ الْغَاطِبِينَ ﴾

لما فرض عليهم القتال، وأروا الحقيقة، ورجعت أفكارهم إلى مباشرة الحرب: (تولوا) أي: اضطربت نياتهم، وفترت عزائمهم. وهذا شأن الأمم المتعممة، المائلة إلى الدعة، تتمنى الحرب أوقات الأنفة، فإذا حضرت الحرب كفت وانقادت لطبيعتها. ابن عطية: ٣٣١/١.

السؤال: ما خطورة تربية المجتمع على التمتع؟

﴿ إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي أَوْلِيٍّ وَالْجَسِيرِ ﴾

أي: أتم علماً وقامة منكم؛ ومن ههنا ينبغي أن يكون الملك ذا علم، وشكل حسن، وقوة شديدة في بدنه ونفسه. ابن كثير: ٢٨٥/١.

السؤال: في هذه الآية بعض الصفات التي ينبغي أن يتصف بها الملك، فما هي؟

﴿ إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي أَوْلِيٍّ وَالْجَسِيرِ ﴾

في تقديم البسطة في العلم على البسطة في الجسم إيماء إلى أن الفضائل النفسانية أعلى وأشرف من الفضائل الجسمانية، بل يكاد لا يكون بينهما نسبة. الألوسي: ١٦٧/٢.

السؤال: لماذا قدم البسطة في العلم على البسطة في الجسم؟

﴿ إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي أَوْلِيٍّ وَالْجَسِيرِ ﴾

لا تستبعدوا تملكه عليكم لفقره وانحطاط نسبه عنكم؛ أما أولاً: فلأن ملاك الأمر هو اصطفاء الله تعالى، وقد اصطفاه واختاره، وهو سبحانه أعلم بالصالح لكم، وأما ثانياً: فلأن العمدة وفور العلم ليتمكن به من معرفته الأمور السياسية، وجسامته البدن ليكون أعظم خطراً في القلوب، وأقوى على كضاح الأعداء ومكابدة الحروب. الألوسي: ١٦٧/٢.

السؤال: ما الفرق بين المقاييس الربانية والمقاييس البشرية في اصطفاء البشر؟

أَلَمْ تَر إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لَنَبِيِّ آلِ مُوسَى أَنَّا كُنَّا أَوْلَى لَنَا مَلِكٌ نَقْدِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِينِنَا وَأَبْنَاءِنَا قُلْنَا كَيْبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَالِمُ الْغَاطِبِينَ ﴿٣٩﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكُهُ مِنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُم إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٤١﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
هَلْ عَسَيْتُمْ	هَلِ الْأَمْرُ كَمَا أَتَوَقَّعُهُ؟
بَسْطَةً	سَعَةً.
التَّابُوتُ	الصُّنْدُوقُ الَّذِي فِيهِ التَّوْرَةُ.

## ● العمل بالآيات

١. لا تتمن لقاء العدو، وإن لقيته فاصبر واثبت، ﴿ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِينِنَا وَأَبْنَاءِنَا قُلْنَا كَيْبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ﴾.
٢. ارجع على الله بالدعاء أن يجعلك ممن اصطفاه ربنا سبحانه في الدنيا والآخرة، ﴿ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفٰهُ عَلَيْكُمْ ﴾.
٣. أكثر اليوم من دعاء: «رب زدني علماً»، ﴿ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي أَوْلِيٍّ وَالْجَسِيرِ ﴾.

## ● التوجيهات

١. الثبات عند الابتلاء من صفات المؤمنين، ﴿ قُلْنَا كَيْبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَالِمُ الْغَاطِبِينَ ﴾.
٢. قد يصطفي الله من عباده علماء، ودعاة، وعباد، وفقراء، وتجارا وملوكا؛ فلا تكن حاسداً لأحد منهم، ﴿ قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ ﴾.
٣. احذر التطلع إلى المناصب إرضاءً لنفسك فإنها فتنة وإن ابتليت بها فاستعن بالله عليها، واقترب من الله أكثر، ﴿ قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ ﴾.



## ● الوقفات التحريية

﴿ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْكُوا اللَّهَ كَمِ مِنْ قَبْلِهِ عَظِيمَةً ﴾

الآية تحريض على القتال واستشعار للصبر، واقتداء بمن صدق ربه، قلت: هكذا يجب علينا نحن أن نفعل، لكن الأعمال القبيحة والنيات الفاسدة منعت من ذلك حتى ينكسر العدد الكثير منا قدام اليسير من العدو؛ كما شاهدناه غير مرة؛ وذلك بما كسبت أيدينا؛ قال أبو الدرداء: إنما تقاتلون بأعمالكم. القرطبي: ٢٤٥/٤.

السؤال: بينت الآية سببا من أسباب النصر على الأعداء فما هو؟

﴿ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾

فأعظم جانب لموتة الله: صبر العبد لله. السعدي: ١٠٨.

السؤال: ما أعظم جانب لموتة الله للعبد؟

﴿ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَخْرِجْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَكَثِرتْ أَعْدَانَا وَأَضْرَبْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾

فيه حسن الترتيب: حيث طلبوا أولا: إخراج الصبر على قلوبهم عند اللقاء، وثانيا: ثبات القدم والقوة على مقاومة العدو؛ حيث إن الصبر قد يحصل لمن لا مقاومة له، وثالثا: العمدة والمقصود من المحاربة؛ وهو النصرة على الخصم. الألوسي: ١٧٢/٢.

السؤال: أفضل الدعاء أشمله لحاجة العبد، وضع ذلك من الآية.

﴿ فَهَزَمُوهُمْ يَوْمَئِذٍ الْبَاقِي ﴾

على العاقل المعتد جهله بالعواقب وشمول قدرة ربه أن لا يثق بنفسه في شيء من الأشياء، ولا يزال يصفها بالعجز وإن ادعت خلاف ذلك، ويتبرأ من حوله وقوته إلى حول مولاه وقوته؛ ولا ينفك يسأله العفو والعافية. البقاعي: ٤٨٣/١.

السؤال: ما الثقة المحمود وما الثقة الذمومة؟

﴿ وَقَتْلَ دَاوُدَ دَجَالُوتَ وَءَاكَتَهُ اللَّهُ الْمُلُوكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مَا يَشَاءُ ﴾

تنبيه على فضيلة الملك، وأنه تولاه ما استتب أمر العالم، ولهذا قيل: الدين والملك توأمين؛ ففي ارتفاع أحدهما ارتفاع الآخر؛ لأن الدين أس والملك حارس، وما لا أس له مهدوم، وما لا حارس له فضائع. الألوسي: ١٧٤/٢.

السؤال: بين أهمية الملك من خلال الآية.

﴿ وَلَوْ لَا دَفَعَهُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴾

أخبر الله تعالى في هذه الآية أنه لو لا دفعه بالمؤمنين في صدور الكفرة على مر الدهر (لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ)، لأن الكفر كان يطبقها ويتمادى في جميع أقطارها، ولكنه تعالى لا يخلي الزمان من قائم بحق، وداع إلى الله ومقاتل عليه، إلى أن جعل ذلك في أمر محمد ﷺ إلى قيام الساعة؛ له الحمد كثيرا. ابن عطية: ٣٣٧/١.

السؤال: لماذا جعل الله المداخلة بين المؤمنين والكفار دائمة إلى يوم القيامة؟

﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمَكِيدِينَ ﴾

أولا بالإيجاد، وثانيا بالدفاع؛ فهو يكف من ظلم الظلمة، إما بعضهم ببعض، أو بالصلحين - وقليل ما هم - ويسخ عليهم غير ذلك من الذواب نعمه ظاهرة وباطنة. البقاعي: ٤٨١/١.

السؤال: بين بعضا من فضل الله على العالمين.

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْكُوا اللَّهَ كَرِهَ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلًا عَظِيمَةً كَثِيرَةً يَأْذَنُ اللَّهُ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٠﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَخْرِجْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَكَثِرتْ أَعْدَانَا وَأَضْرَبْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٥١﴾ فَهَزَمُوهُمْ يَوْمَئِذٍ الْبَاقِي وَقَتْلَ دَاوُدَ دَجَالُوتَ وَءَاكَتَهُ اللَّهُ الْمُلُوكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مَا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفَعَهُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٥٢﴾ وَلَئِكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٥٣﴾

٤١

## ● معاني الكلمات

المعنى	الكلمة
يُؤَفِّقُون.	يَظُنُّونَ

## ● العمل بالآيات

١. اقرأ قصّة طالوت من أحد كتب التفسير، ثم استخرج منها ثلاث فوائد.
٢. أكثر من الدعاء بالثبات، ثم درب نفسك اليوم بترك محبوب مباح؛ كان تصوم يوما نافلة حتى لا تنهزم عند الابتلاء، ﴿ فَتَرَوْا بُنْدًا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ﴾.
٣. ادع بهذا الدعاء لنفسك، وانصح به أهل الابتلاء، ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَكَثِرتْ أَعْدَانَا وَأَضْرَبْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾.

## ● التوجيهات

١. الذي يضغ الصبر، ويثبت الأقدام، وينصر على أهل الكفر هو الله سبحانه، ﴿ قَالُوا رَبَّنَا أَخْرِجْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَكَثِرتْ أَعْدَانَا وَأَضْرَبْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾.
٢. الدعاء عند الشدائد، وإظهار الافتقار والحاجة لله من أهم أسباب النصر، ﴿ قَالُوا رَبَّنَا أَخْرِجْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَكَثِرتْ أَعْدَانَا وَأَضْرَبْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾.
٣. طول التفكير في الأخيرة يورث الثبات واليقين بالله وينصره، ﴿ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْكُوا اللَّهَ كَمِ مِنْ قَبْلِهِ عَظِيمَةً كَثِيرَةً يَأْذَنُ اللَّهُ ﴾.

الآية (٢٥٢): ثم قال تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَنْتَلُوهَا عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ وَإِنَّكُمْ لَمُزَكَّرُونَ﴾ أي: هذه آيات الله التي قصصناها عليكم من أمر الذين ذكرناهم بالحق، أي: بالواقع الذي كان عليه الأمر، المطابق لما بأيدي أهل الكتاب من الحق، الذي يعلمه علماء بني إسرائيل. ﴿وَإِنَّكُمْ لَمُزَكَّرُونَ﴾ يا محمد ﴿لَمُزَكَّرُونَ﴾ وهذا توكيد وتوطئة للقسم.

الآية (٢٤٩): يقول تعالى مُخْبِرًا عن طالوت ملك بني إسرائيل حين خرج في جنوده ومن أطاعه من ملأ بني إسرائيل؛ أنه قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ﴾ قال ابن عباس وغيره: وهو نهر بين الأردن وفلسطين، يعني: نهر الشريعة المشهور ﴿فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي﴾ أي: فلا يصحني اليوم في هذا الوجه ﴿وَمَنْ لَمْ يَلْعَمْهْ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ عَرَفَ عُرْفًا بَيِّنَةً﴾ أي: فلا بأس عليه.

قال الله تعالى: ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ قال ابن عباس: من اغترف منه بيده رَوِي، ومن شرب منه لم يَرَوْ.

وقد روى ابن جرير عن البراء بن عازب قال: كنا نتحدث أن أصحاب محمد ﷺ الذين كانوا يوم بدر ثلاثمائة وثمانية عشرة، على عدة أصحاب طلحة الذين جازوا معه النهر، وما جازاه معه إلا مؤمن.

ورواه البخاري عن البراء، بنحوه.

ولهذا قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاؤُهُمْ هُوَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا بِالْكَافِرِينَ وَجُدُّوهُمْ﴾ أي: استقلوا أنفسهم عن لقاء عدوهم لكثرةهم، فشحهم علماءهم بأن وعد الله حق، فإن النصر من عند الله، ليس عن كثرة عدد ولا عُدَّة.

ولهذا قالوا: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.

الآية (٢٥٠): أي: لما واجه حزب الإيمان -وهم قليل- من أصحاب طالوت، لمدوهم أصحاب جالوت -وهم عدد كثير- ﴿قَالُوا رَبَّنَا آفِئْنَا عَلَيْنا صَبْرًا﴾ أي: أنزل علينا صبرًا من عندك ﴿وَوَسَّيْت أَقْدَامَنَا﴾ أي: في لقاء الأعداء، وجنبنا الفرار والمعجز ﴿وَأَنْصَرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

الآية (٢٥١): قال الله تعالى: ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أي: غلبوهم وقهروهم بنصر الله لهم ﴿وَوَلَّى دَاوُدَ جَالُوتَ﴾ ثم أَل الملك إلى داود عليه السلام مع ما منحه الله به من النبوة العظيمة؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَوَاعَدَهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ الذي كان بيد طالوت ﴿وَأَخْرَجَهُمُ﴾ أي: النبوة ﴿وَعَلَّمَهُ مَا يَشَاءُ﴾ أي: بما يشاء الله من العلم الذي اختصه به ﷺ.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ أي: لولاه يدفع عن قوم بأخرين - كما دفع عن بني إسرائيل بمقاتلة طالوت وشجاعة داود - لهلكوا، كما قال: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَهْوَتِ صُورُهُمْ وَيَبِغِ وَصَلَوَتُهُمْ وَسَيُجَدُّ بَدْعُهُمْ﴾ الآية [الحج: ٤٠].

وقوله: ﴿وَلَا يَكُنْ اللَّهُ دُرُّ فَضْلٍ عَلَى الْمُكْلِمِينَ﴾ أي: مَنْ عَلَيْهِمْ وَرَحْمَةٌ بِهِمْ، يدفع عنهم ببعضهم بعضاً، وله الحكم والحكمة، والحيجة على خلقه في جميع أفعاله، وأقواله.

الشفاعة. وقوله: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ دليل على إحاطة علمه بجميع الكائنات: ماضيها وحاضرها ومستقبلها. وقوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ أي: لا يطلع أحد من علم الله على شيء إلا بما أعلّمه الله عز وجل وأطلعه عليه. ويُحتمل أن يكون المراد: لا يطلعون على شيء من علم ذاته وصفاته إلا بما أطلّعهم الله عليه، كقوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ (طه: ١١٠). وقوله: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾: عن ابن عباس: الكرسي موضع القدمين، والعرش لا يقدر أحد قدره، والعرش أكبر منه، كما دلّت على ذلك الآثار والأخبار.

وقوله: ﴿وَلَا تُؤْخَذُ بِحُفَّتِهِمْ﴾ أي: لا تثقله ولا تكثره حفظ السموات والأرض ومن فيها ومن بينهما، بل ذلك سهل عليه، يسير لديه، وهو القائم على كل نفس بما كسبت، الرقيب على جميع الأشياء، فلا يعزب عنه شيء، ولا يغيب عنه شيء، والأشياء كلها حقيرة بين يديه، متواضعة ذليلة صغيرة بالنسبة إليه، محتاجة فقيرة، وهو الغني الحميد، الفعال لما يريد، الذي لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون، وهو القاهر لكل شيء، الحسيب على كل شيء، الرقيب العلي العظيم، لا إله غيره ولا رب سواه، فقلوه: ﴿وَهُوَ اللَّعَلِّي الْعَظِيمُ﴾ كقولوه: ﴿الْكَبِيرُ الْمُتَعَالَى﴾ [الرعد: ٩]. وهذه الآيات وما في معناها من الأحاديث الصحاح الأجود فيها طريقة السلف الصالح: إمرارها كما جاءت، من غير تكيف ولا تشبيه<sup>(١)</sup>

الآية (٢٥٦): [سبب النزول] عن ابن عباس قال: كانت المرأة تكون مقلتا فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهود، فلما أجليت بنو النضير كان فيهم من أبناء الأنصار فقالوا: لا ندع أبنائنا فأئزل الله عز وجل: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرِّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ أي: لا تتركوهما أحداً على الدخول في دين الإسلام، فإنه يَبَيَّنُ واضح جلي دلالة وبراهينه، لا يحتاج إلى أن يَكْزَهُ أحد على الدخول فيه، بل من هداة الله للإسلام وشرح صدره ونور بصيرته دخل فيه على يَبَيَّنَةٍ، ومن أعمى الله قلبه وختم على سمعه وبصره، فإنه لا يُفِيده الدخول في الدين مكرهاً مقسوراً.

وقد ذهب طائفة كثيرة من العلماء أن هذه محمولة على أهل الكتاب ومن دخل في دينهم قبل النسخ والتبديل إذا بذلوا الجزية. وقال آخرون: بل هي منسوخة بآية القتال وأنه يجب أن يدعى جميع الأمم إلى الدخول في الدين الحنيف دين الإسلام فإن أبى أحد منهم الدخول فيه ولم يتنقله أو يبذل الجزية، قوتل حتى يقتل. وهذا معنى الإكراه.

﴿فَمَنْ يَكْزُرْ بِالطُّغْيَانِ وَيُرْمِتْ بِاللَّهِ﴾ أي: من خلع الأثداء والأوثان وما يدعو إليه الشيطان من عبادة كل ما يعبد من دون الله، ووجد الله عبده وحده، وشهد أن لا إله إلا هو ﴿فَكَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعِزَّةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا﴾ أي: فقد استمسك من الدين بأقوى سبب، وشبه ذلك بالعروة القوية التي لا تنفصم، فهي في نفسها مُحْكَمَةٌ مُرْتَمَةٌ قوية، وربطها قوي شديد. قال مجاهد: ﴿فَكَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعِزَّةِ الْوُثْقَى﴾ يعني: الإيمان. وقال السُّدِّي: هو الإسلام. وقال سعيد بن جبیر: يعني لا إله إلا الله. وعن أنس بن مالك: القرآن. وكل هذه الأقوال صحيحة، ولا تنافي بينها. وقال معاذ بن جبل في قوله: ﴿لَا انْفِصَامَ لَهَا﴾ أي: لا انقطاع لها دون دخول الحنة.

الآية (٢٥٣): **يَجْر تَعَالَى أَنَّهُ فَضَّلَ بَعْضَ الرُّسُلِ عَلَى بَعْضٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زُكْرًا﴾ [الإسراء: ٥٥]، وقال ههنا: ﴿ذَلِكَ أَرْسَلْنَا فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾ يعني: موسى وعمداً صلى الله عليه وسلم، وكذلك آدم؛ كما ورد به الحديث المروي في صحيح ابن حبان عن أبي ذر. **﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾** كما ثبت في حديث الإسراء، حين رأى النبي ﷺ الأنبياء في السموات بحسب تفاوت منازلهم عند الله عز وجل.**

﴿وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ﴾ أي: الحُجُجِ والدلائل القاطعات على صحة ما جاء بني إسرائيل به، من أنه عبد الله ورسوله إليهم. ﴿وَآتَيْنَاهُ الْبُورْجَ الْفَدُوسَ﴾ يعني: أن الله إليه جبريل عليه السلام. ثم قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْقَلُ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فِيهِمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَسَلُوا﴾ أي: بل كل ذلك عن قضاء الله وقدره؛ ولهذا قال: ﴿وَلَكِنْ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا رِيدُ﴾ الآية (٢٥٤): يأمر تعالى عباده بالإِنفاق مما رزقهم في سبيله،

سبيل الخير، لِيُخْرُوا ثَوَابَ ذَلِكَ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَلِيكَهُمْ، وَلِيُبَادِرُوا إِلَى ذَلِكَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ﴾. يعني: يوم القيامة ﴿لَا يَبْعَثُ فِيهِ ذُلًّا خَالَةً﴾. أي: لا يُباع أحدٌ من نفسه، ولا يُفادى بال لو بذله، ولو جاء بملء الأرض ذهباً، ولا تنفعه حُلة أحد، يعني: صدقته، بل ولا ناسيته، كما قال: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَسْتَفْضِلُونَ﴾ [الزُّمَر: ١٠١] ﴿وَلَا شَفَعَةٌ﴾. أي: ولا تنفعهم شفاعة الشافعين. ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمْ الظَّالِمُونَ﴾. أي: ولا ظالم أظلم من وافي الله يومئذ كافراً.

عن عطاء بن دينار أنه قال: الحمد لله الذي قال: ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ولم يقل: والظالمون هم الكافرون.

الآية (٢٥٥): هذه آية الكرسي، ولها شأن عظيم. [فضل الآية]  
عن أبي بن كعب: أن النبي ﷺ سأله: «أي آية في كتاب الله أعظم؟»  
قال: الله ورسوله أعلم. فرددتها مراراً، ثم قال أبي: آية الكرسي. قال:  
«لِيَهْئَكَ الْعِلْمَ أَبَا الْمُنْذِرِ» [رواه مسلم].

وهذه الآية مشتملة على عشر جمل مستقلة، فقولهُ: ﴿أَلَمْ يَلِدْ﴾  
إِلَّا هُوَ﴾ إخبار بأنه المتفرد بالإِلهية لجميع الخلائق، ﴿أَلَمْ يَلِدْ أَيُّهُمُ﴾  
أي: الحي في نفسه الذي لا يموت أبداً، المقيم لغيره. فجميع  
الموجودات مُتفترقة إليه، وهو غني عنها، ولا قوام لها بدون أمره،  
كقولهِ: ﴿وَمَنْ مَّا يَرْجُو أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾ [الرؤى: ٢٥].  
وقولهِ: ﴿لَا تَأْخُذُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ أي: لا يعتريه نقص ولا غفلة ولا  
ذهول عن خلقه، بل هو قائم على كل نفس بما كسبت، شهيد على كل  
شيء، لا يغيب عنه شيء، ولا يخفى عليه خافية. ومن تمام القِيومية أنه  
لا يعتريه سِنَةٌ ولا نوم، فقولهِ: ﴿لَا تَأْخُذُ﴾ أي: لا تغلبه سنة؛ وهي  
الوَسْنُ والنعاس؛ ولهذا قال: ﴿وَلَا نَوْمٌ﴾؛ لأنه أقوى من السَّنة.  
وقولهِ: ﴿أَلَمْ يَأْتِ السَّمَكَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: إخبار بأن الجميع عبيده وفي  
ملكه وتحت قهره وسلطانه. وقولهِ: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾  
كقولهِ: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَكَاتِ لَا تُفَعِّلُهُمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنٍ﴾  
بَعْدَ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُرِيدُ﴾ [النجم: ٢٦]، وهذا من عظمتِه وجلالهِ  
وكبريائهِ أنه لا يتحاصر أحد على أن يشفع لأحد عنده إلا بإذنه له في



## ● الوقفات التدبيرية

﴿يَا أَرْسُلْ فَمَلَّا بِعَثَمَ عَلَٰ يَصْنُ مِنْهُمْ مَّ كَلَّمَ اللَّهُ رَجَعَ بِعَثَمَ رَجَعَ﴾  
ومعلوم أن المرسلين يتفاضلون؛ تارة في الكتب المنزلة عليهم، وتارة في  
الآيات والمعجزات الدالة على صدقهم، وتارة في الشرائع وما جاءوا به من  
العلم والعمل، وتارة في أممهم. ابن تيمية: ٥٧٨/١ - ٥٧٩.

**السؤال: بين شيئاً من أوجه تفاضل المرسلين عليهم الصلاة والسلام.**

﴿ ١ ﴾ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢﴾

قال عطاء بن دينار: والحمد لله الذي قال: (والكافرون هم الظالمون) ولم يقل: «والظالمون هم الكافرون». القرطبي: ٢٦٢/٤.

**السؤال: بين كيف تدبر عطاء بن دينار هذه الآية الكريمة.**

﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾

نَضَى اللهُ تَعَالَى عَنْ نَفْسِهِ النَّوْمَ لِأَنَّهُ آفَتُهُ، وَهُوَ مَنْزَرُهُ عَنِ الْآفَاتِ. الْبُخَارِيُّ: ٢٦٩/١.

**السؤال: لم نضى الله تعالى عن نفسه أقل النوم؟**

﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾

هذه الآية الكريمة أعظم آيات القرآن، وأفضلها وأجلها، وذلك لما اشتملت عليه من الأمور العظيمة والصفات الكريمة؛ فلماذا كثرت الأحاديث في الترغيب في قراءتها، وجعلها رداً للإنسان في أوقاته، صباحاً، مساءً، وعند نومه، وأدبار الصلوات المكتوبات. السعدي: ١١٠.

السؤال: لماذا شرعت قراءة آية الكرسي في أوقات مختلفة من الليل والنهار؟  
ولماذا كانت أعظم آية في كتاب الله؟

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ ﴿١﴾

وهذا من عظمته وجلاله وكبريائه عز وجل؛ أنه لا يتجاسر أحد على أن يشفع لأحد عنده إلا بإذنه له في الشفاعة. ابن كثير: ٢٩٢/١.

**السؤال: على ماذا يدل اشتراط إذنه سبحانه وتعالى لمن أراد الشفاعة؟**

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾

لعدم الحاجة إلى الإكراه عليه؛ لأن الإكراه لا يكون إلا على أمر خفيّة اعلامه، غامضة آثاره، أو أمر في غاية الكراهة للنفس، وأما هذا الدين القويم والصراط المستقيم فقد تبينت اعلامه للمقول، وظهرت طرقة، وتبين أمره، وعصر الف رشد من الغي، فالوفق إذا نظر أدنى نظر إليه أثره واختاره، وأما من كان سيء القصد، فاسد الإرادة، خبيث النفس، يرى الحق فيختار عليه الباطل، ويصير الحسن فيميل إلى القبيح؛ فهذا ليس له حاجة في إكراهه على الدين؛ لعدم النتيجة والغائدة فيه، والمكره ليس إيمانه صحيحاً. السعدي: ١١١.

السؤال: لماذا لم تكن هناك حاجة لإكراه الناس على الدين؟

﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٤٠﴾

وما كان الكفر بالطاغوت والإيمان بالله مما ينطق به اللسان، ويعتقده القلب، حسن في الصفات: (سميع) من أجل النطق، (عليم) من أجل المعتقد. القرطبي: ٢٨٥/٤.

السؤال: ما سر ختم الآية الكريمة بصفتي: (السميع)، و(العليم) لله عز وجل؟

\* ذَٰلِكَ الرُّسُلَ فَضَلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ  
 وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ۚ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَنِينَ  
 وَأَتَيْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ۖ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَلْنَا الَّذِينَ مِنْ  
 بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا  
 فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَلْنَا  
 وَلَكِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَرِيدُ ﴿٢٥﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا  
 مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا يَتَّبِعُ فِيهِ وَلَا خَلَّةٌ وَلَا  
 شَفْعَةٌ ۚ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٦﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ  
 الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ  
 وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ  
 مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا  
 بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا  
 وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٧﴾ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ  
 الْغَيِّ ۚ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ  
 بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
خَلَّتْ	صَدَاقَتُهُ
الْقِيَوْمُ	الْقَائِمُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
سِنَّةٌ	نُعَاسٌ
كُرْسِيُّهُ	مَوْضِعُ قَدَمَيْ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ
يُؤْوِدُهُ	يُنْقِلُهُ

## ● العمل بالآيات

١. لتكون لك هذا اليوم صدقة - ولو قليلة - تحتاج لك عند الله في يوم ﴿لَا يَبْعُ فِئِدٍ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَعَةٌ﴾.

٢. اقرأ آية الكرسي بعد الصلوات المفروضة، فإنه لا يكون بينك وبين الجنة إلا أن تموت، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾.

٣. اقرأ آية الكرسي في الصباح والمساء وعند النوم يحفظك الله بها من الشيطان، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ﴾.

## ● التوجيهات

١. من أسباب الاقتتال: الاختلاف الذي منبعه الهوى، أو الجهل، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَعُتِبَ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ كُفْرٍ﴾.

٢. لَا يَنْفَعُ الْعَبْدَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا عَمَلُهُ الصَّالِحُ، وَمَنْ أَكْثَمُهُ الصَّدَقَاتِ، يَتَّيَّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَتَقُوا مَا رَزَقْنَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفْعَةٌ.

٣. تذكر الدائم أن الله يراقبك في السر والعلن، ويعلم ما تخفي وما تعلن  
يساعدك على التقليل من المعاصي، ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾.



## ● الوقفات التدبرية

﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾

ناصرهم ومعينهم، وقيل: محبهم، وقيل: متولي أمورهم لا يكلهم إلى غيره، وقال الحسن: ولي هدايتهم. البغوي: ٢٧٣/١.

السؤال: كيف تكون ولاية الله تعالى للمؤمنين؟

﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوَّلَآؤُهُمُ الظُّلُمَاتُ يُخْرِجُهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ﴾

وحد تعالى لفظ النور، وجمع الظلمات؛ لأن الحق واحد، والكفر اجناس كثيرة وكلها باطلات ابن كثير: ٢٩٥/١.

السؤال: لماذا وُحِدَ لفظ (النور)، وجمع لفظ (الظلمات) في الآية؟

﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾

فاخرجهم من ظلمات الكفر والمعاصي والجهل إلى نور الإيمان والطاعة والعلم، وكان جزاؤهم على هذا أن سلمهم من ظلمات القبر والحشر والقيامة إلى النعيم المقيم والراحة والفسحة والسرور. السعدي: ١١١.

السؤال: ما الظلمات التي يخرج منها المؤمن عند إيمانه؟ وما النور الذي يلاقيه؟

﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوَّلَآؤُهُمُ الظُّلُمَاتُ يُخْرِجُهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ﴾

سُمي الكفر ظلمة لالتباس طريقه، وسُمي الإسلام نوراً لوضوح طريقه. البغوي: ٢٧٣/١.

السؤال: لم سمي الله تعالى الكفر ظلمة، والإسلام نوراً؟

﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوَّلَآؤُهُمُ الظُّلُمَاتُ يُخْرِجُهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ﴾

فأله يزيد الذين اهتدوا هدى؛ لأن اتباعهم الإسلام تيسير لطرق اليقين؛ فهم يزدادون توغلاً فيها يوماً فيوماً. وبعكسهم الذين اختاروا الكفر على الإسلام؛ فإن اختيارهم ذلك دل على ختم ضرب على عقولهم، فلم يهتدوا، فهم يزدادون في الضلال يوماً فيوماً. ابن عاشور: ٣٠/٣.

السؤال: الإنسان لا بد أن يتقدم: إما في الخير، وإما في الشر، وضع ذلك من الآية.

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ ﴾

قال إنكيا؛ وفي الآية دليل على جواز المحاجة في الدين. الأنوسي: ١٩/٣.

السؤال: هل يجوز المحاجة في الدين؟

﴿ رَبِّيَ الَّذِي يُعْتَبِرُ وَيُحْيِي ﴾

أي: هو المتصرف بأنواع التصرف، وخص منه الإحياء والإماتة لكونهما أعظم أنواع التباير. السعدي: ١١١.

السؤال: لماذا ذكر إبراهيم الإحياء والإماتة دون غيرهما؟

اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ  
وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوَّلَآؤُهُمُ الظُّلُمَاتُ يُخْرِجُهُم مِّنَ  
النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا  
خَالِدُونَ ﴿١٥﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ  
أَن ءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي  
وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي  
بِالسَّمْسِ مِنَ الْمُشْرِقِ فَأْتِي بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَهَبْ لَهُ  
كَفَرًا وَلَهُ أَتَىٰ هَذِيَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٦﴾ أَوْكَالَ الَّذِينَ  
مَرْعَىٰ قَرِيبَةً وَهِيَ خَاطِبَةٌ عَلَىٰ غُرُوشَهَا قَالَ أَلَا يَحْيِي  
هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا قَامَتْهُ اللَّهُ مِائَةً عَامًا ثُمَّ بَعَثَهُ  
قَالَ كَفَرْتُمْ قَالَ لَيْسَتْ يَوْمًا أَوْ بَعْضُ يَوْمٍ قَالَ بَل  
لَيْسَتْ مِائَةً عَامٍ فَأَنْظِرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَسْتَنْهَ  
وَأَنْظِرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِتَجْعَلَ ءَاتِيَةَ لِلنَّاسِ وَأَنْظِرْ إِلَىٰ  
الْعِظَامِ كَيْفَ تَنْشِرُهَا ثُمَّ نَكَّسُوهَا لِحْمًا فَلَمَّا  
تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمْتَ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
فُهِتْ	تَحَيَّرَ، وَانْقَطَعَتْ حُجَّتُهُ.
غُرُوشَهَا	سُفُوفُهَا.
يَسْتَنْهَ	يَتَغَيَّرُ.
تَنْشِرُهَا	تَرْفَعُهَا، وَتُصَلِّ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ.

## ● العمل بالآيات

١. حدد ثلاثة من الأعمال التي يحياها الله، واعمل بها، ثم قل: اللهم تولني فيمن توليت، ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾.
٢. استخرج ثلاثة آداب للحوار والمناظرة من قصة إبراهيم عليه السلام، ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَن ءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ ﴾.
٣. قل: اللهم يا معلم إبراهيم علمني، ويا مفهم سليمان فهمني، ﴿ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمُشْرِقِ فَأْتِي بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَهَبْ لَهُ كَفَرًا وَلَهُ أَتَىٰ هَذِيَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾.

## ● التوجيهات

١. الإيمان والعمل الصالح يحققان لك ولاية الله سبحانه، والفسق والفلة عن ذكر الله تجلبان ولاية الشيطان والعباد بالله، ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوَّلَآؤُهُمُ الظُّلُمَاتُ يُخْرِجُهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ﴾.
٢. من أعظم نعم الله على أوليائه أنهم يرون بنور الله، ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾.
٣. النعم الدينية إذا لم يصاحبها إيمان بالله فهي وبال على صاحبها، وزيادة في سبائته، ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَن ءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ﴾.

قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ أي: لا يُلهمهم حُجَّة ولا برهاناً، بل حُجَّتْهم داحضة عند ربهم، وعليهم غضب وهم عذاب شديد. وهذا التنزيل على هذا المعنى أحسن مما ذكره كثير من المنطقيين: أنَّ عدول إبراهيم عن المقام الأول إلى المقام الثاني انتقال من دليل إلى أوضح منه! ومنهم من قد يُطلق عبارة رديّة ترديه. وليس كما قالوه، بل المقام الأول يكون كالمقدمة للثاني ويُبين بطلان ما ادعاه نمرود في الأول والثاني، والله الحمد والمنة.

الآية (٢٥٩): تقدم قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ؟﴾ وهو في قوة قوله: هل رأيت مثل الذي حاج إبراهيم في ربه؟ ولهذا عطف عليه بقوله: ﴿أَوَ كَافِرٌ مِّثْلُ قَرِينِهِ﴾ وَهِيَ حَاوِيَةٌ عَلَى غُرُوبِهَا ﴿اختلفوا في هذا المآثر من هو؟ فروى ابن أبي حاتم عن علي بن أبي طالب أنه قال: هو عُزَيْر. وحكاه ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس والحسن وقتادة وغيرهم، وهذا القول هو المشهور. وقال مجاهد: هو رجل من بني إسرائيل. وأما القرية: فالمشهور أنها بيت المقدس، مرَّ عليها بعد تخريب بُعِثَتْ رُحُومُهَا وقُتِلَ أَهْلُهَا.

﴿وَهِيَ حَاوِيَةٌ﴾ أي: ليس فيها أحد، من قَوْمِ: خَوَاتِ الدار نخوي خواءً وخوياً. وقوله: ﴿عَلَى غُرُوبِهَا﴾ أي: ساقطة سقوفها وجدرانها على عرصاتها، فوقف متفكراً فيها آل أمرها إليه بعد العماراة العظيمة، وقال: ﴿أَنْ يَمُوتَ﴾ هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِي ﴿وذلك لما رأى من دورها وشدة خرابها وبعدها عن العود إلى ما كانت عليه، قال الله تعالى: ﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ يَاقَةَ عَارِثُ مَبْعُوثٌ وَغُمِرَتِ الْبَلْدَةُ بَعْدَ مَوْتِي سَبْعِينَ سَنَةً مِنْ مَوْتِهِ، وَتَكَامَلُ سَاكِنُوهَا وَتَرَاجَعَتِ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَيْهَا. فلما بعثه الله عز وجل بعد موته كان أول شيء أحيا الله فيه عينه لينظر بها إلى صُنْعِ اللَّهِ فِيهِ كَيْفَ يَحْيِي بَدَنَهُ فلما استقل سويّاً قال الله له -أي بواسطة الملك-: ﴿كَمْ لَيْتَ قَالَ لَيْتَ يَوْمًا﴾ قالوا: وذلك أنه مات أول النهار، ثم بعثه الله في آخر نهار، فلما رأى الشمس باقية ظن أنها شمس ذلك اليوم، فقال: ﴿أَوْ بَعْضُ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَيْتَ يَاقَةَ عَارِثُ فَأَنْظَرُ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَسَسَّهْ﴾ لم يتغير منه شيء ﴿وَأَنْظَرُ إِلَى جِمَارِكَ﴾ أي: كيف يُجِيبُهُ الله عز وجل، وأنت تنظر ﴿وَلَيْجَمَارِكَ مَائِكَةَ لَيِّاسٍ﴾ أي: دليلاً على المعاد ﴿وَأَنْظَرُ إِلَى الْوُطَايِرِ كَيْفَ تُنْشِرُهَا﴾ بالزاي. أي: نرفعها فترتب بعضها على بعض. وقرئ: ﴿تُنْشِرُهَا﴾ أي: تُنْصِيهَا، قاله مجاهد ﴿ثُمَّ كَسَحُوا لَحْمًا﴾ فعند ذلك لما تبين له هذا كله ﴿قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: أنا عالم بهذا، وقد رأيت عياناً، فأنأ أعلم أهل زمانى بذلك. وقرأ آخرون: ﴿قَالَ أَعْلَمُ﴾ أي أنه أمر له بالعلم.

الآية (٢٥٧): يخبر تعالى أنه يهدي من اتبع رضوانه سُبُلَ السلام، فيُخرج عباده المؤمنين من ظلمات الكفر والشك والريب، إلى نور الحق الواضح الجلي المبين السهل المنير، وأن الكافرين إنما وليهم الشياطين تُزِينُ لَهُمْ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْجَهَالَاتِ وَالضَّلَالَاتِ، ويُرْجُونَهُمْ وَيُحِيدُونَ بِهِمْ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ إِلَى الْكُفْرِ وَالْإِفْكَارِ ﴿أَوَلَيْتَ أَنَّ سَحَابَ أَنْثَارِهِمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾. ولهذا وحَّد تعالى لفظ النور وجمع الظلمات؛ لأن الحق واحد والكفر أجناس كثيرة، وكلها باطلة كما قال: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ شَيْئٍ فَتَفُوتَ بِكُمْ سَبِيلِي﴾ ذَلِكَ وَمَنْ يَصْنَعْكُمْ بِهِ لَعْنَتُكُمْ تَتَّبِعُونَ ﴿[الأنعام: ١٥٣]﴾ وقال تعالى: ﴿وَيَجْعَلُ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام: ١] إلى غير ذلك من الآيات التي في لفظها إشعار بتفرد الحق، وانتشار الباطل وتفرقه وتشتبه.

الآية (٢٥٨): هذا الذي حاجَّ إبراهيم في ربه هو مَلِكُ بَابِلَ: نمرود بن كنعان. ومعنى قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ أي: بقلبك يا محمد ﴿إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ؟﴾ أي: وجود ربه. وذلك أنه أنكر أن يكون ثَمَّ إله غيره، كما قال بعده فرعون لَمَلَكِهِ: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٢٨] وما حمله على هذا الطغيان والكفر الغليظ والمعاندة الشديدة، إلا تجبره وطول مدته في الملك؛ ولهذا قال: ﴿أَنْ مَاتَهُ اللَّهُ الْمَلَكُ﴾ وكأنه طلب من إبراهيم دليلاً على وجود الرب الذي يدعو إليه، فقال إبراهيم: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ أي: الدليل على وجوده حدوث هذه الأشياء المشاهدة بعد عدمها، وعدمها بعد وجودها. وهذا دليل على وجود الفاعل المختار ضرورة؛ لأنها لم تحدث بنفسها، فلا بُدَّ لها من مُوجِدٍ أوجدَها، وهو الرب الذي أدعو إلى عبادته وحده لا شريك له. فعند ذلك قال السُّحَّاجُ، وهو النمرود: ﴿أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ قال قتادة ومحمد بن إسحاق والسدي وغير واحد: وذلك أي أوتى بالرجلين قد استحقا القتل، فأمر بقتل أحدهما فيقتل، وبالعفو عن الآخر فلا يقتل. فذلك معنى الإحياء والإماتة. والظاهر -والله أعلم- أنه ما أراد هذا؛ لأنه ليس جواباً لما قال إبراهيم ولا في معناه؛ لأنه غير مانع لوجود الصانع. وإنما أراد أن يدعي لنفسه هذا المقام عناداً ومكابرة، ويوهم أنه الفاعل لذلك، وأنه هو الذي يحيي ويميت، كما اقتدى به فرعون في قوله: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨] ولهذا قال له إبراهيم لما ادَّعى هذه المكابرة: ﴿فَلْيَرْكَبْ إِلَيْنَا يَوْمَ يُنْفَخُ الْأَشْجَارُ فَتَبَيَّنَّ يَمِينُ يَمِينِ الْأَمْرَبِ﴾ أي: إذا كنت كما تدعي من أنك تحيي وتميت، فالذي يحيي ويميت هو الذي يتصرف في الوجود في خلق ذواته وتسخير كواكبه وحركاته، فهذه الشمس تبدو كل يوم من المشرق، فإن كنت إلهاً كما ادَّعيت -تُحْيِي وتميت- فأنت بها من المغرب!! فلما علم عجزه وانقطاعه، وأنه لا يقدر على المكابرة في هذا المقام بُهِتَ، أي: أخرس فلا يتكلم، وقامت عليه الحجة.



وقوله: ﴿وَلَا أَدْرِي﴾ أي: لا يفعلون مع من أحسنوا إليه مكروهاً يُحِيطُونَ به ما سلف من الإحسان، ثم وعدهم تعالى الجزاء الجزيل على ذلك فقال: ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ أي: ثوابهم على الله، لا على أحد سواه ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ أي: فيما يستقبلونه من أهوال يوم القيامة ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ أي: على ما خلفوه من الأولاد وما فاتهم من الحياة الدنيا وزهرتها، لا يأسفون عليها؛ لأنهم قد صاروا إلى ما هو خير لهم من ذلك.

الآية (٢٦٤-٢٦٣): ثم قال تعالى: ﴿قَوْلَ مَرْوُفٍ﴾ أي: من كلمة طيبة ودعاء لمسلم ﴿وَمَغْفِرَةٍ﴾ أي: غُفْرٍ عن ظلم قولي أو فعلي ﴿خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَدْنَىٰ﴾ والله عَزَّ وَجَلَّ: أي: عن خلقه. ﴿حَسْبُكَ﴾ أي: يحلم ويغفر ويصفح ويتجاوز عنهم. وقد وردت الأحاديث بالنهي عن المَنِّ في الصدقة، ففي صحيح مسلم عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكّيهم، وهم عذاب أليم: المنان بما أعطى، والمُسْبِل إزاره، والمُنْفِق سلعته بالخلف الكاذب».

وعن أبي الدرداء، عن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة عاقٌّ، ولا مَنّانٌ، ولا مُدْمِن خمرٍ، ولا مُكذِّبٌ بقدرٍ» [رواه أحمد، وحسنه الألباني].

وعن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه، ومُدْمِن الخمر، والمنان بما أعطى» [رواه أحمد والنسائي، وصححه إسناده أحمد شاكر]؛ ولهذا قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَطْلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَدْنَىٰ﴾ فأخبر أن الصدقة تَبْطُل بما يتبعها من المَنِّ والأدنى، فإني ثواب الصدقة بخطيئة المَنِّ والأدنى. ثم قال تعالى: ﴿كَأَلَيْكَ يَتْفَىٰ مَا لَهُ رَبَّنَا النَّاسُ﴾ أي: لا تبطلوا صدقاتكم بالمَنِّ والأدنى، كما تبطل صدقة من رأى بها الناس، فأظهر لهم أنه يريد وجه الله، وإنما قصده مدح الناس له أو شهرته بالصفات الجميلة، ليُشْكِر بين الناس، أو يقال: إنه كريم، ونحو ذلك من المقاصد الدنيوية، مع قطع نظره عن معاملة الله تعالى وإبتغاء مرضاته وجزيل ثوابه؛ ولهذا قال: ﴿وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾.

ثم ضرب تعالى مثل ذلك المرائي بإنافقه فقال: ﴿فَتَشْكُلُ كَنُكُلٌ صَفَوَانٍ﴾ وهو جمع صَفَوَانَةٍ. ومنهم من يقول: الصفوان يُسْتَعْمَل مفرداً أيضاً، وهو الصفا، وهو الصخر الأملس، ﴿عَلَيْهِ رِثَاتٌ فَأَصَابُهُ وَابِلٌ﴾ وهو المطر الشديد ﴿فَتَرْكُهُ سَكْدًا﴾ أي: فترك الوابل ذلك الصفوان صلباً، أي: أملس يابساً، أي: لا شيء عليه من ذلك التراب، بل قد ذهب كله. أي: وكذلك أعمال المرائين تذهب وتضمحل عند الله، وإن ظهر لهم أعمال فيها يرى الناس كالتراب؛ ولهذا قال: ﴿لَا يَخْشَوْنَ عَلَىٰ عَنَانٍ وَمَا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.

الآية (٢٦٠): ذكروا السؤال إبراهيم عليه السلام أسبَاباً؛ منها: أنه لما قال لمرموذ: ﴿رَبِّكَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، أَحَبَّ أَنْ يَتَرَقَى من علم اليقين في ذلك إلى عين اليقين، وأن يرى ذلك مُشَاهِدَةً فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنْ لَيْسَ لِي بِشَيْءٍ قَلْبِي﴾. وقوله: ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ اختلف المفسرون في هذه الأربعة: ما هي؟ وإن كان لا طائل تحت تعيينها، إذ لو كان في ذلك مُهِمٌ لَنَصَّ عليه القرآن. وقوله: ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ أي: قَطَعْن. قاله ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير وأبو الأسود الدؤلي وغيرهم، ﴿وَأَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ أي: عزيز لا يغلبه شيء ولا يمتنع منه شيء، وما شاء كان بلا مُنَاعٍ؛ لأنه العظيم القاهر لكل شيء، حكيم في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره.

وروى ابن أبي حاتم عن ابن السُّكُور أنه قال: التقى عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمرو بن العاص، فقال ابن عباس لابن عمرو ابن العاص: أي آية في القرآن أرجى عندك؟ فقال ابن عمرو: قول الله عز وجل: ﴿يَتَذَكَّرُ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا﴾ [الزمر: ٥٣]، الآية، فقال ابن عباس: لكن أنا أقول: قول الله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ﴾ ففرضي من إبراهيم قوله: ﴿بَلَىٰ﴾ قال: فهذا لما يعترض في النفوس ويوسوس به الشيطان.

الآية (٢٦١): هذا مثل ضربه الله تعالى لتضعيف الثواب لمن أنفق في سبيله وإبتغاء مرضاته، وأن الحسنة تُضَاعَف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، فقال: ﴿تَشْكُلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قال سعيد بن جبير: في طاعة الله. وقال مكحول: يعني به: الإنفاق في الجهاد، من رباط الخيل وإعداد السلاح وغير ذلك. وقال ابن عباس: الجهاد والحج، يضعف الدرهم فيها إلى سبعمائة ضعف؛ ولهذا قال الله تعالى: ﴿كَذَلِكِ حَسَنَ أَنْتَبَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ يَأْتِيَةُ حَبًّا﴾ وهذا المثل أبلغ في النفوس من ذكر عدد السبعمائة، فإن هذا فيه إشارة إلى أن الأعمال الصالحة يُنْتَبِها الله عز وجل لأصحابها، كما يُنْتَبِ الزرع لمن بذره في الأرض الطيبة. روى أبو مسعود: أن رجلاً تصدق بناقاة مخطومة في سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ: «التأتين يوم القيامة بسبعمائة ناقاة مخطومة» [رواه مسلم]. وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «كل عمل ابن آدم يُضَاعَف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، إلى ما شاء الله، يقول الله: إلا الصوم، فإنه لي وأنا أجزي به». [رواه مسلم]. وقوله هنا: ﴿وَاللَّهُ يُكَفِّفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ أي: بحسب إخلاصه في عمله ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ أي: فضله واسع كثير، أكثر من خلقه، عليم بمن يستحق ومن لا يستحق، سبحانه وبحمده.

الآية (٢٦٢): يمدح تعالى الذين ينفقون أموالهم في سبيله، ثم لا يُبْتَعُونَ ما أنفقوا من الخيرات والصدقات مَنّاً على من أعطوه، فلا يُمْنُونَ به على أحد، ولا يُمْنُونَ به لا بقول ولا بفعل.



## ١ الوقفات التدريبية

١ ﴿ قَالَ فَخَذْ أَنْبَاءَ بَنِي الطَّيْرِ فَصَرَّهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْأً ثُمَّ ادْعُهُنَّ بِأَيْدِيكَ سَعِيًّا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

والظاهر أن حكمة التعدد والاختلاف زيادة في تحقيق أن الإحياء لم يكن أهون في بعض الأنواع دون بعض. ابن عاشور: ٣٩/٣.

السؤال: لماذا جعلت الطيور المذبوحة أكثر من واحد، وربما أكثر من نوع؟

٢ ﴿ وَاللَّهُ يُصَوِّفُ لِمَن يَشَاءُ ﴾

بحسب حال المنفق وإخلاصه وصدقه، وبحسب حال النفقة وجلها ونفعها ووقوعها موقعها. السعدي: ١١٣.

السؤال: ما الأسباب التي تجعل أجر الحسنات يتضاعف؟

٣ ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُونَ مِمَّا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

وإنما كان المن بالصدقة مفسداً لها محرماً: لأن المنحة لله تعالى وحده، والإحسان كله لله؛ فالعبد لا يمتنع بغيره الله وإحسانه وفضله، وهو ليس له، وأيضاً فإن المان مستبعد لمن يمتنع عليه، والذل والاستعبد لا ينبغي إلا لله. السعدي: ١١٣.

السؤال: لماذا كان المن مفسداً للصدقة؟

٤ ﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴾ (قول معروف): هورد السائل بجميل من القول: كالدعاء له والتأسيس، (ومغفرة): عفو عن السائل إذا وجد منه جفاء، وقيل: مغفرة من الله لسبب الرد الجميل. ابن جزري: ١٧٢/١.

السؤال: في هذه الآية صورة من صور سمو الأخلاق في الإسلام، وضع ذلك.

٥ ﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴾ (الحليم) أي: لا يعاجل من عصاه، بل يرزقه وينصره، وهو يعصيه ويكفره البقاعي: ٥١٧/١.

السؤال: ما دلالة ختم الآية بصفة (الحليم) لله عز وجل؟

٦ ﴿ يَتَّخِذُهَا الذِّينَ آمَنُوا لَا يُطِيلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾

فيه تعريض بأن كلا من الرياء والمن والأذى على الإنفاق من صفات الكفار، ولا بد للمؤمنين أن يجتنبوها. الألويسي: ٣٥/٣.

السؤال: ما الفرق بين صدقة المخلص وصدقة الرائي؟

٧ ﴿ يَتَّخِذُهَا الذِّينَ آمَنُوا لَا يُطِيلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى ﴾

ويستدل بهذا على أن الأعمال السيئة تبطل الأعمال الصالحة... فكما أن الحسنات يذهبن السيئات، فالسيئات تبطل ما قابلهما من الحسنات. السعدي: ١١٣.

السؤال: تدل الآية على خطورة الأعمال السيئة، وضع ذلك من الآية.

وَأَذَقَالِ ابْتِرَاجَهُمْ رَبِّي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتِ قَالَ أُولَئِ  
تُؤْمِنُ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لَّيُطَمِّتُنَّ قُلُوبِي قَالَ فَخَذْ أَنْبَاءَ مِّنَ  
الطَّيْرِ فَصَرَّهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْأً  
ثُمَّ ادْعُهُنَّ بِأَيْدِيكَ سَعِيًّا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ  
٥ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ  
أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ  
يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ٦ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ  
أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مِمَّا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا  
أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ  
يَحْزَنُونَ ٧ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ  
يَتَّبِعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ٨ يَتَّخِذُهَا الذِّينَ آمَنُوا  
لَا يُطِيلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ  
رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ كَمَثَلِ  
صَفْوَانٍ عَلَيْهِ ثَرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَكَرَّهَ صُلْبًا لَّا يَقْدِرُونَ  
عَلَى مَنِّ وَهَئِكَ سَبُّهُ أَوَّلَهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ٩

## معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
فَصَرَّهُنَّ إِلَيْكَ	اضْمُمْهُنَّ إِلَيْكَ، وَقَطْعَهُنَّ.
صَفْوَانٍ	حَجَرٍ أَمْلَسَ.
وَابِلٌ	مَطَرٌ غَزِيرٌ.
صُلْبًا	أَجْرَدٌ لَا ثَرَابَ عَلَيْهِ.

## العمل بالآيات

١. تصدق اليوم بصدقة لا يطلع عليها أحد من البشر، ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾.
٢. ابحث في كتب التفسير عن سر ختم آية الحث على الصدقة بصفتي: الواسع العليم لله عز وجل، ﴿ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾.
٣. تواصل اليوم مع محتاج، وقل له قولاً جميلاً، وادع له، وتبسم في وجهه؛ وتصدق عليه حتى يتضاعف أجره، ﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴾.

## التوجيهات

١. إذا كان الإنفاق بحب وتواضع ولا يتبعه من ولا أذى؛ فإنه يدفع عن صاحبه الخوف والحزن في الدنيا، ويوم القيامة، ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُونَ مِمَّا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾.
٢. الكلمة الطيبة والعفو عن الناس أفضل من صدقة فيها أذى، ومنه، ﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴾.
٣. الرياء دليل على ضعف إيمان صاحبه بالله واليوم الآخر، ﴿ كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾.



## ● الوقفات التحريية

﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُبْغُوتُ أَمْوَالَهُمْ آتِيَةً مِّنْ مَّرْصَاتٍ أَفْوٍ وَتَنبِيئًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾

من راض نفسه بحملها على بذل المال -الذي هو شقيق الروح- وذلك له خاضعة، وقل طمعها في اتباعه لشهواتها؛ فسهل عليه حملها على سائر العبادات. ومتى تركها -وهي مطبوعة على النقائص- زاد طمعاً في اتباع الشهوات ولزوم الدنات. البقاعي: ٥١٨/١.

السؤال: بين من خلال الآية أهمية تربية النفس على النفقة والبذل.

﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُبْغُوتُ أَمْوَالَهُمْ آتِيَةً مِّنْ مَّرْصَاتٍ أَفْوٍ وَتَنبِيئًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾

وذلك أن النفقة يعرض لها آفتان: إما أن يقصد الإنسان بها محمدية الناس ومحبهم، وهو الرياء، أو يخرجها على جور وضعف عزيمة وتردد. فهؤلاء سلموا من هاتين الآفتين، فأنفقوا ابتغاء مرضات الله، لا لغير ذلك من المقاصد، وتنبئاً من أنفسهم. السعدي: ١١٤.

السؤال: ما الآفات التي تعرض للمسلم حال إنفاقه؟

﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُبْغُوتُ أَمْوَالَهُمْ آتِيَةً مِّنْ مَّرْصَاتٍ أَفْوٍ وَتَنبِيئًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَمٍ يَرْبُوهُ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَتَأْتَتْ أَكْطُلَهَا ضِغْمَاتٍ فَإِن لَّمْ يُصَيِّبْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ ﴾

أي: يخرجون الزكاة طيبة بها أنفسهم على يقين بالشواب، وتصديق بوعد الله، يعلمون أن ما أخرجوا خير لهم مما تركوا، وقيل: على يقين بإخلاف الله عليهم. البغوي: ٢٨٦/١.

السؤال: بين حال المؤمن عند إخراج الزكاة أو الصدقة.

﴿ الشَّيْطَانُ يَدْعُوكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ ﴾

وقدم وعد الشيطان على أمره؛ لأنه بالوعد يحصل الاطمئنان إليه، فإذا اطمأن إليه، وخاف الفقر؛ تسلط عليه بالأمر. الألوسي: ٤٠/٣.

السؤال: لماذا قدم وعد الشيطان بالفقر على أمره بالفحشاء؟

﴿ الشَّيْطَانُ يَدْعُوكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنَّهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾

الشيطان له مدخل في التشييط للإنسان عن الإنفاق في سبيل الله، وهو مع ذلك يأمر بالفحشاء، وهي المعاصي، والإنفاق فيها. القرطبي: ٣٥٤/٤.

السؤال: بين عمل الشيطان مع المؤمن إذا هم بالصدقة.

﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَدْرِكُهُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾

قال بعض الحكماء: من أعطي العلم والقرآن ينبغي أن يعرف نفسه، ولا يتواضع لأصحاب الدنيا لأجل دنياهم؛ فإنما أعطي أفضل مما أعطي أصحاب الدنيا؛ لأن الله تعالى سمى الدنيا متاعاً قليلاً، فقال: (قل متاع الدنيا قليل) [النساء: ٧٧]، وسمى العلم والقرآن: (خيراً كثيراً). القرطبي: ٣٥٧/٤.

السؤال: بين مكانة من أعطي العلم والقرآن.

﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾

فصلاح القلب وحقه، والذي خلق من أجله هو: أن يعقل الأشياء؛ لا أقول أن يعلمها فقط؛ فقد يعلم الشيء من لا يكون عاقلاً له، بل غافلاً عنه مُلغياً له. والذي يعقل الشيء هو الذي يقبده، ويضبطه، ويعيه، ويثبتته في قلبه؛ فيكون وقت الحاجة إليه غنياً، فيطابق عمله قوله، وباطنه ظاهره؛ وذلك هو الذي أوتي الحكمة. ابن تيمية: ٥٩١/١.

السؤال: ما علامة العقل والحكمة؟

وَمَثَلُ الَّذِينَ يُبْغُوتُ أَمْوَالَهُمْ آتِيَةً مِّنْ مَّرْصَاتٍ أَفْوٍ وَتَنبِيئًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَمٍ يَرْبُوهُ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَتَأْتَتْ أَكْطُلَهَا ضِغْمَاتٍ فَإِن لَّمْ يُصَيِّبْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ وَاللَّهُ يَمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٥١٨﴾ أَيْدُوا أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّجِيلٍ وَأَعْتَابُ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ ضُعْفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥١٩﴾ بَيَّنَّاهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَتَفْقَهُوا مِن طَبْعَتِ مَا كَسَبُوا وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَتِمُّوا الْحَيَاتِ مِنْهُ تُبْغُوتُ وَتَسْتُرُّ بِكَادِيهِ إِلَّا أَن تَعْمُوا فِيهِ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢٠﴾ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنَّهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٢١﴾ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَدْرِكُهُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٥٢٢﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
بِرَبْوَةٍ	مُرْتَفِعٍ مِنَ الْأَرْضِ.
طَلَّ	مَطَرٌ خَفِيفٌ.
تَتِمُّوْا	تَقْصِدُوا.
تُعْمَلُوا	تَتَفَاعَلُوا عَمَّا فِيهِ مِنْ رَدَاءَةٍ وَنَقْصٍ.

## ● العمل بالآيات

١. قل: اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد، والغنيمة من كل بر، ﴿ وَتَنبِيئًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾.
٢. تذكر صدقة أنت متردد فيها، وتصدق بها اليوم إرغاماً للشيطان، ﴿ الشَّيْطَانُ يَدْعُوكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنَّهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾.
٣. اسأل الله أن يرزقك الحكمة، ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَدْرِكُهُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾.

## ● التوجيهات

١. احرص على ضرب الأمثال فإنه يقرب المعاني إلى الأذهان، ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُبْغُوتُ أَمْوَالَهُمْ آتِيَةً مِّنْ مَّرْصَاتٍ أَفْوٍ وَتَنبِيئًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَمٍ يَرْبُوهُ ﴾.
٢. الأمر بالإنفاق اختبار لك فلا تنفق من الردي، وتترك الجيد، ﴿ وَلَا تَتِمُّوا الْحَيَاتِ مِنْهُ تُبْغُوتُ وَتَسْتُرُّ بِكَادِيهِ إِلَّا أَن تَعْمُوا فِيهِ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾.
٣. الخوف من الفقر إنما هو وسوسة شيطانية؛ فلا تجعل الفقر سبباً لترك الإنفاق والأعمال الصالحة، ﴿ الشَّيْطَانُ يَدْعُوكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنَّهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾.

فأله أغنى عنه منكم، فلا تجعلوا لله ما تكرهون. وقيل: معناه: لا تعديلوا عن المال الحلال وتقصدوا إلى الحرام، فتجعلوا تفقنكم منه، والصحيح القول الأول. وعن البراء: «وَلَسْتُمْ بِتَائِيذِي إِلَّا أَنْ تُحْمِضُوا فِيهِ» يقول: لو كان لرجل على رجل، فأعطاه ذلك لم يأخذه؛ إلا أن يرى أنه قد نقصه من حقه. وعن ابن عباس: «وَلَسْتُمْ بِتَائِيذِي إِلَّا أَنْ تُحْمِضُوا فِيهِ» يقول: لو كان لكم على أحد حق، فجاءكم بحق دون حقكم لم تأخذوه بحساب الجيد حتى تنقصوه. قال: فذلك قوله: «إِلَّا أَنْ تُحْمِضُوا فِيهِ» فكيف ترضون لي ما لا ترضون لأنفسكم، وحقي عليكم من أطيب أموالكم وأنفسه؟!!

قوله: «وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَكِيمٌ» أي: وإن أمركم بالصدقات وبالطيب منها فهو غني عنها، وما ذلك إلا لئلا يساوي الغني الفقير، كقوله: «لَنْ يَأْتِيَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَافَهَا وَلَكِنَّ يَأْتِيَ النُّفُوسَ مِنْكُمْ» [الحج: ١٣٧] وهو غني عن جميع خلقه، وجميع خلقه فقراء إليه، وهو واسع الفضل لا يتقذ ما لديه، فمن تصدق بصدقة من كسب طيب، فليعلم أن الله غني واسع العطاء، كريم جواد، سيجزيه بها ويضاعفها له أضعافاً كثيرة، من يقرض غَيْرَ عديم ولا ظلم. وهو الحميد، أي: المحمود في جميع أفعاله وأقواله وشرعه وقدره، لا إله إلا هو، ولا رب سواه.

الآية (٢٦٨): قوله تعالى: «الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ» أي: يخونكم الفقر، لتسكسوا ما بأيديكم فلا تنفقوه في مرضاة الله، «وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ» أي: مع نيه لياكم عن الإنفاق خشية الإملاق، يأمركم بالمعاصي والمآثم والمحارم ومخالفة الحلال.

قال تعالى: «وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنِّي» أي: في مقابلة ما أمركم الشيطان بالفحشاء «وَصَفْلاً» أي: في مقابلة ما خوفكم الشيطان من الفقر «وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ».

الآية (٢٦٩): «يُؤْتِي الْجَنَّةَ مَنْ يَشَاءُ» قال ابن عباس: يعني المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه، وتحكمه ومشابهه، ومقدمه ومؤخره، وحلاله وحرامه، وأمثاله. وقال مجاهد: ليست بالنبوة، ولكنه العلم والفقه والقرآن. وقال مالك: وإنه ليقع في قلبي أن الحكمة هو الفقه في دين الله، وأمر يُدخله الله في القلوب من رحته وفضله، وما بين ذلك: أنك تجد الرجل عاقلاً في أمر الدنيا، ذا نظر فيها، وتجد آخر ضعیفاً في أمر دنياه، عالماً بأمر دينه، بصيراً به، يؤتبه الله إياه ويمرجه هذا، فالحكمة: الفقه في دين الله.

والصحيح أن الحكمة - كما قاله الجمهور - لا تختص بالنبوة، بل هي أعم منها، وأعلها النبوة، والرسالة أخص، ولكن لأتباع الأنبياء حظ من الخبر على سبيل التبعية.

وقوله: «وَمَا يَدْكُرْ إِلَّا أَزْوَاجُ الذَّكَاتِ» أي: وما ينتفع بالموعظة والتذكار إلا من له لب وعقل يمي به الخطاب ومعنى الكلام.

الآية (٢٦٥): هذا مثل المؤمنين المتفنين «أَمْوَالُهُمْ أُتْبِعَتْ» مَرْبُوحَاتِ اللَّهِ عنهم في ذلك «وَتَرْبِيَةً مِّنْ أَنْفُسِهِمْ» أي: وهم متحققون بثبوت أن الله سيجزيهم على ذلك أو فر الجزاء.

وقوله: «كُنُفْلٍ جَنَّتُمْ بِرَبِّوَيْ» أي: كمثل بستان بريرة. وهو عند الجمهور: المكان المرتفع من الأرض. وزاد ابن عباس والضحاك: وتجري فيه الأنهار. وقوله: «أَصَابَهَا وَابِلٌ» وهو المطر الشديد «تَنَالَتْ أَكْثَلَهَا» أي: ثمرتها «ضِعْفَيْنِ» أي: بالنسبة إلى غيرها من الجنان «فَإِنْ لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ» قال الضحاك: هو الرِّذَاف وهو اللين من المطر. أي: هذه الجنة بهذه الربوة لا تمحل أبداً؛ لأنها إن لم يُصبها وابل فطل، وأياً ما كان فهو كفايتها، وكذلك عمل المؤمن لا يبور أبداً، بل يتقبله الله ويكرمه وينمي، كل عامل بحسبه؛ ولهذا قال: «وَاللَّهُ يَمَّا تَمَحُّوْنَ بَصِيرٌ» أي: لا يخفى عليه من أعمال عباده شيء.

الآية (٢٦٦): عن ابن عباس قال: قال عمر بن الخطاب يوماً لأصحاب النبي ﷺ: فيمن ترون هذه الآية نزلت: «أَيُّدُ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّجِيلٍ وَأَعْتَابٍ؟» قالوا: الله أعلم! فغضب عمر فقال: قولوا: نعمل أو لا نعلم. فقال ابن عباس: في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين. فقال عمر: يا ابن أخي، قل ولا تحقر نفسك. فقال ابن عباس: ضربت مثلاً لعمل. قال عمر: أي عمل؟ قال ابن عباس: لعمل. قال عمر: لرجل غني يعمل بطاعة الله، ثم بعث الله له الشيطان فعويل بالمعاصي حتى أغرق أعماله لدواء البخاري.

وفي هذا الحديث كفاية في تفسير هذه الآية، وتبين ما فيها من المثل: بعمل من أحسن العمل أولاً، ثم بعد ذلك انعكس سيره، فبدل الحسنات بالسيئات، عباداً بالله من ذلك، فأبطل بعمله الثاني ما أسلفه فنيا تقدم من الصالح، واحتاج إلى شيء من الأول في أضيق الأحوال، فلم يحصل له منه شيء، وخانه أحوج ما كان إليه؛ ولهذا قال تعالى: «وَأَصَابَهُ الْيَكْرُؤُ، وَذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ» وهو الريح الشديد «فِيهِ نَارٌ فَاسْتَرْقَتْ» أي: أحرق نهارها، وأباد أشجارها، فأبى حال يكون حاله؟ قال تعالى: «كَذَلِكَ يَبْيُثُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَذَكَّرُونَ» أي: تعتبرون وتفهمون الأمثال والمعاني، وتزولونها على المراد منها، كما قال تعالى: «وَالَّذِي آمَنَّا مِنْ نَفْسِهِمَا لِلنَّاسِ وَمَا يَقُولُهَا إِلَّا لِنَعْلَمُونَهُ» [النكبت: ٤٣].

الآية (٢٦٧): يأمر تعالى عباده المؤمنين بالإنفاق - والمراد به الصدقة ههنا. قاله ابن عباس - من طيبات ما رزقهم من الأموال التي اكتسبوها، ومن الثمار والزروع التي أنبتتها لهم من الأرض. قال ابن عباس: أمرهم بالإنفاق من أطيب المال وأجوده وأنفسه، ونهاهم عن التصدق بَرْدَالَةِ المال ودنيته - وهو خبيثه - فإن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، ولهذا قال: «وَلَا تَبْسُمُوا» أي: تقصدوا «الْحَيْثُ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِتَائِيذِي» أي: لو أعطيتكموه ما أخذتكموه، إلا أن تنفصوا فيه،

وعن أبي مسعود عن النبي ﷺ أنه قال: «إن المسلم إذا أنفق على أهله نفقة يحسبها كانت له صدقة» [متفق عليه]. وقوله: ﴿قُلْهُمْ جَزَاءُكُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ أي: يوم القيامة على ما فعلوا من الإنفاق في لطاعات **وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**.



## ● الوقفات التدريبية

﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا أَنَّفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا أَنَّفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا أَنَّفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ ﴾

لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿

ففي إلهامه أن الله أخذ بيد السخي وبيد الكريم كلما عثر، فيجد له نصيراً، ولا يجد الظالم بوضع القهر موضع البر ناصراً. البقاعي: ٥٢٥/١. السؤال: لم ختمت الآية بقوله سبحانه: (وما للظالمين من أنصار) بعد الحث على الإنفاق؟

﴿ إِنْ تَبَدُّوا الْمَدَقَاتِ فِيمَا هِيَ وَلَنْ تُخَفُّوهُا وَتُؤْتُوهُا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾

ففي هذا: أن صدقة السر على الفقير أفضل من صدقة العلانية، وأما إذا لم تؤت الصدقات الفقراء فمفهوم الآية أن السر ليس خيراً من العلانية، فيرجع في ذلك إلى المصلحة: فإن كان في إظهارها إظهار شاعر الدين وحصول الاقتداء ونحوه فهو أفضل من الإسرار. السعدي: ١١٦.

السؤال: ما الأفضل في الصدقات: السر أم العلانية؟

﴿ وَلَنْ تُخَفُّوهُا وَتُؤْتُوهُا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾

فيه دلالة على أن إسرار الصدقة أفضل من إظهارها؛ لأنه أبعد عن الرياء ابن كثير: ٣٠٥/١.

السؤال: لم كان إسرار الصدقة أفضل من إظهارها؟

﴿ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا أَنْيَكَةً وَجُوهَ اللَّهِ ﴾

لا تنفقوا إلا لأجل طلب وجه الله تعالى، أو لإطالين وجهه سبحانه؛ لا مؤذين، ولا مانين، ولا مرائين، ولا متيمين الخبيث. الألوسي: ٤١/٣. السؤال: اذكر أنواع الآفات التي تبطل الصدقة، أو تقلل أجرها.

﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَكُمْ أَمْوَالُكُمْ بِمَا أَنْفَقْتُمْ لِيَعْلَمَنَ الَّذِينَ يُخَفُّونَ أَنْهُمْ يُنْفِقُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لِيُغْنِيَهُمْ عَنْهُ وَلَا يَحْزَنُوا ﴾

أي: يظن الجاهل بحالهم أنهم أغنياء؛ لقلته سؤالهم، والتعفف هنا هو عن الطلب (تعرفهم بسيماهم)، علامة وجوههم؛ وهي ظهور الجهد والفاقة، وقلة النعمة، وقيل: الخشوع، وقيل: السجود. (لا يسألون الناس إلحافاً): الإلحاف هو الإلحاح في السؤال؛ والمعنى: أنهم إذا سألوا يتلطفون ولا يلحون. وقيل: هو نفي السؤال والإلحاح معاً. ابن جزي: ١٢٧/١.

السؤال: ما الصفات التي امتدح الله بها فقراء المؤمنين في هذه الآية؟

﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ ﴾

وإنما خص فقراء المهاجرين لأنه لم يكن هناك سواهم، وهم أهل الصفة، وكانوا نحواً من أربع مئة رجل؛ وذلك أنهم كانوا يقدّمون فقراء على رسول الله ﷺ، وهم أهل ولا مال، فبُيِّنَت لهم صفة في مسجد رسول الله ﷺ، فقيل لهم: أهل الصفة. القرطبي: ٣٧١/٤.

السؤال: ما سبب فقر أهل الصفة؟

﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْأَيْدِي وَالْأَلْيَادِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

قدم الليل على النهار، والسر على العلانية؛ للإيذان بمزية الإخفاء على الإظهار. الألوسي: ٤٧/٣.

السؤال: لماذا قدم الليل على النهار، والسر على العلانية؟

وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ. وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٥٣﴾ إِنْ تَبَدُّوا الْمَدَقَاتِ فِيمَا هِيَ وَإِنْ تُخَفُّوهُا وَتُؤْتُوهُا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيَكْفُرْ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٥٤﴾ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا يُنْفِقُ عَنْكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا لِيُغْنِيَ اللَّهُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٥٦﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْأَيْدِي وَالْأَلْيَادِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٥٧﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
أُحْصُوا	حُسِبُوا عَنْ طَلَبِ الرِّزْقِ لِلْجَاهِدِ.
بِسِيمَاهُمْ	بِعَلَامَاتِهِمْ، وَأَتَارِ الْحَاجَةِ فِيهِمْ.
إِلْحَافًا	إِلْحَافًا فِي السُّؤَالِ.

## ● العمل بالآيات

١. حدد أناساً ترى أن عليهم آثار الغفلة، ثم ألح على الله بالدعاء بهدياتهم، لعل الله يكتب لك أجرهم. ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾.
٢. تذكر ذنباً فعلته، ثم تصدق بصدقة، لعل الله يغفره لك، ﴿ إِنْ تَبَدُّوا الْمَدَقَاتِ فِيمَا هِيَ وَلَنْ تُخَفُّوهُا وَتُؤْتُوهُا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيَكْفُرْ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴾.
٣. ابحث عن عمل خير تأخر الناس في التبرع له، وبادر وإعلن عن صدقتك؛ ليحصل لك بذلك اجر الاقتداء به، ﴿ إِنْ تَبَدُّوا الْمَدَقَاتِ فِيمَا هِيَ وَلَنْ تُخَفُّوهُا وَتُؤْتُوهُا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾.

## ● التوجيهات

١. السر والعلانية في الأعمال الصالحة تختلف باختلاف المصلحة المرجوة من كل منهما، ﴿ إِنْ تَبَدُّوا الْمَدَقَاتِ فِيمَا هِيَ وَلَنْ تُخَفُّوهُا وَتُؤْتُوهُا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾.
٢. الداعية يهتم بإيصال الدعوة على الوجه المطلوب، وليس مطالباً بأن يستجيب الناس لدعوته، ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾.
٣. عود نفسك الغفلة وترك سؤال الناس، وطلب الحاجات منهم؛ فإن من استغنى بالله اغناه الله، ﴿ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ﴾.



## ● الوقفات التدبرية

﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾

يُبعث كالجنون؛ عقوبة له، وتمقيتاً عند جميع أهل الحشر. القرطبي: ٣٩٠/٤.

السؤال: كيف يُبعث المرابي يوم القيامة؟

﴿يَمَسُّهُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُجِبُ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾

ولا بد من مناسبة في ختم هذه الآية بهذه الصفة؛ وهي أن المرابي لا يرضى بما قسم الله له من الحلال، ولا يكتفي بما شرع له من الكسب المباح، فهو يسعى في أكل أموال الناس بالباطل بأنواع المكاسب الخبيثة، فهو جحود لما عليه من النعمة، ظلم أثم، يأكل أموال الناس بالباطل. ابن كثير: ٣١٢/١.

السؤال: لماذا وصف أكل الربا بأنه كفار أثيم؟

﴿يَمَسُّهُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُجِبُ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾

عن ابن عباس رضي الله عنهما: (يمسح الله الربا) يعني: لا يقبل منه صدقة، ولا جهاد، ولا حجاب، ولا صلوة. (ويرى الصدقات) أي: يثمرها ويبارك فيها في الدنيا، ويضاعف بها الأجر والثواب في العقبى، (والله لا يحب كل كفار) بتحريم الربا، (أثيم) فاجر بأكله. البغوي: ٣٠٢/١.

السؤال: ما أثر الربا على أكله؟

﴿يَمَسُّهُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ﴾

وهذا لأن الجزء من جنس العمل؛ فإن المرابي قد ظلم الناس، وأخذ أموالهم على وجه غير شرعي؛ فجوزي بنهاب ماله، والمحسن إليهم بأنواع الإحسان ربه أكرم منه، فيحسن عليه كما أحسن على عباده. السعدي: ١١٧.

السؤال: لماذا كان جزاء المرابي محق ماله، وجزاء المحسن تنمية حسنته؟

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

وخص الصلاة والزكاة بالذكر، وقد تضمنتهما عمل الصالحات؛

تشريعاً لهما، وتنبيهاً على قدرهما؛ إذ هما رأس الأعمال: الصلاة في أعمال البدن، والزكاة في أعمال المال. القرطبي: ٤٠٣/٤.

السؤال: لم خص الله تعالى الصلاة والزكاة بالذكر؟

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

الربا والإيمان لا يجتمعان، وأكثر بلايا هذه الأمة- حتى أصابها ما أصاب بني إسرائيل من البأس الشنيع، والانتقام بالسنين- إنما هو من عمل من عمل بالربا. البقاعي: ٥٤١/١.

السؤال: لماذا جاء التشديد بتحريم الربا؟

﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَنَفَعُوا لِنَفْسِهِمْ وَمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾

من علم أنه راجع إلى الله فمجازيه على الصغير والكبير، والجلي والخفي، وإن الله لا يظلمه مثقال ذرة؛ أوجب له الرغبة والرهبة. السعدي: ١١٧-١١٨.

السؤال: ما ثمرة علم الإنسان أنه راجع إلى ربه؟

الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَلَعَلَّ اللَّهَ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَاتَّبَعَهَا مَسَلَفٌ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٥٥﴾ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٥٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٥٧﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتِغُوا فَلََكُمْ رُدُّهُُمْ أَمْوَالُكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَقْمُوا يَوْمَ تَارُجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦١﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
يَتَخَبَّطُهُ	يَصْرَعُهُ.
الْمَسِّ	الْجُنُونُ.
يَمْحَقُ	يَنْقُصُ، وَيُدْهِبُ الْبَرَكَةَ.
وَيُزِي	يَزِيدُ، وَيُثْمِرُ.
فَأَذَنُوا	اسْتَيْقِنُوا.

## ● العمل بالآيات

- أرسل رسالته تحذر فيها من خطر الربا على صاحبه، وعلى المسلمين، ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾.
- حافظ على الصلوات الخمس مع الجماعة، ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.
- ساعد معسراً أو اشفع له في قضاء دينه، ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

## ● التوجيهات

- الذي يتعامل بالربا فقد الحكمة التي تقوده إلى طريق الحق، ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾.
- المال المحرم محق البركة، وهو ضرر على صاحبه، والصدقة سبب للمساعدة في الدنيا والآخرة، ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِي الصَّدَقَاتِ﴾.
- هذه الآية تحتاج إلى ترديد لتستقر في القلوب، ويفيض أثرها على الجوارح، ﴿وَأَقْمُوا يَوْمَ تَارُجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

«من تصدق بعدل ثمرة من كسب طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب، وإن الله ليقبلها بيمينه، ثم يربيها لصاحبه كما يربي أحدكم فلوه، حتى يكون مثل الجبل» [متفق عليه]. وقوله: ﴿وَاللَّهُ لَا يَجِبُ كُلَّ كَفَّارٍ أَتَمٍّ﴾ أي: لا يجب كفور القلب، أتمم القول والفعل.

ولا بد من مناسبة في ختم هذه الآية بهذه الصفة؛ وهي أن المرابي لا يرضى بما قسم الله له من الحلال، ولا يكتفي بما شرع له من التكسب المباح، فهو يسعى في أكل أموال الناس بالباطل، بأنواع المكاسب الخبيثة، فهو جحود لما عليه من النعمة، ظلم أنكم بأكل أموال الناس بالباطل.

الآية (٢٧٧): ثم قال تعالى مادحاً للمؤمنين ببرهم، المطيعين أمره، المؤدين شكره، المحسنين إلى خلقه في إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، مخبراً عما أعد لهم من الكرامة، وأنهم يوم القيامة من التبعات آمنون، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

الآية (٢٧٨-٢٧٩): يقول تعالى أمراً لعباده المؤمنين بتقواه، ناهياً لهم عما يقرّبهم إلى سخطه ويُعدهم عن رضاه، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ۖ أَيُّ خَافُوهُ وَرَاقِبُوهُ فِيمَا تَفْعَلُونَ ۖ وَذَرُوا مَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ أَرْبَابٍ ۖ أَيُّ اتَّكَمُوا لَكُمْ عَلَى النَّاسِ مِنْ الزِّيَادَةِ عَلَى رُؤُوسِ الْأُمُورِ، بَعْدَ هَذَا الْإِنذَارِ ۖ إِنَّ كُنُفُوتَيْنِ ۖ أَيُّ بَسَا شَرَعَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ تَحْلِيلِ الْبَيْعِ، وَتَحْرِيمِ الرِّبَا وَغَيْرِ ذَلِكَ.

﴿إِنْ لَمْ تَقْمُوا فَأَذَنُوا يَحْرَبَنَّ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ﴾: هذا تهديد شديد ووعد أكيد لمن استمر على تعاطي الربا بعد الإنذار؛ قال ابن عباس: ﴿فَأَذَنُوا يَحْرَبَنَّ﴾ أي: استبقينا بحرب من الله ورسوله، وقال: فمن كان مقيماً على الربا لا ينزع عنه كان حقاً على الإسمان أن يستيبه، فإن نزع وإلا ضرب عنقه.

ثم قال تعالى: ﴿وَأَنْ تَنْتَبِهُوا فَلَكُمْ زُجُورٌ ۖ أَيُّ بَوَّضَ رُؤُوسِ الْأُمُورِ أَيْضاً، بل لكم ما بذلتكم من غير زيادة عليه ولا نقص منه.

الآية (٢٨٠): يأمر تعالى بالبصر على المفسير الذي لا يجد وفاءً، فقال: ﴿وَأَنْ كَانَتْ ذُو عُنُقٍ فَنُزِلَتْ إِلَىٰ مَسْرَفٍ ۖ لَا كَمَا كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ، يقول أحدهم لمدينه إذا حلّ عليه الدين، إما أن تقضي وإما أن تُربي. ثم يندب [الله] إلى الوضع عنه، ويعدّ على ذلك الخبير والثواب الجزيل، فقال: ﴿وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: وأن تركوا رأس المال بالكلية وتضعوه عن المدين.

روى أبو اليسر: أن رسول الله ﷺ قال: «من أنظر مُعْسِراً أو وضع عنه؛ أظله الله عز وجل في ظله يوم لا ظل إلا ظله» [أخرجه مسلم].

الآية (٢٨١): ثم قال تعالى يعظ عباده ويذكرهم زوال الدنيا وفناء ما فيها من الأموال وغيرها، وإتيان الآخرة والرجوع إليه تعالى ومحاسبته تعالى خلقه على ما عملوا، ومجازاته إياهم بما كسبوا من خير وشر، ويحذرهم عقوبته، فقال: ﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ وقد روي أن هذه الآية آخر آية نزلت من القرآن العظيم.

الآية (٢٧٥): لما ذكر تعالى الأبرار المؤدين التفقات، المُخرجين الزكوات، شرع في ذكر أكلة الربا وأموال الناس بالباطل وأنواع الشبهات، فأخبر عنهم يوم خروجهم من قبورهم وقيامهم منها إلى بعثهم ونشورهم، فقال: ﴿الَّذِينَ يَكُونُونَ الرِّبَا لَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ۖ أَيُّ لَا يَقُومُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الْمَصْرُوعُ حَالٍ صَرَعَهُ وَتَحِيْطُ الشَّيْطَانِ لَهُ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ يَقُومُ قِيَامًا مَنَكْرًا. وقال ابن عباس: أكل الربا يبعث يوم القيامة مجنوناً مجنُن. وقد روى البخاري، عن سمرة بن جندب، في حديث المنام الطويل: «فأتينا على نهر- حسب أنه كان يقول: أحر مثل الدم- وإذا في النهر رجل سابع يسبح، وإذا على شط النهر رجل قد جمع عنده حجارة كثيرة، وإذا ذلك السابح يسبح [ما يسبح] ثم يأتي ذلك الذي قد جمع الحجارة عنده فيفغر له فاه فيلقمه حجراً» وذكر في تفسيره: أنه أكل الربا. قوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ۖ أَيُّ إِنَّا جُورُوا بِذَلِكَ لاعتراضهم على أحكام الله في شرعه، وليس هذا قياساً منهم للربا على البيع؛ لأن المشرّكين لا يعترفون بمشروعية أصل البيع الذي شرعه الله في القرآن، ولو كان هذا من باب القياس لقالوا: إنما الربا مثل البيع، وإنما قالوا: ﴿إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ۖ أَيُّ هُوَ نظيره، فلم يحرم هذا وأبيح هذا؟ وهذا اعتراض منهم على الشرع. أي: هذا مثل هذا، وقد أحل هذا وحرم هذا. ويحتمل أن يكون من تمام الكلام ردّاً عليهم، أي: قالوا ما قالوه من الاعتراض، مع علمهم بتفريق الله بين هذا وهذا حكماً، وهو العليم الحكيم الذي لا يُعقَّب لحكمه، ولا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون، وهو العالم بحقائق الأمور ومصلحتها، وما ينفع عباده فيبيحه لهم، وما يضرهم فيهاهم عنه، وهو أرحم بهم من الوالدة بولدها الطفل، ولهذا قال: ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَبِهْ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ ۖ أَيُّ مِنْ بَلَّغَهُ نَبِيُّ اللَّهِ عَنْ الرِّبَا فَانْتَبِهْ حَالِ وَصُولِ الشَّرْعِ إِلَيْهِ، فله ما سلف، قال سعيد بن جبير والسدي: ما كان أكل من الربا قبل التحريم. قال النبي ﷺ [في حجة الوداع]: «وكل ربا في الجاهلية موضوع تحت قدمي هاتين، وأول ربا أضع ربا العباس» [رواه مسلم]. ثم قال تعالى: ﴿وَمَنْ عَادَ ۖ أَيُّ إِلَى الرِّبَا فَعَمَلُهُ بَعْدَ بُلُوغِ نَبِيِّ اللَّهِ عَنْهُ، فقد استوجب العقوبة، وقامت عليه الحجة؛ ولهذا قال: ﴿فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

الآية (٢٧٦): يخبر الله تعالى أنه يمحى الربا، أي: يُنْهَب، إما بأن يُنْهَبه بالكلية من يد صاحبه، أو يُحَوِّمَهُ بركة ماله فلا يتصف به، بل يعذب به في الدنيا ويعاقبه عليه يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿وَيَجْعَلُ الْآخِثَ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمُوهُمْ جُوعًا وَيَجْعَلُهُمْ فِي جَهَنَّمَ﴾ [الأنفال: ٤٣]. وعن عبد الله بن مسعود، عن النبي ﷺ، أنه قال: «إن الربا وإن كثّر فإن عاقبته تصير إلى قُلٍّ» [رواه أحمد، وصححه إسناده أحمد شاكر]. وهذا من باب للمعاملة بقبض المقصود.

وقوله: ﴿وَيُرِي الصَّكَدَ﴾ قرئ: بضم الباء والتخفيف، من «رَبَا» الشيء يربو وأرباه يربيه، أي: كثّره وتناهى بنميه. وقرئ: «وَيُرِي» بالضم والتشديد، من التربية. وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:



وقال مجاهد وأبو مجلز وغير واحد: إذا دُعيتَ لشَهِد فأتَ بالخبير، وإذا شهدت فُدُعيت فأتَجب.

وقوله: ﴿وَلَا تَسْقُطُوا عَنْ تَكْلِيبِهِ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَهُ أَجَلِهِ﴾ هذا من تمام الإرشاد، وهو الأمر بكتابة الحق صغيراً كان أو كبيراً، فقال: ﴿وَلَا تَسْقُطُوا﴾ أي: لا تملأوا أن تكتبوا الحق على أي حال كان من القلة والكثرة ﴿إِلَهُ أَجَلِهِ﴾. وقوله: ﴿ذَلِكَ أَسْقَطَ عَنْهُ وَأَقَامَ لِلشَّهَدَةِ وَأَذَقَ آلَ تَرْكَائِي﴾ أي: هذا الذي أمرناكم به من الكتابة للحق إذا كان موجلاً هو ﴿أَسْقَطَ عَنْهُ﴾ أي: أعدل ﴿وَأَقَامَ لِلشَّهَدَةِ﴾ أي: أثبت للشاهد إذا وضع خطه ثم رآه تذكّر به الشهادة، لاحتمال أنه لو لم يكتبه أن ينساه، كما هو الواقع غالباً ﴿وَأَذَقَ آلَ تَرْكَائِي﴾ وأقرب إلى عدم الريبة، بل ترجعون عند التنازع إلى الكتاب الذي كتبتموه، فيفصل بينكم بلا ريبة.

وقوله: ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تَحَرُّرَ حَابِرَةٍ تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا﴾ أي: إذا كان البيع بال حاضر يداً بيد، فلا بأس بعدم الكتابة لاتقاء المحذور في تركها. فأما الإشهاد على البيع فقد قال تعالى: ﴿وَأَشْهَدُوا إِذَا بَيَّعْتُمْ﴾ روى ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير في قول الله: ﴿وَأَشْهَدُوا إِذَا بَيَّعْتُمْ﴾ يعني: أشهدوا على حقكم إذا كان فيه أجل أو لم يكن، فأشهدوا على حقكم على كل حال. وقال الشعبي والحسن: هذا الأمر منسوخ بقوله: ﴿فَإِنْ آمَنَ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ فَلْيُؤَدِّ الْأُتْرُقَ أَمْنَتَهُ﴾ [البقرة: ٢٨٣]. وهذا الأمر محمول عند الجمهور على الإرشاد والتدب، لا على الوجوب. ولكن الاحتياط هو الإشهاد.

وقوله: ﴿وَلَا يَصْنَعُ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ قيل: معناه: لا يضار الكاتب ولا الشاهد، فيكتب هذا خلاف ما يُعَلِّي، ويشهد هذا بخلاف ما سمع أو يكتبها بالكلية. وهو قول الحسن وقتادة وغيرهما. وقيل: معناه: لا يضّرّ بهما. وعن ابن عباس في هذه الآية قال: يأتي الرجل فيدعوهما إلى الكتاب والشهادة، فيقولان: إنا على حاجة، فيقول: إنكما قد أمرتما أن تُغيبا. فليس له أن يضارهما. وقوله: ﴿وَلِنْ تَعْلَمُوا لِقَائِهِ فُسُوءًا بِكُمْ﴾ أي: إن خالفتم ما أمرتم به، وفعلتم ما نهيتكم عنه، فإنه فسق كافن بكم، أي: لازم لكم لا تحيدون عنه ولا تنفكوا عنه.

وقوله: ﴿وَأَنشَأَ اللَّهُ﴾ أي: أي: خافوه وراقبوه، واتبعوا أمره، واتركوا زجره ﴿وَوَعَلَّكُمْ اللَّهُ﴾، كقوله: ﴿يَتَأْتِيهِ الْبَرِّ مَاسُوا إِنْ تَنفَعُوا اللَّهَ يُعْمَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩]، وقوله: ﴿يَتَأْتِيهِ الْبَرِّ مَاسُوا أَنشَأَ اللَّهُ وَءَامَنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ [الحديد: ٢٨]. وقوله: ﴿وَاللَّهُ يَكْلِفُ نَفْسًا عَلَيْهِ﴾ أي: هو عالم بحقائق الأمور ومصالحها وعواقبها، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء، بل علمه محيط بجميع الكائنات.

الآية (٢٨٢): هذه الآية الكريمة أطول آية في القرآن العظيم. قوله: ﴿يَتَأْتِيهِ الْبَرِّ مَاسُوا إِذَا تَدَايَعْتُمْ بَيْنِي إِلَهُ أَكَلِي مُسَكَّى فَاتَّخِذُوا﴾ هذا إرشادٌ منه تعالى لعباده المؤمنين إذا تعاملوا بعمليات موجلة أن يكتبوها؛ ليكون ذلك أحفظ لمقارها وميقاتها، وأضبط للشاهد فيها، وقد نبّه على هذا في آخر الآية حيث قال: ﴿ذَلِكَ أَسْقَطَ عَنْهُ وَأَقَامَ لِلشَّهَدَةِ وَأَذَقَ آلَ تَرْكَائِي﴾.

وعن ابن عباس قال: أشهد أن السلف المضمون إلى أجل مسمى أن الله أحله وأذن فيه، ثم قرأ: ﴿يَتَأْتِيهِ الْبَرِّ مَاسُوا إِذَا تَدَايَعْتُمْ بَيْنِي إِلَهُ أَكَلِي مُسَكَّى﴾ [رواه البخاري]. وثبت في الصحيحين عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «من أسلف فليسلف في كيل معلوم، ووزن معلوم، إلى أجل معلوم». وقوله: ﴿فَاتَّخِذُوا﴾ أمرٌ منه تعالى بالكتابة للتوثيق والحفظ. وقوله: ﴿وَلْيَكُتِبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾ أي: بالقسط والحق، ولا يجرّ في كتابته على أحد، ولا يكتب إلا ما اتفقوا عليه من غير زيادة ولا نقصان.

وقوله: ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكُتِبْ﴾ أي: ولا يمنع من يعرف الكتابة إذا سُئِلَ أن يكتب للناس، ولا ضرورة عليه في ذلك، فكما علمه الله ما لم يكن يعلم، فلْيَتَصَدَّقْ على غيره ممن لا يُحَسِّنُ الكتابة وليكتب. وقال مجاهد وعطاء: واجب على الكاتب أن يكتب. وقوله: ﴿وَلْيُسَلِّلِ الْبَرِّ عَلَيْهِ الْحَقَّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾ أي: ولْيُسَلِّلِ المدين على الكاتب ما في ذمته من الدين، ولْيَتَّقِ الله في ذلك ﴿وَلَا يَتَخَسَّ مِنْهُ شَيْئًا﴾ أي: لا يكتسب منه شيئاً ﴿فَإِنْ كَانَ الْبَرِّ عَلَيْهِ الْحَقَّ سَلِّهَا﴾ محجوراً عليه بتبذير ونحوه ﴿أَوْ صَعِيبًا﴾ أي: صغيراً أو مجنوناً ﴿أَوْ لَا يَسْطِيعُ أَنْ يُعْلِمَ هُوَ﴾ إما لمي أو جهل بموضع صواب ذلك من خطئه ﴿فَلْيُسَلِّلْ وَلْيُتَّقِ بِالْعَدْلِ﴾.

وقوله: ﴿وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ أمرٌ بالإشهاد مع الكتابة لزيادة التوثيق ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُنَا رِجَالَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ﴾ وهذا إنما يكون في الأموال وما يُقصد به المال، وإنما أُقيمت المرأتان مقام الرجل لنقصان عقل المرأة، كما روى مسلم عن النبي ﷺ أنه قال: «أما نقصان عقلها فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل، فهذا نقصان العقل». وقوله: ﴿وَمَنْ رَضَوْا مِنْ الشَّهَادَةِ﴾ فيه دلالة على اشتراط العدالة في الشهود. وقوله: ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا﴾ يعني: المرأتين إذا نسيت الشهادة ﴿فَتَذْكُرْ إِحْدَاهُمَا الْآخَرَى﴾ أي: يحصل لها ذكرى بها وقع به الإشهاد. وقوله: ﴿وَلَا يَأْبَ الشَّهَدَةُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ قيل: معناه: إذا دُعوا للتحمل فعليهم الإجابة. وهذا كقوله: ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكُتِبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكُتِبْ﴾ وقيل -وهو مذهب الجمهور-: المراد بقوله: ﴿وَلَا يَأْبَ الشَّهَدَةُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ للاداء، لحقيقة قوله: ﴿الشَّهَدَةُ﴾ والشاهد حقيقة فيمن تحمّل، فإذا دُعي لأدائها فعليها الإجابة إذا تمعّنت وإلا فهو فرض كفاية.



## ● الوقفات التدريبية

● ﴿يَأْتِيهَا الذُّرْبُ مَأْمُوتًا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَيَّ أَجَلُ مُسْكًى فَاصْتَبُوهُ﴾  
الأمر بالكتب ندب إلى حفظ الأموال وإزالة الريب، وإذا كان الغريم  
تقياً فما يضره الكتاب. القرطبي: ٤/٣١٤.

السؤال: لم أمر الله تعالى بالكتابة في الدين ونحوه من المعاملات؟

● ﴿يَأْتِيهَا الذُّرْبُ مَأْمُوتًا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَيَّ أَجَلُ مُسْكًى فَاصْتَبُوهُ﴾  
الأمر بكتابة جميع عقود المداينات ... لشدة الحاجة إلى كتابتها؛ لأن  
بدون الكتابة يدخلها الغلط، والنسيان، والمنازعة، والمشاجرة شر عظيم.  
السعدي: ١٨.

السؤال: لماذا أمر الشرع بكتابة الديون؟

● ﴿يَأْتِيهَا الذُّرْبُ مَأْمُوتًا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَيَّ أَجَلُ مُسْكًى فَاصْتَبُوهُ﴾  
والتدائن من أعظم أسباب رواج المعاملات؛ لأن المقتدر على تنمية المال قد  
يعوزه المال؛ فيضطر إلى التدائن ليظهر مواهبه في التجارة، أو الصناعة،  
أو الزراعة، ولأن المترفع قد ينضب المال من بين يديه، وله قبل به بعد  
حين، فإذا لم يتدائن اختل نظام ماله. ابن عاشور: ٩٨/٣.

السؤال: ما حكمة إباحة التدائن في الإسلام؟

● ﴿وَلْيَكُتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبًا بِالْكِتَابِ﴾  
أن يكون الكاتب عارفاً بكتابة الوثائق، وما يلزم فيها كل واحد منهما،  
وما يحصل به التوثيق؛ لأنه لا سبيل إلى العدل إلا بذلك. السعدي: ١٨.

السؤال: من الكاتب المعتبر في كتابة الديون؟

● ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُنْ جَاهِلًا فَرِيضًا وَأَمْرًا كَانَ وَمَنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾  
والعدالة شرط؛ وهي أن يكون الشاهد مجتنباً للمكابر، غير مصر على  
الصفائر، والمروءة شرط؛ وهي ما يتصل بأداب النفس مما يعلم أن  
تاركه قليل الحياء؛ وهي: حسن الهيئة، والسيرة، والعشرة، والصناعة.  
فإن كان الرجل يظهر من نفسه شيء منها ما يستحي أمثاله من إظهاره  
في الأغلب؛ يعلم به قلته مروءته، وترد شهادته. البغوي: ٣٩/١.

السؤال: ما المقصود بصفتي المروءة والعدالة؟

● ﴿وَأَتْلَوْا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾  
وعد من الله تعالى بأن من اتقاه علمه؛ أي: يجعل في قلبه نوراً يفهم به ما  
يُلْقَى إليه، وقد يجعل الله في قلبه ابتداء فرقاناً؛ أي: فيصلاً يفصل به بين  
الحق والباطل. القرطبي: ٤/٦٤٤.

السؤال: كيف ينال العبد العلم من الله تعالى؟

● ﴿وَأَتْلَوْا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾  
وختم آيات هذه المعاملات بصفة العلم بعد الأمر بالتقوى في غاية  
المناسبة - لما يفعله المتعاملون من الحيل التي يجتلب كل منهم بها الحظ  
لنفسه - والترغيب في امتثال ما أمرهم به. البقاعي: ٥٤٩/١.

السؤال: لماذا ختم آيات هذه المعاملات بصفة العلم بعد الأمر بالتقوى؟

يَأْتِيهَا الذُّرْبُ مَأْمُوتًا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَيَّ أَجَلُ مُسْكًى  
فَاصْتَبُوهُ وَلْيَكُتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبًا بِالْكِتَابِ وَلَا يَأْب  
كَاتِبٌ أَنْ يَكُتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكُتُبْ وَلْيُمِلِلِ  
الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا  
فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْطِيعُ  
أَنْ يُحْمِلَ هُوَ فَلْيُمِلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ  
مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ  
وَمَنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ  
إِحْدَاهُمَا الْآخَرَى وَلَا يَأْب الشَّهَادَةُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْمَعُوا  
أَنْ تَكُتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ  
عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَفَرَأَىٰ إِلَّا أَنْ تَكُونَ  
بِجَرَّةٍ حَاضِرَةٍ تُدِيرُ وَنَهَايْتُمْ كُفْلَيْسَ عَلَيْهِ كُفْرُ جَنَاحٍ  
أَلَّا تَكُتُبُوهَا وَأَشْهَدُوا إِذَا تَابَ يَعْتَرُ وَلَا يَضَارُ كَاتِبٌ  
وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَقَاعُوا فَإِنَّمَا فَسُوفَ يُكْتَبُ وَاتَّقُوا  
اللَّهَ وَيَعْلَمُ كُفْرُ اللَّهِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
وَلَا يَأْب	لَا يَمْتَنِعُ.
وَلْيُمِلِلِ	لْيُمِلِ، وَيُقَرِّرْ.
يَبْخَسْ	يَنْقُصْ.
سَفِيهًا	مَحْجُورًا عَلَيْهِ؛ لِتَبَذِيرِهِ.
ضَعِيفًا	كَالصَّغِيرِ وَالْجُنُونِ.
تَسْمَعُوا	تَمَلُّوْا.
وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ	أَعْظَمُ عَوْنًا عَلَى إِقَامَةِ الشَّهَادَةِ.

## ● العمل بالآيات

١. بادر اليوم بكتابة كل دين لك أو عليك، لكي لا تضع حقلك وحق وراثتك أو حقوق الناس، ﴿يَأْتِيهَا الذُّرْبُ مَأْمُوتًا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَيَّ أَجَلُ مُسْكًى فَاصْتَبُوهُ﴾.
٢. اقترض شخصاً محتاجاً مبلغاً من المال، واكتب ذلك، ﴿يَأْتِيهَا الذُّرْبُ مَأْمُوتًا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَيَّ أَجَلُ مُسْكًى فَاصْتَبُوهُ﴾.
٣. حدد مهارة من الله بها عليك، وعلمها غيرك شكراً لله تعالى، ﴿وَلْيَكُتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبًا بِالْكِتَابِ﴾.

## ● التوجيهات

١. ضبط أحكام الأموال طريق لضبط أعمال القلوب، وضبط أعمال القلوب فيه صلاح الدين والدنيا ﴿يَأْتِيهَا الذُّرْبُ مَأْمُوتًا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَيَّ أَجَلُ مُسْكًى فَاصْتَبُوهُ﴾.
٢. على من خصه الله بنعمة يحتاج الناس إليها أن يبذلها لهم؛ فإن ذلك من شكره لله على هذه النعمة، ﴿وَلَا يَأْب كَاتِبٌ أَنْ يَكُتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾.
٣. تقوى الله هي السبب الأول للعلم، ﴿وَأَتْلَوْا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿ قُلُوبُ الَّذِينَ أُوتُوا آمَنَتْهُ وَلَيْسَ اللَّهُ رَئِيَهُ ﴾

وقد أمر سبحانه بالتقوى عند الوفاء حسبما أمر بها عند الإقرار؛ تعظيماً لحقوق العباد، وتحذيراً عما يوجب وقوع الفساد. الألوسي: ٦٣/٣.

السؤال: لماذا أمر سبحانه بالتقوى عند الوفاء، وأمر بها ثانية عند الإقرار؟

﴿ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آتِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾

خص القلب بالإثم إذ الكتم من أفعاله، وإذ هو المضفة التي يصلح الجسد كله. القرطبي: ٤٧٨/٤.

السؤال: لماذا خص الله تعالى ذكر القلب في هذه الآية؟

﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَنْ مَقْبُوضَةً فَإِنْ آمَنَ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُوتِيَ آمَنَتْهُ وَلَيْسَ اللَّهُ رَئِيَهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آتِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾

وقد اشتملت هذه الأحكام الحسنة التي ارشد الله عباده إليها على حكم عظيمة ومصالح عميمة؛ دلت على أن الخلق لو اهتموا بإرشاد الله لصلحت دنياهم مع صلاح دينهم؛ لاشتمالها على العدل والمصلحة، وحفظ الحقوق، وقطع المشاجرات والمنازعات، وانتظام أمر المعاش. السعدي: ١١٩-١٢٠.

السؤال: ما الذي يصلح دين الخلق ودنياهم؟

﴿ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾

وتقديم السمع والطاعة على طلب الغفران لما أن تقدم الوسيلة على المستول أقرب إلى الإجابة والقبول. الألوسي: ٦٩/٣.

السؤال: لماذا قدم السمع والطاعة على طلب الغفران؟

﴿ لَا يَكْفِيكَ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وَشَهِدَ ﴾

فأصل الأوامر والنواهي ليست من الأمور التي تشق على النفوس، بل هي غذاء للأرواح، ودواء للأبدان، وحمية عن الضرر؛ فالله تعالى أمر العباد بما أمرهم به رحمةً وإحساناً. السعدي: ١٢٠.

السؤال: تكاليف الشريعة كلها رحمة وإحسان، دلت على هذا من خلال هذه الآية.

﴿ لَا يَكْفِيكَ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وَشَهِدَ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ جاءت العبارة في الحسنات (لها) من حيث هي مما يضر المرء بكسبه ويسر بها، فتضاف إلى ملكه. وجاءت في السيئات (عليها) من حيث هي أثقال وأوزار، ومتحملات صعبة، وهذا كما تقول: «لي مال»، و«علي دين». القرطبي: ٥٠٠/٤.

السؤال: ما سر التعبير القرآني في ذكر الحسنات بـ (لها)، والسيئات بـ (عليها)؟

﴿ وَأَعَفَّ عَنَّْا وَغُفِرَ لَنَا وَارْحَمْنَا ﴾

وقوله: (وأعف عنا) أي: فيما بيننا وبينك مما تعلمه من تقصيرنا وزللنا. (واغفر لنا) أي: فيما بيننا وبين عبادك؛ فلا تظهرهم على مساوينا وأعمالنا القبيحة. (وارحمنا) أي: فيما يستقبل؛ فلا توقعنا بتوفيئك في ذنب آخر. ولهذا قالوا: إن المذنب محتاج إلى ثلاثة أشياء: أن يعفو الله عنه فيما بينه وبينه، وأن يستر عنه عبادته؛ فلا يفضحه به بينهم، وأن يعصمه؛ فلا يوقعه في نظيره. ابن كثير: ٣٢٤/١.

السؤال: ما الأمور الثلاثة التي يحتاج إليها المذنب؟

﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَنْ مَقْبُوضَةً فَإِنْ آمَنَ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُوتِيَ آمَنَتْهُ وَلَيْسَ اللَّهُ رَئِيَهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آتِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوْا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَتُخْفَوُهُ يُخَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِهِ كَتَبَهُ وَكُتِبَ لَهُ وَرُسُلُوهٗ لَا تَفْرُقُ بَيْنَ رُسُلِهِ وَفَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ ﴿ لَا يَكْفِيكَ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وَشَهِدَ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفُزْنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ	هُوَ أَنْ يَدْفَعَ لِصَاحِبِ الْحَقِّ شَيْئًا؛ لِيُضْمَنَ حَقَّهُ حَتَّى يَرُدَّ الْمَدِينُ الدِّينَ.
إِصْرًا	مَشَقَّةً وَيَقْلًا.

## ● العمل بالآيات

١. اقرأ الآيتين آخر البقرة في ليلتك؛ ففيهما كفاية لمن قراهما، ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِهِ وَكُتِبَ لَهُ وَرُسُلُوهٗ ۖ ﴾.
٢. احرص اليوم بعد فراغك من أي طاعة وعمل خير أن تسأل الله تعالى المغفرة، ﴿ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۖ ﴾.
٣. اعمل اليوم عملاً صالحاً بلسانك، أو جوارحك، ثم ادع بدعاء، فهو أرجى لقبول دعائك، ﴿ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۖ ﴾.

## ● التوجيهات

١. كاتم الشهادة آثم قلبه، فكيف بمن يكذب في الشهادة، ﴿ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آتِمٌ قَلْبُهُ ۖ ﴾.
٢. السمع والطاعة لله سبب لنيل مغفرته سبحانه، ﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۖ ﴾.
٣. موالاة الله سبحانه وتعالى سبب للانتصار على الأعداء، ﴿ أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ۖ ﴾.

واحدٌ أحد، فردُّ صمد، لا إله غيره، ولا رب سواه. ويصدقون بجميع الأنبياء والرسل والكتب المنزلة من السماء على عباد الله المرسلين والأنبياء، لا يفرقون بين أحد منهم، فيؤمنون ببعض ويكفرون ببعض، بل الجميع عندهم صادقون بأزواجهم راشدون تهديون هادون إلى سُبُل الخير، وإن كان بعضهم ينسخ شريعة بعض بإذن الله، حتى نُسِخَ الجميع بشرع محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين، الذي تقوم الساعة على شريعته، ولا تزال طائفة من أئمة على الحق ظاهرين. وقوله: ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ أي: سمعنا قولك يا ربنا، وفهمنا، وقمنا به، وامتلنا العمل بمقتضاه، ﴿غُفِّرْ لَكَ رَبَّنَا﴾ سؤال للغفر والرحمة ﴿وَالِئِكَ الْمَصِيرُ﴾ أي: إليك المرجع والمآب يوم يقوم الحساب.

الآية (٢٨٦): ﴿لَا يَكْلَفُ اللَّهُ تَنَاسُلًا وَلَا تَمَثُّلًا﴾ أي: لا يكلف أحدًا فوق طاقته، وهذا من لطفه تعالى بخلقه ورافته بهم وإحسانه إليهم، وهذه هي النسخة الراجعة لما كان أشق من الصحابة في قوله: ﴿وَلَا تَبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَخَاسِبَكُمْ يَوْمَ اللَّهِ﴾ أي: هو وإن حاسب وسأل، لكن لا يعذب إلا بما يملك الشخص دفعه، فأما ما لا يمكن دفعه - من وسوسة النفس وحديثها - فهذا لا يكلف به الإنسان، وكرامية الوسوسة السيئة من الإيمان. وقوله: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ أي: من خير ﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ أي: من شر، وذلك في الأفعال التي تدخل تحت التكليف.

ثم قال تعالى مرشدًا عباده إلى سؤاله، وقد تكفل لهم بالإجابة، كما أرشدهم وعلمهم أن يقولوا: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ خِيسًا﴾ أي: إن تركنا فرضًا على جهة النسيان، أو فعلنا حرامًا كذلك ﴿أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ أي: الصواب في العمل، جهلاً منا بوجهه الشرعي.

وقوله: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا أَوْرَاسَنَا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ أي: لا تكلفنا من الأعمال الشاقة - وإن أطقها - كما شرعته للأمم الماضية قبلنا من الأغلال والأصار التي كانت عليهم، التي بعثت نبيك محمدًا ﷺ نبي الرحمة بوضويع في شرعه الذي أرسلته به، من الدين الخفيف السهل السمح وقد ثبت في صحيح مسلم، عن أبي هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «قال الله: نعم». وقوله: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحِزْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ أي: من التكليف والمصائب والبلاء، لا تنبلنا بما لا يقبل لنا به. وقوله: ﴿وَاعْتَصْنَا﴾ أي: فيما بيننا وبينك عما تعلمه من تقصيرنا وزللنا، ﴿وَاعْفُ رَفْنَا﴾ أي: فيما بيننا وبين عبادك، فلا تظهرهم على مساوينا وأعمالنا القبيحة ﴿وَارْتَمْنَا﴾ أي: فيما يُستقبل، فلا تؤمننا في ذنب آخر، ولهذا قالوا: إن المذنب محتاج إلى ثلاثة أشياء: أن يعفو الله عنه فيما بينه وبينه، وأن يستره عن عباده فلا يفضح به بينهم، وأن يعصمه فلا يوقعه في نظيره. وقوله: ﴿أَنْتَ مَوْلَانَا﴾ أي: أنت ولينا وناصرنا، وعليك توكلنا، وأنت المستعان، وعليك التكلان، ولا حول ولا قوة لنا إلا بك ﴿فَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ أي: الذين جحدوا دينك، وأنكروا وحدانيتك، ورسالة نبيك، وعبدوا غيرك، وأشركوا معك من عبادك، فانصرنا عليهم، واجعل لنا العاقبة عليهم في الدنيا والآخرة، قال الله: «نعم». وروى ابن جرير أن معاذًا كان إذا فرغ من هذه السورة: ﴿فَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ قال: آمين.

وتم تفسير سورة البقرة، والحمد لله رب العالمين.

الآية (٢٨٣): ﴿وَلَا تَكُنْ عَلَى سَعَرٍ﴾ أي: مسافرين وتدابيتهم إلى أجل مسمى ﴿وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا﴾ يكتب لكم. قال ابن عباس: أو وجدوه ولم يجد قرطاسًا أو دواة أو قلما ﴿فَرِهْتُمْ مُقْبُوسَةً﴾ أي: فليكن بدل الكتابة رهاً مقبوضة في يد صاحب الحق.

وقوله: ﴿فَإِنْ آمَنَ بِبَعْضِكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤْذِكُمُ الَّذِي آؤْمِنُ أَنْتَهُ﴾ عن أبي سعيد الخدري أنه قال: هذه نسخت ما قبلها. وقال الشعبي: إذا اتمن بعضكم بعضًا فلا بأس ألا تكتبوا أو لا تشهدوا. وقوله: ﴿وَلَسَّ اللَّهُ رَبُّهُ﴾ يعني: المؤمن.

وقوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا الشَّهَدَةَ﴾ أي: لا تخفوها، وتغلوها ولا تظهروها<sup>(١)</sup>. قال ابن عباس: شهادة الزور من أكبر الكبائر، وكتبتها كذلك. ولهذا قال: ﴿وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ يَكْتُمُ قَلْبَهُ﴾ قال السدي: يعني: فاجر قلبه. وهذه كقولها تعالى: ﴿وَلَا تَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِذَا لَئِنَ الْآتِيَيْنِ﴾ [المائدة: ١٠٦] وهكذا قال ههنا: ﴿وَلَا تَكُونُوا الشَّهَدَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ يَكْتُمُ قَلْبَهُ﴾ والله يما تصحلون عليه.

الآية (٢٨٤): يخبر تعالى أن له ملك السموات والأرض وما فيهن وما بينهن، وأنه المطلع على ما فيهن، لا تخفى عليه الظواهر ولا السرائر والضرائر، وإن دقت وخفيت، وأخبر أنه سيحاسب عباده على ما فعلوه وما أخفوه في صدورهم، كما قال: ﴿فَلَنْ تَخْفَوْا مَا فِي سُدُورِكُمْ أَوْ تَبْدُوهُ يَسْمَعُ اللَّهُ يَسْمَعُ مَا فِي السُّنُورِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَوِيٌّ﴾ [آل عمران: ٢٩] وقد أخبر في هذه بمزيد على العلم، وهو: المحاسبة على ذلك، ولهذا لما نزلت هذه الآية اشتد ذلك على الصحابة وخافوا منها، ومن محاسبة الله لهم على جليل الأعمال وحقيرها، وهذا من شدة إيمانهم وإيقانهم عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَلَا تَبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَخَاسِبَكُمْ يَوْمَ اللَّهِ﴾ قال: دخل قلوبهم منها شيء لم يدخل قلوبهم من شيء، قال: فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «قولوا سمعنا وأطعنا وسلمنا». فالتقى الله الإيمان في قلوبهم، فأنزل الله: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكَيْهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا تَعْرِفُونَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ إلى قوله: ﴿فَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [رواه مسلم]. وعن مَرْوَانَ الأصغر، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ - أحسبه ابن عمر - ﴿وَلَا تَبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ﴾ قال: نسختها الآية التي بعدها [رواه البخاري]. وهكذا روي عن علي، وابن مسعود، والشعبي، وعكرمة، وسعيد بن جبْرِ، وقَتَادَةَ: أنها منسوخة بالتي بعدها.

الآية (٢٨٥): [فضل الآية وما بعدها] عن أبي مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كَفَّتْهُ» [رواه البخاري]. قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾ إخبار عن النبي ﷺ بذلك. وقوله: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ عَظَفَ عَلَى الرَّسُولِ﴾ ثم أخبر عن الجميع فقال: ﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكَيْهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا تَعْرِفُونَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ فالؤمنون يؤمنون بأن الله

(١) لا يفهم منه النهي عن إظهار الشهادة بل الجملة توضح الجملة: وتغلوها.





## ● الوقفات التدريبية

﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾  
وإنما قال: (وانزل التوراة والإنجيل) لأن التوراة والإنجيل أنزلوا جملة واحدة، وقال في القرآن: (نُزِّلَ) لأنه أنزل مفصلاً، والتزويل للتكثير. البغوي: ٣٢٠/١.

السؤال: لماذا قال في التوراة والإنجيل (وانزل)، وفي القرآن (نُزِّلَ)؟

﴿ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾

من الكتب السابقة؛ فهو المزمكي لها؛ فما شهد له فهو المقبول، وما رده فهو المردود، وهو المطابق لها في جميع المطالب التي اتفق عليها المرسلون، وهي شاهدة له بالصدق، فأهل الكتاب لا يمكنهم التصديق بكتبهم إن لم يؤمنوا به؛ فإن كفرهم به ينقض إيمانهم بكتبهم. السعدي: ١٧١.

السؤال: دلت هذه الآية على أن القرآن حاكمٌ على غيره من الكتب، فكيف ذلك؟

﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾  
إنما أنزل التشابه لذلك؛ ليظهر فضل العلماء، ويزداد حرصهم على الاجتهاد في تدبره، وتحصيل العلوم التي نيط بها استنباط ما أريد به من الأحكام الحقيقية؛ فينالوا بذلك وياتعاب القرائح، واستخراج المقاصد الرائقة والمعاني الثلاثة المدرج العاليتة الألوسي: ٨٣/٣.

السؤال: ما الحكمة من إنزال التشابه في القرآن الكريم؟

﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَّهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ ﴾  
(زَيْغٌ) أي: ضلال وخروج عن الحق إلى الباطل. (فَيَتَّبِعُونَ ما تشابه منه) أي: إنما يأخذون منه بالتشابه الذي يمكنهم أن يحرفوه إلى مقاصدهم الفاسدة، وينزلوه عليها؛ لاحتمال لفظه لما يصرفونه، فأما الحكم فلا نصيب لهم فيه؛ لأنه دافع لهم، وحجة عليهم، ولهذا قال الله تعالى: (ابتغاء الفتنة) أي: الإضلال لأتباعهم؛ إيهاماً لهم أنهم يحتجون على بدعتهم بالقرآن وهو حجة عليهم لا لهم. ابن كثير: ٣٣٦/١.

السؤال: ما موقف المبتدعة من الآيات المتشابهة؟

﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَّهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَأَبْنَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾  
بين سبحانه وتعالى أنه لا يضل بحرف التشابه إلا ذوو الطبع العوج؛ الذين لم ترسخ أقدامهم في الدين، ولا استتارت معارفهم في العلم. البقاعي: ٢٢/٢.

السؤال: من الذي يضل في التشابه؟

﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾  
مدحا للراسخين بجودة الذهن وحسن النظر؛ لما أنهم قد تجردت عقولهم عما يغشاها من الركون إلى الأهواء الزائفة المكدرة لها، واستعدوا إلى الاهتمام إلى معالم الحق، والصروح إلى معارج الصدق. الألوسي: ٨٣/٣.

السؤال: ما دلالة قوله تعالى: (وما يذكر إلا أولو الأبواب)؟

﴿ رَبَّنَا لَا تُخِزْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾  
فله رحمة قد عمت الخلق؛ برهم، وفاجرهم، سعيدهم، وشقيهم، ثم له رحمة خص بها المؤمنين خاصة؛ وهي رحمة الإيمان، ثم له رحمة خص بها المتقين؛ وهي رحمة الطاعة لله تعالى، ولله رحمة خص بها الأولياء نالوا بها الولايمة، وله رحمة خص بها الأنبياء نالوا بها النبوة، وقال الراسخون في العلم: (وهب لنا من لدنك رحمة). ابن تيمية: ٣٤/٢.

السؤال: اذكر أنواعاً من رحمة الله تعالى بالخلق.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْعَمَّ ۝ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۝ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ۝ مِنْ قَبْلِ هَذِهِ لِلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ ۝ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۝ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ۝ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ۝ هُوَ الَّذِي يَصُوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ۝ لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَّهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَأَبْنَاءَ تَأْوِيلِهِ ۝ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ۝ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ۝ رَبَّنَا لَا تُخِزْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ۝ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَيْسَ لِمَنْ لَا رَيْبَ فِيهِ ۝ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ۝

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
الْقَيُّومُ	القائم على كل شيء.
مُحْكَمَاتٌ	واضحات الدلالة.
أُمُّ الْكِتَابِ	أصل الكتاب الذي يرجع إليه عند الإشتباه.
مُتَشَابِهَاتٌ	خفيا، لا يتعين المراد منها إلا بردها إلى المحكمات.
زَيْغٌ	مَرَضٌ، وانحراف.
تَأْوِيلِهِ	تفسيره أو معرفته حقيقة.

## ● العمل بالآيات

١. ضع برنامجاً تتدبر فيه سورة آل عمران؛ حتى تحتاج عنك يوم القيامة، ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾.
٢. أكثر اليوم من قولك: (رب زدني علماً)، ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ۝ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ﴾.
٣. أكثر اليوم من سؤال الله الثبات على الهداية والحق، ﴿ رَبَّنَا لَا تُخِزْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾.

## ● التوجيهات

١. إذا أردت أن تعمل معصية فهل تجد مكاناً تختبئ فيه عن نظر الله عز وجل، ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾.
٢. صفات خلقك إنما هي من الله سبحانه وتعالى؛ فإرض بما قسمه الله لك، ﴿ هُوَ الَّذِي يَصُوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾.
٣. اعلم أن ترك الدليل الواضح والاستدلال بلفظ متشابه هو طريق أهل الزيغ، ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَّهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَأَبْنَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾.



## • الوقفات التدريبية

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾

هؤلاء الكفار قد ألهمهم أموالهم وأولادهم عن الله تعالى والنظر فيما ينبغي له إلى حيث يخيل للرائي أنهم ممن يعتقد أنها تسد مسد رحمة الله تعالى وطلاعته. الألوسي: ٩٣/٣.

السؤال: لماذا بين الله تعالى أن الكفار لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم؟  
﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بَطْشَهُمْ مَنْ يَشَاءُ لِمَنْ فِي ذَلِكَ لِسَبَةٍ لَأُولَى الْأَنْفُسِ﴾  
أي: إن النصر بمشيئة الله؛ لا بالقلة، ولا بالكثرة؛ فإن فئة المسلمين غلبت فئة الكافرين مع أنهم كانوا أكثر منهم. ابن جزي: ١٣٨/١.

السؤال: هل ميزان النصر الحقيقي هو الكثرة وقوة السلاح؟ وضع ذلك؟  
﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بَطْشَهُمْ مَنْ يَشَاءُ لِمَنْ فِي ذَلِكَ لِسَبَةٍ لَأُولَى الْأَنْفُسِ﴾  
لننظر الناظر إلى مجرد الأسباب الطاهرة والعدد والتعدد لجزم بأن غلبة هذه الفئة القليلة لتلك الفئة الكثيرة من أنواع الحالات، ولكن وراء هذا السبب للمشاهد بالأبصار سبب أعظم منه لا يدركه إلا أهل البصائر والإيمان بالله والتوكل على الله والثقة بكفايته؛ وهو نصره وإعزازه لعباده المؤمنين على أعدائه الكافرين. السعدي: ١٢٣.

السؤال: ما وجه ختم الآية بقوله: (إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار)؟  
﴿رُبَّنَّ لِلنَّاسِ هُبُ الشَّهَوَاتِ مِنَ الْإِسْكَوِّ وَالْبَسِينِ وَالْقَنْطَرِ الْمُقَنْطَرِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفَنَكَوِّ وَالْحَبْلِ الْمُسُومَةِ وَالْأَنْعَمِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَعُ الْحَيَوَةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ﴾  
وفائدة هذا التمثيل أن الجنة لا تنال إلا بترك الشهوات، وطماع النفس عنها. القرطبي: ٤٣/٥.

السؤال: ما المناسبة بين ذكر الشهوات وحسن المآب؟  
﴿رُبَّنَّ لِلنَّاسِ هُبُ الشَّهَوَاتِ مِنَ الْإِسْكَوِّ وَالْبَسِينِ وَالْقَنْطَرِ الْمُقَنْطَرِ﴾  
فبدأ بالنساء؛ لأن الفتنة بهن أشد، كما ثبت في الصحيح أنه عليه السلام قال: (ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء)، فاما إذا كان القصد بهن الإعفاف وكثرة الأولاد فهذا مطلوب مرغوب فيه مندوب إليه. ابن كثير: ٣٣٢/١.

السؤال: لماذا بدأ بذكر النساء في أنواع الشهوات؟  
﴿رُبَّنَّ لِلنَّاسِ هُبُ الشَّهَوَاتِ مِنَ الْإِسْكَوِّ وَالْبَسِينِ وَالْقَنْطَرِ الْمُقَنْطَرِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفَنَكَوِّ وَالْحَبْلِ الْمُسُومَةِ وَالْأَنْعَمِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَعُ الْحَيَوَةِ الدُّنْيَا﴾  
وخص هذه الأمور المذكورة؛ لأنها أعظم شهوات الدنيا، وبغيرها تبع لها. السعدي: ١٢٤.

السؤال: لماذا خُصَّت الشهوات بهذه الذكورات في الآية؟  
﴿قُلْ أُوْثِقُوا بِحَبْلِ رَبِّكُمْ الَّذِيْنَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَرْزَاقٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ﴾  
بدأ سبحانه في هذه الآية أولا بذكر المقر وهو الجنات، ثم ثنى بذكر ما يحصل به الأنس التام؛ وهو الأزواج المطهرة، ثم ثلث بذكر ما هو الإكسیر الأعظم والروح لفؤاد الواله القرم؛ وهو رضا الله عز وجل. الألوسي: ١٠١/٣.  
السؤال: ما الجزء الذي أعده الله للمتقين؟

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴿١﴾ كَذَابٌ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَآخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْيُكُمُورٌ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٣﴾ فَذَكَرَ لَكُمْ آيَةً فِي فَتْنَيْنِ الَّتِي قَدْ أَفْتَقْنَا فِي تَقَاتِلٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافَّةً يَرْوَاهُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَالِمُ الْغُيُوبِ يُضَرِّهُ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤﴾ رُبَّنَّ لِلنَّاسِ هُبُ الشَّهَوَاتِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفَنَكَوِّ وَالْحَبْلِ الْمُسُومَةِ وَالْأَنْعَمِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَعُ الْحَيَوَةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ﴿٥﴾ قُلْ أُوْثِقُوا بِحَبْلِ رَبِّكُمْ الَّذِيْنَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَرْزَاقٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٦﴾

## • معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
كَذَابٌ	كُشَانٌ وَعَادَةٌ.
وَالْقَنْطَرِ الْمُقَنْطَرِ	الْأَمْوَالِ الْكَثِيرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفُضَّةِ.
الْمُسُومَةِ	الْحَسَنِ.
وَالْحَرْثِ	الْأَرْضِ الْمُتَّخَذَةِ لِلزَّرْعَةِ.
الْمآبِ	الْمَرْجِعُ، وَالتَّوَابِ.

## • العمل بالآيات

١. تذكر ذنباً كبيراً فعلته، وبادر بالاستغفار منه، ﴿فَاخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.
٢. أرسل رسالتك تذكر فيها أن العاقبة في نهاية المعركة للمتقين، ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْيُكُمُورٌ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾.
٣. وانت تستمتع بملذات الدنيا المباحة سل الله ألا يتعلق قلبك بها، ﴿رُبَّنَّ لِلنَّاسِ هُبُ الشَّهَوَاتِ مِنَ الْإِسْكَوِّ وَالْبَسِينِ﴾.

## • التوجيهات

١. بالعمل الصالح تدخل الجنة، وليس بكثرة الأموال والأولاد؛ فاشتغل بما ينفعك، ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾.
٢. الذنوب طريق العذاب العاجل والأجل، ﴿فَاخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.
٣. من أفضل الوسائل لمواجهة المغريات والشهوات: تذكر الآخرة، ووعده الله تعالى لمن صبر عن تلك المغريات، ﴿قُلْ أُوْثِقُوا بِحَبْلِ رَبِّكُمْ الَّذِيْنَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَرْزَاقٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ﴾.

فرايهاهم يضعفون علينا، ثم نظرنا إليهم فإرايهاهم يزيدون علينا رجلاً واحداً؛ وذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ اتَّقَيْتُمْ فِي أَعيُنِكُمْ قَلِيلاً يَقُولُ كَمْ فِي أَعيُنِهِمْ﴾ [الأنفال: ٤٤].

[وقوله]: ﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنُصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لَنَاصِرٌ يَأْتِيهِ الْأَنْبِيَاءُ﴾ أي: إن في ذلك لعمراً لمن له بصيرة وفهم، ليهتدي به إلى حكم الله وأفعاله، وقدره الجاري بنصر عباده المؤمنين في هذه الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد.

الآية (١٤): يخبر تعالى عما زين للناس في هذه الحياة الدنيا من أنواع الملاذ من النساء والبنين، فبدأ بالنساء لأن الفتنة بهن أشد، كما ثبت أنه ﷺ قال: «مَا تَزَكَّتْ بَغْيِي فَتَنَةٌ أَفْضَرُ عَلَى الرَّجَالِ مِنَ النَّسَاءِ» [متفق عليه]. فأما إذا كان القصد بهن الإغفاف وكثرة الأولاد، فهذا مطلوب مرغوب فيه مندوب إليه، كما وردت الأحاديث بالترغيب في التزويج والاستنكار منه «وَأَنَّ خَيْرَ هَذِهِ الْأُمُورِ كَانَ أَكْثَرُهَا نِسَاءً» [رواه البخاري]، وقوله ﷺ: «الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَخَيْرُ مَتَاعِهَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ» [رواه مسلم]، وقوله في الحديث الآخر: «حُبُّ الْيَاكِ النَّسَاءِ وَالطَّيِّبِ، وَجُمُعَتُ قُرَّةِ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ» [رواه أحمد والنسائي، وصححه الألباني]. وحُب المال كذلك تارة يكون للفخر والخيلاء والتكبر على الضعفاء، والتجبر على الفقراء، فهذا مذموم، وتارة يكون للنفقة في القربات وصلة الأرحام والقربات ووجوه البر والطاعات؛ فهذا ممدوح محسود عليه شرعاً، وقد اختلف المفسرون في مقدار القنطار على أقوال، وحاصلها: أنه المال الجزيل، كما قاله الضحاك وغيره. وحُب الخيل على ثلاثة أقسام: تارة يكون رطبها أصحابها مُعَدَّةً لسبيل الله تعالى، متى احتاجوا إليها غزوا عليها، فهؤلاء يثابون. وتارة تُرَبَطُ فخراً ونوأة لأهل الإسلام، فهذه على صاحبها وزر. وتارة للتعفف واقتناء نسائها، ولم يَسَّ حق الله في رقابها، فهذه لصاحبها ستر. وأما «الْمُسَوِّمَةُ» فغن ابن عباس: المسومة الراعية، والمُطَهَّمَةُ الحِسان. وقال مكحول: المسومة: الغرة والتجليل. وقيل غير ذلك.

وقوله: ﴿وَالْأَنْصَارِ﴾ يعني: الإبل والبقر والغنم «وَالْحَرْثِ» يعني: الأرض المتخلفة للفراس والزراعة. ثم قال تعالى: ﴿ذَلِكَ مَكْنَعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي: إنها هذا زهرة الحياة الدنيا وزينتها الفانية الزائلة «وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ» أي: حسن المرجع والثواب.

الآية (١٥): ﴿قُلْ أَؤْتِيَنَّكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكَ لَئِنِ اتَّقَوْا﴾ أي: قل يا محمد للناس: أخبركم بخير مما زين للناس في هذه الحياة الدنيا من زهرتها ونعيمها، الذي هو زائل لا محالة؟ ثم أخبر عن ذلك فقال: ﴿لَئِنِ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَعَلْتُ ثَبَرِي مَن تَحْتَهَا أَتَقْتَهُمْ﴾ أي: تنخرق بين جوانبها وأرجائها الأنهار، من أنواع الأشربة؛ من العسل واللبن والخمر والماء وغير ذلك، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. «خَلِيلِينَ فِيهَا» أي: ما كثر فيها أبد الآباد، لا ييغون عنها جولا «وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ» أي: من الدُّنَسِ، والخبث، والأذى، والحیض، والنفاس، وغير ذلك مما يمتري نساء الدنيا «وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ» أي: يجل عليهم رضوانه، فلا يَسْخَطُ عليهم بعده أبداً؛ ولهذا قال تعالى في الآية الأخرى التي في برائة: «وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ» [التوبة: ٧٢]. أي: أعظم مما أعطاهم من النعيم المقيم، ثم قال: «وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْأَعْبَادِ» أي: يُعْطِي كلاً بحسب ما يستحقه من العطاء.

الآية (١٠-١١): يخبر تعالى عن الكفار أنهم وقود النار، وليس ما أوتوه في الدنيا من الأموال والأولاد نافع لهم عند الله، ولا يمتنعهم من عذابه وأليم عقابه، بل كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْجِبُكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُعَذِّبَ بِهِم بِمَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٨٥]، كما قال ههنا: ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: بآيات الله وكذبوا رسله، وخالفوا كتابه، ولم يتفهموا بوجهه إلى آياته «لَنَنْصُوكَ عَنْهُمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا أَوْلَادَهُمْ مِّنَ اللَّهِ شَيْئاً وَأُولَئِكَ هُمُ وَقُودُ النَّارِ﴾ أي: حظيها الذي تُسَجَّر به وتوقد به، كقولهم: ﴿إِنَّا كُنَّا وَمَا تَشَاءُونَ مِّنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبٌ جَعَلَهُ أَشْجَاراً وَكَأُودُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨].

قوله: ﴿كَذَّابٌ مَّالٍ ذَمِيمٌ﴾ قال ابن عباس: كصنيع آل فرعون. ومنهم من يقول: كسنة آل فرعون، وكفعل آل فرعون وكشيء آل فرعون، والألفاظ متقاربة. والدَّالُّب - بالتسكين والتحريك أيضاً؛ كتهر وتهر - هو الصنيع والحال والشأن والأمر والعادة، كما يقال: لا يزال هذا دأبى ودأبك. والمعنى في الآية: أن الكافرين لا تنغي عنهم الأولاد ولا الأموال، بل يهلكون ويعذبون، كما جرى لآل فرعون ومن قبلهم من المكذبين للرسل فيما جاؤوا به من آيات الله وحُجَجِهِ «وَاللَّهُ شَوِيدٌ قَلْبَابٌ» أي: شديد الأخذ، أليم العذاب، لا يمتنع منه أحد، ولا يفوته شيء، بل هو الفعال لما يريد، الذي قد غلب كل شيء، لا إله غيره، ولا رب سواه.

الآية (١٢): يقول تعالى: قل يا محمد للكافرين: ﴿سَتَجْلَبُوتُ﴾ أي: في الدنيا «وَتُحْشَرُونَ﴾ أي: يوم القيامة «إِلَى جَهَنَّمَ وَيَقْسُ إِلَيْهَا﴾ [سبب النزول] عن عاصم بن عمر بن قتادة: أن رسول الله ﷺ لما أصاب من أهل بدر ما أصاب ورجع إلى المدينة، جمع اليهود في سوق بني قينقاع وقال: «يا معشر يهود، أسلموا قبل أن يصيبكم الله ما أصاب قريشاً». فقالوا: يا محمد، لا نفرنك من نفسك أن قلت نفراً من قريش كانوا أغياراً لا يعرفون القتال، إنك والله لو قاتلنا لعرفت أننا نحن الناس، وأنك لم تلق مثلنا، فأنزل الله في ذلك من قوله: ﴿قُلْ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُجْلَبُوتُ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَيَقْسُ إِلَيْهَا﴾ إلى قوله: ﴿لَئِنِ اتَّقَوْا لَأُؤْتِيَنَّكُمْ وَالْأَنْصَارِ﴾.

الآية (١٣): قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ﴾ أي: قد كان لكم - أيها اليهود القائلون ما قلتم - «آيَةٌ» أي: دلالة على أن الله معز دينه، وناصر رسوله، ومظهر كلمته، ومُعلِّم أمره «فِي فَتَنَتِي﴾ أي: طائفتين «الَّتِي أَتَيْتُ﴾ أي: للقتال «فِيهَا تَقْتُلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وهم المسلمون «وَأُخْرَى كَافِرَةٌ﴾ وهم مشركو قريش يوم بدر. وقوله: ﴿يُرِيدُهُمْ يَنْشِقِظَهُ رَأْيُ الْآمِنِينَ﴾ يرى المشركون يوم بدر المسلمين مثلهم في العدد رأي أعينهم، أي: جعل الله ذلك فيما رآه سبباً لنصرة الإسلام عليهم. [وقيل: ترى الفئة المسلمة الفئة الكافرة مثلهم، أي: ضعفهم في العدد، ومع هذا نصرهم الله عليهم [فإن قيل: ما الجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى في قصة بدر: ﴿وَلَا يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ اتَّقَيْتُمْ فِي أَعيُنِكُمْ قَلِيلاً يَقُولُ كَمْ فِي أَعيُنِهِمْ يَقُولُ اللَّهُ أَمْراً كَانَ مَقْضُوكاً﴾؟ [الأنفال: ٤٤] والجواب: أن هذا كان في حال، والآخر كان في حال أخرى؛ عن ابن مسعود في قوله: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ﴾ فِي فَتَنَتِي اتَّقَيْتُمْ الآية، قال: هذا يوم بدر، [وَأَقَالَ: وقد نظرنا إلى المشركين



الآخر على مخالفته في جميع أقواله وأفعاله، وإن كانت حقاً، ثم قال: ﴿وَمَنْ يَكْذِبْ يَكْذِبْ أَلَّهُ﴾ أي: من جحد بما أنزل الله في كتابه ﴿فَاتَّكَ اللَّهُ سَرِيعَ الْحِسَابِ﴾ فإن الله سيجازيه على ذلك، ويحاسبه على تكذيبه، ويعاقبه على مخالفته كتابه.

الآية (٢٠): قال تعالى: ﴿إِنَّ حَاجُّكَ﴾ أي: جادلوك في التوحيد ﴿فَقُلْ أَتَسْتَعِينُ لِلَّهِ وَمَنْ أَتَعِينُ﴾ أي: فقل أخلصت عبادتي لله وحده، لا شريك له ولا نذ له، ولا ولد، ولا صاحبة له ﴿وَمَنْ أَتَعِينُ﴾ على ديني، يقول كمقالي، كما قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلُ أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ وَسِعَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُنْشَرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].  
ثم قال تعالى أمراً لعبده ورسوله محمد ﷺ أن يدعو إلى طريقته ودينه والدخول في شرعه وما بعثه الله به: الكتائبين من الملتين والأمينين من المشركين فقال: ﴿قُلْ لِّذَيْنِ أَوْفُوا الْكَيْبَ وَالْأَمِينِ أَسْلَمُوا فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ﴾ أي: والله عليه حسابهم وإليه مرجعهم ومآبهم، وهو الذي يهدي من يشاء، ويضل من يشاء، وله الحكمة في ذلك، والحجة البالغة، ولهذا قال: ﴿وَاللَّهُ بِصِيرَةٍ يَلْبِغُ﴾ أي: هو عليم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الضلالة، وهو الذي لا يسأل عما يفعل وهم يسألون، وما ذاك إلا لحكمته ورحمته. وهذه الآية وأمثالها من أصرح الدلالات على عموم بعثته ﷺ إلى جميع الخلق، كما هو معلوم من دينه ضرورة، وكما دل عليه الكتاب والسنة في غير ما آية وحديث، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَّخِذُهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِأَحَدٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهْدِي وَلَا تَضُرُّنِي، وَمَاتَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ» [رواه مسلم].

الآية (٢١-٢٢): هذا ذم من الله تعالى لأهل الكتاب فيما ارتكبه من المآثم والمحارم في تكذيبهم بآيات الله قديماً وحديثاً، التي بلغتهم إياها الرسل، استكباراً عليهم وعناداً لهم، وتعاظفاً على الحق واستكفاً عن اتباعه، ومع هذا قتلوا من قتلوا من النبيين حين بلغوهم عن الله شرعه، بغير سب ولا جريمة منهم إليهم، إلا لكونهم دعوهم إلى الحق ﴿وَيَقُولُونَ الْآيَاتُ الْآيَاتُ﴾ أي: يؤمرون بالقيسط، وهذا هو غاية الكبر، كما قال النبي ﷺ: «الْكِبَرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمَطُ النَّاسِ» [رواه مسلم].

ولهذا لما أن تكبروا عن الحق واستكبروا على الخلق، قابلهم الله على ذلك بالذلة والصغار في الدنيا، والعذاب المهين في الآخرة، فقال: ﴿فَيَنْزِلُكُمْ يَسَادٍ أَلِيمٍ﴾ أي: مُوجع مهين ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقِطَ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾.

الآية (١٦): يصفُ تعالى عباده المتقين الذين وعدهم الثواب الجزيل، فقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا﴾ أي: بك وبكتابتك وبرسولك ﴿فَأَنفِرْ لَنَا دُؤُوبًا﴾ أي: بلبائنا بك وبما شرعته لنا، فاغفر لنا ذنوبنا وتقصرنا من أمرنا بفضلك ورحمتك ﴿وَوَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾.

الآية (١٧): ثم قال: ﴿الْمُتَّقِينَ﴾ أي: في قيامهم بالطاعات وتركهم المحرمات ﴿وَالْمُتَّقِينَ﴾ فيما أخبروا به من إيمانهم بما يلتزمونه من الأعمال الشاقة ﴿وَالْمُتَّقِينَ﴾ والقنوت: الطاعة والخضوع ﴿وَالْمُتَّقِينَ﴾ أي: من أموالهم في جميع ما أمروا به من الطاعات، وصلة الأرحام والقرابات، وسد الخلات، ومواساة ذوي الحاجات ﴿وَالْمُتَّقِينَ﴾ بِالْإِسْحَارِ ﴿دَلَّ عَلَى فَضِيلَةِ الْإِسْتِغْفَارِ﴾ وقت الأسحار. وثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «يَنْزِلُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي كُلِّ لَيْلَةٍ إِلَى سَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ يَقُولُ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأَغْفِيهِ؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ؟» الحديث.

الآية (١٨): شهد تعالى -وكفى به شهيداً، وهو أصدق الشاهدين وأعدلهم، وأصدق القائلين- ﴿أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: المتفرد بالإلهية لجميع الخلائق، وأن الجميع عبده وخلقه، والفقراء إليه، وهو الغني عما سواه، كما قال تعالى: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَرْزَلْ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِحُجَّتِهِ وَالْمَلَكُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٦٦]. ثم قرن شهادة ملائكته وأولي العلم بشهادته فقال: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَكُ وَالرُّسُلُ وَأُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ وهذه خصوصية عظيمة للعلماء في هذا المقام ﴿قَالِمًا بِالْقِسْطِ﴾ منصوب على الحال، وهو في جميع الأحوال كذلك ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ تأكيد لما سبق ﴿الْقَرِيبُ﴾ الذي لا يُرام جنباه عظمة وكبرياء، ﴿الْعَلِيِّ﴾ في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره.

الآية (١٩): إخبار من الله تعالى بأنه لا دين عنده يقبله من أحد سوى الإسلام، وهو اتباع الرسل فيما بعثهم الله به في كل حين، حتى ختموا بمحمد ﷺ، الذي سد جميع الطرق إليه إلا من جهة محمد ﷺ، فمن لقي الله بعد بعثة محمد ﷺ بدين على غير شريعته، فليس بمُتَقَبَّلٍ، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقال في هذه الآية تحريماً بانحصار الدين المُتَقَبَّلِ عنده في الإسلام: ﴿إِنَّ الْإِسْلَامَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾.

ثم أخبر تعالى بأن الذين أوتوا الكتاب الأول إنما اختلفوا بعد ما قامت عليهم الحجة، بإرسال الرسل إليهم، وإنزال الكتب عليهم، فقال: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْفُوا الْكَيْبَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَيِّنَاتٍ مِّنْهُ﴾ أي: بنى بعضهم على بعض، فاختلفوا في الحق لتحاسدهم وتباغضهم وتدابرههم، فحمل بعضهم بُغْضُ الْبَعْضِ



## ● الوقفات التدريبية

١ ﴿ التَّائِبِينَ وَالْمُتَّقِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُسْتَفِيزِينَ وَالْمُسْتَفِيزَاتِ ﴾  
تخصيص الأسحار بالاستغفار لأن الدعاء فيها أقرب إلى الإجابة، إذ  
العبادة حينئذ أشق، والنفس أصفى، والروح أجمع. الألوسي: ١٠٢/٣.

السؤال: لماذا خصص الأسحار بالاستغفار؟

٢ ﴿ التَّائِبِينَ وَالْمُتَّقِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُسْتَفِيزِينَ وَالْمُسْتَفِيزَاتِ ﴾  
كانوا يحيون الليل صلاة، ثم يقعدون في السحر يستغفرون؛ فيختمون  
قيام الليل بالاستغفار. ابن تيمية: ٣٩/٢.

السؤال: بم تختم أكثر العبادات؟

٣ ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْأَلْبَابِ قَالِمًا بِالْقُسْطِ لَا  
إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْمَكِينُ ﴾

وفي هذا دليل على أن اشرف الأمور علم التوحيد؛ لأن الله شهد به بنفسه،  
واشهد عليه خواص خلقه، والشهادة لا تكون إلا عن علم ويقين، بمنزلة  
المشاهدة للبصر. السعدي: ١٢٥.

السؤال: ما منزلة علم التوحيد؟ وكيف تستدل على ما تقول بهذه الآية؟

٤ ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْأَلْبَابِ قَالِمًا بِالْقُسْطِ لَا  
إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْمَكِينُ ﴾

في هذه الآية دليل على شرف العلم من وجوه كثيرة: منها: أن الله قرن  
شهادة العلماء بشهادته وشهادة ملائكته، وكفى بذلك فضلاً ... ومنها: أنه  
تعالى جعلهم شهداء وحجة على الناس، وألزم الناس العمل بالأمر للمشهود  
به؛ فيكونون هم السبب في ذلك، فيكون كل من عمل بذلك نالهم من أجره،  
وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، ومنها: أن إلهاده تعالى أهل العلم يتضمن  
ذلك تزكيتهم وتعديلهم، وأنهم آمناء على ما استرعاهم عليه. السعدي: ١٢٥.

السؤال: دلت الآية على شرف العلم والعلماء من عدة وجوه، بيّنها.

٥ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ آفْوِ الْإِسْلَامِ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا  
مِنْ بَيْنِهِمْ مَا جَاءَهُمْ بَيِّنَاتٌ بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ يَتَّخِذْ اللَّهُ ذُنُوبَهُ  
سَرِيعَ الْحِسَابِ ﴾

سبب الاجتماع والألفة: جمع الدين والعمل به كله؛ وهو عبادة الله  
وحده لا شريك له كما أمر به بإخلاصنا وظاهراً. وسبب الفرقية: ترك حفظ  
مما أمر العبد به، والبيغي بينهم. ونتيجة الجماعة: رحمة الله، ورضوانه،  
وصلواته، وسعادة الدنيا والآخرة، وبياض الوجوه. ونتيجة الفرقية: عذاب  
الله، ولعنته، وسواد الوجوه، وبراءة الرسول ﷺ منهم. ابن تيمية: ٥٥/٢.

السؤال: ما سبب الاجتماع؟ وما سبب الفرقية في الأمة؟

٦ ﴿ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَيْنِهِمْ مَا جَاءَهُمْ  
بَيِّنَاتٌ بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ يَتَّخِذْ اللَّهُ ذُنُوبَهُ سَرِيعَ الْحِسَابِ ﴾

إخبار أنهم اختلفوا بعد معرفتهم بالحقائق من أجل البيغي؛ وهو الحسد.

ابن جزى: ١٣٩/١.

السؤال: بينت الآية سبباً من أسباب الاختلاف، فما هو؟

٧ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ يَتَّخِذُونَ اللَّهَ وَرُسُلَهُ أَهْتًا كَبِيرًا  
الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقُسْطِ مِنَ النَّاسِ فَيَكْفُرُونَ بِهِمْ أُولَئِكَ يَكْفُرُونَ  
بِأَنفُسِهِمْ وَمَنْ يَكْفُرْ يَتَّخِذْ اللَّهُ ذُنُوبَهُ سَرِيعَ الْحِسَابِ ﴾

دلت هذه الآية على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كان واجباً في

الأمة المتقدمة. القرطبي: ٧٣/٥.

السؤال: بين عظم شميرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا أَعْمَاءُ فَأَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا  
وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ٥٥ التَّائِبِينَ وَالْمُتَّقِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُسْتَفِيزِينَ وَالْمُسْتَفِيزَاتِ ٥٦ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْأَلْبَابِ قَالِمًا بِالْقُسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْمَكِينُ ٥٧ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ لَلْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَيْنِهِمْ مَا جَاءَهُمْ بَيِّنَاتٌ بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ يَتَّخِذْ اللَّهُ ذُنُوبَهُ سَرِيعَ الْحِسَابِ ٥٨ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَمِعْتُ وَحْيِي لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعْنِي فَقُلْ لِلَّهِ أَوْتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَشَأَمْتُمْ فَإِنْ أَشَأَمْتُمْ فَقَدْ أَهْتَدُوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ٥٩ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ يَتَّخِذُونَ اللَّهَ وَرُسُلَهُ أَهْتًا كَبِيرًا يَقُولُونَ بِالْقُسْطِ مِنَ النَّاسِ فَيَكْفُرُونَ بِهِمْ عِدَابُ اللَّهِ ٦٠ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرٍ ٦١

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
وَالْقَائِنِينَ	الطَّاعِينَ لِلَّهِ
قَالِمًا بِالْقُسْطِ	مُقِيمًا لِلْعَدْلِ فِي كُلِّ أَمْرٍ
بَيِّنًا	حَسَنًا وَعُدْوَانًا
حَبِطَتْ	بَطَلَتْ

## ● العمل بالآيات

١. ابحث عن محبوب دنيوي تعلقت به نفسك وحاول أن تصبر عنه هذا اليوم  
تربية لنفسك. ﴿ التَّائِبِينَ وَالْمُتَّقِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْتَفِيزِينَ وَالْمُسْتَفِيزَاتِ ﴾.
٢. ادع الله بحاجة تريدها، وقدم قبل دعائك عملاً صالحاً؛ فهو أرجى لقبوله،  
﴿ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا أَعْمَاءُ فَأَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾.
٣. صل اليوم بالليل ولور ركعات قليلة، ثم استغفر الله تعالى، ﴿ التَّائِبِينَ وَالْمُتَّقِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْتَفِيزِينَ وَالْمُسْتَفِيزَاتِ ﴾.

## ● التوجيهات

١. تواضع لله تعالى؛ فهمما بلغت في مقامات العبودية فانت مقصر في حق الله تعالى،  
﴿ التَّائِبِينَ وَالْمُتَّقِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْتَفِيزِينَ وَالْمُسْتَفِيزَاتِ ﴾.
٢. علم التوحيد أهم العلوم الشرعية؛ فاحرص على أن يكون لك اطلاع كبير  
فيه، ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْأَلْبَابِ قَالِمًا بِالْقُسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْمَكِينُ ﴾.
٣. أهل الكتاب لم يؤثروا من قلة علم وضالّة معرفته، وإنما كان هلاكهم  
لأنهم وظفوا ما عندهم من علوم ومعارف للبيغي بينهم بسبب الحسد،  
﴿ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَيْنِهِمْ مَا جَاءَهُمْ بَيِّنَاتٌ بَيْنَهُمْ ﴾.



## ● الوقفات التدريبية

﴿ أَوْ تَرَى إِلَى اللَّهِ فَرَسًا شَيْبًا مِنْ السَّحَابِ يُنْزِلُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ وَأَقْبَرُ لَيْسَ مِنْكُمْ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيْقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾  
ما انكر منكراً حقاً وهو يعلمه إلا سلبه الله تعالى علمه حتى يصير إنكاره له بصورة وبوصف من لم يكن قط علمه. الألوسي: ٥٠/٣.

السؤال: ما دلالة وصف الذين أوتوا الكتاب بالإعراض؟

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ نَمَسَّكَ النَّارُ إِلَّا أَنْيَامًا مَعْدُودَاتٍ وَنَعَزُّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾

انعدم اكتراثهم باتباع الحق لأن اعتقادهم النجاة من عذاب الله على كل حال جراهم على ارتكاب مثل هذا الإعراض. ابن عاشور: ٢١١/٣.

السؤال: ماذا يترتب على اعتقاد المتكبرين أن النار لن تسهم إلا أياماً معدودات؟

﴿ وَنُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْقَبْرِ وَنُخْرِجُ النَّبِيَّ مِنَ الْقَبْرِ ﴾

وهذا اعظم دليل على قدرة الله، وأن جميع الأشياء مسخرة مدبرة، لا تملك من التدبير شيئاً: فخلقه تعالى الأضداد والضد من ضده بيان أنها مقهورة. السعدي: ١٢٧.

السؤال: كيف تدل الآية على كمال قدرة الله سبحانه وتعالى وضعف المخلوقات؟

﴿ لَا يَخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْمُكَذِبِينَ أُولِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ﴾

الصحيح أن كل ما عدّه العرف تعظيماً وحسبه المسلمون موالاته فهو منهي عنه، ولو مع أهل الذمّة لا سيما إذا أوقع شيئاً في قلوب ضعفاء المؤمنين. الألوسي: ١٢٠/٣.

السؤال: ما صفة الموالاته المنهي عنها مع غير المسلمين؟

﴿ قُلْ إِنْ تَحْفَظُوا مَا فِي شُؤْرِكُمْ أَوْ تَبْدُوهُ يَسْكَنَ اللَّهُ وَبِعَلَّكُمْ مَا فِي السَّكُونِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

وهذا من التهديد: إذ المهدد لا يحول بينه وبين تحقيق وعيده إلا أحد امرين: الجهل بجريمة الجرم، أو العجز عنه، فلما أعلمهم بعموم علمه، وعموم قدرته، علموا أن الله لا يفلتهم من عقابه. ابن عاشور: ٢٢٢/٣.

السؤال: لماذا جمع سبحانه وتعالى بين علمه وقدرته في هذه الآية؟

﴿ قُلْ إِنْ تَحْفَظُوا مَا فِي شُؤْرِكُمْ أَوْ تَبْدُوهُ يَسْكَنَ اللَّهُ وَبِعَلَّكُمْ مَا فِي السَّكُونِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

وهذا تنبيه منه لعباده ... لتلا برتكبوا ما نهى عنه، وما يفضضه منهم: فإنه عالم بجميع أمورهم، وهو قادر على معالجتهم بالعقوبة، وإن انظر من انظر منهم، فإنه يهمل ثم يأخذ أخذ عزيز مقتدر. ابن كثير: ٣٣٨/١.

السؤال: ما الذي يفيد المسلم من معرفته علم الله الشامل وقدرته الكاملة؟

﴿ قُلْ إِنْ تَحْفَظُوا مَا فِي شُؤْرِكُمْ أَوْ تَبْدُوهُ يَسْكَنَ اللَّهُ وَبِعَلَّكُمْ مَا فِي السَّكُونِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

ففيه إرشاد إلى تطهير القلوب، واستحضار علم الله كل وقت؛ فيستحي العبد من ربه أن يرى قلبه محلاً لكل فكر ردي، بل يشغل أفكاره فيما يقرب إلى الله من تدبر آية من كتاب، أو سنة من أحاديث رسول الله، أو تصور ويبحث في علم ينفعه، أو تفكر في مخلوقات الله ونعمه، أو نصح لعباد الله. السعدي: ١٢٨.

السؤال: إذا تبين لك علم الله بما في قلبك، فما الحالة التي يجب أن تكون عليها؟

أَوْتَرَى إِلَى اللَّهِ فَرَسًا شَيْبًا مِنْ السَّحَابِ يُنْزِلُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ وَأَقْبَرُ لَيْسَ مِنْكُمْ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيْقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٥٠﴾  
ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ نَمَسَّكَ النَّارُ إِلَّا أَنْيَامًا مَعْدُودَاتٍ وَنَعَزُّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٥١﴾  
كَيْفَ إِذَا جُمِعْتُمْ فِي يَوْمٍ لَا تَرْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٢﴾  
قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تَوَلَّى الْمَلِكَ مِنْ تَشَاءَ وَتَزَعِ الْمَلِكَ مِنْ تَشَاءَ وَتَعَزَّ مِنْ تَشَاءَ وَتَذَلُّ مِنْ تَشَاءَ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٣﴾  
تَوَلَّى الْإِلَّهِ فِي النَّهَارِ وَتَوَلَّى النَّهَارَ فِي الْإِيلِ وَنُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَنُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَزَرُّقُ مِنْ تَشَاءَ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٥٤﴾  
لَا يَخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْمُكَذِبِينَ أُولِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَبِعَلَّكُمْ مَا فِي السَّكُونِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٥﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
تَوَلَّى	تُدْخِلُ
تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً	تَهَادِثُوهُمْ اتِّقَاءَ شَرِّهِمْ إِذَا كُنْتُمْ ضِعَافًا.

## ● العمل بالآيات

١. اسأل الله تعالى أن يستعملك في الخير؛ فإن الخير بيد الله تعالى يجريه على يد من يشاء من عباده، ﴿ يَدُكَ الْغَمَرُ إِلَيْكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾.
٢. اكتب رسالة تحذر فيها من موالاته أعداء الله تعالى، وكتبه من اغتر بالكفار، ﴿ لَا يَخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْمُكَذِبِينَ أُولِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ﴾.
٣. ادع الله تعالى أن يرزقك الإخلاص؛ فهو سبحانه عالم بما في قلبك، ﴿ قُلْ إِنْ تَحْفَظُوا مَا فِي شُؤْرِكُمْ أَوْ تَبْدُوهُ يَسْكَنَ اللَّهُ ﴾.

## ● التوجيهات

١. من اعظم الجرم أن يدعى المؤمن للكتاب والسنة فيرفض حكمهما لهوى نفسه، والعباد بالله، ﴿ أَوْ تَرَى إِلَى اللَّهِ فَرَسًا شَيْبًا مِنْ السَّحَابِ يُنْزِلُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ وَأَقْبَرُ لَيْسَ مِنْكُمْ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيْقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾.
٢. الافتراء على الدين، والابتعاد فيه، والقول فيه بغير علم، من أكثر المفسدات للدين والعقيدة، ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ نَمَسَّكَ النَّارُ إِلَّا أَنْيَامًا مَعْدُودَاتٍ وَنَعَزُّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾.
٣. الرزق بيد الله وحده، وما العبيد إلا وسائل يقدرها الله لإيصال هذا الرزق؛ فإذا سالت فاسأل الله، ﴿ وَتَزَرُّقُ مِنْ تَشَاءَ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾.

الآية (٢٧): أي: تأخذ من طول هذا فترديه في قصر هذا فيعتدلان، ثم تأخذ من هذا في هذا فيفتاوتان، ثم يعتدلان. وهكذا في فصول السنة: ربيعاً وصيفاً وخريفاً وشتاءً. وقوله: ﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ أي: تخرج الزرع من الحب والحبة من الزرع، والنخلة من النواة والنواة من النخلة، والمؤمن من الكافر والكافر من المؤمن، والدجاجة من البيضة والبيضة من الدجاجة، وما جرى هذا المجرى من جميع الأشياء ﴿وَنَزَعْنَا مِنْ فِرْعَوْنَ بَقَرَتَهُ حِجَابًا﴾ أي: تعطي من شئت من المال ما لا يمتد ولا يقدر على إحصائه، وتقتر على آخرين، لما لك في ذلك من الحكمة والإرادة والمشية.

الآية (٢٨): نهي الله تبارك وتعالى عباده المؤمنين أن يوالوا الكافرين، وأن يتخذوهم أولياء يُسِرُّون إليهم بالمودة من دون المؤمنين، ثم توعد على ذلك فقال: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ أي: ومن يرتكب نهي الله في هذا فقد برئ من الله، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أُرِيدُوا أَنْ يَجْعَلُوا إِلَهَكُمْ سُلْطَنًا ثُبُتًا﴾ [النساء: ١٤٤] وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ يَتَوَلَّاهُمْ فَأَنَّهُ يُخْرِجُكُمْ مِنْ دِينِهِمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة: ٥١]. وقوله: ﴿إِنَّ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ أي: إلا من خاف في بعض البلدان أو الأوقات من شرهم، فله أن يتقيهم بظاھر لا بباطنه ونيته، كما حكاه البخاري عن أبي الدرداء أنه قال: «أَنَا لَتُخْرِجُ فِي وَجْهِ أَقْوَامٍ وَقُلُوبُنَا تَلْعَنُهُمْ». وقال ابن عباس: ليس التقية بالعمل، إنما التقية باللسان.

وكذا قال أبو العالية وغيره. ويؤيد ما قاله قول الله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْزَرَهُ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ الْكُفْرَ صَدْرًا فَلَعَلَّيْهِ عَذَابٌ مِنْ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل: ١٠٦].

ثم قال تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ أي: يحذركم نفسته في مخالفته، وسطوته في عذابه، لمن والى أعداءه، وعادى أوليائه. ثم قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْكَمِيرُ﴾ أي: إليه المرجع والمنقلب، فيجازي كل عامل بعمله.

الآية (٢٩): يخبر تبارك وتعالى عباده أنه يعلم السرائر والضمائر والظواهر، وأنه لا يخفى عليه منهم خافية، بل علمه محيط بهم في سائر الأحوال والآفات واللحظات وجميع الأوقات، وجميع ما في السموات والأرض، لا يغيب عنه مثقال ذرة، ولا أصغر من ذلك في جميع أقطار الأرض والبحار والجبال، وهو ﴿عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: قدرته نافذة في جميع ذلك. وهذا تنبيه منه لعباده على خوفه وخشيته، وألا يرتكبوا ما نهي عنه وما يفيضه منهم، فإنه عالم بجميع أمورهم، وهو قادر على معاجلتهم بالعقوبة، وإن أنظر من أنظر منهم، فإنه يُمهِّل ثم يأخذ أخذ عزيز مقتدر ولهذا قال بعدها: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْتَسَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾.

الآية (٢٣): يقول تعالى مُنْكَرًا على اليهود والنصارى، المتمسكين فيها يزعمون بكتابتهم للذين بأيديهم، وهما التوراة والإنجيل، وإذا دُعُوا إلى التحاكم إلى ما فيها من طاعة الله فيها أمرهم به فيها، من اتباع محمد ﷺ، تولَّوا وهم معرضون عنها. وهذا في غاية ما يكون من ذمهم، والتنويه بذكرهم بالمخالفة والعناد.

الآية (٢٤): ثم قال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمْسِكَ أُمُورًا إِلَّا آيَاتُنَا مَعْدُودَةٌ﴾ أي: إنما حلهم وجرحهم على مخالفة الحق افتراؤهم على الله فيما ادعوا لأنفسهم أنهم إنما يعذبون في النار سبعة أيام، عن كل ألف سنة في الدنيا يوما. ثم قال: ﴿وَوَعَدُ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْرُغُونَ﴾ أي: تبتهم على دينهم الباطل ما خدعوا به أنفسهم من زعيمهم أن النار لا تمسهم بذنوبهم إلا آياتا معدودات، وهم الذين افتروا هذا من تلقاء أنفسهم وافتعلوه، ولم ينزل الله به سلطانًا.

الآية (٢٥): قال الله تعالى مهتداهم ومتوعداً: ﴿كَفَيْتُ إِذَا جَعَلْتَهُمْ يَوْمَ لَا رَبَّ فِيهِ﴾ أي: كيف يكون حالهم وقد افتروا على الله وكذبوا رسله وقتلوا أنبياءه والعلماء من قومهم، الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، والله تعالى سائلهم عن ذلك كله، ومحاسبهم عليه، ومجازيم به؛ ولهذا قال: ﴿كَفَيْتُ إِذَا جَعَلْتَهُمْ يَوْمَ لَا رَبَّ فِيهِ﴾ أي: لاشك في وقوعه وكونه، ﴿وَوَقَيْتُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ رَغْمًا أَنْ يُظْلَمُونَ﴾.

الآية (٢٦): يقول تعالى: ﴿قُلْ يَا مُحَمَّدُ، مَعْظَا لِرَبِّكَ وَشَاكِرًا لَهُ وَمَوْفُوا إِلَيْهِ وَمَتَوَكِّلًا عَلَيْهِ﴾ [الْهُمَزُ مَلِكٌ أَلْمَلِكُ] أي: لك الملك كله ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنَزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُخْرِجُ مَنْ تَشَاءُ وَتُدْخِلُ مَنْ تَشَاءُ﴾ أي: أنت المعطي، وأنت المانع، وأنت الذي ما شئت كان وما لم تشأ لم يكن. وفي هذه الآية تنبيه وإرشاد إلى شكر نعمة الله تعالى على رسوله ﷺ وهذه الأمة؛ لأن الله حوّل النبوة من بني إسرائيل إلى النبي العربي القرشي المكي الأمي خاتم الأنبياء على الإطلاق، ورسول الله إلى جميع الثقلين الإنس والجن، الذي جمع الله فيه محاسن من كان قبله، وخصه بخصائص لم يُعطها نبيا من الأنبياء ولا رسولاً من الرسل، في العلم بالله وشرعيته وإطلاعه على الغيوب الماضية والآتية، وكشفه عن حقائق الآخرة ونشر أمته في الآفاق، في مشارق الأرض ومغاربها، وإظهار دينه وشرعه على سائر الأديان والشرائع، فصولات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين، ما تعاقب الليل والنهار. ولهذا قال تعالى: ﴿قُلْ أَللَّهُمَّ مَلِكُ أَلْمَلِكِ﴾ الآية، أي: أنت المتصرف في خلقك، الفعال لما تريد، كما رد تبارك وتعالى على من يتحكم عليه في أمره، حيث قال: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١]. قال الله تعالى ردّاً عليهم: ﴿أَهَرَيْقِسُومُونَ رَحِمَتْ رَبِّكَ تَحْنُ قَسَمًا يَتَّبِعُهُمْ مَيِّسَتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ الآية [الزخرف: ٣٢]. أي: نحن ننصرف في خلقنا كما نريد، بلا مانع ولا مُدافع، ولنا الحكمة والحجة في ذلك، وهكذا نعطي النبوة لمن نريد، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

هذا: هو والد مريم بنت عمران، أم عيسى ابن مريم؛ فمعنى ﴿لَقَدْ سَمِعَ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ من ذرية إبراهيم. كما سيأتي بيانه في سورة الأنعام، إن شاء الله.

الآية (٣٥-٣٦): امرأة عمران هذه هي أم مريم، قال ابن إسحاق: كانت امرأة لا تحمل، فاشتت الولد، فدعت الله تعالى أن يبنيها ولدًا، فاستجاب الله دعاءها، فلما تحققت الحمل نذرت أن يكون ﴿مُحَرَّرًا﴾ أي: خالصًا مفرغًا للعبادة، ولخدمة بيت المقدس، فقالت: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بطني مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْغَلِيظُ﴾ أي: السميع لدعائي، العليم بنيتي، ولم تكن تعلم ما في بطنها أَذَكَرًا أم أنثى ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ لِي وَصَعْتُهَا أَنْثَى وَاللَّهِ أَغْلَرُ بِمَا وَضَعْتَ﴾ قرئ برفع التاء على أنها تاء المتكلم، وأن ذلك من تمام قولها، وقرئ بتسكين التاء على أنه من قول الله عز وجل، ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ أَلاَذَنِي﴾ أي: في القوة والجلد في العبادة وخدمة المسجد الأقصى ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ فيه دلالة على جواز التسمية يوم الولادة؛ لأنه شرع من قبلنا وقد حكي مقررًا، وبذلك ثبتت السنة عن رسول الله ﷺ؛ حيث قال: ﴿وُلِدَ لِي الْبَيْتَةُ وَلَدَ سَمَّيْتُهُ بِاسْمِ أَبِي إِسْرَاهِيمَ﴾ [متفق عليه].

وقوله إخبارًا عن أم مريم أنها قالت: ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ أي: عوذتها بالله عز وجل من شر الشيطان، وعوذت ذريتها، وهو ولدها عيسى ﷺ. فاستجاب الله لها ذلك كما قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ إِلَّا مَسَّهُ الشَّيْطَانُ حِينَ يُوَلَّدُ، فَيَسْتَهْلُ صَارِخًا مِنْ مَسِّ إِيَّاهُ، إِلَّا مَرْيَمُ وَابْنُهَا». ثم يقول أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم: ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [متفق عليه].

الآية (٣٧): يخبر ربنا أنه تقبلها من أمها نذيرة، ﴿وَأَلْبَسَهَا ثِيَابًا حَسَنًا﴾ أي: جعلها شكلًا مليحًا ومنظرًا بهيجًا، وسر لها أسباب القبول، وقرنها بالصالحين من عباده تتعلم منهم الخير والعلم والدين. ولهذا قال: ﴿وَكَنَّاها ذُرِّيَّتًا﴾ أي: جعله كإبن لها. قال ابن إسحاق: وما ذاك إلا أنها كانت بتيمة.

وإنما قدر الله كون زكريا كافلها لسعادتها؛ لتقبس منه علمًا جمًّا نافعًا، وعملاً صالحًا؛ ولأنه كان زَوْجَ خالتها، على ما ذكره ابن إسحاق وابن جرير. وقيل: زوج أختها كما ورد في الصحيح: «فإذا يحيى ويعيسى، وهما ابْنَا الْحَالَةِ»، وقد يُطْلَقُ على ما ذكره ابن إسحاق ذلك أيضًا تَوْشُّعًا، فعلى هذا كانت في حضنة خالتها. ثم أخبر تعالى عن سيادتها وجلالتها في محل عبادتها، فقال: ﴿كُنَّا دَحَلُ عَلَيْكَ ذُرِّيَّتًا أَلِيمَةً﴾ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا. قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وغيرهم: يعني: وجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف، وفيه دلالة على كرامات الأولياء. فإذا رأى زكريا هذا عندها ﴿قَالَ يَمَرِّمُ أَنَّى لَكَ هَذَا﴾ أي: يقول من أين لك هذا؟ ﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

الآية (٣٠): يعني: يوم القيامة يُحْضَرُ للعبد جميع أعماله من خير وشر، كما قال تعالى: ﴿يَبْقَا النَّاسُ يَوْمَ يَمَّا قَدَمُ وَلَكِنَّ﴾ [القيامة: ١٣]، فما رأى من أعماله حسنًا سرَّه ذلك وأفرحه، وما رأى من قبيح ساءه وغاظه، ووَدَّ لو أنه تبرَّأ منه، وأن يكون بينها أمد بعيد، كما يقول للشيطان الذي كان مقترنًا به في الدنيا، وهو الذي جرَّاه على فعل السوء: ﴿يَنَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِيقَيْنِ فَيْتَسَّ الْقَرْيَتُ﴾ [الزخرف: ٣٨]. ثم قال تعالى مؤكدًا ومُهددًا ومتوعدًا: ﴿وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ أي: يخوفكم عقابه، ثم قال -مُرجيًا لعباده لئلا يياسوا من رحمته ويقنطوا من لطفه-: ﴿وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ قال الحسن البصري: من رأفته بهم حذَّره من نفسه. وقال غيره: أي: رحيم بخلقه، يجب لهم أن يستقيموا على صراطه المستقيم ودينه القويم، وأن يتبعوا رسوله الكريم.

الآية (٣١): هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادَّعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية، فإنه كاذب في نفس الأمر، حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ زِدٌّ»، ولهذا قال: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ أي: يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إياه، وهو محبة إياكم، وهو أعظم من الأول، كما قال بعض العلماء الحكماء: ليس الشأن أن تُحِبَّ، إنما الشأن أن تُحَبَّ. ثم قال: ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أي: باتباعكم للرسول ﷺ يحصل لكم هذا كله بركة سفارته.

الآية (٣٢): ثم قال أمرًا لكل أحد من خاص وعام: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي خَالِفُوا عَنْ أَمْرِ﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ فدلَّ على أن مخالفته في الطريقة كفر، والله لا يحب من اتَّصف بذلك، وإن ادَّعى وزعم في نفسه أنه يجب الله ويتقرب إليه، حتى يتابع الرسول النبي الأمي خاتم الرسل، ورسول الله إلى جميع الثقلين الجن والإنس الذي لو كان الأنبياء -بل المرسلون، بل أولو العزم منهم- في زمانه لما وسمَّهم إلا اتباعه، والدخول في طاعته، واتباع شريعته.

الآية (٣٣-٣٤): يخبر تعالى أنه اختار هذه البيوت على سائر أهل الأرض، فاصطفى آدم ﷺ، خلقه بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وعلمه أساء كل شيء، وأسكنه الجنة ثم أهبته منها، لما له في ذلك من الحكمة. واصطفى نوحًا ﷺ وجعله أول رسول إلى أهل الأرض، لما عبد الناس الأوثان، وأشركوا في دين الله ما لم ينزل به سلطانًا، وانتقم له لما طال مدته بين ظَهْرَانِي قومه، يدعوهم إلى الله ليلاً ونهارًا، سرًّا وجهارًا، فلم يزداهم ذلك إلا فراقًا، فدعا عليهم، فأغرقهم الله عن آخرهم، ولم يَنْجُ منهم إلا من اتبعه على دينه الذي بعثه الله به. واصطفى آل إبراهيم، ومنهم: سيد البشر وخاتم الأنبياء على الإطلاق محمد ﷺ، وآل عمران، والمراد بعمران



## ● الوقفات التدرجية

❶ ﴿وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ، وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعَاصِ﴾

فالله سبحانه وتعالى منتقم ممن تعدى طوره ونسي أنه عبد. البقاعي: ٣١/٢.

السؤال: ما دلالة قوله تعالى: (ويحذركم الله نفسه)؟

❷ ﴿وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ،﴾

أعاد تعالى تحذيرنا نفسه راحة بنا ورحمة، لئلا يطول علينا الأمد فتفسد قلوبنا، وليجمع لنا بين الترغيب الموجب للرجاء والعمل الصالح، والترهيب الموجب للخوف وترك الذنوب. السعدي: ١٢٨.

السؤال: لماذا أعاد الله تعالى تحذيرنا نفسه سبحانه؟

❸ ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾

هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة الحمديدية، فإنه كاذب في نفس الأمر حتى يتبع الشرع الحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله. ابن كثير: ٣٣٨/١.

السؤال: في الآية دليل على أهمية التحقق من صحة الأحاديث النبوية، وضح ذلك.

❹ ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ

رَحِيمٌ﴾

وهذا لأن الرسول هو الذي يدعو إلى ما يحبه الله، وليس شيء يحبه الله إلا والرسول يدعو إليه، وليس شيء يدعو إليه الرسول إلا والله يحبه؛ فصار محبوب الرب ومدعو الرسول متلازمين. ابن تيمية: ٦٠/٢.

السؤال: لماذا كان اتباع الرسول ﷺ علامة على محبة الله تعالى؟

❶ ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾

فدل على أن مخالفة في الطريقة كضر، والله لا يحب من اتصف بذلك وإن ادعى وزعم في نفسه أنه محب لله، ويتقرب إليه؛ حتى يتابع الرسول النبي الأمي خاتم الرسل. ابن كثير: ٣٣٨/١.

السؤال: في مخالفة النبي ﷺ خطورة كبيرة، وضح ذلك من الآية.

❷ ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمِيتُهَا مَرِيَمَ﴾

فيه دلالة على تفضيل الذكر على الأنثى، وعلى التسمية وقت الولادة، وعلى أن لأم تسمية الولد إذا لم يكره الأب. السعدي: ١٢٩.

السؤال: اذكر بعض الفوائد من الآية.

❸ ﴿كَلَّمَآ دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَبَدَّ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَنِيمُ إِنَّ لَكَ

هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ رَزَقُ مِنْ يَشَاءَ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾

يشعر بأنه عطاء متصل، فلا يتحدد ولا يتعدد؛ فهو رزق لا متعقب عليه. وأعظم الشكر لرزق الله سبحانه وتعالى معرفته العبد بأنه من الله تعالى. البقاعي: ٧٥/٢.

السؤال: ما أعظم الشكر لرزق الله سبحانه؟

يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ، وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعَاصِ ٥١ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ٥٢ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ٥٣ إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ٥٤ ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٥٥ إِذْ قَالَتْ أُمُّرَأْتُ عِمْرَانُ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ٥٦ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمِيتُهَا مَرِيَمَ وَإِنِّي أَعِذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ٥٧ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَنِيمُ إِنِّي إِنَّكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ٥٨

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
نَذَرْتُ لَكَ	جَعَلْتُ لَكَ
مُحَرَّرًا	خَالِصًا لِعِدْمَةِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ.
أَعِذُهَا	أُحْصِنُهَا.
الرَّجِيم	الْمَرْجُومُ الْمُبْعَدُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ.
الْمِحْرَابُ	مَكَانُ الْعِبَادَةِ.

## ● العمل بالآيات

١. اعمل اليوم خيراً من إ طعام جائع، أو مساعدة محتاج، أو أي خير؛ فسوف تجده حاضراً أمام عينك، ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا﴾.
٢. ابحث في القرآن عن ثلاث من الأسباب الموجبة لمحبة الله تعالى، ثم اجتهد في تطبيقها لتتال محبة الله تعالى، ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.
٣. اعد نفسك وذريتك وأهلك بالله من الشيطان الرجيم، ﴿وَإِنِّي أَعِذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾.

## ● التوجيهات

١. ابتعد عن السيئات وأماكنها قبل أن تمنى ذلك ولا تستطيعه، ﴿وَمَا عَمِلْتَ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾.
٢. اتباع سنة الرسول ﷺ الصحيحة هو الطريق الوحيد لنيل محبة الله تعالى، ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾.
٣. من الفطرة أن الذكر غير الأنثى؛ فما كلف الله به الرجل من أعباء فهو متناسق مع طبيعة خلقته، وكذلك المرأة، ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ﴾.



## ● الوقفات التدريبية

١ ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾

وجاء الطلب بلطف الهيبة؛ لأن الهيبة إحسان محض ليس في مقابلة شيء، وهو يناسب ما لا دخل فيه للوالد لكبر سنه، ولا للوالدة لكونها عاقرة لا تلد. الألوسي: ١٤٤/٣.

السؤال: لماذا جاء الطلب بلطف الهيبة؟

١ ﴿ فَدَآئِهِ الْمَلَكُ وَهُوَ قَائِمٌ يُسَبِّحُ فِي الْعَرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بَيِّنًا ﴾  
واختلفوا في أنه لم يسمي يحيى؟ فقال ابن عباس رضي الله عنهما: لأن الله أحيا به عمر أمه، وقال قتادة: لأن الله تعالى أحيا قلبه بالإيمان، وقيل: سمي يحيى لأنه استشهد، والشهداء أحياء. البغوي: ٣٤٨/١.

السؤال: لم سمي الله تعالى نبيه يحيى بهذا الاسم؟

١ ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا لَكَ فِي هَذَا نَسَمًا ﴾  
(رب اجعل لي آية) أي: علامة على وجود الولد. قال: (آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا) أي: ينحبس لسانك عن كلامهم من غير آفة ولا سوء؛ فلا تقدر إلا على الإشارة والرمز. وهذا آية عظيمة أن لا تقدر على الكلام، وفيه مناسبة عجيبية؛ وهي أنه كما يمنع نفوذ الأسباب مع وجودها، فإنه يوجد بدون أسبابها؛ ليدل ذلك أن الأسباب كلها مندرجة في قضائه وقدره. السعدي: ١٣٠.

السؤال: في انحباس لسان زكريا عن الكلام ومجيء ولده بعد عقم آياتان على قدرة الله، وضع ذلك.

١ ﴿ إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَاكَ ﴾  
اختارها لكثرة عبادتها، وزهادتها، وشرفها، وطهارتها من الأكدار والسواوس. ابن كثير: ٣٤٢/١.

السؤال: ما سبب اصطفاء الله لمريم بنت عمران؟

١ ﴿ يَمْزِجُ آمَنِي لِرَبِّكَ وَأَسْجُدُ وَأَرْكَبُ مَعَ الرُّكْبَانِ ﴾  
يراد بالركوع: الخشوع والتواضع؛ وكان امرؤها بذلك [حفظ] لها من الوقوع في مهوى التكبر والاستعلاء بما لها من علو الدرجة. الألوسي: ١٥٧/٣.

السؤال: لماذا أمرت مريم عليها السلام بالسجود والركوع؟

١ ﴿ يَمْزِجُ آمَنِي لِرَبِّكَ وَأَسْجُدُ وَأَرْكَبُ مَعَ الرُّكْبَانِ ﴾  
وصوها بالمحافظة على الصلاة بعد أن أخبروها بعلو درجتها وكمال قربها إلى الله تعالى؛ فلا تفتخر، ولا تغفل عن العبادة. الألوسي: ١٥٦/٣.

السؤال: ما دلالة قول الملائكة لمريم: (واسجدي واركعي مع الراكعين)؟

٧ ﴿ وَأَسْجُدْ وَارْكَعْ مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾  
خص السجود والركوع؛ لفضلهما، ودلالتهما على غاية الخضوع لله.

السعدي: ١٣٠.

السؤال: لماذا خص السجود والركوع بالذكر؟

هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ١٥ فَدَآئِهِ الْمَلَكُ وَهُوَ قَائِمٌ يُسَبِّحُ فِي الْعَرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بَيِّنًا مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ١٦ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ١٧ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آتِيكَ إِلَّا نَكْرًا لِمَنْ تَلَاكَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا وَادْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ ١٨ وَادَّأَبَ الْمَلَكُ أَنْ يَمْرُؤَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَلَقَكِ عَلَى نَيْسَاءٍ الْعَلَمِينَ ١٩ يَمْزِجُ آمَنِي لِرَبِّكَ وَأَسْجُدُ وَأَرْكَبُ مَعَ الرَّاكِعِينَ ٢٠ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَفَلَمْ نَرَأَيْكُمْ يَكْفُلْ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ٢١ إِذْ قَالَتِ الْمَلَكُ يَمْزِجُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمَقَرَّبِينَ ٢٢

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
لَدُنْكَ	عِنْدَكَ .
وَحْصُورًا	لَا يَقْرُبُ الدُّنُوبَ وَالشَّهَوَاتِ تَعَفُّفًا .
عَاقِرٌ	عَقِيمٌ لَا تَلِدُ .
رَمْرًا	إِشَارَةً .
يُقْلِقُونَ أَقْلَامَهُمْ	يَطْرَحُونَ سِهَامَهُمْ لِلِاقْتِرَاعِ .

## ● العمل بالآيات

١. ادع اليوم بهذا الدعاء النبوي: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾.
٢. حافظ على الأذكار في الصباح والمساء وعقب الصلوات المفروضة.
٣. سبح الله تعالى هذا اليوم كثيرا، وعلى كل أحوالك، ﴿ وَادْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا ﴾.

## ● التوجيهات

١. إذا رأيت نعمة من الله على غيرك فادع الله؛ بما تريد فإن زكريا لما رأى كرامة الله تعالى لمريم دعا بالولد؛ فاستجيب له ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾.
٢. اختر الأسماء ذات المعاني الحسنة، وسم بها أبناءك وبناتك؛ ودع الأسماء المستغربة والممجوجة. ﴿ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بَيِّنًا مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾.
٣. إذا اصطفى الله عبدا لمهمة جليلة؛ عليه أن يقبل على الله تعالى شكرا له، واستعانة به على إتمامها، والصبر على أداها، ﴿ وَادَّأَبَ الْمَلَكُ أَنْ يَمْرُؤَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَلَقَكِ عَلَى نَيْسَاءٍ الْعَلَمِينَ ١٩ يَمْزِجُ آمَنِي لِرَبِّكَ وَأَسْجُدُ وَأَرْكَبُ مَعَ الرَّاكِعِينَ ٢٠ ﴾.

الآية (٤١): أي: علامة أستلبد بها على وجود الولد مني ﴿قَالَ مَا بَيْنَكَ إِلَّا تُكَذِّرُ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا﴾ أي: إشارة لا نستطيع النطق مع أنك سوي صحيح، كما في قوله: ﴿ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٠]. ثم أمر بكثرة الذكر والتسبيح في هذه الحال، فقال: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالنَّعِيِّ وَالْإِنْبَاءِ﴾.

الآية (٤٢): هذا إخبار من الله تعالى بما خاطبت به الملائكة مريم عليها السلام عن أمر الله لهم بذلك: أن الله قد اصطفاها، أي: اختارها لكثرة عبادتها وزهدها وشرفها وطهرها من الأكرار والوسواس، واصطفاها ثانيًا مرة بعد مرة لجلالتها على نساء العالمين. وعن أبي موسى الأشعري قال: قال ﷺ: ﴿كُمُلُ مِنَ الرِّجَالِ كَيِّرٌ وَلَمْ يَكُمُلُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا آيَةُ امْرِئَةٍ فِرْعَوْنُ وَمَرْيَمُ بَنْتُ عِمْرَانَ، وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ﴾ (متفق عليه).

الآية (٤٣): ثم أخبر تعالى عن الملائكة: أنهم أمروها بكثرة العبادة والخشوع والخضوع والسجود والركوع والدُّعُوب في العمل، لما يريد الله بها من الأمر الذي قدره وقضاه، مما فيه عنة لها ورفعة في الدارين، بما أظهر الله تعالى فيها من قدرته العظيمة؛ حيث خلق منها ولدًا من غير أب، فقال: ﴿يَتَذَكَّرُ أُنْثَىٰ لِرَبِّكَ وَأَسْبَغِي وَأَذْكِي مَعَ الرِّكَابِ﴾ أما القنوت فهو الطاعة في خشوع؛ كما قال تعالى: ﴿بَلِّغْ لَهُ مَا فِي السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَائِلُونَ﴾ [البقرة: ١١٦].

الآية (٤٤): ثم قال تعالى لرسوله -بعدما أطلعهم على جليّة الأمر-: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ أي: نقضه عليك ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ أي: ما كنت عندهم يا محمد فتُخْبِر عنهم معانة عما جرى، بل أطلعك الله على ذلك كأنك كنت حاضرًا وشاهدًا لما كان من أمرهم حين اقتصروا في شأن مريم أيهم يكفلها، وذلك لرغبتهم في الأمر.

الآية (٤٥): هذه بشارة من الملائكة لمريم عليها السلام بأن سيوجد منها ولد عظيم له شأن كبير. قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ بِبَيْتِكَ لَكَيِّمٌ يَتَذَكَّرُ فِيكَ مِاسِرَ الْوَجَدِ بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ، أَي: يقول له: «كن» فيكون، وهذا تفسير قوله: ﴿مَتَذَكَّرًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٣٩]. وقوله: ﴿أَسْمُهُ الْيَسُوعُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ أي: يكون مشهورًا بهذا في الدنيا، يعرفه المؤمنون بذلك. وسمي المسيح، قال بعض السلف: لكثرة سياحته. وقيل: لأنه كان مسيح القدمين لا أخصص لها. وقيل: لأنه كان إذا مسح أحدًا من ذوي العاهات برئ بإذن الله تعالى. وقوله: ﴿يَسُوعُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ نسبة له إلى أمه، حيث لا أب له، ﴿وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ أي: له وجاهة ومكانة عند الله في الدنيا بما يوحى الله إليه من الشريعة، وينزله عليه من الكتاب، وغير ذلك مما منح به. وفي الدار الآخرة يشفع عند الله فيمن يأذن له فيه، فيقبل منه، أسوة بإخوانه من أولي العزم، صلوات الله عليهم.

الآية (٣٨): لما رأى زكريا النبي أن الله يرزق مريم عليها السلام فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء طمع حينئذ في الولد، وكان شيخًا كبيرًا قد ضعف ووهن منه العظم، واشتعل رأسه شيبًا، وكانت امرأته مع ذلك كبيرة وعاقرا، لكنه مع هذا كله سأل ربه وناداه نداء خفيا، وقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ﴾ أي: من عندك ﴿ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ أي: ولدا صالحا ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾.

الآية (٣٩): قال الله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ﴾ أي: خاطبته الملائكة شفاهًا خطابًا أسمعته، وهو قائم يصلي في محراب عبادته، ومحل خلوته، ومجلس مناجاته وصلاته. ثم أخبر عما بشرته به الملائكة: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَبْشِّرُكَ بِغُلَامٍ﴾ أي: بولد يوجد لك من صلبك اسمه «يحيى». وقوله: ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ عن ابن عباس والحسن وقادة وعكرمة ومجاهد وغيرهم: أي: بعيسى ابن مريم. وقوله: ﴿وَسَيِّدًا﴾ قال أبو العالية، وقادة، وسعيد بن جبير، وغيرهم: الحكيم. وقال قتادة: سيّدًا في العلم والعبادة. وقال ابن عباس والثوري والضحاك: السيد الحكيم المتقي. وقال مجاهد وغيره: هو الكريم على الله. وقوله: ﴿وَحَمُورًا﴾ روي عن ابن مسعود، وابن عباس، ومجاهد، وغيرهم؛ أنهم قالوا: هو الذي لا يأتي النساء. وقد قال القاضي عياض في كتابه «الشفاء»: اعلم أن ثناء الله على يحيى أنه كان حُصُورًا ليس كما قاله بعضهم: إنه كان هيوبًا، أو لا ذكر له، بل قد أنكر هذا حذائق المفسرين ونقاد العلماء، وقالوا: هذه نقيصة وعيب ولا تليق بالأنبياء، وإنما معناه: أنه معصوم من الذنوب، أي لا يأتيها، كأنه حُصور عنها، وقيل: مانعًا نفسه من الشهوات. وقد بان لك من هذا أنَّ عدم القدرة على النكاح نقص، وإنما الفضل في كونها موجودة ثم يمنعها: إما بمجاهدة كعيسى، أو بكفاية من الله كيحيى. ثم هي في حق من قَدَّرَ عليها وقام بالواجب فيها ولم تشغله عن ربه درجة عليا، وهي درجة نبينا محمد ﷺ الذي لم يشغله كثرتهم عن عبادة ربه، بل زاده ذلك عبادة، بتحصينهم وقيامه عليهم، واكتسابه لهم، وهدايتهم إياهم. والمقصود أنه مدح يحيى بأنه حُصور من الفواحش والقاذورات، ولا يمنع ذلك من تزويجه بالنساء الحلال وغشيانهم وإيلادهم، بل قد يُفهم وجود النسل له من دعاء زكريا المتقدم حيث قال: ﴿هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾؛ كأنه قال: ولدا له ذرية ونسل وعقب. قوله: ﴿وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ هذه بشارة ثانية بنبوته يحيى بعد البشارة بولادته، وهي أعلى من الأولى كقوله تعالى لأم موسى: ﴿إِنَّا رَأَوُوكَ وَإِلَيْكَ جَاءَ لَوْ أَنَّكَ تَعْلَمِينَ﴾ [الفصل: ٧].

الآية (٤٠): فلما تحقق زكريا ﷺ هذه البشارة أخذ يتعجب من وجود الولد منه بعد الكبر ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ﴾ أي الملك: ﴿كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ أي: هكذا أمر الله العظيم، لا يعجزه شيء ولا يتعاضمه أمر.



والبُلغاء ونحارير الشعراء، فأتاهم بكتاب من الله عز وجل، لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله، أو بعشر سور من مثله، أو بسورة من مثله لم يستطيعوا أبدًا، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا، وما ذاك إلا لأن كلام الرب لا يشبهه كلام الخلق أبدًا.

وقوله: ﴿وَأَنْتُمْ كُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ أي: أخبركم بما أكل أحدكم الآن، وما هو مُدَّخَرٌ له في بيته لغدِه ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ أي: في ذلك كله ﴿لَايَةً لِّكُمْ﴾ أي: على صدقي فيما جئتكم به ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

الآية (٥٠): ﴿وَمِمَّا رَكَّبَ لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ أي: مُقَرَّرًا لها ومُتَّبِعًا ﴿وَلَا يُحِلُّ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي هَرَمَ عَلَيْكُمْ﴾ فيه دلالة على أن عيسى عليه السلام نسخ بعض شريعة التوراة، وهو الصحيح من القولين، ومن العلماء من قال: لم ينسخ منها شيئًا، وإنما أحلَّ لهم بعض ما كانوا يتنازعون فيه فأخطأوا، فكشف لهم عن المغطى في ذلك، كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَلَا يُبَيِّنُ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ﴾ [الزخرف: ٦٣]. ثم قال: ﴿وَجَسَّسُكُم بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ أي: بحجة ودلالة على صدقي فيما أقوله لكم ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾.

الآية (٥١): أي: أنا وأنتم سواء في العبودية له والخضوع والاستكانة إليه ﴿هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾.

الآية (٥٢): يقول تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ﴾ أي: استشعر منهم التصميم على الكفر والاستمرار على الضلال ﴿قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ قال مجاهد: أي من يتبعني إلى الله؟ والظاهر أنه أراد: من أنصاري في الدعوة إلى الله. كما كان النبي ﷺ يقول في مواسم الحج قبل أن يهاجر: «مَنْ رَجُلٌ يُؤْوِينِي حَتَّى أَبْلُغَ كَلَامَ رَبِّي، فَإِنْ قُرْبَشًا قَدْ مَتَّعُونِي أَنْ أَبْلُغَ كَلَامَ رَبِّي» [رواه أبو داود والترمذي، وصححه الألباني]. حتى وجد الأنصار فأوَّوه ونصروه، وهاجر إليهم فواسوه ومنعوه من الأسود والأحمر. وهكذا عيسى ابن مريم، انتدب له طائفة من بني إسرائيل فأمنوا به وآزره ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه. ولهذا قال تعالى مخبرًا عنهم: ﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّكَ سُبْحَانُكَ﴾ الحواريون قيل: كانوا قَصَّارين. وقيل: سُوءًا بذلك لبياض ثيابهم. وقيل: صيادين. والصحيح أن الحواري: الناصر. كما ثبت أن رسول الله ﷺ لما ندب الناس يوم الأحزاب، فانتدب الزبير، ثم ندهم فانتدب الزبير، فقال: «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيًا، وَحَوَارِيِّي الزُّبَيْرُ» [متفق عليه].

الآية (٤٦-٤٧): أي: يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له، في حال صغره، معجزة وآية، وحال كُھولته حين يوحى الله إليه بذلك ﴿وَمِنَ الْفَكْلِيلِينَ﴾ أي: في قوله وعمله، له علم صحيح وعمل صالح. فلما سمعت بشارة الملائكة لها بذلك عن الله عز وجل، قالت في مناجاتها: ﴿رَبِّ أَنْتَ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَوْ يَمْسَسُنِي أَسْرٌ﴾ تقول: كيف يوجد هذا الولد مني وأنا لست بذات زوج ولا من عزمي أن أتزوج، ولست بغيثًا؟! حاشا لله. فقال لها الملك -عن الله عز وجل في جواب هذا السؤال-: ﴿كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ أي: هكذا أمر الله عظيم، لا يعجزه شيء. وصرح هنا بقوله: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ ولم يقل: «يفعل» كما في قصة زكريا، بل نص هنا على أنه يخلق، لتلا يقى لسُبطل شُبهة، وأكد ذلك بقوله: ﴿وَإِذَا فَتَقَى امْرَأَتَا يَكُونُ لَهُ كُنْ يَكُونُ﴾ أي: فلا يتأخر شيئًا، بل يوجد عقبب الأمر بلا مُهلة، كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَجِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ [النمل: ٥٠] أي: إنها تأمر مرة واحدة لا مثنوية فيها، فيكون ذلك الشيء سريعًا كلمح بالبصر.

الآية (٤٨): يقول تعالى مخبرًا عن ثمام بشارة الملائكة لمريم بابنها عيسى عليه السلام أن الله يعلمه الكتاب والحكمة. الظاهر أن المراد بالكتاب ههنا: الكتابة. والحكمة تقدّم الكلام على تفسيرها في سورة البقرة. ﴿وَالْقُرْآنَ وَالْإِنجِيلَ﴾ فالتوراة: هو الكتاب الذي أنزله الله على موسى بن عمران. والإنجيل: الذي أنزله الله على عيسى عليه السلام، وقد كان عيسى عليه السلام يحفظ هذا وهذا.

الآية (٤٩): ﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ أي: يجعله رسولًا إلى بني إسرائيل، قائلاً لهم: ﴿إِنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَاتٍ مِنْ رَبِّكُمْ إِنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَانْفُخْ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ وكذلك كان يفعل: يصور من الطين شكل طير، ثم ينفخ فيه، فيطير عيانًا بإذن الله عز وجل، الذي جعل هذا معجزة له تدل على أنه أرسله. ﴿وَأَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيَكُونُ مِنْهُ نَهَارٌ وَلَا يَصِرُ لِبَلًا﴾ وقيل بالعكس. وقيل: هو الذي يولد أعمى. وهو أشبه؛ لأنه أبلغ في المعجزة وأقوى في التحدي ﴿وَالْأَنْبِيَاءُ﴾ معروف. ﴿وَأَنِّي أَلْمُذِّقُ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ قال كثير من العلماء: بعث الله كل نبي من الأنبياء بمعجزة تناسب أهل زمانه، فكان الغالب على زمان موسى عليه السلام السحر وتعظيم السحرة. فبعثه الله بمعجزة بهزت الأبصار وحيرت كل سحَّار، فلما استيقنوا أنها من عند العظيم الجبار انقادوا للإسلام، وصاروا من الأبرار. وأما عيسى عليه السلام فبعث في زمن الأطباء وأصحاب علم الطبيعة، فجاءهم من الآيات بما لا سبيل لأحد إليه، إلا أن يكون مؤيدًا من الذي شرع الشريعة، فمن أين للطبيب قدرة على إحياء الجهاد؟ أو على مداواة الأنكحة، والأبرص؟ وبعث من هو في قبره رهينًا إلى يوم التناد؟ وكذلك محمد ﷺ بعثه في زمن الفُصحاء



## ● الوقفات التذكيرية

﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ ﴾

وممن حكمة الباري تعالى أن تدرج بأخبار العباد من الغرب إلى ما هو  
أغرب منه؛ فنذكر وجود يحيى بن زكريا بين أبوين؛ أحدهما كبير،  
والآخر عاقر، ثم ذكر أغرب من ذلك وأعجب؛ وهو وجود عيسى - عليه  
السلام - من أم بلا أب؛ ليدل عباده أنه الفعال لما يريد، وأنه ما شاء كان،  
وما لم يشأ لم يكن. السعدي: ١٣١.

**السؤال: لماذا قدم قصة يحيى على قصة عيسى؟**

﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا فَصَّيْ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾

وعبر عن تكوين الله لعيسى بفعل خلق؛ لأنه إيجاد كائن من غير الأسباب والمعاتدة لإيجاد مثله؛ فهو خلقٌ أُنْفٍ غير ناشئ عن أسباب إيجاد الناس، فكان لفعل خلق هنا موقع متين؛ فإن الصانع إذا صنع شيئاً من مواد معاتدة وصنعه معاتدة لا يقول: خلقت، وإنما يقول: صنعت. ابن عاشور: ٢٤٩/٣.

**السؤال: لماذا عبرت الآية الكريمة بفعل (يخلق) بدلاً من (يصنع)؟**

﴿ وَأُزَيِّرُ الْآكُفَّةَ وَالْأَنْبَرَمَ وَأُحْيِي الْمَوْتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾

قال كثير من العلماء: بعث الله كل نبي من الأنبياء بما يناسب أهل زمانه ... وأما عيسى- عليه السلام- فبعث في زمن الأطباء وأصحاب علم الطبعية، فجاءهم من الآيات بما لا سبيل لأحد إليه إلا أن يكون مؤيداً من الذي شرع الشريعة، فمن أين للطبيب قدرة على إحياء الجماد، أو على مداواة الأكهم والألبرص، وبعث من هو في قبره رهين إلى يوم التناد. ابن كثير: ٣٧/٢.

﴿ وَأَبْرَأُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَمَ ﴾

وإنما خص هذين؛ لأنهما داءان عياءان، وكان الغالب في زمن عيسى - عليه السلام - الطب، فأراهم المعجزة من جنس ذلك البغوي ١/ ٣٥٤.

**السؤال: لم خص الله تعالى عيسى - عليه السلام - بهذه المعجزة؟**

﴿وَلَا أُحِذِّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾

أصل دين اليهود فيه آصار وأغلال من التحريمات؛ ولهذا قال لهم المسيح:  
(ولأجل لكم بعض الذي حُرِّم عليكم). ابن تيمية: ٦٩/٢.

**السؤال: اتصفت شريعة اليهود بصفة، فما هي؟**

﴿وَلَا حُدَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَخِشْيَةُ رَبِّكُمُ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾: الأدب مع المحسن أكد، والخوف منه أحق وأوجب؛ ثلثا يقطع إحسانه، ويبدل امتنانه. البقاعي: ٩٤/٢.

**السؤال: ما دلالة تقديم إحسان الله سبحانه على الأمر بالتقوى؟**

﴿ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾

لا ادعوكم إلى شيء إلا كنت أول فاعل له، ولا ادعي أنني إله، ولا ادعو إلى عبادة غير الله تعالى كما يدعي الدجال وغيره من الكذبة الذين تظهر الخوارق على أيديهم امتحاناً من الله سبحانه وتعالى لعباده، فيجعلونها سبباً للعلو في الأرض، والترفع على الناس. البقاعي: ٩٤/٢.

السؤال: ما دلالة تقديم ربي على ربيكم؟

وَيَكْفُرُ النَّاسُ فِي التَّهْمِدِ وَكَهَلًا وَمِنَ الصُّبُلِ حَبِثَ ❶  
قَالَتْ رَبِّ أَنْ يَكُونَ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ  
أَنَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا أَقْضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ  
❷ وَبَعِثْنَاهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ  
❸ وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِّن  
رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطَّيْنِ الْكَهَنَةَ الطَّاهِرَةَ فَأَنْفُخُ  
فِيهِ فَيَكُونُ طَائِفًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَابْنِي أَلِ الْكَهَنَةِ وَالْأَنْبِيَاءُ  
وَأُخَى التَّوْرَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ كُرُمَاتُهَا تَكُونُونَ وَمَا تَدْرُونَ  
فِي بُيُوتِكُمْ إِنِّي فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ❹  
وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَأَجَلَ لَكُمْ  
بَعْضَ الَّذِي حُزِمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ  
فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ❺ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ  
هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ❻ \* فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ  
الْكُفْرَ قَالَ مِنْ أَنْبِيَائِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِجُ نَحْنُ  
أَنْبِيَاؤُ اللَّهِ أَمَّا بَالِدُو اللَّهِ وَاشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ❼

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
الأكمة	مَنْ وُلِدَ أَعْمَى.
الْحَوَارِيُّونَ	أَصْفِيَاءُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَام.

## ● العمل بالآيات

١. العلم أساسه هبة وعطية من الله سبحانه وتعالى، وأعظمه العلم بكتاب الله؛ فاسأل الواهب أن يهبك ويرزقك علماً نافعاً، ﴿وَيُعَلِّمُ الْكَتَّابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾.

٢. أَطْلُ النَّظَرَ وَالتَّامَلَ فِي آيَاتِ مَنْ كَتَبَ اللَّهُ لَعَلَّكَ تَوْفَى الْحِكْمَةَ، ﴿وَعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالزُّورَةَ وَالْإِنجِيلَ﴾.

٣. حدد خطوات وإبدا بها للتعرف على أصدقاء يعينونك على طاعة الله، ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِثُ هُمْ أَنْصَارُ اللَّهِ إِمَّانًا بِآلِهِ وَأَشْهَادًا أَنْهُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

## ● التوجيهات

١. من دوافع الداعية لهداية المدعوين: الشفقة والرحمة وحب الخير لهم،  
﴿وَلَا حِجْلَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾.

٢. من حكمة الداعية أن يكون له مجموعة من الأنصار؛ يربيههم، ويعلمهم، ويحملون هم الدعوي معه، ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِجُ هُمْ أَنْصَارُ اللَّهِ مِمَّا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ وَاشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾.

٣. من علامات أولياء الله تعالى: الوضوح في منهج حياتهم، وإعلانهم الصريح تبعيتهم لدين الله تعالى، ومناصرة المصلحين، ﴿قَالَ الْخَوَارِيزْمِيُّ عَنْ أَصْحَابِ اللَّهِ عَامَّةً بِأَنَّهُ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾



## ● الوقفات التدريبية

- ﴿ رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أُنزِلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْفِنَا مِنَ الشَّهِيدِينَ ﴾ (مع الشاهدين): أي مع الذين يشهدون بالحق من الأمم، وقيل مع أمة محمد ﷺ. ابن جزى: ١٤٧/١.
- السؤال: ما الذي ينبغي عليك فعله حتى تكون ممن تشملك هذه الدعوة؟
- ﴿ وَمَكُرُوا وَمَكَّرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴾ ومكرُ الله: استدراجه لعباده من حيث لا يعلمون ... قال ابن عباس رضي الله عنهما: كلما أحدثوا خطيئة جددنا لهم نعمته. القرطبي: ١٥١/٥.
- السؤال: بينت الآية نوعاً من مكر الله تعالى بالعبد، فما هو؟
- ﴿ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْفِتْنَةِ ﴾ أي: بالحجة، وإقامة البرهان، وقيل بالعز والغلبة. القرطبي: ١٥٦/٥.
- السؤال: كيف يكون علو أهل التوحيد على غيرهم؟
- ﴿ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْفِتْنَةِ ثُمَّ لَكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ هم أهل الإسلام الذين صدقوه، واتبعوا دينه في التوحيد من أمة محمد ﷺ: فهم فوق الذين كفروا؛ ظاهرين، قاهرين بالعزة والمنعة والحجة. البغوي: ٣٦١/١.

السؤال: وعد الله أتباع عيسى- عليه السلام- بالنصر والتمكين، فهل يشمل ذلك أمة محمد ﷺ؟ وضح ذلك.

- ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ﴾ دل ذلك على أنه يحصل لهم في الدنيا ثواب لأعمالهم من: الإكرام، والإعزاز، والنصر، والحياة الطيبة، وإنما توفية الأجور يوم القيامة يجدون ما قدموه من الخيرات محضراً موفراً؛ فيعطى منهم كل عامل أجر عمله، ويزيدهم من فضله وكرمه. السعدي: ١٣٢.

السؤال: كيف تدل هذه الآية على حصول الأجر للمؤمنين في الدنيا والآخرة؟

- ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ الآية حجة على النصارى في قولهم: كيف يكون ابن دون أب، فمثله الله بآدم الذي خلقه الله دون أم ولا أب؛ وذلك أغرب مما استبعدوه، فهو أقطع لقولهم. ابن جزى: ١٤٧/١.

السؤال: في هذه الآية رد قاطع على النصارى، بينه باختصار؟

- ﴿ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾

وفي هذه الآية وما بعدها دليل على قاعدة شريفة، وهو: أن ما قامت الأدلة على أنه حق، وجزم به العبد من مسائل العقائد وغيرها، فإنه يجب أن يجزم بأن كل ما عارضه فهو باطل، وكل شبهة تورده عليه فهي فاسدة، سواء قدر العبد على حلها أم لا، فلا يوجب له عجزه على حلها القبح فيما علمه؛ لأن ما خالف الحق فهو باطل، قال تعالى: (فماذا بعد الحق إلا الضلال)، وبهذه القاعدة الشرعية تنحل عن الإنسان إشكالات كثيرة يوردها المتكلمون، ويرتبتها المنطقيون؛ إن حلها الإنسان فهو تبرع منه، وإلا فوظيفته أن يبين الحق بأدلتها، ويدعو إليه. السعدي: ١٣٣.

السؤال: كيف يتعامل المسلم الموحد مع الشبهات التي تطرح عليه في المسائل العقديّة التي داللتها واضحة وصريحة من الكتاب والسنة؟

رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أُنزِلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْفِنَا مِنَ الشَّهِيدِينَ ﴿١﴾ وَمَكُرُوا وَمَكَّرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴿٢﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيُحْيِسَ إِلَى مُتَوَفِّكَ وَرَافِعُكَ إِلَى وَمُطَهَّرِكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْفِتْنَةِ ثُمَّ لَكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَاتَّخَذُوا لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَجِبُ الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾ ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿٦﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٧﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٨﴾ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَهُمْ نَعْبُدُ اللَّهَ وَإِنَّا لَنَافُسُتَا أَنفُسَكُمْ ثُمَّ تَبَيَّنَ لَهُمْ فَتَجْعَلَ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٩﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
مُتَوَفِّيكَ	قَابِضُكَ مِنَ الْأَرْضِ.
تَبَيَّنَ لَهُمْ	نَدَعَ بِاللَّعْنَةِ عَلَى الْكَاذِبِ مِنْهَا.

## ● العمل بالآيات

- حدد حاجة من حاجاتك، ثم انظر إلى عبادة تقوم بها، وتوصل إلى الله تعالى بتلك العبادة، ﴿ رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أُنزِلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْفِنَا مِنَ الشَّهِيدِينَ ﴾.
- اقرأ الأحاديث المتعلقة بعلامات الساعة الكبرى من أحد كتب الحديث الصحيح، ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيُحْيِسَ إِلَى مُتَوَفِّكَ وَرَافِعُكَ إِلَى وَمُطَهَّرِكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْفِتْنَةِ ﴾.
- ابحث عن فضيلة أشكل عليك فهمها، ثم ابحث في القرآن عن آيات تتكلم عنها، لعلك تهتدي إلى الحق فيها، ﴿ ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴾.

## ● التوجيهات

- لا تحزن لكثرة ما يحاك للدين وأهله من المؤامرات والمكائد؛ فإن الله سبحانه حافظ لدينه وأوليائه، ﴿ وَمَكُرُوا وَمَكَّرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴾.
- احذر أن تكون مغولاً في معصية الله تعالى، ونعم الله تتساق إليك؛ فإن هذا مكر واستدراج بك للهلاك، نعوذ بالله من ذلك، ﴿ وَمَكُرُوا وَمَكَّرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴾.
- إياك والخصومة والجدال بلا بينة؛ فإنك محاسب عليها، ﴿ ثُمَّ لَكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾.

الآية (٥٣-٥٤): عن ابن عباس في قوله: ﴿فَاكْتَنَبْنَا مَعَ الشَّهِيدِ﴾ قال: مع أمة محمد ﷺ.

ثم قال تعالى خبراً عن بني إسرائيل فيها مَثْوَاهُ مِنَ الْفِتَنِ بِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَإِرَادَتِهِ بِالسُّوءِ وَالصَّلْبِ، حِينَ قَامُوا عَلَيْهِ، وَرَمَوْهُ [بِالسَّلْبِ] الْكَذْبِ، وَأَنَّهُ وَلَدَ زَانِيَةٍ فَلَمَّا ظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ ظَفَرُوا بِهِ، نَجَّاهُ اللَّهُ مِنْ بَيْنِهِمْ، وَرَفَعَهُ إِلَى السَّمَاءِ، وَأَلْقَى اللَّهُ شِبْهَهُ عَلَى رَجُلٍ [آخَرَ]، فَأَخَذُوهُ وَصَلَبُوهُ، وَكَانَ هَذَا مِنْ مَكْرِ اللَّهِ بِهِمْ، فَإِنَّهُ نَجَّى نَبِيَّهُ وَرَفَعَهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِهِمْ، وَتَرَكَهُمْ فِي ضَلَالِهِمْ بِعَمَهُونَ، يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُمْ قَدْ ظَفَرُوا بِطَلَبِهِمْ؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَكُرُوا وَمَكَّرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِرِينَ﴾.

الآية (٥٥-٥٨): اختلف المفسرون في قوله: ﴿إِنِّي مُتَوَلِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ فقال قتادة وغيره: هذا من المقدم والمؤخر، تقديره: إني رافعك إليّ ومتوليّك، يعني بعد ذلك. وقال ابن عباس: أي: مُتِمِّتْكَ. وقال مطر الوراق: إني متوليّك من الدنيا وليس بوفاء موت. وكذا قال ابن جريج: تَوَلَّيْهُ هُوَ رَفَعَهُ. وقال الأثرون: المراد بالوفاء ههنا: النوم؛ كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَلَّىكُمْ يَأْتِلُ﴾ [الأنعام: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿أَنَّهُ يَتَوَلَّى الْآفَافَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْآخَرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الزمر: ٤٢]، وكان رسول الله ﷺ يقول - إذا قام من النوم -: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ» [رواه البخاري]. وقال الله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ ﴿٥٧﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٨﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنُوا بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٦-١٥٩]، والضمير في قوله: ﴿قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ عائذ على عيسى عليه السلام؛ أي: وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى [قبل موت عيسى]، وذلك حين ينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة، فحينئذ يؤمن به أهل الكتاب كلهم؛ لأنه يضع الجزية ولا يقبل إلا الإسلام. وقوله تعالى: ﴿وَمُطَهَّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: برفعي إياك إلى السماء، ﴿وَيَايِلَ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾، وهكذا وقع؛ فإن المسيح عليه السلام رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَى السَّمَاءِ تَقَرَّرَتْ أَصْحَابُهُ شَيْعًا بَعْدَهُ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِمَا بَعَثَهُ اللَّهُ بِهِ عَلَى أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَابْنُ آدَمَ، وَمِنْهُمْ مَنْ غَلَا فِيهِ فِجَعُهُ ابْنُ اللَّهِ، وَآخَرُونَ قَالُوا: هُوَ اللَّهُ. وَآخَرُونَ قَالُوا: هُوَ نَالِثُ ثَلَاثَةٍ. وَقَدْ حَكَى اللَّهُ مَقَالَتَهُمْ فِي الْقُرْآنِ، وَرَدَّ عَلَى كُلِّ فَرِيقٍ فَاسْتَمَرُّوا كَذَلِكَ قَرِيبًا مِنْ ثَلَاثَةِ سَنَةٍ، ثُمَّ نَجَّحَ لَهُمْ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ يُقَالُ لَهُ: قُسْطَنْطِينَ، فَدَخَلَ فِي دِينِ النَّصْرَانِيَّةِ، قِيلَ: حِيلَةٌ لِيُفْسِدَهُ، فَإِنَّهُ كَانَ فِيلَسُوفًا، وَقِيلَ: جَهْلًا مِنْهُ، إِلَّا أَنَّهُ بَدَّلَ لَهُمُ دِينَ الْمَسِيحِ وَخَرَّفَهُ، وَزَادَ فِيهِ وَنَقَصَ مِنْهُ، وَهُمْ فِي هَذَا كُلِّهِ قَاهِرُونَ لِلْيَهُودِ، أَيْدِيَهُمْ اللَّهُ عَلَيْهِمْ لَأَنَّهُمْ أَقْرَبُ إِلَى الْحَقِّ مِنْهُمْ، وَإِنْ كَانَ الْجَمِيعُ كَفَرًا، عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ. فَلَمَّا بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ، فَكَانَ مِنْ آمَنَ بِهِ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكِتَابِهِ وَرَسُولِهِ عَلَى الْوَجْهِ الْحَقِّ: كَانُوا هُمُ

أَتْبَاعُ كُلِّ نَبِيٍّ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ؛ إِذْ قَدْ صَدَّقُوا الرُّسُلَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ، خَاتَمَ الرُّسُلِ، وَسَيِّدَ وَلَدِ آدَمَ، الَّذِي دَعَاهُمْ إِلَى التَّصْدِيقِ بِجَمِيعِ الْحَقِّ، فَكَانُوا أَوَّلَىٰ بِكُلِّ نَبِيٍّ مِنْ أُمَّتِهِ، الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ عَلَى مِلَّتِهِ وَطَرِيقَتِهِ، مَعَ مَا قَدْ خَرَفُوا وَبَدَّلُوا. ثُمَّ لَوْ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ لَكَانَ قَدْ نَسَخَ اللَّهُ شَرِيعَةَ جَمِيعِ الرُّسُلِ بِمَا بَعَثَ بِهِ مُحَمَّدًا ﷺ مِنَ الدِّينِ الْحَقِّ، الَّذِي لَا يُغَيَّرُ وَلَا يُبَدَّلُ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، وَلَا يَزَالُ قَائِمًا مُنْصَوِّرًا ظَاهِرًا عَلَى كُلِّ دِينٍ. وَلِهَذَا كَانُوا هُمُ الْمُؤْمِنِينَ بِالْمَسِيحِ حَقًّا سَلَبُوا النَّصَارَى بِلَادَ الشَّامِ وَأَجْلَوْهُمُ إِلَى الرُّومِ، فَلَجَّأُوا إِلَى مَدِينَتِهِمُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ، وَلَا يَزَالُ الْإِسْلَامُ وَأَهْلُهُ فَوْقَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا آذَنَ كَفَرُوا فَأَعَذَّ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ كذلك قَعَلَ تَعَالَى بِمَنْ كَفَرَ بِالْمَسِيحِ مِنَ الْيَهُودِ، أَوْ غَلَا فِيهِ وَأَطْرَاهُ مِنَ النَّصَارَى؛ عَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا بِالْقَتْلِ وَالسَّبْيِ وَأَخَذَ الْأَمْوَالَ وَإِزَالَةَ الْأَيْدِي عَنْ الْمَالِكِ، وَفِي الدَّارِ الْآخِرَةِ عَذَابُهُمْ أَشَدُّ وَأَشَقُّ، وَمَا لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَلَّمُوا الصَّالِحِينَ فَيَقْبِلُهُمْ تُجُورُهُمْ﴾ أي: في الدنيا والآخرة، في الدنيا بالنصر والظفر، وفي الآخرة بالجنان العاليات ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.

ثم قال تعالى: ﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾ أي: هذا الذي قَضَضْنَاهُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ فِي أَمْرِ عِيسَى وَمَبْدَأَ مِلَادِهِ وَكَيْفِيَّةِ أَمْرِهِ، هُوَ مَا قَالَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَأَوْحَاهُ إِلَيْكَ وَأَنْزَلَهُ عَلَيْكَ مِنَ اللُّوحِ الْمَحْضُوفِ، فَلَا مَرِيَّةَ فِيهِ وَلَا شَكَّ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَكَ الْحَقُّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ [مريم: ٣٤].

الآية (٥٩-٦١): يقول تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ﴾ في قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى حَيْثُ خَلَقَهُ مِنْ غَيْرِ أَبِي ﴿كَمَثَلِ آدَمَ﴾، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَهُ مِنْ غَيْرِ أَبِي وَلَا أُمٍّ، بَلْ ﴿خَلَقَهُ مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾، وَالَّذِي خَلَقَ آدَمَ قَادِرٌ عَلَى خَلْقِ عِيسَى بِطَرِيقِ الْأَوَّلِيِّ وَالْآخَرِيِّ، وَإِنْ جَازَ ادِّعَاءُ النَّبَوَّةِ فِي عِيسَى بِكَوْنِهِ مَخْلُوقًا مِنْ غَيْرِ أَبِي، فَجَوَّازَ ذَلِكَ فِي آدَمَ بِالطَّرِيقِ الْأَوَّلِيِّ، وَمَعْلُومٌ بِالِاتِّفَاقِ أَنَّ ذَلِكَ بَاطِلٌ، فَدَعَا فِي عِيسَى أَشَدَّ بُطْلَانًا وَأَظْهَرَ فَسَادًا. وَلَكِنَّ الرَّبَّ عَزَّ وَجَلَّ أَرَادَ أَنْ يُظْهِرَ قُدْرَتَهُ لَخَلْقِهِ حِينَ خَلَقَ آدَمَ لَا مِنْ ذَكَرٍ وَلَا مِنْ أُنْثَى؛ وَخَلَقَ حَوَاءَ مِنْ ذَكَرٍ بِلَا أُنْثَى، وَخَلَقَ عِيسَى مِنْ أُنْثَى بِلَا ذَكَرٍ، كَمَا خَلَقَ بَقِيَّةَ الْبَرِيَّةِ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُنَّ أَجْرًا لِّمَا كُنَّ فِي الْحَقِّ فِي هَهْنَا﴾ ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ أي: هذا القول هو الحق في عيسى، الذي لا تُعَدُّ عَنْهُ وَلَا صَحِّحُ سِوَاهُ، وَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى -أَمْرًا رَسُولَهُ ﷺ أَنْ يُبَاهِلَ مَنْ عَائَدَ الْحَقَّ فِي أَمْرِ عِيسَى بَعْدَ ظُهُورِ الْبَيَانِ: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَدُوٍّ مَا جَاءَكَ مِنْ آلِئِيلَ فَقُلْ مَا قَالُوا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكَ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكَ وَأَنْتُمْ نَحْنُ الْمُبَاهِلُونَ﴾ أي: نُحَضِّرُهُمْ فِي حَالِ الْمِبَاهَلَةِ ﴿ثُمَّ تَنْتَهِلْ﴾ أي: نلتعن، ﴿فَتَنْتَعِلْ لَنَسْتَعِيَكَ اللَّهُ عَلَى الْكَذِبِ﴾، أي: منا أو منكم. وَكَانَ سَبَبُ نَزُولِ هَذِهِ الْمِبَاهَلَةِ فِي وَفْدِ نَجْرَانَ.

بذلوه مُصَالِحَةً عن المباهلة لا على وجه الجزية، بل يكون من باب المهادنة والمصالحة، ووافق نزول آية الجزية بعد ذلك على وفق ذلك.

الرابع: يحتمل أن رسول الله ﷺ لما أمر بكتِّب هذا الكلام في كتابه إلى هرقل وإن لم يكن أنزل بعد، ثم نزل القرآن موافقة له ﷺ.

الآية (٦٥-٦٨): ينكر تعالى على اليهود والنصارى في مُحَاجَّتِهِمْ فِي إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ، ودعوى كل طائفة منهم أنه كان منهم، [سب النزول] عن ابن عباس قال: اجتمعت نصارى نجران وأحبار يهود عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتنازعوا عنده، فقالت الأحبار: ما كان إبراهيم إلا يهوديا. وقالت النصارى ما كان إبراهيم إلا نصرانيا. فانزل الله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبراهيمَ وَمَا أَنْزِلَتْ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلَ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ أي: كيف تدعون أبها اليهود أنه كان يهوديًا، وقد كان زمنه قبل أن يُنَزَّلَ الله التوراة على موسى؟ وكيف تدعون أبها النصارى أنه كان نصرانيًا، وإنما حدثت النصرانية بعد زمنه بدهر؟! ولهذا قال: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ ثم قال: ﴿هُنَالِكَ هَتَوْلَاءَ حَبِجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِدِينِكُمْ فَلَمَّا نُحَاجُّكُمْ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ هذا إنكار على من مُحَاجَّ فيها لا علم له به، فإن اليهود والنصارى مُحَاجُّوا في إبراهيم بلا علم، ولو مُحَاجُّوا فيما بأيديهم منه علم مما يتعلق بأديانهم التي شُرِّعت لهم إلى حين بعثة محمد ﷺ لكن أولى بهم، وإنا نتكلموا فيما لم يعلموا به، فانكر الله عليهم ذلك، وأمَرَهُم بِرَدِّ مَا لَا عِلْمَ لَهُمْ بِهِ إِلَى عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، الذي يعلم الأمور على حقائقها وجلياتها، ولهذا قال: ﴿وَكَأَنَّهُ يَسَلُّمْ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ثم قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِإِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا ﴾ أي: متحنفاً عن الشرك قاصداً إلى الإيمان ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ وهذه الآية كالتي تقدّمت في سورة البقرة: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [البقرة: 130]. ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلْذِّينِ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ يقول تعالى: أحق الناس بمطابقة إبراهيم الخليل الذين اتبعوه على دينه، وهذا النبي - يعني محمداً ﷺ - والذين آمنوا من أصحابه المهاجرين والأنصار ومن بعدهم. عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيِّ وَلَاةٍ مِنَ النَّبِيِّينَ، وَإِنَّ وَلَاتِي مِنْهُمْ أَبِي وَخَلِيلِي رَبِّي عز وجل». ثم قرأ: ﴿إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلْذِّينِ اتَّبَعُوهُ﴾ الآية [رواه الترمذي، وصححه الألباني].

وقوله: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: ولي جميع المؤمنين برسله.

الآية (٦٩-٧٠): يَجْزِي تَعَالَى عَنْ حَسَدِ الْيَهُودِ لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَغِيهِم  
إِلَيْهِمْ الْإِضْلَالُ، وَأَخْبِرْ أَنَّ وَبَالَ ذَلِكَ إِنَّمَا يَعُودُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَهُمْ لَا  
يَشْعُرُونَ أَنَّهُمْ مَمْكُورٌ بِهِمْ. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مُنْكَرًا عَلَيْهِمْ: ﴿يَتَأْتَلَّ  
أَلْكُتَبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَسْهَوْنَ﴾ أي: تعلمون  
صدقها وتتحققون حقها.

الآية (٦٢-٦٣): قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ هَذَا لَهِوَ الْفَرَسِ الْخَفِيِّ﴾ أي: هذا الذي قصصناه عليك يا محمد في شأن عيسى هو الحق الذي لا مغدِلَ عنه ولا تحيد ﴿وَمِنْ إِلَهِ إِلَى اللَّهِ وَرَبِّكَ اللَّهُ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أي: عن هذا إلى غيره. ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ أي: من عدَل عن الحق إلى الباطل فهو المُفْسِد والله عليم به، وسيجزيه على ذلك شرَّ الجزاء، وهو القادر الذي لا يَفُوتُه شيء، سبحانه وبحمده، ونعوذ به من حلول نِقْمِهِ.

الآية (٦٤): هذا الخطاب يُعَمُّ أهل الكتاب من اليهود والنصارى ومن جرى مجراه ﴿قُلْ يَتَذَكَّرْ لِكِتَابٍ تَمَّا لَوْ إِلَى كَلِمَةٍ﴾ والكلمة تَطْلُقُ على الجملة المفيدة كما قال ههنا. ثم وصفها بقوله: ﴿سَوَاءٌ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ أي: عدَل ونَصَف، نستوي نحن وأنتم فيها. ثم فسرها بقوله: ﴿أَلَا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا﴾ لا وَثَنَ، ولا صنم، ولا صليب ولا طاغوت، ولا نار، ولا شيء. بل نُفَرِّقُ العبادة لله وحده لا شريك له. وهذه دعوة جميع الرسل؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا نُوْحٍ إِلَيْهِ إِلَّا إِلَهُ أَلَّا نَقَاعِبُدُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَارْحَبْنِيُوا اللَّعَنُوا﴾ [النحل: ٣٦]. ثم قال: ﴿وَلَا يَتَّخِذْ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ وقال ابن جرير: يعني: يُطِيع بعضنا بعضًا في معصية الله. ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ أي: فإن تولَّوْا عن هذا النَّصَف، وهذه الدعوة فأشهدوهم أنتم على استمراركم على الإسلام الذي شرَّعه الله لكم. وعن أبي سفيان في قصته حين دَخَلَ على قيصر، وكان ذلك بعد صلُح الحُدَيْبِيَّةِ وقبل الفتح، أنه قال: ثم جيء بكتاب رسول الله ﷺ فقرأه، فإذا فيه: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلَامٌ عَلَى مَنْ آمَنَ بِالْهُدَى. أَمَّا بَعْدُ، فَأَسْلِمُ نَسْلَكُمْ، وَأَسْلِمُ نُبُوكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرْسِيِّ، وَتَيَاحُلُ الْكِتَابِ تَمَّا لَوْ إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٌ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ» [رواه البخاري].

وقد ذكر محمد بن إسحاق وغير واحد: أن صدر سورة آل عمران إلى بضع وثلاثين آية منها نزلت في وفد نجران. وقال الزهري: هم أول من بَدَّلَ الجزية. ولا خلاف أن آية الجزية نزلت بعد الفتح، فما الجمع بين كتابة هذه الآية قبل الفتح إلى هِرَقْل في جملة الكتاب، وبين ما ذكره محمد بن إسحاق والزهري؟ والجواب من وجوه:

أحدها: يحتمل أن هذه الآية نزلت مرتين: مرة قبل الحديبية، ومرة بعد الفتح.

الثاني: يحتمل أن صدر سورة آل عمران نزل في وفد نجران إلى عند هذه الآية، وتكون هذه الآية نزلت قبل ذلك، ويكون قول ابن إسحاق: **[إلى بضم وثانين آية] ليس بمحفوظ؛ لدلالة حديث أبي سفيان.**

الثالث: يحتمل أن قدوم وفد نجران كان قبل الحديبية، وأن الذي



## ● الوقفات التدريبية

﴿ قُلْ يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ تَمَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾  
ولعل الفائدة في ذلك: انكم إذا قلتم لهم ذلك- وانتم اهل العلم على الحقيقة- كان ذلك زيادة على إقامة الحجة عليهم، كما استشهد تعالى بأهل العلم حجة على المعاندين. السعدي: ١٣٤.

السؤال: ما الفائدة من دعوة اهل الكتاب إلى كلمة سواء؟

﴿ قُلْ يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ تَمَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾  
التوحيد- وإن كان اصل الصلاح- فهو اعظم العدل. ابن تيمية: ٨٠/٢.  
السؤال: التوحيد اعظم العدل، بين ذلك.

﴿ وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾

وفيه رد على الروافض الذين يقولون: يجب قبول قول الإمام دون إبانة مستند شرعي، وأنه يحل ما حرمه الله من غير أن يبين مستنداً من الشريعة القرطبي: ١٢٧/٥.

السؤال: كيف ترد على الروافض من خلال هذه الآية؟

﴿ هَٰكَذَا هُوَ كَلِمَةٌ سَوَاءٌ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾

في الآية دليل على المنع من الجدل لمن لا علم له، والاحظر على من لا تحقيق عنده. القرطبي: ١٢٥/٥.

السؤال: من الذي يحق له الجدل والنقاش في المسائل العلمية؟

﴿ مَا كَانَ لِإِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ خَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾

فيها أيضاً حث على علم التاريخ، وأنه طريق لرد كثير من الأقوال الباطلة، والدعاوى التي تخالف ما علم من التاريخ. السعدي: ١٣٤.

السؤال: ما أهمية علم التاريخ بالنسبة لطالب العلم الشرعي؟

﴿ وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أَنْ يُخَالِفُوا بِمَا خَالَفُوا رَسُولَ اللَّهِ وَكَرِهُوا إِذْ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

قيل: إن معنى إضلالهم أنفسهم: إصرارهم على الضلال بما سولت لهم أنفسهم، مع تمكنهم من اتباع الهدى بإيضاح الحجج. الألوسي: ١٩٩/٣.

السؤال: كيف يضل الإنسان نفسه؟

﴿ وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أَنْ يُخَالِفُوا بِمَا خَالَفُوا رَسُولَ اللَّهِ وَكَرِهُوا إِذْ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

ومن المعلوم أنه من وَدَّ شيئاً سعى بجهد على تحصيل مراده، فهذه الطائفة تسعى وتبذل جهدها في رد المؤمنين، وإدخال الشبه عليهم بكل طريق يقدر على ذلك. السعدي: ١٣٤.

السؤال: ما الذي يوده اهل الكتاب للمسلمين؟

إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥٨﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٥٩﴾ قُلْ يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ تَمَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٠﴾ يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَتَحَاوُونَ فِي بَيْنِهِمْ وَمَا زِلْتُمْ الثَّوْبَةَ الْأَلِيقَةَ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾ هَٰكَذَا هُوَ كَلِمَةٌ سَوَاءٌ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٢﴾ مَا كَانَ لِإِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ خَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّ أَوَّلِي النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلْذِّينِ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أَنْ يُخَالِفُوا بِمَا خَالَفُوا رَسُولَ اللَّهِ وَكَرِهُوا إِذْ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٥﴾ قُلْ يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَتَحَاوُونَ فِي بَيْنِهِمْ وَمَا زِلْتُمْ الثَّوْبَةَ الْأَلِيقَةَ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٦﴾ هَٰكَذَا هُوَ كَلِمَةٌ سَوَاءٌ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٧﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
كَلِمَةٍ سَوَاءٍ	كَلِمَةٍ عَدَلٍ، وَحَقٍّ نَلْتَمِزُ بِهَا.
خَنِيفًا	مَائِلًا عَنِ الشَّرْكِ قَصْدًا.

## ● العمل بالآيات

١. ابدأ اليوم بوضع برنامج لنفسك في قراءة قصص القرآن، مع جمعك للدروس والعبر منها، ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ﴾.
٢. ارسل لبعض الكفار عبر الترتيب ترجمة معاني هذه الآية الكريمة وتفسيرها بلغتهم، ﴿ قُلْ يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ تَمَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾.
٣. اكتب مقالاً في آداب الحوار المأمود من خلال تتبع الآيات، وأرسله إلى زملائك، ﴿ هَٰكَذَا هُوَ كَلِمَةٌ سَوَاءٌ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾.

## ● التوجيهات

١. إذا رأيت فساد اهل الضلال قد استفحل، وشرهم قد استطار؛ فتذكر أن الله تعالى يعلم ذلك كله، وسيجازيهم عليه، ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴾.
٢. الأنبياء معصومون فيما يبلغون عن ربهم، ومن ادعى العصمة غيرهم فهو كاذب، وقد يوصله اتباعه إلى مقام الربوبية والعباد باله، ﴿ وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾.
٣. المحاجة إنما تكون فيما لك به علم، أما الأشياء التي لا علم لك بها فلا تجادل فيها ولا تنازع، ﴿ هَٰكَذَا هُوَ كَلِمَةٌ سَوَاءٌ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿يَتَأَمَّلِ الْكِتَابَ لِمَ تَلْبِسُوكَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكُنُوكَ الْحَقَّ وَاتُّرْتَلَمُونَ﴾<sup>١</sup>  
العلماء إذا لبسوا الحق بالباطل فلم يميزوا بينهما، بل ابقوا الأمر مبهماً، وكتبوا الحق الذي يجب عليهم إظهاره؛ ترقب على ذلك من خفاء الحق وظهور الباطل ما ترقب، ولم يهتد العوام الذين يريدون الحق لمعرفة حتى يؤثروا، والمقصود من أهل العلم أن يظهروا للناس الحق، ويعلموا به، ويميزوا الحق من الباطل. السعدي: ١٣٤-١٣٥.

السؤال: ما خطورة تلبيس العالم على الناس، وكتب الحق في أمور الدين؟  
﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هَدَى اللَّهُ أَنْ يُوَفَّقَ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أَوْتَيْتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾

التقدير: ولا تؤمنوا بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم، وهم المسلمون؛ أوتوا كتاباً سماوياً كالأنبياء، ونبيا مرسلًا كموسى، وبيان يحاجوكم، ويعلبوكم بالحجة يوم القيامة إلا لأتباعكم؛ وحاصله أنهم نهوهم عن إظهار هذين الأمرين للمسلمين ثلثا يزدادوا تصلباً، ولشركي العرب ثلثا يبعثهم على الإسلام. الألوسي: ٢٠٠/٣.

السؤال: الغيرة والحسد قد تمنع من قبول الحق، وضح ذلك من الآية.  
﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِطَارٍ يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ وَيُنْفِرُ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِرَيْتَارٍ لَا يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ إِنْ مَادَمْتَ عَلَيْهِ قَالِمًا﴾

الآية إخبار أن أهل الكتاب على قسمين: أمين، وخائن، وذكر القنطار مثلاً للكثير، فمن آذاه أدى ما دونه. ابن جزي: ١٥٠/١.

السؤال: بين كيف أنصف القرآن الكريم مخالفه من أهل الديانات الأخرى.

﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِطَارٍ يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ وَيُنْفِرُ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِرَيْتَارٍ لَا يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ إِنْ مَادَمْتَ عَلَيْهِ قَالِمًا﴾

الأمانة عظيمة القدر في الدين، ومن عظم قدرها أنها تقوم هي والرحم على جنبي الصراط، كما في صحيح مسلم، فلا يُمكن من الجواز إلا من حفظهما. القرطبي: ١٧٨-١٧٩.

السؤال: بين عظم الأمانة، وخطر الخيانة باختصار.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيْنِ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ﴾

(ليس عليهم) (في الأميين سبيل) أي: ليس عليهم إثم في عدم آداء أموالهم إليهم؛ لأنهم بزعمهم الفاسد، ورايهم الكاسد قد احتقروهم غاية الاحتقار، وراوا أنفسهم في غاية العظمة، وهم الأذلاء الأحقر، فلم يجعلوا للأميين حرمة، وأجازوا ذلك، فجمعوا بين أكل الحرام، واعتقاد حله، وكان هذا كذباً على الله. السعدي: ١٣٥.

السؤال: احتواء اليهود لأكثر أموال العالم مبني على قاعدة فاسدة، بينها من الآية.  
﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيْنِ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾

وذلك أن اليهود قالوا: أموال العرب حلال لنا؛ لأنهم ليسوا على ديننا، ولا حرمة لهم في كتابنا، وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم في دينهم. البغوي: ٣٧١/١.

السؤال: إلى أي حد بلغ ظلم اليهود وعنصريتهم؟

﴿يَكُنْ مِنْ أَوْفٍ يَهْدُوهُ وَأَتَى قُلُوبُ اللَّهِ يَجِبُ الْكُفُورُ﴾

الوفاء بالعهود من التقوى التي يحبها الله، والوفاء بالعهود هو جملة المأمور به؛ فإن الواجب إما بالشرع أو بالشرط، وكل ذلك فعل مأمور به، وذلك وفاء بعهد الله وعهد العبيد. ابن تيمية: ٨٥/٢.

السؤال: ما فضيلة الوفاء بالعهود المذكورة في الآية؟

يَتَأَمَّلِ الْكِتَابَ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكُنُوكَ الْحَقَّ وَاتُّرْتَلَمُونَ  
وَأَنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١﴾ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَكُفُّوا رُءُوسَهُمْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ يُرْجَعُونَ ﴿٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هَدَى اللَّهُ أَنْ يُوَفَّقَ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أَوْتَيْتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِطَارٍ يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَن إِنْ تَأْمَنَهُ بِرَيْتَارٍ لَا يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَالِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيْنِ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ كَلَّ مِنْ أَوْفٍ يَهْدُوهُ وَأَتَى قُلُوبُ اللَّهِ يَجِبُ الْمُنْفِقِينَ ﴿٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ وَلَا يُرَكِّبُ لَهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
تَلْبِسُونَ	تَحْلِطُونَ.
وَجْهَ النَّهَارِ	أَوْنُهُ.
بِقِطَارٍ	المَالُ الْكَثِيرُ.
الْأُمِّيْنِ	العَرَبُ؛ لِأَنَّهُمْ أُمَمٌ أُمِّيَّةٌ.
خَلَاقٌ	نَصِيبٌ.

## ● العمل بالآيات

١. سل الله تعالى من فضله ورحمته؛ فضلل الله سبحانه أوسع مما يتخيله عقلك، ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.
٢. ناقش مخالفاً لك، واذكر ما في رايه من صواب وحق حتى تدرب نفسك على الإنصاف وقبول الحق، ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِطَارٍ يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ وَيُنْفِرُ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِرَيْتَارٍ لَا يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ إِنْ مَادَمْتَ عَلَيْهِ قَالِمًا﴾.
٣. تذكر أمانة عندك، وبادر بأدائها إلى أهلها، ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِطَارٍ يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ وَيُنْفِرُ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِرَيْتَارٍ لَا يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ إِنْ مَادَمْتَ عَلَيْهِ قَالِمًا﴾.

## ● التوجيهات

١. إحقاق الحق وبيان ما عند الخصم من صواب منهج إسلامي في إنصاف الخصوم، ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِطَارٍ يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ وَيُنْفِرُ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِرَيْتَارٍ لَا يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ إِنْ مَادَمْتَ عَلَيْهِ قَالِمًا﴾.
٢. التكبر واحتقار الآخرين سبب من أسباب أكل أموال الناس بالباطل، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيْنِ سَبِيلٌ﴾.
٣. لا تجعل بينك وحلفك بالله سبباً لبيعتك وربحتك، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ﴾.

فخرج في البحر ففضى حاجته، ثم التمس مركباً يركبها يقدم عليه للأجل الذي أجله، فلم يجد مركباً، فأخذ خنْبةً فنَفَرَهَا فادخل فيها ألف دينار، وصحيفةً منه إلى صاحبه، ثم رَجَعَ موضعها، ثم أتى بها إلى البحر، فقال: اللهم إنك تعلم أنني استسلفت فلاناً ألف دينار فسألني كفيلاً، فقلت: كفى بالله كفيلاً [فرضي بك] وسألني شهيداً، فقلت: كفى بالله شهيداً. فرضي بك، وإني جَهِدْتُ أن أجِدَ مركباً أبعث إليه الذي له فلم أقدر، وإني استودعتكما. فرمى بها في البحر حتى وَجَحْتُ فيه، ثم انصرف وهو في ذلك يلتمس مركباً يخرج إلى بلده، فَخَرَجَ الرجل الذي كان أسلفه بنظر لعل مركباً يبيته به، فإذا بالشخْبة التي فيها السال، فأخذها لأهله حطباً، فلما كسرها وجد السال والصحيفة، ثم قدم الذي كان أسلف منه، فأتاه بألف دينار، وقال: والله ما زلت جاهداً في طلب مركب لأتيك بهالك، فما وجدت مركباً قبل الذي أتيت فيه. قال: هل كنت بَعَثْتُ إِلَيَّ بشيء؟ قال: ألم أُخْرِكُ أني لم أجِدَ مركباً قبل هذا؟ قال: فإن الله قد أدَّى عنك الذي بعثت في الخشْبة، فانصرف بالألف الدينار راشداً [رواه البخاري].

وقوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمُورِ سَيْدٌ﴾ أي: إِنَّمَا حَمَلُهُمْ عَلَى جُحُودِ الْحَقِّ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: لَيْسَ عَلَيْنَا فِي دِينِنَا حَرْجٌ فِي أَكْلِ أَمْوَالِ الْأَمِينِ، وَهُمْ الْعَرَبُ؛ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحْلَاهُمْ لَنَا! قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَيَقُولُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أي: وَقَدْ اخْتَلَفُوا هَذِهِ الْمَقَالَةَ، وَاتَّفَقُوا بِهَذِهِ الضَّلَالَةِ، فَإِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْهِمْ أَكْلَ الْأَمْوَالِ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَإِنَّمَا هُمْ قَوْمٌ بُهَّتْ عَنْ صَفْصَمَةِ بَنِ يَزِيدَ: أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ ابْنَ عَبَّاسٍ، قَالَ: [إِنَّا] نُفَسِبُ فِي الْغَزْوِ مِنْ أَمْوَالِ أَهْلِ الذِّمَّةِ الدَّجَاجَةَ وَالشَّاةَ؟ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَتَقُولُونَ مَاذَا؟ قَالَ: نَقُولُ: لَيْسَ عَلَيْنَا بِذَلِكَ بَأْسٌ. قَالَ: هَذَا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابِ: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمُورِ سَيْدٌ﴾ إِيَّاهُمْ إِذَا ادَّأُوا الْجَزِيَةَ لَمْ يَحُلْ لَكُمْ أَمْوَالُهُمْ إِلَّا بِطِيبِ أَنْفُسِهِمْ. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ﴾ أي: لَكِنْ مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنْكُمْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ، الَّذِي عَاهَدَكُمْ اللَّهُ عَلَيْهِ، مِنَ الْإِيمَانِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ إِذَا بُعِثَ، كَمَا أَخَذَ الْعَهْدَ وَالْيَمِينُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَأَمَّهُمْ بِذَلِكَ، ﴿وَأَتَىٰ﴾ مُحَارِمُ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَتَىٰ طَاعَتَهُ وَشُرْعَتَهُ الَّتِي بَعَثَ بِهَا خَاتَمَ الرِّسْلِ وَسَيِّدَ الْبَشَرِ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾.

الآية (٧٧): يقول تعالى: إِنَّ الَّذِينَ يَتَعَاذُونَ عِيا عَاهِدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ مِنْ اتِّبَاعِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَذَكَرَ صِفَتَهُ لِلنَّاسِ وَبَيَّانَ أَمْرِهِ، وَعَنْ أَيْمَانِهِمُ الْكَاذِبَةِ الْفَاجِرَةِ الْأَثَمَةِ بِالْأَثْمَانِ الْقَلِيلَةِ الزَّهِيدَةِ، وَهِيَ عَرُوضُ هَذِهِ الدُّنْيَا الْغَانِيَةِ الزَّائِلَةِ، فـ ﴿وَأَنْتَ لَكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ أي: لَا نَصِيبَ لَهُمْ فِيهَا، وَلَا حَظَّ لَهُمْ مِنْهَا ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْيُسُفَةِ﴾ أي: بِرَحْمَةٍ مِنْهُمْ، بِمَعْنَى: لَا يَكَلِّمُهُمْ كَلَامَ لُطْفٍ بِهِمْ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ بِعَيْنِ الرَّحْمَةِ ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ أي: مِنَ الذُّنُوبِ وَالْأَدْنَسِ، بَلْ يَأْمُرُ بِهِمْ إِلَى النَّارِ ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

الآية (٧١-٧٤): ﴿تَأْمَلْ أَلَكُنْتَ لَمْ تَلْبُوتَ أَلَحَقَّ بِالْبُطْلِ وَتَكُونُ أَلَحَقَّ وَأَنْتَ تَعْلَمُونَ﴾ أي: تَكُونُونَ مَا فِي كُتُبِكُمْ مِنْ صِفَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَأَنْتُمْ تَعْرِفُونَ ذَلِكَ وَتَتَحَقَّقُونَهُ. ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ: أَوَلَوْ بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَجْهَ النَّهَارِ وَآخِرُ اللَّيْلِ لَعَلَّهُمْ يَرَوْنَهُ﴾ هَذِهِ مَكِيدَةٌ أَرَادُوهَا لِيُلسُوا عَلَى الضَّعَفَاءِ مِنَ النَّاسِ أَمْرَ دِينِهِمْ، وَهُوَ أَنَّهُمْ اشْتَرَوْا بَيْنَهُمْ أَنْ يُظْهِرُوا الْإِيمَانَ أَوَّلَ النَّهَارِ وَيُضِلُّوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ صَلَاةَ الصُّبْحِ، فَإِذَا جَاءَ آخِرُ النَّهَارِ ارْتَدَوْا إِلَى دِينِهِمْ لِيَقُولَ الْجَاهِلَةُ مِنَ النَّاسِ: إِنَّا رَدَعْنَا إِلَى دِينِهِمْ أَطْلَاعَهُمْ عَلَى نَقِصَةِ وَعَيْبِ فِي دِينِ الْمُسْلِمِينَ، وَلِهَذَا قَالُوا: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرَوْنَهُ﴾. وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ وَبِئْسَ الْأُمَّةٌ﴾ أي: لَا تَطْمَئِنُّوا وَتُظْهِرُوا بِرَّكُمْ وَمَا عِنْدَكُمْ إِلَّا لِمَنْ اتَّبَعَ دِينَكُمْ، وَلَا تُظْهِرُوا مَا بَأْيَدِيكُمْ إِلَى الْمُسْلِمِينَ، فَيُؤْمِنُوا بِهِ وَيَحْتَجُّوا بِهِ عَلَيْكُمْ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ أَلْهَيْتُ هَذِي أَلْفًا﴾ أي: هُوَ الَّذِي يَهْدِي قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَتَمِّ الْإِيمَانِ، بِمَا يُنْزِلُهُ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنَ الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ، وَالِدَّلَائِلِ الْقَاطِعَاتِ، وَالْحُجُجِ الْوَاضِحَاتِ، وَإِنَّ كُتُبَكُمْ -أَيُّهَا الْيَهُودُ- مَا بَأْيَدِيكُمْ مِنْ صِفَةِ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْأَمِيِّ فِي كُتُبِكُمْ الَّتِي نَقَلْتُمُوهَا عَنْ الْأَنْبِيَاءِ الْأَقْدَمِينَ. وَقَوْلُهُ: ﴿أَنْ يُؤْفَكَ أَحَدٌ مِّنَّا أَوْ يَتَّبِعْهُ أَوْ يَتَّبِعُوا عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ يَقُولُونَ: لَا تُظْهِرُوا مَا عِنْدَكُمْ مِنَ الْعِلْمِ لِلْمُسْلِمِينَ، فَيَتَعَلَّمُوهُ مِنْكُمْ، وَيَسَاوَوْكُمْ فِيهِ، وَيَمْتَازُوا بِهِ عَلَيْكُمْ لِشِدَّةِ الْإِيمَانِ بِهِ، أَوْ يَحْجُوكُمْ بِهِ عِنْدَ اللَّهِ، أَوْ يَتَّخِذُوهُ حُجَّةً عَلَيْكُمْ بِيَا أَيْدِيكُمْ، فَتَقُومُ بِهِ وَتَرْتَكِبُ الْحِجَّةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ أَلْفَضَلُ يَدِيَ اللَّهُ يُوَفِّيهِ مَن يَشَاءُ﴾ أي: الْأُمُورُ كُلُّهَا تَحْتَ تَصْرِيفِهِ، وَهُوَ الْمُعْطِي الْمَانِعُ، يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ بِالْإِيمَانِ وَالْعِلْمِ وَالتَّصَوُّرِ النَّامِ، وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيُعْصِي بِصَرِّهِ وَبُصِيرَتِهِ، وَيَحْتَمُّ عَلَى قَلْبِهِ وَسَمْعِهِ، وَيَجْعَلُ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً، وَلَهُ الْحِجَّةُ وَالْحُكْمَةُ. ﴿وَاللَّهُ وَبِئْسَ عَيْدٌ ۖ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ أي: اخْتَصَّكُمْ -أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- مِنَ الْفَضْلِ بِيَا لَا يَحْدُ وَلَا يُوصَفُ، بِمَا شَرَّفَ بِهِ نَبِيَّكُمْ مُحَمَّدًا ﷺ عَلَى سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ وَهَذَا كَمَا بِهِ أَحْمَدُ الشَّرَائِعِ.

الآية (٧٥-٧٦): يُجِبُّ تَعَالَى عَنِ الْيَهُودِ بَأْنَ فِيهِمُ الْخَوْنَةَ، وَيُجَذِّرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْإِغْتِرَارِ بِهِمْ؛ فَإِنَّ مِنْهُمْ ﴿مَنْ لَّنْ تَأْمَنَهُ يَغْتَابِرُ﴾ أي: مَنْ الْمَالُ ﴿يُؤَدِّيهِ إِلَيْكَ﴾ أي: وَمَا دُونَهُ بِطَرِيقِ الْأَوَّلَى أَنْ يُؤَدِّيَهُ إِلَيْكَ، ﴿وَهُمْ مَن لَّنْ تَأْمَنَهُ يَدِينَارٌ لَا يُؤَدِّيهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ أي: بِالْمَطَالَةِ وَالْمَلَاظِمَةِ وَالْإِلْحَاقِ فِي اسْتِخْلَاصِ حَقِّكَ، وَإِذَا كَانَ هَذَا صَنِيعُهُ فِي الدِّينَارِ فَمَا فَوْقَهُ أَوَّلَى أَلَا يُؤَدِّيهِ إِلَيْكَ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «أَنَّهُ ذَكَرَ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ سَأَلَ بَعْضَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يُسَلِّفَهُ أَلْفَ دِينَارٍ، فَقَالَ: اتَّيَنِي بِالشَّهَادَةِ أَشْهَدُهُمْ. فَقَالَ: كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا. قَالَ: اتَّيَنِي بِالْكَفِيلِ. قَالَ: كَفَى بِاللَّهِ كَفِيلًا. قَالَ: صَدَقْتَ. فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ إِلَى أَجَلٍ مَّسْمُومٍ،



وقال إخبارًا عن الملائكة: ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِيَّاكَ إِلَّا مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٢٩].

الآية (٨١-٨٢): نَجْرَ تعالى أنه أخذ ميثاق كل نبي بعنه من لَدُنْ آدم ﷺ إلى عيسى ﷺ لَمَهْمَا أَتَى اللَّهُ أَهْلَهُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ، وَبَلَغَ أَيْ مَبْلَغٍ، ثُمَّ جَاءَهُ رَسُولٌ مِنْ بَعْدِهِ، لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ وَلِيَنْصُرَنَّهُ، وَلَا يَمْنَعُهُ مَا هُوَ فِيهِ مِنَ الْعِلْمِ وَالنَّبُوءَةِ مِنْ اتِّبَاعٍ مِنْ بَعَثَ بَعْدَهُ وَنَصَرَنَّهُ؛ وَهَذَا قَالَ تعالى وَتَقَدَّسَ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ أَوْ مَبْلَغٍ أَنْ يَقُولُوا إِنَّمَا نَنْبَأُكُمْ بِالَّذِي آتَيْنَاكُمْ بِهِ وَلَنْصُرَنَّهُ وَعَلَيْكُمْ﴾ [٨١-٨٢].

الآية (٨٣): نَجْرَ تعالى أنه أخذ ميثاق كل نبي بعنه من لَدُنْ آدم ﷺ إلى عيسى ﷺ لَمَهْمَا أَتَى اللَّهُ أَهْلَهُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ، وَبَلَغَ أَيْ مَبْلَغٍ، ثُمَّ جَاءَهُ رَسُولٌ مِنْ بَعْدِهِ، لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ وَلِيَنْصُرَنَّهُ، وَلَا يَمْنَعُهُ مَا هُوَ فِيهِ مِنَ الْعِلْمِ وَالنَّبُوءَةِ مِنْ اتِّبَاعٍ مِنْ بَعَثَ بَعْدَهُ وَنَصَرَنَّهُ؛ وَهَذَا قَالَ تعالى وَتَقَدَّسَ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ أَوْ مَبْلَغٍ أَنْ يَقُولُوا إِنَّمَا نَنْبَأُكُمْ بِالَّذِي آتَيْنَاكُمْ بِهِ وَلَنْصُرَنَّهُ وَعَلَيْكُمْ﴾ [٨١-٨٢].

الآية (٨٣): نَجْرَ تعالى أنه أخذ ميثاق كل نبي بعنه من لَدُنْ آدم ﷺ إلى عيسى ﷺ لَمَهْمَا أَتَى اللَّهُ أَهْلَهُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ، وَبَلَغَ أَيْ مَبْلَغٍ، ثُمَّ جَاءَهُ رَسُولٌ مِنْ بَعْدِهِ، لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ وَلِيَنْصُرَنَّهُ، وَلَا يَمْنَعُهُ مَا هُوَ فِيهِ مِنَ الْعِلْمِ وَالنَّبُوءَةِ مِنْ اتِّبَاعٍ مِنْ بَعَثَ بَعْدَهُ وَنَصَرَنَّهُ؛ وَهَذَا قَالَ تعالى وَتَقَدَّسَ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ أَوْ مَبْلَغٍ أَنْ يَقُولُوا إِنَّمَا نَنْبَأُكُمْ بِالَّذِي آتَيْنَاكُمْ بِهِ وَلَنْصُرَنَّهُ وَعَلَيْكُمْ﴾ [٨١-٨٢].

الآية (٧٨): نَجْرَ تعالى عن اليهود عليهم لعائن الله، أن منهم فريقًا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَدَّبُّونَ كَلَامَ اللَّهِ، وَيُزِيلُونَ عَنْ الْمَرَادِ بِهِ، لِيُوهِمُوا الْجَهْلَةَ أَنَّهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ كَذَلِكَ، وَيَسْبِغُونَهُ إِلَى اللَّهِ، وَهُوَ كَذِبٌ عَلَى اللَّهِ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا وَافْتَرَوْا فِي ذَلِكَ كُلِّهِ؛ وَهَذَا قَالَ: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ وقال مجاهد والشعبي وغيرهما: ﴿يَقُولُونَ أَلَيْسَتْهُمْ بِالْكَذِبِ﴾: يَحْرِفُونَهُ.

الآية (٧٩-٨٠): ﴿مَا كَانَ لِشَيْءٍ أَنْ يُوَفِّيَهُ اللَّهُ الْأَلْكَاتِ وَالْأَحْكَامَ وَالْأَنْبِيَاءَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: ما ينبغي لبشرٍ أَنَّهُ أَتَاهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَةَ أَنْ يَقُولَ لِلنَّاسِ: اعْبُدُونِي مِنْ دُونِ اللَّهِ. أي: مع الله. وإذا كان هذا لا يصلح لني ولا لمرسل، فَلَا بُدَّ أَنْ يَصْلَحَ لِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ غَيْرِهِمْ بِطَرِيقِ الْأَوَّلِيِّ وَالْآخَرِيِّ؛ وَهَذَا قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: لَا يَنْبَغِي هَذَا لِمَنْ أَنْ يَأْمُرَ النَّاسَ بِعِبَادَتِهِ. قَالَ: ذَلِكَ أَنَّ الْقَوْمَ كَانَ يَمْعِدُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا - يَعْنِي أَهْلَ الْكِتَابِ - كَانُوا يَتَعَبَّدُونَ لِأَحْبَارِهِمْ وَرُؤُوسِهِمْ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُؤُوسَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]. فَالْجَهْلَةُ مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ وَمَشَائِخِ الضَّلَالِ يَدْخُلُونَ فِي هَذَا الذَّمِّ وَالتَّوْبِيخِ، بِخِلَافِ الرُّسُلِ وَاتِّبَاعِهِمْ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ، فَإِنَّمَا يَأْمُرُونَ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَبَلَّغْتُهُمْ إِيَّاهُ رُسُلُهُ الْكَرَامَ. إِنَّمَا يَنْهَوْنَهُمْ عَمَّا نَهَاكَ اللَّهُ عَنْهُ وَبَلَّغْتُهُمْ إِيَّاهُ رُسُلُهُ الْكَرَامَ. فَالرُّسُلُ - صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ - هُمُ السُّفَرَاءُ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ خَلْقِهِ فِي آدَاءِ مَا تَحْلُوهُ مِنَ الرِّسَالَةِ وَابِلَاغِ الْأَمَانَةِ، فَقَامُوا بِذَلِكَ أَتَمَّ قِيَامٍ، وَنَصَحُوا الْخَلْقَ، وَبَلَّغُوهُمُ الْحَقَّ. وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّكُمْ عَلِيمًا﴾ [التوبة: ٣١]. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُ وَاحِدٍ: أَيُّ حُكْمَاءَ عُلَمَاءَ حُكْمَاءَ. وَقَالَ الْحَسَنُ وَغَيْرُ وَاحِدٍ: فَقَهَاءَ. وَقَالَ الضَّحَّاكُ فِي قَوْلِهِ: ﴿يَسْأَلُكُمْ تَعْلِيمًا﴾ [التوبة: ٣١]. كُنْتُ تَدْرُسُونَ ﴿حَقٌّ عَلَى مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ أَنْ يَكُونَ فَقِيهًا، فَتَعْلَمُونَ﴾ [التخفيف: أي: تفهمون معناه. وَفُرِّي: ﴿تَعْلِمُونَ﴾ بالتشديد: مِنَ التَّعْلِيمِ، ﴿وَيَسْأَلُكُمْ تَدْرُسُونَ﴾: تَحْفَظُونَ الْفَافِظَةَ. ثُمَّ قَالَ: ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنَّجْمِ﴾ [التوبة: ٣١]. وَلَا يَأْمُرُكُمْ بِعِبَادَةِ أَحَدٍ غَيْرِ اللَّهِ، لَا نَبِيٍّ مُرْسَلٍ وَلَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، ﴿أَيُّكُمْ يَكْفُرُ بِعِدَائِهِمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ [التوبة: ٣١]. لَا يَفْعَلُ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ دَعَا إِلَى عِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ دَعَا إِلَى الْكُفْرِ، وَالْأَنْبِيَاءُ إِنَّمَا يَأْمُرُونَ بِالْإِيمَانِ، وَهُوَ عِبَادَةُ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِي﴾ [الأنبياء: ٢١٠]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّخِذُوا الصَّلَاةَ وَالزَّكَاةَ﴾ [التوبة: ٣٦]. وَقَالَ: ﴿وَسَتَلَّ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٠].

الآية (٨٣): يقول تعالى مُنْكَرًا عَلَى مَنْ أَرَادَ دِينًا سِوَى دِينِ اللَّهِ، الَّذِي أَنْزَلَ بِهِ كُتُبَهُ وَأَرْسَلَ بِهِ رُسُلَهُ، وَهُوَ عِبَادَتُهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، الَّذِي ﴿لَهُ أَسْخَمُ مِنْ فِي السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [أي: أَسْتَسْلِمُ لَهُ مِنْ فِيهَا طَوْعًا وَكَرْهًا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مِنْ فِي السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظُلُمًا﴾ [الزمر: ٦٠]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ يَرْوُونَ إِلَهُ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَخْلُقُوا ظُلْمًا. عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ [٨٣]. ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَكَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يُشْكَرُونَ﴾ [٨٤]. يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ قُرْبِهِمْ وَيَقْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ [النحل: ٤٨-٥٠]. فَلَمَّا مَنِ مَسْتَسْلِمٌ بَقْلِهِ وَقَالَهُ اللَّهُ، وَالْكَافِرُ مَسْتَسْلِمٌ لِلَّهِ كَرْهًا، فَإِنَّهُ تَحْتَ التَّسْخِيرِ وَالْقَهْرِ وَالسُّلْطَانِ الْعَظِيمِ، الَّذِي لَا يُجَالَفُ وَلَا يُجَانَعُ. ﴿وَالَّذِي يَرْجَعُونَ﴾ [أي: يَوْمَ الْمَعَادِ، فَيُجَاوِزُ كُلَّ بَعْمَلَةٍ.



## ● الوقفات التدبيرية

﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُونُ أَلْسِنَتَهُمُ الْكِتَابَ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾

وذلك أن المقصود من الكتاب: حفظ الفاظه، وعدم تغييرها، وفهم المراد منها وإفهامه. وهؤلاء عكسوا القضية، وأفهموا غير المراد من الكتاب؛ إما تعريضاً، وإما تصريحاً. السعدي: ١٣٦.

السؤال: بيّن الآية نوعاً من التحريف والتلاعب بكتاب الله، وضع ذلك.

﴿وَلَيْسَ مِنْهُمْ لَعْمًا يُلْوَنَ أَلْسِنَتَهُمُ الْكِتَابُ يَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكِبْرُ وَهُمْ يَحْسَبُونَ﴾

ووجيء بالمضارع في هاته الأفعال: يلوون، ويقولون؛ للدلالة على تجدد ذلك، وأنه دأبهم. ابن عاشور: ٢٩٢/٣.

السؤال: لماذا جاءت الأفعال بصيغة المضارع في الآية الكريمة؟

﴿ وَإِنْ مِنْهُمْ لَفَرِيقٌ يَلُونُ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُمْ مِنَ الْكِتَابِ ﴾

والاحترياف قد فسر بترحيف التنزيل، وبترحيف التأويل، فاما ترحيف  
 والتأويل فكثير جدا، وقد ابتليت به مؤلف من هذه الأمة، واما ترحيف  
 التنزيل فقد وقع في كثير من الناس؛ يحرّفون الفاظ الرسول، ويروون  
 الحديث بروايات منكّرة. ابن تيمية: ٨٦/٢.

**السؤال: تحريف الوحي على قسمين، فما هما؟**

﴿ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَكُمْ مِمَّا كُنْتُمْ تُعْلِمُونَ الْكِتَابَ وَمِمَّا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾  
 أي: تابعين طريق الرب، منسويين إليه بكمال العلم المزين بالعمل؛ فإن  
 الرائي هو الشديد التمسك بدين الله سبحانه وتعالى وطاعته. الباقى: ١٨/٢.

### السؤال: ما صفات الربانيين؟

﴿ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّاتِنِ يَمَّا كُنْتُمْ لَمَؤُنَ الْكِتَآبِ وَمِمَّا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ (روباينين)؛ قال سعيد بن جبیر: العالم الذي يعمل بعلمه ... وقيل: الربايون فوق الأحرار، والأحرار: العلماء والربانيون: الذين جمعوا مع العلم البصارة بسياسة الناس.. البغوي: ٣٧٥/١.

**السؤال: كيف تكون عالماً ربانياً؟**

﴿ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُقْلِمُونَ الْكُتُبَ وَمَا كُنْتُمْ تُدْرِسُونَ ﴾  
والرأفة للخالق. البقاع: ١٨/٢.

**السؤال: ما فائدة الدروس وطلب العلم؟**

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الْبَنِيَيْنَ لَمَا تَعْلَمُهُمْ مِنْ حَتَّىٰ يَصْلُوهُمُ نَارُ جَهَنَّمَ خَمْسَ مَرَّاتٍ لِّمَا كَانُوا فِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ وَلَئِنْ رَأَوْهُم مُّصِيفًا لِّمَا كَانُوا فِي شَكٍّ مِّنْهُ لَيُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَيَنْصَرِفَنَّ ۚ فَلَمَّا آخَرْتُهُمُ وَخَلَّفْتُمُ النَّاسَ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ أَن يَقُولُوا ذُرِّيَّةُ هَٰذَا النَّاسِ الْكَافِرِينَ ۚ ﴾

وروي عن غير واحد من السلف علي وابن عباس وغيرهما - قالوا: لم يبعث الله نبيا من عهد نوح إلا أخذ عليه الميثاق: لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به، ولينصرنه، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته: لئن بعث محمد - وهم أحياء - ليؤمنن به، ولينصرنه. ابن تيمية: ٨٨/٢.

**السؤال: بين منزلة النبي محمد ﷺ.**

وَأَنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُونُ أَلَيْسَتْ لَهُمُ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ  
مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُمْ مِنَ الْكِتَابِ يَقُولُونَ هُوَ مِنْ  
عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبُ  
وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ مَا كَانَ لِشَرِّ أَنْ نُؤَيِّدَ اللَّهُ الْكِتَابَ  
وَالْحُكْمَ وَالنَّبِيَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ  
دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْحِينَ يَمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ  
الْكِتَابَ وَمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٣٩﴾ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ  
تَتَّخِذُوا الْمَالِيَّةَ وَالنَّيِّبِينَ أَرْبَابًا أَنْتُمْ بِالْكَفْرِ عَادَ  
إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ  
مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا  
مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَضْتُمْ وَآخِذْتُمْ  
عَلَى ذَلَالٍكُمْ إِنْ يَبْعَثْ رَسُولًا قَالَ فَآتِهِمْهُ وَأَنَا مَعَكُمْ  
مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٤١﴾ فَمَنْ قَوْلُ بَعْدَ ذَلِكَ قَوْلِكَ هُوَ  
الْفَرِيقُونَ ﴿٤٢﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْعَثُونَ وَلَهُ أَسْمَرُ مِنْ  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طُوعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٤٣﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
يَلُوفُونَ	يُحَرِّفُونَ الْكَلَامَ عَنْ مَوَاضِعِهِ.
رَبَّانِيَيْنِ	حُكَمَاءَ، فُقَهَاءَ، مُعَلِّمِينَ.
إِصْرِي	عَهْدِي.

## ● العمل بالآيات

١. عَلَّمَ أَحَدًا مِمَّنْ حَوْلَكَ صِفَةَ الْوُضُوءِ، ثُمَّ الصَّلَاةَ، فَذَلِكَ مِنْ تَرْبِيَةِ النَّاسِ عَلَى صِفَارِ الْعِلْمِ قَبْلَ كِبَارِهِ، ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾.

٢. حدد مسألتها، تعلمتها، واعمل بها حتى تسير على خطى الربانيين، ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيَْنَ بِمَا كُنتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾.

٣. ساهم بمشروع تنصیر به دین الله تعالی، ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا ءَاتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ، وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾.

## ● التوجيهات

١. جَرَاةُ الْيَهُودِ عَلَى الْكَذِبِ عَلَى اللَّهِ، وَعَلَى النَّاسِ، وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ.

٢. على الداعية وطالب العلم أن يتذكر دائماً أنه إنما يدعو لله، لا لنفسه، ﴿مَا كَانَ لِإِنسَارٍ أَنْ يُوَدِّعَ اللَّهَ أَلْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَاداً لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.

٣. على العالم والداعية أن يبدأ بتعليم صغار العلم قبل كبارهم، والعمل بما يعلم، ﴿ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّاتِنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾.



## ● الوقفات التدريبية

﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾

الآية: إبطال لجميع الأديان غير الإسلام. ابن جزري: ١٥١/١.

السؤال: بم ترد على من يقول: بما أن اليهودية والنصرانية أديان سماوية، فلا تكفر من يتعبد بهما؟

﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾

بين أن الدين - الذي رضيه ويقبله من عباده - هو الإسلام، ولا يكون الدين في محل الرضى والقبول إلا بانضمام التصديق إلى العمل. ابن تيمية: ٩٦/٢.

السؤال: متى يكون الدين مقبولاً؟

﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرُّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾

فهؤلاء لا يوفقون للهداية؛ لأن الذي يرجى أن يهدي هو الذي لم يعرف الحق، وهو حريص على التماسه، فهذا بالحرى أن ييسر الله له أسباب الهداية، ويصونه من أسباب الغواية. السعدي: ١٣٧.

السؤال: من الكافرون الذين يتوقع منهم الهداية والإيمان؟

﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرُّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾

أي: قامت عليهم الحجج والبراهين على صدق ما جاءهم به الرسول، ووضح لهم الأمر، ثم ارتدوا إلى ظلمة الشرك، فكيف يستحق هؤلاء الهداية بعد ما تلبسوا به من العمية؟ ابن كثير: ٣٥٩/١.

السؤال: لماذا كان الموصوفون في الآية لا يستحقون الهداية؟

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ ﴾

أي: لا يوفقون لتوبة تقبل، بل يهدم الله في طغيانهم يعمهون ... فهذا هو الذي سعى في قطع أسباب رحمة ربه عنه، وهو الذي سد على نفسه باب التوبة. السعدي: ١٣٧.

السؤال: لماذا لم تقبل توبة المذكورين في الآية؟

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾

لأن الله سبحانه وتعالى يطبع على قلوبهم؛ فلا يتوبون توبة نصوحاً يدومون عليها، ويصلحون ما فسد، أو لن توجد منهم توبة حتى يترتب عليها القبول؛ لأنهم زادوا عن أهل القسم الأول بالتماذي، البقاعي: ١٣٣/٢.

السؤال: لماذا لن تقبل توبة من يتكرر منه الكفر بعد الإيمان؟

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا فَلَنْ يُغْفَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ شَيْءٌ أَلْأَرْضِ ذَبًا وَلَوْ أَفْنَدُكَ يَوْمَئِذٍ أَتُكَلِّمُ لَهُمْ عَذَابُ الْيَوْمِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾

عن أبي عمران قال: سمعت أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: (يقول الله لأهل النار عذاباً يوم القيامة: لو أن لك ما في الأرض من شيء أكنت تفدي به؟ فيقول: نعم، فيقول: أردت منك أهون من ذلك وأنت في صلب آدم: أن لا تشرك بي شيئاً؛ فأبيت إلا أن تشرك بي) البغوي: ٣٨٠/١.

السؤال: ماذا يقال لأهل النار عذاباً يوم القيامة؟

قُلْ أَمَّا بِلِلَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالْيَسِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَتَحْزَنُ لَهُمْ مُمْسِكُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٥٦﴾ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرُّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْقَاطِلِينَ ﴿٥٧﴾ أُولَئِكَ جَزَاءُ هُمْ أَنْ عَلَيهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٥٨﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَخَفُونَ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٦٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الصَّاكُونَ ﴿٦١﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا فَلَنْ يُغْفَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ شَيْءٌ أَلْأَرْضِ ذَبًا وَلَوْ أَفْنَدُكَ يَوْمَئِذٍ أَتُكَلِّمُ لَهُمْ عَذَابُ الْيَوْمِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٦٢﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
وَالْأَسْبَاطُ	الأنبياء الذين كانوا في قبائل بني إسرائيل الاثنتي عشرة.

## ● العمل بالآيات

- ادع أحد الكفار إلى الإسلام مستخدماً وسائل التواصل الحديثة، أو غيرها من الأساليب، ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾.
- ارسل رسالة ترد فيها على أهل وحدة الأديان وحرية التدين من خلال قول الله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾.
- تذكر دنيا فعلته، وأكثر من الاستغفار منه، ثم تصدق بصدقة عسى الله أن يغفره لك، ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾.

## ● التوجيهات

- قاعدة صريحة لا تقبل التأويل، ولا التحريف: الإسلام هو الدين الوحيد الذي يقبله الله من العبد، ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾.
- باب التوبة لا يقفل أمام عاصٍ مهما بالغ في الكفر أو المعاصي، ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾.
- ما أجمل التوبة إذا تبعها إصلاح ودعوة، ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾.

الآية (٩٠): يقول تعالى متوعدًا ومتهددًا لمن كفر بعد إيمانه ثم

الآية (٩٢): عن أنس بن مالك قال: كان أبو طلحة أكثر أنصاري بالمدينة مالا، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء - وكانت مستقبلة المسجد، وكان النبي ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب - قال أبو طلحة: يا رسول الله، إن الله يقول: ﴿لَنْ نَأْتِيَ النِّبْيَ حَتَّى تَتَفَقَّأَ وَمَا يُجِبُونَ﴾ وإن أحب أموالي إلي بيرحاء، وإنما صدقة الله أرجو برها وذخرها عند الله تعالى، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله. فقال النبي ﷺ: «بخ بخ، ذاك مأل رايح، ذاك مأل رايح، وقد سمعت، وأنا أرى أن نجعلها في الأفقرين». فقسّمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه (متفق عليه).

الآية (٩٣-٩٥): عن ابن عباس قال: حضرت عصابة من اليهود نبي الله ﷺ فقالوا: حدثنا عن خيلاف نسألك عنهن لا يعلمن إلا نبي؟ [فذكر الحديث، وفيه أنهم قالوا]: أخبرنا أي الطعام حرم إسرائيل على نفسه؟ [وإن رسول الله ﷺ قال لهم]: «أنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى: هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ إِسْرَائِيلَ مَرَضَ مَرَضًا شَدِيدًا وَطَالَ شَقْمُهُ، فَتَلَدَرُ لَهُ نَلَرًا، لَئِنْ شَفَاهُ اللَّهُ مِنْ شَقْمِهِ لَيَحْرَمَنَّ أَحَبَّ الشَّرَابِ إِلَيْهِ وَأَحَبَّ الطَّعَامِ إِلَيْهِ، وَكَانَ أَحَبَّ الطَّعَامِ إِلَيْهِ لَحْنُ الْإِبِلِ، وَأَحَبَّ الشَّرَابِ إِلَيْهِ أَلْبَانُهَا؟» فقالوا: اللهم نعم. قال: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ عَلَيْهِمْ» [رواه أحمد، وصححه إسناده أحد شاكرا]. «وَبِئْسَ قَوْلٌ أَنْ تَزَالَ التَّوْرَةُ؟» أي: حرم ذلك على نفسه من قبل أن تنزل التوراة، [فأكان جألهم جميع الأطعمة قبل نزول التوراة إلا ما حرمه إسرائيل، ولهذا السياق بعد ما تقدم مناسبتان: إحداهما: أن إسرائيل عليه السلام حرم أحب الأشياء إليه وتركها لله - وكان هذا سائغا في شريعتهم - فله مناسبة بعد قوله: ﴿لَنْ نَأْتِيَ النِّبْيَ حَتَّى تَتَفَقَّأَ وَمَا يُجِبُونَ﴾ فهذا هو المشروع عندنا؛ وهو الإنفاق في طاعة الله مما يجبه العبد ويشتهي، كما قال: ﴿وَمَا كَانَ لَأَهْلِ الْاٰلِ يَوْمَئِذٍ﴾ [البقرة: ١٧٧].

المناسبة الثانية: لما تقدم السياق في الرد على النصارى، واعتقادهم الباطل في المسيح وتبين زيف ما ذهبوا إليه إليه شرع في الرد على اليهود، قبحهم الله، وبيان أن النسخ الذي أنكروا وقوعه وجوازه قد وقع؛ فإن الله عز وجل قد نص في كتابهم التوراة أن نوحا عليه السلام لما خرج من السفينة أباح الله له جميع دواب الأرض يأكل منها، ثم بعد هذا حرم إسرائيل على نفسه لحان الإبل وألبانها، فاتباعه بنوه في ذلك، وهذا منصوص عليه في التوراة عندهم، فهذا هو النسخ بعينه. ثم قال: ﴿فَلْيَقُولُوا بِالْحَقِّ قَالَتْ هَٰؤُلَاءِ اِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾؛ فإنها ناطقة بما قلناه. ﴿فَمَنْ أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ أي: فمن كذب على الله وادّعى أنه شرع لهم السبت والتمسك بالتوراة دائما، وأنه لم يبعث نبيا آخر يدعو إلى الله بالبراهين والحجج بعد هذا الذي بيناه من وقوع النسخ وظهور ما ذكرنا ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾. ثم قال تعالى: ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ﴾ أي: قل يا محمد: صدق فيما أخبر به، وفيما شرّعه في القرآن ﴿فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرٰهِيْمَ حَنِيفًا﴾ أي: اتبعوا ملة إبراهيم التي شرّعها الله في القرآن على لسان محمد ﷺ؛ فإنه الحق الذي لا شك فيه ولا مزية، وهي الطريقة التي لم يأت نبي بأكمل منها، ولا آيين، ولا أوضح ولا أنتم، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرٰهِيْمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾

الآية (٩٦-٩٧): يخبر تعالى أن أول بيت وضع لعموم الناس، لعبادتهم وتسكينهم، يطوفون به ويصلون إليه ويتكفون عنده ﴿الَّذِي بَيْنَكَ﴾ يعني: الكعبة التي بناها إبراهيم الخليل، ونادى الناس إلى حجّته؛ ولهذا قال: ﴿مُبَارَكًا﴾ أي وضع مبارك، ﴿وَهَدَىٰ لِلْقَلِيلِ﴾. وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، أي مسجد وضع أول؟ قال: «المسجد الحرام». قلت: ثم أي؟ قال: «المسجد الأقصى». قلت: كم بينهما؟ قال: «أربعون سنة» [متفق عليه]. وبكة: من أساء مكة على المشهور، قيل شئيت بذلك لأهيا تلك أعناق الظلمة والجبارة، بمعنى: يئسون بها ويخضعون عندها. وقيل: لأن الناس يئاقون فيها، أي: يزدحجون. وقوله: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ أي: دلالات ظاهرة أنه من بناء إبراهيم، وأن الله تعالى عظمه وشرفه. ثم قال تعالى: ﴿مَقَامُ إِبْرٰهِيْمَ﴾ يعني: الذي كثر ارتفع البناء استعان به على رفع القواعد منه والجدران؛ حيث كان يقف عليه ويناوله ولده إسماعيل، وقال ابن عباس في قوله: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرٰهِيْمَ﴾ أي: فمنهن مقام إبراهيم والمشاعر. وقال مجاهد: أثر قدميه في المقام آية بيته. وقوله: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ يعني: حرم مكة إذا دخله الخائف يأمن من كل سوء، وكذلك كان الأمر في حال الجاهلية، قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا مَأْمُونًا وَمِنْكُمْ أَفْكَارٌ شَقِيقَةٌ مِنَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ [الصافات: ٢٦]. وقال تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ۖ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّنْ جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ [البقرة: ١٢٥].

وقوله: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ هذه آية وجوب الحج عند الجمهور. وقيل: بل هي قوله: ﴿وَأَيُّهَا الْمَلَأَ الْأَعْيُنَ﴾ [البقرة: ١٩٦]. والأول أظهر. وقد وردت الأحاديث المتعددة بأنه أحد أركان الإسلام ودعائمه وقواعده، وأجمع المسلمون على ذلك إجماعا ضروريا، وإنما يجب على المكلف في العمر مرة واحدة بالنص والإجماع. وقوله: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد: أي ومن جحد فريضة الحج فقد كفر، والله غني عنه. عن عمر بن الخطاب قال: من أطاق الحج فلم يحج، فسواء عليه مات يهوديا أو نصرانيا [رواه الإسماعيلي، وصححه إسناده ابن كثير].

الآية (٩٨-٩٩): هذا تنيف من الله تعالى لكفرة أهل الكتاب، على عنادهم للحق، وكفرهم بآيات الله، وصددهم عن سبيله من أراد من أهل الإيمان بجهدهم وطاعتهم مع علمهم بأن ما جاء به الرسول ﷺ حق من الله، بما عندهم من العلم عن الأنبياء الأقدمين، وما يتشروا به ونوّهوا، من ذكر النبي الأمي الهاشمي العربي المكّي، سيد ولد آدم، وخاتم الأنبياء، ورسول رب الأرض والسما. وقد توعدهم الله تعالى على ذلك بأنه شهيد على ضيعهم ذلك بما خالفوا ما بأيديهم عن الأنبياء، ومقابلتهم الرسول المبشر بالكذب والجحود والعناد، وأخبر تعالى أنه ليس بغافل عما يعملون، أي: وسيجزئهم على ذلك يوم لا ينفعهم مال ولا بنون.

الآية (١٠٠): يخبر تعالى عباده المؤمنين عن أن يطيعوا طائفة من أهل الكتاب، الذين يحسبون المؤمنين على ما آتاهم الله من فضله وما منحهم به من إرسال رسوله كما قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسِبًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾ [البقرة: ١٠٩].



## ● الوقفات التذيرية

﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا حُبَبْتُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ

فَمَا كَانَ أَحَبَّ إِلَى الْمَرْءِ إِذَا تَقَرَّبَ بِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى كَانَ أَفْضَلَ لَهُ مِنْ غَيْرِهِ؛ وَإِنْ اسْتَوَى فِي الْقِيَمَةِ. ابْنُ تَيْمِيَّةٍ: ١٠٨/٢.

السؤال: ما أفضل ما تقترب به إلى الله تعالى من أموالك؟

﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِلَّهِ إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ. مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ الْتَّوْرَةُ قُلْ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَإْتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ

﴿فَمَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا أَمْلَهُ إِنِّي هِيَ حَقِيقَةٌ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُتَشَكِّكِينَ ﴿٥﴾ إِنْ أَوَّلَ بَيِّنَةٍ وَضَعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي يَبْغِيهِ مَبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ يَتَاهَلُ الْكِتَابُ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ قُلْ يَتَاهَلُ الْكِتَابُ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبَخُّؤُهَا عِوَاجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ يَتَاهَلُ الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ طُلِعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفَرِينَ ﴿١٠﴾

السؤال: اذكر دليلاً من هذه الآية على نبوة نبينا عليه الصلاة والسلام.

﴿إِنْ أَوَّلَ بَيِّنَةٍ وَضَعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي يَبْغِيهِ مَبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾

وإنما كانت الأولية موجبة التفضيل؛ لأن مواضع العبادة لا تتفاضل من جهة العبادة - إذ هي في ذلك سواء - ولكنها تتفاضل بما يحف بذلك من طول أزمان التعبد فيها، ونسبتها إلى بانيتها، وبحسن المقصد في ذلك ابن عاشور: ١٥/٤.

السؤال: لماذا كانت أولوية الكعبة على بقية المساجد موجبة لتفضيلها؟

﴿إِنْ أَوَّلَ بَيِّنَةٍ وَضَعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي يَبْغِيهِ مَبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾

أي كثير الخير لما أنه يضاعف فيه ثواب العبادة ... وقيل: لأنه يفر فيه الذنوب لمن حجه وطاف به واعتكف عنده ... يجوز أن تكون بركته ما ذكره في قوله تعالى: (يُجِبِي إِلَيْهِ نَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ) القصص: ٥٧؛ وقيل: بركته دوام العبادة فيه ولزومها. الأنوسي: ٥/٤.

السؤال: بين بعض مظاهر البركة في البيت الحرام.

﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾

(فيه آيات بينات): آيات البيت كثيرة؛ منها: الحجر الذي هو مقام إبراهيم، وهو الذي قام عليه حين رفع القواعد من البيت، فكان كلما طال البناء ارتفع به الحجر في الهواء حتى أكمل البناء، وغرقت قدم إبراهيم في الحجر كأنها في طين، وذلك الأثر باق إلى اليوم. ومنها: أن الطيور لا تلعو، ومنها: إهلاك أصحاب الفيل، ورد الجبابرة عنه، ونبع زمزم لهاجر أم إسماعيل بهمز جبريل بعقبه، وحضر عبد المطلب بعد دثورها، وأن ماها ينفع لما شرب له، إلى غير ذلك ابن جزي: ١٥٣/١.

السؤال: عدد بعض آيات البيت الحرام؟

﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾

من لم يحجه مع الاستطاعة كفر بالنعمة إن كان معترفاً بالوجوب، وبالبروق من الدين إن جحد. البقاعي: ١٢٨/٢.

السؤال: ما المقصود بالكفر في حق من لم يحج؟

﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ﴾

أفعال الله تعالى وأحكامه لا بد فيها من حكمة ومصلحة، وهو مسلم، لكن لا نسلم أنه لا بد أن تظهر هذه المصلحة لنا؛ إذ الحكيم لا يلزمه إطلاع من دونه على وجه الحكمة. الأنوسي: ١١/٤.

السؤال: هل في كل أوامر الله لنا حكمة؟ وهل يلزم أن نعرف هذه الحكمة؟

لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا حُبَبْتُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿١﴾ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِلَّهِ إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ الْتَّوْرَةُ قُلْ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَإْتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢﴾ فَمَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٣﴾ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا أَمْلَهُ إِنِّي هِيَ حَقِيقَةٌ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُتَشَكِّكِينَ ﴿٤﴾ إِنْ أَوَّلَ بَيِّنَةٍ وَضَعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي يَبْغِيهِ مَبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿٥﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ قُلْ يَتَاهَلُ الْكِتَابُ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ قُلْ يَتَاهَلُ الْكِتَابُ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبَخُّؤُهَا عِوَاجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ يَتَاهَلُ الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ طُلِعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفَرِينَ ﴿٩﴾

## ● معاني الكلمات

المعنى	الكلمة
هُوَ نَبِيُّ اللَّهِ يُعَذِّبُ بَنِي إِسْحَاقَ عَلَيْهِمَا السَّلَام.	إِسْرَءِيلَ
بِمَكَّةَ.	بَيْتَهُ
الْحَجَرُ الَّذِي كَانَ يَقِفُ عَلَيْهِ حِينَ كَانَ يَرْفَعُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ.	مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ

## ● العمل بالآيات

١. حدد شيئاً تحبه، وانفقه في سبيل الله تعالى لعلك تنال درجة الأبرار، ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا حُبَبْتُمْ﴾.
٢. استعن بالله، وأكثر من الدعاء، ثم حدد خطوات تدلل فيها العقبات للوصول إلى بيت الله الحرام في عمرة، أو حج؛ فإن الله تعالى عند ظن عبده به، ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾.
٣. خالف اليهود والنصارى بإعفاء لحياتك وحف شاربك، وجعل لباسك فوق الكعب، والنساء تخفي زينتها عن غير المحارم بالحجاب الكامل، ﴿يَتَاهَلُ الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ طُلِعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفَرِينَ﴾.

## ● التوجيهات

١. لن يبلغ العبد البر حتى ينفق من أمواله المحبوبة إليه، ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا حُبَبْتُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾.
٢. صد الناس عن الإيمان إنما هو من أعمال أهل الكفر والضلال، ﴿قُلْ يَتَاهَلُ الْكِتَابُ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ﴾.
٣. احذر من طاعة الكافرين في الدين والعقيدة والفكر؛ فإنهم لا يجلبون عليك إلا الفسقة والفساد، ﴿يَتَاهَلُ الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ طُلِعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفَرِينَ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾  
قال السلف: ابن مسعود وغيره: كالحسن، وعكرمة، وقادة، ومقاتل:  
«حق تقاته: أن يطاع فلا يعصى، وأن يشكر فلا يكفر، وأن يذكر فلا ينسى». ابن تيمية: ١١٦/٢.

السؤال: ما المقصود بتقوى الله تعالى حق تقاته؟

﴿وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾

أي: حافظوا على الإسلام في حال صحتكم وسلامتكم لتموتوا عليه؛ فإن الكريم قد أجرى عاداته بكرمه أنه من عاش على شيء مات عليه، ومن مات على شيء بعث عليه. ابن كثير: ٣٦٦/١.

السؤال: أهم الاجابات في حياة الإنسان المبادرة إلى الالتزام والمحافظة عليه، فلماذا؟

﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾

(جميعاً): لا تدعوا أحداً منكم يشذ عنها، بل كلما عثرتم على أحد فارقه (جميعاً): لا تدعوا أحداً منكم يشذ عنها، بل كلما عثرتم على أحد فارقه -لوقيد شبر- فردوه إليها، ولا تناظروها، ولا تهملوا أمره، ولا تغفلوا عنه؛ فيختل النظام، وتتعبوا على الدوام، بل إننا نزالوا كالأرباط ربطاً شديداً حزمة نبل بحبل، لا يدع واحدة منها تنفرد عن الأخرى. البقاعي: ١٣١/٢.

السؤال: ما دلالة كلمة (جميعاً) في الأمر بالاعتصام في الآية؟

﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾

وليس فيه دليل على تحريم الاختلاف في الفروع؛ فإن ذلك ليس اختلافاً؛ إذ الاختلاف ما يتعدى معه الائتلاف والجمع، وأما حكم مسائل الاجتهاد فإن الاختلاف فيها بسبب استخراج الفرائض، ودقائق معاني الشرع، وما زالت الصحابة يختلفون في أحكام الحوادث، وهم مع ذلك متألفون. القرطبي: ٢٤١/٥.

السؤال: هل كل اختلاف في وجهات النظر يعتبر تفرقاً وتزقاً؟

﴿وَأَذْكُرُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ﴾

في هذه الآية ما يدل أن الله يحب من عباده أن يذكروا نعمته بقلوبهم والسننهم؛ ليزدادوا شكرًا له ومحبة، وليزيدهم من فضله وإحسانه، وإن من أعظم ما يذكر من نعمه نعمته الهادية إلى الإسلام. السعدي: ١٤٢.

السؤال: كيف يذكر المؤمن نعمته ربه؟ وما فائدة هذا الذكر؟

﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْعُرْفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

الناس في تغيير المنكر والأمر بالمعروف على مراتب؛ ففرض العلماء فيه تنبيه الحكام والولاة، وحملهم على جادة العلم، وفرض الولاة تغييره بقوتهم وسلطانهم... وفرض سائر الناس رفعه إلى الحكام والولاة بعد النهي عنه قولاً؛ وهذا في المنكر الذي له دوام، وأما إن رأى أحد نازلةً بديهة من المنكر؛ كالسلب والزنى ونحوه، فيغيرها بنفسه بحسب الحال والقدرة. ابن عطية: ٤٨٦/١.

السؤال: بين مراتب الناس في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾

هؤلاء أسودت وجوههم بما في قلوبهم من الخزي والهوان والذلت والفضيحة، وأولئك أبيضت وجوههم لما في قلوبهم من البهجة والسرور والنعيم والحيور الذي ظهرت آثاره على وجوههم. السعدي: ٣٤١.

السؤال: ما سبب أبيضاض وجوه المسلمين وأسوداد وجوه الكافرين؟

وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ۚ وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٥﴾  
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٦﴾  
وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا ۚ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٧﴾  
وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ۚ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٨﴾  
وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٩﴾  
يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ بَيِّنَاتٍ مِّنْكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٢٠﴾  
وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ فَمِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١﴾  
تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ ۖ وَمَا إِلَهُ يَرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾

## ● معاني الكلمات

المعنى	الكلمة
شَفَا	خَفَّتْ

## ● العمل بالآيات

١. اكتب رسالة عن فوائد الاجتماع، واضرار الاختلاف، ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾.

٢. اشكر أحد المشتغلين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ممن تعرفهم، وادع له، ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْعُرْفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

٣. احرص اليوم على الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر؛ لتدخل في عباد الله المفلحين، ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْعُرْفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

## ● التوجيهات

١. الدوامية على تلاوة القرآن وتدبره، وتامل السنة النبوية، والعمل بهما من أعظم اسباب الثبات، ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾.

٢. احذر أن تموت وقد بذلت وغيرت دين الله تعالى، وأكثر من دعاء: «يا مقبل القلوب ثبت قلبي على دينك»، ﴿وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

٣. الخلاف البني على الهوى شر على الفرد والمجتمع، ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾.

(۲) إِحْنٌ وَذُخُولٌ: أَحْقَادٌ وَعَدَاوَاتٌ.



الآية (١١٣-١١٥): [سبب النزول] عن ابن مسعود قال: أخر رسول الله ﷺ صلاة العشاء، ثم خرج إلى المسجد، فإذا الناس ينتظرون الصلاة: فقال: «أَمَا إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْأَيَّانِ أَحَدٌ يَذْكُرُ اللَّهَ هَذِهِ السَّاعَةَ غَيْرَهُمْ». قال: «وَأَنْزَلَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ: ﴿لَبِسُوا سَوَاءً مِمَّنْ أَهْلِي أَلَكْتَبِ آتَةً قَائِمَةٌ﴾ حتى بلغ: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُنْفِيكَ﴾» [رواه أحمد، وصححه إسناده أحمد شاكر]. والمشهور عند كثير من المفسرين - ورواه العوفي عن ابن عباس - أن هذه الآيات نزلت فيمن آمن من أحبار أهل الكتاب؛ كعبد الله بن سلام، وأسد بن عُبيد، وثعلبة بن سَعْيَة وأُسيد بن سَعْيَة وغيرهم، أي: لا يستوي من تقدّم ذكرهم بالذمّ من أهل الكتاب وهؤلاء الذين أسلموا، ولهذا قال تعالى: ﴿لَبِسُوا سَوَاءً﴾ أي: لبسوا كلُّهم على حدٍّ سواء، بل منهم المؤمن ومنهم المجرم، ولهذا قال تعالى: ﴿مِنْ أَهْلِ أَلِكْتَبِ آتَةً قَائِمَةٌ﴾ أي: قائمة بأمر الله، مطيعة لشريعته مُتبِّعة نبيّ الله ﷺ ﴿قَائِمَةٌ﴾ بمعنى مستقيمة ﴿تَتَّبِعُونَ مَا نَزَّلَ اللَّهُ تَانَاةً إِلَيْنَ كُلِّهِمْ فَيَسْجُدُونَ﴾ أي: يقومون الليل، ويكثرن التهجّد، ويتلون القرآن في صلواتهن ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ ﴿وَالْعَرُوفِ وَيَهْنُونَ عَنِ الْعُنْكِرِ وَيَصْرِفُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ وهؤلاء هم المذكورون في آخر السورة: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ أَلِكْتَبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِيعِينَ لِلَّهِ لَا يَسْتَرْفُونَ بِعَادِيَةِ اللَّهِ فَكُنَّا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّكَ اللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٩]، وهو هكذا قال هنا: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ﴾ أي: لا يضيع عند الله بل يجزيكم به أوفر الجزاء. ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُنْفِيكَ﴾ أي: لا يخفى عليه عمل عامل، ولا يضيع لديه أجر من أحسن عملاً.



## ● الوقفات التدريبية

١ ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾  
من سره أن يكون من هذه الأمة فليؤد شرط الله فيها ... ومن لم يتصف بذلك  
أشبه أهل الكتاب الذين ذمهم الله بقوله: (كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه)  
للنحلة: ١٧٩، ابن كثير: ٣٧٤/١.

السؤال: ذكرت الآية ميزة لهذه الأمة على بقية الأمم، فما هي؟

٢ ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ  
وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾

واصل (المعروف) كل ما كان معروفاً فعله، جميلاً مستحسناً، غير  
مستحب في أهل الإيمان بالله، وإنما سميت طاعة الله معروفاً لأنه مما  
يعرفه أهل الإيمان، ولا يستنكرون فعله. واصل (المنكر) ما أنكره الله،  
ورأوه قبيحاً فعله؛ ولذلك سميت مصيبة الله منكر؛ لأن أهل الإيمان بالله  
يستنكرون فعلها، ويستعظمون ركوبها. الطبري: ١٥٠/٧.

السؤال: ما المقصود بالمعروف وما المقصود بالمنكر؟

٣ ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾  
فالجهد للكفار أصلح من هلاكهم بغضب سماء من وجوه: أحدها: أن ذلك أعظم  
في ثواب المؤمنين وأجرهم وعلو درجاتهم؛ لما يفعلونه من الجهاد في سبيل الله لأن  
تكون كلمة الله هي العليا، ويكون الدين كله لله. الثاني: أن ذلك أنفع للكفار  
أيضاً؛ فإنهم قد يؤمنون من الخوف، ومن أسر منهم وسيم من الصغار يسلم أيضاً،  
وهذا من معنى قوله تعالى: (كنتم خير أمة أخرجت للناس)؛ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ:  
«كنتم خير الناس للناس: تأتون بهم في الأقياد والسلاسل حتى تدخلوهم الجنة»  
فَصَارَتِ الْأُمَّةُ بِذَلِكَ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ. ابن تيمية: ١٢٢/٢.

السؤال: جهاد المسلمين للكفار من أوجه خيرية الأمة، بين ذلك.

٤ ﴿ ضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ اللَّهُ أَلَهُةَ إِنْ مَا يُفْعَلُونَ إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ وَبِأَمْرِ  
يَخْصِي مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ﴾

ولما أخبر عنهم سبحانه وتعالى بهذا الذل أتبعه الإخبار بأنه في كل زمان  
وكل مكان معاملته منه لهم بضد ما أرادوا؛ فعوضهم عن الحرص على الرئاسة  
إلزامهم الذلّة، وعن الإخلاد إلى المال إسكانهم المسكنة، وأخبر أن ذلك لهم طوق  
الحمامة غير مزالهم إلى آخر الدهر، باق في أعقابهم. البقاعي: ١٣٧/٢.

السؤال: عوقبت اليهود بالذلّة والمسكنة على مصيبتين وقعوا فيهما، فما هما؟

٥ ﴿ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾

أي: يقابلون أنبياء الله الذين يحسنون إليهم أعظم إحسان بأبشّر مقابلة؛  
وهو القتل، فهل بعد هذه الجراءة والجناية شيء أعظم منها؟ السعدي: ١٤٣.  
السؤال: مقابلة المصلحين بالإساءة والأذى صفة قديمة للمفسدين، وضح  
ذلك من الآية.

٦ ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَالِمَةٌ يَتَّبِعُ الْكُفْرَ اللَّهُ إِلَهُ الْكُفْرِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾  
وقيام الليل لقراءة العلم المتبقي به وجه الله داخل في هذه الآية، وهو  
أفضل من التنفل لمن يرجو انتفاع المسلمين بعلمه. ابن عطية: ٤٩٣/١.

السؤال: متى تكون مذاكرة العلم ليلاً أفضل من قيام الليل بالنوافل؟

٧ ﴿ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاسْتَرْعَوْتِ فِي الْخَيْرَاتِ  
وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾

(ويسارعون في الخيرات) أي: يبادرون إلى فعل الخيرات والطاعات خوف الفوات بالموت  
مثلاً، أو يعملون الأعمال الصالحة راغبين فيها غير متناقلين لعلهم بجلالة موقعها  
وحسن عاقبتها. وهذه صفة جامعة لفنون الفضائل والفواضل، وفي ذكرها تعريض  
بتباطؤ اليهود وتناقلهم عن ذلك. الألوسي: ٢٤/٤.

السؤال: ما الذي دفع المؤمنين إلى المسارعة بالخيرات؟

وَاللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلِلَّهِ تَرْجِعُ الْأُمُورُ  
٨ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ  
وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ  
الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمْ  
الْفَاسِقُونَ ٩ لَنْ يَضُرَّكُمْ وَلَا أَذًى إِلَّا مَا يَكْفُلُكُمْ  
يُؤَلِّقُكُمُ الْآذَانَ شَرًّا لَئِنْ بَصُرْتُمْ ١٠ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ  
الَّذِلَّةُ أَنْتَ مَا تُفْقَهُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ  
وَبِأَمْرِ وَيَقْضِي مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ  
يَأْتُهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِعَالِيَتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ  
بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ١١ لَيْسُوا  
سَوَاءً مِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَالِمَةٌ يَتَّبِعُ الْكُفْرَ إِلَهُ الْكُفْرِ  
وَاللَّهُ يَكْفُرُ عَنْهُمْ يَوْمَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ  
الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ  
وَيَسْتَرْعَوْنَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ١٢ وَمَا  
يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ١٣

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
تُفْعَلُونَ	وُجِدُوا.
بِحَبْلٍ	بِعَهْدٍ.
الْمَسْكَنَةُ	فَقْرُ النَّفْسِ، وَشُحُّهَا.
فَلَنْ يُكْفَرُوهُ	فَلَنْ يَضَيِّعَ عِنْدَ اللَّهِ.

## ● العمل بالآيات

١. أمر اليوم بمعروف، وانه عن منكر، ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ  
بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾.
٢. تذكر مصيبة أنت متساهل بها، وابتعد عنها لكي لا تقع في الذلّة والمسكنة،  
﴿ ضَرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِعَالِيَتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ  
بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾.
٣. ارسل رسالة تحذر فيها من أدبية العلماء والصالحين؛ فهم ورثة الأنبياء،  
﴿ ضَرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِعَالِيَتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ  
الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾.

## ● التوجيهات

١. تذكر أن خيرية هذه الأمة المسلمة أنت من الأمر بالمعروف والنهي عن  
المنكر، والإيمان بالله، ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ  
وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾.
٢. الإنصاف في الحكم على المجموعات والأفراد مأمور به في الشرع،  
﴿ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمْ  
الْفَاسِقُونَ ﴾.
٣. إذا بدا القتال بان ضعف العدو، ﴿ لَنْ يَضُرَّكُمْ وَلَا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُكُمْ  
يُؤَلِّقُكُمُ الْآذَانَ شَرًّا لَئِنْ بَصُرْتُمْ ﴾.



## ● الوقفات التدريبية

﴿يَتَأَيُّمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْتُونُكُم بَأْسًا وَلَا دُونًا مَا عِنتُمْ قَدْ بَدَّتْ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تَخْفَى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾  
 نهي عن استخلاص الكفار وموالاتهم، وقيل لعمر - رضي الله عنه -: «إن هنا رجلا من النصاري لا أحد أحسن خطا منه، أفلا يكتب عنك؟» قال: «إذا اتخذ بطانة من دون المؤمنين». (لا يأتونكم خيالا) أي: لا يقصرون في إفسادكم، ابن جزى: ١٥٩/١.

السؤال: ما رأيك بمن يتخذ مستشارين أو موظفين من أعداء الإسلام؟ وما عاقبة ذلك؟

﴿يَتَأَيُّمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْتُونُكُم بَأْسًا وَلَا دُونًا مَا عِنتُمْ قَدْ بَدَّتْ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تَخْفَى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾  
 وإنما العاقل من إذا ابتلي بمخالطة العدو أن تكون مخالطة في ظاهره، ولا يطلع به بباطنه على شيء، ولو تعلق له وأقسم أنه من أوليائه. السعدي: ١٤٤.

السؤال: بعض المسلمين قد يضطر إلى مخالطة غير المسلمين، فماذا يفعل؟

﴿يَتَأَيُّمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْتُونُكُم بَأْسًا وَلَا دُونًا مَا عِنتُمْ قَدْ بَدَّتْ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تَخْفَى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾  
 أحبوا مشقتكم الشديدة وضرركم، وظهرت أمارات العداوة لكم من فلتات ألسنتهم وفحوى كلماتهم، وما تخفي صدورهم من البغضاء أكبر؛ أي أعظم مما به؛ لأنه كان عن فلتة، ومثله لا يكون إلا قليلا. الألوسي: ٣٨/٤.

السؤال: لماذا نهى الله تعالى عن اتخاذ أعوان من المشركين؟

﴿هَآئِنَ ءَوَّلَاءَ يُخَوِّنُكُمْ وَيُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ ءَوَّلَآ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَصَوْا عَلَيْكُمْ ءَاتَاكُم مِّنَ الْقَيْطِ قُلْ مَوْتُوا يُعْطِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾

فالحجب من محبة المؤمنين إياهم في حال بغضهم المؤمنين. ابن عاشور: ٦٥/٤.

السؤال: من أي شيء كان التعجب في الآية الكريمة؟

﴿إِنْ تَمَسَّكُمُ حَسَنَةٌ سَّرَّوْهُمُ وَإِنْ تَصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَّرْحُوبُهَا﴾  
 من كانت هذه صفته من شدة العداوة والحقد والفرح بنزول الشدائد على المؤمنين؛ لم يكن أهلا أن يتخذ بطانة، لا سيما في هذا الأمر الجسيم من الجهاد الذي هو ملاك الدنيا والآخرة. القرطبي: ٢٨١/٥.

السؤال: ما الحكمة من منع اتخاذ الكفار والمنافقين بطانة، أي مستشارين أو موظفين؟

﴿وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرَّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾

فالصبر يدخل فيه الصبر على المقدور، والتقوى يدخل فيها فعل المأمور وترك المحذور. فمن رزق هذا وهذا فقد جمع له الخير، بخلاف من عكس فلا يتقي الله، بل يترك طاعته متبعاً لهواه، ويحتج بالقدر، ولا يصبر إذا ابتلي، ولا ينظر حينئذ إلى القدر، فإن هذا حال الأضياع. ابن تيمية: ١٣٣/٢.

السؤال: بين حال من رزقه الله تعالى الصبر والتقوى، ومن حرهما.

﴿وَإِذْ عَدَوْتَ مِّنْ أَهْلِكَ تَتَوَيَّْ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدِ الْقِتَالِ﴾

أي: تنزلهم وترتبهم؛ كل في مقعده اللائق به، وفيها أعظم مدح للنبي ﷺ، حيث هو الذي يباشر تدبيرهم وإقامتهم في مقاعد القتال؛ وما ذاك إلا لكمال علمه ورأيه، وسداد نظره، وعلو همته؛ حيث يباشر هذه الأمور بنفسه وشجاعته الكاملة، صلوات الله وسلامه عليه. السعدي: ١٤٥.

السؤال: في الآية مدح للنبي ﷺ، وضج ذلك.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُفْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوَّلَادُهُمْ مِّنْ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٥﴾  
 مثل ما ينفقون في هذه الحَيَوةِ الدُّنْيَا كمثل ربيع فيها صِرَ أَصَابَتْ خَرْقَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتُهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦﴾ يَتَأَيُّمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْتُونُكُمْ بَأْسًا وَلَا دُونًا مَا عِنتُمْ قَدْ بَدَّتْ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تَخْفَى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَدَّتْ لَكُمْ ءَالِيَتُكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ هَآئِنَ ءَوَّلَاءَ يُخَوِّنُكُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَيُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ عَلَيْهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَصَوْا عَلَيْكُمْ ءَاتَاكُم مِّنَ الْقَيْطِ قُلْ مَوْتُوا يُعْطِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٨﴾ إِنْ تَمَسَّكُمُ حَسَنَةٌ سَّرَّوْهُمُ وَإِنْ تَصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَّرْحُوبُهَا وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرَّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٩﴾ وَإِذْ عَدَوْتَ مِّنْ أَهْلِكَ تَتَوَيَّْ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدِ الْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
صِرٌّ	برد شديد.
لَا يَأْتُونُكُمْ خَبَا لَا	لَا يَقْصُرُونَ فِي إِفْسَادِ خَالِكُمْ.
وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ	أَحْبَبُوا مَشَقَّتَكُمْ الشَّدِيدَةَ.
أَوَّلَاءَ	هَؤُلَاءِ.
عَدَوْتُ	خَرَجْتُ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ.
تَتَوَيَّْ	تَنْزُلُ.

## ● العمل بالآيات

١. اكتب رسالتك عن أموال المشركين ومظاهرهم، وإنها لا تفني عنهم شيئا.
٢. قوم اليوم جلساءك، وقرّب من يعينك على عبادة الله، واستبدل من يبعدك عن ذكر الله، ﴿يَتَأَيُّمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْتُونُكُمْ خَبَا لَا﴾.
٣. هتئ أختا لك حصلت له نعمة، وواس أختا لك حصلت له مصيبة؛ فهذه صفة المؤمنين، عكس صفة المنافقين، ﴿إِنْ تَمَسَّكُمُ حَسَنَةٌ سَّرَّوْهُمُ وَإِنْ تَصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَّرْحُوبُهَا﴾.

## ● التوجيهات

١. المعاصي سبب المصائب، ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.
٢. المسلم العاقل لا يطلب النصيحة إلا من المؤمنين الصادقين، ﴿يَتَأَيُّمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْتُونُكُمْ خَبَا لَا﴾.
٣. تذكر دائما أن النصر على الأعداء والأمن من مكرهم مشروط بالتقوى والصبر، ﴿وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرَّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

وعن ابن عباس: «وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ» أي: بكتابتكم وكتابهم، وبما مضى من الكتب قبل ذلك، وهم يكفرون بكتابتكم، فأنتم أحق بالبغضاء لهم، منهم لكم.

«وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَصَوْا عَيْتَكُمْ الْأَتَامِلَ مِنَ النَّبِيِّ» والأنامل: أطراف الأصابع، وقيل: الأصابع. وهذا شأن المنافقين يُظهرون للمؤمنين الإيمان والمودة، وهم في الباطن بخلاف ذلك من كل وجه، كما قال تعالى: «وَإِذَا خَلَوْا عَصَوْا عَيْتَكُمْ الْأَتَامِلَ مِنَ النَّبِيِّ» وذلك أشد الغيظ والحقد، قال الله تعالى: «قُلْ مَوْتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ» أي: مها كتمتم تحسدون عليه المؤمنين وتُغيظكم ذلك منهم، فاعلموا أن الله تَمِّمَ نعمته على عباده المؤمنين ومُكَمَّلَ دينه، ومُعَمِّلُ كلمته ومُظهِرُ دينه، فموتوا أنتم بغيظكم «إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ» أي: هو عليم بما تنطوي عليه ضمائركم، وتُكِنُّه سرائرُكم من البغضاء والحسد والغل للمؤمنين، وهو مجازيكم عليه في الدنيا بأن يُريكم خلاف ما تؤمنون، وفي الآخرة بالعذاب الشديد في النار التي أنتم خاللون فيها، فلا خروج لكم منها. ثم قال: «إِنْ تَسْتَكْبِرُوا سَنَسَكِّمُ سَنَةً سَوَاءُ لَكُمْ أَسْتَكْبَرْتُمْ أَمْ لَا» أي: بقرحوا بها. وهذه الحال دالة على شدة العداوة منهم للمؤمنين؛ وهو أنه إذا أصاب المؤمنين خصبٌ ونصرٌ وتأيدٌ، وكروا وعزٌّ أنصارهم، ساء ذلك المنافقين، وإن أصاب المسلمين سَنَةٌ -أي: جَذَب- أو أويل عليهم الأعداء، لما لله في ذلك من الحكمة، كما جرى يوم أُحُد؛ فَرَحَ المنافقون بذلك، قال الله تعالى مخاطبًا عباده المؤمنين: «وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرَّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَسْمُكُونَ حَيِّطٌ» يرسلهم تعالى إلى السلامة من شر الأشرار وكَيْدِ الْفُجَّارِ، باستعمال الصبر والتقوى، والتوكل على الله الذي هو محيط بأعدائهم، فلا حول ولا قوة لهم إلا به، وهو الذي ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا يقع في الوجود شيء إلا بتقديره ومشيئته، ومن تَوَكَّلَ عليه كفاه.

الآية (١٢١): شَرَعَ تعالى في ذكر قصة أحد، وما كان فيها من الاختبار لعباده المؤمنين، والتمييز بين المؤمنين والمنافقين، وبيان صَبْرِ الصابرين، فقال: «وَإِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ» الآية. والمراد بهذه الواقعة: يوم أُحُد عند الجمهور، وكانت وقعة أُحُد يوم السبت من شوال سنة ثلاث من الهجرة. وكان سببها أن المشركين حين قُتلَ مَنْ قُتلَ من أشرفهم يوم بدر، وسَلِمَتِ الْعِرْبُ بما فيها من التجارة التي كانت مع أبي سفيان، فلما رجع قَتَلَهُمْ قال أبناءُ مَنْ قُتلَ ورؤساء من بقي لأبي سفيان: ارصد هذه الأموال لقتال محمد، فأنفقوها في ذلك، وجمعوا الجموع والأحباش، وأقبلوا في قريب من ثلاثة آلاف، حتى نزلوا قريبًا من أحد تلقاء المدينة، ففصل رسول الله ﷺ يوم الجمعة، واستشار الناس: أخرج إليهم أم يمكث بالمدينة؟ [فاشاروا بالخروج]، ولهذا قال تعالى: «وَإِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ نَبُوءَ الْمُؤْمِنِينَ مُقَدِّعًا لِقِتَالٍ» أي: تَنَزَّهُمْ منازلهم وتعملهم مَيَمَّةً وميسرةً وحيث أمرتهم، «وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» أي: سميع لما تقولون، عليم بضائرهم.

الآية (١١٦-١١٧): ثم قال تعالى مُخْبِرًا عن الكفرة المشركين بأنه «لَنْ تُقْنِي عَنْهُمْ آمَوَاتُهُمْ وَلَا أُولَدُكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا» أي لا يُبْرِدُ عنهم بأس الله ولا عذابه إذا أرادهم بهم «وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ». ثم ضرب مثلًا لها ينفعه الكفار في هذه الدار، فقال تعالى: «مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصْبَرُ» أي: بَرْد شديد، قاله ابن عباس، وعِكرمة، وسعيد بن جبْرِ، وغيرهم. وعن ابن عباس أيضًا ومجاهد: أي: نار. وهو يرجع إلى الأول، فإن البرد الشديد سببًا للجليد يحرق الزروع والشمار، كما يُحَرِّقُ الشيء بالنار، «أَصَابَتْ حَرَّتُ قَوْرِ ظُلْمًا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْ» أي: أحرقت، يعني بذلك السَّفْعَةُ إذا نزلت على حَرَّتٍ قد آن جَدَّاهُ أو حَصَادُهُ فِدَمَرَتْهُ وأعدمت ما فيه من ثمر أو زرع، فذهبت به وأفسدته، فعَلِمَتْهُ صاحبه أحوج ما كان إليه. فكذا الكفار: يَمَحِقُ الله ثواب أعمالهم في هذه الدنيا وثمرتها كما أذهب ثمرة هذا الحَرث بذنوب صاحبه.

وكذلك هؤلاء بَنَوْهَا على غير أَصْلٍ وعلى غير أساس «وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ».

الآية (١١٨-١٢٠): يقول تبارك وتعالى ناهيًا عباده المؤمنين عن اتخاذ المنافقين بطانة، أي: يُطْلَعُونهم على سرائرهم وما يضمرونه لأعدائهم، والمنافقون بجهدهم وطاقتهم لا يألون المؤمنين خِيَالًا، أي: يَسْعَوْنَ في مخالفتهم وما يضرهم بكل ممكن، وبما يستطيعونه من المكر والخديعة، ويودون ما يُغَيِّبُ المؤمنين ويُجرحهم وَيَشُقُّ عليهم: «لَا تَتَّخِذُوا يَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ» أي: من غيركم من أهل الأديان، وبطانة الرجل: هم خاصة أهله الذين يطلعون على داخل أمره. وعن أبي سعيد: أن رسول الله ﷺ قال: «مَا بَعَثَ اللَّهُ مِنْ نَبِيٍّ وَلَا اسْتَخْلَفَ مِنْ خَلِيفَةٍ إِلَّا كَانَتْ لَهُ يَطَانَتَانِ: يَطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْخَيْرِ وَتَحْصُهُ عَلَيْهِ، وَيَطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالسُّوءِ وَتَحْصُهُ عَلَيْهِ، وَالْمَصْمُومُ مَنْ عَصَمَ اللَّهُ» [رواه البخاري]. قيل لعمر بن الخطاب، رضي الله عنه: إن ههنا غلامًا من أهل الحيرة، حافظ كاتب، فلو اتخذته كاتبًا؟ فقال: «قد اتخذت إذا بطانة من دون المؤمنين» ففي هذا الأثر مع هذه الآية دلالة على أن أهل الذمَّة لا يجوز استعمالهم في الكتابة التي فيها استطلاع على المسلمين وأطلاع على دَوَاخِلِ أُمُورِهِم التي يُخْفِي أن يُفْشَوْهَا إلى الأعداء من أهل الحرب؛ ولهذا قال تعالى: «لَا يَأْتِيَنَّكُمْ خَبْرًا لَدُونُوا مَا عَنِتُّمْ».

ثم قال تعالى: «قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ» أي: قد لاح على صَفَحَاتِ وجوههم وفَلَتَاتِ ألسنتهم من العداوة -مع ما هم مُشْتَمِلُونَ عليه في صدورهم من البغضاء للإسلام وأهله- ما لا يخفى مثله على لبيب عاقل؛ ولهذا قال: «قَدْ بَدَتِ لَكُمْ الْآيَاتُ إِنْ كُنْتُمْ مُقُولُونَ» ﴿١١٨﴾ تَأْتَتْ أَرْوَاحُهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِكُمْ» أي: أنتم -أيها المؤمنون- تحبون المنافقين مما يُظهِرون لكم من الإيمان، فتحبونهم على ذلك وهم لا يحبونكم، لا باطنًا ولا ظاهرًا «وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ» أي: ليس عندكم في شيء منه شك ولا رَيْبٌ، ومهم عندهم الشك والرَّيْبُ والحيرة.

قال الحسن، وقادة، والربيع، والسدي: أي من وجههم هذا. وقال مجاهد، وعكرمة: أي من غضبهم هذا. ﴿يَذُودُكُمْ رَبُّكُمْ بِحَسَنَةِ الْفِرَاقِ مِنَ الْمَلَكَةِ مُسَوِّينَ﴾ أي: مُعْلِينَ سَائِيًا؛ عن علي بن أبي طالب: كان سبيا الملائكة يوم بدر الصوف الأبيض. ﴿وَمَا جَعَلَ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلَسَطُمِيزَ قُلُوبِكُمْ بِهٖ﴾ أي: وما أنزل الله الملائكة وأعلمكم بإنزالها إلا بشارة لكم وتطييناً لقلوبكم وتطميناً، وإلا فإنا النصر من عند الله، الذي لو شاء لانتصر من أعدائه بدونكم، ومن غير احتياج إلى قتالكم لهم، كما قال تعالى بعد أمره المؤمنين بالقتال: ﴿ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قِيلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُبَدِّلَ أَعْمَالُكُمْ سَبِيلَهُمْ وَيُصَلِّحَ إِلَيْكُمْ﴾ ﴿وَلِيُجَاهِدَ الْكُفْرَ عَنْهَا لَكُمْ﴾ (احمد: ٦-٦). ولهذا قال ههنا: ﴿وَمَا جَعَلَ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلَسَطُمِيزَ قُلُوبِكُمْ بِهٖ﴾، وما انتصر إلا من عند الله العزيز الحكيم. أي: هو ذو العزة التي لا تُرَام، والحكمة في قدره والإحكام.

ثم قال تعالى: ﴿يَقْطَعُ طَرَفَيْنِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْتُمُهُمْ﴾ أي: يخزيم ويردّهم بغضهم لئلا يبالغوا منكم ما أرادوا؛ ولهذا قال: ﴿أَوْ يَكْتُمُهُمْ﴾ **يَقْتُلُوا** أي: يرجعوا **عَائِدِينَ** أي: لم يحصلوا على ما أمّلوا. ثم اعترض بحملة ذلك على أنّ الحكم في الدنيا والآخرة له وحده لا شريك له، فقال: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ أي: بل الأمر كله لي، كما قال: ﴿فَلَمَّا عَلِكَ الْأَبْلَعُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ [الرعد: ٤٠]، وقال: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٧٧]. وقال: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصاص: ٥٦]. ثم ذكر تعالى بقية الأقسام فقال: ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: بما هم فيه من الكفر فيهديهم بعد الضلالة **أَوْ يُعَذِّبُهُمْ** أي: في الدنيا والآخرة على كفرهم وذنوبهم؛ ولهذا قال: ﴿فَلَهُمْ ظَلُمَاتٌ﴾ أي: يستحقون ذلك. وعن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ كان إذا أراد أن يدعو على أحد - أو يدعو لأحد - قَتَّ بعد الركوع، وكان يقول - في بعض صلاته في صلاة الفجر -: «اللهم العن فلاناً وفلاناً» لأحياء من أحياء العرب، حتى أنزل الله ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ الآية [رواه البخاري]. وعن أنس، أن النبي ﷺ كَسِرَتْ رِبَاعِيَّتُهُ يَوْمَ أُحُدٍ، وَشُجَّ في جبهته حتى سال الدم على وجهه، فقال: «كَيْفَ يُفْضِحُ قَوْمٌ قَتَلُوا هَذَا نَبِيَّهُمْ، وهو يدعوهم إلى دينهم عز وجل». فأنزل الله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَلَهُمْ ظَلُمَاتٌ﴾ [رواه مسلم]. ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: الجميع ملك له، وأهلها عبيد بين يديه **يَتَفَرَّغْنَ** يَسْكَةً وَنَعِيدُ مَنْ يَسْكَةً أي: هو المتصرف فلا مُعَقِّبَ لحكمه، ولا يُسَالُ عما يفعل وهم يُسألون **وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**.

الآية (١٣٠-١٣٢): يقول تعالى ناهياً عباده المؤمنين عن تعاطي الربا وأكله أضغافاً مضاعفة، كما كانوا يقولون في الجاهلية -إذا حُلَّ أجل الدين- إما أن تُقضى وإما أن تُربى، فإن قضاءه وإلا زاده في المدة وزاده الآخر في القدر، وهكذا كل عام، فربما تضاعف القليل حتى يصير كثيراً مضاعفاً.

وأمر تعالى عباده بالقوى لعلهم يفلحون في الأولى والأخرى ثم نَوَعَهُم بالنار وحذرهم منها، فقال: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (١٣١) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾

الآية (١٢٢-١٢٣): [سبب النزول] عن جابر قال: فبنا نزلت: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ قال: نحن الطائفتان: بنو حارثة وبنو سلمة، وما نحب أنهما لم تنزل، لقول الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ [متفق عليه]. ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَأَقْرَعُوا لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي: يوم بدر، وكان في يوم الجمعة وافق السابع عشر من رمضان من سنة اثنتين من الهجرة، وهو يوم الفرقان الذي أعز الله فيه الإسلام وأهله، ودمع فيه الشرك وخرّب محله، مع قلة عدد المسلمين يومئذ، فإنهم كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، فيهم قرّسان وسبعون بعيراً، والباقيون مشاة، ليس معهم من المدد جميع ما يحتاجون إليه، وكان العدو يومئذ ما بين التسعمائة إلى الألف في سوابغ الحديد والبيض، والمدّة الكاملة والخيول المسومة والحلي الزائدة، فأعز الله رسوله، وأظهر وجهه وتنزله، وبَيَضَ وجهه النبي وقبيله، وأخزى الشيطان وجيله. ولهذا قال تعالى مُخْتَصِناً على عباده المؤمنين وحزبه المتقين: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ أي: قليل عدّكم؛ ليعلموا أن النصر إنما هو من عند الله، لا بكثرة العدّد والمدد؛ ولهذا قال في الآية الأخرى: ﴿وَوَيْدَمَ حُيَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَنَكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَصَافَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾ ① ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ حُبُودًا لَوْ تَرَوْهَا وَعَدَبَ الْأَعْدَىٰ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ② ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ [التوبة: ٢٥-٢٧]. وبدر، محلة بين مكة والمدينة، تُعرَف ببشرها.

وقوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُشْكُرُونَ﴾ أي: تقومون بطاعته.

الآية (١٢٤-١٢٩): اختلف المفسرون في هذا الوعد: هل كان يوم بدر أو يوم أحد؟ على قولين: أحدهما: أن قوله: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ متعلق بقوله: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ وروي هذا عن الحسن البصري، والربيع بن أنس، واختاره جرير. فإن قيل: فما الجمع بين هذه الآية ﴿يُنَادِيكُمْ رَبُّكُمْ بِحَسَنَةِ الْآلَفِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾، وبين قوله تعالى في قصة بدر: ﴿إِذْ تَسْتَشِيرُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْآلِفِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مَرَوِّفَاتٍ﴾ [الأنفال: ٩٩]؟ فالجواب: أن التنصيص على الألف هنا لا ينافي الثلاثة الآلاف فيها فوقها؛ لقوله: ﴿مُرْدِفِينَ﴾ <sup>(١)</sup> [الأنفال: ٩٩] بمعنى يَزِدُّهُمْ غَيْرُهُمْ وَيَتِمُّعُهُم الْوَفْ أَوْ خَر مَثَلُهُمْ. وهذا السياق شبيه بهذا السياق في سورة آل عمران، فالظاهر أن ذلك كان يوم بدر كما هو المعروف من أن قتال الملائكة إنما كان يوم بدر. القول الثاني: أن هذا الوعد متعلق بقوله: ﴿وَإِذْ عَدَدَتْ مِنْ أَهْلِكُمُ الْيَهُودُ مَقْعَدًا لِلْقِتَالِ﴾ [آل عمران: ١٢١]؛ وذلك يوم أحد. وهو قول مجاهد، وعكرمة.

قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا﴾، يعني: تصبروا على مضايبة عَدُوِّكُمْ وتقفوني ونطيعوا أمري. ﴿وَوَاعَدُوكُمْ مِّن قَوْمِهِمْ هَذَا﴾

---

(١) اختار ابن كثير قراءة نافع وغيره بفتح الدال: اسم مفعول، وبني تفسيره على ذلك. وقراءة عاصم بكسر الدال: اسم فاعل.



## ● الوقفات التدريبية

﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِدَرِّ وَأَنْتُمْ أُولَئِكَ فَأَنْتُمْ أَتَقُولُونَ ﴾

لما ذكر تعالى قصة أحد أتبعها بذكر قصة بدر؛ وذلك لأن المسلمين يوم بدر كانوا في غاية الضعف عدداً وعتاداً، والكفار كانوا في غاية الشدة والقوة، ثم إنه تعالى نصر المسلمين على الكافرين، فصار ذلك من أقوى الدلائل على أن ثمرة التوكل عليه تعالى والصبر والتقوى هو النصر والمعونة والتأييد. القاسمي: ٢/٤٠٢.

السؤال: ما وجه ذكر غزوة بدر عقب الحديث عن غزوة أحد؟

﴿ بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾

فبين أنه مع الصبر والتقوى يمدهم بالملائكة، وينصرهم على أعدائهم الذين يقاتلونهم. ابن تيمية: ١٣٥/٢.

السؤال: الصبر والتقوى سببان لنزول الملائكة لنصرة المؤمن، بين ذلك.

﴿ وَمَا جَعَلَ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾  
أي: وما أنزل الله الملائكة وأعلمكم بإنزالها إلا بشارة لكم، وتطميناً لقلوبكم، وتطميناً، وإلا فإنما النصر من عند الله، الذي لو شاء لانتصر من أعدائه بدونكم، ومن غير احتياج إلى قتالكم لهم؛ كما قال تعالى بعد أمره المؤمنين بالقتال: (ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلى بعضهم ببعض) (محمد: ٤). ابن كثير: ٣٨٠/١.

السؤال: هل ربنا سبحانه بحاجة للمجاهدين؟ وما الذي يفيد المجاهد من ذلك؟

﴿ وَمَا جَعَلَ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾

(وما جعله الله) يعني: هذا الوعد والمدة، (إلا بشري لكم) أي: بشارة لتستبشروا به، (ولتطمئنن)، (وتسكنن)، (قلوبكم به) فلا تجزعوا من كثرة عدوكم وقلّة عددكم، (وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم) يعني: لا تحيلوا بالنصر على الملائكة والجنّة؛ فإن النصر من الله تعالى، فاستعينوا به، وتوكلوا عليه؛ لأن العز والحكم له. البغوي: ٤١٥/١.

السؤال: ما المصدر الوحيد للنصر؟

﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾

فلا تعتمدوا على ما معكم من الأسباب، بل الأسباب فيها طمأنينة لقلوبكم، وأما النصر الحقيقي الذي لا معارض له فهو مشيئة الله لنصر من يشاء من عباده؛ فإنه إن شاء نصر من معه الأسباب كما هي سنته في خلقه، وإن شاء نصر المستضعفين الأذلين؛ ليبين لعباده أن الأمر كله بيديه، ومرجع الأمور إليه. السعدي: ١٤٦.

السؤال: ما الفائدة إخبار المسلمين بأن النصر من عند الله سبحانه وتعالى؟

﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾

وفي هذه الآية ما يدل على أن اختيار الله غالب على اختيار العباد، وأن العبد- وإن ارتفعت درجته وعلا قدره- قد يختار شيئاً وتكون الخيرة والمصلحة في غيره، وأن الرسول ﷺ ليس له من الأمر شيء، فغيره من باب أولى؛ ففيها أعظم رد على من تعلق بالأنبياء وغيرهم من الصالحين وغيرهم، وأن هذا شرك في العبادة، ونقص في العقل؛ يتركون من الأمر كله له، ويدعون من لا يملك من الأمر مثقال ذرة. السعدي: ١٤٧.

السؤال: من خلال هذه الآية: كيف ترد على من تعلق بالأنبياء والصالحين من دون الله؟

﴿ يَأْتِيهَا الْكُوفُ أَمْثَلُ لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَأَنْتُمْ أُولَئِكَ لَكُمْ تَقْلُوبُونَ ﴾

اجعلوا بينكم وبين مخالفة نهيي عن الربا وقاية؛ بالإعراض عن مطلق محبة الدنيا والإقبال عليها؛ لتكونوا على رجاء من الفوز بالمطالب؛ فمن له ملك الوجود وملكه فإنه جدير بأن يعطيكم من ملكه إن اتقيتم، ويمنعكم إن تساهلتم. البقاعي: ١٥٢/٢.

السؤال: ما العلاقة بين النهي عن الربا والأمر بالتقوى؟

إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِدَرِّ وَأَنْتُمْ أُولَئِكَ فَأَنْتُمْ أَتَقُولُونَ تَحْسَبُوا أَنَّكُمْ تَفْشَلُونَ ﴿٢﴾ إِذْ يَقُولُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ ﴿٣﴾ بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿٤﴾ وَمَا جَعَلَ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٥﴾ لَيَقْطَعَنَّ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتُنَّهُمْ فَنَقِضُوا أَخَابِيَهُمْ ﴿٦﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿٧﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨﴾ يَأْتِيهَا الْكُوفُ أَمْثَلُ لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَأَنْتُمْ أُولَئِكَ لَكُمْ تَقْلُوبُونَ ﴿٩﴾ وَأَقْرَبُوا النَّارَ أَتَى أَعْدَتُ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٠﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١١﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
أَنْ تَفْشَلَا	تَجِبْنَا، وَتَضَعُفَا.
فُورِهِمْ هَذَا	سَاعَتِهِمْ هَذِهِ.
مُسَوِّمِينَ	مُعَلِّمِينَ أَنْفُسَهُمْ، وَخُيُولُهُمْ بِعَلَامَاتٍ وَأَضْحَابٍ.
يَكْبِتُهُمْ	يُخْزِيهِمْ.

## ● العمل بالآيات

- أبدأ خطواتي في الإصلاح بين شخصين أو مجموعتين متخاصمتين، ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾.
- بشر مسلماً بخبر يفرحه، ﴿وَمَا جَعَلَ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ﴾.
- أرسل رسالتي تحذّر فيها المسلمين من مخاطر الربا، ﴿يَأْتِيهَا الْكُوفُ أَمْثَلُ لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَأَنْتُمْ أُولَئِكَ لَكُمْ تَقْلُوبُونَ﴾.

## ● التوجيهات

- تقوى الله تعالى بالعمل بأوامره واجتناب نواهيه هي الشكر الواجب على العبد، ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِدَرِّ وَأَنْتُمْ أُولَئِكَ فَأَنْتُمْ أَتَقُولُونَ تَحْسَبُوا أَنَّكُمْ تَفْشَلُونَ﴾.
- أصبر واثق الله يمدك الله بأسباب من عنده خافية عليك، ﴿بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾.
- أحذر الربا وانواعه، وحذر من حولك من هذا الذنب العظيم، ﴿يَأْتِيهَا الْكُوفُ أَمْثَلُ لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَأَنْتُمْ أُولَئِكَ لَكُمْ تَقْلُوبُونَ﴾.



## ● الوقفات التدريبية

﴿ الَّذِينَ يُبْعَثُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِ الْفَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾

ولما ذكر أشق ما يترك ويبدل؛ وهو المال، اتبعه أشق ما يحبس؛ فقال: (والكاظمين) أي: الحابسين (الفيض) عن أن ينفذوه بعد أن امتلأوا منه. البقاعي: ١٥٧/٢.

السؤال: ما دلالة الإتيان بكظم الفيظ بعد الإنفاق؟

﴿ الَّذِينَ يُبْعَثُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِ الْفَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾

فالكاظم للفيض والعافي عن الناس قد أحسن إلى نفسه وإلى الناس؛ فإن ذلك عمل حسنة مع نفسه، ومع الناس، ومن أحسن إلى الناس فإلى نفسه... قَالَ تَعَالَى: (إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِنَفْسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا) [الإسراء: ٤٧]. ابن تيمية: ١٤٠/٢ - ١٤١.

السؤال: من المستفيد الأول من كظمك للفيض وعضوك عن الناس؟ وكيف ذلك؟

﴿ وَالْكُظُمِ الْفَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾

يعني: والجارعين الفيظ عند امتلاء نفوسهم منه؛ يقال منه: «كظم فلان غيظه» إذا تجرعه، فحفظ نفسه من أن تمضي ما هي قادرة على إمضائه. الطبري: ٢١٤/٧.

السؤال: استخرج من الآية صفة من صفات المسارعين إلى المغفرة والجنة. ﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴾

وفي الآية دلالة على أهمية علم التاريخ؛ لأن فيه فائدة السير في الأرض، وهي معرفة أخبار الأوائل، وأسباب صلاح الأمم، وفسادها. ابن عاشور: ٩٧/٤. السؤال: للقرأة في التاريخ ومعرفة أحوال الأمم أهميتها، بين ذلك من الآية الكريمة.

﴿ هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾

فالبیان يعم كل من فقّه، والهدى والموعظة للمتقين. ابن تيمية: ١٤٣/٢. السؤال: البيان للناس كله، والهدى والموعظة للمتقين فقط، بين ذلك من الآية.

﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾

(ولا تهنوا) أي: في جهاد أعدائكم الذين هم أعداء الله؛ فإله معكم عليهم، وإن ظهروا يوم «أحد» نوع ظهور؛ فسترون إلى من يؤول الأمر، (ولا تحزنوا) أي: على ما أصابكم منهم، ولا على غيره مما عساه ينوبكم، والحال انكم (أنتم الأعلون) أي: في الدارين؛ (إن كنتم مؤمنين). البقاعي: ٥٩/٢.

السؤال: هل الهزيمة المؤقتة للمؤمنين تنافي علوهم؟ وضع ذلك.

﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾

يجب بهذه الآية أن لا يوادع العدو ما كانت للمسلمين قوة، فإن كانوا في قطر ما على غير ذلك فينظر الإمام لهم بالأصلح. ابن عطية: ١ / ٥١٣.

السؤال: متى تصح المواعدة من المسلمين للكفار؟

\* وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمُوتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٣﴾ الَّذِينَ يُبْقِعُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِ الْفَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحْشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمِن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُبْرِئُوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَقَامُونَ ﴿٣٥﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاءُ هُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِعَمَلِهِمْ فِي الْأَرْضِ قَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿٣٦﴾ هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٧﴾ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٣٩﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ	البُسر، والغُسر.
وَلَا تَهِنُوا	لَا تَضَعُفُوا.
قَرْحٌ	جُرْحٌ.
نُدَاوِلُهَا	نُصَرَفُهَا.

## ● العمل بالآيات

١. اسبق اليوم غيرك إلى عمل صالح رجاء أن تدخل في هذه الآية، ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمُوتُ وَالْأَرْضُ ﴾.
٢. تصدق بصدقة سواء كنت مفتتياً أو محتاجاً، ﴿ الَّذِينَ يُبْقِعُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ ﴾.
٣. استغفر الله تعالى سبعين مرة في يومك وليلتك، ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحْشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ﴾.

## ● التوجيهات

١. المتقون هم أهل الجنة فاجتهد في الاتصاف بصفاتهم، ﴿ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾.
٢. فضل العفو عن الناس، ﴿ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾.
٣. إياك والهوان والدلتة؛ فالؤمن عزيز، غالب بهذا الدين، ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾.

آخِرَ فَقَالَ: رَبِّ إِنِّي عَمِلْتُ ذَنْبًا فَاغْفِرْهُ لِي. فَقَالَ عز وجل: عَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ، قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي. ثُمَّ عَمِلَ ذَنْبًا آخَرَ فَقَالَ: رَبِّ، إِنِّي عَمِلْتُ ذَنْبًا فَاغْفِرْهُ. فَقَالَ عز وجل: عَبْدِي عَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ، أَشْهَدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي، فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ. [متفق عليه]. ويتأكد الوضوء وصلاة ركعتين عند التوبة، لما [رُوي] عن عمر عن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُتْلِغُ -أو: فَيُسَبِّحُ- الْوُضُوءَ، ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّانِيَةِ، يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ» [رواه مسلم]. «وَمَنْ يَغْفِرِ الذَّنْبَ إِلَّا اللَّهُ» أي: لا يغفرها أحد سواه. وقوله: «وَلَمْ يَصُورُوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ» أي: تابوا من ذنوبهم ورجعوا إلى الله عن قريب، ولم يستمروا على المعصية وَصُورُوا عليها غير مُقْلِعِينَ عنها، ولو تكرر منهم الذنب تابوا عنه. وقوله: «وَهُمْ يَعْلَمُونَ» قال مجاهد وعبد الله بن عبيد بن عمير: «وَهُمْ يَعْلَمُونَ» أن مَنْ تاب تاب الله عليه. وهذا كقوله تعالى: «الَّذِينَ يَصَلُّونَ أَنَّهُمْ قَبِلُوا التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ» [التوبة: ١٠٤]، وكقوله: «وَمَنْ يَصِلْ سَوَاءً أَوْ يَطْلَمْ نَفْسَهُ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا» [النساء: ١١٠]، ونظائر هذا كثيرة جدًا. ثم قال تعالى بعد وَصْفِهِمْ بِمَا وَصَفَهُمْ بِهِ: «أُولَئِكَ جَزَاءُكُمْ» أي: جزاؤهم على هذه الصفات «مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّةٌ نَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ» أي: من أنواع المشروبات «خَالِدِينَ فِيهَا» أي: ما كثر فيها، «وَيَقِيمُ أَجْرُ الْمُحْسِنِينَ» يمدح تعالى الجنة.

الآية (١٣٧-١٤٠): يقول تعالى مخاطبًا عباده المؤمنين الذين أُصِيبُوا يَوْمَ أُحُدٍ، وقُتِلَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ: «قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ» أي: قد جَرَى نحو هذا على الأمم الذين كانوا من قبلكم من اتباع الأنبياء، ثم كانت العاقبة لهم والدائرة على الكافرين؛ ولهذا قال: «فَيَسِّرُ فِي الْأَرْضِ فَأَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَ عِقَابُ الْمُكَذِّبِينَ». ثم قال: «هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ» يعني: القرآن فيه بيان للأمور على حِلَّتِهَا، وكيف كان الأُمَمُ الْأَقْدَمُونَ مع أعدائهم «وَهُدَى» يعني: القرآن فيه خَبَرٌ ما قبلكم وَهُدًى لقلوبكم «وَمَوْعِظَةٌ» أي: زاجر عن المحارم والمآثم. ثم قال مُسَلِّيًا للمؤمنين: «وَلَا تَهِنُوا» أي: لا تَضَعُوا بسبب ما جرى، «وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» أي: العاقبة والنصرة لكم أيها المؤمنون. «إِنْ يَسْكَنْكُمْ تَرَحُّمٌ فَقَدْ مَنَّ اللَّهُ بِكُمْ فَتَرَحُّوا عَلَيْهِمْ» أي: إن كنتم قد أصابكم جراحٌ وقُتِلَ مِنْكُمْ طائفةٌ، فقد أصاب أعداءكم قريب من ذلك من قتل وجراح، «وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاؤُهَا بَيْنَ النَّاسِ» أي: نُذيل عليكم الأعداء تارة، وإن كانت العاقبة لكم، لِمَا لَنَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْحِكْمَةِ؛ ولهذا قال تعالى: «وَلْيَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا» قال ابن عباس: في مثل هذا لَيَرَى من يصبر على مُناجزة الأعداء. «وَيَرْجِدُ مِنْكُمْ شُهَدَاءٌ» يعني: يَقْتُلُونَ في سبيله، وَيُنْذِلُونَ مَهْجَهُمْ في مرضاته. «وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَاسِقِينَ».

الآية (١٣٣-١٣٦): ثم نَدَّبَهُمْ إِلَى الْمُبَادَرَةِ إِلَى فِعْلِ الْخَيْرَاتِ وَالْمُسَارَعَةِ إِلَى تِلْكَ الْفُرْثَاتِ، فقال: «وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَكُوتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ» أي: كما أُعِدَّتِ النَّارُ لِلْكَافِرِينَ. وقد قيل: إن [في] معنى قوله: «عَرْضُهَا السَّمَكُوتُ وَالْأَرْضُ» تنبيهًا على اتساع طولها، كما قال في صفة قُرْشِ الْجَنَّةِ: «بَطْلَانِيٍّ مِنْ يَسْتَبْرَأُ» [الرحمن: ٥٤]، أي: فما ظَنُّكَ بِالظَّاهِرِ. وقيل: بل عرضها كطولها؛ لأنها قَبَّةٌ تَحْتَ الْعَرْشِ، والشَّيْءُ الْمُقَبَّبُ والمستدير عَرْضُهُ كطولهِ. وقد دلَّ على ذلك ما ثبت في الصحيح: «إِذَا سَأَلْتُمْ الْجَنَّةَ فَاسْأَلُوهُ الْفَرْدُوسَ، فَإِنَّهُ أَغْلَى الْجَنَّةِ وَأَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَمِنْهُ تَنْجَرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ، وَسَقْفُهَا عَرْشُ الرَّحْمَنِ» [رواه البخاري]. وهذه الآية كقوله تعالى: «سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَكُوتُ وَالْأَرْضُ» الآية [الحديد: ٢١]. ثم ذكر تعالى صِفَةَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فقال: «الَّذِينَ يَتَّقُونَ فِي الْبَنَاءِ وَالْأَصْرَارِ» أي: في الشدة والرخاء، والمنشط والمكره، والصحة والمرض، وفي جميع الأحوال، كما قال: «الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْإِثْمِ وَالْكَفَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً» [البقرة: ٢٧٤]. والمعنى: أنهم لا يشغلهم أَمْرٌ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَالْإِثْقَابِ فِي مَرَاذِيهِ، وَالْإِحْسَانِ إِلَى خَلْقِهِ مِنْ قَرَابَاتِهِمْ وَغَيْرِهِمْ بِأَنْوَاعِ الْبِرِّ.

وقوله: «وَالْكَافِرِينَ الْفَاسِقِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ عَنِ النَّاسِ» أي: إذا تَارَبَهُمُ الْغَيْظُ كَظَمُوهُ، بمعنى: كَتَمُوهُ فَلَمْ يُعْمَلُوهُ، وَعَفُوا عَنْ ذَلِكَ عَنْ أَسَاءِ الْبِهِم. وعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ، وَلَكِنَّ الشَّدِيدَ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ» [متفق عليه]. وعن جارية بن قدامة السعدي: أنه سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، قل لي قولًا ينفعني وأفيل علي، لَعَلِّي أُبَيِّعُهُ. فقال رسول الله ﷺ: «لَا تَغْضَبْ». فأعاد عليه، حتى أَمَادَ عَلَيْهِ مَرَارًا، كل ذلك يقول: «لَا تَغْضَبْ» [رواه أحمد، وصححه الألباني].

فقوله: «وَالْكَافِرِينَ الْفَاسِقِينَ الْفَاسِقِينَ» أي: لا يُعْمَلُونَ غَضَبَهُمْ فِي النَّاسِ، بَلْ يَكْفُونَ عَنْهُمْ شَرَّهُمْ، وَيَحْتَسِبُونَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. ثم قال: «وَالْمُؤْمِنِينَ عَنِ النَّاسِ» أي: مع كف الشرِّ يَعْمَلُونَ عَنْ ظَلَمِهِمْ فِي أَنْفُسِهِمْ، فَلَا يَبْقَى فِي أَنْفُسِهِمْ مَوْجِدَةٌ عَلَى أَحَدٍ، وَهَذَا أَكْمَلُ الْأَحْوَالِ، وَهَذَا قَالَ: «وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ». فهذا من مقامات الإحسان. وفي الحديث: «ثَلَاثٌ أَقْسَمُ عَلَيْهِنَّ: مَا نَقَصَ مَالٌ مِنْ صَدَقَةٍ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِغَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ اللَّهُ» [رواه أحمد والترمذي، وصححه الألباني]. «وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ» أي: إذا صدر منهم ذنب أتبعوه بالتوبة والاستغفار. وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إِنْ رَجَلًا أَذْنِبَ ذَنْبًا، فَقَالَ: رَبِّ إِنِّي أَذْنِبْتُ ذَنْبًا فَاغْفِرْهُ. فَقَالَ اللَّهُ: عَبْدِي عَمِلَ ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ، قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي. ثُمَّ عَمِلَ ذَنْبًا آخَرَ، فَقَالَ: رَبِّ إِنِّي عَمِلْتُ ذَنْبًا فَاغْفِرْهُ. فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: عَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ، قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي. ثُمَّ عَمِلَ ذَنْبًا



الآية (١٤٣-١٤١): ﴿وَلْيَحْصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: يُكْفَر عنهم من ذنوبهم، إن كان لهم ذنوب وإلا رُفِعَ لهم في درجاتهم بحسب ما أُصِيبوا به، وقوله: ﴿وَيَسْحَقُ الْكَافِرِينَ﴾ أي: فإنهم إذا ظَفَرُوا بَعُثُوا وَيَطْرُقُوا فَيَكُونُ ذَلِكَ سَبَبَ دِمَارِهِمْ وَهَلَاكِهِمْ وَخَقِّعَهُمْ وَفَنَانَهُمْ. ثم قال: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّادِقِينَ﴾ أي: أَحْبَبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمْ تَبْتَلُوا بِالْقِتَالِ وَالشَّدَادَةِ؟ كما قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ سَسَّتُمْ لِلنَّاسِ الْفِتْنَةَ وَفَرَّقُوا بَيْنَ مَنْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَنْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتُوتَهُ أَثْمَارُهَا وَكَانَ اللَّهُ غَافِلًا عَنِ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ٢١٤)، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَكُنْ لِلنَّاسِ نَذِيرًا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ بِقُرْآنٍ بَيِّنٍ وَهَمَّ لَا تَفْشَوْا ۚ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ (الأنعام: ١-٣).

ولهذا قال ههنا: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّادِقِينَ﴾ أي: لا يحصل لكم دخول الجنة حتى تَبْتَلُوا ويرى الله منكم المجاهدين في سبيله والصابرين على مقاومة الأعداء. وقوله: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْفَرُونَ﴾ أي: قد كنتم -أيها المؤمنون- قبل هذا اليوم تمنون لقاء العدو وتحترقون عليهم، وتودون مناجزتهم ومصابرتهم، فما قد حصل لكم الذي غنيمتموه وطلبتموه، فدوكم فقاتلوا وصابروا. وقد ثبت أن رسول الله ﷺ قال: «لَا تَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، وَسَلُّوْا لِلَّهِ الْعَاقِبَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ الشُّيُوفِ» [متفق عليه].

ولهذا قال: ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ﴾ يعني: الموت شاهدتموه في لَعَانِ السَّيْفِ، وَخَذِ الْأَيْتَةَ، وَاشْتَبَاكَ الرِّمَاحَ، وَصُوفَ الرِّجَالِ لِلْقِتَالِ.

الآية (١٤٤-١٤٨): [سبب النزول] لما انهزم من انهزم من المسلمين يوم أُحُد، وَقِيلَ مَنْ قَتَلَ مِنْهُمْ، نادى الشيطان: أَلَا إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ. ورجع ابن قُيُومَةَ إِلَى الْمَشْرِكِينَ فَقَالَ لَهُمْ: قَتَلْتُ مُحَمَّدًا! وَإِنَّمَا كَانَ قَدْ ضَرَبَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَسَحَّه فِي رَأْسِهِ، فَوَقَعَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ وَعَاطَقُوا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَدْ قُتِلَ، وَجَوَّزُوا عَلَيْهِ ذَلِكَ، كَمَا قَدْ قَصَّ اللَّهُ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - فَحَصَلَ وَهْنٌ وَضَعْفٌ وَتَأَخَّرَ عَنِ الْقِتَالِ، فَفِي ذَلِكَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ أي: له أشوة بهم في الرسالة وفي جواز القتل عليه. ثم قال تعالى مُنْكَرًا عَلَى مَنْ حَصَلَ لَهُ ضَعْفٌ: ﴿إِنَّا إِنَّمَا مَاتَ أَوْ قُتِلَ أَنْفَلَتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ أي: رجعتم الفَهْقَرَى ﴿وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنِ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ أي: الذين قاموا بطاعته وقاتلوا عن دينه، واتبعوا رسوله حيًّا وميتًا. كذلك ثبت في الصحاح والمسانيد وغيرها من كتب الإسلام من طُرُقٍ متعددة نُفِيدُ الْقَطْعَ: أَنَّ الصَّدِيقَ ﷺ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ لَمَّا مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. وقال: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا

مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿الشَّاكِرِينَ﴾ قَالَ: فَوَاللَّهِ لَكَانَ النَّاسُ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ هَذِهِ الْآيَةَ حَتَّى تَلَاهَا أَبُو بَكْرٍ، فَتَلَاهَا النَّاسُ مِنْهُ كُلُّهُمْ، [قَالَ عُمَرُ]: فَمَا أَسْمَعُ بَشَرًا مِنَ النَّاسِ إِلَّا يَتْلُوهَا [رواه البخاري]. وقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِلْفِتْنِ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَيَّدًا﴾ أي: لا يموت أحد إلا بقدر الله، وحتى يستوفي المدة التي ضَرَبَهَا اللَّهُ لَهُ؛ وَهَذَا قَالَ: ﴿كِتَابًا مُؤَيَّدًا﴾ كَقَوْلِهِ: ﴿وَمَا يَمُوتُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَضُ مِنْ عُمرِهِ إِلَّا بِكِتَابٍ﴾ [فاطر: ١١]. وكقوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُتَمَسِّعٌ عِنْدَهُ﴾ [الأنعام: ٢]. وهذه الآية فيها تشجيع للجبناء وترغيب لهم في القتال؛ فَإِنَّ الْإِقْدَامَ وَالْإِحْجَامَ لَا يُنْقَضُ مِنَ الْعُمَرِ وَلَا يَزِيدُ فِيهِ. وقوله: ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَنُؤِثِرْهُ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤِثِرْهُ مِنْهَا﴾ أي: مَنْ كَانَ عَمَلُهُ لِلدُّنْيَا فَقَدْ نَالَ مِنْهَا مَا قَدَّرَهُ اللَّهُ لَهُ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ فِي الْآخِرَةِ نَصِيبٌ، وَمَنْ قَصِدَ بِعَمَلِهِ الدَّارَ الْآخِرَةَ أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنْهَا مَعَ مَا قَسَمَ لَهُ فِي الدُّنْيَا، كَمَا قَالَ: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ، وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤِثِرْهُ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ [النور: ٢٠]. وقال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاقِبَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ۚ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيًا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٨-١٩].

وهكذا قال ههنا: ﴿وَسَيَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ أي: سنعطيه من فضلنا ورحمتنا في الدنيا والآخرة بحسب شُكْرِهِمْ وَعَمَلِهِمْ. ثم قال تعالى مُسَلِّيًا لِلْمُسْلِمِينَ عَمَّا كَانَ وَقَعَ فِي نَفْسِهِمْ يَوْمَ أُحُدٍ: ﴿وَكَانَ يَنْ يَحْيَى قَتَلَ مَعَهُ رَيْثُونٌ كَثِيرٌ﴾، قِيلَ: مَعْنَاهُ: كَمَ مِنْ نَبِيِّ قُتِلَ وَقُتِلَ مَعَهُ رَثْبُونَ مِنْ أَصْحَابِهِ كَثِيرٌ. وَهَذَا الْقَوْلُ هُوَ اخْتِيارُ ابْنِ جَرِيرٍ (١)، وَإِنَّمَا نَفَى الْوَهْنَ وَالضَّعْفَ عَمَّنْ بَقِيَ مِنَ الرَّثْبِينَ مَنْ لَمْ يُقْتَلَ. وقيل: وَكَمَ مِنْ نَبِيِّ قُتِلَ بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ أَصْحَابِهِ رَثْبُونَ كَثِيرٌ. وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ الْكَثِيرَةَ. وقال الحسن: أي: عُلماء كثير، وعنه أيضًا: عُلماء ضَرَبَ أَبْرَارُ أَنْفِيَاءَ. ﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا﴾. قال قتادة والربيع بن أنس: ﴿وَمَا ضَعُفُوا﴾ بِقَتْلِ نَبِيِّهِمْ. ﴿وَمَا اسْتَكَانُوا﴾ يَقُولُ: فَمَا ارْتَدُّوا عَنْ بَصِيرَتِهِمْ وَلَا عَنْ دِينِهِمْ، أَنْ قَاتَلُوا عَلَى مَا قَاتَلَ عَلَيْهِ نَبِيُّ اللَّهِ حَتَّى لَحِقُوا بِاللَّهِ. ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّادِقِينَ ۚ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَبِكَيْتِ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ أي: لَمْ يَكُنْ لَهُمْ هَجَرٌ إِلَّا ذَلِكَ. ﴿فَتَأْتِيهِمْ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ أي: النَّصْرُ وَالظَّفَرُ وَالْعَاقِبَةُ ﴿وَحُسْنَ ثَوَابٍ الْآخِرَةِ﴾ أي: جَمَعَ لَهُمْ ذَلِكَ مَعَ هَذَا ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

(١) وهو مبني على قراءة ورش عن نافع حيث قرأها: «قُتِلَ» بضم القاف وبدون ألف، وقرأها عاصم: «قَاتَلَ» والقراءتان متواترتان، فكلا المعنيين صحيح.



## ● الوقفات التدبيرية

❶ ﴿ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ ﴾

في هذه الآية دليل على انه لا يكره تمنى الشهادة، ووجه الدلالة: ان الله تعالى اقرهم على امنيته، ولم ينكر عليهم، وإنما انكر عليهم عدم العمل بمقتضاها. السعدي: ١٥٠.

السؤال: هل تمنى الشهادة مثل تمنى الموت؟ وضع ذلك من خلال هذه الآية.

❷ ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ﴾

وفي هذه الآية اعظم دليل على فضيلة الصديق الأكبر ابي بكر واصحابه: الذين قاتلوا المرتدين بعد رسول الله ﷺ. السعدي: ١٥١.

السؤال: في قتال ابي بكر ومن معه من الصحابة للمرتدين دليل على فهم عظيم وحكمة، وضع ذلك.

❸ ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ﴾

وفي هذه الآية الكريمة إرشاد من الله تعالى لعباده ان يكونوا بحالة لا يزعمهم عن ايمانهم أو عن بعض لوائمه فقد رئيس -ولو عظم- وما ذاك إلا بالاستعداد في كل امر من امور الدين بعدة اناس من اهل الكفاءة فيه: إذا فقد احدهم قام به غيره. السعدي: ١٥١.

السؤال: في الآية إرشاد إلى قاعدة مهمة في الإدارة والقيادة، وضحها.

❹ ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا دُؤُنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا ﴾

فجمعوا بين الصبر والاستغفار، وهذا هو المأمور به في المصائب: الصبر عليها والاستغفار من الذنوب التي كانت سببها. ابن تيمية: ١٥٦/٢.

السؤال: ما المأمور به عند المصائب؟

❺ ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا دُؤُنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَكَيْتَ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾

علموا ان الذنوب والإسراف من اعظم اسباب الخذلان، وأن التخلي منها من اسباب النصر، فسألوا ربهم مغفرتها. السعدي: ١٥١.

السؤال: لماذا سأل المجاهدون مغفرة الذنوب والإسراف في الأمر؟

❻ ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا دُؤُنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَكَيْتَ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾

طلبوا الغفران أولاً ليستحقوا طلب النصر على الكافرين بترجمهم بطهارتهم عن الذنوب عليهم وهم محاطون بالذنوب. وفي طلبهم النصر -مع كثرتهم المفرطة التي دل عليها ما سبق- إيدان بأنهم لا ينظرون إلى كثرتهم، ولا يولون عليها، بل يستندون ثبات اقدامهم إلى الله تعالى، ويعتقدون أن النصر منه سبحانه وتعالى. الألوسي: ٨٥/٤.

السؤال: لماذا طلب المجاهدون الغفران قبل طلبهم النصر؟ ولماذا طلبوا النصر مع كثرة عددهم؟

❼ ﴿ فَكَانَتْهُمْ قَوْلُ اللَّهِ تَوَابٌ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾

(فاتاهم الله) المحيط علماً وقدرة (ثواب الدنيا) أي: بان قبل دعائهم بالنصر، والغنى بالفنائم، وغيرها، وحسن الذكر، وانشرح الصدر، وزوال شبهات الشر. ولما كان ثواب الدنيا -كيف ما كان- لا بد أن يكون بالكدر مشوباً، وبالبلاء مصحوباً -لأنها دار الأكدار- امرأه من وصف الحسن، وخص الأخرة به فقال: (وحسن ثواب الأخرة). البقاعي: ١٦٤/٢.

السؤال: لماذا جاء وصف الحسن مع ثواب الأخرة فقط دون ثواب الدنيا؟

وَلِيَمِخَصَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمِخَصَّ الْكَافِرِينَ ١٥٠ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ١٥١ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ١٥٢ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ١٥٣ وَمَا كُنَّ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَبْنَا مُوَدَّتَكُمْ وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ١٥٤ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَجْدٍ قُتِلَ مَعَهُ رَيْثُونٌ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا لِلَّهِ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ١٥٥ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا دُؤُنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَكَيْتَ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ١٥٦ فَكَانَتْهُمْ قَوْلُ اللَّهِ تَوَابٌ الدُّنْيَا وَحَسَنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ ١٥٧ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ١٥٨

## ● معاني الكلمات

المعنى	الكلمة
رَجَعْتُمْ عَنْ دِينِكُمْ.	انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ
جُمُوعٌ كَثِيرَةٌ.	رَيْثُونٌ

## ● العمل بالآيات

١. اسأل الله تعالى الشهادة بصدق، ﴿ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾.
٢. استمع لمحاضرة، أو اقرأ كتاباً عن الموت، ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَبْنَا مُوَدَّتَكُمْ ﴾.
٣. اقرأ هذه الآية، ثم ابدأ بتحديد مشروع حياتك، ﴿ وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا ﴾.

## ● التوجيهات

١. من حكمة الله تعالى في نزول البلاء: التمحيص والاختبار، وتمييز الخبيث من الطيب، ﴿ وَلِيَمِخَصَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمِخَصَّ الْكَافِرِينَ ﴾.
٢. لا يوصل إلى الراحة إلا بقلعة الراحة، ولا يدرك النعيم إلا بقلعة النعيم، ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾.
٣. الجهاد وخوض المعارك لا يقدم أجل العبد، والضرر من الجهاد لا يؤخره ايضاً، ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَبْنَا مُوَدَّتَكُمْ ﴾.



## ● الوقفات التدريبية

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرْدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَحْقِلُوا خَسِرِينَ﴾

زجر المؤمنين عن متابعة الكفار ببيان مضارها بالنداء بوصفهم بالإيمان لتذكيرهم بحال ينال تلك الطاعة فيكون الزجر على أكمل وجه.  
روح المعاني ٤/ ٨٧.

السؤال: لماذا خاطب الله المؤمنين بلفظ الإيمان عند تحذيرهم من طاعة الكفار؟

﴿سَتَلْقَى فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُخَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾

تخويف الكفار والمنافقين وإرعابهم هو من الله نصرة للمؤمنين.  
ابن تيمية: ٢/ ١٥٧-١٥٨.

السؤال: بين بعض جند الله المذكورين في الآية.

﴿سَتَلْقَى فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُخَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾

(بما أشركوا بالله) تعليل: أي: كان سبب إلقاء الرعب في قلوبهم إشراكهم. القرطبي: ٥/ ٣٥٧.

السؤال: بين كيف يكون الشرك سبباً للخوف والرعب.

﴿حَتَّىٰ إِذَا فُشِلَتْ وَتَنَزَّعَتْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرْسَلَكُمْ مَا تُحِبُّونَ﴾

(وتنازعتم) وقع النزاع بين الرماة؛ فثبت بعضهم كما أمروا، ولم يثبت بعضهم، (وعصيتهم) أي: خالفتم ما أمرتم به من الثبوت. وجاءت المخاطبة في هذا لجميع المؤمنين - وإن كان المخالف بعضهم - وعظاً للجميع، وسترأ على من فعل. ابن جزي: ١/ ١٦١.

السؤال: لم جاء الخطاب في الآية للجميع مع كون المخالفة وقعت من بعضهم؟

﴿حَتَّىٰ إِذَا فُشِلَتْ وَتَنَزَّعَتْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ﴾

لما ذكر الفضل عطف عليه ما هو سببه في الغالب؛ وهو التنازع والمعصية.  
البقاعي: ٢/ ١٦٨.

السؤال: لماذا عطف التنازع والمعصية على الفضل؟

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ: إِذْ تَحْسُونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فُشِلَتْ﴾

أي: ضعفتم وتراخيتم بالليل إلى الغنيمية خلاف ما تدعو إليه الهمم العوالي... فقد كانت العرب على حال جاهليتها تفاخر بالإقبال على الطعن والضرب في مواطن الحرب، والإعراض عن الفنائم. البقاعي: ٢/ ١٦٦.

السؤال: من خلال الآية وضح: ما الذي غير سير معركة أحد من النصر للمسلمين إلى الهزيمة؟

﴿وَأَلَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾

ومن فضله على المؤمنين: أنه لا يُقَدَّر عليهم خيراً ولا مصيبة إلا كان خيراً لهم؛ إن أصابهم سراء فشكروا جازاهم جزاء الشاكرين، وإن أصابهم ضراء فصبروا جازاهم جزاء الصابرين. السعدي: ١٥٢.

السؤال: ما وجه ختم الآيات التي ذكرت فيها مصيبة المؤمنين بفضل الله سبحانه؟

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرْدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَحْقِلُوا خَسِرِينَ ﴿١﴾ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴿٢﴾ سَتَلْقَى فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُخَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبَشَاشِ مَثْوًى الظَّالِمِينَ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ: إِذْ تَحْسُونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فُشِلَتْ وَتَنَزَّعَتْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرْسَلَكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ فَصَرَّفْنَا عَنْهُمْ لَيْتِلَبِكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤﴾ إِذْ تَصْعَدُونَ وَلَا تَلُوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَىٰكُمْ فَأَنْتُمْ كَافِرُونَ ﴿٥﴾ عَمَّا يَخِرُّ لَكَ إِلَا تَخْرُؤًا عَلَىٰ مَافَاتِكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
تَحْسُونَهُمْ	تَحْسُونَهُمْ
تَصْعَدُونَ	تَصْعَدُونَ فِي الْجَبَلِ هَارِبِينَ.
لَا تَلُوُونَ	لَا تَلْتَفِتُونَ.

## ● العمل بالآيات

- حدد ثلاثة من مظاهر التشبه بالكفار مما يفعله بعض الناس اليوم، وأرسلها في رسالة للتحذير من منهجهم، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرْدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَحْقِلُوا خَسِرِينَ﴾.
- أرسل رسالة تحذر فيها أن رؤية المال هواختار للثبات على الدين والمبادئ، وهو سبب للخلاف والتنازع بين المسلمين على مر القرون، ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُشِلَتْ وَتَنَزَّعَتْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرْسَلَكُمْ مَا تُحِبُّونَ﴾.
- أصلح بين متخاصمين، ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُشِلَتْ وَتَنَزَّعَتْ فِي الْأَمْرِ﴾.

## ● التوجيهات

- الشرك بالله هو سبب الخوف والقلق والضيق في الحياة، ﴿سَتَلْقَى فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُخَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾.
- لا تأمن على نفسك الفتنة ووقوع المعصية؛ فقد قال الله تعالى عن الصحابة: ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾.
- من مكانة الصحابة -رضي الله عنهم- عند الله سبحانه أنه أخبر أنه عفا عنهم وشهد لهم بالإيمان، مما زاد من غيظ أعدائهم من المنافقين وأتباعهم، ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾.

النَّبِيِّ ﷺ أَلَا تَتَرَحَّوْا. فَأَبَوْا، فَلَمَّا أَبَوْا صَرَفَ وجوههم، فَأَصِيبُ سَبْعُونَ قَتِيلًا، فَأَشْرَفَ أَبُو سَفْيَانَ فَقَالَ: أَيُّ الْقَوْمِ عَمِدٌ؟ فَقَالَ: «لَا تَحْيِيوهُ». فَقَالَ: أَيُّ الْقَوْمِ ابْنُ أَبِي قَحَافَةَ؟ فَقَالَ: «لَا تَحْيِيوهُ». فَقَالَ: أَيُّ الْقَوْمِ ابْنُ الْخَطَّابِ؟ فَقَالَ: إِنْ هَؤُلَاءِ قَدْ قُتِلُوا، فَلَوْ كَانُوا أَحْيَاءَ لَأَجَبُوا. فَلَمَّا يَمْلِكُ عُمَرُ نَفْسَهُ فَقَالَ: كَذَّبْتَ يَا عَدُوَّ اللَّهِ، قَدْ أَبَقِيَ اللَّهُ لَكَ مَا يَحْزَنُكَ. فَقَالَ أَبُو سَفْيَانَ: أَغُلُّ هُبْلُ! فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَجِيبُوهُ». قَالُوا: مَا نَقُولُ؟ قَالَ: «قُولُوا: اللَّهُ أَغْلَى وَأَجَلُّ». فَقَالَ أَبُو سَفْيَانَ: لَنَا الْعَزَى وَلَا عَزَى لَكُمْ! فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَجِيبُوهُ». قَالُوا: مَا نَقُولُ؟ قَالَ: «قُولُوا: اللَّهُ مَوْلَانَا، وَلَا مَوْلَى لَكُمْ». قَالَ أَبُو سَفْيَانَ: يَوْمَ يَوْمٍ بَدْر، وَالْحَرْبُ سَجَالٌ، وَتَجِدُونَ مَثْلَهُ أَمْرٌ بَهَا وَلَمْ تَسْئَلْنِي (رواه البخاري).

﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾. عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّ عَمَّةَ - أَنَسِ بْنِ النَّضْرِ - غَابَ عَنْ بَدْرٍ، فَقَالَ: غِثْتُ عَنْ أَوَّلِ قِتَالِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، لَتُنَّ أَشْهَدُنِي أَنَّ اللَّهَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَيَرَيْنَ اللَّهَ مَا أَجِدُ، فَلَقِي يَوْمَ أُحُدٍ، فَهَزَمَ النَّاسُ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي اعْتَدْتُ إِلَيْكَ مَا صَنَعَ هَؤُلَاءِ - يَعْنِي الْمُسْلِمِينَ - وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مَا جَاءَ بِهِ الْمَشْرُوكُونَ، فَتَقَدَّمَ بِسَيْفِهِ فَلَقِي سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ فَقَالَ: أَيْنَ يَا سَعْدُ؟ إِنِّي أَجِدُ رِيحَ الْجَنَّةِ دُونَ أُحُدٍ. فَمَضَى فَقَتِلَ، فَمَا عُرِفَ، حَتَّى عَرَفْتَهُ أَخْتَهُ بِسَيِّئِهِ بِشَامَةً، وَبِهِ بَضْعٌ وَثَانُونَ مِنْ طَعْنَةٍ وَضَرْبَةٍ وَرَمِيَةٍ بِسَهْمٍ (متفق عليه).

الآية (١٥٣): ﴿إِذْ تَصْحَدُونَ﴾. أَيُّ: صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ إِذْ تُصْعِدُونَ أَيُّ: فِي الْجَبَلِ هَارِبِينَ مِنْ أَعْدَاتِكُمْ ﴿وَلَا تَكُلُوا عَنْكُمْ﴾. أَكْرَهُ: أَيُّ: وَأَنْتُمْ لَا تَلَوْنِ عَلَى أَحَدٍ مِنَ اللَّعْشِ وَالْخَوْفِ وَالرَّعْبِ، ﴿وَأَرْسَلْتُ يَدْعُوَكُمْ فِي آخِرِنَاكُمْ﴾. أَيُّ: وَهُوَ قَدْ خَلَفْتُمُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ يَدْعُوَكُمْ إِلَى تَرْكِ الْفِرَارِ مِنَ الْأَعْدَاءِ، وَإِلَى الرَّجْعَةِ وَالْعُودَةِ وَالْكُرَّةِ. وَهِيَ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَشَدُّ قَضَبٍ اللَّهُ عَلَى قَوْمٍ فَعَلُوا بِرَسُولِ اللَّهِ - وَهُوَ حَيْثُ يُبْشِرُ إِلَى رِبَاعِيَّتِهِ - أَشَدُّ قَضَبٍ اللَّهُ عَلَى رَجُلٍ يَقْتُلُهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» (متفق عليه). وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ جُرْحِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: جُرْحٌ وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ وَكَبِيرَةٌ وَرِبَاعِيَّةٌ، وَهُبِمَتِ الْبَيْضَةُ عَلَى رَأْسِهِ، فَكَانَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَغْسِلُ الدَّمَ، وَكَانَ عَلِيٌّ يَسْكُبُ عَلَيْهِ بِالْجَحَنِّ فَلَمَّا رَأَتْ فَاطِمَةُ أَنَّ الْمَاءَ لَا يَزِيدُ الدَّمَ إِلَّا كُرَّةً، أَخَذَتْ قِطْعَةً خَصِيرٍ فَأَحْرَقَتْهَا، حَتَّى إِذَا صَارَتْ رَمَادًا أَلْصَقَتْهُ بِالْجُرْحِ، فَاسْتَمْسَكَ الدَّمَ (متفق عليه). وَقَوْلُهُ: «فَأَتَيْنَاكُمْ عَمَّا يَصْرُ» أَيُّ: فَجَازَاكُمْ عَمَّا عَلَى غَمٍّ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الْغَمُّ الْأَوَّلُ: بِسَبَبِ الْهَزِيمَةِ، وَحِينَ قُتِلَ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَالثَّانِي: حِينَ عَلَاهُمُ الْمَشْرُوكُونَ فَوْقَ الْجَبَلِ. قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: أَوَّلُ الْأَقْوَالِ بِالْصَّوَابِ قَوْلُ مَنْ قَالَ: فَاتَيْنَاكُمْ بِغَمِّكُمْ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - بِحَرَمَانَ اللَّهِ إِيَّاكُمْ غِيَمَةً الْمَشْرُوكِينَ وَالظُّفْرَ بِهِمُ وَالنَّصْرَ عَلَيْهِمْ، وَمَا أَصَابَكُمْ مِنَ الْقَتْلِ وَالْجِرَاحِ يَوْمَئِذٍ - بَعْدَ الَّذِي أَرَاكُمْ فِي كُلِّ ذَلِكَ مَا تَحْبُونَ - بِمَعْصِيَتِكُمْ رِبْكَمُ، وَخِلَافَتِكُمْ أَمْرُ النَّبِيِّ ﷺ، غَمٌّ ظَنُّكُمْ أَنَّ نَبِيَكُمْ قَدْ قُتِلَ، وَمِيلَ الْعَدُوِّ عَلَيْكُمْ بَعْدَ قَوْلِكُمْ سَنَهُمْ. وَقَوْلُهُ: ﴿لِيَكِيلًا تَحْزَنُوا عَلَيَّ مَا فَاتَكُمْ﴾ أَيُّ: عَلَى مَا فَاتَكُمْ مِنَ الْغَنِيمَةِ بَعْدُوكُمْ ﴿وَلَا مَا أَصَابَكُمْ﴾. مِنَ الْقَتْلِ وَالْجِرَاحِ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ، ﴿وَأَلَّاهُ حَيِّرٌ يَمَّا تَمَلُّونَ﴾.

الآية (١٤٩-١٥١): يَحْذَرُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ طَاعَةِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ: فَإِنْ طَاعَتُهُمْ تُورِثُ الرَّدَى فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يُزْوَكُوكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا حَسْرِينَ﴾. ثُمَّ أَمَرَهُمْ بِطَاعَتِهِ وَمَوَالَاتِهِ، وَالِاسْتِعَانَةَ بِهِ وَالتَّوَكُّلَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾. ثُمَّ بَشَّرَهُمْ بِأَنَّهُ سَيُلْقِي فِي قُلُوبِ أَعْدَائِهِمُ الْخَوْفَ مِنْهُمْ وَالذَّلَّةَ لَهُمْ، بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ وَشُرْكَهُمْ، مَعَ مَا أَذْخَرَهُ لَهُمْ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ مِنَ الْعَذَابِ وَالنَّكَالِ، فَقَالَ: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُحِزْ بِهِمْ سُلْطَنًا وَمَا وَهُمْ لَأَنْكَارٌ وَيَسْأَلُ الْمُؤْمِنِينَ أَتَلْقَاكُمْ﴾. وَعَنْ جَابِرٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَفْطَيْتُ حَسًّا لَمْ يُفْطَهْنَ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهْرًا، وَأَجَلْتُ لِي الْفَتَنَاتُ، وَأَفْطَيْتُ النَّفْسَانَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُعْتَقُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَيُعْتَقُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً» (متفق عليه).

الآية (١٥٢): ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ﴾. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَعَدَهُمُ اللَّهُ النَّصْرَ. وَذَلِكَ كَانَ يَوْمَ أُحُدٍ، فَلَمَّا وَاجَهُوا عَدُوَّهُمْ كَانَ الظُّفْرُ وَالنَّصْرُ أَوَّلَ النَّهَارِ لِلْإِسْلَامِ، فَلَمَّا حَصَلَ مَا حَصَلَ - مِنْ عَصْيَانِ الرُّمَاءِ وَفَشَلِّ بَعْضِ الْمُقَاتِلَةِ - تَأَخَّرَ الْوَعْدُ الَّذِي كَانَ مُشْرُوطًا بِالثَّابِتِ وَالطَّاعَةِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾. أَيُّ: أَوَّلَ النَّهَارِ، ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُمْ﴾. أَيُّ: تَقْتُلُونَهُمْ ﴿بِإِذْنِهِ﴾. أَيُّ: بِسُلْطَانِهِ إِيَّاكُمْ عَلَيْهِمْ ﴿حَتَّى إِذَا فُشِلَتْ عَنْهُ آلُ الْأَمْرِ﴾. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الْفُشْلُ: الْخَيْلُ. وَتَنَزَّزَتْ عَنْهُمُ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ. كَمَا وَقَعَ لِلرَّمَاةِ ﴿يَنْ بَدَى مَا أَرْسَلَكُمْ مَا تُحِبُّونَ﴾. وَهُوَ الظُّفْرُ بِهِمْ ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا﴾. وَهُمْ الَّذِينَ رَغِبُوا فِي الْمَغْنَمِ حِينَ رَأَوْا الْهَزِيمَةَ، ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾. ثُمَّ أَدَالَهُمْ عَلَيْكُمْ لِيَخْتَبِرَكُمْ وَيَمْتَحِنَكُمْ، ﴿وَلَقَدْ عَمَّا عَنْكُمْ﴾. أَيُّ: غَفَرَ لَكُمْ ذَلِكَ الصَّنِيعَ، وَذَلِكَ - وَاهٍ أَعْلَمُ - لِكثْرَةِ عَدُوِّ الْعَدُوِّ وَعَدْدِهِمْ، وَقِلَّةِ عَدَدِ الْمُسْلِمِينَ وَعَدْدِهِمْ، ﴿وَأَلَّاهُ دُو فَضْلِي عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾. رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: مَا نَصَرَ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ كَمَا نَصَرَ يَوْمَ أُحُدٍ. قَالَ: فَانْكَرْنَا ذَلِكَ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: بَيْنِي وَبَيْنَ مَنْ أَنْكَرَ ذَلِكَ كِتَابُ اللَّهِ، إِنْ اللَّهُ يَقُولُ فِي يَوْمٍ أَحَدٍ: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ﴾. يَقُولُ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَالْحَسَنُ الْقَتْلُ ﴿حَتَّى إِذَا فُشِلَتْ عَنْهُ آلُ الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ يَنْ بَدَى مَا أَرْسَلَكُمْ مَا تُحِبُّونَ﴾. مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَمَّا عَنْكُمْ وَأَلَّاهُ دُو فَضْلِي عَلَى الْمُؤْمِنِينَ. عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: لَوْ حَلَفْتُ يَوْمَئِذٍ رَجُوتُ أَنْ أَبْرَأَ أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مَنَا يُرِيدُ الدُّنْيَا، حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾، وَعَنْ الْبَرَاءِ قَالَ: لَقِينَا الْمَشْرُوكِينَ يَوْمَئِذٍ، وَاجْلَسَ النَّبِيُّ ﷺ حَيْشًا مِنَ الرُّمَاءِ، وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَبْرِ قَالَ: «لَا تَبْرَحُوا، إِنْ رَأَيْتُمُنَا ظَهَرْنَا عَلَيْكُمْ فَلَا تَبْرَحُوا، وَإِنْ رَأَيْتُمُوهُمْ ظَهَرُوا عَلَيْنَا فَلَا تَقُولُونَا». فَلَمَّا لَقِينَاهُمْ هَرَبُوا، حَتَّى رَأَيْنَا النِّسَاءَ يَسْتَنْدِفْنَ فِي الْجَبَلِ، وَرَفَعْنَ عَنْ سَوْقِهِنَّ، وَقَدْ بَدَتْ خَلَاجُهُنَّ، فَأَخَذُوا يَقُولُونَ: الْغَنِيمَةُ الْغَنِيمَةُ. فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: عَهْدٌ لِي

(١) في نسخ ابن كثير المطبوعة: (حينئذ). وهو تصحيف ظاهر كما قال أحد شاكر، والتصحيح من المسند، و«عينين»: قال ياقوت: «هضبة جبل أحد بالمدينة، ويقال جبلان عند أحد، ويقال ليوم أحد، يوم عينين». [ينظر: معجم البلدان: ٤/ ١٧٣].



## ● الوقفات التدريبية

١ ﴿ ثُمَّ أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَدِّ الْقَمَرِ أَمْنَةً مُنَاسًا يَنْشِئُ طَائِفَةً مِنْكُمْ ﴾  
وقد استجدوا بذلك نشاطهم، ونسوا حزنهم؛ لأن الحزن تبتدئ خفته بعد  
أول نومة تغفیه، كما هو مشاهد في أحزان الموت وغيرها. ابن عاشور: ١٣٣/٤.

السؤال: ما فائدة نزول النعاس على المجاهدين؟

٢ ﴿ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ ﴾  
كان غرض المنافقين لا المدافعة عن الدين؛ فهم إنما يطلبون خلاص  
أنفسهم، فعوقبوا على ذلك بأنه لم يحصل لهم الأمن الذكور. البقاعي: ١٦٩/٢.

السؤال: لماذا لم يأمن المنافقون كما آمن المؤمنون؟

٣ ﴿ قُلْ إِنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾  
كنى بكون الغلبة لله تعالى عن كونها لأوليائه؛ لكونهم من الله سبحانه  
بمكان، أو أن القضاء أو التدبير له تعالى مخصوص به، لا يشاركه فيه  
غيره؛ فيفضل ما يشاء الأنوسي: ٩٥/٤.

السؤال: ما دلالة قوله تعالى: (قل إن الأمر كله لله)؟

٤ ﴿ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَهُنَا ﴾  
وهذا إنكار منهم وتكذيب بقدر الله، وتسفيه منهم لراي رسول الله ﷺ  
ورأي أصحابه، وتركية منهم لأنفسهم، فرد الله عليهم بقوله: (قل لو  
كنتم في بيوتكم) التي هي أبعد شيء عن مظان القتل (لبرز الذين كتب  
عليهم القتل إلى مضاجعهم) فالأسباب وإن عظمت -إنما تنفع إذا لم  
يعارضها القدر والقضاء السعدي: ١٥٣.

السؤال: ما مدى شناعة هذه المقالة التي صدرت من المنافقين في ذلك اليوم؟  
٥ ﴿ إِنْ الْأَزِينُ لَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنْمَا أَسْرَزَلَهُمُ السَّيْطَنُ  
يَبْغِضُ مَا كَسَبُوا ﴾

إن القتال في الجهاد إنما هو بالأعمال، فمن كان أصبر في أعمال الطاعة  
كان أجلد على قتال الكفار. البقاعي: ١٧١/٢.

السؤال: هل هناك علاقة بين ترك الجهاد والذنوب؟

٦ ﴿ يَكَايِلُ الَّذِينَ مَأْسُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا  
فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُرَى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا يَجْعَلُ اللَّهُ  
ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ﴾

نهى الله تعالى المؤمنين عن الكون مثل الكفار والمنافقين في هذا المعتقد  
الفاقد، الذي هو أن من سافر في تجارة ونحوها، ومن قاتل قتل، لو قعد  
في بيته لعاش ولم يمت في ذلك الوقت الذي عرض فيه نفسه للسفر، أو  
للقتال. ابن عطية: ٥٣٠/١.

السؤال: يضعف الإيمان بالقدر عند الغافلين إذا سمعوا خبر مقتل  
المجاهدين، وضح ذلك.

٧ ﴿ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مِتُّمْ لَمَعْرِفَةٍ مِنْ اللَّهِ وَرَحْمَةً خَيْرٌ مِمَّا  
يَجْمَعُونَ ﴾

(ولئن قتلتم) أيها المؤمنون في سبيل الله؛ أي: في الجهاد، أو متم حتف  
الأنف؛ وأنتم متلبسون به فعلا أو نية، (لمعرفة من الله ورحمة خير  
مما يجمعون) أي: الكفار من منافع الدنيا ولذاتها مدة أعمارهم؛ وهذا  
ترغيب للمؤمنين في الجهاد، وأنه مما يجب أن يتنافس فيه المتنافسون،  
وفيه تعزية لهم، وتسليته مما أصابهم في سبيل الله تعالى إثر إبطال ما  
عسى أن يشطبهم عن إعلاء كلمة الله تعالى. الأنوسي: ١٠٤/٤.

السؤال: ما علامة إرادة الخير بالإنسان؟ وضح ذلك من خلال الآية.

ثُمَّ أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَدِّ الْقَمَرِ أَمْنَةً مُنَاسًا يَنْشِئُ طَائِفَةً  
مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ  
الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ  
قُلْ إِنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ يَخُفُّونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ  
يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ  
فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ  
وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ  
وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٥٠﴾ إِنْ الْأَزِينُ لَوَلَّوْا مِنْكُمْ  
يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنْمَا أَسْرَزَلَهُمُ السَّيْطَنُ يَبْغِضُ  
مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنْ اللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥١﴾ يَكَايِلُ  
الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا  
ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُرَى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا  
وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُخَيِّئُ  
وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٥٢﴾ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ  
اللَّهِ أَوْ مِتُّمْ لَمَعْرِفَةٍ مِنْ اللَّهِ وَرَحْمَةً خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٣﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
أَمْنَةً	أماناً، وعدم خوف.
مَضَاجِعِهِمْ	مصارعهم.
غُرَى	غُرَاةٌ مُجَاهِدِينَ.

## ● العمل بالآيات

١. ذكر بعض أهل الابتلاء بحسن الظن بالله تعالى، وأنهم سيعلمون غداً أن  
الله سبحانه قد أراد بهم خيراً، ﴿ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾.
٢. استغفر اليوم سبعين مرة، واسأل الله حسن الخاتمة؛ فالمت في يأتي فجأة،  
وفي مكان وزمان لا تتوقعه، ﴿ قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ  
الْقَتْلُ إِنْ مَضَاجِعِهِمْ ﴾.
٣. قد يكون تقصيرك وبعيدك عن الله تعالى بسبب ذنب فعلته، فأكثر اليوم  
من الصدقة، والاستغفار، والتوبة، ﴿ إِنْ الْأَزِينُ لَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ  
إِنْمَا أَسْرَزَلَهُمُ السَّيْطَنُ يَبْغِضُ مَا كَسَبُوا ﴾.

## ● التوجيهات

١. من إكرام الله تعالى لأوليائه أن ينزل الأمان في قلوبهم عند الحاجة،  
﴿ ثُمَّ أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَدِّ الْقَمَرِ أَمْنَةً مُنَاسًا يَنْشِئُ طَائِفَةً مِنْكُمْ ﴾.
٢. الذنب يولد الذنب، والسيئة تولد السيئة؛ وهذا ما يوجب التوبة من الذنب  
فوراً، ﴿ إِنْ الْأَزِينُ لَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنْمَا أَسْرَزَلَهُمُ السَّيْطَنُ يَبْغِضُ مَا  
كَسَبُوا ﴾.
٣. الذنوب في أوقات السراء سبب لمزلة القدم عند الضراء، ﴿ إِنْ الْأَزِينُ لَوَلَّوْا  
مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنْمَا أَسْرَزَلَهُمُ السَّيْطَنُ يَبْغِضُ مَا كَسَبُوا ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا جَاءْنَا بِآيَاتٍ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

لعل المراد بهذه الرحمة ربطه سبحانه وتعالى على جأشه صلى الله تعالى عليه وسلم، وتخصيصه له بمكارم الأخلاق، وجعل الرفق ولين الجانب مسبباً عن ربط الجأش؛ لأن من ملك نفسه عند الغضب كان كامل الشجاعة. الألوسي: ١٠٥/٤.

السؤال: ما علامة رحمة الله بالعبد المذكورة في الآية؟

﴿وَسَاوِرُهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾

وقد قيل: إن الله أمر بها نبيه لتأليف قلوب أصحابه، وليقتدي به من بعده، وليستخرج بها منهم الرأي فيما لم ينزل فيه وحي من أمر الحروب، والأمور الجزئية، وغير ذلك، فغيره ﷺ أولى بالمشورة. ابن تيمية: ١٦١/٢.

السؤال: بين بعض حكم الأمر للنبي ﷺ بالمشورة أصحابه.

﴿وَسَاوِرُهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾

إشعار بمنزلة الصحابة، وأنهم كلهم أهل اجتهد، وأن باطنهم مرضي عند الله تعالى. الألوسي: ١٠٧/٤.

السؤال: في الآية رد على بعض الفرق الضالة بشأن الصحابة، وضع ذلك

﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾

التوكل هو الاعتماد على الله في تحصيل النافع، أو حفظها بعد حصولها،

وفي دفع المضرات ورفعها بعد وقوعها، وهو من أعلى المقامات لوجهين:

أحدهما قوله: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ)، والآخر: الضمان الذي في قوله: (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ). ابن جزي: ١٦٤/١.

السؤال: لم كان التوكل على الله من أعلى المقامات.

﴿إِنْ يَصْرِكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذَلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ﴾

(وإن يخذلكم) ويكلكم إلى أنفسكم (فمن ذا الذي ينصركم من بعده) فلا

بد أن تتخذوا ولو أعانكم جميع الخلق. وفي ضمن ذلك الأمر بالاستئصال بالله، والاعتماد عليه، والبراءة من الحول والقوة. السعدي: ١٥٤.

السؤال: مساعدة الأقوياء لك هل تفني عن الاعتماد والتوكل على الله سبحانه؟

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَرَزَقَهُمُ الْكُتُبَ وَالْحِكْمَةَ﴾

تقديم «التلاوة» لأنها من باب التمهيد، ثم «التركية» لأنها بعده، وهي أول أمر يحصل منه صفة يتلبس بها المؤمنون، وهي من قبيل التحلية

المقدمة على التحلية؛ لأن درء المفساد أولى من جلب المصالح. ثم «التعليم» لأنه إنما يحتاج إليه بعد الإيمان. الألوسي: ١١٤/٤.

السؤال: ما الحكمة في ترتيب التلاوة ثم التركية ثم التعليم؟

﴿أَوَلَمْ أَصْطَبْكُمْ مِصْبَةً قَدْ أَصْبَحْتُمْ مَيِّتًا قُلْتُمْ أَنَّا هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

وأخبر أن ما يحصل لهم من مصيبة انتصار العدو وغيرها إنما هو بذنوبهم، فقال تعالى في يوم أحد: (أولما أصابكم مصيبة قد أصبتم مثلها قلتم هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ).

ابن تيمية: ١٦٧/٢.

السؤال: ما سبب المصائب على الضرر والمجتمع؟

وَلَيْنَ مُتَمَرَّةٍ أَوْتَقَنَّا لَأَيُّ اللَّهِ يُخْشِرُونَ ﴿١٥﴾ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَيْتَ لَهُمْ وَكُوْنَتْ قَطَا غَلِظَ الْقَلْبُ لَا أَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِهِمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٦﴾ إِنْ يَصْرِكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذَلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُلَّ وَمَنْ يَكُلَّ يَأْتِ بِمَا عَمِلَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٨﴾ أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانِ اللَّهِ كُنْ بِأَمْرِ سَخِطَ مِنَ اللَّهِ وَمَا أُوتِيَ جَهَنَّمَ وَيَسِّرُ الْمَصِيرُ ﴿١٩﴾ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَرَزَقَهُمُ الْكُتُبَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لَيْ صَلَائِي مُؤْمِنِينَ ﴿٢١﴾ أَوَلَمْ أَصْطَبْكُمْ مِصْبَةً قَدْ أَصْبَحْتُمْ مَيِّتًا قُلْتُمْ أَنَّا هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٢﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
قَطَا	سَيَّئَ الْخُلُقِ.
يَكُلَّ	يَأْخُذُ مِنَ الْغَنِيِّمَةِ قَبْلَ هِسْمَتِهَا.
بَاءَ	رَجَعَ.

## ● العمل بالآيات

١. اسأل الله سبحانه أن يرزقك الرحمة بإخوانك، واللين لهم، وشاورهم ببعض أمورك، ودرب نفسك على هذه الصفات، ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَيْتَ لَهُمْ وَكُوْنَتْ قَطَا غَلِظَ الْقَلْبُ لَا أَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِهِمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾.

٢. حدد اليوم الأمور التي تسبب لك قلقاً في حياتك، ثم تأمل كثيراً في صفات الله المناسبة لها؛ لتكون حافظاً لك للتوكل على الله سبحانه، ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾.

٣. حدد لك ورداً يومياً من القرآن الكريم، ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَرَزَقَهُمُ الْكُتُبَ وَالْحِكْمَةَ﴾.

## ● التوجيهات

١. الرحمة، والعفو، والتواضع، ولين الجانب، من أهم صفات الداعية، ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَيْتَ لَهُمْ وَكُوْنَتْ قَطَا غَلِظَ الْقَلْبُ لَا أَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِهِمْ﴾.

٢. تذكر أن طلب النصر من غير الله خذلان، والمنصور من نصره الله، والمخذول من خذله الله عز وجل، ﴿إِنْ يَصْرِكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذَلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ﴾.

٣. لا تنس دائماً أن الذنوب والمعاصي هي سبب الخسران والهزيمة وعدم التوفيق، ﴿أَوَلَمْ أَصْطَبْكُمْ مِصْبَةً قَدْ أَصْبَحْتُمْ مَيِّتًا قُلْتُمْ أَنَّا هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

جهنم وبش المصير وهذه الآية لها نظائر كقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَدْعُوْنَا أَنزِلْ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَعَلَّ كُنْ هُوَ آخِزٌ﴾ [الرعد: ١٩].

الآية (١٦٣): ثم قال: ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾. قال الحسن البصري ومحمد بن إسحاق: يعني: أهل الخير وأهل الشر درجات، وقال أبو عبيدة والكسائي: منازل، يعني: متفاوتون في منازلهم ودرجاتهم في الجنة ودرجاتهم في النار؛ كما قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٌ بِمَا عَمِلُوا﴾ الآية [الأنعام: ١٣٢]؛ ولهذا قال: ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ أي: وسيوفهم إياها؛ لا يظلمهم خيرا ولا يزيدهم شرا، بل يجازي كلأ بعمله.

الآية (١٦٤): وقوله: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ أي: من جنسهم ليتمكنوا من مخاطبته وسؤاله ومجالسته والانتفاع به، كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾ [الروم: ٢١]، أي: من جنسكم، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ [الكهف: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَبَاكِلُونَ أَطْعَامَ وَيَسْأَلُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٢٠]، فهذا أبلغ في الامتنان: أن يكون الرسول إليهم منهم، بحيث يمكنهم مخاطبته ومراجعته في فهم الكلام عنه، ولهذا قال: ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾ يعني: القرآن ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ أي: يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر لتزكو نفوسهم وتظهر من الدنس والخبث الذي كانوا متلبسين به في حال شركهم وجاهليتهم ﴿وَيُزَكِّيهِمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ يعني: القرآن والسنة ﴿وَلَنْ كَاوُوا مِنْ قَبْلُ﴾ أي: من قبل هذا الرسول ﴿لَنِي ضَلُّوا شَيْئًا﴾ أي: لنفي غي وجعل ظاهر جلي يَنُّ لكل أحد.

الآية (١٦٥): يقول تعالى: ﴿أَوَلَمَّْا أَصْبَحْتُمْ مَسْجُودًا﴾ وهي ما أصيب منهم يوم أحد من قتل السبعين منهم ﴿قَدْ أَصْبَحْتُمْ يَفْثَاتًا﴾ يعني: يوم بدر، فإنهم قتلوا من المشركين سبعين قتيلًا وأسرُوا سبعين أسيرًا ﴿قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا؟﴾ أي: من أين جرى علينا هذا؟ ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾. روى ابن أبي حاتم عن عمر بن الخطاب قال: لما كان يوم أحد من العام المقبل، عوقبوا بما صنعوا يوم بدر من أخذهم الفداء، فقتل منهم سبعون وقر أصحاب رسول الله ﷺ عنه، وكُفِّرَتْ رِبَاعِيَّتُهُ وَهُسِمَتْ الْبَيْضَةُ عَلَى رَأْسِهِ، وسال الدم على وجهه، فأنزل الله عز وجل: ﴿أَوَلَمَّْا أَصْبَحْتُمْ مَسْجُودًا﴾ قد أصبتم شيئا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ بأخذكم الفداء. وكذا قال الحسن البصري. وقال محمد بن إسحاق، وابن جريج، والربيع بن أنس، والسدي: أي: بسبب عصيانكم رسول الله ﷺ حين أمركم أن لا تبرحوا من مكانكم فمصبتم، يعني بذلك الرماة ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: ويفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، لا تمعَّب لحكمه.

الآية (١٥٨): ثم أخبر بأن كل من مات أو قُتل فمصييره ومرجعه إلى الله عز وجل، فيجزيه بعمله، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر، فقال: ﴿وَلَكِنْ مَتَّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لِرَبِّ اللَّهِ تَحْشُرُونَ﴾.

الآية (١٥٩): يقول تعالى مخاطبا رسوله ﷺ، ممتنا عليه وعلى المؤمنين، فيما ألان به قلبه على أمته، المتبعين لأمره، التاركين لرجه، وأطاب لهم لفظه: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ جَعَلَكَ لِمَا لَوْ رَحِمَهُ اللَّهُ بِكَ وَبِهِمْ﴾ قال قتادة: يقول: فبرحمه من الله لَئِنْ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ جَعَلَكَ لِمَا لَوْ رَحِمَهُ اللَّهُ بِكَ وَبِهِمْ. وهذا الآية الكريمة شبيهة بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]. ثم قال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَفْتَضْنَا بِحَوْلِكَ﴾ الفظ: الغليظ، والمراد به هنا غليظ الكلام؛ لقوله بعد ذلك: ﴿غَلِيظَ الْقَلْبِ﴾ أي: لو كنت سعي الكلام قاسي القلب عليهم لانفضوا عنك وتركوك، ولكن الله جمعهم عليك، وألأن جانبك لهم تأليا لقلوبهم. ولهذا قال تعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَصَاوِرْهُمْ فِي الْأَنْفَرِ﴾ ولذلك كان رسول الله ﷺ يشارو أصحابه في الأمر إذا حدث، تطييبا لقلوبهم؛ ليكون انشط لهم فيما يفعلونه.

وقوله: ﴿فَإِذَا عَنِتَّ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ أي: إذا شاورتهم في الأمر وعزمت عليه فتوكل على الله فيه ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾.

الآية (١٦٠): وقوله: ﴿إِنْ يَصْرُكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمُ وَلَنْ يَخْذَ لَكُم مِّنْ ذَا الَّذِي يَصْرُكُمْ مِّنْ بَدِيدٍ﴾ وهذا كما تقدم من قوله: ﴿وَمَا أَصْرُكُمْ إِلَّا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ الْغَيْبِ الْمَكِينِ﴾ [آل عمران: ١٢٦] ثم أمرهم بالتوكل عليه فقال: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

الآية (١٦١): ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد: ما ينبغي لنبي أن يخون. [سبب النزول]: روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: فقدوا قطيفة يوم بدر فقالوا: لعل رسول الله ﷺ أخذها. فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ﴾ أي: يخون. وهذا تورية له - صلوات الله وسلامه علي - عن جمع وجوه الخيانة في أداء الأمانة وقسم الغنيمة وغير ذلك. ثم قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَغْلُ يَأْتِ بِمَا عَلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد. وقد وردت السنة بالنهي عن ذلك في أحاديث متعددة منها: حديث عدي بن عُميرة الكندي قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿يَأْتِي النَّاسَ مَنَ عَمِلَ لَنَا مِنْكُمْ عَمَلًا، فَكُنَّا مِنْهُ خِيَطًا فَمَا قُوَّةُ هُوَ غُلٌّ يَأْتِي بِهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [رواه مسلم وأبو داود واللفظ له].

الآية (١٦٢): ﴿أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطِ مِنَ اللَّهِ وَمَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْرُ الْمَكِينِ﴾ أي: لا يستوي من اتبع رضوان الله فيها شرعه، فاستحق رضوان الله وجزيل ثوابه وأجير من وبيل عقابه، ومن استحق غضب الله وألزم به، فلا محيد له عنه، وماواه يوم القيامة



عن كعب بن مالك، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «نسمة المؤمن طائر يعلّق في شجر الجنة، حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه» [رواه أحمد وصححه الألباني].

الآية (١٧٠): ﴿وَجِئَينَ يَمًا أَنَّهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَتَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ أي: الشهداء الذين قُتلوا في سبيل الله أحياء عند الله، وهم فرحون بما هم فيه من النعمة والغبطة، ويستبشرون بإخوانهم الذين يقتلون بعدهم في سبيل الله: أنهم يقدمون عليهم، وأنهم لا يخافون مما أمامهم ولا يحزنون على ما تركوه وراءهم، نسأل الله الجنة.

الآية (١٧١): ﴿ثُمَّ قَالَ: ﴿تَسْتَبْشِرُونَ بِمَعْمَرٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَثَرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: قال محمد بن إسحاق: استبشروا وشروا لما عاينوا من وفاء الموعد وجزيل الثواب.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: هذه الآية جمعت المؤمنين كلهم، سواء الشهداء وغيرهم، وقلنا ذكر الله فضلًا ذكر به الأنبياء وثوابًا أعطاهم إلا ذكر ما أعطى الله المؤمنين من بعدهم.

الآية (١٧٢): ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾: هذا كان يوم «حراء الأسد»؛ وذلك أن المشركين لما أصابوا ما أصابوا من المسلمين كروا راجعين إلى بلادهم، فلما استمروا في سيرهم تَدَمَّوْا لَمْ يَلْمِوْا عَلَى أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَجَعَلُوا الْفَيْصِلَةَ فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَدَبَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الذَّهَابِ وَرَاءَهُمْ لِيُرِيبَهُمْ وَيُرِيَهُمْ أَنَّ بِهِمْ قُوَّةَ وَجَلَدٍ، ولم يأذن لأحد سوى من حضر الواقعة يوم أحد، سوى جابر بن عبد الله ﷺ، فانتدب المسلمون على ما بهم من الجراح والإثخان، طاعة لله ولرسوله ﷺ.

وعن عائشة: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ الآية، قالت لعروة: يا ابن أختي، كان أبوك منهم: الزبير وأبو بكر؛ لما أصاب نبي الله ﷺ ما أصاب يوم أحد، وانصرف عنه المشركون، خاف أن يرجعوا فقال: «مَنْ يَرْجِعْ فِي إِرْهِمٍ؟» فانتدب منهم سبعون رجلاً فيهم أبو بكر والزبير [رواه البخاري].

الآية (١٧٣): ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ أي: الذين توعدّهم الناس بالجمع وخوفوهم بكثرة الأعداء، فها اكثرثوا لذلك، بل توكّلوا على الله واستعانوا به ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾. وعن ابن عباس: ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾: قالها إبراهيم عليه السلام حين أُلقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا: «إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ» [رواه البخاري].

الآية (١٦٦): ثم قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَيَإِذَنْ أَلَّهِ﴾ أي: فراركم بين يدي عدوكم وقتلهم لجماعة منكم وجراحتهم لآخرين - كان بقضاء الله وقدره، وله الحكمة في ذلك.

﴿وَلَيْعَلَّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: الذين صبروا وثبتوا ولم يتزلزلوا. الآية (١٦٧): ﴿وَلَيْعَلَّ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَمَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ أَذْعَوْا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَأَكْبَعْنَكُمْ﴾ يعني بذلك أصحاب عبد الله بن أبي ابن سلول الذين رجعوا معه في أثناء الطريق، فاتبعهم من اتبعهم من المؤمنين مجرّضينهم على الإيابة والقتال والمساعدة؛ ولهذا قال: ﴿أَوْ أَذْعَوْا﴾ قال ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبّير: يعني كثّروا سواد المسلمين. فتعلّلوا قائلين: ﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَأَكْبَعْنَكُمْ﴾ قال مجاهد: يعنون لو نعلم أنكم تلقون حربًا لجناتكم، ولكن لا تلقون قتالًا. قال الله تعالى: ﴿هُمُ لِلْكَافِرِينَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ للإيماني استدلوا به على أن الشخص قد تنقلب به الأحوال، فيكون في حال أقرب إلى الكفر، وفي حال أقرب إلى الإيمان. ثم قال: ﴿يَقُولُونَ﴾ بأفواههم ما ليس في قلوبهم. يعني: أنهم يقولون القول ولا يعتقدون صحته، ومنه قوله هذا: ﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَأَكْبَعْنَكُمْ﴾؛ فإهم يتحققون أن جُنْدًا من المشركين قد جاءوا من بلاد بعيدة، يتحرقون على المسلمين بسبب ما أصيب من سرّاعهم يوم بدر، وهم أضعاف المسلمين، أنه كائن بينهم قتال لا محالة؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَأَلَّهِ عَالِمُ الْيُكْتُمُونَ﴾.

الآية (١٦٨): ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾ أي: لو سمعوا من مشورتنا عليهم في القعود وعدم الخروج ما قُتلوا مع من قُتل. قال الله تعالى: ﴿قُلْ فَأَدْعُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أي: إن كان القعود يسلم به الشخص من القتل والموت، فينبغي أنكم لا تموتون، والموت لا يد آت إليكم ولو كنتم في بروج مشيّدة، فادفعوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين. قال مجاهد، عن جابر بن عبد الله: نزلت هذه الآية في عبد الله بن أبي ابن سلول.

الآية (١٦٩): يخبر تعالى عن الشهداء بأنهم وإن قُتلوا في هذه الدار فإن أرواحهم حيّة مرزوقة في دار القرار. وعن مسروق قال: سألتنا عبد الله عن هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْزَنَ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَالًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ فقال: أما إنّا قد سألتنا عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: «أَرْوَاهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خَضِرٍ، لَهَا قَنَابِيلٌ مُثْلَقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَابِيلِ» [رواه مسلم].

عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «الشهداء على باريق نهر يباب الجنة، في قُبَّةٍ خَضْرَاءَ، يُخْرِجُ عَلَيْهِمْ رِزْقُهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ بِكَرَّةٍ وَغَشِيًّا» [رواه أحمد، وصححه إسناده أحمد شاكر].

وكان الشهداء أقسام: منهم من تسرح أرواحهم في الجنة، ومنهم من يكون على هذا النهر يباب الجنة، وقد يحتمل أن يكون منتهى سيرهم إلى هذا النهر فيجتمعون هنالك، ويُغذى عليهم برزقهم هناك ويُزاح.



١. يتيقن أن كل الأحداث التي تحصل في العالم سبق بها علم الله تعالى، ولا تحدث إلا بإذنه، وإن لها حكماً عظيمة، ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ بِرَمِّ النَّفْثِ الْجَمْعَانِ يُؤَاذِنُ اللَّهُ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾.
٢. احذر المشيطين عن الخير، المقبلين على الدنيا، الراغبين في مصالحهم الخاصة، ﴿ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَتِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَلْمَعُوا مَا كُنَّا قَوْلًا ﴾.
٣. لا خوف ينال المؤمن الصالح إذا مات، ولا حزن يصيبه، ﴿ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَكَسْبَتُهُمْ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿ فَأَنْقَلِبُوا إِلَى اللَّهِ وَفَضَّلْ لَمْ يَسْتَسْمِهُمُ سَوْءٌ وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ ﴾  
وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿

لما فوضوا أمورهم إليه، واعتمدوا بقلوبهم عليه؛ اعطاهم من الجزاء أربعة معان: النعمة والفضل، وصرف السوء، واتباع الرضا، فَرْضَاهُمْ عَنْهُ، ورضي عنهم، القرطبي: ٤١٧/١٦.

السؤال: ما المنح الأربع التي نالها أهل الإيمان لما فوضوا أمرهم إلى ربهم سبحانه؟

﴿ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ يُحْيِي الْأَمْيَاتَ ۚ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا مِن كُفْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾  
فالخائف من الله تعالى هو أن يخاف أن يعاقبه: إما في الدنيا، وإما في الآخرة، ولهذا قيل: ليس الخائف الذي يبكي ويمسح بعينه، بل الخائف الذي يترك ما يخاف أن يُعَذَّبَ عليه. القرطبي: ٤٢٨/٥.

السؤال: من الخائف من عذاب الله تعالى حقيقة؟

﴿ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ يُحْيِي الْأَمْيَاتَ ۚ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا مِن كُفْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾  
أولياء الرحمن إذا شئتوا لأجل الله أنجز الله لهم ما وعدهم من النصره على أولياء الشيطان، ومن خاف من تخويفه وعمل بموجب خوفه ففيه ولاية له. البقاعي: ١٨٥/٢.

السؤال: بما يوصف من يخاف من الشيطان ويعمل بموجب خوفه؟

﴿ وَلَا يَحْزَنْكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يُضِرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَمْ يَكُنْ عَذَابُ عَظِيمٍ ﴾  
(إنهم لن يضرروا الله شيئاً) تعليق نفي الضرر به تعالى تشريف للمؤمنين، وإيدان بأن مضارتهم بمنزلة مضارته سبحانه وتعالى. الألوسي: ١٣٣/٤.

السؤال: لماذا علق الله تعالى نفي الضرر به؟

﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ ﴾

ما كان الله ليدع المؤمنين مختلطين بالمنافقين، ولكنه ميز هؤلاء من هؤلاء بما ظهر في غزوة أحد من الأقوال والأفعال التي تدل على الإيمان، أو على النفاق، (وما كان الله ليظلمكم على الغيب) أي: ما كان الله ليظلمكم على ما في القلوب من الإيمان والنفاق. ابن جزي: ١٦٨/١.

السؤال: تبيّنت حكمة عظيمة للمسلمين من خلال الهزيمة في أحد، فما هي؟  
﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴾  
(حتى يميز الخبيث من الطيب) بأن يفضح المبطل - وإن طال ستره - بتكاليف شاقّة، وأحوال شديدة، لا يصبر عليها إلا المخلص من العباد، المخلصون في الاعتقاد. البقاعي: ١٨٧/٢.

السؤال: كيف يميز الله الخبيث من الطيب؟

﴿ وَرَبُّكَ يَبْرِئُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾  
أخبر تعالى ببقائه ودوام ملكه، وأنه في الأبد كهو في الأزل، غني عن العالمين، فيرت الأرض بعد فناء خلقه وزوال أملاكهم، فبقى الأملاك والأموال لا مدعى فيها. القرطبي: ٤٤٢/٥.

السؤال: بين عظمة الخالق تعالى وحقارة الخلق.

فَأَنْقَلِبُوا إِلَى اللَّهِ وَفَضَّلْ لَمْ يَسْتَسْمِهُمُ سَوْءٌ وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَفَضَّلْ عَظِيمٍ ﴿ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ يُحْيِي الْأَمْيَاتَ ۚ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا مِن كُفْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾ وَلَا يَحْزَنْكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يُضِرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَمْ يَكُنْ عَذَابُ عَظِيمٍ ﴿ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ يُحْيِي الْأَمْيَاتَ ۚ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا مِن كُفْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾ وَلَا يَحْزَنْكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يُضِرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَمْ يَكُنْ عَذَابُ عَظِيمٍ ﴿ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ يُحْيِي الْأَمْيَاتَ ۚ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا مِن كُفْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَتَابِعُوا بِاللَّهِ رُسُلَهُ ۚ وَكَانَ يُؤْمِنُوا وَتَتَقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿ وَلَا يَحْزَنْكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يُضِرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَمْ يَكُنْ عَذَابُ عَظِيمٍ ﴿ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ يُحْيِي الْأَمْيَاتَ ۚ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا مِن كُفْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَتَابِعُوا بِاللَّهِ رُسُلَهُ ۚ وَكَانَ يُؤْمِنُوا وَتَتَقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿ وَلَا يَحْزَنْكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يُضِرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَمْ يَكُنْ عَذَابُ عَظِيمٍ ﴿ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ يُحْيِي الْأَمْيَاتَ ۚ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا مِن كُفْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَتَابِعُوا بِاللَّهِ رُسُلَهُ ۚ وَكَانَ يُؤْمِنُوا وَتَتَقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿ وَلَا يَحْزَنْكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يُضِرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَمْ يَكُنْ عَذَابُ عَظِيمٍ ﴿ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ يُحْيِي الْأَمْيَاتَ ۚ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا مِن كُفْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
فَأَنْقَلِبُوا	وَجَعُوا.
نُحْلِي	نُحْلِيهِمْ بِطُولِ الْبَقَاءِ.
يَجْتَبِي	يُصَلِّقِي.

## ● العمل بالآيات

١. تأمل ثلاثة من أنواع الرفاهية والنعيم التي تعيشها الدول الكافرة تعرف كيفية استدراج الله لهم، ﴿ وَلَا يَحْزَنْكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يُضِرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَمْ يَكُنْ عَذَابُ عَظِيمٍ ﴾.
٢. تأمل ثلاثة من طرق الشيطان في الفتوية والإضلال، ﴿ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ يُحْيِي الْأَمْيَاتَ ۚ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا مِن كُفْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾.
٣. ساعد اليوم أحداً بعلك، أو جارك، أو بما تقدر عليه، وتذكر أن الله تعالى سيبارك لك في فعلك، ﴿ وَلَا يَحْزَنْكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يُضِرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَمْ يَكُنْ عَذَابُ عَظِيمٍ ﴾.

## ● التوجيهات

١. على قدر إيمان العبد يكون خوفه من الله، ﴿ وَخَافُوا مِن كُفْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾.
٢. احذر من الإهمال؛ ففيه زيادة آثام، وبادر بالتوبة من كل ذنب، ﴿ وَلَا يَحْزَنْكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يُضِرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَمْ يَكُنْ عَذَابُ عَظِيمٍ ﴾.
٣. من حكم التكليف: إظهار المؤمن الصادق من المؤمن الكاذب، ﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴾.

ثم قال: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ أي: أنتم لا تعلمون غيب الله في خلقه حتى يتميز لكم المؤمن من المنافق، لولا ما يعقده من الأسباب الكاشفة عن ذلك.

ثم قال: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾، كقوله: ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ (٥) ﴿لَا مَنَ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَلَا نُفَضِّلُكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ رَصَدًا﴾ [الحج: ٢٦-٢٧]. ثم قال: ﴿فَتَأْتُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ أي: أطيعوا الله ورسوله واتبعوه فيها شرعه لكم ﴿وَلَا تَوَيْسُوا وَتَتَّبِعُوا فَلَكُمْ آئِرٌ عَظِيمَةٌ﴾.

الآية (١٨٠): ﴿وَلَا يَخْصِنُ الَّذِينَ يَبِخُلُونَ بِمَاءِ أَنفُسِهِمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ بَلْ هُوَ مَرْتَكٌ﴾ أي: لا يحسن البخل أن جمعه المال ينفعه، بل هو مضرة عليه في دينه - وربما كان - في دنياه. ثم أخبر بمال أمر ماله يوم القيامة فقال: ﴿سَيَطُوفُونَ مَا بِحُلُوبِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿مَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَلَمْ يُوَدِّ زَكَاتَهُ مِثْلَ لَهُ شُجَاعًا أَقْرَعَ لَهُ زَيْبَتَانِ، يُطَوِّفُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَأْخُذُ بِلَهْرَيْتِهِ - يعني: بشدقيه - يقول: أنا مالك، أنا كنزك، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَلَا يَخْصِنُ الَّذِينَ يَبِخُلُونَ بِمَاءِ أَنفُسِهِمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ بَلْ هُوَ مَرْتَكٌ﴾ لهم إلى آخر الآية (رواه البخاري).

وعن ثوبان، عن النبي ﷺ قال: ﴿مَنْ تَرَكَ بَعْدَهُ كَنْزًا مِثْلَ لَهُ شُجَاعًا أَقْرَعَ [يَوْمَ الْقِيَامَةِ] لَهُ زَيْبَتَانِ، يَبْعُهُ وَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟ وَتِلْكَ! فَيَقُولُ: أَنَا كَنْزُكَ الَّذِي خَلَفْتَ بَعْدَكَ. فَلَا يَزَالُ يَبْعُهُ حَتَّى يُلْقِمَهُ يَدَهُ فَيَقْضِمَهَا، ثُمَّ يَبْعُهُ سَائِرَ جَسَدِهِ﴾ (رواه أبو يعلى، وجود إسناده وقواه ابن كثير، وصححه الألباني).

وقوله: ﴿وَلِلَّهِ يَرْثُ السَّمَكُوتَ وَالْأَرْضَ﴾ أي: فأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه، فإن الأمور كلها مرجعها إلى الله عز وجل. فقدموا لكم من أموالكم ما ينفعكم يوم معادكم ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَصَلُونَ خَبِيرٌ﴾ أي: بينايتكم وضائركم.

الآية (١٧٤): ﴿وَلَهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَّقُوا مِنَ اللَّهِ وَفَضَّلِ أَمْ يَتَّبِعُوا سُلُوكَهُ﴾ أي: لما توكلوا على الله كفاهم ما أمهم ورد عنهم بأس من أراد كيدهم، فرجعوا إلى بلدهم ﴿يَتَّقُوا مِنَ اللَّهِ وَفَضَّلِ أَمْ يَتَّبِعُوا سُلُوكَهُ﴾، مما أضمر لهم عدوهم ﴿وَأَتَّبِعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾.

الآية (١٧٥): ﴿ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الْقَيْظُ الْمُتَوَفَّى أَوْلِيَاءَهُ﴾ أي: يخوفكم أوليائه، ويوهمكم أنهم ذوو بأس وذو شدة. قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا مِنِّي إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ أي: فإذا سؤل لكم وأوهمكم فتوكلوا عليّ والجاؤا إليّ، فانا كافيتكم وناصركم عليهم، كما قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ إلى قوله: ﴿قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: ٣٦-٣٨]. وقال تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَحْمَدَ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: ٢١]. وقال: ﴿وَلَنَنْصُرَنَّكَ اللَّهُ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [الحج: ٤٠]. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا لَنَنْصُرَنَّ رَسُولَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ (٥) ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذَرَتُهُمْ وَلَهُمْ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [غافر: ٥١-٥٢].

الآية (١٧٦): ﴿يَقُولُ تَعَالَى لَنُبَيِّنَنَّ لَكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾، وذلك من شدة حرصه على الناس كان يجزئه مبادرة الكفار إلى المخالفة والعناد والشقاق، فقال تعالى: ولا يجزئك ذلك ﴿لَهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا فِي الْآخِرَةِ﴾ أي: حكمته فيهم أنه يريد بمشيتيه وقدرته ألا يجعل لهم نصيبًا في الآخرة ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

الآية (١٧٧): ﴿ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ ذَلِكَ إِخْبَارًا مَقْرَرًا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَكْثَرُ بِالْإِسْنِ﴾ أي: استبدلوا هذا بهذا ﴿لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾ أي: ولكن يضرّون أنفسهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

الآية (١٧٨): ﴿ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَخْصِنُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّمَا تُمَلِّي لَهُمْ حَيًّا لَا تَفْقِسِهِمْ إِنَّمَا تُمَلِّي لَهُمْ لِيَزَادُوا إِشْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ كقوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمَلِّهِمْ يَوْمَ نَلِي وَبَيْنَ ۖ شَاعٍ لَهُمْ فِي الْفُتُورِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الزمن: ٥٥-٥٦]. وكقوله: ﴿فَلَا تَتَجَنَّكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذِلَّهُمْ بِمَا فِي الْخَيْوَةِ الدُّنْيَا وَتَرْفَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٥٥].

الآية (١٧٩): ﴿ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ أي: لا بد أن يعقد سببا من المحنة، يظهر فيه وليه، ويفضح فيه عدوه. يُعرف به المؤمن الصابر، والمنافق الفاجر. يعني بذلك يوم أحد الذي امتحن به المؤمن، فظهر به إيمانهم وصبرهم وجلدُهم وطاعهم لله ولرسوله ﷺ، وهتك به ستر المنافقين، فظهر مخالفتهم وكُفُوبهم عن الجهاد وخيانتهم لله ولرسوله ﷺ. قال مجاهد: ميز بينهم يوم أحد. وقال قتادة: ميز بينهم بالجهاد والهجرة.





## ● الوقفات التدريبية

١ ﴿ سَكَتُكُمْ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأُنْبِيَاءَ بِمِثْرٍ حَقٍّ وَنَقُولُ دُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾

سلاه ربه في تكذيب المكذبين للرسول من قبله ليتأسى بهم؛ فموت النبي الكريم وقتله ممكن كما كان من قبله من إخوانه من الرسل. وختم بالإخبار بأنه وقع قتل كثير من الرسل، فكان ذلك محققاً؛ لأنه لا يسان من الموت خاص ولا عام. البقاعي: ١٩٢/٢.

السؤال: ما الحكمة من الإخبار بقتل الأنبياء؟

٢ ﴿ سَكَتُكُمْ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأُنْبِيَاءَ بِمِثْرٍ حَقٍّ وَنَقُولُ دُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾

كانوا راضين بما فعل أولائهم من قتل من قتلوا من الأنبياء، وكانوا منهم، وعلى مناهجهم من استحلال ذلك، واستجازته؛ فاضاف -جل ثناؤه- فعل ما فعله من كانوا على مناهجه وطريقته إلى جميعهم؛ إذ كانوا أهل ملّة واحدة ونحلة واحدة، وبالرضى من جميعهم. الطبري: ٤٤٦/٧.

السؤال: ما وجه إضافة قتل الأنبياء -عليهم السلام- إلى اليهود المعاصرين؛ مع أن الفاعلين هم أسلافهم؟

٣ ﴿ وَقَتْلَهُمُ الْأُنْبِيَاءَ بِمِثْرٍ حَقٍّ ﴾

(بغير حق) هذا القيد يراد به: أنهم تجرأوا على قتلهم مع علمهم بشنأته، لا جهلاً وضلالاً، بل تردداً وعناداً. السعدي: ١٥٩.

السؤال: لماذا وصف الله قتل اليهود للأنبياء بأنه بغير حق؟

٤ ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْوَيْبِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَمَن زُحِرَ عَنِ الْكَارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتْنَعُ الْغُرُورِ ﴾

يندم الغرور بالمتاع الذي غر به، فالسعيد من سعى في أن يكون موته في رضى مولاه. البقاعي: ١٩٣/٢.

السؤال: ما علامة الخاتمة السعيدة؟

٥ ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْوَيْبِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَمَن زُحِرَ عَنِ الْكَارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾

لما سلاه سبحانه وتعالى بالرسول -الذين لازموا الصبر والاجتهاد في الطاعة- حتى ماتوا وأمهم، وتركوا ما كان بأيديهم عاجزين عن المداغمة، ولم يبق إلا ملكه سبحانه وتعالى، وأن الفريقين ينتظرون الجزاء -فالرسل لتمام الفوز، والكفار لتمام الهلاك- أخبر أن كل نفس كذلك؛ ليجتهد الطائع، ويقتصر العاصي. البقاعي: ١٩٢/٢.

السؤال: ما مقياس المؤمنين، وما مقياس المنافقين للفوز في الدنيا؟

٦ ﴿ تَسْتَلْزِمُونَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً ﴾

أخبرهم ليوطنوا أنفسهم على احتماله، ويستعدوا للقاءه، ويقابلوه بحسن الصبر والثبات؛ فإن هجوم البلاد مما يزيد في الأواء، والاستعداد للكرب مما يهون الخطب. الألوسي: ١٤٧/٤.

السؤال: لماذا يخبر الله سبحانه وتعالى الدعوة والمؤمنين بأنهم سيبتلون؟

٧ ﴿ وَإِن تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِن عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾

فإن (التقوى) تتضمن: فعل المأمور وترك المحظور. و (الصبر) يتضمن: الصبر على المقدور. ابن تيمية: ١٨٥/٢.

السؤال: ما الذي تتضمنه التقوى والصبر في الآية الكريمة؟

لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَكَتُكُمْ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأُنْبِيَاءَ بِمِثْرٍ حَقٍّ وَنَقُولُ دُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ٥٥ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ٥٦ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهْدُ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِرَ لِرَسُولٍ حَقٍّ يَأْتِيَنَا بِقُرْآنٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمُ رُسُلٌ مِن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ٥٧ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ٥٨ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَمَن زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمْتَعٌ الْغُرُورِ ٥٩ \* تَسْتَلْزِمُونَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً وَإِن تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِن عَزْمِ الْأُمُورِ ٦٠

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
بِفُرْيَانٍ	بِصَدَقَةٍ يُتَقَرَّبُ بِهَا إِلَى اللَّهِ.
وَالزُّبُرِ	الْكِتَابِ الْكَاشِفَةِ لِلظُّلُمَاتِ.
زُحِرَ	أُبْعِدَ.

## ● العمل بالآيات

١. ألزم نفسك هذا اليوم ألا تقول شيئاً إلا إذا كان مرضياً لله تعالى، متذكراً الآية: ﴿ سَكَتُكُمْ مَا قَالُوا ﴾.
٢. استمع اليوم إلى محاضرة، أو اقرأ قصة من الموت، أو اذهب لزيارة القبور، واجعله عملاً دورياً لك، ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْوَيْبِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَمَن زُحِرَ عَنِ الْكَارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتْنَعُ الْغُرُورِ ﴾.
٣. استعرض في ذهنك حياة أحد معارفك ممن اشتد ابتلاؤه، واستخرج ثلاث فوائد من ذلك، ﴿ تَسْتَلْزِمُونَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ﴾.

## ● التوجيهات

١. ما أعظم حلم الله تعالى وصبره على أذى عباده، ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴾.
٢. اسعد الناس من اتته منيته وقد زحزحه الله تعالى عن النار، وأدخله الجنة، ﴿ فَمَن زُحِرَ عَنِ الْكَارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾.
٣. إذا قيل: (الدنيا) فإنها تعني: مركبك، ومسكنك، وملبسك، وماضك، ومحاولتك التميز عن غيرك في ذلك إنما هي بداية الغفلة، ثم الغرور والهلاك، ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتْنَعُ الْغُرُورِ ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾  
قال الحسن وقطادة: هي في كل من أوتي علم شيء من الكتاب: فمن علم شيئاً فليُعلمه، وإياكم وكتمان العلم؛ فإنه هلكتي. وقال محمد بن كعب: لا يحل لعالم أن يسكت على علمه، ولا للجاهل أن يسكت على جهله؛ قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ الآية، وقال (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) النحل: ٤٣، وقال أبو هريرة: لو لا ما أخذ الله على أهل الكتاب ما حدثكم بشيء، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾. القرطبي: ٤٥٨/٥.

السؤال: قال تعالى: ﴿أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ ولم يقل: «أخذوا الكتاب»، ما دلالة هذه اللفظة وتبعاتها؟

﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

قدم الذكر على الدوام على التفكير للتنبه على أن العقل لا يفي بالهداية ما لم يتنور بنور ذكر الله تعالى وهدايته، فلا بد للمتفكر من الرجوع إلى الله تعالى. الأنوسي: ١٥٩/٤.

السؤال: لماذا قدم الذكر على التفكير؟

﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾

أراد به المداومة على الذكر في عموم الأحوال. البخوي: ٤٦٥/١.

السؤال: ما المراد بوصف الله تعالى أولي الأبواب بالذكر في هذه الأحوال الثلاثة؟

﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ قَوْمًا عَذَابُ آثَارٍ﴾

قيل لأم الدرداء: ما كان شأن أبي الدرداء؟ قالت: كان أكثر شأنه التفكير، قيل له: أترى التفكير عملاً من الأعمال؟ قال: نعم، هو اليقين.

ابن عاشور: ١٩٦/٤.

السؤال: بينت الآية وسيلة من وسائل الوصول إلى اليقين، فما هي؟

﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ﴾

قال ابن عون: الفكرة تُذهِبُ الغفلة، وتُحْدِثُ للقلب خشيةً، كما يُحْدِثُ الماءُ للزروع النبتةَ، وما جُلِيتِ القلوبُ بمثل الأحزان، ولا استتارت بمثل الفكرة. البخوي: ٤٦٥/١.

السؤال: ما أهمية التفكير وفائدته؟

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنصَارٍ﴾

قال أبو الدرداء: يرحم الله المؤمنين؛ ما زالوا يقولون: «ربنا» «ربنا» حتى استجيب لهم. ابن عطية: ٥٥٦/١.

السؤال: ما سبب الاستجابة للمؤمنين الذي أشار إليه أبو الدرداء رضي الله عنه؟

﴿رَبَّنَا فَاعْفُرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾

قولهم (مع الأبرار) دون «أبرار» أي: لئلا يابرا؛ فاسئلنا معهم، واجعلنا من أتباعهم؛ وفي ذلك هضم للنفس، وحسن أدب. الأنوسي: ١٦٥/٤.

السؤال: لماذا لم يقل «توفنا أبرار» بدل (مع الأبرار)؟

وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ، فَنَبَذُوهُ وَرَاءَهُ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ قَلِيلًا فَبُيِّنَ مَا يَشْرُونَ ﴿٣٨﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُجِبُونَ أَنَّ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٩﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخِلَافِ أَلْبِيلِ وَالنَّهَارِ لَا يَلَيْتُ لَأُولَى الْأَلْبَابِ ﴿٤١﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ قَوْمًا عَذَابُ آثَارٍ ﴿٤٢﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنصَارٍ ﴿٤٣﴾ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿٤٤﴾ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٤٥﴾

## ● معاني الكلمات

المعنى	الكلمة
وَكَفَّرَ	استُر.

## ● العمل بالآيات

١. ابحث اليوم عن جاهل بأحكام الوضوء والصلاة، أو قصار السور، وعلمه إياها، ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾.

٢. احرص اليوم على أذكار الصباح والمساء، ودرب نفسك على أن تذكر الله على كل الأحوال: قائماً وقاعداً وعلى جنبك، ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾.

٣. انظر هذه الليلة إلى السماء، وإلى طلوع الشمس وغروبها، واستخرج من كل واحدة فائدة على قدرته سبحانه، ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ قَوْمًا عَذَابُ آثَارٍ﴾.

## ● التوجيهات

١. يهلك المجتمع إذا كتم العلماء الحق إرضاء للناس، أو ليحوزوا على مكاسب دنيوية؛ ما لا، أو جاهاً، أو سلطاناً، ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَهُ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ قَلِيلًا فَبُيِّنَ مَا يَشْرُونَ﴾.

٢. حق المجتمع على العالم أن ينشر العلم الذي أخذه ولا يكتمه، ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾.

٣. احذر أن يتسلل قلبك حب المدح والثناء، وأعظم منه أن تحب المدح بما لم تفعل، ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُجِبُونَ أَنَّ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

ويقصر الذي كان طويلاً، وكل ذلك تقدير العزيز الحكيم؛ ولهذا قال: ﴿لَأُولَى الْأَلْبَابِ﴾ أي: العقول النامة الذكية التي تدرك الأشياء بحقائقها على جليتها، وليسوا كالصُّمِّ البُكم الذين لا يعقلون.

الآية (١٩١): ثم وصف تعالى أولى الألباب فقال: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ أي: لا يقطعون ذكره في جميع أحوالهم بسرائرهم وضباطهم وألسنتهم ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: يفهمون ما فيها من الحكم الدالة على عظمة الخالق وقدرته، وعلمه وحكمته، واختياره ورحمته. وقد تمَّ الله تعالى من لا يعتبر بمخلوقاته الدالة على ذاته وصفاته وشرعه وقدره وآياته، فقال: ﴿وَكَيْفَ يَنَازِعُ فِي السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ يَمْشُونَ عَلَيْهَا وَمَهْمَا مَرَّضُونَ ﴿١٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ (يوسف: ١٥-١٦) ومدح عباده المؤمنين: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قائلين: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا﴾ أي: ما خلقت هذا الخلق عبثاً، بل بالحق لتجزئ الذين أسأوا بما عملوا، وتجزئ الذين أحسنوا بالحسنى.

ثم نزهه عن العبث وخلق الباطل فقالوا: ﴿شَبَّحَكَ﴾ أي: عَنَّا أن نخلق شيئاً باطلاً ﴿وَقَدْ عَذَّبْنَاكَ﴾ أي: يا من خلق الخلق بالحق والعدل، يا من هو مُنْزَه عن النقائص والعيب والعبث، قَتَا من عذاب النار بحولك وقوتك وقِيَضًا لأعمال ترضى بها عنا، ووقفنا لعملٍ صالح تمهيداً به إلى جنات النعيم، ونجربنا به من عذابك الأليم.

الآية (١٩٢-١٩٣): ثم قالوا: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ﴾ أي: أهنته وأظهرت خزيه لأهل الجمع ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصَرٍ﴾ أي: يوم القيامة لا نجبر لهم منك، ولا نجيد لهم عما أردت بهم، ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُدْعِي إِلَى الْإِيمَانِ﴾ أي: داعياً يدعو إلى الإيمان، وهو الرسول ﷺ ﴿أَنَّهُ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا﴾ أي: فاستجبنا له واتبعناه ﴿رَبَّنَا غَاثِرٌ لَّنَا ذُنُوبُنَا﴾ أي: بلبائنا واتباعنا نبيك، أي: استرها ﴿وَكَبَّرَ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا﴾ أي: فيها بيننا وبينك ﴿وَوَفَّقْنَا مَعَ الْآلِزَارِ﴾ أي: أحقنا بالصالحين.

الآية (١٩٤): ﴿رَبَّنَا وَإِنَّا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ قيل: معناه: على الإيمان برسلك. وقيل: معناه: على أَلْسِنَةِ رُسُلِكَ. وهذا أظهر. ﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ أي: على رؤوس الخلائق ﴿إِنَّكَ لَا تَخْلِفُ لِيَعْمَادَ﴾ أي: لا بد من الميعاد الذي أخبرت عنه رسلك، وهو القيام يوم القيامة بين يديك. وقد ثبت أن رسول الله ﷺ كان يقرأ هذه الآيات العشر من آخر آل عمران إذا قام من الليل لتجهده، فعن ابن عباس قال: بَثُّ عند خالتي ميمونة، فتحدث رسول الله ﷺ مع أهله ساعة ثم رقد، فلما كان ثلث الليل الآخر قعد فنظر إلى السماء، فقال: ﴿إِنَّكَ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَخَلْقِ الْإِنْسَانِ مِن طِينٍ﴾ ثم أذن لأَلْبَابٍ ﴿ثم قام فتوضأ واستنَّ﴾ فصلی إحدى عشرة ركعة. ثم أذن بلالاً فصلی ركعتين، ثم خرج فصلی بالناس الصبح [متفق عليه].

الآية (١٨٧): هذا توبيخ من الله وتهديد لأهل الكتاب، الذين أخذ عليهم العهد على أَلْسِنَةِ الأنبياء أن يؤمنوا بمحمد ﷺ، وأن ينوِّهوا بذكره في الناس ليكونوا على أُمِّيَّةٍ من أمره، فإذا أرسله الله تائبوه، فكنتموا ذلك وتموَّضوا عما وعدوا عليه من الخير في الدنيا والآخرة بالدون الطفيف، والحظ الدنيوي السخيف، فبست الصفة صفقتهم، وبست البيعة بيعتهم. وفي هذا تحذير للعلماء أن يسلكوا مسلكتهم فيصيبهم ما أصابهم، ويُسَلِّكُ بهم مسلكتهم، فعلى العلماء أن يبذلوا ما بأيديهم من العلم النافع، الدال على العمل الصالح، ولا يكتموا منه شيئاً، فقد ورد في الحديث المروي من طرق متعددة عن النبي ﷺ أنه قال: «من سُئِلَ عن عِلْمٍ فَكْتَمَهُ أَلْجِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ من نار» [رواه أحمد، وصححه الألباني].

الآية (١٨٨): قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ الآية، يعني بذلك: الشرائين المتكبرين بما لم يُفْعَلُوا، كما جاء عن رسول الله ﷺ: «من ادَّعى دَعْوَى كاذبة ليُكْتَرَّ بها لم يَزِدْهُ إِلَّا قِلَّةً» [رواه مسلم]. [سبب النزول]: عن أبي سعيد الخدري أن رجلاً من المنافقين على عهد رسول الله ﷺ كان إذا خَرَجَ رسول الله ﷺ إلى الغزو تَحَلَّفُوا عنه، وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله ﷺ، فإذا قَدِمَ رسول الله ﷺ من الغزو اعتذروا إليه وحلفوا، وأحبوا أن يُحْمَدُوا بما لم يفعلوا، فنزلت: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ [رواه البخاري].

وقوله: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَارَءٍ مِنَ الْعَذَابِ﴾ يقرأ بالباء على غاطبة المفرد، وبالياء على الإخبار عنهم، أي: لا يحسبن <sup>(١)</sup> أنهم ناجون من العذاب، بل لا بد لهم منه؛ ولهذا قال: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

الآية (١٨٩): ثم قال: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: هو مالك كل شيء، والقادر على كل شيء، فلا يعجزه شيء، فهابوه ولا تخالفوه، واحذروا نقمته وغضبه، فإنه العظيم الذي لا أعظم منه، القدير الذي لا أقدر منه.

الآية (١٩٠): معنى الآية أنه يقول تعالى: ﴿إِنَّكَ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: هذه في ارتفاعها واتساعها، وهذه في انخفاضها وكثافتها واتضاعها، وما فيها من الآيات المشاهدة العظيمة من كواكب سيارت، وثوابت، وبحار، وجبال وقفار، وأشجار ونبات، وزروع ونهار، وحيوان ومعادن ومنافع، مختلفه الألوان والطعوم والروائح والخواص، ﴿وَخَلْقِ الْإِنْسَانِ مِن طِينٍ﴾ أي: تماثيلها وتفاضلها الطول والقصر، فتارة يطول هذا ويقصر هذا، ثم يعتدلان، ثم يأخذ هذا من هذا فيطول الذي كان قصيراً،

(١) اختلف القراء في قراءة: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ﴾ و﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ﴾؛ فقرأ المكي والبصري بـياء على الإخبار عن الغائب فيها، مع كسر السين وضم الباء، والكويتيون بالياء على الخطاب فيها، ونافع والشامي بالإخبار عن الغائب في الأول والخطاب في الثاني. [ينظر: غيث النفع في القراءات السبع: ١/١٦١].



الآية (١٩٥): يقول تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ أي: فأجابهم ربهم. [سبب النزول]: روى سعيد بن منصور عن أم سلمة أنها قالت: يا رسول الله، لا نسمع الله ذكر النساء في الهجرة بشيء؟ فأنزل الله تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ أي: لا أضيع عمل عمل منكم من ذكرٍ أو أنثى إلى آخر الآية. وقالت الأنصار: هي أول ظعينة قدمت علينا [رواه ابن جرير، وأشار إلى صحته أحد شاكر]. ومعنى الآية: أن المؤمنين ذوي الألباب لما سألو - مما تقدم ذكره - فاستجاب لهم ربهم؛ عقب ذلك بقاء التعقيب، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]. وقوله: ﴿بَعْضُكُمْ مِنَّ بَعْضٍ﴾ أي: جميعكم في ثوابي سواء ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ أي: تركوا دار الشرك وأتوا إلى دار الإيمان، وفارقوا الأحباب والخلان والإخوان والجيران ﴿وَأَخْرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ﴾ أي: ضايقهم المشركون بالأذى حتى ألبأوهم إلى الخروج من بين أظهرهم؛ ولهذا قال: ﴿وَأُودُوا فِي سَبِيلِي﴾ أي: إنما كان ذنبهم إلى الناس أنهم آمنوا بالله وحده، كما قال تعالى: ﴿يَخْرُجُونَ الرُّسُلَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ﴾ [المحذة: ١]. وقوله: ﴿وَقَتَلُوا وَقِيلُوا﴾ هذا أعل المقامات: أن يقاتل في سبيل الله، فيُغفر جواده، ويُغفر وجهه بدمه وتراجه، ولهذا قال تعالى: ﴿لَا كُفْرَ عَنْهُمْ فِي سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا دُخْلَ لَهُمْ جَنَّتْ تَجْرَى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي: تجري في خلالها الأنهار من أنواع المشارب، من لبن وعسل وخر وماء غير آسن وغير ذلك، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. وقوله: ﴿ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ أضافه إليه ونسبه إليه ليدل على أنه عظيم؛ لأن العظيم الكريم لا يعطي إلا جزيلاً كثيراً. وقوله: ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ أي: عنده حُسن الجزاء لمن عمل صالحاً.

الآية (١٩٦-١٩٨): يقول تعالى: لا تنظروا إلى ما هؤلاء الكفار مترفون فيه من النعمة والنيطة والسرور، فمما قليل يزول هذا كله عنهم، ويصبحون مرفتين بأعمالهم السيئة، فإنما نمتهم فيها هم فيه استدراجاً، وجميع ما هم فيه ﴿مَتَّعَ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَفِيهَا أَلَمٌ أَلِيمٌ﴾. وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ نَصَّطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [لقمان: ٢٤]. وهكذا؛ لما ذكر حال الكفار في الدنيا وذكر مآلهم إلى النار، قال بعده: ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا رَبَّهُمْ هُمْ جَنَّتٌ تَجْرَى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا تَزُلَا﴾ أي: ضيافة ﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلْآبَرَارِ﴾.

الآية (١٩٩): يخبر تعالى عن طائفة من أهل الكتاب أنهم يؤمنون بالله حق الإيمان، وبما أنزل على محمد، مع ما هم يؤمنون به من الكتب المتقدمة، وأنهم خاشعون لله، أي: مطيعون له خاضعون متذللون بين يديه، ﴿لَا يَسْتَرْوْنَ بِعَاقِبَتِ اللَّهِ تَمَكَّ قَلِيلاً﴾ أي: لا يكتمون ما بأيديهم من البشارات بمحمد ﷺ، وذكر صفته ونعته ومبعثه وصفة أمته، وهؤلاء هم خيرة أهل الكتاب وصفونهم، سواء كانوا هوداً أو

نصارى، وقد قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنَتْهُمْ الْكُتُبُ مِن قَبْلِهِ هُمْ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿وَإِذَا نَزَلَ عَلَيْهِمْ قَالُوا مَا مَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُشْرِكِينَ﴾ ﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُ أَجْرُهُمْ مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾ الآية [النقص: ٥٢-٥٤]. وقال تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكُتُبِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْتَجُونَ﴾ [آل عمران: ١١٣]. وهذه الصفات توجد في اليهود، ولكن قليلاً، وأما النصارى فكثير منهم مهتدون ويقادون للحق؛ كما قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدُوًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودُ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودُ قَالُوا إِنَّا نَصْرُوكَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَتَلُوا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرُّسُلِ وَرَأَوْا تَحْيِيَّتَهُمْ قَبِضُوا مِنَ الدَّيْلِ مِمَّا عَرَضُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا مَا فَكَّنَاكَ مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿فَأَنذَرَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرَى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ الآية [المائدة: ٨٢-٨٥]. وهكذا قال ههنا: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ ﴿سَرِيعَ الْحِسَابِ﴾. [سبب النزول]: روى ابن أبي حاتم وابن مردويه عن أنس بن مالك قال: لما ثوَّقِي النجاشي قال رسول الله ﷺ: «استغفروا لأخيك». فقال بعض الناس: يأمرنا أن نستغفر لعلج مات بأرض الحبشة. فنزلت: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِيعِينَ لِلَّهِ﴾ الآية. وقوله: ﴿لَا يَسْتَرْوْنَ بِعَاقِبَتِ اللَّهِ تَمَكَّ قَلِيلاً﴾ أي: لا يكتمون ما بأيديهم من العلم، كما فعله الطائفة المردولة منهم بل يبدلون ذلك مجاناً؛ ولهذا قال: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ ﴿سَرِيعَ الْحِسَابِ﴾.

قال مجاهد: ﴿سَرِيعَ الْحِسَابِ﴾ يعني: سريع الإحصاء. الآية (٢٠٠): ﴿يَتَّخِذُهَا الذِّكْرُ مَأْمُونًا أَصْدِرُوا وَأَصَابُوا وَرَاطِبُوا﴾ قال الحسن البصري: أمرو أن يصبوا على دينهم الذي ارتضاه الله لهم، وهو الإسلام، فلا يدعوه لسراء ولا لضرأ ولا لشيء ولا لرُخاء، حتى يموتوا مسلمين، وأن يصابوا بالأعداء. وأما المراقبة: فهي المداومة في مكان العبادة والثبات. وقيل: انتظار الصلاة بعد الصلاة. عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط» [رواه مسلم]. وقيل: المراد بالمراقبة ههنا: مراقبة الفوز في نُحور العدو، وحفظ نُحور الإسلام وصيانتها عن دخول الأعداء إلى حوزة بلاد المسلمين. عن سهل بن سعد الساعدي: أن رسول الله ﷺ قال: «رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها» [رواه البخاري]. وقوله: ﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ﴾ أي: في جميع أموركم وأحوالكم، كما قال النبي ﷺ لمعاد حين بعثه إلى اليمن: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ» [رواه الترمذي، وحسنه الألباني]. ﴿لَعَلَّكُمْ تَتْلَحَّوْنَ﴾ أي: في الدنيا والآخرة.

آخر تفسير سورة آل عمران والله الحمد والمنة.



## ● الوقفات التدبيرية

﴿ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُزْدُوا فِي سَبِيلِ وَقَتَلُوا وَقُتِلُوا لَا كُفْرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا ذُنُوبَهُمْ جَنَّتْ تَحْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ (فَالَّذِينَ هَاجَرُوا) أي: تركوا دار الشرك، واتوا إلى دار الإيمان، وفارقوا الأحباب والخلان والإخوان والجيران. (وأخرجوا من ديارهم) أي: ضايقتهم المشركون بالأذى حتى الجأهم إلى الخروج من بين أظهرهم؛ ولهذا قال: (وأودوا في سبيلي) أي: إنما كان ذنبهم إلى الناس أنهم آمنوا بالله وحده؛ (وما تقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد) (البروج: ٨). وقوله: (وقاتلوا) وهذا أعلى المقامات؛ أن يقاتل في سبيل الله. ابن كثير: ٤٨/١.

السؤال: ما جزء من هاجر، أو أخرج من دياره، أو أودى، أو قتل في سبيل الله؟  
﴿ لَا يَغُرُّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴾

دليل على أن الكفار غير منعم عليهم في الدنيا؛ لأن حقيقة النعمة الخلو من شوائب الضرر العاجلة والأجلّة، ونعم الكفار مشوبة بالألام والعقوبات، فصار كمن قدم بين يدي غيره حلالة من غسل فيها السم، فهو وإن استلذ أكله لا يقال أنعم عليه؛ لأن فيه هلاك روحه. القرطبي: ٤٨/٥.

السؤال: هل ينعم الكفار في الدنيا؟

﴿ لَا يَغُرُّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴾

المعتر هارح بالشئ الذي يغتر به، فالكفار مغترون بتقليبهم، والمؤمنون مهتمون به، لكنه ربما يقع في نفس مؤمن أن هذا الإملاء للكفار إنما هو لخير لهم، فيجى هذا جنوحاً إلى حالهم ونوعاً من الاعتراض؛ فلذلك حسنت (لا يَغُرُّكَ) ... ما من مؤمن ولا كافر إلا والموت خير له، أما الكافر فلئلا يزداد إثمًا، وأما المؤمن فلأن ما عند الله خير للأبرار. ابن عطية: ٥٥٨/١.

السؤال: علل سبب اختيار لفظ الغرور هنا.

﴿ نُرْزِلُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلْآبِرِ ﴾

(للأبرار) جمع بار وبار، ومعناه: العاملون بالبر، وهي غاية التقوى والعمل الصالح؛ قال بعضهم: الأبرار هم الذين لا يؤذون أحداً. ابن جزي: ١٧٠/١.

السؤال: من المقصود بالأبرار؟

﴿ وَرَأَى مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِيعِينَ لِلَّهِ ﴾

لما كان إيمانهم عاماً حقيقياً؛ صار نافعاً، فأحدث لهم خشية الله ... ومن تمام خشيتهم له أنهم (لا يشترتون بآيات الله شيئاً قليلاً)؛ فلا يقدمون الدنيا على الدين كما فعل أهل الانحراف الذين يكتفون ما أنزل الله، ويشترتون به شيئاً قليلاً، وأما هؤلاء فعرفوا الأمر على الحقيقة، وعلموا أن من أعظم الخسائر الرضا بالدون عن الدين. السعدي: ١٢٢.

السؤال: ما علامة الإيمان الحقيقي؟

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَاطِبُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

ختم تعالى السورة بما تضمنته هذه الآية العاشرة من الوصاة التي جمعت الظهور في الدنيا على الأعداء والفوز بنعيم الآخرة، فحضر على الصبر على الطاعات، وعن الشهوات، والصبر: الحبس. القرطبي: ٤٨٥/٥.

السؤال: ذكرت الآية عدة شروط للظهور على الأعداء، والفوز بالآخرة، فما هي؟  
﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَاطِبُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

هذه الآية معلمة بشرط استجابة الدعاء بالنصرة على الكافرين، داعية إلى تذكر أولي الألباب بالمراقبة للواحد الحي القيوم. البقاعي: ٢٠٣/٢.

السؤال: ما شرط استجابة الله تعالى للمؤمنين بالنصر؟

فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنِّي بِبَعْضِكُمْ مِنْ بَعْضٍ ؕ الَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُزْدُوا فِي سَبِيلِ وَقَتَلُوا وَقُتِلُوا لَا كُفْرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا ذُنُوبَهُمْ جَنَّتْ تَحْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ؕ فَوَابِإِنَّ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ التَّوَابِ ؕ لَا يَغُرُّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ؕ مَتَّعَ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ؕ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّتْ تَحْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ؕ نُرْزِلُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلْآبِرِ ؕ وَلَنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ ؕ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِيعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِعَآيَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ؕ أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ؕ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ؕ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَاطِبُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ؕ

٧٦

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
تَقَلُّبُ	سَعَتُ عَيْشٍ، وَكَثْرَةُ تَنَقُّلٍ وَتَصَرُّفٍ.
الْمِهَادُ	الْفِرَاشُ.
نُرْزِلُ	ضَيَافَةٌ، وَمَنْزِلٌ.
وَرَاطِبُوا	أَقْبِمُوا عَلَى جِهَادٍ عُدُوَّكُمْ.

## ● العمل بالآيات

١. ادع اليوم بالأدعية التي جاءت في الآيات؛ رجاء أن يستجاب دعائك، ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمِلٍ مِنْكُمْ ﴾.
٢. احرص اليوم أكثر على اجتناب النظر المحرم تقوى لله تعالى، وصبراً عن العصبية، ﴿ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَمَّا جَنَّتْ تَحْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُرْزِلُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلْآبِرِ ﴾.
٣. اختر كلمات جميلة، أو قصة في فضل الصبر، وعظيم أجره، وأرسلها في رسالتك، ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَاطِبُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾.

## ● التوجيهات

١. لا يفرنك استعلاء الكافرين، وتمكنهم من هذه الحياة الدنيا؛ فإن وراء هذا جحماً أراداه الله سبحانه وتعالى، ﴿ لَا يَغُرُّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴾ (٣).
٢. لا يكن همك من وراء حفظ القرآن وتدبره والعمل به الحصول على المكاسب الدنيوية، ﴿ لَا يَشْتَرُونَ بِعَآيَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾.
٣. أهمية الصبر، والمصابرة، والمراقبة، والتقوى؛ للحصول على الفلاح الذي هو النصر في الدنيا، والفوز في الآخرة، ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَاطِبُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾.



## ● الوقفات التدبيرية

﴿ ۱ ۝ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾

مقام الرافقة - وهو مقام شريف - أصله: علمٌ وحال؛ أما العلم فهو: معرفة العبد أن الله مطلع عليه، ناظر إليه، يرى جميع أعماله، ويسمع جميع أقواله، ويعلم كل ما يخطر على باله. وأما الحال فهي: ملازمة هذا العلم للقلب بحيث يغلب عليه، ولا يغفل عنه. ولا يكفي العلم دون هذه الحال. ابن جزى: ١/ ١٧٢.

**السؤال: ما أصل المراقبة؟**

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾

وأعيد فعل (اتقوا)؛ لأن هذه التقوى مأمور بها المسلمون خاصة؛ فإنهم قد بقيت فيهم بقية من عوائد الجاهلية لا يشعرون بها؛ وهي التساهل في حقوق الأرحام والأيتام. ابن عاشور ٢١٧/٤.

**السؤال: لماذا كرر الأمر بالتقوى مرتين في هذه الآية؟**

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾

الموجب الداعي لتقواه تساؤلكم به، وتعظيمكم، حتى إنكم إذا أردتم قضاء حاجاتكم ومأربكم توسلتم لها بالسؤال بالله، فيقول من يريد ذلك غيره: أسألك بالله أن تفعل الأمر الفلاني؛ لعلمه بما قام به قلبه من تعظيم الله الداعي أن لا يرد من سأل الله، فكما عظمتوه بذلك فلتعظموه بعبادته وتقواه. (السعدي: ١٦٣).

السؤال: نعظم الله سبحانه في أمور، ونغفل عن تعظيمه في أمور أخرى، وضح ذلك.

قد تقدم في السورة الماضية ذكر قصة أحد التي انكشفت عن آيات، ثم ذكر في قوله تعالى: (كل نفس ذائقة الموت) أن الموت مشرع إلا بدأ لكل نفس من وروده علم أنه إلا بدأ من وجود الآيات في كل وقت، فدعا إلى العفة والعدل فيهم: لأنهم بعد الأحكام أولى من يتقى الله فيه، ويخشى مراقبته بسببه، فقال: (واتوا التائبين)، المقام: ٢٠/٧٠.

السؤال: ما مناسبة ذكر الأيتام في سورة النساء بعد ذكر الموت وقصة أحد في آخر آل عمران؟

﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنٍ وَثُلَاثَ وَرُبْعَ﴾

فاختاروا على نظرهم، ومن أحسن ما يختار من ذلك صفة الدين؛ كما قال النبي ﷺ: (تتك المرأة لأربع: لمالها ولجمالها ولحسبها ولدينها، فافطر بذات الدين تربت يمينك). وفي هذه الآية أنه ينبغي للإنسان أن يختار قبل النكاح، بل وقد أباح له الشارع النظر إلى من يريد تزوجها؛ ليكون على بصيرة من أمره. السعدي: ١٦٤.

السؤال: في قوله تعالى (ما طاب لكم) إشارة إلى أهمية اختيار الزوجة، بين ذلك.

وفي هذا: أن تعرض العبد للأمر الذي يخاف منه الجور والظلم وعدم القيام بالواجب - ولو كان مباحاً - أنه لا ينبغي له أن يتعرض له، بل يلزم السعة والعافية: فإن العافية خير ما أعطى العبد. السعدي: ١٦٤.

السؤال: إذا غلب على الظن حصول الظلم: فمن الحكمة الابتعاد عن أسبابه، وضع ذلك من الآية ﴿وَلَا تَقْرَبُوا أَمْوَالَكُمْ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا﴾ في الآية إشارة إلى مدح الأموال، وكان السلف يقولون: المال سلاح المؤمن، ولأن أترك مالا يحاسبني الله تعالى عليه خير من أن أحتاج إلى الناس ... وكانوا يقولون: اتجروا، واكتسبوا؛ فإنكم في زمان إذا أحتاج أحدهم كان أول ما يأكل دينه الأتوسي: ٢٠٢/٤.

السؤال: إلى ما ذا بشر قوله: (أموالكم التي جعل الله لكم قياماً) ؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَتْعَوْا كُرْمَ الذَّيْ حَلَقَهُ كُرْمٌ نَفِيسٌ وَحِيدٌ وَخَلَقَ مِنْهَا  
زَوْجَهَا وَبَتَ مِنْهُمَا حَبْلًا لَا كِبَرَ لَزِينَةٍ وَأَتْعَوْا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ  
بِهِ ۚ وَلَا لَأَحْسَمُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمٌ حَكِيمًا ۝ ١٠ ۚ وَهُوَ الَّذِي يَسْتَعْمِلُ أَمْوَالَهُمْ  
وَلَا تَبْدُلُوا الْحَقِيقَ يَا ظَالِمِينَ ۚ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ فِي أَمْوَالِكُمْ إِنَّ اللَّهَ  
كَانَ حَسِيبًا كَرِيمًا ۝ ١١ ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَسْتَعْمِلِ فَاذْكُرُوا  
مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَعْنَى وَتِلْكَ وَزَيْعٌ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا  
فَوَاحِدَةٌ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ ذَلِكَ أَذَىٰ أَتْعَوْا ۝ ١٢ ۚ وَهُوَ الَّذِي  
النِّسَاءَ صَدَقْتِهِنَّ رَحْلَةً ۚ وَإِنْ طَلَبَ لَكُمْ عَن نِّسَاءٍ مِّنْهُنَّ نَفْسًا فَكُلُوهُ  
هَبْنِي مَرَمِيًا ۝ ١٣ ۚ وَلَا تَقُولُوا لِلنِّسَاءِ أَمْوَالُكُمْ إِلَيْنَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ  
وَسِيلًا وَأَرْزُقُوهُنَّ فِيهَا وَكُلُوهُنَّ وَقُولُوا لَهُنَّ قَوْلًا مَعْرُوفًا ۝ ١٤ ۚ وَاتَّقُوا  
الَّذِي تَسْتَعْمِلُونَ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنَّهُنَّ أَنْفُسُهُنَّ مِنْكُمْ رِشْدًا فَادْفَعُوا  
إِلَيْهِنَّ أَمْوَالَهُنَّ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا ۚ وَمَنْ كَانَ  
عَيْنًا فَلْيَسْتَعْمِلْ ۚ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا  
دَفَعْتُمْ إِلَيْهِنَّ أَمْوَالَهُنَّ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِنَّ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ۝

yy

## معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
حُبًّا	إِنَّمَا.
تَقْسِطُوا	تَعْدِلُوا.
أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا	أَقْرَبُ إِلَىٰ عَدَمِ الْجَوْرِ.
نِحْلَةً	فَرِيضَةً عَنِ طَيْبِ نَفْسٍ.
أَنْتُمْ	عَلِمْتُمْ.
وَبِدَارًا	مُبَادَرَةً.
حَسِبًا	مُحَاسِبًا، وَشَاهِدًا.

## ● العمل بالآيات

١. ابدأ اليوم بوضع جدول لزيارة أرحامك، والاتصال على البعيد منهم،

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝

۲. ساعد ایتما علی حفظ مالهم، ﴿وَأَتُوا النِّسْمَ أَمْوَالَهُمْ﴾.

٣. ضع ميزانية شخصية، توازن فيها بين متطلبات الدنيا والآخرة، ﴿وَلَا تَوْتَرُوا سَعْيَكُمْ﴾  
 أمركم أن لا تكفوا عما كنتم تعملون فيها وأكسبهم وقولوا لله قولاً مأموراً به.

## التوصيات

١. من غلب على ظننه عدم القدرة على العدل بين الزوجات فلا يُعَدُّ، فَإِنْ خَفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةٌ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۖ

٢. تعامل مع مال اليتيم كما تحب ان يتعامل الناس مع مال وورثتك بعد موتك. وَلَا تَوْنُوا الشَّهَادَةَ أَمْرًا لَكُمْ إِلَيَّ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيْنًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا.

٣. الأمر بوجود شاهد عند دفع المال للتيتيم تبرئة لذمة القائم على المال، وحفظاً لسمعته، ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ﴾.

التَّحْلَةُ طَيِّبًا بِهَا، كَذَلِكَ يَجِبُ أَنْ يُعْطِيَ الْمَرْأَةُ صَدَاقَهَا طَيِّبًا بِذَلِكَ، فَإِنْ طَابَتْ هِيَ لَهُ بِهٍ بَعْدَ تَسْمِيَّتِهِ أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ، فَلْيَأْكُلْهُ حَلَالًا طَيِّبًا؛ وَهَذَا قَالَ: ﴿فَإِنْ طَلَّقَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِمَّنْ فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾.

الآية (٦-٥): يَنْهَى تَعَالَى عَنْ تَمَكُّنِ السُّفَهَاءِ مِنَ التَّصَرُّفِ فِي الْأَمْوَالِ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ لِلنَّاسِ قِيَامًا، أَي: تَقُومُ بِهَا مَعَاشِهِمْ مِنَ التَّجَارَاتِ وَغَيْرِهَا. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾ قَالَ: هُم بَنُوكُ، وَالنِّسَاءُ. وَكَذَا قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ. وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: هُم الْيَتَامَى. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: هُم النِّسَاءُ. وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْتُمُوهُمْ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ: لَا تَعْتَمِدْ إِلَى مَالِكَ وَمَا حَوَّلَكَ اللَّهُ، وَجَعَلَهُ مَعِيشَةً، فَتَطْعِمَهُ أَمْرَاتُكَ أَوْ بَنَاتُكَ، ثُمَّ تَنْظُرُ إِلَى مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَلَكِنْ أَمْسِكْ مَالَكَ وَأَصْلِحْهُ، وَكَانَ أَنْتَ الَّذِي تَنْفَقُ عَلَيْهِمْ مِنْ كَسْوَتِهِمْ وَمَوْثِقَتِهِمْ وَرِزْقِهِمْ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿وَوُفُّوا أَلْفَؤُكُمْ مَتْرُوكًا﴾ يَعْنِي فِي الْبَرِّ وَالصَّلَةِ. وَهَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ انْتَهَضَتْ الْإِحْسَانَ إِلَى الْعَائِلَةِ، وَمَنْ تَحْتَ الْحَجَرِ بِالْفِعْلِ، مِنَ الْإِنْفَاقِ فِي الْكَسَاوِيِّ وَالْأَرْزَاقِ وَالْكَلامِ الطَّيِّبِ، وَتَحْسِينَ الْأَخْلَاقِ. قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَقْبَلُوا إِلَيْنَا﴾ أَي: اخْتَبَرُوهُمْ ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾، قَالَ مُجَاهِدٌ: يَعْنِي: الْحُلُمُ. قَالَ الْجُمْهُورُ: الْبُلُوغُ فِي الْغُلَامِ تَارَةً يَكُونُ بِالْحُلُمِ، أَوْ يَسْتَكْمِلُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً، وَخَاتِلُوهُ فِي إِبْنَاتِ الشَّعْرِ الْخَشْنِ حَوْلَ الْفَرْجِ، هَلْ يَدُلُّ عَلَى بُلُوغِهِ أَمْ لَا؟ وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ بُلُوغٌ.

وقوله: ﴿فَإِنْ آتَيْتُمْ مِنْهُمْ رِشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ أَي: مَتَى بَلَغَ الْغُلَامُ مُضِلِّحًا لِدِينِهِ وَمَالِهِ، انْفَكَّ الْحَجَرُ عَنْهُ، فَيُسَلِّمُ إِلَيْهِ مَالَهُ الَّذِي تَحْتَ يَدِ وَلِيِّهِ. وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا﴾ يَنْهَى تَعَالَى عَنْ أَكْلِ أَمْوَالِ الْيَتَامَى مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ ضَرُورِيَّةٍ إِسْرَافًا وَمُبَادَرَةً قَبْلَ بُلُوغِهِمْ. قَوْلُهُ: ﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾ أَي: مَنْ كَانَ فِي غِنًى عَنْ مَالِ الْيَتِيمِ فَلْيَسْتَعْفِفْ عَنْهُ، وَلَا يَأْكُلْ مِنْهُ شَيْئًا. ﴿وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ عَنْ عَائِشَةَ: أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي وَالِي الْيَتِيمِ إِذَا كَانَ فَقِيرًا، أَنَّهُ يَأْكُلُ مِنْهُ مَكَانَ قِيَامِهِ عَلَيْهِ بِمَعْرُوفٍ (رواه البخاري).

وقوله: ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ يَعْنِي: بَعْدَ بُلُوغِهِمْ الْحُلُمَ وَإِنْسَانَ الرِّشْدَ، فَحَيْثُ دَفَعْتُمْ سَلَامَهُمْ أَمْوَالَهُمْ، فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ﴿فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ﴾ وَهَذَا أَمْرُ اللَّهِ تَعَالَى لِلْأَوْلِيَاءِ: أَنْ يُشْهِدُوا عَلَى الْأَيَّامِ إِذَا بَلَغُوا الْحُلُمَ وَسَلَّمُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ؛ لِثَلَاثِ أَسْبَابٍ مِنْ بَعْضِهِمْ جُحُودٌ وَإِنْكَارٌ لِمَا قَبِضَهُ وَتَسْلَمُهُ. ثُمَّ قَالَ: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ أَي: وَكَفَى بِاللَّهِ حَاسِبًا وَشَهِيدًا وَرَقِيًّا عَلَى الْأَوْلِيَاءِ فِي حَالِ نَظَرِهِمْ لِلْأَيَّامِ، وَحَالِ تَسْلِيمِهِمْ لِلْأَمْوَالِ: هَلْ هِيَ كَامِلَةٌ مُوفَرَةٌ، أَوْ مَنْقُوصَةٌ مُنْخَوِصَةٌ مَدْخَلَةٌ، مَرُوجٌ حَسَابُهَا، مُدْلَسٌ أَمُورُهَا؟ اللَّهُ عَالِمُ بِذَلِكَ كُلِّهِ.

قال ابن عباس: نزلت سورة النساء بالمدينة. [وعدد آياتها مائة وست وسبعون آية].

الآية (١): يَقُولُ تَعَالَى أَمْرًا خَلَقَهُ بِتَقْوَاهُ، وَهِيَ عِبَادَتُهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَمُتَّبِعًا لَهَا عَلَى قُدْرَتِهِ الَّتِي خَلَقَهُمْ بِهَا مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، وَهِيَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿وَوَضَعْنَا يَتِيمًا ذَرْبًا﴾ وَهِيَ حَوَاءُ؛ خَلَقَتْ مِنْ ضِلْعِهِ الْأَيْسَرِ، وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «إِنَّ الْمَرْأَةَ خَلَقَتْ مِنْ ضِلْعٍ، وَإِنْ أَعُوجَ شَيْءٌ فِي الضِّلْعِ أَعْلَاهُ، فَإِنَّ ذَهَبَ تَقِيْمُهُ كَسْرَتِهِ، وَإِنْ اسْتَمْتَعَتْ بِهَا اسْتَمْتَعْتَ بِهَا وَفِيهَا عُوجٌ» (رواه مسلم). وَقَوْلُهُ: ﴿وَمِمَّا مَتَّعْنَاهَا كَثِيرًا وَخَاشَ﴾ أَي: وَذَرَأَ مِنْ آدَمَ وَحَوَاءَ رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً، وَنَشَرَهُمْ فِي أَقْطَارِ الْعَالَمِ عَلَى اخْتِلَافِ أَصْنَافِهِمْ وَصَفَاتِهِمْ، وَالْوَانِهَمِ وَلُغَاتِهِمْ، ثُمَّ إِلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ الْمَعَادِ وَالْمَحْشَرِ. قَوْلُهُ: ﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ﴾ أَي: وَاتَّقُوا اللَّهَ بِطَاعَتِكُمْ إِيَّاهُ، قَالَ إِبْرَاهِيمُ وَمُجَاهِدٌ وَالْحَسَنُ: «الَّذِي تَشَأَنُ لَوْ يَدُ» أَي: كَمَا يَقَالُ: أَسَأَلْتُكَ بِاللَّهِ وَبِالْزَجَمِ. وَقَالَ الضَّحَّاكُ: وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي بِهِ تَعَاقِدُونَ وَتَعَاهَدُونَ، وَاتَّقُوا الْأَرْحَامَ أَنْ تَقْطَعُوهُمَا، وَلَكِنْ بَرُّوهُمَا وَصِلُّوهُمَا. وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ أَي: هُوَ مُرَاقِبٌ لْجَمِيعِ أَعْمَالِكُمْ وَأَحْوَالِكُمْ، وَهَذَا إِرْشَادٌ وَأَمْرٌ بِمِرَاقَبَةِ الرَّقِيبِ؛ وَهَذَا ذَكَرَ تَعَالَى أَنَّ أَصْلَ الْخَلْقِ مِنْ أَبٍ وَاحِدٍ وَأُمٍّ وَاحِدَةٍ؛ لِيُعْطَفَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَيَجْتَنِبَهُمْ عَلَى ضَعْفَاتِهِمْ.

الآية (٢-٤): يَأْمُرُ تَعَالَى بِدَفْعِ أَمْوَالِ الْيَتَامَى إِلَيْهِمْ إِذَا بَلَغُوا الْحُلُمَ كَامِلَةً مُوفَرَةً، وَيَنْهَى عَنْ أَكْلِهَا وَصْنِهَا إِلَى أَمْوَالِهِمْ؛ وَهَذَا قَالَ: ﴿وَلَا تَبَدَّلُوا الْبَيْنَ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: لَا تَبَدَّلُوا الْحَرَامَ مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْحَلَالِ مِنْ أَمْوَالِهِمْ. ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَغَيْرُهُمَا: أَي: لَا تَخْلُطُوهُمَا فَتَأْكُلُوهُمَا جَمِيعًا.

وقوله: ﴿وَإِنَّهُ كَانَ حُبًّا كَبِيرًا﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَي: إِثْمًا كَبِيرًا عَظِيمًا. وَالْمَعْنَى: إِنَّ أَكْلَكُمْ أَمْوَالَهُمْ مَعَ أَمْوَالِكُمْ إِثْمٌ عَظِيمٌ وَخَطَأٌ كَبِيرٌ فَاجْتَنِبُوهُ. قَوْلُهُ: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتِيمِ فَادْفَعُوا مَالَهُمْ لَكُمْ مِنْ أَيْدِيهِمْ﴾ أَي: إِذَا كَانَ تَحْتَ حَجَرٍ أَحَدُكُمْ يَتِيمَةً وَخَافَ أَلَّا يُعْطِيَهَا مَهْرَ مِثْلِهَا، فَلْيُعْدِلْ لَهَا مِ سَوَاهَا مِنَ النِّسَاءِ؛ فَإِنَّهُنَّ كَثِيرٌ، وَلَمْ يُضَيِّقِ اللَّهُ عَلَيْهِ. وَقَوْلُهُ: ﴿مَتَى وَكَلَّتْ ذُرِّيَّتُكُمْ﴾ أَي: انْكَحُوا مَا شِئْتُمْ مِنَ النِّسَاءِ سَوَاهُنَّ؛ إِنْ شَاءَ أَحَدُكُمْ ثَنِيْنًا، وَإِنْ شَاءَ ثَلَاثًا، وَإِنْ شَاءَ أَرْبَعًا. وَقَوْلُهُ: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ أَي: فَإِنْ خَشِيتُمْ مِنْ تَعْدَادِ النِّسَاءِ أَلَّا تَعْدِلُوا بَيْنَهُنَّ، فَيَقْتَصِرَ عَلَى وَاحِدَةٍ، أَوْ عَلَى الْجَوَارِيِّ السَّرَّارِيِّ؛ فَإِنَّهُ لَا يَجِبُ قَسَمٌ بَيْنَهُنَّ. وَقَوْلُهُ: ﴿ذَلِكَ أَتَى أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ: أَذْنَى الْأَثَرِ تَكَثَّرَ عَائِلَتُكُمْ. وَالصَّحِيحُ قَوْلُ الْجُمْهُورِ: أَي: لَا تَجُورُوا. يَقَالُ: عَالَ فِي الْحُكْمِ إِذَا قَسَطَ وَجَارَ. قَوْلُهُ: ﴿وَأَمَّا الْيَتِيمَ فَادْفَعُوا مَالَهُ إِلَى مَوْلَاهُ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الْمَهْرُ. وَقَالَتْ عَائِشَةُ: فَرِيضَةٌ. وَمُضْمُونٌ كَلَامُهُمْ: أَنَّ الرَّجُلَ يَجِبُ عَلَيْهِ دَفْعُ الصَّدَاقِ إِلَى الْمَرْأَةِ حَتَّى، وَأَنْ يَكُونَ طَيِّبَ النَّفْسِ بِذَلِكَ، كَمَا يُنْمَحُ الْمَنِيحَةُ وَيُعْطَى

الآية (٧-٩): [سبب النزول]: قال سعيد بن جبير وقادة: كان المشركون يجعلون المال للرجال الكبار، ولا يُورثون النساء ولا الأطفال شيئاً، فأنزل الله: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ...﴾ أي: الجميع فيه سواء في حكم الله تعالى، يستون في أصل الوراثة وإن تفاوتوا بحسب ما فرض الله لكل منهم، بما يُنلِّي به إلى الميت من قرابة، أو زوجية، أو ولاء. فإنه حُصة كلُّهم من النسب. وقوله: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ﴾ الآية. المعنى: أنه إذا حضر هؤلاء الفقراء من القرابة الذين لا يرثون، واليتامى والمساكين قسمة مال جزيل، فإن أنفسهم تنشوف إلى شيء منه، إذا رأوا هذا يأخذ وهذا يأخذ، وهم يائسون لا شيء يُعطون، فأمر الله تعالى - وهو الرؤوف الرحيم - أن يُرضخ لهم شيء من الوسط يكون براً بهم وصدقة عليهم، وإحساناً إليهم، وجبراً لكسرهم واختلافوا: هل هو منسوخ أم لا؟ على قولين. وقوله: ﴿وَلِيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ﴾ الآية، قال ابن عباس: هذا في الرجل يخشاه الموت، فيسمعه الرجل يوصي بوصية تضر بورثته، فأمر الله تعالى الذي يسمعه أن يتقي الله، ويوفقه ويسدده للصواب، ولينظر لورثته كما كان يجب أن يصنع بورثته إذا خشي عليهم الضيعة. وقيل: المراد بقوله: ﴿فَلْيَسِّئُوا إِلَى اللَّهِ﴾ أي: في مباشرة أموال اليتامى ولا يأكلوها إسرافاً وبداراً أن يكبروا. أي: كما تحب أن تعامل ذريتك من بعدك، فعامل الناس في ذرياتهم إذا وليتهم.

الآية (١٠): ثم أعلمهم أن من أكل مال يتيم ظلماً فإنه يأكل في بطنه ناراً؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّا نَعْتَابُهُمْ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ أي: إذا أكلوا أموال اليتامى بلا سبب، فإنه يأكلون ناراً تأجج في بطنهم يوم القيامة.

الآية (١١): هذه الآية الكريمة والتي بعدها، والآية التي هي خاتمة هذه السورة هن آيات علم الفرائض، وهو مستنتب من هذه الآيات الثلاث، ومن الأحاديث الواردة في ذلك مما هو كالنفسير لذلك.

[سبب النزول]: عن جابر بن عبد الله قال: عادي رسول الله ﷺ وأبو بكر في بني سلمة ماشيين، فوجدني النبي ﷺ لا أعقل شيئاً، فدعا بهاء فتوضأ منه، ثم رش عليّ، فاقفقت، فقلت: ما تأمرني أن أصنع في مالي يا رسول الله؟ فنزلت: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِي تَرَكَ مِثْلَ حَظِّ الْأُنثَى﴾ [رواه البخاري ومسلم]. وعن جابر قال: جاءت امرأة سعد بن الربيع إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، هاتان ابنتا سعد بن الربيع، قُتل أبوهما معك في أحد شهيدا، وإن عمتهما أخذ مالهما، فلم يدع لهما مالا، ولا يُنكحان إلا ولهما مال. قال: فقال: «يَقْضِي اللَّهُ فِي ذَلِكَ». قال: فنزلت آية الميراث، فأرسل رسول الله ﷺ إلى عمتها فقال: «أعطي ابنتي سعد الثلثين، وأمتها الثمن، وما بقي فهو لك» [رواه أحد وأصحاب السنن، وحسنه الألباني]. والظاهر أن حديث جابر الأول إنما نزل بسببه الآية الأخيرة من هذه السورة، فإنه إنما كان له إذ ذاك أخوات، ولم يكن له بنات، وإنما كان يُورث كلاله. والحديث الثاني عن جابر أشبه بنزول

هذه الآية. قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِي تَرَكَ مِثْلَ حَظِّ الْأُنثَى﴾ أي: يأمركم بالعدل فيهم، فإن أهل الجاهلية كانوا يجعلون جميع الميراث للذكور دون الإناث، فأمر الله تعالى بالتسوية بينهم في أصل الميراث، وفادت بين الصنفين، فجعل للذكر مثل حظ الأنثيين؛ وذلك لاحتياج الرجل إلى مؤنة النفقة والكلفة ومعاناة التجارة والتكسب وتحشم المشقة، فناسب أن يُعطى ضعفي ما تأخذه الأنثى، وقد استنتب بعض الأذكيا من قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِي تَرَكَ مِثْلَ حَظِّ الْأُنثَى﴾ أنه أرحم بهم منهم.

وقوله: ﴿إِنْ كُنْ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثُ مَا تَرَكَ﴾ قال بعض الناس: قوله: ﴿فَوْقَ﴾ زائدة وتقديره: فإن كن نساء اثنتين! وهذا غير مُسلم؛ فإنه ليس في القرآن شيء زائد لا فائدة فيه، وهذا ممتنع، ثم قوله: ﴿فَلَهُنَّ ثُلُثُ مَا تَرَكَ﴾ لو كان المراد ما قاله لقال: فلها ما ترك. وإنما استفيد كون الثلثين للبتين من حكم الأخنتين في الآية الأخيرة. وإذا ورث الأختان الثلثين فلا يرث البنتان الثلثين بطريق الأولى والأخرى. وقد تقدم في حديث جابر أن رسول الله ﷺ حكم لابنتي سعد بن الربيع بالثلثين، فدل الكتاب والسنة على ذلك، وأيضاً فإنه قال: ﴿وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ﴾ فلو كان للبتين النصف أيضاً لنص عليه، فلما حكم به للواحدة على انفرداها دل على أن البنتين في حكم الثلاث. وقوله: ﴿وَلِلَّذِينَ يَتَّبِعُونَكُمْ مِنْكُمْ وَأُولَئِكَ أَنْتُمْ أَوْلَى بِمَا كَسَبْتُمْ مِنْهُ مِنْكُمْ﴾ أي: وأولئك الذين يتبعونكم منكم، وأولئك أنتم أولى بما كسبتموه منكم منكم. وقوله: ﴿وَلِلَّذِينَ يَتَّبِعُونَكُمْ مِنْكُمْ وَأُولَئِكَ أَنْتُمْ أَوْلَى بِمَا كَسَبْتُمْ مِنْهُ مِنْكُمْ﴾ أي: وأولئك الذين يتبعونكم منكم، وأولئك أنتم أولى بما كسبتموه منكم منكم. وقوله: ﴿وَلِلَّذِينَ يَتَّبِعُونَكُمْ مِنْكُمْ وَأُولَئِكَ أَنْتُمْ أَوْلَى بِمَا كَسَبْتُمْ مِنْهُ مِنْكُمْ﴾ أي: وأولئك الذين يتبعونكم منكم، وأولئك أنتم أولى بما كسبتموه منكم منكم.

وقوله: ﴿إِنْ كُنْ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثُ مَا تَرَكَ﴾ قال بعض الناس: قوله: ﴿فَوْقَ﴾ زائدة وتقديره: فإن كن نساء اثنتين! وهذا غير مُسلم؛ فإنه ليس في القرآن شيء زائد لا فائدة فيه، وهذا ممتنع، ثم قوله: ﴿فَلَهُنَّ ثُلُثُ مَا تَرَكَ﴾ لو كان المراد ما قاله لقال: فلها ما ترك. وإنما استفيد كون الثلثين للبتين من حكم الأخنتين في الآية الأخيرة. وإذا ورث الأختان الثلثين فلا يرث البنتان الثلثين بطريق الأولى والأخرى. وقد تقدم في حديث جابر أن رسول الله ﷺ حكم لابنتي سعد بن الربيع بالثلثين، فدل الكتاب والسنة على ذلك، وأيضاً فإنه قال: ﴿وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ﴾ فلو كان للبتين النصف أيضاً لنص عليه، فلما حكم به للواحدة على انفرداها دل على أن البنتين في حكم الثلاث. وقوله: ﴿وَلِلَّذِينَ يَتَّبِعُونَكُمْ مِنْكُمْ وَأُولَئِكَ أَنْتُمْ أَوْلَى بِمَا كَسَبْتُمْ مِنْهُ مِنْكُمْ﴾ أي: وأولئك الذين يتبعونكم منكم، وأولئك أنتم أولى بما كسبتموه منكم منكم. وقوله: ﴿وَلِلَّذِينَ يَتَّبِعُونَكُمْ مِنْكُمْ وَأُولَئِكَ أَنْتُمْ أَوْلَى بِمَا كَسَبْتُمْ مِنْهُ مِنْكُمْ﴾ أي: وأولئك الذين يتبعونكم منكم، وأولئك أنتم أولى بما كسبتموه منكم منكم.

وقوله: ﴿إِنْ كُنْ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثُ مَا تَرَكَ﴾ قال بعض الناس: قوله: ﴿فَوْقَ﴾ زائدة وتقديره: فإن كن نساء اثنتين! وهذا غير مُسلم؛ فإنه ليس في القرآن شيء زائد لا فائدة فيه، وهذا ممتنع، ثم قوله: ﴿فَلَهُنَّ ثُلُثُ مَا تَرَكَ﴾ لو كان المراد ما قاله لقال: فلها ما ترك. وإنما استفيد كون الثلثين للبتين من حكم الأخنتين في الآية الأخيرة. وإذا ورث الأختان الثلثين فلا يرث البنتان الثلثين بطريق الأولى والأخرى. وقد تقدم في حديث جابر أن رسول الله ﷺ حكم لابنتي سعد بن الربيع بالثلثين، فدل الكتاب والسنة على ذلك، وأيضاً فإنه قال: ﴿وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ﴾ فلو كان للبتين النصف أيضاً لنص عليه، فلما حكم به للواحدة على انفرداها دل على أن البنتين في حكم الثلاث. وقوله: ﴿وَلِلَّذِينَ يَتَّبِعُونَكُمْ مِنْكُمْ وَأُولَئِكَ أَنْتُمْ أَوْلَى بِمَا كَسَبْتُمْ مِنْهُ مِنْكُمْ﴾ أي: وأولئك الذين يتبعونكم منكم، وأولئك أنتم أولى بما كسبتموه منكم منكم. وقوله: ﴿وَلِلَّذِينَ يَتَّبِعُونَكُمْ مِنْكُمْ وَأُولَئِكَ أَنْتُمْ أَوْلَى بِمَا كَسَبْتُمْ مِنْهُ مِنْكُمْ﴾ أي: وأولئك الذين يتبعونكم منكم، وأولئك أنتم أولى بما كسبتموه منكم منكم.





الفاخر  
الصوتي

## ● الوقفات التذكيرية

﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ﴾

وتأمل هنا المعنى في آية المواريث، وتعليقه سبحانه التوارث فيها بلفظ الزوجة دون المرأة؛ كما في قوله تعالى: (ولكم نصف ما ترك أزواجكم) إيداناً بأن هذا التوارث إنما وقع بالزوجية، القتضية للشاغل والنسب، والمؤمن والكافر لا تشارك بينهما، ولا تناسب، فلا يقع بينهما التوارث. السعدي: ١٦٩.

السؤال: في آية المواريث لماذا عبر بلفظ الزوجة دون لفظ المرأة؟

﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِ يَوْسَىٰ بِمَا أَوْدَيْنِ﴾ ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِ يَوْسَىٰ بِمَا أَوْدَيْنِ﴾ ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِ يَوْسَىٰ بِمَا أَوْدَيْنِ﴾

كرر حكم الوصية اهتماماً بشأنها، وإشارة إلى أن الوصية أمر عظيم ينبغي أن يكون مستحضراً في الذهن، غير مغفول عنه عند أحد من الناس. البقاعي: ٢٢٢/٢.

السؤال: لماذا كثر حكم الوصية؟

﴿غَيْرَ مُضْكَرٍ وَصِيَّةٍ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ خَلِيلٌ﴾

الإصرار في الوصية، من الكبار، ووجوه الضار كثيرة؛ منها: الوصية لوارث، والوصية بأكثر من الثلث، أو بالثلث فراراً عن وارث محتاج. ابن جزي: ١٧٩/١.

السؤال: عدد بعض أشكال المضارة بالوصية.

﴿وَصِيَّةٍ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ خَلِيلٌ﴾

جعل حقوق المسلمين أولى من حقوق الأقارب الكفار الدينيوية، فإذا مات المسلم انتقل ماله إلى من هو أولى وأحق به، فيكون قوله تعالى: (وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض) (الأنفال: ٧٥) إذا اتفقت أديانهم، وأما مع تباينهم فالأخوة الدينية مقدمة على الأخوة النسبية المجردة. السعدي: ١٦٩.

السؤال: أيهما أقوى: الأخوة الدينية، أم أخوة النسب؟ وضع ذلك من خلال أحكام الميراث.

﴿يُدْخِلُهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ (خالدين فيها)، (خالداً فيها) أفرد هنا وجمع هناك؛ لأن أهل الطاعة أهل الشفاعة، وإذا شفع أحدهم في غيره دخلها معه، وأهل المعاصي لا يشفعون؛ فلا يدخل بهم غيرهم فيبقون فرادى. أو لا إيدان بأن الخلود في دار الثواب بصيغة الاجتماع الذي هو أجلب للأنس، والخلود في دار العقاب بصيغة الانفراد الذي هو أشد في استجلاب الوحشة. الألوسي: ٢٣٣/٤.

السؤال: لماذا أفرد في الخلود في النار: (خالداً)، وجمع في الخلود في الجنة: (خالدين)؟

﴿يَلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ... وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ (ومن يطع الله ورسوله) أي: فيها؛ فلم يزد بعض الورثة، ولم ينقص بعضاً بحيلة، ووسيلة، بل تركهم على حكم الله وفريضته وقسمته (يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم). (ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين) أي: لكونه غير ما حكم الله به، وضاد الله في حكمه. ابن كثير: ٤٣٧/١.

السؤال: القائم على تقسيم التركة واقع بين وعد ووعد عظيمين، وضح ذلك من الآية.

﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِداً فِيهَا﴾

من اجتمع فيه معصية وطاعة كان فيه من موجب الثواب والعقاب بحسب ما فيه من الطاعة والمعصية، وقد دلت النصوص المتواترة على أن الموحد - الذين معهم طاعة التوحيد - غير مخلصين في النار، فما معهم من التوحيد مانع لهم من الخلود فيها. السعدي: ١٦٩.

السؤال: بين فضل التوحيد.

﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُن لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتْ لَكُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِ يَوْسَىٰ بِمَا أَوْدَيْنِ﴾ ﴿وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ إِنْ لَمْ يَكُن لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتْ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّلُثُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِ يَوْسَىٰ بِمَا أَوْدَيْنِ وَإِنْ كَانَتْ لَكُنَّ وَلَدٌ وَأَمْرًا وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِمَّاهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِ يَوْسَىٰ بِمَا أَوْدَيْنِ غَيْرَ مَضَارٍ وَصِيَّةٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ خَلِيلٌ﴾ ﴿يَلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ... وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾

## ● معاني الكلمات

المعنى	الكلمة
ابن، أو بنت.	وَلَدٌ
من ليس له وَلَدٌ، وَلَا وَالِدٌ.	كَلَالَةً

## ● العمل بالآيات

١. بادر بكتابة وصيتك، كما قال ﷺ: (ما حق امرئ مسلم بييت يليت وله شيء يريد أن يوصي به إلا وصيته مكتوبة عند رأسه) (متفق عليه)، ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِ يَوْسَىٰ بِمَا أَوْدَيْنِ غَيْرَ مُضْكَرٍ﴾.
٢. أحكام الموارث إذا طبقت بحق، فإنها تزيد الأرحام ألفة، ﴿وَصِيَّةٍ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ خَلِيلٌ﴾.
٣. لو ترك لنا قسمة موارثنا لاشتدت مشاكلنا، تأمل ذلك، ثم حمد الله تعالى على نعمته أحكام الموارث، ﴿يَلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾.

## ● التوجيهات

١. أحكمت الشريعة انتقال الأموال بين الناس بكل صوره وأشكاله؛ لأثر ذلك على العباد، ولإصلاح دنياهم، ﴿وَصِيَّةٍ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ خَلِيلٌ﴾.
٢. من استهان بالعدل بين الورثة أهانه الله يوم القيامة، ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾.
٣. أعلم أن الله تعالى تولى قسمة التركات بنفسه، فلا يحل لأحد أن يغير منها شيئاً، ﴿يَلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾.

أبي بن كعب وأبي موسى الأشعري، وهو المشهور عن ابن عباس، وهو مذهب الشعبي، وأبي حنيفة، وأبي يوسف، ومحمد، والإمام أحمد، ويحيى بن آدم، وداود بن علي الظاهري، وغيرهم، واختاره ابن اللبّان الفُرْضي في كتابه «الإيجاز».

وقوله: ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضْكَرٍ﴾ أي: لتكن وصيته على العدل، لا على الإضرار والجور والحيف، بأن يحرم بعض الورثة، أو ينقصه، أو يزيده على ما قدر الله له من الفريضة، فمتى سعى في ذلك كان كمن ضاد الله في حكمته وقسمته.

وروى الطبري والنسائي وابن أبي حاتم عن ابن عباس موقوفًا: «الضرار في الوصية من الكبائر».

ولهذا اختلف الأئمة في الإقرار للوارث: هل هو صحيح أم لا؟ على قولين: أحدهما: لا يصح لأنه مظنة التهمة. وقد ثبت في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَغْطَى كُلَّ ذِي حَقِّ حَقَّهُ، فَلَا وَصِيَّةَ لَوَارِثٍ» إرواه أحمد وأصحاب السنن، وصححه الألباني، وهذا مذهب أبي حنيفة ومالك وأحمد بن حنبل، والقول القديم للشافعي.

وذهب في الجديد إلى أنه يصح الإقرار. وهو مذهب طائوس، وعطاء، وعمر بن عبد العزيز. وهو اختيار أبي عبد الله البخاري في صحيحه. واحتج بأن رافع بن خديج أوصى ألا تُكْتَفَ الفَرَارِي عَمَّا أَغْلَقَ عَلَيْهِ بَابُهَا. قال: وقال بعض الناس: لا يجوز إقراره لسوء الظن به للورثة، [قال: ثم استحسّن فقال يجوز إقراره بالوديعة والبضاعة والمضاربة<sup>(١)</sup>]. وقد قال النبي ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ» [متفق عليه] وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨] فلم يخص وارثًا ولا غيره. انتهى ما ذكره. فمتى كان الإقرار صحيحًا مطابقًا لما في نفس الأمر جرى فيه هذا الخلاف، ومتى كان حيلةً ووسيلةً إلى زيادة بعض الورثة ونقصان بعضهم، فهو حرام بالإجماع وبنص هذه الآية الكريمة «غَيْرَ مُضْكَرٍ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ».

الآية (١٣-١٤): أي: هذه الفرائض والمقادير -التي جعلها الله للورثة بحسب قُربهم من الميت واحتياجهم إليه وفقدهم له عند عدمه- هي حدود الله، فلا تتعدوها ولا تجاوزوها؛ ولهذا قال: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أي: فيها، فلم يزد بعض الورثة ولم ينقص بعضًا بحيلة ووسيلة، بل تركهم على حكم الله وفريضته وقسمته «يُدْخِلُهُ جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا» وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ<sup>(١٣)</sup> وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَّقِ حُدُودَهُ يَدْخُلْهَا نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ<sup>(١٤)</sup> أي: لكونه غير ما حكم الله به وضاد الله في حكمه. وهذا إنما يصدر عن عدم الرضا بما قسم الله وحكم به، ولهذا يجازيه بالإهانة في العذاب الأليم المقيم.

(١) ما بين معقوفين ساقط من نسخ ابن كثير، وقد استدركتاه من صحيح البخاري، كتاب الوصايا، وبه ينضج مراد البخاري؛ أي: حتى من خالف رأيه وقال بعدم جواز الإقرار جوَّز استثنائًا في الحالات المذكورة، ثم عاد البخاري لتأييد ما ذهب إليه من جواز الإقرار بالأدلة.

الآية (١٢): يقول تعالى: ولكم -أيها الرجال- نصف ما ترك أزواجكم إذا أمّتن عن غير ولد، فإن كان لمن ولد فلکم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين. وقد تقدّم أن الدين مقدّم على الوصية، وبعده الوصية ثم الميراث، وهذا أمرٌ مُجمَعٌ عليه بين العلماء. وحُكْمُ أولاد البنين -وإن سفلوا- حُكْمُ أولاد الصلب. ثم قال: ﴿وَلَكُمْ مِنَ الرِّبْحِ مِمَّا تَرَكَتُمْ﴾ إلى آخره، وسواء في الربع أو الثمن الزوجة والزوجتان الاثنتان والثلاث والأربع يشتركن فيه.

وقوله: ﴿وَإِنْ كَانَتْ رَجُلٌ يُوْرَثُ كَلَالَةً﴾ الكلاله: مشتقة من الإكليل، وهو الذي يحيط بالرأس من جوانبه، والمراد هنا: من يرثه من حواشيه لا أصوله ولا فروعه، كما روى الشعبي عن أبي بكر الصديق: أنه سئل عن الكلاله؟ فقال: أقول فيها برأيي، فإن يكن صوابًا فمن الله، وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان، والله ورسوله بريئان منه، الكلاله: مَنْ لَا وَلَدَ لَهُ وَلَا وَالِدَ. فلما ولي عمر قال: إني لأستحي أن أخالف أبا بكر في رأيه. رواه ابن جرير وغيره.

وعن ابن عباس، قال: كنت آخر الناس عهدًا بعمر، فسمعتة يقول: القول ما قلْتُ. وما قلْتُ؟ قال الكلاله: من لا ولد له ولا والد وهكذا قال ابن مسعود، وصح من غير وجه عن ابن عباس، وزيد بن ثابت، وبه يقول الشعبي والتخمي وغيرهم، وبه يقول أهل المدينة والكوفة والبصرة. وهو قول الفقهاء السبعة والأئمة الأربعة وجهور السلف والخلف، بل جميعهم. وقد حكى الإجماع عليه غير واحد. وقوله: ﴿وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ﴾ أي: من أم. كذا فسرها أبو بكر الصديق فيما رواه قتادة عنه، «فَلِكُلِّ رَجُلٍ مِثْلَهُمَا الشُّدُّ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثَّلَثِ» إخوان الأم يخالفون بقية الورثة من وجوه، أحدها: أنهم يرثون مع من أدلوا به وهي الأم. الثاني: أن ذكرهم وأثناهم سواء. الثالث: أنهم لا يرثون إلا إذا كان مِيتهم يُورث كلاله، فلا يرثون مع أب، ولا جد، ولا ولد، ولا ولد ابن. الرابع: أنهم لا يُزادون على الثلث، وإن كثر ذكورهم وإناتهم.

واختلف العلماء في المسألة المشتركة، وهي: زوج، وأم أو جدة، واثنان من ولد الأم وواحد أو أكثر من ولد الأبوين؟ فعلى قول الجمهور: للزوج النصف، وللأم أو الجدة السدس، ولولد الأم الثلث، ويشاركهم فيه ولد الأب والأم بما بينهم من القدر المشترك وهو أخوة الأم. وقد وقعت هذه المسألة في زمن أمير المؤمنين عمر، فأعطى الزوج النصف، والأم السدس، وجعل الثلث لأولاد الأم، فقال له أولاد الأبوين: يا أمير المؤمنين، هب أن أبانا كان حمارًا! ألسنا من أم واحدة؟ فشارك بينهم. صح التشريك عنه وعن عثمان، وهو إحدى الروايتين عن ابن مسعود، وزيد بن ثابت، وابن عباس. وبه يقول سعيد بن المسيب، وعمر بن عبد العزيز، والثوري، وغيرهم. وهو مذهب مالك والشافعي وإسحاق بن راهويه.

وكان علي بن أبي طالب لا يشارك بينهم، بل يجعل الثلث لأولاد الأم، ولا شيء لأولاد الأبوين والحالة هذه، لأنهم عصبه. وهذا قول



الآية (١٥-١٦): كان الحكم في ابتداء الإسلام: أن المرأة إذا زنت  
فثبت زناها بالبيّنة العادلة، حُبِسَتْ في بيت فلا تُمَكَّن من الخروج منه إلى  
أن تموت؛ ولهذا قال: ﴿وَالَّذِي يَأْتِيكَ الْفَدْحَةُ﴾ يعني: الزنا ﴿بِزْنٍ  
يَسَاءِلُكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ أَذْنَهُ مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا  
فَأَمْسِكُوهُ فِي الْأُبُيُوتِ حَتَّى يَوْتَنَهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾  
فالسبيل الذي جعله الله: هو الناسخ لذلك. قال ابن عباس: كان الحكم  
كذلك، حتى أنزل الله سورة النور، فنسخها بالجلد، أو الرجم. وهو  
أمر متفق عليه. عن عباد بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «خُذُوا  
عَنِّي، قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا: الثَّيْبُ بِالثَّيْبِ، وَالْبِكْرُ بِالْبِكْرِ، الثَّيْبُ جَلْدُ  
مِائَةٍ، وَرَجْمٌ بِالْحِجَارَةِ، وَالْبِكْرُ جَلْدُ مِائَةٍ ثُمَّ نَفَى سِتْرَهُ» (رواه مسلم). وقد  
ذهب الإمام أحمد إلى القول بمقتضى هذا الحديث، وهو الجمع بين  
الجلد والرجم في حق الثيب الزاني، وذهب الجمهور إلى أن الثيب الزاني  
إنما يُرْجَم فقط من غير جلد، قالوا: لأن النبي ﷺ رَجَمَ مَاعِزًا  
وَالْفَاحِشَةَ وَالْيَهُودِيَّينَ، ولم يجلدهم قبل ذلك، فدل على أن الجلد ليس  
بحكم، بل هو منسوخ على قولهم. وقوله: ﴿وَالَّذَانِ يَأْتِيَنِهَا مِنْكُمْ  
فَنَادَوْهُمَا﴾ أي: واللذان يفعلان الفاحشة فآذوهما. قال ابن عباس  
وسعيد بن جبير وغيرهما: أي بالشم والتعير، والضرب بالنعال،  
وكان الحكم كذلك حتى نسخ الله بالجلد أو الرجم. وقال عكرمة،  
وعطاء، والحسن: نزلت في الرجل والمرأة إذا زنيا. وقوله: ﴿فَإِنْ تَابَا  
وَأَصْلَحَا﴾ أي: أقبلا ونزعا عما كانا عليهما، وصَلَحَتْ أعمالهما وحسنت  
﴿فَاعْرِضْهُمَا فِي الدِّينِ حَتَّى يَخْرُجَا مِنْهُمَا فِي أَحْسَنِ مَقَامٍ رَافِعَةٍ﴾ أي: لا تُعَذِّبُهُمَا بكلام قَبِيح بعد ذلك؛ لأن  
الثابت من الذنب كمن لا ذنب له ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾.

الآية (١٧-١٨): يقول تعالى: إنا يتقبل الله التوبة عن عمل السوء بجهالة، ثم يتوب ولو قبل معاينة الملك لقبض روحه قَبْلَ الْفَرَعَةِ. قال مجاهد وغير واحد: كل من عصي الله خطأ أو عمداً فهو جاهل حتى ينزع عن الذنب. وعن قتادة قال: اجتمع أصحاب رسول الله ﷺ فرأوا أن كل شيء عُصِي به فهو جهالة، عمداً كان أو غيره. وقال ابن عباس: ﴿ثُمَّ يَتُوبُكَ مِنْ قَرِيبٍ﴾: ما بينه وبين أن ينظر إلى ملك الموت، وقال الحسن البصري: ما لم يُعْرِضْ. وقال عكرمة: الدنيا كلها قريب. وعن ابن عُمرَ عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغْرِغْ» [رواه أحد وأصحاب السنن، وصححه إسناده أحمد شاكر]. وقد دلت الأحاديث على أن من تاب إلى الله عز وجل وهو يرجو الحياة، فإن توبته مقبولة؛ ولهذا قال تعالى: ﴿فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾. وأما متى وقع الإياس من الحياة، وعاین الملك، وَخَشَرَتِ الرُّوحُ فِي الْحَقِّ، وضاق بها الصدر، وبلغت الخلقوم، وَغَرَّغَتِ النَّفْسُ صَاعِدَةً فِي الْعَلَاصِمِ - فلا توبة مُقْبَلَةٌ حِينَئِذٍ، وَلَا تَحِينَ مَنَاصٍ، ولهذا قال: ﴿وَلَيْسَتْ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّعْيَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَصَرَ أَحَدُهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي بُدْتُ الْأَنْتَ﴾. وقوله:

﴿وَالَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كَعُقَاةٍ﴾ يعني: أن الكافر إذا مات على كفره وشركه لا ينفعه ندمه ولا توبته، ولا يُقبل منه فدية ولو بملء الأرض. وعن أبي ذر: أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله يقبل توبة عبده - أو يغفر لعبده - ما لم يَتَغَمَّدَ الْحِجَابُ». قيل: وما وَقُوعُ الْحِجَابِ؟ قال: «أن تَخْرُجَ النَّفْسُ وهي مُشْرَكة» [رواه أحمد، وصححه إسناده أحمد شاكر]؛ ولهذا قال: «وَأُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا» أي: مُوجِعًا شديدًا مُقْتَبِلًا.

الآية (١٩): عن ابن عباس: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرَاهًا﴾ قال: كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامراته، إن شاء بعضهم تزوجها، وإن شاءوا زَوَّجُوهَا، وإن شاءوا لم يَزَوَّجُوهَا، فهم أحق بها من أهلها، فنزلت هذه الآية في ذلك [رواه البخاري].

وقال مجاهد في الآية: كان الرجل يكون في حجره البيمة هو يلي أمرها، فيحبسها رجاء أن تموت امرأته، فيتزوجها أو يزوجه ابنه.

فَالْآيَةُ نَعْمٌ ما كان يفعله أهل الجاهلية، وما ذكره مجاهد ومن وافقه، وكل ما كان فيه نوع من ذلك.

وقوله: ﴿وَلَا تَقْضُوا زَوَاجَكُمْ سَرَاجَهُمْ﴾ أي: لا تقضوا زواجكم في سره، لأن السر هو ما بين الزوجين من عداوة أو بغضاء، ولا يجوز أن يزوج الرجل امرأته في سره، بل يجب أن يكون ذلك علانية، وأما قوله: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا كَتَبَ آبَاؤُكُمْ لِبنَاتِكُمْ حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيكُمْ﴾ أي: لا تنكحن ما كتب آباؤكم لبناتكن حتى يخرجن من بين أيديكن، فإن كان الأب قد تزوج ابنته، فلا يجوز للابن أن يتزوجها، وإن لم يكن كذلك، فلا بأس له بالتزويج، وأما قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِلَّذِينَ اتَّخَذُوا ذُرِّيَّتًا مِنْ غَيْرِ الزَّانَةِ وَالْمُنْكَاحِ الْفَاحِشِ الْمُبِينِ﴾ أي: وما كان للذين اتخذوا ذرية من غير الزنا والمناح الفاحش المبين، فإنه لا يجوز لهم أن يتخذوا ذرية من غير هذه الطرق، لأنهم إذا فعلوا ذلك، فقد شابهوا الذين هم في الدنيا بمنزلة الكفار، وهم الذين اتخذوا ذرية من غير هذه الطرق، ولأنهم إذا فعلوا ذلك، فقد شابهوا الذين هم في الدنيا بمنزلة الكفار، وهم الذين اتخذوا ذرية من غير هذه الطرق.

وقوله: ﴿وَعَاشِرُوهُمْ بِالْغَيْرِ وَالْأَمْرِ﴾ أي: طيّبوا أقوالكم لمن، وَحَسِّنُوا أفعالكم وهينانكم بحسب قدرتكم، كما تحب ذلك منها، فافعل أنت بها مثله، كما قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ نِسَاءٌ اللَّائِي عَلَىٰ عَنَتَيْنِ بِالْأَمْرِ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، وكان من أخلاقه ﷺ أنه يجمل العشرة دائم البشر، يُدَاعِبُ أَهْلَهُ، وَيَتَلَطَّفُ بِهِمْ، وَيُؤَسِّسُهُمْ نَفَقَتَهُ، وَيُضَاحِكُ نِسَاءَهُ. وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَمَسِّسْنَ أَنْ تُكَرَّهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَبَرًا كَثِيرًا﴾ أي: فَمَسِّسْنَ أَنْ يَكُونَ صَبْرُكُمْ مَعَ إِسْكَاحِكُمْ لِمَنْ مَعَ كَرَاهَتِهِنَّ - فيه خير كثير لكم في الدنيا والآخرة. كما قال ابن عباس في هذه الآية: هو أَنْ يَطْفَئَ عَلَيْهَا، فَيُرْزَقَ مِنْهَا وَلَدًا. ويكون في ذلك الولود خير كثير، وفي الحديث الصحيح: «لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن سخط منها خلقًا، رضى منها آخر» [رواه مسلم].



## ● الوقفات التدريبية

١ ﴿وَأَلَّتِي يَأْتِيَنَّكَ الْفَحِشَةُ مِنْ يَسَائِكَمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ﴾

قيل: إنما جعل شهداء الزنا أربعة تغليظاً على المدعي، وستراً على العباد.  
ابن جزى: ١٧٩/١.

السؤال: اذكر حكمة من حكم جعل الشهداء على الزنا أربعة.

٢ ﴿وَأَلَّتِي يَأْتِيَنَّكَ الْفَحِشَةُ مِنْ يَسَائِكَمْ﴾

أي: الزنا، ووصفها بالفاحشة لشناعتها وقبحها. السعدي: ١٧١.

السؤال: لماذا وصف الزنا بالفاحشة؟

٣ ﴿إِنَّمَا اللَّهُ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾

(رحيماً) أي: يخص من يشاء من عبادته بالتوفيق لما يرضاه له، فخلقوا بفعله سبحانه، وارجعوا للمذنبين إذا تابوا، ولا ينكحهم إلا الله؛ ليرجعوا، وليكن أكثر كلامكم لهم الوعد بما يقبل بقلوبهم. البقاعي: ٢٣٦/٢.

السؤال: ما دلالة ختم الآية باسمي الله تعالى (التواب)، و(الرحيم)؟

٤ ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾

أي: جهالة منه بعاقبتها، وإيجابها لسخط الله وعقابه، وجهل منه بنظر الله ومراقبته له، وجهل منه بما تقول إليه من نقص الإيمان، أو إعدامه؛ فكل عاص لله فهو جاهل بهذا الاعتبار وإن كان عالماً بالتحريم. السعدي: ١٧١.  
السؤال: ما حقيقة الجهل الذي يحصل من عامل السوء؟

٥ ﴿وَعَاثِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾

الخطاب للجميع؛ إذ لكل أحد عشرة؛ زوجاً كان، أو ولياً، ولكن المراد بهذا الأمر في الأغلب الأزواج، وهو مثل قوله تعالى: (فامسك بمعروف)؛ وذلك توفية حقها من المهر والنفقة، والأياميس في وجهها بغير ذنب، وإن يكون منطلقاً في القول، لا هظلاً، ولا غليظاً، ولا مظهرأ ميلاً إلى غيرها.  
القرطبي: ١٥٩/٦.

السؤال: كيف تكون المعاشرة بالمعروف؟

٦ ﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَمَسَّ أَنْ تَكُونُوا سَيِّئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾

أي: ينبغي لكم أيها الأزواج أن تمسكوا زوجاتكم مع الكراهة لهن؛ فإن في ذلك خيراً كثيراً؛ من ذلك: امتثال أمر الله، وقبول وصيته التي فيها سعادة الدنيا والآخرة، ومنها: أن يجابهه نفسه مع عدم محبته لها- فيه مجاهدة النفس، والتخلق بالأخلاق الجميلة، وربما أن الكراهة تزول، وتخلفها المحبة، كما هو الواقع في ذلك، وربما رزق منها ولداً صالحاً، نفع والديه في الدنيا والآخرة. السعدي: ١٧٢.

السؤال: ما الفوائد المترتبة على إمساك الزوجة التي يكرهها الزوج؟

٧ ﴿فَمَسَّ أَنْ تَكُونُوا سَيِّئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾

إن كرهتموهن؛ فاصبروا عليهن، ولا تفارقوهن لكراهة الأنفوس وحدها، فلعل لكم فيما تكرهونه خيراً كثيراً؛ فإن النفس ربما تكره ما يحمد، وتحب ما هو بخلافه، فليكن مطلع النظر ما فيه خير وصالح، دون ما تهوى الأنفوس؛ الألووسي: ٢٤٣/٤.

السؤال: ماذا يترتب على طاعة النفس في كل شيء؟

وَأَلَّتِي يَأْتِيَنَّ الْفَحِشَةَ مِنْ يَسَائِكَمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّيَهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ٥  
وَالَّذَانِ يَأْتِيَانِيَهُمَا مِنْكُمْ فَقَادُوا لَهُمَا فَاِنْ تَابَا وَاصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا ٥  
إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ٥ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْفَنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَغْتَذَلُوا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ٥ يَأْتِيَهُمَا الَّذِينَ آتَوْنَهُمْ لِيَحْلِلَ لَكُمْ أَنْ تَرِوُا السَّيِّئَاتِ كَرِهًا وَلَا تَتَضَلَّوْهُنَّ لِيَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْنَهُمْ وَلَا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبِينَةٍ وَعَاثِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَمَسَّ أَنْ تَكُونُوا سَيِّئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ٥

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
بِجَهَالَةٍ	بِسَفَهٍ، وَكُلٌّ مِنْ عَصَى اللَّهِ فَهُوَ جَاهِلٌ.
مِنْ قَرِيبٍ	قَبْلَ مُعَايِنَةِ الْمَوْتِ.
تَعْمَلُوهُنَّ	لَا تَمْسِكُوهُنَّ مُضَارِّينَ لَهُنَّ.

## ● العمل بالآيات

- استغفر الله، وتب إليه سبعين مرة، متذكراً آخر ذنوبك وأخطائك، ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾.
- تأمل من مات على غفلة أو معصية؛ فقد يكون ذلك تذكيراً لك من ربك، ثم بادر بالتوبة، وإصلاح حياتك، ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْفَنَ﴾.
- ادفع وساوس الشيطان لك عن زوجتك أو اختك بالاستعاذة بالله، والنفث عن شمالك، ﴿وَعَاثِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَمَسَّ أَنْ تَكُونُوا سَيِّئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾.

## ● التوجيهات

- التوبة أكثر ما يكون نفعها عندما تحصل بعد الذنب مباشرة، ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾.
- احذر الظلم؛ وخاصة ظلم من كان ضعيفاً كالمرأة؛ فإن الله ناصر كل ضعيف، فاحذر عقوبة الله تعالى، ﴿وَلَا تَتَضَلَّوْهُنَّ لِيَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْنَهُمْ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِمُجَسَّاتٍ مُبِينَةٍ﴾.
- على الرجل أن يعاشر زوجته بالمعروف من: الصلابة الجميلة، وكف الأذى، وبذل الإحسان، وحسن المعاملة، ويدخل في ذلك النفقة والكسوة، ﴿وَعَاثِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾.



## ● الوقفات التدبيرية

﴿ وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَسِنَّةَ الْدَرْجِ مَكَاتَ رَوْحٍ وَءَاتَيْنَاكُمْ إِحْدَثُنَ عَنطَرًا ﴾  
 الأفضل واللائق الاقتداء بالنبي ﷺ في تخفيف المهر. السعدي: ١٧٣.

**السؤال: ما الأفضل في مقدار المهر؟**

﴿ وَلَئِنْ أَرَدْتُمْ أَنْتَبَدِلَ رَوْحٌ مَكَانَ رَوْحٍ وَكَانَتْهُمْ أُخَدُّهُمْ قِتْلَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ سَفِيحًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِنَّمَا غِيظُكُمْ ﴾  
 وإنما جعل هذا الأخذ بهتاناً لأنهم كان من عادتهم إذا كرهوا المرأة وأرادوا طلاقها رموها بسوء المعاشرة، واختلقوا عليها ما ليس فيها، لكي تخشى سوء السمعة فتبتل للزوج ما لا فداء ليطلقها. ابن عاشور: ٤/ ٢٨٩.

السؤال: لماذا سمي أخذ الصداق الذي دفعه الزوج لزوجته بهتانا في الآية الكريمة؟ ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْتُ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾

والميثاق الغليظ الذي أخذه للنساء على الرجال: إمساك بمعروف، أو  
تسريح يا حسان. الطبري: ١٢٧/٨.

**السؤال: ما الميثاق الغليظ الذي أخذته الزوجة على زوجها؟**

﴿ ١ ﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿

لما مضى في الآية المتقدمة حكم الفراق الذي سببه المرأة، وأن اللزج أخذ المال منها عقب ذلك بذكر الفراق الذي سببه الزوج، وبين أنه إذا أراد الطلاق من غير نشوز وسوء عشرة؛ فليس له أن يطلب منها مالا. القرطبي: ١٧٠/١.

**السؤال: متى يحرم على الزوج أن يطلب مالا مقابل الطلاق؟**

﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾

الفاحشة تتناول العقود الفاحشة، كما تتناول المباشرة بالفاحشة.  
ابن تيمية: ٢/٢٢٢.

**السؤال: الفاحشة تتناول العقود والمباشرة، كيف ذلك؟**

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَوَالَتُكُمْ وَكَأَنَّهُمْ ﴾  
 فمرجع تحريم هؤلاء الحرمات إلى قاعدة الروعة التابعة لكلية حفظ  
 العرض، من قسم المناسب الضروري، وذلك من أوائل مظاهر الرقي  
 البشري ابن عاشور: ٢٨٩/٤.

**السؤال: لماذا حرم نكاح هذه المحرمات من النساء؟**

﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ ﴿١﴾

التقاطع بين الأرحام. السعدي: ١٧٤.

**السؤال: لماذا حرم الله سبحانه الجمع بين الأختين؟**

وَأَن أَرَدْتُمْ أَسْبَغَ دَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ  
إِحْدَاهُمَا قِطْعًا فَإِلَّا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْعًا أَتَأْخُذُونَهُ  
بُهْتًا وَإِنَّمَا بُيِّنَّا ❶ وَكَفَى تَأْخُذُ وَهُوَ وَقَدْ أَهْضَى  
بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا عَلَيْهِمْ  
❷ وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ  
إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ  
سَبِيلًا ❸ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ  
وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ  
الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأَخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمْ الَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ  
وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرِّضَاعِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ  
وَزَوَّجَاتُكُمْ الَّتِي فِي حُجُورِكُمْ مِن نِّسَائِكُمْ  
الَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا  
جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ  
أَصْلَابِكُمْ وَأَن تَحْمُوا نَبَاتِةَ الْأَخْتَيْنِ إِلَّا  
مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ❹

## معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
قِنْطَارًا	مَالًا كَثِيرًا.
بُهْتَانًا	كَذِبًا، وَظُلْمًا.
أَهْضَى	اسْتَمْتَعَ بِالْجِمَاعِ.
وَرَبَائِكُمْ	بَنَاتُ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي يَتَرَبَّيْنَ غَالِبًا فِي بُيُوتِكُمْ.
وَحَلَائِلُ	زَوَاجَاتُ.

## ● العمل بالآيات

١. اكتب مقدار صدق بنات النبي ﷺ، وانشره في رسالته، ﴿وَأَتَيْتُمَا حَدِيثَهُنَّ فَنِظَرَا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾.

١٠. اجمع انواع الضعفة الذين دافع الله عن حقوقهم في سورة النساء، وأرسلها في رسالته لتحبيب الخلق إلى خالقهم، ﴿ فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُمْ شَيْئًا إِنَّا آخُذُهُمْ بِهَتِّنَا وَنِعْمَ آخِذِينَ ﴾ .

٣. اجمع ثلاثة أحكام شرعت للمحافظة على علاقات أولى الأرحام، لتعريف عظم شأن الرحم عند الله سبحانه، ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبنَاتُكُمْ وَأَوْرَاقُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبنَاتُ الْأَخِ وَبنَاتُ الْأُخْتِ﴾.

## ● التوجيهات

١. التشديد في تحريم استرجاع المهر يؤدي إلى ردع المتلاعبين بالطلاق، ﴿فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ سُبُحًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِذَا مَا مُدِينًا﴾.

٢. وجوب الوفاء بالعهود واحترامها وتقديرها، ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ﴾  
وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْتُ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٢٠﴾

٣. من مراعاة الشرع للحفاظ على أو اصر الرحم ان حرم الجمع بين الأخنتين؛ خشية ان تقطع الرحم بسبب النكاح، ﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾.

الرَّضْعَةَ ﴿أَي: كما يحرم عليك أمك التي ولدتك، كذلك يحرم عليك أمك التي أرضعتك؛ ولهذا جاء عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: «إن الرضاعة تحرم ما تحرم الولادة» [متفق عليه] وقوله: «وَأَمَهَتْ نِسَائِيكُمْ وَرَبَّيْتِيكُمْ أَلَّتِي فِي حُجُورِكُمْ بَيْنَ نِسَائِكُمْ أَلَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ» أما أم المرأة فإنها تحرم بمجرد العقد على بنتها، سواء دخل بها أو لم يدخل بها. وأما الربيبة -وهي بنت المرأة- فلا تحرم بمجرد العقد على أمها، حتى يدخل بها، فإن طلق الأم قبل الدخول بها جاز له أن يتزوج بنتها؛ ولهذا قال: «وَرَبَّيْتِيكُمْ أَلَّتِي فِي حُجُورِكُمْ بَيْنَ نِسَائِكُمْ أَلَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ» في تزويجهن، فهذا خاص بالربائب وحدهن. وقد فهم بعضهم عود الضمير إلى الأمهات والربائب، فقال: لا تحرم واحدة من الأم ولا البنت بمجرد العقد على الأخرى حتى يدخل بها؛ لقوله: «فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ». وجمهور العلماء على أن الربيبة لا تحرم بمجرد العقد على الأم، بخلاف الأم فإنها تحرم بمجرد العقد. وقوله: «وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ» أي: وحُرمت عليكم زوجات آبائكم الذين ولدتموهم من أصلابكم، يحترز بذلك عن الأعداء الذين كانوا يَتَّبِعُونَهُمْ في الجاهلية، كما قال تعالى: «فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا لِيَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَنْزَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا» الآية [الأحزاب: ٣٧].

وروى ابن أبي حاتم عن الحسن بن محمد أن هؤلاء الآيات مبهات: «وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ»، «وَأَمَهَتْ نِسَائِيكُمْ».

معنى مبهات: أي عامة في المدخول بها وغير المدخول، فتحرم بمجرد العقد عليها، وهذا متفق عليه. وقوله: «وَأَنْ تَجَمَعُوا بَيْنَ الْأَخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّكَ أَنْتَ كَانَ عَاقِرًا رَجِيمًا» أي: وحرم عليكم الجمع بين الأختين معاً في التزويج، وكذا في ملك اليمين، إلا ما كان منكم في جاهليتيكم فقد عفونا عن ذلك وغفرناه. وقد أجمع العلماء من الصحابة والتابعين والأئمة قديماً وحديثاً: على أنه يحرم الجمع بين الأختين في النكاح. ومن أسلم ونحته أختان خَيْرٌ، فَيُسَبِّكُ إِحْدَاهُمَا وَيُطْلِقُ الْأُخْرَى لا محالة. عن فيروز قال: أسلمت وعندي امرأتان أختان، فأمرني النبي ﷺ أن أطلق إحداهما [رواه أحمد وأصحاب السنن، وحسنه الألباني].

وأما الجمع بين الأختين في ملك اليمين فحرام أيضاً لمعوم الآية، وهذا هو المشهور عن الجمهور: الأئمة الأربعة وغيرهم، وإن كان بعض السلف قد توقف في ذلك. وقال ابن عبد البر: وجامعة الفقهاء متفقون على أنه لا يحل الجمع بين الأختين بملك اليمين في الوطء، كما لا يحل ذلك في النكاح. وقد أجمع المسلمون على أن معنى قوله: «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَنِسَائِيكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ» إلى آخر الآية: أن النكاح وملك اليمين في هؤلاء كلهن سواء، فكذاك يجب أن يكون نظراً وقياًما الجمع بين الأختين وأمهات النساء والربائب. وكذلك هو عند جمهورهم، وهم الحجة المحجوج بها من خالفها وشذ عنها.

الآية (٢٠-٢٢): أي: إذا أراد أحدكم أن يفارق امرأة ويستبدل مكانها غيرها، فلا يأخذنَّ بما كان أصدق الأولي شيئاً، ولو كان قطاراً من مال. وفي هذه الآية دلالة على جواز الإصداق بالمال الجزيل، وقد كان عمر بن الخطاب نهي عن كثرة الإصداق، ثم رجع عن ذلك. ولهذا قال [تعالى] مُتَكْرِماً: «وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ» أي: وكيف تأخذون الصداق من المرأة وقد أفضيت إليها وأنصت إليك؟ قال ابن عباس، ومجاهد، والسدي، وغير واحد: يعني بذلك: الجعاع. وقد ثبت أن رسول الله ﷺ قال للمُتَلَاعِثِينَ بعد فراغها من تلاحنها: «لا مال لك؛ إن كنت صدقت فهو بها استحللت من فرجها، وإن كنت كذبت عليها فهو أبعد لك منها» [رواه البخاري ومسلم]. وقوله: «وَأَخَذْتَ مِنْكُمْ يَمِينًا غَلِيظًا» روي عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير: أن المراد بذلك العقد. وعن ابن عباس قال: إمساكٌ بمعروف أو تسريح بإحسان. عن جابر أن رسول الله ﷺ قال: «واستوصوا بالنساء خيراً، فإنكم أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله» [رواه مسلم]. قوله تعالى: «وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ» يُحَرِّمُ تعالى زوجات الآباء تكريم لهم، وإعظاماً واحتراماً أن توطأ من بعده، حتى إنها لتحرم على الابن بمجرد العقد عليها، وهذا أمر مُجْمَعٌ عليه. وقد زعم الشَّهْلِيُّ أن نكاح نساء الآباء كان معمولاً به في الجاهلية. وعلى كل تقدير فهو حرام في هذه الأمة، مُتَّبِعٌ غاية التَّبَعِ، ولهذا قال: «إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا» مقاً أي: بغضاً، أي: هو أمر كبير في نفسه، ويؤدي إلى مقت الابن أباه بعد أن يتزوج بامرأته، فإن الغالب أن من تزوج بامرأة يبغض من كان زوجها قبله؛ ولهذا حرمت أمهات المؤمنين على الأمة؛ لأنهن أمهات، لكونهن زوجات النبي ﷺ، وهو كالآب، بل حقه أعظم من حق الآباء بالإجماع، بل حُبُّه مقدم على حب النفوس صلوات الله وسلامه عليه. وقال عطاء بن أبي رباح في قوله: «وَمَقْتًا» أي: يمقت الله عليه «وَسَاءَ سَبِيلًا» أي: وئس طريقاً لمن سلكه من الناس، فمن تعاطاه بعد هذا فقد ارتد عن دينه، فَيُقْتَلُ، ويصير ماله فيئاً لبيت المال. عن البراء بن عازب، قال: مرَّ بي عمِّي الحارث بن عمرو، ومعه لواء قد عقده له النبي ﷺ فقلت له: أي عم، أين بعثك النبي ﷺ؟ قال: بعثني إلى رجل تزوج امرأة أبيه فأمرني أن أضرب عنقه [رواه أحمد والترمذي، وصححه الألباني].

الآية (٢٣): هذه الآية الكريمة هي آية تحريم المحارم من النسب، وما يتبعه من الرضاع والمحارم بالصَّهْر. وقد استدل جمهور العلماء على تحريم المخلوقة من ماء الزاني عليه بمعوم قوله تعالى: «وَبَنَاتُكُمْ»؛ فإنها بنت فتدخل في العموم، كما هو مذهب أبي حنيفة، ومالك، وأحمد ابن حنبل. وقد حكى عن الشافعي شيء في إباحتها؛ لأنها ليست بشأ شرعية، فكما لم تدخل في قوله تعالى: «يُؤَيِّدُكُمُ اللَّهُ فِيْ أَوَّلِكُمْ» [النساء: ١١]. فإنها لا تورث بالإجماع، فكذلك لا تدخل في هذه الآية. والله أعلم، وقوله: «وَأَمَهَتْكُمْ أَلَّتِي أَرْضَعْتَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ

الآية (٢٤): ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ أي: وحرم عليكم الأجنبية المحصنات، وهنّ المزوجات ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ يعني: إلا ما ملكتموهن بالسي؛ فإنه مجل لكم وطوهن إذا استبرأتموهن؛ فإن الآية نزلت في ذلك. [سبب النزول]: عن أبي سعيد الخدري قال: أصبنا سبياً من سبي أوطاس، وهن أزواج، فكرهنا أن تقع عليهن وهن أزواج، فسلنا النبي ﷺ، فنزلت هذه الآية: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾، فاستحللنا بها فزوجهن (رواه مسلم). ﴿يَكْتُبُ اللَّهُ عَلَيْكُمُ﴾ أي: هذا التحريم كتاب كتبه الله عليكم، فالزموا كتابه، ولا تخرجوا عن حدوده، والزموا شرعه وما فرضه ﴿وَأَمْلَ لَكُمْ مَا وَكَّاهُ ذَلِكَ﴾ أي: ما عدا من دُكرن من المحارم هُنّ لكم حلال، قاله عطاء. ﴿أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ﴾ أي: تحصلوا بأموالكم من الزوجات إلى أربع أو السراي ما شئتم بالطريق الشرعي؛ ولهذا قال: ﴿مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْتَفْهِينَ﴾. وقوله: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ أي: كما تستمتعونهن بهن فآتوهن مهورهن في مقابلة ذلك؛ كقوله: ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَتَيْنِ عِثَّةً﴾ [النساء: ٤]. وقد استدل بمعوم هذه الآية على نكاح المتعة، ولا شك أنه كان مشروعاً في ابتداء الإسلام، ثم نسخ بعد ذلك. والعمدة ما ثبت عن علي بن أبي طالب قال: نهى النبي ﷺ عن نكاح المتعة وعن لحوم الحمر الأهلية يوم خيبر (رواه البخاري ومسلم). وعن سبرة بن معبد الجهني أنه غزا مع رسول الله ﷺ فتح مكة، فقال: «يا أيها الناس، إني كنت أذنت لكم في الاستمتاع من النساء، وإن الله قد حرم ذلك إلى يوم القيامة» (رواه مسلم). ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ﴾ أي: إذا فرضت لها صداقاً فأبرأتك منه، أو عن شيء منه فلا جناح عليك ولا عليها في ذلك. وقال ابن عباس: التراضي أن يُؤفقا صداقها ثم يغيرها، يعني: في المقام أو الفراق. وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ مناسب ذكر هذين الوصفين بعد هذه المحرمات.

الآية (٢٥): يقول تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ﴾ ومن لم يجد ﴿مِنْكُمْ طَوْلًا﴾ أي: سعة وقدرة ﴿أَنْ يَكْهِنَ الْمُحْصَنَاتُ الْمُؤْمِنَاتُ﴾ أي: الحرائر العفاف ﴿فَإِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فِتْنَةٍ﴾ أي: فتزوجوا من الإماء المؤمنات اللاتي يملكهن المؤمنون. ثم اعترض بقوله: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَيِّكُمْ بِبَعْضِكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ أي: هو العالم بحقائق الأمور وسرائرها، وإننا لكم أيها الناس الظاهر من الأمور. ﴿فَأَنْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾ فدل على أن السيد هو ولي أُمّيه لا تزوّج إلا بإذنه، وكذلك هو ولي عبده، ليس لعبده أن يتزوج إلا بإذنه، كما جاء في الحديث: «أبنا عبد تزوّج بغير إذن مواله فهو غاير» (رواه أحمد وأبو داود وحسنه الألباني) أي: زان.

فإن كان مالك الأمة امرأة، وزوّجها من يزوح المرأة بإذنها؛ لما جاء في الحديث: «لا تزوّج المرأة المرأة، ولا المرأة نفسها، فإن الزانية هي

التي تزوّج نفسها» (رواه ابن ماجه، وحسنه الألباني).

﴿وَأَتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي: وادفعوا مهورهن بالمعروف، أي: عن طيب نفس منكم، ولا تبخسوا منه شيئاً استهانةً بهن؛ لكونهن إماء مملوكات. ﴿مُحْصَنَاتٍ﴾ أي: عفاف عن الزنا لا يتعاطيها؛ ولهذا قال: ﴿غَيْرَ مُسْتَفْهِينَ﴾ وهن الزواني اللاتي لا يمتنعن من أحد أرادهن بالفاحشة. ﴿وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾ قال ابن عباس: يعني: أخلاء. وكذا روي عن أبي هريرة ومجاهد. وقال الضحاك: ذات الخليل الواحد، المُقرّة به، نهى الله عن ذلك. يعني تزويجها ما دامت كذلك.

﴿فَإِذَا أَحْصَيْتُمْ فَإِنْ أَتَيْتُمْ بِمَدْحَسَةٍ فَلَعْنَتَيْنِ صَفًّا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ اختلف القراء في «أَحْصَيْنَ» فقرأه بعضهم بضم الهزلة وكسر الصاد، مبنياً لما لم يُسم فاعله، وقرأه بفتح الهزلة والصاد فعل لازم، ثم قيل: معنى القراءتين واحد. واختلفوا فيه على قولين: أحدهما: أن المراد بالإحصان ههنا الإسلام. وقيل: المراد به ههنا التزويج. وقيل: معنى القراءتين متباين؛ فمن قرأ بضم الهزلة فمراده التزويج، ومن قرأ بفتحها فمراده الإسلام. والأظهر - والله أعلم - أن المراد بالإحصان ههنا التزويج؛ لأن سياق الآية يدل عليه، حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَكْهِنَ الْمُحْصَنَاتُ الْمُؤْمِنَاتُ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فِتْنَةٍ﴾. والآية الكريمة سياقها في الفتيات المؤمنات، فتعين أن المراد بقوله: ﴿فَإِذَا أَحْصَيْنَ﴾ أي: تزوجن، كما فسر ابن عباس ومن تبعه.

﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ﴾ أي: إنما يباح نكاح الإماء بالشروط المتقدمة لمن خاف على نفسه الوقوع في الزنا، وشق عليه الصبر عن الجماع، وعنت بسبب ذلك كله، فله حينئذ أن يتزوج بالأمة، وإن ترك تزوجها وجاهد نفسه في الكف عن الزنا، فهو خير له؛ لأنه إذا تزوجها جاء أولاده أرقاء لسيدها، ولهذا قال: ﴿وَأَنْ تَصِيرُوا خَيْرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

ومن هذه الآية الكريمة استدلل جمهور العلماء في جواز نكاح الإماء على أنه لا بد من عدم الطول لنكاح الحرائر، ومن خوف العنت. وخالف أبو حنيفة وأصحابه في اشتراط الأمرين، فقالوا: متى لم يكن الرجل مزوجاً بخرة جاز له نكاح الأمة، سواء كان واجداً لطول حرة أم لا، وسواء خاف العنت أم لا!

الآية (٢٦): يخبر تعالى أنه يُريد أن يبين لكم -أيها المؤمنون- ما أحل لكم وحرم عليكم، مما تقدم ذكره في هذه السورة وغيرها، ﴿وَيَهْدِيَكُمْ سَبِيلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ يعني: طرائقهم الحميدة واتباع شرائعهم التي يمجها ويرضاها.

﴿وَيُنَبِّئُكُمْ﴾ أي من الإنم والمحارم ﴿وَاللَّهُ عَلَيْهِ حَكِيمٌ﴾ أي: في شرعه وقدره وأفعاله وأقواله.



## الوقفات التدريبية

﴿ وَأَجَلٌ لَّكُمْ مَا رَزَاكَ إِلَيْكُمْ ﴾

كل ما لم يذكر في هذه الآية فإنه حلال طيب؛ فالحرام محصور، والحلال ليس له حد ولا حصر؛ لطفاً من الله ورحمته وتيسيراً للعباد. السعدي: ١٧٤.

السؤال: دلت هذه الآية على سهولة هذا الدين، وسعة رحمة الله، وضح ذلك.

﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ ﴾

أي: لا تتعرضوا للباطن في الإيمان، وخذوا بالظاهر؛ فإن الله أعلم بإيمانكم. البخوي: ٥٩/١.

السؤال: هل من منهج المسلم الكلام عن بواطن الناس؟ ولماذا؟

﴿ ذَلِكَ لِمَنْ حَسِيَ الْعَنَتُ مِنْكُمْ وَأَنْ تُصِرُّوا خَيْرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

قيل: أصل العنت انكسار العظم بعد الجبر؛ فاستعير لكل مشقة وضرب يعتري الإنسان بعد صلاح حاله، ولا ضرر أعظم من موقعة المأثم بارتكاب افحش القبائح. الألوسي: ١٢/٥.

السؤال: ما دلالة الخوف من العنت في الأمر بالزواج بالأمّة؟

﴿ فَإِنْ آتَيْتُمْ بِكَ حَقِّهِمْ يَصِفْ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ حَسِيَ الْعَنَتُ مِنْكُمْ وَأَنْ تُصِرُّوا خَيْرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

وختم هذه الآية بهذين الاسمين الكريمين: (الغفور) و(الرحيم) لكون هذه الأحكام رحمة للعباد، وكرماً وإحساناً إليهم؛ فلم يضيق عليهم، بل وسّع عليهم غاية السعة، ولعل في ذكر المغفرة بعد ذكر الحد إشارة إلى أن الحدود كفارات؛ يغفر الله بها ذنوب عباده، كما ورد بذلك الحديث السعدي: ١٧٥.

السؤال: ما وجه ختم الآية باسميه: (الغفور)، و(الرحيم)؟

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَ الصَّالِحِينَ ﴾

أي: (ليبين لكم) أمر دينكم ومصلحك أمركم، وما يحل لكم وما يحرم عليكم؛ وذلك يدل على امتناع خلو واقعة عن حكم الله تعالى، ومنه قوله تعالى: (ما فرطنا في الكتاب من شيء) [١١: ١٢٨] القرطبي: ٢٤٤/٦.

السؤال: هل تحدث واقعة أو نازلة معاصرة ليس لشرع الله تعالى فيها بيان أو حكم؟

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَ الصَّالِحِينَ ﴾

أي: يهديكم مناهج من كان قبلكم من الأنبياء والصالحين لتقتدوا بهم. ابن جزّي: ١٨٦/١.

السؤال: المؤمنون على مر السنين إخوة يقتدي بعضهم ببعض، وضح ذلك من الآية.

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَ الصَّالِحِينَ ﴾

(ويتوب عليكم) أي: يلطف بكم في أحوالكم وما شرعه لكم، حتى تتمكنوا من الوقوف على ما حده الله، والاكتفاء بما أحله، فتقل ذنوبكم بسبب ما يسر الله عليكم؛ فهذا من توبته على عباده. ومن توبته عليهم أنهم إذا اذنبوا فتح لهم أبواب الرحمة، وأوزع قلوبهم الإنابة إليه والتذلل بين يديه، ثم يتوب عليهم بقبول ما وفقهم له السعدي: ١٧٥.

السؤال: كيف يتوب الله على عباده؟

﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفَحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا تَرَضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ٥٠ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكَحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسْفَحَاتٍ وَلَا مُتَّخَذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أَحْصَيْتُمْ أَنْ تَنْكِحُنَّ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ حَسِيَ الْعَنَتُ مِنْكُمْ وَأَنْ تُصِرُّوا خَيْرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ٥١ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَ الصَّالِحِينَ وَلِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَ الصَّالِحِينَ ٥٢ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ٥٣ ﴾

## معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
وَالْمُحْصَنَاتُ	الْمُتَزَوِّجَاتُ.
مُحْصِنِينَ	أَعْمَاءَ عَنِ الْحَرَامِ.
مُسَافِحِينَ	زَانِينَ.
طَوْلًا	غَنًى، وَسَعَةً.
مُتَّخَذَاتِ أَخْدَانٍ	مُصَاحِبَاتِ أَصْدِقَاءَ لِلزَّانَا سِرًّا.
الْعَنَتُ	الْوُقُوعُ فِي الزَّانَا.

## العمل بالآيات

١. بُنِّ مَفاهيم الحياء، والستر، والحجاب الصحيح للمرأة المسلمة؛ باستخدام الوسائل المتيسرة، ﴿ مُحْصِنَاتٍ غَيْرَ مُسْفَحَاتٍ وَلَا مُتَّخَذَاتِ أَخْدَانٍ ﴾.
٢. سل الله تعالى أن يزيحك الصبر، ويوفقه له، ﴿ وَأَنْ تُصِرُّوا خَيْرَ لَكُمْ ﴾.
٣. مهما عظمت ذنوبك استغفر الله تعالى وتب إليه، متذكراً أن الله تعالى يريد أن يتوب على عباده، ويحب ذلك، فاحسن الظن به، ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَ الصَّالِحِينَ ﴾.

## التوجيهات

١. معاملتة الناس تكون بظاهرهم، وليس على المؤمن تتبع البواطن، ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ ﴾.
٢. الدين والعقل والإحصان صفات أساس في اختيار الزوجة، وهي مقدمة على غيرها من الصفات، ﴿ مُحْصِنَاتٍ غَيْرَ مُسْفَحَاتٍ وَلَا مُتَّخَذَاتِ أَخْدَانٍ ﴾.
٣. في الصبر خير كثير، ﴿ وَأَنْ تُصِرُّوا خَيْرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾.



القارئة  
الصوتية

## ● الوقفات التحذيرية

﴿وَأَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ يُكَلِّمُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾

فإذا عرفتم أن الله يامركم بما فيه صلاحكم وفلاحكم وسعادتكم، وأن هؤلاء المتبعين لشهواتهم يأمرونكم بما فيه غاية الخسار والشقاء، فاختاروا لأنفسكم أولى الداعين، وتخيروا أحسن الطريقتين. السعدي: ١٧٥.

السؤال: بين الله الطرق للناس، فماذا بقي عليهم؟

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾

لما نهى الله تعالى عن أكل أموال الناس بالباطل، وقتل الأنفس عقبه بالنهي عما يؤدي إليه من الطمع في أموالهم؛ نهامهم أولا عن التعرض لأموالهم بالجوراح، ثم عن التعرض لها بالقلب على سبيل الحسد؛ لتطهر أعمالهم الظاهرة والباطنة. الألوسي: ١٩/٥.

السؤال: ما علة النهي عن تمني نعمة الآخرين؟

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ بَيْعَةً عَنْ رِضَىٰ مِنْكُمْ﴾

وهذه الآية أدل دليل على فساد قول الجهلة من المتصوفة المنكرين طلب الأقوات بالتجارا والصناعات. القرطبي: ٢٥٠/٦.

السؤال: هل السعي في طلب الرزق والتجارة ينافي التوكل على الله، وضح ذلك من الآية.

﴿إِنْ تَحْتَبُوا كَبِيرًا فَتَبَوُّا عَنْهُ نَكِيرًا عَنْكُمْ سَيَاتِكُمْ وَتُدْخِلَكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا﴾

قال ابن عباس: الكبار كل ذنب ختمه الله بنار، أو لعنة، أو غضب. ابن جزي: ١٨٧/١.

السؤال: ما المراد بالكبار، مع التمثيل لثلاثة منها؟

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبْنَ وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾

(ولا تتبعوا...) الآية: سببها أن النساء قلن: ليتنا استوين مع الرجال في الميراث، وشاركناهم في الغزو؛ فنزلت فيها عن ذلك؛ لأن في تمنيهما ردا على حكم الشريعة، فيدخل في النهي تمني مخالفة الأحكام الشرعية كلها. ابن جزي: ١٨٧/١.

السؤال: لماذا جاء النهي عن تمني ما فضل الله به بعض الناس على بعض؟

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾

فنهى الله تعالى عن التمني لما فيه من دواعي الحسد والحسد أن يتمنى زوال النعمة عن صاحبه -سواء تمنّاها لنفسه أم لا- وهو حرام، والغبطة أن يتمنى لنفسه مثل ما لصاحبه؛ وهو جائز. قال الكلبي: لا يتمنى الرجل مال أخيه ولا امرأته ولا خادمه، ولكن ليقبل اللهم أرزقني مثله. البغوي: ٥١٧/١.

السؤال: ما الفرق بين الحسد والغبطة؟

﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبْنَ﴾

عبر عن فضل الله بالاكتساب تأكيداً لاستحقاق كل منهما لنصيبه، وتقوية لاختصاصه؛ بحيث لا يتخطاه إلى غيره؛ فإن ذلك مما يوجب الانتهاء عن التمني للذكور، فلكل حظ من الثواب على حسب ما كلفه الله تعالى من الطاعات بحسن تدبيره. الألوسي: ١٩/٥.

السؤال: لماذا عبر عن فضل الله بالاكتساب؟

وَأَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ يُكَلِّمُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴿١٧٥﴾ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴿١٧٦﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ بَيْعَةً عَنْ رِضَىٰ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿١٧٧﴾ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدُوًّا وَظُلْمًا قَسُوفَ نُصْلِهِ نَارًا وُكِّنَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٧٨﴾ إِنْ تَحْتَبُوا كَبِيرًا فَتَبَوُّا عَنْهُ نَكِيرًا عَنْكُمْ سَيَاتِكُمْ وَتُدْخِلَكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا ﴿١٧٩﴾ وَلَا تَتَّبِعُوا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبْنَ وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿١٨٠﴾ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيًّا وَمِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلَّذِينَ عَقَدْتَ أَيْدِيكُمْ فَتَاتُوهُمْ نَصِيبُهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿١٨١﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
كَبِيرٌ	الدُّنُوبُ الْكَبِيرَةُ مِمَّا فِيهِ حُدٌّ، أَوْ لَعْنَةٌ، أَوْ وَعِيدٌ.
سَيَاتِكُمْ	الدُّنُوبُ الصَّغِيرَةُ.
مَوَالِيٍّ	وَرَثَةٍ.
وَالَّذِينَ عَقَدْتَ أَيْمَانَكُمْ	مَنْ خَالَفْتُمُوهُمْ عَلَى النَّصْرَةِ.

## ● العمل بالآيات

١. تعبد الله بعمل إعلامي: (رسالة - مقال - عرض مرئي - قصيدة) تحذر فيها من الشهوات التي استطاع المفسدون نشرها في البلد، ﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ يُكَلِّمُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾.
٢. تضرع إلى الله معترفاً بضعفك وعجزك؛ فإن الله تعالى مع المنكسرة قلوبهم إليه، ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾.
٣. اجتنب مجلساً أو مكاناً يذكر بك كبيرة من كبائر الذنوب، وأكثر من الاستغفار، ﴿إِنْ تَحْتَبُوا كَبِيرًا فَتَبَوُّوا عَنْهُ نَكِيرًا عَنْكُمْ سَيَاتِكُمْ وَتُدْخِلَكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا﴾.

## ● التوجيهات

١. البتلى بالشهوات المحرمة يرغب في كون الناس كلهم مثله، كما أن الطاهر يود أن كل الناس طاهرون، ﴿وَأَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ يُكَلِّمُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾.
٢. ما من إنسان إلا يختبره الله بنوعين من الدعاة: دعاة إلى الخير، ودعاة إلى الشر، ﴿وَأَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ يُكَلِّمُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾.
٣. مال الآخرين لا يجوز أكله إلا بطريقة شرعية، وبرضا نفس منه؛ فاحذر أن تدخل في بطنك المال الحرام، ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ بَيْعَةً عَنْ رِضَىٰ مِنْكُمْ﴾.

الآية (٣٢): [سبب النزول]: عن أم سلمة أنها قالت: يا رسول الله، تغزو الرجال ولا تغزو، ولنا نصف الميراث؟ فأنزل الله: ﴿وَلَا تَمْنُنَ مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [رواه احمد وصححه إسناده احمد شاكر]. وعن ابن عباس قال: ولا يمتنى الرجل فيقول: ليت؛ لو أن لي مال فلان وأهله! فهنيئ الله عن ذلك، ولكن ليسأل الله من فضله. وهو الظاهر من الآية، ولا يرد على هذا ما ثبت في الصحيح: «لا حسد إلا في اثنين: رجل آتاه الله مالا فسلطه علىهلكته في الحق، فيقول رجل: لو أن لي مثل ما لفلان لعملت مثله. فهما في الأجر سواء» [رواه البخاري] فإن هذا شيء غير ما نهت الآية عنه؛ وذلك أن الحديث حض على تمتي مثل نعمة هذا، والآية نهت عن تمتي عن نعمة هذا. «لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ» أي: كل له جزاء على عمله بحسبه، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر. وهو قول ابن جرير. وقيل: المراد بذلك في الميراث، أي: كل يرث بحسبه. ثم أرشدهم إلى ما يصلحهم فقال: «وَسَلُّوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ» ولا تمنوا ما فضلنا به بعضكم على بعض؛ فإن هذا أمر محتم، أي: إن التمتي لا يجدي شيئا، ولكن سلوني من فضلي أعطيكم؛ فإنني كريم وهاب. «إِنَّ اللَّهَ كَذَلِكَ يَكْتُلُ شَيْءًا وَعَلَيْكُمْ» أي: هو عليم بمن يستحق الدنيا فيعطيه منها، وبمن يستحق الفقر فيفقره، وعليم بمن يستحق الآخرة فيقيضه لأعمالها، وبمن يستحق الخذلان فيخلذه عن تعاطي الخير وأسبابه.

الآية (٣٣): قال ابن عباس: «مَوْلَى» أي: ورثة. وفي رواية: أي: عَصَبَة. قال ابن جرير: والعرب تسمي ابن العم: مولى، ويعني بقوله: «وَمِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ» من تركة والديه وأقربيه من الميراث، فتأويل الكلام: ولكلهم -أيها الناس- جعلنا عَصَبَة يرثونه مما ترك والداه وأقربوه من ميراثهم له. «وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَنُكُمْ فَآتَوْهُمْ نَصِيبَهُمْ» أي: والذين تحالفتم بالأيان المؤكدة -أنتم وهم- فآتوهم نصيبهم من الميراث، كما وعدتموهم في الأيمان الغلظة، إن الله شاهد بينكم في تلك اليهود والمعاقدات. وقد كان هذا في ابتداء الإسلام، ثم نُسخ بعد ذلك، وأمروا أن يوفوا لمن عاقدوا، ولا يُنْشَأَ بعد نزول هذه الآية معاقدة. عن ابن عباس: «وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوْلَى» قال: ورثة «وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَنُكُمْ» كان المهاجرون لما قدموا المدينة يرث المهاجري الأنصاري دون ذوي رحمه؛ للأخوة التي آخى النبي ﷺ بينهم، فلما نزلت: «وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوْلَى» نُسخَتْ، ثم قال: «وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَنُكُمْ فَآتَوْهُمْ نَصِيبَهُمْ» من النصر والرفادة والنصيحة، وقد ذهب الميراث، ووصي له [رواه البخاري]. فالصحيح أنهم كانوا في ابتداء الإسلام يتوارثون بالحلف، ثم نُسخ، وبقي تأثير الحلف بعد ذلك، وإن كانوا قد أوفوا بالعهود والمعقود والمعهود.

[وقد] نص غير واحد من السلف: أنها منسوخة بقوله: «وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْأُولَئِينَ» وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَقْعَلُوا إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا [الأحزاب: ٦].

الآية (٢٧-٢٨): «وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ يُبَيِّلُوا مَبْلَغًا عَظِيمًا» أي: يريد أتباع الشياطين من اليهود والنصارى والزناة «أَنْ يُبَيِّلُوا» عن الحق إلى الباطل «مَبْلَغًا عَظِيمًا».

قوله: «يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ» أي: في شرائعه وأوامره ونواهيه وما يقدره لكم، ولهذا أباح الإمام بشروطه، كما قال مجاهد. «وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَوِيًّا» فناسبه التخفيف؛ لضعفه في نفسه، وضعف عزمه وهمنه. قال طاووس: «وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَوِيًّا» أي: في أمر النساء، وقال وكيع: يذهب عقله عندهن.

الآية (٢٩): نبي تبارك وتعالى عباده المؤمنين عن أن يأكلوا أموال بعضهم بعضًا بالباطل، أي: بأنواع المكاسب غير الشرعية؛ كأنواع الربا والقمار، وما جرى مجرى ذلك من سائر صنوف الخيل، وإن ظهرت في قالب الحكم الشرعي مما يعلم الله أن متعاطيها إنما يريد الحيلة على الربا، روى ابن جرير عن ابن عباس -في الرجل يشتري من الرجل الثوب فيقول: إن رضيت أخذه وإلا رددت معه درهمًا- قال: هو الذي قال الله عز وجل: «لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ». قوله: «إِلَّا أَنْ تَكُونَ بَحْرَةً عَنْ تَرَاضٍ بَيْنَكُمْ» هو استثناء منقطع؛ كأنه يقول: لا تتعاطوا الأسباب المحرمة في اكتساب الأموال، لكن المتاجر المشروعة التي تكون عن تراض من البائع والمشتري فاعملوها وتسبوا بها في تحصيل الأموال؛ كما قال تعالى: «وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ» [الأنعام: ١٥١]. ومن هذه الآية الكريمة احتج الشافعي على أنه لا يصح البيع إلا بالقبول؛ لأنه يدل على التراضي نصًا، بخلاف المعاطة فإنها قد لا تدل على الرضا ولا بد، وخالف الجمهور في ذلك، فরাوا أن الأقوال كما تدل على التراضي، فكذلك الأفعال تدل في بعض المحال قطعًا، فصحبوا بيع المعاطة في المحقرات، وفيما يعده الناس بيعًا. «وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ» أي: بارتكاب محارم الله وتعاطي معاصيه وأكل أموالكم بيبكم بالباطل. في الصحيحين عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ شَيْءٌ عَذَبَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». «إِنَّ اللَّهَ كَانَ يَكْرَهُكُمْ رِجِيمًا» أي: فيما أكرمكم به، ونهاكم عنه.

الآية (٣٠-٣١): «وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدَّ كَافِرًا مَلِكًا» أي: ومن يتعاطى ما نهى الله عنه متعمدًا فيه ظالمًا في تعاطيه، أي: عالمًا بتحريمه متجاسرًا على انتهاكه «سَوَفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا» وهذا تهديد شديد وعيد أكيد، فليحذر منه كل عاقل لبيب من ألقى السمع وهو شهيد. قوله: «إِنْ تَجَدَّبُوا كِتَابَكُمْ مَا تَهْتَوْنَ عَنْهُ نُكْفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلَ كَرِيمًا» أي: إذا اجتنبتكم كبائر الآثام التي تُهِنُّم عنها؛ كفرنا عنكم صفائر الذنوب، وأدخلناكم الجنة؛ ولهذا قال: «وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلَ كَرِيمًا».

عن أنس بن مالك قال: ذكر رسول الله ﷺ الكبائر -أو سئل عن الكبائر- فقال: «الشُّرْكُ بِاللَّهِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، وَهَقْوُ الْوَالِدَيْنِ». وقال: «أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِكَبِيرِ الْكِبَائِرِ؟» قلنا: بلى. قال: «قول الزور، أو شهادة الزور» [متفق عليه].



الآية (٣٥): ذكر الحال الأول، وهو إذا كان النفور والشئ من الزوجة، ثم ذكر الحال الثاني وهو: إذا كان النفور من الزوجين، قال تعالى: ﴿وَإِنْ جُنُسُ الزَّوْجِ يَمْنَحُ فَأَبْغَوْا فِي بَيْنِهِمَا مَقْعًا لِّلشَّكَاكِي مِن دُونِهِمْ وَأَقْرَبُوا بَيْنَهُمَا ذِكْرَ الَّذِي بَارَأَ مِنْهُمَا وَإِذَا كُنَّا مِن آيَاتِهِ عَلَىٰ شَاكٍ مِّمَّنْ يَدْعُوا أَنِ ارْحِمْنَاهُمْ فَاذْكُرُوا أَنَّهُمْ عَلٰى آيَاتِي كَافِرُونَ﴾ وقال الفقهاء: إذا وقع الشقاق بين الزوجين أسكنهما الحاكم إلى جنب ثقة، ينظر في أمرهما، ويمنع الظالم منهما من الظلم، فإن تفاقم أمرهما وطالت خصوصتهما، بعث الحاكم ثقة من أهل المرأة، وثقة من قوم الرجل، ليجتمعا ونظرا في أمرهما، ويفعل ما فيه المصلحة لما يريانه من التفريق أو التوفيق. وَتَشَوُّفَ الشَّارِعِ إِلَى التَّوْفِيقِ؛ ولهذا قال: ﴿إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾. قال ابن عباس: أمر الله عز وجل أن يعثوا رجلاً صالحاً من أهل الرجل، ورجلاً مثله من أهل المرأة، فينظران: أيها المسيء، فإن كان الرجل هو المسيء حججوا عنه امرأته وقصروه على النفقة، وإن كانت المرأة هي المسيئة قصروها على زوجها ومنعوها النفقة. فإن اجتمع ربهما على أن يفرقا أو يجمعا، فأمرهما جائز. فإن رأيا أن يجمعا، فَرَضَى أَحَدُ الزَّوْجَيْنِ وَكَرِهَ ذَلِكَ الْآخَرُ، ثُمَّ

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾

**السؤال: اذكر ثلاثة من الأوجه التي ميّز الله بها الرجال عن النساء؟**

﴿ فَالضَّالِّحَتُ قَنِينَتْ حَافِظَتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴾

أي: النساء الصالحات في دينهن مطيعات لأزواجهن، أو مطيعات لله في حق أزواجهن (حافظات للغيب) أي: تحفظ كل ما غاب عن علم زوجها؛ فيدخل في ذلك صيانة نفسها وحفظ ماله وبيته، وحفظ أسرارها. (بما حفظ الله) أي: يحفظ الله وورعانيته، أو يأمره للنساء أن يطمئن الزوج ويحفظنه. ابن جزى: ١٨٨/١.

### السؤال: ما صفات النساء الصالحات؟

﴿حَفِظْتُ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ ١

وذلك بحفظ الله لهم، وتوفيقه لهم، لا من انفسهم؛ لأن النفس أمارة بالسوء، ولكن من توكل على الله كفاء ما أهمه من أمر دينه ودنياء. السعدي: ١٧٧.

**السؤال: ما وجه تقييد حفظ النساء لأزواجهن بحفظ الله؟**

﴿ ١ ﴾ فَأَصْلَحْتُ قَتِينَتُ حَافِظَتُ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴿

يحفظن أنفسهن وفروجهن في حالة غيبة أزواجهن، وكذلك ما يجب حفظه في النفس والمال، وحافظات لأسرار أزواجهن؛ أي: ما يقع بينهم وبينهن في الخلوة. الألويس: ٢٤/٥.

**السؤال: ما دلالة وصف الصالحات من المؤمنات بأنهن حافظات للغيب؟**

﴿ فَإِنْ أَطَعْتُمْ كُفْرًا فَاصْبِرُوا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْأَعْرَابِ أُولَئِكَ لَا يُفْقَهُوا دِينَ اللَّهِ ۚ فَذَرْهُمْ حَتَّى يَبْتَغُوا فَتًا مِنْ رَبِّهِمْ ۚ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۚ ﴾

الألوس: ٢٦/٥.

**السؤال: ما دلالة ختم الآية بقوله: (إن الله كان علياً كبيراً)؟**

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾

تهديد للرجال إذا بغوا على النساء من غير سبب؛ فإن الله العلي الكبير، وهو منتقم ممن ظلمهن وبغى عليهن. ابن كثير: ٤٦٧/١.

**السؤال: ما وجه ختم الآية بوصفه العلي الكبير؟**

﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾

قال العلماء: فأحق الناس بعد الخالق المنان بالشكر والإحسان، والتزام البر والطاعة له والإذعان: من قرن الله الإحسان إليه بعبادته وطاعته، وشكره بشكره؛ وهما الوالدان. القرطبي: ٣٠٦/٦.

**السؤال: من أحق الناس بالشكر بعد الله تعالى؟**

الرجال قَوَّموهُنَّ عَلَى الْإِسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضُهُنَّ عَلَى  
بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَإِذَا ضَلَّحَتْ فَتَيْتُكَ  
حَفِظْتُ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَالَّتِي تَخَافُ  
تَشْوَاهُهَا فَعَظُمَ هُتَ وَأَهْجَرُوهِنَّ فِي الْمَضَاجِعِ  
وَأَضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْتِ كُفْرًا فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا  
إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ٥ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا  
فَاتَّعِثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ  
يُرِيدُ أَصْلَحًا وَخَوِِفُوا اللَّهَ يَنْتَهِمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا  
حَكِيمًا ٥ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا  
وَيَا أُولَ الَّذِينَ إِخْسَنُوا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ  
وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ  
وَأَيْنَ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ كُفِّرَتْ اللَّهُ  
لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ٥ الَّذِينَ يَتَخَلَّوْنَ  
بَيْنَ مَرْوَةٍ وَالنَّاسِ يَنْبَهِلُوا وَيَكُفُّونَ عَنْهُمْ  
أَنَّ مِنْ فَضْلِهِ ٥ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ٧

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
تُشَوِّرُهُنَّ	عَصِيَاَهُنَّ وَتَرْفَعُهُنَّ عَنْ طَاعَتِكُمْ.
وَالْجَارِ الْجُنُبِ	الْجَارِ غَيْرِ الْقَرِيبِ.
وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ	الرَّهِيْقُ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ.
مُخْتَلًا	مُتَكَبِّرًا، مُعْجَبًا بِنَفْسِهِ.

## ● العمل بالآيات

١. اجمع صفات الصالحات من الآية، ثم أرسلها برسالة تفيد بها النساء،  
﴿ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴾.

٢. اسع في صلح بين زوجين مختلفين عملاً بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ رِشْقَانِ بَيْنَهُمَا فَاغْلُظْ حَكْمًا مِّنْ أَهْلِهِ. وَحَكْمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يَرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّيكَ اللَّهُ بِحُكْمِهَا إِنْ أَلَّهَ اللَّهُ كَانَ عَلَيْهِمْ حَكْمًا﴾.

٣. ادع الله تعالى لوالديك وجيرانك؛ فهو من اعظم الإحسان إليهم،  
﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ سُبْحًا وَالَّذِينَ أَحْسَنَّا بِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ  
وَالْمَسْكِينِ وَالْخَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْخَارِ الْحَبِيبِ﴾.

● التوجيهات

١. وَصَّاكَ اللَّهُ بِجَمِيعِ مِنَ النَّاسِ؛ فَاحْرِصْ عَلَى تَفْهِيمِ وَصِيَّةِ اللَّهِ فِيهِمْ،  
وَالْإِذْلَاقِ لِحَسَنَاتِهِ وَبَذْرِ الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى  
وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْحَبْلِ وَأَنَّ السَّلَامَ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ.

٧. الفخر والخيلاء ليسا من أوصاف المسلمين؛ فابتعد عنهما، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ  
مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾.

٣. البخل من الصفات المذمومة في المرء، وتزداد المذمة إذا كان البخيل أمراً  
 نكيره بالمخل، ﴿الَّذِينَ يَخُلُونِ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْخُلِ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُمْسِكْهَا وَتُوتَ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾  
قال أبو هريرة رضي الله عنه: وإذا قال الله: (أجرًا عظيمًا) فمن الذي يقدر قدره. القرطبي: ٣٢٤/٦.

السؤال: على أي شيء يدل قول الله تعالى عن ثوابه: (عظيمًا)؟

﴿ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُمْسِكْهَا ﴾  
إلى عشرة أمثاله، إلى أكثر من ذلك؛ بحسب: حالها، ونفعها، وحال صاحبها: إخلاصاً، ومحبة، وكمالاً. السعدي: ١٧٩.

السؤال: ما الأسباب التي تجعل الحسنات متفاوتة في المضاعفة؟

﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾  
وقال النبي ﷺ: لا بين مسعود رضي الله عنه: (اقرأ على القرآن) فقال: اقرأ عليك وعليك أنزل! قال: (إني أحب أن اسمعه من غيري) فقرأت عليه سورة النساء حتى إذا بلغت هذه الآية: (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً) فقال: (حسبك)، فنظرت فإذا عيناه تذرفان بالدمع. ابن تيمية: ٢٤٩/٢.

السؤال: لماذا بكى النبي ﷺ عند سماع هذه الآية الكريمة؟

﴿ يَأْتِيَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَءُوا الصَّلَاةَ وَانْتَرَسْتُمْ حَتَّى تَمْلِكُوا مَا تَقُولُونَ ﴾

رمز إلى أنه ينبغي للمصلي أن يتحرز عما يليه ويشفل قلبه، وأن يركي نفسه عما يندسها؛ لأنه إذا وجب تطهير البدن فتطهير القلب أولى، أو لأنه إذا صين موضع الصلاة عمن به حدث فلأن يسان القلب عن خاطر غير طاهر طاهر الأولوية. الألوسي: ٤١/٥.

السؤال: إلى ماذا يرمز النهي عن قربان الصلاة حال السكر؟

﴿ يَأْتِيَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَءُوا الصَّلَاةَ وَانْتَرَسْتُمْ حَتَّى تَمْلِكُوا مَا تَقُولُونَ ﴾

ويؤخذ من المعنى: منع الدخول في الصلاة في حال النعاس المفرط، الذي لا يشعر صاحبه بما يقول ويفعل، بل لعل فيه إشارة إلى أنه ينبغي لمن أراد الصلاة أن يقطع عنه كل شاغل يشغل فكره، كمداغعة الأخبتين، والتثوق لطعام ونحوه. السعدي: ١٧٩.

السؤال: دلت الآية على وجوب تفرغ الذهن لمن أراد أن يصلي، وضح ذلك.

﴿ تَتِمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾

واحسب أن حكمة تشريعه تقرير لزوم الطهارة في نفوس المؤمنين، وتقدير حرمة الصلاة، وترفع شأنها في نفوسهم، فلم تترك لهم حالة يعدون فيها انفسهم مصليين بدون طهارة: تعظيماً لمناجاة الله تعالى. ابن عاشور: ٦٩/٥.

السؤال: ما حكمة تشريع التيمم؟

﴿ تَتِمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾

وقوله: (إن الله كان عفواً غفوراً) تدليل لحكم الرخصة إذ عفا عن المسلمين فلم يكلفهم الغسل أو الوضوء عند المرض، ولا ترهب وجود الماء عند عدمه، حتى تكثر عليهم الصلوات؛ فيفسر عليهم القضاء. ابن عاشور: ٧١/٥.

السؤال: ما مناسبة اختتام آية تشريع التيمم بقوله تعالى: (إن الله كان عفواً غفوراً)؟

وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِيقَةً النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴿٥٠﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٥١﴾ إِنْ اللَّهُ لَا يَظْلِمُ شَيْئًا وَلَقَدْ دَرَوْا أَنَّ تَكَ حَسَنَةً يَصُدَّقُهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٥٢﴾ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٥٣﴾ يَوْمَ يَبُذُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصُوا الرَّسُولَ لَوْ شِئْنَا لَوَسَّوْنَا بِهِمُ الْأَرْضَ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴿٥٤﴾ تَأْتِيَاهُمُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَءُوا الصَّلَاةَ وَانْتَرَسْتُمْ حَتَّى تَمْلِكُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنْبَ إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٥٥﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْرُونَ الصَّلَاةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴿٥٦﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
تَكَ	تَكُن.
عَابِرِي سَبِيلٍ	مُجْتَازِي الْمَسْجِدِ مِنْ بَابٍ إِلَى بَابٍ.
لَا مَسْتُمْ	جَامِعْتُمْ.
فَتَيَمَّمُوا	اقْصِدُوا.
صَعِيدًا	مَا كَانَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مِنْ تَرَابٍ، وَنَحْوِهِ.
طَيِّبًا	طَاهِرًا.

## ● العمل بالآيات

١. تصدق اليوم بصدقة خفية، ولو كانت قليلة، ﴿ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴾.
٢. تدبر هذه الآية، وتذكر دموع حبيبك ﷺ لما سمعها: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾.
٣. تعلم اليوم أحكام التيمم، ﴿ تَتِمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾.

## ● التوجيهات

١. لا تحقر الحسنة الصغيرة، ولا السيئة الصغيرة، ﴿ إِنْ اللَّهُ لَا يَظْلِمُ شَيْئًا وَلَقَدْ دَرَوْا أَنَّ تَكَ حَسَنَةً يَصُدَّقُهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾.
٢. سيأتي يوم يندم فيه من خالف الرسول ﷺ وعصاه: فاحرص على الاتباع حتى لا تكون من النادمين، ﴿ يَوْمَ يَبُذُّ يُدِّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصُوا الرَّسُولَ لَوْ شِئْنَا لَوَسَّوْنَا بِهِمُ الْأَرْضَ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴾.
٣. حرص شريعتنا على التيسير ورفع الحرج: حيث أباح الله تعالى التيمم عند فقد الماء، ﴿ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾.

﴿حَتَّى تَمْلِكُوا مَا تَقُولُونَ﴾ هذا أحسن ما يقال في حد السكران: أنه الذي لا يدرى ما يقول؛ فَإِنَّ المَخْمُورَ فيه تَخْلِيطٌ في القراءة وعدم تدبره وخشوعه فيها. ﴿وَلَا جُنْبًا إِلَّا عَارِي سَبِيلٍ﴾ عن ابن عباس قال: تَمَرُّ به تَرًّا ولا تجلس. ومن هذه الآية احتج كثير من الأئمة على أنه يحرم على الجُنْب البَيْت في المسجد، ويجوز له المرور، وكذا الحائض والنفساء أيضًا في معناه؛ إلا أن بعضهم قال: يُمنع مرورهما لاحتimal التلوث. وعن علي: ﴿وَلَا جُنْبًا إِلَّا عَارِي سَبِيلٍ﴾ قال: لا يقرب الصلاة، إلا أن يكون مسافرًا تنصيه الجنابة، فلا يجد الماء فيصلي حتى يجد الماء. قال ابن جرير: والأوَّلُ قول من قال: إلا يجتازي طريق فيه. وهذا الذي نصره هو قول الجمهور، وهو الظاهر من الآية.

وقوله: ﴿حَتَّى تَمْلِكُوا﴾ دليل لما ذهب إليه الأئمة الثلاثة: أنه يحرم على الجنب المكث في المسجد حتى يغتسل أو يتيمم إن عدم الماء، ولم يقدر على استعماله بطريقة. وذهب أحمد إلى أنه متى توضأ الجنب جاز له المكث في المسجد. ﴿وَلِإِنْ كُنْتُمْ رَحَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ أما المرض البيح للتييمم فهو الذي يخاف معه من استعمال الماء فوات عضو أو شئبه أو تطويل البُزء. والسفر معروف، ولا فرق فيه بين الطويل والقصير. ﴿أَوْ جَاءَ أَجَدٌ مِّنكُمْ مِّنَ الْأَيْطِ﴾ الغائط: هو المكان المظلم من الأرض، كتي بذلك عن التفوط، وهو الحدث الأصغر. ﴿أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ قُري: «لمستم» و«لامستم»، واختلف المفسرون والأئمة في معنى ذلك على قولين. قال ابن جرير: وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: عني الله بقوله: ﴿أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ الجماع دون غيره من معاني اللمس. قوله: ﴿فَلَمَّ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ استنبط كثير من الفقهاء من هذه الآية: أنه لا يجوز التيمم لعادم الماء إلا بعد طلب الماء، فمتى طلبه فلم يجده جاز له حيثنل التيمم. والصعيد قيل: هو كل ما صعد على وجه الأرض، فيدخل فيه التراب والرمل والشجر والحجر والنبات، وهو قول مالك. وقيل: ما كان من جنس التراب، كالرمل والزربخ والنورة، وهذا مذهب أبي حنيفة. وقيل: هو التراب فقط، وهو قول الشافعي وأحمد. والطيب ههنا قيل: الحلال. وقيل: الذي ليس بنجس.

﴿فَأَتَسَحَّرُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ اختلف الأئمة في كيفية التيمم على أقوال: أحدها: أنه يجب أن يمسح الوجه واليدين إلى المرفقين بضربتين. والقول الثاني: أنه يجب مسح الوجه والكفين بضربتين. والثالث: أنه يكفي مسح الوجه والكفين بضربة واحدة. قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا غَفُورًا﴾ أي: ومن عفوه عنكم وغفره لكم أن شرع لكم التيمم، وأباح لكم فعل الصلاة به إذا قدمت الماء، توسعة عليكم ورخصة لكم؛ وذلك أن هذه الآية الكريمة فيها تنزيه الصلاة أن تُفعل على هيئة ناقصة من: سُكَّر حتى يصحو المكلف ويعمل ما يقول، أو جنابة حتى يغتسل، أو حدث حتى يتوضأ، إلا أن يكون مريضًا أو عادمًا للماء؛ فإن الله عز وجل قد أرخص في التيمم والحالة هذه، رحمة بعباده ورافة بهم، وتوسعة عليهم. الآية (٤٤): يجزئ تبارك تعالى عن اليهود أنهم يشترون الضلالة بالهدى، ويُعرضون عما أنزل الله على رسوله، ويتروكون ما بأيديهم من العلم عن الأنبياء الأقدمين في صفة محمد ﷺ، ليشترأوا به ثمنًا قليلًا من حطام الدنيا ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ يُتَيْلَأُوا نِكِيلًا﴾ أي: يؤذون لو تكفروا بما أنزل عليكم -أيها المؤمنون- وتتركون ما أنتم عليه من الهدى والعلم النافع.

الآية (٣٨): ذكر الباذلين المرائين الذي يقصدون بإعطائهم السمعة وأن يُمدحوا بالكرم، ولا يريدون بذلك وجه الله. وفي الحديث ذكر ثلاثة هم أول من تُسَجَّر بهم النار، وهم: العالم والغايز والمنفق، المراءون بأعمالهم، يقول صاحب المال: ما تركت من شيء تحب أن يُنفق فيه إلا أنفقت في سبيلك. فيقول الله: كذبت؛ إنما أردت أن يقال: جواد، فقد قيل. [رواه مسلم]. ﴿وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ الآية، أي: إنما لهم على صنيعهم هذا القبيح وعدولهم عن فعل الطاعة على وجهها الشيطان؛ فإنه سَوَّلَ لهم وأمل لهم، وقاربتهم فحسَنَ لهم القبايح ﴿وَمَنْ يَكُنِ الْفَاسِقُ أَهْلًا فَهِيَ أَهْلًا قَرِينًا﴾.

الآية (٣٩): ﴿وَمَا دَعَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾ أي: وأي شيء يكره لهم لو سلكوا الطريق الحميدة، وعملوا عن الرياء إلى الإخلاص والإيمان بالله، رجاء موعوده في الدار الآخرة لمن أحسن عملاً، وأنفقوا مما رزقهم الله في الوجوه التي يبيها الله ويرضاها. ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾ أي: وهو عليهم بنيانهم الصالحة والفسادة، وعليم بمن يستحق التوفيق منهم، فيوفقه ولهم رشده ويقيضه لعمل صالح يرضى به عنه، وبمن يستحق الخذلان والطرده عن جنبه الأعظم الإلهي، الذي مَنْ طُرِدَ عن بابه، فقد خاب وخسر في الدنيا والآخرة، عيادًا بالله من ذلك.

الآية (٤٠): يجزئ تعالى أنه لا يظلم عبداً من عباده يوم القيامة مثقال حبة خردل ولا مثقال ذرة، بل يؤقيها وتضاعفها له إن كانت حسنة، كما قال: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَإِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِّنْ حَزَبٍ أَوْ مِمَّا يَنْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وفي الصحيحين: عن أبي سعيد الخدري، عن رسول الله ﷺ في حديث الشفاعة الطويل، وفيه: فيقول الله عز وجل: «ارجعوا، فمن وجدتم في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان، فأخرجوه من النار». وفي لفظ: «أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه من النار، فيخرجون خلقًا كثيرًا» ثم يقول أبو سعيد: أقروا إن شئتم: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ شَيْئًا دَرًّا وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

الآية (٤١-٤٢): يقول تعالى -مخبرًا عن هول يوم القيامة وشدة أمره وشأنه-: فكيف يكون الأمر والحال يوم القيامة حين يجيء من كل أمة شهيد؛ يعني الأنبياء عليهم السلام.

﴿يَوْمَ يَدْعُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ﴾ أي: لو انشقت وبلعتهُم، مما يرون من أهوال الموقف، وما يحمل بهم من الخزي والفضيحة والتوبيخ؛ كقوله: ﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّتْ يَدَا وَيَقُولُ الْكَارِهُنَّ كَيْفَ كُنْتُ رَبًّا﴾ [الباء: ٤٠]. ﴿وَلَا يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ حَدِيثًا﴾ أخبر عنهم بأنهم يعترفون بجميع ما فعلوه، ولا يكتفون منه شيئًا.

الآية (٤٣): ينهي تعالى عباده المؤمنين عن فعل الصلاة في حال السُّكْرِ، الذي لا يدرى معه المصلي ما يقول، وعن قربان محلها -وهي المساجد- للجنْب، إلا أن يكون مجتازًا من باب إلى باب من غير مُكْنِث، وكان هذا قبل تحريم الخمر. [سبب النزول]: عن سعد قال: نزلت في أربع آيات: صنع رجل من الأنصار طعامًا، فدعا أناسًا من المهاجرين وأناسًا من الأنصار، فأكلنا وشربنا حتى سكرنا، ثم افتخرنا برفع رجل لحى بعير ففزع بها أنف سعد، فكان سعد مفزوع الأنف، وذلك قبل أن تحرم الخمر، فنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الْفُسْكَوَةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ﴾ الآية. [رواه مسلم].

منه شيئاً، وديوان لا يغفره الله. فأما الديوان الذي لا يغفره الله، فالشرك بالله، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾ [النساء: ٧٢]. وأما الديوان الذي لا يعبأ الله به شيئاً، فظلم العبد نفسه فيما بينه وبين ربه، من صوم يوم تركه، أو صلاة تركها، فإن الله يغفر ذلك ويتجاوز إن شاء، وأما الديوان الذي لا يترك الله منه شيئاً فظلم العباد بعضهم بعضاً؛ الفصاص لا محالة ﴿رواه أحمد وصححه إسناده أحمد شاكر﴾. وعن معاوية قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كُلُّ ذَنْبٍ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَغْفِرَهُ، إِلَّا الرَّجُلُ يَمُوتُ كَافِرًا، أَوْ الرَّجُلُ يَقْتُلُ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا» [رواه أحمد والنسائي وصححه إسناده أحمد شاكر]. «وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ أَفْرَأَ إِنَّمَا عَظِيمًا» كقوله: ﴿لَيْسَ الشِّرْكَ لَظْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، وثبت في الصحيحين عن ابن مسعود أنه قال: قلت: يا رسول الله، أي الذنب أعظم؟ قال: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدَاءً وَهُوَ خَلَقَكَ».

الآية (٤٩-٥٠): [سبب النزول]: قال الحسن وقتادة: نزلت هذه الآية -وهي قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزُكُّونَ أَنْفُسَهُمْ﴾- في اليهود والنصارى، حين قالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّونَاهُ﴾ [النساء: ١٨]. قال ابن عباس: كانت اليهود يقدمون صبيانهم يصلون بهم، ويقربون قربانهم ويزعمون أنهم لا خطايا لهم ولا ذنوب. وكذبوا؛ قال الله تعالى: ﴿إِنِّي لَا أَطْهَرُ ذَا ذَنْبٍ بَأَخَّرَ لَا ذَنْبَ لَهُ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزُكُّونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ [رواه ابن أبي حاتم وصححه إسناده أحمد شاكر]. وقيل: نزلت في ذم الناصب والتزكية: عن المقداد بن الأسود قال: أمرنا رسول الله ﷺ أن نحنو في وجوه المذبحين التراب. [رواه مسلم]. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ يُزُكُّونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ أي: المرجع في ذلك إلى الله عز وجل؛ لأنه عالم بحقائق الأمور وغوامضها.

﴿وَلَا يُظَلِّمُونَ فِتْنَةً﴾ أي: ولا يترك لأحد من الأجر ما يوازن مقدار الفتل. قال ابن عباس: هو ما يكون في شق النواة. ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ يَقْرَءُونَ عَلَى اللَّهِ إِلَافًا﴾ أي: في تركيبتهم أنفسهم ودعواهم أنهم أبناء الله وأحباؤه، وقولهم: ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هَؤُلَاءَ أَوْ نَصَرَهُمْ﴾ [البقرة: ١١١]، واتكاهم على أفعال آبائهم الصالحة، وقد حكم الله أن أفعال الآباء لا تجزي عن الأبناء شيئاً في قوله: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمَا كَسْبَتْهُمَا لَا تَنْصُلُونَ عَنْهَا كَانُوا يَمْسَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤١]. ﴿وَكَفَى بِكُمْ حَبِيبًا﴾ أي: وكفى بصينهم هذا كذباً وافتراءً ظاهرًا.

الآية (٥١): ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ وَأَطْلَعُوا﴾ عن عمر بن الخطاب قال: «الجب: السحر، والطاغوت: الشيطان. وقيل: الجب: الشيطان. وقال الجوهري في «الصحاح»: «الجب» كلمة تقع على الصنم والكاهن والساحر ونحو ذلك. ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا﴾ أي: يفضلون الكفار على المسلمين بجهلهم، وقلة دينهم، وكفرهم بكتاب الله الذي بأيديهم.

الآية (٤٥-٤٦): ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ﴾ أي: هو يعلم بهم ويجلّزكم منهم ﴿وَكُنْ لِلَّهِ وَلِيًّا وَكُنْ لِلَّهِ نَصِيرًا﴾ أي: كفى به ولياً لمن لجأ إليه، ونصيراً لمن استنصره. قوله: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ «من» هذه لبيان الجنس؛ كقوله: ﴿فَأَجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ [الحج: ٣٠]. ﴿يَحْرُفُونَ إِلَهُكُمْ عَنْ تَوَاضُعِهِ﴾ أي: يتأولون الكلام على غير تأويله، ويفسرونه بغير مراد الله عز وجل، قصداً منهم وافتراءً. ﴿وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ أي: سمعنا ما قلته يا محمد ولا نطيعك فيه. وهذا أبلغ في كفرهم وعنادهم: أنهم يتولون عن كتاب الله بعد ما عقلوه، وهم يعلمون ما عليهم في ذلك من الإثم والعقوبة. ﴿وَأَمْتَعَ غَيْرَ سَمْعٍ﴾ أي: اسمع ما نقول، لا سمعت. وقال مجاهد والحسن: واسمع غير مقبول منك. وهذا استهزاء منهم واستهتار. ﴿وَرَدَعْنَا لَكُمْ بِالسِّنِينَ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ﴾ أي: يوهمون أنهم يقولون: راعنا سمعك، بقولهم: «راعنا»، وإننا يريدون الرُّعونة. ولهذا قال تعالى عن هؤلاء اليهود الذين يريدون بكلامهم خلاف ما يُظهرونه: ﴿لَيْتَ بِالسِّنِينَ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ﴾ يعني: يستهم النبي ﷺ. ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَمْتَعَ وَأَنْظَرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنَّ لَّهُمْ أَنَّهُمْ يَكْفُرُ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: قلوبهم مطرودة عن الخير مُبعدة منه، فلا يدخلها من الإيمان شيء نافع لهم، والمقصود: أنهم لا يؤمنون إيماناً نافعاً.

الآية (٤٧): يقول تعالى أمراً أهل الكتاب بالإيمان بما نزل على عبده ورسوله محمد ﷺ من الكتاب العظيم، الذي فيه تصديق الأخبار التي بأيديهم من البشارات، ومنتهاداً لهم إن لم يفعلوا بقوله: ﴿مَنْ قَبِلَ أَنْ تَطْمِسَ وُجُوهًا فَرَدَدَهَا عَلَى أَذْيَارِهَا﴾. قال بعضهم: طمسها: هو ردها إلى الأدبار، وجعل أبصارهم من ورائهم. ويحتمل أن يكون المراد: من قبل أن تطمس وجوهاً فلا يبقى لها سمع ولا بصر ولا أثر، ونردها مع ذلك إلى ناحية الأدبار. وقال ابن عباس: طمسها: أن تعمى، ﴿فَرَدَدَهَا عَلَى أَذْيَارِهَا﴾ يقول: نجعل وجوههم من قبل أفقيتهم، فيمشون القهقري، ونجعل لأحدهم عينين من قفاه. وهذا أبلغ في العقوبة والنتكال، وهذا مثل ضربه الله لهم في صرفهم عن الحق وردهم إلى الباطل ورجوعهم عن المحجة البيضاء إلى سبل الضلالة يُهْرَعُونَ ويمشون القهقري على أدبارهم. وقال مجاهد: ﴿مَنْ قَبِلَ أَنْ تَطْمِسَ وُجُوهًا﴾ يقول: عن صراط الحق ﴿فَرَدَدَهَا عَلَى أَذْيَارِهَا﴾ أي: في الضلالة. ﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ﴾ يعني: الذين اعتدوا في سبهم بالحيلة على الاصطياد، وقد مسخوا قردة وخنازير.

﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَقْعُولًا﴾ إذا أمر بأمر، فإنه لا يُجَالَفُ ولا يُنَاجَ. الآية (٤٨): أخبر تعالى: أنه ﴿لَا يَنْفِرُ الْبَشِيرُ بِدِينِهِ﴾ أي: لا يغفر لعبد لقيته وهو مشرك به. ﴿وَيَنْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ﴾ أي: من الذنوب ﴿لِمَنْ يَكُنَّ﴾ أي: من عباده. عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «الدواوين عند الله ثلاثة: ديوان لا يعبأ الله به شيئاً، وديوان لا يترك الله



## ● الوقفات التدريبية

﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴾

(والله أعلم بأعدائكم) منكم؛ فلا تستصحبهم؛ فإنهم أعداؤكم، (وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيراً). البغوي: ٥٢/١.

السؤال: عن أي شيء نهانا القرآن في هذه الآية؟

﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴾

فلا تلتفتوا إليهم، ولا تكونوا في فكر منهم، (وكفى بالله ولياً) يلي امرئكم وينفعكم بما شاء، (وكفى بالله نصيراً) يدفع عنكم مكرهم وشرهم؛ فاكفوا بولايته ونصرته، ولا تبالوا بهم، ولا تكونوا في ضيق مما يمكرون. الأنوسي: ٥/٥.

السؤال: على ماذا يدل إخبار الله تعالى بولايته ونصرته للمؤمنين؟

﴿ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾ فهذا حالهم في العلم؛ أشر حال؛ فلبوا فيه الحقائق، ونزلوا الحق على الباطل، وجحدوا لذلك الحق. وأما حالهم في العمل والانقياد فإنهم: (يقولون سمعنا وعصينا). السعدي: ١٨١.

السؤال: اليهود شر الناس علماً وعملاً، وضع ذلك من الآية.

﴿ يَتَّبِعُ الَّذِينَ أُرْسُوا إِلَيْهِ الْكُتُبَ أَمْشُوا بِمَا تَزَلَّاهُمْ مَصَدَقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَقُوسَ وَجُوهَهَا قَفْرًا عَنْ أَزْوَاجِهَا ﴾

قال مالك رحمه الله: «كان أول إسلام كعب الأبحار أنه مر برجل من الليل وهو يقرأ هذه الآية: (يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا...) فوضع كفيه على وجهه، ورجع القهقري إلى بيته، فأسلم مكانه، وقال: والله لقد خفت إلا أبلغ بيتي حتى يطمس وجهي». القرطبي: ٤٤/٦.

السؤال: كيف أثرت هذه الآية في كعب الأبحار - رحمه الله - لما سمعها؟

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُونَ أَنَّهُمْ بِلِلَّهِ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يَظْلُمُونَ قَيْلًا ﴾ أَنْظُرْ كَيْفَ يَقْرَأُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ

هذا من اعظم الافتراء على الله؛ لأن مضمون تزكيتهم لأنفسهم؛ الإخبار بأن الله جعل ما هم عليه حقاً، وما عليه المؤمنون المسلمون باطلاً، وهذا اعظم الكذب، وقلب الحقائق بجعل الحق باطلاً، والباطل حقاً. السعدي: ١٨٢.

السؤال: كيف كان في تزكيتهم لأنفسهم افتراء الكذب على الله؟

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُونَ أَنَّهُمْ بِلِلَّهِ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يَظْلُمُونَ قَيْلًا ﴾

هذه الآية وقوله تعالى: (فلا تزكوا أنفسكم) [النجم: ٣٢] يقتضي الغض من المزمكي لنفسه بلسانه، والإعلام بأن الزاكي المزمكي من حسنت أفعاله، وزكاه الله عز وجل؛ فلا عبرة بتزكية الإنسان نفسه، وإنما العبرة بتزكية الله له. القرطبي: ٤٧/٦-٤٨.

السؤال: من العبد المزمكي حقيقة؟

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُرْسُوا نَصِيرًا مِنَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْجَنَّةِ وَالْطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ﴾

(الجب): السحر. (والطاغوت): الشيطان والوثن. وهذه حال كثير من المنتسبين إلى الملّة؛ يعظمون السحر والشرك، ويرجعون الكفار على

كثير من المؤمنين المتسمكين بالشرعية. ابن تيمية: ٢٦٦/٢.

السؤال: بين خطورة الشرك والسحر على الأمة.

وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴿٥٥﴾  
مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ  
سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمِعْ غَيْرُ سَمْعٍ وَزَعِنَا إِنَّا بِأَلْسِنَتِهِمْ  
وَطَعْنًا فِي الَّذِينَ وَلَّوْا أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمِعْ وَأَنْظُرْنَا  
لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ  
إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٦﴾ يَتَّبِعُهَا الَّذِينَ أُرْسُوا إِلَيْهِ الْكُتُبَ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا  
مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَقُوسَ وَجُوهَهَا قَفْرًا عَنْ  
عَلَى أَزْوَاجِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ النَّبِيِّ وَكَانَ أَمْرُ  
اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ  
ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا  
﴿٥٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُونَ أَنَّهُمْ بِلِلَّهِ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ  
وَلَا يَظْلُمُونَ قَيْلًا ﴿٥٩﴾ أَنْظُرْ كَيْفَ يَقْرَأُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ  
وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٦٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُرْسُوا نَصِيرًا  
مِنَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْجَنَّةِ وَالْطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ  
لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ﴿٦١﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
وَاسْمِعْ غَيْرُ مُسْمِعٍ	يَدْعُونَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِلِينَ: اسْمِعْ مِنَّا لَا سَمِعْتَ!
وَزَعِنَا	أَهْمُ عُنَّا، وَأَهْمِينَا.
نَبِيًّا بِالسَّنَنِهِمْ	يَلُوبُونَ أَسَنَتَهُمْ بِذَلِكَ، وَهُمْ يُرِيدُونَ الدُّعَاءَ عَلَيْهِ بِالرُّعُونَةِ حَسَبَ لُغَتِهِمْ.

## ● العمل بالآيات

١. ارسل رسالة تحذر فيها من يحلف بغير الله تعالى؛ كالحلف بالنبي ﷺ أو بالأمانة، ونحوها، ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْرَأُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا ﴾.
٢. قل: (اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكها)، ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُونَ أَنَّهُمْ بِلِلَّهِ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يَظْلُمُونَ قَيْلًا ﴾.
٣. حدد ظلماً عانيت منه، واستنصر بربك وحده، وقل: «يا نصير: انصرتني»، ﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴾.

## ● التوجيهات

١. من خُرف معاني القرآن الكريم فقد أشبه اليهود والنصارى، ﴿ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ﴾.
٢. على من أراد معرفة الحق أن يتأدب مع العلماء والدعاة، وإن يحسن صيغة سؤاله لهم، ويتلطف معهم، ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا نَحْمَدُكَ وَأَطَعْنَا وَاسْمِعْ وَأَنْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ ﴾.
٣. الذنوب قد يغفرها الله للعبد بالتوبة، أو يكفرها بالأعمال الصالحة، أو يغفرها سبحانه تفضلاً منه ورحمة، أما الشرك فإنه لا يغفر فاحذره، ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْرَأُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾.



## ● الوقفات التحريية

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾

(أولئك: هؤلاء الذين وصف صفتهم أنهم أوتوا نصيباً من الكتاب؛ وهم يؤمنون بالجبت والطاغوت، (الذين لعنهم الله)، يقول: اخزاهم الله؛ فأبعدهم من رحمته بإيمانهم بالجبت والطاغوت، وكفرهم بالله ورسوله؛ عناداً منهم لله ولرسوله. الطبري: ٤٧١/٨.

السؤال: متى يكون العلم بالكتاب نافعا لصاحبه؟

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكِيدُونَ سَوَاقِ نُصْلِهِمْ تَارِكًا كُلَّ مَا نَفَعَتْهُمْ جُلُودُهُمْ بِذُنُوبِهِمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾

ولما كانت النار -على ما نعهد- مفضية ماحقة؛ استأنف قوله رداً لذلك: (كلما نضجت جلودهم) أي: صارت بحرّها إلى حالة اللحم النضيج الذي أدرك أن يؤكل، فصارت كاللحم الميت الذي يكون في الجرح، فلا يحس بالألم، (بدلناهم) أي: جعلنا لهم (جلوداً غيرها) أي: غير النضيجة بدلاً منها؛ بأن أعدناها إلى ما كانت عليه؛ كما كانوا يجددون التذويب بذلك كل وقت؛ ليكون الجزء من جنس العمل. البقاعي: ٢٦٩/٢.

السؤال: لماذا تبدل جلود الكفار في النار؟

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ (ظليلاً) أي: متصلاً لا فرج فيه، منبسطة لا ضيق معه، دائماً لا تصيبه الشمس يوماً ما، ولا حر فيه ولا برد، بل هو في غاية الاعتدال. البقاعي: ٢٧٠/٢.

السؤال: ما دلالة الظل الظليل في الجنة؟

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا نَبِيرًا﴾ وعلى الحكام أن لا يحكموا إلا بالعدل. والعدل) هو ما أنزل الله؛ كما قال تعالى: (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعاً بصيراً). ابن تيمية: ٢٧٢/٢.

السؤال: ما المقصود بالعدل في الآية الكريمة؟

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ بشرط أن لا يأمروا بمعصية الله، فإن أمروا بذلك فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق؛ ولعل هذا هو السر في حذف الفعل عند الأمر بطاعتهم، وذكره مع طاعة الرسول؛ فإن الرسول لا يأمر إلا بطاعة الله؛ ومن يطعه فقد أطاع الله. السعدي: ١٨٤.

السؤال: لماذا ذكر فعل الطاعة مع الرسول ﷺ، وحذف مع أولي الأمر؟

﴿وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ فإنه لا يستقيم للناس أمر دينهم ودنياهم إلا بطاعتهم والانقياد لهم. السعدي: ١٨٣.

السؤال: لماذا كانت طاعة أولي الأمر من المسلمين واجبة؟

﴿وَإِنْ كَانَ نَزَلَتْ فِي شَيْءٍ مِنْ دِينِهِمْ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾

(هردوه إلى الله والرسول): الرد إلى الله هو النظر في كتابه، والرد إلى الرسول ﷺ هو سؤاله في حياته، والنظر في سنته بعد وفاته. ابن جزى: ١٩٦/١.

السؤال: كيف تُرد المنازعات إلى الله والرسول ﷺ؟

أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴿١﴾  
أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمَالِ فَإِذَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴿٢﴾  
أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا  
آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴿٣﴾  
فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَعَتْهُ وَكُنِيَ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٤﴾  
إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكِيدُونَ سَوَاقِ نُصْلِهِمْ تَارِكًا كُلَّ مَا نَفَعَتْهُمْ  
جُلُودُهُمْ بِذُنُوبِهِمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ  
عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ  
جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا  
أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ  
أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ  
تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا  
بَصِيرًا ﴿٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي  
الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ كَانَ نَزَلَتْ فِي شَيْءٍ مِنْ دِينِهِمْ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ  
تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٨﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
نَقِيرًا	قَدَرِ النَّقْرَةِ وَهِيَ الْحُفْرَةُ فِي ظَهْرِ النَّوْاقِ.
ظَلِيلًا	كَثِيفًا، مُمْتَدًّا، ذَالِمًا.
نِعْمًا	نَعَمَ مَا.
تَأْوِيلًا	عَاقِبَتَهُ، وَمَا لَا.

## ● العمل بالآيات

١. أسأل الله أن يؤتيك علم الكتاب والسنة، وأن يؤتيك الحكمة، ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾.
٢. ادع أسلم رزقه الله نعمته الدين أو الدنيا أن يبارك له فيها، وأن يرزقك خيرا منها، ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾.
٣. اقرأ كلاما عن فضل أداء الأمانة وإحكامها لتعمل به، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾.

## ● التوجيهات

١. من خفت عليه لعنة الله فهو الشقي الذي لا يفلح، وإن نال من الدنيا ما نال، فاحذر أسباب لعنة الله تعالى، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾.
٢. احذر فتنة النساء، واعلم أن نساء الآخرة أشرف وأطهر، فلا تقوت الطهارات بالمحرمات، ﴿لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾.
٣. طاعة الله تعالى ورسوله ﷺ مطلقة، لكن طاعة ولي الأمر مقيدة بعدم معصية الله، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾.

اطلاع يَبْدُو على ذلك. [سبب النزول]: ذكر كثير من المفسرين أن هذه الآية نزلت في شأن عثمان بن طلحة لما أخذ منه رسول الله ﷺ مفتاح الكعبة يوم الفتح، ثم رده عليه. وسواء كانت نزلت في ذلك أو لا، فحكمها عام؛ ولهذا قال ابن عباس: هي للبر والفاجر، أي: هي أمر لكل أحد. ﴿وَإِذَا حُكِّمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ أمر منه تعالى بالحكم بالعدل بين الناس؛ ولهذا قال محمد بن كعب: إن هذه الآية إنما نزلت في الأمراء، يعني: الحكام بين الناس. ﴿إِنَّ اللَّهَ يَنْتَظِرُ عَذَابَكُمْ﴾ أي: يأمركم به من أداء الأمانات، والحكم بالعدل بين الناس، وغير ذلك من أوامره وشرائعه الكاملة العظيمة الشاملة. ﴿وَإِذَا كَانَ عِمَامَتُكُمْ بَيْنَكُمْ﴾ أي: سميتم لأقوالكم، بصيراً بأفعالكم.

الآية (٥٩): [سبب النزول]: عن علي قال: بعث رسول الله ﷺ سرية، واستعمل عليهم رجلاً من الأنصار، فلما خرجوا وجد عليهم في شيء، فقال لهم: أليس قد أمركم رسول الله أن تطيعوني؟ قالوا: بلى. قال: اجمعوا لي خطباً. ثم دعا بنار فأضرمها فيه، ثم قال: عزمت عليكم لتدخلوها. فقال لهم شاب منهم: إنما فررتم إلى رسول الله من النار، فلا تعجلوا حتى تلقوا رسول الله؛ فإن أمركم أن تدخلوها فادخلوها. فرجعوا إلى رسول الله فأخبروه، فقال لهم: لم تدخلوها ما خرجتم منها أبداً؛ إنما الطاعة في المعروف (متفق عليه). وقال ابن عباس: ﴿وَأُولَ الْأَنْثَرِ مِنْكُمْ﴾ يعني: أهل الفقه والدين. وقال مجاهد: يعني: العلماء. والظاهر - والله أعلم - أن الآية عامة في كل أولي الأمر من الأمراء والعلماء؛ قال تعالى: ﴿لَوْ لَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّيُّونَ وَالْأَنْبِيَاءُ عَنْ قَوْلِهِمْ بِالْبُاطِلِ إِنَّهُمْ وَكُنَّ لَهُمْ سَاقِطِينَ﴾ [البقرة: ١٢٩]. عن أبي هريرة عن رسول الله أنه قال: «ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني» (متفق عليه). ولهذا قال تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ﴾ أي: اتبعوا كتابه ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ أي: خذوا بسته ﴿وَأُولَ الْأَنْثَرِ مِنْكُمْ﴾ أي: فيها أمروكم به من طاعة الله لا في معصية الله؛ فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الله، كما في الحديث: «إنما الطاعة في المعروف» (متفق عليه). ﴿وَإِنْ تَنَزَّعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ قال مجاهد: أي: إلى كتاب الله وسنة رسوله. وهذا أمر من الله عز وجل بأن كل شيء تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه أن يرد التنازع في ذلك إلى الكتاب والسنة؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله﴾ [الشورى: ١٠]. فما حكم به كتاب الله وسنة رسوله وشهدا له بالصحة فهو الحق، وماذا بعد الحق إلا الضلال، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ وَآلِيَهُ وَذُكِّرْتُمْ﴾ أي: ردوا الخصومات والمجالات إلى كتاب الله وسنة رسوله، فتحاكموا إليها فيما شجر بينكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ وَآلِيَهُ وَذُكِّرْتُمْ﴾ فدل على أن من لم يتحاكم في مجال النزاع إلى الكتاب والسنة ولا يرجع إليهما في ذلك، فليس مؤمناً بالله ولا باليوم الآخر. ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ أي: التحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله، والرجوع في فصل النزاع إليها خير ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ أي: وأحسن عاقبة ومآلاً، كما قاله السدي. وقال مجاهد: وأحسن جزاء. وهو قريب.

الآية (٥٢-٥٣): هذا لعن لهم، وإخبار بأنهم لا ناصر لهم في الدنيا ولا في الآخرة؛ لأنهم إنما ذهبوا يستنصرون بالمشركون، وإنما قالوا لهم ذلك ليستميلوهم إلى نصرتهم، وقد أجابوهم، وجاءوا معهم يوم الأحزاب، حتى حفر النبي ﷺ وأصحابه حول المدينة الخندق، فكفى الله شرهم. قوله: ﴿أَمْ لَمْ نَنْصِبْ لَكُمْ آلَ مُحَمَّدٍ؟﴾ أي: هذا استفهام إنكار؛ أي: ليس لهم نصيب من الملك، ثم وصفهم باليخل فقال: ﴿فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَصِيبًا﴾ أي: لأنهم لو كان لهم نصيب في الملك والتصرف لما أعطوا أحداً من الناس - ولا سيما محمداً ﷺ - شيئاً، ولا ما يملأ القنير، وهو النقطة التي في النواة، في قول ابن عباس والمكثرين. وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَسْكَنْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ﴾ [الأنعام: ١٠٠].

الآية (٥٤-٥٥): ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ يعني بذلك: حسدكم النبي ﷺ على ما رزقه الله من النبوة العظيمة، ومنهم من تصديقهم إياه حسد منهم له؛ لكونه من العرب وليس من بني إسرائيل. ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْأَكْثَرَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَمَا تَنْتَهُمُ لَكُمْ عَظِيمًا﴾ أي: فقد جعلنا في أسباط بني إسرائيل - الذين هم من ذرية إبراهيم - النبوة، وأنزلنا عليهم الكتب، وحكموا فيهم بالسنة - وهي الحكمة - وجعلنا منهم الملوك، ومع هذا ﴿فَبِتَنَمَّ﴾ أي: آمن به. أي: بهذا الإتياء وهذا الإنعام ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ﴾ أي: كفر به وأعرض عنه، وسعى في صد الناس عنه، وهو منهم ومن جنسهم من بني إسرائيل، فقد اختلفوا عليهم، فكيف بك يا محمد ولست من بني إسرائيل؟! ولهذا قال متوعداً لهم: ﴿وَكُنَّ يَجْعَلُونَ سَعِيرًا﴾ أي: وكفى بالنار عقوبة لهم على كفرهم وعنادهم ومخالفتهم كتب الله ورسوله.

الآية (٥٦): يخبر تعالى عما يعاقب به في نار جهنم من كفر بآياته وصد عن رسله، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا﴾ الآية، أي: ندخلهم فيها دخولاً يحيط بجميع أجزائهم، وأجزاءهم. ثم أخبر عن دوام عقوبتهم ونكالهم فقال: ﴿كُلَّمَا نَبَّهَتْ جُلُودُهُمْ بِذُنُوبِهِمْ جُلُودًا أُخْرَىٰ يَدْعُوا لِلْعَذَابِ﴾.

الآية (٥٧): هذا إخبار عن مآل السعداء في جنات عدن، التي تجري فيها الأنهار في جميع فجائها ومحالها وأرجائها حيث شاؤوا وأين أرادوا، وهم خالدون فيها أبداً، لا يحولون ولا يزولون، ولا ييغون عنها حولاً. ﴿فَمَنْ فِيهَا أَرْجَ مَطَهَّرَةٌ﴾ أي: من الحيض والنفس والأذى والأخلاق الذليلة، والصفات الناقصة. ﴿وَنَدَّخِلُهُمْ ظِلًّا ظِلِيلًا﴾ أي: ظللاً عميقاً كثيراً غزيراً طيباً أنيقاً.

الآية (٥٨): يخبر تعالى أنه يأمر بأداء الأمانات إلى أهلها، وهذا يعم جميع الأمانات الواجبة على الإنسان، من حقوق الله عز وجل على عباده، من الصلوات والزكوات، والكفارات والنذور والصيام، وغير ذلك، مما هو مؤتمن عليه لا يطلع عليه العباد، ومن حقوق العباد بعضهم على بعض: كالودائع وغير ذلك مما يأمنون به بعضهم على بعض من غير



الآية (٦٤): يقول تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ﴾ أي: فُرِضَتْ طاعته على من أرسله إليهم. وقوله: ﴿يَاذِبِ اللَّهُ﴾ قال مجاهد: أي لا يطع أحد إلا بإذني. يعني: لا يطيعهم إلا من وقفته لذلك؛ كقوله: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحَضَّرْتُمْ يَلَاذِيهِ﴾ [آل عمران: ١٥٢]. أي: عن أمره وقدره ومشيتته، وتسليطه إياكم عليهم. وقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ يرشد تعالى العصاة والمذنبين إذا وقع منهم الخطأ والعصيان أن يتأوا إلى الرسول ﷺ فيستغفروا الله عنده، ويسألوه أن يستغفر لهم، فإنهم إذا فعلوا ذلك تاب الله عليهم ورحمهم وغفر لهم، ولهذا قال: ﴿لَوْجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾.

الآية (٦٥): يقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة: أنه لا يؤمن أحد حتى يُحْكَمَ الرسول ﷺ في جميع الأمور، فإِ حَكَمَ به فهو الحق الذي يجب الانقياد له باطنًا وظاهرًا؛ ولهذا قال: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ أي: إذا حُكِمَوكَ يطيعونك في بواطنهم فلا يجدون في أنفسهم حرجًا مما حكمت به، ويتقادون له في الظاهر والباطن، فيسلمون لذلك تسليماً كلياً من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة. عن عُرْوَةَ قال: خاصم الزبير رجلاً في شريح من الحرّة، فقال النبي ﷺ: «استق يا زبير، ثم أرسل الماء إلى جارك» فقال الأنصاري: يا رسول الله، أن كان ابن عمك؟! قتلون وجه رسول الله ﷺ، ثم قال: «استق يا زبير، ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجذر، ثم أرسل الماء إلى جارك»، واستوعى النبي ﷺ للزبير حقه في صريح الحكم، حين أحفظه الأنصاري، وكان أشار عليها بأمر لها فيه سعة. قال الزبير: فما أحسب هذه الآية إلا نزلت في ذلك: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [رواه البخاري].

الآية (٦٠-٦١): هذا إنكار من الله عز وجل على من يدعي الإيمان بما أنزل الله على رسوله وعلى الأنبياء الأقدمين، وهو مع ذلك يريد أن يتحاكم في فصل الخصومات إلى غير كتاب الله وسنة رسوله. [سبب النزول]: ذكر في سبب نزول هذه الآية: أنها في رجل من الأنصار ورجل من اليهود تخاصما، فجعل اليهودي يقول: بيني وبينك محمد، وذاك يقول: بيني وبينك كعب بن الأشرف. وقيل: في جماعة من المنافقين، ممن أظهروا الإسلام؛ أرادوا أن يتحاكموا إلى حكام الجاهلية. وقيل غير ذلك، والآية أعم من ذلك كله؛ فإنها دأمة لمن عدل عن الكتاب والسنة، وتحاكموا إلى ما سواهما من الباطل، وهو المراد بالطاغوت ههنا؛ ولهذا قال: ﴿يُؤِيدُونَ أَنْ يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ إلى آخرها.

وقوله: ﴿يُصَدِّدُونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ أي: يُعرضون عنك إعراضاً كالمتكبرين عن ذلك، كما قال تعالى عن المشركين: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَبْعُهُمَا وَمَعَادِنَا عَلَيْهِ مَا كَانَ لِقَوْمٍ الْفَاسِقِينَ﴾ [النجم: ٢١]، هؤلاء وهؤلاء يخالف المؤمن، الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقِينَ﴾ [النور: ٥١].

الآية (٦٢): ثم قال تعالى في ذم المنافقين: ﴿فَكَيْفَ إِذَا صَبَّحَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: فكيف بهم إذا ساقتهُم المقادير إليك في مصائب تطرُقهم بسبب ذنوبهم، واحتاجوا إليك في ذلك ﴿ثُمَّ جَاءُوكَ يُخَالِفُونَ بِإِلَهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾ أي: يعتذرون إليك ويخالفون: ما أردنا بذهابنا إلى غيرك، وتحاكمنا إلى أعدائك إلا الإحسان والتوفيق، أي: المداواة والمصانعة، لا اعتقاداً منا صحة تلك الحكومة، كما أخبرنا تعالى عنهم في قوله: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَحْنُ زَاهِدُونَ فَأَمَّا اللَّهُ فَعَسَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ الْفَتْحُ أَوْ أَمْرٌ مِنْ غَيْرِهِمْ فَيُضَيِّحُوا عَلَى مَا أَسْرَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ تَدْمِينًا﴾ [الأنعام: ٥٢]. عن ابن عباس قال: كان أبو بَرَّةَ الأسلمي كاهناً يقضي بين اليهود فيما يتنافرون فيه، فتنافر إليه ناس من المسلمين فأنزل الله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ رَزَعْتُمْ أَنْفُسَهُمْ إِمَّا أَنْ يَظُنُّوا أَنَّكُمْ يَصْطَلِحُونَ إِحْسَانًا وَمَا أَنْزَلَ مِنْ بَيْنِكُمْ إِلَّا الْقُلُوبُ الْأَعْيُنُ﴾ [الأنعام: ٦٣]: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ أي: هذا الضرب من الناس هم المنافقون، والله يعلم ما في قلوبهم وسيجزئهم على ذلك؛ فإنه لا تخفى عليه خافية. فاكْتَفَ به - يا محمد - فيهم، فإنه عالم بظواهرهم وبواطنهم؛ ولهذا قال له: ﴿فَاعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ أي: لا تعنفهم على ما في قلوبهم ﴿وَعِظْهُمْ﴾ أي: وانتههم على ما في قلوبهم من النفاق وسرائر الشر ﴿وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ أي: وانصحبهم فيما بينك وبينهم بكلام بليغ رادع لهم.



## ● الوقفات التدريبية

- ١ ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُتَنَفِّقِينَ يُصَدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ١١ ﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ يَكْفُرُونَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءَكَ بِحُكْمٍ يُحْكَمُونَ بِأَلَلَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴾

فإن هؤلاء إذا دعوا إلى ما أنزل الله من الكتاب وإلى الرسول - والدعاء إليه بعد وفاته هو الدعاء إلى سنته - أعرضوا عن ذلك وهم يقولون: إنا قصصنا الإحسان علماً وعملاً بهذه الطريق التي سلكناها، والتوفيق بين الدلائل العقلية والنقلية: ابن تيمية: ٢٨٦/٢.

السؤال: ما وجه الشبه بين المنافقين السابقين والمنافقين المعاصرين؟

- ٢ ﴿ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ يَكْفُرُونَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءَكَ بِحُكْمٍ يُحْكَمُونَ بِأَلَلَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴾

استدل بالآية على أنه قد تصيب المصيبة بما يكتسب العبد من الذنوب. الألويسي: ٦٩/٥.

السؤال: هل الذنوب سبب للمصائب؟ وضع ذلك من الآية.

- ٣ ﴿ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴾

أي: انصحهم سرّاً بينك وبينهم؛ فإنه أنجح لحصول المقصود. السعدي: ١٨٤.

السؤال: لماذا كانت نصيحة السر أفضل من نصيحة العلن؟

- ٤ ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴾

وفي هذا دليل على أن مقترن المعاصي، وإن أعرض عنه، فإنه ينصح سرّاً، ويبالغ في وعظه بما يظن حصول المقصود به. السعدي: ١٨٤.

السؤال: قد تعرض عن صاحب المعصية لسبب ما، ولكن كيف يكون تعاملك معه؟

- ٥ ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُو اللَّهُ مَافِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴾

قال أبو جعفر: إنما هذا تعريض من الله تعالى ذكره لهؤلاء المنافقين بأن تركهم طاعة الله وطاعة رسوله والرضى بحكمه، إنما هو للسابق لهم من خذلانه وغلبة الشقاء عليهم، ولولا ذلك لكانوا ممن أذن له في الرضى بحكمه، والمساورة إلى طاعته. الطبري: ٥١٦/٨.

السؤال: ما المانع الذي حال بين المنافقين والاحتكام إلى الله ورسوله؟

- ٦ ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُو اللَّهُ مَافِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴾

فما أرسلناك وغيرك من الرسل إلا للرفق بالأمة، والصفح عنهم، والدعاء لهم على غاية الجهد والنصيحة. البقاعي: ٢٧٤/٢.

السؤال: للدعوة شرط يتمم القبول عند الله وعند الناس، فما هو؟

- ٧ ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾

هذا المجيء إلى الرسول ﷺ مختص بحياته، لأن السياق يدل على ذلك، لكون الاستغفار من الرسول لا يكون إلا في حياته، وأما بعد موته فإنه لا

يطلب منه شيء، بل ذلك شرك. السعدي: ١٨٥.

السؤال: متى يصح المجيء إلى الرسول ﷺ وطلب الاستغفار منه؟

أَلْقَرْتُمْ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَكَّمُوا إِلَى الظَّالِمِينَ وَقَدْ أَمَرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ٥ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُتَنَفِّقِينَ يُصَدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ٦ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ يَكْفُرُونَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ بِحُكْمٍ يُحْكَمُونَ بِأَلَلَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ٧ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُو اللَّهُ مَافِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ٨ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ٩ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُخَرِّجُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ١٠

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
الظَّالِمُونَ	الْبَاطِلُ الَّذِي لَمْ يَشْرَعْهُ اللَّهُ
حَرَجًا	ضَبَقًا.

## ● العمل بالآيات

١. ادع الله أن يوفقك لحسن الوعظ والتأثير في الناس، وأن يكون قولك بليغاً، ثم قم بهذا الواجب، ﴿ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴾.
٢. تذكر ذنباً فعلته، ثم استغفر الله عز وجل، ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾.
٣. اقرأ سبب نزول هذه الآية الكريمة، ثم تدبر فيها، واستخرج منها فوائد، وأرسلها في رسالة لمن حولك ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُخَرِّجُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾.

## ● التوجيهات

١. التحاكم إلى غير الكتاب والسنة مهلكة، حتى ولو في أصغر الأشياء، ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَكَّمُوا إِلَى الظَّالِمِينَ وَقَدْ أَمَرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ ﴾.
٢. سبيل أهل النفاق الصد عن تطبيق الشريعة، ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُتَنَفِّقِينَ يُصَدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴾.
٣. استحباب الإعراض عن مرضى القلوب، وعظمهم بالقول البليغ الذي يصل إلى قلوبهم، ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُو اللَّهُ مَافِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴾.



## ● الوقفات التدريبية

﴿ وَلَوْ أَنَّا كُنَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أُخْرِجُوا مِنْ دِينِكُمْ مَا فَعَلُوا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ﴾

يخبر تعالى أنه لو كتب على عباده الأوامر الشاقة على النفوس من قتل النفوس والخروج من الديار لم يفعله إلا القليل منهم والنادر، فليحمدوا ربهم، وليشكروه على تيسير ما أمرهم به من الأوامر التي تسهل على كل أحد، ولا يشق فعلها، وفي هذا إشارة إلى أنه ينبغي أن يلحظ العبد ضد ما هو فيه من المكروهات لتخفف عليه العبادات. السعدي: ١٨٥.

السؤال: كيف تستنبط من الآية سهولة الشريعة وسماحتها؟

﴿ وَلَوْ أَنَّا كُنَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أُخْرِجُوا مِنْ دِينِكُمْ مَا فَعَلُوا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ﴾

فاخبر سبحانه أنه لم يكتب ذلك علينا رفقا بنا؛ لئلا تظهر معصيتنا؛ فكم من أمر قصرنا عنه مع خفته، فكيف بهذا الأمر مع ثقله؟ لكن أما والله لقد ترك المهاجرون مساكنهم خاوية، وخرجوا يطلبون بها عيشة راضية. القرطبي: ٤٤٦/٦.

السؤال: بين كيف رحم الله تعالى عباده فلم يكلفهم ما فيه حرج ومشقة.

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَنبِيْثًا ﴾  
والعبد إذا عمل بما علم؛ أورثه الله علم ما لم يعلم، كما قال تعالى: (ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم واشد تنبيها). ابن تيمية: ٢٩٣/٢.

السؤال: العمل بالعلم سبب لزيادته، دلل لذلك من الآية.

﴿ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِالْعِلْمِ ﴾  
أي: ذلك الفضل العظيم كائن من الله تعالى لا من غيره ... أو كائن من الله تعالى لا أن أعمال العباد توجبها. (وكفى بالله علما) بثواب من أطاعه، وبمقادير الفضل، واستحقاق أهله. الألوسي: ٧٩/٥.

السؤال: ما دلالة وصف الله بالعلم في هذه الآية؟ وما أثره؟

﴿ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِالْعِلْمِ ﴾  
وفيه بيان أنهم لم ينالوا تلك الدرجة بطاعتهم، وإنما نالوها بفضل الله عز وجل. البغوي: ٥٦٠/١.

السؤال: هل بلغ المؤمنون هذه الدرجة بعملهم وجهدهم؟

﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ لَمَن يُؤَيِّتُ فَإِنْ آمَنَّاكُمْ مُّصِيبَةً قَالَ قَدْ آمَنَّا اللَّهَ عَزَّ إِذْ لَرَأَى أَمْرَهُمْ شَهِيدًا ﴾

(لمن ليبيطن) أي: يتناقل في نفسه عن الجهاد؛ لضعفه في الإيمان، أو لنفاقه، ويأمر غيره بذلك أمرا مؤكدا؛ إظهارا للشفقة عليهم، وهو عين الغش؛ فإنه ينمر الضعف المؤدي إلى جرة العدو، المضي إلى التلاشي. البقاعي: ٢٧٨/٢.

السؤال: إلى ماذا يفضي التناقل عن الجهاد والخير؟

﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ لَمَن يُؤَيِّتُ فَإِنْ آمَنَّاكُمْ مُّصِيبَةً قَالَ قَدْ آمَنَّا اللَّهَ عَزَّ إِذْ لَرَأَى أَمْرَهُمْ شَهِيدًا ﴾

ومعناه: يبيطن غيره؛ يبطه عن الجهاد، ويحمله على التخلف عن الغزو؛ وقيل: يبيطن ويخلف هو عن الغزو ويتناقل. (فإن أصابكم مصيبة) أي: قتل وهزيمة، والمعنى: أن المنافق تسره غيبته عن المؤمنين إذا هزموا. ابن جزي: ١٩٨/١.  
السؤال: في الآية صفات من صفات المنافقين، فما هما؟

وَلَوْ أَنَّا كُنَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أُخْرِجُوا مِنْ دِينِكُمْ مَا فَعَلُوا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَنبِيْثًا ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا لَأَنبَيْتَهُمْ مِّنْ لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٨٦﴾ وَلَهَدَيْتَهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٨٧﴾ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿١٨٨﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِالْعِلْمِ ﴿١٨٩﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اخذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوَّافِرًا وَاجْمِعُوا ﴿١٩٠﴾ وَإِنْ مِنْكُمْ لَمَن لَّيْطُنَّ فَإِنْ أَصَبَكُمْ مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا ﴿١٩١﴾ وَلَئِنْ أَصَبَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولُنَّ كَأَن لَّرُتُكُنْ بِبَيْتِكُمْ وَبَيْنَهُ وَدُودُهُ يُكَلِّمُنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَوْهَرَنِي عَظِيمًا ﴿١٩٢﴾ فَلْيَقْتُلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقْتَلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلْ أَوْ يَمُوتْ فَنُفِ بِهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٩٣﴾

سورة النساء

٨٩

## ● معاني الكلمات

المعنى	الكلمة
أَقْوَى لِلإِيمَانِهِمْ.	وَأَشَدَّ تَنبِيْثًا
جَمَاعَةً بَعْدَ جَمَاعَةٍ.	ثُبَاتٍ
يَتَأَخَّرُ عَنِ الْخُرُوجِ مُتَتَابِلًا، وَيُتَبَطِّطُ غَيْرُهُ.	لَيُطِطُّنَّ
حَاضِرًا.	شَهِيدًا
يُيَبَّغُونَ.	يَشْرُونَ

## ● العمل بالآيات

١. استمع لموعظة أو محاضرة، واعمل بما فيها مخالفاً للمنافقين الذين لا يعملون بما يوعظون به، ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَنبِيْثًا ﴾.

٢. تذكر موعظة أو نصيحة سمعتها واعمل بها اليوم، ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَنبِيْثًا ﴾ ﴿ وَإِذَا لَأَنبَيْتَهُمْ مِّنْ لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴾.

٣. بادر بالاستجابة لقول المؤذن: «حي على الصلاة»، ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ﴾.

## ● التوجيهات

١. من وسائل الثبات على الدين: عملك بما وُعدت وذكرته به، ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَنبِيْثًا ﴾.
٢. فعل الطاعة محض فضل من الله تعالى، فسل مالك الملك أن يتفضل عليك بها، ﴿ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِالْعِلْمِ ﴾.
٣. تنبيه الناس عن فعل الخير إنما هو من عادات المنافقين، فاحذر أن تثبط أحداً عن خير، ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ لَمَن يُؤَيِّتُ فَإِنْ آمَنَّاكُمْ مُّصِيبَةً قَالَ قَدْ آمَنَّا اللَّهَ عَزَّ إِذْ لَرَأَى أَمْرَهُمْ شَهِيدًا ﴾.

الصحابية: أن رسول الله ﷺ سئل عن الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم، فقال: «المرء مع من أحب». قال أنس: فما فرح المسلمون فرحهم بهذا الحديث. وفي رواية عن أنس أنه قال: إني لأحب رسول الله ﷺ، وأحب أبا بكر وعمر وأرجو أن يبعثني الله معهم وإن لم أعمل كعملهم [رواه البخاري ومسلم].

الآية (٧٠): قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ﴾ أي: من عند الله برحمته، هو الذي ألهمهم لذلك، لا بأعمالهم. ﴿وَكُنَّ يَأْتِيَنَّهُمْ﴾ أي: هو عليهم بمن يستحق الهداية والتوفيق.

الآية (٧١): يأمر الله تعالى عباده المؤمنين بأخذ الحذر من عدوهم، وهذا يستلزم التأهب لهم بإعداد الأسلحة والعُدَّة، وتكثير العُدَّة بالنفير في سبيله. «ثَبَاتٌ» أي: جماعة بعد جماعة، وفرقة بعد فرقة، وسرية بعد سرية، والثبات: جمع ثَبَّة، وقد تجمع الثبة على ثُبَيْن «أَوْ أَنْفِرُوا جَيْعًا» يعني: كلكم. وكذا رُوي عن مجاهد وعكرمة.

الآية (٧٢): ﴿وَإِنْ يَنْكُرُ لَكُمْ يُجِطُّنَ﴾ قال مجاهد وغير واحد: نزلت في المنافقين. وقال مقاتل بن حيان: «يُجِطُّنَ» أي: ليتخلفن عن الجهاد. ويحتمل أن يكون المراد أنه يتباطأ هو في نفسه، ويبطئ غيره عن الجهاد، كما كان عبد الله بن أبي بن سلول يفعل؛ يتأخر عن الجهاد، ويُجِطُّ الناس عن الخروج فيه. وهذا قول ابن جرير وابن جرير؛ ولهذا قال تعالى إخبارًا عن المنافق أنه يقول إذا تأخر عن الجهاد: ﴿إِنْ أَصْبَحْتُكُمْ مُّصِيبَةً﴾ أي: قتل وشهادة وغلب العدو لكم، لما لله في ذلك من الحكمة «قَالَ قَدْ أَنْتُمْ اللَّهُ عَزَّ وَزَلَّ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا» أي: إذ لم أحضر معهم وقعة القتال، يعد ذلك من نعم الله عليه، ولم يدر ما فاته من الأجر في الصبر أو الشهادة إن قُتل.

الآية (٧٣): ﴿وَلَيْنَ أَصْبَحْتُكُمْ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ﴾ أي: نصر وظفر وغنيمة «لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ» أي: كأنه ليس من أهل دينكم «وَيُلَاقِيَنَّهُ كُتُّ مَعَهُمْ فَأَقْوَرُ قَوْرًا عَظِيمًا» أي: بأن يضرب لي بسهم معهم فأحصل عليه. وهو أكبر قصده وغاية مراده.

الآية (٧٤): ﴿فَلْيَقْتُلَنَّ﴾ أي: المؤمن النافر «فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ» أي: يبيعون دينهم بعرَض قليل من الدنيا، وما ذلك إلا لكفرهم وعدم إيمانهم.

﴿وَمَنْ يَقْتُلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيَهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ أي: كل من قاتل في سبيل الله -سواء قُتل أو غلب- فله عند الله ثبوة عظيمة وأجر جزيل، كما ثبت في الصحيحين: «تكفل الله للمجاهد في سبيله إن توفاه أن يدخله الجنة، أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه نائلاً ما نال من أجر أو غنيمة».

الآية (٦٦-٦٨): يخبر تعالى عن أكثر الناس أنهم لو أمروا بما هم مرتكبونه من المناهي لما فعلوه؛ لأن طباعهم الرديئة مجبولة على مخالفة الأمر، وهذا من علمه تعالى بما لم يكن لو كان فكيف كان يكون؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كُنَّا عَلَيْهِمْ أَنْ أَقْسَلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ الآية.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ﴾ أي: ولو أنهم فعلوا ما يؤمرون به، وتركوا ما ينهون عنه «لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ» أي: من مخالفة الأمر وارتكاب النهي «وَأَشَدَّ تَثِيئًا» قال السدي: أي: وأشد تصديقًا «وَإِذَا لَا تَأْتِيَنَّهُمْ بِنَافَثَةٍ» أي: من عندنا «أَجْرًا عَظِيمًا» يعني: الجنة «وَلَهَدَيْنَهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا» أي: في الدنيا والآخرة.

الآية (٦٩): ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ أي: من عمل بما أمره الله ورسوله، وترك ما نهى الله عنه ورسوله، فإن الله عز وجل يسكنه دار كرامته، ويجعله مرافقًا للأنبياء ثم لمن بعدهم في الرتبة، وهم الصديقون، ثم الشهداء، ثم عموم المؤمنين، وهم الصالحون الذين صلحت سرائرهم وعلانيتهم.

ثم أثنى عليهم تعالى فقال: ﴿وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ عن عائشة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من نبي يَمُرُّ إِلَّا خَيْرٌ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» وكان في شكواه الذي قُبِضَ فيه، فأخذته بُحَّة شديدة، فسمعتهم يقول: «مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ» فعلمت أنه خَيْرٌ. [متفق عليه]. [سبب النزول]:

روى ابن جرير عن سعيد بن جبيرة قال: جاء رجل من الأنصار إلى النبي ﷺ وهو محزون، فقال له النبي ﷺ: «يا فلان، ما لي أراك محزونًا؟» قال: يا رسول الله، شيء فكرت فيه، قال: «ما هو؟» قال: نحن نغدو عليك ونروح، ننظر إلى وجهك ونجالسك، وغدا تُرفع مع النبيين فلا نصل إليك. فلم يرَ النبي ﷺ عليه شيء، فاتاه جبريل بهذه الآية: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾. وقد روي هذا الأثر مرسلًا عن مسروق وعن عكرمة وعامر الشَّعْبِي، وقائدة، وعن الربيع بن أنس، وهو من أحسنها سندًا. وثبت عن ربيعة بن كعب الأسلمي أنه قال: كنت أبيتُ عند النبي ﷺ فأتيته بوضوءه وحاجته، فقال لي: «سَلِّ». فقلت: يا رسول الله، أسألك مرافقتك في الجنة. فقال: «أَوْعَيْتَ ذَٰلِكَ؟» قلت: هو ذاك. قال: «فَأَعْنِي عَلَى نَفْسِكَ بِكَرَّةِ السُّجُودِ» [رواه مسلم]. وعن عمرو بن مَرْة الْجُهَنِي قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، شهدت أن لا إله إلا الله، وأنتك رسول الله، وصليت الخمس، وأتيت زكاة مالي، وصمت شهر رمضان؟ فقال رسول الله ﷺ: «من مات على ذلك كان مع النبيين والصديقين والشهداء يوم القيامة هكذا -ونصب إصبعيه- ما لم يعق والديه» [رواه أحمد وصححه الألباني].

وأعظم من هذا كله بشارة ما ثبت من طرق متواترة عن جماعة من

وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]. والمقصود: أن كل أحد صائر إلى الموت لا محالة، ولا ينتجيه من ذلك شيء، وسواء جاهد أو لم يجاهد؛ فإن له أجلاً محتوماً، وأمداً مقسوماً، كما قال خالد بن الوليد حين جاءه الموت على فراشه: لقد شهدت كذا وكذا موقفاً، وما من عضو من أعضائي إلا وفيه جرح من طعنة أو رمية، وما أنا أموت على فراشي، فلا نامت أعين الجبناء. ﴿وَلَوْ كُنْتُمْ فِي رُوحٍ مُّسَيَّدَةٍ﴾ أي: حصينة منيعة عالية رفيعة. أي: لا ينبغي حذر وتحصن من الموت؛ كما قال زهير بن أبي سلمى:

ومن هاب أسباب المنيعة يلقيها ... ولو رام أسباب السباء بسلم.  
﴿وَلَنْ تُصِيبَهُمْ حَسَنَةٌ﴾ أي: خصب وورق من ثمار وزروع وأولاد ونحو ذلك؛ هذا معنى قول ابن عباس وأبي العالية والسدي.  
﴿يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ أي: قحط وجذب ونقص في الثمار والزروع أو موت أولاد أو نتاج أو غير ذلك.  
﴿يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ﴾ أي: من قبلك وبسبب اتباعنا لك واقتدائنا بدينك؛ كما قال تعالى عن قوم فرعون: ﴿فَإِذَا جَاءَهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَلِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ﴾ [الأعراف: ١٣١]. وهكذا قال هؤلاء المنافقون الذين دخلوا في الإسلام ظاهراً وهم كارهون له في نفس الأمر؛ ولهذا إذا أصابهم شر إنما يسندونه إلى اتباعهم للنبي ﷺ. ﴿قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ أي: الجميع بقضاء الله وقدره، وهو نافذ في البرِّ والفاجر، والمؤمن والكافر. ثم قال تعالى مُنْكِراً على هؤلاء القائلين هذه المقالة الصادرة عن شك وريب، وقلة فهم وعلم، وكثرة جهل وظلم: ﴿قُلْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَقَّيْنَا﴾.

الآية (٧٩): ثم قال تعالى مخاطباً للرسول - والمراد جنس الإنسان - ليحصل الجواب: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنْ اللَّهِ﴾ أي: من فضل الله ومنه ولطفه ورحمته ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكُمْ﴾ أي: فمن قبلك، ومن عملك أنت؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُّصِيبَةٍ فَمِنْ تَحْتِ أَيْدِيكُمْ وَيَعْقُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [النورى: ٣٠]. قال قتادة: ﴿فَمِنْ نَفْسِكُمْ﴾: عقوبة لك يا ابن آدم بذنبك. عن مطرف بن عبد الله قال: ما تريدون من القدر؟ أما تكفيكم الآية التي في سورة النساء: ﴿وَلَنْ تُصِيبَهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ﴾ أي: من نفسك؟ والله ما وكُلُّوا إلى القدر، وقد أمروا، وإليه يصيرون. وهذا كلام مبين قوي في الرد على القدرية والخبرية أيضاً. وقوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ رَسُولًا﴾ أي: تبلغهم شرائع الله، وما يحبه ويرضاه، وما يكرهه ويأباه ﴿وَكُنْ بِاللَّهِ تَهَيْدًا﴾ أي: على أنه أرسلك، وهو شهيد أيضاً بينك وبينهم، وعالم بما تبلغهم إياه، وبما يردون عليك من الحق كفراً أو عناداً.

الآية (٧٥): يحرض تعالى عباده المؤمنين على الجهاد في سبيله، وعلى السعي في استنقاذ المستضعفين بمكة من الرجال والنساء والصبيان التمرمين من المقام بها؛ ولهذا قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ يعني: مكة، بقوله: ﴿وَكَايْنِ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ﴾ [عند: ١٣]. ثم وصفها بقوله: ﴿الْفَلَاكِ أَهْلُهَا وَأَجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ أي: سخر لنا من عندك ولياً وناصراً. عن عبيد الله، قال: سمعت ابن عباس قال:

«كنت أنا وأمي من المستضعفين» [رواه البخاري].  
الآية (٧٦): ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الظَّالِمِينَ﴾ أي: المؤمنون يقاتلون في طاعة الله ورضوانه، والكافرون يقاتلون في طاعة الشيطان. ثم هيَّج تعالى المؤمنين على قتال أعدائه بقوله: ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾.

الآية (٧٧): كان المؤمنون في ابتداء الإسلام - وهم بمكة - مأمورين بالصلاة والزكاة وإن لم تكن ذات النُصْب، لكن كانوا مأمورين بمواساة الفقراء منهم، وكانوا مأمورين بالصفح والعفو عن المشركين والصبر إلى حين، وكانوا يتحرقون ويودون لو أمروا بالقتال ليشقوا من أعدائهم، ولم يكن الحال إذ ذاك مناسباً لأسباب كثيرة؛ منها: قلة عددهم بالنسبة إلى كثرة عدد عدوهم، ومنها كونهم كانوا في بلدهم وهو بلد حرام وأشرف بقاع الأرض، فلم يكن الأمر بالقتال فيه ابتداء لائقاً، فلماذا لم يؤمروا بالجهاد إلا بالمدينة، لما صارت لهم دارٌ ومنعة وأنصار، ومع هذا لما أمروا بما كانوا يودونه جَزَع بعضهم منه وخافوا من مواجهة الناس خوفاً شديداً ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كُنَيْتَ عَلَيْنَا أَلْفِيَالاً لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ أي: لولا أخرت فرضه إلى مدة أخرى، فإن فيه سفك الدماء، ويُسِّم الأبناء، وتَأْثِم النساء. وهذه الآية في معنى قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نَزَلَتْ سُورَةُ فَإِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةَ مُحْكَمَةً وَذَكَرْنَا فِيهَا أَلْفِيَالاً رَأَيْتَ الَّذِينَ قَالُوا هُمْ مَرَضٌ يُنْظَرُونَ إِلَيْكَ فَظَلَمْتَنِي عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَئِكَ لَهُمْ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [عند: ٢٠-٢١].

[سبب النزول]: عن ابن عباس: أن عبد الرحمن بن عوف وأصحاباً له أتوا النبي ﷺ بمكة فقالوا: يا نبي الله، كنا في عزٍّ ونحن مشركون، فلما آمنا صرنا أذلة! قال: «إني أُمِرتُ بالعفو، فلا تقاتلوا القوم». فلما حوله الله إلى المدينة أمره بالقتال، فكفوا. فأنزل الله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا قُلْ لَمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾ الآية [رواه ابن أبي حاتم والنسائي، وصححه الألباني]. ﴿قُلْ مَنْ لَدُنَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ الْآخِرُ﴾ أي: آخرة المتقي خير من دنياه ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ قَلِيلًا﴾ أي: من أعمالكم، بل توفوها أتم الأجزاء. وهذه تسلية لهم عن الدنيا، وترغيب لهم في الآخرة، وتحريض لهم على الجهاد.

الآية (٧٨): ﴿إِنَّمَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ مِغْرَمٌ﴾ أي: أنتم صائرون إلى الموت لا محالة، ولا ينجو منه أحد منكم؛ كما قال تعالى: ﴿كُلٌّ مِنْهُمْ شَهِيدٌ﴾ ﴿وَبَقِيَ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦-٢٧].



## ● الوقفات التدرية

١ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾ بحسب إيمان العبد يكون جهاده في سبيل الله، وإخلاصه، ومتابعته، فالجهاد في سبيل الله من أثار الإيمان ومقتضياته ولوازمه، كما أن القتال في سبيل الطاغوت من شعب الكفر ومقتضياته. السعدي: ١٨٧.

السؤال: ما علاقة الإيمان بالجهاد؟

٢ ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾

وإنما وصفهم جل ثناؤه بالضعف لأنهم لا يقاتلون رجاء ثواب، ولا يتركون القتال خوف عقاب، وإنما يقاتلون حمية، أو حسداً للمؤمنين على ما اتهم الله من فضله، والمؤمنون يقاتل من قاتل منهم رجاء العظيم من ثواب الله، ويترك القتال إن تركه على خوف من وعيد الله في تركه؛ فهو يقاتل على بصيرة بما له عند الله إن قتل، وبما له من الغنيمة والظفر إن سلم، والكافر يقاتل على حذر من القتل، وإياس من معاد الطبري: ٨/٤٧.

السؤال: لماذا وصف الله تعالى كيد الشيطان وأوليائه بالضعف؟

٣ ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾

والمراد بكيد الشيطان تدبيره؛ وهو ما يظهر على أنصاره من الكيد للمسلمين والتدبير لتأليب الناس عليهم. ابن عاشور: ١٢٤/٥.

السؤال: ما المقصود بكيد الشيطان؟

٤ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾

لعمل أمرهم بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة (تنبيه) على أن الجهاد مع النفس مقدم، وما لم يتمكّن المسلم في الانقياد لأمر الله تعالى بالوجود بالمال لا يكاد يتأتى منه الجود بالنفس، والوجود بالنفس أقصى غاية الجود. الأتوسي: ٨٥/٥.

السؤال: لماذا قدم الأمر بالصلاة والزكاة على الجهاد؟

٥ ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كُتِبَ عَلَيْنَا الْقِتَالُ لَوْلَا أَخَّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَّعَ الدُّنْيَا قَلِيلًا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تَطْلُومُونَ قِيلًا﴾

أي: ولو فرض أنه مدّ في آجالكم إلى أن تمّلوا الحياة، فإن كل منقطع قليل، مع أن نعيمها غير محقق الحصول، وإن حصل كان منقصاً بالكدورات. البقاعي: ٢٨٣/٢.

السؤال: هل طول الأجل من أسباب السعادة على كل حال؟

٦ ﴿قُلْ مَتَّعَ الدُّنْيَا قَلِيلًا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تَطْلُومُونَ قِيلًا﴾

ومتاع الدنيا منفعتها والاستمتاع بلذاتها، وسماه قليلاً لأنه لا بقاء له، وقال النبي ﷺ: (مثل الدنيا كراكب قال قيلولة تحت شجرة ثم راح وتركها). القرطبي: ٦/٤٦٣.

السؤال: لم وصف الله تعالى متاع الدنيا بالقليل؟

٧ ﴿قَالَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَرْبِيًا﴾

وفي ضمن ذلك مدح من يفهم عن الله وعن رسوله، والحث على ذلك، وعلى الأسباب المعينة على ذلك من الإقبال على كلامهما وتدبره، وسلوك الطرق الموصلة إليها. السعدي: ١٨٩.

السؤال: كيف تحت الآية على طلب العلم؟

وَمَا لَكُمْ لَأَنْ تَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمُ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ﴿٥٥﴾ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٥٦﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كُتِبَ عَلَيْنَا الْقِتَالُ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَّعَ الدُّنْيَا قَلِيلًا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تَطْلُومُونَ قِيلًا ﴿٥٧﴾ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ وَإِنْ تُصِيبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَرْبِيًا ﴿٥٨﴾ مَا أَصَابَكُمْ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكُمْ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٥٩﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
الطَّاغُوتِ	البغي والفساد.
قِيلًا	الخيط الذي يكون في شق نواة التمر.
بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ	حُصُونٍ مَنِيعَةٍ.

## ● العمل بالآيات

١. تفكر اليوم في حال المستضعفين المشردين من المؤمنين، وتبرع لهم وأكثر لهم الدعاء، ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمُ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾.
٢. عدد ثلاثة أسباب تدل على أن كيد الشيطان كان ضعيفاً، ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾.
٣. تذكر ثلاث حالات ممن تعرفهم جاءهم الموت فجأة، ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ﴾.

## ● التوجيهات

١. المجاهد سواء قتل أو انتصر فإنه يفوز بأعظم صفة؛ وهي رضا الله سبحانه، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾.
٢. كيد الشيطان ضعيف، يستطيع الإنسان أن يرده ويطلبه بذكر الله تعالى، وبالنفث عن يساره، وباتمسك بهذا الكتاب الكريم والسنة النبوية الصحيحة، ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾.
٣. الحذر لا ينجي من القدر، ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ﴾.



## ● الوقفات التحريية

﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَانُ ﴾

من فوائد التدبر لكتاب الله: انه بذلك يصل العبد إلى درجة اليقين.  
السعدي: ١٩٠.

السؤال: ما الفائدة المرجوة من تدبر القرآن الكريم؟

﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَانُ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾  
ودلت هذه الآية، وقوله تعالى: (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها)  
(محمد: ١٢٤) على وجوب التدبر في القرآن ليعرف معناه. القرطبي: ٤٧٧/٦.

السؤال: ما حكم تدبر القرآن الكريم؟

﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَانُ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾  
أي: تناقضاً كما في كلام البشر، أو تفاوتاً في الفصاحة. لكن القرآن  
منزه عن ذلك؛ فدل على انه كلام الله. وإن عرضت لأحد شبهة وظن  
اختلافاً في شيء من القرآن، فالواجب أن يتهم نظره ويسأل أهل العلم،  
ويطالع تأليفهم حتى يعلم أن ذلك ليس باختلاف. ابن جزي: ٢٠٠/١.

السؤال: ما الواجب على من عرضت له شبهة، وتوهم تعارض شيء في القرآن؟

﴿ مَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً  
سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا ﴾

الشفاعة الحسنة هي: الشفاعة في مسلم لتفرض عنه كريمة، أو تدفع  
مظلمته، أو تجلب إليه خيراً، والشفاعة السيئة بخلاف ذلك. ابن جزي: ٢٠١/١.

السؤال: مثل لشفاعة حسنة، وشفاعة سيئة.

﴿ مَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً سَيِّئَةً  
يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيبًا ﴾

الشفاعة الحسنة هي الإصلاح بين الناس، والشفاعة السيئة هي المشي  
بالتنميمة بين الناس. البغوي: ٥٨٨/١.

السؤال: ما الشفاعة الحسنة والشفاعة السيئة؟

﴿ وَإِذَا حُيِّمُ بِحِجَّتِهِ فَحَيَّوْا بِأَحْسَنِ مِثْلِهَا أَوْ رُدُّوْهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ  
شَيْءٍ حَسِيبًا ﴾

ما أحسن جعلها تاليتة لأية الجهاد؛ إشارة إلى أن من بذل السلام وجب  
الكف عنه ولو كان في الحرب، وأن من مقتضيات هاتين الآيتين أن  
مبنى هذه السورة على الندب إلى الإحسان والتعاطف والتواصل، ومن  
أعظمه القول اللين؛ لأنه ترجمان القلب الذي به العطف، ومن أعظم ذلك  
الشفاعة والتحية. البقاعي: ٣٩٢/٢.

السؤال: لماذا عقب آيات الجهاد بالحديث عن الشفاعة وتحية الإسلام؟

﴿ وَإِذَا حُيِّمُ بِحِجَّتِهِ فَحَيَّوْا بِأَحْسَنِ مِثْلِهَا أَوْ رُدُّوْهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ  
شَيْءٍ حَسِيبًا ﴾

تعليم لنوع من مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال؛ فالمعنى: إذا من الله تعالى  
عليكم بمعطية فابذلوا الأحسن من عطايها، أو تصدقوا بما أعطاكم، وردوه  
إلى الله تعالى على يد المستحقين، والله تعالى خير الموفقين. الألويسي: ١٠٤/٥.

السؤال: ما دلالة الأمر برد التحية بأحسن منها؟

مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ  
عَلَيْهِمْ حَفِظًا ۖ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَأُوا مِنْ عِنْدِكَ  
بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبْهِنُونَ  
فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا  
﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَانُ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ  
لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ وَإِذَا جَاءَ هُرَامُ مِنَ الْأَمْنِ  
أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ  
مِنْهُمْ لَعَلِمَ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ  
عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَفَسَدَتُمْ ۚ فَاتَّبِعُوا أَمْرَ اللَّهِ وَلَا تَتَّبِعُوا  
سَبِيلَ اللَّهِ لَكُمْ كُفٌّ لِّأَنفُسِكُمْ وَخَرَضَ الْمُؤْمِنِينَ  
عَنِ اللَّهِ أَنْ يَكْفُ بِأَسِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بِأَسَا  
وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ۚ مَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ  
نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا  
وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيبًا ۚ وَإِذَا حُيِّمُ بِحِجَّتِهِ فَحَيَّوْا  
بِأَحْسَنِ مِثْلِهَا أَوْ رُدُّوْهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ۚ

## ● معاني الكلمات

المعنى	الكلمة
دُبِّرَتْ بِلِيلٍ.	بَيَّتَ
أَفْشَوْهُ.	أَذَاعُوا بِهِ
عُفُوبَةٌ.	تَنكِيلًا
نَصِيبٌ مِنْ وَرْثَاهَا.	كِفْلٌ
شَاهِدًا، وَحَفِظًا.	مُقِيبًا

## ● العمل بالآيات

١. تدبر آية من كتاب الله، وذلك بفهم معناها، ثم بإعمال الفكر والتأمل في  
مراد الله تعالى منها، ثم اعمل بها، ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَانُ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ  
لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾.
٢. زر أحد العلماء، واسأله عن بعض النوازل التي تعيشها، ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ  
مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَ  
الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾.
٣. تذكر محتاجاً تستطيع مساعدته بعلاقتك، واضع له لتثال الأجر من  
الله، ﴿ مَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ  
لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا ﴾.

## ● التوجيهات

١. التريث وعدم العجلة في نقل الأخبار من صفات المؤمنين، ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ  
أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ  
لَعَلِمَ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾.
٢. فضل الشفاعة في الخير، وسوء الشفاعة في الشر، ﴿ مَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً حَسَنَةً يَكُنْ  
لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا ﴾.
٣. الرد على التحية بمثلها واجب، والزيادة في الرد مستحبه، ﴿ وَإِذَا حُيِّمُ  
بِحِجَّتِهِ فَحَيَّوْا بِأَحْسَنِ مِثْلِهَا أَوْ رُدُّوْهَا ﴾.

يَسْتَنْطِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴿ فَكُنْتُ أَنَا اسْتَنْطِطْتُ ذَلِكَ الْأَمْرَ [منفَع عليه]. ومعنى قوله: ﴿يَسْتَنْطِطُونَهُ﴾ أي: يستخرجونه من معادنه. وقوله: ﴿لَا تَكْتُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ قال ابن عباس: يعني المؤمنين.

الآية (٨٤): يأمر تعالى عبده ورسوله محمدًا ﷺ أن يباشر القتال بنفسه، ومن نكل عنه فلا عليه منه؛ ولهذا قال: ﴿لَا تَكْلَفْ إِلَّا نَفْسَكَ﴾. عن أبي إسحاق قال: قلت للبراء: الرجل يعمل على المشركين، أهو عن القى بيده إلى التهلكة؟ قال: لا؛ إن الله يبعث رسوله ﷺ وقال: ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تَكْلَفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾. إنها ذلك في النفقة. [رواه أحمد وصححه إسناده أحمد شاكر]. ﴿وَحَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: على القتال ورغبهم فيه وشجعهم عليه؛ كما قال لهم رسول الله ﷺ يوم بدر وهو يسوي الصفوف: «قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض» [رواه مسلم]. ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْفِيَ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: بتحريضك إياهم على القتال تبعت مهمهم على مناجزة الأعداء، ومدافعتهم عن حوزة الإسلام وأهله، ومقاومتهم ومصابرتهم. ﴿وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنَكُّبًا﴾ أي: هو قادر عليهم في الدنيا والآخرة؛ كما قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَلَوْ تَشَاءَ اللَّهُ لَأنتَصَرْتُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾ [عند: ٤].

الآية (٨٥): ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا﴾ أي: من سعى في أمر، فترتب عليه خير، كان له نصيب من ذلك. ﴿وَمَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا﴾ أي: يكون عليه وزر من ذلك الأمر الذي ترتب على سعيه ونيته. وقال مجاهد بن جبر: نزلت هذه الآية في شفاعات الناس بعضهم لبعض. ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْبِلًا﴾ قال ابن عباس: أي: حفيظًا. وقال مجاهد: شهيدًا. وفي رواية عنه: حسيبًا. وقال السدي: قديرًا. وقال عبد الله بن كثير: المقيت: الواصب<sup>(١)</sup>. وقال الضحاك: المقيت: الرزاق.

الآية (٨٦): قوله: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِقَوْلٍ فَجَوِّبُوا بِأَحْسَنِ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ أي: إذا سلم عليكم المسلم فردوا عليه أفضل مما سلم، أو ردوا عليه بمثل ما سلم، فالزيادة مندوبة، والمائلة مفروضة.

فأما أهل الذمة فلا يُتَنَوَّنُونَ بالسلام ولا يُزَادُونَ بل يرد عليهم بما ثبت عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «إذا سلم عليكم اليهود فإتوا يقول أحدهم: السام عليك! فقل: وعليك» [منفَع عليه]. وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا تبدؤوا اليهود والنصارى بالسلام» [رواه مسلم]. وقال الحسن البصري: السلام تطوع، والرّد فريضة. وهذا الذي قاله هو قول العلماء قاطبة: أن الرد واجب على من سلم عليه، فيأثم إن لم يفعل؛ لأنه خالف أمر الله في قوله: ﴿فَجَوِّبُوا بِأَحْسَنِ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾.

الآية (٨٠): يخبر تعالى عن عبده ورسوله محمد ﷺ بأن ما أطاعه فقد أطاع الله، ومن عصاه فقد عصى الله، وما ذاك إلا لأنه ما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى. عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع الأمير فقد أطاعني، ومن عصى الأمير فقد عصاني» [منفَع عليه]. ﴿وَمَنْ تَوَلَّى فَنَّا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيطًا﴾ أي: لا عليك منه، إن عليك إلا البلاغ، فمن تبعك سعد ونجا، وكان لك من الأجر نظير ما حصل له، ومن تولى عنك خاب وخسر، وليس عليك من أمره شيء؛ كما جاء في الحديث: «من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فإنه لا يضر إلا نفسه» [رواه أبو داود وصححه إسناده أحمد شاكر].

الآية (٨١): ﴿وَيَتَوَلَّوْنَ طَاعَةً﴾ يخبر تعالى عن المنافقين بأنهم يظهرُونَ الموافقة والطاعة ﴿فَإِذَا بَرَأُوا مِنْ عِيْدِكَ﴾ أي: خرجوا وتواروا عنك ﴿بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ﴾ أي: استسروا ليلاً فبما بينهم بغير ما أظهروه. قوله: ﴿وَاللَّهُ يَكْتُمُ مَا يُبَيِّتُونَ﴾ أي: يعلمه ويكتبه عليهم بما يأمر به حفظه الكاتبتين، الذين هم مولكون بالعباد. والمعنى في هذا التهديد: أنه تعالى أخبر بأنه عالم بما يضمرونه ويسرونه فيما بينهم، وما يتفقون عليه ليلاً من مخالفة الرسول وعصيانه، وإن كانوا قد أظهروا له الطاعة والموافقة، وسبجزمهم على ذلك. ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ أي: اصفح عنهم واحلم عليهم، ولا تؤاخذهم، ولا تكشف أمورهم للناس، ولا تحفّ منهم أيضاً ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ أي: كفى به وليًا وناصرًا ومعينًا لمن توكل عليه وأتاب إليه.

الآية (٨٢): يقول تعالى أمراً بعباده بتدبر القرآن، ونهاياً لهم عن الإعراض عنه، وعن تفهم معانيه المحكمة وألفاظه البليغة، وغبراً لهم أنه لا اختلاف فيه ولا اضطراب، ولا تضاد ولا تعارض؛ لأنه تنزيل من حكيم حميد، فهو حق من حق؛ ولهذا قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلْفَرَارًا﴾ ثم قال: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ﴾ أي: لو كان مُفْتَعَلًا مُخْتَلَقًا، كما يقوله من يقوله من جهلة المشركين والمنافقين في بواطنهم ﴿لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا﴾ أي: اضطرابًا وتضادًا ﴿كَثِيرًا﴾ أي: وهذا سالم من الاختلاف، فهو من عند الله؛ كما قال تعالى غبراً عن الراسخين في العلم حيث قالوا: ﴿ءَأَمَّا يَوْمٌ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٤٧].

الآية (٨٣): إنكار على من يبادر إلى الأمور قبل تحققها، فيخبر بها ويفشيها وينشرها، وقد لا يكون لها صحة. عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «كفى بالمرء كذباً أن يُعَدِّثَ بكل ما سمع» [رواه مسلم]. وعن عمر بن الخطاب حين بلغه أن رسول الله ﷺ طلق نساءه، فجاء من منزله حتى دخل المسجد فوجد الناس يقولون ذلك، فلم يصبر حتى استأذن على رسول الله ﷺ فاستفهمه: أطلقتهن؟ فقال: «لا». قال: فقامت على باب المسجد فنادت بأعلى صوتي: لم يطلق رسول الله ﷺ نساءه. ونزلت هذه الآية: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ

(١) الواصب: الباقي الدائم؛ قال تعالى: ﴿وَلَهُ الْكَيِّفُ وَأَكْبَرُ﴾ [النحل: ٥٢]، ينظر: الغريين في القرآن والحديث لأبي عبيد الهروي].







الحزب  
١٠

**السؤال: ما السبب في تسليط الله تعالى للمشركين على المؤمنين أحياناً؟**

96

الكلمة

١. لَا شَيْءَ أَنْتَ سَتَقِفُ يَوْمًا أَمَامَ اللَّهِ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَهَذَا أَعَدْتُ لَذَلِكَ، ﴿لِيَجْزِمَنَّكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾.

٢. لَا تَسْتَقْرِبُ كَثْرَةَ الْهَالِكِينَ؛ فَهَالِهِ سَبْحَانَهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ الْهَادِيَةَ، ﴿أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾.

٣. غَايَةُ أَهْلِ النِّفَاقِ وَالْكَفْرِ: ضَلَالُ الْمُؤْمِنِينَ وَكَفْرُهُمْ، ﴿وَدَّأَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾.



## ● الوقفات التدريبية

﴿ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا أَنْ يَقْتُلُوا مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ تَلَكَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَيْهِمْ أَوْ إِهْلَاءُهَا إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا ﴾  
لما كان الخطأ مرفوعاً عن هذه الأمة، فكان لذلك يظن أنه لا شيء على المخطئ؛ بين أن أمر القتل ليس كذلك؛ حفظاً للنفوس؛ لأن الأمر فيها خطر جداً، فقال مغلطاً عليه، حتى على زيادة النظر والتحري عند فعل ما قد يقتل: (فتحري: أي: فالواجب عليه تحرير (رقبة) أي: نفس؛ عبر بها عنها لأنها لا تعيش بدونها. البقاعي: ٢٩٧/٢.

السؤال: لماذا أوجب الله الكفارة والدية في القتل الخطأ مع أن الخطأ مرفوع عن هذه الأمة؟

﴿ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا أَنْ يَقْتُلُوا مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً ﴾  
في هذا: الإخبار بشدة تحريره، وأنه مناف للإيمان أشد منافاة، وإنما يصدر ذلك إما من كافر، أو من فاسق قد نقص إيمانه نقصاً عظيماً، ويخشى عليه ما هو أكبر من ذلك؛ فإن الإيمان الصحيح يمنع المؤمن من قتل أخيه الذي قد عقد الله بينه وبينه الأخوة الإيمانية التي من مقتضاها محبته وموالاته، وإزالته ما يعرض لأخيه من الأذى؛ وأي أذى أشد من القتل؟ السعدي: ١٩٢.

السؤال: لماذا كان المؤمن الصادق لا يقتل أخاه المؤمن؟

﴿ يَتَأْتِيَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَّرْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَقَاتِلُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ آَلَقَ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ﴾

وفي هذا من الفقه باب عظيم؛ وهو أن الأحكام تناط بالمظان والظواهر لا على القطع وإطلاع السرار. القرطبي: ٥١/٧.

السؤال: ما القاعدة الجلييلة المستنبطة من الآية الكريمة؟

﴿ يَتَأْتِيَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَّرْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَقَاتِلُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ آَلَقَ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ﴾

(فَتَقَاتِلُوا) أي: اطلبوا بالتأني والتثبت بيان الأمور والثبات في تلبسها، والتوقف الشديد عند منالها؛ وذلك بتمييز بعضها من بعض، وانكشاف ليسها غاية الانكشاف، ولا تقدموا إلا على ما بان لكم. (ولا تقولوا) قولاً، فضلاً عما هو أعلى منه، لمن (القي) أي: كأننا من كان (إليكم السلام) أي: يادر بان حيّاكم بتيحية الإسلام، ملقياً قياده (لست مؤمناً). البقاعي: ٢٩٩/٢.

السؤال: من علامة إخلاص العبد وحكمته التثبت وعدم الاستعجال، وضع ذلك من الآية؟

﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ آَلَقَ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾

(تبتغون) أي: حال كونكم تطلبونه طلباً حثيثاً بقتله. (عرض الحياة الدنيا) أي: بأخذ ما معه من الحطام القاني، والعرض الزائل، أو بإدراك ثار كان لكم قبله، روى البخاري في التفسير، ومسلم في آخر كتابه عن ابن عباس- رضي الله تعالى عنهم- (ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام) قال: كان رجل في غُنيمة له، فلحقه المسلمون فقال: السلام عليكم؛ فقتلوه واخذوا غنيمة، فانزل الله سبحانه وتعالى في ذلك إلى قوله: (عرض الحياة الدنيا). البقاعي: ٢٩٩/٢.

السؤال: الغنائم تشكل اختباراً للمجاهد في نيته، وضع ذلك من الآية؟

﴿ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ آَلَاكُمْ عَلَيْهِمْ فَتَبَيَّنُوا ﴾

وهذه تربية عظيمة، وهي أن يستشعر الإنسان عند مؤاخذته غيره أحوالاً كان هو عليها تساوي أحوال من يؤاخذه؛ كمؤاخذته العلم بالتلميذ بسوء إذا لم يقصر في إعمال جهده، وكذلك هي عظيمة لمن يمتحنون طلبية العلم؛ فيعتادون التشديد عليهم وتطلب عثراتهم. ابن عاشور: ١٦٨/٥.

السؤال: في قوله تعالى: (كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا) تربية عظيمة للناس، بين ذلك.

﴿ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ آَلَاكُمْ عَلَيْهِمْ ﴾

أي: فكما هداكم بعد ضلالكم فكذلك يهدي غيركم، وكما أن الهداية حصلت لكم شيئاً فشيئاً، فكذلك غيركم. فنظر الكامل لحاله الأولى الناقصة، ومعاملته لمن كان على مثلها بمقتضى ما يعرف من حاله الأولى، ودعاؤه له بالحكمة والموعظة الحسنة من أصبر الأسباب لنفعه وانتفاعه. السعدي: ١٩٥.

السؤال: في الآية قاعدة عظيمة في التعامل مع عصاة المسلمين ودعوتهم، وضحاها.

﴿ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا أَنْ يَقْتُلُوا مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ تَلَكَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَيْهِمْ أَوْ إِهْلَاءُهَا إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا إِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُمْ مُؤْمِنُونَ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِيقَاتٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَيْهِمْ أَوْ إِهْلَاءُهَا إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا إِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُمْ مُؤْمِنُونَ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَتَنْتَهِجُ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾  
﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً ﴾  
﴿ يَأْتِيَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَّرْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَقَاتِلُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ آَلَقَ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَافَرٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ آَلَاكُمْ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فَتَبَيَّنُوا وَإِنَّ اللَّهَ كَانَ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
ضَرَبْتُمْ	خَرَجْتُمْ فِي الْأَرْضِ.
عَرَضَ الْحَيَاةِ	مَتَاعُهَا الزَّائِلُ، وَالْمَقْصُودُ: الْغَنِيمَةُ.

## ● العمل بالآيات

١. عدد العقوبات المرتبة على قتل المؤمن ثم انشرها في رسالته أو مقالة محذراً منها، ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً ﴾.

٢. تذكر ذنباً كبيراً أفضله، ثم اعمل حسنة كبيرة، واكثر من الاستغفار؛ لعل الله يتوب عليك، ﴿ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ ﴾.

٣. التثبت في الأمور منهج يحبه الله تعالى؛ حدد امره، أو خبراً، وتثبت منه، وانشر الحقيقة في رسالته، مذكراً بأهمية التثبت، ﴿ يَتَأْتِيَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَّرْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَقَاتِلُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ آَلَقَ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ﴾.

## ● التوجيهات

١. انظر عظيم جرم القاتل لأخيه المؤمن، وكيف توعد الله تعالى بالعذاب العظيم، فكيف يتساهل البعض في الدماء؟ ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً ﴾.

٢. السلم الملتزم بدينه ينظر لأهل الغفلة والكباير بعين الرحمة والنصيحة، ويسعى لهدايتهم؛ لأنه يتذكر أنه سابقاً كان على هذه الحالة أو قريباً منها، ﴿ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ آَلَاكُمْ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾.

٣. تفكر في حال قبيل الهداية، وكيف من الله تعالى عليك وفضلك وأكرمك، ﴿ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ آَلَاكُمْ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾.

جَهَنَّمَ خَلِيدًا فِيهَا وَعَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٢﴾ وهذا تهديد شديد ووعد أكيد لمن تعاطى هذا الذنب العظيم، الذي هو مقرون بالشرك بالله في غير ما آية في كتاب الله؛ حيث يقول سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقُولُونَ لِّلنَّاسِ أَنِّي حَرَمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزُنُوكَ﴾ [الفرقان: ٦٨] والأحاديث في تحريم القتل كثيرة جدًا. عن عباد بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يزال المؤمن مُعْتَقًا صالحًا ما لم يُصَبِّ دمًا حرامًا، فإذا أصاب دمًا حرامًا بَلَّحَ» [رواه أبو داود وصححه الألباني]. وقد كان ابن عباس يرى أنه لا توبة للقاتل عمدًا المؤمن. ومن ذهب إلى أنه لا توبة له من السلف: زيد بن ثابت وأبو هريرة وعبد الله بن عمرو وأبو سلمة بن عبد الرحمن. والذي عليه الجمهور من سلف الأمة وخلفاء: أن القاتل له توبة فيما بينه وبين ربه عز وجل، فإن تاب وأناب وخشع وخضع وعمل عملًا صالحًا، بذل الله سيئاته حسنات، وعوّض المقتول من ظلامته وأرضاه عن طلابته؛ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٧٠]. وهذا خبر لا يجوز نسخه، وحمله على المشركين، وحمل هذه الآية على المؤمنين خلاف الظاهر، ويحتاج حمله إلى دليل. وقال تعالى: ﴿قُلْ يَكَيْفَ يَكُونُ لَكُمُ الظَّاهِرُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النمل: ٨٤] وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥]. وهذا عام في جميع الذنوب ما عدا الشرك. وقد تواردت الأحاديث عن رسول الله ﷺ أنه يخرج من النار من كان في قلبه أدنى مثقال ذرة من إيمان. فاما الآية الكريمة - وهي قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَعَذِيبُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ - فقد قال أبو هريرة وجماعة من السلف: هذا جزاؤه إن جازاه، ومعنى هذه الصيغة: أن هذا جزاؤه إن جوزي عليه، وكذا كل وعيد على ذنب، لكن قد يكون لذلك معارض من أحوال صالحة تمنع وصول ذلك الجزاء إليه، على قولي أصحاب الموازنة أو الإحباط. وهذا أحسن ما يسلك في باب الوعيد، والله أعلم بالصواب.

الآية (٩٤): [سبب النزول]: عن ابن عباس قال: مر رجل من بني سليم بغر من أصحاب النبي ﷺ يري عشيًا له، فسلم عليهم فقالوا: ما سلم علينا لا ليتعود منا. فعمدوا إليه فقتلوه، وأتوا بغنم النبي ﷺ، فنزلت هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَقَاتِلُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَن آفَقَ إِلَيْكُمْ أَلَسْتُمْ مُؤْمِنًا﴾ [رواه أحمد والترمذي، وصححه إسناده أحمد شاكر]. ﴿فَوَيْدَ اللَّهِ مَكَائِدُ كَثِيرَةٌ﴾ أي: خير مما رغبت فيه من عرض الحياة الدنيا الذي حمله على قتل مثل هذا الذي ألقى إليكم السلام وأظهر لكم الإيثار، فتغافلتم عنه واهتمموه بالمصانعة والتقية لتبتغوا عرض الحياة الدنيا، فإنا عند الله من الرزق الحلال خير لكم من مال هذا. ﴿كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ أي: قد كنتم من قبل هذه الحال كهذا الذي يُسر إيمانه ويغنيه من قومه. ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ تأكيد لما تقدم. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ قال سعيد بن جبير: هذا تهديد ووعد.

الآية (٩٢): يقول تعالى: ليس لمؤمن أن يقتل أخاه المؤمن بوجه من الوجوه. عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «لا يجل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والشيب الزاني، والتارك لدينه المفارق للجماعة» [رواه البخاري ومسلم]. ثم إذا وقع شيء من هذه الثلاث فليس لأحد من أحاد الرعية أن يقتله، وإنما ذلك إلى الإمام أو نائبه. ﴿إِلَّا خَطَا﴾ قالوا: هو استثناء منقطع.

[سبب النزول]: قال مجاهد وغير واحد: نزلت في عياش بن أبي ربيعة أخي أبي جهل لأمه - وهي أسباء بنت مخزبة - وذلك أنه قتل رجلًا كان يعذبه مع أخيه على الإسلام، وهو الحارث بن يزيد العامري، فأضر له عياش السوء، فأسلم ذلك الرجل وهاجر، وعياش لا يشعر، فلما كان يوم الفتح رآه، فظن أنه على دينه، فحمل عليه فقتله، فأنزل الله هذه الآية.

قوله: ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤَمَّرَةٌ وَدِيَّةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ﴾ هذان واجبان في قتل الخطأ، أحدهما: الكفارة؛ لما ارتكبه من الذنب العظيم، وإن كان خطأ، ومن شرطها أن تكون عتق رقبة مؤمنة فلا تجزئ الكافرة. وحكى ابن جرير عن ابن عباس والشعبي والنخعي والحسن أنهم قالوا: لا يجزئ الصغير حتى يكون قاصدًا للإيمان. واختار ابن جرير أنه إن كان مولودًا بين أبوين مسلمين أجزاء، وإلا فلا. والذي عليه الجمهور: أنه متى كان مسلمًا صح عتقه عن الكفارة، سواء كان صغيرًا أو كبيرًا وفي صحيح مسلم عن معاوية بن الحكم أنه لما جاء بذلك الجارية السوداء قال لها رسول الله ﷺ: «أين الله؟» قالت: في السماء. قال: «من أنا؟» قالت: أنت رسول الله ﷺ. «أعتقها؛ فإنها مؤمنة». «وَدِيَّةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ» هو الواجب الثاني؛ فيما بين القاتل وأهل القتل، عوضًا لهم عما فاتهم من قريتهم. وهذه الدية إنما تجب أخصاسًا: عن ابن مسعود قال: قضى رسول الله ﷺ في دية الخطأ: عشرين بنت مخاض، وعشرين بنتي مخاض، وعشرين ذكورًا، وعشرين بنت لبون، وعشرين جذاعاء، وعشرين حقة. وقيل: تجب أرباعًا. وهذه الدية إنما تجب على عاقلة القاتل، لا في ماله. قال الشافعي: لم أعلم مخالفًا أن رسول الله ﷺ قضى بالدية على العاقلة. ﴿إِلَّا أَن يَصَدَّقُوا﴾ أي: فتجب فيه الدية مسلمة إلى أهله إلا أن تصدقوا بها فلا تجب.

﴿فَإِن كَانَتْ مِن قَوْمٍ عَدُوٌّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤَمَّرَةٍ﴾ أي: إذا كان القاتل مؤمنًا، ولكن أوليائه من الكفار أهل حرب، فلا دية لهم، وعلى قاتله تحرير رقبة مؤمنة لا غير. ﴿وَإِن كَانَتْ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّمَّةٌ﴾ الآية أي: فإن كان القاتل أوليائه أهل ذمة أو هدنة، فلهم دية قتلهم، فإن كان مؤمنًا فدية كاملة، وكذا إن كان كافرًا أيضًا، عند طائفة من العلماء. وقيل: يجب في الكافر نصف دية المسلم، وقيل: ثلثها، ويجب أيضًا على القاتل تحرير رقبة مؤمنة. ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُّتَتَابِعَيْنِ﴾ أي: لا إفطار بينهما، بل يسرد صومهما إلى آخرهما، فإن أفطر من غير علر - من مرض أو حيض أو نفاس - استأنف. ﴿تَوْبَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ أي: هذه توبة القاتل خطأ؛ إذ لم يجد العتق صام شهرين متتابعين.

الآية (٩٣): ثم لما بين تعالى حكم القتل الخطأ، شرع في بيان حكم القتل العمد، فقال: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ

الآية (٩٥): [سبب النزول]: عن البراء قال: لما نزلت: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال النبي ﷺ: «ادْعُ فَلَانًا» فجاءه ومعه

الدواء واللوح والكنف، فقال: «اكتب: لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله» وخلف النبي ﷺ ابن أم مكتوم، فقال: يا رسول الله، أنا ضرير، فنزلت مكانها: «لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرَ أُولِي الضَّرَرِّ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» [رواه البخاري].

فَقَوْلُهُ: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَتْلُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ كَانَ مُطْلَقًا، فَلَمَّا نَزَلَ بَوْحِي سَرِيعَ: ﴿غَيْرِ أُولَى الْقَتْلِ﴾ صَارَ ذَلِكَ خُرْجًا لِنَدْوَى الْأَعْذَارِ الْمُبِيحَةِ لَتَرْكِ الْجِهَادِ - مِنَ الْعَمَى وَالْعَرَجِ وَالْمَرْضَى - عَنْ [عَدَمِ] (١) مَسَاوَاتِهِ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمَوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ. ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَى بِفَضِيلَةِ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: غَيْرِ أُولَى الضَّرَرِ. وَكَذَا يُبْنَى أَنْ يَكُونَ، كَمَا ثَبَتَ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا مَا يَزُتُّمْ مِنْ تَمِيرٍ، وَلَا قَطْعَتُمْ مِنْ وَادٍ إِلَّا وَهُمْ مَعَكُمْ فِيهِ». قَالُوا: وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ؛ حِسْبُهُمُ الْعَذْرُ» [رواه البخاري]. وَقَوْلُهُ: ﴿وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْأَسْفَى﴾ أَيُّ: الْجَنَّةِ وَالْجَزَاءِ الْجَزِيلِ. وَفِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْجِهَادَ لَيْسَ بِفَرْضٍ عَيْنٍ، بَلْ هُوَ فَرْضٌ عَلَى الْكِفَايَةِ.

الآية (٩٦): ثم أخبر تعالى بما فضلهم به من الدرجات، إحساناً منه وتكريماً؛ ولهذا قال: ﴿رَدَّجَتْ مَنَّةً وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾. عن أبي سعيد الخدري، أن رسول الله ﷺ قال: «إن في الجنة مائة درجة، أعدها الله للمجاهدين في سبيله، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض» [متفق عليه].

الآية (٩٧): [سبب النزول]: عن ابن عباس: أن ناسًا من المسلمين كانوا مع المشركين، يكتفون سواد المشركين على رسول الله ﷺ، يأتي السهم يُرمى به، فيصيب أحدهم فيقتله، أو يُضرب عنقه فيقتل، فأنزل الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمُكَلَّفَةَ طَالِبًا أَنْفُسِهِمْ﴾ [رواه البخاري]. وعن ابن عباس قال: كان قوم من أهل مكة أسلموا، وكانوا يستخفون بالإسلام، فأخرجهم المشركون يوم بدر معهم، فأصيب بعضهم، قال المسلمون: كان أصحابنا هؤلاء مسلمين وأكرهوا. فاستغفروا لهم، فنزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمُكَلَّفَةَ طَالِبًا أَنْفُسِهِمْ﴾ الآية، قال: فكتب إلى من بقي من المسلمين هذه الآية: لا عذر لهم. قال: فخرجوا، فلحقهم المشركون فأعطوهم التَّيَّةَ، فنزلت هذه الآية: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ﴾ [البقرة: ٨]. [رواه ابن أبي حاتم وصححه إسناده أحمد شاكر]. فنزلت هذه الآية الكريمة عامة في كل من أقام بين ظهرائي المشركين وهو قادر على الهجرة، وليس متمكنًا من إقامة الدين، فهو ظالم لنفسه مرتكب حرامًا بالإجماع، وينص هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمُكَلَّفَةَ طَالِبًا أَنْفُسِهِمْ﴾ أي: بترك الهجرة ﴿قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ﴾ أي: لِمَ كنتم ههنا وتركتم الهجرة؟ ﴿قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعِفِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: لا نقدر على الخروج من البلد، ولا الذهاب في الأرض ﴿قَالُوا لَئِنْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَبَيْعَتُ فَبِكَيْسٍ أَوْ

(١) سقطت من نسخ ابن كثير، وأضفناها ضرورة ليستقيم المعنى ولا ينعكس.



## ١ الوقفات التدريبية

﴿وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَى﴾

إذا فُضِّلَ الله تعالى شيئاً على شيء، وكل منهما له فضل، احتزرت بذكر الفضل الجامع للأمرين؛ لئلا يتوهم أحدُ دَمَ المفضل عليه؛ كما قال هنا: (وكَلَّا وَعَدَ الله الحسنَى). السعدي: ١٩٥.

السؤال: ما وجه الإتيان بقوله: (وكَلَّا وَعَدَ الله الحسنَى) بعد ذكر المجاهدين والقاعد؟

﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْشَرَهُمْ عَلَى الْقَوِيِّينَ دَرَجَةً وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَوِيِّينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٥) دَرَجَتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَمَقُورَةً وَرَحْمَةً

تأمل حسن هذا الانتقال من حالة إلى أعلى منها؛ فإنه نفى التسوية أولاً بين المجاهد وغيره، ثم صرح بتفضيل المجاهد على القاعد بدرجة، ثم انتقل إلى تفضيله بالمغفرة والرحمة والدرجات. السعدي: ١٩٥.

السؤال: تضمنت الآية أسلوباً تشويقياً للمجاهدين، فما هو؟

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَالِيں أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيَمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَرِيعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾

نزلت في قوم من أهل مكة كانوا قد أسلموا حين كان الرسول ﷺ بمكة، فلما هاجر أقاموا مع قومهم بمكة، ففتنهم فارتدوا، وخرجوا يوم بدر مع للمشركين؛ فكثروا سواد المشركين، فقتلوا بدر كافرين، فقال للمسلمون: كان أصحابنا هؤلاء مسلمين، ولكنهم أصرهوا على الكفر والخروج، فنزلت هذه الآية فيهم. رواه البخاري عن ابن عباس. ابن عاشور: ١٧٤/٥.

السؤال: متى يعذر المسلم بالضعف؟

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَالِيں أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيَمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَرِيعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾

أي: ألم تكونوا متمكنين قادرين على الهجرة والتباعد ممن كان يستضعفكم؟ وفي هذه الآية دليل على هجران الأرض التي يعمل فيها بالمعاصي. القرطبي: ٦٤/٧.

السؤال: ما الواجب على المؤمن إذا كان في قرية مليئة بالمعاصي، وخشي على نفسه؟

﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْعَاً كَثِيراً وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْوُتُّ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾  
رغب في الهجرة بما يسلي عما قد يؤسوس به الشيطان من أنه لو فارق رفاة الوطن وقع في شدة الغربة، وأنه ربما تجشم المشقة فاخترم قبل بلوغ القصد. البقاعي: ٣٠٤/٢.

السؤال: ما الوسواس التي يثيرها الشيطان ليمنع المؤمن من الهجرة؟

﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْوُتُّ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾

كل من نوى خيراً ولم يدركه فهو موفيه إياه توفية ما يلتزمه الكريم. البقاعي: ٣٠٥/٢.

السؤال: في الآية دلالة على كرم الله ورحمته، وضد ذلك.

﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْوُتُّ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾

للمهاجر له إحدى الحسنين: إما أن يرغم أنف أعداء الله ويذلهم بسبب مفارقتهم، واتصاله بالخير والسعة، وإما أن يدركه الموت ويصل إلى

السعادة الحقيقية والنعيم الدائم. الأثوسي: ١٢٨/٥.

السؤال: للمهاجر في سبيل الله إحدى حسنتين، ما هما؟

لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرَ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (٥) دَرَجَتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا رَحِيمًا (٦) إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيَمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَسَعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (٧) إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا (٨) فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا (٩) وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْعَاً كَثِيراً وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْوُتُّ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا رَحِيمًا (١٠) وَإِذَا ضَرَجْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ الْكَافِرِينَ كَانُوا كَوَافِرًا عَدُوًّا مُبِينًا (١١)

## معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
مُرْعَاً	مُهَاجِراً، وَمَكَاناً يَتَحَوَّلُ إِلَيْهِ.
يَفْتِنُكُمْ	يَعْتَدِي عَلَيْكُمْ.

## العمل بالآيات

- أكثر من الدعاء للمجاهدين، ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَوِيِّينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.
- أنفق اليوم من مالك في وجه الخير، واجاهد نفسك في الإنفاق حتى تكون من المجاهدين في سبيل الله بأموالهم، ﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَوِيِّينَ دَرَجَةً﴾.
- حدد عملاً، وانو فعله، واجتهد في تحقيق أسبابه، فإن الله تعالى ياجر العبد وينيبه على النية وإن لم يتمكن من إتمام العمل، ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْوُتُّ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾.

## التوجيهات

- ليس كل ضعف معذور صاحبه، ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَالِيں أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيَمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَرِيعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾.
- انظر لعظيم رحمة الله تعالى لعباده؛ حيث طمان الضعفة المعذورين بالضعف والمغفرة، ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾.
- من مظاهر تفسير الشريعة: تخفيف الصلاة عن المسافر، فاشكر الله تعالى على هذه النعمة، ﴿وَإِذَا ضَرَجْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾

وهذا يدل على تأكيد التاهب والحذر من العدو في كل الأحوال، وترك الاستسلام؛ فإن الجيش ما جاءه مصاب قط إلا من تفريط في حذر. القرطبي: ١٠٩/٧.

السؤال: لماذا أمر المسلمون بأخذ الحيلة والحذر؟

﴿وَلَتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَّيُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ﴾  
وقد دل الآية الكريمة على أن الأولى والأفضل أن يصلوا بإمام واحد، ولو تضمن ذلك الإخلال بشيء لا يخل به لو صلحوا بعدة أمّة؛ وذلك لأجل اجتماع كلمة المسلمين واتفاقهم، وعدم تفرق كلمتهم، وليكون ذلك أوقع هيبة في قلوب أعدائهم. السعدي: ١٩٨.

السؤال: دلّت الآية على أهمية اجتماع المسلمين وعدم تفرقهم، وضّح ذلك.  
﴿فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ زُرَّارِكُمْ وَلَتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَّيُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾

هذه الآية تدل على أن صلاة الجماعة فرض عين من وجهين: أحدهما: أن الله تعالى أمر بها في هذه الحالة الشديدة، وقت اشتداد الخوف من الأعداء وحذر مهاجمتهم؛ فإذا أوجبها في هذه الحالة الشديدة فإيجابها في حالة الطمأنينة والأمن من باب أولى وأحرى. والثاني: أن المصلين صلاة الخوف يتركون فيها كثيراً من الشروط واللوازم، ويعفى فيها عن كثير من الأفعال المبطلة في غيرها، وما ذلك إلا لتأكيد وجوب الجماعة؛ لأنه لا تعارض بين واجب ومستحب، فلو لا وجوب الجماعة لم تترك هذه الأمور اللازمة لأجلها. السعدي: ١٩٨.

السؤال: كيف تستدل بهذه الآية على وجوب صلاة الجماعة؟

﴿وَعُذُّوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾  
لما كان الأمر بالحذر من العدو موهماً لغلبته واعتزازه؛ نفى ذلك الإيهام بالوعد بالنصر، وخذلان العدو؛ لتقوى قلوب المأمورين، ويعلموا أن التحرز في نفسه عبادة. الألوسي: ١٣٧/٥.

السؤال: لم ختمت الآية بالوعيد للكافرين؟

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ فِيمَا وَفَّوْهُ وَعَلَىٰ جُوبِكُمْ﴾  
يأمر الله تعالى بكثرة الذكر عقب صلاة الخوف، وإن كان مشروفاً مرغياً فيه أيضاً بعد غيرها، ولكن ههنا أكد؛ لما وقع فيها من التخفيف في أركانها، ومن الرخصة في النهاب والإياب، وغير ذلك مما ليس يوجد في غيرها. ابن كثير: ٥٢١/١.

السؤال: لماذا خُصّت صلاة الخوف بالتخصيص على الذكر بعدها؟

﴿وَلَا تَهْشَوْا فِي أَيْتَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْمُونُ فَلَهُمْ يَأْكُوتُ كَمَا تَأْكُوتُ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾

إن الأمل لا ينبغي أن يمنعكم؛ لأن لكم خوفاً من الله تعالى ينبغي أن يحترز عنه فوق الاحتراز عن الأمل، وليس لهم خوف يلجئهم إلى الأمل، وهم يختارونه لإعلاء دينهم الباطل، فما لكم والوهن. الألوسي: ١٣٨/٥.

السؤال: الخوف من الله ورجاؤه يمنع المجاهد في سبيل الله من الشعور بالهوان، وضّح ذلك.

﴿وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِبِينَ خَصِيماً﴾

قال العلماء: ولا ينبغي إذا ظهر للمسلمين نفاق قوم أن يجادل فريق منهم فريقاً عنهم ليحومهم ويدفعوا عنهم؛ فإن هذا قد وقع على عهد النبي ﷺ، وفيهم نزل قوله تعالى: (ولا تكن للخائنين خصيماً). القرطبي: ١١٦/٧.

السؤال: ما حكم الدفاع عن أهل النفاق؟

وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ زُرَّارِكُمْ وَلَتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِكُمْ لَيَغْفِلُونَ عَلَيْكُمْ مِثْلَةٌ وَاحِدَةٌ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرَضًا أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٩﴾  
فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ فِيمَا وَفَّوْهُ وَعَلَىٰ جُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْفُورًا ﴿١١٠﴾ وَلَا تَهْشَوْا فِي أَيْتَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْمُونُ فَلَهُمْ يَأْكُوتُ كَمَا تَأْكُوتُ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَبَكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِبِينَ خَصِيماً ﴿١١٢﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
مِثْلَةٌ وَاحِدَةٌ	حَمَلَةٌ وَاحِدَةٌ لِيَقْضُوا عَلَيْكُمْ.
مَوْفُورًا	مُحَدَّدًا فِي أَوَاقَاتٍ مَعْلُومَةٍ.
إِيْتَاءِ الْقَوْمِ	طَلَبِ الْعَدُوِّ.
خَصِيماً	مُدَافِعًا عَنْهُمْ.

## ● العمل بالآيات

- استخرج من صفة صلاة الخوف دليلاً على وجوب صلاة الجماعة، وأرسلها في رسالتك لزملائك، ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ﴾.
- اذهب إلى المسجد اليوم مع بداية وقت الصلاة، ﴿فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْفُورًا﴾.
- حدد خطوات تكون فيها أكثر حذراً في استخدام أجهزة الاتصال، ولا تكن غافلاً عما يُراد بك وبأمة الإسلام؛ فإن الحذر من الأعداء عبادة، والإهمال معصية، ﴿وَعُذُّوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾.

## ● التوجيهات

- غفلة الإنسان عن ما يصلح دينه ودنياه مضرة ومدمومة، وهي في ساحة الجهاد أشد ضرراً، وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِكُمْ لَيَغْفِلُونَ عَلَيْكُمْ مِثْلَةٌ وَاحِدَةٌ.
- الداعية والمجاهد في سبيل الله يقارن نفسه بأهل الدنيا: كيف يتحملون الأذى في سبيل أهدافهم؛ فعليه أن يتحمل في سبيل نصرته الحق، ﴿وَلَا تَهْشَوْا فِي أَيْتَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْمُونُ فَلَهُمْ يَأْكُوتُ كَمَا تَأْكُوتُ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾.
- احذر من نصرة الخائنين والمخاصمة عنهم، ولو كانوا أقرب الناس إليك، ﴿وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِبِينَ خَصِيماً﴾.

الآية (١٠٢): صلاة الخوف أنواع كثيرة، فإن العدو تارة يكون تجاه القبلة، وتارة يكون في غير صوبها، والصلاة تارة تكون رباعية، وتارة ثلاثية كالمغرب، وتارة تكون ثنائية، كالصبح وصلاة السفر، ثم تارة يصلون جماعة، وتارة يلتحم الحرب فلا يقدرון على الجماعة، بل يصلون فرادى مستقبل القبلة وغير مستقبلها، ورجالاً وركباً، ولهم أن يمشوا والحالة هذه، ويضربوا الضرب المتتابع في متن الصلاة. ومن العلماء من قال: يصلون والحالة هذه ركعة واحدة، وبه قال أحد بن حنبل. وقال إسحاق بن راهويه: أما عند المسابقة فيجزيك ركعة واحدة، تومئ بها إلهاء، فإن لم تقدر فسجدة واحدة؛ لأنها ذكر الله. ومن العلماء من أباح تأخير الصلاة لمعدر القتال والمناجزة، كما أخر النبي ﷺ يوم الأحزاب صلاة الظهر والعصر، فصلاهما بعد الغروب، ثم صلى بعدها المغرب ثم العشاء. وأما الجمهور فقالوا: هذا كله منسوخ بصلاة الخوف، فإنها لم تكن نزلت بعد، فلما نزلت نسخ تأخير الصلاة لذلك.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾ أي: إذا صليت بهم إماماً في صلاة الخوف. [سبب النزول]: عن أبي عياش الزُّرْقِي قال: كنا مع رسول الله ﷺ بمُشَفَّان، فاستقبلنا المشركون عليهم خالد بن الوليد، وهم بيننا وبين القبلة، فصل بنا النبي ﷺ الظهر، فقالوا: لقد كانوا على حال لو أصبنا غُرَّتْهم. ثم قالوا: تأتي عليهم الآن صلاة هي أحب إليهم من أبنائهم وأنفسهم. قال: فنزل جبريل بهذه الآيات بين الظهر والعصر: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾ قال: فحضرت، فأمرهم النبي ﷺ فأخذوا السلاح، قال: فصفنا خلفه صفين، قال: ثم ركع فركعنا جميعاً، ثم رفع فرفعنا جميعاً، ثم سجد النبي ﷺ بالصف الذي يليه، والآخرين قيام يحرسونهم، فلما سجدوا وقاموا جلس الآخرون فسجدوا في مكانهم، ثم تقدم هؤلاء إلى مصاف هؤلاء، وجاء هؤلاء إلى مصاف هؤلاء، ثم ركع فركعوا جميعاً، ثم رفع فرفعوا جميعاً، ثم سجد النبي ﷺ والصف الذي يليه، والآخرين قيام يحرسونهم، فلما جلسوا جلس الآخرون فسجدوا، ثم سلم عليهم، ثم انصرف. قال: فصلاهما رسول الله ﷺ مرتين: مرة بعسفان، ومرة بأرض بني سليم [رواه أحمد وأبو داود والنسائي، وصححه إسناده أحمد شاكر] وله شواهد كثيرة، فمن ذلك ما رواه ابن عباس قال: قام النبي ﷺ وقام الناس معه، فكبر وكبروا معه، وركع وركع ناس منهم، ثم سجد وسجدوا معه، ثم قام للثانية فقام الذين سجدوا، وحرسوا إخوانهم، وأتت الطائفة الأخرى فركعوا وسجدوا معه، والناس كلهم في الصلاة، ولكن يحرس بعضهم بعضاً [رواه البخاري]. وأما الأمر بحمل السلاح في صلاة الخوف، فمحمول عند طائفة من العلماء على الوجوب؛ لظاهر الآية، ويدل عليه قوله: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذَى مِنْ مَظَلٍّ أَوْ كُنْتُمْ مَرَضًا أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخَذُوا حِذْرَكُمْ﴾ أي: بحيث تكونون على أبهة إذا احتجتم إليها لبستموها بلا كلفة ﴿إِنَّ اللَّهَ

أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾.

الآية (١٠٣-١٠٤): يأمر الله تعالى بكثرة الذكر عقيب صلاة الخوف، وإن كان مشروعاً مُرْعَباً فيه أيضاً بعد غيرها، ولكن ههنا أكد؛ لما وقع فيها من التخفيف في أركانها، ومن الرخصة في الذهاب فيها والإياب وغير ذلك، مما ليس يوجد في غيرها، كما قال تعالى في الأشهر الحرم: ﴿فَلَا تَقْلِبُوا فِيهِ أَنْفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٣٦] وإن كان هذا منهاياً عنه في غيرها، ولكن فيها أكد لشدة حرمتها وعظمها؛ ولهذا قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ وَفُودًا وَكَلَّ جُنُوبَكُمْ﴾ أي: في سائر أحوالكم. ﴿فَإِذَا أَطْمَأْنَنْتُمْ﴾ أي: فإذا أستمتم وذهب الخوف، وحصلت الطمأنينة ﴿فَأَقِمْوُا الصَّلَاةَ﴾ أي: فاقموا وأقيموها كما أمرتم بحدودها، وخشوعها، وركوعها، وسجودها، وجميع شؤونها. ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْفُوتًا﴾ قال ابن عباس: أي مفروضاً. وقال ابن مسعود: إن للصلاة وقتاً كوقت الحج. وقال زيد بن أسلم: منجماً، كلما مضى نجم جاءهم، يعني: كلما مضى وقت جاء وقت. ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي آيَاتِ الْقُرْآنِ﴾ أي: لا تضعفوا في طلب عدوكم، بل جدوا فيهم وقاتلوهم، واقعدوا لهم كل مرصد ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ﴾ أي: كما يصيبكم الجراح والقتل، كذلك يحصل لهم؛ كما قال تعالى: ﴿إِنْ يَمَسُّكُمْ فِي ذَلِكَ مِنْ أَلْحَاقٍ فَاصْبِرُوا لِحُكْمِ اللَّهِ﴾ [المران: ١٤٠]. قوله: ﴿وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ أي: أنتم وإياهم سواء فيما يصيبكم وإياهم من الجراح والآلام، ولكن أنتم ترجون من الله المثوبة والنصر والتأييد، وهم لا يرجون شيئاً من ذلك، فأنتم أولى بالجهاد منهم، وأشد رغبة في إقامة كلمة الله وإعلائها. ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ أي: هو أعلم وأحكم فيما يقدره ويقضيه، وينفذه ويمضيه، من أحكامه الكونية والشرعية، وهو المحمود على كل حال.

الآية (١٠٥): يقول تعالى مخاطباً لرسوله ﷺ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ أي: هو حق من الله، وهو يتضمن الحق في خبره وطلبه ﴿وَلِتَحْكُمَ بَيْنَ الَّذِينَ يَأْتِيكَ اللَّهُ﴾ احتجاج هذه الآية من ذهب من علماء الأصول إلى أنه كان ﷺ أن له يحكم بالاجتهاد، وبما ثبت عن أم سلمة قالت: جاء رجلان من الأنصار يختصمان إلى رسول الله ﷺ في موارث بينهما قد فُرِسَتْ، ليس عندهما بينة، فقال رسول الله ﷺ: «إنكم تختصمون إلي، وإنما أنا بشر، ولعل بعضهم أن يكون ألحن بحجته من بعض، وإنما أقضي بينكم على نحو مما أسمع، فمن قضيت له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذه؛ فإننا أقطع له قطعة من النار، يأتي بها إسقاطاً»<sup>(١)</sup> في عقبه يوم القيامة. فبكى الرجلان وقال كل منهما: حقي لأخي. فقال رسول الله ﷺ: «أما إذا قلتما فاذبعا فاقسما، ثم توخيا الحق بينهما، ثم استئهما، ثم ليُخْلَلْ كل واحد منكبا صاحبه» [رواه أحمد وحسنه الألباني]. ذكر مجاهد، وعكرمة، وقائدة، والسدي، وابن زيد وغيرهم في هذه الآية أنها أنزلت في سارق بني أبيرق على اختلاف سياقاتهم، وهي متقاربة.

(١) السطام والإسطام: الحديدة التي تحرك بها النار وتسمر؛ أي أقطع له ما يسمر به النار على نفسه ويشعلها، أو أقطع له نارا مسمرة. [النهاية في غريب الحديث والأثر].



الآية (١٠٦-١٠٧) (١)

الآية (١٠٨): قوله: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ﴾، الآية، هذا إنكار على المنافقين في كونهم يستخفون بقبائحهم من الناس لئلا ينكروا عليهم ويجاهروا الله بها؛ لأنه مطلع على سرائرهم وعالم بما في ضمائرهم؛ ولهذا قال: ﴿وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَمْكُرُونَ مُحِيطًا﴾ تهديد لهم ووعيد.

الآية (١٠٩): ثم قال: ﴿هَئِذَا هُمُ لَا جَدَلَتْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجِدِ اللَّهُ عَلَيْهِمْ يَوْمَ الْيَكْمَةِ﴾ أي: هب أن هؤلاء انتصروا في الدنيا بما أبدوه أو ألبسوا لهم عند الحكام الذين يحكمون بالظاهر - وهم مُعبدون بذلك - فماذا يكون صنيعهم يوم القيامة بين يدي الله عز وجل الذي يعلم السر وأخفى؟ ومن ذا الذي يتوكل لهم يومئذ في ترويج دعواهم؟ أي: لا أحد يكون يومئذ لهم وكيلا، ولهذا قال: ﴿أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾.

الآية (١١٠): يخبر تعالى عن كرمه وجوده: أن كل من تاب إليه تاب عليه من أي ذنب كان؛ فقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَمَلَّ سَوْءًا أَوْ يظْلِمَ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

قال ابن عباس: أخبر الله عباده بحلمه وعفوه وكرمه وسعة رحمته ومغفرته، فمن أذنب ذنبا صغيرا كان أو كبيرا ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ ولو كانت ذنوبه أعظم من السموات والجبال والأرض.

وعن ابن مسعود قال: كان بنو إسرائيل إذا أصاب أحدهم ذنبا أصبح قد كُتِبَ كفارة ذلك الذنب على بابه، وإذا أصاب البول منه شيئا قرضه بالمقراض. فقال رجل: لقد أتى الله بني إسرائيل خيرا! فقال عبد الله: ما أتاكم الله خيرا مما أتاهم؛ جعل الماء لكم طهورا، وقال: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٣٥]، وقال: ﴿وَمَنْ يَمَلَّ سَوْءًا أَوْ يظْلِمَ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [رواه ابن جرير وصححه إسناده أحمد شاكر].

وعن حبيب بن أبي ثابت قال: جاءت امرأة إلى عبد الله بن مفضل، فسألته عن امرأة فَبَجَرَتْ فحبلت، فلما ولدت قتلت ولدها؟ قال عبد الله ابن مفضل: ما لها؟! لها النار، فانصرفت وهي تبكي، فدعاها ثم قال: ما أرى أمرك إلا أحد أمرين: ﴿وَمَنْ يَمَلَّ سَوْءًا أَوْ يظْلِمَ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾. قال: فمسحت عينها، ثم مضت [رواه ابن جرير وصححه إسناده أحمد شاكر].

وروى الإمام أحمد عن علي قال: كنت إذا سمعت من رسول الله ﷺ

شيئا نفعتني الله بها شاء أن ينفعني عنه. وحديثي أبو بكر - وصدق أبو بكر - قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يذنب ذنبا ثم يتوضأ فصيلي ركعتين، ثم يستغفر الله لذلك الذنب إلا غفر له». وقرأ هاتين الآيتين: ﴿وَمَنْ يَمَلَّ سَوْءًا أَوْ يظْلِمَ نَفْسَهُ﴾ الآية، ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٣٥] [رواه أحمد، وصححه أحمد شاكر].

الآية (١١١): وقوله: ﴿وَمَنْ يَكْتِيبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْتِيبْهُ عَلَى نَفْسِهِ﴾، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جِلْهِهَا لَا يَحْمِلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [فاطر: ١٨]، يعني: أنه لا يجني أحد على أحد، وإنما على كل نفس ما عملت، لا يجعل غيرها؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ أي: من علمه وحكمته، وعدله ورحمته كان ذلك.

الآية (١١٢): ثم قال: ﴿وَمَنْ يَكْتِيبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرَوْهَا بَرِينًا فَقَدْ أَحْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ هذا التقرير وهذا التوبيخ عام في كل من هذه صفته.

الآية (١١٣): ثم قال: ﴿وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّوكَ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ وَمَا يَضُرُّوكَ مِنْ شَيْءٍ﴾ ثم امتن عليه بتأييده إياه في جميع الأحوال، وعصمته له، وما أنزل عليه من الكتاب: وهو القرآن، والحكمة: وهي السنة، ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ أي: قبل نزول ذلك عليك؛ كقوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِمَّا مَكَتُ تُدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا تَهْدِي بِهِ مَنِ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [التورى: ٥٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ﴾ [القصص: ٨٦]؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾.

(١) لم يتعرض ابن كثير لتفسير هاتين الآيتين، واكتفى بورودهما ضمن سياق حديث سارق بني أبيرق المشار إليه في آخر آية (١٠٥)؛ وهو حديث طويل رواه ابن مردويه، والترمذي، وابن جرير، وغيرهم بسياقات متقاربة، والروايات كلها لا تخلو من مقال، لذا اكتفينا بالإشارة إليه دون إيراد.



## ● الوقفات التدريبية

﴿ وَلَا تَجِدُ عَنِ الْبَرِّ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴾

فإن الخوان هو: الذي تتكرر منه الخيانة، والأثيم هو: الذي يقصدها، فيخرج من هذا التشديد: الساقط مرة واحدة، ونحو ذلك مما يجيء من الخيانة بغير قصد أو على غفلة. ابن عطية: ١١٠/٢.

السؤال: متى يوصف المرء بالخَوَّان؟ ومتى يوصف بالأثيم؟

﴿ وَلَا تَجِدُ عَنِ الْبَرِّ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴾

(يختانون أنفسهم): يظلمونها باكتساب المعاصي وارتكاب الأثام ... (إن) الله لا يحب من كان خَوَّانًا (أثيمًا) كثير الخيانة، مفرطاً فيها، أثيمًا ... وقال أبو حيان: أتى بصيغة المبالغة فيها ما يخرج منه من وقع منه الإثم والخيانة مرة، ومن صدر منه ذلك على سبيل الغفلة وعدم القصد. الألوسي: ١٤١/٥.

السؤال: لماذا قال: (خَوَّانًا أَثِيمًا) بصيغة المبالغة؟

﴿ وَلَا تَجِدُ عَنِ الْبَرِّ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ ﴾

جعلت خيانة الغير خيانةً لأنفسهم؛ لأن وبالها وضررها عائد عليهم. الألوسي: ١٤٠/٥.

السؤال: لماذا جعلت خيانة الآخرين خيانةً للنفس؟

﴿ وَمَنْ يَمَلْ سَوَاءً أَوْ يظْلِمُ نَفْسَهُ ثُدُ يُسْتَغْفِرُ اللَّهُ يُجِدُ اللَّهُ غُفُورًا رَحِيمًا ﴾ وروي عن علي-رضي الله عنه- أنه قال: ...حدثني أبو بكر-وصديق أبو بكر- قال: ما من عبد يذنب ذنباً ثم يتوضأ ويصلي ركعتين ويستغفر الله إلا غفر له، ثم تلا هذه الآية: (ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيمًا). القرطبي: ١١٧/٧.

السؤال: مكفرات الذنوب كثيرة، وبين واحداً منها.

﴿ أَوْ يظْلِمُ نَفْسَهُ ﴾

وسمي ظلم النفس ظلماً؛ لأن نفس العبد ليست ملكاً له يتصرف فيها بما يشاء، وإنما هي ملك لله تعالى؛ قد جعلها أمانةً عند العبد، وأمره أن يقيمها على طريق العدل، بإلزامها للصرامات المستقيم علماً وعملاً، فيسعى في تعليمها ما أمر به، ويسعى في العمل بما يجب؛ فسعى في غير هذا الطريق ظلم لنفسه وخيانة، وعدول بها عن العدل. السعدي: ٢٠١.

السؤال: لماذا سميت المعاصي ظلماً للنفس؟

﴿ وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾

لكن إذا ظهرت السيئات فلم تُنكر عُتقت عقوبتها، وشمل إثمها، فلا تخرج أيضاً عن حكم هذه الآية الكريمة؛ لأن من ترك الإنكار الواجب فقد كسب سيئته. السعدي: ٢٠١.

السؤال: عقوبة السيئة متى تخص صاحبها، ومتى تعم المجتمع؟

﴿ وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ. وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾

(وكان الله عليماً حكيماً) ومن علمه وحكمته أنه يعلم الذنب وما صدر منه، والسبب الداعي لفعله، والعقوبة المترتبة على فعله، ويعلم حالة الذنب؛ أنه إن صدر منه الذنب بغلبة دواعي نفسه الأمارة بالسوء مع إنابته إلى ربه في كثير من أوقاته، أنه سيغفر له، ويوفقه للتوبة، وإن صدر منه بتجرؤه على المحارم؛ استخفافاً بنظر ربه، وتهاوناً بعقابه، فإن هذا بعيد من المغفرة، بعيد من التوفيق للتوبة. السعدي: ٢٠١.

السؤال: للذنوب نوعان، ما هما؟

وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غُفُورًا رَحِيمًا ﴿١﴾ وَلَا تَجِدُ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿٢﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ ﴿٣﴾ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿٤﴾ هَٰذَا نَشْرُ هَٰؤُلَاءِ جَدَلُهُ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجِدِ اللَّهُ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْرًا يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غُفُورًا رَحِيمًا ﴿٦﴾ وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٧﴾ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدْ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴿٨﴾ وَلَا تَفْضِلْ اللَّهُ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ وَأَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿٩﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
يَخْتَانُونَ	يَخُونُونَ أَنْفُسَهُمْ بِالْمَعْصِيَةِ.
خَوَّانًا	عَظِيمِ الْخِيَانَةِ.
يُبَيِّنُونَ	يُذَبِّرُونَ لِيَلًا.

## ● العمل بالآيات

١. استغفر الله تعالى هذا اليوم سبعين مرة، اقتداء بالنبي ﷺ، ﴿ وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غُفُورًا رَحِيمًا ﴾.
٢. تذكر وعداً قطعته على نفسك ولم تف به، وبادر إلى الوفاء به، ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴾.
٣. عدد ثلاثاً من نعم الله تعالى الكبيرة عليك، واشكره عليها؛ فإن الله تعالى يحب منك ذلك، ﴿ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾.

## ● التوجيهات

١. احذر الخيانة وابتعد عنها؛ فإن الله تعالى لا يحب المتصفين بها، ﴿ وَلَا تَجِدُ عَنِ الْبَرِّ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴾.
٢. لا تكن ممن يخاف أن يراه الخلق على معصية، ولا يخاف أن يراه الخالق على هذه المعصية، ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ ﴾.
٣. عظم ذنب من يكذب على البريء، ويتهمم بالأمين بالخيانة، ﴿ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدْ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴾.



## ● الوقفات التدريبية

﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نُّجُونِهِمْ إِلَّا مَنَ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ يَتَّبِعِ النَّاسُ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ آتِيَهُ مَرْغَاتٌ مِّنَ اللَّهِ وَسُوءٌ مِّنْهُ﴾

قال الأوزاعي: ما خطوة أحب إلى الله عز وجل من خطوة إصلاح ذات البين، ومن أصلح بين اثنين كتب الله له براءة من النار. القرطبي: ١٢٩/٧.

السؤال: بين أهمية الإصلاح بين المتخاصمين وفضله.

﴿أَوْ إِصْلَاحٍ يَتَّبِعِ النَّاسُ﴾

النزاع والخصام والتغاضب يوجب من الشر والفرقة ما لا يمكن حصره، فلذلك حث الشارع على الإصلاح بين الناس في الدماء والأموال، والأعراض، بل وفي الأديان. السعدي: ٢٠٢.

السؤال: ما أهمية الإصلاح بين الناس؟

﴿وَمَن يَشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا يَبَيِّنُ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُرْسَلِينَ قُلُوبُهُ مَأْتُولَةٌ وَنُفْسُهُ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾

(ويتبع غير سبيل المؤمنين) استدلل الأصوليون بها على صحة إجماع المسلمين، وأنه لا يجوز مخالفتها؛ لأن من تخالفه اتبع غير سبيل المؤمنين.

ابن جزي: ٢١٠/١.

السؤال: إذا أجمع المؤمنون على أمر فلا يجوز مخالفتهم، وضح ذلك من الآية.

﴿لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾

فإن قال قائل: وكيف يتخذ الشيطان من عباد الله نصيباً مفروضاً؟ قيل: يتخذ منهم ذلك النصيب بإغوائه إياهم عن قصد السبيل، ودعائه إياهم إلى طاعته، وتزيينه لهم الضلال والكفر؛ حتى يزيلهم عن منهج الطريق، فمن أجاب دعاءه وأتبع ما زينه له فهو من نصيبه المعلوم، وحظه المقسوم. الطبري: ٢١٢/٩.

السؤال: بين كيف يتخذ الشيطان من عباد الله نصيباً مفروضاً.

﴿وَلَا يُصْلِحُهُمْ وَلَا يُغْنِيهِمْ﴾

قيل: أمانيهم زكوب الأهواء، وقيل: أمانيهم الآجنة ولا نار ولا بعث، وقيل: أمانيهم إدراك الآخرة مع ركوب المعاصي. البغوي: ٦٠٠/١.

السؤال: ما الأمانى التي يمنها الشيطان لابن آدم حتى تكون على حذر منها؟

﴿وَلَا تُغْنِيهِمْ فَيَقْبَرُوا عَلَى اللَّهِ﴾

وذلك يتضمن: التسخط من خلقته، والقصد في حكمته، واعتقاد أن ما يصنعون بأيديهم أحسن من خلقته الرحمن، وعدم الرضا بتقديره وتدبيره. السعدي: ٢٠٤.

السؤال: لماذا كان تغيير الخلقة الربانية من أعمال الشيطان؟

﴿يَعِدُّهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾

أي: تزييناً بالباطل، خداعاً ومكرراً وتلبساً، إظهاراً لما لا حقيقة له -أو له حقيقة سيئة- في أبهى الحقائق، وأشرها، والنهال إلى النفس، وأشهاها إلى الطبع؛ فإن مادة «غر» و«رغ» تدل على الشرف والحسن ورفاهة العيش. البقاعي: ٣٢١/٢.

السؤال: ما المقصود بوصف وعد الشيطان بأنه غرور؟

\* لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نُّجُونِهِمْ إِلَّا مَنَ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ يَتَّبِعِ النَّاسُ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ آتِيَهُ مَرْغَاتٌ مِّنَ اللَّهِ وَسُوءٌ مِّنْهُ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا يَبَيِّنُ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُرْسَلِينَ قُلُوبُهُ مَأْتُولَةٌ وَنُفْسُهُ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١٢٩﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٠﴾ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنْتَاوَانِ يَدْعُونَ إِلَّا الشَّيْطَانُ مَرِيدًا ﴿١٣١﴾ لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١٣٢﴾ وَلَا أَضِلَّهُمْ وَلَا هُمْ يَعْلَمُونَ وَلَا مَرْتَبَهُمْ فَلْيَبْتَكُنْ أَذَاتَ الْأَنْفَرِ وَلَا مَرْتَبَهُمْ فَلْيَغْيِرْ خَلْقَ اللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرًا مُّبِينًا ﴿١٣٣﴾ يَعِدُّهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٣٤﴾ أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٣٥﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
نُجُونُهُمْ	تَنَرُّكُهُ، وَمَا تَوَجَّهَ إِلَيْهِ.
إِنْتَاوَانِ	أَصْنَافًا، كَاللَّاتِ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ.
مَرِيدًا	مُتَمَرِّدًا عَاتِيًا.
فَلْيَبْتَكُنْ	فَلْيَقْطَعْ وَلْيُفْشَقِّنْ.
مَحِيصًا	مَحِيدًا، وَمَهْرَبًا.

## ● العمل بالآيات

١. أوامر اليوم بصدقة، أو إصلاح بين متخاصمين؛ ابتغاء مرضاة الله ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نُّجُونِهِمْ إِلَّا مَنَ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ يَتَّبِعِ النَّاسُ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ آتِيَهُ مَرْغَاتٌ مِّنَ اللَّهِ وَسُوءٌ مِّنْهُ﴾
٢. انصح إحدى محارمك ممن رايتها تقع في النقص أو الوشم؛ ﴿وَلَا تُضِلَّهُمْ وَلَا هُمْ يَعْلَمُونَ وَلَا مَرْتَبَهُمْ فَلْيَبْتَكُنْ أَذَاتَ الْأَنْفَرِ وَلَا مَرْتَبَهُمْ فَلْيَغْيِرْ خَلْقَ اللَّهِ﴾
٣. احص من هذه الآيات أساليب إبليس -إعاذنا الله منه- في غواية الناس؛ ﴿وَلَا تُضِلَّهُمْ وَلَا هُمْ يَعْلَمُونَ وَلَا مَرْتَبَهُمْ فَلْيَبْتَكُنْ أَذَاتَ الْأَنْفَرِ وَلَا مَرْتَبَهُمْ فَلْيَغْيِرْ خَلْقَ اللَّهِ﴾

## ● التوجيهات

١. يكثر في الاجتماعات اللغو والغيبة؛ إلا ما كان لجمع صدقة، أو امر بمعروف، أو إصلاح بين متنازعين من المسلمين؛ ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نُّجُونِهِمْ إِلَّا مَنَ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ يَتَّبِعِ النَّاسُ﴾
٢. احذر أن يستدرجك الشيطان ويضع وقتك وعمرك بالوعود الكاذبة والأمانى الباطلة؛ ﴿يَعِدُّهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾
٣. كن واقعيًا في آمانيك وأفكارك وكلامك؛ ﴿يَعِدُّهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾

دُونِهِ إِلَّا إِنَّا ﴿١١٤﴾: ﴿لَا حَيَّرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ دَعْوَاهُمْ﴾ يعني: كلام الناس ﴿لَا مَنَ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ يَنفَكُ النَّاسُ﴾ أي: إلا نجوى من قال ذلك. عن أم كلثوم بنت عقبة: أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فيُنهي خيرا، أو يقول خيرا» وقالت: لم أسمعهُ يُرَخِّصُ في شيء مما يقوله الناس إلا في ثلاث: في الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته، وحديث المرأة زوجها. [رواه مسلم]. وعن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصلاة، والصيام، والصدقة؟» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «إصلاح ذات البين» قال: «وفساد ذات البين هي الحالقة» [رواه أحمد وأبو داود والترمذي، وصححه الألباني]. ولهذا قال: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ آيِبَةً مِّنْ رَّبِّهِ فَزَادَ يَظْلَمُ﴾ أي: مخلصا في ذلك، محسبا ثواب ذلك عند الله عز وجل ﴿فَسَوْفَ يُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ أي: ثوابا جزيلا كثيرا واسعا.

الآية (١١٥): ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَىٰ﴾ أي: ومن سلك غير طريق الشريعة التي جاء بها الرسول ﷺ، فصار في شق والشرع في شق، وذلك عن عمد منه بعدما ظهر له الحق وتبين له واتضح له، ﴿وَتَوَّبَ عَنِ سَبِيلِ التَّوْبَتَيْنِ﴾ هذا ملازم للصفة الأولى، ولكن قد تكون المخالفة لنص الشارع، وقد تكون لما أجمعت عليه الأمة المحمدية فيما عُلِمَ اتفاقهم عليه تحقيقا، فإنه قد ضُمنت لهم العصمة في اجتناعهم من الخطأ، تشريفا لهم وتعظيما لنبههم. والذي عوّل عليه الشافعي في الاحتجاج على كون الإجماع حجة تُحرّم مخالفتها هذه الآية الكريمة، وهو من أحسن الاستنباطات وأقواها. ولهذا تَوَعَّدَ تعالى على ذلك بقوله: ﴿تَوَلَّوْا مَا تَوَلَّوْا وَفُصِّلَ بِهِمْ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ أي: إذا سلك هذه الطريق جازيناه على ذلك بأن نُحَسِّنَهَا في صدره ونزِيلَهَا -استدرأجا له- كما قال تعالى: ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبْ يَدْعَا لِقَوْلِي سَتَنَدْرِجُهُمْ فِي حَيْثُ لَا يَأْمَنُونَ﴾ [القلم: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ قَالُوا هُوَ هُوَ﴾ [الصافات: ٥٠]، وقوله: ﴿وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١١٠]. وجعل النار مصيره في الآخرة؛ لأن من خرج عن الهدى لم يكن له طريق إلا إلى النار يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿أَنفَحْنَاهُ فَاذْنَبُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَكَاذِبُوا يَبْذُلُونَ ﴿٢٢﴾ مِّنْ دُونِ اللَّهِ قَالَهُمْ هُوَ إِلَٰهُ رَبِّكَ وَإِنَّكَ لَكَاذِبٌ مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [الصافات: ٢٢-٢٣].

الآية (١١٦): ﴿عَنِ عَالِيٍّ مِّنْ عَدْنٍ﴾ أي: من هذه الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْوِيهِ إِلَّا يَرْفَعُهُ وَيُفَعِّلُهُ بِمَا دُورُكَ ذَلِكَ لِمَن يَكْفُرْ﴾. وقوله: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلًّا بَعِيدًا﴾ أي: فقد سلك غير الطريق الحق، وضل عن الهدى وبُعد عن الصواب، وأهلك نفسه وخسرهما في الدنيا والآخرة، وفاته سعادة الدنيا والآخرة.

الآية (١١٧): ﴿إِن يَدْعُوا إِلَىٰ دَعْوَانَا﴾ أي: إن يدعوا إلى دعوينا ﴿وَلَا يَدْعُوا إِلَىٰ دَعْوَانَا﴾ أي: إن يدعوا إلى دعوينا ﴿وَلَا يَدْعُوا إِلَىٰ دَعْوَانَا﴾ أي: إن يدعوا إلى دعوينا.

الآية (١١٨-١١٩): ﴿وَقَالَ: لَقَدْ كُنْتُ أَتَىٰ بِكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مَا لَكُمْ بِلَاغِي﴾ أي: أتي بكم من دونه ما لكم ببلغي. وقوله: ﴿وَلَا تَدْعُونَنِي إِلَىٰ دَعْوَانِي﴾ أي: ولا تدعونني إلى دعواني. وقوله: ﴿وَلَا تَدْعُونَنِي إِلَىٰ دَعْوَانِي﴾ أي: ولا تدعونني إلى دعواني. وقوله: ﴿وَلَا تَدْعُونَنِي إِلَىٰ دَعْوَانِي﴾ أي: ولا تدعونني إلى دعواني.

الآية (١١٩-١٢٠): ﴿وَقَالَ: لَقَدْ كُنْتُ أَتَىٰ بِكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مَا لَكُمْ بِلَاغِي﴾ أي: أتي بكم من دونه ما لكم ببلغي. وقوله: ﴿وَلَا تَدْعُونَنِي إِلَىٰ دَعْوَانِي﴾ أي: ولا تدعونني إلى دعواني. وقوله: ﴿وَلَا تَدْعُونَنِي إِلَىٰ دَعْوَانِي﴾ أي: ولا تدعونني إلى دعواني. وقوله: ﴿وَلَا تَدْعُونَنِي إِلَىٰ دَعْوَانِي﴾ أي: ولا تدعونني إلى دعواني.

الآية (١٢٠-١٢١): ﴿وَقَالَ: لَقَدْ كُنْتُ أَتَىٰ بِكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مَا لَكُمْ بِلَاغِي﴾ أي: أتي بكم من دونه ما لكم ببلغي. وقوله: ﴿وَلَا تَدْعُونَنِي إِلَىٰ دَعْوَانِي﴾ أي: ولا تدعونني إلى دعواني. وقوله: ﴿وَلَا تَدْعُونَنِي إِلَىٰ دَعْوَانِي﴾ أي: ولا تدعونني إلى دعواني. وقوله: ﴿وَلَا تَدْعُونَنِي إِلَىٰ دَعْوَانِي﴾ أي: ولا تدعونني إلى دعواني.

به رسوله من الهدى ودين الحق، وهذان الشرطان لا يصح عمل عامل بدونها؛ أي: يكون خالصاً صواباً، والخالص أن يكون لله، والصواب: أن يكون متابعاً للشرعية. فمتى فقد العمل أحد هذين الشرطين فسد. فمن فقد الإخلاص كان منافقاً، وهم الذين يُرأَوون الناس، ومن فقد المتابعة كان ضالاً جاهلاً. ومتى جمعها فهو عمل المؤمنين. ﴿وَأَتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ وهم محمد وأتباعه إلى يوم القيامة، والخنيف: هو المائل عن الشرك قصداً، أي: تاركاً له عن بصيرة، ومُثْبِل على الحق بكَلْبِيَّة، لا يصده عنه صاد، ولا يردّه عنه راذ. ﴿وَأَتَّخِذْ آلَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ وهذا من باب الترغيب في اتباعه؛ لأنه إمام يُقتدى به، حيث وصل إلى غاية ما يتقرب به العباد له، فإنه انتهى إلى درجة الخلّة التي هي أرفع مقامات المحبة، وما ذاك إلا لكثرة طاعته لربه.

الآية (١٢٦): ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: الجميع ملكه وعبيده وخلقه، وهو المتصرف في جميع ذلك، لا راد لما قضى ولا معقب لما حكم، ولا يُسأل عما يفعل، لعظمته وقدرته وعدله وحكمته ولطفه ورحمته. وقوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ أي: علمه نافذ في جميع ذلك، لا تخفى عليه خافية من عبادته، ولا يُعزّب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، ولا تخفى عليه ذرة ما تراءى للنواظر وما توارى.

الآية (١٢٧): عن عائشة - رضي الله عنها -: ﴿وَسَمِعْتُكَ فِي الْبَيْتِ كُلِّ لَيْلَةٍ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ﴾ إلى قوله: ﴿وَرَبَّكَ أَنْ تَكُونُ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ﴾ قالت: هو الرجل تكون عنده البيعة، هو وليها ووارثها، قد شَرَّكَتْهُ في ماله، حتى في العَدَق، فيُربغ أن ينكحها، ويكره أن يزوجه رجلًا، فيشركه في ماله بما شرّكته، فيفضلها، فنزلت هذه الآية [رواه البخاري ومسلم]. والمقصود: أن الرجل إذا كان في حجره يتيمة لا يكون للرجل فيها رغبة، لِذِمَّتَيْهَا عنده، أو في نفس الأمر، فهناك الله عز وجل أن يَفْضُلَهَا عن الأزواج، خشية أن يَشْرَكَهُ في ماله الذي بينه وبينها، كما قال ابن عباس: كان الرجل في الجاهلية تكون عنده البيعة، فيُلْقِي عليها ثوبه، فإذا فعل ذلك لم يقدر أحد أن يزوجه أبداً، فإن كانت جميلة وَهَوِيَّتْهَا تَزَوَّجَهَا وأكل مالها، وإن كانت دميمة منعها الرجال أبداً حتى تموت، فإذا ماتت ورثها. فَخَرَّمَ الله ذلك ونهى عنه. وقال في قوله: ﴿وَالْمُسْتَغْنَيْنِ مِنَ الْأَوْلَادِ﴾: كانوا في الجاهلية لا يورثون الصغار ولا البنات؛ وذلك قوله: ﴿لَا تَوَرِّثُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾، فهن الله عن ذلك، ويُنّ لكل ذي سهم سهمه، فقال: ﴿لِلَّذَرِئَةِ مِثْلِ حِظِّ الْأُنثَىٰ﴾ [النساء: ١١١] صغيراً أو كبيراً. قال سعيد بن جبير في قوله: ﴿وَأَنْتَ تَقُومُوا لِلنِّسَاءِ بِالْقِسْطِ﴾: كما إذا كانت ذات جمال ومال نكحها واستأثرت بها، كذلك إذا لم تكن ذات مال ولا جمال فانكحها واستأثرت بها. ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾ تبيها على فعل الخيرات وامتنالاً للأوامر، وأن الله عز وجل عالم بجميع ذلك، وسيجزي عليه أوفر الجزاء وأتمه.

الآية (١٢٢): ثم ذكر تعالى حال السعداء الأتقياء، وما لهم في مألم من الكرامة النامة، فقال: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَكَلِمَاتُ الصَّالِحِينَ﴾ أي: صدقت قلوبهم وعملت جوارحهم بما أمروا به من الخيرات، وتركوا ما نهوا عنه من المنكرات ﴿سَكَدَ عَنْهُمْ جُنْدٌ يَجْرِي مِنَ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي: يصرفونها حيث شاءوا وأين شاءوا، ﴿وَحَلِيلِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ أي: بلا زوال ولا انتقال ﴿وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا﴾ أي: هذا وعد من الله، ووعد الله معلوم حقيقة أنه واقع لا محالة، ولهذا أكدّه بالمصدر الدال على تحقيق الخبر وهو قوله: ﴿حَقًّا﴾. قوله: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ أي: لا أحد أصدق منه قولاً وخبراً، لا إله إلا هو، ولا رب سواه.

الآية (١٢٣): [سبب النزول]: قال قتادة: ذكر لنا أن المسلمين وأهل الكتاب افتخروا، فقال أهل الكتاب: نبينا قبل نبيكم، وكتابتنا قبل كتابكم، فنحن أولى بالله منكم. وقال المسلمون: نحن أولى بالله منكم؛ نبينا خاتم النبيين، وكتابتنا يقضي على الكتب التي كانت قبله. فأنزل الله: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيَّتِكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَمْلِكُ سَوْءًا يُجْزِي بِهِ﴾، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ الآية. فالفلج الله حجة المسلمين على من ناوهم من أهل الأديان. والمعنى في هذه الآية: أن الدين ليس بالتحلي ولا بالتعني، ولكن ما وفر في القلوب وصدقه الأعمال، وليس كل من ادعى شيئاً حصل له بمجرد دعواه، ولا كل من قال إنه هو المحقّ سَمِعَ قوله بمجرد ذلك، حتى يكون له من الله برهان؛ ولهذا قال تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيَّتِكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ أي: ليس لكم ولا لهم النجاة بمجرد التعني، بل العبارة بطاعة الله سبحانه، واتباع ما شرعه على أئمة الرسل الكرام؛ ولهذا قال بعده: ﴿مَنْ يَمْلِكُ سَوْءًا يُجْزِي بِهِ﴾، عن أبي هريرة قال: لما نزلت: ﴿مَنْ يَمْلِكُ سَوْءًا يُجْزِي بِهِ﴾ سَمِعَ ذلك على المسلمين، فقال لهم رسول الله ﷺ: ﴿سَدُّوا وَقَارِبُوا؛ فَإِنْ فِي كُلِّ مَا يُصَابُ بِهِ الْمُسْلِمُ كَفَارَةٌ، حَتَّى الشُّوْكَ يُشَاكُّهَا، وَالتَّكْبَةُ يُتَكَبُّهَا﴾ [رواه مسلم]. وروى ابن جرير عن الحسن: ﴿مَنْ يَمْلِكُ سَوْءًا يُجْزِي بِهِ﴾، قال: الكافر، ثم قرأ: ﴿وَهَلْ يُجْزِي إِلَّا الْكُفُّورُ﴾ [سبأ: ١٧]. قوله: ﴿وَلَا يَحِذُّ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ قال ابن عباس: إلا أن يتوب فيتوب الله عليه. والصحيح أن ذلك عام في جميع الأعمال، لما تقدم من الأحاديث، وهذا اختيار ابن جرير، والله أعلم.

الآية (١٢٤): لما ذكر الجزاء على السيئات، وأنه لا بد أن يأخذ مستحقها من العبد إما في الدنيا - وهو الأجود له - وإما في الآخرة - والعباد بالله من ذلك، ونسأله العافية في الدنيا والآخرة، والصفح والعتو والمساخة - شرع في بيان إحسانه وكرمه ورحمته في قبول الأعمال الصالحة من عبادته ذُكْرَانِهِم وإِنَائِهِمْ، بشرط الإيمان، وأنه سيدخلهم الجنة ولا يظلمهم من حسناتهم ولا مقدار النقيير، وهو النقرة التي في ظهر نواة النمرة.

الآية (١٢٥): أي: أخلص العمل لربه عز وجل فعمل إيماناً واحتساباً ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ أي: اتبع في عمله ما شرعه الله له، وما أرسل



## ● الوقفات التحذيرية

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾  
فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، من: أنواع المأكول والمشرب اللذيذة، والمناظر العجيبة، والأزواج الحسنة والقصور، والغرف المزخرفة، والأشجار المتدلية، والفواكه المستغربة، والأصوات الشجية، والنعم السابغة، وتزاور الإخوان، وتذكركم ما كان منهم في رياض الجنان، وأعلى من ذلك كله واجل: رضوان الله عليهم، وتمتع الأرواح بقربه، والعيون برويته، والأسماع بخطابه الذي ينسيهم كل نعيم السعدي: ٢٥.

السؤال: في الجنة نعيم يفوق نعيم الطعام والشراب، فما هو؟

﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ، وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا يُصِيرَ﴾  
﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾

(مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ): وعيد حتم في الكفار، ومقيد بمشية الله في المسلمين. (وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ): دخلت من للتبويض رفقا بالعباد؛ لأن الصالحات على الكمال لا يطيقها البشر. ابن جزى: ٢١١/١.

السؤال: هل يشترط العمل بكل الصالحات لدخول الجنة؟ ولماذا؟

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾

لما عبر تعالى عن كمال الاعتقاد بلا ماضي؛ شرط فيه الدوام والأعمال الظاهرة بقوله: (وهو) أي: والحال أنه (محسن) أي: مؤمن مراقب، لا غفلة عنده أصلاً، بل الإحسان صفة له راسخة؛ لأنه يعبد الله كأنه يراه. البقاعي: ٣٢٤/٢.

السؤال: من أحسن الناس ديناً؟ ولماذا؟

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾

وهذان الشرطان لا يصح عمل عامل بدونهما؛ أي: يكون خالصاً صواباً؛ والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون متابعاً للشرعية؛ فيصح ظاهره بالمطابقة، وباطنه بالإخلاص، فمتى فقد العمل أحد هذين الشرطين فسد؛ فمن فقد الإخلاص كان منافقاً؛ وهم الذين يراعون الناس، ومن فقد المتابعة كان ضالاً جاهلاً. ابن كثير: ٥٣٠/٢.

السؤال: دللت الآية على شرطين لقبول العمل، فما هما؟

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾

فالذي أسلم وجهه لله هو الذي يخلص دينه لله ويبتغي بعمله وجه الله. ابن تيمية: ٣٤٥/٢.

السؤال: ما المقصود بإسلام وجهه لله؟

﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾

وهذا من باب الترغيب في اتباعه؛ لأنه إمام يقتدى به؛ حيث وصل إلى غاية ما يتقرب به العباد له؛ فإنه انتهى إلى درجة الخلقة التي هي أرفع مقامات المحبة، وما ذاك إلا لكثرة طاعته لربه. ابن كثير: ٥٣٠/١.

السؤال: ما الفائدة العملية التي يفيدها المؤمن من وصف إبراهيم بالخلقة؟

﴿وَأَنْتَ تَقُومُوا لِلنَّاسِ بِالْقِسْطِ﴾

وهذا يشمل: القيام عليهم بالزمامهم أمر الله، وما أوجبه على عباده، فيكون الأولياء مكلفين بذلك؛ يلزمونهم بما أوجبه الله. ويشمل: القيام عليهم بمصالحهم الدنيوية بتنمية أموالهم، وطلب الأخط لهم فيها، وأن لا يقربوها إلا بالتي هي أحسن، وكذلك لا يجابون فيهم صديقاً ولا غيره، في تزوج وغيره، على وجه الهمم لحقوقهم، وهذا من رحمته تعالى بعباده؛ حيث حث غاية الحث على القيام بمصالح من لا يقوم بمصلحة نفسه. السعدي: ٢٠٦.

السؤال: القيام الصحيح بأمر اليتامى يتضمن أمرين، ما هما؟

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴿٢٥﴾ لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَنَا بِأَمَانِيكُمْ وَلَا يُجِزُّ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا يُصِيرَ ﴿٢٦﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿٢٧﴾ مَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا ﴿٢٩﴾ وَبَسِّمُوا لَهُ فِي النَّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَمَنِ النِّسَاءِ الَّتِي لَا تَقُولُوهنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّبَا وَالْأَوْلَادِ وَأَنْ تَقُولُوا لِلنِّسَاءِ بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴿٣٠﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
قِيلًا	قولاً.
نَقِيرًا	قِيلًا؛ كَالنَّقَرَةِ وَهِيَ الْحُفْرَةُ فِي ظَهْرِ النَّوَاةِ.
أَسْلَمَ	انْقَادًا، وَاسْتِسْلَمَ.
حَنِيفًا	مَائِلًا عَنِ الشُّرْكِ إِلَى التَّوْحِيدِ.
خَلِيلًا	صَفِيًّا.

## ● العمل بالآيات

١. اعمل اليوم عملاً خالصاً لله سبحانه، ولا تخبر به من حولك، وكن واقعاً بوعده الله لك. ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾.
٢. حتى تعرف كيف بلغ إبراهيم عليه السلام رتبة الخلقة، تأمل واستحضر اليوم ابتلاءه في أبيه وابنه وزوجته، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾.
٣. ساعد أحد الأيتام اليوم بما تستطيع، ﴿وَأَنْتَ تَقُومُوا لِلنَّاسِ بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾.

## ● التوجيهات

١. الإيمان الصادق والعمل الصالح هما مفتاح الجنة، وسبب دخولها، ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾.
٢. العبرة بالعمل الصالح، أما الأمانى والرجاء مع ترك العمل فخدعة من الشيطان، ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَنَا بِأَمَانِيكُمْ وَلَا يُجِزُّ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا يُصِيرَ﴾.
٣. كم من الذنوب استصغرتها، وكانت عند الله كبيرة، ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ، وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا يُصِيرَ﴾.



## ● الوقفات التدريبية

﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ﴾

جبلت النفوس على الشح، وهو عدم الرغبة في بذل ما على الإنسان، والحرص على الحق الذي له؛ فالنفوس مجبولة على ذلك طبعاً؛ أي: فينبغي لكم أن تحرصوا على قلع هذا الخلق الدنيء من نفوسكم، وتستبدلوا به ضده؛ وهو السماحة، وهو بذل الحق الذي عليكم، والاقتناع ببعض الحق الذي للهِ للسعدي: ٢٠٧.

السؤال: ما تعريف الشح باختصار، وما علاجه؟

﴿وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾

(وإن تحسنوا) أي: توقموا الإحسان بالإقامة على نكاحكم وما تدينتم إليه من حسن العشرة وإن كنتم كارهين. (وتتقوا) أي: توقموا التقوى بمجانبة كل ما يؤدي نوع أذى؛ إشارة إلى أن الشحيح لا محسن، ولا متق. (فإن الله كان بما تعملون خبيراً) أي: بالغ العلم به، وأنتم تعلمون أنه أكرم الأكرمين؛ فهو مجازيكم عليه أحسن جزاء. البقاعي: ٣٢٩/٢.

السؤال: الجزء من جنس العمل، وضع ذلك من الآية.

﴿وَإِن تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾

(وإن تصلحوا) ما بينكم وبين زوجاتكم؛ بإجبار أنفسكم على فعل ما لا تهواه النفس، احتساباً وقياماً بحق الزوجة، (فإن الله كان غفوراً رحيمًا): يغفر ما صدر منكم من الذنوب والتقصير في الحق الواجب، ويرحمكم كما عطفتم على أزواجكم ورحمتوهن. السعدي: ٢٠٧.

السؤال: ما جزء إحسان الزوج إلى زوجته، وعطفه عليها؟

﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ الْاِسْكَ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَبِيلُوا كَلَّ الْمَلِئَ﴾

لا تجوروا على الرغوب عنها كل الجور؛ فتمنعوها حقها من غير رضا منها، واعدلوا ما استطعتم؛ فإن عجزكم عن حقيقة العدل لا يمنع عن تكليفكم بما دونها من المراتب التي تستطيعونها. الألوسي: ١٦٢/٥.

السؤال: العجز عن كمال العدل هل يعتبر مبرراً لوقوع الظلم؟

﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ الْاِسْكَ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَبِيلُوا كَلَّ الْمَلِئَ فَتَذَرُوهَا كَالْمَلْعَةِ وَإِن تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾

(ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء) معناه: العدل التام الكامل في الأقوال، والأفعال، والمحبة، وغير ذلك، فرفع الله ذلك عن عباده؛ فإنهم لا يستطيعون. ابن جزي: ٢١٣/١.

السؤال: ما العدل الذي لا يستطيعه الزوج بين زوجاته؟

﴿إِن يَتَّأْ يَذْهَبْكُمْ إِلَيْهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِتَاخِرِينَ﴾

قال بعض السلف: ما أهون العباد على الله إذا أضاعوا أمره. ابن كثير: ٥٣٥/١.

السؤال: ما القيمة الحقيقية للإنسان عند الله سبحانه وتعالى؟

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾

عند (الله) أي: الذي له الكمال المطلق، (ثواب الدنيا): الخسيسة الفانية، (والآخرة) أي: النفيسة الباقية؛ فليطلبها منه؛ فإنه يعطي من أراد ما شاء. ومن علت همته عن ذلك فأقبل بقلبه إليه، وقصر همه عليه فلم يطلب إلا الباقي؛ جمع سبحانه وتعالى له بينهما؛ كمن يجاهد لله خالصاً؛ فإنه يجمع له بين الأجر والمغنم. البقاعي: ٣٣٣/٢.

السؤال: ماذا تفيد من قوله تعالى: (فعند الله ثواب الدنيا والآخرة)؟

وَإِن أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا أَوْ إِعْرَاصًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ١٥ وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَبِيلُوا كَلَّ الْمَلِئَ فَتَذَرُوهَا كَالْمَلْعَةِ وَإِن تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ١٦ وَإِن يَتَفَرَّقَا فَعِنَ اللَّهُ كَلَامٌ سَعِيدٌ ١٧ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ١٨ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ ١٩ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ٢٠ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ٢١ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ٢٢ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِتَاخِرِينَ ٢٣ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا ٢٤ مَن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ٢٥ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ٢٦

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
نُشُورًا	تَرَفُّعًا وَانْصِرَافًا عَنْهَا.
وَأُحْضِرَتِ الشُّحَّ الْأَنفُسُ الشُّحَّ	جُبِلَتْ عَلَى الشُّحِّ وَالْبُخْلِ.
فَتَذَرُوهَا	تَتْرُكُوهَا.
كَالْمَلْعَةِ	الَّتِي لَيْسَتْ بِذَاتِ زَوْجٍ، وَلَا مُطْلَقَةٍ.

## ● العمل بالآيات

١. اصطلح أو شارك في الإصلاح بين زوجين مختلفين، ﴿وَإِن أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا أَوْ إِعْرَاصًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾.
٢. سل الله تعالى أن يبرزك الإنصاف والعدل، ودرج نفسك على ذلك، ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ الْاِسْكَ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾.
٣. تذكر أمرًا ضاق عليك، وادع الله تعالى بصفته: (الواسع) و(الحكيم) أن يفرجه لك، ﴿وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾.

## ● التوجيهات

١. الصلح أحب إلى الله سبحانه من الطلاق، ﴿وَإِن أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا أَوْ إِعْرَاصًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾.
٢. احذر من مطاوعة النفس على الشح والطمع، وربها على الإيتار والسماحة، ﴿وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ﴾.
٣. لا تجعل الدنيا أكبر همك، ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾.

ملكك ولا أملكك يعني: القلب. وإسناده صحيح. ﴿فَلَا تَبِيلُوا كَلَّ الْأَيْلِ﴾ أي: فإذا ملئتم إلى واحدة منهم فلا تبالغوا في الميل بالكلية ﴿فَتَذَرُوهَا كَالْمَعْلَمَةِ﴾ أي: فتبقى الأخرى معلقة. قال ابن عباس: معناها: لا ذات زوج ولا مطلقة. عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من كانت له امرأتان فمال إلى إحداهما، جاء يوم القيامة وأحد شقيته ساقط» رواه أحمد وأهل السنن، وصححه الألباني. ﴿وَلَا تَصِلُحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ أي: وإن أصلحتم في أموركم، وقسمتم بالعدل فيما تملكون، واتقيتم الله في جميع الأحوال، غفر الله لكم ما كان من مثيل إلى بعض النساء دون بعض.

﴿وَلَا يَنْفَرُوا يَتَنَّبَهُ اللَّهُ كُلًّا مِّنْ مَّكْرِهِمْ﴾ وهذه هي الحالة الثالثة، وهي حالة الفراق. وقد أخبر تعالى أنها إذا تفرقا فإن الله يغنيه عنها ويغنيها عنه؛ بأن يعوضه الله من هو خير له منها، ويعوضها عنه بمن هو خير لها منه ﴿وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾ أي: واسع الفضل عظيم المن، حكيمًا في جميع أفعاله وأقداره وشرعه.

الآية (١٣١): تجبر تعالى أنه مالك السموات والأرض، وأنه الحاكم فيها؛ ولهذا قال: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ أي: وصيناكم بها وصيناهم به من تقوى الله عز وجل بعبادته وحده لا شريك له. ﴿وَلَا تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا جَدِيدًا﴾، كما قال تعالى إخبارًا عن موسى أنه قال لقومه: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ جَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٨]، وقال: ﴿فَكْفُرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَفْتَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ جَدِيدٌ﴾ [التغابن: ٦١] أي: ﴿غَنِيٌّ﴾ عن عباده، ﴿جَدِيدٌ﴾ أي: عموذ في جميع ما يقدره وشرعه.

الآية (١٣٢-١٣٣): ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ أي: هو القائم على كل نفس بما كسبت، الرقيب الشهيد على كل شيء. ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا﴾ أي: هو قادر على إذهابكم وتبديلكم بغيركم إذا عصيتموه، وكما قال: ﴿وَلَيْتَ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ [عند: ٣٨]. وقال بعض السلف: ما أهون العباد على الله إذا أضاعوا أمره. وقال: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [إبراهيم: ١٩-٢٠] أي: ما هو عليه بممتنع.

الآية (١٣٤): ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَيَدَعْ اللَّهَ وَثَوَابَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ أي: يا من ليس همه إلا الدنيا، اعلم أن عند الله ثواب الدنيا والآخرة، وإذا سألته من هذه وهذه أعطاك وأغناك وأتقناك.

الآية (١٢٨): يقول تعالى خبرًا ومشرعًا عن حال الزوجين: ما إذا خافت المرأة من زوجها أن يفر عنها، أو يمرض عنها، فلها أن تسقط حقها أو بعضها، من نفقة أو كسوة، أو مبيت، أو غير ذلك من الحقوق عليه، وله أن يقبل ذلك منها، فلا جناح عليها في بذلها ذلك له، ولا عليه في قبوله منها؛ ولهذا قال تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾ ثم قال: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ أي: من الفراق -وقوله: ﴿وَأُخْبِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾ (١) أي الصلح عند المشاحة خير من الفراق- ولهذا لما كبرت سودة بنت زمعة عزم رسول الله ﷺ على فراقها، فصالحته على أن يمسكها، وترك يومها لعائشة، فقيل ذلك منها وأبقاها على ذلك. وعن عائشة: ﴿وَلِنْ أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَوْلِهَا شُورًا أَوْ إِمْرَاسًا﴾ قالت: الرجل تكون عنده المرأة، ليس بمستكثر منها، يريد أن يفارقها، فتقول: أجمعلك من شأني في حل. فنزلت هذه الآية [رواه البخاري]. عن خالد بن عزة قال: جاء رجل إلى علي بن أبي طالب، فسأله عن قول الله عز وجل: ﴿وَلِنْ أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَوْلِهَا شُورًا أَوْ إِمْرَاسًا﴾ قال علي: يكون الرجل عنده المرأة، فتنبو عيناه عنها من دماستها، أو كبرها، أو سوء خلقها، أو قلدها، ففكره فراقه، فإن وضعت له من مهرها شيئًا حلَّ له، وإن جعلت له من أيامها فلا حرج [رواه ابن أبي حاتم وابن جرير، وصححه إسناده أحمد شاكر]. وكذا فسرهما غير واحد من السلف والأئمة، ولا أعلم في ذلك خلافاً في أن المراد بهذه الآية هذا، والله أعلم. ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ قال ابن عباس: يعني التخيير، أن تخيير الزوج لما بين الإقامة والفراق خير من تمادي الزوج على أثرة غيرها عليها. والظاهر من الآية أن صلحهما على ترك بعض حقها للزوج، وقبول الزوج ذلك خير من المفارقة بالكلية، كما أسك النبي ﷺ سودة بنت زمعة على أن تركت يومها لعائشة، ولم يفارقها بل تركها من جملة نساءه، وفعله ذلك لتأسى به أمته في مشروعية ذلك وجوازه، فهو أفضل في حقه عليه الصلاة والسلام. ولما كان الوفاق أحب إلى الله من الفراق قال: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾. قوله: ﴿وَلِنْ تُخْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ وإن تجشعوا مشقة الصبر على من تكرهون منهم، وتقسموا لهن أسوة أمثالهن، فإن الله عالم بذلك، وسيجزىكم على ذلك أوفر الجزاء.

الآية (١٢٩-١٣٠): ﴿وَلَنْ تَسْتَظِفُوا أَنْ تَدْرُؤُوا بَيْنَ النَّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ أي: لن تستطيعوا أيها الناس أن تساووا بين النساء من جميع الوجوه؛ فإنه وإن وقع القسم الصوري: ليلة وليلة، فلا بد من التفاوت في المحبة والشهوة والجماع، كما قاله ابن عباس. كما في الحديث الذي رواه أحمد وأهل السنن عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يقسم بين نسائه فيعدل، ثم يقول: «اللهم هذا قسمي فيما أملك، فلا تلغني فيما



الآية (١٣٧): يخبر تعالى عمن دخل في الإيمان ثم رجع عنه، ثم

(١) يقصد بذلك قوله تعالى هنا: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾.



## ● الوقفات التدبيرية

● ﴿إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾

أي: إن يكن القسود في حقه، أو المشهود له: غنياً أو فقيراً؛ فلا يكن غناه ولا فقره سبباً للقضاء له أو عليه، والشهادة له أو عليه. والقصود من ذلك: التحذير من التناثر بأحوال يلتبس فيها الباطل بالحق لما يحف بها من عوارض يتوهم أن رعيها ضرب من إقامة المصالح، وحراسة العدالة. ابن عاشور: ٢٣٦/٥.

السؤال: هل لعني أحد الخصمين أو فقره أثر في حكم القاضي، أو شهادة الشاهد؟ ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىَٰ أَنْ تَعْبُدُوا ۚ وَإِنْ لَكُم مِّنْ شَيْءٍ فَاِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾

اتَّبَعَ الْهَوَى مُرْدًا أَي: مَهْلِكًا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (فَأَحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) (ص: ٢٦)؛ فَاتَّبَعَ الْهَوَى يَحْمِلُ عَلَى الشَّهَادَةِ بِغَيْرِ الْحَقِّ، وَعَلَى الْجَوْرِ فِي الْحُكْمِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ. وَقَالَ الشَّعْبِيُّ: أَخَذَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الْحُكَّامِ ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ: أَنْ يَتَّبِعُوا الْهَوَى، وَلَا يَخْشَوْا النَّاسَ وَيَخْشَوْهُ، وَلَا يَسْتَرْوُا بِأَيَّاتِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا. الْقُرْطُبِيُّ: ١٧٨/٧.

السؤال: هل لغنى أحد الخصمين أو فقره أثر في حكم القاضي، أو شهادة الشاهد؟

❶ ﴿لَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىَٰ أَنْ تَمْدِدُوا﴾

التهوى: إما أن يعمي بصيرة صاحبه حتى يرى الحق باطلاً والباطل حقاً، وإما أن يعرف الحق ويتركه لأجل هواء السعدي: ٢٠٩.

**السؤال: بين خطورة الهوى على صاحبه؟**

﴿ ٣ ﴾ الَّذِينَ يَمْجِدُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْنَبُغُونَ عَنْهُمْ  
الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿

نص تعالى في صفة المنافقين على أشدها ضرراً على المؤمنين: وهي مولاتهم الكفار وأطراحهم المؤمنين. ونبه على فساد ذلك ليدعه من عسى أن يقع في نوع منه من المؤمنين شغل، أو جهالة، أو مسامحة ابن عطية: ١٢٥/٢.

السؤال: صفات المنافقين كلها ضرر على المسلمين، اذكر اشدها ضرراً؟ ﴿الَّذِينَ يَخُذُونَ أَلْفًا مِنَ الْكُفَرَاءِ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَلْيَقُونَ بَيْنَهُمْ وَالْأَيْمَةُ فَإِنَّ الْآيَةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾

وولله العزة والرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون، والمقصود من هذا: التهييج على طلب العزة من جناب الله، والإقبال على عبوديته، والانتظام في جملة عباد المؤمنين. ابن كثير: ٥٣٦/١.

السؤال: ما المقصود من إخبار الله عباده بأن العزة كلها له؟

﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا مَجِئْتُمْ إِلَى آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا تِلْكَ أَعْيُنُ النَّاسِ الَّذِينَ عَمُوا يَرَوْنَ سَوَآءَ الشَّيْءِ حَتَّىٰ تُخْرِجُوا مِنْهُ أَوْ يُنْفِثُوهُمُ فَذُرُّهُمْ وَلَا تَمْسَسْهُمْ بِلَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ سَوَآءٌ أَعْيُنُهُمْ وَالْأَفْئِدَةُ وَالْأَبْصَارُ وَالْأَفْئِدَةُ وَالْأَبْصَارُ وَالْأَفْئِدَةُ وَالْأَبْصَارُ﴾

لما كانت آية الأنعام مكية: اقتصر فيها على مجرد الإعراض، وقطع المجالسة؛ لعدم التمكن من الإنكار بغير القلب. وأما هذه الآية فمعدنية، فالتمييز عند إنزالها باللسان واليد ممكن لكل مسلم، فالجالس من غير تكبر راض. البقاعي: ٣٣٧/٢.

السؤال: لماذا في سورة الأنعام أمر بالإعراض، أما هنا فامر بعدم المجالسة؟ ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ دَاعِيَ اللَّهِ يَدْعُوَكُمْ إِلَى مَكَرٍ مُبِينٍ فَارْجِعُوا إِلَى اللَّهِ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ فَطَرَبْنَا عَنْكُمْ سَبِيلَ السَّلَامِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

(في جهنم): التي هي سجن الملك. (جميعاً): كما جمعهم معهم مجلس الكفر الذي هو وطن في ملك الملك، والتسوية بينهم في الكفر بالقعود معهم دالة على التسوية بين العاصي ومجانسه بالخلطة من غير إنكار. البقاعي: ٣٣٧/٢.

**السؤال: لماذا جمع الله الكافرين والمنافقين في جهنم جميعا؟**

\*يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا كُفُورًا مِمَّنْ بِالْاِقْسَاطِ شَهِدَتْ لَهُمْ وَلَوْ  
عَلَىٰ اَنْفُسِكُمْ اَوَّالِدَيْنِ وَلَا فَرْقَيْنِ اِنْ يَكُنْ عَقِبًا ءَوْفِقِيًّا  
فَاللّٰهُ اَوْلَىٰ بِمَا قَالَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ اَبْعَدُوا وَلَوْ اَنَّ تَلَوْنَا  
اَوْ تَعْرَضُوا فَاِنَّ اللّٰهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٣٥﴾ يَتَأْتِيهِمُ  
الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَاثِمًا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ ءَالِكُنَّ الَّذِي نَزَلَ  
عَلَىٰ رَسُولِهِ ءَالِكُنَّ الَّذِي اُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ  
بِاللّٰهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ءَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ فَقَدْ ضَلَّ  
ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٣٦﴾ اِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ  
كَفَرُوا ثُمَّ اٰذَنَآءُ كَفَرَا لَمْ يَكُنِ اللّٰهُ لِيَعْفِ عَنْهُمْ وَلَا يُهْدِيَهُمْ  
سَبِيلًا ﴿٣٧﴾ بَشِّرِ الْمُتَفَقِقِينَ اِنَّ لَهُمْ عَذَابًا اَلِيمًا ﴿٣٨﴾ الَّذِينَ  
يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ اَوْلِيَآءَ مِنْ دُوْنِ الْمُؤْمِنِيْنَ اَتُبْعُوْنَ  
عِنْدَهُمُ الْعِزَّةُ فَاِنَّ الْعِزَّةَ لِلّٰهِ جَمِيعًا ﴿٣٩﴾ وَقَدْ نَزَلَ عَلَيْهِ كُوفِي  
الْكِتَابِ اَنْ اِذَا سَمِعْتُمْ اٰيَاتِ اللّٰهِ يَكْفُرُهَا وَيُسْتَهْزِئُ بِهَا فَلَا  
تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ تَخْرُجُوا فِي حَدِيثِ غَيْرِهِ اِنَّكُمْ اِذَا اَمْسَلْتُمْ  
اِنَّ اللّٰهَ جَامِعُ الْمُتَفَقِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿٤٠﴾

## ● معاني الكلمات

الكنية	المعنى
قَوَّامِينَ	قَائِمِينَ.
بِالْقِسْطِ	بِالْعَدْلِ.
تَلَوُوا	تَحَرَّفُوا الشَّهَادَةَ بِأَيْسَرَتِكُمْ.
تَعَرَّضُوا	تَتَرَّكُوا الشَّهَادَةَ.

## ● العمل بالآيات

١. سَلِ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَهَبَكَ الْعِزَّةَ، مُتَيْقِنًا أَنَّهَا لَا تَأْتِي مِنْ غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى، ﴿أَيَّبُنُوتٌ عَنْهُمْ الْعِزَّةُ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾.

٢. اجمع اركان الإيمان الموجودة في الآية، ثم اسأل ربك ان يحققها لك.

٣. اكتب رسالة تحذر فيها من الممثلين الذين يستهزئون بدين الله وأوليائه، ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ أَيْتَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيَسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَرِيبٍ إِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾

## ● التوجيهات

١. العدل من أهم صفات المؤمنين، ومن أهم صفات أهل السنة والجماعة؛ فتمسك به، ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُفْرًا قَوْمِينَ بِأَلْقَسَطٍ﴾.

٢. احذر اتباع الهوى؛ فضيه الغفلة والردى، ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا﴾.

٣. تأمل كيف قَدَّمَ اللهُ تعالى أهل النفاق على الكفار لمكرهم وشدة خطرهم، ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فِتْحٌ مِنْ اللَّهِ فَقَالُوا كُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ ﴾  
(وإن كان للكافرين نصيب)، ولم يقل: «فتح»، لأنه لا يحصل لهم فتح يكون مبداً لنصرتهم المستمرة، بل غاية ما يكون أن يكون لهم نصيب غير مستقر. السعدي: ٢١٠.

السؤال: لماذا وصف انتصار المؤمنين بالفتح، ووصف انتصار الكافرين بالنصيب؟

﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُتَاتًا يَرْتَدُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

فهذه الأوصاف المذهومة تدل بتنبهها على أن المؤمنين متصفون بضدّها من: الصدق ظاهراً وباطناً، والإخلاص، وأنهم لا يجهل ما عندهم، ونشاطهم في صلاتهم وعبادتهم، وكثرة ذكرهم لله تعالى، وأنهم قد هداهم الله ووفقههم للصراف المستقيم. فليعرض اتعاقل نفسه على هذين الأمرين، وليختر أيهما أولى به، وبالله المستعان. السعدي: ٢١١.

السؤال: كيف تستنبط صفات المؤمنين من هذه الآيات؟

﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُتَاتًا يَرْتَدُونَ النَّاسَ ﴾

أي: متناقلين، متباطئين، لا نشاط لهم، ولا رغبة، كالكره على الفعل؛ لأنهم لا يمتدقون ثوباً في فعلها، ولا عقاباً على تركها. الأنوسي: ١٧٥/٥.

السؤال: لماذا يتكاسل المنافقون عن الصلاة؟

﴿ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾  
لأنهم لا يذكرونه إلا باللسان، وعند حضورهم بين الناس، بخلاف المؤمنين الصادقين، فإنهم إذا قاموا إلى الصلاة يطهرون إليها بجناحي الرغبة والرهبة، بل يحنون إلى أوقاتها. الأنوسي: ١٨١/٥.

السؤال: لماذا لا يذكر المنافقون الله إلا قليلاً؟

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخَذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أُرِيدُوا أَنْ يَحْمِلُوا إِلَهُكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴾

أي: حجة ظاهرة في العذاب، وفيه دلالة على أن الله تعالى لا يعذب أحداً بمقتضى حكمته إلا بعد قيام الحجة عليه؛ ويشعر بذلك كثير من الآيات. وقيل: اتريدون بذلك أن تجعلوا له تعالى حجة بينة على انكم منافقون؛ فإن موالة الكافرين أوضح أدلة النفاق. الأنوسي: ١٧٧/٥.

السؤال: تدل الآية على عدل الله سبحانه وتعالى، وضح ذلك.

﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾  
لأن ذلك أخفى ما في النار، واستره، وأدناه، وأوضعه، كما أن كفرهم أخفى الكفر وأدناه، وهو أيضاً أخفى طبقات النار، كما أن كفرهم أخفى أنواع الكفر. البقاعي: ٣٤٠/٢.

السؤال: لماذا كان المنافقون في الدرك الأسفل من النار؟

﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾

وقدّم الشكر على الإيمان؛ لأن العبد ينظر إلى النعم فيشكر عليها، ثم يؤمن بالنعم؛ فكان الشكر سبباً للإيمان، متقدّم عليه. ابن جزى: ٢١٦/١.

السؤال: لم قدّم الله الشكر على الإيمان في قوله: (إن شكرتم وأمنتُم)؟

الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فِتْحٌ مِنْ اللَّهِ قَالُوا  
أَلَمْ تَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا  
أَلَمْ تَسْتَعِذْ عَلَيْنَا وَمَنْ يَعْزِلْ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ  
سَبِيلًا ۝ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا  
قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُتَاتًا يَرْتَدُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ  
اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ مُذَبِّذِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى  
هَؤُلَاءِ ۝ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ  
آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ  
أُرِيدُوا أَنْ يَحْمِلُوا إِلَهُكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ۝ إِنَّ  
الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا  
۝ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا  
دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ  
الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ۝ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَابِكُمْ  
إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ۝

١٠١

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ	يَنْتَظِرُونَ مَا يَحُلْ بِكُمْ.
نَسْتَعِذُّ عَلَيْكُمْ	نُسَاعِدُكُمْ.
مُذَبِّذِينَ	مُتَرَدِّدِينَ.
الدَّرَكِ	الْمَنْزِلَةِ وَالطَّبَقِ.

## ● الصل بالآيات

١. قم اليوم إلى الصلاة مبكراً وب نشاط وإقبال، ولا تكن كحال أهل النفاق، ﴿ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُتَاتًا يَرْتَدُونَ النَّاسَ ﴾.
٢. أكثر اليوم من ذكر الله تعالى وتسبيحه؛ ابتداءً من أذكار الصباح والمساء، ثم بعموم الذكر، ﴿ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُتَاتًا يَرْتَدُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾.
٣. أرسل رسالتك تذكر فيها بالثبات ومصاحبة الصالحين وعدم التذبذب في الدين؛ فإنها من صفات المنافقين، ﴿ مُذَبِّذِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ ۝ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴾.

## ● التوجيهات

١. الكسل في القيام إلى الصلاة والاستعداد لها من علامات النفاق؛ فاحذر ذلك، ﴿ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُتَاتًا ﴾.
٢. التلون والتردد في مصاحبة أهل الخير دأب أهل النفاق؛ فلا تكن مثلهم، ﴿ مُذَبِّذِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ ۝ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴾.
٣. الهداية بيد الله سبحانه وحده؛ فاسأله إياها لك ولا هلك، ﴿ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴾.

الآية (١٤١): يَجْرُ تَعَالَىٰ عَنِ الْمُنَافِقِينَ: أنهم يترصدون بالمؤمنين دوائر السوء؛ بمعنى ينتظرون زوال دولتهم، وظهور الكفرة عليهم، ونهب ملتهم ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ أي: نصر وتأييد وظفر وغنيمة ﴿فَقَالُوا لَئِنْ تَكُنْ مَعَكُمْ﴾ أي: يتوددون إلى المؤمنين بهذه المقالة ﴿وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ﴾ أي: إدالة على المؤمنين في بعض الأحيان - كما وقع يوم أحد؛ فإن الرُّسل تنبئ ثم يكون لها العاقبة - ﴿قَالُوا لَئِنْ تَسْتَوِزُّوْا عَلَيْنَا مِثْلَ الْفُلَيْنِ﴾ أي: ساعدناكم في الباطن، وما ألوانهم خبالاً وتعذيراً، حتى انتصرتم عليهم. وقال الشدي: ﴿تَسْتَوِزُّوْا عَلَيْنَا﴾: تغلب عليكم، كقوله: ﴿أَسْتَوِزُّوْا عَلَيْنَا الْكَلْبُ﴾ [الجبالة: ١٩]، وهذا أيضاً تؤدُّ منهم إليهم؛ فإنهم كانوا يصانعون هؤلاء وهؤلاء ليحفظوا عندهم ويأمنوا كيدهم، وما ذاك إلا لضعف إيمانهم، وقلة إيقانهم. ﴿فَإِنَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ أي: بما يعلمه منكم - أيها المنافقون - من البواطن الرديئة، فلا تغتروا بجريان الأحكام الشرعية عليكم ظاهراً في الحياة الدنيا، لما له في ذلك من الحكمة، فيوم القيامة لا تنفعكم ظواهركم، بل هو يوم تُبلى فيه السرائر ويُحصَّل ما في الصدور. وقوله: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ روى عبد الرزاق عن يسَّع الكندي قال: جاء رجل إلى علي بن أبي طالب فقال: كيف هذه الآية: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾؟ فقال علي: أدته، انه، ﴿فَإِنَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً. قال: ذاك يوم القيامة. وقال الشدي: ﴿سَبِيلًا﴾ أي: حجة. ويحتمل أن يكون المراد: في الدنيا، بأن يُسلطُوا عليهم استيلاء استتصال بالكلية، وإن حصل لهم ظفر في بعض الأحيان على بعض الناس، فإن العاقبة للمتقين في الدنيا والآخرة كما قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَنُؤَيِّدُ بِنُورِهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [آل عمران: ٥١].

الآية (١٤٢-١٤٣): لا شك أن الله تعالى لا يُجَادَع؛ فإنه العالم بالسرائر والضاير، ولكن المنافقين - لجهلهم وقلة علمهم وعقلهم - يعتقدون أن أمرهم كما راج عند الناس وَجَزَتْ عليهم أحكامُ الشريعة ظاهراً، فكَذَلِكَ يكون حكمهم عند الله يوم القيامة، وأن أمرهم يروج عنده. ﴿وَهُوَ خَدِيعُهُمْ﴾ أي: هو الذي يستدرجهم في طغيانهم وضلالهم، ويخدِّعهم عن الحق والوصول إليه في الدنيا، وكذلك في القيامة. ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُتْلَى﴾ هذه صفة المنافقين في أشرف الأعمال وأفضلها وخيرها، وهي الصلاة، إذا قاموا إليها قاموا وهم كسالى عنها؛ لأنهم لا نية لهم فيها، ولا إيمانَ لهم بها ولا خشية، ولا يقولون معناها. هذه صفة ظواهرهم. ثم ذكر تعالى صفة بواطنهم الفاسدة فقال: ﴿رِئَاسَتُونَ لِنَاسٍ﴾ أي: لا إخلاص لهم ولا معاملة مع الله، بل إننا يشهدون الصلاة تقية من الناس ومُصَانَعَةً لهم؛ ولهذا يتخلفون كثيراً عن الصلاة التي لا يُزَوْنَ غالباً فيها كصلاة العشاء وقت العَمَةِ، وصلاة الصبح في وقت الفلَس، كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر». ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا لِيلِيًا﴾ أي: في صلاتهم لا يَحْشَوْنَ ولا يدرون ما يقولون، بل هم في صلاتهم ساهون لاهون، وعما يُرَادُهم من الخير معرضون. عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ:

«تلك صلاة المنافق، تلك صلاة المنافق، تلك صلاة المنافق: يجلس يرقب الشمس، حتى إذا كانت بين قرني الشيطان، قام فقرأ أربعمائة لا يكره الله فيها إلا قليلاً». [رواه مسلم]. قوله: «مُذَبِّبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ» يعني: المنافقين حَمَرِينَ بين الإيمان والكفر، فلا هم مع المؤمنين ظاهراً وباطناً، ولا مع الكافرين ظاهراً وباطناً، بل ظواهرهم مع المؤمنين، وبواطنهم مع الكافرين. ومنهم من يعتريه الشك؛ فتارة يعيل إلى هؤلاء، وتارة يعيل إلى أولئك؛ عن ابن عمر، عن النبي ﷺ قال: «مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين، تعبر إلى هذه مرة، وإلى هذه مرة، ولا تدري أينهما تتبع» تفرد به مسلم. «وَمَنْ يُضِلِلْ اللَّهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ سَبِيلًا» [النساء: 88] أي: ومن صرفه عن طريق الهدى، فلن تجد له ولداً مرشداً؛ فإنه من يضل الله فلا هادي له، والمنافقون الذين أضلهم عن سبيل النجاة فلا هادي لهم، ولا منقذ لهم عما هم فيه، فإنه تعالى لا يُثَقِّبُ لحكمه، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

الآية (١٤٤): ينهى تعالى عباده المؤمنين عن اتحاد الكافرين أولياء من دون المؤمنين، يعني: مصاحبتهم ومصادقتهم ومناصحتهم وإسرار المودة إليهم، وإفشاء أحوال المؤمنين الباطنة إليهم؛ كما قال تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُتُؤَمِّنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن يَتَّخِذُوا مِن بَيْنِهِمْ مَوَدَّةً وَنِصْرًا﴾ [آل عمران: ٢٨] أي: يحذرکم عقوبته في ارتكابکم نبيه. ولهذا قال ههنا: ﴿أَرَأَيْدُونَ أَن يُصَلِّحُوا إِلَهُكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مِّثْلًا﴾ أي: حجة عليكم في عقوبته لإياکم. عن ابن عباس قوله: «سُلْطَانًا مِّثْلًا»: كل سلطان في القرآن حجة. وإسناده صحيح.

الآية (١٤٥): ثم أخبر تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ أي: يوم القيامة، جزاء على كفرهم الغليظ. قال ابن عباس: في أسفل النار. وقال غيره: النار دركات، كما أن الجنة درجات. عن أبي هريرة: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ قال: الدرك الأسفل بيوت لها أبواب تُطَبَّقُ عليهم، فتوقد من تحتهم ومن فوقهم. قوله: ﴿وَكُنَّ جَحَدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ أي: ينقذهم عما هم فيه، ويخرجهم من أليم العذاب.

الآية (١٤٦): ثم أخبر تعالى أن من تاب منهم في الدنيا تاب عليه، وقَبِلَ ندمه إذا أخلص في توبته وأصلح عمله، واعتصم بربه في جميع أمره، فقال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾ أي: بدلُوا الرياء بالإخلاص، فينتفعهم العمل الصالح وإن قلَّ. قوله: ﴿وَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: في زمرتهم يوم القيامة ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

الآية (١٤٧): ثم قال مُخْبِرًا عن غناه عما سواه، وأنه إنما يعذب العباد بذنوبهم، فقال: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَوَدَّعْتُمْ﴾ أي: أصلحتم العمل وآتممت بالله ورسوله ﴿وَوَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ أي: من شكر شكر له، ومن آمن قلبه به عَلِمَهُ، وجازاه على ذلك أوفر الجزاء.

آتاه الله من النبوة العظيمة، وخالفوه وكنبوه وعادوه وقتلوه، فسلط الله عليهم الذل الدنيوي الموصول بالذل الأخروي: ﴿وَضَرَبَ عَلَيْهِمُ الدِّلَّةَ وَآلَمَسْكَنَهُ وَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا يَتَعَسَّبُونَ عَلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: ٦١] في الدنيا والآخرة. قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ. وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ يعني بذلك: أمة محمد ﷺ؛ فإنهم يؤمنون بكل كتاب أنزل الله، وبكل نبي بعثه الله. ثم أخبر تعالى بأنه قد أعد لهم الجزاء الجزيل، والثواب الجليل، والعطاء الجميل، فقال: ﴿أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرُهُمْ﴾ على ما أمتوا بالله ورسله ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ أي: لدنوبهم، أي: إن كان لبعضهم ذنوب.

الآية (١٥٣-١٥٤): قال قتادة: سأل اليهود رسول الله ﷺ أن ينزل عليهم كتاباً من السماء، كما نزلت التوراة على موسى مكتوبة. قال ابن جريج: سألوه أن ينزل عليهم صُحُفًا من الله مكتوبة إلى فلان وفلان، بتصديقهم فيها جاءهم به! وهذا إنما قالوه على سبيل التعنت والعناد والكفر والإلحاد، ولهذا قال تعالى: ﴿فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَهُمْ ذَلِكَ فَقَالُوا إِنَّ اللَّهَ جَزَاءُ جَزَاءٍ فَأَخَذَتْهُمُ الضُّعْفَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾ أي: بظغبتهم وبغيهم، وعُتُوهم وعنادهم. ﴿ثُمَّ اتَّخَذُوا الْوَيْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ أَلَيَيْنَتْ﴾ أي: من بعد ما رأوا من الآيات الباهرة والأدلة القاهرة على يد موسى ﷺ في بلاد مصر وما كان من إهلاك عدو الله فرعون وجميع جنوده في اليم، فما جاوزوه إلا يسيراً حتى أتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم، فقالوا لموسى: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الآين: ١٣٨-١٣٩]. ثم ذكر تعالى قصة اتخاذهم العجل مبسولة في سورة «الأعراف» وفي سورة «طه» بعد ذهاب موسى إلى مناجاة الله عز وجل، ثم لما رجع وكان ما كان، جعل الله توبتهم من الذي صنعوه وابتدعوه: أن يقتل من لم يعبد العجل منهم من عبك، فجعل بعضهم يقتل بعضاً، فقال الله عز وجل: ﴿فَقَعَوْا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا﴾. قوله: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيزَانِهِمْ﴾ وذلك حين امتنعوا عن الالتزام بأحكام التوراة، وظهر منهم إباء عما جاءهم به موسى ﷺ، رفع الله على رؤوسهم جبلاً، ثم ألزموا فالتمزوا وسجدوا، وجعلوا ينظرون إلى فوق رؤوسهم خشية أن يسقط عليهم؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ نُنَّا الْجِبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ [الأعراف: ١٧١].

قوله: ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ أي: فخالقوا ما أمروا به من القول والفعل؛ فإنهم أمروا أن يدخلوا باب بيت المقدس سُجَّدًا، وهم يقولون: حطة. أي: خطئ اللهم عنا ذنوبنا في تركنا الجهاد ونكولنا عنه، حتى نُثَنَّا في التَّيَّةِ أربعين سنة. فدخلوا يزحفون على أستاههم، وهم يقولون: حنطة في شمرة!

قوله: ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَقْدُوا فِي السَّبْتِ﴾ أي: وصيناهم بحفظ السبت والتزام ما حرم الله عليهم ما دام مشروعاً لهم ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُمُ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ أي: شديداً، فخالقوا وعَصَوْا وتحيلوا على ارتكاب مناهي الله عز وجل.

الآية (١٤٨): قال عن ابن عباس: لا يجب الله أن يدعو أحد على أحد، إلا أن يكون مظلوماً، فإنه قد أرخص له أن يدعو على من ظلمه، وذلك قوله: ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾، وإن صبر فهو خير له. وقال الحسن البصري: لا يدع عليه، وليلق: اللهم أعني عليه، واستخرج حقي منه. وقال عبد الكريم بن مالك الجزري في هذه الآية: هو الرجل يشتمك فتشتمه، ولكن إن افرى عليك فلا تغتر عليه؛ لقوله: ﴿وَلَمَّا أَتَيْنَا بِدَنَّا عَلَيْهِمْ وَأُولَئِكَ مَا عَثَمْتَ مِنْ سَبِيلٍ﴾ [النور: ٤١]، عن أبي هريرة أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: إن لي جاراً يؤذيني، فقال له: «أخرج متاعك فضعه على الطريق». فأخذ الرجل متاعه فطرحه على الطريق، فجعل كل من مر به قال: ما لك؟ قال: جاري يؤذيني. فيقول: اللهم العنه، اللهم أخزه. قال: فقال الرجل: ارجع إلى منزلك، وقال: لا أؤذيك أبداً [رواه أبو داود، قال الألباني: حسن صحيح].

الآية (١٤٩): ﴿إِنْ تَبَدُّوا حَيْثُ أَوْ تَخَفُوا أَوْ تَعْتَمُوا عَنْ سَوْءِ قَوْلِ اللَّهِ كَانَ عَفْوَ قَدِيرًا﴾ أي: إن تظهروا -أيها الناس- خيراً، أو أخفيتموه، أو عفوتم عمن أساء إليكم، فإن ذلك مما يقربكم عند الله، ويمحز ثوابكم لديه؛ فإن من صفاته تعالى أن يعفو عن عباده مع قدرته على عقابهم. وفي الحديث الصحيح: «ما نقص مال من صدقة، ولا زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً، ومن تواضع لله رفعه الله» [رواه مسلم].

الآية (١٥٠-١٥٢): يتوعد تبارك وتعالى الكافرين به وبرسله من اليهود والنصارى؛ حيث قرءوا بين الله ورسله في الإيمان، فآمنوا ببعض الأنبياء وكفروا ببعض بمجرد التشهي والعادة وما ألَّفوا عليه آبائهم، لا عن دليل قادم إلى ذلك؛ فإنه لا سبيل لهم إلى ذلك بل بمجرد الهوى والعصية. والمقصود: أن من كفر بنبي من الأنبياء فقد كفر بسائر الأنبياء؛ فإن الإيمان واجب بكل نبي بعثه الله إلى أهل الأرض، فمن رد نبوته للحسد أو العصبية أو التشهي تبين أن إيمانه بمن آمن به من الأنبياء ليس إيماناً شرعياً، إنما هو عن غرض وهوى وعصية؛ ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ. فَوَسَّيْنَاهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ. أَتَى فِي الْإِيمَانِ وَيَقُولُونَ تَزَوَّجْ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ أي: طريقاً ومسلكاً. ثم أخبر تعالى عنهم، فقال: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ أي: تُكْفَرهم بحق لا محالة بمن أَدَعُوا الإيمان به؛ لأنه ليس شرعياً؛ إذ لو كانوا مؤمنين به لكونه رسول الله ﷺ لآمنوا بنظيره، وبمن هو أوضح دليلاً وأقوى برهاناً منه، لو نظروا حق النظر في نبوته. وقوله: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ أي: كما استهانوا بمن كفروا به، إما لعدم نظرهم فيما جاءهم به من الله، وإعراضهم عنه وإقبالهم على جمع حطام الدنيا، مما لا ضرورة بهم إليه، وإما بكفرهم به بعد علمهم بنبوته؛ كما كان يفعله كثير من أجداد اليهود في زمان رسول الله ﷺ؛ حيث حسدوه على ما



## ● الوقفات التدريبية

﴿ لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ نَجِيمًا عِلِيمًا ﴾  
(إلا من ظلم، أي: إلا جهر المظلوم؛ فيجوز له من الجهر أن يدعوا على من ظلمه، وقيل: أن يذكر ما فعل به من الظلم، وقيل: أن يرد عليه بمثل مظلّمته إن كان شتمه. ابن جزي: ٢١٦/١).

السؤال: متى يجوز الجهر بالسوء؟

﴿ لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ ﴾

ويدل مفهومها: أنه يجب الحسن من القول؛ كالذكر، والكلام الطيب اللين. السعدي: ١١٢.

السؤال: وضع من خلال الآية كيف عرفنا أن الله يحب الكلام الحسن.

﴿ لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ نَجِيمًا عِلِيمًا ﴾

ورخص الله للمظلوم الجهر بالقول السيئ ليشفي غضبه، حتى لا يثوب إلى السيف أو إلى البطش باليد. ابن عاشور: ٦٧/١.

السؤال: من حكمة الشرع دفع الشر الأكبر بشر أقل منه، وضح ذلك من خلال الآية.

﴿ إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ أَوْ تُعْمَلُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا قَدِيرًا ﴾

الآية ترغيب في فعل الخير سرا وعلانية، وفي العفو عن الظلم بعد أن أباح الانتصار؛ لأن العفو أحب إلى الله من الانتصار، وأكد ذلك بوصفه تعالى نفسه بالعفو مع القدرة. ابن جزي: ٢١٦/١.

السؤال: العفو والانتصار أيهما الجائز، وأيهما المستحب عند الله؟

﴿ أَوْ تُعْمَلُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا قَدِيرًا ﴾

(أو تعفوا عن سوء) أي: عمن ساءكم به أيدانكم، وأموالكم، وأعراضكم، فتسمحوا عنه؛ فإن الجزاء من جنس العمل، فمن عفا الله عفا الله عنه، ومن أحسن أحسن الله إليه ... وفي هذه الآية إرشاد إلى التفقه في معاني أسماء الله وصفاته، وأن الخلق والأمر صادر عنها، وهي مقتضية له؛ ولهذا يعلل الأحكام بالأسماء الحسنی، كما في هذه الآية السعدي: ٢١٧.

السؤال: لماذا تعلل الأحكام غالباً في آيات القرآن الكريم بأسماء الله الحسنی؟

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يُتْرَكُوا مِنْ اللَّهِ وَيُقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ السَّمَاءِ قَدَسَاءُ مَوْسَى أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ سَيِّلاً أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴾

يتوعد تبارك وتعالى الكافرين به وبرسله من اليهود والنصارى؛ حيث فرّقوا بين الله ورسله في الإيمان؛ فأمّنوا ببعض الأنبياء، وكفروا ببعض بمجرد التشبه والعادة وما ألفوا عليه آبائهم، لا عن دليل قاهرهم إلى ذلك؛ فإنه لا سبيل لهم إلى ذلك، بل بمجرد الهوى والعصبيّة. ابن كثير: ٥٤١/١.

السؤال: وضحت الآية حكم من يدعي الإيمان بالله دون رسله، أو ببعض الرسل دون بعض، بين ذلك.

﴿ يَسْتَأْذِنُ أَهْلَ الْكِتَابِ أَنْ تَنْزَلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَأَيْتَ اللَّهُ جَهْرًا فَأَخَذَتْهُمُ الضُّعُفَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ أَخَذُوا الْوَجَلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ أَنْبَأَتْهُمْ عَنْ ذَلِكَ وَأَتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا ﴾

الرسول لا تجيء بإجابة مقترحات الأمم في طلب المعجزات؛ بل تأتي المعجزات بإرادة الله تعالى عند تحدي الأنبياء، ولو أجاب الله المقترحين إلى ما يقترحون من المعجزات لجعل رسله بمنزلة المشعوذين ... إذ يتلقون مقترحات الناس في المحافل والمجامع العامة والخاصة، وهذا مما يحط من مقدار الرسالة. ابن عاشور: ١٤/١.

السؤال: الآية الكريمة تسلية للنبي ﷺ، بين ذلك.

﴿ لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴾  
﴿ إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ أَوْ تُعْمَلُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا قَدِيرًا ﴾  
﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يُتْرَكُوا مِنْ اللَّهِ وَيُقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ السَّمَاءِ قَدَسَاءُ مَوْسَى أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ سَيِّلاً أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴾  
﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجُورُهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفْوًا رَحِيمًا ﴾  
﴿ يَسْتَأْذِنُ أَهْلَ الْكِتَابِ أَنْ تَنْزَلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَأَيْتَ اللَّهُ جَهْرًا فَأَخَذَتْهُمُ الضُّعُفَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ أَخَذُوا الْوَجَلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ أَنْبَأَتْهُمْ عَنْ ذَلِكَ وَأَتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا ﴾  
﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِثْقَلِهِمْ وَقَالُوا اللَّهُمَّ أَذْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
الطور	جَبَلًا بَسِيئًا.
لا تعدوا	لا تعتدوا.

## ● العمل بالآيات

- اجعل كل كلماتك اليوم طيبة جميلة؛ ككلمات الترحيب والاحتفاء، وذكر الله تعالى والدعوة للخير حتى تكون لك عادة؛ فإن الله يحب ذلك، ﴿ لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ نَجِيمًا عِلِيمًا ﴾.
- تذكر كلمة سيئت تعود عليها لسانك، واستبدل بها كلمة جميلة، ثم عود لسانك عليها، ﴿ لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ نَجِيمًا عِلِيمًا ﴾.
- اعف اليوم عمن ظلمك بقول، أو فعل ونحوه؛ فإنك إذا عفوت عفا الله عنك، ﴿ إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ أَوْ تُعْمَلُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا قَدِيرًا ﴾.

## ● التوجيهات

- الإيمان عقيدة وأدب وسلوك، ﴿ لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ نَجِيمًا عِلِيمًا ﴾.
- استحياب المداومة على قول الخير، مع استشعار أن الله يسمعك، ﴿ لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ نَجِيمًا عِلِيمًا ﴾.
- العفو عن الآخرين سبب لعفو الله عنك، ﴿ إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ أَوْ تُعْمَلُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا قَدِيرًا ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿فَمَا تَقْضِيهِمْ مِيشَقَهُمْ وَكُفْرَهُمْ بِكَابَتْ اللَّهُ وَقَلْبُهُمُ الْآيَةُ بِمَرِّ حَتَّى وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَعَّ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا غِيلًا﴾  
وهذه الطريقة من أحسن الطرق لحاجة الخصم البطل، وهو أنه إذا صدر منه من الاعتراض الباطل ما جعله شبهة له وغيره في رد الحق أن يبين من حاله الخبيثة وأفعاله الشنيعة ما هو من أفعاب ما صدر منه، ليعلم كل أحد أن هذا الاعتراض من ذلك الوادي الخسيس، وأن له مقدمات يجعل هذا معها. السعدي: ٢١٤.

السؤال: يبين الآية طريقة من طرق الرد على المفسدين، وضحاها.

﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ﴾  
أي: هذا الذي يدعي نفسه هذا المنصب قتلناه، وهذا منهم من باب التهم والاستهزاء: كقول المشركين: (يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لنجنون) الحجر: ٦٩. ابن كثير: ٥٤٣.

السؤال: ذكرت الآية أن اليهود جمعوا بين كبيرتين، فما هما؟

﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾

عند الله في جملة قبائحهم قولهم: (إننا قتلنا المسيح) لأنهم قالوها افتخارا وجرا، مع أنهم كذبوا في ذلك، ولزمهم الذنب، وهم لم يقتلوه؛ لأنهم صلبوا الشخص الذي اتقى عليه شبهه، وهم يعتقدون أنه عيسى. ابن جزي: ٢١٧.

السؤال: ما وجه ذكر ما زعمه اليهود من قتلهم للمسيح من جملة قبائحهم مع كونهم لم يقتلوه؟

﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾  
(وما قتلوه وما صلبوه)، رد عليهم وتذكير لهم وللنصارى أيضا في قولهم: إنه صلب؛ حتى عبدا الصليب من أجل ذلك والعجب كل العجب من تناقضهم في قولهم: إنه إله، أو ابن إله، ثم يقولون: إنه صلب. ابن جزي: ٢١٧/١.

السؤال: بين تناقض النصارى في عقيدتهم من خلال الآية.

﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾  
لأنه لما عز فقد حق لعزه أن يعز أوليائه، ولما كان حكيما فقد اتقن صنع هذا الرفع، فجعله فتنة للكافرين، وتبصرة للمؤمنين. ابن عاشور: ٢٤/٦.

السؤال: ما مناسبة ختم الآية الكريمة بقوله تعالى: (وكان الله عزيزا حكيما)؟

﴿فَقِيلَ مِنْ الْقَوْمِ هَذَا خُرْمًا عَلَيْهِمْ طَبِئَتْ أُحُدٌ لَهُمْ وَبَصَدَهُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كِبِيرًا﴾  
أخبر تعالى أنه حرم على أهل الكتاب كثيرا من الطيبات التي كانت حلالا عليهم، وهذا تحريم عقوبة؛ بسبب ظلمهم واعتدائهم، وصلبهم الناس عن سبيل الله، ومنعهم إياهم من الهدى، وبأخذهم الربا وقد نهوا عنه؛ فتمنعوا المحتاجين ممن يبايعونه عن العدل، فاعجبهم الله من جنس فعلهم، فمنعهم من كثير من الطيبات التي كانوا بصدد حلها لكونها طيبة. وأما التحريم الذي على هذه الأمة فإنه تحريم تنزيه لهم عن الخبائث التي تضرهم في دينهم ودنياهم. السعدي: ٢١٤.

السؤال: ما الفرق بين المحرمات علينا والمحرمات على اليهود؟

﴿لَكِنَّ الْرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُسْتَوْفِينَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾

لما ذكر معاني أهل الكتاب، ذكر المدحيين منهم فقال: (تكن الراسخون في العلم) أي: الذين ثبت العلم في قلوبهم، ورسخ الإيقان في أفئدتهم؛ فأشهر لهم الإيمان التام العام (بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك)، وأشهر لهم الأعمال الصالحة من: إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة اللذين هما أفضل الأعمال، وقد اشتملتا على الإخلاص للمعبود والإحسان إلى العبيد. السعدي: ٢١٤.

السؤال: كيف تعرف الراسخين في العلم من غيرهم من العلماء؟

﴿فَمَا تَقْضِيهِمْ مِيشَقَهُمْ وَكُفْرَهُمْ بِكَابَتْ اللَّهُ وَقَلْبُهُمُ الْآيَةُ بِمَرِّ حَتَّى وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَعَّ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا غِيلًا﴾  
﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾  
﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾  
﴿وَأَنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنُوا بِهِ مِنْ قَبْلِ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾  
﴿فَقِيلَ مِنْ الْقَوْمِ هَذَا خُرْمًا عَلَيْهِمْ طَبِئَتْ أُحُدٌ لَهُمْ وَبَصَدَهُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كِبِيرًا﴾  
﴿وَأَخَذَهُمُ الزُّبُرُ وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْبَهُمْ آمُورَ النَّاسِ بِالْأَيْدِي وَالْأَعْيُنِ وَاللَّكْفَرِينَ مِنْهُمْ عَدَا أَيْمًا﴾  
﴿لَكِنَّ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُسْتَوْفِينَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
غُلْفٌ	مُغَطَّةٌ.
الرَّاسِخُونَ	الْمُتَمَكِّنُونَ.

## ● العمل بالآيات

١. سل الله تعالى صلاح قلبك، واستعد بالله من أن يُطع عليه؛ فإن من طبع على قلبه أصبح في عمى، وحيرة، وضلال، ﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَعَّ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا غِيلًا﴾.
٢. اكتب بعضاً من جرائم اليهود، ثم أرسلها في رسالة لتحذر من شرهم، ﴿فَمَا تَقْضِيهِمْ مِيشَقَهُمْ وَكُفْرَهُمْ بِكَابَتْ اللَّهُ وَقَلْبُهُمُ الْآيَةُ بِمَرِّ حَتَّى وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَعَّ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا غِيلًا﴾.
٣. أرسل رسالة تدافع فيها عن العلماء والدعاة والصالحين؛ فإن الله يدافع عن أوليائه وأهل طاعته، ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾ ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾.

## ● التوجيهات

١. قذف الحصانات من الكبار السبع الموبقات، ﴿وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾.
٢. اجتهد في طلب العلم وتحصيله وزيادة الإيمان لتكون من أهل الرسوخ فيه، ﴿لَكِنَّ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾.
٣. كثر تأكيد القرآن على الصلاة والزكاة، فأحرص عليهما، ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾.

نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة خيراً من الدنيا وما فيها». ثم يقول أبو هريرة: أقرأوا إن شئتم: ﴿وَأَنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنُوا بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [متفق عليه]. «وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا» أي: بأعمالهم التي شاهدها منهم قبل رفعه إلى السماء وبعد نزوله إلى الأرض. قال قتادة: يشهد عليهم أنه قد بلغهم الرسالة من الله، وأقر بالعبودية لله عز وجل. وهذا كقوله تعالى في آخر سورة المائدة: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ لِيُوسَى ابْنِ مَرْيَمَ مَاتَ قُلْتُ لِلنَّاسِ امْنَحُونِي وَاجْعَلْ لِي آيَةً مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿الْمَرْبُورُ لِكَيْفِكَ﴾ [المائدة: ١١٦-١١٨].

الآية (١٦٠-١٦١): يخبر تعالى أنه بسبب ظلم اليهود بما ارتكبه من الذنوب العظيمة، حرم عليهم طيبات كان أحلها لهم. وهذا التحريم قد يكون قدرتها، بمعنى: أنه تعالى قيضهم لأن تأولوا في كتابهم، وحرّفوا وبدّلوا أشياء كانت حلالاً لهم، فحرّموها على أنفسهم، تشديداً منهم على أنفسهم وتضييقاً وتطعناً. ويحتمل أن يكون شرعياً، بمعنى: أنه تعالى حرم عليهم في التوراة أشياء كانت حلالاً لهم قبل ذلك، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِلنَّاسِ إِذْ أَنْزَلْنَاهُ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَئِيلَ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنْزَلَ التَّوْرَةُ﴾ [آل عمران: ٩٣]. ولهذا قال: ﴿فَيُظَاهَرُ مِنَ الذِّكْرِ هَادُوا حَرَمًا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٌ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدْرِهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ أي: صدّوا الناس وصدّوا أنفسهم عن اتباع الحق. وهذه سجيّة لهم متصفون بها من قديم الدهر وحديثه؛ ولهذا كانوا أعداء الرسل، وقتلوا خلقاً من الأنبياء، وكذبوا عيسى ومحمداً صلوات الله وسلامه عليهما. قوله: ﴿وَأَخَذَهُمُ الرَّبُّوا وَقَدْ تَنَبَّأُوا عَنْهُ﴾ أي: أن الله قد ناهم عن الربا فتناولوه وأخذوه، واحتالوا عليه بأنواع من الخيل وصنوف من الشبه، وأكلوا أموال الناس بالباطل. قال الله تعالى: ﴿وَأَعَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

الآية (١٦٢): ﴿لَيْسَ مِنَ الْكُفَّارِ الْوَلِيُّ وَمَنْ يَكُنْ مِنَ الْكُفَّارِ يَكُنْ مِنَ الْكُفَّارِ﴾ أي: الذين لهم قدم راسخة في العلم النافع. ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ عطف على الراسخين. وخبره ﴿يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾. قال ابن عباس: أنزلت في عبد الله بن سلام، وثعلبة بن سَعْيَةَ، وزيد بن سَعْيَةَ، وأسد بن عُبيد، الذين دخلوا في الإسلام، وصدّقوا بما أرسل الله به محمداً ﷺ. قوله: ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ أَصْلَحُوا﴾ قال بعضهم: هو منصوب على المدح؛ كما جاء في قوله: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ يَهْتَدُونَ إِذَا عَمَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالْفُسْخَاءِ وَسِينَ الْكُنُوفِ الَّذِينَ سَدُّوا﴾ [البقرة: ١٧٧]، قالوا: وهذا سائح في كلام العرب.

وقال آخرون: هو مخفوض عطفًا على قوله: ﴿بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾؛ يعني: وبالقيمين الصلاة؛ وكأنه يقول: وبإقامة الصلاة، أي: يعترفون بوجوبها وكتابتها عليهم. ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ أَزْكَوَّةٌ﴾ يُحْتَمَلُ أَنْ يكون المراد: زكاة الأموال، ويحتمل زكاة النفوس، ويحتمل الأمرين. ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ أي: يصدقون بأنه لا إله إلا الله، ويؤمنون بالبعث بعد الموت، والجزاء على الأعمال خيرها وشرها. وقوله: ﴿أُولَئِكَ﴾ هو الخبر عما تقدم ﴿سَيُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ يعني: الجنة.

الآية (١٥٥-١٥٦): هذه من الذنوب التي ارتكبوها مما أوجب لعنتهم وطردهم وإبعادهم عن الهدى؛ وهو نقضهم المواثيق والمعهود التي أخذت عليهم، ﴿وَوَكَّرَهُمْ بِكَائِدِ اللَّهِ﴾ أي: خبجه وبراهينه، والمعجزات التي شاهدها على أيدي الأنبياء عليهم السلام.

﴿وَقَوْلِهِمْ الْأَنْبِيَاءُ بِمَعْرِجَةٍ﴾ وذلك لكثرة إجرامهم واجترانهم على أنبياء الله؛ فأنهم قتلوا جمًّا غفيرًا من الأنبياء عليهم السلام. ﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ قال ابن عباس: أي في غطاء، وهذا كقول المشركين: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكْثَبَةٍ مِمَّا نَدْعُوهُ إِلَّا إِلَهُ﴾ [نصبت: ٥٠]. قوله: ﴿بِكُلِّ طَبَعٍ اللَّهُ عَلَيْنَا يَكْفُرُهُمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: مرّدت قلوبهم على الكفر والطغيان وقلة الإيمان. قوله: ﴿وَيَكْفُرُهُمْ﴾ وقولهم على مريم بنتها عظيمًا. قال ابن عباس: يعني أنهم رموها بالزنا. وهو ظاهر من الآية: أنهم رموها وابنها بالعظائم، فعملوها زانية، قد حلت بولدها من ذلك.

الآية (١٥٧-١٥٩): ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ﴾ أي: هذا الذي يدعي لنفسه هذا المنصب قتله. وهذا منهم من باب الحكم والاستهزاء؛ كقول المشركين: ﴿بَنَاتُنَا الَّذِي نُنْزِلُ عَلَيْهِ الذِّكْرَ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر: ٦]. وقد أوضح الله الأمر وجلّاه وبينه وأظهره في القرآن العظيم، الذي أنزله على رسوله الكريم، المؤيد بالمعجزات والبيانات والدلائل الواضحات؛ فقال تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ أي: رأوا شبهه فظنّوه إياه؛ ولهذا قال: ﴿وَرَأَى الَّذِينَ آخَلَفُوا فِيهِ لَبِئْسَ مَا كَفَرُ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا أَنْفَاجُ الظَّنِّ﴾ يعني بذلك: من ادّعى قتله من اليهود، ومن سلّمه من جهال النصارى، كلهم في شك من ذلك وحيرة وضلال وسعير. ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ أي: وما قتلوه متيقنين أنه هو، بل شاكين متوهمين. قوله: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْنَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ أي: منيع الجانب لا يُرام جنباه، ولا يُضام من لاذّ بياحه ﴿حَكِيمًا﴾ أي: في جميع ما يقدره ويقضيه من الأمور التي يخلقها وله الحكمة البالغة، والحجة الدامغة، والسلطان العظيم، والأمر القديم. قوله: ﴿وَأَنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنُوا بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ قال ابن جرير: اختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم: يعني يعيسى ﴿قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ يعني: قبل موت عيسى؛ يُوجَّه ذلك إلى أن جميعهم يصدقون به إذا نزل لقتل الدجال، فتصير للملئ كلها واحدة، وهي ملة الإسلام الخنفيه، دين إبراهيم عليه السلام. ثم روى عن ابن عباس قال: قبل موت عيسى ابن مريم عليه السلام. هذا القول هو الحق. وقال آخرون: يعني بذلك: ﴿وَأَنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنُوا بِهِ﴾ يعني قبل موت الكتابي. وأولى هذه الأقوال بالصحة أنه لا يبقى أحد من أهل الكتاب بعد نزول عيسى عليه السلام إلا آمن به قبل موته، أي: قبل موت عيسى عليه السلام. ولا شك أن هذا الذي قاله ابن جرير هو الصحيح؛ لأنه المقصود من سياق الآي في تقرير بطلان ما ادّعته اليهود من قتل عيسى وصلبه، وتسليم من سلّم لهم من النصارى الجهلة ذلك، فأخبرت هذه الآية الكريمة أنه يؤمن به جميع أهل الكتاب حيثن، ولا يتخلّف عن التصديق به واحد منهم.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والذي



الآية (١٦٦): لما تضمن قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ قَبْلِهِ﴾ [النساء: ١٦٣] إلى آخر السياق إثبات نبوته ﷺ والرد على من أنكر نبوته من المشركين وأهل الكتاب، قال تعالى: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَنْهَضُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ أي: وإن كفر به من كفر به من كذبك وخالفك؛ فالله يشهد لك بأنك رسوله الذي أنزل عليه الكتاب، وهو: القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد؛ ولهذا قال: ﴿أَنْزَلْنَاهُ بِعِلْمِهِ﴾ أي: فيه علمه الذي أراد أن يطلع العباد عليه، من البينات والهدى



## ● الوقفات التدريبية

﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَكِيمًا﴾

(لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل): يقول: أرسلت رسلي إلى عبادي مبشرين ومنذرين لئلا يحتج من كفر بي، وعبد الأنداد من دوني، أو ضل عن سبيلي، بأن يقول- إن أردت عقابي:- (لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى) (طه: ١٣٤). الطبري: ٤٠٧/٩. السؤال: بين تمام عدل الله من خلال هذه الآية.

﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَكِيمًا﴾

فالآية ظاهرة في أنه لا بد من الشرع، وإرسال الرسل، وأن العقل لا يغني عن ذلك الألوحي: ٢٦٣/٦.

السؤال: هل يمكن الاستغناء بالعقل عن الشرع؟ وضع ذلك من خلال الآية.

﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَكِيمًا﴾

(لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل): ولهذا لا يجوز قتال الكفار الذين لم تبلغهم الدعوة حتى يدعووا إلى الإسلام. ابن تيمية: ٣٧١/٢. السؤال: الدعوة والقتال أيهما أولاً؟

﴿لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِحُكْمِهِ﴾

عطاء بن السائب قال: أقراني أبو عبد الرحمن السلمي القرآن، وكان إذا قرأ عليه أحدنا القرآن قال: قد أخذت علم الله؛ فليس أحد اليوم أفضل منك إلا بعمل، ثم يقرأ قوله: (أنزله بعلمه). ابن كثير: ٥٥٧/١.

السؤال: ماذا بعد تلاوة آيات القرآن الكريم؟

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا﴾

(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) أي: جمعوا بين الكفر بأنفسهم وصدَّهم الناس عن سبيل الله؛ وهؤلاء هم أئمة الكفر ودعاة الضلال. (قد ضلُّوا ضلالاً بعيداً)، وأي ضلال أعظم من ضلال من ضل بنفسه وأضل غيره، فبما بالإشمين ورجع بالخسارتين وفاتته الهدياتان ... (لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا إِلَّا أَلْطَرِيقَ جَهَنَّمَ): وإنما تمدنت المغفرة لهم والهداية لأنهم استمروا في طغيانهم، وازدادوا في كفرانهم، فطبع على قلوبهم، وانسدت عليهم طرق الهداية بما كسبوا. السعدي: ٢١٥.

السؤال: من أشد الكفار عقوبة؟ ولماذا؟

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾

إِنَّ الَّذِينَ جَعَلُوا رَسُولَهُ مُحَمَّدٌ ﷺ كَفَرُوا بِاللَّهِ بِجُحُودِ ذَلِكَ، وظلموا بمقامهم على الكفر على علم منهم، بظلمهم عباد الله، وحسدا للرب، وبغيا على رسوله محمد ﷺ (لم يكن الله ليغفر لهم) يعني: لم يكن الله ليعفو عن ذنوبهم بتركه عقوبتهم عليها. الطبري: ٤١١/٩.

السؤال: نفى الله مغفرتهم عن هؤلاء لأسباب، فما هي؟

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾

وقد نفى عن الله أن يغفر لهم تحذيرا من البقاء على الكفر والظلم. ابن عاشور: ٤٧/٦.

السؤال: لماذا نفى الله سبحانه أن يغفر للذين كفروا؟

\* إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَلَمُتْنِي مِنْ بَعْدِهِ  
وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ  
وَأَلْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ  
وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زُكْرًا وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ  
مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ تَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى  
تَكْلِيمًا ١٣ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ  
لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَكِيمًا  
١٤ لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِحُكْمِهِ وَالْمَلَكُ  
يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ١٥ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا  
وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا ١٦ إِنَّ الَّذِينَ  
كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ  
طَرِيقًا ١٧ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ  
ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ١٨ يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَهُمُ الرُّسُولُ بِالْحَقِّ  
مِنْ رَبِّكَ فَتَأْمُرُ أَهْلَ الْكُفْرِ أَنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ  
مَافِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ١٩

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
وَالْأَسْبَاطِ	الْأَنْبِيَاءُ مِنْ وَلَدِ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، الَّذِينَ يُعْبَدُونَ فِي قِبَالِ بَنِي إِسْرَافِيلَ الْإِنْتَنِي عَشْرَةَ.

## ● العمل بالآيات

١. ابدا اليوم برنامجاً تقرأ أو تسمع فيه قصص الأنبياء، مبتدئاً بأولي العزم من الرسل، ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زُكْرًا﴾.
٢. أرسل رسالتك تحمل البشارة بالخير، وأخرى تحمل النذارة من الشر، ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾.
٣. اقرأ أو استمع إلى محاضرة من إجاز القرآن الكريم، ﴿لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِحُكْمِهِ وَالْمَلَكُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾.

## ● التوجيهات

١. أقام الله تعالى الحجة على عباده، وأعذر إليهم ببعثة الرسل، وإنزال الكتب، فليس لأحد عذر بعد ذلك، ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَكِيمًا﴾.
٢. هذا الكتاب فيه شيء من علم الله الذي أراد أن يطلع العباد عليه مما يحبه ويرضاه، وما يكرهه ويأباه، ﴿لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِحُكْمِهِ وَالْمَلَكُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾.
٣. الكافرون والظالمون لا يهديهم الله إلا إلى طريق واحد، وهو طريق جهنم؛ فما بال بعض الناس يتبعهم ويضرب بتقليدهم، ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿يَتَأَمَّلُ الْكِتَابَ لَا تَقُولُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾  
وخوطينا بعنوان أهل الكتاب تعريضا بانهم خالفوا كتابهم.  
ابن عاشور: ٥٠/٦.

السؤال: لماذا خوطب أهل الكتاب بهذا الوصف في الآية الكريمة؟

﴿يَتَأَمَّلُ الْكِتَابَ لَا تَقُولُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾  
الغلو في الدين أن يظهر المتدين ما يَفُوتُ الحد الذي حدد له الدين ...  
فاليهود طولبوا باتباع التوراة ومحبة رسولهم، فتجاوزوه إلى بغض  
الرسول؛ كعيسى ومحمد- عليهما السلام- والنصارى طولبوا باتباع  
المسيح فتجاوزوا فيه الحد إلى دعوى إلهيته أو كونه ابن الله، مع الكفر  
بمحمد ﷺ. ابن عاشور: ٥١/٦.

السؤال: ما حقيقة الغلو في الدين؟

﴿وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾  
وهذا الكلام يتضمن ثلاثة أشياء: أمرين منهي عنهما؛ وهما: قول الكذب  
على الله، والقول بلا علم به أسمائه وصفاته وأفعاله، وشرعه، ورسله،  
والثالث مأمور به، وهو: قول الحق في هذه الأمور. السعدي: ٢١٦.

السؤال: هذه الكلمات القليلة تضمنت معاني ضخمة وكبيرة، فما هي؟  
﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ  
وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكِبْ فَسَيَحْشُرْهُ إِلَهُ جَمِيعًا﴾

وجاء في الحديث عنه ﷺ: (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة  
من كبر)، فقال رجل: يا رسول الله، إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا  
ونعله حسنة، قال ﷺ: (إن الله جميل يحب الجمال، الكبر: بطن الحق  
وغمط الناس). الألبوسي: ٢٩٣/٦.

السؤال: ما تعريف الكبر؟ وما عاقبته؟ فقهك الله في دينه.  
﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ  
مِنْ فَضْلِهِ﴾

(ويزيدهم من فضله): من التضعيف ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا  
خطر على قلب بشر. البغوي: ٦٢٧/١.

السؤال: كيف يكون تضييع الجواز والزيادة في الجنة؟

﴿يَتَأْتِيَ النَّاسَ فَدَّجَاهُكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾  
(ربكم): والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضمير المخاطبين  
لإظهار اللطف بهم، والإيذان بأن مجيء ذلك لتربيتهم وتكميلهم.  
الألبوسي: ٢٩٥/٦.

السؤال: في لفظة (ربكم) نكتة لطيفة وفائدة جميلة، اذكرها وفقك  
الله للخير.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةِ مِّنَّةٍ  
وَقَفَّيْ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا﴾

أي: ومن لم يؤمن بالله، ويعتصم به، ويتمسك بكتابه منهم من رحمته،  
وحرّمهم من فضله، وخلق بينهم وبين أنفسهم؛ فلم يهتدوا، بل ضلوا  
ضلالاً مبيناً؛ عقوبة لهم على تركهم الإيمان، فصلت لهم الخيبة  
والحرمان. السعدي: ٢١٧.

السؤال: ما عقوبة من لم يؤمن بالله، ويعتصم به؟

يَتَأَمَّلُ الْكِتَابَ لَا تَقُولُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ  
اللَّهُ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ  
وَكَلِمَتُهُ وَأَلْفَهُمَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَتَأْمَنُوا بِاللَّهِ  
وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهَوْا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ  
إِلَهُ وَحْدٌ سُبْحَانَهُ وَأَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ  
وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٥٠﴾ لَنْ يَسْتَنْكِفَ  
الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ  
وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكِبْ فَسَيَحْشُرْهُ  
إِلَهُ جَمِيعًا ﴿٥١﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ  
اسْتَنْكَفُوا وَسَأَلُوا فِئَةً بِأَعْيُنِنَا فَوَاسِيَةٌ إِلَى يَسِيبَةٍ  
يُجَادُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ يَتَأْتِيَ النَّاسَ  
فَدَّجَاهُكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا  
﴿٥٣﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي  
رَحْمَةِ مِّنَّةٍ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا ﴿٥٤﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
لَا تَقُولُوا	لَا تَتَجَاوَزُوا الْإِعْتِقَادَ الْحَقَّ.
وَكَلِمَتُهُ	خَلَقَهُ بِالْكَلِمَةِ الَّتِي أَرْسَلَ بِهَا جِبْرِيلُ إِلَى مَرْيَمَ وَهِيَ: «كُنْ» فَكَانَ.
يَسْتَنْكِفُ	يَأْنَفُ، وَيَمْتَنِعُ.
بُرْهَانٌ	دَلِيلٌ صَادِقٌ، وَهُوَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

## ● العمل بالآيات

١. من خلال الآيات: عدد ثلاثة من اضرار الغلو في دين الله تعالى ومساوئه،  
﴿يَتَأَمَّلُ الْكِتَابَ لَا تَقُولُوا فِي دِينِكُمْ﴾.
٢. تأمل حال من عنده نوع من الغلو ثم استعد بالله من ذلك،  
﴿يَتَأَمَّلُ الْكِتَابَ لَا تَقُولُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾.
٣. أرسل رسالة تحذر فيها من العبارات المحرمة، ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ  
انْتَهَوْا خَيْرًا لَّكُمْ﴾.

## ● التوجيهات

١. احذر من القول على الله تعالى بلا علم؛ فإنه من اعظم المنكر والإثم،  
﴿وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾.
٢. أهل الإيمان أهل تواضع وذلة لله تعالى، ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ  
يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾.
٣. إذا أردت الهداية والنور فالزم طريق محمد ﷺ، ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسَ فَدَّجَاهُكُمْ  
بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾.

الأقانيم الثلاثة في المسيح، ويختلفون في كيفية ذلك وفي اللاهوت والناسوت على زعمهم! هل اتخذوا؟ أو ما اتخذوا بل امتزجوا، أو حل فيه؟ على ثلاث مقالات! وكل منهم يكفر الفرقة الأخرى، ونحن تكفر الثلاثة. ولهذا قال تعالى: ﴿أَتَتَّبِعُوا خَيْرَ لَكُمْ﴾ أي: يكن خيرا لكم ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ﴾ أي: تعالى وتقدس عن ذلك علوا كبيرا ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ أي: الجميع ملكه وخلقه، وجميع ما فيها عبيده، وهم تحت تدبيره وتصريفه، وهو وكيل على كل شيء، فكيف يكون له منهم صاحبة وولد؟!

الآية (١٧٢-١٧٣): عن ابن عباس قوله: ﴿أَنْ يَسْتَنكِفَ﴾: لن يستكبر. وقال قتادة: لن يحتشم ﴿الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾، وقد استدل بعض من ذهب إلى تفضيل الملائكة على البشر بهذه الآية؛ حيث قال: ﴿وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾، وليس له في ذلك دلالة؛ لأنه إنما عطف الملائكة على المسيح؛ لأن الاستكفاف هو الامتناع، والملائكة أقدر على ذلك من المسيح، ولا يلزم من كونهم أقوى وأقدر على الامتناع أن يكونوا أفضل. وقيل: إنما ذكروا لأنهم اتخذوا آلهة مع الله، كما اتخذ المسيح، فأخبر تعالى أنهم عبيد من عبيده وخلق من خلقه، كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِسا ثَمُودٌ﴾ [الأنبياء: ٢٦-٢٩]. ﴿وَمَنْ يَسْتَنكِفَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرْهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ أي: يجمعهم إليه يوم القيامة، ويفصل بينهم بحكمه العدل، الذي لا يبور فيه ولا يخيف. ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ يعني: فيعطيه من الثواب على قدر أعمالهم الصالحة، ويزيدهم على ذلك من فضله وإحسانه وسعة رحمته وامتنانه. ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا﴾ أي: امتنعوا من طاعة الله وعبادته واستكبروا عن ذلك ﴿فَيُعَذِّبُهُمُ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ أي: يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠] أي: صاغرين حقرين ذليلين، كما كانوا ممتنعين مستكبرين.

الآية (١٧٤-١٧٥): يقول تعالى مخاطبا جميع الناس، ومحبرا بأنه قد جاءهم منه برهان عظيم، وهو الدليل القاطع للنعز، والحجة المنزلقة للشبهة؛ ولهذا قال: ﴿وَأَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ أي: ضياء واضحا على الحق، قال ابن جرير: هو القرآن. ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ﴾ أي: جمعوا بين مقامي العبادة والتوكل على الله في جميع أمورهم. ﴿فَسَيُجَنِّبُهُمْ رَبُّهُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَفَضْلٍ﴾ أي: يرحمهم فيدخلهم الجنة ويزيدهم ثوابا ومضاعفة ورفعا في درجاتهم، من فضله عليهم وإحسانه إليهم ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ أي: طريقا واضحا قاصدا قواما لا اعوجاج فيه ولا انحراف. وهذه صفة المؤمنين في الدنيا والآخرة؛ فهم في الدنيا على منهاج الاستقامة وطريق السلامة في جميع الاعتقادات والعمليات، وفي الآخرة على صراط الله المستقيم المفضي إلى روضات الجنات.

الآية (١٧١): ينهى تعالى أهل الكتاب عن الغلو والإطراء، وهذا كثير في النصارى؛ فإنهم تجاوزوا الحد في عيسى، حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاها الله إياها، فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلهًا من دون الله يعبدونه كما يعبدونه، بل قد غلوا في أتباعه وأشياعه، من زعم أنه على دينه، فادَّعَوْا فيهم العصمة واتبعوه في كل ما قالوه، سواء كان حقا أو باطلا، أو ضلالا أو رشادا، أو صحيحا أو كذبا؛ ولهذا قال تعالى: ﴿أَتَحْكُمُونَ أَخْبَارَهُمْ وَرُفِعَتْهُمْ أَرْكَبًا بِتَرْتُوبٍ أَلَا اللَّهُ﴾ [التوبة: ٣١]. عن عمر: أن رسول الله ﷺ قال: «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم؛ فإنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله» [رواه البخاري].

﴿وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ أي: لا نفثروا عليه ونجعلوا له صاحبة وولدا؛ فلا إله إلا هو، ولا رب سواه؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْفَحَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحُ يَتَنَّهُ﴾ أي: إنما هو عبد من عباد الله، وخلق من خلقه، قال له: كن فكان، ورسول من رُسله، ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْفَحَا إِلَى مَرْيَمَ﴾ أي: خلقه بالكلمة التي أرسل بها جبريل عليه السلام إلى مريم، فنفض فيها من روحه بإذن ربه عز وجل، وكانت تلك النفخة التي نفخها في جيب دُرعها، فنزلت حتى ولجت فرجها، بمنزلة لقاح الأب الأم، والجميع مخلوق لله عز وجل؛ ولهذا قيل لعيسى: إنه كلمة الله وروح منه؛ لأنه لم يكن له أب تولد منه، وإنما هو ناشئ عن الكلمة التي قال له بها: كن، فكان. والروح التي أرسل بها جبريل، قال تعالى: ﴿فَمَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأَتَتْهُ صِدْقَةٌ كَنَّا يَكْفُلَانِ أَلْمَلَكُ﴾ [المائدة: ٧٥]. وقد قال مجاهد في قوله: ﴿وَرُوحُ يَتَنَّهُ﴾ أي: ورسول منه. وقال غيره: وعجة منه. والأظهر الأول، وهو: أنه مخلوق من روح مخلوقة، وأضيفت الروح إلى الله على وجه التشریف، كما أضيفت الناقة والبيت إلى الله في قوله: ﴿هَذِهِ نَاقَةُ آلِ اللَّهِ﴾ [هود: ٦٤]. وفي قوله: ﴿وَمَطَرٌ نَبِيٌّ لِلصَّالِحِينَ﴾ [الحج: ٢٦]. ﴿فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أي: فصدقوا بأن الله واحد أحد، لا ولد ولا صاحبة له، واعلموا وتيقنوا بأن عيسى عبد الله ورسوله؛ ولهذا قال: ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ﴾ أي: لا تجعلوا عيسى وأمه مع الله شريكين، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. وهذه الآية والتي تأتي في سورة المائدة: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثٌ ثَلَاثَةٌ وَكَانَ إِلَهُهُنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَحْدَهُ﴾ [المائدة: ٧٣]. وكما قال في آخر السورة المذكورة: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ لِيُوسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّبِعُونِي وَأَطِئُوا أَوْحَايَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا سُبْحَانَكَ﴾ [المائدة: ١١٦]. وقال في أولها: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ٧٢]. فالنصارى من جهلهم ليس لهم ضابط، ولا لكفرهم حد، بل أقوالهم وضلالهم منتشر؛ فمنهم من يعتقد إلهًا، ومنهم من يعتقد شريكا، ومنهم من يعتقد ولدا. وهم طوائف كثيرة، لهم آراء مختلفة، وأقوال غير مؤتلفة. وكل هذه الفرق تثبت

الآية (١٧٦): عن البراء قال: آخر سورة نزلت: «براءة»، وآخر آية نزلت: ﴿سَمِعْتُمْكَ﴾ [رواه البخاري]. [سبب النزول]: عن جابر قال: دخل علي رسول الله ﷺ وأنا مريض فقلت: إنه لا يرثني إلا كلاله، فكيف الميراث؟ قال: فَنَزَلَتْ آيَةُ الْفَرَاغِ [منفرد عليه]. والكلالة مأخوذة من الإكليل الذي يحيط بالرأس من جوانبه؛ ولهذا فسرها أكثر العلماء: بمن يموت وليس له ولد ولا والد. قال عمر: ما سألت رسول الله ﷺ عن شيء أكثر مما سأله عن الكلالة، حتى طعن بأضبعه في صدري، وقال: «يكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء» [رواه مسلم مطولاً]. وكان المراد بآية الصيف: أنها نزلت في فصل الصيف، والله أعلم. ﴿إِنْ أَرَادَ هَٰذَاكَ﴾ أي: مات. ﴿لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ﴾ تمسك به من دُفِعَ إلى أنه ليس من شرط الكلالة انتفاء الوالد، بل يكفي في وجود الكلالة انتفاء الولد، وهو رواية عن عمر بن الخطاب [رواه ابن جرير عنه بإسناد صحيح]. ولكن الذي رجح إليه هو قول الجمهور وقضاء الصديق: أنه مَنْ لا ولد له ولا والد، ويدل على ذلك قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُ أَخَذَ فَلَهَا يَصِفُ مَا رَزَكَ﴾، ولو كان معها أب لم ترث شيئاً؛ لأنه يحجبها بالإجماع؛ لأن الأخت لا يُفَرِّضُ لها النصف مع الوالد، بل ليس لها ميراث بالكلية. ﴿وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ﴾ أي: والأخ يرث جميع ما لها إذا ماتت كلالة، وليس لها ولد، ولا والد؛ لأنه لو كان لها والد لم يرث الأخ شيئاً. ﴿فَإِنْ كَانَتْ أُمَّتَيْنِ فَلَهُمَا اثْنَتَانِ بِمَا رَزَكَ﴾ أي: فإن كان لمن يموت كلالة اختان، ففرض لها الثلثان، وكذا ما زاد على الأخنتين في حكمها. ﴿وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ حِظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾ هذا حكم العَصَبَاتِ من البنين وبني البنين والإخوة، إذا جمعت ذكورهم وإناثهم، أعطِيَ الذكر مثل حظ الأنثيين. ﴿يَسِّرَ اللَّهُ لَكُمُ الْيُسْرَى﴾ أي: يفرس لكم فرائضه، ويُخَفِّضُ لكم حدوده، ويوضح لكم شرائعه. ﴿أَنْ تَضِلُّوا﴾ أي: لتلا تضلوا عن الحق بعد البيان ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ أي: هو عالم بعواقب الأمور ومصالحها وما فيها من الخير لعباده، وما يستحقه كل واحد من القربات بحسب قُربِه من التوفى.

#### تفسير سورة المائدة

وهي مدنية، [وعدد آياتها (١٢٠) آية]

عن أسماء بنت يزيد قالت: إني لأخذة بزمَامِ الْعَصْبَاءِ - ناقة رسول الله ﷺ - إذ نزلت عليه المائدة كلها، وكادت من ثقلها تَدُقُّ عَصَدُ الناقة [رواه أحمد، وحسن إسناده أحمد شاكر].

الآية (٢-١): عن ابن مسعود: إذا سمعت الله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فأزعيها سمعك، فإنه خيرٌ يُؤمر به، أو شرٌّ يُنهى عنه. ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد: يعني بالعقود: العهود. وحكى ابن جرير الإجماع على ذلك؛ قال: والمهود ما كانوا يتعاقدون عليه من الحلف وغيره. وعن ابن عباس: يعني: ما أحل الله وما حرم، وما قرض وما حد في القرآن كله، ولا تُفَدِّروا ولا تُنْكثُوا. ﴿أَحْلَلْتُ لَكُمْ بَيْعَةَ الْأَنْفُسِ﴾ هي: الإبل، والبقر، والغنم. قاله الحسن وقنادة وغير واحد. قال ابن جرير: وكذلك هو عند العرب. ﴿إِلَّا مَا بَيَّلَ عَلَيْكُمْ﴾ قال ابن عباس: يعني بذلك: الميتة والدم، ولحم الخنزير، وقال قنادة: يعني بذلك الميتة وما لم يذكر اسم الله عليه، والظاهر أن المراد بذلك قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمِئَةُ وَالَّذِي وَلَهُمُ الْفَرْزِيرُ وَمَا أَهْلُ بَيْتِهِ اللَّهُ بِهِ﴾ وَالْمَنْحَقَّةُ وَالْمَوْفُودَةُ وَالْمَرْذِيَّةُ وَالنَّعِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّعُعُ [المائدة: ٣٠] فإن هذه وإن كانت من الأنعام إلا أنها مُحَرَّمٌ بهذه العوارض؛ ولهذا قال: ﴿إِلَّا مَا

ذَكَيْتُمْ وَمَا دُيْعَ عَلَى النَّصَبِ﴾ [المائدة: ٣]. يعني: منها؛ فإنه حرام لا يمكن استدراكه وتلاخذه؛ ولهذا قال تعالى: ﴿أَحْلَلْتُ لَكُمْ بَيْعَةَ الْأَنْفُسِ إِلَّا مَا بَيَّلَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: إلا ما سبَّلت عليكم من تحريم بعضها في بعض الأحوال. ﴿غَيْرِ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾ قال بعضهم: هذا منصوب على الحال، والمراد من الأنعام: ما يعتم الإنسان من الإبل والبقر والغنم، وما يعتم الوحشي كالظباء والبقر والحمر، فاستثنى من الإنسي ما تقدّم، واستثنى من الوحشي الصيد في حال الإحرام. وقيل المراد: أحللنا لكم الأنعام في جميع الأحوال فَحَرَّمُوا الصَّيْدَ في حال الإحرام، فإن الله قد حَكَمَ بهذا، وهو الحكيم في جميع ما يأمر به وينهى عنه؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾. ثم قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحِلُّوا شَيْئًا سَعَىٰ اللَّهُ﴾ قال ابن عباس: مناسك الحج. وقال مجاهد: الصفا والمروة والهدني والبُدن من شعائر الله. وقيل: شعائر الله: حماره، أي: لا تحلُّوا تحارم الله التي حرَّمها تعالى؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَا الْكَبِيرَ الْحَرَامَ﴾ يعني بذلك تحريمه والاعتراف بتعظيمه، وترك ما نهى الله عن تعاطيه فيه، من الإبتداء بالقتال وتأكيد اجتناب المحارم، كما قال تعالى: ﴿يَسْتَأْذِنُكَ عَنْ أَكْثَرِ الْأَعْرَابِ قَاتِلَ فِيهِ قُلٌّ فَقَاتِلْ فِيهِ كَيْفَ﴾ [البقرة: ١٧٧]. وقال: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكََ الَّذِينَ أَفْسَمُوا لَا يُضِلُّوا فِيهِمْ أَنْفُسَهُمْ﴾ [التوبة: ٣٦]. وقال ابن عباس: يعني: لا تستحلوا قتالاً فيه. واختاره ابن جرير أيضاً، وذهب الجمهور إلى أن ذلك منسوخ، وأنه يجوز ابتداء القتال في الأشهر الحرم، واحتجوا بقوله: ﴿فَإِذَا أَتَيْتُمُ الْأَنْتَهَارَ لِلْحُرْمِ فَأَقْتُلُوا الْمُتَمَرِّكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥] قالوا والمراد أشهر التسيير الأربعة<sup>(١)</sup>، قالوا: فلم يستثن شهراً حراماً من غيره. ﴿وَلَا الْمَدَنَى وَلَا الْقَلْبَدَى﴾ يعني: لا تتركوا الإهداء إلى البيت الحرام؛ فإن فيه تعظيم شعائر الله، ولا تتركوا تقليديها في أعناقها لتمييز به عَمَّا عداها من الأنعام، وليُعلم أنها هَدْيٌ إلى الكعبة فيجتنبها من يريد بها بسوء، وتبعث من يراها على الإتيان بمثلها، وقال مقاتل بن حيان: ﴿وَلَا الْقَلْبَدَى﴾ فلا تستحلوا. ﴿وَلَا آيَاتِ الْكُرَامِ﴾ أي: ولا تستحلوا قتال القاصدين إلى بيت الله الحرام، فلا تصدوه ولا تمنعوه ولا تُبْجِهوه. قال مجاهد، وعطاء، وقنادة، وغير واحد في قوله: ﴿يَنْتَوُونَ فَضَلًا مِنْ رَبِّهِمْ﴾: التجارة. ﴿وَيُرِضُونَكَ﴾ قال ابن عباس: يَرْضُونَ الله بحجهم. ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ أي: إذا فرغتم من إحرامكم وأحللتم منه، فقد أُبْحِلْنَا لكم ما كان مُحَرَّمًا عليكم في حال الإحرام من الصيد. ﴿وَلَا يَجْرِمُكُمْ شَتَانٌ قَوْمٍ﴾ أي: لا يجعلكم بغض قوم قد كانوا صدوكم عن الوصول إلى المسجد الحرام، على أن تعتدوا حكم الله فيهم فَتَضَعُوا عنهم ظملاً وعدواناً، بل احكموا بما أمركم الله به من العدل؛ فإن العدل واجب على كل أحد في كل حال. والعدل به قامت السموات والأرض.

والشَّتان هو: البُغض. قاله ابن عباس وغيره.

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْإِيمِ وَالْقَوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ يأمر تعالى عباده المؤمنين بالمعاونة على فعل الخيرات، وهو البر، وترك المنكرات، وهو التقوى، وينهاهم عن التناصر على الباطل والتعاون على المأثم والمحارم.

(١) هي المنصوص عليها في قوله: ﴿فَيَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ [التوبة: ٢].



## ● الوقفات التدريبية

﴿يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

(والله بكل شيء عليم) أي: هو عالم بعواقب الأمور ومصالحها وما فيها من الخير لعباده، وما يستحقه كل واحد من القرايات بحسب قربه من المتوفى. ابن كثير: ٥٦٦/١.

السؤال: لماذا ختمت آية الكلالَةِ بقوله تعالى: (والله بكل شيء عليم)؟

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾

سورة المائدة أجمع سورة في القرآن لفروع الشرائع من التحليل والتحريم، والأمر والنهي. ابن تيمية: ٣٩١/٢.

السؤال: بم تميزت سورة المائدة؟

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾

لما أخبر تعالى في آخر سورة النساء أن اليهود لما نقضوا المواثيق التي أخذها عليهم حُرِّمَ عليهم طيبات أُجِلَّتْ لهم... ناسب افتتاح هذه بامر المؤمنين الذين اشتد تحذيره لهم منهم بالوفاء الذي جُلِّ مبناء القلب. البقاعي: ٣٨٤/٢.

السؤال: ما وجه ارتباط سورة المائدة بسورة النساء؟

﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾

أي: من تحليل وتحريم وغيرهما... فما فهمتم حكمته فذلك، وما لا فكلوه إليه، وارغبوا في أن يُلْهِمَكُمُ حُكْمَتَهُ. البقاعي: ٣٨٧/٢.

السؤال: في تنفيذ أوامر الله هل يلزم معرفة الحكمة منها؟ وضع ذلك

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا﴾

لا تحملنكم عداوة قوم على أن تعتدوا عليهم من أجل أن صدوكم عن المسجد الحرام، ونزلت عام الفتح حين ظفر المسلمون بأهل مكة: فأرادوا أن يستاصلوهم بالقتل؛ لأنهم كانوا قد صدوهم عن المسجد الحرام عام الحديبية، فنهاهم الله عن قتلهم. ابن جزي: ٢٢٣/١.

السؤال: في هذه الآية بيان أهمية العدل، وضع ذلك

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾

قال الماوردي: ندب الله سبحانه إلى التعاون بالبر وقرنه بالتقوى؛ لأن في التقوى رضا الله تعالى، وفي البر رضا الناس، ومن جمع بين رضا الله تعالى ورضا الناس فقد تمت سعادته وعمت نعمته. القرطبي: ٣٦٩/٧.

السؤال: كيف تتم سعادة العبد؟ بين ذلك من خلال هذه الآية.

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَنِ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾

(وتعاونوا على البر والتقوى)، وصية عامة، والفرق بين البر والتقوى أن البر عام في فعل الواجبات والمندوبات وترك المحرمات، وفي كل ما يقرب إلى الله، والتقوى في الواجبات وترك المحرمات دون فعل المندوبات؛ فالبر أعم من التقوى. ابن جزي: ٢٢٣/١.

السؤال: بين الفرق بين البر والتقوى.

يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنْ أَمَرُوا هَلْكَ لَيْسَ لَهُ، وَلَدٌ وَلَهُدَا حَتَّى فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ رُفْهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا أَثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الشَّكْلَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ٥٦٦

سُورَةُ الْمَائِدَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَيْعَتُهُ الْأَنْعَمُ إِلَّا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ عِزًّا مِثْلُ الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنْ اللَّهُ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ٥٦٦ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعِيرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَنْتَعُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَنِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ٥٦٦

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
الْكَلَالَةِ	مَنْ مَاتَ وَلَيْسَ لَهُ وَلَدٌ، وَلَا وَالِدٌ.
الْقَلَائِدَ	مَا قُلِدَ مِنَ الْهَدْيِ، حَيْثُ يُعْلَقُونَ النِّعَالَ وَغَيْرَهَا عَلَى رِقَابِهَا، غَلَامَةٌ عَلَى أَنَّهَا هَدْيٌ.
وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ	لَا يَحْمِلَنَّكُمْ.
شَنَاَنُ	بُغْضٌ.

## ● العمل بالآيات

- أشرح لأحد الناس أهمية سؤال أهل العلم عما أشكل دون غيرهم، ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾.
- راجع الأطعمة التي تأكلها واحذر الأطعمة المشتبهة والمحرمات، فإنها ضرر على الدين والعقل والجسم، ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَيْعَتُهُ الْأَنْعَمُ إِلَّا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ عِزًّا مِثْلُ الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾.
- اعرض خدماتك اليوم على مؤسسة إسلامية، أو جهة تساعد المحتاجين، ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَنِ﴾.

## ● التوجيهات

- من الإيمان أن يُسَلَّمَ المرء بالأحكام الشرعية ولا يعارضها ولا يجعل عقله حاكماً في التحليل والتحريم، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾.
- قال بعض السلف: ما عاملت من عصي الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه، ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا﴾.
- عود نفسك ألا تعين أحداً على معصية الله تعالى، ولا تمنع خيراً عن أحد في طاعة الله تعالى، ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَنِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَفَقَةُ وَالْمُتَرَدِّتَةُ وَالطَّيْحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْوَاجِ ﴾

واعلم أن الله - تبارك وتعالى - لا يحرم ما يحرم إلا صيانة لعباده، وحماية لهم من الضرر الموجود في المحرمات، وقد بينت للعباد ذلك، وقد لا يبين. السعدي: ٢١٩.

السؤال: هل يلزم لفعل العبادة أن تعرف الحكمة منها؟

﴿ الْيَوْمَ نَبِّئُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ ﴾

أي: لم يبق لكم ولا لأحد منكم عذر في شيء من إظهار الموافقة لهم، أو التستر من أحد منهم ... فإننا أخبركم - وأنتم عالون بسعة علمي - أن الكفار قد اضمحل قواهم، ومات همهم، وذلت نخوتهم، وضعفت عزائمهم، فانقطع رجائهم عن أن يغلبوكم، أو يستميلوكم إلى دينهم بنوع استمالة، فإنهم رأوا دينكم قد قامت منارته، وعلت في الجامع منابره. البقاعي: ٣٩٢/٢.

السؤال: لماذا نبش الكفار من دين الإسلام؟

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾

لما نزلت هذه الآية، بكى عمر - رضي الله عنه - فقال النبي ﷺ: (ما يبكيك يا عمر؟) فقال: إنا كنا في زيادة من ديننا، فإما إذا كمل فإنه لم يكمل شيء قط إلا نقص. قال: (صدقت). البغوي: ٦٣٦/١.

السؤال: ما الذي جعل عمر - رضي الله عنه - يبكي عندما تدبر هذه الآية؟

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾

ولهذا كان الكتاب والسنة كافيين لكل الكفاية في أحكام الدين؛ أصوله وفروعه، فكل متكلف يزعم أنه لا بد للناس في معرفة عقائدهم وأحكامهم إلى علوم غير علوم الكتاب والسنة من علم الكلام وغيره، فهو جاهل، مبطل في دعواه، قد زعم أن الدين لا يكمل إلا بما قاله، ودعا إليه، وهذا من أعظم الظلم والتجهيل لله ولرسوله. السعدي: ٢٢٠.

السؤال: من علامات أهل البدع التعمق في الكلام وغيره، والتساهل بالكتاب والسنة، وضع ذلك من الآية.

﴿ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِجِ مُكَيِّبِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا عَلَّمْتُمْ اللَّهُ ﴾

قوله: (تعلمونهم مما علمكم الله) حال ثانية ... قال صاحب الكشف: وفي تكرير الحال فائدة أن على كل أحد علما أن لا يأخذه إلا من أقتل أهله علما، وأنحرمه دراية، وأغوصهم على لطائفه وحقائقه، وإن احتاج إلى أن يضرب إليه أصباح الإبل؛ فكم من أخذ عن غير متقن قد ضيع أيامه، وعرض عند لقاء النحارير أنامله. ابن عاشور: ١١٥/٦.

السؤال: ما عاقبة من أخذ علمه من غير متقن؟

﴿ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِجِ مُكَيِّبِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا عَلَّمْتُمْ اللَّهُ فَكَلُوا بِمَا أَمْسَكْتُمْ عَلَيْكُمْ ﴾

وفي هذه الآية دليل على أن العالم له من الفضيلة ما ليس للجاهل؛ لأن الكلب إذا علم يكون له فضيلة على سائر الكلاب، فالإنسان إذا كان له علم أولى أن يكون له فضل على سائر الناس، لا سيما إذا عمل بما علم. القرطبي: ٣١٣/٧.

السؤال: بين ما يدل على فضل العلم وأهله من الآية.

﴿ إِذَا مَاتَ ثَمُودُ أَجْرُهُنَّ ﴾

وإضافة الأجور إليهن دليل على أن المرأة تملك جميع مهرها، وليس لأحد منه شيء، إلا ما سمحت به لزوجها، أو وليها، أو غيرها. السعدي: ٢٢٢.

السؤال: كيف دلت الآية على أن المرأة تملك مهرها؟

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَفَقَةُ وَالْمُتَرَدِّتَةُ وَالطَّيْحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْوَاجِ لَكُمْ دِينُكُمُ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ عَفُوٌّ رَحِيمٌ ٥ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَكُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ كُلُّ أَلْطِيبٍ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلَلٌ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلَلٌ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ وَلَا تَحْذَرُوا الْبَيْعَ وَلَا الْإِسْلَامَ قَدْ حِطَّ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْغَافِرِينَ ٦

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
وَالْمُنْخَفَقَةُ	هِيَ: الَّتِي حُبِسَ نَفْسُهَا حَتَّى مَاتَتْ.
وَالْمُتَرَدِّتَةُ	هِيَ: الَّتِي ضُرِبَتْ بِعَصَا أَوْ حَجَرٍ حَتَّى مَاتَتْ.
وَالطَّيْحَةُ	هِيَ: الَّتِي سَقَطَتْ مِنْ مَكَانٍ عَالٍ فَمَاتَتْ.
وَالنُّصُبُ	هِيَ: الَّتِي ضُرِبَتْهَا أُخْرَى بِقَرْنِهَا فَمَاتَتْ.

## ● العمل بالآيات

١. ادرس باب الأطعمة من أحد كتب الفقه؛ لتعلم ما يباح ويحرم؛ حتى تكون ممن طاب مطعمه فاجيب دعوته، ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ﴾.

٢. حدد مسائل أشكلت عليك في دينك، ثم اسأل عنها عالماً؛ فقد سأل الصحابة - وهم خيار الخلق رضي الله عنهم - رسول الله ﷺ، ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَكُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ كُلُّ أَلْطِيبٍ ﴾.

٣. ذكر من حولك اليوم بالتسمية قبل الأكل، ﴿ وَاذْكُرُوا أَنَّمَا أَلَلَّهُ عَلَيْهِ وَأَقْرَأُوا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾.

## ● التوجيهات

١. كل ما حرمه الله تعالى ففي تحريمه المصلحة العاجلة والأجلية، فكن مستمسكاً، راضياً بحكم الله تعالى، ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ﴾.

٢. من عظمة هذا الدين وحكمته أن جعل للضرورة أحكاماً تخصها، ﴿ فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ عَفُوٌّ رَحِيمٌ ﴾.

٣. حرمة الابتداع في الدين، والتشريع المناهض للشرع الإسلامي، ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾.

على هذه الأمة؛ حيث أكمل تعالى لهم دينهم، فلا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبي غير نبيهم ﷺ، فلما أكمل لهم الدين تمت عليهم النعمة؛ ولهذا قال: «وَأَمْسَتْ عَلَيْكُمْ يَمَعِي وَرَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا» أي: فارضوه أنتم لأنفسكم؛ فإنه الدين الذي أحبه الله ورضيه، وبعت به أفضل رسله الكرام، وأنزل به أشرف كتبه. قال ابن عباس: فلا يحتاجون إلى زيادة أبداً، وقد أتمه الله فلا ينقصه أبداً، وقد رضى الله فلا يسخطه أبداً. عن السدي: نزلت هذه الآية يوم عرفة، فلم ينزل بعدها حلال ولا حرام، ورجع رسول الله ﷺ فأت.

«فَمَنْ أَشْطَرُّ» أي: فمن احتاج إلى تناول شيء من هذه المحرمات؛ لضرورة الجأته إلى ذلك، فله تناول ذلك، «فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ رَحِيمٌ»؛ لأنه تعالى يعلم حاجة عبده المضطر، وانفتاره إلى ذلك، فيتجاوز عنه ويغفر له؛ عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى رَخْصَةً، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ تُؤْتَى مَعْصِيَةً» إرواه أحمد وصححه إسناده أحمد شاكر. وقوله: «غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِأَثَرٍ» أي: مُتَعَاظٍ لمَعْصِيَةِ اللَّهِ؛ فإن الله قد أباح ذلك له وسكت عن الآخر. وقد استدل بهذه الآية من يقول بأن العاصي لا يترخص بشيء من رُخْصِ السفر؛ لأن الرُخْصَ لا تآل بالمعاصي.

الآية (٤): لما ذكر تعالى ما حرمه في الآية المتقدمة من الخبائث الضارة لتناولها، إما في بدنه، أو في دينه، أو فيها، واستثنى ما استثناه في حالة الضرورة، كما قال: «وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرُّتُمْ بِهٖ» [الأنعام: ١١٩] قال بعدها: «وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ» قال سعيد: يعني: النبايح الحلال الطيبة لهم. وقال مقاتل: الطيبات: ما أحل لهم من كل شيء أن يصيبوه؛ وهو الحلال من الرزق. «وَمَا عَلَّمْنَاهُ مِنَ الْجَوَارِحِ» أي: أكل لكم ما اصطدوه بالجوارح، وهي من الكلاب والفهود والصقور وأشباهاها كما هو مذهب الجهمية من الصحابة والتابعين والأئمة. «بِمَكْيَدٍ» بمحتمل أن يكون حالا من الضمير؛ أي: في حال كونهم مكبات للصيد، وذلك أن تقتنصه بمخالبها أو أظفارها. «فَيُؤْثِرُونَ بِمَا عَمَّكُمْ إِلَهُ» وهو إنه إذا أرسله استرسل، وإذا أشكاه<sup>(١)</sup> استنسل، وإذا أخذ الصيد أمسكه على صاحبه حتى يجيء إليه ولا يمسكه لنفسه. «فَكُلُوا مِنْهُ لَكُمْ يَسْكَنَ عَلَيْهِمْ وَأَذْكُرُوا أَنْتُمْ اللَّهُ عَلَيْهِ» أي: عند إرساله. عن علي بن حاتم قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا أُرْسِلَتْ كَلْبُكَ الْمُتَمَمُّ وَذَكَرْتَ اسْمَ اللَّهِ، فَكُلْ مَا أَمْسَكَ عَلَيْكَ» [ضعف عنه].

الآية (٥): لما ذكر الله تعالى ما حرمه على عباده المؤمنين من الخبائث، وما أحله لهم من الطيبات، قال بعده: «الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الْطَّيِّبَاتُ»، ثم ذكر حكم ذبائح أهل الكتابين من اليهود والنصارى، فقال: «وَعَلَامَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ» قال ابن عباس وغيره: يعني ذبائحهم. وهذا أمر مجمع عليه بين العلماء. «وَعَلَامَ حِلٌّ لَكُمْ» أي: ويجل لكم أن تقطيعهم من ذبائحكم، كما أكلتم من ذبائحهم. «وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ» أي: وأحل لكم نكاح الحرائر العفاف من النساء المؤمنات، «وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ» الظاهر أن المراد: العفيفات عن الزنا. «إِذَا أَتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ» أي: مهورهن. «مُحْصَنَاتٍ» فكما شرط الإحصان في النساء - وهي العفة عن الزنا - كذلك شرطها في الرجال؛ ولهذا قال: «غَيْرَ مُسْتَفِيعِينَ» وهم: الزناة الذين لا يرتدعون عن معصية، ولا يردون أنفسهم ممن جاءهم، «وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ» أي: ذوي المشيقات.

(١) أي: دعاه ليرجع إليه لينظر كتاب العين، وبهذه اللغة مادة (شئل).

الآية (٣): «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْبَانُهُ» الميتة هي: ما مات من الحيوان خفف أنفه، من غير ذكاة ولا اصطيد، وما ذاك إلا لما فيها من اللزرة للدين وللبلد، ولهذا حرّمها الله عز وجل، ويُسْتَنَى من الميتة: السمك، فإنه حلال، سواء مات بتذكية أو غيره. «وَأَدَمُ» يعني: المسفوح، وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «أَحِلُّ لَنَا مِيتَانِ وَدَمَانِ، فَأَمَّا الْمِيتَانِ: فَالْسَمَكُ وَالْجَرَادُ، وَأَمَّا الدَّمَانِ: فَالْكَبِدُ وَالطَّحَالُ» إرواه أحمد وابن ماجه مرفوعاً، والصحيح وقفه على ابن عمر كما نقل ابن كثير عن أبي ذرعة. «وَلَسَمَ الْخَيْزِيرُ» يعني: إتيته ووخّيته، واللحم يعم جميع أجزائه حتى الشحم. «وَمَا أَوْلَىٰ لِلَّهِ يَدٌ» أي: ما ذبح فذكر عليه اسم غير الله، فهو حرام بالإجماع. «وَالْمُتَخَيِّقَةُ» وهي التي تموت بالخنق إما قصداً، أو اتفاقاً بأن تتخيل في وثاقها فتتوت به، فهي حرام. «وَالْمَوْفُودَةُ» هي التي تضرب بشيء ثقيل غير محدد حتى تموت. في الصحيح: أن عدي بن حاتم قال: قلت: يا رسول الله، إني أرمي بالمرعاض الصيد فأصيب. قال: «إِذَا رَمِيتَ بِالْمَرَعِاضِ فَخُزِقْ فَكُلْهُ، وَإِنْ أَصَابَهُ بِعَرَضِهِ فَأَنُوهُ وَقِدْ فَلَا تَأْكُلْهُ» [ضعف عنه]. «وَالْمَتَرِدِيَّةُ» هي التي تقع من شاق أو موضع عالٍ فتتوت بذلك، فلا تحل. «وَالنَّطِيجَةُ» هي التي ماتت بسبب نطح غيرها لها، فهي حرام وإن جرحها القرن وخرج منها الدم ولو من منبجها. «وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ» أي: ما عدا عليها أسد، أو فهد، أو نمر، أو ذئب، أو كلب، فأكل بعضها فأتت بذلك، فهي حرام، وإن كان قد سال منها الدماء ولو من منبجها، فلا تحل بالإجماع. «إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ» عائد على ما يُمكن عَوُّهُ عليه، مما تعتقد سبب موته فأنتن تناركة بذكاه، وفيه حياة مستقرة؛ وذلك إنا يعود على قوله: «وَالْمُتَخَيِّقَةُ وَالْمَوْفُودَةُ وَالْمَتَرِدِيَّةُ وَالنَّطِيجَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ».

وقوله: «وَمَا ذُبِحَ عَلَىٰ نَصَبٍ» قال ابن جريج: هي ثلاثمائة وستون نصباً، كانت العرب في جاهليتها يذبحون عندها وينضحون ما أقبل منها إلى البيت بدماء تلك النبايح، ويشرحون اللحم ويضعونه على النصب. وكذا ذكره غير واحد، فنهى الله المؤمنين عن هذا الصنيع، وحرّم عليهم أكل هذه النبايح التي قيلت عند النصب [لأنها] من الشرك الذي حرّمه الله ورسوله. «وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْوَاجِ» أي: حرّم عليكم الاستقسام بالأزلام؛ وهي عبارة عن قِدَاح ثلاثة، على أحدها مكتوب: (افعل)، وعلى الآخر: (لا تفعل)، والثالث عُقْل ليس عليه شيء، فإذا أجالها فطلع السهم الأمر ففعله، أو التاهي تركه، وإن طلع الفارغ أعاد. والاستقسام: مأخوذ من طلب القسم من هذه الأزلام. هكذا قرّر ابن جرير. «ذَلِكُمْ فِسْقٌ» أي: تعاطيه فسق وغِيٍّ وضلال وجهالة ويزك، وقد أمر الله المؤمنين إذا تردوا في أمورهم أن يستخبروه بأن يعيدوه، ثم يسألوه الحيرة في الأمر الذي يريدونه. «الْيَوْمَ نَبِّئُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِيكُمُكُمْ» قال ابن عباس: يعني: يسوا أن يراجعوا دينهم. وعلى هذا المعنى يرد حديث: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَسُّ أَنْ يَبْعِدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ بِالْخُرَيْشِ بَيْنَهُمْ» [إرواه مسلم]. ويحتمل أن يكون المراد: أنهم يسوا من مشابهة المسلمين، بما يتميز به المسلمون من هذه الصفات المخالفة للشرك وأهله؛ ولهذا قال تعالى آمراً عباده المؤمنين أن يصبروا ويثبتوا في مخالفة الكفار، ولا يخافوا أحداً إلا الله، فقال: «فَلَا تَخَوْفُهُمْ» أي: لا تخافوا منهم في مخالفتكم إياهم «وَأَخْشَوْا» أنصرمكم عليهم وأبغضوهم وأظفروكم بهم، وأشرف صدوركم منهم، وأجعلكم فوقهم في الدنيا والآخرة. «الْيَوْمَ أَكُنْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ» هذه أكبر نعم الله عز وجل



وقوله: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرَضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ الآية، [سبب النزول]: عن عائشة قالت: سقطت قلادة لي بالبيداء، ونحن داخلون المدينة، فأناخ رسول الله ﷺ وحضرت الصبح، فالتبس الماء فلم يوجد، فنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ الآية، فقال أسيد بن الحضير: لقد بارك الله للناس فيكم يا آل أبي بكر؛ ما أنتم إلا بركة لهم. [رواه البخاري]. ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾ أي: فلهذا سهل عليكم وييسر ولم يعسر، بل أباح التيمم عند المرض، وعند فقد الماء، توسعةً عليكم ورحمةً بكم. ﴿وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُسَبِّحَ بِحَمْدِهِ عَلَيْكُمْ لَمَّا كُنْتُمْ تَسْكُرُونَ﴾ أي: يعمه عليكم فيما شرعه لكم من التوسعة والرفقة والرحمة والتسهيل والسباحة، وقد وردت السنة بالحث على الدعاء عقب الوضوء بأن يجعل فاعله من المتطهرين الداخلين في امتثال هذه الآية الكريمة- عن عمر قال: [قال رسول الله ﷺ]: «ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ -أو: فيسبغ- الوضوء، [ثم] يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، إلا فُتِحَتْ له أبواب الجنة الثانية، يُدْخَلُ من أيها شاء» [رواه مسلم].

الآية (٧-٩): يقول تعالى مُذَكِّراً عباده المؤمنين نعمته عليهم في شرعه لهم هذا الدين العظيم، وإرساله إليهم هذا الرسول الكريم، وما أخذ عليهم من العهد والميثاق في مبايعته على متابعتة ومناصرتة وموازرتة، والقيام بدينه وإبلاغه عنه وقبوله منه، فقال: ﴿إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾، وهذه هي البيعة التي كانوا يبايعون رسول الله ﷺ عليها عند إسلامهم، كما قالوا: «بابينا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة، في منشطنا ومكرهنا، وأثرة علينا، وألا ننازع الأمر أهله» [متفق عليه]. ثم قال تعالى: ﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ﴾ تأكيد وتحريض على مواظبة التقوى في كل حال. ثم أعلمهم أنه يعلم ما يتخالف في الضباط والسرائر من الأسرار والخواطر، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾. وقوله: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ﴾ أي: كونوا قائمين بالحق لله عز وجل، لا لأجل الناس والسمة، وكونوا «شهداءً يالْقِطِ» أي: بالعدل لا بالجور. «وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾ أي: لا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل فيهم، بل استعملوا العدل في كل أحد، صديقاً كان أو عدواً؛ ولهذا قال: ﴿أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ أي: عدلكم أقرب إلى التقوى من تركه. ﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ وسيجزيكم على ما علم من أفعالكم التي عملتموها، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر؛ ولهذا قال بعده: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ هُمْ مَقَرُّهُمْ﴾ لذنوبهم «وَأَجْرٌ عَظِيمٌ» وهو: الجنة التي هي من رحمته على عباده، لا ينالونها بأعمالهم، بل برحمته منه وفضل، وإن كان سبب وصول الرحمة إليهم أعمالهم، وهو تعالى الذي جعلها أسباباً إلى نيل رحمته وفضله وعفوه ورضوانه، فالكمل منه وله، فله الحمد والمنة.

الآية (٦): قال كثيرون من السلف: قوله: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ معناه: وأنتم مُحَدِّثُونَ. وقال آخرون: إذا قمتم من النوم إلى الصلاة، وكلاهما قريب. وقال آخرون: بل المعنى أعم من ذلك؛ فالآية أمرة بالوضوء عند القيام إلى الصلاة، ولكن هو في حق السُّمُوحِ واجب، وفي حق السُّمُطَّهِرِ نَذْبٌ. عن بُرَيْدَةَ قال: كان النبي ﷺ يتوضأ عند كل صلاة، فلما كان يوم الفتح توضأ ومسح على خفيه، وصلى الصلوات بوضوء واحد. فقال له عمر: يا رسول الله، إنك فعلت شيئاً لم تكن تفعله! قال: [إني عَمِدًا فَعَلْتُهُ يَا عُمَرُ] [رواه مسلم]. وقد استدلت طائفة من العلماء بقوله: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ على وجوب النية في الوضوء؛ لأن تقدير الكلام إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم لها. وفي الحديث: «الأصابع بالنيات، وإنها لكل امرئ ما نوى» [متفق عليه]. ويُستحب قبل غسل الوجه أن يذكر اسم الله تعالى على وضوئه؛ لما ورد في الحديث من طرق جيدة، عن جماعة من الصحابة، عن النبي ﷺ أنه قال: «لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه» [رواه أحمد وغيره، وصححه الألباني]. ويُستحب أن يغسل كفيه قبل إدخالهما في الإناء، ويتأكد ذلك عند القيام من النوم؛ لما ثبت عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إذا استيقظ أحدكم من نومه، فلا يُدْخِلْ يده في الإناء قبل أن يغسلها ثلاثاً؛ فإن أحدكم لا يَدْرِي أين باتت يده» [متفق عليه]. وَحَدِّدْ الوجه عند الفقهاء: ما بين منابت شعر الرأس -ولا اعتبار بالصلع ولا بالغنم- إلى منتهى اللحيين والذقن طولاً، ومن الأذن إلى الأذن عرضاً. وقد ثبت عن النبي ﷺ من غير وجه في الصحاح وغيرها: أنه كان إذا توضأ تمضمض واستنشق. وقوله: ﴿وَأَيِّدِيكُمْ إِلَى الْآَرَافِقِ﴾ أي: مع المرافق. «وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ» اختلفوا في هذه (الباء) هل هي للإلصاق -وهو الأظهر- أو للتعريض؛ وفيه نظر، على قولين. ومن الأصوليين من قال: هذا يُجْعَلُ، فليُزَجَّع في بيانه إلى السنة، وقد ثبت [عن] عبد الله بن زيد [رَفَعَهُ أَنَّهُ]: مسح بيديه فأقبل بهما وأدير، بدأ بِمُقَدِّمِ رأسه، ثم دَهَبَ بهما إلى قَفَاهُ، ثم رَدَّهما حتى رَجَعَ إلى المكان الذي بدأ منه [متفق عليه]. ففي [هذا] دلالة لمن ذهب إلى وجوب تكميل مسح جميع الرأس. وقوله: ﴿وَأَرْجِلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ بالنصب عطفًا على «فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيِّدِيكُمْ» ومن ههنا دَهَبَ من دَهَبَ إلى وجوب الترتيب في الوضوء كما هو مذهب الجمهور، ومنهم من قال: لما ذكر تعالى هذه الصفة وأدخل الممسوح بين المفسولين، دل ذلك على إرادة الترتيب. وأما القراءة الأخرى وهي قراءة من قرأ: [وَأَرْجِلَكُمْ] بالخفض، فقد احتج بها الشيعة في قولهم بوجوب مسح الرجلين؛ لأنها عندهم معطوفة على مسح الرأس. [ودلت] السنة الثابتة [على] وجوب غسل الرجلين. وإنما جاءت هذه القراءة بالخفض: إما على المجاورة وتناصب الكلام، [وإما أنها] محمولة على مسح القدمين إذا كان عليها الخفان، ومن أوجب من الشيعة مسحها كما يُسَحُّ الخف، فقد ضلَّ وأضلَّ.



## ● الوقفات التدريبية

● ﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ ﴾

أي: من ضيق ولا مشقة؛ كقول رسول الله ﷺ: (دين الله يسر).  
ابن جزري: ٢٢٩/١.

السؤال: في هذه الآية بيان لصفة يحبها الله، فما هي؟

● ﴿ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُسَمِّيَكُمْ عَلَيْهِمْ وَلِتُكْمِلَ لَكُمْ تَشْكُرُوا ﴾

قال محمد بن كعب القرظي: إتمام النعمة تكفير الخطايا بالوضوء.  
البغوي: ٦٤٧/١.

السؤال: كيف يحصل تمام النعمة للمتوضئ؟

● ﴿ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُسَمِّيَكُمْ عَلَيْهِمْ ﴾

طهارة الظاهر بالماء والتراب تكميل لطهارة الباطن بالتحديد والتوبيخ  
النصوح: السعدي: ٢٢٤.

السؤال: ما المراد بإتمام النعمة علينا بالطهارة؟

● ﴿ وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾

يامر تعالى عباده بذكر نعمه الدينية والدنيوية، بقلوبهم وألسنتهم؛  
فإن في استدامة ذكرها: داعياً لشكر الله تعالى ومحبة، وإستلاء القلب  
من إحسانه، وفيه زوال للعجب من النفس بالنعم الدينية، وزيادة لفضل  
الله وإحسانه. السعدي: ٢٢٤.

السؤال: ما الذي يفيد المسلم من استدامة تذكر نعم الله عليه؟

● ﴿ وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِ ذَاتُ الصُّدُورِ ﴾

أي: بما تنطوي عليه من الأفكار، والأسرار، والخواطر، فاحذروا أن يطلع  
من قلوبكم على أمر لا يرضاه، أو يصدر منكم ما يكرهه. السعدي: ٢٢٤.

السؤال: ما الفائدة العملية التي يفيدها المسلم من معرفة أن الله يعلم  
ما في صدره؟

● ﴿ يَتَأْتِيهَا الذِّبْرُ مَأْمُوءٌ إِذَا فَتِنَهُ إِلَى الصَّلَاةِ فَانْصَلَوْا وَجُوهَكُمْ ... ﴾

شأن قومه على ألا تعدلوا أعدلوا هو أقرب للتقوى  
اشهدوا بالحق من غير ميل إلى اقاربكم، وحيف على اعدائكم.

القرطبي: ٣٧٢/٧.

السؤال: كيف يكون المؤمن قواماً بالحق؟

● ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَى أَنْ تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾

للتقوى

فإذا كان البغض - الذي أمر الله به - قد نهي صاحبه أن يظلم من  
ابغضه، فكيف في بغض مسلم بتأويل وشبهة، أو بهوى نفس؟ فهو أحق

أن لا يظلم، بل يعدل عليه. ابن تيمية: ٤٥٦/٢.

السؤال: وضع من الآية كيف أن العدل مع الآخرين مقامه عظيم عند الله.

يَتَأْتِيهَا الذِّبْرُ مَأْمُوءٌ إِذَا فَتِنَهُ إِلَى الصَّلَاةِ فَانْصَلَوْا وَجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَرُوا فَإِنْ كُنْتُمْ فَتَنَ رَضًى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمْ تُنِسْ الْمَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُسَمِّيَكُمْ عَلَيْهِمْ وَلِتُكْمِلَ لَكُمْ تَشْكُرُوا ١٠٨ وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّتِي وَافَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِ ذَاتُ الصُّدُورِ ١٠٩ يَتَأْتِيهَا الذِّبْرُ مَأْمُوءٌ كُنُوزًا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَى أَنْ تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ١١٠ وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ١١١ وَعَدَ اللَّهُ الذِّبْرَ مَأْمُوءٌ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ١١٢

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المراد
لَمْ تُنِسْ	جاءتكم.
فَتَيَمَّمُوا	فأقصدوا.
صَعِيدًا	ما على وجه الأرض، من تراب ونحوه.
وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ	لا يحملنكم.
شَنَاَنُ	بغض.

## ● العمل بالآيات

١. اجتهد اليوم في تعلم صفة وضوء النبي ﷺ نظرياً وعملياً، ثم توجهاً لكل صلاة، واحرص أن تكون دائماً على طهارة لتتال محبة الله تعالى، ﴿ يَتَأْتِيهَا الذِّبْرُ مَأْمُوءٌ إِذَا فَتِنَهُ إِلَى الصَّلَاةِ فَانْصَلَوْا وَجُوهَكُمْ ... ﴾.
٢. ذر أحد الرضى وعلمه صفة التيمم، ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ مَرَضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمْ تُنِسْ الْمَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾.
٣. تذكر ثلاثاً من أكبر نعم الله عليك تشعر أنك غافل عن شكرها، واشكر الله تعالى عليها، ﴿ وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾.

## ● التوجيهات

١. من سمات هذا الدين: رفعه للحرج والمشقة فهو بعيد كل البعد عما يشق على المكلف، ﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ ﴾.
٢. دوام شكر الله سبحانه سبب لإتمام النعم، ﴿ وَلِيُسَمِّيَكُمْ عَلَيْهِمْ لَكُمْ تَشْكُرُوا ﴾.
٣. ذكر نعم الله سبحانه يساعد على التزام العهود والمواثيق معه سبحانه والمحافظة عليها، ﴿ وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّتِي وَافَقَكُمْ بِهِ ﴾.



## ● الوقفات التدريبية

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾

الملازمون لها ملازمة صاحب لصاحبه. السعدي: ٢٢٤.

السؤال : ما الذي يفهم من التعبير عن الكفار بانهم اصحاب الجحيم؟

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾

ولما امرهم بذكر النعمة، عطف على ذلك الأمر: الأمر بالخوف من النعيم إن يبدل نعمته بنقمة، فقال: (واتقوا الله) أي: الملك الذي لا يطاق انتقامه؛ لأنه لا كفاء له، حذراً من أن يسلط عليكم اعداءكم، ومن غير ذلك من سطواته. البقاعي: ٤١٠/٢.

السؤال: شكر الله يستلزم تقواه، وضع ذلك من الآية.

﴿وَعَلَّ اللَّهُ فُلَيْتَوَكِّي الْمُؤْمِنُونَ﴾

على حسب إيمان العبد يكون توكله. السعدي: ٢٢٤.

السؤال: لماذا خاطب الله أهل الإسلام باسم الإيمان عندما امرهم بالتوكل؟

﴿فِيمَا تَقْضِيهِمْ يَتَنَفَّهْهُمْ لَعَنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾

وقد جمعت الآية من الدلائل على قلّة اكرامهم بالدين ورقة اتباعهم ثلاثة أصول من ذلك؛ وهي: التعمد إلى نقض ما عاهدوا عليه من الامتنان، والغرور بسوء التأويل، والنسيان الناشئ عن قلّة تعهد الدين، وقلّة الاهتمام به. ابن عاشور: ١٤٤/٦.

السؤال: دلت الآية الكريمة على قلّة اهتمام بني اسرائيل بالدين من خلال ثلاثة أصول، فما هي؟

﴿فِيمَا تَقْضِيهِمْ يَتَنَفَّهْهُمْ لَعَنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾

أي: غليظة لا تجدي فيها المواضع، ولا تنفعها الآيات والنذر، فلا يرغبهم تشويق، ولا يزعجهم تخويف، وهذا من أعظم العقوبات على العبد: أن يكون قلبه بهذه الصفة التي لا يفيد الهدى والخير إلا شراً. السعدي: ٢٢٥.

السؤال: كيف يكون جعل القلوب قاسية نوعاً من أنواع العقاب؟

﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾

أي: يتأولونه على غير تأويله، ويلقون ذلك إلى العوام. القرطبي: ١١٦/٦.

السؤال: كيف كان تحريف علماء بني اسرائيل للتوراة؟

﴿وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾

(ونسوا حظاً) أي: نسيباً نافعا، عملياً لهم، (ذكروا به) أي: من التوراة على السنة أنبيائهم؛ عيسى ومن قبله -عليهم السلام- تركوه ترك الناسي للشيء لقلّة مبالاته به، بحيث لم يكن لهم رجوع إليه. وعن ابن مسعود -رضي الله عنه- أنه قال: «قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية»، وتلا هذه الآية البقاعي: ٤١٦/٢.

السؤال: انشغال العبد عن تذكير الله له، وعن المواضع نذير خطر عليه، وضع ذلك.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ  
الْجَحِيمِ ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ  
يَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ  
الْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ  
وَعَيَّنَّا مِنْهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي  
مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ  
وَوَدَّعْتُمْ مَوْاسِيَتِي وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا  
حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ  
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ  
مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ ﴿فِيمَا تَقْضِيهِمْ  
يَتَنَفَّهْهُمْ لَعَنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ  
الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا  
بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَافٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ  
فَأَعَفَّ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾

## ● معاني الكلمات

المعنى	الكلمة
يَسْطُوا إِلَيْكُمْ	يَبْطِشُوا بِكُمْ.
نَقِيبًا	عَرِيفًا.
وَعَزَّزْتُمُوهُمْ	نَصَّرْتُمُوهُمْ.
وَنَسُوا	تَرَكُوا.
حَظًّا	نَصِيبًا.

## ● العمل بالآيات

١. تذكر كم مرة نجاك الله تعالى من كربة أو مصيبة أو حماك من عدو، ثم اشكر الله تعالى عليها، ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾.
٢. تصدق بصدقة تقرض بها ربك قرضاً حسناً، وأبشر برد مضاعف من الغني الكريم سبحانه، ﴿وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾.
٣. اعمل شيئاً يرقق قلبك، كتفقد حال يتيم، أو إعطاء المسكين، أو الخشوع لكلام الله تعالى حتى لا تكون من القاسية قلوبهم، ﴿فِيمَا تَقْضِيهِمْ يَتَنَفَّهْهُمْ لَعَنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾.

## ● التوجيهات

١. فوض أمورك إلى الله تعالى، واعتمد عليه، وافعل الأسباب، ولا تعتمد عليه، ﴿وَعَلَّ اللَّهُ فُلَيْتَوَكِّي الْمُؤْمِنُونَ﴾.
٢. من أسباب معية الله تعالى الخاصة ملازمة العبادات المذكورة في الآية، ﴿وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَوَدَّعْتُمْ مَوْاسِيَتِي وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾.
٣. من يهون من خطر اليهود فهو محتاج إلى أن يتدبر القرآن، ﴿فِيمَا تَقْضِيهِمْ يَتَنَفَّهْهُمْ لَعَنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً قَسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَافٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾.

قريش [متفق عليه]، ومعنى هذا الحديث البشارة بوجود اثني عشر خليفة صالحاً، يقيم الحق ويعدل فيهم، ولا يلزم من هذا تواليهم وتتابع أيامهم، بل قد وجد منهم أربعة على نسق، وهم الخلفاء الأربعة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي رضي الله عنهم، ومنهم عمر بن عبد العزيز بلا شك عند الأئمة، وبعض بني العباس. ولا تقوم الساعة حتى تكون ولايتهم لا محالة، والظاهر أن منهم المهدي المبشر به في الأحاديث الواردة، وليس هذا بالمنتظر الذي تنوّهم الرافضة وجوده ثم ظهوره من سرداب (سَمَرَاء) ! فإن ذلك ليس له حقيقة ولا وجود بالكلية، بل هو من هَوَسِ العقول السخيفة، وتَوَهَّمِ الخيالات الضعيفة، وليس المراد بهؤلاء الخلفاء الاثني عشر الأئمة الاثني عشر الذين يعتقد فيهم الاثنا عشرية من الروافض، لجهلهم وقلة عقولهم.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ﴾ أي: بحفظي وكلاءتي ونصري ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي﴾ أي: صدقتموهم فيما يجيئونكم به من الوحي، ﴿وَعَزَّزْتُمُوهُمْ﴾ أي: نصرتموهم وأزعموهم على الحق، ﴿وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا﴾ وهو: الإنفاق في سبيله وإتباع مرضاته؛ ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ أي: ذنوبكم أغوها وأشترها، ولا أواخذكم بها، ﴿وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي: أدفع عنكم المحذور، وأحصل لكم المقصود. ﴿فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ أي: فمن خالف هذا الميثاق بعد عقده وتوكيده وشده، وجحدته وعامله معاملة من لا يعرفه، فقد أخطأ الطريق الواضح، وعدل عن الهدى إلى الضلال.

ثم أخبر تعالى عما أحل بهم من العقوبة عند مخالفتهم ميثاقه ونقضهم عهده، فقال: ﴿فِيمَا تَقْضِيهِمْ يَتَشَقَّقُ لَعْنَتُهُمْ﴾ أي: فيسب نقضهم الميثاق الذي أخذ عليهم لعنهم، أي: أبعدناهم عن الحق وطردهم عن الهدى، ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ أي: فلا يتعظون بموعظة، [لِيَلْغِظَ قُلُوبَهُمْ] وقساوتها، ﴿وَيُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ أي: فسدت فهومهم، وساء تصرفهم في آيات الله، وتأولوا كتابه على غير ما أنزله، وحمله على غير مراده، وقالوا عليه ما لم يقل عياداً بالله من ذلك، ﴿وَكُفُّوا أَعْيُنَهُمْ عَنْ ذِكْرِي﴾ أي: وتركوا العمل به رغبة عنه. وقال الحسن: تركوا عرى دينهم ووظائف الله تعالى التي لا يقبل العمل إلا بها. وقال غيره: تركوا العمل فصاروا إلى حالة رديئة، فلا قلوب سليمة، ولا فطر مستقيمة، ولا أعمال قويمة، ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَافِيَةٍ مِنْهُمْ﴾ يعني: مكرهم وغدرهم لك ولأصحابك. ﴿فَاعْتَبِرْ عَثَمْتَ وَأَسْخَفَ﴾ وهذا هو عَيْنُ النَّصْرِ وَالظَّفَرِ، كما قال بعض السلف: ما عاملت من عصي الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه. وبهذا يحصل لهم تأليف وجمع على الحق، ولعل الله أن يهديهم؛ ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ يعني به: الصفح عن أساء إليك.

الآية (١٠-١١): ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾، وهذا من عدله تعالى، وحكمته وحُكْمه الذي لا يجوز فيه، بل هو الحُكْمُ العادل الحكيم القدير.

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ لَا يَسْطُورُ إِلَيْكُمْ أَيُّدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾ عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم نزل منزلاً، وتفرّق الناس في العِصَاءِ يستظلون تحتها، وعلّق النبي صلى الله عليه وسلم سلاحه بشجرة، فجاء أعرابي إلى سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذه فسلّمه، ثم أقبل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال: من يمنك مني؟ قال: «الله!» قال الأعرابي مرتين أو ثلاثاً من يمنك مني؟ والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: «الله!» قال: فَنَاشِمٌ <sup>(١)</sup> الأعرابي السيف، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه فأخبرهم خبر الأعرابي، وهو جالس إلى جنبه ولم يعاقبه (رواه البخاري). ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَلِيلٌ مِمَّا كَفَرْتُمْ﴾ يعني: من توكّل على الله كفاه الله ما أهمّه، وحفظه من شر الناس وعصمه.

الآية (١٢-١٣): لَمَّا أمر تعالى عباده المؤمنين بالوفاء بعهده وميثاقه الذي أخذه عليهم على لسان عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وأمرهم بالقيام بالحق والشهادة بالعدل، وذكرهم نعمته عليهم الظاهرة والباطنة، فيما هداهم له من الحق والهدى، شرع يبيّن لهم كيف أخذ العهود والمواثيق على من كان قبلهم من أهل الكتابين: اليهود والنصارى، فلما نقضوا عهوده ومواثيقه أعقبهم ذلك لعناً منه لهم، وطرداً عن بابه وجنابه، وحجاباً لقلوبهم عن الوصول إلى الهدى ودين الحق، وهو العلم النافع والعمل الصالح، فقال: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ بِبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ يعني: عُرفاء على قبائلهم بالمبايعة والسمع والطاعة لله ولرسوله ولكتابه. وهكذا لَمَّا بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنصار ليلة العقبة، كان فيهم اثنا عشر نقيباً؛ ثلاثة من الأوس، وهم: أسيد بن الحَضِر، وسعد بن خَيْشَمَة، ورفاعة بن عبد المنذر - ويقال بدله: أبو الهيثم بن التَّيْهَان - رضي الله عنهم، وتسعة من الخزرج، وهم: أبو أمامة أسعد بن زُرَّارة، وسعد بن الربيع، وعبد الله بن رواحة، ورافع بن مالك بن السَّحْلَان، والبراء بن مَعْرُور، وعُبَادَةُ بن الصامت، وسعد بن عُبَادَة، وعبد الله بن عَمْرٍو بن حرام، والمنذر بن عَمْرٍو بن خُنَيْس رضي الله عنهم، والمقصود: أن هؤلاء كانوا عُرفاء على قومهم لِكَيْلَ يُبَيِّنَ عَنْ أَمْرِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم هم بذلك، وهم الذين وَلَّوْا الْمُبَايَعَةَ عَنْ قَوْمِهِمْ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة. عن ابن مسعود قال: سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: [كم يملك هذه الأمة من خليفة؟] فقال: «اثنا عشر كِعْدَةَ نُبَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ» [رواه أحمد، وصححه إسناده أحمد شاكر].

وعن جابر بن سَمُرَةَ قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم اثنا عشر رجلاً». ثم تكلم النبي صلى الله عليه وسلم بكلمة خفيت عَلَيَّ، فسألت، أي: ماذا قال النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال: «كلهم من

(١) أي: أعمده، وهو من الأضداد: يُقَالُ شامه يشميه إذا أعمله، وشامه أيضاً إذا سلّه. [ينظر: تهذيب اللغة، ومعجم مقاييس اللغة، مادة (شم)].

الآية (١٧): يقول تعالى مُخْبِرًا وحَاكِمًا بكفر النصارى في ادعائهم في المسيح ابن مريم -وهو عبدٌ من عباد الله، وخلق من خلقه- أنه هو



## ● الوقفات التدريبية

١ ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَرِيُّونَ أَخَذْنَا مِنْهُمُ آلِهَتَهُمْ فَتَسَبَّحُوا حَقًّا مِمَّا دُكِّرُوا بِهِ، فَأَعْرَضْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ وَالْبَعْثَةَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾  
فهذا نص في أنهم تركوا بعض ما أمروا به؛ فكان تركه سببا لوقوع العداوة والبغضاء المحرمين، وكان هذا دليلا على أن ترك الواجب يكون سببا لفعل المحرم؛ كالعداوة والبغضاء، ابن تيمية: ٢٦٠/٢.

السؤال: ترك الواجب قد يكون سببا لفعل المحرم، بين ذلك.  
٢ ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَرِيُّونَ أَخَذْنَا مِنْهُمُ آلِهَتَهُمْ فَتَسَبَّحُوا حَقًّا مِمَّا دُكِّرُوا بِهِ﴾

أي: ومن الذين ادعوا لأنفسهم أنهم نصاري يتابعون المسيح ابن مريم عليه السلام، وليسوا كذلك، أخذنا عليهم العهود والمواثيق على متابعتهم الرسول، ومناصرتهم ومؤازرتهم، واقتفاء آثاره، والإيمان بكل نبي يرسله الله إلى أهل الأرض، أي: ففعلوا كما فعل اليهود؛ خالفوا المواثيق، ونقضوا العهود ابن كثير: ٣٢٠/٢.

السؤال: ما العهد الذي أخذه الله على النصارى؟

٣ ﴿فَأَعْرَضْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ وَالْبَعْثَةَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾  
فألقينا بينهم العداوة والتباغض لبعضهم بعضا، ولا يزالون كذلك إلى قيام الساعة، وكذلك طوائف النصارى على اختلاف أجناسهم؛ لا يزالون متباغضين متعادين؛ يكفر بعضهم بعضا، ويلعن بعضهم بعضا؛ فكل فرقة تحرم الأخرى، ولا تدعها تلج بمعبدها. ابن كثير: ٣٢٠/٢.

السؤال: من خلال الآية وضع كيف عاقب الله سبحانه النصارى بعداوة بعضهم لبعض؛ وإلى أي درجة بلغت العداوة؟

٤ ﴿يَتَأْهَلُ الْكَتِبَ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ﴾  
أمرهم جميعا أن يؤمنوا بمحمد ﷺ، واحتج عليهم بآية قاطعة دالة على صحة نبوته، وهي: أنه بين لهم كثيرا مما يخفون عن الناس، حتى عن العوام من أهل ملتهم ... فإتيان الرسول ﷺ بهذا القرآن العظيم الذي بين به ما كانوا يكتامونه بينهم -وهو آي لا يقرأ ولا يكتب- من أدل الدلائل على القطع برسالته. السعدي: ٢٢٦.

السؤال: كيف تكون هذه الآية دالة على نبوة محمد ﷺ؟

٥ ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾  
أي: يهدي به من اجتهد وحرص على بلوغ مرضاة الله، وصار قصده حسنا، سبيل السلام التي تسلم صاحبها من العذاب، وتوصله إلى دار السلام؛ وهو العلم بالحق والعمل به. السعدي: ٢٢٦.

السؤال: ماذا يفعل العبد حتى يكون ممن يهدي بالقرآن الكريم؟ وما المقصود بسبل السلام؟

٦ ﴿قُلْ قَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ، وَفَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾

لو كان المسيح إلهًا كما تزعم النصارى لكان له من الأمر شيء، ولقدر على أن يدفع عن نفسه أقل حال ولم يقدر على أن يدفع عن أمه الموت عند نزوله بها، وتخصيصها بالذكر مع دخولها في عموم من في الأرض لكون النفع منه عنها أولى وأحق من غيرها، فهو إذ لم يقدر على الدفع عنها أعجز عن أن يدفع عن غيرها. الشوكاني: الشاملة: ٢٩٠/٢.

السؤال: كيف ترد على النصارى من خلال هذه الآية بعدم الوهية عيسى عليه السلام؟

٧ ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾  
ولا وجه لاستغرابهم لخلق المسيح عيسى ابن مريم من غير أب؛ فإن الله يخلق ما يشاء: إن شاء من أب وأم كسائر بني آدم، وإن شاء من أب بلا أم كحواء، وإن شاء من أم بلا أب كعيسى، وإن شاء من غير أب ولا أم كآدم. السعدي: ٢٢٧.

السؤال: من خلال قوله تعالى: (يخلق ما يشاء) كيف ترد على قول النصارى: إن الله هو المسيح ابن مريم لأنه خلق بلا أب؟

وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَرِيُّونَ أَخَذْنَا مِنْهُمُ آلِهَتَهُمْ فَتَسَبَّحُوا حَقًّا مِمَّا دُكِّرُوا بِهِ، فَأَعْرَضْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ وَالْبَعْثَةَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٥﴾ يَتَأْهَلُ الْكِتَابَ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٦﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٧﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ قَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ، وَفَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
فَأَعْرَضْنَا	هَجَرْنَا، وَأَعْرَضْنَا.
سُبُلَ السَّلَامِ	طُرُقَ الْأَمْنِ وَالسَّلَامَةِ.

## ● العمل بالآيات

١. عدد ثلاثا من العبادات غفل عنها المسلمون اليوم أو حرفوها؛ حتى تعرف سبب الخلافات والعداوات بينهم، ﴿فَتَسَبَّحُوا حَقًّا مِمَّا دُكِّرُوا بِهِ، فَأَعْرَضْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ وَالْبَعْثَةَ﴾.
٢. قل: «اللهم إنا نعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك»، ﴿كُنْزُوا حَقًّا مِمَّا دُكِّرُوا بِهِ، فَأَعْرَضْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ وَالْبَعْثَةَ﴾.
٣. ارسل رسالتك إلى نصرائي تدعوه فيها إلى الإسلام، وتستخدم فيها العبارات التي يحبها، ولا تخالف شريعته، ﴿يَتَأْهَلُ الْكِتَابَ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ﴾.

## ● التوجيهات

١. من العقوبات الإلهية التي ينزلها الله بالأمم: الانقسام إلى فرق وطوائف متعادية، ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَرِيُّونَ أَخَذْنَا مِنْهُمُ آلِهَتَهُمْ فَتَسَبَّحُوا حَقًّا مِمَّا دُكِّرُوا بِهِ، فَأَعْرَضْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ وَالْبَعْثَةَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾.
٢. من أراد الهداية فليتبع ما يرضي الله سبحانه وتعالى، ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾.
٣. الحوار مع أصحاب الأديان والمذاهب لا يعني التنازل عن الثوابت وأصول العقيدة، ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾.



## ● الوقفات التدريبية

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّهُمْ اللَّهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ إِن كَانَ الْأَمْرُ كَمَا زَعَمْتُمْ لَنُكْفِيَنَّكُمْ أَنْبَاءَهُمْ وَأَحِبُّواهُ فَإِنَّ الْأَبَ لَا يَعْذِبُ وَلَدَهُ، وَالْحَبِيبُ لَا يَعْذِبُ حَبِيبَهُ، وَأَنْتُمْ مَقْرُونُونَ أَنَّهُ مَعْذِبُكُمْ؟ وَقِيلَ: (فَلِمَ يَعْذِبُكُمْ) أَي: لِمَ عَذَبَ مِنْ قِبَلِكُمْ بِذُنُوبِكُمْ، فَمَسْخَهُمْ قَرْدَةً وَخَنَازِيرًا؟ (بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ)؛ كَسَائِرِ بَنِي آدَمَ؛ مُجْرَبُونَ بِالْإِسَاءَةِ وَالْإِحْسَانِ. البغوي: ١/٣٥٥. السؤال: مَنْ حِيلَ الشَّيْطَانُ عَلَى بَعْضِ الْبَشَرِ أَنْ يَعْتَبِرُوا أَنْفُسَهُمْ لَيْسُوا كَقَبِيحَةِ النَّاسِ؛ فَيُفْتَحُونَ بِذَلِكَ، وَضَحَ ذَلِكَ.

﴿ يَتَأَهَّلُ الْكِتَابُ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ يَبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فِتْرَةٍ مِنَ الرَّسُولِ ﴾ والمقصود: أَنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ عَلَى فِتْرَةٍ مِنَ الرَّسُولِ، وَطَمَّسَ مِنَ السَّبِيلِ، وَغَيَّرَ الْأَدْيَانَ؛ وَكَثُرَ عِبَادَةُ الْأَوْثَانِ وَالنِّيرَانِ وَالصُّلْبَانِ، فَكَانَتِ النِّعْمَةُ بِهِ أَتَمَّ النِّعَمِ، وَالْحَاجَةُ إِلَيْهِ أَمْرَ عَمَمٍ؛ فَإِنَّ الْفُسَادَ كَانَ قَدْ عَمَّ جَمِيعَ الْبِلَادِ، وَالطُّغْيَانَ وَالْجَهْلَ قَدْ ظَهَرَ فِي سَائِرِ الْعِبَادِ، إِلَّا قَلِيلًا مِنَ الْمُتَمَسِّكِينَ بِبَقَايَا دِينِ الْأَنْبِيَاءِ الْأَقْدَمِينَ، مِنْ بَعْضِ أَهْبَارِ الْيَهُودِ، وَعِبَادِ النَّصَارَى، وَالصَّابِيِّينَ. ابن كثير: ٣٤/٢.

السؤال: يَبَيِّنُ شِدَّةَ حَاجَةِ النَّاسِ إِلَى بَعَثَةِ الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ ﷺ. ﴿ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ بقلوبكم والسنتكم؛ فَإِنَّ ذِكْرَهَا دَاعٍ إِلَى مُحِبَّتِهِ تَعَالَى، وَمُنْشَطٌ عَلَى الْعِبَادَةِ. السعدي: ٢٢٧.

السؤال: كَثِيرًا مَا يَأْمُرُ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - بِتَذَكُّرِ نِعْمَتِهِ عَلَيْنَا، فَلِمَ ذَا؟ ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يُقَوِّمُ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾ وعن الحسن وزيد بن أسلم: أَنَّ مِنْ كَانَتْ لَهُ دَارُ زَوْجَةٍ وَخَادِمٌ فَهُوَ مُلْكٌ، وَهُوَ قَوْلُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - كَمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ ... وَيُقَالُ: مَنْ اسْتَفْنَى عَنْ غَيْرِهِ فَهُوَ مُلْكٌ الْقُرْطُبِيُّ: ٣٩٣-٣٩٤.

السؤال: مَتَى يُوَصِّفُ الْإِنْسَانُ بِكَوْنِهِ مُلْكًا؟ وَهَلْ شَكَرْنَا هَذِهِ النِّعْمَةَ؟ ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يُقَوِّمُ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾ ففعل معكم بذلك وغيره من النعم التي فضلكم بها على العالمين في تلك الأزمان ففعل للحب مع حبيبه، والوالد مع ولده، ومع ذلك عاقبكم حين عصيتهم، وغضب عليكم إِذْ أَبَيْتُمْ، ففعلهم أَنَّ الْإِكْرَامَ وَالْإِهْنَاءَةَ دَلَرَانِ بَعْدَ مَشِيئَتِهِ عَلَى الطَّاعَةِ وَالْمَعْصِيَةِ الْبِقَاعِي: ٤٢٤/٦.

السؤال: مَا الْأَسْبَابُ الْحَقِيقِيَّةُ الْجَالِبَةُ لِلنِّعَمِ وَالِدَافِعَةُ لِلنِّقَمِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا؟ ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنَّهُمُ اللَّهُ عَلَيْهِمَا آذَلُّوا عَلَيْهِمُ الْآبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ عَلَيْهِمْ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنَّ كُفْرًا مُؤْمِنِينَ ﴾ (أنعم الله عليهما) أَي: بِالْإِسْلَامِ، أَوْ بِالْيَقِينِ وَالصَّلَاحِ. (ادخلوا عليهم الباب فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ عَلَيْهِمْ غَالِبُونَ)؛ قَالَ لِبْنِي إِسْرَائِيلَ: لَا يَهْوِلُكُمْ عِظَمُ أَجْسَادِهِمْ؛ فِقُلُوبُهُمْ مَلَّتْ رِعْبًا مِنْكُمْ، فَاجْسَادُهُمْ عَظِيمَةٌ وَقُلُوبُهُمْ ضَعِيفَةٌ. الْقُرْطُبِيُّ: ٣٩٦/٧.

السؤال: مَا سَبَبُ تَرَدِّي حَالِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ النِّعَمِ وَالْمُلْكِ إِلَى الْمَذَلَّةِ وَالْمُسْكِنَةِ؟ ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنَّهُمُ اللَّهُ عَلَيْهِمَا آذَلُّوا عَلَيْهِمُ الْآبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ عَلَيْهِمْ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنَّ كُفْرًا مُؤْمِنِينَ ﴾ ذيلًا بقولهما: (إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) لِأَنَّ الشُّكَّ فِي صِدْقِ الرَّسُولِ مَبْطِلٌ لِلْإِيمَانِ. ابن عاشور: ١٦٥/٦.

السؤال: لِمَاذَا ذِيلُ الرِّجَالِ نَصِيحَتُهُمَا بِقَوْلِهِمَا: (إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)؟

وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّهُمْ اللَّهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ يَتَأَهَّلُ الْكِتَابُ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ يَبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فِتْرَةٍ مِنَ الرَّسُولِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يُقَوِّمُ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾ يُقَوِّمُ أَذْكُرُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴿١٨﴾ قَالُوا لِمُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿١٩﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنَّ اللَّهَ عَلَيْهِمَا آذَلُّوا عَلَيْهِمُ الْآبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ عَلَيْهِمُ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنَّ كُفْرًا مُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
فِتْرَةٌ	فُتُورٌ وَاقْتِطَاعٌ، وَهِيَ الْمُدَّةُ بَيْنَ النَّبِيِّ عِيسَى وَبَيْنَنَا مُحَمَّدٍ، عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.
مُلُوكًا	تَمْلِكُونَ أَمْرَكُمْ بَعْدَ أَنْ كُنْتُمْ مَمْلُوكِينَ لِإِعْرَافِ قَوْمِهِ.

## ● العمل بالآيات

١. اترك اليوم ذنبا أنت مصر عليه، أو معصية تفعلها، متذكرا أَنَّ الذنوب سبب لنزول العذاب وزوال النعم عنك، ﴿ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ ﴾.
٢. عدد ثلاثًا من النعم التي اختصك الله بها دون أقرانك، واشكره عليها؛ فَذَلِكَ مَعِينٌ عَلَى مُحِبَّتِهِ سُبْحَانَهُ، وَالْحَيَاءُ مِنْهُ، ﴿ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾.
٣. حدد طاعة تتردد في فعلها، أو معصية تتردد في تركها، واعزم على ما يحبه الله سبحانه وتعالى؛ فَسَجِدِ التَّسْبِيحَ وَالْفِرْجَ فِي حَيَاتِكَ، ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنَّ اللَّهَ عَلَيْهِمَا آذَلُّوا عَلَيْهِمُ الْآبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ عَلَيْهِمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنَّ كُفْرًا مُؤْمِنِينَ ﴾.

## ● التوجيهات

١. محبة الله تعالى وولايته لَا تَنَالُ بِالْإِدْعَاءِ وَالتَّمَنِّي، وَإِنَّمَا بِالْصِّدْقِ فِي التَّزَامِ شَرَعَهُ، وَفَعَلَ مَا يَرْضَاهُ وَيُحِبُّهُ، ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّهُمْ اللَّهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ ﴾.
٢. البشارة والنذارة هي مهمة الأنبياء؛ فَاحْصِرْ أَنَّ تَجَمُّعَ بَيْنَ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ، أَنَّ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ.
٣. التوصل على الله سبحانه من أسباب تبشير الأمور، ﴿ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾.

حتى خُتِمُوا بعيسى ﷺ، ثم أوحى الله إلى خاتم الأنبياء والرسل على الإطلاق محمد بن عبد الله المنسوب إلى إسماعيل بن إبراهيم ﷺ، وهو أشرف من كل من تقدمه منهم ﷺ. ﴿وَجَعَلَكُمْ مِلًّا﴾ عن عبد الله بن عمرو، وسأله رجل فقال: ألسنا من فقراء المهاجرين؟ فقال عبد الله: ألك امرأة تأتي إليها؟ قال: نعم. قال: ألك مسكن يسكنه؟ قال: نعم. قال: فأنت من الأغنياء. فقال: إن في خادمًا. قال: فأنت من الملوك (رواه مسلم). وقال السدي: يملك الرجل منكم نفسه وماله وأهله. وفي الحديث: «من أصبح منكم ممّاعاً في جسده، أمّاعاً في بصره، عنده قوت يومه، فكانما حيزت له الدنيا بحذافيرها» (رواه الترمذي وابن ماجه، وحسنه الألباني). ﴿وَوَدَّ أَنْتُمْ مَا تَمَّ يَوْمَ أَحَدًا مِنَ الْيَوْمِ﴾ يعني: عالمي زمانكم؛ فإنهم كانوا أشرف الناس في زمانهم، من اليونان والقيط وسائر أصناف بني آدم، كما قال: ﴿وَلَقَدْ مَاتِ الْيَهُودُ بِإِسْرَائِيلَ الْكِتَابِ وَالْمَلَائِكَةُ وَالْأَنْبِيَاءُ وَرَفَقَتُهُمْ مِنَ الْيَتِيمِ وَفَضَّلْتُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾ [البقرة: ١٦١]. والمقصود: أنهم كانوا أفضل أهل زمانهم، ولا فهذه الأمة أشرف منهم وأفضل عند الله، وأكمل شريعة، وأقوم منهاجاً، وأكرم نبياً، وأعظم ملئكاً، وأغزر أرزاقاً، وأكثر أموالاً وأولاداً، وأوسع مملكة، وأدوم عزاً؛ قال الله: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقال: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣]. ثم قال تعالى تحمداً عن تحريض موسى ﷺ بني إسرائيل على الجهاد والدخول إلى بيت المقدس، الذي كان بأيديهم في زمان أبيهم يعقوب، لما ارتحل هو وبنيه وأهله إلى بلاد مصر أيام يوسف ﷺ، ثم لم يزالوا بها حتى خرجوا مع موسى، فوجدوا فيها قوماً من الصالحين الجبارين، قد استحققوا عليها وملكوها، فأمرهم رسول الله موسى ﷺ بالدخول إليها ويقاتل أعدائهم، ويشرهم بالنصرة والظفر عليهم، ففعلوا وعصوا وخالفوا أمره، فعوقبوا بالذهاب في التيه والتادي في سيرهم حائرين، لا يدرون كيف يتوجهون فيه إلى مقصد، مُدَّةً أربعين سنة، عقوبة لهم على تفریطهم في أمر الله تعالى، فقال تعالى تحمداً عن موسى أنه قال: ﴿يَقُولُ أَدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمَقْدَسَةَ﴾ أي: المطهرة. وقال ابن عباس: هي الطور وما حوله. ﴿أَلَيْسَ كَذَلِكَ أَلَّفَ لَكُمْ﴾ أي: التي وعدكموها الله على لسان أبيكم إسرائيل: أنه ورثته من آمن منكم، ﴿وَلَا تَزِيدُوا عَلَى آدَابِكُمْ﴾ أي: ولا تنكسوا عن الجهاد ﴿فَتَقْبَلُوا أَحْسَنَ﴾.

الآية (٢٢-٢٣): ﴿قَالُوا يَمُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَارِينَ وَإِنَّا لَنَدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ أي: اعتبروا بأن في هذه البلدة -التي أمرتنا بدخولها وقاتل أهلها- قوماً جبارين، أي: ذوي خلقٍ هائل، وقوى شديدة، وإننا لا نقدر على مقاومتهم ولا مضاولتهم، ولا يمكننا الدخول إليها ما داموا فيها، فإن يخرجوا منها دخلناها، وإلا فلا طاعة لنا بهم. ﴿قَالَ رَبُّكَ مِنَ الَّذِينَ بِخَافَتِ أَعْيُنُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ﴾ أي: فلما نكل بنو إسرائيل عن طاعة الله ومتابعة رسول الله موسى ﷺ، حرضهم رجال الله عليها نعمة عظيمة، وهما ممن يخاف أمر الله ويخشى عقابه. وقرأ بعضهم: «مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ» أي: ممن هم مهابة وموضع من الناس. ﴿أَدْخَلُوا عَلَيْهِمُ الْأَبَابَ فَإِذَا دَخَلُوا فَلَانَتْ عَلَيْهِمْ عَيْنُ اللَّهِ وَفَلَّحُوا لَنَا بِهِمْ﴾. ﴿قَالَ رَبُّكَ مِنَ الَّذِينَ بِخَافَتِ أَعْيُنُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ﴾ أي: متى توكلتم على الله واتبعتم أمره، ووافقتم رسوله، نصركم الله على أعدائكم وأيدكم وظفركم بهم، ودخلتم البلدة التي كنيتها لكم. فلم ينعف ذلك فيهم شيئاً.

الآية (١٨): قال تعالى راداً على اليهود والنصارى في كذبهم وافتراءهم: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوا إِلَهُهُ﴾ أي: نحن مستسبون إلى أنبيائه، وهم بنوه وله بهم عناية، وهو يحبنا. ومعلوم أنهم لم يدعوا لأنفسهم من النبوة ما ادعوا في عيسى ﷺ، وإننا أرادوا من ذلك معزيتهم لديه وحظوتهم عنده، ولهذا قالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوا إِلَهُهُ﴾. قال الله تعالى راداً عليهم: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾ أي: لو كنتم -كما تدعون- أبناءه وأحباءه، فلم أعدت لكم نار جهنم على كفركم وكذبكم وافتراءكم؟! عن أنس قال: مر النبي ﷺ في نفر من أصحابه، وصي في الطريق، فلما رأت أمه القوم خشيت على ولدها أن يؤطأ، فأقبلت تسعى وتقول: ابني ابني! وسعت فأخذته، فقال القوم: يا رسول الله، ما كانت هذه لتلقي ولدها في النار. فقال: ﴿لَا! وَاللَّهِ مَا يُلْقِي حَبِيبِي فِي النَّارِ﴾ (رواه أحد وصححه إسناداً أحد شاكراً). ﴿بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّثْلَى بَشَرٍ﴾ أي: لكم أسوة أمثالكم من بني آدم، وهو سبحانه الحاكم في جميع عبادته ﴿يَتَفَرَّقُ لَيْسَ شَيْءًا وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ أي: هو فعال لما يريد، لا تمعّب لحكمه، وهو سريع الحساب. ﴿وَاللَّهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أي: الجميع ملكه ونحت قهره وسلطانه، ﴿وَالِئِذَا الْمَصِيرُ﴾ أي: المرجع والمآب إليه، فيحكم في عبادته ما يشاء، وهو العادل الذي لا يبور.

الآية (١٩): يقول تعالى خاطباً أهل الكتاب من اليهود والنصارى بأنه قد أرسل إليهم رسوله محمداً ﷺ خاتم النبيين، الذي لا نبي بعده ولا رسول، بل هو المُعَقَّبُ لجميعهم. ﴿عَلَّ فَرَزَ مِنَ الْأَرْضِ﴾ أي: بعد مدة متطاولة ما بين إرساله وعيسى ابن مريم. وقد اختلفوا في مقدار هذه الفترة، والمشهور أنها ستائة سنة؛ عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إن أولى الناس بابن مريم لآناً؛ ليس بيني وبينه نبي» (رواه البخاري). والمقصود: أن الله بعث محمداً ﷺ على فترة من الرسل، وطموس من السبل، وتغير الأديان، وكثرة عبادة الأوثان واليران والصلبان، فكانت النعمة به أتم النعم، والحاجة إليه أمر عمم؛ فإن الفساد كان قد عمم جميع البلاد والطغيان والجهل قد ظهر في سائر العباد، إلا قليلاً من المتمسكين ببقايا من دين الأنبياء الأقدمين، من بعض أحوار اليهود وعباد النصارى والصابئين؛ عن عياض بن جابر أن النبي ﷺ قال: «إن الله عز وجل نظر إلى أهل الأرض فمعتهم، عجبهم وعزهم، إلا بقايا من أهل الكتاب» (رواه مسلم). وكان الدين قد تبس على أهل الأرض كلهم، حتى بعث الله محمداً ﷺ، فهدى الخلق، وأخرجهم الله به من الظلمات إلى النور، وتركهم على المحجة البيضاء، والشرية الغراء؛ ولهذا قال تعالى: ﴿أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾ أي: لتلا تحسوا وتقولوا -يا أيها الذين بدلوا دينهم وغيرهم- ما جاءنا من رسول يُبَشِّرُ بالخير ويُذِيرُ من الشر، ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾ يعني محمداً ﷺ، ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. قال ابن جرير: معناه: إني قادر على عقاب من عصاني، وثواب من أطاعني.

الآية (٢٠-٢١): يقول تعالى تحمداً عن عبده ورسوله وكتابه موسى ابن عمران ﷺ، فيما ذكر به قومه نعم الله عليهم وآلاه لهم، في جمعه لهم خبر الدنيا والآخرة لو استقاموا على طريقتهم المستقيمة، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يُتَوَكَّلُوا عَلَى اللَّهِ فَإِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ﴾ أي: كلما هلك نبي قام فيكم نبي، من لئن أبيكم إبراهيم وإلى من بعده. وكذلك كانوا لا يزال فيهم الأنبياء يدعون إلى الله ويحذرون نقمته،



قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ أَقْصَصُ الْحَقِّ﴾ [آل عمران: ٦٢]. ﴿إِذْ قَرَّبْنَا قُورَيْبًا فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾. السباق يقتضي أنه إنما غَضِبَ عليه وحسده لقبول قربانه دونه. يقول له أخوه الرجل الصالح، الذي تَقَبَّلَ الله قربانه لتقواه حين تواعده أخوه بالقتل على غير ما ذنب منه إليه: ﴿لَيْسَ بِسَطِّكَ إِلَيَّ يَدُكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِسَاطِطٍ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ﴾ أي: لا أقابلك على صنعك الفاسد بمثله، فأكون أنا وأنت سواء في الخطيئة، ﴿وَإِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ أي: من أن أصنع كما تريد أن تصنع، بل أصبر وأحتسب. ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَبُنَّ بِطَنِي وَإِنِّي كَأَن لِّي فِي عِبَاسٍ غَيْرِهِ﴾ أي: بإثم قتلي وإثمك الذي عليك قبل ذلك. قلت: وهذا الكلام متضمن موعظة له لو أتمعت، وزجر له لو انزجر. ﴿فَتَكُونُ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ قال ابن عباس: خوفاً النار فلم يَنْتَهِ ولم ينزجر. ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ﴾ حَسَنَتْ وَسَوَّلَتْ له نفسه وشجَّعته على قتل أخيه فقتله، أي: بعد هذه الموعظة وهذا الزجر. ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ أي: في الدنيا والآخرة، وأيُّ خسارة أعظم من هذه؟! وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا تُقَتَّلُ نَفْسٌ ظَلَمًا، إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دِمَهِهَا؛ لِأَنَّهُ كَانَ أَوَّلَ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ» [متفق عليه]. «فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورَثُ سَوْءَةَ أَخِيهِ» قال ابن عباس: جاء غراب إلى غراب ميت، فَبَحَثَ عليه من التراب حتى وراه، فقال الذي قتل أخاه: «يَوَيْلَ لِي بِأَخِي عَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُورَثَ سَوْءَةَ أَخِي». وقوله: ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ قال الحسن البصري: علاه الله بندامة بعد خسران.

الآية (٢٤-٢٦): ﴿قَالُوا يَتَّبِعُونَ إِيَّاكَ تَذُلُّهُمْ أَلَبَا مَدَامُوا فِيهَا فَأَذْهَبَ أَنتَ وَرَبُّكَ فَتَقَاتَلَا إِنَّا هَهُنَا قَاعِدُونَ﴾ هذا نُكُولُ منهم عن الجهاد، ومخالفة لرسولهم، وتخلف عن مقاتلة الأعداء. وما أحسن ما أجاب به الصحابة رضي الله عنهم يوم بدر رسول الله ﷺ حين استشارهم في قتال النفر، الذين جاءوا لمنع العير الذي كان مع أبي سفيان؛ فعن أنس أن رسول الله ﷺ لما سار إلى بدر استشار المسلمين، فأشار إليه عمر: ثم استشارهم فقالت الأنصار: يا معشر الأنصار، إياكم يريد رسول الله ﷺ. قالوا: إذا لا نقول له كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَهُنَا قَاعِدُونَ﴾، والذي بعثك بالحق لو ضُرِّبَتْ أكبادها إلى بَرَكِ النَّجَادِ لَاتَّبَعْنَاكَ إِذْ رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ وَصَحَّحَهُ الْإِسْبَاهِيُّ. ولما نكل بنو إسرائيل عن القتال غَضِبَ عليهم موسى ﷺ، وقال داعيًا عليهم: ﴿رَبِّ إِنِّي لَا أَتَمَلَّكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾ أي: ليس أحد يطيعني منهم فيمثل أمر الله، ويُجيب إلى ما دعوتُ إليه إلا أنا وأخي هارون، ﴿فَأَفَرَّقَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْرِ أَلْفَسِقِينَ﴾ قال ابن عباس: يعني اقض بيني وبينهم. وعنه أيضًا: افصل بيننا وبينهم.

قوله: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ الآية، لما دعا عليهم موسى ﷺ، حين نكلوا عن الجهاد، حكم الله بتحريم دخولها عليهم مدة أربعين سنة، فوقعوا في التَّيَهُوسِ يسرون دائمًا لا يبتدون للخروج منه. ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْرِ أَلْفَسِقِينَ﴾ تسلياً لموسى ﷺ عنهم، أي: لا تأسف ولا تحزن عليهم فيما حكمت عليهم به؛ فإنهم يستحقون ذلك. وهذه القصة تضمنت تقريع اليهود، وبيان فضائحهم، ومخالفتهم لله ولرسوله، ونكولهم عن طاعتها فيما أمراههم به من الجهاد، فضمعت أنفسهم عن مصابرة الأعداء ومجالدتهم ومقاتلتهم، مع أن بين أظهرهم رسول الله ﷺ وكليمه وصفيته من خلقه في ذلك الزمان، وهو يعدهم بالنصر والظفر بأعدائهم، فظهرت قبائح صنيعهم للخاص والعام، وافتضحوا فضيحة لا يغطيها الليل، ولا يسترها الذليل، هذا وهم في جهلهم يعمهون، وفي غفهم يترددون، وهم البُغَضَاءُ إلى الله وأعداؤه، ويقولون مع ذلك: ﴿وَحَنَّا أَتَيْنَا اللَّهَ وَآجِبْتُوهُ﴾ [الأنعام: ١٨]!! فقبح الله وجوههم التي سَخَّ منها الخنازير والقردة، وألزمهم لعنة تصحبهم إلى النار ذات الوقود، ويقضي لهم فيها بتأييد الخلود، وقد فعل وله الحمد من جميع الوجود.

الآية (٢٧-٣١): يقول تعالى مُبَيَّنًا وَجِيمَ عاقبة البغي والحسد والظلم في خَبَرِ ابْنِي آدَمَ لِصُلْبِهِ كيف عدا أحدهما على الآخر فقتله بغيًا عليه وحسدًا له فيها وَهَبَهُ الله من النعمة، وَتَقَبَّلَ القربان الذي أَخْلَصَ فيه لله عز وجل، ففاز المقتول بوضع الآثام والدخول إلى الجنة، وخاب القاتل ورجع بالصفة الخاسرة في الدنيا والآخرة، فقال تعالى: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ﴾ أي: واقصص على هؤلاء البغاة الحسدة، إخوان الخنازير والقردة، من اليهود وأمثالهم وأشباههم خبر ابني آدم ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي: على الجلية والأمر الذي لا لبس فيه ولا كذب، ولا وهم ولا تبديل، ولا زيادة ولا نقصان؛ كما



## ● الوقفات التدريبية

﴿ قَالُوا يَبْرُؤُوسَ إِنَّا نَدْعُكَ أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا ﴾

وفي هذه القصة أوضح دليل على نقضهم للعهد التي بُنيت السورة على طلب الوفاء بها واقتضت بها، وصُرح بأخذها عليهم في قوله: (ولقد اخذ الله ميثاق بني إسرائيل...) الآية (المائدة: ١٢). البقاعي: ٤٢٨/٢.

السؤال: ما علاقة هذه القصة بافتتاحية سورة المائدة؟

﴿ قَالُوا يَبْرُؤُوسَ إِنَّا نَدْعُكَ أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَأَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَدَيْكَ إِنَّا هَهُنَا قُعْدُوتُ ﴾

(فأذهب أنت وربك): إفراد في العصيان وسوء الأدب، بعبارة تقتضي الكفر والاستهانة بالله ورسوله، وأبين هؤلاء من الذين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم: (لسنا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى، ولكن نقول لك: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون). ابن جزي: ٢٣١/١. السؤال: من خلال الآية وضع مستوى درجات الإيمان لدى الناس عند الاختبار.

﴿ قَالُوا يَبْرُؤُوسَ إِنَّا نَدْعُكَ أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَأَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَدَيْكَ إِنَّا هَهُنَا قُعْدُوتُ ﴾

(إنا هاهنا قاعدون) أي: لا نذهب معكم؛ فكان فعلهم فعل من يريد السعادة بمجرد ادعاء الإيمان من غير تصديق له بامتحان بفعل ما يدل على الإيقان. البقاعي: ٤٢٧/٢.

السؤال: لولا الاختبار والابتلاء لكان كل الناس مؤمنين، وضع ذلك من الآية.

﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾

ولعل الحكمة في هذه المدة أن يموت أكثر هؤلاء الذين قالوا هذه المقالة، الصادرة عن قلوب لا صبر فيها ولا ثبات، بل قد إفت الاستعباد لعدوها، ولم تكن لها همم ترقبها إلى ما فيه ارتقاؤها وعليها، وتظهر ناشئة جديدة تنربى عقولهم على طلب قهر الأعداء، وعدم الاستعباد، والذل المنابع من السعادة. السعدي: ٢٢٨.

السؤال: ما الحكمة في كون التيه أربعين سنة؟

﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾

وهذه عقوبة دينوية، لعل الله تعالى كسرها بها عنهم، ودفع عنهم عقوبة اعظم منها. وفي هذا دليل على أن العقوبة على الذنب قد تكون جزوال نعمته موجودة، أو دفع نعمته قد انعقد سبب وجودها، أو تأخرها إلى وقت آخر. السعدي: ٢٢٨.

السؤال: للعقوبة على الذنب أنواع، اذكرها.

﴿ لِيَنبَسِطَ إِلَيْكَ يَدَايَ إِلَى إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنَّكَ إِتَى أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ إِنَّكَ أَرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمُكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴾

(إنني أريد أن تبوء) أي: ترجع، (بإثمي وإثمك) أي: إنه إذا دار الأمر بين أن أكون قاتلا أو تقتلني، فإني أوشر أن تقتلني، فتبوء بالوزين، (فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين): دل هذا على أن القتل من كبائر الذنوب، وأنه موجب لدخول النار. السعدي: ٢٢٩.

السؤال: ما حكم القتل؟ وماذا يجب على صاحبه؟

﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَافِرِينَ ﴾

(فطوَّعت له نفسه قتل أخيه) أي: سهلت نفسه عليه الأمر، وشجعت، وصورت له أن قتل أخيه طوع سهل له. القرطبي: ١٦٧/١.

السؤال: هل للنفس أثر في تهوين المعصية وتسهيلها؟

قَالُوا يَبْرُؤُوسَ إِنَّا نَدْعُكَ أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَأَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَدَيْكَ إِنَّا هَهُنَا قُعْدُوتُ ﴿١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٣﴾ وَأَقْبَلَ عَلَيْهِمْ نَبَأُ ابْنِ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَهُ بَنَانًا فَفُتِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِسَاطِئِ يَدَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنَّكَ إِتَى أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٥﴾ إِنِّي أَرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٦﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَافِرِينَ ﴿٧﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سُوَّةَ أَخِيهِ قَالَ يُوتِيكَ بِخَبَرٍ أَنُكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِي سُوَّةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٨﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
فَافْرِقْ	فاحكم.
يَتِيهُونَ	يَسِيرُونَ ضَالِّينَ مُتَحِيرِينَ.
فَلَا تَأْسَ	فَلَا تَحْزَنْ.
بَسَطْتَ	مَدَدْتَ.
تَبُوءَ بِإِثْمِي	تَرْجِعْ إِلَيْهِ قَتْلِي.
يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ	يَحْفِرُ فِيهَا حُفْرَةً.
سُوَّةَ	عَوْرَةً، أَوْ جِيفَةَ أَخِيهِ.

## ● العمل بالآيات

١. تأمل قصة من قصص القرآن، وعلمها لغيرك؛ فقد أمر الله تعالى بتلاوتها وتدبرها، ﴿ وَأَقْبَلَ عَلَيْهِمْ نَبَأُ ابْنِ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَهُ قَرِيبًا ﴾.
٢. تقرب إلى الله تعالى بشيء من مالك وإسأله القبول، ﴿ وَأَقْبَلَ عَلَيْهِمْ نَبَأُ ابْنِ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَهُ قَرِيبًا فَفُتِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ ﴾.
٣. ارسل رسالة تحذر فيها من الكبائر؛ وخاصة كبيرة القتل، وأن صاحبها سيعيش بقية عمره من الخاسرين النادمين، ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَافِرِينَ ﴾.

## ● التوجيهات

١. عظم كبيرة الحسد وما يترتب عليها من الكبائر الأخرى، ﴿ فَفُتِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾.
٢. قبول الأعمال الصالحة من الله تعالى، ﴿ فَفُتِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾.
٣. احذر هوى النفس؛ فالنفس تطوع لك فعل الشر وتزينه لتقع فيه، ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَافِرِينَ ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ ﴿ ثُمَّ إِنِّي كُنتُ مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَئَسْرِفُونَ ﴾

إنما ذكروا دون الناس؛ لأن التوراة أول كتاب نزل فيه تعظيم القتل، ومع ذلك كانوا أشد طغياناً فيه وتمادياً؛ حتى قتلوا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ... والإسراف في كل أمر؛ التباعد عن حد الاعتدال مع عدم مبالاة به، والمراد: مسرفون في القتل غير مبالين به. الألوسي: ٣٩٣/٦.

السؤال: التماذي في القتل يوصل إلى قتل أولياء الله، وهو أكثر جلياً لغضب الله، وضح ذلك.

﴿ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ قال مجاهد: وعذ الله قاتل النفس بجهنم، والخلود فيها، والغضب، واللعنة، والعذاب العظيم ... المقصد بالآية: تعظيم قتل النفس، والتشديد فيه؛ لينزجر الناس عنه، وكذلك الثواب في إحيائها كتاب إحياء الجميع؛ لتعظيم الأمر، والترغيب فيه. ابن جزي: ٢٤٣/١.

السؤال: لم مثل من قتل نفساً بأنه قتل الناس جميعاً؟ وما المقصد من تليظ هذا الأمر؟

﴿ وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ وكذلك من أحيا نفساً؛ أي: استبقى أحداً فلم يقتله مع دعاء نفسه له إلى قتله، فمنعه خوف الله تعالى من قتله، فهذا كأنه أحيا الناس جميعاً؛ لأن ما معه من الخوف يمنعه من قتل من لا يستحق القتل. السعدي: ٢٢٩.

السؤال: لماذا كان المحيي لنفس كونه محي لجميع النفوس؟

﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ والمعنى: يحاربون أولياء الله، فعبر بنفسه العزيرة عن أوليائه؛ إكباراً لإذابتهم، كما عبر بنفسه عن الفقراء الضعفاء في قوله: (من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً) [البقرة: ٢٤٥]؛ حثاً على الاستعطاف عليهم. القرطبي: ٤٣٥/٧.

السؤال: ما سر التعبير بقوله: (يحاربون الله) مع أنهم كانوا يحاربون أولياءه؟

﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ وسعوا في الأرض فساداً أن يُقْتَلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ

إذا أخيف الطريق قطع الناس عن السفر، واحتاجوا لزوم البيوت، فانسد باب التجارة عليهم، وانقطعت أكسابهم، فشرع الله على قطع الطريق الحدود المغلظة. القرطبي: ٤٤٦/٧.

السؤال: لماذا أنزل الله تعالى هذه العقوبة العظيمة بالمفسدين في الأرض، وقاطعي الطريق؟

﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ وسعوا في الأرض فساداً أن يُقْتَلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ وإذا كان هذا شأن عظم هذه الجريمة، علم أن تطهير الأرض من المفسدين، وتأمين السبل والطرق عن القتل واخذ الأموال وإخافة الناس، من أعظم الحسنات، وأجل الطاعات، وأنه إصلاح في الأرض، كما أن ضده إفساد في الأرض. السعدي: ٢٣٠.

السؤال: ذكر الله سبحانه حال المفسدين في الأرض، فما حال المصلحين في الأرض؟

﴿ أَتَقَوُّوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ ﴾ حَصَّ تبارك وتعالى من العبادات القريبة إليه: الجهاد في سبيله؛ وهو بذل الجهد في قتال الكافرين بالمال، والنفس، والراي، واللسان، والسعي في نصر دين الله بكل ما يقدر عليه العبد؛ لأن هذا النوع من أجل الطاعات، وأفضل القربات. السعدي: ٢٣٠.

السؤال: لماذا حَصَّ الله الجهاد بالذكر مع أنه داخل ضمن ابتغاء الوسيلة إليه؟

مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّا كَثَّرْنَا مُنْتَهُم بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَئَسْرِفُونَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَتَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لِمَنْ هُتِرَ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْرَأَ عَلَيْهِمُ الْقَالَ مَوْلَا أَلَمْ تَقُولُوا أَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٣٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا تَوَّانَ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٣٧﴾

١١٣

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
يُصَلَّبُوا	يُشَدُّوا عَلَى خَشَبَةٍ.
وَابْتَغُوا	اطْلُبُوا.
الْوَسِيلَةَ	الْقُرْبَى وَالطَّاعَةَ.

## ● العمل بالآيات

١. ارسل رسالة عن خطورة جريمة القتل، وعظيم عقوبتها، ﴿ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾.
٢. تذكر كبيرة فعلتها، ثم تب إلى الله تعالى منها، وأكثر الاستغفار؛ فحد المحاربة يسقط لمن تاب قبل القدرة عليه، فكيف بمن هو دونه؟ ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْرَأَ عَلَيْهِمُ الْقَالَ مَوْلَا أَلَمْ تَقُولُوا أَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾.
٣. اسأل الله أن يجعلك من المجاهدين في سبيله؛ سواء بمالك، أو بعلمك، أو بنفسك، ﴿ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾.

## ● التوجيهات

١. إياك والتجروء على الدم الحرام؛ فإنه بمثابة قتل جميع من في الأرض، ﴿ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ﴾.
٢. فساد بني إسرائيل لم ينشأ عن جهل وقلة علم، بل كان اتباعاً للأهواء، وحباً لذينة الدنيا؛ فغضب الله عليهم ولعنهم؛ ﴿ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّا كَثَّرْنَا مُنْتَهُم بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَئَسْرِفُونَ ﴾.
٣. لو أن رجالاً أتى بالدنيا كلها ليفتدي من عذاب الله تعالى لم يقبل منه، مع أنها هي سبب فتنته وصدوده عن سبيل الله تعالى، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا تَوَّانَ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾.

المراد بالنفي هنا السجن، وهو قول أبي حنيفة وأصحابه، واختار ابن جرير: أن المراد بالنفي ههنا: أن يخرج من بلده إلى بلد آخر فيسجن فيه. وقوله: ﴿ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ خزي لهم بين الناس في هذه الحياة الدنيا، مع ما أذخر الله لهم من العذاب العظيم يوم القيامة، وهذا يؤيد قول من قال: إنها نزلت في المشركين، فأما أهل الإسلام فعن عبادة بن الصامت [مرفوعاً]: «مَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ» [رواه مسلم]. وقال ابن جرير في قوله: ﴿ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا﴾ يعني: شَرٌّ وَغَارٌ وَنَكَالٌ وَذُلَّةٌ وَعَقُوبَةٌ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا قَبْلَ الْآخِرَةِ، ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ أي: إذا لم يتوبوا من فعلهم ذلك حتى هلكوا في الآخرة، مع الجزاء الذي جازيهم به في الدنيا، والعقوبة التي عاقبتهم بها في الدنيا. ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ يعني: عذاب جهنم.

وقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْرَأُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ رَحِيمٌ﴾ أما على قول من قال: إنها في أهل الشرك فظاهر، وأما المحاربون المسلمون فإذا تابوا قبل القدرة عليهم، فإنه يسقط عنهم انتحام القتل والصلب وقطع الرجل، وهل يسقط قطع اليد أم لا؟ في قولان للعلماء، وظاهر الآية يقتضي سقوط الجميع، وعليه عمل الصحابة.

الآية (٣٥-٣٦): يقول تعالى أمراً عباده المؤمنين بتقواه، وهي إذا قُرئت بطاعته كان المراد بها الانكفاف عن المحارم وترك المنهيات، وقد قال بعدها: ﴿وَاتَّبِعُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ قال ابن عباس: أي القرية. وكذا قال مجاهد، وقادة، وابن زيد وغير واحد. وقال قتادة: أي تقربوا إليه بطاعته والعمل بما يرضيه. وهذا الذي قاله هؤلاء الأئمة لا خلاف بين المفسرين فيه. والوسيلة: هي التي يَتَوَصَّلُ بها إلى تحصيل المقصود، والوسيلة أيضاً: عَلَمٌ على أعلى منزلة في الجنة، وهي منزلة رسول الله ﷺ وداره في الجنة، وهي أقرب أمكنة الجنة إلى العرش، وقد بُنِيَ عن عبد الله بن عمرو أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إذا سمعتم المؤمنون يقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا عليّ، فإنه من صلي عليّ صلاة صلي الله عليه عشراً، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة» [رواه مسلم].

وقوله: ﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ لَمَّا أَمَرَهُمْ بترك المحارم وفعل الطاعات، أمرهم بقتال الأعداء من الكفار والمشركين الخارجين عن الطريق المستقيم، والتاركين للدين القويم، ورغبهم في ذلك بالذي أعدّه للمجاهدين في سبيله يوم القيامة، من الفلاح والسعادة العظيمة الخالدة المستمرة التي لا تَبِيدُ ولا تَحُولُ ولا تزول في الغُرفِ العالية الرقيقة الآمنة، الحسنة منظرها، الطيبة مساكنها، التي من سكنها يَتَنَمَّى لا يَبْئَسُ، ويحيا لا يموت، لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه. ثم أخبر تعالى بما أعد لأعدائه الكفار من العذاب والنكال يوم القيامة، فقال: ﴿لَوْ أَنَّهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَشِئْلَهُ بِمَعْتَدٍ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ أي: لو أن أحدهم جاء يوم القيامة بملء الأرض ذهباً وبمثله، ليفتدي بذلك من عذاب الله الذي قد أحاط به، وتيقن وصوله إليه، ما تُقَبَّلُ ذلك منه، بل لا مندوحة عنه ولا محيص له ولا مناص؛ ولهذا قال: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: موحج.

الآية (٣٢-٣٤): ﴿مَنْ أَجَلٌ قَتَلَ ابْنَ آدَمَ أَخَاهُ ظُلْمًا وَعَدُوًّا: ﴿كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ أي: شرعنا لهم وأعلمناهم ﴿أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: ومن قتل نفساً بغير سبب من قصاص، أو فساد في الأرض، واستحل قتلها بلا سبب ولا جناية، فكأنما قتل الناس جميعاً؛ لأنه لا فرق عنده بين نفس ونفس، وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾ أي: حَرَّمَ قتلها واعتقد ذلك، فقد سَلِمَ الناس كلهم منه بهذا الاعتبار؛ ولهذا قال: ﴿فَكَفَّانَا أُنْجَا أَنْتَاسَ جَمِيعًا﴾. قوله: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ نُوحٌ مِنْ رَبِّهِمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي: بالحجج والبراهين والدلائل الواضحة ﴿ثُمَّ لَئِنْ كَذَّبْتُمْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَنَسْفَعُ﴾ وهذا تفرغ لهم وتوبيخ على ارتكابهم المحارم بعد علمهم بها. ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ الآية. الْمُحَارِبَةُ: هي السُّبُاطَةُ والمخالفة، وهي صادقة على الكفر، وعلى قطع الطريق وإخافة السبيل، وكذا الإفساد في الأرض يُطلق على أنواع من الشر، حتى قال كبير من السلف: إن قرض الدراهم والدنانير <sup>(١)</sup> من الإفساد في الأرض.

قال بعضهم: نزلت هذه الآية الكريمة في المشركين، والصحيح أن هذه الآية عامة في المشركين وغيرهم من ارتكب هذه الصفات؛ فعن أنس بن مالك: أن نَفَرًا مِنْ عُكْلٍ، ثمانية، قدموا على رسول الله ﷺ فبايعوه على الإسلام، فاستوخوا المدينة، وسقمت أجسامهم، فشكوا إلى رسول الله ﷺ، فقال: «ألا تخرجون مع راعينا في إبله فتصيبون من أبوالها والبائها؟»، فقالوا: بلى. فخرجوا فشرىوا من أبوالها والبائها، فَصَحَّوْا، فقتلوا الراعي وطردهوا الإبل. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فبعث في آثارهم فَأَذْرَكُوا، فنجى بهم، فأمر بهم ففُطِعت أيديهم وأرجلهم، وسُمرت أعينهم، ثم بُذِلوا في الشمس حتى ماتوا [متفق عليه، ومنا لفظ مسلم]. وعند البخاري: قال أبو قلابة: فهؤلاء سرقوا وقتلوا وكفروا بعد إيمانهم، وحاربوا الله ورسوله. وروى مسلم عن أنس قال: إنها سَمَلُ النبي ﷺ أعين أولئك؛ لأنهم سملوا أعين الرعاة.

قوله: ﴿أَنْ يُقَاتِلُوا أَوْ يُصَلُّوا أَوْ يُقَاتِلُوا أَوْ يُقَاتِلُوا أَوْ يُقَاتِلُوا﴾ قال ابن عباس: من شَهِرَ السلاح في قُبَّةِ الإسلام، وأخاف السبيل، ثم ظَفِرَ به وقُدِرَ عليه، فإمام المسلمين فيه بالحيار: إن شاء قتله، وإن شاء صلبه، وإن شاء قطع يده ورجله.

وقال الجمهور: هذه الآية منزلة على أحوال كما قال ابن عباس في قطاع الطريق: إذا قتلوا وأخذوا المال قُتِلُوا وضُيُّوا، وإذا قتلوا ولم يأخذوا المال قُتِلُوا ولم يُضْلَبُوا، وإذا أخذوا المال ولم يقتلوا قُطِعَتْ أيديهم وأرجلهم من خلاف، وإذا أخافوا السبيل ولم يأخذوا مالا نفوا من الأرض. وهكذا قال غير واحد من السلف والأئمة.

قوله: ﴿أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾ قال بعضهم: هو أن يُطْلَبَ حتى يُقْتَرَّ عليه، يُقَامَ عليه الحد، أو يهرب من دار الإسلام. رواه ابن جرير عن ابن عباس، وأنس بن مالك، وغيرهم. وقال آخرون: هو أن يُنْفَى من بلده إلى بلد آخر، أو يُخْرِجَه السلطان أو نائبه من معاملته بالكلية. وقال آخرون:

(١) الْقَرْضُ: الْقَطْعُ، وَالْقَرْضَةُ: مَا سَقَطَ بِالْقَرْضِ وَالْقَطْعِ، وَمِمَّا قُرِئَ النَّعْبِ، وَفُضِّلَ مَا يُقَرَّضُ الْفَارَّ مِنْ خُبْرٍ أَوْ تَوْبٍ [ينظر: مقاييس اللغة ولسان العرب]، والمراد هنا: بَرْدُ الدراهم والدنانير أو قطعها فينبقس وزنها.

بيده - لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها [مغنى عنه]. ثم قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: هو الملك لجميع ذلك، الحاكم فيه، الذي لا مُعْتَبَر لحكمه، وهو الفعال لما يريد ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَعْفُو لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

الآية (٤١): نزلت هذه الآيات الكريكات في المسارعين في الكفر، الخارجين عن طاعة الله ورسوله، المقتدئين آراءهم وأهواءهم على شرائع الله عز وجل: ﴿مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَقْوَامِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ أي: أظهروا الإيمان بألسنتهم، وقلوبهم خراب خاوية منه، وهؤلاء هم المنافقون. ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ أعداء الإسلام وأهله. وهؤلاء كلهم ﴿سَكَنُوا لِلْكَذِبِ﴾ أي: مستجيبون له، منفعلون عنه ﴿سَكَنُوا لِقَوِيهِمْ﴾ أي: يستجيبون لأقوام آخرين لا يأتون مجلسك يا محمد. وقيل: المراد أنهم يتسمعون الكلام، ويُثَبِّتونه إلى أقوام آخرين ممن لا يحضر عندك، من أعدائك ﴿يُخَوِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاصِيهِ﴾ أي: يتأولونه على غير تأويله، ويبدّلونه من بعد ما عقلوه، وهم يعلمون. ﴿يَقُولُونَ إِنِ أُرِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تَرَوْهُ فَقَدْ رُؤُوا﴾ [سبب النزول]: نزلت في اليهوديّين اللّذين زكّيا، وكانوا قد بدّلوا كتاب الله الذي بأيديهم، من الأمر برجم من أخصن منهم، فحرّفوه واصطلحوا فيها بينهم على الجلد مائة جلد، والتحميم والإركاب على حمارين مقلوبين! فلما وقعت تلك الكائنة بعد هجرة النبي ﷺ، قالوا فيها بينهم: تعالوا حتى نتحاكم إليه، فإن حكم بالجلد والتحميم فخذوا عنه، واجعلوه حجة بينكم وبين الله، ويكون نبي من أنبياء الله قد حكم بينكم بذلك، وإن حكم بالرجم فلا تتبعوه في ذلك.

فرسول الله ﷺ حكم بموافقة حكم التوراة، وليس هذا من باب الإلزام لهم بما يعتقدون صحته؛ لأنهم مأمورون باتباع الشرع المحمدي لا محالة، ولكن هذا بوحى خاص من الله عز وجل إليه بذلك، وسؤاله إياهم عن ذلك ليقرّهم على ما بأيديهم، ممّا نواطئوا على كتابانه وجحد، وعدم العمل به تلك الدهور الطويلة، فلما اعترفوا به - مع عملهم على خلافه - بأن زيفهم وعنادهم وتكذيبهم لِمَا يعتقدون صحته من الكتاب الذي بأيديهم، وعدولهم إلى تحكيم الرسول ﷺ إنما كان عن هوى منهم وشهوة لموافقة آرائهم، لا لاعتقادهم صحة ما يحكم به، لهذا قالوا: ﴿إِنِ أُرِيتُمْ هَذَا﴾ أي: الجلد والتحميم ﴿فَخُذُوهُ﴾ أي: اقبلوه، ﴿وَإِن لَّمْ تَرَوْهُ فَقَدْ رُؤُوا﴾ أي: من قبوله واتباعه. ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ شَيْءٌ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: إن كان الله يريد أن يظهر قلوبهم في الدنيا جزئاً ولهم في الآخرة عذاب عظيم.

الآية (٣٧): ﴿يُؤْتُونَكَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا﴾، كما قال تعالى: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَيْرِ أُعِيدُوا فِيهَا﴾ [الحج: ٢٢]، فلا يزالون يريدون الخروج مما هم فيه من شدته وأليم مسه، ولا سبيل لهم إلى ذلك، كلّما رفعهم اللهب فصاروا في أعلى جهنم، ضربتهم الزبانية بالمقامع الحديد، فإردوهم إلى أسفلها. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ أي: دائم مستمر لا خروج لهم منها، ولا عيّد لهم عنها. عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿يُؤْتَى بِالرَّجُلِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فيقول: يا ابن آدم، كيف وجدت مضجعتك؟ فيقول: شرّ مضجع، فيقول: هل تفتدي بقراب الأرض ذهباً؟ قال: فيقول: نعم يا رب! فيقول: كذبت! قد سألتك أقل من ذلك فلم تفعل: فيؤمر به إلى النار﴾ [رواه مسلم].

الآية (٣٨-٤٠): يقول تعالى حاكماً وأمرًا بقطع يد السارق والساارقة: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾، وروي أن ابن مسعود كان يقرؤها: «والسارق والساارقة فاقطعوا أيديهما». وهذه قراءة شاذة، وإن كان الحكم عند جميع العلماء موافقاً لها لا بها، بل هو مستفاد من دليل آخر. وقد ذهب بعض الفقهاء من أهل الظاهر إلى أنه متى سرق السارق شيئاً قطعت يده به، سواء كان قليلاً أو كثيراً لعموم هذه الآية. وأما الجمهور فاعتبروا النصاب في السرقة، وإن كان قد وقع بينهم الخلاف في قدره. ﴿جَزَاءً بِمَا كَسَبَا﴾ أي: مجازاة على صنيعهما السيئ في أخذهما أموال الناس بأيديهم، فناسب أن يُقَطَّع ما استعانا به في ذلك، ﴿نَكَالًا مِنَ اللَّهِ﴾ أي: تنكيلاً من الله بهما على ارتكاب ذلك، ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ أي: في انتقامه ﴿حَكِيمٌ﴾ أي: في أمره ونبيه وشرعه وقدره. ﴿فَن تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أي: من تاب بعد سرقة وأتاب إلى الله، فإن الله يتوب عليه فيما بينه وبينه، فأما أموال الناس فلا بد من ردّها إليهم أو بدّلها عند الجمهور. وعن عبد الله بن عمرو: أن امرأة سرقت على عهد رسول الله ﷺ، فقال رسول الله: «اقطعوا يدها»، فقالوا: نحن نفديها بخمسةائة دينار. قال: «اقطعوا يدها» فقطعت يدها اليمنى. فقالت المرأة: هل لي من توبة يا رسول الله؟ قال: «نعم، أنت اليوم من خطيئتك كيوم ولدتك أمك». فأنزل الله في سورة المائدة: ﴿فَن تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [رواه أحمد، وصحح إسناده أحد شاكراً]. وعن عائشة أن قريناً أمهم شأن المرأة التي سرقت في عهد النبي ﷺ، في غزوة الفتح، فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد، حب رسول الله ﷺ؟ فأتى بها رسول الله ﷺ، فكلمه فيها أسامة بن زيد، فتلّون وجه رسول الله ﷺ فقال: «أشفع في حدّ من حدود الله عز وجل؟!»، فقال له أسامة: استغفر لي يا رسول الله. فلما كان العشي قام رسول الله ﷺ فاخطب، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: «أما بعد، فإننا أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وإنني -والذي نفسي



## ● الوقفات التدريبية

﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ﴾

بدا الله بالسارق في هذه الآية قبل السارقة، وفي الزنى بالزانية قبل الزاني، ما الحكمة في ذلك؟ فالجواب أن يقال: لما كان حب المال على الرجال أغلب، وشهوة الاستمتاع على النساء أغلب، بدأ بهما في الموضعين.

القرطبي: ٤٧٣/٧.

السؤال: لماذا قدم الله تعالى ذكر الرجال في السرقة، وقدم ذكر النساء في الزنى؟

﴿ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَسْلَمَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾  
توبة السارق هي أن يندم على ما مضى، ويقطع فيما يستقبل، ويرد ما سرق إلى من يستحقه. ابن جزى: ٢٣٦/١.

السؤال: ما علامات صدق توبة السارق؟

﴿ يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزَنُكَ الْذَّنْبُ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ ﴾  
كان الرسول ﷺ من شدة حرصه على الخلق يشتد حزنه لمن يظهر الإيمان ثم يرجع إلى الكفر، فأرشده الله تعالى إلى أنه لا يأسى ولا يحزن على أمثال هؤلاء، فإن هؤلاء لا في العير، ولا في النفير؛ إن حضروا لم ينفعوا، وإن غابوا لم يفقدوا. السعدي: ٢٣١.

السؤال: لماذا لا نحزن على المرتد؟

﴿ يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزَنُكَ الْذَّنْبُ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ ﴾  
ومعنى المسارعة في الكفر إظهار آثاره عند أدنى مناسبة، وفي كل فرصة، فشيء إظهاره المتكرر بإسراع الماشي إلى الشيء ابن عاشور: ١٩٨/٦.

السؤال: ما معنى المسارعة في الكفر؟

﴿ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تَأْتَوْهُ فَاصْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُغْنِ عَنْهُمْ اللَّهُ وَأُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ ﴾

فذل ذلك على أن من كان مقصوده بالتحاكم إلى الحكم الشرعي اتباع هواه، وأنه إن حكّم له رضي، وإن لم يحكم له سخط، فإن ذلك من عدم طهارة قلبه، كما أن من حاكم وتحاكم إلى الشرع ورضي به وافق هواه أو خالفه؛ فإنه من طهارة القلب. السعدي: ٢٣٢.

السؤال: هل كل من تحاكم إلى الشرع يكون مصيباً بعمله؟ ومن الذي يؤجر على تحاكمه إلى الشرع؟

﴿ وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ ﴾

وعد على أن طهارة القلب سبب لكل خير، وهو أكبر داعٍ إلى كل قول رشيد، وعمل سديد. السعدي: ٢٣٢.

السؤال: ما أهمية تطهير القلب؟

﴿ كُنْ فِي الدُّنْيَا خَيْرٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾  
(لهم في الدنيا خزي) أي: للمنافقين واليهود؛ فخزي المنافقين؛ الفضيحة، وهتك الستر بإظهار نفاقهم، وخزي اليهود؛ الجزية أو القتل والسبي والنفي، ورؤيتهم من محمد ﷺ وأصحابه وفيهم ما يكرهون.

البغوي: ٦٧٧/١.

السؤال: كيف يكون خزي المنافقين واليهود في الدنيا؟

يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوكَ مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ ٥ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا كِتَابًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٦ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَسْلَمَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ٧ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَعْفُو لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٨ \* يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزَنُكَ الْذَّنْبُ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَقْوَاهِمَ وَلَمْ تَوْنُمْ قُلُوبُهُمْ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا أَسْمَعُونَ لِلْكَذِبِ سَمْعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُواكَ بِتُحْفَةٍ مِنَ الْكَلِمِ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تَأْتَوْهُ فَاصْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ وَلَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٩

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
نَكَالًا	عُقُوبَةً.
فِتْنَتَهُ	ضَلَالَتَهُ.

## ● العمل بالآيات

١. حدد أسماء قنوات ومواقع عرفت بالصدق لتتابع الأخبار من خلالها، وحدد قنوات عرفت بالكذب ومعاودة الدين، وقاطعها، ﴿ سَمْعُونَ لِلْكَذِبِ سَمْعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُواكَ بِتُحْفَةٍ مِنَ الْكَلِمِ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ﴾.
٢. حدد أموراً يتطهر بها قلبك، ثم افعلها، وتحل بها؛ مثل: حسن الظن، والعفو؛ فإن السعيد من طهر قلبه، ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَمْ يَفْعَلْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾.
٣. قل: اللهم إني أسالك طهارة قلبي، ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ ﴾.

## ● التوجيهات

١. تأمل في صورة أهل النار؛ حيث يحاولون الخروج من النار ولا يستطيعون، ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوكَ مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴾.
٢. باب التوبة مفتوح حتى من ظلم العباد وأذاهم؛ فإن له توبة؛ إن صدق مع الله ورد الظالم لأهلها، ﴿ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَسْلَمَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾.
٣. الاشتغال بالإصلاح بعد التوبة سبب لقبولها وثباتها، ﴿ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَسْلَمَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿ سَمِعْتُمْ لِلْكَذِبِ أَكْثَرُونَ لِلْحَقِّ ﴾

وسمي المال الحرام سحتاً لأنه يسحت الطاعات؛ أي: يذهبها، ويستاصلها.... وقيل: سمي الحرام سحتاً لأنه يسحت مروءة الإنسان. القرطبي: ٤٨٥/٧.

السؤال: لم سمي المال الحرام سحتاً؟

﴿ سَمِعْتُمْ لِلْكَذِبِ أَكْثَرُونَ لِلْحَقِّ ﴾

فذكر ما يدخل في آذانهم وقلوبهم من الكلام، وما يدخل في أفواههم ويظنونهم من الطعام؛ غذاء الجسوم، وغذاء القلوب؛ فإنهما غذاءان خبيثان: الكذب والسحت. ابن تيمية: ٤٧٥/٢-٤٧٦.

السؤال: ذكر الله تعالى في الآية الكريمة نوعين من الغذاء يتغذى بهما اليهود، فما هما؟

﴿ وَالرَّيْبِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ يَمَّا اسْتَحْفَظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ﴾

الربانيون وهم الذين يمسسون الناس بالعلم، ويربونهم بصغارهم قبل كبارهم... قال مجاهد: الربانيون فوق العلماء. القرطبي: ٤٩٥/٧.

السؤال: كيف يكون المسلم ربانياً؟

﴿ وَالرَّيْبِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ يَمَّا اسْتَحْفَظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوْنَ الْكَاسَ وَالْخَسُونَ وَلَا تَشْعُرُوا بِإِثْنِي ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾

(فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشعروا بإثني ثمنًا قليلاً): فتكنموا الحق، وتظهروا الباطل لأجل متاع الدنيا القليل، وهذه الألفاظ إذا سلم منها العالم فهو من توفيقه وسعاده، بأن يكون همه الاجتهاد في العلم والتعليم، ويعلم أن الله قد استحفظه ما أودعه من العلم، واستشهده عليه، وأن يكون خائفاً من ربه، ولا يمنعه خوف الناس وخشيته من القيام بما هو لازم له، وأن لا يؤثر الدنيا على الدين، كما أن علامة شقاوة العالم أن يكون مخلصاً للبطالة، غير قائم بما أمر به، ولا مبال بما استحفظ عليه، قد أهمله وأضاعه، قد باع الدين بالدنيا. السعدي: ٢٣٣.

السؤال: من خلال هذه الآية وضع الفرق بين العالم الرباني والعالم غير الرباني.

﴿ وَكُنَّا عَلَيْهِمْ رِيًّا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ ﴾

فالنفس بالنفس وإن كان القاتل رئيساً مطاعاً من قبيلة شريفة، والمقتول سوقياً طارفاً، وكذلك إن كان كبيراً، وهذا صغيراً، أو هذا غنياً، وهذا فقيراً، وهذا عربياً، وهذا عجمياً، أو هذا هاشمياً وهذا قرشياً. وهذا رد لما كان عليه أهل الجاهلية. ابن تيمية: ٤٨٢/٢.

السؤال: لا يتحقق الأمن إلا بتعميم العدل على الجميع، وضع ذلك

﴿ وَالْجُرُوحُ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ ﴾

فجعل الصدقة بالقصاص الواجب على الظالم - وهو العفو عن القصاص - كفارة للعافي، والاقتصار ليس بكفارة له، فعلم أن العفو خير له من الاقتصار؛ وهذا لأن ما أصابه من المصائب مكفر للذنوب، ويؤجر العبد على صبره عليها، ويرفع درجته برضاه بما يقضيه الله عليه منها. ابن تيمية: ٤٨١/٢.

السؤال: العفو خير من القصاص، وضع ذلك من الآية الكريمة.

﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ ، ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ ، ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾

ولعل وصفهم بالأوصاف الثلاث باعتباريات مختلفة؛ فلا نكارهم ذلك وصفوا بالكافرين، ولوضعهم الحكم في غير موضعه وصفوا بالظالمين، ولخروجهم عن الحق وصفوا بالفاسقين. الألويسي: ٤٣٠/١.

السؤال: لماذا وصف الله الحاكمين بغير شرع بـ (الكافرين، الظالمين، الفاسقين)؟

سَمِعْتُمْ لِلْكَذِبِ أَكْثَرُونَ لِلْحَقِّ لَئِنْ جَاءَ وَكَ  
فَأَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرَضَ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ  
يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُمَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ  
إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٥٥﴾ وَكَيْفَ يُحْكُمُونَ  
وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ  
ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٦﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ  
فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يُحْكَمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْمَوْا  
لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّحِيمُونَ وَالْأَحْبَارُ يَمَّا اسْتَحْفَظُوا مِنْ  
كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوْنَ النَّاسَ  
وَإَخْشَوْنَ اللَّهَ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوْنَ النَّاسَ  
وَأَخْشَوْنَ اللَّهَ فَإُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَتَبْنَا  
بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٨﴾ وَكَتَبْنَا  
عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ  
بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالْيَدَ بِالْيَدِ وَالْجُرُوحَ  
قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ  
لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٩﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
لِلْحُرْمِ	لِلْحُرْمِ
الْمُقْسِطِينَ	الْعَادِلِينَ
وَالرَّحِيمُونَ	الْعُيَاذُ مِنَ الْيَهُودِ، الَّذِينَ يُرِيدُونَ النَّاسَ بِشَرِّ اللَّهِ
وَالْأَحْبَارُ	عُلَمَاءُ الْيَهُودِ

## ● العمل بالآيات

- ابتعد اليوم عن القنوات والإذاعات والصحف التي عرفت بالكذب، ومحاربة الصالحين، ﴿ سَمِعْتُمْ لِلْكَذِبِ أَكْثَرُونَ لِلْحَقِّ ﴾.
- سل الله تعالى أن يرزقك القسط والعدل في قولك، وعملك، وحكمك لتتال محبة الله تعالى، ﴿ وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُمَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾.
- حدد هدفك من دراسة كتاب الله بوضوح؛ حتى تجتنب الرياء والسمعة، ﴿ وَلَا تَشْعُرُوا بِإِثْنِي ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾.

## ● التوجيهات

- العدل واجب مع الجميع؛ حتى مع أعداء الله، ﴿ وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُمَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾.
- لا تخش الناس في دعوتك إلى الله، بل اخش الله رب الناس، ﴿ فَلَا تَخْشَوْنَ الْكَاسَ وَالْخَسُونَ ﴾.
- أخلص نيتك ولا تجعل هدفك من حفظ القرآن وفهمه تحصيل مصلحة دنيوية، أو نساء الناس عليك، ﴿ وَلَا تَشْعُرُوا بِإِثْنِي ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾.

وهكذا قال قتادة، ومقاتل بن حَيَّان، وابن زيد وغير واحد. وقد روي عن ابن عباس: أن هذه الآيات نزلت في اليهوديين اللذين زنيا. وقد يكون اجتمع هذان السببان في وقت واحد، فنزلت هذه الآيات في ذلك كله، والله أعلم. ولهذا قال بعد ذلك: ﴿وَكُنَّا عَلَيْهِمْ بِمَا أَنَّى أَنفَسَ بِالنَّفْسِ﴾ إلى آخرها، وهذا يَقْوِي أن سبب النزول قضية القصاص، والله سبحانه وتعالى أعلم. ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ قال البراء بن عازب، وحذيفة بن اليان، وابن عباس، والحسن البصري، وغيرهم: نزلت في أهل الكتاب، زاد الحسن البصري: وهي علينا واجبة. قال السدي: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ﴾ بما أنزلت فكره عمداً، أو جاز وهو يعلم، فهو من الكافرين. وقال ابن عباس: من جحد ما أنزل الله فقد كفر، ومن أقر به ولم يحكم فهو ظالم فاسق. رواه ابن جرير. ثم اختار أن الآية المراد بها أهل الكتاب، أو من جحد حكم الله المنزل في الكتاب. وقال الشعبي: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾، قال: هذا في المسلمين، ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ قال: هذا في اليهود، ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ قال: هذا في النصارى. وعن ابن طاووس عن أبيه قال: سئل ابن عباس عن قوله: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ﴾ الآية، قال: هي به كفر. قال ابن طاووس: وليس كمن كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله. وقال عطاء: كُفِّرَ دون كُفْرٍ، وظلم دون ظلم، وفسق دون فسق. رواه ابن جرير. وعن ابن عباس: ليس بالكفر الذي يذهبون إليه.

الآية (٤٥): وهذا أيضاً مما وُيْحَتْ به اليهود وقرعوا عليه؛ فإن عندهم في نص التوراة: أن النفس بالنفس. وهم يخالفون حكم ذلك عمداً وعناداً، وَيُثْبِتُونَ النَّصْرِيَّ مِنَ الْقُرْطِيِّ، ولا يُقْبِدُونَ الْقُرْطِيَّ مِنَ النَّصْرِيِّ، بل يعدلون إلى الديانة كما خالفوا حكم التوراة المنصوص عندهم في رجم الزاني المحصن، وعدلوا إلى ما اصطالحوا عليه من الجلد والتحميم والإشهار؛ ولهذا قال هناك: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ لأنهم جحدوا حكم الله قصداً منهم وعناداً وعمداً، وقال ههنا: ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ لأنهم لم ينصفوا المظلوم من الظالم في الأمر الذي أمر الله بالعدل والتسوية بين الجميع فيه، فخالفوا وظلموا، وتعدوا بعضهم على بعض. وقوله: ﴿وَالْجُرُوحُ قِصَاصٌ﴾ قال ابن عباس: تُقْتَلُ النفس بالنفس، وتُقَفَّ العَيْنُ بالعَيْن، ويُقَطَّعُ الأنفُ بالأنف، وتُنَزَّعُ السن بالسن، وتُقَصَّ الجراح بالجراح. فهذا يستوي فيه أحرار المسلمين فيما بينهم، ورجالهم ونسأولهم، إذا كان عمداً في النفس وما دون النفس، ويستوي فيه العبيد ورجالهم ونسأولهم فيما بينهم إذا كان عمداً، في النفس وما دون النفس. وقوله: ﴿مَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ﴾ قال ابن عباس: فمن تصدَّقَ به فهو كفارة للجراح، وأجر المجروح على الله عز وجل. وقوله: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾، قد تقدَّم عن طاووس وعطاء أنها قالوا: كُفِّرَ دون كُفْرٍ، وظلم دون ظلم، وفسق دون فسق.

الآية (٤٢-٤٤): ﴿سَمِعْتُمْ لَكَذِبًا﴾ أي: الباطل ﴿أَكْتَلَوْا لِلشَّحِّ﴾ أي: الحرام، وهو الرشوة كما قاله ابن مسعود وغير واحد؛ أي: ومن كانت هذه صفته كيف يُطَهَّرَ الله قلبه؟! وأنى يستجيب له؟! ثم قال لنبيه: ﴿فَإِنْ جَاءُوكَ﴾ أي: يتحاكمون إليك ﴿فَاعْكَمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تَرَضُ عَنْهُمْ فَلَئِنْ بَصُرْتُكَ شَيْئًا﴾ أي: فلا عليك ألا تحكم بينهم؛ لأنهم لا يقصدون بتحاكمهم إليك اتباع الحق، بل ما يوافق أهواءهم. قال ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، والحسن، وقتادة، والسدي، وزيد بن أسلم، وعطاء الخراساني: هي منسوخة بقوله: ﴿وَأَنْ أَعْكَمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ [المائدة: ٤٩].

قوله: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَاعْكَمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾ أي: بالحق والعدل، وإن كانوا ظلمة خارجين عن طريق العدل ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾. ثم قال تعالى منكرًا عليهم في آرائهم الفاسدة، ومقاصدهم الزائفة، في تركهم ما يعتقدون صحته من الكتاب الذي بأيديهم، الذي يزعمون أنهم مأمورون بالتمسك به أبداً، ثم خرجوا عن حكمه وعدلوا إلى غيره، مما يعتقدون في نفس الأمر بطلانه وعدم لزومه لهم؛ فقال: ﴿وَكَيْفَ يُحْكِمُكَ اللَّهُ وَعِدَّتُهُ التَّوْرَةُ﴾. ثم مدح التوراة التي أنزلها على عبده ورسوله موسى بن عمران، فقال: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا﴾ أي: لا يخرجون عن حكمها ولا يبدلونها ولا يحرفونها ﴿وَالرَّكَابِيُّونَ وَالْأَنْحَارُ﴾ أي: وكذلك الربابيون منهم وهم المُبَادِ العلماء، والأخبار وهم العلماء ﴿بِمَا اسْتَحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾ أي: بما استودعوا من كتاب الله الذي أمروا أن يُظهِرُوهُ ويعملوا به ﴿وَصَكَّائُوا عَلَيْهِ شَهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوْا الْنَكَاسَ وَآخِذُوا بِهِ﴾ أي: لا تخافوا منهم وخافوا مني ﴿وَلَا تَشْعُرُوا بِعَاقِبَتِ شَيْءٍ قَلِيلًا﴾.

سبب آخر لنزول هذه الآيات الكريهات<sup>(١)</sup>: عن ابن عباس قال: أنزلها الله في الطائفتين من اليهود، كانت إحداها قد قَهَرَتْ الأخرى في الجاهلية، حتى ارتضوا واصطلحوا على أن كل قاتل قتلته العزيرة من الذليلة فدينه خسون وسَقَا، وكل قاتل قتلته الذليلة من العزيرة فدينه مائة وسَقَا، فكانوا على ذلك حتى قدم النبي ﷺ، ففككت الذليلة من العزيرة قتيلاً، فأرسلت العزيرة إلى الذليلة: أن ابعثوا لنا بمائة وسَقَا، فقالت الذليلة: وهل كان هذا في حَيٍّ قطَ دينها واحد، ونسبها واحد، وبلدها واحد، دية بعضهم نصف دية بعض؟! إنما أعطيناكم هذا صَيًّا منكم لنا، وقَرَقًا منكم، فأما إذ قدم محمد فلا نعطيكم ذلك، فكادت الحرب تنبج بينهما، ثم ارتضوا على أن يجعلوا رسول الله ﷺ بينهم، فذسوا إلى رسول الله ﷺ ناسًا من المنافقين ليخبروا لهم رأي رسول الله ﷺ، فلما جاءوا رسول الله ﷺ أخبر الله رسوله ﷺ بأمرهم كله وما أرادوا، فانزل الله تعالى: ﴿بِمَا أَرْسَلْنَاكَ لَا يُخَذِّلُكَ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ إلى قوله: ﴿النَّفِيسُ ثِقَلٌ﴾، ففهم -والله- أنزل، وإياهم عنى الله عز وجل. [رواه أحمد وصححه إسناده أحمد شاكر].

(١) المقصود بدءاً من الآية (٤١) التي ذكر فيها قصة اليهوديين اللذين زنيا.



الآية (٤٦-٤٧): ﴿وَقَفَّيْنَا﴾ أي: أَتَيْنَا ﴿عَلَىٰ آثَرِهِمْ﴾ يعني: أنبياء بني إسرائيل ﴿يَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ مَصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْوَرْدَةِ﴾ أي: مؤمناً بها حاكماً بما فيها، ﴿وَمَا آتَيْنَاهُ إِلَّا نَجِيلًا فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ أي: هدى إلى الحق، ونورٌ يُسْتَفَهِمُ به في إزالة الشبهات وحل الشكوك. ﴿وَمَصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْوَرْدَةِ﴾ أي: مُتَّبِعًا لها، غير مخالفٍ لِمَا فيها، إلا في القليل مما يَنُفِّرُ لبني إسرائيل بعض ما كانوا يختلفون فيه؛ ولهذا كان المشهور من قولي العلماء: أن الإنجيل نسخ بعض أحكام التوراة كما قال تعالى: ﴿وَلَا جُنْدَ لَكُمْ بَعِثَ الَّذِي خَرِمَ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران: ٥٠]. وقوله: ﴿وَهُدًى﴾ أي: وجعلنا الإنجيل هدىً يُتَّبَعُ به، ﴿وَمَوْعِظَةً﴾ أي: زاجراً عن ارتكاب المحارم والمآثم، ﴿وَالذِّكْرَ﴾ لن اتقى الله وخاف وعيده وعقابه. ﴿وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنجِيلِ﴾ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ فِيهِ ﴿قُرْئِ﴾: «الْوَحْيُ» بالنصب، أي: وآتيناه الإنجيل ليحكم أهل ملته به في زمانهم. وقُرئ: ﴿وَلِيَحْكُمَ﴾ بالجرم، أي: ليؤمنوا بجميع ما فيه، وليقيموا ما أمروا به فيه، وبما فيه البشارة ببعثة محمد والأمر باتباعه وتصديقه إذا وجد؛ كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُتَيَّمُوا بِالْوَرْدَةِ وَالْإِنجِيلِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [المائدة: ٦٨]. ولهذا قال ههنا: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ أي: الخارجون عن طاعة ربهم، المائلون إلى الباطل، التاركون للحق. وقد تقدّم أن هذه الآية نزلت في النصارى، وهو ظاهر السياق.

الآية (٤٨-٥٠): لَمَّا ذَكَرَ تعالى التوراة التي أُنْزِلَها على موسى كليمه، ومدحها وأثنى عليها، وأمر باتباعها حيث كانت سائفة الاتباع، وذكر الإنجيل ومدّحه، وأمر أهله باتباعه واتباع ما فيه؛ شَرَعَ تعالى في ذكر القرآن العظيم، الذي أُنْزِلَ على عبده ورسوله الكريم، فقال: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ أي: بالصدق الذي لا ريب فيه أنه من عند الله، ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ﴾ أي: من الكتب المتقدمة المتضمنة ذكره ومدّحه، وأنه سينزل من عند الله على عبده ورسوله محمد ﷺ، فكان نزوله كما أخبرت به، مما زادها صدقاً عند حامليها من ذوي البصائر، الذين انقادوا لأمر الله واتباعوا شرائع الله، وصدّقوا رسل الله. ﴿وَمُتَّبِعِينَ عَلَىٰ﴾ عن ابن عباس قال: مؤتَمين. وينحو ذلك قال مجاهد والسدي وقتادة وابن جريج والحسن البصري وغير واحد من أئمة السلف. وعن ابن عباس [أيضاً]: حاكماً على ما قبله من الكتب.

وهذه الأقوال كلها متقاربة المعنى، فإن اسم (المهيمن) يتضمن هذا كله؛ فهو أمين وشاهد وحاكم على كل كتاب قبله، جعل الله هذا الكتاب العظيم، الذي أُنْزِلَ آخر الكتب وخاتمها، أشملها وأعظمها وأكملها، حيث جمع فيه محاسن ما قبله، وزاده من الكمالات ما ليس في غيره؛ فلذلك جعله شاهداً وأميناً وحاكماً عليها كلها. وتكفل تعالى بحفظه بنفسه الكريمة، فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَنَظِيرُونَ﴾ [الحجر: ٩]. ﴿فَأَحْكُمْ بَيْنَهُمْ﴾ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ ﴿أَي:﴾ فاحكم يا محمد بين الناس: عَرَبِهِمْ وَعَجَبِهِمْ، أَتَمِّهِمْ وَكُتَابَهُمْ بما أُنْزِلَ إليك هذا الكتاب العظيم، وبما قرّره لك مَنْ حُكِمَ مَنْ كان قبلك من الأنبياء ولم ينسخه في شرعك. وهكذا وجه ابن جرير بمعنى.

وقوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ أي: آراءهم التي اصطَلَحوا عليها، وتركوا بسببها ما أُنْزِلَ الله على رسوله. ﴿عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ أي: لا

تنصرف عن الحق الذي أمرك الله به إلى أهواء هؤلاء من الجهلة الأشقياء. ﴿يُكَلِّمُنَا جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً﴾ قال ابن عباس: سبيلاً ﴿وَمِنْهَا جَآنَا﴾ قال: وسنة. ثم هذا إخبار عن الأمم المختلفة الأديان، باعتبار ما بعث الله به رُسُلُه الكرام من الشرائع المختلفة في الأحكام، المتفقة في التوحيد كما ثبت في صحيح البخاري، عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «نحن معاشر الأنبياء إخوة لعلات، ديننا واحد» يعني بذلك التوحيد الذي يَبْتَغِي الله به كل رسول أُرسله، وَضَعَهُ كل كتاب أُنْزِلَ، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ اللَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢١٥]. وأما الشرائع فمختلفة في الأوامر والنواهي. ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ هذا خطاب لجميع الأمم، وإخبار عن قدرته تعالى العظيمة التي لو شاء الله لجمع الناس كلهم على دين واحد وشرعية واحدة، لا يُنسخ شيء منها. ولكنه تعالى شرع لكل رسول شريعة على حدة، ثم نسخها أو بعضها برسالة الآخر الذي بعده، حتى نسخ الجميع بما بعث به عبده ورسوله محمدًا ﷺ، الذي ابتعثه إلى أهل الأرض قاطبة، وجعله خاتم الأنبياء كلهم؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَكِنْ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ أي: أنه تعالى شَرَعَ الشرائع مختلفة، ليختبر عباده فيها شرع لهم، ويشبههم أو يعاقبهم على طاعته ومعصيته بما فعلوه أو عزموا عليه من ذلك كله. ثم إنه تعالى نَدَبَهُم إلى المسارعة إلى الخيرات والمبادرة إليها، فقال: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ وهي طاعة الله واتباع شرعه، الذي جعله ناسخاً لما قبله، والتصديق بكتابه القرآن الذي هو آخر كتاب أُنْزِلَ. ﴿إِلَىٰ أَنَّهُ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ أي: معادكم أيها الناس ومصيركم إليه يوم القيامة ﴿فَتَبَيَّنَتْ﴾ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَفْتَلِحُونَ ﴿فيخبركم بما اختلفتم فيه من الحق، فيجزئ الصادقين بصدقهم، ويُعَذِّبُ الكافرين الجاحدين المكذبين بالحق، العادلين عنه إلى غيره بلا دليل ولا برهان، بل هم معاندون للبراهين القاطعة، والمُجْحِبُ البالغة، والأدلة الدامغة.

﴿وَأَنِّي أَحْكَمُ بَيْنَهُمْ﴾ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ﴿تأكيد لما تقدّم من الأمر بذلك، والنهي عن خلافه. ثم قال: ﴿وَاحْذَرُوا أَن يَقْبِضُوا عَنْكُمْ﴾ بِبَعْضِ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ ﴿أي:﴾ احذر أعداءك اليهود أن يُكْبِتُوا عليك الحق فيما يُتَّبِعُونَهُ إليك من الأمور، فلا تغترّ بهم، فإنهم كَلْبَةٌ كَثْرَةُ خَوْفَةٍ، ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أي: عمّا تحكم به بينهم من الحق، وخالفوا شرع الله ﴿فَأَعْلَمَتْ أَنَّىٰ رُبُّهُ﴾ أَنَّهُ أَنَّهُ يُبَيِّنُهُمْ بِبَعْضِ دُخُونِهِمْ ﴿أي:﴾ فاعلم أن ذلك كائن عن قدرة الله وحكمته فيهم أن يصرفهم عن الهدى لما لهم من الذنوب السالفة التي اقتضت إضلالهم ونكالهم ﴿وَلَئِنْ كَبُرُوا مِنْ كَثْرَتِنَا فَتَضَيّقُوا﴾ أي: أكثر الناس خارجون عن طاعة ربهم، مخالفون للحق ناكبون عنه. وقوله: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْتَغُونَ﴾ ينكر تعالى على مَنْ خَرَجَ عن حكم الله المحكم المشتمل على كل خير، الناهي عن كل شرٍّ، وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات، التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله، ﴿يَبْتَغُونَ﴾ ويريدون، وعن حكم الله يعملون. قوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوفُّونَ﴾ أي: ومن أعدل من الله في حكمه لمن عقل عن الله شرعه، وآمن به وأيقن وعلم أنه تعالى أحكم الحاكمين، وأرحم بخلقهم من الوالدة بولدها؟! فإنه تعالى هو العالم بكل شيء، القادر على كل شيء، العادل في كل شيء.



## ● الوقفات التدريبية

﴿ وَقَفْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ يَيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ ۚ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ۝١٦٦﴾

ما ذكره من مدح المسيح والإنجيل ليس فيه مدح النصراني الذين كذبوا محمداً، وبدلوا أحكام التوراة والإنجيل، واتبعوا المبدل المنسوخ.  
ابن تيمية: ٢/ ٤٨٥.

السؤال: هل الثناء على عيسى - عليه السلام - ومدح الإنجيل فيه مدح للنصارى المعاصرين؟

﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۝١٦٧﴾

(ومهيماً عليه) أي: مشتملاً على ما اشتملت عليه الكتب السابقة وزيادة في المطالب الإلهية والأخلاق النفسية؛ فهو الكتاب الذي تتبع كل حق جاءت به الكتب فأمر به، وحث عليه، وأكثر من الطرق الموصلة إليه، وهو الكتاب الذي فيه نبأ السابقين واللاحقين، وهو الكتاب الذي فيه الحكم والحكمة السعدي: ٢٣٤.

السؤال: كيف كان القرآن مهيماً على الكتب السابقة؟

﴿ فَاسْتَفِيقُوا الْخَيْرَاتِ ۝١٦٨﴾

وهذا يدل على أن تقديم الواجبات أفضل من تأخيرها، وذلك لا خلاف فيه. القرطبي: ٨/ ٣٩.

السؤال: هل المسارعة لتأدية الواجبات أفضل، أم تأخيرها أفضل؟

﴿ فَاسْتَفِيقُوا الْخَيْرَاتِ ۝١٦٨﴾

ويستدل بهذه الآية على المبادرة لأداء الصلاة وغيرها في أول وقتها، وعلى أنه ينبغي أن لا يقتصر العبد على مجرد ما يجزئ في الصلاة وغيرها من العبادات من الأمور الواجبة، بل ينبغي أن يأتي بالمستحبات التي يقدر عليها لتتم وتكمل، ويحصل بها السبق. السعدي: ٢٣٤.

السؤال: كيف يكون العبد سابقاً بالخيرات؟

﴿ وَأَن آخُكُمْ يَتَّبِعُ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَكَأَدَّرَهُمْ أَن يَفْتَنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۝١٦٩﴾

فقد نهى عن اتباع أهواء المشركين، واتباع أهواء أهل الكتاب، وحذره أن يفتنوه عما أنزل الله إليه من الحق، وذلك يتضمن النهي عن اتباع أهواء أحد في خلاف شريعته وسنته، وكذا أهل الأهواء من هذه الأمة. ابن تيمية: ٢/ ٤٩٤.

السؤال: في الآية توجيه مهم لكل مسؤول فما هو؟

﴿ وَأَن آخُكُمْ يَتَّبِعُ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ۝١٦٩﴾

أي: أراهم التي اصططلحوا عليها، وتركوا بسببها ما أنزل الله على رسله، ولهذا قال تعالى: (ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق) أي: لا تنصرف عن الحق الذي أمرك الله به إلى أهواء هؤلاء الجهلة الأشقياء ابن كثير: ٢/ ٦٣.

السؤال: ما البديل عن حكم الله في زعم الجهلة والأشقياء؟

﴿ وَكَأَدَّرَهُمْ أَن يَفْتَنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۝١٦٩﴾

أي: واحذر أعدائك اليهود أن يدلسوا عليك الحق فيما ينهونه إليك من أمور، فلا تغتر بهم؛ فإنهم كذبة كفر خونة، ابن كثير: ٢/ ٦٤.

السؤال: استرشد المسلمين بآراء اليهود والنصارى ونصائحهم كثيراً ما يكون سبباً لمصائب المسلمين، وضع ذلك من الآية.

وَقَفْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ يَيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ ۚ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ۝١٦٦  
وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ۝١٦٧  
وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۚ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ۚ لِكُلِّ جَعَلْنَا مَنكُم شُرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَفِيقُوا ۚ الْخَيْرَاتُ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۝١٦٨  
وَأَن آخُكُمْ يَتَّبِعُ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۚ وَإِن كِبرَ مِنْ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ۝١٦٩  
لِّيُجَاهِلَ فِي بَعْضِهِمْ مِّنْ أَحْسَنٍ مِّنَ اللَّهِ حُكْمًا ۚ لَّيُوقِنَنَّ ۝١٧٠

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
وَقَفْنَا	أَتَقَبْنَا.
وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ	حَاكِمًا عَلَيْهَا، شَاهِدًا بِصِحَّتِهَا، أَمِينًا عَلَيْهَا.
شُرْعَةً وَمِنْهَاجًا	شَرِيعَةً، وَطَرِيقًا وَاضِحًا فِي الدِّينِ.
لِّيَبْلُوَكُمْ	لِيُخَبِّرَكُمْ.

## ● العمل بالآيات

١. اسبق اليوم غيرك إلى نوع من الطاعات، كالصلاة الأولى، والصدقة المضطر محتاج، أو غيرها من أبواب الخير، ﴿ فَاسْتَفِيقُوا الْخَيْرَاتِ ۝١٦٨﴾.
٢. بادر بالتخلي عن صديق يصدك عن ذكر الله، واستبدل به من يقربك من الله؛ فإن من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه، ﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَكَأَدَّرَهُمْ أَن يَفْتَنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۝١٦٩﴾.
٣. أرسل رسالة تربط فيها بين عقوبة حلت بالمجتمع وذنوب انتشر فيه، ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۚ وَإِن كِبرَ مِنْ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ۝١٦٩﴾.

## ● التوجيهات

١. الشريعة ابتلاء من الله سبحانه وتعالى لعباده؛ ليرى من يستجيب ومن لا يستجيب، ﴿ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۝١٦٨﴾.
٢. عمر ك قصير؛ فاستيق الخيرات، ﴿ فَاسْتَفِيقُوا الْخَيْرَاتِ ۝١٦٨﴾ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۝١٦٨﴾.
٣. احذر الوسائل التي تقنعك بقيم اليهود والنصارى وأفكارهم؛ فإن الله عز وجل قد حذر نبيه من أن يفتنوه، فكيف بمن هو دونه؟ ﴿ وَكَأَدَّرَهُمْ أَن يَفْتَنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۝١٦٩﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضُهُمْ يَتَوَلَّوْنَ بَنِيكُمْ فَإِنَّهُمُ إِذْ لَا يَهْدَى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾

عرف أهل الخبرة أن أهل الذمّة من اليهود والنصارى والمنافقين يكتبون أهل دينهم بأخبار المسلمين، وبما يطلعون على ذلك من أسرارهم؛ حتى أخذ جماعة من المسلمين في بلاد التتار وسيي وغير ذلك بمطالعة أهل الذمّة لأهل دينهم. ابن تيمية: ٩٦/٢.

السؤال: لماذا جاء النهي عن موالاة أهل الكتاب؟

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضُهُمْ يَتَوَلَّوْنَ بَنِيكُمْ فَإِنَّهُمُ إِذْ لَا يَهْدَى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾

وأصل الموالاة هي المحبة، كما أن أصل المعادة البغض؛ فإن التحاب يوجب التقارب والاتفاق، والتباغض يوجب التباعد والاختلاف. ابن تيمية: ٩٨/٢.

السؤال: ما أصل الموالاة؟ وما أصل المعادة؟

﴿فَقَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَحْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فُضِّحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرَفُوا فِي أَنْفُسِهِمْ يُذَيِّبُكُمُ (في قلوبهم مرض) أي: شك ونفاق، وضعف إيمان؛ يقولون: إن تولينا إياهم للحاجة؛ فإننا (نحشى) أن تصيبنا دائرة) أي: تكون الدائرة لليهود والنصارى، فإذا كانت الدائرة لهم فإذا نال معهم يد يكاؤوننا عنها. وهذا سوء ظن منهم بالإسلام؛ قال تعالى رادا لظنهم السيئ: (فعسى الله أن يأتي بالفتح الذي يعز الله به الإسلام. السعدي: ٢٣٥).

السؤال: وضع من خلال الآية كيف يؤدي سوء الظن إلى منكر عظيم. ﴿فَقَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَحْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فُضِّحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرَفُوا فِي أَنْفُسِهِمْ يُذَيِّبُكُمُ (نادمين) أي: على ما كان منهم مما لم يجد عنهم شيئا، ولا دفع عنهم محدورا، بل كان عين المفسدة؛ فإنهم فضحوا، وأظهر الله أمرهم في الدنيا لعباده المؤمنين، بعد أن كانوا مستورين لا يدرى كيف حالهم، فلما انعدت الأسباب الفاضحة لهم تبين أمرهم لعباد الله المؤمنين، فتعجبوا منهم كيف كانوا يظهرون أنهم من المؤمنين، ويحلفون على ذلك ويتناولون، فبان كذبهم، واقتراؤهم. ابن كثير: ٦٦/٢.

السؤال: من يؤثر موالاة الكافرين على حساب المسلمين فقد يعاقب في الدنيا قبل الآخرة، وضع ذلك.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ رَبِّكَ مِنْ عِنْدِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾

(اذلّة) وهو جمع ذليل؛ ولما كان ذلهم هذا إنما هو: الرفق ولين الجانب لا الهوان، كان في الحقيقة عزاً. البقاعي: ٨٣/٢.

السؤال: ما المقصود بالذلة للمؤمنين في الآية الكريمة؟

﴿أَعَزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾

فالغلظة والشدة على أعداء الله مما يقرب العبد إلى الله، ويوافق العبد ربه في سخطه عليهم، ولا تمتنع الغلظة عليهم والشدة دعوتهم إلى الدين الإسلامي بالتي هي أحسن؛ فتجتمع الغلظة عليهم، واللين في دعوتهم، وكلا الأمرين في مصلحتهم، ونفعه عائد إليهم. السعدي: ٢٣٦.

السؤال: متى تغلظ على الكافرين، ومتى تلين معهم؟

﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾

ولما مدحهم تعالى بما من به عليهم من الصفات الجليلة، والمنافق العالية، المستزمنة لما لم يذكر من أفعال الخير؛ أخبر أن هذا من فضله عليهم وإحسانه؛ لئلا يُعجبوا بأنفسهم، وليشكروا الذي من عليهم بذلك؛ ليزيدهم من فضله، وليعلم غيرهم أن فضل الله تعالى ليس عليه حجاب. السعدي: ٢٣٦.

السؤال: لماذا حُتم الله صفات المؤمنين بأنهم من فضله؟

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضُهُمْ يَتَوَلَّوْنَ بَنِيكُمْ فَإِنَّهُمُ إِذْ لَا يَهْدَى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿فَقَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَحْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فُضِّحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرَفُوا فِي أَنْفُسِهِمْ يُذَيِّبُكُمُ أَهْلُوا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أُنْفُسِهِمْ فَتَمَحَّكُمُ لَهُمْ خِصْمٌ إِنَّهُمْ كَافِرُونَ﴾ ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ رَبِّكَ مِنْ عِنْدِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ أُوْمَةً لَا يَمُرُّ بِكَ ذَلِكَ فَنُصِّلَ اللَّهُ بُرْيَتَهُ مِنْ شَرِّ مَا تَلَوَّاهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ ذُكْوَىٰ﴾ ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً أُولَئِكَ أَنْفَرُوا أَوْفُوا﴾ ﴿الْكَذِّبُ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَافِرُ أَوْلَايَا وَتَقَوُا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
يُسَارِعُونَ فِيهِمْ	يُبَادِرُونَ فِي مَوَدَّةِ الْيَهُودِ وَنَحْوِهِمْ.
دَائِرَةٌ	دَائِمَةٌ وَمُصِيبَةٌ تَدُورُ عَلَيْنَا.
جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ	مُجْتَهِدِينَ فِي الْحَلْفِ بِأَوْكَدِ الْإِيمَانِ.
حَبِطَتْ	بَطَلَتْ.
أَذِلَّةٌ	رُحَمَاءُ.
لَوْمَةً لَا تَمُ	اعْتِرَاضٌ مُعْتَرِضٌ.

## ● العمل بالآيات

- أكثر اليوم من سؤال الله تعالى أن يطهر قلبك ويصلحه. ﴿فَقَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ﴾.
- أهد هدية، أو زراخلك في الله أصغر منك سناً، أو أقل منك قدراً، ﴿أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾.
- أرسل رسالته تحت فيها على مقاطعتين من يسخر من دين الله، ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ هُزُوءًا وَلَكِنْ يَنْزِلُ إِلَيْكَ أَوَّلُ الْكِتَابِ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَافِرُ أَوْلَايَا﴾.

## ● التوجيهات

- المؤمن لا يوالي غير المؤمنين، ومن فعل ذلك فهي إيمانه ضعف، ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ﴾.
- من سمات مرضى القلوب مسارعتهم في أعداء الدين لإرضائهم، ونيل محبتهم، ﴿فَقَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَحْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾.
- على المؤمن أن يكون فطناً، ويعرف أعداءه من أصدقائه من خلال أقوالهم وأفعالهم، ولا يقتضي بمجرد الدعوى، والأيمان والحلف، ﴿وَيَتَوَلَّ الَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُوا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أُنْفُسِهِمْ فَتَمَحَّكُمُ لَهُمْ﴾.

الآية (٥٧): وهذا تنفير من موالاة أعداء الإسلام وأهله، من الكتابيين والمشرّكين، الذين يتخذون أفضل ما يعمله العاملون، وهي شرائع الإسلام المطهرة المحكّمة المشمّلة على كل خير دنيوي وأخروي، يتخذونها «هُزُوا» يستهزئون بها، ﴿وَكَيْبًا﴾ يعتقدون أنها نوع من اللعب في نظهم الفاسد، وفكرهم البارد. قوله: ﴿مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ وَالنَّكَارَ﴾ لا يتخذوا هؤلاء ولا هؤلاء أولياء. والمراد بالكفار هنا: المشركون. «وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّكُمْ مُّؤْمِنِينَ»: أي: اتقوا الله أن تتخذوا هؤلاء الأعداء لكم ولديكم أولياء ﴿إِنَّكُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ بشرع الله الذي اتخذه هؤلاء هزوا ولعبا؛ كما قال: ﴿لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَسْتَأْذِنُوا مِنْهُ نَقَصَ وَبُعِثَ فِيكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَلِلَّهِ الصِّمْرُ﴾ (آل عمران: ٢٨).

اعتادوهم. وقوله: ﴿لَوْلَا تَبَتُّهُمْ الرَّبِّيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِنْدَرُ وَأَكْهَمُ السَّحْتِ لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ يعني: هَلَّا كَانَ بِنَاهُم الرِّبَايُونَ والأحبار عن تعاطي ذلك؟! والربانيون: هم العلماء العَمَّالُ أرباب الولايات عليهم، والأحبار: هم العلماء فقط. ﴿لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ يعني: في تركهم ذلك. قاله ابن عباس، وعن ابن عباس قال: ما في القرآن آية أشدَّ توبيخًا من هذه الآية: ﴿لَوْلَا تَبَتُّهُمْ الرَّبِّيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِنْدَرُ وَأَكْهَمُ السَّحْتِ﴾.

الآية (٦٤): يخبر تعالى عن اليهود بأنهم وصفوا الله - عز وجل، وتعالى عن قولهم علوًّا كبيرًا - بأنه بخيل. كما وصفوه بأنه فقير وهم أغنياء! وعبروا عن البخل بقولهم: ﴿يَدُ اللَّهِ مَقْلُوبَةٌ﴾. قال ابن عباس: لا يعنون بذلك أن يد الله مقلوبة، ولكن يقولون: بخيل، يعني: أمسك ما عنده بخلاف، تعالى الله عن قولهم علوًّا كبيرًا. وهذا هو الذي أراد هؤلاء اليهود عليهم لعائن الله. [سبب النزول]: عن ابن عباس قال: قال رجل من اليهود - يقال له: شاس بن قيس - إن ربك بخيل لا ينفق، فأنزل الله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَقْلُوبَةٌ عَلَتْ أَيْدِيَهُمْ وَلَعَلَّآ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾. وقد ردَّ الله عز وجل عليهم ما قالوه، وقابلهم فيها اختلقوه وافتروه واتسكوه، فقال: ﴿عَلَتْ أَيْدِيَهُمْ وَلَعَلَّآ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾. وهذا وقع لهم، فإن عندهم من البخل والحسد والجبن والذلة أمرًا عظيمًا، كما قال تعالى: ﴿صَرَّفْتَ عَلَيْهِمُ الْكُذْبَ﴾ [آل عمران: ١١٢].

ثم قال تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾. أي: بل هو الواسع الفضل، الجزيل العطاء، الذي ما من شيء إلا عنده خزائنه، وهو الذي ما بخلفه من نعمة فمنه وحده لا شريك له، الذي خلق لنا كل شيء مما نحتاج إليه، في ليلنا ونهارنا، وحضرنا وسفرنا، وفي جميع أحوالنا؛ كما قال: ﴿وَرَبُّكُمْ مِّنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤]. وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن يمين الله تملأ لا يقيسها نفقة، سحَاء الليل والنهار، أرايتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض! فإنه لم يقبض ما في يمينه» [متفق عليه]. وقوله: ﴿وَلِكَيْ يَذْهَبَ كِبَرُكُمْ مِنْكُمْ مَا أَنزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ مُفْتِنًا وَكَثُرًا﴾. أي: يكون ما أتاك الله يا محمد من النعمة نعمة في حق أعدائك من اليهود وأشباههم؛ فكما يزداد به المؤمنون تصديقًا وعملاً صالحًا وعلماً نافعا، يزداد به الكفرة الحاسدون لك ولأمتك ﴿مُفْتِنًا﴾ وهو: المبالغة والمجاوزة للحد في الأشياء، ﴿وَكَثُرًا﴾. أي: تكديسًا، كما قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً حَمِيمًا وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يُزِيدُ الْفَاسِقِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢]. وقوله: ﴿وَالَّذِينَ يَتَّبِعُوكُم مِّنْ بَعْدِ الْفِتْنَةِ﴾ يعني: أنه لا تجتمع قلوبهم، بل العداوة واقعة بين فرقهم بعضهم في بعض دائمًا؛ لأنهم لا يجتمعون على حق، وقد خالفوك وكنبوك. وقال إبراهيم النخعي: الخصومات والجدال في الدين.

وقوله: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾. أي: كلما عقدوا أسبابًا يكيدونك بها، وكلما أبرموا أمورًا يحاربونك بها يبطئها الله ويرد كيدهم عليهم، ويحرق مكرهم السيئ بهم ﴿وَيَسْخَرُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾. أي: من سجنيتهم أنهم دائمًا يسمعون في الإفساد في الأرض، والله لا يحب من هذه صفته.

الآية (٥٨): وقوله: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾. أي: وكذلك إذا أدتكم داعين إلى الصلاة التي هي أفضل الأعمال لمن يعقل ويعلم من ذوي الألباب ﴿تَخَذُّوْهَا﴾ أيضًا ﴿هَؤُلَاءِ لَعِبَاءٌ لَّكَ يَأْتُهُمْ قَوْمٌ لَا يَتَّقُونَ﴾ معاني عبادة الله وشرائعه، وهذه صفات اتباع الشيطان الذي إذا سمع الأذان أدبر وله حُصَّاص - أي: ضُرط - حتى لا يسمع التاذنين، فإذا قضى التاذنين أقبل» [متفق عليه].

الآية (٥٩-٦٣): يقول تعالى: قل يا محمد، هؤلاء الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من أهل الكتاب: ﴿هَلْ تَتَّقُونَ مِنَّا إِنَّ آتَاءَنَا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ﴾. أي: هل لكم علينا مطعن أو عيب إلا هذا؟! وهذا ليس بعيب ولا مذمة، فيكون الاستثناء منقطعاً. وقوله: ﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾ معطوف على ﴿إِنَّ آتَاءَنَا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ﴾. أي: وأما بأن أكثركم فاسقون، أي: خارجون عن الطريق المستقيم. ثم قال: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِّنْ ذَلِكَ مُؤْمِنٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾. أي: هل أخبركم بشرٍّ جزاء عند الله يوم القيامة ممَّا تظنونونه بنا؟ وهم أنتم الذين هم متصفون بهذه الصفات المفسرة؛ فقلوه: ﴿مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ﴾. أي: أبعد من رحمته ﴿وَعَصِبَ عَلَيْهِ﴾. أي: غضباً لا يرضى بعده أبداً، ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرَّةَ وَالْمُخَازِيرَ﴾. وعن ابن مسعود قال: سئل رسول الله ﷺ عن الفردة والمخازير، أهي ممَّا مسخ الله؟ فقال: «إن الله لم يهلك قوماً - أو قال: لم يمسح قوماً - فيجعل لهم نسلاً ولا عقباً، وإن الفردة والمخازير كانت قبل ذلك» [رواه مسلم]. وقوله: ﴿وَعَبْدُ الطَّاغُوتِ﴾. أي: وجعل منهم من عبَد الطَّاغُوت. وقرئ: ﴿وَعَبْدُ الطَّاغُوتِ﴾ بالإضافة على أن المعنى: وجعل منهم خَدَم الطَّاغُوت، أي: خُدَّامه وعبيده. وقرئ: ﴿وَعَبْدُ الطَّاغُوتِ﴾ - على أنه جمع الجمع، مثل ثيار وثُمَر. [وقرئ: ﴿وَعَابِدُ الطَّاغُوتِ﴾، ﴿وَعَبْدُكَوَا﴾، ﴿وَعَبْدُ الطَّاغُوتِ﴾ على أنه مفعول ما لم يسم فاعله؛ لأن هذا من باب التعريض بهم، أي: وقد عبَد الطَّاغُوت فيكم، وأنتم الذين فعلتموه. وهذه القراءات يرجع معناها إلى: أنكم يا أهل الكتاب الطاعنين في ديننا - والذي هو توحيد الله وإفراده بالعبادات دون ما سواه - كيف يصدر منكم هذا وأنتم قد وُجِدَ منكم جميع ما ذُكِرَ؟! ولهذا قال: ﴿أَوَلَيْدِكُمْ شَرٌّ تَكْفَارًا﴾. أي: ممَّا تظنون بنا ﴿وَأَضَلَّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾. وقوله: ﴿وَإِذَا جَاءَكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفَرِ﴾ وهذه صفة المنافقين منهم: أنهم يصانعون المؤمنين في الظاهر وقلوبهم منطوية على الكفر؛ ولهذا قال: ﴿وَقَدْ دَخَلُوا﴾. أي: عندك يا محمد ﴿بِالْكَفَرِ﴾. أي: مستصحيين الكفر في قلوبهم، ثم خرجوا وهو كامن فيها، لا يتفنعوا بها قد سمعوا منك من العلم، ولا نجعت فيهم المواعظ ولا الزواجر؛ ولهذا قال: ﴿وَمِمَّنْ قَدْ خَرَجُوا بِدْ﴾ فخصَّصهم به دون غيرهم. وقوله: ﴿وَاللَّهُ أَغْلَىٰ بِكَ كَاذِبًا كَثِيرًا﴾. والله عالم بسر أترككم وما تنطوي عليه ضمايركم، وإن أظهروا خلقه خلاف ذلك، وترتبوا بما ليس فيهم؛ فإن الله عالم الغيب والشهادة أعلم بهم منهم، وسيجزئهم على ذلك أنتم الجزاء. وقوله: ﴿وَرَبِّ كِبَرًا مِنْهُمْ يُسَبِّحُونَ فِي الْآثَرِ وَالْمَدِينِ وَأَكْبَهُ السَّحْتِ﴾. أي: يبادرون إلى ذلك من تعاطي المأثم والمحارم والاعتداء على الناس، وأكلهم أموالهم بالباطل ﴿لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾. أي: لبس العمل كان عملهم، وبس الاعتداء



## ● الوقفات التدريبية

❶ ﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ يَأْتِيهِمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴾  
ما كان عليه المشركون والكفار المخالفون للمسلمين من قبحهم في دين المسلمين، واتخاذهم إياه هزواً ولعباً، واحتقاره واستصغاره، خصوصاً الصلاة التي هي أظهر شعائر المسلمين، وأجل عباداتهم، أنهم إذا نادوا إليها اتخذوها هزواً ولعباً، وذلك لعدم عقولهم، ولجهلهم العظيم، وإلا فلو كان لهم عقول لخضعوا لها، ولعلموا أنها أكبر من جميع الفضائل التي تتصف بها النفوس. السعدي: ٢٣٧.

السؤال: على ماذا يدل احتقار الشعائر الدينية والاستهزاء بها؟

❷ ﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ يَأْتِيهِمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴾  
جعل قلة عقولهم علّة لاستهزائهم بالدين. ابن جزى: ٢٤٢/١.

السؤال: ماذا تستفيد من هذه الآية؟

❸ ﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ يَأْتِيهِمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴾  
وقوله: (ذلك يأتيهم قوم لا يعقلون) تحقير لهم؛ إذ ليس في النداء إلى الصلاة ما يوجب الاستهزاء، فجعله موجبا للاستهزاء سخافة لعقولهم. ابن عاشور: ٢٤٢/٦.

السؤال: شأن الأذان والصلاة عند الله عظيم، وضح ذلك من الآية.

❹ ﴿ قُلْ يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَقِشُّونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِمَا نَزَّلَ إِلَيْنَا وَمَا نَزَّلَ مِن قَبْلُ وَأَنْ أَكْثَرُ فَسِقُونَ ﴾

فاولئكم أيها الفاسقون السكوت، فلو كان عيبكم وأنتم سالون من الفسق - وهيئات ذلك - لكان الشر أخف من قبحكم فينا مع فسقكم. السعدي: ٢٣٧.

السؤال: بينت الآية أن من علامة السفاهة أن يجمع الإنسان بين صفتين، فما هما؟

❺ ﴿ لَوْ لَا يَتَّبِعُهُمُ الزَّيْنَبِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِسْمَ وَأَكْثَرُ السَّحْتِ لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾

ودلت الآية على أن تارك النهي عن المنكر كمرتكب المنكر؛ فالآية توبيخ للعلماء في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. القرطبي: ٨١/٨.

السؤال: العلم وحده لا يكفي، فما المطلوب معه؟

❻ ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾  
لو عامل الله اليهود القائلين تلك المقالة ونحوهم ممن حاله كحالهم ببعض قولهم لهلكوا، وشقوا في دنياهم، ولكنهم يقولون تلك الأقوال وهو تعالى يحلم عنهم، ويصفح، ويمهلهم ولا يهملهم. السعدي: ٢٣٨.

السؤال: كيف تستدل بهذه الآية على سعة رحمة الله سبحانه؟

❼ ﴿ كَلَّمَا أَوْفَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَسَعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُهْدِي الْقَوْمَ الْمُفْسِدِينَ ﴾

إيقاد النار عبارة عن محاولة الحرب، وإطفائها عبارة عن خذلانهم وعدم نصرهم، ويحتمل أن يراد بذلك أسلافهم، أو يراد من كان معاصرا للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم منهم، ومن يأتي بعدهم، فيكون على هذا إخبار بغيث، وبشارة للمسلمين. ابن جزى: ٢٤٤/١.

السؤال: اذكر باختصار موقفاً من خذلان الله لليهود زمن النبوة، وموقفاً من خذلان الله لهم في زمننا المعاصر.

وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ يَأْتِيهِمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١﴾ قُلْ يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَقِشُّونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِمَا نَزَّلَ إِلَيْنَا وَمَا نَزَّلَ مِن قَبْلُ وَأَنْ أَكْثَرُ فَسِقُونَ ﴿٢﴾ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّينَ ذَلِكَ مَثُوبَةٌ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ وَغَضَبِ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرَّةَ وَالْخَنَائِزَ وَعَبْدَ الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٣﴾ وَإِذَا جَاءَهُمْ قَوْلُ آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْمُونَ ﴿٤﴾ وَتَرَىٰ كِبِيرًا يَتَّبِعُهُمْ يَسْرِعُونَ فِي الْإِسْمِ وَالْعُدُونِ وَأَكْثَرُهُمُ السَّحْتُ لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٥﴾ لَوْ لَا يَتَّبِعُهُمُ الزَّيْنَبِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِسْمَ وَأَكْثَرُ السَّحْتِ لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٦﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُقِفُّ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَٰي زَبَدٌ كَبِيرًا يَتَّبِعُهُمْ مَا نَزَّلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَالْقِيَامَ يُدْعَوْنَ الْعَذَابَ وَالْبَعْضَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَلَّمَا أَوْفَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَسَعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُهْدِي الْقَوْمَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
مَثُوبَةٌ	جزاء، وعقوبة.
الظُّلُمَاتِ	كُلٌّ مِّنْ عَبْدٍ مِّنْ دُونِ اللَّهِ.
السَّحْتُ	الحرَام؛ وَمِنَهُ الرُّشُوءُ وَالزُّبَا.
مَغْلُولَةٌ	مَحْبُوسَةٌ عَنْ فِعْلِ الْخَيْرِ.

## ● العمل بالآيات

- إذا سمعت الأذان فقل مثلما يقول المؤذن، ثم صل على نبيك ﷺ، واسأل ربك من فضله، ﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ يَأْتِيهِمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴾
- أذهب اليوم إلى المسجد بعد الأذان مباشرة، ﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ يَأْتِيهِمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴾.
- باسلوب حسن أرسل رسالة تنصح فيها التجار أن يتحزروا من أكل الحرام، وأكل أموال الناس بالباطل، ﴿ لَوْ لَا يَتَّبِعُهُمُ الزَّيْنَبِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِسْمَ وَأَكْثَرُ السَّحْتِ لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾.

## ● التوجيهات

- الاستهزاء بالدين وشعائره لا عقل له، ﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ يَأْتِيهِمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴾
- سبب كُره اليهود والنصارى للمسلمين أن المسلمين آمنوا بتوحيد الله وبجميع الرسل والكتب، ﴿ قُلْ يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَقِشُّونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِمَا نَزَّلَ إِلَيْنَا وَمَا نَزَّلَ مِن قَبْلُ ﴾
- أكثر أهل الكتاب موصوفون بالفسق، فلا تُعجب بأقوالهم، ولا بأفعالهم، ﴿ وَأَنْ أَكْثَرُ فَسِقُونَ ﴾



## ● الوقفات التدريبية

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَكُنَّا عَنْهُمْ سَخِيمَةً وَلَا دَخْلَ لَهُمْ جَنَّتُ الْغَيْمِ ﴾

وهذا من كرمه وجوده؛ حيث ذكر قبائح أهل الكتاب، ومعابيه، وأقوالهم الباطلة، دعاهم إلى التوبة، وأنهم لو آمنوا بالله وملائكته وجميع كتبه وجميع رسله، واتقوا المعاصي لكُفِّر عنهم سيئاتهم، ولو كانت ما كانت، ولدخلهم جنات النعيم، السعدي: ٢٣٨.

السؤال: الآية تفتح باب الرجاء للعصاة من أمة محمد ﷺ، وضع ذلك.

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْبَةَ وَالْإِجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكْلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ﴾

(ولو أنهم أقاموا التوبة والإنجيل: إقامتها بالعلم والعمل، ابن جزى: ٢٤١/١).

السؤال: إقامته كتاب الله بامرئ، فما هما؟

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْبَةَ وَالْإِجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكْلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ﴾

(أكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم): قال ابن عباس وغيره: يعني المطر والنبات، وهذا يدل على أنهم كانوا في جدد، وقيل: المعنى توسعنا عليهم في أرزاقهم، ولأكلوا أكلا متواصلا، وذكر فوق وتحت للمبالغة فيما يفتح عليهم من الدنيا، ونظير هذه الآية: (ومن يتق الله يجعل له مخرجا) ويرزقه من حيث لا يحتسب (الطلاق: ٢-٣، القرطبي: ٨٨/٨).

السؤال: ما علاج الفقر وضيق الرزق المذكور في الآية؟

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْبَةَ وَالْإِجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكْلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ إِنَّهُمْ لَأَقْبِرُوا مِنْهُمْ مُمْتِدَةً وَكَبِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾

وقد أومات الآية إلى أن سبب ضيق معاش اليهود هو من غضب الله تعالى عليهم؛ لإصاغتهم التوبة، وكفرهم بالإنجيل وبالقرآن؛ أي: فتحتمت عليهم النعمة بعد نزول القرآن، ابن عاشور: ٢٥٣/٦.

السؤال: غضب الله تعالى على عبده موجب لضيق الرزق، دلت لذلك من الآية الكريمة:

﴿ يَأْتِيَا أَرْسُولَ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ مَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَصْطَلُكُ مِنْ أَلْيَسِ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾

فهي اقطع آية لإبطال قول الرافضة بأن القرآن أكثر مما هو في المصحف الذي جمعه أبو بكر ونسخه عثمان، وأن رسول الله اختص بكثير من القرآن عليا بن أبي طالب، وأنه أورثه إبنائه، وأنه يبلغ وقر بعير، وأنه اليوم مخترن عند الإمام المعصوم الذي يلقيه بعض الشيعة بالمهدي المنتظر وبالوصي، ابن عاشور: ٢٦٠/٦.

السؤال: كيف كانت الآية الكريمة ردا على قول الرافضة بنقص القرآن الكريم؟

﴿ يَأْتِيَا أَرْسُولَ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ مَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾

أخبر أنه ليس ينطق من عنده، بل يتكلم بكل ما يسمع، وهذا إخبار بأن كل ما يتكلم به فهو وحي يسمعه، ليس هو شيئا تعلمه من الناس، أو عرفه باستنباطه، ابن تيمية: ٥٠٧/٢.

السؤال: السنة وحي من الله تعالى، كيف دلت الآية الكريمة على ذلك؟

﴿ يَأْتِيَا أَرْسُولَ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ مَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَصْطَلُكُ مِنْ أَلْيَسِ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾

أي: ليس عليك إلا البلاغ، فلا يحزنك من لا يقبل، فليس إضراره لقصور في الإبلاغ ولا حظك، بل لقصور إدراكه وحظه، لأن الله حتم بكفره، وختم على قلبه لما علم من فساد طبعه، والله لا يهدي مثله، البقاعي: ٥٠٣/٢.

السؤال: أذكر المعنى الإجمالي للآية، فهك الله في دينه.

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَكُنَّا عَنْهُمْ سَخِيمَةً وَلَا دَخْلَ لَهُمْ جَنَّتُ الْغَيْمِ ﴾

التَّوْبَةُ وَالْإِجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكْلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ إِنَّهُمْ لَأَقْبِرُوا مِنْهُمْ مُمْتِدَةً وَكَبِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ

﴿ يَأْتِيَا أَرْسُولَ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ مَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَصْطَلُكُ مِنْ أَلْيَسِ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾

﴿ قُلْ يَأْأَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُفِيمُوا التَّوْبَةَ وَالْإِجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَيْدَكُمْ أَفْئَةً مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ طَعْنًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقُونَ وَالصَّادِقُونَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلُوا صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ

﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا قُلْنَا جَاءَ هُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ

## ● معاني الكلمات

المعنى	الكلمة
مُعْتَدِلَةٌ، ثَابِتَةٌ عَلَى الْحَقِّ.	مُقْتَصِدَةٌ
تَعْمَلُوا.	تُفِيمُوا
قَوْمٌ بَاقُونَ عَلَى فِطْرَتِهِمْ، وَلَا دِينَ لَهُمْ يَتَّبِعُونَهُ.	وَالصَّابِقُونَ

## ● الصل بالآيات

١. عدد بعض أسباب الرزق الواردة في القرآن، ثم أرسلها في رسالة لمن حولك، ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْبَةَ وَالْإِجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكْلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ﴾.
٢. حذر من منكر أو قدم نصيحة أو بين علما، وليكن بلاغا بالحكمة والبيان الحسن، ﴿ يَأْتِيَا أَرْسُولَ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ مَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾.
٣. تذكر آية تحفظها وانت مخالف لها، ثم طبق ما أمر الله به فيها على نفسك، ﴿ قُلْ يَأْأَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُفِيمُوا التَّوْبَةَ وَالْإِجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾.

## ● التوجيهات

١. لواقمت الدين على أكمل وجه لرزقك الله من خيرى الدنيا والآخرة، ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْبَةَ وَالْإِجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكْلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ﴾.
٢. اعلم أن الله تعالى عاصم أولياءه مما يخافون ويحذرون، فتوكل على الله تعالى حتى يحفظك من كل مكروه، ﴿ وَاللَّهُ يَصْطَلُكُ مِنْ أَلْيَسِ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾.
٣. الإيمان لا يكون صادقا إلا إذا آمن الرجل بما تهواه نفسه وما تكرهه، أما الإيمان بما تهواه النفس ورد ما لا تهواه فهو عبادة للهوى، ﴿ كُنَّا جَاءَ هُمْ رَسُولًا بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴾.

النبي ﷺ يُحْرَسُ حتى نزلت هذه الآية: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُكَ مِنْ النَّاسِ﴾ قالت: فأخرج النبي ﷺ رأسه من القُبَّة، وقال: «يا أيها الناس، انصرفوا؛ فقد عصمني الله عز وجل» [رواه الترمذي، وصححه إسناده أحد شاكراً]. ومن عصمة الله عز وجل لرسوله: حفظه له من أهل مكة وصناديدها وحسادها ومُعاندِيها ومُتَرَفِّها، مع شدة العداوة والبُغْضة ونصب المحاربة له ليلاً ونهاراً، بما يخلقُه الله تعالى من الأسباب العظيمة بقدره وحكمته العظيمة.

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ أي: بَلَغَ أنت، والله هو الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء، كما قال: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

الآية (٦٨-٦٩): ﴿قُلْ يَا مُحَمَّدُ: ﴿يَتَّخِذُ الْكِتَابَ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾ أَي: من الدين، ﴿حَقٌّ يُبَيِّنُهَا التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ﴾ أَي: حتى تؤمنوا بجميع ما بأيديكم من الكتب المنزلة من الله على الأنبياء، وتعملوا بما فيها، ومما فيها الأمر باتباع محمد ﷺ والإيمان بمبعثه، والافتداء بشريعته؛ ولهذا قال مجاهد، في قوله: ﴿وَمَا أَنزَلُ إِلَيْكُمْ مِنْ رَيْبِكُمْ﴾ يعني: القرآن العظيم. وقوله: ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ أي: فلا تحزن عليهم ولا تبعدنك<sup>(١)</sup> ذلك منهم.

ثم قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وهم المسلمون ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ وهم حلة التوراة. ولَمَّا طال الفضل حُسِّنَ العطف بالرفع فقال: ﴿وَالصَّابِرِينَ﴾ [وهم]: طائفة من النصارى والمجوس، ليس لهم دين. قاله مجاهد، وعنه: من اليهود والمجوس. وقال سعيد بن جبيرة: من اليهود والنصارى، وقال قتادة: هم قوم يعبدون الملائكة، ويصلُّون إلى غير القبلة، ويقرؤون الزبور. وقيل غير ذلك. ﴿وَالصَّابِرِينَ﴾ معروفون، وهم حلة الإنجيل.

والمقصود: أن كل فرقة آمنت بالله وباليوم الآخر، وهو المعاد والجزاء يوم الدين، وعملت عملاً صالحاً، ولا يكون ذلك كذلك حتى يكون موافقاً للشرعية المحمدية بعد إرسال صاحبها المبعوث إلى جميع الثقلين، فمن اتصف بذلك ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ فَيَا يَسْتَقْبِلُونَهُ، ولا على ما تركوا وراء ظهورهم، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ وقد تقدم الكلام على نظيراتها في سورة البقرة، بما أغنى عن إعادته هنا<sup>(٢)</sup>.

الآية (٧٠): يذكر تعالى أنه أخذ العهد والمواثيق على بني إسرائيل على السمع والطاعة لله ولرسوله، فتقضوا تلك العهد والمواثيق، واتبعوا آراءهم وأهواءهم وقدموها على الشرائع، فما وافقهم منها قبلوه، وما خالفهم ردُّوه؛ ولهذا قال: ﴿كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾.

الآية (٦٥-٦٦): ثم قال: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا: أَي: لو أنهم آمنوا بالله ورسوله، واتقوا ما كانوا يتعاطونه من المحارم والمآثم ﴿لَكَفَرْنَا عَنْهُمْ سُبْحَانَهُمْ وَلَا دَخَلَتْهُمْ جَنَّتُ النَّعِيمِ﴾ أَي: لَأَزَلْنَا عَنْهُمْ المَحْذُورَ وَلَحْصَلْنَا لَهُمُ المَقْصُودَ. ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنزَلُ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ قال ابن عباس، وغيره: يعني القرآن. ﴿لَا كَلُوا مِنْ قَوْفِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ أَي: لو أنهم عملوا بما في الكتب التي بأيديهم عن الأنبياء، على ما هي عليه، من غير تحريف ولا تبديل ولا تغيير، لقداهم ذلك إلى اتباع الحق والعمل بمقتضى ما بَعَثَ الله به محمداً ﷺ؛ فإن كتبهم ناطقة بتصديقه والأمر باتباعه حتَّى لا محالة.

وقوله: ﴿لَا كَلُوا مِنْ قَوْفِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ يعني: كثرة الرزق النازل عليهم من السماء والنابت لهم من الأرض؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الشُّرْعِ آسَأُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦]، وقال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ [الروم: ٤١].

وقوله: ﴿مَنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَلَّةٌ مَا يَعْلَمُونَ﴾ كقوله: ﴿وَمِنْ قَوْمٍ مُوسَى أَنَّهُ يُهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَهْدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٩]. فجعل أعلى مقاماتهم الاقتصاد، وهو أوسط مقامات هذه الأمة، وفوق ذلك رتبة السابقية، كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنُ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [٣٢] جَنَّتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ﴿فاطر: ٣٢-٣٣﴾. والصحيح أن الأقسام الثلاثة من هذه الأمة كلهم يدخلون الجنة.

الآية (٦٧): يقول تعالى مخاطباً عبده ورسوله محمداً ﷺ باسم الرسالة، وأمره له بإبلاغ جميع ما أرسله الله به، وقد امتثل صلوات الله وسلامه عليه ذلك، وقام به أتم القيام. عن عائشة قالت: من حَدَّثَكَ أن محمداً كتم شيئاً مما أنزل عليه فقد كذب، وهو يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [متفق عليه]. وقد شهدت له أمته بإبلاغ الرسالة وأداء الأمانة، واستنطقهم بذلك في أعظم المحافل، في خطبته يوم حجة الوداع، وقد كان هناك من أصحابه نحو من أربعين ألفاً، كما ثبت عن جابر أن رسول الله ﷺ قال في خطبته يومئذٍ: «أيها الناس، إنكم مسئولون عني، فما أنتم قائلون؟» قالوا: نشهد أنك قد بَلَّغْتَ وَأَدَيْتَ ونصحت. فجعل يرفع إصبعه إلى السماء وينكسها إليهم، ويقول: «اللهم هل بَلَّغْتَ». [رواه مسلم].

وقوله: ﴿وَإِنْ لَمْ تَقْعَلْ مَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ يعني: وإن لم تؤدِّ إلى الناس ما أرسلتك به ﴿فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ أَي: وقد علم ما يرتب على ذلك لو وقع. وقوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُكَ مِنْ النَّاسِ﴾ أَي: بَلَغَ أنت رسالتي، وأنا حافظك وناصرك ومؤيدك على أعدائك ومُظْفِرُكَ بهم، فلا تخف ولا تحزن، فلن يصل أحد منهم إليك بسوء يؤذيكَ. وعن عائشة قالت: كان

(١) لَا يُبِيدُنكَ هَذَا عَنْ رَايِكَ، أَي: لَا يُزِيلُنكَ [هذِيبُ اللُّغَةِ].

(٢) ينظر ص ١٠ من هذا المختصر، الكلام على الآية (٦٢) من سورة البقرة.



الآية (٧٢-٧٥): يقول تعالى حاكماً بتكفير فرق النصارى، من الملكية واليعقوبية والنسطورية، ممن قال منهم بأن المسيح هو الله! تعالى الله عن قولهم وتنزهه وتقدس علواً كبيراً: ﴿أَقَدَّ كَفَرُ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّهُ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ هذا وقد تقدّم إليهم المسيح بأنه عبد الله ورسوله، وكان أول كلمة نطق بها وهو صغير في المهد أن قال: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾، ولم يقل: إني أنا الله، ولا: ابن الله. بل ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ إلى أن قال: ﴿وَلِئَلَّا اللَّهُ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [مرم: ٣٠-٣٦]. وكذلك قال لهم في حال كهولته ونبوته، أمراً لهم بعبادة الله ربه وربهم وحده لا شريك له؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنَیْ إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنََّّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾ أي: فيعبد معه غيره ﴿فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾ أي: فقد أوجب له النار، وحرم عليه الجنة؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْرِءُ الْقُرْآنَ بِهِ وَلَا يَمْلِكُ مِنْ دُونِهِ ذَلِكَ لَيْسَ بَشَاءً﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦]. وفي الصحيح: أن رسول الله ﷺ بعث منادياً يُنادي في الناس: «إن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة»، وفي لفظ: «مؤمنة» [متفق عليه]. ولهذا قال تعالى إخباراً عن المسيح أنه قال لبني إسرائيل: «إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ أي: وما له عند الله ناصر ولا معين ولا مُنْقِذ عما هو فيه. وقوله: ﴿أَقَدَّ كَفَرُ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّهُ هُوَ اللَّهُ تِلْكَ الْكُفْرَةُ﴾ الصحيح أنها نزلت في النصارى خاصة، قاله مجاهد وغير واحد. ثم اختلفوا في ذلك، فقيل: المراد بذلك كفّارهم في قولهم بالأقانيم الثلاثة، وهو أقنوم الأب، وأقنوم الابن، وأقنوم الكلمة المنبثقة من الأب إلى الابن!! تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً، قاله ابن جرير وغيره. والطوائف الثلاث -من الملكية واليعقوبية والنسطورية- تقول بهذه الأقانيم! وهم يختلفون فيها اختلافاً متبايناً، وكل فرقة منهم تُكْفِّرُ الأخرى، والحق أن الثلاث كافرة. وقال السدي وغيره: نزلت في جعلهم المسيح وأمّه إلَهَيْن مع الله، فجعلوا الله ثالث ثلاثة بهذا الاعتبار، قال السدي: وهي كقول الله تعالى في آخر السورة: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ لِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مَا مَنَعَكَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّبِعُونِي وَأُمِّي إِلَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ﴾ الآية [المائدة: ١١٦]. وهذا القول هو الأظهر، والله أعلم. قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ إِلَهُ إِلَّا إِلَهُ وَحْدٌ﴾ أي: ليس متعدداً، بل هو وحده لا شريك له، إله جميع الكائنات وسائر الموجودات. ثم قال تعالى متوعداً هم ومتهدداً: ﴿وَإِنْ لَّدَّ يَنْتَهُوْا عَمَّا يَقُولُونَ﴾ أي: من هذا الافتراء والكذب ﴿لَيَسَّرَنَّ اللَّهُ لِزَيْتٍ كَثُورًا مِّنْهُمْ عَذَابَ أَلِيمٌ﴾ أي: في الآخرة من الأغلال والنكال. ثم قال:



## ● الوقفات التدريبية

١ ﴿ وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِئْتَةً فَعَمُوا وَصَمُوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ ﴾

ظن هؤلاء الذين اخذ عليهم الميثاق انه لا يقع من الله عز وجل - ابتلاء واختبار بالشائد، اغترأوا بقولهم: نحن ابناء الله واحباؤه، وانما اغتروا بطول الإمهال. القرطبي: ٨/٩٧.

السؤال: بأي شيء اغتروا حتى تركوا امتثال أمر الله تعالى؟

٢ ﴿ وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِئْتَةً فَعَمُوا وَصَمُوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ ﴾

(تاب الله عليهم) أي: رجع بهم إلى الطاعة والحق، ومن فصاحة اللفظ استناد هذا الفعل الشريف إلى الله تعالى، واستناد العمى والصمم للذين هما عبارة عن الضلال البهيم. ابن عطية: ٢/٢٢١.

السؤال: هذه الآية تبين لطف الله تعالى بعباده، وجهل عباده بمصلحتهم، وضع ذلك.

٣ ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّكَ اللَّهُ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي لَكُمْ بُيُوتًا يُعْبُدُونَ اللَّهَ رَبَّكُمْ وَأَلَّهُ عِزُّكُمْ ﴾

يخبر تعالى عن كفر النصارى بقولهم: (إن الله هو المسيح ابن مريم) بشبهة أنه خرج من أم بلا أب، وخالف اليهود من الخلقة الإلهية، والحال أنه عليه الصلاة والسلام قد كذبهم في هذه الدعوى، وقال لهم: (يا بني إسرائيل عبُدوا الله ربِّي وَرَبَّكُمْ) فانبت لنفسه العبودية التامة، ولربه الربوبية الشاملة لكل مخلوق. السعدي: ٢٤٠.

السؤال: لماذا ذكر قول عيسى بعد ذكر قول النصارى؟

٤ ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ ﴾

(أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه)، فالتوبة هي الإقلاع عما هو عليه في المستقبل، والرجوع إلى الاعتقاد الحق، والاستغفار: طلب مغفرة ما سلف منهم في الماضي، والتندم عما فرط منهم من سوء الاعتقاد. ابن عاشور: ٦/٢٨٤.

السؤال: لماذا جمع بين التوبة والاستغفار في الآية الكريمة؟

٥ ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ ﴾

يغفر ذنوب التائبين، ولو بلغت ضنان السماء، ويرحمهم بقبول توبتهم، وتبديل سيئاتهم حسنات، وصدر دعوتهم إلى التوبة بالعرض الذي هو غاية اللطف واللين في قوله: (أفلا يتوبون إلى الله). السعدي: ٢٤٠.

السؤال: كيف يفيد الداعية من هذه الآية في دعوته؟

٦ ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُتِيَتْ صِدْقُهُ كَأَنَّا بِأَعْيُنِنَا قَدْ خَلَّيْنَا إِلَيْكُمْ ﴾

(صدقية أي: كثيرة الصدق، وقيل: سميت صديقة لأنها صدقت بآيات الله؛ كما قال عز وجل في وصفها: (وصدقت بكلمات ربهما) التحريم: ١٢، البغوي: ١/٢٩٩).

السؤال: لماذا وصفت مريم -عليها السلام- بالصديقة؟

٧ ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُتِيَتْ صِدْقُهُ كَأَنَّا بِأَعْيُنِنَا قَدْ خَلَّيْنَا إِلَيْكُمْ ﴾

دليل ظاهر على أنها عبدة فقيران، محتاجان -كما يحتاج بنو آدم- إلى الطعام والشراب، فلو كانا الهين لاستغنيا عن الطعام والشراب، ولم يحتاجا إلى شيء، فإن الإله هو الغني الحميد. السعدي: ٢٤٠.

السؤال: كيف يستدل بأكل الطعام على عدم الوهية عيسى و أمه؟

وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِئْتَةً فَعَمُوا وَصَمُوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ ﴿٥٥﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي لَكُمْ بُيُوتًا يُعْبُدُونَ اللَّهَ رَبَّكُمْ وَأَلَّهُ عِزُّكُمْ ﴿٥٦﴾ يَأْتِيَهُمْ قَحْطُ الْمَالِ فَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ قَهْرَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ يَقُولُونَ إِنَّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٥٧﴾ لَظَالِمِينَ مِنَ أَنْصَارِ ﴿٥٨﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمِمَّنْ إِلَهُ إِلَّا إِلَهُ وَحْدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابُ أَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونََهُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٦٠﴾ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُتِيَتْ صِدْقُهُ كَأَنَّا بِأَعْيُنِنَا قَدْ خَلَّيْنَا إِلَيْكُمْ كَيْفَ نَبِّئُكُمْ لَهُمْ لَا بَيِّنَاتٍ ثُمَّ أَنْظَرْنَاهُ يَوْمَ فَكَّرُوا ﴿٦١﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٢﴾ قُلْ يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ لِقَائِي وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَصْلُو كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٦٣﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
فِئْتَةً	عَذَابٌ، وَيَلَاءٌ.
صِدْقَةً	قَدْ صَدَقْتَ تَصْدِيقًا جَارِمًا.
لَا تَغْلُوا	لَا تَتَجَاوَزُوا الْحَقَّ فِي اعْتِقَادِكُمْ.

## ● العمل بالآيات

١. أرسل رسالة تبين فيها أن الله سبحانه قد يغفر كل ذنب إلا الشرك ﴿ إِنَّهُمْ مِنْ شِرْكٍ بِاللَّهِ فَقَدْ خَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾.
٢. جدد توبتك لله تعالى، وليكن يومك هذا بداية ترك المعصية كنت مترددا في تركها، ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونََهُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾.
٣. استغفر الله تعالى هذا اليوم سبعين مرة، ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونََهُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾.

## ● التوجيهات

١. اعلم أن الغرور وطول الأمل يصدان العبد عن طريق الله تعالى، فاحذر ذلك، ﴿ وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِئْتَةً فَعَمُوا وَصَمُوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ ﴾.
٢. احذر الشرك؛ فإنه لا تنفع معه طاعة، ﴿ إِنَّهُمْ مِنْ شِرْكٍ بِاللَّهِ فَقَدْ خَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾.
٣. لا بأس عند مجادلة غير المسلمين من استعمال الأدلة العقلية التي تدل على بطلان ما يفعلونه، ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُتِيَتْ صِدْقُهُ كَأَنَّا بِأَعْيُنِنَا قَدْ خَلَّيْنَا إِلَيْكُمْ ﴾.



## ● الوقفات التدريبية

﴿ لَمَنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾

لم ينفعهم -مع نسبتهم إلى واحدة من الشريعتين- نسبتهم إلى إسرائيل عليه السلام؛ فإنه لا نسب لأحد عند الله دون التقوى، لا سيما في يوم الفصل؛ إذ الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين. البقاعي: ٥١٨/٢. السؤال: إسرائيل نبي من أنبياء الله، ومع ذلك لُعن من كفر من ذريته، فهل ينفع النسب الشريف بلا عبادة؟ وضع ذلك.

﴿ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾

قال حذاق أهل العلم: ليس من شرط الناهي أن يكون سليماً عن معصية، بل ينهي العصاة بعضهم بعضاً. القرطبي: ١٠٦/٨.

السؤال: هل من شرط الناهي عن المنكر أن يكون سليماً عن المعاصي؟ وضع ذلك.

﴿ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِآتِ وَمَا أَزْكَبَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوا آلِهَةً بَيْنَ سُبْحَانِهِ أَنْ الْإِيمَانَ لَهُ لَوَازِمٌ وَلَهُ أَعْدَادٌ مَوْجُودَةٌ: يَسْتَلْزِمُ ثُبُوتَ لَوَازِمِهِ وَانْتِفَاءُ أَعْدَادِهِ، وَمِنْ أَعْدَادِهِ مَوَادٌّ مِنْ حَادِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ. ابن تيمية: ٥٢١/٢.

السؤال: ذكرت الآية الكريمة أحد أعداد الإيمان، فما هو؟

﴿ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ قَوْمَ لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَسْكُرُ ﴾

لم يرد به جميع النصاري؛ لأنهم في عداوتهم المسلمين كاليهود في قتلهم المسلمين وأسرهم، وتخريب بلادهم، وهدم مساجدهم، وإحراق مصاحفهم؛ لا ولاء ولا كرامة لهم، بل الآية فيمن أسلم منهم. البغوي: ٧٠٢/١.

السؤال: من المقصود بالنصارى المذكورين في الآية؟

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَتَلُوا قَيْسَ بْنَ رَهْبَانًا ﴾

(قيس بن وهبان) أي: علماء متهدين، وعباد في الصوامع متعبدين، والعلم مع الزهد، وكذلك العبادة، مما يلفظ القلب ويرفقه، ويزيل عنه ما فيه من الجفاء والغلظة؛ فلذلك لا يوجد فيهم غلظة اليهود، وشدة المشركين. السعدي: ٢٤٢.

السؤال: لرقعة القلب أسباب، فما هي؟

﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ وَمَا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾

وهذه أحوال العلماء؛ يكون ولا يصعقون، ويسألون ولا يصيحون، ويتحاذون ولا يتموتون؛ كما قال تعالى: (الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله) [الزمر: ٢٣]. القرطبي: ١١٣/٨.

السؤال: كيف يكون التأثر الشرعي بكتاب الله تعالى؟

﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ وَمَا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾

(فاكْتُبْنَا مع الشاهدين) قال ابن عباس: مع محمد وامته؛ وهم الأمة الشهداء؛ فإن النصاري لهم قصد عبادة، وليس لهم علم وشهادة.

ابن تيمية: ٥٢٢/٢.

السؤال: ما المراد بقوله تعالى: (فاكْتُبْنَا مع الشاهدين)؟

لَمَنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ لَهُمْ خِلَافٌ ﴿٣﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِآتِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوا آلِهَةً وَلَا كُنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿٤﴾ \* لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ قَوْمَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرُوكَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَبِيلُ يَسِيرٍ وَرَهْبَانًا وَآلِهَتُهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ وَمَا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٦﴾

١٢١

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
قَسِيصِينَ	عُلَمَاءُ النَّصَارَى.
وَرَهْبَانًا	عِبَادُ النَّصَارَى.
تَفِيضٌ	تَمَلُّقٌ دَمْعًا، فَيَنْسَكِبُ.

## ● العمل بالآيات

١. اشكر أحد الأمرين بالمعروف والناهي عن المنكر، وادع له بالتوفيق ولو برسالتك، ﴿ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾.
٢. بحكمة ورحمة أنكر اليوم منكراً من غيبة تسمعها، أو نيمية تصل إليك، أو نحو ذلك، ﴿ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾.
٣. تواضع للناس بمد يد العون لهم هذا اليوم، واختيار الكلمة الطيبة، والإحسان إلى ضعيف أو مسكين، ﴿ وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾.

## ● التوجيهات

١. العصيان والاعتداء يجلبان لصاحبهما الحرمان والخسران، ﴿ لَمَنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾.
٢. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من مقومات الدين العظيمة، وترك بعض الأمم لها كان سبباً لعننها، ﴿ لَمَنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ (٨).
٣. تولي الذين كفروا من الأمور التي تسبب سخط الله على العبد، ﴿ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾.

وقصة جعفر مع النجاشي قبل الهجرة. واختار ابن جرير أن هذه الآيات نزلت في صفة أقوام بهذه المثابة، سواء أكانوا من الحبشة أو غيرها.

فقوله: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَالْيَهُودَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ ما ذاك إلا لأن كفر اليهود عناد وجحود ومباهنة للحق، وعُظُم للناس وتَنَقُّص بحملة العلم. ولهذا قتلوا كثيراً من الأنبياء حتى هُتُوا بقتل الرسول ﷺ غير مرة وسموه وسحروه، وألبوا عليه أشباههم من المشركين - عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة.

وقوله: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرُكَ﴾ أي: الذين زعموا أنهم نصارى من أتباع المسيح وعلى منهج إنجيله، فيهم مودة للإسلام وأهله في الجملة، وما ذاك إلا لبنا في قلوبهم؛ إذ كانوا على دين المسيح من الرقة والرافقة، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ [الحديد: ٢٧]، وفي كتابهم: من ضربك على خدك الأيمن فأدير له خدك الأيسر! وليس القتال مشروعا في ملتهم؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَيْسِيَّةٌ وَزُهْرِيَّةٌ وَأُنْهَرُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ أي: يوجد فيهم القيسيون؛ وهم خطباؤهم وعلماءهم، واحدهم: قيس وقس أيضا، وقد يُجمع على قسوس. والرهبان: جمع راهب؛ وهو: العابد؛ مشتق من الرهبة، وهي الخوف؛ كراكب وركبان، وفارس وفرسان. قال ابن جرير: وقد يكون الرهبان واحداً وجمعهم رهايين؛ مثل قربان وقرايين، وجردان وجرداين، وقد يجمع على رهابنة.

فقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُ قَيْسِيَّةٌ وَزُهْرِيَّةٌ وَأُنْهَرُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ تضمن وصفهم بأن فيهم العلم والعبادة والتواضع.

الآية (٨٣): ثم وصفهم بالانقياد للحق واتباعه والإنصاف فقال: ﴿وَإِذَا سَأَلُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ رَجَعْنَا عَلَيْهِمْ تَقِيصًا مِمَّا الدَّمْعُ مَتَاعُهُمْ مِنْ آيَاتِنَا﴾ أي: مما عندهم من البشارة بيعة محمد ﷺ، ﴿يَتَوَلَّوْنَ رُجَاً ءَامَنَاتًا فَكَتَبْنَا عَلَى الشَّاهِدِينَ﴾ أي: مع من يشهد بصحة هذا ويؤمن به.

الآية (٧٨-٨١): يُخَبِّرُ تعالى أنه لَعَنَ الكافرين من بني إسرائيل من دُفِرَ طويل، فيما أنزل على داود نبيه ﷺ وعلى لسان عيسى ابن مريم، بسبب عصيانهم لله واعتدائهم على خلقه. قال ابن عباس: لُعِنُوا في التوراة والإنجيل وفي الزبور، وفي الفرقان.

ثم يَبَيِّنُ حالهم فيما كانوا يعتمدونه في زمانهم، فقال: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ أي: كان لا ينهى أحد منهم أحداً عن ارتكاب المأثم والمحارم، ثم ذمهم على ذلك لِيُحَذَّرَ أَنْ يُزَكَّ مِثْلَ الَّذِي ارْتَكَبُوا، فقال: ﴿إِنَّمَا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾. وعن حذيفة ابن اليبان؛ أن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده، لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً من عنده، ثم لتذعنن فلا يستطيعن لكم» [رواه الترمذي، وصححه إسناده أحمد شاكر]. وعن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان» [رواه مسلم].

وعن العُرس بن عميرة عن النبي ﷺ قال: «إذا عملت الخطيئة في الأرض كان من شهدها فكرها» وقال مرة: فأنكرها - كان كمن غاب عنها، ومن غاب عنها قرضها كان كمن شهدها» [رواه أبو داود، وصححه إسناده أحمد شاكر]. وعن أبي البختري قال: أخبرني من سمع النبي ﷺ أن النبي ﷺ قال: «لن يهلك الناس حتى يغيروا - أو: يُغَيِّرُوا - من أنفسهم» [رواه أبو داود، وصححه إسناده أحمد شاكر].

وعن أبي سعيد الخدري؛ أن رسول الله ﷺ قام خطيباً، فكان فيما قال: «ألا يا يمنة رجلاً هيئة الناس أن يقول الحق إذا علمه». قال: فيكى أبو سعيد وقال: قد - والله - رأينا أشياء، فحينئذ [رواه أحمد، وابن ماجه، وصححه الألبان]. وعن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر» [رواه ابن ماجه، وصححه الألبان].

وقوله: ﴿تَرَكْنِي كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قال مجاهد: يعني بذلك المنافقين. وقوله: ﴿إِنَّمَا مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ يعني بذلك موالاهم للكافرين، وتركهم موالاة المؤمنين، التي أعقبتهم نفاقاً في قلوبهم، وأسخطت الله عليهم سخطاً مستمراً إلى يوم معادهم؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّ سَخَطَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ﴾ فسر بذلك ما ذمهم به.

ثم أخبر أنهم ﴿وَفِي الْأَكْذَابِ هُمْ خَلِيدُونَ﴾ يعني يوم القيامة. وقال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ لَآتَيْنَاهُمْ أَوَّلَ بَلَاءٍ﴾ أي: لو آمنوا حق الإيمان بالله والرسول والفرقان لبنا ارتكبوا ما ارتكبوه من موالاة الكافرين في الباطن، ومعاداة المؤمنين بالله والنبي وما أنزل إليه ﴿وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَسَقُونَ﴾ أي: خارجون عن طاعة الله ورسوله، مخالفون لآيات وحيه وتنزيله.

الآية (٨٢): قال ابن عباس: نزلت هذه الآيات في النجاشي وأصحابه، الذين حين تلا عليهم جعفر بن أبي طالب بالحبشة القرآن بكوا حتى أخضلوا لحاهم. وهذا القول فيه نظر؛ لأن هذه الآية مدنية،

الآية (٨٩): تَقَدَّمَ في سورة البقرة الكلام على لغو اليمين، وأنه قول الرجل في الكلام من غير قصد: لا والله، بلى والله. وقيل: هو في الْهَزْلِ. وقيل: في المعصية. وقيل: على غلبة الظن. وهو قول أبي حنيفة وأحمد. وقيل: اليمين في الغضب. وقيل: في النسيان. وقيل: هو الحلف على ترك المأكَل والمشرب والملبس ونحو ذلك، واستدلوا بقوله: ﴿لَا تَحْزَنْهُمْ﴾ طَلَبْتُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ ﴿الطائفة: ٨٧﴾. والصحيح أنه اليمين من غير قصد، بدليل قوله: ﴿وَلَكِنْ يُؤْخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْآيِينَ﴾ أي: بما صَمَّمْتُمْ عليه من الأيمان وقصدوها، ﴿فَكَذَّبَرْتَهُ﴾ إِطْمَأَنَّ عَشْرَةَ مَسَكِينَ ﴿يعني: محابيح من الفقراء، ومن لا يجد ما يكفيه. وقوله: ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ قال ابن عباس، وسعيد بن جبير، وعكرمة: أي من أعدل ما تطعمون أهليكم. وعن ابن عباس قال: كان الرجل يقاتل بعض أهله قوتَ دون، وبعضهم قوتاً فيه سمة، فقال الله تعالى:





## ● الوقفات التدريبية

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالنَّبِيرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾

ثم اعلم تعالى عباده ان الشيطان إنما يريد ان تقع العداوة بسبب الخمر، وما كان يغري عليها بين المؤمنين، وبسبب اليسر؛ إذ كانوا يتقاملون على الأموال والأهل، حتى ربما بقي المغمور حزينا فقيرا؛ فتحديث من ذلك ضغائن وعداوة، فإن لم يصل الأمر إلى حد العداوة، كانت بغضاء، ولا تحسن عاقبة قوم متباعدين. ابن عطية: ٢٣٤/٢.

السؤال: كيف نفهم ان هذه الأشياء المذكورة في الآية تفرق المجتمع، وتنفذ الأمن؟  
﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالنَّبِيرِ ﴾  
فإن في الخمر من انغلاق العقل، وذهاب حجه، ما يدعو إلى البغضاء بينه وبين إخوانه المؤمنين؛ خصوصا إذا اقترن بذلك من السباب ما هو من لوازم شرب الخمر؛ فإنه ربما أوصل إلى القتل. وما في اليسر من غلبة أحدهما للآخر، وأخذ ماله الكثير في غير مقابلة، ما هو من أكبر الأسباب للعداوة والبغضاء السعدي: ٢٤٣.

السؤال: كيف تحصل العداوة والبغضاء بين متعاطي الخمر واليسر؟  
﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالنَّبِيرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾  
فكل لهُو دما قليلا إلى كثيره، وأوقع العداوة والبغضاء بين العاكفين عليه، وصد عن ذكر الله، وعن الصلاة، فهو كشرب الخمر. القرطبي: ١٦٥/٨.

السؤال: ما علامات اللهو الحرام؟

﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَأَحْسَنُوا ﴾  
ومما يدل على نفاضة التقوى وعزتها: أنه سبحانه لما شرطها في هذا العموم؛ حث عليها عند ذكر المأكول والمشرب، وإشارة إلى أنه لا يوصل إلى مقام الإحسان إلا به. البقاعي: ٥٣٩/٢.

السؤال: ما مدى ارتباط الطعام والشراب بالوصول إلى مرتبة الإحسان التي هي أعلى المراتب؟

﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يَجِبُ لِلْحَيِّينَ ﴾  
(ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين)؛ دليل على أن المتقي المحسن أفضل من المتقي المؤمن. القرطبي: ١٧٢/٨.

السؤال: بين ما يدل على فضل أهل الإحسان من الآية.

﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا يَبْلُغُهُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيِّدِ تَنَاهَىٰ إِلَيْكُمْ وَمِمَّا كَرِهَ لَكُمْ لَعَنَ اللَّهُ مَنِ اتَّخَذَ مِنَ مِمَّا فَوَّضَ بِالْغَيْبِ ﴾  
(الغيب)؛ ضد الحضور، وضد المشاهدة ... وفائدة ذكره أنه ثناء على الذين يخافون الله؛ الثنى عليهم بصدق الإيمان وتصور البصيرة؛ فإنهم خافوه ولم يروا عظمتهم وجلاله وتعيمة وثوابه، ولكنهم أيقنوا بذلك عن صدق استدلال. ابن عاشور: ٤٠/٧.

السؤال: ما فائدة ذكر كلمة (بالغيب) في الآية الكريمة؟

﴿ لَعَنَ اللَّهُ مَنِ اتَّخَذَ مِنَ مِمَّا فَوَّضَ بِالْغَيْبِ ﴾  
والاعتبار بمن يخافه بالغيب وعدم حضور الناس عنده، وأما إظهار مخافة الله عند الناس فقد يكون ذلك لأجل مخافة الناس. السعدي: ٢٤٤.  
السؤال: ما الفرق بين خوف الله بالغيب وخوفه أمام الناس؟

إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالنَّبِيرِ وَالصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٢﴾ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا يَبْلُغُهُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيِّدِ تَنَاهَىٰ إِلَيْكُمْ وَمِمَّا كَرِهَ لَكُمْ لَعَنَ اللَّهُ مَنِ اتَّخَذَ مِنَ مِمَّا فَوَّضَ بِالْغَيْبِ ﴿٤﴾ قَمِنَ أَغْدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ قَلِيلَهُ وَعَذَابُ آيَةٍ ﴿٥﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَتَأْتِيَ الصَّيِّدَ وَأَنْتُمْ حُرٌّ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَدٍّ فَضْلَهُ قَتَلَ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَذِهِ آيَاتُ الْكِتَابِ أَوْ كَفَّرَ طَعَامَ مُسْكِينٍ أَوْ عَدَلَ ذَلِكَ صِيَامًا لِّذِي قُلُوبٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ عَلِيمٌ سَلَفٌ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمْ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٦﴾

١٣

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
جُنَاحٌ	حَرَجٌ، وَائِمٌ.
حُرْمٌ	مُحَرَّمٌ.
النَّعَمُ	بِهَيْمَةِ الْأَنْعَامِ؛ مِنَ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ.
بَلَاغُ الْكُتُبِ	يُصَلُّ لِبَقَرَاءِ الْحَرَمِ.
وَبَالَ أَمْرِهِ	عَاقِبَةُ فِعْلِهِ.

## ● العمل بالآيات

١. تأمل اثنين من طرق الشيطان في إضلال بني آدم من خلال هذه الآيات،  
﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالنَّبِيرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾.
٢. ابحث عن شيء يشغلك عن ذكر الله وعن الصلاة، واتركه لله، لعل الله يعوضك خيرا منه،  
﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالنَّبِيرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ﴾.
٣. ارسل رسالة تحذر فيها من طعام محرم تساهل الناس في أكله،  
﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يَجِبُ لِلْحَيِّينَ ﴾.

## ● التوجيهات

١. شرب الخمر يشير العداوة والبغضاء بين الشاربين واللاعبيين، ويصد عن ذكر الله، وعن الصلاة،  
﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالنَّبِيرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾.
٢. الحذر من معصية الله والرسول،  
﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾.
٣. الخوف من الله في حال الغيب عن الناس له شأن عظيم عند الله،  
﴿ لَعَنَ اللَّهُ مَنِ اتَّخَذَ مِنَ مِمَّا فَوَّضَ بِالْغَيْبِ ﴾.

حنيفة؛ حيث أوجب القيمة، سواء كان الصيد المقتول مثلًا أو غير مثلي. والذي حكم به الصحابة في المثل أولى بالاتباع؛ فإنهم حكموا في النعمة ببذنة، وفي بقرة الوحش ببقرة، وفي الغزال بعنز.

﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ يعني: أنه يحكم بالجزاء -في المثل، أو بالقيمة في غير المثل- عدلان من المسلمين. ﴿هَذَا بَلِغُ الْكَفَّةِ﴾ أي: واصلًا إلى الكعبة، والمراد وصوله إلى الحرم، بأن يُذَبِّح هناك ويُفَرَّق لحمه على مساكن الحرم. وهذا أمر متفق عليه في هذه الصورة. ﴿أَوْ كَفَرَةً طَعَامُ مَسْكِينٍ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا﴾ أي: إذا لم يجد المحرم مثل ما قتل من النعم، أو لم يكن الصيد المقتول من ذوات الأمان، أو قلنا بالتخيير بين الجزاء والإطعام والصيام؛ فيُعَدَّل إلى القيمة، فيَقُوم الصيد المقتول عند مالك، وأبي حنيفة وأصحابه، وحما، وإبراهيم. وقال الشافعي: يَقُوم مثله من النعم لو كان موجودًا، ثم يُشْتَرَى به طعامٌ فيُصَدَّق به. فإن لم يجد -أو قلنا بالتخيير- صام عن إطعام كل مسكين يومًا. ﴿لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ﴾ أوجبنا عليه الكفارة ليدوق عقوبة فعله الذي ارتكب فيه المخالفة. ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ﴾ أي: في زمان الجاهلية، لمن أحسن في الإسلام واتبع شرع الله، ولم يرتكب المعصية. ثم قال: ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ أي: ومن فعَلَ ذلك بعد تحريمه في الإسلام ويلوغ الحكم الشرعي إليه ﴿فَيَنْقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾ الجمهور -من السلف والخلف- على أنه متى قُتِل المُحَرَّم الصيد وَجِبَ الجزاء، ولا فرق بين الأولى والثانية والثالثة، وإن تَكَرَّر ما تكرر، سواء الخطأ في ذلك والعمد. وعن ابن عباس فيمن أصاب صيدًا فحُكِم عليه ثم عاد، قال: لا يحكم عليه، يتقم الله منه. وهكذا قال شُرَيْح، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وغيرهم. ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ قال ابن جرير: والله منيع في سلطانه لا يقهره قاهر، ولا يمنعه من الانتقام عن انتقم منه، ولا من عقوبة من أراد عقوبته مانع؛ لأن الخلق خَلَقَهُ، والأمر أمرُهُ، له العزة والمنعة. وقوله: ﴿ذَوَاتُ أَنْفَاءٍ﴾ يعني: أنه ذو معاقبة لمن عصاه على معصيته إياه.

الآية (٩١-٩٣): قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الْفَاسِقُونَ أَنْ يُوَفَّقَ بَيْنَكُمْ وَالْعَدُوَّةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْقَتْلِ وَالنَّبِيرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوُونَ﴾ وهذا تهديد وترهيب. وقد ثبت في الصحيحين عن عمر بن الخطاب أنه قال في خطبته على منبر رسول الله ﷺ: «أيها الناس، إنه نزل تحريم الخمر وهي من خمسة: من العنب، والتمر، والعسل، والخنطة، والشعير، والخمر ما خامر العقل». وعن ابن عباس قال: كان لرسول الله ﷺ صديق من ثقف -أو من دوس- فلقبه يوم الفتح براوية خر يهديا إليه، فقال رسول الله ﷺ: «يا فلان، أما علمت أن الله حرمها؟» فأقبل الرجل على غلامه فقال: اذهب فبعها. فقال رسول الله ﷺ: «يا فلان، بماذا أمرته؟» فقال: أمرته أن يبيعها. قال: «إن الذي حرم شرها حرم بيعها». فأمر بها فأفرغت في البطحاء. [رواه بمعناه مسلم وأحمد]. وعن أنس قال: كنت ساقى القوم يوم حُرِّمَت الخمر في بيت أبي طلحة، وما شراهم إلا الفضخ: البسر والتمر، فإذا مناد ينادي، قال: اخرج فانظر. فإذا مناد ينادي: ألا إن الخمر قد حرمت، فجرت في سكك المدينة، قال: فقال لي أبو طلحة: اخرج فأهرقها. فهرقتها، فقالوا -أو قال بعضهم-: قتل فلان وفلان وهي في بطونهم. قال: فأنزل الله: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ الآية. [متفق عليه].

الآية (٩٤-٩٥): قال ابن عباس: قوله: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَأَلَّهَ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾ قال: هو الضيف من الصيد وصغيره، يتلئ به عباده في إحرامهم، حتى لو شأؤوا يتناولونه بأيديهم. فنهاهم الله أن يقربوه. وقال مجاهد: ﴿تَأَلَّهَ أَيْدِيكُمْ﴾ يعني: صغار الصيد وفراخه ﴿وَرِمَاحُكُمْ﴾ يعني: كبارها. ﴿لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾ يعني: أنه تعالى يتلئهم بالصيد بفشاهم في رحالهم، يتمكنون من أخذه بالأيدي والرماح سرًا وجهزًا، تظهر طاعة من يطيع منهم في سره وجهره؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمُ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [المك: ١٢]. وقوله ههنا: ﴿فَمَن أَهْدَكَ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ قال السدي وغيره: يعني بعد هذا الإعلام والإنذار والتقدم ﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: لمخالفته أمر الله وشرعه. ﴿يَأْتِيَهُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَلَوُا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾ وهذا تحريم منه تعالى لقتل الصيد في حال الإحرام، ونهي عن تعاطيه فيه. ﴿وَمَن قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾ الذي عليه الجمهور: أن العائد والناسي سواء في وجوب الجزاء عليه. وقال الزهري: دلَّ الكتاب على العمد، وجرت السنة على الناسي، ومعنى هذا: أن القرآن دلَّ على وجوب الجزاء على المتعمد وعلى تأثيمه بقوله: ﴿لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ﴾ عفا الله عما سلفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْقِمُ اللَّهُ مِنْهُ، وجاءت السنة من أحكام النبي ﷺ وأحكام أصحابه بوجوب الجزاء في الخطأ، كما دلَّ الكتاب عليه في العمد، وأيضًا فإن قتل الصيد إتلاف، والإتلاف مضمون في العمد وفي النسيان، لكن المتعمد مأثوم، والمخطئ غير مأثوم. وفي قوله: ﴿فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾ دليل لِمَا ذَهَبَ إليه مالك، والشافعي، وأحمد، والجمهور من: وجوب الجزاء في مثل ما قتله المحرم، إذا كان له مثل من الحيوان الإنسي، خلافًا لأبي



رسولنا الذي أرسلناه إليكم إلا أن يؤدي إليكم رسالتنا، ثم إلينا الثواب على الطاعة، وإلينا العقاب على المعصية. وغير خفي علينا المطيع منكم القابل رسالتنا، من العاصي الأبى رسالتنا؛ لأننا نعلم ما عمله العامل منكم فأظهره بجوارحه ونطق به لسانه، وما تخفونه في أنفسكم من إيمان وكفر، أو يقين وشك ونفاق. فمن كان كذلك لا يخفى عليه شيء من ضائر الصدور، وظواهر أعمال النفوس مما في السموات والأرض، ويبيد الثواب والعقاب، فحقيق أن يُتَّقَى، وأن يطاع فلا يُعصى [١].

الآية (١٠٠): يقول تعالى لرسوله ﷺ: ﴿قُلْ يَا مُحَمَّدُ: لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالْطَّيِّبُ وَتَوَعَّبَكَ﴾ أي: يا أيها الإنسان «كَتَرُ الْخَبِيثِ» يعني: أن القليل الحلال النافع خير من الكثير الحرام الضار. ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَأْوَلِ الْآلَافُ﴾ أي: يا ذوي العقول الصحيحة المستقيمة، وتجنبوا الحرام ودعوه، واقنعوا بالحلال واكتفوا به ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾ أي: في الدنيا والآخرة.

الآية (١٠١): هذا تأديب من الله لعباده المؤمنين، ونهي لهم عن أن يسألوا عن أشياء مما لا فائدة لهم في السؤال والتفتيح عنها؛ لأنها إن أظهرت لهم تلك الأمور ربما ساءتهم وشق عليهم سماعها. وظاهر الآية النهي عن السؤال عن الأشياء التي إذا علم بها الشخص ساءته، فالأولى الإعراض عنها وتركها. ﴿وَإِنْ دَسَّلُوا عَنْهَا جِنٌّ يَسْأَلُ أَقْرَبًا بُدِّلْ لَكُمْ﴾ أي: وإن تسألوا عن هذه الأشياء -التي نهيتهم عن السؤال عنها- حين ينزل الوحي على الرسول يُبَيِّنْ لكم، وذلك يسير. ﴿عَمَّا أَتَاهُ عَنْهَا﴾ أي: عما كان منكم قبل ذلك، [وعما] لم يذكره في كتابه فهو مما عفا عنه فاستكنوا أنتم عنها كما سكت عنها ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾.

الآية (١٠٢): أي: قد سأل هذه المسائل المنهي عنها قومٌ من قبلكم، فأجيبوا عنها ثم لم يؤمنوا بها، فأصبحوا بها كافرين، أي: بسببها؛ أن بُيِّنَتْ لهم فلم يتفقهوا بها؛ لأنهم لم يسألوا على وجه الاسترشاد، وإنما سألوا على وجه التعتُّب والعناد.

الآية (١٠٣): عن سعيد بن المسيَّب قال: «البحيرة» التي يُمنَعُ ذُرُّها للطواغيت، فلا يُجَلِّبها أحد من الناس. «والسائبة»: كانوا يسيبونها لأنهم، لا يُجْعَلُ عليها شيء، قال: وقال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: «رَأَيْتُ عَمْرُو بْنَ عَامِرِ الْخَزَاعِيٍّ يُجْرُ قُضْبَهُ فِي النَّارِ، كَانَ أَوَّلُ مَنْ سَيَّبَ السَّوَابِ». «والوصيلة»: الناقة البكر، تُبَكَّرُ في أول نتاج الإبل، ثم تنثي بعد بأثنى، وكانوا يسيبونها لطواغيتهم، إن وصلت إحداهما بالأخرى ليس بينهما ذكر. «والحام»: فحل الإبل يُضْرَبُ الضراب المعداد، فإذا قضى ضربه ودَعُوهُ للطواغيت، وأعقوه عن الحمل، فلم يُجْعَلْ عليه شيء، وسَمَوْهُ الحامي [متن عليه]. ﴿وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَقْتُلُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ أي: ما شرع الله هذه الأشياء ولا هي عنده قربة، ولكن المشركين افتروا ذلك، وجعلوه شرعاً لهم وقربة يقتربون بها إليه. وليس ذلك بحاصل لهم، بل هو وبالٌ عليهم.

الآية (٩٦): قال ابن عباس: صيده ما أخذه منه حيًّا ﴿وَعَلَّمَاهُ﴾ ما لفظه ميتًا. وكذا روي عن أبي بكر الصديق وزيد بن ثابت وعبد الله ابن عمر رضي الله عنهم. ﴿مَتَمَّا لَكُمْ﴾ أي: منفعة وثقوتاً لكم أيها المخاطبون ﴿وَلِلنَّيَّارَةِ﴾ وهو جمع سَيَّار. قال عكرمة: لمن كان بحضرة البحر. وقد استدلل جمهور العلماء على حل ميتة البحر بهذه الآية الكريمة، وبما رواه جابر بن عبد الله قال: ... فإذا على ساحل البحر مثل الكتيب الضخم، فأتيناه فإذا بدابة يقال لها: العنبر قال: قال أبو عبيدة: ميتة، ثم قال: لا نحن رسل رسول الله ﷺ وفي سبيل الله، وقد اضطررتم فكلوا قال: فأقمنا عليه شهراً ونحن ثلاثمائة حتى سمنا... وتزودنا من لحمه وشائق. فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله ﷺ فذكرنا ذلك له، فقال: «هو رزق أخرج الله لكم، هل معكم من لحم شيء فتطعمون؟» قال: فأرسلنا إلى رسول الله ﷺ منه فأكله. إدراه مسلم. وقد احتج بهذه الآية الكريمة من ذهب من الفقهاء إلى أنه تؤكل دواب البحر، ولم يستثن من ذلك شيئاً. ﴿وَعَمَّ عَلَيْكُمْ صِدْقُ الْإِلَهِ مَا دُمْتُمْ حُرَمًا﴾ أي: في حال إحرامكم يحرم عليكم الاصطياد.

[﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُعْشِرُونَ﴾] واخشوا الله -أيها الناس- واحذروه، بطاعته فيما أمركم به من فرائضه، وفيما نهاكم عنه في هذه الآيات التي أنزلها على نبيكم ﷺ من النهي عن الخمر والميسر والأنصاب والأزلام، وعن إصابة صيد البر وقتله في حال إحرامكم؛ فإن الله مصيركم ومرجعكم، فيعاقبكم بمعصيتكم إياه، ويمازيكم فيسيبككم على طاعتكم له. الآية (٩٧): ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَبَيبَةَ الْآيَةَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ صَبْرٌ﴾ الله الكعبة البيت الحرام قِيَامًا للناس الذين لا قِيَامَ لهم من رئيس يحجز قِيَامَهُ عن ضعيفهم، ومسيئهم عن محسنهم، وظالمهم عن مظلومهم. ﴿وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَاللَّيْلَةَ﴾ يقول: وجعل هذه أيضاً قِيَامًا للناس، كما جعل الكعبة قِيَامًا لهم، فحجز بكل واحد من ذلك بعضهم عن بعض، إذ لم يكن لهم قِيَامٌ غيره، وجعلها معالم لدينهم ومصالح أمورهم. وجعل تعالى الكعبة والشهر الحرام والهدي والقلائد قِيَامًا لمن كان يحرم ذلك من العرب ويعظمه، بمنزلة الرئيس الذي يقوم أمر تباعه. وأما الكعبة: فالحرَم كله. ﴿ذَلِكَ لِتَسْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَكَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ يقول تعالى: صَبْرٌ لكم -أيها الناس- ذلك قِيَامًا، كي تعلموا أن من أحدث لكم لمصالح دنياكم ما أحدث مما به قوامكم -علماً منه بمنافعكم ومضاركم- أنه كذلك يعلم جميع ما في السموات والأرض مما فيه صلاح عاجلكم وآجلكم، ولتعلموا أنه بكل شيء عليكم، لا يخفى عليه شيء من أموركم وأعمالكم، وهو محصيا عليكم، حتى يمازي المحسن منكم بإحسانه، والمسيء منكم بإساءته.

الآية (٩٨): اعلموا أن ربكم الذي يعلم ما في السموات والأرض، ولا يخفى عليه شيء من سرائر أعمالكم وعلانياتها شديد عقابه على من عصاه وتمرد عليه، وهو غفور لذنوب من أطاعه وأتاب إليه، رحيم به أن يعاقبه على ما سلف من ذنوبه بعد إنيابته وتوبته منها. الآية (٩٩): هذا من الله تهديد لعباده ووعيد. يقول: ليس على

(١) هذا القدر -من آخر آية ٩٦ إلى آخر آية ٩٩- غير موجود بجميع نسخ ابن كثير، ونقلناه من «عمدة التفسير» لأحمد شاكر تحقيق أنور الباز، وقد ذكر هناك أنه مأخوذ من تفسير الطبري.



## ● الوقفات التدريبية

﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

جعل الرحمة صفة له مذكورة في أسمائه الحسنى، وأما العذاب والعقاب فجعلهما من مفعولاته، غير مذكورين في أسمائه، ابن تيمية: ٥٦١/٢.

السؤال: الآية توثق في الإنسان الخوف والرجاء، بين ذلك.

﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

أي: ليكن هذان العلمان موجودين في قلوبكم على وجه الجزم واليقين؛ تعلمون أنه شديد العقاب العاجل والأجل على من عصاه، وأنه غفور رحيم لمن تاب إليه وأطاعه؛ فيثمر لكم هذا العلم الخوف من عقابه، والرجاء لغفرته وثوابه، وتعملون على ما يقتضيه الخوف والرجاء. السعدي: ٢٤٥.

السؤال: ما الفائدة من العلم بأن الله شديد العقاب، وأنه غفور رحيم؟

﴿مَاعَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا تَكُونُونَ﴾

(ما على الرسول إلا البلاغ) أي: ليس له الهداية والتوفيق ولا الثواب، وإنما عليه البلاغ. القرطبي: ٢٢٥/٨.

السؤال: حدد وظيفة الداعية إلى الله عز وجل.

﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ

يَتَأُولَى الْأَلْبَابَ لَكُمْ تُقْلِحُونَ﴾

فالخبيث لا يساوي الطيب مقداراً، ولا إنفاذاً، ولا مكاناً، ولا ذهباً؛ فالطيب يأخذ جهة اليمين، والخبيث يأخذ جهة الشمال، والطيب في الجنة، والخبيث في النار. القرطبي: ٢٢٦/٨.

السؤال: بين لماذا لا يساوي الخبيث الطيب.

﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ

يَتَأُولَى الْأَلْبَابَ لَكُمْ تُقْلِحُونَ﴾

يقول: لا يعتمد العاصي والمطيع لله عند الله، ولو كثرت أهل المعاصي ففجبت من كثرتهم؛ لأن أهل طاعة الله هم المفلحون الفائزون بثواب الله يوم القيامة وإن قلوا دون أهل معصيته، وإن أهل معاصيه هم الأخسرون الخابئون وإن كثروا.... فلا تمجن من كثرة من يعصي الله فيهمله، ولا يعاجله بالعقوبة؛ فإن العقوبة الصالحة لأهل طاعة الله. الطبري: ٩٦/١١.

السؤال: العاقل لا يفتن بكثرة أهل الباطل، وضع ذلك في ضوء الآية.

﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ

يَتَأُولَى الْأَلْبَابَ لَكُمْ تُقْلِحُونَ﴾

(ولو أعجبك كثرة الخبيث): فإنه لا ينفع صاحبه شيئاً، بل يضره في دينه ودنياه. (فاتقوا الله يا أولي الألباب لعلمكم تقبحون): فامر أولي الألباب: أي: أهل العقول الواهية، والآراء الكامنة؛ فإن الله تعالى يوجه إليهم الخطاب، وهم الذين يؤبه لهم، ويرجي أن يكون فيهم خير، ثم أخبر أن النلاح متوقف على التقوى التي هي موافقة الله في أمره ونهيه؛ فمن اتقاها أفلح كل الفلاح، ومن ترك تقواها حصل له الخسران، وفاته الأرباح. السعدي: ٢٤٥.

السؤال: لماذا توجه الله سبحانه بالخطاب لأولي الألباب دون سائر الناس؟

﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ﴾

لأنهم لم يسألوا على وجه الاسترشاد، بل على وجه الاستهزاء والعناد. ابن كثير: ١٠٠/٢.

السؤال: تختلف أحوال السائلين، فما السؤال المحمود، وما السؤال المذموم؟

أَحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَّعَالِكُمْ وَفِي الْبَرِّ لِكُلِّ دِينٍ وَحَرْمَةً عَلَيْهِ كَحُرْمَةِ الْبَرِّ مَا دُمْتُ حُرْمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿١﴾ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِبْلًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلْبَةَ لِكُلِّ تَعَامُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢﴾ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣﴾ مَاعَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٤﴾ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَأُولَى الْأَلْبَابَ لَكُمْ تُقْلِحُونَ ﴿٥﴾ تَابِئَهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن بُدَّ لَكُمْ سَوْكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلَ الْقُرْآنُ تُبْدُوا سَأَلْتُمُونَهَا مِن قَبْلُ كَثُرَ أَصْحَابُهَا فَكَرِهْنَاهُ اللَّهُ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَیْرَةٍ وَلَا سَیِّئَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَرُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
وَاللَّسْيَارَةُ	لِلْمُسَافِرِينَ.
وَالْقَلْبَةُ	هُوَ الْهَدْيُ الَّذِي عُلِقَ عَلَيْهِ شَيْءٌ إِشْعَارًا بِأَنَّهُ هَدْيٌ.
بَحِيرَةٌ	الَّتِي تَقْطَعُ أَذْنَهَا، وَتُخْلِى لِلطَّوْغَاتِ؛ إِذَا وَلَدَتْ عَدَاً مِنَ الْبُطُونِ.
سَائِبَةٌ	الَّتِي تَتْرَكَ لِلْأَصْنَافِ؛ بِسَبَبِ بُرءٍ مِنْ مَرَضٍ، أَوْ نَجَاةٍ مِنْ هَلَاكِ.

## ● العمل بالآيات

١. حدد منكرات وبلغ حكم الله فيها لتبرا ذمتك، ﴿مَاعَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا تَكُونُونَ﴾.
٢. أرسل رسالة تبين فيها أن الله سبحانه يحب السؤال إذا كان بقصد العمل، ويكره السؤال المتعنت والمرائي، ﴿يَتَابِئَهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن بُدَّ لَكُمْ سَوْكُمْ﴾.
٣. أرسل رسالة تبين فيها خطورة تحريم الحلال، وتحليل الحرام، ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَیْرَةٍ وَلَا سَیِّئَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾.

## ● التوجيهات

١. القليل الحلال خير وأنفع من الكثير الحرام الضار، ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾.
٢. المال الخبيث لا ينفع صاحبه شيئاً، بل يضره في دينه ودنياه، ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾.
٣. لا تكثر من سؤال العالم عن الأمور التي لا فائدة من وراها، ﴿يَتَابِئَهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن بُدَّ لَكُمْ سَوْكُمْ﴾.



## ● الوقفات التدريبية

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا تَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾  
ولا يدل هذا على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يضر العبد تركهما وإهمالهما، فإنه لا يتم هداة إلا بالإتيان بما يجب عليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، نعم إذا كان عاجزاً عن إنكار المنكر بيده ولسانه، وانكره بقلبه فإنه لا يضره ضلال غيره. السعدي: ٢٤٦.

السؤال: كيف ترد على من يستدل بهذه الآية على ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا تَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾  
قد يتوهم الجاهل من ظاهر هذه الآية الكريمة عدم وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولكن نفس الآية فيها الإشارة إلى أن ذلك فيما إذا بلغ جهده، فلم يقبل منه المأمور؛ وذلك في قوله: (إذا اهتديتم) لأن من ترك الأمر بالمعروف لم يهتد. الشنقيطي: ٤٥٩/١.

السؤال: متى يقتصر ضرر الضلالة على صاحبها دون غيره؟

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهِدُوا بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ﴾  
الوصية معتبرة، ولو كان الإنسان وصل إلى مقدمات الموت وعلاماته، ما دام عقله ثابتاً. السعدي: ٢٤٧.

السؤال: هل يجوز لمن حضره الموت أن يوصي؟ وماذا تفيد من ذلك؟

﴿فَأَصْبَحْتُمْ مَوْبِئَةَ الْمَوْتِ﴾  
وسمى الله تعالى الموت في هذه الآية مصيبة، والموت وإن كان مصيبة عظيمة، ورزية كبرى، فأعظم منه الغفلة عنه، والإعراض عن ذكره، وترك التفكير فيه، وترك العمل له، وإن فيه وحده لعبرة لمن اعتبر، وفكرة لمن تفكر. القرطبي: ٣٦٤/٨.

السؤال: هل الموت مصيبة؟ وما المصيبة الأشد والأعظم منه؟

﴿تَحْسِبُونَهُمَا مِنْ بَدَلِ الْكُفْرَةِ فِقْصِمَانٍ بِاللَّهِ﴾  
إن فائدة اشتراطه بعد الصلاة: تعظيماً للوقت، وإرهاهاً به؛ لشهود الملائكة ذلك الوقت. القرطبي: ٣٦٦/٨.

السؤال: لماذا اشترط أن يكون الحلف اليمين بعد الصلاة؟

﴿فِقْصِمَانٍ بِاللَّهِ إِنْ أَرَبْتُمْ لَا تَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْآثِمِينَ﴾

(ولا نكتُم شهادة الله) أي: الشهادة التي أمر الله بحفظها وإدائها. وإضافتها إلى الله تعظيماً لها. ابن جزي: ٢٥٥/١.

السؤال: ما وجه إضافة الشهادة إلى الله عز وجل؟

﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾  
(واتقوا الله واسمعوا): سمع إجابة وقبول جميع ما تؤمرون به، (والله لا يهدي القوم الفاسقين): تذييل لما تقدم، والمراد: فإن لم تتقوا وتسمعوا كنتم فاسقين خارجين عن الطاعة، والله تعالى لا يهدي القوم الخارجين عن طاعته؛ لا يهديهم إلى ما ينفعهم أو إلى طريق الجنة. الألوسي: ٦٩/٧.

السؤال: في الآية بيان لما منع من موانع الهداية والتوفيق، بين ذلك المانع.

وَأَذِيقْ لَهُمْ عَذَابًا لِيْلًا مِمَّا أُنْزِلَ اللَّهُ عَلَى الرَّسُولِ قَالُوا أَحْسَبُنا  
مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آيَةً نَأْتِيهِمْ آيَاتُكَ أَنْفُسَكُمْ لَا تَعْلَمُونَ  
شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ  
لَا تَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا  
فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهِدُوا  
بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا  
عَدْلٍ مِّنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَشْمَ ضَرْبُكُمْ فِي الْأَرْضِ  
فَأَصْبَحْتُمْ مَصِيبَةً لِّلْمَوْتِ تَحْسِبُونَهُمَا مِنْ بَدَلِ الْكُفْرَةِ  
فِقْصِمَانٍ بِاللَّهِ إِنْ أَرَبْتُمْ لَا تَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا  
قُرْبَىٰ وَلَا تَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْآثِمِينَ ﴿١٧﴾ فَإِنْ غُيِّرَ  
عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْقَانًا فَاخْرَاجَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ  
اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَرْثَيْنِ فِقْصِمَانٍ بِاللَّهِ لَشَهَدَتُنَا أَحَدُكُمُ  
شَهَدَتُهُمَا وَمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ وَإِنَّا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ ذَلِكَ أَذَقْنَا  
أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُونَ أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانُكُمْ  
بَعْدَ آيْمَانِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ وَاللَّهُ وَأَسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٠﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
حَسْبُنَا	كافينا.
عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ	الزُّمُوا أَنْفُسَكُمْ الْعَمَلُ بِالطَّاعَةِ.
ضَرْبُكُمْ فِي الْأَرْضِ	سَاهَرْتُمْ.
الْأَوَّلِيَّانِ	الأقربان للميت.

## ● العمل بالآيات

١. انكر اليوم منكرًا بنصيحة مؤثرة، وكلمة طيبة، لعلك تكون ممن يرفع الله بهم العذاب عن أهل الأرض، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا تَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾.
٢. اكتب وصيتك قبل نومك هذه الليلة، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهِدُوا بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ﴾.
٣. انصح من حولك بالحرص على كتابة الوصية، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهِدُوا بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ﴾.

## ● التوجيهات

١. من أهم أسباب ضياع الناس في دينهم ودنياهم: ترك اتباع ما أنزل الله، وتقليد الآباء والمجتمع في أخطائهم، ﴿وَأَذِيقْ لَهُمْ عَذَابًا لِيْلًا مِمَّا أُنْزِلَ اللَّهُ عَلَى الرَّسُولِ قَالُوا أَحْسَبُنا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آيَةً نَأْتِيهِمْ آيَاتُكَ أَنْفُسَكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾.
٢. اتباع العادات والتقاليد محمود إذا لم يخالف شرع الله، ﴿وَأَذِيقْ لَهُمْ عَذَابًا لِيْلًا مِمَّا أُنْزِلَ اللَّهُ عَلَى الرَّسُولِ قَالُوا أَحْسَبُنا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آيَةً نَأْتِيهِمْ آيَاتُكَ أَنْفُسَكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾.
٣. ضلال الناس لا يضر المؤمنين إذا أمرهم بالمعروف، ونهواهم عن المنكر، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا تَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾.

ثالث معها اجتمع فيها الوصفان: الوصاية والشهادة.

وقوله تعالى: ﴿تَحْسِبُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الْفَلْسُوفَةِ﴾ قال ابن عباس: يعني صلاة العصر. وقال الزهري: يعني صلاة المسلمين. والمقصود: أن يقام هذان الشاهدان بعد صلاة اجتمع الناس فيها بحضرتهم، ﴿فَيَقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ اَرْتَبْتُمْ﴾ أي: إن ظهرت لكم منها ريبة أنها قد خانا أو غلّا، فيحلفان حينئذ بالله ﴿لَا نَشْفِي بِكُمْ﴾ أي: بأياننا؛ قاله مقاتل بن حيان. ﴿ثُمَّ﴾ أي: لا نعتاض عنه بمعوض قليل من الدنيا الفانية الزائلة ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ أي: ولو كان المشهود عليه قريباً إلينا لأتحايه ﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ﴾ أضافها إلى الله تشريفاً لها، وتعظيماً لأمرها. ﴿إِنَّمَا إِذَا لَمِنَ الْأَيُّمِينَ﴾ أي: إن فعلنا شيئاً من ذلك، من تحريف الشهادة، أو تبديلها، أو تغييرها، أو كتمها بالكلفة.

الآية (١٠٧): أي: فإن اشتهر وظهر وتحقق من الشاهدين الوصيين، أنها خانا أو غلّا شيئاً من المال الموصى به إليهما، وظهر عليهما بذلك ﴿فَقَارِئَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَشَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوَّلَيْنِ﴾ أي: متى تحقق ذلك بالخبر الصحيح على خيانتها، فليقم اثنان من الورثة المستحقين للتركة، وليكونا من أوّل من يرث ذلك المال ﴿فَيَقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا﴾ أي: لقولنا: إنها خانا أحق وأصح وأثبت من شهادتهما المقدمة ﴿وَمَا اعْتَدَيْنَا﴾ أي: فيما قلنا من الخيانة ﴿إِنَّمَا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ أي: إن كنا قد كذبنا عليهما. وقال ابن عباس في تفسير هذه الآية: فإن اُزْتُب في شهادتهما استحلّفا بعد الصلاة بالله: ما اشتهرنا بشهادتنا ثمناً قليلاً. فإن اطلع الأولياء على أن الكافرين كذبوا في شهادتهما، قام رجلان من الأولياء فحلفا بالله: إن شهادة الكافرين باطلة، وإنّا لم نعتد، فذلك قوله: ﴿فَإِنْ عَرِجَ عَنْهُمَا اسْتَحَقَّ إِثْمًا﴾ يقول: إن اطلع على أن الكافرين كذبوا ﴿فَقَارِئَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾ يقول: من الأولياء، فحلفا بالله: إن شهادة الكافرين باطلة، وإنّا لم نعتد، فَرُدَّتْ شهادة الكافرين، وتجاوز شهادة الأولياء. وهكذا قرّر هذا الحكم على مقتضى هذه الآية غير واحد من أئمة التابعين والسلف، وهو مذهب الإمام أحمد.

الآية (١٠٨): ﴿ذَلِكَ أَدْعَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهٍ﴾ أي: شرعية هذا الحكم على هذا الوجه المرضي من تحليف الشاهدين الذين أقرب إلى إقامتها الشهادة على الوجه المرضي. ﴿أَوْ يَتَأَمَّرُوا أَنْ تَرُدَّ أَيْمُنُ بَدَائَتِهِمْ﴾ أي: يكون الحامل لهم على الإتيان بها على وجهها، وهو تعظيم الحلف بالله ومراعاة جانبه وإجلاله، والخوف من الفضيحة بين الناس إذا رُدَّت اليمين على الورثة، فيحلفون ويستحقون ما يدعون، ولهذا قال: ﴿أَوْ يَتَأَمَّرُوا أَنْ تَرُدَّ أَيْمُنُ بَدَائَتِهِمْ﴾، ثم قال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أي: في جميع أموركم ﴿وَأَسْمِعُوا﴾ أي: وأطيعوا ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ يعني: الخارجين عن طاعته ومتابعة شريعته.

الآية (١٠٤): ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى أَرْسُولِهِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ أي: إذا دُعوا إلى دين الله وشرعه وما أوجبه وترك ما حرّمه، قالوا: يكفينا ما وجدنا عليه الآباء والأجداد من الطرائق والمسالك. ﴿أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ أي: لا يفهمون حقاً ولا يعرفونه، ولا يهتدون إليه، فكيف يتبعونهم والحالة هذه؟! لا يتبعهم إلا من هو أجهل منهم، وأضل سبيلاً.

الآية (١٠٥): يقول تعالى آمراً عباده المؤمنين أن يصلحوا أنفسهم ويفعلوا الخير بجهدهم وطاقاتهم، وغبراً لهم أنه من أصلح أمره لا يضره فساد من فسد من الناس، سواء كان قريباً منه أو بعيداً. قال ابن عباس عند تفسير هذه الآية: يقول تعالى: إذا ما العبد أطاعني فيما أمرته به من الحلال ونهيت عنه من الحرام، فلا يضره من ضل بعده، إذا عمل بما أمرته به. وهكذا قال مقاتل. فقله: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ﴾ نصب على الإغراء ﴿إِلَى اللَّهِ مَرَجُكُمْ جَمِيعًا فَيَنْتَفِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَمَلُونَ﴾ أي: فيجازي كل عامل بعمله: إن خيراً فخير، وإن شراً فشر. وليس فيها دليل على ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا كان فعل ذلك ممكناً، وقال سعيد بن المسيب: إذا أمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر، فلا يضرّك من ضل إذا هتدبت. وكذا قال غير واحد من السلف. وقام أبو بكر رضي الله عنه وأثنى عليه، وقال: أيها الناس، إنكم تقرأون هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا أَعْتَدْتُمْ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، وَإِنْ تَضَعُونَهَا عَلَى غَيْرِ مَوْضِعِهَا، وَإِنْ سَمِعْتُمْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الْمُنْكَرَ لَا يَغْيِرُونَهُ أَوْشَكَ اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ، أَنْ يَعْصِمَ بِعَقَابِهِ» [رواه أحمد، وصححه أحمد شاكر].

الآية (١٠٦): اشتملت هذه الآية الكريمة على حكم عزيز، قيل: إنه منسوخ، رواه العوفي عن ابن عباس، وحماة بن أبي سليمان عن إبراهيم. وقال آخرون - وهم الأكثرون، فيما قاله ابن جرير -: بل هو محكم، ومن ادّعى النسخ فعليه البيان. قوله: ﴿ذَوَا عَدْلٍ﴾ وصف الاثنين بأن يكونا عدلين. ﴿وَسِتْكُمْ﴾ أي: من المسلمين. قاله الجمهور. عن ابن عباس في قوله: ﴿أَوْ عَارِئَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ قال: من غير المسلمين، يعني: أهل الكتاب. ﴿إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: سافرتم ﴿فَأَصْبَحْتُمْ مُشْيِبَةً أَلَمَوْتُ﴾ وهذان شرطان لجواز استشهاده اللذين عند فقد المؤمنين: أن يكون ذلك في سفر، وأن يكون في وصية، كما صرح بذلك شريح القاضي. وروى نحوه عن أحمد بن حنبل، وهذه المسألة من أفرادها، وخالفه الثلاثة فقالوا: لا تجوز شهادة أهل الدمة على المسلمين. وأجازها أبو حنيفة فيما بين بعضهم بعضاً. وروى ابن جرير عن الزهري قال: مضت السنة ألا تجوز شهادة الكافر في حضر ولا سفر، إنها هي في المسلمين. وقال ابن جرير: اختلف في قوله: ﴿شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَمَدُكُمْ أَلَمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ أَشْهَانُ ذَوَا عَدْلٍ وَسِتْكُمْ أَوْ عَارِئَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ هل المراد أن يوصي إليهما أو يشهدهما؟ على قولين: أحدهما: أن يوصي إليهما، والقول الثاني: أنها يكونان شاهدين. وهو ظاهر سياق الآية الكريمة، فإن لم يكن وصي

وهذا يدل على أن هذا الامتحان كان من الله إليه بعد رَفْعِهِ إلى السَّاءِ الدُّنْيَا، أو يكون هذا الامتحان واقعًا يوم القيامة، وعبر عنه بصيغة الماضي دلالةً على وقوعه لا محالة. وهذا من أسرار الغيوب التي أَطْلَعَ اللهُ عليها رسوله محمدًا ﷺ.

الآية (١١١): قوله: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي﴾ وهذا أيضًا من الامتنان عليه ﷺ بأن جعل له أصحابًا وأنصارًا. ثم قيل: المراد بهذا الوحي وحي إلهام؛ كما قال: ﴿وَأَوْحَيْتُ إِلَيْكَ أَمْرًا مَوْحًى أَنْ تُرْسِيَهُ﴾ الآية [الفصل: ٧٠]، وهذا وحي إلهام بلا خلاف، وكما قال تعالى: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّفْلِ أَنْ اتَّخِذْ مِنْ لَبَنٍ أبيضًا وَمنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٧٥﴾ ثُمَّ كُنْ مِنْ كُلِّ الْفِرْعَوْنَ فَاسِقًا سُبُلَ رَبِّكَ ذُلُّكَ﴾ الآية [الحل: ٦٨، ٦٩]. وهكذا قال بعض السلف في هذه الآية: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاتَّخَذَ بَيْنَنَا مُسْلِمُونَ﴾ أي: أقيموا ذلك، فامتثلوا ما أمروا. قال الحسن البصري: أهمهم الله عز وجل ذلك، وقال السدي: قذف في قلوبهم ذلك.

الآية (١١٢): هذه قصة المائدة، وإليها تُنسب السورة فيقال: «سورة المائدة». وهي مما امتن الله به على عبده ورسوله عيسى لما أحباب دعاء بنزولها، فأنزلها الله آية باهرة وحجة قاطعة. وقد ذكر بعض الأئمة أن قصة المائدة ليست مذكورة في الإنجيل، ولا يعرفها النصارى إلا من المسلمين، فالله أعلم.

فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِثُ﴾ وَهُمْ أَتْبَاعُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿يَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ هَذِهِ قِرَاءَةٌ كَثِيرَةٌ، وَقَرَأَ آخَرُونَ: ﴿هَلْ تَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ أَيُّ: هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَسْأَلَ رَبَّكَ ﴿أَنْ يَنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾. وَالْمَائِدَةُ هِيَ: الْخَوَانُ عَلَيْهِ طَعَامٌ. وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّهُمْ إِنَّمَا سَأَلُوا ذَلِكَ لِحَاجَتِهِمْ وَفَقَرِهِمْ، فَسَأَلُوهُ أَنْ يَنْزِلَ عَلَيْهِمْ مَائِدَةٌ كُلَّ يَوْمٍ يَقْتَاتُونَ مِنْهَا، وَيَتَقَوَّوْنَ بِهَا عَلَى الْعِبَادَةِ.

﴿قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنُتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ أي: فأجابهم المسيح عليه السلام قائلًا لهم: اتقوا الله، ولا تسألوا هذا، ففساه أن يكون فتنه لكم، وتوكلوا على الله في طلب الرزق إن كنتم مؤمنين.

الآية (١١٣): ﴿قَالُوا نُزِِدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا﴾ أي: نحن محتاجون إلى الأكل منها ﴿وَنَطْمَعُ قُلُوبَنَا﴾ إذا شاهدنا نزولها رزقاً لنا من السماء ﴿وَنَعْلَمُ أَنَّ قَدْ صَدَقْتَ﴾ أي: ونزداد إيماناً بك وعلماً برسالتك ﴿وَنَكُونُ عَلَيْهِمَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ أي: ونشهد أنها آية من عند الله، ودلالة وحجة على نبوتك وصدق ما جئت به.

الآية (١٠٩): هذا إخبار عما يخاطب الله به المسلمين يوم القيامة، عما أوحىوا به من أجمعهم الذين أرسلهم إليهم؛ كما قال تعالى: ﴿لَتَلْسَنَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَتَسْتَلْزَمَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿وَرَبَّكَ لَنَلَسَنَّهٖ أَجْمِينَ﴾ (١٢) ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢-٩٣].

وقول الرسل: ﴿لَا عِلْمَ لَنَا﴾ قال مجاهد والحسن البصري والشَّدي: إنما قالوا ذلك من هول ذلك اليوم. ولا شك أنه قولٌ حسن، وهو من باب التأدب مع الرب جَعَلَهُ؛ أي: لا علم لنا بالنسبة إلى علمك المحيط بكل شيء، فنحن - وإن كنا قد أُجِبتنا وعرفنا من أجبنا - ولكن منهم من كنا إنما نطلع على ظاهره، لا علم لنا بباطنه، وأنت العليم بكل شيء، المطلع على كل شيء، فعلمنا بالنسبة إلى علمك كَلَّا عِلْمُ؛ فإنك ﴿أَنْتَ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾.

الآية (١١٠): يَذْكُرُ تَعَالَى مَا اٰمَنَّا بِهِ عَلٰى عِبْدِهِ وَرَسُولِهِ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، مِمَّا اَجْرَاهُ عَلٰى يَدَيْهِ مِنَ الْمِعْجَزَاتِ الْبَاهِرَاتِ وَخَوَارِقِ الْعَادَاتِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿اِذْ قَالَ اَللّٰهُ لِيَّعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِيْ عَلَیْكَ ؕ اَيُّ فِى خَلْقِیْ اِيَّاكَ مِنْ اُمِّ بَلَدٍ ذَكَرٌ، وَجُعِلَیْ اِيَّاكَ اٰیَةً وَدَلَالَةً قَاطِعَةً عَلٰى كِبَالِ قُدْرَتِیْ عَلٰى الْاَشْیَاءِ وَوَکَّلَیْ لَدِیْكَ ؕ حَيْثُ جَعَلْتُكَ لَهَا بَرَهَانًا عَلٰى بَرَاءَتِهَا مِمَّا نَسَبَ الظَّالِمُونَ وَالْجَاهِلُونَ لِیْلِهَا مِنَ الْفَاحِشَةِ ﴿اِذْ اٰیَدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ ؕ وَهُوَ جَبْرِیْلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَجَعَلْتُكَ نَبِیًّا دَاعِیًا اِلٰى اِلٰهِ فِى صُغْرِكَ وَكِبْرِكَ، فَانْقَطَعَتْ فِی الْمَهْدِ صُغْرًا، فَشَهِدَتْ بَرَاءَةَ اُمِّكَ مِنْ كُلِّ عَيْبٍ، وَاعْتَرَفَتْ لِیْ بِالْعِبَادَةِ، وَاخْبَرَتْ عَنْ رِسَالَتِیْ اِيَّاكَ وَدَعْوَتِكَ اِلٰى عِبَادَتِیْ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿تُكَذِّبُ النَّاسَ فِى اٰلِهٰهِمْ وَكَهَنٰهُمْ﴾ اَيُّ: تَدْعُوْ اِلٰى اِلٰهِ النَّاسِ فِى صُغْرِكَ وَكِبْرِكَ. وَضَمَّنَ ﴿تُكَذِّبُ﴾ تَدْعُوْ؛ لِاَنَّ كَلَامَهُ النَّاسِ فِى كَهَوْلِهِ لَيْسَ بِأَمْرٍ عَجِیْبٍ.

وقوله: ﴿وَإِذْ عَلَّمْنَاكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ أي: الخط والفهم  
﴿وَالْتَّوْبَةَ﴾ وهي النزلة على موسى بن عمران الكليم. وقوله: ﴿وَإِذْ  
تَخَلَّوْنِ الْيَلِينَ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِ﴾ أي: تصوّره وتشكله على هيئة  
الطائر بإذنك في ذلك ﴿وَمَسْمُوحٍ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ﴾، أي:  
تتفخ في تلك الصورة التي شكلتها بإذنك في ذلك، فتكون طيرًا إذا  
روح بإذن الله وخلقه. وقوله: ﴿وَدَبَّرْنَا الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِ﴾  
قد تقدم الكلام عليه في سورة آل عمران.

وقوله: ﴿وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي﴾ أي: تدعوهم فيقومون من قبورهم بإذن الله وقدرته، وإرادته ومشيبته.

وقوله: ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَنْكَ إِذِ اجْتَنَّمُوا بِآيَاتِنَا فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنَّ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ أي: وأذكر نعمتي عليك في كفي إياهم عنك، حين اجتنبهم بالبراهين والحجج القاطعة على نبوتك ورسالتك من الله إليهم، فكذبوك واتهموك بأنك ساحر، وسعوا في قتلك وصلبك، فنجيتك منهم، ورفعتك إليّ، وطهرتك من دنسهم، وكفيتك شرهم.



## ● الوقفات التدريبية

١ ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمَهُ الْغُيُوبَ﴾

أي: ماذا أجابكم به الأمم من إيمان وكفر، وطاعة ومعصية؟ والمقصود بهذا السؤال توبيخ من كفر من الأمم، وإقامة الحجة عليهم. ابن جزي: ٢٥٦/١.

السؤال: ما المراد بسؤال الله لأتباعه مع علمه جل وعلا - بذلك؟

٢ ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمَهُ الْغُيُوبَ﴾

(قالوا لا علم لنا)، إنما قالوا ذلك تأديبا مع الله، فوكلوا العلم إليه. ابن جزي: ٢٥٦/١.

السؤال: ما وجه إجابة الأنبياء ربهم بهذا الجواب؟

٣ ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمَهُ الْغُيُوبَ﴾

معنى قولهم: (لا علم لنا)، لم يكن ذلك من الرسل إنكارا أن يكونوا كانوا علمين بما عملت أممهم، ولكنهم ذهلوا عن الجواب من هول ذلك اليوم، ثم أجابوا بعد أن ثابت إليهم عقولهم بالشهادة على أممهم. الطبري: ٢١٠/١١.

السؤال: أجاب الرسل بجوابين، فما هما؟ ومتى يكونان؟

٤ ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيُوسَىٰ إِنَّ مَرَمِّ أَدْكُرَ يَمَعِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ ذَلِكِ إِذْ أَلَيْدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْهَدْيِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ

وَالزُّورَةَ وَالْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ يَأْذِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِأَذْنٍ وَتُزَيِّجُ الْأَكْشَمَ وَالْأَبْرَصَ بِأَذْنٍ وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتِ بِأَذْنٍ﴾

وهذا كله صريح في أنه ليس هو الله، وإنما هو عبد الله، فعل ذلك بإذن الله، كما فعل مثل ذلك غيره من الأنبياء، وصريح بأن الأذن غير المأذون له. ابن تيمية: ٥٧١/٢.

السؤال: الآية الكريمة دليل أن عيسى -عليه السلام- عبد لله، لا كما تقول النصارى، كيف ذلك؟

٥ ﴿أَدْكُرَ يَمَعِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ ذَلِكِ﴾

اذكراها بقلبك، ولسانك، وقم بواجبها: شكراً لربك؛ حيث أنعم عليك نعماً ما أنعم بها على غيرك. السعدي: ٢٤٨.

السؤال: هل اختصك الله بنعمته؟ وما الواجب عليك تجاهها؟

٦ ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ يَأْذِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِأَذْنٍ وَتُزَيِّجُ الْأَكْشَمَ وَالْأَبْرَصَ بِأَذْنٍ وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتِ بِأَذْنٍ﴾

(يأذني)، كرهه مع كل معجزة رداً على من نسب الربوبية إلى عيسى. ابن جزي: ٢٥٧/١.

السؤال: لم تكرر كلمة (يأذني) في كل معجزة؟

٧ ﴿قَالُوا يُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنَّا وَنَطْمِئَنَ قُلُوبُنَا وَنَقْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَّقَتْنَا وَنَكُونَ

عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾

أي: إنما سألنا لأننا نريد أن نأكل منها؛ أكل تبرك لا أكل حاجة، فنستيقن قدرته، ونطمئن وتسكن قلوبنا، ونعلم أن قد صدقتنا بأنك

رسول الله؛ أي: نزداد إيماناً و يقيناً. البغوي: ٧٣٢/١.

السؤال: لماذا طلب الحواريون من عيسى -عليه السلام- إنزال المائدة؟

الطبري

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا﴾  
إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمَهُ الْغُيُوبَ ١٦٦ إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيُوسَىٰ إِنَّ مَرَمِّ أَدْكُرَ يَمَعِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ ذَلِكِ إِذْ أَلَيْدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْهَدْيِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالزُّورَةَ وَالْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ يَأْذِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِأَذْنٍ وَتُزَيِّجُ الْأَكْشَمَ وَالْأَبْرَصَ بِأَذْنٍ وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتِ بِأَذْنٍ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَنكَ إِذْ جَعَلْتَهُمْ بَالِغِينَ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْحَرُكُمْ مِنْ ١٦٧ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْخَوَارِجِ أَنْ آمِنُوا بِي وَيرسولوني قَالُوا آمَنَّا وَأَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ١٦٨ إِذْ قَالَ الْخَوَارِجُ لِيُوسَىٰ إِنَّ مَرَمِّ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ١٦٩ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنَّا وَنَطْمِئَنَ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَّقَتْنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ١٧٠

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
أَلَيْدْتُكَ	فَوَيْدْتُكَ.
بِرُوحِ الْقُدُسِ	جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَام.
الْأَكْشَمَ	مَنْ وُلِدَ أَعْمَى.
الْخَوَارِجُونَ	أَصْفِيَاءُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَام.

## ● العمل بالآيات

١. اقرأ في أحوال يوم القيامة، وكيف يكون حال الناس في ذلك اليوم العظيم، ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمَهُ الْغُيُوبَ﴾.

٢. اقرأ قصته عيسى عليه السلام من أحد كتب قصص الأنبياء، واستخرج منها فائدتين، ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيُوسَىٰ إِنَّ مَرَمِّ أَدْكُرَ يَمَعِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ ذَلِكِ﴾.

٣. تذكر ثلاثاً من نعم الله تعالى عليك، ثم اشكر الله عليها قولاً وعملاً، ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيُوسَىٰ إِنَّ مَرَمِّ أَدْكُرَ يَمَعِي عَلَيْكَ﴾.

## ● التوجيهات

١. شدة هول يوم القيامة، وصعوبة الموقف على الرسل، فكيف بمن دونهم؟ ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمَهُ الْغُيُوبَ﴾.

٢. اعلم أن نعمته الله تعالى على أوبيك أو أحدهما هي نعمته عليك أيضاً، فاشكر الله تعالى على ذلك، ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيُوسَىٰ إِنَّ مَرَمِّ أَدْكُرَ يَمَعِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ ذَلِكِ﴾.

٣. تذكر نعم الله تعالى على العبد يعين على القيام بواجب شكره، ﴿أَدْكُرَ يَمَعِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ ذَلِكِ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مَرْبُّهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ عَذَابُهُمْ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾

قال عبد الله بن عمر: أشد الناس عذابا يوم القيامة من كفر من أصحاب المائدة، وآل فرعون، والمنافقون. ابن جرير: ٢٥٨/١.

السؤال: العصية بعد وضوح الحجة أشد من العصية ابتداء، وضع ذلك.

﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتُ لِلنَّاسِ امْعُدُونِي وَأُنِى إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتُمْ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَٰلِمُ الْغُيُوبِ ﴾ (إن كنت قلتها فقد علمته): اعتداد وبراءة من ذلك القول، ووكل العلم إلى الله لتظهر براءته: لأن الله علم أنه لم يقل ذلك. ابن جرير: ٢٥٩/١.

السؤال: بين أدب عيسى مع ربه - سبحانه وتعالى - في هذه الآية في ثلاث نقاط.

﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتُ لِلنَّاسِ امْعُدُونِي وَأُنِى إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ ﴾

وبدا بالتسبيح قبل الجواب لأمرين: أحدهما: تنزيها له عما أضيف إليه، الثاني: خضوعا لمرتبة، وخوفا من سطوته. القرطبي: ٣٠٢/٨.

السؤال: لماذا ابتداء بتسبيح الله تعالى؟ وأي شيء نتعلمه من ذلك؟

﴿ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتُمْ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾  
خص النفس بالذكر لأنها مظنة الكتمان، والاتطواء على المعلومات. ابن عطية: ٢٦٣/٢.

السؤال: ما وجه تخصيص النفس بالذكر؟

﴿ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتُمْ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾

لم يقل «الغفور الرحيم»، وهذا من أبلغ الأدب مع الله تعالى: فإنه قال في وقت غضب الرب عليهم، والأمر بهم إلى النار، فليس هو مقام استعطاف ولا شفاعته، بل مقام براءة منهم ... والمعنى: إن غفرت لهم فمغفرتك تكون عن كمال القدرة والعلم، ليست عن عجز الانتقام منهم، ولا عن خفاء عليك بمقدار جرائمهم. ابن القيم: ٣٣٧/١.

السؤال: لم قال في الآية الكريمة: (العزيز الحكيم)، ولم يقل: «الغفور الرحيم»؟

﴿ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْغَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾

(قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم): عموم في جميع الصادقين، وخصوصا في عيسى ابن مريم: فإن في ذلك إشارة إلى صدقه في الكلام الذي حكاه الله عنه. ابن جرير: ٢٦٠/١.

السؤال: بين وجه هذه الآية في فضيلة الصدق.

﴿ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾

فدخل تحت هذه العبارة كل مؤمن بالله تعالى، وكل ما كان اتقى فهو ادخل في العبارة، ثم جاءت هذه العبارة مشيرة إلى عيسى في حاله تلك وصدقها فيما قال: فحصل له بذلك في الموقف شرف عظيم: وإن كان اللفظ يعمه وسواه. ابن عطية: ٢٦٣/٢.

السؤال: في الصدق منجاة في الدنيا والآخرة، وضع ذلك من خلال الآية.

قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَآرْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١٣٠﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُرْسِلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ عَذَابُهُمْ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾

وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتُ لِلنَّاسِ امْعُدُونِي وَأُنِى إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتُمْ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَٰلِمُ الْغُيُوبِ ﴿١٣٢﴾

إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ رَبِّي وَرَكُوعًا وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مِمَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبُ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٣٣﴾

إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٣٤﴾

قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْغَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣٥﴾

مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٣٦﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
تَكُونُ لَنَا عِيدًا	تَتَّخِذُ يَوْمَ نُزُولِهَا عِيدًا نَعْظُمُهُ نَحْنُ، وَمَنْ بَعْدَنَا.
وَآيَةً مِنْكَ	عَلَامَةً عَلَى وَحْدَانِيَّتِكَ وَنُبُوَّتِي.
شَهِيدًا	شَاهِدًا.

## ● العمل بالآيات

١. ككرر هذا الدعاء في هذا اليوم: «اللهم ارزقني وأنت خير الرازقين» كما دعا به الأنبياء من قبل، ﴿ وَآرْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾.

٢. ككرر هذه الآية في هذه الليلة، وتدبر في معانيها، كما فعل النبي ﷺ، ﴿ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الرَّحِيمُ الْحَكِيمُ ﴾.

٣. سل الله تعالى أن يرزقك الصدق في القول والعمل، ﴿ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْغَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾.

## ● التوجيهات

١. إياك أن تعاهد الله تعالى، ثم يعطيك ما تريد، فتنتقض عهده: فإن ذلك مظنة العذاب الشديد، ﴿ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مَرْبُّهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ عَذَابُهُمْ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾.

٢. من علامة إيمان العبد تأديبه في خطابه مع ربه سبحانه وتعالى، ﴿ قَالَ سُبْحَنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتُمْ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَٰلِمُ الْغُيُوبِ ﴾.

٣. فضيلة الصدق: فهو نافع في الدنيا والآخرة، ﴿ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْغَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾.

الآية (١١٤): ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا﴾ قال السدي: أي تتخذ ذلك اليوم الذي نزلت فيه عيداً نعظمه نحن ومن بعدنا، وقال سفيان الثوري: يعني يوماً نصلي فيه، وقال قتادة: أرادوا أن يكون لعبيهم من بعدهم. ﴿وَمَا يَكُنْ مِنْكُمْ﴾ أي: دليلاً تنصبه على قدرتك على الأشياء، وعلى إجابتك لدعوتي، فيصدقوني فيما أبلغه عنك ﴿وَأَرْزُقْنَا﴾ أي: من عندك رزقاً هنياً بلا كلفة ولا تعب ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾.

الآية (١١٥): ﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مَرْسَلُهَا عَلَيْكُمْ فَأَمَّا كَيْفَ﴾ أي: فمن كذب بها من أمتك يا عيسى وعاندها ﴿فَلْيَأْتِ أَحَدَهُمْ عَذَابًا لَا أَحَدُهُمْ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ أي: من عالمي زمانكم. عن عبد الله بن عمرو قال: إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة ثلاثة: المنافقون، ومن كفر من أصحاب المائدة، وآل فرعون (رواه ابن جرير، وصححه إسناده أحمد شاكر). [وقد دلت الآثار] على أن المائدة نزلت على بني إسرائيل أيام عيسى ابن مريم، إجابة من الله لدعوته، وكما دل على ذلك ظاهر السياق من القرآن العظيم: ﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مَرْسَلُهَا عَلَيْكُمْ﴾ الآية. وقال قائلون: إنها لم تنزل. فروي عن مجاهد قال: هو مثل ضربه الله ولم ينزل شيء. وروي عن الحسن أنه قال في المائدة: لم تنزل. وأسانيدنا صحيحة إلى مجاهد والحسن. ولكن الذي عليه الجمهور أنها نزلت، وهو الذي اختاره ابن جرير، قال: لأن الله تعالى أخبر بنزولها بقوله تعالى: ﴿إِنِّي مَرْسَلُهَا عَلَيْكُمْ فَأَمَّا كَيْفَ يَكُونُ بَدِينُكُمْ فَلْيَأْتِ أَحَدَهُمْ عَذَابًا لَا أَحَدُهُمْ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ قال: ووعد الله ووعده حتى وصدق. وهذا القول هو - والله أعلم - الصواب، كما دلت عليه الأخبار والآثار عن السلف وغيرهم. عن ابن عباس قال: قالت قريش للنبي ﷺ: ادع لنا ربك أن يجعل لنا الصفا ذهباً ونؤمن بك! قال: «وتفعلون؟» قالوا: نعم. فأتاه جبريل فقال: إن ربك يقرأ عليك السلام، ويقول لك: إن شئت أصبح لهم الصفا ذهباً، فمن كفر منهم بعد ذلك عذبته عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين، وإن شئت فتحت لهم باب التوبة والرحمة! قال: «بل باب التوبة والرحمة» (رواه أحمد، وصححه الألباني).

الآية (١١٦-١١٧): ﴿هَذَا أَيْضًا مِمَّا يَخَاطَبُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَائِلًا لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَضْرَةِ مِنْ أَخْذَهُ وَأَمَهُ إِبْرَاهِيمَ مِنْ دُونِ اللَّهِ: ﴿يَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ مَا نَقُلْتَ لِلنَّاسِ أَنْجِدُونِي وَأَنْقِزْنِي مِنَ الدُّنْيَا﴾ وهذا تهديد للنصارى وتوبيخ وتقريع على رؤوس الأشهاد. هكذا قاله قتادة، واستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ [المائدة: ١١٩]. وقال السدي: هذا الخطاب والجواب في الدنيا. قال ابن جرير: وهذا هو الصواب، وكان ذلك حين رفعه الله إلى السماء الدنيا. ومعنى قوله: ﴿إِنْ تَعَذَّبْتُمْ فَلَا تَعَذَّبُوا وَلَئِنْ تَعَفَّرْتُمْ فَتَعَفَّرَ لَهُمْ فَلَا تَعَفَّرُوا﴾ [التوبة: ١١٨] التهديد منهم ورّد المشيئة فيهم إلى الله. وتعليق ذلك على الشرط لا يقتضي وقوعه، كما في نظائر ذلك من الآيات. والذي قاله قتادة وغيره هو الأظهر - والله أعلم - أن ذلك كائن يوم القيامة؛ ليدل على تهديد

النصارى وتقريعهم وتوبيخهم على رؤوس الأشهاد يوم القيامة. ﴿سَبَّحْتَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ بِي﴾ هذا توفيق للتأدب في الجواب الكامل. ﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾ أي: إن كان صدر مني هذا فقد علمته يا رب؛ فإنه لا يخفى عليك شيء مما قلته ولا أفزته في نفسي ولا أضمرته؛ ولهذا قال: ﴿تَعَلَّمْتُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾. ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ﴾ بإبلاغه ﴿إِنْ أَصْبَحُوا اللَّهُ رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾ أي: هذا هو الذي قلت لهم ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ أي: كنت أشهد على أفعالهم حين كنت بين أظهرهم ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾. عن ابن عباس قال: قام فينا رسول الله ﷺ بموعظة، فقال: «يا أيها الناس، إنكم محشورون إلى الله عز وجل حفاة عراة غرلاً»، كما بدأنا أول حشني نبيهم. [الأنبياء: ١٠٤] وإن أول الخلق يكتسى إبراهيم، ألا وإنه نجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: أصحابي. فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [٣] إن تعذيبهم فلأنهم عبادة وإن تعفرت لهم فلأنك أنت العزيز الحكيم، فيقال: إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم (رواه البخاري). الآية (١١٨): ﴿إِنْ تَعَذَّبْتُمْ فَلَا تَعَذَّبُوا وَلَئِنْ تَعَفَّرْتُمْ فَتَعَفَّرَ لَهُمْ فَلَا تَعَفَّرُوا﴾ هذا الكلام يتضمن رّد المشيئة إلى الله عز وجل؛ فإنه الفعل لما يشاء، الذي لا يسأل عما يفعل وهم يسألون. ويتضمن التبرّي من النصارى الذين كذبوا على الله وعلى رسوله، وجعلوا لنا وصاحبة وولداً. وهذه الآية لها شأن عظيم ونبا عجيب؛ عن أبي خرقا قال: صلى النبي ﷺ ذات ليلة فقرا بآية حتى أصبح، يركع بها ويسجد بها: ﴿إِنْ تَعَذَّبْتُمْ فَلَا تَعَذَّبُوا وَلَئِنْ تَعَفَّرْتُمْ فَلَا تَعَفَّرُوا﴾ فلما أصبح قلت: يا رسول الله، ما زلت تقرأ هذه الآية حتى أصبحت، تركع بها وتسجد بها؟! قال: «إني سألت ربي عز وجل الشفاعة لأمتي فأعطانيها، وهي نائلة إن شاء الله من لا يشارك بالله شيئاً» (رواه أحمد، وقال أحمد شاكر: إسناده جيد).

الآية (١١٩-١٢٠): ﴿يَقُولُ تَعَالَى حَبِيبًا لِعَبْدِهِ وَرَسُولِهِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، فِيمَا أَنَاهُ إِلَيْهِ مِنَ التَّبَرِّي مِنَ النِّصَارَى، الْكَاذِبِينَ عَلَى اللَّهِ وَعَلَى رَسُولِهِ، وَمِنْ رَدِّ الْمَشِيئَةِ فِيهِمْ إِلَى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقُولُ تَعَالَى: ﴿هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾. قال ابن عباس: يقول: يوم ينفع الموحدين توحيدهم. ﴿لَهُمْ جَنَّاتُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ أي: ماكثين فيها لا يتحولون ولا يزولون، ﴿رَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: ١١٨] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٢٠] هذا هو الفوز الكبير الذي لا أعظم منه. ﴿لَهُمْ فِيهَا زَوْجٌ مِمَّا يَشَاءُونَ وَفِيهَا يُنْفَخُ الْأُنْجُوتُ وَمِنْهَا يُنْفَخُ الرِّيحُ﴾ أي: هو الخالق للأشياء، المالك لها، المتصرف فيها القادر عليها؛ فالجميع ملكه وتحته قهره وقدرته وفي مشيئته، فلا نظير له ولا وزير، ولا عدل، ولا والد ولا ولد ولا صاحبة، فلا إله غيره ولا رب سواه.

وهذا آخر تفسير سورة المائدة.



الآية (٤-٦): يقول تعالى مخبراً عن المشركين المكذبين المعاندين: أنهم مهما أنتهم ﴿يَنْ أَيْ﴾ دلالة ومعجزة وحجة، من الدلالات على وحدانية الرب عز وجل وصدق رسله الكرام، فإنهم يُعرضون عنها، فلا ينظرون فيها ولا يبالون بها.

قال تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْتَوُا مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾، وهذا تهديد لهم ووعد شديد على تكذيبهم بالحق، بأنه لا بد أن يأتيهم خبر ما هم فيه من التكذيب، وليُجِدْنَ غِيَةً، وليذوقن وبالَه. ثم قال تعالى واعظاً وعذراً لهم أن يصيبهم من العذاب والكال الدنيوي ما حلّ بأشباههم ونظرائهم من القرون السالفة الذين كانوا أشدّ منهم قوةً، وأكثر جمعاً، وأكثر أموالاً وأولاداً واستغلاًلاً للأرض وعبارة لها، فقال: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ بَيْنَ قَرْنٍ مَكَّيْنَهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ تَكُنْ لَكَرَّ﴾ أي: من الأموال والأولاد والأعوار، والجاء المريض، والسعة والجنود، ﴿وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ يَدْرَاكًا﴾ أي: شيئاً بعد شيء ﴿وَجَعَلْنَا الْآسَافَ نَجْمٍ يَنْ تَحِيْمٍ﴾ أي: أكثرنا عليهم أمطار الساء وينابيع الأرض، أي: استدراجاً وإملاء لهم ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ يَدْرَاهِمَ﴾ أي: بخطاياهم وسيئاتهم التي اجترموها، ﴿وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ أي: فذهب الأولون كأسس الزاهب وجعلناهم أحاديث، ﴿وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ أي: جيلاً آخر لنختبرهم، فعملوا مثل أفعالهم فهلكوا كهلاكهم. فاحذروا -أيها المخاطبون- أن يصيبكم مثل ما أصابهم، فما أنتم بأعزّ على الله منهم، والرسول الذي كذبتموه أكرم على الله من رسولهم، فأنتم أولى بالعذاب ومعالجة العقوبة منهم، لولا لطفه وإحسانه.

الآية (٧-٨): يقول تعالى مخبراً عن كفر المشركين وعنادهم ومكابرتهم للحق ومباهتهم ومنازعتهم فيه: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قُرْطَانٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ أي: عاينوه، ورأوا نزوله، وباشروا ذلك ﴿لَقَالُوا الْبَيْنُ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾، وهذا كما قال تعالى مخبراً عن مكابرتهم للمحسوسات: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنْ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَمْرُجُونَ﴾ ﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سَكِرَاتُ أَهْضَرَاءَ بَلْ عَن قَوْمٍ مُّسْرِجُونَ﴾ [الحجر: ١٤-١٥]، وقوله تعالى: ﴿كَانَ يَوْمَآ كَيْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَمَاتٌ مَّرْكُومٌ﴾ [الطور: ٤٤].

﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ أي: فيكون معه نذيراً، قال الله: ﴿وَلَوْ أَرْسَلْنَا مَلَكَ لَقُضِيَ الْأَمْرُ لَوْلَا يُنظَرُونَ﴾ أي: لو نزلت الملائكة على ما هم عليه لجاءهم من الله العذاب، كما قال تعالى: ﴿مَا نُنْزِلُ الْمَلَكِيَّةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ﴾ [الحجر: ٨]، وقوله: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُتَكَبِّرِينَ وَيُقَالُوا جِئُوا تَحْمِلُوكُمْ﴾ [الفرقان: ٢٢].

وهي مكة [عدداً ثلاث آيات نزلت في المدينة، وقيل: بين مكة والمدينة، وعدد آياتها (١٦٥)].

[فضل السورة]: عن ابن عباس، قال: نزلت سورة الأنعام بمكة ليلاً مجلّة، حولها سبعون ألف ملك يجأرون حولها بالنسيج [رواه الطبراني، وصححه إسناده أحمد شاكر].

الآية (١-٣): يقول الله تعالى مادحاً نفسه الكريمة، وحامداً لها على خلقه السموات والأرض قراراً لعباده، وجعل الظلمات والنور منفعة لعباده ليليلهم ونهارهم، فجَمَعَ لفظ «الظلمات» ووَحَّدَ لفظ «النور»؛ لكونه أشرف؛ كما قال: ﴿عَنِ الْيَبِينِ وَالْأَسْمَاكِ﴾ [الحل: ٤٨]، وكما قال في آخر هذه السورة: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وقوله: ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَقُولُ لَوْ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِه بعض عباده، وجعلوا معه شريكاً وعذلاً، واتخذوا له صاحبةً وولداً، تعالى عن ذلك علواً كبيراً. وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ﴾ يعني: أباهم آدم الذي هو أصلهم ومنه خرجوا، فانتشروا في المشارق والمغارب. وقوله: ﴿ثُمَّ فَضَّضَ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ﴾، قال ابن عباس: ﴿ثُمَّ فَضَّضَ أَجَلًا﴾ يعني: الموت، ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ﴾ يعني: الآخرة. وقال الحسن: ﴿ثُمَّ فَضَّضَ أَجَلًا﴾ وهو ما بين أن يُخْلَقَ إلى أن يموت، ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ﴾ ما بين أن يموت إلى أن يُبعث. ويرجع إلى ما تقدم، وهو تقدير الأجل الخاص: وهو عمر كل إنسان، وتقدير الأجل العام: وهو عمر الدنيا بكاملها ثم انتهائها وانقضائها وزوالها، وانتقالها، والمصير إلى الدار الآخرة.

ومعنى قوله: ﴿عِنْدَهُ﴾ أي: لا يعلمه إلا هو؛ كقوله: ﴿إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُحِيطُ بِشَيْءٍ إِلَّا بِمَا هُوَ﴾ [الأعراف: ١٨٧]، وكقوله: ﴿يَتْلُوكَ عَنِ السَّاعَةِ أَبَانَ مَرْسَهَا﴾ ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا﴾ ﴿إِلَّا رَيْكَ مِنْهَا﴾ [التازعات: ٤٢-٤٤].

وقوله: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ تَمُرُّونَ﴾ قال الشدي وغيره: يعني تَسْكُونُ في أمر الساعة.

وقوله: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾ اختلف مفسرُو هذه الآية على أقوال، بعد الاتفاق على تحطئة القائلين بأنه -تعالى- قوهم علواً كبيراً -في كل مكان! فالأصح من الأقوال أنه: المدعو الله في السموات وفي الأرض؛ أي: يعبدُه ويؤخِده ويُقرِّله بالإلهية من في السموات ومن في الأرض، ويُسمونه الله، ويدعونه رَغَبًا وَرَهَبًا، إلا من كفر من الجن والإنس، وهذه الآية على هذا القول كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤]، أي: هو إله من في السماء وإله من في الأرض، وعلى هذا فيكون قوله: ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ خبراً أو حالاً.



## ● الوقفات التدبرية

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾

قال العلماء: هذه السورة اصل في محاجة المشركين وغيرهم من اللبثيين، ومن كذب بالبعض والنشور، وهذا يقتضي انزالها جملة واحدة؛ لأنها في معنى واحد من الحجته القرطبي: ٣١٢/٨.

السؤال: لماذا نزلت سورة الانعام جملة واحدة؟

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾

يقول: اخلصوا الحمد والشكر للذي خلقكم ايها الناس، وخلق السماوات والأرض، ولا تشركوا معه في ذلك احدا او شيئا؛ فإنه المستوجب عليكم الحمد باياديه عندكم ونعمه عليكم، لا من تعبدونه من دونه، وتجعلونه له شريكا من خلقه. الطبري: ٢٤٧/١١.

السؤال: لماذا يجب علينا اخلاص الحمد لله تعالى؟

﴿ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴾

وذكر الله الظلمات بالجمع لكثرة موادها وتنوع طرقها، ووحد النور لكون الصراط الموصل إلى الله واحدة لا تعدد فيها؛ وهي الصراط المتضمنة للعلم بالحق والعمل به. السعدي: ٢٥٠.

السؤال: ما وجه جمع الظلمات وافراد النور؟

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ ﴾

ووصفه بمسمى عنده؛ لأنه استأثر بعلم وقت القيامة. ابن عطية: ٢٦٧/٢.

السؤال: لماذا وصف الأجل بأنه مسمى عنده؟

﴿ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾

والإعراض: ترك النظر في الآيات التي يجب أن يستدلوا بها على توحيد الله جل وعز؛ من خلق السموات والأرض وما بينهما. البيهقي: ١٠٠/٢.

السؤال: كيف يكون الإعراض عن آيات الله تعالى؟

﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّهِمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ تُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا آلِهَتَهُمْ عِجْرًا مِنْ عِجْرِمْ فَاهْلَكْنَاهُمْ يَوْمَهُمْ وَأَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴾

فاحذروا ايها المخاطبون أن يصيبكم مثل ما اصابهم؛ فما انتم بأعز على الله منهم، والرسول الذي كذبتموه اكرم على الله من رسولهم، فانتم اولى بالعذاب، ومعالجة العقوبة منهم؛ لولا لطفه وإحسانه. ابن كثير: ١١٧/٢.

السؤال: ما سنة الله - سبحانه - في البلاد التي يكثر شرها على خيرها؟

﴿ فَاهْلَكْنَاهُمْ يَوْمَهُمْ وَأَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴾

والعنى: وسعنا عليهم النعم فكفروها، (فاهلكناهم بذنوبهم) أي: بكفرهم؛ فالذنوب سبب الانتقام، وزوال النعم، (وانشأنا من بعدهم قرا آخرين) أي: اوجدنا. فليحذر هؤلاء من الإهلاك ايضا. القرطبي: ٣٢٦/٨.

السؤال: ما سبب نزول عذاب الله تعالى؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ١ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ ٢ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ٣ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِهِ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ٤ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَتُهُمْ أَمْثَلُهَا وَأَسْفَلُهَا ٥ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّهِمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ تُمَكِّنْ لَهُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا آلِهَتَهُمْ عِجْرًا مِنْ عِجْرِمْ فَاهْلَكْنَاهُمْ يَوْمَهُمْ وَأَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ٦ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ كُتُبٍ فَطَمَسْتُمْهَا فَاسْوَدُّوا أَيْدِيَهُمْ لَقَالُوا الْبَشَرُ لَغُفْرٍ ٧ وَإِنْ هَذَا إِلَّا أَسْحَارٌ مِنْ يَدِنَا ٨ وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَائِدَةٌ ٩ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ ١٠

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
وَجَعَلَ	خَلَقَ.
يَعْدِلُونَ	يُسَوُّونَ بِهِ غَيْرَهُ، وَيُشْرِكُونَ.
تَمْتَرُونَ	تَشْكُونَ.
وَهُوَ اللَّهُ	الْإِلَهُ الْمَعْبُودُ بِحَقٍّ.
قَرْنٍ	أُمَّةٍ مِنَ النَّاسِ.
مِدْرَارًا	غَزِيرًا.
لَا يُنْظَرُونَ	لَا يُمَهَّلُونَ.

## ● العمل بالآيات

١. اعمل هذا اليوم لله تعالى طاعة في السر، ﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَسْمُرُ بَيْنَكُمْ وَجَهْرُكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾.
٢. حدد ثلاث من اسباب هلاك الأمم السابقة، ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّهِمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ تُمَكِّنْ لَهُمْ ﴾.
٣. حاول ان تربط بين مصيبة اصابتك ومعصية عصيت الله بها، ﴿ فَاهْلَكْنَاهُمْ يَوْمَهُمْ وَأَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴾.

## ● التوجيهات

١. اكثر من حمد الله سبحانه وتعالى؛ فإن حمد الله وشكره من اعظم العبادات التي تقربك إليه، ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴾.
٢. استهزاء والسخرية بالدين من موجبات العذاب، وقرب وقوعه، ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَتُهُمْ أَمْثَلُهَا وَأَسْفَلُهَا ﴾.
٣. ما وقعت مصيبة إلا بذنب ولا رفعت إلا بتوبة، ﴿ فَاهْلَكْنَاهُمْ يَوْمَهُمْ وَأَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴾  
فإن شككتهم في ذلك، أو رتبتم: فسيروا في الأرض، ثم انظروا كيف كان عاقبة الكاذبين؛ فلن تجدوا إلا قوما مهلكين .... وهذا السير المأمور به: سير القلوب والأبدان الذي يتولد منه الاعتبار، وأما مجرد النظر من غير اعتبار فإن ذلك لا يفيد شيئا، السعدي: ٢٥١.

السؤال: ما الفرق بين المسلم وغيره حينما يرى آثار القوم المهلكين؟

﴿ قُلْ لِّمَن مَّا فِي السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كُتِبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ لِيَجْمَعَكَ إِلَى يَوْمِ الْفَيْتَةِ إِلَى رَبِّ فِيهِ الْكَرِيمُ ﴾  
لا يؤمنون ﴿

هذا استعطاف منه تعالى للمؤمنين عنه إلى الإقبال عليه، وإخبار بأنه رحيم بالعباد لا يعجل بالعقوبة، ويقبل الإنابة والتوبة. البغوي: ١٠/٢.

السؤال: ما المقصود الذي إرادته الله - تعالى - بالآية؟

﴿ قُلْ لِّمَن مَّا فِي السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كُتِبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ ﴾  
وهو تعالى قد بسط عليهم رحمته وإحسانه، وتغمدهم برحمته وامتنانه، وكتب على نفسه كتابا أن رحمته تغلب غضبه، وأن العطاء أحب إليه من المنع، وأن الله قد فتح لجميع العباد أبواب الرحمة إن لم يغلظوا عليهم أبوابها بذنوبهم، ودعاهم إليها إن لم تمنعهم من طلبها معاصيهم وعيوبهم. السعدي: ٢٥١.

السؤال: ما الذي يمنح العبد من الإفادة من رحمة ربه سبحانه وتعالى؟

﴿ قُلْ لِّمَن مَّا فِي السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كُتِبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ ﴾  
الإخبار بأن لله ما في السماوات وما في الأرض يثير سؤال سائل عن عدم تعجيل أخذهم على شركهم بمن هم ملوك؛ فالكاظم يقول: لو كان ما تقولون صدقا لعجل لنا العذاب، والمؤمن يستبطن تأخير عقابهم؛ فكان قوله: (كتب على نفسه الرحمة) جوابا لكلا الفريقين بأنه تفضل بالرحمة؛ فمنها: رحمة كاملة؛ وهذه رحمة بعباده الصالحين، ومنها: رحمة موقته؛ وهي رحمة الإمهال والإملاء للعصاة والضالين. ابن عاشور: ١٥١/٧.

السؤال: ما مناسبة (كتب على نفسه الرحمة) لما قبلها؟

﴿ رَلَهُ مَا سَكَنَ فِي الْآلِ وَالْأَنْهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾  
خص السكون بالذكر لأن النعمة فيه أكثر. البغوي: ١١/٢.

السؤال: لماذا خص تعالى السكون بالذكر؟

﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾  
ويجوز أن يكون الأول كناية عن الأقوى والأمكن في الإسلام؛ لأن الأول في كل عمل هو الأحرص عليه، والأعلق به؛ فالأولى تستلزم الحرص والقوة في العمل، كما حكي الله تعالى عن موسى قوله: (وأنا أول المؤمنين) [الأعراف: ١٤٣]، فإن كونه أولهم معلوم، وإنما أراد: أنني الآن بعد الصعقة أقوى الناس إيمانا. ابن عاشور: ١٥٨/٧.

السؤال: ما المقصود بالأولية هنا؟ وماذا تفيد من ذلك؟

﴿ وَإِنْ يَسْسَسْكَ اللَّهُ يَضُرَّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بَخِيرٌ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

أشار تعالى بقوله هنا: (فهو على كل شيء قدير) بعد قوله: (وإن يمسسك بخير) إلى أن فضله وعطاءه الجزيل لا يقدر أحد على رده عمن إرادته له تعالى؛ كما صرح بذلك في قوله: (وإن يردك بخير فلا راد

لفضله) [يونس: ١٠٧] الآية: الشنقيطي: ٤٧٥/١.

السؤال: ما مناسبة ختم هذه الآية بـ (فهو على كل شيء قدير)؟

وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِ مَاءً يَلْسُونَ ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ أَسْنَهَيْتُ بِرُسُلِي مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١١﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ لِّمَن مَّا فِي السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كُتِبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ لِيَجْمَعَكَ إِلَى يَوْمِ الْفَيْتَةِ إِلَى رَبِّ فِيهِ الْكَرِيمُ ﴿١٣﴾ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٤﴾ وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي الْآلِ وَالْأَنْهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٥﴾ قُلْ أَعِدَّ اللَّهُ لِيَوْمَ تَأْتِي سَافِرُ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُهُ وَلَا يَظْلَعُهُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٧﴾ مَنْ يُضَرْفُ عَلَيْهِ يُؤْمِدُ فَقَدْ هَضَمَ ذَلِكَ الْقَوْمُ الْمُنِيرُ ﴿١٨﴾ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ يَضُرَّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بَخِيرٌ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عَدَاوِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٢٠﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
وَلَلْبَسْنَا	لَخَلَطْنَا حَتَّى يَشْتَبِهَ عَلَيْهِمُ الْأَمْرُ.
فَحَاقَ	أَحَاطَ وَتَزَلَّ.
يَمْسَسُكَ	يُصِيبُكَ.

## ● العمل بالآيات

١. أرسل رسالة تبين فيها خطر الاستهزاء بالخلق؛ وخاصة أهل الصلاح منهم، ﴿ وَلَقَدْ أَسْنَهَيْتُ بِرُسُلِي مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾.
٢. تذكر أن الله كتب على نفسه الرحمة، ثم اسأله وتضرع إليه أن يرحمك، وأن يجعلك رحيمًا بالخلق، ﴿ قُلْ لِّمَن مَّا فِي السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كُتِبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ ﴾.
٣. إذا دعيت نفسك اليوم للوقوع في معصية فردد قول الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾.

## ● التوجيهات

١. لا تتخذ ولياً تصرف له عبادتك وتتكلم عليه غير الله تعالى، ﴿ قُلْ أَغْيَرُ اللَّهِ أَغْيَرُ وِلَايَ ﴾.
٢. إذا استهزأ بك أحد من الناس فتذكر أن المرسلين من قبلك استهزئ بهم؛ فلا تحزن؛ فإن العاقبة للفقوى، ﴿ وَلَقَدْ أَسْنَهَيْتُ بِرُسُلِي مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾.
٣. بادر بالانقياد للأوامر الربانية، ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾.

وتدبره، لا إله إلا هو، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ أي: السميع لأقوال عباده، العليم بركاتهم وضمايرهم وسرائرهم.

ثم قال لعبده ورسوله محمد ﷺ، الذي بعثه بالوحيد العظيم والشرع القويم، وأمره أن يدعو الناس إلى صراطه المستقيم: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ اتَّخِذْ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ كما قال: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ اتَّخِذْ مَنًّا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [الزمر: ٢٤]، والمعنى: لا اتخذ وليًّا إلا الله وحده لا شريك له؛ فإنه فاطر السموات والأرض؛ أي: خالقها ومبدعها على غير مثال سبق. ﴿وَهُوَ يُعَلِّمُ وَلَا يُعَلَّمُ﴾ أي: وهو الرزاق خلقه من غير احتياج إليهم؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٨) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ (٩) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينِ ﴿ [الذاريات: ٥٦-٥٨].

وعن أبي هريرة قال: دعا رجل من الأنصار من أهل قباء النبي ﷺ، قال: فانطلقنا معه، فلما طَيمَ النبي ﷺ وغسل يديه قال: «الحمد لله الذي يُطعم ولا يَطمَع، ومنَّ علينا فهدانا، وأطعمنا وسقانا، وكُلَّ بلاء حسن أبلانا، الحمد لله غير مُودَّع ولا مُكَافَأ، ولا مكفور ولا مُسْتغْنَى عنه، الحمد لله الذي أطعمنا من الطعام، وسقانا من الشراب، وكسانا من العُري، وهدانا من الضلال، وبَصَّرَنَا مِنَ الْعَمَى، وَفَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلًا، الحمد لله ربَّ العالمين» [رواه النسائي في الكبرى والحاكم، وصححه إسناده أحمد شاكر]. ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْأَلُ﴾ أي: من هذه الأمة ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

﴿قُلْ إِنِّي أَنَا نَذِيْرٌ لِّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ يعني: يوم القيامة. ﴿تَنْصُرُهُ عَشَّةٌ﴾ يعني: العذاب ﴿يَوْمَ تَنْفَعُ دُعَاؤُكُمْ﴾ يعني: فقد رحمه الله، ﴿وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ كما قال: ﴿فَمَنْ دَخَلَ عَنْ الْكُفْرِ وَادَّخَلَ الْبَيْتَ فَفَدَّرَ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، والفوز: هو حصول الربح ونفي الخسارة.

الآية (١٧-١٨): يقول تعالى مُخْبِرًا أَنَّهُ مَالِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَأَنَّهُ الْمُتَصَرِّفُ فِي خَلْقِهِ بِمَا يَشَاءُ، لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ، وَلَا رَاذَ لِقَضَائِهِ: ﴿وَإِنْ يَسْأَلْكُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَيْفَ لَا تَقُولُ بَشَرًا مِمَّنْ سَأَلَ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ قَوْلًا بَشِيرًا قُلْ لَّيْسَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِ الْغَيْبِ لَكُمْ فَتَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]، وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ كان يقول: «اللهم لا مانع لنا أعطيني، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد» [متفق عليه]، ولهذا قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ أي: هو الذي خضعت له الرقاب، وذلت له الجبابرة، وعنت له الوجوه، وقهر كل شيء، ودانت له الخلائق، وتواضعت لعظمته جلاله وكبريائه وعظمته وعلوه وقدرته الأشياء، واستكانت وتضاعت بين يديه وتحت حكمه وقهره. ﴿وَهُوَ الْكَرِيمُ﴾ أي: في جميع ما يفعله ﴿الْقَرِيرُ﴾ بمواضع الأشياء ومحالها، فلا يعطي إلا لمن يستحق، ولا يمنع إلا من يستحق.

الآية (٩-١١): ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِ مَا يَلْبَسُونَ﴾ أي: ولو أنزلنا مع الرسول البشري ملكًا، أي: لو بعثنا إلى البشر رسولاً ملكياً، لكان على هيئة رجل لتفهّم مخاطبته والاتفاق بالأخذ عنه، ولو كان كذلك لالتبس عليهم الأمر، كما يلبسون على أنفسهم في قبول رسالة البشري، كما قال: ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُ فِي الْأَرْضِ مَلَكًا لَّيَتَّبِعُنِي مَلَائِكَةُ مَطْمَئِينَ لَنَزَّلُنَا عَلَيْهِمْ مِن السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٥]، فمن رحمة الله تعالى بخلقه أنه يُرسل إلى كل صنف من الخلائق رسلاً منهم<sup>(١)</sup>، ليدعو بعضهم بعضاً، وليمكن بعضهم أن يتفهم ببعض في المخاطبة والسؤال؛ كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ الآية [آل عمران: ١٦٤]. قال ابن عباس: يقول: لو أناهم ملك ما أتاهم إلا في صورة رجل؛ لأنهم لا يستطيعون النظر إلى الملائكة ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِ مَا يَلْبَسُونَ﴾ أي: ولخلطنا عليهم ما يخلطون.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَسْأَلْنَاهُ رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ فَكَانَ بِالذِّكْرِ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ هذا تسليّة لرسوله محمد ﷺ في تكذيب من كذّبه من قومه، ووعد له وللمؤمنين به بالنصرة والعاقبة الحسنة في الدنيا والآخرة. ثم قال: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ أي: فكروا في أنفسكم، وانظروا ما أحلَّ الله بالقرون الماضية الذين كذبوا رسله وعاندوه من العذاب والنكال، والعقوبة في الدنيا، مع ما أدخّر لهم من العذاب الأليم في الآخرة، وكيف نَجَّى رسله وعباده المؤمنين.

الآية (١٢-١٦): يُخبر تعالى أَنَّهُ مَالِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَأَنَّهُ قَدْ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الْمَقْدَسَةِ الرَّحْمَةِ، كَمَا ثَبَتَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَمَّا خَلَقَ الْخَلْقَ كَتَبَ كِتَابًا عَنْده فَوْقَ الْعَرْشِ: إِنْ رَحْمَتِي تُغْلِبُ غَضَبِي» [متفق عليه].

وقوله: ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ هذه اللام هي الموطئة للقسم، فأقسم بنفسه الكريمة لِيَجْمَعَ عِبَادَهُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ، وهو يوم القيامة، الذي لا ريب فيه ولا شك فيه عند عباده المؤمنين، فأما الجاحدون المكذِّبون فهم في ريبهم يترددون. وقوله: ﴿الَّذِينَ حَسِبُوا أَنَّفُسَهُمْ﴾ أي: يوم القيامة ﴿فَهَرَّ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: لا يصدقون بالمعاد، ولا يخافون شر ذلك اليوم.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي آلِيلٍ وَآثَارٍ﴾ أي: كل دابة في السموات والأرض؛ الجميع عباده وخلقها، وتحت قهره وتصرفه

(١) لا يفهم من هذا الكلام أن الجن مثلاً هم صنف من الخلائق - يُرسل لهم رسول منهم؛ فقد نص ابن كثير نفسه على أن الرسل من الإنس فقط، وليس من الجن رسل (ينظر ص ١٤٤ من هذا الكتاب تفسير الآية ١٣٠ من سورة الأنعام). وإنما المقصود رد طلبهم أن يكون الرسول ملكاً، بل كان الرسول يرسل في قومه ولباسهم؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ. لِيَتَّبِعَكَ لِمَنْ﴾ [إبراهيم: ٤].

وقوله: ﴿ثُمَّ لَمْ يَكُنْ فِتْنَتُهُمْ﴾ أي: حُجَّتُهُمْ. وقال ابن عباس: أي: معذرتهم. وكذا قال قتادة. وقال ابن جرير: والصواب: ثم لم يكن قِيْلُهُمْ عند فِتْنَتِنَا إياهم اعتذاراً مآ سَلَفَ منهم من الشرك بالله ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾. وروى ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبْرِ، عن ابن عباس قال: أناه رجل فقال: يا أبا عباس! سمعت الله عز وجل يقول -يعني إخباراً عن المشركين يوم القيامة أنهم قالوا:- «وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ»، وقال في الآية الأخرى: ﴿وَلَا يَكْفُرُونَ اللَّهَ حَيْثُ﴾ [النساء: ٤٢] فقال ابن عباس: أما قوله: «وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ فإنهم رأوا أنه لا يدخل الجنة إلا أهل الصلاة، فقالوا: تعالوا فلنجد، فيجحدون، فيختم الله على أفواههم، وتشهد أيديهم وأرجلهم ولا يكتُمون الله حديثاً، فهل في قلبك الآن شيء؟ إنه ليس من القرآن شيء إلا قد نزل فيه شيء، ولكن لا تعلمون وجهه. [رواه البخاري معلقاً]. وقال الضحك عن ابن عباس: هذه في المنافقين. وفي هذا نظر؛ فإن هذه الآية مكية، والمنافقون إنما كانوا بالمدينة، والتي نزلت في المنافقين آية



## ● الوقفات التدريبية

﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾

وهو يشهد لي بإقراره وفعله، فيقرني على ما قلت لكم ... فالله حكيم قدير، فلا يليق بحكمته وقدرته أن يُقر كاذباً عليه، زاعماً أن الله أرسله ولم يرسله، وأن الله امره بدعوة الخلق ولم يأمره، وأن الله أباح له دماء من خالضه وأموالهم ونساءهم، وهو مع ذلك يصدق به بإقراره ويفعله، فيؤيده على ما قال بالمعجزات الباهرة والآيات الظاهرة، وينصره ويخذل من خالضه وعاداه، فاي شهادة أكبر من هذه الشهادة؟ السعدي: ٢٥٢-٢٥٣.

السؤال: ما وجه كون الله شهيداً بين الرسول ومن كذبه؟

﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنَ لِأُوذِّنَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾

أمر بتبليغ الأقرب منه مكاناً ونسباً، ثم بتبليغ طائفة بعد طائفة حتى تبلغ النذارة إلى جميع أهل الأرض؛ كما قال تعالى: (وأوحى إليّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ) أي: من بلغه القرآن؛ فكل من بلغه القرآن فقد أُنذره محمد ﷺ. ابن تيمية: ٢٠٣/٢.

السؤال: تبليغ هذا الدين واجب شرعي، فكيف تكون خطواته؟

﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنَ لِأُوذِّنَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾

(وأوحى إليّ هذا القرآن لأنذركم به) عقابته، وأُنذِر به من بلغه من سائر الناس غيركم - إن لم ينته إلى العمل بما فيه، وتحليل حاله وتحريم حرامه، والإيمان بجميعة - نزول نعمة الله به. الطبري: ٢٩٠/١١.

السؤال: المقصد الأكبر من إنزال القرآن هو العمل به، وضع ذلك.

﴿ أَنْظَرَكُمْ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَمَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾

(وملّ عنهم)؛ زال وذهب عنهم (ما كانوا يفترون) من الأصنام؛ وذلك أنهم كانوا يرجون شفاعتها ونصرتها؛ فبطل كله في ذلك اليوم. البغوي: ١٤/٢.

السؤال: كيف ضل عنهم باطلهم في ذلك اليوم؟

﴿ وَمَنْ يَسْعَ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾

أي: ومن هؤلاء المشركين قوم يحملهم بعض الأوقات بعض الدواعي إلى الاستماع لما تقول، ولكنه استماع خال من قصد الحق واتباعه؛ ولهذا لا ينتفعون بذلك الاستماع، لعدم إرادتهم للخير، (وجعلنا على قلوبهم أكنة) أي: أغطينة وأغشيت؛ لئلا يفقهوا كلام الله، فحسان كلامه عن أمثال هؤلاء. السعدي: ٢٥٤.

السؤال: هل الابتعاد عن القرآن عقوبة ربانية؟ وضع ذلك من خلال الآية. ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَلَنْ يَرْجُوا كَلَّ مَا يَكُونُ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا ﴾

(وجعلنا على قلوبهم أكنة) أي: أغطينة (أفقهوه)؛ (أكنة) جمع كنان؛ وهو الغطاء، وإن يفقهوه. في موضع مفعول من أجله؛ تقديره: كراهته أن يفقهوه، ومعنى الآية: أن الله حال بينهم وبين فهم القرآن إذا استمعوه،

وعبر بالأكنة والوقر مباغتة ابن جزي: ١ / ٢٦٦.

السؤال: بين سبب عدم انتفاع الكفار بالقرآن.

﴿ وَهُمْ يَبْهَتُونَ عَنْهُ وَيَتَنَبَّهُونَ عَنْهُ لَنْ يُؤْمِنُوا كَلَّ مَا يَكُونُ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا ﴾

أي: لا يرجع ويبال فعلهم إلا إليهم، وأوزار الذين يصدونهم عليهم (وما يشعرون). البغوي: ١٦/٢.

السؤال: قد يحمل الإنسان إثمه وإثم غيره، كيف يكون ذلك؟

قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنَ لِأُوذِّنَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَبَيْكُمْ لِشَهِدُونَ أَنْ مَعَ اللَّهِ إِلَهٌ آخَرُ قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَحْدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ٥٠ الَّذِينَ آمَنُوا هُمْ أَكْبَرُ يَعْرِفُونَهُ وَلَكِنْ يَسْتَرْفِئُونَ عَنْ آلِهَتِهِمْ الَّذِينَ خَيْرٌ مِنْ أَنْفُسِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٥١ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ٥٢ وَتَوَدَّ أَحْسَنُ هُمْ جَمِيعًا لَوْ يَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَإِن شَرَكْنَا كُفْرًا كُفْرًا تَرْجُمُونَ ٥٣ ثُمَّ لَوْ تَكُنْ فَتَسْبِغُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كَانُوا مُشْرِكِينَ ٥٤ أَنْظَرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ٥٥ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرْجِعُوا إِلَىٰ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ يَسْأَلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ٥٦ وَهُمْ يَبْهَتُونَ عَنْهُ وَيَتَنَبَّهُونَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ٥٧ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَقُولُوا عَلَىٰ الْكَافِرِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ٥٨

## ● معاني الكلمات

الكلمة:	المعنى
فَتَسْبِغُهُمْ	إِجَابَتُهُمْ.
أَكِنَّةٌ	أَغْطِيَةٌ.
وَقْرًا	ثِقْلًا وَصَمَامًا.
أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ	حِكَايَاتُهُمْ الَّتِي لَا حَقِيقَةَ لَهَا.
وَيَتَنَبَّهُونَ	يَتَّبِعُونَ.

## ● العمل بالآيات

١. كسر اليوم هذا الدعاء: «رب زدني علماً»، ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾.
٢. تذكر مسائل شرعية لم تفهمها، ثم أكثر من الاستفسار؛ لعلك توفق لفهمها، ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾.
٣. رُ المبررة، أو تأمل صورة لقبر، ثم تذكر هذه الآية: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَقُولُوا عَلَى الْكَافِرِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾.

## ● التوجيهات

١. الكذب على النفس، وإقناعها بالمعاصي، والتهاون في الطاعات، لا ينفعك يوم القيامة؛ لأنه وقت تكشف الحقائق، ﴿ أَنْظَرَكُمْ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَمَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾.
٢. الآراء والمعتقدات الباطلة تستضل عن صاحبها يوم القيامة، ﴿ وَمَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾.
٣. الذنوب توجد حائلاً بين العبد وتدبر كتاب الله، ﴿ وَمَنْ يَسْعَ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَلَنْ يَرْجُوا كَلَّ مَا يَكُونُ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿بَلْ يَدْعَاكُمْ مِمَّا كَانُوا يَخْشَوْنَ مِنْ قَبْلُ وَكُذُّوا لَعَادُوا لِمَا هُمْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾  
 بل ظهر لهم ما كانوا يجحدونه من الشرك، فيقولون: (والله ربنا ما كنا مشركين) [الأنعام: ٢٣]، فينطق الله جوارحهم، فتشهد عليهم بالكفر. القرطبي: ٣٥٤/٨.

السؤال: ما الذي كانوا يخفونه من قبل؟ وكيف بدا لهم؟

﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَبِيسٌ وَلَهُوَ الدَّلَارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾  
 أما حقيقة الدنيا: فإنها لعب ولهو؛ لعب في الأبدان، ولهو في القلوب؛ فالقلوب لها والهبة، والنفوس لها عاشقة، والهوم فيها متعلقة، والاشتغال بها كلعب الصبيان، وأما الآخرة، فإنها (خير للذين يتقون) في ذاتها وصفاتها، وبقائها ودوامها، وفيها ما تشتهيهِ الأنفس، وتلد الأعين، من نعيم القلوب والأرواح، وكثرة السرور والأفراح، ولكنها ليست لكل أحد، وإنما هي للمتقين الذين يفعلون أوامر الله، ويتركون نواهيه وزواجره. السعدي: ٢٥٢-٢٥٣.

السؤال: اذكر فرحين بين متاع الدنيا ونعيم الآخرة؟

﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَبِيسٌ وَلَهُوَ الدَّلَارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾  
 ليس من اللهو واللعب ما كان من أمور الآخرة، فإن حقيقة اللعب: ما لا ينتفع به، واللهو: ما يلهي به، وما كان مراداً للآخرة خارج عنهما... قال ابن عباس: هذه حياة الكافر؛ لأنه يزججها في غرور وباطل، فأما حياة المؤمن فتتطوي على أعمال صالحة، فلا تكون لهوًا ولعبًا. القرطبي: ٣٦١/٨.

السؤال: هل كل ما في الدنيا لهو ولعب؟

﴿فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ يَبْدِئُ اللَّهُ بِجَحْدِهِمْ﴾  
 نفى عنهم التكذيب، وأثبت الجحود، ومعلوم أن التكذيب باللسان لم يكن منتفياً عنهم، فعلم أنه نفى عنهم تكذيب القلب. ابن تيمية: ٢٣/٣.

السؤال: ما التكذيب المنفي في الآية الكريمة؟

﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبْرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّى أَنَّهُمْ نَصَرُوا﴾  
 فاصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا. السعدي: ٢٥٥.

السؤال: ما الحكمة من وراء الإخبار عن قصص المرسلين وسيرهم؟

﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبْرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّى أَنَّهُمْ نَصَرُوا﴾  
 وَلَا مَبْدِلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّ الرُّسُلِ

(وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّ الرُّسُلِ) أي: من أخبارهم؛ ويعني بذلك صبرهم ثم نصرهم، وهذا أيضاً تقوية للودع والحض على الصبر. ابن جزي: ٣٦٦/١.

السؤال: المقصد الأكبر من إنزال القرآن هو العمل به، وضع ذلك

﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَامًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهَدْيِ فَلَا تَكُونُ مِنَ الْخَالِئِينَ﴾

أمر الله نبيه ﷺ ألا يشتد حزنه عليهم إذا كانوا لا يؤمنون، كما أنه لا يستطيع هداهم. القرطبي ٣٦٧/٨.

السؤال: ما الحكمة من نهي الداعية عن الحزن من إعراض المدعوين؟

بَلْ يَدْعَاكُمْ مِمَّا كَانُوا يَخْشَوْنَ مِنْ قَبْلُ وَكُذُّوا لَعَادُوا لِمَا هُمْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢﴾ وَلَوْ قَرَّبْتَ إِذْ وَقَفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُقُوا الْعَذَابَ ﴿٣﴾ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَحْسِرُ رَبَّنَا عَلَى مَا قَرَضْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْرَاقَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ إِلَّا سَاءَ مَا يَزِينُونَ ﴿٥﴾ وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَبِيسٌ وَلَهُوَ الدَّلَارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦﴾ قَدْ نَسِيتُمْ أَنَّهُ إِخْرَاجُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ يَبْدِئُ اللَّهُ بِجَحْدِهِمْ ﴿٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبْرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّى أَنَّهُمْ نَصَرُوا وَلَا مَبْدِلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّ الرُّسُلِ ﴿٨﴾ وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَامًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهَدْيِ فَلَا تَكُونُ مِنَ الْخَالِئِينَ ﴿٩﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
كَبُرَ	عُظِمَ.

## ● العمل بالآيات

- أكثر اليوم من الأعمال الصالحة، وزد في صلاتك النافلة، حتى لا تحسر يوم القيامة على التفریط، ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَحْسِرُنَا عَلَى مَا قَرَضْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْرَاقَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ إِلَّا سَاءَ مَا يَزِينُونَ﴾.
- حدد عبادة تتمنى فعلها، ولكن أخرتها بالتسويف، ثم بادر بفعلها اليوم، ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَحْسِرُنَا عَلَى مَا قَرَضْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْرَاقَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ إِلَّا سَاءَ مَا يَزِينُونَ﴾.
- ادع أحد أقاربك أو معارفك للخير، واصبر على أذاهم، ﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبْرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّى أَنَّهُمْ نَصَرُوا﴾.

## ● التوجيهات

- الذنوب أسوأ حمل يحملها الإنسان يوم القيامة، ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْرَاقَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ إِلَّا سَاءَ مَا يَزِينُونَ﴾.
- نصيحة القرآن للعلاء بأن لا يفتروا بالحياة الدنيا ويهملوا شأن الآخرة؛ فهي خير للعب، ﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَبِيسٌ وَلَهُوَ الدَّلَارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.
- على الداعية أن لا يستغرب تكذيب الناس له؛ فإن الناس قد كذبت المرسلين من قبله، ﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبْرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّى أَنَّهُمْ نَصَرُوا﴾.

يحملون. وقال قتادة: يعملون.

وقوله: ﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَآئِمَةٌ وَكُفُؤٌ﴾ أي: إنها غالبها كذلك ﴿وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

الآية (٣٣-٣٤): يقول تعالى مسلماً لنبيه ﷺ، في تكذيب قومه له ومخالفتهم إياه: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ أَلْوَىٰ يَقُولُونَ﴾ أي: قد أحطنا علماً بتكذيب قومك لك، وحزنك وتأسفك عليهم ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ﴾ [فاطر: ٨] كما قال في الآية الأخرى: ﴿لَمَّا بَلَغَ نَفْسُكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٣٠]، ﴿فَلَمَّا لَكَ بِنَجْعِ نَفْسِكَ عَلَىٰ عَائِيهِمْ لَمْ تَرَوْهُمْ بِأَيِّهَا الْحَدِيثِ سَفَا﴾ [الكهف: ١٦]. وقوله: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يَكْفُرُونَ لَكَ﴾ أي: لا يتهمونك بالكذب في نفس الأمر، ولكن الظالمين يتأيت الله يتجحدون ﴿أي: ولكنهم يماندون الحق ويدفعونه بصدورهم؛ كما قال علي: قال أبو جهل للنبي ﷺ: إنا لا نكذبك، ولكن نكذب ما جئت به، فأنزل الله: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يَكْفُرُونَ لَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ يَتَأَيَّتِ اللَّهُ يَتَّخِذُونَ﴾ أي: رواه الحاكم، وصححه إسناده أحد شاكراً.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبْرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَنَّهُمْ نَصَرُوا﴾ هذه تسلية للنبي ﷺ وتعزية له فيمن كذبه من قومه، وأمر له بالصبر كما صبر أولو العزم من الرسل، ووعد له بالنصر كما نصروا، وبالفكر حتى كانت لهم العاقبة، بعد ما نالهم من التكذيب من قومهم والأذى للبليغ، ثم جاءهم النصر في الدنيا، كما هم النصر في الآخرة؛ ولهذا قال: ﴿وَلَا مَبْدَلَ لِّكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ أي: التي كتبها بالنصر في الدنيا والآخرة لعباده المؤمنين؛ كما قال: ﴿وَلَقَدْ سَبَّحْتَ لِكَلِمَاتِ لِيَابَدَا الْقُرْآنِ﴾ (٣٥) ﴿إِنَّهُمْ لَكُلَّمُ الْقُرْآنِ﴾ (٣٦) ﴿وَلَمْ يَخُنْهُمُ الْفُلُوكُ﴾ [الصافات: ١٧١-١٧٣]، وقال تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّهُنَّ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [البقرة: ٢١٣]. وقوله: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَائِ الْقُرْآنِ﴾ أي: من خبرهم كيف نصروا وأبدوا على من كذبهم من قومهم، فلذلك فيهم أسوة، وبهم قدوة.

الآية (٣٥): ثم قال تعالى: ﴿وَلَن كَانَ كَرَّ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾ أي: إن كان شق عليك إعراضهم عنك ﴿فَإِنَّ أَسْطَقْتَ أَنْ تَبْنِي نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ﴾ قال ابن عباس: النفق: السرب، فذهب فيه ﴿فَتَأْتِيهِمْ بَيَاتٍ﴾ أو تجمل لك سلماً في السماء فتصعد فيه ﴿فَتَأْتِيهِمْ بَيَاتٍ﴾ أفضل مما أتيتهم به، فافعل.

وقوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونُ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمْعًا فَأَنَّىٰ تُكَذِّبُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩]، قال ابن عباس في قوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ﴾، قال: إن رسول الله ﷺ كان يحرص أن يؤمن جميع الناس ويتابعوه على الهدى، فأخبر الله أنه لا يؤمن إلا من قد سبق له من الله السعادة في الذكر الأول.

الآية (٢٨-٣٠): قال تعالى: ﴿بَلْ بَدَأْتُمْ مَّا كَانُوا يَحْفَوْنَ مِن قَبْلُ﴾ أي: بل ظهر لهم حينئذ ما كانوا يحفون في أنفسهم من الكفر والتكذيب والمعاندة، وإن أنكروها في الدنيا أو في الآخرة؛ كما قال قبل هذا بيسر: ﴿ثُمَّ لَ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كَانُوا مِنَّا مِثْلَ شِرْكِكُمْ﴾ (٣١) انظر كيف كذبوا على أنفسهم ﴿[الأنعام: ٢٣-٢٤]﴾. ويحتمل أنهم ظهر لهم ما كانوا يعلمونه من أنفسهم من صدق ما جاءت به الرسل في الدنيا، وإن كانوا يظهرون لأتباعهم خلافه؛ كقوله مخبراً عن موسى أنه قال لفرعون: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ الْأَشْمُوتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرٌ﴾ [الاسراء: ١٠٢]. وقوله تعالى مخبراً عن فرعون وقومه: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَا وَبَيْنَهُمْ غَاطًىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [النمل: ١٤]. ويحتمل أن يكون المراد بهؤلاء المنافقين الذين كانوا يظهرون للناس الإيمان ويطنون الكفر، ويكون هذا إخباراً عما يكون يوم القيامة من كلام طائفة من الكفار، ولا يثنائي هذا كون هذه السورة مكية، والنفاق إنما كان من بعض أهل المدينة ومن حولها من الأعراب؛ فقد ذكر الله وقوع النفاق في سورة مكية، وهي العنكبوت، فقال: ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ [العنكبوت: ١١]. وعلى هذا فيكون إخباراً عن حال المنافقين في الدار الآخرة حين يمانون العذاب يظهر لهم حينئذ غيب ما كانوا يطنون من الكفر والشقاق والنفاق، والله أعلم.

وأما معنى الإضراب في قوله: ﴿بَلْ بَدَأْتُمْ مَّا كَانُوا يَحْفَوْنَ مِن قَبْلُ﴾ فإنهم ما طلبوا العود إلى الدنيا رغبةً ورغبةً في الإيمان، بل خوفاً من العذاب الذي عاينوه جزاء على ما كانوا عليه من الكفر، فسألوا الرجعة إلى الدنيا ليتخلصوا مما شاهدوا من النار؛ ولهذا قال: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا هُوَ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ أي في طلبهم الرجعة رغبة ورغبة في الإيمان. ثم قال مخبراً عنهم أنهم لو ردوا إلى الدار الدنيا لعادوا لما نهاه عنه من الكفر والمخالفة، ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ أي في قولهم: ﴿لَيَكُنَّا تُرَدًّا وَلَا نَكُذِّبُ بَيَاتٍ رَبَّنَا وَكَانُوا يَحْفَوْنَ مِن قَبْلُ﴾ [الأنعام: ٢٧]. ﴿وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ أي لعادوا لما نهاه عنه، ولقالوا: ﴿إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ أي: ما هي إلا هذه الحياة الدنيا، ثم لا تعاد بعدها؛ ولهذا قال: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ ثم قال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ أي: أوقفوا بين يديه، ﴿قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ﴾ أي: أليس هذا المعاد بحق، وليس بباطل كما كنتم تظنون؟! ﴿قَالُوا بَلَىٰ وَرَبَّنَا قَالْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ أي: بما كنتم تكذبون به، فذوقوا اليوم مسه ﴿أَنسِحْ هَذَا أَمْ أَنَسْ لَا يَتَّبِعُونَكَ﴾ [الطور: ١٥].

الآية (٣١-٣٢): يقول تعالى مخبراً عن خسارة من كذب بقاء الله وعن خيبته إذا جاءت الساعة بغتة، وعن ندامته على ما فرط من العمل، وما أسلف من قبيح الفعل؛ ولهذا قال: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَحْزَنُونَ﴾ أي: فحزبوا على ما فرطوا فيها، وهذا الضمير يحتمل عودهم على الحياة الدنيا وعلى الأعمال، وعلى الدار الآخرة، أي: في أمرها. وقوله: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِينُونَ﴾ أي:



مِنْ قَوِيٍّ مَوْجٍ مِنْ قَوِيٍّ. سَحَابٌ طُلُوعَتْ مِنْ بَعْضِ قَوِيٍّ إِذَا أَرَجَّ بَكَدَهُ. لَوْ يَكْدُرُهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ؟ [النور: ٤٠]؛ ولهذا قال تعالى: ﴿مَنْ يَسْأَلِ اللَّهَ بُحِيلَةً وَمَنْ يَسْأَلِ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ أي: هو المتصرف في خلقه بما يشاء.

الآية (٤٠-٤١): يُخْبِرُ تعالى أنه الفعال لما يريد، المتصرف في خلقه بما يشاء، وأنه لا مُعَقِّبَ لحكمه، ولا يقدر أحد على صرف حكمه عن خلقه، بل هو وحده لا شريك له، الذي إذا سُئِلَ يُجِيبُ لمن يشاء؛ ولهذا قال: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنزَلْنَا عَذَابَ اللَّهِ أَوْ أَنزَلْنَا السَّاعَةَ﴾ أي: أتاكم هذا أو هذا، ﴿أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ﴾ أي: لا تدعون غيره ليعليكم أنه لا يقدر أحد على دفع ذلك سواء؛ ولهذا قال: ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أي: في اتخاذكم آلهة معه، ﴿بَلْ إِنَّمَا تَدْعُونَ فِكَيْفَ مَا تَدْعُونَ إِلِهَإِنْ شَاءَ وَتَسْتَوُونَ مَا تُفْرِكُونَ﴾ أي: في وقت الضرورة لا تدعون أحداً سواه وتذهب عنكم أصنامكم وأنادكم؛ كما قال: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَآئِيَ﴾ الآية [الإسراء: ٦٧].

الآية (٤٢-٤٣): وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَآخَذْنَاهُمْ بِالْأَسْوَءِ﴾ يعني: الفقر والضيق في العيش، ﴿وَالْأَضْرَءِ﴾ وهي الأمراض والأسقام والآلام؛ ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ أي: يدعون الله ويتضرعون إليه ويخشعون، قال الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا﴾ أي: فهلاً إذ ابتليانهم بذلك تضرعوا إلينا وتمسكوا لدينا، ﴿وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: ما زُفَتْ ولا خَسَعَتْ، ﴿وَزَيَّنَّ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَمَكِّرُونَ﴾ أي: من الشرك والمعاصي.

الآية (٤٤): ﴿فَلَمَّا سَأَلُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ أي: أعرضوا عنه وتناسوه وجعلوه وراء ظهورهم، ﴿فَتَحَنَّنَّا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي: فتحنا عليهم أبواب الرزق من كل ما يختارون، وهذا استدراج منه تعالى وإملاء لهم، عياداً بالله من مكْرِهِ؛ ولهذا قال: ﴿حَتَّى إِذَا فُزِحُوا يَمَآ أَوْفُوا﴾ أي: من الأموال والأولاد والأرزاق ﴿لَحَذَرْتَهُمْ بِقَعَةٍ﴾ أي: على غفلة ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ أي: آيسون من كل خير. قال ابن عباس: المِبْلِسُ: الأيس. قال الحسن البصري: من وَسَّعَ الله عليه فلم يَر أنه يُمَكِّر به، فلا رأي له. ومن قَرَّر عليه فلم يَر أنه يُنْظَر له، فلا رأي له، ثم قرأ: ﴿فَلَمَّا سَأَلُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فُزِحُوا يَمَآ أَوْفُوا لَحَذَرْتَهُمْ بِقَعَةٍ إِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ قال الحسن: مُكِرٌ بالقوم وربُّ الكعبة؛ أعطوا حاجتهم ثم أخذوا. وقال قتادة: بَغَتْ القوم أمرُ الله، وما أَخَذَ الله قوماً قط إلا عند سَكْرَتِهِمْ وَغِرَّتِهِمْ ونعيمهم، فلا تَعَرَّوْا بالله؛ إنه لا يَغْفِرُ بالله إلا القوم الفاسقون. وعن عتبة بن عامر، عن النبي ﷺ قال: «إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ يُطْغِي الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى مَعَاصِيهِ مَا يُحِبُّ، فَإِنَّمَا هُوَ اسْتِزْجَارٌ» ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿فَلَمَّا سَأَلُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فُزِحُوا يَمَآ أَوْفُوا لَحَذَرْتَهُمْ بِقَعَةٍ إِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ [رواه أحمد، وصححه الألباني].

الآية (٣٦): وقوله: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ أي: إنما يستجيب للعائنات يا محمد من يسمع الكلام ويحبه ويفهمه، كقوله: ﴿يُنْذِرُ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقُّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [يس: ٧٠]. وقوله: ﴿وَالْمَوْتُ يَمُوتُهُمُ اللَّهُ﴾ يعني: بذلك الكفار؛ لأنهم موتى القلوب، فشبههم الله بأموات الأجساد فقال: ﴿وَالْمَوْتُ يَمُوتُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ وهذا من باب التَّهَكُّمِ بهم، والإزراء عليهم.

الآية (٣٧-٣٩): يقول تعالى خبراً عن المشركين أنهم كانوا يقولون: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّي﴾ أي: خارقٌ على مقتضى ما كانوا يُريدون، ومما يتعشَّتون، كما قالوا: ﴿وَقَالُوا لَوْ أَنَّا فُتِنَّا لَبَدَّلْنَا مِنْ آلَافٍ مِنْ دُونِهِمْ﴾ [الإسراء: ٩٠-٩٣]. ﴿قُلْ إِنْ كَانَ اللَّهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُزِيلَ آيَةَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: هو تعالى قادر على ذلك، ولكن حكمته تعالى تقتضي تأخير ذلك؛ لأنه لو أنزلها وفق ما طلبوا ثم لم يؤمنوا، لعاجلهم بالعقوبة كما فعل بالأمم السالفة؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَمَآئِنَا لِمُودِ الْآفَاقَةِ مِجْرَةٌ فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا تُرْسِلُ إِلَّا آيَاتٍ إِلَّا تَوَلَّوْا﴾ [الإسراء: ٥٩]، وقال تعالى: ﴿إِنْ تَسَاءَلُوا عَنْ عِلْمٍ مِنَ السَّيِّئَةِ آيَةً فَظَلَمْتَ أَفَنُفَعِلُهُمْ لِمَا خَصَّيْنَاهُمْ﴾ [الشعراء: ٤].

وقوله: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُنِمُّ أُنْأَلُكُمْ﴾ قال مجاهد: أي أصناف مُصَنَّفَةٌ تُعَرَّفُ بأسانئها. وقال قتادة: الطير أمة، والإنس أمة، والجن أمة. وقوله: ﴿مَا قَرَطْنَا مِنَ الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي: الجميع علمهم عند الله، ولا ينسى واحداً من جميعها من رزقه وتدبيره، سواء كان برياً أو بحرياً؛ كما قال: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرُّهَا وَمُسْتَوْدَعُهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [هود: ٦٠] أي: مُفَصَّح بأسانئها وأعدادها ومظانها، وحاصر لحركانها وسكنائها، وقال تعالى: ﴿وَكَلَّا تَرَى دَابَّةً لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِنَّا كَاشِعُونَ السَّمِيعَ الْعَلِيمُ﴾ [النكبت: ٦٠].

وقوله: ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ عن ابن عباس قال: حَشَرُهَا الموت. وكذا رواه ابن جرير، والقول الثاني: إن حَشَرُهَا هو بمنها يوم القيامة، لقوله: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير: ٥]. وعن أبي هريرة قال: يُحْشَرُ الخلق كله يوم القيامة، البهائم والدواب والطير وكل شيء، فيبلغ من عَذَلِ الله يومئذ أن يأخذ للجنائ من القرناء. قال: ثم يقول: كوني تراباً. فلذلك يقول الكافر: ﴿يَكَلِّمُنِي كُنْتُ رُتَاباً﴾ [النبا: ٤٠].

[رواه عبد الرزاق، وصححه إسناده أحمد شاكر].

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُعَذِّبُهُمْ﴾ أي: مثلهم في جهلهم وقلة علمهم وعدم فهمهم كمثل أَصَمٍّ -وهو الذي لا يسمع- أبكم -وهو الذي لا يتكلم- وهو مع هذا في ظلام لا يُبْصِر، فكيف يهتدي مثل هذا إلى الطريق، أو يخرج مما هو فيه؟! كما قال تعالى: ﴿مِثْلَهُمْ كَثَرٌ أَلْزَمَ اسْتِفْهَامٌ نَارًا فَلَمَّا أَصَابَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَزَخَّخَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ ﴿مُمْ بَكْمُ عَمَى فَمَهُ لَا يَرِجُونَ﴾ [البقرة: ١٧-١٨]، وكما قال تعالى: ﴿أَوْ كُفِّلْتُمْ فِي بَحْرِ لُجِّي يَغْشَاهُ مَوْجٌ



## ● الوقفات التدبيرية

﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ ﴾

المراد بالسمع هنا: سماع القلب والاستجابة، ولا فمجرد سماع الأذن  
 يشترك فيه البر والفاجر؛ فكل المكلفين قد قامت عليهم حجة الله تعالى  
 بالاستماع آياته. السعدي: ٢٥٥.

**السؤال: ما الفرق في سماع المواعظ بين المؤمن والغافل؟**

● ﴿وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾

يعني بذلك الكفار؛ لأنهم موتى القلوب، فشبهم الله بأموات الأجساد.  
ابن كثير: ١٢٤/٢.

**السؤال: ما وجه الشبه بين الكافر والميت؟**

﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾

جميع الأشياء-صغيرها وكبيرها- مثبتة في اللوح الحفوظ على ما هي عليه، فتقع جميع الحوادث طبق ما جرى به القلم، وفي هذه الآية دليل على أن الكتاب الأول قد حوى جميع الكائنات، وهذا أحد مراتب القضاء والقدر؛ فإنها أربع مراتب: علم الله الشامل لجميع الأشياء، وكتابه المحيط بجميع الموجودات، ومشينته وقدرته النافذة العامة لكل شيء، وخلقها لجميع المخلوقات. السعدي: ٢٥٥.

**السؤال: كل ما يقع في حياتك يمر بأربع مراتب مقدرة، فما هي؟**

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْتَهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ  
فَلَوْلَا إِجَاءُهُمْ بِأَسْنَانٍ قُتِرُوا وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا

كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٠﴾

ذم الله سبحانه حزبين... حزب إذا نزل بهم الضر لم يدعوا الله ولم يتضرعوا إليه ولم يتوبوا إليه؛ كما قال: (ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالآباء والضراء لعلمهم يتضرعون ﴿فلولا إذا جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم و زين لهم الشيطان ما كانوا يعملون﴾... وحزب يتضرعون إليه في حال الضرء ويتوبون إليه، فإذا كشفها عنهم أعرضوا عنه... والممدوح: هو القسم الثالث: وهم الذين يدعونه ويتوبون إليه، ويثبتون على عبادته والتوبة إليه في حال السراء؛ فيعبدونه ويطلبونه في السراء والضرء ابن تيمية: ٢٤/٣-٢٥.

**السؤال: اذكر أقسام الناس في الدعاء حال السراء والضراء.**

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْأَسْوَ وَالْعَصَىٰ لَعَلَّهُمْ يَضُرُّونَ  
فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا

كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٠﴾

(فأخذناهم بآبأساء والضراء): كان ذلك على وجه التخفيف والتأديب، (فلولا): هذا عرض وتحضيض، وفيه دليل على نفع التضرع حين الشدائد. ابن جزى: ٢٧٠/١.

**السؤال: في ضوء الآيات بين أهمية التضرع في الشدائد.**

﴿ فَلَمَّا دُسُوا مَا دُكِّرُوا بِهِ، فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً، فَاذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴾

ففتحنا عليهم أبواب كل شيء كان مغلقا عنهم، (حتى إذا فرحوا بما أوتوا) معناه: بطورا، وأشروا، وأعجبوا، وظنوا أن ذلك العطاء لا يبيد، وأنه دال على رضا الله - عز وجل - عنهم، (أخذناهم بغتة) أي: استأصلناهم، وسقطنا بهم، و(بغتة) معناه: فجأة؛ وهي الأخذ على غرة. القرطبي: ٣٧٩/٨.

السؤال: بين استدراج الله سبحانه للمغافلين من خلال الآية:

﴿ فَلَمَّا سَأَوْا مَا دَعَرُوا بِهِ فَنَحَنَّا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴾

قال الحسن البصري: من وسَّعَ الله عليه فلم يرَ أنه يَمَكُرُ به فلا راي له، ومن قَتَرَ عليه فلم يرَ أنه يَنْظُرُ له فلا رَأى له، ثم قرأ هذه الآية ابن كثير ١٣٦/٢.

**السؤال: كيف يتعامل المسلم مع أحواله المالية من سعة وضيق؟**

الحزب

﴿١٥﴾ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ تَرْتِيْلَهُ  
يُرْجَعُونَ ﴿١٦﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ  
قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٧﴾ وَمَا  
مِنَ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ بِطَيْرٍ يَحْتَاجُ إِلَى أَمْسٍ مُنَاسِكٍ  
مَافَرَطَانِي الْكَتَبِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿١٨﴾  
وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُورُهُمْ فِي الظُّلُمَاتِ مِنْ يَسَاءٍ  
اللَّهُ يُضِلُّهُ وَمَنْ يُضِلُّهُ فَلَا يَهْدِيهِ إِلَّا لِعَذَابِنَا قُلْ أَتَى اللَّهُ  
أَرْبَابَهُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّهِمْ فَكَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ  
كَانَ يُضِلُّ الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فِي كُفْرٍ  
مَا تَدْعُونَ إِلَهُوا سِوَاهُ وَتَقْسُونَ مَا تَشْرِكُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا  
إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْأَسَاءِ وَالضَّرَّةِ لَعَلَّهُمْ  
يَنْصَرُّونَ ﴿٢١﴾ فَلَوْلَا إِدْجَاءُهُمْ بِأَسَانَةِ غُرُورٍ وَلَكِنْ قَسَتْ  
قُلُوبُهُمْ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّا  
سُئِلُوا مَا كُفَرُوا بِهِ قَالُوا فَقَدْ خَالَاهُمْ ظُلُمَاتُ الْبُحُورِ كُلِّ شَيْءٍ حَوَّاهُ  
إِذَا قُرِئُوا بِآيَاتِهِ لِيُخْشَوْا قُلْ أَتَى اللَّهُ أَرْبَابَهُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّهِمْ فَكَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ يُضِلُّ الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٣﴾

139

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
مَا فَرَطْنَا	مَا تَرَكْنَا.
صُمْ	الَّذِينَ لَا يَسْمَعُونَ.
وَيَكُم	الَّذِينَ لَا يَتَكَلَّمُونَ.
أَرَأَيْتُمْ	أَخْبِرُونِي.
مُتَّبِلُونَ	أَيْسُونَ، مُتَقَطِّعُونَ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ.

## ● العمل بالآيات

١. حدد نوعاً من البهائم أو الطيور، وتفكر فيها، وكيف انها امة من الأمم، ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ أَمْثَلُكُمْ تَابَعْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ قَبْلِ أَنْ نُنزِلَ فِيهِمْ نَحْنُ وَنُوحٍ﴾.

٢. تأمل ما سمعته من الآيات في الصلاة هذا اليوم وكم فيها من أوامر ونواهٍ، وكم طبقت منها، ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَاللَّوْثُ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾.

٣. حدد كرباً أصابك، ثم ارجع إلى الله بالدعاء بتفريجه، ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتُسْأَلُونَ مَا تُنْكِرُونَ﴾.

## ● التوجيهات

١. الهداية بيد الله؛ فاطلبها ممن هي بيده، ﴿مَنْ يَشَأْ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأْ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

٢. المرض أو الفقر وآفات الدنيا قد تذكرك بالله سبحانه وتعالى وترجعك إليه، ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَآخَذْنَاهُم بِالْأَسْوَءِ وَالْأَفْسَوْءِ لَعَلَّهُمْ يَحْتَرُونَ﴾.

٣. افتتاح الدنيا إذا كان مصاحباً للبعد عن شرع الله فقد يكون سبباً أو مقدمة للهلاك، ﴿ فَلَمَّا سَوَّاهُ وَذُكِّرُوا بِهِ، فَخَسَّنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فُزِحُوا مِنْهُمَا وَأُبْنُوا أَخَذْنَاهُمْ بَعَثَ إِذَا هُمْ مُتْلِسُونَ ﴾.



## ● الوقفات التدبيرية

﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿

والحمد لله رب العالمين على ما قضاه وقدره من هلاك المكتبين: فإن بذلك تتبين آياته، وإكرامه لأوليائه، وإهانته لأعدائه، وصدق ما جاءت به الرسلون. السعدي: ٢٥٦.

**السؤال: ما وجه ختم آيات عذاب المشركين بالحمد؟**

﴿ فَاقْطِعْ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

وَلِذَلِكَ كُلُّهُ تَنْبِيْهُ عَلَى أَنَّهُ يَحِقُّ الْحَمْدُ لِلَّهِ عِنْدَ هَلَاكِ الظُّلْمَةِ: لِأَنَّ هَلَاكَهُمْ صَلَاحٌ لِلنَّاسِ، وَالصَّلَاحُ أَعْظَمُ النِّعَمِ، وَشُكْرُ النِّعْمَةِ وَاجِبٌ، وَهَذَا الْحَمْدُ شُكْرٌ؛ لِأَنَّهُ مُقَابِلُ نِعْمَةٍ. ابن عاشور: ٢٣٢/٧.

**السؤال: هلاك الظلمة نعمة من الله تعالى، بين ذلك.**

﴿ فَاقْطِعْ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا ۖ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ ﴾

حمد الله نفسه على أن قطع دابرهم؛ لأنه نعمة على الرسل، فذكر الحمد لله تعليماً لهم ولأن آمن بهم أن يحمدا الله على كفايته شر الظالمين. البغوي: ٢٢/٤.

**السؤال: ما المشروع لنا إذا رأينا إهلاك الله تعالى للظالمين؟**

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَبَصَرَكُمْ وَخَمَّ عَلَى قُلُوبِكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِ اللَّهِ بِأَيِّكُمْ يَنْظُرُ كَيْفَ نَصُوفُ الْأَيَّاتِ تُرَاهِمُ يَصْدُقُونَ ﴾

وتصريف الآيات: اختلاف أنواعها؛ بأن تأتي مرة بحجج من مشاهدات في السماوات والأرض، وأخرى بحجج من دلائل في نفوس الناس، ومرة بحجج من أحوال الأمم الخالية، التي أنشأها الله. ابن عاشور: ٧/٢٣٥.

**السؤال: كيف يكون تصريح الآيات المذكور في الآية الكريمة؟**

﴿ ١ ﴾ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﴿١﴾

هذا القرآن نذارة للخلق كلهم، ولكن إنما ينتفع به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربيهم) فهم متيقنون للانتقال من هذه الدار إلى دار القرار؛ فلذلك يستصحون ما ينفعهم، ويدعون ما يضرهم. السعدي: ٢٥٧.

**السؤال: لماذا خُصِّصَت النذارة بالخائفين من الحشر؟**

﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ ﴾

وخص الغداة والعشي بالذكر؛ لأن الشغل غالب فيهما على الناس، ومن كان في وقت الشغل مقبلاً على العبادة كان في وقت الفراغ من الشغل أعمل. القرطبي: ٣٨٩/٨.

**السؤال: لماذا خص الله سبحانه وقت العداة والعشي بالذكر؟**

﴿ وَلَا تَقْرُؤْ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبُّهُمْ بِالْمَدْفُوعِ وَالْعَصِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَقْطِرْ دَمْعَهُمْ فَتَكُونُ مِنَ الضَّالِّينَ ﴾

نزلت في ضعفاء المؤمنين: كبلال، وعمار بن ياسر، وعبد الله بن مسعود، وخباب وصهيب، وأمثالهم، وكان بعض المشركين من قريش قد قالوا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: لا يمكننا أن نختلط مع هؤلاء لشرفنا،

فلو طردتهم لاتبعناك. ابن جزى: ۱/۲۷۱.

السؤال: رسمت هذه الآلة منهجية دعوية في التعامل مع المدعوين، بينها.

فَقَطَّعَ دَائِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٠﴾  
 قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ وَخَشَعَهُ عَلَى قُلُوبِكُمْ  
 مَنِ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ أَنْظِرْ كَيْفَ تُضَيِّفُ الْأَدْبَابَ  
 ثُمَّ هُمْ يَصْذِقُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ  
 بَغْضَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَا  
 يُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ أَمَنَ وَأَصْلَحَ  
 فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٥٣﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا عَائِدَتَنَا  
 بِمَسْئَرِ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِقُونَ ﴿٥٤﴾ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ  
 عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ  
 إِن أَنْتُمْ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ  
 أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ  
 رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ  
 ﴿٥٦﴾ وَلَا تَنْظُرْ الَّذِينَ يُدْعَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ  
 وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمِمَّنْ حِسَابِكَ  
 عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَفَطَّرْ لَهُمْ فَتَكُونُ مِنَ الْفَالِلِينَ ﴿٥٧﴾

## معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
فَقَطَعَ	أَسْتَوْصِلَ.
دَابِرُ الْقَوْمِ	آخِرُهُمْ.
نُصِرَفُ	نُتَوَعُ.
يَصْدِفُونَ	يُعْرِضُونَ.
بِالْغَدَاةِ	أَوَّلَ النَّهَارِ.

## العمل بالآيات

١٠. بين لمن حولك حقيقة الكهان والعرافين والمنجمين؛ فهم لا يعلمون الغيب، ﴿قُلْ أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْتُكَ إِلَّا بِمَا تُسْأَلُ ۚ﴾

١٠. أَرْسِلْ رَسُولًا مِّنْ حَوْلكَ فِيهَا مَوْعِظَةٌ قَرَانِيَّةٌ، ﴿١٠﴾ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُجَسَّسُوا إِلَى رَبِّهِمْ ۖ ﴿١١﴾

٢. اجلس اليوم مع بعض الفقراء أو الضعفاء الصالحين؛ ففيها تربية تليق بقلبك على التواضع ولين الجانب، ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾.

## ● التوجيهات

١٠. هَلَاكَ الظَّالِمِينَ لَا مَنَاصَ مِنْهُ عَاجِلًا، أَوْ آجِلًا، ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ كَيْفَ يَكْفُرُونَ﴾ إِنَّ أَنْتُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَعْنَةُ أَرْجَاهُ هَلْ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ ﴿١٠﴾

١. استخدم البشارة بالخير، والتخويف من الشر في نصيحتك ودعوتك إلى الله تعالى، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

٢. إذا كان رسول الله ﷺ لا يعلم الغيب، فمن باب أولى أن يكون غيره لا يعلم الغيب، ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ أَنِّي مَلَكٌ إِنِّي أَنْتُمْ إِلَّا مَا نُوْحِيَ إِلَيَّ﴾.

وَالْقَبَسِيرِ ﴿٤٥﴾: أَي: هل يستوي من اتَّبَعَ الحقَّ وهُدِيَ إليه، ومن ضلَّ عنه ولم يتَّقَ له؟ ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾. وهذه كقوله تعالى: ﴿أَفَنَسِيكَ إِنَّمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْقُرْآنَ كَهُؤَ آيَاتٍ يَتَذَكَّرُ أُولَئِكَ أَلَّا يَتَذَكَّرُوا﴾ [الرعد: ١٩]. ﴿وَأَنْذِرْ يَدِ الَّذِينَ يَحْذَرُونَ أَن يُبَشِّرَ وَإِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلَكِنْ لَا شَفِيعَ﴾. أَي: وأنذر هذا القرآن يا محمد ﴿الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ تُشْفِقُونَ﴾ [المؤمن: ٥٧] و﴿يُخَشِعُونَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ [الرعد: ٢١]. ﴿الَّذِينَ يَحْذَرُونَ أَن يُبَشِّرَ وَإِلَى رَبِّهِمْ﴾. أَي: يوم القيامة ﴿لَيْسَ لَهُمْ﴾. أَي: يومئذ ﴿مِنْ دُونِهِ وَلَكِنْ لَا شَفِيعَ﴾. أَي: لا قريب لهم ولا شفيع فيهم من عذابه إن أَرَادَهُ بِهِمْ؛ ﴿أَلَمْ تَرَ يَتَّقُونَ﴾. أَي: أنذر هذا اليوم الذي لا حاكم فيه إلا الله ﴿أَلَمْ تَرَ يَتَّقُونَ﴾ فيعملون في هذه الدار عملاً يُجْهِمُ الله به يوم القيامة من عذابه، ويُضَاعَفُ لَهُمْ به الجزيل من ثوابه. ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْفَدَوِّ وَالْعَمَلِ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾. أَي: لا تُتَّبِعْ هَؤُلَاءِ الْمُتَصِفِينَ بهذه الصفة عنك، بل اجعلهم جلساءك وأخصاءك؛ كما قال: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْفَدَوِّ وَالْعَمَلِ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَقْدِمْ عَلَيْهِمْ ذِينَ الْأَحْزَابِ الْأُولَى وَلَا تَطْلُعْ مِنْ أَغْفَلَاتِ قَلْبِهِ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبِعْ هَوْنَهُ وَكَانَ آمُرُهُمْ قَوْلًا﴾ [الكهف: ٢٨]. ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾. أَي: يعبدونه ويسألونه، ﴿بِالْفَدَوِّ وَالْعَمَلِ﴾. قال سعيد بن المسيب، ومجاهد، والحسن، وقادة: المراد بذلك الصلوات المكتوبات. وهذا كقوله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] أَي: اتَّعَبْ منكم. ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾. أَي: يشعرون بذلك العمل وجه الله الكريم؛ فهم مخلصون فيما هم فيه من العبادات والطاعات. ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكُمْ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾. كما قال نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ في جواب الذين قالوا: ﴿أَتُؤْتِيهِمْ لَكَ وَالْعَمَلِ الْأَلَدُونَ﴾ ﴿قَالَ وَمَا عَلَيَّ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَو تَشْعُرُونَ﴾ [الشعراء: ١١١-١١٣]، أَي: إنما حسابهم على الله عز وجل وليس عليَّ من حسابهم من شيء، كما أنه ليس عليهم من حسابي من شيء. ﴿فَتَطْرَدُهُمْ فَتَكُونُ مِنَ الْفَالِاحِينَ﴾. أَي: إن فعلت هذا والحالة هذه.

[سبب النزول]: عن ابن مسعود قال: مرَّ الملأ من قريش برسول الله ﷺ، وعنده: صهيب، وبلال، وعمار، وخبَّاب وغيرهم من ضعفاء المسلمين، فقالوا: يا محمد، أرضيت بهؤلاء من قومك؟ أهؤلاء الذين منَّ الله عليهم من بيتنا؟ ونحن نكون تبعاً لهؤلاء؟ اطردهم عنك، فلعلك إن طردتهم أن تتبعك! فنزلت هذه الآية: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْفَدَوِّ وَالْعَمَلِ﴾. ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾. إلى آخر الآية [رواه أحمد، وابن جرير، وصحَّح إسنادهما أحمد شاكر]. وعن سعد قال: نزلت هذه الآية في ستة من أصحاب النبي ﷺ، منهم ابن مسعود، قال: كنا نَسْبِقُ إلى النبي ﷺ، وندنو منه ونسمع منه، فقالت قريش: يُؤْذِي هَؤُلَاءِ دُونَنَا فَتَرَكْتَ: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْفَدَوِّ وَالْعَمَلِ﴾ [رواه مسلم].

الآية (٤٥): ﴿فَقَطِّعْ دَائِرَ الْقَوْرِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَلَحْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (١) الآية (٤٦-٤٩): يقول تعالى لرسوله ﷺ: ﴿قُلْ هَؤُلَاءِ الْمَكِيدِينَ الْمُعَانِدِينَ﴾: ﴿إِنَّهُ يَنْتَظِرُ أَنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ﴾. أَي: سلبكم إياها كما أعطاكموها؛ فإنه ﴿هُوَ الَّذِي أَشَارَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْآيَاتِ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ [الملك: ٢٣]. ويُحْتَمَلُ أن يكون هذا عبارة عن منع الانتفاع بها الانتفاع الشرعي؛ ولهذا قال: ﴿وَحَنَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾. كما قال: ﴿أَفَنَسِيكَ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ﴾ [يونس: ٣١]، وقال: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ [الأنفال: ٢٤]. ﴿فَنَزَلَ اللَّهُ عُزُوبًا إِلَى قَلْبِكُمْ بِهِ﴾. أَي: هل أحد غير الله يقدر على ردِّ ذلك إليكم إذا سلبه الله منكم؟ لا يقدر على ذلك أحد سواه؛ ولهذا قال: ﴿أَنْتَظِرُ كَيْفَ تُصَرِّفُ الْآيَاتِ﴾. أَي: تُبَيِّنُهَا وتوضحها وتفسرها، دالة على أنه لا إله إلا الله، وأن ما يعبدون من دونه باطل وضلال، ﴿فَتَرَهُمْ يَضِيدُونَ﴾. أَي: ثم هم مع هذا البيان يُعْرِضُونَ عن الحق، ويصدِّون الناس عن اتباعه. قال ابن عباس: ﴿يَضِيدُونَ﴾: يعدلون. وقال مجاهد، وقادة: يُعْرِضُونَ. وقال السدي: يصدِّون. ﴿ثَلَّ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابَ اللَّهِ بَعَثَ﴾. أَي: وأنتم لا تشعرون به حتى يفتنكم وفجأكم. ﴿أَوْ جَهَرَةً﴾. أَي: ظاهرة عياناً ﴿هَلْ يَهْدِيكُمْ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَالِاحِينَ﴾. أَي: إنما كان مُحِيط بالظالمين أنفسهم بالشرك بالله، وينجو الذين كانوا يعبدون الله وحده لا شريك له، فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون؛ كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمَنُ وَهُمْ مُبْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]. ﴿وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾. أَي: مبشرين عباد الله المؤمنين بالخيرات، ومنذرين من كفر بالله النعمات والعقوبات. ولهذا قال: ﴿فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ﴾. أَي: فمن آمن قلبه بما جاءه وبأصلح عمله باتباعه إياهم، ﴿فَلَا حَوْلَ عَلَيْهِمْ﴾. أَي: بالنسبة إلى ما يستقبلونه. ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾. أَي: بالنسبة إلى ما فاتهم وتركوه وراء ظهورهم من أمر الدنيا وضيعتها؛ الله وليهم فيها خلفوه، وحافظهم فيها تركوه. ﴿وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا يَنْصَبُ لَهُمْ الْعَذَابَ بِمَا كَانُوا يُفْسِقُونَ﴾. أَي: ينالهم العذاب بما كفروا بما جاءت به الرسل، وخرَّجوا عن أوامر الله وطاعته، وارتكبوا من مناهيه ومخارمه وانتهك حرمانه.

الآية (٥٠-٥٢): يقول تعالى لرسوله ﷺ: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾. أَي: لست أملكها ولا المتصرف فيها، ﴿وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبِ﴾. أَي: لا أعلم لكم: إني أعلم الغيب، إنما ذاك من علم الله عز وجل، لا أطلع منه إلا على ما أطلعني عليه ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾. أَي: ولا أدعي أنني ملك، إنما أنا بشر من البشر، يُوحَى إليَّ من الله عز وجل، شرفني بذلك وأنعم عليَّ به؛ ولهذا قال: ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكُمْ﴾. أَي: لست أخرج عنه قيد شبر ولا أدنى منه. ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ

(١) لم يقصر ابن كثير هذه الآية، وقال ابن جرير في معناها: ﴿دَائِرَ الْقَوْرِ﴾: آخرهم؛ وذلك عبارة عن استصالحهم بالكليّة، ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: شكر على هلاك الكفار؛ فإنه نعمة على المؤمنين. [التسهيل لعلوم التنزيل ص ١٣٣].

الآية (٥٥-٥٩): يقول تعالى: «وَمَا يَتَّبِعُ مَا تَقَدَّمَ بِهِ مِنْ الْحُجَجِ وَالْدَّلَائِلِ عَلَى طَرِيقِ الْهُدَايَةِ وَالرَّشَادِ، وَذِمَّ الْمَجَادِلَةَ وَالْعَانَدَ، ﴿وَوَكَّدَكَ﴾ نَفْصُ الْآيَةِ ﴿أَي:﴾ الَّتِي يَحْتَاجُ الْمَخَاطِبُونَ إِلَى بَيَانِهَا، ﴿وَلَتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُتَجَرِّينَ﴾ ﴿أَي:﴾ وَلَتُظْهِرَ طَرِيقَ الْمَجْرِمِينَ الْمَخَالِفِينَ لِلرَّسْلِ، وَفَرَى: ﴿وَلَتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمَجْرِمِينَ﴾ أَي: وَلَتَسْتَبِينَ بِأَمْرِ مُحَمَّدٍ - أَوْ بِأَمْرِ

خاطب - سبيل المجرمين. وقوله: ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّي﴾ أي: على بصيرة من شريعة الله التي أوحاها إلي، ﴿وَكَذَّبْتُم بِهِ﴾ أي: بالحق الذي جاءني من الله، ﴿مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْتَلُونَ بِهِ﴾ أي: من العذاب، ﴿إِنَّ أَلَمَكُمْ إِلَّا بِي﴾ أي: إننا يرجع أمر ذلك إلى الله، إن شاء عَجَّلْ لَكُمْ ما سألتوه من ذلك، وإن شاء أَنْظِرْكُمْ وَأَجَلِّكُمْ؛ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْحِكْمَةِ الْعَظِيمَةِ؛ ولهذا قال: ﴿يُقِضَ الْحَقُّ وَمَوْحِيهِ الْفَصِيلِينَ﴾ أي: وهو خير من فَصَّلَ القضايا، وخير الفاتحين الحاكمين بين عباده. وقوله: ﴿قُلْ لَوْ أَنِّي عِنْدِي مَا تَسْتَعْتَلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ أي: لو كان مرجع ذلك إلي، لأوقعت بكم ما تستحقونه من ذلك، ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾. وعن عائشة: أنها قالت: يا رسول الله، هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ فقال: «لقد لقيتُ من قومك، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة؛ إذ عرضتُ نفسي على ابن عبد ليلى بن عبد كلال، فلم يجيبي إلى ما أردت، فانطلت وأنا مهموم على وجهي، فلم استفق إلا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلنتني، فنظرت فإذا فيها جبريل عليه السلام فناداني، فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردُّوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم». قال: «فناداني ملك الجبال وسلم عليّ، ثم قال: يا محمد، إن الله قد سمع قول قومك لك، وقد بعثني ربك إليك، لتأمرني بأمرك، فما شئت؟ إن شئت أطبق عليهم الأخشيش؟» فقال رسول الله ﷺ: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله، لا يشارك به شيئا»، [متفق عليه]. فقد عُرِضَ عليه عذابهم واستصاهاهم، فاستأثني بهم، وسألهم التأخير، لعل الله أن يخرج من أصلابهم من لا يُشْرِك به شيئا. فما الجمع بين هذا، وبين قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ أَنِّي عِنْدِي مَا تَسْتَعْتَلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾؟ فالجواب - والله أعلم -: أن هذه الآية دلَّت على أنه لو كان إليه وقوعُ العذاب الذي يطلبونه حال طلبهم له، لأوقعه بهم. وأما الحديث، فليس فيه أهم سألوه وقوع العذاب بهم، بل عُرِضَ عليه ملكُ الجبال أنه إن شاء أَطْبَقَ عليهم الأخشيش - وهما جبلا مكة اللذان يكتنفانها جنوبا وشمالا - فلماذا استأثني بهم، وسأل الرفق بهم. وقوله: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَشْعُرُ بِهَا إِلَّا هُوَ﴾ عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ قال: «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُرْسِلُ الْغَيْثَ وَيُمْسِكُ مَا فِي الْآرْضِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾» [لقان: ٣٤]. [رواه البخاري]. وقوله: ﴿وَعَلَّمَ مَا فِي الْآلِ وَالْبَحْرِ﴾ أي: يحيط علمه العظيم بجميع الموجودات، بَرِّيًّا وَبَحْرِيًّا، لا يخفى عليه من ذلك شيء، ولا متقال ذرة في الأرض ولا في السماء. وقوله: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ أي: ويعلم الحركات حتى من الجهادات، فما ظنك بالحيوانات؟! ولا سيما المكلفون منهم من جهنم وإنسهم؟! كما قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ حَافَةَ الْأَغْنَىٰ وَيَتَعَفَّى الصَّدُودَ﴾ [غان: ١٩].



١. إذا علمت أن الله تعالى كتب على نفسه الرحمة فاسأله إياها بالدعاء والتضرع إليه، ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ .

٢. القرآن هو الحاكم على مناهج الناس ومذاهبهم، فبين الصحيح منها والفساد، ﴿ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ .

٣. صبر الداعي وتحمله ما يلقاه من أهل الزيف والضلال عبادة تقرب بها إلى الله تعالى، ﴿ قُلْ لَوْ أَنِّي عُدْتُ مَا مُتَّعِلُونِ بِهِ لَقُلِّي أَلَأُمْرًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾ .



## ● الوقفات التحذيرية

﴿وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾

لكمال علمه، وحفظه لأعمالهم، بما أثبتته في اللوح المحفوظ ثم أثبتته ملائكته في الكتاب الذي بأيديهم. السعدي: ٢٥٩.

السؤال: تحدث عن عظمة الله - سبحانه وتعالى - في سرعة حسابه لعباده.

﴿قُلْ مَنْ يُجِيرُكَ مِنَ ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالنَّجْمِ تَدْعُوهُ نَضْرَعًا وَخَفِيَةً لَّيْنِ أَجْنَانًا مِنْ هَذِهِ لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾

(لنكونن من الشاكرين)؛ والشكر هو معرفة النعمة مع القيام بحقها. البغوي: ٣٠/٢.

السؤال: كيف يكون الشكر الكامل لنعم الله تعالى؟

﴿قُلْ مَنْ يُجِيرُكَ مِنَ ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالنَّجْمِ تَدْعُوهُ نَضْرَعًا وَخَفِيَةً لَّيْنِ أَجْنَانًا مِنْ هَذِهِ لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ ﴿١٣﴾ قُلِ اللَّهُ يُجِيرُكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ مُشْكِرُونَ

فويخيمهم الله في دعائهم إياه عند الشدائد، وهم يدعون معه في حال الرخاء وغيره. القرطبي: ٤١٢/٨.

السؤال: من خلال الآية بين تناقض المشركين في استغاثتهم.

﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾

(أو يلبسكم شيعة)؛ قيل: يجعلكم فرقا يقاتل بعضهم بعضا؛ وذلك بتخليط أمرهم، وافتراق أمرائهم على طلب الدنيا، وهو معنى قوله: (ويذيق بعضهم بأس بعض) أي: بالحرب، والقتل في الفتنة. القرطبي: ٤١٤/٨.

السؤال: كيف تكون العقوبة بلبس بعض المجتمع ببعض؟

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي ءَايَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَلَمَّا يَبْيُتِكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾

إن أنساك الشيطان النهي عن مجالستهم فلا تقعد بعد أن تذكر النهي. ابن جزى: ٢٧٤/١.

السؤال: ما نصيحتك لمن يجلس مع من يخوض في آيات الله بحجة الفكر والوعي؟

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي ءَايَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَلَمَّا يَبْيُتِكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾

من خاض في آيات الله تركت مجالسته، وهجر؛ مؤمنا كان، أو كافرا. القرطبي: ٤١٩/٨.

السؤال: ما موقفنا ممن يطرح البدع والشبهات؟

﴿وَلَمَّا يَبْيُتِكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾

نسيان الخير يكون من الشيطان؛ كما قال تعالى: (وإما ينسيتك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين). ابن تيمية: ٣٢/٣.

السؤال: كيف ينسى العبد الخير؟

وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١﴾ وَهُوَ الْكَافِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَإِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ كَفَّظَهُ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٢﴾ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ أَلَا لَهُ الْكُوفُورُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴿٣﴾ قُلْ مَنْ يَجْعَلُ لَكُمْ تِلْكَ مِنْ شَأْنِ الْغَيْبِ الْخَفِيِّ لَيْسَ أَجْنَانًا مِنْ هَذِهِ لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٤﴾ قُلِ اللَّهُ يُجِيرُكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ مُشْكِرُونَ ﴿٥﴾ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أُنُوفِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نَصَرَفُ ءَايَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦﴾ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِكَيْلٍ ﴿٧﴾ لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي ءَايَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٩﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
جَرَحْتُمْ	اكتسبتم.
لَا يُفَرِّطُونَ	لَا يُضَيِّعُونَ، وَلَا يَقْصُرُونَ.
يَلْبِسْكُمْ شِيْعًا	يَخْلِطُكُمْ فِرْقًا مُّتَنَاجِرَةً.
نُصَرَّفُ	نُنَوَّجُ.
يَخُوضُونَ	يَتَكَلَّمُونَ مُسْتَهْزِئِينَ.

## ● العمل بالآيات

١. تضرع إلى الله تعالى، وسله أن يفرج كربتك، ويقضي حاجتك؛ فإنه لا منجي من الشدائد إلا الله سبحانه وتعالى، ﴿قُلْ مَنْ يُجِيرُكَ مِنَ ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالنَّجْمِ تَدْعُوهُ نَضْرَعًا وَخَفِيَةً لَّيْنِ أَجْنَانًا مِنْ هَذِهِ لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾.
٢. اسع في الصلح بين شخصين أو فئتين متنازعتين، ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾.
٣. ارسل رسالة تحذر فيها من الوسائل الإعلامية التي تقطن في الدين، ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي ءَايَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾.

## ● التوجيهات

١. التحذير من الاختلاف المفضي إلى الانقسام والنزاع، ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾.
٢. ابتعد عن مجالس اللغو والباطل، ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي ءَايَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَلَمَّا يَبْيُتِكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.
٣. هناك ملائكة تحصى عليك أعمالك وأقوالك؛ فاحسب لكل عمل وقول حسابه، ﴿وَرُسُلٌ عَلَيْكُمُ حِفْظَةٌ﴾.

﴿يَلْبِسَكُمْ﴾ يَخْلُطُكُمْ، من الالتباس، يَلْبَسُوا: يَخْلُطُوا. ﴿شَيْعًا﴾: قِرْقًا. ثم روى عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا بَيْنَ يَدَيْ قَوْمِكُمْ﴾، قال رسول الله ﷺ: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ»، ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ آجِلِكُمْ﴾، قال: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ»، ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شَيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾، قال رسول الله ﷺ: «هَذِهِ أَهْوَنُ - أَوْ قَالَ: هَذَا أَيْسَرُ - رِوَاهُ الْبُخَارِيُّ. وقال مجاهد وسعيد بن جبَر وغير واحد في قوله: ﴿عَذَابًا مِنْ قَوْمِكُمْ﴾ يعني: الرَّجْم، ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ آجِلِكُمْ﴾ يعني: الخَنْف. وهذا هو اختيار ابن جرير. وهو كما قال ابن جرير - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ويشهد له بالصحة قوله تعالى: ﴿يَأْمُرُنَّ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُخَيَّفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ ﴿١٦﴾ أَمْ أَيْنَمَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ﴿١٧﴾﴾ [الملك: ١٦-١٧]. ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ﴾ أي: يجعلكم ملتبسين ﴿شَيْعًا﴾ قِرْقًا متخالفين. قال ابن عباس: يعني: الأهواء. وكذا قال مجاهد وغير واحد. وقد ورد في الحديث المروي من طرق عنه ﷺ أنه قال: «وَسُفَّرَتْ هَذِهِ الْأُمَّةُ عَلَى ثَلَاثَ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً» [رواه الترمذي، وحسنه الآلباني]. ﴿وَيُذِيقُ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ قال ابن عباس وغير واحد: يعني يُسَلِّطُ بعضهم على بعض بالعذاب والقتل. وقوله: ﴿أَنْتُمْ كَيْفَ تَصْرِفُ أَعْيُنَكُمْ﴾ أي: نَبِّهْنَاهُ وَنُضَحِّحْهَا وَنُفَسِّرْهَا، ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَفُونَ﴾ أي: يَهْفُمُونَ وَيَتَدَبَّرُونَ عَنْ اللَّهِ آيَاتِهِ وَحُجَجِهِ وَبِرَاهِينِهِ.

الآية (٦٦-٦٨): ﴿وَكَذَّبَ بِهِ﴾ أي: بِالْقُرْآنِ الَّذِي جِئْتُمْ بِهِ، والهدى والبيان ﴿قَوْمَكُ﴾ يعني: قَرِيبًا، ﴿وَهُوَ الْحَقُّ﴾ أي: الَّذِي لَيْسَ وَرَاءَهُ حَقٌّ، ﴿قُلْ لَنْتُ عَنْكُمْ بَرَكِيَّةٌ﴾ أي: لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِحَفِظٍ، وَلَسْتُ بِمَوَكَّلٍ بِكُمْ، أي: إِنَّمَا عَلَيَّ الْبَلَاغُ، وَعَلَيْكُمْ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ، فَمَنْ اتَّبَعَنِي سَعِدَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ خَالَفَنِي فَقَدْ شَقِيَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ مُنْتَفَرَةٌ﴾ قال ابن عباس وغير واحد: أي لكل نبي حقيقة، أي: لكل خبر وقوع، ولو بعد حين؛ كما قال: ﴿وَلَعَلَّكُمْ يَتَأَنَّبَعْدِي﴾ [ص: ٨٨]. وهذا تهديد ووعد أكيد؛ ولهذا قال بعده: ﴿وَسَوْفَ تَقْلَمُونَ﴾. ثم قال: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ أي: بِالْتَكْذِيبِ وَالِاسْتِهْزَاءِ ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ أي: حَتَّى يَأْخُذُوا فِي كَلَامٍ آخَرَ غَيْرِ مَا كَانُوا فِيهِ مِنَ التَّكْذِيبِ.

﴿وَلَمَّا يُنْشِئَنَّ الشَّقِيلَ﴾ والمراد بهذا كل فرد من آحاد الأمة؛ أَلَّا يَجْلِسَ مع الكَذِبِيِّينَ الَّذِينَ يُحَرِّفُونَ آيَاتِ اللَّهِ وَيُضَعِفُونَهَا عَلَى غَيْرِ مَوَاضِعِهَا، فَإِنْ جَلَسَ أَحَدُ مَعَهُمْ نَاسِيًا ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِ﴾ بعد التذکر ﴿مَعَ الْقَوَرَى الظَّالِمِينَ﴾. وعن أبي مالك وسعيد بن جبَر: إِنْ نَسِيتَ فَذَكَّرْتَ، فَلَا تَجْلِسَ مَعَهُمْ. وكذا قال مقاتل بن حيان. وهذه الآية هي المشار إليها في قوله: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ أَلْفًا يَكْفُرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ [النساء: ١٤٠]، أي: إِنْ كُنْتُمْ إِذَا جَلَسْتُمْ مَعَهُمْ وَأَقْرَبْتُمْهُمْ عَلَى ذَلِكَ، فَقَدْ سَاوَيْتُمُوهُمْ فِي الَّذِي هُمْ فِيهِ.

الآية (٦٠-٦٢): يُخَبِّرُ تَعَالَى أَنَّهُ يَتَوَقَّى عِبَادَهُ فِي مَنَامِهِمْ بِاللَّيْلِ، وَهَذَا هُوَ التَّوَقَّى الْأَصْغَرُ كَمَا قَالَ: ﴿اللَّهُ يَتَوَقَّى النَّفْسَ حِينَ مَوْتِهَا وَاللَّهُ لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الْكَلِمَةَ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأَخْرَجَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ [الزمر: ٤٢]، يَذْكُرُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْوَفَاتَيْنِ: الْكَبْرَى وَالصَّغْرَى، وَهَكَذَا ذَكَرَ فِي هَذَا الْمَقَامِ حُكْمَ الْوَفَاتَيْنِ الصَّغْرَى ثُمَّ الْكَبْرَى فَقَالَ: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّيْكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ وَيَعْلَمُ مَا كَسَبْتُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ﴾ [النَّهَارِ] وَهَذِهِ جُمْلَةٌ مُعْتَرِضَةٌ دَلَّتْ عَلَى إِحَاطَةِ عِلْمِهِ تَعَالَى بِخَلْقِهِ فِي لَيْلِهِمْ وَنَهَارِهِمْ، فِي حَالِ سُكُونِهِمْ وَفِي حَالِ حَرَكَتِهِمْ. ﴿ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾ أي: فِي النَّهَارِ. قَالَه مجاهد، وَقَتَادَةُ، وَالسُّدِّيُّ. وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ كَثِيرٍ: أَيِ فِي الْمَنَامِ. وَالْأَوَّلُ أَظْهَرُ. ﴿لِيُقَضَّ أَمَلٌ مُسَمًّى﴾ يعني به: أَجَلَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ النَّاسِ، ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ رَاجِعُكُمْ﴾ أي: يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ﴿ثُمَّ يُنْفِخُ فِيهِ﴾ أي: فَيُخَبِّرُكُمْ ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: وَيُخَبِّرُكُمْ عَلَى ذَلِكَ إِنْ خَيْرًا أَوْ شَرًّا، فَشَرٌّ. ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ قَوِيُّ عِيسَايُوهُ﴾ أي: هُوَ الَّذِي قَهَرَ كُلَّ شَيْءٍ، وَخَضَعَ لِحُلَالِهِ وَعِظْمَتِهِ وَكِبَرِيَّاتِهِ كُلِّ شَيْءٍ، ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ أي: مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَحْفَظُونَ بَدَنَ الْإِنْسَانِ؛ كَمَا قَالَ: ﴿لَهُ مُمَرِّجَتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ١١]، وَحَفَظَةٌ يَحْفَظُونَ عَمَلَهُ وَيُحْصِنُونَهُ عَلَيْهِ؛ كَمَا قَالَ: ﴿وَلَنْ عَلَيْكُمْ حَفَظُونَ﴾ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَثِيرِينَ ﴿١١﴾ يَعْمَلُونَ مَا تَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٠-١٢]، وَقَالَ: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَيْدٌ﴾ ﴿١٢﴾ مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عِيدٌ﴾ [ق: ١٧-١٨]. وَقَوْلُهُ: ﴿حَقٌّ إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ﴾ أي: احْتَضَرَ وَحَانَ أَجَلُهُ ﴿وَتَوَفَّيْتُمْ﴾ أي: مَلَائِكَةُ مَوْتِكُمْ بِذَلِكَ ﴿وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: فِي حِفْظِ رُوحِ الْمُتَوَفَّى، بَلْ يَحْفَظُونَهَا وَيَنْزِلُونَهَا حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ؛ إِنْ كَانَ مِنَ الْأَبْرَارِ فِيهِ عِلْمٌ، وَإِنْ كَانَ مِنَ الْفُجَّارِ فِيهِ سَجِينٌ، عِيَادًا بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ. وَقَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ رُدُّوهُ﴾ قَالَ ابْنُ جُرَيْرٍ: يَعْنِي: الْمَلَائِكَةُ ﴿إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقُّ﴾. وَجُمْلَتُهُ أَنَّ يَكُونُ الْمَرَادُ بِقَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ رُدُّوهُ﴾ يَعْنِي: الْخَلَائِقُ كُلَّهُمْ إِلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُحْكَمُ فِيهِمْ بِعَدْلِهِ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿مَوْلَاهُمْ الْحَقُّ إِلَّا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَمْرُ الْحَكِيمِينَ﴾.

الآية (٦٣-٦٥): يَقُولُ تَعَالَى مِمَّنَّا عَلَى عِبَادِهِ فِي إِنْجَانِهِ الْمُضْطَرِينَ مِنْهُمْ ﴿مِنْ ظُلْمَتِ اللَّيْلِ وَالْكَبَرِ﴾ أي: الْخَائِرِينَ الْوَاقِعِينَ فِي السَّهَائِمِ الْبَرِيَّةِ، وَفِي اللَّجَجِ الْبَحْرِيَّةِ إِذَا هَاجَتِ الرِّيحُ الْعَاصِفَةُ، فَحَيْثُ يُفَرِّدُونَ الدُّعَاءَ لَهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، ﴿تَدْعُوهُ تَضَرَّعًا وَخَفِيًّا﴾ أي: جَهْرًا وَسِرًّا ﴿لَئِنْ أَجَبْنَاهُ مِنْ هَدْيٍ﴾ أي: مِنْ هَذِهِ الضَّائِقَةِ، ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ أي: بَعْدَهَا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلِ اللَّهُ يُجِيبُكُم مِّنْهَا وَمِنْ كُلِّ دَرَجَةٍ أَنْتُمْ أَنْتُمْ﴾ أي: بَعْدَ ذَلِكَ ﴿تَشْكُرُونَ﴾ أي: تَدْعُونَ مَعَهُ فِي حَالِ الرِّفَافَةِ إِلَهَةً أُخْرَى. وَلَمَّا قَالَ: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْكِرُونَ﴾ عَقَّبَ بِهِ: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا﴾ أي: بَعْدَ إِنْجَانِهِمْ إِيَّاكُمْ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا تَخَلَّوْا إِلَى آلِ الْأَعْرَضِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَنُورًا﴾ ﴿١٣﴾ أَفَأَمْسَرْتُمْ أَنْ يَخَيِّفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ [الأنعام: ٦٣-٦٥]. الْآيَاتِ [الأنعام: ٦٣-٦٥]. قَالَ الْبُخَارِيُّ:



يقول: مثل من يعبد هذه الآلهة من دون الله؛ فإنه يرى أنه في شيء حتى يأتيه الموت، فيستقبل الهلكة والندامة. ﴿كَأَنِّي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ﴾ هم «الغيلان»، يدعونه باسمه واسم أبيه وجده، فيتمتع بها وهو يرى أنه في شيء، فيصبح وقد ألقته في هلكة، وربما أكلته، أو تلقى في مَصْلَةٍ من الأرض يهلك فيها عطشا؛ فهذا مثل من أجاب الآلهة التي تُعبد من دون الله عز وجل. رواه ابن جرير.

وسياق الآية يقتضي أن هذا الذي استهوته الشياطين في الأرض حيران -وهو منصوب على الحال- أي: في حال حيرته وضلاله وجهله وجه المحجة، وله أصحاب على المحجة سائرون، فجعلوا يدعونه إليهم وإلى الذهاب معهم على الطريقة المثل. وتقدير الكلام: فيأبى عليهم ولا يلتفت إليهم، ولو شاء الله هُدا، ولَرَدَّ به إلى الطريق؛ ولهذا قال: ﴿قُلْ إِنَّ هَذِهِ أَلْوَهُ الْهَدَى﴾؛ كما قال: ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ﴾ [الزمر: ٣٧]، وقال: ﴿إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرٍ﴾ [النحل: ٣٧].

وقوله: ﴿وَأُزِّنَا لِلنَّاسِ لِرَبِّ الْأَنْبِيَاءِ﴾ أي: نُخلص له العبادة وحده لا شريك له. قوله: ﴿وَأَنْ أَقْبِسُوا صَلَواتَهُمْ وَأَقْبِسُوا﴾ أي: وأمرنا بإقامة الصلاة وبتقواه في جميع الأحوال، ﴿وَهُوَ الَّذِي يَلْبِسُ الْمُشْرِكِينَ﴾ أي: يوم القيامة. ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَكَاتِ وَالْأَنْزِلَ وَالْحَيَّ﴾ أي: بالعدل؛ فهو خالقها ومالكها، والمُدبِّر لها ولمن فيها. قوله: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ يعني: يوم القيامة، الذي يقول الله: كن فيكون عن أمره كلمح البصر، أو هو أقرب. ﴿وَيَوْمَ﴾ منصوب إما على العطف على قوله: ﴿وَأَقْبِسُوا﴾ وتقديره: واتقوا يوم يقول: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾، وإما على قوله: ﴿خَلَقَ السَّمَكَاتِ وَالْأَنْزِلَ﴾ أي: أي: وخلق يوم يقول: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾. فذكر بدء الخلق وإعادته، وهذا مناسب. وإما على إضمار فعل تقديره: واذكر يوم يقول: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾.

قوله: ﴿قَوْلَهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ﴾ جلتان علمها الجبر، على أنها صفتان لرب العالمين<sup>(١)</sup>. قوله: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ الْأُصُورُ﴾ يحتمل أن يكون بدلا من قوله: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ﴾، ويحتمل أن يكون ظرفا لقوله: ﴿قَوْلَهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ﴾؛ كقوله: ﴿لَمَّا الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [طه: ١٦]، وكقوله: ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَذِيبًا﴾ [الفرقان: ٢٦]، وما أشبه ذلك.

المراد بالصُور: «القرن» الذي ينفخ فيه إسرافيل عَزَّوَجَلَّ. عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن إسرافيل قد التَّمَّ الصور وحتى جبهته، ينتظر متى يؤمر فينفخ» [رواه مسلم].

الآية (٦٩): ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي: إذا تجنبوهم فلم يجلسوا معهم في ذلك فقد برئوا من عهدتهم، وتخلصوا من إثمهم. ﴿وَلَا يَكُنْ ذِكْرًا﴾ أي: ولكن أمرناكم بالإعراض عنهم حينئذ تذكيرا لهم عما هم فيه: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ ذلك ولا يعودون إليه.

الآية (٧٠): يقول تعالى: ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لِبَاطِلًا وَعَرَتَهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ أي: دعهم وأعرض عنهم وأمهلهم قليلا؛ فإنهم صاثرون إلى عذاب عظيم؛ ولهذا قال: ﴿وَذَكِّرْ بِهِ﴾ أي: وذكر الناس بهذا القرآن، وحذرهم نعمة الله وعذابه الأليم يوم القيامة. ﴿أَنْ يُبْسَلَ نَسْلٌ يَمَا كَسَبَتْ﴾ أي: لتلا بُسْل. قال ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، والحسن: يُبْسَل: تُسَلَّم. عن ابن عباس: تفتضح. وقال الكلبي: تُجْزَى. وكل هذه العبارات متقاربة في المعنى، وحاصلها: الإسلام لله، والخس عن الخير، والارتعاب عن درك المطلوب؛ كما قال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ يَمَا كَسَبَتْ رَجِيئُهَا﴾ [٢٨] ﴿إِلَّا أَصْحَابُ الْآيَاتِ﴾ [المائدة: ٣٨-٣٩]. وقوله: ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا سَعِيَّةٌ﴾ أي: لا قريب ولا أحد يشفع فيها؛ كما قال: ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمَ لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمْ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤]. وقوله: ﴿وَإِنْ تَعَدَّى كُلُّ عَدَلٍ لَا يُوَعِّدُ مِنْهَا﴾ أي: ولو بدلت كل مبدول ما قبل منها؛ كما قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَكَرُوا وَمَكَّارٌ فَلَنْ يَكْفَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ نِيلٌ إِلَّا الْأَرْضُ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَخَرُوا فِيهِ أَوْلَتْكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ [آل عمران: ٩١]، وهكذا قال ههنا: ﴿أَوْلَتْكَ الَّذِينَ أُتْسِلُوا يَمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ يَمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾.

الآية (٧١-٧٣): [سبب النزول]: قال السدي: قال المشركون للمسلمين: اتبعوا سبيلنا، واتركوا دين محمد، فأذن الله عز وجل: ﴿قُلْ أَدْعُوا إِلَى دِينِ اللَّهِ لَا يَفْعَلُونَ وَلَا يَفْعَلُونَ وَلَا يَفْعَلُونَ وَلَا يَفْعَلُونَ﴾ أي: في الكفر ﴿بَعْدَ ذَلِكَ هَذَا اللَّهُ﴾ فيكون مثلنا مثل الذي ﴿اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ﴾ يقول: مثلكم إن كفرتم بعد الإيمان كمثل رجل كان مع قوم على الطريق، فضل الطريق، فحيرته الشياطين، واستهوته في الأرض، وأصحابه على الطريق، فجعلوا يدعونه إليهم يقولون: اتنا فلانا على الطريق، فأبى أن يأتيهم. فذلك مثل من يتبعهم بعد المعرفة بمحمد ﷺ، ومحمد الذي يدعو إلى الطريق، والطريق هو الإسلام. قال قتادة: ﴿اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ﴾ أضلته في الأرض، يعني: استهوته: [سببته]، مثل قوله: ﴿تَبَوَّءُوا لِنَفْسِهِمْ﴾ [إبراهيم: ٣٧]. وقال ابن عباس: هذا مثل ضرب به الله للألهة ومن يدعو إليها، والدعاة الذين يدعون إلى الله عز وجل؛ كمثل رجل ضلَّ عن طريق تائه ضالًّا إذ ناداه مناد: يا فلان بن فلان، هلم إلى الطريق، وله أصحاب يدعونه: يا فلان، هلم إلى الطريق، فإن اتبع الداعي الأول، انطلق به حتى يلقى في الهلكة، وإن أجاب من يدعو إلى الهدى اهتدى إلى الطريق. وهذه الداعية التي تدعو في البرية من الغيلان؛

(١) يقصد بقوله: (صفتان لرب العالمين) أي صفتان لقوله تعالى: ﴿لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الواردة في الآية ٧١. وللمفسرين في إعراب هاتين الجملتين أقوال كثيرة غير ما ذكر هنا.



## ● الوقفات التدبرية

﴿ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ جُنَاحِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذَكَرُوا لَهُمْ قُرْآنًا مِمَّا يَتَذَكَّرُونَ ﴾  
 وفي هذا دليل على أنه ينبغي أن يستعمل المذكر من الكلام ما يكون أقرب إلى حصول مقصود التقوى. السعدي: ٢٦١.

السؤال: ما الهدف الذي يجب أن يجعله الداعية أمامه حال تذكره للناس؟  
 ﴿ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لِبَآءٍ وَلَهُمْ وَعَزَّيْنَهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾  
 أي: لا تعلق قلبك بهم؛ فإنهم أهل تعنت إن كنت مأمورا بوعظهم ... ومعنى (لباء ولهم) أي: استهزاء بالدين الذي دعوتهم إليه، وقيل: استهزؤا بالدين الذي هم عليه؛ فلم يعملوا به، والاستهزاء ليس مسوغا في دين. القرطبي: ٤٢٣/٨.

السؤال: كيف يكون اتخاذ دين الله تعالى لهواً ولعباً؟  
 ﴿ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لِبَآءٍ وَلَهُمْ وَعَزَّيْنَهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾  
 وذكر الحياة هنا له موقع عظيم؛ وهو أن مهمهم من هذه الدنيا هو الحياة فيها؛ لا ما يتكسب فيها من الخيرات التي تكون بها سعادة الحياة في الآخرة؛ أي: غرتهم الحياة الدنيا فاوهمتهم أن لا حياة بعدها. ابن عاشور: ٢٩٦/٧.  
 السؤال: ما الفائدة ذكر الحياة في الآية الكريمة؟

﴿ وَذَكَرُوا لَهُمْ قُرْآنًا مِمَّا يَتَذَكَّرُونَ ﴾  
 أي: ذكر بالقرآن ما ينفع العباد أمراً وتفصيلاً، وتحسيناً له بذكر ما فيه من أوصاف الحسن، وما يضر العباد نهياً عنه، وتفصيلاً لأنواعه. السعدي: ٢٦١.  
 السؤال: ما الطريقة المثلى لاستعمال القرآن في الدعوة، وتذكير الناس؟  
 ﴿ وَذَكَرُوا لَهُمْ قُرْآنًا مِمَّا يَتَذَكَّرُونَ ﴾  
 أي: تحتبس عما فيه نجاتها في الدنيا والآخرة؛ فإن المعاصي قيد لصاحبها وحبس له؛ ومانع له من الجولان في فضاء التوحيد، وحائل بينه وبين أن يجني من ثمار الأعمال الصالحة؛ فهو محبوس ها هنا، وهناك في الآخرة. ابن تيمية: ٣٣/٣.

السؤال: المعاصي قيد لصاحبها، وضع ذلك من خلال الآية الكريمة.  
 ﴿ قُلْ أَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَلَا يَعْزِمُنَا عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ اللَّهِ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانٌ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَىٰ الْهُدَىٰ أُنْتَنَا ﴾  
 فمن الناس من يكون مع داعي الهدى في أموره كلها أو أغلبها، ومنهم من بالعكس من ذلك، ومنهم من يتساوى لديه الداعيان، ويتعارض عنده الجاذبان، وفي هذا الموضع تعرف أهل السعادة من أهل الشقاوة. السعدي: ٢٦١-٢٦٢.

السؤال: ما أنواع الناس أمام داعي الهدى؟ و من أيها ترجو أن تكون؟  
 ﴿ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانٌ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَىٰ الْهُدَىٰ أُنْتَنَا ﴾  
 (له أصحاب)؛ وهم رفقة يدعونه إلى الهدى، أي: إلى أن يهتدوا إلى الطريق، يقولون له: اتنا، وهو قد تاه وبعد عنهم فلا يجيبهم، وهذا كله تمثيل لمن ضل في الدين عن الهدى، وهو يدعى إلى الإسلام فلا يجيب. ابن جزي: ٢٧٥/١.

السؤال: من خلال هذه الآية وضع من الحيران؟

وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ جُنَاحِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذَكَرُوا لَهُمْ قُرْآنًا مِمَّا يَتَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لِبَآءٍ وَلَهُمْ وَعَزَّيْنَهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَرُوا لَهُمْ قُرْآنًا مِمَّا يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢﴾ تَبَسَّلُ نَفْسٌ مِمَّا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلُّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ اللَّهِ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانٌ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَىٰ الْهُدَىٰ أُنْتَنَا قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأَمَّا الْبُشَيْرُ لِزَيْتِ الْمُسْلِمِينَ ﴿٤﴾ وَأَنَّ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٥﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُنْ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ عَلَيْهِ الْقَبِيبُ وَالشَّهَادَةُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٦﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
تَبَسَّلُ	تُرْقَنَ، وَتُحْبَسَ.
تَعْدِلْ	تَقْبَلْ.
أُبْسِلُوا	ارْتُقِنُوا بِذُنُوبِهِمْ.
حَمِيمٍ	مَاءٌ بَالِغُ الْحَرَارَةِ.
اسْتَهْوَتْهُ	هَوَتْ بِهِ؛ فَاضْلَتُهُ.
الصُّورُ	الْقُرْبُ الَّذِي يَنْفَعُ فِيهِ إِسْرَافِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

## ● العمل بالآيات

١. حدد مجلس لهو تعودت عليه، واستبدل به مجلساً مفيداً، ﴿ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لِبَآءٍ وَلَهُمْ وَعَزَّيْنَهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾.
٢. أرسل هذه الآية إلى بعض الذين يدعون الأموات، ﴿ قُلْ أَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَلَا يَعْزِمُنَا عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ اللَّهِ هَدَانَا اللَّهُ ﴾.
٣. استعد بالله تعالى أن يستهويك الشيطان فيضلك عن سبيله، واسأل الله الثبات على دينه حتى تلقاه، ﴿ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانٌ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَىٰ الْهُدَىٰ أُنْتَنَا ﴾.

## ● التوجيهات

١. إذا قام الإنسان بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم اعرض عن أصحاب المعاصي والكبائر وما يخوضون فيه؛ فلا إثم عليه، ﴿ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ جُنَاحِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ﴾.
٢. احذر أن تجعل الدين مجالاً للطرائف واللهو واللعب؛ فشان الدين عند الله عظيم، ﴿ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لِبَآءٍ وَلَهُمْ ﴾.
٣. من انفع الوسائل في الدعوة إلى الله؛ الحديث عن القرآن وآياته، ﴿ وَذَكَرُوا لَهُمْ قُرْآنًا مِمَّا يَتَذَكَّرُونَ ﴾ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ.



## ● الوقفات التدبيرية

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ۖ أَرَزَّرْتَنِيْ أَصْنَامًا ۖ إِلَٰهَةٌ إِنِّيْ أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلٰلٍ مُّبِيْنٍ ۝۱۰ ﴾

وليس في ذلك ما ينافي البرور به؛ لأن المجاهرة بالحق دون سب ولا اعتداء لا ينافي البرور. ابن عاشور: ٣١٤/٧.

السؤال: هل في أسلوب إبراهيم -عليه السلام- الوارد في الآية ما ينلّي البر بالوالدين؟ وضع ذلك.

﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴾

ذلك أن أصل العبادة هي المحبة، وأن الشرك فيها أصل الشرك؛ كما ذكره الله في قصة إمام الحنفاء إبراهيم الخليل؛ حيث قال: (فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الأفلين). ابن تيمية: ٣٤/٣.

السؤال: المحبة أصل في العبادة، جعلها الجهلة أصلاً في الشرك، بين ذلك من الآية الكريمة.

﴿ قَالَ هَذَا رَبِّي ﴾ ١

أي: على وجه التَّزَلُّلِ مع الخصم؛ أي: هذا ربي، فهُلُمْ نُنظِرْ هَلْ يَسْتَحِقُّ الرِّبِّيَّةُ؟ وهل يقوم لنا دليلٌ على ذلك؟ فإنه لا ينبغي لعاقِلٍ أن يتخذ إلهه هواه بغير حجةٍ ولا برهان. السعدي: ٢٦٢.

**السؤال: ما وجه وصف إبراهيم الكوكب بأنه ربّه؟**

﴿ فَلَمَّا أَفْلَحَ قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ ﴾

أي: الذي يغيب ويختفي عَنْ عبيده؛ فإن المعبود لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ قَائِمًا بمصالح من عبده، وَدُنْبَرُ لَهُ فِي جميع شُؤونه، فأما الذي يمضي وَقْتُ كثيرٍ وهو غَائِبٌ فَمِنْ أَيْنَ يَسْتَحِقُّ العبادة؟ وهل اتَّخَذَهُ إِلَهًا إِلَّا مَنْ أَسَفَهُ السُّفَهَاءُ، وأبطل الباطل؟ السعدي: ٣٦٧.

**السؤال: لماذا لا يستحق العبادة من كان يأفل ويغيب عن معبوده؟**

﴿ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴾

الأنبياء لم يزلوا يسألون الله تعالى الثبات على الإيمان، وكان إبراهيم يقول: (واجنبنى وبني أن نعبد الأصنام) [إبراهيم: ٣٥]. البغوي: ٤١/٢.

السؤال: بين ما يدل على حرص الأنبياء -عليهم السلام- على الثبات على الدين.

﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾

إني وجهت وجهي في عبادتي إلى الذي خلق السماوات والأرض، الدائم الذي يبقى ولا يفنى، ويحيي ويميت، لا إلى الذي يفنى ولا يبقى، ويزول ولا يدوم، ولا يضرب ولا ينضم. الطبري: ٤٨٧/١١.

**السؤال: ما أسباب وجوب عبادة الله وعدم عبادة غيره؟**

﴿ وَكَفَىٰ خَافَ مَا أَدْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُوا أَنتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ عَالَمٌ قُلْ أَفَأَمَّا الْفِرْعَوْنِيُّونَ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْاِئْتِمَارُ وَعُهُمْ مُتَبَدِّلُونَ ﴾

اي كيف اخاف امواتا وانتم لا تخافون الله القادر على كل شيء... (فأى  
الضريقتين احق بالأمن) اي: من عذاب الله: الموحد أم المشرِك؟ فقال الله قاضيا  
بينهم: (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) اي بشرِك. القرطبي: ٤٤٤/٨.

السؤال: من الجهل أن تخاف من الأموات اكثر من الله، وضع ذلك من الآيات.

\* وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِءَ إِزْأَرْ أَتَتَّخِذُ مَاءَ الْهَيْهَةِ إِنِّي  
 أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٥٠﴾ وَكَذَلِكَ نَرَىٰ إِبْرَاهِيمَ  
 لَمَّا كَوَّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَيْكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾  
 فَلَمَّا حَضَرَ عَلَيْهِ الْإِلَهَ أَكْبَرًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ  
 قَالَ لَا أَحِبُّ الْآلِهِينَ ﴿٥٢﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا  
 رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْسَ إِلَهِي بَرِيءٌ لَّأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ  
 الضَّالِّينَ ﴿٥٣﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا  
 أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْسَ يَقُومُ لِي بَرِيءٌ وَمِمَّا تَشْكُرُونَ ﴿٥٤﴾  
 إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ  
 حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٥٥﴾ وَحَاجَّجَهُ وَقَوْمُهُ قَالَ  
 اتَّخَذُوا فِي اللَّهِ وَقَةً هَدًىً وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ ﴿٥٦﴾  
 إِلَّا لَأَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا  
 تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُ مِمَّنْ وَلَا تَخَافُونَ  
 أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ  
 فَاقْبَلُوا الْقُرْآنَ مِنِّي أَحَقُّ بِالْأَعْيُنِ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٥٨﴾

## معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
جَنَّ	أَظْلَمَ.
الْأَهْلِيَيْنِ	الْعَائِلِيَيْنِ.
أَهْلٌ	عَابٍ.
حَنِيفًا	مَائِلًا عَنِ الشَّرِكِ إِلَى التَّوْحِيدِ.

## العمل بالآيات

١. انكر منكراً ولو كان ذلك لأقرب قريب- وقدم النصح له؛ ولكن بأسلوب حكيم يرغبه في الاستجابة، ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرَأَيْتُ أَصْنَأُ مَا عَالِهَةً﴾<sup>١</sup> ٱنْكِرْ أَشْأَكَ وَوَعْمَلْكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝

٢. سَلِ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾.

۳. ارسل رسالۃ تناصح فيها عباد القبور وتذكّرهم بهذه الآية العظيمة:

﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

## التوجيهات

١. تفضل الله بالهداية على من يشاء، ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾.

٢٠. الحرص على بلوغ رتبة اليقين، وأنه من أشرف المراتب وأعزها، ومن أسباب الوصول إليها التفكير والنظر في الآيات، ﴿وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَكُوتِ وَالْأَرْضِ وَلَيَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

۳. اکثر الناس فرعاً وخوفاً هم أهل الشرك، وأكثرهم أمناً هم أهل الإخلاص، ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمُ بِاللَّهِ﴾ مَالَهُ يَزِيلُ بِهِ. عَلَيْكُمْ سُلْطَانُ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿

بريء من عبادتهن وموالاهن، فإن كانت آلهة، فكيدوني بها جميعاً ثم لا تظنرون، ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ أي: إنا أعبد خالق هذه الأشياء ومخترعها ومسخرها ومقدرها ومُبرِّها، الذي بيده ملكوت كل شيء، وخالق كل شيء وربّه ومليكه وإلهه؛ كما قال تعالى: ﴿يَفْشَى الْيَلَّ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حِينًا وَاللَّيْلُ وَالْقَمَرُ وَالشُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]. وكيف يجوز أن يكون إبراهيم الخليل ناظرًا في هذا المقام؟! وهو الذي قال الله في حقه: ﴿وَلَقَدْ مَنَّا إِلَىٰ إِبرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِينَ﴾ (٨١) إذ قال لأبيه وقومه: مَا هَذِهِ الْأَتِّالُ إِنِّي أَنْتَهُمَا عَنكَوْنَ ﴿الآيات: ٥١-٥٢﴾، وقال تعالى: ﴿إِنِّي إِبرَاهِيمَ كَانَتْ أُمَّةً حَنِيفًا لَّا يَزِيغُهُ فِرْيَافُكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٥١) شاكراً لأنعمه أجبتُهُ وَهَدَنُهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [النحل: ١٢٠-١٢١].

وقد ثبت عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «كل مولود يولد على الفطرة» [متفق عليه]، وعن عياض بن حمار: أن رسول الله ﷺ قال: «قال الله: إني خلقت عبادي حنفاء» [رواه مسلم]، فإذا كان هذا في حق سائر الخلق، فكيف يكون إبراهيم الخليل -الذي جعله الله أُمَّةً حَنِيفًا لَّا يَزِيغُهُ فِرْيَافُكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠] - ناظرًا في هذا المقام؟! بل هو أولى الناس بالفطرة السليمة، والسجدة المستقيمة بعد رسول الله ﷺ بلا شك ولا ريب. وما يؤيد أنه كان في هذا المقام ناظرًا لقومه -فيا كانوا فيه من الشرك- لا ناظرًا، قوله تعالى: ﴿وَعَاجِلَ قَوْمِهِ﴾ [الآيات].

الآية (٨٠-٨١): وجادله قومه فبما دَعَبَ إِلَيْهِ مِنَ التَّوْحِيدِ، وناظره بشبه من القول، ﴿قَالَ أَتَعْجَبُونَ فِي اللَّهِ وَقَدَّ هَدَنِي﴾ أي: أتجادلونني في أمر الله وأنه لا إله إلا هو؟! وقد بَصَّرَنِي وَهَدَانِي إِلَى الْحَقِّ وَأَنَا عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ، فكيف أَلْتَفِتُ إِلَى أَقْوَالِكُمُ الْفَاسِدَةِ وَشَبْهِكُمْ الْبَاطِلَةِ؟! وقوله: ﴿وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِوَءَالَا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾ أي: ومن الدليل على بطلان قولكم فبما ذهبتُم إِلَيْهِ أَنْ هَذِهِ الْأَلْهَةُ الَّتِي تَعْبُدُونَهَا لَا تُؤَثِّرُ شَيْئًا، وَأَنَا لَا أَخَافُهَا وَلَا أَبْهَالُهَا، فَإِنْ كَانَ لَهَا صِنْعٌ، فَكِيدُونِي بِهَا وَلَا تُنْظِرُونِي، بل عاجلونني بذلك.

وقوله: ﴿وَلَا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾ استثناء منقطع. أي لا يضُرُّ ولا ينفع إلا الله عز وجل. ﴿وَيَسِّرْ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عَليَّ﴾ أي: أحاط علمه بجميع الأشياء، فلا تخفى عليه خافية. ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ أي: فبما يَبْتَسُّ لَكُمْ فَتَعْبُرُونَ أَنَّ هَذِهِ الْأَلْهَةَ بَاطِلَةٌ، فَتُزْجَرُوا عَنْ عِبَادَتِهَا؟! وقوله: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ﴾ أي: كيف أخاف من هذه الأصنام التي تعبدون من دون الله ﴿وَلَا تَخَافُوتُمْ أَتْكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا﴾ قال ابن عباس وغير واحد من السلف: أي: حجة. وهذا كما قال تعالى: ﴿أَمْ لَكُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الْآلِهَةِ مَا لَمْ يَأْذُنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [النورى: ٢١]، وقوله: ﴿فَأَنَّى الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: فأي الطائفتين أَصَوَّبُ؟! الذي عَدَّتْ مِنْ بَيْدِهِ الضَّرَّ وَالنَّفْعَ، أَوِ الَّذِي عَبْدَ مِنْ لَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ

بلا دليل؟ أيهما أَحَقُّ بِالْأَمْنِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟

الآية (٧٤-٧٩): عن ابن عباس: إن أبا إبراهيم لم يكن اسمه آرر، إنما كان اسمه تارح. وهكذا قال غير واحد من علماء النسب: إن اسمه تارح. وقال مجاهد والسدي: آرر: اسم صنم؛ كأنه غلب عليه آرر لخدمته ذلك الصنم، [و] قال ابن جرير: والصواب أن اسم أبيه آرر. [و] قد يكون له اسمان، كما لكثير من الناس، أو يكون أحدهما لقبًا. وهذا الذي قاله جيد قوي، والله أعلم.

والمقصود أن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وَعَظَّ أَبَاهُ فِي عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ، وَزَجَّزَهُ عَنْهَا، وَنَهَاهُ فَلَمْ يَنْتَوِ. ﴿وَإِذْ قَالَ إِبرَاهِيمُ لِأَبِيهِ مَا ذَرَأْتُمْ هَٰؤُلَاءِ ضَرَفًا مِّنْ آلِهَةٍ أَوْ مَثَلًا لِّصْنَمٍ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، ﴿إِنِّي أَنَا نَبِيُّكَ﴾ أي: السالكين مسلكك ﴿فِي سَلَاطِينٍ﴾ أي: تائهين لا يهتدون أين تسلكون، بل في حيرة وجهل، وأمركم في الجهالة والضلال بين واضح لكل ذي عقل صحيح. ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرَىٰ إِبرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، أي: نبَّيْنُ لَهُ وَجْهَ الدَّلَالَةِ فِي نَظَرِهِ إِلَى خَلْقِهَا عَلَى وَحْدَانَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي مَلِكِهِ وَخَلْقِهِ، وَأَنَّهُ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ وَلَا رَبَّ سِوَاهُ؛ كَقَوْلِهِ: ﴿فَلْيَ أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [يونس: ١٠١]. وقوله: ﴿وَلْيَذَكِّرُوا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قيل: «الواو» زائدة؛ تقديره: وكذلك تُرَىٰ إبراهيم ملكوت السموات والأرض ليكون من المؤمنين، وقيل: بل هي على بابها، أي: تُرَىٰ ذلك ليكون عالمًا وموقنًا. وقوله: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ﴾ أي: تغشاه وسره ﴿وَرَأَىٰ كَوْكَبًا﴾ أي: نجمًا، ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّيَ فَلَمَّا أَفَلَ﴾ أي: غاب. قال محمد بن إسحاق بن يسار: «الأقول» الذهاب. وقال ابن جرير: يقال: أَفَلَ النجم بأفَلَ ويأفَل أَفُولًا وَأَفَلًا: إذا غاب. ﴿قَالَ لَا أَحِبُّ الْأَفْلَاقَ﴾ قال قتادة: علم أن ربه دائم لا يزول، ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا﴾ أي: طالعًا. ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّيَ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْتَ أَنِّي نَبِيٌّ لِّرَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ (٧٦) ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا﴾ قَالَ هَٰذَا رَبِّي ﴿أَي: هذا النبر الطالع ربي، هَٰذَا أَكْبَرُ﴾ أي: جُرمًا من النجم ومن القمر، وأكثر إضاءة، ﴿فَلَمَّا أَفَلَتْ﴾ أي: غابت، ﴿قَالَ يَتَوَقَّعُ مِنِّي رَبِّي مِمَّا أَشْرَكُونَ﴾ (٧٧) ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ أي: خلقهما وابتدعهما على غير مثال سبق ﴿حَنِيفًا﴾ أي: في حال كوني حنيفًا، أي: مائلًا عن الشرك إلى التوحيد؛ ولهذا قال: ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

وقد اختلف المفسرون في هذا المقام، هل هو مقام نظر أو مناظرة؟ والحق: أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام كان في هذا المقام مُنَاطِرًا لقومه، مبيِّنًا لهم بطلان ما كانوا عليه من عبادة الهياكل والأصنام، فبيَّن في المقام الأول مع أبيه خطاهم في عبادة الأصنام الأرضية، وبيَّن في هذا المقام خطاهم وضلالهم في عبادة الهياكل، وهي الكواكب السيارة، وأشدهنَّ إضاءةً وأشرَقُنَّ عندهم: الشمس، ثم القمر، ثم الزهرة. فبيَّن أن هذه لا تصلح للإلهية؛ لأنها مسخَّرة مقدرة بسر معين. فلما انتفت الإلهية عن هذه الأجرام الثلاثة التي هي أئور ما تقع عليه الأبصار، وتحقَّق ذلك بالدليل القاطع ﴿قَالَ يَتَوَقَّعُ مِنِّي رَبِّي مِمَّا أَشْرَكُونَ﴾ أي: أنا

(١) يقصد بالإضافة إزالة التنوين من كلمة (درجات) وإضافتها للاسم الموصول (مَنْ) فنقرأ: تَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ).



١. تحقيق التوحيد الخالص لله سبحانه وتعالى أمان من كل خوف في الدنيا والأخرة، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾.

٢. خير ما يعطى المرء في هذه الحياة: الهداية إلى الصراط المستقيم، ﴿وَرَبَّانِي وَسِّدْ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ أَخْرَسٍ وَأَصْغَرَ﴾ وهديتهم إلى صراط مستقيم.

٣. الأنبياء لو حصل منهم الشرك لبطلت أعمالهم؛ فكيف بمن هو دونهم، ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبَّطَ اللَّهُ عَنْهُمْ آمَالَهُمْ كَمَا حَبَّطُوا أَفْعَالَهُمْ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِثْرَ مَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ جَعَلُوهُ لِقَابِيسٍ مُّذَوَّبَةً نُحْفُونَ كَثِيرًا وَعِثْمَنَ مَا لَهُ تَعَامُلًا أَنَّهُ وَلَا آبَاءَ وَكُفَّ اللَّهُ تَرَدُّدَهُمْ فِي حَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ١٠٠ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ١٠١ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ ١٠٢ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ١٠٣ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرْدًا كَمَا خَلَقْتُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْتُمْ وِرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ١٠٤ ١٣٩

(وما قدروا الله حق قدره اي: ما عرفوه حق معرفته في اللطف بعباده والرحمة لهم: إذ أنكروا بعنه للرسول، وإنزاله للكتب. والقائلون هم اليهود: بدليل ما بعده، وإنما قالوا ذلك مباغته في إنكار نبوة محمد ﷺ. ابن جزي: ٢٧٨/١.

السؤال: ما علامة تقدير الله - عز وجل - حق قدره؟

﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ١٠٠ ﴾

قال ابن عباس في رواية الوالي عنه: «هذه في الكفار، فاما من آمن ان الله على كل شيء قدير فقد قدر الله حق قدره». ابن تيمية: ٥٣/٣.

السؤال: من الذي يقدر الله حق قدره؟

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ ١٠٢ ﴾ ومن هذا النمط من اعرض عن الفقه والسنن وما كان عليه السلف من السنن: فيقول: وقع في خاطري كذا، أو أخبرني قلبي بكذا، فيحكمون بما يقع في قلوبهم ويقلب عليهم من خواطرهم ... فيستفتون بها عن احكام الشرائع الكليات، ويقولون: هذه الاحكام الشرعية العامة إنما يحكم بها على الأغبياء والعامة، وأما الأولياء وأهل الخصوص فلا يحتاجون لتلك الخصوص. القرطبي: ٤٥٨/٨.

السؤال: هل يدخل في الكذب على الله تعالى اعتبار الخواطر القلبية والروى المنامية مصدرًا من مصادر التشريع؟

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ ١٠٢ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ١٠٣ ﴾

إنما كان هذا اظلم الخلق لأن فيه من الكذب، وتغيير الأديان - اصولها وفروعها - ونسبته ذلك إلى الله، ما هو من أكبر المفساد. السعدي: ٢٦٥.

السؤال: لماذا كان المفتري على الله كذبًا من اظلم الخلق؟

﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيَهُمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ١٠٣ ﴾

(والملائكة باسطوا أيديهم: بالحداب والضرب: يضربون وجوههم وأدبارهم، وقيل: يقبض الأرواح. (أخرجوا) أي: يقولون: أخرجوا (أنفسكم) أي: أرواحكم كرها: لأن نفس المؤمن تنشط لقاء ربه، ونفس الكافر تكره ذلك. والجواب محذوف: يعني: لو تراه في هذه الحال لرأيت عجبًا. البهوي: ٤٧/٢.

السؤال: ما الفرق بين خروج روح المؤمن وخروج روح الكافر عند الموت؟

﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرْدًا كَمَا خَلَقْتُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْتُمْ وِرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ ١٠٤ ﴾ والمعنى: جئتمونا واحداً واحداً؛ كل واحد منكم منفرداً بلا أهل، ولا مال، ولا ولد، ولا ناصر ممن كان يصاحبكم في الغي. القرطبي: ٤٦١/٨.

السؤال: لماذا اعتبرت أموال الإنسان وأهله وأولاده من زينة الدنيا الفانية؟

﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرْدًا كَمَا خَلَقْتُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْتُمْ وِرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ ١٠٤ ﴾ الجميع عبيد لله، والله مالكمهم والمستحق لعبادتهم، فشرعهم في العبادة وصرهها لبعض العبيد تنزيل لهم منزلة الخالق المالك، فيؤبىون يوم القيامة. السعدي: ٢٦٥.

السؤال: من خلال الآية: بين حسرة من يعبدون الصالحين يوم القيامة وندامتهم.

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
حَوْضِهِمْ	خديبتهم الباطل.
غَمَرَاتٍ	أهوال.
خَوَّلْتُمْ	ملأناكم من منافع الدنيا.
تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ	زال تواصلكم.

## ● العمل بالآيات

١. تذكر ثلاث بركات للقرآن الكريم عليك أو على الأمة، ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾.
٢. اذهب اليوم إلى الصلوات في أول وقتها، وأدها باركانها وضروطها، كما أمرك الله تعالى، ﴿ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾.
٣. اجلس مع نفسك جلست محاسبة ومعاتب، تقارن فيها بين حسناتك الكبيرة وسيئاتك الكبيرة فيما مضى من عمرك، وتذكر فيها يوم العرض على الله، ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرْدًا كَمَا خَلَقْتُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْتُمْ وِرَاءَ ظُهُورِكُمْ ﴾.

## ● التوجيهات

١. تأمل في حلم الله تعالى على عباده؛ حيث يسمع الأذى منهم، وتكذيب رسله وأوليائه، ومع هذا لا يعاجلهم بعقوبته؛ لعلهم يؤمنوا ويرجعوا، ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِثْرَ مَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ جَعَلُوهُ لِقَابِيسٍ مُّذَوَّبَةً نُحْفُونَ كَثِيرًا وَعِثْمَنَ مَا لَهُ تَعَامُلًا أَنَّهُ وَلَا آبَاءَ وَكُفَّ اللَّهُ تَرَدُّدَهُمْ فِي حَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ١٠٠ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ١٠١ ﴾.
٢. اقبل على كتاب الله تعالى متدبراً متعظاً بما فيه، حتى تنال من برسته وخيره، ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾.
٣. كل ما جمعه في هذه الدنيا سيفني ويذهب، ثم تذهب أنت فرداً بين يدي الله تعالى، ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرْدًا كَمَا خَلَقْتُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْتُمْ وِرَاءَ ظُهُورِكُمْ ﴾.

شريكاً أو ولدًا، أو ادعى أن الله أرسله إلى الناس ولم يكن أرسله؛ ولهذا قال تعالى: ﴿أَوْ قَالَ أَرَأَيْتُ إِنْ كُنْتُ نَذِيرًا لِّأَيُّكُمْ شَيْءٌ﴾ قال عكرمة وقتادة: نزلت في مسيلمة الكذاب. ﴿وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ يعني: ومن ادعى أنه يعارض ما جاء من عند الله من الوحي مما يفتره من القول، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ﴾ أي: في سكراته وغمراته وكُرْبَاتِهِ، ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ﴾ أي: بالضرب. قال الضحاك، وأبو صالح: ﴿بَاسِطُوا أَيْدِيَهُمْ﴾ أي: بالعذاب. وكما قال: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ يَتَوَقَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةَ يَتَرَقَّبُونَ وَجُوهُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ﴾ [الأنعام: ٥٠]؛ ولهذا قال: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيَهُمْ﴾ أي: بالضرب لهم حتى تخرج أنفسهم من أجسادهم؛ ولهذا يقولون لهم: ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ﴾؛ وذلك أن الكافر إذا احتضر بشرته الملائكة بالعذاب والنكال، والأغلال والسلاسل، والجحيم والحميم، فتفترق روحه في جسده، وتعصي وتأبى الخروج، فنضربهم الملائكة حتى تخرج أرواحهم من أجسادهم، قائلين لهم: ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُخْرَجُونَ عَذَابَ الْهَيْمَنِ بِمَا كُنْتُمْ قَوْلُونَ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ﴾ أي: اليوم تُهانون غاية الإهانة، كما كنتم تكذبون على الله، وتستكبرون عن اتباع آياته، والانقياد لرسوله.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا نُوحًا إِذْ دَخَلَ كَنَّا خَلْقَتَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أي: يقال لهم يوم معادهم هذا؛ كما قال: ﴿وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جَعَلْنَاكُمْ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الكهف: ٤٨]؛ أي: كما بدأناكم أعذناكم، وقد كنتم تنكرون ذلك وتستبعدونه، فهذا يوم البعث. وقوله: ﴿وَوَكَّلْنَا مَا خَوَّلْنَاكُمْ﴾ أي: من النعم والأموال التي اقتنيتوها في الدار الدنيا ﴿وَوَكَّلْنَا ظُهُورَكُمْ﴾ وثبت أن رسول الله ﷺ قال: يقول ابن آدم: مالي مالي! وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأضيت، وما سوى ذلك فذهب وتاركه للناس [رواه مسلم].

﴿وَمَا تَرَى مِنْكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ﴾ نقرع لهم وتوبيخ على ما كانوا اتخذوا في الدنيا من الأنداد والأصنام والأوثان، ظانين أن تلك تنفعهم في معاشهم ومعادهم إن كان ثم معاد، فإذا كان يوم القيامة قطعت الأسباب، وانزاح الضلال، وضل عنهم ما كانوا يفترون، ويناديهم الرب جلَّ جلاله على رموس الخلائق: ﴿أَيْنَ شُرَكَاءُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ زَعَمُوهُمْ﴾ [القصص: ٢٤]، ﴿وَقِيلَ لَهُمْ إِنَّمَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ من دون الله هل يصرونكم أو ينصرونكم؟ [النمر: ٩٢-٩٣]؛ ولهذا قال ههنا: ﴿وَمَا تَرَى مِنْكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ﴾ أي: في العبادة، لهم فيكم قسط في استحقاق العبادة لهم. ثم قال تعالى: ﴿لَقَدْ نَقَطَ بَيْنَكُمْ﴾ قرأ بالرفع، أي: شملكم، وقرئ بالنصب، أي: لقد انقطع ما بينكم من الوضلات والأسباب والوسائل، ﴿وَضَلَّ عَنْكُمْ﴾ أي: ذهب عنكم ﴿مَا كُنْتُمْ زَعُمُونَ﴾ من رجاء الأصنام؛ كما قال: ﴿وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمُ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ الآية [القصص: ٢٤]، وقال: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جِجَاءً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّمَا شُرَكَاءُكُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ زَعُمُونَ﴾ [الأنعام: ٢٢]، والآيات في هذا كثيرة جدًا.

الآية (٩١-٩٢): يقول تعالى: وما عظموا الله حق عظمته، إذ كذبوا رسله إليهم، قال ابن عباس، ومجاهد: نزلت في قريش. واختاره ابن جرير. ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾، قال الله تعالى: ﴿قُلْ﴾ يا محمد هؤلاء المنكرين للإنزال شيء من الكتب من عند الله، في جواب سلبيهم العام بإثبات قضية جزئية موجبة: ﴿مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى﴾ يعني: التوراة التي قد علمتم - وكل أحد - أن الله قد أنزلها على موسى بن عمران عليه السلام ﴿وَوَهَّابِ الْبَاسِ﴾ أي: ليستضاء بها في كشف المشكلات، ويُنشئ بها من ظلم الشبهات.

وقوله: ﴿يَجْمَلُونَهُ قَرَاتِيسَ﴾ أي: يجعلونها حتملتها قراتيس، أي: قطعاً يكتبونها من الكتاب الأصلي الذي بأيديهم ويعرفون فيها ما يحرفون ويبدلون ويتأولون، ويقولون: هذا من عند الله، أي: في كتابه المنزل، وما هو من عند الله؛ ولهذا قال: ﴿يُجَدِّدُونَ وَيُحْمِلُونَ كَثِيرًا﴾. وقوله: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مَا لَمْ تَلَّمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ﴾ أي: ومن أنزل القرآن الذي علمكم الله فيه من خبر ما سبق، ونبا ما يأتي ما لم تكونوا تعلمون ذلك أنتم ولا آباؤكم. قال قتادة: هؤلاء مشركو العرب. وقال مجاهد: هذه للمسلمين. وقوله: ﴿قُلْ اللَّهُ﴾ قال ابن عباس: أي: قل: الله أنزله. وهذا الذي قاله ابن عباس هو المعنى في تفسير هذه الكلمة لا ما قاله بعض المتأخرين من أن معنى ﴿قُلْ اللَّهُ﴾ أي: لا يكون خطاب لهم إلا هذه الكلمة، كلمة: «الله».

وهذا الذي قاله هذا القائل يكون أمراً بكلمة مفردة من غير تركيب، والإتيان بكلمة مفردة لا يفيد في لغة العرب فائدة يحسن السكوت عليها. ﴿ثُمَّ دَرَجَهُمْ فِي حَوْضِهِمْ يَلْعَنُونَ﴾ أي: ثم دعهم في جهلهم وضلالهم يلعبون، حتى يأتيهم من الله البقين فسوف يعلمون: ألهم العاقبة، أم لعباد الله المتقين؟! وقوله: ﴿وَعَذَابُ كَثُوبٍ﴾ يعني: القرآن ﴿أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقٌ لِّذِي بَيْنِ بَيْنٍ وَلَنُنَزِّلَ لَكَ الْقُرْآنَ﴾ يعني: مكة ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ من أحياء العرب، ومن سائر طوائف بني آدم من عَرَبٍ وَعَجَمٍ؛ كما قال في الآية الأخرى: ﴿قُلْ يَتَّبِعُوا آتَانَا إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقال: ﴿لَا تُذِرْكُم بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١١٩]، وقال: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَآتَانَا مَوْعِدُهُ﴾ [مود: ١٧]، وقال: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، وقال: ﴿إِنَّ حَاجَتَكَ قَدْ أَسْلَمْتُ وَجَّهِي لِلَّهِ وَمَنْ آتَبَعَنِي فَقُلْ لِلَّذِينَ أُرْسُوا لِكِتَابِ الْكِتَابِ وَأَلْمِيزُوا أَنَّهُمْ قَدْ أَسْلَمُوا فَقَدْ أَهْتَدَوْا وَإِن تَوَلَّوْا فَكَيْفَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ وَاللَّهُ يَهْدِي أَيْمَانًا﴾ [آل عمران: ٢٠].

وثبت أن رسول الله ﷺ قال: «أُعْطِيتُ خَسْماً لَمْ يُعْطَ أَحَدٌ مِنَ الأنبياء قبلي» وذكر منهم: «وكان النبي يبعث إلى قومه، ويبعث إلى الناس عامة» [معن عليه]؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ أي: كل من آمن بالله واليوم الآخر آمن بهذا الكتاب المبارك الذي أنزلناه إليك يا محمد، وهو القرآن. ﴿وَهُمْ عَلَى صَلَاحٍ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ أي: يقومون بما افترض عليهم، من أداء الصلوات في أوقاتها.

الآية (٩٣-٩٤): أي: لا أحد أظلم من كذب على الله، فجعل له



الآية (٩٨-٩٩): ﴿بَيْنَ نَفْسٍ وَجَدِوْا آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.﴾ **﴿فَسَمَّرَ﴾** عن ابن مسعود، وابن عباس، ومجاهد، وقطادة، وغيرهم: أي في الأرحام. قالوا: أو أكثرهم: - **﴿وَسَمَّرَ﴾** أي: في الأصلاب. **﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُوْكَ﴾** أي: يفهمون ويَعُونُ كلام الله ومعناه. **﴿أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾** أي بَقْدَرٍ مباركاً، رزقاً للعباد وَغِيَاثاً للخلائق، رحمة من الله خلقه **﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾** كما قال: **﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾** [الأنبياء: ٣٠] **﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا﴾** أي: زرعاً وشجراً أخضر، ثم بعد ذلك يخلق فيه الحب والتمر؛ ولهذا قال: **﴿فَخَرَجَ مِنْهُ خَبًا مَرَّاكِبًا﴾** أي: يركب بعضه بعضاً، كالسنابل ونحوها. **﴿وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ﴾** أي: جمع قِنْوٍ وهي عُدُوق الرُّطَب **﴿وَدَانِيَةٌ﴾** أي: قريبة من المتناول.



## ● الوقفات التدريبية

❶ ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ اللَّيْلِ وَاللَّيْلَ يُجْرِئُ الْهَمَى مِنَ اللَّيْلِ وَنُجِّرُ اللَّيْلَ مِنَ اللَّيْلِ ذَلِكُمْ اللَّهُ فَالِقُ اللَّيْلِ﴾

عد من عجائب صنعه ما يعجز عن ادنى شيء منه ألهتهم. القرطبي: ٤٦٥/٨.

السؤال: ما الحكمة في تعداد ذكر عجائب صنع الله تعالى في الآية الكريمة؟

❷ ﴿يُجْرِئُ الْهَمَى مِنَ اللَّيْلِ وَنُجِّرُ اللَّيْلَ مِنَ اللَّيْلِ ذَلِكُمْ اللَّهُ فَالِقُ اللَّيْلِ﴾

فَبَيَّنَ تَعَالَى قُدْرَتَهُ عَلَى خَلْقِ الْأَشْيَاءِ الْمُتَضَادَّةِ الْمُخْتَلِفَةِ الدَّالَّةِ عَلَى كَمَالِ عَظَمَتِهِ. ابن كثير: ١٥٠/٢.

السؤال: على ماذا تدل قدرة الله تعالى على خلق الأشياء المتضادة؟

❸ ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾

ودلت هذه الآية ونحوها على مشروعية تعلم سائر الكواكب ومحالها، الذي يُسَمَّى علم التنسيير؛ فإنه لا تتم الهداية ولا تمكن إلا بذلك. السعدي: ٢٦٦.

السؤال: ما المشروع في علم النجوم وما المحرم من ذلك؟

❹ ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾

أي: لأهل العلم والمعرفة؛ فإنهم الذين يوجه إليهم الخطاب، ويطلب منهم الجواب، بخلاف أهل الجهل والجفاء، المعرضين عن آيات الله وعن اتعلم الذي جاءت به الرسل؛ فإن البيان لا يفيدهم شيئاً، والتفصيل لا يزيل عنهم ملتبساً، والإيضاح لا يكشف لهم مشكلاً. السعدي: ٢٦٦.

السؤال: لماذا حُصِّ أهل العلم بتفصيل الآيات دون غيرهم؟

❺ ﴿وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ﴾

وخص الدانية بالذكر؛ لأن من الغرض في الآية ذكر القدرة، والامتنان بالنعمة، والامتنان فيما يقرب متناوله أكثر. القرطبي: ٤٧٢/٨.

السؤال: لماذا خص عذوق النخل الدانية بالذكر في هذه الآية؟

❻ ﴿أَنْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْوِهِ إِذَا دَلِمَ لَكُمْ لَا تَنبِيءُ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾

نظر الاعتبار، لا نظر الإبصار المجرد عن التفكير. القرطبي: ٤٧٢/٨.

السؤال: ما النظر المأمور به في هذه الآية الكريمة؟

❼ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾

فإن المؤمنين يحملهم ما معهم من الإيمان على العمل بمقتضياته ولو أوازهم؛ التي منها التفكير في آيات الله، والاستنتاج منها ما يراد منه، وما تدل عليه عقلاً، وفطرة، وشرعاً. السعدي: ٢٦٧.

السؤال: لماذا خص المؤمنين بالإفادة من آيات الله دون غيرهم؟

❶ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ اللَّيْلِ وَاللَّيْلَ يُجْرِئُ الْهَمَى مِنَ اللَّيْلِ وَنُجِّرُ اللَّيْلَ مِنَ اللَّيْلِ ذَلِكُمْ اللَّهُ فَالِقُ اللَّيْلِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ❷ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ❸ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَوْفٍ مُسْتَوْدِعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ❹ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ أَنْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْوِهِ إِذَا دَلِمَ لَكُمْ لَا تَنبِيءُ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ❺ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ ❻ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ❷

## ● معاني الكلمات

المعنى	الكلمة
تُصَرِّفُونَ عَنِ الْحَقِّ.	تُؤَفِّكُونَ
عَذُوقٌ قَرِيبَةٌ التَّنَاولِ.	قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ
نُضْجِهِ، وَنُبْلُوغِهِ حِينَ يَبْلُغُ.	وَيَنْعِهِ
اِخْتَلَفُوا وَافْتَرَوْا لَهُ سُبْحَانَهُ.	وَخَرَقُوا

## ● العمل بالآيات

١. اذكر مثالا لحى أخرجه الله من ميت، وميت أخرجه الله من حي وتأمل قدرة الله تعالى، ﴿يُجْرِئُ الْهَمَى مِنَ اللَّيْلِ وَنُجِّرُ اللَّيْلَ مِنَ اللَّيْلِ ذَلِكُمْ اللَّهُ فَالِقُ اللَّيْلِ﴾.
٢. اقرأ عن أهمية التقويم القمري للعبادات، واجتهد في حفظ شهوره؛ حتى تتابع العبادات، ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾.
٣. نم الليلة مبكرا كما هي الفطرة والسنة، ﴿وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾.

## ● التوجيهات

١. من فتح قلبه وعقله للقرآن كان جديراً بأن يدرك مقاصد الآيات، بخلاف من أغلق قلبه وعقله دونها، ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.
٢. ما ناكل من طعام يستحق أن نتأمل في بديع صنع الله سبحانه فيه، وكيفية اختلاف طعامه وألوانه، ﴿أَنْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْوِهِ﴾.
٣. إذا سمعت قول من يفترى الكذب على الله تعالى فسبح ربك، ونزهه عما يقول الظالمون الملوحدون، ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾

(الله ربكم) أي: المألوه العبود، الذي يستحق نهاية الذل، ونهاية الحب؛ الرب الذي ربي جميع الخلق بالنعيم، وصرف عنهم صنوف النقم. السعدي: ٣٦٨.

السؤال: ما معنى كلمة (الرب)؟ وماذا يترتب على ذلك؟

﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾

وكانته تعالى على الأشياء ليست من جنس وكالة الخلق؛ فإن وكلاتهم وكالة نيابة، والوكيل فيها تابع لموكله، وأما الباري تبارك وتعالى فوكالته من نفسه لنفسه، متضمنة لكمال العلم، وحسن التدبير والإحسان فيه والعدل، فلا يمكن لأحد أن يستدرك على الله، ولا يرى في خلقه خللاً ولا فطوراً، ولا في تدبيره نقصاً وعبثاً. السعدي: ٣٦٨.

السؤال: ما الفرق بين وكالة الله على الأشياء، ووكالة الناس عليها؟

﴿لَا تُدْرِكُهُ الْبَصَرُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْبَصَرَ وَهُوَ الْغَلِيظُ الْحَكِيمُ﴾

نفى الإدراك الذي هو الإحاطة - كما قاله أكثر العلماء - ولم ينف مجرد الرؤية؛ لأن المعلوم لا يرى وليس في كونه لا يرى ملح؛ إذ لو كان كذلك لكان المعلوم ممدوحاً، وإنما الملح في كونه لا يحاط به وإن رثي؛ كما أنه لا يحاط به وإن علم؛ فكما أنه إذا علم لا يحاط به علماً، فكذلك إذا رثي لا يحاط به رؤية. ابن تيمية: ٧٨/٣-٧٩.

السؤال: كيف تستدل بالآية على إثبات رؤية الله يوم القيامة لا نفيها؟

﴿أَنْتُمْ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾

أي: لا تشغل قلبك وخاطرك بهم، بل اشتغل بعبادة الله. القرطبي: ٤٩٠/٨.

السؤال: ما الأمر الذي ينبغي أن تشغل به نفسك في هذه الحياة؟

﴿وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدُوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾

نهى سبحانه المؤمنين أن يسبوا أو ثائهم؛ لأنه علم أنهم إذا سبوا نضر الكفار، وازدادوا كفراً. القرطبي: ٤٩١/٨.

السؤال: لماذا نهى الله تعالى المؤمنين عن سب آلهة الكفار أو ثائهم؟

﴿وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدُوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾

وفي هذه الآية الكريمة دليل للقاعدة الشرعية؛ وهي: أن الوسائل تعتبر بالأمور التي توصل إليها، وأن وسائل المحرم - ولو كانت جائزة - تكون محرمة إذا كانت تقضي إلى الشر. السعدي: ٣٦٩.

السؤال: استنبط العلماء من الآية قاعدة شرعية عظيمة، فما هي؟

﴿وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدُوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾

فمتى كان الكافر في منعة، وخيف أن يسب الإسلام أو النبي ﷺ والله عز وجل؛ فلا يحل للمسلم أن يسب دينهم، ولا صلبانهم، ولا يتعرض ما يؤدي إلى ذلك، أو نحوه. ابن عطية: ٣٣٢/٢.

السؤال: متى تقتضي الحكمة عدم سب آلهة الكفار؟

ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١﴾ لَا تُدْرِكُهُ الْبَصَرُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْبَصَرَ وَهُوَ الْغَلِيظُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِظٍ ﴿٣﴾ وَكَذَلِكَ نَضْرِبُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ أَنْتُمْ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٥﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾ وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدُوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّلْنَا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٨﴾ وَنَقُلُّبَ أَفْئِدَتِهِمْ وَأَبْصَرُهُمْ كَمَا تَرَوْهُمْ بِهَؤُلَاءِ آيَاتِنَا وَمَا يَحْجِزُهُمْ عَنْهُ ﴿٩﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
نُصِرَفُ	نُبِينُ.
دَرَسَتْ	تَعَلَّمَتْ.
عَدُوا	اعْتَدَاءً.
يَعْمَهُونَ	يَتَحَيَّرُونَ.

## ● العمل بالآيات

١. اجمع آيات تتكلم عن موضوع يشغل ذهنك، ثم اقرأ تفسيرها، أو اسأل عن معناها، ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِظٍ﴾.

٢. قل: اللهم إني أعوذ بك أن يزين لي سوء عملي، ﴿كَذَلِكَ زَيَّلْنَا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ لِكِ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

٣. قل: اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، ﴿وَنَقُلُّبَ أَفْئِدَتِهِمْ وَأَبْصَرُهُمْ كَمَا تَرَوْهُمْ بِهَؤُلَاءِ آيَاتِنَا وَمَا يَحْجِزُهُمْ عَنْهُ﴾.

## ● التوجيهات

١. ازم الوحي من الكتاب والسنة الصحيحة، ولا تستبدل بهما شيئاً آخر، ﴿أَنْتُمْ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾.

٢. إياك أن تأتي بدعوتك ما ينفر مخالفتك من دعوة أهل السنة والجماعة وطريقتهم، بل التزم الحكمة؛ فهي من أقوى أسلحة الداعية إلى الله تعالى، ﴿وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدُوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾.

٣. الإعراض عن الدين قد يعاقب عليه المعرض بصرفه عن الهدى والدين دائماً، فاحذر من ذلك، ﴿وَنَقُلُّبَ أَفْئِدَتِهِمْ وَأَبْصَرُهُمْ كَمَا تَرَوْهُمْ بِهَؤُلَاءِ آيَاتِنَا وَمَا يَحْجِزُهُمْ عَنْهُ﴾.

لأنه لا إله إلا هو ﴿وَأَعْرَضَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ أي: اعفُ عنهم واصفح، واحتول أذاهم، حتى يفتح الله لك وينصرك ويظفرك عليهم. واعلم أن الله حكمه في إضلالهم؛ فإنه لو شاء لهدى الناس كلهم جميعاً. ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا﴾ أي: بل له المشيئة والحكمة فيها يشاؤه ويختاره، لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون. ﴿وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾ أي: حافظاً تحفظ أعمالهم وأقوالهم. ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ أي: موكل على أرزاقهم وأمورهم، إن عليك إلا البلاغ.

الآية (١٠٨): يقول تعالى ناهياً لرسوله ﷺ والمؤمنين عن سب آلهة المشركين، وإن كان فيه مصلحة، إلا أنه يترتب عليه مفسدة أعظم منها، وهي مقابلة المشركين بسبِّ إله المؤمنين، وهو الله لا إله إلا هو. ﴿كَذَلِكَ زَيْنًا لِّكُلِّ آئَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ أي: وكما زيننا هؤلاء القوم حبب أصنامهم والمحاماة لها والانتصار، كذلك زيننا لكل أمة من الأمم - الخالية على الضلال - علمهم الذي كانوا فيه، والله الحجة البالغة، والحكمة التامة فيها يشاؤه ويختاره، ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَجِعُهُمْ﴾ أي: معادهم ومصيرهم، ﴿فَيُنْشِئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْمُلُونَ﴾ أي: يُجَاوِزُهُمْ بأعمالهم، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

الآية (١٠٩-١١٠): يقول تعالى إخباراً عن المشركين: إنهم أقسموا بالله جهد أيمانهم، أي: حلفوا أيماناً مؤكدة ﴿لَئِنْ جَاءَتْهُمْ بَايَةٌ﴾ أي: معجزة وخارق ﴿لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا﴾ أي: لَيَصْدُقُنَّهَا، ﴿قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: قل يا محمد هؤلاء الذين يسألونك الآيات نَعَنَّا وكفراً وعناداً، لا على سبيل الهدى والاسترشاد: إنها مرجع هذه الآيات إلى الله: إن شاء أجابكم، وإن شاء ترككم. ﴿وَمَا يُشِيرُكُمْ أَهْلًا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ قيل: المخاطب به ﴿وَمَا يُشِيرُكُمْ﴾ المشركون، وإليه ذهب مجاهد؛ كأنه يقول لهم: وما يدريك بصدقكم في هذه الأيمان التي تُقْسِمُونَ بها. وقيل: المخاطب المؤمنون؛ أي: وما يدريك - أيها المؤمنون الذين تؤذون لهم ذلك حرصاً على إيمانهم - أيها إذا جاءتهم الآيات يؤمنون فتكون لا صلة. ﴿وَنَقُولُ أَفَرَأَيْتُمْ أَفْعَدْتُمْ لِمَنْ يُؤْمِنُونَ﴾ أي: أفعدتم لِمَنْ يُؤْمِنُونَ؟ قال ابن عباس: لَمَّا جَحَدَ المشركون ما أنزل الله لم تثبت قلوبهم على شيء، وودت عن كل أمر. وقال مجاهد: وَتَحُولُ بينهم وبين الإيثار، ولو جاءتهم كل آية فلا يؤمنون، كما حُلْنَا بينهم وبين الإيثار أول مرة. وعن ابن عباس أنه قال: أخبر الله ما العباد قائلون قبل أن يقولوه، وعملهم قبل أن يعملوه. قال: ﴿وَلَا يَنْتَظِرُكَ مِثْلُ خَيْرٍ﴾ [فاطر: ١٤]، فأخبر سبحانه أنهم لو رُدُّوا لم يقدروا على الهدى، وقال: ﴿وَلَوْ رَدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٨]، ﴿وَنَذَرُهُمْ﴾ أي: نتركهم ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ قال ابن عباس والسُّدِّي: في كفرهم. وقال أبو العالية والربيع بن أنس وقتادة: في ضلالهم. ﴿يَعْمَهُونَ﴾ قال الأعشى: يلعبون. وقال ابن عباس، ومجاهد، وغيرهما: في كفرهم يَتَرَكَّدُونَ.

الآية (١٠٢-١٠٣): ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الَّذِي خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَلَا ولد له ولا صاحبة، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَقَاعْبُدُوهُ﴾ وحده لا شريك له، وأفرؤا له بالوحدانية، وأنه لا إله إلا هو، وأنه لا ولد له ولا والد، ولا صاحبة له ولا نظير ولا عديل، ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ أي: حفيظ وريب، يُدَبِّرُ كل ما سواه، ويرزقهم ويكلؤهم بالليل والنهار. ﴿لَا تَدْرِيكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ فيه أقوال للأئمة من السلف: أحدها: لا تدرى في الدنيا، وإن كانت تراه في الآخرة، كما تواترت به الأخبار عن رسول الله ﷺ من غير ما طريق ثابت في الصحاح والمسانيد والسنن. وقال آخرون: ﴿لَا تَدْرِيكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ أي: جميعها، وهذا مخصص بما بُتت من رؤية المؤمنين له في الآخرة. وقال آخرون، من المعتزلة - بمقتضى ما فهموه من الآية - إنه لا يُرى في الدنيا ولا في الآخرة. فخالقوا أهل السنة والجماعة في ذلك، مع ما ارتكبه من الجهل بما دلَّ عليه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ [المواترة]. وقال آخرون: لا ثنافة بين إثبات الرؤية ونفي الإدراك؛ فإن الإدراك أخص من الرؤية، ولا يلزم من نفي الأخص انتفاء الأعم، ثم اختلف هؤلاء في الإدراك المنفي ما هو؟ فقيل: معرفة الحقيقة، وقال آخرون: الإحاطة.

﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ أي: يحيط بها ويعلمها على ما هي عليه؛ لأنه خلقها. وقال أبو العالية في قوله: ﴿هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾: اللطيف باستخراجها، الخبير بمكانها. والله أعلم.

الآية (١٠٤-١٠٥): البصائر: هي البينات والحجج التي اشتمل عليها القرآن، وما جاء به الرسول ﷺ، ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ فَلْتَنصِبْهُ﴾؛ ولما ذكر البصائر قال: ﴿وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا﴾ أي: إنها يعود وبال ذلك عليه. ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِظٍ﴾ أي: بحافظ ولا رقيب، بل أنا مُبَلِّغُ والله يهدي من يشاء ويضل من يشاء. ﴿وَكَذَلِكَ نُنْصِرُ الْآيَاتِ﴾ أي: وكما فصلنا الآيات في هذه السورة من: بيان التوحيد وأنه لا إله إلا هو، هكذا نوضح الآيات ونفسرها ونبينها في كل موطن لجهالة الجاهلين، ﴿وَلْيَقُولُوا﴾ وليقول المشركون والكافرون المكذبون: ﴿ذَرَسْتَ﴾ [قُرئت]: «ذَارَسْتَ» أي: يا محمد من قبلك من أهل الكتاب وقَارَأْتُمْ وَتَعَلَّمْتُمْ منهم. وعن ابن عباس: «ذَرَسْتَ» أي: قَرَأْتَ وَتَعَلَّمْتَ. وكذا قال مجاهد، والسُّدِّي والضحاك، وغير واحد. وقال الحسن: «ذَرَسْتَ»: تَقَادَسَتْ وَأَتَمَحَّتْ. وعن قتادة أنه قرأها: «ذَرِسَتْ» أي: قُرئت وتُعَلِّمَتْ. ﴿وَلْيُنْشِئُنَّ لِقَوْمٍ يُعْلَمُونَ﴾ ولنوضحه لقوم يعلمون الحق فيتبعونه، والباطل فيجتنبونه. فله تعالى الحكمة البالغة في إضلال أولئك، وبيان الحق لهؤلاء.

الآية (١٠٦-١٠٧): يقول تعالى أمراً لرسوله ﷺ ولمن أتبع طريقته: ﴿اتَّبِعْ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ أي: اقتد به، واقفب أثره، واعمل به؛ فإن ما أوحى إليك من ربك هو الحق الذي لا مزية فيه؛

الآية (١١١): يقول تعالى: ولو أننا أجبنا سؤال هؤلاء الذين ﴿أَفْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْدِيهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ عَذَابٌ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ [الأنعام: ١٠٩]، فنزلنا عليهم الملائكة، أي: نغمرهم بالرسالة من الله بتصدق الرسل، كما سألوا فقالوا: ﴿أَوْ تَأْتِي بَالَهُ الْفِتْنَةُ فَفِيلًا﴾ [الإنعام: ٩٢]، وقالوا: لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّىٰ تُؤْتِيَ بِشَيْءٍ مَّا أَوتَىٰ رَسُولُ اللَّهِ ﴿[الأنعام: ١٢٤]، وقال الذين لَا يَزِيدُهُمْ إِيمَانًا وَلَا نُورًا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِطَةً الْمَلَكُ الَّذِي أَوْزَيْنَ رَبَّنَا لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٢١]، ﴿وَكَلَّمَهُمُ التَّوْحِيدُ﴾ أي: فأخبرهم بصدق ما جاءهم به الرسل، ﴿وَحَشَرَنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا﴾ - قرأ بعضهم: ﴿قُبُلًا﴾ بكسر القاف وفتح الباء، من المقابلة، والمعاينة. وقرأ آخرون: ﴿قُبُلًا﴾ بضمها، قيل: معناه من المقابلة والمعاينة أيضًا، قاله ابن عباس. وبه قال قتادة، وابن أسلم. وقال مجاهد: ﴿قُبُلًا﴾ أنواعًا، قبيلًا قبيلًا، أي: تُعرض عليهم كل أمة بعد أمة فنخبرهم بصدق الرسل فيما جاؤهم به ﴿مَّا كَانُوا يُؤْمِنُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ أي: إن الهداية إليه، لا إليهم. بل يهدي من يشاء ويضل من يشاء، وهو الفعال لما يريد، ولا يسأل عما يفعل، وهم يسألون، لعلمه وحكمته، وسلطانه وقهره وغلته. كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ۖ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ رَأَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٩٦-٩٧].

الآية (١١٢-١١٣): يقول تعالى: وكما جعلنا لك - يا محمد - أعداءً بخالفونك وبعادونك، جعلنا لكل نبي من قبلك أيضًا أعداءً؛ كما قال تعالى: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّنْ قَبْلِكَ﴾ [ال عمران: ١٨٤]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّنْ قَبْلِكَ فَصَبْرُوا عَلٰى مَا كُذِّبُوا وَأَوَدُّوا حَقِّ أَنْفُسِهِمْ فَنَاصُوا﴾ [الأنعام: ٣٤]، وقال: ﴿مَا يَقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَدُوٌّ مَّغْفِرٌ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ [نصبت: ٤٣]، وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ وَكُنِيَ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٣١]. وقال ورقة بن نوفل لرسول الله ﷺ: إنه لم يأت أحد بمثل ما جئت به إلا عودي [متفق عليه]. ﴿شَيطَانِ الْإِنسِ وَالْجِنِّ﴾ بدل من ﴿عَدُوًّا﴾ أي: لهم أعداء من شياطين الإنس والجن، والشيطان كل من خرج عن نظيره بالشر، ولا يعادي الرسل إلا الشياطين من هؤلاء وهؤلاء، قُبِحَهم الله ولعنهم. قال قتادة في قوله: ﴿شَيطَانِ الْإِنسِ وَالْجِنِّ﴾ من الجن شياطين، ومن الإنس شياطين ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾. وقال مجاهد: كفار الجن شياطين، يوحون إلى شياطين الإنس - كفار الإنس - زخرف القول غرورًا. ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ يُضَرِّقُ الْقَوْلَ غَرُورًا﴾ أي: يلقي بعضهم إلى بعض القول المُرَمِّينَ المزخرف، وهو المُرْوَق الذي يَغْتَرُّ سامعه من الجهلة بأمره. ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلَهُ﴾ أي: وذلك كله بقدر الله وقضائه وإرادته ومشيبته أن يكون لكل نبي عدو من هؤلاء. ﴿فَذَرَهُمْ﴾ أي: فدعهم ﴿وَمَا يَقْتُرُونَ﴾ أي: يكذبون، أي: دع أذاهم، وتوكل على الله في عداوتهم، فإن الله كافيك وناصرك عليهم. ﴿وَلَا تَصْنَعُ الْإِنسَ﴾

ولتميل إليه، قاله ابن عباس. ﴿أَفَيْدُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ قلوبهم وعقولهم وأسماعهم. وقال السدي: قلوب الكافرين. ﴿وَلَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا بُعْدًا﴾ أي: يُجِوُّه وَيُزِيدُوهُ. وإنما يستجيب لذلك من لا يؤمن بالآخرة؛ كما قال تعالى: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ مَتَاعِ الدُّنْيَا ۖ إِنَّمَا آثَرُ عَلَيْهِنَّ يَفْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا مَن هُوَ صَالِ الْجَنَّةِ﴾ [الصافات: ١٦١-١٦٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا لَنَرِي قَوْلَهُ خُفْلِينَ ۖ يَوْمَكَ عَذَابُ مَنْ أَفَكَ﴾ [الذاريات: ٨-٩]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ رَفَعْنَا هُمْ مُقْتِرُونَ﴾ قال ابن عباس: وليكتبوا ما هم مكتسبون. وقال السدي، وابن زيد: وليعملوا ما هم عاملون.

الآية (١١٤-١١٥): يقول تعالى لنبية محمد ﷺ: قل هؤلاء المشركين بالله غيره، الذين يعبدون غيره: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا﴾ أي: بيني وبينكم، ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ الْكَتَبَ مُصَدِّقًا﴾ أي: مبيّنًا، ﴿وَالَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَكْتَبَ﴾ أي: من اليهود والنصارى، ﴿يَسْأَلُونَ أَنتَ مَرْءٌ مِّنْ رَبِّكَ يُلْقِي﴾ أي: بما عندهم من البشارات بك من الأنبياء المتقدمين، ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ كقوله تعالى: ﴿إِن كُنْتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَكُنْ مِنَ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِن رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [يونس: ٩٤].

وقوله: ﴿وَكُنْتَ كَلِمَةً رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ قال قتادة: صدقًا فيما قال، وعدلًا فيما حكّم. يقول: صدقًا في الأخبار، وعدلًا في الطلب؛ فكل ما أخبر به فعق لا مبرّة فيه ولا شك، وكل ما أمر به فهو العدل الذي لا عدل سواه، وكل ما نبى عنه فباطل؛ فإنه لا ينهى إلا عن مفسدة؛ كما قال: ﴿يَأْمُرُهُم بِالْعَمْرِوْفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ الآية [الأعراف: ١٥٧]. ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ﴾ أي: ليس أحد يُقَبِّحُ حكمه تعالى، لا في الدنيا ولا في الآخرة ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوال عباده، ﴿الْعَلِيمُ﴾ بمركانهم وسكانهم، الذي يجازي كل عامل بعمله.

الآية (١١٦-١١٧): يخبر تعالى عن حال أكثر أهل الأرض من بني آدم أنه الضلال؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الصافات: ٧١]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣]، وهم في ضلالهم ليسوا على يقين من أمرهم، وإنما هم في ظنون كاذبة وحسبان باطل، ﴿إِنْ يَشَاءُ اللَّهُ إِلَّا أَعْلَنَ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾، فإن الخرص هو الخرز، ومنه خرص النخل، وهو خرز ما عليها من التمر. وذلك كله عن قدر الله ومشيبته ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ مَن يُضِلُّ عَن سَبِيلِهِ﴾. فَيَسِّرُهُ لِدَلِكِ ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُنْهَكِينَ﴾ فَيَسِّرُهُم لذلك، وكل مُسِيرٌ لما خلق له [متفق عليه].

الآية (١١٨): هذا إباحة من الله لعباده المؤمنين أن يأكلوا من الذبائح ما ذكر عليه اسمه، ومفهومه: أنه لا يباح ما لم يذكر اسم الله عليه، كما كان يستبيحه كفار المشركين من أكل الميتات، وأكل ما ذبح على النصب وغيرها.



**السؤال: لماذا ختم الأمر بالأكل مما ذكر اسم الله عليه بذكر الإيمان؟**

531

٣. الكثرة ليست دليلاً على الحق، وَإِنْ تَطَعْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﷻ.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾

ودلت الآية الكريمة على أن الأصل في الأشياء والأطعمة الإباحة، وأنه إذا لم يرد الشرع بتحريم شيء منها فإنه باق على الإباحة، فما سكت الله عنه فهو حلال؛ لأن الحرام قد فصله الله، فما لم يفصله الله فليس بحرام. السعدي: ٢٧١.  
السؤال: كيف يستدل بالآية على القاعدة الشرعية: (الأصل في الأشياء الإباحة)؟  
﴿وَلَا كَبِيرًا يُضِلُّونَ يَا هَؤُلَاءِ هُمْ يَغْيِرُونَ عَلَيْهِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾  
فكل من اتبع ذوقاً أو وجداً بغير هدى من الله -سواء كان ذلك عن حب أو بغض- فليس لأحد أن يتبع ما يحبه فيأمر به ويتخذنه ديناً، وينهى عما يفضنه وينهيه، ويتخذ ذلك ديناً، إلا بهدى من الله، وهو شريعة الله التي جعل عليها رسوله. ومن اتبع ما بهواه وبغضا بغير الشريعة فقد اتبع هواه بغير هدى من الله. ابن تيمية: ٩٦/٣.

السؤال: بين خطورة اتباع الأهواء بغير علم من الله تعالى.

﴿وَلَا كَبِيرًا يُضِلُّونَ يَا هَؤُلَاءِ هُمْ يَغْيِرُونَ عَلَيْهِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾  
ثم بين عز وجل في ضلالهم أنه على اقبح الوجوه، وأنه بالهوى لا بالنظر والتأمل، (وبغير علم) معناه: في غير نظر. ابن عطية: ٢٣٩/٢.

السؤال: ما أشد أنواع الضلال؟

﴿وَدَّرُوا ظُهُرَ الْإِنَّمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِنَّمِ سَيَجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرُونَ﴾

ولا يتم للعبد ترك المعاصي الظاهرة والباطنة إلا بعد معرفتها والبحث عنها، فيكون البحث عنها ومعرفة معاصي القلب والبدن والعلم بذلك واجباً متعيناً على المكلف. وكثير من الناس تخفى عليه كثير من المعاصي، خصوصاً معاصي القلب: كالكبر، والعجب، والرياء، ونحو ذلك، حتى إنه يكون به كثير منها، وهو لا يحس به ولا يشعر، وهذا من الإعراض عن العلم وعدم البصيرة. السعدي: ٢٧١.

السؤال: ما أول ما على المرء فعله لاجتناب الآثام والمعاصي الظاهرة والباطنة؟

﴿وَدَّرُوا ظُهُرَ الْإِنَّمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِنَّمِ سَيَجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرُونَ﴾

(ودروا ظاهر الإنم وباطنه): لفظ يعم أنواع المعاصي؛ لأن جميعها إما باطن وإما ظاهر، وقيل: الظاهر: الأعمال، والباطن: الاعتقاد. ابن جزي: ٢٨٤/١.

السؤال: جمعت هذه الآية بين الإيجاز والمعموم، وضع ذلك.

﴿وَلَا الشَّيْطَانُ يُؤَخِّرُونَ إِلَّا أُولَئِكَ يَهْتَرِجُونَ لِيُجِدُوا لَكُمْ﴾

ودلت هذه الآية الكريمة على أن ما يقع في القلوب من الإلهامات والكشوف التي يكثر وقوعها عند الصوفية ونحوهم، لا تدل بمجرد ما على أنها حق، ولا تصدق حتى تعرض على كتاب الله وسنة رسوله، فإن شهدا لها بالقبول قبلت، وإن ناقضتهما ردت، وإن لم يعلم شيء من ذلك توقف فيها ولم تصدق ولم تكذب؛ لأن الوحي والإلهام يكون من الرحمن ويكون من الشيطان، فلا بد من التمييز بينهما والفرقان، وبعدم التفريق بين الأمرين حصل من الغلط والضلال ما لا يحصىه إلا الله. السعدي: ٢٧١.

السؤال: كيف ترد بهذه الآية على من يؤمن بالإلهامات والكشوفات من غير عرض على الكتاب والسنة؟

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ قَوْمٍ مَكْرَهِمَا لِيَسْتَكْبِرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾

(وكذلك جعلنا في كل قومية أكابر) أي: كما جعلنا في مكة أكابرها ليمكروا فيها، جعلنا في كل قومية، وإنما ذكر الأكابر لأن غيرهم تبع لهم. ابن جزي: ٢٨٤/١.

السؤال: ما وجه الاختصار في الآية على الأكابر دون غيرهم؟

وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ أَنْسُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴿٣٣﴾ وَذَرُّوا ظُهُرَ الْإِنَّمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِنَّمِ سَيَجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ أَنْسُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيَؤْخِرَ إِلَّا أُولَئِكَ يَهْتَرِجُونَ لِيُجِدُوا لَكُمْ زُرْعًا وَإِنْ أَنْعَمُوا لَكُمْ فَكَيْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٥﴾ أَوْ مَن كَانَ مِثْلًا فَأَحْبَبْتَهُ وَجَعَلْتَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَكْمُلُونَ ﴿٣٦﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَوْمٍ مَكْرًا أَكْثَرًا مَّجْرِمِيهَا لِيَسْتَكْبِرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٣٧﴾ وَإِذَا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ قَالُوا لَنْ نَقُومَ حَتَّى نَقُومَ مِثْلَ مَا أَوْفَتْ رُسُلُ أَنْسُ اللَّهِ أَنْعَمُوا حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ وَسَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿٣٨﴾

## ● معاني الكلمات

المعنى	الكلمة
صَغَارَ	ذُلَّ، وَهَوَانٌ.

## ● العمل بالآيات

١. سم الله تعالى عند الأكل من الطيبات، ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ أَنْسُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾.
٢. حاسب نفسك اليوم عن باطن الآثام التي لا يطلع عليها إلا الله تعالى، ﴿وَدَّرُوا ظُهُرَ الْإِنَّمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِنَّمِ سَيَجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرُونَ﴾.
٣. ارسل رسالة تحذر فيها من الأكل مما لم يذكر اسم الله عليه، ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ أَنْسُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾.

## ● التوجيهات

١. وجوب ترك الإنم ظاهراً كان أو باطناً، وسواء كان من أعمال القلوب، أو أعمال الجوارح، ﴿وَدَّرُوا ظُهُرَ الْإِنَّمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِنَّمِ سَيَجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرُونَ﴾.
٢. احرص على إطابة مطعمك بأن تأكل المذبوحات التي ذُكرَ عليها اسم الله، وتترك ما عدا ذلك، ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ أَنْسُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾.
٣. الشرك موت وظلمة، والإيمان حياة ونور، ﴿أَوْ مَن كَانَ مِثْلًا فَأَحْبَبْتَهُ وَجَعَلْتَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾.

الآية (١٢٢): هذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن الذي كان ميتاً، أي: في الضلالة، هالِكًا حائرًا، فأحياه الله، أي: أحيا قلبه بالإيمان، وهذه له ووفقه لاتباع رسله ﴿وَرَمَعْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ﴾ في الناس ﴿أي: يهتدي كيف يسلك، وكيف يتصرف به. والنور هو: القرآن، كما روي عن ابن عباس. وقال السُّدي: الإسلام. والكل صحيح. ﴿كَانَ مَنَّهُ فِي الظُّلُمَاتِ﴾ أي: الجهالات والأهواء والضلالات المتفرقة، ﴿لَيْسَ بِحَارِجٍ مِّنْهَا﴾ أي: لا يهتدي إلى مَنَقَذٍ ولا تَخَلَّصَ عما هو فيه، وعن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الله خلق خلقه في ظلمة ثم رُشَّ عليهم من نوره، فمن أصابه ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضلَّ» (رواه أحمد، وصححه الألباني)؛ كما قال تعالى: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْبَرِ وَالْبَصِيرِ وَالْأَسْمِعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [هود: ٢٤]. والآيات في هذا كثيرة. وقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ زَيْنٌ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَسْمَلُونَ﴾ أي: حُسن لهم ما هم فيه من الجهالة والضلالة، قَدَرًا من الله وحكمة بالغة، لا إله إلا هو.

الآية (١٢٣-١٢٤): يقول تعالى: وكما جعلنا في قريتك -يا محمد- أكبر من المجرمين، ورؤساء ودعاة إلى الكفر والصدِّ عن سبيل الله، وإلى مخالفتك وعداوتك، كذلك كانت الرسل من قبلك يَتَّبِعُونَ بِذَلِكَ، ثم تكون لهم العاقبة؛ كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٣١]. قال ابن عباس: سلَّطْنَا شرارها فعصوا فيها، فإذا فعلوا ذلك أهلكناهم بالعذاب. وقال مجاهد وقتادة: «أكبر مجرميها» قال عطاءها. قلت: والمراد بالمكر ههنا: دعاؤهم إلى الضلالة بِزُخْرَفٍ من السَّمَقَالِ وَالْفِعَالِ؛ كما قال تعالى إخبارًا عن قوم نوح: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا كَبِيرًا﴾ [نوح: ٤٢]. ﴿وَمَا يَمْشِكُونَ إِلَّا فِي آبُسِهِمْ وَمَا يَعْتَدُونَ﴾ أي: وما يعود وبال مكروهم ذلك وإضلالهم من أضلوهم إلا على أنفسهم؛ كما قال تعالى: ﴿وَلِيَحْمِلُوا أَثْقَالَهُمْ وَأَلْقَا لَهَا مَعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [الصنعت: ١٣].

وقوله: ﴿وَلَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ﴾ إذا جاءهم آية وبرهان وحجة قاطعة، ﴿فَالَوْ أَن تَوَمَّنْ حَتَّى تَأْتِيَ رُسُلًا أَوْفَىٰ رَسُولُ اللَّهِ﴾ أي: حتى تأتينا الملائكة من الله بالرسالة، كما تأتي إلى الرسل؛ كقوله جل وعلا: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا تَوَلَّوْا أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمُ السَّعِيرَةُ أَوْ رَجَوْا رَبَّنَا لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَتَوَخَّوْا عَذَابَ كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٢١]. ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ أي: هو أعلم حيث يضع رسالته ومن يصلح لها من خلقه؛ كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْفَرِيقَيْنِ عَظِيمٍ﴾ (٣١) أَمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ [الزخرف: ٣١-٣٢]. وقوله: ﴿سَيُجِيبُ الَّذِينَ أَجْرَبُوا﴾ هذا وعيد شديد من الله، وتهديد أكيد، لمن تكبر عن اتباع رسله والانقياد له فيما جاءوا به، فإنه سيصبيه يوم القيامة بين يدي الله ﴿صِمَارًا﴾ وهو الذلة اللامة، كما اتهم استكبروا أعقبهم ذلك ذلًا. ﴿وَعَذَابٌ شَدِيدٌ يَمَّا كَانُوا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ لَمَّا كَانَ المكرو غالبًا إنما يكون خفيًا؛ وهو التلطف في التحييل والخديعة، فويلوا بالعذاب الشديد جزاءً وفاقا، ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [التكوير: ٤٩].

الآية (١١٩): نَدَبَ إلى الأكل ما ذُكِرَ اسم الله عليه، فقال: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَدَفَعَلْ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: قد بينَّ لكم ما حَرَّمَ عليكم ووضَّحه. وقرأ بعضهم: ﴿فَصَلِّ﴾ بالتشديد، وقرأ آخرون بالتخفيف، والكل بمعنى البيان والوضوح. ﴿إِلَّا مَا اضْطُرَرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ أي: إلا في حال الاضطرار؛ فإنه يُباح لكم ما وجدتم. ثم بينَّ تعالى جهالة المشركين في آرائهم الفاسدة من استحلالهم السَّمَاتِ، وما ذكر عليه غير اسم الله تعالى، فقال: ﴿وَلَا كَبِيرًا لِّيُحِلُّوا بِأَهْوَاءِهِمْ يَغْيِرَ عَلَيْهِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ﴾ أي: هو أعلم باعتدائهم وكذبهم وافتراءهم.

الآية (١٢٠): قال مجاهد: ﴿وَدَرَّوْا عَلَيْهِمُ الْإِنْتِهَىٰ وَبَاطِنُهُ﴾ معصيته في السر والعلانية. وقال: قتادة: قليله وكثيره، سره وعلانيته. والآية عامة، وهي كقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ الآية [الأعراف: ٣٣]؛ ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِالْآيَةِ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرُونَ﴾ أي: سواء كان ظاهرًا أو خفيًا؛ فإن الله سيجزيهم عليه. عن النواس بن سمعان قال: سألت رسول الله ﷺ عن الإثم فقال: «الإثم ما حاك في صدرك، وكرهت أن يطلع الناس عليه» [رواه مسلم].

الآية (١٢١): استدلل بهذه الآية الكريمة من ذهب إلى أنه لا محل للذبيحة التي لم يذكر اسم الله عليها، ولو كان الذابح مسلمًا. قال ابن جرير: وقد اختلف أهل العلم في هذه الآية: هل يُنسخ من حكمها شيء أم لا؟ فقال بعضهم: لم ينسخ منها شيء وهي محكمة فيما عنت به. وعلى هذا قول عامة أهل العلم. ورُوي عن عكرمة والحسن البصري أنها قالوا: نسخ واستثنى من ذلك فقال: ﴿وَعَلَّمَ الَّذِينَ آتَوْا الْكِتَابَ حِلَّ لِّكُلِّ طَعَامٍ مِّنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [البقرة: ١٧٣]. ثم قال ابن جرير: والصواب أنه لا تعارض بين حِلِّ طعام أهل الكتاب، وبين تحريم ما لم يذكر اسم الله عليه. وهذا الذي قاله صحيح، ومن أطلق من السلف النسخ ههنا فإنما أراد التخصيص، والله سبحانه وتعالى أعلم. ﴿وَلَا الشَّيَاطِينُ لِيُؤْخِرْنَ إِلَّا لِيُؤْخِرَهُمْ﴾ قال ابن عباس: هما وحيان: وحي الله وحي الشيطان؛ فوحي الله إلى محمد ﷺ، ووحي الشيطان إلى أوليائه، ثم قرأ: ﴿وَلَا الشَّيَاطِينُ لِيُؤْخِرْنَ إِلَّا لِيُؤْخِرَهُمْ﴾.

[سبب النزول]: عن ابن عباس قال: لما نزلت: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا آتَتْكُمْ دُونُكُمْ﴾ أرسلت فارس إلى قريش أن خاصموا محمدًا وقلوبوا له: فما تلبخ أنت يبلد بسكين فهو حلال، وما ذبح الله عز وجل بسمشبر<sup>(١)</sup> من ذهب سميني الميتة - فهو حرام؟! فنزلت هذه الآية: ﴿وَلَا الشَّيَاطِينُ لِيُؤْخِرْنَ إِلَّا لِيُؤْخِرَهُمْ لِيُجْعِدُوا لَكُمْ﴾ (رواه الطبراني والطبري، وصححه إسناده أحمد شاكر). وقوله تعالى: ﴿وَلَا أَفْتَنُوهُمْ لِيَكُمُ الشُّرُوكُ﴾ أي: حيث علمتم عن أمر الله لكم وشرعه إلى قول غيره، فقد غنم عليه غيره فهذا هو الشرك؛ كما قال تعالى: ﴿أَتَحْذَرُونَ أَحَبَّاءَهُمْ وَزُجَّاتَهُمْ أَزْكَاءَ بَنِي دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]. عن عدي بن حاتم أنه قال: يا رسول الله! ما عبدوهم. فقال: «بل إنهم أحلوا لهم الحرام وحرموا عليهم الحلال، فأتبعوهم؛ فذلك عبادتهم لإياهم» (رواه الترمذي، وحسنه الألباني).



إلى بعض زخرف القول غرورا. أي: ثم يقول: ﴿يَمَعْتَرُ الْجَنِّ﴾  
وسياق الكلام يدل على المحذوف. ومعنى قوله: ﴿قَدْ اسْتَكْرَرْتُمْ مِنَ  
الْإِنْسِ﴾ أي: من إضلالهم وإغواهم؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ  
مِنْكُمْ جِيلًا كَثِيرًا﴾ [يس: ٦٧]. وقال ابن عباس: ﴿يَمَعْتَرُ الْجَنِّ قَدْ  
اسْتَكْرَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾ يعني: أضللتهم منهم كثيرا. وكذلك قال  
مجاهد، والحسن، وقناة. ﴿وَقَالَ أَوْلِيَائُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَنْتَعْ  
بَعْضَنَا بَعْضًا﴾ يعني: أن أولياء الجن من الإنس قالوا مجيبين لله تعالى  
عن ذلك بهذا. وقال ابن جُرَيج: كان الرجل في الجاهلية ينزل  
الأرض، فيقول: أعوذ بكبير هذا الوادي، فذلك استمتاعهم،  
فاعتذروا يوم القيامة. وأما استمتاع الجن بالإنس فإنه كان -فيما  
ذكر- ما ينال الجن من الإنس من تعظيمهم إياهم في استعانتهم بهم،  
فيقولون: قد شدنا الإنس والجن. ﴿وَلَبَّكُنَا أَجْلُنَا أَلَيْتُ أَجَلْتُ لَنَا﴾ قال  
الشدي: أي الموت. ﴿قَالَ أَتَأْتُونَهُمْ﴾ أي: ماؤكم ومنزلكم أنتم  
وأولياؤكم. ﴿خَلِيلِينَ فِيهَا﴾ أي: ماكين مكنًا مخلدًا. ﴿وَلَا مَا شَاءَ  
أَنَّهُ﴾ عن ابن عباس قال: إن هذه الآية آية لا ينبغي لأحد أن يحكم  
على الله في خلقه، لا يُنْزِلُهُمْ جَنَّةً وَلَا نَارًا.

الآية (١٢٩): عن قناة في تفسيرها: إنما يولي الله بين الناس  
بأعمالهم؛ فالؤمن ولي المؤمن أين كان وحيث كان، والكافر ولي الكافر  
أينما كان وحيثما كان، ليس الإيمان بالتعني ولا بالتعلي، واختار هذا  
القول ابن جرير. ومعنى الآية الكريمة: كما ولينا هؤلاء الخاسرين من  
الإنس تلك الطائفة التي أفوتهم من الجن، كذلك نفعنا بالظالمين،  
نُسلِّطُ بعضهم على بعض، ونُهْلِكُ بعضهم ببعض، ونُنْقِصُ من  
بعضهم ببعض، جزاء على ظلمهم وبغيهم.

الآية (١٣٠): وهذا أيضا مما يُقرِّع الله به سبحانه وتعالى كافري  
الجن والإنس يوم القيامة، حيث يسألهم -وهو أعلم-: هل بلغتهم  
الرسُلُ رسالاته؟ وهذا استفهام تقرير: ﴿يَمَعْتَرُ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ  
يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾ أي: من جنسكم. والرسول من الإنس فقط، وليس  
من الجن رسل، كما نص على ذلك مجاهد، وابن جُرَيج، وغير واحد  
من الأئمة، من السلف والخلف. ﴿يَقْضُونَ عَلَيْكُمْ عَائِقَىٰ  
رُسُلِهِمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا﴾ أي: أقرزنا أن  
الرسول قد بلغنا رسالاتك، وأنذرنا لقاءك، وأن هذا اليوم كائن لا  
محالة. ﴿وَعَرَّضْنَاهُمْ لِقِيَّةِ الذُّلْيَةِ﴾ أي: وقد فرطوا في حياتهم الدنيا،  
وهلكوا بتكذيبهم الرسل، ومخالفتهم المعجزات، لِمَا اغْتَرَوْا به من  
زُخْرَفِ الحياة الدنيا وزينتها وشهواتها، ﴿وَتَبَدَّدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ﴾ أي:  
يوم القيامة ﴿أَتَنْهَكُنَّ كُفْرَهُنَّ﴾ أي: في الدنيا، بما جاءتهم به  
الرسول، صلوات الله وسلامه عليهم.

الآية (١٢٥): يقول تعالى: ﴿مَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ  
لِلْإِسْلَامِ﴾ أي: يُيسره له وينشطه ويسهله لذلك، فهذه علامة على  
الخير؛ كقوله تعالى: ﴿أَمَّنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّنْ  
رَّبِّهِ﴾ [الزمر: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿حَبَّبَ إِلَيْنَكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾  
[الحجرات: ٧]. قال ابن عباس: ﴿مَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ  
لِلْإِسْلَامِ﴾ يقول: يوسع قلبه للتوحيد والإيمان به. وكذا قال أبو مالك  
وغير واحد. وهو ظاهر. وقوله: ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ  
ضَيِّقًا حَرَبًا﴾ وقرأ بعضهم خرجا بفتح الحاء وكسر الراء؛ قيل:  
بمعنى آثم. وقال الشدي: هو الذي لا يتسع لشيء من الهدى، ولا  
يُخْلَصُ إليه شيء مما ينفعه من الإيمان ولا ينفذ فيه. وقال ابن جُرَيج:  
﴿ضَيِّقًا حَرَبًا﴾ بلا إله إلا الله، حتى لا تستطيع أن تدخله، كأنها يصعد  
في السماء من شدة ذلك عليه. وقال ابن عباس: ﴿كَأَنَّمَا يَصْعَكُ فِي  
السَّمَاءِ﴾ يقول: فكما لا يستطيع ابن آدم أن يبلغ السماء، فكذلك لا  
يستطيع أن يدخل التوحيد والإيمان قلبه، حتى يدخله الله في قلبه. قال  
ابن جرير: وهذا مثل ضرب به الله لقلب هذا الكافر في شدة تضيقه إياه  
عن وصول الإيمان إليه. يقول: فمثل في امتناعه من قبول الإيمان وضيقه  
عن وصوله إليه، مثل امتناعه من الصعود إلى السماء وعجزه عنه؛ لأنه  
ليس في وسعه وطاقته. وقال في قوله: ﴿كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ أَلْسِنَةً  
عَلَىٰ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ يقول: كما يجعل الله صدر من أراد إضلاله  
ضيقًا حرجًا كذلك يُسلِّطُ الله الشيطان عليه وعلى أمثاله من أبى الإيمان  
بالله ورسوله، فيُغويهم ويصدِّه عن سبيل الله. وقال ابن عباس: الرجس:  
الشيطان. وقال مجاهد: الرجس: كل ما لا خير فيه. وقال ابن أسلم:  
الرجس: العذاب.

الآية (١٢٦-١٢٧): لما ذكر تعالى طريقة الضَّالِّينَ عن سبيله،  
الصادقين عنها، نَبَّهَ على أشرف ما أُرسل به رسوله من الهدى ودين  
الحق فقال: ﴿وَهَٰذَا صِرَاطٌ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا﴾ منصوب على الحال، أي:  
هذا الدين الذي شرعناه لك -يا محمد- بما أوحينا إليك هذا القرآن،  
وهو صراط الله المستقيم. ﴿قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ﴾ أي: وضحناها وبيَّناها  
وفسرناها. ﴿لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ أي: لمن له فهم ووعي يعقل عن الله  
ورسوله. ﴿لَهُمْ دَارُ الْآلَاكِ﴾ وهي: الجنة ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ أي: يوم  
القيامة. وإنما وصف الله الجنة هنا بدار السلام لسلامتهم فيها سلوكه  
من الصراط المستقيم، الْمُتَّقِييِ أَثَرِ الْأَنْبِيَاءِ وطرائقهم، فكما سَلِمُوا  
من آفات الاغوجاج أَفْضُوا إلى دار السلام. ﴿وَهُوَ وَابِتُهُ﴾ أي:  
حافظهم وناصرهم ومؤيدهم، ﴿يَمَّا كَانُوا يَسْمُكُونَ﴾ أي: جزاء على  
أعمالهم الصالحة: تولاهم وأثابهم الجنة بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ.

الآية (١٢٨): واذكر -يا محمد- فيما تقصُّه عليهم وتذكِّرهم به  
يوم ﴿يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ يعني: الجن وأولياءهم من الإنس الذين  
كانوا يعبدونهم في الدنيا، ويعودون بهم ويطيعونهم، ويُوحي بعضهم



## ● الوقفات التدريبية

﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ٣٥

يقول تعالى مبيناً لعباده علامة سعادة العبد وهديته ... إن من انشرح صدره للإسلام -أي: اتسع وانفسح- فاستنار بنور الإيمان، وحيي بضوء اليقين، فاطمأنت بذلك نفسه، وأحب الخير، وطوعت له نفسه فعله، متلذذاً به غير مستنقل؛ فإن هذا علامة على أن الله قد هداه، ومن عليه بالتوفيق، وسلوك اقوم الطريق. السعدي: ٢٧٢.

السؤال: ما علامة الهداية التي يحسها المرء من نفسه؟

﴿ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ ﴾ ٣٥  
أي: كأننا يحاول الصعود إلى السماء، وذلك غير ممكن، فكذلك يصعب عليه الإيمان. ابن جزى: ٢٨٥/١.

السؤال: ما وجه الشبه بين الضال ومن يريد الصعود إلى السماء؟

﴿ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ ﴾ ٣٥  
شبه الله الكافر في نضوره عن الإيمان وثقله عليه بمنزلة من تكلف ما لا يطيقه؛ كما أن صعود السماء لا يُطاق. القرطبي: ٢٥/٩.

السؤال: تقبل الإيمان صعب بل مستحيل على من كتبت عليه الضلالة، وضع ذلك.

﴿ هُمْ دَارُ السَّكْرِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ ٣٦

يعني: الجنة، وسميت دار السلام لأن كل من دخلها سلم من البلى والرزايا. البغوي: ٦٣/٢.

السؤال: ما المقصود بدار السلام؟ ولم سميت بذلك؟

﴿ وَكَذَلِكَ يُؤَيِّنُ اللَّهُ لِيُخَالِفَ بِمَنَاسِكَتِهِ لِقَاءَ رَبِّهِمْ ﴾ ٣٧

كذلك من سنتنا أن نولي كل ظالم ظالماً مثله، يؤذنه إلى الشر، ويحبه عليه، ويؤذنه في الخير، وينفذه عنه، وذلك من عقوبات الله العظيمة الشنيعة أثرها، البالغ خطرهما. والذنب ذنب الظالم؛ فهو الذي أدخل الضرر على نفسه، وعلى نفسه جنى، (وما ريك بظلام للعبيد) أفصل: ٤؛ ومن ذلك: أن العباد إذا كثر ظلمهم وفسادهم، ومنعهم الحقوق الواجبة، وثى عليهم ظلمة يسومونهم سوء العذاب، ويأخذون منهم بالظلم والجور أضعاف ما منعوا من حقوق الله وحقوق عباده. السعدي: ٢٧٣/١.

السؤال: بين مظهرين من مظاهر تولي الظالمين بعضهم لبعض.

﴿ وَكَذَلِكَ يُؤَيِّنُ اللَّهُ لِيُخَالِفَ بِمَنَاسِكَتِهِ لِقَاءَ رَبِّهِمْ ﴾ ٣٧

وهذا تهديد للظالم؛ إن لم يمتنع من ظلمه سلط الله عليه ظالماً آخر ... قال فضيل بن عياض: إذا رايت ظالماً ينتقم من ظالم فقف وانظر فيه متعجباً. القرطبي: ٣٠/٩.

السؤال: بماذا يُعاقب الله تعالى الظالم في الدنيا؟

﴿ يَمَسِّرُ لِيُنْزِلَ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رَسُولٌ مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ لِقَاءَ رَبِّهِمْ هَذَا قَوْلُ شَيْدَا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾ ٣٨

ومعناه: قد أتاكم رسل منكم ينبهونكم على خطا ما كنتم عليه مقيمين بالحجج الباهرة، وينذرونكم وعيد الله على مقامكم على ما كنتم عليه مقيمين، فلم تقبلوا ذلك، ولم تتذكروا ولم تعتبروا. الطبري: ١٢٠/١٢.

السؤال: التذكير بالمخالفات قبل إيقاع العقوبة منقح القرآن، وضع ذلك من خلال الآية.

فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٣٥  
وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ٣٦  
لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يُهْمُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ٣٧  
وَيَوْمَ يَخْتَصِرُهُمْ جَمِيعًا يَتَجَمَّعُونَ إِلَيْهِمْ قَدْ أَتَتْهُمُ الرِّجْسُ مِنْ أَلَيْسَ وَقَالَ أُولَئِكَ أَلَهُمْ مِنْ أَلَيْسَ رَبَّنَا اسْتَمَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَكَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتُمْ لَنَا قَالُوا نَارُ مَثُورَةٍ خَالِدِينَ فِيهَا إِنْ آمَنَّا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّنَا حَكِيمٌ عَلِيمٌ ٣٨  
وَكَذَلِكَ يُؤَيِّنُ اللَّهُ لِيُخَالِفَ بِمَنَاسِكَتِهِ لِقَاءَ رَبِّهِمْ ٣٩  
وَيَوْمَ يَخْتَصِرُهُمْ جَمِيعًا يَتَجَمَّعُونَ إِلَيْهِمْ قَدْ أَتَتْهُمُ الرِّجْسُ مِنْ أَلَيْسَ وَقَالَ أُولَئِكَ أَلَهُمْ مِنْ أَلَيْسَ رَبَّنَا اسْتَمَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَكَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتُمْ لَنَا قَالُوا نَارُ مَثُورَةٍ خَالِدِينَ فِيهَا إِنْ آمَنَّا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّنَا حَكِيمٌ عَلِيمٌ ٣٨  
وَكَذَلِكَ يُؤَيِّنُ اللَّهُ لِيُخَالِفَ بِمَنَاسِكَتِهِ لِقَاءَ رَبِّهِمْ ٣٩  
وَيَوْمَ يَخْتَصِرُهُمْ جَمِيعًا يَتَجَمَّعُونَ إِلَيْهِمْ قَدْ أَتَتْهُمُ الرِّجْسُ مِنْ أَلَيْسَ وَقَالَ أُولَئِكَ أَلَهُمْ مِنْ أَلَيْسَ رَبَّنَا اسْتَمَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَكَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتُمْ لَنَا قَالُوا نَارُ مَثُورَةٍ خَالِدِينَ فِيهَا إِنْ آمَنَّا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّنَا حَكِيمٌ عَلِيمٌ ٣٨  
وَكَذَلِكَ يُؤَيِّنُ اللَّهُ لِيُخَالِفَ بِمَنَاسِكَتِهِ لِقَاءَ رَبِّهِمْ ٣٩

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
حَرَجًا	شَدِيدَ الضَّيْقِ.
يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ	يَصْعَدُ فِي طَبَقَاتِ الْجَوِّ.
الرِّجْسَ	العَذَابَ.
دَارُ السَّلَامِ	دَارُ السَّلَامَةِ وَالْأَمَانِ وَهِيَ الْجَنَّةُ.
اسْتَمَعَ	انْتَفَعَ.

## ● العمل بالآيات

- ادع الله تعالى أن يشرح صدرك للحق حيث كان، ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾.
- اذكر نعمته الله تعالى عليك بالهداية، حيث شرح صدرك للإسلام، ولو شاء لم تكن كذلك، ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾.
- استعد بالله تعالى من شر الجن، ﴿ وَقَالَ أُولَئِكَ أَلَهُمْ مِنْ أَلَيْسَ رَبَّنَا اسْتَمَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَكَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتُمْ لَنَا ﴾.

## ● التوجيهات

- الهداية بيد الله سبحانه وتعالى؛ فاسألها من مالكها، ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ﴾.
- القلوب الكافرة يلقى فيها كل ما لا خير فيه من الشهوات والشبهات، وهي مرتع للشيطان، ﴿ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾.
- أكثر من الأعمال الصالحة؛ فإنها سبب لولاية الله، ﴿ هُمْ دَارُ السَّكْرِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾.



## ● الوقفات التديرية

﴿۱﴾ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا ﴿۱﴾

بحسب أعمالهم؛ لا يجعل قليل الشر منهم ككثيره، ولا التابع كاتبه، ولا الرئيس كالرؤوس، كما أن أهل الثواب والجنة وإن اشتهر كوا في الریح، والصلاح، ودخول الجنة فإن بينهم من القرق ما لا يعلمه إلا الله، مع أنهم كلهم قد رضوا بما اتاهم مولاہم، السعدي؛ ٢٧٤.

**السؤال: ما الفائدة العملية من معرفة أن أهل الجنة متفاوتون في الدرجات؟**

﴿ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ ﴾ ١

وانما أمر الله العباد بالأعمال الصالحة، ونهاهم عن الأعمال السيئة رحمة بهم، وقصداً لمصالحهم، وإلا فهو الغني بذاته عن جميع مخلوقاته؛ فلا تنفعه طاعة الطائعين، كما لا تضره معصية العاصين. السعدي: ٢٧٤.

**السؤال: لماذا وصف الله نفسه بالغني بعد أن ذكر جزاء المؤمنين والفاعرين؟**

﴿إِنْ يَنْتَهِبُوا مِنْكُمْ وَلَسَتْ خَلْفَ مِنْ بَعْدِكُمْ نَائِبَاتُكُمْ كَمَا أَنْفَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾

فإذا عرفتم بأنكم لا بد أن تنتقلوا من هذه الدار كما انتقل غيركم، وترحلون منها وتخلونها بالبعدكم، كما رحل عنها من قبلكم وخلوها لكم؛ فليمتدحموها قرأاً، وتولمتم بها، ونسيتم أنها دار ممر لا دار مقر، وأن أمامكم داراً هي الدار التي جمعت كل نعيم، وسلمت من كل آفة ونقص؛ وهي الدار التي يسعى إليها الأولون والأخرون. وما أبخس حظ من رضي بالدون؛ وأدنى همة من اختار صفقة المغيبون!! السعدي: ٢٧٤.

**السؤال: ما الذي يفيد العاقل من ذهاب أمم وزوالها، ثم يخلفها غيرها؟**

﴿ نَقَالُوا هَذَا لِلّٰهِ بِرَحْمَتِهِمْ وَهَذَا إِشْرَاقًا فَكَانَ إِشْرَاقًا بِهِمْ  
فَلَا يَعْلَمُ إِلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ فَهُوَ يَعْلَمُ إِنَّ شُرَكَاءَهُمْ  
مَاءٌ مَا يَحْكُمُونَ ﴾

وسمى الشياطين شركاء لأنهم أطاعوهم في معصية الله، فأشركوهم مع الله في وجوب طاعتهم. القرطبي: ٣٩/٩.

**السؤال: لماذا سمى الله تعالى الشياطين شركاء؟**

﴿وَكَذَلِكَ زُفِنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ  
شُرَكَاءُؤُهُمْ لِيُرْثُوهُمْ وَلَيْلَسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾

أَضِيفَ الْفِعْلُ وَهُوَ الْقَتْلُ إِلَى الشَّرَكَاءِ وَإِنْ لَمْ يَتَوَلَّوْا ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُمْ زَيْنُوا ذَلِكَ، وَدَعَا إِلَيْهِ؛ فَكَانَهُمْ فَعَلُوهُ. الْقُرْطُبِيُّ: ٣٩٣/٩.

**السؤال: هل من زين المنكر، وحث عليه، ودعا له، يعتبر كالفاعل المقارف له؟**

﴿وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِّكَثِيرٍ مِّنَ الْمُتْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ  
شُرَكَاءَهُمْ لِيُزِيدُوهُمْ وَلَيْسُوا عَلَيْهِمْ وَبِئْسَ مَا فَعَلُوا  
فَلَزِمَهُمْ مَا بَعُثُوا﴾

كانوا يقتلون أولادهم بالوak، ويذبحونهم قرباناً إلى الأصنام. وشركاؤهم هنا هم: الشياطين، أو القائمون على الأصنام. (ليردوهم) أي: ليهلكوهم، وهو من الردى بمعنى الهلاك. ابن جزى ١/٢٨٧.

**السؤال: من خلال هذه الآية بين شيئا من فضل الله علينا بهذا الدين.**

﴿ وَكَذَلِكَ زُفْتُ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ  
شُرَكَاءَهُمْ لِيَرُدُّوهُمْ زِلْزِلًا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ذُبِنُهُمْ أَوْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوا  
فَعَلَهُمْ وَمَا يَفْعَلُونَ ﴾

و«الشركاء» هاهنا: الشياطين، الأمرون بذلك، المزينون له، والحاملون عليه أيضاً من بني آدم الناقلين له عصرا بعد عصر؛ إذ كلهم مشتركون في قبح هذا الفعل، وتبعاته في الآخرة. ابن عطية: ٢/٣٤٩.

### السؤال: متى يصير المرء شريكا للشيطان؟

[illegible]

## معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
تَكَانَتْكُمْ	طَرِيقَتَكُمْ.
عَاقِبَةُ الدَّارِ	العَاقِبَةُ، وَالْمَالُ الْحَسَنُ.
ذَرَأًا	خَلْقًا.
الْحَرِثَ	الزُّرُوعَ.
يُرِيدُوهُمْ	يُيْهَلِكُوهُمْ.
وَيَلْبِسُوا	يَخْلِطُوا.
يَفْتَرُونَ	يَخْتَلِفُونَهُ مِنَ الْكُذِبِ.

## العمل بالآيات

١. اقرأ كتاباً عن أشرار الساعة الصغرى والكبرى، ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾.

٧. ادع الناس لعمل صالح، مع قيامك به؛ فهما امران متلازمان، ﴿قُلْ يَقَوْمِ احْسِنُوا﴾  
 عَلَىٰ مَكَانِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَقِيبَةُ الدَّارِ ۖ

٣. أرسل رسالة تحذر فيها إخوانك المسلمين من الظلم، مذكراً أن الظالم لا يفلح في الدنيا ولا في الآخرة، إِنَّهُ لَا يَفْلَحُ الظَّالِمُونَ ﴿١﴾.

## التوجيهات

١. درجَتِكَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى بِحَسَبِ عَمَلِكَ الصَّالِحِ، ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ وَمَا عَمِلُوا﴾ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَفْعَلُونَ ﴿١﴾.

٢. وعد الله لا يتبدل، ﴿إِنَّ مَا تَعْدُونَ لَأَن تَوَافُوا وَمَا أُنشِرُ بِمُغْزِيَةٍ﴾.

٣. الظالم لا يفلح في الدنيا ولا في الآخرة، ﴿إِنَّهُ لَا يَفْلَحُ الظَّالِمُونَ﴾.

فُتِحَتِ الْأَمْصَارُ وَالْأَقَالِمُ وَالرَّسَاتِيْقُ بَعْدَ وَفَاتِهِ فِي أَيَّامِ خُلَفَائِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ  
 كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَبَ أَنَا وَرُسُلِي﴾ [الجن: ٢١]، وَقَالَ  
 تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرْثُهَا عِبَادِيَ  
 الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، وَقَدْ فَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ بِهَذِهِ الْأُمَّةِ، وَلَهُ الْحَمْدُ  
 وَالْمِنَّةُ أَوْلًا وَأَخْرَأَ بَاطِنًا وَظَاهِرًا.

الآية (١٣٦): هَذَا ذِمٌّ وَتَوْبِيخٌ مِنَ اللَّهِ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ ابْتَدَعُوا بِدْعًا  
 وَكُفْرًا وَشُرَكَاءَ، وَجَعَلُوا لَهُ جُزْءًا مِنْ خَلْقِهِ، وَهُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ  
 وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ سِتًّا ذَرًّا﴾ أَيُّ: عَمَّا  
 خَلَقَ وَبَرَأَ ﴿مِنْ آلِكَرْبِ﴾ أَيُّ: مِنَ الزَّرْعِ وَالنَّارِ ﴿وَالْأَنْصَابِ  
 نَصِيبًا﴾ أَيُّ: جُزْءًا وَفَسَاءً، ﴿فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرْصِهِمْ وَهَذَا  
 لِشُرَكَائِهِمْ﴾. ﴿فَمَا كَانَتْ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَ يَعْمَلْ إِلَٰهُ اللَّهِ وَكَانَ  
 إِلَٰهُهُمُ يَوْمَ يُعْمَلُ لِكُلِّ شُرَكَائِهِمْ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنْ  
 أَعْدَاءُ اللَّهِ كَانُوا إِذَا حَرُّوا حُرًّا، أَوْ كَانَتْ لَهُمْ ثَمَرَةٌ، جَعَلُوا لَهُ مِنْ جُزْءِهَا  
 وَلِلْوَنِّ جُزْءًا، فَمَا كَانَ مِنْ حَرْثٍ أَوْ ثَمَرَةٍ أَوْ شَيْءٍ مِنْ نَصِيبِ الْأَوْتَانِ  
 حَفْظُهُ وَأَحْصَاؤُهُ. وَإِنْ سَقَطَ مِنْهُ شَيْءٌ فَبِمَا سَقَطَ لِلصِّدْقِ رُثُوهُ إِلَى مَا  
 جَعَلُوهُ لِلْوَنِّ. وَإِنْ سَبَقَهُمُ الْمَاءُ الَّذِي جَعَلُوهُ لِلْوَنِّ فَسَقِيَ شَيْئًا جَعَلُوهُ  
 لِلَّهِ، جَعَلُوا ذَلِكَ لِلْوَنِّ. وَإِنْ سَقَطَ شَيْءٌ مِنَ الْحَرْثِ وَالثَّمَرَةِ الَّذِي جَعَلُوهُ  
 لِلَّهِ فَاخْتَلَطَ بِالَّذِي جَعَلُوهُ لِلْوَنِّ قَالُوا: هَذَا فَقِيرٌ، وَلَمْ يَرُدَّهُ إِلَى مَا جَعَلُوهُ  
 لِلَّهِ. وَإِنْ سَبَقَهُمُ الْمَاءُ الَّذِي جَعَلُوهُ لِلَّهِ فَسَقِيَ مَا سَقِيَ لِلْوَنِّ تَرَكَوهُ  
 لِلْوَنِّ، وَكَانُوا يَحْزَمُونَ مِنْ أَمْوَالِهِمُ: الْبَحِيرَةَ وَالسَّائِبَةَ وَالْوَصِيلَةَ وَالْحَامَ،  
 فَيَجْعَلُونَهُ لِلْأَوْتَانِ، وَيَزْعَمُونَ أَنَّهُمْ يَحْرُمُونَهُ لِلَّهِ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:  
 ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ سِتًّا ذَرًّا مِنْ آلِكَرْبِ وَالْأَنْصَابِ نَصِيبًا﴾ الْآيَةُ.  
 وَهَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ. ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾  
 أَيُّ: سَاءَ مَا يَقْسُمُونَ؛ فَلَهُمْ أَخْطَاؤُهَا أَوْلَى فِي الْقِسْمَةِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ  
 رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِكُهُ وَخَالِقُهُ، وَلَهُ الْمُلْكُ، وَكُلُّ شَيْءٍ لَهُ وَفِي تَصَرُّفِهِ  
 وَتَحْتِ قُدْرَتِهِ وَمَشِيتِهِ، لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، وَلَا رَبَّ سِوَاهُ. ثُمَّ لَمَّا قَسَمُوا فِيهَا  
 زَعَمُوا لَمْ يَحْفَظُوا الْقِسْمَةَ الَّتِي هِيَ فَاسِدَةٌ، بَلْ جَارَوْا فِيهَا؛ كَمَا قَالَ:  
 ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْكِبْرِيَّاتِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَلَهُمْ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [النحل: ٥٧].

الآية (١٣٧): وَكَمَا زُيِّنَتْ الشَّيَاطِينُ هَؤُلَاءِ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَجْعَلُوا لِلَّهِ عَمَّا  
 ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا، كَذَلِكَ زَيَّنَّا لَهُمْ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ خَشْيَةَ  
 الْإِمْلَاقِ، وَوَادَ الْبَنَاتِ خَشْيَةَ الْعَارِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: زَيَّنَّا لَهُمْ قَتْلَ  
 أَوْلَادِهِمْ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿شُرَكَائُهُمْ﴾ شَيَاطِينُهُمْ، يَأْمُرُونَهُمْ أَنْ  
 يَتَلَوُّوا أَوْلَادَهُمْ خَشْيَةَ الْعِتْلَةِ. وَقَالَ السُّدِّيُّ: أَمَرْتَهُمُ الشَّيَاطِينُ أَنْ يَقْتُلُوا  
 الْبَنَاتِ. وَأَمَّا ﴿لِيُزَيَّرَهُمْ﴾ فَيُهْلِكُوهُمْ، وَأَمَّا ﴿وَلِيُكَلِّسُوا عَلَيْهِمْ  
 دِينَهُمْ﴾ أَيُّ: فَيُخَلِّطُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ. وَنَحْنُ ذَلِكَ قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ  
 زَيْدٍ: بَنَ اسْلَمَ وَقَتَادَةُ. وَقَدْ كَانُوا أَيْضًا يَقْتُلُونَ الْأَوْلَادَ مِنَ الْإِمْلَاقِ، وَهُوَ:  
 الْفَقْرُ، أَوْ خَشْيَةُ الْإِمْلَاقِ أَنْ يَحْصُلَ لَهُمْ فِي تَلَفِ الْمَالِ، وَقَدْ نَاهَاهُمْ عَنْ قَتْلِ  
 أَوْلَادِهِمْ لِلذَّلِكِ، وَإِنَّمَا كَانَ هَذَا كُلُّهُ مِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ، وَزَيَّنَتْهُ لَهُمْ ذَلِكَ.  
 ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَكَّوْهُ﴾ أَيُّ: كُلُّ هَذَا وَاقِعٌ بِمَشِيتِهِ تَعَالَى  
 وَإِرَادَتِهِ وَاخْتِيَارِهِ لِلذَّلِكِ كَوْنًا، وَلَهُ الْحِكْمَةُ التَّامَّةُ فِي ذَلِكَ، فَهُوَ لَا يَسْتَلْ  
 عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْتَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣]. ﴿فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾  
 أَيُّ: فَذَرَهُمْ وَاجْتَنِبْهُمْ وَمَا هُمْ فِيهِ، فَسَيَحْكُمُ اللَّهُ بَيْنَهُمْ.

الآية (١٣١): أَيُّ: إِنَّمَا أَعِزَّنَا إِلَى الثَّقَلَيْنِ بِإِرْسَالِ الرُّسُلِ وَإِنزَالِ  
 الْكُتُبِ؛ لِتَلَايَمَاتٍ أَحَدٌ بِظُلْمِهِ، وَهُوَ لَمْ يَنْفَعُهُ دَعْوَةُ، وَلَكِنْ أَعِزَّنَا إِلَى  
 الْأَمَمِ، وَمَا عَذَّبْنَا أَحَدًا إِلَّا بَعْدَ إِرْسَالِ الرُّسُلِ إِلَيْهِمْ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى:  
 ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنَّا  
 مُعَذِّبِينَ حَتَّى يَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥٥]، وَالْآيَاتُ فِي هَذَا كَثِيرَةٌ.

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَيَحْتَمِلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيُظْلَمُ﴾ وَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا: ذَلِكَ  
 مِنْ أَجْلِ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مَهْلِكُ الْقُرَى بِظُلْمِ أَهْلِهَا بِالْشُرْكِ وَنَحْوِهِ، وَهَمَّ  
 غَافِلُونَ، يَقُولُ: لَمْ يَكُنْ يَمَاجِلُهُمُ بِالْمَقْبُوحَةِ حَتَّى يَبْعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا يَنْبَهُهُمْ  
 عَلَى حُجُجِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، وَيَنْذِرُهُمْ عَذَابَ اللَّهِ يَوْمَ مَعَادِهِمْ، وَلَمْ يَكُنْ بِالَّذِي  
 يُؤَاخِذُهُمْ غَفْلَةً يَقُولُوا: ﴿مَا جَاءَنَا مِنْ نَذِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾ [الأنعام: ١٩].  
 وَالْوَجْهُ الثَّانِي: لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ لِيُهْلِكَهُمْ دُونَ النَّبِيِّهِ وَالتَّذْكِيرِ بِالرُّسُلِ  
 وَالْآيَاتِ وَالْعَرَبِ، فَيُظْلِمُهُمْ بِذَلِكَ، وَاللَّهُ غَيْرُ ظَلَامٍ لِعَبِيدِهِ.

ثُمَّ شَرَعَ يَرْجِعُ الْوَجْهَ الْأَوَّلَ، وَلَا شَكَّ أَنَّهُ أَقْوَى، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.  
 الْآيَةُ (١٣٢): أَيُّ: وَلِكُلِّ عَامِلٍ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ أَوْ مَعْصِيَةِ مَنَازِلٍ  
 وَمَرَاتِبٍ مِنْ عَمَلِهِ يَبْلُغُهُ اللَّهُ إِيَّاهَا، وَيُثَبِّتُهَا، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٍ، وَإِنْ شَرًّا  
 فَشَرٌّ. وَيَحْتَمِلُ أَنْ [يَكُونَ الْمَقْصُودُ] مِنْ كَافِرِي الْجَنِّ وَالْإِنْسِ؛ أَيُّ:  
 وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ فِي النَّارِ بِحَسَبِهِ؛ كَقَوْلِهِ: ﴿قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ﴾ [الأعراف: ٣٨].  
 ﴿وَمَا رَبُّكَ بِمَنْفَعٍ عَنَّا بِتَمَلُّوتٍ﴾ قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: أَيُّ وَكُلِّ ذَلِكَ  
 مِنْ عَمَلِهِمْ - يَا مُحَمَّدٌ - يَعْلَمُ مِنْ رَبِّكَ، يُحْصِيهَا وَيُثَبِّتُهَا لَهُمْ عِنْدَهُ،  
 لِيُجَازِيَهُمْ عَلَيْهَا عِنْدَ لِقَائِهِمْ إِيَّاهُ وَمَعَادِهِمْ إِلَيْهِ.

الآية (١٣٣-١٣٥): يَقُولُ تَعَالَى: ﴿وَرَبُّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿الْقَوِيُّ﴾  
 أَيُّ: عَنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ، وَهُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَيْهِ فِي جَمِيعِ  
 أَحْوَالِهِمْ، ﴿ذُرِّ الرِّجْسِ﴾ أَيُّ: وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ رَحِيمٌ بِهِمْ؛ كَمَا قَالَ  
 تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِأَلْسِنِ لَوْثٍ رَهِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣]. ﴿إِنْ يَشَأْ  
 يُذْهِبْكُمْ﴾ أَيُّ: إِذَا خَالَفْتُمْ أَمْرَهُ ﴿وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا  
 يَشَأْ﴾ أَيُّ: قَوْمًا آخَرِينَ، أَيُّ: يَعْمَلُونَ بِطَاعَتِهِ، ﴿كَمَا أَنْتَ أَكْثَرُ  
 مِنْ ذُرِّيَّتِهِ قَوْمٍ عَاصِينَ﴾ أَيُّ: هُوَ قَادِرٌ عَلَى ذَلِكَ، سَهْلٌ عَلَيْهِ،  
 يَسِيرٌ لَدَيْهِ، كَمَا أَذْهَبَ الْقُرُونُ الْأَوَّلُ وَأَتَى بِالَّذِي بَعْدَهَا كَذَلِكَ هُوَ  
 قَادِرٌ عَلَى إِذْهَابِ هَؤُلَاءِ وَالْإِتْيَانِ بِآخَرِينَ. وَعَنْ أَبَانَ بْنِ عَشِيَّانَ قَالَ:  
 الذَّرِيَّةُ: الْأَصْلُ، وَالذَّرِيَّةُ: النَّسْلُ. وَقَوْلُهُ: ﴿إِنْ مَا تَوْعَدُونَ  
 لَأَن يَأْتِيَهُمْ - يَا مُحَمَّدٌ - أَنْ الَّذِي يُوعَدُونَ بِهِ مِنْ أَمْرِ الْمَعَادِ كَائِنْ لَا  
 عَمَلَهُ، ﴿وَمَا أَنتَ بِمُعْجِزٍ﴾ وَلَا تُعْجِزُونَ اللَّهَ، بَلْ هُوَ قَادِرٌ عَلَى  
 إِعَادَتِكُمْ، وَإِنْ صَرَّمَتْ تَرَابًا رَفَاتًا، وَعِظَامًا هُوَ قَادِرٌ لَا يَعْجِزُهُ شَيْءٌ.

وَقَوْلُهُ: ﴿قُلْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ أَكْثَرُ﴾ عَلَى مَكَائِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَتَسَوَّفُ  
 تَعَلُّوتُكُمْ هَذَا تَهْلِيلٌ شَدِيدٌ، وَوَعِيدٌ أَكِيدُ؛ أَيُّ: اسْتَمِرُوا عَلَى طَرِيقَتِكُمْ  
 وَنَاحِيَتِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَنْظُرُونَ أَنْكُمْ عَلَى هُدًى، فَأَنَا مُسْتَمِرٌّ عَلَى طَرِيقَتِي  
 وَمَنْهَجِي. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿عَلَى مَكَائِكُمْ﴾ أَيُّ: نَاحِيَتِكُمْ. ﴿فَتَسَوَّفُ  
 تَعَلُّوتُكُمْ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَقِيبَةُ الذَّارِ إِتْمَانُهُ لَا يَفْلُحُ الظَّالِمُونَ﴾ أَيُّ:  
 أَنْتُمْ كُنْتُمْ أَوْ لَكُمْ. وَقَدْ أَجَزَّ مَوْعُودُهُ لَهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ؛ فَإِنَّهُ تَعَالَى  
 مَكَّنَّ لَهُ فِي الْبِلَادِ، وَحَكَّمَهُ فِي نَوَاصِي خَالْفِيهِ مِنَ الْعِبَادِ، وَفَتَحَ لَهُ مَكَّةَ،  
 وَأَظْهَرَهُ عَلَى مَنْ كَذَّبَهُ مِنْ قَوْمِهِ وَعَادَاهُ وَنَاوَاهُ، وَاسْتَقَرَّ أَمْرُهُ عَلَى سَائِرِ  
 جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَكَذَلِكَ الْيَمَنُ وَالْبَحْرَيْنِ، وَكُلِّ ذَلِكَ فِي حَيَاتِهِ. ثُمَّ

الآية (١٣٨): قال ابن عباس: «الْحِجْرُ»: الحرام؛ مِمَّا حَرَّمُوا، من الوصيلة، وتحريم ما حَرَّمُوا. وكذلك قال مجاهد، وقتادة، وغيرهما. وقال السدي: ﴿لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ شَاءَ رِزْقِهِمْ﴾ يقولون: حرام أن نطعم إلا من شئنا. وهذه الآية الكريمة كقول تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مِمَّا أَسْرَفَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقِهِ فَجَعَلَ بَيْنَهُ حَرَامًا وَعَلَاقًا قُلْ إِنَّ اللَّهَ آذَنَ لَكُمْ أَنْ عَلَى اللَّهِ تَقَرُّونَ﴾ [يونس: ٥٩]. وقال مجاهد: كان من إيلهم طائفة لا يذكرون اسم الله عليها ولا في شيء من شأنها، لا إن ربكوا، ولا إن حليوا، ولا إن حلوا، ولا إن تنجوا، ولا إن عملوا شيئاً. «أَفَرَأَيْتُمْ عَلَيْهِ» أي: على الله، وكذباً منهم في إسنادهم ذلك إلى دين الله وشرعته؛ فإنه لم يأذن لهم في ذلك ولا رضىه منهم، ﴿سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ أي: عليه، ويُسندون إليه.

الآية (١٣٩): قال ابن عباس: ﴿وَكَلُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ خَالِصَةً لَكُمْ وَرِثَةً﴾ قال: اللين؛ كانوا يجرمونهم على إناثهم، وشربه ذكراهم. وكانت الشاة إذا ولدت ذكرا ذبحوه، وكان للرجال دون النساء، وإن كانت أنثى تُرْكَتْ فلم تُذبح، وإن كانت ميتة فهم فيه شركاء. فنهى الله عن ذلك. وقال مجاهد في قوله: ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾ أي: قولهم الكذب في ذلك؛ يعني قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا نَصَبْنَا لَكُمْ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّفَتْرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ [النحل: ١١٦]. ﴿إِنَّهُ حَكِيمٌ﴾ أي: في أفعاله وأقواله وشرعه وقدره، ﴿عَلِيمٌ﴾ بأعمال عباده من خير وشر، وسيجزئهم على ذلك أتم الجزاء.

الآية (١٤٠): يقول تعالى: قد خَيْرَ الذين فعلوا هذه الأفعال في الدنيا والآخرة: أما في الدنيا فخرسوا وأولادهم يقتلهم، وضيقوا عليهم في أموالهم، فحرموا أشياء ابتدعوها من تلقاء أنفسهم، وأما في الآخرة فيصبرون إلى شر المنازل بكدّهم على الله وافتراءهم؛ كما قال تعالى: **قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ** ﴿يونس: ٦٩﴾.

الآية (١٤١-١٤٢): يقول تعالى بيانا لأنه الخالق لكل شيء من: الزروع والثمار والأنعام التي تصرف فيها المشركون بأرائهم الفاسدة وقسّموها وجزّءوها، فجعلوها منها حراما وحلالا، فقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ ﴿١﴾ عَنْ بَنِي عِبَاسٍ: ما عَرَّشَ من الكرم، ﴿وَعَنْ مَعْرُوشَاتٍ ﴿٢﴾ مَا لَمْ يُعْرَشَ مِنَ الْكَرَمِ. وكذا قال السدي. وقال ابن جُرَيْج: ﴿مُنْشَجِبًا وَعِزًّا مُنْشَجِبٍ﴾ قال: متشابه في المنظر، وغير متشابه في الطعم. وقال محمد بن كعب: ﴿كُلُّوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾ قال: من رُطْبِهِ وعنبه. وقوله: ﴿وَمَا أَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ قال ابن جرير: قال بعضهم: هي الزكاة المفروضة. وعن أنس بن مالك قال: ﴿وَمَا أَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ قال: الزكاة المفروضة. وقال ابن عباس: يعني: الزكاة المفروضة، يوم يُكَال ويُعْلَم كَيْلُهُ. وكذا قال سعيد بن المسيب، وطاووس، وأبو الشعثاء، وقائدة، والحسن، والضحاك، وابن جُرَيْج. وروى الإمام أحمد عن جابر أن النبي ﷺ أَمَرَ مِنْ كُلِّ جَادٍ عَشْرَةَ أَوْسُقٍ مِنَ التَّمْرِ، يَقْنُو يُلْقَى فِي

المسجد للمساكين [واسناده جيد قوي]. وقال الحسن البصري: هي الصدقة من الحب والشار. وقال آخرون: هو حق آخر سوى الزكاة. وقال مجاهد: عند الزرع يُعطي القَبْضَةَ، وعند الصَّرام يُعطي القَبْضَةَ، ويتركهم فينبعون آثار الصرام. وقال سعيد بن جبير: كان هذا قبل الزكاة: للمساكين، القَبْضَةُ الضَّغْتُ لِمَلَفٍ دَائِبَةٍ. وقال آخرون: هذا كان واجباً، ثم نَسَخَهُ الله بالْعُشْرِ ونصف العُشْرِ. حكاه ابن جرير عن ابن عباس، ومحمد بن الحنفية، وإبراهيم النخعي، وغيرهم. واختاره ابن جرير. قلت: وفي تسمية هذا نسخاً نظراً؛ لأنه قد كان شيئاً واجباً في الأصل، ثم إنه فُضِّلَ بيناهُ وبينَ مِقْدَارِ الْمُخْرَجِ وَكَمَيْتِهِ. قالوا: وكان هذا في السنة الثانية من الهجرة، فالله أعلم. وقوله: ﴿وَلَا تُشْرِفُوا﴾ [إِسْرَافٌ، لَا يُجِئُ الْتَشْرِيفُ] قيل: معناه: ولا تُشْرِفُوا في الإعطاء، فتمتعوا فوق المعروف. وقال عطاء: نُهِوا عن السَّرَفِ في كل شيء. وقال الشَّيْبِيُّ: لا تعطوا أموالكم، فتقعوا فقراء. وقال سعيد بن المسيب ومحمد بن كعب، في قوله: ﴿وَلَا تُشْرِفُوا﴾ قال: لا تمتعوا الصدقة فتقصوا ريبكم. ثم اختار ابن جرير قول عطاء: إنه نُهِيَ عن الإسراف في كل شيء. ولا شك أنه صحيح، لكن الظاهر -والله أعلم- من سياق الآية حيث قال تعالى: ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَمَاَوَا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُشْرِفُوا﴾ أن يكون عائداً على الأكل، أي: ولا تسرفوا في الأكل؛ لما فيه من مضرة العقل والبدن، وفي صحيح البخاري تعليقاً: «كلوا واشربوا، والبسوا وتصدقوا، في غير إسراف ولا مخيلة» [رواه أحمد وصححه إسناده أحمد شاكر]. وهذا من هذا، والله أعلم. وقوله: ﴿وَمِمَّا أَلْتَمَسْتُمْ حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾ أي: وأنشأ لكم من الأنعام ما هو حولة وما هو فرش، قيل: المراد بالحمولة ما يُحْمَلُ عليه من الإبل، والفرش الصغار منها. كما قال عبد الله: ﴿حَمُولَةٌ﴾ ما محل عليه من الإبل، ﴿وَفَرْشًا﴾ الصغار من الإبل. و[كذا] قال ابن عباس ومجاهد. وقال ابن عباس: ﴿وَمِمَّا أَلْتَمَسْتُمْ حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾ فأما الحمولة فالإبل والخيل والبغال والحمير، وكل شيء يُحْمَلُ عليه، وأما الفرش فالغنم. واختاره ابن جرير، وأحسبه إنما سُئِيَ فرشاً لدنونه من الأرض. قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: الحمولة ما تركبون، والفرش ما تأكلون وتحلبون، شاة لا تحمل، تأكلون لحمها وتتخذون من صوفها لحافاً وفرشاً. وهذا الذي قاله عبد الرحمن -في تفسير هذه الآية الكريمة- حسن، يشهد له قوله تعالى: ﴿فِيهَا رُكُوعُهُمْ وَمَتْنًا يَأْكُلُونَ﴾ [يس: ٧٢]. وقوله: ﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ أي: من الثمار والزروع والأنعام، فكلها خلقها الله وجعلها رزقاً لكم، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ أي: طرائقه وأوامره، كما اتبعها المشركون الذين حرَّموا ما رزقهم الله، أي: من الثمار والزروع افتراءً على الله، ﴿إِنَّهُ﴾ أي: إن الشيطان -أبها الناس- ﴿لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ أي: بَيِّنُ ظَاهِرُ الْعَدَاوَةِ؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: ٦]. والآيات في هذا كثيرة في القرآن.





## ● الوقفات التحذيرية

﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ مَضَّكُمْ اللَّهُ يَهْدِي مَنَ أَفَرَّى ﴾  
 على الله كذباً ليضل الناس يفرى إن الله لا يهدي القوم الظالمين ﴿  
 (أم كنتم شهداء أي: هل شاهدتم الله قد حرم هذا؟ ولما نزلهم الحجة  
 أخذوا في الافتراء فقالوا: كذا أمر الله، كذا أمر الله، فقال الله تعالى:  
 (فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً ليضل الناس بغير علم)؛ بين أنهم  
 كذبوا إذ قالوا ما لم يقم عليه دليل. القرطبي: ٧٩/٩.

السؤال: ما الواجب على كل من أراد أن يتكلم في حكم، أو مسألة، أو نازلة؟  
 ﴿ تَمَنَّى أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ  
 اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾

بين تعالى سوء مقصدهم بالافتراء؛ لأنه لو افترى أحد فريضة على الله لغير  
 معنى لكان ظلماً عظيماً، فكيف إذا قصد بهما إضلال أمته؟ ابن عطية: ٣٥٥/٢.  
 السؤال: افتراء الكذب له دركات، فايها أسوأ؟

﴿ تَمَنَّى أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ  
 اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾

من الظلم أن يقدم أحد على الإفتاء في الدين ما لم يكن قد غلب على ظنه أنه  
 يفتي بالصواب الذي يرضي الله؛ وذلك إن كان مجتهداً فبالاستناد إلى الدليل  
 الذي يغلب على ظنه مصادفته لمراد الله تعالى، وإن كان مقلداً فبالاستناد  
 إلى ما يغلب على ظنه أنه مذهب إمامه الذي قلده. ابن عاشور: ١٣٥/٨.

السؤال: لا يجوز الإقدام على الفتوى بغير علم، بين ذلك.  
 ﴿ أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا ﴾

هو الدم الذي يخرج من الذبيحة عند ذكاتها؛ فإنه الدم الذي يضر احتباسه  
 في البدن، فإذا خرج من البدن زال الضرر بأكُل اللحم. السعدي: ٢٧٧.

السؤال: لماذا أمر الله بسفح هذا الدم عند ذكاة الذبيحة؟  
 ﴿ أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا ﴾

مفهوم هذا اللفظ: أن الدم الذي يبقى في اللحم والعروق بعد الذبح أنه  
 حلال طاهر. السعدي: ٢٧٧.

السؤال: ذكر الله لنا حكم الدم المسفوح، فما حكم الدم الباقي بعد الذبح  
 في الجسد والعروق؟

﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ  
 حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُرُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا  
 اخْتَلَطَ بِغَيْرِهِمْ ذَلِكَ جَزْنَتُهُمْ بِغَيْرِهِمْ وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ ﴾

أي: ذلك التحريم عقوبة لهم. (بغيرهم) أي: بظلمهم من: قتلهم الأنبياء، وصنمهم  
 عن سبيل الله، وأخذهم الربا، واستحلال أموال الناس بالباطل. البغوي: ٧٥/٢.

السؤال: للمعصية شؤم على أهلها، بين ذلك من خلال الآية.  
 ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ  
 حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُرُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا  
 اخْتَلَطَ بِغَيْرِهِمْ ذَلِكَ جَزْنَتُهُمْ بِغَيْرِهِمْ وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ ﴾

(وعلى الذين هادوا) أي: اليهود خاصة... (بغيرهم) أي: بسبب ظلمهم وهو قتلهم  
 الأنبياء بغير حق، وأكلهم الربا وقد نهوا عنه، وأكلهم أموال الناس بالباطل،  
 وكانوا كلماً أتوا بمعصية عقوبوا بتحريم شيء مما أكل لهم. الألوسي: ٤٠٥/٨.  
 السؤال: أذية الصالحين وقتلهم مؤذنة للعقوبات الربانية، وضع ذلك.

تَمَنَّى أَزْوَاجٍ مِّنَ الْأَبْهَانِ أَفْتَنِينَ وَمِنَ الْمَعْنِ أَفْتَنِينَ  
 قُلْ أَلَّذِكْرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ  
 أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ نَحْنُ بِمَعْلَمٍ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٦﴾  
 وَمِنَ الْإِبِلِ أَفْتَنِينَ وَمِنَ الْبَقَرِ أَفْتَنِينَ قُلْ أَلَّذِكْرَيْنِ  
 حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ  
 أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّدَكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ  
 أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ  
 عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٧﴾ قُلْ لَا أَجِدُ  
 فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ  
 مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ  
 فِسْقًا أَلَمْ يَخْبِرِ اللَّهُ بِذَلِكَ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ وَلَا يَعْلَمُونَ  
 فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٨﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا  
 كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ  
 شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُرُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ  
 بِغَيْرِهِمْ ذَلِكَ جَزْنَتُهُمْ بِغَيْرِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٣٩﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
أَزْوَاجٍ	أَصْنَافٍ.
أَهْلٌ لِغَيْرِ اللَّهِ	ذُكْرٌ عِنْدَ ذِيهِ اسْمٌ غَيْرِ اللَّهِ.
كُلُّ ذِي ظُفْرٍ	كُلُّ مَا لَمْ يَكُنْ مَشْقُوقَ الْأَصَابِعِ، كَالْإِبِلِ وَالنَّعَامِ.
الْحَوَايَا	الْأَمْعَاءُ.

## ● العمل بالآيات

١. اجمع أنواع المحرمات في الآية، وأعرف المراد منها، ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ ﴾.
٢. اكتب رسالة تبين فيها أن الطعام الحلال أكثر وأعظم بركة من الطعام الحرام، فعلياً الاكتفاء به، ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ ﴾.
٣. راجع أنواع الأطعمة التي تاكلها، وابتعد عن المحرم أو ما كان شديد الاشتباه؛ لأن عاقبته سيئة على الدين، والعقل، والبدن، ﴿ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أَلَمْ يَخْبِرِ اللَّهُ بِذَلِكَ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ وَلَا يَعْلَمُونَ ﴾.

## ● التوجيهات

١. لا أحد أظلم ممن يكذب على الله تعالى، فيشرع لعباده ما لم يشرعه الله، ﴿ تَمَنَّى أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾.
٢. على المفتي الذي يفتي الناس بالحل والحرم أن يفتي عن علم، وإلا كان داخل تحت الوعيد، ﴿ تَمَنَّى أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾.
٣. إهمال الله تعالى المجرمين لا يدل على عدم عقوبتهم؛ فإن بأس الله لا يعلم متى يأتي، ﴿ ذَلِكَ جَزْنَتُهُمْ بِغَيْرِهِمْ وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ ﴾.

الآية (١٤٣-١٤٤): وهذا بيانٌ لجهل العرب قبل الإسلام فيما كانوا حَرَمُوا من الأنعام، وجعلوها أجزاءً وأنواعًا: بحيرة، وسائبة، ووصيلة وحامًا، وغير ذلك من الأنواع التي ابتدعوها في الأنعام والزروع والثمار، فَبَيَّنَ أنه تعالى أنشأ أجنات معروشات وغير معروشات، وأنه أنشأ من الأنعام حولةً وفرشًا. ثم بَيَّنَّ أصناف الأنعام إلى: غنم وهو بياض، وهو الضَّان، وسواد وهو الممزر، ذَكَرَهُ وَأَنشَأَهُ، وإلى إبل، ذكورها وإنثائها، وبقر كذلك. وأنه تعالى لم يُحَرِّم شيئًا من ذلك ولا شيئًا من أولادها. بل كلها مخلوقة لبني آدم أَكْلًا وركوبًا وحولةً وحلبًا وغير ذلك من وجوه المنافع، كما قال: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمِينَةَ أَرْوَاحٍ﴾ الآية [الزمر: ٦]. وقوله: ﴿أَمَّا أَتَسَكَّنَتْ عَلَى أَرْحَامِ الْأُنثَيْنِ؟ رَدُّ عَلَيْهِمْ فِي قَوْلِهِ: ﴿مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَفْئِمِ خَالِصَةٌ إِلَيْنَا وَلِلنَّاسِ وَمُحَرَّمٌ عَلَى الْأَرْوَاحِ﴾ [الأنعام: ١٣٩]. وقوله: ﴿يَتَّبِعُونَ بِإِيمَانٍ لَّنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أي: أخبروني عن يقين: كيف حَرَّمَ الله عليكم ما زعمنتم تحريمه من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ونحو ذلك؟! وقوله: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ مَضَّكُمْ اللَّهُ بِهَذَا؟﴾ تَهَكُّمٌ بِهِمْ فيما ابتدعوه وافتروه على الله من تحريم ما حرمه من ذلك، ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِفِتْنِهِ عَلَيْهِ﴾ أي: لا أحد أظلم منه، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾. وأوَّل من دخل في هذه الآية: عمرو بن لُحَيٍّ، فإنه أوَّل من غيَّرَ دين الأنبياء، وأوَّل من سَيَّبَ السَّوَابِ، ووصل الوصيلة، وحَمَى الحامى كما ثبت في الصحيح.

الآية (١٤٥): يقول تعالى آمراً عبده ورسوله محمدًا صلوات الله وسلامه عليه: ﴿قُلْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ حَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ: ﴿لَا أُجِدُّ لِمَا أُحَرِّمُ عَلَى طَاعِمٍ يَتَّقُمُ﴾: أي: أكله. يأكله. قيل: معناه: لا أُجد شيئاً مما حَرَّمْتُمْ حراماً سوى هذه. وقيل: معناه: لا أُجد من الحيوانات شيئاً حراماً سوى هذه. فعلى هذا يكون ما وَرَدَ من التحريمات بعد هذا في سورة «المائدة»، وفي الأحاديث الواردة، رافعاً لمفهوم هذه الآية. ومن الناس من يُسمِّي ذلك نسخاً، والأكثرون من المتأخرين لا يسمونه نسخاً؛ لأنه من باب رفع مباح الأصل، والله أعلم. وقال ابن عباس: ﴿أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾ يعني: المهرق. وقال عكرمة في قوله: ﴿أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾ لولا هذه الآية لنتبّع الناس ما في العُرُوق، كما تتبّع اليهود. وقال قتادة: حرّم من الدماء ما كان مسفوحاً، فأما لحمٌ خالطه دم فلا بأس به. وقوله: ﴿وَمَنْ أَضْطَرَّ عَيْرَ بِلَاحٍ وَلَا عَادٍ﴾: أي: فمن اضطر إلى أكل شيء مما حَرَّمَ في هذه الآية الكريمة، وهو غير متلبّس ببغني ولا عدوان ﴿فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: أي: غفور له، رحيم به. والمقصود من سياق هذه الآية الكريمة الرد على المشركين الذين ابتدعوا ما ابتدعوه من تحريم المحرمات على أنفسهم بأرائهم الفاسدة من البحيرة والسائبة

والوصيلة والحام، ونحو ذلك، فأمر الله رسوله أن يخبرهم أنه لا يجد فيها أوحاه الله إليه أن ذلك محرم، وإننا حُرِّم ما ذُكر في هذه الآية من الميتة، والدم المسفوح، ولحم الخنزير، وما أهل لغير الله به. وما عدا ذلك فلم يحرم، وإننا هو حقٌّ مسكوتٌ عنه، فكيف تزعمون أنتم أنه حرام، ومن أين حرَّمتموه ولم يحرمه الله؟! وعلى هذا فلا يُفنى تحريم أشياء أُخر فيها بعد هذا، كما جاء النهي عن لحوم الحمر ولحوم السباع، وكل ذي خلب من الطير، على المشهور من مذاهب العلماء.

الآية (١٤٦): قال ابن جرير: يقول تعالى: وحرمنا على اليهود ﴿كُلَّ ذِي ظُفْرٍ﴾ وهو البهائم والطير ما لم يكن مشقوق الأصابع، كالإبل والنعام والأوز والبط. قال ابن عباس: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمًا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ﴾ وهو البعير والنعام. وكذا قال مجاهد. وقوله: ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهَا﴾ قال السدي: يعني: الثَّرَبَ وشحم الكليتين. وكانت اليهود تقول: إنه حَرَّمَهُ إسرائيل فنحن نُحَرِّمُهُ. وكذا قال ابن زيد. وقال قتادة: الثَّرَبُ وكل شحم كان كذلك ليس في عظم. وقوله: ﴿وَالْحَوَاكِبَ﴾ قال الإمام ابن جرير: ﴿الْحَوَاكِبَ﴾ جمع، واحدها حاوية وحاوية وَحَوِيَّةٌ، وهو ما تحوى من البطن فاجتمع واستدار، وهي بنات اللبن، وهي «الباعر»، وتسمى «الرايض»، وفيها الأمعاء. قال: ومعنى الكلام: ومن البقر والغنم حَرَّمْنَا عليهم شحومها، إلا ما حلت ظهورها وما حلت الحوايا. وقوله: ﴿وَأُ مَا أَتَخَلَّطُ بِظَهْرٍ﴾ أي: وإلا ما اختلفت من الشحوم بالمعظم فقد أحللناه لهم. وقال ابن جُرَيج: شحم الآية اختلفت بالْعَصْمُص، فهو حلال. وكل شيء في القوائم والجنب والرأس والعين وما اختلفت بهظم، فهو حلال، ونحوه قال السدي. وقوله: ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِسَيِّئِهِمْ﴾ أي: هذا التضييق إنما فعلناه بهم وألزمناهم به، مجازة لهم على بغيهم ومخالفتهم أوامرنا؛ كما قال تعالى: ﴿فَيُظْفَرُونَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمًا عَلَيْهِمْ طَيْبَاتٌ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٦٠]. وقوله: ﴿وَأَنَا لَصَادِقُونَ﴾ أي: وأنا لصادقون فيما جزيناها به. وقال ابن جرير: ولنا لصادقون فيما أخبرناك به - يا محمد - من تحريمنا ذلك عليهم، لا كما زعموا من أن إسرائيل هو الذي حَرَّمَهُ على نفسه، والله أعلم. وقال ابن عباس: بلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن سَمُرَةَ باع حُرَّاءَ، فقال: قاتل الله سمرة! ألم يعلم أن رسول الله ﷺ قال: «لعن الله اليهود، حَرَّمَتْ عليهم الشحوم فجعلوها قبايعوها» [متن عليه]. وعن جابر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول عام الفتح: «إن الله ورسوله حَرَّمَ بيع الخمر والميتة والتخزير والأصنام». فقيل: يا رسول الله، أُرِيتَ شحوم الميتة؟ فإنه يدهن بها الجلود ويُطلى بها السفن، وَيَسْتَصْبِحُ بها الناس. فقال: «لا، هو حرام». ثم قال رسول الله ﷺ عند ذلك: «قاتل الله اليهود، إن الله لَمَّا حَرَّمَ عليهم شحومها فجعلوها، ثم باعوه وأكلوا ثمنه» [متن عليه].



الآية (١٤٧): يقول تعالى: **فَإِنْ كَذَّبَ - يَا مُحَمَّد - مَخْلُوفُكَ مِنَ الْمَشْرِكِينَ وَالْيَهُودِ وَمَنْ شَابَهُمْ: ﴿فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَسِعَتْ﴾** وهذا ترغيب لهم في ابتغاء رحمة الله الواسعة، واتباع رسوله ﷺ، **﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾** ترهيب لهم من مخالفتهم الرسول خاتم النبيين. وكثيراً ما يقرن الله تعالى بين الترغيب والترهيب في القرآن؛ كما قال في آخر هذه السورة: **﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَشَدِيدُ الرَّجِيمِ﴾** [الأنعام: ١٦٥]، وقال: **﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَقْفَرٍ لِّنَّاسٍ عَلَى ظَلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾** [الرعد: ٦]، وقال تعالى: **﴿نَبِيٌّ عَادَى أَتَيْتُ أَنَا الْقَفُورُ الرَّحِيمُ﴾** (١) **﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾** [الحجر: ٤٩-٥٠]، وقال تعالى: **﴿غَافِرُ الذَّنْبِ وَقَابِلُ التَّوْبِ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾** [غافر: ٣]، والآيات في هذا كثيرة جداً.

الآية (١٤٨-١٥٠): هذه مناظرة ذكَّرها الله تعالى وشبهه تشبَّث بها المشركون في شركهم وتحريم ما حرَّموا، [وهي]: **أَنْ اللَّهُ مُطَّلِعٌ عَلَى مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الشَّرِكِ وَالتَّحْرِيمِ لِمَا حَرَّمَهُ، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى تَغْيِيرِهِ بَأَنْ يُلْهَمَنَا الْإِيمَانَ وَيُجَوِّلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْكُفْرِ، فَلَمْ يَغْيِرْهُ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ بِمَشِيتِهِ وَإِرَادَتِهِ وَرِضَاؤِهِ مَتَأْ بِذَلِكَ!** ولهذا قال: **﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاءُنَا وَلَا حَرَمًا مِّنْ شَيْءٍ﴾** كما في قوله: **﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾** [الزخرف: ٢٠]. **﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾** أي: بهذه الشبهة ضلَّ من ضلَّ قبل هؤلاء. وهي حجة داحضة باطله؛ لأنها لو كانت صحيحة لَمَّا أَذَاقَهُمُ اللَّهُ بِأَسْهٍ، وَدَسَّرَ عَلَيْهِمْ، وَأَدَّالَ عَلَيْهِمْ رُسُلَهُ الْكَرَامَ، وَأَذَاقَ الْمَشْرِكِينَ مِنَ أَلِيمِ الْإِنْتِقَامِ. **﴿قُلْ هَلْ عِندَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ﴾** أي: بَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى رَاضٍ عَنْكُمْ فِيمَا أَنْتُمْ فِيهِ **﴿فَنُخْرِجُوهُمْ لَنَّا﴾** أي: نُظْهِرُهُمْ لَنَا وَنُبَيِّنُهُ وَنُفَرِّزُهُ، **﴿إِنْ تَكْفُمُونَ إِلَّا الظُّلُمَ﴾** أي: الْوَهْمَ وَالْخَيَالَ. والمراد بالظن ههنا: الاعتقاد الفاسد. **﴿وَإِنْ أَنَسْتُمْ إِلَّا تُخْرَسُونَ﴾** أي: تكذبون على الله فيما ادعيتموه.

يقول تعالى لنبيه ﷺ: **﴿قُلْ﴾** لهم يا محمد: **﴿فَبِئْسَ الْخَبِيرَةُ﴾** أي: له الحكمة النافذة، والحجة البالغة في هداية من هدى، وإضلال من أضلَّ، **﴿فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ﴾** وكل ذلك بقدرته ومشيتته واختياره، وهو مع ذلك يرضى عن المؤمنين ويُبْعِضُ الْكَافِرِينَ، كما قال: **﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعْتُهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾** [الأنعام: ٣٥]، وقال: **﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ﴾** [يونس: ٩٩]. قال الضحاك: لا حجة لأحد عصى الله، ولكن لله الحجة البالغة على عباده. وقوله: **﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمْ﴾** أي: أحضروا شهداءكم **﴿الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا﴾** أي: هذا الذي حرَّمْتُمُوهُ وكذبتم وافترستم على الله فيه، **﴿فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدُ مَعَهُمْ﴾** أي: لأنهم إنما يشهدون - والحالة هذه - كذباً وزوراً، **﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايِنِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَحِيدُونَ﴾** أي: يشركون به، ويعملون له عديلاً.

الآية (١٥١): عن ابن عباس يقول: إن في الأنعام آيات محكمات هن أم الكتاب، ثم قرأ: **﴿قُلْ تَكَلَّأُوا أَنْتُمْ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾** الآيات. يقول تعالى لنبيه ورسوله محمد ﷺ: قل - يا محمد - هؤلاء المشركين الذين عبدوا غير الله، وحرَّموا ما رَزَقَهُمُ اللَّهُ، وقتلوا أولادهم،

وكل ذلك فعلوه بآرائهم وتسويل الشياطين لهم، **﴿قُلْ﴾** لهم: **﴿تَكَلَّأُوا﴾** أي: هَلُمُّوا وَأَقْبِلُوا: **﴿أَنْتُمْ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾** أي: أَقْصُ عَلَيْكُمْ وأخبركم بما حَرَّمَ ربكم عليكم حقاً لا تخْرُصاً، ولا ظناً، بل وحياً منه وأمرًا من عنده **﴿أَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾** أي: سَيِّئاً، والكلام محذوفاً دلَّ عليه السياق، وتقديره: ووصاكم **﴿أَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾** أي: سَيِّئاً؛ ولهذا قال في آخر الآية: **﴿ذَلِكُمْ وَصَّكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَقْوُونَ﴾**. وعن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: **﴿يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي فَأَنِي أَغْفِرُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أُبَالِي، وَلَوْ أَتَيْتَنِي بِقَرَابِ الْأَرْضِ خَطِيئَةً أَتَيْتَكَ بِقَرَابِهَا مَغْفِرَةً، مَا لَمْ تَشْرِكْ بِي شَيْئاً﴾** [رواه أحمد، وصححه الألباني]. ولهذا شاهد في القرآن، قال الله تعالى: **﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾** [النساء: ٤٨]. وعن ابن مسعود: **﴿مَنْ مَاتَ لَا يَشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئاً، دَخَلَ الْجَنَّةَ﴾** [متفق عليه]. والآيات والأحاديث في هذا كثيرة جداً. وقوله: **﴿وَالَّذِينَ إِحْسَنًا﴾** أي: ووصاكم وأمركم بالوالدين إحساناً، أي: أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِمْ؛ كما قال تعالى: **﴿وَقَصِّ رَبُّكَ أَنَّهُ مَعْبُودٌ إِلَّا إِلَٰهَ الْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا﴾** [الإسراء: ٢٣]. والله تعالى كثيراً ما يقرن بين طاعته وِبرِّ الوالدين. فَأَمَرَ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمَا، وَإِنْ كَانَا مُشْرِكِينَ بِحَسَبِهِمَا. والآيات في هذا كثيرة، وعن ابن مسعود قال: سألت رسول الله ﷺ: أي العمل أحب إلى الله؟ قال: **﴿الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا﴾**. قلت: ثم أي؟ قال: **﴿بِرِّ الْوَالِدَيْنِ﴾** الحديث [متفق عليه]. وَلَمَّا أَوْصَى تَعَالَى بِبِرِّ الْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ، عَطَفَ عَلَى ذَلِكَ الْإِحْسَانَ إِلَى الْأَنْبَاءِ وَالْأَحْفَادِ، فقال: **﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ﴾** [متفق عليه]؛ وذلك أنهم كانوا يقتلون أولادهم كما سَوَّلَتْ لَهُمُ الشَّيَاطِينُ ذَلِكَ، فكانوا يندون البنات خَشْيَةَ الْعَارِ، وربما قتلوا بعض الذكور خِيفَةَ الْإِنْقَارِ؛ وعن ابن مسعود، أنه سأل رسول الله ﷺ: أي الذنب أعظم؟ قال: **﴿أَنْ تَجْعَلَ اللَّهَ نَدًا وَهُوَ خَلْقَكَ﴾**. قلت: ثم أي؟ قال: **﴿أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَشْيَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ﴾** الحديث [متفق عليه]. وقوله: **﴿مَنْ لَمَّتْ﴾** قال ابن عباس وقادة: هو الفقير، أي: ولا تقتلوه من فقركم الحاصل، وقال: **﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾** [الإسراء: ٣١]، أي: خِيفَةَ حُصُولِ فَقْرٍ فِي الْآجِلِ؛ ولهذا قال هناك: **﴿تَحَنَّنْ رَبُّهُمْ وَيَتَذَكَّرْ﴾** [الإسراء: ٣١] فبدأ برزقهم للاهتمام بهم، أي: لا تخافوا من فقركم بسببهم، فرزقهم على الله. وأما في هذه الآية فلَمَّا كَانَ الْفَقْرُ حَاصِلًا قَالَ: **﴿تَحَنَّنْ رَبُّكُمْ وَإِسَاءَتُهُ﴾**؛ لأنه الأهم ههنا، والله أعلم. وقوله: **﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾** كقوله: **﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾** [الأعراف: ٣٣]. **﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾** وهذا عمَّا نَصَّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى النَّهْيِ عَنْهُ تَأْكِيدًا، وإلا فهو داخل في النهي عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن. في الصحيحين، عن ابن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: **﴿لَا يَجِلْ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَّا بِأَحَدِي ثَلَاثَ: الثَّيِّبِ الزَّانِي، وَالنَّفْسِ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكِ لِدِينِهِ الْمَفَارِقِ لِلْجَمَاعَةِ﴾** **﴿ذَلِكُمْ وَصَّكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَقْوُونَ﴾** أي: هذا ما وصاكم به لعلكم تعقلون عنه أمره ونهيه.



﴿ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَسَعَةٍ ﴾ ﴿١﴾

**السؤال: لماذا ذُكرت رحمة الله بعد ذكر تكذيبهم للرسول؟**

**السؤال: ما الميزة أو الخاصية التي اختُصَّت بها هذه الوصايا؟**

**السؤال: إلى أي شيء دعانا الله تعالى في هذه الآية؟**

وهذا مما نصح تبارك وتعالى على النبي عنه تأكيداً، وإلا فهو داخل في النبي  
عن الفواشح ما ظهر منها وما بطن؛ فقد جاء في الصحيحين، عن ابن مسعود  
رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ (لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا  
إله إلا الله، وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس،  
والتارك لدينه المفارق للجماعة). ابن كثير: ١٨٠/٢.

**السؤال: النهي عن قتل النفس داخل في النهي عن الفواحش، فلماذا أعاد النهي عنه؟**

14A

١. إِذْ أَرَأَيْتَ الظَّالِمَ يَتَعَادَى فِي غِيهِ فَلَا تَحْزَنُ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَنْزِلُ بِأَسَهِ بِالْقَوْمِ الْمَجْرُمِينَ،  
فَإِذَا نَزَلَ بِهِمْ فَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدُهُمْ، ﴿وَلَا يُزِيدُ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾.

٢. عَلَى الدَّاعِيَةِ أَنْ لَا يَسْتَعِدَّ أَحْمَالُ تَكْذِيبِهِ مِنْ قِتْلِ بَعْضِ الدَّسُوفِينَ؛  
فَلَا يَكُنْ ذَلِكَ عَاقِبَةً أَمَامَهُ، ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَزَقْنَاكُمْ دُرُوحًا وَسَمَكًا﴾.

٣. الْهَادِيَةُ بِيَدِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَاطْلُبْهَا مِنْهُ، ﴿فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمِينَ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾

أي: بما فيه صلاحه وتميمه؛ وذلك بحفظ أصوله، وتمتير فروعه. القرطبي: ١١١/٩.

السؤال: كيف يكون إصلاح مال اليتيم؟

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾

وجه تخصيص حق اليتيم في ماله بالحفظ: أن ذلك الحق مظنة

الاعتداء عليه من الولي، وهو مظنة انعدام المدافع عنه. ابن عاشور: ١٦٤/٨.

السؤال: ما وجه تخصيص حق اليتيم في ماله بالحفظ في الآية الكريمة؟

﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْيَمَانَ لَا تَكُفُّوا نَفْسًا إِلَّا رُسْمَهَا﴾

أي: بقدر ما تسعه ولا تضيق عنه، فمن حرص على الإيفاء في الكيل والوزن، ثم حصل منه تقصير لم يُفَرِّط فيه ولم يعلمه فإن الله عفو غفور. السعدي: ٢٨٠.

السؤال: لم ذكر أنه لا تكلف نفس إلا وسعها بعد ذكر الأمر بإيفاء

الكيل والميزان؟

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ

عَنْ سَبِيلِهِ دَلِكُمْ وَصَّيْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

وهذه السبل تمم اليهودية والنصرانية والمجوسية، وسائر أهل الملل،

وأهل البدع والضلالات من أهل الأهواء والشذوذ في الفروع، وغير ذلك من

أهل التعمق في الجدل، والخوض في الكلام؛ هذه كلها عرضة للزلزل، ومظنة لسوء المعتقد. القرطبي: ١١٧/٩.

السؤال: ما السبل التي حذرنا الله تعالى من اتباعها؟

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ

عَنْ سَبِيلِهِ دَلِكُمْ وَصَّيْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

(ولا تتبعوا السبل): الطرق المختلفة في الدين من: اليهودية، والنصرانية،

وغيرها من الأديان الباطلة، ويدخل فيه أيضا البدع والأهواء المضلّة، وفي

الحديث: أن النبي -صلى الله عليه وسلم- خط خطا، ثم قال: (هذه سبيل الله)، ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله، ثم قال: (هذه كلها سبل؛ على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه). ابن جزي: ٢٩٢/١.

السؤال: ما رأيك في الانتماء لبعض الفرق المخالفة لمنهج أهل السنة بحجة أن فيها بعض الخير؟

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ

عَنْ سَبِيلِهِ﴾

إنما وحد سبيله لأن الحق واحد، ولهذا جمع السبل؛ لتفرقها، وتشعبها.

ابن كثير: ١٨٢/٢.

السؤال: لم جاء لفظ سبيل الله مفرداً، ولفظ سبل غير الله مجموعاً؟

﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَآرَكٌ﴾

تستخرج منه البركات؛ فما من خير إلا وقد دعا إليه، ورغب فيه، وذكر

الحكم والمصالح التي تحت عليه، وما من شر إلا وقد نهى عنه، وحذّر منه،

وذكر الأسباب المنفرة عن فعله، وعواقبها الوخيمة. السعدي: ٢٨١.

السؤال: ما وجوه البركة التي تضمنها هذا الكتاب العزيز؟

وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ  
وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْيَمَانَ لَا تَكُفُّوا نَفْسًا إِلَّا رُسْمَهَا  
وَسَعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ قَاعِدُوا لَوَكَّاتٍ ذَاتُ قُرَىٰ وَيَعْمَدِ  
اللَّهُ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّيْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٠﴾  
وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ  
فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ دَلِكُمْ وَصَّيْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ  
تَتَّقُونَ ﴿١٥١﴾ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَتَابَعًا عَلَى الَّذِي  
أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّعَالَمٍ يَلْقَاءُ  
رَبَّهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٢﴾ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَآرَكٌ فَاتَّبِعُوهُ  
وَأَتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٣﴾ أَن تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْأَنْبِيَاءُ  
عَلَيْنَا الْقُرْآنَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْنَا وَإِنْ كُنَّا عَلَىٰ ظُلُمَاتٍ مِنْ قُبْلَا  
وَأَن تَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُ  
فَقَدْ جَاءَكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنِ أَقْبَضَ عَنْهَا  
فَلَنَظْمُومٌ مِّنْ كَذِبٍ يُبَالِغُ اللَّهُ وَصَدَقَ عَنْهَا سَيِّحِرُ الَّذِينَ  
يَصْدُقُونَ عَنْ آيَاتِنَا سَوْءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُصَدِّقُونَ ﴿١٥٤﴾

١٥٩

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
يَبْلُغَ أَشُدَّهُ	يُصِلُ إِلَى سِنِّ الْبُلُوغِ، وَيَكُونُ رَاشِدًا.
بِالْقِسْطِ	بِالْعَدْلِ.
دِرَاسَتِهِمْ	قِرَاءَةِ كُتُبِهِمْ.
وَصَدَفَ	أَعْرَضَ.

## ● العمل بالآيات

١. اكنف يتيماً مباشرة، أو عن طريق مؤسسة موثوق فيها؛ فإن الله تعالى وصى باليتيم في ماله، فكيف بمن يكفله من عنده؟ ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾.
٢. انصح بعض الباعة المطففين في المكيال والميزان، ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْيَمَانَ لَا تَكُفُّوا نَفْسًا إِلَّا رُسْمَهَا﴾.
٣. تعاهد نفسك بقول العدل في كل أمر، ولو على نفسك، ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ قَاعِدُوا لَوَكَّاتٍ ذَاتُ قُرَىٰ﴾.

## ● التوجيهات

١. التزام الإسلام، والبراءة من غيره من الملل والطرق المنحرفة والمبتدعة هو الطريق المستقيم الموصول إلى الجنة، ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾.
٢. لقد حذر الله من العبث بحقوق اليتامى، ومن أكل أموالهم؛ فابتعد عن ذلك اشد الابتعاد، ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾.
٣. من كان له عمل وتجارة قائمة على الكيل والوزن فليخش الله تعالى، وليحذر من التطفيف، ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْيَمَانَ لَا تَكُفُّوا نَفْسًا إِلَّا رُسْمَهَا﴾.

الآية (١٥٤-١٥٥): لَمْ أَخْبِرَ اللَّهَ تَعَالَى عَنِ الْقُرْآنِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٣] عطف بمدح التوراة وروسوها، فقال: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ وكثيراً ما يقرن سبحانه بين ذكر القرآن والتوراة؛ كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ قَبْلَهُ كُتِبَ مُوسَى إِمَامًا

وقوله: ﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا لَكُنْتُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾ أي: وقطعنا تملّكم أن تقولوا: لو أنّا أنزل علينا ما أنزل عليهم لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فيها أوتوه؛ كقوله: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْسَى الْأُمَمِ﴾ [فاطر: ٤٢]، وهكذا قال ههنا: ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ يقول: فقد جاءكم من الله على لسان محمد ﷺ النبي العربي قرآن عظيم، فيه بيان للجلال والحرام، وهدى لبنا في القلوب، ورحمة من الله بعباده الذين يتبعونه ويقضون ما فيه. وقوله: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا﴾ أي: لم يتفجع بما جاء به الرسول، ولا اتبع ما أُرسل به، ولا ترك غيره، بل صَدَفَ عن اتباع آيات الله، أي: صرف الناس وَصَدَّمَهُم عن ذلك، قاله السُّدي. وعن ابن عباس، ومجاهد، وقَتادة: ﴿وَصَدَفَ عَنْهَا﴾: أعرض عنها. وقول السُّدي ههنا فيه قوة؛ لأنه قال: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا﴾ كما تقدم في أول السورة: ﴿وَمَنْ يَبْهِنَ عَنْهُ وَيَتَنَوَّعَ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٦]. وقد يكون المراد فيها قال ابن عباس، ومجاهد، وقَتادة: لا آمَنَ بها ولا عَمِلَ بها، ولكن كلام السدي أقوى وأظهر، والله أعلم.

إِكْمَالًا تَأْتًا لَمْ يَسْبِقْهُ أَحَدٌ إِلَى هَذَا الْكَمَالِ؛ وَهَذَا كَانَ خَاتَمَ الْأَنْبِيَاءِ، وَسَيِّدَ وَلَدِ آدَمَ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَصَاحِبَ الْمَقَامِ الْمَحْمُودِ الَّذِي يَرْغُبُ إِلَيْهِ الْخَلْقُ حَتَّى إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وقوله: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يأمره تعالى أن يُخبر المشركين -الذين يعبدون غير الله ويذبحون لغير اسمه- أنه يخالف لهم في ذلك؛ فإنَّ صلَّاته، لله ونُسُكُه على اسمه وحده لا شريك له، وهذا كقوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢] أي: أخلص له صلَّاتك وذيبحتك؛ فإنَّ للمشركين كانوا يعبدون الأصنام ويذبحون لها، فأمره الله تعالى بمخالفتهم والانحراف عما هم فيه، والإقبال بالقصد والنية والعزم على الإخلاص لله تعالى. وقوله: ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْكَافِرِينَ﴾ قال قتادة: أي من هذه الأمة. وهو كما قال: فإنَّ جميع الأنبياء قبله كلهم كانت دعوهم إلى الإسلام، وأصله عبادة الله وحده لا شريك له.

الآية (١٦٤): ﴿قُلْ يَا عَمَلُوا الشِّرْكَ بِلِلَّهِ فِي إِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ﴾ «أَعَزَّ اللَّهُ أَمْرِي رَبًّا» أي: أطلب ربًّا سواه، وهو رب كل شيء، يَرْبِّي وَيُحْفَظُنِي وَيَكُلِّفُنِي وَيُدَبِّرُ أَمْرِي، أي: لا أتوكل إلا عليه، ولا أنيب إلا إليه؛ لأنه رب كل شيء ومليكه، وله الخلق والأمر. فهذه الآية فيها الأمر بإخلاص التوكل، كما تضمَّنت الآية التي قبلها إخلاص العبادة له لا شريك له. وقوله: ﴿وَلَا تَكُفِّبْ كُلَّ نَفْسٍ إِلَّا عَالِيَهَا وَلَا زُرْ وَارِدَةً وَذَرَّ أُخْرَى﴾ إخبار عن الواقع يوم القيامة في جزاء الله تعالى وحكمه وعدله، أن النفوس إنَّما تجازى بأعمالها. إنَّ خيرًا فخير، وإنَّ شرًّا فشر، وأنه لا يجعل من خطيئة أحد على أحد. وهذا من عدله تعالى. وقوله: ﴿ثُمَّ لِي رِزْقٌ مَّجْمُوعٌ فَيُنْفِثُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ أي: اعملوا على مكانتكم، إنَّما عاملون على ما نحن عليه، فستعرضون وتعرض عليه، ويُنْثِنَا وَإِيَّاكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ، وما كنا نخلف فيه في الدار الدنيا.

الآية (١٦٥): يقول تعالى: ﴿وَمَنْ أَلْزَىٰ جَلْعَكُمْ عَلَيْنَا مِنَ الْأَرْضِ أَنْ جَعَلَكُمْ تُمَثِّرُونَ الْأَرْضَ جِلًّا بَعْدَ جِيلٍ، وَقَرْنًا بَعْدَ قَرْنٍ، وَخَلْقًا بَعْدَ سَلْفٍ. قَالَ ابْنُ زَيْدٍ وَغَيْرُهُ. وَقَوْلُهُ: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ أي: فَآوَتْ بَيْنَكُمْ فِي الْأَرْزَاقِ وَالْأَخْلَاقِ، وَالْمَحَاسَنِ وَالْمَسَاوِي، وَالْمَنَاطِرِ وَالْأَشْكَالِ وَالْأَلْوَانِ، وَلَهُ الْحِكْمَةُ فِي ذَلِكَ. وَقَوْلُهُ: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ أي لِيخْتَبِرَكُمْ فِي الَّذِي أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكُمْ وَأَمْتَحَنَكُمْ بِهِ؛ لِيخْتَبِرَ الْغَنَى فِي غِنَاهِ وَيَسْأَلَهُ عَنِ شُكْرِهِ، وَالْفَقْرَ فِي فَقْرِهِ وَيَسْأَلُهُ عَنِ صَبْرِهِ. وَقَدْ رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الدُّنْيَا حُلُوةٌ خَضِرَةٌ وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا لِيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا، وَاتَّقُوا النَّسَاءَ؛ فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةٍ بَنَىٰ إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النَّسَاءِ». وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ تَرْهَبُ وَتَرْغِبُ؛ أَنْ حَسَابَهُ وَعِقَابَهُ سَرِيعٌ فِيمَنْ عَصَاهُ وَخَالَفَ رِسْلَهُ ﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لِمَنْ وَالَاهُ وَاتَّبَعَ رِسْلَهُ فِيمَا جَاءَ بِهِ مِنْ خَيْرٍ وَطَلَبَ. وَكَثِيرًا مَا يَبْقُرُنَ تَعَالَىٰ فِي الْقُرْآنِ بَيْنَ هَاتَيْنِ الصَّفَتَيْنِ فَتَارَةً يَدْعُو عِبَادَهُ إِلَيْهِ بِالرَّغْبَةِ وَصِفَةُ الْجَنَّةِ وَالتَّرْغِيبُ فِيهَا لَدَيْهِ، وَتَارَةً يَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ بِالرَّهْبَةِ وَذِكْرَ النَّارِ وَأَنْكَالِهَا وَعَذَابِهَا وَالْقِيَامَةَ وَأَهْوَالِهَا، وَتَارَةً يَهْدِي وَبِهَذَا لِيَنْجِعَ فِي كُلِّ بِحْسَبِهِ.

آخر تفسير سورة الأنعام والحمد لله والمنة.

الآية (١٥٨): يقول تعالى متوعِّدًا للكافرين به، والمخالفين لرسوله والمكذِّبين بآياته، والصادِّين عن سبيله: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْغَلَائِكُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾، وذلك كائن يوم القيامة، «أَوْ يَأْتِي بَعْضُ مَا يَتَرَكُ رَبُّكَ»، وذلك قبل يوم القيامة كائن من أمارات الساعة وأشراتها. عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ثَلَاثٌ إِذَا خَرَجْتَ لَا تَنْفَعُ نَفْسًا إِيظَنَّا لَهَا تَكُنَّ مَأْمَنَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ تَكْسِبَ فِي إِيظَنِيهَا خَيْرًا»: طلوع الشمس من مغربها، والدَّجَالُ، ودَابَّةُ الْأَرْضِ «أَوْ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْغَلَائِكُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ»، فَمَا مِنْ كَانَ مُؤْمِنًا قَبْلَ ذَلِكَ، فَإِنْ كَانَ مُضِلِّحًا فِي عَمَلِهِ فَهُوَ بِخَيْرٍ عَظِيمٍ، وَإِنْ كَانَ غَلَطًا فَأَحَدُ ثَوْبَةٍ حَيْثُ لَمْ تُقْبَلْ مِنْهُ تَوْبَتُهُ، كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْأَحَادِيثُ الْمُتَقَدِّمَةُ، وَعَلَيْهِ يُجْمَلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَوْ كَسِبَتْ فِي إِيظَنِيهَا خَيْرًا﴾ أي: وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا كَسْبُ عَمَلٍ صَالِحٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ عَامِلًا بِهِ قَبْلَ ذَلِكَ. وَقَوْلُهُ: ﴿قُلْ أَنْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ تهديد شديد للكافرين، ووعد أكيد لمن سَوَّفَ بَيَانُهُ تَوْبَتَهُ إِلَى وَقْتٍ لَا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ. وَإِنَّمَا كَانَ الْحُكْمُ هَذَا عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، لِاقْتِرَابِ وَقْتِ الْقِيَامَةِ، وَظُهُورِ أَشْرَاطِهَا؛ كَمَا قَالَ: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا الْأَسَاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ أَشْرَطُهَا فَكَانَ لَمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ دَرَكُهُمْ﴾ [عند: ١٨].

الآية (١٥٩): قال مجاهد، وقاتدة، والضحاك، والسدي: نزلت هذه الآية في اليهود والنصارى. والظاهر أن الآية عامة في كل من فارق دين الله وكان مخالفًا له؛ فَإِنَّ اللَّهَ بَعَثَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، وَشَرْعُهُ وَاحِدٌ لَا اخْتِلَافَ فِيهِ وَلَا افْتِرَاقَ، فَمَنْ اخْتَلَفَ فِيهِ «وَكَاثُورًا بِصِمَا» أي: قَرَفًا كَامِلُ الْمَلَلِ وَالتَّحَلُّ -وهي الْأَهْوَاءُ وَالضَّلَالَاتِ- فَالْهُدَىٰ قَدْ بَرَأَ رَسُولُهُ مِمَّا هُمْ فِيهِ. فَهَذَا هُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، وَهُوَ مَا جَاءَتْ بِهِ الرِّسَالُ مِنْ: عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَالتَّمَسُّكُ بِشَرِيعَةِ الرُّسُولِ الْمُتَأَخَّرِ، وَمَا خَالَفَ ذَلِكَ فَضَّلَاتُ وَجِهَاتٍ وَأَرْأَى وَأَهْوَاءَ، وَالرَّسْلُ بُرَاءٌ مِنْهَا، وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّمَا أَزْمُرُكُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يَنْبِئُكُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ كَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنْ اللَّهُ عَلَّمَ كُلَّ شَيْءٍ مُشَاهِدًا﴾ [الحج: ١٧].

الآية (١٦٠): ثُمَّ يَبَيِّنُ كَيْفِيَّةَ فَصْلِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي حُكْمِهِ وَعَدْلِهِ فَقَالَ: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَثْنَاءَ لَهَا﴾ وَهَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ مُفْصَّلَةً لِمَا أَجْمَلَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى، وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ نَبْأَةٍ﴾ [النمل: ٨٩]، وَقَدْ وَدَّتِ الْأَحَادِيثُ مُطَابَقَةَ هَذِهِ الْآيَةِ؛ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ -فِيمَا يَرَوِي عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى-: «إِنْ رَبُّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ رَحِيمٌ؛ مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا إِلَى سَبْعِينَ أَلْفًا أَضْعَافَ كَثِيرَةٍ. وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ وَاحِدَةٌ أَوْ يَمْحُوهَا اللَّهُ ﷻ، وَلَا يَهْلِكُ عَلَى اللَّهِ إِلَّا هَالِكٌ» [متفق عليه].

الآية (١٦١-١٦٣): يقول تعالى أَمَرَ نَبِيَّهُ ﷺ سَيِّدَ الْمُرْسَلِينَ أَنْ يُخَبِّرَ بِمَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِ مِنَ الْهُدَايَةِ إِلَى صِرَاطِهِ الْمُسْتَقِيمِ، الَّذِي لَا اعْوَجَاجَ فِيهِ وَلَا انْحِرَافَ: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قَسِيمًا﴾ أي: قَاسِمًا ثَابِتًا، «وَدِينًا إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ» وليس يلزم من كونه عَلَيْهِ السَّلَامُ أَمَرَ بِاتِّبَاعِ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ الْحَنِيفِيَّةِ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمَ أَكْمَلَ مِنْهُ فِيهَا؛ لِأَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَامَ بِهَا قِيَامًا عَظِيمًا، وَأَكْمَلَ لَهُ



﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَتُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ انظُرُوا أَنَا مُنْظَرُونَ﴾

**السؤال: لماذا لا ينفع الإيمان إذا طلعت الشمس من مغربها؟**

﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ أَعْيَانِ رِبِّكَ لَا يَفْعَلُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَدْرًا﴾

والحكمة في هذا ظاهرة، فإنه إنما كان الإيمان ينفع إذا كان إيماناً بالغيب، وكان اختياراً من العبد، فإما إذا وجدت الآيات صار الأمر شهادة، ولم يبق للإيمان فائدة؛ لأنه يشبه الإيمان الضروري: كإيمان الفريق والحريق ونحوهما ممن إذا رأى الموت أقنع عمّا هو فيه. السعدي: ٢٨١.

السؤال: من خلال الآية بين - باختصار - أهمية الإيمان بالغيب.

﴿أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾

الإنسان يكتسب الخير بإيمانه؛ فالطاعة والبر والتقوى إنما تنفع وتتمو إذا كان مع العبد الإيمان، فإذا خلا القلب من الإيمان لم ينفعه شيء من ذلك السعدي: ٢٨٢.

### منها في الآخرة؟ ولماذا؟

﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾

قال مجاهد في قوله تعالى: (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً) قال: هم أهل البدع والشبهات؛ فهم في أمور مبتدعة في الشرع، مشتبهة في العقل. ابن تيمية: ١١٧/٣.

**السؤال: هل يدخل أهل البدع في هذه الآية الكريمة؟**

﴿ قُلْ إِنِّي هَدَىٰ رَبِّيَ إِلَىٰ مَرٰطِبٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٣١) قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿

وهذا عموم، ثم خُصص من ذلك أشرف العبادات فقال: (فَلِإِنْ صَلَاتِي وَنَسْكَي) أي: ذبحي؛ وذلك لشرف هاتين العبادتين وفضلهما، ولذاتهما على محبة الله تعالى، وإخلاص الدين له، والتقرب إليه بالقلب واللسان والجوارح، وبالدفع الذي هو بذل ما تحبه النفس من المال لما هو أحب إليها؛ وهو الله تعالى. السعدي: ٢٨١.

السؤال: الصلاة والنسك داخله في الآية الأولى، فلماذا أفردهما بالذكر؟

أي: حياتي ووفاتي (لله رب العالمين) أي: هو يحييني، ويميتني، وقيل: محياي بالعمل الصالح، ومماتي إذا مت على الإيمان لله رب العالمين. البغوي ٨٦/٢.

**السؤال: كيف يكون المحيا والممات لله رب العالمين؟**

﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

ترهيب وترغيب ان حسابه وعقابه سريع فيمن عصاه، وخالف رسله، وانه لظفور رحيم لمن والا، واتبع رسله فيما جاؤا به من خير وطلب ... تارة يدعو عباده إليه بالرغبة، وصفة الجنة، والترغيب فيما لديه، وتارة يدعوهم إليه بالرهبة، وذكر النار وانكالها وعذابها، والقباضة وأهلها، وتارة بهما ابن كثير: ١٩/٢.

**السؤال: لماذا تكون الدعوة مرة بالترهيب، ومرة بالترغيب، ومرة بهما؟**

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ الْمَلَأِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ  
آيَاتِكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا  
لَمْ تَكُنْ مِنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلْ لَنْظُرُوا  
إِنَّمَا يَنْظُرُونَ ۝٣٨ إِنَّا الَّذِينَ قَرَأُوا ذِكْرَهُمْ وَكَانُوا شَهِيدًا لَسْتَ  
مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ  
۝٣٩ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَلِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ  
فَلَا يَجِدْ فِي أَمْثَلِهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝٤٠ قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي  
إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَبِإِقْسَامِهِ أَزِيدُ بِهِ حَيْفًا وَمَا كَانَتْ  
مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝٤١ قُلْ إِنَّا صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ  
رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٤٢ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ  
۝٤٣ قُلْ أَغْبِرُوا لِيَ رَبِّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ  
نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ  
مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۝٤٤ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ  
خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي  
مَاءِ اتِّكِرْتُمْ ۝٤٥ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَوَّورٌ رَجِيمٌ ۝٤٦

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
شَيْعًا	فِرْقًا، وَأَحْزَابًا.
قِيَمًا	قَائِلًا بِأَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.
وُسْطَى	دَبْحِي.
وَلَا تَزِرْ	لَا تَحْمِلْ.
وَإِزَّةً	نَفْسَ آثِمَةٍ.
وَزَرَ	إِثْمَ.

## ● العمل بالآيات

١. انصَحْ بَعْضَ عِبَادِ الْقُبُورِ بِأَنْ الْعِبَادَةَ لَا تَصْرِفُ لغيرِ اللَّهِ، مُسْتَدَلًّا بِهَذِهِ الْآيَةِ: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

٢. الله تعالى الإخلاص في جميع أمورك، ولا تعمل عملاً إلا وأنت مستحضر فيه إخلاص النية، ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

٣. احسن إلى فقير، ﴿وَهُوَ الَّذِي جَلَّلَكُمْ خَلْقًا مِنْ أَرْضٍ رَفَعَ مِنْكُمْ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيُبْلِيَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾.

## ● التوجيهات

١. لَا تَسْأَلُ التَّوْبَةَ وَالْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ، فَقَدْ يَأْتِي عَلَيْكَ زَمَانٌ لَا تُمْكِنُ فِيهِ مِنْهَا،  
(يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ أُمَّةٍ بِرَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِنْهَا لَرُتَّكَنٌ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي  
إِسْمِنَا حَبْرًا).

٢. خالف المشركين واجعل ذبحك لله تعالى وحده، ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

٣. على الداعية أن يُنَوِّع أساليب دعوته؛ فمرة يرهّب الناس من عذاب الله وعقابه، وأخرى يرغبهم فيما عنده من النعيم والرضوان، وثالثة يجمع بينهما، ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْجَوَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

● ﴿التَّصَّ ١﴾ كَيْتَبُ أَنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾

الحروف المقطعة في أوائل السور اعقبت بذكر القرآن، أو الوحي، أو ما في معنى ذلك؛ وذلك يرجع أن المقصود من هذه الحروف التحجج، إبلاغاً في التحدي للعرب بالعجز عن الإتيان بمثل القرآن. ابن عاشور: ١٠/٨.

السؤال: لماذا يأتي ذكر الكتاب بعد ذكر الحروف المقطعة غالباً؟  
● ﴿أَتَمْنُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾  
ودلت الآية على ترك اتباع الآراء مع وجود النص. القرطبي: ١٥١/٩.

السؤال: ما التوجيه القرآني لمن يترك اتباع الدليل لأجل الأفكار والآراء؟  
● ﴿وَكَمْ مِّن قَرِيبٍ أَهْلَكْنَاهَا فَمَا بَأْسَآ يَتَنَآوُونَ أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾  
أي: فكان منهم من جاءه أمر الله وبأسه ونقمته (بيئات) أي: ليلاً، (أو هم قائلون): من القيلولة؛ وهي الاستراحة وسط النهار. وكلا الوقتين وقت غفلة وهو. ابن كثير: ١٩٢/٢.

السؤال: لماذا خصّ هذان الوقتان بنزول العذاب فيهما؟  
● ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَانَهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾  
وإنما جعل تكذيبهم ظلماً لأنه تكذيب ما قامت الأدلة على صدقه، فتكذيبه ظلم للأدلة. ابن عاشور: ٣٢/٨.

السؤال: تكذيب ما قامت الأدلة على صدقه نوع من الظلم، بين ذلك.  
● ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾  
اتفق أهل العلم -أهل الكتاب والسنة- على أن كل شخص سوى الرسول فإنه يؤخذ من قوله ويترك، إلا رسول الله ﷺ فإنه يجب تصديقه في كل ما أخبر، وطاعته في كل ما أمر؛ فإنه المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، وهو الذي يسأل الناس عنه يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾.  
ابن تيمية: ١٣٧/٣.

السؤال: من علاج التعصب المقيت أن تعلم أن كل شخص سوى الرسول ﷺ يؤخذ من قوله ويترك، وضع ذلك.  
● ﴿وَالَّذِينَ يَوْمِيزُوا الْحَقَّ مِمَّنْ تَقُولُوا مَرْيَمُ قَالُوا قَوْلُكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾  
فإن قلت: ليس الله -عز وجل- يعلم مقادير أعمال العباد؟ فما الحكمة في وزنها؟ قلت: فيه حكم، منها: إظهار العدل، وإن الله -عز وجل- لا يظلم عباده ... ومنها: تعريف العباد ما لهم من خير وشر، وحسنه وسيئته.  
القاسمي: ٢٩٧/١.

السؤال: ما الحكمة من وزن الأعمال مع علم الله تعالى بها؟  
● ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْتَكُم مِّمَّ صَوْرَتِكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَكِ أَنْزِلُوا فَنَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَا يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾  
ينبه تعالى بني آدم في هذا المقام على شرف أبيهم آدم، ويبين لهم عداوة عدوهم إبليس، وما هو منطوق عليه من الحسد لهم ولأبيهم؛ ليحذروا، ولا يتبعوا طرائقه. ابن كثير: ٩٩٣/٢.  
السؤال: ما الذي يفيد المسلم من عدم سجود إبليس لأبيه آدم؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التَّصَّ ١ كَيْتَبُ أَنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ٢ أَتَمْنُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ٣ وَكَمْ مِّن قَرِيبٍ أَهْلَكْنَاهَا فَمَا بَأْسَآ يَتَنَآوُونَ أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ٤ فَمَا كَانَ دَعْوَانَهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ٥ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ٦ فَلَنَقْصُصَ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ٧ وَمَا كُنَّا بِعَائِدِينَ ٨ وَالَّذِينَ يَوْمِيزُوا الْحَقَّ مِمَّنْ تَقُولُوا مَرْيَمُ قَالُوا قَوْلُكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ٩ وَمَنْ حَقَّتْ مَرْيَمُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ يَمَّا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلُمُونَ ١٠ وَلَقَدْ مَكَرُوا أَن يَكُونُوا لَكُمْ فِتْنَةً وَلَئِنْ لَّمْ يَكُونُوا فِتْنَةً لَّكَانُوا غَافِقِينَ ١١ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ نُفُورًا مَّزِيدًا لِّكُم مِّنْ دُونِ الْمَلَائِكَةِ ١٢ أَسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَا تَتَّبِعْهُ إِنَّهُ يَكُونُ مِّنَ السَّاجِدِينَ ١٣

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
بَأْسُنَا	عَذَابُنَا.
بَيِّنَاتٌ	بَيِّنَاتٌ بَيِّنَاتٌ.
قَائِلُونَ	قَائِلُونَ فِي نَصَبِ النَّهَارِ.
وَالْوِزْنَ	وَزْنَ أَعْمَالِ الْعِبَادِ.
مَعَايِشَ	مَا تَعْمَلُونَ بِهِ.

## ● العمل بالآيات

١. قل: «اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي، وعن يميني وعن شمالي، ومن فوقي، وأعوذ بعظمتك أن اغتال من تحتني»، ﴿وَكَمْ مِّن قَرِيبٍ أَهْلَكْنَاهَا فَمَا بَأْسَآ يَتَنَآوُونَ أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾.
٢. اذكر الله تعالى دائماً؛ وخصوصاً وقت غفلة الخلق، ﴿وَكَمْ مِّن قَرِيبٍ أَهْلَكْنَاهَا فَمَا بَأْسَآ يَتَنَآوُونَ أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾.
٣. اعترف اليوم بينك وبين ربك بظلمك وخطئك، واصلحه، وتب منه، فالاعتراف والتوبة عند نزول العذاب لا قيمة لها، ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَانَهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾.

## ● التوجيهات

١. المداومة على قراءة هذا القرآن وتدبره سبيل لتذكّر الأعمال الصالحة، وإصلاح الظاهر والباطن، ﴿كَيْتَبُ أَنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.
٢. وجوب اتباع الوحي، وحرمة اتباع ما يدعو إليه أصحاب الأهواء والمبتدعات، ﴿أَتَمْنُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾.
٣. الاعتبار بما حل بالدول الفاسدة والظالمة من خراب ودمار، ﴿وَكَمْ مِّن قَرِيبٍ أَهْلَكْنَاهَا فَمَا بَأْسَآ يَتَنَآوُونَ أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾.

جاءت به الرواية عن رسول الله ﷺ. ثم روى عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «ما هلك قوم حتى يُعَذِّبوا من أنفسهم» إرواه أحمد وصححه إسناده شعيب الأناؤوط. قال: قلت لعبد الملك: كيف يكون ذلك؟ قال: فقرأ هذه الآية: ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَانَهُ إِذْ جَاءَهُمْ أَتَانًا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾. قوله: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾ الآية، كقوله: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الفصل: ٦٥]؛ فَالرَّبُّ بَارِكُ وتعالى يوم القيامة يسأل الأمم عما أجابوا رسله فيها أرسل به، ويسأل الرسل أيضًا عن إيلاغ رسالاته. ولهذا قال ابن عباس في تفسير هذه الآية: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ قال: عما بلغوا. الآية (٧): قال ابن عباس في قوله: ﴿فَلَنَقْصُصَنَّهُمْ عَلَيْكُمْ يُعَلِّمُونَ﴾ غَالِيَيْنَ: يوضع الكتاب يوم القيامة، فيكتبكم بما كانوا يعملون، يعني: أنه تعالى يجز عبادهم يوم القيامة بما قالوا وبما عملوا، من قليل وكثير، وجليل وخفي؛ لأنه تعالى شهيد على كل شيء، لا يغيب عنه شيء، ولا يغفل عن شيء، بل هو العالم بخائنة الأعين وما تخفي الصدور ﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ مِنْ دَفْعَةٍ لِيَفْعَلُهَا وَلَا فَتْنَةٍ فَيُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَلَا يَكُنْ لَهُمْ فِيهَا رَبٌّ يُؤَدِّعُهُمْ وَلَا يَحْبِرُهُمْ﴾ [الأنعام: ٥٩].

الآية (٨-٩): يقول تعالى: ﴿وَالْوَزْنَ﴾ أي: للأعمال يوم القيامة ﴿الْحَقُّ﴾ أي: لا يظلم تعالى أحدا؛ كما قال تعالى: ﴿وَنُصْغُ الْمَوَازِينِ﴾ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ [الانبيا: ٤٧]. والذي يوضع في الميزان يوم القيامة، قيل: الأعمال وإن كانت أعراضًا، إلا أن الله يقلبها أجسامًا. وقيل: يوزن كتاب الأعمال، وقيل: يوزن صاحب العمل، وقد يمكن الجمع بين هذه الآثار بأن يكون ذلك كله صحيحًا؛ فتارة توزن الأعمال، وتارة توزن محالها، وتارة يوزن فاعلها.

الآية (١٠): يقول تعالى عنتا على عبده من أنه جعل الأرض قرارًا، وجعل لها رواسي وأنهارًا، وجعل لهم فيها منازل وبيوتًا، وأبواب منافعها، وسخر لهم السحاب لإخراج أرزاقهم منها، وجعل لهم فيها معاش، أي: مكاسب وأسبابًا يتجرون فيها، ويتسببون أنواع الأسباب، وأكثرهم مع هذا قليل الشكر، كما قال: ﴿وَلَنْ تَشْكُرُوا﴾ يَمُنَّ اللَّهُ لَا تَحْشُرُوا إِنَّكَ الْإِنْسَانُ لَكَفَّارٌ [البراهيم: ٣٤].

الآية (١١): يئنه تعالى بني آدم في هذا المقام على شرف أبيهم آدم، وبين لهم عداوة عدوهم إبليس، وما هو مُنْطَوٍّ عليه من الحسد لهم ولأبيهم آدم، ليحذروه ولا يتبعوا طرائقه. وهذا كقوله: ﴿وَلَا تَقَالُ تَبًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠]؛ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ [الحجر: ٢٨-٢٩]. وذلك أنه تعالى لما خلق آدم عَلَيْهِ السَّلَام بيده من طين لازب، وصوره بشرًا سويًا، ونفخ فيه من روحه، وأمر الملائكة بالسجود له تعظيمًا لشأن الرب تعالى وجلاله، فسمعوا كلهم وأطاعوا، إلا إبليس لم يكن من الساجدين. وهذا الذي قررناه هو اختيار ابن جرير: أن المراد بذلك كله آدم عَلَيْهِ السَّلَام، وإنما قيل ذلك بالجمع؛ لأنه أبو البشر.

سورة الأعراف مكية، [إلا ثلث آيات، وهي قوله تعالى: ﴿وَسَأَلْتَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا تَنْفَعُكَ الْجِبَلُ قَوْمَهُمْ﴾. وعدد آياتها (٢٠٦) آيات].

[فضل السورة]: عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قرأ في صلاة المغرب بسورة الأعراف، فترقها في ركعتين إرواه النسائي، وصححه الألباني.

الآية (١-٢): قد تقدم الكلام في أول «سورة البقرة» على ما يتعلق بالحروف، واختلاف الناس فيه. ﴿كُنْزٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ أي: هذا كتاب أنزل إليك من ربك، ﴿فَلَا يَكُنْ فِي سَكْرَةٍ مِنْ كَرَجٍ مِنْهُ﴾ قال مجاهد وقتادة: سُكْرٌ منه. وقيل: لا تتحرج به في إيلاعه والإنذار به، واصبر كما صبر أولو العزم من الرسل؛ ولهذا قال: ﴿وَلَنُذَرِّيَهُ﴾ أي: أنزل إليك لتنذر به الكافرين ﴿وَذَكَرْتُمُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

الآية (٣-٤): ثم قال تعالى مخاطبًا للعالم: ﴿أَتَقِيمُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أي: اتقوا آثار النبي الأمي الذي جاءكم بكتاب أنزل إليكم من رب كل شيء ومليكه، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ أي: لا تخرجوا عما جاءكم به الرسول إلى غيره، فتكونوا قد عدلتم عن حكم الله إلى حكم غيره. ﴿قَلِيلًا مِمَّا تَكْفُرُونَ﴾ كقوله: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّكَاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣]، وقوله: ﴿وَلَنُطِيعَ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦]، وقوله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الثَّانِي﴾ [يوسف: ١٠٦].

﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾ أي: بمخالفة رسلنا وتكذيبهم، فأعقبهم ذلك خزي الدنيا موصولًا بذل الآخرة؛ كما قال تعالى: ﴿فَكُلَّيْنِ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فِيهِ تَارِيخٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَبْعَثُ اللَّهُ عَلَيْهَا وَفَصْرًا مَشِيدًا﴾ [الحج: ٤٥]. وقال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَيْمَنَهَا فَنُفِثَ سَكْرَتُهَا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهَا فَلَا قِيْلَ وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ [الفصل: ٥٨]. وقوله: ﴿فَبَاءَهَا بِأَسْنَانٍ بَيْنًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ أي: فكان منهم من جاء أمر الله وبأسه ونقمته ﴿بَيْنًا﴾ أي: ليلا، ﴿أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ من القيلولة، وهي: الاستراحة وسط النهار. وكلا الوقتين وقت غفلة ولهو؛ كما قال: ﴿أَقَامِينَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنَاتٍ وَهُمْ لَا يُمْنُونَ﴾ [١٧] أَوَّلُ أَهْلِ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضَعْفٌ وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ [الأعراف: ٩٧-٩٨].

الآية (٥-٦): ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَانَهُ إِذْ جَاءَهُمْ أَتَانًا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ أي: فما كان قولهم عند مجيء العذاب إلا أن اعترفوا بذنوبهم، وأهم حقيقون بهذا؛ كما قال تعالى: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ [١١] فَلَمَّا أَتَسُوا بِأَسْنَانٍ إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكَبُونَ [١٢] لَا تَرْكَبُوا وَأَرْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسْكَنِيكُمْ لَعَلَّكُمْ تُشْكِرُونَ [١٣] قَالُوا بَرَأْنَا إِنْ كُنَّا ظَالِمِينَ [١٤] فَمَا زِلْنَا تِلْكَ دَعْوَانَهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَبِيرِينَ [الانبيا: ١١-١٥].

قال ابن جرير: في هذه الآية الدلالة الواضحة على صحة ما



النفس والمال، فتقاتل فتقتل، فتتجك المرأة ويقسم المال؟». قال: «فعصاه، فجاهد». قال رسول الله ﷺ: «فمن فعل ذلك منهم فيات، كان حقاً على الله أن يدخله الجنة، أو قتل كان حقاً على الله، عز وجل، أن يدخله الجنة، وإن غرق كان حقاً على الله أن يدخله الجنة، أو وقصته ذابة كان حقاً على الله أن يدخله الجنة» [رواه أحمد، وصححه الألباني].

الآية (١٧): قال ابن عباس: ﴿ثُمَّ لَا يَنْتَهَرُونَ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ أشككهم في آخرتهم، ﴿وَرَيْنَ خَلْفَهُمْ﴾ أرغبهم في دنياهم، ﴿وَعَنَ أَيْتَنِيهِمْ﴾ أشبه عليهم أمر دينهم، ﴿وَعَنَ خَلْفَهُمْ﴾ أشبه لهم المعاصي. وقال قتادة: أتاهم ﴿زَيْنَ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ فأخبرهم أنه لا بعث ولا جنة ولا نار، ﴿وَرَيْنَ خَلْفَهُمْ﴾ من أمر الدنيا فرزئها لهم ودعاهم إليها، ﴿وَعَنَ أَيْتَنِيهِمْ﴾ من قيل حسناتهم بطأهم عنها، ﴿وَعَنَ خَلْفَهُمْ﴾ زين لهم السيئات والمعاصي، ودعاهم إليها، وأمرهم بها. أنك يا ابن آدم من كل وجه، غير أنه لم يأتك من فوقك، لم يستطع أن يحول بينك وبين رحمة الله. وقال مجاهد: ﴿زَيْنَ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾، ﴿وَعَنَ أَيْتَنِيهِمْ﴾: من حيث يصرون. ﴿وَرَيْنَ خَلْفَهُمْ﴾، ﴿وَعَنَ خَلْفَهُمْ﴾: حيث لا يصرون. واختار ابن جرير أن المراد جميع طرق الخير والشر؛ فالخير يصدهم عنه، والشر يحسنه لهم. وقال ابن عباس: ﴿وَلَا يَحْذَرُونَ أَكْثَرَهُمْ شُكْرًا﴾ قال: موحدون. عن ابن عمر قال: لم يكن رسول الله ﷺ يدع هذه الدعوات حين يصبح وحين يمسي: «اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي، اللهم استر عوراتي، وآمين روعاتي، اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي، وعن يميني وعن شمالي، ومن فوقي، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي» [رواه أحمد وأبو داود، وصححه الألباني] قال وكيع: «من تحتي» يعني الخسف.

الآية (١٨): أكد تعالى - عليه اللعنة والطرده والإبعاد والنفي عن محل الملا الأهل بقوله: ﴿أَخْرَجَ بَيْنَهُمْ ذُرِّيَّتًا مِّنْ دُونِكَ﴾. قال ابن جرير: أما «الذُرِّيَّة» فهو المعب. «والمدحور»: المقتضى. وهو السبب المطرود. وقال ابن عباس: ﴿أَخْرَجَ بَيْنَهُمْ ذُرِّيَّتًا مِّنْ دُونِكَ﴾ قال: صغيراً مقيماً. وقوله: ﴿لَنْ يَمَسَّكَ لُغْمُهُمْ لَمَّا لَمْ يَنْصَبُوا لَكُم مِّنْ دُونِهِمْ﴾ كقوله تعالى: ﴿أَذْهَبَ فَمَنْ يَبْعَثُ اللَّهُ فِيهِمْ زُلْفًا فَزَلَّتْ وَخُلُفَ مَا أَرْجَوْا مُوقُفًا﴾ [الاسراء: ٦٣].

الآية (١٩-٢١): يذكر تعالى أنه أباح لأدم عليه السلام ولزوجته حواء الجنة أن يأكلا منها من جميع ثمارها إلا شجرة واحدة، فعند ذلك حسدهما الشيطان، وسعى في المكر والخديعة والوسوسة لبسبها ما هما فيه من النعمة واللباس الحسن، وقال كذباً وافتراء: ما هنا كما ريكما عن أكل هذه الشجرة إلا لئلا تكونا ملكين خالدين ههنا، ولو أنكما أكلتما منها لحصل لكما ذلك، كقوله: ﴿قَالَ يَتَدَأْمُ هَلْ أَذْكَ عَن شَجَرَةٍ لَّا تَلْمِزُهُمْ وَلَهَا لَبِئْسَ﴾ [طه: ١٢٠]. وقوله: ﴿إِلَّا أَنْ كُنْتُمْ مَلَائِكَةً﴾ أي: لئلا تكونا ملكين كقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَقُوتُوا﴾ [النساء: ١٧٦]. ﴿وَقَالَتْ هُنَّ﴾ أي: حلف لها بالله: ﴿إِنِّي لَكَا لَيِّنَ أَنْتَصِيرَتِي﴾؛ فإني من قبلكما ههنا، وأعلم بهذا المكان، وهذا من باب المفاعلة، والمراد أحد الطرفين، أي: حلف لها على ذلك حتى خدعهما.

الآية (٢٢): قال مجاهد: جعلاً ﴿يَخْتَصِمَانِ عَلَيْهِمَا بَيْنَ رَدِّي الْجَنَّةِ﴾، قال: كهيئة الثوب.

الآية (١٢): قال بعض النحاة في توجيه قوله تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَّكَ آلَا تَسْجُدُ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾: «لا» ههنا زائدة. وقال بعضهم: زِيدَت لتأكيد الحمد. حكاهما ابن جرير وردهما، واختار أن «منك» مُضْمَنٌ معنى فعل آخر تقديره: ما أحوجك والزمك واضطرك أن لا تسجد إذ أمرتك، ونحو هذا. وهذا القول قوي حسن. وقول إيليس لعنه الله: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾ من العنر الذي هو أكبر من اللعن! كأنه امتنع من الطاعة لأنه لا يؤمر الفاضل بالسجود للمفضل! يعني لعنه الله: وأنا خير منه، فكيف تأمرني بالسجود له؟ ثم بين أنه خير منه بأنه خلق من نار، والنار أشرف مما خلقته منه، وهو الطين! فنظر اللعين إلى أصل العنصر، ولم ينظر إلى التشريف العظيم، وهو أن الله تعالى خلق آدم بيده، ونفخ فيه من روحه، وقاس قياساً فاسداً في مقابلة نص قوله تعالى: ﴿فَقَعُوا لَهُ سَجِيدًا﴾ [ص: ٧٢]، فشذ من بين الملائكة بترك السجود؛ فلماذا ألبس من الرحمة، أي: أوس من الرحمة، فأخطأ كبحه الله في قياسه ودعواه أن النار أشرف من الطين أيضاً؛ فإن الطين من شأنه الرزانة والحلم والأناة والثبوت، والطين محل النبات والنمو والزيادة والإصلاح، والنار من شأنها الإحراق والطيح والسرعة؛ ولهذا خان إيليس عنصره، ونفع آدم عنصره في الرجوع والإتابة والاستكانة والانقياد والاستسلام لأمر الله، والاعتراف وطلب التوبة والمغفرة. وعن ابن سيرين قال: أول من قاس إيليس، وما عُذبت الشمس والقمر إلا بالمقاييس [رواه ابن جرير، وصححه إسناد ابن كثير].

الآية (١٣-١٥): يقول تعالى مخاطباً لإيليس بأمر قدري كوني: ﴿فَأَخِطْ يَتًا﴾ أي: بسبب عصيانك لأمري، وخروجك عن طاعتي. ﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾ قال كثير من المفسرين: الضمير عائد إلى الجنة، ويحتمل أن يكون عائداً على المنزل التي هو فيها في الملكوت الأعلى. ﴿فَأَخْرَجَ إِيَّكَ مِنَ النَّصْرِينَ﴾ أي: الذليلين الحقيرين، معاملة له بنقيض قصده. فعند ذلك استدرك اللعين وسأل النَّظَرَ إلى يوم الدين، فقال: ﴿أَنْظِرْ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ النَّظَرِينَ﴾ أجابه تعالى إلى ما سأل؛ لما له في ذلك من الحكمة والمشية التي لا تخالف ولا تمنع، ولما مُتَّعَ لحكمه وهو سريع الحساب.

الآية (١٦): يخبر تعالى أنه لما أنظر إيليس إلى يوم يبعثون، واستوثق إيليس بذلك، أخذ في المعاندة والتمرد، فقال: ﴿فِيمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أي: كما أغويتني. قال ابن عباس: كما أضللتني. وقال غيره: كما أهلكنتي. لأقعدن لعبادك -الذين تخلقهم من ذرية هذا الذي أبعدتني بسببه- على صراطك المستقيم؛ أي: طريق الحق وسبيل النجاة، فلا أضللتهم عنها لئلا يعبدوك ولا يوحدوك بسبب إضلالك إياي. وقال بعض النحاة: الباء ههنا قسمية؛ كأنه يقول: فبإغوائك إياي لأقعدن لهم صراطك المستقيم. قال مجاهد: «صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ» يعني: الحق.

عن سبرة بن أبي فاكه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الشيطان قد لاین آدم بطرقه، فقد له بطريق الإسلام، فقال: أتسلم وتزدر دينك ودين آبائك؟» قال: «فعصاه وأسلم». قال: «وقعد له بطريق الحجرة فقال: أتهاجر وتدع أرضك وسعائك، وإنما مثل المهاجر الكافرس في الطول؟ فعصاه وهاجر، ثم قد له بطريق الجهاد، فَقَالَ: هُوَ جَهْدُ



## ● الوقفات التدريبية

● ﴿قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا سَجْدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾  
(قال أنا خير منه): تعليل علل به إبليس امتناعه من السجود، وهو يقتضي الاعتراض على الله تعالى في أمره بسجود الفاضل للمفضول على زعمه، وبهذا الاعتراض كفر إبليس؛ إذ ليس كفره كفر جحود. ابن جزي: ٢٩٧/١.  
السؤال: يبلغ غرور المخلوق بعقله أحياناً أن يرد به على الشرع فيكفر بذلك، وضع ذلك من الآية.

● ﴿قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا سَجْدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾  
حجة إبليس في قوله: (أنا خير منه خلقتي من نار وخلقته من طين) هي باطلة؛ لأنه عارض النص بالقياس. ابن تيمية: ١٨٣/٣.

السؤال: لماذا كانت حجة إبليس باطلة؟

● ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾  
كعذب في تفضيل مادة النار على مادة الطين والتراب؛ فإن مادة الطين فيها الخشوع والسكون والرزاقية، ومنها تظهر بركات الأرض من الأشجار وأنواع النبات على اختلاف أجناسه وأنواعه، وأما النار ففيها الخفة والطيح والإحراق. السعدي: ٢٨٤.

السؤال: أخطأ إبليس في جعل مادة النار أفضل من مادة الطين، فما وجه الخطأ؟  
● ﴿قَالَ فَأَهْطُ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾  
(فما يكون لك أن تتكبر فيها): لأن أهلها الملائكة المتواضعون، (فاخرج) إنك من الصاغرين) أي: الأذلين، ودل هذا على أن من عصى مولاه فهو ذليل. القرطبي: ١٦٩/٩.

السؤال: ما صفة المقربين من الله، وما صفة المبعدين عنه سبحانه؟  
● ﴿فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾

(فاخرج) إنك من الصاغرين) أي: الذليلين الحقيرين؛ معاملته له بنقيض قصده، مكافأة لمراده بضده. ابن كثير: ١٩٥/٢.  
السؤال: لماذا كانت عاقبة إبليس بالذلة والصغار؟

● ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾  
قال ابن عباس وعكرمة في قوله تعالى عن إبليس: (ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين) أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين

قال: ولم يقل من فوقهم لأنه علم أن الله من فوقهم. ابن تيمية: ١٤٠/٣.

السؤال: لماذا لم يقل الله تعالى حكاية عن قول إبليس: «من فوقهم»؟  
● ﴿فَوَسَّوْا لَهَا الشَّيْطَانُ يُوَسِّوْا لَهَا مَا وُورِيَ عَنْهَا مِنْ سَوْءِهَا﴾  
(من سوءاتها): من عوراتها، وسمي الفرج عورة لأن إظهاره يسوء صاحبها، ودل هذا على قبح كشفها. القرطبي: ١٧٥/٩.

السؤال: على أي شيء تدل تسمية الفرج بالعورة والسواة؟

قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا سَجْدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ١٥ قَالَ فَأَهْطُ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ١٦ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ١٧ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ١٨ قَالَ فِيمَا أُغْوِيَنِّي لِأَقْعُدَ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ١٩ ثُمَّ لَا تَبْرَأُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ٢٠ قَالَ أَخْرَجَ مِنْهَا مَذْمُومًا وَمَأْمُورًا لَنِ تَبْكُ مِنْهُمْ وَلَا مَلَأَ مِنْهُمْ مَشْرُوعًا ٢١ أَجْمَعِينَ ٢٢ وَيَقَادِرُ مَا سَكُنَ أَنْتَ وَرَوْحُكَ الْجَنَّةَ فَكَلَامٍ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمْ وَلَا تَقْرَأُ هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونُوا مِنَ الظَّالِمِينَ ٢٣ فَوَسَّوْا لَهَا الشَّيْطَانُ يُوَسِّوْا لَهَا مَا وُورِيَ عَنْهَا مِنْ سَوْءِهَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ ٢٤ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْفَالِغِينَ ٢٥ وَقَاسَمَهُمَا إِنْ لَأَكْمِلَنَّ الْتَّصِحِينَ ٢٦ فَدَلَّهُمَا بِعُرْوَةٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ أَنْ تَكُونَا مِنَ السَّاغِرِينَ ٢٧

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
الصَّاغِرِينَ	الحقيرين، الذليلين.
مَذْمُومًا	مَمْقُوتًا، مَذْمُومًا.
مَدْحُورًا	مَطْرُودًا.
وَطَفِقَا	شُرَعَا، وَأَخَذَا.
يَخْصِفَانِ	يُلْبِسَانِ.

## ● العمل بالآيات

١. اعمل اليوم عملاً فيه تواضع مع الآخرين واجتناب للكبر، ﴿قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا سَجْدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾.
٢. تذكر صفات ونعم ما ميزك الله بها على الآخرين، وانسب الفضل فيها لله تعالى وحده، ﴿قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا سَجْدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾.
٣. أكثر اليوم من الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، وقل: «اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي، وعن يميني وعن شمالي، ومن فوقي، وأعوذ بعظمتك أن اغتال من تحتي»، ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾.

## ● التوجيهات

١. قصة آدم مع إبليس تؤكد أن هذا العدو قد أعد لك عدته، فاعد أنت العدة لرد مكانه، ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾.
٢. سلاح إبليس الذي يحارب به ابن آدم هو الوسوسة والتزيين لا غير، ﴿فَوَسَّوْا لَهَا الشَّيْطَانُ يُوَسِّوْا لَهَا مَا وُورِيَ عَنْهَا مِنْ سَوْءِهَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْفَالِغِينَ﴾.
٣. ليس كل من يقسم بالله تعالى مدعيًا للنصح يكون صادقًا؛ فتاريخ القسم بين حقيقته، ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنْ لَأَكْمِلَنَّ الْتَّصِحِينَ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾

قال بعض الشيوخ: اثنان أذنبوا ذنبا: آدم وإبليس؛ هادم تاب هتاب الله عليه، واجتبه وهداه، وإبليس أصر واحتج بالقدر، فمن تاب من ذنبه أشبه آياه آدم، ومن أصر واحتج بالقدر أشبه إبليس. ابن تيمية: ١٤٢/٣.

السؤال: بين فضيلة سرعة الاعتراف بالذنوب والاستغفار منه من خلال الآية.

﴿قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾

فالمغفرة إزالة السيئات والرحمة إنزال الخيرات. ابن تيمية: ١٤٢/٣.

السؤال: ما الفرق بين المغفرة والرحمة في الآية الكريمة؟

﴿قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾

من أشبه آدم بالاعتراف، وسؤال المغفرة، والتدم، والإقلاق إذا صدرت منه الذنوب: اجتبه الله وهداه. ومن أشبه إبليس إذا صدر منه الذنب، ولا يزال يزداد من المعاصي، فإنه لا يزداد من الله إلا بعداً. السعدي: ٢٨٥.

السؤال: في قصة آدم وإبليس عبرة عظيمة لمن وقع في الذنب، فما هي؟

﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَلِكَ خَيْرٌ﴾

خير من اللباس الحسي؛ فإن لباس التقوى يستمر مع العبد، ولا يبلى، ولا يبيد، وهو جمال القلب والروح، وأما اللباس الظاهري فغايته أن يستر العورة الظاهرة في وقت من الأوقات، أو يكون جمالاً للإنسان، وليس وراء ذلك منه نفع. السعدي: ٢٨٦.

السؤال: لماذا كان لباس التقوى خيراً من اللباس الحسي؟

﴿إِنَّهُمْ يَرْتَدَّوْنَ عَنْهُ وَيَرْجُوْنَ مِنْهُ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾

قال مالك بن دينار: إن عدواً يراك ولا تراه لشديد الخصومة والمؤنة، إلا من عصم الله. البهوي: ٩٧/٢.

السؤال: بين خطورة العدو الذي يراك ولا تراه.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾

أي: زيادة في عقوبتهم، وسوينا بينهم في الزهال عن الحق.

القرطبي: ٣٩٣/٩.

السؤال: من هم أولياء الشياطين؟

﴿إِنَّهُمْ أَقْبَدُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنََّّهُمْ مُنصَرَفُونَ﴾

وفيه دليل على أن الهداية بفضل الله ومنه، وأن الضلالة بخذله للعبد إذا تولى -بجهله وظلمه- الشيطان، وتسبب لنفسه بالضلال، وأن من حسب أنه مهتد وهو ضال أنه لا عذر له. السعدي: ٢٨٧.

السؤال: أكثر أهل الضلال والبدع يعتقدون أنهم على حق؛ فهل ينفعهم هذا؟

قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٥٣﴾ قَالَ أَهَيْطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٥٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿١٥٥﴾ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ أَمْرٌ فَلَا تَقْرَبُوا هَٰذَا الْمَوْزِعَ الَّذِي يُبَيِّنُ لَكُمْ لِبَاسَ الْيَأْسِ وَيَنْفَعُ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٦﴾ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ أَمْرٌ لَا يَقْنَتُكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَا إِنَّهُمَا لَبَرُّنَ لَكُمْ هُوَ وَفِيهِ لَهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمَا إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٧﴾ وَإِذَا قَالُوا فَتْنَةً قَالُوا قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهِمُ آيَاتِنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنْ أَلَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ اتَّقُوا اللَّهَ عَلَىٰ أَنَّهُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٥٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿١٥٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنََّّهُمْ مُنصَرَفُونَ ﴿١٦٠﴾

## ● معاني الكلمات

المعنى	الكلمة
يَسْتَرُ عَوْرَاتِكُمْ، وَهُوَ لِبَاسُ الضَّرُورَةِ.	يُؤَارِي سَوَاتِكُمْ
لِبَاسُ الزَّيْنَةِ.	وَرِيْشًا
يُضِلُّكُمْ، وَيُخَدِّعُكُمْ.	يُفْتِنَنَّكُمْ
بِالْعَدْلِ.	بِالْقِسْطِ

## ● العمل بالآيات

١. تذكر ذنباً فعلته، ثم استغفر الله تعالى و تب إليه هذا اليوم سبعين مرة، ﴿قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.
٢. قل هذا الدعاء العظيم في أوقات الإجابة هذا اليوم؛ فهو من دعوات القربين، ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.
٣. حافظ على أداء صلاة الفريضة في المسجد، ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾.

## ● التوجيهات

١. من ظلم نفسه فهو خاسر إن لم تشمله رحمة ربه ومغفرته، ﴿قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.
٢. شؤم العصية كان سبب طرد إبليس من الرحمة، وإخراج آدم من الجنة؛ فكن على حذر منها، ﴿قَالَ أَهَيْطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾.
٣. كن حذراً من الشيطان ولا تغفل عن المواضع التي يدخل عليك منها، ﴿بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ أَمْرٌ لَا يَقْنَتُكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ﴾.

اليوم يبدو بعضه أو كله \*\*\* وما يدا منه فلا أحله  
وأكثر ما كان النساء يطفن عراة بالليل، وكان هذا شيئاً قد  
ابتدعوه من تلقاء أنفسهم، واتبعوا فيه آباءهم، ويعتقدون أن فعل  
آبائهم مستند إلى أمر من الله وشرع، فأنكر الله تعالى عليهم ذلك،  
فقال: ﴿رَأَوْا تَعْلَمُوا أَنبَسَتْ قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آيَاتِنَا وَآلِهَةً آمَنَّا بِهَا﴾، فقال  
تعالى ردّاً عليهم: ﴿قُلْ أَيُّ قُلُوبٍ لَّا يَعْقِلُ يَا مُحَمَّدُ لِمَن ادَّعَىٰ ذَلِكَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ  
لَا يَأْتِيهِ الْفَتْحَاءُ﴾ أَيُّ: هذا الذي تصنعونه فاحشة منكراً، والله لا  
يأمر بمثل ذلك. ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أَيُّ: أَتُسْنِدُونَ إِلَى  
الله من الأقوال ما لا تعلمون صحته.

الآية (٢٩-٣٠): قوله: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ أَيُّ: بالعدل  
والاستقامة، ﴿وَأَقِمْ وَجْهَكَ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ  
لَهُ الدِّينَ﴾ أَيُّ: أمركم بالاستقامة في عبادته في محالها؛ وهي متابعة  
المرسلين المؤيدين بالمعجزات فيها أخبروا به عن الله، وجاءوا به من  
الشرائع، وبالإخلاص له في عبادته؛ فإنه تعالى لا يتقبل العمل حتى  
يجمع هذين الركنين: أن يكون صواباً موافقاً للشرعية، وأن يكون  
خالصاً من الشرك. وقوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ ٢٩ ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ  
وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾. اختلف في معنى قوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ  
تَعُودُونَ﴾ فقال مجاهد: يحْيِيكم بعد موتكم. وقال الحسن البصري: كما  
بدأكم في الدنيا، كذلك تعودون يوم القيامة أحياء. وقال عبد الرحمن  
بن زيد بن أسلم: كما بدأكم أولاً، كذلك يعيدكم آخرًا.

عن ابن عباس قال: قام فينا رسول الله ﷺ بموعظة فقال: يا أيها  
الناس، إنكم تمشرون إلى الله حفاة عراة غرلا، ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ أَوَّلَ خَلْقِي  
تُعِيدُهُمْ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] وهذا الحديث مخرج  
في الصحيحين. وعن مجاهد قال: يبعث المسلم مسلماً، والكافر كافراً.  
وقال ابن عباس قوله: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ ٢٩ ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ  
عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ قال: إن الله تعالى بدأ خلق ابن آدم مؤمناً وكافراً؛ كما  
قال: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فِيكُمْ كَافِرًا وَمِنْكُمْ مُّؤْمِنًا﴾ [التين: ١٧] ثم يعيدهم  
يوم القيامة كما بدأ خلقهم: مؤمناً وكافراً.

ثم علل ذلك فقال: ﴿إِنَّهُمْ أَفْعَدُوا أَسْبَاطِينَ أُولِيَاءَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ  
وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّشْرِكُونَ﴾ قال ابن جرير: وهذا من آيّن الدلالة  
على خطأ من زعم أن الله لا يعذب أحداً على معصية ركبها أو ضلالة  
اعتقدها إلا أن يأتيها بعد علم منه بصواب وجهها، فربكها عناداً منه  
لربه فيها؛ لأن ذلك لو كان كذلك، لم يكن بين فريق الضلالة الذي  
ضل وهو يحسب أنه مهتد، وفريق الهدى فرق. وقد فُرق الله تعالى بين  
أسائهما وأحكامهما في هذه الآية.

الآية (٢٣): قال الضحاك بن مُزَاجِمٍ في قوله: ﴿رَبَّنَا عَلَّمْنَا نَافِسًا  
وَلَٰنَ لَّزَنَفَرٍ لَّنَا وَتَزَحَّزَحَّ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾: هي الكلمات التي  
تلقاها آدم من ربه.

الآية (٢٤): قيل: المراد بالخطاب بـ ﴿أَهْبِطُوا﴾ آدم وحواء،  
وإبليس والحية. ومنهم من لم يذكر الحية، والله أعلم. والعمدة في  
العداوة آدم وإبليس؛ ولهذا قال تعالى: ﴿أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ الآية  
[طه: ١٢٣]، وحواء تبع لآدم. والحية - إن كان ذكرها صحيحاً -  
فهي تبع لإبليس.

وقوله: ﴿وَلَوْ كُنَّا فِي الْأَرْضِ مُشْفَرٌّ وَمَضُّ إِلَىٰ جَنِّ﴾ أَيُّ: قرار، وأعمار  
مضروبة إلى آجال معلومة، قد جرى بها القلم، وأحصاها القدر،  
وشطرت في الكتاب الأول.

الآية (٢٥): قوله: ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَفِيهَا تُخْرَجُونَ﴾  
كقوله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾  
[طه: ٥٥] يخبر تعالى أنه جعل الأرض داراً لبني آدم مدة الحياة الدنيا،  
فيها يحياهم وفيها ماتهم وقبورهم، ومنها نشورهم ليوم المَعَادِ، الذي  
يجمع الله فيه الأولين والآخرين، ويجازي كلّا بعمله.

الآية (٢٦): يمتن تعالى على عباده بما جعل لهم من اللباس  
والرياش؛ فاللباس المذكور ههنا: لستر العورات -وهي السواآت-  
والرياش والريش: هو ما يُتَجَمَّلُ به ظاهراً، فالأول من الضروريات،  
والريش من التكميلات والزادات. وقوله تعالى: ﴿وَلِبَاسُ الْقَوَىٰ ذَٰلِكَ  
خَيْرٌ﴾ اختلف المفسرون في معناه، فقال عكرمة: هو ما يلبسه المتقون  
يوم القيامة. وقال قتادة، وابن جُرَيْج: الإيمان. وقال ابن عباس: العمل  
الصالح. وعن ابن عباس: هو السميت الحسن في الوجه. وعن عُرْوَةَ بن  
الزبير: خشية الله. وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: يتقي الله، فيواري  
عورته، فذاك لباس التقوى. وكلها متقاربة.

الآية (٢٧): يقول تعالى محمداً بنى آدم من إبليس وقبيله، مبيناً لهم  
عداوته القديمة لأبي البشر آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ في سعيه في إخراجهم من الجنة  
التي هي دار النعيم إلى دار التعب والعناء، والنسب في هتك عورته  
بعدما كانت مستورة عنه، وما هذا إلا عن عداوة أكيدة، وهذا كقوله  
تعالى: ﴿أَفَنَسِيخُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أُولَٰئِكَ مِنْ دُونِ وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ  
لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٠].

الآية (٢٨): كانت العرب -ما عدا قريشاً- لا يطوفون بالبيت في  
ثيابهم التي لبسوها، يتأولون في ذلك أنهم لا يطوفون في ثياب عصوا  
الله فيها، وكانت قريش -وهم الحُصْنُ- يطوفون في ثيابهم، ومن  
أعاره أحسبى ثوباً طاف فيه، ومن معه ثوب جديد طاف فيه ثم يُلقيه  
فلا يملكه أحد، فمن لم يجد ثوباً جديداً ولا أعاره أحسبى ثوباً، طاف  
عريئاً. وربما كانت امرأة فتطوف عريانة، فتجعل على فرجها شيئاً  
يستره بعض الشيء وتقول:

الآية (٣١): هذه الآية الكريمة ردُّ على المشركين فيما كانوا يعتمدونه من الطواف بالبيت عُرة؛ عن ابن عباس قال: كانوا يطوفون بالبيت عراة، الرجال والنساء: الرجال بالنهار، والنساء بالليل. وكانت المرأة تقول: اليوم يبدو بعضه أو كله \*\*\* وما بدأ منه فلا أجله

[رواه مسلم وابن جرير واللفظ له]

فقال الله تعالى: ﴿عُدُّوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾. وقال ابن عباس: الزينة: اللباس، وهو ما يوارى السوءة، وما سوى ذلك من جِدِّ البرِّ والمتاع، فأمرُوا أن يأخذوا زينتهم عند كل مسجد. وكذا قال مجاهد، وسعيد بن جبْرِ، وقتادة، وغير واحد من أئمة السلف في تفسيرها: أنها نَزَلَتْ في طَوَافِ المشركين بالبيت عُرة. وقوله تعالى: ﴿وَكُلُّوا وَأَشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ قال بعض السلف: جمع الله الطب كله في نصف آية: ﴿وَكُلُّوا وَأَشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾.

قال ابن عباس: كل ما شئت، والنَّس ما شئت، ما أخطأتك خصلتان: سَرَفٌ ونَحِيلَةٌ [رواه البخاري]. وعن عمرو بن شُعَيْب، عن أبيه، عن جده، أن رسول الله ﷺ قال: «كلوا واشربوا، والبسوا وتصدقوا، في غير نَحِيلَةٍ ولا سَرَفٍ؛ فإن الله يحب أن يرى نعمته على عبده» [رواه أحمد والنسائي وابن ماجه، وصححه إسناده أحمد شاكر]. وقال السُّدِّي: كان الذين يطوفون بالبيت عراة، يحرمون عليهم الودك ما أقاموا في الموسم؛ فقال الله تعالى لهم: ﴿وَكُلُّوا وَأَشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ يقول: لا تسرفوا في التحريم. وقال ابن أسلم: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾ يقول: لا تأكلوا حراماً؛ ذلك الإسراف. وقال ابن جرير: وقوله: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ يقول الله تعالى: إن الله لا يحب المتعدين حدَّه في حلال أو حرام، الغالين فيما أحلَّ، بإحلال الحرام أو بتحريم الحلال، ولكنه يجب أن يُحْلَلَ ما أحلَّ، ويُحْرَمَ ما حرم، وذلك العدل الذي أمر به.

الآية (٣٢): يقول تعالى ردّاً على من حرَّم شيئاً من المأكَل والمشارب، والملابس، من تلقاء نفسه، من غير شرع من الله: ﴿قُلْ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يَحْرَمُونَ مَا يَحْرَمُونَ بِأَرْثَاهِمُ الْفَاسِدَةِ وَابْتِدَاعِهِمْ: مَنَ حَرَّمَ رَبِّيَ اللَّهُ إِلَهِ أَحْرَجَ لِيَاكُودَ وَالطَّيْنِيَّتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي: هي مخلوقة لمن آمن بالله وعبده في الحياة الدنيا، وإنَّ شرَّهم فيها الكفار حبّاً في الدنيا فهي لهم خاصة يوم القيامة، لا يَشْرِكُهم فيها أحد من الكفار؛ فإنَّ الجنة محرمة على الكافرين.

الآية (٣٣): عن عبد الله<sup>(١)</sup> قال: قال رسول الله ﷺ: «لا أحد أغبرُ من الله؛ فلذلك حرَّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا أحد أحبُّ إليه المدح من الله» [متفق عليه]. قوله: ﴿وَالْأَنَامُ وَالْبَقِيَّةُ يَتَرَى الْخَلْقُ﴾ قال السُّدِّي: أما الإنام: فالعصبة، والبغي: أن تبغي على الناس بغير الحق. وقال مجاهد: الإنام: المعاصي كلها، وأخبر أن الباغي بغيُّه كائن

على نفسه. وحاصل ما نُسِّر به الإنام: أنه الخطايا المتعلقة بالفاعل نفسه، والبغي: هو التعدي إلى الناس، فحرَّم الله هذا وهذا. وقوله: ﴿وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي: تجعلوا له شريكاً في عبادته، وأن تقولوا عليه من الافتراء والكذب من دعوى أن له ولداً ونحو ذلك، مما لا علم لكم به؛ كما قال تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ ﴿حُفَّتْ لِيهِ عَيْنٌ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾ [الحج: ٣٠-٣١].

الآية (٣٤): يقول تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ أي: قَرْنٌ وجِيلٌ ﴿أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ﴾ أي: ميقانهم المقدَّر لهم ﴿لَا يَسْتَأْذِنُونَ سَاعَةً﴾ أي: عن ذلك ﴿وَلَا يَسْتَفِثُونَ﴾.

الآية (٣٥): ثم أنذر تعالى بني آدم أنه سيعتب إليهم رسلاً، يقصون عليهم آياته، وينشروا حُدُودَهُ، فقال: ﴿فَمَنْ أَتَقَى وَأَصْلَحَ﴾ أي: ترك المحرمات وفعل الطاعات ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

الآية (٣٦): ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا﴾ أي: كَذَّبَتْ بها قلوبهم، واستكبروا عن العمل بها ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ أي: ما يكون فيها مكاناً خلداً.

الآية (٣٧): يقول تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ الْمُنْزَلَةِ. أُولَئِكَ يَتْلُمْنَ نَصِيبَهُم مِّنَ الْكَذِبِ﴾ اختلف المفسرون في معناه؛ فابن عباس يقول: نصيبهم من الأعمال؛ من عيَل خيراً جُزِي به، ومن عمل شراً جُزِي به. وقال مجاهد: ما وعدوا به من خير وشر. واختاره ابن جرير. وقال محمد بن كعب القرظي: عمله ورزقه وعمره. وهذا القول قوي في المعنى، والسياق يدل عليه، وهو قوله: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ مُّسَلِّمًا يَقُولُ سَلَامٌ﴾ ويصير المعنى في هذه الآية كما في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ ﴿مَنْعَ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نَذِقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ [يونس: ٦٩-٧٠]. وقوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ مُّسَلِّمًا يَقُولُ سَلَامٌ﴾ إذا توفت المشركين بنزعهم عند الموت وقبض أرواحهم إلى النار، يقولون لهم: أين الذين كنتم تشركون بهم في الحياة، وتدعوهم وتعبدونهم من دون الله؟! ادعواهم يخلصونكم عما أنتم فيه. قالوا: ﴿صَلُّوا عَنَّا﴾ أي: ذهبوا عنا، فلا نرجو نفعهم، ولا خيرهم ﴿وَسَيُؤَدَّبُ عَنْهُمْ أَعْيُنُهُمْ﴾ أي: أقرؤوا واعترفوا على أنفسهم ﴿أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾.



## ● الوقفات التدريبية

﴿ يَبْنِيْءَ آدَمَ عَدُوًّا وَزَيْنَتَكَ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَشَرِبُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾

قيل: المراد به الزينة زيادة على السترة؛ كالتجمل للجمعة بأحسن الثياب، وبالسواك والطيب، (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا) إنه لا يحب المفسرين) أي: لا تكثر من الأكل فوق الحاجة، وقال الأطباء: إن الطب كله مجموع في هذه الآية. ابن جزي: ٣٠١.

السؤال: جمعت هذه الآية بين ما يصلح القلوب وما يصلح الأبدان، وضع ذلك. ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ هنا التوسيع من الله لعباده بالطيبات جعله لهم ليستعينوا به على عبادته، فلم يبيحه إلا لعباده المؤمنين، ولهذا قال: (قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة) أي: لا تبعث عليهم فيها، ومفهوم الآية أن من لم يؤمن بالله، بل استعان بها على معاصيه، فإنها غير خالصة له، ولا مباحة، بل يعاقب عليها وعلى التمتع بها، ويسأل عن النعيم يوم القيامة. السعدي: ٢٨٧.

السؤال: ما الحكمة من إباحة الطيبات للمؤمنين؟

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ دلت الآية على لباس الرفيع من الثياب، والتجمل بها في الجمع والأعياد، وعند لقاء الناس، ومزاورة الإخوان. القرطبي: ٢٠٣/٩.

السؤال: إن الله جميل يحب الجمال، وضع ذلك من الآيات.

﴿ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ هي خالصة يوم القيامة من التنقيص والغم للمؤمنين، فإنها لهم في الدنيا مع التنقيص والغم. البغوي: ١٠٠/٢.

السؤال: كيف يكون المتاع الحسن يوم القيامة خالصاً للمؤمنين؟

﴿ كَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ ﴾

(كذلك نفصل الآيات) أي: نوضحها ونبينها، (لقوم يعلمون): لأنهم الذين ينتفعون بما فصله الله من الآيات، ويعلمون أنها من عند الله، فيعتقلونها ويفهمونها. ثم ذكر المحرمات التي حرمها الله في كل شريعة من الشرائع، فقال: (قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن) أي: الذنوب الكبار التي تستفحش وتستقبح لشناعتها وقبحها؛ وذلك كالزنا، واللواط، ونحوهما. السعدي: ٢٨٧.

السؤال: لماذا خص أهل العلم بتفصيل الآيات؟

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْأْتَمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا كُنْتُمْ بِهِ بَازِلِينَ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا يَحْكُمُ بِهِ ﴾

أصول المحرمات التي قال الله فيها: (قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) مما اتفقت عليه شرائع الأنبياء ابن تيمية: ١٥٧/٣.

السؤال: ما أصول المحرمات من خلال الآية الكريمة؟

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ الفحش والحسن في المعاني إنما يتلقى من جهة الشرع، والفاحش كذلك؛ فقولُه هنا: (الفواحش) إنما هي إشارة إلى ما نص الشرع على تحريمه في مواضع أخرى؛ فكل ما حرمه الشرع فهو فاحش وإن كان العقل لا ينكره؛ فكلباس الحرير والذهب للرجال ونحوه. ابن عطية: ٣٩٥/٢.

السؤال: ما ميزان الحسن والقبح المؤثر في التحليل والتحريم؟

﴿ يَبْنِيْءَ آدَمَ عَدُوًّا وَزَيْنَتَكَ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَشَرِبُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾

﴿ يَبْنِيْءَ آدَمَ عَدُوًّا وَزَيْنَتَكَ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَشَرِبُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْأْتَمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا كُنْتُمْ بِهِ بَازِلِينَ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا يَحْكُمُ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْذِنُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿ يَبْنِيْءَ آدَمَ إِمَامًا يَنْتَكِرُ مِنْكُمْ بِقُصُوفٍ عَلَيْهِمْ إِيْتِي فَتَنٍ أَتَنَّى وَأَصْلَحَ فَلَاحِقُ عَلَيْهِمْ وَلَهُمْ نَجْوَاهُ ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ؕ أُولَئِكَ يَتَأَلَّهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ إِذَا جَاءَهُمْ ثُمَّ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَإِنْ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا أَصْلَوْا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
زَيْنَتَكُمْ	سَاتِرِينَ عَوْرَاتِكُمْ، مُتَزَيِّنِينَ.
نَصِيبُهُمْ	حَقُّهُمْ.
مِنَ الْكِتَابِ	مَا كُتِبَ عَلَيْهِمْ فِي الْوَحْيِ مِنَ الْعَذَابِ.

## ● العمل بالآيات

١. تجمل وتزين اليوم في خروجك للصلاة عملاً بهذه الآية الكريمة: ﴿ يَبْنِيْءَ آدَمَ عَدُوًّا وَزَيْنَتَكَ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾.
٢. أرسل رسائل تحذر فيها من أصول المحرمات المذكورة في الآية الكريمة: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْأْتَمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا كُنْتُمْ بِهِ بَازِلِينَ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾.
٣. أرسل رسالة تحذر فيها من الفتوى أو القول على الله بلا علم، ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْأْتَمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾.

## ● التوجيهات

١. لا تسرف في الأكل والشرب أو الإنفاق المالي؛ فإن الله لا يحب المفسرين، ﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾.
٢. فرق بين ما تكرهه نفسك وما حرمه الله سبحانه؛ فإنه لا يحل لأحد أن يحرم شيئاً أباحه الله، ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾.
٣. حال الأمم كحال الأفراد؛ يحصل الهلاك عند انتشار المرض في أكثر الأمم، كما يهلك الفرد عندما يستشري المرض في أكثر جسمه، ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْذِنُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾.



## ● الوقفات التدريبية

﴿ قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَنْتُمْ أَخْنَبًا حَتَّى إِذَا أَذْكُرُوا فِيهَا جِمَا قَالَتْ أَخْرَجْنَاهُمْ لِأَوْلَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَصْلُونَا فَنَاتِيهِمْ عَذَابًا يُضْمَنُونَ الْقَارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَمْلِكُونَ ﴾

فيما قص الله من محاوراة قادة الأمم وأتباعهم ما فيه موعظة وتحذير لقادة المسلمين من الإيقاع باتباعهم فيما يزوج بهم في الضلالة، ويحسن لهم هواهم، وموعظة لعامةهم من الاسترسال في تأييد من يشايح هواهم، ولا يبلغهم النصيحة. ابن عاشور: ١٢٥/٨.

السؤال: ماذا يفاد من حكاية محاوراة القادة مع اتباعهم في الآية الكريمة؟  
﴿ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَمْلِكُونَ ﴾

أي: لا يعلم كل فريق ما بالفريق الآخر؛ إذ لو علم بعض من في النار أن عذاب أحد فوق عذابه، لكان نوع سلة له. القرطبي: ٢٢٢/٩.

السؤال: لماذا أخفى الله تعالى عذاب أهل النار بعضهم عن بعض؟

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُلْقِ لَهُمْ أَوْثُبَ السَّيِّءِ وَلَا يَدْعُونَ إِلَـهَ حَتَّى يَبْلُغَ الْبَحْلُ فِي سَوِّ الْحَيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴾

ومفهوم الآية أن أرواح المؤمنين المتقادين لأمر الله المصدقين بآياته تفتح لها أبواب السماء حتى تعرج إلى الله، وتصل إلى حيث أراد الله من العالم العلوي، وتبتهج بالقرب من ربهما والخطوة برضوانه. السعدي: ٢٨٨.

السؤال: ماذا تفيد من الإخبار بإغلاق أبواب السماء عن أرواح الكافرين؟

﴿ لَمْ يَمِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾  
لهم من جهنم مهاد أي: فراش؛ (ومن فوقهم غواش) أي: لحف وهي جمع غاشية يعني: ما غشاهم وغطاهم؛ يريد إحاطة النار بهم من كل جانب. البغوي: ١٣/٢.

السؤال: كما أن النعيم الحرام يعم جسد صاحبه في الدنيا، كذلك يعمه العذاب يوم القيامة، وضح ذلك.

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾  
(والذين آمنوا وعملوا الصالحات) أي: أمنت قلوبهم، وعملوا الصالحات بجوارحهم؛ ضد أولئك الذين كفروا بآيات الله، واستكبروا عنها. ويتنبه تعالى على أن الإيمان والعمل به سهل، لأنه تعالى قال لا تكلف نفسا إلا وسعها. ابن كثير: ٢٥/٢.

السؤال: المانع من الإيمان والهداية ليس صعوبتهما، وضح ذلك من الآية.

﴿ وَرَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ﴾  
يقول تعالى ذكره: وأذهبنا من صدور هؤلاء الذين وصف صفتهم، وأخبر أنهم أصحاب الجنة، ما فيها من حقد وغمر وعداوة كان من بعضهم في الدنيا على بعض، فجعلهم في الجنة إذا أدخلوها على سرر متقابلين، لا يحسد بعضهم بعضاً على شيء خص الله به بعضهم، وفضله من كرامته عليه، تجري من تحتهم أنهار الجنة. الطبري: ٤٣٧/١٢.

السؤال: من سعادة الإنسان ترك الغل والحسد، بين ذلك من خلال الآية.

﴿ وَقَالُوا لَلْحَمْدِ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَشْكُرَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾  
الذي يعمل الحسنات، إذا عملها بنفس عمله الحسنات هو من إحسان الله، ويفضله عليه بالهداية والإيمان؛ كما قال أهل الجنة: (الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله). ابن تيمية: ١٦٢/٣.

السؤال: عمل الحسنات هو إحسان من الله تعالى، بين ذلك من الآية الكريمة.

قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَنْتُمْ أَخْنَبًا حَتَّى إِذَا أَذْكُرُوا فِيهَا جِمَا قَالَتْ أَخْرَجْنَاهُمْ لِأَوْلَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَصْلُونَا فَنَاتِيهِمْ عَذَابًا يُضْمَنُونَ الْقَارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَمْلِكُونَ ﴿١﴾ وَقَالَتْ أَوْلَاهُمْ لَأَخْرَجْنَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْهِمْ مِنْ فَضْلٍ فذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتِّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلْبِغَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٣﴾ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٥﴾ وَرَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ بِآيَاتِنَا وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ أَوْ رُسُلُهُمْ أَفْهَمُوا بِلَاغَاتِ الْغَايَةِ لَقَدْ جَاءَتْهُمْ مِنْ قَبْلِهِمْ بَلَاءٌ كَثِيرٌ وَلَئِنْ كُنْتُمْ إِلَّا شَرَارًا فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٦﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
ادْأَرَكُوا	تَلَاخَقُوا.
يَلْبِغُ	يَدْخُلُ.
سَمُّ الْخِيَاطِ	نُقْبُ الْإِبْرَةِ.
غَوَاشٍ	أَغْطِيَّةٌ تَغْشَاهُمْ.

## ● العمل بالآيات

- أرسل رسالة تحذر فيها من اللعن؛ لأنه من صفات أهل النار، ﴿ قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَنْتُمْ أَخْنَبًا ﴾.
- إذا خرجت من منزلتك فقل: «اللهم إني أعوذ بك أن أضل أو أضل، أو أزل أو أزل، أو أظلم أو أظلم، أو أجهل أو أجهل علي»، ﴿ قَالَتْ أَخْرَجْنَاهُمْ لِأَوْلَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَصْلُونَا فَنَاتِيهِمْ عَذَابًا يُضْمَنُونَ الْقَارِ ﴾.
- ذكر من حولك بأهمية سلامة القلب، وأنه من صفات أهل الجنة، ﴿ وَرَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ﴾.

## ● التوجيهات

- ليعلن أصدقاء السوء بعضهم بعضاً يوم القيامة لأن كل واحد كان سبباً في عذاب الآخر، ﴿ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَنْتُمْ أَخْنَبًا حَتَّى إِذَا أَذْكُرُوا فِيهَا جِمَا قَالَتْ أَخْرَجْنَاهُمْ لِأَوْلَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَصْلُونَا فَنَاتِيهِمْ عَذَابًا يُضْمَنُونَ الْقَارِ ﴾.
- لن يفتكك صاحب المال والجاه إذا اتبعته على ضلاله، بل سيتبرأ منك، في الآخرة، ﴿ وَقَالَتْ أَوْلَاهُمْ لَأَخْرَجْنَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْهِمْ مِنْ فَضْلٍ فذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾.
- الالتزام بشرع الله سهل ومتيسر، فاستعن بالله ولا تعجز، ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾.

الفاجر، وأنه يُضَمَدُ بها إلى السماء، قال: «فيصعدون بها، فلا تَسْرُ على ملا من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح الخبيثة؟ فيقولون: فلان بن فلان باقى أسنانه التي كان يُدعى بها في الدنيا، حتى يتنهبوا بها إلى السماء، فيستفتحون بابها له، فلا يفتح له». ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سِتْرِ اللَّيْلِ﴾. و

وقد قال ابن جرير في قوله: ﴿لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ قال: لا تفتح لأعمالهم، ولا لأرواحهم. وهذا جمع بين القولين. وقوله: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سِتْرِ اللَّيْلِ﴾ هكذا قرأ الجمهور، وفسره بأنه البعير. قال ابن مسعود: هو الجمال ابن الناقة. وفي رواية: زوج الناقة. وقال الحسن البصري: حتى يدخل البعير في خُرْقِ الإبرة. وقال مجاهد، وعكرمة، عن ابن عباس: أنه كان يقرؤها: «يلج الجمل في سم الخياط» بضم الجيم، وتشديد الميم، يعني: الجبل الغليظ في خرم الإبرة. وهذا اختيار سعيد بن جبيرة. وفي رواية أنه قرأ: «حتى يلج الجمل» يعني: قُلُوس السفن، وهي الحبال الغلاظ.

الآية (٤١): ﴿لَهُمْ فِي جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾ قال محمد بن كعب القرظي: القُرْشُ «وَمِنْ قَوْفِهِمْ غَوَائِشٌ» قال: اللُّخْفُ. وكذا قال الضحّاك بن مُزَاجِم، والسُّدِّي «وَكَذَلِكَ يَجْزِي الظَّالِمِينَ».

الآية (٤٢): ﴿لَا تَذَكَّرُ تَعَالَى حَالِ الْأَشْيَاءِ حَتَّى يَذْكُرَ حَالِ السَّعْدَاءِ﴾ فقال: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أي: أمنت قلوبهم وعملوا الصالحات بجوارحهم، ضد أولئك الذين كفروا بآيات الله، واستكبروا عنها. وبنه تعالى على أن الإيمان والعمل به سهل؛ لأنه تعالى قال: ﴿لَا تَكْلِفُ نَفْسًا وِزْرًا وَأَوْسَعَهَا أَوْلْيَاكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ».

الآية (٤٣): ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ﴾ أي: من حسد وبغضاء، كما جاء عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا خلص المؤمنون من النار حُسِبوا على قطرة بين الجنة والنار، فاقصص لهم مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هُذِّبوا وثُقِّوا، أُذِنَ لهم في دخول الجنة؛ فوالذي نفسي بيده إن أحدهم بمنزله في الجنة أدل منه بمسكنه كان في الدنيا» [رواه البخاري]. وقال قتادة: قال علي: إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ﴾ رواه ابن جرير. وروى عبد الرزاق عن علي: فينا والله أهل بدر نزلت: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ».

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «كل أهل الجنة يرى مقعده من النار فيقول: لولا أن الله هداني، فيكون له شكرًا. وكل أهل النار يرى مقعده من الجنة فيقول: لو أن الله هداني فيكون له حسرة» [رواه النسائي وحسنه الألباني]. ولهذا لما أوردوا مقاعد أهل النار من الجنة نودوا: ﴿أَنْ يَلِكُمْ الْجَنَّةُ أَوْ رِشْتُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: بسبب أعمالكم نالتكم الرحمة فدخلتم الجنة، وتبوأنم منازلكم بحسب أعمالكم. وإننا وجب الحمل على هذا لما ثبت عن رسول الله ﷺ: «واعلموا أن أحذكم لن يُدْخِلَهُ عملُه الجنة». قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولانا، إلا أن يَغْفِرَ لِي الله برحمته منه وفضل» [متفق عليه].

الآية (٣٨): يقول تعالى مُخْبِرًا عما يقوله هؤلاء المشركين به، المَفرِّين عليه، المكذِبين بآياته: ﴿ادْعُوا فِي أَسْرِ﴾ أي: من أشكالكم وعلى صفاتكم ﴿فَدَخَلْتُ مِنْ قَلْبِكُمْ﴾ أي: من الأمم السالفة الكافرة ﴿مِنْ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ مِنَ النَّارِ﴾ يحتمل أن يكون بدلًا من قوله: ﴿فِي أَسْرِ﴾ ويحتمل أن يكون ﴿فِي أَسْرِ﴾ أي: مع أمم.

وقوله: ﴿كَلِمًا دَخَلَتْ أَنتَهُ لَمَنْتَ أَخْتَبَا﴾ كما قال الخليل عَلَيْهِ السَّلَام: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ لَمَّا كُنْتُمْ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ﴾ [المكذوب: ٢٥]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كُنَّا نَدْرِكُهُمْ فَنَسْتَبْرِئُهُمْ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا وَمَا كَذَلِكَ يَرْيَهُمْ اللَّهُ أَغْنَاهُمْ حَسْرَتِ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٦، ١٦٧].

وقوله: ﴿حَتَّى إِذَا أَذَاكَوْنَا فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ﴾ أي: اجتمعوا فيها كلهم ﴿قَالَتْ أَخْرِجْنَهُمْ لِأُولِنَهُمْ﴾ أي: أخرجهم دخولًا - وهم الأتباع - لأولاهم - وهم المتبعون - لأنهم أشد جرمًا من أتباعهم، فدخلوا قبلهم، فتشكروهم الأتباع إلى الله يوم القيامة؛ لأنهم هم الذين أضلواهم عن سواء السبيل، فيقولون: ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّوا فَنَاتَّبَعَهُمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ﴾ أي: أضعف عليهم العقوبة؛ كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكَرِهْنَا فَأَضَلُّوا السَّبِيلَ﴾ ﴿رَبَّنَا آتِنَاهُمْ لِيُضْعِفَ لِمَكَ الْعَذَابِ وَالْعَذَابُ لِمَنَّا كَبِيرٌ﴾ [الأعراف: ٦٧-٦٨]. وقوله: ﴿قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي: قد فعلنا ذلك وجازينا كلًا بحسبه؛ كما قال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ يَذَّذْنَهُمْ عَذَابًا قَوِيًّا﴾ ﴿الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُدُونَ﴾ [النحل: ٨٨]، وقال تعالى: ﴿وَلِيَحْمِلُوا أَثْقَالَهُمْ وَأَتَنَالُوا مَعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [المكذوب: ١٣]، وقال: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّوهُمْ يَدْعُوا لِعِمَالِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِينُونَ﴾ [النحل: ٢٥].

الآية (٣٩): ﴿وَقَالَتْ أُولِنَهُمْ لِأَخْرَجْنَهُمْ﴾ أي: قال المتبعون للأتباع: ﴿فَمَا كَانَتْ لَكُمْ عَيْنًا مِنْ فَضْلٍ﴾ قال السُّدِّي: فقد ضللتكم كما ضللتنا ﴿فَذَوُّوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ وهذا الحال كما أخبر تعالى عنهم في حال محشرهم، في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوا إِلَى الظَّالِمِينَ مَوْفُقَاتٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ تَرَى بَعْضَهُمْ إِلَى بَعْضٍ يَقُولُ الْكَافِرُ الْكَافِرُ اسْتَغْنُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَغْنَوْا أَفَرَأَيْتُمْ مَكَانَ الْعَذَابِ بَلْ يَدْعَاؤُهُمْ أَكْثَرُ جَهْدًا بَلْ كُثُرَ تَجْوِينٌ﴾ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَغْنَوْا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ الْإِنْسِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَثَدًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَنَا رَأَوْا الْعَذَابَ وَحَلَلْنَا الْأَعْقِلَ فِي أَغْنَاكِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُخْرَجُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [سبا: ٣١-٣٣].

الآية (٤٠): قوله: ﴿لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ قيل: المراد: لا يرفع لهم منها عمل صالح ولا دعاء. قاله مجاهد، وسعيد بن جبيرة. وقيل: المراد: لا تفتح لأرواحهم أبواب السماء. روي عن ابن عباس، ويؤيده ما روى الإمام أحمد: عن البراء، أن رسول الله ﷺ ذكر قُبُض روح



يدخلوها، وهم يطمعون أن يدخلوها، وهم داخلوها إن شاء الله. وعن الحسن: أنه تلا هذه الآية: ﴿لَا يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ قال: والله ما جعل ذلك الطمع في قلوبهم إلا لكرامة يريد بها بهم. وقال قتادة: أنبأكم الله بمكانهم من الطمع.

الآية (٤٧): قوله: ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ أَفَلَا يُرْجَعُونَ﴾ قال ابن عباس: إن أصحاب الأعراف إذا نظروا إلى أهل النار وعرفوهم، قالوا: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾. وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله: ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ أَفَلَا يُرْجَعُونَ﴾ فرأوا وجوههم مسودة، وأعينهم مژقة ﴿قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

الآية (٤٨-٤٩): يقول الله تعالى مخبراً عن تقرير أهل الأعراف لرجال من صناديد المشركين وقادتهم، يعرفونهم في النار بسيماهم: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ أَي: كثرتكم ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي: لا ينفعكم كثرتكم ولا جوعكم من عذاب الله، بل صرتم إلى ما أنتم فيه من العذاب والنكال ﴿أَمْ تَوَلَّوْا الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾ قال ابن عباس: يعني: أصحاب الأعراف ﴿أَدْخَلُوا الْجَنَّةَ لَا حَوْفَ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾. وروى ابن جرير عن ابن عباس: ﴿قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ﴾ الآية، قال: فلما قالوا هم الذي قضى الله أن يقولوا -يعني أصحاب الأعراف لأهل الجنة وأهل النار- قال الله لأهل التَّكْبُرِ والأموال: ﴿أَمْ تَوَلَّوْا الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ أَدْخَلُوا الْجَنَّةَ لَا حَوْفَ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾.

الآية (٥٠): يخبر تعالى عن ذلة أهل النار وسؤالهم أهل الجنة من شراهم وطعامهم، وأنهم لا يجابون إلى ذلك. قال السُّدِّي: ﴿رَكَدَتْ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِضُوا عَلَيْكَ مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ يعني: الطعام. وقال ابن أسلم: يستطعمونهم ويستسقونهم. وقال ابن أسلم: ﴿إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ يعني: طعام الجنة وشراها.

الآية (٥١): ثم وصف تعالى الكافرين بما كانوا يعتمدونه في الدنيا من اتخاذهم الدين هواً ولعباً، واغترارهم بالدنيا وزينتها وزخرفها عما أمروا به من العمل للدار الآخرة. قوله: ﴿فَالْيَوْمَ نَنسِفُهَا كَمَا نَسَوُا لِقَاءَ يَوْمَيْهَا﴾ أي: نعاملهم معاملة من نسيهم؛ لأنه تعالى لا يشدُّ عن علمه شيء ولا ينساه؛ كما قال تعالى: ﴿فِي كِتَابٍ لَا يَبْصُلُ رِيقٌ وَلَا يَنْسَى﴾ [ط: ٥٠]. وإنما قال تعالى هذا من باب المقابلة؛ كما قال: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧]، وقال ابن عباس: نسيهم الله من الخير، ولم ينسهم من الشر. وقال: نتركهم، كما تركوا لقاء يومهم هذا. وقال مجاهد: نتركهم في النار. وقال السُّدِّي: نتركهم من الرحمة، كما تركوا أن يعملوا للقاء يومهم هذا.

الآية (٤٤): يخبر تعالى بما يخاطب أهل الجنة أهل النار إذا استقروا في منازلهم؛ وذلك على وجه التقرير والتوبيخ: ﴿أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبَّنَا حَقًّا﴾ أي: هنا مفسرة للقول المحذوف، و﴿قَدْ﴾ للتأكيد، أي: قالوا لهم: ﴿قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبَّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ﴾ كما أخبر تعالى في سورة «الصفات» عن الذي كان له قرين من الكفار: ﴿فَأَنطَلَقَ فَرَأَىٰ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ [٥٥-٥٦] قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرَوِّينَ [٥٧] وَلَوْلَا رَحْمَةُ رَبِّي لَكُنْتَ مِنَ الْمُحْضَرِينَ [٥٨] أَمَّا نَحْنُ بِمَبِيتَيْنِ [٥٩] إِلَّا مَوْتَنَا الْأَوَّلُ وَمَا نَحْنُ بِمُعَدِّيْنَ [٦٠] [الصفات: ٥٥-٥٩] أي: ينكر عليه مقالته التي يقولها في الدنيا، ويقرعه بما صار إليه من العذاب والنكال. وكذلك قرع رسول الله ﷺ قتل القلب يوم بدر، فنادى: «يا أبا جهل بن هشام، ويا عتبة بن ربيعة، ويا شيبة بن ربيعة -وسمى رؤوسهم-: هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟ إني وجدت ما وعدني ربي حقاً» [متفق عليه]. وقوله: ﴿فَأَذْنُ مَوْذَنٌ بَيْنَهُمْ﴾ أي: أعلم مُعْلِمٌ ونادى مُنَادٍ: ﴿أَنْ لَقْنَا اللَّهَ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ أي: مستقرة عليهم.

الآية (٤٥): ثم وصفهم بقوله: ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ أي: يصدون الناس عن اتباع سبيل الله وشرعه وما جاءت به الأنبياء، ويغنون أن تكون السبيل مُعْوَجَةً غير مستقيمة، حتى لا يتبعها أحد ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾ أي: وهم بلقاء الله في الدار الآخرة كافرون، أي: جاحدون مكذبون بذلك، لا يصدقونه ولا يؤمنون به. فلهذا لا يبالون بما يأتون من منكر من القول والعمل؛ لأنهم لا يخافون حساباً عليه ولا عقاباً، فهم شر الناس أفعالاً وأقوالاً.

الآية (٤٦): لما ذكر تعالى مخاطبة أهل الجنة مع أهل النار، تبَّه أن بين الجنة والنار حجاباً، وهو الحاجز المانع من وصول أهل النار إلى الجنة. قال ابن جرير: وهو السور الذي قال الله تعالى: ﴿فَضَرَبَ بَيْنَهُمْ سُورَةً بَابٌ بَيْنَهُمَا فِيهِ الْأَرْحَامُ وَظُهُورُهُمْ مِنْ بَيْنِ الْمَذَابِ﴾ [الحديد: ١٣] وهو الأعراف الذي قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾ ثم روى بإسناده عن السُّدِّي أنه قال في قوله تعالى: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾ وهو «السور»، وهو «الأعراف». وقال مجاهد: الأعراف: حجاب بين الجنة والنار، سور له باب. قال ابن جرير: والأعراف جمع عُرف، وكل مُرتفع من الأرض عند العرب يُسمى عُرفاً. وعن ابن عباس: الأعراف: تل بين الجنة والنار، حُبس عليه ناس من أهل الذنوب بين الجنة والنار. وفي رواية عنه: هو سور بين الجنة والنار. واختلفت عبارات المفسرين في أصحاب الأعراف من هم، وكلها قريبة ترجع إلى معنى واحد، وهو: أنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم. وقوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَتِهِمْ﴾ قال ابن عباس: يعرفون أهل الجنة ببياض الوجوه، وأهل النار بسواد الوجوه. وقال: أنزلهم الله بتلك المنزلة، ليعرفوا من في الجنة والنار، وليعرفوا أهل النار بسواد الوجوه، ويتعوزوا بالله أن يجعلهم مع القوم الظالمين. وهم في ذلك يحْيُونَ أهل الجنة بالسلام، لم



## ● الوقفات التدريبية

﴿ وَكَادَتْ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ النَّارَ أَنْ قَدْ وَجَدَتْ مَا وَعَدْنَا رَبَّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ قَالُوا فَكَيْفَ يُبْعَثُونَ قَالُوا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾

وهذا النداء من أهل الجنة لأهل النار تقرير، وتوبيخ، وزيادة في الكرب. ابن عطية: ٤٠٧/٢.

السؤال: ما فائدة نداء أهل الجنة لأهل النار؟

﴿ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَفُورُونَ ﴾

وهذا الذي أوجب لهم الانحراف عن الصراط، والإقبال على شهوات النفوس المحرمة، عدم إيمانهم بالبعث، وعدم خوفهم من العقاب ورجائهم للثواب. السعدي: ٢٩٠.

السؤال: ما أثر الإيمان بالبعث والآخرة؟

﴿ وَبَيْنَهُمَا جَبَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَتِهِمْ وَكَادَتْ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِمَ عَلَيْهِمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَلْمُزُونَ ﴾

بين أصحاب الجنة وأصحاب النار حجاب يقال له: (الأعراف) لا من الجنة ولا من النار، يشرف على الدارين، وينظر من عليه حال الفريقين، وعلى هذا الحجاب رجال يعرفون كلا من أهل الجنة والنار (بسيماتهم) أي: علاماتهم التي بها يعرفون ويميزون، فإذا نظروا إلى أهل الجنة نادوهم: (أنا سلام عليكم) أي: يحيونهم ويسلمون عليهم، وهم إلى الآن لم يدخلوا الجنة، ولكنهم يطعمون في دخولها، ولم يجعل الله الطمع في قلوبهم إلا لما يريد بهم من كرامته. السعدي: ٢٩٠.

السؤال: ما المراد بأصحاب الأعراف؟

﴿ وَكَادَتْ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا لَا يَرُؤُهُمْ فِي سَمْعِهِمْ قَالُوا مَا أَفْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾

(ونادى أصحاب الأعراف رجالاً) كانوا عظماء في الدنيا من أهل النار، (يعرفونهم بسيماهم) قالوا ما أغنى عنكم جمعكم في الدنيا من المال والولد، (وما كنتم تستكبرون) عن الإيمان. قال الكلبي: نادوهم وهم على السور، يا وليد بن المغيرة، يا أبا جهل بن هشام، يا فلان، أوهم ينظرونهم في النار، ثم ينظرون إلى الجنة فيرون فيها الفقراء والضعفاء ممن كانوا يستهزئون بهم، مثل سلمان، وصهيب، وخباب، وبلال. البغوي: ١٠٦/٢.

السؤال: موازين الدنيا غير موازين الآخرة، وضع ذلك من خلال الآية.

﴿ أَهْوََاءُ الَّذِينَ اقْتَسَمُوا أَنْ يُبَايِعُوا اللَّهَ رَحِمَةً ﴾

من كلام أصحاب الأعراف خطاباً لأهل النار، والإشارة بهؤلاء إلى أهل الجنة، وذلك أن الكفار كانوا في الدنيا يقسمون أن الله لا يرحم المؤمنين، ولا يعيأ بهم؛ فظهر خلاف ما قالوا. ابن جزي: ٣٩١/١.

السؤال: استخرج من هذه الآية بعض أسباب دخول النار.

﴿ وَكَادَتْ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَنْ أَيْمُنُوا عَلَيْكَ مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّكَ اللَّهُ حَرَمُهُمْ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾

في هذه الآية دليل على أن سقي الماء من أفضل الأعمال، وقد سئل ابن عباس: أي الصدقة أفضل؟ فقال: الماء؛ ألم تروا إلى أهل النار حين استغاثوا بأهل الجنة (أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله) ... وقد قال بعض التابعين: من كثرت ذنوبه؛ فعليه يسقي الماء، وقد غفر الله ذنوب الذي سقى الكلب، فكيف بمن سقى رجلاً مؤمناً موحداً، وأحياناً القرطبي: ٢٣٣/٩.

السؤال: بين ما يدل على فضل سقي الماء.

﴿ وَكَادَتْ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَنْ أَيْمُنُوا عَلَيْكَ مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّكَ اللَّهُ حَرَمُهُمْ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾

والأشنع على الكافرين في هذه المقالة أن يكون بعضهم يرى بعضاً؛ فإنه أخزى وانكى للنفس. ابن عطية: ٤٠٦/٢.

السؤال: في النار عذاب حسي وآخر معنوي، وضع ذلك من خلال الآية.

وَكَادَتْ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدَتْ مَا وَعَدْنَا رَبَّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ قَالَتْ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ١٥ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَفُورُونَ ١٦ وَبَيْنَهُمَا جَبَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَتِهِمْ وَكَادَتْ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِمَ عَلَيْهِمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَلْمُزُونَ ١٧ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ١٨ وَكَادَتْ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا لَا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَتِهِمْ قَالُوا مَا أَفْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ١٩ أَهْوَاءُ الَّذِينَ اقْتَسَمُوا أَنْ يُبَايِعُوا اللَّهَ رَحِمَةً أَنْ يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا أَشْغَوْهُمْ فِيهَا ٢٠ وَكَادَتْ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَنْ أَيْمُنُوا عَلَيْكَ مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّكَ اللَّهُ حَرَمُهُمْ عَلَى الْكَافِرِينَ ٢١ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتُهُمْ الْهَيْوَةُ الدُّنْيَا قَالِ يَوْمَ تَنْسَهُمُ كَمَا تَنْسُو لِقَاءَ رَبِّهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ٢٢

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
جَبَابٌ	حاجز، وهو سورٌ بينَهُمَا، يُقَالُ لَهُ: (الأعراف).
بِسِيمَاتِهِمْ	بِأَعْلَامَاتِهِمْ.
تِلْقَاءُ	جِهَةٌ.
أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ	مَنْ اسْتَوَتْ حَسَنَاتُهُمْ وَسَيِّئَاتُهُمْ.

## ● العمل بالآيات

١. اقرأ كتاباً في صفات أهل الجنة وأهل النار، ﴿ وَكَادَتْ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدَتْ مَا وَعَدْنَا رَبَّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ قَالُوا فَكَيْفَ يُبْعَثُونَ قَالُوا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾.
٢. اسق ظمآن، واجعلها عادة لك، لعل الله ينفعك بها في الآخرة، ﴿ وَكَادَتْ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَنْ أَيْمُنُوا عَلَيْكَ مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّكَ اللَّهُ حَرَمُهُمْ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾.
٣. حدد أموراً شرعية تحسن أنك لم تأخذها بجدية وحاول تعديلها إلى ما يرضي الله تعالى، ﴿ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتُهُمْ الْهَيْوَةُ الدُّنْيَا قَالِ يَوْمَ تَنْسَهُمُ كَمَا تَنْسُو لِقَاءَ رَبِّهِمْ هَذَا ﴾.

## ● التوجيهات

١. من صفات الظالمين أنهم يبيغون دين الله عوجاً بتحريفه، وتغريب المجتمع، وهدم الفضيلة، وتشكيك الناس في دينهم، وتقديس الكفار، ﴿ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَفُورُونَ ﴾.
٢. لن يغني عنك يوم القيامة كثرة مالك أو اتباعك، ولا كثرة أقاربك أو عشيرتك، ولن ينفعك جاهك ولا سلطانك، لن ينفعك إلا عملك، ﴿ مَا أَفْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾.
٣. لا تحقر شخصاً لأجل فقره وضعف دينه، ﴿ أَهْوَاءُ الَّذِينَ اقْتَسَمُوا أَنْ يُبَايِعُوا اللَّهَ رَحِمَةً أَنْ يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا أَشْغَوْهُمْ فِيهَا ٢٠ ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿ وَلَقَدْ جِئْتَهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ۖ ﴾

(على علم) من الله بأحوال العباد في كل زمان ومكان، وما يصلح لهم وما لا يصلح، ليس تفصيله تفصيل غير عالم بالأمر، فتجمله بعض الأحوال، فيحكم حكماً غير مناسب، بل تفصيل من احاط علمه بكل شيء، ووسعت رحمته كل شيء. السعدي: ٢٩١.

السؤال: كيف ترد على من يزعم أن الشريعة الإسلامية ليست مناسبة لهذا الزمان؟

﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾

والشريعة مقررة أن السر فيما لم يفترض من أعمال البر اعظم اجراً من الجهر ... قال الحسن بن ابي الحسن: لقد ادركنا اقواماً ما كان على الأرض عمل يقدرون على أن يكون سرّاً فيكون جهراً ابداً، ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء فلا يسمع لهم صوت، إن هو إلا الهمس بينهم وبين ربهم. القرطبي: ٢٤٤/٨-٢٤٥.

السؤال: هل عبادة السر افضل، أم عبادة العلانية؟

﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾

يقول تعالى ذكره: ادعوا ايها الناس ربكم وحده، فاخلصوا له الدعاء، دون ما تدعون من دونه من الآلهة والأصنام، (تضرعاً) يقول: تدللاً واستكانة لطاعته (وخفية) ... لا جهاراً ومراءاة، وقلوبكم غير موقنة بوحدانيته وربوبيته؛ فعمل اهل النفاق والخداع لله ولرسوله. الطبري: ١٢/٤٨٥.

السؤال: ما الصفات التي ينبغي أن يجمعها المؤمن حال الدعاء؟

﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِسْلَامِكُمْ ﴾

ومن تدبر أحوال العالم وجد كل صلاح في الأرض فسيبه توحيد الله، وعبادته، وطاعة رسوله ﷺ وكل شر في العالم وقتنة وبلاء وقحط وتسلط عدو وغير ذلك فسيبه مخالفة الرسول ﷺ والدعوة إلى غير الله. ابن تيمية: ١٧٠/٣.

السؤال: ما سبب كل صلاح؟ وما سبب كل فساد في الأرض؟

﴿ وَأَدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾

اعلم أن الخوف على ثلاث درجات: الأولى: أن يكون ضعيفاً يخطر على القلب ولا يؤثر في الباطن ولا في الطاهر؛ فوجود هذا كالعدم، والثانية: أن يكون قوياً فيوظ العبد من الغفلة ويحملة على الاستقامة، والثالثة: أن يشتد حتى يبلغ إلى القنوط والياس؛ وهذا لا يجوز، وخير الأمور أوسطها. والناس في الخوف على ثلاث مقامات: فخوف العامة من الذنوب، وخوف الخاصة من الخاصة، وخوف خاصة الخاصة من السابقة، فإن الخاصة مبنية عليها. ابن جزى: ٣٦٠/٨.

السؤال: ما الخوف الذي ينبغي أن تعبد الله به في هذه الآية؟ ووضح معنى السابقة في علم الله وقدره.

﴿ وَأَدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾

والرجاء على ثلاث درجات: الأولى: رجاء رحمة الله مع التسبب فيها بفعل طاعة وترك معصية؛ فهذا هو الرجاء المحمود، والثانية: الرجاء مع التضرع والعصيان؛ فهذا غرور، والثالثة: أن يفوّى الرجاء حتى يبلغ الأمن؛ فهذا حرام. والناس في الرجاء على ثلاث مقامات: فمقام العامة رجاء ثواب الله، ومقام الخاصة رضوان الله، ومقام خاصة الخاصة رجاء لقاء الله حياً فيه وشوقاً إليه. ابن جزى: ٣٦٠/١.

السؤال: ما الرجاء الذي ينبغي أن تعبد الله به في هذه الآية؟

﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾

اختص اهل الإحسان بقرب الرحمة لأنها إحسان من الله - عز وجل - أرحم الراحمين، وإحسانه - تبارك وتعالى - إنما يكون لأهل الإحسان؛ لأن الجزء من جنس العمل، وكلما أحسنوا بأعمالهم أحسن إليهم برحمته. ابن تيمية: ٢٧/١٥.

السؤال: لماذا اختص اهل الإحسان بقرب الرحمة؟

وَلَقَدْ جِئْتَهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا آيَاتِنَا وَلَهُ يَوْمَ تَأْتِيهِمْ يَقُولُ الَّذِينَ سُئِلُوا مِن قَبْلِ قَدْ جَاءَتْ رُسُلًا بِالْحَقِّ فَعَلْنَا مِنْ شِقْمَاءَ فَيَشْعُرُونَ أَنَّا أَتَيْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَفَعَلْنَا مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارُ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ الْحَقَّ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ الْحَقَّ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ الْحَقَّ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ الْحَقَّ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
اسْتَوَىٰ عَلَى	عَلَا، وَارْتَفَعَ.
حَثِيثًا	سَرِيحًا، ذَالِمًا.
وَحُفْيَةً	سِرًّا.
أَقَلَّتْ	خَفَّتْ.
فَضَالًا	مُحْمَلَةً بِالْمَاءِ.
لِيَبْلُغَ مَمِيتٍ	لِيَبْلُغَ مُجْدِبٍ.

## ● العمل بالآيات

١. ادع الله تعالى بتضرع دون أن يعلم بك أحد، ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾.
٢. إذا مشيت في طريقك فأهبط الأذى، وإذا رايت شيئاً قد فسد يمكن إصلاحه فعدله وأصلحه قدر استطاعتك، ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِسْلَامِكُمْ ﴾.
٣. حدد افكاراً وطرقاً تدرب فيها نفسك على الإحسان إلى الناس، واسأل الله أن تكون من اهل الإحسان، ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾.

## ● التوجيهات

١. الهدى والرحمة والعلم إنما هي في كتاب الله الكريم، ﴿ وَلَقَدْ جِئْتَهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾.
٢. ينفع الإيمان عند معاينة الموت والعذاب كما لا ينفع يوم القيامة، ﴿ يَوْمَ تَأْتِيهِمْ يَقُولُ الَّذِينَ سُئِلُوا مِن قَبْلِ قَدْ جَاءَتْ رُسُلًا بِالْحَقِّ فَعَلْنَا مِنْ شِقْمَاءَ فَيَشْعُرُونَ أَنَّا أَتَيْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَفَعَلْنَا مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾.
٣. إذا أردت رحمة الله تعالى فكن من المحسنين، ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾.

رسول الله ﷺ: «أيا الناس! ازيعوا على أنفسكم؛ فإنكم لا تدعون أصم ولا غائياً؛ إن الذي تدعونه سميع قريب» [مفتح عليه].

وقال ابن عباس في قوله: «نَضْرَعًا وَخُفْيَةً» قال: السر. وقال ابن جرير: يُكره رفع الصوت والنداء والصياح في الدعاء، ويؤمر بالنضرع والاستكانة. وروي عن ابن عباس في قوله: «إِنَّهُ لَا يُجِبُ الْمُعْتَرِينَ»: في الدعاء ولا في غيره. وقال أبو مجلز: «إِنَّهُ لَا يُجِبُ الْمُعْتَرِينَ»: لَا يُسْأَلُ منازل الأنبياء.

عن أبي نعمة: أن عبد الله بن مغفل سمع ابنه يقول: اللهم، إني أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة إذا دخلتها. فقال: يا بني، سل الله الجنة، وعُدَّ بِهِ من النار؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يكون قوم يعتنون في الدعاء والطهور» [رواه أحمد وابن ماجه، وأبو داود؛ وحسنه ابن كثير].

الآية (٥٦): قوله تعالى: «وَلَا تُقْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَدَاً وَسَلْحًا» ينهى تعالى عن الإفساد في الأرض، وما أضربه بعد الإصلاح! فإنه إذا كانت الأمور ماضية على السداد، ثم وقع الإفساد بعد ذلك، كان أضراً ما يكون على العباد. فنهى تعالى عن ذلك، وأمر بعبادته ودعائه والنضرع إليه والتذلل لديه، فقال: «وَأَدْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً» أي: خوفاً مما عنده من ويل العقاب، وطمعاً فيما عنده من جزيل الثواب. ثم قال: «إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ لِلْمُحْسِنِينَ» أي: إن رحمة مُرْسِدةٍ للمحسنين، الذين يتبعون أوامره ويتركون زواجره، كما قال تعالى: «وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ» [الأعراف: ١٥٦]. وقال: «قَرِيبٌ» ولم يقل: «قَرِيبَةٌ»؛ لأنه ضَمَّنَ الرحمة معنى الثواب، أو لأنها مُضَافَةٌ إلى الله، وقال مطر الوراق: تَجَرَّعُوا موعود الله بطاعته؛ فإنه قضى أن رحمة قريب من المحسنين.

الآية (٥٧): لما ذكر تعالى أنه خالق السموات والأرض، وأنه المتصرف الحاكم المدبّر المسخّر، وأرشد إلى دعائه؛ لأنه على ما يشاء قادر، نبّه تعالى على أنه الرّاق، وأنه يعيد الموتى يوم القيامة، فقال: «وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ نُفْثًا» أي: ناشرة بين يدي السحاب الحامل للمطر، ومنهم من قرأ: «بُثْرًا» كقوله: «وَمِنَ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ بُثْرَتٍ» [الروم: ٤٦]. وقوله: «يَبْتَئِنُ يَدْعُو رَحْمَتَهُ» أي: بين يدي المطر؛ كما قال: «وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ مِنْ بَدَاً مَقْطُوعًا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ أَوَّلُ الْخَبِيرِ» [النورى: ٢٨]. وقوله: «حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَّتْ سَكَابًا فَقَالَ»: أي: حملت الرياح سحاباً ثقلاً، أي: من كثرة ما فيها من الماء، تكون ثقيلة قريبة من الأرض مُدْهِمَةً. وقوله: «سُقْنَتُهُ لِكُلِّ مَيِّتٍ» أي: إلى أرض ميتة، مُجْدِبَةٌ لِنَابِتٍ فيها؛ كما قال: «وَأَيُّهُم مَّنْ الْأَرْضَ الَّتِيئَتْ أَحْيَيْنَهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَيًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ» [يس: ٣٣]؛ ولهذا قال: «فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّوْبِ كَذَلِكَ نَخْرِجُ الْمَوْتُومَ» أي: كما أحيينا هذه الأرض بعد موتها، كذلك نحى الأجساد بعد صيورتها رَمِيًا يوم القيامة؛ يُنْزَلُ الله سبحانه وتعالى ماءً من السماء، فَمُطَّرُ الأرض أربعين يوماً، فتنبت منه الأجساد في قبورها كما ينبت الحب في الأرض. وهذا المعنى كثير في القرآن، يضرب الله مثلاً للقيامة بإحياء الأرض بعد موتها؛ ولهذا قال: «لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ».

الآية (٥٢): يقول تعالى مخبراً عن إعداده إلى المشركين بإرسال الرسول إليهم بالكتاب الذي جاء به الرسول، وأنه كتاب مفضل مبين؛ كما قال تعالى: «الرَّكِيبُ أَتَمَّتْ آيَتُهُ ثُمَّ هُيِلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ» [هود: ١]. وقوله: «فَصَلَّتْ عَلَىٰ عَيْلِهِ» أي: على علم منا بما فصلناه به؛ كما قال تعالى: «أَنزَلْنَاهُ بِعِلْيَهِ» [النساء: ١٦٦].

الآية (٥٣): قوله: «هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ» أي: ما وعدوا به من العذاب والتكال والجنة والنار. قاله مجاهد وغير واحد. وقال الربيع: لا يزال يبيح من تأويله أمر، حتى يتم يوم الحساب، حتى يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، فيتم تأويله يومئذ. «يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ» أي: يوم القيامة، قاله ابن عباس. قوله: «يَقُولُ الَّذِيكُ شَوْءٌ مِنْ قَبْلُ» أي: تركوا العمل به، وتناسوا في الدار الدنيا: «فَدَجَلَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَمَلَّ لَسَانُ شُعْطَةٍ فَيَسْخَمُوا لَهَا» أي: في خلاصتها عما صرنا إليه مما نحن فيه «أَوْ تَرُدُّ» إلى الدار الدنيا «فَتَمْلِكُ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا تَمْلِكُ»؛ كما قال تعالى: «وَلَوْ تَرَكْنَا أَهْلَ الْأَرْضِ أَفْقَادًا بَلَّغْنَا تَرَدُّدًا فَكُلَّيْ يَكَايِدُ رَبَّنَا وَكُنُونِ مِنَ الْكَافِرِينَ» [الأنعام: ٢٧]. كما قال ههنا: «فَدَخَرُوا أَنْفُسَهُمْ» أي: خسروا أنفسهم بدخولهم النار وخلودهم فيها. «وَضَلَّ عَنْهُمْ مَنَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ» أي: ذهب عنهم ما كانوا يعبدونهم من دون الله، فلا ينصرونهم، ولا يشفعون فيهم، ولا ينقذونهم مما هم فيه.

الآية (٥٤): يخبر تعالى أنه خلق هذا العالم؛ سواهاته وأرضه، وما بين ذلك في ستة أيام كما أخبر بذلك في غير ما آية من القرآن، واختلفوا في هذه الأيام هل كل يوم منها كهذه الأيام كما هو المتبادر إلى الأذهان؟ أو كل يوم كالف سنة؟ كما نص على ذلك مجاهد والإمام أحمد بن حنبل، وروى ذلك من رواية الضحاك عن ابن عباس.

قوله تعالى: «ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْمَرْثِي» نسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح من أئمة المسلمين قديماً وحديثاً؛ وهو إمرارها كما جاءت من غير تكيف ولا تنبيه ولا تعطيل. والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهين منفي عن الله؛ فإن الله لا يشبهه شيء من خلقه، «وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» [النورى: ١١]. بل الأمر كما قال الأئمة: «من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر»، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تنبيه، فمن أثبت لله تعالى ما وردت به الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة على الوجه الذي يليق بجلال الله تعالى، ونفى عن الله تعالى النقائص، فقد سلك سبيل الهدى.

وقوله تعالى: «يَنْشِئُ آيَاتٍ الْبَارِئُ يَطْلُبُهُ حَيْثُ» أي: يذهب ظلام هذا بضياء هذا، وضياء هذا بظلام هذا، وكل منها يطلب الآخر طلباً حثيثاً؛ أي: سريعاً لا يتأخر عنه، بل إذا ذهب هذا جاء هذا، وإذا جاء هذا ذهب هذا. قوله: «وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ» أي: الجميع تحت قهره وتسخيره ومشيبته؛ ولهذا قال مُنَبِّهاً: «أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ» أي: له الملك والتصرف، «بِمَنَّاكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ».

الآية (٥٥): أرشد تبارك وتعالى عباده إلى دعائه، الذي هو صلاحهم في دنياهم وآخرهم، فقال: «ادْعُوا رَبَّكُمْ نَضْرَعًا وَخُفْيَةً» قيل: معناه: تذلاً واستكانة؛ كما قال: «وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ نَضْرَعًا وَخُفْيَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ» [الأعراف: ٢٠٥]. قال

الآية (٦٦-٦٧): ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الذُّبَابَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ ۖ الْمَلَأُ مِنْ الْجُمُحُورِ وَالسَّادَةِ وَالْقَادَةِ مِنْهُمْ ۖ إِنَّكَ لَتَرَنَّكَ فِي سَفَاهِهِ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَذِبِيَّةِ ۖ أَيْ: فِي ضَلَالَةٍ حَيْثُ دَعَوْتَنَا إِلَى تَرْكِ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ، وَالْإِقْبَالِ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ، كَمَا تَعَجَّبَ الْمَلَأُ مِنْ قَرِيشٍ مِنَ الدَّعْوَةِ إِلَى إِلَهٍ وَاحِدٍ، فَقَالُوا: ﴿ أَجْعَلُ الْأَيْلَةَ إِلَهًا وَدِينًا إِنَّ هَذَا لَنُفْرٌ ۖ عَجَبٌ ۖ ﴾ [ص:٥]. ﴿ قَالَ يَقْتَوِرُ لَيْسَ فِي سَفَاهِهِ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۖ أَيْ: لَسْتُ كَمَا تَزْعُمُونَ، بَلْ جِئْتُكُمْ بِالْحَقِّ مِنَ اللَّهِ الَّذِي خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ، فَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِكُهُ.



## ● الوقفات التدريبية

﴿ وَاللَّهُ الَّذِي يَخْرِجُ بَنَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي حَبَتْ لَآيَحْيُ إِلَّا أَنْ تَكُنَّ ﴾  
كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿١٥٨﴾

هذا مثال للقلوب حين ينزل عليها الوحي ... فإن القلوب الطيبة حين يجيئها الوحي تقبله، وتعلمه، وتثبت بحسب طيب أصلها، وحسن عنصرها، وأما القلوب الخبيثة التي لا خير فيها، فإذا جاءها الوحي لم يجد محلاً قابلاً، بل يجدها غافلة معرضة، أو معارضة، فيكون كالطر الذي يمر على السباخ والرمال والصخور، فلا يؤثر فيها شيئاً. السعدي: ٢٩٢.

السؤال: ما أنواع القلوب في تقبلها للوحي؟

﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَنَّكَ فِي صِلَاكِ مُبِينٍ ﴾

(قال الملأ من قومه) أي: الجمهور، والسادة، والقادة، والكبراء منهم. (إننا لنراك في ضلال مبين) أي: في دعوتك إيانا إلى ترك عبادة هذه الأصنام التي وجدنا عليها أبائنا. وهكذا حال الفجار: إنما يرون الأبرار في ضلال، كما قال تعالى: (وإذا رواهم قالوا إن هؤلاء لضالون) للطوفين: ٣٢، (وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً ما سبقونا إليه) الأحقاف: ١١. ابن كثير: ٢١٤/٢.

السؤال: بين بعض ابتلاءات الصالحين من خلال الآية.

﴿ قَالَ يَقْوَرُ لَيْسَ بِ صِلَاكِ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْمَلَكِيَّاتِ ﴾

وقوله لهم جواباً عن هذا: (ليس بي ضلالة) مباغتة في حسن الأدب، والإعراض عن الجفاء منهم، وتناول رفيق، وسعة صدر حسبما يقتضيه خلق النبوة. ابن عطية: ٤١٥/٢.

السؤال: في جواب نوح -عليه السلام- لقومه منهج للدعاة، بينه.

﴿ قَالَ يَقْوَرُ لَيْسَ بِ صِلَاكِ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْمَلَكِيَّاتِ ﴾  
أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَتِي رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٥٩﴾

وهذا شأن الرسول، أن يكون مبلغاً، فصيحاً، ناصحاً، علماً بالله. ابن كثير: ٢١٤/٢.

السؤال: ما الصفات التي ينبغي أن يكون عليها الداعية إلى الله سبحانه وتعالى؟

﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَتِي رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾

أي: وظيفتي تبليغكم ببيان توحيدِهِ وأوامره ونواهيه، على وجه النصيحة لكم والشفقة عليكم، (وأعلم من الله ما لا تعلمون) فالذي يتعين أن تطيعوني وتتقادوا لأمري إن كنتم تعلمون. السعدي: ٢٩٣.

السؤال: إذا كان الرسول يعلم من الله ما لا يعلمه الناس، فما الذي يستوجب ذلك على الناس؟

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَجْنَبْنَاهُ وَآلَيْهِمْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَآغَرَقْنَا أَلْبَنِينَ كَذَّبُوا رَبَّنَا رَبَّنَا

يَا زَيْنَبُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَجِيزًا ﴿١٦٠﴾

فقدّم الإنجاء للاهتمام بإنجاء المؤمنين، وتجيلاً لمسة السامعين من المؤمنين

بأن عادة الله إذا أهلك المشركين أن ينجي الرسول والمؤمنين. ابن عاشور: ٨٧/٨.

السؤال: لماذا قدم الإنجاء للمؤمنين على الإغراق للكافرين في الآية الكريمة؟

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَجْنَبْنَاهُ وَآلَيْهِمْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَآغَرَقْنَا أَلْبَنِينَ كَذَّبُوا رَبَّنَا رَبَّنَا

وهذه سنة الله في عباده في الدنيا والآخرة: أن العاقبة فيها للممتقين، والظفر والقلب لهم؛ كما أهلك قوم نوح بالفرق، ونجى نوحاً وأصحابه المؤمنين. ابن كثير: ٢١٤/٢.

السؤال: في قصة نوح -عليه السلام- فائدة يفيدها المسلمون المضطهدون، فما هي؟

وَاللَّهُ الَّذِي يَخْرِجُ بَنَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي حَبَتْ لَآيَحْيُ إِلَّا أَنْ تَكُنَّ كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿١٥٨﴾  
لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٩﴾  
قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَنَّكَ فِي صِلَاكِ مُبِينٍ ﴿١٦٠﴾  
لَيْسَ بِ صِلَاكِ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦١﴾  
أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَتِي رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٢﴾  
أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَ كُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٦٣﴾  
فَكَذَّبُوهُ فَأَجْنَبْنَاهُ وَآلَيْهِمْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَآغَرَقْنَا أَلْبَنِينَ كَذَّبُوا رَبَّنَا رَبَّنَا إِنَّا أَكْثَرُ قَوْمًا عَجِيزًا ﴿١٦٤﴾  
وَإِلَّا عَادُ أَهْلَكُمُ هُودًا قَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَآلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦٥﴾  
قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَنَّكَ فِي صِلَاكِ مُبِينٍ ﴿١٦٦﴾  
قَالَ يَتَقَوَّمُوا لَيْسَ بِ صِلَاكِ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٧﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
تَكُنَّ	عَسَرًا، رَدِيئًا.
نُصَرِّفُ	نُتَوِّعُ.
عَجِيزٌ	عُمِي الْقُلُوبِ عَنْ رُؤْيَةِ الْحَقِّ.
سَفَاهَةٌ	خُفَّةٌ عَقْلٍ.

## ● العمل بالآيات

١. اشكر الله تعالى بقلبك وتسائك وعملك، وأكثر من ذلك؛ فإن شكر النعم من أسباب حصول العلم والفهم، وزيادة الإيمان، ﴿ كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴾.
٢. سل الله تعالى أن ينجي المستضعفين الموحدين، وأن يهلك الظالمين الطغاة المعتدين، ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَجْنَبْنَاهُ وَآلَيْهِمْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَآغَرَقْنَا أَلْبَنِينَ كَذَّبُوا رَبَّنَا رَبَّنَا إِنَّا أَكْثَرُ قَوْمًا عَجِيزًا ﴾.
٣. اقرا عن مسائل تحتاجها في التوحيد، وذكر بها من حولك، ﴿ وَإِلَّا عَادُ أَهْلَكُمُ هُودًا قَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُمْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾.

## ● التوجيهات

١. اتفقت دعوة الأنبياء على التوحيد، فأحرص على هذا الأصل العظيم تعلمًا وتعليمًا وتطبيقًا، ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾.
٢. الضالون من أصحاب المنافع والنفوذ هم أكثر من يرد دعوه الحق؛ لمنافاتها شهواتهم، ﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَنَّكَ فِي صِلَاكِ مُبِينٍ ﴾.
٣. صفات ما تحلى بهما داعية إلا أوتي البركة والقبول: النصيحة الصادقة، والعلم؛ فاجتهد في تربية نفسك عليهما، ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَتِي رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾.



الفرقي  
الصويبي

## ● الوقفات التدريبية

﴿أَتَيْتُكُمْ رَسُولَتِي رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾

وهذه الصفات التي يتصف بها الرسل: البلاغ، والنصح، والأمانة. ابن كثير: ٢١٥/٢.

السؤال: ما الصفات التي يجب أن يتحلى بها الداعية في دعوته؟

﴿وَأَذِّنْهُمْ إِذْ جَمَعْتُمْ خَلْقَهُ مِنْ بَعْدِ قُورَيْشٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا ءَالَآةَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾

انتقل من أمرهم بالتوحيد إلى تذكيرهم بنعمة الله عليهم التي لا ينكرون أنها من نعم الله دون غيره - لأن الخلق والأمر لله لا لغيره - تذكيراً من شأنه إيصالهم إلى إفراد الله تعالى بالعبادة. ابن عاشور: ٢٠٤/٨.

السؤال: لماذا جاء التذكير بالنعمة بعد الأمر بالتوحيد؟

﴿وَأَذِّنْهُمْ إِذْ جَمَعْتُمْ خَلْقَهُ مِنْ بَعْدِ قُورَيْشٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا ءَالَآةَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾

وهذا التذكير تصريح بالنعمة، وتعريض بالندارة والوعيد بأن قوم نوح إنما استأصلهم وأبادهم عذاب من الله على شركهم، فمن اتبعهم في صنمهم يوشك أن يحل به عذاب أيضاً. ابن عاشور: ٢٠٥/٨.

السؤال: هل يمكن أن يعاقب مجتمع بأكمله؟ وضع ذلك من خلال الآية.

﴿وَأَذِّنْهُمْ إِذْ جَمَعْتُمْ خَلْقَهُ مِنْ بَعْدِ قُورَيْشٍ﴾  
وجعلكم تخلفون الأمم الهالكة الذين كذبوا الرسل، فاهلكهم الله وأباقاص؛ لينظر كيف تعملون، واحذروا أن تقيموا على التكذيب كما أقاموا فيصيبكم ما أصابهم. السعدي: ٢٩٤.

السؤال: لماذا ذكر قوم نوح لقومه؟

﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنُعْبِدَ اللَّهَ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَيْنَا يِمَّا تَوَدَّعْنَا إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾

قبحهم الله؛ جعلوا الأمر الذي هو واجب الواجبات وأكمل الأمور، من الأمور التي لا يعارضون بها ما وجدوا عليه آباءهم، فقدموا ما عليه الآباء الضالون من الشرك وعبادة الأصنام على ما دعت إليه الرسل من توحيد الله وحده لا شريك له، وكذبوا بنبيهم، وقالوا: (هاتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين). السعدي: ٢٩٤.

السؤال: ما موقف المؤمن إذا تعارضت مفاهيم قومه وعاداتهم مع شرع الله سبحانه؟

﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءِ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾

(قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب) أي: لا بد من وقوعه؛ فإنه قد انقضت أسبابه، وحين وقت الهلاك. (أتجادلونني في أسماء سميتوها أنتم وآباؤكم) أي: كيف تجادلون على أمور لا حقائق لها، وعلى أصنام سميتوها الهة، وهي لا شيء من الإلهية، فلا مقال ذرة. السعدي: ٢٩٤.

السؤال: كيف يقول هو بأنه قد وقع عليهم العذاب وهو لم يقع بعد؟

﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ ءَايَةٌ فَذَرْوَهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا يُسُوءَ فِتْنَةً لَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

(بيئة من ربكم) أي: آية ظاهرة، وهي الناقة، واضيفت إلى الله تشريفاً لها، أو لأنه خلقها من غير فحل، وكانوا قد اقترحوا على صالح - عليه السلام - أن يخرجها لهم من صخرة، وعاهدوه أن يؤمنوا به إن فعل ذلك، فأنشقت الصخرة وخرجت منها الناقة وهم ينظرون، ثم تجتجت ولداً فأمن به قوم منهم، وكفر به آخرون. ابن جزي: ٣١٠/١.

السؤال: من لم يكتب له الهداية فإنه لا يريد من النقاش والحوار إلا التعجيز، وضع ذلك من الآية.

أَتَيْتُكُمْ رَسُولَتِي رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿١٥٥﴾ وَأَعِيبْتُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ رَبِّي كُنَّ عَلَى رُءُوسِهِمْ لِيَنْذَرَكُمْ وَأَذِّنْهُمْ إِذْ جَمَعْتُمْ خَلْقَهُ مِنْ بَعْدِ قُورَيْشٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا ءَالَآةَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ ﴿١٥٦﴾ قَالُوا أَجِئْنَا لِنُعْبِدَ اللَّهَ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَيْنَا يِمَّا تَوَدَّعْنَا إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥٧﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءِ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانْظُرُوا إِلَى مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿١٥٨﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَزَلَّيْنِ مَعَهُ وَرَحْمَةً مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿١٥٩﴾ وَإِلَى شِمُودَ إِتَّخَاهُمْ صَاحِبًا قَالَ يَبْقُومُ آعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ عِزَّةٍ فَذُودُوا هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ ءَايَةٌ فَذَرْوَهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا يُسُوءَ فِتْنَةً لَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٦٠﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
بَسْطَةً	قُوَّةً، وَضْخَامَةً.
ءَالَآةِ اللَّهِ	نِعَمِ اللَّهِ.
رِجْسٌ	عَذَابٌ.
وَقَطَعْنَا دَابِرَ	أَهْلَكْنَاهُمْ جَمِيعًا.

## ● العمل بالآيات

١. بلغ اليوم - وبأسلوب حسن - دعوة الله عز وجل تجاه منكر أو فساد رأيت، ﴿أَتَيْتُكُمْ رَسُولَتِي رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾.
٢. اجلس مع نفسك ساعة، تتذكر فيها آلاء الله تعالى عليك، وعظيم نعمائه، ﴿فَاذْكُرُوا ءَالَآةَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾.
٣. سل الله تعالى أن ينجي المؤمنين المستضعفين في زماننا برحمته، وإن يقطع دابر أعداء الدين بقدرته، ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَزَلَّيْنِ مَعَهُ وَرَحْمَةً مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾.

## ● التوجيهات

١. احتجاج المشركين على صحة باطلهم بفعل آباءهم يكاد يكون سنّة مطردة في أهل الباطل، وهو من التقليد المذموم، ﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنُعْبِدَ اللَّهَ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَيْنَا يِمَّا تَوَدَّعْنَا إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.
٢. من جهل المشركين استعجالهم العذاب، ومطالبتهم به، ﴿فَأَيْنَا يِمَّا تَوَدَّعْنَا إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.
٣. كل حكم أو قول ليس عليه دليل فهو باطل، ﴿أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءِ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾.

الآية (٦٨-٦٩): ﴿أَتُفْسِكُمْ رَسُولَتِ رَبِّیْ وَأَنَا نَكَرٌ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾  
وهذه الصفات التي يتصف بها الرسل: البلاغة والنصح والأمانة.  
﴿أَوْجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَأْسِ سِدْرٍ لِّتُذَكَّرُوا﴾ أي: لا  
تعجبوا أن بعث الله إليكم رسولاً من أنفسكم ليُذَكِّركم أيام الله  
ولقاءه، بل احمداوا الله على ذاكم، ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن  
بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ أي: واذكروا نعمة الله عليكم إذ جعلكم من ذرية  
نوح، الذي أهلك الله أهل الأرض بدعوته لئلا خالفوه وكذبوه،  
﴿وَرَأَيْتُمْ فِي الْخَلْقِ بَصَلَةً﴾ أي: زاد طولكم على الناس بسطة، أي:  
جعلكم أطول من أبناء جنسكم، كما قال تعالى في قصة طالوت:  
﴿وَرَأَاهُ بَسِطَةً فِي الْأَوَّلِ وَالْآخِرِ﴾ [البقرة: ٢٤٧].

﴿فَأَذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ﴾ أي: نعمته ومنهه عليكم، ﴿فَلَمَّا تَفَلَّحْتُمُ﴾  
الآية (٧٠-٧٢): يقول تعالى مخبراً عن تمردهم وطغيانهم  
وعنادهم وإنكارهم على هود عليه السلام: ﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنَتَّعِدَ اللَّهَ  
وَنَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَسْبِقُ إِيَّاهُ مِنَّا قَائِلًا يَمَّا سَدَدْنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ  
الضَّالِّينَ﴾ كما قال الكفار من قريش: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُ إِنْ  
كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِن عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِّنَ السَّمَاءِ  
أَوْ أَتِنَا بِمَدَاقِ الْيَمِّ﴾ [الأنعام: ٣٢]. ولهذا قال هود عليه السلام: ﴿قَدْ وَفَّقَ  
عَلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ رَجُلًا وَعَصَبًا﴾ أي: قد وجب عليكم بمقالتكم  
هذه من ربكم رجس. وعن ابن عباس: معناه السخط والغضب.  
﴿أَتَجِدُ لُنُوسِي فِي أَسْمَاءٍ سَمِعْتُمُوهَا أَشْرَ وَمَا بَايَاكُمْ﴾ أي: أتحاجوني  
في هذه الأصنام التي سميتوها أنتم وآبائكم آلهة، وهي لا تضر ولا  
تنفع، ولا جعل الله لكم على عبادتها حجة ولا دليلاً! ولهذا قال:  
﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ إِلَهُهَا مِن سُلْطَانٍ قَاتِلٍ فَأَنطَرُوا إِلَيْهِ مَعْزُومِينَ لِّنُظَرِّيَهُمْ﴾  
وهذا تهديد ووعيد من الرسول لقومه؛ ولهذا عقب بقوله:  
﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا  
وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ وقد ذكر الله سبحانه صفة إهلاكهم في أماكن  
أخر من القرآن بأنه أرسل ﴿عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ [١١] ما تذر من شيء أنت  
عليه إلا جعلته كالرُّبِّيبِ [الذاريات: ٤١-٤٢]، كما قال في الآية الأخرى:  
﴿وَلَمَّا عَادَ فَأَمْطَلُوا يَرِيحَ صَرَصَرٍ عَلَيْهِمْ سَحَابٌ لِّبَالٍ  
وَنَجْنِيَةِ آيَاتِهِ حُسُومًا تَرَفَّتْ أَعْيُنُهُمْ فِيهَا مَرَعَاتٌ أَجْبَارُ غَلِيٍّ خَاوِيَةً﴾  
فهل رأى لهم من بآياتِهِ [الحاقة: ٦-٨]. لما تمردوا وعتوا أهلكهم الله بريح  
عانية، فكانت تحمل الرجل منهم فتزعه إلى الهواء، ثم تنكسه على أم  
رأسه فتثقل رأسه حتى يُثَبِّتُه من جنته؛ ولهذا قال: ﴿كَانَتْهُمْ أَعْبَارُ غَلِيٍّ  
خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٧]. وقال محمد بن إسحاق: فلما عتت عاد على الله  
وكذبوا نبيه، وأكثروا في الأرض الفساد وتجبروا، وبثوا بكل ريع آية  
عينا بغير نفع، كلهم هود فقال: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَبْنُونَ﴾ [١٨]  
وَتَنْجِدُونَ مَصَالِحَ لَّكُم مَّا تَحْلُونَ [١٩] وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَارِينَ [٢٠]  
فَأَتَوْا اللَّهَ وَأَطِيعُوا [٢١] [الشعراء: ١٢٨-١٣١]. ﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ

وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [٢٢] إن تقول  
إلا أعزتك بعض آلِهَتِنَا بِسُوءِ أي: بجنون ﴿قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ وَاشْهَدُوا  
أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَشْرِكُونَ﴾ [٢٣] من دُؤُوبِهِ، فكيدوني جميعاً فلا تُشْطِرُونِ [٢٤] إِنِّي  
تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هِيَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنِّي رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ  
مُّسْتَقِيمٍ [هود: ٥٣-٥٦].

عن الحارث البكري قال [في حديث طويل]: أعوذ بالله ورسوله أن  
أكون كوافد عاد، فقال لي [رسول الله ﷺ]: «وما وافد عاد؟» - وهو  
أعلم بالحديث منه، ولكن يستطعمه - قلت: إن عاداً فحطوا قَبَعُوهَا  
وَإِذَا لَمْ يَقَالْ لَهُ: قِيلَ، فَمَرَّ بِمَعَاوِيَةَ بْنِ بَكْرٍ، فَأَقَامَ عِنْدَهُ شَهْرًا يَسْقِيهِ  
الخمر وتغنيه جاريتان، فلما مضى الشهر خَرَجَ إِلَى جِبَالِ مَهْرَةَ فَقَالَ:  
اللهم، إنك تعلم أني لم أجدني إلى مريض فأدويه، ولا إلى أسير فأقديه،  
اللهم اشق عاداً ما كنت تسقيه، فمرت به سحابت سوداء فَنُودِيَ: منها  
اختر. فأومأ إلى سحابة منها سوداء، فَنُودِيَ: خُذْهَا رَمَادًا رَمْدَدًا،  
لَا تَبْقَى مِنْ عَادٍ أَحَدٌ. قال: فما بَلَغَنِي أَنَّهُ بُعِثَ عَلَيْهِمُ مِنَ الرِّيحِ إِلَّا قَدَّرَ  
مَا يَجْرِي فِي خَاتَمِي هَذَا. حتى هلكوا [رواه أحمد، وحسنه الألباني].

الآية (٧٣): قال علماء التفسير والنسب: ثمود، وكذلك قبيلة  
طَئِم، كل هؤلاء كانوا أحياء من العرب العاربة قبل إبراهيم الخليل،  
عليه السلام، وكانت ثمود بعد عاد، ومسكنهم مشهورة فيما بين الحجاز  
والشام إلى وادي القرى وما حوله، وقد مرَّ رسول الله ﷺ على قُرَاهِمُ  
ومسكنهم، وهو ذاهب إلى تبوك سنة تسع. عن ابن عمر، قال: قال  
رسول الله ﷺ وهو بالحجر: «لا تدخلوا على هؤلاء المغلبيين إلا أن  
تكونوا باكين، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم أن يصيبكم  
مثل ما أصابهم» [متفق عليه].

﴿وَلَمَّا كَثُرَ سُوءُ آخَاهُمْ فِي مَا صَدَّقُوا﴾ أي: ولقد أرسلنا إلى قبيلة ثمود  
أخاهم صالحاً، ﴿قَالَ يَبْقَوِيْرُ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾  
جميع الرسل يدهون إلى عبادة الله وحده لا شريك له؛ كما قال تعالى:  
﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيْهِ إِلَيْهِ اللَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا  
فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢١٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ  
رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الصَّلَافَ﴾ [النحل: ٣٦]. ﴿قَدْ  
جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا  
تَأْكُلْ فِي أََرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءِ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: قد  
جاءكم حجة من الله على صدق ما جئكم به. وكانوا هم الذين  
سألوا صالحاً أن يأتيهم بآية.



الآية (٧٩): وقوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَكْفِرُونَ لَقَدْ أَلْبَسْنَاكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَاصَحْتُكُمْ وَلَكِنْ لَمْ تُحِبُّوا النَّصِيحَةَ﴾ هذا تفرغ من صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومه لما أهلكهم الله بمخالفتهم إياه، وتمردهم على الله، وإبائهم عن قبول الحق، وإعراضهم عن الهدى إلى العمى؛ قال لهم صالح ذلك بعد هلاكهم تفرغاً وتوبيخاً وهم يسمعون ذلك؛ كما ثبت: أن رسول الله ﷺ لما ظهر على أهل بدر، أقام هناك ثلاثاً، ثم أمر بإراحته فشدت بعد ثلاث من آخر الليل، فركبها، ثم سار حتى وقف على القليب -قلب بدر- فجعل يقول: «يا أبا جهل بن هشام، يا عتبة بن ربيعة، يا شيبه بن ربيعة، ويا فلان بن فلان: هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟ فإني وجدت ما وعدني ربي حقاً». فقال له عمر: يا رسول الله، ما تكلم من أقوام قد جيتوا؟ فقال: «والذي نفسي بيده، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكن لا يبصرون» (متفق عليه). وهكذا صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ قال لقومه: ﴿لَقَدْ أَلْبَسْنَاكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَاصَحْتُكُمْ﴾ أي: فلم تنفعوا بذلك؛ لأنكم لا تحبون الحق ولا تتبعون ناصحاً؛ ولهذا قال: ﴿وَلَكِنْ لَمْ تُحِبُّوا النَّصِيحَةَ﴾.

وقد ذكر بعض المفسرين أن كل نبي هلك أمة، كان يذهب فيقيم في الحرم، حرم مكة، والله أعلم.

الآية (٨٠-٨١): ﴿وَلَوْ أَنِ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفِتْنَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ يقول تعالى: ﴿وَلَوْ أَنِ﴾ أي: تقديره: واذكر لو طاً ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفِتْنَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾. ولوط هو ابن أخي إبراهيم الخليل -عليها السلام- وكان قد آمن مع إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهاجر معه إلى أرض الشام، فبعثه الله إلى أهل «سُذُوم» وما حولها من القرى، يدعوهم إلى الله عز وجل، ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عما كانوا يرتكبونه من المأثم والمحارم والفواحش التي اخترعوها، ما يسبقهم بها أحد من بني آدم ولا غيرهم -وهو إتيان الذكور- وهذا شيء ما يكن بنو آدم تَعَهَّدُوا ولا تَأَلَّفُوا، ولا يَحْطَرُّ بِيَالِهِمْ، حتى صنع ذلك أهل «سُذُوم» عليهم لعائن الله. قال عمرو بن دينار: قوله: ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ قال: ما نَزَا ذَكَرٌ على ذَكَرٍ، حتى كان قوم لوط. وقال الوليد بن عبد الملك الخليفة الأموي، باني جامع دمشق: لولا أن الله عز وجل قَصَّ علينا خبر لوط، ما ظننت أن ذَكَرًا يعلو ذَكَرًا. ولهذا قال لهم لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿أَتَأْتُونَ الْفِتْنَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ (٨٠) إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ إِجْجَالَ شَهْوَةٍ مِنْ دُونِ الْنِسَاءِ أي: عدلتم عن النساء، وما خلق لكم ربكم منهن إلى الرجال، وهذا إسراف منكم وجهل؛ لأنه وضع الشيء في غير محله؛ ولهذا قال لهم في الآية الأخرى: ﴿قَالَ هَذُولَاءُ بَنَاتٍ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾ (الحجر: ٧١)، فأرشدهم إلى نساءهم، فاعتدوا إليه بأنهم لا يشتهونهن، ﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتْ مَا لَنَا بِبَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ [مودة: ٧٩]، أي: لقد علمت أنه لا أرب لنا في النساء، ولا إرادة، وإنك لتعلم مرادنا من أضيافك.

وذكر المفسرون: أن الرجال كانوا قد اغتنى بعضهم ببعض، وكذلك نساؤهم كن قد استغنين بعضهن ببعض أيضاً.

الآية (٧٤-٧٨)<sup>(١)</sup>: أقامت الناقة وفصيلها -بعد ما وضعت بين أظهرهم- مدة تشرب من برها يوماً، وتدعه لهم يوماً، وكانوا يشربون لبنها يوم شربها، يتخلبونها فيملؤون ما شاءوا من أوعيتهم وأوانيتهم؛ كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَيَذِيقُهُمْ أَنْ الْمَاءَ فَسَمَاءُ بَيْنَهُمْ كُلَّ شَرْبٍ مَحْضَرٍ﴾ [القم: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿قَالَ هَذِهِ نَاقَةُ مَآئِ رَبِّكَ وَلَكِنَّ شَرْبَ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾ [الشعراء: ١٥٥]. فلما طال عليهم ذلك واشتد تكذيبهم لصالح النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ، عَزَمُوا على قتلها؛ ليستأثروا بالماء كل يوم، فيقال: إنهم اتفقوا كلهم على قتلها. وهذا هو الظاهر؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَسَمَدٌ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ يَذِيقُهُمْ فَسُوْنَهَا﴾ [الشمس: ١٤]، وقال: ﴿وَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لَئِن آتَاَهُمْ مِّجْرَةٌ فَلَا يَكْفُرُوا بِهَا﴾ [الاسراء: ٥٩]، وقال: ﴿فَعَقَرُوهَا فَآتَاَهُ﴾ فاستند ذلك إلى جموع القبيلة، فدل على رضی جميعهم بذلك، والله أعلم.

عن جابر قال: لما مر رسول الله ﷺ بالجحجر قال: «لا تسالوا الآيات؛ فقد سألها قوم صالح فكانت -يعني الناقة- ترد من هذا الفج، وتصدر من هذا الفج، فعتوا عن أمر ربهم فَعَقَرُوهَا، وكانت تشرب ماءهم يوماً ويشربون لبنها يوماً، فآخذتهم صيحة أمد الله من تحت أديم السماء منهم، إلا رجلاً واحداً كان في حرم الله». فقالوا: من هو يا رسول الله؟ قال: «أبو رغال. فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه» [رواه أحمد، وفي تحقيق شعيب الأرنؤوط: هو على شرط مسلم].

(١) ما يفسر ابن كثير رحمه الله الآيات: (٧٤-٧٦) وما هو تفسيرها من السعدي رحمه الله: ﴿وَأَنذَرُوا إِذْ جَنَّكَ خَلْقًا﴾ في الأرض تتمتعون بها وتلدكون مطالبكم ﴿بَدْعًا﴾ الذين أهلكهم الله، وجعلكم خلفاء من بعدهم، ﴿وَوَآكُمُ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: مكن لكم فيها، وسهل لكم الأسباب الموصلة إلى ما تريدون وتبتغون. ﴿فَتَنَبَّذْتُمْ مِنْ سُهُولَيْهَا صُفُورًا﴾ أي: من الأراضي السهلة التي ليست بجبال؛ تتخلون فيها القصور العالية والأبنية الحصينة، ﴿وَتَنَجَّيْتُمْ إِلَى الْجِبَالِ﴾ كما هو مشاهد إلى الآن من أعلام التي في الجبال، من المساكن والحجر ونحوها، وهي باقية ما بقيت الجبال، ﴿فَأَذْكُرُوا مَا آتَا اللَّهُ﴾ أي: نعمه، وما خولكم من الفضل والرزق والقوة، ﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا فِي الْأَرْضِ مُشْبِرِينَ﴾ أي: لا تخربوا الأرض بالفساد والمعاصي؛ فإن المعاصي تدح الديار العامرة بلاقع، وقد أخلت ديارهم منهم، وأبقت مساكنهم موحنة بمعلم. ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ أي: الرؤساء والأشراف الذين تكبروا عن الحق ﴿لِيَذِرَنَّهُمْ أَشْتَوْفًا﴾ ولما كان المستضعفون ليسوا كلهم مؤمنين، قالوا: ﴿لَئِنْ آمَنَ بَيْنَهُمْ أَتَمَلَّكْتُمْ أَنْتُمْ سَكِينًا شَرَّسًا مِنْ رَبِّهِ﴾ أي: أهو صادق أم كاذب؟ فقال المستضعفون: ﴿إِنَّا بِكَ أَرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ من توحيد الله والخبر عنه وأمره ونهيه. ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ حملهم الكبر أن لا يتقادوا للحق الذي انقاده للضعفاء. ﴿فَعَقَرُوا أَتَاقَةً﴾ التي توعدهم إن مسوها بسوء أن يصيبهم عذاب اليم، ﴿وَعَتَوْا عَنْ آيِ رَبِّهِمْ﴾ أي: نسوا عنه، واستكبروا عن أمره الذي من عتاه عنه أذاه العذاب الشديد. لا جرم أحل الله بهم من النكال ما لا يمل بغيرهم ﴿وَقَالُوا﴾ مع هذه الأعمال متجرين على الله، معجزين له، غير مباينين بها فعلموا، بل مفتخرين بها: ﴿يَصْلَحُ أَقْبَانًا يَصِيدُنَا﴾ إن كنت من الصادقين من العذاب فقال: ﴿تَمَتَّوْا فِي دَارِكُمْ لَنَلْزَمَنَّ آيَاتِهِ وَقَدْ عَظُمَ مَكْرُوبُكُمْ﴾ [هود: ٦٥]. ﴿فَأَعَدَّتْهُمْ آتِجَةً فَاصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنِينِينَ﴾ على ربكم، قد أباهم الله، وقطع دابرهم.



﴿ وَيَوَّاكُم فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْجُونَ  
الْجِبَالَ يَوْمًا فَادْكُرُوا آيَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْمُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾

السعدى: ٢٩٥.

﴿ قَالَ الْمَلَأَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُخِفُّوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَفْكُلُونَكَ بِمَا لَا يَزِيدُكَ إِلَّا عِشْرِينَ فَكُلُوا مِنْ مِمَّا كَسَبْتُمْ بِأَيْدِيكُمْ وَأَنْتُمْ مُؤْمِنُونَ ﴾

عدل الملأ الذين استكبروا عن مجادلته صالح -عليه السلام- إلى اختيار  
تصلب الذين آمنوا به في إيمانهم، ومحاولته إلقاء الشك في نفوسهم. ولما  
كان خطابهم للمؤمنين مقصودا به إفساد دعوة صالح -عليه السلام-  
كان خطابهم بمنزلة المحاوراة مع صالح -عليه السلام- ... ووصفهم  
بالذين استكبروا هنا لتفطيق كبيرهم، وتعاضلهم على عامة قومهم،  
وأستدلّهم بإيهم، وللتبليغ على أن الذين آمنوا بما جاءهم به صالح  
-عليه السلام- هم ضعفاء قوم. ابن عاشور: ٢٢٢/٨.

السؤال: بين من خلال الآية تنوع أساليب قوم صالح -عليه السلام- في الصد عن دعوته.

﴿ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنْتُمْ بِهِ كَفِرُونَ ﴾ ﴿٢﴾

حملهم الكبر أن لا ينقادوا للحق الذي انقاد له الضعفاء. السعدي: ٢٩٥.

**السؤال: بين من خلال الآية ضرراً من اضرار الكبر.**

﴿ فَمَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصَلِّحْ أَرْثُنَا بِمَا  
قَدَدْنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾

(فَعَقَرُوا النَّاقَةَ): نسب العقر إلى جميعهم لأنهم رضوا به، وإن لم يفعله إلا واحد منهم. ابن جزى: ٣٦٠/١.

**السؤال: ما وجه نسبة العقر إلى جميع القبيلة مع أن العاقر واحد؟**

﴿ قَتَلُوا عَنْهُمْ وَقَالَ يَنْفَعُهُمْ لَقَدْ أَهْلَفْتُمْ كُمْ رَسُولَ رَبِّي وَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ التَّوْحِيدَ ﴾

قوله: (لا تحبون الناصحين) عبارة عن تغليبهم الشهوات على الرأي؛ إذ كلام الناصح صعب مضاد لشهوة نفس الذي يُنصح. ابن عطية: ٢/٤٢٤.

**السؤال: لماذا غالب الناس لا يحبون من ينصحبهم؟**

﴿ وَلَوْ طَإِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفِتْنَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾  
(أتاتون الفاحشة) أي: الخصلة التي بلغت في العظم والشناعة إلى أن

استقرقت أنواع الفحش، (ما سبقكم بها من أحد من العالمين): فكونها  
فاحشة من أشنع الأشياء، وكونهم ابتدعوها وابتكروها، وسنوها لمن  
ي بعدهم، من أشنع ما يكون أيضاً. السعدي: ٢٩٦.

**السؤال: متى يتضاعف إثم المعصية؟ بين ذلك من خلال الآية.**

﴿ إِنَّكُمْ لَأَتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النَّسَاءِ ۚ كَلِ الشَّعْرِ مُمْسِرُونَ ﴾  
 أي أنتم قوم تمكن منهم الإسراف في الشهوات؛ فذلك اشتهاها شهوة  
 غريبة لما سئما الشهوات المعتادة. ابن عاشور: ٢٣٢/٨.

**السؤال: لماذا وصف قوم لوط بأنهم (قوم مسرفون)؟**

وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَنَوَّارَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَخَذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَتَجَنَّبُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَأَذْكُرُوا الْآلَةَ اللَّهُ وَلَا تَعْتَوُوا قَوْمِي لِلَّذِينَ اسْتَضَعُوا قَوْلَ الْعَمَى وَأُمْنٍ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنْ صَالِحًا مَرَّسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالَ إِنَّا لِنَأْتِي أُرْسِلَ بِهِ رَسُولٌ مِمَّنْ أَنْتُمْ عَلَى أَعْيُنِنَا إِنَّا نَأْتِي الْقَوْمَ بِدَلَالَةٍ فَأَخَذَهُمْ نَصْرُهُ فَأُصْبِحُوا فِي دَارِهِ جُنُودٌ أَلْفٌ مِمَّنْ يَنْقَرُونَ فَأَخَذَهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِ جِثْمٌ ۖ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولًا لَدُنِّي وَكَذَّبْتُمْ ۖ لَكُمُ الْيَوْمَ الْفَجْشَةُ مَا سَمِعْتُمْ ۖ وَلَوْ طَلَّ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَجْشَةَ مَا سَمِعْتُمْ ۖ يَهَامِنُ أَحَدٌ مِنَ الْعَالَمِينَ ۖ إِنَّكُمْ لَأَتُونَ الرِّجَالَ شَفَوهَ ۖ مِنْ دُورِ الْبَلَاءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ۝

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
وَيُؤَاكُم	أَسَكَنَكُمْ وَمَكَنَ لَكُمْ.
وَلَا تَعْمُوا	لَا تَسْعُوا.
فَقَمَرُوا	فَقَتَلُوا.
وَعَنُوا	اسْتَكْبَرُوا.
الرَّجَفَتْ	الرَّزَلَتْ الشَّدِيدَةُ.

## ● العمل بالآيات

١. قل: «اللهم حبب إلي الإيمان وزينه في قلبي، وكره إلي الكفر والفسوق والعصيان، واجعلني من الراشدين»، ﴿وَلَوْ مَا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفِتْنَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾.

٢. أرسل رسالته عن الكبير، وأنه من أسباب الشرك والكفر، ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾.

۳. تَذَكَّرْ شَخْصًا نَصَحَكَ وَاشْكُرْهُ وَادْعْ لَهُ، ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَكْفُرُوا لَقَدْ أَهْلَفْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَفَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ التَّصْحِيحَ﴾.

## التوجيهات

١. النعم تنزل بالمعاصي فابتعد عنها، ﴿وَبُؤْكُمْ فِي الْأَرْضِ تَنجِدُوا مِنْ سُوءِهَا فَصُورُوا وَنَحْنُ الْجِبَالُ يَوْمًا فَاذْكُرُوا ءَالَآءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾.

٢. تعلم ممن هم اقل منك حالاً، ولا تترفع عن قبول الحق ممن هو دونك،  
 ﴿قَالَ الَّذِينَ اَسْتَكْبَرُوا اِنَّا بِالَّذِي ءَامَنُمْ بِالْكَرُورِ﴾

٣. من علامات قرب الهلاك كره الناس للنصح والناصحين إذا خالفوا هوى انفسهم، ﴿ قَوْلَىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَنْفَوِرُ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَصَحَّحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّصِيحَ ﴾ .



## ● الوقفات التدريبية

﴿ وَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَبْغُونَ ﴾

وقولهم: (إنهم أناس يتطهرون سخريّة بهم، ويتطهروهم من الفواحش، وافتخار بما كانوا فيه من القذارة، كما يقول الشطار من الفسقة لبعض الصلحاء إذا وعظهم: أبعثوا عنا هذا التتشف، وأرجحونا من هذا المنزه القاسمي/١٣٩/٥.

السؤال: ما علامة انقلاب الموازين عند بعض العقول؟

﴿ وَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَبْغُونَ ﴾

قال الإمام شمس الدين ابن القيم وقول اللوطية: (أخرجوهم من قريتهم إنهم أناس يتطهرون) من جنس قوله سبحانه في أصحاب الأخدود: (وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد) البروج: ٨، وهكذا المشرية؛ إنما ينقم على الموحّد تجريده للتوحيد وأنه لا يشوبه بالإشراك، وهكذا المبتدع إنما ينقم على السني تجريده متابعة الرسول، وأنه لم يشبها بأراء الرجال، ولا بشيء مما خالفها. فصبّر الموحّد المتبع للرسول على ما ينقمه عليه أهل الشرك والبدعة خير له وأنفع، وأسهل عليه من صبره على ما ينقمه الله ورسوله من موافقة أهل الشرك والبدعة. القاسمي: ١٤١/٥.

السؤال: كيف يواجه المؤمن استهزاء المستهزين؟

﴿ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْكَيْرَاتِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ﴾  
البخس: النقص، وهو يكون في السلعة بالتعيب، والترهيد فيها، أو المخادعة عن القيمة، والاحتيال في التزديد في الكيل، والنقصان منه، وكل ذلك من أكل المال بالباطل، وذلك منهى عنه في الأمم المتقدمة والسالفة على السنة الرسل صلوات الله وسلامه على جميعهم. القرطبي: ٣٣٣/١٠.

السؤال: كيف يكون البخس في السلع؟

﴿ وَلَا تَقْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾

(ولا تقسّدوا في الأرض) أي: بالكفر والظلم، (بعد إصلاحها) أي: بعد ما أصلح أمرها وأهلها الأنبياء وأتباعهم الصالحون العاملون بشرائعهم من: وضع الكيل والوزن، والحدود والأحكام. القاسمي: ١٤٧/٥.

السؤال: ما أشد أنواع الإفساد في الأرض؟

﴿ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ أَمْرِ يَدُ ﴾

عن ابن عباس قوله: (ولا تقعدوا بكل صراط توعدون)، والصراط: الطريق؛ يخوفون الناس أن يأتوا شعبياً. قال: كانوا يجلسون في الطريق، فيخبرون من أتى عليهم: أن شعبياً -عليه السلام- كذاب، فلا يفتنكم عن دينكم. الطبري: ٥٥٧/١٢.

السؤال: هناك تشابه في طرق تشويه سمعة الدعاة والصد عنهم قديماً وحديثاً، وضع ذلك.

﴿ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ أَمْرِ يَدُ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾

ينهاهم شعبياً -عليه السلام- عن قطع الطريق الحسي، والمعنوي بقوله: (ولا تقعدوا بكل صراط توعدون) أي: توعدون الناس بالقتل إن لم يعطوكم أموالهم... (وتصدون عن سبيل الله من أمر به وتبغونها عوجاً) أي: وتودون أن تكون سبيل الله عوجاً مائلت. ابن كثير: ٢٢٢/٧.

السؤال: قطع الطريق نوعان، فما هما؟

﴿ وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا نَكَرْتُمْ ﴾

أي: نماكم بما أنعم عليكم من الزوجات والنسل، والصحة، وأنه ما ابتلاككم بوباء من أمراض من الأمراض القليلة لكم، ولا سلط عليكم عدواً يبتاحكم، ولا فرقكم في الأرض، بل أنعم عليكم بجماعتكم، وإدراك الأرزاق وكثرة النسل. السعدي: ٢٩٦/٢.

السؤال: في الآية إشارة إلى عدة نعم، وضحها.

وَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَبْغُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَايِبِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا نَظَرًا كَيْفَ كَانَ عِقَابُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَبْقَرُوا آبَاءَكُمْ وَأَعْبَدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ عِزَّةٌ وَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴿٥٨﴾ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْكَيْرَاتِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَقْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٥٩﴾ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ أَمْرِ يَدُ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرْتُمْ وَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عِقَابُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ ءَامِنُوا بِالَّذِي أَرْسَلْتُ بِهِمْ وَطَائِفَةٌ قُرْءُونُوا قَاصِرُونَ ﴿٦١﴾ حَقَّ يَحْكُمُ اللَّهُ بَيْنَهُمْ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٦٢﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
الغَايِبِينَ	الْهَالِكِينَ، الْبَاقِينَ فِي الْعَذَابِ.
وَلَا تَبْخَسُوا	لَا تَنْقُصُوا.
تَوَعَّدُونَ	تَوَعَّدُونَ النَّاسَ بِالْقَتْلِ.
وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا	تُرِيدُونَهَا مُعَوَّجَةً، وَتُمِيلُونَهَا اتِّبَاعًا لِأَهْوَائِكُمْ.

## ● العمل بالآيات

١. اقرأ قصّة شعيب، واكتب ثلاثاً مما اشتملت عليها من فوائد، ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَبْقَرُوا آبَاءَكُمْ وَأَعْبَدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ عِزَّةٌ ﴾.
٢. ذكّر بعض البالغين بما تراه مناسياً من الوسائل، بأهمية العدل في الميزان، ﴿ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْكَيْرَاتِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ﴾.
٣. انصع من يجلس في الشوارع لإيذاء الناس، ﴿ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ أَمْرِ يَدُ ﴾.

## ● التوجيهات

١. من عادة المجرمين والفاسقين أنهم يقبلون الحقائق، فيُذْشُون الصالحين، ويمدحون المفسدين، ﴿ وَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَبْغُونَ ﴾.
٢. دين الله تعالى ليس فيه محاباة لأحد؛ فإن امرأة لوط لما عصت جعلها الله من العذبيين، ﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَايِبِينَ ﴾.
٣. التامل في عاقبة المفسدين سبب رادع وزاجر لمن يفكر بالمعصية، ﴿ وَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عِقَابُ الْمُفْسِدِينَ ﴾.

على وجه البخس، وهو نقص المكيال والميزان خُفِيَةً وتدليسًا؛ كما قال تعالى: ﴿وَبَلَّغْنَا لِلْمُصْطَفِينَ ﴿١٦١﴾ الَّذِينَ إِذَا نَحَاوُا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿١٦٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿١٦٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿١٦٤﴾ يَوْمَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٦٥﴾ يَوْمَ يَنْفُخُ النَّاسُ رُوحَ أَلْمَلَكَيْنِ ﴿١٦٦﴾﴾ [الطه: ١-٦]، وهذا تهديد شديد، ووعيد أكيد، نسأل الله العافية منه.

الآية (٨٦-٨٧): قال تعالى إخبارًا عن شعيب، الذي يُقَالُ له: «خطيب الأنبياء»، لفصاحة عبارته، وَجَزَالَةً مَوْعِظَتِهِ: ﴿وَلَا تَقْسُدُوا بِكَبْكَيْ صِرْطِ تَوَعْدُونَ وَنَصَّدُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ مَاتَ بِهِ.﴾ الآية. ينهاهم شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ عن قطع الطريق الحسبي والمعنوي بقوله: ﴿وَلَا تَقْسُدُوا بِكَبْكَيْ صِرْطِ تَوَعْدُونَ﴾ أي: تَتَوَعَّدُونَ الناس بالقتل إن لم يُعطوكم أموالهم. قال السدي وغيره: كانوا عَشَائِرِينَ. وعن ابن عباس ومجاهد وغير واحد: أي: تَتَوَعَّدُونَ المؤمنين الَّذِينَ إلى شعيب لِيَتَّبِعُوهُ. والأول أظهر؛ لأنه قال: ﴿بِكَبْكَيْ صِرْطِ﴾ وهو الطريق، وهذا الثاني هو قوله: ﴿وَنَصَّدُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ مَاتَ بِهِ.﴾ وَتَسْتَوْفُونَهَا عَوْجًا أَي: وَتَوَدُّونَ أَنْ تَكُونَ سَبِيلَ اللَّهِ عَوْجًا مَائِلَةً، ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَذَّبْتُمْ﴾ أي: كُنتُمْ مُسْتَضْعَفِينَ لِقُلُوبِكُمْ فَصَرْتُمْ أَعْزَةً لِكثَرَةِ عَدَدِكُمْ، فَادْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ فِي ذَلِكَ، ﴿وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَقِيبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ أي: من الأمم الخالية والقرون الماضية، وما حلَّ بهم من العذاب والهلاك بِاجْتِرَائِهِمْ عَلَى مَعَاصِي اللَّهِ وَتَكْذِيبِ رُسُلِهِ.

وقوله: ﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ. وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمَرُوا﴾ أي: قد اختلفتم عليَّ ﴿فَأَصْبِرُوا﴾ أي: انتظروا ﴿حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا﴾ أي: يفصل ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ فإنه سيجعل العاقبة للمتقين، والدمار على الكافرين.

الآية (٨٢): أي: ما أجابوا لوطًا إلا أَنْ هُمُوا بِإِخْرَاجِهِ وَنَفْيِهِ وَمِنْ مَعَهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِهِمْ، فَأَخْرَجَهُ اللَّهُ تَعَالَى سَالِمًا، وَأَهْلَكَهُمْ فِي أَرْضِهِمْ صَاحِرِينَ مُهَانِينَ. وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْظَهُرُونَ﴾ قال قتادة: عَابُوهُمْ بِغَيْرِ عِيب. وقال مجاهد: إنهم أناس يَنْظَهُرُونَ من أدبار الرجال وأدبار النساء. وَرُوي مثله عن ابن عباس أيضًا.

الآية (٨٣-٨٤): يقول تعالى: فَانْجِنَا لوطًا وأهله، ولم يُؤْمِنْ بِهِ أَحَدٌ مِنْهُمْ سِوَى أَهْلِ بَيْتِهِ فَقَطْ، كما قال تعالى: ﴿فَانْجِنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنْ الْمُنْزِلِينَ ﴿٨٣﴾ قَا وَمَنْ كَانَ فِيهَا غَيْرَ يَتَبَّعُ الْفُلُوسِ﴾ [الذاريات: ٣٥-٣٦]، إلا امرأته فإنها لم تُؤْمِنْ بِهِ، بل كانت على دين قومها، ثُمَّ لُثِمَتْ عَلَيْهِ وَتُعْلِمُهُمْ بِمَنْ يَتَقَدَّمُ عَلَيْهِ مِنْ ضِغْفَانِهِ بِإِشَارَاتِ بَيْنِهَا وَبَيْنَهُمْ؛ وَهَذَا لَمَّا أُمِرَ لُوطٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَسْرِيَ بِأَهْلِهِ أَمْرًا أَلَّا يُعْلِمَهَا وَلَا يُخْرِجَهَا مِنْ الْبَلَدِ. وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: بَلِ اتَّبَعْتَهُمْ، فَلَمَّا جَاءَ الْعَذَابُ التَّقَتَّتْ هِيَ فَأَصَابَهَا مَا أَصَابَهُمْ. وَالْأَظْهَرُ أَنَّهَا لَمْ تَخْرُجْ مِنَ الْبَلَدِ، وَلَا أَعْلَمَهَا لُوطٌ، بَلِ بَقِيَتْ مَعَهُمْ؛ وَهَذَا قَالَ هِنَّا: ﴿وَلَا أَمْرَأَتَهُ. كَانَتْ مِنَ الْفُلُوسِ﴾ أي: الْبَاقِينَ، وَقِيلَ: مِنَ الْهَالِكِينَ، وَهُوَ تَفْسِيرٌ بِاللَّزَامِ.

وقوله: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾ مُفسَّرٌ بقوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَهْلُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَاقِطَةً وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَابًا مِنْ سَجِيلٍ مُنْشُورٍ ﴿٨٤﴾ مُشَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الْفُلُوسِ يَتَّبِعُونَ﴾ [هود: ٨٢-٨٣]، وَهَذَا قَالَ: ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَقِيبَةُ الْمُتَجَرِّبِينَ﴾ أي: انظر -يا محمد- كيف كان عاقبة من يجترى على معاصي الله ويكذب رسله.

وقد دَعَبَ الْإِمَامُ أَبُو حَنِيْفَةَ -رَحِمَهُ اللَّهُ- إِلَى أَنَّ اللَّاطِظَ يُلْقَى مِنْ شَاهِقٍ، وَيُتَّبِعُ بِالْحِجَابَةِ كَمَا فُعِلَ بِقَوْمِ لُوطٍ. وَدَعَبَ آخَرُونَ مِنَ الْعُلَمَاءِ إِلَى أَنَّهُ يُرْجَمُ، سِوَاءَ كَانَ مُحْصَنًا أَوْ غَيْرَ مُحْصَنٍ، وَهُوَ أَحَدُ قَوْلِي الشَّافِعِيِّ -رَحِمَهُ اللَّهُ، وَالحُجَّةُ مَا رُويَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ جَدِّقْتُوهُ يَعْمَلْ عَمَلِ قَوْمِ لُوطٍ فَاقْتُلُوا الْفَاعِلَ وَالْمَفْعُولَ بِهِ» [رواه الإمام أحمد، وأصحاب السنن، وحسن إسناده أحمد شاكر]. وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ كَالزَّانِي، فَإِذَا كَانَ مُحْصَنًا رُجِمَ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُحْصَنًا جُلِدَ مِائَةً جَلْدَةً. وَهُوَ الْقَوْلُ الْآخَرُ لِلشَّافِعِيِّ. وَأَمَّا إِتْيَانُ النِّسَاءِ فِي الْأَدْبَارِ، فَهُوَ اللَّوْطِيَّةُ الصَّغْرَى، وَهُوَ حَرَامٌ بِإِجْمَاعِ الْعُلَمَاءِ.

الآية (٨٥): مَذْنُونٌ تُطْلَقُ عَلَى الْقَبِيلَةِ، وَعَلَى الْمَدِينَةِ، وَهِيَ الَّتِي بِقُرْبِ «مَعَانَ» مِنْ طَرِيقِ الْحِجَازِ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءٌ مَذْنُونٌ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ يَسْتَقُونَ﴾ [القصص: ٢٣]، وَهُمْ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ. قَالَ يَتَقَوَّرُ أَصْبَدُوا اللَّهُ مَا لَكُمْ مِنْ لَدُنْهِ غَيْرُهُ. هَذِهِ دَعْوَةُ الرِّسْلِ كُلِّهِمْ، ﴿فَدَعَا نَعْمَ بَكْنَةً مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أي: قد أقام الله الحجج والبيّنات على صدق ما جئتكم به. ثُمَّ وَعَظَهُمْ فِي مَعَامِلَتِهِمْ النَّاسَ بِأَنْ يُؤْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ، وَلَا يَخْسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ، أَي: لَا يَخْجُونُوا النَّاسَ فِي أَمْوَالِهِمْ وَيَأْخُذُوهَا

لَمَّا أَصَابَهُمُ النُّعْمَةُ لَمْ يَقِيمُوا بِدْيَارِهِمُ الَّتِي أَرَادُوا إِجْلَاءَ الرُّسُولِ وَصَحَبَهُ مِنْهَا. ثُمَّ قَالَ مُقَابِلًا لِقَلِيلِهِمْ: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شَيْئًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ﴾.

الآية (٩٣): أَي: فَوَلَّوْا عَنْهُمْ «شُعَيْبًا» عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ مَا أَصَابَهُمْ مَا أَصَابَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ وَالنُّقْمَةِ وَالنَّكَالِ، وَقَالَ مُقَرَّبًا وَمُؤَيَّدًا: ﴿يَتَقَوَّمُوا لَقَدْ آتَيْنَاكُمْ رِسَالَتِي رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ أَي: قَدْ آتَيْتُ إِلَيْكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ، فَلَا أَسْفَ عَلَيْكُمْ وَقَدْ كَفَرْتُمْ بِمَا جِئْتُمْ بِهِ، فَلِهَذَا قَالَ: ﴿فَكَيْفَ أَهْنَى عَلَى قَوْمٍ كَفَرِينَ﴾.

الآية (٩٤-٩٥): يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَمَّا اخْتَبَرَ بِهِ الْأُمَمُ الْمَاضِيَةَ، الَّذِينَ أَرْسَلَ إِلَيْهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ، يَعْنِي بِالْبَأْسَاءِ: مَا يَصِيبُهُمْ فِي أَدْنَاهُمْ مِنْ أَمْرٍ أَوْ ضَرْبٍ، وَالضَّرَاءِ: مَا يَصِيبُهُمْ مِنْ فَقْرٍ وَحَاجَةٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ، ﴿لَمَّا لَهَمُ بِشَرِّهِمْ يَصْطَرِّفُونَ﴾ أَي: يَدْعُونَ وَيُشْعِمُونَ وَيَتَهَلَّلُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي كَشْفِ مَا نَزَلَ بِهِمْ. وَتَقْدِيرُ الْكَلَامِ: أَنَّهُ ابْتِلَاهُمْ بِالشَّلَّةِ لِيَتَضَرَّعُوا، فَمَا فَعَلُوا شَيْئًا مِنَ الَّذِي أَرَادَ اللَّهُ مِنْهُمْ، فَقَلَّبَ الْحَالَ إِلَى الرَّخَاءِ لِيُخَبِّرَهُمْ فِيهِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ الْأَيْتَةِ الْخَسَنَةَ﴾ أَي: حَوَّلْنَا الْحَالَ مِنْ شَلَّةٍ إِلَى رَخَاءٍ، وَمِنْ مَرَضٍ وَسَقَمٍ إِلَى صِحَّةٍ وَعَافِيَةٍ، وَمِنْ فَقْرٍ إِلَى غِنَى؛ لِيُشْكِرُوا عَلَى ذَلِكَ، فَمَا فَعَلُوا.

وقوله: ﴿حَتَّىٰ عَوَّأَ﴾ أَي: كَثُرُوا وَكَثُرَتْ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ؛ يَقَالُ: عَوَّأَ الشَّيْءُ: إِذَا كَثُرَ، ﴿وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ يَقُولُ تَعَالَى: ابْتِلَاهُمْ بِهَذَا وَهَذَا لِيَتَضَرَّعُوا وَيُتَبَوَّأُوا إِلَى اللَّهِ، فَمَا تَجَعَّ فِيهِمْ لَا هَذَا وَلَا هَذَا، وَلَا انْتَهَوْا بِهَذَا وَلَا بِهَذَا، بَلْ قَالُوا: قَدْ مَسَّنَا مِنَ الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ، ثُمَّ بَعْدَهُ مِنَ الرَّخَاءِ مِثْلَ مَا أَصَابَ آبَاءَنَا فِي قَدِيمِ الدَّهْرِ، وَإِنَّمَا هُوَ الدَّهْرُ تَارَاتٍ وَتَارَاتٍ، وَلَمْ يَتَفَنَّنُوا لِأَمْرِ اللَّهِ فِيهِمْ، وَلَا اسْتَشْعَرُوا ابْتِلَاءَ اللَّهِ لَهُمْ فِي الْحَالِينَ. وَهَذَا بِخِلَافِ حَالِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَشْكُرُونَ اللَّهَ عَلَى السَّرَّاءِ، وَيَصْبِرُونَ عَلَى الضَّرَّاءِ؛ كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ: «عَجَبًا لِلْمُؤْمِنِ! لَا يَقْضِي اللَّهُ لَهُ قَضَاءَ إِلَّا كَانَ خَيْرًا لَهُ؛ إِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ» [رواه مسلم].

فَالْمُؤْمِنُ مَنْ يَقْطَعُ لِسَانَهُ ابْتِلَاءَ اللَّهِ بِهِ مِنَ الضَّرَّاءِ وَالسَّرَّاءِ. وَلِهَذَا عَقَّبَ هَذِهِ الصِّفَةَ بِقَوْلِهِ: ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ﴾ أَي: أَخَذْنَاهُمْ بِالْمَقْبُوبَةِ ﴿بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أَي: عَلَى بَغْتَةٍ مِنْهُمْ، وَعَدَمِ شُعُورِ مِنْهُمْ؛ أَي: أَخَذْنَاهُمْ فَبِجَاءَةٍ.

الآية (٨٨-٨٩): ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعُوبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَةٍ أَوْ نَعُودَنَّ فِي مَلِيَّتِنَا﴾ هَذَا إِخْبَارٌ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى عَمَّا وَاجَهَتْ بِهِ الْكَفَّارُ نَبِيَّهُ شُعَيْبًا وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَعُّدِهِمْ إِيَّاهُ وَمَنْ مَعَهُ بِالْغَنِيِّ عَنْ الْقَرْيَةِ، أَوْ الْإِكْرَافِ عَلَى الرَّجُوعِ فِي مِلَّتِهِمْ وَالِدُخُولِ مَعَهُمْ فِيهَا هُمْ فِيهِ، وَهَذَا خُطَابٌ مَعَ الرُّسُولِ، وَالْمُرَادُ أَتْبَاعَهُ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ عَلَى الْمِلَّةِ.

وقوله: ﴿أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾ ﴿قَدْ أَفْرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ جَعَلْنَا اللَّهُ مِلَّةَ رَبِّكُمْ يَقُولُ: أَوَأَنْتُمْ فَاعِلُو ذَلِكَ وَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ مَا تَدْعُونَا إِلَيْهِ؟! فَإِنَّا إِنْ رَجَعْنَا إِلَى مِلَّتِكُمْ وَدَخَلْنَا مَعَكُمْ فِيهَا أَنْتُمْ فِيهِ، فَقَدْ أَغْطَيْنَا الْفُرْقَةَ عَلَى اللَّهِ فِي جَعْلِ الشُّرَكَاءِ مَعَهُ أُنْدَادًا. وَهَذَا تَفْصِيلٌ مِنْهُ عَنْ اتِّبَاعِهِمْ.

﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ وَهَذَا رَدٌّ إِلَى الْمُسْتَبِطِ؛ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ، وَقَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا. ﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ أَي: فِي أَمْرِنَا، مَا نَأْتِي مِنْهَا وَمَا نَنْذَرُ. ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْهَرَجِ﴾ أَي: أَفْصِلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا، وَانصَرْنَا عَلَيْهِمْ، ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ أَي: خَيْرُ الْحَاكِمِينَ؛ فَإِنَّكَ الْعَادِلُ الَّذِي لَا تَحْزَنُ أَبَدًا.

الآية (٩٠-٩٢): نُجِزِ تَعَالَى عَنْ شِلَّةٍ تُخَفِّرُ قَوْمَ شُعَيْبٍ وَتُؤَدِّهِمْ وَتُغَوِّهِمْ، وَمَا هُمْ فِيهِ مِنَ الضَّلَالِ، وَمَا جَبَلَتْ عَلَيْهِ قُلُوبُهُمْ مِنَ الْمَخَالَفَةِ لِلْحَقِّ، وَلِهَذَا أَفْصَحُوا قَوْلًا: ﴿لَئِنْ أَتَيْنَاكُمْ شَيْئًا زَكَاةً أَوْ لَخَيْرِئًا﴾، فَلِهَذَا عَقَّبَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿فَأَخَذْنَاهُمُ الرِّجْفَ فَأَضْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنِينِينَ﴾ أَخْبَرَ تَعَالَى هَهُنَا أَنَّهُمْ أَخَذْتُمُ الرِّجْفَةَ؛ وَذَلِكَ لَمَّا أَرْجَفُوا شُعَيْبًا وَأَصْحَابَهُ وَتَوَعَّدُوهُمْ بِالْجَلَاءِ. كَمَا أَخْبَرَ عَنْهُمْ فِي سُورَةِ «هُودٍ» فَقَالَ: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا شُعَيْبًا وَآلَهُ مِنْ أُمَّائِهِمْ هَرْجَئًا وَآخَرَهُمْ جَنِينِينَ﴾ وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَضْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنِينِينَ ﴿[هود: ٩٤]﴾ وَالْمُنَاسِبَةُ فِي ذَلِكَ -وَاللَّهُ أَعْلَمُ- أَنَّهُمْ لَمَّا عَمَّكُمُ ابْنُ اللَّهِ شُعَيْبٌ فِي قَوْمِهِمْ: ﴿أَسَلُّوكُمُ لَكُمْ تَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ أَوْ أَنْ تَفْعَلَ فِي أَمْوَالِكُمْ مَا نَشِئْتُمْ أَنْتُمْ لَكُمْ لَأَتَّخِذَهُ الرَّشِيدُ﴾ [هود: ٨٧] جَاءَتْ الصَّيْحَةُ فَأَسَكَّتْهُمْ. وَقَالَ تَعَالَى إِخْبَارًا عَنْهُمْ فِي سُورَةِ الشُّعَرَاءِ: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْرُ الْظُلَّةِ لَمَّا كَانَ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الشُّعَرَاءُ: ١٨٩]، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِأَنَّهُمْ قَالُوا لَهُ: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كَيْفَمَا مِنْ أَسْمَاءٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الْكَاشِدِينَ﴾ [الشُّعَرَاءُ: ١٨٧]، فَأَخْبَرَ أَنَّهُ أَصَابَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ الظُّلَّةِ، وَقَدْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ كُلُّهُ: أَصَابَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ الظُّلَّةِ -وَهِيَ سَحَابَةٌ أَظْلَمَتْ فِيهَا شَرٌّ مِنْ نَارٍ وَلَهَبٍ وَوَهَجٍ عَظِيمٍ- ثُمَّ جَاءَتْهُمْ صَيْحَةٌ مِنَ السَّمَاءِ وَرَجَّتْ مِنَ الْأَرْضِ شَدِيدَةً مِنْ أَسْفَلِ مِنْهُمْ، فَزَهَقَتْ الْأَرْوَاحُ، وَفَاضَتْ النُّفُوسُ، وَتَحَدَّتِ الْأَجْسَادُ ﴿فَأَضْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنِينِينَ﴾.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَتَّبِعُوا فِيهَا﴾ أَي: كَانَهُمْ



## ● الوقفات التذكيرية

﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ ﴾

وهم الأشراف والكبراء منهم؛ الذين اتبعوا أهواءهم، ولهاو بلذاتهم، فلما اتاهم الحق وراوه غير مواقي لأهوائهم الرديئة ردوه، واستكبروا عنه.

لسعدي: ٢٩٦.

**سؤال: كيف يؤدي الاغترار بالنعمة إلى الكفر؟**

﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ بِبَشِيرٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَوْمِنَا أَوْ لَنَمُودَنَّ فِي مَلِئْنَا قَالَ أُولَئِكَ كَافِرِينَ ﴾

فتركية النفس، وتكثير جند الحق، والصالح المطلوب. ابن عاشور: ٧/٩.

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ ﴾

وأخبر تعالى أنهم أخذتهم الرجفة؛ وذلك كما أرفجوا شعيباً وأصحابه،  
وتوعدهم بالجلأ. ابن كثير: ٢٢٣/٢.

**سؤال: ما المناسبة بين عذاب مدين بالرجفة وموقفهم من شعيب عليه السلام؟**

﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَفْنَوْا فِيهَا﴾

أي: كأنهم لما أصابتهم النعمة لم يقيموا بديارهم التي أرادوا إجلاء الرسول وصحبه منها. ابن كثير: ٢٢٣/٢.

**السؤال:** في ضوء هذه الآية: تحدث عن قاعدة (الجزاء من جنس العمل).

﴿ فَكَيْفَ ءَامَنَ عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴾ ۲

أي: أحزن. القرطبي: ٢٨٧/٩.

**سؤال: هل من شأن المؤمن أن يحزن لهلاك الكفار؟**

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرِيْمٍ نَّبِيٍّ اِلَّا اَخَذْنَا اَهْلَهَا بِالْبَاسِ ۙ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُوْنَ ﴾

وتخصيص القرى بإرسال الرسل فيها دون البوادي -كما أشارت إليه هذه الآية وغيرها من أي القرآن، وشهد به تاريخ الأديان- يُنبئ أن مراد الله تعالى من إرسال الرسل هو بث الصلاح لأصحاب الحضارة التي يتطرق إليها الخلل بسبب اجتماع الأصناف المختلفة، وأن أهل البوادي لا يخلون عن الانحياز إلى القرى والإيواء في حاجاتهم المدنية إلى القرى القرية. ابن عاشور: ١٦/٩.

**سؤال: بين حكمه الله تعالى في إرسال الرسل إلى أهل القرى دون أهل البوادي.**

﴿ ٢ ﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا

الضَّرَاءَ وَالسَّرَاءَ فَأَخَذْنَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠﴾

(ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة) أي: بدلنا البأساء والضراء بالنعيم، اختياراً لهم في الحاليتين، (حتى عفاوا) أي: كثروا ونموا في أنفسهم، (وقالوا قد مس أباعنا الضراء والسراء) أي: قد جرى ذلك لأبائنا، ولم يضرهم، فهو بالاتفاق لا يقصد الاختيار. ابن جرير ٣٦٠/١.

السؤال: ما سبب عدم الاعتاض باختبار الله للناس بالخير والشر؟ وهل ينطبق هذا على بعض المظاهر في زماننا؟

\* قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ بِشَعِيبَ  
وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَنَعْمَدَنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ  
كُنَّا كَاهِنِينَ ﴿٥٥﴾ قَدْ أَفْتَرْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِن غَدَانِي وَمَلِكُكُمْ بَعْدُ  
إِذْ جَعَلْنَا اللَّهُ مِنْهَا وَبَاقِيَكُمْ لَنَا نَعْمَدُ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ  
اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ  
بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ  
الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ وَلَئِنْ اتَّخَذْتُمْ شَعِيبًا ائِمَّةً لَكُمْ إِذَا لَخِيسِرُونَ  
﴿٥٧﴾ فَأَخَذْتُهُمُ الرِّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمِينَ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ  
كَذَّبُوا شَعِيبًا كَانُوا يَتَعَدَّوْنَ فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شَعِيبًا كَانُوا  
هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴿٥٩﴾ فَبَقِيَ عَنْهُمْ وَقَالَ يَتَقَوْمُ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ  
رِسَالَتِي رُبِّي وَقَبَضْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ اسْتَعَى عَلَى قَوْمِ  
كَافِرِينَ ﴿٦٠﴾ وَمَا أَرْسَلَنِي قَوْمِي مِنْ بَنِي إِذَا أَعَدَّنَا أَهْلَهَا  
يَا بِلَاسَاءَ وَالطَّرَاءَ لَعَلَّهُمْ يَضْحَكُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ بَدَلْنَا  
مَكَانَ الشَّيْءِ وَالْخَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا  
الطَّرَاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٢﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
الرَّجْفَةُ	الرَّزْزَلَةُ الشَّدِيدَةُ.
جَائِعِينَ	هَالِكِينَ، لَا صَاحِبِينَ بِالْأَرْضِ عَلَى رُكَبِهِمْ، وَوُجُوهِِهِمْ.
أَسَى	أَحْزَنُ.

## ● العمل بالآيات

١. ارسل رسالته أو ذكر من حولك ببعض المصائب التي حلت بالمجتمع، وإنها لن ترفع إلا بالتوبة والتضرع إلى الله تعالى، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْأَسَا وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ﴾.

٢. قل: «اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»، ﴿قَدْ أَفْرَمْنَا عَلَىٰ أَلْوَكِدْنَا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ جَعَلْنَا اللَّهُ مِنْهَا وَ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا﴾.

٣. اشكر الله تعالى على نعمه التي أعطاك إياها، ثم توجه إليه بالدعاء ألا  
تطفئك أو تشغلك هذه النعم عن طاعته، ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ  
عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آلِهَاتُنَا الْهَرَاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَلْقَوْهُمْ بِنَعَّةٍ وَهُمْ لَا يَصْغُرُونَ﴾.

## التوجيهات

١. أسلوب المتكبرين واحد؛ وهو: الجدل بالباطل، فإن عجزوا لجئوا إلى التهديد، ﴿قَالَ الَّذِينَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ بِشَعِيبٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَوْمِنَا أَوْ لَنَعُودَنَّ فِي يَلَدِنَا﴾.

٢. المتكبر والغافل إذا تعارضت شهوتهما مع الدين فإنهما يقدمان شهوتهما ومعصيتهما عليه، ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ بِشَيْعَبٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَةٍ أَوْ نَعُودَنَّ فِي أَجَلٍ بَقِيَّتْ مِنْهَا﴾.

٣. لا يفتقر الإنسان بإيمانه وصلاحه؛ فإن الأنبياء والصالحين علموا أن حياتهم على الدين إنما هو بمشيئة الله، لا من عند أنفسهم، ﴿ قَدْ أَفْتَرْنَا عَلَى الْوَكُوفِ إِنَّا عَمَّا فِي إِلَهُكُمْ بَعْدَ إِذْ جَعَلْنَا اللَّهَ إِلَهُكُمْ وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا ۖ ﴾



## ● الوقفات التحذيرية

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾

وقوله: (بركات من السماء والأرض) مراد به حقيقته: لأن ما يناله الناس من الخيرات الدنيوية لا يعدو أن يكون ناشئا من الأرض؛ وذلك معظم المنافع، أو من السماء: مثل ماء المطر، وشعاع الشمس، وضوء القمر، والنجوم، والهواء والرياح الصالحة. ابن عاشور: ٢٢/٩.

السؤال: البركات التي تحل بالناس إما أن تكون من السماء أو الأرض، بين ذلك.

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾

أهل القرى لو آمنوا بقلوبهم إيماناً صادقاً صدقته الأعمال، واستعملوا تقوى الله تعالى ظاهراً وباطناً بترك جميع ما حرم الله؛ لفتح عليهم بركات السماء والأرض. السعدي: ٢٩٨.

السؤال: كيف تصلح أحوال القرى والمدن؟

﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾

ومكر الله واستدراجه إياهم بما أنعم عليهم في دنياهم. البغوي: ١٣٢/٢.

السؤال: ما المراد بمكر الله في الآية؟

﴿ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾

وهذه الآية الكريمة فيها من التخويف البالغ على أن العبد لا ينبغي له أن يكون آمناً على ما معه من الإيمان، بل لا يزال خائفاً وجللاً أن يبتلى ببليّة تسلب ما معه من الإيمان. السعدي: ٢٩٨.

السؤال: ما الذي ينبغي أن يفعله مُتَدَبِّرُ هذه الآية؟

﴿ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾

قال الحسن البصري -رحمه الله-: المؤمن يعمل بالطاعات وهو مُشْفِقٌ، وَجَلٌّ، خَائِفٌ، والفاجر يعمل بالمعاصي وهو آمِنٌ. ابن كثير: ٢٢٤/٢.

السؤال: ما الفرق بين المؤمن والفاجر في أمنهم من مكر الله؟

﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَّوْ شَاءَ أَصْبَحْنَاهُمْ يَدُوًّا يَمُوتُ وَنَطَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾

(ونطع على قلوبهم فهم لا يسمعون) أي: إذا نبههم الله فلم ينتبهوا، وذكرهم فلم يتذكروا، وهادهم بالآيات والعبر فلم يهتدوا؛ فإن الله تعالى يعاقبهم، ويطبع على قلوبهم، فيعلوها الران والدنس، حتى يختم عليها، فلا يدخلها حق، ولا يصل إليها خير، ولا يسمعون ما ينفعهم، وإنما يسمعون ما به تقوم الحجة عليهم. السعدي: ٢٩٨.

السؤال: ما اشد العقوبات الدنيوية للمعرضين عن دين الله؟

﴿ فَأَنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾

أي: انظر يا محمد كيف فعلنا بهم، وأغرقناهم عن آخرهم بمرأى من موسى وقومه، وهذا ابلغ في التكال بضرعون وقومه، وأضى قلوب أولياء الله موسى وقومه من المؤمنين به. ابن كثير: ٢٢٥/٢-٢٢٦.

السؤال: ما الحكمة من الأمر بالنظر في عاقبة المفسدين؟

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنَاتٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ أَوْ آمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُجًى وَهُمْ لَا يُشْعُرُونَ ﴿٣﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٤﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَّوْ شَاءَ أَصْبَحْنَاهُمْ يَدُوًّا يَمُوتُ وَنَطَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿٦﴾ وَمَا جَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِن عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴿٧﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يُفْرِعُونَ لِيَ رَسُولَ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾

١١٣

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
بَاسُنَا	عَذَابُنَا.
بَيِّنَاتٍ	بَيِّنَاتٍ.
أَوَلَمْ يَهْدِ	أَوَلَمْ يَهْدِ.
يَسْكُونُونَ	يَسْكُونُونَ.
وَنَطَعُ	نَحْنُ.

## ● العمل بالآيات

١. الق كلمته، أو ارسِل رسالة تبين فيها أن حل مشاكل المجتمع إنما هو بالتعاون على الإيمان بوعد الله ووعيده، وباتقاء المعاصي، ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾.
٢. اختر قرية أو قبيلة ذكرت قصتها في القرآن، واجمع قصتها من كامل القرآن لتتدبرها، ﴿ تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ﴾.
٣. حافظ على الصلاة مع الجماعة، فهي من العهد الذي بينك وبين الله، ﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِن عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴾.

## ● التوجيهات

١. إذا آمن المجتمع مكر الله فقد تهيأ للخسران واقترب منه، ﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾.
٢. ما يصيبك من بلاء ومحنة فهو بسبب ذنوبك وتقصيرك، ﴿ فَأَنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾.
٣. من اعظم المصائب أن يطبع على القلب؛ فلا يعي خيرا، ولا يكف عن شرا، ﴿ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴾.

رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ﴿٩٦﴾ أي: بالحجج على صدقهم فيما أخبروهم به؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُنْذِرِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

وقوله تعالى: ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ﴾ الباء

سببية، أي: فما كانوا ليؤمنوا بما جاءهم به الرسل بسبب تكذيبهم

بالحقِّ أَوَّلَ مَا وَرَدَ عليهم. حكاه ابن عطية -رحمته الله- وهو مُتَّجِه

حَسَنٌ؛ كقوله: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٨﴾ وَتَقْلِبُ

أَفْيُكِبُهُمْ وَأَقْصِرُهُمْ كَمَا لَوْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَكَذَّبَهُمْ فِي طَافِيئَتِهِمْ

يَمْمَهُونَ [الأنعام: ١٠٩-١١٠]؛ ولهذا قال هنا: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى

قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿١٩﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ ﴿٢٠﴾ أي: لأكثر الأمم للماضية

﴿وَمِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾ أي: ولقد وجدنا أكثرهم

فاسقين خارجين عن الطاعة والامثال. والعهد الذي أخذه هو ما

جَبَلَهُمْ عليه وفَطَرَهُمْ عليه، وأخذ عليهم في الأصلاب: أنه ربه

ومليكمهم، وأنه لا إله إلا هو، وأثروا بذلك، وشهدوا على أنفسهم به،

فخالفوه وتركوه وراء ظهورهم، وعبدوا مع الله غيره بلا دليل ولا

حجة، لا من عقل ولا شرع، وفي الفطر السليمة خلاف ذلك،

وجاءت الرسل الكرام من أوَّلهم إلى آخرهم بالنهي عن ذلك؛ كما

جاء في صحيح مسلم: «يقول الله تعالى: إني خلقت عبادي حُفَاءً،

فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وخَرَمْتُ عليهم ما أحللتُ

لهم». وفي الصحيحين: «كل مولود يُولَدُ على الفطرة، فأبواه يهودانه

ويُنصِّرانه ويمجسانه» الحديث. وقال تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَمَا

أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾

[الأنبياء: ٢٥]؛ وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ

اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْحَمُوا أَهْلَ الْقُرُوبِ﴾ [النحل: ٣٦]؛ إلى غير ذلك من الآيات.

الآية (١٠٣): يقول تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ أي: الرسل

المتقدم ذكرهم؛ كنوح وهود وصالح ولوط وشعيب صلوات الله

وسلامه عليهم وعلى سائر أنبياء الله أجمعين، ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ أي:

بمُحْجِبِنَا ودلائلنا البيِّنة ﴿إِلَىٰ رُفُوعٍ﴾ وهو ملك مصر في زمن موسى،

﴿وَمَلَايِكَةٍ﴾ أي: قومه، ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ﴾ أي: جَحَدُوا وكفروا بها ظلماً

منهم وعناداً؛ كما قال تعالى: ﴿وَعَصَوْا بِهَا وَأَسْتَفْتَيْنَاهَا أَفْتُتْهُمْ ظُلْمًا

وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤]؛ ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ أي: الذين

صَدُّوا عن سبيل الله وكَذَّبُوا رسله؛ أي: انظر -يا محمد- كيف فعلنا

بهم، وأغرقتهم عن آخرهم، يمرأى من موسى وقومه. وهذا البُغْثُ في

النكال بفرعون وقومه، وأشقى قلوب أولياء الله موسى وقومه

من المؤمنين به.

الآية (١٠٤): ﴿نَجِّرْ تَعَالَى عَنْ مُنَاطَرَةِ مُوسَى لِفِرْعَوْنَ، وإِلْجَامِهِ إِتْيَاهُ

بِالْحُجَّةِ، وإظهاره الآيات البيِّنات بحضرة فرعون وقومه من قِطْ

مصر، فقال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى يُفِرُّعُونَ إِلَيَّ رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

أي: أرسلني الذي هو خالق كل شيء وربّه ومليكه.

الآية (٩٦-٩٩): يقول تعالى مُحْبِرًا عن قلة إيمان أهل القرى

الذين أرسل فيهم الرسل؛ كما قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ

فَنَقَعَهَا إِيْمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُنْسَوْنَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ غِظَابَ الْخَزْيِ فِي

الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يونس: ٩٨] أي: ما آمنت قرية بتامها إلا

قوم يونس؛ فإبهم آمنوا، وذلك بعد ما عينوا العذاب. وكذا قال

تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا﴾ أي: آمنت قلوبهم بما جاءهم

به الرسل، وصَدَّقَتْ به واتبعت، واتقوا بفعل الطاعات وترك المحرمات؛

﴿لَنَفْعَنَّا عَلَيْهِمْ بُرْكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: قَطَرُ السماء ونِبات

الأرض. ﴿وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ أي: ولكن

كَلَّبُوا رسلهم، فعاقبناهم بالهلاك على ما كسبوا من المآثم والمحارم. ثم

قال تعالى حُجُوفًا ومُحْذَرًا من مخالفة أوامره، والتجري على زواجه:

﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ﴾ أي: الكافرة، ﴿أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا﴾ أي: عذابنا

ونَكَلْنَا ﴿بَيْنَنَا﴾ أي: لَيْلًا ﴿وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ ﴿١٠٥﴾ أَوَّيْنِ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ

يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا سَحَاحًا وَهُمْ يَصْغُونَ﴾ أي: في حال سُغْلِهِمْ وغفلتهم،

﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾ أي: بأسه ونقته وقدرته عليهم وأخذَهُ إياهم

في حال سهوهم وغفلتهم ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾؛

ولهذا قال الحسن البصري -رحمته الله-: المؤمن يعمل بالطاعات وهو

مُشْفِقٌ وَجَلٌّ خَائِفٌ، والفاجر يعمل بالمعاصي وهو آمِنٌ.

الآية (١٠٠): قال ابن عباس في قوله: ﴿أَوَّلَ يَهْدٍ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ

الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا﴾: أَوَّلَ بَيِّنٍ لهم أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم.

وكذا قال مجاهد وغيره. وقال ابن جرير: يقول تعالى: أَوَّلَ بَيِّنٍ للذين

يُسْتَخْلَفُونَ في الأرض من بعد هلاك آخرين قبلهم كانوا أهلها،

فساروا سيرتهم، وعملوا أعمالهم، وعَتَوْا على ربهم، ﴿إِنْ لَوْ نَشَاءُ

أَصْبَحْنَاهُمْ يَدْثُرِيهِمْ﴾ يقول: أن لو نشاء فعلنا بهم كما فعلنا بمن قبلهم،

﴿وَنُطْلِعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ يقول: ونختم على قلوبهم، ﴿فَهَرَّ لَا

يَسْمَعُونَ﴾ موعظة ولا تذكيرًا.

وهكذا قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي

مَسَاجِدِهِمْ فِي ذَلِكَ لَا يَتَذَكَّرُونَ إِلَّا نَعْنَى﴾ [طه: ١٢٨]؛ وقال تعالى: ﴿وَكَمْ

أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ يُشْعِرُكُمْ مِنْ أَجْدٍ أَوْ سَمِعْتُمْ لَهُمْ رِكْرًا﴾

[مرم: ٩٨]؛ أي: هل ترى لهم شخصًا أو تسمع لهم صوتًا؟! وقال

تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَسْتَفْتَيْتُ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَكَانَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم

مَآكِلُنَا بِدِينٍ يُسْتَهْزَأُونَ﴾ [الأنعام: ١٠١]؛ إلى غير ذلك من الآيات الدالة

على حلول نِقْمِهِ بآعْدائِهِ، وحصول نعمه لأوليائه.

الآية (١٠١-١٠٢): لَمَّا قَصَّ تعالى على نبيه ﷺ خبر قوم نوح،

وهود وصالح ولوط وشعيب، وما كان من إهلاكه الكافرين وإنجائه

المؤمنين، وأنه تعالى أَعَدَّ لِلْإِيمِ بَانَ بَيِّنٌ لهم الحق بالحجج على السنة

الرسل صلوات الله عليهم أجمعين، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ الْقَرْنُ نَقُصُّ

عَلَيْكَ﴾ أي: يا محمد ﴿مِنْ أَنْبَاءِهَا﴾ أي: من أخبارها، ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ



الآية (١٠٥-١٠٦): ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾  
فقال بعضهم: معناه: حقيقٌ بأن لا أقول على الله إلا الحق، أي: جدير  
بذلك وحريٌّ به؛ قالوا: (والباء) و(على) يتعاقبان. وقال بعض  
المفسرين: معناه: حريص على ألا أقول على الله إلا الحق. وقرأ آخرون  
من أهل المدينة: «حَقِيقٌ عَلَيَّ» بمعنى: واجب وحقٌّ عَلَيَّ ذلك، ألا أخبر  
عنه إلا بما هو حقٌّ وصدق، لِمَا أعلم من عِزِّ جلاله وعظيم سلطانه.  
﴿قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي: بِحُجَّةٍ قاطعة من الله،  
أعطينيها دليلاً على صدقي فيما جئتكم به، ﴿فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾  
أي: أطلقهم من أسرك وقهرك، ودعهم وعبادة ربك وريهم؛ فإنهم  
من سلالة نبي كريم: إسرائيل، وهو: يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم  
 خليل الرحمن، ﴿قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِبَيِّنَةٍ فَاتَّبِعْنِي أَيْنَ أَصِيدُ﴾  
أي: قال فرعون: لست بمصدِّقك فيما قلت، ولا  
بمطيعك فيما طلبت، فإن كانت معك حجة فأظهرها لئراها، إن كنت  
صادقاً فيما ادَّعيت.

الآية (١٠٧-١٠٨): قال ابن عباس في قوله: ﴿فَتُكَبَّرُ تُثِينٌ﴾:  
الحية الذَّكْر. وكذا قال السدي والضحاك. وقوله: ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا  
فِي يَدَيْهِ النَّطْرَقُ﴾ أي: أخرج يده من درعه بعد ما أدخلها فيه،  
فخَرَجَتْ بيضاء تتلألأ من غير برص ولا مرض؛ كما قال تعالى:  
﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْخَالِكَ فَخَرَجَ بِضَاءَ مِثْلَ نَجْمٍ مُّزْجٍ مِّن زَيْفَرٍ﴾ [طه: ٢٢].

الآية (١٠٩-١١٠): أي: قال الملأ - وهم الجمهور والسادة - من  
قوم فرعون موافقين لقول فرعون فيه، بعد ما رجع إليه روعه،  
واستقرَّ على سرير مملكته بعد ذلك، قال الملأ حوله: ﴿إِنَّكَ هَذَا وَسَوَاءٌ  
فِي يَدَيْهِ النَّطْرَقُ﴾ أي: أخرج يده من درعه بعد ما أدخلها فيه،  
فخَرَجَتْ بيضاء تتلألأ من غير برص ولا مرض؛ كما قال تعالى:  
﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْخَالِكَ فَخَرَجَ بِضَاءَ مِثْلَ نَجْمٍ مُّزْجٍ مِّن زَيْفَرٍ﴾ [طه: ٢٢].

الآية (١١١-١١٢): قال ابن عباس: ﴿أَنجِبْهُ﴾ أي: أنجِّه. وقال  
قتادة: أحِسُّهُ ﴿وَأَرْسِلْ﴾ أي: ابعث ﴿فِي الْأَقَالِيمِ﴾ أي: في الأقاليم  
ومدائن مُلْكِكَ ﴿حَاشِيَةٍ﴾ أي: من يحشر لك السحرة من سائر  
البلاد ويجمعهم. وقد كان السحر في زمانهم غالباً كثيراً ظاهرة،  
واعتقد من اعتقد منهم، وأوهم من أوهم منهم أن ما جاء به موسى  
عَلَيْهِ السَّلَام من قبيل ما تُشْعِذُ به سحرتهم؛ فلهذا جمَّعوا له السحرة  
ليُعارضوه بنظير ما أراهم من البَيِّنَات؛ كما أخبر تعالى عن فرعون  
حيث قال: ﴿أَجِئْتَنَا بِسِحْرٍ مُّجْتَمِعٍ﴾ [طه: ٥٧] ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ

بِسِحْرٍ مُّجْتَمِعٍ﴾ فاجتمع بيننا وبينك موعداً لا نخلفه، نحن ولا أنت مكناسوى  
﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَن يُخَشِرَ النَّاسَ سُبْحَىٰ﴾ [طه: ٥٧] ﴿فَنُفِخَ فِي قَاصِرَاتِ كُرْسِيِّهِ﴾ [طه: ٥٧].

الآية (١١٣-١١٤): يخبر تعالى عما تشارط عليه فرعون  
والسحرة الذين استدعاهم لمعارضة موسى عَلَيْهِ السَّلَام: إن غلبوا موسى  
ليشينهم وليُعطيَنهم عطاءً جزيلًا. فوَعَدَهُمْ وَمَنَّا هُمْ أَن يُعْطِيَهُمْ مَا  
أرادوا، ويحلبهم من جلسائه والمقرَّين عنده، فلَمَّا توفَّقوا من فرعون  
لعملة الله ﴿قَالُوا يَسْمُوعَىٰ إِمَّا أَن تُلْغَىٰ وَإِمَّا أَن نَّتَّكُونَ نَحْنُ الْمُلْكَ﴾.

الآية (١١٥-١١٦): هذه مبارزة من السحرة لموسى عَلَيْهِ السَّلَام في  
قولهم: ﴿إِمَّا أَن تُلْغَىٰ وَإِمَّا أَن نَّتَّكُونَ نَحْنُ الْمُلْكَ﴾ أي: قُبْلُك؛ كما قال  
في الآية الأخرى: ﴿وَلِمَّا أَن نَّتَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى﴾ [طه: ٦٥]. فقال لهم  
عَلَيْهِ السَّلَام: ﴿أَلْقُوا﴾ أي: أنتم أولاً. قيل: الحكمة في هذا - والله أعلم -  
لِإِثْرِي النَّاسَ صَنِيعُهُمْ وَيَتَأَمَّلُوهُ، فإذا فرغ من بَرَجِهِمْ وَتَحَالِيهِمْ، جاءهم  
الحقُّ الواضح الجليُّ بعد التَّطَلُّبِ له والانتظار منهم لمجيئه، فيكون أوقع  
في النفوس، وكذا كان، ولهذا قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ  
النَّاسِ وَاسْتَهْوَوْهُمْ﴾ أي: خَيَّلُوا إلى الأبصار أن ما فعلوه له حقيقة في  
الخارج، ولم يكن إلا مُجَرَّدُ صَنْعَةٍ وَتَحْيَالٍ؛ كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا جِئْتُمْ  
عَصِيَّتُهُمْ تُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: ٦٦] ﴿وَأَلْقَىٰ مَا فِي يَمِينِهِ تَلَقَّفَ مَا نَعَمَ اللَّهُ لِمُوسَىٰ﴾ [طه: ٦٦-٦٧].

الآية (١١٧-١١٨): يخبر تعالى أنه أوحى إلى عبده ورسوله  
موسى عَلَيْهِ السَّلَام في ذلك الموقف العظيم، الذي فَرَّقَ الله تعالى فيه بين  
الحقِّ والباطل، يأمره بأن يُلقِي ما في يمينه وهي عصاه، ﴿فَإِذَا جِئْتَ  
تَلَقَّفُ﴾ أي: تأكل ﴿مَا يَأْكُرُونَ﴾ أي: ما يلقونه ويؤمنون أنه حقٌّ،  
وهو باطل. قال ابن عباس: فجعلت لا تسمُرُ بشيء من جِبَاهِهِمْ وَلَا  
من خُشْبِهِمْ إِلَّا التَّقَمُّتُ، ففَرَّقَتِ السحرة أن هذا أمر من السَّاءِ،  
وليس هذا بسحر، ففَرَّقُوا سَجْدًا، وقالوا: ﴿إِنَّمَا هِيَ أَلْطَمَاتُ الْمَلَائِكَةِ

رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾.



## ١ الوقفات التدريبية

﴿ فَأَنْعَزَ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ١٥ ﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْتَانُ لِلنَّظِيرِينَ ١٦ ﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّكَ هَذَا سِحْرٌ عَلِيمٌ ١٧ ﴾

(فانقضى) موسى (عصاه) في الأرض (فإذا هي ثعبان مبين) أي: حية ظاهرة تسعى، وهم يشاهدونها. (ونزع يده) من جيبه (فإذا هي بيتان للنظرين) من غير سوء، فهاتان آيتان كبيرتان الدالتان على صحة ما جاء به موسى وصدقه، وأنه رسول رب العالمين، ولكن الذين لا يؤمنون لوجاعتهم كل آية لا يؤمنون حتى يروا العذاب الأليم. السعدي: ٢٩٩/١. السؤال: هل تحصل الهداية بمجرد العقل، أم هي منته من الله؟ وضح ذلك من الآيات.

﴿ قَالُوا آيَةً وَأَنَّا فِي الْمَدَائِنِ خَشِيرَةٌ ١٨ ﴾ يَأْتُوا بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ ١٩ ﴿ وَالشَّانُ أَنْ يَكُونَ مَلَأُ فِرْعَوْنَ عِقْلَاهُ أَهْلَ سِيَاسَةٍ، فَعَلِمُوا أَنَّ أَمْرَ دَعْوَةِ مُوسَى لَا يَكَادُ يَخْفَى، وَأَنَّ فِرْعَوْنَ إِنَّ سَجْنَهُ أَوْ عَانِدَ تَحْقِيقِ النَّاسِ أَنَّ حِجَّةَ مُوسَى غَلِبَتْ، فَصَارَ ذَلِكَ ذُرِيَةً لِلشَّكِّ فِي دِينِ فِرْعَوْنَ، فَهَرَاوَانُ يَلَانِيَا مُوسَى، وَطَمَعُوا أَنْ يَوْجِدَ فِي سِحْرِهِ مَصْرَ مِنْ يَدَافِعِ آيَاتِ مُوسَى، فَتَكُونَ الْحِجَّةُ عَلَيْهِ ظَاهِرَةً لِلنَّاسِ. ابن عاشور: ٤٤/٩.

السؤال: لماذا لم يقترح ملا فِرْعَوْنَ عليه أن يسجن موسى عليه السلام؟  
﴿ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ٢٠ ﴾ (قَالُوا) لَفِرْعَوْنَ (إِنْ لَنَا لَأَجْرًا) أي: جُملًا ومالًا. البغوي: ١٣٥/٢.

السؤال: كيف بينت الآية أن من أهم صفات دعاة الضلال الحرص على الدنيا؟  
﴿ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ٢٠ ﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَيِن الْمُرْفِقِينَ ٢١ ﴿

قال فِرْعَوْنَ للسحرة، إذ قالوا له: إن لنا عندك ثوابًا إن نحن غلبنا موسى؟ قال: نعم، لكم ذلك، وإنكم لمن أقربوه وأدنيه مني. الطبري: ٢٩/١٣. السؤال: في الآية إشارة لحرص الطفلة على تقريب أئمة الضلال واستشارتهم، وضح ذلك.

﴿ قَالُوا يَمُرُّونَ إِذَا ظَنَّوا أَن لَمْ يَكُنْ غَنَى الثَّلَاثِينَ ٢٢ ﴾ قَالَ الْفُلُ ٢٣ ﴿ قِيلَ: الْحِكْمَةُ فِي هَذَا -وَاللَّهِ أَعْلَمُ- لِيَرَى النَّاسَ صَنِيعَهُمْ، وَيَتَأَمَّلُوهُ، فَإِذَا فَرَّغُوا مِنْ بَهْرَجِهِمْ وَمِحَالِهِمْ، جَاءَهُمُ الْحَقُّ الْوَاضِعُ الْجَلِيُّ بَعْدَ التَّطَلُّبِ لَهُ، وَالْإِنْتِظَارِ مِنْهُمْ لِحُجَّتِهِ، فَيَكُونُ أَوْقَعُ فِي النَّفْسِ، وَكَذَا كَانَ. ابن كثير: ٢٢٧/٢.

السؤال: ما الحكمة في تفضيل موسى أن يلقي السحرة عصيهم قبله؟  
﴿ قَالُوا يَمُرُّونَ إِذَا ظَنَّوا أَن لَمْ يَكُنْ غَنَى الثَّلَاثِينَ ٢٢ ﴾ قَالَ الْفُلُ ٢٣ ﴿ أَلْفَا سَكْرًا أَعْيَتْ النَّاسَ وَأَسْرَهُوهُمْ وَبَكَوْهُ بِسِحْرِ عَظِيمٍ ٢٤ ﴾ تَأْدِبُوا مَعَ مُوسَى -عليه السلام- فكان ذلك سبب إيمانهم. القرطبي: ٢٩٦/٩.

السؤال: من خلال الآية: بين ثمرة الأدب مع العلماء والصالحين.

﴿ وَالْقِيَالُ السَّحَرَةُ سَجْدِينَ ٢٥ ﴾ وأعظم من تبين له الحق العظيم: أهل الصنف والسحر، الذين يعرفون من أنواع السحر وجزئياته ما لا يعرفه غيرهم، ففرهوا أن هذه آية عظيمة من آيات الله، لا يبدان لأحد بها. السعدي: ٣٠٠.

السؤال: لماذا كان السحرة أسرع الناس إيمانًا في هذه الحادثة؟

حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ٢٦ ﴿ قَالَ إِن كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ٢٧ ﴿ قَالَ لَقَدْ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ٢٨ ﴿ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْتَانُ لِلنَّظِيرِينَ ٢٩ ﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا السَّحَرُ عَلَيْهِ ٣٠ ﴿ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ٣١ ﴿ قَالُوا آيَةً وَأَنَّا فِي الْمَدَائِنِ خَشِيرَةٌ ٣٢ ﴿ يَأْتُوا بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ ٣٣ ﴿ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ٣٤ ﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَيِن الْمُرْفِقِينَ ٣٥ ﴿ قَالُوا يَمُرُّونَ إِذَا ظَنَّوا أَن لَمْ يَكُنْ غَنَى الثَّلَاثِينَ ٣٦ ﴿ قَالَ الْفُلُ ٣٧ ﴿ قِيلَ: الْحِكْمَةُ فِي هَذَا -وَاللَّهِ أَعْلَمُ- لِيَرَى النَّاسَ صَنِيعَهُمْ، وَيَتَأَمَّلُوهُ، فَإِذَا فَرَّغُوا مِنْ بَهْرَجِهِمْ وَمِحَالِهِمْ، جَاءَهُمُ الْحَقُّ الْوَاضِعُ الْجَلِيُّ بَعْدَ التَّطَلُّبِ لَهُ، وَالْإِنْتِظَارِ مِنْهُمْ لِحُجَّتِهِ، فَيَكُونُ أَوْقَعُ فِي النَّفْسِ، وَكَذَا كَانَ. ابن كثير: ٢٢٧/٢.

## ٢ معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
حَقِيقٌ	جَدِيدٌ
ثُعْبَانٌ مُبِينٌ	حَيَّةٌ عَظِيمَةٌ
وَنَزَعَ يَدَهُ	نَزَعَهَا مِنْ جَيْبِهِ، أَوْ جَنَاحِهِ
أَرْجِهْ	أُخْرُهُ
وَأَسْرَهُوهُمْ	خَوَّفُوهُمْ، وَأَرْهَبُوهُمْ
وَأَتَقَلَّبُوا	انْصَرَفُوا
صَاغِرِينَ	أَذِلَّةً، مَقْهُورِينَ

## ٣ العمل بالآيات

١. اعمل مشروعًا، أو عملاً قوليًا أو مائليًا، تدافع به عن مظلومين، وتساعد فيه مضطهدين، ﴿ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ٢٦ ﴾.
٢. سل الله تعالى أن يستخدمك في طاعته، وإن تكون من أنصار الحق، ﴿ وَأَوْحِنَا إِلَى مُوسَى أَنَّ آتَى عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ٣٧ ﴾ فَوَقَّعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ٣٨ ﴿.
٣. انشر مقطعًا مرثيًا، أو محاضرة تبين خطورة السحر، ﴿ فَوَقَّعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ٣٨ ﴾.

## ٤ التوجيهات

١. جهل المجتمع بالحق يؤدي إلى سهولة الكذب عليهم، ﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّكَ هَذَا سِحْرٌ عَلِيمٌ ١٧ ﴾.
٢. مكر الملأ وكذبهم إذ اتهموا موسى بأنه يريد الملك، وهو إنما أراد تعبيد الناس لله وحده، ﴿ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ٣١ ﴾.
٣. مهما فشا الباطل وارتفع، واغتر به المتعجلون، فإن للحق يومًا يظهر فيه ويعمل، ﴿ فَنُفِثُوا هُمَالًا وَانْقَلَبُوا صَبِيرِينَ ٣٩ ﴾ وَالْقِيَالُ السَّحَرَةُ سَجْدِينَ ٢٥ ﴿.



## ● الوقفات التدريبية

﴿إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكْرُهُمْ فِي الْمَدِينَةِ﴾

وموسى عليه السلام - لا يعرف احدا منهم، ولا رآه، ولا اجتمع به، وفرعون يعلم ذلك، وإنما قال هذا تسفيرا وتديسا على رعاى دولته وجهلهم، كما قال تعالى: (فاستخف قومه فاطاعوه) [الزخرف: ٥٤]؛ فإن قوما صدقوه في قوله: (فقال انا ربكم الأعلى) [النازعات: ٢٤] من اهل خلق الله، واصلهم. ابن كثير: ٢٢٨/٢.

السؤال: ما مقصد فرعون في قوله: (إن هذا لمر مكروته في المدينة)؟

﴿قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾

وعنايه اشد من عنايك، ونكاله على ما تدعوننا إليه اليوم وما اكرهتنا عليه من السحر اعظم من تلك، فلنصبر اليوم على عنايك لنخلص من عذاب الله. ابن كثير: ٢٢٨/٢.

السؤال: ما المقارنة التي دفعت السحرة إلى الإيمان والثبات على دين الله؟

﴿وَمَا نُنْفِئُ مِنَّا إِلَّا أَنْتَ أَمَّا نَبَاتِكَ رَبَّنَا لَنَا جَاءَتَنَا﴾

قال عطاء: ما لنا عندك من ذنب تعذبنا عليه (إلا انما بنايات ربنا).

البغوي: ١٣٨/٢.

السؤال: ما الذنب الذي لأجله عادي به المتكبرون أهل الإيمان؟

﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾

أي: عظيماً، كما يدل عليه التنكير؛ لأن هذه محنة عظيمة تؤدي إلى ذهاب النفس، فيحتاج فيها من الصبر إلى شيء كثير؛ ليثبت الفؤاد، ويطمئن المؤمن على إيمانه، ويوزل عنه الانزعاج الكثير. السعدي: ٣٠٠.

السؤال: لماذا طلب السحرة من الله بعد إيمانهم أن يفرغ عليهم صبراً؟

﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّأْ مُسْلِمِينَ﴾

اجعل لنا طاقاً لتحمل ما توعدنا به فرعون، ولما كان ذلك الوعد مما لا تطيقه النفوس؛ سألوا الله أن يجعل نفوسهم صبرا قويا، يفوق المتعارف؛ ... فإن الإفراغ صب جميع ما في الإناء ... ودعوا لأنفسهم بالوفاة على الإسلام إيانا بأنهم غير راغبين في الحياة، ولا مبالين بوعيد فرعون، وأن همتهم لا ترجو إلا النجاة في الآخرة، والفضو بما عند الله، وقد انخدل بذلك فرعون، وذهب وعيده باطلا. ابن عاشور: ٥٦/٩.

السؤال: إذا حل الإيمان بالقلب كانت الآخرة أهم من الدنيا، وضع ذلك من خلال الآية:

﴿قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عُدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾

وجاء بفعل الرجاء دون الجزم تأدياً مع الله تعالى، وإقصاء للاتكال على اعمالهم؛ ليزدادوا من التقوى، والتعرض إلى رضى الله تعالى ونصره. ابن عاشور: ٩٦/٩.

السؤال: لماذا اختار موسى فعل الرجاء (عسى) دون الجزم في الآية الكريمة؟

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصِ مِنِّ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾

(بالسنين) أي: بالجذب والقحط، تقول العرب: مستهم السنة أي: جذب السنة، وشدة السنة، وقيل: أراد بالسنين: القحط سنة بعد سنة، (ونقص من الثمرات) يتألف الغلات بالأفات والعامات، قال قتادة: أما السنين فلاهل البوادي، وأما نقص الثمرات فلاهل الأمصار، (لعلهم يذكرون) أي: يتعظون؛ وذلك لأن الشدة ترقق القلوب، وترغبها فيما عند الله عز وجل. البغوي: ١٣٩/٢.

السؤال: ما الحكمة من نزول البلاء والشدة بالعباد؟

قَالُوا أَمَّا نَبَاتِكَ رَبَّنَا لَنَا جَاءَتَنَا أَوْفَعٌ عَلَيْهِ تَصَبَّرَا وَتَوَقَّأْ مُسْلِمِينَ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَنُذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَبَذَرَكَ وَآلِهَتِكَ قَالَ سَتَقْبَلُونَ أَتْنَاءَ هُمْ وَتَسْتَحْيِي بَسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِيبُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنَ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٧﴾ قَالُوا أَوَإِذَا مَن قَبِلَ أَنْ تَأْتِيَنَا مِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عُدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿٣٨﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصِ مِنِّ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٣٩﴾

١٦٥

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
مُنْقَلِبُونَ	رَاجِعُونَ.
أَفْرِغْ	أَفْضُ، وَضَبَّ.
بِالسِّنِينَ	بِالْقَحْطِ، وَالْجَدْبِ.

## ● العمل بالآيات

١. كرر هذا الدعاء وادع الله أن يفك أسر المأسورين من المسلمين: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّأْ مُسْلِمِينَ﴾.

٢. ارسل رسالتك تبين فيها أن خطورة جليس السوء على أهل الحل والعقد أكثر من خطورتها على غيرهم، ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَنُذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَبَذَرَكَ وَآلِهَتِكَ﴾.

٣. ارسل رسالتك إلى أحد المبشرين تحثه فيها على الصبر والثبات، وتبشره بالأجر، وحسن العاقبة، ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِيبُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنَ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

## ● التوجيهات

١. من أخطر أنواع الكذب على المجتمع كذب الوجهاء، ﴿إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكْرُهُمْ فِي الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجُوا مِنهَا أَهْلَهَا﴾.

٢. البطالة السيفية شر على البلاد والعباد، ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَنُذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَبَذَرَكَ وَآلِهَتِكَ﴾.

٣. العبادة والتقوى شرط لوراثة الأرض، ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنَ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

الآية (١٢١-١٢٢)<sup>(١)</sup>

الآية (١٢٦-١٢٣): يُخْبِرُ تَعَالَى عَمَّا تَوَعَّدُ بِهِ فِرْعَوْنُ لَعْنَهُ اللَّهُ السَّحَرَةُ لَمَّا آمَنُوا بِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَا أَظْهَرَهُ لِلنَّاسِ مِنْ كَيْدِهِ وَمَكْرِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرُتُهُ فِي الدِّينَةِ لِئُخْرِجُوا مِنَّا أَهْلَهَا﴾ أَي: إِنَّ عِلْبَةَ لَكُمْ فِي يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّمَا كَانَ عَنْ تَشَاوُرِكُمْ وَرِضَا مِنْكُمْ لذلِكَ؛ كَقَوْلِهِ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: ﴿إِنَّهُ لَكَيْبُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾ [طه: ٧١] وَهُوَ يَعْلَمُ وَكُلٌّ مِنْ لَبِّ أَنْ هَذَا الَّذِي قَالَهُ مِنْ أَبْطُلِ الْبَاطِلِ؛ فَإِنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِمَجْرَدِ مَا جَاءَ مِنْ «مَذِينٍ» دَعَا فِرْعَوْنَ إِلَى اللَّهِ، وَأَظْهَرَ الْمَعْجَزَاتِ الْبَاهِرَةَ وَالْحُجُجَ الْقَاطِعَةَ عَلَى صِدْقِ مَا جَاءَ بِهِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ أَرْسَلَ فِرْعَوْنَ فِي مَدَائِنِ مُلْكِهِ وَمُعَامَلَةِ سُلْطَتِهِ، فَجَمَعَ سَحَرَةً مُتَفَرِّقِينَ مِنْ سَائِرِ الْأَقْلَامِ بِبِلَادِ مِصْرَ، ثُمَّ اخْتَارَ هُوَ وَالْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ، وَأَحْضَرَهُمْ عِنْدَهُ وَوَعَدَهُمْ بِالْعِطَاءِ الْجَزِيلِ. وَقَدْ كَانُوا مِنْ أَحْرَصِ النَّاسِ عَلَى ذَلِكَ، وَعَلَى الظُّهْرِ فِي مَقَامِهِمْ ذَلِكَ وَالتَّغْلُمُ عِنْدَ فِرْعَوْنَ، وَمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَا يَعْرِفُ أَحَدًا مِنْهُمْ وَلَا رَأَى وَلَا اجْتَمَعَ بِهِ، وَفِرْعَوْنَ يَعْلَمُ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا قَالَ هَذَا تَسْتَرْثَا وَتَدْلِيْسًا عَلَى رَعَاةِ دَوْلَتِهِ وَجَهْلَتِهِمْ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَاسْتَحَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ﴾ [الزخرف: ٥٤]؛ فَإِنَّ قَوْمًا صَدَّقُوهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَكْبَرُ﴾ [الشجرات: ٢٤] مِنْ أَجْهَلِ خَلْقِ اللَّهِ وَأَضْلَاهُمْ!!

وقوله: ﴿لِيُخْرِجُوا مِنَّا أَهْلَهَا﴾ أَي: لِيَجْتَمِعُوا أَنْتُمْ وَهُوَ، وَتَكُونَ لَكُمْ دَوْلَةٌ وَصَوْلَةٌ، وَتُخْرِجُوا مِنْهَا الْأَكْبَارَ وَالرُّؤَسَاءَ، وَتَكُونَ الدَّوْلَةُ وَالتَّصَرُّفُ لَكُمْ، «فَسَوْفَ تَمُوتُونَ» أَي: مَا أَصْنَعُ بِكُمْ. ثُمَّ فَسَّرَ هَذَا الْوَعِيدَ بِقَوْلِهِ: ﴿لَأَقْطِلَنَّ آيَاتِيكُمْ وَأَزِيدَنَّكُمْ مِنْ خَلْفٍ﴾ يَعْنِي: يَقْطَعُ يَدَ الرَّجُلِ الْيَمْنَى وَرِجْلَهُ الْبَسْرَى أَوْ بِالْعَكْسِ، «ثُمَّ لَأُصَلِّتَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ». وَقَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: ﴿فِي جُدُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: ٧١] أَي: عَلَى الْجُدُوعِ.

وقول السحرة: ﴿إِنَّمَا إِلَهُ رَبِّنَا مُتَقَلِّبُونَ﴾ أَي: قَدْ تَحَقَّقْنَا أَنَّ إِلَهَهُ رَاجِعُونَ، وَعَذَابُهُ أَشَدُّ مِنْ عَذَابِكَ، وَنَكَالُهُ عَلَى مَا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَمَا أَكْرَهْنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ أَعْظَمُ مِنْ نَكَالِكَ، فَلْنَصْبِرَنَّ الْيَوْمَ عَلَى عَذَابِكَ لِنُخْلُصَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ؛ وَهَذَا قَالُوا: ﴿رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا سَبْرًا﴾ أَي: عُسْمًا بِالصَّبْرِ عَلَى دِينِكَ، وَالثَّبَاتِ عَلَيْهِ، «وَتَوْفَقًا مُسْلِمِينَ» أَي: مُتَابِعِينَ لِنَبِيِّكَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَقَالُوا لِفِرْعَوْنَ: «فَأَقِضْ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا» (١٢١) إِنَّمَا مَسَارِيرُنَا لِيُغْفِرَ لَنَا خَطِيئَتَنَا وَمَا أَكْرَهْنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (١٢٢) إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى (١٢٣) وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمْ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى (١٢٤-١٢٥) فَكَانُوا فِي أَوَّلِ النَّهَارِ سَحَرَةً، فَصَارُوا فِي آخِرِهِ شُهَدَاءَ بَرَزَةٍ!

الآية (١٢٧-١٢٩): يُخْبِرُ تَعَالَى عَمَّا تَمَالَأَ عَلَيْهِ فِرْعَوْنَ وَمَلَأُوهُ، وَمَا

أُضْمِرُوهُ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَوْمِهِ مِنَ الْأَذَى وَالْبَغْضَةِ: ﴿وَقَالَ الْكَلْبُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾ أَي: لِفِرْعَوْنَ «أَنْتَ ذُرْمُوسٌ وَقَوْمُهُ» أَي: أَنْتَ دُخْمٌ «لِيَقْسِدُوا فِي الْأَرْضِ» أَي: يَفْسِدُوا أَرْضَيْكَ وَيُدْعُوهُمْ إِلَى عِبَادَةِ رَبِّهِمْ دُونَكَ يَا اللَّهُ الْعَجَبُ! صَارَ هَؤُلَاءِ يُشْفِقُونَ مِنْ إِفْسَادِ مُوسَى وَقَوْمِهِ! أَلَا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ؛ وَهَذَا قَالُوا: ﴿وَيَذَرُكَ وَمَآلِهَتَكَ﴾، قَالَ بَعْضُهُمْ: «الْوَاوُ» هُنَا حَالِيَّةٌ، أَي: أَنْتَرُهُ وَقَوْمُهُ يَفْسِدُونَ وَقَدْ تَرَكَ عِبَادَتَكَ؟! وَقَالَ آخَرُونَ: هِيَ عَاطِفَةٌ، أَي: أَنْسَدَعَ مُوسَى يَصْنَعُ هُوَ وَقَوْمُهُ مِنَ الْفَسَادِ مَا قَدْ أَقْرَبَهُمْ عَلَيْهِ، وَعَلَى تَرْكِهِ الْهَتَكُ. وَقَرَأَ بَعْضُهُمْ: «لَا هَتَكَ» أَي: عِبَادَتَكَ، وَرُويَ ذَلِكَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٍ وَغَيْرِهِ. وَعَلَى الْقِرَاءَةِ الْأُولَى قَالَ بَعْضُهُمْ: كَانَ لِفِرْعَوْنَ إِلَهٌ يَعْبُدُهُ. قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: كَانَ لِفِرْعَوْنَ إِلَهٌ يَعْبُدُهُ فِي السَّرِّ.

فَأَجَابَهُمْ فِرْعَوْنَ فِيمَا سَأَلُوهُ بِقَوْلِهِ: «سَتَقِيلُ أَيْتَانَهُمْ وَتَسْتَقِيهِ يَسَاءَتُهُمْ»، وَهَذَا أَمْرٌ ثَانٍ بِهَذَا الصَّنِيعِ، وَقَدْ كَانَ نَكَلٌ بِهِمْ قَبْلَ وِلَادَةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ حَذَرًا مِنْ وَجُودِهِ، فَكَانَ خِلَافَ مَا زَامَهُ وَضَدَ مَا قَصَدَهُ فِرْعَوْنَ. وَهَكَذَا غَوِيلٌ فِي صَنِيعِهِ أَيْضًا لَمَّا أَرَادَ إِذْلالَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَقَهْرَهُمْ، فَجَاءَ الْأَمْرُ عَلَى خِلَافِ مَا أَرَادَ: أَعْرَضَ اللَّهُ وَأَذَلَّهُ، وَأَرْغَمَ أَنْفَهُ، وَأَغْرَقَهُ وَجُنُودَهُ.

وَلَمَّا صَمَّمَ فِرْعَوْنَ عَلَى مَا ذَكَرَهُ مِنَ الْمَسَاءَةِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا﴾، وَوَعَدَهُمْ بِالْعَاقِبَةِ، وَأَنَّ الدَّارَ نَصِيرٌ لَهُمْ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ أَرْضَ اللَّهِ يُوْرُثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (١٢٤) قَالُوا أَوْذَيْنَا مِنْ قَبْلُ أَنْ تَأْتِيَنَا وَبَرُّنَا مَا جِئْتَنَا؟ أَي: قَدْ جَرَى عَلَيْنَا مِثْلُ مَا رَأَيْتَ مِنَ الْهَوَانِ وَالْإِذْلالِ مِنْ قَبْلِ مَا جِئْتَ يَا مُوسَى، وَمِنْ بَعْدِ ذَلِكَ. فَقَالَ مُنِيبًا لَهُمْ عَلَى حَالِهِمُ الْخَاضِرِ وَمَا يَصِيرُونَ إِلَيْهِ فِي ثَانِي الْحَالِ: ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَذَابُكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾، وَهَذَا تَحْضِيضٌ لَهُمْ عَلَى الْعَزْمِ عَلَى الشُّكْرِ عِنْدَ حُلُولِ النِّعَمِ وَزَوَالِ النِّقَمِ.

الآية (١٣٠): يَقُولُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا مَالَ فِرْعَوْنَ﴾ أَي: اخْتَبَرْنَا هَمَّهُ وَامْتَحَنَّا هَمَّهُ وَابْتَلَيْنَاهُمْ «وَالْيَسِينَ» وَهِيَ سِنِي الْجُوعِ بِسَبَبِ قَلَّةِ الزَّرْعِ، «وَنَقَصَ مِنْ أَلْمَرَاتِ» قَالَ مُجَاهِدٌ: وَهُوَ دُونَ ذَلِكَ؛ «لَمَّا لَهُمْ يَذْكُرُونَ».

الآية (١٣٦-١٣٧): يخبر تعالى أنهم لَمَّا عَوَّاْ وَتَمَرَّدُواْ -مع ابتلائه إياهم بالآيات المتواترة واحدة بعد واحدة- انتقم منهم بإغراق إياهم في البحر، وهو البحر الذي قَرَّبَهُ لِمُوسَى، فجازوه وبنو إسرائيل معه، ثم



## ● الوقفات التدريبية

﴿ فَإِذَا جَاءَ نَهُمُ الْمَسْنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ ﴾

أي: نحن مستحقون لها، فلم يشكروا الله عليها. السعدي: ٣٠١.

السؤال: ما حال الكفار مع نعم الله عز وجل؟

﴿ فَإِذَا جَاءَ نَهُمُ الْمَسْنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ. وَإِنْ تُبَيِّنْهُمْ سَيِّئَةُ يَطِيرُوا يُمُوسَى ﴾

وَمِنْ مَعَهُ إِلَّا إِنَّمَا ظَنَرُوهُمْ عِنْدَ آيَةٍ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿

(ولكن أكثرهم لا يعلمون) أن ما لحقهم من القحط والشدائد إنما هو

من عند الله - عز وجل - بذنوبهم. القرطبي: ٣٠٨/٩.

السؤال: هل يدرك أكثر الناس سبب نزول العقوبات والمحن بهم؟

﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجُرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَاعَ وَالَّذِمَّ وَآلِيَّتٍ مُّفْضِلَتٍ

فَأَسْتَغِيثُوا وَكَانُوا قَوْمًا تُخْرِجُونَ ﴿

وسمى الله هاته آيات لأنها دلائل على صدق موسى: لاقتنائها بالتحدي،

ولأنها دلائل على غضب الله عليهم. ابن عاشور: ٧٠/٩.

السؤال: لماذا سمى الله تعالى الأمور المذكورة في الآية الكريمة آيات؟

﴿ فَأَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ يَأْتُهُمْ كَذِبًا وَيَأْتِيَنَا وَكَانُوا

عَنَّا غَافِلِينَ ﴿

(وكانوا عنها)...عن الآيات: أي: لم يعتبروا بها حتى صاروا كالغافلين

عنها. القرطبي: ٣١٥/٩.

السؤال: ما حقيقة الغفلة؟

﴿ فَأَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ يَأْتُهُمْ كَذِبًا وَيَأْتِيَنَا وَكَانُوا

عَنَّا غَافِلِينَ ﴿

أي: اغرقناهم جزاء على تكذيبهم بالآيات، والغفلة: ذهول ذهن عن

تذكر شيء... وأريد بها التغافل عن عمد: وهو الإعراض عن التفكير في

الآيات، وإبائية النظر في دلالتها على صدق موسى. ابن عاشور: ٧٥/٩.

السؤال: ما الغفلة التي وقع فيها قوم فرعون؟

﴿ وَارْزُقْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَمُونَ مِنْكَ الْأَرْضِ وَمَعْرِبَهَا

الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا ﴿

قد أخبر الله بأنه بارك في أرض الشام في آيات: منها قوله: (وارزقنا القوم

الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها).

ابن تيمية: ١٩٤/٣.

السؤال: هذه الآية الكريمة دليل على بركة أرض الشام، بين ذلك.

﴿ وَكَمَتَ كَيْتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ يَمَّا صَبَرُوا ﴿

يعني: بتمامها نفاذ ما وعدهم به من النصر على فرعون، وإهلاكه.

ابن تيمية: ١٩٤/٣.

السؤال: ما معنى تمام كلمة الله تعالى المذكورة في الآية الكريمة؟

فَإِذَا جَاءَ نَهُمُ الْمَسْنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ. وَإِنْ تُبَيِّنْهُمْ سَيِّئَةُ يَطِيرُوا يُمُوسَى وَمِنْ مَعَهُ إِلَّا إِنَّمَا ظَنَرُوهُمْ عِنْدَ آيَةٍ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠١﴾ وَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجُرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَاعَ وَالَّذِمَّ وَآلِيَّتٍ مُّفْضِلَتٍ فَأَسْتَغِيثُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣٠٢﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يُمُوسَى آدُغْ لَنَا رَبِّكَ يَمَا عَهْدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ بِكَ وَلَنَرِيَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَءِيلَ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بِلَعْنَةِ إِدَاهُمْ يَنْكَبُونَ ﴿٣٠٣﴾ فَأَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ يَأْتُهُمْ كَذِبًا وَيَأْتِيَنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿٣٠٤﴾ وَارْزُقْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَمُونَ مِنْكَ الْأَرْضِ وَمَعْرِبَهَا الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَكَمَتَ كَيْتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ يَمَّا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ فَرَعُونَ وَقَوْمَهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿٣٠٥﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
يَطِيرُوا	يَتَضَاعَمُوا.
طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ	مَا أَصَابَهُمْ مِنَ الْقَحْطِ بِقَدْرِ اللَّهِ.
وَالْقُمَّلُ	حُضْرَةٌ مَعْرُوفَةٌ سَلَطَتْ عَلَيْهِمْ بَكْرَةٌ فَافْسَدَتْ الثَّمَارَ وَقَضَتْ عَلَى الْحَيَوَانِ وَالنَّبَاتِ

## ● العمل بالآيات

١. أرسل رسالتك، أو الق كلمة تحذر فيها المجتمع من معاداة أولياء الله تعالى ودينهم، وقبل الله دعائهم عليهم، ﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يُمُوسَى آدُغْ لَنَا رَبِّكَ يَمَا عَهْدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ بِكَ ﴾.

٢. تذكر ثلاثة مواضع نصر الله فيها المؤمنين المستضعفين على عدوهم القوي، ﴿ وَارْزُقْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَمُونَ مِنْكَ الْأَرْضِ وَمَعْرِبَهَا الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَكَمَتَ كَيْتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ يَمَّا صَبَرُوا ﴾.

٣. تذكر ثلاث مصائب حديثة حلت بالمجتمع بسبب المجاهرة بالذنوب، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ﴿ فَأَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ يَأْتُهُمْ كَذِبًا وَيَأْتِيَنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾.

## ● التوجيهات

١. على الإنسان أن يشكر الله تعالى على نعمه، ويعلم أنه لا فضل له فيها، بل هي محض فضل الله تعالى، ﴿ فَإِذَا جَاءَ نَهُمُ الْمَسْنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ ﴾.

٢. من أكثر ما يضر ابن آدم: الكابرة والعاندة، ﴿ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّنُسَمِّرَ بِهَا فَمَا تَخِمْ لَكَ يَوْمَئِذٍ ﴾.

٣. احذر الغفلة عن آيات الله تعالى، فإنها سبب لنزول العقوبة والعذاب، ﴿ فَأَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ يَأْتُهُمْ كَذِبًا وَيَأْتِيَنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿ وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَمْكُونُونَ عَلَى أَسْنَانِهِمْ لَهُمْ قَالُوا يُنْمُو أَيْ جَعَلَ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ (إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ)؛ وأي جهل أعظم من جهل من جهل ربه وخالفه، وأراد أن يسوي به غيره ممن لا يملك نفعاً ولا ضرراً، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً! السعدي: ٣٠٢.

السؤال: ما أعظم الجهل؟ ولماذا؟

﴿ قَالُوا يُنْمُو أَيْ جَعَلَ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ وكان وصف موسى إياهم بالجهالة مؤكداً، لما دلت عليه الجملة الاسمية من كون الجهالة صفة ثابتة فيهم، وراسخت من نفوسهم، ولولا ذلك لكان لهم في بادي النظر زاجر عن مثل هذا السؤال. ابن عاشور: ٨٢/٩. السؤال: كيف دلت الآية الكريمة على أن الجهل قد يوصل إلى الشرك؟ ﴿ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ والمراد بالعالمين: أمم عصرهم، وتفضيلهم عليهم بأنهم ذرية رسول وأنبياء، وبيان منهم رسلاً وأنبياء، وبيان أنه هداهم إلى التوحيد والخلاص من دين فرعون بعد أن تخبطوا فيه، وبيانه جعلهم أحراراً بعد أن كانوا عبيداً، وساقهم إلى امتلاك أرض مبارك، وأيدهم بنصره وآياته، وبعث فيهم رسولا ليقم لهم الشريعة، وهذه الفضائل لم تجتمع لأمة غيرهم يومئذ. ابن عاشور: ٨٤/٩. السؤال: ما المراد بالعالمين في الآية الكريمة؟ وبما فضل الله تعالى بني إسرائيل على العالمين؟

﴿ وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَسْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ ولما ذهب موسى إلى ميقات ربه قال له هارون موصياً له على بني إسرائيل من حرصه عليهم وشقيقته: (اخلفني في قومي) أي: كن خليفتي فيهم، واعمل فيهم بما كنت تعمل، (وأصلح) أي: اتبع طريق الصلاح، (ولا تتبع سبيل المفسدين)؛ وهم الذين يعملون بالعاصي. السعدي: ٣٠٢.

السؤال: الأنبياء أكثر الناس شفقة وحرصاً على أقوامهم، وضح ذلك من خلال الآية.

﴿ وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَسْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ استخلف موسى على بني إسرائيل أخاه هارون، ووصاه بالإصلاح وعدم الإفساد، هذا تنبيه وتذكير، وإلا فهارون- عليه السلام- نبي شريف كريم على الله، له وجاهة وجلالة. ابن كثير: ٢٣٤/٢.

السؤال: كل الصالحين بحاجة إلى التذكير حتى الأنبياء -عليهم السلام- وضح ذلك.

﴿ وَلَكِنْ أَنْظِرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنَّ اسْتَقَرَّ مَكَانُهُ فَسَوْفَ تَرَنِّيَ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا ﴾ فإنه أكبر منك، وأشد خلقاً، فلما تجلّى ربه للجبل (فأنظر إلى الجبل لا يتمالك، وأقبل الجبل هذك على أوله، ورأى موسى ما يصنع الجبل: فخر صعباً. ابن كثير: ٢٣٥/٢).

السؤال: بينت الآية شيئا من عظمة الله، وضح ذلك. ﴿ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ بُنْتَ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ قيل: قال على جهة الإنابة إلى الله والخشوع له عند ظهور الآيات، واجمعت الأمة على أن هذه التوبة ما كانت عن معصية؛ فإن الأنبياء معصومون. القرطبي: ٤٣٩/١.

السؤال: هل الاستغفار لا يكون إلا من معصية؟

﴿ وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَمْكُونُونَ عَلَى أَسْنَانِهِمْ لَهُمْ قَالُوا يُنْمُو أَيْ جَعَلَ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ (إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ)؛ وأي جهل أعظم من جهل من جهل ربه وخالفه، وأراد أن يسوي به غيره ممن لا يملك نفعاً ولا ضرراً، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً! السعدي: ٣٠٢.

﴿ قَالُوا يُنْمُو أَيْ جَعَلَ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ وكان وصف موسى إياهم بالجهالة مؤكداً، لما دلت عليه الجملة الاسمية من كون الجهالة صفة ثابتة فيهم، وراسخت من نفوسهم، ولولا ذلك لكان لهم في بادي النظر زاجر عن مثل هذا السؤال. ابن عاشور: ٨٢/٩. السؤال: كيف دلت الآية الكريمة على أن الجهل قد يوصل إلى الشرك؟ ﴿ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ والمراد بالعالمين: أمم عصرهم، وتفضيلهم عليهم بأنهم ذرية رسول وأنبياء، وبيان منهم رسلاً وأنبياء، وبيان أنه هداهم إلى التوحيد والخلاص من دين فرعون بعد أن تخبطوا فيه، وبيانه جعلهم أحراراً بعد أن كانوا عبيداً، وساقهم إلى امتلاك أرض مبارك، وأيدهم بنصره وآياته، وبعث فيهم رسولا ليقم لهم الشريعة، وهذه الفضائل لم تجتمع لأمة غيرهم يومئذ. ابن عاشور: ٨٤/٩. السؤال: ما المراد بالعالمين في الآية الكريمة؟ وبما فضل الله تعالى بني إسرائيل على العالمين؟

﴿ وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَسْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ ولما ذهب موسى إلى ميقات ربه قال له هارون موصياً له على بني إسرائيل من حرصه عليهم وشقيقته: (اخلفني في قومي) أي: كن خليفتي فيهم، واعمل فيهم بما كنت تعمل، (وأصلح) أي: اتبع طريق الصلاح، (ولا تتبع سبيل المفسدين)؛ وهم الذين يعملون بالعاصي. السعدي: ٣٠٢.

السؤال: الأنبياء أكثر الناس شفقة وحرصاً على أقوامهم، وضح ذلك من خلال الآية.

﴿ وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَسْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ استخلف موسى على بني إسرائيل أخاه هارون، ووصاه بالإصلاح وعدم الإفساد، هذا تنبيه وتذكير، وإلا فهارون- عليه السلام- نبي شريف كريم على الله، له وجاهة وجلالة. ابن كثير: ٢٣٤/٢.

السؤال: كل الصالحين بحاجة إلى التذكير حتى الأنبياء -عليهم السلام- وضح ذلك.

﴿ وَلَكِنْ أَنْظِرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنَّ اسْتَقَرَّ مَكَانُهُ فَسَوْفَ تَرَنِّيَ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا ﴾ فإنه أكبر منك، وأشد خلقاً، فلما تجلّى ربه للجبل (فأنظر إلى الجبل لا يتمالك، وأقبل الجبل هذك على أوله، ورأى موسى ما يصنع الجبل: فخر صعباً. ابن كثير: ٢٣٥/٢).

السؤال: بينت الآية شيئا من عظمة الله، وضح ذلك. ﴿ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ بُنْتَ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ قيل: قال على جهة الإنابة إلى الله والخشوع له عند ظهور الآيات، واجمعت الأمة على أن هذه التوبة ما كانت عن معصية؛ فإن الأنبياء معصومون. القرطبي: ٤٣٩/١.

السؤال: هل الاستغفار لا يكون إلا من معصية؟

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
وَجَوَزْنَا	عَبَّرْنَا.
يَمْكُونُونَ	يُقِيمُونَ عَابِدِينَ.
إِلَهًا	صَنَمًا.
مُنِيرٌ	مُهَلِّدٌ.
يَسْؤُمُونَكُمْ	يُذَيِّقُونَكُمْ، وَيُكَلِّفُونَكُمْ.
لِمَقَاتِنَا	فِي الْوَقْتِ الَّذِي وَاعِدْنَاهُ فِيهِ.
صَعِقًا	مَغْشِيًا عَلَيْهِ.

## ● العمل بالآيات

١. اتق درساً، أو ارسل رسالة عن خطر الشرك بالله، واثره في بطلان العمل، ﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ مَثَرٌ مِّمَّا هُم بِهِ وَيَسْتَخْلِفُونَ ﴾.
٢. استخدم وسيلة حكيمة في تعليم من يقع في نوع من الشرك، ووجهه للحق، ﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ مَثَرٌ مِّمَّا هُم بِهِ وَيَسْتَخْلِفُونَ ﴾.
٣. قل: «سبحان الله ويحمده سبحان الله العظيم» مائة مرة، ﴿ قَالَ سُبْحَنَكَ بُنْتَ إِلَيْكَ ﴾.

## ● التوجيهات

١. أشد الجهل: الجهل بالتوحيد، ﴿ قَالُوا عَلَى قَوْمٍ يَمْكُونُونَ عَلَى أَسْنَانِهِمْ لَهُمْ قَالُوا يُنْمُو أَيْ جَعَلَ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾.
٢. المحافظة على المواعيد أمر محبوب للشارع، مرغّب فيه، وهو من سمات الصادقين، ﴿ وَوَعَدْنَا مُوسَى تَلْكَ لَيْلَةٍ وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فَرَسَاتٍ رِيبَ أَزْوَاجٍ لَيْلَةٍ ﴾.
٣. الإصلاح من سبل الأنبياء، فكن على نهج الأنبياء، ولا تتبع سبيل المفسدين، ﴿ وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَسْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾.

الله تعالى، وحصل له التكليم من الله، سأل الله تعالى أن ينظر إليه فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَنِي﴾.

وقد أشكل حرف «لن» ههنا على كثير من العلماء؛ لأنها موضوعة لنفي التأييد، فاستدل به المعتزلة على نفي الرؤية في الدنيا والآخرة. وهذا أضعف الأقوال؛ لأنه قد تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ بأن المؤمنين يرون الله في الدار الآخرة، كما [في قوله] تعالى: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ الْأَشْجَارُ أَنَّ لَهَا تَرْبَةً فَإِنَّهَا تَمُوتُ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]. وقوله تعالى إخباراً عن الكفار: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ﴾ [المطففين: ١٥].

وقيل: إنها لنفي التأييد في الدنيا، جمعاً بين هذه الآية، وبين السدليل القاطع على صحة الرؤية في الدار الآخرة. وقيل: إن هذا الكلام في هذا المقام كالكلام في قوله تعالى: ﴿لَا تَدْرِيكُمْ أَهْلَ الْبُيُوتِ وَمَنْ يُؤْتِيهِمُ الْيُسْرَ﴾ [الأنعام: ١٠٣]. وقد تقدم ذلك في الأنعام.

﴿فَلَمَّا تَخَلَّى مِنْهُ لُجُجٌ كَذَّبُوا عَنْهُمْ وَهَرَوْنَهُمْ سَوَاقًا﴾ عن أنس ابن مالك، عن النبي ﷺ في قوله: ﴿فَلَمَّا تَخَلَّى مِنْهُ لُجُجٌ كَذَّبُوا عَنْهُمْ وَهَرَوْنَهُمْ سَوَاقًا﴾ قال: قال هكذا؛ يعني أنه أخرج طرف الحنصر [رواه أحد الترمذي، وصححه الألباني].

وقال ابن عباس: ما تجلّى منه إلا قدر الحنصر. ﴿جَعَلَهُ دَكًّا﴾ قال: تراباً، ﴿وَحَرَّ مَوْسَى صَوَاقًا﴾ قال: مغشياً عليه. والمعروف أن «الصَّعَقَ» هو الغشي ههنا، كما فسره ابن عباس وغيره لا كما فسره قتادة بالموت؛ فهنا قرينة تدل على الغشي، وهي قوله: ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ﴾، والإفاقة لا تكون إلا عن غشي. ﴿قَالَ سُبْحَنَكَ﴾ تنزيها وتعظيماً وإجلالاً أن يراه أحد من الدنيا إلا مات.

وقوله: ﴿ثَبَّتْ إِلَيْكَ﴾ قال مجاهد: أن أسألك الرؤية. ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال ابن عباس ومجاهد: من بني إسرائيل. واختاره ابن جرير. وفي رواية أخرى عن ابن عباس: ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أنه لا يراك أحد. وكذا قال أبو العالية: قد كان قبله مؤمنون، ولكن يقول: أنا أول من آمن بك أنه لا يراك أحد من خلقك إلى يوم القيامة. وهذا قول حسن له النجاشي.

عن أبي سعيد الخدري، [مرفوعاً]: «لا تخبروني من بين الأنبياء؛ فإن الناس يسمعون يوم القيامة، فأكون أول من يفيق، فإذا أنا بموسى أخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أفاق قبل أم جُوزي بصعقة الطور» [متفق عليه]. وقوله ﷺ: «لا تخبروني على موسى» قيل: من باب التواضع. وقيل: قبل أن يعلم بذلك. وقيل: متى أن يُضَلَّ بينهم على وجه الغضب والتعصب. وقيل: على وجه القول بمجرد الرأي والتشبه، والله أعلم. وقوله: «فإن الناس يسمعون يوم القيامة» الظاهر أن هذا الصعق يكون في عرصات القيامة، يحصل أمر يصعقون منه، والله أعلم به. وقد يكون ذلك إذا جاء الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء، وتجلّى للخلائق الملك الديان؛ كما صمق موسى من تجلّى الرب تبارك وتعالى؛ ولهذا قال ﷺ: «فلا أدري أفاق قبل أم جُوزي بصعقة الطور».

الآية (١٣٨-١٣٩): يخبر تعالى عمّا قاله جهلة بني إسرائيل لموسى عليه السلام حين جاوزوا البحر، وقد رأوا من آيات الله وعظيم سلطانه ما رأوا: ﴿فَأَنزَا﴾ أي: فمروا ﴿عَلَى قَوْمٍ يَعْمَلُونَ عَلَىٰ آسَتَارٍ لَهُمْ﴾ قال بعض المفسرين: كانوا من الكنعانيين. وقيل: كانوا من لخم. قال ابن جريج: وكانوا يعبدون أصناماً على صور البقر، فلهم آثار ذلك شبهة لهم في عبادتهم المعجل بعد ذلك، فقالوا: ﴿يَتَمُوسَى أَجْعَلْ لَنَا إِلَٰهًا كَمَا هُمْ إِلَٰهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ أي: تجهلون عظمة الله وجلاله، وما يجب أن يُتَزَهَّ عنه من الشريك والمثيل.

﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ شُرَكَّاؤُكُمْ فِيهِ﴾ أي: هالك، ﴿وَيُطِلُّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾. وعن أبي واقد الليثي قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ قِبَل حُثَيْنَ، فمرزنا ببسرة، فقلت: يا نبي الله، اجعل لنا هذه ذات أنواط، كما للكفار ذات أنواط؛ وكان الكفار يتوطئون سلاحهم ببسرة، ويعكفون حولها. فقال النبي ﷺ: «الله أكبر، هذا كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَٰهًا كَمَا هُمْ إِلَٰهَةٌ﴾ إنكم تكونون سنن من قبلكم» [رواه أحد الترمذي، وصححه الألباني].

الآية (١٤٠-١٤١): يُذَكِّرهم موسى عليه السلام بنعمة الله عليهم، من إنقاذهم من أثر فرعون وقهره، وما كانوا فيه من الهوان والذلة، وما صاروا إليه من العزة والاشفاء من عدوهم، والنظر إليه في حال هوانه وهلاكه، وغرقه ودماره. وقد تقدم تفسيرها في البقرة (١).

الآية (١٤٢): يقول تعالى مُثَنِّاً على بني إسرائيل بما حصل لهم من الهداية، بتكليمه موسى عليه السلام وإعطائه التوراة، وفيها أحكامهم وتفاصيل شرعهم، فذكر تعالى أنه واعد موسى ثلاثين ليلة.

قال المفسرون: فصامها موسى عليه السلام فلما تم الميقات استاك بليحاء شجرة، فأمره الله تعالى أن يُكْوَل بِعَشْرِ أَرْبَعِينَ.

وقد اختلف المفسرون في هذه العشرة ما هي؟ فالأكثر على أن الثلاثين هي ذو القعدة، والعشر: عشر ذي الحجة؛ قاله مجاهد، ومسروق، وابن جريج، وروي عن ابن عباس. فعلى هذا يكون قد كَوَّلَ الميقات يوم النَّحْرِ، وحصل فيه التكليم لموسى عليه السلام، وفيه أكمل الله الدين لمحمد ﷺ، كما قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [الأنعام: ١٠٣].

فلما تم الميقات عزم موسى على الذهاب إلى الطور، كما قال تعالى: ﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ قَدْ أَفْجَيْتَكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَضَعْتُ لَكُمُ الْفَخْرَ الْأَيْمَنَ﴾ [الأنعام: ٨٠]. فحينئذ استخلف موسى على بني إسرائيل أخاه هارون، وأوصاه بالإصلاح وعدم الإفساد. وهذا تنبيه وتذكير، وإلا فهارون عليه السلام نبي شريف كريم على الله، له وجهة وجلالة، صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر الأنبياء.

الآية (١٤٣): يخبر تعالى عن موسى عليه السلام أنه لما جاء لميقات



وقوله: ﴿وَلَكَّا شَقِيطٌ آيَاتِهِمْ﴾ أي: ندما على ما فعلوا، ﴿وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ صَلُّوا قَائِلِينَ لَهُمْ إِنَّهُمْ كَافِرُونَ﴾ وقرأ بعضهم: ﴿لَئِنْ لَمْ تَرْحَمْنَا﴾ بالناء المثناة من فوق، «ربنا» مثنى، «وتغفر لنا»، «لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ» أي: من الهالكين؛ وهذا اعتراف منهم بذنبهم والتجاء إلى الله عز وجل.



## ● الوقفات التدبرية

﴿ قَالَ يَبُوءُونَ لِي أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ ﴾

يذكر تعالى أنه خاطب موسى بأنه اصطفاه على عالمي زمانه برسالاته وكلامه، ولا شك أن محمداً ﷺ سيد ولد آدم من الأولين والآخرين، ولهذا اختصه الله بأن جعله خاتم الأنبياء والمرسلين؛ الذي تستمر شريعته إلى قيام الساعة، واتباعه أكثر من اتباع الأنبياء كلهم. ابن كثير: ٢٣٦/٢.

السؤال: هل تدل الآية على تفضيل موسى على نبينا عليهما الصلاة والسلام؟

﴿ قَالَ يَبُوءُونَ لِي أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمِي ﴾

فلما منعه الله من رؤيته بعد ما كان متشوقاً إليها، اعطاه خيراً كثيراً.

السعدي: ٣٠٢.

السؤال: إذا حرم الله الصادق خيراً عوضه بخير آخر، كيف تستنبط هذه

القاعدة من هذه الآية؟

﴿ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾

(فخذها بقوة) أي: بجِد واجتهاد، وقيل: بقوة القلب، وصحة العزيمة؛

لأنه إذا أخذه بضعف النية، أده إلى الفتن. البغوي: ١٥٢/٢.

السؤال: بماذا أمرنا في أخذ الوحي وتلقيه؟

﴿ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾

فدل على أن هيماء أنزل حسن واحسن. ابن تيمية: ١٩٨/٣.

السؤال: التقرب إلى الله سبحانه باتباع الوحي على درجات، وضح ذلك

من الآية.

﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا

كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَيِّئَ الرَّشِدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا

وَإِنْ يَرَوْا سَيِّئَ آيَةٍ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ﴾

قال ابن عباس: «يريد: الذين يتجبرون على عبادي، ويحاربون أوليائي

حتى لا يؤمنوا بي»؛ يعني: ساصرفهم عن قبول آياتي، والتصديق بها؛

عوقبوا بحرمان الهداية لعنادهم للحق؛ كقولهم: (فلما زاعوا زاعاً الله

قلوبهم) (الصف: ٥٠، البغوي: ١٥٢/٢).

السؤال: ما أشد عقوبات المتكبرين؟

﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾

قال بعض السلف: لا ينال العلم حيي ولا مستكبر، وقال آخر: من لم

يصبر على ذل التعلم ساعة بقي في ذل الجهل أبداً. ابن كثير: ٢٣٧/٢.

السؤال: في هذه الآية بعض الآداب المتعلقة بطالب العلم، اذكر شيئاً منها.

﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾

إذا كان المصحف الذي كُتِب فيه طاهراً لا يمسه إلا البدن الطاهر،

فاللعاني التي هي باطن القرآن لا يمسه إلا القلوب المطهرة، وأما القلوب

المنجسة لا تمس حقائقه، فهذا معنى صحيح؛ قال تعالى: (ساصرف عن

آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق). قال بعض السلف: أمتنع

قلوبهم فهم القرآن. ابن تيمية: ١٩٨/٣.

السؤال: من خطورة التكبر أنه يؤدي إلى عدم فهم القرآن الكريم، بين ذلك.

قَالَ يَبُوءُونَ لِي أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمِي  
فَخُذْ مَا آتَيْنَاكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٦٨﴾ وَكَتَبْنَا  
لَهُ فِي الْأَنْوَاعِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ  
شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ  
دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٦٩﴾ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ  
فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا  
وَإِنْ يَرَوْا سَيِّئَ الرَّشِدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَيِّئَ  
آيَةٍ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا  
وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٧٠﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا  
وَلَقَاءَ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا  
يَعْمَلُونَ ﴿١٧١﴾ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ خُلَائِفِهِمْ  
عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلْمَزُواهُ لَبَّ كَلِمَةً  
وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٧٢﴾  
وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ  
لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٧٣﴾

١٦٨

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
الأنواع	أنواع الثوراة.
حَبِطَتْ	بَطَلَتْ.
خُلَائِفِهِمْ	ذُهِبِهِمْ.
خُورٌ	صوت يُسمَع؛ كَصَوْتِ الْبَقَرِ.
سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ	نَدِمُوا.

## ● العمل بالآيات

١. اتبع اليوم وسيلة جديدة تزيد من جديتك في أخذ كتاب الله؛ مثل العزم

على العمل بما قرأت، وشكر الله على تحبيب كتاب الله لك، ﴿ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ

قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا ﴾.

٢. تذكر خمسا من نعم الله عليك، ثم اشكر الله تعالى عليها، ﴿ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾.

٣. استعذ بالله تعالى أن يصرف قلبك عن ذكره وفهم كتابه، ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ

الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا ﴾.

## ● التوجيهات

١. من أقوى عوامل الصرف عن فهم آيات الله: الكبر، ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ

يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾.

٢. تقبيل الغباء، والجمود، وعدم تفكير الإنسان في حاله وواقعه، وما حوله،

﴿ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يَكْفِيهِمْ وَلَا يُجْلِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴾.

٣. إذا أراد الله بعبده خيراً ألهمه التوبة بعد العصية، فندم واستغفر،

﴿ وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ

لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾.



## ● الوقفات التدريبية

﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَنَ أَيُّهَا قَالَ يَأْسَا خَلْقُوتِي مِن بَعْدِي ۖ لَتَمَنَّا بِغَيْرِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَكَمَالَ نَصَحِهِ وَشَفَقَتِهِ. السعدي: ٣٠٣.

السؤال: ما سبب غضب موسى وأسفه عليه السلام؟

﴿ أَعْيَنْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ ﴾

والعجلة: التقدم بالشئ قبل وقته، وهي مذمومة، والسرعة: عمل الشئ في أول أوقاته، وهي محمود. القرطبي: ٣٣٨/٩.

السؤال: ما الفرق بين العجلة والسرعة؟ وإيهما الحمود؟

﴿ قَالَ أَيْنَ أُمُّ إِدْرِ الْقَوْمِ اسْتَضَعُّوا وَقَادُوا بِقُلُوبِهِمْ ۖ ﴾

وإنما قال (ابن أم) ليكون أرق وأنجع عنده، وإلا فهو شقيقه لأبيه وأمه. ابن كثير: ٢٣٨/٢.

السؤال: الصالحون يختارون أحسن الأنفاظ للوصول إلى المقصود، وضح ذلك من الآية.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْوَلَدَ الْأَوَّلَ سَيِّئًا لَّهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ۖ ﴾

اعقبهم ذلك ذلاً وصغاراً في الحياة الدنيا، وقوله: (وكذلك نجزي المفتريين) نائلة لكل من افتري بديعاً، فإن ذل البدعة ومخالفة الرشد متصلان من قلبه على كفتيه، كما قال الحسن البصري: «إن ذل البدعة على اكتافهم؛ وإن هملجت بهم البغلات، وطلقت بهم البراذين...» وقال سفيان بن عيينة: كل صاحب بدعة ذليل. ابن كثير: ٢٣٨/٢.

السؤال: ما عاقبة الابتداع في الدين؟

﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَابَ ۖ وَفِي سُحُبٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْتَمُونَ ۖ ﴾

قال سهل بن عبد الله: «واصل كل خير في الدنيا والآخرة الخوف من الله». ويدل على ذلك قوله تعالى: (ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح) وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون. ابن تيمية: ٢٠٨/٣.

السؤال: أصل كل خير في الدنيا والآخرة الخوف من الله تعالى، بين ذلك من الآية الكريمة.

﴿ أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا ۖ ﴾

أي: أتهلكنا وتهلك سائر بني إسرائيل بما فعل السفهاء الذين طلبوا الرؤية حين قالوا: أرنا الله جهره، والذين عبدوا العجل - فمعنى هذا إلقاء بحجته، وتبرؤ من فعل السفهاء، ورغبة إلى الله أن لا يعم الجميع بالعقوبة. ابن جزي: ٣٨/١.

السؤال: من أشد المخاطر على المجتمع ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وضح ذلك من الآية.

﴿ إِنَّ هِيَ إِلَّا فِتْنَتَا نُفُسٍ بَآ مِّنْ نَّفْسٍ وَتَهْوَىٰ مِّنْ نَّفْسٍ ۖ ﴾

أي: محنتك، واختبارك، وإبتلاؤك، كما ابتليت عبادك بالחסنات والسيئات ليتبين الصبار الشكور من غيره، وابتليتهم بإرسال الرسل وإنزال الكتب ليتبين المؤمن من الكافر، والصادق من الكاذب، والمنافق من الخالص، فتجعل ذلك سبباً لضلالة قوم وهدى آخرين. ابن تيمية: ٢٠٨/٣.

السؤال: ما الحكمة من الابتلاء والامتحان بالחסنات والسيئات؟

وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَنَ أَيُّهَا قَالَ يَأْسَا خَلْقُوتِي مِن بَعْدِي ۖ لَتَمَنَّا بِغَيْرِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَكَمَالَ نَصَحِهِ وَشَفَقَتِهِ. السعدي: ٣٠٣.

﴿ أَعْيَنْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ ﴾

والعجلة: التقدم بالشئ قبل وقته، وهي مذمومة، والسرعة: عمل الشئ في أول أوقاته، وهي محمود. القرطبي: ٣٣٨/٩.

﴿ قَالَ أَيْنَ أُمُّ إِدْرِ الْقَوْمِ اسْتَضَعُّوا وَقَادُوا بِقُلُوبِهِمْ ۖ ﴾

وإنما قال (ابن أم) ليكون أرق وأنجع عنده، وإلا فهو شقيقه لأبيه وأمه. ابن كثير: ٢٣٨/٢.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْوَلَدَ الْأَوَّلَ سَيِّئًا لَّهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ۖ ﴾

اعقبهم ذلك ذلاً وصغاراً في الحياة الدنيا، وقوله: (وكذلك نجزي المفتريين) نائلة لكل من افتري بديعاً، فإن ذل البدعة ومخالفة الرشد متصلان من قلبه على كفتيه، كما قال الحسن البصري: «إن ذل البدعة على اكتافهم؛ وإن هملجت بهم البغلات، وطلقت بهم البراذين...» وقال سفيان بن عيينة: كل صاحب بدعة ذليل. ابن كثير: ٢٣٨/٢.

﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَابَ ۖ وَفِي سُحُبٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْتَمُونَ ۖ ﴾

قال سهل بن عبد الله: «واصل كل خير في الدنيا والآخرة الخوف من الله». ويدل على ذلك قوله تعالى: (ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح) وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون. ابن تيمية: ٢٠٨/٣.

﴿ أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا ۖ ﴾

أي: أتهلكنا وتهلك سائر بني إسرائيل بما فعل السفهاء الذين طلبوا الرؤية حين قالوا: أرنا الله جهره، والذين عبدوا العجل - فمعنى هذا إلقاء بحجته، وتبرؤ من فعل السفهاء، ورغبة إلى الله أن لا يعم الجميع بالعقوبة. ابن جزي: ٣٨/١.

﴿ إِنَّ هِيَ إِلَّا فِتْنَتَا نُفُسٍ بَآ مِّنْ نَّفْسٍ وَتَهْوَىٰ مِّنْ نَّفْسٍ ۖ ﴾

أي: محنتك، واختبارك، وإبتلاؤك، كما ابتليت عبادك بالחסنات والسيئات ليتبين الصبار الشكور من غيره، وابتليتهم بإرسال الرسل وإنزال الكتب ليتبين المؤمن من الكافر، والصادق من الكاذب، والمنافق من الخالص، فتجعل ذلك سبباً لضلالة قوم وهدى آخرين. ابن تيمية: ٢٠٨/٣.

﴿ مَا الْحِكْمَةُ مِنَ الْإِبْتِلَاءِ وَالْإِمْتِحَانِ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ؟ ﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
أَيْسَا	حزيناً.
سَكَتَ	سكن.
لِيَقَاتِنَا	للوقت والأجل الذي وأعدناه فيه.
الرَّجْفَةُ	الزلزلة الشديدة.

## ● العمل بالآيات

١. إن تعرضت هذا اليوم لموقف يفضيك فتوضاً، واجلس إن كنت قائماً، واستعد بالله تعالى من الشيطان الرجيم، ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَنَ أَيُّهَا قَالَ يَأْسَا خَلْقُوتِي مِن بَعْدِي ۖ لَتَمَنَّا بِغَيْرِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَكَمَالَ نَصَحِهِ وَشَفَقَتِهِ. السعدي: ٣٠٣.
٢. استغفر الله تعالى وتب إليه مما اقترفت من الأخطاء والسيئات، ﴿ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِهَا أَمْأَنُوا إِنَّ رَبَّكَ لَبَدُءُ الْعَفْوَ رَحِيمٌ ۖ ﴾.
٣. ادع وتضرع إليه أن لا يؤاخذنا بما فعل السفهاء منا، ﴿ أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا ۖ ﴾.
٤. لا فتنك فتنك من نكته وتهوى من نكته أنت ولينا فأغفر لنا وأرحمنا وأنت خير الغافرين. ﴿ وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ۖ ﴾.

## ● التوجيهات

١. للاع ان يعاتب اخاه المسلم، ولكن بعيداً عن سمع المتربصين بالإسلام، وشمااتهم، ﴿ فَلَا تُشْجِتْ فِي الْأَعْدَاءِ ۖ ﴾.
٢. صاحب البدعة والشرك تغشاه الذلّة، ولو تظاهر بالهزة بجاهه او ماله، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْوَلَدَ الْأَوَّلَ سَيِّئًا لَّهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ۖ ﴾.
٣. ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر موجب لدمار المجتمع وخرابه، ﴿ فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلَ وَإِنِّي أَتَّهِلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا ۖ ﴾.

القصة بقوله: ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ﴾ أي: يا محمد، يا رسول التوبة ونبي الرحمة، ﴿يَوْمَ بَعْدَهَا﴾ أي: من بعد تلك الفعلة ﴿لَعَنُوهُ رَجِيمٌ﴾. وروى ابن أبي حاتم عن عبد الله ابن مسعود أنه سئل عن الرجل يزي بالمرأة، ثم يَتَوَجَّهْهَا فلا هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ يَوْمَ بَعْدَهَا لَعَنُوهُ رَجِيمٌ﴾، فلاها عبد الله عشر مرات، فلم يأمرهم بها ولم يَنْهَهُمْ عنها [قال حنن عمدة التفسير: (إسناده صحيح)].

الآية (١٥٤): يقول تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْفَضْبُ﴾ أي: غضبه على قومه ﴿أَخَذَ الْأَلْوَابُ﴾ أي: التي كان ألقاها من شدة الغضب على عبادتهم العجل غير الله وغضبا له، ﴿وَفِي تَشْخِيطِهَا هُدًى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ يَهْتَدُونَ﴾ فقد أخبر تعالى أنه لَمَّا أَخَذَهَا بعد ما ألقاها وَجَدَ فيها هدى ورحمة ﴿لِلَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ يَهْتَدُونَ﴾ ضَمَّنَ الرحمة معنى الخسوع؛ ولهذا عدّها باللام.

الآية (١٥٥): قال ابن عباس في تفسير هذه الآية: كان الله أمره أن يختار من قومه سبعين رجلاً، فاختر سبعين رجلاً فَرَزَ بهم ليدعوا ربهم، فكان فيما دَعَا الله قالوا: اللهم أعطنا ما لم نَعْطِهِ أَحَدًا قبلنا ولا نُعْطِهِ أَحَدًا بعدنا! فَكَرَهُ الله ذلك من دعائهم، فاخذهم الرَّجفة، قال موسى: ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَرَائِي﴾ الآية. وقال السدي: إن الله أمر موسى أن يأتيه في ناس من بني إسرائيل، يعتدون إليه من عبادة العجل، وَوَعَدَهُمْ مَوْعِدًا، وَكَانَ ذَلِكَ مَوْعِدَهُمْ سَبْعِينَ رَجُلًا على عينه، ثم ذهب بهم ليعتدروا. فلَمَّا اتَّوَا ذلك المكان قالوا: لن نؤمن لك يا موسى حتى نرى الله جهرَةً، فإنك قد كلمته، فَأَرْنَاهُ، فاخذتهم الصاعقة فماتوا، فقام موسى يبكي، ويدعو الله ويقول: رب، ماذا أقول لبني إسرائيل إذا أتيتهم وقد أهلكك خيارهم، ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَرَائِي﴾.

وقال ابن عباس ومجاهد وقادة وابن جُرَيْج: إنما أخذتهم الرجفة لأنهم لم يُزِيلُوا قومهم في عبادتهم العجل ولا تَهَوَّوْهُم، وَيَتَوَجَّهْ هذا القول بقول موسى: ﴿أَتَيْتُكُمْ بِمَا فَضَّلَ السَّفَهَاءُ مِنِّي﴾.

وقوله: ﴿هَٰؤُلَاءِ لَمْ يَرْزُقُوا إِلَّا وَإِنَّا لَكُنَّا﴾ أي: ابتلاؤك وامتحانك واختبارك. قاله ابن عباس، وسعيد بن جبير، وغير واحد من علماء السلف والخلف. ولا معنى له غير ذلك؛ يقول: إِنَّ الْأَمْرَ إِلَّا أَمْرُكَ، وَإِنَّ الْحَكْمَ إِلَّا لَكَ، فَمَا شِئْتَ كَانَ، تَهَيَّأَ من تشاء، وتهدى من تشاء، ولا هادي لمن أضللت، ولا مُضِلٌّ لمن هَدَيْتَ، ولا مُعْطِي لِمَا تَمَنَّى، ولا مانع لِمَا أُعْطِيَ، فالملك كله لك، والحكم كله لك، لك الخلق والأمر.

وقوله: ﴿أَنْتَ وَلِيًّا فَاعْفُورٌ لَنَا وَارْحَمًا وَأَنْتَ حَزِيرُ الْغَفُورِينَ﴾ الغفور هو: السَّيِّئُ، وترك المؤاخذه بالذنوب، والرحمة إذا قُرِئَتْ مع العَفْوِ، يُرَادُ بها ألا يُوقِعَ في مثله في المستقبل، ﴿وَأَنْتَ حَزِيرُ الْغَفُورِينَ﴾ أي: لا يغفر الذنوب إلا أنت.

الآية (١٥٠-١٥١): يخبر تعالى أن موسى عَلَيْهِ السَّلَام رجع إلى قومه من مناجاة ربه تعالى وهو غضبان أَيْسَف. قال أبو الدرداء «الْأَسَفُ: أشدُّ الغضب». ﴿قَالَ يَنْسَا خَلْقَتُونِي مِنْ بَعْدِي﴾ يقول: بش ما صنعت في عبادتكم العجل بعد أن ذهبت وتركتكم.

وقوله: ﴿أَعْلَيْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ يقول: استعجلتم مجيئي إليكم، وهو مقدر من الله تعالى؟ وقوله: ﴿وَأَلْقَى الْأَلْوَابَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾ في هذا دلالة على ما جاء في الحديث: «ليس الخبر كالمعاينة» [رواه أحمد، وصححه إسناده أحمد شاكر]. ثم ظاهر السياق أنه إنما ألقى الألواح غَضَبًا على قومه، وهذا قول جمهور العلماء سَلَفًا وخَلْفًا.

وقوله: ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾ خوفًا أن يكون قد قَصَرَ في نهيهم؛ كما قال في الآية الأخرى: ﴿قَالَ يَهْرُونَ مَا مَنَّكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ سَبَلُوا ﴿١٥٦﴾ أَلَّا تَتِمَّعِنَ أَفْعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿١٥٧﴾ قَالَ يَنْتُمْ لَا تَأْخُذْ بِمِثْقَلِ ذَرَّةٍ لِي إِلَى حَيْثُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْفَعْ قَوْلِي﴾ [طه: ٩٢-٩٤]، وقال ههنا: ﴿إِنَّ أُمَّ إِيَّا الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِئْتُمْ بِكَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلَنِي مَعَ الظَّالِمِينَ﴾ أي: لا تُسَفِّنِي مَسَاقِمَهُمْ، ولا تجعلني معهم. وإنما قال: ﴿إِنَّ أُمَّ﴾ لتكون أَرْقَى وَكَبَّجَ عنده، وإلا فهو شقيقه لأبيه وأمه. فلَمَّا تَحَقَّقَ موسى عَلَيْهِ السَّلَام براءة ساحة هارون عَلَيْهِ السَّلَام؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَمَنْ هَرُونَ مِنْ قَبْلِ يَنْقُورِ لِمَآ فَعَيْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبَعُونِي وَاتَّبَعُوا أَمْرِي﴾ [طه: ٩٠]، فعند ذلك قال موسى: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾. وروى ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَرْحَمُ اللهُ مُوسَى، لَيْسَ الْمُسَامَيْنِ كَالْمُسْخَرِ؛ أَخْبَرَهُ رَبُّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّ قَوْمَهُ قَتَلُوا بَعْدَهُ قَلَمَ يُلْقِي الْأَلْوَابَ، فَلَمَّا رَأَاهُمْ وَعَايَنَهُمْ أَلْقَى الْأَلْوَابَ» [أخرجه أحمد، والحاكم وصححه الألباني].

الآية (١٥٢-١٥٣): أما الغضب الذي نال بني إسرائيل في عبادة العجل فهو: أن الله تعالى لم يقبل لهم توبة حتى قَتَلَ بعضهم بعضًا؛ كما تقدَّم في سورة البقرة: ﴿فَتَوَلَّوْا إِلَى بَارِيكُمْ فَاقُولُوا نَفْسُكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٥٤]. ﴿وَذَلَّةٌ فَأَقْبَهُمُ ذَلِكَ ذُلًا وَصَغَارًا﴾ في الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ نائلة لكل من افترى بدعة؛ فَإِنَّ ذُلَّ البدعة ومخالفة الرشد مُنْصِلَةٌ من قَلْبِهِ على كُتْفِهِ؛ كما قال الحسن البصري: إِنَّ ذُلَّ البدعة على أكتافهم، وإن هَمَلَجَتْ بهم البغلات، وطفقت بهم البراذين. وهكذا روى أبواب السَّخِيَانِي، عن أبي قِلَابَةَ الْجَرْمِي، أنه قرأ هذه الآية: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ قال: هي والله لكل مُفْتَرٍ إلى يوم القيامة. وقال سفيان بن عيينة: كل صاحب بدعة ذليل.

ثم تَبَّه تعالى عباده وأرشدهم إلى أنه يقبل توبة عباده من أي ذنب كان، حتى ولو كان من كُفْرٍ أو شرك أو نفاق أو شقاق؛ ولهذا عَقَّبَ هذه

وقوله تعالى: ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾<sup>١</sup>  
هذه صفة الرسول صلوات الله وسلامه عليه في الكتب المتقدمة،  
وهكذا كانت حاله عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لا يأمر إلا بخير، ولا ينهى إلا عن شر.  
ومن أهم ذلك وأعظمه؛ ما بعثه الله تعالى به من الأمر بعبادته وحده لا  
شريك له، والنهي عن عبادة من سواه، كما أرسل به جميع الرسل قبله؛  
كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ  
وَجِئْنَا بِالنَّاصِرِ﴾ [النحل: ٣٦].



## ● الوقفات التدريبية

● ﴿وَرَحِمَنِي وَسِعَتْ كُلُّ شَيْءٍ﴾

عمت كل شيء؛ قال الحسن وقتادة: وسعت رحمته في الدنيا البر والفاجر، وهي يوم القيامة للمتقين خاصة. البغوي: ١٥٧/٢.

السؤال: رحمة الله لمن تكون في الدنيا؟ ومن تكون في الآخرة؟

● ﴿فَسَأْكُنْهَا لِلَّذِينَ يَقُولُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾

أي: يؤمنون بجميع الكتب والأنبياء، وليس ذلك لغير هذه الأمة. ابن جزي: ٣١٩/١.

السؤال: لم كانت هذه الآية بشارة لهذه الأمة دون غيرها؟

● ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾

ومن تمام الإيمان بآيات الله: معرفتها معناها، والعمل بمقتضاها، ومن ذلك اتباع النبي ﷺ ظاهراً وباطناً، في أصول الدين وفروعه. السعدي: ٣٠٥.

السؤال: ما علامات الإيمان بآيات الله؟

● ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُونًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾

فإن أميته لم تكن من جهة فقد العلم والقراءة عن ظهر قلب؛ فإنه إمام الأئمة في هذا، وإنما كان من جهة أنه لا يكتب ولا يقرأ مكتوباً.

ابن تيمية: ٣/٢١٠.

السؤال: من أي جهة كانت أمية النبي ﷺ؟

● ﴿وَيَسَّخِعُهُمْ بِصِرْطِهِمْ وَالْأَعْلَلُ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾

الإصر: الثقل... فإن بني إسرائيل قد كان أخذ عليهم عهداً أن يقوموا بأعمال ثقال؛ فوضع عنهم بمحمد ﷺ ذلك العهد، وثقل تلك الأعمال؛ فكفلس البول، وتحليل الغنائم، ومجالسة الحائض، ومؤاكلتها.

القرطبي: ٣٥٦/٩.

السؤال: بين عظيم رحمة الله تعالى بهذه الأمة حيث وضع عنها الأصار والأثقال.

● ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

(هالدين آمنوا به) أي: بمحمد ﷺ، (وعزروه)؛ وقروه، (ونصروه)؛ على الأعداء، (واتبعوا النور الذي أنزل معه)؛ يعني: القرآن، (أولئك هم المفلحون). البغوي: ٣١٥٩/٢.

السؤال: ما صفات المفلحين في كتاب الله تعالى؟

● ﴿وَمِنْ قَوْمٍ مُّوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾

وكان الإتيان بهذه الآية الكريمة فيه نوع احتراز مما تقدم؛ فإنه تعالى ذكر فيما تقدم جملة من معايير بني إسرائيل النافية للكمال، المناقضة للهداية، فربما قوهم متوهم أن هذا يعم جميعهم؛ فذكر تعالى أن منهم طائفة مستقيمة، هادية مهديّة. السعدي: ٣٠٦.

السؤال: ما وجه الإتيان بمدح طائفة من قوم موسى في سياق الآيات التي تدمهم؟

وَأَكْتُبُ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا إِلَيْكَ قَالِعْدَابٍ أَصِيبُ بِهِ مِنْ أَسَاءَةٍ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكُنْهُمْ لِلَّذِينَ يَقُولُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُونًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُخْلِجُ لَهُمُ الظُّلُمَاتِ وَيَحْدِهِمْ عَلَىٰ نَهْجٍ الْمُسْتَقِيمِ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَإِذْ زَيْدَتْ أَعْيُنُهُمْ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٨﴾ قُلْ يَتَّبِعْنِي أَلْفٌ مِنَ النَّاسِ بِإِذْنِ رَسُولِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيُّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَأْمُرُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنْ قَوْمٍ مُّوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿٢٠﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المراد
هُدًى	رَجَعْنَا قَائِلِينَ إِلَيْكَ
الْأُمِّيَّ	الَّذِي لَا يَصْرُفُ وَلَا يَكْتُبُ
إِصْرُهُمْ	مَا كُفِّلُوهُ مِنَ الْأَعْمَالِ الشَّاقَّةِ
وَعَزَّرُوهُ	وَقَرُّوهُ، وَعَظَّمُوهُ

## ● العمل بالآيات

١. اقرأ كتاباً، أو مقالا تعرف فيه على شمائل النبي ﷺ وصفاته، ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُونًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾.
٢. تذكر سنة كنت غافلاً عنها من سنن النبي ﷺ، وطبقها، ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾.
٣. درب نفسك اليوم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولو على صديقك أو أحد من اهلك، ﴿يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾.

## ● التوجيهات

١. تقوى الله، وأداء الزكاة والصدقات سبب لحصول الرحمة، ﴿فَسَأْكُنْهَا لِلَّذِينَ يَقُولُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾.
٢. ما أحله الله لك فهو الطيب المناسب لك، وما حرمه عليك ففيه الفساد العاجلة والأجلية، ﴿وَيُخْلِجُ لَهُمُ الظُّلُمَاتِ وَيَحْدِهِمْ عَلَىٰ نَهْجٍ الْمُسْتَقِيمِ﴾.
٣. من أراد الهداية العامة والخاصة، العاجلة والأجلية، فليلتزم اتباع الحبيب ﷺ بالأدلة الصحيحة، ﴿وَأَتَّبِعُوا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿ وَظَلَمْنَا عَلَيْهِمُ الْقَتْلَ وَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ أَنْ تَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (وما ظلمونا) حين لم يشكروا الله، ولم يقيموا بما أوجب الله عليهم، (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) حيث فوئطوا كل خير، وعرضوها للشر والنعمة، السعدي: ٣٠٦.

السؤال: بينت الآية نوعاً من أنواع ظلم النفس، فما هو؟

﴿ قَبَدَلُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنْ السَّمَاءِ يَمَّا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴾

ووقع في هذه الآية: (فبدل الذين ظلموا منهم)، (ولم يقع لفظ: منهم) في سورة البقرة، ووجه زيادتها هنا: التصريح بأن تبديل القول لم يصدر من جميعهم، وأجمل ذلك في سورة البقرة: لأن آية البقرة لما سبقت مساق التوبيخ ناسب إرهابهم بما يوهم أن الذين فعلوا ذلك هم جميع القوم؛ لأن تبعات بعض القبيلة تحمل على جماعتها، ابن عاشور: ١٤٥/٩.

السؤال: لماذا جاء لفظ (منهم) في الآية الكريمة، ولم يأت في آية سورة البقرة؟

﴿ قَبَدَلُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ ﴾

وإذا بدّلوا القول مع يسره وسهولته؛ فتبديلهم للقول من باب أولى، السعدي: ٣٠٦.

السؤال: في الآية إشارة إلى تعود ظلمة اليهود على مخالفة الأوامر الربانية، وضح ذلك.

﴿ قَبَدَلُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنْ السَّمَاءِ يَمَّا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴾

إذا أنعم الله على عبد أو أمة نعمة ثم لم يشكروا تسلب منه أحب أم كره

وكأننا من كان. الجزائري: ٢٥٢/٢.

السؤال: بين خطورة عدم شكر النعمة من خلال الآية.

﴿ وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ جِثَاتُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَكًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ بَلَّوْنَهُمْ يَمَّا كَانُوا يَقْسُونَ ﴾

في هذه الآية مزجعة عظيمة للمتعاظين الحيل على المناهي الشرعية من يتلبس بعلم الفقه وليس بفقيه؛ إذ الفقيه من يخشى الله تعالى في الربويات، والتحليل باستعارة المحلل للمطلقات، والخلع لحل ما نزل من المطلقات المعلقة، إلى غير ذلك من عظام ومصابب؛ لو اعتمد بعضها مخلوق في حق مخلوق لكان في نهاية القبح، فكيف في حق من يعلم السر وأخفى؟ ابن تيمية: ٢١٥/٣.

السؤال: في ضوء الآية الكريمة: بين خطورة التحايل على الشريعة.

﴿ وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ جِثَاتُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَكًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ بَلَّوْنَهُمْ يَمَّا كَانُوا يَقْسُونَ ﴾

فاخبر أنه بلاهم بفسوقهم؛ حيث أتى بالحيثان يوم التحريم، ومنعها يوم الإباحة؛ كما يؤتى المحرم المبتلى بالصعيد يوم إحرامه، ولا يؤتى به يوم حله، أو يؤتى بمن يعامله ربا، ولا يؤتى بمن يعامله بيعا. ابن تيمية: ٢١٥/٣.

السؤال: بين كيف كان فسق أهل القرية سبباً في ابتلائهم.

﴿ وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ ﴾

وكانوا يقولون: نحن أبناء الله وأحباؤه؛ لأننا من سبط خليله إبراهيم، ومن سبط إسرائيل وهم بكر الله، ومن سبط موسى كليم الله، ومن سبط ولده عزيز، فنحن من أولادهم، فقال الله - عز وجل - لنبيه: سلم يا محمد عن القرية؛ أما عذبتهم بذنوبهم؟ وذلك بتغيير فرع من فروع الشريعة. القرطبي: ٣٦٢/٩.

السؤال: القرابة من الأنبياء لا تمنع عقوبة الله سبحانه لن عصى، وضح ذلك من الآية.

وَقَطَعْنَاهُمْ أَثْنَ عَشْرَ أَصْبَاطًا أَمْثَلًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ يَضِرَّ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَا عَشْرَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَهُمْ وَظَلَمْنَا عَلَيْهِمُ الْقَتْلَ وَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ أَنْ تَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٥﴾

وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَعْفِ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ سَرِيدَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾

قَبَدَلُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنْ السَّمَاءِ يَمَّا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾

وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ جِثَاتُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَكًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ بَلَّوْنَهُمْ يَمَّا كَانُوا يَقْسُونَ ﴿٣٨﴾

## ● معاني الكلمات

المعنى	الكلمة
فَرَقْنَاهُمْ.	وَقَطَعْنَاهُمْ
فَانْفَجَرَتْ، الْإِنْجَاسُ أَوَّلُ الْإِنْفِجَارِ.	فَانْبَجَسَتْ
يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ	يَعْدُونَ بِالصَّيْدِ فِي يَوْمِ السَّبْتِ، وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْهِمْ.
ظَاهِرَةٌ عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ.	شُرَكًا
فِي غَيْرِ يَوْمِ السَّبْتِ.	لَا يَسْبِتُونَ

## ● العمل بالآيات

١. تدرب على الترتيب، وضع جدولاً أسبوعياً لأعمالك واحتياجاتك، ﴿ وَقَطَعْنَاهُمْ أَثْنَ عَشْرَ أَصْبَاطًا أَمْثَلًا ﴾.
٢. استبدل بالطعام المشتبه به طعاماً حلالاً؛ فللطعام اثر على العبادة، والتفكير، والسلوك، ﴿ كَلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾.
٣. اقرأ قصة أصحاب السبت، وتعلم منها خطورة التحايل على شرع الله، ﴿ إِذْ تَأْتِيهِمْ جِثَاتُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَكًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ بَلَّوْنَهُمْ يَمَّا كَانُوا يَقْسُونَ ﴾.

## ● التوجيهات

١. إذا أنعم الله على عبد أو أمة نعمة ولم يشكروها سلبت منه، ﴿ قَبَدَلُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنْ السَّمَاءِ يَمَّا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴾.
٢. الفسق والمعاصي سبب لحصول ابتلاء قد لا يستطيع الإنسان الثبات فيها، ﴿ كَذَلِكَ بَلَّوْنَهُمْ يَمَّا كَانُوا يَقْسُونَ ﴾.
٣. إذا وجدت البلاء نزل بك، فتذكر معصية فعلتها ثم أكثر من الاستغفار منها، ﴿ كَذَلِكَ بَلَّوْنَهُمْ يَمَّا كَانُوا يَقْسُونَ ﴾.

الآية (١٦٣): هذا السياق هو بسط لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُفُّوا قُرْدَةً خَاسِيَةً﴾ [البقرة: ٦٥]. يقول تعالى لنبيه صلوات الله وسلامه عليه: ﴿وَسَأَلْتَهُمْ﴾ أي: واسأل هؤلاء اليهود الذين بحضرتك عن قصة أصحابهم الذين خالفوا أمر الله، ففاجأهم نقمته على صنيعهم واعتدائهم واحتياهم في المخالفة، وحذر هؤلاء من كتمان صفتك التي يجدونها في كتبهم؛ لئلا يحل بهم ما حلّ بإخوانهم وسلفهم.

وهذه القرية هي «أيلة»<sup>(٢)</sup>، وهي على شاطئ بحر القلزم<sup>(٣)</sup>. قال ابن عباس في قوله: ﴿وَسَأَلْتَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةً أَلْبَحَّرَ﴾ قال: هي قرية يقال لها: «أيلة» بين مدينتين الطور. وكذا قال عكرمة ومجاهد وقताدة. وقال عبد الله بن كثير القارئ: سمعنا أنها «أيلة». وقيل: هي مدينتين، وهو رواية عن ابن عباس.

﴿إِذْ يَدْعُونَ فِي السَّبْتِ﴾ أي: يبتعدون فيه ويخالفون أمر الله فيه لهم بالوصاة به إذ ذاك. ﴿إِذْ كَانَتْهُمْ حِجَابُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا﴾ قال ابن عباس: أي ظاهرة على الماء. قال ابن جرير: وقوله: ﴿يَوْمَ لَا يَسْتَوُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ بَلَّوْهُمْ﴾ أي: نخبرهم بإظهار السمك لهم على ظهر الماء في اليوم المَحْرَمَ عليهم صيده، وإخفاؤها عنهم في اليوم الحلال لهم صيده، ﴿كَذَلِكَ بَلَّوْهُمْ﴾ نخبرهم «بما كانوا يَسْتَوُونَ» يقول: يفسقهم عن طاعة الله وخروجهم عنها.

وهؤلاء قوم احتالوا على انتهاك محارم الله، بما تعاطوا من الأسباب الظاهرة التي معناها في الباطن تعاطي الحرام. وقد روى الإمام أبو عبد الله ابن بطة عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا ترتكبوا ما ارتكب اليهود، فَتَسْتَحِلُّوا عِمَارَةَ اللَّهِ بِأَدْنَى الْحِيلِ» وهذا إسناد جيد وَصُحِّحَ الترمذي بمثل هذا الإسناد كثيرا [رواه ابن بطة في إبطال الحيل، وحسنه الألباني].

= أمر الله لهم من الخضوع بالقول والفعل، فأمرُوا أَنْ يَدْخُلُوا سَجْدًا، فدخلوا يزحفون على استعاضهم رافعي رؤوسهم، وأمرُوا أَنْ يَقُولُوا: اعطط عنا ذنوبنا، فاستهزؤوا فقالوا: حطت في شجرة. وهذا في غاية ما يكون من المخالفة والممانعة؛ ولهذا أنزل الله بهم بأسه وعذابه بفسقهم، وهو خروجهم عن طاعته، ولهذا قال: ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْسًا مِنَّا لِيَلْعَنُوا يَوْمَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٦٥]. وقال أبو العالية: الرجز الغضب. وقال سعيد بن جبير: هو الطاعون.

الآية (٦٠): يقول تعالى: واذكروا نعمتي عليكم في إجابتي لنبيكم موسى عليه السلام حين استسقاني لكم، وتيسري لكم الماء، وإخراجه لكم من حَجَرٍ يُجْمَلُ معكم، وتفجيرهم الماء لكم منه من ثنتي عشرة عينًا، لكل سبط من أسباطكم عين قد عرفوها، فكلوا من المُنِّ والسُلوى، واشربوا من هذا الماء الذي آتَيْتُهُ لَكُمْ بِلَا سعي منكم ولا كَدٍّ، وعبداؤ الذي سخر لكم ذلك ﴿وَلَا تَمَنَّوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ ولا تقابلوا النعم بالمعصيات فَتُسْلَبُوا.

وهذه القصة شبيهة بالقصة المذكورة في سورة الأعراف، ولكن تلك مكية؛ فلذلك كان الإخبار عنهم بضمير الغائب؛ لأن الله تعالى يقص ذلك على رسوله ﷺ عما فعل بهم. وأما في هذه السورة - وهي البقرة - فهي مدنية؛ فلذلك كان الخطاب فيها متوجهاً إليهم.

(٢) مدينة على ساحل بحر القلزم، وهي آخر الحجاز وأول الشام [معجم البلدان: ٢٩١/٢].

(٣) يسمى حاليًا البحر الأحمر، وَقُلْزَمٌ: بلدة على ساحل البحر قرب أيلة والطور ومدين، وإليها ينسب هذا البحر [معجم البلدان: ٣٨٧/٤].

الآية (١٦٠-١٦٢): تقدم تفسير هذا كله في سورة البقرة، وهي مدنية، وهذا السياق مكِّي، ونهنا على الفرق بين هذا السياق وذاك بما أغنى عن إعادته، والله الحمد والمئة<sup>(١)</sup>.

(١) آيات سورة البقرة التي أحال عليها ابن كثير هي الآيات من (٥٧) إلى (٦٠) وتقريبًا للفائدة نذكر مختصر تفسيره لها:

الآية (٥٧): لما ذكر تعالى ما دفعه عنهم من النقم، شرع يذكرهم أيضًا بما أسغى عليهم من النعم، فقال: ﴿وَوَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ﴾ وهو جمع غامة، سُمِّيَ بذلك لأنه يُمُتُ السَّاءَ أي: يواربها ويسترها. وهو السحاب الأبيض، ظَلُّوا به في التَّيِّه ليقهم حَرُّ الشمس. ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمُنَّ﴾ قال ابن عباس: كان المُنُّ ينزل عليهم على الأشجار، فيغدون إليه يأكلون منه ما شاءوا. وقال الربيع بن أنس: المُنُّ شراب كان ينزل عليهم مثل العسل، فيمزجونه بماء ثم يشربونه، وعبارة المفسرين مقاربة في شرح المُنِّ، فمنهم من فسَّره بالطعام، ومنهم من فسَّره بالشراب. والظاهر - والله أعلم - أنه كل ما امتنَّ الله به عليهم من طعام وشراب وغير ذلك، مما ليس لهم فيه عمل ولا كَدٌّ، فالْمُنُّ المشهور إنْ أَكَلَ وحده كان طعامًا وحلاوة، وإنْ مُزِجَ مع الماء صار شرابًا طيبًا، وإنْ رُجِّعَ مع غيره صار نوعًا آخر، ولكن ليس هو المراد من الآية وحده؛ والدليل على ذلك ما رواه سعيد بن زيد ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «الْكَمَةُ من المُنِّ، وماؤها شفاء للعين». [رواه البخاري]. «وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمُنَّ» قال ابن عباس: السُّلوى طائر شبيه بالثَّاني، كانوا يأكلون منه. ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾: أمر بإباحة وإرشاد وامتنان. ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾، أي: أمرناهم بالأكل مما رزقناهم وأن يعبدوا، كما قال: ﴿كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهِ﴾ [سبأ: ١٥]. فخالقوا وكفروا فظلموا أنفسهم، هذا مع ما شاهدوه من الآيات البينات والمعجزات القاطعات، وخوارق العادات، ومن ههنا تبيَّن فضيلة أصحاب محمد صلوات الله وسلامه عليه ورضي عنهم، على سائر أصحاب الأنبياء في صبرهم وثباتهم وعدم تمتعهم، كما كانوا معه في أسفاره وغزواته، لم يسألوا حَرْقَ عادة، ولا إيجاد أمر، مع أن ذلك كان سهلًا على الرسول ﷺ، ولكن لما أجهدهم الجوع سالوه في تكثير طعامهم. ولما احتاجوا إلى الماء سأل الله تعالى، فهذا هو الأكمل في الاتباع؛ المشي مع قدر الله، مع متابعة الرسول ﷺ.

الآية (٥٨-٥٩): يقول تعالى لآلِهًا لهم على نكولهم من الجهاد ودخول الأرض المقدسة - التي هي ميراث لهم عن أبيهم إسرائيل - وقال من فيها من العماليق الكفرة، فنكلوا عن قتالهم وضعفوا واستحسروا، فراهم الله في التَّيِّه عقوبة لهم: ﴿وَإِذْ قُلْنَا أَنتَلُوا مَدْيَنَ الْقَرْيَةَ﴾، والصحيح أن هذه البلدة هي بيت المقدس وقد قال الله تعالى: ﴿يَقْوَرُ أَتَلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة: ٢١].

قوله: ﴿سَجَدًا﴾ أي: شكرًا لله تعالى على ما أنعم به عليهم من الفتح والنصر، وردة بلدهم إليهم وإنقاذهم من التَّيِّه والضلال. وروى ابن جرير عن ابن عباس في قوله: ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمُنَّ﴾ قال: رُغْمًا من باب صغير. وقوله: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ قال ابن عباس: مغفرة، استغفروا. وقال الحسن وقताدة: أي احطط عنا خطايانا، ﴿فَنَزَّلْنَا لَكُمُ الْمُنَّ﴾ وَسَرَّيْدُ النَّحْيِيِّينَ: هذا جواب الأمر، أي: إذا علمتم ما أمرناكم فغفروا لكم الخطيئات، وضاعفنا لكم الحسنات. وحاصل الأمر: أنهم أمرُوا أَنْ يَجْزِعُوا لله تعالى عند الفتح بالفعل والقول، وأن يعترفوا بذنوبهم ويستغفروا منها. والشكر على النعمة عندها والمبادرة إلى ذلك من المحبوب لله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي بَدَّلُوا لَهُمْ﴾ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «قال لبي إسرائيل: ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمُنَّ﴾ وَقُولُوا حِطَّةٌ نَزَّلَ لَكُمُ حَبْلَكُمُ﴾ فَبَدَّلُوا، ودخلوا الباب يزحفون على استعاضهم، فقالوا: حبة في شعرة» [رواه البخاري]. وعن عبد الله بن مسعود: وقيل لهم: ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمُنَّ﴾ فدخلوا مُقْبِي رُؤُوسِهِمْ، أي: رافعي رؤوسهم خلاف ما أمرُوا. والحاصل أنهم بَدَّلُوا



قرن الرحمة مع العقوبة لثلا يحصل اليأس، فيقرن تعالى بين الرغبة والرهيب كثيرا؛ لتلقى النفوس بين الرجاء والخوف.

الآية (١٦٨-١٧٠): يذكر تعالى أنه فرّقهم في الأرض أمّا؛ أي: طوائف وفرقا؛ كما قال: ﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِيَنصَرِفَنَّ أَزْوَاجُ الْأَرْضِ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ [الإسراء: ١٠٤]. ﴿وَنُفِثَهُمُ الصَّلَاحَ وَنُفِثَهُمْ دُونَ ذَلِكَ﴾ أي: فيهم الصالح وغير ذلك، كما قالت الجحش: ﴿وَأَنَامَتِ الصَّلَاحُونَ وَمَتَّادُونَ ذَلِكَ كَمَا طَرِيقٌ وَدَكَ﴾ [الحج: ١١]. ﴿وَبَلَوْنَهُمْ﴾ أي: اختبرناهم ﴿بِالْمَسْكَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ﴾ أي: بالرخاء والشدّة، والرغبة والرهبة، والعافية والبلاء؛ ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾. ثم قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ يَثْلُغَ يَأْخُذُوهُ﴾ يقول تعالى: فخلّف من بعد ذلك الجيل -الذين فيهم الصالح والطالح- خلّف آخر لا خير فيهم، وقد ورثوا دراسة الكتاب وهو التوراة، وقال مجاهد: هم النصارى، وقد يكون أهمّ من ذلك.

﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى﴾ أي: يمتنعون عن بذل الحق ونشره بعرّض الحياة الدنيا، ويسوّفون أنفسهم ويعدّونها بالتوبة، وكلّموا لاح لهم مثل الأول وقموا فيه؛ ولهذا قال: ﴿وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ يَثْلُغَ يَأْخُذُوهُ﴾ كما قال سعيد بن جبير: يعملون الذنب، ثم يستغفرون الله منه، فإن عرّض ذلك الذنب أخذوه. وقال مجاهد: لا يُشرف لهم شيء من الدنيا إلا أخذوه، حالاً كان أو حراماً، ويتمنّون المغفرة، ويقولون: ﴿سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ وإن يجدوا عرّضاً مثله يأخذوه. وقال قتادة في: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ أي: الله، لخلف سوء، ورثوا الكتاب بعد أنبيائهم ورسولهم؛ ورثهم الله وعهد إليهم. وقال الله في آية أخرى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا﴾ [مريم: ٥٩]. قال: ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ ثمّوا على الله آماني، وغرّة يعتزّون بها، ﴿وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ يَثْلُغَ يَأْخُذُوهُ﴾ لا يشغلهم شيء عن شيء، ولا ينههم شيء عن ذلك، كلما هفّ لهم شيء من الدنيا أكلوه، ولا يبالون حالاً كان أو حراماً.

قال الله: ﴿أَلَمْ يَأْخُذْ عَلَيْهِمْ يَسِئُوا الْكِتَابَ أَنْ يَاقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْخَبَرَ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ﴾ يقول تعالى مُنْكَرًا عليهم في صنيعهم هذا، مع ما أخذ عليهم من الميثاق لِيُكَيِّدَ الحق للناس.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آتَاخُذَهُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَثْنُونَ أَفْلا تَعْقِلُونَ﴾ يرعّهم تعالى في جزيل ثوابه، ويُحذرهم من وبيل عقابه، أي: وثوابي وما عندي خيرٌ لمن اتقى المحارم، وترك هوى نفسه، وأقبل على طاعة ربه، ﴿أَفْلا تَعْقِلُونَ﴾ يقول: أقليس هؤلاء الذين اعتاضوا بعرّض الدنيا عنيّ عندي عقلٌ يردّهم عنيّ هم فيه من السّفه والتبذير؟! ثمّ أتى تعالى على مَنْ تَمَسَّكَ بكتابه الذي يقوده إلى اتباع رسوله محمد ﷺ؛ كما هو مكتوب فيه، فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُسَيِّئُونَ بِالْكِتَابِ﴾ أي: اعتصموا به، واقتدوا بأوامره، وتركوا زواجره، ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّمَا لَا تُضَعِّفُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾.

الآية (١٦٤-١٦٦): يجزّ تعالى عن أهل هذه القرية أنهم صاروا إلى ثلاث فرّق: فرقة ارتكبت المحذور، واحتالوا على اصطيد السمك يوم السبت، كما تقدم بيانه في سورة البقرة. وفرقة نهت عن ذلك، وأنكرت واعتزلتهم. وفرقة سكّنت فلم تفعل ولم تنه، ولكنها قالت للمُنْكَرَةِ: ﴿لَمْ يَطْعَمُوا قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُدْهِمُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ أي: لم تنهوا هؤلاء، وقد علمتم أنهم هلكوا واستحقوا العقوبة من الله؟ فلا فائدة في نهيكهم ليأهم، قالت لهم المنكرة: ﴿مَمْدُودَةٌ إِلَىٰ رَيْبِكُمْ﴾ أي: نفعل ذلك معذرة إلى ريبكم؛ أي: فيما أخذ علينا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ يقولون: ولعل بهذا الإنكار يتقون ما هم فيه ويتركونه، ويرجعون إلى الله تائبين، فإذا تابوا تاب الله عليهم ورحمهم.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا سَأَلُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ أي: فلما أبى الفاعلون المنكّر قبول النصيحة، ﴿أَجْنَبَتِ الْيَزِيدَ يَنْهَوْنَ عَنِ الشَّيْءِ وَأَخَذَتِ الْيَزِيدَ ظَلَمُوا﴾ أي: ارتكبوا المعصية ﴿بِعَذَابٍ يَبِينُ﴾ فنصّ على نجاة الناهين وهلاك الظالمين، وسكّنت عن الساكنين؛ لأنّ الجزء من جنس العمل؛ فهم لا يستحقون مدحاً فيمدحوا، ولا ارتكبوا عظيماً فيؤدّبوا، ومع هذا فقد اختلف الأئمة فيهم: هل كانوا من المالكين أو من الناجين؟ على قولين.

وقوله تعالى: ﴿وَأَخَذَتِ الْيَزِيدَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَيِّنٍ﴾ فيه دلالة بالمفهوم على أن الذين بقوا نجوا. و﴿يَبِينُ﴾ معناه في قول مجاهد: «الشديد»، وفي رواية: «اليم». وقال قتادة: موضح. والكل متقارب، والله أعلم. وقوله: ﴿خَسِيسَتِ﴾ أي: ذليلين مهانين.

الآية (١٦٧): ﴿كَذَٰلِكَ تَقَعَّلَ مِنَ الْإِذْنِ﴾ أي: أغلّم، قاله مجاهد. وقال غيره: أمر. وفي قوة الكلام ما يفيد معنى القسم من هذه اللفظة، ولهذا أتيت باللام في قوله: ﴿لِيَعْنَتَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: على اليهود ﴿إِلَّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ أي: بسبب عصيانهم ومخالفتهم أوامر الله وشرعه واحتياهم على المحارم. ويُقال إن موسى عليه السلام صرّب عليهم الخراج، سبع سنين. وقيل ثلاث عشرة سنة. وكان أول من ضرب الخراج. ثم كانوا في قهر الملوك من اليونانيين والكشديين والكلدانيين<sup>(١)</sup>، ثم صاروا إلى قهر النصارى وإذلالهم، وأخذهم منهم الجزية والخراج، ثم جاء الإسلام ومحمد ﷺ، فكانوا تحت قهره وذمته يؤدّون الخراج والجزية. وقال ابن عباس: هي الجزية، والذين يسومهم سوء العذاب: محمد رسول الله ﷺ وأمتة إلى يوم القيامة. وكذا قال سعيد بن جبير وابن جرّير وقاتدة. قلت: ثم آخر أمرهم أنهم يخرجون أنصاراً للدجال، فيقتلهم المسلمون مع عيسى ابن مريم عليه السلام، وذلك آخر الزمان.

وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعٌ أَلِيمٌ﴾ أي: لمن عصاه وخالف شرعه، ﴿وَأِنَّهُ لَنَفْعُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: لمن تاب إليه وأتاب. وهذا من باب

(١) الكشديون: طائفة من عبدة الكواكب. [تاج العروس: ١١٠/٩]، والكلدانيون: الذين كانوا يزلون بابل في الزمن الأول؛ وهم السريانيون الذين تسميهم العرب: النبط. [ينظر معجم البلدان، وخطط الشام].



## ● الوقفات التدريبية

﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمُّهُ مَن يَدْعُوهُم قَوْمًا اللَّهُ يَهْدِيهِمْ أَوْ يُضِلَّهُمْ قَوْمًا مَّزِيدًا شَدِيدًا قَالُوا مَرْءٌ نَجَسٌ وَإِنْ يَدْعُوهُم قَوْمًا مَّزِيدًا قَالُوا مَرْءٌ نَجَسٌ ﴾

افترقت بنو إسرائيل ثلاث فرق: فرقة عصت يوم السبت بالصعيد، وفرقة نهت عن ذلك واعتزلت القوم، وفرقة سكنت واعتزلت؛ فلم تنه ولم تعص. وإن هذه الفرقة لما رأت مهاجرة الناهية وطغيان العاصية قالوا للفرقة الناهية: لم تعطلون قوماً يريد الله أن يهلكهم أو يعذبهم؟ فقالت الناهية: نناههم معذرة إلى الله، ولعلمهم يتقون، فهلكت الفرقة العاصية، ونجت الناهية، واختلفت في الثالثة هل هلكت لسكوتها، أو نجت لاعتزالها وتركها المعصية؟ ابن جزي: ٣٢٦/١

السؤال: ينقسم الناس عند انتشار المنكر إلى ثلاثة أقسام، ما هي؟ وما مصير كل قسم؟

﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمُّهُ مَن يَدْعُوهُم قَوْمًا اللَّهُ يَهْدِيهِمْ أَوْ يُضِلَّهُمْ قَوْمًا مَّزِيدًا شَدِيدًا قَالُوا مَرْءٌ نَجَسٌ وَإِنْ يَدْعُوهُم قَوْمًا مَّزِيدًا قَالُوا مَرْءٌ نَجَسٌ ﴾

وهذا المقصود الأعظم من إنكار المنكر: ليكون معذرة، وإقامة حجة على الأمور المنهي، ولعل الله أن يهديه، فيعمل بمقتضى ذلك الأمر والنهي. السعدي: ٣٠٧.

السؤال: ما المقصود الأعظم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟

﴿ فَلَمَّا سَأَلْنَا أَهْلَ الْبَيْتِ أَن يَسْتَعِزُّوا بِأَهْلِ الْبَيْتِ يَنْهَوْنَ عَنِ الشُّرِّ ﴾

وهكذا سنة الله في عباده: أن العقوبة إذا نزلت نجا منها الأمرون بالمعروف والنهي عن المنكر. السعدي: ٣٠٧.

السؤال: ما الفائدة الدنيوية التي تعود على الأمرين بالمعروف والنهي عن المنكر؟

﴿ وَإِنْ رَجَعْتَ إِلَى الْعَقَابِ وَرَأَيْتَ أَنَّهُمْ لَمَّا رَجَعُوا ﴾

وهذا من باب قرن الرحمة مع العقوبة؛ لئلا يحصل اليأس؛ فيقرن تعالى بين الترغيب والترهيب كثيراً لتبقى النفوس بين الرجاء والخوف. ابن كثير: ٢/٢٤٩.

السؤال: لماذا يقرن تعالى بين الرحمة والعذاب؟

﴿ وَيَكُونُ لَهُمْ مِّنْ مَّحْسَنَاتٍ وَمِنْ مَّحْسَنَاتِ رَبِّكَ مَن يَتَذَكَّرُ ﴾

(وبلوناهم بالحسنات): بالخصب والعافية، (والسيئات): الجذب والشدة، (لعلهم يرجعون): لكي يرجعوا إلى طاعة ربهم ويتوبوا. البغوي: ١٦٤/٢.

السؤال: ما الحكمة من نزول البلاء بالنعم والنقم؟

﴿ وَرَأَيْتَ أَنَّهُمْ لَمَّا رَجَعُوا إِلَى الْعَقَابِ وَرَأَيْتَ أَنَّهُمْ لَمَّا رَجَعُوا ﴾ (ودرسوا ما فيه): فليس عليهم فيه إشكال، بل قد أتوا أمرهم متعمدين، وكانوا في أمرهم مستبشرين. وهذا أعظم للذنب، وأشد للوم، وأشنع للعقوبة. السعدي: ٣٠٧.

السؤال: ما الفرق بين معصية من يعلم ومعصية الجاهل؟

﴿ وَالَّذِينَ يُسَيِّئُونَ بِالنَّكِبِ وَالَّذِينَ يُسَيِّئُونَ بِالنَّكِبِ وَالَّذِينَ يُسَيِّئُونَ بِالنَّكِبِ ﴾ (يُسَيِّئُونَ): فيها معنى التكرير والتكثير للتمسك بكتاب الله تعالى وبدينه، فبذلك يمدحون؛ فالتمسك بكتاب الله والدين يحتاج إلى للاستزادة والتكرير. القرطبي: ٣٧٤/٩.

السؤال: لماذا شد الفعل (يُسَيِّئُونَ) حينما أضافه لكتاب الله تعالى؟

وَإِذْ قَالَتْ أُمُّهُ مَن يَدْعُوهُم قَوْمًا اللَّهُ يَهْدِيهِمْ أَوْ يُضِلَّهُمْ قَوْمًا مَّزِيدًا شَدِيدًا قَالُوا مَرْءٌ نَجَسٌ وَإِنْ يَدْعُوهُم قَوْمًا مَّزِيدًا قَالُوا مَرْءٌ نَجَسٌ ﴿١٧٢﴾ فَلَمَّا سَأَلْنَا أَهْلَ الْبَيْتِ أَن يَسْتَعِزُّوا بِأَهْلِ الْبَيْتِ يَنْهَوْنَ عَنِ الشُّرِّ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَدَابِ رَبِّهِمْ يَسْأَلُونَ ﴿١٧٣﴾ فَلَمَّا عَتَا عَنْ مَّأْنَاهُمْ أَغْنَاهُ فَلَمَّا هَمَّ بِشَيْءٍ مِّنَ الشُّرِّ لَمَّا عَتَا عَنْ مَّأْنَاهُمْ أَغْنَاهُ فَلَمَّا هَمَّ بِشَيْءٍ مِّنَ الشُّرِّ لَمَّا عَتَا عَنْ مَّأْنَاهُمْ أَغْنَاهُ ﴿١٧٤﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْفَيْصَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٥﴾ وَقَطَّعْتَ هُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِّمَّنْهُمْ أَصْلَحَ لِحُكْمِهِمْ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٦﴾ فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلَهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَاللَّذِينَ الْأَخِرَةُ خَيْرٌ لِّالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧٧﴾ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضْمِغُ أَجْرَ الْمُضْلِينَ ﴿١٧٨﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
بَيْسٍ	شديد.
عَتَا	استكبروا، وعصوا.
خَاسِئِينَ	أذلاء، مبغضين.
يَسُومُهُمْ	يُذِيقُهُمْ.
عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى	مَا يُعَرِّضُ لَهُمْ مِنْ دَنِيٍّ الْمَكَايِبِ؛ كَالرَّشْوَةِ.
وَدَرَسُوا مَا فِيهِ	عَلَّمُوا مَا فِي الْكِتَابِ، فَضَيَّفُوهُ.

## ● العمل بالآيات

١. قل: «اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك»، ﴿ وَإِنْ رَجَعْتَ إِلَى الْعَقَابِ وَرَأَيْتَ أَنَّهُمْ لَمَّا رَجَعُوا ﴾.
٢. اقرأ سورة من قصار المفصل، وطبق ما فيها من أعمال، ﴿ وَالَّذِينَ يُسَيِّئُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضْمِغُ أَجْرَ الْمُضْلِينَ ﴾.
٣. حافظ على الصلوات المفروضة مع الجماعة، ﴿ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضْمِغُ أَجْرَ الْمُضْلِينَ ﴾.

## ● التوجيهات

١. المثبطون عن قول الحق موجودون في كل زمان ومكان، فاحذرهم، ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمُّهُ مَن يَدْعُوهُم قَوْمًا اللَّهُ يَهْدِيهِمْ أَوْ يُضِلَّهُمْ قَوْمًا مَّزِيدًا شَدِيدًا قَالُوا مَرْءٌ نَجَسٌ وَإِنْ يَدْعُوهُم قَوْمًا مَّزِيدًا قَالُوا مَرْءٌ نَجَسٌ ﴾.
٢. لا تنس ولا تنهاون في الأخذ بنصيحة من يعظك ويذكرك بالله، ﴿ فَلَمَّا سَأَلْنَا أَهْلَ الْبَيْتِ أَن يَسْتَعِزُّوا بِأَهْلِ الْبَيْتِ يَنْهَوْنَ عَنِ الشُّرِّ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَدَابِ رَبِّهِمْ يَسْأَلُونَ ﴾.
٣. تحسن أحوالك أو سوءها ابتلاءً من الله سبحانه وتعالى، فازبط بالله أكثر عند تغيرها، ﴿ وَيَكُونُ لَهُمْ مِّنْ مَّحْسَنَاتٍ وَمِنْ مَّحْسَنَاتِ رَبِّكَ مَن يَتَذَكَّرُ ﴾.



## ● الوقفات التدريبية

﴿ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَيْنِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴾

فقد أودع الله في فطركم ما يدلكم على أن ما مع آبائكم باطل، وأن الحق ما جاءت به الرسل، وهذا يقاوم ما وجدتم عليه آباءكم، ويعلو عليه. نعم ... قد يعرض للعبد من أقوال آبائه الضالين، ومذاهبهم الفاسدة ما يظنه هو الحق، وما ذلك إلا لإعراضه عن حجج الله وبياناته وآياته الأفضية والنفسية، فإعراضه عن ذلك، وإقباله على ما قاله المبطلون ربما صيره بحالة يفضل بها الباطل على الحق. السعدي: ٣٠٨.

السؤال: لماذا يتبع بعض الناس آراء آبائهم ويترك ما جاء به الرسول؟

﴿ وَأَقُلِّ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَاسْلَخَ مِنْهَا فَأَتَبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾

انسلخ من الاتصاف الحقيقي بالعلم بآيات الله، فإن العلم بذلك يصير صاحبه متصفاً بمكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال، ويرقى إلى أعلى الدرجات، وارفح المقامات، فترك هذا كتاب الله وراء ظهره، ونبد الأخلاق التي يامر بها الكتاب، وخلعها كما يلحق اللباس، فلما انسلخ منها أتبعه الشيطان: أي: تسلط عليه حين خرج من الحصن الحصين، وصار إلى أسفل سافلين، فآوزه إلى المعاصي أزا (فكان من الغاوين) بعد أن كان من الرشددين المرشدين. السعدي: ٣٠٩.

السؤال: ما خطورة ترك التمسك بكتاب الله سبحانه وتعالى بعد دراسته وعلم ما فيه؟

﴿ وَأَقُلِّ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَاسْلَخَ مِنْهَا فَأَتَبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾

لما عاند ولم يعمل بما هداه الله إليه حصلت في نفسه ظلمة شيطانية مكنت الشيطان من استخدامه، وإدامة إضلاله؛ فالانسلخ على الآيات آخر من وسوسة الشيطان، وإذا أطاع المرء الوسوسة تمكن الشيطان من مقاده فسخره، وأدام إضلاله، وهو المعبر عنه بـ (فأتبعه) فصار بذلك في زمرة الغواة المتمكنين من الغواية. ابن عاشور: ١٧٦/٩.

السؤال: ما خطورة الاستسلام لوسواس الشيطان؟

﴿ وَأَقُلِّ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَاسْلَخَ مِنْهَا فَأَتَبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾

﴿ وَكُنَّا لِرَفْعَتِهِ خَائِدِينَ ﴾ ولكنه: أخلد إلى الأرض وأتبع هواه في هذه الآيات: الترشيب في العمل بالعلم، وأن ذلك رفعت من الله لصاحبه، وعصمته من الشيطان، والترهيب من عدم العمل به، وأنه نزول إلى أسفل سافلين، وتسلط للشيطان عليه، وفيه أن اتباع الهوى وإخلاد العبد إلى الشهوات يكون سبباً للخذلان. السعدي: ٣٠٨.

السؤال: من خلال الآيات: ما أهمية العمل بالعلم؟

﴿ وَكُنَّا لِرَفْعَتِهِ خَائِدِينَ ﴾ ولكنه: أخلد إلى الأرض وأتبع هواه

وقوله تعالى: (وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا) أفاد أن تلك الآيات شأنها أن تكون سبباً للهداية، والتزكية، لو شاء الله له التوفيق وعصمه من كيد الشيطان وقتنته فلم ينسلخ عنها، وهذه عبرة للموقنين؛ ليعلموا فضل الله عليهم في توفيقهم؛ فالعلمي: ولو شئنا لزد في العمل بما ابتناه من الآيات فرفع الله بعلمه. ابن عاشور: ١٧٦/٩.

السؤال: آيات القرآن الكريم سبب للهداية، بين ذلك.

﴿ تَتْلُوهُمْ كَمْثِلَ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾

قال القتيبي: كل شيء يلهث إنما يلهث من إعياء، أو عطش، إلا الكلب؛ فإنه يلهث في حال الكلال، وفي حال الراحة، وفي حالة العطش، فضربه الله مثلاً لمن كذب بآياته، فقال: إن وعظته فهو ضال، وإن تركته فهو ضال؛ كالكلب: إن طردته يلهث، وإن تركته على حاله يلهث. البغوي: ١٧٥/٢.

السؤال: لماذا شبه من يوعظ ولم يتعظ بالكلب؟

﴿ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِى وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا يُلْهِمُ لَهُمْ يُفْضِلُونَ ﴾

وفيها تنويه بشأن المهتدين وتلقين للمسلمين للتوجه إلى الله تعالى بطلب الهداية منه والعصمة من مزلق الضلال. ابن عاشور: ١٨٠/٩.

السؤال: دلت الآية الكريمة أنه ينبغي التوجه إلى الله تعالى بطلب الهداية، كيف ذلك؟

﴿ وَإِذْ تَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا ءَاتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَادْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْ بُنَىٰ آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾

﴿ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَيْنِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴾

﴿ وَكَذَلِكَ نَقُصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ يَرْجِعُونَ ﴾

﴿ وَأَقُلِّ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَاسْلَخَ مِنْهَا فَأَتَبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾

﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

﴿ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَالْأُوْظِلِمْونَ ﴾

﴿ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِى وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا يُلْهِمُ لَهُمْ الْخَيْرُونَ ﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
تَتَقْنَا	رَفَعْنَا.
ظُلَّةٌ	سَحَابَةٌ.
ذُرِّيَّةٌ	صِفَارًا.
فَاتَبَعَهُ الشَّيْطَانُ	لَحِقَهُ، وَصَارَ قَرِينَهُ، وَاسْتَحْوَذَ عَلَيْهِ.
أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ	رَكَنَ إِلَى الدُّنْيَا، وَرَضِيَ بِهَا.
تَحْمِلَ عَلَيْهِ	تَطْرُدُهُ.

## ● العمل بالآيات

١. الق كلمته في حلقة القرآن، أو أرسل رسالة عن خطورة تعلم العلم أو حفظ القرآن لغير وجه الله تعالى، ﴿ وَأَقُلِّ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَاسْلَخَ مِنْهَا فَأَتَبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾.

٢. اقرا من كتب التفسير قصص الرجل الذي تكلمت عنه الآية، ثم استخرج أهم فوائدها، ﴿ وَأَقُلِّ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَاسْلَخَ مِنْهَا فَأَتَبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾.

٣. تجنب اليوم كل أمر يشغل عن كتاب الله تعالى، ﴿ وَكُنَّا لِرَفْعَتِهِ خَائِدِينَ ﴾.

## ● التوجيهات

١. من أسباب التقوى: اخذ الكتاب وأحكامه بقوة واجتهاد، ومداسته ما فيه، ﴿ خُذُوا مَا ءَاتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَادْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾.

٢. ذكر القصص أسلوب دعوي ناجح أمر به الله سبحانه، ﴿ فَاقْصُصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾.

٣. الهداية، والإضلال بيد الله سبحانه، فاسأل الله الهداية، ﴿ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِى وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا يُلْهِمُ لَهُمْ الْخَيْرُونَ ﴾.

الآية (١٧١): قال ابن عباس: قوله: ﴿وَرَدَّ نَفَقًا لِّجَلِّ قَوِّهِمْ﴾: رفعناه، وهو قوله: ﴿وَرَفَعْنَا قَوَّهِمُ الطُّورَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٤].

الآية (١٧٢-١٧٤): يخبر تعالى أنه استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم، شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم ومليكم، وأنه لا إله إلا هو، كما أنه تعالى فطرهم على ذلك وجعلهم عليه: قال تعالى: ﴿فَأَقْرَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيَّهَا لَا يَدْبِيلُ لِحَاقِي﴾ [الروم: ٣٠]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة - وفي رواية: على هذه الجلالة - فأبواه يهودانه، ويُنصرّنه، ويُمجّسانه، كما تولّد البهيمة بهيمةً مجعاً، هل تحسّون فيها من جدعاء» [متفق عليه]، وعن عياض بن حمار قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله: إني خلقت عبادي حنفاءً فجاءهم الشياطين فاجتالتهن عن دينهم وحرّمت عليهم ما أحللت لهم» [رواه مسلم]. وقد وردت أحاديث في أخذ الذرية من صلب آدم عليه السلام، وتمييزهم إلى أصحاب اليمين وأصحاب الشمال، وفي بعضها الاستشهاد عليهم بأن الله ربهم: عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة: أرايت لو كان لك ما على الأرض من شيء أكنّت مُفتدياً به؟» قال: «فيقول: نعم». فيقول: قد أردت منك أهون من ذلك، قد أخذت عليك في ظهر آدم ألا تشرك بي شيئاً، فأبيت إلا أن تشرك بي» [متفق عليه].

فهذه الأحاديث دالة على أن الله عز وجل استخرج ذرية آدم من صلبه، وميّز بين أهل الجنة وأهل النار، وأما الإشهاد عليهم هناك بأنه ربهم، فما هو إلا في حديث ابن عباس وعبد الله بن عمرو، [وهما] موقوفان لا مرفوعان.

وقال قائلون من السلف والخلف: إن المراد بهذا الإشهاد إنها هو فطرهم على التوحيد، وقد فسّر الحسن البصري الآية بذلك، قالوا: ولهذا قال: ﴿وَرَدَّ أَحَدُ رِجْلَيْكَ مِنْ بَنِي آدَمَ﴾ ولم يقل: «من آدم»، «ومن طهورهم» ولم يقل: «من ظهره». «ذُرِّيَّاتِهِمْ» <sup>(١)</sup> أي: جعل نسلهم جيلاً بعد جيل، وقرناً بعد قرن؛ كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خُلُقَيْنِ الْأَرَضِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٥].

﴿وَأَشْهَدُهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ أي: أوجدتهم شاهدين بذلك، قائلين له حالاً وقالوا: والشهادة تارة تكون بالقول كما قال: ﴿قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا﴾ الآية [الأنعام: ١٣٠]، وتارة تكون حالاً كما قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ﴾ [التوبة: ١٧]؛ أي: حالهم شاهدٌ عليهم بذلك، لأنهم قائلون ذلك.

﴿أَنْ تَقُولُوا﴾ أي: لتلا تقولوا يوم القيامة: ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا﴾ أي: التوحيد غافلين ﴿وَقُلُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا﴾ الآية.

الآية (١٧٥-١٧٧): [سبب النزول]: المشهور في سبب نزول هذه الآية الكريمة: أنها في رجل من المتقدمين في زمان بني إسرائيل،

كما قال ابن مسعود وغيره من السلف. وقوله: ﴿فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾ أي: استحوذ عليه وغلبه على أمره، فمها أمره امثل وأطاعه؛ ولهذا قال: ﴿فَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ أي: من الهالكين الخائرين البائسين. وعن حذيفة بن البيان قال: قال رسول الله ﷺ: «إن مما أخوف عليكم [رجلاً] قرأ القرآن، حتى إذا رُوِيَتْ بهجته عليه وكان رداء الإسلام اعتراه إلى ما شاء الله، انسلخ منه، وتبدّده وراء ظهره، وسعى على جاره بالسيف، ورماه بالشرك». قال: قلت: يا نبي الله، أيها أولى بالشرك: السّرْمِيُّ أو الرّامِي؟ قال: «بل الرّامِي» [رواه البخاري في التاريخ الكبير وأبو يعلى، وحسنه الألباني].

يقول تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾ أي: لرفعناه من التدنّس عن قاذورات الدنيا بالآيات التي آتيناه إياها، ﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْآلِهَاتِ﴾ أي: مال إلى زينة الدنيا وزهرتها، وأقبل على لذاتها ونعيمها، وغرّته كما غرّت غيره من غير أولي البصائر والنهى.

وقوله تعالى: ﴿فَتَنَّهُ كَتَلِ الْكَتَبِ﴾ إن تحوّل عليه يلهت أو تتركه يلهت. قيل: معناه: فصار مثله في ضلاله واستمراره فيه، وعدم انتفاعه بالدعاء إلى الإيمان وعدم الدعاء، كالكلب في لهيته في حالتيه: إن تحلّت عليه وإن تركته، هو يلهت في الحالين، فكذاك هذا لا ينتفع بالموعظة والدعوة إلى الإيمان ولا عدمه. وقيل: معناه: إن قلب الكافر والمنافق والضال ضعيف فارغ من الهدى، فهو كثير الوجيب، فعبّر عن هذا بهذا، نُقِلَ نحوه عن الحسن البصري وغيره.

يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿فَأَقْصِي الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ﴾ أي: لعل بني إسرائيل يَتَذَكَّرُونَ، فإن الله قد أعطاهم علماً، وميّزهم على من عداهم من الأعراب، وجعل بأيديهم صفة محمد ﷺ يعرفونها كما يعرفون أبناءهم، فهم أحقّ الناس وأولاهم باتباعه ومناصرتة وموازرتة، كما أخبرهم أنبيأؤهم بذلك وأمّرتهم به؛ ولهذا من خالف منهم ما في كتابه وكتمه فلم يعلم به العباد، أحلّ الله به ذلاً في الدنيا موصولاً بذلّ الآخرة. وقوله: ﴿سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾: يقول تعالى: ساء مثلاً مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا، أي: ساء مثلهم أن شُبّهوا بالكلاب التي لا هيّة لها إلا في تحصيل أكلة أو شهوة، فمن خرج عن حيّز العلم والهدى وأقبل على شهوة نفسه، واتبع هواه، صار شبيهاً بالكلب، وبش المثل مثله؛ ولهذا ثبت أن رسول الله ﷺ قال: «ليس لنا مثلُ السّوء، العائد في هبته كالكلب، يعود في قيته» [متفق عليه].

وقوله: ﴿وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا بِظُلُمٍ﴾ أي: ما ظلمهم الله، ولكن هم ظلموا أنفسهم بإعراضهم عن اتباع الهدى، وطاعة المولى، إلى الركون إلى دار البلى، والإقبال على تحصيل اللذات وموافقة الهوى.

الآية (١٧٨): يقول تعالى: من هدا الله فإنه لا مضيل له، ومن أضله فقد خاب وخسر وضلّ بحالة؛ فإنه تعالى ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن.

(١) اختار ابن كثير القراءة بصيغة الجمع؛ وهي قراءة نافع وأبي عمرو وابن عامر. وقراءة حفص: «ذُرِّيَّتِهِمْ» على الإفراد. [ينظر جامع البيان في القراءات السبع... ص ٥٢٥].

مِنْ حَيْثُ لَا يَمْلِكُونَ ﴿ وَمَعْنَاهُ: أَنَّهُ يَفْتَحُ لَهُمُ أَبْوَابَ الرِّزْقِ وَوَجْوهَ  
الْمَعَاشِ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يَفْتَحُوا بِهَا هَمَّ فِيهِ وَيَعْتَقِدُوا أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ؛  
وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَمَّا لَهُمْ ﴾ أَي: أَطْوَلُ لَهُمْ مَا هُمْ فِيهِ، ﴿ وَكَثْرَ  
كَيْدِي مَيِّنٌ ﴾ أَي: قَوِي شَدِيدٌ.

الآية (١٨٤): ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا ﴾ هَؤُلَاءِ الْمَكْذِبُونَ بآيَاتِنَا ﴿ مَا  
يَصْحَابِهِمْ ﴾ يَعْنِي عَمَدًا صَلَوَاتِ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ ﴿ مِمَّنْ جَنَّ ﴾ أَي:  
لَيْسَ بِهِ جَنُونَ، بَلْ هُوَ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا دَعَا إِلَى حَقٍّ، ﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ  
مُّبِينٌ ﴾ أَي: ظَاهِرٌ لِمَنْ كَانَ لَهُ لُبٌّ وَقَلْبٌ يَعْقِلُ بِهِ وَيَعْيِي بِهِ؛ كَمَا قَالَ  
تَعَالَى: ﴿ وَمَا سَاجِدٌ بِجَنَّتِي ﴾ [التكوير: ٢٢].

الآية (١٨٥): ﴿ أَوَلَمْ يَنْظُرْ هَؤُلَاءِ الْمَكْذِبُونَ بآيَاتِنَا فِي مُلْكِ اللَّهِ  
وَسُلْطَانِهِ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَفِيهَا خَلَقَ مِنْ شَيْءٍ فِيهَا، فَيُتَدَبَّرُوا  
ذَلِكَ وَيَعْتَبَرُوا بِهِ، فَيُؤْمِنُوا بِهِ، وَيَصْدُقُوا رَسُولَهُ، وَيُتَّبِعُوا إِلَى طَاعَتِهِ،  
وَيُخْلَعُوا الْأَنْدَادُ وَالْأَوْتَانُ، وَيَحْذَرُوا أَنْ تَكُونَ أَجَالُهُمْ قَدْ اقْتَرَبَتْ،  
فَيُهْلِكُوا عَلَى كُفْرِهِمْ، وَيَصِيرُوا إِلَى عَذَابِ اللَّهِ وَالْأَلِيمِ عِقَابِهِ.

وقوله: ﴿ فَإِنِّي حَادِيحٌ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾؟! يقول: فَبِأَيِّ خَوْفٍ  
وَتَحْذِيرٍ وَتَرْهيبٍ -بعد تحذير عمد وترهيبه، الذي اتَّاهَمَ بِهِ مِنْ عِنْدِ  
اللَّهِ فِي آيِ كِتَابِهِ- يُصَدِّقُونَ، إِنْ لَمْ يُصَدِّقُوا هَذَا الْحَدِيثَ الَّذِي جَاءَهُمْ  
بِهِ مُحَمَّدٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟!

الآية (١٨٦): ﴿ يَقُولُ تَعَالَى: مَنْ كُتِبَ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَإِنَّهُ لَا يَدِيهِ  
أَحَدٌ، وَلَوْ نَظَرَ نَفْسُهُ فِيهَا نَظَرَ، فَإِنَّهُ لَا يَجِزِي عَنْهُ شَيْئًا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى:  
﴿ وَمَا تَنفَعِي الْآيَاتُ وَالنَّذْرُوعَ قَوِيْرَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس: ١٠١].

الآية (١٨٧): ﴿ يَقُولُ تَعَالَى: ﴿ سَتَلْقَوْنَ عَنِ السَّاعَةِ ﴾، قِيلَ: نَزَلَتْ فِي  
قَرِيْشٍ. وَقِيلَ: فِي نَفَرٍ مِنَ الْيَهُودِ. وَالْأَوَّلُ أَشْبَهُ؛ لِأَنَّ الْآيَةَ مَكِّيَّةٌ،  
فَكَانُوا يَسْأَلُونَ عَنْ وَقْتِ السَّاعَةِ اسْتِعْجَالًا لَوْقَعِهَا، وَتَكْذِيبًا  
بِوُجُودِهَا. وَقَوْلُهُ: ﴿ أَبَانَ مُرْسِنَهَا ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «مَتَهَا» أَي:  
مَتَى حَقَّتْهَا؟ وَأَبَانَ آخِرُ مَدَّةِ الدُّنْيَا الَّذِي هُوَ أَوَّلُ وَقْتِ السَّاعَةِ؟ ﴿ قُلْ  
إِنَّمَا عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُخَبِّرُهَا لَوْفًا إِلَّا هُوَ ﴾: أَمَرَ تَعَالَى نَبِيَّهٖ ﷺ إِذَا سُئِلَ عَنْ  
وَقْتِ السَّاعَةِ أَنْ يُزِدَّ عِلْمَهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى؛ فَإِنَّهُ هُوَ الَّذِي يُخَبِّرُهَا لَوْقَتِهَا،  
أَي: يَعْلَمُ جَلِيَّةً أَمْرُهَا، وَمَتَى يَكُونُ عَلَى التَّحْدِيدِ، لَا يَعْلَمُ ذَلِكَ إِلَّا هُوَ  
تَعَالَى، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿ نَقُلْتُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ قَالَ قَتَادَةُ: نُقِلَ عِلْمُهَا  
عَلَى أَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنْهُمْ لَا يَعْلَمُونَ، يَقُولُ: كَثُرَتْ عَلَيْهِمُ.

وعن ابن عباس قال: ليس شيء من الخلق إلا يصيبه من ضرر يوم  
القيامة. واختار ابن جرير -رحمته الله-: أن المراد: نُقِلَ عِلْمُ وَقْتِهَا عَلَى أَهْلِ  
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، كَمَا قَالَ قَتَادَةُ. وَهُوَ كَمَا قَالَاهُ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ لَا  
تَأْتِيكَ إِلَّا بَنَّةٌ ﴾، وَلَا يَنْفِي ذَلِكَ ثِقَلُ مَجِيئِهَا عَلَى أَهْلِ السَّمَاوَاتِ  
وَالْأَرْضِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَقَالَ السُّدِّي: يَقُولُ: خَفِيَتْ فِي السَّمَاوَاتِ  
وَالْأَرْضِ، فَلَا يَعْلَمُ قِيَامَهَا حِينَ تَقُومُ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلَا نَبِيٌّ مَرْمَلٌ. ﴿ لَا  
تَأْتِيكَ إِلَّا بَنَّةٌ ﴾ قَالَ: يَبْتَغِيهِمْ قِيَامَهَا، تَأْتِيهِمْ عَلَى غَفْلَةٍ. وَقَوْلُهُ: ﴿ كَأَنَّكَ  
حَيٌّ عَنَّا ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كَأَنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ مَوَدَّةً، كَأَنَّكَ صَدِيقٌ لَهُمْ.  
وَقَالَ: كَأَنَّهُمْ يَرُونَ أَنَّ مُحَمَّدًا حَيٌّ بِهِمْ. وَقَالَ الضَّحَّاكُ: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ:  
كَأَنَّكَ عَالِمٌ بِهَا. وَهَذَا الْقَوْلُ أَرْجَحُ فِي الْمَعْنَى مِنَ الْأَوَّلِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ؛ وَلِهَذَا  
قَالَ: ﴿ قُلْ إِنَّمَا عَلَّمَهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.

الآية (١٧٩): ﴿ يَقُولُ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا ﴾ أَي: خَلَقْنَا وَجَعَلْنَا  
﴿ جَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِبْنِ وَالْأَنْدُسِ ﴾ أَي: هَيَّأْنَاهُمْ لَهَا، وَيَعْمَلُ أَهْلُهَا  
يَعْمَلُونَ؛ فَإِنَّهُ تَعَالَى لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ، عَلَّمَ مَا هُمْ عَامِلُونَ قَبْلَ كَوْنِهِمْ؛  
عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ قَلَّرَ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ  
قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى  
الْمَاءِ» [رواه مسلم]. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ هُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ  
بِهَا وَلَهُمْ أَنَافُثٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾ يَعْنِي: لَيْسَ يَتَفَقَّهُونَ شَيْءًا مِنْ هَذِهِ الْجَوَارِحِ  
الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ سَبِيلًا لِلْهُدَايَةِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا  
وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا  
يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [الأحقاف: ٢٦].

وقوله تَعَالَى: ﴿ أَوَلَيْكَ كَالَّذِينَ ﴾ أَي: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَا يَسْمَعُونَ  
الْحَقَّ وَلَا يُؤْمِنُونَ وَلَا يُبْصِرُونَ الْهُدَى كَالْأَنْعَامِ السَّارِحَةِ الَّتِي لَا تَنْتَفِعُ  
بِهَذِهِ الْخَوَاسِ مِنْهَا إِلَّا فِي الَّذِي يُقَيِّمُهَا مِنْ ظَاهِرِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا؛ كَمَا قَالَ  
تَعَالَى: ﴿ وَكَثَرَتِ الَّذِينَ كَفَرُوا كَثَلُ الَّذِينَ يَقُولُونَ إِنَّا لَا نَسْمَعُ إِلَّا دُعَاةَ وَنِدَاةَ  
هُمْ بِكَمٍّ عَنِّي فَهُمْ لَا يَتَّبِعُونَ ﴾ [البقرة: ١٧١].

﴿ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾ أَي: مِنَ الدُّوَابِّ؛ لِأَنَّهَا تَفْقَهُ مَا خُلِقَتْ لَهُ إِنَّمَا بَطْنُهَا  
وَأَمَّا بِتَسْخِيرِهَا، بِخِلَافِ الْكَافِرِ؛ فَإِنَّهُ إِنَّمَا خُلِقَ لِيَعْبُدَ اللَّهَ وَيُؤْتِيَهُ، فَكَفَرَ  
بِاللَّهِ وَأَشْرَكَ بِهِ؛ وَلِهَذَا مِنْ أَطَاعَ اللَّهَ مِنَ الْبَشَرِ -كَانَ أَشْرَفَ مِنْ مِثْلِهِ مِنَ  
الْمَلَائِكَةِ فِي مَعَادِهِ، وَمَنْ كَفَرَ بِهِ مِنَ الْبَشَرِ، كَانَتْ الدُّوَابُّ أَسْفَلَ مِنْهُ؛ وَلِهَذَا  
قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَوَلَيْكَ كَالَّذِينَ بَلَّ هُمْ أَضَلُّ أَوَلَيْكَ هُمْ أَفْغَلُونَ ﴾.

الآية (١٨٠): ﴿ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:  
«إِنَّ اللَّهَ تِسْعَةٌ وَتِسْعِينَ أَسْمَاءً، مِائَةٌ إِلَّا وَاحِدًا، مِنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»  
[متفق عليه]، «وَهُوَ وَثَرٌ يَجِبُ الْوُثْرُ» [رواه مسلم]. ثُمَّ لِيُعْلَمَ أَنَّ الْأَسْمَاءَ  
الْحَسَنَى لَيْسَتْ مَنْحَصَرَةً فِي التَّسْعَةِ وَالتَّسْعِينَ، بَلْدَلِيلٌ مَا رَوَى عَنْ ابْنِ  
مَسْعُودٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا  
حَزَنٌ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ،  
مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدَلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ،  
سَمِيتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ  
اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ  
صَدْرِي، وَجَلَاءَ حَزَنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَحَزَنَهُ،  
وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَحًا» [رواه أحمد، وصححه إسناده أحمد شاكر]. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ  
فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَذَرُّوا الَّذِينَ يُتْلُونَ ﴾ فَتَسْتَكْبِرُونَ. قَالَ: الْإِلْحَادُ  
الْمُلْحِدِينَ: أَنْ دُعُوا اللَّاتُ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ. وَقَالَ مجاهد: اشْتَقُّوا اللَّاتُ  
مِنْ اللَّهِ، وَاشْتَقُّوا الْعُرَى مِنَ الْعَزِيزِ. وَقَالَ قَتَادَةُ: ﴿ يُتْلُونَ ﴾  
يُشْرِكُونَ فِي أَسْمَائِهِ. وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: الْإِلْحَادُ: التَّكْذِيبُ. وَأَصْلُ الْإِلْحَادِ  
فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: الْمُدُولُ عَنِ الْقَصْدِ، وَالْمِيلُ وَالْجَوْرُ وَالْإِنْحِرَافُ،  
وَمِنْهُ اللَّحْدُ فِي الْقَبْرِ، لِانْحِرَافِهِ إِلَى جِهَةِ الْقَبْلِ عَنْ سَمْتِ الْحَفْرِ.

الآية (١٨١): ﴿ يَقُولُ تَعَالَى: ﴿ وَمَنْ خَلَقْنَا ﴾ أَي: وَبَعْضُ الْأَمَمِ  
﴿ أَنْتُمْ ﴾ قَائِمَةٌ بِالْحَقِّ قَوْلًا وَعَمَلًا، ﴿ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ ﴾ يَقُولُونَهُ  
وَيَدْعُونَ إِلَيْهِ، ﴿ وَيُؤَيِّدُ بَعْدَ لَوْكُ ﴾ يَعْمَلُونَ وَيَقْضُونَ. وَقَدْ جَاءَ فِي  
الْأَنَارِ أَنَّ الْمُرَادَ بِهَذِهِ الْأَمَةِ الْمَذْكُورَةِ فِي الْآيَةِ هِيَ هَذِهِ الْأَمَةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ.  
الآية (١٨٢-١٨٣): ﴿ يَقُولُ تَعَالَى: ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ



﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَأَنَافُتٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾

**السؤال: متى تعتبر مستفيدا من سمعك وبصرك في أمر الآخرة؟**

﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَالَّذِينَ لَا يُسْمِعُونَ  
بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَصْلَفُ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾

**السؤال: لماذا كان بعض بني آدم أضل من الأنعام؟**

**السؤال: ثم سمى الله تعالى أسماءه بالحسنى؟**

**السؤال: كيف يدعو المؤمن ربه بأسمائه الحسنى؟**

**السؤال: ما المراد من ترك الذين يلحدون في أسمائه سبحانه؟**

**السؤال: هل يخلو زمان من قائم لله تعالى بالدعوة إلى دينه؟**

**لسؤال: كيف يكون الاستدراج للناس من حيث لا يعلمون؟**

وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كُيُومًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ  
بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ  
كُلًّا آتَعْمَلُ بَلْ هُمْ أَصْلٌ أُولَئِكَ هُمُ الْقَافِلُونَ ﴿٣٧﴾ وَلِلَّهِ  
الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذُرُوا الَّذِينَ يَلْحَدُونَ فِي أَسْمَائِهِ  
سَيَجْزُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٨﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا نُفُثًا لِّبَدُونِ يَأْمُرُ  
بِهِ بِعَدْلٍ ﴿٣٩﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم  
مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِن كُنتُمْ مَّيْمِينَ ﴿٤١﴾ أُولَئِكَ  
يَتَفَكَّرُونَ مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٢﴾  
أُولَئِكَ يَنْظُرُونَ فِي مَلَكُوتِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ  
مِنْ شَيْءٍ وَهُمْ لَا يَخِفُونَ إِنْ يَكُونُ فِدًا وَقُرُبُ أَجْلُهُمْ فَبِأَيِّ حَبِيبٍ  
بَعْدَهُ يُنْفَخُونَ ﴿٤٣﴾ مَن يَضِلَّ اللَّهُ فَلَا حَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ  
فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤٤﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَلُهَا  
قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجِيبُهَا إِلَّا هُوَ يُفْقَسُ فِي  
السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ الْبَسَاطَةُ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَافِيٌّ عَنْهَا  
قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِن مَّا أَكْثَرَ النَّاسَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٥﴾

الكلمة	المعنى
ذَرَأْنَا	خَلَقْنَا.
يَعْدِلُونَ	يَقْضُونَ، وَيَحْكُمُونَ.
وَأَمَلِي لَهُمْ	أُمُهُلَهُمْ.
يَعْمَهُونَ	يَتَحَيَّرُونَ، وَيَتَرَدَّدُونَ.
أَيَّانَ مَرَسَاهَا	مَتَى وَفَوْعَهَا.
خَفِيَ عَنْهَا	حَرِيصٌ عَلَى الْعِلْمِ بِهَا.

۱. اسأل الله تعالى صلاح قلبك، وإن يمتك بسمعك وبصرك في طاعته، ﴿كَمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَمْ أَتَيْنِهَا لِيُفْهَمُوا بِهَا وَلَمْ يَكُنْ لَهَا سَمْعٌ بِهَا﴾.

۲. قل: «اللهم ارني الحق حقا وارزني اتباعه»، ﴿وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾.

٣. تعرف على معاني أسماء الله الحسنى، ثم ادع الله تعالى بها في مظان الإجابة.  
 كان تقول: «يا رحيم ارحمني»، «يا شكور اقبل عملي»، ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ  
 فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِقُونَ فِي الْأَسْمَاءِ﴾.

١. استعمل جوارحك فيما خلقت له، ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾.

٢. احذر مكر الله سبحانه وتعالى فيما انعم به عليك، ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

٣. اتفكر بروية العاصي بعافية ومظهر حسن: فربما كان هذا استدراجا له، ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾.



## ● الوقفات التدريبية

﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾

(قل لا املك لنفسي نفعا) اي: لا اقدر لنفسي نفعا؛ اي: اجتلاب نفع بان اربح، (ولا ضرا) اي: دفع ضرر البغوي: ١٧٨/٢.

السؤال: كيف تصحح اعتقاد من يطلب الحاجات من النبي ﷺ؟

﴿إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾

وخص بهم البشارة والندارة؛ لأنهم هم الذين ينتفعون بها. ابن جزري: ٣٣٢/١.

السؤال: ما وجه اختصاص البشارة والندارة بأهل الإيمان؟

﴿قُلْنَا أَفَلَمْ نَدْعُوا اللَّهَ رَهِيمًا لِّئِنْ أَتَيْنَا صَاحِبًا لِّتَكُونَ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾

﴿قُلْنَا أَتَيْنَاهُمَا صَاحِبًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَيْنَاهُمَا﴾

(فلما آتاها صالحا): على وفق ما طلبا، وتمت عليهما النعمة فيه، (جعلا له شركاء فيما آتاها) اي: جعل الله شركاء في ذلك الولد الذي انفرد الله بإيجاده والنعمة به، وأقر به عين والديه، فعبداه غير الله؛ إما أن يسمياه بعبد غير الله؛ كـ «عبد الحارث» و «عبد العزيز» و «عبد الكعبة» ونحو ذلك، أو يشركا بالله في العبادة، بعدما من الله عليهما بما من من النعم التي لا يحصيها أحد من العباد. السعدي: ٣١١.

السؤال: اذكر صورتين لكفر نعمة الذرية.

﴿قُلْنَا أَفَلَمْ نَدْعُوا اللَّهَ رَهِيمًا لِّئِنْ أَتَيْنَا صَاحِبًا لِّتَكُونَ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾

﴿قُلْنَا أَتَيْنَاهُمَا صَاحِبًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَيْنَاهُمَا﴾

ثم أوجد الذرية في بطون الأمهات وقتنا موقوتا؛ تنشوف إليه نفوسهم، ويدعون الله أن يخرجهم سويا صحيحا، فأتهم الله عليهم النعمة وأنالهم مطلوبهم، أفلا يستحق أن يعبدوه، ولا يشركوا به في عبادته أحدا، ويخلصوا له الدين؟! ولكن الأمر جاء على العكس، فاشركوا بالله (ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون) ولا يستطيعون فهم) اي: لعابديها (نصرا ولا أنفسهم ينصرون). السعدي: ٣١١.

السؤال: اذكر مثلا لجهل المشركين وكفرهم من خلال الآية.

﴿اللَّهُمَّ ارْجُلُ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أُنْثَى يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يَصْهَرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ أَدْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظَرُونَ﴾

ثم وبخهم الله تعالى وسفه عقولهم، فقال: (اللهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يمشون بها أم لهم أيد يمشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم أذان يسمعون بها) ... الآية؛ اي: أنتم أفضل منهم، فكيف تعبدونهم؟! والغرض بيان جهلهم. القرطبي، ٤١٦/٩.

السؤال: من خلال هذه الآية بأي شيء فضلنا الله تعالى على المشركين؟

﴿اللَّهُمَّ ارْجُلُ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أُنْثَى يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يَصْهَرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ أَدْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظَرُونَ﴾

وخص الأرجل والأيدي والأعين والأذان؛ لأنها آلات العلم، والسعي، والدفع للنصر. ابن عاشور: ٢٢٢/٩.

السؤال: لماذا خصت الأرجل والأيدي والأعين والأذان بالذكر في الآية الكريمة؟

﴿قُلْ أَدْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظَرُونَ﴾

المعنى: استنجدوا أصنامكم لمضرتي والكيد علي، ولا تؤخروني؛ فإنكم وأصنامكم لا تقدرون على مضرتي، ومقصود الآية الرد عليهم ببيان عجز أصنامهم، وعدم قدرتها على المضرة، وفيها إشارة إلى التوكل على الله، والاعتصام به وحده، وأن غيره لا يقدر على شيء. ابن جزري: ٣٣٢/١.

السؤال: ما علامة بطلان الدعاء والاستغاثة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه؟

قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْبَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٧٨﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَفَلَكْتَ دَعَا اللَّهَ رَبَّهَا لِيْنَ ءَاتَيْتَنِي صَاحِبًا لِّتَكُونَ مِنَ الْمَشْكُورِينَ ﴿١٧٩﴾ فَلَمَّا ءَاتَيْنَاهُمَا صَاحِبًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَيْنَاهُمَا فَتَعَلَّى اللَّهَ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨٠﴾ أَشْتَرُكُمْ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٨١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرٌ وَلَا أَنفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٨٢﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سِوَاهُ عَلَيْهِمْ أَدْعَاؤُهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَاحِبُونَ ﴿١٨٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادُ أُمَمٍ لَّكُم فَاذْعَبُوا فَلْيَسْتَغِيثُوا أَلَكُمُ الْيَوْمَ صَاحِبُونَ ﴿١٨٤﴾ اللَّهُمَّ ارْجُلُ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أُنْثَى يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يَصْهَرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ أَدْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظَرُونَ ﴿١٨٥﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
يَسْكُنُ	يُنَاسُ، وَيُطْمَتِنُ.
تَغَشَّاهَا	جَامَعَهَا.
فَمَرَّتْ بِهِ	قَامَتْ بِهِ، وَقَعَدَتْ، لِحَفْظَةِ الْحَمْلِ.
أَفَلَكْتَ	صَارَتْ ثَقِيلَةً لِأَجْلِ الْحَمْلِ.
فَتَعَلَّى	تَعَاطَفَ، وَتَنَزَّهَ.

## ● العمل بالآيات

١. بشّر من حولك بما عند الله من الخير؛ كان تبشرهم بقرب نصر الله تعالى وفرجه، وجنته وكرامته لأهل طاعته، ﴿إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.
٢. قل: «اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئا وأنا أعلم، وأستغفر لك ما لا أعلم»، ﴿قُلْنَا أَتَيْنَاهُمَا صَاحِبًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَيْنَاهُمَا فَتَعَلَّى اللَّهَ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.
٣. حاور بعض من يلتجئ في قضاء حاجته إلى غير الله تعالى من قبر أو مشهد، وبين له ضعفهم، ﴿أَشْتَرُكُمْ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٨١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرٌ وَلَا أَنفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ﴾.

## ● التوجيهات

١. لو كان القائمون على الأضرحة والقبور صادقين ما أصابهم الضرر، ﴿وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْبَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾.
٢. من مهام النبي ﷺ البشارة والندارة، فاجعلها من مهامك في حياتك، ﴿إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.
٣. إذا حصلت لك نعمة فاشكر الله سبحانه قبل شكر غيره من البشر، ﴿قُلْنَا أَتَيْنَاهُمَا صَاحِبًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَيْنَاهُمَا﴾.

وكان الحسن يقول: هم اليهود والنصارى؛ رَزَقَهُمُ اللهُ أولادًا، فَهَوِّدُوا وَنَصَّرُوا. وهذه أسانيد صحيحة عن الحسن -رَحِمَهُ اللهُ- أنه فسر الآية بذلك، وهو من أحسن التفسير وأولى ما حُمِلَتْ عليه الآية، فليس المراد من هذا السياق آدم وحواء، وإنما المراد من ذلك المشركون من ذريته؛ ولهذا قال الله: ﴿فَتَعَلَّى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ فذكر آدم وحواء أولًا كالنوطنة لئلا بعدهما من الوالدين، وهو كاستطراد من ذكر الشخص إلى الجنس؛ كقوله: ﴿وَلَقَدْ رَزَقْنَاهُ آدَمًا بِمَصِيحٍ وَجَعَلْنَاهُ رُجُومًا لِلْعَيْتِلِينَ﴾ [الملك: ٥]، ومعلوم أن المصاييح -وهي النجوم التي رُمِثَتْ بها السماء- ليست هي التي يرمي بها، وإنما هذا استطراد من شخص المصاييح إلى جنسها، ولهذا نظائر في القرآن، والله أعلم.

الآية (١٩١-١٩٥): هذا إنكار من الله على المشركين الذين عبدوا مع الله غيره من الأنداد والأصنام والأوثان، وهي مخلوقة لله مربية مصنوعة، لا تملك شيئًا من الأمر، ولا تضر ولا تنفع، ولا تُبصر، ولا تنصّر لعبادها، بل هي جاد لا تتحرك ولا تسمع ولا تبصر، وعابدها أكمل منها بسمعهم وبصرهم وبطشهم؛ ولهذا قال: ﴿أَيُّشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ أي: أيشركون به من المعبودات ما لا يخلق شيئًا ولا يستطيع ذلك؛ كما قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ حَرِبَ مَثَلٌ قَاتِسِيحُوا لَهَا لِكِ الْذِيكَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ. وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُوا مِنْهُ شَيْئًا مِنَ الظَّلُوبِ﴾ [٣] مَا فَكَّرُوا أَنَّ اللَّهَ حَقٌّ قَدِيرٌ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿[الحج: ٧٣-٧٤] أخبر تعالى أنه لو اجتمعت آلهتهم كلها ما استطاعوا خلق ذبابة، بل لو سلبتهم اللبابة شيئًا من حقير المطامع وطارت، لَمَا استطاعوا إنقاذها منها؛ فمن هذه صفته وحاله، كيف يُعْبَدُ لِرِزْقٍ وَهُنْتَصَرُ؟! ولهذا قال تعالى: ﴿لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ أي: بل هم مخلوقون مصنوعون، كما قال الخليل: ﴿قَالَ أَتَشْكُرُونَ مَا أَنْشَأْتُكُمْ﴾ [التجن: ٥] وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْلَمُونَ ﴿[الصافات: ٩٥-٩٦]. ثم قال تعالى: ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا﴾ أي: لعابديهم، ﴿وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ﴾ يعني: ولا لأنفسهم ينصرون من أرادهم بسوء؛ كما كان الخليل يكسر أصنام قومه ويبيئها غاية الإهانة؛ كما أخبر تعالى عنه في قوله: ﴿وَرَأَى عَلَيْهِمْ مَثَرًا بِالْعَيْنِ﴾ [الصافات: ٩٣]، وقال تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُودًا إِلَّا كِبْرًا لَهُمْ لَمْ يُعْلَمُوا إِلَهُهُ يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٨].

وقوله: ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَائِرُونَ﴾ يعني: هذه الأصنام لا تسمع دعاء من دعاها، وسواء لديها من دعاها ومن دعاها؛ كما قال إبراهيم: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَأْتِيكُم تَعْبَدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ [مريم: ٤٢]، ثم ذكر تعالى أنها عبيد مثل عابديها؛ أي: مخلوقات مثلهم، بل الأناسي أكمل منها؛ لأنها تسمع وتبصر وتبتطش، وتلك لا تفعل شيئًا من ذلك. وقوله: ﴿فَلْيَدْعُوا شُرَكَاءَ كُفٍّ كِيدُونُ فَمَا نَبْذِركُمْ﴾ أي: استنصروا بها علي، فلا تفرغوني طرفه عين، واجهدوا جهدكم!

الآية (١٨٨): أَمَرَهُ اللهُ تعالى أن يفوض الأمور إليه، وأن يخبر عن نفسه أنه لا يعلم الغيب المستقبل، ولا اطلاع له على شيء من ذلك إلا بما أطلعه الله عليه؛ كما قال تعالى: ﴿عَلَيْهِمُ الْقَلْبُ فَلَا يَظْهَرُ عَلَى عَيْنِيهِمْ أَحَدًا﴾ [٥] إِلَّا مَنْ أَرَضَيْنَا مِنْ رُسُلِهِ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُمْ رَصَدًا ﴿[الحج: ٢٦-٢٧].

وقوله: ﴿وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمُ الْقَلْبَ لَاسْتَكْثَرْتَ مِنَ الْخَيْرِ﴾ قال مجاهد: لو كنت أعلم متى أموت، لعملت عملاً صالحاً. وقال مثله ابن جرير. وفيه نظر؛ لأن عمل رسول الله ﷺ كان ديممة [مغن عليه]. وفي رواية: كان إذا عمل عملاً أَتَيْتُهُ [رواه مسلم]. فجميع عمله كان على منوال واحد؛ كأنه ينظر إلى الله عز وجل في جميع أحواله، اللهم إلا أن يكون المراد أن يُرْسِدَ غيره إلى الاستعداد لذلك، والله أعلم. والأحسن في هذا ما رواه الضحاك، عن ابن عباس: ﴿وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمُ الْقَلْبَ لَاسْتَكْثَرْتَ مِنَ الْخَيْرِ﴾ أي: من المال. وفي رواية: لعلمت إذا اشترت شيئاً ما أربح فيه، فلا أبيع شيئاً إلا ربحت فيه وما مسني السوء، ولا يصيبني الفقر.

وقال ابن جرير: وقال آخرون: معنى ذلك: لو كنت أعلم الغيب لأعددت للسنة السُّجْدِيَّةَ من السُّجُودِ، ولوقت الغلاء من الرخص، فاستعدت له من الرخص. وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: ﴿وَمَا مَسَى السُّوءُ﴾ قال: لاجتنب ما يكون من الشر قبل أن يكون واتَّقِيته. ثم أخبر أنه إنما هو ﴿نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾، أي: نذير من العذاب، وبشير للمؤمنين بالجنات.

الآية (١٨٩-١٩٠): يُسَبِّحُ تعالى على أنه خلق جميع الناس من آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ وأنه خلق منه زوجته حواء، ثم انتشر الناس منها؛ كما قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاهُ شُعْوَاقًا وَإِنَّا لَنَاعَارُونَ﴾ [الحجر: ١٣].

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهَا رُوحًا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ أي: لبالفها ويسكن بها؛ كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١]، فلا ألفة بين روحين أعظم مما بين الزوجين. ﴿فَلَمَّا تَخَشَّسَهَا﴾ أي: وطئها ﴿حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا﴾؛ وذلك أول الحمل، لا تجد المرأة له أُلًا، إنما هي النطفة، ثم العلقة، ثم المضغة. وقوله: ﴿فَمَرَّتْ بِهِ﴾ قال مجاهد: استمرت بحمله. وقال أبوب: سألت الحسن عن قوله: ﴿فَمَرَّتْ بِهِ﴾ قال: لو كنت رجلاً عربياً لعرفت ما هي. إنما هي: فاستمرت به. وقال ابن جرير: معنا: استمرت بالماء، قامت به وقَعَدَتْ.

﴿فَلَمَّا أَتَتْكَ﴾ أي: صارت ذات نفل بحملها. وقال السُّدِّي: كَبُرَ الولد في بطنها. ﴿دَعَاكَ رَبُّهَا لِئِنْ أَتَيْتَنَا صَاحِبًا﴾ أي: بشرًا سويًا. روى ابن جرير عن الحسن: ﴿جَعَلَ لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾ قال: كان هذا في بعض أهل الملل، ولم يكن بآدم. وقال الحسن: عَنَى بها ذرية آدم، ومن أشرك منهم بعده؛ يعني: ﴿جَعَلَ لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾.



الآية (١٩٦-١٩٨): أي: الله حسي وكافيني، وهو نصيري، وعليه تمكيلي، وإليه ألتجأ، وهو وليي في الدنيا والآخرة، وهو ولي كل صالح بعدي، وهذا كقول الخليل: ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَشْتَرُ وَبَاطِلٌ أَفَتَعْبُدُونَ ﴿٧٦﴾ فَاتَّخَذُوا لِلَّهِ آلِهَةً يَدْعُونَ إِلَهُ إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَ فَرَسَهُمْ فِي بَيْنٍ﴾ [النمر: ٧٥-٧٨].

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ دَعَوْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ إلى آخر الآية، مؤكد لما تقدم، إلا أنه بصيغة الخطاب، وذلك بصيغة الغيبة، ولهذا قال: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ صَرْفَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَصْرِفُونَ﴾.

وقوله: ﴿وَلَنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرْجَهُمْ بِنُظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ كقوله تعالى: ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ﴾ [فاطر: ١٤]. وقوله: ﴿وَتَرْجَهُمْ بِنُظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ إنما قال: ﴿بِنُظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ أي: يقابلونك بعيون مصورة كأنها ناظرة، وهي جماد؛ ولهذا عاملهم معاملة من يعقل؛ لأنها على صور مصورة كالإنسان، فقال: ﴿وَتَرْجَهُمْ بِنُظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ فمَرَّ عنها بضمير من يعقل. وقال السدي: المراد بهذا المشركون، والأول أولى، وهو اختيار الطبري.

الآية (١٩٩-٢٠٠): ﴿خُذِ الْقَوْلَ﴾ قال ابن عباس: يعني: خذ ما عفا لك من أموالهم، وما أتوك به من شيء فخذ. وكان هذا قبل أن تنزل «براءة» بفرائض الصدقات. قاله السدي. وعن ابن عباس: أتفق الفضل. وقال ابن أسلم: أمره الله بالعفو والصفح عن المشركين عشر سنين، ثم أمره بالغلظة عليهم. واختار هذا القول ابن جرير. وعن مجاهد: ﴿الْقَوْلَ﴾ من أخلاق الناس وأعمالهم من غير تحس. وقال عروة: أمر الله رسوله ﷺ أن يأخذ العفو من أخلاق الناس. وعن عبد الله بن الزبير قال: إنما أنزل: ﴿خُذِ الْقَوْلَ﴾ من أخلاق الناس [رواه البخاري] وهذا أشهر الأقوال. وقال البخاري: «العرف»: المعروف. وقال ابن جرير: وقد أمر الله نبيه ﷺ أن يأمر عباده بالمعروف، ويدخل في ذلك جميع الطاعات، وبالإعراض عن الجاهلين، وذلك وإن كان أمراً لنبيه ﷺ، فإنه تأديب خلقه باحتيال من ظلمتهم واعتدى عليهم، لا بالإعراض عن جهل الحق الواجب من حق الله، ولا بالصفح عن كفر بالله وجهل وحدانيته، وهو للمسلمين حرب. ﴿وَلَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ﴾ يرشد تعالى إلى الاستعانة به من شيطان الجان، فإنه لا يكفيه منك الإحسان، وإنما يريد هلاكك ودمارك بالكلية، فإنه العدو مبين لك وأليك من قبلك. قال ابن جرير: وإما يُفْضِيكَ من الشيطان غضب يصدك عن الإعراض عن الجاهل، ويحكمك على مجازاته ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾، يقول: فاستعِز بالله من نزغ. ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾: ﴿سَمِيعٌ﴾ لجهل الجاهل عليك، والاستعانة به من نزغ، ولغير ذلك من كلام خلقه، لا يخفى عليه منه شيء، بما يذهب عنك نزغ الشيطان، وغير ذلك من أمور خلقه. وأصل «النزغ»: الفساد، إما بالغضب أو غيره، قال الله تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ﴾ [الإسراء: ٥٣]. «والعبادة»: الالتجاء والاستناد والاستجارة من الشر.

الآية (٢٠١-٢٠٢): يخبر تعالى عن المتقين من عباده الذين أطاعوه فيما أمر، وتركوا ما عنه زجر، أنهم ﴿إِذَا مَنَّ اللَّهُ﴾ أي: أصابهم

﴿عَلَيْتٌ﴾: منهم من فسر ذلك بالغضب، ومنهم من فسرهم بمس الشيطان بالصرح ونحوه، ومنهم من فسرهم بالهم بالذنب، ومنهم من فسرهم بإصابة الذنب. وقوله: ﴿تَذَكَّرُوا﴾ أي: عقاب الله وجزيل ثوابه، ووعد ووعيده، فتأبوا وأنابوا، واستعدوا بالله ورجعوا إليه من قريب. ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ أي: قد استقاموا وصحوا مما كانوا فيه.

وقوله: ﴿وَإِخْوَانُهُمْ﴾ أي: وإخوان الشياطين من الإنس، وهم أتباعهم والمستمعون لهم القابلون لأوامرهم. ﴿يُحْذَرُهُمْ فِي الْغَى﴾ أي: تساعد الشياطين على المعاصي، وتسهلها عليهم، وتحسنها لهم. قال ابن كثير: المدة: الزيادة؛ يعني: يزيدونهم في الغي؛ يعني: الجهل والسفه. ﴿ثُمَّ لَا يَقْصِرُونَ﴾ قيل: معناه إن الشياطين تمدد الإنس لا تقصر في أعمالهم بذلك. كما قال ابن عباس: لا الإنس يقصرون عما يعملون، ولا الشياطين تمسك عنهم.

الآية (٢٠٣): قال ابن عباس في قوله: ﴿قَالُوا لَوْلَا جَبَّتْهَا﴾ يقول: لولا تلقفها. وقال مرة أخرى: لولا أحذقتها فأنشأتها. وقال مجاهد: لولا اقتضيتها، قالوا: تحرجها من نفسك واختاره ابن جرير. ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بَايَرٌ﴾ أي: معجزة وخارق، يقولون للرسول ﷺ: ألا نجهد نفسك في طلب الآيات من الله حتى نراها ونؤمن بها؟! قال تعالى له: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يَدْعُوْنِي إِلَيْهِ مِنْ رَبِّي﴾ أي: أنا لا أتقدم إليه تعالى في شيء، وإنما أتبع ما أمرني به، فمثل ما يوحيه إلي، فإن بعت آية قبلتها، وإن منعتها لم أسأله ابتداء إياها؛ إلا أن يأذن لي في ذلك فإنه حكيم عليم. ثم أرشدهم إلى أن هذا القرآن هو أعظم المعجزات، وأبين الدلالات، وأصدق الحجج والبيانات، فقال: ﴿هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

الآية (٢٠٤): ﴿لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى أَنَّ الْقُرْآنَ بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ، أمر تعالى بالإتيان عند تلاوته إعظافاً له واحتراماً، لا كما كان يعتمد كفار قريش المشركون في قومه: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْافِ﴾﴾ [نفس: ٢٦]، ولكن يتأكد ذلك في الصلاة المكتوبة إذا جهر الإمام بالقراءة كما في الحديث الذي رواه مسلم عن أبي موسى: «وإذا قرأ فأنتصتوا». وعن مجاهد قال: في الصلاة والخطة يوم الجمعة.

الآية (٢٠٥-٢٠٦): يأمر تعالى بذكره أول النهار وآخره كثيراً، كما أمر بعبادته في هذين الوقتين في قوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩]. وقد كان هذا قبل أن تفرض الصلوات الخمس ليلة الإسراء، وهذه الآية مكية. وقال ههنا: ﴿وَالْعَصْرُ﴾ وهو أوائل النهار، ﴿وَالْأَصَالُ﴾ جمع أصيل. ﴿فَضْرِبْ خَيْفَةً﴾ أي: اذكر ربك في نفسك رغبة ورهبة، وبالقول لا جهر؛ ولهذا قال: ﴿وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾. وهكذا يستحب ألا يكون الذكر نداءً وجهاً بليفاً. وقد يكون المراد كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا يَخَافُهَا وَأَتَّبِعْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ١١٠] يتخذ سبيلاً بين الجهر والإسرار. ﴿وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ والمراد الحض على كثرة الذكر من العباد بالغلو والأصالة؛ لئلا يكونوا من الغافلين، ولهذا ملح الملائكة الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترقون، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ الآية، وإنما ذكرهم بهذا ليقتدى بهم في كثرة طاعتهم وعبادتهم.



## ● الوقفات التدبرية

### ● ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ الصَّالِحِينَ﴾

فالْمُؤْمِنُونَ الصَّالِحُونَ لما تولوا ربهم بالإيمان والتقوى، ولم يتولوا غيره ممن لا ينفع ولا يضر، تولاهم الله، ولطف بهم، وأعانهم على ما فيه الخير والمصلحة لهم في دينهم ودنياهم، ودفع عنهم بإيمانهم كل مكروه. السعدي: ٣١٢.

السؤال: كيف يدخل الإنسان في زمرة من يتولاه الله - سبحانه وتعالى - بحفظه ورعايته؟

### ● ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْفَهِيلِ﴾

إذا تسفه عليك أحد فلا تقابله بالسفه. البغوي: ١٨٤/٢.

السؤال: لو أن رجلاً شتمك، أو نال منك بغير حق، فماذا تفعل؟

### ● ﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَوِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

نزغ الشيطان: وسوسته بالتشكيك في الحق، والأمر بالمعاصي، أو تحريك الغضب، فأمر الله بالاستعاذة منه عند ذلك، كما ورد في الحديث: أن رجلاً اشتد غضبه فقال رسول الله ﷺ: (إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما به: نعوذ بالله من الشيطان الرجيم). ابن جزي: ٣٣٥/١.

السؤال: مثل لبعض نزغات الشيطان.

### ● ﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَوِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

(فاستعذ بالله) أي: اطلب النجاة من ذلك بالله، فأمر تعالى أن يدفع الوسوسة بالالتجاء إليه، والاستعاذة به. القرطبي: ٤٢٣/٩.

السؤال: كيف يدفع المؤمن وساوس الشيطان كما أرشدنا القرآن؟

### ● ﴿إِنَّكَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرُ ضَلًى إِذَا مَسَّهُمْ طَلَيْفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾

أي: يبصرون مواقع خطاياهم بالتذكر والتفكير، قال السدي: إذا زلوا تابوا. البغوي: ١٨٥/٢.

السؤال: كيف يكون حال المؤمن إذا وقع في المعصية؟

### ● ﴿إِنَّكَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرُ ضَلًى إِذَا مَسَّهُمْ طَلَيْفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾

قال سعيد بن جبير: هو الرجل يقضب الغضب فيذكر الله فيكظم الغيظ، وقال ليث عن مجاهد: هو الرجل يهم بالذنوب فيذكر الله فيدعه. ابن تيمية: ٢٣٩/٣.

السؤال: من الدين (إذا) مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون؟

### ● ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرَّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾

وهذه من الأدب التي ينبغي للعبد أن يراعيها حق رعايتها؛ وهي: الإكثار من ذكر الله أثناء الليل والنهار - خصوصاً طرُقَ النهار - مخلصاً خاشعاً متضرعاً، متذللاً ساكناً، متواطئاً عليه قلبه ولسانه، بادب ووقار، وإقبال على الدعاء والذكر، وإحضار له بقلبه وعدم غفلته؛ فإن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه. السعدي: ٣١٤.

السؤال: دلت الآية على سبب مهم من أسباب قبول الدعاء والذكر، فما هو؟

إِنَّ وَلِيََّ اللَّهِ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿١٨٤﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْمَعُونَ نَصْرَهُمْ وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِنْ يَدْعُوا إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٨٦﴾ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٨٧﴾ وَإِنَّمَا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَوِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَلَيْفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴿١٨٩﴾ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿١٩٠﴾ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتِيَ مَآئُودِي إِلَيْكُمْ فِي هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٩١﴾ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٩٢﴾ وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرَّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴿١٩٤﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
خُذِ الْعَفْوَ	خُذْ مَا تَيْسَّرُ مِنْ أَعْلَاقِ النَّاسِ، وَلَا تَكْلُفْهُمْ مَا لَا يُرِيدُونَ بِذَلِكَ لَكَ.
يَنْزَغَنَّكَ	يُضَيِّبَنَّكَ.
نَزْغٌ	وَسْوَسَةٌ، وَتَضْيِيقٌ عَنِ الْخَيْرِ، وَحَثٌّ عَلَى الشَّرِّ.
طَلَيْفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ	عَارِضٌ مِنَ وَسْوَسَةِ الشَّيْطَانِ.
لَا يُقْصِرُونَ	لَا يَدْخِرُونَ وَسْماً فِي غَوَايِهِمْ.

## ● العمل بالآيات

١. رد هذه الآية؛ ولكن على لسانك عند نزول المحن والأزمات، ﴿إِنَّ وَلِيََّ اللَّهِ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾.

٢. سامح شخصاً أساء إليك، ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾.

٣. قل: «عوذ بالله من الشيطان الرجيم» كلما شعرت بوساوس الشيطان، ﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَوِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

## ● التوجيهات

١. الإسلام عقيدة وأخلاق ومعاملات، ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾.

٢. شؤم أخوة شياطين الأنس؛ حيث لا يقصرون بمد صاحبهم بالفى الذي هو الشر والفساد، ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾.

٣. إذا أحسست بتضييق من الخير، أو حث على الشر؛ فهذه وسوسة شيطان فعليك بالاستعاذة بالله منه، ﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَوِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.



## ● الوقفات التدبيرية

﴿ يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾

(وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين) يريد في الحكم في الغنائم: قال عبادة بن الصامت: نزلت فينا أصحاب بدر حين اختلفنا وساعت أخلاقنا، فنزع الله الأنفال من أيدينا، وجعلها لرسول الله ﷺ قسمها على السواء، فكانت في ذلك تقوى الله وطاعة رسوله، وإصلاح ذات البين. ابن جرير: ٣٣٨/١.

السؤال: في هذه الجملة تربية للأمة، وضح ذلك.

● ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾

وهذه صفة المؤمن حق المؤمن؛ الذي إذا ذكر الله وجل قلبه، أي: خاف منه، ففعل أو امره، وترك زواجره... قال سفيان الثوري: سمعت السدي يقول: هو الرجل يريد أن يظلم -أو قال: يهجم بمعصيته- فيقال له: اتق الله؛ فَيَجُلُّ قلبه. ابن كثير: ٢/٢٧٤.

**السؤال: ما الغاية من خوف القلوب من الله سبحانه؟**

﴿ وَإِذَا قُلِّيتْ عَلَيْهِمْ ءَايَتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾

وجه ذلك: أنهم يلقون له السم، ويحضرون قلوبهم للتدبر، فعند ذلك يزيد إيمانهم؛ لأن التدبر من أعمال القلوب، ولأنه لا بد أن يبين لهم معنى ما كانوا يجهلونه، أو يتذكرون ما كانوا نسوه، أو يحدث في قلوبهم رغبة في الخير، واشتياقاً إلى كرامة ربهم، أو جلاً من العقوبات، وازدجاراً عن المعاصي، وكل هذا مما يزداد به الإيمان. السعدي: ٣١٥.

**السؤال: كيف يزيد التدبر في إيمان الشخص؟**

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ  
آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (الَّذِينَ يَفِيضُونَ  
الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿

قدم تعالى أعمال القلوب؛ لأنها أصل لأعمال الجوارح، وأفضل منها. السعدي: ٣١٥.

السؤال: لِمَ قَدَّمَ اللهُ تعالى أعمال القلوب على أعمال الجوارح؟

● ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾

وجيء بالفعلين المضارعين في (يقيمون) و(ينفقون) للدلالة على تكرار ذلك وتجدده. ابن عاشور: ٩/٢٦٠.

**السؤال: لماذا جيء بالفعلين المضارعين في (يقيمون) و(ينفقون)؟**

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ جَلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ ١  
الَّذِينَ يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ٢  
أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿

أولئك الموصوفون بهذه الصفات الخمس (هم المؤمنون حقاً) وصدقاً،  
(لهم درجات عند ربهم) أي: منازل عالية، متفاوتة العلو والارتفاع في  
الجنة، ولهم قبل ذلك (مغفرة) كاملة لذنوبهم. الجزري ٢: ٢٨٤.

**السؤال: ذكرت الآيات صفات المؤمنين حقا، بينها باختصار.**

﴿ وَإِذْ يَعِدُّكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَوَدَّوْنَ أَنْ غَيَّرَ ذَاتَ الشُّوْكَاءِ تَكُوْنُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَيِّقَ الْحَقَّ بِكُلْمَتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِيْنَ ﴾

فودع الله المؤمنين إحدى الطائفتين، إيماناً بظفروا بالغير، أو بالظفر، فاحبوا الغير لقلّة ذات يد المسلمين، ولأنها غير ذات شوكة، ولكن الله تعالى أحبّ لهم وأراد أمراً أعلى مما أحبوا؛ أراد أن يظفروا بالظفر الذي خرج فيه كبراء المشركين وصناديدهم: **وَوُرِدَ اللَّهُ أَن يَحِقَّ الْحَقُّ بِكَلِمَاتِهِ** فينصر اهله **(وَيَقَطَّعَ ذَا بِلِ الْكَافِرِينَ)** أي: يستأصل أهل الباطل، ويُرَى عياده من نصره للحقّ أمراً لم يكن يخطر ببالهم. السعدي: ٣١.

السؤال: ما الذي ينبغي أن يظنه المسلم إذا أراد الله وقدر غير ما يريد هو ويهواه؟

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
الْأَنْصَالُ	الْقَنَائِمُ.
وَجَلَّتْ	فَزِعَتْ.
ذَاتِ الشُّوْكَةِ	صَاحِبَةِ السَّلَاحِ، وَالْقُوَّةِ.
ذَابِرَ الْكَافِرِينَ	أَخْرَهُمُ، وَالْمَرَادُ: جَمِيعُهُمْ.

## ● العمل بالآيات

١٠. اسع في صلح بين شخصين من المسلمين اختلفا، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

١٠. اقرأ من كتب التفسير أو السيرة عن سبب نزول هذه الآيات: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَقْضُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

٢. حاسب نفسك على صلاتك، وانظر في أي جانب قصرت فيها، سواء كان في أركانها أو واجباتها أو مستحباتها، ثم سد هذا النقص والخلل، ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾.

● التوجيهات

١. من صفات المؤمنين التوكل على الله، وعدم التوكل على غيره، ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.

١٠. يولي القرآن الكريم إصلاح ذات البين عنايةً قصوى؛ فقد ورد الأمر به مسبقاً بامر عام بتقوى الله، وأعطيه بامر عام بطاعة الله ورسوله، مع جعله من شروط الإيمان: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

٢. تأمل كيف سمى الله تعالى قتال أعدائه ومناجزتهم حقاً، خلافاً لمن يسميه باسماء مشوهة، ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَمَا بَيْنَ كَانَمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾.

## تفسير سورة الأنفال

مدينة، [وعدد آياتها (٧٥) آية].

الآية (١): قال البخاري: قال ابن عباس: الأنفال: الغنائم. وكذا قال مجاهد وعكرمة وغير واحد. وعن القاسم بن محمد قال: قال ابن عباس: كان الرجل ينفل فرس الرجل وسلاحه. وإسناده صحيح إلى ابن عباس أنه فسر النفل بما ينقله الإمام لبعض الأشخاص من سلب أو نحوه، بعد قسم أصل المغنم، وهو المتبادر إلى فهم كثير من الفقهاء من لفظ النفل، والله أعلم. وعن عطاء بن أبي رباح: «يَسْتَوْنَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ» قال: يسألونك فيما شئ من المشركون إلى المسلمين في غير قتال؛ من: دابة أو عبد أو أمة أو متاع، فهو نفل للنبي ﷺ يصنع به ما يشاء. وهذا يقتضي أنه فسر الأنفال بالفيء، وهو ما أخذ من الكفار من غير قتال. قال ابن جرير: وقال آخرون: هي أنفال السرايا، وقد صرح بذلك الشعبي، واختار ابن جرير أنها الزيادة على القسم. «فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ» أي: اتقوا الله في أموركم، وأصلحوا فيما بينكم ولا تظالموا ولا تخاصموا ولا تشاجروا؛ فما آتاكم الله من الهدى والعلم خير مما تختصمون بسببه. «وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ» أي: في قسمه بينكم على ما أَرَادَ الله؛ فإنه يقسمه كما أمره الله من العدل والإنصاف. وقال ابن عباس: هذا تخرج من الله ورسوله أن يتقوا ويصلحوا ذات بينهم.

الآية (٢): قال ابن عباس: المنافقون لا يدخل قلوبهم شيء من ذكر الله عند أداء فرائضه، ولا يؤمنون بشيء من آيات الله، ولا يتوكلون، ولا يصلون إذا غابوا، ولا يؤدون زكاة أموالهم، فأخبر الله تعالى أنهم ليسوا بمؤمنين، ثم وصف المؤمنين فقال: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ» فأدوا فرائضه «وَإِذَا تَلَّيْتُمْ عَلَيْهِمْ آيَاتَهُ، زَادَتْهُمْ إِيمَانًا» يقول: زادتهم تصديقاً «وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» يقول: لا يرجون غيره. وقال مجاهد: «وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ»: قَرَأَتْ، أي: فزعت وخافت. وهذه صفة المؤمن حق المؤمن، الذي إذا ذكر الله وجل قلبه، أي: خاف منه، ففعل أوامره، وترك زواجره. وقوله: «وَإِذَا تَلَّيْتُمْ عَلَيْهِمْ آيَاتَهُ، زَادَتْهُمْ إِيمَانًا» كقوله: «وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَرَأَدَتُهُمْ إِيمَانُ وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ» [الأنفال: ٢٤]. وقد استدل البخاري وغيره من الأئمة بهذه الآية وأشباهها على زيادة الإيثار وتفاضله في القلوب، وقد حكى الإجماع على ذلك غير واحد من الأئمة؛ كالشافعي وأحمد وأبي عبيد. «وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» أي: لا يرجون سواه، ولا يقصدون إلا إياه، ولا يلودون إلا بجنابه، ولا يطلبون الخواص إلا منه، ولا يرغبون إلا إليه، ويعلمون أنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه المتصرف في الملك، وحده لا شريك له، ولا معقب لحكمه، وهو سريع الحساب. قال سعيد بن جبير: التوكل على الله جماع الإيمان.

الآية (٣-٤): قوله: ﴿الَّذِينَ يُضِلُّونَ أَعْيُنَكَ عَنِ الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ ينبه بذلك على أعمالهم بعد ما ذكر اعتقادهم، وهذه الأعمال تشمل أنواع الخير كلها، وهو: إقامة الصلاة - وهو حق الله تعالى - وقال قتادة: إقامة الصلاة: المحافظة على مواقيتها ووضوئها، وركوعها وسجودها، وقال مقاتل بن حيان: إقامتها: المحافظة على مواقيتها، وإسباغ الطهور فيها، وتمام ركوعها وسجودها، وتلاوة القرآن فيها، والشهد والصلاة على النبي ﷺ، هذا إقامتها، والإنفاق مما رزقهم الله يشمل إخراج الزكاة، وسائر الحقوق للعباد من واجب ومستحب؛ قال قتادة في قوله: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾: فأنفقوا مما أعطاكم الله؛ فإنما هذه الأموال عَوَارِي وودائع عندك يا ابن آدم، أَوْشَكَتْ أَنْ تَفَارِقَهَا. «أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا» أي: المتصفون بهذه الصفات هم المؤمنون حق الإيمان. «لَمْ يَرْجَتْ عَنْ رَبِّهِمْ» أي: منازل ومقامات ودرجات في الجنات. «وَمُتَّفِقَةً» أي: يغفر لهم السيئات، ويشكر لهم الحسنات. وقال الضحاك: أهل الجنة بعضهم فوق بعض، فبى الذي هو فوق فضله على الذي هو أسفل منه، ولا يرى الذي هو أسفل أنه فضّل عليه أحد.

الآية (٥-٦): قال الطبري: اختلف المفسرون في السبب الجالب لهذه «الكاف» في قوله: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ﴾، فقال بعضهم: شُبّه به في الصلاح للمؤمنين اتقاؤهم ربه، وإصلاحهم ذات بينهم، وطاعتهم الله ورسوله، وقال آخرون: معنى ذلك: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْنِكَ بِالْحَقِّ﴾ على كره من فريق من المؤمنين، كذلك هم كارهون للقتال، فهم يجادلونك فيه بعد ما تبين لهم. «يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ» [سبب النزول]: عن ابن عباس: لما شاور النبي ﷺ في لقاء العدو، وقال له سعد بن عبادة ما قال - وذلك يوم بدر - أمر الناس أن يتهيأوا للقتال، وأمرهم بالشوكة، فكره ذلك أهل الإيمان، فأنزل الله: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْنِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقَيْنِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ الآية. قال مجاهد: «يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ»: في القتال. قال ابن جرير: وقال آخرون: عنى بذلك المشركين، ثم روى عن ابن زيد قال: هؤلاء المشركين جادلوه في الحق «كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ» حين يدعون إلى الإسلام «وَهُمْ يُنْظَرُونَ» وليس هذا من صفة الآخرين، هذه صفة مبتدأة لأهل الكفر. قال ابن جرير: ولا معنى لما قاله، والصواب قول ابن عباس وابن إسحاق أنه خبر عن المؤمنين. وهذا الذي نصره ابن جرير هو الحق.

الآية (٧-٨): ﴿وَيُؤْذُونَ» أَنَّ عَرَّ ذَاتِ الْكُرْهِ تَكُونُ لَكُرْ﴾ أي: يحبون أن الطائفة التي لا حد لها ولا منعة ولا قتال، تكون لهم؛ وهي العير. «وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَيِّطَ الْحَقَّ يَكُونُ» أي: هو يريد أن يجمع بينكم وبين الطائفة التي لها الشوكة والقتال، ليظفركم بهم، ويظهركم عليهم، ويظهر دينه، ويرفع كلمة الإسلام، ويجعله غالباً على الأديان، وهو أعلم بمواقب الأمور، وهو الذي يدبركم بحسن تدبيره، وإن كان العباد يجنون خلاف ذلك فيما يظهر لهم.

أنه تعالى أوحى إلى الملائكة الذين أنزلهم لنصر نبيه ودينه وحزبه المؤمنين، يوحى إليهم فيما بينه وبينهم أن يثبتوا الذين آمنوا. قال ابن إسحاق: وأزروهم. وقال غيره: قاتلوا معهم. وقيل: كثروا سوادهم. ﴿سَأَلْنِي فِي ثُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبَ﴾ أي: ثبتوا أنتم المؤمنين وقفوا أنفسهم على أعدائهم، عن أمري لكم بذلك، سألتني الرب والصغار على من خالف أمري وكذب رسولي.

قوله: ﴿فَاصْبِرُوا فَوْقَ الْأَغْيَابِ وَأَصْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ أي: اصبروا الهام فلفقوها، واحترزوا الرقاب فقطعوها، وقطعوا الأطراف منهم، وهي أيديهم وأرجلهم.

الآية (١٣-١٤): ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أي: خالفوها فصاروا في شقٍّ، وتركوا الشرع والإيمان به واتباعه في شقٍّ، ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّهُ لَفِي شِقَاقٍ أَلِيمٍ﴾ أي: هو الطالب الغالب لمن خالفه وناوأه؛ لا يفوته شيء، ولا يقوم لغضبه شيء، تبارك وتعالى، لا إله غيره، ولا رب سواه. ﴿ذَلِكَ لَكُمْ فَذُقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ﴾ هذا خطاب للكفار، أي: ذوقوا هذا العذاب والنكال في الدنيا، واعلموا أيضًا أن للكافرين عذاب النار في الآخرة.

الآية (١٥-١٦): يقول تعالى متوعدًا على الفرار من الزحف بالنار لمن فعل ذلك: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَيْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا دَعًّا﴾ أي: تقاربهم منهم ودنوتهم إليهم ﴿فَلَا تُولَّهُمْ أَلْذَبَارَ﴾ أي: لا تفرّوا وتتركو أصحابكم. ﴿وَمَنْ يُولَّهُمْ يَوْمِئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ﴾ أي: يفرّ بين يدي قزينة مكيدة؛ لئلا يخاف منه فتيهه، ثم يكرّ عليه فيقتله، فلا بأس عليه في ذلك. نص عليه سعيد بن جبير والسدي. وقال الضحاك: أن يتقدم عن أصحابه ليرى عِزَّةً من العدو فيصيبها. ﴿أَوْ مُتَحَرِّفًا إِلَيْكَ فَتَرَّ﴾ أي: فرّ من ههنا إلى فئة أخرى من المسلمين، يعاونهم ويعاونونه، فيجوز له ذلك، حتى ولو كان في سرية ففرّ إلى أميره أو إلى الإمام الأعظم، دخل في هذه الرخصة. ﴿فَقَدْ بَكَ﴾ أي: رجع ﴿بِعَضْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأُونَةٍ﴾ أي: مصيره ومتقبله يوم مياعده ﴿جَهَنَّمَ وَنُفْسٍ النَّاصِرِ﴾. وقد ذهب ذاهبون إلى أن الفرار إنما كان حرامًا على الصحابة. وقيل: المراد بهذه الآية أهل بدر خاصة. قال يزيد بن أبي حبيب: أوجب الله تعالى لمن فر يوم بدر النار فقال: ﴿وَمَنْ يُولَّهُمْ يَوْمِئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَرِّفًا إِلَيْكَ فَتَرَّ﴾ فَقَدْ بَكَ بِعَضْبٍ مِّنَ اللَّهِ، فلما كان يوم أحد بعد ذلك قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْكُمْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَيَأْتِيَنَّ الْجَمْعَانِ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ (ال عمران: ١٥٥)، ثم كان يوم حُتَيْنَ بعد ذلك بسبع سنين، قال: ﴿ثُمَّ وَبِئْسَ مَذْهَبُ الَّذِينَ يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَىٰ مَنْ يَنْكُرُهُ﴾ (التوبة: ٢٥)، [التوبة: ٢٧].

وهذا كله لا ينفي أن يكون الفرار من الزحف حراماً على غير أهل بدر، وإن كان سبب نزول الآية فيهم.

الآية (٩-١٠): [سبب النزول]: عن عمر بن الخطاب قال: لما كان يوم بدر نظر النبي ﷺ إلى أصحابه، وهم ثلاثمائة وثَبَّ، ونظر إلى المشركين فإذا هم ألف وزيادة، فاستقبل النبي ﷺ القبلة، وعليه داؤه وإزاره، فما زال يستغيث ربه ويدعوه حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه قرأه، ثم التزمه من ورائه، ثم قال: يا نبي الله، كفك مناشدتك ربك؛ فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله عز وجل: ﴿إِذْ تَسْتَدِينُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبْ لَكُمْ أَتَى مُؤَدِّكُمْ يَأْتِي مِنَ الْمَلَكِ مَرْوِيًّا﴾ (رواه مسلم). ﴿يَأْتِي مِنَ الْمَلَكِ مَرْوِيًّا﴾ أي: يُرْوَفُ بعضهم بعضًا، كما قال ابن عباس: ﴿مَرْوِيًّا﴾: متابعين. وعن ابن عباس قال: وراء كل ملك ملك. وفي رواية قال: بعضهم على إثر بعض. والمشهور عن ابن عباس قال: وأمد الله نبيه ﷺ والمؤمنين بألف من الملائكة، فكان جبريل في خسارة من الملائكة مُجَنَّبَةً، وميكائيل في خسارة مُجَنَّبَةٍ. قوله: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ﴾ أي: وما جعل الله بعث الملائكة وإعلامه إياكم بهم إلا بُشْرَىٰ ﴿وَالظَّالِمِينَ بِهِ قُلُوبُكُمْ﴾، وإلا فهو تعالى قادر على نصركم على أعدائكم بدون ذلك، ولهذا قال: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾. قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ أي: له العزة ولرسوله وللمؤمنين بها في الدنيا والآخرة؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَنُعِزُّهُمْ أَفَلا تَشْهَدُونَ﴾ (غافر: ٥١). ﴿حَكِيمٌ﴾ فيها شرعه من قتال الكفار، مع القدرة على دمارهم وإهلاكهم بحوله وقوته سبحانه.

الآية (١١): يذكركم الله بما أنعم به عليهم من لقائه التماس عليهم؛ أماناً أُنْتَهَم به من خوفهم الذي حصل لهم من كثرة عُدُوهم وقلة عَدَدِهِمْ، وكذلك قَعَلَ تعالى بهم يوم أُحُد؛ كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَدِّ السَّمَاءِ مَاءً فَسَيَفْشِي عَلَيْكُمْ سَوَاقِلَكُمْ وَمِنْهَا طَائِفَةٌ لَكُمْ فَتُكْفَرُونَ عَنْهَا وَالْغُلَامَ أَهْلَتَهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤]. قوله: ﴿وَيُرِثْ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّكَاةِ مَاءً﴾ قال ابن عباس: إن المشركين من قريش لما خرجوا لينصروا العبر وليقاتلوا عنها، نزلوا على الماء يوم بدر، فغلبوا المؤمنين عليه، فأصاب المؤمنين الظمأ، فجعلوا يصلون مُجْنِبِينَ مُخْذِلِينَ، حتى تعاطموا ذلك في صدورهم، فأنزل الله من السماء ماء حتى سال الوادي، فشرب المؤمنون، وملأوا الأسقية، وسقوا الرُكَّاب، واغتسلوا من الجنابة، فجعل الله في ذلك طهوراً، وثبت به الأقدام. وذلك أنه كانت بينهم وبين القوم رَمْلَةٌ، فبعث الله المطر عليها، فضرها حتى اشتدت، وثبتت عليها الأقدام. ﴿يُطَهِّرُكُمْ بِهِ﴾ أي: من حديث أصفر أو أكبر، وهو تطهير الظاهر، ﴿وَيُذْهِبْ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾ أي: من وسوسة أو خاطر سيء، وهو تطهير الباطن. ﴿وَيُكَبِّرْ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾ أي: بالصبر والإقدام على مجادلة الأعداء، وهو شجاعة الباطن، ﴿وَيُنِيتْ بِدَ الْأَقْدَامِ﴾ وهو شجاعة الظاهر.

الآية (١٢): ﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَكَةِ أَنِي مَعَكُمْ فَتِئَتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ هذه نعمة خفية أظهرها الله تعالى لهم؛ ليشكروه عليها، وهو



## ● الوقفات التدريبية

﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾

(وما جعله الله) اي: انزال الملائكة، (الا بشرى) اي: لتستبشر بذلك نفوسكم، (ولتطمئنن به قلوبكم)، والا فالنصر بيد الله، ليس بكثرة عدد ولا عُدَدِ السعدي: ٣١٦.

السؤال: فعل الأسباب واجب، لكن من اين ياتي النصر الحقيقي؟

﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

فيه على ان النصر من عنده -جل وعز- لا من الملائكة، اي: لولا نصره لما انتفع بكثرة العدد بالملائكة، القرطبي: ٤٥٨/٩.

السؤال: اسباب النصر كثيرة، لكن من الناصر حقيقة؟

﴿ إِذْ يُبَشِّرُكُمُ النَّاسَ أَنَّهُ مِنْهُ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ مَاءَ يُطَهِّرُكُمْ بِهِ وَيُذْهِبُ عَنْكُمْ رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴾

وانما كان (النعاس) امنا لهم؛ لانهم لما قاموا زال اثر الخوف من نفوسهم في مدة النوم، فتلك نعمته، ولما استيقظوا وجدوا نشاطا، ونشاط الأعصاب يكسب صاحبه شجاعة، ويزيل شعور الخوف الذي هو فتور الأعصاب. ابن عاشور: ٢٧٨/٩.

السؤال: كيف كان النعاس امنة للمؤمنين؟

﴿ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ ﴾

اي: يُثَبِّتُهَا؛ فان ثبات القلب اصل ثبات البدن. السعدي: ٣١٦.

السؤال: لماذا ذكر الله ثبات القلب قبل ثبات البدن؟

﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَكِ أَنِّي مَعَكُمْ فَفَتَنُوا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾

(فتنوا الذين آمنوا) اي: قووا قلوبهم. البغوي: ٢٠١/٢.

السؤال: ذكرت الآية عملاً من اعمال الملائكة، فما هو؟

﴿ فَأَضْرِبُوا قَوْقُ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾

وانما خصت الأعناق والبنان؛ لأن ضرب الأعناق إتلاف لأجساد المشركين، وضرب البنان يبطل صلاحية الضروب للقتال؛ لأن تناول السلاح إنما يكون بالأصابع. ابن عاشور: ٢٨٣/٩.

السؤال: لماذا خصت الأعناق والبنان بالذكر في الآية الكريمة؟

﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَكِ أَنِّي مَعَكُمْ فَفَتَنُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَضْرِبُوا قَوْقُ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُتِبَ اللَّهُ شَرِيذًا لَّيْقَابَ ﴾

فجعل إلقاء الرعب في قلوبهم والأمر بقتلهم لأجل مشاققتهم لله ورسوله، فكل من شاق الله ورسوله يستوجب ذلك. ابن تيمية: ٢٥٩/٣.

السؤال: ما عقوبات من شاق الله ورسوله؟

إِذْ تَسْتَفِيتُونَ رَبُّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ ١ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٢ إِذْ يُبَشِّرُكُمُ النَّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يُطَهِّرُكُمْ بِهِ وَيُذْهِبُ عَنْكُمْ رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ٣ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَكِ أَنِّي مَعَكُمْ فَفَتَنُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَضْرِبُوا قَوْقُ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ٤ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ٥ ذَلِكَ كَمْ فَعَوْهُ وَأَنَّ لِلَّهِ كُفْرِينَ ٦ عَذَابُ النَّارِ ٧ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا رَحْمَةً فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ ٨ وَمَنْ يُولُوهُمْ يَوْمَئِذٍ دُبرُهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقَالٍ أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَىٰ وَفَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَيَسَّ الْمَصِيرُ ٩

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
يُغَشِّيكُمْ	يُلْقِي النُّعَاسَ عَلَيْكُمْ؛ كَالْفِطَاءِ
أَمَنَةً	أَمَانًا.
رِجْسَ الشَّيْطَانِ	وَسَاوِسُهُ وَتَخَوُّيَاتِهِ.
مُتَحَرِّفًا لِقَالٍ	مُظْهِرًا الْفِرَارَ؛ خِدْعَةً، ثُمَّ يَكْزُرُ.
مُتَحَيِّرًا إِلَىٰ وَفَةٍ	مُنْحَاذًا إِلَىٰ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ، سَوَاءَ كَانُوا سَرِيئَةً فَانْحَاذُوا لِلْجَيْشِ أَوْ انْحَاذُوا لِلْإِمَامِ الْأَعْظَمِ.

## ● العمل بالآيات

١. ألح على الله تعالى بطلب حاجة من حاجاتك؛ فإن الله يحب الاستغاثة به، والتضرع إليه، ﴿ إِذْ تَسْتَفِيتُونَ رَبُّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ ﴾.
٢. ابحث عن الأخبار السارة عن الدعوة والإغاثة والجهاد وانشرها؛ فيها بشارة للمؤمنين وتطمين لقلوبهم، ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ﴾.
٣. رز من يؤدي أعمالاً خيرية لتثبيته وتشجيعه، أو ارسل له رسالة بذلك، ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا رَحْمَةً فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ ﴾.

## ● التوجيهات

١. قوة القلب أهم من قوة الجسد؛ فاعمل على تقوية قلبك بالإيمان بالله، وعدم الخوف من الناس، ﴿ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ ﴾.
٢. من جند الله تعالى الخفية: «الرب»؛ يليقه في قلوب الكفار رغم قوة عددهم وعتادهم، ﴿ سَأَلِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَضْرِبُوا قَوْقُ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾.
٣. إذا ابتدا المؤمن بعمل صالح ينصر به دين الله تعالى فلا يتراجع ويتخاذل عنه، ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا رَحْمَةً فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿ قَلَّمَ تَقْلُومُهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَاتِلُهُمْ ﴾

أي: ليس بحولكم وقوتكم قتلتم أعداءكم مع كثرة عددهم، وقلة عدلكم؛ أي: بل هو الذي أظفركم عليهم. ابن كثير: ٢٨٣/٢.

السؤال: إلى من ينسب قتل الكفار والظفر عليهم على وجه الحقيقة؟

﴿ إِن تَسْتَفِيحُوا فَتَدْرَجُوا فَتَكُونُوا مِنَ الْغَالِيَةِ ﴾

إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح؛ وذلك أن أبا جهل -لعنه الله- قال يوم بدر لما التقى الناس: «اللهم أينما قطعنا للرحم، وأنانا بما لم نعرف؛ فاحنه الغداة»، فكان هو المستفتح على نفسه. البخاري: ٢٠٦/٢.

السؤال: لا يزال حلم الله على العبد حتى يجني العبد على نفسه، وضح ذلك من الآية.

﴿ وَلَنْ تُقْبَلَ عَنْكَ فَتَنُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

وهذه المعية -التي أخبر الله أنه يؤيد بها المؤمنين- تكون بحسب ما قاموا به من أعمال الإيمان؛ فإذا أوبل العدو على المؤمنين في بعض الأوقات فليس ذلك إلا تضيقاً من المؤمنين، وعدم قيام بواجب الإيمان ومقتضاه، ولا فلو قاموا بما أمر الله به من كل وجه لما انهزم لهم راية انهزاماً مستقراً، ولا أدبل عليهم عدوهم أبداً. السعدي: ٣١٧-٣١٨.

السؤال: كيف نجتمع بين معية الله للمؤمنين وغلبة الكفار عليهم أحياناً؟

﴿ إِنَّا سَرَّ الدَّرَجَاتِ عِنْدَ اللَّهِ أَلَمْ يَكُنْ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾

والسمع الذي نفاه الله عنهم سمع المعنى المؤثر في القلب، وأما سمع الحجة فقد قامت حجة الله تعالى عليهم بما سمعوه من آياته، وإنما لم يسمعهم السمع النافع. السعدي: ٣١٨.

السؤال: ما السمع الذي نفاه الله عن المشركين؟ وماذا تفيد من ذلك؟

﴿ وَلَوْ كُنَّ أُمَّةً يَتَّبِعُونَ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ كُنُّوا أُمَّةً مُّعْرِضِينَ ﴾

ودلت الآية على أنه ليس كل من سمع وفقه يكون فيه خير؛ بل قد يفقه ولا يعمل بعلمه، فلا ينتفع به، فلا يكون فيه خير، ودلت أيضاً على أن إسماع التفهيم إنما يطلب لمن فيه خير؛ فإنه هو الذي ينتفع به. ابن تيمية: ٣٦٥/٣.

السؤال: هل كل من سمع وفقه يكون فيه خير؟

﴿ يَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾

حياة القلب والروح بعبودية الله تعالى، ولزوم طاعته وطاعة رسوله على الدوام. السعدي: ٣١٨.

السؤال: بيم تكون حياة القلب؟

﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ﴾

يحول بين الإنسان وقلبه، فلا يستطيع أن يؤمن ولا يكفر إلا بإذنه؛ عن انس بن مالك -رضي الله عنه- قال: كان النبي ﷺ يكثر أن يقول: (يا مقلب القلوب، ثبت قلبي على دينك). قال: فقلنا: يا رسول الله، أمنا بك وبما جئت به، فهل تخاف علينا؟ قال: (نعم، إن القلوب بين إصبعين من أصابع الله تعالى يقلبها).

ابن كثير: ٢٨٥/٢.

السؤال: إذا علمت أن قلبك بيد الله لا بيدك؛ فماذا يجب عليك؟

فَلَمْ تَقْلُومُهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَاتِلُهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ  
وَلَكِنَّ اللَّهَ رَحِيمٌ وَلِيُبَلِّغَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلََاءً حَسَنًا  
إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٣٥ ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كَرِيمٌ  
الْمُكْفَرِينَ ٣٦ إِن تَسْتَفِيحُوا فَتَدْرَجُوا فَتَكُونُوا مِنَ  
الْغَالِيَةِ ٣٧ تَنَزَّهُوا عَنْهُمْ حَتَّىٰ تَخْرُجُوا عَنْهُمْ وَلَا تَقْعَبُوا عَنْهُمْ  
فَتَكُونُوا شَرِيكًا وَلَوْ كُنْتُمْ وَآتَ اللَّهُ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ٣٨  
يَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا  
عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ٣٩ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الَّذِينَ قَالُوا أَسْمِعْنَا  
وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ٤٠ إِن سَرَّ الدَّرَجَاتِ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ  
الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ٤١ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ  
وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ٤٢ يَأْتِيهِمُ الَّذِينَ  
آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ  
وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَهُ  
مُخْتَصِرُونَ ٤٣ وَأَنْفُوا فِتْنَةَ الَّذِينَ فِيكُمْ الَّذِينَ ظَلَمُوا  
مِنْكُمْ خَاصَّةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ٤٤

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
وَلِيُبَلِّغَ الْمُؤْمِنِينَ	لِيُنِيعَهُ عَلَيْهِمُ بِالنَّصْرِ وَالْأَجْرِ.
مُوهِنٌ	مُضْعِفٌ.
تَسْتَفِيحُوا	تَطْلُبُوا. أَيُّهَا الْكُفَّارُ. مِنَ اللَّهِ أَنْ يُوَقِّعَ بَاسَهُ بِالظَّالِمِينَ.

## ● العمل بالآيات

- انظر طاعة للرسول ﷺ قصرت فيها، أو جهلتها، وبادر بالقيام بها، ﴿ يَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾.
- أكثر في السجود من قول: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»؛ كما كان عليه الصلاة والسلام يفعل؛ فإن الله يحول بين المرء وقلبه، ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ﴾.
- انكر منكراً قدر استطاعتك، وإياك والسكوت فيصيبك العذاب مع العاصين، ﴿ وَأَنْفُوا فِتْنَةَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾.

## ● التوجيهات

- إذا أصابك مصيبة بسبب ذنب من ذنوبك فاعلم أن عودك للذنوب يعني رجوع المصائب إليك مرة أخرى، ﴿ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَوَاحِشٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُقْبَلَ عَنْكُمْ فَتَنُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ ﴾.
- احذر من الإعراض عن الأوامر والنواهي؛ فقد يؤدي ذلك إلى شرور كثيرة أولها الختم على القلب، ﴿ يَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ﴾.
- تأجيل التوبة قد يؤدي إلى الحرمان منها والعياد بالله، ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ﴾.

زواجه، قوله: ﴿وَأَنْتُمْ سَمْعُونَ﴾ أي: بعد ما علمتم ما دعاكم إليه. ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَعَيْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ قيل: المراد: المشركون. واختاره ابن جرير. وقال ابن إسحاق: هم المنافقون؛ فإنهم يظهرون أنهم قد سمعوا واستجابوا، وليسوا كذلك.

الآية (٢٢): ثم أخبر تعالى أن هذا الضرب من بني آدم شر الخلق والخليقة فقال: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّفَى﴾ أي: عن سباع الحق ﴿الَّتِي كُنَّ﴾ عن فهمه؛ ولهذا قال: ﴿الَّذِينَ لَا يَقُولُونَ﴾، فهؤلاء شر البرية؛ لأن كل دابة ما سواهم مطيعة لله فيها خلقها له، وهؤلاء خلقوا للعبادة وكفروا؛ ولهذا شبههم بالأنعام في قوله: ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩]. وقيل: المراد هؤلاء المذكورين نقر من بني عبد الدار من قريش؛ روي عن ابن عباس ومجاهد، واختاره ابن جرير. وقال محمد بن إسحاق: هم المنافقون. قلت: ولا منافاة بين المشركين والمنافقين في هذا؛ لأن كلا منهما مطلوب الفهم الصحيح، والقصد إلى العمل الصالح.

الآية (٢٣): ثم أخبر تعالى بأنهم لا فهم لهم صحيح، ولا قصد لهم صحيح، لو فرض أن لهم فهماً، فقال: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ﴾ أي: لأفهمهم، وتقدير الكلام: ولكن لا خير فيهم فلم يفهمهم؛ لأنه يعلم أنه ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾ أي: أفهمهم ﴿لَتَرَوْا﴾ عن ذلك قصداً وعناداً بعد فهمهم ذلك ﴿وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ عنه.

الآية (٢٤): عن أبي سعيد بن السُّمَّيْ قال: كنت أصلي، فمر بي رسول الله ﷺ، فدعاني فلم آتِه حتى صليت، ثم أتيتُ فقال: «ما منعك أن تأتيني؟» ألم يقل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [رواه البخاري]. قال مجاهد في قوله: ﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾: الحق. وقال قتادة: هو هذا القرآن: فيه النجاة والبقاء والحياة. وقال السُّدِّي: ففي الإسلام إحيائهم بعد موتهم بالكفر. وعن عُرْوَةَ بن الزبير: للحرب التي أعزكم الله تعالى بها بعد الذل، وقواكم بها بعد الضعف، ومنكم من عدوكم بعد الفهر منهم لكم. ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ قال ابن عباس: يحول بين المؤمن وبين الكفر، وبين الكافر وبين الإيمان. وقال السُّدِّي: يحول بين الإنسان وقلبه، فلا يستطيع أن يؤمن ولا يكفر إلا بإذنه.

عن أنس بن مالك ؓ قال: كان النبي ﷺ يكثر أن يقول: «يا مقلب القلوب، ثبت قلبي على دينك». قال: قلنا: يا رسول الله، آمنا بك وبما جئت به، فهل تخاف علينا؟ قال: «نعم، إن القلوب بين إصبعين من أصابع الله تعالى يقلبها» [رواه أحمد، وصححه الألباني].

الآية (٢٥): تجرُّدُ تعالى عباده المؤمنين ﴿فَوَسَّتْ﴾ أي: اختياراً ومحبة، يعمُّ بها المسيء وغيره، لا ينص بها أهل المعاصي ولا من باشر الذنب، بل يثُمَّها؛ حيث لم تُدْفَع وتُرفَع. قال ابن عباس: أمر الله المؤمنين ألا يُقَرُّوا المنكرين بظهورهم فيعظمهم بالعذاب. وهذا تفسير حسن جداً. والقول بأن هذا التحذير يعمُّ الصحابة وغيرهم - وإن كان الخطاب معهم - هو الصحيح، ويدل على ذلك الأحاديث الواردة في التحذير من الفتن.

عن حذيفة بن البيان: أن رسول الله ﷺ قال: «والذي نفسي بيده، لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً من عنده، ثم لتدعته فلا يستجيب لكم» [رواه أحمد، وحسنه الألباني].

الآية (١٧-١٨): بين تعالى أنه خالق أفعال العباد، وأنه المحمود على جميع ما صدر عنهم من خير؛ لأنه هو الذي وفهم لذلك وأعانهم؛ ولهذا قال: ﴿فَلَمْ تَقُولُوا لَكَ اللَّهُ فَعَلْهُمُ﴾ أي: ليس بحولكم وقوتكم قتلتم أعداءكم مع كثرة عديدهم وقلة عدديكم؛ أي: بل هو الذي أظفركم عليهم؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ كُنْتُمْ أَهْلَكُمُ اللَّهُ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٣]. يُعلم تبارك وتعالى أن النصر ليس عن كثرة العدد، ولا بلبس الأئمة والمُتَدِّين، وإنما النصر من عند الله تعالى؛ كما قال: ﴿كَمْ مِّنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئْتَهُ كَثِيرَةً يَأْذَنُ اللَّهُ وَاللَّهُ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩]. ثم قال لنبيه ﷺ أيضاً في شأن القضية من التراب التي حصَّب بها وجوه المشركين يوم بدر، فأوصل الله تلك الحصاة إلى أعين المشركين، فلم يبق أحد منهم إلا ناله منها ما شغله عن حاله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ أي: هو الذي بلغ ذلك إليهم، وكتبتهم بها لا أنت.

[سبب النزول]: عن محمد بن قيس ومحمد بن كعب القرظي، قالا: لما دنا القوم بعضهم من بعض أخذ رسول الله ﷺ قبضة من تراب، فرمى بها في وجوه القوم، وقال: «شاهت الوجوه». فدخلت في أعينهم كلهم، وأقبل أصحاب رسول الله ﷺ يقتلونهم ويأسرونهم، وكانت هزيمتهم في رمية رسول الله ﷺ، فأنزل الله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾. عن عُرْوَةَ بن الزبير في قوله: ﴿وَالْإِسْلَامُ الْيَوْمَ بِلَاةٍ حَسَنًا﴾ أي: ليُعرف المؤمنين من نعمته عليهم، من إظهارهم على عدوهم مع كثرة عدوهم، وقلة عديدهم، ليعرفوا بذلك حقه، ويشكروا بذلك نعمته. وقوله: ﴿هَٰذَا اللَّهُ سَاجِدٌ عِندَهُ﴾ أي: سميع الدعاء، عليهم بمن يستحق النصر والغلب. وقوله: ﴿ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مَوْهِنٌ كَيْدَ الْكَافِرِينَ﴾ هذه بشارة أخرى مع ما حصل من النصر: أنه أعلمهم تعالى بأنه مُضْعِفُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ فيما يستقبل، مصغراً أمرهم، وأنهم كل ما لهم في تبار ودمار.

الآية (١٩): يقول تعالى للكفار ﴿إِنْ تَسْتَفْهِرُوا﴾ أي: تستنصروا وتستقضوا الله وتستحكموه أن يفصل بينكم وبين أعدائكم المؤمنين، فقد جاءكم ما سألتم. [سبب النزول]: عن عبد الله بن ثعلبة: أن أبا جهل قال حين التقى القوم: اللهم أقطعنا للرحم، وأتانا بما لا نعرف، فأجته الغداة، فكان المستفتح. [رواه أحمد، وصححه الألباني]. وقال السُّدِّي: كان المشركون حين خرجوا من مكة إلى بئر، أخذوا بأستار الكعبة فاستنصروا الله وقالوا: اللهم انصر أصل الجندين، وأكرم الفتيين، وخير القبيلتين، فقال الله: ﴿إِنْ تَسْتَفْهِرُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾، يقول: قد نصرت ما قلتم، وهو محمد ﷺ. وقوله: ﴿وَإِنْ تَنْهَوْا﴾ أي: عما أنتم فيه من الكفر بالله والتكذيب لرسوله ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ أي: في الدنيا والآخرة. ﴿وَإِنْ تَوَدُّوا أَنْ تُدَّ﴾ معناه: وإن عدتم إلى ما كنتم فيه من الكفر والضلالة، نَعُدُّ لكم بمثل هذه الواقعة.

قوله: ﴿وَلَنْ تَقَىٰ عَصَاكَ فِتْنَتَكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ﴾ أي: ولو جمعتم من الجموع ما عسى أن تجمعوا؛ فإن من كان الله معه فلا غالب له، فإن الله مع المؤمنين، وهم الحزب النبوي، والجنتاب المصطفوي.

الآية (٢٠-٢١): يأمر تعالى عباده المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله، ويزجرهم عن مخالفته والتشبه بالكافرين به المعاندين له؛ ولهذا قال: ﴿وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ﴾ أي: تركوا طاعته وامتنال أوامره وترك







● ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾

**السؤال: متى تكون الأموال والأولاد نعمة، ومتى تكون نقمة؟**

فإن كان لكم عقلٌ ورائي فأثروا فضله العظيم على لذة صغيرة فانية مضمحلة؛ فالعالم يوازن بين الأشياء، ويؤثر أوالها بالإيثار، وأحقها بالتقديم: السعدي: ٣٩.

﴿ ٣ ﴾ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٤﴾

هذا تنبيه على الحذر من الخيانة التي يحمل عليها اللزء حب المال؛ وهي خيانة الغلول وغيرها، فتقديم الأموال لأنها مظنة الحمل على الخيانة في هذا المقام. ابن عاشور: ٣٢٤/٩.

**السؤال: لماذا قدمت الأموال على الأولاد في الآية الكريمة؟**

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَشَاءُوا أَنْ يُعَلِّمَ لَكُمْ تِلْكَ الْأَشْيَاءَ الَّتِي تَحْتَاطُّ عَلَيْهَا أَنْ تَكُونُوا مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾  
 فإن من اتقى الله بفعل أوامره وترك زواجره وفق لمعرفة الحق من الباطل، ابن كثير: ٢/٢٨٩.

**السؤال: التفريق الدقيق بين الحق والباطل يحتاج إلى فرقان، فكيف نحصل عليه؟**

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَقْنُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ رُقًى وَتُكْفَرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾

عكرمة: نجاة: أي: يفرق بينكم وبين ما تخافون... وقال ابن إسحاق: فصلا بين الحق والباطل. البغوي: ٢/٢٧٤.

**السؤال: ما المقصود بالفرقان؟ وكيف يكتسبه الإنسان؟**

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾

(وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) أي: لو آمنوا واستغفروا؛ فإن الاستغفار أمان من العذاب، قال بعض السلف: كان لنا أمانان من العذاب: وهما وجود النبي ﷺ والاستغفار، فلما مات النبي ﷺ ذهب الأمان الواحد، وبقي الآخر. ابن جرير: ٣٤٣/١.

**السؤال: في ضوء هذه الآية: بين أهمية الاستغفار.**

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾  
فَآخِرُ أَنَّهُ لَا يُعَذِّبُ مُسْتَغْفِرًا؛ لِأَنَّ السَّيِّئَاتِ لَا يَحُومُ الذَّنْبُ الَّذِي هُوَ سَبَبُ الْعَذَابِ، فَيُنْذَعُ الْعَذَابُ. اِنْ تِمَسَّتْ ٣٦٨/٣.

**السؤال: لماذا لا يعذب الله تعالى المستغفرين؟**

وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ  
أَنْ يَتَخَلَّفَكُمْ النَّاسُ فَأَنْزَلَكُمْ مُصْرَهُمْ وَرَزَقَكُمْ  
مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ تَابَ عَلَيْهَا الَّذِينَ آمَنُوا  
لَا تَحْزَنُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَحْزَنُوا أَمْتِيَّتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ  
﴿٥٩﴾ وَأَعْلَمُوا أَنَّ أَمْوَالَكُمْ وَأَوْلَادَكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنْ اللَّهَ  
عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٦٠﴾ تَابَ عَلَيْهَا الَّذِينَ آمَنُوا ابْتَغُوا  
اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ  
وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٦١﴾ وَادِّعْكُمْ كَمَا  
الَّذِينَ كَفَرُوا يُلَاقِيكُمْ أَوْ يَفْتُلِكُوا أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ  
وَسَعَكَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ الْمُسْكِرِينَ ﴿٦٢﴾ وَإِذْ أَنْشَأَ عَلَيْهِمُ  
إِبْرَاهِيمَ قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا  
إِلَّا أَسْطُورٌ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٣﴾ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا  
هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حَجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ  
أَوْ آتِنَا بَعْدَآبِ الْآلِئِ ﴿٦٤﴾ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ  
فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٦٥﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
يَخْطِفُكُمْ	يَأْخُذُكُمْ الْكُفْرَ بِسُرْعَةٍ.
فَأَوَّاكُمْ	أَسْكَنُكُمْ الْمَدِينَةَ.
لِيُثْبِتُوكَ	لِيَحْبِسُوكَ.
أَسَاطِيرُ	أَكَاذِيبُ، وَحِكَايَاتُ.

## ● العمل بالآيات

١. كرر الأمر لأهلك وأولادك بالصلاة في وقتها؛ رجاء الاتكون ممن فتنهم أموالهم وأولادهم، ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

٧. ألق كلمته، أو ارسل رسالته عن فوائد التقوى الخيرية والأخوية بعد قرأته تفسير هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

٣. أكثر من الاستغفار، واجعل لنفسك في ذلك رداً معيناً، متذكراً أن الاستغفار سبب لتفريج الكرب ورفع العذاب، ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾.

## ● التوجيهات

١- الفرقان نور في القلب يضرق به المؤمن بين الأمور المتشابهات، وسيلة الحصول عليه تقوى الله تعالى ومخالفة هوى النفس، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَقْرُوا اللَّهَ فَعَسَىٰ أَلَّا تَكُونَ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾.

٢. قلّة اهل الحق لا يلزم منها هزيمتهم، ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ فَخَافُوا أَنْ يَصِفَكُمُ النَّاسُ فَنَافَكُوكُمْ وَأَبَدَكُمْ بِضُرٍّ. وَرَزَقَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ لَمَسًا لَكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

٣. كثرة الاستغفار وانتشاره بين الناس سبب لدفع العذاب، ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِلَّا النُّفُورُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾  
قال الحسن: كان المشركون يقولون: نحن أولياء المسجد الحرام، فرد الله عليهم بقوله: (وما كانوا أولياءه) أي: أولياء البيت، (إن أولياءه) أي: ليس أولياء البيت (إلا المتقون) يعني: المؤمنين الذين يتقون الشرك، البغوي: ٢١٩/٢.  
السؤال: بم تكون ولاية البيت؟

﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾

اتخاذ التصفيق، والغناء، والضرب بالدفوف، والنفخ بالشبابات، والاجتماع على ذلك، ديناً وطريقاً إلى الله وقرباً، فهذا ليس من دين الإسلام، وليس مما شرعه لهم نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم، ولا أحد من خلفائه، ولا استحسَن ذلك أحد من أئمة المسلمين. بل ولم يكن أحد من أهل الدين يفعل ذلك على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا عهد أصحابه، ولا تابعيهم بإحسان، ولا تابعي التابعين. القاسمي: ٢٨٩/٥.

السؤال: لماذا كان اتخاذ التصفيق والغناء وضرب الدف ديناً بدعاً من البدع؟

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُصِفُّونَ أَمْوَالَهُمْ يَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُفْقَرُهُمْ ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةٌ ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ مُجْتَرِفُونَ ﴾

أي: لبيطلوا الحق وينصروا الباطل، ويبطل توحيد الرحمن، ويقوم دين عبادة الأوثان. (فسيفقونها) أي: فسيدفون هذه النفقة، وتخف عليهم لتمسكهم بالباطل، وشدة بغضهم للحق، ولكنها ستكون عليهم حسرة، أي: ندامة، وخزي، وذلة، ويغلبون، فتذهب أموالهم وما أملوا، ويعذبون في الآخرة أشد العذاب. السعدي: ٣٢٠.

السؤال: خلط المنافقين والكفار في الباطل قوية، ونفاقهم كثيرة، لكن ما مصيرها؟

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُصِفُّونَ أَمْوَالَهُمْ يَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُفْقَرُهُمْ ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةٌ ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ مُجْتَرِفُونَ ﴾

وأسندت الحسرة إلى الأموال لأنها سبب الحسرة ينافقها. ابن عاشور: ٣٤١/٤.

السؤال: لماذا أسندت الحسرة إلى الأموال في الآية الكريمة؟

﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ﴾

أي: إذا انتهوا عما نهوا عنه غفر لهم ما قد سلف. ابن تيمية: ٤٧٤/٣.

السؤال: يحب الله توبة العبد، بين ذلك من الآية.

﴿ وَقِيلُوا لَهُمْ حَقٌّ لَّا تُكُونُ فِتْنَةً وَيَكُفُّونَ الِذِينَ كُفُّوا إِلَهُ ﴾

فهذا المقصود من القتال والجهاد لأعداء الدين: أن يدفع شرهم عن الدين، وأن يذب عن دين الله الذي خلق الخلق له، حتى يكون هو العالي على سائر الأديان. السعدي: ٣٢١.

السؤال: ما النية الصحيحة والمقصود الأكبر للجهاد في سبيل الله؟

﴿ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَانَكُمْ يَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

ومن كان الله مولاه وناصره فلا خوف عليه، ومن كان الله عليه فلا عجز له، ولا قائمة له. السعدي: ٣٢١.

السؤال: ما الذي يفيد المسلم من معرفة أن الله مولاه وناصره؟

﴿ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِلَّا النُّفُورُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾  
﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾  
﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُصِفُّونَ أَمْوَالَهُمْ يَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُفْقَرُهُمْ ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةٌ ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ مُجْتَرِفُونَ ﴾  
﴿ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾  
﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ﴾  
﴿ وَقِيلُوا لَهُمْ حَقٌّ لَّا تُكُونُ فِتْنَةً وَيَكُفُّونَ الِذِينَ كُفُّوا إِلَهُ ﴾  
﴿ أَنْتَ هُوَ الْفَاتُ اللَّهُ يَمَّا يَعْمَلُونَ بِصِيرٍ ﴾  
﴿ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَانَكُمْ يَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
مُكَاءٌ	صَفِيرًا.
وَتَصْدِيَةً	تَصْفِيْقًا.
فَيَرْكُمُهُ	فَيَجْعَلُهُ مُلْقًى بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ.
سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ	طَرِيقَتُنَا فِيهِمْ بِالْهَلَكَ إِذَا كَذَبُوا.

## ● العمل بالآيات

١. تبعد لإحدى الجمعيات الخيرية تقريباً إلى الله تعالى ومخالفةً لصنيع المشركين، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُصِفُّونَ أَمْوَالَهُمْ يَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُفْقَرُهُمْ ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةٌ ثُمَّ يُغْلَبُونَ ﴾.

٢. بادر اليوم بتوبة صادقة إلى ربك تعالى، فقد وعد الكفار وهم أشد منك ذنباً بالتوبة، والصفح إن انتهوا عن كفرهم، ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ ﴾.

٣. أرسل رسالة تبشر فيها المسرفين بالذنوب والكبائر أن الله وعد الكفار وهم أشد منهم ذنباً بالعفو والصفح إن انتهوا عن كفرهم، ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ ﴾.

## ● التوجيهات

١. لا يفرئك كثرة المشاريع والأموال المرصودة للصندوق عن سبيل الله؛ فستكون حسرة ووبالا عليهم في الدنيا والآخرة، وستفشل خططهم، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُصِفُّونَ أَمْوَالَهُمْ يَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُفْقَرُهُمْ ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةٌ ثُمَّ يُغْلَبُونَ ﴾.

٢. أعظم فتنة هي وقوع الشرك واستقراره في البلد، ولذا أمر الله تعالى بدفع هذه الفتنة، ولو بالقتال، ﴿ وَقِيلُوا لَهُمْ حَقٌّ لَّا تُكُونُ فِتْنَةً وَيَكُفُّونَ الِذِينَ كُفُّوا إِلَهُ ﴾.

٣. عرفت أن الله مولاك فلم تخاف وتخشى؟ ﴿ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَانَكُمْ يَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾.

والعذاب السَّرمدي؛ ولهذا قال: ﴿فَسَيُفْقَهُنَّا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ مُخْشَرُونَ﴾. قوله: ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ قال ابن عباس: فيميز أهل السعادة من أهل الشقاء. وقال السدي: يميز المؤمن من الكافر. وهذا يحتمل أن يكون هذا التمييز في الآخرة؛ كقوله: ﴿وَيَوْمَ نَقُومُ السَّاعَةَ يُفْقَرُونَ﴾ [الروم: ٤١]. ويحتمل أن يكون هذا التمييز في الدنيا بما يظهر من أفعالهم للمؤمنين، وتكون «اللام» مُعلَّلة لما جعل الله للكافرين من مال يتفقون في الصد عن سبيل الله، أي: إنها أفقرناهم على ذلك ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ أي: من يطعمه بقتال أعدائه الكافرين، أو يعصيه بالكفول عن ذلك؛ كقوله: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِكَكُمْ عَلَى الطَّيِّبِ﴾ الآية [المرن: ١٧٩]. فمعنى الآية على هذا: إنما ابتليناكم بالكفار يقاتلونكم، وأقدرناهم على إنفاق الأموال وتبذرها في ذلك؛ ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾.

قوله: ﴿وَيَحْصِلُ الْخَبِيثُ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكَبُكُمْ أَي: يجمعه كله، والركب] هو جمع الشيء بعضه على بعض، كما قال تعالى في السحاب: ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُمُ رُكَّامًا﴾ [النور: ٤٣] أي: مترابطة مترابطة. ﴿فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ أي: هؤلاء هم الخاسرون في الدنيا والآخرة.

الآية (٣٨): يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ لِلَّهِ دِينُ كَفَرُوا إِن يَنْتَهَوْا﴾ أي: عاهاهم فيه من الكفر والشقاق والعناد، ويدخلوا في الإسلام والطاعة والإنابة، ﴿فَعَفَّرَ لَهُمُ تَأْدِ سَلَفٍ﴾ أي: من كفرهم وذنبهم وخطاياهم؛ كما جاء عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ أَحْسَنَ فِي الْإِسْلَامِ لَمْ يُؤَاخِذْ بِمَا عَمِلَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَمَنْ أَسَاءَ فِي الْإِسْلَامِ أَخَذَ بِالْأُولَىٰ وَالْآخِرَ» [متفق عليه]. قوله: ﴿وَأَن يُؤَدُّوا﴾ أي: يستمروا على ما هم فيه ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: فقد مضت سنتنا في الأولين أنهم إذا كذبوا واستمروا على عنادهم آتانا نعالجهم بالعذاب والعقوبة.

الآية (٣٩-٤٠): قوله: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً﴾ قال ابن عباس: يعني: حتى لا يكون شرك. وقال عروة بن الزبير: حتى لا يُفْتَنَ مسلم عن دينه. وقوله: ﴿وَيَكُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَكُمْ﴾ قال ابن عباس: يُخْلَصُ التوحيد لله. وقال الحسن وقتادة: أن يقال: لا إله إلا الله. وقال ابن إسحاق: ويكون التوحيد خالصاً لله، ليس فيه شرك، ويُجْلَع ما دونه من الأنداد. وقال عبد الرحمن بن زيد: لا يكون مع دينكم كفر. ويشهد له ما ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله عز وجل» [متفق عليه]. قوله: ﴿فَإِنِ انْتَهَوْا﴾ أي: بقتالكم عما هم فيه من الكفر، فكفوا عنه، وإن لم تعلموا بواطنهم ﴿فَإِنَّكَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾؛ كقوله: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ٥]. قوله: ﴿وَأَن تَوَلَّوْا﴾ أي: وإن استمروا على خلافتكم ومحاربتكم ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَكُمْ﴾ سيدكم وناصركم على أعدائكم، ﴿فَيَقْمُ الْمَوْتَىٰ وَيَقْمُ النَّصِيرُ﴾.

الآية (٣٤): يخبر تعالى أنهم أهل لأن يعذبهم، ولكن لم يُوقِع ذلك بهم لبركة مقام رسول الله ﷺ بين أظهرهم؛ ولهذا لما خرج من بين أظهرهم أوقع الله بهم بأسه يوم بدر، فقتل صناديدهم وأسير سرائهم. وأرشد تعالى إلى الاستغفار من الذنوب، التي هم متلبسون بها من الشرك والفساد. وقال قتادة والسدي وغيرهما: لم يكن القوم يستغفرون، ولو كانوا يستغفرون لما عذبوا. واختاره ابن جرير، فلولا ما كان بين أظهرهم من المستضعفين من المؤمنين المستغفرين، لوقع بهم البأس الذي لا يُرَدُّ، ولكن دُفِع عنهم بسبب أولئك؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ لَا رِجَالٌ مُّقْتَدِرُونَ وَالسَّاعَةُ مَضَتْ لَأَنَّ تَعْمَلُوهُمْ أَن تَطْعَمُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُم مَّعْرَةٌ يُبَيِّرُ عَنْكُمْ لِيُظِلَّ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَابُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الفتح: ٢٥]. عن عكرمة والحسن البصري قالوا: قال في الأنفال: ﴿وَمَا كُنَّا اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنَّا فِيهِمْ وَمَا كُنَّا اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣]. فنسختها الآية التي تليها: ﴿وَمَا لَهُمْ آلَا يَعَذِّبَهُمُ اللَّهُ﴾ إلى قوله: ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ فقتلوا بمكة، فأصابهم فيها الجوع والضر.

وعن ابن عباس: ﴿وَمَا كُنَّا اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾. ثم استثنى أهل الشرك فقال تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ آلَا يَعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أي: وكيف لا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام؛ أي: الذي بمكة؛ يصدون المؤمنين الذين هم أهله عن الصلاة فيه والطواف به؛ ولهذا قال: ﴿وَمَا كَانُوا أُولَئِكَ إِذْ أُولَئِكَ إِلَّا الْمُشْكُونَ﴾ أي: هم ليسوا أهل المسجد الحرام، وإنما أهله: النبي ﷺ وأصحابه. وقال مجاهد: هم المجاهدون من كانوا، وحيث كانوا.

الآية (٣٥): ثم ذكر تعالى ما كانوا يعتمدونه عند المسجد الحرام، وما كانوا يعاملونه به، فقال: ﴿وَمَا كَانُوا صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً﴾ قال ابن عباس ومجاهد: هو الصفير. وزاد مجاهد: وكانوا يدخلون أصابعهم في أفواههم. وعن ابن عباس قال: كانت قريش تطوف بالبيت غرة تُصَفِّرُ وتصفق. والمكاء: الصفير، والتصديع: التصفيق. قال مجاهد: وإنما كانوا يصنعون ذلك ليخلطوا بذلك على النبي ﷺ صلاته. وقال الزهري: يستهزئون بالمؤمنين. قوله: ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ قال الضحاك: هو ما أصابهم يوم بدر من القتل والسبي. واختاره ابن جرير، ولم يذكرك غيره.

الآية (٣٦-٣٧): [سبب النزول]: روي عن مجاهد وقتادة والسدي وغيرهم: أنها نزلت في أبي سفيان ونفقته الأموال في أخذ لقتال رسول الله ﷺ. وقال الضحاك: نزلت في أهل بدر. وعلى كل تقدير، فهي عامة، وإن كان سبب نزولها خاصاً؛ فقد أخبر تعالى أن الكفار ينفقون أموالهم ليصدوا عن اتباع طريق الحق، فيفعلون ذلك، ثم تلعب أموالهم ﴿ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ أي: ندامة؛ حيث لم تُجِد شيئاً؛ لأنهم أرادوا إطفاء نور الله وظهور كلمتهم على كلمة الحق، والله مُنَّم نوره ولو كره الكافرون، وناصر دينه، [ومُعَلِّ] <sup>(١)</sup> كلمته، ومظهر دينه على كل دين. فهذا الخزي لهم في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب النار، فمن عاش منهم رأى بعينه وسمع بأذنه ما يسوؤه، ومن قُتل منهم أو مات فإلى الخزي الأبدي

الآية (٤١): بين تعالى تفصيل ما شرعه محصصاً لهذه الأمة الشريفة من بين سائر الأمم المتقدمة من إحلال المغام.

والغنيمة هي: المال المأخوذ من الكفار بإيجاف الخيل والركاب. والفيء: ما أخذ منهم بغير ذلك؛ كالأموال التي يصلحون عليها، أو يتوفون عنها ولا وارث لهم، والحزبة والحراج، ونحو ذلك. هذا مذهب الإمام الشافعي في طائفة من علماء السلف والخلف. ومن العلماء من يطلق الفيء على ما تطلق عليه الغنيمة، والغنيمة على الفيء أيضاً، فمن يفرق بين معنى الفيء والغنيمة يقول: [قوله تعالى: ﴿مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلَهُ وَلِلزَّوَالِ وَلِلْيَتَامَىٰ وَالْفُرْقَىٰ﴾ وَالْمَسْكِينِ وَالْمَسْكِينِ] الآية [الحشر: ١٧] نزلت في أموال الفيء، وهذه في المغام. ومن يجعل أمر المغام والفيء راجعاً إلى رأي الإمام يقول: لا منافاة بين آية الحشر وبين التخميس إذا رآه الإمام، والله أعلم. قوله تعالى: ﴿وَأَعْمُوا أَتَاكَ خِيَمَتَيْنِ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ تُخْمُسَهُ﴾ توكيداً لتخميس كل قليل وكثير حتى الحيط والمحيط. وقوله: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ تُخْمُسَهُ﴾ ولِلرَّسُولِ اختلف المفسرون هنا: فقال بعضهم: لله نصيب من الخمس يُجعل في الكعبة. وقال آخرون: ذكر الله هنا افتتاح كلام للتبرك، وسهمه لرسوله ﷺ. ويؤيد هذا ما رواه الإمام البيهقي بسند صحيح عن عبد الله بن شقيق عن رجل، قال: أتيت النبي ﷺ وهو بوادي القرى، وهو يعرض فرساً، فقلت: يا رسول الله، ما تقول في الغنيمة؟ فقال: «الله تُخمسها، وأربعة أخماس للجيش». قلت: فما أخذ أولى به من أحد؟ قال: «لا»، ولا السهم تستخرجه من جيبيك، ليس أنت أحق به من أخيك المسلم». وقال عطاء: تُخمس الله والرسول واحد، يُجعل منه ويصنع فيه ما شاء، يعني: النبي ﷺ. وهذا أعم وأشمل، وهو أنه ﷺ يتصرف في الخمس الذي جعله الله له بما شاء، ويرذه في أمته كيف شاء. وقد كان للنبي ﷺ من المغام شيء يصطفيه لنفسه عبداً أو أمة أو فرساً أو سيفاً أو نحو ذلك، كما نص على ذلك محمد بن سيرين وعامر الشعبي، وتبعها على ذلك أكثر العلماء. ولهذا جعل ذلك كثيرون من الخصائص له صلوات الله وسلامه عليه. وقال آخرون: إن الخمس يتصرف فيه الإمام بالصلحة للمسلمين، كما يتصرف في مال الفيء.

وقال ابن تيمية -رحمه الله-: وهذا قول مالك وأكثر السلف، وهو أصح الأقوال. وقوله: ﴿وَالْيَتَامَىٰ﴾ أي: يتامى المسلمين، «وَالْمَسْكِينِ» هم المحابويع الذين لا يجدون ما يسد خللتهم وسكتهم، «وَالزَّوَالِ» التَّيْلُ هو المسافر أو المريد للسفر إلى مسافة تقصر فيها الصلاة، وليس له ما ينفعه في سفره ذلك. «إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا» أي: امتثلوا ما شرعنا لكم من الخمس في الغنائم إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وما أنزل على رسوله؛ ولهذا جاء في الصحيحين، في حديث وفد عبد القيس: أن رسول الله ﷺ قال لهم: «وأمركم بأربع، وأنهاركم عن أربع: أمركم بالإيمان بالله ثم قال: هل تدرون ما الإيمان بالله؟ شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وأن تؤدوا الخمس من الملتزم...» فجعل أداء الخمس من جملة الإيمان. قوله: ﴿يَوْمَ الْتَقَى الْأَجَمَةُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ يَبِّتُ تعالى على نعمته وإحسانه إلى خلقه بما فرق به بين الحق والباطل بيدر، ويسمى «الفرقان»؛ لأن الله تعالى أعلى فيه كلمة الإيمان على كلمة الباطل، وأظهر دينه ونصر نبيه وحزبه.

وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمْسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِإِزَى الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَنَّ السَّبِيلَ إِن كُنْتُمْ أَمْسَكْتُمْ يَدَكُمْ وَمَا أَرْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ اتَّفَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ١٥ إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدُوِّ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدُوِّ الْقُصُوفِ وَالرُّكُوبِ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتِلَافِكُمْ فِي الْيَعْبَدِ وَلَكِنْ لَيَقْضَى اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ لَأَسْمِعَ عَلَيْكُمْ ١٦ إِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ فِي مَنَازِلِكُمْ قِيلًا وَلَوْ أَرَأَيْتُمْ أَنَّ كَثِيرًا لَقُتِلْتُمْ وَلَتَنْزَعْتُمْ فِي الْأُمْرِ وَلَكِنْ اللَّهُ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ١٧ وَإِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ إِذِ اتَّفَقْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قِيلًا وَنُقِلْتُمْ فِي أَغْيُنِهِمْ لَيَقْضَى اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ١٨ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا أَنَّ اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ١٩

## معاني الكلمات

الكلمة	اللعني
الْجَمْعَانِ	جَمْعُ الْمُؤْمِنِينَ، وَجَمْعُ الْكَافِرِينَ.
بِالْعُدُوِّ الدُّنْيَا	بِجَانِبِ الْوَادِي الْأَقْرَبِ إِلَى الْمَدِينَةِ.
بِالْعُدُوِّ الْقُصُوفِ	بِجَانِبِ الْوَادِي الْأَبْعَدِ.
وَالرُّكُوبِ	عِزِّ قُرَيْشٍ الَّتِي فِيهَا تَجَارَتُهُمْ.
أَسْفَلَ مِنْكُمْ	قَرِيبًا مِنْ سَاحِلِ الْبَحْرِ الْأَحْمَرِ.

## العمل بالآيات

١. تصديق اليوم على قريب، أو يتييم، أو مسكين، أو ابن سبيل، ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمْسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِإِزَى الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَنَّ السَّبِيلَ﴾.
٢. استخراج ثلاث فوائد من غزوة بدر بعد التأمل في أحداثها، ﴿وَمَا أَرْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ اتَّفَقَى الْجَمْعَانِ﴾.
٣. إرسال رسالة تبين فيها أن من محبة الله ليزكرك أنه أمر به في أشد حالات انشغال الإنسان، ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا أَنَّ اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

## التوجيهات

١. إذا رأيت رؤيا فلا تفسرها إلا عند من يجيد تعبير الرؤى، وغلب جانب التفاؤل دائما، ﴿إِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ فِي مَنَازِلِكُمْ قِيلًا وَلَوْ أَرَأَيْتُمْ أَنَّ كَثِيرًا لَقُتِلْتُمْ وَلَتَنْزَعْتُمْ فِي الْأُمْرِ﴾.
٢. إذا أراد الله أمرا هيا له أسبابه، ﴿وَأَذْكُرُوا أَنَّ اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.
٣. ذكر الله يقوي المجاهدين حال مقارعتهم لأعدائهم بالسيف، أفلا يتقويك على تيسير حاجاتك وحل مشكلاتك؟ فلا تغفل عنه، ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا أَنَّ اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

## الوقفات التدريبية

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمْسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِإِزَى الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَنَّ السَّبِيلَ﴾

فالإضافة للرسول لأنه هو الذي يقسم هذه الأموال بأمر الله، ليست ملكاً لأحد، وقوله ﷺ: (إني والله لا أعطي أحداً، ولا أمنع أحداً، وإنما أنا قاسم: أضع حيث أمرت) يدل على أنه ليس بمالك للأموال، وإنما هو منفذ لأمر الله عز وجل فيها، ابن تيمية ٣/٢٧٨.

السؤال: ما معنى إضافة الأموال للرسول ﷺ؟

﴿وَمَا أَرْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ اتَّفَقَى الْجَمْعَانِ﴾

أي: اليوم الذي فرقت فيه بين الحق والباطل؛ وهو يوم بدر. القرطبي: ٣٥/١٠.

السؤال لماذا سمي الله تعالى يوم بدر: (يوم الفرقان)؟

﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدُوِّ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدُوِّ الْقُصُوفِ وَالرُّكُوبِ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾  
وقد أريد من هذا الطرف وما أضيف إليه تذكيرهم بحالته حرجة كان المسلمون فيها، وتبنيهم للطف عظيم حضم من الله تعالى؛ وهي حالة موقع جيش المسلمين من جيش المشركين، وكيف اتفق الجيشتان في مكان واحد من غير ميعة، ووجد المسلمون أنفسهم أمام عدو قوي العدد والعدة والمكانة من حسن الموقع، ولولا هذا المقصد من وصف هذه الهيئة لما كان من داع لهذا الإطناب؛ إذ ليس من أغراض القرآن وصف المنازل إذا لم يكن فيها عبرة، ابن عاشور: ١٥-١٦.

السؤال: ما المقصد من وصف الأماكن التي كان فيها المسلمون والكفار

في غزوة بدر؟

﴿وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتِلَافِكُمْ فِي الْيَعْبَدِ وَلَكِنْ لَيَقْضَى اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾

(ولو تواعدتم لاختلقتكم في اليماء) أي: لو تواعدتم مع قريش، ثم علمتم كثرتهم وقتلتم لاختلقتكم ولم تجتمعوا معهم، أو: لو تواعدتم لم يتفق اجتماعكم مثل ما اتفق بتيسير الله ولطفه. (ليهلك من هل عن بينة) أي: يموت من مات ببدر عن إغدار وإقامة الحجّة عليه، ويعيش من عاش بعد البيان له. ابن جزي: ١/٣٥٤.

السؤال: إذا أراد الله أمراً هيا له أسبابه، وضع ذلك من الآية.

﴿إِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ فِي مَنَازِلِكُمْ قِيلًا وَلَوْ أَرَأَيْتُمْ أَنَّ كَثِيرًا لَقُتِلْتُمْ وَلَتَنْزَعْتُمْ فِي الْأُمْرِ﴾

وكان الله قد أرى رسوله المشركين في الرؤيا عدداً قليلاً، فبشر بذلك أصحابه: فاطمات قلوبهم، وثبتت أفئدتهم، ولو أراكمهم الله إياهم كثيراً فأخبرت بذلك أصحابك لفشلتم، ولتزعتم في الأمر؛ فمنكم من يرى الإقدام على قتالهم، ومنكم من لا يرى ذلك، فوقع من الاختلاف والتنازع ما يوجب الفشل. السعدي: ٣٢٢.

السؤال: كيف كانت الرؤيا التي رآها النبي ﷺ في منامه مثبتة لأصحابه؟

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا أَنَّ اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

فالتصبر والثبات والإكثار من ذكر الله من أكبر الأسباب للنصر. السعدي: ٣٢٢.

السؤال: تضمن الآية أكبر أسباب النصر، فاذكرها.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا أَنَّ اللَّهَ كَثِيرًا﴾

عن قتادة في هذه الآية: افترض الله ذكره عند أشغل ما يكون؛ عند الضرب بالسيف، ابن كثير ٢/٣٠٢.

السؤال: كيف تستدل بهذه الآية على أهمية ذكر الله سبحانه وتعالى؟





## ● الوقفات التحذيرية

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَتَزَعَّرُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِجَالُكُمْ وَأَصِيرُوا إِنْ أَلَّهَ مَعَ الْعَدِيِّينَ ﴾

النهى عن التنازع... يقتضي الأمر بتحصيل أسباب ذلك: بالتفاهم والتشاور ومراجعة بعضهم بعضاً؛ حتى يصدروا عن رأي واحد، فإن تنازعوا في شيء رجعوا إلى أمر الله؛ لقوله تعالى: (ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم) [النساء: ٨٣]، وقوله: (فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول) [النساء: ٥٩]. والنهى عن التنازع أصم من الأمر بالطاعة لولاة الأمور؛ لأنهم إذا نهوا عن التنازع بينهم فالتنازع مع ولي الأمر أولى بالتهي. ابن عاشور: ٣٠/١.

السؤال: اذكر بعض الأسباب التي تمنع التنازع.

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَتَزَعَّرُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِجَالُكُمْ وَأَصِيرُوا إِنْ أَلَّهَ مَعَ الْعَدِيِّينَ ﴾

وإنما كان التنازع مفضياً إلى الفشل لأنه يثير التفاضب، ويزيل التعاون بين القوم، ويحدث فيهم أن يتربص بعضهم ببعض الدوائر؛ فيحدث في نفوسهم الاشتغال باقتناء بعضهم بعضاً، وتوقع عدم إلقاء النصير عند مآزق القتال، فيصرف الأمة عن التوجه إلى شغل واحد فيما فيه نفع جميعهم، ويصرف الجيش عن الإقدام على أعدائهم؛ فيتمكن منهم العدو. ابن عاشور: ٣١/١.

السؤال: بين ثلاثة من أضرار التنازع.

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِثَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾

فليكن قصدكم في خروجكم: وجه الله تعالى، وإعلاء دين الله، والصد عن الطرق الموصلة إلى سخط الله وعقابه، وجذب الناس إلى سبيل الله القويم للوصول لجنات النعيم. السعدي: ٣٢٣.

السؤال: بين الفرق بين الخروج في سبيل الله والخروج للصد عن سبيل الله.

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِثَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ يَمَّا يَمْكُلُونَ مُحِيطٌ ﴾

والبطر في اللغة: التقوية بنعم الله عز وجل وما البسه من العافية على المعاصي. القرطبي: ٤٢/١.

السؤال: ما البطر الذي نهانا عنه ربنا سبحانه وتعالى؟

﴿ إِنْ أَخَافَ اللَّهُ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾.

فاخبر عن الشيطان أنه يخاف الله، والعقوبة إنما تكون على ترك مأمور، أو فعل محظور. ابن تيمية: ٢١٨/٣.

السؤال: الخوف من الله تعالى لا يكفي في دفع العذاب؛ حتى يكون مع الخوف فعل المأمور وترك المحظور، بين ذلك.

﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

(ومن يتوكل على الله) أي: ومن يسلم أمره إلى الله ويتيق به، (فإن الله عزيز حكيم)، قوي، يفعل بأعدائه ما يشاء. البغوي: ٢٣١/٢.

السؤال: بين العاقبة الحسنة لمن توكل على الله تعالى وفوض أمره إليه.

﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَقَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةَ يَتْرُكُونَ وَجُوهَهُمْ وَأَذَانَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾

هذا عند الموت: تضرب الملائكة وجوه الكفار وأدبارهم بسياط النار.

البغوي: ٢٣١/٢.

السؤال: كيف يكون عذاب الكفار عند الموت؟

وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَتَزَعَّرُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِجَالُكُمْ وَأَصِيرُوا إِنْ أَلَّهَ مَعَ الْعَدِيِّينَ ﴿١﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِثَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ يَمَّا يَمْكُلُونَ مُحِيطٌ ﴿٢﴾ وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَقَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةَ يَتْرُكُونَ وَجُوهَهُمْ وَأَذَانَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٣﴾ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَقَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةَ يَتْرُكُونَ وَجُوهَهُمْ وَأَذَانَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلِيمٍ لِلْعِمِيدِ ﴿٦﴾ كَذَابُ الْإِلَافِ زَعُونَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾

١٨٣

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
بَطَرًا	كِبَرًا.
جَارُكُمْ	نَاصِرُكُمْ، وَمُجِيرُكُمْ.
تَرَاءَتِ	تَقَابَلَتِ.
تَكْصُ	رَجَعَ مُدْبِرًا.
كَذَابِ	كَعَادَةٍ، وَسُنَّةٍ.

## ● العمل بالآيات

- حذر من حولك بكلمة أو رسالة توجيهية من النزاع؛ فإن النزاع بداية الفشل، ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَتَزَعَّرُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِجَالُكُمْ ﴾.
- أصلح بين اثنين من المتخاصمين حولك، ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَتَزَعَّرُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِجَالُكُمْ وَأَصِيرُوا إِنْ أَلَّهَ مَعَ الْعَدِيِّينَ ﴾.
- اشغلت الآية على مرضين قاتلين من أمراض القلوب، استخرجهما، واستعد بالله منهما، ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِثَاءَ النَّاسِ ﴾.

## ● التوجيهات

- أحرص على جمع القلوب على شريعة الإسلام؛ وخاصة في أوقات الشدائد والملمات، ﴿ وَلَا تَتَزَعَّرُوا فَتَفْشَلُوا ﴾.
- أعرض أفكارك دائماً على الكتاب والسنة، ولا تردد في رد ما خالفهما حتى لا يزينه الشيطان لك، ﴿ وَإِذْ يَنْهَى لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَنْ يَعْمَلَهُمْ ﴾.
- كل شيطان من الإنس والجن سيتخلى عن من اغواه ويتبرأ منه إذا وقع في العذاب، فإياك والاستسلام لهم، ﴿ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنْ تَبَرَأْتُمْ مِنْكُمْ إِلَيَّ أَرَأَيْتُمْ مَا لَا تَدْرُونَ إِنْ أَخَافَ اللَّهُ ﴾.

في يد رجل من المشركين - انتزع يده ثم ولى مدبراً هو وشيعته، فقال الرجل: يا سراقا، أتزعم أنك لنا جارا؟ فقال: ﴿إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ وذلك حين رأى الملائكة. وقال قتادة: وكذب عدو الله، والله ما به مخافة الله، ولكن علم أنه لا قوة له ولا منعة، وتلك عادة عدو الله لمن أطاعه واستقله له، حتى إذا التقى الحق والباطل أسلحهم شر تسلّم، وتبرأ منهم عند ذلك. قلت: يعني بعبادته لمن أطاعه: قوله تعالى: ﴿كَشَلِ النَّيْلَيْنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ أَكْثَرُ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ﴾ [الحجر: ١٦].

الآية (٤٩): قال ابن عباس في هذه الآية: لما دنا القوم بعضهم من بعض قلّل الله المسلمين في أعين المشركين، وقلّل المشركين في أعين المسلمين، فقال المشركون: ﴿عَزَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ﴾ وإنا قالوا ذلك من قتلهم في أعينهم، فظنوا أنهم سيهرمونهم، لا يشكّون في ذلك، فقال الله: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ غَيْرُ حَكِيمٍ﴾. وقوله: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ أي: يعتمد على جنبه ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَيْرُ حَكِيمٍ﴾ أي: لا يضام من النجا إليه؛ فإن الله عزيز منيع الجباب، عظيم السلطان، ﴿حَكِيمٌ﴾ في أفعاله، لا يضعها إلا في مواضعها، فينصر من يستحق النصر، ويخذل من هو أهل لذلك.

الآية (٥٠-٥١): يقول تعالى: ولو عاين يا محمد حال تَوَفِّي الملائكة أرواح الكفار، لرأيت أمراً عظيماً هائلاً فظيماً منكراً؛ إذ يضربون وجوههم وأديبارهم، ويقولون لهم: ذوقوا ﴿عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾. قال مجاهد: ﴿وَأَذْبَرَهُمْ﴾: أستاذهم، قال: يوم بدر. وقال ابن عباس: إذا أقبل المشركون بوجوههم إلى المسلمين، ضربوا وجوههم بالسيوف، وإذا ولوا أدركتهم الملائكة فضربوا أديبارهم. وهذا السياق - وإن كان سببه وقعة بدر - ولكنه عام في حق كل كافر؛ ولهذا لم يخصه تعالى بأهل بدر، بل قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ تَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَذْبَرَهُمْ﴾. قوله: ﴿ذَلِكَ يَمَاقِدَتِ أَيْدِيكُمْ﴾ أي: هذا الجزاء بسبب ما عملتم من الأعمال السيئة في حياتكم الدنيا، جزاكم الله بها هذا الجزاء. قوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلِيمٍ﴾ أي: لا يظلم أحداً من خلقه، بل هو الحكم العدل الذي لا يبور؛ ولهذا جاء في الحديث الصحيح من رواية أبي ذر عن رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى يقول: يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا» [رواه مسلم].

الآية (٥٢): يقول تعالى: قَعَلَ هؤلاء المشركون المكذبون بما أُرْسِلَتْ به يا محمد، كما قَعَلَ الأمم المكذبة قبلهم، ففعلنا بهم ما هو دأبنا، أي: عادتنا وسُنَّتْنا في أمثالهم من المكذبين من آك فرعون ومن قبلهم من الأمم المكذبة بالرسول، الكافرين بآيات الله. ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾ أي: بسبب ذنوبهم أهلكتهم، فأخذهم أخذ عزيز مقتدر. قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ أي: لا يغلبه غالب، ولا يفوته هارب.

الآية (٤٦): أمرهم أن يطيعوا الله ورسوله في حالهم ذلك. فما أمرهم الله تعالى به ائتمروا، وما نهاهم عنه اتزجروا، ولا يتنازعوا فيما بينهم أيضاً فيختلفوا فيكون سبباً لتخاذلهم وفشلهم.

﴿وَبَدَّهَبَ رِيحَهُمْ﴾ أي: قُوَّتُهم وحِدَّتُهم وما كنتم فيه من الإقبال ﴿وَأَصْبَرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾. وقد كان للصحابه ﷺ في باب الشجاعة والانتصار بأمر الله، وامتنال ما أرشدهم إليه، ما لم يكن لأحد من الأمم والقرون قبلهم، ولا يكون لأحد من بعدهم؛ فإنهم - بركة الرسول ﷺ وطاعته فيما أمرهم - فتحوا القلوب والأقاليم شرقاً وغرباً في المدة اليسيرة، مع قلة عددهم بالنسبة إلى جيوش سائر الأقاليم من: الروم، والفرس، والترك، والصقالبة، والبربر، والحبوش، وأصناف السودان والقيط، وطوائف بني آدم؛ قهروا الجميع حتى علّت كلمة الله، وظهر دينه على سائر الأديان، وامتدت الممالك الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها، في أقل من ثلاثين سنة، فرضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين، وحشرنا في زمريهم.

الآية (٤٧-٤٨): يقول تعالى بعد أمره المؤمنين بالإخلاص في القتال في سبيله وكثرة ذكره، ناهياً لهم عن التشبّه بالمشركين في خروجهم من ديارهم ﴿بَطَرًا﴾ أي: دفعاً للحق ﴿وَرِيشًا النَّاسِ﴾ وهو: المفاخرة والتكبر عليهم؛ كما قال أبو جهل - لما قيل له: إن العبر قد نجا فارجموا - فقال: لا، والله لا نرجع حتى نردّ ماء بدر، وننحر الجزر، ونشرب الخمر، وتعزف علينا القيان، وتحدث العرب بمكاننا فيها يوماً أبداً. فانعكس ذلك عليه أجمع؛ لأنهم لما وردوا ماء بدر وردوا به الجحام، ورُمُوا في أطواء بدر مُهانين أدلاء، صَغَرَةَ أَشْقِيَاءَ في عذاب سرمدي أبدي؛ ولهذا قال: ﴿وَاللَّهُ يَمَاقِدَتُ حَيْطُ﴾ أي: عالم بما جاءوا به وله، ولهذا جازاهم عليه شر الجزاء لهم. قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِيشًا النَّاسِ﴾: هم المشركون الذين قاتلوا رسول الله ﷺ يوم بدر. وقال محمد بن كعب: لما خرجت قريش من مكة إلى بدر، خرجوا بالقيان والدفوف، فأنزل الله ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِيشًا النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ يَمَاقِدَتُ حَيْطُ﴾. قوله: ﴿وَيَذَرِينَ لَهُمْ الْأَنْيَابَ أَغْنَاهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ الْأَنْيَابِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ﴾ الآية، حسن لهم ما جاءوا له وما هُموا به، وأطعمهم أنه لا غالب لهم اليوم من الناس، ونفى عنهم الخشية من أن يؤتوا في ديارهم من عدوهم بني بكر، فقال: أنا جار لكم؛ وذلك أنه تبدّى لهم في صورة سُرَاقَة بن مالك، وكل ذلك منه كما قال تعالى عنه: ﴿يَعِدُّهُمْ وَيُعْيِيهِمْ وَمَا يَعِدُّهُمْ النَّبِيُّ إِلَّا عُرُوًا﴾ [النساء: ١٢٠]. قال ابن عباس: جاء إبليس يوم بدر في جُند من الشياطين، معه رايته، في صورة رجل من بني مُذَلِّج، فقال الشيطان للمشركين: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ الْأَنْيَابِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ﴾ فلما اصطف الناس أخذ رسول الله ﷺ قبضة من التراب فرمى بها في وجوه المشركين، فولوا مدبرين، وأقبل جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى إبليس، فلما رآه - وكانت يده



الآية (٥٣-٥٤): يخبر تعالى عن تمام عدله وقسطه في حكمه، بأنه تعالى لا يغير نعمة أنعمها على أحد إلا بسبب ذنب ارتكبه؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بَقِيَُوا حَتَّى يَبْغُيُوا مَا يَأْتُسِيهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ كَالٍ﴾ [الرعد: ١١]. قوله: ﴿كَذَّابٍ مَالٍ فَرَعَوْنَ﴾ أي: كصنعه بآل فرعون وأمثالهم حين كذبوا بآياته أهلكتهم بسبب ذنوبهم، وسلبهم تلك النعم التي أسداها إليهم من جنات وعيون، وزروع وكنوز ومقام كريم، ونعمة كانوا فيها فاكهين، وما ظلمهم الله في ذلك، بل كانوا هم الظالمين.

الآية (٥٥-٥٧): أخبر تعالى أن شر ما دبَّ على وجه الأرض هم ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾؛ الذين كلما عاهدوا عهدًا نقضوه، وكلما أكدهم بالآيات نكثوه ﴿وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ أي: لا يخافون من الله في شيء ارتكبه من الآثام. قوله: ﴿فَلَمَّا تَتَفَتَّحُوا فِي الْحَرْبِ﴾ أي: تغلبهم وتظفر بهم في حرب ﴿فَنَزَرُ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ﴾ أي: نكل بهم؛ قاله ابن عباس، ومعناه: غلظ عقوبتهم وأثخنهم قتلاً ليخاف من سواهم من الأعداء من العرب وغيرهم، ويصبروا لهم عبرة ﴿فَلَمَّا هَزَّ بُدُنُهُمْ﴾ قال الشدي: لعلهم يمحذرون أن ينكثوا فيضع بهم مثل ذلك.

الآية (٥٨): يقول تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَلَمَّا تَخَفَا مِنْ قَوْمٍ﴾ قد عاهدتهم ﴿بِحِيَاةٍ﴾ أي: نقضاً لما بينك وبينهم من المواثيق والمعهود ﴿فَأَنذِرْهُم بِآيَاتِهِ﴾ أي: عهدهم ﴿عَلَى سَوَاءٍ﴾ أي: أعلمهم بأنك قد نقضت عهدهم حتى يبقى علمك وعلمهم بأنك حرب لهم، وهم حرب لك، وأنه لا عهد بينك وبينهم على السواء؛ أي: تستوي أنت وهم في ذلك؛ عن الوليد بن مسلم أنه قال في قوله: ﴿فَأَنذِرْهُم بِآيَاتِهِ عَلَى سَوَاءٍ﴾ أي: على مهل. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِبِينَ﴾ أي: حتى ولو في حق الكافرين، لا يجيها أيضاً. عن سليم بن عامر قال: كان معاوية يسير في أرض الروم، وكان بينه وبينهم أمد، فأراد أن يدنو منهم، فإذا انقضى الأمد غزاهم، فإذا شيخ على دابة يقول: الله أكبر، الله أكبر، وفاء لا غدراً؛ إن رسول الله ﷺ قال: «ومن كان بينه وبين قوم عهد فلا يحلَّ عُقْدَةً ولا يشلها حتى ينقضي أمدُها، أو ينذر إليهم على سواء» قال: فبلغ ذلك معاوية، فرجع، وإذا الشيخ عمرو بن عبسة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ [رواه أحمد والترمذي، وصححه الألباني].

الآية (٥٩): يقول تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ يَا مُحَمَّدُ الَّذِينَ كَفَرُوا سُبُحًا﴾ أي: فاتونا فلا نقدر عليهم، بل هم تحت قهر قدرتنا وفي قبضة مشيتنا فلا يمحزوننا؛ كقوله: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [المنكوت: ٤]. أي: يظنون، وقوله: ﴿لَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزَاتِكَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ أَتَارُ وَلَيْسَ الصَّيْرُ﴾ [النور: ٥٧].

الآية (٦٠): ثم أمر تعالى بإعداد آلات الحرب لمقاتلتهم حسب الطاقة والإمكان والاستطاعة، فقال: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ أي: مهأمكنكم ﴿وَمِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ عن عقبة بن عامر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو على المنبر: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا

اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي [رواه مسلم]. عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «الحيل ثلاثة: لرجل أجرة، ولرجل ستر، وعلى رجل وزر؛ فأما الذي له أجر فرجل ربطها في سبيل الله، فأطال بها في مزج -أو: روضة- فما أصابت في طيلها ذلك من المزج -أو: الروضة- كانت له حسناً، ولو أنها قطعت طيلها فاستنتت شرقاً أو شرفين كانت آثارها وأروائها حسناً له، ولو أنها مرَّت بنهر فشربت منه، ولم يُرَدَّ أن يسقي به، كان ذلك حسناً له؛ فهي لذلك الرجل أجرة. ورجل ربطها تَعَفُّفاً وتَعَفُّفاً، ولم يَنْسَ حق الله في رقبها ولا ظهورها، فهي له ستر. ورجل ربطها فخراً ورياء ونواء فهي على ذلك وزر» [رواه البخاري]. وسئل رسول الله ﷺ عن المحرم فقال: «ما أنزل الله علي فيها شيئاً إلا هذه الآية الجامعة الفاذة: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ» [الزلزلة: ٧-٨] [متفق عليه].

وقد ذهب أكثر العلماء إلى أن الرمي أفضل من ركوب الخيل، وذهب الإمام مالك إلى أن الركوب أفضل من الرمي، وقول الجمهور أقوى للحديث، والله أعلم. والأحاديث الواردة في فضل ارتباط الخيل كثيرة: عن عُرْوَةَ بن أبي الجعد البارقى: أن رسول الله ﷺ قال: «الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة: الأجر والمغنم» [متفق عليه]. وقوله: ﴿تَرْهَبُونَ﴾ أي: تُخَوِّفُونَ ﴿يَوْمَ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ أي: من الكفار ﴿وَالْآخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ﴾ قال مجاهد: يعني: قرظية، وقال الشدي: فارس، وقال مقاتل وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم: هم المنافقون. وهذا أشبه الأقوال، ويشهد له قوله: ﴿وَمَنْ حَوْلَكَ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُّوا عَلَى الْإِتِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ﴾ [التوبة: ١٠١].

وقوله: ﴿وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ أي: مهما أنفقتم في الجهاد، فإنه يوفى إليكم على التمام والكمال.

الآية (٦١): يقول تعالى: إذا خُفَّتْ من قوم خيانة فأنبذ إليهم عهدهم على سواء، فإن استمروا على حربك ومنابذتك فقاتلهم ﴿وَلَمَّا جَنَحُوا﴾ أي: مالوا لِللَّيْلِ أي: المسألة والمصالحة والمهادنة ﴿فَأَجْبَحْ لَهُمْ﴾ أي: قَبِلْ إِلَيْهَا، وأقبل منهم ذلك؛ ولهذا لما طلب المشركون عام الحديبية الصلح ووضع الحرب بينهم وبين رسول الله ﷺ تسع سنين؛ أجابه إلى ذلك مع ما اشترطوا من الشروط الأخر. وقوله: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ أي: صالحهم وتوكل على الله، فإن الله كافيك وناصرك.



## ● الوقفات التدريبية

١ ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكْ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾  
أراد أن الله تعالى لا يغير ما أنعم على قوم حتى يغيروا هم ما بهم بالكفران وترك الشكر، فإذا فعلوا ذلك غيّر الله ما بهم، فسلهم النعمة البقوي: ٢٣٢/١.

السؤال: متى يغير الله تعالى حال المجتمع؟

٢ ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكْ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾  
(ذلك) العذاب الذي أوقعه الله بالأمم المكذبتين، وأزال عنهم ما هم فيه من النعم والتعظيم بسبب ذنوبهم وتغييرهم ما بأنفسهم؛ فإن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم من نعم الدين والدنيا، بل يبقها، ويزيدهم منها إن ازدادوا له شكرا، (حتى) يغيروا ما بأنفسهم من الطاعة إلى العصية؛ فيكفروا نعمة الله، ويبدلوها كفرا؛ فيسلهم إياها، ويغيرها عليهم كما غيروا ما بأنفسهم، والله الحكمة في ذلك، والعدل والإحسان إلى عباده؛ حيث لم يعاقبهم إلا بظلمهم. السعدي: ٣٢٤.

السؤال: من غير ما بنفسه زالت نعمته، فما حال من ثبت على ما في نفسه؟  
٣ ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكْ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾  
وهذا التغيير نوعان: أحدهما: أن يُبدوا ذلك فيبقى قولا وعلا يرتب عليه الذم والعقاب. والثاني: أن يغيروا الإيمان الذي في قلوبهم بضده من الريب والشك والبغض، ويعزموا على ترك فعل ما أمر الله به ورسوله. ابن تيمية: ٢٨٢/٣.

السؤال: تغيير ما في الأنفس نوعان: ظاهر وباطن، بين ذلك.

٤ ﴿ الَّذِينَ عَاهَدَتْ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرْوَةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴾  
والتعبير - في جانب نقضهم العهد - بصيغة المضارع للدلالة على أن ذلك يتجدد منهم ويكرر بعد نزول هذه الآية، وأنهم لا ينتهون عنه؛ فهو تعريض بالتأنييس من وفاهم بعهدهم. ابن عاشور: ٤٨/١.

السؤال: ما فائدة التعبير في جانب نقض الشركين للعهد بصيغة المضارع (ينقضون)؟

٥ ﴿ فَلَمَّا تَثَقَّفَتْهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرَّدَهُمْ مِّنْ حَلَفَتِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَدَّكَّرُونَ ﴾  
وهذه من فوائد العقوبات والحدود المرتبة على المعاصي: أنها سبب لازدجار من لم يعمل المعاصي، بل وزجرا لمن عملها أن لا يعاودها. السعدي: ٣٢٤.

السؤال: ما فوائد عقوبة المعصاة؟

٦ ﴿ وَلَمَّا تَخَافُ مِنْ قَوْمٍ خِائِنَةٍ فَلَا يَأْخُذُ إِلَهُهُ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنْ أَلَّيْتُ لِقَائِيْنَ ﴾  
وإنما رتب نبد العهد على خوف الخيانة، دون وقوعها؛ لأن شؤون المعاملات السياسية والحربية تجري على حسب الظنون ومخائل الأحوال، ولا ينتظر تحقق وقوع الأمر المظنون؛ لأنه إذا تريت ولادة الأمور في ذلك يكونون قد عرضوا الأمة للخطر، أو للتورط في غفلة وضياح مصلحة. ابن عاشور: ٥٢/١.

السؤال: لماذا رتب الآية الكريمة نبد العهد على خوف الخيانة وليس على وقوعها؟

٧ ﴿ وَكَانَ جَنْحُورًا لِّلْإِسْلَامِ فَاجْتَحَ لَهَا ﴾

فإن في ذلك فوائد كثيرة، منها: أن طلب العافية مطلوب كل وقت، فإذا كانوا هم المبتهدين في ذلك كان أولى لإجابتهم، ومنه: أن في ذلك إجماعا لقواصم، واستعدادا منكم لقتالهم في وقت آخر إن احتيج لذلك، ومنها: أنكم إذا اصطلحتم وأمن بعضكم بعضا، وتمكن كل من معرفة ما عليه الآخر، فإن الإسلام يعلو ولا يعلى عليه، فكل من له عقل وبصيرة إذا كان معه إنصاف فلا بد أن يؤثر على غيره من الأديان. السعدي: ٣٢٥.

السؤال: ما فوائد السلم على المسلمين إذا طلبه الكفار، وتوفرت شروطه؟

ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكْ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٥٥ كَذَٰبٌ آلِ فِرْعَوْنَ وَآلِ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَهَلْ كَانَ لَكُمْ بِهِمْ حِفْظٌ ٥٦ وَأَعْرَفْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلَّ كَاذِبٍ ٥٧ وَكُلَّ ظَالِمٍ ٥٨ إِنَّ سَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٥٩ الَّذِينَ عَاهَدَتْ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرْوَةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ٦٠ فَلَمَّا تَثَقَّفَتْهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرَّدَهُمْ مِّنْ حَلَفَتِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَدَّكَّرُونَ ٦١ وَلَمَّا تَخَافُ مِنْ قَوْمٍ خِائِنَةٍ فَلَا يَأْخُذُ إِلَهُهُ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنْ أَلَّيْتُ لِقَائِيْنَ ٦٢ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ سَبْعُونَ نَجْمًا لَا يُعْجِرُونَ ٦٣ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ٦٤ وَمَا تُفْقِدُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُؤْفَإِ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَظْلُمُونَ ٦٥ \* وَكَانَ جَنْحُورًا لِّلْإِسْلَامِ فَاجْتَحَ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ٦٦

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
تَثَقَّفَتْهُمْ	تَجَدَّدَتْهُمْ.
فَانْبَدَ	فَاطْرَحَ عَهْدَهُمْ.
عَلَىٰ سَوَاءٍ	لِنُكُونُوا وَإِيَّاهُمْ مُسْتَوِينَ فِي الْعِلْمِ بِطَرَحِهِ.
جَنْحُورًا	مَآلًا.
فَاجْتَحَ	مِلَ.

## ● العمل بالآيات

١. ابحث عن معصية في نفسك قد تكون غافلا عنها، وتب إلى الله منها، لعل الله أن يغير حالك إلى الأفضل، ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكْ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾.
٢. تأمل قصة فرعون، وما آل إليه، ثم استخرج ثلاثا من فوائدها، ﴿ كَذَٰبٌ آلِ فِرْعَوْنَ وَآلِ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَهَلْ كَانَ لَكُمْ بِهِمْ حِفْظٌ ٥٦ وَأَعْرَفْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلَّ كَاذِبٍ ٥٧ وَكُلَّ ظَالِمٍ ٥٨ ﴾.
٣. ابحث في نفسك عن موهبة أنعم الله بها عليك، ثم استخدمها في طاعة الله وخدمة دينه، ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾.

## ● التوجيهات

١. أساس الحياة السعيدة التوبة وكثرة العبادة، ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكْ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾.
٢. إذا وعدت فإياك أن تخلف أو تنقض العهد، ولو كان ذلك مع الكفار؛ فليس ذاك من صفات المؤمنين، ﴿ الَّذِينَ عَاهَدَتْ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرْوَةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴾.
٣. إرهاب أعداء الإسلام المحاربين أمر مقصود شرعا، خلافا لما يصوره الإعلام - سواء كان إرهاب حجة وبيان، أو قوة عتاد وأبدان - كما يرهبوننا هم بذلك، ﴿ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿ وَأَلْفَ بَيْتٍ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقَتْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بَيْتَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْتِهِمْ ﴾

قال ابن عباس: ... إن الله إذا قارب بين القلوب لم يزحزحها شيء، ثم قرأ هذه الآية: ابن كثير: ٣٠٩/٢.

السؤال: إذا أردت أن تؤلف بين قلوب إخوانك؛ فما أهم امر تبدأ به؟

﴿ وَأَلْفَ بَيْتٍ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقَتْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بَيْتَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْتِهِمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

أي: جمع بين قلوب الأوس والخزرج، وكان تآلف القلوب مع العصبية الشديدة في العرب من آيات النبي ﷺ ومعجزاته؛ لأن أحدهم كان يلطم اللطم، فيقاتل عنها حتى يستقيدها، وكانوا أشد خلق الله حمية، فآلف الله بالإيمان بينهم؛ حتى قاتل الرجل إياه وأخاه بسبب الدين. القرطبي: ١٠/٦٧.

السؤال: الإيمان الصادق له علامات على الجماعة، بينها.

﴿ يَتَأْتِيَا الْبَيْتَ حَسْبَكَ اللَّهُ وَمَنْ أَتَيْكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

وهذا وعد من الله لعباده المؤمنين المتبعين لرسوله بالكفاية والنصرة على الأعداء، فإذا أتوا بالسبب الذي هو الإيمان والاتباع فلا بُدَّ أن يكفيهم ما أهمهم من أمور الدين والدنيا، وإنما تتخلف الكفاية بتخلف شرطها.

السعدي: ٣٢٥.

السؤال: ما شروط كفاية الله ونصرته لأولياته؟

﴿ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴾

(بأنهم قوم لا يفقهون) أي: يقاتلون على غير دين ولا بصيرة فلا يثبتون.

ابن جزي: ١/٣٤٨.

السؤال: ذكرت هذه الآية شرطاً محكماً للغلبة لا يتخلف فما هو؟

﴿ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴾

(قوم لا يفقهون) أي: لا أعلم عندهم بما أعد الله للمجاهدين في سبيله، فهم يُقاتلون لأجل العلو في الأرض والفساد فيها، وأنتم تفقهون المقصود من القتال: أنه لإعلاء كلمة الله وإظهار دينه، والذب عن كتاب الله، وحصول الفوز الأكبر عند الله، وهذه كلها دواعٍ للشجاعة والصبر والإقدام على القتال. السعدي: ٣٢٦.

السؤال: ما قيمة فقه معاني الجهاد في الانتصار على الأعداء؟

﴿ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

(تريدون) أيها المؤمنون (عرض الدنيا) بأخذكم الفداء، (والله يريد الآخرة): يريد لكم ثواب الآخرة بقرهمكم المشركين، ونصركم دين الله عز وجل، والله عزيز حكيم. البغوي: ٢/٢٣٩.

السؤال: عند القتال تظهر نيات كثيرة، فما النية التي يحبها الله عز وجل؟

﴿ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

(عرض الدنيا): هو المال؛ وإنما سمي عرضاً لأن الانتفاع به قليل اليبث، فأشبه الشيء العارض؛ إذ العروض مرور الشيء وعدم مكثه؛ لأنه يعرض للماشين بدون تهوي. ابن عاشور: ١٠/٧٦.

السؤال: ما (عرض الدنيا)؟ ولماذا سمي بهذا الاسم؟

وَأَنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنْ حَسَبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ  
يَنْصَرِيحُوا بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَأَلْفَ بَيْتٍ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقَتْ  
مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بَيْتَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ  
أَلْفَ بَيْتِهِمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٦﴾ يَتَأْتِيَا الْبَيْتَ حَسْبَكَ  
اللَّهُ وَمَنْ أَتَيْكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ يَتَأْتِيَا الْبَيْتَ حَرِصٌ  
الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْفِتَنِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ  
يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ  
الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٨﴾ أَفَلَنْ خَفَّفَ  
اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ صَبْعًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ  
صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا  
أَلْفَيْنِ يُبَازِلُ اللَّهُ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٩﴾ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ  
أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُنْزِلَ فِي الْأَرْضِ فَرْدًا يُرِيدُ عَرَضَ  
الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠﴾ لَوْلَا كِتَابُ  
مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢١﴾ فَكُلُوا  
مِمَّا عَمِلْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
حَسْبَكَ	كَافِيكَ.
حَرِصٌ	حُتٌّ.
يُنْزِلُ فِي الْقِتَالِ.	يُنَالِجُ فِي الْقِتَالِ.

## ● العمل بالآيات

١. ادع الله تعالى باللاح ان يؤلف بين قلوب إخوانك من المسلمين، ﴿ وَأَلْفَ بَيْتٍ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقَتْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بَيْتَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْتِهِمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾.
٢. أكثر من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله، وقول: حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم، ﴿ يَتَأْتِيَا الْبَيْتَ حَسْبَكَ اللَّهُ ﴾.
٣. اقرأ سبب نزول هذه الآية، ثم انقل على زملائك، واستخرجوا ما فيه من فوائد، أو ارسله برسالة، ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُنْزِلَ فِي الْأَرْضِ فَرْدًا يُرِيدُ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ﴾.

## ● التوجيهات

١. الأخوة: إذا كانت إيمانية حقيقة فإنها تذهب ما في القلوب من الضغينة والشحناء، ﴿ وَأَلْفَ بَيْتٍ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقَتْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بَيْتَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْتِهِمْ ﴾.
٢. معية الله بالعلم والتأييد والنصر هي للصائرين المؤمنين دون أهل الجزع والمشككين، ﴿ فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ يُبَازِلُ اللَّهُ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾.
٣. مهما كان العبد فإنه يحتاج إلى رحمة الله تعالى؛ لأنه ضعيف لا يملك من أمره شيئاً، ﴿ أَفَلَنْ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ صَبْعًا ﴾.

تقدم فقاتل حتى قُتل ﷺ [رواه مسلم].

ثم قال تعالى مُبَشِّرًا لِلْمُؤْمِنِينَ وَآمِرًا: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَاعِدُونَ يَأْتُوا بَأْتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَأْتُوا أَفْكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، كل واحد بعشرة. ثم نُسخ هذا الأمر وبقيت البشارة؛ عن ابن عباس قال: لما نزلت: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَاعِدُونَ يَأْتُوا بَأْتَيْنِ﴾، شق ذلك على المسلمين حين فرض الله عليهم ألا يفر واحد من عشرة. ثم جاء التخفيف فقال: ﴿أَنْتُمْ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿يَأْتُوا بَأْتَيْنِ﴾، قال: خفف الله عنهم من العدة، ونقص من الصبر بقدر ما خفف عنهم.

الآية (٦٧-٦٩): قرأ ابن عباس: ﴿مَا كَانَتْ لِيَنْتِي أَنْ يَكُونَ لَهُمْ أَسْرَى﴾ حتى بلغ ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ قال: غنائم بدر قبل أن يُجْلَهَا لهم، يقول: لولا أني لا أعذب من عصائي حتى أتقدم إليه، لمُسْكَمَ فيها أخذتم عذاب عظيم. وكذا قال مجاهد. وروي نحوه عن سعد بن أبي وقاص، وسعيد بن جبير، وعطاء.

وقال ابن عباس في قوله: ﴿لَوْلَا كُنْتُ مِنَ الَّذِينَ سَبَقَ﴾ يعني: في أم الكتاب الأول أن المغانم والأسارى حلال لكم ﴿لَكُنْتُ مِمَّا أَخَذْتُمْ﴾ من الأسارى ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ قال الله تعالى: ﴿فَكُلُوا وَمِمَّا عَيْشَتُمْ﴾ الآية. وروي مثله عن أبي هريرة، وابن مسعود، وسعيد بن جبير، وعطاء وغيرهم، وهو اختيار ابن جرير، رحمه الله. ويستشهد لهذا القول بما أخرجه في الصحيحين عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «أُعْطِيتُ خَمْسًا، لَمْ يُعْطَ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرَّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ وَلَمْ تَحِلْ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يَبِيعُ إِلَى قَوْمِهِ وَبِعْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَةً». ولهذا قال الله تعالى: ﴿فَكُلُوا وَمِمَّا عَيْشَتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَأَنْقَضُوا إِلَهُ إِنْكَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، فعند ذلك أخذوا من الأسارى الفداء. وقد استقر الحكم في الأسرى عند جمهور العلماء: أن الإمام خير فيهم: إن شاء قتل - كما فعل بيني قريظة - وإن شاء فادى بال - كما فعل بأسرى بدر - أو بمن أسر من المسلمين؛ كما فعل رسول الله ﷺ في تلك الجارية وابنتها اللتين كانتا في سبي سلمة بن الأكوع، حيث ردهما وأخذ في مقابلتهما من المسلمين الذين كانوا عند المشركين، وإن شاء استرق من أسره. هذا مذهب الإمام الشافعي وطائفة من العلماء.

الآية (٦٢-٦٣): ولو كانوا يريدون بالصلح خديعة ليتقوا ويستعدوا ﴿فَإِنَّكَ حَسْبُكَ اللَّهُ﴾ أي: كافيك وحده. ثم ذكر نعمته عليه بما أبداه به من المؤمنين المهاجرين والأنصار، فقال: ﴿هُوَ الَّذِي أَتَاكَ بِتَقْوَىٰ وَالْزُوقِينَ﴾ ﴿وَأَلْفَ بَيْتٍ قُلُوبِهِمْ﴾ أي: جمعها على الإيذان بك، وعلى طاعتك ومناصرتك وموازرتك ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَفْتُ بَيْتَ قُلُوبِهِمْ﴾ أي: لما كان بينهم من العداوة والبغضاء؛ فإن الأنصار كانت بينهم حروب كثيرة في الجاهلية، بين الأوس والخزرج، وأمور يلزم منها التسلسل في الشر، حتى قطع الله ذلك بنور الإيمان؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ كُنْتُمْ أَعدَاءً قَالَتْ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَاصِّبْهُمْ يَنْفَعِيهِمْ إِخْوَانُكُمْ وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ لَمَّا خطب الأنصار في شأن غنائم حنين قال لهم: «يا معشر الأنصار، ألم أجدكم ضلَّالًا فهداكم الله بي؟! وعالة فأغناكم الله بي؟! وكنتم مفرقين فآلفكم الله بي؟!» كلما قال شيئًا قالوا: الله ورسوله أمَّن. ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ أي: عزيز الجنب، فلا يجيب رجاء من توكل عليه، حكيم في أفعاله وأحكامه. عن عبد الله بن مسعود قال: ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَفْتُ بَيْتَ قُلُوبِهِمْ﴾ الآية، قال: هم المتحابون في الله. وفي رواية: نزلت في المتحابين في الله. وقال مجاهد: إذا تراءى المتحابان في الله، فأخذ أحدهما بيد صاحبه، وضحك إليه، غمات خطاياهما كما يحات ورق الشجر. قال عبدة: فقلت له: إن هذا ليسير! فقال: لا تقل ذلك؛ فإن الله تعالى يقول: ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَفْتُ بَيْتَ قُلُوبِهِمْ﴾. قال عبدة: فعرفت أنه أفقه مني.

الآية (٦٤): يعرض تعالى نبيه ﷺ والمؤمنين على القتال ومناجزة الأعداء ومبارزة الأقران، ويخبرهم أنه حسبهم؛ أي: كافهم وناصرهم ومؤيدهم على عدوهم، وإن كثرت أعدادهم وترادفت أمدادهم، ولو قلَّ عدد المؤمنين. قال الشعبي في قوله: ﴿يَأْتِيَا أَلْتِيَّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال: حسبك الله، وحسب من شهد معك. وعن عطاء الخراساني، وعبد الرحمن بن زيد مثله.

الآية (٦٥-٦٦): ولهذا قال: ﴿يَأْتِيَا أَلْتِيَّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ أَلْتِيَّ﴾ أي: حُثْمهم وذوهم عليه، ولهذا كان رسول الله ﷺ يعرض على القتال عند صفهم ومواجهة العدو، كما قال لأصحابه يوم بدر حين أقبل للمشركون في عَدَدِهِمْ وَعُدَدِهِمْ: «قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض». فقال عمر بن الحُمام: عرضها السموات والأرض؟! فقال رسول الله ﷺ: «نعم» فقال: يخ، يخ، فقال: «ما يحملك على قولك: يخ، يخ؟» قال: رجاء أن أكون من أهلها! قال: «فإنك من أهلها» فتقدم الرجل فكسر جفن سيفه، وأخرج ثمرات فجعل يأكل منهن، ثم ألقى بقيتهن من يده، وقال: لئن أنا حييت حتى آكلهن إنها حياة طويلة! ثم

فاعلمهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين؛ يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين، ولا يكون لهم في الفياء والغنيمة نصيب، إلا أن يجاهدوا مع المسلمين» [رواه مسلم].

﴿وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَمَلِّئْكُمْ الْفَنَاءَ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ مِّنْكُمْ وَبَيْنَهُمْ يَنِيتٌ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ يقول تعالى: ﴿وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ﴾ هؤلاء الأعراب، الذين لم يهاجروا في قتال ديني على عدوهم فانصروهم، فإنه واجب عليكم نصرهم؛ لأنهم إخوانكم في الدين، إلا أن يستنصروكم على قوم من الكفار ﴿بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ يَنِيتٌ﴾ أي: مهادة إلى مدة، فلا تخفروا ذمتكم، ولا تنقضوا أيمانكم مع الذين عاهدتم. وهذا مروى عن ابن عباس.

الآية (٧٣): لما ذكر تعالى أن المؤمنين بعضهم أولياء بعض، قطع الموالاة بينهم وبين الكفار؛ عن أسامة عن النبي ﷺ قال: «لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم» [متفق عليه].

ومعنى قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَتَعَلَّوْهُ تَكُنْ فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَسَاءَ كَيِّدٌ﴾ أي: إن لم تحاربوا المشركين وتوالوا المؤمنين، وإلا وقعت الفتنة في الناس، وهو التباس الأمر، واختلاط المؤمن بالكافر، فيقع بين الناس فساد منتشر طويل عريض.

الآية (٧٤-٧٥): لما ذكر تعالى حكم المؤمنين في الدنيا، عطف بذكر ما لهم في الآخرة، فأخبر عنهم بحقيقة الإيثار، كما تقدم في أول السورة، وأنه سبحانه يميز بالمغفرة والصفح عن الذنوب إن كانت، وبالرزق الكريم، وهو الحسن الكثير الطيب الشريف، دائم مستمر أبدا لا ينقطع ولا ينقضي، ولا يُسَام ولا يُكَلُّ لحسنه وتنوعه. ثم ذكر أن الأتباع لهم في الدنيا على ما كانوا عليه من الإيثار والعمل الصالح فهم معهم في الآخرة؛ كما قال: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هُمْ﴾ [الحشر: ١٠]. وفي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «المرء مع من أحب» [متفق عليه]. وأما قوله تعالى: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ أي: في حكم الله، وليس المراد بقوله: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ﴾ خصوصية ما يطلقه علماء الفرائض على القرابة، الذين لا فرض لهم ولا هم عصبية، بل يُذَلُّون بوارث؛ كالحالة، والحال، والعمة، وأولاد البنات، وأولاد الأخوات، ونحوهم، كما قد يزعهم بعضهم ويحتج بالأية، ويعتقد ذلك صريحا في المسألة، بل الحق أن الآية عامة تشمل جميع القربات. كما نص ابن عباس ومجاهد، وعكرمة والحسن، وقتادة وغير واحد على أنها ناسخة للآثر بالخلف والإخاء اللذين كانوا يتوارثون بها أولا، وعلى هذا فتشمل ذوي الأرحام بالاسم الخاص. ومن لم يورثهم يحتج بأدلة من أقواها حديث: «إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه، فلا وصية لوارث» [رواه أهل السنن، وصححه الألباني]. قالوا: فلو كان ذا حق لكان له فرض في كتاب الله مسمى، فلما لم يكن كذلك لم يكن وارثا.

الآية (٧٠-٧١): [سبب النزول]: قال ابن عباس: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَن فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَمْوَالِ﴾ عباس وأصحابه؛ قالوا للنبي ﷺ: أمنا بما جئت به، ونشهد أنك رسول الله، لتنصحن لك على قوما. فانزل الله: ﴿إِن يَسْلَمْ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ﴾ إيانا وتصديقا، يخلف لكم خيرا مما أخذ منكم ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ الشرك الذي كنتم عليه. قال: فكان العباس يقول: ما أحب أن هذه الآية لم تنزل فينا، وأن لي الدنيا؛ لقد قال: ﴿يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ﴾ فقد أعطاني خيرا مما أخذ مني مائة ضعف، وقال: ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ وأرجو أن يكون غفر لي. قوله: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ﴾ أي: فيما أظهروا لك من الأقوال ﴿فَقَدْ خَاوَا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: من قبل بدر بالكفر به، ﴿فَأَتَيْنَ بَيْنَهُمْ﴾ أي: بالإسلام يوم بدر ﴿وَاللَّهُ عَلَيْهِ حَكِيمٌ﴾ أي: عليم بما يفعله، حكيم فيه. قال قتادة: نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح الكاتب حين ارتد ولحق بالمشركين. وقال ابن عباس: نزلت في عباس وأصحابه حين قالوا: لتنصحن لك على قوما. وفشرها الشدي على العموم، وهو أشمل وأظهر، والله أعلم.

الآية (٧٢): ذكر تعالى أصناف المؤمنين، وقسمهم إلى مهاجرين: خرجوا من ديارهم وأموالهم، وجاءوا لنصر الله ورسوله، وإقامة دينه، وبذلوا أموالهم وأنفسهم في ذلك. وإلى أنصار، وهم: المسلمون من أهل المدينة إذ ذاك: آووا إخوانهم المهاجرين في منازلهم، وواسوهم في أموالهم، ونصروا الله ورسوله بالقتال معهم؛ فهؤلاء ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ أي: كل منهم أحق بالآخر من كل أحد؛ ولهذا آخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار؛ كل اثنين أخوان، فكانوا يتوارثون بذلك إرثا مقدما على القرابة، حتى نسخ الله تعالى ذلك بالمواريث. وقد اثني الله ورسوله على المهاجرين والأنصار في غير ما آية في كتابه فقال: ﴿لِلْمُفْلَكِ الْفُتُوحِ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيُصْرُفُونَ إِلَيْهِمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُخَيِّطُونَ مَن هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ الآية [الحشر: ٨-٩].

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن دِينٍ وَلَٰكِنَّهُمْ فِي شَأْنٍ حَقٍّ يُّهَاجَرُونَ﴾ هذا هو الصف الثالث من المؤمنين: وهم الذين آمنوا ولم يهاجروا، بل أقاموا في بؤاديه؛ فهؤلاء ليس لهم في المغان نصيب، ولا في حُصنها إلا ما حضروا فيه القتال؛ عن بُرَيْدة بن الحَصْبِي الأسلمي قال: كان رسول الله ﷺ إذا بعث أميرا على سرية أو جيش، أوصاه في خاصة نفسه بتقوى الله، ومن معه من المسلمين خيرا، وقال: «... إن أجاوبك فاقبل منهم، وكُتِّف عنهم، ثم أذهبهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأعلمهم إن فعلوا ذلك أن لهم ما للمهاجرين، وأن عليهم ما على المهاجرين. فإن أبوا واختاروا دارهم



## الوقفات التدريبية

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَمَاجِرُوا مَا لَكُم مِّنْ دِينِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُمَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَفْزَعُوكُمْ فِي الَّذِينَ قَاتَلْتُمُوكُمْ فَالْقَاتِلُ إِلَىٰ عَلَىٰ قَوْمِهِ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رِيَقٌ ﴾  
ابن العربي: إلا أن يكونوا أسرا مستضعفين؛ فإن الولاية معهم قائمتها، والنصرة لهم واجبة حتى لا تبقى منا عين تطرف، حتى يخرج إلى استنقاذهم إن كان عددا يحتمل ذلك، أو تبدل جميع أموالنا في استخراجهم حتى لا يبقى لأحد درهم؛ كذلك قال مالك وجميع العلماء، فإننا والله وإننا إليه راجعون على ما حل بالخلق في ترك إخوانهم في أسر العدو، وبأيديهم خزائن الأموال، وفضول الأحوال، والقدرة، والعدد، والقوة، والجلد. القرطبي: ٣٤٧/١.

السؤال: بين واجبا شرعي تجاه أسارى المسلمين المستضعفين.

﴿ وَإِنِ اسْتَفْزَعُوكُمْ فِي الَّذِينَ قَاتَلْتُمُوكُمْ فَالْقَاتِلُ إِلَىٰ عَلَىٰ قَوْمِهِ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رِيَقٌ ﴾  
وَاللَّهُ يَمُنُّ بِاللَّهِ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ

وقوله: (والله بما تعملون بصير) تحذير للمسلمين؛ لئلا يحملهم العطف على المسلمين على أن يقاتلوا قوما بينهم وبينهم ميثاق. وفي هذا التحذير تنويه بشأن الوفاء بالعهد، وأنه لا ينقضه إلا أمر صريح في مخالفته. ابن عاشور: ٨٧/١.

السؤال: ما فائدة ختم الآية الكريمة بقوله تعالى: (والله بما تعملون بصير)؟  
﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَهْدِهِمْ أُولَٰئِكَ بَعْضٌ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾

قطع الله الولاية بين الكفار والمؤمنين، فجعل المؤمنين بعضهم أولياء بعض، والكمار بعضهم أولياء بعض. القرطبي: ٨٧/١.

السؤال: ما خطورة زوال الولاء والبراء من حياة المسلمين؟

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَهْدِهِمْ أُولَٰئِكَ بَعْضٌ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾

يعني أن في كل من الكفار قوة الموالاة للأخر عليك والميل العظيم الحاح لهم على المسارعة في ذلك وإن اشتدت عداوة بعضهم لبعض لأنكم حزب وهم حزب، يجمعهم داعي الشيطان بوصف الكفران كما يجمعكم داعي الرحمن بوصف الإيمان. البقاعي: ٢٥٢/٣.

السؤال: على أي شيء يتفق الكفار ويوالي بعضهم بعضاً، رغم اختلاف أنواعهم؟  
﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَهْدِهِمْ أُولَٰئِكَ بَعْضٌ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾

(إلا تفعّلوه) أي: موالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين ... (تكن فتنة في الأرض وفساد كبير)، فإنه يحصل بذلك من الشر ما لا ينحصر من اختلاط الحق بالباطل، والمؤمن بالكافر، وعدم كثير من العبادات الكبار؛ كالجهاد والهجرة، وغير ذلك من مقاصد الشرع والدين التي تفوت إذا لم يتخذ المؤمنون وحدهم أولياء بعضهم لبعض. السعدي: ٣٢٨.

السؤال: مثل بعض أنواع الفتنة الحاصلة بعدم معاداة الكافرين.

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجْهَهُمْ إِلَىٰ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾

هم المؤمنون حقاً؛ لأنهم صدقوا إيمانهم بما قاموا به من الهجرة، والنصرة، والموالاة بعضهم لبعض، وجهادهم لأعدائهم من الكفار والمنافقين. السعدي: ٣٢٨.

السؤال: ما صفات المؤمنين حقاً؟

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَيْنِ هَاجَرُوا وَجْهَهُمْ مَّكَّمْ فَأُولَٰئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾

فهذه الموالاة الإيمانية لها وقع كبير، وشان عظيم، حتى إن النبي ﷺ آخى بين المهاجرين والأنصار أخوة خاصة غير الأخوة الإيمانية العامة، وحتى كانوا يتوارثون بها، فأمر الله: (وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله)، فلا يرثه إلا أقاربه. السعدي: ٣٢٨.

السؤال: اذكر صورة كانت في أول الإسلام تدل على أهمية الموالاة بين المؤمنين؟

يَتَّيْمُنَا اللَّهُ نَقِيًّا قُلْ لِمَن فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَشْرَافِ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ وَتَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٥ وَإِن يُرِيدُوا لِيَخْسِتَنَكَ فَقَدْ خَاؤُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمَكَنَّ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ ٦ إِن الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجْهَهُمْ إِلَىٰ سَبِيلِ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ٧ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَمَاجِرُوا مَا لَكُم مِّنْ دِينِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُمَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَفْزَعُوكُمْ فِي الَّذِينَ قَاتَلْتُمُوكُمْ فَالْقَاتِلُ إِلَىٰ عَلَىٰ قَوْمِهِ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رِيَقٌ ٨ وَاللَّهُ يَمُنُّ بِاللَّهِ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ٩ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَهْدِهِمْ أُولَٰئِكَ بَعْضٌ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ١٠ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجْهَهُمْ إِلَىٰ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ١١ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ١٢ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَدُوا وَهَاجَرُوا وَجْهَهُمْ مَّعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ١٣

## معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
فَأَمَكَنَّ مِنْهُمْ	أَهْذَرَك عَلَيْهِمْ.
أَوُوا	أَنْزَلُوا الْمُهَاجِرِينَ فِي دُورِهِمْ.
وَأُولُوا الْأَرْحَامِ	ذُؤَا الْقَرَائِبِ.

## العمل بالآيات

١. تبرع بشيء من مالك للجهات الخيرية رجاء أن تلحق بالمجاهدين بأموالهم، ﴿ إِن الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجْهَهُمْ إِلَىٰ سَبِيلِ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ٧ ﴾
٢. واس أحد المغترين ممن هم في بلدك، أو، وأنه من وحشته؛ فإن الله تعالى اتنى على الأنصار بإيوانهم لإخوانهم المهاجرين، ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ٧ ﴾
٣. اعمل شيئاً تصل به رحمك من: تعليمهم العلم، أو إطعامهم، أو قضاء حاجتهم؛ فهم أولى بك من غيرهم، ﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ١٣ ﴾

## التوجيهات

١. الله جل جلاله لا يغلبه غالب، ولا يفوته هارب، ﴿ وَإِن يُرِيدُوا لِيَخْسِتَنَكَ فَقَدْ خَاؤُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمَكَنَّ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ ٥ ﴾
٢. حق على كل مسلم مناصرة إخوانه المسلمين؛ إن استنصروه في الدين، ﴿ وَإِنِ اسْتَفْزَعُوكُمْ فِي الَّذِينَ قَاتَلْتُمُوكُمْ فَالْقَاتِلُ إِلَىٰ عَلَىٰ قَوْمِهِ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رِيَقٌ ٨ ﴾
٣. احذر من ولاية الكفار؛ فإنها فتنة وفساد كبير، ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَهْدِهِمْ أُولَٰئِكَ بَعْضٌ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ١٠ ﴾



## ● الوقفات التحذيرية

﴿ بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾

قال علي بن أبي طالب: البسملة أمان، وبراءة نزلت بالسيف؛ فلذلك لم تبدأ بالأمان. ابن جزي: ٣٥٠/١.

السؤال: في عدم نزول البسملة في سورة التوبة دليل على قوة القرآن مع المعاندين من الكفار، وضح ذلك.

﴿ بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾

وأما قوله سبحانه: (براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين) فذلك عهد جائز لا لازمة؛ فإنها كانت مطلقة، وكان مخيراً بين إمضاها ونقضها. ابن تيمية: ٣٠٠/٣.

السؤال: هل كانت العهود التي مع المشركين جائزة أو لازمة؟

﴿ وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾

وهذا أمر للمسلمين بأن يأذنوا المشركين بهذه البراءة؛ لئلا يكونوا غادرين. ابن عاشور: ١٠٨/١.

السؤال: لماذا أمر المسلمون بإخيار المشركين بإنهاء العهد بينهم؟

﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

هذه الآية دالة على أن من قال: «قد تبت» أنه لا يجتزأ بقوله حتى ينضاف إلى ذلك أفعاله المحققة للتوبة؛ لأن الله عز وجل - شرط هنا مع التوبة إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة؛ ليتحقق بهما التوبة القرطبي: ١١٤/١.

السؤال: ما تقول فيمن يتوب بلسانه فحسب، ويكتفي بذلك تاركاً العمل؟

﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ﴾

ونبه بأعلاها على ادناها؛ فإن أشرف أركان الإسلام بعد الشهادتين الصلاة التي هي حق الله عز وجل، وبعدها أداء الزكاة التي هي نفع متعد إلى الفقراء والمهاجرين، وهي أشرف الأفعال المتعلقة بالخلق، ولهذا كثيراً ما يقرن الله بين الصلاة والزكاة. ابن كثير: ٣٢١/٢.

السؤال: لماذا ذُكرت الصلاة والزكاة دون سائر العبادات؟

﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ اتَّقِ اللَّهَ مَأْمَنَةً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَسْلَمُونَ ﴾

أي: سأل جوارك: أي: أمانك ودمامك، فاعطه إياه ليسمع القرآن، أي: يفهم أحكامه، وأوامره، ونواهيه، فإن قبل أمراً فحسن، وإن أبى فرده إلى مأمنه. القرطبي: ١١٤/١.

السؤال: بين السبب في إعطاء الشرع الأمان للكفار.

﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ﴾ (حتى يسمع كلام الله) أي: القرآن؛ تقرأه عليه، وتذكر له شيئاً من أمر الدين، تقيم به عليه حجة الله ... وكان ذلك وأمثاله من أكبر أسباب هداية أكثرهم. ابن كثير: ٣٢٢/٢.

السؤال: ما الحكمة من إسماع المشركين القرآن؟

بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ١  
فَيَسْجُوْا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي  
اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ ٢ وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ  
إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ٣ وَأَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ  
وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتِغُوا فَتَوْفَئِهِمْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تُوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا  
أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٤  
إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوا شَيْئاً  
وَلَمْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ أَقَامُوا تَيْبَتُهُمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مَدَّتِهِمْ  
إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ٥ فَإِذَا اسْلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمَ  
فَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْضُرُوهُمْ  
وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا  
الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ٦ فَإِنْ أَحَدٌ  
مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ  
اللَّهِ ثُمَّ اتَّقِ اللَّهَ مَأْمَنَةً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَسْلَمُونَ ٧

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
وَأَذَانٌ	إِعْلَامٌ.
لَمْ يَنْقُصُواكُمْ	لَمْ يَخُونُوا الْعَهْدَ.
اسْلَخَ	انْقَضَى.
وَأَحْضَرُوهُمْ	حَاصِرُوهُمْ فِي مَقَالِهِمْ.
اسْتَجَارَكَ	طَلَبَ الْأَمَانَ مِنَ الْقَتْلِ.

## ● العمل بالآيات

١. لبحث عن أسماء سورة التوبة، وسبب تسميتها بهذه الأسماء، ثم استخرج ثلاث فوائد من ذلك، ﴿ بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾.
٢. حافظ على الصلاة، وتصديق بشيء من مالك، لعلها تغفر ذنوبك، ﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾.
٣. اقرأ كلام الله تعالى على من حولك من غير المسلمين رجاء هدايتهم، ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ اتَّقِ اللَّهَ مَأْمَنَةً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَسْلَمُونَ ﴾.

## ● التوجيهات

١. لقد برئ الله ورسوله من المشركين، فما موقفك منهم؟ ﴿ بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾.
٢. تأمل كيف يدعو الله تعالى أعداء الإسلام إلى التوبة والإقبال عليه، وبعدهم بالخير، وكيف باهل الإيمان؟ ﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾.
٣. من أكثر الأمور التي تنفع في الدعوة الإسلامية: إسماع الكفار آيات القرآن الكريم، أو ترجمتها، ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ﴾.

## تفسير سورة التوبة

وهي مدينة، [عدا آيتين من آخرها نزلنا بمكة، وهذا قول الجمهور. وعدد آياتها (١٢٩) آية].

هذه السورة الكريمة من أواخر ما نزل على رسول الله ﷺ، قال البراء: آخر آية نزلت: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلْبَةِ﴾ [النساء: ١٧٦]، وآخر سورة نزلت: براءة [متفق عليه]. وإنما لا يُسَمَّلُ في أولها لأن الصحابة لم يكتبوا البسملة في أولها في المصحف الإمام، والافتداء في ذلك بأمر المؤمنين عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وأول هذه السورة الكريمة نَزَلَ على رسول الله ﷺ لَمَّا رَجَعَ من غزوة تبوك وهم بالبحج، ذُكر أن المشركين يحضرون عامهم هذا الموسم على عادتهم في ذلك، وأنهم يطوفون بالبيت عُراءَ، فكَرِهَ مخالطتهم، وَبَعَثَ أبا بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أميرًا على الحج تلك السنة، لِيَقِيمَ للناس مناسكهم، وَيُعَلِّمَ المشركين أَلَّا يَحْجُوا بعد عامهم هذا، وأن يُنادي في الناس: «بِرَاءةٌ مِنَّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ»، فلما قُفِّلَ أَتَبَعَهُ بعلي بن أبي طالب ليكون مبلغًا عن رسول الله ﷺ؛ لكونه عَصَبَةً له.

الآية (١-٢): «بِرَاءةٌ مِنَّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ» أي: هذه براءة، أي: تبرؤ من الله ورسوله ﴿إِلَى الَّذِينَ عَهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿فَيَسْخَرُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ اختلف المفسرون ههنا اختلافًا كثيرًا، فقال قاتلون: هذه الآية لذوي اليهود المُطَلَّقة غير المؤقتة، أو من له عهد دون أربعة أشهر، فيُكَلَّلُ له أربعة أشهر، فأما من كان له عهد مؤقت فاجلُه إلى مدته مِها كان؛ لقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا أُولَئِكَ فَهَدَّيْنَاهُمْ إِلَى مَدَنِهِمْ﴾ الآية [التوبة: ٤]. وهذا أحسن الأقوال وأقواها، وقد اختاره ابن جرير، وزُوي عن غير واحد. وقال مجاهد: أهل العهد: حُرَاجَة، ومُنْجَح، ومن كان له عهد أو غيره.

الآية (٣): ﴿وَأَذِّنْ﴾ وإعلام ﴿بِرَاءَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ وتَقَدَّمَ وإنذار إلى الناس ﴿يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ﴾: وهو يوم النحر الذي هو أفضل أيام المناسك وأظهرها وأكثرها جمعًا ﴿وَأَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ أي: بريء منهم أيضًا. ثم دعاهم إلى التوبة إليه فقال: ﴿فَإِنْ تَنَسَّوْا﴾ أي: مما أنتم فيه من الشرك والضلال ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أي: استمررتم على ما أنتم عليه ﴿فَاعْلَمُوا أَنكُمُ عِزُّ مُعَاجِزِي اللَّهِ﴾، بل هو قادر عليكم، وأنتم في قبضته، وتحت قهره ومشيئته، ﴿وَيَسِّرَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابِ آلِيبِ﴾ أي: في الدنيا بالخزي والكلال، وفي الآخرة بالقماع والأغلال. عن أبي هريرة قال: بعثني أبو بكر في تلك الحجة إلى المؤذنين، بَعَثَهُمْ يوم النحر يؤذنون بمعنى: ألا يُحْجُ بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان. ثم أَرَدَفَ النبي ﷺ بعلي بن أبي طالب، فأمره أن يُؤذِّن براءة، وأَلَّا يُحْجُ بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان [متفق عليه].

الآية (٤): هذا استثناء من صَرَبِ مدة التأجيل بأربعة أشهر، لمن له عَهْد مطلق ليس بمؤقت، فأجله أربعة أشهر، يسبح في الأرض، يذهب فيها لينجو بنفسه حيث شاء، إلا من له عهد مؤقت، فأجله إلى مدته المضروبة التي عُوِّدَ عليها، وذلك بشرط ألا ينقض المعاهد

عهده، ولم يظاهر على المسلمين أحدًا، أي: يُبَالِغَ عليهم من سواهم، فهذا الذي يُؤَوَّلُ له بدمته وعهده إلى مدته؛ ولهذا حَرَضَ الله تعالى على الوفاء بذلك فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ أي: المؤمنين بعهدهم.

الآية (٥): ﴿فَإِذَا أَسْلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ﴾ الآية. اختلف المفسرون في المراد بالأشهر الحرم ههنا، ما هي؟ فذهب ابن جرير إلى أنها المذكورة في قوله تعالى: ﴿مِنَهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ الآية [التوبة: ٣٦]، والذي يظهر من حيث السياق ما ذهب إليه ابن عباس -في رواية عنه- وغيره: أن المراد بها أشهر التيسير الأربعة المنصوص عليها في قوله: ﴿فَيَسْخَرُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ [التوبة: ٢]، ثم قال: ﴿فَإِذَا أَسْلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ﴾ أي: إذا انقضت الأشهر الأربعة التي حَرَّمْنَا عليكم فيها قتالهم، وأجْلَنَاهُمْ فيها؛ لأن عَوْدَ العهد على مذکور أولى من مُقَدَّر. وقوله: ﴿فَأَقِمْ وَدَّعِ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ أي: من الأرض. وهذا عام، والمشهور تخصيصه بتحريم القتال في الحرم بقوله: ﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ عِنْدَ الْحَسْبِ الْمُرَارَئِيَّ تَقْبَلُوا لَهُمْ فَإِنْ قَاتَلْتُمُوهُمْ قَاتَلُوكُمْ﴾ [البقرة: ١٩١].

وقوله: ﴿وَوَدَّوهُمْ﴾ أي: وأبغضوهم، إن شتم قتلاً، وإن شتم أسراً، ﴿وَأَحْضَرُوهُمْ وَأَقِمْوْا لَهُمْ كَلَّ مَرَصِدٍ﴾ أي: لا تكتفوا بمجرد وجْدَانِكُمْ لهم، بل اقصدهم بالحصار في معاقلةهم وحصونهم، والرُّصْد في طَرَفِهِمْ ومسالكتهم حتى تُضَيَّقُوا عليهم الواسع، وتضطروهم إلى القتل أو الإسلام؛ ولهذا قال: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. ولهذا اعتمد الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قتال مانعي الزكاة على هذه الآية وأمثالها؛ حيث حَرَمَتْ قتالهم بشرط هذه الأفعال؛ وهي: الدخول في الإسلام، والقيام بأداء واجباته، ونَبَهَ بأعلاها على أدائها؛ فإن أشرف الأركان بعد الشهادة الصلاة، التي هي حق الله عز وجل، وبعدها أداء الزكاة التي هي نفع متعد إلى الفقراء والمحاويج، وهي أشرف الأفعال المتعلقة بالمخلوقين.

وهذه الآية الكريمة هي آية السيف. قال ابن عباس: لم يبق لأحد من المشركين عهد ولا ذمة، منذ نَزَلَتْ (براءة) وانسلاخ أربعة أشهر، من يوم أَدَّنَ بـ (براءة) إلى عشر من أول شهر ربيع الآخر.

الآية (٦): ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ الذين أمرت بقتالهم، وأجلت لك استباحة نفوسهم وأموالهم، ﴿اسْتَجَارَكَ﴾ أي: استأمنك، فَأَجِبْهُ إِلَى طَلَبِهِ ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ أي: القرآن تقرأه عليه وتذكر له شيئاً من أمر الدين يُقِيمُ عليه به حجة الله، ﴿ثُمَّ لِيَقْضِ يَمَانَتَهُ﴾ أي: وهو آمن مستمر الأمان حتى يرجع إلى بلاده وداره ومأمنه، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَمْلِكُونَ﴾ أي: إنما شرعنا أمان مثل هؤلاء ليعلموا دين الله، وتنتشر دعوة الله في عبادته. ومن هذا كان رسول الله ﷺ يعطي الأمان لمن جاءه، مسترشداً أو في رسالة.



(٢) وذلك عند تفسير الآية (٥) في الصفحة السابقة، ونزيد هنا من كلام ابن كثير في الأصل مما يذكر هناك الآتي: «كثيراً ما يقرن الله بين الصلاة والزكاة، وقد جاء عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى



## الوقفات التدريبية

﴿ أَشْتَرَا بِكَائِبَاتٍ أَنَّ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

استبدلوا بذلك (ثمنًا قليلًا)، أي: شيئًا حقيرًا من حطام الدنيا؛ وهو أهواؤهم وشهواتهم التي اتبعوها. والجملة ... مستأنفة كالتعليل لقوله تعالى: (واكثرهم فاسقون)؛ فيه أن من فسق وتمرد كان سببه مجرد اتباع الشهوات، والركون إلى اللذات. الأنوسي: ٢٥١/٥.

السؤال: بين خطورة اتباع الشهوات، واثره على دين المسلم من خلال الآية.

﴿ لَا يَرْجُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً ﴾

فالوصف الذي جعلهم يعادونكم لأجله ويفضونكم هو الإيمان؛ فذبوا عن دينكم، وانصروهم، واتخذوا من عاداهم عدوًا، ومن نصره لكم وليًا، واجعلوا الحكم يدور معه وجودًا وعدمًا، لا تجعلوا الولاية والعداوة طبيعيتين، تملين بهما حيثما مال الهوى، وتتبعون فيهما النفس الأمارة بالسوء. السعدي: ٣٣٠.

السؤال: ما الحكمة في اختيار اسم الإيمان في هذا الموضوع: (في مؤمن)؟

وما الذي يفيد المسلم من هذا؟

﴿ إِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ فِي الَّذِينَ نَفَّضْنَا مِنَ الْأَلْبَانِ يَوْمَ يَعْلَمُونَ ﴾

فعلق الأخوة في الدين على التوبة من الشرك، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والمعلق بالشرط يندفع عند عدمه، فمن لم يفعل ذلك فليس باخ في الدين. ابن تيمية: ٣١١/٣.

السؤال: هل تارك الصلاة أخ في الدين؟

﴿ إِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ فِي الَّذِينَ (هَبْنِ تَابُوا): من الشرك، (واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم) أي: فهم إخوانكم (في الدين): لهم ما لكم، وعليهم ما عليكم. البغوي: ٢٥٣/٢.

السؤال: ما الأسس التي تتحقق بها الأخوة بين المؤمنين؟

﴿ وَطَعْنُوا فِي دِينِكُمْ ﴾

والطعن: هوان ينسب إليه ما لا يليق به، أو يعترض بالاستخفاف على ما هو من الدين ما ثبت من الدليل القطعي على صحة أصوله، واستقامته فروعه. القرطبي: ١٢٣/١٠.

السؤال: كيف يكون الطعن في الدين؟

﴿ فَتَنَّا لُؤْلُؤًا أَلْمَسَ الْكُفْرَ ﴾

وخصمهم بالذكر لعظم جنائيتهم، ولأن غيرهم تبع لهم، وليدل على أن من طعن في الدين وتصدى للرد عليه فإنه من أئمة الكفر. السعدي: ٣٣٠.

السؤال: لماذا خص أئمة الكفر بالقتال؟

﴿ أَتَخْشَوْنَ اللَّهَ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾

وجيء بالشرط المتعلق بالمستقبل -مع أنه لا شك فيه- لقصده إشارة همهم الدينية؛ فيبرهنوا على أنهم مؤمنون حقًا؛ يقدمون خشية الله على خشية الناس. ابن عاشور: ١٣٤/١٠.

السؤال: لماذا جيء بالشرط (إن كنتم مؤمنين) في الآية الكريمة؟

كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ مَا اسْتَقْلَمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٥﴾ كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأُفْوَاهِهِمْ وَتَأَنَّى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٦﴾ أَشْتَرَا بِكَائِبَاتٍ أَنَّ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ لَا يَرْجُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿٨﴾ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ فِي الَّذِينَ نَفَّضْنَا مِنَ الْأَلْبَانِ يَوْمَ يَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ وَطَعْنُوا فِي دِينِكُمْ فَتَنَّا لُؤْلُؤًا أَلْمَسَ الْكُفْرَ إِنَّهُمْ لَا يَأْمَنُ لَهُمْ لَعْنُهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهَا وَإِنْ تَابُوا وَآمَنُوا وَاتَّقَوْا اللَّهَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ وَهُمْ يَوْمَ لَا يَكُونُ لَكُمْ عَنْهُمْ عِلَّةٌ وَالَّذِينَ يَتَّبِعُوا النَّاسَ يَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قُلُوبِهِمْ وَأَنْتَ أَعْلَمُ الْغُيُوبِ ﴿١٠﴾ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكَفَالَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاصْنَوْا لَهُمْ مَا تَشَاءُونَ وَالَّذِينَ يَتَّبِعُوا النَّاسَ يَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قُلُوبِهِمْ وَأَنْتَ أَعْلَمُ الْغُيُوبِ ﴿١١﴾ وَالَّذِينَ يَتَّبِعُوا النَّاسَ يَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قُلُوبِهِمْ وَأَنْتَ أَعْلَمُ الْغُيُوبِ ﴿١٢﴾ وَالَّذِينَ يَتَّبِعُوا النَّاسَ يَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قُلُوبِهِمْ وَأَنْتَ أَعْلَمُ الْغُيُوبِ ﴿١٣﴾ وَالَّذِينَ يَتَّبِعُوا النَّاسَ يَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قُلُوبِهِمْ وَأَنْتَ أَعْلَمُ الْغُيُوبِ ﴿١٤﴾ وَالَّذِينَ يَتَّبِعُوا النَّاسَ يَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قُلُوبِهِمْ وَأَنْتَ أَعْلَمُ الْغُيُوبِ ﴿١٥﴾ وَالَّذِينَ يَتَّبِعُوا النَّاسَ يَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قُلُوبِهِمْ وَأَنْتَ أَعْلَمُ الْغُيُوبِ ﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ يَتَّبِعُوا النَّاسَ يَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قُلُوبِهِمْ وَأَنْتَ أَعْلَمُ الْغُيُوبِ ﴿١٧﴾ وَالَّذِينَ يَتَّبِعُوا النَّاسَ يَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قُلُوبِهِمْ وَأَنْتَ أَعْلَمُ الْغُيُوبِ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ يَتَّبِعُوا النَّاسَ يَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قُلُوبِهِمْ وَأَنْتَ أَعْلَمُ الْغُيُوبِ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ يَتَّبِعُوا النَّاسَ يَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قُلُوبِهِمْ وَأَنْتَ أَعْلَمُ الْغُيُوبِ ﴿٢٠﴾

## معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
اسْتَقْلَمُوا	وَقَفُوا بِعَهْدِكُمْ.
وَإِنْ يَظْهَرُوا	يُظْهِرُوا بِكُمْ.
تَكُونُوا	تَقْضُوا.
أَيَّامُهُمْ	مَوَاقِفُهُمْ، وَغُيُوبُهُمْ.
لَا أَيْمَانَ	لَا عَهْدَ لَهُمْ وَلَا ذِمَّةً.

## العصل بالآيات

١. ابحث عن فعل تحبه نفسك ويبغضه الله، واتركه تقوى لله عز وجل، ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾.
٢. حافظ على الصلوات في أوقاتها مع الجماعة، ﴿ إِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ فِي الَّذِينَ نَفَّضْنَا مِنَ الْأَلْبَانِ يَوْمَ يَعْلَمُونَ ﴾.
٣. قل: «اللهم إني أسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وكلمة الحق في الرضى والغضب»، ﴿ أَتَخْشَوْنَ اللَّهَ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾.

## التوجيهات

١. لَا تَأْمَنُ غَيْرَ الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تَسَلِّمْ لَهُمْ نَفْسَكَ وَرَقَبَتَكَ مَهْمَا كَانَتْ وَعُودُهُمْ؛ فَإِنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ، ﴿ كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأُفْوَاهِهِمْ وَتَأَنَّى قُلُوبُهُمْ ﴾.
٢. أخوة الإسلام تثبت بثلاثة أمور: التوحيد، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، ﴿ إِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ فِي الَّذِينَ نَفَّضْنَا مِنَ الْأَلْبَانِ يَوْمَ يَعْلَمُونَ ﴾.
٣. الطعن في الدين ردة وكفر موجب للقتل والقتال، ﴿ وَإِنْ تَكُونُوا تَأْمَنُهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعْنُوا فِي دِينِكُمْ فَتَنَّا لُؤْلُؤًا أَلْمَسَ الْكُفْرَ إِنَّهُمْ لَا يَأْمَنُ لَهُمْ لَعْنُهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهَا ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْرِجُهُمْ مِنْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيُشْفِ صُدُورٌ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾

قال تعالى عزيمة على المؤمنين، وبيناً لحكمته فيما شرع لهم من الجهاد مع قدرته على إهلاك الأعداء بأمر من عنده: (قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين). ابن كثير: ٣٢٥/٢.

السؤال: لم شرع الجهاد والله قادر على إهلاك الأعداء بأمر من عنده؟

﴿ وَيُشْفِ صُدُورٌ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾ (١٦) وَيَذْهَبَ عَيْظُ قُلُوبِهِمْ ﴿ وهذا يدل على محبة الله لعباده المؤمنين، واعتناؤه بأحوالهم، حتى أنه جعل من جملة المقاصد الشرعية شفاء ما في صدورهم وذهاب غيظهم. السعدي: ٣٣١.

السؤال: دلت الآية على محبة الله لعباده المؤمنين، وضع ذلك.

﴿ وَتَرْبِ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾

والتنزيل بجملة: (والله عليم حكيم) لإفادة أن الله يعامل الناس بما يعلم من نياتهم، وأنه حكيم لا يأمر إلا بما فيه تحقيق الحكمة، فوجب على الناس امتثال أوامره. ابن عاشور: ١٣٧/١.

السؤال: ما فائدة تنزيل الآية الكريمة بـ (والله عليم حكيم)؟

﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَأْ إِلَّا اللَّهَ فَكَفَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾

فبين أن عمار المساجد هم الذين لا يخشون إلا الله، ومن لم يخش إلا الله فلا يرجو ويتوكل إلا عليه، فإن الرجاء والخوف متلازمان. والذين يحجون إلى القبور يدعون أهلها، ويتضرعون لهم، ويعبدونهم، ويخشون غير الله، ويرجون غير الله، كالشركيين الذين يخشون ألهتهم ويرجونها.

ابن تيمية: ٣٢٧/٣.

السؤال: ما الفرق بين عمار المساجد وعمار المشاهد؟

﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَأْ إِلَّا اللَّهَ فَكَفَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾

وأما من لم يؤمن بالله ولا باليوم والآخر، ولا عنده خشية لله، فهذا ليس من عمار مساجد الله، ولا من أهلها الذين هم أهلها، وإن زعم ذلك وأدعاه. السعدي: ٣٣١.

السؤال: ما علامة عمارة المسجد المقبولة عند الله سبحانه؟

﴿ أَجْمَلْتُمْ سِقَاةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ لِلرَّامِ كَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ يعني: الذين زعموا أنهم أهل العمارة، فسماهم الله ظالمين بشرحهم، فلم تكن عنهم العمارة شيئاً. ابن كثير: ٣٢٧/٢.

السؤال: من لم يوحد الله سبحانه وتعالى هل يكون عمله الصالح نافعا له في شيء؟

﴿ أَجْمَلْتُمْ سِقَاةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ لِلرَّامِ كَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾

سببها أن قوماً من قريش افتخروا بسقاية الحاج، وعمارة المسجد الحرام؛ فبين الله أن الجهاد أفضل من ذلك. ابن جزي: ٣٥٣/١.

السؤال: كيف تستدل بهذه الآية على تفاضل الأعمال؟

قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْرِجُهُمْ مِنْكُمْ وَيُشْفِ صُدُورٌ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿ وَيَذْهَبَ عَيْظُ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾

أَرْحَبْتُ أَنْ تُنْكِرُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَأْ إِلَّا اللَّهَ فَكَفَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿ أَجْمَلْتُمْ سِقَاةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿

## ● معاني الكلمات

المعنى	الكلمة
بطانة، وأولياء	وَلِجَنَّةٍ

## ● الصل بالآيات

١. اكتب مقالا أو رسالة تفضح أساليب المنافقين في إفساد المجتمع أو محاربتهم للدين، ﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْرِجُهُمْ مِنْكُمْ وَيُشْفِ صُدُورٌ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾.

٢. امكث في المسجد لذكر الله قبل الصلاة أو بعدها، أو بين المغرب والعشاء فهذا من عمارة المسجد، ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ ﴾.

٣. سل الله تعالى أن يرزقك الخشية؛ فإنها أجل علامات الهداية، ﴿ وَلَمْ يَحْشَأْ إِلَّا اللَّهَ فَكَفَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾.

## ● التوجيهات

١. لا بُدَّ أن تمر عليك ابتلاءات وامتحانات من الله تبين هل أنت صادق في إيمانك، ﴿ أَرْحَبْتُ أَنْ تُنْكِرُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ ﴾.

٢. احذر اتخاذ بطانة من أعداء الدين، ﴿ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾.

٣. الأعمال الصالحة لا تنفع مع عدم وجود التوحيد الخالص، ﴿ أَجْمَلْتُمْ سِقَاةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ لِلرَّامِ كَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ ﴾.

بالإيمان لئلا المساجد.

وقوله: ﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ﴾ أي: التي هي أكبر عبادات البدن، ﴿وَأَتَى الزَّكَاةَ﴾ أي: التي هي أفضل الأعمال المتعدية إلى بر الخلاق، ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ﴾ أي: ولم يخف إلا من الله تعالى، ولم يخش سواه، ﴿فَمَسَّ أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ قال ابن عباس: أولئك هم المفلحون؛ كقوله لنبيه ﷺ: ﴿عَسَى أَنْ يَمْسَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مُخْتَرًا﴾ [الإسراء: ٧٩]، وهي الشفاعة، قال ابن إسحاق: «وعسى» من الله حق.

الآية (١٩-٢٠): عن ابن عباس قال: إن المشركين قالوا: عجارة بيت الله وقيام على السقاية، خير من آمن وجاهد. وكانوا يفخرون بالحرم ويستكبرون به من أجل أنهم أهله وعُتْبَاهُ، فذكر الله استكبارهم وإعراضهم، فقال لأهل الحرم من المشركين: ﴿فَدَكَانَتْ يَدَايَ نَتْلَ عَلَيْكُمْ فَمَنْشَرٌ عَلَى أَحْقَقِكُمْ تَكَصُّونَ ۖ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سِمِرًا تَهْجُرُونَ﴾ [النور: ٦٦-٦٧] يعني: أنهم كانوا يستكبرون بالحرم، قال: ﴿يَوْمَ سَمِرًا﴾، كانوا يسمرون به، ويهجرون القرآن والنبي ﷺ، فحَبَّرَ الله الإِيمَانَ والجهاد مع النبي ﷺ، على عجارة المشركين البيت وقيامهم على السقاية، ولم يكن يفهمهم عند الله مع الشرك به، وإن كانوا يعمرن بيته [ويخدمونه] <sup>(١)</sup>.

قال الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ يعني: الذين زعموا أنهم أهل العماره، فسأهم الله «ظالمين» بشرهم، فلم تُغْنِ عنهم العماره شيئاً.

عن النعمان بن بشير الأنصاري قال: كنت عند منبر رسول الله ﷺ في نفر من أصحابه، فقال رجل منهم: ما بأبي ألا أعمل لله عملاً بعد الإسلام إلا أن أسقي الحاج. وقال آخر: بل عماره المسجد الحرام. وقال آخر: بل الجهاد في سبيل الله خير مما قُلتُم. فزجرهم عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ﷺ - وذلك يوم الجمعة - ولكن إذا صليت الجمعة دخلت على رسول الله ﷺ فاستفتيته فيها اختلفتم فيه. قال: ففعل، فانزل الله عز وجل: ﴿أَجْمَلْتُمْ سَبَاقَةَ الْمُنَاجَاةِ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْقَرَامِ﴾ إلى قوله: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [رواه مسلم].

الآية (١٤-١٥): ثم قال تعالى عزيمة على المؤمنين، وبياناً لحكمته فيها شرع لهم من الجهاد مع قدرته على إهلاك الأعداء بأمر من عنده: ﴿فَتَنَالُوهُمْ بِغَدَابَتِهِمْ أَيَّدِيكُمْ وَفَجَرَّهْمُ وَيَضْرِبُكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَنْفِ صُدُورُ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾ وهذا عام في المؤمنين كلهم. وقال مجاهد وعكرمة والسدي: يعني: خراقة. وأعدوا الضمير في قوله: ﴿وَيَذْهَبَ غَيِّظُ قُلُوبِهِمْ﴾ عليهم أيضاً. ﴿وَيَرْثِ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ أي: من عباده، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ أي: بما يصلح عباده، ﴿حَكِيمٌ﴾ في أفعاله وأقواله الكونية والشرعية، فيفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، وهو العادل الحاكم الذي لا يجوز أبداً، ولا يُضَيِّعُ مثقال ذرة من خير وشر، بل يُجَازِي عليه في الدنيا والآخرة.

الآية (١٦): يقول تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن نَتْرَكَهُمْ مُّهْمَلِينَ، لَا نَخْتَرُكُمْ بِأُمُورٍ يَظْهَرُ فِيهَا أَهْلُ الْعِزِّ الصَّادِقِ مِنَ الْكَاذِبِ؟!﴾ ولهذا قال: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَخْذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَمَاعَةٍ﴾ أي: بطائفة ودخيلة، بل هم في الظاهر والباطن على النصح لله ولرسوله، فاكفَى بأحد القسامين؛ كما قال الشاعر:

وما أدري إذا يَمَسُّ رِضًا \*\*\* أريد الخير أيتها يَلِينِي

وقد قال الله تعالى في الآية الأخرى: ﴿أَلَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ أَنْفُسَ الْإِنْسَانِ أَنْ يَبْلُغَهَا أَجْلًا مُّعَدًّا وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۚ﴾ [الأنعام: ٢٨] ولقد فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ [الأنعام: ١-٣]، وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن نَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمِ الْقَادِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢]، وقال تعالى: ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

والحاصل: أنه تعالى لَمَّا شرع لعباده الجهاد، يَبَيِّنُ أن له فيه حكمة، وهو اختبار عبده: مَنْ يطيعه مَنْ يعصيه، وهو تعالى العالم بما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف كان يكون. فَيَعْلَمُ الشيء قبل كونه، ومع كونه، على ما هو عليه، لا إله إلا هو ولا رب سواه، ولا راداً لِمَا قَدَرَهُ وأمضاه.

الآية (١٧-١٨): يقول تعالى: ما ينبغي ﴿لِلْمُشْرِكِينَ﴾ بالله ﴿أَنْ يَسْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ﴾ التي بُنِيَتْ على اسمه وحده لا شريك له، وهم شاهدون ﴿عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ﴾، أي: بِحَالِهِمْ وقَالِهِمْ؛ كما قال السدي: لو سألت النصراني: ما دينك؟ لقال: نصراني، واليهودي: ما دينك؟ لقال: يهودي، والصابني: لقال: صابني، والمشرقي: لقال: مشرقي. ﴿أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ﴾ أي: بشرهم، ﴿وَفِي النَّارِهِمْ خَالِدُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ آلَاءُ يَعْبُدُهمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أُولَئِكَ إِلَّا أَلْفُفُونَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٣٤]؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَمَّا يَسْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَالْكَافِرِينَ﴾، فشهد تعالى

(١) في نسخ ابن كثير التي تحت أيدينا: (ويجرون به)، وهو تصحيف، والتصويب من تفسير الطبري.

الآية (٢١-٢٢): (١)

الآية (٢٣-٢٤): أمر الله تعالى ببثابة الكفار به، وإن كانوا آباء أو أبناء، ونهى عن موالاتهم إذا «استحووا» أي: اختاروا الكفر على الإيمان، وتوعد على ذلك؛ كقوله تعالى: «لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ فَهُمْ لَا يَخَفُونَ خَتَرَتْ مِنْهُمْ حَتَّى تَمُوتَ عَنْهَا الْآيَةُ» [المجادلة: ٢٢].

ثم أمر تعالى رسوله أن يتوعد من أترأهله وقربائه وعشيرته على الله وعلى رسوله وجهاد في سبيله، فقال: «فَلْيَنذِرُونَهُمْ آيَاتُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَلِأَخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا» أي: اكتسبتموها وحصلتموها، «وَبَنَاتُكُمْ تَحْتَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكَنٌ تَرْضَوْنَهَا» أي: تحبونها لطيبها وحسنها، أي: إن كانت هذه الأشياء «أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا» أي: فانظروا ماذا يعمل بكم من عقابه ونكاله بكم؛ ولهذا قال: «حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ» والله لا يهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ. وعن زهرة بن معبد، عن جده [عبد الله ابن هشام] قال: كنا مع رسول الله ﷺ، وهو أخذ بيد عمر بن الخطاب، فقال: والله لأنت يا رسول الله أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي، فقال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه». فقال عمر: فأنت الآن والله أحب إلي من نفسي. فقال رسول الله: «الآن يا عمر». [رواه البخاري]. وقد ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «والذي نفسي بيده، لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين» [متفق عليه].

الآية (٢٥-٢٦): يذكر تعالى للمؤمنين فضله عليهم وإحسانه لديهم في نصره إياهم في مواطن كثيرة من غزواتهم مع رسوله، وأن ذلك من عنده تعالى، وبثأبيه وتقديره، لا بعمدوهم، ولا بمعدوهم، وبثأبهم على أن النصر من عنده، سواء قل الجمع أو كثر؛ فإن يوم حنين أعجبهم كثرتهم، ومع هذا ما أجدى ذلك عنهم شيئاً فوَلَّوْا مدبرين إلا القليل منهم مع رسول الله ﷺ. ثم أنزل نصره وتأييده على رسوله وعلى المؤمنين الذين معه، ليُعْلِمَهُمْ أن النصر من عنده تعالى وحده، وبإمداده وإن قلَّ الجمع، ف«فَكَمْ مِّنْ فَيْسَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فَئَا كَثِيرَةً يُؤْذِنُ اللَّهُ وَاللَّهُ مَعَ الصَّادِقِينَ» [البقرة: ٢٤٩].

وقد كانت وقعة: «حُنين» بعد فتح مكة في شوال سنة ثمانٍ من

الهجرة، وذلك لَمَّا قَرَعَ ﷺ من فتح مكة، وغنمته أمورها، وأسلم عامة أهلها، وأطلقهم رسول الله ﷺ، فَبَلَغَهُ أن هوازن جمعوا له ليقاتلوه، وأن أميرهم مالك بن عوف النَّضْرِي، ومعه ثقيف بكملها، وبنو جُشَم وبنو سعد بن بكر، وأوزاع من بني هلال، وهم قليل، وناس من بني عمرو بن عامر، وعوف بن عامر، وقد أقبلوا معهم النساء والولدان والشاة والنعم، وجاءوا بقصصهم وقصصهم، فخرج إليهم رسول الله ﷺ في جيشه الذي جاء معه للفتح، وهو عشرة آلاف من المهاجرين والأنصار وقبائل العرب، ومعه الذين أسلموا من أهل مكة، وهم الطُّقَّاء في الفَيْن أيضاً، فسار بهم إلى العدو، فالتقوا بوادي بين مكة والطائف، يقال له: «حنين»، فكانت فيه الوقعة.

عن البراء بن عازب، أنه قال له رجل: يا أبا عارة، أفررت من رسول الله ﷺ يوم حنين؟ فقال: لكن رسول الله ﷺ لم يَفِرَّ، إن هوازن كانوا قوماً رَمَاقَةً، فَنَالُوا لِقِينَاهُمْ وَتَحَلَّنَا عَلَيْهِمْ انْهَزَمُوا، فأقبل الناس على الغنائم، فاستقبلونا بالسهام، فانهزم الناس، فلقد رأيت رسول الله ﷺ -وأبو سفيان بن الحارث أخذ بلجام بغلة رسول الله ﷺ البيضاء- وهو يقول: «أنا النبي لا كُذِبَ، أنا ابن عبد المطلب» [متفق عليه].

قلت: وهذا في غاية ما يكون من الشجاعة التامة، أنه في مثل هذا اليوم في حومة الوغى، وقد انكشف عنه جيشه، هو مع ذلك على بغلة وليست سريعة الجري، ولا تصلح لكُرٍّ ولا لَفَرٍّ ولا لَهْرَبٍ، وهو مع هذا أيضاً يُرْكِضُهَا إلى وجوهمهم، ويُوَثِّرُ باسمه ليعرفه من لم يعرفه، صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين، وما هذا كله إلا نَفَقَةٌ بالله، وتوَكُّلاً عليه، وعِلْمًا منه بأنه سينصر، ويُمِّم ما أرسله به، ويُظْهِر دينه على سائر الأديان؛ ولهذا قال تعالى: «ثُمَّ أُنْزِلَ اللَّهُ سَيِّدَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ» أي: طمأنينته وثباته على رسوله، «وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ» أي: الذين معه «وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَّهُ تَرَوْهَا» وهم الملائكة.

وعن ابن مسعود قال: كنت مع رسول الله ﷺ يوم حُنين، فوَلَّى عنه الناس، وبقيتُ معه في ثمانين رجلاً من المهاجرين والأنصار، قَدِمْنَا وَلَمْ نُؤَيِّمُ الدُّبُرَ، وهم الذين أنزل الله عليهم السكينة. قال: ورسول الله ﷺ على بغلته البيضاء يمضي قُدُمًا، فحاذت بغلته، فمال عن السرج، فقلت: ارفع رفعك الله. قال: «ناولني كفاً من التراب». فناولته، قال: فضرب به وجوههم، فامتلات أعينهم تراباً، قال: «أين المهاجرون والأنصار؟» قلت: هم هناك. قال: «اهْبِطْ بِهِمْ». فهتفتُ، فجاءوا وسيوفهم بأيانهم كأنها الشهب، ووَلَّى المشركون أديارهم [رواه البيهقي لفظه، وأحمد بنحوه، وصححه إسناد أحمد شاكر].

وقال يزيد بن عامر السَّوَاتِي -وكان شهد حُنيناً مع المشركين، ثم أسلم بعد- فكان نساله عن الرعب الذي ألقى الله في قلوب المشركين يوم حنين، فكان يأخذ الحصاة فيرمي بها في الطُّسْتِ فيطِن، فيقول: كنا نجد في أجوافنا مثل هذا [رواه الطبراني، وثق رجاله الميمني].

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُوتِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ» [رواه مسلم]. ولهذا قال تعالى: «ثُمَّ أُنْزِلَ اللَّهُ سَيِّدَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ» وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَّهُ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ. ﴿

(١) لم يذكر ابن كثير رحمه الله تفسيراً لهاتين الآيتين، وهاكم مختصر تفسيرهما من تفسير السعدي: «يُؤَيِّسُهُمْ رَبُّهُمْ» جوداً منه، وكرماً وبزاً بهم، واعتناءً وعبة لهم، «يَرْخَسُوهُمْ» أزال بها عنهم الشرور، وأوصل إليهم [بها] كل خير. «وَرِضْوَانٌ» منه تعالى عليهم، الذي هو أكبر نعيم الجنة وأجله، فيحل عليهم رضوانه، فلا يسخط عليهم أبداً. «وَجَعَلْنَا فِيهَا قِيَمَةً تُؤَيِّسُ» من كل ما اشتتهه الأنفس، وتلذذ الأعين، مما لا يعلم وصفه ومقداره إلا الله تعالى. «فَحَلِيلِينَ فِيهَا أَبَدًا» لا ينتقلون عنها، ولا يبعثون عنها جولا [إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَخْبَرٌ عَظِيمٌ] لا تستغرب كثرة على فضل الله، ولا يتعجب من عظمه وحسنه على من يقول للشيء كن فيكون.



## ● الوقفات التدريبية

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ ﴾

(لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم) الذين هم أقرب الناس إليكم، وغيرهم من باب أولى وأحرى، فلا تتخذوهم (أولياء استحبوا) أي: اختاروا على وجه الرضا والمحبة (الكفر على الإيمان). السعدي: ٣٣٢.

السؤال: لماذا خصَّ الله الآباء والإخوان بالذكر؟

﴿ قَدْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ يُغْتَرِبُونَ كَسَادًا وَمَسْكِنٌ تَرَضُّونَهَا أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ وَأَلَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾

وعيد لمن أثار أهله، أو ماله، أو مسكنه على الهجرة والجهاد. ابن جزى: ٣٥٤/١.

السؤال: ما خطورة المبالغة في محبة الأهل، المال، والمسكن؟

﴿ قَدْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَبُيُوتٌ تَبْنُونَ كَسَادًا وَمَسْكِنٌ تَرَضُّونَهَا أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ وَأَلَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾

هذه الآية الكريمة أعظم دليل على وجوب محبة الله ورسوله، وعلى تقديمها على محبة كل شيء... وعلامة ذلك: أنه إذا عرض عليه أمران: أحدهما يحبه الله ورسوله، وليس لنفسه فيه هوى، والآخر تحبه نفسه وتشتهيه، ولكنه يُؤْتُو عليه محبوباً لله ورسوله، أو ينقصه، فإنه إن قدم ما تهواه نفسه على ما يحبه الله دل ذلك على أنه ظالم تارك لما يجب عليه. السعدي: ٣٣٢.

السؤال: متى تظهر محبة الله ورسوله على العبد؟

﴿ أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ وَأَلَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾

وخص الجهاد بالذكر من عموم ما يحبه الله منهم تنويعاً بشأنه، ولأن ما فيه من الخطر على النفوس، ومن إنفاق الأموال ومفارقة الإلف، جعله أقوى مظنة للتفاسد عنه، لا سيما والسورة نزلت عقب غزوة تبوك التي تخلف عنها كثير من المنافقين وبعض المسلمين. ابن عاشور: ١٥٣/١.

السؤال: لماذا خصَّ الجهاد بالذكر في الآية الكريمة؟

﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ﴾

يذكر تعالى للمؤمنين فضله عليهم، وإحسانه لديهم في نصره إياهم في مواطن كثيرة من غزواتهم مع رسوله، وأن ذلك من عنده تعالى وبتأييده وتقديره، لا بعددهم، ولا بعدادهم، ونبههم على أن النصر من عنده. ابن كثير: ٣٢٨/٢.

السؤال: ما الاستفادة من إضافة النصر إلى الله سبحانه وتعالى؟

﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَافَّتْ إِلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحَبَتْ ثُمَّ لَبَسْتُمْ مِنْ ثُدُورِهِمْ كَانُوا يَوْمَئِذٍ عَشْرَ آلَافٍ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَنْ نَغْلِبَ الْيَوْمَ مِنْ قِلَّةٍ، فَأَرَادَ اللَّهُ إظهار عجزهم، ففرَّ الناس عن رسول الله ﷺ حتى بقي على بقلته في نفر قليل، ثم استنصر بالله، وأخذ قبضة من تراب فرمى بها وجوه الكفار، وقال: (شاهت الوجوه)، ونادى بأصحابه فخرجوا إليه، وهزم الله الكفار. ابن جزى: ٣٥٤/١.

السؤال: في هذه الآية تربية للامة عامة وللمجاهدين خاصة، وضح ذلك.

﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَافَّتْ إِلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحَبَتْ ثُمَّ لَبَسْتُمْ مِنْ ثُدُورِهِمْ ﴾ قال بعضهم: لن نغلب اليوم من قلة، فوكلوا إلى هذه الكلمة، فكان ما ذكرناه من الهزيمة في الابتداء إلى أن تراجعوا. البغوي: ١٤٩/١.

السؤال: بين خطورة العجب بالنفس والإمكانات على الأفراد والجماعات.

يَبْسُرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَّعَتْ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ ﴿٥٥﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَعْلَمُ بِمَا عَمِلْتُمْ ﴿٥٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٧﴾ قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَبُيُوتٌ تَبْنُونَ كَسَادًا وَرَسُولٌ تَرْضَوْنَ أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَافَّتْ إِلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحَبَتْ ثُمَّ لَبَسْتُمْ مِنْ ثُدُورِهِمْ كَانُوا يَوْمَئِذٍ عَشْرَ آلَافٍ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَنْ نَغْلِبَ الْيَوْمَ مِنْ قِلَّةٍ، فَأَرَادَ اللَّهُ إظهار عجزهم، ففرَّ الناس عن رسول الله ﷺ حتى بقي على بقلته في نفر قليل، ثم استنصر بالله، وأخذ قبضة من تراب فرمى بها وجوه الكفار، وقال: (شاهت الوجوه)، ونادى بأصحابه فخرجوا إليه، وهزم الله الكفار. ابن جزى: ٣٥٤/١.

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
اِقْتَرَفْتُمُوهَا	اِكْتَسَبْتُمُوهَا.
كَسَادَهَا	عَدَمَ رَوَّاجِهَا.
فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ	لَمْ تَنْفَعَكُمْ.

## ● العمل بالآيات

١. ابحث عن صديق إذا جالسته زاد إيمانك، واتخذته صاحبا، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ ﴾.
٢. حدد شيئا شغلك عن محبة الله، ثم اسع في تخفيف محبتك له، ﴿ ... وَمَسْكِنٌ تَرَضُّونَهَا أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ ﴾.
٣. قل: «اللهم اجعل ما رزقتني من نعم ظاهرة وباطنة سببا لرضائك والقرب منك، ولا تشغلني بها عن محبتك» ﴿ قَدْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَبُيُوتٌ تَبْنُونَ كَسَادًا وَمَسْكِنٌ تَرَضُّونَهَا أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ ﴾.

## ● التوجيهات

١. الولاية الدينية اعظم واشرف من ولاية النسب، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾.
٢. النصر إنما يكون من عند الله تعالى وحده؛ فهو ليس بعدد ولا عتاد ولا قوة، ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ﴾.
٣. إيمان المجاهدين، وصدق توكلهم على الله تعالى، أهم من كثرة عددهم وعتادهم، ﴿ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾

أي: خبثاء في عقائدهم وأعمالهم، وأي نجاسة أبلغ ممن كان يعبد مع الله آلهة لا تنفع ولا تضر، ولا تغني عنهم شيئاً وأعمالهم ما بين محاربة لله، وصدد عن سبيل الله، ونصر للباطل، ورد للحق، وعمل بالفساد في الأرض لا في الصلاح. السعدي: ٣٣٣.

السؤال: ما وجه نجاسة المشركين؟

﴿وَأَن جَفَثَتْ عَيْلَةٌ فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾

(وإن جفتم عيلة) أي: فقراً؛ كان المشركون يجلبون الأطعمة إلى مكة، فخاف الناس قلّة القوت بها إذ مُنع المشركون منها، فوعدهم الله بأن يغنيهم من فضله، فأسلمت العرب كلها، وتمادي جلب الأطعمة إلى مكة، ثم فتح الله سائر الأمصار. ابن جزى: ٣٥٥/١.

السؤال: ما توجيهكم لمن يبرر لنفسه أكل المال الحرام بحجة خوف الفقر؟

﴿وَأَن جَفَثَتْ عَيْلَةٌ فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ﴾

تعليل للإغناء بالمشيئة؛ لأن الغنى في الدنيا ليس من لوازم الإيمان، ولا يدل على محبة الله، فهناك علقه الله بالمشيئة؛ فإن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الإيمان والدين إلا ما يحب. السعدي: ٣٣٣.

السؤال: لماذا علق الله الإغناء بالمشيئة؟

﴿قَتَلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾

(عن يد) أي: عن قهر ودل... وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «يعطونها بأيديهم، ولا يرسلون بها على يد غيرهم»... وقيل: عن إقرار بإنعام المسلمين عليهم بقبول الجزية منهم. البغوي: ٢٦٨/٢.

السؤال: بين عزة الإسلام، وذلة الكفار في إعطاء الجزية.

﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾

أي: لا يدينون الدين الصحيح، وإن زعموا أنهم على دين فإنه دين غير الحق؛ لأنه ما بين دين مُبدّل وهو الذي لم يشعه الله أصلاً، وإما دين منسوخ قد شرعه الله ثم غيّر بشريعة محمد ﷺ، فيبقى التمسك به بعد النسخ غير جائز. السعدي: ٣٣٤.

السؤال: بطلان دين أهل الكتاب من جهتين، فما هما؟

﴿أَتُخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرَهْبَتُهُمْ أَرْكَبًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾

روي عن عدي بن حاتم - رضي الله عنه - قال: أتيت رسول الله ﷺ وفي عتقي صليب من ذهب، فقال لي: «يا عدي اطرح هذا الوثن من عتقك»، فطرحته، ثم انتهت إليه وهو يقرأ: (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله)، حتى فرغ منها، قلت: «إنا لسنأ نعبدهم»، فقال: «أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلون ما حرم الله فتستحلونه؟» قال: فقلت: بلى، قال: «فتلك عبادتهم»، قال عبد الله بن المبارك: وهل بدل الدين إلا الملوك... وأحبار سوء ورهبانها. البغوي: ٢٧٣/٢.

السؤال: كيف صار العلماء والعباد أرباباً لأقوامهم من دون الله تعالى؟

﴿أَتُخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرَهْبَتُهُمْ أَرْكَبًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾

كانوا يأخذون بأقوال أحبارهم ورهبانهم المخالفة لما هو معلوم بالضرورة أنه من الدين؛ فكانوا يعتقدون أن أحبارهم ورهبانهم يحلون ما حرم الله، ويحرمون ما أحل الله، وهذا مطرد في جميع أهل الدين... فحصل من مجموع أقوال اليهود والنصارى أنهم جعلوا لبعض أحبارهم ورهبانهم مرتبة الربوبية؛ فيعتقدهم، فكانت الشناعة لازمة للآمتين ولو كان من بينهم من لم يقل بمقالتهم كما زعم عدي بن حاتم؛ فإن الأمة تؤاخذ بما يصدر من أفرادها إذا أقرته ولم تنكره. ابن عاشور: ١٧٠/١.

السؤال: متى يقع الشرك في باب التحليل والتحريم؟

ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٠﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَلَئِن جَفَثَتْ عَيْلَةٌ فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠١﴾ قَتَلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزِّي أُنَاسُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهَوْنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَتَلْتُمُوهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿١٠٣﴾ اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرَهْبَتَهُمْ أَرْكَبًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٠٤﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
عَيْلَةً	فَقْرًا.
يُضَاهَوْنَ	يُشَابِهُونَ.
أَنَّى يُؤْفَكُونَ	كَيْفَ يَصْرِفُونَ عَنِ الْحَقِّ؟

## ● العمل بالآيات

١. تعبد لله تعالى بهذين الاسمين العظيمين بالدعاء بهما، فقل: يا غفور اغفر لي، يا رحيم ارحمني، ﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.
٢. تعلم احكام التعامل مع الكفار من اهل النعمة وغيرهم، ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾.
٣. ارسل رسالتك تبين فيها ان من التوكل ترك الكسب الحرام مخافة الله، وثقت بوعده سبحانه، ﴿وَأَن جَفَثَتْ عَيْلَةٌ فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ﴾.

## ● التوجيهات

١. الخوف من الفاقة والفقر لا يمنع المؤمن من امتثال امر ربه؛ فإن الله تعالى بشر من امتثل امره بالغي، ﴿وَأَن جَفَثَتْ عَيْلَةٌ فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.
٢. طلب العلم ليس مبرراً للفقر أو ان تكون عالة على الآخرين؛ فكم من عالم وعابد كان من اغنى الناس، ﴿وَأَن جَفَثَتْ عَيْلَةٌ فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ﴾.
٣. لا تطع العلماء في معصية الله تعالى، ولا تتعصب لشيخ أو مربٍ بحيث ترد الحق لأجله، وأخلص اتباعك لشرع الله تعالى وحده، واحرص على معرفته الدليل، ﴿أَتُخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرَهْبَتُهُمْ أَرْكَبًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾.

وأمواءهم وآباءهم فيها هم فيه، لا لأنه شرع الله دينه؛ لأنهم لو كانوا مؤمنين بما بأيديهم إيماناً صحيحاً لقادهم ذلك إلى الإيمان بمحمد ﷺ؛ لأن جميع الأنبياء بشراً به، وأمراً باتباعه، فلما جاء وكفروا به، وهو أشرف الرسل، عُلِمَ أنهم ليسوا متمسكين بشرع الأنبياء الأقدمين لأنه من عند الله، بل لحظوظهم وأهوائهم، فهذا لا يتفهمه إيمانهم ببقية الأنبياء وقد كفروا بسيدهم وأفضلهم وخاتمهم وأكملهم.

وقوله: ﴿حَتَّى يَطْغُوا الْجَزْيَةَ﴾ أي: إن لم يُسَلِّمُوا، ﴿عَنْ يَدِ﴾ أي: عن قهرهم وغلبة، ﴿وَهُمْ صَغُورُونَ﴾ أي: ذليلون حقيرون مُهانون. فهذا لا يجوز إعزاز أهل الذمة ولا رفعهم على المسلمين، بل هم أذلاء صغرة أشقياء، عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «لا تبدأوا اليهود والنصارى بالسلام، وإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه إلى أضيقه» [رواه مسلم]. ولهذا اشترط عليهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الشروط المعروفة في إذلالهم وتصغيرهم وتحقيرهم.

الآية (٣٠-٣١): وهذا إغراء من الله تعالى للمؤمنين على قتال الكفار من اليهود والنصارى لمقاتلتهم هذه المقالة الشنيعة، والفريضة على الله تعالى، فأما اليهود فقالوا في التُزِيرُ: «إنه ابن الله»، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وأما ضلال النصارى في المسيح فظاهراً؛ ولهذا كُتِبَ الله سبحانه الطائفتين فقال: ﴿ذَلِكَ قَوْلُهُمْ يَأْفُوهُهُمْ﴾ أي: لا مُستند لهم فيما ادَّعَوْهُ سِوَى افْتِرَائِهِمْ واختلافهم، ﴿يُضَاهَوْنَ﴾ أي: يشابهون ﴿قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ﴾ أي: من قبلهم من الأمم، ضلوا كما ضل هؤلاء، ﴿قَتَلْنَاهُ اللَّهُ﴾ قال ابن عباس: لعنهم الله، ﴿أَنْ يَفْكَرُوتَ﴾ أي: كيف يضلُّون عن الحق وهو ظاهر، ويعبدون إلى الباطل؟! وبقوله: ﴿أَتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُءُوسَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ عن علي بن حاتم قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿أَتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُءُوسَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ قال: فقلت: إنهم لم يعبدوه. فقال: «بلى! إنهم حرَّموا عليهم الحلال وأحلُّوا لهم الحرام فاتَّبَعُوهم، فذلك عبادتهم إياهم» [رواه الترمذي وحسنه الألباني]. وهكذا قال حذيفة بن اليمان وابن عباس وغيرهما في تفسير ﴿أَتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُءُوسَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: إنهم اتَّبَعُوهم فيها حلَّلوا وحرَّموا. ولهذا قال تعالى: ﴿وَسَاءَ أَسْرَؤًا إِلَّا لَيْسَ دَرَؤًا إِلَيْهَا وَجَدَا﴾ أي: الذي إذا حرَّم الشيء فهو الحرام، وما حلَّله حلٌّ، وما شرَّعه أتبع، وما حَكَمَ به نَفَقَ. ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي: تعالى وتقدس وتنزه عن الشركاء والنظراء والأعوان والأضداد والأولاد، لا إله إلا هو، ولا ربَّ سواه.

الآية (٢٧): ﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: قد تاب الله على بقية هوازن، وأسلموا وقدموا عليه مسلمين، ولحقوه وقد قارب مكة عند الجِعْرَانَةِ، وذلك بعد الوقعة بقرب من عشرين يوماً، فعند ذلك خيَّرهم بين سببهم وبين الأموال، فاختاروا سببهم، وكانوا ستة آلاف أسير ما بين صبي وامرأة، فردَّه عليهم، وقَسَمَ أموالهم بين الغانمين، ونَقَلَ أناساً من الطلقاء ليتألَّف قلوبهم على الإسلام، فأعطاهم مائة مائة من الإبل، وكان من جملة من أعطي مائة: مالك بن عوف النَّضْرِي، واستعمله على قومه كما كان، فامتدحه بقصيدته التي يقول فيها:

مَا إِنْ رَأَيْتَ وَلَا سَمِعْتَ بِمَنْ لِي \*\*\* فِي النَّاسِ كُلُّهُمْ بِمَثَلِ مُحَمَّدٍ  
الآية (٢٨-٢٩): أمر تعالى عباده المؤمنين الطاهرين ديناً وذاً بنفي المشركين -الذين هم نَجَسٌ ديناً- عن المسجد الحرام، وألاً يقربوه بعد نزول هذه الآية. وكان نزولها في سنة تسع؛ ولهذا بَعَثَ رسول الله ﷺ علياً رضي الله عنه بكرة ﷺ عاتِذ، وأمره أن ينادي في المشركين: «ألاً يَحِجُّ بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان». فأنَّ الله ذلك، وحَكَمَ به شرعاً وقدرًا. وقال عطاء: الحرم كله مسجد، لقوله تعالى: ﴿فَلَا يَحْزَنُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾. ودلَّت هذه الآية الكريمة على نجاسة المشرك كما وُزِدَ في الصحيح: «المؤمن لا ينجس» [متفق عليه].

وأما نجاسة بدنه فالجمهور على أنه ليس بنجس البدن والذات؛ لأن الله تعالى أحلَّ طعام أهل الكتاب، وذهب بعض الظاهرية إلى نجاسة أبدانهم.

وقوله: ﴿وَإِنْ جَفَثُ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيَكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [سبب النزول]: قال ابن إسحاق: وذلك أن الناس قالوا: لَنَنْقُطَنَّ عَنَّا الأسواق، ولنَهْلِكَنَّ التجارة، ولنَذْهَبَنَّ ما كنا نُصِيبُ فيها من المَرَافِقِ، فأنزل الله: ﴿وَإِنْ جَفَثُ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيَكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ من وجوه غير ذلك ﴿إِنْ شَاءَ﴾ إلى قوله: ﴿وَهُمْ صَغُورُونَ﴾ أي: هذا عِوَضٌ ما تخوَّفتم من قُطْعِ تلك الأسواق، فعَوَّضهم الله بما قُطِعَ عنهم من أمر الشرك ما أعطاهم من أعناق أهل الكتاب من الجزية. وهكذا رُوي عن ابن عباس ومجاهد وقادة والضحاك وغيرهم.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾ أي: بما يصلحكم ﴿حَكِيمٌ﴾ أي: فيما يأمر به وينهى عنه؛ لأنه الكامل في أفعاله وأقواله، العادل في خلقه وأمره تبارك وتعالى؛ ولهذا عَوَّضهم عن تلك المكاسب بأموال الجزية التي يأخذونها من أهل الذمة، فقال: ﴿قَتَلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَغُورُونَ﴾، فهم في نفس الأمر لَمَّا كفروا بمحمد ﷺ لم يبقَ لهم إيمان صحيح بأحد من الرسل، ولا بما جاء به، وإنما يتبعون آراءهم



وقوله: ﴿هَذَا مَا كُنْتُمْ تَنْفُسُكُمْ﴾ فَدُفِنُوا مَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾  
 أي: يقال لهم هذا الكلام نيكياً ونقيماً وتهكماً، أي: هذا بذاك وهذا  
 الذي كنتم تكفرون لأنفسكم، ولهذا يقال: من أحب شيئاً وقَّده على  
 طاعة الله عَذَّبَ به. وهؤلاء لَمَّا كان جمع هذه الأموال أَثَّرَ عندهم من  
 رضا الله عنهم، عَذَّبُوا بها، كما أن هذه الأموال لَمَّا كانت أَعَزَّ الأشياء على  
 أربابها، كانت أَضَرَّ الأشياء عليهم في الدار الآخرة، فَيُحْمَى عليها في نار



## ● الوقفات التدريبية

﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُشِيرَ  
نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾

إضافة النور إلى اسم الجلالة إشارة إلى أن محاولة إطفائه عبث، وأن أصحاب تلك المحاولة لا يبلغون مرادهم. ابن عاشور: ١٧٢/١.

**السؤال: ما فائدة إضافة النور إلى الله تعالى؟**

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى الدِّينِ  
كُلِّهِ. وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾

واظهاره: جعله اعلى الأديان واقواها؛ حتى يعم المشارق والمغارب. ابن جزي: ٣٥٦/١.

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَجْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُلُونَ  
أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾

والمقصود: التحذير من علماء السوء، وعباد الضلال؛ كما قال سفيان  
 بن عيينة: من فسد من علمائنا كان فيه شبه من اليهود، ومن فسد من  
 عبادنا كان فيه شبه من النصارى. ابن كثير: ٢/٣٣٥.

**السؤال: ما المقصود من التحذير من حال الأخبار والرهبان؟**

يَتْلُوهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَإِنْ كَثُرَ مِنْ الْأَجْبَارِ وَالرَّهْبَانِ لَيَأْكُلْنَ أَمْوَالَ  
النَّاسِ ابْتِغَاءَ بَاطِلٍ وَيُضْذَوْنَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ  
الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَتَّبِعُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ

فإن الناس عالمة على العلماء، وعلى العباد، وعلى أرباب الأموال، فإذا فسدت أحوال هؤلاء فسدت أحوال الناس. ابن كثير/٢: ٣٣٥.

السؤال: لم خص الله الأحرار وهم العلماء، والرهبان وهم العباد، والأغنياء بالتحذير؟ ﴿وَالَّذِينَ يَكْنُزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ

يَعَذَابُ أَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ يَوْمَ يُخَمَّى عَلَيْهِمَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيُكْرَىٰ بِهَا جِأَفُهُمْ  
وَجُؤُهُمْ ۖ وَلَهُمْ فِي هَٰذَا مَا كَفَرْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦١﴾

يُقال: من أحب شيئاً وقَدَّمه على طاعة الله عَذَّبَ به، وهؤلاء لما كان جمع هذه الأموال أثر عندهم من رضا الله عنهم عذبوا بها ... هذه الأموال لما كانت أعز

الأموال على أربابها كانت أضمر الأشياء عليهم في الدار الآخرة. ابن كثير: ٣٣٦/٢.

السؤال: من أحب شيئاً وقَدَّمَهُ على طاعة الله عُدِّبَ به، وضع ذلك من خلال الآية.

﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ﴾

هذه الآية تدل على أن الواجب تعليق الأحكام من العبادات وغيرها؛ إنما يكون بالشهور والسنين التي تعرفها العرب دون الشهور التي تعتبرها

العجم، والروم، والقبط. القرطبي: ١٩٧/١٠.

السؤال: كثرت الدعوة لترك الشهور العربية، والاعتياض عنها بالشهور الأجنبية، فما التوجيه القرآني في ذلك؟

﴿وَقَنِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقْنِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾

(واعلموا أن الله مع المتقين) فلتحرصوا على استعمال تقوى الله في سرهم وعلمكم، والقيام بطاعته، خصوصاً عند قتال الكفار؛ فإنه في هذه الحال ربما

السؤال: لماذا أُمرَ بالتقوى بعد الأمر بمقاتلة الكفار؟

يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن  
يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٥﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ  
رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَذِينَ الْحَقِّ لِطُهْرِهِ وَعَلَى الَّذِينَ  
كُفِرُوا وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٦﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ  
آمَنُوا أَن كَيْدَ الرَّسُولِ مِنَ الْأَخْبَارِ وَالرَّعْبَانِ لَيَأْكُلُونَ  
أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْجُبْلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ  
يَكْفُرُونَ اللَّهُبَ وَالْفَضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَ فِي  
سَبِيلِ اللَّهِ فَيَشْرَهُمْ بِعَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ يَوْمَ نَحْمِي عَلَيْهَا  
فِي تَارِحَتِهِمْ فَتُكْفَىٰ بِهَا جَسَاهُكُمْ وَجُجُوبُهُمْ  
وَيُظْهِرُهُمْ هَذَا مَا كُنْتُمْ لَا تَفْسِكُمْ فَوْذُوا مَا كُنْتُمْ  
تَكْفُرُونَ ﴿٣٨﴾ إِنَّ عَذَابَ اللَّهِ هُوَ عِنْدَ اللَّهِ أَشَدُّ عَذَابِ  
شَهْرٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خُلِقَ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ مِنْهَا  
أَرْبَعَةُ حُرُمٌ ذَلِكَ الَّذِينَ لَافِقْتُمْ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ  
أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَمَا أَنَّهُ كَمَا  
يَقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٩﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
يُظَاهِرُهُ	يُعْلِيهِ.
أَرْبَعَةٌ حُرَمٌ	حَرَّمَ اللَّهُ فِيهَا الْقِتَالَ وَهِيَ: ذُو الْقَعْدَةِ، وَذُو الْحِجَّةِ، وَالْمَحْرَمُ، وَرَجَبٌ.

## ● العمل بالآيات

١. راجع زكاة أموالك، وتصدق بصدقة مستحبة، **وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ**  
**الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَفْقَهُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ** .

٢. من أقوى أسباب انتشار الشرك والبدع: الأموال التي تدفع لأفئدتها المضلين، ﴿يَكْتُمُ الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ كَثُرَ مِنْهُ مِنَ الْخَبَرِ وَالرَّهْمَانِ لِيَأْكُلُوا مَوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾.

٣. ابداً من اليوم بإظهار الأشهر الهجرية في تعاملاتك قدر استطاعتك؛ فهي المقدمة عند الله، وهي من مظاهر الدين الإسلامي، ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾.

## ● التوجيهات

١. بيان عداة قادة اليهود والنصارى للإسلام، وتعاونهم على إفساده، وإفساد أهله، ﴿رَبِّدُّوهُمْ أَنْ يُطِغُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُشِيرَ نُورُهُمْ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾.

٢. بشرى للمسلمين بأن الإسلام سيصبح هو الدين الذي يعبد الله به في الأرض لا غيره، ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَبِالنُّورِ عَلَى الَّذِينَ كَفَلَهُ. وَلَهُ كَرَّ الْمُنْكَرُونَ﴾.

٣. انظر كيف يكون المال جحيماً على أصحابه يوم القيامة إذا لم يؤدوا الزكاة الواجبة، ﴿يَوْمَ يُخَيَّرُ عَلَيْهِمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيُكْرَهُ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُودُهُمْ وَيُظْهِرُهُمْ هَذَا مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ فذوقوا ما كنتم تكتمون.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنَا قُلْنَا إِلَى الْأَرْضِ ارْجِعُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾

عائدهم الله على إظهار الراحة في الدنيا على الراحة في الآخرة؛ إذ لا تنال راحة الآخرة إلا بنصب الدنيا. القرطبي: ٢٠٨/١.

السؤال: كيف تنال راحة الآخرة؟

﴿إِلَّا نَفِرُوا يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾

فإن عدم النفير في حال الاستنفار من كبائر الذنوب الموجبة لأشد العقاب؛ لما فيها من المضار الشديدة؛ فإن المتخلف قد عصى الله تعالى وارتكب لنهيها، ولم يساعد على نصر دين الله، ولا ذنب عن كتاب الله وشرعه، ولا أعان إخوانه المسلمين على عدوهم الذي يريد أن يستأصلهم ويمحق دينهم؛ وربما اقتدى به غيره من ضعفاء الإيمان، بل رؤما فتا في أعضاد من قاموا بجهاد أعداء الله. السعدي: ٣٣٧.

السؤال: ما خطورة عدم النفرة عند الاستنفار في سبيل الله؟

﴿إِلَّا نَفِرُوا يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

قوله تعالى: (إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم) قد يكون العذاب من عنده وقد يكون بأيدي العباد، فإذا ترك الناس الجهاد في سبيل الله فقد يبتليهم بأن يوقع بينهم العداوة حتى تقع بينهم الفتنة كما هو الواقع؛ فإن الناس إذا اشتغلوا بالجهاد في سبيل الله جمع الله قلوبهم وألف بينهم وجعل بأسهم على عدو الله وعدوهم. ابن تيمية: ٣٥٠/٣.

السؤال: بين أثر ترك الجهاد، مع توضيح نوعي عذاب المتخلف عنه.

مستدلاً بأثر الجهاد في جمع الكلمة، وأثر تركه في الفرقة والتناحر.

﴿إِلَّا نَضْرِبْهُ فَصُدَّ نَصْرُهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَوْلَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّكَ اللَّهُ مَنَّكَ﴾

هذا إعلام من الله - عز وجل - أنه المتكفل بنصر رسوله ﷺ، وإعزاز دينه؛ أعانوه، أو لم يعينوه، وأنه قد نصره عند قلعة الأولياء، وكثرة الأعداء، فكيف به اليوم وهو في كثرة من العدد والمُعد. البغوي: ٢٨٧/٢.

السؤال: يظن بعض المسلمين أن الدين محتاج إليه، بين التوجيه القرآني في هذا الأمر.

﴿إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّكَ اللَّهُ مَنَّكَ﴾ (إذ يقول لصاحبه لا تحزن)؛ لا يختص بمصاحبه في الغار؛ بل هو صاحبه المطلق، الذي كمل في الصحبة كما لا لم بشركه فيه غيره، فصار مختصاً بالأكملية من الصحبة. ابن تيمية: ٣٥٢/٣.

السؤال: اختص أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - بالأكملية في الصحبة، بين ذلك.

﴿لَا تَحْزَنْ﴾

الحزن قد يعرض لخواص عباد الله الصديقين، مع أن الأولى إذا نزل بالعبد أن يسعى في ذهابه عنه؛ فإنه مضاعف للقلب، مؤهل للزعمية. السعدي: ٣٣٨.

السؤال: ما خطورة الحزن على المسلم؟ وكيف يتعامل معه؟

﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾

فدين الله هو الظاهر العالي على سائر الأديان بالحجج الواضحة، والآيات الباهرة، والسلطان الناصر. السعدي: ٣٣٨.

السؤال: ما الوسائل التي يعول بها دين الإسلام على غيره؟

إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحْلِلُونَ لَهُمَا مَا كُفِّرَتْ عَنْهُمْ وَعَمَّا لِيُؤْطَافُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحْلِلُوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ ذُنُوبَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٥﴾

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنَا قُلْنَا إِلَى الْأَرْضِ ارْجِعُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ (١٥) ﴿لَا تَنْفِرُوا وَعِدَّتْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١٥) ﴿لَا تَضْرِبْهُ فَصُدَّ نَصْرُهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّكَ اللَّهُ مَنَّكَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (١٥)

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
النَّسِيءُ	التَّأْخِيرُ لِحُرْمَةِ شَهْرٍ إِلَى شَهْرٍ آخَرَ.
لِيُؤْطَافُوا	لِيُؤَافَقُوا.
عِدَّةٌ	عَدَدٌ.
اثْنَيْنِ	تَبَايُطْنِ، وَتَكَاسَلْتُمْ.
لَا تَنْفِرُوا	لَا تَخْرُجُوا لِلْجِهَادِ.

## ● العمل بالآيات

١. اتق كلمته، أو أرسل رسالته عن خطر التحاليل على الشريعة، وأهمية مراقبة الله، ﴿يُحْلِلُونَ لَهُمَا مَا كُفِّرَتْ عَنْهُمْ وَعَمَّا لِيُؤْطَافُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحْلِلُوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾.

٢. تذكر أسماء ثلاث دول أو أمم استبدل الله بها غيرها لما استبدلوا بشرع الله هو أنفسهم، ثم استعز برضى الله من سخطه، وبمعافاته من عقوبته، ومن تحول عاقبته وهجاءه تقمته، ﴿وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

٣. ابحت عن سنة من سنن النبي ﷺ لم تطبقها، وطبقها، ﴿إِلَّا نَضْرِبْهُ فَصُدَّ نَصْرُهُ اللَّهُ﴾.

## ● التوجيهات

١. على المجتمع أن يراجع العادات الدخيلة عليه بين أوتة وأخرى؛ فعمل بعض هذه العادات يكون قبيحاً وقد استحسناها مع كثرة ممارستها، ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾.

٢. اعلم أن من سنة الله تعالى في خلقه الاستبدال؛ فمن بدل وضع أذهبه الله وأتى بخير منه، ﴿وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

٣. الحزن يفتُ العبد، ويضعف العزيمة والقلب، فعلى المسلم أن يذهب عنه وعن من حوله قدر الإمكان، ﴿لَا تَحْزَنْ﴾.

إصبعه هذه في اليم، فلينظر بيم ترجع». وأشار بالسبابة. [رواه مسلم].  
فالدنيا ما مضى منها وما بقي منها عند الله قليل.

ولما حضرت عبد العزيز بن مروان الوفاة قال: اتوني بكفني الذي أكنف فيه، انظر إليه. فلما وضع بين يديه نظر إليه فقال: أما لي من كبير ما أخلف من الدنيا إلا هذا؟ ثم ولّى ظهره فبكى، وهو يقول: أف لك من دار، إن كان كثير لك [لقليلًا]، وإن كان قليلك [لقصيرًا]، وإن كنّا منك لفي غرور.

ثم توعدّ تعالى على ترك الجهاد فقال: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوا عِبَادَكُمُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ قال ابن عباس: استنفر رسول الله ﷺ حيًا من العرب، فتأقّلوا عنه، فأمسك الله عنهم القطر فكان عذابهم.

﴿وَيَسْتَدِيرُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ أي: لتضره نبيه وإقامته دينه؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا يَسْتَدِيرُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ [عمر: ٣٨].

قوله: ﴿وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا﴾ أي: ولا تضروا الله شيئًا بتوليكم عن الجهاد، وتكولكم وتأقلكم عنه، ﴿وَأَنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: قادر على الانتصار من الأعداء بدونكم.

الآية (٤٠): يقول تعالى: ﴿إِلَّا نَضُرُّهُ﴾ أي: تنصروا رسول الله ﷺ، فإن الله ناصر ومؤيده وكافيه وحافظه، كما تولى نصره ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَاقِبًا أَتَيْنَ﴾ أي: عام الهجرة لما هم المشركون بقتله أو حبسه أو نفيه، فخرج منهم هاربا صحبة صديقه وصاحبه أبي بكر ابن أبي قحافة، فلجأ إلى غار ثور ثلاثة أيام ليرجع الطلب الذين خرجوا في آثارهم، ثم سيروا نحو المدينة، فجعل أبو بكر يجزع أن يطلع عليهم، فيخلص إلى الرسول عليه الصلاة والسلام منهم أذى، فجعل النبي ﷺ يسكنه ويثبته ويقول: «يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما» [متفق عليه].

ولهذا قال تعالى: ﴿فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾ أي: تأييده ونصره عليه، أي: على الرسول في أشهر القولين: وقيل: على أبي بكر، وروي عن ابن عباس وغيره قالوا: لأن الرسول لم تزل معه سكينته، وهذا لا ينافي تجدد سكينته خاصة بملك الحال؛ ولهذا قال: ﴿وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَنُودْهُ﴾ أي: الملائكة، ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّمْلَ وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْغَالِيَةُ﴾. قال ابن عباس: يعني بكلمة الذين كفروا ﴿كَلِمَةً﴾: الشرك، و﴿كَلِمَةً﴾: الله ﷻ. هي: لا إله إلا الله. عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حيية، ويقاتل رياء، أي ذلك في سبيل الله؟ فقال: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله» [متفق عليه].

وقوله: ﴿وَأَنَّكَ عَزِيزٌ﴾ أي: في انتقامه وانتصاره، منبع الجناب، لا يُضَامُ مَنْ لَادَ بِيَابَهُ، واحتُمى بالتمسك بخطابه ﴿حَكِيمٌ﴾ في أقواله وأفعاله.

الآية (٣٧): هذا مما دّم الله تعالى به المشركين من تصرفهم في شرع الله بآرائهم الفاسدة، وتغييرهم أحكام الله بأهوائهم الباردة، وتحليلهم ما حرم الله وتحريمهم ما أحلّ الله؛ فإنهم كان فيهم من القوة الغضبية والشهامة والحمية ما استطالوا به مدة الأشهر الثلاثة في التحريم المانع لهم من قضاء أوطارهم من قتال أعدائهم، فكانوا قد أحدثوا قبل الإسلام بمدة تحليل المحرم فأخروه إلى صفر، فيجلبون الشهر الحرام، ويحرمون الشهر الحلال ﴿وَيُؤَاطِلُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾ الأشهر الأربعة. قال ابن عباس في قوله: ﴿هَٰذَا النَّبِيُّ زِيَادَةُ فِي الْكُفْرِ﴾: النسيء أن جُنْدَانَهُ بن عوف بن أمية الكناني كان يوافي الموسم في كل عام، وكان يكتنّى «أبا ثمامة»، فينادي: ألا إن أبا ثمامة لا يُجَابُ<sup>(١)</sup> ولا يُعَاب، ألا وإن صفر العام الأول حلال. فيجلب للناس، فيحرم صفرًا عامًا، ويحرم المحرم عامًا، فذلك قول الله: ﴿هَٰذَا النَّبِيُّ زِيَادَةُ فِي الْكُفْرِ﴾، يقول: يتركون المحرم عامًا، وعامًا يحرمونه؛ فإنهم لما كانوا يجلبون شهر المحرم عامًا فيحرمون عودته صفر، وبعده ربيع وربيع إلى آخر السنة بحالها على نظامها وعِدَّتِهَا وأسَاءَ شهورها، ثم في العام القابل يحرمون المحرم ويتركونه على تحريمه، وبعده صفر، وربع وربيع إلى آخرها، فيحلون عامًا ويحرمونه عامًا؛ ﴿وَيُؤَاطِلُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُجِلُّوْا مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾ أي: في تحريم أربعة أشهر من السنة، إلا أنهم تارة يقدمون تحريم الشهر الثالث من الثلاثة المتوالية - وهو المحرم - وتارة يؤسّونه إلى صفر؛ أي: يؤخّرونه. وقد [قال] ﷺ: «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، السنة اثنا عشر شهرًا، منها أربعة حُرُم؛ ثلاثة متوالية: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، ورجب مضر» [متفق عليه].

أي: إن الأمر في عدة الشهور وتحريم ما هو محرّم منها على ما سبق في كتاب الله من العدد والتوالي، لا كما يعتمدمه جهلة العرب، من فصلهم تحريم بعضها بالنسيء عن بعض، والله أعلم.

الآية (٣٨-٣٩): هذا شروع في عتاب من تخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، حين طابت الثمار والظلال في شدة الحر وحمارة القَيْظِ، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْزِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: إذا دُعيتُم إلى الجهاد في سبيل الله ﴿فَأَنفَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾ أي: تكاسلتُم ولمنتم إلى المُقَام في الدعة والخفض وطيب الثمار ﴿أَرَضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ؟﴾ أي: ما لكم فعلنتم هكذا؟ أَرْضَى منكم بالدنيا بدلًا من الآخرة!؟

ثم زهد تبارك وتعالى في الدنيا، ورغب في الآخرة، فقال: ﴿فَمَا مَنَعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾، عن المستورد أخي بني فهر قال: قال رسول الله ﷺ: «ما الدنيا في الآخرة إلا كما يجعل أحدكم

(١) من «الحوب»، أي: الإثم، أي: لا ينسب إلى الإثم. [ينظر تفسير الطبري تحقيق

[النساء: ٦٦-٦٨]، والآيات في هذا كثيرة.

الآية (٤٣-٤٥): عن عون قال: هل سمعتم بمعابرة أحسن من هذا؟ بدأ بالعفو قبل المعابرة فقال: ﴿عَمَّا آتَاكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ وقال قتادة: عاتبه كما تسمعون، ثم أنزل التي في سورة النور، فرخص له في أن يأذن لهم إن شاء: ﴿فَإِذَا اسْتَشْدَّوْكَ لِتُطِيعَ شَأْنَهُمْ فَاذْنِ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ﴾ [النور: ٦٢] وقال مجاهد: نزلت هذه الآية في أناس قالوا: استأذنوا رسول الله فإن أذن لكم فاقعدوا، وإن لم يأذن لكم فاقعدوا. ولهذا قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَكَ الْاٰیٰتِیْنَ صٰدِقٰوْا﴾ أي: في إبداء الأعداء، و﴿وَعَلَّمَ الْكٰذِبِیْنَ﴾ بقول تعالى: هَلَا



## ● الوقفات التدريبية

﴿ أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

والجهاد بالمال مقدم على الجهاد بالنفس، كما في قوله تعالى: (وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله) ... فإن المجاهد بالمال قد أخرج ماله حقيقة لله، والمجاهد بنفسه لله يرجو النجاة. ابن تيمية: ٣٧٣/٣.

السؤال: ما أهمية الجهاد بالمال؟ بين ذلك من خلال الآية.

﴿ وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

أي: هذا خير لكم في الدنيا والآخرة؛ لأنكم تفرمون في النفقة قليلاً؛ فيغنمكم الله أموال عدوكم في الدنيا، مع ما يدخر لكم من الكرامة في الآخرة. ابن كثير: ٣٤٤/٢.

السؤال: خيرية الجهاد تكون دنيوية وأخرية، وضح ذلك بمثال.

﴿ عَمَّا أَتَتْكُمْ آلُيَاتُ اللَّهِ فَمِنْهُمْ مَنْ نَبَذَ آيَاتَ اللَّهِ وَآيَاتِ رَسُولِهِ ظُهُورُهُمْ لَئِيْلُونَ ﴾

قال سفيان بن عيينة: انظروا إلى هذا اللطف؛ بدأ بالعفو قبل أن يعيره بالذنب. البغوي: ٢٨٩/٢.

السؤال: كيف نتعلم آداب العتاب من أسلوب القرآن الكريم؟

﴿ لَا يَسْتَفْزِذُكَ الَّذِينَ يَقُولُونَ إِنَّ اللَّهَ بَرَأَ النَّاسَ لَهَا فَعَمِلُوا وَتَاجَعُوا فِيهَا فَأَكْثَرَ بِئْسَ لِقَاءُ الْمُؤْمِنِينَ وَأَكْثَرَ بَئْسَ لِقَاءُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

أخبر أن المؤمنين بالله واليوم الآخر لا يستأذنون في ترك الجهاد بأموالهم وأنفسهم؛ لأن ما معهم من الرغبة في الخير والإيمان يحملهم على الجهاد من غير أن يحتم عليه حاش، فضلاً عن كونهم يستأذنون في تركه من غير عذر. السعدي: ٣٣٨-٣٣٩.

السؤال: لماذا كان المؤمنون حقيقة لا يعتذرون عن الجهاد؟

﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ أَفْعُدُوا مَعَ الْفَاعِلِينَ ﴾

أي: لو أرادوا الجهاد لتأهبوا أهبة السفر؛ فتركهم الاستعداد دليل على إرادتهم التخلف. القرطبي: ٢٢٩/١.

السؤال: ما علامة الصدق في إرادة العبادة؟

﴿ تَوَخَّجُوا فِكْرَكُمْ زَادَكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا وَضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَعَنُونَ لَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾

(لو خرجوا) يعني: المنافقين، (فيكم) أي: معكم، (ما زادوكم إلا خبالاً) أي: فساداً وشرّاً، ومعنى الفساد: إيقاع الجبن والفشل بين المؤمنين بتحويل الأمور. (ولا وضعوا) أسرعوا، (خلالكم) أي: وسطكم؛ بإيقاع العداوة والبغضاء بينكم بالتميمة، ونقل الحديث من البعض إلى البعض. البغوي: ٢٨٩/٢.

السؤال: بين أثر المنافقين في التهمة والإفساد.

﴿ وَفِيكُمْ سَعَنُونَ لَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾

فاخبر أن في المؤمنين من يستجيب للمنافقين، ويقبل منهم، فإذا كان هذا في عهد النبي ﷺ كان استجابة بعض المؤمنين لبعض المنافقين فيما بعده أولى. ابن تيمية: ٣٧٤/٣.

السؤال: هل خطر التفاق خاص بزم النبي صلى الله عليه وسلم؟ وضح ذلك.

أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١﴾ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنْ بَعْدَتْ عَنْهُمْ آلُفُ شَقَّةٍ وَسَبَبُ خِلْفٍ بِاللَّهِ لَوْ أَسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢﴾ عَمَّا أَتَتْكُمْ آلُيَاتُ اللَّهِ فَمِنْهُمْ مَنْ نَبَذَ آيَاتَ اللَّهِ وَآيَاتِ رَسُولِهِ ظُهُورُهُمْ لَئِيْلُونَ ﴿٣﴾ لَا يَسْتَفْزِذُكَ الَّذِينَ يَقُولُونَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَفْزِذُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَزَّابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رِسْمِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٥﴾ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ أَفْعُدُوا مَعَ الْفَاعِلِينَ ﴿٦﴾ تَوَخَّجُوا فِكْرَكُمْ زَادَكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا وَضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَعَنُونَ لَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
عَرَضًا قَرِيبًا	مَتَاعًا مِنَ الدُّنْيَا، سَهْلَ الْمَأْخِذِ.
الشَّقَّةُ	الْمَسَافَةُ الَّتِي تَقْطَعُ بِمَشَقَّةٍ.
انْبِعَاثُهُمْ	خُرُوجُهُمْ لِلْجِهَادِ مَعَكَ.
فَثَبَّطَهُمْ	ثَقَلَ عَلَيْهِمُ الْخُرُوجُ.
خَبَالًا	فَسَادًا، وَاضْطِرَابًا.
وَلَا وَضَعُوا خِلَالَكُمْ	لَأَسْرَعُوا السَّيْرَ بَيْنَكُمْ بِالنَّمِيمَةِ.
يَبْغُونَكُمْ الْفِتْنَةَ	يَطْلُبُونَ فِتْنَتَكُمْ، وَفَسَادَ ذَاتِ بَيْنِكُمْ.

## ● العمل بالآيات

١. تبرع بشيء من مالك للجهاد الخيرية؛ فهو من الجهاد بالمال. ﴿ أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾.
٢. استعد بالله من العجز والكسل؛ فإنهما يحرمان الإنسان من العبادة، ﴿ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعْدَتْ عَنْهُمْ آلُفُ شَقَّةٍ ﴾.
٣. ضع اليوم خطة، وجهز استعدادات لفعل الخير، واجعله يشغل حيزاً من تفكيرك، وأن لا يحرمك منه بسبب ذنوبك، ﴿ وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ أَفْعُدُوا مَعَ الْفَاعِلِينَ ﴾.

## ● التوجيهات

١. من الجهاد: الجهاد بالمال، ﴿ أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾.
٢. مشروعية العتاب للمحب، ﴿ عَمَّا أَتَتْكُمْ آلُيَاتُ اللَّهِ فَمِنْهُمْ مَنْ نَبَذَ آيَاتَ اللَّهِ وَآيَاتِ رَسُولِهِ ظُهُورُهُمْ لَئِيْلُونَ ﴾.
٣. إرادة الخير لا تكفي حتى يدل عليها الاستعداد بالعمل، ﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿لَقَدْ ابْتَغُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَكَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَرِهُونَ﴾<sup>١</sup>

(وقلبوا لك الأمور) أي: أداروا الأفكار، وأعملوا الحيل في إبطال دعوتكم وخذلان دينكم، ولم يقصروا به في ذلك، (حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون) فبطل كيدهم، واضمحل باطلهم، فحقيق بمثل هؤلاء أن يحذروا الله عبادته المؤمنين منهم. السعدي: ٣٣٩.

السؤال: مكر المنافقين ومكائدهم كبيرة مع أن مصيرها إلى الفشل، وضع ذلك

﴿الْآفِ الْفِتْنَةَ سَقَطُوا﴾

فإنه على تقدير صدق هذا القائل في قصده، فإن في التخلف مفسدة كبرى، وفتنة عظيمة محققة، وهي معصية الله، ومعصية رسوله، والتجروء على الإثم الكبير، والوزر العظيم، وأما الخروج فمفسدة قليلة بالنسبة للتخلف، وهي متوهم، مع أن هذا القائل قصده التخلف لا غير. السعدي: ٣٣٩.

السؤال: للمنافقين مقاييس في المعصية تختلف عن مقاييس المؤمنين، وضحاها.

﴿إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ فُسُوءُهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلُ وَكَانُوا يُظَاهِرُونَ فَرِحُونَ﴾

(إن تصيبك حسنة): نصرة وغنيمة، (تسوءهم): تحزنهم، يعني: المنافقين، (وإن تصيبك مصيبة): قتل أو هزيمة، (يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل): حذرنا... (ويتولوا): يدبروا، (وهم فرحون): مسرورون بما ذلك من المصيبة البغوي: ٢٩٠/٢.

السؤال: هناك من يفرض بنصر الكفار، ووقوع البلاء ببعض المسلمين، فهل هذا من فعل المؤمنين؟

﴿قُلْ هَلْ تَرْتَضُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَرْتَضِ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرْتَضُوا إِنَّا مِنْكُمْ مُتَرْضُونَ﴾

(هل هل تَرْضَوْنَ بنا إلا إحدى الحسينين) أي: هل تنتظرون بنا إلا إحدى امرين: إما الظفر والنصر، وإما الموت في سبيل الله، وكل واحد من الخصلتين حسن. (بعذاب من عنده): المصائب وما ينزل من السماء، أو عذاب الآخرة، (أو بأيدينا) يعني: القتل. (فترضوا): تهدئ، ابن جزي: ٣٤٠/١. السؤال: ما الحسنيان اللتان ينتظر المجاهدون إحداهما؟ وما العذابان اللذان ينتظر الكفار أحدهما؟

﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ يَقُولَ مِنْهُمْ نَقَعْنَاهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾<sup>٢</sup> أفعال الكافر إذا كانت برا، كصلة القرابة، وجبر الكسير، وإغاشة الملهوف، لا يثاب عليها، ولا ينتفع بها في الآخرة، بيد أنه يطعم بها في الدنيا. القرطبي: ٨/١٦١.

السؤال: قد يكون للمنافقين أعمال حسنة، فما الذي منعهم من الإفادة منها في الآخرة؟

﴿وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُعْقِرُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾<sup>٣</sup> ففي هذا غاية الذم لمن فعل مثل فعلهم، وأنه ينبغي للعباد أن لا يأتي الصلاة إلا وهو نشيط البدن والقلب إليها، ولا ينفق إلا وهو منشغ بالصدر، ثابت القلب، يرجو ذخرها وثوابها من الله وحده. السعدي: ٣٤٠.

السؤال: ما الصورة المثلى لإقامة الصلاة، وتقديم الصدقات؟

﴿وَلَا يُعْقِرُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾

لأنهم يعيدونها مفرماً، ومنعها مغمماً، وإذا كان المرء كذلك، فهي غير متقبلة، ولا مثاب عليها. القرطبي: ١٠/٣٣٩.

السؤال: ما السبب في عدم قبول صدقة المنافق؟

لَقَدْ ابْتَغُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَكَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَرِهُونَ<sup>١</sup> وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَتَذُنُ لِي وَلَا تَحْشِي الْآفِ الْفِتْنَةَ سَقَطُوا وَإِنْ جَهَنَّمُ لَمَجِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ<sup>٢</sup> إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ فُسُوءُهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلُ وَكَانُوا يُظَاهِرُونَ فَرِحُونَ<sup>٣</sup> قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلْ الْمُؤْمِنُونَ<sup>٤</sup> قُلْ هَلْ تَرْضَوْنَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَرْتَضِ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرْتَضُوا إِنَّا مِنْكُمْ مُتَرْضُونَ<sup>٥</sup> قُلْ أَنْفُسُ أَطْوَعَا أَوْ كَرِهَانِ يَقْبَلُ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ<sup>٦</sup> وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ يَقُولَ مِنْهُمْ نَقَعْنَاهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ<sup>٧</sup>

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
وَقَلَبُوا لَكَ الْأُمُورَ	دَبَّرُوا الْحِيلَ.
تَرْضَوْنَ	تَنْتَظِرُونَ.
إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ	الشَّهَادَةُ أَوِ النَّصْرَ.

## ● العمل بالآيات

١. اجمع صفات المنافقين التي ذكرها الله تعالى في السورة، ثم احذر الوقوع فيها، ﴿لَقَدْ ابْتَغُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَبُوا لَكَ الْأُمُورَ﴾.
٢. تدبر هذه الآية وتمثل مقاصدها، ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَكُنَّ إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلْ الْمُؤْمِنُونَ﴾.
٣. سل الله تعالى الشهادة بصدق بيلفك منازل الشهداء، ﴿قُلْ هَلْ تَرْضَوْنَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ﴾.

## ● التوجيهات

١. تقلب الأمور، وتغيير الحقائق من أبرز أساليب المنافقين ومن اتخذ بهم، فافقه طريقتهم وأسلوبهم، واحذر الوقوع في خداعهم، ﴿لَقَدْ ابْتَغُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَبُوا لَكَ الْأُمُورَ﴾.
٢. المؤمن يفرض بظهور أمر الله وبيان الحق، أما المنافق فيكره ذلك، ﴿حَتَّى جَاءَكَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَرِهُونَ﴾.
٣. من علامات صلاة المؤمن: أنه يأتيها وهو محب لها لما فيها من الخيرات الكثيرة له، ﴿وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى﴾.





قالوا: فما المسكين يا رسول الله؟ قال: «الذي لا يجد غنى يُغنيه، ولا يُفطن له فيصدق عليه، ولا يسأل الناس شيئاً» [متفق عليه].

﴿وَالْمَكِينِينَ عَلَيْهِمَا﴾ هم الحياة والسعاة؛ يستحقون منها قسطاً على ذلك، ولا يجوز أن يكونوا من أقرباء رسول الله ﷺ الذين تحرم عليهم الصدقة؛ لما ثبت في صحيح مسلم عن عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث: أنه انطلق هو والفضل بن عباس يسألان رسول الله ﷺ ليستعملهما على الصدقة، فقال: «إن الصدقة لا لعل لمحمد ولا لآل محمد؛ إنها هي أوساخ الناس». ﴿وَالْمَوْلُوفَةَ فَلِرَبِّهِمْ﴾ [وهم] أقسام: منهم من يُعطى لئسليم؛ كما أعطى النبي ﷺ صفوان بن أمية من غنائم حنين (رواه مسلم)، ومنهم من يُعطى ليحسن إسلامه، ويثبت قلبه؛ كما أعطى يوم حنين أيضاً جماعة من صناديد الطلقاء وأشرافهم: مائة مائة من الإبل، ومنهم من يُعطى لئلا يُرجى من إسلام نظرائه، ومنهم من يُعطى ليخفي الصدقات ممن يليه، أو ليدفع عن حوزة المسلمين الضرر من أطراف البلاد. وهل تعطى المولفة على الإسلام بعد النبي ﷺ؟ فيه خلاف؛ فروي عن عمر، وعامر الشعبي وجماعة: أنهم لا يعطون بعده؛ لأن الله قد أعز الإسلام وأهله، ومكن لهم في البلاد، وأذل لهم رقاب العباد.

وقال آخرون: بل يعطون؛ لأنه عليه الصلاة والسلام قد أعطاهم بعد فتح مكة وكسر هوازن، وهذا أمر قد يحتاج إليه فيصرف إليهم. ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾ روي عن الحسن ومقاتل وعمر بن عبد العزيز وغيرهم أنهم المكاتبون، وهو قول الشافعي. وقال ابن عباس والحسن: لا بأس أن تُعتق الرقبة من الزكاة، وهو مذهب الإمام أحمد ومالك وإسحاق، أي: إن الرقاب أعم من أن يُعطى المُكاتب، أو يشتري رقبة فيعتقها استقلالاً.

﴿وَالْفَكَرَيْنِ﴾ وهم أقسام: فمنهم من تحتمل حمالة أو صَمن ديناً فلزمته فأجحف به، أو غرم في أداء دينه أو في معصية ثم تاب، فهو لاء يُدفع إليهم. والأصل في هذا حديث قبيصة بن مخارق [مرفوعاً]: «يا قبيصة، إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة: رجل تحتمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها، ثم يمسك...» الحديث (رواه مسلم).

﴿وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ منهم الغزاة الذين لا حق لهم في الديوان. ﴿وَأَبْنَى السَّبِيلِ﴾ وهو المسافر المُجتاز في بلد ليس معه شيء يستعين به على سفره، فيعطى من الصدقات ما يكفيه إلى بلده وإن كان له مال. وهكذا الحكم فيمن أنشأ سفراً من بلده وليس معه شيء، فيعطى من مال الزكاة كفايته في ذهابه وإيابه.

﴿فَرِيصَةً مِنَ اللَّهِ﴾ أي حكماً مقدراً بتقدير الله وفريضة وقسمه ﴿وَاللَّهِ عَلَيْهِ﴾ أي: بظواهر الأمور وبواطنها وبمصالح عباد، ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما يفعله ويقول ويشرعه ويحكم به، لا إله إلا هو ولا رب سواه.

الآية (٦١): يقول تعالى: ومن المنافقين قوم يؤذون رسول الله ﷺ بالكلام فيه، ويقولون: «هو أذن» أي: من قال له شيئاً صدقه فينا، ومن خذله صدقه، فإذا جئناه وحلفنا له صدقنا؛ روي معناه عن ابن عباس ومجاهد وقادة. ﴿قُلْ أَذُنُ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ أي: هو أذن خير، يعرف الصادق من الكاذب، ﴿وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: ويصدق المؤمنين، ﴿وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ﴾ أي: وهو حجة على الكافرين؛ ولهذا قال: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

الآية (٥٥): يقول تعالى لرسوله ﷺ: ﴿فَلَا تُحِبِّكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ﴾؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعَتْ بِهِمْ أَوْ بِأَمْوَالِهِمْ﴾ زَهَرَ الْخَبْرُ الذَّنْبُ لِيَقْتَنِبَهُمْ فِيهِ وَوَرَقَ رَبُّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿٥٦﴾. وقوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّيسَةَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْكُمْ﴾ قال الحسن البصري: بزكاتها، والنفقة منها في سبيل الله. واختاره ابن جرير، وهو القول القوي الحسن. وقوله: ﴿وَتَزَكَّى أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ كَثِيرُونَ﴾ أي: ويريد أن يُبَيِّتَهُمْ حين يُبَيِّتُهُمْ على الكفر، ليكون ذلك أنكى لهم وأشد لعذابهم، عياداً بالله من ذلك، وهذا يكون من باب الاستدراج لهم فيها هم فيه.

الآية (٥٦-٥٧): يُحَرِّمُ تعالى نبيه ﷺ عن حَزَرِهِمْ وفَزَعِهِمْ وقرقيهم وعلهم أنهم يخلفون ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَؤُلَاءِ﴾ وَمَا هُمْ بِمَنْكُورٍ أَي: في نفس الأمر، ﴿وَلَا يَكْفِيهِمْ نَوْمٌ بِمَنَافِعِهِمْ﴾ أي: فهو الذي تحملهم على الخلف. ﴿لَا يَحْذَرُونَ مَلْجَأًا﴾ أي: حصناً يتحصنون به، وجرراً يتحذرون به، ﴿وَأَمَّا كَرَبٌ﴾ وهي التي في الجبال، ﴿وَأَمَّا كَلَا﴾ وهو السَّرب في الأرض والفق. قال ذلك في الثلاثة ابن عباس ومجاهد وقادة.

﴿أُولَئِكَ إِلَهِكُمْ وَهُمْ يَحْتَشِرُونَ﴾ أي: يُسرعون في ذهابهم عنكم؛ لأنهم إنما يُخالطونكم كُرْهاً لا حُبَّةً، وودوا أنهم لا يُخالطونكم، ولكن للضرورة أحكام؛ ولهذا لا يزالون في هَمٍّ وخَزَنٍ وغمٍّ؛ لأن الإسلام وأهله لا يزال في عزٍّ ونُصرٍ ورفعة.

الآية (٥٨-٥٩): يقول تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ﴾ أي ومن المنافقين ﴿تَنَازَعُوا فِيهِ﴾ أي: يعيب عليك ﴿فِي﴾ قَسَمِ ﴿الْصَّدَقَاتِ﴾ إذا فرقتها، ويتنازع في ذلك، وهم التهمنون بالمأبونون، وهم مع هذا لا يُنكرُونَ للدين، وإنما يُنكرُونَ لحظ أنفسهم؛ ولهذا فإن ﴿أَشْطَوْا مِنَّا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يَقَطُوا مِنَّا إِيَّاهُمْ يَشْطُونَ﴾ أي: يغضبون لأنفسهم. وقال قتادة في قوله: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ يقول: ومنهم من يطعن عليك في الصدقات. وهذا شبه بما روي عن أبي سعيد في قصة ذي الخويصرة لئلا يعترض على النبي ﷺ حين قَسَمَ غنائم حنين، فقال له: اعدل، فإنك لم تعدل. فقال: «لقد خيبت وخسرت إن لم أكن أعدل» وذكر بقية الحديث [متفق عليه]. ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ تَضَمَّنَتْ هذه الآية الكريمة أدباً عظيماً وسراً شريفاً؛ حيث جعل الرضا بما آتاه الله ورسوله والتوكل على الله وحده، وهو قوله: ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ﴾ وكذلك الرغبة إلى الله وحده في التوفيق لطاعة الرسول ﷺ وامتنال أوامره، وترك زواجره، وتصديق أخباره، والافتقار بآثاره.

الآية (٦٠): لَمَّا ذَكَرَ تعالى اعتراض المنافقين الجهلة على النبي ﷺ ولَمَزَهُمْ إِيَّاهُ في قَسَمِ الصدقات، بَيَّنَّ تعالى أنه هو الذي قَسَمَهَا وَيَبِّنَ حكمها، وتوَلَّى أمرها بنفسه، ولم يكل قَسَمَهَا إلى أحد غيره، فجَزَّأها هؤلاء المذكورين: ﴿لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ﴾ إنا قَدَّمْ الفقراء ههنا على البقية؛ لأنهم أحوَج من غيرهم على المشهور، لشدة فاقتهم وحاجتهم، وعند أبي حنيفة أن المسكين أسوأ حالاً من الفقير.

وروي عن ابن عباس وغير واحد: أن الفقير هو: الْمُتَعَفِّفُ الذي لا يسأل الناس شيئاً، والمسكين: هو الذي يسأل ويظوف ويتبع الناس. وقال قتادة: الفقير: من به زَمَانَةٌ، والمسكين: الصحيح الجسم. وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «ليس للمسكين بهذا الطَّوْفُ الذي يظوف على الناس، فترده للقمعة واللقمتان، والتمرّة والتمرتان».



## ● الوقفات التدريبية

﴿ فَلَا تُجِيبُكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَفْسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾

فلا تعجبك أموال هؤلاء المنافقين ولا أولادهم؛ فإنه لا غبطة فيها... ومن وباله العظيم الخطر: أن قلوبهم تتعلق بها، وإراداتهم لا تتعداها؛ فتكون منتهى مطلوبهم، وغاية مرغوبهم، ولا يبقى في قلوبهم للأخرة نصيب، فيوجب ذلك أن ينتقلوا من الدنيا وترهق أنفسهم وهم كافرون. السعدي: ٣٤٠.

السؤال: كيف تكون أموال المنافقين وأولادهم سبباً لكفرهم بالله العظيم؟  
﴿ فَلَا تُجِيبُكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَفْسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾

وهكذا كل من أراد استدراجهم سبحانه؛ فإنه في الغالب يكفر أموالهم وأولادهم نحو هذا؛ لأنهم إذا راوا زيادتهم بها على بعض المخلصين ظنوا أن ذلك إنما هو لكرامتهم، وحسن حالتهم، فيستمررون عليها حتى يموتوا؛ فهو سبحانه لم يرد بها منحتهم، بل هتنتهم ومحتنتهم. البقاعي: ٣٣٤/٣.

السؤال: هل كثرة المال والولد والتعب تدل دائماً على رضى الله سبحانه عن الإنسان؟  
﴿ وَهُمْ مَن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِن أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾

فرضاهم لغير الله، وسخطهم لغير الله، وهكذا حال من كان متعلقاً برئاسته، أو بصورة، ونحو ذلك من أهواء نفسه؛ إن حصل له رضى، وإن لم يحصل له سخط؛ فهذا عبد ما يهواه من ذلك، وهو رقيق له؛ إذ الرق والعبودية في الحقيقة هورق القلب وعبوديته، فما استرق القلب واستعبده فهو عبده. ابن تيمية: ٣٨٠/٣.

السؤال: الرق والعبودية في الحقيقة هي عبودية القلب، بين ذلك من خلال الآية الكريمة.

﴿ فَإِن أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾

وهذه حالة لا تنبغي للعبد؛ أن يكون رضاءه وغضبه تابعاً لهوى نفسه الدنيوي ورضاه الفاسد، بل الذي ينبغي أن يكون هواد تبعاً لرضا ربه. السعدي: ٣٤٠.

السؤال: كيف يكون رضى المسلم صحيحاً؟  
﴿ وَهُمْ مَن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِن أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾

يعيبك في أمرها وتقريتها، ويظن عليك فيها... يعني: أن المنافقين كانوا يقولون: إن محمداً لا يعطي إلا من أحب. البغوي: ٢٩٣/٢.

السؤال: ما نسمع من تشكيك في نيات العلماء والدعاة، هل هو أمر جديد على الأمة، أم قديم؟

﴿ وَهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ ذُنَّ قُلْ أَذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾

(ويقولون هو أذن) أي: يسمع كل ما يقال له ويصدق... (قل أذن خير لكم) أي: يسمع الخير والحق، (ويؤمن للمؤمنين) أي: يصدقهم؛ يقال: آمنت لك إذا صدقتك. ابن جزي: ٢٢٧/١.

السؤال: لم وصف المنافقون النبي ﷺ بـ (أذن) وكيف رد الله عليهم؟  
﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ هُمُ عَذَابُ اللَّهِ ﴾

في الدنيا والأخرة، ومن العذاب الأليم أنه يتحتم قتل مؤذيه وشاتمته. السعدي: ٣٤٢.

السؤال: أذكر صورة من صور العذاب الأليم الدنيوي لشارم الرسول؟

فَلَا تُجِيبُكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَفْسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ  
﴿ وَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَينَهُمْ لَينَكُم وَتَاهِرُونَ فِي دَلِيلِكُمْ هُمْ قَوْمٌ يَقْرَءُونَ ﴾  
﴿ لَوْ جَدُّوا مَلَجَاتٍ أَوْ مَخْرَجَاتٍ أَوْ مَدَّخَلَ لَوْلَا إِلَهٌ وَهُمْ يَخْمَحُونَ ﴾  
﴿ وَمِنْهُمْ مَن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِن أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾  
﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُوفِيْنَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ ﴾  
﴿ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴾  
﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلَاةِ فَلَوْلَهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْقَارِيَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَآثَرِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾  
﴿ وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ ذُنَّ قُلْ أَذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
يَقْرَءُونَ	يَخَافُونَ.
مَلَجَاتٍ	مَأْمَنًا، وَحَصْنًا.
مَغَارِبَ	كُهُوفاً فِي الْجِبَالِ.

## ● العمل بالآيات

- راجع طريقة تعاملك؛ فلا تفرط في أموالك وأولادك وتضييعهم، ولا تباليخ في الاهتمام بهم حتى تغضب الله من أجلهم، ﴿ فَلَا تُجِيبُكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَفْسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾.
- ارسل رسالة تبين فيها أن من صفات الغافلين والمنافقين أنهم ينظرون إلى من فوقهم في زينة الدنيا فقط، ولا ينظرون إلى من فوقهم في الدين، ﴿ فَإِن أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾.
- تأمل قصراً قديماً أو سيارة فاخرة قديمة، وفكر في أول من ملكها؛ ما مصيره الآن؟ وهل سيحاسب عليها؟ وماذا يتمنى الآن؟ ﴿ فَلَا تُجِيبُكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَفْسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾.

## ● التوجيهات

- زينة الدنيا قد تكون استدراجاً للكافر والفاسق، فلا تغتر بالمظاهر، ﴿ فَلَا تُجِيبُكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾.
- من صفات الغافل والمنافق أنه إذا أعطى من الدنيا رضى، وإذا منع منها سخط، ﴿ فَإِن أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾.
- من صفات المنافقين؛ اللزم في المؤمن - وهو العيب في خفاء - ويدرك ذلك الذكي الفطن، ﴿ وَهُمْ مَن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾

لأن المؤمن لا يقدم شيئا على رضا ربه ورضا رسوله، فدل هذا على انتفاء إيمانهم، حيث قدموا رضا غير الله ورسوله، وهذا محادة لله، ومشاقرة له. السعدي: ٣٤٢.

السؤال: من علامات المنهج الصحيح تقديم رضا الله سبحانه على رضا غيره، وضع ذلك.

﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ نُنْزِلَ عَلَيْهِمْ سُورَةً تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَزِرُّوا إِلَٰهَ حُجُجٍ مَا نَحْذَرُوكَ﴾

قال قتادة: كانت تسمى هذه السورة «الفاضحة» فاضحة المنافقين. ابن كثير: ٣٥١/٢.

السؤال: مع كل حادثة يحسن تدبر سورة معينة، فمتى يحسن تكرار تدبر سورة التوبة؟

﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ نُنْزِلَ عَلَيْهِمْ سُورَةً تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَزِرُّوا إِلَٰهَ حُجُجٍ مَا نَحْذَرُوكَ﴾

وفي هذه الآيات دليل على أن من أسر سريرة -خصوصاً السريرة التي يمكر فيها بدينه، ويستعزئ به وبآياته ورسوله- أن الله تعالى يظهرها، ويفضح صاحبها، ويعاقبه أشد العقوبة. السعدي: ٣٤٣.

السؤال: تكثر الفضائل الأخلاقية على قساوسة النصراني وأئمة الشيعة، فما السر في ذلك؟

﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوشُ نَجَسَ قُلِ الْيَالِهُ وَآلِئِيهِ رَوَّضُولِي كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٥٠﴾ لَا تَعْذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾

الاستهزاء بالله وآياته ورسوله كفر مخرج عن الدين؛ لأن أصل الدين مبني على تعظيم الله، وتعظيم دينه ورسله، والاستهزاء بشيء من ذلك منافي لهذا الأصل، ومناقض له أشد المناقضة. السعدي: ٣٤٣.

السؤال: لماذا كان الاستهزاء بالله وآياته ورسوله كفراً مخرجاً عن الدين؟

﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوشُ نَجَسَ قُلِ الْيَالِهُ وَآلِئِيهِ رَوَّضُولِي كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٥٠﴾ لَا تَعْذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾

دلت هذه الآية على أن كل من تنقص رسول الله - صلى الله عليه و سلم - جادا أو هازلاً، فقد كفر. ابن تيمية: ٤٠٠/٣.

السؤال: ما حكم تنقص النبي صلى الله عليه وسلم واحتقاره؟

﴿قُلِ الْيَالِهُ وَآلِئِيهِ رَوَّضُولِي كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٥٠﴾ لَا تَعْذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾

نقل عن الشافعي أنه سئل عن من هزل بشيء من آيات الله تعالى أنه قال: هو كافر، واستدل بقول الله تعالى: (قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون) لا تعذبوا قد كفرتم بعد إيمانكم. ابن تيمية: ٤٠٢/٣.

السؤال: ما حكم من هزل بشيء من آيات الله تعالى؟

﴿سُئِلَ اللَّهُ فَرَسَهُمْ﴾

تركوا طاعة الله، هتركهم الله من توفيقه وهدايته في الدنيا، ومن رحمته في الآخرة، وتركهم في عذابه. البغوي: ٣٠٢/٢.

السؤال: الجزء من جنس العمل، بين ذلك من خلال الآية.

يَخْلُقُونَ يَا إِلَٰهَ لَكُمْ لِرِضْوَانِكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٥٠﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴿٥١﴾ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ نُنْزِلَ عَلَيْهِمْ سُورَةً تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَزِرُّوا إِلَٰهَ حُجُجٍ مَا نَحْذَرُوكَ ﴿٥٢﴾ وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوشُ نَجَسَ قُلِ الْيَالِهُ وَآلِئِيهِ رَوَّضُولِي كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٥٣﴾ لَا تَعْذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً يَأْتِيهِمْ كَذِبٌ مِّنْكُمْ وَهُمْ لَا يُصْلِحُونَ ﴿٥٤﴾ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيهِمْ إِنَّا الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتُ وَالْكُفَّارَاتِ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَةُ اللَّهِ لَكُفٍّ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٥٦﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
يُحَادِدُ	يُشَاقُّ وَيُحَافِظُ.
حَسْبُهُمْ	كَافِيهِمْ.

## ● العمل بالآيات

١. احرص اليوم -وبأسلوب حسن- على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مخالفاً حال المنافقين، ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾.

٢. تصدق بصدقة حسب استطاعتك، ثم دوام على ذلك، وتذكر أن أهل النفاق يقبضون أيديهم، ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾.

٣. أكثر اليوم من ذكر الله تعالى لتتبرا من النفاق؛ فإن المنافق ينسى الله تعالى ولا يذكره إلا قليلاً، ﴿سُئِلَ اللَّهُ فَرَسَهُمْ﴾ ﴿إِنَّا الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

## ● التوجيهات

١. المؤمن يراقب الله، والمنافق يراقب الناس، وكل يسعى لإرضاء من يراقبه، ﴿يَخْلُقُونَ يَا إِلَٰهَ لَكُمْ لِرِضْوَانِكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾.

٢. الاستهزاء بشعائر الإسلام وبالمتنسين إليه قد يورد صاحبه نار جهنم، حتى ولو كان من باب الضحك والتسلية، ﴿قُلِ الْيَالِهُ وَآلِئِيهِ رَوَّضُولِي كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٥٠﴾ لَا تَعْذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً يَأْتِيهِمْ كَذِبٌ مِّنْكُمْ وَهُمْ لَا يُصْلِحُونَ﴾.

٣. للمنافقين صفات ظاهرة تميزهم عن المؤمنين، ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيهِمْ﴾.

كما نخوض ونلعب، فقال مُحْشَنُ بن مُخَبَّر: يا رسول الله، قعد بي اسمي واسم أبي. فكان الذي عفى عنه في هذه الآية مُحْشَنُ بن مُخَبَّر، فسمى عبد الرحمن، وسأل الله أن يُقتل شهيداً لا يعلم بمكانه، فقتل يوم اليامة، فلم يوجد له أثر!

وقوله: ﴿لَا تَمْنُوا أَنَّهُ لَكُمْ بِإِيمَانِكُمْ﴾ أي: بهذا المقال الذي استهزأتم به، ﴿إِن تَمُوتَ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ تَصَدَّتْ طَائِفَةٌ﴾ أي: لا يُعفى عن جميعكم، ولا بد من عذاب بعضهم؛ ﴿وَأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ أي: مجرمين بهذه المقالة الفاجرة المخاطبة.

الآية (٦٧-٦٨): يقول تعالى منكرًا على المنافقين الذين هم على خلاف صفات المؤمنين، ولَمَّا كان المؤمنون يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، كان هؤلاء ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَنَكْرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ أي: عن الإنفاق في سبيل الله، ﴿نَسُوا اللَّهَ﴾ أي: نسوا ذكر الله ﴿فَنَسِيَهُمْ﴾ أي: عاملهم معاملة من نسيهم؛ كقوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ مَا حَاصِلُ إِقْلَاقِكُمْ هَذَا﴾ [البقرة: ٣٤]، ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ أي: الخارجون عن طريق الحق، الداخلون في طريق الصلاة.

وقوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ أي: على هذا الصنيع الذي ذكر عنهم، ﴿وَحُلِيلِينَ فِيهَا﴾ أي: ماكين فيها مخلدين، هم والكفار، ﴿هِيَ حَسْبُهُمْ﴾ أي: كفايتهم في العذاب، ﴿وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ أي: طردهم وأبعدهم، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّؤِيمٌ﴾.

الآية (٦٢-٦٣): [سبب النزول]: قال قتادة في قوله تعالى: ﴿يَحْتَفِرُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْشَوْكُمْ﴾ الآية، قال: ذكر لنا أن رجلاً من المنافقين قال: والله إن هؤلاء لخيارنا وأشرافنا، وإن كان ما يقول محمد حقاً لهم شر من الحمير. قال: فسمعها رجل من المسلمين فقال: والله إن ما يقول محمد لحق، ولأن أشراً من الحمار. قال: فسمى بها الرجل إلى النبي ﷺ فأخبره، فأرسل إلى الرجل فدعاه فقال: «ما حملك على الذي قلت؟» فجعل يَلْتَعِنُ، ويحلف بالله ما قال ذلك. وجعل الرجل المسلم يقول: اللهم صَدِّقِ الصَّادِقَ وَكُذِّبِ الْكَاذِبَ. فأنزل الله هذه الآية.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَسْلُوكُمُوهَا أَنَّهُمْ مِّنْ مُحَادِدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أي: ألم يتحققوا ويعلموا أنه من حادَّ الله، أي: شاقَّه وحاربه وخالفه، وكان في حدِّ الله ورسوله في حدٍّ، ﴿وَأَنَّكَ لَهُ تَارَ جَهَنَّمَ خَلِيلًا فِيهَا﴾ أي: مُهَانًا مَعْدِيًا، ﴿ذَلِكَ الْخَبْرُ الْأَعْلَى﴾ أي: وهذا هو الدلَّ العظيم، والشفاء الكبير.

الآية (٦٤): قال مجاهد: يقولون القول بينهم، ثم يقولون: عسى الله ألا يُغْنِي عِلْنَا سِرًّا هذا. وهذه الآية شبيهة بقوله تعالى: ﴿وَرَدَا جَانُوكَ حَيْثُكُمَا لَرَّيْحِكُمَا بِدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَسْلُونَهَا فَيَكُونُ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٨]. وقال في هذه الآية: ﴿قُلْ اسْتَخِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَرِجَ مَا تَحْدَرُونَ﴾ أي: إن الله سيُنزل على رسوله ما يفضحكم به، ويبيِّن له أمركم؛ كقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَصْغَنَهُمْ﴾، إلى قوله: ﴿وَلَنَنْزِلَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: ٢٩-٣٠]؛ ولهذا قال قتادة: كانت تُسمى هذه السورة «الفاضحة»؛ فاضحة المنافقين.

الآية (٦٥-٦٦): [سبب النزول]: قال ابن إسحاق: وقد كان جماعة من المنافقين منهم ودِيعَة بن ثابت، أخو بني أمية بن زيد، من بني عمرو بن عوف، ورجل من أشجع حليف لبني سَلِمة يقال له: مُحْشَنُ<sup>(١)</sup> بن مُخَبَّر يشيرون إلى رسول الله ﷺ وهو منطلق إلى تبوك، فقال بعضهم لبعض: اتحبسون جِلَادَ بني الأصفر قتلنا العرب بعضهم بعضاً؟ والله لكأننا بكم غداً مقرَّنين في الجبال، إرجافاً وترهيباً للمؤمنين، فقال مُحْشَنُ بن مُخَبَّر: والله لوددت أني أقاضى على أن يضرب كل رجل منا مائة جلدة، وإما نُقْتَلُ أن ينزل فينا قرآن لمقاتلتكم هذه. وقال رسول الله ﷺ: فبيا بلغني - لعمار بن ياسر: «أدرك القوم؛ فإنهم قد احترقوا، فاسألهم عما قالوا، فإن أنكروا فقل: بلى، قلتم كذا وكذا». فانطلق إليهم عمار، فقال ذلك لهم، فأتوا رسول الله ﷺ يعتزرون إليه، فقال ودِيعَة بن ثابت - ورسول الله ﷺ واقف على راحلته - فجعل يقول وهو أخذ بخنجرها: يا رسول الله، إنما

(١) وفي نسخ: «مُخَنِّي». على خلاف في اسمه كما أشار إلى ذلك ابن هشام في

## الصفات.

وقوله: ﴿بِخَلْقِهِمْ﴾ قال الحسن البصري: بدينهم.

وقوله: ﴿أُولَٰئِكَ حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ أي: بطلت

الْخَيْرُونَ ﴿١٠﴾ لَّانَّهُمْ لَمْ يَحْصِلْ لَهُمْ عَلَيْهَا ثَوَابٌ.

الآية (٧٠): يقول تعالى واعظاً لهؤلاء المنافقين المكذ

أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ؕ أَمْ تَتُخَذُوا

وقوله: ﴿أَنَّهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي: بالحجج

الآية (٧١): لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى صفات المنافقين الذميمة،

وفي الصحيح أيضًا: «مثل المؤمن في توادهم وتراح

وقوله: ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من آمن بالله ورسوله،

وعن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أهل الجنة

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص؛ أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إذا

وقوله: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ أي: رضا الله عنهم أكبر

عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله عز وجل



## ● الوقفات التدريبية

﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَكَثَرُوا نَفْلًا وَأُوتُوا مَا اسْتَغْنَوْا فَإِذَا دُعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَفْتَوْا بَخْلًا فَمِنْ قَبْلِكُمْ يَخْلَقُكُمْ كَمَا اسْتَفْتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ يَخْلَقُكُمْ وَخُضُّهُمُ الْكَلْبُ كَالَّذِي خَاسُوا أَوْلِيَّكَ حِطَّتْ أَنْفُسُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾

فما ضد أكثر هذه الأمة عن فهم القرآن: ظنهم أن الذي فيه من قصص الأولين وأخبار المثابين والمفابين من أهل الأديان اجمعين: أن ذلك إنما مقصوده الإخبار والقصص فقط، كلا، وليس كذلك: إنما مقصوده الاعتبار والتنبية لمشاهدة متكررة في هذه الأمة من نظائر جميع أولئك الأعداد، وتلك الأحوال والأثار. البقاعي: ٣٤٧/٣.

السؤال: ما المقصود من قصص القرآن وإخباره التي تقرأها فيه؟

﴿فَاسْتَفْتَوْا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَفْتَوْا بَخْلًا فَمِنْ قَبْلِكُمْ يَخْلَقُكُمْ كَمَا اسْتَفْتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ يَخْلَقُكُمْ﴾

وأما المؤمنون فهم وإن استفتوا بنصبيهم وما خولوا من الدنيا فإنه على وجه الاستعانة به على طاعة الله، وأما علومهم فهي علوم الرسل، وهي الوصول إلى اليقين في جميع المطالب العالية، والمجادلة بالحق لإحباط الباطل. السعدي: ٣٤٣.

السؤال: ما الفرق بين تمتع المؤمنين وتمتع المنافقين والكافرين بمتاع الحياة الدنيا؟

﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْطِيَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾

أي: بالكفر والتكذيب، وترك شكره تعالى، وصرفهم نعمه إلى غير ما أعطاهم إياها لأجله، فاستحقوا ذلك العذاب. القاسمي: ١٦٦/٤.

السؤال: ما مظاهر ظلم النفس، واستحقاق العذاب النازل على المكذبين؟

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضُهُمْ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾

وعبر في جانب المؤمنين والمؤمنات بأنهم أولياء بعض للإشارة إلى أن المحبة الجامعة بينهم هي ولاية الإسلام: فهم فيها على السواء، ليس واحد منهم مقلدا للآخر، ولا تابعا له على غير بصيرة، لما في معنى الولاية من الإشعار بالإخلاص، والتناصر، بخلاف المنافقين، فكان بعضهم ناشئ من بعض في مذاهبهم. ابن عاشور: ٢١٢/١.

السؤال: لم عبرت الآية الكريمة في جانب المؤمنين بأنهم أولياء بعض؟

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضُهُمْ﴾

أي: فلوهم متحدة في التواد، والتحاب، والتعاطف. القرطبي: ٢٩٨/١.

السؤال: بين كيف يكون قلب المؤمن الحق تجاه أخيه المؤمن.

﴿أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

وجملته: (إن الله عزيز حكيم) تعليل لجملة (سيرحهم الله) أي: أنه تعالى لعرته ينفع أوليائه، وأنه لحكمته يضع الجزاء لمستحقه.

ابن عاشور: ٢١٣/١.

السؤال: ما مناسبة ختام الآية الكريمة باسمي الله تعالى: (عزيز حكيم)؟

﴿وَرِضُونَ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾

ورضوان من الله يحله على أهل الجنة، أكبر مما هم فيه من النعيم؛ فإن نعيمهم لم يلب إلا برؤية ربهم، ورضوانه عليهم، ولأنه الغاية التي أمها العابدون، والنهاية التي سعى نحوها المحبون، فرضى رب الأرض

والسموات أكبر من نعيم الجنات. السعدي: ٣٤٤.

السؤال: لم وصف رضوان الله بأنه أكبر من نعيم الجنات؟

كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَكَثَرُوا نَفْلًا وَأُوتُوا مَا اسْتَغْنَوْا فَإِذَا دُعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَفْتَوْا بَخْلًا فَمِنْ قَبْلِكُمْ يَخْلَقُكُمْ كَمَا اسْتَفْتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ يَخْلَقُكُمْ وَخُضُّهُمُ الْكَلْبُ كَالَّذِي خَاسُوا أَوْلِيَّكَ حِطَّتْ أَنْفُسُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٥٥﴾ النَّبِيُّ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمٌ نُوحٌ وَعَادٌ وَثَمُودٌ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُنَّ رُسُلُهُنَّ يَأْتِيَنَّ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٦﴾ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضُهُمْ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَأُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٥٧﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ حَتَّىٰ تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبٌ فِي حَتَّىٰ تَعْدُونَ وَرِضُونَ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٥٨﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
فَاسْتَفْتَوْا بِخَلْقِهِمْ	فَتَمَتُّعُوا بِنَصْبِيهِمْ مِنْ مَلَأَ الدُّنْيَا.
وَخُضُّهُمْ	دَخَلْتُمْ فِي الْكُذْبِ وَالْبَاطِلِ.
حِطَّتْ	بَطَلَتْ.
وَالْمُؤْتَفِكَاتِ	قَوْمٌ قَوْمٌ لُوطٍ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ، لِأَنَّ اللَّهَ قَلَبَهَا عَلَيْهِمْ.

## ● العمل بالآيات

١. احرص اليوم على الصحبة الصالحة حتى تحقق عبادة المودة، والمواخاة الإيمانية التي دعانا ربنا إليها، ولكن رفقتك الدائمة، ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضُهُمْ﴾.

٢. أرسل رسائل تأمر فيها بالمعروف: كعبادة قس فيهم الناس، أو تنهى فيها عن منكر: كصعوبة تساهل فيها الناس، ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضُهُمْ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾.

٣. سل الله تعالى أن يرضى عنك في الدارين، ﴿وَرِضُونَ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

## ● التوجيهات

١. النجاة في الحياة الدنيا وفي الآخرة إنما هي اتباع ما جاءت به الرسل، ﴿أَتَتْهُنَّ رُسُلُهُنَّ يَأْتِيَنَّ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾.

٢. اقرأ في قصص الأنبياء حتى تكون من الذين يعتبرون ويتعظون إذا تليت عليهم آيات الرسل وأمرهم، ﴿إِنَّ بَيْنَهُمْ نَبَأَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمٌ نُوحٌ وَعَادٌ وَثَمُودٌ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ﴾.

٣. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أبرز الصفات التي تميز بين المؤمنين والمنافقين، ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضُهُمْ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾.



## ● الوقفات التدريبية

﴿يَتَابِعُ الْبَغْيَ جِهْدُ الْكُفَّارِ وَالْمُتَّقِينَ وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَيُسَّ الْمَصِيرُ﴾

جهد الكفار بالسيف، وجهد المنافقين باللسان ما لم يظهر ما يدل على كفرهم. ابن جزي: ٣٦٤/١.

السؤال: كيف يكون جهد الكفار وجهد المنافقين؟

﴿يَتَابِعُ الْبَغْيَ جِهْدُ الْكُفَّارِ وَالْمُتَّقِينَ وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ﴾

أمر تعالى رسوله ﷺ بجهد الكفار والمنافقين، والغلظة عليهم، كما أمره بأن يخفض جناحه لمن اتبعه من المؤمنين. ابن كثير: ٣٥٥/٢.

السؤال: ما الفرق بين تعامل المسلم مع المسلم، وتعامله مع الكافر والمنافق؟

﴿يَتَابِعُ الْبَغْيَ جِهْدُ الْكُفَّارِ وَالْمُتَّقِينَ وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ﴾

وهذا الجهاد يدخل فيه: الجهاد باليد، والجهاد بالحجة واللسان. فمن بارز منهم بالحاربة فيجاهد باليد، واللسان، والسيف، والبيان، ومن كان مدعياً للإسلام بذمة أو عهد؛ فإنه يجاهد بالحجة والبرهان، ويبين له محاسن الإسلام، ومسائير الشرك والكفر. السعدي: ٣٤٤.

السؤال: ما مراتب جهاد الكفار والمنافقين؟

﴿يَتَابِعُ الْبَغْيَ جِهْدُ الْكُفَّارِ وَالْمُتَّقِينَ وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ﴾

لم يقل بعد إيمانهم؛ لأنهم كانوا يقولون بالسننهم أمناً، ولم يدخل الإيمان في قلوبهم. ابن جزي: ٣٦٤/١.

السؤال: ما وجه التعبير بـ (إسلامهم) دون «إيمانهم» في الآية؟

﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنْ أُتُوا بِبَيِّنَاتٍ مِّنْ فَضْلِهِ لَنُضِلَّنَّ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْفَاسِقِينَ﴾ ﴿٣٦﴾ فَلَمَّا أَتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَيَّنَّا لَهُمْ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٣٧﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٣٨﴾

فليحذر المؤمن من هذا الوصف الشنيع: أن يعاهد ربه: إن حصل مقصوده الفلاني ليعمل كذا وكذا، ثم لا يفي بذلك؛ فإنه ربما عاقبه الله بالنفاق كما عاقب هؤلاء. السعدي: ٣٤٥.

السؤال: بين خطورة إخلاف الوعد مع الله سبحانه، وشدة عقوبته.

﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾

وعبر عن كذبهم بصيغة (كانوا يكذبون) لدلالة كان على أن الكذب كان فيهم وممكن منهم، ودلالة المضارع على تكرره وتجدده. ابن عاشور: ٢٧٣/١.

السؤال: لماذا عبرت الآية الكريمة عن كذب المنافقين بـ (كانوا يكذبون)؟

﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ فِي الْأَعْدَاءِ وَالَّذِينَ لَا يُجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

من أطلع الله وتطوع بخصلة من خصال الخير فإن الذي ينبغي هو: إعادته، وتنشيطه على عمله، وهؤلاء قصدوا تضييظهم بما قالوا فيهم، وعابوهم فيه. السعدي: ٣٤٦.

السؤال: ما الذي يجب على المؤمنين إذا راوا أحداً يعمل بخصلة من

خصال الخير؟ وكيف يفاد هذا من الآية؟

يَتَابِعُ الْبَغْيَ جِهْدُ الْكُفَّارِ وَالْمُتَّقِينَ وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ  
وَمَا أَوْفَرَهُمْ جَهَنَّمُ وَيُسَّ الْمَصِيرُ ﴿٣٦﴾  
وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بِعَدِيسِهِمْ وَهُمْ  
بِمَا تَرَبَّتُوا وَمَاتُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ  
مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمْ  
اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ  
مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣٧﴾ \* وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنْ أُتُوا  
بِبَيِّنَاتٍ مِّنْ فَضْلِهِ لَنُضِلَّنَّ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْفَاسِقِينَ  
﴿٣٨﴾ فَلَمَّا أَتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ  
مُعْرِضُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ  
بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٤٠﴾  
أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْصُرُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ  
عَلِيمُ الْغُيُوبِ ﴿٤١﴾ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ  
الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ  
فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
نَقَمُوا	كَرَهُوا، وَعَابُوا.
فَأَعْقَبَهُمْ	فَصَيَّرَ عَاقِبَتَهُمْ وَجَزَاءَهُمْ.
يَلْمِزُونَ	يَعِيبُونَ.
الْمُطَوِّعِينَ	الَّذِينَ يَتَطَوَّعُونَ بِالصَّدَقَاتِ بِالْمَالِ الْكَثِيرِ.

## ● العمل بالآيات

١. ساهم اليوم في مجاهدة الكفار والمنافقين ولو بكلمات في مجالسك أو على صفحات النت، أو رسائل الهاتف الجوال، ﴿يَتَابِعُ الْبَغْيَ جِهْدُ الْكُفَّارِ وَالْمُتَّقِينَ وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَيُسَّ الْمَصِيرُ﴾.
٢. لخص صفات المنافقين الموجودة في هذا الوجه، ﴿يَتَابِعُ الْبَغْيَ جِهْدُ الْكُفَّارِ وَالْمُتَّقِينَ وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَيُسَّ الْمَصِيرُ﴾.
٣. أذ عبادة في السر لا يطلع عليها سوى الله تعالى، ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْصُرُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلِيمُ الْغُيُوبِ﴾.

## ● التوجيهات

١. كثرة الحلف مذمومة؛ لأنها مظنة الكذب، وليجأ إليها المنافقون، أما المؤمن فيعظم الله تعالى، ولا يتساهل بالحلف، ﴿يَتَابِعُ الْبَغْيَ جِهْدُ الْكُفَّارِ وَالْمُتَّقِينَ وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَيُسَّ الْمَصِيرُ﴾.
٢. مرض القلب وإصابته بالنفاق عقوبة إلهية لمن ترك السبيل المستقيم، ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾.
٣. لا تخجل من العمل القليل في سبيل الله؛ فالعبرة بالدافع القلبي للعمل وليس بكمية العمل، ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

القوم خمسة عشر، وأشهد بالله أن اثني عشر منهم حربٌ لله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد، وَعَدَرُ ثَلَاثَةٌ قَالُوا: ما سمعنا منادي رسول الله ﷺ، ولا علمنا بما أراد القوم. وقد كان في حرة يمشى، فقال: «إن الماء قليل، فلا يسقني إليه أحد»، فَوَجَدَ قَوْمًا قد سبقوه، فلعنهم يومئذ.

﴿وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ أي: وما للرسول عندهم ذنب إلا أن الله أغناهم ببركته ويؤمن سقاريته، ولو تمت عليهم السعادة لهداهم الله لينا جاء به، كما قال للأصبار: «ألم أجداكم ضللاً فهداكم الله بي؟ وكنتم متفرقين فالتقاكم الله بي؟ وعالة فأغناكم الله بي؟» كلُّها قال شيئاً قالوا: الله ورسوله أمَّن [منق عليه]. وهذه الصيغة تقال حيث لا ذنب، كما قال تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ﴾ الآية [البرج: ٨]. ثم دعاهم الله تعالى إلى التوبة فقال: ﴿فَإِنْ يَتُوبَا بِكَ خَيْرٌ لَّهُمَا وَلَئِنْ سَتَرْتُكَ أَيْ: وإن يستمروا على طريقهم ﴿يَعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا﴾ أي: بالقتل والهَمَّ والغَمَّ، وَالْآخِرَةِ﴾ بالمذاب والنكال والهوان والصغار، ﴿وَمَا كُنْ فِي الْآخِرِينَ وَلِيَّ وَلَا نَصِيرَ﴾ أي: وليس لهم أحد يُسَعِّدُهُمْ ولا يُنْجِيهِمْ، ولا يُحْصِلُ لهم خيراً، ولا يدفع عنهم شراً.

الآية (٧٥-٧٨): من المنافقين من أعطى الله عهده وميثاقه: لئن أغناه من فضله ليصدقن من ماله، وليكُونن من الصالحين. فما وقى بما قال، ولا صدق فيما ادعى، ﴿فَأَعْقَبَهُمْ﴾ هذا الصنيع ﴿بِفِتْنَةٍ﴾ سَكَرَ ﴿فِي قُلُوبِهِمْ﴾ إلى يوم يلقون الله عز وجل يوم القيامة، عياداً بالله من ذلك. ﴿بِمَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ مَا وَعَدْتُهُ﴾ الآية، أي: بسبب إخلالهم الوعد وكذبهم؛ كما جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أُمِن خان» [منق عليه].

﴿أَتُوبُكُمْ أَمْ لَا﴾ اللَّهُ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾ الآية، يخبر تعالى أنه ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَالْخَفَى﴾ [طه: ٧٠]، وأنه أعلم بضمائرهم، وإن أظهروا أنه إن حصل لهم أموال تصدقوا منها وشكروا عليها، فإن الله أعلم بهم من أنفسهم؛ لأنه تعالى ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ أي: يعلم كل غيب وشهادة، وكل سر ونجوى، ويعلم ما ظهر وما بطن.

الآية (٧٩): وهذه أيضاً من صفات المنافقين: لا يسلم أحد من عيبيهم ولعنهم في جميع الأحوال، حتى ولا الْمُتَصَدِّقُونَ يسلمون منهم؛ إن جاء أحد منهم بمال جزيل قالوا: هذا مُرَاءٍ، وإن جاء بشيء يسير قالوا: إن الله لغني عن صدقة هذا!

[سبب النزول]: عن أبي مسعود قال: لما نزلت آية الصدقة كنا نتحامل على ظهورنا، فجاء رجل فتصدق بشيء كثير، فقالوا: مرأتي. وجاء رجل فتصدق بصاع، فقالوا: إن الله لغني عن صدقة هذا. فنزلت ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ الآية [منق عليه]. ﴿يَلْمِزُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾: وهذا من باب المقابلة على سوء صنيعهم واستهزائهم بالمؤمنين؛ لأن الجزء من جنس العمل، فعاملهم معاملة من سَخِرَ بهم؛ انتصاراً للمؤمنين في الدنيا، وأعداً للمنافقين في الآخرة عذاباً أليماً؛ لأن الجزء من جنس العمل.

الآية (٧٣-٧٤): أَمَرَ تعالى رسوله ﷺ بجهاد الكفار والمنافقين وَالْعِظَةَ عليهم، كما أمره بأن يخفض جناحه لمن اتبعه من المؤمنين، وأخبره أن مصير الكفار والمنافقين إلى النار في الدار الآخرة؛ عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أنه قال: بُعِثَ رسول الله ﷺ بأربعة أسياف: سيف للمشركين: ﴿فَإِذَا أَسْلَخَ الْأَشْهُرَ الْقُرْبَى فَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ٥]، وسيف لكفار أهل الكتاب: ﴿فَقَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩]، وسيف للمنافقين: ﴿جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ [التوبة: ٧٣، التحريم: ٩]، وسيف للبغاة: ﴿فَقَاتِلُوا أَلِيَّيَ تَبَى حَتَّى تَفْزَحَ إِلَهُ أَمْرُ اللَّهِ﴾ [الحجرات: ٩]. وهذا يقتضي أنهم يجاهدون بالسيف إذا أظهروا النفاق. وهو اختيار ابن جرير. وقال ابن عباس: أمره الله تعالى بجهاد الكفار بالسيف، والمنافقين باللسان، وأذهب الرُّقْعَ عنهم. وقال الضحاك: جاهد الكفار بالسيف، واغلظ على المنافقين بالكلام، وهو مجاهدتهم. وقال الحسن وقادة: مجاهدتهم إقامة الحدود عليهم. وقد يقال: إنه لا منافاة بين هذه الأقوال؛ لأنه تارة يُؤَاخِذُهُمْ بهذا، وتارة بهذا، بحسب الأحوال، والله أعلم.

وقوله: ﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بِمَدَنٍ سَلْتِهِمْ﴾ [سبب النزول]: قال قتادة: نزلت في عبد الله بن أبي؛ وذلك أنه اقتل رجلان: جُهني وأنصاري، فعلا الجُهني على الأنصاري، فقال عبد الله للأصبار: ألا تنصروا أحاكم؟ والله ما مثلنا ومثل عمداً إلا كما قال القاتل: «سَمَنْ كَلْبِكَ يَا كَلْبُك»، وقال: ﴿لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنَّا الْأَذَلَّ﴾ [المنافقون: ٨]. فسمي بها رجل من المسلمين إلى النبي ﷺ، فأرسل إليه فسأله، فيجعل يلحف بالله ما قاله، فانزل الله فيه هذه الآية [الفصة في الصحيحين من حديث زيد بن أرقم وجابر بن عبد الله]. ﴿وَهُمْ أَوْيَا لَرَبَّنَا﴾ عن أبي الطفيل قال: لما أُقْبِلَ رسول الله ﷺ من غزوة تبوك، أمر منادياً فنادى: إن رسول الله ﷺ أخذ العقبة فلا يأخذها أحد. فبينما رسول الله ﷺ يقوده حذيفة ويسوقه عمار، إذ أقبل رهط مثلثون على الرواحل ففشوا عماراً، وهو يسوق برسول الله ﷺ، وأقبل عمار رَجُلَيْنِ يضرب وجوه الرواحل، فقال رسول الله ﷺ حذيفة: «قد قد» حتى هبط رسول الله ﷺ، فلما هبط نزل ورجع عمار، فقال: «يا عمار، هل عرفت القوم؟» فقال: قد عرفت عامة الرواحل، والقوم مثلثون. قال: «هل تدري ما أرادوا؟» قال: الله ورسوله أعلم. قال: «أرادوا أن يُفْتَرُوا برسول الله ﷺ فيطرحوه». قال: فسارَ عمار رجلاً من أصحاب النبي ﷺ فقال: نسلتكم بالله كم تعلم كان أصحاب العقبة؟ قال: أربعة عشر رجلاً. فقال: إن كنت منهم فقد كانوا خمسة عشر. قال: فعزَّ رسول الله ﷺ منهم ثلاثة قالوا: والله ما سمعنا منادي رسول الله ﷺ، وما علمنا ما أراد القوم. فقال عمار: أشهد أن اثني عشر الباقي حربٌ لله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد. ويشهد لهذه القصة بالصحة ما رواه مسلم عن أبي الطفيل قال: كان بين رجل من أهل العقبة وبين حذيفة بعض ما يكون بين الناس، فقال: أنشدك بالله، كم كان أصحاب العقبة؟ قال: فقال له القوم: أخبره إذ سألك. قال: كنا نخبرُ أنهم أربعة عشر، فإن كنت منهم فقد كان



(١) تقدم تفسير نظير الآية (٨٥)، وهي الآية (٥٥) ص ١٩٦.



## الوقفات التدريبية

﴿ قَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلْفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾

وهذا قدر زائد على مجرد التخلف؛ فإن هذا تخلف محرم، وزيادة رضا بفعل العصية، وتوجب به. (وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله): وهذا بخلاف المؤمنين الذين إذا تخلفوا -ولو لعذر- حزنوا على تخلفهم، وتأسفوا غاية الأسف، ويحبون أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله؛ لما في قلوبهم من الإيمان، ولما يرجون من فضل الله، وإحسانه، وبره، وامتنانه. السعدي: ٣٤٦.

السؤال: ما الفرق بين المؤمن والمنافق إذا فاتتهم الأعمال الصالحة؟

﴿ قَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﴾

هذه آية تتضمن وصف حالهم على جهة التوبيخ لهم، وفي ضمنها وعيد. وقوله: (المُخَلَّفُونَ) لفظ يقتضي تحقيرهم وانهم الذين أبعدهم الله من رضاه، وهذا ممكن في هذا من أن يقال: «المُخَلَّفُونَ»، ولم يفرح إلا منافق، فخرج من ذلك: الثلاثة، وأصحاب العذر. ابن عطية: ٦٥/٣.

السؤال: لماذا قال تعالى: (المُخَلَّفُونَ) ولم يقل: «المُتَخَلِّفُونَ»؟ وماذا نستفيد من ذلك؟

﴿ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾

فقدموا راحة قصيرة منقضية على الراحة الأبدية التامة، وحذروا من الحر الذي بقي منه الظلال، ويذهب البكر والأصا، على الحر الشديد الذي لا يقادر قدره، وهو النار الحامية. السعدي: ٣٤٦.

السؤال: ما سبب وصف الله المنافقين بعدم الفقه؟

﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكِوْا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾

كان الصحابة يضحكون، إلا أن الإكثار منه وملازمته حتى يغلب على صاحبه مذموم، منهى عنه، وهو من فعل السفهاء والبطالة، وفي الخبر: أن كثرت تهمة القلب. القرطبي: ٣٧٨/١٠.

السؤال: بين كيف يكون حال المؤمن مع الضحك؟

﴿ إِنَّكَ رَصِيحٌ بِالْفُجُورِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ﴾

فإن المتأمل المتخلف عن المأمور به عند انتهاز الفرصة لا يوفق له بعد ذلك، ويحال بينه وبينه. السعدي: ٣٤٦.

السؤال: ما خطورة ترك العبادات والأعمال الصالحة في حال تهيو الظروف المناسبة؟

﴿ وَلَا تَصِلْ عَلَى أَمْرٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَرْبَةٍ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَا تَأْتُوا مِنْهُمْ فَيُكْفَرُوا ﴾

والسنة في زيارة قبور المسلمين نظير الصلاة عليهم قبل الدفن، قال الله تعالى في كتابه عن المنافقين: (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره) فكان دليل الخطاب أن المؤمنين يصلون عليهم. ابن تيمية: ٤٣٥/٣.

السؤال: ما حكم الدعاء للمؤمنين عند قبورهم؟

﴿ وَلَا تَجْعَلْ أَمْوَالَهُمْ لِزِينَةِ أَنْفُسِهِمْ أَنْ يَخْلُتْ أُولَئِكَ بِمَا عَدَتْهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَرِهُوا ﴾

تدريبا لهم على الحب في الله، والبغض فيه؛ لأنه من أدق أبواب الدين فهما، واجلها قدر، وعليه تبنتي غالب ابوابه، ومنه جبتني أكثر شراته وأدابه، وذلك أنه ربما ظن الناظر فيمن بسطت عليه الدنيا أنه من الناجين، فيؤاذه لحسن قوله غافلا عن سوء فعله. البقاعي: ٣٧١/٣.

السؤال: كيف نضيد من هذه الآية في تطبيق الولاء والبراء في الله؟

أَسْتَغْفِرُ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥٥﴾ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلْفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٥٦﴾ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكِوْا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٧﴾ إِنْ تَجْعَلِ اللَّهُ لِلْطَّائِفَةِ مِنْهُمْ شَأْنًا فَإِنَّمَا يَسْتَفْزِزُوكَ بِالْحِرَاجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْفُجُورِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا تَصِلْ عَلَى أَمْرٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَرْبَةٍ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَا تَأْتُوا مِنْهُمْ فَيُكْفَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَلَا تَجْعَلْ أَمْوَالَهُمْ لِزِينَةِ أَنْفُسِهِمْ أَنْ يَخْلُتْ أُولَئِكَ بِمَا عَدَتْهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَرِهُوا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذِنَكَ أُولُوا الطُّلُوفِ مِنْهُمْ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا تَأْخُذُكُمْ بِالْحَرْبِ وَأَنْتُمْ خَالِفُونَ ﴿٦١﴾

## معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
بِمَقْعَدِهِمْ	بِقُعُودِهِمْ.
خِلَافَ	مُخَالِفِينَ.
الْخَالِفِينَ	الْمُتَخَلِّفِينَ عَنِ الْجِهَادِ.
أُولُو الطُّلُوفِ	أَصْحَابُ الْفَنَى وَالسُّعْيَةِ.

## العمل بالآيات

١. قارن بين عدد ضحكائك وبكائك من خشية الله خلال الشهر الماضي، ﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكِوْا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾.
٢. حافظ على صلاة الجماعة في شدة الحر، وشدة البرد ولا تتخلف عنها، ﴿ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾.
٣. اذ عملا تجاهد فيه نفسك، وتضحى براحتك ونشاطك؛ كصيام يوم شديد الحر، أو الخروج في حاجة مسكين أو مضطر، لعل الله أن يفرج كربك، ﴿ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾.

## التوجيهات

١. من علامات مرض القلب: كراهية الطاعات والعبادات، ﴿ قَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلْفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾.
٢. النهي عن الإعجاب بأحوال الكافرين المادية، ﴿ وَلَا تَجْعَلْ أَمْوَالَهُمْ لِزِينَةِ أَنْفُسِهِمْ أَنْ يَخْلُتْ أُولَئِكَ بِمَا عَدَتْهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَرِهُوا ﴾.
٣. كثرة الاستئذان عن العبادة بدون عذر صادق وحقيقي أمر مذموم، ﴿ وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذِنَكَ أُولُوا الطُّلُوفِ مِنْهُمْ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا تَأْخُذُكُمْ بِالْحَرْبِ وَأَنْتُمْ خَالِفُونَ ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ ﴾

فإذا وقع الحرب؛ كانوا أجبن الناس، وإذا كان أمن؛ كانوا أكثر الناس كلاماً. ابن كثير: ٣١٣/٢

السؤال: ما الفرق بين المؤمن والمنافق في حالتي السلم والحرب؟

﴿ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾  
قوله تعالى: (إذا نصحوا لله ورسوله) أي: اخلصوا لله ورسوله قصدهم وحبهم. ابن تيمية: ٤٣٧/٣.

السؤال: ما المراد بـ(نصحوهم) والله ورسوله) في الآية الكريمة؟

﴿ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ ﴾  
وَاللَّهُ عَفْوٌ رَحِيمٌ

(إذا نصحوا لله) يعني: بنياتهم وأقوالهم، وإن لم يخرجوا للفرز، (ما على المحسنين من سبيل)؛ وصفهم بالمحسنين لأنهم نصحوا لله ورسوله، ورفع عنهم العقوبة، والتعنيف، واللوم. ابن جزي: ٣٦٧/١.

السؤال: ما وجه وصف الضعفاء والمرضى والفقراء بالإحسان، مع أنهم لم يجاهدوا، ولم يتصدقوا؟

﴿ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ عَفْوٌ رَحِيمٌ ﴾  
(والله غفور رحيم) إشارة إلى أن الإنسان محل التقصير والعجز وإن اجتهد، فلا يسعه إلا العفو. البقاعي: ٣٧٤/٣.

السؤال: ما الحكمة في ختم الآية باسمي (الفوز) والرحيم، مع أنها تتكلم عن المحسنين؟

﴿ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيِبُهُمْ قَبِضَ مِنَ الذَّمِّ حَرَجًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يَنْفِقُونَ ﴾  
فهؤلاء لا حرج عليهم، وإذا سقط الحرج عنهم عاد الأمر إلى أصله، وهو:

أن من نوى الخير، واقترب بنيتة الجازمة، سعي فيما يقدر عليه، ثم لم يقدر؛ فإنه يُنْزَلُ منزلة الفاعل التام. السعدي: ٣٤٨.

السؤال: ما أهمية النية الصادقة؟ أجب من خلال هذه الآية.

﴿ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيِبُهُمْ قَبِضَ مِنَ الذَّمِّ حَرَجًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يَنْفِقُونَ ﴾  
وهم سبعة نفر سماوا بالبكتين ... أتوا رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله،

إن الله قد ندبنا إلى الخروج معك؛ فاحملنا ... فاجابهم النبي ﷺ كما أخبر الله عنه في قوله تعالى: (قلت لا أجد ما أحملكم عليه) تولوا وهم ييكون. البيهقي: ٣١٥/٢.

السؤال: رأينا في زماننا من يبكي لخسارة فريق رياضي أو شهوة نفسية أو منفعة دنيوية، ما الذي أبكى الصحابة رضي الله عنهم؟

﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَبْذِرُونَ تَوَلَّوْا وَأَعْيِبُهُمْ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

(فهم لا يعلمون) أي: لا علم لهم؛ فلذلك جهلوا ما في الجهاد من منافع الدارين لهم، فلذلك رضوا بما لا يرضى به عاقل، وهو أبلغ من نفي الفقه في الأولى. البقاعي: ٣٧٥/٣.

السؤال: ما الحكمة في ختم الآية بوصف المتخلفين عن الجهاد بعدم العلم، ووصفهم قبل ذلك بعدم الفقه؟

رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١﴾ لَكِنِ الرُّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٣﴾ وَجَاءَ الْمُعَذِّبُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا أَمْنُهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ عَفْوٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيِبُهُمْ قَبِضَ مِنَ الذَّمِّ حَرَجًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يَنْفِقُونَ ﴿٦﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَبْذِرُونَ تَوَلَّوْا وَأَعْيِبُهُمْ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
الْمُعَذِّبُونَ	الْمُعَذِّبُونَ.
نَصَحُوا لِلَّهِ	أَخْلَصُوا لِلَّهِ، وَلَمْ يَنْتَبِطُوا، وَعَلِمَ اللَّهُ مِنْ قُلُوبِهِمْ أَنَّهُمْ تَوَلَّوْا الْعُدَّ لِحَاذِهِمْ.

## ● العمل بالآيات

١. قل في دعائك: «اللهم يا مقبب القلوب ثبت قلبي على دينك، اللهم أصلح لي قلبي» ﴿ وَطَبَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.
٢. اقرأ كتاباً، أو استمع إلى مقطع صوتي يرفع همتك للطاعة وعمل الخير؛ ككتب السنة النبوية وتراجم الأعلام؛ فالرضا بالدون والمعصية من شأن المنافقين، لا من صفات المؤمنين، ﴿ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.
٣. بعض الأعمال التي تصلح القلب وتحببه؛ كزيارة المقابر، ومساعدة محتاج أو مسكين، ونحوها، ﴿ وَطَبَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.

## ● التوجيهات

١. المال الذي بين يديك إنما هو لاختيارك، فانفضحه حيث يحب الله ورسوله، ولو كان ذلك مكروهاً لنفسك، ﴿ لَكِنِ الرُّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾.
٢. الصحابة بكوا لفوات الطاعة، مع أنهم معذبون بنص القرآن، فهل بيكت يوماً على فوات طاعة؟ ﴿ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيِبُهُمْ قَبِضَ مِنَ الذَّمِّ حَرَجًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يَنْفِقُونَ ﴾.
٣. لا تعتذر وانت كاذب أو مخادع؛ فإن الله تعالى يعلم السر وأخفى، ﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَبْذِرُونَ تَوَلَّوْا وَأَعْيِبُهُمْ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.

عليهم أن يجلسوا عن الجهاد، ولا يجدون نفقة ولا تحملاً، فلما رأى الله جزؤهم على محبته وعبة رسوله أنزل عذرهم في كتابه، فقال: ﴿لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَهُمْ لَا يَتَلَمَّذُونَ﴾.

وقال ابن إسحاق: إن رجالاً من المسلمين أتوا رسول الله ﷺ، وهم البكَّاءون، وهم سبعة نفر من الأنصار وغيرهم، من بني عمرو ابن عوف: سالم بن غَيْر، وعُلبَةُ بنُ زَيْدٍ أخو بني حارثة، وأبو ليل عبد الرحمن بن كعب، أخو بني مازن بن النُّجَّار، وعمرو بن الحُثَّام ابن الجموح أخو بني سلمة، وعبد الله بن الْمُغَلَّل المزني، وهَرَمِيُّ بن عبد الله، أخو بني واقف، وعِزْبَاض بن سارية الفزاري، فاستحملوا رسول الله ﷺ، وكانوا أهل حاجة، فقال: «لا أجد ما أحكمكم عليه» فتولَّوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون.

وعن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد خلَّفتُم بالمدينة أقواماً، ما أنفقتم من نفقة ولا قطعتم وادياً، ولا يُلْتَمَسُ من عدو نيل إلا وقد شَرَّكوكم في الأجر»، ثم قرأ: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَحِمْهُمْ أَحْمِلْكُمْ عَلَيْهِ﴾ الآية. وأصل الحديث في الصحيحين: أن رسول الله ﷺ قال: «إن بالمدينة أقواماً ما قطعتم وادياً، ولا يبرتم مسيراً إلا وهم معكم». قالوا: وهم بالمدينة؟ قال: «نعم، حبسهم العذر». وعن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد خلَّفتُم بالمدينة رجالاً، ما قطعتم وادياً، ولا سلكتُم طريقاً إلا شَرَّكوكم في الأجر، حبسهم المرض» [رواه مسلم].

﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَقْدُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾ ردَّ تعالى الملامة على الذين يستأذنون في القعود وهم أغنياء، وأنهم في رضاهم بأن يكونوا مع النساء الخوالف في الرجال، ﴿وَطَلَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

الآية (٨٧): ﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَلَغَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ أي: بسبب نُكُوبِهِم عن الجهاد والخروج مع الرسول ﷺ في سبيل الله، ﴿فَهُمْ لَا يَتَقَفُّونَ﴾ أي: لا يفهمون ما فيه صلاح لهم فيفعلوه، ولا ما فيه مضرة لهم فيجتنبوه.

الآية (٨٨-٨٩): لَمَّا ذَكَرَ تعالى ذَمَّ المنافقين، بَيْنَ ثناء المؤمنين، وما لهم في آخرتهم، فقال: ﴿لَنِكَيكَ الْرُسُلَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَهْدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾ إلى آخر الآيتين من بيان حالهم ومآلهم. ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ﴾ أي: في الدار الآخرة، في جنات الفردوس والدرجات العللى. ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٨٩) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٩٠).

الآية (٩٠): ثم بَيَّنَّ تعالى حال ذوي الأعدار في ترك الجهاد، الذين جاءوا رسول الله ﷺ يعتذرون إليه، ويبشرون له ما هم فيه من الضعف، وعدم القدرة على الخروج، وهم من أحياء العرب ممن حول المدينة: ﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُذَكِّرَ لَهُمْ﴾، عن ابن عباس أنه كان يقرأ: «وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ» بالتحفيف، ويقول: هم أهل العذر. وهذا القول هو الأظهر في معنى الآية؛ لأنه قال بعد هذا: ﴿وَقَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ كَذَّبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أي: لم يأتوا فيعتذروا. قال مجاهد وغيره: ﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ قال: نفر من بني غفَّار، جاءوا فاعتذروا فلم يعيذهم الله. والقول الأول أظهر والله أعلم، لَمَّا قَدَّمْنَا من قوله بعده: ﴿وَقَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ كَذَّبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أي: وقعد آخرون من الأعراب عن المجيء للاعتذار، ثم أَوْعَدَهُم بالمذاب الأليم، فقال: ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

الآية (٩١-٩٣): ثم بَيَّنَّ تعالى الأعدار التي لا حَرَجَ على من قعد معها عن القتال: ﴿لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ فذَكَرَ منها ما هو لازم للشخص لا ينفك عنه، وهو الضعف والعجز في التركيب الذي لا يستطيع معه الجَلَاد في الجهاد، ومنه العمى والعجز ونحوهما، ولهذا بَدَأَ به. ومنها ما هو عارض بسبب مرض عَنَّ له في بدنه، شَغَلَهُ عن الخروج في سبيل الله، أو بسبب فقره لا يقدر على التَّجَهُّزِ للحرب، فليس على هؤلاء حَرَجَ إذا قعدوا ونصحوا في حال قعودهم، ولم يُزَجِّهُوا بالناس ولم يُبْطِلُوهم، وهم مُحْسِنُونَ في حالهم هذا؛ ولهذا قال: ﴿مَاعَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ عَفُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَحِمْهُمْ أَحْمِلْكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيَتُهُمْ فَبِئْسَ الَّذِي كَرَّكَ لَا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ [سبب النزول]: قال ابن عباس في هذه الآية: وذلك أن رسول الله ﷺ أمر الناس أن يبيعنوا غازين معه، فجاءته عصابة من أصحابه فيهم عبد الله بن مُغَلَّل المزني، فقالوا: يا رسول الله، احملنا. فقال لهم: «والله لا أجد ما أحكمكم عليه». فتولَّوا وهم بكاء، وعَزَّ

وقوله: ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَخَذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَىٰ عِنْدَ اللَّهِ وَسَلَوَاتِ الرَّسُولِ﴾: هذا هو القسم المدح من الأعراب؛ وهم الذين يتخذون ما ينفقون في سبيل الله قربة يتقربون بها عند الله، ويتفنون بذلك دعاء الرسول لهم، ﴿أَلَا إِنَّمَا قُرْبَةٌ لَهُمْ﴾ أي: إلا إن ذلك حاصل لهم، ﴿سَيَدِّخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

الآية (٩٤-٩٦): ﴿بَعْدُ رُؤُوسَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ أخبر تعالى عن المنافقين بأنهم إذا رجعوا إلى المدينة أنهم يعتذرون إليهم ﴿ثَلَّ لَا تَمْتَدُّوا لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ﴾ أي: لن نصدقكم ﴿قَدْ بَيَّنَّا اللَّهُ مِنْ أَنْبَارِكُمْ﴾ أي: قد أعلمنا الله أحوالكم ﴿وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾ أي: سيظهر أفعالكم للناس في الدنيا، ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِّيِّ الْعَلِيِّ وَالشَّهَادَةِ فَيُنْشِئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: فيخبركم بأعمالكم، خيرها وشرها، ويميزكم عليها.

﴿سَيَلْفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ أخبر عنهم أنهم سيحلِفون معتدين ﴿لِيُعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ فلا تؤثبهم ﴿فَاعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ احتقاراً لهم، ﴿وَأَنَّهُمْ رِجْسٌ﴾ أي: خُبثاء نجس بواطنهم واعتقاداتهم، ﴿وَمَا وَهَنٌ﴾ في آخرتهم ﴿جَهَنَّمَ جَزَاءُ يَمَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ أي: من الآثام والخطايا.

﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِيَرْضَوْا عَنْهُمْ فَلِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ﴾ أخبر أنهم وإن رضوا عنهم بحلفهم لهم ﴿فَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ أي: الخارجين عن طاعته وطاعة رسوله.

الآية (٩٧-٩٩): ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدَّ كُفْرًا وَفَسَاقًا﴾ أخبر تعالى أن في الأعراب كفاراً ومنافقين ومؤمنين، وأن كفرهم ونفاقهم أعظم من غيرهم وأشد، ﴿وَأَجْدَرُ﴾ أي: أخرى ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله؛ كما قال الأعمش عن إبراهيم قال: جلس أعرابي إلى زيد بن صوحان وهو يحدث أصحابه، وكانت يده قد أصيبت يوم نهاؤند، فقال الأعرابي: والله إن حديثك ليمعجني، وإن يدك لتريني! فقال زيد: ما يريبك من يدي؟ إنها الشال. فقال الأعرابي: والله ما أدري، اليمين يقطعون أو الشال؟ فقال زيد بن صوحان: صدق الله: ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدَّ كُفْرًا وَفَسَاقًا وَأَجْدَرُ أَنْ لَا تَقُولُوا لَهُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ﴾. ولما كانت الغلظة والجفاء في أهل البوادي لم يبعث الله منهم رسولاً، وإنما كانت البعثة من أهل القرى، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ﴾ [يوسف: ١٠٩]، وعن عائشة قالت: قديم ناس من الأعراب على رسول الله ﷺ فقالوا: اتقبلون صبيانكم؟ قالوا: نعم. قالوا: ولكننا والله ما نقبل. فقال رسول الله ﷺ: ﴿وَأَمْلِكُ أَنْ كَانَ اللَّهُ نَزَعَ مِنْكُمْ الرَّحْمَةَ؟﴾ [متفق عليه].

وقوله: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ أي: عليم بمن يستحق أن يعلمه الإيمان والعلم، ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما قَسَمَ بين عباده من العلم والجهل، والإيمان والكفر والنفاق، لا يُسأل عما يفعل، لعلمه وحكمته.

﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ﴾ أخبر تعالى أن منهم ﴿مَنْ يَخَذُ مَا يُنْفِقُ﴾ أي: في سبيل الله ﴿مَغْرَمًا﴾ أي: غرامة وخسارة ﴿وَيَذَرُكُمْ بِكُمْ الذَّوَابِرَ﴾ أي: ينتظر بكم الحوادث والآفات، ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ أي: هي منعكسة عليهم والسوء دائر عليهم، ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ أي: سميع لدعاء عباده، عليم بمن يستحق النصر ممن يستحق الخذلان.



## ● الوقفات التدريبية

❶ ﴿ وَسِرِّيَ اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ﴾

لأن العمل ميزان الصدق من الكذب، وأما مجرد الأقوال فلا دلالة فيها على شيء من ذلك السعدي: ٣٤٨.

السؤال: ما الميزان الذي تختبر فيه صدقك من كذبك تجاه الدين؟

❷ ﴿ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾

فرضانا عن القوم الفاسقين ليس مما يحبه الله ويرضاه؛ وهو لا يرضى عنهم. ابن تيمية: ٤٣٨/٣.

السؤال: هل الرضى عن فسق القوم الفاسقين جائز؟ وهل ينفعهم ذلك شيئاً؟

❸ ﴿ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ﴾

وذلك لبعدهم عن سماع القرآن، ومعرفة السنن. البيهقي: ٣١٧/٢.

السؤال: ما الأثر الذي يحدث لمن ابتعد عن مواطن العلم والعلماء؟

❹ ﴿ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ﴾

وفي هذه الآية دليل على ... فضيلة العلم، وأن فاقده أقرب إلى الشر ممن يعرفه، لأن الله ذم الأعراب، وأخبر أنهم أشد كُفْرًا ونِفَاقًا، وذكر السبب الموجب لذلك، وأنهم أجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله. السعدي: ٣٤٩.

السؤال: كيف تدل هذه الآية على فضيلة العلم والعلماء؟

❺ ﴿ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُّ بِكُودِ الدَّوَابِّ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

(ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرمًا أي: تثقل عليهم الزكاة والنفقة في سبيل الله ثقل المغرم الذي ليس بحق عليه. (ويتربص بكم الدوائر أي: ينتظر بكم مصائب الدنيا. (عليهم دائرة السوء): خبر، أو دعاء ابن جزي: ٣٦٨/١.

السؤال: ما رأيك في من يدعي الإسلام، ويفرح بما يصيب المسلمين من أذى؟

❻ ﴿ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا ﴾

في الآية دليل على ... أنه ينبغي للمؤمن أن يؤدي ما عليه من الحقوق منشرح الصدر، مطمئن النفس، ويحرص أن تكون مغنماً، ولا تكون مغرمًا. السعدي: ٣٤٩.

السؤال: ما الحال التي يجب أن يكون عليها المسلم حال تأديته الواجبات التي عليه؟

❼ ﴿ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتَتَخِذُ مَا يُنْفِقُ كُرْهًا عِنْدَ اللَّهِ وَكَرْهًا أَنْتَ تُسَمِّئُهَا ﴾

(وصلوات الرسول) أي: وسبباً لدعائه عليه الصلاة والسلام؛ فإنه كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة، ويستغفر لهم؛ ولذلك يُسَمِّئُ للمتصدق عليه أن يدعو للمتصدق عند أخذ صدقته. الألوسي: ١١/١١.

السؤال: ماذا يستحب المتصدق عليه عند أخذ الصدقة؟

يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنُؤْمِنَ بِكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَرَىٰ اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ يُعْزِزُكُمْ إِلَىٰ عِلِيِّ الْقَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَزِّلُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَنُغَرِّبَنَّ عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجِسٌ وَمَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٦﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لَنَرْضَوَنَّ عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿١٧﴾ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُّ بِكُمْ الدَّوَابِّ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٩﴾ وَالْأَعْرَابُ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتَتَخِذُ مَا يُنْفِقُ كُرْهًا عِنْدَ اللَّهِ وَكَرْهًا أَنْتَ تُسَمِّئُهَا سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
لَنُؤْمِنَ بِكُمْ	لَنُؤْمِنَ بِكُمْ
وَأَجْدَرُ	أَحَقُّ، وَأَحْزَرُ.
مَغْرَمًا	غَرَامَةً، وَخَسَارَةً.
وَيَتَرَبَّصُّ	يَنْتَظِرُ.
الدَّوَابِّ	الْحَوَادِثُ وَالْأَفَاتِ.
عليهم دائرة السوء	دُعَاءٌ بِالشَّرِّ وَالْعَذَابِ يُدَوَّرُ عَلَيْهِمْ.

## ● العمل بالآيات

١. اعمل اليوم حسنة بالسر، لا يطلع عليها أحد إلا الله تعالى، ﴿ وَسِرِّيَ اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ﴾.
٢. أكثر في صلاتك اليوم من قول: (رب زدني علماً)، ﴿ وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ﴾.
٣. تصلّق اليوم وانت مستشعر أن الصدقة تقربك من الله تعالى، ﴿ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتَتَخِذُ مَا يُنْفِقُ كُرْهًا عِنْدَ اللَّهِ ﴾.

## ● التوجيهات

١. استشعار الرقابة سبب لإصلاح العمل، ﴿ وَسِرِّيَ اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تَرْدُونَ إِلَىٰ عِلِيِّ الْقَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَزِّلُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾.
٢. رضا الله تعالى مقدم على رضا الناس، ومن رضي الله عنه أرضى عنه الصالحين من خلقه، ﴿ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لَنَرْضَوَنَّ عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾.
٣. القرب من العلماء والدعاة سبب للبعد عن الجهل، ﴿ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿وَالسَّيِّئُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَمَّا كَمُ جَنَّتْ جَنَّتْ تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَلِيلِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْقَوْرُ الْعَظِيمُ﴾

السبق إلى الهجرة طاعة عظيمة، من حيث إن الهجرة فعل شاق على النفس، ومخالف للطبع، فمن أقدم عليه أولاً صار قدوة لغيره في هذه الطاعة. القاسمي: ١٩١/٤.

السؤال: لم علق الله - تعالى - الفضل والأجر الكبير لمن سبق للهجرة والنصرة؟  
﴿وَالسَّيِّئُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾

فرضي عن السابقين من غير اشتراط إحسان، ولم يرض عن التابعين إلا أن يتبعوهم بإحسان... والرضى من الله صفة قديمة فلا يرضى إلا عن عبد علم أنه يوافقه على موجبات الرضى، ومن رضى الله عنه لم يسخط عليه أبداً. ابن تيمية: ٤٠٣/٤.

السؤال: بين فضل الصحابة من خلال الآية الكريمة.

﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُتَّبِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى الْإِنْفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ سَعْدٌ مَّرَدُّهُمْ مَرَدُّكُمْ ثُمَّ يَرْدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾  
ولعل تكرير عذابهم لما فيهم من الكفر المشفوع بالإنفاق. القاسمي: ١٩٣/٤.

السؤال: ما وجه تكرار العذاب في قوله: (سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم)؟

﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُتَّبِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى الْإِنْفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ سَعْدٌ مَّرَدُّهُمْ مَرَدُّكُمْ ثُمَّ يَرْدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾

فهذه الآية دلت على أن المخلط المعترف بالندم، الذي لم يتب توبة نصوحاً، أنه تحت الخوف والرجاء، وهو إلى السلامة أقرب، وأما المخلط الذي لم يعترف ويندم على ما مضى منه، بل لا يزال مصراً على الذنوب؛ فإنه يخاف عليه أشد الخوف. السعدي: ٣٥٠.

السؤال: الذين خلطوا بين عمل صالح وآخر سيء هم على قسمين، ما هما؟

﴿حُذِرْنَ أَمْوَالَهُمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلَّى عَلَيْهِمْ﴾  
(خذ من أموالهم صدقة تطهرهم) بها من ذنوبهم، (وتزكّيهم بها) أي: ترفعهم من منازل المنافقين إلى منازل المخلصين. البقوي: ٣٢٢/٢.

السؤال: اذكر شيئاً من بركات الصدقة على المؤمن.

﴿حُذِرْنَ أَمْوَالَهُمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلَّى عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾  
استحباب الدعاء من الإمام أو نائبه لمن أدى زكاته بالبركة، وأن ذلك ينبغي أن يكون جهراً بحيث يسمعه المتصدق فيسكن له، ويؤخذ من المعنى: أنه ينبغي إدخال السرور على المؤمن بالكلام اللين، والدعاء له، ونحو ذلك مما يكون فيه طمأنينة وسكون لقلبه. وأنه ينبغي تشييط من انفق نفقة وعمل عملاً صالحاً بالدعاء له والثناء، ونحو ذلك. السعدي: ٣٥١.

السؤال: ما فائدة دعاء من يقبض الصدقة لأخيه المتصدق؟  
﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا بِمَا يَأْمُرُ اللَّهُ وَعَدُوكُمْ وَأَلْمُؤْمِنُونَ وَسَرُّدُوكُمْ إِلَى عِلِّيِّ الْقَلْبِ وَالْأَنْبِيَاءِ فَيُشْكِرْكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

أمروا بالعمل عقب الإعلام بقبول توبتهم؛ لأنهم لما قبلت توبتهم كان حقاً عليهم أن يدلوا على صدق توبتهم، وفرط رغبته في الارتقاء إلى مراتب الكمال؛ حتى يلحقوا بالذين سبقوهم، فهذا هو المقصود. ابن عاشور: ٢٥/١١.

السؤال: لماذا أمر المؤمنون بالعمل عقب الإخبار عن قبول توبتهم؟

وَالسَّيِّئُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَمَّا كَمُ جَنَّتْ جَنَّتْ تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَلِيلِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْقَوْرُ الْعَظِيمُ ﴿٥٥﴾ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُتَّبِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى الْإِنْفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ سَعْدٌ مَّرَدُّهُمْ مَرَدُّكُمْ ثُمَّ يَرْدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿٥٦﴾ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ أَنُوبُوا وَلَئِن عَفَوْا فَحَسْبُهُمْ ﴿٥٧﴾ حُذِرْنَ أَمْوَالَهُمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلَّى عَلَيْهِمْ إِنْ صَلَّوْا فَسَلَامٌ إِنْ لَمْ يَصَلُّوا فَكَانَ لَهُمْ فِي ذَلِكَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥٨﴾ اللَّهُ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْقَوَّامُ الرَّحِيمُ ﴿٥٩﴾ وَقُلْ أَعْمَلُوا بِمَا يَأْمُرُ اللَّهُ وَعَدُوكُمْ وَأَلْمُؤْمِنُونَ وَسَرُّدُوكُمْ إِلَى عِلِّيِّ الْقَلْبِ وَالْأَنْبِيَاءِ فَيُشْكِرْكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَآخَرُونَ مَرْجُونَ لَئِن مَّا عُدُّوا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦١﴾ وَآخَرُونَ مَرْجُونَ لَئِن مَّا عُدُّوا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
مَرَدُوا	لَجُّوا فِيهِ، وَاسْتَمَرُّوا عَلَيْهِ، وَدَرَبُوا.
وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا	تُرْفَعُهُمْ بِهَا عَنْ مَنَازِلِ الْمُنَافِقِينَ.
وَصَلَّى عَلَيْهِمْ	ادْعُ لَهُمْ بِالْمَغْفِرَةِ.
سَكَنٌ لَهُمْ	رَحْمَةٌ، وَطَمَئِينَةٌ لَهُمْ.
مَرْجُونَ	مَوْخَرُونَ.

## ● العمل بالآيات

١. اسبق اليوم إلى عمل خير وبر وطاعة، أو مشروع دعوي وخيري؛ لعلك تكتب عند الله تعالى من السابقين. ﴿وَالسَّيِّئُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾.
٢. أرسل رسالة تترضى فيها عن أصحاب رسول الله ﷺ وتنتشر ماثرهم، وترد على من آذاهم وتعرض لهم، ﴿وَالسَّيِّئُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾.
٣. تصدق بصدقة ترجو بها طهارة قلبك وتزكيتك؛ لعل الله يحقق رجاءك بها، ﴿حُذِرْنَ أَمْوَالَهُمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾.

## ● التوجيهات

١. من منهج أهل السنة والجماعة اتباع الصحابة والتابعين، وجعلهم قدوة؛ وهو سبب لنيل رضوان الله عز وجل، ﴿وَالسَّيِّئُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾.
٢. رضي الله عن الصحابة، فمن رضي عنهم فهو القريب من الله، ومن سخط عليهم فهو البعيد من الله سبحانه، ﴿وَالسَّيِّئُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾.
٣. ما يخفيه الإنسان هو الباعث له على أعماله الطاهرة، ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى الْإِنْفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ سَعْدٌ مَّرَدُّهُمْ مَرَدُّكُمْ ثُمَّ يَرْدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾.

الآية (١٠٠): يخبر تعالى عن رضاه عن السابقين من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان، ورضاهم عنه بما أعد لهم من جنات النعيم، والنعيم المقيم. قال الشعبي: «وَالْتَسْتَفُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهِجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ» من أترك بيعة الرضوان عام الحديبية. وقال أبو موسى الأشعري والحسن وقادة: هم الذين صلّوا إلى القبلتين مع رسول الله ﷺ. «وَالَّذِينَ تَبِعُوهُمْ يَلْحَسَنُ رِضَى اللَّهِ عَنْهُمْ وَرِضَاؤُهُ عَنْهُ» أخبر الله العظيم أنه قد رضي عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، فيا ويل من أبغضهم أو سبهم أو أبغض أو سب بعضهم، ولا سيما سيد الصحابة بعد الرسول وخيرهم وأفضلهم؛ أعني الصديق الأكبر والخليفة الأعظم أبي بكر بن أبي قحافة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فإن الطائفة المخذولة من الرافضة يُعادون أفضل الصحابة ويُبغضونهم وسبّونهم، عياداً بالله من ذلك. وهذا يدل على أن عقولهم معكوسة، وقلوبهم منكوسة؛ فأين هؤلاء من الإيمان بالقرآن؟ إذ يسبون من رضي الله عنهم؟! وأما أهل السنة فإنهم يترضون عن رضي الله عنهم، ويسبون من سبّه الله ورسوله، ويوالون من يوالي الله، ويعادون من يعادي الله، وهم مُتَّبِعُونَ لِمُتَّبِعِينَ، ويقتنون ولا يتدنون، ولهذا هم حزب الله المفلحون وعبيده المؤمنين.

الآية (١٠١): يخبر تعالى رسوله ﷺ أن في أحياء العرب ممن حول المدينة منافقين وفي أهل المدينة أيضاً منافقون، «مَرَدُّوْا عَلَى الْإِنْفَاقِ» أي: مَرُّوْا واستمرّوا عليه، ومنه يقال: شيطان مرید ومراد، ويقال: مُرَّدُ فلان على الله؛ أي: عَنَّا وَتَجَبَّرَ: «لَا تَمْلِكُ لَهُمْ رَحْمَتُهُمْ» لا ينافي قوله تعالى: «وَلَوْ كُنَّا لَأَكْرَهْتُمْ فَلَمَّ كُنْهَمْ بِسَمْتِهِمْ وَلَمَّوْهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ» [عند: ٣٠٠] لأن هذا من باب التوسّم فيهم بصفات يُعرفون بها، لا أنه يعرف جميع من عنده من أهل النفاق والريب على التعيين. وقد كان يعلم أن في بعض من يُخالطه من أهل المدينة نفاقاً، وإن كان يراه صابحاً ومساءً. وقال مجاهد في قوله: «سَعَتُهُمْ مَرَّتَيْنِ» يعني: القتل والسبّاء، وقال -في رواية-: بالجوع وعذاب القبر، «ثُمَّ يَرُدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ». وقال ابن جرير: عذاب الدنيا، وعذاب القبر، ثم يُردّون إلى عذاب النار.

الآية (١٠٢): لَمَّا بَيَّنَّ تعالى حال المنافقين الْمُتَخَفِّفِينَ عن الْقِرَاة رغبة عنها وتكديباً وشكاً، شرّع في بيان حال المذنبين الذين تأخروا عن الجهاد كسلاً وميلاً إلى الراحة، مع إيمانهم وتصديقهم بالحق، فقال: «وَالْآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ» أي: أقرّوا بها واعترفوا فيما بينهم وبين ربّهم، ولم أعمال آخر صالحة، خلطوا هذه بتلك، فهؤلاء تحت عفو الله وغفرانه. وهذه الآية -وإن كانت نزلت في أناس معينين- إلا أنها عامة في كل المذنبين الخاطئين المخلطين المتلوّثين.

[سبب النزول]: قال ابن عباس: نزلت في أبي لبابة وجاعة من أصحابه؛ تخلّفوا عن غزوة تبوك، فقال بعضهم: أبو لبابة وخسة معه، وقيل: وسبعة معه، وقيل: وتسعة معه، فلما رجع النبي ﷺ من غزوته ربطوا أنفسهم بسواري المسجد، وحلفوا لا يلجمهم إلا رسول الله ﷺ، فلما أنزل الله هذه الآية: «وَالْآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ» أطلقهم النبي ﷺ وعفا عنهم؛ عن سمرة بن جندب قال: قال رسول الله ﷺ لنا: «أَتَانِي اللَّيْلَةُ أَتْيَانٌ، فَاثْبَعَانِي فَاتَّهِنَّا إِلَى مَدِينَةٍ مَبْنِيَةٍ بِلَيْنٍ ذَهَبَ وَلَبِنُ فَضْةٍ، فَتَلَقَانَا رِجَالٌ شَطَرٌ مِنْ خَلْقِهِمْ كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَاءَ، وَشَطَرٌ كَأَقْبَحِ مَا

أَنْتَ رَاءَ، قَالَ لَهُمْ: اذْهَبُوا فَقَعُوا فِي ذَلِكَ النَّهْرِ. فَوَقَعُوا فِيهِ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَيْنَا قَدْ ذَهَبَ ذَلِكَ السُّوءُ عَنْهُمْ، فَصَارُوا فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، قَالَ لِي: هَذِهِ جَنَّةُ عَدْنٍ، وَهَذَا مَنْزِلُكَ. قَالَ أَمَّا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَانُوا شَطَرٌ مِنْهُمْ حَسَنٌ وَشَطَرٌ مِنْهُمْ قَبِيحٌ، فَإِنَّهُمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا، فَتَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُمْ» [رواه البخاري].

الآية (١٠٣-١٠٤): أَمَرَ الله تعالى رسوله ﷺ بأن يأخذَ «مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً» يطهرهم ويزكّيهم بها، وهذا عامٌّ، وإن أعاد بعضهم الضمير في «أَمْوَالِهِمْ» إلى الذين اعترفوا بذنوبهم وخلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً؛ ولهذا اعتقد بعض مانعي الزكاة من أحياء العرب أن دفع الزكاة إلى الإمام لا يكون، وإنما كان هذا خاصاً بالرسول ﷺ؛ ولهذا احتجوا بقوله تعالى: «خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً» الآية، وقد ردّ عليهم هذا التأويل والفهم الفاسد الصديق أبو بكر وسائر الصحابة، وقَاتَلُوهُمْ حتى أدّوا الزكاة إلى الخليفة كما كانوا يؤدّونها إلى رسول الله ﷺ، حتى قال الصديق: والله لو منعوني عقلاً -وفي رواية: عناقاً- كانوا يؤدّونه إلى رسول الله ﷺ لأقاتلتهم على منعيه [متفق عليه].

وقوله: «وَصَلِّ عَلَيْهِمْ» أي: ادعُ لهم واستغفر لهم، عن عبد الله ابن أبي أوفى قال: كان رسول الله ﷺ إذا أتى بصدقة قوم صلّى عليهم، فاتاه أبي بصدقته فقال: «اللهم صلّ على آل أبي أوفى» [متفق عليه].

وقوله: «سَكَنَ لَهُمْ» قال ابن عباس: رحمة لهم. وقال قتادة: وقار. وقوله: «وَاللَّهُ سَمِيعٌ» أي: لدعائك، «عَلِيمٌ» أي: بمن يستحق ذلك منك ومن هو أهل له. وقوله: «الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ اللَّهَ وَهُدًى مِنَ الرَّسُولِ» الآية، «وَأَخَذُوا الصَّدَقَاتِ» هذا تيسير إلى التوبة والصدقة اللتين كل منها يخطئ الذنوب ويُمَحِّصُهَا ويمحّضها؛ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ الصَّدَقَةَ وَيَاخُذُهَا بِمِيزَانٍ يُرِيهَا لِأَحَدِكُمْ كَمَا يُرِي أَحَدَكُمْ مُهْرَةً، حَتَّى إِذَا لَقِمْتَ تَصِيرَ مِثْلَ أَخَذَ» [رواه الترمذي، وصححه الألباني].

الآية (١٠٥): قال مجاهد: وهذا وعيد من الله تعالى للمخالفين أوامرهم بأن أفعالهم ستعرض عليه تبارك وتعالى، وعلى الرسول ﷺ، وعلى المؤمنين. وهذا كائن لا محالة يوم القيامة؛ كما قال: «يَوْمَئِذٍ تُرْضَوْنَ لَا تَخَفُ وَنُكَرَافَةُ» [الحاقة: ١٨]. وقال البخاري: قالت عائشة: إذا أعجبك حسن عمل امرئ، فقل: «اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ، وَالْمُؤْمِنُونَ».

الآية (١٠٦): قال ابن عباس وغير واحد: هم الثلاثة الذين خَلَفُوا؛ أي: عن التوبة، وهم: مرارة بن الربيع، وكعب بن مالك، وهلال بن أمية؛ قعدوا عن غزوة تبوك في جملة من قعد كسلاً وميلاً إلى الدعة والحفظ وطيب الثار والظلال، لا شكاً ونفاقاً، فكانت منهم طائفة رَطَبُوا أنفسهم بالسواري -كما فعل أبو لبابة وأصحابه- وطائفة لم يفعلوا ذلك؛ وهم هؤلاء الثلاثة المذكورون، فَزَلَّتْ توبة أولئك قبل هؤلاء، وأرجى هؤلاء عن التوبة حتى نزلت الآية الآتية؛ وهي قوله: «لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهِجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ» الآية [التوبة: ١١٧]، «وَعَلَى الَّذِينَ تَابُوا إِذَا صَافَتْ عَنْهُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحِمَتْ» الآية [التوبة: ١١٨]. وقوله: «إِنَّمَا يَعِدُكُم بَلَاءٌ يُتَوَّبُ عَلَيْهِمْ» أي: هم تحت عفو الله، إن شاء فعل بهم هذا، وإن شاء فعل بهم ذلك، ولكن رحمته تغلب غضبه، «وَاللَّهُ عَلِيمٌ» بمن يستحق العقوبة بمن يستحق العفو، «عَلِيمٌ» في أفعاله وأقواله، لا إله إلا هو، ولا رب سواه.



الآية (١٠٧-١٠٨): [سبب النزول]: قال ابن عباس في قوله: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَآكًا﴾: وهم أناس من الأنصار، ابتنوا مسجدًا، قال لهم أبو عامر: ابنوا مسجدًا واستعدوا بما استطعتم من قوة ومن سلاح؛ فلما ذهب إلى قصر ملك الروم، فأتى بجند من الروم، وأخرج محمدًا وأصحابه. فلما فرغوا من مسجدهم أتوا النبي ﷺ فقالوا: قد فرغنا من بناء مسجدنا، فنُجِبْ أن نصلي فيه وتدعو لنا بالبركة. فأنزل الله عز وجل: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُيَسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ إلى: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾. وكذا روي عن سعيد بن جبيرة، ومجاهد وعروة بن الزبير وقتادة وغير واحد من العلماء.

وقوله: ﴿وَلَيَحْلِفْنَ﴾ أي: الذين بنوه: ﴿إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَ﴾ أي: ما أردنا ببنائه إلا خيرًا ورفقًا بالناس، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ أي: فيما قصدوا وفيما نواؤا، وإنما بنوه ﴿ضِرَآكًا﴾ لمسجد قباء، ﴿وَكُفْرًا﴾ بالله، ﴿وَتَقْرِيبًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَازَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ وهو أبو عامر الفاسق، الذي يقال له: «الراهب» لعنه الله. وقوله: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ نهي من الله لرسوله ﷺ، والأمة تبع له في ذلك، عن أن يقوم فيه؛ أي: يصلي فيه أبدًا.

ثم حث على الصلاة في مسجد قباء الذي أُسِّس من أول يوم بنائه على التقوى؛ وهي طاعة الله، وطاعة رسوله، وجمعا لكلمة المؤمنين ومعتقلا وموثلا للإسلام وأهله؛ ولهذا قال تعالى: ﴿لَمَسْجِدٍ أُيَسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾ والسياق إنما هو في معرض مسجد قباء؛ ولهذا جاء في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «الصلاة في مسجد قباء كعمرة» [رواه أحمد والترمذي، وصححه الألباني].

وفي الصحيح: أن رسول الله ﷺ كان يزور مسجد قباء راجيا وماشيا [متفق عليه]. وقد صرح بأنه مسجد قباء جماعة من السلف: ابن عباس، وعروة بن الزبير، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، والشعبي، والحسن البصري، وسعيد بن جبيرة، وقتادة.

وقد ورد في الحديث الصحيح: أن مسجد رسول الله ﷺ الذي هو في جوف المدينة هو المسجد الذي أسس على التقوى. وهذا صحيح، ولا ثغافاة بين الآية وبين هذا؛ لأنه إذا كان مسجد قباء قد أُسِّس على التقوى من أول يوم، فمسجد رسول الله ﷺ بطريق الأولى والأحرى. وقد قال بأنه مسجد النبي ﷺ جماعة من السلف والخلف، وهو مروي عن عمر بن الخطاب، وابنه عبد الله، وزيد بن ثابت، وسعيد بن المسيب، واختاره ابن جرير.

وقوله: ﴿لَمَسْجِدٍ أُيَسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ رِجَالٌ يُحْثِرُونَ أَنْ يَنْظُرُوا﴾ دليل على استحباب الصلاة في المساجد القديمة المؤسسة من أول بنائها على عبادة الله وحده لا شريك له، وعلى استحباب الصلاة مع جماعة الصالحين، والمُتَّبَادِ العاملين المحافظين على إسباغ الوضوء، والتزُّع عن مُلَابَسَةِ القاذورات.

وقال أبو العالية في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهِّرِينَ﴾: إن الطهور بالماء لِحَسَنٍ، ولكنهم المطهرون من الذنوب. وقال الأعمش: التوبة من الذنب، والتطهير من الشرك.

الآية (١٠٩-١١٠): يقول تعالى: لا يستوي من أَسَّسَ بنيانه على تقوى من الله ورضوان، ومن بنى مسجدًا ضِرَآكًا وكُفْرًا وتفريقًا بين المؤمنين، وإرصادًا لمن حارب الله ورسوله من قبل؛ فإنها بنى هؤلاء بنيانهم ﴿عَلَى شَفَا جُرُيٍّ هَارٍ﴾ أي: طرف حفيرة ﴿فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ أي: لا يصلح عمل المفسدين.

وقوله: ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَنُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيشَةً قَلْبِيهِمْ﴾ أي: شكًا ونفاقًا بسبب إقدامهم على هذا الصنيع الشنيع، أورثهم نفاقًا في قلوبهم؛ كما أُشْرِبَ عابِدو العجل حُبَّهُ. وقوله: ﴿إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: بموتهم. قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة وعبد الرحمن ابن زيد بن أسلم وغير واحد من علماء السلف. ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ أي: بأعمال خلقه، ﴿حَكِيمٌ﴾ في مجازاتهم عنها؛ من خير وشر.

الآية (١١١): يُخَبِّرُ تعالى أنه عَارِضُ عبادة المؤمنين عن أنفسهم وأموالهم إذ بذلوا في سبيله بالجنة، وهذا من فضله وكرمه وإحسانه؛ فإنه قَبِلَ العوض عما يملكه بما تفضَّل به على عباده المطيعين له؛ ولهذا قال الحسن البصري وقتادة: بابعهم والله فأعلى ثمنهم.

وقوله: ﴿يَقْتُلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْبَلُونَ وَيَقْتُلُونَ﴾ أي: سواء قُتِلُوا أو قُتِلُوا، أو اجتمع لهم هذا وهذا، فقد وَجِبَتْ لهم الجنة؛ ولهذا جاء: «وتكفل الله لمن خرج في سبيله، لا يُخْرِجُهُ إِلَّا جِهَادًا فِي سَبِيلِي وتصديق برُسُلِي، بَأَن تَوَفَّاهُ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أو يُرْجِعَهُ إِلَى مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ، نَائِلًا مَا نَالَ مَنْ أَجَرَ أَوْ غَنِمَهُ» [متفق عليه].

وقوله: ﴿وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ﴾ تأكيد لهذا الوعد، وإخبار بأنه قد كُتِبَ على نفسه الكريمة، وأنزله على رسله في كُتُبِهِ الكبار؛ وهي التوراة المنزلة على موسى، والإنجيل المنزل على عيسى، والقرآن المنزل على محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. وقوله: ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾ فإنه لا يخلف الميعاد، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢]؛ ولهذا قال: ﴿فَأَسْتَشِيرُوا بِرَبِّكُمْ﴾ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ، وَذَلِكَ هُوَ الْقَوْرُ الْمَظْطَرُّ. أي: فليستبشر من قام بمقتضى هذا العقد ووفى بهذا العهد، بالفوز العظيم، والنعيم المقيم.



## ● الوقفات التذيرية

﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْوَٰنَ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ٥٥ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا الْمَسْجِدُ أَشْهَدُ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُمْ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَخَفَّوْا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ٥٦ أَقَمْتَ أَسَسَ بَيْنَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ مِّنْ أَسَسَ بَيْنَهُ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَأَتَاهُمُ فِيهِ فِي تَارِجِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَٰلِغِينَ ٥٧ لَا يَزَالُ بُنِيَ لَهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٥٨ \* إِنْ اللَّهُ أَشْرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ يَأْنِ لَهُمُ الْكِسْفَةُ يَفْعَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَفْعَلُونَ وَيُقَاتِلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوَدُّعِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِنِعْمِ اللَّهِ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ٥٩ ﴾

قدخل في معنى ذلك من بنى أبنية يضاهي بها مساجد المسلمين لغير العبادات المشروعة من المشاهد وغيرها؛ لا سيما إذا كان فيها من الضرار والكفر والتفريق بين المؤمنين والإرصاد لأهل النفاق والبدع والمجادين لله ورسوله ما يقوى بها شبهها بمسجد الضرار. ابن تيمية: ٤٤٧/٣.

السؤال: هل تدخل المباني التي تنشر باطل أهل البدع في معنى مسجد الضرار؟ ولماذا؟

﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ ٥٥ ﴾ أي: يفرقون به جماعتهم ليتخلف أقوام عن النبي ﷺ، وهذا يدل على أن المقصد الأكبر والغرض الأظهر من وضع الجماعة: تأليف القلوب والكلمة على الطاعة. البهوي: ٣٦٦/٢.

السؤال: ما المقصود من تشريع الصلاة في الجماعة؟ وكيف راعى الشرع هذا المقصد؟

﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لِّلْمَسْجِدِ أَشْهَدُ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُمْ فِيهِ ٥٥ ﴾ المعصية تؤثر في البقاء؛ كما أثرت معصية المنافقين في مسجد الضرار، ونهي عن القيام فيه، وكذلك الطاعة تؤثر في الأماكن كما أثرت في مسجد قباء، حتى قال الله فيه: (مسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه)؛ ولهذا كان لمسجد قباء من الفضل ما ليس لغيره، حتى كان النبي ﷺ يزور قباء كل سبت يصلي فيه، وحث على الصلاة فيه. السعدي: ٣٥٢.

السؤال: ببركة الطاعة يتعداها إلى مكان فعلها، وشؤم المعصية يتعداها إلى مكان فعلها، وضَّح ذلك من خلال هذه الآية.

﴿ لِّلْمَسْجِدِ أَشْهَدُ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُمْ فِيهِ ٥٥ ﴾ يستفاد من الآية صحة ما اتفق عليه الصحابة -رضي الله تعالى عنهم أجمعين- مع عمر -رضي الله تعالى عنه- حين شاورهم في التاريخ فاتفق رأيهم على أن يكون من عام الهجرة لأنه الوقت الذي أعز الله فيه الإسلام ... فوافق رأيهم هذا ظاهر التنزيل، وفهمنا الآن بنقلهم أن قوله تعالى: (من أول يوم) أن ذلك اليوم هو أول أيام التاريخ الذي نؤرخ به الآن. الألوسي: ٣١/١١.

السؤال: اذكر مثالا بين دقة فهم الصحابة -رضي الله عنهم- للقرآن، وعملهم به.

﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَخَفَّوْا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ٥٦ ﴾ اتبنى الله سبحانه وتعالى في هذه الآية على من أحب الطهارة وأشر النظافة، وهي مروءة آدمية، ووظيفة شرعية. القرطبي: ٣٨١/١٠.

السؤال: ما منزلة الطهارة والنظافة في ديننا الحنيفي؟

﴿ أَقَمْتَ أَسَسَ بَيْنَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ مِّنْ أَسَسَ بَيْنَهُ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَأَتَاهُمُ فِيهِ فِي تَارِجِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَٰلِغِينَ ٥٧ ﴾ تأسيس البناء على التقوى والرضوان هو؛ بحسن النية فيه، وقصد وجه الله، وإظهار شرعه، والتأسيس على شفا جرف هار هو: بفساد النية، وقصد الرياء، والتفريق بين المؤمنين، فذلك على وجه الاستعارة والتشبيه البديع. ابن جزي: ٣٦٩.

السؤال: متى يكون تأسيس البناء على التقوى؟ ومتى يكون تأسيسه على شفا جرف هار؟

﴿ إِنْ اللَّهُ أَشْرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ يَأْنِ لَهُمُ الْكِسْفَةُ يَفْعَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَفْعَلُونَ وَيُقَاتِلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوَدُّعِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِنِعْمِ اللَّهِ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ٥٨ ﴾

وإذا أردت أن تعرف مقدار الصفة فانظر إلى المشتري من هو؟ وهو الله جل جلاله. وإلى الموض؛ وهو أكبر الأعماض وأجلها: جنات النعيم. وإلى الثمن المبذول فيها؛ وهو النفس والمال الذي هو أحب الأشياء للإنسان. وإلى من جرى على يديه عقد هذا التبايع؛ وهو أشرف الرسل. وبأي كتاب رُفِّع؟ وهي كتب الله الكبار المنزلّة على أفضل الخلق. السعدي: ٣٥٣.

السؤال: ما مقدار عظمت هذه الصفة والبيعة بين الله والمؤمنين؟

وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْوَٰنَ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ٥٥ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا الْمَسْجِدُ أَشْهَدُ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُمْ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَخَفَّوْا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ٥٦ أَقَمْتَ أَسَسَ بَيْنَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ مِّنْ أَسَسَ بَيْنَهُ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَأَتَاهُمُ فِيهِ فِي تَارِجِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَٰلِغِينَ ٥٧ لَا يَزَالُ بُنِيَ لَهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٥٨ \* إِنْ اللَّهُ أَشْرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ يَأْنِ لَهُمُ الْكِسْفَةُ يَفْعَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَفْعَلُونَ وَيُقَاتِلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوَدُّعِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِنِعْمِ اللَّهِ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ٥٩ ﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
ضِرَارًا	مُضَارَّةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ.
وَإِرْصَادًا	إِنْتِظَارًا.
شَفَا	طَرَفٍ.
جُرْفٍ هَارٍ	خُفْرَةٌ مُتَدَايِعَةٌ لِلسُّقُوطِ.

## ● العمل بالآيات

١. اكتب رسالة مؤثقة توضح فيها أحد مشاريع أهل النفاق، ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْوَٰنَ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾.
٢. ساعد اليوم إحدى المؤسسات المعروفة أصحابها بالخير والصلاح، ﴿ لِّلْمَسْجِدِ أَشْهَدُ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُمْ فِيهِ ﴾.
٣. حاول أن تكون على طهارة طوال اليوم إن استطعت ذلك بلا مشقة، ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَخَفَّوْا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾.

## ● التوجيهات

١. الشعارات البراقة للمنافقين، والتظاهر بعمل الخير لا تخدع من يتدبر القرآن الكريم، ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْوَٰنَ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾.
٢. لا تكن عوناً لمن يريد تمزيق شمل الأمة، أو إفساد جيلها، أو تفريق نساها، وتذكر قول الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ﴾.
٣. ادع الله تعالى أن تكون أعمالك مبنية على تقوى الله تعالى، وطلب رضوانه والإخلاص له، ﴿ أَقَمْتَ أَسَسَ بَيْنَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ مِّنْ أَسَسَ بَيْنَهُ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَأَتَاهُمُ فِيهِ فِي تَارِجِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَٰلِغِينَ ٥٧ ﴾.



## ● الوقفات التدبيرية

[illegible]

**السؤال: متى يُوصف الإنسان بأنه عابد؟**

❶ ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾

لم يذكر ما يبشرون به ليعم جميع ما رُتّب على الإيمان من ثواب الدنيا والدين والأخرة؛ فالإشارة متولدة لكل مؤمن، وأما مقدارها وصفها فإنها بحسب حال المؤمنين وإيمانهم؛ قوة وضعفاً، وعملاً بمقتضاه. السعدي: ٣٥٢.

السؤال: لماذا لم يذكر الله - سبحانه وتعالى - المبرر به؟

﴿ مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾

فإن النبي والذين آمنوا معه عليهم أن يوافقوا ربهم في رضاء وغضبه، ويوالوا من والاه الله، ويعادوا من عاداه الله. والاستفتاء منهم لمن تبين أنه من أصحاب النار منافٍ لذلك، مناقض له. السعدي: ٢٥٣.

**السؤال: من خلال الآية: بَيَّنْ شَيْئاً مِنْ عَقِيدَةِ الْوَلَاءِ وَالْبِرَاءِ.**

﴿ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾

ولما كان الإنسان قد ينصره غير قريبه؛ قال: (وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير) أي: فلا توالوا إلا من كان من حزبه وأهل حبه وقرينه. وفيه تهديد لمن أقدم على ما ينبغي أن يُتَّقَى، لا سيما الملاينة لأعداء الله من المستاترين والمصارحين؛ فإن غاية ذلك مآلاتهم، وهي لا تغني من الله شيئاً. البقاعي: ٣/٣٩٥.

السؤال: في الآية إشارة إلى الولاء والبراء في الله تعالى وحده، بين ذلك.

﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾

وسماها ساعة تهوينا لأوقات الكروب، وتشجيعاً على مواجهة المكاره؛ فإن  
أمدها يسير وأجرها عظيم. البقاعي: ٣/٣٩٦.

**السؤال:** في قوله: (ساعة العسرة) فائدة لطيفة، وضحاها، وفقك الله لطاعته.

لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَبَإِ الْمُبَرَّةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠٠﴾

فإن قيل: كيف أعاد ذكر التوبة، وقد قال في أول الآية: (فقد تاب الله على النبي)؟ قيل: ذكر التوبة في أول الآية قبل ذكر الذنب، وهو محض الفضل من الله عز وجل، فلما ذكر الذنب أعاد ذكر التوبة، والمراد منه قبولها. البخوي: ٢/٣٣٦.

**السؤال: ما الحكمة من إعادة ذكر التوبة في الآية؟**

﴿ ٧ ﴾ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ

اجتمع عليهم عسرة الظهر، وعسرة الزاد، وعسرة الماء. القرطبي: ٤٠٧/١٠.

السؤال: إلى أي حد بلغت العسرة بأصحاب النبي ﷺ في غزوة تبوك؟

الَّتِي بَيَّنَّوْا الْعِيدُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ طُغْيَانًا  
فِي الرِّكَعِ وَالسَّجْدَةِ وَالْعَمَلُ وَالْمَعْرُوفُ  
وَالنَّاهِي عَنْ الْمُنْكَرِ وَالْحَفِظُ لِلْخُدُودِ وَاللَّه  
وَيَسِّرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٧﴾ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا  
أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ  
مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا  
كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا  
إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَيَّنَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ  
أَلَاؤُهُ حَلِيمٌ ﴿٣٩﴾ وَمَا كَانَتْ أَلْفَةٌ يَحْيَىٰ لِلْجِبِلِّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ  
هَدَاهُمْ حَتَّىٰ بَيَّنَّ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ  
عَلِيمٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي  
وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٤١﴾  
لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ  
اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ  
فِرْعَوْنَ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٤٢﴾

## معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
السَّائِحُونَ	الصَّائِمُونَ.
سَاعَةِ الْعُسْرَةِ	وَقْتُ الشَّدَةِ، وَالْمُرَادُ: غَزْوَةُ بَبُوكِ.
يَزِيعُ	يَعْمِلُ.

## ● العمل بالآيات

١٠ بعد تأمل معنى الأعمال الواردة في الآية ومعرفتها، اعمل ما تستطيع منها:

﴿الْمُحْسِنُونَ الصَّادِقُونَ الْأَعْيُنُونَ الْمُذْكَرُونَ الْغَائِبُونَ الْمُسْتَكْبِرُونَ﴾

﴿الْمُسْتَكْبِرُونَ وَالْمُسْتَكْبِرُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْمُسْتَكْبِرُونَ لِلدُّنْيَا وَالْمُسْتَكْبِرُونَ﴾

٧. اجمع آيات الولاء والبراء، ثم اطلع على تفسيرها، وارجع لأهل العلم  
 ﴿ مَا كُنَّا لِلنَّبِيِّ وَالْآلِ كُنَّا ﴾ اَمْثَلُ اَنْ يَسْتَقْفِرُوا  
 لِلنَّبِيِّ كَيْنَ وَلَوْ كَانُوا اُولَىٰ قُرْبَىٰ ۝

٣. ادع الله تعالى أن يرزقك الحلم، وعود نفسك عليه؛ حتى تكون متصفاً به، ﴿إِنْ أَنْزَلْنَاهُ لَا وَهَّاءَ حَلِيمٌ﴾.

## ● التوجيهات

١. عظم شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهل أدركنا هذه الحقيقة؟

٧. حقيقة الإيمان تقتضي تقديم المؤمن ولو كان بعيد النسب، وتأخير الكافر ولو كان قريب النسب، ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قَرَبٍ ۖ﴾

٣. طاعة الله تعالى في المكراه الشاقة على النفس من أسباب توية الله تعالى على العبد،

﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾.

أَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَمَا كَانَتْ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ﴾ الآية. وَقَوْلُهُ: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَا زَالَ إِبْرَاهِيمُ يَسْتَغْفِرُ لِأَبِيهِ حَتَّى مَاتَ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ. وَفِي رِوَايَةٍ: لَمَّا مَاتَ تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ. وَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ وَالضَّحَّاكُ وَقَتَادَةُ وَغَيْرُهُمْ.

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: الْأَوَّاهُ: الدَّعَاءُ. وَقَالَ قَتَادَةُ: إِنَّهُ الرَّحِيمُ، أَيْ: بَعَادَ اللَّهُ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الْمُؤْمِنُ التَّوَّابُ. وَعَنِ مُجَاهِدٍ: الْأَوَّاهُ: الْحَفِظُ الْوَجِلُ، يُذَيِّبُ الذَّنْبَ سِرًّا، ثُمَّ يَتَوَبُّ مِنْهُ سِرًّا. قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَأَوَّلَى الْأَقْوَالِ قَوْلُ مَنْ قَالَ: إِنَّهُ الدَّعَاءُ، وَهُوَ الْمُنَاسِبُ لِلسَّيَاقِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا ذَكَرَ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ إِنَّمَا اسْتَغْفَرَ لِأَبِيهِ عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا لِأَبَاهُ، وَقَدْ كَانَ إِبْرَاهِيمُ كَثِيرَ الدَّعَاءِ حَلِيمًا عَمَّنْ ظَلَمَهُ وَأَنَالَهُ مَكْرُوهًا؛ وَهَذَا اسْتَغْفَرَ لِأَبِيهِ عَنْ شِدَّةِ أَذَاهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿قَالَ سَلِّمْ عَلَيْهِكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ فِي حَفِيًّا﴾ [مريم: ٤٧]، فَحَلَّمَ عَنْهُ مَعَ أَذَاهُ لَهُ، وَدَعَا لَهُ وَاسْتَغْفَرَ؛ وَهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾.

الآيَةُ (١١٥-١١٦): يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ نَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ وَحُكْمِهِ الْعَادِلِ: أَنَّهُ لَا يُعْطِلُ قَوْمًا بَعْدَ إِبْلَاجِ الرِّسَالَةِ إِلَيْهِمْ، حَتَّى يَكُونُوا قَدْ قَامَتْ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا تَتُوبُونَ فَهَدَيْتُهُمْ﴾ الآية [نصت: ٤١٧]. قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَقْضِيَ عَلَيْكُمْ فِي اسْتِغْفَارِكُمْ لِمَوَاتِكُمُ الْمُشْرِكِينَ بِالضَّلَالِ بَعْدَ إِذْ رَزَقَكُمُ الْهُدَايَةَ وَوَفَّقَكُمُ لِلْإِيمَانِ بِهِ وَبِرَسُولِهِ، حَتَّى يَتَقَدَّمَ إِلَيْكُمْ بِالنَّبِيِّ عَنْهُ فَتَرْكُوا، فَمَا قَبْلَ أَنْ يَبَيِّنَ لَكُمْ كِرَاهِيَتَهُ ذَلِكَ بِالنَّبِيِّ عَنْهُ، ثُمَّ تَعَدُّوا عَنْهُ إِلَى مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ: فَإِنَّهُ لَا يُحْكَمُ عَلَيْكُمْ بِالضَّلَالِ؛ فَإِنَّ الطَّاعَةَ وَالْمَعْصِيَةَ إِنَّمَا يَكُونَانِ مِنَ الْمَأْمُورِ وَالْمَنْهِيِّ، وَأَمَّا مَنْ لَمْ يُؤْمَرْ بِمُؤْمَرٍ أَوْ لَمْ يُنْهَ فَعَبْرٌ كَانَتْ مَطْمَئِنًا أَوْ عَاصِيًا فِيهَا لَمْ يُؤْمَرْ بِهِ وَلَمْ يُنْهَ عَنْهُ. وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَهُ مَلَكَ السَّكُونِ وَالْأَلْوَسِ يَتَّبِعُ وَيُبَيِّنُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾: قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: هَذَا تَحْرِيزٌ مِنَ اللَّهِ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ فِي قِتَالِ الْمُشْرِكِينَ وَمُلُوكِ الْكُفْرِ، وَأَنْ يَتَّقُوا بِبَصَرِ اللَّهِ مَالِكِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَمْ يَرْهَبُوا مِنْ أَعْدَائِهِ؛ فَإِنَّهُ لَا وَلِيَّ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَلَا نَصِيرَ لَهُمْ سِوَاهُ.

الآيَةُ (١١٧): [سبب النزول]: قَالَ مُجَاهِدٌ وَغَيْرُهُ وَاحِدٌ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ خَرَجُوا إِلَيْهَا فِي شِدَّةٍ مِنَ الْأَمْرِ فِي سَنَةِ مُجْدِبَةٍ وَحَرٍّ شَدِيدٍ، وَغُسْرٍ مِنَ الزَّادِ وَالْمَاءِ. وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُشْكِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾ أَيْ: مِنَ النِّفَقَةِ وَالظُّهْرِ وَالزَّادِ وَالْمَاءِ، «وَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ» قُلُوبٌ قَرِيبٌ يَنْتَهِي عَنْهُ أَيْ: عَنِ الْحَقِّ، وَشَكَّ فِي دِينِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَبَرْتَابَ بِالَّذِي نَالَهُمْ مِنَ الْمَشَقَّةِ وَالشَّدَةِ فِي سَفَرِهِ وَغَزْوِهِ، «ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ» يَقُولُ: ثُمَّ رَزَقَهُمُ الْإِيمَانَةَ إِلَى رَبِّهِمْ، وَالرَّجُوعَ إِلَى الثَّبَاتِ عَلَى دِينِهِ «إِنَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ رَحِيمٌ».

الآيَةُ (١١٢): هَذَا نَعَتُْ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ اشْتَرَى اللَّهُ مِنْهُمْ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ الْجَمِيلَةِ وَالْحِلَالِ الْجَلِيلَةِ: ﴿التَّائِبِينَ﴾ مِنْ الذُّنُوبِ كُلِّهَا، التَّارِكُونَ لِلْفَوَاحِشِ، ﴿الْمُعْتَصِدِينَ﴾ أَيْ: الْقَائِمُونَ بِعِبَادَةِ رَبِّهِمْ مُحَافِظِينَ عَلَيْهِمَا، وَهِيَ الْأَقْوَالُ وَالْأَفْعَالُ، فَمِنْ أَخَصِّ الْأَقْوَالِ: الْحَمْدُ؛ فَلِهَذَا قَالَ: ﴿الْمُعْتَصِدُونَ﴾، وَمِنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ: الصِّيَامُ، وَهُوَ تَرْكُ الْمَلَأَةِ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالْجِمَاعِ، وَهُوَ الْمُرَادُ بِالسَّيَاحَةِ هَهُنَا؛ وَهَذَا قَالَ: ﴿الْمُعْتَصِدُونَ﴾، كَمَا وَصَفَ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ بِذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿سَيَحْبِبْكُمُ [الرحيم: ٥٠] أَيْ: صَانِعَاتِ، وَكَذَا الرُّكُوعُ وَالسُّجُودُ، وَهِيَ عِبَادَةُ عَنِ الصَّلَاةِ؛ وَهَذَا قَالَ: ﴿الْمُعْتَصِدُونَ﴾، وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ يَنْفَعُونَ خَلْقَ اللَّهِ، وَيُرْشِدُونَهُمْ إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ بِأَمْرِهِمْ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيِهِمْ عَنِ الْمُنْكَرِ، مَعَ الْعِلْمِ بِمَا يَنْبَغِي فِعْلُهُ وَيَجِبُ تَرْكُهُ، وَهُوَ حِفْظُ حُدُودِ اللَّهِ فِي تَحْلِيلِهِ وَتَحْرِيمِهِ، عِلْمًا وَعَمَلًا، فَقَامُوا بِعِبَادَةِ الْحَقِّ وَنَصَحَ الْخَلْقَ؛ وَهَذَا قَالَ: ﴿يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ﴾ لِأَنَّ الْإِيمَانَ يَشْمَلُ هَذَا كُلَّهُ، وَالسَّعَادَةَ كُلَّ السَّعَادَةِ لِمَنْ أَتَّصَفَ بِهِ. قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: ﴿الْمُعْتَصِدُونَ﴾: الصَّائِمُونَ. وَكَذَا رَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ. وَهَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ، وَسَعِيدُ بْنُ جَبْرِ، وَعَطَاءٌ، وَغَيْرُهُمْ: أَنَّ الْمُرَادَ بِالصَّائِحِينَ: الصَّائِمُونَ. وَهَذِهِ أَصْحَابُ الْأَقْوَالِ وَأَشْهُرُهَا، وَجَاءَ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ السَّيَاحَةَ: الْجِهَادُ؛ وَهُوَ مَا رَوَى مِنْ حَدِيثِ أَبِي أَمَامَةَ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتُنْذِنُ لِي فِي السَّيَاحَةِ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «سَيَاحَةُ أُمِّي الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» [رواه أبو داود، وحسنه الألباني].

وَلَيْسَ الْمُرَادُ مِنَ السَّيَاحَةِ مَا قَدْ يَفْهَمُهُ بَعْضٌ مِنْ يَتَعَبَّدُ بِمُجَرَّدِ السَّيَاحَةِ فِي الْأَرْضِ، وَالتَّفَرُّدِ فِي شَوَاقِ الْجِبَالِ وَالْكَهُوفِ وَالْبَرَارِي؛ فَإِنَّ هَذَا لَيْسَ بِمَشْرُوعٍ إِلَّا فِي أَيَّامِ الْفَتَنِ وَالزَّلَازِلِ فِي الدِّينِ كَمَا ثَبَتَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرُ مَالِ الرَّجُلِ عَنَمٌ يَتَّبِعُ بِهَا شَعَفَ الْجِبَالِ وَمَوَاقِعَ الْفُطُرِ، يَفْرُغُ بَدِينَهُ مِنَ الْفَتَنِ» [رواه البخاري]. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَالْمُحْفِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ﴾: الْقَائِمُونَ بِطَاعَةِ اللَّهِ. وَكَذَا قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ، وَعَنْهُ رِوَايَةٌ: ﴿وَالْمُحْفِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ﴾: قَالَ: لِفَرَاغِ اللَّهِ، وَفِي رِوَايَةٍ: الْقَائِمُونَ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ.

الآيَةُ (١١٣-١١٤): [سبب النزول]: عَنْ ابْنِ الْمُسَيَّبِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ، دَخَلَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَعِنْدَهُ أَبُو جَهْلٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمِيَّةٍ، فَقَالَ: «أَيُّ هَمٍّ قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. كَلِمَةٌ أَحْجَاجُ لَهَا عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ». فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمِيَّةٍ: يَا أَبَا طَالِبٍ، أَنْتَ رَغِبَ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمَطْلُبِ؟! فَقَالَ: أَنَا عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمَطْلُبِ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا اسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أَمْنُ بِهِ مِنْكَ». فَنَزَلَتْ: ﴿مَا كَانَتْ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَى قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾. قَالَ: وَنَزَلَتْ فِيهِ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦] [متفق عليه]. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كَانُوا يَسْتَغْفِرُونَ لَهُمْ، حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، فَلَمَّا نَزَلَتْ أَمْسَكُوا عَنْ الِاسْتِغْفَارِ لِأَمْوَالِهِمْ، وَلَمْ يَنْهَهُمْ أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْأَحْيَاءِ حَتَّى يَمُوتُوا، ثُمَّ

الآية (١١٨-١١٩): [سبب النزول]: عن كعب بن مالك قال: كان من خبري حين تَخَلَّفْتُ عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تَخَلَّفْتُ عنه في تلك الغزاة... وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزاة حين طابت النهار والظل، وأنا إليها أضعر. فتجهز إليها رسول الله ﷺ والمؤمنون معه، وطفقت أغدو لكي أجهز معهم، فأرجع ولم أقض من جهازي شيئاً... فلما بلغني أن رسول الله ﷺ قد توجه قافلًا من تبوك حضرنني بتي، فطفقت أذكر الكذب، وأقول: بماذا أخرج من سخطه غداً؟... وعرفت أني لم أنج منه بشيء أبداً. فاجمعت صدقه، وصحح رسول الله ﷺ... [وجاء المتخلفون فطفقوا يعنذرون إليه ويحلفون له... فقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم ويستغفر لهم، ويكل سرائرهم إلى الله تعالى، حتى جئت، فلما سلمت عليه تبسم تبسم الغضب... فقال لي: «ما خلفك؟! ألم تَكُ قد اشتريت ظهرك؟» فقلت: يا رسول الله! إني لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أن أخرج من سخطه بعذر، لقد أعطيتُ جدلاً، ولكنه والله لقد علمتُ لئن حدثتُك اليوم حديث كذب ترضى به عني، ليوشكن الله سُخْطُكَ علي، ولئن حدثتُك بصدق تحب علي فيه، إني لأرجو أقرب عقي ذلك من الله ﷻ، والله ما كان لي عُذر، والله ما كنت قط أفرغ ولا أيسر مني حين تَخَلَّفْتُ عنك. فقال رسول الله ﷺ: «أما هذا فقد صدق، فقم حتى يقضي الله فيك». فقامت وبادرنى رجال من بني سلمة واتبعوني... فوالله ما زالوا يؤثوني حتى أردت أن أرجع فأكتب نفسي: ثم قلت لهم: هل لقي هذا معي أحد؟ قالوا: نعم، لقيه معك رجلان، قالوا ما قلتُ، وقيل لها مثل ما قيل لك. قلت: فمن هما؟ قالوا: مرارة بن الربيع العامري، وهلال بن أمية الواقفي. فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرًا لي فيها أسوة. فمضيت حين ذكر وهما لي، قال: ونهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا -أيها الثلاثة- من بين من تخلف عنه، فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا، حتى تنكرت لي في نفسي الأرض، فما هي بالأرض التي كنت أعرف، فلبينا على ذلك حسين ليلة... فبينما أنا جالس... سمعت صائحًا أوفى على جبل سلع يقول بأعلى صوته: يا كعب بن مالك، أبشر. فخررتُ ساجدًا، وعرفتُ أن قد جاء الفرج من الله عز وجل بالتوبة علينا. فأذن رسول الله ﷺ بتوبة الله علينا حين صلى الفجر... وانطلقت أؤم رسول الله ﷺ... فلما سلمت على رسول الله ﷺ قال وهو يَبْرُقُ وجهه من السرور: «أبشر بخير يوم مرَّ عليك منذ ولدتك أمك!» قلت: أأمن عندك يا رسول الله أم من عند الله؟ قال: «لا، بل من عند الله...» وقلت: يا رسول الله! إنا نخاف الله بالصدق، وإن من توبتي ألا أحدث إلا صدقًا ما بقيت... الحديث [متفق عليه].

[وقوله تعالى]: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾، أي: اصدقوا والزمو الصديق تكونوا مع أهله

وتنجوا من المهالك ويجعل لكم فرجًا من أموركم، ومخرجًا. الآية (١٢٠): يعاتب تعالى المتخلفين عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، من أهل المدينة ومن حولها من أحياء العرب، ورغبتهم بأنفسهم عن مواساته فيها حصل من المشقة، فإنهم تقصوا أنفسهم من الأجر؛ لأنهم ﴿لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ﴾ وهو العطش، ﴿وَلَا نَصَبٌ﴾ وهو التعب، ﴿وَلَا خَصَصَةٌ﴾ وهي المجاعة، ﴿وَلَا يَبْطُلُونَ مَوْطِنًا يَخَافُ الْكَفَّارَ﴾ أي: ينزلون منزلًا يروهبُ عدوهم، ﴿وَلَا يَأْلُونَ﴾ منه ظفرًا وغلبة عليه، ﴿لَا كَيْبَ لَهُمْ﴾ هذه الأعمال - التي ليست داخلية تحت قدرتهم، وإنما هي ناشئة عن أفعالهم - [أعمال] صالحة ونواب جزيل<sup>(١)</sup> ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَبْصِغُ بِخَيْرِ التَّحْسِينِ﴾.

الآية (١٢١): ولا ينفق هؤلاء الغزاة في سبيل الله ﴿نَفَقَةً صِغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾ أي: قليلًا ولا كثيرًا، ﴿وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا﴾ أي: في السير إلى الأعداء ﴿لَا كَيْبَ لَهُمْ﴾ ولم يقل «به» لأن هذه أفعال صادرة عنهم؛ ولهذا قال: ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾. وقال قتادة في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا﴾ إِلَّا كَيْبَ لَهُمْ الآية: ما ازداد قوم من أهلهم في سبيل الله بعدًا إلا ازدادوا من الله قربًا.

الآية (١٢٢): هذا بيان من الله تعالى لبا أراد من نفي الأحياء مع الرسول ﷺ في غزوة تبوك؛ فإنه قد دُخِبَ طائفة من السلف إلى أنه كان يجب النفي على كل مسلم إذا خرج رسول الله ﷺ؛ ولهذا قال تعالى: ﴿اتَّبِعُوا خُفَاةً وَيَسَّاتًا﴾ [التوبة: ٤١]، وقال: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهَا أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ١٢٠]، قالوا: فنسخ ذلك بهذه الآية. وقد يقال: إن هذا بيان لمراعاة تعالى من نفي الأحياء كلها، وشرذمة من كل قبيلة إن لم يخرجوا كلهم، ليتفقوا الخارجون مع الرسول بها ينزل من الوحي عليه، وينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم بما كان من أمر العدو، فيجتمع لهم الأمران في هذا النفي المعين. وبعده -صلوات الله وسلامه عليه- تكون الطائفة النافرة من الحي إما ليتفقوا وإما للجهاد؛ فإنه فرض كفاية على الأحياء.

وقال ابن عباس: ﴿وَمَا كَانَتْ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَذَّةً﴾ يقول: ما كان المؤمنون لينفروا جميعًا وبتروا النبي ﷺ وحده، ﴿فَقَوْلًا تَقْرَءَن كُلٌّ فَرَقًا وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَكَةِ﴾ يعني: عصبية، يعني: السرايا، ولا يسبوا إلا بإذنه، فإذا رجعت السرايا، وقد نزل بعدهم قرآن تعلمه القاعدون من النبي ﷺ، قالوا: إن الله قد أنزل على نبيكم قرآنًا، وقد تعلمناه. فتمكث السرايا يتعلمون ما أنزل الله على نبيهم بعدهم، ويبعث سرايا أخرى، فلذلك قوله: ﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾ يقول: ليتعلموا ما أنزل الله على نبيهم، وليعلموا السرايا إذا رجعت إليهم ﴿لَتَعْلَمَهُمْ بِحَدْرٍ﴾. وقال الحسن البصري في الآية: ليتفق الذين خرجوا بها برؤسهم من الظهور على المشركين والنصرة، وينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم.

(١) ما بين معقوفين ورد في الأصل منصوبًا، وصوابه الرفع: نائب فاعل.



## الوقفات التدريبية

﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَوْا حَتَّى إِذَا صَافَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَصَافَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَسْتُوِيَ إِنْ اللَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (٣٥) يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَتَقُوا اللَّهَ وَكُنُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (٣٦) مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْصَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْلُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نِيْلًا إِلَّا كَيْبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَلِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٣٧) وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كَيْبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٣٨) وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (٣٩)

السؤال: متى يحصل الفرج لصاحب الكرب؟  
﴿يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَتَقُوا اللَّهَ وَكُنُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾  
يَحْتَمِلُ أَنْ يَرِيدَ صَدَقَ اللِّسَانُ إِذْ كَانُوا هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةَ قَدْ صَدَّقُوا وَلَمْ يَمْتَدِّوا بِالْكَذِبِ؛ فَهَنَفَهُمُ اللَّهُ بِذَلِكَ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَرِيدَ أَعْمَ مِنْ صَدَقَ اللِّسَانُ؛ وَهُوَ الصَّدَقُ فِي الْأَقْوَالِ، وَالْأَفْعَالِ، وَالْمَقَاصِدِ، وَالْعِزَالِمِ. ابْنُ جُزَيٍّ: ٣٧٢/١.  
السؤال: الصدق صفة عظيمة لاشتمالها على أكثر من معنى، وضع ذلك  
﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْصَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْلُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نِيْلًا إِلَّا كَيْبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَلِحٌ﴾  
والله سبحانه ياجر العبد على الأعمال المأمور بها مع المشقة، كما قال تعالى: (ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب) الآية، وقال ﷺ لعائشة: (أجرك على قدر نصبك). ابن تيمية: ٤١٧/٣.

السؤال: سيلقى المسلم أجر عمله، وأجر المشقة فيه، بين ذلك من الآية الكريمة: ﴿لِيَسْتَفْقَهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾  
ثم بين غاية العلم: مشيراً إلى أن من جعل له غاية غيرها من ترفع أو افتخار فقد ضل ضلالاً كبيراً؛ فقال موجباً لقبول خير من بلغهم: (لعلهم أي كلهم (يحدرون) أي: ليكون حالهم حال أهل الخوف من الله بما حصلوا من الفقه؛ لأنه أصل كل خير؛ به تنجلي القلوب فتقبل على الخير، وتعرض عن الشر... والمراد بالفقه هنا: حفظ الكتاب والسنة، وفهم معانيهما من: الأصول، والفروع، والأدب، والفضائل، البقاعي: ١٠٣/٢.  
السؤال: ما رايك في العلم الذي لا يتبعه خوف من الله تعالى؟  
﴿وَمَا كَانُوا الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَسْتَفْقَهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾  
في هذه الآية أيضاً دليل، وإرشاد، وتنبية لطيف لفائدة مهمة؛ وهي: أن المسلمين ينبغي لهم أن يعدوا لكل مصلحة من مصالحهم العامة من يقوم بها، ويوفر وقته عليها، ويجتهد فيها، ولا يلتفت إلى غيرها؛ لتقوم مصالحهم، وتتم منافعهم، ولتكون وجهة جميعهم، ونهاية ما يقصدون قصداً واحداً؛ وهو قيام مصلحة دينهم وديارهم ولو تفرقت الطرق وتعددت المشارب؛ فالأعمال متباينة، والقصد واحد، وهذه من الحكمة العامة النافعة في جميع الأمور. السعدي: ٣٥٥.

السؤال: هذه الآية أساس في علم إدارة الأعمال، وضع ذلك  
﴿وَمَا كَانُوا الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَسْتَفْقَهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾  
من تعلم علماً فاعليه نشره، وبثه في العباد، ونصيحتهم فيه؛ فإن انتشار العلم عن العالم من بر كفته وأجره الذي ينمى له، وأما انقصار العالم على نفسه، وعدم دعوته إلى سبيل الله بالحكمة والوعظة الحسنة، وترك تعليم الجهال ما لا يعلمون، فهي منفعة حصلت للمسلمين منه ١٩؛ وأي نتيجة نتجت من علمه ١٩؛ وغايته أن يموت فيموت علمه وبشرته، وهذا غاية الحرمان لمن آتاه الله علماً، ومنحه فهماً. السعدي: ٣٥٥.

السؤال: ما الطريقة المثلى لإفادة طالب العلم من علمه الذي حصله؟

١. اقرأ حديث كعب بن مالك -رضي الله عنه- في قصة تخلفه عن غزوة تبوك من أحد كتب السنة، أو السيرة، ثم استخرج خمس فوائد منها، ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَوْا حَتَّى إِذَا صَافَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَصَافَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَسْتُوِيَ إِنْ اللَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.  
٢. تقرب إلى الله بالتوبة من ذنب وقع منك، ﴿وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَسْتُوِيَ إِنْ اللَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.  
٣. تذكر وانت تسعى أو تشارك في عمل خير أن كل خطواتك محسوبة في ميزان حسناتك، ﴿وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كَيْبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.  
٤. لا كَيْبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ.

التوجيهات  
١. التائب الصادق قد يمتحن في صدق توبته وقوة نيته، ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَوْا حَتَّى إِذَا صَافَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَصَافَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَسْتُوِيَ إِنْ اللَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.  
٢. كل ميسر لما خلق له؛ فإن كنت من المؤهلين لطلب العلم فلا تشغلك الدنيا عنه، ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَسْتَفْقَهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾.  
٣. من مهام طلبة العلم والعلماء إنداء قومهم وتحذيرهم، ﴿وَمَا كَانُوا الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَسْتَفْقَهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾.

وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَوْا حَتَّى إِذَا صَافَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَصَافَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَسْتُوِيَ إِنْ اللَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٣٥) يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَتَقُوا اللَّهَ وَكُنُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (٣٦) مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْصَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْلُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نِيْلًا إِلَّا كَيْبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَلِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٣٧) وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كَيْبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٣٨) وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (٣٩)

المكية المأثورة

٢٠٦

## معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
بِمَا رَحُبَتْ	مَعَ رَحْبِهَا وَسَعَتِهَا.
مَخْصَصَةٌ	مَجَاعَةٌ.
نِيْلًا	قِتْلًا، أَوْ هَزِيمَةً، أَوْ أَدَى.

## العمل بالآيات

١. اقرأ حديث كعب بن مالك -رضي الله عنه- في قصة تخلفه عن غزوة تبوك من أحد كتب السنة، أو السيرة، ثم استخرج خمس فوائد منها، ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَوْا حَتَّى إِذَا صَافَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَصَافَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَسْتُوِيَ إِنْ اللَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.
٢. تقرب إلى الله بالتوبة من ذنب وقع منك، ﴿وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَسْتُوِيَ إِنْ اللَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.
٣. تذكر وانت تسعى أو تشارك في عمل خير أن كل خطواتك محسوبة في ميزان حسناتك، ﴿وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كَيْبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.
٤. لا كَيْبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ.

## التوجيهات

١. التائب الصادق قد يمتحن في صدق توبته وقوة نيته، ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَوْا حَتَّى إِذَا صَافَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَصَافَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَسْتُوِيَ إِنْ اللَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.
٢. كل ميسر لما خلق له؛ فإن كنت من المؤهلين لطلب العلم فلا تشغلك الدنيا عنه، ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَسْتَفْقَهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾.
٣. من مهام طلبة العلم والعلماء إنداء قومهم وتحذيرهم، ﴿وَمَا كَانُوا الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَسْتَفْقَهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾.



## ● الوقفات التدبيرية

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قِيلُوا الَّذِينَ يَكُونُكُم مِنَ الْكُفَّارِ لِيَعْلَمُوا  
فِيكُمْ غُلَّةً﴾

فإن المؤمن الكامل هو الذي يكون رفيقاً لأخيه المؤمن، غليظاً على عذوه الكافر. ابن كثير: ٣٨٤/٢.

**السؤال: كيف تكون علاقة المؤمن بأخيه المؤمن، وعلاقته بالكافر المحارب؟**

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قِيلُوا لِلَّذِينَ يُلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ﴿١٠٠﴾

والمقصود من ذلك: إلقاء الرعب في قلوب الأعداء؛ حتى يخشوا عاقبة  
التصدي لقتال المسلمين. ابن عاشور: ٦٣/١١.

**السؤال: ما المقصد من أمر المجاهدين بالغلظة على المشركين؟**

﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أُنْزِلَ إِلَيْكُمُ هَٰذِهِ الْقُرْآنُ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ أَمْ لَمَّا قَرَأْتُمْ هَٰذَا قُلْتُمْ سُرٌّ مَّزْمُونٌ أَوْ نَحْوُ هَٰذَا فَيَكْفُرُوا بِهِ عَنِ رَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاسِخُونَ ﴿١٠﴾﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ ﴿١١﴾﴾

أي: من المنافقين من يقول بعضهم لبعض: أيكم زادت هذه إيماناً -على وجه الاستخفاف بالقرآن- كأنهم يقولون: أي عجب في هذا؟ وإي دليل في هذا؟ (فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً)، وذلك لما يتجدد عندهم من البراهين والأدلة عند نزول كل سورة. (وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم)، ... والمعنى: ... زادتهم كفراً ونفاقاً إلى كفرهم ونفاقهم. ابن جرير: ٣٧٤/١.

السؤال: كيف كان في نزول الآية زيادة إيمان لبعض الناس، وزيادة نفاق لآخرين؟

﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَشْعُرُونَ وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ ﴾

ولا شك أن الفتنة - التي أشارت إليها الآية - كانت خاصة بأهل النفاق من أمراض محل بهم، أو متائف تصيب أموالهم، أو جوانح تصيب ثمارهم، أو نقص من أنفسهم ومواليدهم، فإذا حصل شيان من ذلك في السنة كانت الفتنة مرتين. ابن عاشور: ٦٧/١١.

**السؤال: ما المراد بالفتنة في الآية الكريمة؟**

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ  
حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾

(حريص عليكم) فيحب لكم الخير، ويسعى جهده في إصالحه إليكم، ويحرص على هدايتكم إلى الإيمان، ويكره لكم الشر، ويسعى جهده في تنفيركم عنه، (بالمؤمنين رؤوف رحيم) أي: شديد الرأفة والرحمة بهم؛ ارحم بهم من والديهم. السعدي: ٣٥٧.

**السؤال: ما الصفات التي تجعل الداعية مقبولا بين الناس؟**

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾

(حريص عليك) اي: حريص على ايمانكم وسعادتكم. (بالؤمنين رؤوف رحيم): سماه الله هنا باسمين من اسمائه. ابن جزى ۱/ ۳۷۴.

السؤال: محبة الله سبحانه ثورث في العبد بعض الصفات، مثل ذلك من الآية: ﴿فَإِنْ رَوَوْا نَقَلَ حَسَنُ اللَّهِ إِلَيْهِ إِنْ لَا هُوَ عَلَيْهِ نَوَكْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾

وهذه الآية تفيد التنويه بهذه الكلمة المباركة؛ لأنه أمر بأن الكلمة بعينها، ولم يؤمر بمجرد التوكّل، ابن عاشور: ٧٤/١١.

**السؤال: لم كان في الآية تنويه بفضل لفظ الدعاء الوارد فيها؟**

## معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
يُلُونَكُمْ	الْقَرِيبِينَ مِنْكُمْ.
مَرَضٌ	شَكٌّ، وَنَفَاقٌ.
رَجَسًا	بِنَفَاقًا وَشَكًّا.
يُفْتَنُونَ	يُتَلَوْنَ بِالْحَقِّ وَالشُّدَّةِ، وَإِظْهَارِ مَا يُبْطِنُونَهُ مِنَ النِّفَاقِ.
عَزِيزٌ	صَعْبٌ، وَشَاقٌّ عَلَيْهِ.
مَا عَيْنُهُمْ	عَنْتُكُمْ، وَمَسَقَّتُكُمْ.

## ● العمل بالآيات

١. متى ما أحسست اليوم بضعف في إيمانك فاقرا آيات من القرآن الكريم بنية زيادة الإيمان، ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا ۖ﴾.

٢. قل: «اللهم يا مصرف القلوب صرف قلبي على طاعتك ومحبتك»  
﴿صَرَّفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾.

٣. قل: «حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ» ﴿١﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ

## ● التوجيهات

١. إذا أردت أن قتال معية الله تعالى فحقق التقوى؛ وذلك بتقديم أمر الله على هوى نفسك، ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾.

١٠. إذا وجدت قلبك لا ينتفع بالقرآن فاعلم أن فيه مرضاً، **وَأَمَّا الَّذِينَ فِي**  
**أَلْوَابِهِمْ مَرَضٌ** فَرَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ.

٢. ذكرت الآية أربع صفات للنبي ﷺ، حددها ثم حاول أن تتصف بها،

إلا خيالاً ونقصاً.

الآية (١٢٦-١٢٧): يقول تعالى: **أَوَلَا يَرَى هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ ﴿١٢٦﴾ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ ﴿١٢٧﴾ أَي: يُجْتَبَرُونَ ﴿١٢٨﴾ فِي كُلِّ عَاصِرَةٍ أَوْ مَرَّةٍ ثُمَّ لَا يَنْتَوُونَ وَلَا هُمْ يَكْزُرُونَ ﴿١٢٩﴾** أي: لا يتوبون من ذنوبهم السالفة، ولا هم يدركون فيما يستقبل من أحوالهم. قال مجاهد: يُجْتَبَرُونَ بِالسَّنة والجوع. وقال قتادة: بالغزو في السنة مرة أو مرتين.

وقوله: **﴿وَأِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ أَجْدَثٍ أَصْكُفُوا صَرْكَ أَنَّهُ قُلُوبُهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾**، هذا أيضاً إخبار عن المنافقين أنهم إذا أنزلت سورة على رسول الله ﷺ **﴿نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾** أي: تلقفوا، **﴿مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ أَجْدَثٍ أَصْكُفُوا﴾** أي: تولوا عن الحق وانصرفوا عنه، وهذا حالهم في الدين لا يثبتون عند الحق ولا يقبلونه ولا يقيمونه.

وقوله: **﴿ثُمَّ أَصْكُفُوا صَرْكَ أَنَّهُ قُلُوبُهُمْ﴾** كقوله: **﴿فَلَمَّا رَأَوْهُمُ آذَانُ اللَّهِ قُلُوبُهُمْ﴾** [الصف: ٥٠]، **﴿وَأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾** أي: لا يفهمون عن الله خطابه، ولا يقصدون لفهمه ولا يريدونه، بل هم في شدوه عنه ونفور منه، فلهذا صاروا إلى ما صاروا إليه.

الآية (١٢٨-١٢٩): يقول تعالى <sup>(١)</sup> **﴿ثُمَّ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ بَا أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ، أَي: مِنْ جَنَسِهِمْ وَعَلَى لَغَتِهِمْ، كَمَا قَالَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبَّنَا وَأَنْبِئْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ أَي: مِنْكُمْ وَبَلَّغْتُمْ، كَمَا قَالَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ لِلنَّجَاشِيِّ، وَالْمَغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ لِرَسُولِ كَسْرَى: إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ فِيْنَا رَسُولًا مِنَّا، نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِفَتَهُ، وَمُدْخَلَهُ وَمَخْرَجَهُ، وَصَدَقَهُ وَأَمَانَتَهُ. وَقَوْلُهُ: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ أَي: يَمُرُّ عَلَيْهِ الشَّيْءُ الَّذِي يُعْنِثُ أَمْتَهُ وَيَشُقُّ عَلَيْهَا، وَفِي الصَّحِيحِ: «إِنْ هَذَا الدِّينُ يُسْرُّ» [رواه البخاري]، وَشَرِيعَتُهُ كُلُّهَا سَهْلَةٌ سَمْحَةٌ كَامِلَةٌ، سِيرَةٌ عَلَى مَنْ يَسُرُّهَا اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ أَي: عَلَى هِدَايَتِكُمْ وَوَصُولِ النِّعَةِ الدُّنْيَوِيِّ وَالْآخِرَوِيِّ إِلَيْكُمْ.**

وقوله: **﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَوْفٌ رَجِيءٌ﴾** كَمَا قَالَ تَعَالَى: **﴿وَلْيُفَضِّلْ جَنَّاتِكَ لِيَن آتِيكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾** [النمر: ٢١٥]، **﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾** أَي: تَوَلَّوْا عَمَّا جِئْتُمْ بِهِ مِنَ الشَّرِيعَةِ الْعَظِيمَةِ الْمَطْهُرَةِ الْكَامِلَةِ الشَّامِلَةِ **﴿فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾** أَي: اللَّهُ كَافٍ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: **﴿وَبِئْسَ الْكُفْرُ الْقَلْبُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾** [الزلزل: ٩]، **﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾** أَي: هُوَ مَالِكُ كُلِّ شَيْءٍ وَخَالِقُهُ؛ لِأَنَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ الَّذِي هُوَ سَقْفُ الْمَخْلُوقَاتِ، وَجَمِيعُ الْخَلَائِقِ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِينَ وَمَا فِيهَا وَمَا بَيْنَهَا تَحْتَ الْعَرْشِ مَقْهُورُونَ بِقُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَعِلْمُهُ مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَقُدْرَتُهُ نَافِذٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ.

آخر سورة براءة، والحمد لله وحده.

الآية (١٢٣): أمر الله تعالى المؤمنين أن يقاتلوا الكفار أولاً فأولاً، الأقرب فالأقرب إلى حوزة الإسلام؛ ولهذا بدأ رسول الله ﷺ بقتال المشركين في جزيرة العرب، فلما فرغ منهم وفتح الله عليه مكة والمدينة والطائف واليمن وغير ذلك من أقاليم جزيرة العرب، ودخل الناس من سائر أحياء العرب في دين الله أفواجا، شرع في قتال أهل الكتاب، فتجهز لغزو الروم الذين هم أقرب الناس إلى جزيرة العرب، وقام بالأمر بعده خليفته أبو بكر رضي الله عنه فوطئ القواعد، وثبت الدعائم، ورد أهل الردة إلى الإسلام. وكان تمام الأمر على يدي ولي عهده الفاروق عمر بن الخطاب، ثم لئلا مات شهيداً أجمع الصحابة من المهاجرين والأنصار على خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، وأمدت في سائر الأقاليم على رقاب العباد حجة الله البالغة، وظهر الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها، فكلما علوا أمة انتقلوا إلى من بعدهم، ثم الذين يلونهم من العتاة الفجار، امتثالاً لقوله تعالى: **﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ الَّذِينَ يَكُونُكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ﴾**.

وقوله: **﴿وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾** أي: وليجد الكفار منكم غلظة عليهم في قتالكم لهم؛ فإن المؤمن الكامل هو الذي يكون رفيقاً لأخيه المؤمن، غليظاً على عدوه الكافر؛ كقوله تعالى: **﴿سَيُوفٌ بَيْنَ اللَّهِ يَمْوِيهِمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾** [المائدة: ٥٤]، وقوله تعالى: **﴿تَحَمَّدَ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَجْدَاءً عَلَى الْكَافِرِ رَحْمَةً يَنْهَى﴾** [الفتح: ٢٩].

وقوله: **﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾** أي: قاتلوا الكفار، وتوكلوا على الله، واعلموا أن الله معكم إن اتقيتموه وأطعتموه. وهكذا الأمر لئلا كانت القرون الثلاثة -الذين هم خير هذه الأمة- في غاية الاستقامة والقيام بطاعة الله تعالى؛ لم يزالوا ظاهرين على عدوهم، ولم تزل الفتوحات كثيرة، ولم تزل الأعداء في سفال وخسار، ثم لئلا وقعت الفتن والأمواء والاختلافات بين الملوك، طمع الأعداء في أطراف البلاد، فأخذوا من الأطراف بلداناً كثيرة، ثم لم يزالوا حتى استحوذوا على كثير من بلاد الإسلام، والله سبحانه الأمر من قبل ومن بعد. فكلما قام ملك من ملوك الإسلام، وأطاع أوامر الله فتح الله عليه من البلاد، واسترجع من الأعداء بحسبه، وبقدر ما فيه من ولاية الله.

الآية (١٢٤-١٢٥): يقول تعالى: **﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾** فمن المنافقين **﴿ثَن يَقُولُ آتَيْنَاكُمْ زَادَتْهُ هُدًى وَبَيِّنَاتٌ﴾**؟ أي: يقول بعضهم لبعض: أيكم زادته هذه السورة إيماناً؟ قال تعالى: **﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَرَأَدْتُمْ إِلَى كَيْفَ وَهُمْ يَكْتُمُونَ﴾** وهذه الآية من أكبر الدلائل على أن الإيمان يزيد وينقص؛ كما هو مذهب أكثر السلف والخلف من أئمة العلماء، بل قد حكى الإجماع على ذلك غير واحد.

**﴿رَأَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَرَأَدْتُمْ إِلَى كَيْفَ﴾** أي: زادتهم شكاً إلى شكهم، وزيلاً إلى زيهم؛ كما قال تعالى: **﴿وَنَزَّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾** [الإسراء: ٨٢]، وهذا من جملة شقائهم: أن ما يهدي القلوب يكون سبباً لضلالهم ودمارهم؛ كما أن سعى المزاج لو غلب بما غلب به لا يزيد

(١) هذا الاستعمال عند ابن كثير يومه وجود قول، ومفعوله محذوف، أو أن هناك سقطاً. وكان مراده هنا: "يعني تعالى على المؤمنين بإرساله إليهم رسولاً من أنفسهم".



وحده لا شريك له، ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أي: أيها المشركون في أمركم، تعبدون مع الله غيره، وأنتم تعلمون أنه المتفرد بالخلق؟! كقوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ يَقُولُونَ اللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]، وقوله: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ (٨٨) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الزُّمَر: ٨٦-٨٧]، وكذا الآية التي قبلها والتي بعدها.

الآية (٤): يخبر تعالى أن إليه مرجع الخلائق يوم القيامة؛ لا يترك منهم أحدًا حتى يعيده كما بدأه. ثم ذكر تعالى أنه كما بدأ الخلق كذلك يعيده، ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]. ﴿يَجْزِي الَّذِينَ آمَنُوا وَيَعْلَمُ الصَّالِحِينَ وَالْقَسِطُ﴾ أي: بالعدل والجزاء الأوفى، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ أي: بسبب كفرهم يعمدون يوم القيامة بأنواع العقاب من: ﴿سُومٍ وَحَمِيمٍ﴾ (١١) وظل من يسمو [الواقعة: ٤٢-٤٣]. ﴿هَذَا يَذَّكَّرُ بِهِ جَبْرٌ وَأَعِظَانِ﴾ (١٢) وآخرون من شكله أنزع [ص: ٥٧-٥٨]، هؤلاء جهنم التي يكذب بها المؤمنون (١٣) يطوفون فيها وبين حميمٍ أي: [الرحمن: ٤٣-٤٤].

الآية (٥-٦): يخبر تعالى عما خلق من الآيات الدالة على كمال قدرته، وعظيم سلطانه، وأنه جعل الشعاع الصادر عن جُزْمِ الشمس وشعاع القمر نوراً، هذا فيّ وهذا فيّ آخر، فَاَوْتَاتَ بَيْنَهُمَا لُتْلًا يَسْتَوِيهَا، وجعل سلطان الشمس بالنهار، وسلطان القمر بالليل، وقَدَّرَ القمر منازل؛ فَأَوَّلُ مَا يَدُو صَغِيرًا، ثم يتزايد نُورُهُ وَجُزْمُهُ، حتى يَسْتَوِيَقُ ويكمل إيداره، ثم يَشْرَعُ في النقص حتى يرجع إلى حاله الأول في تمام شهر؛ كما قال تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْتَهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْوَةِ الْقَدِيرِ﴾ [يس: ٣٩]، وقال: ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [الأنعام: ٩٦]. وقال في هذه الآية الكريمة: ﴿وَقَدَرَهُ﴾ أي: القمر ﴿مَنَازِلَ لِّيَعْلَمُوا عَدَدَ اللَّيْلِ وَالنَّجْمِ﴾ [الحج: ٥]، فالشمس تُعرف الأيام، ويسير القمر تُعرف الشهور والأعوام. ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ أي: لم يخلقه عبثاً، بل له حكمة عظيمة في ذلك، وحجة بالغة، ﴿فَتَضِلُّ الرَّاكِبُ﴾ (١) أي: نَبِيُّ الْحُجَّجِ والأدلة ﴿لِيَقُومَ صَلَواتٌ﴾. وقوله: ﴿إِنْ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّجْمِ﴾ أي: تعاقبها إذا جاء هذا دَعَبَ هذا، وإذا دَعَبَ هذا جاء هذا؛ لا يتأخر عنه شيئاً.

وقوله: ﴿وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: من الآيات الدالة على عظمته تعالى، كما قال: ﴿وَكَيْفَ مِنْ بَاقٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الآية (يوسف: ١٠٥)، وقوله: ﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُنْشِئُ الْاَنْبِيَاءُ وَالْمُتَدَارِعُونَ قَوْلَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١]، وقال: ﴿اَفَلَمْ يَرَوْا اِلَى مَا بَيْنَ اَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنْ سَكَّةٍ وَالْأَرْضِ﴾ [سبا: ٩]، وقال: ﴿إِنِّي فُتِّخْتُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَفْتُ الْيَلِّ وَالنَّهَارَ لَا يُكْنِى لَأُولَى الْاَلْبَابِ﴾ (آل عمران: ١٩٠) أي العقول، وقال ههنا: ﴿لَا يُكْنِى لِقَوْلِهِمْ يَقُولُ﴾ أي: عقاب الله، وسخطه، وعذابه.

وهي مكية، [وآياتها (١٠٩) آيات، وهي من السبع الطُول، نصّ عليه ابن عباس وسعيد بن جبير].

الآية (١-٢): أما الحروف المقطعة في أوائل السور فقد تقدّم الكلام عليها في أوائل سورة البقرة. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا الْكَيْدُ عَلَيْكُمْ﴾ أي: هذه آيات القرآن المحكم المبين، وقال مجاهد: التوراة والإنجيل. وقال الحسن: التوراة والزبور. وهذا القول لا أعرف وجهه ولا معناه.

وقوله: ﴿أَكَاذِبًا لِلنَّاسِ عَجَبًا﴾ يقول تعالى مُتَكَبِّرًا على من تعجب من الكفار من إرسال المرسلين من البشر؛ كما أخبر تعالى عن القرون الماضية من قومه: ﴿أَشْرَأُ مَذْمُومًا﴾ [التغابن: ٦]، وقال هود وصالح لقومهما: ﴿أَوْعَيْتُمْ أَنْ جَاءَ رُسُلُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ أَنْ تَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَأَنْ تَكْفُرُوا﴾ [الأعراف: ٦٣].

[سبب النزول]: قال ابن عباس: لَمَّا بَعَثَ اللهُ تَعَالَى مُحَمَّدًا ﷺ رَسُولًا، أُنْكَرَتِ الْعَرَبُ ذَلِكَ، أَوْ مِنْ أُنْكَرَ مِنْهُمْ، فَقَالُوا: اللهُ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يَكُونَ رَسُولُهُ بِشَرًّا مِنْهُ. قَالَ: فَاتَّزَلَّ اللهُ عِزَّ وَجَلٍّ: ﴿أَكَاكَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أُوحِيََ إِلَيَّ رَجُلٍ يَنْهَى﴾. و قوله: ﴿أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾. اختلفوا فيه؛ فقال ابن عباس: سَبَقَتْ لَهُمُ السَّعَادَةُ فِي الذِّكْرِ الْأَوَّلِ. وقال: اجْزَأَ حَسَنًا بِمَا قَدَّمُوا. وقال مجاهد: ﴿أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾: الأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ: صِلَاتُهُمْ، وَصَوْمُهُمْ، وَصَدَقَتُهُمْ، وَتَسْبِيحُهُمْ. واختار ابن جرير قول مجاهد -أنها الأعمال الصالحة التي قَدَّموها- قال: كما يُقَالُ: لَهُ قَدَمٌ فِي الْإِسْلَامِ. ومنه قول حسان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

لَنَا الْقَدَمُ الْمُلِيَا إِلَيْكَ وَخَلَقْنَا \* لِأَوْلَنَا فِي طَاعَةِ اللَّهِ تَابِعٌ  
وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا السَّحَرُ مِثْلُكُمْ﴾ أَي: مَعَ أَنَا  
بَعَثْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ، رَجُلًا مِنْ جَنْسِهِمْ، بَشِيرًا وَنَذِيرًا، قَالَ  
الْكَافِرُونَ: إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مِثْلُ أَيْ: ظَاهِر، وَهُمْ الْكَافِرُونَ فِي ذَلِكَ.

الآية (٣): يخبر تعالى أنه ربُّ العالم جميعه، وأنه خَلَقَ السموات والأرض في ستة أيام - قيل: كهذه الأيام، وقيل: كل يوم كألف سنة تماماً تعدُّون- ثم استوى على العرش، والعرش أعظم المخلوقات وسقفها. ﴿يَذِيرُ الْأَمْرَ﴾ أي: يُدَبِّرُ أمر الخلائق؛ ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [سبا:٣]، ولا يشغله شأن عن شأن، ولا تغططه المسائل، ولا يتبرَّكُ بالخالع المُلحِّين، ولا يليه تدبير الكبير عن الصغير في الجبال والبحار والعمران والقفار، ﴿وَمَا يَنْتَهِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَرْزُقُهَا مِنْ غَيْرِهَا وَمُسْتَوْدَعُهَا كُلُّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [معد:٦]، ﴿وَمَا تَسْطُرُ مِنْ رِزْقَةٍ إِلَّا يُعَلِّمُهَا وَلَا حَبْرٌ فِي ظِلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام:٥٩]. وقوله: ﴿مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ كقوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة:٢٥٥]، وكقوله تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُفْقَى شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَرِضْوَانٍ﴾ [النجم:٢٦]، وقوله: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سبا:٢٣].

وقوله: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾ أي: أفردوه بالعبادة

(١) قرأ حفص - ومعه ابن كثير القارئ وأبو عمرو ويعقوب - : ﴿يَصَلُّ﴾، وقرأ الباقر عدا ابن السيمفم : ﴿يُصَلُّ﴾ بالنون؛ وهي التي اعتمدها ابن كثير المفسر.



## ● الوقفات التدريبية

﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾

ووجه مناسبتها لسورة براءة، أن الأولى خُيِّمت بذكر الرسول ﷺ وهذه ابتدأت به، وأيضاً أن في الأولى بياناً لما يقوله المنافقون عند نزول سورة من القرآن، وفي هذه بيان لما يقوله الكفار في القرآن. الأنوسي: ٧٩/١١.

السؤال: ما وجه الارتباط بين آخر سورة التوبة وأول سورة يونس؟

﴿إِنَّ رَبَّكَ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾

مع أنه قادر على خلقها في لحظة واحدة، ولكن لما له في ذلك من الحكمة الإلهية، ولأنه رفيق في أفعاله. السعدي: ٣٥٧.

السؤال: لماذا لم يخلق الله السماوات والأرض دفعة واحدة؟

﴿مَنْ شِئْنَا لَآتَيْنَا بِدَلِيلٍ، ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾

فلا يقدم أحد منهم على الشفاعة -ولو كان أفضل الخلق- حتى ياذن الله، ولا ياذن إلا لمن ارتضى، ولا يرتضى إلا أهل الإخلاص والتوحيد له.

السعدي: ٣٥٧.

السؤال: يشترط للشفاعة شرطان، ما هما؟

﴿إِنَّهُ يَدْعُوا أَلْفَ ثَمَرٍ مُبِينٍ، لِيَرْثِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَالْقِسْطِ﴾

(بالقسط): أي: بالعدل؛ بيان لعلة الحياة بعد الموت؛ إذ هذه الدار دار عمل، والآخرة دار جزاء على هذا العمل؛ فلذا كان البعث واجباً حتماً لا بد منه. الجزائري: ٤٤٨/٢.

السؤال: ما الحكمة من بعث الناس بعد الموت؟

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شُرَكَاءُ مِنْ دُونِ اللَّهِ يُغْوِيهِمْ فَيَكْفُرُونَ﴾

وخص الشراب من الحميم بالذكر من بين أنواع العذاب الأليم؛ لأنه أكره أنواع العذاب في ما ألوف النفوس. ابن عاشور: ٩٣/١١.

السؤال: لم خص الشراب من الحميم بالذكر؟

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ يَعْلَمُونَ﴾

عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفْعِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٥١﴾

في هذه الآيات الحث والترغيب على التفكير في مخلوقات الله، والنظر فيها بعين الاعتبار؛ فإن بذلك تفتتح البصيرة، ويزداد الإيمان والعقل، وتقوى القرينة، وفي إهمال ذلك تهاون بما أمر الله به، وإغلاق لزيادة الإيمان، وجمود للذهن والقرينة. السعدي: ٣٥٨.

السؤال: ما أهمية التفكير والتدبر في مخلوقات الله الكونية؟

﴿إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾

(آيات لقوم يتقون): وخصصهم سبحانه بالذكر؛ لأن التقوى هي الداعية للنظر والتدبر. الأنوسي: ٩٧/١١.

السؤال: ما الصفة التي تدعو صاحبها إلى النظر والتدبر؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَجْرٌ مُبِينٌ ﴿٢﴾ إِنَّ رَبَّكَ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا أَمِنْ عِنْدَهُ ذَلِكَ عَرَفَ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدُو الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شُرَكَاءُ مِنْ دُونِ اللَّهِ يُغْوِيهِمْ فَيَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالنَّهَارَ مُجَازًا وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا أَمِنْ عِنْدَهُ ذَلِكَ عَرَفَ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا أَمِنْ عِنْدَهُ ذَلِكَ عَرَفَ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
قَدَمٌ صِدْقٍ	أَجْرًا حَسَنًا بِمَا قَدُمُوا مِنْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ.
اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ	عَلَا عَلَى الْعَرْشِ عَلُوًّا يَلِيْقُ بِجَلَالِهِ وَعَظَمَتِهِ.
بِالْقِسْطِ	بِالْعَدْلِ.
حَمِيمٍ	مَاءٌ بَالِغٌ غَايَةَ الْحَرَارَةِ.
وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ	صَيَّرَ الْقَمَرَ ذَا مَنَازِلَ يَسِيرُ فِيهَا.
اِخْتِلَافٍ	تَغَايُبٍ.

## ● العمل بالآيات

١. أرسل رسالة إلى أحد الدعاة تبشره أن ثباته على الدعوة علامة على صدقه، ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾.
٢. قل: اللهم إني أسألك شفاعت نبيك محمد ﷺ، ﴿مَنْ شِئْنَا لَآتَيْنَا بِدَلِيلٍ﴾.
٣. تعرف على بعض علوم الفلك؛ ففيها زيادة إيمان، ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ يَعْلَمُونَ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفْعِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

## ● التوجيهات

١. بشرى أهل الإيمان والعمل الصالح بما أعد لهم عند ربهم، ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾.
٢. عدم تورع أهل الكفر عن الكذب والتضليل، ﴿قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَجْرٌ مُبِينٌ﴾.
٣. لا تتطلب الشفاعة الأخروية من حي أو ميت، بل اطلبها ممن لا يضيع أحد إلا بإذنه، ﴿مَنْ شِئْنَا لَآتَيْنَا بِدَلِيلٍ﴾.



## ● الوقفات التدريبية

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِالَّذِي هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾ ١ ﴿أُولَئِكَ مَا لَهُمْ لَنَا يَوْمَئِذٍ عِلْمٌ﴾  
قال الحسن: والله ما زينوها ولا رفعوها حتى رضوا بها، وهم غافلون عن آيات الله الكونية فلا يتفكرون فيها، والشرعية فلا ياتصرون بها، بأن ماواهم يوم معادهم النار، جزاء على ما كانوا يكسبون في دنياهم من الأثام، والخطايا، والإجرام. ابن كثير: ٣٨٩/٢.

السؤال: اذكر علامة من علامات الرضا بالحياة الدنيا؟  
﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِالَّذِي هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾

(واطمأننوا بها) أي: ركنوا إليها، وجعلوها غاية مرامهم، ونهاية قصدهم؛ فسمعوا لها، واكسبوا على لذاتها وشهواتها؛ بأي طريق حصلت حصولها، ومن أي وجه لاحت ابتدوها، قد صرفوا إرادتهم ونياتهم وأفكارهم وأعمالهم إليها. (والذين هم عن آياتنا غافلون): فلا ينتفعون بالآيات القرآنية، ولا بالآيات الأفقية والنفسية، والإعراض عن الدليل مستلزم للإعراض والغفلة عن المدلول المقصود. السعدي: ٣٥٨.

السؤال: ذكرت الآية مانعا يمنع من الانتفاع بالآيات القرآنية، فما هو؟  
﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِالَّذِي هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾

(يهديهم ربهم بإيمانهم) أي: يسدهم بسبب إيمانهم إلى الاستقامة، أو يهديهم في الآخرة إلى طريق الجنة. ابن جزي: ٣٧٦/١.

السؤال: بين ثمرة الإيمان الواردة في هذه الآية.  
﴿فِي جَنَّتِ النَّبِيُّ﴾

أضافها الله إلى النعيم لاشتمالها على النعيم التام؛ نعيم القلب بالفرح والسرور، والبهجة والحيور، وروية الرحمن، وسماع كلامه، والاعتباط برضاه وقربه، ولقاء الأحبة والإخوان، والتمتع بالاجتماع بهم، وسماع الأصوات المطربات، والنفحات المشجيات، والمناظر المفرحات، ونيهم البدن بأنواع المأكول والمشرب والمناكح، ونحو ذلك مما لا تعلمه النفوس، ولا خطر ببال أحد، أو قدر أن يصفه الواصفون. السعدي: ٣٥٩.

السؤال: ما الذي نفيده من إضافة الجنات إلى النعيم؟  
﴿دَعَوْهُمْ فِيهَا سُبْحَنَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ﴾

فالتكاليف سقطت عنهم في دار الجزاء، وإنما بقي لهم أكمل اللذات، الذي هو الذ عليهم من المأكول اللذيذة، ألا وهو ذكر الله الذي تملطن به القلوب، وتفرح به الأرواح، وهو لهم بمنزلة النفس، من دون كلفة ومشقة. السعدي: ٣٥٩.

السؤال: نحن نعلم أن التكاليف تسقط عن الناس يوم القيامة، فكيف تصدر منهم هذه العبادات؟

﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَانُ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى شَيْءٍ مِّنْهُ﴾

وفي الآية ذم لمن يترك الدعاء في الرخاء، ويهرغ إليه في الشدة، واللاق بحال الكامل: التضرع إلى مولاه في السراء والضراء؛ فإن ذلك أرحى للإجابة؛ ففي الحديث: (تعرف على الله في الرخاء يعرفك في الشدة). الألوسي: ١٠٨/١١.

السؤال: اذكر شيئا من آداب الدعاء مما أشارت إليه الآية الكريمة.

﴿كَذَلِكَ رُبُّهُ لِيُمْتَرِنَهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾  
(ما كانوا يعملون) من: الإعراض عن الذكر والدعاء، والانهماك في الشهوات، والإسراف: مجاوزة الحد، وسؤاؤا أولئك مسرفين لأن الله تعالى إنما أعطاهم القوى والمشاعر ليصرفوها إلى مصادرها، ويستعملوها فيما خلقت له من العلوم والأعمال الصالحة، وهم قد صرفوها إلى ما لا ينبغي مع أنها راس مالهم. الألوسي: ١٠٨/١١.

السؤال: الإسراف يكون في إنفاق المال، ويكون في أعم من ذلك، بين المعنى العام للإسراف.

إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿١﴾ أُولَئِكَ مَا لَهُمْ لَنَا يَوْمَئِذٍ عِلْمٌ ﴿٢﴾ قَالَ الْحَسَنُ: وَاللَّهِ مَا زَيْنُوهَا وَلَا رَفَعُوهَا حَتَّى رَضُوا بِهَا، وَهُمْ غَافِلُونَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ الْكَوْنِيَّةِ فَلَا يَتَفَكَّرُونَ فِيهَا، وَالشَّرْعِيَّةِ فَلَا يَأْتَصِرُونَ بِهَا، بَانَ مَا وَاهَمَ يَوْمَ مَعَادِهِمُ النَّارَ، جَزَاءً عَلَى مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ فِي دُنْيَاهُمْ مِنْ الْأَثَامِ، وَالْخَطَايَا، وَالْإِجْرَامِ. ابْنُ كَثِيرٍ: ٣٨٩/٢.

السؤال: اذكر علامة من علامات الرضا بالحياة الدنيا؟

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِالَّذِي هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾

(واطمأننوا بها) أي: ركنوا إليها، وجعلوها غاية مرامهم، ونهاية قصدهم؛ فسمعوا لها، واكسبوا على لذاتها وشهواتها؛ بأي طريق حصلت حصولها، ومن أي وجه لاحت ابتدوها، قد صرفوا إرادتهم ونياتهم وأفكارهم وأعمالهم إليها. (والذين هم عن آياتنا غافلون): فلا ينتفعون بالآيات القرآنية، ولا بالآيات الأفقية والنفسية، والإعراض عن الدليل مستلزم للإعراض والغفلة عن المدلول المقصود. السعدي: ٣٥٨.

السؤال: ذكرت الآية مانعا يمنع من الانتفاع بالآيات القرآنية، فما هو؟

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِالَّذِي هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾

(يهديهم ربهم بإيمانهم) أي: يسدهم بسبب إيمانهم إلى الاستقامة، أو يهديهم في الآخرة إلى طريق الجنة. ابن جزي: ٣٧٦/١.

السؤال: بين ثمرة الإيمان الواردة في هذه الآية.

﴿فِي جَنَّتِ النَّبِيُّ﴾

أضافها الله إلى النعيم لاشتمالها على النعيم التام؛ نعيم القلب بالفرح والسرور، والبهجة والحيور، وروية الرحمن، وسماع كلامه، والاعتباط برضاه وقربه، ولقاء الأحبة والإخوان، والتمتع بالاجتماع بهم، وسماع الأصوات المطربات، والنفحات المشجيات، والمناظر المفرحات، ونيهم البدن بأنواع المأكول والمشرب والمناكح، ونحو ذلك مما لا تعلمه النفوس، ولا خطر ببال أحد، أو قدر أن يصفه الواصفون. السعدي: ٣٥٩.

السؤال: ما الذي نفيده من إضافة الجنات إلى النعيم؟

﴿دَعَوْهُمْ فِيهَا سُبْحَنَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ﴾

فالتكاليف سقطت عنهم في دار الجزاء، وإنما بقي لهم أكمل اللذات، الذي هو الذ عليهم من المأكول اللذيذة، ألا وهو ذكر الله الذي تملطن به القلوب، وتفرح به الأرواح، وهو لهم بمنزلة النفس، من دون كلفة ومشقة. السعدي: ٣٥٩.

السؤال: نحن نعلم أن التكاليف تسقط عن الناس يوم القيامة، فكيف تصدر منهم هذه العبادات؟

﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَانُ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى شَيْءٍ مِّنْهُ﴾

وفي الآية ذم لمن يترك الدعاء في الرخاء، ويهرغ إليه في الشدة، واللاق بحال الكامل: التضرع إلى مولاه في السراء والضراء؛ فإن ذلك أرحى للإجابة؛ ففي الحديث: (تعرف على الله في الرخاء يعرفك في الشدة). الألوسي: ١٠٨/١١.

السؤال: اذكر شيئا من آداب الدعاء مما أشارت إليه الآية الكريمة.

﴿كَذَلِكَ رُبُّهُ لِيُمْتَرِنَهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾

(ما كانوا يعملون) من: الإعراض عن الذكر والدعاء، والانهماك في الشهوات، والإسراف: مجاوزة الحد، وسؤاؤا أولئك مسرفين لأن الله تعالى إنما أعطاهم القوى والمشاعر ليصرفوها إلى مصادرها، ويستعملوها فيما خلقت له من العلوم والأعمال الصالحة، وهم قد صرفوها إلى ما لا ينبغي مع أنها راس مالهم. الألوسي: ١٠٨/١١.

السؤال: الإسراف يكون في إنفاق المال، ويكون في أعم من ذلك، بين المعنى العام للإسراف.

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
دَعَاؤُهُمْ	دَعَاؤُهُمْ.
يَمْتَرِنَهُمْ	يَمْتَرِدُونَ خَائِبِينَ.
لَجْنِبِهِ	مُضْطَجِعًا.
مَرَّ	اسْتَمَرَّ عَلَى كُفْرِهِ.
الْفُرُونَ	الْأُمَمُ الْمُكْتَنِبَةُ.
خَلَّافٌ	اسْتَخْلَفْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ إِهْلَاكِكُمْ.

## ● العمل بالآيات

١. استمع إلى موعظة تذكرك بالآخرة، ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِالَّذِي هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾.

٢. احمد رب العالمين بعد انتهائك اليوم من كل عمل صالح، ﴿وَأَجِرْ دَعْوَتَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

٣. تذكر اليوم ضرا أو مرضا كشفه الله عنك، ثم اجتهد في حمده وشكره، ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَانُ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى شَيْءٍ مِّنْهُ﴾.

## ● التوجيهات

١. نسيان الآخرة بداية الغفلة، ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِالَّذِي هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾.

٢. ما يقدره الله حولك من أحداث وأخبار ونوازل إنما هو تنكير لك، فاحذر ان تكون عنها غافلا، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾.

٣. الإيمان سبب من أسباب الهداية الربانية؛ فاحرص على زيادة إيمانك ليزيدك الله هداية، ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِالَّذِي هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾.

يستجيب لهم - والحالة هذه - لطفاً ورحمةً، كما يستجيب لهم إذا دعوا لأنفسهم أو لأموالهم أو أولادهم بالخير والبركة والثناء؛ ولهذا قال: ﴿وَلَوْ يَعْجَلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَفُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ﴾ الآية أي: لو استجاب لهم كلُّما دعوه به في ذلك لأهلكهم، ولكن لا ينبغي الإكثار من ذلك، كما جاء في الحديث عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، لا تدعوا على أولادكم، لا تدعوا على أموالكم؛ لا توافقوا من الله ساعة فيها إجابة فيستجيب لكم» [رواه مسلم]. وقال مجاهد في تفسير هذه الآية: هو قول الإنسان لولده وماله إذا غضب عليه: «اللهم لا تبارك فيه وألغته». فلو يُعْجَل لهم الاستجابة في ذلك كما يستجيب لهم في الخير لأهلكهم.

الآية (١٢): يجزى تعالى عن الإنسان وضجره وقلقه إذا مسه الضر؛ كقوله: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الْفَقْرُ فَذُوْهُ عَرِيضٌ﴾ [نصحت: ٥١] أي: كثير، وهما في معنى واحد؛ وذلك لأنه إذا أصابته شدة قلق لها وجزع منها، وأكثر الدعاء عند ذلك، فدعا الله في كشفها وزوالها عنه في حال اضطجاعه وقعوده وقيامه، وفي جميع أحواله، فإذا فرج الله شدته وكشف كثرته، أعرض ونأى بجانبه، وذهب كأنه ما كان به من ذاك شيء؛ «مَرَّكَانَ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى شَيْءٍ مَسَّهُ».

ثم ذمَّ تعالى مَنْ هذه صفته وطريقته فقال: ﴿كَذَلِكَ رُبُّنَا لِلشَّرِّ فِيْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، فأما من رزقه الله الهداية والسداد والتوفيق والرشاد، فإنه مُسْتَنَى من ذلك؛ كما قال تعالى: ﴿لَا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [مرد: ١١]، وكقول رسول الله ﷺ: «عجباً لأمر المؤمن، لا يقضي الله له قضاء إلا كان خيراً له: إن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له، وإن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن» [رواه مسلم].

الآية (١٣-١٤): أخبر تعالى عمَّا أحلَّ بالقرون الماضية في تكذيبهم الرسل فيها جاءهم به من البينات والحجج الواضحات، ثم استخلف الله هؤلاء القوم من بعدهم، وأرسل إليهم رسولاً لينظر طاعتهم له، واتباعهم رسوله، وفي صحيح مسلم عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها فانظر ماذا تعملون، فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء؛ فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء».

الآية (٧-٨): يقول الله تعالى مخبراً عن حال الأشقياء الذين كفروا بقاء الله يوم القيامة، ولا يرجون في لقائه شيئاً، ورضوا بهذه الحياة الدنيا واطمأنَّت إليها أنفسهم. قال الحسن: والله ما رزئوها ولا رفعوها حتى رضوا بها؛ وهم غافلون عن آيات الله الكونية فلا يتفكرون فيها، والشريعة فلا يأمرون بها، بأن ماوهم يوم معادهم النار، جزاء على ما كانوا يكسبون في دنياهم من الآثام والخطايا والإجرام، مع ما هم فيه من الكفر بالله ورسله واليوم الآخر.

الآية (٩-١٠): وهذا إخبار عن حال الشُعَدَاء الذين آمنوا بالله وصدَّقوا المرسلين، وامتلأوا ما أمروا به، فعملوا الصالحات؛ بأنه سيهديهم ﴿بِإِيمَانِهِمْ﴾ يُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ «الباء» ههنا سببية، فتقديره: بسبب إيمانهم في الدنيا يهديهم الله يوم القيامة على الصراط، حتى يجزؤوه ويخلِّصُوا إلى الجنة. ويُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ للاستعانة؛ كما قال مجاهد في قوله: «يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ» قال: يكون لهم نوراً يمشون به.

وقوله: ﴿دَعَوْنَهُمْ فِيهَا سَبَّحْتَهُ لَوْلَمْ وَخَيَّرْتَهُمْ فِيهَا سَلَامًا وَآخِرُ دَعْوَانَهُمْ أَنْ لَحْمَدُ يَلَهُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي: هذا حال أهل الجنة. قال ابن جريج: أخبرت أن قوله: ﴿دَعَوْنَهُمْ فِيهَا سَبَّحْتَهُ لَوْلَمْ﴾ قل: إذا مرَّ بهم الطير يشتهونه، قالوا: سبحانك اللهم - وذلك دعواهم - فإتيهم الملك بما يشتهونه، فيُسَلِّمُ عليهم، فيردُّون عليه، فذلك قوله: ﴿وَخَيَّرْتَهُمْ فِيهَا سَلَامًا﴾ قال: فإذا أكلوا حمدوا الله ربهم، فذلك قوله: ﴿وَآخِرُ دَعْوَانَهُمْ أَنْ لَحْمَدُ يَلَهُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. وهذه الآية فيها شُبُهَةٌ من قوله: ﴿وَخَيَّرْتَهُمْ يَوْمَ يَقُولُهُ سَلَامًا﴾ الآية [الأحزاب: ٤٤]، وقوله: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ۖ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾ [الواقعة: ٢٥-٢٦]، وقوله: ﴿سَلَامًا قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَجِيمٍ﴾ [يس: ٥٨]، وقوله: ﴿وَالْمَلَكُ يَدْعُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ۖ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ [الرعد: ٢٣-٢٤].

وقوله: ﴿وَآخِرُ دَعْوَانَهُمْ أَنْ لَحْمَدُ يَلَهُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ هذا فيه دلالة على أن الله تعالى هو المحمود أبداً، المعبود على طول المدى؛ ولهذا حمَّد نفسه عند ابتداء خلقه واستمراره، وفي ابتداء كتابه، وعند ابتداء تنزيله؛ حيث يقول تعالى: ﴿لَقَدْ بَدَأَ الْإِنْسَانُ أَرْزُلًا عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ [الكهف: ١]، ﴿لَحْمَدُ يَلَهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [الأنعام: ١] إلى غير ذلك من الأحوال التي يطول بسطُها، وأنه المحمود في الحياة الدنيا وفي الآخرة، في جميع الأحوال؛ ولهذا جاء في الحديث: «إن أهل الجنة يُلْهَمُونَ التسبيح والتمجيد كما يُلْهَمُونَ النَّفْسَ» [رواه مسلم]، وإنما يكون ذلك كذلك لِمَا يرون من تَضَاعُفِ يَمِّ الله عليهم، فتكرَّر وتُكاد وتُزَاد، فليس لها انقضاء ولا أمد، فلا إله إلا هو ولا رب سواه.

الآية (١١): يجزى تعالى عن جِلْمِه ولُطْفِه بعباده: أنه لا يستجيب لهم إذا دعوا على أنفسهم أو أموالهم أو أولادهم، في حال ضَجَرِهِم وغَضَبِهِم، وأنه يعلم منهم عَدَمَ القصد بالشر إلى إرادة ذلك، فلهاذا لا

الآية (١٨-١٩): ينكر تعالى على المشركين الذين عبدوا مع الله غيره، ظانين أن تلك الآلهة تنفعهم شفاعتها عند الله، فأخبر تعالى أنها لا تنفع ولا تضر ولا تملك شيئاً، ولا يقع شيء مما يزعمون فيها، ولا يكون هذا أبداً، ولهذا قال تعالى: ﴿قُلْ أَتَسْتَبْسِتُونَ﴾ الله بما لا يعلم في



## الوقفات التدريبية

﴿ وَإِذَا تُلَّتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٌ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا آتِنَا بِشْرَهُمْ إِن يَرْجُوا هَذَا أَوْ يُؤْمَرُوا قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَشِّرَ لَكُمْ مِنْ تِلْكَ آيَاتِي تَقِيحُ إِنَّ آتِيَكُمْ إِلَّا مَا يُوْحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُمْ رَحِيَّ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ٥٥ قُلْ تَوْشَاهُ اللَّهُ مَا تَلَوْنَهُ عَلَيْهِمْ وَلَا أَدْرِيكُمْ بِهِ ٥٦ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ٥٧ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ٥٨ وَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَدْعُونَ اللَّهَ يَمَّا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ٥٩ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُتِحَ بَيْنَهُمْ فِي مَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ٦٠ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ٦١ ﴾

السؤال: بين خطورة تغيير أحكام الشريعة حسب الأهواء والمصالح.  
﴿ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا آتِنَا بِشْرَهُمْ إِن يَرْجُوا هَذَا أَوْ يُؤْمَرُوا ﴾  
فإن زعموا أن قصدهم أن يبين لهم الحق بالآيات التي طلبوا فهم كذبت في ذلك؛ فإن الله قد بين من الآيات ما يؤمن على مثله البشر، وهو الذي يصرفها كيف يشاء، تابعاً لحكمته الربانية ورحمته بعباده السعدى: ٣٦.  
السؤال: الحوار لا يفيد منه الإنسان إلا إذا لازمه الصدق، وضع ذلك من الآية: ﴿ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ﴾  
دل قوله: (قال الذين لا يرجون لقاءنا) الآية، أن الذي حملهم على هذا التعتن الذي صدر منهم هو عدم إيمانهم ببقاء الله، وعدم رجائه، وأن من آمن ببقاء الله فلا بد أن ينقاد لهذا الكتاب ويؤمن به؛ لأنه حسن القصد السعدى: ٣٦.

السؤال: ما سبب تعتن المنافقين والكفار ومواقفهم تجاه القضايا الإسلامية والشرعية؟  
﴿ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا طَوِيلًا تَعْرِفُونَ حَقِيقَةَ حَالِي بَانِي أَمِي: لَا أَقْرَأُ وَلَا أَكْتُبُ وَلَا أَدْرُسُ، وَلَا أَعْلَمُ مِنْ أَحَدٍ، فَاتِيَتِكُمْ كِتَابٌ عَظِيمٌ أَعْجَزَ الْفَصْحَاءُ، وَأَعْيَا الْعُلَمَاءُ، فَهَلْ يُمْكِنُ مَعَ هَذَا أَنْ يَكُونَ مِنْ تِلْكَ نَفْسِي، أَمْ هَذَا دَلِيلٌ قَاطِعٌ أَنَّهُ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ؟ فُلُوْا عَمَلْتُمْ أَفْكَارَكُمْ وَعُضْلَكُمْ، وَتَدْبِرْتُمْ حَالِي وَحَالَ هَذَا الْكِتَابِ لَجُزْمَتِهِمْ جُزْأً لَا يَقْبَلُ الرِّيبَ بِصَدَقِهِ، وَأَنَّهُ الْحَقُّ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ إِلَّا الضَّلَالُ، وَلَكِنْ إِذْ أَبَيْتُمْ إِلَّا التَّكْذِيبَ وَالْعَنَادَ: فَانْتُمْ لَا شَكَّ أَنْتُمْ ظَالِمُونَ. السعدى: ٣٦.

السؤال: ما المراد من إخبار النبي ﷺ قومه أنه قد لبث فيهم عمراً قبل البعثة؟  
﴿ وَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾  
وكانوا مترفين بأن الهتهم لم تشارك الله في خلق السموات والأرض، ولا خلق شيء؛ بل كانوا يتخذونهم شفعا ووسائطاً؛ كما قال تعالى: (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله). ابن تيمية: ٤٧٣/٣.

السؤال: كيف ترد من الآية على من يصرف العبادة للقبور، ويقول تقصد شفاعتهم فقط؟  
﴿ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴾  
قل: إنما سألتموني الغيب، وإنما الغيب لله؛ لا يعلم أحد لم ثم يفعل ذلك، ولا يعلمه إلا هو. البخوي: ٣٥٦/٢.

السؤال: ظهرت بعض القنوات التي يدعي أصحابها أنهم يعلمون الغيبات، ويردون المفقودات، فما عقيدة المؤمن تجاه ذلك؟  
﴿ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴾  
ولو علم الله منهم أنهم سألوا لك استرشاداً وتثبتاً لأجابه، ولكن علم أنهم إنما يسألون عناداً وتعتناً؛ فتركهم فيما را بهم. ابن كثير: ٣٩٤/٢.  
السؤال: لماذا لم يستجب الله تعالى لطلبات المشركين في حصول الآيات التي تدل على صدق محمد ﷺ؟

وَإِذَا تُلَّتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٌ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا آتِنَا بِشْرَهُمْ إِن يَرْجُوا هَذَا أَوْ يُؤْمَرُوا قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَشِّرَ لَكُمْ مِنْ تِلْكَ آيَاتِي تَقِيحُ إِنَّ آتِيَكُمْ إِلَّا مَا يُوْحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُمْ رَحِيَّ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ٥٥ قُلْ تَوْشَاهُ اللَّهُ مَا تَلَوْنَهُ عَلَيْهِمْ وَلَا أَدْرِيكُمْ بِهِ ٥٦ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ٥٧ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ٥٨ وَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَدْعُونَ اللَّهَ يَمَّا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ٥٩ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُتِحَ بَيْنَهُمْ فِي مَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ٦٠ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ٦١ ﴾

## معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
تِلْكَ نَفْسِي	مِنْ قَبْلِ نَفْسِي.
أَدْرَاكُمْ	أَعْلَمُكُمْ.

## العمل بالآيات

١. تذكر ذنباً كبيراً فعلته، وأكثر من الاستغفار وعمل الصالحات؛ لعل الله يغفره لك، ﴿ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾.
٢. حذر من حولك من الشرك بالله، وبين لهم أن من الشرك دعاء غير الله أو الاستشفاع بالأموال، ﴿ وَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾.
٣. ارسل رسالة تبين فيها أهمية الاجتماع، ونبذ الضيقة والاختلاف، ﴿ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُتِحَ بَيْنَهُمْ فِي مَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾.

## التوجيهات

١. الجمع بين المعصية وقلة الخوف من الله من علامات مرض القلب، ﴿ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾.
٢. الاستمرار في تذكر الآخرة حماية للإنسان من الوقوع في المعاصي، ﴿ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾.
٣. لو لم ينزل علينا هذا القرآن لكنا من أجهل الناس، فلنقم بحق هذا الكتاب العظيم، ﴿ قُلْ تَوْشَاهُ اللَّهُ مَا تَلَوْنَهُ عَلَيْهِمْ وَلَا أَدْرِيكُمْ بِهِ. فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا﴾  
واسناد السماس إلى الضراء بعد إسناد الإذافة إلى ضمير الجلالة من  
الأدب القرآنية، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرَضَتْ هُوَ يَشْفِي﴾ (الشعراء:  
٨٠، ونظائره، وينبغي التادب في ذلك؛ ففي الخبر: (اللهم إن الخير بيدك  
والشر ليس إليك). الألويسي: ١١/١٢٤.

السؤال: ترشدنا الآية القرآنية والحديث النبوي إلى أدب التحدث عن الله  
عز وجل، بين ذلك، وفقه الله لكل خير.

﴿هُوَ الَّذِي يُبْرِكُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَّيْنِ يَمِ يَرْجِ  
طَبَقًا وَفَرَحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا  
أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَجَبْنَاهُمْ مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ  
مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾

فالآية دالة على أن المشركين لا يدعون غيره تعالى في تلك الحال، وأنت  
خير بان الناس اليوم إذا اعتراهم أمر خطير، وخطب جسيم في بر، أو  
بحر؛ دعوا من لا يضر ولا ينفع، ولا يرى ولا يسمع؛ فمنهم من يدعو  
الخضر والياس ... ومنهم من يستغث بأحد الأئمة ... ولا ترى فيهم أحدا  
يخص مولاه بتضرعه ودعاه، ولا يكاد يمر له ببال أنه لو دعا الله تعالى  
وحده، ينجو من هاتيك الأحوال. الألويسي: ١١/١٣٠.

السؤال: المشركون المتأخرون أشد ممن نزلت فيهم الآية، بين ذلك من  
خلال الوقفة.

﴿هُوَ الَّذِي يُبْرِكُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَّيْنِ يَمِ يَرْجِ  
طَبَقًا وَفَرَحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا  
أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَجَبْنَاهُمْ مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ  
مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾

المضطر يجب دعاؤه، وإن كان كافرا؛ لانقطاع الأسباب، ورجوعه إلى  
الواحد رب الأرباب. القرطبي: ١٠/٤٧٥.

السؤال: هل يجب الله تعالى دعاء المضطر الكافر؟ ولماذا؟  
﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَزَلْنَاهُ مِنْ تَحْتِ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ  
النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا الْأَرْضَ زُخْرُفًا وَازْدَنَّتْ وَظَلَمْنَا أَهْلَهَا لَنُخْرِجَهُمْ  
عَلَيْهَا أَنْتُمْ أَهْلُهَا لَيْلًا أَوْ نَهَاكَ فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْن بِالْأَمْسِ﴾  
فكان حال الدنيا في سرعة انقضائها، وانقراض نعيمها بعد عظيم إقباله؛  
كحال نبات الأرض في جفافه، ودخابه حطاما بعد ما التفت وزين الأرض  
بخضرتها والوانه وبهجته. البقاعي: ٣/٤٣٣.

السؤال: ما وجه الشبه بين مراحل زينة الحياة الدنيا ومراحل زينة نبات الأرض؟

﴿أَنَّهُمْ أَهْلُهَا لَيْلًا أَوْ نَهَاكَ فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْن بِالْأَمْسِ﴾  
قال قتادة: (كان لم تغن)، «كان لم تنعم». وهكذا الأمور بعد زوالها؛  
كانها لم تكن؛ ولهذا جاء في الحديث: (يؤتى بأنعم أهل الدنيا، فيغمس  
في النار غمسة، ثم يقال له: هل رأيت خيرا قط؟ هل لم ربك نعيم قط؟)  
فيقول: لا، ويؤتى بأشد الناس عذابا في الدنيا، فيغمس في النعيم غمسة،  
ثم يقال له: هل رأيت بؤسا قط؟ فيقول: لا). ابن كثير: ٢/٣٩٥.

السؤال: في هذه الآية تهديد في جميع المعاصي ومتع الحياة الدنيا، وضَّح ذلك.

﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾

وأما الغافل المعرض؛ فهذا لا تنفعه الآيات، ولا يزيل عنه الشك البيان. السعدي: ٣٦٢.

السؤال: متى يستفيد الإنسان من ضرب الأمثلة القرآنية؟

﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾

لما ذكر تعالى الدنيا وسرعة زوالها، وغب في الجنة ودعا إليها، وسماها

دار السلام؛ أي: من الآفات، والنقائص، والنكبات. ابن كثير: ٢/٣٩٥.

السؤال: لماذا سُميت الجنة بدار السلام؟

وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ  
فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا لَئِنْ رُسُلَنَا يَكُونُونَ شَاكِرُونَ  
﴿هُوَ الَّذِي يُبْرِكُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ  
وَجَّيْنِ يَمِ يَرْجِ طَبَقًا وَفَرَحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ  
وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ  
دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَجَبْنَاهُمْ مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ  
مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ ﴿فَلَمَّا أَجْتَهُمْ إِذَا هُمْ يَعْبُدُونَ فِي الْأَرْضِ يَعْبُدُونَ  
الْحَيَّ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا تَعْبُدُهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ مَتَّعَ الْحَيَاةَ  
الدُّنْيَا ثُمَّ لِيَسْأَلَنَّكُمْ فَيَقْبَضَكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿إِنَّمَا مَثَلُ  
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ  
بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ وَمِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا  
أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازْدَنَّتْ وَظَلَمْنَا أَهْلَهَا لَنُخْرِجَهُمْ  
عَلَيْهَا أَنْتُمْ أَهْلُهَا لَيْلًا أَوْ نَهَاكَ فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْن  
بِالْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو  
إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾

## ● معاني الكلمات

المعنى	الكلمة
السفن.	الْفُلُكُ
شديدة الهبوب.	عَاصِفٌ
يفغون.	يُفْغُونَ
بهجتها ونضارتها.	زُخْرُفَهَا
محصوصة، مقطوعة.	حَصِيدًا
لم تكن قائمة بالأمس.	لَمْ تَغْن بِالْأَمْسِ
الجنة.	دَارِ السَّلَامِ

## ● العمل بالآيات

١. تذكر شدة أو كربة مرت عليك، ثم اشكر الله تعالى على نعمته بتفريجه،  
ولا تكن من الغافلين، ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ  
مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا﴾.

٢. تذكر عهدا عاهدت الله به، ثم خالفته، وعد إلى الوفاء به، ﴿دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ  
لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَجَبْنَاهُمْ مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾.

٣. سل الله تعالى أن يرزقك دار السلام، ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾.

## ● التوجيهات

١. تحسن الأحوال بعد الكربة والضيق من مظان الغفلة والبعد عن الله تعالى، إلا  
من كان حذرا، ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ  
اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا لَئِنْ رُسُلَنَا يَكُونُونَ شَاكِرُونَ﴾.

٢. لا تنس أن كل شيء تقوله أو تعمله فإنه مكتوب عليك، وأنت مجازي به يوم  
القيامة، ﴿إِنْ رُسُلَنَا يَكُونُونَ شَاكِرُونَ﴾.

٣. اعلم أن كل بغي تبغيه، وكل ظلم تظلمه، فإنه عائد إليك، وراجع وباله عليك،  
﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا يَبْغِيكَ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ثُمَّ لِيَسْأَلَنَّكُمْ فَيَقْبَضَكُمْ  
بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

الآية (٢١-٢٣): يخبر تعالى أنه إذا أذاق الناس رحمة من بعد ضراء مستهم، كالرخاء بعد الشدة، والخصب بعد الجذب، والمطر بعد القحط ونحو ذلك ﴿إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا﴾. قال مجاهد: استهزاء وتكذيب؛ كقوله: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَا لِحِيزِهِ أَوْ قَائِدًا أَوْ فَأِيمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ﴾ [يونس: ١٢]، وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ صلى بهم الصبح على إثر سماء - مطر - أصابهم من الليل، ثم قال: «هل تدرون ماذا قال ربكم الليلة؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر؛ فأما من قال: مُطِرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مُطِرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب» [متفق عليه].

وقوله: ﴿قُلْ اللَّهُ أَشْرَعُ مَكْرًا﴾ أي: أشد استدرجاً وإمهالاً، حتى يظن الظان من المجرمين أنه ليس بمعدب، وإنما هو في مهلة، ثم يؤخذ على غرة منه، والكاينون الكرام يكتبون عليه جميع ما يفعله، ويخصونه عليه، ثم يعرضونه على عالم الغيب والشهادة، فيجازيه على الحقيق والجليل، والظفر والقطمير.

ثم أخبر تعالى أنه: ﴿هُوَ الَّذِي يُسِرُّكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ أي: يحفظكم ويكلؤكم بحرسته، ﴿حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكُمْ وَجَرْتُمْ رِيحَ طَبَقٍ وَفَرَخُوا بِهَا﴾ أي: بسرعة سيرهم رافقين، فبينما هم كذلك إذ ﴿جَاءَتْهَا﴾ أي: تلك السفن، ﴿رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ أي: شديدة، ﴿وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ أي: اغتمكم البحر عليهم، ﴿وظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾ أي: هلكوا، ﴿دَعَاؤُ اللَّهِ تَخْلِيسٌ لَهُ الَّذِينَ﴾ أي: لا يدعون معه صتاً ولا وثناً، بل يفردونه بالدعاء والابتهال؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ صَلَّ مَن دَعَا إِلَى آيَةٍ فَلَا تَحْكُمُوا عَلَى اللَّهِ عَرَضْتُمْ وَأَنزَلْنَا السَّنَنَ كَثُورًا﴾ [الإسراء: ٦٧]، وقال ههنا: ﴿دَعَاؤُ اللَّهِ تَخْلِيسٌ لَهُ الَّذِينَ لَئِنْ أَجَبْتَنَا مِنْ هَؤُلَاءِ﴾ أي: هذه الحال، ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ أي: لا نشرك بك أحداً، ولنقر ذلك بالعبادة هناك كما أفردناك بالدعاء ههنا، قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَجَبْتُمْ﴾ أي: من تلك الورطة، ﴿إِذَا هُمْ يَتَّبِعُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَيِّ﴾ أي: كأن لم يكن من ذلك شيء ﴿كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ﴾ [يونس: ١٢].

ثم قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا بَعَثْنَا فِيكُمْ عَلَيْنَا أَنفُسَكُمْ﴾ أي: إنا يذوق وبال هذا البغي أنتم أنفسكم، ولا تضرون به أحداً غيركم، كما جاء في الحديث: «ما من ذنب أجدر أن يعجل الله عقوبته في الدنيا، مع ما يذخر الله لصاحبه في الآخرة، من البغي وقطعة الرحم» [رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه، وصححه الألباني].

وقوله: ﴿مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ أي: إنا لكم منافع في الحياة الدنيا الدنيا الحفيرة، ﴿ثُمَّ إِنَّا سَرَّجْنَاهُمْ﴾ أي: مصيركم ومالككم، ﴿فَنَنْفِثُكُمْ﴾ أي: فنخبركم بجميع أعمالكم، ونوفيقكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد

الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه.

الآية (٢٤-٢٥): ضَرَبَ تعالى مثلاً لزهره الحياة الدنيا وزيتها وسرعة انقضائها وزوالها، بالنبات الذي أخرجه الله من الأرض بما أنزل من السماء، ثم يأكل الناس من زروع وثمار، على اختلاف أنواعها وأصنافها، وما تأكل الأنعام من آبٍ وقَضَبٍ<sup>(١)</sup> وغير ذلك، ﴿حَتَّى إِذَا أَغْنَيْنَاكَ الْأَرْضَ بِحَرْثِهَا﴾ أي: زيتها الفانية، ﴿وَأَرْزَقْنَاهُ﴾ أي: حَسُنَتْ بما خَرَجَ من رباها من زهور نضرة مختلفة الأشكال والألوان، ﴿وَوَدَّ أَهْلُهَا﴾ الذين زرعوها وغرسوها ﴿أَنَّهُمْ قَدِ ارْتَدَّتْ عَنْهَا﴾ أي: على جذأها وحصادها، فبينما هم كذلك إذ جاءتها صاعقة، أو ريح باردة، فأبيست أوراقها، وألقفت ثمارها؛ ولهذا قال تعالى: ﴿أَنَّهُمْ أَتْرَبًا لَّيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا﴾ أي: يئسا بعد الخضرة والنضارة، ﴿كَأَن لَّمْ تَرَ بِالْأَيْمَنِ﴾ أي: كأنها ما كانت حسنة قبل ذلك. وقال قتادة: ﴿كَأَن لَّمْ تَرَ﴾: كأن لم تنعم. وقال تعالى إخباراً عن المهلكين: ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جِثِيَةً﴾ ﴿كَأَن لَّمْ يَرَوْهَا فُتً﴾ [هود: ٩٤-٩٥].

ثم قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَقُصِّلُ الْآيَاتِ﴾ أي: نبين الحُجُج والأدلة ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيعتبرون بهذا المثل في زوال الدنيا من أهلها سريعاً مع اغترارهم بها وتمكنهم بمواعيدها وتقلتها منهم؛ فإن من طبعها الهرب من طلبها، والطلب لمن هرب منها، وقد ضرب الله مثل الحياة الدنيا بنبات الأرض، في غير ما آية من كتابه العزيز، فقال في سورة الكهف: ﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَالْأَنْثَى كَالْوَحْشِ أَوْزَلَتْهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هُبُوبًا يَذُودُهُ الريحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ [الكهف: ٤٥]، وكذا في سورة الزمر، والحديد يضرب بذلك مثل الحياة الدنيا كفاء.

(١) الأب: الكلا والمرعى للبهائم، والقضب: علف الدواب، أو ما طال من الشجر ويسط أغصانه [ينظر: السراج المنير، والقاموس المحيط].



بيننا وبينكم أننا ما دعوناكم إلى عبادتنا، ولا أمرناكم بها، ولا رضينا منكم بذلك. وفي هذا تبيّنت عظيم للمشركين الذين عبدوا مع الله غيره، من لا يسمع ولا يبصر، ولا يفتي عنهم شيئاً، ولم يأمرهم بذلك ولا رضي به ولا أراهم، بل تبرأ منهم في وقت أحوج ما يكونون إليه.

والمشركون أنواع وأقسام كثيرون، قد ذكرهم الله في كتابه، وبين أحوالهم وأقوالهم، وردّ عليهم فيها هم فيه أنتم ردّ.

وقوله: ﴿هَٰؤُلَاءِ بَدَّلُوا كُلَّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ﴾ أي: في موقف الحساب يوم القيامة تختبر كل نفس وتعلم ما أسلفت من خير وشر؛ كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْلُغُ النَّفْسَ الْفَارِغَةَ﴾ [الطارق: ٩]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ الْإِنسَافِ يَوْمَئِذٍ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ لَئِنْ رَأَوْهُ لَيَكْفُرُنَّ بِهِمْ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الغاية: ١٣]. وقوله: ﴿وَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُ الْحَقُّ﴾ أي: ورجعت الأمور كلها إلى الله الحكم العدل، ففصلها، وأدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، ﴿وَصَلَّ عَنْهُمْ﴾ أي: ذهب عن المشركين، ﴿فَمَا كَانُوا يَفْرَتُونَ﴾ أي: ما كانوا يبعدون من دون الله افتراء عليه.

الآية (٣١-٣٣): يحتج تعالى على المشركين باعترافهم بوحديته وربوبيته على وحدانيته الإلهية، فقال: ﴿قُلْ مَنْ يَرْفُقُكُمْ مِنَ أَسْمَاءِ الْأَرْضِ﴾ أي: من ذا الذي ينزل من السماء ماء المطر، فيشق الأرض شقاً بقدرته ومشيته، فيخرج منها ﴿جَبَّ﴾ [٣١] وعنباً وقصباً ﴿وَرَبُّونَا﴾ [٣٢] وحدائق عذبة ﴿وَنُفُوحٌ وَأَنْفٌ﴾ [عنب: ٢٧-٣١]، ﴿أُولَٰئِكَ مَعَ اللَّهِ﴾ [النمل: ٦٠] ﴿فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ [يونس: ٣١]، ﴿أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي يَرْفُقُكُمْ إِنْ أَسْكَنْتُمْ أَفْئِدَةً﴾ [الملك: ٢١]، وقوله: ﴿أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ﴾ أي: الذي وقبكم هذه القوة السامعة، والقوة الباصرة، ولو شاء لذهب بها وسلبكم إياها.

وقوله: ﴿وَمَنْ يُخْرِجُ الْغَلَّةَ مِنَ اللَّيْلِ وَيَخْرِجُ النَّجْمَ مِنَ اللَّيْلِ﴾ أي: بقدرته العظيمة، وبمشته العميمة، وقد تقدّم ذكر الخلاف في ذلك، وأن الآية عامّة في ذلك كله [١]، وقوله: ﴿وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ﴾ أي: من يدير ملكوت كلّ شيء وهو يدير ولا يحسب عليه [المؤمنون: ٨٨]، وهو المتصرف الحاكم الذي لا معقب لحكمه، ولا يفتن عما يفعل، وهم يشعرون [الأنبياء: ٢٣]، ﴿يَسْتَلْزِمُونَ الْأَرْضَ بِأَرْسَالِ الْمَوَاقِرِ﴾ [الرحمن: ٢٩]، فالملك كله العلوي والسفلي، وما فيها من ملائكة وإنس وجان فقيرون إليه، عبيده، خاضعون لديه. ﴿فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ أي: هم يعلمون ذلك ويعترفون به، ﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ أي: أفلا تخافون منه أن تعبدوا معه غيره بآرائكم وجهلكم؟ وقوله: ﴿فَذَلِكُمُ اللَّهُ الَّذِي يُدْعَىٰ بِالْغَيْبِ﴾ أي: فهذا الذي اعترفتم بأنه فاعل ذلك كله هو ربكم ولهم الحق الذي يستحق أن يُعبد بالعبادة، ﴿فَمَاذَا بَدَأَ الْحَقُّ إِلَّا الصُّلْبَ﴾ أي: فكل معبود سواه باطل، لا إله إلا هو، واحد لا شريك له، ﴿فَأَنَّى تُصَوِّرُونَ﴾ أي: فكيف تصفون عن عبادته إلى عبادة ما سواه، وأنتم تعلمون أنه الرب الذي خلق كل شيء، والمتصرف في كل شيء؟ وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: كما كفر هؤلاء المشركون واستمعروا على شركهم وعبادتهم مع الله غيره، مع أنهم يعترفون بأنه الخالق الرازي المتصرف في الملك وحده، الذي بعث رسله بنوحه؛ فلهمنا حقت عليهم كلمة الله أنهم أشقياء من سائر الناس؛ قوله: ﴿قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الزمر: ١٧].

الآية (٢٦): يخبر تعالى أن لمن أحسن العمل في الدنيا بالإيمان والعمل الصالح: الحسن في الدار الآخرة؛ كقوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ [الرحمن: ٦٠]. وقوله: ﴿وَزِيَادَةٌ﴾ هي تضعيف ثواب الأعمال بالحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، وزيادة على ذلك، ويشمل ما يعطيهم الله في الجنان من القصور والحدود والرضا عنهم، وما أخفاه لهم من قرة أعين، وأفضل من ذلك وأعلاه: النظر إلى وجهه الكريم؛ فإنه زيادة أعظم من جميع ما أعطوه، لا يستحقونها بعملهم، بل بفضلهم ورحمته، وقد روي تفسير الزيادة بالنظر إلى وجه الله الكريم عن أبي بكر الصديق وحذيفة بن اليمان وعبد الله بن عباس وقتادة والسدي وغيرهم من السلف والخلف. وقد وردت في ذلك أحاديث كثيرة عن رسول الله ﷺ. عن صهيب أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمَتْنِي وَزِيَادَةٌ﴾ وقال: إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، نادى مناد: يا أهل الجنة، إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه. فيقولون: وما هو؟ ألم يثقل موازيننا، ويبيض وجوهنا، ويدخلنا الجنة، ويزحزحنا من النار؟ قال: «فيكشف لهم الحجاب، فينظرون إليه، فوالله ما أعطاهم الله شيئاً أحب إليهم من النظر إليه، ولا أقر لأعينهم» [رواه مسلم]. وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْجُوْهُمْ رَبُّهُمْ قَرَرٌ﴾ أي: قَتَامٌ وَسَوَادٌ في عَرَصَاتِ المحشر، كما يعترى وجوه الكفرة الفجرة من القفرة والغبرة، ﴿وَلَا ذَلَّةٌ﴾ أي: هوان وصغار، أي: لا يحصل لهم إهانة في الباطن، ولا في الظاهر، بل هم كما قال تعالى في حقهم: ﴿فَوَقَّهَهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّهَهُمْ نَصْرَهُ وَسُرُورًا﴾ [الإنسان: ١١] أي: نصرة في وجوههم، وسروراً في قلوبهم، جعلنا الله منهم بفضلهم ورحمته، آمين.

الآية (٢٧): لَمَّا أخبر تعالى عن حال السعداء الذين يُضاعف لهم الحسنات، ويزدادون على ذلك، عطف بذكر حال الأشقياء، فذكر تعالى عدله فيهم، وأنه يجازيهم على السيئة بمثلها، لا يزيدهم على ذلك، ﴿وَزَعَمَهُمْ﴾ أي: تعزيرهم وتعلمهم ذلّة من معاصيهم وخوفهم منها. وقوله: ﴿مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ﴾ أي: من مانع ولا وافي يقيهم العذاب. وقوله: ﴿كَأَنَّمَا أَغْشِيَتْ سُحُوبُهُمْ﴾ الآية، إخبار عن سواد وجوههم في الدار الآخرة؛ كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ آيَاتِنَا فَدَوَوْا بِالْعَذَابِ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ الآية [آل عمران: ١٠٦]، وقوله تعالى: ﴿وَوُجُوهٌ يُؤْخَذُ عَنْهَا عُقُرٌ﴾ [٢٨] ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُ الْغَافِرُ﴾ [عيس: ٤٠-٤٢].

الآية (٢٨-٣٠): يقول تعالى: ﴿يَوْمَ تَحْشَرُهُمْ﴾ أي: أهل الأرض كلهم، من جن وإنس، وبر وفاجر؛ كقوله: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الحج: ٤٧]. ﴿هُمْ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ الآية، أي: الزموا أنتم ومهم مكاناً معيّنًا، امتازوا فيه عن مقام المؤمنين؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَمَسْتُمُ النَّوْمَ أَنَبَا الْمُتَجَرِّمِينَ﴾ [يس: ٥٩]. وقال الله تعالى في هذه الآية الكريمة إخباراً عما يأمر به المشركين وأولادهم يوم القيامة: ﴿مَكَانَكُمْ أَسْفَرًا وَشَرَكَاؤُكُمْ فَرِيقًا يَبْنِيهِمُ﴾ الآية، أنهم أنكروا عبادتهم، وتبرأوا منهم؛ كقوله: ﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِبِعَادِهِمْ﴾ الآية [مریم: ٨٢]. وقال في هذه الآية إخباراً عن قول الشركاء فيما راجعوا فيه عابديهم عند ادعائهم عبادتهم: ﴿فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغْفِيلًا﴾ [أي: ما كنا نشعر بها ولا نعلم، وإنما أنتم كنتم تعبدوننا من حيث لا ندري بكم، والله شهيد



## الوقفات التدريبية

﴿لَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمُنَى زِيَادَةً وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

ولما دعا إلى دار السلام، كان النفوس تشوقت إلى الأعمال الموجبة لها الموصلة إليها، فأخبر عنها بقوله: (لَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحَسَنَى وَزِيَادَةً). السعدي: ٣٦٢.

السؤال: ما العلاقة بين هذه الآية والتي قبلها؟

﴿لَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمُنَى﴾

أي: الذين أحسنوا في عبادة الخالق؛ بأن عبدوه على وجه المراقبة والنصيحة في عبادته، وقاموا بما قدروا عليه منها، وأحسنوا إلى عباد الله بما يقدر عليهم من الإحسان القولی والفعلی...فهؤلاء الذين أحسنوا لهم (الحسنى)، وهي الجنة الكاملة في حسناتها، و(زيادة)، وهي النظر إلى وجه الله الكريم، وسماع كلامه، والفوز برضاه، والبهجة بقربه؛ فهذا حصل لهم أعلى ما يتمناه المتمنون، ويسأله السائلون. السعدي: ٣٦٢.

السؤال: كيف يكون المسلم من الذين أحسنوا؟

﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾

أي: لا ينالهم مكروه بوجه من الوجوه؛ لأن المكروه إذا وقع بالإنسان تبين ذلك في وجهه، وتقير وتكدر. السعدي: ٣٦٢.

السؤال: لماذا حصَّ الله الوجه بأنه لا يناله شيء من المكدرات في الجنة؟

﴿وَقَالَ شَرَكَاؤُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِتَانَا ضَبَدُونَ﴾

وفي هذا تكيّف عظيم للمشركين الذين عبدوا مع الله غيره ممن لا يسمع ولا يبصر، ولا يغني عنهم شيئاً، ولم يأمرهم بذلك، ولا رضي به ولا أراهم، بل تبرأ منهم وقت أحوح ما يكونون إليه. ابن كثير: ٣٩٧/٢.

السؤال: صيف الصدمة العظيمة التي تصيب عباد الأصنام والأضرحة والقبور يوم القيامة حينما يقضى بينهم وبين ما يعبدون؟

﴿فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغْفِيلًا﴾

(كفى بالله شهيداً بيننا وبينكم)، في ذلك؛ يشهد أنكم لم تخصوا أحداً منه ومنا بعبادة، بل كنتم مذبذبين. وهذا كله إشارة إلى أن العبادة المشوبة لا اعتداد بها، ولا يرضاها جماد لو نطق، وأن من استحق العبادة استحق الإخلاص فيها، وأن لا يشرك به أحد، وأنه لا يستحق ذلك إلا القادر على كشف الكرب. البقاعي: ٤٣٧/٣.

السؤال: من المستحق لأن تصرف له العبادة؟ ولماذا؟

﴿إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغْفِيلًا﴾

(لغافلين): لأنه لا أرواح فينا؛ فلم تكن بحيث تأمر بالعبادة ولا نرضاها، فاللوم عليكم دوننا. البقاعي: ٤٣٧/٣.

السؤال: لماذا لا يرد المعبودون من دون الله على عابديهم في الدنيا؟

﴿فَلْيَكْفُرُوا بِاللَّهِ رَبِّكَ لَقَدْ قَامَ إِلَى الْغَيْبِ إِلَّا أَنْتَ فَأَنْتَ تَصْرُوفُ﴾

تدل الآية على أنه ليس بين الحق والباطل منزلة في علم الاعتقادات؛ إذ الحق فيها في طرف واحد، بخلاف مسائل الفروع. ابن جزى: ٣٨٠/١.

السؤال: كيف ترد بهذه الآية على من يُمنع مسائل الاعتقاد، ويرى أن كل طائفة عندها نوع من الحق؟

لَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمُنَى وَزِيَادَةً وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٦٢﴾ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ كَانَتْمَا أَغْشِيَتْ وَجُوهَهُمْ قَطَعَامُ مِنَ الْبَلِّ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٦٣﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاءُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِتَانَا تَعْبُدُونَ ﴿٣٦٤﴾ فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغْفِيلًا ﴿٣٦٥﴾ هُنَالِكَ تَبْلُغُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقُّ وَصَلَ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٣٦٦﴾ قُلْ مَنْ يَرْفَعُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ بِعِلِّكَ السَّمْعُ وَالْأَبْصَارُ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٦٧﴾ قُلْ أَلَمْ يَكُنْ اللَّهُ رَبُّكُمْ أَلَمْ يَكُنْ قَسَماً بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٣٦٨﴾ كَذَلِكَ حَقَّتْ رَيْكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٦٩﴾

## معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
يَرْهَقُ	يَغْشَى.
قَتَرٌ	غُبَارٌ.
عَاصِمٌ	مَانِعٌ يَمْنَعُ عَذَابَ اللَّهِ.
فَزَيَّلْنَا	فَرَقْنَا.
تَبْلُوْا	تُعَايِنُ، وَتَنْقُضُ.

## العمل بالآيات

- أحرص اليوم أكثر أن لا تنظر إلى حرام، وأكثر من السجود رجاء أن ترضى الله تعالى يوم القيامة، ﴿لَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمُنَى وَزِيَادَةً﴾.
- أحسن اليوم إلى مسلم إحساناً يمنعه من أن يذل نفسه للمخلوقين؛ لعل الله يجازيك بالإحسان وزيادة يوم القيامة، ﴿لَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمُنَى وَزِيَادَةً﴾.
- تذكر الصعوبة والشقة في تدبير أمور بيتكم، ثم تأمل كيف يدبر الله سبحانه أمور الكون كله ولا يشغله شأن عن شأن سبحانه، ﴿وَمَنْ يُخْرِجِ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجِ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾.

## التوجيهات

- أحذر الفسق؛ فإنه دركات، وأسفلها مسبب للموت على الكفر والعباد بالله، ﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَيْدُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.
- أشار المعصية على صاحبها كثيرة، ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ كَانَتْمَا أَغْشِيَتْ وَجُوهَهُمْ قَطَعَامُ مِنَ الْبَلِّ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.
- في الدنيا قد تتخلص من موقف بالكذب، لكن في الآخرة لن تستطيع ذلك، ﴿وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقُّ وَصَلَ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿ وَمَا يَنْبَغُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يَقْنِي مِنَ الْمَقْتِ شَيْئًا ﴾

(وما يتبع أكثرهم إلا ظناً؛ يريد الرؤساء منهم؛ أي: ما يتبعون إلا حدساً وتخريصاً في أنها آلهة، وانها تشفع، ولا حجة معهم، وأما اتباعهم فيتبعونهم تقليداً. القرطبي: ٥٠٢/١٠).

السؤال: ما سبب ضلالة رؤساء البعثة، وما سبب ضلالتهم اتباعهم؟

﴿ وَمَا يَنْبَغُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يَقْنِي مِنَ الْمَقْتِ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَقُولُونَ ﴾

(وما يتبع أكثرهم إلا ظناً؛ أي: غير تحقيق؛ لأنه لا يستند إلى برهان.

(إن الظن لا يغني من الحق شيئاً؛ ذلك في الاعتقادات؛ إذ المطلوب فيها

اليقين، بخلاف الفروع. ابن جزي: ٣٨١/١).

السؤال: هل ينفع الظن والتقليد في مسائل الاعتقاد؟ وما الواجب في هذه المسائل؟

﴿ وَتَفْصِيلُ الْكِتَابِ لَا رَبَّ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

الذي رتب جميع الخلق بنعمه، ومن اعظم أنواع تربيته: أن أنزل عليهم

هذا الكتاب؛ الذي فيه مصالحهم الدينية والدنيوية، المشتغل على مكارم

الأخلاق ومحاسن الأعمال. السعدي: ٣٦٤.

السؤال: ما العلاقة بين الكلام عن تفصيل الكتاب وختم الآية بصفة الربوبية؟

﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِطُوا بِإِلَهِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَّابٌ أَزْدَى مِنَ

قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عِقَابَةُ الظَّالِمِينَ ﴾

ومما يقصد من هذا التشبيه أمور؛ أحدها: أن هذه عادة المعاندين

الكاافرين؛ ليعلم المشركون أنهم مماثلون للأمم التي كذبت الرسل؛

فيعتبروا بذلك؛ الثاني: التعريض بالندارة لهم بحلول العذاب بهم كما

حل بأولئك الأمم التي عرف السامعون مصيرها، وشاهدوا ديارها، الثالث:

تسليته النبي ﷺ بأنه ما لقي من قومه إلا مثل ما لقي الرسل السابقون من

أقوامهم. ابن عاشور: ١٧٣/١١.

السؤال: مواقف المعاندين للدين عبر التاريخ متشابهة، بين ذلك من الآية.

﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِطُوا بِإِلَهِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَّابٌ أَزْدَى مِنَ

قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عِقَابَةُ الظَّالِمِينَ ﴾

وفي هذا دليل على التثبيت في الأمور، وأنه لا ينبغي للإنسان أن يبادر

بقبول شيء، أو رده قبل أن يحيط به علماً. السعدي: ٣٦٥.

السؤال: كيف يتعامل الإنسان مع الأخبار تصديقاً وتكذيباً؟

﴿ وَهُمْ مَن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَن تَسْمِعَ الصَّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ ﴾

منهم من يستمعون إلى النبي ﷺ وقت قراءته للوحي، لا على وجه

الاسترشاد، بل على وجه التفرج، والتكذيب، وتطلب العثرات؛ وهذا استماع

غير نافع ولا مُجدٍ على أهله خيراً. السعدي: ٣٦٥.

السؤال: لماذا لم يفد المشركون من سماعهم للقرآن؟

﴿ وَهُمْ مَن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَن تَسْمِعَ الصَّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ ﴾

وجعلهم كالصم للختم على قلوبهم، والطبع عليها، أي: لا تقدر على

هداية من أصمه الله عن سماع الهدى. القرطبي: ٥٠٧/١٠.

السؤال: لماذا جعلهم الله تعالى كالصم؛ مع كونهم لهم أذان وأسماع؟

قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَن يَدْعُوا لِلخَلْقِ ثُمَّ يَعْبُدُهُ قُلْ اللَّهُ يَدْعُوا  
الْخَلْقَ ثُمَّ يَعْبُدُهِ قُلْ أَنَا نُوْفِكُونَ ﴿١﴾ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَن يَهْدِي  
إِلَى الْحَقِّ قُلْ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن  
يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَن يَهْدِيَهُمْ فَمَا لَهُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٢﴾  
وَمَا يَنْبَغُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يَقْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا  
إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٣﴾ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَى  
مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِن قَضَيْتُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلُ الْكِتَابِ  
لَا رَبَّ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ قَاتِلُوا  
بِسُورَةِ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ  
﴿٥﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِطُوا بِإِلَهِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَّابٌ  
كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عِقَابَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٦﴾  
وَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ يَدْعُو بَدِيعَهُمْ وَمِنْهُمْ مَن لَا يَقُولُ يَدْعُو رَبَّهُمْ أَغْلَى  
يَا الْمُفْسِدِينَ ﴿٧﴾ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلٍ وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ  
بَرِيضُونَ وَمِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَمِنْهُمْ مَن  
يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَن تَسْمِعَ الصَّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ ﴿٩﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
فَأَنَّى تُؤْفِكُونَ؟	فَكَيْفَ تُصْرِفُونَ؟
لَا يَهْدِي	لَا يَهْدِي.
يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ	وَلَمَّا يَأْتِهِمْ بَعْدَ حَقِيقَتِهِ مَا وَعَدُوا بِهِ فِي الْكِتَابِ.

## ● العمل بالآيات

١. حدد خبراً سمعته أو قرأته اليوم، ثم اعرضه على قاعدة التثبت والتحقيق  
لتعرف الصواب، وليكن ذلك منهجك، ﴿ وَمَا يَنْبَغُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يَقْنِي  
مِنَ الْمَقْتِ شَيْئًا ﴾.

٢. حدد امرأ في العقيدة تجهله، واسأل عنه؛ فإنه لا يقبل الظن في أصل العقيدة،  
بل لا بد من العلم اليقيني فيها، ﴿ وَمَا يَنْبَغُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يَقْنِي مِنَ الْحَقِّ  
شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَقُولُونَ ﴾.

٣. حدد شخصاً أو مجموعة يذكرونك بالمصيبة، واحتسب الأجر في ترك صحبتهم،  
﴿ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلٍ وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيضُونَ وَمِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾.

## ● التوجيهات

١. على الإنسان أن يتثبت في الأمور، ولا يبادر بقبول شيء أو رده قبل أن يحيط به  
علماً، ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِطُوا بِإِلَهِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ﴾.

٢. الهدى جاء في القرآن مفصلاً، وأكمل بيانه السنة النبوية، فلا مرجع للهداية غير  
القرآن والسنة، ﴿ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِن قَضَيْتُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ  
وَتَفْصِيلُ الْكِتَابِ لَا رَبَّ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾.

٣. اقرأ آيات التحدي، وتفكر في عجز المشركين، ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ قَاتِلُوا بِسُورَةِ  
مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾.

وأخبر أنهم لا يقدرُونَ على ذلك، ولا سبيل لهم إليه، فقال تعالى:

﴿قُلْ لِي أَجْتَمَعُ الْإِنْسَ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨] ثم ناقضَ مَعَهُمْ إلى عَشْرِ سَوَرٍ منه، فقال في أول سورة هود: ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سَوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [هود: ١٣]، ثم تنازلَ إلى سورة، فقال في هذه السورة:

﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، وكذا في سورة البقرة تحداهم بسورة منه، وأخبر أنهم لا يستطيعون ذلك أبدًا، فقال: ﴿إِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِمِثْلِ الْقُرْآنِ﴾ الآية [البقرة: ٢٤]. هذا وقد كانت الفصاحة من سجايها، وأشعارهم ومعلقاتهم إليها المنتهى في هذا الباب، ولكن جاءهم من الله ما لا يُقْبَلُ لأحدٍ به، ولهذا آمن من آمن منهم بما عَرَفَ من بلاغة هذا الكلام وحلاوته، وجزالاته وطلاوته، وإفادته وبراعته، فكانوا أعلم الناس به، وأفهمهم له، وأتبعهم له وأشدَّهم له اقتيادًا، وفي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما من نبيٍّ من الأنبياء إلا وقد أوتي من الآيات ما آمن على مثله البشر، وإنا كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا» [متفق عليه].

﴿يَا كَذِبُوا بِمَا لَمْ يَحْطُوا بِهِ لِيْلَهُمْ تَأْوِيلُهُ﴾ يقول: بل كُذِّبَ هؤلاء بالقرآن، ولم يفهموه ولا عرفوه، ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ أي: ولم يُحْصِلُوا ما فيه من الهدى ودين الحق إلى حين تكذيبهم به جهلاً وسفهاً، ﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي: من الأمم السالفة ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ أي: فانظر كيف أهلكناهم بتكذيبهم رُسُلَنَا ظُلُمًا وَعُلُوًّا، وكفراً وعنادًا وجهلاً، فاحذروا أيها المكذوبون أن يصيبكم ما أصابهم. ﴿وَيَوْمَهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾ أي: ومن هؤلاء الذين بُعِثَ إليهم يا محمد من يؤمن بهذا القرآن، ويُبْعَثُ ويتنفع بما أُرْسِلَ به، ﴿وَيَوْمَهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ﴾ بل يموت على ذلك، وَيُبْعَثُ عليه. ﴿وَرَبِّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ أي: وهو أعلم بمن يستحقُّ الهداية فيُهديه، ومن يستحقُّ الضلالة فيُضِلُّه، وهو العادل الذي لا يُجور، بل يعطي كلَّ ما يَسْتَحِقُّه، تبارك وتعالى وتقدس وتَنَزَّهَ، لا إله إلا هو.

الآية (٤١-٤٢): يقول تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَلَنْ كَذَّبَكَ هَؤُلَاءِ الْمَشْرُوكُونَ فَتَرًا مِنْهُمْ وَمَنْ عَمَلِهِمْ﴾ ﴿فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ﴾؛ كقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ إلى آخرها [الكافرون: ١-٦].

﴿وَيَوْمَهُمْ مَنْ يَسْتَعِينُونَ وَإِلَيْكَ﴾ أي: يسمعون كلامك الحَسَنَ، والقرآن العظيم، والأحاديث الصحيحة الفصيحة النافعة في القلوب والأبدان والأديان، وفي هذا كفاية عظيمة، ولكن ليس ذلك إليك ولا إليهم؛ فإِنَّكَ لا تقدر على إسراع الأصم - وهو الأطرش - فكذلك لا تقدر على هداية هؤلاء، إلا أن يشاء الله.

الآية (٣٤-٣٦): وهذا إبطال لدعواهم فيما أشركوا بالله غيره، وعبدوا من الأصنام والأنداد: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ؟ أَمْ أَيْ: مَنْ بَدَأَ خَلْقَ هَذِهِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، ثُمَّ يَنْشِئُ مَا فِيهَا مِنَ الْخَلَائِقِ، وَيُفَرِّقُ أَجْزَامَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَيُبْدِلُهَا بِنِهَا مَا فِيهَا، ثُمَّ يُعِيدُ الْخَلْقَ خَلْقًا جَدِيدًا؟﴾ ﴿قُلْ اللَّهُ﴾ هو الذي يفعل هذا ويستقلُّ به وحده لا شريك له، ﴿فَأَنْ تَوَكَّنْ﴾ أي: فكيف تُضَرُّفُونَ عن طريق الرُّشْدِ إلى الباطل؟! ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلْ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ﴾ أي: أنتم تعلمون أن شركاءكم لا تقدر على هداية ضالًّا، وإنا يهدي الحيارى والضلال، ويقبض القلوب من الغي إلى الرشاد الذي لا إله إلا هو، ﴿أَلَمْ يَهْدِ إِلَى الْحَقِّ أَحَدٌ أَنْ يَتَّبِعَ أَمِنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِيَ﴾ أي: أَكَيْفَ الْعَبْدُ الَّذِي يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَيُضَيِّرُ بعد العمى، أم الذي لا يهدي إلى شيء إلا أن يَهْدِيَ لِمَا هُوَ وَبِكَمِّه؟! وقوله: ﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ أي: فما بالكم يُذْعَبُ بعقولكم، كيف سَوَّيْتُمْ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ خَلْقِهِ، وعدلتم هذا بهذا، وعبدتم هذا وهذا؟! وهَلَّا أفرتم الربَّ جَلَّالَهُ الْمَالِكُ الْحَاكِمُ الْهَادِي مِنَ الضَّلَالَةِ بِالْعِبَادَةِ وَحْدَهُ، وأخلصتم إليه الدعوة والإنابة.

ثم بيَّن تعالى أنهم لا يتبعون في دينهم هذا دليلاً ولا برهاناً، وإنا هو ظنُّ منهم؛ أي: تَوَكَّنْ وَتَحَيَّلْ، وذلك لا يعني عنهم شيئاً، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ تهديد لهم، ووعيد شديد؛ لأنه تعالى أخبر أنه سَيُجَازِيهِمْ على ذلك أتمَّ الجزاء.

الآية (٣٧-٤٠): هذا بيان لإعجاز القرآن، وأنه لا يستطيع البشر أن يأتوا بمثله، ولا بعشر سور، ولا بسورة من مثله؛ لأنه بفصاحته وبلاغته ووجازته وحلاوته، واشتغاله على المعاني العزيزة الغزيرة، النافعة في الدنيا والآخرة، لا يكون إلا من عند الله الذي لا يُشَبِّهُه شيء في ذاته ولا صفاته، ولا في أفعاله وأقواله، فكلما لا يُشَبِّهُه كلام المخلوقين؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: مثل هذا القرآن لا يكون إلا من عند الله، ولا يُشَبِّهُه هذا كلام البشر، ﴿وَلَكِنْ تَصْدِيقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي: من الكُتُبِ الثَقَلَمَةِ، ومهيماً عليها، ومبيهاً لِمَا وَقَعَ فيها من التحريف والتأويل والتبديل. وقوله: ﴿وَتَفْصِيلُ الْكِتَابِ لَا رَبَّ فِيدَ مِنْ رَبِّ الْكَافِرِينَ﴾ أي: وبيان الأحكام والحلال والحرام، بياناً شافياً كافياً حقاً لا مِرَّةٍ فيه من الله رب العالمين. وقوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أي: إِنْ ادَّعَيْتُمْ وافترتُم وشككتُم في أن هذا من عند الله، وقلتم كُذِّبًا وَمِثْنًا: «إِنْ هَذَا مِنْ عِنْدِ عَمَدٍ، فَمُحَمَّدٌ بَشَرٌ مِثْلَكُمْ، وَقَدْ جَاءَ فِيهَا زَعْمَتُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ، فَأْتُوا أَنْتُمْ بِسُورَةٍ مِثْلِهِ، أَيْ: مِنْ جِنْسِ الْقُرْآنِ، وَاسْتَعِينُوا عَلَى ذَلِكَ بِكُلِّ مَنْ قَدَّرْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ إِنْسٍ وَجَانٍّ». وهذا هو المقام الثالث في التحدي؛ فإنه تعالى تحداهم ودعاهم، إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ في دعواهم أنه من عند محمد، فليعارضوه بنظير ما جاء به وحده، وليستعينوا بمن شاءوا.

الآية (٤٣-٤٤): ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَنْظُرُ إِلَيْكَ﴾ أي: ينظرون إليك وإلى ما أعطاك الله من التَّوَدَّة، والسَّمَت الحسن، والخلق العظيم، والدلالة الظاهرة على نبوتك لأولي البصائر والنُّهى، وهؤلاء ينظرون كما ينظر غيرهم، ولا يحصل لهم من الهداية شيء مما يحصل لغيرهم، بل المؤمنون ينظرون إليك بعين الوقار، والكافرون ينظرون إليك بعين الاحتقار، ﴿وَلَا رَأَوْكَ إِلَّا يَنْخِدُونَ﴾ الآية [الفرقان: ٤١]. ثم أخبر تعالى أنه لا يُظْلَم أحدًا شيئاً، فهو الحاكم المُتَصَرِّف في ملكه بما يشاء، الذي لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون؛ لعلمه وحكمته وعده؛ ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ آدَمًا شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾. وفي الحديث عن أبي ذر، عن النبي ﷺ، فيما يرويه عنه ربه عز وجل: «يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً؛ فلا تَظَالَمُوا» إلى أن قال في آخره: «يا عبادي، إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُخْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ بِهَا، فمن وَجَدَ خيراً فليحمد الله، ومن وَجَدَ غير ذلك فلا يُلُومَنَّ إِلَّا نفسه» [رواه مسلم].

الآية (٤٥): يقول تعالى مُذَكِّراً للناس قيام الساعة وحشرهم من أجدانهم إلى عَرَصات القيامة: ﴿يَوْمَ يُحْشَرُهُمُ﴾ الآية؛ كقوله: ﴿كَانَتْهُمْ يَوْمَ يُؤْتَوْنَ بِهَا لَوْ بَلَسُوا إِلَّا عَجِبَةً﴾ [النازعات: ٤٦]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ ﴿يَخْشَعَتُونَ لِيَنفَعَهُمْ إِنْ كُنْتُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾ ﴿ثُمَّ نَفْخُ أَعْمَالَهُمْ بِمَا يَقُولُونَ﴾ إِذْ يَقُولُ أَغْلِبُهُمْ طَافِقَةً إِلَّا يَشْعُرُ ﴿إِلَّا يَوْمَ﴾ [طه: ١٠٢-١٠٤]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِرُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ [الزمر: ٥٥-٥٦]. وهذا كله دليل على استقصار الحياة الدنيا في الدار الآخرة؛ كقوله: ﴿فَلَنْ كَمْ لِنَفْسٍ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِينِينَ﴾ ﴿قَالُوا إِنَّمَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَتَنَّا آلَ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿فَلَنْ يَنْفَعَهُمْ إِنْ كُنْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّهُمْ عَمِلُوا شَاءَتَهُمْ﴾ [الزمر: ١١٢-١١٤].

وقوله: ﴿يَتَذَكَّرُونَ لِيَنْفَعَهُمْ﴾ أي: يعرف الأبناء الآباء، والقرباب بعضهم لبعض، كما كانوا في الدنيا، ولكن كُلٌّ مشغول بنفسه، ﴿فَلَمَّا فُتِحَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ الآية [المؤمنون: ١٠١]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَلْ حَيْثُ حَسِبَا﴾ [الأنعام: ١٠٠]. وقوله: ﴿قَدْ حَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِقَوْلِهِ اللَّهِ وَكَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ كقوله تعالى: ﴿وَلَيْ يُوَفِّيكَ الشُّكْرِينَ﴾ [المرسلات: ١٥]؛ لأنهم «خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِلَّا ذَلِكَ هُوَ الْمُتَرَكِّبُ الْكَلْبِيُّ» [الزمر: ١٥]. فهذه هي الخسارة العظيمة، ولا خسارة أعظم من خسارة من فُرق بينه وبين أحبه يوم الحسرة والندامة.

الآية (٤٦-٤٧): يقول تعالى مخاطباً لرسوله ﷺ: ﴿وَأَمَّا رُبُّكَ﴾ بِضْعَ اللَّيْلِ يُدْعِمُ، أي: تنتقم منهم في حياتك لتقر عينك منهم، ﴿أَوْ تَوَكَّلْكَ فَإِنَّكَ مَرْجُوهُمُ﴾ أي: مصيرهم ومُنْقَلِبُهُمْ، والله شهيد على أفعالهم بمدك. وقوله: ﴿وَلَسْنَا أَنْتَ رَسُولٌ وَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ﴾ قال مجاهد: يعني يوم القيامة. ﴿فَضَيَّ بَيْنَهُمْ بِالْقِطْ﴾ الآية كقوله تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ الآية [الزمر: ٦٩].

فكل أمة تُعَرَّضُ على الله بحضرة رسوله، وكتاب أعمالها من خيرٍ وثَرٍّ موضوعٌ شاهد عليهم، وحَفَظَتْهُمْ من الملائكة شهوداً أيضاً؛ أُمَّةً بعد أُمَّةٍ. وهذه الأمة الشريفة وإن كانت آخر الأمم في الخلق، إلا أنها أَوَّلُ الأمم يوم القيامة يُفْضَلُ بينهم ويُقْضَى لهم، كما جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، المقضي لهم قبل الخلائق» [متفق عليه]، فأتمت إنها حازت قَصَبَ السَّبْقِ لشرف رسوله، صلوات الله وسلامه عليه إلى يوم الدين.

الآية (٤٨-٥٢): يقول تعالى خبراً عن كُفْر هؤلاء المشركين في استعجالهم العذاب وسؤالهم عن وقته قبل التعيين، مما لا فائدة لهم فيه؛ كقوله: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ﴾ ﴿يَنبَأُ وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ﴾ [الشورى: ١٨] أي: كاتنة لا محالة وواقعة، وإن لم يعلموا وقتها عيناً، ولهذا أرشد رسوله ﷺ إلى جوابهم فقال: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي شَيْئًا وَلَا لِقَوْمِي إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ أي: لا أقول إلا ما علمني، ولا أقدر على شيء مما استأثر به إلا أن يُطعنني عليه؛ فانا عبده ورسوله إليكم، وقد أخبرتكم بمجيء الساعة وأنها كاتنة، ولم يطعنني على وقتها، ولكن ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ أي: لكل قرن مدة من العمر مُقَدَّرَةٌ، فإذا انقضى أجلهم ﴿فَلَا يَسْتَحْزِنُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِرُونَ﴾، كقوله: ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا﴾ [النازعات: ١١]. ثم أخبرهم أن عذاب الله سيأتيهم بغتة، فقال: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيِّنَاتٍ أَوْ تَبَارَكًا﴾ أي: ليلاً أو نهاراً، ﴿مَاذَا يَسْتَعْجِلُ بِهِ الْمُجْرِمُونَ﴾ ﴿أَنَّهُ إِذَا فِئَةٌ مِّنْكُمْ سَأِلَتْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَا كَفَرُوا﴾ يعني: أنهم إذا جاءهم العذاب قالوا: ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾ الآية [السلعة: ١٢]، وقال تعالى: ﴿فَلَسْأَلُوا بِأَسْمَاءِ مَا كَانُوا بِاللَّهِ وَرَعْدَةً وَكَفَرُوا بِمَا كَانُوا يَدْعُونَ﴾ ﴿لَقَدْ يَكُنُ بَيْنَهُمْ لَمَّا رَأَوْا بِأَسْمَاءَ سَأَلَ اللَّهُ أَلَيْ قَدْ خَلَّتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾ [غافر: ٨٤-٨٥]. ثم قيل لِلَّذِينَ ظَنَّمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ، أي: يوم القيامة يُقال لهم هذا تبيكنا وتقريعنا؛ كقوله: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَا﴾ ﴿هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ ﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ ﴿أَصْلَوْهَا كَأَسْوَءِ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: ١٣-١٦].

الآية (٥٣): يقول تعالى: ويستخبرونك «أَحَقُّ هُوَ؟» أي: للمعاد والقيامة من الأحداث بعد صيرورة الأجسام تراباً، ﴿قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ أي: ليس صيرورتكم تراباً بمُعْجَزِ اللَّهِ عن إعادتكم كما بدأكم من العدم؛ ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]. وهذه الآية ليس لها نظير في القرآن إلا آيات سورة سبأ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ [سبأ: ٣]. وفي التغابن: ﴿رَعِمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَّنْ يُعْتَقَلَ بَلَى وَرَبِّي لَتُعْتَقَلُنَّ﴾ [التغابن: ١٧].



## ● الوقفات التدريبية

﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَعِمِرُ إِلَيْكَ فَأَنْتَ تُسْمِعُ الصَّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ ٣٦﴾

وَمِنْهُمْ مَّن يَنْظُرُ إِلَيْكَ فَأَنْتَ تَهْدِي الصَّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ ٣٦

فإذا فسدت عقولهم واسماعهم وابصارهم - التي هي الطرق الموصلة إلى

العلم لمعرفة الحقائق - فابن الطريق الموصلة إلى الحق؟! السعدي: ٣٦٥.

السؤال: ما طرق العلم؟ وكيف يفيد الإنسان منها إفادة تامة في معرفة

شرع الله؟

﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَنْظُرُ إِلَيْكَ ٣٦﴾

ودل قوله: (ومنهم من ينظر إليك) الآية: أن النظر إلى حالة النبي ﷺ،

وهديه، وأخلاقه، وأعماله، وما يدعو إليه، من اعظم الأدلة على صدقه

وصحة ما جاء به، وأنه يكفي البصير عن غيره من الأدلة: السعدي: ٣٦٥.

السؤال: ما أهمية دراسة السيرة النبوية وتدرسيها؟

﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَنْظُرُ إِلَيْكَ فَأَنْتَ تَهْدِي الصَّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ ٣٦﴾

ومنهم من ينظر إليك وإلى ما أعطاك الله من التوفد، والسمت، والحسن،

والخلق العظيم، والدلالة الباهرة على نبوتك لأولي البصائر والنهى،

وهؤلاء ينظرون كما ينظر غيرهم، ولا يحصل لهم من الهداية شيء

كما يحصل لغيرهم، بل المؤمنون ينظرون إليك بعين الوفا، وهؤلاء

الكفار ينظرون إليك بعين الاحتقار. ابن كثير: ٤٠٠/٢.

السؤال: لم افاد المسلمون من النظر في حال النبي ﷺ وهديه ولم يفد

منه المشركون؟

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ الْكَاسِبَ شَيْئًا وَلَكِنَّ الْكَاسِبَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ٣٧﴾

بالكفر والمعصية، ومخالفة أمر خالقهم. القرطبي: ٥٠٧/١.

السؤال: كيف يظلم الإنسان نفسه؟

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ كَانَ لَرُبِّكَ إِلَهًا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ فِيهَا ٣٨﴾

وهذا كله دليل على استقصار الحياة الدنيا في الدار الآخرة. ابن كثير: ٤٠١/٢.

السؤال: كيف تنظر إلى الحياة الدنيا في ضوء هذه الآية؟

﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ٣٩﴾

(قل لا أملك لنفسي: لا أقدر لها على شيء، (ضرًا ولا نفعًا) أي: دفع

ضرر، ولا جلب نفع، (ولا ما شاء الله) أن أملكه. البغوي: ٣٦٥/٢.

السؤال: إذا كان النبي ﷺ لا يملك لنفسه ضرًا ولا نفعًا، فهل يملكه لغيره؟

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيِّنَاتٍ أَوْ تَحَارًا مَاذَا يَسْتَعِجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ٤٠﴾

سر إيتار (بيئات) على «اليل» مع ظهور التقابل فيه: الإشعار بالنوم والغفلة،

وكونه الوقت الذي يبيت فيه العدو، ويتوقع فيه، ويفتتم فرصة غفلته،

وليس في مفهوم الليل هذا المعنى. القاسمي: ٢٥٦/٤.

السؤال: ما وجه التعبير ب (بيئات) دون «اليل» في هذه الآية؟

وَمِنْهُمْ مَّن يَنْظُرُ إِلَيْكَ فَأَنْتَ تَهْدِي الصَّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ ٣٦  
 إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسُهُمْ  
 يَظْلِمُونَ ٣٧ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ كَانَ لَرُبِّكَ إِلَهًا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ  
 يَتَعَارَفُونَ فِيهَا فَيَذَرُ خَيْرَ الَّذِينَ كَانُوا يَلْقَاءُ اللَّهَ وَمَا كَانُوا  
 مُهْتَدِينَ ٣٨ وَإِنَّمَا تَرَىٰ تِلْكَ بَعْضَ الَّذِي تُوَفِّيكَ  
 فَإِنَّمَا مَرَجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ٣٩ وَلِكُلِّ  
 أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رُسُلُهُمْ فَجِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَهُمْ  
 لَا يُظْلَمُونَ ٤٠ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ  
 ٤١ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ  
 أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ٤٢  
 قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيِّنَاتٍ أَوْ تَحَارًا مَاذَا يَسْتَعِجِلُ مِنْهُ  
 الْمُجْرِمُونَ ٤٣ أَتَرَىٰ مَا وَقَعَ آمَنُكُمْ بِهِ ءَالِ الْفَنِّ وَقَدْ كُنتُمْ بِهِ  
 تَسْتَعْجِلُونَ ٤٤ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ  
 هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ٤٥ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ  
 أَحَقُّ هُوَ قَوْلِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ٤٦

الحزب  
١١

٢١٤

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
يَنْظُرُ إِلَيْكَ	يُبْصِرُكَ، وَيُعَايِنُ أدلة نبوتك الصادقة.
أَرَأَيْتُمْ	أخبروني.
بَيِّنَاتٍ	بَيِّنَاتٍ.
أَنْتُمْ	أَبْعَدَمَا؟
وَيَسْتَعْجِلُونَكَ	يَسْتَعْجِلُونَكَ.

## ● العمل بالآيات

١. ارسل رسالتك، أو الق كلمة تذكر فيها إخوانك بقصر المكوث في الدنيا،

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ كَانَ لَرُبِّكَ إِلَهًا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ فِيهَا فَيَذَرُ خَيْرَ الَّذِينَ كَانُوا يَلْقَاءُ اللَّهَ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ٣٨﴾.

٢. اقرأ كتاباً علمياً موثقاً بالأدلة الصحيحة في صفات النبي ﷺ وما يقدر عليه، وما لا يقدر، ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ٣٩﴾.

٣. قل: «اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك»، ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيِّنَاتٍ أَوْ تَحَارًا مَاذَا يَسْتَعِجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ٤٠﴾.

## ● التوجيهات

١. الدنيا ساعة، فاعمرها بالطاعة، ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ كَانَ لَرُبِّكَ إِلَهًا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ فِيهَا ٣٨﴾.

٢. إذا ظلمت أو اعتدي على حقد فتذكر أن الله يقضي بالقسط يوم القيامة، فكن مطمئناً، ﴿فَبِئْسَ الْبَيْتَهِ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ ٣٩﴾.

٣. إذا كان الرسول ﷺ لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً وهو أشرف الخلق، فكيف بمن هو دونه؟ ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ٣٩﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿ أَلَا إِنَّ إِلَهًا مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا إِيَّاهُ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

وتقييد نفي العلم بالأكثر إشارة إلى أن منهم من يعلم ذلك، ولكنه يجحده مكابرة. ابن عاشور: ٢٠٠/١١.

السؤال: لماذا نفي العلم عن أكثرهم، ولم ينف عن جميعهم؟

﴿ تَبَآئِبُ النَّاسِ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشَفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾

(وشفاء لما في الصدور) أي: يشفي ما فيها من الجهل والشك ابن جزي: ٣٨٢/١.

السؤال: لم كان القرآن شفاء لما في الصدور؟

﴿ تَبَآئِبُ النَّاسِ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشَفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾

وقد عبر عنه بآربع صفات: هي أصول كماله وخصالته، وهي: انه موعظة، وانه شفاء لما في الصدور، وانه هدى، وانه رحمة للمؤمنين. ابن عاشور: ٢٠١/١١.

السؤال: وصف القرآن الكريم بآربع صفات هي أصول كماله، فما هي؟

﴿ تَبَآئِبُ النَّاسِ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشَفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾

(وشفاء لما في الصدور) أي: من الشك، والنفاق، والخلاف، والشقاق، (وهدى) أي: لورشد لمن اتبعه، (ورحمة) أي: نعمته، (للمؤمنين): خصم لأنهم المنتفعون بالإيمان. القرطبي: ١٠/١١.

السؤال: هل كل أحد ينتفع بموعظة القرآن ودوائه؟

﴿ قُلْ يَفْضِلُ اللَّهُ وَرَحْمَتِهِ فَيُذِلَّ ذَلِكَ فليَقْرَحُوا ﴾  
وانما امر الله تعالى بالفرح بفضلته ورحمته: لأن ذلك مما يوجب انبساط النفس ونشاطها، وشكرها لله تعالى، وقوتها، وشدة الرغبة في العلم والإيمان الداعي لازدياد منها. السعدي: ٣٦٧.

السؤال: لماذا امر الله تعالى بالفرح بفضل الله ورحمته؟

﴿ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴾

(ولكن أكثرهم لا يشكرون) إما أن لا يقوموا بشكرها، وإما أن يستعينوا بها على معاصيه، وإما أن يخرموا منها ويردوا ما من الله به على عباده. السعدي: ٣٦٧.

السؤال: ما صور عدم شكر النعمة؟

﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾

يخبر تعالى عن عموم مشاهدته، وإطلاعه على جميع أحوال العباد في حركاتهم وسكناتهم، وفي ضمن هذا الدعوة لمرآيته على الدوام ... فراقبوا الله في أعمالكم، وأدوموا على وجه النصيحة، والاجتهاد فيها، وإياكم وما يكره الله تعالى، فإنه مطلع عليكم، عالم بظواهركم وبواطنكم. السعدي: ٣٦٧-٣٦٨.

السؤال: ما المقصود من إخبار الله - سبحانه وتعالى - عباده بعلمه بجميع الأشياء؟

وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظِلْمَةٌ مَّا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرُوا الدَّامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَفُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٠﴾ أَلَا إِنَّ إِلَهًا مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا إِيَّاهُ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٢﴾ تَبَآئِبُ النَّاسِ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشَفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ قُلْ يَفْضِلُ اللَّهُ وَرَحْمَتِهِ فَيُذِلَّ ذَلِكَ فليَقْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٤﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا آتَى اللَّهُ لَكُمْ مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْنَاهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ إِنَّ اللَّهَ آتَى لَكُمْ آيَاتٍ لَّكُمْ أَعْمَلُ اللَّهُ تَفَكُّرُونَ ﴿١٥﴾ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١٧﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
بِالْقِسْطِ	بِالْعَدْلِ.
تَفْتَرُونَ	تَكْذِبُونَ.
شَأْنٍ	أَمْرٍ مِنْ أُمُورِهِ.
تُفِيضُونَ	تَشْرَحُونَ فِيهِ، وَتَعْمَلُونَهُ.
يَعْزُبُ	يُغِيبُ.

## ● العمل بآيات

١. اهتد نفسك اليوم من عذاب الله تعالى، ولو بقليل مال، أو يسير طعام أو شراب، أو ركعة، أو سجدة، قل ان تمنى ان تقتدي بالدنيا وما فيها، ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظِلْمَةٌ مَّا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ. ﴾

٢. اقرأ كتاب كشف الشبهات: حيث اجاب عن الشبهات بآيات القرآن الكريم، ﴿ تَبَآئِبُ النَّاسِ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشَفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾.

٣. اقرأ القرآن راجيا شفاء صدرك من الحزن، والضيق، وإزالة الشبه والشكوك التي تعترى القلوب، ﴿ تَبَآئِبُ النَّاسِ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشَفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾.

## ● التوجيهات

١. لم يتحسر اليوم على ذنوبه وتقصيره ستعظم حسرته يوم القيامة، ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظِلْمَةٌ مَّا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ. وَأَسْرُوا الدَّامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَفُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾.

٢. لتتعرف على مقدار حبك لله: راجع نفسك: هل فركتك بمتاع الدنيا أكثر؟ أم فركتك بفعل الطاعات أكثر؟ ﴿ قُلْ يَفْضِلُ اللَّهُ وَرَحْمَتِهِ فَيُذِلَّ ذَلِكَ فليَقْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾.

٣. إياك والقول على الله تعالى بلا علم: فإنه طريق الخسار، ﴿ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴾.

الآية (٥٤): ثم أخبر تعالى أنه إذا قامت القيامة يؤد الكافر لو انفدى من عذاب الله بملء الأرض ذهباً: ﴿وَأَسْرَأُ أَنْدَامَةً لَنَا رَأَوُا الْعَذَابَ وَفُتِحَ بَيْنَهُمُ الْبَسِيطُ﴾ أي: بالحق ﴿وَهُمْ لَا يَظْلُمُونَ﴾.

الآية (٥٥-٥٦): يخبر تعالى أنه مالك السموات والأرض، وأن وعده حق كائن لا محالة، وأنه نجحي ويؤيت وإليه مرجعهم، وأنه القادر على ذلك، العليم بما تفرق من الأجسام وتَمَرَّق في سائر أقطار الأرض والبحار والقفار.

الآية (٥٧-٥٨): يقول تعالى مُتَنَّا على خلقه بما أنزل إليهم من القرآن العظيم على رسوله الكريم: ﴿تَكَاثُبُ النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أي: زاجر عن الفواحش ﴿وَشِقَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾ أي: من الشبه والشكوك؛ وهو إزالة ما فيها من رجس ودنس.

﴿وَهَذِي وَرَحْمَةٌ﴾ أي: يحصل به الهداية والرحمة من الله تعالى. وإنما ذلك للمؤمنين وبالمُصْذِقِينَ الموقنين بما فيه؛ كقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢]، وقوله: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [فصل: ٤٤].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ أي: بهذا الذي جاءهم من الله من الهدى ودين الحق، فليفرحوا؛ فإنه أولى ما يفرحون به، ﴿هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ أي: من حطام الدنيا وما فيها من الزهرة الفانية الذاهة لا محالة.

الآية (٥٩): ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ بَيْنَهُ حَرَامًا وَسَلَامًا قُلْ اللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا﴾ قال ابن عباس ومجاهد والضحاك وقادة وابن أسلم: نزلت إنكاراً على المشركين فيما كانوا يُجْرِمُونَ ويُجْلُونَ من البحائر والسوائب والوصايا؛ كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا قِيُوسًا زَادُوا مِنَ الْحَسْبِ وَالْأَثَرُ تَصِيبًا﴾ [الأنعام: ١٣٦].

عن مالك بن نضلة قال: أثبت رسول الله ﷺ وأنا قُشِفُ<sup>(١)</sup> الهيئة، فقال: «هل لك مال؟» قلت: نعم. قال: «من أي المال؟» قلت: من كل المال، من الإبل والرقيق والحليل والغنم. فقال: «إذا أتاك ما لا قَلْبَرُ عليك». وقال: «هل تنتج إبل قومك صحاحاً أذاتها، فتعتمد إلى موسى فتقطع أذاتها، فتقول: هذه بئر<sup>(٢)</sup>، وتشقها أو تشق جلودها، وتقول: هذه صُرْم<sup>(٣)</sup>، وتجرمها عليك وعلى أهلك؟» قال: نعم. قال: «فإن ما أتاك الله لك جَلٍّ، وساعدك الله أشد من ساعدك، وموسى الله أخذ من موسك» وذكر تمام الحديث، وهذا حديث جيد قوي الإسناد. [رواه أحمد، وصححه الألباني].

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ قال ابن جرير: في تَرْكِه مُعَاجِلَتِهِم بالعقوبة في الدنيا. قلت: ويحتمل أن يكون المراد لذو فضل على الناس فيما أباح لهم مما خلقه من المنافع في الدنيا، ولم يُحَرِّمْ عليهم إلا ما هو ضار لهم في دنياهم أو دينهم. ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ بل يجرمون ما أنعم الله به عليهم، ويضيعون على أنفسهم، فيجعلون بعضاً حلالاً وبعضاً حراماً. وهذا قد وقع فيه المشركون فيما شرعوه لأنفسهم، وأهل الكتاب فيما ابتدعوه في دينهم.

الآية (٦١): تَجَرُّبُ تعالى نبيه ﷺ أنه يعلم جميع أحواله وأحوال أمته، وجميع الخلاق في كل ساعة وأوان ولحظة، وأنه لا يعزب عن علمه وبصره مثقال ذرة في حقارتها وصغرها في السموات ولا في الأرض، ولا أصغر منها ولا أكبر إلا في كتاب مبين؛ كقوله: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْغَيْبِ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْفُطُ مِنْ رِزْقٍ إِلَّا يَسْلُمُهَا وَلَا حَبَإٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]، فأخبر تعالى أنه يعلم حركة الأشجار وغيرها من الجادات، وكذلك الدواب السارحة في قوله: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا ظَلَرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحِهِ إِلَّا أُمُّ أَشْأَلِكُمْ﴾ الآية [الأنعام: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ الآية [مرد: ٦]، وإذا كان هذا علمه بحركات هذه الأشياء، فكيف بعلمه بحركات المُكَلِّفِينَ المأمورين بالعبادة؛ كما قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ [الزمر: ٢١٧-٢١٩]؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ أي: إذ تأخذون في ذلك الشيء نحن مشاهدون لكم راؤون سامعون، ولهذا قال ﷺ لَنَا سَالَهُ جبريل عن الإحسان: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك» [رواه مسلم].

(١) القشيف: من لا يتعاهد الغسل والنظافة [ينظر: هذيب اللغة].

(٢) يقال لكل شئ: بئر؛ فالإبل البئر هي مشقوقة الأذن؛ وهي (البحيرة) التي كان العرب في الجاهلية يشقون أذنها ويتركونها لا تتركب ولا تلحلب. [ينظر: غريب الحديث لابن قتيبة].

(٣) صُرْم: جمع صريم، وهو الذي صُرِمَتْ أذنه؛ أي: قُطِعَتْ. وَالصُّرْم: القُطْع. [ينظر غريب الحديث لابن الجوزي، (باب الصاد مع الرءاء)].



وقوله: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ أي: هذا الوعد لا يُبدَّل ولا يُخْلَف ولا يُعَيَّر، بل هو مقرر مُثبت كائن لا محالة ﴿ذَلِكَ هُوَ الْقَوْلُ الْعَظِيمُ﴾.  
الآية (٦٥-٦٧): يقول تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَلَا تَحْزَنْكَ﴾  
قَوْلُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ، واستمع بالله عليهم، وتوكل عليه؛ فإن  
﴿الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾، أي: جميعها له ولرسوله وللمؤمنين، ﴿هُوَ  
الْأَسْمِعُ﴾ لأقوال عباده ﴿الْعَلِيمُ﴾ بأحوالهم.



## ● الوقفات التدريبية

﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

وان كانوا يحزنون لما يصيبهم من أمور في الدنيا؛ فقول النبي ﷺ: «وانا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون»، فذلك حزن وجداني لا يستقر، بل يزول بالصبر، ولكنهم لا يلحقهم الحزن الدائم؛ وهو حزن الدلت، وغلبة العدو عليهم، وزوال دينهم وسلطانهم. ابن عاشور: ٢١٨/١١.

السؤال: ما الحزن النفسي عن المتقين؟ وهل ينال ما يصيبهم في الدنيا من احزان؟

﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾

ودل قوله: (وكانوا يتقون) على أن التقوى ملازمة لهم؛ اخذاً من صيغة (وكانوا)، وأنها متجددة منهم؛ اخذاً من صيغة المضارع في قوله: (يتقون). ابن عاشور: ٢١٨/١١.

السؤال: كيف دلت الآية على أن من صفات أولياء الله تعالى أنهم ملازمون للتقوى؟

﴿ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾

أما البشارة في الدنيا فهي: الثناء الحسن، والمودة في قلوب المؤمنين، والرؤيا الصالحة، وما يراه العبد من لطف الله به، وتيسيره لأحسن الأعمال والأخلاق، وصرفه عنه مساوئ الأخلاق، وأما في الآخرة: فإوتها البشارة عند قبض أرواحهم... وفي القبر ما يبشر به من رضا الله تعالى والنعيم المقيم، وفي الآخرة تمام البشري بدخول جنات النعيم، والنجاة من العذاب الأليم. السعدي: ٣٦٨.

السؤال: اذكر صورا من بشارة المؤمن في الحياة الدنيا، وفي الآخرة.

﴿ لَا يَبْدِيلُ لِكَلِمَتِ اللَّهِ ﴾

لأنه الصادق في قبله، الذي لا يقدر أحد أن يخالفه فيما قدره وقضاه. السعدي: ٣٦٨.

السؤال: ما الذي يجعلك تطمئن أنه لا تبديل لكلمات الله؟

﴿ وَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾

وجملته: (إن العزة لله جميعاً) تعليل لدفع الحزن عنه، ولذلك فصلت عن جملة النهي؛ كأن النبي يقول: كيف لا أحزن والمشركون يتطاولون علينا، ويتوعدوننا، وهم أهل عزة ومنعة؟ فاجيب بأن عزتهم كالعدم؛ لأنها محدودة وزائلة، والعزة الحق لله الذي أرسلك ابن عاشور: ٢٢١/١١.

السؤال: بين عظيم الفرق بين عزة الله تعالى وعزة المشركين.

﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا شَبَّهَهُ هُوَ الْقَوْلُ لَمْ يَأْفِ السَّمَكُونَ وَمَا فِي الْأَرْضِينَ عِنْدَكُمْ مِمَّنْ سُلْطَنٌ بِهَذَا تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾

وفي الآية دليل على أن كل قول لا دليل عليه فهو جهالة، وأن العقائد لا بد لها من قاطع، وأن التقليد بمعزل عن الاهتمام بالألوسي: ٢٠٧/١١.

السؤال: ما خطورة ترك الدليل الصحيح، والعلم الشرعي؟

﴿ قُلْ إِنَّ الْإِنِّ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يَفْقَهُونَ ﴾

لا ينجون، وقيل: لا ييقون في الدنيا. البغوي: ٣٧١/٢.

السؤال: ما عقوبة من افترى الكذب والباطل على الله تعالى؟

الْآلَاتِ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ لَهُمُ الشُّرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا يَبْدِيلُ لِكَلِمَتِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْقَوْلُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣﴾ أَلَا إِنَّ اللَّهَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الْقُلُوبَ وَإِن هُمْ إِلَّا لَيَخْرُصُونَ ﴿١٤﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْآيَاتِ لَتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارُ مُبْصِرَاتٌ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ هُوَ الْعَزِيزُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِن عِنْدَكُمْ مِّنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَقْتُلُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٧﴾ مَتَّعَ فِي الدُّنْيَا مِمَّا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿١٨﴾ لَنُيَقِّمَهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿١٩﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
سُبْحَانَهُ	تَنَزَّاهُ، وَتَقَدَّسَ.
سُلْطَانٍ	حُجَّةٍ، وَدَلِيلٍ.

## ● العمل بالآيات

١. قل: «اللهم اهديني فيمن هديت، وتولني فيمن توليت»، ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾.
٢. حدد أموراً تعارض فيها شرع الله مع هوى نفسك، ثم اتخذ قراراً جازماً بتقديم شرعه على هوى نفسك، لتتألم ولاية الله تعالى، ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾.
٣. رتب حياتك هذا اليوم لتتألم من أول الليل، وتبدأ عملك من أول النهار؛ لتتوافق الفطرة التي أوتهاها الله لك، ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْآيَاتِ لَتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارُ مُبْصِرَاتٌ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾.

## ● التوجيهات

١. كلما عارض شرع الله هوى نفسك فبادر بتقديم شرع الله؛ فهذه هي التقوى، وهي وسيلتك لنيل ولاية الله تعالى، ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾.
٢. أولياء هم أهل الإيمان والتقوى كما في الآية، وهذا يخرج أهل الشرك والبدعة والفسق، ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾.
٣. إذا سمعت الأذى والبغى وسوء القول فلا تحزن ولا تهتم؛ فإن الله معز دينه وأهل طاعته، ﴿ وَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾.



## ● الوقفات التدبرية

﴿ تَرَى لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غِنًى شَرُّ اقْتَصَارٍ إِلَيْكَ وَلَا تَطْرُوفٌ ﴾  
(ثم اقضوا إلي) أي: افذوا فيما تريدون، ومعنى الآية: إن نوحاً- عليه السلام- قال لقومه: إن صعب عليكم دعائي لكم إلى الله فاصنعوا بي غاية ما تريدون، وإني لا أبالي بكم؛ لتوصلي على الله، ولتفتي به سبحانه. ابن جزي: ٣٨٥/١.

السؤال: القوة في الوقاف لا تأتي من فراغ، ولكنها تبني على عمل من أعمال القلوب، فما هو؟

﴿ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ مِمَّا سَأَلْتُمْ عَنْ آجُرٍ إِنْ آجُرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ ﴾  
(فما سألتمكم) على تبليغ الرسالة والدعوة (من أجر)، جعل وعوض، (إن آجري)، ما آجري وثوابي (إلا على الله). البغوي: ٣٧٢/٢.

السؤال: ذكرت الآية علامة من علامات صدق الداعية تفرق فيها بين علماء السنة وعلماء البدعة، فما هي؟

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَجَبْنَهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفَالِكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خُلَفَاءَ وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَذَابَ الَّذِينَ ﴾

وتقدم ذكر إنجائه قبل ذكر الإغراق- الذي وقع الإنجاء منه- للإشارة إلى أن إنجاءه أهم عند الله تعالى من إغراق مكذبيه، ولتسهيل المسرة للمسلمين السامعين لهذه القصة. ابن عاشور: ٢٤٣/١١.

السؤال: ما الفائدة تقديم ذكر إنجاء الله تعالى نوحاً- عليه السلام- على ذكر إغراق قومه؟

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِمَّا كَانُوا يَلْمِزُونَا يَمَّا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْغَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُفْتَرِينَ ﴾

(على قلوب المفتدين أي: المتجاوزين عن الحدود المعهودة في الكفر والعناد، ونمنعها لذلك عن قبول الحق، وسلوك سبيل الرشاد. الألوسي: ٢١٦/١١).

السؤال: ما موانع الهداية والتوفيق للاستقامة كما بينت الآية الكريمة؟  
﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ يَكِيدُنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا فَجُورِينَ ﴾

وكثيراً ما يذكر الله تعالى قصة موسى- عليه السلام- مع فرعون في كتابه العزيز؛ لأنها من أعجب القصص؛ فإن فرعون حذر من موسى كل الحذر، فسخره القدر أن ربي هذا الذي يحذر منه على فراشه ومالذته بمنزلة الولد، ثم ترعرع وعقد الله له سبباً أخرجه من بين أظهرهم، ورزقه النبوة والرسالة والتكليم، وبعثه إليه ليدعوه إلى الله تعالى. ابن كثير: ٤٠٨/٢.

السؤال: لماذا تكرر كثيراً قصة موسى- عليه السلام- مع فرعون في القرآن الكريم؟

﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتَنَّا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَنَكُونَ لَكُمُ الْكِرْبَاءَ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمُ بِمُؤْمِنِينَ ﴾

(وتكون لكم الكبرياء) أي: العظمة، والملك، والسلطان. القرطبي: ٢٨/١١.

السؤال: اتهام الدعاة بأنهم يريدون من دعوتهم المناصب أسلوب قديم، وضع ذلك من الآية.

﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتَنَّا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَنَكُونَ لَكُمُ الْكِرْبَاءَ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمُ بِمُؤْمِنِينَ ﴾

الحجج لا تدفع إلا بالحجج والبراهين، وأما من جاء بالحق فرد قوله بأمثال هذه الأمور؛ فإنها تدل على عجز مؤيديها عن الإتيان بما يرد القول الذي جاء به خصمه؛ لأنه لو كان له حجة لأوردها، ولم يلجأ إلى قوله: قصدك كذا، ومرادك كذا، سواء كان صادقاً في قوله وإخاره عن قصد خصمه أم كاذباً. السعدي: ٣٧١.

السؤال: في الآية أسلوب من أساليب أهل الباطل في الحوار، وضح.

\* وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَتَقَوْمِمْ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غِنًى ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تَطْرُوفُ ١٥ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجَرٍ إِنْ آجُرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُفْرُتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ١٦ فَكَذَّبُوهُ فَجَبْنَهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفَالِكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خُلَفَاءَ وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَذَابَ الْمُفْتَرِينَ ١٧ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِمَّا كَانُوا يَلْمِزُونَا يَمَّا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْغَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُفْتَرِينَ ١٨ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ يَكِيدُنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا فَجُورِينَ ١٩ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَيَسْحَرُكُمْ مِثْرُ ٢٠ قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَ كَرِيسْرُ هَذَا وَلَا يَقْلِعُ السَّحَرُونَ ٢١ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتَنَّا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَنَكُونَ لَكُمُ الْكِرْبَاءَ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمُ بِمُؤْمِنِينَ ٢٢

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
كَبُرَ	عُظُمَ.
فَأَجْمِعُوا	اعزِمُوا، وَأَعِدُوا.
غِنًى	مُسْتَرْتَأ.
خُلَفَاءَ	يَخْلُفُونَ الْمُكَذِّبِينَ فِي الْأَرْضِ.
وَمَلَئِهِ	أَشْرَافَ قَوْمِهِ.
لِنَلْفِتَنَّا	لِنُتَصَرَّفْنَا.

## ● العمل بالآيات

١. أخبر بعض زملائك أو أقرانك عن قصة نبي الله تعالى نوح بعد قراءتها من بعض الكتب؛ فإن الله تعالى يقول لنبيه: ﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ ﴾.

٢. ساعد أحد الدعاة، أو إحدى المؤسسات الخيرية محتسباً الأجر من الله تعالى، ﴿ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ مِمَّا سَأَلْتُمْ عَنْ آجُرٍ إِنْ آجُرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ ﴾.

٣. استعد بالله من أن يطبع على قلبك؛ فإن العبد إذا طبع على قلبه لم يحمل الخير والعباد بالله، ﴿ كَذَلِكَ نَطْغَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُفْتَرِينَ ﴾.

## ● التوجيهات

١. لا ينجي المؤمن من أذى الخلق إلا الله تعالى، فاستعد به وحده، ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَجَبْنَهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفَالِكِ ﴾.

٢. إياك أن ترد الحق؛ فإن رده قد يسبب الطبع على قلبك، فلا تجد سبيلاً للتوبة بعد ذلك، ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِمَّا كَانُوا يَلْمِزُونَا يَمَّا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْغَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُفْتَرِينَ ﴾.

٣. الاتهامات الكاذبة أسلوب من أساليب أهل الباطل، والظلم، والفساد، فديما وحديته، ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتَنَّا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَنَكُونَ لَكُمُ الْكِرْبَاءَ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمُ بِمُؤْمِنِينَ ﴾.

شرائعنا، وذلك معنى قوله: «أولاد علات»، وهم: الإخوة من أمهات شتى والأب واحد.

وقوله تعالى: ﴿كَذَّبُوهُ فَجَعَلْنَاهُ مِمَّنْ مَعَهُ﴾ أي: على دينه، ﴿فِي الْفَلَاحِ﴾ وهي: السفينة، ﴿وَجَعَلْنَاهُ خَلِيفَةً﴾ أي: في الأرض، ﴿وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ أي: يا حمد كيف أنجينا المؤمنين، وأهلكنا المكذبين.

الآية (٧٤): يقول تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِ نُوحٍ﴾ «رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ» أي: بالحجج والأدلة والبراهين على صدق ما جاؤوهم به، ﴿فَمَا كَانُوا يَلْقَوْنَهَا كَذِبًا يَدْعُونَ مِنْ قِبَلِ﴾ أي: فما كانت الأمم لتؤمن بما جاءتهم به رسُلهم، بسبب تكذيبهم إياهم أوّل ما أُرسلوا إليهم؛ كما قال تعالى: ﴿وَنَقَلْنَا آيَاتِهِمْ وَأَصْحَرْنَا كَمَا نَنْزِلُ أَوْفُوا بِوَعْدِكُمْ وَلَا يَكُونُوا لَكُمْ أَعْتَابًا﴾ [الأنعام: ١١٠].

وقوله: ﴿كَذَلِكَ نَطْعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُتَكِبِينَ﴾ أي: كما طع الله على قلوب هؤلاء، فما آمنوا بسبب تكذيبهم المتقدم، هكذا يطع الله على قلوب من أشبههم بمن بعدهم، ويختم على قلوبهم، فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الآليم.

والمراد: أن الله تعالى أهلك الأمم المكذبة للرسول، وأنجي من آمن بهم، وذلك من بعد نوح عليه السلام؛ فإن الناس كانوا من قبله من زمان آدم عليه السلام على الإسلام، إلى أن أحدث الناس عبادة الأصنام، فبعث الله إليهم نوحًا عليه السلام؛ ولهذا يقول له المؤمنون يوم القيامة: أنت أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض [متفق عليه]. وقال ابن عباس: كان بين آدم ونوح عشرة قرون؛ كلهم على الإسلام [رواه ابن جرير والحاكم، وصححه الألباني]. وقال الله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ﴾ [الأنعام: ١٧]، وفي هذا إنذار عظيم لمشركي العرب الذين كذبوا بسيد الرسل وخاتم الأنبياء والمرسلين؛ فإنه إذا كان قد أصاب من كذب بتلك الرسل ما ذكره الله تعالى من العقاب والنكال، فإذا ظن هؤلاء وقد ارتكبوا أكبر من أولئك؟!!

الآية (٧٥-٧٨): يقول تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِ تِلْكَ الرُّسُلِ﴾ «ثَوْنًا وَهَرُونَ» إلى فرعون وملأه، أي: قومه ﴿وَبِإِسْرَائِيلَ﴾ أي: حُجَجَنَا وبراهيننا، ﴿فَأَنصَرَفْنَا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ أي: استكبروا عن اتباع الحق والانقياد له، ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَيُصْحَرٌ مِّثْنٌ﴾ كأنهم -فيحهم الله- أقسموا على ذلك، وهم يعلمون أن ما قالوه كذب وبهتان؛ كما قال تعالى: ﴿وَيَحْمَدُوا بِهَا وَاسْتَغْنَيْنَهَا أَنْفُسَهُمْ فَعَلَّمَا طُغُوا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل: ١٤]. ﴿قَالَ﴾ لهم ﴿مُوسَى﴾ مُنْكَرًا عليهم: ﴿أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ كُفٌّ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاجِدُونَ﴾ ﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنُلْفِتَنَّا﴾ أي: تفتينا ﴿عَمَّا وَبَدَّنا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ أي: الذين الذي كانوا عليه، ﴿وَنَكُونَ لَكُمْ﴾ أي: لك ولهارون ﴿الْكَافِرِينَ﴾ أي: العظيمة والرياسة ﴿فِي الْأَرْضِ وَمَاغْنًا لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾.

الآية (٧١-٧٣): يقول تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَأَنذِرْ لَهُمْ﴾ أي: أخبرهم واقصص عليهم، أي: على كفار مكة الذين يكذبونك ويغالطونك، ﴿بِمَا نُوحٍ﴾ أي: خبره مع قومه الذين كذبوه؛ كيف أهلكهم الله ودمرهم بالغرق أجمعين عن آخرهم، ليحذر هؤلاء أن يصيبهم من الهلاك والدمار ما أصاب أولئك، ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَقُولُونَ لَا تَبْرَأْ عَلَيْنَا﴾ أي: عظم عليكم ﴿مَنَاقِبِي﴾ فيكم بين أظهركم، ﴿وَنَذِيرِي﴾ إياكم ﴿بِمَا بَدَأَ اللَّهُ﴾ أي: بحُجَجِهِ وبراهينه، ﴿فَمَلَّ اللَّهُ تَوَكَّلْتُ﴾ أي: فإني لا أبالي ولا أكف عنكم، سواء عظم عليكم أو لا! ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾ أي: فاجتمعوا أنتم وشركاؤكم الذين تدعون من دون الله، من صنم ووثن، ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ أي: ولا تجعلوا أمركم عليكم مُتَبَسِّطًا، بل افصلوا حالكم معي؛ فإن كنتم تزعمون أنكم محقون فـ ﴿اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ﴾ أي: ولا تؤخروني ساعة واحدة؛ أي: مهما قدرتم فافعلوا، فإني لا أخاف منكم؛ لأنكم لستم على شيء؛ كما قال هود لقومه: ﴿إِنِّي أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ وَرَبِّكُمْ﴾ [هود: ٥٤-٥٦].

﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أي: كذبتم وأدبرتم عن الطاعة، ﴿فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجَرٍ﴾ أي: لم أطلب منكم على نصحي إياكم شيئًا، ﴿إِنْ أَجَبْتُمْ لَمْ يَكُنْ عَلَيْكُمْ أَجْرٌ وَلَا أَثَرٌ﴾ أي: وأنا مُتَمَثِّلٌ ما أُمِرْتُ به من الإسلام لله عز وجل، والإسلام هو دين الأنبياء من أوّلهم إلى آخرهم، وإن تنوّعت شرائعهم وتعدّدت مناهجهم؛ كما قال تعالى: ﴿لِكُلِّ جَمَلًا مِنْكُمْ شِرْعَةٌ وَمِنْهَا كَمَا﴾ [البقرة: ٤٨] قال ابن عباس: سبيلًا وشنة. فهذا نوح يقول: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٩١]، وقال تعالى عن إبراهيم الخليل: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْتُ قَالَ أَسْلَمْتَ رَبِّي الْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمَ يَتِيمًا وَيَتِيمًا وَيَتِيمًا﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الَّذِينَ فَلَ تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣١-١٣٢]، وقال يوسف: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَكَّلْ عَلَى الصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١]، وقال موسى: ﴿يَعْلَمُ إِنَّكُمْ أَعْتَمَدْتُمُ عَلَى الْمَوْتِ وَلَكِنْ كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ٨٤]، وقالت السحرة: ﴿رَبَّنَا أَرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَكَّلْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٦]، وقالت بلقيس: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَرْزَلْنَا إِلَى قُلُوبِهِمْ هَدًى وَتُؤْتَى بِهَا الْيَتِيمُونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾ [النمل: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١١١] وقال خاتم الرسل وسيد البشر ﷺ: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَئِنَّكَ أَمْرٌ تَأْتِي﴾ [الأنعام: ١٦٦-١٦٧]، أي: من هذه الأمة؛ ولهذا قال: «نحن معاشر الأنبياء أولاد علات، ديننا واحد» [متفق عليه]. أي: وهو عبادة الله وحده لا شريك له، وإن تنوّعت

(١) حزبه الأمر: نابيه واشتد عليه، أو ضغطه [القاموس المحيط].



## ● الوقفات التدريبية

﴿ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَأَنْتُمْ مُلْكُوتٌ ﴾

وانما امرهم موسى بان يبتدئوا بإلقاء سحرهم إظهاراً لقوة حجته؛ لأن شأن المبتدئ بالعمل التباري فيه ان يكون أمكن في ذلك العمل من مباريه، ولا سيما الأعمال التي قوامها التزويج والتزيين، والتي يتطلب المستنصر فيها السبق إلى تأثر الحاضرين وإعجابهم. ابن عاشور: ٢٥٤/١.

السؤال: لماذا أمر موسى -عليه السلام- السحرة بالابتداء بإلقاء سحرهم؟

﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُكُمْ بِالسِّحْرِ إِنَّمَا سَبِيلُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصَلِّحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾

وانما كان السحرة مفسدين لأن قصدهم تضليل عقول الناس؛ ليكونوا مسخرين لهم، ولا يعلموا أسباب الأشياء؛ فيبقوا أمة فيما تأمرهم السحرة، ولا يهتدوا إلى إصلاح أنفسهم سيلاً. أما السحرة الذين خاطبهم موسى -عليه السلام- فإفسادهم أظهر؛ لأنهم يحاولون إبطال دعوة الحق، والدين القيم، وترويج الشرك والضلالات. ابن عاشور: ٢٥٧/١.

السؤال: السحرة طبقات في إفسادهم، وضع ذلك.

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصَلِّحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾

وهكذا كل مفسد عمل عملاً، واحتال كيداً، أو أتى بمكر؛ فإن عمله سيظل ويضمحل، وإن حصل لعمله روجان في وقت ما فإن ماله الاضمحلال، والمح. وأما المصلحون -الذين قصدهم بأعمالهم وجه الله تعالى، وهي أعمال ووسائل نافعة مأمور بها- فإن الله يصلح أعمالهم، ويرقيها، وينميها على الدوام. السعدي: ٣٧١.

السؤال: ما مآل الأعمال الفاسدة؟ وما مآل الأعمال الصالحة؟

﴿ قَمَاءَ آتَمَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةً مِنْ قَوْمِهِ ﴾

أي: شباب من بني إسرائيل ... والحكمة -والله أعلم- بكونه ما آمن لموسى إلا ذرية من قومه: أن الذرية والشباب اقبل للحق، وأسرع له الانقياد؛ بخلاف الشيوخ ونحوهم ممن تربى على الكفر؛ فإنهم -بسبب ما مكث في قلوبهم من العقائد الفاسدة- أبعد من الحق من غيرهم. السعدي: ٣٧١.

السؤال: ما السبب في كون أكثر من آمن مع موسى هم الشباب؟

﴿ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾

أي: لا تمكنهم من عذابنا، فيقولون: لو كان هؤلاء على الحق ما عذبناهم، فيفتنون بذلك. ابن جزى: ٣٨٦/١.

السؤال: ما مقصد موسى -عليه السلام- وقومه من هذا الدعاء؟

﴿ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾

تقديم التوكل على الدعاء -وإن كان بياناً لامتنان أمر موسى عليه السلام لهم- به تلويح بأن الداعي حقه أن يني دعاءه على التوكل على الله تعالى؛ فإنه أرجى للإجابة، ولا يتوهم أن التوكل مناف للدعاء؛ لأنه أحد الأسباب للمقصود. الأنوسي: ٢٢٦/١.

السؤال: هل التوكل الصحيح يتعارض مع الدعاء؟

﴿ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾

وهذه الدعوة كانت من موسى -عليه السلام- غضبا لله ولدينه على فرعون وملئه الذين تبين له أنهم لا خير فيهم، ولا يجيء منهم شيء؛ كما دعا نوح -عليه السلام- فقال: (رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً) إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً).

أنوح: ٢٦-٢٧. ابن كثير: ٤١١/٢.

السؤال: ما وجه دعاء موسى على فرعون وقومه؟

وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَأْتُونِي بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ ﴿١٥﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَأَنْتُمْ مُلْكُوتٌ ﴿١٦﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُكُمْ بِالسِّحْرِ إِنَّمَا سَبِيلُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصَلِّحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٧﴾ وَيُخَيِّئُ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٨﴾ قَمَاءَ آتَمَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةً مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَلَنْ فِرْعَوْنَ لَمَالٍ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ يَكُنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٩﴾ وَقَالَ مُوسَى يُقَوْمُ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مُتَسَلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾ وَنَحْنُ بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٢﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا الْقَوْمَ كَمَا بِحُضْرَتِي وَتَا وَتَجْعَلُوا لِيُؤْتِكُمْ فِتْنَةً وَلَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيَتَذَكَّرُوا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوهُ عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٢٤﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
وَيُخَيِّئُ	يُثَبِّتُ وَيُعَلِّي.
تَبَوَّءَا	اتَّخَذَا.
اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ	أَتْلَفَهَا.
وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ	اخْتَمِ عَلَيْهَا حَتَّى لَا تُؤْمِنَ.

## ● العمل بالآيات

١. أرسل رسالتاً تحذر فيها من السحر وأهله، ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُكُمْ بِالسِّحْرِ إِنَّمَا سَبِيلُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصَلِّحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾.
٢. ادع بهذا الدعاء على من اشتد به حربه على الإسلام والمسلمين: ﴿ وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوهُ عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾.
٣. اقرأ هذه الآيات المباركات على نفسك، وعلى من به عين أو سحر؛ فإن لها تأثيراً بإذن الله تعالى، ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُكُمْ بِالسِّحْرِ إِنَّمَا سَبِيلُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصَلِّحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (١٨) وَيُخَيِّئُ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ.

## ● التوجيهات

١. الأعمال الفاسدة إلى زوال وإن قويت، والأعمال الصالحة باقية تمكث وتنفذ صاحبها والناس، ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصَلِّحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾.
٢. فئة الشباب اقبل للحق من غيرهم، فلا تهملهم في دعوتك مهما كثر الاستهتار والعبث عندهم، ﴿ قَمَاءَ آتَمَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةً مِنْ قَوْمِهِ ﴾.
٣. وجوب التوكل على الله تعالى لتحمل عبء الدعوة إلى الله تعالى والقيام بطاعته، ﴿ وَقَالَ مُوسَى يُقَوْمُ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مُتَسَلِّينَ ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿ قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمْ ﴾

الخطاب لموسى وهارون على أنه لم يذكر الدعاء إلا عن موسى وحده، لكن كان موسى يدعو وهارون يؤمن على دعائه، ابن جزي/٣٨٧.  
السؤال: في الآية دليل على أن الدعاء يستجاب من الداعي والمؤمن عليه، وضع ذلك.

﴿ قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمْ فَاسْتَقِيمُوا وَلَا تَلَمَّازُنَا سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَمْلِكُونَ ﴾  
فرع على إجابة دعوتهم أمرهما بالاستقامة، فلمل أن الاستقامة شكر على الكرامة؛ فإن إجابة الله دعوة عبده إحسان للعبد وإكرام، وتلك نعمة عظيمة تستحق الشكر عليها، وأعظم الشكر طاعة المنعم ... والاستقامة حقيقتها: الاعتدال، وهي ضد الاجوجاج، وهي مستعملة كثيرا في معنى ملازمة الحق والرشد. ابن عاشور: ٢٧٣/١١

السؤال: ما المقصود بالاستقامة؟ ولماذا أمر بها بعد الإخبار بإجابة دعوتهم؟  
﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرْفُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ. يَبْرَأُ إِلَهُي وَلَأَنَا مِنَ الْضَالِّينَ ﴾

والإيمان لا ينفع حينئذ، والتوبة مقبولة قبل رؤية الباس، وأما بعدها وبعد المخالطة فلا تقبل. القرطبي: ٤٥/١١.

السؤال: متى ينتهي قبول الإيمان والتوبة؟  
﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرْفُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ. يَبْرَأُ إِلَهُي وَلَأَنَا مِنَ الْضَالِّينَ ﴾

كما جرت عادة الله أن الكفار إذا وصلوا إلى هذه الحالة الاضطرارية أنه لا يتفهم إيمانهم؛ لأن إيمانهم صار إيمانا مشاهدا كإيمان من ورد القيامة، والذي ينفع إنما هو الإيمان بالغييب. السعدي: ٣٧٢.

السؤال: لماذا لم يقبل إيمان فرعون؟ وما الإيمان الذي يريده الله سبحانه وتعالى؟  
﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴾  
فلذلك نمر عليهم وتكرر فلا ينتفعون بها؛ لعدم إقبالهم عليها، وأما من له عقل وقلب حاضر فإنه يرى من آيات الله ما هو أكبر دليل على صحة ما أخبر به الرسل. السعدي: ٣٧٣.

السؤال: ما السبب الذي يجعل أكثر الناس لا ينتفعون بآيات الله، مع كثرة مرورها عليهم؟

﴿ فَكَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

وهذا هو الداء الذي يعرض لأهل الدين الصحيح؛ وهو أن الشيطان إذا أعجزوه أن يطيعوه في ترك الدين بالكليته، سعى في التحريش بينهم، والقضاء العداوة والبغضاء، فحصل من الاختلاف ما هو موجب ذلك، ثم حصل من تضليل بعضهم لبعض، وعبادة بعضهم لبعض ما هو قرة عين للعين. ولا هذا كان ربهما واحدا، ورسولهم واحدا، ودينهم واحدا، ومصلحتهم العامة متفقة، فلا شيء يختلفون اختلافا يفرق شملهم، ويشتت أمرهم، ويحل رابطتهم ونظامهم، فيقوت من مصلحتهم الدينية والدينية ما يقوت، ويموت من دينهم بسبب ذلك ما يموت. السعدي: ٣٧٣.

السؤال: ما الداء الذي أصاب هذه الأمة وأضعفها مع وجود العلم الصحيح عندها؟  
﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِمَّا آتَيْنَا آلَكَ فَسَلِ الَّذِينَ يُقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾  
وفي الآية تنبيه على أن من خالجه شبهة في الدين ينبغي له مراجعة من يزيلها من أهل العلم، بل المسارعة إلى ذلك حسبا تدل عليه الفاء الجزائية؛ بناء على أنها تعيد التعقيب. الألوسي: ٢٥٢/١١.

السؤال: ما علاج الشبهات التي ترد على النفس؟

قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمْ فَاسْتَقِيمُوا وَلَا تَلَمَّازُنَا سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَمْلِكُونَ ﴿٣٨٧﴾ وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَيْنَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرْفُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ. يَبْرَأُ إِلَهُي وَلَأَنَا مِنَ الْمُسْرِئِينَ ﴿٣٨٨﴾ وَأَلْفَنَّا وَقَدِ غَصَبْتَ قَبْلَ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٣٨٩﴾ فَأَلْيَوْمَ تُنْجِيكَ يَبَدُّكَ لَتَكُونَ لِمَن خَلَقَكَ آيَةً ﴿٣٩٠﴾ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴿٣٩١﴾ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مَبُوءًا صَدَقَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٣٩٢﴾ فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِمَّا آتَيْنَا آلَكَ فَسَلِ الَّذِينَ يُقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٣٩٣﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونُوا مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٩٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩٥﴾ وَلَوْ جَاءَ تَهُمَّ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٣٩٦﴾

## ● معاني الكلمات

المعنى	الكلمة
فَاسْتَقِيمُوا	فَاسْتَقِيمُوا عَلَى الدِّينِ، وَاسْتَمِرًّا عَلَى الدُّعْوَةِ.
وَلَا تَلَمَّازُنَا	لَا تَسْلُكُوا.
وَجَاوَزْنَا	قَطَعْنَا.
بَغْيًا وَعَدُوًّا	ظُلْمًا، وَعَدُوًّا.
نُنْجِيكَ	نُخْرِجُكَ مِنَ الْبَحْرِ، وَنَجْعَلُكَ عَلَى مُرْتَفِعٍ مِّنَ الْأَرْضِ.
بَوَّأْنَا	أَنْزَلْنَا.
مَبُوءًا صَدَقَ	مَنْزِلًا صَالِحًا بِالشَّامِ وَمِصْرَ.

## ● العمل بالآيات

- الح على الله تعالى بالدعاء في أمر يهلك؛ محسنا الظن به سبحانه، ﴿ قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمْ فَاسْتَقِيمُوا وَلَا تَلَمَّازُنَا سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَمْلِكُونَ ﴾.
- تذكر ذنبا فعلته، ثم بادر بالتوبة قبل أن تصل إلى حالة لا تقبل فيها توبتك، ﴿ وَأَلْفَنَّا وَقَدِ غَصَبْتَ قَبْلَ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾.
- اجمع أسئلة اشكلت عليك، ثم اتصل بأحد أهل العلم، واسأله عنها، ﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِمَّا آتَيْنَا آلَكَ فَسَلِ الَّذِينَ يُقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾.

## ● التوجيهات

- قد تستجاب دعوتك بعد مدة، ﴿ قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمْ ﴾.
- أحرص على التامين حال سماعك الدعاء؛ فإن التامين بمنزلة الدعاء، ﴿ قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمْ ﴾.
- بادر بالتوبة؛ فقد يكون انتهاء وقتها مفاجئا لك، ﴿ وَأَلْفَنَّا وَقَدِ غَصَبْتَ قَبْلَ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾.





الآية (٩٩-١٠٠): يقول تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ ﴿٩٩﴾ يَا مُحَمَّد، لَأَوْنُ لَأَهْلُ الْأَرْضِ كُلَّهُمْ فِي الْإِيمَانِ بِيَا جَسْتَهُمْ بِهِ، فَأَمَّاوَا كُلَّهُمْ، وَلَكِنْ لَهُ حِكْمَةٌ فِيمَا يَفْعَلُهُ تَعَالَى، وَكَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَبَدَّلَ لَوْلَا خَلْقَهُمْ ﴿١٠٠﴾ إِلَّا مَنْ رَجِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: ١١٨-١١٩]، وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَأْتِيَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ سَبِيلًا﴾ [الرعد: ٩٣]، ولهذا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ ﴿١﴾ أَي: نُلْزِمُهُمْ وَنُلْجِسُهُمْ ﴿٢﴾ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ أَي: لَيْسَ ذَلِكَ عَلَيْكَ وَلَا إِلَيْكَ، بَلِ اللَّهُ ﴿٤﴾ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ﴿٥﴾ [فاطر: ٨]، ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢]، ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦]، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الْفَعَّالُ لِمَا يُرِيدُ الْهَادِي مِنَ الشَّيْءِ، الْمُضِلُّ لِمَنْ يَشَاءُ، لَعَلَّمَهُ وَحْكَمَتَهُ وَعَدْلَهُ. وَهَذَا قَالَ: ﴿وَمَا كَأَنْتَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ ﴿١﴾ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَبِعَمَلِ الْإِنْسَانِ﴾ وهو الْحَبَالُ وَالضَّلَالُ ﴿عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ حُجَّجَ اللَّهُ وَأَدْلَتُهُ، وَهُوَ الْعَادِلُ فِي كُلِّ ذَلِكَ: فِي هِدَايَةِ مَنْ هَدَى، وَإِضْلَالِ مَنْ ضَلَّ.



## ● الوقفات التدريبية

﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرِيْبَةً ءَامَنْتَ فَتَنَعْمَا اِيْمَنْهَا اِلَّا قَوْمٌ يُّوْسُ ﴾

أي: لم يكن منهم أحد انتفع بإيمانه حين رأى العذاب ... والحكمة في هذا ظاهرة: فإن الإيمان الاضطرابي ليس بإيمان حقيقة، ولو صرف عنه العذاب والأمر الذي اضطره إلى الإيمان لرجع إلى الكفران. السعدي: ٣٧٤. السؤال: لماذا لا ينفع إيمان من آتاه العذاب؟

﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرِيْبَةً ءَامَنْتَ فَتَنَعْمَا اِيْمَنْهَا اِلَّا قَوْمٌ يُّوْسُ لَمَّا ءَامَنُوا ﴾

كشفت عنهم عذاب الآزلي في الحيوة الدنيا ومعتنهم إلى حين ﴿ ولعل الحكمة في ذلك: ان غيرهم من المهلكين لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه، وأما قوم يونس فإن الله علم ان إيمانهم سيستمر، بل قد استمر فعلاً وثبتوا عليه. السعدي: ٣٧٤. السؤال: ما الحكمة في تخصيص قوم يونس بأن نفعهم الإيمان بعد وقوع العذاب؟

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَن فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾

هذه تسليية للنبي ﷺ، وذلك انه كان حريصاً على ان يؤمن جميع الناس، فأخبره جل ذكره انه لا يؤمن إلا من قد سبق له من الله السعادة، ولا يضل إلا من سبق له الشقاوة. البغوي ٣٨١/٢. السؤال: إلى أي حد بلغت رحمة نبينا ﷺ بأمته؟

﴿ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا مِثْلَ آبَائِهِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾

أي: فهل ينتظر هؤلاء الذين لا يؤمنون بآيات الله -بعد وضوحها- إلا (مثل أيام الذين خلوا من قبلهم): أي: من الهلاك والعقاب: فإنهم صنعوا كصنيعهم، وسنة الله جارية في الأولين والآخرين. السعدي: ٣٧٤. السؤال: وضع في ضوء الآية سنة الله تعالى في الذين لا يؤمنون بآياته.

﴿ ثُمَّ نُنْجِي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾

فهو سبحانه أحقه على نفسه بحكم إحسانه وفضله ووعده، لا هم أحقوه عليه كالحق الذي لإنسان على من له عنده يد ابن تيمية: ٥٠١/٣. السؤال: ما معنى ان يكون هناك حق على الله تعالى؟

﴿ ثُمَّ نُنْجِي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾

من سنتنا إذا أنزلنا بقوم عذاباً أخرجنا من بينهم الرسل والمؤمنين. القرطبي: ٥٨/١١.

السؤال: هل يصيب عذاب الاستئصال من كان على إيمان وهدي؟

﴿ وَلَا تَنْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ ﴾

والمقصود من هذا الفرض تنبيه الناس على فظاعة عظم هذا الفعل حتى لو فعله أشرف المخلوقين لكان من الظالمين. ابن عاشور: ٣٠٥/١١. السؤال: إذا كان النبي ﷺ لا يمكن ان يدعو من دون الله أحداً فما المقصود من مخاطبته بذلك؟

فَلَوْلَا كَانَتْ قَرِيْبَةً ءَامَنْتَ فَتَنَعْمَا اِيْمَنْهَا اِلَّا قَوْمٌ يُّوْسُ  
لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا  
وَمَتَّعْنَاهُمْ اِلَىٰ حِيْنَ ۝ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَن فِي الْأَرْضِ  
كُلَّهُمْ جِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ۝  
وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُوْثِقَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ  
عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ۝ قُلْ أَنْظِرُوا مَاذَا فِي السَّمٰوٰتِ  
وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيٰتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ۝  
فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا مِثْلَ آبَائِهِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ  
قُلْ فَأَنْظِرُوا إِلَىٰ مَعَكُمْ مِنَ النَّسِيطِينَ ۝ ثُمَّ نُنْجِي  
رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ۝  
قُلْ يٰٓأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِيْنِي فَلَا أَغْبُدُ إِلَّا اللَّهَ  
تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّكُمُ وَأُمِرْتُ  
أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا  
وَلَا تَكُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا  
يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ ۝

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
الرَّجْسُ	العَذَابُ.
وَمَا تُغْنِي	لا تنفع.
خَلَوْا	مَضَوْا.
أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ	أَقِمَّ نَفْسَكَ عَلَى الْإِسْلَامِ مُسْتَقِيمًا عَلَيْهِ.
حَنِيفًا	مَائِلًا عَنِ الشُّرْكِ إِلَى التَّوْحِيدِ.

## ● العمل بالآيات

١. اجلس منفرداً، وتفكر في السماء أو في الجبال وما فيها من آيات وعبر، ﴿ قُلْ أَنْظِرُوا مَاذَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيٰتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾.
٢. «اللهم اني اعوذ بك ان اشرك بك وأنا اعلم واستغفرك لما لا اعلم»، ﴿ وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾.
٣. اكتب هذه الآية، وأرسلها لمن يدعو غير الله، ﴿ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ ﴾.

## ● التوجيهات

١. قبول التوبة قبل حصول العذاب، وروية العلامات، ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرِيْبَةً ءَامَنْتَ فَتَنَعْمَا اِيْمَنْهَا اِلَّا قَوْمٌ يُّوْسُ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ اِلَىٰ حِيْنَ ﴾.
٢. تذكر ان الهداية والإيمان بيد الله تعالى، ولو شاء لجعل الناس كلهم مؤمنين، ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُوْثِقَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾.
٣. عند إهلاك الله للظلمة والمشركين فوعده تعالى ثابت لأوليائه وإنجاهم من الهلاك، ﴿ ثُمَّ نُنْجِي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾.



القاموس  
العربي

## ● الوقفات التدريبية

﴿ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾  
فإذا عرف العبد بالدليل القاطع ان الله هو المنفرد بالنعمة، وكشف النقم، وإعطاء الحسنات، وكشف السيئات والكربات، وإن أحدًا من الخلق ليس ببيده من هذا شيء إلا ما أجزاه الله على يده، جزم بأن الله هو الحق، وإن ما يدعون من دونه هو الباطل. السعدي: ٣٧٥.

السؤال: من خلال الآية وضع كيف تنصح من يتعلق بالخلق، وينسى الخالق.

﴿ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾  
قد قرن الصبر بالأعمال الصالحة عموماً وخصوصاً: فقال تعالى: (واتبع ما يوحى إليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين). وفي اتباع ما أوحى إليه التقوى كلها: تصديقاً لخبر الله، وطاعة لأمره. ابن تيمية: ٥١/٣.

السؤال: ما الوسيلة الصادقة لتحقيق تقوى الله سبحانه؟

﴿ الرَّكْبُ أَتَيْتُكَ بِإِيتِهِ ثُمَّ هُيَلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ ﴾  
وأما سورة هود فإنما فيها ذكر الأمم، وما حل بهم من عاجل بأس الله تعالى: فأهل اليقين إذا تلوها تراهي على قلوبهم من ملكه وسلطانه ولحظاته البطش بأعدائه، فلو ماتوا من الفزع لحق بهم، ولكن الله تبارك وتعالى اسمه يلفظ بهم في تلك الأحيان: حتى يقرؤوا كلامه. القرطبي: ٦٤/١١.

السؤال: ما موضوع سورة هود، وما أثره على أهل الإيمان والصلاح إذا تلوها؟

﴿ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ ﴾  
فإذا كان إحكامه وتفصيله من عند الله الحكيم الخبير: فلا تسأل بعد هذا عن عظّمته، وجلّاله، واشتماله على كمال الحكمة، وسعة الرحمة. السعدي: ٣٧٦.

السؤال: ما الذي يُفاد من كون الكتاب أنزل من عند الحكيم الخبير؟

﴿ وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ ثُمَّ تُؤْوُوا إِلَيْهِ يَمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى رُبَّمَا كُلُّ ذِي فَضْلٍ فَضْلُهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴾  
قال بعض الصلحاء: الاستغفار بلا إقلاع توبة الكذابين، وقيل: إنما قدم ذكر الاستغفار لأن المغفرة هي الغرض المطلوب، والتوبة هي السبب إليها: فالمغفرة أول في المطلوب، وآخر في السبب، ويحتمل أن يكون المعنى: استغفروهم من الصغائر، وتوبوا إليه من الكبائر. القرطبي: ٦٧/١١.

السؤال: لماذا قدم الاستغفار على التوبة في الآية؟

﴿ وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ ثُمَّ تُؤْوُوا إِلَيْهِ يَمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى رُبَّمَا كُلُّ ذِي فَضْلٍ فَضْلُهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴾  
يعيشكم عيشاً حسناً في خفض ودعة، وأمن وسعة، ... ويؤت كل ذي عمل صالح في الدنيا أجره، وثوابه في الآخرة. البغوي: ٣٨٥/٢-٣٨٦.

السؤال: ما ثمرات الاستغفار؟

﴿ أَلَا إِنَّهُمْ يَبْتَنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُبْسِرُونَ وَمَا يَأْتِيهِمْ إِلَّا عَلَيْهِمْ يَذَاتُ الصُّدُورِ ﴾

قيل: كان الكفار إذا لقيهم رسول الله ﷺ يردون إليه ظهورهم لئلا يبرؤهم: من شدة البغض والعداوة. ابن جزي: ٣٩٠/١.

السؤال: ما المقصود بنفي الكفار لصُدُورهم؟ ولماذا يفعلون ذلك؟

وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهِمَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿٣٨﴾ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٣٩﴾

سورة هود  
٣٧  
٣٨  
٣٩

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّكْبُ أَتَيْتُكَ بِإِيتِهِ ثُمَّ هُيَلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ ﴿١﴾  
أَلَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُم مِّنْ نَّذِيرٍ وَبَشِيرٍ ﴿٢﴾ وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ ثُمَّ تُؤْوُوا إِلَيْهِ يَمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَتُؤْتِ كُلُّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ أَلَا إِنَّهُمْ يَبْتَنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُبْسِرُونَ وَمَا يَأْتِيهِمْ إِلَّا عَلَيْهِمْ يَذَاتُ الصُّدُورِ ﴿٥﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
فُضِّلَتْ	بُنِيَتْ بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ.
تَوَلَّوْا إِلَيْهِ	ارْجِعُوا إِلَيْهِ نَادِمِينَ.
يَبْتَنُونَ صُدُورَهُمْ	يُضْمِرُونَ فِي صُدُورِهِمُ الْكُفْرَ.
لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ	لِيَسْتَتِرُوا مِنْ اللَّهِ.
يَسْتَغْشُونَ	يَتَغَطَّوْنَ بِثِيَابِهِمْ.

## ● العمل بالآيات

١. استغفر الله تعالى، وتب إليه اليوم سبعين مرة، ﴿ وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ ثُمَّ تُؤْوُوا إِلَيْهِ يَمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى رُبَّمَا كُلُّ ذِي فَضْلٍ فَضْلُهُ ﴾.
٢. حدد أكبر أمنيّاتك أو احتياجاتك، وأنع على الله بطلبها محسناً الظن به سبحانه، ﴿ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ﴾.
٣. استعد بالله من الحسد: فإن الله تعالى إذا كتب فضلاً لأحد من عباده: فإنه لا راد لعطائه وكرمه، ﴿ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾.

## ● التوجيهات

١. اصبر على طاعة الله وعن معاصيه: فإن المتبع للوحي يتعرض للشائد: وخاصة في أزمته الفتن، ﴿ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾.
٢. اعلم ان الله تعالى هو خير الحاكمين: الذي قضى بنصر عباده المؤمنين، ورفع ذكركم، وكبت عدوهم، ﴿ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾.
٣. مظهر من مظاهر إعجاز القرآن: وهو أنه مؤلف من الحروف المقطعة، ولم تستطع العرب الإتيان بسورة مثله، ﴿ الرَّكْبُ أَتَيْتُكَ بِإِيتِهِ ثُمَّ هُيَلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ ﴾.



الآية (٦): ﴿وَلَيْنَ آخِرَتَانِ لَهُمَا ۚ وَالْعَذَابُ إِلَىٰ أُمَّتِهِمْ مَّعْدُودٌ ۖ لَّيْسَ لَهُمْ صِلَىٰ ۚ يَقُولُونَ: مَا بِهَاجِرَةٍ ۚ يَقُولُ تَعَالَىٰ: وَلَنْ آخِرَنَا الْعَذَابَ وَالْمُؤَاخَذَةَ عَنْ هَؤُلَاءِ ۚ الشَّرِكِينَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّعَدَّدٍ وَأَمْدٌ مَّحْصُورٌ، وَأَوْعِدْنَاهُمْ بِهِ إِلَىٰ مَدَّةٍ مُّضْرُوبَةٍ، لِيَقُولُوا تَكْذِيبًا وَاسْتَعْجَالًا: ﴿مَا بِهَاجِرَةٍ ۚ﴾ أي: يؤخر هذا العذاب عنا؟! فإن سجاياهم قد أَلْفَتِ التَّكْذِيبَ والشك، فلم يبقَ لهم محيص عنه ولا محيد. و«الآمة» تُستعمل في القرآن والسنة في معانٍ متعددة، فإِذَا رَأَيْتَهَا: الأمد؛ كقوله في هذه الآية: ﴿إِنَّ أُمَّتَهُمْ مَّعْدُودٌ ۚ﴾، وتُستعمل في الإمام المُقَدَّس به؛ كقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَتْ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠]، وتُستعمل في الملة والدين؛ كقوله إِنْخِبَارًا عن المشركين أنهم قالوا: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ مَنَاقِبٍ عَلِيمَةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ مَا نُنْصِرُهُمْ مُّقْتَدُونَ﴾ [الزمر: ٢٣]، وتُستعمل في الجماعة؛ كقوله: ﴿وَلَنَا وَرَدَمَاءُ مَذَكِّتٌ رَّبَّدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ يَسْقُوتُ﴾ [القصص: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُتِلَ رَسُولُهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُمْ لَا يَتْلَمُونَ﴾ [يونس: ٤٧] والمراد من الأمة ههنا: الذين يبعث فيهم الرسول؛ مؤمنهم وكافرهم، كما في صحيح مسلم: «والذي نفسي بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة، يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار» وأما أمة الانبياء فهم المصدقون للرسل؛ كما قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وتُستعمل الأمة في الفرقة والطائفة؛ كقوله تعالى: ﴿وَمِنْ قَوْمٍ مُّؤْمِنُونَ أُمَّةٌ يَعْبُدُونَ الْيَمِينَ وَيَوْمَ يَقُولُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٩].

الآية (٩-١١): يُخبر تعالى عن الإنسان وما فيه من الصفات الذميمة -إلا من رحم الله من عباده المؤمنين- أنه إذا أصابته شدة بعد نعمة حصل له بأس وقنوط من الخير بالنسبة إلى المستقبل، وكفرٌ وجحود لماضي الحال؛ كأنه لم يرَ خيرًا، ولم يَرَجُ بعد تلك فرجًا. وهكذا إن أصابته نعمة بعد نقمة ﴿لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ النَّيِّتَاتُ عَنِّي﴾ أي: يقول: ما بقي ينالني بعد هذا ضيم ولا سوء ﴿وَإِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾ أي: فرح بما في يده، يَطْرُقُ فخرٌ على غيره. ﴿أَلَا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ أي: على الشدائد والمكاره ﴿وَوَعَدُوا أَتَمَّ لِحَيْتٍ﴾ أي: في الرخاء والعافية ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ أي: بما يصيبهم من الضراء ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ بما أسلفوه في زمن الرخاء؛ كما جاء في الحديث: «والذي نفسي بيده، لا يصيب المؤمن همٌّ ولا غمٌّ، ولا نصبٌ ولا وصبٌ، ولا حزنٌ حتى الشوكة يشاكها، إلا كَفَّرَ الله عنه بها من خطاياها» [متفق عليه].

الآية (١٢): يقول تعالى مُسْتَلِيمًا لرسوله ﷺ، عما كان يتعنّت به المشركون، فيما كانوا يقولونه عن الرسول: ﴿وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَسُولٌ بِأَكْثَلِ الظُّلَمَاءِ وَبَشِيرٌ فِي الْأَشْيَاءِ لَوْلَا أَنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرٌ ﴿٥﴾ أَوْ يُنْفِثُ إِلَيْهِ كَذِبٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ بِأَكْثَلِ نَهْجِهَا وَكَأَلِ الظُّلُمِثُوكَ لِنَتَّيْعُوكَ إِلَّا رَجُلًا مَّشْهُورًا﴾ [الفرقان: ٧-٨]. فأمر الله تعالى رسوله ﷺ وأرشده إلى ألا يضيق بذلك منهم صَدْرُهُ، ولا يصدنه ذلك ولا يثنيه عن دعائهم إلى الله عز وجل آتاء الليل وأطراف النهار؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعَّمْنَاكَ بِبَعْضِ سَدْرِكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ [الحجر: ٩٧]، وقال ههنا: ﴿فَلَمَّا كُنَّا نَارُكَ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَصَافِيًا بِدُخَانٍ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا﴾ أي: لقولهم ذلك؛ فإنما أنت نذير، ولك أسوة بإخوانك من الرسل قبلك، فإنهم كُذِّبُوا وأُوذُوا، فصبروا حتى أتاهم نصر الله عز وجل.

الآية (٦): أخبر تعالى أنه متكفل بأرزاق المخلوقات من سائر دواب الأرض؛ صغيرها وكبيرها، بحريتها وبريتها، وأنه يعلم ﴿سُنْفَرَهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ أي: يعلم أين تنتهي سيرها في الأرض، وأين تأوي إليه من وكرها، وهو مستودعها. وقال ابن عباس: ﴿وَسُنْفَرُهَا﴾ أي: حيث تأوي، ﴿وَمُسْتَوْدَعُهَا﴾ حيث تموت. وعن مجاهد: ﴿سُنْفَرُهَا﴾ في الرحم ﴿وَمُسْتَوْدَعُهَا﴾ في الصلب، وأن جميع ذلك مكتوب في كتاب عند الله مبين عن جميع ذلك؛ كقوله: ﴿وَمَنْ دَابَّتْ فِي الْأَرْضِ وَلَا ظِلٌّ يَطِيرُ بِحَتَايِهِ إِلَّا أُمُّ أَتَالِكُمْ مَا قَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ وَمَنْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مُّحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨].

الآية (٧): يُخبر تعالى عن قدرته على كل شيء، وأنه خلق السموات والأرض في ستة أيام، وأن عرشه كان على الماء قبل ذلك. عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله قَدَّرَ (١) مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء» [رواه مسلم]. وقال مجاهد: ﴿وَكُنَّ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ قبل أن يخلق شيئًا. وقال قتادة: يبتنكم كيف كان بدء خلقه قبل أن يخلق السموات والأرض. وقال ابن إسحاق في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَلْزَمَ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾: فكان كما وصف نفسه تعالى؛ إذ ليس إلا الماء وعليه العرش، وعلى العرش ذو الجلال والإكرام، والعزة والسلطان، والملك والقدرة، والحلم والعلم، والرحمة والنعمة، الفعال لما يريد. قوله: ﴿يَسْأَلُوكُمْ آبَاؤُكُمْ أَسْأَلَكُمْ عَمَلًا﴾ أي: خلق السموات والأرض لنفع عباده الذين خلقهم ليعبده وحده لا شريك له، ولم يخلق ذلك عبثًا؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِيُظَلَّ إِلَّا ظِلًّا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا قَوْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ [ص: ٢٧]. وقوله: ﴿يَسْأَلُوكُمْ﴾ أي: ليختبركم ﴿أَسْأَلَكُمْ عَمَلًا﴾ ولم يقل: أكثر عملًا، بل ﴿أَسْأَلَكُمْ عَمَلًا﴾، ولا يكون العمل حسنًا حتى يكون خالصًا لله عز وجل على شريعة رسول الله ﷺ. فمتى قَدَّرَ العمل واحدًا من هذين الشرطين بطلَ وَحِطَ. ﴿وَلَيْتَ ثَلُثَ إِنْكُم مَّبْشُورُونَ مِنْ بَعْدِ أَلَمَاتٍ لَّيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّثِينٌ﴾ يقول تعالى: ولئن أخبرت يا محمد هؤلاء المشركين أن الله سيعطيهم بعد عما هم كما بدأهم، مع أنهم يعلمون أن الله تعالى هو الذي خلق السموات والأرض؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَعَّرَ النَّسْوَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ﴾ [المنكوت: ٦١]، وهم مع هذا ينكرون البعث والمعاد يوم القيامة، الذي هو بالنسبة إلى القدرة أهون من البداة؛ كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]. وقولهم: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّثِينٌ﴾ أي: يقولون كُفْرًا وعنادًا: ما نصدقك على وقوع البعث، وما يذكر ذلك إلا مَنْ سَحَرْتَهُ، فهو يتبعك على ما تقول.

(١) الذي في صحيح مسلم: (كتب) بدلًا من (قَدَّرَ)، وقد أبقيناها كما هي عند ابن كثير إذ لعله اعتمد على نسخ لمسلم غير موجودة حاليًا؛ خاصة أن كلاً من ابن حجر في الفتح، وابن تيمية في العديد من مؤلفاته، وكذا ابن القيم؛ كلهم ذكروا الحديث بلفظ (قَدَّرَ) كما فعل ابن كثير.



## ● الوقفات التدريبية

﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَسْلُبُ مِسْقَرَهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾

وعد وضمان صادق، فإن قيل: كيف قال: (على الله) بلفظ الوجوب، وإنما هو تفضل: لأن الله لا يجب عليه شيء؟ فالجواب: أنه ذكره كذلك تأكيداً في الضمان: لأنه لما وعد به صار واقعاً لا محالة؛ لأنه لا يخلف الميعاد. ابن جزي: ٣٩١/١. السؤال: كيف أوجب الله تعالى على نفسه أمراً هو في الأصل تفضل منه جل وعلا؟

﴿ يَسْلُبُكُمْ أَنْفُسَكُمْ أَهْلَكُمْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾

ولم يقل: «أكثر عملاً»، بل: «أحسن عملاً»، ولا يكون العمل حسناً حتى يكون خالصاً لله - عز وجل - على شريعة رسول الله ﷺ، فمتى فقد العمل واحداً من هذين الشرطين حبط وبطل. ابن كثير: ٤٩٧/٢.

السؤال: ما الفرق بين «أكثر عملاً» و«أحسن عملاً»؟ ولماذا اختيرت الصيغة الثانية؟

﴿ يَسْلُبُكُمْ أَنْفُسَكُمْ أَهْلَكُمْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾

والتقوى في العمل بشيئين: أحدهما: إخلاصه لله؛ وهو أن يريد به وجه الله لا يشرك بعبادة ربه أحداً، والثاني: أن يكون مما أمره الله به وأحبه؛ فيكون موافقاً للشرعية لا من الدين الذي شرعه من لم ياذن الله له، وهذا كما قال الفضيل بن عياض في قوله: (ليبلوكم أيكم أحسن عملاً)، قال: أخلصه وأصوبه. ابن تيمية: ٥٠٧/٣.

السؤال: كيف يكون إحسان العمل؟

﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكْفُرُ كُفُورًا ۚ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نِعْمَةً بَعْدَ ضَرْبَةٍ مَسَّتْهُ لَيَتَوَلَّىٰ ذَهَبَ السَّيِّئَاتِ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخُورًا ۚ ﴾

وذلك أن الإنسان هو كما وصفه الله: ... عند الضراء بعد السراء ييأس من زوالها في المستقبل، ويكفر بما أنعم الله به عليه قبلها، وعند النعماء بعد الضراء يأمن من عود الضراء في المستقبل، وينسى ما كان فيه بقوله: (ذهب السيئات عني إنه لفرح فخور). ابن تيمية: ٥٠٨/٣.

السؤال: بين حال الإنسان عند الابتلاء بالسراء، وعند الابتلاء بالضراء.

﴿ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ ومن معاني الصبر: انتظار الفرج؛ ولذلك أوتى هنا وصف: (صبروا) دون (أمنوا)؛ لأن الراد مقابلته حالهم بحال الكفار في قوله: (إنه ليؤس كفور). ابن عاشور: ١٥١/٢.

السؤال: لماذا أوتى فعل (صبروا) على فعل (أمنوا) في الآية الكريمة؟

﴿ فَلَمَّا كَانَ تَارِكًا بَعْضُ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ وَصَاقِبُ يَوْمٍ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ كُزًّا أَوْ جَاءَهُ مَعَهُ مَلَكٌ ﴾

وفي هذه الآيات إرشاد إلى أنه لا ينبغي للعادي إلى الله أن يصده اعتراض المعترضين، ولا قبح القادحين؛ خصوصاً إذا كان القدح لا مستند له، ولا يقدح فيما دعى إليه. السعدي: ٣٧٨.

السؤال: في الآية فائدة لأهل الدعوة، بينها.

﴿ فَلَمَّا كَانَ تَارِكًا بَعْضُ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ وَصَاقِبُ يَوْمٍ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ كُزًّا أَوْ جَاءَهُ مَعَهُ مَلَكٌ ﴾

إنما قال: ضائق، ولم يقل: ضيق؛ ليدل على اتساع صدره عليه السلام. ابن جزي: ٣٩٢/١. السؤال: لم قال ضائق، ولم يقل ضيق في الآية؟

﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ۚ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّكُمْ مَقْعُودُونَ مِنَ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْحَرُ بُيُوتِنَا ۚ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أَثَرٍ مَعْدُودٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ ۚ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوعًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۚ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكْفُرُ كُفُورًا ۚ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نِعْمَةً بَعْدَ ضَرْبَةٍ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتِ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخُورًا ۚ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۚ فَلَمَّا كَانَ تَارِكًا بَعْضُ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ وَصَاقِبُ يَوْمٍ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ كُزًّا أَوْ جَاءَهُ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۚ ﴾

٢٢٢

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
مُسْتَقَرَّهَا	مَسْكَنُهَا فِي الدُّنْيَا، وَيَعْدُ الْمَوْتِ.
وَمُسْتَوْدَعَهَا	الْمَوْضِعَ الَّذِي تَمُوتُ فِيهِ.
أَمْرٌ مَعْدُودٌ	أَجَلٌ مَعْلُومٌ.
مَا يَحْبِسُهُ	مَا يَمْنَعُهُ؟
وَحَاقَ	أَحَاطَ بِهِمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ.

## ● العمل بالآيات

١. تأمل الحشرات الصغيرة، وكيف ضمن خالقها لها رزقها ثم اعمل باحد اسباب الرزق المباحة متوكلاً على الله سبحانه، ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَسْلُبُ مِسْقَرَهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾.
٢. تذكر نعمته أنعم الله به عليك، ثم سلبك إياها، واشكره على تقديره أولاً واخراً، ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكْفُرُ كُفُورًا ۚ ﴾.
٣. تأمل نفسك؛ فإن وجدت سبب ضيق صدرك هو فقدان زينة الدنيا فاكسر من الاستغفار، ﴿ فَلَمَّا كَانَ تَارِكًا بَعْضُ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ وَصَاقِبُ يَوْمٍ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ كُزًّا أَوْ جَاءَهُ مَعَهُ مَلَكٌ ﴾.

## ● التوجيهات

١. سعت علم الله تعالى وتكفله بأرزاق خلقه، ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَسْلُبُ مِسْقَرَهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾.
٢. لا تغتر يامها الله تعالى لأهل مصعبته، ﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أَثَرٍ مَعْدُودٍ لَيَقُولَنَّ مَا يَحْبِسُهُ ۚ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوعًا عَنْهُمْ ﴾.
٣. قيمة العبد عند ربه بعمله الصالح لا بماله، ﴿ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ كُزًّا أَوْ جَاءَهُ مَعَهُ مَلَكٌ ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿ أَمْ يَقُولُونَ أَفَنَزَّلَهُ اللَّهُ فُلًا قَالُوا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ مُقَرَّنٌ بَيْنَهُمْ فَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مُصْذِقِينَ ﴾

لما تحداهم بالإتيان بمثله في قوله: ﴿فليأتوا بحديث مثله﴾ (الطور: ٣٤)، ثم تحداهم أن يأتوا (بعشر سور مثله) (هود: ١١٣)؛ فهجزوا عن ذا وذلك، ثم تحداهم أن يأتوا (بسورة مثله) (يونس: ٣٨)؛ فهجزوا، فإن الخلاق لا يمكنهم أن يأتوا بمثله، ولا بسورة مثله. ابن تيمية: ٥٩/٣.

السؤال: بين مراتب تحدي الكفار بالإتيان بمثل هذا القرآن.

﴿ قُلْ قَالُوا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ مُقَرَّنٌ بَيْنَهُمْ فَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مُصْذِقِينَ ﴾ ﴿ قَالُوا فَاتَّبِعُوا آلَكُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ ﴾

ثم بين تعالى إعجاز القرآن، وأنه لا يستطيع أحد أن يأتي بمثله، ولا (بعشر سور مثله)، ولا (بسورة من مثله) (البقرة: ٢٣)؛ لأن كلام الرب تعالى لا يشبه كلام المخلوقين، كما أن صفاته لا تشبه صفات المحدثات. ابن كثير: ٤٠/٢.

السؤال: لم لا يستطيع أحد أن يأتي بمثل هذا القرآن؟

﴿ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ أَنَّ لَهُ إِلهًا لَّا هُوَ ﴾

مما يطلب فيه العلم ولا يضي غلبة الظن: علم القرآن، وعلم التوحيد؛ لقوله تعالى: ﴿فأعلموا أنما أنزل يعلم الله وأن لا إله إلا هو﴾. السعدي: ٣٧٨.

السؤال: ما الذي يدل عليه التعبير بـ ﴿فأعلموا﴾؟

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَفَرَّجْنَا لَهُ يَخْرُجَ ﴾ أي: كل إرادته مقصورة على الحياة الدنيا، وعلى زينتها من النساء والبنين، والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة، والخيول المسمومة، والأنعام، والحرث؛ قد صرف رغبته وسعيه وعمله في هذه الأشياء، ولم يجعل لدار القرار من إرادته شيئاً، فهذا لا يكون إلا كافراً؛ لأنه لو كان مؤمناً لكان ما معه من الإيمان يمنعه أن تكون جميع إرادته للدار الدنيا. السعدي: ٣٧٩.

السؤال: كيف تستدل على أن هذه الآية خاصة بالمشركين؟

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَفَرَّجْنَا لَهُ يَخْرُجَ وَلَا يَخْسِرُونَ ﴾ ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَبَّوْا فِيهَا وَبِطِلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

قيل: هو لأهل الرياء، وفي الخبر أنه يقال لأهل الرياء: (صنمتم، وصليتم، وتصدقتم، وجاهدتم، وقرأتم، ليقل ذلك، فقد قيل ذلك)، ثم قال: (إن هؤلاء أول من تسعر بهم النار) رواه ابوهريرة -رضي الله عنه- ثم بكى بكاء شديداً... أخرجه مسلم في صحيحه بمعناه. القرطبي: ٨٤/١١.

السؤال: بين كيف يكون حال المرءين يوم القيامة.

﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُو شَاهِدًا مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كُتِبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾

ومعناه: أفمن كان على بينة من ربه كمن يريد الحياة الدنيا وزينتها، أو من كان على بينة من ربه كمن هو في الضلالة والجهالة. البغوي: ٣٩٢/٢.

السؤال: هل يستوي حال من تعلق بالدنيا ومن هداه الله تعالى إلى الحق؟

﴿ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ ﴿ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾

(الذين يصدون) أنفسهم وغيرهم عن الإيمان والطاعة، (ويبغونها عوجاً) أي: يعدلون بالناس عنها إلى المعاصي والشرك. القرطبي: ٩٢/١١.

السؤال: ما صفات الذين لعنهم الله تعالى في الآية؟

أَمْ يَقُولُونَ أَفَنَزَّلَهُ اللَّهُ فُلًا قَالُوا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ مُقَرَّنٌ بَيْنَهُمْ فَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مُصْذِقِينَ ﴿١٥﴾ قَالُوا فَاتَّبِعُوا آلَكُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنَّ لَّآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ قَهْلًا أَشْهَدُ شُهَدَاؤُهُمْ ﴿١٦﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُخْسِرُونَ ﴿١٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَبَّوْا فِيهَا وَبِطِلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُو شَاهِدًا مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كُتِبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِّنَ الْأَحْزَابِ قَالُوا مَوْعِدُهُمْ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٩﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَدُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَّبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ؕ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٢٠﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٢١﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
لَا يُخْسِرُونَ	لَا يُنْقُصُونَ شَيْئًا مِنْ جَزَائِهِمُ الدُّنْيَوِيَّ.
مِرْيَةٍ	شُكٍّ.
الْأَشْهَادُ	الْمَلَائِكَةُ، وَالتَّبَيُّونَ، وَالْجَوَارِحُ، الَّذِينَ يَشْهَدُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.
وَيَبْغُونَهَا	يُرِيدُونَهَا.
عِوَجًا	مُعَوَّجَةً، مُوَافِقَةً لَهَاوَاهِلِهِمْ.

## ● العمل بالآيات

١. اسأل الله أن يرزقك العلم والتفقه في الدين، واحرص على الابتعاد عن أكل الحرام لتكون على بينة من ربك، ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُو شَاهِدًا مِّنْهُ ﴾.
٢. اجتهد اليوم في دعوة غافل أو كافر، ولا تضيق من عدم تجاوبه؛ فهدايته بيد الله سبحانه، ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾.
٣. إذا خرجت من بيتك فقل: «اللهم إني أعوذ بك أن أضل أو أضل، أو أزل أو أزل، أو أظلم أو أظلم، أو أجهل أو أجهل علي» ﴿ رَبِّقُولُ الْأَشْهَدُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَّبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ؕ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾.

## ● التوجيهات

١. اعمل عملاً صالحاً؛ يشهد لك به الأشهاد يوم القيامة، ﴿ رَبِّقُولُ الْأَشْهَدُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَّبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ؕ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾.
٢. إياك والخوض في الشريعة بدون علم؛ فإنه يصل حد الكذب على الله، ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾.
٣. اتق ظلم نفسك بالمعاصي، أو ظلم غيرك باضلالهم، ﴿ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ ﴿ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾.

﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: أي: يردُّونَ الناسَ عن اتِّباعِ الحقِّ ومسلكِ طريقِ الهدى الموصلةِ إلى الله عز وجل، ويمجنونهم الجنة، ويبتغونها عوَجًا: أي: ويريدون أن يكون طريقهم عوَجًا غير معتدلة، وهم بِالْآخِرَةِ مَقْشُورُونَ: أي: جاحدون بها مكذبون بوقوعها وكونها.



الآية (٢٤): ثم ضرب تعالى مثل الكافرين والمؤمنين، فقال: ﴿سَلِّ الْفَرِيقَيْنِ﴾ أي: الذين وصفهم أولاً بالشقاء والمؤمنين الشُّعَدَاءُ، فأولئك كالأعمى والأصم، وهؤلاء كالصبر والسميع. فالكافر أعمى عن وجه الحق في الدنيا، وفي الآخرة لا يهتدي إلى خير ولا يعرفه، أصم عن سماع الحُجَج، فلا يسمع ما ينتفع به ﴿رَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ



## ● الوقفات التدريبية

﴿يَضَعُ لَهُمُ الْعَذَابَ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾  
(يضاعف لهم العذاب) ... لأنهم ضلوا بأنفسهم، واضلوا غيرهم، السعدي: ٣٧٩.

السؤال: لماذا يضاعف لهم العذاب؟

﴿لَا جَزَاءَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ﴾

يخبر تعالى عن حالهم أنهم أخسر الناس صفقة في الدار الآخرة؛ لأنهم استبدلوا المركبات عن الدرجات، واعتاضوا عن نعيم الجنان بحميم، وعن شرب الرحيق لختوم بسموم وحميم، وظل من يحوم، وعن الحور العين بطعام من غسيل، وعن القصور العالية بالهوايت، وعن قرب الرحمن ورويته بغضب الحيان وعقوبته. ابن كثير: ٤٢٧/٢.

السؤال: لم وصفهم الله تعالى بالأخسرين، ولم يصفهم بالخاسرين؟

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

(واخبتوا إلى ربهم): الإخبات الخشوع للمخافة الثابتة في القلب، وأصل الإخبات الاستواء من الخبت وهو الأرض المستوية الواسعة، فالإخبات: الخشوع والاطمئنان، أو الإجابة إلى الله عز وجل المستمرة. القرطبي: ٩٦/١١.

السؤال: كيف يكون العبد من المخبتيين؟

﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا تَرَبُّكُ إِلَّا نَسْرٌ بَيْنُنَا وَمَا تَرَبُّكُ إِلَّا إِلَهُكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بُادِيَ الرَّأْيِ وَمَا زَنَىٰ لَكُمْ عَلَيْكَ مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَقْظُكُم كَذِبٌ﴾

قال علماؤنا: إنما كان ذلك لاستيلاء الرياسة على الأشراف، وصعوبة الانفكاك عنها، والانفص من الانقياد للغير، والفقر خلي عن تلك الموانع؛ فهو سريع إلى الإجابة والانقياد، وهذا غالب أحوال أهل الدنيا. القرطبي: ٩٩/١١.

السؤال: لماذا يقبل الحق أهل الفقر والمسكنة، ويرده أهل الرياسة والغنى غالباً؟

﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا تَرَبُّكُ إِلَّا نَسْرٌ بَيْنُنَا وَمَا تَرَبُّكُ إِلَّا إِلَهُكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بُادِيَ الرَّأْيِ﴾  
وكان هذا جهلاً منهم؛ لأنهم عابوا نبي الله ﷺ بما لا عيب فيه؛ لأن الأنبياء -صلوات الله وسلامه عليهم- إنما عليهم أن يأتوا بالبراهين والآيات، وليس عليهم تغيير الصور والهيات، وهم يرسلون إلى الناس جميعاً، فإذا أسلم منهم الدنيا لم يلحقهم من ذلك نقصان؛ لأن عليهم أن يقبلوا إسلام كل من أسلم منهم. القرطبي: ٩٩/١١.

السؤال: هل اتباع الضعفاء والفقراء للداعية عيب ونقص في دعوته؟

﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا تَرَبُّكُ إِلَّا نَسْرٌ بَيْنُنَا وَمَا تَرَبُّكُ إِلَّا إِلَهُكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بُادِيَ الرَّأْيِ وَمَا زَنَىٰ لَكُمْ عَلَيْكَ مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَقْظُكُم كَذِبٌ﴾

(أرادنا)، جمع أراد، وهم سفلة الناس؛ وإنما وصفوهم بذلك لفقرهم، جهلاً منهم واعتقاد أن الشرف هو بالمال والجاه، وليس الأمر كما اعتقدوا، بل المؤمنون كانوا أشرف منهم على حال فقرهم وخمولهم في الدنيا. (بادي الرأي): أي: أول الرأي من غير نظر، ولا تدبير، والمعنى: اتبعك الأراذل من غير نظر، ولا تثبت، ابن جزري: ٣٩٤/١.

السؤال: بينت هذه الآية معالم أهل الكفر في رميهم بالتهمة لأهل الحق، وضحايا.

﴿قَالَ يَقُولُونَ بَلْ نَقْظُكُم كَذِبٌ﴾  
﴿فَعَيَّنَ عَلَيْهِمُ أَنْزَارُكُمْ وَمَا تَرَبُّكُ إِلَّا إِلَهُكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بُادِيَ الرَّأْيِ﴾

وهذا تعريض بانهم لو تأملوا تأملاً بريئاً من الكراهية والعداوة لعللوا صدق دعوته. ابن عاشور: ٥١/١٢.

السؤال: للعناد والكراهية أثر في مواقف المشركين والمعادنين، وضع ذلك.

أُولَٰئِكَ لَا يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَضَعُ لَهُمُ الْعَذَابَ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٦﴾ لَأَجْرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨﴾ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَصْبَحِ وَالْآصِيرِ وَالسَّمِيعُ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِذِي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٠﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿١١﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا تَرَبُّكُ إِلَّا إِبْرَاهِيمُ نَسْرٌ بَيْنُنَا وَمَا تَرَبُّكُ إِلَّا إِلَهُكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بُادِيَ الرَّأْيِ وَمَا تَرَبُّكُ إِلَّا إِلَهُكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بُادِيَ الرَّأْيِ وَمَا زَنَىٰ لَكُمْ عَلَيْكَ مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَقْظُكُم كَذِبٌ ﴿١٢﴾ قَالَ يَقُولُونَ بَلْ نَقْظُكُم كَذِبٌ ﴿١٣﴾ فَعَيَّنَ عَلَيْهِمُ أَنْزَارُكُمْ وَمَا تَرَبُّكُ إِلَّا إِلَهُكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بُادِيَ الرَّأْيِ وَمَا زَنَىٰ لَكُمْ عَلَيْكَ مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَقْظُكُم كَذِبٌ ﴿١٤﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
مُعْجِزِينَ	فَائِتِينَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ بِالْهَرَبِ.
وَأَخْبَتُوا	خَضَعُوا لِلَّهِ.
أَرَادُنَا	أَسَافُنَا.
بَادِي الرَّأْيِ	مِنْ غَيْرِ تَفَكُّرٍ وَلَا زَوَيْتٍ.
فَعَيَّنَ عَلَيْكُمْ	فَأَخْفَيْتِ عَلَيْكُمْ.
أَنْزَارُكُمْ	أَنْجَبَرَكُمْ عَلَىٰ قُبُولِهَا.

## ● العمل بالآيات

١. صل ركعتين، ثم ادع الله تعالى وتضرع إليه أن يرزقك الإخبات إليه: أي: التواضع والتسليم له سبحانه، ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.
٢. أرسل رسالة تقتصر فيها ثلاث وسائل لهداية الوجهاء ودعوتهم، ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا تَرَبُّكُ إِلَّا نَسْرٌ بَيْنُنَا﴾.
٣. الق كلمته، أو ابذل نصيحتك، أو غير منكر بالأسلوب الحسن، ثم اقرأ قصص الأنبياء في سورة هود؛ فسيظهر لك من مقاصدها الشيء الكثير، ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِذِي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾.

## ● التوجيهات

١. إضلال الآخرين سبب في مضاعفة العذاب؛ فإياك أن تدل غيرك على معصية، ﴿يَضَعُ لَهُمُ الْعَذَابَ﴾.
٢. لا تحقر أحداً في دعوتك لمكانته الاجتماعية أو المادية، ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا تَرَبُّكُ إِلَّا نَسْرٌ بَيْنُنَا وَمَا تَرَبُّكُ إِلَّا إِلَهُكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بُادِيَ الرَّأْيِ﴾.
٣. اعتن أكثر بهداية الوجهاء؛ فإنهم سبب لهداية أتباعهم، ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا تَرَبُّكُ إِلَّا نَسْرٌ بَيْنُنَا﴾.



الآية (٢٩): ﴿وَيَنْذِرُ لَكُمْ عَذَابَهُ مَا لَآ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ يقول لقومه: لا أسألكم على نصحي لكم مالا؛ أجرة أخذها منكم، إنما أبتغي الأجر من الله عز وجل، ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ كأنهم طلبوا منه أن يطرد المؤمنين عنه، احتشاما ونفاسة منهم أن يجلسوا معهم؛ كما سأل أمثالهم خاتم الرسل ﷺ أن يطرد عنهم جماعة من الضعفاء ويجلس معهم مجلسا خاصا، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُؤِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْقُدُوزِ وَالْكَبِيرِ﴾ [الأنعام: ٥٢]، [وقال]: ﴿وَأَصْبِرْ فَنُصَلِّكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْقُدُوزِ وَالْكَبِيرِ وَجْهَهُ وَلَا تَقْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ [الكهف: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٣].

الآية (٣٠): (١)

الآية (٣١): ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبُ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ يخبرهم أنه رسول من الله، يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ويخبرهم أنه لا يقدر على التصرف في خزائن الله، ولا يعلم من الغيب إلا ما أطلعه الله عليه، وليس هو بملك من الملائكة، بل بشر مرسل، مؤيد بالمعجزات. ولا أقول عن هؤلاء الذين تحقروهم وتزدرونهم: إنه ليس لهم عند الله ثواب على إيمانهم، الله أعلم بما في أنفسهم، فإن كانوا مؤمنين باطنا، كما هو الظاهر من حالهم، فلهم جزاء الحسن، ولو قطع لهم أحد بشر بعد ما آمنوا، لكان ظلما قاتلا ما لا علم له به.

الآية (٣٢): يقول تعالى خبرا عن استعجال قوم نوح نقمة الله وعذابه وسخطه، والبلاء موكل بالمنطق: ﴿قَالُوا يَنْذِرُ قَدْ جَاءَنَا نَارٌ فَكَثُرَتْ جَدَلْنَا﴾ أي: حاجبتنا فأكثر من ذلك، ونحن لا نتبع ﴿فَأَيُّهَا يَمَّا تَدَّأ﴾ أي: من النقمة والعذاب؛ ادع علينا بما شئت، فليأتنا ما تدعوه به ﴿إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

الآية (٣٣): ﴿قَالَ إِنَّمَا يُبَيِّنُكُمْ اللَّهُ إِن شَاءَ وَمَا أَنَا بِمُتَّبِعِينَ﴾ أي: إنما الذي يعاقبكم ويعجلها لكم الله الذي لا يُعجزه شيء.

الآية (٣٤): ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَصْحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾ أي: أي شيء يجدي عليكم إيلافي لكم وإنذاري إياكم ونصحي، إن كان الله يريد إغواءكم ودماركم ﴿هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ أي: هو مالك أَرْأَمَةِ الأمور، والمتصرف الحاكم العادل الذي لا يجوز، مالك الدنيا والآخرة.

الآية (٣٥): ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ﴾ هذا كلام معترض في وسط هذه القصة، مؤكدا، مقرر لها؛ يقول تعالى لمحمد ﷺ: أم يقول هؤلاء الكافرون الجاحدون: افترى هذا وافتعله من عنده. ﴿قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُمْ فَمَن يَمْلِكُ بِجُرْأِي﴾ أي: فإثم ذلك علي، ﴿وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا يُخْرِثُونَ﴾ أي: ليس ذلك مُفْتَعَلًا، ولا مُفْتَرَى؛ لأنني أعلم ما عند الله من العقوبة لمن كذب عليه.

الآية (٣٦): يخبر تعالى أنه أوحى إلى نوح لما استعجل قومه نقمة الله بهم وعذابه لهم، فدعا عليهم نوح دعوته التي قال الله تعالى خبرا عنه أنه قال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦]، ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ﴾ [القمر: ١٠]، فعند ذلك أوحى الله إليه: ﴿أَنَّمَا لَن يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ فلا تحزن عليهم ولا يهينك أمرهم.

الآية (٣٧): ﴿وَأَصْنَعِ الْفُلَ﴾ يعني: السفينة ﴿وَأَعِينَا﴾ أي: بمرأى منا ﴿وَوَحِّينَا﴾ أي: تعليمنا لك ما تصنعه، ﴿وَلَا تَخْطِئُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُخْرَجُونَ﴾.

(١) لم يفسر ابن كثير - رحمه الله - هذه الآية، وقد قال السعدي فيها: ﴿وَيَنْذِرُ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ كَرِهْتُمْ﴾ أي: من يمنني من عذابه؟ فإن طردهم موجب للمذاب والنكال الذي لا يمنعه من دون الله مانع، ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ما هو الأنفع لكم والأصلح، وتذكرون الأمور؟!!

الآية (٤٥): ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَبَّهُ﴾ ﴿هَذَا سُؤَالُ اسْتِعْلَامٍ وَكُشْفٍ مِنْ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ حَالٍ وَلَدِهِ الَّذِي غَرِقَ ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي مِّنْ أَهْلِ﴾ ﴿يَا: وَقَدْ وَعَدْتَنِي بِنَجَاةِ أَهْلِي، وَوَعَدُكَ الْحَقُّ الَّذِي لَا يُخْلَفُ، فَكَيْفَ غَرِقَ﴾ ﴿وَأَنْتَ أَحْكَمُ التَّكْوِينِ﴾؟



## ● الوقفات التدريبية

- ١ ﴿ وَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكَلَّمَ مَرْعِيًّا مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنِّي فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾

جعل قومه يمعرون به وهو في عمله، ويسخرون منه، ويقولون: يا نوح، لقد صرت نجاراً بعد النبوة؟ البغوي: ٢/٣٩٩.

السؤال: علو منزلة الصالحين لم تمنع الجاهلين من الاستهزاء بهم، وضع ذلك.

- ٢ ﴿ قُلْنَا أَجَلٌ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾

أي: من كل صنف من أصناف المخلوقات ذكر وأنثى؛ لتبقى مادة سائر الأجناس. السعدي: ٣٨٢.

السؤال: لماذا أمر الله نوحاً أن يحمل معه في السفينة من كل زوجين اثنين؟

- ٣ ﴿ وَمَا أَمِنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾

وجملة (وما أَمِنَ معه إلا قليل) اعتراض لتكميل الفائدة من القصة في قلّة الصالحين. ابن عاشور: ١٢/٧٣.

السؤال: الصالحون قليل في أقوامهم في الغالب، دليل لذلك.

- ٤ ﴿ وَقَالَ أَتَكُفِّرُونَّ وَاتَّقُونَ إِنَّمَا يَسْتَرْحَمُونَ رَبَّهُمْ لَعَفْوٌ رَبِّهِمْ ﴾

وفي هذه الآية دليل على ذكر البسطة عند ابتداء كل فعل. القرطبي: ١١/١٢١.

السؤال: ما الفائدة العملية من الآية؟

- ٥ ﴿ وَقَالَ أَتَكُفِّرُونَّ وَاتَّقُونَ إِنَّمَا يَسْتَرْحَمُونَ رَبَّهُمْ لَعَفْوٌ رَبِّهِمْ ﴾

التعليل بالفضرة والرحمة رمز إلى أن الله وعده بنجاتهم؛ وذلك من غفرانه ورحمته. ابن عاشور: ١٢/٧٤.

السؤال: ما فائدة التعليل بالفضرة والرحمة في الآية الكريمة؟

- ٦ ﴿ قَالَ سَتَأْتِي إِلَى جِبَلٍ يَمُوسِي مِنْ آتَمَاءَ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَهُ ﴾

فلا يعصم أحدا جبل ولا غيره، ولو تسبب بغاية ما يمكنه من الأسباب لما تجا إن لم ينجه الله. السعدي: ٣٨٢.

السؤال: في حالة الشدائد هل نتعلق بالأسباب، أم بالسبب؛ وهو الله سبحانه؟

- ٧ ﴿ وَكَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴾

(فقال رب إن ابني من أهلي) أي: وقد وعدتني بنجاة أهلي، ووعدك الحق الذي لا يخلف، فكيف غرق وأنت أحكم الحاكمين؟ (قال يا نوح إنه ليس

من أهلك) أي: الذين وعدت إنجاءهم؛ لأنني إنما وعدتك بنجاة من آمن من أهلك؛ ولهذا قال: (وأهلك إلا من سبق عليه القول)، فكان هذا الولد

ممن سبق عليه القول بالفرق لكفره ومخالفته أباه نبي الله نوحا عليه السلام. ابن كثير: ٢/٤٢٩.

السؤال: الإسلام والإيمان شرط لانتفاع الأقارب بعضهم من بعض في الآخرة، وضع ذلك.

وَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكَلَّمَ مَرْعِيًّا مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنِّي فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٥﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مِنْ بَآئِنِهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيُعْلِيهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿٦﴾ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ أَتَكُفِّرُونَّ وَاتَّقُونَ إِنَّمَا يَسْتَرْحَمُونَ رَبَّهُمْ لَعَفْوٌ رَبِّهِمْ وَهُوَ يُخْزِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَكَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَبْتَئِي أَزْكَى مَعْنًا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٨﴾ قَالَ سَتَأْتِي إِلَى جِبَلٍ يَمُوسِي مِنْ آتَمَاءَ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَهُ وَحَالٌ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٩﴾ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلُغِي مَاءَكَ وَبِئْسَ مَا أَقْلِي وَغِيضَ الْمَاءَ وَفُصِّي الْأَمْرُ وَأَسْوَدَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بَعْدَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ وَكَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴿١١﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
وَهَارَ	نَبَعَ الْمَاءُ بِقُوَّةٍ.
التَّنُورُ	الْمَكَانُ الَّذِي يُخْبَزُ فِيهِ.
مَجْرَاهَا	جَرِيئَهَا.
وَمُرْسَاهَا	مُنْتَهَى سَيْرِهَا وَرِسْوَاهَا.
أَقْلِي	أَمْسِكِي عَنِ الْمَطْرِ.

## ● العمل بالآيات

١. أرسل رسالة تحذر فيها من السخرية بالعلماء؛ فإنهم ورثة الأنبياء، ﴿ وَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكَلَّمَ مَرْعِيًّا مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنِّي فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾.

٢. حافظ على دعاء الركوب هذا اليوم، ﴿ وَقَالَ أَتَكُفِّرُونَّ وَاتَّقُونَ إِنَّمَا يَسْتَرْحَمُونَ رَبَّهُمْ لَعَفْوٌ رَبِّهِمْ ﴾.

٣. انصح شخصاً محتاجاً للنصيحة، كما فعل نوح - عليه السلام - مع ابنه، ﴿ وَكَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَبْتَئِي أَزْكَى مَعْنًا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴾.

## ● التوجيهات

١. القرباية والنسب لا تنفعان من لم يؤمن بالله سبحانه، ﴿ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ ﴾.

٢. لا تبتسز إذا قل من يسمع نصحك، أو كثر مخالفتك؛ فإن الأنبياء قبلك قد افنوا أعمارهم الطويلة في الدعوة، ولم يستجب لبعضهم إلا القليل، ﴿ وَمَا أَمِنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾.

٣. الأسباب الدنيوية مهما عظمت لا تنفع الماصي إذا أراد الله عقوبته، ﴿ قَالَ سَتَأْتِي إِلَى جِبَلٍ يَمُوسِي مِنْ آتَمَاءَ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَهُ ﴾.



الفراج  
الصوتي

## ● الوقفات التحذيرية

﴿ قَالَ يَنْتُوخُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾

قال الجمهور: ليس من أهل دينك، ولا ولايتك، فهو على حذف مضاف، وهذا يدل على أن حكم الاتفاق في الدين أقوى من حكم النسب.  
القرطبي ١١/١٣٤.

السؤال: ما الأصل العظيم الذي نتعلمه من هذه الآية المباركة ؟

﴿ قَالَ يَنْتُوخُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَتَّبِعْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾

(فلا تسائن ما ليس لك به علم) أي: ما لا تعلم عاقبته ومآله، وهل يكون خيراً، أو غير خير. السعدي: ٣٨٢.

السؤال: قد يدعو الإنسان بشيء، ويكون الخير في عدم الاستجابة، بين ذلك من خلال الآية.

﴿ وَلَا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾

فيالمغفرة والرحمة ينجو العبد من أن يكون من الخاسرين. السعدي: ٣٨٣.

السؤال: ما أسباب النجاة من الخسارة في الآخرة ؟

﴿ وَلَا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾

طلب المغفرة ابتداء ... ثم أعقبها بطلب الرحمة، لأنه إذا كان يحمل الرضى من الله كان أهلاً للرحمة. ابن عاشور: ٨٨/١٢.

السؤال: لماذا قدم طلب المغفرة على طلب الرحمة ؟

﴿ قَالَ يَنْتُوخُ أَهْطُ يَسْلَمُ رِئَا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمُورٍ مِمَّا مَكَتَ ﴾  
فبارك الله في الجميع حتى ملأوا أقطار الأرض ونواحيها. السعدي: ٣٨٣.

السؤال: بارك الله في ذرية من كان مع نوح - عليه السلام - في السفينة،

فما مظهر هذه البركة ؟

﴿ يَذْكُرُكَ مِنْ آيَاتِهِ الْقَلِيبُ نُوحِيًّا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَذِيبَةَ لِلْمُنْفِقِينَ ﴾

كما صبر نوح - عليه السلام - فكانت العاقبة له، كذلك تكون العاقبة لك على قومك. ابن عاشور: ٩٣/١٢.

السؤال: لم أمر الرسول ﷺ بالصبر بعد قصة نوح عليه السلام ؟

﴿ وَتَقْوِمُوا اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ قُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّكَّةَ عَلَيْكُمْ يَذْكُرُكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴾

وفي الآية دليل على أن الاستغفار والتوبة سبب لنزول الأمطار...والمراد بالتوبة هنا الرجوع عن الكفر، ثم عن الذنوب؛ لأن التوبة من الذنوب لا تصح إلا بعد الإيمان. ابن جزي: ٣٩٩/١.

السؤال: بين شيئاً من هوائد الاستغفار.

قَالَ يَنْتُوخُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَتَّبِعْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنْ أَعْطَكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ  
﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَشْكَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَلَا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾  
أَهْطُ يَسْلَمُ رِئَا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمُورٍ مِمَّا مَكَتَ وَأُمُورٌ سَمِعْتُهُمْ قُرَيْشُهُمْ رِئَا عَذَابَ آلِ إِمْرٍ ﴿ تِلْكَ مِنْ آيَاتِ الْقَبْرِ نُوحِيًّا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَذِيبَةَ لِلْمُنْفِقِينَ ﴾  
وَالَّذِي عَادَ أَخَاهُ هُودًا قَالَ يَقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿ يَقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجَبْتُمْ لَوْ أَلَعِيَ الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾  
وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ قُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِزْرَارًا وَبَرِّدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿ قَالُوا يَهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِينَ آلِ هَارُونَ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
أَعْطَكَ أَنْ تَكُونَ	أَعْطَكَ لئلا تَكُونَ.
أَعُوذُ بِكَ	أَسْتَجِيرُ بِكَ.
مُفْتَرُونَ	كَاذِبُونَ.
مِزْرَارًا	مُتَتَابِعًا، كَثِيرًا.
عَنْ قَوْلِكَ	مِنْ أَجْلِ قَوْلِكَ.

## ● العمل بالآيات

- راجع ادعيتك التي اعتدت عليها تحسباً أن يكون فيها خطاً، ﴿ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَشْكَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَلَا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾.
- اقرأ قصة نوح - عليه السلام - واستخرج منها ثلاث فوائد، ﴿ يَذْكُرُكَ مِنْ آيَاتِهِ الْقَلِيبُ نُوحِيًّا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَذِيبَةَ لِلْمُنْفِقِينَ ﴾.
- استغفر الله سبعين مرة، ﴿ وَتَقْوِمُوا اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ قُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّكَّةَ عَلَيْكُمْ يَذْكُرُكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴾.

## ● التوجيهات

- لا تحزن من عدم إجابة دعاء الله لك في بعض مطالبك الدنيوية؛ فقد يكون منعمك إياها خير لك، ﴿ قَالَ يَنْتُوخُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَتَّبِعْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾.
- الصبر والتقوى هما سببا الانتصار على من ظلمك، ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَذِيبَةَ لِلْمُنْفِقِينَ ﴾.
- موعود الله سبحانه يأتي غالباً في أواخر الأمور؛ بعد أن يتحقق الاختبار والابتلاء، ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَذِيبَةَ لِلْمُنْفِقِينَ ﴾.

الآية (٥٠-٥١): ﴿وَالِىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ يقول تعالى: ولقد أرسلنا إلى ﴿عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ أمراً لهم بعبادة الله وحده لا شريك له، وأخبرهم أنه لا يريد منهم أجره على هذا النصيح والبلاغ من الله، إنما يبغي ثوابه من الله الذي فطره، ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ من يدعوكم إلى ما يصلحكم في الدنيا والآخرة من غير أجره.

الآية (٥٢): ﴿وَيَنْفَعُ مَنَاسْتَفْعِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ ثَوَّبُوا إِلَيْهِ﴾: ثم أمرهم بالاستغفار الذي فيه تكفير الذنوب السالفة، وبالعودة عما يستقبلون، ومن اتصف بهذه الصفة يسر الله عليه رزقه، وسهل عليه أمره، وحفظ شأنه؛ ولهذا قال: ﴿وَرُسُلَ السَّمَاءِ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾.

الآية (٥٣): يخبر تعالى أنهم قالوا لنبيهم: ﴿مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَاتٍ﴾ أي: بحجة وبرهان على ما تدعيه، ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهِنَا عَنْ قَوْلِكَ﴾ أي: بمجرد قولك: «اتركوهم» تركهم، ﴿وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِرِينَ﴾ أي: بمصدقين.

الآية (٤٦-٤٧): ﴿قَالَ يَبْنَوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ أي: الذين وعدت إنجاءهم؛ لأنني إنما وعدتك بنجاة من آمن من أهلك؛ ولهذا قال: ﴿وَأَهْلِكَ لَأَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ [مود: ٤٠]، فكان هذا الولد ممن سبق عليه القول بالفرق؛ لكفره ومخالفته أباه نبي الله نوحاً عليه السلام. وقد نص غير واحد من الأئمة على تحطئة من ذهب في تفسير هذا إلى أنه ليس بابنه، وإنما كان ابن زنية. وقال ابن عباس وغير واحد من السلف: ما زنت امرأة نبي قط! قال: وقوله: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ أي: الذين وعدتكم نجاتهم.

وقول ابن عباس في هذا هو الحق الذي لا عيد عنه؛ فإن الله سبحانه أغبر من أن يُمكّن امرأة نبي من الفاحشة، ولهذا غضب الله على الذين رَمَوْا أم المؤمنين عائشة بنت الصديق زوج النبي ﷺ، وأنكر على المؤمنين الذين تكلموا بهذا وأشاعوه؛ ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِآيَاتِكُمْ غِيبَةً يَكُنْ لَكُمْ بِهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ إلى آخره. ﴿وَمَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبَاسَهُمْ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ إلى قوله: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ يَا فَأُوْءَاكِرُ مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١١-١٥].

وقال ابن عباس: هو ابنه، غير أنه خالفه في العمل والنية. قال عكرمة: في بعض الحروف: «إنه عويل عملاً غير صالح».

الآية (٤٨): ﴿قِيلَ يَبْنَوحُ أَعِظْ بِسُلَيْمٍ نِّبَاً وَرَكَّبْتَ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمِّهِمْ نَمَلًا وَأُمُّهُمُ سَمِعَتْهُمْ نَوْمًا يَمْسُحُونَ بِأُذُنَيْهِمَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يخبر تعالى عما قيل لنوح عليه السلام حين أُرست السفينة على الجودي، من السلام عليه، وعلى من معه من المؤمنين، وعلى كل مؤمن من ذرية إلى يوم القيامة.

وقال ابن إسحاق: لما أراد أن يكف الطوفان أرسل ريحاً على وجه الأرض، فسكن الماء، وانسدت ينابيع الأرض وأبواب السماء، يقول الله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلُغِي مَاءَكِ﴾ الآية [مود: ٤٤]، فجعل الماء ينقص ويفيض ويُدبر، و﴿قِيلَ يَبْنَوحُ أَعِظْ بِسُلَيْمٍ نِّبَاً﴾ الآية.

الآية (٤٩): ﴿يَذَلِكِ﴾ يقول تعالى لنبيه ﷺ: هذه القصة وأشباهها ﴿مِنَ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ﴾ يعني: من أخبار الغيوب السالفة؛ نوحها إليك على وجهها كأنك شاهدتها، ﴿نُوحِيًّا إِلَيْكَ﴾ أي: تُعلمك بها وحيًا منا إليك، ﴿مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾ أي: لم يكن عندك ولا عند أحد من قومك علم بها، حتى يقول من يُكذِّبُكَ: إنك تعلمتها منه، بل أخبرك الله بها مطابقة لما كان عليه الأمر الصحيح، كما تشهد به كتب الأنبياء قبلك، فاصبر على تكذيب من كذَّبك من قومك وأذاهم لك؛ فإننا سننصرك ونحوطك بعنايتنا، ونجعل العقاب لك ولأتباعك في الدنيا والآخرة، كما فعلنا بالمرسلين حيث نصرناهم على أعدائهم: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ الآية [غافر: ٥١]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْغَرَسِيلِ (٧٣) إِنَّمَا هُمْ فَتَنُوكَ﴾ الآية [الصافات: ١٧١-١٧٢]، وقال تعالى: ﴿فَأَنْصِرْ إِنْ الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.



الآية (٦١): يقول تعالى: ولقد أرسلنا إلى **نُؤُدَ** وهم الذين كانوا يسكنون مدائن الحجر بين تبوك والمدينة، وكانوا بعد عاد، فبعث الله منهم **أَحَاطَمَ صَلَاحًا** فأمرهم بعبادة الله وحده؛ ولهذا قال: **هُوَ أَشْأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ** أي: ابتدأ خلقكم منها؛ خلق منها أباكم آدم، **وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا** أي: جعلكم عُمَّارًا تعمرونها وتستغلونها،



## الوقفات التدريبية

- ١ ﴿فَكِيدُونِي جِمَاعًا تُدْرَى لَا تُنْظِرُونِ﴾ (٥٥) إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنِّي رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾

وهذا القول مع كثرة الأعداء يدل على كمال الثقة بنصر الله تعالى.  
القرطبي: ١١/١٤٣.

السؤال: على أي شيء يدل قول هود عليه السلام؟

- ١ ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنِّي رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾  
أي: نفس تدب على الأرض..... (إلا هو آخذ بناصيتها) أي: يصرفها  
كيف يشاء، ويمنعها مما يشاء. القرطبي: ١١/١٤٣.

السؤال: بينت الآية شيئا من قدرة الله، وضعف المخلوقين، وضح.

- ١ ﴿إِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَسَخَّطْتُ لِرَبِّي قَوْمًا نَارُكُمْ شَرْوُهُمْ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ﴾

(ولا تضرونه شيئا): بتوليكم وإعراضكم؛ إنما تضرون أنفسكم،  
وقيل: لا تنقصونه شيئا إذا أهلككم؛ لأن وجودكم وعدمه عنده سواء.  
الفيوي: ٢/٤٠٩.

السؤال: هل يضرب العبد ربه بتولييه وإعراضه عن طاعة الله تعالى؟

- ١ ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَتِنَا وَنَجَّيْنَا مِنْ عَذَابٍ  
عَلِيلٍ﴾

لأن أحدا لا ينجو إلا برحمة الله تعالى، وإن كانت له أعمال صالحة.  
القرطبي: ١١/١٤٦.

السؤال: هل يستطيع أحد أن ينجو من العذاب بعمله الصالح فقط؟

- ١ ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَعَلُوا بَنَاتِكِ زِينَةً وَغَضَبُوا رَسُولَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ  
عَنِيلٍ﴾

من عصى رسولا واحداً لزمه عصيان جميعهم؛ فإنهم متفقون على  
الإيمان بالله، وعلى توحيده. ابن جزي: ١/٤٠٠.

السؤال: دلت هذه الآية على أن من كذب رسولا واحداً فقد كذب جميع الرسل،

وضع ذلك.

- ١ ﴿فَاسْتَغْفِرُوا لَهُمْ نُوْحُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيمٌ مُجِيبٌ﴾  
وفي هذه الآية... قرب يقتضي [لطافة تعالى بهم، وإجابته لدعواتهم،  
وتحقيقه لمراداتهم؛ ولهذا يقرن باسمه القريب اسمه المجيب. السعدي: ٣٨٥.

السؤال: لماذا قرن الله - سبحانه وتعالى - اسمه القريب بالمجيب؟

- ١ ﴿قَالُوا بَصِلِمْ فَمَذَكَّتْ فِينَا مَرْجُواً قَبْلَ هَذَا﴾  
أي: قد كنا نرجوكم، ونؤمل فيك العقل والنفع، وهذا شهادة منهم  
لنبيهم صالح أنه ما زال معروفاً بمكارم الأخلاق، ومحاسن الشيم، وأنه  
من خيار قومه. السعدي: ٣٨٥.

السؤال: العالم والداعية يجمع بين الدين والخلق الحسن، بَيَّنْ ذلك من  
خلال هذه الآية.

إِنْ تَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ  
وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٥﴾ مِنْ دُونِهِ فَكَيْدُونَ  
جَمِيعًا لَمْ يَنْتَظِرُوا ﴿٥٦﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ  
مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنِّي رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ  
﴿٥٧﴾ إِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَسَخَّطْتُ لِرَبِّي قَوْمًا نَارُكُمْ  
شَرْوُهُمْ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ  
﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَتِنَا وَنَجَّيْنَا مِنْ  
عَذَابٍ لَئِيمٍ عَذَابٍ عَلِيلٍ ﴿٥٩﴾ وَتِلْكَ عَادٌ جَعَلُوا بَنَاتِكِ  
زِينَةً وَغَضَبُوا رَسُولَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيلٍ ﴿٦٠﴾ وَاتَّبَعُوا فِي  
هَذِهِ الدُّنْيَا لَعَنَةً وَنُورَ الْقَيْسَمَةِ إِلَّا إِنْ عَادَا كَفَرُوا وَرَبُّهُمْ إِلَّا  
بَعْدَ الْإِعَادِ قَوْرٌ هُودٍ ﴿٦١﴾ وَإِلَى تَمُودَ إِصْرَهُمْ صَلَاحًا قَالَ يَقُولُوا  
عَبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ  
وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُمْ ثُمَّ تَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَرَبِّي قَرِيمٌ مُجِيبٌ  
﴿٦٢﴾ قَالُوا بَصِلِمْ فَمَذَكَّتْ فِينَا مَرْجُواً قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ  
مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّآ لَنَافِلُ شَيْءٍ وَمَا تَنْتَوْنَا إِلَيْهِ مَرْسَبٌ ﴿٦٣﴾

## معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
اعْتَرَاكَ	أَصَابَكَ.
فَكِيدُونِي	فاجتهدوا في إيصال الضرر إليّ.
ثُمَّ لَا تَنْتَظِرُونَ	لا تمهلوني.
أَخِذْ بِنَاصِيَتِهَا	مالئها، والمتصرف فيها.
وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا	جعلكم عمّاراً لها.
كُنْتُ فِينَا مَرْجُواً	كُنَّا نَرْجُو أَنْ تَكُونَ سَيِّداً.

## العمل بالآيات

- أشهد الله تعالى على براءتك من جميع أنواع الشرك الموجودة، ﴿قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ  
اللَّهُ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾.
- حدد أمرا أهمك، وفوض امرك فيه إلى الله تعالى، مع الأخذ بالأسباب؛  
فإن تولى الله امرك كفاك، ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ  
آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾.
- ذكر من حولك بنعم الله تعالى عليهم وإحسانه لهم، ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ  
وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُمْ ثُمَّ تَوَلَّوْا إِلَيْهِ﴾.

## التوجيهات

- قوة التوكل على الله سبحانه تفرس الشجاعة في نفس المؤمن، ﴿فَكِيدُونِي  
جِمَاعًا تُدْرَى لَا تُنْظِرُونِ﴾ (٥٥) إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ  
بِنَاصِيَتِهَا إِنِّي رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.
- التوكل على الله سبب لنجاحك الدنيوي والأخروي، ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ  
مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾.
- الكبر والعناد من شر الصفات الخلقية في الإنسان، ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَعَلُوا بَنَاتِكِ  
زِينَةً وَغَضَبُوا رَسُولَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيلٍ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿ وَيَنْقُورُ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ ﴾

واضاهة الناقاة إلى اسم الجلالة لأنها خلقت بقدرة الله الخارقة للعادة.  
ابن عاشور: ١١٣/١٢.

السؤال: لماذا أضيفت الناقاة إلى اسم الجلالة؟

﴿ فَمَقَرُّوْهَا فَقَالَ تَمَتُّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعَدُّ غَيْرِ مَكْذُوبٍ ﴾

(فمقروها): إنما عقرها بعضهم، وأضيف إلى الكل؛ لأنه كان برضا  
الباقيين. القرطبي: ١١٤/١١.

السؤال: نرى من الناس من لا يفعل المنكر، لكنه يرضى به فلا يغيره،  
فما حكمه؟

﴿ وَلَعَدَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جثيوت ﴾

وعبر عن ثمود بالذين ظلموا للإيماء بالموصول إلى علة ترتب الحكم؛  
أي: لظلمهم؛ وهو ظلم الشرك، وفيه تعريض بمشركي أهل مكة  
بالتحذير من أن يصيبهم مثل ما أصاب أولئك؛ لأنهم ظالمون أيضاً.

ابن عاشور: ١١٤/١٢.

السؤال: لماذا عبر عن ثمود بـ (الذين ظلموا)؟

﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلًا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلَامًا ﴾

ففي هذا أن السلام قبل الكلام. السعدي: ٣٨٥.

السؤال: ماذا نفيد من ابتداء الملائكة بالسلام؟

﴿ فَمَا لَيْتَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلِ حَبِيلٍ ﴾

في هذه الآية من أدب الضيف أن يجعل قراه، فيقدم الموجود اليسر  
في الحال، ثم يتبعه بغيره إن كان له جدة، ولا يتكلف ما يضر به.  
القرطبي: ١٥٩/١١.

السؤال: بين شيئاً من أدب الضيافة المستفاد من الآية.

﴿ فَلَمَّا رَأَىٰ أَنِّي يُبَيِّمُ لَا يَحْبِلُ إِلَيْهِ نَكَرَهُمْ وَأَوَّجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا  
تَخَفْ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ قَوْمِ لُوطٍ ﴾

قال قتادة: وذلك أنهم كانوا إذا نزل بهم ضيف فلم يأكل من طعامهم  
ظنوا أنه لم يأت بخير، وإنما جاء بشر. البغوي: ٤١٢/٢.

السؤال: لماذا خاف إبراهيم -عليه السلام- من الملائكة حينما لم يأكلوا  
من طعامه؟

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ قَوْمِ لُوطٍ ﴾ وَأَمَّا رَبُّ فَأَقَامَهُ فَضَحِكَ

إنا أرسلنا إلى قوم لوط؛ فضحكهم، فضحك سارة استشاراً بهلاكهم؛  
لكثرة فسادهم، وغلظ كفرهم وعنادهم. ابن كثير: ٤٣٣/٢.

السؤال: لماذا هزحت سارة، وضحكت بخبر الملائكة؟

قَالَ يَتْلُوا آيَةَ أَرْبَعٍ إِن كُنْتَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَءَاتَانِي  
مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَضُرُّنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ وَمَا يَذُنُّونِي  
غَيْرَ تَخْصِيرٍ ﴿١٠﴾ وَيَنْقُورُ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ  
فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أََرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا يُسُوءَ فَيَأْخُذْكُمْ  
عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿١١﴾ فَمَقَرُّوْهَا فَقَالَ تَمَتُّعُوا فِي دَارِكُمْ  
ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعَدُّ غَيْرِ مَكْذُوبٍ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا  
بَنِي سَانَ صَالِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ  
خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿١٣﴾ وَلَخَدَّ الَّذِينَ  
ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جثيوت ﴿١٤﴾  
كَأَن لَّمْ يَغْتُرَ أَهْلُهَا إِلَّا أَنْ يَمُوتُوا كَقَوْمِ زَيْنَةَ أَلَىٰ  
بَعْدَ التَّمُودِ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلًا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا  
سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَبِيلٍ ﴿١٦﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ  
أَنِّي يُبَيِّمُ لَا يَحْبِلُ إِلَيْهِ نَكَرَهُمْ وَأَوَّجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً  
قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿١٧﴾ وَأَمْرُنَا قَائِمَةٌ  
فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿١٨﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
تَخْصِيرٌ	تَضْلِيلٌ، وَإِبْعَادٌ عَنِ الْخَيْرِ.
فَمَقَرُّوْهَا	فَنَحَرُوهَا.
جَثِيوتٌ	هَامِدِينَ، سَاقِطِينَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ.
نَكَرَهُمْ	اُنْكَرَ ذَلِكَ مِنْهُمْ.

## ● العمل بالآيات

١. حدد منكراً، وأنكره بأسلوب مقنع وحكيم، ﴿ وَيَنْقُورُ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ ﴾ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أََرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا يُسُوءَ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿١١﴾.
٢. قل: «اللهم إني أعوذ برضائك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وبك منك، لا أحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك»، ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا بَنِي سَانَ صَالِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴾.
٣. اجمع أحد زملائك الذين يساعدونك على الخير إلى منزلك، واكرمه اقتداءً بكرم إبراهيم عليه السلام، ﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلًا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَبِيلٍ ﴾.

## ● التوجيهات

١. على الداعية إلى الله أن يكون على بينة فيما يدعو إليه؛ وذلك بالتثبت من المسائل قبل الكلام فيها، ﴿ قَالَ يَنْقُورُ آيَةُ بَيِّنَةٍ إِن كُنْتَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي ﴾.
٢. المؤمن يعلم أن الخير الذي يعيش فيه من هداية وصلاح وتقوى إنما هو فضل من الله ورحمته، ﴿ قَالَ يَنْقُورُ آيَةُ بَيِّنَةٍ إِن كُنْتَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَءَاتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً ﴾.
٣. الذي يدعو إلى المعصية لن يستطيع أن يدفع عنك عذاب الله، فتمسك بطاعة الله، ﴿ فَمَنْ يَضُرُّنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ مَا يَذُنُّونِي غَيْرَ تَخْصِيرٍ ﴾.

سارة استشارًا بهلاكهم؛ لكثرة فسادهم، وغلظ كفرهم وعنادهم،  
فلهذا جوزيت بالبشارة بالولد بعد الإياس.

قال ابن عباس: ﴿فَضَحَكْتَ﴾ أي: حاضت. ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ  
وَمِنْ وَرَاءِهِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ أي: بولد لها يكون له ولد وعقب ونسل؛ فإن  
يعقوب ولد إسحاق؛ كما قال في آية البقرة: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ  
يَعْقُوبَ الْوَيْتَ إِذْ قَالَ لِأَبْنَيْهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ  
وَاللَّهُ ءَاتَاكَ الْإِزْهَاقَ وَالْإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَجَدًا وَنَحْنُ لِلَّهِ  
مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣]. ومن ههنا استدل من استدل بهذه الآية على  
أن الذبيح إنما هو إسماعيل، وأنه يمتنع أن يكون هو إسحاق؛ لأنه  
وقعت البشارة به، وأنه سيولد له يعقوب، فكيف يؤمر إبراهيم  
بذبحه وهو طفل صغير، ولم يولد له بعد يعقوب الموعود بوجوده،  
ووعده الله حق لا تخلف فيه؟! فيمتنع أن يؤمر بذبح هذا والحالة هذه،  
فتعيّن أن يكون هو إسماعيل، وهذا من أحسن الاستدلال وأصحّه  
وأنبيّه، والله الحمد.

الآية (٦٣): قوله تعالى: ﴿قَالَ تَقْوَىٰ آدَمَ بَشَرًا كُنْتُ عَلَىٰ بَنِيَّ وَنِ  
رَبِّي﴾ فيا أرسلي به إليكم على يقين وبرهان، ﴿وَأَتَنِي مِنْهُ رَحْمَةٌ مِّنْ  
يَّبْرِئُنِي مِنَ اللَّهِ إِنَّ عَصِيئَتُهُ﴾ وتركت دعوتكم إلى الحق وعبادة الله  
وحده، فلو تركته لما نعمتموني ولما زدتموني ﴿غَيْرَ تَحْسِيرٍ﴾ أي: خسارة.

الآية (٦٤-٦٨): تقدم الكلام عليها في سورة «الأعراف»<sup>(١)</sup>.  
الآية (٦٩): يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا﴾ وهم الملائكة  
﴿إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى﴾ قيل: بُشِّرْهُ بِإِسْحَاقَ، وقيل: بهلاك قوم لوط.  
ويشهد للأول قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبَشْرَى  
بِجَدَلًا فِي قَوْرِ لُوطٍ﴾ [هود: ٧٤]. ﴿قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ﴾ أي: عليكم.  
﴿فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ أي: ذهب سريعًا، فأناهم بالضيافة،  
وهو عجل: فتي البقر، حنيذ: مَشْوِي على الرِّضْف، وهي الحجارة  
المُحَاة. هذا معنى ما روي عن ابن عباس وقائدة وغير واحد؛ كما قال  
في الآية الأخرى: ﴿فَرَأَىٰ إِلَهَ آدَمَ عَلَيْهِ فَلَاحَ عِجْلٍ سَيِّئٍ﴾ فَرَفَعَهُ إِلَيْهِمْ  
قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [الناريات: ٢٦-٢٧]. وقد تضمنت هذه الآية آداب  
الضيافة من وجوه كثيرة.

الآية (٧٠-٧١): وقوله: ﴿فَلَمَّا رَأَىٰ آدَمَ إِلَيْهِمْ لَا تَقُولُ نَكْرَهُمْ﴾  
تَنَكَّرَهُمْ ﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ وذلك أن الملائكة لا ممة لهم إلى الطعام  
ولا يشتهونه ولا يأكلونه؛ فلهذا رأى حالمهم معرضين عما جاءهم به،  
فأرغب عن الكلفة، فنعد ذلك ﴿نَكْرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾.  
وقوله تعالى إخبارًا عن الملائكة: ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ﴾ أي: قالوا: لا  
تَخَفْ منا، ﴿إِنَّا﴾ ملائكة ﴿أُرْسِلْنَا إِلَيْكَ قَوْرِ لُوطٍ﴾ لِنُكَلِّمَهُمْ. فضحكت

(١) ما في سورة الأعراف مما له تعلق بالآيات ههنا هو تفسير الآيتين:  
(٧٧، ٧٨)، ص ١٦٠، وهو قول ابن كثير - رحمه الله - : أقامت الناقة وفصلها - بعد  
ما وضعت بين أظهرهم - مئة تشرب من برها يومًا، وتدعه لهم يومًا، وكانوا يشربون لبنها  
يوم شربها، يجلبونها فيملؤون ما شاموا من أوعيتهم وأوانيتهم؛ كما قال في الآية الأخرى:  
﴿وَيُنَبِّئُهُمُ أَنَّ الْمَلَأَ قِسْمَهُ بَيْنَهُمْ كُلٌّ شَرْبٌ خَشَعُ﴾ [الفر: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ  
لِّمَا يَنْزِلُ وَلَكُلَّ شَرْبٍ يَوْمَ مَمْلُوءٍ﴾ [الشعراء: ١٥٥]. فلما طال عليهم ذلك واشتد  
تكذيبهم لصالح التي عَلَيَّهَا النَّكْلُ، غَرَمُوا على قتلها؛ ليستأروا بالماء كل يوم، فيقال: إنهم  
اتفقوا كلهم على قتلها. وهذا هو الظاهر؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهُمَا  
فَكَذَّبُوا عَلَيْهِمْ رَبُّهُمُ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴾ [الشمس: ١٤]، وقال: ﴿وَأَنفِثْنَا نَمُودَ  
الْثَّاقَةِ مِجْرَةً فَنَكَلَمُوا بِهَا﴾ [الإسراء: ٥٩]، وقال: ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ﴾ فاستند ذلك  
إلى مجموع القليلة، فدل على رضى جميعهم بذلك، والله أعلم.

عن جابر قال: لما مر رسول الله ﷺ بالحجر قال: «لا تسألوا الآيات؛ فقد سأها  
قوم صالح فكانت - يعني الناقة - ترد من هذا الفج، وتصدر من هذا الفج، فعتوا  
عن أمر ربهم فعقروها، وكانت تشرب ماءهم يومًا ويشربون لبنها يومًا، فعقروها،  
فأخذهم صيحة أمد الله من تحت أديم السماء منهم، إلا رجلًا واحدًا كان في حرم  
الله». فقالوا: من هو يا رسول الله؟ قال: «أبو رغال. فلما خرج من الحرم أصابه ما  
أصاب قومهم» [رواه أحمد وهو على شرط مسلم].

وقوله: ﴿يُرْعَوْنَ إِلَيْهِ﴾ أي: يسرعون ويهرولون من فرحهم بذلك. وقوله: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ كَثُورًا يَمْشِكُنْ عَلَيْهَا﴾ أي: لم يزل هذا من سجيته حتى أخذوا وهم على ذلك الحال.

﴿قَالَ يَقُومُ هَؤُلَاءِ بِنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ يرشدهم إلى نساءهم؛ فإن النبي للأمة بمنزلة الوالد، فأرشدهم إلى ما هو أنفع لهم في الدنيا والآخرة؛ كما قال في الآية الأخرى: ﴿قَالُوا أَوَلَمْ تَنْهَكَ عَنِ أَتْكَامِكَ﴾ [الحجر: ٧٠] أي: ألم تنهك عن ضيافة الرجال؟! ﴿قَالَ هَؤُلَاءِ بِنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فِعْلِينَ﴾ ﴿لَمَّا لَمْ تَكُنْ لِي سَكْرَتَهُمْ يَمْشُونَ﴾ [الحجر: ٧١-٧٢]. وقال في هذه الآية: ﴿هَؤُلَاءِ بِنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ قال مجاهد: لم يكن بناته ولكن كن من أمته، وكل نبي أبو أمته. وقال ابن جرير: أمرهم أن يتزوجوا النساء ولم تعرض عليهم سيفاخا. وقوله: ﴿قَالُوا اللَّهُ وَلَا تَخْزُونِ فِي صَبِيحٍ﴾ أي: اقبلوا ما أكرمكم به من الاقتصاد على نساءكم ﴿الَّذِينَ يَمْكُرُونَ رَجُلًا رَجِيذًا﴾ أي: فيه خير، يقبل ما أمره به ويترك ما أنياه عنه؟!

الآية (٧٩): ﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا بِبَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾ أي: إنك تعلم أن نساءنا لا أزب لنا فيهن ولا نشتهين ﴿وَأَنَّكَ لَفَعْلٌ مَارِدٌ﴾ أي: ليس لنا غرض إلا في الذكور، وأنت تعلم ذلك، فأي حاجة في تكرار القول علينا في ذلك؟! قال السدي: ﴿وَأَنَّكَ لَفَعْلٌ مَارِدٌ﴾: إنما نريد الرجال.

الآية (٨٠-٨١): يقول تعالى مخبرا عن نبيه لوط عليه السلام: إن لوطا توعدهم بقوله: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوَى إِلَيَّ رَجُلٌ سَدِيدٌ﴾ أي: لكنك تكلمت بكم وفعلت بكم الأفاعيل بنفسي وعشيرتي.

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «رحمة الله على لوط، لقد كان يأوي إلى ركن شديد» يعني: الله عز وجل [متفق عليه]. فعند ذلك أخبرته الملائكة أنهم رسل الله إليه، وأمرهم لا وصول لهم إليه ﴿قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ﴾، وأمره أن يسري بأهله من آخر الليل، وأن يتبع أديارهم، أي: يكون ساقا لأهله.

﴿وَلَا يَلْنُفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾ أي: إذا سمعت ما نزل بهم، ولا تبولنكم تلك الأصوات المزعجة، ولكن استمروا ذاهبين. قوله: ﴿إِلَّا أَمْرًا﴾ هو استثناء من قوله: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾.

ثم قرأوا له هلاك قومه تبشيرا؛ لأنه قال لهم: «أهلكوهم الساعة»، فقالوا: ﴿إِنْ مَوْعِدُهُمْ أَصْبَحُ الْيَوْمِ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾، هذا وقوم لوط وقوف على الباب وعكوف قد جاؤوا يهرعون إليه من كل جانب، ولوط واقف على الباب يداغمهم ويردهم وينهاهم عما هم فيه، وهم لا يقبلون منه، بل يتوعدونه، فعند ذلك خرج عليهم جبريل عليه السلام فضرب وجوههم بجناحه، فطمس أعينهم، فرجعوا وهم لا يهتدون الطريق؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَدَدْنَاهُ عَنْ صَبَإٍ فَلَمَّا اسْتَمْتَحْنَاهُمْ فَدَوَّقُوا غَلَايَا وَنُذِرَ﴾ [الفر: ٣٧-٣٩].

الآية (٧٢-٧٣): قوله: ﴿قَالَ يَزِيلُ إِلَهُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَشَرٌ شَيْخًا﴾ الآية، حكى قولها في هذه الآية، كما حكى فعلها في الآية الأخرى: ﴿فَأَقَلَّتْ أَمْرَاتُهُ فِي صَرِّهِ فَصَكَّتْ وَحَمَهَا وَقَالَ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ [الدريات: ٢٩]، كما جرت به عادة النساء في أقوالهن وأفعالهن عند التعجب. ﴿قَالُوا أَتَنْجِيئِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ أي: قالت الملائكة لها: لا تعجي من أمر الله؛ فإنه إذا أراد شيئا أن يقول له: «كن» فيكون، فلا تعجي من هذا، وإن كنت عجوزا عقيما، وبعلم شيئا كبيرا؛ فإن الله على ما يشاء قدير. ﴿رَحِمْتَ اللَّهُ وَرَكْنَهُ عَلَيْهِ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَيِّدٌ حَيِّدٌ﴾ أي: هو الحميدي في جميع أفعاله وأقواله؛ محمود مُجَدِّد في صفاته وذاته.

الآية (٧٤-٧٦): يخبر تعالى عن إبراهيم عليه السلام أنه لما ذهب عنه الرُّوع، وهو ما أوجس من الملائكة خيفة حين لم يأكلوا، وبشروه بعد ذلك بالولد، وأخبروه بهلاك قوم لوط، أخذ يقول: أهلكون قرية فيها ثلاثمائة مؤمن؟! قالوا: لا. قال: أهلكون قرية فيها مائتا مؤمن؟! قالوا: لا. قال: أهلكون قرية فيها أربعون مؤمنا؟! قالوا: لا. قال: ثلاثون؟! قالوا: لا. حتى بلغ خمسة. قالوا: لا. قال: رأيتمكم إن كان فيها رجل واحد مسلم أهلكوها؟ قالوا: لا. فقال إبراهيم عليه السلام عند ذلك: ﴿هَؤُلَاءِ فِيهَا لُوطٌ فَأَلْوَ تَحْتَ أَغْرَافِهِمْ لِنَجِّنَهُمْ وَأَهْلَهُ﴾ ﴿إِلَّا أَمْرًا تَدْرُكُهُ﴾ الآية [العنكبوت: ٣٢]، فسكت عنهم واطمأنن نفسه. قوله: ﴿إِنْ يَرْزُقِهِمْ لَنَسْلِمَنَّ أَوْهُ مُنِيبٌ﴾ مدح إبراهيم بهذه الصفات الجميلة، وقد تقدم تفسيرها. قوله: ﴿يَا زَيْدُ أَرْضُ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرٌ رَبِّكَ﴾ الآية، أي: إنه قد نفذ فيهم القضاء، وحقت عليهم الكلمة بالهلاك، وحلول البأس الذي لا يُرَدُّ عن القوم المجرمين.

الآية (٧٧-٧٨): يخبر تعالى عن قدوم رسله من الملائكة بعد ما أعلموا إبراهيم بهلاكهم، وفارقوه وأخبروه بإهلاك الله قوم لوط هذه الليلة. فانطلقوا من عنده، فاتوا لوطا عليه السلام في أرض له، وقيل: في منزله، ووردوا عليه وهم في أجل صورة تكون، على هيئة شبان حسن الوجوه، ابتلاء من الله، وله الحكمة والحجة البالغة، فسأه شأهم، وضاعت نفسه بسببهم، وخشي إن لم يُضِفْهم أن يُضِفْهم أحد من قومه، فينالهم بسوء. قوله: ﴿وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ قال ابن عباس وغير واحد: شديد بلاؤه؛ وذلك أنه علم أنه سيدافع عنهم، ويشق عليه ذلك. وقال السدي: خرجت الملائكة من عند إبراهيم نحو قرية لوط، فبلغوا نهر سدوم نصف النهار، ولقوا بنت لوط تستقي، فقالوا: يا جارية، هل من منزل؟ فقالت: مكانكم حتى آتيكم، وقرقت عليهم من قومها، فأتت أباها فقالت: يا أبناه، أدرك فتينا على باب المدينة، ما رأيت وجوه قوم أحسن منهم، لا يأخذهم قومك فيفضحهم. وكان قومه تهو أن يُضِفَ رجلا، فقالوا: خل عنا فلنُضِفَ الرجال. فجاء بهم، فلم يعلم بهم أحد إلا أهل بيته، فخرجت امرأته فأخبرت قومها، فجاءوا يهرعون إليه.



## ● الوقفات التدريبية

❶ ﴿قَالُوا أَمَّجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾

فإن أمره لا عجب فيه؛ لنفوذ مشيئته التامة في كل شيء، فلا يستغرب على قدرته شيء. السعدي: ٣٨٦.

السؤال: لماذا كان لا ينبغي لامرأة إبراهيم أن تعجب من أمر الله؟

❷ ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْلِ لُوطٍ﴾

المجادلة مع الملائكة، وعديت إلى ضمير الجلالة لأن المقصود من جدال الملائكة التعرض إلى أمر الله بصرف العذاب عن قوم لوط. ابن عاشور: ١٢/١٢٣.

السؤال: المجادلة مع الملائكة، ومع هذا عديت إلى ضمير الجلالة، لماذا؟

❸ ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَكَلِيمٌ أَوْهٌ مُنِيبٌ﴾

(إن إبراهيم لكليم) أي: ذو خلق حسن، وسعة صدر، وعدم غضب عند جهل الجاهلين. (أواه) أي: متضرع إلى الله في جميع الأوقات. (منيب) أي: رجوع إلى الله بمعرفته ومحبه، والإقبال عليه، والإعراض عن سواه؛ فلهذا كان يجادل عن حتم الله بهلاكهم. السعدي: ٣٨٦.

السؤال: ما أبرز صفات إبراهيم - عليه السلام - حتى نفتدي به؟

❹ ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَكَلِيمٌ أَوْهٌ مُنِيبٌ﴾

المنيب: الرجوع ... وإبراهيم كان رجاعاً إلى الله تعالى في أموره كلها، وقيل: الأواه: المتأوه أسفاً على ما قد فات قوم لوط من الإيمان. القرطبي: ١١/١٧٣.

السؤال: رحمة الأنبياء بأقوامهم تحملهم على الضيق مما يجري عليهم من العقوبات، وضح ذلك.

❺ ﴿قَاتَعُوا اللَّهَ وَلَا تَخْزُونِ فِي صَبِيحَةِ الْيَسِّ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾

والاستفهام في (اليس منكم رجل رشيد) إنكار وتوبيخ؛ لأن إهانة الضيف مسيئة لا يفعلها إلا أهل السفاهة. ابن عاشور: ١٢/١٢٩.

السؤال: ما فائدة الاستفهام في قوله تعالى: (اليس منكم رجل رشيد)؟

❻ ﴿الْيَسِّ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾

أي: شديد يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، والرشد والرشاد: الهدى والاستقامة. القرطبي: ١١/١٧٣.

السؤال: ما صفات الرجل الرشيد؟

❼ ﴿قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُؤْسُ رَبِّكَ لَنْ يَسْلُوَا إِلَيْكَ فَاتْرُكْهُمْ أَهْلُكَ يَقْطَعُ مِنَ الْيَلِ

وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَانِ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ

الصُّبْحُ الْيَسِّ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾

نُهاوا عن الالتفات لئلا تنقطر أكبادهم على قريبتهم. ابن جزي: ١/٤٠٣.

السؤال: في نهي الله تعالى لوطاً وأهله عن الالتفات لفتته، اذكرها.

قَالَتْ يَوْنٰىءُ اَلَّذِى وَاَنَّا عَجُوْا وَهٰذَا بَعْلٰى سَبِيْحًا اِنْ هٰذَا لَنَقۡىَ عَجِيْبٌ ﴿٣٨﴾ قَالُوْا اَتَعْجِبِيْنَ مِنْ اَمْرِ اللّٰهِ رَحِمَتُ اللّٰهِ وَبَرَكَتُهُ عَلٰى كُلِّ اَهْلٍ اَلْبَيۡتِ اِنَّهُۥ وَحِيْدٌ مَّجِيْدٌ ﴿٣٩﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ اِبْرٰهِيۡمَ الرَّوۡعُ وَجَآءَتْهُ الْبُشۡرٰى بِجَدۡلِنَا فِىۡ قَوۡلِ لُوطٍ ﴿٤٠﴾ اِنَّ اِبْرٰهِيۡمَ لَكَلِيۡمٌ اَوۡهٌ مُّنِيۡبٌ ﴿٤١﴾ يٰۤاِبْرٰهِيۡمُ اَعۡرَضۡ عَنْ هٰذَا اِنَّهُۥ قَدْ جَآءَكَ اَمۡرُ رَبِّكَ وَاتَّخَذَ لِنَفْسِهٖۡ عَدٰۤاۢىۡ غَيۡرَ مَرۡدُوۡرٍ ﴿٤٢﴾ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىۡءَ بِهٖمۡ وَصَآقَ بِهٖمۡ ذُرٰٓءًا وَقَالَ هٰذَا يَوْمُ عَصِيۡبٍ ﴿٤٣﴾ وَجَآءَهُ وَقُوۡمُهُۥ يُهَرَّعُوۡنَ اِلَيْهٖ وَمِنْ قَبۡلِ كَانُوۡا يَعۡمَلُوۡنَ السَّيِّۡاۡتِ قَالَ يَتَقَوِّمُ هٰۤؤُلَآءِ بَنٰۤىۡ هٰۤؤُلَآءِ لَكُمۡ فَاتَّقُوا اللّٰهَ وَلَا تَخۡزُوۡنَ فِىۡ صَبِيۡحِۡىۡ الْيَسِّ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَّشِيۡدٌ ﴿٤٤﴾ قَالُوۡا لَقَدْ عَلِمْتۡ مَا لَنَا بِبَنٰٓىكَ مِنْ حَقٍّ وَاِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيۡدُ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَوۡ اَنَّ لِىۡ بِكُمۡ قُوَّةٌ اَوْ اِوۡىۡ اِلٰى رُكۡنٍ سَدِيۡدٍ ﴿٤٦﴾ قَالُوۡا يَلُوطُ اِنَّا رُؤۡسُ رَبِّكَ لَنَۤيَسْلُوَاۤ اِلَيْكَ فَاتَّرۡكُ بَاۡهَلِكَ يَۤقۡطَعُ مِنَ الْيَلِ وَلَا يَلۡتَفِتْ مِنْكُمۡ اَحَدٌ اِلَّا اَمۡرَانِ اِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَاۤاَصَابَهُمْ اِنْ مَوْعِدُهُمُ الصُّبۡحُ الْيَسِّ الصُّبۡحُ بِقَرِيبٍ ﴿٤٧﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
يَعْلِي	زوجي.
الرَّوْعُ	الخوف.
أَوَاهٌ	كثير التضرع والدعاء.
مُنِيبٌ	تائب يرجع إلى الله في أموره كلها.
سِىءٌ بِهِمْ	سأءه مجيئهم.
وَصَاقَ بِهِمْ ذُرْعًا	ضاق صدره، واعتَمَّ لجيئهم؛ خوفًا عليهم من قومِهِ.
عَصِيبٌ	شديد.
يُهَرَّعُونَ	يُسرعون.

## ● العمل بالآيات

- اسأل الله سبحانه الرحمة والهداية للعاصين، ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْلِ لُوطٍ﴾.
- ابحث عن بعض الأخبار السارة، وبشر بها من حولك، لتدخل السرور عليهم، ﴿وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ﴾.
- سل الله تعالى أن يرزقك الحلم والإنابة إليه سبحانه، ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَكَلِيمٌ أَوْهٌ مُنِيبٌ﴾.

## ● التوجيهات

- قضاء الله إذا جاء لا يردده أحد، ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَكَ أَمْرٌ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ بِآتْيِهِمْ عَذَابٌ غَيْرَ مَرْدُورٍ﴾.
- إذا كان خليل الرحمن كثير التوبة والإنابة إلى الله سبحانه فما بالناس نقص في التوبة والإنابة؟ ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَكَلِيمٌ أَوْهٌ مُنِيبٌ﴾.
- لا يأس من الذنوب الصالحة، ﴿قَالَتْ يَوْنٰىءُ اَلَّذِى وَاَنَّا عَجُوْا وَهٰذَا بَعْلٰى سَبِيْحًا اِنْ هٰذَا لَنَقۡىَ عَجِيْبٌ ﴿٣٨﴾﴾ قَالُوا اَتَعْجِبِيْنَ مِنْ اَمْرِ اللّٰهِ



## ● الوقفات التحذيرية

﴿مُسُوْمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِيْنَ بِبَعِيْدٍ﴾

المعنى: ما الحجارة من ظالمي قومك يا محمد ببعيد، وقال قتادة وعكرمة: ظلمي هذه الأمة، والله ما أجاز الله منها ظلاماً بعد. القرطبي: ١٨٩/١١.

السؤال: هل هذه العقوبات الإلهية خاصة بهؤلاء، أم أنها قد تنزل بالظالمين في أي زمن؟

﴿وَلَا تَنْفُصُوا الْمَكِيَّالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرْبُكُم بِخَيْرٍ﴾

كانوا مع كفرهم أهل بخس وتطعيف؛ كانوا إذا جامعهم البائع بالطعام أخذوا بكيل زائد، واستوفوا بغاية ما يقدرون عليه، وظلموا، وإن جامعهم مشتر للطعام باعوه بكيل ناقص، وشححوه له بغاية ما يقدرون. القرطبي: ١٩١/١١.

السؤال: بين خطر ظلم الناس في أرزاقهم ومعاشهم، وكيف كان سبباً في الهلاك.

﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِخَفِيْظٍ﴾

أي: ما يبقيه الله لكم بعد إيفاء الحقوق بالقسط أكثر بركة، وأحمد عاقبة مما تبقونوه لأنفسكم من فضل التطعيف بالتجبر والظلم. القرطبي: ١٩٢/١١.

السؤال: هل العبرة بكثرة المال، أم ببركته؟ وضع ذلك من خلال الآية.

﴿قَالُوا يَسْأَلُكَ أَصْلَوكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يُعْبَدُ مَابَآؤُنَا أَوْ

أَنْ تَقْعَلَ فِيْ أَمْوَالِنَا مَا نَشْتَوِيْ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيْمُ الرَّشِيْدُ﴾

وهذا القول الذي أخرجوه بصيغة التهمك، وأن الأمر بعكسه؛ ليس كما ظنوه؛ بل الأمر كما قالوه: إن صلاته تأمره أن ينههم عما كان يعبد

آبائهم الضالون، وأن يفعلوا في أموالهم ما يشاؤون؛ فإن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، وأي فحشاء ومنكر أكبر من عبادة غير الله؟ ومن منع

حقوق عباد الله أو سرقتهما بالمكايل والموازين؟ وهو عليه الصلاة والسلام الحليم الرشيد. السعدي: ٣٨٧.

السؤال: ذكر في الآية مقصد من مقاصد الصلاة، بين ذلك.

﴿قَالُوا يَسْأَلُكَ أَصْلَوكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يُعْبَدُ مَابَآؤُنَا أَوْ أَنْ

تَقْعَلَ فِيْ أَمْوَالِنَا مَا نَشْتَوِيْ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيْمُ الرَّشِيْدُ﴾

فلما كانت الصلاة أخص أعماله المخالفة لمعادهم جعلوها المشيرة عليه بما بلغه إليهم من أمور مخالفة لمعادهم. ابن عاشور: ١٤١/١٢.

السؤال: ارتبط الأنبياء -عليهم السلام- بالصلاة حتى أصبحت عبادة مؤثرة في سائر أعمال حياتهم، بين ذلك.

﴿وَمَا أَرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَكُمْ عَنْهُ إِن أَرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا

اسْتَطَعْتُ﴾

أي: ليس أنهاكم عن شيء وأرتكبه، كما لا أترك ما أمرتكم به. (إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت) أي: ما أريد إلا فعل الصلاح؛ أي: أن تصلحوا دنياكم بالعدل، وأحترموا بالعبادة. القرطبي: ١٩٨/١١.

السؤال: نصت الآية على الإصلاح، قيم يتم ذلك؟

﴿إِنْ أَرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾

(إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت)، ولما كان هذا فيه نوع تركية للنفس، دفع هذا بقوله: (وما توفيقى إلا بالله) أي: وما يحصل لي من

التوفيق لفعل الخير والانفكاك عن الشر إلا بالله تعالى؛ لا بحولي ولا بقوتي. السعدي: ٣٨٧.

السؤال: لماذا بعد أن أخبرهم بأنه يريد الإصلاح اتبع ذلك بقوله: (وما توفيقى إلا بالله)؟

المعنى

فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَىٰ مَنَاسِكُهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّضُودٍ ﴿٣٥﴾ مُسُوْمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِيْنَ بِبَعِيْدٍ ﴿٣٦﴾ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَتَقَوَّمُ عِبَدُ اللَّهِ مَا لَكُم مِّنَ إِلَهِ غَيْرُهُ وَلَا تَنْفُصُوا الْمَكِيَّالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرْبُكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٣٧﴾ وَيَقْوِمُوا أَوْفُوا الْمَكِيَّالَ وَالْمِيزَانَ يَا بَنِي إِسْرَاطَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٨﴾ بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٣٩﴾ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِخَفِيْظٍ ﴿٤٠﴾ قَالُوا يَسْأَلُكَ أَصْلَوكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يُعْبَدُ مَابَآؤُنَا أَوْ أَنْ تَقْعَلَ فِيْ أَمْوَالِنَا مَا نَشْتَوِيْ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيْمُ الرَّشِيْدُ ﴿٤١﴾ قَالَ يَتَقَوَّمُ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنْتُ عَلَىٰ بَيْنَتَيْنِ مِن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أَرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَكُمْ عَنْهُ إِن أَرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٤٢﴾

(٣٦)

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
سِجِّيلٍ	طَبْعٍ مُّتَّصِلٍ مَتْنٍ.
مَضُودٍ	صُفٍّ بَعْضُهَا إِلَىٰ بَعْضٍ مُّتَّابِعَةً.
مُسُوْمَةٌ	مُعْلَمَةٌ عِنْدَ اللَّهِ بِعَلَامَةٍ مَّعْرُوفَةٍ لَا تُشْبِهُ حِجَارَةَ الْأَرْضِ.
بَقِيَّتُ اللَّهِ	مَا يَبْقِيهِ اللَّهُ لَكُمْ بَعْدَ إِيفَاءِ الْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ مِنَ الرَّبْحِ الْحَلَالِ.

## ● العمل بالآيات

١. فتش في نفسك: هل ظلمت أحداً في عرض، أو مال، أو غيره، ثم رد الحقوق لأهلها، ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾.
٢. حدد عملاً صالحاً، وتبين أحكامه الشرعية، واعمل به، ثم ادع من حولك إليه، ﴿وَمَا أَرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَكُمْ عَنْهُ إِن أَرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾.
٣. كلما أقدمت على عمل هذا اليوم قل قبله: «اللهم وفقني فيه لما تحبه وترضاه»، ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾.

## ● التوجيهات

١. الكبار ليست سواء؛ فبعضها أشد عقوبة من بعض، ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَىٰ مَنَاسِكُهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّضُودٍ﴾.
٢. الربح القليل الحلال خيرٌ وأكثر بركة من الربح الكثير الحرام، ﴿وَيَقْوِمُوا أَوْفُوا الْمَكِيَّالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾. ﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾.
٣. من أراد أن يدعو إلى خير؛ فعليه أن يكون على بينة وفهم وثبت لما يدعو إليه، ﴿قَالَ يَتَقَوَّمُ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنْتُ عَلَىٰ بَيْنَتَيْنِ مِن رَّبِّي﴾.

وبيناهم عن التطفيف في الكيل والميزان، ﴿إِنِّي أَرْسَلْتُكُمْ بِخَيْرٍ﴾ أي: في معيشتكم ورزقكم فأخاف أن تسلبوا ما أنتم فيه بانتهاكم محارم الله، ﴿وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ يُخْطِطُ﴾ أي: في الدار الآخرة.

الآية (٨٥-٨٦): بيناهم أولاً عن نقص الكيل والميزان إذا أعطوا الناس، ثم أمرهم بوفاء الكيل والوزن بالقسط آخذين ومُعطين، ونهاهم عن العثو في الأرض بالفساد، وقد كانوا يقطعون الطريق. قوله: ﴿يَقِيْتُ اللَّهُ خَيْرَ لَكُمْ﴾ قال ابن عباس: رزق الله خير لكم. وقال الحسن: روق الله خير لكم من بخسكم الناس وقال الربيع: وصية الله خير لكم. وقال مجاهد: طاعة الله. وقال قتادة: حظكم من الله خير لكم. وقال ابن جرير: ﴿يَقِيْتُ اللَّهُ﴾ أي: ما يَفْضُلُ لكم من الربح بعد وفاء الكيل والميزان ﴿خَيْرَ لَكُمْ﴾ أي: من أخذ أموال الناس. قلت: ويُسَبِّحُ قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾ (التائدة: ١٠٠).

قوله: ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِخَفِيظٍ﴾ أي: بريب ولا حفيظ، أي: افعلوا ذلك لله عز وجل، لا تفعلوه لبراكم الناس، بل لله عز وجل.

الآية (٨٧): يقولون له على سبيل التهكم: ﴿أَصَلَّوْا تَكُ﴾ قال الأعمش: أي: قراءتك ﴿فَأَمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يَسُدُّ أَبَاؤَنَا﴾ أي: الأوثان والأصنام، ﴿أَوْ أَنْ تَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾، فترك التطفيف على قولك؛ هي أموالنا نفعل فيها ما نريد. قال الحسن: إني والله؛ إن صلاته لأمرهم أن يتركوا ما كان يعبد آبائهم. وقال الثوري في قوله: ﴿أَوْ أَنْ تَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾: يعنون الزكاة. وقولهم: ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْخَلِيلُ الرَّشِيدُ﴾ قال ابن عباس وابن جرير وغيرهما: يقولون ذلك على سبيل الاستهزاء، فيحبهم الله ولعنهم عن رحمة، وقد قُتِلَ.

الآية (٨٨): يقول لهم: أرايتم ما قوم ﴿إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي﴾ أي: على بصيرة فيما أَدْعُو إليه، ﴿وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ قيل: أراد النبوة. وقيل: أراد الرزق الحلال. ويحتمل الأمرين. وقال الثوري: قوله: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَكُمْ إِلَيَّ مَا أَنْتُمْ عَنْهُ﴾ أي: لا أنهاكم عن شيء وأخالف أنا في السر فافعله خفية عنكم؛ كما قال قتادة: لم أكن لأنهاكم عن أمرٍ وأركب. ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾ أي: فيما أَمْرُكم وأنهاكم، إنما مُرَادِي إصلاحكم جهدي وطاقتي، ﴿وَمَا تَوْفِيقِي﴾ أي: في إصابة الحق فيما أُرِيدُ ﴿إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ في جميع أموري ﴿وَالْيَا أَيُّهَا﴾ أي: أرجع. روى الإمام أحمد عن أبي حنيفة وأبي أسيد يقولان: قال رسول الله ﷺ: «إذا سمعتم الحديث عني تعرفه قلوبكم، وتلين له أشعاركم وأبشاركم، وترون أنه منكم قريب؛ فأنأ أولاكم به، وإذا سمعتم الحديث عني تنكره قلوبكم، وتفر منه أشعاركم وأبشاركم، وترون أنه منكم بعيد؛ فأنأ أبعدكم منه» وهذا إسناد صحيح. ومعناه: مهيا بلغكم عني من خير فأنأ أولاكم به، ومهيا يكن من مكروه فأنأ أبعدكم منه ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَكُمْ إِلَيَّ مَا أَنْتُمْ عَنْهُ﴾.

الآية (٨٩): يقول تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ وكان ذلك عند طلوع الشمس ﴿جَعَلْنَا عَلَيْهِمَا﴾ وهي قرينهم سُدُوم ﴿سَاقِلَهَا﴾ (١)؛ كَقَوْلِهِ: ﴿وَالْمُؤْنِفَةَ أَمْرُنَا فَجَعَلْنَاهَا مَغَاقِلًا﴾ [النجم: ٥٣-٥٤] أي: أَمَطَرْنَا عليها ﴿حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾ وهي بالفارسية: حجارة من طين. قاله ابن عباس وغيره. وقد قال في الآية الأخرى: ﴿حِجَارَةً مِنْ طِينٍ﴾ [النار: ٣٣] أي: مُسْتَحْجَرَةٌ قوية شديدة. وقال بعضهم: مشوية. وقال البخاري: ﴿سِجِّيلٍ﴾: الشديد الكبير؛ سَجِيلٌ وسَجِينٌ واحد؛ اللام والنون أختان. قوله: ﴿تَنْشُورُ﴾ قال بعضهم: منضودة في السماء أي: مُعَدَّة لذلك. وقال آخرون: أي: يتبع بعضها بعضاً في نزولها عليهم. الآية (٨٣): ﴿سُوءَ﴾ أي: مُعَلَّمَةٌ مَخْشُومَةٌ، عليها أسماء أصحابها؛ كل حجر مكتوب عليه اسم الذي ينزل عليه. وذكروا أنها نزلت على أهل البلد، وعلى المفترقين في القرى مما حولها، فبينما أحدهم يكون عند الناس يتحدث، إذ جاءه حجر من السماء فسقط عليه من بين الناس، فدمره، فتبعهم الحجارة من سائر البلاد، حتى أهلكتهم عن آخرهم، فلم يبقَ منهم أحد. وقال مجاهد: أخذ جبريل قوم لوط من سَرَجِهِم ودورهم، حملهم بمواشيهم وأمتعتهم، ورفعهم حتى سمع أهل السماء نباح كلابهم ثم أكفأهم، وكان حملهم على خوافي جناحه الأيمن. قال: ولما قلبها كان أول ما سقط منها شُرْفَاتُهَا. وعن قتادة وغيره: بلغنا أن جبريل عليه السلام لما أصبح نشر جناحه، فانتصف به أرضهم بما فيها من قُصُورِها ودوابها وحجارتها وشجرها، وجميع ما فيها، فضَّعَهَا في جناحه، فحوَّاهَا وطوَّاهَا في جوف جناحه، ثم صعد بها إلى السماء الدنيا، حتى سمع سكان السماء أصوات الناس والكلاب، وكانوا أربعة آلاف ألف، ثم قلبها، فأرسلها إلى الأرض منكوسة، وَدَمَدَمَ بعضها على بعض، فجعل عاليها سافلها، ثم أتبعها حجارة من سجيل. وقال السُّدِّي: لما أصبح قوم لوط نزل جبريل فاقتلع الأرض من سبع أرضين، فحملها حتى بلغ بها السماء، حتى سمع أهل السماء الدنيا نباح كلابهم، وأصوات ديوكلهم، ثم قلبها فقتلهم، فذلك قوله: ﴿وَالْمُؤْنِفَةَ أَمْرُنَا فَجَعَلْنَاهَا مَغَاقِلًا﴾ [النجم: ٥٣]. ومن لم يَمُتْ حين سقط للأرض أمطر الله عليه وهو تحت الأرض الحجارة، ومن كان منهم شاذاً في الأرض يتبعهم في القرى، فكان الرجل يتحدث فيأتيه الحجر فيقتله، فذلك قوله: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ [الحجر: ٧٤] أي: في القرى حجارة من سجيل. قوله: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ أي: وما هذه النعمة من تشبه بهم في ظلمهم ببعد عنهم.

الآية (٨٤): يقول تعالى: ولقد أرسلنا إلى مدين، وهم قبيلة من العرب، كانوا يسكنون بين الحجاز والشام، قريباً من بلاد معان، في بلد يُعرف بهم، يقال لها «مدين» فأرسل الله إليهم شُعَيْباً، وكان من أشرفهم نسباً؛ ولهذا قال: ﴿أَخَاهُ شُعَيْبًا﴾ يأمرهم بعبادة الله تعالى وحده،



الآية (٩٤): قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَحْنُ شُعْبَاءٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ رَحِمْنَا رَبَّنَا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْئَةَ فَاصْبُحُوا فِي دِرْسِهِمْ جَنَّتِيحًا﴾ أي: هامين لا جرّاء بهم. وذكر هنا أنهم انتهت صبيحة، وفي الأعراف رجة، وفي الشعراء عذاب يوم الظلة، وهم أمة واحدة اجتمع عليهم يوم عذابهم هذه النقم كلها. وإنما ذكر في كل سياق ما يناسبه؛ ففي الأعراف لما قالوا: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعَبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَةٍ﴾ [الأعراف: ٨٨] ناسب أن يذكر هناك الرجة، فرجفت بهم الأرض التي ظلموا بها، وأرادوا إخراج نبيهم منها، وهنا لما أسأوا الأدب في مقاتلتهم على نبيهم ناسب ذكر الصبيحة التي استلبت منهم وأخذتهم، وفي الشعراء لما قالوا: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الشعراء: ١٨٧]، قال: ﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ الظُّلَّةِ إِنَّكَ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الشعراء: ١٨٩]، وهذا من الأسرار الدقيقة، والله الحمد والمنة كثيرا داتما.



## ● الوقفات التدريبية

١ ﴿ وَنَقُورَ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمَ لُوطٍ مِّنْكُمْ بِعِيدٍ ٥٥ ﴾ وَأَسْتَغْفِرُكَ وَأَرْبُكَ ثُمَّ نُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَجِيمٌ وَذُوْدٌ ٥٦ ﴾ قَالُوا يَنْصَلِبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا إِنَّمَا نَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِيْنَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ٥٧ ﴾ قَالَ يَنْقُورُ أَرْهَطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِي إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ٥٨ ﴾ وَنَقُورُ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتِكُمْ إِنِّي عَدِلٌ ٥٩ ﴾ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ ٦٠ ﴾ وَأَنْتَقِبُوا إِلَىٰ مَعَكُمْ رَقِيبٌ ٦١ ﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَآلَيْتِ عَمَّا أَصْنَا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَآخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِئَرِهِمْ حَتِّمِينَ ٦٢ ﴾ كَانَ لَمْ يَعْنُوا فِيهَا إِلَّا الْبُعْدَ الْمَدِينِ كَمَا بَعْدَتْ كُمُودُ ٦٣ ﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبينٍ ٦٤ ﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ٦٥ ﴾

وفي قصة شعيب من الفوائد والعبر: ... الترهيب بأخذات الأمم وما جرى عليهم، وأنه ينبغي أن تذكر القصص التي فيها إيقاع العقوبات بالمجرمين في سياق الوعظ والزجر، كما أنه ينبغي ذكر ما أكرم الله به أهل التقوى عند الترهيب والحث على التقوى. السعدي: ٣٨٩.

السؤال: في هذه الآية أسلوب دعوي اتبعه شعيب -عليه السلام- مع قومه، فما هو؟

١ ﴿ وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ نُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَجِيمٌ وَذُوْدٌ ٥٦ ﴾

وللودود معنيين: أحدهما: أنه محب للمؤمنين، وقيل: بمعنى المودود، أي: محبوب للمؤمنين. البغوي: ٤٢١/٢.

السؤال: بين معنى اسم الودود، وماذا تفيد من هذه الآية؟

١ ﴿ قَالُوا يَنْصَلِبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا وَمَا نَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِيْنَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ٥٧ ﴾ قَالَ يَنْقُورُ أَرْهَطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِي ٥٨ ﴾

تهاونهم به -وهو رسول الله- تهاون بالله، فلذلك قال: (أرهطني اعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهري). ابن جزى: ٤٠٤/١.

السؤال: انتفاص العالم أو الداعية بسبب دينه انتفاص لله عز وجل، بين ذلك.

١ ﴿ قَالُوا يَنْصَلِبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا وَمَا نَقُولُ ٥٥ ﴾

وذلك لبغضهم لما يقول، ونفرتهم عنه. السعدي: ٣٨٨.

السؤال: ما السبب في عدم فهم قوم شعيب لكلامه عليه السلام؟

١ ﴿ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ٥٧ ﴾

الله يدفع عن المؤمنين بأسباب كثيرة: قد يعلمون بعضها وقد لا يعلمون شيئاً منها، وربما دفع عنهم بسبب قبيلتهم، أو أهل وطنهم الكفار؛ كما دفع الله عن شعيب رجم قومه بسبب رهطه، وأن هذه الروابط التي يحصل بها الدفع عن الإسلام والمسلمين لا بأس بالسعي فيها، بل ربما تعين ذلك؛ لأن الإصلاح مطلوب على حسب القدرة والإمكان. السعدي: ٣٨٩.

السؤال: هل يجوز للمسلم أن يسعى لتحقيق أسباب دنيوية يكون فيها حماية لدينه؟

١ ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَآلَيْتِ عَمَّا أَصْنَا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَآخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِئَرِهِمْ حَتِّمِينَ ٦٢ ﴾

ذكر ههنا أنه: انتهت صيحتهم، وفي الأعراف: رجفت، وفي الشعراء: عذاب يوم الظلة؛ وهم أمّة واحدة اجتمع عليهم -يوم عذابهم- هذه النقم كلها، وإنما ذكر في كل سياق ما يناسبه. ابن كثير: ٤٣٩/٢.

السؤال: ذكر الله عن قوم شعيب ثلاثة أوصاف لعذابهم، كيف تجمع بين هذه الآيات؟

١ ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبينٍ ٦٤ ﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ٦٥ ﴾

أي: أشراف قومه؛ لأنهم المتبوعون، وغيرهم تبع لهم. السعدي: ٣٨٩.

السؤال: لماذا خُصّ ملا فروعون وأشراف قومه بالذكر، مع أن موسى مرسل لجميع القوم؟

وَيَنْقُورُ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمَ لُوطٍ مِّنْكُمْ بِعِيدٍ ٥٥ وَأَسْتَغْفِرُكَ وَأَرْبُكَ ثُمَّ نُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَجِيمٌ وَذُوْدٌ ٥٦ قَالُوا يَنْصَلِبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا إِنَّمَا نَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِيْنَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ٥٧ قَالَ يَنْقُورُ أَرْهَطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِي إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ٥٨ وَنَقُورُ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتِكُمْ إِنِّي عَدِلٌ ٥٩ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ ٦٠ وَأَنْتَقِبُوا إِلَىٰ مَعَكُمْ رَقِيبٌ ٦١ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَآلَيْتِ عَمَّا أَصْنَا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَآخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِئَرِهِمْ حَتِّمِينَ ٦٢ كَانَ لَمْ يَعْنُوا فِيهَا إِلَّا الْبُعْدَ الْمَدِينِ كَمَا بَعْدَتْ كُمُودُ ٦٣ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبينٍ ٦٤ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ٦٥

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
لَا يَجْرِمَنَّكُمْ	لَا يَحْمِلَنَّكُمْ.
شِقَاقِي	عَدَاوَتِي.
رَهْطُكَ	عَشِيرَتُكَ.
وَرَاءَكُمْ ظَهْرِي	مُنُوْدًا خَلْفَ ظُهُورِكُمْ.
مَكَاتِكُمْ	طَرِيقَتِكُمْ وَحَالَاتِكُمْ.

## ● العمل بالآيات

١. ذكر من حولك أن سنن الله تعالى لا تحابي أحداً، ﴿ وَنَقُورَ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمَ لُوطٍ مِّنْكُمْ بِعِيدٍ ﴾.
٢. اقرأ دعاء سيد الاستغفار في الصباح وفي المساء، ﴿ وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ نُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَجِيمٌ وَذُوْدٌ ﴾.
٣. ادع الله تعالى باسميه: (الرحيم)، (الودود)، لعله يفتح لك من ابواب الخير الشيء الكثير، ﴿ وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ نُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَجِيمٌ وَذُوْدٌ ﴾.

## ● التوجيهات

١. لا تكن مشككتك مع بعض الدعاة أو الصالحين حيلة للشيطان عليك لترتك الصلاح والعبادة، ﴿ وَنَقُورَ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ ﴾.
٢. استناد الأزمات مؤذن بقرب انفراجها، ﴿ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ وَأَنْتَقِبُوا إِلَىٰ مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴾.
٣. اتباع قوم فروعون لفرعون -على جهله وتجبره- دليل على شدة فتنة الآتيا؛ فليكن الدليل الصحيح فالدلك، لا مجرد اقوال الرجال، ﴿ فَأَتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَيَتَسَّ الْمَوْرُودُ﴾

يعني: يتقدمهم إلى النار؛ إذ هو رئيسهم. القرطبي: ٢٠٤/١١.

السؤال: من تقدم الناس إلى الشر في الدنيا تقدمهم إلى النار يوم القيامة، وضع ذلك.

﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَيَتَسَّ الْمَوْرُودُ﴾

وكما أنهم اتبعوه في الدنيا، وكان مقدمهم ورئيسهم، كذلك هو يقدمهم يوم القيامة إلى نار جهنم، فأوردتهم إياها، وشربوا من حياض رداها، وله في ذلك الحظ الأوفر، ومن ثم العذاب الأكبر. ابن كثير: ٤٤٠/٢.

السؤال: لم كان فرعون يوم القيامة هو مقدم قومه؟

﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾

(وظلموا أنفسهم)، بالكفر والمعصية. البغوي: ٤٢٣/٢.

السؤال: كيف يظلم العبد نفسه؟

﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ

أَمْرُ رَبِّكَ﴾

وهكذا كل من التجأ إلى غير الله، لم ينفعه ذلك عند نزول الشدائد. السعدي: ٣٨٩.

السؤال: ما حال من لجأ إلى غير الله تعالى؟

﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرْآنَ وَهِيَ ظِلْمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلَمٌ شَدِيدٌ﴾

الكاذب الفاجر وإن أعطي دولة فلا بد من زوالها بالكلية، وبقاء ذمه، ولسان السوء له في العالم، وهو يظهر سريعا، ويذول سريعا.

ابن تيمية: ٥٥٧/٣.

السؤال: ما صفة أخذ الله سبحانه للقرآن الظلمة من خلال الآية؟

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُّوا فِي النَّارِ لَمْ يَمُوتُوا وَهُمْ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾

وخص بالذكر من أحوالهم في جهنم الزفير والشهيق تنفيرا من أسباب المصير إلى النار؛ لما في ذكر هاتين الحالتين من التشويه بهن،

وذلك أخوف لهم من الألم. ابن عاشور: ١٦٥/١٢.

السؤال: لماذا خصت حالتا الزفير والشهيق؟

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُّوا فِي النَّارِ لَمْ يَمُوتُوا وَهُمْ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾

الزفير في الحلق، والشهيق في الصدر، أي: تنفسهم زفير، وأخذهم النفس شهيق؛ لما هم فيه من العذاب، عيادا بالله من ذلك. ابن كثير: ٤٤١/٢.

السؤال: ما المراد من وصف حال أهل جهنم بأن لهم فيها زفيراً وشهيقاً؟

يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَيَتَسَّ الْمَوْرُودُ  
الْمَوْرُودُ ﴿١٥﴾ وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَتَسَّ  
الْمَرْفُودُ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرْآنِ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ  
مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٧﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا  
أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ  
اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُهُمْ عِزًّا تَنْبِيْ  
وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرْآنَ وَهِيَ ظِلْمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ  
أَلَمٌ شَدِيدٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ  
ذَلِكَ يَوْمَ مَجْمُوعٍ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمَ مَشْهُودٍ ﴿١٩﴾  
وَمَا نُخَذِرُ إِلَّا لِأَجْلِ مَعْدُودٍ ﴿٢٠﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَأَنكَرُ نَفْسٍ  
إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿٢١﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُّوا فِي  
النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زُفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿٢٢﴾ خَلَّيْنِ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوْتُ  
وَالْأَرْضُ إِلَّا مِائَةَ رُبُوكَ إِنَّ رَبَّكَ فَاعَلٌ لِمَا يَرِيدُ ﴿٢٣﴾  
وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فِي الْجَنَّةِ خَلَّيْنِ فِيهَا مَا دَامَتِ  
السَّمَوْتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مِائَةَ رُبُوكَ عَطَاءٌ غَيْرٌ يُحْذَرُ ﴿٢٤﴾

الزفير

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
فَأَوْرَدَهُمْ	فَادْخَلَهُمْ.
الْمَوْرُودُ	الْمَدْخُولُ فِيهِ، وَهُوَ هُنَا النَّارُ.
الرَّفُودُ	الْعَوْنُ، وَالْعَطَاءُ.
الْمَرْفُودُ	الْمُعْطَى لَهُمْ.
وَحَصِيدٌ	مَحْصُودٌ قَدْ مَجِيَتْ أَثَارُهُ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ شَيْءٌ.

## ● العمل بالآيات

١. اقرأ قصة من قصص القرآن، متاملا ومستخرجا دروسها وعبرها، ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرْآنِ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ﴾.
٢. اقرأ سورة يوسف متاملا ظلم الأفرد، وقرأ سورة هود متاملا ظلم أهل القرى، واستعد بالله منهما، ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرْآنَ وَهِيَ ظِلْمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلَمٌ شَدِيدٌ﴾.
٣. اقرأ آيات من القرآن من آيات الوعيد، سائلا الله أن يرزقك الخوف منه، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمَ مَجْمُوعٍ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمَ مَشْهُودٍ﴾.

## ● التوجيهات

١. الجزء من جنس العمل؛ فكما يكون الطاغية متقدما على قومه بالباطل في الدنيا فهو سابق لهم في العذاب يوم القيامة، ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَيَتَسَّ الْمَوْرُودُ﴾.
٢. تنزه الله تعالى عن الظلم في إهلاك أهل الشرك والمعاصي، ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُهُمْ عِزًّا تَنْبِيْ﴾.
٣. القصص القرآني ليس للتسلية، وإنما للتذكير والاعتباط، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ﴾.

يُتَقَصَّ منها. ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ يقول: يوم يأتي يوم القيامة، لا يتكلم أحد إلا بإذن الله؛ كقوله: ﴿لَا تَكَلَّمُوا إِلَّا مَا أَنْزَلَ إِلَهُ الرَّحْمَنِ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [البقرة: ١٨]. قوله: ﴿فَيَنْهَرُ شَقِيًّا وَسَعِيدًا﴾ أي: فمن أهل الجمع شقي، ومنهم سعيد؛ كما قال: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [التورى: ٤٧].

الآية (١٠٦-١٠٧): ثم بين تعالى حال الأشقياء وحال السعداء فقال: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَيُنْزَلُونَ فِيهَا زَفِيرٌ وَنَسِيمٌ﴾، قال ابن عباس: الزفير في الحلق، والنسيم في الصدر، أي: تنفسهم زفير، وأخذهم النفس شهيق، لما هم فيه من العذاب، عذاباً بالله من ذلك. قوله: ﴿خَلِيلَيْنِ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَكُوتُ وَالْأَرْضُ﴾ قال ابن جرير: من عادة العرب إذا أرادت أن تصف الشيء بالدوام أبداً قالت: «هذا دائم دوام السموات والأرض»، فخطبهم جل ثناؤه بما يتعارفونه بينهم. قلت: ويحتمل أن المراد بـ «مَا دَامَتِ السَّمَكُوتُ وَالْأَرْضُ»: الجنس؛ لأنه لا بد في عالم الآخرة من سموات وأرض؛ كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَكُوتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨]؛ ولهذا قال الحسن البصري في قوله: ﴿مَا دَامَتِ السَّمَكُوتُ وَالْأَرْضُ﴾: يُبَدَّلُ سِوَا هَذِهِ السَّاءِ، وأرض غير هذه الأرض، فبدا دامت تلك الساء وتلك الأرض. وقال ابن عباس: لكل جنة ساء وأرض. وقوله: ﴿إِلَّا مَا سَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَقَالَ لِمَا يُرِيدُ﴾ كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِكُمْ خَلِيلَيْنِ فِيهَا إِلَّا مَا سَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٢٨]. وقد اختلف المفسرون في المراد من هذا الاستثناء على أقوال كثيرة، حكاهما ابن جرير، واختار ما روي عن ابن عباس والحسن: أن الاستثناء عائد على المصاة من أهل التوحيد، ممن يخرجهم الله من النار بشفاعاة الشافعين من الملائكة والنبين والمؤمنين، حين يشفعون في أصحاب الكبائر، ثم تأتي رحمة أرحم الراحمين، فتخرج من النار من لم يعمل خيراً قط، وقال يوماً من الدهر: لا إله إلا الله. كما وردت بذلك الأخبار الصحيحة. وهذا الذي عليه كثير من العلماء قديماً وحديثاً في تفسير هذه الآية الكريمة.

الآية (١٠٨): ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُودُوا﴾ وهم أتباع الرسل ﴿فَنُفِئَ الْجَنَّةَ﴾ أي: فمأواهم الجنة ﴿خَلِيلَيْنِ فِيهَا﴾ أي: مقيمين فيها أبداً ﴿مَا دَامَتِ السَّمَكُوتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا سَاءَ رَبُّكَ﴾ معنى الاستثناء ههنا: أن دوامهم فيها هم فيه من النعيم ليس أمراً واجباً بذاته، بل هو موكل إلى مشيئة الله تعالى، فله المنة عليهم دائماً، ولهذا يُلهَمون التسبيح والتحميد كما يُلهَمون النفس. وعقب ذلك بقوله: ﴿عَطَاءٌ غَيْرٌ يُجْذَرُ﴾ أي: غير مقطوع؛ قاله ابن عباس. لئلا يتوهم موتهم بعد ذكره المشيئة أن تم انقطاعاً أو لبساً، أو شيئاً، بل ختم له بالدوام وعدم الانقطاع، كما بين هناك أن عذاب أهل النار في النار دائماً مردود إلى مشيئته، وأنه بعدله وحكمته عذبهم؛ لهذا قال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَقَالَ لِمَا يُرِيدُ﴾ [معد: ١٠٧]، وهنا طيب القلوب وبكت المقصود بقوله: ﴿عَطَاءٌ غَيْرٌ يُجْذَرُ﴾.

الآية (٩٨-٩٩): ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ قَارُورُهُمْ النَّارُ وَيُنْزَلُ الْوَرْدُ الْمُرْوَدُ﴾ وكذلك شأن المتبوعين يكونون موفرين في العذاب يوم المعاد؛ كما قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ دَرَجَاتٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٨]. قوله: ﴿وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَنْسُ الرِّقْدُ الْمُرْفُودُ﴾ أي: اتبعناهم زيادة على ما جازيناهم من عذاب النار لعنة في هذه الحياة الدنيا. ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَنْسُ الرِّقْدُ الْمُرْفُودُ﴾ قال مجاهد: زيدوا لعنة يوم القيامة، فتلك لعنتان. وقال ابن عباس: لعنة الدنيا والآخرة. وكذا قال الضحاك وقطادة، وهو كقوله: ﴿وَرَمَلْنَاهُمْ أَيمَةً يَدْعَوْنَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ لَا يَبْصُرُونَ﴾ ① ﴿وَأَتَّبِعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ هُمْ يَرْكَبُ الْمَقْبُورِينَ﴾ [القصاص: ٤١-٤٢].

الآية (١٠٠-١٠١): لما ذكر تعالى خبر هؤلاء الأنبياء، وما جرى لهم مع أممهم، وكيف أهلك الكافرين ونجى المؤمنين قال: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ﴾ أي: أخبارهم ﴿نَقَّصْنَاهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمًا﴾ أي: عامراً ﴿وَرَحِيماً﴾ أي: هالكا. ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾ أي: إذ أهلكناهم ﴿وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بتكذيبهم رسلنا وكفرهم بهم ﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمْ﴾ أو ثأنتهم التي كانوا يعبدونها ويدعونها ﴿بَيْنَ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ ما نفهم ولا أنقذوهم لما جاء أمر الله بإهلاكهم، ﴿وَمَا زَادَهُمْ غَيْرَ تَنْبِيْهِ﴾ أي: غير تحسير؛ وذلك أن سبب هلاكهم ودمارهم إنما كان باتباعهم تلك الآلهة وعبادتهم إياها، فهذا أصابهم ما أصابهم، وخسروا بهم، في الدنيا والآخرة.

الآية (١٠٢): يقول تعالى: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا أَوْلَئِكَ الْقُرُونِ الظَّالِمَةِ الْمَكْدُوبَةِ لِرُسُلِنَا كَذَلِكَ نَفْعَلُ﴾ [إِنْ أَخَذْتُمُ إِلَهَكُمْ شَيْدًا].

وفي الصحيحين عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليملي للظالم، حتى إذا أخذه لم يفلته»، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْفَرْقَانَ وَهُوَ ظَلِيمٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلَمٌ شَدِيدٌ﴾.

الآية (١٠٣-١٠٥): يقول تعالى: إن في إهلاكنا الكافرين وإنجائنا المؤمنين ﴿لَايَةً﴾ أي: عظة واعتباراً على صدق موعودنا في الآخرة: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ﴾ [غافر: ٥١]. ﴿ذَلِكَ يَوْمَ نَجْمُوعُ﴾ أي: أولهم وآخرهم، ﴿وَذَلِكَ يَوْمَ نَشْهَدُ﴾ أي: عظيم محضره الملائكة، ويجتمع فيه الرسل، وتُحْشَرُ فيه الخلائق بأسرهم من الإنس والجن والطير والوحوش والدواب، ويحكم فيه العادل الذي لا يظلم مثقال ذرة، وإن تك حسنة يضاعفها. ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُّتَدَوِّرٍ﴾ أي: ما نؤخر إقامة يوم القيامة إلا أنه قد سبقت كلمة الله وقضاؤه وقدره في وجود أناس معدودين من ذرية آدم، وضرب مدة معينة إذا انقطعت وتكامل وجود أولئك المقدر خروجهم قامت الساعة؛ ولهذا قال: ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُّتَدَوِّرٍ﴾ أي: لمدة مؤقتة لا يزداد عليها ولا

(١) بل يفسر ابن كثير -رحمه الله- هذه الآية، وهاكم مختصر قول السعدي فيها: ﴿وَأَسِيرٌ﴾: أي: أحبس نفسك على طاعة الله، وعن مصيبته، واستمر ولا تنحصر ﴿وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَا يُضِيقُ أَخْرَ الْمُتَعَسِّينَ﴾: بل يتقل الله عنهم أحسن الذي عملوا، ويجزهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون. وفي هذا ترغيب عظيم للزوم الصبر؛ بتشويق النفس الضعيفة إلى ثواب الله كليا وثَنًا وفَكْرًا.



## الوقفات التدريبية

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَأَتَّخِذَ فِيهِ ﴾

وإذا كانت هذه حالهم مع كتابهم؛ فمع القرآن الذي أوحاه الله إليك غير مستغرب من طائفة اليهود أن لا يؤمنوا به، وأن يكونوا في شك منه مريب. السعدي: ٣٩٠.

السؤال: المشككون بالقرآن فيهم شبه باليهود، وضع ذلك من خلال الآية.

﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ ﴾

يأمر تعالى رسوله وعباده المؤمنين بالثبات والدوام على الاستقامة، وذلك من أكبر العون على النصر على الأعداء، ومخالفة الأضداد. ابن كثير: ٤٤٣/٢.

السؤال: ما وجه ذكر الأمر بالاستقامة بعد ذكر المخالفين للنبي ﷺ

والمعادين له؟

﴿ وَلَا تَزْكُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَنَسُّمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «ولا تميلوا»، والركون هو: المحبة، والميل بالقلب، وقال أبو العالية: «لا ترضوا بأعمالهم»، وقال السدي: «لا تداهتوا الظلمة». البغوي: ٤٢٨/٢.

السؤال: ما علامة الركون إلى الظلمة؟

﴿ وَلَا تَزْكُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَنَسُّمُ النَّارُ ﴾

دالت على هجران أهل الكفر والمعاصي من أهل البدع وغيرهم؛ فإن صحبتهم كفر، أو معصية؛ إذ صحبتهم لا تكون إلا عن مودة. القرطبي: ٢٢٦/١١.

السؤال: ما الواجب على المؤمن في اختيار صحبتة والرفقة؟

﴿ وَلَا تَزْكُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَنَسُّمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾

وإذا كان هذا الوعيد في الركون إلى الظلمة، فكيف حال الظلمة بأنفسهم؟ نسأل الله العافية من الظلم. السعدي: ٣٩١.

السؤال: هذه الآية فيها وعيد شديد للظلمة، كيف نستنبط ذلك؟

﴿ وَأَوْرَثَ الْفَاسِقُونَ ظُلُمًا وَنَارًا وَآلِيلًا إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ أَلْسِنَاتِ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلذَّكِرِينَ ﴾

وخصها بالذكر لأنها ثابته الإيمان، وإليها يفرغ في النواصب، وكان النبي ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة. القرطبي: ٢٢٧/١١.

السؤال: بين عظمة الصلاة من خلال هذه الآية.

﴿ وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾

ومناسبة وقوع الأمر بالصبر عقب الأمر بالاستقامة والنهي عن الركون إلى الذين ظلموا؛ أن للامورات لا تخلو عن مشقة عظيمة، ومخالفة لهوى كثير من النفوس، فناسب أن يكون الأمر بالصبر بعد ذلك؛ ليكون الصبر على الجميع؛ كل بما يناسبه. ابن عاشور: ١٨٢/٢٢.

السؤال: ما مناسبة وقوع الأمر بالصبر بعد الأمر بالاستقامة؟

فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاءَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمَوْفُوهُمُ نَصِبُهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ ۝ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَأَتَّخِذَ فِيهِ ذِكْرًا وَلَا كَلِمَةً سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لِقُضِيِّ بَيْنَهُمْ وَأَنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مِيرٍ ۝ وَإِنَّا لَكَلَّا لَيُوقِفَهُمْ رَبُّكَ أَعْمَلَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ وَلَا تَزْكُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَنَسُّمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ۝ وَأَقِمْ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلَمًا إِنَّ أَحْسَنَ يَذْهَبِنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلذَّكِرِينَ ۝ وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ۝ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ۝ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ۝

## معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
تَكُ	لَا تَكُنْ.
مِرْيَةً	شَكٌّ.
وَلَا تَطْغَوْا	لَا تَتَجَاوَزُوا مَا حَدَّهُ اللَّهُ لَكُمْ.
وَلَا تَزْكُوا	لَا تَمِيلُوا.
أُولُوا بَقِيَّةٍ	بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْخَيْرِ وَالصَّالِحِ.
أُتْرِفُوا فِيهِ	مُتَعَوِّا فِيهِ مِنْ لَذَاتِ الدُّنْيَا.

## العمل بالآيات

١. ابحث عن جليس صالح؛ تصاحبه هذا اليوم، ولا تترك للفسقة والظلمة فتحشر معهم، ﴿ وَلَا تَزْكُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَنَسُّمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾.
٢. حافظ على أداء الصلوات أول وقتها مع الجماعة؛ خاصة صلاتي الفجر والعصر، ﴿ وَأَقِمْ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلَمًا مِنْ أَلِيلٍ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ أَلْسِنَاتِ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلذَّكِرِينَ ﴾.
٣. انكر على بعض أهل البدع أو المجاهرين بالمعاصي بأسلوب حكيم، ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ﴾.

## التوجيهات

١. لا يُعتبر الشخص مستقيماً على الإسلام؛ حتى يكون موافقاً لما جاء في القرآن والسنة، مبتعداً عن هوى نفسه، ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ ﴾.
٢. ابتعد عن الظلم والظلمة بقدر الإمكان، ﴿ وَلَا تَزْكُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَنَسُّمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾.
٣. من أسباب الانحراف الإكثار من التمتع والترفيه، ﴿ وَأَتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾.



وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَن رَّجَعَهُ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ ﴿٥٩﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٦٠﴾ وَلَا تَقْصُصْ عَلَيْنَا مِنْ أَنبَاءِ الْأَرْسُلِ مَا نَشَاءُ بِهِمْ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ

عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نَشِئْتُمْ بِهِمْ فَوَادِكُمْ وَجْهَكَ فِي هَذِهِ  
الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ  
اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ ﴿٣٦﴾ وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ  
﴿٣٧﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ مُرْجِعُ الْأَمْرِ كُلِّهِ  
فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٣٨﴾

سُورَةُ يُوسُفَ ۝

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
الرَّيَّةَ إِلَيْكَ يَا أَيُّهَا الْكَاتِبُ الْمُؤْمِنِينَ ❶ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا  
عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ❷ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ  
الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ  
لَمِنَ الْعَافِينَ ❸ إِذْ قَالَ يُونُسُ لَأَبِيَ رَبِّي إِنِّي رَأَيْتُ  
أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالتَّمْشِ وَالْقَمَرِ زَاهِمًا لِي سَجِيدًا ❹

## معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ	جَمَاعَةٌ وَاحِدَةٌ عَلَى دِينٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ الْإِسْلَامُ .
مَكَانَتِكُمْ	حَالَتِكُمْ، وَطَرِيقَتِكُمْ.
لِمَنِ الْفَافِلِينَ	أَي: لَا تَدْرِي عَنْ قِصَصِ السَّابِقِينَ شَيْئًا.

## العمل بالآيات

١. اصْلَحَ الْيَوْمَ بَيْنَ مَخْتَلِفَيْنِ: فَإِنَّ الْخِلَافَ سُنَّةٌ كَوْنِيَّةٌ، وَالْأَفْضَلُ سُنَّةٌ شَرْعِيَّةٌ، ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا زَلَّ الْأَوَّلُ خَتْلِفِينَ﴾ (١٧) إِلَّا مَنْ رَجِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَفَهُ الْقَوْمُ. ﴿

٢. تَذَكَّرْ أَمْرًا هَمَكْتَ، ثُمَّ قُلْ: «حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ» ﴿وَلَوْ عِيبَ السَّمَكِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾. ﴿

٣. قَسَمَ قِصَّةَ يُوسُفَ- عَلَيْهِ السَّلَامُ- إِلَى مَقَاطِعَ، ثُمَّ تَدَرَّبَ عَلَى إِقَالِهَا عَلَى الطَّلَابِ لِلْمَوْعِظَةِ وَالتَّذْكِيرِ، ﴿تَحَنَّنْ نَفْسَ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾. ﴿

## التوجيهات

١. ابتعد عن مواطن الخلاف والفرقة، ولكن هدفك الاجتماع مع المؤمنين والصالحين على السنة والجماعة، ﴿وَلَا تَرَاؤُنَّ مُنَافِقِينَ﴾ (١٣٠) ﴿إِنَّمَا مَن رَّجِهَ رَبُّكَ﴾. ٢. لا تنتفع بالقرآن الكريم إلا بعد الإنصات والرغبة في الاستفادة، ﴿إِنَّمَا أُنْزِلَتْهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾. ٣. قص القصص الهادفة من الوسائل التربوية والتعليمية الفاجحة، ﴿تَحَنَّنْ نَفْسُكَ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾.

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾ (١) إِلَّا مَن رَّجِمَ رَبُّكَ وَلَئِنَّكَ لَفِ قَلْبِهِمْ مَّمَنَّةٌ كَذِبَةٌ إِنَّ لِلنَّاسِ لَآتِلَانًا مِنْ حَيْثُ مِنْ الْجَنَّةِ وَالنَّاسُ أَجْمَعُونَ ﴾

فاخير ان اهل الرحمة لا يختلفون، واهل الرحمة هم اتباع الانبياء قولا وفعلا، وهم اهل القرآن والحديث من هذه الأمة فمن خالفهم في شيء فاته من الرحمة بقدر ذلك. ولهذا لما كانت الفلاسفة ابعد عن اتباع الانبياء كانوا اعظم اختلافا، والخوارج والمعتزلة والروافض لما كانوا ايضا ابعد عن السنة والحديث كانوا اعظم افتراقا في هذه؛ لا سيما الرافضة فإنه يقال: إنهم اعظم الطوائف اختلافا؛ وذلك لأنهم ابعد الطوائف عن السنة والجماعة. ابن تيمية: ٥٦٢/٣.

**السؤال: كيف بينت الآية أن أهل السنة أقل الناس اختلافاً، وأن أهل البدع أكثر الناس اختلافاً؟**

﴿وَلَا تَقْصُ عَنَّا أَحَدًا مِّنْ آيَاتِهِ﴾ أَرْسَلَ مَا نَتَيْتَ بِهِ. فَوَادَكَ ﴿٦﴾  
 ليطمئن ويثبت ويصبر كما صبر أولو العزم من الرسل: فإن النفوس  
 تأنس بالافتقار، وتشتط على الأعمال، وتريد المناسفة لغيرها، ويتايد  
 الحق بذكر شواهد، وكثرة من قام به. السعدي: ٣٩٢.

السؤال: ما الأوجه الموجودة في القصص والتي تثبت الفؤاد وتطمئنه؟

التوكل والاستعانة هي من عبادة الله، لكن خصت بالذكر ليقصدها المتعبد بخصوصها؛ فإنها هي العون على سائر أنواع العبادة؛ إذ هو سبحانه لا يعبد إلا بمعونته. ابن تيمية: ٥٦٣/٣.

السؤال: لماذا خص التوكل بالذكر مع أنه داخل في جملة العبادات؟

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾

وذلك لأن لغة العرب أفصح اللغات، وأبينها، وأوسعها، وأكثرها تأدية للمعاني التي تقوم بالنفوس؛ فهذا أنزل أشرف الكتب بأشرف اللغات. ابن كثير ٤٤٨/٢.

السؤال: لماذا نزل القرآن باللغة العربية؟

أَنْزَلَ أَشْرَفَ الْكُتُبِ بِأَشْرَفِ اللُّغَاتِ، عَلَى أَشْرَفِ الرِّسْلِ، بِسَفَارَةِ أَشْرَفِ  
 الْمَلَائِكَةِ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي أَشْرَفِ بَقَاعِ الْأَرْضِ، وَابْتَدِئَ أَنْزَالُهُ فِي أَشْرَفِ  
 شَهْرِ السَّنَةِ، وَهُوَ رَمَضَانُ؛ فَكَمُلَ مِنْ كُلِّ الْوُجُوهِ. ابْنُ كَثِيرٍ: ٤/٤٨٨.

السُّؤَالُ: شَرَّفَ الْقُرْآنَ مِنْ وَجُوهِ مُتَعَدِّدَةٍ، يَبَيِّنُ هَذِهِ الْوُجُوهِ.

﴿ تَحَنَّنْ نَفْسُ عَلَيَّ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾

هذه القصة من أحسن القصص، وأوضحها، وأبينها؛ لما فيها من أنواع التقلبات من حال إلى حال، ومن محنة إلى محنة، ومن محنة إلى منحة ومِنَّةٍ، ومن ذل إلى عز، ومن رق إلى ملك، ومن فرقة وشتات إلى اجتماع واقتلاص، ومن حزن إلى سرور، ومن رخاء إلى جِدْب، ومن جِدْب إلى رخاء، ومن ضيق إلى سعة، ومن إنكار إلى إقرار. السدي: ٤٠٧.

السؤال: لماذا كانت قصة يوسف من أحسن القصص؟

أعلم أن الله ذكر أنه يقص على رسوله أحسن القصص في هذا الكتاب، ثم ذكر هذه القصة - قصة يوسف - وبسطها، وذكر ما جرى فيها، فعلم بذلك أنها قصة تامة كاملة حسنة، فمن أراد أن يكملها أو يحسنها بما يذكر في الأسرائيليات التي لا يعرف لها سند ولا ناقل، وأغلبها كذب؛ فهو مستدرِك على الله، ومكْمَلٌ لشيء يزعم أنه ناقص. السعدي: ٣٩٣.

السؤال: ما رأيك فيمن يزيد في قصة يوسف زيادات ليست في القرآن، ولا في السنة؟

الدار، إنه لا يفلح الظالمون. وقد أنجز الله لرسوله وعده، ونصره وأيده، وجعل كلمته هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى، والله عزيز حكيم.

الآية (١٢٣): يخبر تعالى أنه عالم غيب السموات والأرض، وأنه إليه المرجع والمآب، وسيؤتي كل عامل عمله يوم الحساب، فله الخلق والأمر. فأمر تعالى بعبادته والتوكل عليه؛ فإنه كافٍ مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ وَأَنَابَ إِلَيْهِ. وقوله: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ أي: ليس يغفل عنكم ما عليه مكذبوك يا محمد، بل هو عليم بأحوالهم وأقوالهم، وسيجزئهم على ذلك أنتم الجزاء في الدنيا والآخرة، وسيصركم وحزبك عليهم في الدارين.

#### تفسير سورة يوسف عليه السلام

وهي مكية، [وعدد آياتها (١١١) آية].

الآية (١-٣): أما الكلام على الحروف المقطعة فقد تقدم في أول سورة «البقرة». وقوله: ﴿ذَلِكَ آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ أي: هذه آيات الكتاب، وهو القرآن «الَّذِينَ» أي: الواضح الجلي، الذي يُفصح عن الأشياء المبهمة ويفسرهما ويبينها. ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ وذلك لأن لغة العرب أنصح اللغات وأبينها وأوسعها، وأكثرها تأديةً للمعاني التي تقوم بالنفوس؛ فلهذا أنزل أشرف الكتب بأشرف اللغات، على أشرف الرسل، بسفارة أشرف الملائكة، وكان ذلك في أشرف بقاع الأرض، وابتدئ إنزاله في أشرف شهور السنة وهو رمضان، فأكمل من كل الوجوه؛ ولهذا قال: ﴿تَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾ بسبب إيماننا إليك هذا القرآن.

[سبب النزول]: عن سعد قال: أنزل على النبي ﷺ القرآن، قال: فتلا عليهم زماناً، فقالوا: يا رسول الله، لو قصصت علينا. فأنزل الله عز وجل: ﴿الرَّأَيْتَ لَكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الَّذِينَ﴾ إلى قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾. ثم تلا عليهم زماناً، فقالوا: يا رسول الله، لو حدثنا. فأنزل الله عز وجل: ﴿اللَّهُ تَزَكَّى أَحْسَنَ لَكُلِّدِي﴾ الآية (الزمر: ٢٣)، وذكر

الحديث [رواه ابن حبان والحاكم، وصححه الألباني].

الآية (٤): ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَجْدِينَ﴾ يقول تعالى: اذكر لقومك يا محمد في قصصك عليهم من قصة يوسف إذ قال لأبيه، وأبوه هو يعقوب عليه السلام؛ عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «الكريم، ابن الكريم، ابن الكريم، يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم» انفرد بإخراجه البخاري. وقد تكلم المفسرون على تعبير هذا المنام: أن الأحد عشر كوكباً عبارة عن إخوته، وكانوا أحد عشر رجلاً سواه، والشمس والقمر عبارة عن أبيه وأمه. روي هذا عن ابن عباس. وقد وقع تفسيرها بعد أربعين سنة حين رفع أبويه على العرش، وهو سريره، وإخوته بين يديه: ﴿وَوَحَّرَ اللَّهُ شَجَدًا وَقَالَ يَتَابِئِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَاكَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلْنَا فِي حَقِّكَ﴾ [يوسف: ١٠٠].

الآية (١١٨-١١٩): يخبر تعالى أنه قادر على جعل الناس كلهم أمة واحدة: من إيمان، أو كفران؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا﴾ [يونس: ٩٩]. وقوله: ﴿وَلَا يَزَالُونَ تُخَلِّفِينَ﴾ ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾ أي: ولا يزال الخلف بين الناس في أديانهم واعتقادات مللهم ونحلهم ومذاهبهم وأرائهم. وقوله: ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾ أي: إلا المرحومين من أتباع الرسل الذين تمسكوا بما أمروا به من الدين؛ أخبرتهم به رسل الله إليهم، ولم يزل ذلك دأبهم، حتى كان النبي ﷺ الأمي خاتم الرسل والأنبياء، فأتبعوه وصدّقوه، ونصروه ووازرّوه، ففازوا بسعادة الدنيا والآخرة؛ لأنهم الفرقة الناجية، كما جاء في الحديث: «وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا فرقة واحدة». قالوا: ومن هم يا رسول الله؟ قال: «أنا عليه وأصحابي» [رواه أحمد والترمذي، وحسنه الألباني]. وقال قتادة: أهل رحمة الله أهل الجماعة وإن تفرقت ديارهم وأبدانهم، وأهل معصيته أهل فرقة وإن اجتمعت ديارهم وأبدانهم. قوله: ﴿وَلِلَّذِينَ خَلَقَهُمْ﴾ قال الحسن البصري -في رواية عنه-: وللأختلاف خلقهم. وقال ابن عباس: خلقهم فريقين؛ كقوله: ﴿فَتَنَّهُمْ سَبْقٌ وَسَخِيَّةٌ﴾ [هود: ١٠٥]. وقيل: بل المراد: وللرحمة والأختلاف خلقهم؛ كما قال الحسن البصري في رواية عنه: الناس مختلفون على أديان شتى، فمن رَحِمَ رَبُّكَ غَيْرُ مُخْتَلَفٍ. قيل له: فلذلك خلقهم؟ قال: خلق هؤلاء لجنته، وخلق هؤلاء لناره، وخلق هؤلاء لرحمته، وخلق هؤلاء لعذابه. وقال ابن وهب: سألت مالكا عن قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ تُخَلِّفِينَ﴾ الآية، قال: فريق في الجنة وفريق في السعير. وقد اختار هذا القول ابن جرير. ﴿وَوَسَّاتُ كَلِمَةٍ رَبُّكَ لِأَمَلَانِ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ يخبر تعالى أنه قد سبق في قضائه وقدره -لعلمه التام وحكمته النافذة- أن ممن خلقه من يستحق الجنة، ومنهم من يستحق النار، وأنه لا بد أن يملأ جهنم من هذين الثقيلين الجن والإنس، وله الحجة البالغة والحكمة التامة.

الآية (١٢٠): يقول تعالى: وكل أخبار نقضها عليك، من أنباء الرسل المتقدمين قبلك مع أممهم، وكيف جرى لهم من المُحاجَّات والخصومات، وما احتمله الأنبياء من التكذيب والأذى، وكيف نصر الله حزبه المؤمنين وخذل أعداء الكافرين؛ كل هذا مما ثبتت به قوادك -يا محمد- أي: قلبك، ليكون لك بمن مضى من إخوانك من المرسلين أسوة. ﴿وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: في هذه السورة المشتملة على قصص الأنبياء، وكيف نجَّاهم الله والمؤمنين بهم، وأهلك الكافرين، جاءك فيها قصص حق ونبا صدق، وموعظة يرتدع بها الكافرون، وذكرى يتذكر بها المؤمنون.

الآية (١٢١-١٢٢): يقول تعالى أمراً رسوله أن يقول للذين لا يؤمنون بما جاء به من ربه على وجه التهديد: ﴿أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾ أي: على طريقتكم ومنهجكم، ﴿إِنَّا عَمِلْنَا﴾ أي: على طريقتنا ومنهجنا، ﴿وَأَنظَرْنَا إِنَّا مُنْظِرُونَ﴾ أي: فستعلمون من تكون له عاقبة







## الوقفات التدريبية

﴿ قَالَ يَبْنَئُ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾

(لا تقصص رؤياك على إخوتك)، إنما قال ذلك لأنه علم أن تأويلها ارتفاع منزلته؛ فخاف عليه من الحسد. ابن جزي: ٤١/١.

السؤال: بينت هذه الآية سبباً من سبل الاحتراز من الحسد، فما هو؟

﴿ قَالَ يَبْنَئُ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾

ومن هنا يؤخذ الأمر بتكتمان النعمة حتى توجد وتظهر. ابن كثير: ٤٥٠/٢.

السؤال: إذا انعم الله عليك بنعمة، فمتى تظهرها؟ ومتى تخفيها؟

﴿ قَالَ يَبْنَئُ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾

وفي الصحيح ... أن رسول الله ﷺ قال: (إذا رأى أحدكم الرؤيا يحبها فإنها من الله تعالى، فليحمد الله تعالى، وليخبر بها، وإذا رأى غير ذلك مما يكره فإنما هي من الشيطان، فليستعذ بالله تعالى من الشيطان الرجيم، ومن شرها، ولا يذكرها لأحد؛ فإنها لا تضره). وصح عن جابر أن رسول الله ﷺ قال: (إذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها فليصق عن يساره ثلاثاً، وليستعذ بالله تعالى من الشيطان الرجيم، وليتحول عن جنبه الذي كان عليه). الألبوسي: ٥١٤/١٢.

السؤال: ما هدي النبي ﷺ في الرؤيا؟

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلْسَّائِلِينَ ﴾  
أي: لكل من سأل عنها بلسان الحال، أو بلسان المقال؛ فإن السائلين هم الذين ينتفعون بالآيات والعبر، وأما المعروضون فلا ينتفعون بالآيات، ولا في القصص والبهينات. السعدي: ٣٩٤.

السؤال: لماذا حُصِّ السائلون بالانتفاع بالآيات؟

﴿ أَقْبَلُوا يُوسُفَ أَوْ امْكُرُوا أَرْضًا يَحْمِلْ لَكُمْ رِجْلُكُمْ وَرَجَعُوا إِلَيْكُمْ مِنْ بَدْوِهِمْ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴾

وهذه آية من عبر الأخلاق السيئة، وهي التخلص من مزاحمة الفاضل بفضله لمن هو دونه فيه أو مساويه بإعدام صاحب الفضل، وهي أكبر جريمة؛ لاشتمالها على الحسد، والإضرار بالغير، وانتهاك ما أمر الله بحفظه، وهم قد كانوا أهل دين، ومن بيت نبوة وقد أصلح الله حالهم من بعد، وأثنى عليهم، وسامهم الأسباط. ابن عاشور: ٢٢٣/١٢.

السؤال: اشتمل موقف إخوة يوسف على عبرة عظيمة فيما تاجر إليه الأخلاق السيئة؛ كالحسد، بين ذلك.

﴿ أَقْبَلُوا يُوسُفَ أَوْ امْكُرُوا أَرْضًا يَحْمِلْ لَكُمْ رِجْلُكُمْ وَرَجَعُوا إِلَيْكُمْ مِنْ بَدْوِهِمْ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴾

فقد صموا العزم على التوبة قبل صدور الذنب منهم تسهيلاً لفعله، وإزالة لشغاعته، وتنشيطاً من بعضهم لبعض. السعدي: ٣٩٤.

السؤال: ذكرت الآية حيلة من حيل الشيطان على الصالحين، فما هي؟

﴿ أَقْبَلُوا يُوسُفَ أَوْ امْكُرُوا أَرْضًا يَحْمِلْ لَكُمْ رِجْلُكُمْ وَرَجَعُوا إِلَيْكُمْ مِنْ بَدْوِهِمْ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴾

الذنب الواحد يستتبع ذنوباً متعددة، ولا يتم لفاعله إلا بعدة جرائم؛ فإخوة يوسف لما أرادوا التفريق بينه وبين أبيه احتالوا لذلك بأنواع من الحيل، وكذبوا عدة مرات، وزوروا على أبيهم في القميص والدم الذي فيه، وفي إتيانهم عشاء يكون. السعدي: ٤٠٨.

السؤال: الذنب الواحد قد يستتبع ذنوباً متعددة، تحدث عن ذلك من خلال الآيات.

قَالَ يَبْنَئُ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ٥ وَكَذَلِكَ يَجْتَسِيكَ رَبُّكَ وَيَعْلَمُكُم مِّن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُسَمِّيُكُمْ وَعَلَيْكَ وَكَأَنَّهُ يَلِيقُ بِكُمَا أَنَّهَا عَلَىٰ أَوْتِكَ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ ٦ وَاسْتَقْبَلَ إِبْرَاهِيمَ رَبَّكَ عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ ٧ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلْمُتَسَاءِلِينَ ٨ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ غَضَبُهُ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ٩ أَقْبَلُوا يُوسُفَ أَوْ امْكُرُوا أَرْضًا يَحْمِلْ لَكُمْ رِجْلُكُمْ وَرَجَعُوا إِلَيْكُمْ مِنْ بَدْوِهِمْ قَوْمًا صَالِحِينَ ١٠ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْبَلُوا يُوسُفَ وَأَخُوهُ فِي الْعَوْرِ فِي عَيْنَيْ الْحَبِّ يَلْقَظُهُ بَعْضُ أَلْسِنَةٍ إِنْ كُنْتُمْ قٰلِعِينَ ١١ قَالُوا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَصَحُونَ ١٢ أَرْسَلَهُ مَعَا غَدَارَتِمْ وَيَلْمِزُؤُنَا وَلَنَا الْحَفْظُونَ ١٣ قَالَ إِنِّي لَكِرْتُ أَن تَذْهَبُوا بِهِمْ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّبُّ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ١٤ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّبُّ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخٰسِرُونَ ١٥

## معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
يَجْتَسِيكَ	يَصْطَفِيْكَ
عُصْبَةٌ	جَمَاعَةٌ ذُوو عَدَدٍ.
ضَلَالٍ	خَطَلٍ.
غِيَابَةُ الْجُبِّ	جُوفُ الْبَيْتِ، وَالْجُبُّ: هُوَ الْبَيْتُ الَّذِي قُطِعَ مِنْ الْأَرْضِ دُونَ بِنَاءِ يَحِمِّيهِ مِنَ الْإِنْهَارِ.
يَرْجِعُ	يَأْكُلُ مَا لَدَىٰ وَطْأَبِ.
عُصْبَةٌ	جَمَاعَةٌ قَوِيَّةٌ.

## العمل بالآيات

- اقرأ أحاديث في تعبير النبي ﷺ لرؤيا بعض أصحابه رضي الله عنهم، ﴿ قَالَ يَبْنَئُ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ﴾.
- استعذ بالله من العين والحسد؛ فهما سبب لكثير من البلاء، ﴿ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ غَضَبُهُ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾.
- انكر منكراً اتفق عليه أقاربك أو أصدقاؤك، ﴿ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْبَلُوا يُوسُفَ وَأَخُوهُ فِي الْعَوْرِ فِي عَيْنَيْ الْحَبِّ يَلْقَظُهُ بَعْضُ أَلْسِنَةٍ إِنْ كُنْتُمْ قٰلِعِينَ ﴾.

## التوجيهات

- من الحكمة تكتمان الأمور عن من هو مظنة الغيرة أو الحسد، ﴿ قَالَ يَبْنَئُ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ﴾.
- الغيرة فطرة، ولكن إذا استسلم لها الإنسان استخدمها الشيطان ليوصل صاحبها إلى الحسد، ثم الجريمة، ﴿ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ غَضَبُهُ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾.
- لا يلام المرء على محبة ولده، ﴿ قَالَ إِنِّي لَكِرْتُ أَن تَذْهَبُوا بِهِمْ ﴾.



## ● الوقفات التدبرية

﴿ وَكَأَمْ أَبَاهُمْ عِشَّةً يَبْكُونَ ﴾

وفطنة الحاكم لا تتخذ لمثل هذه الحيل، ولا تنوط بها حكماً، وإنما يناط الحكم بالبينّة. ابن عاشور: ٢٣٦/١٢.

السؤال: ينبغي للحاكم ألا يتخذ بالدموع وحدها، بل يطالب بالبينّة، دليلاً لذلك.

﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً ﴾

أي: زينت لكم أنفسكم أمراً قبيحاً من التفريق بيني وبينه؛ لأنه رأى من القرائن والأحوال، ومن رؤيا يوسف التي قصها عليه ما دلّه على ما قال. السعدي: ٣٩٥.

السؤال: ما القرينة التي دلت على كذب إخوة يوسف؟

﴿ فَصَبَّرَ جَبِيلٌ ﴾

قال الثوري عن بعض أصحابه أنه قال: ثلاث من الصبر: أن لا تحدث بوجهك، ولا بمصبيتك، ولا تزكي نفسك. ابن كثير: ٥٣/٢.

السؤال: بين بعض أنواع الصبر الجميل.

﴿ فَصَبَّرَ جَبِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾

و «الصبر الجميل» صبر بلا شكوى؛ قال يعقوب عليه الصلاة والسلام: (إنما أشكو بثي وحزني إلى الله) ليوسف: ٨٦ مع قوله: (فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون)، قال الثوري: ابن تيمية: ٢٢/٤.

السؤال: ما الصبر الجميل؟ وهل تنافيه الشكوى لله تعالى؟

﴿ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَبُشْرَىٰ هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّهُ بِضَعَّةٍ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾

(والله عليم بما يعملون) أي: عليم بما يفعله إخوة يوسف، ومشتره، وهو قادر على تغيير ذلك ودفعه، ولكن له حكمة وقدر سابق، فترك ذلك ليمضي ما قدره وقضاه... وفي هذا تعريض لرسوله محمد ﷺ وإعلام له باني عالم بإذى قومك لك، وأنا قادر على الإنكار عليهم، ولكني ساملي لهم، ثم أجعل لك العاقبة والحكم عليهم؛ كما جعلت ليوسف الحكم والعاقبة على إخوته. ابن كثير: ٥٤/٢.

السؤال: ما وجه ختم الآية بقوله: (والله عليم بما يعملون)؟

﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ مَاتَيْنَاهُ حَكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾

وأما النور والعلم والحكمة: فقد دل عليه قوله تعالى في قصة يوسف: (ولما بلغ أشده آتيناه حكماً وعلماً وكذلك نجزي المحسنين)، فهي لكل محسن. ابن تيمية: ٢٢/٤.

السؤال: كل محسن له نصيب من النور، والعلم، والحكمة، بين ذلك من الآية.

﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ مَاتَيْنَاهُ حَكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾

وفي ذكر المحسنين إيماء إلى أن إحسانه هو سبب جزائه بتلك النعمة. ابن عاشور: ٢٤٨/١٢.

السؤال: اذكر فائدة من فوائد صفة الإحسان.

فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْتَمَعُوا أَن يُجْعَلُوهُ فِي غَيْبَتِ اللَّيْلِ وَآوَحَيْنَا إِلَيْهِ لَنُنَبِّئَهُ بِأَمْرِهِ هَذَا وَهُوَ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَاءَهُ أَبَاهُمْ عِشَّةً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّ دَهَبَنَا نَسِيتُ وَرَكْنَيْتَ يَوْسُفَ عِنْدَ مَتَّعِنَا فَأَكْلَهُ الذَّنْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَاءَهُ وَعَلَى قَمِيصِهِ يَدٌ مِرْكَبٌ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبَّرَ جَبِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَبُشْرَىٰ هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّهُ بِضَعَّةٍ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخِيسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لَا مِرَّةَ أَتِيهِ وَكَرَمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنْفَعَنَا أَوْ يَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
وَاجْتَمَعُوا	عَزَمُوا وَصَمُّوا.
سَوَّلَتْ	زَيَّنَتْ.
سَيَّارَةٌ	جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُسَافِرِينَ.
فَأَدْلَى دَلْوَهُ	فَأَرْسَلَ دَلْوَهُ فِي الْبُحْرِ؛ لِيَمْلَأَهَا بِالْمَاءِ.
وَأَسَرُّهُ بِضَاعَةً	كَتَمَ إِخْوَةُ يُوسُفَ كَوْنَهُ أَخَاهُمْ لِيُخْفُوهُ.
بَخِيسٍ	قَلِيلٍ.
مَثْوَاهُ	مَقَامُهُ.

## ● العمل بالآيات

- استعد بالله من الكذب، ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّ دَهَبَنَا نَسِيتُ وَرَكْنَيْتَ يَوْسُفَ عِنْدَ مَتَّعِنَا فَأَكْلَهُ الذَّنْبُ ﴾.
- حدد أمراً أهمك، واصبر عليه صبراً جميلاً، ولا تتبعه بشكوى، ولا عتاب، ولا أذية، لعل الله ييسره لك، ﴿ فَصَبَّرَ جَبِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾.
- أكثر اليوم من دعاء: (رب زدني علماً)، ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴾.

## ● التوجهات

- احذر الكذب في أحوالك كلها، ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّ دَهَبَنَا نَسِيتُ وَرَكْنَيْتَ يَوْسُفَ عِنْدَ مَتَّعِنَا فَأَكْلَهُ الذَّنْبُ ﴾.
- قوة الإيمان بالقدر تكسب الصبر عند المصائب، ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبَّرَ جَبِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾.
- الإحسان في العبادة من أسباب حفظ الله ونصره وتمكينه، ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾.

إسحاق: لما ألقاه إخوته جلسوا حول البشر يومهم ذلك، ينظرون ما يصنع وما يصنع به، فساق الله له سياره، فنزلوا قريباً من تلك البشر، وأرسلوا واردهم - وهو الذي يتطلب لهم الماء - فلما جاء تلك البشر، وأقبل دلوهم فيها، تنبّث يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ فيها، فأخرجه واستبشر به، وقال: ﴿يُتَبَشَّرُ هَذَا غُلْمٌ﴾. قوله: ﴿وَأَسْرُوهُ بِضْعَةَ أَيَّامٍ﴾ وأسرّه الواردون من بقية السياره وقالوا: اشتريناه وتبصّعناه من أصحاب الماء؛ مخافة أن يشاركوهم فيه إذا علموا خبره. قاله مجاهد، والسدي، وابن جرير. هذا قول، وقال ابن عباس: قوله: ﴿وَأَسْرُوهُ بِضْعَةَ أَيَّامٍ﴾ يعني: إخوة يوسف أسروا شأنه، وكنتمو أن يكون أخاهم، وكنتم يوسف شأنه مخافة أن يقتله إخوته، واختار البيهقي، فذكره إخوته لوارد القوم، فنادى أصحابه: ﴿يُتَبَشَّرُ هَذَا غُلْمٌ﴾ يُباع، فباعه إخوته. ﴿وَأَلَّهِ عَلَيْهِ بِمَا يَمْكُلُوكَ﴾ أي: يعلم ما يفعله إخوة يوسف ومُشْرُوهُ، وهو قادر على تغيير ذلك ودفعه، ولكن له حكمة وقُدْرٌ سابق، فترك ذلك ليمضي ما قُدّر وقضاه، ألا له الخلق والأمر. وفي هذا تعريض لرسوله محمد ﷺ وإعلامه له بأنني عالم بأذى قومك، وأنا قادر على الإنكار عليهم، ولكنني أسألكم لهم، ثم أجعل لك العاقبة والحكم عليهم، كما جعلت ليوسف الحكم والعاقبة على إخوته. ﴿وَتَشْرُوهُ بِشَرْحٍ بَخِيسٍ دَرَاهِمَ مَمْدُودَةٍ﴾ يقول تعالى: وباعه إخوته بشمن قليل. والبخس: هو النقص، أي: اعتاض عنه إخوته بشمن دُون قليل ﴿وَكَاثِرًا﴾ مع ذلك ﴿فِيهِ مِنَ الزَّهْرِيَّتِ﴾ أي: ليس لهم رغبة فيه، بل لو سألوهُ بلا شيء لأجابوا. وقال الضحاك: وذلك أنهم لم يعلموا نبوته ومنزلته عند الله عز وجل.

الآية (٢١-٢٢): تجرّ تعالى بالطفاه بيوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قبض له الذي اشتراه من مصر، حتى اعتنى به وأكرمه، وأوصى أهله به، وتوسّم فيه الخير والصلاح، فقال لامرأته: ﴿أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾، وكان الذي اشتراه من مصر عزيزها، وهو الوزير بها. يقول تعالى: وكما أنقذنا يوسف من إخوته كذلك ﴿مَكَّنَّا يُوْسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾ يعني: بلاد مصر ﴿وَوَلَّيْنَاهُ مِنْ تَحْتِ الْأَحْيَادِ﴾ قال مجاهد والسدي: هو تعبير الرؤيا، ﴿وَأَلَّهِ عَلَيْهِ عَلَى أَمْرِهِ﴾ أي: إذا أراد شيئاً فلا يُؤدّ ولا يُنْأى ولا يُخالف، بل هو الغالب لما سواه. قوله: ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يقول: لا يدرون حكمته في خلقه، وتطفه لما يريد. قوله: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ﴾ أي: يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿أَشْدُّهُ﴾ أي: استكمل عقله وتم خلقه ﴿فَأَنْبَأَتْهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ يعني: النبوة؛ أنه حباه بها بين أولئك الأقوام. ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ أي: إنه كان محسناً في عمله، عاملاً بطاعة ربه تعالى. وقد اختلف في مقدار المدة التي بلغ فيها أشده، فقال ابن عباس: بضع وثلاثون. وقال الضحاك: عشرون. وقال الحسن: أربعون سنة. وقال الإمام مالك: الأشد: الحلم. وقيل غير ذلك.

الآية (١٥): يقول تعالى: فلما ذهب به إخوته من عند أبيه بعد مراجعتهم له في ذلك ﴿وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوا فِي عَيْنَيْ الْجُبِّ﴾ هذا فيه تعظيم لما فعلوه: أنهم اتفقوا كلهم على إلقائه في أسفل ذلك الجُبِّ، وقد أخذوه من عند أبيه - فبما يُظهرونه له - إكراماً له وبسطاً وشرحاً لصدوره، وإدخالاً للسرور عليه.

قوله: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَجِّهَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ يقول تعالى ذاكراً لطفه ورحمته وعادلته وإنزاله اليسر في حال العسر: إنه أوحى إلى يوسف في ذلك الحال الضيق - تطييباً لقلبه وتثبيتاً له - لا تحزن مما أنت فيه؛ فإن لك من ذلك فرجاً ومخرجاً حسناً، وسينصرك الله عليهم، ويُعَلِّبُ ويرفع درجتك، وستخبرهم بما فعلوا معك من هذا الصنيع. وقوله: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بإيحاء الله إليه. وقال ابن عباس: ستنبهم بصنيعهم هذا في حلق، وهم لا يعرفونك ولا يستشعرون بك.

الآية (١٦-١٧): يقول تعالى مخبراً عن الذي اعتمده إخوة يوسف بعدما ألقوه في غيابة الجب: ثم رجعوا إلى أبيهم في ظلمة الليل يبيكون، ويظهرون الأسف والجزع على يوسف، ويتعتمون لأبيهم. وقالوا معتذرين عما وقع فيها زعموا: ﴿إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَقِئُ﴾ أي: نترامى ﴿وَنَزَكْنَا يُوْسُفَ عِنْدَ مَتْعِنَا﴾ أي: ثيابنا وأمتعتنا ﴿فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ﴾ وهو الذي كان قد جزع منه وحذر عليه. وقولهم: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ تطفّ عظيم في تقرير ما يحاولونه؛ يقولون: ونحن نعلم أنك لا تصدقنا - والحالة هذه - لو كنا عندك صادقين، فكيف وأنت تتهمتنا في ذلك؛ لأنك خشيت أن يأكله الذئب، فأكله الذئب، فأنت معذور في تكذيبك لنا؛ لغرابة ما وقع، وعجيب ما اتفق لنا في أمرنا هذا.

الآية (١٨): قوله: ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَيْصِيهِ بِدَرَكَيْبٍ﴾ أي: مكذوب مُفْتَرَى. وهذا من الأفعال التي يؤكدون بها ما تمالؤوا عليه من المكيدة، وهو أنهم عمدوا إلى سخله - فيما ذكره مجاهد والسدي وغير واحد - فذبحوها، ولطخوا ثوب يوسف بدمها، مُوهمين أن هذا قميصه الذي أكله فيه الذئب، وقد أصابه من دمه، ولكنهم نسوا أن يجرّوه؛ فلهم هذا الصنيع على نبي الله يعقوب، بل قال لهم مُعرضاً عن كلامهم إلى ما وقع في نفسه من تمالئهم عليه: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ أي: فسأصبر صبراً جميلاً على هذا الأمر الذي قد اتفقتم عليه، حتى يفرّجه الله بعونه ولطفه، ﴿وَأَلَّهِ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا يَصِفُونَ﴾ أي: على ما تذكرون من الكذب والمحال. وقال ابن عباس: ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَيْصِيهِ بِدَرَكَيْبٍ﴾: لو أكله السبع لخرق القميص. وكذا قال الشعبي والحسن وقتادة وغير واحد. وقال مجاهد: الصبر الجميل: الذي لا جزع فيه.

الآية (١٩-٢٠): يقول تعالى مخبراً عما جرى ليوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ حين ألقاه إخوته، وتركوه في ذلك الجب فريداً وحيداً. قال ابن

عند الباب، فعند ذلك خرجت مما هي فيه بمكرها وكيدها، وقالت لزوجها مُتَنَصِّلَةً وقاذفة يوسف بدانها: ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾ أي: فاحشة ﴿وَلَا أَنْ يُسَجَّنَ﴾ أي: يُجْبَسَ ﴿أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: يُضْرَبُ ضربًا شديدًا موجعًا. فعند ذلك انتصر يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ بالحق، وتبرأ مما رمت به من الخيانة، وقال بآراء صادقا: ﴿هِيَ رَوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي﴾، وذكر أنها اتبعتنه تجذبه إليها حتى قَدَّتْ قميصه. قوله: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَتْ قَيِّصُهُ قُدٌّ مِّنْ قَبْلِ﴾ أي: من قدامه ﴿فَصَدَقْتُ﴾ أي: في قولها إنه أرادها على نفسها؛ لأنه يكون لما دعاها وأبْتُ عليه دفعته في صدره، فَقَدَّتْ قميصه، فيصح ما قالت. ﴿وَلِنْ كَانَتْ قَيِّصُهُ قُدٌّ مِّنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ وذلك يكون كما وقع لما هرب منها، وتطلبته أمسكت بقميصه من ورائه لترده إليها، فقدت قميصه من ورائه. وقد اختلفوا في هذا الشاهد: هل هو صغير أو كبير، على قولين لعلماء السلف، فقال ابن عباس: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ قال: ذو لحية. وقال: وكان من خاصة الملك. وكذا قال مجاهد والحسن، وقناة، والسدي وغيرهم: إنه كان رجلاً. وقال زيد بن أسلم، والسدي: كان ابن عمها. وقال الحسن وسعيد بن جبيرة والضحاك بن مزاحم: إنه كان صبيًا في الدار. واختاره ابن جرير.

قوله: ﴿فَلَمَّا رَأَىٰ قَيِّصَهُ قُدٌّ مِّنْ دُبُرٍ﴾ أي: فلما تحقق زوجها صدق يوسف وكذبها فيما قذفته ورمته به ﴿قَالَ إِنَّمِينَ كَيْدُكُنَّ﴾ أي: إن هذا البُهْتُ واللَّطِخُ الذي لَطَخْتُ عرض هذا الشاب به من جملة كيدكن ﴿إِنْ كَيْدُكُنَّ عَظِيمٌ﴾.

الآية (٢٩): ثم قال أمرًا ليوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ بكتان ما وقع: يا ﴿يُوسُفُ اعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ أي: اضرب عن هذا صفحا، فلا تذكره لأحد ﴿وَأَسْتَغْفِرِي لَذُنُوبِكِ﴾ يقول لامراته. وقد كان لَيْنَ الْعَرِيكَ سَهْلًا، أو أنه عذَرَهَا لأنها رأت ما لا صبر لها عنه، فقال لها: ﴿وَأَسْتَغْفِرِي لَذُنُوبِكِ﴾ أي: الذي وقع منك من إرادة السوء بهذا الشاب، ثم قَذَفَها هو بريء منه، استغفري من هذا الذي وقع منك ﴿وَإِنَّكَ كُنتِ مِنَ الْفَاطِيئِينَ﴾.

الآية (٣٠): يخبر تعالى أن خبر يوسف وامرأة العزيز شاع في المدينة، وهي مصر، حتى تحدث به الناس ﴿وَقَالَ يَسُوْفُ اأَلْمَدِيْنَةِ﴾ مثل نساء الكُبراء والأمراء، يُنكرن على امرأة العزيز، وَيَعِيْنُ ذلك عليها: ﴿أَمْرَاتُ الْعَزِيْزِ تَزُوْدُ فَنَهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾ أي: تحاول غلامها عن نفسه، وتدعوه إلى نفسها، ﴿فَدَّ شَعْفَهَا حُبًّا﴾ أي: قد وصل حبه إلى شغاف قلبها، وهو غلافه. قال ابن عباس: الشَّعْفُ: الحُبُّ القاتل، و [الشَّعْفُ] دون ذلك، والشغاف: حجاب القلب. ﴿وَإِنَّا لَنَرْنَهَا فِي صَلَاتٍ خَائِفَةٍ﴾ أي: في صنعها هذا من حُبِّها فتاها، ومراودتها إياه عن نفسه.

الآية (٢٣): يخبر تعالى عن امرأة العزيز التي كان يوسف في بيتها بمصر، وقد أوصاها زوجها به وبإكرامه، فراودته عن نفسه؛ أي: حاولته على نفسه، ودَعَتْهُ إليها؛ وذلك أنها أَحَبَّتْهُ حُبًّا شديدًا لجمالها وحُسْنِهِ وبهائه، فحملها ذلك على أن تَحْبَلَتْ له، وغَلَقَتْ عليه الأبواب، ودعته إلى نفسها ﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ فامتنع من ذلك أشد الامتناع، ﴿وَقَالَ مِمَّا دَخَلَ إِلَيْهِ الرَّبُّ﴾ وكانوا يطلقون «الرب» على السيد والكبير؛ أي: إن بعلك ربي أحسن مثواي؛ أي: منزلي، وأحسن إلي، فلا أقابله بالفاحشة في أهله ﴿إِنَّهُ لَا يَهْدِي الْقُلُوبُكَ﴾ قال ذلك مجاهد، والسدي، وعبد بن إسحاق، وغيرهم. وقد اختلف القراء في قراءة: ﴿هَيْتَ لَكَ﴾، فقرأه كثيرون بفتح الهاء وإسكان الياء وفتح التاء. وقال ابن عباس: معناه: أنها تدعوه إلى نفسها. تقول: هَلُمَّ لك. وقال أبو عبيدة: وكان الكسائي يقول: هي لغة لأهل حوران، وقمت إلى أهل الحجاز. معناها: تعال. وقرأ آخرون: ﴿هَيْتَ لك﴾ بكسر الهاء والهمزة وضم التاء، بمعنى: تهبأت لك. وعن روي عنه هذه القراءة ابن عباس وقناة، وكلهم يفسرها بمعنى: تهبأت لك. وقرأ آخرون، منهم عامة أهل المدينة: ﴿هَيْتَ﴾ بفتح الهاء وضم التاء. وقال آخرون: ﴿هَيْتَ لك﴾ بكسر الهاء وإسكان الياء وضم التاء.

الآية (٢٤): اختلفت أقوال الناس وعباراتهم في هذا المقام: قال بعضهم: المراد بهما هَمَّ خَطَرَاتِ حديث النفس. حكاة البغوي عن بعض أهل التحقيق، ثم أورد حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى: إذا هَمَّ عبدي بحسنة فاكْتُبْهَا له حسنة، فإن عملها فاكْتُبْهَا له بعشر أمثالها، وإن هَمَّ بسيئة فلم يعملها فاكْتُبْهَا حسنة، فإنها تركها من جرأتي، فإن عملها فاكْتُبْهَا بمثلها» [متفق عليه]. وقيل: هَمَّ بضربها. وقيل: غَمَّهَا زوجة. وقيل: ﴿وَهَمَّ بِهَا تَوْلَا أَنْ رَمَا بُرْهَنَ رَبِّي﴾ أي: فلم يَهَمْ بها.

وأما البرهان الذي رآه ففيه أقوال أيضًا: قال ابن جرير: والصواب أن يقال: إنه رأى من آيات الله ما زَجَرَهُ عما كان هَمَّ به، وجائز أن يكون صورة يعقوب، وجائز أن يكون الملك، وجائز أن يكون ما رآه مكتوبًا من الزجر عن ذلك. ولا حجة قاطعة على تعيين شيء من ذلك، فالصواب أن يُطْلَقَ كما قال الله تعالى.

قوله: ﴿كَذَلِكَ نَبْصُرُ عَنْهُ النَّوْءَ وَالْفَحْشَاءَ﴾ أي: كما أريناه برهانًا صرفه عما كان فيه، كذلك نقيه السوء والفحشاء في جميع أموره ﴿إِنَّهُ مِن عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ أي: الْمُجْتَبِينَ الْمُطَهَّرِينَ الْمُخْتَارِينَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارَ، صلوات الله وسلامه عليه.

الآية (٢٥-٢٨): يخبر تعالى حين حالها حين خرجا يستبقان إلى الباب: يوسف هارب، والمرأة تطلبه ليرجع إلى البيت، فلحقته في أثناء ذلك، فأمسكت بقميصه من ورائه فَقَدَّتْهُ قَدًّا فظيما، يقال: إنه سقط عنه، واستمر يوسف هاربًا ذاهبًا، وهي في إثره، فأَلْقَى سِيدَهَا -وهو زوجها-



## ● الوقفات التدريبية

﴿ وَرَاوَدَتْهُ الْآتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَعَلَّقَتْ الْأَكُوتَ ﴾

هذه المحنة العظيمة اعظم على يوسف من محنة إخوته، وصبره عليها اعظم أجراً؛ لأنه صبر اختياراً مع وجود الدواعي الكثيرة لتوقع الفعل، فقدم محبة الله عليها، وأما محنته بإخوته فصبره صبر اضطرار، بمنزلة الأمراض والمكاره التي تصيب العبد بغير اختياره، وليس له ملجأ إلا الصبر عليها، طائعاً، أو كارهها. السعدي: ٣٩٦.

السؤال: أي المصيبتين اعظم وأكثر أجراً بالنسبة ليوسف عليه السلام: مصيبته مع إخوته، أو مع زوجة سيده؟ ولماذا؟

﴿ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾

(معاذ الله) أي: أعوذ بالله، واعتصم بالله مما دعوتني إليه. البغوي: ٤٤٩/٢.

السؤال: بين عظيم شأن الاستعانة بالله تعالى في النجاة من المعصية.

﴿ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِوَهْمٍ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِيَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾

والحاصل أنه جعل الموانع له من هذا الفعل: تقوى الله، ومراعاة حق سيده الذي أكرمه، وصيانة نفسه عن الظلم الذي لا يفلح من تعاطاه، وكذلك ما من الله عليه من برهان الإيمان الذي في قلبه؛ يقتضي منه امتثال الأوامر، واجتناب الزواجر. والجامع لذلك كله: أن الله صرف عنه السوء والفحشاء. السعدي: ٣٩٦.

السؤال: ما الأمور التي ساعدت يوسف - عليه السلام - في الابتعاد عن المعصية؟

﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِوَهْمٍ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِيَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾

قال تعالى: (ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه)، وهو برهان الإيمان الذي حصل في قلبه؛ فصرف الله به ما كان هم به، وكتب له حسنة كاملة. ابن تيمية: ٣٤/٤.

السؤال: ما البرهان الذي رآه يوسف عليه السلام؟

﴿ كَذَلِكَ لِيَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾ ﴿ فَتَبَيَّنَ أَنْ الْإِخْلَاصَ يَمْنَعُ مِنْ تَسْلُطِ الشَّيْطَانِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: (كَذَلِكَ لِيَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ) ﴾. ابن تيمية: ٣٧/٤.

السؤال: الإخلاص يمنع تسلط الشيطان، كيف عرفت ذلك من الآية؟

﴿ وَأَسْتَفِىءَ الْبَابَ ﴾

ينبغي للعبد إذا رأى محلاً فيه فتنة وأسباب معصية أن يفر منه، ويهرب غاية ما يمكنه؛ ليتمكن من التخلص من المعصية؛ لأن يوسف - عليه السلام - لما راودته التي هوى ببيتها فرها بآب يطلب الباب ليتخلص من شرها. السعدي: ٤٠٩.

السؤال: ماذا تفيد من هروب يوسف - عليه السلام - من مكان المعصية؟

﴿ فَدَشَقَهَا حُجَا ﴾

الحذر من المحبة التي يخشى ضررها؛ فإن امرأة العزيز جرى منها ما جرى بسبب توحدها بيوسف، وحبها الشديد له؛ الذي ما تركها حتى راودته تلك المرادة، ثم كذبت عليه؛ فسجن بسببها مدة طويلة. السعدي: ٤٠٩.

السؤال: ما خطورة الاستسلام للحب الذي يقع خارج العلاقة الزوجية؟

وَرَاوَدَتْهُ الْآتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَعَلَّقَتْ الْأَكُوتَ  
وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ  
إِنَّهُ لَا يَفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿١﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِوَهْمٍ بِهَا  
لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِيَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ  
وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢﴾ وَأَسْتَفِىءَ  
الْبَابَ وَقَدَّتْ قَيْصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيْتَا سَيْدَهَا لَدَا الْبَابِ  
قَالَتْ مَا جَزَاؤُهُ مِنْ أَرْزَاقٍ إِلَّا أَنْ يَجْعَلَ لِي وَجْهًا  
يَوْمَ ﴿٣﴾ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ  
أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَيْصُوهُ فُقِدَ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ  
الْكَاذِبِينَ ﴿٤﴾ وَإِنْ كَانَ قَيْصُوهُ فُقِدَ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ  
مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥﴾ فَلَمَّا رَأَى قَيْصُوهُ فُقِدَ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ  
مِنْ كَيْدِ كُنَّانٍ إِنْ كُنَّ كُنَّ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ  
هَذَا وَاسْتَغْفَرَ لِدُنْيَاكَ فَخَلَّتْ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٧﴾  
﴿٨﴾ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَقِهَا  
عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٩﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
وَرَاوَدَتْهُ	دَعَتْهُ إِلَى نَفْسِهَا بِرَفْقٍ وَلِينٍ.
هَيْتَ لَكَ	هَلُمَّ إِلَيَّ.
مَثْوَايَ	مَنْزِلِي وَمَقَامِي.
هَمَّتْ بِهِ	مَالَتْ نَفْسُهَا لِفِعْلِ الْفَاحِشَةِ.
وَهَمَّ بِهَا	خَطَرَ بِقَلْبِهِ إِجَابَتُهَا.

## ● العمل بالآيات

- استعذ بالله تعالى وتضرع إليه من فتن السراء والضراء: ﴿ وَرَاوَدَتْهُ الْآتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَعَلَّقَتْ الْأَكُوتَ ﴾ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ﴿١﴾.
- ارسل رسالة تذكر فيها باستحباب السترة على المني غير المجاهر، وكراهية إشاعة أخبار الفواحش بين الناس، ﴿ يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفَرَ لِدُنْيَاكَ فَخَلَّتْ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴾.
- حدد مجلساً يذكر فيه بالمعصية، وتركه؛ محتسباً الأجر على الله تعالى، ﴿ وَأَسْتَفِىءَ الْبَابَ ﴾.

## ● التوجيهات

- استحضار صفات الله سبحانه وتعالى حائل بين العبد والوقوع في المعصية، ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِوَهْمٍ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِيَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾.
- تعرف على الله في الرخاء بطاعته والإقبال عليه؛ حتى يعرفك ويحفظك في الشدة، ﴿ كَذَلِكَ لِيَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾.
- عاقبة الزنا والفواحش هي الخيبة والخسارة والفضيحة، ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَقِهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾.



## ● الوقفات التدريبية

١ ﴿ وَلَقَدْ رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعَصَمَ ﴾ ، ﴿ وَلَا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْنَ وَأَكُنْ مِنَّ الْجَاهِلِينَ ﴾

(فاستعصم) أي: طلب العصمة، وامتنع مما أرادت منه. (أصب إليهن) أي: (أقبل)؛ وكلامه هذا تعرض إلى الله ابن جزي/١: ٤١٥.

السؤال: ما الذي ينبغي عمله لمن تعرض لفتنة أو ابتلاء؟

٢ ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ ﴾

يوسف - عليه السلام - اختار السجن على العصية؛ فهذا ينبغي للعبد إذا ابتلي بين أمرين: إما فعل معصية، وإما عقوبة دينية، أن يختار العقوبة الدينية على مواجهة الذنب الموجب للعقوبة الشديدة في الدنيا والآخرة، ولهذا من علامات الإيمان: أن يكره العبد أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار. السعدي، ٤: ٤٩.

السؤال: إذا خيّر الشخص بين فعل معصية وعقوبة دينية، فماذا يختار؟

٣ ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ وَلَا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْنَ وَأَكُنْ مِنَّ الْجَاهِلِينَ ﴾

في قول يوسف ... عبرتان: إحداهما: اختيار السجن والبلاء على الذنوب والمعاصي. والثانية: طلب سؤال الله ودعائه أن يثبت القلب على دينه ويصرفه إلى طاعته، وإلا فإذا لم يثبت القلب صبا إلى الأمرين بالذنوب وصار من الجاهلين. ففي هذا توكل على الله واستعانته به أن يثبت القلب على الإيمان والطاعة، وفيه صبر على المحنة والبلاء والأذى الحاصل إذا ثبت على الإيمان والطاعة. ابن تيمية: ٤/ ٣٩.

السؤال: في الآية الكريمة عبر عظيمة، استخرج بعضها.

٤ ﴿ ثُمَّ بَدَأْ لَهُمْ مِن بَعْدِ مَا رَأَوُا آيَاتِنَا لِيَسْجُنَّهِنَّ فَخِيَ جِنَّ ﴾

وعلى الجملة فكل أحوال يوسف عليه الصلاة والسلام لطف في عنف، ونعمته في طي بليته ونقمته، ويسر في عسر، ورجاء في يأس، وخلاص بعد لات مناص، وسائق القدر ربما يسوق القدر إلى المقدور بعنف، وربما يسوقه بلطف، والقهر والعنف أحمد عاقبة وأقل تبعته البقاعي: ٣٧/ ٤.

السؤال: كيف ينبغي أن ينظر المؤمن إلى أقدار الله تعالى المؤلمة؟

٥ ﴿ إِنَّا نَرْنَاهُ مِن الْمُحْسِنِينَ ﴾

كان إذا مرض إنسان في السجن عاده وقام عليه، وإذا ضاق عليه المجلس وسع له، وإذا احتاج جمع له شيئا، وكان يجتهد في العبادة، ويقوم الليل كله للصلاة البغوي: ٢/ ٤٦١.

السؤال: إلى أي حد بلغ إحسان يوسف - عليه السلام - حتى أتوا إليه، وسألوه؟

٦ ﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِيهِ إِلَّا نَبَآئُكُمَا بِتَابِلِيهِ. قِيلَ أَلَيْسَ لَكُمَا ذِكْرُكُمَا مِمَّا عَلَّمْنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾

من فطنة يوسف - عليه السلام - أنه لما رأى فيهما قابلية لدعوته - حيث ظنا فيه الظن الحسن، وقال: له: إنا نراك من المحسنين، وآتيه لأن يعبر لهما رؤياهما، فرأهما متشوقين لتعبيرها عنده - رأى ذلك فرصة فانتبهزها، فدعاهما إلى الله تعالى قبل أن يعبر رؤياهما. السعدي: ٤١.

السؤال: على الداعية أن يكون فطنا متيقظا للأوقات المناسبة للدعوة، وضع ذلك من الآية

٧ ﴿ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾

كما على العبد عبودية لله في الرخاء فعليه عبودية في الشدة؛ فيوسف - عليه السلام - لم يزل يدعو إلى الله، فلما دخل السجن استمر على ذلك، ودعا الفتيين إلى التوحيد، ونهاهما عن الشرك. السعدي: ٤١٠.

السؤال: هل تقتصر العبادة على وقت الرخاء دون وقت الشدة؟

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكَنًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣٥﴾ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعَصَمَ وَلَئِنْ لَّرُفِعَ لَمَاءُ امْرَأَةٍ لِّئَسْجُنَّاتٍ وَلِيَكُونَا مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ وَلَا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٧﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُمْ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٨﴾ ثُمَّ بَدَأْ لَهُمْ مِن بَعْدِ مَا رَأَوُا آيَاتِنَا لِيَسْجُنَّهِنَّ فَخِيَ جِنَّ ﴿٣٩﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّلِيمَ مِنِّي نَتَنَاتِي وَيَلِيهِ إِنَّا تَرْتِكُ مِن الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِيهِ إِلَّا نَبَآئُكُمَا بِتَابِلِيهِ قِيلَ أَلَيْسَ لَكُمَا ذِكْرُكُمَا مِمَّا عَلَّمْنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٤١﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
وَأَعْتَدَتْ	هَيَّأَتْ.
مُتَكَنًا	مَا يَتَّكِنُ عَلَيْهِ مِنَ الْوَسَائِلِ.
وَقَطَّعْنَ	جَزَعْنَ.
حَاشَ لِلَّهِ	تَنَزَّيْهَا لِلَّهِ.
الصَّاغِرِينَ	الْأَذِلَّةَ.
أَصْبُ إِلَيْهِنَّ	أَمِلْ إِلَيْهِنَّ.
أَعْصِرُ خَمْرًا	أَعْصِرُ عِنَبًا، يُعْصِرُ خَمْرًا.

## ● العمل بالآيات

- استعد بالله من كيد أهل السوء، ﴿ وَلَا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْنَ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾.
- توجه إلى الله تعالى بالدعاء فيما أهمك وشغلك، فإنه سميع مجيب، ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ وَلَا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْنَ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾.
- أحسن إلى الناس هذا اليوم قدر استطاعتك؛ فإن ذلك مدعاة لقبول ما عندك من الحق والخير، ﴿ إِنَّا نَرْنَاهُ مِن الْمُحْسِنِينَ ﴾.

## ● التوجيهات

- من مظاهر الصديقين إيثار السجن على معصية الله تعالى، ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ ﴾.
- الجهل ليس بقلعة للمعلومات، وإنما بكثرة الوقوع في المعاصي، ﴿ وَلَا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْنَ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾.
- العذاب والضيق الدنيوي خير من لذة عاجلة، يتبعها عذاب أخروي، ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ ﴾.

امراة عزيز مصر، وهي مع هذا في غاية الجمال والمال والرياسة، ويمتنع من ذلك، ويختار السجن على ذلك؛ خوفاً من الله ورجاء ثوابه. ولهذا ثبت أن رسول الله ﷺ قال: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق بالمسجد، إذا خرج منه حتى يعود إليه، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وافترقا عليه، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شاله ما أنفقت يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه، ورجل دعت امرأته ذات جمال ومنصب، فقال: إني أخاف الله» [متفق عليه].

الآية (٣٥): يقول تعالى: ثم ظهر لهم من المصلحة فيما أروه أنهم يسجنونه إلى حين؛ أي: إلى مدة، وذلك بعدما عرفوا براءته، وظهرت الآيات - وهي الأدلة - على صدقه في عفته ونزاهته. وكانهم - والله أعلم - إنما سجنوه لئلا شاع الحديث إيهاماً أن هذا راودها عن نفسها، وأنهم سجنوه على ذلك. ولهذا لما طلبه الملك الكبير في آخر المدة، امتنع من الخروج حتى تتبين براءته مما نسب إليه من الحيانة، فلما تقرر ذلك خرج وهو نقي العرض. وذكر السدي: أنهم إنما سجنوه لئلا يشيع ما كان منها في حقه، ويرأ عرضه فيفضحها.

الآية (٣٦): قوله: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ الْيَتِيمَ فَتَنَّهُ﴾ الآية، قال قتادة: كان أحدهما ساقى الملك، والآخر خبازاً. قال السدي: كان سبب حبس الملك لإيهاماً أنه توهم بأنها تمالأ على سببه في طعامه وشرابه. وكان يوسف عليه السلام قد اشتهر في السجن بالجود والأمانة وصدق الحديث، وحسن السمات وكثرة العبادة، ومعرفة التعبير، والإحسان إلى أهل السجن، وعبادة مرضاهم والقيام بحقوقهم. ولما دخل هذان الفتيان إلى السجن تألفا به وأجابه حباً شديداً، وقالوا له: والله لقد أحبينك حباً زائداً. قال: بارك الله فيكما، إنه ما أحبني أحد إلا دخل علي من محبة ضرر، أحبني أبي فأوديت بسببه، وأحبنتي امرأة العزيز فكذلك، فقالا: والله ما نستطيع إلا ذلك. ثم إنهما رأيا مناماً، فرأى الساقى أنه يعصر خمرًا - يعني عنبًا - وقال الآخر - وهو الخباز - ﴿إِنِّي أَرَىٰ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبْتُهَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُنْذَرِينَ﴾. والمشهور عند الأكثرين ما ذكرناه، وأنها رأيا مناماً وطلبا تعبيره. وروى ابن جرير: عن عبد الله بن مسعود قال: ما رأى صاحباً يوسف شيئاً، إنما كانا تحالماً ليُجرى عليه.

الآية (٣٧): يخبرهما يوسف عليه السلام أنها مهما رأيا في نومهما من حلم، فإنه عارف بتفسيره ويخبرهما بتأويله قبل وقوعه؛ ولهذا قال: ﴿لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِيهِ﴾، قال مجاهد: في نومكما ﴿لَا يَأْتِيَكُمَا بِتَأْوِيلِهِ. قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا﴾. ثم قال: وهذا إنما هو من تعليم الله إياي؛ لأنني اجتنبت ملة الكافرين بالله واليوم الآخر، فلا يرجون ثواباً ولا عقاباً في المعاد.

الآية (٣١): ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾ قال بعضهم: بقولهن. وقال ابن إسحاق: بل بلمههن حسن يوسف، فأحببن أن يرينه، فقلن ذلك ليتوصلن إلى رؤيته ومشاهدته، فعند ذلك ﴿أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ﴾ أي: دعتهن إلى منزلها لتضييفهن ﴿وَأَعَدَّتْ لَكُنَّ مَثَاجِلًا﴾ قال ابن عباس، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وغيرهم: هو المجلس السمت، فيه مفارش وغداة وطعام، فيه ما يقطع بالسكاكين من أثرج ونحوه. ولهذا قال تعالى: ﴿وَأَتَتْ كُلَّ وَجَدَةٍ مِّنْهُنَّ سَكِينًا﴾ كان هذا مكيدة منها، ومقابلة لمن في احتيالهن على رؤيته ﴿وَقَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيْنَ﴾ وذلك أنها كانت قد خبأته في مكان آخر ﴿فَلَمَّا﴾ خرج ﴿وَرَأَيْنَهُ أَكْبَرَهُ﴾ أي: أعظم من شأنه، وأجلل قدره؛ وجعلن يقطعن أيديهن ذكناً برؤيته، وهُنَّ يظنن أنهن يقطعن الأثرج بالسكاكين، والمراد: أنهن حرزن أيديهن بها، قاله غير واحد. وقد ذكر عن زيد بن أسلم أنها قالت لمن بعدما أكلن وطابت أنفسهن، ثم وضعت بين أيديهن أثرجاً، وأتت كل واحدة منهن سكيناً: هل لكن في النظر إلى يوسف؟ قلن: نعم. فبعثت إليه تأمره أن أخرج إليهن، فلما رأينه جعلن يقطعن أيديهن، ثم أمرته أن يرجع فرجع؛ لبرينه مقبلاً ومديراً، وهن يميزن في أيديهن، فلما أحسن بالألم جعلن يولولن، فقالت: أثنى من نظرة واحدة فعلتن هكذا، فكيف ألام أنا؟! فقلن: ﴿حَسَنَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾. ثم قلن لها: وما نرى عليك من لوم بعد الذي رأينا؛ لأنهن لم يرين في البشر شبهه ولا قريباً منه؛ فإنه عليه السلام كان قد أعطي شطر الحسن، كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح في حديث الإسراء: أن رسول الله ﷺ مرَّ بيوسف عليه السلام في الساء الثالثة، قال: «فإذا هو قد أعطي شطر الحسن» [رواه مسلم]. فلماذا قال هؤلاء النسوة عند رؤيته: ﴿حَسَنَ لِلَّهِ﴾ قال مجاهد: معاذ الله ﴿مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾. الآية (٣٢-٣٣): ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾ تقول هذا مُعْتَذِرَةً إِلَيْهِنَّ بآن هذا حقيق بأن يُحبَّ لجماله وكماله. ﴿وَلَقَدْ رَوَدُّهُ عَنْ نَّفْسِهِ فَأَتَقَمَّ﴾ أي: فامتنع. قال بعضهم: لما رأين جماله الظاهر أخبرتهن بصفاته الحسنة التي تخفى عنهن، وهي العفة مع هذا الجمال. ثم قالت تنوعد: ﴿وَلَكِنْ لَّمْ يَفْعَلْ مَا مَأْمُرُهُ لِیَسْجَنَ وَلَیَكُونَا مِنَ الضَّعِيفِينَ﴾، فعند ذلك استعاذ يوسف عليه السلام من شرهن وكيدهن، وقال: ﴿الْيَتِيمَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ أي: من الفاحشة ﴿وَلَا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾ أي: إن وكلتني إلى نفسي - فليس لي من نفسي قدرة، ولا أملك لها ضرراً ولا نفعاً إلا بحولك وقوتك، أنت المستعان وعليك التكلان، فلا تكلني إلى نفسي - ﴿أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْمُتَهْلِكِينَ﴾.

الآية (٣٤): قوله: ﴿فَأَسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْغَلِيظُ﴾ ذلك أن يوسف عليه السلام عصمه الله عصمة عظيمة وحما، فامتنع منها أشد الامتناع، واختار السجن على ذلك، وهذا في غاية مقامات الكمال: أنه مع شبابه وجماله وكماله تدعوه سيده، وهي



وقال عبد الله بن مسعود: لما قالوا ما قالوا، وأخبرهما، قالوا: ما رأينا شيئاً. فقال: ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾.

الآية (٤٢): ولما ظن يوسف عليه السلام أن الساقى ناج قال له يوسف -خفية عن الآخر والله أعلم؛ لئلا يُشعره أنه المصلوب- قال له: ﴿أَذْكُرْتَنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾، يقول: اذكر قصتي عند الملك، فنسى ذلك الموصى أن يُذكر مولاه بذلك، وكان من جملة مكاييد الشيطان؛ لئلا يُطلع نبي الله من السجن. وأما «الْبِضْع» فقال مجاهد وقتادة: هو ما بين الثلاث إلى التسع. وقال وهب بن مُنبّه: مكث أيوب في البلاء سبعاً، ويوسف في السجن سبعاً.

الآية (٤٣): هذه الرؤيا من ملك مصر مما قَدَّر الله تعالى أنها كانت سبباً لخروج يوسف عليه السلام من السجن مُعْرَظاً مُكْرَماً؛ وذلك أن الملك رأى هذه الرؤيا، فهالته وتَعَجَّب من أمرها، وما يكون تفسيرها، فجمع الكهنة وكُبراء دولته وأمراءه وقصص عليهم ما رأى.

الآية (٣٨): ﴿وَأَنْبَتْنَا مِنْهُ أَبَايَةً إِتْرَيبِيَّةً وَاسْحَقًّ رِبْعِيَّةً﴾ الآية، يقول: هجرت طريق الكفر والشرك، وسلكت طريق هؤلاء المرسلين، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وهكذا يكون حال من سلك طريق الهدى، واتبع طريق المرسلين، وأعرض عن طريق الظالمين؛ فإنه يهدي قلبه ويعلمه ما لم يكن يعلمه، ويجعله إماماً يقتدى به في الخير، وداعياً إلى سبيل الرشاد.

قوله: ﴿مَا كُنَّا لَنَأَنَّ تَشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ﴾ هذا التوحيد، وهو الإقرار بأنه لا إله إلا هو وحده لا شريك له، ﴿ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا﴾ أي: أوحاه إلينا، وأمرنا به ﴿وَعَلَى النَّاسِ﴾ إذ جعلنا دُعاهم إلى ذلك ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ أي: لا يعرفون نعمة الله عليهم بإرسال الرسل إليهم، بل يبدلون نعمت الله كفرًا وأحلوا قلوبهم دار البوار ﴿[إبراهيم: ٢٨]﴾.

الآية (٣٩): ﴿يَتَصَحَّحِي إِلَيْتَنِي آيَاتُكَ مُتَّفِقُونَ خَيْرٌ أَرَأَيْتَ اللَّهُ الْوَاحِدَ الْقَهَّارُ﴾ ثم إن يوسف عليه السلام أقبل على الفتيتين بالمخاطبة، والدعاء لهما إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وَخَلَعَ ما سواه من الأوثان التي يعبدنها قومها، فقال: ﴿أَرَأَيْتَ مُتَّفِقُونَ خَيْرٌ أَرَأَيْتَ اللَّهُ الْوَاحِدَ الْقَهَّارُ﴾ أي: الذي ذلَّ كل شيء لعز وجلاله، وعظمة سلطانه.

الآية (٤٠): قوله: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَخِيحَةٌ مَوْحَا أَنْتَرَوْهَا أَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ بين لهما أن التي يعبدونها ويسعونها آلهة، إنها هي جهل منهم، وتسمية من تلقاء أنفسهم، تلقاها خَلَفُهُم عن سَلَفِهِمْ، وليس لذلك مُستند من عند الله؛ ولهذا قال: ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ أي: حجة ولا برهان.

قوله: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ أخبرهم أن الحكم والتصرف والمشيئة والملك كله لله، وقد أمر عباده قاطبة ألا يعبدوا إلا إياه. ثم قال: ﴿ذَلِكَ إِلَيْنِ الْقِسْمُ﴾ أي: هذا الذي أدعوكم إليه -من توحيد الله وإخلاص العمل له- هو الدين المستقيم الذي أمر الله به، وأنزل به الحجة والبرهان الذي يحبه ويرضاه، ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: فلماذا كان أكثرهم مشركين؛ ﴿وَمَا أَكْثَرَ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣].

وقد جعل سؤاها له على وجه التعظيم والاحترام وَضَلَّةً وسبباً إلى دعائهما إلى التوحيد والإسلام، لما رأى في سجيتهما من قبول الخير والإقبال عليه، والإنصات إليه.

الآية (٤١): لما فرغ من دعوتها شرع في تعبير رؤياهما، من غير تكرار سؤال، فقال لهما: ﴿يَتَصَحَّحِي إِلَيْتَنِي أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْراً﴾ وهو الذي رأى أنه يعصر خمراً، ولكنه لم يُعَيِّنْه لئلا يحزن ذاك؛ ولهذا أبهمه في قوله: ﴿وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُضْلَبُ فَتَأْكُلُ الْطَلْعُ مِنْ رَأْسِهِ﴾ وهو في نفس الأمر الذي رأى أنه يحمل فوق رأسه خبزاً. ثم أعلمهما أن هذا قد فرغ منه، وهو واقع لا محالة.



## ● الوقفات التدريبية

﴿ مَا كَانَتْ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾

(ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس) أي: هذا من أفضل مننه وإحسانه وفضله علينا، وعلى من هداه الله كما هدانا؛ فإنه لا أفضل من منته الله على العباد بالإسلام والدين القويم، فمن قبله وانقاد له فهو حظه، وقد حصل له أكبر النعم وأجل الفضائل. السعدي: ٣٩٨.

السؤال: ما أعظم نعم الله عليك؟

﴿ مَا كَانَتْ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾

هذا التوحيد -وهو الإقرار بأنه لا إله إلا هو وحده لا شريك له- (من فضل الله علينا) أي: أوحاه إلينا، وأمرنا به، (وعلى الناس) إذ جعلنا دعاء لهم إلى ذلك، (ولكن أكثر الناس لا يشكرون) أي: لا يعرفون نعمته الله عليهم بإرسال الرسل إليهم. ابن كثير: ٤٦٠/٢.

السؤال: ماذا يوحي إليك الإخبار بأن أكثر الناس لا يشكرون؟

﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾

(ولكن أكثر الناس لا يشكرون): على نعمته بالتوحيد والإيمان. القرطبي: ٣٤٩/١١.

السؤال: ما النعمة الجليلة التي يقل شكر الناس لها؟

﴿ إِنْ الْمَكْمَلُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الَّذِينَ الْقَتِيمَ وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

الحكم لله وحده، ورسله يبلغون عنه؛ فحكمهم حكمه، وأمرهم أمره، وطاعتهم طاعته؛ فما حكم به الرسول وأمرهم به وشرعه من الدين وجب على جميع الخلائق اتباعه وطاعته؛ فإن ذلك هو حكم الله على خلقه. ابن تيمية: ٤٣/٤.

السؤال: حكم الرسول هو حكم الله تعالى، بين ذلك من الآية الكريمة.

﴿ يَصْصِيحُ النَّبِيُّ أَمَّا أَحَدُكُمْ فَيَقْتُلْ رِيءَهُ خَمْرًا ﴾

ولكنه لم يبينه ثلثا يحزن ذلك؛ ولهذا أبهمه. ابن كثير: ٤٦١/٢.

السؤال: لم لم يُعَيِّن يوسف -عليه السلام- من الذي يقتل ربه خمرًا، ومن الذي يصلب؟

﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنَسَهُ الشَّيْطَانُ وَكَفَرَ رِيءَهُ فَلَيْتَ فِي السَّجْنِ بَضْعَ سَبْعِينَ ﴾

(فليت في السجن بضع سبعين)... لما أراد الله أن يتم أمره، ويأذن بإخراج يوسف من السجن، قدر لذلك سببًا لإخراج يوسف وارتفاع شأنه وإعلاء قدره، وهو رؤيا الملك السعدي: ٣٩٨.

السؤال: بين حكمته الله في قضائه وقدره من خلال الآية.

﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنَسَهُ الشَّيْطَانُ وَكَفَرَ رِيءَهُ فَلَيْتَ فِي السَّجْنِ بَضْعَ سَبْعِينَ ﴾

من وقع في مكروه وشدة؛ لا بأس أن يستعين بمن له قدرة على تخليصه، أو الإخبار بحاله، وأن هذا لا يكون شكوى للمخلوق، فإن هذا من الأمور العادية التي جرى العرف باستعانة الناس بعضهم ببعض، ولهذا قال يوسف للذي ظن أنه ناج من الفتيين: (اذكرني عند ربك). السعدي: ٤١٠.

السؤال: هل الاستعانة بالمخلوقين فيما يقدرون عليه تنبؤ في قوة الإيمان؟

وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي ابْرَهِيمَ وَاسْحَقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٥٥﴾ يَصْصِيحُ السَّيِّجِينَ أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٥٦﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ لَكُمْ إِلَّا اللَّهُ أَمَرَ الْأَعْبَادَ وَالْإِنْيَاءُ ذَلِكَ الَّذِينَ الْقَتِيمَ وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ يَصْصِيحُ السَّيِّجِينَ أَمَّا أَحَدُكُمْ فَسَيَقْتُلُ رِيءَهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ فَفُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٥٨﴾ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنَسَهُ الشَّيْطَانُ وَكَفَرَ رِيءَهُ فَلَيْتَ فِي السَّجْنِ بَضْعَ سَبْعِينَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٦٠﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ	أَعْبَادَةُ إِلَهَاتٍ شَتَّى؟
سُلْطَانٍ	خُبْرَةٍ، وَبُرْهَانٍ.
رَبِّكَ	سَيِّدِكَ الْمَلِكِ.
عِجَافٌ	ضَعِيفَاتٌ، مَهْزِيلٌ.
تَعْبُرُونَ	تُفْصِرُونَ.

## ● العمل بالآيات

١. قل في دعائك: «اللهم إني أعوذ بك أن اشرك بك وأنا أعلم، واستغفر لك ما لا أعلم»، ﴿ مَا كَانَتْ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ﴾.
٢. اشكر الله على نعمته الهداية؛ فإن الغافلين عن شكر هذه النعمة كثيرون، ﴿ مَا كَانَتْ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾.
٣. قم بتربية من يتعلم منك قبل أن تعلمه؛ فإن كثيراً من الناس يأمرس الحاجة للتربية والتوجيه قبل التعليم، ﴿ يَصْصِيحُ السَّيِّجِينَ أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾.

## ● التوجيهات

١. استغلال المناسبات للدعوة إلى الله تعالى؛ كما استغلها يوسف عليه السلام، ﴿ يَصْصِيحُ السَّيِّجِينَ أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾.
٢. الداعية يترفق بمن يدعوه، ولا يشعرهم بالتعالي أو الإزدراء، ﴿ يَصْصِيحُ السَّيِّجِينَ ﴾.
٣. استعد بالله من كيد الشيطان ومكره؛ فهو حريص أن ينسبك حاجاتك الدينية، والدينية، ﴿ فَأَنَسَهُ الشَّيْطَانُ وَكَفَرَ رِيءَهُ فَلَيْتَ فِي السَّجْنِ بَضْعَ سَبْعِينَ ﴾.



## ● الوقفات التدريبية

﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ يَمْشَيْنَ بِأَكْلُهُنَّ سَبْعَ عَجَافٍ﴾  
ووصفه بالبالغة في الصدق حسبما علمه وجرب أحواله في مدة إقامته معه في السجن ... وفيه إشارة إلى أنه ينبغي للمستفتي أن يعظم المفتي.  
الألوسي: ٦٠٤/١٢.

السؤال: اذكر بعض آداب سؤال المفتي والعالم.

﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ يَمْشَيْنَ بِأَكْلُهُنَّ سَبْعَ عَجَافٍ﴾  
علم التعبير من العلوم الشرعية، وأنه يشاب الإنسان على تعلمه وتعليمه، وأن تعبير المرابي داخل في الفتوى؛ لقوله للفيتين: (فهي الأمر الذي فيه تستفتيان)، وقال الملك: (افتوني في رؤياي)، وقال الفتى ليوسف: (افتنا في سبع بقرات)، فلا يجوز الإقدام على تعبير الرؤيا من غير علم السعدي: ٤١.

السؤال: ما منزلة تعبير الرؤيا من الشرع؟ وما لذلك على ما تقول؟

﴿كَأَنَّ تَرْغُوعَ سَبْعِ سَيِّئِينَ ذَابًا مَا حَصَدْتُمْ مَذْرُوءَ فِي سُئُلِيهِ إِلَّا قَلِيلًا وَمِمَّا نَأْكُلُونَ﴾  
ذكر له يوسف - عليه السلام - تعبيرها من غير تعنيف للفتي في نسيانه ما وصاه به، ومن غير اشتراط الخروج قبل ذلك ابن كثير: ٤٦٢/٢.

السؤال: هذا الموقف دل على تمام خلق يوسف - عليه السلام - وعقله، وضح ذلك.

﴿كَأَنَّ تَرْغُوعَ سَبْعِ سَيِّئِينَ ذَابًا مَا حَصَدْتُمْ مَذْرُوءَ فِي سُئُلِيهِ إِلَّا قَلِيلًا﴾  
﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعَ شِدَادٍ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصُونَ﴾  
وقد مزج تعبيره بإرشاد جليل لأحوال التموين والإدخار لصلحة الأمة ابن عاشور: ٢٨٩/١٢.

السؤال: مزج يوسف - عليه السلام - تعبيره للرؤيا بالإرشاد، بين ذلك.

﴿وَقَالَ لِلَّذِي أُنْتَوِيَ بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْأَلْهُ مَا بَالَ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾

لم يذكر امرأة العزيز رعيًا لعدم زوجها، وسترًا لها، بل ذكر النسوة اللاتي قطعن أيديهن. ابن جزى: ٤١٨/١.

السؤال: في طلب يوسف سؤال النسوة قبل خروجه دلالة على حكمته وحلمه، كيف ذلك؟

﴿وَقَالَ لِلَّذِي أُنْتَوِيَ بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْأَلْهُ مَا بَالَ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾

قال ابن عطية: ... خشي أن يخرج وينال من الملك مرتبة، ويسكت عن أمر ذنبه صفحاً؛ فبهاه الناس بتلك العين أبداً، ويقولون: هذا الذي راود امرأة مولاه، فأراد يوسف - عليه السلام - أن يبين براءته، ويحقق منزلته من العفة والخير، وحينئذ يخرج للإحطاء والمنزلة؛ فلهاذا قال للرسول: ارجع إلى ربك، وقل له: ما بال النسوة. القرطبي: ٣٧٢/١١.

السؤال: بين وجه الحكمة والأناة في طلب يوسف - عليه السلام - إعادة التحقيق في قضيتة.

﴿وَقَالَ لِلَّذِي أُنْتَوِيَ بِهِ﴾

فضيلة العلم: علم الأحكام والشرع، وعلم تعبير الرؤيا، وعلم التدبير والتربية، وأنه أفضل من الصورة الظاهرة، ولو بلغت في الحسن جمال يوسف؛ فإن يوسف بسبب جماله حصلت له تلك المحنة والسجن، وبسبب علمه حصل له العز، والرفعة، والتمكين في الأرض؛ فإن كل خير في الدنيا والآخرة من آثار العلم وموجباته. السعدي: ٤١٠.

السؤال: من خلال قصة يوسف: قارن بين العلم وجمال الهيئته.

قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَامُهُ وَمَا تَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعِلْمِهِ ﴿١٥﴾  
وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنْتَبِهُ بِتَأْوِيلِهِ  
فَأَرْسَلُونِ ﴿١٦﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ  
يَمْشَيْنَ بِأَكْلُهُنَّ سَبْعَ عَجَافٍ وَسَبْعَ سُبُلَاتٍ حَضَرِ  
وَأُخْرَىٰ يَسْتَ لَعَلَّيْ أَرْجِعْ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٧﴾ قَالَ  
تَرْغُونَ سَبْعَ سَيِّئِينَ ذَابًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُئُلِيهِ إِلَّا  
قَلِيلًا مِمَّا نَأْكُلُونَ ﴿١٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعَ شِدَادٍ يَأْكُلْنَ  
مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصُونَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ  
عَامٌ فِيهِ يَغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ الْكَافِرُ اتَّبَعْتُ  
يُوسُفَ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْأَلْهُ مَا بَالَ  
النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾  
قَالَ مَا خَطْبُكُمْ إِذْ رَوَدْتُمْ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ فُلْنَ حَاشَ  
لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوْءٍ قَالَتْ أُمَّرَأَتُ الْمَرْيَمَ الْكَن حَصَصَ  
الْحَقُّ أَنَا رَاوِدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصِّدِّيقِينَ ﴿٢٢﴾ ذَلِكَ  
لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٣﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
أَضْغَاتٌ	أَحْلَامٌ.
أُمَّةٌ	بَعْدَ مُدَّةٍ.
ذَابًا	مُتَنَاقِضَةً، وَأَنْتُمْ جَائِدُونَ فِي الْعَمَلِ.
تُحْصِنُونَ	تَحْفَظُونَ، وَتُدْخِرُونَ.
يَعْصِرُونَ	يَعْصِرُونَ الثَّمَارَ، يَكْتَنِرُ الْخَصْبِ.
حَاشَ لِبِهِ	تَنْزِيهِهَا لِلَّهِ.
حَصَصَ الْحَقُّ	ظَهَرَ بَعْدَ خَفَائِهِ.

## ● العمل بالآيات

١. اسأل علما عن أسئلة الناس التي يسألونك إياها، ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ يَمْشَيْنَ بِأَكْلُهُنَّ سَبْعَ عَجَافٍ وَسَبْعَ سُبُلَاتٍ حَضَرِ وَأُخْرَىٰ يَسْتَ لَعَلَّيْ أَرْجِعْ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

٢. سل الله تعالى أن يعلمك، ويفتح عليك، كما فتح على نبي الله تعالى يوسف عليه السلام، ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا﴾.

٣. استخدم الذكاء والحيلة المباحة للوصول إلى حَقِّكَ الذي صُفِّبَ عَلَيْكَ، ﴿قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْأَلْهُ مَا بَالَ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾.

## ● التوجيهات

١. عاقبة التقوى خير، وعاقبة المعاصي والفواحش الفضيحة، ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْفَاسِقِينَ﴾.

٢. فضل العلم وشره، إذ به رفع الملك يوسف إلى حضرته، ﴿وَقَالَ لِلَّذِي أُنْتَوِيَ بِهِ﴾.

٣. لا بد أن يظهر الحق ولو بعد حين، ﴿قَالَتْ أُمَّرَأَتُ الْمَرْيَمَ الْكَن حَصَصَ الْحَقُّ أَنَا رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصِّدِّيقِينَ﴾.

براءة ساحته ونزاهة عرضه مما نُسب إليه من جهة امرأة العزيز، وأن هذا السجن لم يكن على أمر يقتضيه، بل كان ظلمًا وعدوانًا، قال: ﴿أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسَأَلَهُ مَا بَالَ الْإِنْسَانِ الَّذِي قَطَعَنَ أَيْدِيَهُمْ إِنْ رَبِّي بِكَيْدِهِمْ عَلِيمٌ﴾.

وقد وردت السُّنة بمدحه على ذلك، والتنبيه على فضله وشرفه، وعلو قدره وصبره، صلوات الله وسلامه عليه؛ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «نحن أحقُّ بالشك من إبراهيم إذ قال ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُخَيِّئُ الْمَوْتَ﴾ قَالَ أَوَلَمْ تَوْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنْ لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي» [البقرة: ٢٦٠]، ويرحم الله لوطًا لقد كان يأوي إلى ركن شديد، ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي [متفق عليه].

الآية (٥١): قوله تعالى: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكَ إِذْ رَدَدْتَنِي يُوسُفُ عَنْ نَفْسِهِ﴾ إخبار عن الملك حين جمع النسوة اللاتي قطعن أيديهن عند امرأة العزيز، فقال مخاطبًا لمن كلهن -وهو يريد امرأة العزيز-: ﴿مَا خَطْبُكَ﴾ أي: شأنك وخبرك. ﴿إِذْ رَدَدْتَنِي يُوسُفُ عَنْ نَفْسِهِ﴾ يعني: يوم الضيافة؟ ﴿قُلْتُ كُنْتُ لِلَّهِ غَافِلًا عَنِ الَّذِي مِنْ سَوْءِ﴾ أي: قالت النسوة جوابًا للملك: حاش لله أن يكون يوسف متهمة، والله ما علمنا عليه من سوء. فعند ذلك ﴿قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْفَنِّ حَصَصَ الْحَقُّ﴾ قال ابن عباس، ومجاهد، وغير واحد: تقول: الآن تبين الحق وظهر وبرز. ﴿أَنَّا رَدَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ أي: في قوله: ﴿يَهَىٰ رَدَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي﴾ [يوسف: ٢٦].

الآية (٥٢): ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَتَىٰ لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ تقول: إنها اعترفت بهذا على نفسي، ذلك ليعلم زوجي أن لم أخنه في نفس الأمر، ولا وقع المحذور الأكبر، وإنما راودت هذا الشاب مراودة فامتنع؛ فلهذا اعترفت ليعلم أنني بريئة ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِبِينَ﴾.

الآية (٤٤-٤٨): سألهم عن تأويلها، فلم يعرفوا ذلك، واعتذروا إليه بأنها ﴿أَصْنَعْتُ أَخْلَرَ﴾ أي: أخلاط اقتضت رؤياك هذه ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَخْلَامِ بِكَايُنٍ﴾ أي: ولو كانت رؤيا صحيحة من أخلاط، لما كان لنا معرفة بتأويلها، وهو تعبيرها. فعند ذلك تذكَّر ذلك الذي نجا من ذنك الفتين اللذين كانا في السجن مع يوسف، وكان الشيطان قد أنساه ما وصَّاه به يوسف من ذكر أمره للملك، فعند ذلك تذكر ﴿بَعْدَ أَمْنٍ﴾ أي: مدة. وقرأ بعضهم: «بعد أمه»<sup>(١)</sup> أي: بعد نسيان، فقال للملك والذين جمعهم لذلك: ﴿أَنَا أَنبِئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ﴾ أي: بتأويل هذا المنام ﴿فَأَرْسِلُونِي﴾ أي: فابعثوني إلى يوسف الصديق إلى السجن. ومعنى الكلام: فبعثوا، فجاءه فقال: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصَّيْدُ أَفْتَنَا﴾، وذكر المنام الذي رآه الملك، فعند ذلك ذكر له يوسف عَظِيمَاتَ تعبيرها من غير تعنيف لذلك الفتى في نسيانه ما وصَّاه به، ومن غير اشتراط للخروج قبل ذلك، بل قال: ﴿تَزَرَّعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَكَاً﴾ أي: يأتيكم الخصب والمطر سبع سنين متواليات، ففسَّر البقر بالسنين؛ لأنها تثير الأرض التي تُسْتَغَل منها الثمرات والزروع، وهن السنبلات الخضر.

ثم أرشدهم إلى ما يعتمدونه في تلك السنين فقال: ﴿فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُبُلِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾ أي: مها استغللتكم<sup>(٢)</sup> في هذه السبع السنين الخصب فاخزنوه في سنبله، ليكون أبقي له وأبعد عن إسراع الفساد إليه، إلا المقدار الذي تأكلونه، ولكن قليلًا قليلًا لتسرفوا فيه، لتنتفعوا في السبع الشداد، وهُنَّ السبع السنين المُلْحَل التي تعقب هذه السبع متواليات، وهُنَّ البقرات العجاف اللاتي يأكلن الشَّان؛ لأن سِنِي الجُذْب يؤكل فيها ما يجمعوه في سِنِي الخصب، وهُنَّ السنبلات اليابسات. وأخبرهم أنهم لا يُنْبِتْنَ شيئًا، وما ينزوه فلا يرجعون منه إلى شيء؛ ولهذا قال: ﴿يَأْكُلُنَّ مِنْ ثَمَرِهِمْ لَكُنْ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَحْصُونَ﴾.

الآية (٤٩): ثم بشرهم بعد الجُذْب العام المتوالي بأنه يعقبهم بعد ذلك ﴿عَامٌ فِيهِ يَنَاقُ الثَّانُسُ﴾ أي: يأتيهم الغيث، وهو المطر، وتُغَلُّ البلاد، ويعصر الناس ما كانوا يعصرون على عادتهم من: زيت ونحوه، وسكر ونحوه، حتى قال بعضهم: يدخل فيه حلب اللبن أيضًا. قال ابن عباس: ﴿وَفِيهِ يَقْصِرُونَ﴾: يجلبون.

الآية (٥٠): يقول تعالى إخبارًا عن الملك لما رجعوا إليه بتعبير رؤياه، التي كان رآها، بما أعجبه وإيقنه، فعرف فضل يوسف عَظِيمَاتَ وعلمه، وحسن أخلاقه على من يبلده من رعاياه، فقال: ﴿أَتُوبُ إِلَيْهِ﴾ أي: أخرجه من السجن وأحضروه.

فلما جاءه الرسول بذلك امتنع من الخروج حتى يتحقق الملك ورضيته

(١) ليست من القراءات العشر المتواترة، وال(أمة) في اللغة: النسيان؛ كما ذكر ابن

كثير. [ينظر: القاموس المحيط، مادة (أمة)].

(٢) استغللتكم أي: جمعت غلَّتْهُ، فهو بمعنى حصدتم.

والغرض: أن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَاهُ مَلِكُ مِصْرَ الْوِزَارَةَ فِي بِلَادِ مِصْرَ

الآية (٦٣): ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْدُ﴾ يعنون بعد هذه المرة، إن لم ترسل معنا أخانا بنيامين، فأرسله معنا ﴿وَنَكُنَّ لَكَ دَحِيفَةً﴾ أي: لا تخف عليه فإنه سيرجع إليك. وهذا كما قالوا له في يوسف: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَدَحِيفُونَ﴾ [يوسف: ١٢]؛ ولهذا قال لهم: ﴿هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمَنُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ﴾.

والغرض: أن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَاهُ مَلِكُ مِصْرَ الْوِزَارَةَ فِي بِلَادِ مِصْرَ



## ● الوقفات التدريبية

﴿ وَمَا أَتَيْنِي نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾  
ويقال: النفوس ثلاثة أنواع، وهي: (النفوس الأمارة بالسوء)، التي يغلب عليها اتباع هواها بفعل الذنوب والمعاصي، و(النفوس اللوامة)، وهي التي تذبذب وتتنوب؛ فعندها خير وشر، لكن إذا فعلت الشر تابت وأثابت، تقسمي لوامة؛ لأنها تلوم صاحبها على الذنوب، ولأنها تتلوم؛ أي: تتردد بين الخير والشر، و(النفوس المطمئنة)، وهي التي تحب الخير والحسنات وتريد، وتبغض الشر والسيئات، وتكره ذلك، وقد صار ذلك لها خلقاً، وعادة، وملكت ابن تيمية: 45/4.

السؤال: ما أنواع النفوس؟

﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِي يَوْمَ اسْتِخْرَاجِهِ نَفْسِي كُلَّمَا كُتِبَ عَلَيْهِ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾

وترتب هذا القول على تكليمه إياه دال على أن يوسف -عليه السلام- كلف الملك كلام حكيم أديب، فلما رأى حسن منطقه، وبلاغته قوله، وأصالته ورأيه، رآه أهلاً لثقته، وتقريبه منه. ابن عاشور: 7/13.

السؤال: ما سبب قول الملك ليوسف -عليه السلام- (إنك اليوم لدينا مكين أمين)؟

﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَصِيظٌ عَلَيْكَ ﴾

وأما سؤال الولاية، فقد ذمه ﷺ، وأما سؤال يوسف وقوله: (اجعلني على خزان الأرض)، فلأنه كان طريقاً إلى أن يدعوهم إلى الله، ويعدل بين الناس، ويرفع عنهم الظلم، ويفعل من الخير ما لم يكونوا يفعلونه، مع أنهم لم يكونوا يعرفون حاله، وقد علم بتعبير الرؤيا ما يؤول إليه حال الناس، ففي هذه الأحوال ونحوها ما يوجب الفرق بين مثل هذه الحال وبين ما نهى عنه. ابن تيمية: 55/56.

السؤال: كيف سأل يوسف -عليه السلام- الولاية مع أن سؤال الولاية مذموم؟

﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَصِيظٌ عَلَيْكَ ﴾

ودلت الآية أيضاً على أنه يجوز للإنسان أن يصف نفسه بما فيه من علم وفضل، قال الماوردي: وليس هذا على الإطلاق في عموم الصفات، ولكنه مخصوص فيما اقترن بوصله، أو تعلق بظاهر من مكسب، وممنوع منه فيما سواه، لما فيه من تركيبة ومراعاة، ولو تنزه الفاضل عنه لكان البقي بفضله؛ فإن يوسف دعت الضرورة إليه لما سبق من حاله، ولما يرجو من الظفر بأهله. القرطبي: 386/11.

السؤال: هل يجوز للإنسان أن يمدح نفسه ويثني عليها؟

﴿ وَكَذَلِكَ مَنَّكَ يُوسُفُ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُهَا حَيْثُ يَشَاءُ نَفْسُهُ يُخَبِّرُ بَرَحْمَتَنَا مِنْ شَأْنِهِ وَلَا تَضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾

(ولا تضيع أجر المحسنين) ... وقال ابن عباس ووهب: يعني: الصابرين؛ لصدقه في الحب، وفي الرق، وفي السجن، وصبره عن محارم الله عما دعت إليه المراقبة. القرطبي: 390/11.

السؤال: ما أنواع الصبر التي صبرها يوسف عليه السلام؟

﴿ وَلَا تَجْرُ الْأَجْرَةَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَنْقُرُونَ ﴾

فبالنقوى تترك الأمور المحرمة من كبار الذنوب وصغائرها، وبالإيمان التام يحصل تصديق القلب بما أمر الله بالتصديق به، وتتبعه أعمال القلوب، وأعمال الجوارح من الواجبات والمستحبات. السعدي: 401.

السؤال: ما أهمية النقوى والإيمان للوصول إلى الدار الآخرة؟

﴿ وَقَالَ لِفَتْنِهِ اجْعَلُوا يَصْنَعُ لَهُمْ يَكْفُلُهُمْ لَمْ يَرْفُوهَا إِذَا انْكَسَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَمْ يَرْجِعُوا ﴾

قيل: أراد أن يريهم كرمه في رد البضاعة، وتقديم الضمان في البر والإحسان؛ ليكون أدعى لهم إلى العود. (لعلهم يعرفونها) أي: كرامتهم علينا. البغوي: 470/2.

السؤال: بين كرم يوسف -عليه السلام- لإخوته، وحرصه على رؤيتهم.

﴿ وَمَا أَتَيْنِي نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾  
﴿ قَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِي يَوْمَ اسْتِخْرَاجِهِ نَفْسِي كُلَّمَا كُتِبَ عَلَيْهِ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾  
﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَصِيظٌ عَلَيْكَ ﴾  
﴿ وَكَذَلِكَ مَنَّكَ يُوسُفُ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُهَا حَيْثُ يَشَاءُ نَفْسُهُ يُخَبِّرُ بَرَحْمَتَنَا مِنْ شَأْنِهِ وَلَا تَضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾  
﴿ وَلَا تَجْرُ الْأَجْرَةَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَنْقُرُونَ ﴾  
﴿ وَجَاءَ إِخْوَتَهُ يُوسُفُ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفُوهُ وَهَرُّوا عَنْهُ رُكُوعًا ﴾  
﴿ وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ أَتُؤْتِي بَأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَيْكُمُ الْآلَافُ أَفِي أَوَّلِي الْكَيْلِ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴾  
﴿ فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونَنِي ﴾  
﴿ قَالُوا سَوَدُّ عَيْنِ أَبِيهِ ﴾  
﴿ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴾  
﴿ وَقَالَ لِفَتْنِهِ اجْعَلُوا يَصْنَعُ لَهُمْ يَكْفُلُهُمْ لَمْ يَرْفُوهَا إِذَا انْكَسَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَمْ يَرْجِعُوا ﴾  
﴿ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَيْمِهِمْ قَالُوا إِنَّا أَنَا نَحْنُ الْكَيْلُ فَارْسِلْ مَعَنَا أَخَانًا نَكْتَلُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ	كثيرة الأمر بالمعاصي.
اسْتِخْرَاجُهُ	أجعله من خلصائي، وأهل مشورتني.
مَكِينٌ	عظيم المكانة.
يَتَّبِعُهَا	ينزل.
جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ	أعطاهم ما طلبوا، ووفى الكيل لهم.
سَوَدُّ عَيْنِ أَبِيهِ	سبب جلدنا، لإفناع أبيه.
رَحَالِهِمْ	أميتهم، وأوعيتهم.

## ● العمل بالآيات

- استعد بالله تعالى من شر نفسك، وشر الشيطان وشره، ﴿ وَمَا أَتَيْنِي نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾.
- تذكر قضية وقعت لك ثم حدد أخطاءك فيها واستغفر الله منها، ﴿ وَمَا أَتَيْنِي نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾.
- احسن إلى أحد إخوانك أو أقاربك، ﴿ وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ أَتُؤْتِي بَأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَيْكُمُ الْآلَافُ أَفِي أَوَّلِي الْكَيْلِ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴾.

## ● التوجيهات

- الاعتراف بالذنوب من أسباب مغفرته، ومن علامات صدق التوبة والإنابة، ﴿ وَمَا أَتَيْنِي نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾.
- ينبغي إحصاف المظلوم ونصرته، وتقريب الصادق الأمين ولو كان ضعيفاً أو غريباً، ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِي يَوْمَ اسْتِخْرَاجِهِ نَفْسِي كُلَّمَا كُتِبَ عَلَيْهِ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾.
- بالصبر تأتي العزة بعد المهانة والظلم، ﴿ وَكَذَلِكَ مَنَّكَ يُوسُفُ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُهَا حَيْثُ يَشَاءُ نَفْسُهُ يُخَبِّرُ بَرَحْمَتَنَا مِنْ شَأْنِهِ ﴾.



## ● الوقفات التدبرية

﴿ قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا آمَنُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾

سوء الظن مع وجود القرائن الدالة عليه غير ممنوع، ولا محرم. السعدي: ٤١١.

السؤال: متى يكون سوء الظن محرماً؟

﴿ قَالَ هَلْ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾

يقول: حفظه خير من حفظكم، وهو أرحم الراحمين. البغوي: ٤٧٦/٢.

السؤال: بين كيف كان يقين يعقوب - عليه السلام - بالله تعالى.

﴿ وَقَالَ يَبْنَئُ لَكَ دَخْلًا مِنْ بَابٍ وَجِدَ وَأَدْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ ﴾

فيها دليل على التحرز من العين، والعين حق، وقد قال رسول الله ﷺ: (إن العين لتدخل الرجل القبر، والجمل القدر)، وفي تعوده - عليه السلام -: (اعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة) ما يدل على ذلك. القرطبي: ٣٩٩/١١.

السؤال: كيف يتحرز المؤمن من العين؟

﴿ وَقَالَ يَبْنَئُ لَكَ دَخْلًا مِنْ بَابٍ وَجِدَ وَأَدْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أَغْنَى عَنْكُمْ رَبُّكَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ ﴾

دلت الآية على أن المسلم يجب عليه أن يُحذَر أخاه مما يخاف عليه، ويرشده إلى ما فيه طريق السلامة والنجاة، فإن الدين النصيحة، والمسلم أخو المسلم. القرطبي: ٤٠٣/١١.

السؤال: ماذا يجب عليك إذا خشيت على أخيك المسلم الضرر؟

﴿ وَقَالَ يَبْنَئُ لَكَ دَخْلًا مِنْ بَابٍ وَجِدَ وَأَدْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أَغْنَى عَنْكُمْ رَبُّكَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾

وأراد بهذا تعليمهم الاعتماد على توفيق الله ولطفه، مع الأخذ بالأسباب المعتادة الظاهرة؛ تأدياً مع واضع الأسباب ومقدر الأنطاف. ابن عاشور: ٢١/١٣.

السؤال: هل فعل الأسباب ينال التوكل على الله؟ وضع ذلك من خلال الآية الكريمة:

﴿ مَا كَانَتْ يَفْئِي عَنْهُمْ رَيْبُ آلِهَةٍ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسٍ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ ﴾ وهو موجب الشفقة والمحبة للأولاد، فحصل له في ذلك نوع طمانينة وقضاء لما في خاطره، وليس هذا قصوراً في علمه؛ فإنه من الرسل الكرام والعلماء الربانيين، ولهذا قال عنه: (وإنه لذو علم) أي: صاحب علم عظيم. السعدي: ٤٠٢.

السؤال: بعد أن بين الله سبحانه أن تدبير يعقوب لا يعني شيئاً، قال: (وإنه لذو علم)، فما وجه هذه المقولة هنا؟

﴿ وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

(لذو علم) يعني: كان يعمل ما يعمل عن علم لا عن جهل، (لما علمناه) أي: لتعليمنا إياه. وقيل: إنه لعامل بما علم. قال سفيان: من لا يعمل بما يعلم لا يكون عالماً. البغوي: ٥٠٣/٢.

السؤال: متى يصح أن يقال للمرء إنه عالم؟

قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا آمَنُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١﴾ وَمَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضْعَئِهِمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا بَنَاتَنَا مَا نَبَئُ هَذِهِ بَضْعُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَزَدَادُ كَيْلٍ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٢﴾ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُوا مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٣﴾ وَقَالَ يَبْنَئُ لَكَ دَخْلًا مِنْ بَابٍ وَجِدَ وَأَدْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أَغْنَى عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٤﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ مَا كَانَ يُفْئِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسٍ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦﴾

٤٢٣

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
مَا نَبِئُ	مَاذَا نَطْلُبُ أَكْثَرَ مِنْ هَذَا؟
وَنَمِيرُ	نَجْلِبُ طَعَامًا وَفِيرًا.
كَيْلٌ بَعِيرٌ	جَمَلٌ بَعِيرٌ.
آوَى	ضَمَّ.
فَلَا تَبْتَئِسْ	فَلَا تَفْتَمَّ.

## ● العمل بالآيات

١. حافظ على الأذكار الشرعية كاملة بعد الصلوات؛ فهي وقاية من العين والسحر. ﴿ وَقَالَ يَبْنَئُ لَكَ دَخْلًا مِنْ بَابٍ وَجِدَ وَأَدْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أَغْنَى عَنْكُمْ رَبُّكَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ ﴾.
٢. انظر إياك محتاجاً، وساعده. ﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾.
٣. اكتب صفات يوسف - عليه السلام - وخطواته في حل مشكلته مع إخوته، واستند منها في حل مشكلتك من مشاذك الكبيرة. ﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾.

## ● التوجيهات

١. المعامل يحذر من العين والحسد، ويعمل بالأسباب من غير مبالغة. ﴿ وَقَالَ يَبْنَئُ لَكَ دَخْلًا مِنْ بَابٍ وَجِدَ وَأَدْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أَغْنَى عَنْكُمْ رَبُّكَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ ﴾.
٢. اجتهد في فعل الأسباب، ولا تتوكل عليها، وتوكل على الله؛ فبيده الأمر كله. ﴿ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾.
٣. اطع والديك، وشارهما واستاذنهما؛ فالخير فيما يأمرك به. ﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُفْئِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسٍ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.

والإحسان، واختل بأخيه فأطعمه على شانه، وما جرى له، وعرفه أنه أخوه، وقال له: لا ﴿تَبَيَّنْ﴾، أي: لا تأسف على ما صنعوا بي، وأمره بكتبان ذلك عنهم، وألا يُطْلِعَهُمْ على ما أطلعهم عليه من أنه أخوه، وتواطأ معه أنه سيحتال على أن يُبَيِّنه عنده، مُعَزِّزًا مُكْرَمًا مُعْظَمًا.

الآية (٦٤): ﴿هَلْ أَمَنَّكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمَّنَّكُمْ عَنْ أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: هل أنتم صانعون به إلا كما صنعتم بأخيه من قبل؛ تغيّبونه عني، وتحولون بيني وبينه؟!

﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ﴾ أي: هو أرحم الراحمين بي، وسيرحم كيّري وضغفي ووَجْدِي بولدي، وأرجو من الله أن يرده عليّ، ويجمع شغلي به؛ إنه ﴿أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ﴾.

الآية (٦٥-٦٦): يقول تعالى: وَلَمَّا فَتَحَ إِخْوَةُ يُوسُفَ ﴿مَتَعَهُمْ وَجَدُوا بِضَعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ﴾، وهي التي كان أمر يوسف فتياه بوضعها في رحالهم، فلما وجدوها في متاعهم ﴿قَالُوا يَتَابَانَا مَا بَتَّى؟﴾ أي: ماذا نريد؟ ﴿هَذِهِ بِضَعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾ كما قال قتادة: ما نبغي وراء هذا؟! إن بضاعتنا رُدَّتْ إلينا وقد أوفى لنا الكيل!

﴿وَبَيَّرَ أَهْلَنَا﴾ أي: إذا أرسلت أخانا معنا نأتي بالجيرة إلى أهلنا ﴿وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزِدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾؛ وذلك أن يوسف عليه السلام كان يُعطي كل رجل جَلَّ بعير. ﴿ذَلِكَ كَيْلُ بَعِيرٍ﴾ هذا من تمام الكلام وتحسينه، أي: إن هذا يسير في مقابلة أخذ أخيهما ما يعدل هذا.

﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُوا مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ﴾ أي: تحلفون باليهود والمواثيق ﴿لَأَنْتُمْ بِرُءُوسِ الْأَنْبِيَاءِ بِحَاطِ بِكُمْ﴾ إلا أن تُعْلِمُوا كلكم ولا تُقْدِرُونَ على تخليصه، ﴿فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ أَكَدَهُ عَلَيْهِمْ فَذَكَرَ اللَّهُ عَلَى مَا تَقُولُونَ وَكِيلٌ﴾ قال ابن إسحاق: وإنما فعل ذلك لأنه لم يجد بُدًّا من بعثهم لأجل الجيرة، التي لا غنى لهم عنها، فَبَعَثَهُ معهم.

الآية (٦٧-٦٨): ﴿وَقَالَ يَبْنَئِي لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابِ رَجِيلٍ وَأَدْخُلُوا مِنْ أَوْبَابِ مُتَفَرِّقَةٍ﴾ يقول تعالى إخبارًا عن يعقوب عليه السلام: إنه أمر بنيته لَمَّا جَهَّزَهُمْ مع أخيهما بنيامين إلى مصر، ألا يدخلوا كلهم من باب واحد، وليدخلوا من أبواب متفرقة؛ فإنه كما قال ابن عباس وقتادة والسُّلَدي وغيرهم: إنه خَشِيَ عليهم العين؛ وذلك أنهم كانوا ذوي جمال وهيئة حسنة، ومنظر وبهاء، فخشِيَ عليهم أن يصيبهم الناس بعيونهم؛ فإن «العين حق» [منفق عليه]، تَسْتَنْزِلُ الفارس عن قرسه.

وقوله: ﴿وَمَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ رَبُّكَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي: هذا الاحتراز لا يردُّ قَدْرَ الله وقضائه؛ فإن الله إذا أراد شيئًا لا يَخَالِفُ ولا يَمَانَعُ.

﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ ﴿٧٣﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَتْ يُفْعَىٰ عَنْهُمْ رَبُّهُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَبِي فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا﴾ قالوا: هي دفع إصابة العين لهم.

﴿وَاللَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ﴾ قال قتادة والثوري: لذنو عمل بعلمه. وقال ابن جرير: لذنو علم لتعليمنا إياه، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

الآية (٦٩): ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَدَتْ إِلَىٰ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبَيَّنْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ يخبر تعالى عن إخوة يوسف لَمَّا قدموا على يوسف ومعهم أخوه شقيقه بنيامين، فأدخلهم دار كرامته ومنزل ضيافته، وأفاض عليهم الصلة والألطف



قَبْلُ ﴿ يعنون به يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ. قال سعيد بن جبير وقتادة: كان يوسف قد سَرَقَ صَبَاً لجدّه أبي أمه فَكسره. وقوله: ﴿فَأَسْرَحَا يَوْسُفَ فِي نَقِيٍّ﴾ يعني: الكلمة التي بعدها؛ وهي قوله: ﴿أَنْشَرُ سَرّاً مَكَاناً وَاللَّهُ أَغْلَمُ بِمَا نَصِفُونَ﴾ أي: تَذْكُرُونَ. قال هذا في نفسه، ولم يُبَيِّده لهم، وهذا من باب الإضمار قبل الذكر، وله شواهد كثيرة من القرآن والحديث واللغة.

الآية (٧٨): ﴿لَمَّا تَعَيَّنَ أَخُذَ بَنِيَامِينَ، وَتَقَرَّرَ تَرَكُهُ عِنْدَ يَوْسُفَ بِمُقْتَضَى اعْتِرَافِهِمْ، شَرَعُوا يَتَرَقَّقُونَ لَهُ، وَيُعْطِفُونَهُ عَلَيْهِمْ، فَـ ﴿قَالُوا يَا أَبَا الْعَزِيزِ إِنَّ لَكَ أَبَا شَيْخًا كَبِيرًا﴾ يعنون: وهو يُجِئُهُ حُبًّا شَدِيدًا وَيَسْأَلُ بِهِ عَنْ وَلَدِهِ الَّذِي فَقَدَهُ، ﴿فَنَحْذُ أَحَدَنَا مَكَانَهُ﴾ أي: بَذَلَهُ، يَكُونُ عِنْدَكَ عَوَضًا عَنْهُ. ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ أي: من العادِلين المنصفين القابلين للخير.

الآية (٧٠-٧٢): ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ ﴿لَمَّا جَهَّزَهُمْ وَحَمَلَ لَهُمْ أَثَرَهُمْ طَعَامًا، أَمَرَ بَعْضَ فِتْيَانِهِ أَنْ يَضَعَ ﴿السِّقَايَةَ﴾ وهي: إِياء من فضة، في قول الأكثرين. وقيل: من ذهب كان يَشْرَبُ فِيهِ، وَيَكِيلُ لِلنَّاسِ بِهِ مِنْ عِزَّةِ الطَّعَامِ، فَوَضَعَهَا فِي مَتَاعِ بَنِيَامِينَ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُ أَحَدٌ، ثُمَّ نَادَى مُنَادٍ بَيْنَهُمْ: ﴿إِنَّهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ فَاذْهَبُوا إِلَى الْمُنَادِي، وَقَالُوا: ﴿نَمَّا نَقْدِرُوكَ﴾ ﴿قَالُوا نَقْدِرُ صَوَاعَ الْمَلِكِ﴾ أي: صاعه الذي يَكِيلُ بِهِ. ﴿وَلَمَّا جَاءَ بِهِ جُمْلُ بَعِيرٍ﴾ وهذا من باب الْحِمَالَةِ<sup>(١)</sup>، ﴿وَأَنَّا بِهِ زَعِيمٌ﴾ وهذا من باب الضَّيَانِ والكفالة.

الآية (٧٣-٧٦): ﴿لَمَّا اتَّهَمَهُمْ أُولَئِكَ الْفِتْيَانُ بِالسَّرِقَةِ، قَالَ لَهُمْ إِخْوَةُ يَوْسُفَ: ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْتُمَا لِتُقْبِلَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: لقد تَحَقَّقْتُمْ وَعَلِمْتُمْ مِنْذُ عَرَفْتُمُونَا؛ لِأَنَّهُمْ شَاهَدُوا مِنْهُمْ سِرَّةً حَسَنَةً، أَنَّا مَا جِئْنَا لِلْفُسَادِ فِي الْأَرْضِ، ﴿وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾ أي: ليست سَجَايَانَا تَقْتَضِي هَذِهِ الصِّفَةَ، فَقَالَ لَهُمُ الْفِتْيَانُ: ﴿فَمَا جَزَاؤُهُ﴾ أي: السَّارِقُ، إِنْ كَانَ فِيكُمْ ﴿إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ﴾ أي: أَيُّ شَيْءٍ يَكُونُ عِقَابُهُ إِنْ وَجَدْنَا فِيكُمْ مِنْ أَخْذِهِ؟ ﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجِدَ فِي رَحْلِهِ، فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ يَجْزَى الْفَالِطِينَ﴾. وهكذا كانت شريعة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَنَّ السَّارِقَ يُدْفَعُ إِلَى الْمَسْرُوقِ مِنْهُ. وهذا هو الذي أَرَادَ يَوْسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ وَلِهَذَا بَدَأَ بِأَوَعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وَعَاءِ أَخِيهِ، أَي: قَتَّسَهَا قَبْلَهُ تَوْرِيَةً، ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ عِوَالِهِ أَخِيهِ، فَأَخَذَهُ مِنْهُمْ بِحُكْمِ اعْتِرَافِهِمْ وَالتَّزَامِهِمُ وَالزَّامَاتِ لَهُمْ بِمَا يَعْتَقِدُونَهُ؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿كَذَلِكَ كَذَبَ الْيُوسُفَ﴾ وهذا من الكيد المحبوب الذي يُجِبُّهُ اللَّهُ وَبِرْضَاهُ، لِأَمَّا فِيهِ مِنْ الْحِكْمَةِ وَالْمَصْلَحَةِ الْمَطْلُوبَةِ.

وقوله: ﴿مَا كَانَ لِأَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ أي: لم يكن له أخذه في حكم ملك مصر، وَإِنَّمَا قَبِضَ اللَّهُ لَهُ أَنْ التَّزَمَ لَهُ إِخْوَتُهُ بِمَا التَّزَمُوهُ، وَهُوَ كَانَ يَعْلَمُ ذَلِكَ مِنْ شَرِيعَتِهِمْ؛ وَلِهَذَا نَدَّحَهُ تَعَالَى فَقَالَ: ﴿تَرَفَعَ دَرَجَتٌ مَن شَاءَ﴾؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْوِلَاةَ دَرَجَتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١].

﴿وَقَوَّ كُنْ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ قال الحسن البصري: ليس عالمٌ إِلَّا فَوْقَهُ عَالِمٌ، حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ. وعن ابن عباس قال: يَكُونُ هَذَا أَعْلَمُ مِنْ هَذَا، وَهَذَا أَعْلَمُ مِنْ هَذَا، وَاللَّهُ فَوْقَ كُلِّ عَالِمٍ.

الآية (٧٧): وَقَالَ إِخْوَةُ يَوْسُفَ لَمَّا رَأَوْا الصُّوَاعَ قَدْ أُخْرِجَ مِنْ مَتَاعِ بَنِيَامِينَ: ﴿إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾ يَنْتَصِلُونَ إِلَى الْعَزِيزِ مِنَ التَّشَبُّهِ بِهِ، وَيَذْكُرُونَ أَنَّ هَذَا فَعَلَ كَمَا فَعَلَ ﴿أَخٌ لَّهُ مِنْ

(١) الجِمالَة: التزام عوض معلوم على عمل معين يقطع النظر عن فاعله؛ كقوله: من رد علي حصاني فله كذا. [معجم لغة الفقهاء].



## ● الوقفات التدريبية

١ ﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ جَمَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَتَتْهَا آلُيَرُ إِنَّكُمْ لَسَرُوقُونَ ﴾

جواز استعمال الكلايد التي يتوصل بها إلى الحقوق، وأن العلم بالطرق الخفية الموصلة إلى مقاصدها مما يحمده عليه العبد، وإنما المنوع التحيل على إسقاط واجب، أو فعل محرم، السعدي: ٤١١.

السؤال: من خلال هذه الآية، ما الحيل الجائزة؟ وما الحيل المحرمة؟

١ ﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ جَمَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَتَتْهَا آلُيَرُ إِنَّكُمْ لَسَرُوقُونَ ﴾

ذكروا في تسميتهم سارقين وجهين: أحدهما: أنه من باب المعارض، وأن يوسف نوى بذلك أنهم سرقوه من أبيه: حيث غيبوه عنه بالحيلة التي احتالوها عليه، وخافوه فيه، والآخر: وهو من الكلام المشهور: حتى أن الخونة من ذوي الديوان يسمون لصوصا. الثاني: أن المنادي هو الذي قال ذلك من غير أمر يوسف عليه السلام. ابن تيمية: ٥٧/٤.

السؤال: كيف وُصف إخوة يوسف بأنهم سارقون مع أنهم لم يسرقوا حقيقة؟

١ ﴿ كَذَلِكَ كَذَّبَ لِيُؤْثِرَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾

فحينئذ تم ليوسف ما أراد من بقاء أخيه عنده، على وجه لا يشعر به إخوته، قال تعالى: (كذلك كذبنا يوسف) أي: يسرنا له هذا الكيد، الذي توصل به إلى أمر غير مذموم. السعدي: ٤٠٢.

السؤال: إذا أراد الله خيرا بأوليائه فلا راد لقضائه، وضح ذلك من الآية.

١ ﴿ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ شَاءَ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عِلْمٌ ﴾

يعني: الرفعة بالعلم؛ بدليل ما بعده (وفوق كل ذي علم عليم) أي: فوق كل عالم من هو أعلم منه من البشر، أو الله عز وجل. ابن جزي: ١/٢٢٧.

السؤال: لم فُسر الدرجات في هذه الآية بالعلم؟

١ ﴿ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ شَاءَ ﴾

أي: بالعلم والإيمان. القرطبي: ١١/١٧٤.

السؤال: ما الأمور التي يرتفع بها العبد درجات عالية؟

١ ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عِلْمٌ ﴾

قال ابن عباس رضي الله عنهما: فوق كل عالم عالم إلى أن ينتهي العلم

إلى الله تعالى؛ فالله تعالى فوق كل عالم. البخوي: ٤٨١/٢.

السؤال: بين سعة علم الله سبحانه وتعالى.

١ ﴿ قَالُوا لَنْ يَسْرِقَ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ فَأَرْسَلُوا بِيُوسُفَ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَنَّاءَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴾

(والله أعلم بما تصفون) أي: الله أعلم أن ما قلتم كذب ... وقد قيل: إن

إخوة يوسف في ذلك الوقت ما كانوا أنبياء. القرطبي: ٩/٢٢٨.

السؤال: كيف نسب إلى إخوة يوسف الكذب وقد قيل: إنهم أنبياء؟

فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ جَمَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَتَتْهَا آلُيَرُ إِنَّكُمْ لَسَرُوقُونَ ﴿١﴾ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٢﴾ قَالُوا تَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٣﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْتُم بِهِ فَقَدْ لَبِئْتُ السِّقَايَةَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴿٤﴾ قَالُوا فَمَا جِئْتُم بِهِ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٥﴾ قَالُوا جِئْتُم بِهِ مِنْ وَجْدٍ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاءُ كَذِبِكُمْ كَذَلِكَ تَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٦﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَوْلَ وَعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخَرْتَهُمَا مِنْ وَعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كَذَّبَ لِيُؤْثِرَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ تَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ شَاءَ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عِلْمٌ ﴿٧﴾ قَالُوا لَنْ يَسْرِقَ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ فَأَرْسَلُوا بِيُوسُفَ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَنَّاءَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٨﴾ قَالُوا أَتَأْتِيهَا الْعَزِيزُ إِنْ لَهُ آتَاكِ حَاكِ كَيْدًا فَخَذَّ أَحَدًا مَكَّاهُ وَإِنَّا نَرَىكَ مِنَ الْمَحْسِنِينَ ﴿٩﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
العيَرُ	القافضة فيها الأحمال.
صُوَاعٌ	صاغ.
زَعِيمٌ	ضامن، وكافل.
دِينِ الْمَلِكِ	حكمه وقضائه؛ لأنه ليس فيه استبعاد السارق.

## ● العمل بالآيات

١. اقرأ قصّة يوسف -عليه السلام- من أحد كتب التفسير لتزداد بها علما،

﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ جَمَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَتَتْهَا آلُيَرُ إِنَّكُمْ لَسَرُوقُونَ ﴾

٢. سل الله تعالى والتجى إليه، وافترق بين يديه أن يرفعك العلم والفهم، ﴿ كَذَلِكَ كَذَّبَ لِيُؤْثِرَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ تَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ شَاءَ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عِلْمٌ ﴾

٣. درب نفسك اليوم على كظم الغيظ قدر ما تستطيع، ﴿ قَالُوا لَنْ يَسْرِقَ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ فَأَرْسَلُوا بِيُوسُفَ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ﴾

## ● التوجيهات

١. بيان حسن تدبير الله تعالى لأوليائه، ﴿ قَالُوا فَمَا جِئْتُم بِهِ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴾

٢. إذا أحب الله عبدا رزقه الفهم والعلم، ﴿ كَذَلِكَ كَذَّبَ لِيُؤْثِرَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ تَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ شَاءَ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عِلْمٌ ﴾

٣. معرفة العبد أن الله تعالى عالم بالبداء؛ بكيدهم ومكرهم وما يصفون، يهون عليه كلام الناس، ويمتنر ويستغني بالله تعالى، ﴿ قَالُوا لَنْ يَسْرِقَ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ فَأَرْسَلُوا بِيُوسُفَ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَنَّاءَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴾



## ● الوقفات التحديرية

١ ﴿ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مِنْ وَجْدِنَا مَتَعْنًا عِنْدَهُ ﴾

ينبغي لمن أراد أن يوهم غيره بأمر لا يحب أن يطلع عليه أن يستعمل المعاريض القولية والفعلية المانعة له من الكذب؛ كما فعل يوسف؛ حيث اتقى الصواعق في رحل أخيه، ثم استخرجها منه موهماً أنه سارق، وليس فيه إلا القرينة الموهمة لإخوته، وقال بعد ذلك: (معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده) ولم يقل: «من سرق متاعنا». السعدي: ٤١١.

السؤال: كيف تخلص يوسف - عليه السلام - من الكذب عندما أراد أن يأخذ أخاه؟

١ ﴿ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴾

تضمنت هذه الآية جواز الشهادة بأي وجه يحصل العلم بها؛ فإن الشهادة مرتبطة بالعلم عقلاً وشرعاً، فلا تسمع إلا ممن علم. القرطبي: ٤٢٦/١١.

السؤال: ما تقول فيمن يشهد على أمور لا علم له بها، هل يصح ذلك؟

١ ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ﴾

ذكر الله الصبر الجميل، والصفح الجميل، والهجر الجميل؛ فالصبر الجميل: الذي لا شكوى معه، والهجر الجميل: الذي لا أذى معه، والصفح الجميل: الذي لا عتاب معه. ابن تيمية: ٤/٦٣-٦٤.

السؤال: ما المقصود بالصبر الجميل، والصفح الجميل، والهجر الجميل؟

١ ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾

جرت سنته تعالى أن الشدة إذا تناهت يجعل وراءها فرجاً عظيماً... وكأنه عليه السلام لما رأى اشتداد البلاء قوي رجاءه بالفرج، فقال ما قال. الألوسي: ٥١/١٣.

السؤال: قرب الفرج له علامة يدرکها الربانيون، فما هي؟

١ ﴿ وَقَالَ يَتَأسَفُ عَلَى يُوْسُفَ وَابْنَتِ عِيْسَى مِنَ الْخُرْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾

واستدل بالآية على جواز التأسف والبكاء عند النواصب، ولعل الكف عن أمثال ذلك لا يدخل تحت التكليف؛ فإنه قل من يملك نفسه عند الشدائد،

وقد روى الشيخان من حديث انس أنه ﷺ بكى على ولده إبراهيم، وقال: (إن العين تدمع، والقلب يخشع، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا، وإننا لفراقتك يا إبراهيم لمحزونون). وإنما المنهي عنه: ما يفعله الجهلة من التناحية ولطم الخدود والصدور، وشق الجيوب، وتمزيق الثياب. الألوسي: ٥٣/١٣.

السؤال: ما المستحب، وما الجائز، وما المحرم عند حصول المصائب؟

١ ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بِنِّي وَخَازِنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾

أي: إنما أشكو إلى الله لا إليك، ولا إلى غيركم. والبش: أشد الحزن. (واعلم من الله ما لا تعلمون) أي: أعلم من لطفه ورافته ورحمته ما يوجب حسن ظني به، وقوة رجائي فيه. ابن جزى: ٤٢٥/١.

السؤال: ما الذي يقصده يعقوب - عليه السلام - بقوله: (واعلم من الله ما لا تعلمون)؟

١ ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بِنِّي وَخَازِنِي إِلَى اللَّهِ ﴾

الشكوى إلى الله لا تنافي الصبر، وإنما الذي ينافيه الشكوى إلى المخلوقين. السعدي: ٤١١.

السؤال: متى تعتبر الشكوى منافية للصبر؟

قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مِنْ وَجْدِنَا مَتَعْنًا عِنْدَهُ وَإِنَّا إِذَا أَظْلَمُوتُ ١٥ فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مَنَّهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا قَرِطُسُ فِي بُيُوتٍ فَلَنْ أُنْجِيَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْتِيَ إِلَيَّ الْوَيْحُ مِنَ اللَّهِ لِي هُوَ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ١٦ أَرْجِعُوا إِلَى آبَائِكُمْ فَقُولُوا إِنَّا بَنَاتُ ابْنِكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ١٧ وَسَقَى الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ١٨ قَالَ بَلْ سَوَّيْتُ لَكُمْ أَنْفُسَكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ١٩ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَتَأسَفُ عَلَى يُوْسُفَ وَابْنَتِ عِيْسَى مِنَ الْخُرْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ٢٠ قَالُوا لِلَّهِ تَقَرُّؤَاتٌ كَرُّ يُوْسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ٢١ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بِنِّي وَخَازِنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ٢٢

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
اسْتَيْسَسُوا	يَسْتَوُوا وَانْقَطَعَ رَجَاؤُهُمْ.
خَلَصُوا نَجِيًّا	انْفَرَدُوا يَتَشَاوَرُونَ.
أَفَارَقَ.	
كَظِيمٌ	شَدِيدُ الْكِتْمَانِ لِحُزْنِهِ.
فَقَاتًا	مَا تَرَالًا.

## ● العمل بالآيات

١. تأمل معاني أسماء الله الحسنى التي وردت في كلام يعقوب - عليه السلام - في القصة، وكيف كانت سبباً في حياته، وأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ.
٢. احرص اليوم على دعاء الخروج من المنزل - وفيه الاستعاذة من الظلم - وقل: «اللهم إني أعوذ بك أن أضل أو أضل، أو أزل أو أزل، أو أظلم أو أظلم، أو أجهل أو يجهل علي»، ﴿ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مِنْ وَجْدِنَا مَتَعْنًا عِنْدَهُ وَإِنَّا إِذَا أَظْلَمُوتُ ﴾.
٣. ذكر، وانصح، وتعاهد إخوانك بالخير، كما فعل كبير إخوة يوسف مع إخوته، ﴿ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا قَرِطُسُ فِي بُيُوتٍ ﴾.

## ● التوجيهات

١. الجأ إلى الله أولاً قبل أن تلجأ إلى غيره؛ خاصة عند الشدائد، ﴿ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ﴾.
٢. البكاء أو الحزن عند وجود المصائب لا ينفي اليقين والثبات، ﴿ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَتَأسَفُ عَلَى يُوْسُفَ وَابْنَتِ عِيْسَى مِنَ الْخُرْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾.
٣. مشاعر الحب والشوق للولد ليست منافية للإيمان، وليست عيباً أو نقصاً في الرجال، ولكن قد تكون محلاً للابتلاء، ﴿ وَقَالَ يَتَأسَفُ عَلَى يُوْسُفَ وَابْنَتِ عِيْسَى مِنَ الْخُرْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾.

أي: ضعيف الجسم، ضعيف القوة، ﴿أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ يقولون: وإن استمر بك هذا الحال خَشِينَا عَلَيْكَ الْهَلَاكَ وَالْتَلَفَ. ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحْزَنٍ إِلَى اللَّهِ﴾ أي: أجابهم عما قالوا بقوله: ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحْزَنٍ﴾ أي: هَمِّي وما أنا فيه ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ وحده، ﴿وَأَعْلَمَ رَبُّ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي: أرجو منه كل خير. وعن ابن عباس: أعلم أن رؤيا يوسف صادقة، وأنا سوف أسجد له.

الآية (٧٩): ﴿قَالَ مَكَادُ اللَّهِ أَنْ تَأْخُذَ إِلَهِمِنْ وَمِنْهَا مَتَعْنًا عِنْدَهُ﴾ كما قلتم واعترفتم، ﴿إِنَّا إِذَا لَقِيتُكُمْ﴾ إن أخذنا بربنا يسقيهم. الآية (٨٠-٨٢): ﴿فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ حَلَسُوا نِيحًا﴾ نَجبر تعالى عن إخوة يوسف: أنهم لَمَّا يَسُوا من تخليص أخيه بنيامين، الذي قد التزموا لأبيهم بَرَدَهُ إِلَيْهِ، وعاهدوه على ذلك، فامتنع عليهم ذلك ﴿حَلَسُوا﴾ أي: انفردوا عن الناس ﴿نِيحًا﴾ يتناجون فيما بينهم. ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ﴾ وهو الذي أشار عليهم بالقائه في البشر عندما هُمُوا بقتله، قال لهم: ﴿أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ﴾ لَرُدُّنَهُ إِلَيْهِ، فقد رأيتم كيف تعذر عليكم ذلك مع ما تقدم لكم من إضاعة يوسف عنه، ﴿فَلَنْ أَجِزَ الْأَرْضُ﴾ أي: لن أفارق هذه البلدة ﴿حَتَّى يَأْذَنَ لِىَ أَبِي﴾ في الرجوع إليه راضياً عني، ﴿أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي﴾ قيل: بالسيف. وقيل: بأن يمكثني من أخذ أخي ﴿وَهُوَ خَيْرٌ لِّلْحَكِيمِينَ﴾.

ثم أمرهم أن يجربوا أباهم بصورة ما وَقَعَ حتى يكون علماً لهم عنده، ويتصلوا إليه، ويرؤوا ما وَقَعَ بقولهم.

وقوله: ﴿وَمَا كُنَّا لِّلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾ قال عكرمة وقتادة: ما نعلم أن ابنك سَرَقَ. وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: ما علمنا في الغيب أنه يَسْرِقُ له شيئاً، إنما سألنا ما جزاء السارق؟ ﴿وَسَتِلَ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ قيل: المراد مصر؛ قاله قتادة، وقيل: غيرها. ﴿وَالْعَبْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ أي: التي رافقناها، عن صلدنا وأمانتنا وحفظنا وحراستنا، ﴿وَرَأَيْنَا الصَّدِيقِينَ﴾ فيها أخبرناك به من أنه سَرَقَ وأخذوه بسرقة.

الآية (٨٣-٨٦): قال لهم كما قال لهم حين جاؤوا على قميص يوسف بدم كذب: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَبِيلٌ﴾ قال ابن إسحاق: لَمَّا جاؤوا يعقوب وأخبروه بما جرى أَيْتَهُمْ، وظن أنها كَفَعْلَتُهُمْ بيوسف، ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَبِيلٌ﴾. ثم تَرَجَّى من الله أن يَرُدَّ عليه أولاده الثلاثة: يوسف وأخاه بنيامين، والذي أقام بديار مصر ينتظر أمر الله فيه: إما أن يرضى عنه أبوه فيأمره بالرجوع إليه، وإما أن يأخذ أخاه خُفْيَةً؛ ولهذا قال: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ﴾ أي: العليم بحالي، ﴿الْحَكِيمُ﴾ في أفعاله وقضائه وقدره.

﴿وَنَوَّلَ عَنْهُمْ وَقَالَ يَاسَافُ عَلَى يُوْسُفَ﴾ أي: اعرض عن بنيهم، وقال -متذكراً حزن يوسف القديم الأول-: ﴿يَاسَافُ عَلَى يُوْسُفَ﴾ جَدَّدَ له حزنُ الابنين الحزن الدفين. قال سعيد بن جبير: لم يُعْطَ أحد غير هذه الأمة الاسترجاع، ألا تسمعون إلى قول يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿يَاسَافُ عَلَى يُوْسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَاطٍ﴾ أي: ساكت لا يشكو أمره إلى مخلوق. قاله قتادة وغيره.

وقال الضحاك: ﴿فَهُوَ كَاطٍ﴾: كميء حزين. فعند ذلك رَقَّ له بنوه، وقالوا له على سبيل الرفق به والشفقة عليه: ﴿تَاللَّهِ تَفْتَنُوا تَذَكَّرُ يُوْسُفَ﴾ أي: لا تفارقوا تذكُّر يوسف ﴿حَتَّى تَكُونُوا حَرَمًا﴾

والظاهر -والله أعلم- أن يوسف عَلَيْهِ السَّلَام إنما تَعَرَّفَ إليهم بنفسه، بإذن الله له في ذلك، كما أنه إنما أخفى عنهم نفسه في المرتين الأولين بأمر الله تعالى له في ذلك، والله أعلم، ولكن لَمَّا ضاق الحال واشتد الأمر، قَرَّحَ الله تعالى من ذلك الضيق؛ كما قال تعالى: ﴿فَإِن مَعَ الْقَصْرِيطِ مَرْكَبٌ ۖ﴾ [٥] إِنَّ مَعَ الْقَصْرِيطِ مَرْكَبٌ [الشرح: ٥-٦]، فعند ذلك قالوا: ﴿أَوَلَيْكَ لَأَن تَ يُوْسُفُ ۚ﴾؟! أي: إنهم تَعَجَّبُوا من ذلك أنهم يَتَرَدَّدُونَ إليه من ستين وأكثر، وهم لا يعرفونه، وهو مع هذا يعرفهم ويكتفم نفسه، فلهذا قالوا على سبيل الاستفهام: ﴿أَوَلَيْكَ لَأَن تَ يُوْسُفُ ۚ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا ۚ﴾ أي: يجمعه بيننا بعد التفرقة وبُعْدَ المدة. ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ۝﴾ قَالُوا قَالَهُ لَقَدْ عَاشَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا



## ● الوقفات التدريبية

- ﴿يَبْنَئِ أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾
- إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾

الرجاء يوجب للعبد السعي والاجتهاد فيما رجاه، والإيثار يوجب له التناقل والتباطؤ. السعدي: ٤٠٤.

السؤال: ما فائدة حسن الظن بالله، وعدم اليأس من رحمته سبحانه؟

- ﴿يَبْنَئِ أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾

إنما جعل اليأس من صفة الكافر لأن سببه تكذيب الربوبية، أو جهلًا بصفات الله من: قدرته، وفضله، ورحمته. ابن جزري: ٢٥/١.

السؤال: لم كان اليأس من صفات الكافرين؟

- ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَهْلْنَا الشَّرُّ وَجِئْنَا بِضَاعَتِهِ مُزَيَّنَةً فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ (٤٥)
- قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا قَلَّمْتُ يُونُسَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٤٦﴾

لما شكوا إليه رُق لهم، وعرفهم بنفسه. ابن جزري: ٢٥/١.

السؤال: بين أثر الكلمة الطيبة في التأثير على النفوس، وتغيير المواقف.

- ﴿يَبْنَئِ أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾

أي: يتق الله، ويصبر على المصائب وعن المعاصي، (فإن الله لا يضيع أجر المحسنين) أي: الصابرين في بلائه، القائمين بطاعته. القرطبي: ٤٣/١.

السؤال: متى يصل العبد إلى عز الدنيا والآخرة؟

- ﴿يَبْنَئِ أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾

استقط حق نفسه بقوله: (لا تتريب عليكم اليوم)، ثم دعا إلى الله أن يغفر لهم حقه. ابن جزري: ٢٦/١.

السؤال: في هذه الآية منهج عظيم، وخلق رفيع من أخلاق الأنبياء، بينه.

- ﴿يَبْنَئِ أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾

لا تعبير عليكم اليوم، ولا أذكر لكم ذنبكم بعد اليوم. البغوي: ٩٤/٢.

السؤال: إلى أي حد بلغ عفو يوسف وصفحه عن إخوته؟

- ﴿يَبْنَئِ أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾

ولما كان مبدأ الهمة الذي أصابه من القميص الذي جاؤوا عليه بدم كذب: عيّن هذا القميص مبدأ للسور -دون غيره من آثاره عليه السلام-

يُبدل السرور عليه من الجهة التي دخل عليه الهمة منها. الألوسي: ١٣/١٤.

السؤال: ما وجه اختيار القميص دون غيره من آثار يوسف عليه السلام؟

يَبْنَئِ أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَهْلْنَا الشَّرُّ وَجِئْنَا بِضَاعَتِهِ مُزَيَّنَةً فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا قَلَّمْتُ يُونُسَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا أَوَ لَمْ نَكْ لَا نَتَّيْبُ يُونُسَ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٧﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاتَاكَ اللَّهُ عِلْمًا وَإِنْ كُنَّا لَخَطِيلِينَ ﴿٤٨﴾ قَالَ لَا تَرْيِبَ عَلَيْكُمْ أَيُّوْمَ يَعْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٤٩﴾ أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأُنْزِلُوا بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٠﴾ وَلَمَّا فَصَلَطَ الْعِيسَى قَالَ أَبُوهُم إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٥١﴾ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالٍ الْقَدِيرِ ﴿٥٢﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
وَلَا تَأْتِسُوا	لَا تَقْطَعُوا رَجَاءَكُمْ.
بِضَاعَتِهِ مُزَجَّاةٍ	ثَمَنٌ رَدِيءٌ قَلِيلٌ.
لَا تَرْيِبَ	لَا تَأْتِبِي.
فَصَلَطَ الْعِيسَى	خَرَجَتِ الْفَافِلَةُ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ.
تُفَنِّدُونِ	تُسَفِّهُونِي.

## ● العمل بالآيات

١. تذكر مصيبتك حلت بالأمه، ثم قارنها بصفات القدرة لله تعالى؛ فستعيش بعدها متفانلاً، ﴿وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾.

٢. سل الله تعالى أن يرزقك التقوى والصبر؛ فهما طريق الإحسان، ﴿يَبْنَئِ أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾.

٣. حدد مشكلتك وقعت بينك وبين أحد أقاربك، واتخذ قراراً بالعفو عنه ابتغاء وجه الله تعالى، حتى تكون قريباً من رحمة الله تعالى، ﴿يَبْنَئِ أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾.

## ● التوجيهات

١. إياك واليأس من رحمة الله تعالى، وغفرانه لذنبك؛ فإله تعالى رحيم كريم، ﴿وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾.

٢. ثلاث صفات جعلت العاقبة ليوسف عليه السلام: التقوى، الصبر، الإحسان، ﴿يَبْنَئِ أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾.

٣. العفو عن المخطئين من صفات الأنبياء؛ ولا تكف بمجرد العفو عن أخطأ في حقله، بل زده دعوة تنفعه في الدنيا والآخرة، ﴿يَبْنَئِ أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿ قَالُوا يَا بَنَا آدَمَ اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴾

ولما سألوه الاستغفار لذنوبهم عللوه بالاعتراف بالذنوب: لأن الاعتراف شرط التوبة البقاعي: ٩٧/٤.

السؤال: هل الاعتراف بالذنوب من شروط التوبة النصوح؟

﴿ قَالَ سَوْفَ اسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾

أراد أن ينبههم إلى عظم الذنب، وعظمة الله تعالى، وأنه سيكره الاستغفار لهم في أزمنة مستقبلية ابن عاشور: ٥٤/١٣.

السؤال: لماذا وعد يعقوب - عليه السلام - أبناءه بالاستغفار لهم في المستقبل؟

﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السَّبْحِ ﴾

إنما لم يقل أخرجني من الجب لوجهين: أحدهما: أن في ذكر الجب لخبزياً لإخوته، وتعريفهم بما فعلوه؛ فترك ذكره توقيراً لهم، والآخر: أنه خرج من الجب إلى الرق، ومن السجن إلى الملك، فالتعمية به أكثر.

ابن جزري: ٤٢٧/١.

السؤال: لم لم يذكر يوسف - عليه السلام - نعمة إخراجهم من الجب

في هذا المقام؟

﴿ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ﴾

وهذا من لطفه وحسن خطابه عليه السلام ... فلم يقل: «نزع الشيطان إخوتي»، بل كان الذنب والجهل صدر من الطرفين. السعدي: ٤٠٥.

السؤال: لم جعل النزع من الشيطان حاصل منه ومن إخوته، مع أنه حصل من إخوته فقط؟

﴿ أَنْتَ وَلِيُّيَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾

(أنت وليي أي: الأقرب إلي باطناً وظاهراً. في الدنيا والآخرة) أي: لا ولي لي غيرك، والولي يفعل لمولاه الأصلح والأحسن، فأحسن بي في الآخرة أعظم ما أحسنت بي في الدنيا. البقاعي: ١٠٠/٤.

السؤال: ما الثمرة والفائدة من أن يكون العبد من أولياء الله سبحانه؟

﴿ رَبِّي قَدْ آتَيْنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْآحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّيَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾

(توفني مسلماً)، لما عدد النعم التي أنعم الله بها عليه؛ دعا أن الله يتم عليه النعم بالوفاة على الإسلام إذا حان أجله. ابن جزري: ٤٢٧/١.

السؤال: حصول نعم الدنيا لا يشغل عن طلب نعم الآخرة، وضع ذلك من خلال الآية.

﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾

وقال الصديق: (توفني مسلماً وألحقني بالصالحين)، والصحيح من القولين أنه لم يسأل الموت، ولم يتمنه؛ وإنما سأل أنه إذا مات يموت على الإسلام؛ فسأل الصفة لا الموصوف كما أمر الله بذلك. ابن تيمية: ٦٧/٤.

السؤال: هل تمنى يوسف - عليه السلام - الموت؟ وضع ذلك.

فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَرَأَيْتُمْ لَكُمْ رَبِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٠﴾ قَالُوا يَا بَنَا آدَمَ اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿٥١﴾ قَالَ سَوْفَ اسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٢﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَى إِلَيْهِ أَبْوِيَهُ وَقَالَ ادْخُلُوا مَصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِينَ ﴿٥٣﴾ وَرَفَعَ أَبْوِيَهُ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَأْتِيَنَّ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ فَدَجَّلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السَّبْحِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٥٤﴾ رَبِّي قَدْ آتَيْنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْآحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّيَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٥٥﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
أَوَى	ضَمَّ.
العَرْشِ	سَرِيرِ الْمُلْكِ.
وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا	حَيَوُهُ بِالسُّجُودِ: تَكْرِيمًا، لَا عِبَادَةً، وَهُوَ فِي شَرْعِهِمْ جَائِزٌ.
الْبَدْوِ	الْبَادِيَةِ.
نَزَعَ	أَهْضَمَ.

## ● العمل بالآيات

١. اطلب العفو من ظلمتهم بالقول أو بالفعل قدر استطاعتك، أو استغفر لهم، ﴿ قَالُوا يَا بَنَا آدَمَ اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴾.

٢. استعد بالله أن ينزع الشيطان بينك وبين إخوانك، ﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السَّبْحِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ﴾.

٣. عدد بعض نعم الله تعالى عليك، ثم سل الله تعالى شكرها، وتماها، ﴿ رَبِّي قَدْ آتَيْنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْآحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّيَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾.

## ● التوجيهات

١. من أسباب شركوك لله سبحانه تذكر حالتك قبل حصول النعمة، ﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السَّبْحِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ﴾.

٢. العبرة بموافقة الشريعة لا بالقلّة والكثرة، ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾.

٣. عدم استجابة المدعوين أحياناً يكون ابتلاء واختباراً من الله تعالى للداعية، ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾.

﴿الْحَكِيم﴾ في أفعاله وأقواله، وقضائه وقدره، وما يختاره ويريد.

الآية (١٠١): ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ هذا دعاء من يوسف الصديق؛ دعا به ربه عز وجل لئلا تمت النعمة عليه باجتماعه بأبويه وإخوته، وما مرَّ الله به عليه من النوبة والملوك؛ سأل ربه عز وجل كما أنتم نعمته عليه في الدنيا أن يستمر بها عليه في الآخرة، وأن يتوفاه مسلماً حين يتوفاه، وأن يلحقه بال صالحين؛ وهم إخوانه من النبيين والمرسلين، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. وهذا الدعاء يُحتمل أن يوسف عليه السلام قاله عند احتضاره، ويُحتمل أنه سأل الوفاة على الإسلام وللحاق بال صالحين إذا حان أجله وانقضى عمره؛ لا أنه سأل ذلك مُنجزاً؛ كما يقول الداعي: «اللهم أحينا مسلمين، وتوفنا مسلمين، والحقنا بال صالحين». ويحتمل أنه سأل ذلك مُنجزاً، وكان ذلك سائفاً في ملتهم؛ كما قال قتادة: لئلا جمع الله شمله وأقر عينه، وهو يومئذٍ مغفور في الدنيا ومُلكها وعَصَا رَسْمَها، فاشتاقت إلى الصالحين قبله.

عن ابن عباس: أنه أوَّل نبي دعا بذلك. ولكن هذا لا يجوز في شريعتنا. عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يَمْتَنِي أَحَدُكُمْ المَوْتَ لَضَرٍّ تَزَكَّى بِهِ، إِنَّمَا تُحْسِنُ فِرْدَاداً، وَإِنَّمَا مُسِيئاً فَلَعَلَّهُ يَسْتَغْفِرُ، وَلَكِنْ لِيَقُلْ: اللَّهُمَّ، أَحْيِنِي مَا كَانَتِ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الْوفاةُ خَيْرًا لِي» [متفق عليه]. وهذا فيما إذا كان الضَّرُّ خاصاً به، أما إذا كان فتنةً في الدين فيجوز سؤال الموت.

الآية (١٠٢-١٠٣): ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ يقول تعالى لمحمد ﷺ لئلا قص عليه نبأ إخوة يوسف، وكيف رَفَعَهُ الله عليهم، وجعل له العاقبة والنصر والمُلك والحُكم، مع ما أرادوا به من سوء الهلاك والإعدام: هذا وأمثاله يا محمد من أخبار الغيوب السابقة ﴿نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ وتُعلمُك به لئلا فيه من العبرة لك والاعتناظ لمن خالفك، ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ﴾ حاضراً عندهم ولا مشاهداً لهم، ﴿إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ﴾ أي: على إلقائه في الحُبِّ، ﴿وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ به، ولكننا أَعْلَمُناكَ به وحياً إليك، وإنزلاً عليك؛ كقوله: ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَفْلَهُمُ﴾ الآية [آل عمران: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْفَرْغَةِ إِذْ قَضَيْتَ إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ﴾ [القصص: ٤٤]، إلى قوله: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْكُفْرَةِ إِذْ قُضِيَ بِكَ﴾ الآية [القصص: ٤٦]، وقال: ﴿وَمَا كُنْتَ قَائِلًا بِأَنْ تَقُولَ لِي أَتِيكَ بِالْبَقَرَةِ وَأُنَادِيكَ بِرَبِّكَ﴾ [القصص: ٤٥].

يقول تعالى: إنه رسول، وإنه قد أطلعه على أنباء ما قد سبق مما فيه عبرة للناس ونجاة لهم في دينهم ودنياهم؛ ومع هذا ما آمن أكثر الناس؛ ولهذا قال: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾، وقال: ﴿وَلَنْ يُفْلِحَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوْكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦]، إلى غير ذلك من الآيات.

الآية (٩٦-٩٨): قال ابن عباس والضحاك: ﴿الْيَسِيرُ﴾: البريد قال مجاهد والسدي: كان يهودا بن يعقوب. قال السدي: إنما جاء به لأنه هو الذي جاء بالقميص وهو مُطْعَمٌ بدم كذب، فأراد أن يغسل ذلك بهذا، فجاء بالقميص فألقاه على وجه أبيه، فرجع بصيراً.

وقال لبيبة عند ذلك: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي: أعلم أن الله سبَّهه إلي، وقلت لكم: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ نَولاً أَنْ تَقْبِضُونَ﴾؟ [يوسف: ٩٤] فعند ذلك قالوا لأبيهم مترفقين له: ﴿يَبْنَائَنَا أَسْتَفْغِرُ لَكَ ذُنُوبًا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ ﴿وَقَالَ سَوْفَ أَسْتَفْغِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ أي: من تاب إليه تاب عليه.

الآية (٩٩-١٠٠): يخبر تعالى عن ورود يعقوب على يوسف عليها السلام، وقدمه بلاد مصر، لئلا كان يوسف قد تقدَّم إلى إخوته أن يأتوه بأهلهم أجمعين، فتحملوا عن آخرهم وترحلوا من بلاد كنعان قاصدين بلاد مصر، فلما أخبر يوسف عليه السلام باقترابهم خرج لتلقئهم، وأمر الملك أمراءه وأكابر الناس بالخروج مع يوسف لتلقئ نبي الله يعقوب عليه السلام. ويقال: إن الملك خرج أيضاً لتلقئ، وهو الأشبه.

وقوله: ﴿مَآوِئَ إِلَيْهِ أَبْوَابُهُ﴾ قال السدي وابن أسلم: إنما كان أباه وخاله، وكانت أمه قد ماتت قديماً. وقال ابن إسحاق وابن جرير: كان أبوه وأمّه يعيشان. قال ابن جرير: ولم يبق دليل على موت أمه، وظاهر القرآن يدلُّ على حيائها. وهذا الذي نصره هو المنصور الذي يدلُّ عليه السياق.

وقوله: ﴿وَرَفَعَ أَبْوَابَهُ عَلَى الْعَرْشِ﴾ أي: أجلسهما معه على سريريه. ﴿وَحَرَّوْا لَهُ سُجُودًا﴾ أي: سجد له أبواه وإخوته الباقون، وكانوا أحد عشر رجلاً، ﴿وَقَالَ يَأْتِي هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: التي كان قصصها على أبيه: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَمَدَ عَشْرِ كُرْكُمَا وَالْأَشْخَسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤]. وقد كان هذا سائفاً في شرائعهم إذا سلّموا على الكبير يسجدون له، ولم يزل هذا جائزاً من لدن آدم إلى شريعة عيسى عليه السلام، فحَرِّمَ هذا في هذه الملة، وجعل السجود مختصاً بِجَنَابِ الرَّبِّ سبحانه وتعالى. هذا مضمون قول قتادة وغيره. والغرض: أن هذا كان جائزاً في شريعتهم؛ ولهذا حَرَّوْا له سُجُودًا، فعندها قال يوسف: ﴿يَأْتِي هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلْتُ رَافِي حَقًّا﴾ أي: هذا ما آل إليه الأمر؛ فإن التأويل يُطلق على ما يصير إليه الأمر؛ كما قال تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾ [الأعراف: ٥٣] أي: يوم القيامة يأتيهم ما وعدوا من خير وشر.

وقوله: ﴿قَدْ جَعَلْتُ رَافِي حَقًّا﴾ أي: صحيحة صِدْقاً؛ يَذْكُرُ نِعَمَ الله عليه، ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجْتَنِي مِنَ الْبَيْتِ وَجَعَلْتَنِي مِنَ الْبَدْوِ﴾ أي: البادية. قال ابن جرير وغيره: كانوا أهل بادية وماشية. وقال: كانوا يسكنون بالعربات من أرض فلسطين، من غور الشام. ﴿مِنْ بَدْوٍ أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾ إِنَّ رَافِي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ﴾ أي: إذا أراد أمراً قَيَّضَ له أسباباً وَسَّرَهُ وقدره، ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَلِيْبُ﴾ بمصالح عباده



البوادي، الذين هم أجنفى الناس طباعاً وأخلاقاً. وهذا هو المعهود المعروف: أن أهل المدن أرثق طباعاً، وألطف من أهل سوادهم، وأهل الريف والسواد أقرب حالاً من الذين يسكنون في البوادي؛ ولهذا قال تعالى: ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَبَغَاءً﴾ الآية [التوبة: ٩٧].

وقوله: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ يعني هؤلاء المكذبين لك يا محمد، ﴿فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عِقَابُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي: من الأمم المكذبة للرسول، كيف دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها ﴿[بعد: ٩١]﴾ كقوله: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَلَمَّا تَالَا تَمْشَى الْأَرْضُ لَحْيًا وَلَكِنَّ تَوَسَّى الْقُلُوبُ لَأَنَّى فِي الضُّلُوعِ﴾ [الحج: ٤٦].

﴿وَلَا تُدَارِ الْأَعْيُنُ حَيْثُ لَذِيَّتْ أَتَقُوا﴾ أي: وكما أنجينا المؤمنين في الدنيا، كذلك كتبنا لهم النجاة في الدار الآخرة أيضاً، وهي خير لهم من الدنيا بكثير؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَنُؤَيِّدُ بِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [غافر: ٥١].

الآية (١١٠): يذكر تعالى أن نصره ينزل على رسله، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، عند ضيق الحال وانتظار الفرج من الله تعالى في أحوال الأوقات إلى ذلك؛ كقوله تعالى: ﴿وَرَوَّزُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نَصْرٌ مِّنَّا أَوْ لَا إِن تَنصُرُوا لِلَّهِ فَإِنَّهُ لِنَنْصُرَ اللَّهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ [البقرة: ٢١٤].

وفي قوله: ﴿كُذِّبُوا﴾ قراءتان، إحداهما بالتشديد: «قد كُذِّبُوا»، وكذلك كانت عائشة تقرؤها، وقالت: هم أتباع الرسل الذين آمنوا ببرهم وصدقهم، فظال عليهم البلاء واستأخرو عنهم النصر ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ﴾ ممن كُذِّبهم من قومهم، وظنت الرسل أن أتباعهم قد كُذِّبوا، جاءهم نصر الله عند ذلك... والقراءة الثانية بالتخفيف... قال ابن عباس: لَمَّا أَيْسَسَ الرسل أن يستجيب لهم قومهم، وظن قومهم أن الرسل قد كُذِّبوا، جاءهم النصر على ذلك ﴿فَنَجَّى مَن نَّشَاءُ﴾. وقال سعيد بن جبير: حتى إذا استياس الرسل من قومهم أن يصدقهم، وظن الرسل إلههم أن الرسل كُذِّبوا.

الآية (١١١): يقول تعالى: لقد كان في خبر المرسلين مع قومهم، وكيف أنجينا المؤمنين وأهلكتنا الكافرين ﴿عِبْرَةً لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ وهي العقول، ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى﴾ أي: وما كان لهذا القرآن أن يُفْتَرَى من دون الله، أي: يُكْذَّب ويُخْتَلَق، ﴿وَلَكِنَّ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي: من الكتب المنزلة من السماء، وهو يُصَدِّق ما فيها من الصحيح، وينفي ما وقع فيها من تحريف وتبديل وتغيير، ويحكم عليها بالنسخ أو التقرير، ﴿وَتَقْصِصَ كُلِّ مَقْنَةٍ﴾ من تحليل وتحريم، ومحبوب ومكروه، وغير ذلك من الأمر بالطاعات والواجبات والمستحبات، والنهي عن المحرمات وما شاكلها من المكروهات، والإخبار عن الغيوب المستقبلية المجملية والتفصيلية، والإخبار عن الرب تبارك وتعالى بالأسماء والصفات، وتنزيهه عن ماثلة المخلوقات، فلماذا كان ﴿وَهَذَى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾، تهتدي به قلوبهم من النفي إلى الرشد، ومن الضلالة إلى السداد، ويتنعمون به الرحمة من رب العباد، في هذه الحياة الدنيا ويوم المعاد. فنسأل الله العظيم أن يجعلنا منهم في الدنيا والآخرة.

الآية (١٠٤): وقوله: ﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ أي: وما تسألهم يا محمد على هذا النصح والدعاء إلى الخير والرشد من أجرة، بل تفعله ابتغاء وجه الله، ونصحاً لحلقه. ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ أي: يتذكرون به ويبتدون، وينجون به في الدنيا والآخرة.

الآية (١٠٥-١٠٧): يخبر تعالى عن غفلة أكثر الناس عن التفكير في آيات الله ودلائل توحيده، بما خلقه الله في السموات والأرض، فسبحان الواحد الأحد، خالق أنواع المخلوقات، المتفرد بالدوام والبقاء.

وقوله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ شُرَكَوْنَ﴾ قال ابن عباس: من إيمانهم: أنهم إذا قيل لهم: من خلق السماوات؟ ومن خلق الأرض؟ ومن خلق الجبال؟ قالوا: «الله»، وهم مشركون به. وكذا قال مجاهد والشعبي وقادة. وقال الحسن: ذاك المنافق؛ يعمل إذا عمل رياء الناس، وهو مشرك بعمله ذاك. ومَن شرك آخر خفي لا يشعر به غالباً فاعله؛ كما في الحديث: «من حلف بغير الله فقد أشرك» رواه أحمد والترمذي، وصححه إسناده أحمد شاكر. وعن ابن مسعود [مرفوعاً]: «إن الرقي والتائم والتولة شرك» [رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه، وحسن إسناده أحمد شاكر].

وقوله: ﴿أَفَأَمِنُوا أَن يَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ؟﴾ الآية، أي: أفأمن هؤلاء المشركون أن يأتيهم أمر بغشاهم من حيث لا يشعرون؛ كقوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسًا بَيِّنًا وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ ﴿٧٥﴾ وَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسًا ضَعِيفًا وَهُمْ يَلْمِزُونَ﴾ ﴿٧٦﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الاعراف: ٩٧-٩٩].

الآية (١٠٨): يقول تعالى لرسوله ﷺ إلى الثقلين -الجن والإنس- أَمَرُ لَه أَن يُخَبِّرَ النَّاسَ: أَن هَذِهِ سَبِيلُهُ، أي طريقه ومسلكه وسُتَّة؛ وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له؛ يدعو إلى الله بها على بصيرة من ذلك، ويقين وبرهان، هو، وكل من أتبعه يدعو إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ على بصيرة ويقين وبرهان عقلي وشرعي. وقوله: ﴿رَسُوبَنَ اللَّهِ﴾ أي: وأقره الله وأجله وأعظمه وأقدسه، عن أن يكون له شريك أو نظير، أو عدل أو نديد، أو ولد أو والد أو صاحبة، أو وزير أو مشير، تبارك وتعالى وتقدس وتنزه عن ذلك كله علواً كبيراً.

الآية (١٠٩): يخبر تعالى أنه إنما أرسل رُسُلَه من الرجال لا من النساء. وهذا قول جمهور العلماء، كما دل عليه سياق هذه الآية الكريمة: أن الله تعالى لم يوجِ إلى امرأة من بنات بني آدم وحيي تشريع. وإنما فيهنَّ صِدِّيقَات؛ كما قال تعالى مخبراً عن أشرقهنَّ مريم بنت عمران حيث قال: ﴿مَّا أَلْمِيسِجْ أَنْتِ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُنشِدْ صِدِّيقَةً كَانَتْ يَأْكُلُ لَبَنٍ أَلْعَمَامِ﴾ [المائدة: ٧٥]، فوصفها في أشرف مقاماتها بالصِّدِّيقَةِ، فلو كانت نبيَّةً لَدَكَرَ ذلك في مقام التشريف والإعظام، فهي صِدِّيقَةٌ بنص القرآن. وقال ابن عباس في قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجَالًا﴾ أي: ليسوا من أهل النساء كما قلتم. وهذا القول يعتضد بقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّلْعَامَ وَيَشْرَبُونَ﴾ في الآسواق [الفرقان: ٢٠].

وقوله: ﴿مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾: المراد بالقرى: المدن، لا أنهم من أهل



## ● الوقفات التدريبية

﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾

يندرج فيهم كل من أقر بالله تعالى وخلقيته مثلاً، وكان مرتكباً ما يُعدُّ شركاً كيفما كان، ومن أولئك: عبدة القبور، الناذرون لها، المعتقدون للنفع والضرر ممن الله تعالى أعلم بحالته فيها. الألوسي: ٨٤/١٣.

السؤال: كيف يجتمع عند الإنسان إيمان وشرك؟

﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾

فهم مؤمنون بربوبيته، مشركون في عبادته؛ كما قال النبي ﷺ لحصين الخزاعي: (يا حصين كم تعبد؟) قال: سبعة الهة؛ ستة في الأرض وواحد في السماء؛ قال: (فمن الذي تعد لرغبتك ورهبتك؟) قال: الذي في السماء. قال: (اسلم حتى أعلمك كلمته ينفعك الله تعالى بها؛ فاسلم، فقال: قل):

اللهم الهمني رشدي، وقتي شر نفسي. ابن تيمية: ٦٧/٤.

السؤال: لا يكفي الإيمان بربوبية الله واسمائه وصفاته حتى تؤمن بتوحيده بالدعاء، والاستغاث، والاستعانة، بين ذلك من خلال الآية:

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعْتِي وَسِعَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾

وفي الآية دلالة على أن أصحاب النبي ﷺ والمؤمنين الذين آمنوا به مأمورون بأن يدعوا إلى الإيمان بما يستطيعون. ابن عاشور: ٦٥/١٣.

السؤال: ينبغي للمؤمن أن يدعو إلى الله تعالى قدر استطاعته، بين ذلك:

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعْتِي وَسِعَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾

قال عبد الله بن مسعود: من كان مستنّاً فليستن بمن قد مات؛ فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة. أولئك أصحاب محمد ﷺ، كانوا خير هذه الأمة، وأبرها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً؛ قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرهم؛ فإنهم كانوا على الهدى المستقيم. البيهقي: ٢٨٣/٤.

السؤال: من أفضل من فهم سنة النبي ﷺ وسار عليها؟

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِيسَالاً نُرِيهِمْ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾

إن الله تعالى لم يوح إلى امرأة من بنات بني آدم وحي تشريع.

ابن كثير: ٤٧٧/٣.

السؤال: الفطرة تقتضي أنه ليس الذكر كالأنثى، وأن كلا منهما ميسر لما خلق له، بين ذلك:

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾

يدل على أنه تعالى يفضي بفضي ممن أعرض عن تدبر آياته. البقاعي: ١١٣/٤.

السؤال: هل تدبر مآل الظالمين وعاقبتهم من المستحبات، أم من الواجبات المحتومات على كل مؤمن؟

﴿ لَقَدْ كُنَّا فِي فَصْمِمْ عِزَّةً لَأُولَى الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَعُ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾

والهدى الذي في القصص: الصبر الباعثة على الإيمان والتقوى بمشاهدة ما جاء من الأدلة في أثناء القصص على أن التصرف هو الله تعالى، وعلى أن التقوى هي أساس الخير في الدنيا والآخرة، وكذلك الرحمة؛ فإن في قصص أهل الفضل دلالة على رحمة الله لهم وعنايته بهم. ابن عاشور: ٧٢/١٣.

السؤال: بين بعض فوائد القصص.

وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٥٠﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَاتٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿٥١﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴿٥٢﴾ أَفَأَمْنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَنْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعْتِي وَسُبْحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٥٤﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥٥﴾ حَتَّى إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَلُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرِدُ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٥٦﴾ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لَأُولَى الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٧﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
وَكَايِنَ مِنْ آيَةٍ	كثير من الآيات.
غَاشِيَةً	عذاب يعمهم.
بَغْتَةً	هجأة.
اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ	يُسبوا من أقوامهم.
وَضَلُّوا	أضلوا.
بَأْسُنَا	عذابنا.

## ● العمل بالآيات

١. تفكر في آية من آيات الله التي تمر عليها في الصباح أو في المساء، ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَاتٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾.
٢. قل: «اللهم إني أعوذ أن أشرك بك شيئاً وأنا أعلم، وأستغفر لك ما لا أعلم»، ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾.
٣. بعد قراءتك لسورة يوسف استخرج منها خمس فوائد تؤثر في حياتك، ﴿ لَقَدْ كُنَّا فِي فَصْمِمْ عِزَّةً لَأُولَى الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَعُ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾.

## ● التوجيهات

١. الداعية إلى الله لا ينبغي من وراء دعوته أجراً دنيوياً، بل هو حريص على الأجر الأخروي، ﴿ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ﴾.
٢. لا تكن غافلاً عن آيات الله تعالى المبثوثة في السماوات والأرض، ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَاتٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾.
٣. الدعوة إلى الله على بصيرة فارق بين دعوة الأنبياء واتباعهم ودعوة غيرهم، ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعْتِي وَسُبْحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿ التَّرْتِيلُ إِنَّكَ أَتَيْتَ الْكِتَابَ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

والمقصود من هذه السورة هذه الآية، وهي وصف المنزل بأنه الحق وإقامة الدليل عليه. البقاعي: ١٨/٤.

السؤال: ما مقصود سورة الرعد، وموضوعها؟

﴿ وَسَحَرَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾

وذكر الشمس والقمر؛ لأنهما أظهر الكواكب السيارة، التي هي أشرف وأعظم من الثوابت، فإذا كان قد سخر هذه فلان يدخل في التسخير سائر الكواكب بطريق الأولى والأخرى. ابن كثير: ٤٨/٢.

السؤال: لماذا خُصَّت الشمس والقمر بالذكر؟

﴿ يُغَيِّرُ اللَّيْلَ نَارًا لَكُمْ يَلْقَاءُ رَيْبَكُمْ تُؤْمِنُونَ ﴾

فإن كثرة الأدلة وبيانها ووضوحها من أسباب حصول اليقين في جميع الأمور الإلهية، خصوصاً في العقائد الكبار؛ كالبعث، والنشور، والإخراج من القبور. السعدي: ٤١٢.

السؤال: كيف يستطيع الإنسان الوصول إلى العلم اليقيني في الأمور الاعتقادية؟

﴿ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَواسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرَةِ جَعَلَ فِيهَا رُجَجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغِثُ الْأَنْبَاءَ فِي ذَلِكَ لَا يَنْبَأُ لِقَوْمٍ يُفَكَّرُونَ ﴾

فإن التفكير فيها يؤدي إلى الحكم بأن يكون كل من ذلك على هذا النمط الرائق والأسلوب اللائق؛ لا بد له من مكوّن قادر، حكيم، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد. الألوسي: ١٢٧/١٣.

السؤال: ما فائدة التفكير في خلق الأرض، والجبال، والثمار، والليل، والنهار؟

﴿ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَاتٌ وَغَيْرُ صِنَوَاتٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَجِدٍ وَنُفَيْسٍ يُغَيِّرُ عَنْ بَعْضٍ فِي الْأَكْثَلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾

(آيات)... دلالات واضحات على أن ذلك كله فعل واحد، مختار، عليم، قادر على ما يريد من ابتداء الخلق، ثم تنويعه بعد إبداعه، فهو قادر على إعادته بطريق الأولى. البقاعي: ١٢٥/٤.

السؤال: كيف دلّ إنبات النبات واختلافه وتنوعه على البعث بعد الموت للجزاء والحساب؟

﴿ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَاتٌ وَغَيْرُ صِنَوَاتٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَجِدٍ وَنُفَيْسٍ يُغَيِّرُ عَنْ بَعْضٍ فِي الْأَكْثَلِ ﴾

أي: قرى متدانيات، ترابها واحد، ومائها واحد، وفيها زروع وجنات، ثم تتفاوت في الثمار والثمار؛ فيكون البعض حلواً، والبعض حامضاً، والغصن الواحد من الشجرة قد يختلف الثمر فيه من الصغير والكبير، واللون، والطعم، وإن انبسط الشمس والقمر على الجميع على نسق واحد، وفي هذا أدل دليل على وحدانيته. القرطبي: ١٢/١٠.

السؤال: ما العبرة والآية في كون الأرض قطعاً متجاورات؟

﴿ وَإِنْ تَعْجَبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَوَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَلَمْ يَخْلُقْ جَدِيدٌ ﴾

أي: هذا بعيد في غاية الامتناع بزمعهم؛ أنهم بعد ما كانوا تراباً أن الله يعيدهم، فإنهم من جهلهم قاسوا قدرة الخالق بقدرة المخلوق، فلما راوا هذا متمتعاً في قدرة المخلوق ظنوا أنه متمتع على قدرة الخالق، ونسوا أن الله خلقهم أول مرة، ولم يكونوا شيئاً. السعدي: ٤١٣.

السؤال: قياس الخالق على المخلوق سبب لضلال المشركين، وضّح ذلك من خلال هذه الآية.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَقُّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ١  
يَعْرِضُ عَمِدَتَا رُؤُوسِهِمَا أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَحَرَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدِيرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ يَلْقَاءُ رَبَّكُمْ تُقِفُونَ ٢  
وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَواسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرَةِ جَعَلَ ثَمَرًا وَجَنَّاتٍ مِنْ أَنْبَاقٍ يَنْفُثُ الرِّيحَ فِي أَيْلَافِهَا ٣  
وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَاتٌ وَغَيْرُ صِنَوَاتٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَجِدٍ وَنُفَيْسٍ يُغَيِّرُ عَنْ بَعْضٍ عَلَى بَعْضٍ ٤  
فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٥  
وَلَنْ تَعَجَبَ فَعَجِبَ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٦  
وَلَنْ تَعَجَبَ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٧  
وَلَنْ تَعَجَبَ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٨  
وَلَنْ تَعَجَبَ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٩  
وَلَنْ تَعَجَبَ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ١٠  
وَلَنْ تَعَجَبَ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ١١  
وَلَنْ تَعَجَبَ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ١٢  
وَلَنْ تَعَجَبَ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ١٣  
وَلَنْ تَعَجَبَ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ١٤  
وَلَنْ تَعَجَبَ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ١٥  
وَلَنْ تَعَجَبَ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ١٦  
وَلَنْ تَعَجَبَ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ١٧  
وَلَنْ تَعَجَبَ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ١٨  
وَلَنْ تَعَجَبَ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ١٩  
وَلَنْ تَعَجَبَ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٢٠  
وَلَنْ تَعَجَبَ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٢١  
وَلَنْ تَعَجَبَ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٢٢  
وَلَنْ تَعَجَبَ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٢٣  
وَلَنْ تَعَجَبَ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٢٤  
وَلَنْ تَعَجَبَ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٢٥  
وَلَنْ تَعَجَبَ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٢٦  
وَلَنْ تَعَجَبَ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٢٧  
وَلَنْ تَعَجَبَ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٢٨  
وَلَنْ تَعَجَبَ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٢٩  
وَلَنْ تَعَجَبَ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٣٠  
وَلَنْ تَعَجَبَ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٣١  
وَلَنْ تَعَجَبَ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٣٢  
وَلَنْ تَعَجَبَ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٣٣  
وَلَنْ تَعَجَبَ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٣٤  
وَلَنْ تَعَجَبَ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٣٥  
وَلَنْ تَعَجَبَ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٣٦  
وَلَنْ تَعَجَبَ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٣٧  
وَلَنْ تَعَجَبَ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٣٨  
وَلَنْ تَعَجَبَ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٣٩  
وَلَنْ تَعَجَبَ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٤٠  
وَلَنْ تَعَجَبَ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٤١  
وَلَنْ تَعَجَبَ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٤٢  
وَلَنْ تَعَجَبَ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٤٣  
وَلَنْ تَعَجَبَ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٤٤  
وَلَنْ تَعَجَبَ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٤٥  
وَلَنْ تَعَجَبَ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٤٦  
وَلَنْ تَعَجَبَ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٤٧  
وَلَنْ تَعَجَبَ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٤٨  
وَلَنْ تَعَجَبَ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٤٩  
وَلَنْ تَعَجَبَ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٥٠  
وَلَنْ تَعَجَبَ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٥١  
وَلَنْ تَعَجَبَ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٥٢  
وَلَنْ تَعَجَبَ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٥٣  
وَلَنْ تَعَجَبَ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٥٤  
وَلَنْ تَعَجَبَ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٥٥  
وَلَنْ تَعَجَبَ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٥٦  
وَلَنْ تَعَجَبَ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٥٧  
وَلَنْ تَعَجَبَ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٥٨  
وَلَنْ تَعَجَبَ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٥٩  
وَلَنْ تَعَجَبَ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٦٠  
وَلَنْ تَعَجَبَ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٦١  
وَلَنْ تَعَجَبَ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٦٢  
وَلَنْ تَعَجَبَ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٦٣  
وَلَنْ تَعَجَبَ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٦٤  
وَلَنْ تَعَجَبَ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٦٥  
وَلَنْ تَعَجَبَ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٦٦  
وَلَنْ تَعَجَبَ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٦٧  
وَلَنْ تَعَجَبَ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٦٨  
وَلَنْ تَعَجَبَ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٦٩  
وَلَنْ تَعَجَبَ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٧٠  
وَلَنْ تَعَجَبَ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٧١  
وَلَنْ تَعَجَبَ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٧٢  
وَلَنْ تَعَجَبَ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٧٣  
وَلَنْ تَعَجَبَ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٧٤  
وَلَنْ تَعَجَبَ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٧٥  
وَلَنْ تَعَجَبَ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٧٦  
وَلَنْ تَعَجَبَ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٧٧  
وَلَنْ تَعَجَبَ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٧٨  
وَلَنْ تَعَجَبَ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٧٩  
وَلَنْ تَعَجَبَ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٨٠  
وَلَنْ تَعَجَبَ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٨١  
وَلَنْ تَعَجَبَ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٨٢  
وَلَنْ تَعَجَبَ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٨٣  
وَلَنْ تَعَجَبَ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٨٤  
وَلَنْ تَعَجَبَ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٨٥  
وَلَنْ تَعَجَبَ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٨٦  
وَلَنْ تَعَجَبَ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٨٧  
وَلَنْ تَعَجَبَ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٨٨  
وَلَنْ تَعَجَبَ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٨٩  
وَلَنْ تَعَجَبَ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٩٠  
وَلَنْ تَعَجَبَ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٩١  
وَلَنْ تَعَجَبَ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٩٢  
وَلَنْ تَعَجَبَ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٩٣  
وَلَنْ تَعَجَبَ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٩٤  
وَلَنْ تَعَجَبَ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٩٥  
وَلَنْ تَعَجَبَ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٩٦  
وَلَنْ تَعَجَبَ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٩٧  
وَلَنْ تَعَجَبَ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٩٨  
وَلَنْ تَعَجَبَ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٩٩  
وَلَنْ تَعَجَبَ قَوْلُهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ١٠٠

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
رَوَاسِي	جبالاً ثَبُتَتِ الْأَرْضُ.
يُغِثِي	يُعْطِي.
قِطْعٌ	بِقَاعٍ مُخْتَلِفَةٍ.
مُتَجَاوِرَاتٌ	يُجَاوِرُ بَعْضُهَا بَعْضًا مِنْهَا: طَيِّبَةً، وَمِنْهَا: سَبِيحَةً مَلِيحَةً.
وَنَخِيلٌ صِنَوَاتٌ	مُجْتَمِعَةٌ فِي مَنبَتٍ وَاحِدٍ.
الْأَعْلَافُ	السَّالَسُلُ.

## ● العمل بالآيات

١. سل الله تعالى أن يبرز لك التفكر في آياته، واليقين في موعوده، ﴿ يُغَيِّرُ اللَّيْلَ نَارًا لَكُمْ يَلْقَاءُ رَيْبَكُمْ تُؤْمِنُونَ ﴾.
٢. عدد ثلاثاً من فوائد تسخير الشمس والقمر للعباد، ﴿ وَسَحَرَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾.
٣. كل فاكهتين من نوعين مختلفين، ثم تأمل اختلاف طعمهما مع كونهما من أرض واحدة، وسقيا بماء واحد، ﴿ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَاتٌ وَغَيْرُ صِنَوَاتٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَجِدٍ وَنُفَيْسٍ يُغَيِّرُ عَنْ بَعْضٍ فِي الْأَكْثَلِ ﴾.

## ● التوجيهات

١. أقبل على هذا القرآن، وتعلم علومه؛ فإنه الطريق إلى الحق، ﴿ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ ﴾.
٢. علامة الحق الدليل الصحيح وليس كثرة الاتباع وقلتهم، ﴿ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.
٣. إنما يتعظ بآيات الله تعالى من كان له عقل، ﴿ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾.

## تفسير سورة الرعد

وهي مكية، [وعدد آياتها (٤٣) آية].

الآية (١): أما الكلام على الحروف المقطعة في أوائل السور، فقد تقدم في أول سورة البقرة، وقدّمنا أن كل سورة تُبتدأ بهذه الحروف ففيها الانتصار للقرآن، وتبيان أن نزوله من عند الله لا شك فيه ولا مرية ولا ريب؛ ولهذا قال: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ أي: هذه آيات الكتاب، وهو القرآن. ثم عطف على ذلك عطف صفات فقال: ﴿وَالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ﴾ أي: يا محمد ﴿مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ﴾. وقوله: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ كقوله: ﴿وَمَا أَكْثَرَ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣] أي: مع هذا البيان والجلء والوضوح، لا يؤمن أكثرهم لما فيهم من الشقاق والعناد والتناق.

الآية (٢): ﴿يَعْبُدِ اللَّهَ تَعَالَى عَنْ كِبَالِ قُدْرَتِهِ وَعَظِيمِ سُلْطَانِهِ: أَنَّهُ الَّذِي يُلَافِنُهُ وَأَمْرُهُ﴾ ﴿رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِفَعْرِ عَمَدٍ﴾، بل يُلَافِنُهُ وَأَمْرُهُ، وتسخيره رفعها عن الأرض بعداً لا ثقال ولا يُدْرِكُ مداها. قوله: ﴿يَغْيِرُ عَمِيرَ تَرَوْنَا﴾ قال إياس بن معاوية: الساء على الأرض مثل القبة، يعني بلا عمد. وهو الظاهر من قوله تعالى: ﴿وَمِنْ مِثْلِ السَّكَاةِ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [الحج: ٦٥]، فعل هنا يكون قوله: ﴿تَرَوْنَا﴾ تأكيداً لنفي ذلك، أي: هي مرفوعة بغير عمد كما ترونها. هذا هو الأكمل في القدرة. قوله: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ تقدم تفسير ذلك في سورة «الأعراف»، وأنه يُمرَّر كما جاء من غير تكيف، ولا تشبيه، ولا تعطيل، ولا تمثيل، تعالى الله علواً كبيراً. قوله: ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ قيل: المراد أنها تجريان إلى انقطاعها بقيام الساعة، كقوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [يس: ٣٨]. وقيل: المراد إلى مستقرهما، وهو تحت العرش مما يلي بطن الأرض من الجانب الآخر، فإنها وسائر الكواكب إذا وصلوا هنالك يكونون أبعد ما يكون عن العرش؛ لأنه - على الصحيح الذي تقوم عليه الأدلة - قبة مما يلي العالم من هذا الوجه، وليس بمحيط كسائر الأفلاك؛ لأنه له قوائم وحملة يحملونه ولا يتصور هذا في الفلك المستدير، وذكر الشمس والقمر لأنها أظهر الكواكب السيارة السبعة التي هي أشرف من النوابت فإذا كان سخر هذه فلأن يدخل في التسخير سائر الكواكب بطريق الأولى. وقوله: ﴿يُقَصِّلُ الْآبَاتِ لَكُمْ يَلْقَاكُمْ تَوْتُونَ﴾ أي: يوضح الآيات والدلالات الدالة على أنه لا إله إلا هو، وأنه يُعيد الخلق إذا شاء كما ابتداء خلقه.

الآية (٣-٤): لما ذكر تعالى العالم العلوي، شرع في ذكر قدرته وحكمته وإحكامه للعالم السفلي، فقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ أي: جعلها متسعة ممتدة في الطول والعرض، وأرساها بجبال راسيات شاخات، وأجرى فيها الأنهار والجداول والعيون لسقي ما جعل فيها من الثمرات المختلفة الألوان والأشكال والطعوم والروائح، من كل زوجين اثنين، أي: من كل شكل صنفان. ﴿يَبْقَى إِلَيْلُ النَّهَارِ﴾ أي: جعل كلاً منها يطلب الآخر طلباً حثيثاً، فإذا ذهب هذا غشيه هذا،

وإذا انقضى هذا جاء الآخر، فيتصرف أيضاً في الزمان كما تصرف في المكان والسكان. ﴿وَإِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ أي: في آلاء الله وحكمته ودلالته. قوله: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُّتَبَعِرَةٌ﴾ أي: أراضٍ مجاور بعضها بعضاً، مع أن هذه طيبة تُنبِت ما ينفع به الناس، وهذه سبخة مالحة لا تُنبِت شيئاً. هكذا زوي عن ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبّير وغيرهم. وكذا يدخل في هذه الآية اختلاف ألوان بقاع الأرض، فهذه تربة حمراء، وهذه بيضاء، وهذه صفراء، وهذه سوداء، وهذه عُجْرَة، وهذه سهلة، وهذه مرملة، وهذه سميكة، وهذه رقيقة، والكل متجاورات!! فهذه بصفتها، وهذه بصفتها الأخرى، فهذا كله ما يدل على الفاعل المختار، لا إله إلا هو، ولا رب سواه. قوله: ﴿وَجَعَلَتْ مِنْ أَغْشَبٍ وَرَزَقَ وَجَعَلَ﴾ يحتمل أن تكون [الوار] عاطفة على ﴿وَجَعَلَتْ﴾ فيكون ﴿وَرَزَقَ وَجَعَلَ﴾ مرفوعين. ويحتمل أن يكون معطوفاً على ﴿أَغْشَبٍ﴾، فيكون مجروراً؛ ولهذا قرأ بكل منها طائفة من الأئمة. قوله: ﴿صُنُوفًا وَغَيْرَ صُنُوفٍ﴾ الصنوف: هي الأصول المجتمعة في منبت واحد، كالرمان والتين وبعض النخيل، ونحو ذلك. وغير الصنوف: ما كان على أصل واحد، كسائر الأشجار. قوله: ﴿فَسَقَى يَمَاءً وَجَدَ وَتَقَصَّلَ بَعْضًا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَشْجَالِ﴾ أي: هذا الاختلاف في أجناس الثمرات والزرع، في أشكالها وألوانها، وطعومها وروائحها، وأوراقها وأزهارها، فهذا في غاية الحلاوة، وذات في غاية الحموضة، وذات في غاية المرارة، وذات عَفَص<sup>(١)</sup>، وهذا عذب، وهذا جمع هذا وهذا، ثم يستحيل إلى طعم آخر يُلَافِنُ الله تعالى، وهذا أصفر، وهذا أحمر، وهذا أبيض، وهذا أسود، وهذا أزرق. ففي ذلك آيات لمن كان واعياً، وهذا من أعظم الدلالات على الفاعل المختار، الذي بقدرته فاوت بين الأشياء وخلقها على ما يريد؛ ولهذا قال: ﴿وَإِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

الآية (٥): يقول تعالى لرسوله محمد ﷺ: ﴿وَإِنْ تَجَبَّحْتَ﴾ من تكذيب هؤلاء المشركين بأمر المعاد مع ما يشاهدونه من آيات الله سبحانه ودلالته في خلقه على أنه القادر على ما يشاء، ومع ما يعترفون به من أنه ابتداء خلق الأشياء، فكونها بعد أن لم تكن شيئاً مذكوراً، ثم هم بعد هذا يكذبون خبره في أنه سيبيد العالم خلقاً جديداً، وقد اعترفوا وشاهدوا ما هو أعجب مما كذبوا به، فالعجب من قولهم: ﴿أَوَدَا كُنَّا تَرَبًّا أَوْنَا لَنِي خَلْقِي جَدِيدٍ﴾، وقد علم كل عالم وعاقِل أن خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس، وأن من بدأ الخلق فالإعادة سهلة عليه؛ كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَمَلَّ يَخْلُقْهُنَّ يَتَدَبَّرْ عَلَى أَنْ يُخْرِجَ الْمَوْتَةَ بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأحاف: ٣٣]. ثم نعمت المكذبين بهذا فقال: ﴿أَوَلَيْكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَعْلَىٰ فِي أَغْشَبَةٍ﴾ أي: يُسْخَبُونَ بها في النار ﴿وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ أي: ماكثون فيها أبداً، لا يحولون عنها ولا يزلون.

(١) أي: مُرَّ قابض [القاموس المحيط، مادة: عَفَص].

﴿الْمَعَالِ﴾ أي: على كل شيء؛ قد أحاط بكل شيء علماً، وقهر كل شيء، فخصمت له الرقاب ودان له العباد، طوعاً وكرهاً.

الآية (١٠): يخبر تعالى عن إحاطة علمه بجميع خلقه، وأنه سواء منهم من أسرّ قوله أو جهر به، فإنه يسمعه، لا يخفى عليه شيء؛ كقوله: ﴿وَإِنْ جَهَرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٧٧]. قوله: ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخَفٌّ بِإِيلَالٍ﴾ أي: مخفي في قعر بيته في ظلام الليل، ﴿وَسَارِيٍّ بِالنَّهَارِ﴾ أي: ظاهر ماش في بياض النهار وضياؤه؛ فإن كليهما في علم الله على السواء، كقوله: ﴿أَلَا جِنَّةٌ يَسْتَفْشِقُونَ إِذَا هُمْ يَعْلَمُونَ مَا يُبْشِرُونَ وَمَا يُبْشِرُونَ﴾ [مود: ٥].

الآية (١١): قوله: ﴿لَهُ مَعْقِدَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَ دِينَهُ﴾ أمر الله ﷻ أي: للعبد ملائكة يتعاقبون عليه، حرس بالليل وحرس بالنهار، يحفظونه من الأسواء والحادثات، كما يتعاقب ملائكة آخرون لحفظ الأعمال من خير أو شر؛ فهو بين أربعة أملاك بالنهار وأربعة آخرين بالليل بدلاً. وقال ابن عباس: المعقبات من أمر الله، وهي الملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه، فإذا جاء قدر الله خلّوا عنه. وقال مجاهد: ما من عبد إلا له ملك موكل، يحفظه في نومه ويقظته من الجن والإنس والهوام، فما منها شيء يأتيه يريد إلا قال الملك: وراءك إلا شيء يأذن الله فيه فيصيبه. وقوله: ﴿يَحْفَظُونَ دِينَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ﴾ قيل: المراد حفظهم من أمر الله. رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. وقال أبو أمامة: ما من آدمي إلا ومعه ملك يذود عنه، حتى يسلمه للذي قدر له.

الآية (١٢): يخبر تعالى أنه هو الذي يسخر البرق، وهو ما يرى من النور اللامع ساطعاً من خلل السحاب. قوله: ﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ قال قتادة: خوفاً للمسافر؛ يخاف أذاه ومشقته، وطمعاً للمقيم يرجو بركته ومنفعته، ويطمع في رزق الله. ﴿وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الْغَثَّ﴾ أي: ويخلقها منشأة جديدة، وهي لكثرة ماؤها ثقلية قريبة إلى الأرض. قال مجاهد: والسحاب الثقال: الذي فيه الماء.

الآية (١٣): ﴿وَيَسْخِرُ الرُّعْدَ بِحُمُودِهِ﴾ كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَنْزِلُ سَحَابٌ فَأَرْسِلْ فِيهِ سَحَابًا مِمَّنْ يَنْزِلُ﴾ [الأنعام: ١٠١]. روي عن علي رضي الله عنه أنه كان إذا سمع صوت الرعد قال: سبحان من سبّحت له. وعن عبد الله بن الزبير أنه كان إذا سمع الرعد ترك الحديث وقال: سبحان الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته، ويقول: إن هذا لو عديد شديد لأهل الأرض. [رواه البخاري في الأدب المفرد، وصححه الألباني].

قوله: ﴿وَيُرْسِلُ السَّحَابَ فِيهِمْ مِمَّنْ يَنْزِلُ﴾ أي: يرسلها نعمة ينتقم بها من يشاء، ولهذا تكثر في آخر الزمان.

قوله: ﴿وَهُمْ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْإِيمَانِ﴾ أي: يخشون في عظمته، وأنه لا إله إلا هو. قوله: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْحِقَابِ﴾ قال ابن جرير: شديدة مآخضته في عقوبة من طغى عليه وعتاً وتمادى في كفره. وعن علي: أي: شديد الأخذ. وقال مجاهد: شديد القوة.

الآية (٦): يقول تعالى: ﴿وَيَسْتَعِزُّونَكَ﴾ أي: هؤلاء المكذوبون ﴿بِالْبَيِّنَاتِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ أي: بالعقوبة، فكانوا يطلبون من الرسول أن يأتيهم بعذاب الله؛ وذلك من شدة تكذيبهم وكفرهم وعنادهم. ﴿وَقَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمُ النَّفْثَةُ﴾ أي: قد أوقنا نعمتنا بالأمم الخالية وجعلناهم مثلة وعبرة لمن اتعظ بهم. ثم أخبر تعالى أنه لولا جلّله وعفوه لمعالجهم بالعقوبة، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ يَدْرَأُكَ اللَّهُ الْنَّاسَ يَمَافَا كَسَبُوا مَا تَرَكُوا عَنْ ظَهْرِكَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ [فاطر: ٤٥]. وقال تعالى في هذه الآية: ﴿وَإِنْ رَبُّكَ لَذُو مَغْفِرٍ لِّلنَّاسِ عَلَى ظُلُمِهِمْ﴾ أي: إنه ذو عفو وصفح وسر للناس مع أنهم يظلمون ويخطئون بالليل والنهار. ثم قرن هذا الحكم بأنه شديد العقاب ليعتدل الرجاء والخوف، كما قال: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ وَرَبُّكُمْ عَلَى الْعَرْشِ الْمُبِينِ﴾ [الأنعام: ١٤٧].

الآية (٧): يقول تعالى إخباراً عن المشركين أنهم يقولون كفراً وعناداً: لولا يأتينا بآية من ربّه كما أرسل الأولون، كما تَعَتُّوا عليه أن يجعل لهم الصفا ذهباً، وأن يزيل عنهم الجبال، ويجعل مكانها مروجاً وأنهاراً. قال الله: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ أي: إنما عليك أن تبلغ رسالة الله التي أمرك بها، ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ قال ابن عباس في تفسيرها: يقول الله تعالى: أنت يا محمد منذر، وأنا هادي كل قوم. وعن مجاهد: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ أي: نبي. كما قال: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [فاطر: ٢٤]. وقال مالك: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾: من يدعوهم إلى الله عز وجل.

الآية (٨-٩): يخبر تعالى عن غمام علمه الذي لا يخفى عليه شيء، وأنه محيط بها تحمله الحوامل من كل إناث الحيوانات، كما قال: ﴿وَيَسِّرْ مَا يَفْعَلُ الْغَاسِقُ﴾ [لقمان: ٣٤] أي: ما تحلّت من ذكر أو أنثى، أو حسن أو قبيح، أو شقي أو سعيد، أو طويل العمر أو قصيره. عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿إِنْ خَلَقَ أَحَدُكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمَةٍ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عِلْقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مَضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُبْعَثُ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيُؤَمِّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: يَكْتُبُ رِزْقَهُ، وَعَمْرَهُ، وَعَمَلَهُ، وَشَقِي أَوْ سَعِيداً﴾ [متفق عليه]. وقوله: ﴿وَمَا تَقْصِرُ الْأَرْكَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾ قال ابن عباس: ﴿وَمَا تَقْصِرُ الْأَرْكَامُ﴾ يعني: السَّفَطُ ﴿وَمَا تَزْدَادُ﴾ يقول: ما زادت الرحم في الحمل على ما غاضت حتى ولدته تماماً. وذلك أن من النساء من تحمل عشرة أشهر، ومنهن من تحمل تسعة أشهر، ومنهن من تزيد في الحمل، ومنهن من تنقص، فذلك الغيظ والزيادة التي ذكر الله تعالى، وكل ذلك بعلمه تعالى. وقال مجاهد: ما ترى من الدم في حملها، وما تزداد على تسعة أشهر. وقال قتادة: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ أي: بأجل؛ حفظ أرزاق خلقه وآجالهم، وجعل لذلك أجلاً معلوماً. قوله: ﴿عَلَيْهِ أَفْقَابُ الْأَنْبِيَاءِ﴾ أي: يعلم كل شيء مما يشاهده العباد وما يغيب عنهم، ولا يخفى عليه منه شيء. ﴿الْكَافِرُ﴾ الذي هو أكبر من كل شيء.



## ● الوقفات التدريبية

﴿ وَلَنْ رَّبَّكَ لَدُوْ مُؤْمِرَةً لِّلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ ﴾

لا يزال خيره إليهم، وإحسانه وبره وعفوه نازلاً إلى العباد، وهم لا يزال شرهم وعصيانهم إليه صاعداً؛ يعصونه فيدعوهم إلى بابه، ويجرمون فلا يجرهم خيره وإحسانه، فإن تابوا إليه فهو حبيبهم؛ لأنه يحب التوابين، ويحب المتطهرين، وإن لم يتوبوا فهو طبيعهم؛ يتبليهم بالمصائب ليظهرهم على المعاصي. السعدي: ٤١٣-٤١٤.

السؤال: وضح كيف يكون إحسان الله ومغفرته واصلين إلى العباد مع ظلمهم.

١- ﴿ وَلَنْ رَّبَّكَ لَدُوْ مُؤْمِرَةً لِّلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾  
أي: أنه تعالى ذو عفو وصفح وستر للناس، مع أنهم يظلمون، ويخطئون بالليل والنهار، ثم قرن هذا الحكم بأنه شديد العقاب ليعتدل الرجاء، والخوف. ابن كثير: ٤٨٣/٣.

السؤال: ما الفائدة من ذكر مغفرته وشدة عقابه في سياق واحد؟

٢- ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِّنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾

قال مجاهد: ما من عبد إلا وله ملك موكل به؛ يحفظه في نومه ويقظته من الجن والإنس والهوام،... إلا شيء ياذن الله فيه فيصيبه. قال كعب الأحبار: لو أن الله عز وجل وكل بكم ملائكة يذنبون عنكم في مطعمكم ومشربكم وعوراتكم لتخطفتكم الجن. البغوي: ٥١٥/٢.

السؤال: بين ثمرة من ثمرات إيمان المسلم بالملائكة وأعمالها الموكلة بها.

٣- ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِّنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾

من فوائد الحفظ للأعمال: أن العبد إذا علم أن الملائكة -عليهم السلام- يحضرونه، ويحسون عليه أعماله -وهم هم- كان أقرب إلى الحذر من ارتكاب المعاصي؛ كمن يكون بين يدي أناس أجلاء من خدام الملك، موكلين عليه؛ فإنه لا يكاد يحاول معصية بينهم. الألوسي: ١٤٣/١٣.

السؤال: إذا استشعر المرء وجود الملائكة معه فما أثر ذلك على سلوكه؟

٤- ﴿ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ يَقْوَمُ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ رَّالٍ ﴾

(وإذا أراد الله بقوم سوءاً) أي: عذاباً وهلاكاً. (فلا مرد له) أي: لا راد له. (وما لهم من دونه من وال) أي: ملجأ يلجؤون إليه. البغوي: ٥١٨/٢.

السؤال: هل يستطيع أحد أن يفر من عذاب الله؟

٥- ﴿ يَرْيَكُمُ الَّذِينَ هَؤُلَاءِ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ۝ وَيَسْخِرُ الرُّعْدَ بِجُمُودِهِ ۝ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الرِّسَالَاتِ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحِسَابِ ۝ ﴾

فإذا كان هو وحده الذي يسوق للعباد الأمطار والسحب التي فيها مادة أرزاقهم، وهو الذي يدبر الأمور، وتخضع له المخلوقات العظام التي يخاف منها وتزعج العباد، وهو شديد القوة؛ فهو الذي يستحق أن يعبد وحده، لا شريك له. السعدي: ٤١٥.

السؤال: ما الذي يفيد المسلم من إشفاق القوى الكونية المختلفة من الله سبحانه وتعالى وتصرفه فيها؟

٦- ﴿ هُوَ الَّذِي يَرْيَكُمُ الرُّعْدَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴾

خَوْفًا مِنَ الصَّاعِقَةِ طَمَعًا فِي نَعْمِ الْمَطَرِ... وعن عبد الله بن الزبير: أنه كان إذا سمع صوت الرعد ترك الحديث، وقال: سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته، ويقول: إن هذا الوعيد لأهل الأرض شديد. البغوي: ٥١٨/٢.

السؤال: بين هدي السلف إذا سمعوا الرعد، أو راوا البرق.

وَيَسْجَعُونَكَ بِالْسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ١ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ٢ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيصُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ٣ عَلَيْهِ الْعَقِيبُ وَالشَّهَادَةُ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ٤ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنَ أَسْرَأَ الْقَوْلُ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِآلِ وَسَارٍ ٥ بِالنَّهَارِ ٦ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِّنْ أَمْرِ اللَّهِ ٧ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُعَذِّبُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ٨ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ يَقْوَمُ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ رَّالٍ ٩ هُوَ الَّذِي يَرْيَكُمُ الرُّعْدَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ١٠ وَيَسْخِرُ الرُّعْدَ بِجُمُودِهِ ١١ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الرِّسَالَاتِ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحِسَابِ ١٢

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
الْمَثَلَتُ	عُقُوبَاتٌ أَمْثَالِهِمْ مِنَ الْمَكْدِبِينَ.
تَغِيصُ الْأَرْحَامُ	تَنْفُصُهُ الْأَرْحَامُ؛ فَيَسْقُطُ قَبْلَ تَمَامِهِ.
وَسَارٍ	مَنْ جَهَرَ بِأَعْمَالِهِ.
مُعَقِّبَاتٌ	مَلَائِكَةٌ يَتَعَقَّبُونَ عَلَى الْإِنْسَانِ لِحِفْظِهِ، وَإِحْصَاءِ عَمَلِهِ.

## ● العمل بالآيات

١. صل مع الجماعة في المسجد؛ خاصة الفجر والعصر؛ لأن الملائكة يتعاقبون فيهما، ويشهدون لمن حضرهما، ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِّنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾.
٢. قل أذكرك الصباح والمساء؛ فهي سبب لحفظ الله تعالى لك، ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِّنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾.
٣. سنة الله تعالى أن يعاقب المجتمع على الذنب إذا كثر فيه. اربط بين مصيبة وقعت على المجتمع وذنوب انتشار فيه، ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُعَذِّبُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ۖ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ يَقْوَمُ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ رَّالٍ ﴾.

## ● التوجيهات

١. مهمة الداعية هي تبليغ الدعوة، لا إدخال الهداية إلى قلوب الناس، ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾.
٢. بيان سنة عظيمة من سنن الله سبحانه: أن النعم لا تزول إلا بالمعاصي، ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُعَذِّبُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ۖ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ يَقْوَمُ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ رَّالٍ ﴾.
٣. إذا أردت أن تصلح أحوالك وتزيد نعم الله عليك في الدنيا والآخرة فليكن بالبدء بتغيير نفسك بإبعادها عن الذنوب والمعاصي وأهلها، ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُعَذِّبُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ۖ ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ شَيْءٌ إِلَّا كَبِيرٌ كَثِيرٌ إِلَى الْمَاءِ لِيَنْتَقِعَ قَاهُ وَمَا هُوَ بِيَلْفٍ وَمَا دَعَا الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾

الذي يدعو إليها من دون الله كالظلمات الذي يدعو الماء إلى فيه من بعيد؛ يريد تناوله ولا يقدر عليه بلسانه، ويشير إليه بيده فلا يأتيه أبداً؛ لأن الماء لا يستجيب، وما الماء ببالغ إليه. القرطبي: ٤٢/١٧-٤٣.

السؤال: بين معنى المثل الذي ضربه الله تعالى لحال المشرك.

﴿ وَمَا دَعَا الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾

لبطلان ما يدعون من دون الله؛ فبطلت عباداتهم ودعائهم؛ لأن الوسيلة تبطل ببطلان غايتها. السعدي: ٤١٥.

السؤال: لماذا كان دعاء الكافرين في ضلال؟ وما علاقة الوسيلة بالغاية من حيث الصحة والبطلان؟

﴿ وَالَّذِينَ يَسْجُدُونَ فِي السَّمَكُونِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظُلْمًا وَأَلْوَاحًا ﴾ وسجود كل شيء بحسب حاله؛ كما قال تعالى: (وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم) [الإسراء: ٤٤]. السعدي: ٤١٥.

السؤال: كيف يسجد جميع من في السماوات والأرض؟

﴿ وَالَّذِينَ يَسْجُدُونَ فِي السَّمَكُونِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظُلْمًا وَأَلْوَاحًا ﴾ ومن حكمة السجود عند قراءتها أن يضع المسلم نفسه في عداد ما يسجد لله طوعاً بإيقاعه السجود، وهذا اعتراف فعلي بالعبودية لله تعالى.

ابن عاشور: ١١٢/١٣.

السؤال: اذكر الحكمة من سجود التلاوة عند هذه الآية.

﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ﴾

فشبه العلم بالماء المنزل من السماء؛ لأن به حياة القلوب كما أن بالماء حياة الأبدان، وشبه القلوب بالأودية؛ لأنها محل العلم كما أن الأودية محل الماء، فقلب يسع علماً كثيراً، وواد يسع ماء كثيراً، وقلب يسع علماً قليلاً، وواد يسع ماء قليلاً. ابن تيمية: ٨٦/٤.

السؤال: تختلف القلوب في احتوائها للعلم، بين ذلك من خلال الآية.

﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴾

ضرب مثلاً للحق والباطل، فشبه الكفر بالزبد الذي يعلو الماء فإنه يضمحل، وعلق بجنبات الأودية، وتدفعه الرياح، فكذا يذهب الكفر، ويضمحل... وهذان الثلمان ضربهما الله للحق في حياته، والباطل في اضمحلاله، فالباطل - وإن علا في بعض الأحوال - فإنه يضمحل

كاضمحلال الزبد والخبث. القرطبي: ٤٨/١٢-٤٩.

السؤال: كيف صور القرآن مآل الحق والباطل؟

﴿ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْجُدُوا لَكَ لَوْ أَنَّكَ لَهْمُ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَفِشَ لِهَآذِ قَالَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِي: (سوء الحساب) أي: يحاسب الرجل بذنبه كله؛ لا يغفر له (منه) شيء. البغوي: ٥٢٣/٢.

السؤال: كيف يكون سوء الحساب يوم القيامة؟

لَهُ دَعْوُهُ الْحَقُّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ شَيْءٌ إِلَّا كَبِيرٌ كَثِيرٌ إِلَى الْمَاءِ لِيَنْتَقِعَ قَاهُ وَمَا هُوَ بِيَلْفٍ وَمَا دَعَا الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿١﴾ وَالَّذِينَ يَسْجُدُونَ فِي السَّمَكُونِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظُلْمًا لَهُمْ بِالْعَذَابِ وَالْأَصَالِ ﴿٢﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَكُونِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ قُلْ أَتَأْتِخَذُونَ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَافِرِينَ فَتَشَبَّهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلْ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣﴾ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلْحَسَنِ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْجُدُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَفِشَ لِهَآذِ ﴿٥﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
بِالْعَذَابِ	أَوَّلُ النَّهَارِ.
وَالْأَصَالِ	آخِرُ النَّهَارِ.
بِقَدَرِهَا	بِقَدْرِ صَغَرِ الْأَوْدِيَةِ وَكِبَرِهَا.
زَبَدًا	غُثَاءً لَا نَفْعَ فِيهِ.
رَابِيًا	مُرْتَفِعًا.
جُفَاءً	مُتَلَاشِيًا لَا بَقَاءَ لَهُ، أَوْ يُرْمَى بِهِ؛ إِذْ لَا فَائِدَةَ مِنْهُ.

## ● العمل بالآيات

١. خطط اليوم لعمل صالح - ولو يسير - يبقى لك بعد موتك، ﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ﴾.
٢. حدد أمراً لك الله به من الآيات التي تتلوها، ونفذه استجابة لأمر الله تعالى، ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلْحَسَنِ ﴾.
٣. تصدق صدقة تطوع قبل أن يأتي يوم تنمى أن تصدق فيه ولا تستطيع، ﴿ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْجُدُوا لَهُ لَوْ أَنَّكَ لَهْمُ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ ﴾.

## ● التوجيهات

١. القلوب كالأودية: متفاوتة في سعتها، وكل يأخذ من الخير بمقدار سعته، ﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا ﴾.
٢. قاعدة لا تتبدل ولا تتغير: الحق يبقى وإن ظن الناس زواله واندثاره، والباطل يضمحل مهما انتفش وتضخم، ﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ﴾.
٣. ضرب الأمثال وسيلة تعليمية وتربوية ناجعة استخدمها القرآن، واستخدمها النبي ﷺ فتدرب عليها، ﴿ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴾.

بَقْدَرِهِ، وهو إشارة إلى القلوب وتفاوتها؛ فمنها ما يَسَعُ علما كثيرا، ومنها ما لا يتسع لكثير من العلوم بل يضيق عنها. ﴿فَاحْتَكَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِعًا﴾ أي: فجاء على وجه الماء الذي سال في هذه الأودية زَبَدًا عالٍ عليه، هذا مثل. وقوله: ﴿وَمَا يُؤَدُّونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ﴾ هذا هو المثل الثاني، وهو ما يُسَبِّكُ في النار من ذهب أو فضة ﴿أَيُّنَآءَ حَيِّوٍ﴾ أي: لِيُجْعَلَ حلية. أو نحاس أو حديد فيجعل متاعا؛ فإنه يعلوه زَبَدٌ منه، كما يعلو ذلك زَبَدٌ منه. ﴿كَذَلِكَ يَصْرِبُ إِلَهُ الْخَلْقِ وَالْإِنْسَانِ﴾ أي: إذا اجتمعا؛ لا ثبات للباطل ولا دوام له، كما أن الزبد لا يثبت مع الماء، ولا مع الذهب ونحوه مما يسبك في النار، بل يذهب ويضمحل؛ ولهذا قال: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُحَّةً﴾ أي: لا يُسْتَفْع به، بل يتفرق ويتمزق ويذهب في جانبي الوادي، ويعلق بالشجر وتنسفه الرياح. وكذلك خَبِثَ الذهب والفضة والحديد والنحاس يذهب، لا يرجع منه شيء، ولا يبقى إلا الماء وذلك الذهب ونحوه يتفجع به؛ ولهذا قال: ﴿وَأَمَّا مَا يَبْتَغِ النَّاسُ فَيَمَكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَصْرِبُ إِلَهُ الْإِنْسَانِ﴾، قال بعض السلف: كنت إذا قرأت مثلاً من القرآن فلم أفهمه بكيت على نفسي؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَقَالَتِ الْفِتْنَةُ تَصْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ﴾ [النكبات: ٤٣]. وقال ابن عباس: قوله: ﴿أَنْزَلَ مِنْكَ السَّيْلَ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَكَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِعًا﴾ احتمل السيل ما في الوادي من عُود ودمثة. ﴿وَمَا يُؤَدُّونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ﴾ فهو الذهب والفضة والحلية والمتاع والنحاس والحديد، فللنحاس والحديد خَبِثَ، فجعل الله مثل خبثه كزبد الماء، فأما ما ينفع الناس فالذهب والفضة، وأما ما ينفع الأرض فما شربت من الماء فانبثت. فجعل ذلك مثل العمل الصالح يبقى لأهله، والعمل السيئ يضمحل عن أهله، كما يذهب هذا الزبد، فكذلك الهدى والحق جاء من عند الله، فمن عمل بالحق كان له، ويبقى كما يبقى ما ينفع الناس في الأرض. وكذلك الحديد لا يُسْتَطَاع أن يُعْمَلَ منه سكن ولا سيف حتى يدخل في النار فتأكل خبثه، ويخرج جثته فيتفجع به. كذلك يضمحل الباطل إذا كان يوم القيامة، وأقيم الناس، وحرُصَتِ الأعمال، فيزيع الباطل ويهلك، ويستفج أهل الحق بالحق.

الآية (١٨): يخبر تعالى عن مآل السعداء والأشقياء فقال: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّيٍّ﴾ أي: أطاعوا الله ورسوله، واتقوا لأوامره، وصدّقوا أخباره الماضية والآتية، فلهم ﴿الْأَحْسَنُ﴾ وهو الجزء الحسن؛ كقوله: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمُنَاسِقَةٍ زِيَادَةً﴾ [يونس: ٢٦]. قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَسْتَجِيبُوا لَهُ﴾ أي: لم يطيعوا الله ﴿لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ أي: في الدار الآخرة، لو أن يُمكنهم أن يفتدوا من عذاب الله بملء الأرض ذهباً ومثله معه لاتفادوا به، ولكن لا يُقبل منهم؛ لأنه تعالى لا يقبل منهم يوم القيامة صَرَفًا ولا عَدْلًا ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ﴾ أي: في الدار الآخرة، أي: يناقشون على التقير والقطمير، والجليل والحقير؛ ولهذا قال: ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِمْ جَهَنَّمَ وَيَسَّ لِلَّذِينَ هُمُ الْحَقِيرُ﴾

الآية (١٤): قال علي بن أبي طالب: ﴿لَهُ دَعْوَةُ لَمَنِّي﴾: التوحيد. وقال ابن عباس: لا إله إلا الله. ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ أي: ومثل الذين يعبدون آلهة غير الله ﴿كَبِشَ كَفَّيْهِ إِلَى آثَانِهِ يَبْلُغُ فَأَذَّ﴾ قال علي بن أبي طالب: كمثل الذي يتناول الماء من طرف البئر بيده، وهو لا يناله أبداً بيده، فكيف يبلغ فاه؟! وقيل: المراد كقابض يده على الماء، فإنه لا يُحْكِمُ منه على شيء. ومعنى الكلام: أن هذا الذي يسطع يده إلى الماء، إما قابضاً وإما متناولاً له من بُعد، كما أنه لا ينتفع بالماء الذي لم يصل إلى فيه، الذي جعله عللاً للشرب، فكذلك هؤلاء المشركون الذين يعبدون مع الله إلهاً غيره لا يتفهمون بهم أبداً في الدنيا ولا في الآخرة؛ ولهذا قال: ﴿وَمَا دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾.

الآية (١٥): يخبر تعالى عن عظمته وسلطانه الذي قهر كل شيء، ودان له كل شيء، ولهذا يسجد له كل شيء طوعاً من المؤمنين، وكرهاً من الكافرين. ﴿وَوَلَّانَهُمْ بِالْعُدْوَةِ﴾ أي: البُكْرَات، ﴿وَالْأَصَالِ﴾ وهو جمع أصيل وهو آخر النهار؛ كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَتَّحُونَ أَظْلُمُ الْيَمِينِ وَالْأَسْمَاءِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَهُوَ دَكِّحُونَ﴾ [النحل: ٤٨]

الآية (١٦): يقرر تعالى أنه لا إله إلا هو؛ لأهم معترفون أنه هو الذي خلق السموات والأرض، وهو ربها ومدبرها، وهم مع هذا قد اتخذوا من دونه أولياء يعبدونهم، وأولئك الآلهة لا تملك لأنفسها، ولا لعابديها بطريق الأولى ﴿تَتَعَا وَلَا مَرَاً﴾ أي: لا تحصل لهم منفعة، ولا تدفع عنهم مضرة. فهل يَسْتَوِي مَنْ عِبَدَ هذه الآلهة مع الله، وَمَنْ عِبَدَ الله وحده لا شريك له، فهو على نور من ربه؟! ولهذا قال: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ يَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَلِمَةً فَتَنَسَّبَهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾ أي: اجعل هؤلاء المشركون مع الله آلهة تُنَاطِرُ الرب وتماثله في الخلق، فخلقوا كخلقه، فتشابه الخلق عليهم، فلا يدرون أنها مخلوقة من مخلوق غيره؟! أي: ليس الأمر كذلك؛ فإنه لا يشابه شيء ولا يئال، ولا نذله ولا عدل له، ولا وزير له، ولا ولد ولا صاحبة، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. وإنما عبد هؤلاء المشركون معه آلهة هم يعترفون أنها مخلوقة له عبيد له، كما كانوا يقولون في تليبتهم: لبيك لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك. فإذا كان الجميع عبيداً، فلم يعد بعضهم بعضاً بلا دليل ولا برهان، بل بمجرد الرأي والاختراع والابتداع؛ ثم قد أرسل رسله من أولهم إلى آخرهم تزجرهم عن ذلك، وتنهاهم عن عبادة من سِوَى الله، فكذبوهم وخالفوهم، فحققت عليهم كلمة العذاب لا محالة ﴿وَلَا يَظِلُّ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

الآية (١٧): اشتملت هذه الآية الكريمة على متلين مضروبين للحق في ثباته وبقائه، والباطل في اضمحلاله وفنائه، فقال تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ أي: مطراً ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾ أي: أخذ كل واد بحسبه، فهذا كبير وَسِعَ كثيراً من الماء، وهذا صغير قُوسِعَ



عن عبد الله بن عمرو بن العاص، رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ



## ● الوقفات التدريبية

١ ﴿ إِنَّمَا يَذْكُرُ أُولَ الْأَنْبِيَاءِ ٥١ ﴾ الَّذِينَ يُؤْتُونَ عَهْدَ اللَّهِ وَلَا يَشْفَعُونَ أَلِيَّتَيْنِ ٥٢

أي: العهد الذي عاهدوا عليه الله: فدخل في ذلك جميع الوائيق والعهود والأيمان والنذور، فلا يكون العبد من أولي الأنبياء الذين لهم الثواب العظيم إلا بادئها كاملة، وعدم تقضها وبخسها. السعدي: ٤١٦.

السؤال: متى يعتبر العبد من أولي الأنبياء؟

٢ ﴿ وَيَذْكُرُونَ بِالْحَسَنَةِ الَّتِي كَانَتْ أُولَ الْأَنْبِيَاءِ لَمْ يُعْطِ الدَّارَ ٥٣ ﴾

قيل: يدفعون من إساءة إليهم بالتي هي أحسن، والأظهر: يفعلون الحسنات فيدرون بها السيئات؛ كقوله: (إن الحسنات يذهبن السيئات) لهود: ١١٤. ابن جزري: ٤٣٦/١.

السؤال: فتح الله لعباده باباً يدفعون عنهم به السيئات، فما هو؟

٣ ﴿ جَنَّتٌ عَنْ يَمِينٍ مِّنَ الْجَنَّةِ مِّنَ الْأَنْبِيَاءِ وَآلِهِمْ وَزُجَّجَتْ ٥٤ ﴾

أي: يجمع بينهم وبين أحبابهم من الأنبياء، والأهلين، والأبناء؛ ممن هو صالح لدخول الجنة من المؤمنين؛ لتقر أعينهم بهم. ابن كثير: ٤٩٢/٣.

السؤال: لماذا جمع الله الآباء والأزواج والذرية الصالحة في الجنة؟

٤ ﴿ وَاللَّيْلُ يَسْطُرُ الْغَيْثَ ٥٥ ﴾ سَلَّمَ عَلَيْكَ بِمَا صَدَّقْتَ ٥٦

عَنْ الدَّارِ ٥٧

ثم زاد في الترغيب بقوله سبحانه وتعالى: (واللائكة يدخلون عليهم من كل باب)؛ لأن الإكثار من ترداد رسل الملك اعظم في الفخر، وأكثر في السرور والعز. البقاعي: ١٤٧/٤.

السؤال: ما فائدة دخول اللائكة على المؤمنين في الجنة؟

٥ ﴿ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَذْكُرُ رَحْمَةً لِّلْغَايَةِ ٥٨ ﴾ وَالْغَايَةُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ٥٩

لَا مَنَعَ ٦٠

سعة رزقهم ليس تكريماً لهم، كما أن تضيق رزق بعض المؤمنين ليس لإهانة لهم، وإنما كل من الأمرين صادر منه تعالى لحكم إلهية يعلمها سبحانه، وربما وسع على الكافر إملاء واستدراجاً له، وضيق على المؤمن زيادة لأجره. الأنوسي: ١٨٤/١٣.

السؤال: هل زيادة الرزق في الدنيا دليل على توفيق المرء وكرامته؟

٦ ﴿ وَرَحْمَةً لِّلْغَايَةِ الدُّنْيَا ٦١ ﴾

فرحاً أوجب لهم أن يطمئنوا بها، ويفعلوا عن الآخرة، وذلك لنقصان عقولهم. السعدي: ٤١٧.

السؤال: متى يكون الفرح بأمور الدنيا مذموماً؟

٧ ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ٦٢ ﴾

كل قلب يطمئن به، فمن أخبر عن قلبه بخلاف ذلك فهو كاذب معاند، ومن أذعن وعمل بموجب الطمأنينة فهو مؤمن. البقاعي: ١٤٧/٤.

السؤال: ما الذي يمنع القلوب من تمام الطمأنينة؟

المؤمن

\* آمَنَ يَعْلَمُ أَنَّ أَزْلَ إِلَهِكَ مِنْ ذِيكَ لَقِيَ كَمَنْ هُوَ أَعْلَى إِمَامِيَّةً ذَكَرَ  
أُولَ الْأَنْبِيَاءِ ٥١ الَّذِينَ يُؤْتُونَ عَهْدَ اللَّهِ وَلَا يَشْفَعُونَ أَلِيَّتَيْنِ ٥٢  
وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ  
وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ٥٣ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ  
وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَذَرُونَ  
بِالْحَسَنَةِ الَّتِي كَانَتْ أُولَ الْأَنْبِيَاءِ لَمْ يُعْطِ الدَّارَ ٥٤ جَنَّتٌ عَنْ يَمِينٍ  
مِّنَ الْجَنَّةِ مِّنَ الْأَنْبِيَاءِ وَآلِهِمْ وَزُجَّجَتْ ٥٥ سَلَّمَ عَلَيْكَ بِمَا صَدَّقْتَ ٥٦  
عَنْ الدَّارِ ٥٧ وَالَّذِينَ يَنْفُسُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ  
مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَ الْأَنْبِيَاءِ لَمْ يُعْطِ  
الْعَنَةَ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ٥٨ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ  
وَيَذْكُرُ رَحْمَةً لِّلْغَايَةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا  
مَتَاعٌ ٥٩ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ  
إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن أَرَادَ ٥١ الَّذِينَ آمَنُوا  
وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ٦٠

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
الْأَنْبِيَاءِ	الْعُقُولُ.
الْبَيْتَاقُ	العهد المؤكد.
وَيَذَرُونَ	يَدْفَعُونَ.
عُقْبَى الدَّارِ	العاقبة المحمودة في الآخرة.
وَيَقْدِرُ	يُضَيِّقُ.
مَتَاعٌ	شيء قليل يُتَمَتَّعُ به سُرْعَانِ مَا يُزُولُ.

## ● العمل بالآيات

١. صل أحد أقاربك بزيارته، أو الاتصال به، ﴿ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ٥٣ ﴾.
٢. تصدق بصدقتين في سبيل الله: إحداها سرا، والثانية علانية، ﴿ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ٥٣ ﴾.
٣. تذكر أحد إساءة إليك، وأحسن إليه برسالة جوال طيبة، أو هدية محببة، ﴿ وَيَذْكُرُونَ بِالْحَسَنَةِ الَّتِي كَانَتْ أُولَ الْأَنْبِيَاءِ لَمْ يُعْطِ الدَّارَ ٥٤ ﴾.

## ● التوجيهات

١. الصبر قد يحصل من البر والفاجر، ولكن الصبر الماجور هو الذي يكون ابتغاء رضوان الله سبحانه وتعالى، ﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ ٥٣ ﴾.
٢. ليس كل ما يفرحك في الدنيا ينفعك في الآخرة، ﴿ وَرَحْمَةً لِّلْغَايَةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ ٥٩ ﴾.
٣. سعة الرزق وضيقه ليست دليلاً على رضى الله سبحانه أو سخطه على العبد، ﴿ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَذْكُرُ رَحْمَةً لِّلْغَايَةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ ٥٩ ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

● ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾

وقوله: (بالرحمن) إشارة إلى كثرة حلمه، وطول اناته، وتصوير لتقبيح حالهم في مقابلتهم الإحسان بالإساءة، والنعمة بالكفر بأوضح صورة، وهم يدعون أنهم اشكر الناس للإحسان، وابعدهم من الكفران. البقاعي: ١٥١/٤.

السؤال: في ذكر اسم (الرحمن) دون غيره من أسماء الله الحسنى فائدة لطيفة، فما هي؟

● ﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٌ﴾

فإن الإنابة إلى الله والمتاب هو الرجوع إليه بعبادته، وطاعته، وطاعة رسوله. والعبد لا يكون مطيعاً لله ورسوله -فضلاً أن يكون من خواص أوليائه المتقين- إلا بفعل ما أمر به، وترك ما نهى عنه. ابن تيمية: ٩٣/٤.

السؤال: ما المقصود بالإنابة إلى الله؟

● ﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٌ﴾

(وإليه متاب) أي: إليه توبتي، كقوله تعالى: (واستغفر لذنبك) (محمد: ١٩) أمر عليه الصلاة والسلام بذلك إبانة لفضل التوبة ومقدارها عند الله تعالى، وأنها صفة الأنبياء الأنوسى: ١٣/١٩.

السؤال: بينت الآية صفة من صفات الأنبياء عليهم السلام، فما هي؟

● ﴿أَفَلَمْ يَأْتِنِ الْذِّكْرَ ءَأَمْسُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَىٰ النَّاسَ جَمِيعًا﴾

أفلم يعلم الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً من غير أن يشاهدوا الآيات؟ وقيل: إن الإياس على معناه الحقيقي: أي: أفلم يياس الذين آمنوا من إيمان هؤلاء الكفار؟ لعلمهم أن الله تعالى لو أراد هدايتهم لهداهم؛ لأن المؤمنين تمنوا نزول الآيات التي اقترحها الكفار طمعاً في إيمانهم. الشوكاني: ١٠١/٣.

السؤال: على الداعية البلاغ والإرشاد، والنتائج عائدة إلى علم الله وحكمته، وضح ذلك من الآية.

● ﴿وَلَقَدْ أَسْتَهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا

أي: أمهلتهم مدة؛ حتى ظنوا أنهم غير معذبين ... فلا يفتر هؤلاء الذين كذبوك واستهزأوا بك يامهاننا؛ فلم أسوء فيمن قبلهم من الأمم، فليحذرُوا أن يفعل بهم كما فعل بأولئك السعدى: ٤٨.

السؤال: ما خطورة أمن الإنسان من العذاب وهو مقيم على المعاصي؟

● ﴿أَفَنَنْتَ هُوَ قَائِرٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾

هو الله تعالى: أي: حفيظ، رقيب على عمل كل أحد. والخبر محذوف تقديره: أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت أحق أن يعذب أم غيره؟ ابن جزي: ١٥٨/٤٣٨.

السؤال: القيومية لله تعالى تتضمن عدة معانٍ وصفات، بيئها.

● ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ

(قل سموهم): باسمائهم الحقيقية؛ فإنهم إذا سموهم، وعُرفت حقائقهم أنها حجارة، أو غير ذلك مما هو مركز العجز، ومحل الفقر؛ عُرف ما هم عليه من سخافة العقول، وكسابة الأراء. البقاعي: ١٥٥/٤.

السؤال: ما فائدة الطلب من الكفار أن يذكروا أسماء أصنامهم؟

الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحَسُنَ مَتَابٌ ﴿٥﴾  
كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لَبِثُوا  
عَلَيْهِمُ الذِّكْرُ أَوْحِينَ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي  
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٌ ﴿٦﴾ وَلَوْ أَنَّ قَوْمًا  
سُئِرَتْ بِهِ لِبَالٍ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُتِرَ بِهِ الْمَوْتُ  
بَلِ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَأْتِنِ الْذِّكْرَ ءَأَمْسُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ  
اللَّهُ لَهْدَىٰ النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ  
بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوتَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ  
اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٧﴾ وَلَقَدْ أَسْتَهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن  
قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ  
عِقَابِ ﴿٨﴾ أَفَنَنْتَ هُوَ قَائِرٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا  
لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ  
يُظَاهِرُونَ الْقَوْلَ بَلْ زَيْنٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدَّوْا عَنِ  
السَّبِيلِ وَمَنْ يَضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٩﴾ لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ  
الدُّنْيَا وَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِن رَّاقٍ ﴿١٠﴾

٢٥٣

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
طُوبَىٰ لَهُمْ	فَرَجٌ، وَفَرَّةٌ عَيْنٍ، وَحَالٌ طَيِّبٌ.
قَارِعَةٌ	مُصِيبَةٌ.
فَأَمَلَيْتُ	أَمَهَلْتُ.
أَمْ يَظَاهِرُونَ الْقَوْلَ	أَي: تُسَمُّوهُمْ شُرَكَاءَ فِي ظَاهِرِ الْقَوْلِ، مِنْ غَيْرِ الْقَوْلِ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ حَقِيقَةٌ.

## ● العمل بالآيات

١. سل الله تعالى العيش الطيب، والعاقبة الحسنة، ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحَسُنَ مَتَابٌ﴾.
٢. قل إذا أصبحت: «حسبي لا إله إلا هو عليه توكلت، وهو رب العرش العظيم» ﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٌ﴾.
٣. إذا خرجت من منزلك فقل: «بسم الله توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله» ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٌ﴾.

## ● التوجيهات

١. إذا واجهت من يستهزئ بك بسبب إيمانك واستقامتك: فاعرض عن جهلهم، ولا تحزن، واعلم أن الله تعالى سينتصر لك، وأن نبيك ﷺ قد لقي أكثر من ذلك، فاصبر ابتغاء وجه الله تعالى، ﴿وَلَقَدْ أَسْتَهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾.
٢. المصاب قد تكون أحياناً بسبب المعاصي: فتجنب المعاصي تهنا في حياتك باذن الله، ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾.
٣. اعلم أن الكذابين والظالمين والعصاة مهما فحروا وطفوا ورأى الناس أنهم في سعادة فهم في عذاب: كيف وقد توعدهم الله بعذاب في الحياة الدنيا، ﴿هُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِن رَّاقٍ﴾.

الآية (٢٩): ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طَوْفٌ لَهُمْ وَحَسَنٌ مِّنَّا﴾ قال ابن عباس: فرح وقرّة عين. وقال عكرمة: نعم ما لهم. وقال الضحاك: غبطة لهم. وقال قتادة: ﴿طَوْفٌ لَهُمْ﴾: حسنى لهم. ﴿وَحَسَنٌ مِّنَّا﴾: أي: مرجع. وهذه الأقوال شيء واحد لا منافاة بينها. وقال شهر بن حوشب: ﴿طَوْفٌ﴾: شجرة في الجنة، كُلُّ شجر الجنة منها، أغصانها من وراء سور الجنة. وهكذا رؤي عن أبي هريرة وابن عباس. وعن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ: أن رجلاً قال: يا رسول الله، وما طوبى؟ قال: «شجرة في الجنة مسيرة مائة عام، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها» [رواه أحمد، وحسنه الألباني].

الآية (٣٠): يقول تعالى: وكما أرسلناك يا محمد في هذه الأمة ﴿تَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الذِّكْرَ أَجْزَاءً إِنَّكَ﴾ أي: تبليغهم رسالة الله إليهم، كذلك أرسلنا في الأمم الماضية الكافرة بالله، وقد كُذِّبَ الرسل من قبلك، فلك بهم أسوة، وكما أوقعنا بأسنا ونقمنا بأولئك، فليحذر هؤلاء من حلول النقم بهم؛ فإن تكذيبهم لك أشد من تكذيب غيرك من المرسلين. قوله: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ أي: هذه الأمة التي بعثناك فيها يكفرون بالرحمن، لا يُقرّون به؛ لأنهم كانوا ينفون من وصف الله بالرحمن الرحيم؛ ولهذا أتوا يوم الحديبية أن يكتبوا «بسم الله الرحمن الرحيم» وقالوا: ما ندرى ما الرحمن الرحيم [متفق عليه] قاله قتادة: ﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: هذا الذي تكفرون به أنا مؤمن به، معترف مُقرّ له بالربوبية والإلهية، هو ربي لا إله إلا هو ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ أي: في جميع أموري ﴿وَالِلَّهِ مَتَابٌ﴾ أي: إليه أرجع وأنيب، فإنه لا يستحق ذلك أحد سواه.

الآية (٣١): يقول تعالى مادحاً للقرآن الذي أنزله على محمد ﷺ، ومُفضلاً له على سائر الكتب المنزلة قبله: ﴿وَلَوْ أَنَّا فَرَقْنَا سُبُوتَ يَدِ الْبَيْتِ﴾ أي: لو كان في الكتب الماضية كتاب تسير به الجبال عن أماكنها، أو تُقطع به الأرض وتنشق، أو تُكَلَّم به الموتى في قبورها، لكان هذا القرآن هو المتصف بذلك دون غيره، أو بطريق الأولى أن يكون كذلك؛ لما فيه من الإعجاز الذي لا يستطيع الإنسان والجن عن آخرهم إذا اجتمعوا أن يأتوا بمثله، ولا بسورة من مثله، ومع هذا فهؤلاء المشركون كافرون به، جاحدون له.

قوله: ﴿بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ أي: مُرجع الأمور كلها إلى الله ﷻ، ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن. قوله: ﴿فَأَنقَضَ اللَّهُ يَاقِينَ الْأَمْرَ﴾ أي: من إيمان جميع الخلق، ويعلموا أو يبينوا ﴿أَن لَّوْ يَشَاءَ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾ فإنه ليس ثمَّ حجة ولا معجزة تبلغ ولا أنجع في النفوس والعقول من هذا القرآن، الذي لو أنزله الله على جبل لرأته خاشعاً متصدعاً من خشية الله. وهذا القرآن حجة باقية على الأباد، لا تنقضي عجايبه، ولا يتخلّق عن كثرة الرد، ولا يشيع منه العلماء.

قوله: ﴿وَلَا يَرْآئِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِئَتَهُمْ يَمَّا صَنَعُوا قَارِعَةً أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾ أي: بسبب تكذيبهم لا تزال القوارع تُصيبهم في الدنيا، أو

تُصيب من حولهم ليعطوا ويعتبروا، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَولَكُم مِّنَ الْقَرْيَاتِ وَصَرَفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأحاف: ٢٧]. قال الحسن: ﴿أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾ أي: القارعة. وهذا هو الظاهر من السياق. قوله: ﴿حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ﴾ يعني: فتح مكة. وقال الحسن البصري: يوم القيامة. وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْلِفُ الْوَعْدَ﴾ أي: لا ينقض وعده لرسله بالنصرة لهم ولاتباعهم في الدنيا والآخرة، ﴿فَلَا تَحْزَنَ اللَّهُ تَخْلِفُ وَعْدَهُ، رُسُلُهُ وَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ [إبراهيم: ٤٧].

الآية (٣٢-٣٣): يقول تعالى مُسْلِماً لرسوله ﷺ في تكذيب من كذب من قومه: ﴿وَلَقَدْ أَسْتَشِرْتُ رُسُلِي مِّن قَبْلِكَ﴾ أي: فلك فيهم أسوة ﴿فَأَمَلْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: أنظرهم وأحلّهم ﴿ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ﴾ أخذة رابية، فكيف بلغك ما صنعتُ بهم وعاقبتهم؟! وفي الصحيحين: «إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته»، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقَرْيَةَ وَبَى ظَلِمَةً إِنَّا نَأْخُذُ الْقَوْمَ الْأَشَـدِّ حَرْدًا﴾ [هود: ١٠٢]. قوله: ﴿أَفَنُفِئَ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ أي: حفيظ عليم رقيب على كل نفس متفوسة، يعلم ما يعمل العاملون من خير وشر، ولا يخفى عليه خافية. أئمن هو كذلك كالأصنام التي يعبدونها، لا تسمع ولا تبصر ولا تُعْقِلُ، ولا تملك نفعا لأنفسها ولا لعابدها، ولا كشف ضرر عنها ولا عن عابديها؟! وحُذِفَ هذا الجواب اكتفاءً بدلالة السياق عليه، وهو قوله: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾ أي: عبدوها معه، من أصنام وأنداد وأوثان. ﴿قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ أي: أعلمونا بهم، واكشفوا عنهم حتى يُعرّفوا؛ فإنهم لا حقيقة لهم؛ ولهذا قال: ﴿أَمْ تَتُوبُونَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: لا وجود له؛ لأنه لو كان له وجود في الأرض [لعلمه]؛ لأنه لا تخفى عليه خافية.

قوله: ﴿أَمْ يَظُنُّوْنَ أَنَّهُم بِالنُّزُولِ﴾ قال مجاهد: بظن من القول. وقال الضحاك وقتادة: يباطل من القول. أي: إنما عبدتم هذه الأصنام بظن منكم أنها تنفع وتضر، وسميتهموها آلهة، ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَتْهُمَا إِنَّمَا تَتَكَلَّمُ بِطَرَفِ لِسَانِكُمْ مِمَّا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ بِإِذْنِ رَبِّكُم مَّا تَكُونُونَ لَهَا مِنَ الْخَبَرِ﴾ الآية [النجم: ٢٣]. قوله: ﴿بَلْ زَيْنَ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ﴾ قال مجاهد: قولهم، أي: ما هم عليه من الضلال والدعوة إليه أثناء الليل وأطراف النهار. ﴿وَصَدُّوا﴾ أي: بما زين لهم من صحة ما هم عليه، صدّوا به عن سبيل الله؛ ولهذا قال: ﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ﴾، كما قال: ﴿إِن تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ﴾ الآية [الحل: ٣٧].

الآية (٣٤): ذكر تعالى عقاب الكفار وثواب الأبرار فقال -بعد إخباره عن حال المشركين وما هم عليه من الكفر والشرك-: ﴿ثُمَّ عَذَابٌ فِي الْحَيَوةِ أَذْيَبٌ﴾ أي: باليدى المؤمنين قتلاً وأسرًا، ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ﴾ أي: المُشدَّخ مع هذا الخزي في الدنيا، ﴿أَشَقُّ﴾ أي: من هذا بكثير؛ فإن عذاب الدنيا له انقضاء، وذلك دائم أبداً في نار هي بالنسبة إلى هذه سبعون ضعفاً، ووثاق لا يتصور كفافته وشدته، كما قال: ﴿يَوْمَهُمْ لَا يَصُدُّ عَنْهُمْ عَذَابُ الْآخِرَةِ﴾ ولا يوقى ولا يقدّر أحدٌ [الفجر: ٢٥-٢٦].

الآية (٤٢): يقول: ﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ برسلهم، وأرادوا إخراجهم من بلادهم، ﴿فَبَلَّغْنَا الْمَكْرَ جَمِيعًا﴾ فمكر الله بهم، وجعل العاقبة للمتقين، كقوله: ﴿وَأَيُّكُمْ كَذَّبَ عَنْ رَبِّهِ يُرْسِلُ سَفَرًا يَنْتَهِبُ فِيهِ الْكِبْرِيَاءَ﴾ [الأنفال: ٣٠]. وقوله: ﴿يَعْلَمُ مَا تُكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ أي: إنه تعالى عالم بجميع السرائر والظواهر، وسيجزى كل عامل بعمله. ﴿وَسَيَعْلَمُ الْكَفُورُ لِمَنْ عَفَىٰ الدَّارُ﴾ أي: لمن يكون الدائرة والعاقبة، هم أو لأتباع الرسل! لا، بل هي لأتباع الرسل في الدنيا والآخرة، والله الحمد والمنة.



## ● الوقفات التدريبية

﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا ﴾

(أكلها دائم): لا ينقطع ثمرها، ونعيمها، (وظلها): أي: ظلها ظليل: لا يزول. البغوي: ٥٣٠/٢.

السؤال: ما ميزة أكل الجنة وظلها المذكورة في الآية؟

﴿ وَالَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَكُنْتُ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَخْرَابِ مَنْ يُبَكِّرُ بَعْضُهُمْ قُلُوبًا إِنَّمَا أُرِيتُ أَنَّ أُعْبِدَ اللَّهَ وَلَا أَشْرَكَ بِهِ إِلَهُ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَوَابِ ﴾

(قُلُوبًا إِنَّمَا أُرِيتُ أَنَّ أُعْبِدَ اللَّهَ): وجه اتصاله بما قبله أنه جواب المنكرين ورد عليهم: كأنه قال: إنما أمرت بعبادة الله وتوحيده، فكيف تنكرون هذا.

ابن جزي: ٤٣٨/١.

السؤال: القرآن أمر بامر موافق للفطرة، فما هو؟

﴿ قُلْ إِنَّمَا أُرِيتُ أَنَّ أُعْبِدَ اللَّهَ وَلَا أَشْرَكَ بِهِ ﴾

ومن بلاغة الجدل القرآني أنه لم يأت بذلك من أول الكلام، بل أتى به متدرجاً فيه، فقال: (إن أعبد الله)، لأنه لا ينانع في ذلك أحد من أهل الكتاب، ولا للمشركين، ثم جاء بعده: (ولا أشرك به) لإبطال إشراك المشركين،

وللتعريض بإبطال إلهيته عيسى عليه السلام. ابن عاشور: ١٥٨/١٣.

السؤال: يتوصل القرآن الكريم إلى تقرير التوحيد، ونفي الشرك بتدرج بين ذلك.

﴿ وَكَذَلِكَ أُنْزِلَتْ حُكْمًا عَرَبِيًّا ﴾

كمال من جهة معانيه ومقاصده: وهو كونه حكماً، وكمال من جهة الفاظه: وهو المكنى عنه بكونه عربياً. ابن عاشور: ١٦٠/١٣.

السؤال: ذكرت الآية الكريمة كمالين للقرآن الكريم، فما هما؟

﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْوَلَايَةِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴾

(ولئن أتيت أهواءهم): أي: أهواء المشركين في عبادة ما دون الله ... (ما لك من الله من ولي): أي: ناصر ينصرك، (ولا واق): يمنعك من عذابه.

والخطاب للنبي ﷺ والمراد الأمة. القرطبي: ٨٤/١٢.

السؤال: ما العقوبة والجزاء اللذان ينتظران من اتبع أهواء الشرق والغرب من الكفار؟

﴿ يَسْخَرُوا اللَّهَ مِنْكَ وَيَكْفُرُ بِهِ وَأَمَّا الْكُفْرُ ﴾

(يسخروا الله منك): أي: للملك الأعظم، (ما يشاء): أي: محوه من الشرائع والأحكام وغيرها بالنسخ؛ فيرفعه، (ويفتت): أي: يشاء إثباته من ذلك بأن يقره ويمضي حكمه، ... كل ذلك بحسب المصالح التابعة لكل زمن؛ فإنه العالم

بكل شيء، وهو الفعال لما يريد، لا اعتراض عليه. البقاعي: ١٦٠/٤.

السؤال: ما الحكمة من نسخ بعض الأحكام، وإثبات بعضها؟

﴿ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّ أَتَانِي الْأَرْضَ نَقْصًا مِنْ أَرْطَائِهَا ﴾

ونقصها هو بما يفتح الله على المسلمين منها؛ والمعنى: أولم يروا ذلك فيخافوا أن نمكنك منهم. وقيل: الأرض جنس، ونقصها بموت الناس،

وهلاك الثمرات، وخراب البلاد، وشبه ذلك. ابن جزي: ٤٣٩/١.

السؤال: في نقص الأرض من أطرافها معانٍ، بينها.

\* مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ١ وَالَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَكُنْتُ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَخْرَابِ مَنْ يُبَكِّرُ بَعْضُهُمْ قُلُوبًا إِنَّمَا أُرِيتُ أَنَّ أُعْبِدَ اللَّهَ وَلَا أَشْرَكَ بِهِ إِلَهُ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَوَابِ ٢ وَكَذَلِكَ أُنْزِلَتْ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنْ أَتَيْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ٣ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَرْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِعَاقِبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ٤ يَسْخَرُوا اللَّهَ مِنْ آيَاتِهِ وَيُشْكِرُونَ ٥ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ٦ وَلَنْ مَّا تُرِيكَ بَعْضَ الَّذِي نَعْدُهُمْ أَوْ تُوقِنُكَ فَاتَّعَاكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ٧ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّ أَتَانِي الْأَرْضَ نَقْصًا مِنْ أَرْطَائِهَا ٨ وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ٩ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْتُمُ كُلُّ نَفْسٍ وَسِعَ عِلْمُهُ الْغُفُورُ ١٠ لَمَنْ عُقْبَى الدَّارِ ١١

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
أَكُلُهَا	ثَمَرُهَا.
عُقْبَى	عَاقِبَةُ.
الْأَحْرَابِ	الْمُتَحَرِّضِينَ، الْمُتَجَمِّعِينَ عَلَى الْكُفْرِ.
نَقْصُهَا مِنْ أَرْطَائِهَا	بِفَتْحِ الْمُسْلِمِينَ بِلَادَ الْمُشْرِكِينَ.
لَا مُعَقِّبَ	لَا رَادٍّ، وَلَا مُبْطِلَ.

## ● العمل بالآيات

١. تذكر ما فتح الله به عليك من حفظ آيات من كتاب الله تعالى أو تدبرها، وافرح بذلك واحمد الله فافت على خير، ﴿ وَالَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَكُنْتُ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ ﴾.

٢. اسأل الله أن يشبكك على دينه، واستعد به من اتباع أهواء الذين لا يؤمنون، ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْوَلَايَةِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴾.

٣. اسأل الله أن يكثر من العلماء وطلبة العلم في الأمة، وأن يزيد في أعمارهم، ﴿ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّ أَتَانِي الْأَرْضَ نَقْصًا مِنْ أَرْطَائِهَا ﴾.

## ● التوجيهات

١. نهتم بمعرفة اللغة العربية ونشرها لأنها أساس فهم القرآن، ﴿ وَكَذَلِكَ أُنْزِلَتْ حُكْمًا عَرَبِيًّا ﴾.

٢. احذر من سماع شبهات الكفار، وتلقفها؛ فإن عاقبة ذلك أن يهلك الله تعالى إلى نفسك؛ لأنك توليت عن شره، ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْوَلَايَةِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴾.

٣. اجتهد في تبليغ الدعوة للناس، وأما هدايتهم فبيد الله تعالى، ﴿ وَإِنْ مَّا نُفِيتُكَ بَعْضَ الَّذِي نَعْدُهُمْ أَوْ تُوقِنُكَ فَاتَّعَاكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿قُلْ كَفَى بِاللّٰهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾  
 وإنما أمر الله باستشهاد أهل الكتاب لأنهم أهل هذا الشأن، وكل أمر إنما يستشهد فيه أهله ومن هم أعلم به من غيرهم، بخلاف ما هو اجنبي عنه؛ كالألميين من مشركي العرب وغيرهم، فلا فائدة من استشهادهم؛ لعدم خبرتهم ومعرفتهم. السعدي: ٤٢٠-٤٢١.

السؤال: لماذا استشهد أهل الكتاب خاصة دون غيرهم؟

﴿كَتَبْتُ أَرْزَلْتُهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾  
 (تخرج الناس) أي: بالكتاب؛ وهو القرآن. (من الظلمات إلى النور) أي: من ظلمات الكفر والضلالة والجهل إلى نور الإيمان والعلم، وهذا على التمثيل؛ لأن الكفر بمنزلة الظلمة، والإسلام بمنزلة النور. القرطبي: ١٠٢/١٢.

السؤال: كيف يفعل من أراد إخراج الظلمة من قلبه، وإدخال النور فيه؟

﴿إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾  
 وفي ذكر (العزیز الحمید) بعد ذكر الصراط الموصِل إليه إشارة إلى أن من سلكه فهو عزیز بجزء الله، قوي ولو لم يكن له أنصار إلا الله، محمود في أمور، حسن العاقبة. السعدي: ٤٢١.

السؤال: ماذا تفيد من إضافة الصراط إلى اسمي الله: (العزیز) و(الحمید)؟

﴿الَّذِينَ يَسْتَجِيبُونَ الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَٰئِكَ فِي ضَلٰلٍ بَٰعِذٍ﴾  
 وكل من أثر الدنيا وزهرتها، واستحب البقاء في نعيمها على النعيم في الآخرة، وصعد عن سبيل الله ... فهو داخل في هذه الآية، وقد قال ﷺ: (إن أخوف ما أخاف على أمتي الأئمة المضلون) وهو حديث صحيح، وما أكثر ما هم في هذه الأزمان، والله المستعان، وقيل: (يستحيون) أي: يلتبسون الدنيا من غير وجهها. القرطبي: ١٠٤/١٢.

السؤال: ما صفات من ذمهم الله تعالى في الآية لنحذرهم؟

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ﴾  
 ويستدل بهذه الآية الكريمة على أن علوم العربية الموصلة إلى تبين كلامه وكلام رسوله أمور مطلوبة، محبوبية لله؛ لأنه لا يتم معرفته ما أنزل على رسوله إلا بها. السعدي: ٤٢١.

السؤال: كيف يستدل بهذه الآية على أهمية تعلم اللغة العربية؟

﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيِّمِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾  
 (وذكرهم بأيام الله) أي: عيوبها للأهم المتقدمة، وقيل: إنعامه على بني إسرائيل، واللفظ يعم النعم والنقم، وعبر عنها بأيام لأنها كانت في أيام، وفي ذلك تمطيط لها، كقولهم يوم كذا، ويوم كذا. ابن جزي: ٤٤١/١.

السؤال: من أسباب تقوية الإيمان قراءة تاريخ الأمم السابقة، وما جرى

لهم، وضح ذلك.

﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيِّمِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾  
 قال تعالى: (إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور) في غير موضع؛ فالصبر والشكر على ما يقدره الرب على عبده من السراء والضراء، من النعم والمصائب، من الحسنات التي يبلو بها والسيئات؛ فعليه أن يتلقى المصائب بالصبر، والنعم بالشكر، ومن النعم ما ييسره له من أفعال الخير، ومنها ما هي خارجة عن أفعاله. ابن تيمية: ١٠٧/٤.

السؤال: ينبغي أن يتعامل المؤمن مع ما يقدره الله تعالى بالصبر والشكر، بين ذلك.

وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللّٰهِ شَهِيدًا  
 بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ٥١

سُورَةُ الزَّمَرِ ٥١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّ كُتِبَ إِلَيْكَ لِيُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ٥١  
 اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَدَّ  
 لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ٥٢ الَّذِينَ يَسْتَحْجِبُونَ  
 الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ  
 اللّٰهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَٰئِكَ فِي ضَلٰلٍ بَٰعِذٍ ٥٣  
 أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ  
 فَيُضِلَّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِيَ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ  
 الْحَكِيمُ ٥٤ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ  
 قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِهِ  
 إِنَّهُمْ إِذَا فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ٥٥

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا	يُرِيدُونَهَا مُعَوَّجَةً، مُوَافِقَةً لِّأَهْوَائِهِمْ.
بِأَيِّمِ اللَّهِ	نَعْمِهِ وَنَقِمِهِ الَّتِي قَدَّرَهَا فِي الْأَيَّامِ.

## ● العمل بالآيات

١. قل إذا أصبحت وإذا أمسيت ثلاث مرات: «رضيت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً»، ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللّٰهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾.
٢. اقرأ سورة من القرآن، واستخرج ما فيها من الفوائد التي تنير لك الطريق، ﴿الرَّ كُتِبَ إِلَيْكَ لِيُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.
٣. تذكر أياما عصبية مرت على المجتمع، وتعاون مع من حولك في استخراج فوائد من ذلك الحدث، وأرسلها في رسالة لمن تعرف، ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيِّمِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾.

## ● التوجيهات

١. إذا اشتبه عليك أمر ولم تعرف الحق فيه فبادر بقراءة القرآن الكريم؛ لعل الله تعالى أن يهديك للحق والرشد، ﴿الرَّ كُتِبَ إِلَيْكَ لِيُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.
٢. لا تحصل الهداية إلا بإذن الله تعالى وموعنته وتوفيقه، ﴿كَتَبْتُ أَرْزَلْتُهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.
٣. تيسير الفهم والتعلم سمته من سمات الشريعة، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ﴾.

الآية (٤٣): يقول تعالى: يكذب هؤلاء الكفار ويقولون: ﴿لَسْتُ مُرْسَلًا﴾ أي: ما أرسلك الله، ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ أي: حسي الله، وهو الشاهد عليّ وعليكم، شاهدٌ عليّ فيما بَلَّغْتُ عنه من الرسالة، وشاهد عليكم -أيها المكذِبون- فيما تَقَرَّرُونَهُ من البهتان.

وقوله: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ عن ابن عباس قال: هم من اليهود والنصارى. وقال مجاهد: هو الله تعالى. والصحيح في هذا: أن ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ﴾ اسم جنس يشمل علماء أهل الكتاب الذين يجدون صفة محمد ﷺ ونَعْتَهُ في كتبهم المتقدمة، من بشارات الأنبياء به، كما قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُمُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٣٨) الَّذِينَ يَدْعُونَ الرَّسُولَ الَّتِي الْاَنْبِيَاءُ الَّتِي يَدْعُونَ وَمَنْ عِنْدَهُ مَكْتُوبٌ عَنْهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ﴿ الآية [الأعراف: ١٥٦-١٥٧]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ عَلِيمًا يَعْلَمُ مَا تُبَيِّنُونَ﴾ [سورة: الشعراء: ١٩٧]. وأمثال ذلك مما فيه الإخبار عن علماء بني إسرائيل: أنهم يعلمون ذلك من كتبهم المنزلة.

#### ﴿تفسير سورة إبراهيم عليه السلام﴾

وهي مكة، [وعدد آياتها (٥٢) آية].

الآية (٣-١): قد تقدّم الكلام على الحروف المقطّعة في أوائل السور. ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ﴾ أي: هذا كتاب أنزلناه إليك يا محمد، وهو القرآن العظيم، الذي هو أشرف كتاب أنزله الله من السماء، على أشرف رسول بعثه الله في الأرض، إلى جميع أهلها عربهم وعجمهم. ﴿لِنُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ أي: إنا بعثناك يا محمد بهذا الكتاب لنُخْرِجَ النَّاسَ مِمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ الضُّلَالِ وَالْغَيِّ إِلَى الْهُدَى وَالرُّشْدِ، كما قال: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ أَطْلُغُهُمْ يُخْرِجُهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ الآية [البقرة: ٢٥٧]، وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُثَبِّتُ عَلَى عَبْدِهِ عَازِبَةً بِتَنْتِ يُخْرِجُكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ الآية [الحديد: ٩].

وقوله: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ أي: هو الهادي لمن قَدَّرَ له الهداية على يَدَيِ رَسُولِهِ المبعوث عن أمره، يهديهم ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُّزِينٍ﴾ الذي لا يُنَالُ وَلَا يُغَالِبُ، بل هو القاهر لكل ما سواه، ﴿الْحَمِيدُ﴾ أي: المحمود في جميع أفعاله وأقواله، وشرعه وأمره ونبيه، الصادق في خبره. وقوله: ﴿اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ صفة للجلالة، كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَذَكَّرُ النَّاسُ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

﴿وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ أي: ويل لهم يوم القيامة إذ خالفوك يا محمد وكذبوك.

ثم وَصَفَهُم بأنهم يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة، أي: يقدمونها ويؤثرونها عليها، ويعملون للدنيا ونَسُوا الآخرة، وتركوها

وراء ظهورهم، ﴿وَصُدُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وهي اتباع الرسل، ﴿وَيَتَّبِعُونَهَا عِوَجًا﴾ أي: ويجنون أن تكون سبيل الله عوجًا مائلةً عاتلةً، وهي مستقيمة في نفسها، لا يضرّها من خالفها ولا من خذّلها، فهم في ابتغائهم ذلك في جهل وضلال بعيد من الحق، لا يرجى لهم -والحالة هذه- صلاح.

الآية (٤): هذا من لطفه تعالى بخلقه: أنه يُرْسِلُ إِلَيْهِمْ رُسُلًا منهم بَلَّغَاتِهِمْ ليهيئوا عنهم ما يريدون وما أُرْسِلُوا به إليهم.

وقوله: ﴿فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ أي: بعد البيان وإقامة الحجة عليهم يُضِلُّ تعالى من يشاء عن وجه الهدى، ويهدي من يشاء إلى الحق، ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ الذي ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، ﴿الْحَكِيمُ﴾ في أفعاله، يُضِلُّ من يستحقُّ الإضلال، ويهدي من هو أهلٌ لذلك. وقد كانت هذه سنة الله في خلقه: أنه ما بعث نبيًا في أمة إلا أن يكون بَلَّتُهُمْ، فاختصّ كل نبيٍّ بإبلاغ رسالته إلى أمته دون غيرهم، واختصّ محمد بن عبد الله رسول الله بعموم الرسالة إلى سائر الناس، كما كُتِبَ في الصحيحين عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «أُعْطِيتُ حَسَمًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي: نُفِصْتُ بِالرَّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَأُجِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ وَلَمْ تَحُلْ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ، وَتُبْعْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَةً، وَلَهُ شَوَاهِدٌ مِنْ وَجْهِ كَثِيرَةٍ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَتَذَكَّرُ النَّاسُ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

الآية (٥): يقول تعالى: وكما أرسلناك يا محمد وأنزلنا عليك الكتاب لنُخْرِجَ النَّاسَ كُلَّهُمْ، ندعوهم إلى الخروج من الظلمات إلى النور، كذلك أرسلنا موسى في بني إسرائيل بآياتنا. قال مجاهد: وهي التسع الآيات. ﴿أَنَّا أَخْرَجْنَا قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ أي: أمرناه قائلين له: ﴿أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ أي: ادعهم إلى الخير، ليخرجوا من ظلمات ما كانوا فيه من الجهل والضلال إلى نور الهدى وبصيرة الإيمان.

﴿وَذَكَرْهُمْ بِإِنِّمَ اللَّهُ﴾ أي: بِأَيَادِيهِ وَنِعْمِهِ عَلَيْهِمْ في إخراجهم إياهم من أَسْرِ فِرْعَوْنَ وَقَهْرِهِ وَظُلْمِهِ وَغَشْمِهِ، وإنجائهم إياهم من عدوهم، وَقَلْبِهِمْ الْبَحْرَ، وتظليله إياهم بالغمام، وإنزاله عليهم السَّحَابَ وَالسَّلْوَى، إلى غير ذلك من النِّعَم. قال ذلك مجاهد وقادة وغير واحد. وقوله: ﴿إِنِّي فِي ذَلِكَ﴾ أي: إن فِصَا صَنَعْنَا بِأُولَئِنَا بِنِسْبَةِ إِسْرَائِيلَ حِينَ أَنْقَذْنَاهُمْ مِنْ يَدِ فِرْعَوْنَ، وَأَنْجَيْنَاهُمْ مِمَّا كَانُوا فِيهِ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِنِ ﴿لَا يَكُتِبُ﴾: لعبرة ﴿لِكُلِّ صَبَّارٍ﴾ أي: في الضَّراءِ ﴿شَكُورٍ﴾ أي: في السَّراءِ، كما جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إِنْ أَمَرُ الْمُؤْمِنُ كُلَّهُ عَجَبٌ، لَا يَقْبِضُ إِلَيْهِ لَهْ قَضَاءٌ إِلَّا كَانَ خَيْرًا لَهُ، إِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ» [رواه مسلم بمعناه].



أفواههم تكذبياً لهم. وقال مجاهد ومحمد بن كعب وقتادة: معناه: أنهم كذبوهم وردوا عليهم قولهم بأفواههم.

قلت: ويؤيد قول مجاهد تفسير ذلك بتمام الكلام: ﴿وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَمِنَ شَرِّ مَنَّا نَدْعُونَا إِلَيْهِ مِرْيَةً﴾ فكان هذا تفسير لمعنى رد أيديهم في أفواههم. وقال ابن عباس: لَمَّا سَمِعُوا كتاب الله عجبوا، ورجعوا بأيديهم إلى أفواههم، وقالوا: ﴿إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَمِنَ شَرِّ مَنَّا نَدْعُونَا إِلَيْهِ مِرْيَةً﴾ يقولون: لا نُصَدِّقُكُمْ فيما جئتم به؛ فإن عندنا فيه شكاً قوياً.

الآية (١٠): تَجْوِذُ تَعَالَى عَمَّا دَارَ بَيْنَ الْكُفَرِ وَبَيْنَ رُسُلِهِمْ مِنَ الْمَجَادَلَةِ، وَذَلِكَ أَنَّ أَمَهُمْ لَمَّا وَاجَهُوهُمْ بِالشَّكِّ فِيَا جَاؤُوهُمْ بِهِ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، قَالَتْ الرُّسُلُ: ﴿أَتَى اللَّهَ شَكٌّ﴾ أَيْ جُودُهُ شَكٌّ؟ فَإِنَّ الْفِطْرَ شَاهِدَةٌ بِوُجُودِهِ، وَتَجِبُوهُ عَلَى الْإِقْرَارِ بِهِ، وَلَكِنْ قَدْ يَعْزِضُ لِبَعْضِهَا شَكٌّ وَاضْطِرَابٌ، فَتَحْتَاجُ إِلَى النَّظَرِ فِي الدَّلِيلِ الْمُؤَصِّلِ إِلَى وَجُودِهِ؛ وَلِهَذَا قَالَتْ لَهُمُ الرُّسُلُ تُرْشِدُهُمْ إِلَى طَرِيقِ مَعْرِفَتِهِ بِأَنَّهُ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي خَلَقَهَا وَابْتَدَعَهَا عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَبَقَ.

وقالت لهم الرسل: ﴿يَدْعُوَكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ أَيْ: فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ، ﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أَيْ: فِي الدُّنْيَا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَن أَسْتَغْفِرُوا مِنْكُمْ ثُمَّ تُدْبِرُوا إِلَيْنَا يَتَّبِعْكُمْ مِّنَّا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ الآية (هود: ٣). فَقَالَتْ لَهُمُ الْأُمَمُ مُحَاجِّجِينَ فِي مَقَامِ الرِّسَالَةِ، بَعْدَ تَقْدِيرِ تَسْلِيمِهِمْ لِلْمَقَامِ الْأَوَّلِ، وَحَاصِلُ مَا قَالُوهُ: ﴿إِن أُنْزِلَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ أَيْ: كَيْفَ تَتَّبِعُكُمْ بِمَجْرَدِ قَوْلِكُمْ، وَلَمَّا تَرَى مِنْكُمْ مَعْجَزة؟ ﴿فَأَنزَلْنَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ أَيْ: خَارِقَ نَفَرْتِهِ عَلَيْكُمْ.

الآية (٦-٨): يَقُولُ تَعَالَى خَبْرًا عَنْ مُوسَى، حِينَ ذَكَرَ قَوْمَهُ بِآيَامِ اللَّهِ عِنْدَهُمْ وَيَعْمَهُ عَلَيْهِمْ، إِذْ أَنْجَاهُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ، وَمَا كَانُوا يَشُومُونَهُمْ بِهِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْإِذْلَالِ، حَيْثُ كَانُوا يَذْنُبُونَ مَنْ وَجَدَ مِنْ آبَائِهِمْ، وَيَتَكَوَّنُونَ لِنَاتِهِمْ، فَاتَّقَدَّمَهُمُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ، وَهَذِهِ نِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَفِي ذَلِكَ لَكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ أَيْ: نِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ مِنْهُ عَلَيْكُمْ فِي ذَلِكَ، أَنْتُمْ عَاجِزُونَ عَنِ الْقِيَامِ بِشُكْرِهَا. وَقِيلَ: وَفِيَا كَانَ يَصْنَعُهُ بِكُمْ قَوْمُ فِرْعَوْنَ مِنْ تِلْكَ الْأَفَاعِلِ ﴿بَلَاءٌ﴾ أَيْ: اخْتِبَارٌ عَظِيمٌ. وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ هَذَا وَهَذَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَكُونُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَسْفِهِمْ عَلَاقٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الأعراف: ١٦٨].

وقوله: ﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رُجُوكُمْ﴾ أَيْ: أَذْنُكُمْ وَأَعْلَمُكُمْ بِوَعْدِهِ لَكُمْ. وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: وَإِذْ أَقْسَمَ بِكُمْ وَلَى بِعِزَّتِهِ وَجَلَالِهِ وَكِبَرِيَّاتِهِ؛ كَمَا قَالَ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رُجُوكُمْ لِيَعْمَلَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْيَاقِينَةِ﴾ [الأعراف: ١٦٧]. وقوله: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ أَيْ: لَنِّ شُكْرْتُمْ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ مِنْهَا، ﴿وَلَكِنْ كَفَرْتُمْ﴾ أَيْ: كَفَرْتُمْ النِّعَمَ وَسَرَّشُمُوهَا وَجَحَدْتُمُوهَا ﴿إِن عَادَى لِّلشَّيْطَانِ﴾؛ وَذَلِكَ بِسُلْبِهَا عَنْهُمْ، وَعِقَابُهُ إِيَّاهُمْ عَلَى كُفْرِهِا.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى إِن تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَأَرَأَيْتُمُ اللَّهَ لَنَنزِلَنَّ حَيِّدٌ﴾ أَيْ: هُوَ غَنِيٌّ عَنْ شُكْرِ عِبَادِهِ، وَهُوَ الْحَمِيدُ الْمَحْمُودُ، وَإِنْ كَفَرُوا مِنْ كُفْرِهِ؛ كَمَا قَالَ: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَنَى عَنَكُمْ وَلَا يَرْضَى لِيُجَادُوا الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ الآية (الزمر: ٧). وَقَالَ تَعَالَى: ﴿تَكْفُرُوا وَقُولُوا لَأَنَسْتَعْنِيَّ اللَّهُ وَاللَّهُ عَنَى حَيِّدٌ﴾ [التغابن: ٢١].

وعن أبي ذر، عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه ﷻ أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّتُمْ، كَانُوا عَلَى اتَّقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا. يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّتُمْ، كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا. يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّتُمْ، قَامُوا فِي صَمِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَالُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مِّسَالَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْخَيْطُ إِذَا أُدْخِلَ فِي الْبَحْرِ» [رواه مسلم]. فَسَبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْفَنَى الْحَمِيدُ.

الآية (٩): هَذَا خَبَرٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِهَذِهِ الْأُمَّةِ، خَبَرٌ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ الْمَكْدُوبَةِ لِلرُّسُلِ، مِمَّا لَا يُجِيبِي عَذَابَهُمْ إِلَّا اللَّهُ ﷻ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمُ بِالْبَيِّنَاتِ، أَيْ: بِالْحُجُجِ وَالِدَلَالِ الْوَاضِحَاتِ الْبَاهِرَاتِ الْقَاطِعَاتِ. وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ [ابن مسعود] فِي قَوْلِهِ: ﴿لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾: كَذَّبَ الشَّابُونَ. وَقَالَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ: مَا وَجَدْنَا أَحَدًا يَعْرِفُ مَا بَعْدَ مَعْدَدِ بْنِ عَدْنَانَ.

وقوله: ﴿فَرَدُّوا إِلَيْهِمْ فِي أَوْفَاهِهِمْ﴾: اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي مَعْنَاهُ، فَقِيلَ: مَعْنَاهُ: أَنَّهُمْ أَشَارُوا إِلَى أَفْوَاهِ الرُّسُلِ بِأَمْرِهِمْ بِالسَّكُوتِ عَنْهُمْ، لَمَّا دَعَوْهُمْ إِلَى اللَّهِ ﷻ. وَقِيلَ: بَلْ وَضَعُوا أَيْدِيَهُمْ عَلَى



## ● الوقفات التدريبية

❶ ﴿إِذْ أَنْجَلْنَاكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْنَا لَعْنَةً يُسْأَلُ رَجُلٌ سَاءَ الْعَذَابِ وَذُيُوتِ أَنْتَ بِمَا كُنْتَ تَعْبُدُ﴾  
وَيَسْأَلُ رَجُلٌ سَاءَ الْعَذَابِ وَذُيُوتِ أَنْتَ بِمَا كُنْتَ تَعْبُدُ

البلاء: الاختبار، والبلاء هنا: اللصيبة بالشر؛ سمي باسم الاختبار لأنه اختبار لمقدار الصبر. ابن عاشور: ١٩٢/١٣.

السؤال: ما المقصود من الابتلاء؟

❷ ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾  
وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ

قال الربيع: (لئن شكرتم) إنعامي (لأزيدنكم) من فضلي، وقال الحسن: (لئن شكرتم) نعمتي (لأزيدنكم) من طاعتي، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: لئن وحدتم واطلعتم لأزيدنكم من الثواب، والمعنى متقارب في هذه الأقوال. القرطبي: ١٠٩/١٢.

السؤال: ما الذي يناله العبد إذا داوم على شكر الله سبحانه وتعالى؟

❸ ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾  
وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ

(لئن شكرتم): وأضحى لما للانفس من التكذيب بمثل ذلك (لأزيدنكم) من نعمي؛ فإن الشكر قيد الوجود، وصيد المفقود. البقاعي: ١٧٢/٤.

السؤال: ما فائدة شكر النعم؟

❹ ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرًا أَنْتُمْ مِنَ الْأَرْضِ جِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَنُفِيَّ حَيْدٍ﴾  
وَمَا كَانَ مِنْ حَتَّىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَأَنَابَ عَلَيْهِ، أَوْ نَهَىٰ عَنْهُ وَعَاقِبَ عَلَىٰ فَعْلِهِ،  
يَكُونُ نَعْرَضَ لَهُ، بَيِّنٌ أَنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ تَعَالَىٰ عَنْ أَنْ يُلْحَقَهُ ضَرٌّ أَوْ نَضْعُ،  
وَأَنْ ضَرَّ ذَلِكَ وَنَضْعُهُ خَاصٌّ بِالْعَبْدِ؛ فَقَالَ تَعَالَىٰ حَاسِكِيًّا عَنْهُ: (وَقَالَ  
مُوسَىٰ). البقاعي: ١٧٢/٤.

السؤال: ماذا تفيد من هذه الآية؟

❺ ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرًا أَنْتُمْ مِنَ الْأَرْضِ جِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَنُفِيَّ حَيْدٍ﴾  
ووجه الاهتمام بها أن أكثر الكفار يحسبون أنهم يحسنون إلى الله  
بإيمانهم، وأن أنبياءهم- حين يلحون عليهم بالإيمان- إنما يبتغون بذلك  
تعزيز جانبهم، والحرص على مصالحهم؛ فلما وعدهم على الشكر  
بازدياد وأوعدهم على الكفر بالعقوبة خشي أن يحسبوا ذلك لانتفاع  
الغيب بما آثاب عليه، ولتضرره مما عاقب عليه، فنهبهم إلى هذا الخاطر  
الشيطاني حتى لا يسري إلى نفوسهم؛ فيكسبهم إزدالا بالإيمان، والشكر،  
والإقلاع عن الكفر. ابن عاشور: ١٩٢/١٣.

السؤال: ما وجه الاهتمام ببيان غنى الله تعالى عن خلقه؟

❻ ﴿جَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ بِأَلْبَسَاتٍ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا  
بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ، وَإِنَّا لَكُنَّا بِمَا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيدُونَ﴾  
﴿فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾، فيه ثلاثة أقوال: أحدها أن الضمان لزوم  
الرسول، والمعنى: أنهم ردوا أيديهم في أفواه أنفسهم غيظاً من الرسول؛ كقولهم:  
(عضوا عليكم الأنامل من الغيظ) لآل عمران: ١١٩، أو استهزاء وضحكا؛ كمن  
غلبه الضحك فوضع يده على فمه. والثاني: أن الضمان لهم، والمعنى أنهم  
ردوا أيديهم في أفواه أنفسهم؛ إشارة على الأنبياء بالسكوت. والثالث: أنهم  
ردوا أيديهم في أفواه الأنبياء تسكيتاً لهم. ابن جزي: ٤٤٢/١.

السؤال: ما الذي يفيد الداعية من مواقف الأمم الصالحة من رسلهم؟

❼ ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرًا أَنْتُمْ مِنَ الْأَرْضِ جِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَنُفِيَّ حَيْدٍ﴾  
أفي وجوده شك؟ فإن الفطر شاهدة بوجوده، ومجبولة على الإقرار به؛  
فإن الاعتراف به ضروري في الفطر السليمة. ابن كثير: ٥٠٦/٢.

السؤال: لماذا استهجت الرسل الشك في وجود الله سبحانه وتعالى؟

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ  
إِذْ أَنْجَلَكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ  
وَيَذْبَحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ فِي  
ذَلِكَ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ١ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ  
لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي  
لَشَدِيدٌ ٢ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرًا أَنْتُمْ مِنَ  
الْأَرْضِ جِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَنُفِيَّ حَيْدٍ ٣ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا  
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ وَالَّذِينَ  
مِنْ بَعْدِهِمْ لَعَلَّكُمْ أَفْهَمُونَ ٤ أَلَا اللَّهُ جَاءَهُمْ رُسُلُهُمْ  
يَأْتِيَنَّهُمْ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا  
بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَكُنَّا بِمَا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيدُونَ ٥  
فَقَالَ رَبُّكُمْ إِنَّ تَكْفُرًا أَنْتُمْ مِنَ الْأَرْضِ جِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَنُفِيَّ حَيْدٍ ٦  
يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخَوِّدَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ  
مُسَمًّى قَالُوا إِنَّا أَنْتُمْ لَا تَشْرِقُونَ قَالُوا إِنَّا نَصَدَّقُونَ  
عَمَّا كَانَتْ يَدْعُوا آبَاؤُنَا قَالُوا تِلْكَ أَسْمَاءُ بَنَاتٍ لَكُمْ

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
يُسْأَلُ رَجُلٌ سَاءَ الْعَذَابِ وَذُيُوتِ	يُسْأَلُ رَجُلٌ سَاءَ الْعَذَابِ وَذُيُوتِ
تَأَذَّنَ	أَعْلَمَ إِعْلَامًا مُؤَكَّدًا.
فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ	عَضُّوا أَيْدِيَهُمْ: تَفْطِيزًا عَلَى الرُّسُلِ وَدِينِهِمْ.
فَاطِرٍ	مُنْشِئٍ وَمُجِدِّعٍ.

## ● العمل بالآيات

١. تأمل حوار الرسل مع المدعويين واستخرج ثلاث فوائد من ذلك لتعينك على اتباع سنتهم في الحوار: ﴿قَالَ رَبُّهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾.
٢. عُدّد خمساً من أكبر نعم الله عليك في يومك هذا، وأكثر من شكر الله عليها، ثم قل: «اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر»، ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾.
٣. أرسل رسالة تذكر فيها بشكر نعمة الله، والتحذير من زوالها، ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾.

## ● التوجيهات

١. كثر النعم سبب زوالها، ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾.
٢. شكر النعم باللسان والقلب والجوارح سبب زيادتها، ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾.
٣. على الداعية أن يكون واقعياً في خطابه ليكون ذلك بالغ عند السامع، ﴿قَالَ رَبُّهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخَوِّدَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى﴾.



﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾

السؤال: التساوي في الشكل والمظهر لا يلزم منه التساوي في العلم والحكمة، وضح ذلك من الآية .

﴿ وَمَا نَا إِلَّا نَتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصِيرَكَ عَلَى مَا  
مَآذٍ يُمْنُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾

واعلم ان الرسل -عليهم الصلاة والسلام- توكلهم في أعلى الطالب، وأشرف المراتب، وهي التوكل على الله في إقامة دينه ونصره، وهديته عبيده، وإزالة الضلال عنهم، وهذا اكمل ما يكون من التوكل.

السعدي: ٤٢٣.

**السؤال: ما أرقى مراتب التوكل وأكملها؟**

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أُرْسِلْتُمْ لِنُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعْدُوْا فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحِ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَئِنْ لَمْ يَنْكُرُوا الظَّالِمِينَ ﴾

خَيْرَ الْكَفَّارِ الرِّسْلَ بَيْنَ أَنْ يَعُودُوا إِلَى مَلْتَهُمْ أَوْ يَخْرِجُوهُمْ مِنْ أَرْضِهِمْ،  
وهذه سيرة الله تعالى في رسله وعباده؛ ألا ترى إلى قوله: (وَأَنْ كَادُوا  
لِيَسْتَغْفِرَنَّكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيَخْرِجُوكَ مِنْهَا) [الإسراء: ١٧٦]. القرطبي: ١١٦/١٢.

السؤال: طرد الدعاة من بلدانهم وإخراجهم من أرضهم هل هذه عادة جديدة للطغاة أم قديمة؟

﴿وَلَسَّكُمْ نِجْمٌ الْاُخْرَىٰ مِنْ بَاطِنِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَكَفَّ وَجْهَ﴾  
 (ذلك لمن خاف مقامي وخاف عبيد).... وفي الجمع بينهما دلالة على ان  
 من حق المؤمن ان يخاف غضب ربه، وان يخاف وعبيد، والذين يخافون  
 غضب الله وعبيده هم المتقون الصالحون. ابن عاشور: ١٣/٢٠٨.

**السؤال: أشارت الآية الكريمة إلى صفة من صفات المؤمنين، فما هي؟**

﴿وَأَسْتَفْتِنَهُمْ رَبَابَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾  
 الجبار: المتكبر الذي لا يرى لأحد عليه حقاً، والعنيد: العاند للحق  
 والمحابب له. القرطبي: ١١٧/١٢.

**السؤال: من أولى الناس بالخيبة وسوء الخاتمة؟**

❶ ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُنْهِ مَكَانٍ﴾  
قال إبراهيم التيمي: يأتيه من كل مكان من جسده، حتى من أطراف  
شعره؛ للآلام التي في كل مكان من جسده، وقال الضحاك: إنه يأتيه  
الموت من كل ناحية ومكان، حتى من إبهام رجله. القرطبي: ١٢/١٢٢.

**السؤال: كيف يأتي الموت للجبابرة من أهل النار من كل مكان؟ وما دلالة ذلك؟**

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَيْهِ شَيْئًا ذَلِكَ هُوَ السَّكَّالُ الْبُعِيدُ ﴾

بنوا ايمانهم على غير اساس صحيح؛ فانهارت، ودموها اوج ما كانوا

البيد: ابن: كثر: ٥٠/٨.

**السؤال: من خلال الآية: بين خطورة التساهل بالبدع والشركات.**

قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَحْنُ إِلَّا أَنْبَاءٌ مِّنْكُمْ وَلَكِن أَلَّهَ  
يُشْرِكُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَأْتِيَكُم  
بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ  
﴿١٠﴾ وَمَا لَكُمُ اللَّاتِي تَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَيْنَا سُبُلَنَا وَلَنَصِيرَنَّ  
عَلَىٰ مَاءٍ أَدْنَىٰ مِمَّا تَكُونُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ  
﴿١١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَلرُّسُلُ كَذَّابَةٌ تَخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِنَا  
أَوْ تَعُوذُونَ فِي مَلِيئَاتٍ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَهَا لِكُنَّ  
الظَّالِمِينَ ﴿١٢﴾ وَلَنُصَبِّحَنَّ كُفْرَ الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ  
ذَٰلِكَ لِمَن خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٣﴾ وَاسْتَفْتَحُوا  
وَحَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٤﴾ مِّن رَّأْيِهِ جَهَنَّمَ رُسُفَىٰ  
مِّن مَّاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٥﴾ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسَبِّغُهُ وَيَأْتِيهِ  
الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن رَّأْيِهِ  
عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٦﴾ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَوْبِهِمْ أَعْمَالُهُمْ  
كَمَادٍ أَشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ  
مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ الصَّلَٰلُ الْجَبِيدُ ﴿١٧﴾

## معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
مَقَامِي	مَوْقِفُهُ بَيْنَ يَدَيَّ لِلْحِسَابِ.
وَأَسْتَمْتَحُوا	اسْتَنْصَرَ الرُّسُلَ بِإِلَهِ عَلَى الظَّالِمِينَ.
وَحَابٍ	هَلَكَةٍ، وَخَيْرٍ.
صَدِيدٍ	الْقَبِيحَ وَالْذَّمَّ الَّذِي يَسِيلُ مِنْ أَجْسَادِ أَهْلِ النَّارِ.
يَتَجَرَّعُهُ	يُحَاوِلُ ابْتِلَاعَهُ.

## العمل بالآيات

١. تضرع إلى الله، سائلاً أن يمن عليك بما من به على الصالحين من العلم والعمل والحكمة والتوفيق، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾.

١٠. سَلِّ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَهْلِكَ الظَّالِمِينَ بِالظَّالِمِينَ، وَأَنْ يَخْرُجَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ بَيْنِهِمْ سَالِينَ، فَأَوْفَى إِلَهُهُمْ رَحْمَةً لِيَهْلِكَ الظَّالِمِينَ ﴿١٢﴾ وَلَسَوْكَنَكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَعَافَى وَعِيدِي.

٣. راجع أعمالك قبل أن تخسرها يوم القيامة. هل تسرب إليها رياء أو شرك أو بدعة؟ ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَيْهِ شَيْئًا ذَلِكَ هُوَ الصَّلَ الْبَعِيدُ﴾.

## التحقيقات

١. اعلم أن من أهم واجبات الداعية اليقين بوعد الله تعالى، وحسن التوكل عليه سبحانه، ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلْ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

١٠. وعد سبحانه المؤمنين بالاستخلاف في الأرض من بعد أن كانوا ضعفاء أدلة، وتحقق ذلك للصحابه والتابعين - رضي الله عنهم - ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ لَكَرْنَ أَظْلَمَ لَكُمْ﴾ (١٣) وَلَنُصَبِّحَنَّكَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِ.

٢. الشريك يحيط الأعمال فلا يستفيد منها صاحبها يوم القيامة، ﴿مَثَلُ الَّذِينَ  
تَقَرَّبُوا بِهِمْ وَهَؤُلَاءِ أَعْيُنُهُمْ كَنَُّوا شَتَّىٰ تِلْكَ آيَاتُ الَّذِينَ كَفَرُوا  
وَلَا يُقْبَلُ عَنْهُمْ صَدَقَاتُهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾

تَنْتَبِهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴿ الآية [الأفعال: ١٩]، والله أعلم.

﴿وَعَابَ كُلَّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ أي: مُجَبَّرٌ في نفسه معاند للحق. وقوله: ﴿يَنْزِلُ عَلَيْهِ جَهَنَّمُ﴾ و«وراء» ها هنا بمعنى «أمام»، كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِيَةٍ عَبَسَا﴾ [الكهف: ٧٩].

أي: من وراء الجبار العنيد جهنم، أي: هي له بالمرصاد، يستنصها غلداً يوم المعاد، ويُعرض عليها غدواً وعشيا إلى يوم التناد. ﴿وَسَقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ﴾ أي: في النار ليس له شراب إلا من حميم أو غساق، فهذا في غاية الحرارة، وهذا في غاية البرد والتشن، قال مجاهد: الصديد: من القَيْح والدم. وقال قتادة: هو ما يسيل من لحمه وجلده. وفي رواية عنه: الصديد: ما يخرج من جوف الكافر، قد خالط القيح والدم.

وقوله: ﴿يَنْزِعُ عَنْهُ﴾ أي: يتغصصه ويتركه، أي: يشربه قهراً وقسراً، لا يضعه في فيه حتى يضربه الملك بمطراق من حديد، كما قال تعالى: ﴿وَكَمْ تَقْعُصُ مِنْ حَبِيدٍ﴾ [الحج: ٢١]. ﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾ أي: يَزِدُّهُ لسوء لونه وطعمه وريحه، وحرارته أو برده الذي لا يستطيع. ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ أي: يألم له جميع بدنه وجوارحه وأعضائه. وقال ابن عباس: ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ قال: أنواع العذاب الذي يُعَذِّبُهُ الله بها يوم القيامة في نار جهنم، وليس منها نوع إلا الموت يأتيه منه لو كان يموت، ولكن لا يموت؛ لأن الله تعالى قال: ﴿لَا يَمُوتُ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر: ٣٦]. ومعنى كلام ابن عباس: أنه ما من نوع من هذه الأنواع من العذاب إلا إذا وَرَدَ عليه اقتضى أن يموت منه لو كان يموت، ولكنه لا يموت ليُخَلَّدَ في دوام العذاب والنكال؛ ولهذا قال: ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِسَيِّئٍ﴾.

وقوله: ﴿وَمِنْ زَوَاجِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ أي: وله من بعد هذا الحال عذاب آخر غليظ، أي: مؤلم صعب شديد أغلظ من الذي قبله وأدهى وأمر. وهذا كما قال تعالى: ﴿يَطْرُقُونَ بِإِثْمٍ وَيَسْتَجِيرُونَ مِنْ جَهَنَّمَ﴾ [الرحمن: ٤٤]، وقال: ﴿هَذَا فَلْيَذوقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقٌ﴾ [٧] وَآخَرُونَ مِنْكُمْ لَكُمْ أَزْوَاجٌ ﴿ص: ٥٧-٥٨﴾، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على تنوع العذاب عليهم، وتكراره وأنواعه وأشكاله، ممَّا لا يحصى إلا الله عَزَّ وَجَلَّ جزاءً وفاً، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لَّعِينٍ﴾ [نصرت: ٤٦].

الآية (١٨): مثل أعمال الذين كفروا يوم القيامة إذا طلبوا ثوابها من الله تعالى؛ لأنهم كانوا يحسبون أنهم على شيء، فلم يجدوا شيئاً، ولا ألفوا حاصلًا إلا كما يتحصل من الرماد إذا اشتدت به الريح العاصفة، ﴿فِي يَوْمٍ عَصَافٍ﴾ أي: ذي ريح عاصفة قوية، فلا يقدرُونَ على شيء من أعمالهم التي كسبوها في الدنيا، إلا كما يقدرُونَ على جمع هذا الرماد في هذا اليوم، كما قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبْأَلًا مُنثَرًا﴾ [الفرقان: ٢٣]. وقال في هذه الآية: ﴿ذَلِكَ هُوَ أَكْثَرُ إِلَهِيَّةٍ﴾ أي: سعيهم وعملهم على غير أساس ولا استقامة حتى قَدِّدُوا ثوابهم أَخَوَجَ ما هم إليه.

الآية (١١-١٢): ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ أي: صحيح أننا بشر، مثلكم في البشرية، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ أي: بالرسالة والنبوة، ﴿وَمَا كُنَّا لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ﴾ على وفق ما سألتم ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أي: بعد سؤالنا إياه، وإذنه لنا في ذلك، ﴿وَعَلَىٰ اللَّهِ قَيْدُ كُلِّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: في جميع أمورهم. ثم قالت الرسل: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ﴾ أي: وما يمنعنا من التوكل عليه، وقد هدانا لأقوم الطرق وأوضحها وأبينها، ﴿وَلَنَسْتَبِيحَ عَلَىٰ مَا نَادَيْتُمُونَا﴾ أي: من الكلام السيئ، والأفعال السخيفة، ﴿وَعَلَىٰ اللَّهِ قَيْدُ كُلِّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾.

الآية (١٣-١٧): يُخَبِّرُ تعالى عَمَّا تَوَعَّدَتْ به الأمم الكافرة رُسُلَهُمْ، من الإخراج من أرضهم، والنفي من بين أظهرهم، كما قال قوم شعيب له ولن آمن به: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ بِشَيْبٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَةٍ أَوْ نَحْمِلُوكَ فِي مِثْقَالٍ﴾ الآية [الأعراف: ٨٨]، وقال قوم لوط: ﴿أَخْرِجُوا مَا لَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ﴾ الآية [النمل: ٥٦]، وقال تعالى إخباراً عن مشركي قريش: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ يُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَجِدُونَ عَلَيْكَ إِلَّا قَيْلًا﴾ [الإسراء: ٧٦]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمُنْظِرِينَ﴾ [الأأنال: ٣٠]. وكان من صنعه تعالى: أنه أظهر رسوله ونصره، وجعل له بسبب خروجه من مكة أنصاراً وأعواناً وجنذاً، يقاتلون في سبيل الله، ولم يَزَلْ يُرْفِئُهُ حتى قَتَحَ له مكة التي أخرجه، ومكَّنَ له فيها، وأرغم أناف أعدائه منهم، وسائر الأرض، حتى دَخَلَ الناس في دين الله أفواجا، وظهرت كلمة الله ودينه على سائر الأديان، في مشارق الأرض ومغاربها في أسير زمان؛ ولهذا قال تعالى: ﴿تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ لِيُخْبِرَهُمُ الْغُلِيلِينَ﴾ [٢٥] وَلَنَسُكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ لَكُمْ آيَاتُنَا مِنَ الْأَرْضِ﴾ [٢٦] وَإِنَّهُمْ لَمُتَّصِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ مِنَ الْقُلُوبِ ﴿٢٨﴾ [الصافات: ١٧١-١٧٣]، وقال تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: ٢١]، وقال: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُرِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرْثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

وقوله: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدٍ﴾ أي: وعيدي هذا لمن خاف مقامي بين يدي يوم القيامة، وخشي من وعيدي، وهو تخويفي وعذابي؛ كما قال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ﴾ [الرحمن: ٤٣]. وقوله: ﴿وَأَسْتَفْتَحُوا﴾ أي: استنصرت الرسل ربها على قومها. قاله ابن عباس ومجاهد وقاتدة. وقال ابن أسلم: استفتحت الأمم على أنفسها؛ كما قالوا: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كُنَّا هَذَا أَوْ أَحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَطِئْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنْ السَّمَاءِ أَوْ أَثْقِلْنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأأنال: ٣٢]. ويُحْتَمَلُ أن يكون هذا مُرَادًا وهذا مُرَادًا، كما أنهم استفتحوا على أنفسهم يوم بدر، واستفتح رسول الله واستنصر، وقال الله تعالى للمشركين: ﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ كُفُّ الْفَتْحِ وَإِنْ

الآية (١٩-٢٠): يقول تعالى خبراً عن قدرته على تعاد الأبدان يوم القيامة، بأنه خلق السموات والأرض التي هي أكبر من خلق الناس، أفلئس<sup>(١)</sup> الذي قدر على خلق هذه السموات، في ارتفاعها واتساعها وعظمتها وما فيها من الكواكب، وهذه الأرض بما فيها من مهاد وهواد وأوتاد، [وبرار وصحار] وقفار، وبحار وأشجار، ونبات وحيوان، على اختلاف أصنافها ومنافعها ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَتَّخِذْ لَهُنَّ بَدَلًا وَلَهُ الْغَوْثِ الْأَمَّامُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأحقاف: ٣٣].

وقوله: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ أي: عظيم ولا متعص، بل هو سهل عليه إذا خالفتم أمره، أن يُذْهِبْكُمْ ويأتي بآخرين على غير صفتكم، كما قال تعالى: ﴿وَلَيْتَ تَتَذَكَّرُونَ﴾ ﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ [عمر: ٣٨].

الآية (٢١): ﴿وَيَذَرُوا﴾ أي: برزت الخلائق كلها، برؤها وفاجرها لله وحده الواحد القهار، أي: اجتمعوا له في برار من الأرض، وهو المكان الذي ليس فيه شيء يستر أحداً. ﴿فَقَالَ الْأَشْمُقِيُّ﴾ وهم الأتباع لقادتهم وسادتهم وكبرائهم الذين استكبروا عن عبادة الله وحده لا شريك له، وعن موافقة الرسل، فقالوا لهم: ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ أي: مهما أمرتونا اتهمنا وفعلنا، ﴿فَهَلْ أَنتُمْ مَعْنَا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي: فهل تدفعون عنا شيئاً من عذاب الله، كما كنتم تعدوننا ونموتون؟ فقلت القادة لهم: ﴿لَوْ هَدَّيْنَا اللَّهَ لَهْدَيْنَكُمُ﴾ ولكن حق علينا قول ربنا، وسبق فينا وفيكم قدر الله، وحقت كلمة العذاب على الكافرين، ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنْزِلَتْ سُبُورًا أَمْ صَبْرًا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ﴾ أي: ليس لنا خلاص مما نحن فيه إن صبرنا عليه أو جزعنا منه. قال ابن أسلم: إن أهل النار قال بعضهم لبعض: تعالوا، فإننا أدرك أهل الجنة الجنة بكانهم وتضرعهم إلى الله ﷻ، تعالوا تبتك وتنضرع إلى الله، فبكوا وتضرعوا، فلما رأوا ذلك لا ينفعهم قالوا: تعالوا، فإننا أدرك أهل الجنة الجنة بالصبر، تعالوا حتى نصبر، فصبروا صبراً لم ير مثله، فلم ينفعهم ذلك، فعند ذلك قالوا: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنْزِلَتْ سُبُورًا أَمْ صَبْرًا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ﴾.

قلت: والظاهر أن هذه المراجعة في النار بعد دخولهم إليها، كما قال تعالى: ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمْدٍ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِثَّةِ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلًّا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَمَنَتْ أَخْبَاهَا حَتَّى إِذَا دَارَكُوا فِيهَا جِمَاعًا قَالَتْ أَتُخَذُّهُمُ لِأُولَئِهِمْ رَبًّا هَؤُلَاءِ أَصْلَحُوا فَأَتَاهُمُ عَذَابٌ ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿وَقَالَتْ أُولَئِهِمْ لَخَرُوبُهُمْ مِمَّا كَانَتْ لَكُمْ عَلَيْهِمْ مِنْ فَضْلٍ فَنُفِقُوا فِي عَذَابٍ بِمَا كَانُوا يُكَذِّبُونَ﴾ [الأعراف: ٣٨-٣٩].

الآية (٢٢-٢٣): يُخَبِّرُ تعالى عما خُطِبَ به إبليسُ أتباعه، بعد ما قضى الله بين عباده، فأدخل المؤمنين الجنة، وأسكن الكافرين الدركات، فقام فيهم إبليس -لعنه الله- حينئذ خطيباً ليزيدهم حزناً إلى حزنهم، وغبناً إلى غبنهم، وحسرة إلى حسرتهم، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ﴾ أي: على السنة رسله، ووعدهم في اتباعهم

النجاة والسلامة، وكان وعداً حقاً، وخبراً صدقاً، وأما أنا فوعدتكم وأخلفتكم؛ كما قال الله تعالى: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [النساء: ١٢٠]. ثم قال: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾ أي: ما كان لي عليكم فيما دعوتكم إليه من دليل ولا حجة على صدق ما وعدتكم به، ﴿إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾ بمجرد ذلك، هذا وقد أقامت عليكم الرسل الحجج والأدلة الصحيحة على صدق ما جاؤوكم به، فخالفتموهم فصرتم إلى ما أنتم فيه، ﴿فَلَا تَلُومُونِي﴾ اليوم ﴿وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ فإن الذنب لكم، لكونكم خالفتم الحجج واتبعتموني بمجرد ما دعوتكم إلى الباطل، ﴿مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ﴾ أي: بنافعكم ومُنْقِذِكُمْ ومُخْلِصِكُمْ مما أنتم فيه، ﴿وَمَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ﴾ أي: بِنَافِعِي بِإِقْضَائِي مما أنا فيه من العذاب والنكال، ﴿إِنِّي كُنْتُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ قال قتادة: أي بسبب ما أشركتموني من قبل. وقال ابن جرير: يقول: إني جحدت أن أكون شريكاً لله ﷻ. وهذا الذي قاله هو الراجح؛ كما قال تعالى: ﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [مریم: ٨٢]. ﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ أي: في إعراضهم عن الحق واتباعهم الباطل ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ والظاهر من سياق الآية: أن هذه الخطبة تكون من إبليس بعد دخولهم النار. وقال محمد بن كعب القرظي: لما قال أهل النار: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنْزِلَتْ سُبُورًا أَمْ صَبْرًا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ﴾ قال لهم إبليس: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ﴾ الآية، فلما سمعوا مقالته مقفوا أنفسهم، فتودوا: ﴿لَمَقْتُ اللَّهَ أَكْثَرَ مِنْ مَقِّكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾ [غافر: ١٠].

ثم لما ذكر تعالى مآل الأشقياء وما صاروا إليه من الجزى والنكال، وأن خطيبهم إبليس، عطف بحال السعداء وأهم يدخلون يوم القيامة جنات تجري من تحتها الأنهار سارحة فيها حيث ساروا وأبن ساروا. ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ ماكنين أبداً لا يحولون ولا يزولون، ﴿وَإِذْ رَّبَّهُمْ يَمْنَنُ فِيهَا سَلَامٌ﴾. كما قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَهَا وَقِيحَتْ أَوْبَاقُهَا وَقَالَ لَهَا خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ [الزمر: ٧٣]، وقال تعالى: ﴿وَيُلْقُونَ فِيهَا بَحِيرَةً وَسَلَامًا﴾ [الفرقان: ١٧].

الآية (٢٤): قال ابن عباس: قوله: ﴿مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾: شهادة أن لا إله إلا الله، ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾: وهو المؤمن، ﴿أَصْلَهَا ثَابِتٌ﴾ يقول: لا إله إلا الله في قلب المؤمن، ﴿وَقَرَعَهَا فِي السَّكَّةِ﴾ يقول: يُرْفَعُ بِهَا عَمَلُ الْمُؤْمِنِ إِلَى السَّاءِ. وهكذا قال الضحاك وسعيد بن جبیر وعكرمة وقاتدة وغير واحد: إن ذلك عبارة عن المؤمن وقوله الطيب، وعمله الصالح، وإن المؤمن كالشجرة من النخل، لا يزال يرفع له عمل صالح في كل حين ووقت، وصباح ومساء. وعن ابن مسعود قال: هي النخلة. وعن ابن عمر قال: كنا عند رسول الله ﷺ فقال: «أخبروني عن شجرة تشبه -أو كالرجل- المسلم، لا يتخاث ورثها [ولا، ولا، ولا]»<sup>(٢)</sup> توفي أكلها كل حين... فلما لم يقولوا شيئاً، قال رسول الله ﷺ: «هي النخلة»... [متفق عليه].

(٢) ما بين المعقوفين ليس عند ابن كثير، وأثبتناه من صحيح البخاري.

(١) لعل خبر (ليس) دلل عليه قوله تعالى: ﴿يَعْتَدِرُ عَنْ أَنْ يُخَيَّرَ الْمَوْتُ﴾.



## ● الوقفات التدريبية

﴿الَّذِينَ تَرَأَتْهُ أَفْكَارُ اللَّهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِمَلَقٍ إِنَّ نَشَأَ يُدْهِكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾

(إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد) أي: هو قادر على الإهناء كما قدر على إيجاد الأشياء: فلا تعصوه، فإنكم إن عصيتموه (يذهبكم ويأت بخلق جديد) أفضل، وأطوع منكم. القرطبي: ١٢/٢٥١.

السؤال: ما العقوبة التي ستحل بنا إن تركنا طاعة الله، وأثرنا شهوات أنفسنا؟

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِمَا نُفِي الْأَمْرُ إِنَّكَ اللَّهُ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْمَلَقِ﴾  
فقام فيهم إبليس -لعنه الله- يومئذ خطيباً، ليزيدهم حزناً إلى حزنهم، وغيباً إلى غيبتهم، وحسرة إلى حسرتهم. ابن كثير: ٢/٥١٠.

السؤال: ما الحكمة من خطبة إبليس في المعذنين في النار؟

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِمَا نُفِي الْأَمْرُ إِنَّكَ اللَّهُ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْمَلَقِ وَوَعَدُكُمْ فَانْقَلَبْتُمْ﴾

حكى الله تعالى عنه ما سيقوله في ذلك الوقت ليكون تنبيهاً للسامعين، وحثاً لهم على النظر في عاقبتهم، والاستعداد لما لا بد منه، وأن يتصوروا ذلك المقام الذي يقول فيه الشيطان ما يقول: فيخافوا، ويعملوا ما ينفعهم هناك. الأتوسي: ١٤/٢٦٦.

السؤال: ما الحكمة من إعلانه بما سيقوله الشيطان لأتباعه يوم القيامة؟

﴿وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾  
وهم الذين سلموه على أنفسهم بمولاته والالتحاق بحزبه؛ ولهذا ليس له سلطان على الذين آمنوا، وعلى ربهم يتوكلون. السعدي: ٤٢٥.

السؤال: ما صفة من ثبت عليه سلطان الشيطان؟

﴿وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾  
واعلم أن الله ذكر في هذه الآية أنه ليس له سلطان، وقال في آية أخرى: (إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون) (النحل: ١٠٠)، فالسلطان الذي نفاه عنه هو سلطان الحجة والدليل، فليس له حجة أصلاً

على ما يدعوا إليه، وإنما نهاية ذلك أن يقيم لهم من الشبه والتزيينات ما به يتجرون على المعاصي. وأما السلطان الذي أثبتته فهو التسلط بالإغراء على المعاصي لأوليائه: يؤرهم إلى المعاصي أزا. السعدي: ٤٢٥.

السؤال: نفى السلطان عن إبليس في آية، وأثبت له في آية أخرى، فكيف تجمع بينهما؟

﴿يَحْيِيهِمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾

يسلم بعضهم على بعض، وتسلم الملائكة عليهم. القرطبي: ٢/٥٥٥.

السؤال: السلام أفضل أنواع التحية، ما الدليل على ذلك؟

﴿الَّذِينَ تَرَأَتْهُ أَفْكَارُ اللَّهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِمَلَقٍ إِنَّ نَشَأَ يُدْهِكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾  
﴿الَّذِينَ تَرَأَتْهُ أَفْكَارُ اللَّهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِمَلَقٍ إِنَّ نَشَأَ يُدْهِكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾

فالكلمة الطيبة: التوحيد، وهي كالشجرة، والأعمال ثمارها في كل وقت ابن تيمية: ١١/٤١٠.

السؤال: الكلمة الطيبة هي التوحيد، والأعمال ثمارها، بين ذلك.

الَّذِينَ تَرَأَتْهُ أَفْكَارُ اللَّهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِمَلَقٍ إِنَّ نَشَأَ يُدْهِكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَعْسَى ﴿١٦﴾ وَيَرْزُقُ اللَّهُ جَمِيعًا فَقَالَ الصُّعْفَةُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَمَا أَنْتُمْ مُقْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَّيْنَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ سِوَاهُ عَلِيَّا أَجْرَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّجِيصٍ ﴿١٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِمَا نُفِي الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقِّ وَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تُلْزِمُونِي وَلَوْ مَا أَنْفَسَكُمْ مَا آتَا بِمُصْرِحِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِحِي إِنْ كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ وَأَدْخَلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ تَرَكُوا فِيهَا مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٠﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
سَوَاءٌ عَلَيْنَا	يَسْتَوِي عَلَيْنَا وَعَلَيْكُمْ.
مَجِصٍ	مَهْرَبٍ.
سُلْطَانٍ	حُجَّةٍ وَقُوَّةٍ أَهْزَكُم بِهَا عَلَى اتِّبَاعِي.
بِمُصْرِحِكُمْ	بِمُفِيَّتِكُمْ.
كَفَرْتُ	كُفِّرْتُ.
كَلِمَةً طَيِّبَةً	هِيَ كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ».

## ● العمل بالآيات

١. لا تأمن الشيطان، وأكثر من الاستعاذة بالله منه؛ فإنه سبب كل بلاء، ﴿وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾.
٢. اجلس مع نفسك جلسة محاسبة، وراجع ما مضى من عملك، ﴿فَلَا تُلْزِمُونِي وَلَوْ مَا أَنْفَسَكُمْ﴾.
٣. اقرأ شرحاً لكلمة التوحيد: «لا إله إلا الله»، وشروطها، وأركانها، وتأمل في معانيها، ﴿الَّذِينَ تَرَكُوا فِيهَا مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾.

## ● التوجيهات

١. موقف الضعفاء من التكبيرين يوم القيامة يجعلك لا تجامل أحداً في أمر الدين، ويجعلك على اتِّباع الشر لا الأشخاص، ﴿فَقَالَ الصُّعْفَةُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَمَا أَنْتُمْ مُقْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَّيْنَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ سِوَاهُ عَلِيَّا أَجْرَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّجِيصٍ﴾.
٢. أكثر ما يتماهى المشركون يوم القيامة: الهداية، فاحرص عليها في الدنيا ما دمت تقدر عليها، ﴿قَالُوا لَوْ هَدَّيْنَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ سِوَاهُ عَلِيَّا أَجْرَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّجِيصٍ﴾.
٣. اصبر على الطاعات، وعن المعاصي قبل أن يأتي يوم لا ينفع فيه صبر أو جزع، ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّجِيصٍ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿ تَوَقَّ أَكُلَهَا كُلَّ حِينٍ إِذْ نَهَا وَنَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ ١

والحكمة في تمثيل الإيمان بالشجرة هي أن الشجرة لا تكون شجرة إلا بثلاثة أشياء: عرق راسخ، وأصل قائم، وفرع عال؛ كذلك الإيمان لا يتم إلا بثلاثة أشياء: تصديق القلب، وقول اللسان، وعمل بالأبدان. البغوي: ٥٦/٢.

السؤال: ما الحكمة في تمثيل إيمان العبد بالشجرة؟

﴿ يَتَّبِعُ اللَّهُ الْآيَةَ ءَامِنًا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ ٢

فيثبتهم الله في الحياة الدنيا عند ورود الشبهات بالهداية إلى اليقين، وعند عروض الشهوات بالإرادة الجازمة على تقديم ما يحبه الله على هوى النفس ومراداتها. السعدي: ٤٢٥.

السؤال: بين بعض صور تثبيت الله للعبد في الحياة الدنيا.

﴿ يَتَّبِعُ اللَّهُ الْآيَةَ ءَامِنًا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ ٣

فيثبتهم الله في الآخرة عند الموت بالثبات على الدين الإسلامي، والخاتمة الحسنة، وفي القبر عند سؤال الملكين للجواب الصحيح. السعدي: ٤٢٦.

السؤال: بين بعض صور تثبيت الله للعبد في الآخرة.

﴿ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾ ٤

أي: عن حجتهم في قبورهم؛ كما ضلوا في الدنيا بكفرهم، فلا يلقنهم كلمة الحق، فإذا سُئلوا في قبورهم قالوا: لا ندري، فيقولان: لا دريت، ولا تليت، وعند ذلك يضرب بالمقامع. القرطبي: ١٤٠/١٢.

السؤال: كيف يكون إضلال الظالمين يوم القيامة؟

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴾ ٥

ومن استقرأ أحوال العالم تبين له أن الله لم ينعم على أهل الأرض نعمته أعظم من إنعامه بإرساله، وإن الذين ردوا رسالته هم من قال الله فيهم: (الهم ترائي الذين بدلوا نعمته الله كُفْرًا وأحلوا قومهم دار البوار). ابن تيمية: ١١٦/٤-١١٧.

السؤال: لم ينعم الله تعالى على خلقه نعمته أعظم من رسالته محمد ﷺ، كيف ذلك؟

﴿ قُلْ تَتَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴾ ٦

(قل تمتعوا)؛ وعيد لهم، وهو إشارة إلى تقليل ما هم فيه من ملاذ الدنيا؛ إذ هو منقطع. القرطبي: ١٤٢/١٢.

السؤال: لم سميت زينب الدنيا متاعاً؟

﴿ قُلْ لِيَبَادِيَ الْآيَةَ ءَامِنًا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ ٧

والمراد بإقامتها هو: المحافظة على وقتها، وحدودها، وركوعها، وخشوعها، وسجودها. ابن كثير: ٥٩/٢.

السؤال: ما المراد بإقامة الصلاة في هذه الآية؟

تَوَقَّ أَكُلَهَا كُلَّ حِينٍ إِذْ نَهَا وَنَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ١ وَمَثَلُ كَتَبٍ خَيْبَةٍ كَشَجَرَةٍ خَيْبَةٍ اجْتَمَعَتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهُا مِيقَرَارٍ ٢ يَتَّبِعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ٣ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ٤ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ ٥ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ٦ قُلْ لِيَبَادِيَ الْآيَةَ ءَامِنًا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالَ ٧ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ٨ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ٩

## ● معاني الكلمات

المعنى	الكلمة
اجْتَمَعَتْ	اجْتَمَعَتْ.
قَرَارٍ	أَصْلُ ثَابِتٍ.
الْبَوَارِ	الْهَلَاكِ.
خِلَالَ	صَادَقَةً.
دَائِبِينَ	جَارِيَيْنِ لَا يَفْتُرَانِ وَلَا يَتَوَقَّفَانِ.

## ● العمل بالآيات

- استخدم اليوم ضرب المثل في كلامك؛ فإن لذلك بالغ الأثر في وصول الفائدة، ﴿ وَمَثَلُ كِتَابٍ خَيْبَةٍ كَشَجَرَةٍ خَيْبَةٍ ﴾.
- قل: «اللهم ثبني بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة»، واستعن بالله تعالى من عذاب القبر، ﴿ يَتَّبِعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾.
- أقم الصلوات الخمس مع الجماعة، ﴿ قُلْ لِيَبَادِيَ الْآيَةَ ءَامِنًا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾.

## ● التوجيهات

- الثبات يكون في الدنيا، ويكون في الآخرة، وهو منة من الله سبحانه؛ فمن ثبته الله في الدنيا ثبتته في الآخرة، ﴿ يَتَّبِعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾.
- الظلم من العبد سبب لإضلال الله تعالى له؛ فاجتنب الظلم، وخاصة ظلم الضعفاء من: النساء، والأيتام، والخدم، والعمال، والمساكين، ﴿ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ﴾.
- العاقِل يعرف حقيقة متاع الدنيا، وأنه إلى زوال وفناء؛ فلا يشغله عن أعمال الآخرة، ﴿ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴾.

شريك له، وأن ينفقوا مما رَزَقَهُم الله بأداء الزكوات، والنفقة على القربات، والإحسان إلى الأجانب. والمراد بإقامتها هو: المحافظة على وقتها وحدودها، وركوعها وخشوعها وسجودها.

وأمر تعالى بالإففاق مما رَزَقَ في السرِّ، أي: في الخفية، والملاينة وهي: الجهر، وليبادروا إلى ذلك تخلصاً لأنفسهم ﴿مَنْ قَبِلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمَ﴾ وهو يوم القيامة، وهو يوم ﴿لَا يَبْعُ فِيهِ وَلَا يَجْلُ﴾ أي: لا يقبل من أحد فديةً بأن يُتباع نفسه، كما قال تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَآئِنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الحديد: ١٥].

وقوله: ﴿وَلَا يَجْلُ﴾ قال ابن جرير: يقول: ليس هناك تحالفة خليل، فيُصَفَّحَ عمن استوجب العقوبة، عن العقاب لمُخالفته، بل هنالك العدل والقسط. قلت: والمراد من هذا أنه يُخبر تعالى أنه لا ينفع أحداً بيع ولا فدية، ولو اقتدى بملء الأرض ذهباً لو وَجَدَهُ، ولا ينفعه صداقة أحد ولا شفاعة أحد إذا لقي الله كافرًا، قال الله تعالى: ﴿وَأَتَقُوا يَوْمَآ لَا تَجْرَى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يَقُولُ مِمَّا عَدَلُ وَلَا تَنْفَعُهُمْ شَفَعَةٌ وَلَا هُمْ يُصْرُونَ﴾ [البقرة: ١٧٣]، وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنِفَعُوا مِمَّا رَزَقْتَهُمْ مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمَ لَا يَبْعُ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

الآية (٣٢-٣٣): يُعَدُّ تعالى نِعَمَهُ على خلقه، بأن خَلَقَ لهم السموات سقفاً محفوظاً، والأرض فراشاً، وأنزل من السماء ماء فأخرج به أزواجا من نبات شتى، ما بين ثمار وزروع، مختلفة الألوان والأشكال، والطعوم والروائح والمنافع، وسَخَّرَ الفلك بأن جعلها طافية على تيار ماء البحر، تجري عليه بأمر الله تعالى، وسَخَّرَ البحر لحملها ليقطع المسافرون بها من إقليم إلى إقليم آخر، لجلب ما هنا إلى هناك، وما هناك إلى هنا، وسَخَّرَ الأنهار تُشَقُّ الأرض من قُطْرٍ إلى قُطْرٍ، رزقاً للعباد من شُرْبٍ وسقي وغير ذلك من أنواع المنافع.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ﴾ أي: يسيران لا يفتران ليلاً ولا نهاراً، ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠]، ﴿فَمَشَى أَلَيْلُ النَّهَارِ طَلِبُهُ سَحِينًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالشُّجُومُ سَحَرَاتٍ بِأَمْرِهِ آلا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فالشمس والقمر يتعاقبان، والليل والنهار يتعاضدان، فتارة يأخذ هذا من هذا فيَطُولُ، ثم يأخذ الآخر من هذا فيَقْصُرُ، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُوَلِّجُ أَلَيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي أَلَيْلٍ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ لِمَنْ يَجْعَلُ إِلَهُ شَيْئًا وَرَأَى اللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ﴾ [القن: ٢٩]، وقوله: ﴿يُكَوِّرُ أَلَيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى أَلَيْلٍ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ لِمَنْ يَجْعَلُ إِلَهُ شَيْئًا﴾ [الزمر: ٥].

الآية (٢٥-٢٦): ﴿تَوَفَّيْ أَكُلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾ قيل: غُدُوَّةً وَعَشِيًّا. وقيل: كل شهر. وقيل: كل شهرين. وقيل: كل ستة أشهر. وقيل: كل سبعة أشهر. وقيل: كل سنة. والظاهر من السياق: أن المؤمن مثله كمثل شجرة، لا يزال يوجد منها ثمر في كل وقت من صيف أو شتاء، أو ليل أو نهار، كذلك المؤمن لا يزال يُرْفَعُ له عمل صالح أثناء الليل وأطراف النهار في كل وقت وحين. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: كاملاً حسناً كثيراً طيباً، ﴿وَيُضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾. وقوله: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَيْرٌ مِنْ كَنْجَرٍ خَيْبٍ﴾ هذا مثلٌ كُفِّرَ الكافر، لا أصل له ولا نبات، وَشَبَّهَ بشجرة الخنظل، ﴿أَجْتَنَّتْ﴾ أي: استوصلت ﴿مِنْ تَوَقُّي الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ أي: لا أصل لها ولا نبات، كذلك الكفر لا أصل له ولا فرع، ولا يصعد للكافر عمل، ولا يُتَقَبَّلُ منه شيء.

الآية (٢٧): عن البراء بن عازب أن رسول الله ﷺ قال: «المسلم إذا سئل في القبر، شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فذلك قوله: ﴿يُنَبِّئُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ أَشْدَابُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾» [متفق عليه]. وعن طاووس: «يُنَبِّئُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ أَشْدَابُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» قال: لا إله إلا الله، ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾: المسألة في القبر. وقال قتادة: أما الحياة الدنيا فينبئهم بالخير والعمل الصالح ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ في القبر. وكذا روي عن غير واحد من السلف.

الآية (٢٨-٣٠): قال البخاري: قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا يَمَتَ اللَّهِ كُفْرًا﴾: ألم تعلم؟ كقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا﴾ [البقرة: ٢٤٣]، البَوَار: الهلاك، بَارَ يُؤَوِّرُ، وَفَوْماً بَوْرًا [الفرقان: ١٨، التفتح: ١٢]: هالكين. عن ابن عباس قال: هم كفار مكة، وقال العوفي عن ابن عباس: هو جبلة بن الأيهم، والذين اتبعوه من العرب فلحقوا بالروم، والمشهور الصحيح عن ابن عباس القول الأول، وإن كان المعنى يُعْمُ جميع الكفار؛ فإن الله تعالى بَعَثَ محمداً ﷺ رحمةً للعالمين، ونعمةً للناس، فمن قَبِلَهَا وقام يشكرها دَخَلَ الجنة، ومن رَدَّهَا وَكَفَرَهَا دَخَلَ النار.

وقوله: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّوْا عَنْ سَبِيلِهِ﴾ أي: جعلوا له شركاء عبدوهم معه، ودَعَوُا الناس إلى ذلك. ثم قال تعالى مهتذاً لهم ومتوعداً لهم على لسان نبيه ﷺ: ﴿قُلْ تَتَّبِعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾ أي: مهما قدرتم عليه في الدنيا فافعلوا، فمهما يكن من شيء ﴿فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾ أي: مرجعكم وموئلكم إليها؛ كما قال تعالى: ﴿تُؤْمِنُهُمْ فَلْيَا تُمْ نَضَطُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [القن: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿مَنْ مَتَّحَ إِلَى اللَّهِ نِكَاسًا ثُمَّ إِنَّا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نَذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ [يونس: ٧٠].

الآية (٣١): يقول تعالى آمراً العباد بطاعته والقيام بحقه، والإحسان إلى خلقه، بأن يقيموا الصلاة وهي عبادة الله وحده لا



الذي دعا به عندما ولى عن هاجر وولدها، وذلك قبل بناء البيت، وهذا كان بعد بنائه، تأكيداً ورغبة إلى الله ﷻ؛ ولهذا قال: ﴿عِنْدَ بَيْنِكَ الْمُحَرَّمَ﴾.

وقوله: ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ قال ابن جرير: هو مُتَعَلِّقُ بقوله: ﴿الْمُحَرَّمَ﴾ أي: إنا جعلته مُحَرَّمًا لِيَمْكُنَ أهله من إقامة الصلاة عنده، «فَأَجْمَلَ أَفِيدَةَ رَبِّكَ الْتَائِسَ تَهْوِي إِلَيْهِمْ» قال ابن عباس: لو قال: «أفئدة الناس» لازدحم عليه فارس والروم واليهود والنصارى والناس كلهم، ولكن قال: ﴿رَبِّكَ الْتَائِسَ﴾ فاختص به المسلمون.

وقوله: ﴿وَأَرْزُقْهُمْ مِنَ الثَّرَاثِ﴾ أي: ليكون ذلك عوناً لهم على طاعتك، وكما أنه واد غير ذي زرع فاجعل لهم ثماراً يأكلونها. وقد استجاب الله ذلك، كما قال: ﴿أَوَلَمْ تَكُنْ لَهُمْ حَرَمًا ءَايِنًا يُجِيبُ إِلَيْهِ تَنَزَّلَتْ كُلُّ شَيْءٍ وَرَفَقًا مِّنْ لَّدُنَّا﴾ [القصص: ٥٧]، وهذا من لطفه تعالى وكرمه ورحمته وبركته: أنه ليس في البلد الحرام مكة شجرة مشمرة، وهي تُجْبَى إليها ثمرات ما حولها، استجابةً لخليله إبراهيم، عليه الصلاة والسلام.

الآية (٣٨-٤١): قال ابن جرير: يقول تعالى مخبراً عن إبراهيم خليله أنه قال: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعَلَّمَ مَا تُغْنِي وَمَا تَعْلَمُ﴾ أي: أنت تعلم قصدي في دعائي وما أردت بدعائي لأهل هذا البلد، وإنما هو القصد إلى رضاك والإخلاص لك، فإنك تعلم الأشياء كلها ظاهرها وباطنها، ولا يخفى عليك منها شيء في الأرض ولا في السماء.

ثم حمّد ربّه ﷻ على ما رَزَقَهُ من الولد بعد الكبر، فقال: ﴿أَلَحَدْتُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ أي: إنه ليستجيب لمن دعه، وقد استجاب لي فيما سألته من الولد.

ثم قال: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ﴾ أي: محافظاً عليها مقيماً لحدودها، ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ أي: واجعلهم كذلك مقيمين الصلاة. ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءَ﴾ أي: فيما سألتك فيه كله. ﴿رَبَّنَا آغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ﴾: وقرأ بعضهم: «ولو الولي» على الإفراد، وكان هذا قبل أن يتبرأ من أبيه لَمَّا تَبَيَّنَ له عداوته لله ﷻ.

﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: كلهم ﴿يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ أي: يوم تُحَاسِبُ عبادك فَتَجْزِيهِمْ بأعمالهم، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

الآية (٤٢): يقول تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ يَاحُمَّدُ عَذِيبًا عَمَّا يَفْعَلُ الْفَالِطُونَ﴾ أي: لا تحسبته إذا أنظرهم وأجلهم أنه غافل عنهم مهمل لهم، لا يُعَاقِبُهُمْ على صنعم، بل هو يُحْصِي ذلك عليهم ويُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا. «إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِیَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ» أي: من شدة الأهوال يوم القيامة.

الآية (٣٤): ﴿وَمَا آتَاكُم مِّن كَثِيرٍ مِّن مَّا سَأَلْتُمُوهُ﴾ يقول: هيّا لكم كل ما تحتاجون إليه في جميع أحوالكم ممّا تسألونه بحالكم وقالكم. وقوله: ﴿وَإِن تَسْأَلُوا اللَّهَ لَا تَحْصُواهُ﴾ مجر عن عجز العباد عن تعدّد النعم فضلاً عن القيام بشكرها؛ كما قال طلق بن حبيب: إن حق الله أنقل من أن يقوم به العباد، وإن نعم الله أكثر من أن يُحْصِيَها العباد، ولكن أَصْبَحُوا تَوَائِبِينَ وَأَمْسُوا تَوَائِبِينَ. ورسول الله ﷺ كان يقول: «اللهم، لك الحمد غير مكفّي ولا مُؤَدِّع، ولا مُسْتغْنَى عنه ربنا» [رواه البخاري].

وقال الشافعي -رحمه الله-: الحمد لله الذي لا يُؤَدِّي شُكْرُ نِعْمَةٍ من نِعَمِهِ، إلا بِنِعْمَةٍ تُوجِبُ عَلَى مُؤَدِّي نِعْمِهِ بِأَدَائِهَا نِعْمَةً حَادِثَةً تُوجِبُ عَلَيْهِ شُكْرُهَا بها. وقال الفاضل في ذلك:

لو كُلُّ جَارِحَةٍ مِثِّي لَهَا لَفَةٌ  
تُنْفِي عَلَيْكَ بِمَا أُولَيْتَ مِنْ حَسَنِ  
لكان ما زاد سُخْرِي إِذْ شُكِّرْتُ بِهِ  
إليك أبلغ في الإحسان والجرى

الآية (٣٥-٣٦): يذكر تعالى في هذا المقام مُتَجَبِّجًا على مشركي العرب بأن البلد الحرام مكة إنما وُضِعَتْ أَوَّلَ ما وُضِعَتْ على عبادة الله وحده لا شريك له، وأن إبراهيم -الذي كانت عامرة بسببه أهلة- تَبَرَّأَ مِّنْ عِبَدِ غَيْرِ اللَّهِ، وأنه دعا لكمة بالأمن فقال: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ ءَايِنًا﴾. وقد استجاب الله له، فقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَايِنًا يُبَشِّرُ النَّاسَ مِنْ حَوَظِهِمْ﴾ [التكوير: ٦٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مِّمَّا يُزَكِّيهِمْ وَمِنْ دَلِيلِهِ كَانَ ءَايِنًا﴾ [آل عمران: ٩٦، ٩٧]. وقال في هذه القصة: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ ءَايِنًا﴾، فَمَرَّقَهُ لَأنه دعا به بعد بنائها؛ ولهذا قال: ﴿أَلَحَدْتُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ [إبراهيم: ٣٩]، ومعلوم أن إسماعيل أكبر من إسحاق بثلاث عشرة سنة، فأما حين ذهب بإسماعيل وأمه وهو رضيع إلى مكان مكة، فإنه دعا أيضاً فقال: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَايِنًا﴾ [البقرة: ١٢٦]، كما ذكرناه في سورة البقرة.

وقال: ﴿وَرَأَيْتَنِي وَبَيْنَ أَنْ تُصَلِّبَ الْأَصْنَامَ﴾: ينبغي لكل داعٍ أن يدعو لنفسه ولوالديه ولذريته.

ثم ذكر أنه افتنن بالأصنام خلّاتق من الناس، وأنه بريء مِّنْ عِبَادَتِهَا، وَرَدَّ أَمْرَهُم إلى الله، إن شاء عذبهم، وإن شاء غفر لهم، كما قال عيسى عليه السلام: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَلَهُمْ عَذَابُهُمْ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الْكَرِيمُ﴾ [المائدة: ١٨]، وليس في هذا أكثر من الردّ إلى مشيئة الله تعالى، لا تجوز وقوع ذلك.

الآية (٣٧): وهذا يدلّ على أن هذا دعاء ثانٍ بعد الدعاء الأول



## ● الوقفات التدبيرية

﴿وَأَنذَرْتُكُمْ بَيْنَ كُلِّ مَأْسَأَةٍ ۖ وَإِن تُعْذِرُوا يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ أَشَدُّ غَفْرًا﴾  
 (لا تحصوها)؛ ولا تطيقوا عدوها، ولا تقوموا بحصرها لكثرةها،  
 كالسمع، والبصر، وتقويم الصور، إلى غير ذلك من العافية، والرزق؛  
 نَعَمْ لَا تَحْصِي. القرطبي: ١٤٥/١٢.

**السؤال: هل تطيق أن تحصي نعم الله عليك؟ ولماذا؟**

﴿ ١ ﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا ﴿

فاستجاب الله دعاءه شرعاً وقدرًا، فحرّمه الله في الشرع، ويُسَرُّ من أسباب حرّمته قدرًا ما هو معلوم، حتى إنه لم يُردِّ ظالم بسوء إلا قصمه الله؛ كما فعل بأصحاب الفيل وغيرهم. السعدي: ٤٦٦.

**السؤال: ما صور استجابة الله دعاء إبراهيم عليه السلام؟**

﴿وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

وهذا من شفقة الخليل عليه الصلاة والسلام؛ حيث دعا للعاصين بالمغفرة والرحمة من الله السعدي: ٢٧.

السؤال: بين رحمة الأنبياء بأقوامهم من خلال الآية، وماذا يفيد الداعية من هذا؟

﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾

دعا لذريته؟

﴿ ١ ﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿

وَأَمَّا قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: (إِنْ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ) فَالْمُرَادُ بِالسَّمْعِ هَاهُنَا السَّمْعُ الْخَاصُّ؛ وَهُوَ سَمْعُ الْإِجَابَةِ وَالْقَبُولِ؛ لَا السَّمْعُ الْعَامُّ؛ لِأَنَّهُ سَمِيعٌ لِكُلِّ مَسْمُوعٍ. ابْنُ تَيْمِيَّةٍ: ١٢٠/٤.

السؤال: لماذا خصص إبراهيم - عليه السلام - سمع الله تعالى بالدعاء، مع أنه سبحانه سميع لكل صوت؟

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِيلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴾

أي: أصبر كما صبر إبراهيم، وأُعلمُ المشركين أن تأخير العذاب ليس للرضا بأفعالهم؛ بل سنة الله إهمال العصاة مدة؛ قال ميمون بن مهران: هذا وعيد للظالم، وتعزية للمظلوم. القرطبي: ١٥٧/١٢.

السؤال: هل تأخر نزول العقوبة بالظالم دليل على رضا الله تعالى عنه؟

﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾

أي: لَا تَطْرَفُ؛ من شدة ما ترى من الأحوال، وما أزعجها من القلاقل.  
السعدي: ٢٧.

السؤال: ما الذي يُفهم من فتح الناس لأعينهم وعدم إغماضها أو تحريكها يوم القيامة؟

وَأَتَذَكَّرُ مِنْ كُلِّ مَسْأَلَةٍ يُسْأَلُونَ وَإِنْ تَعَدَّ وَانْقَسَتْ أَلْفُ  
لَا تَخْصُمَهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿١٠٠﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ  
رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ  
الْأَصْنَامَ ﴿١٠١﴾ رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّونَ كَثِيرًا لِمَنْ تِلْكَ الْأَنْسَابُ  
يَتَّبِعُنَّ فَإِنَّهُمْ رِجْزٌ وَمِمَّنْ عَصَانِي فَإِلَيْكَ غَيْرُ رَجْعَةٍ ﴿١٠٢﴾ رَبَّنَا  
إِنِّي أَتُكِنُّ مِنْ دُرِّيَّتِي إِبْرَاهِيمَ عِزِّي ذِي زُرْعَةٍ عِنْدَ بَيْتِكَ  
الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ  
تَهْتَدِي إِلَىهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنْ الثَّمَرِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿١٠٣﴾  
رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا تُخْفِي وَمَا تُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ  
مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿١٠٤﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي  
وَهَبَ لِي عَلَى الْكَبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعٌ  
الْعَلِيمُ ﴿١٠٥﴾ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا  
وَقَبَّلْ دُعَاءَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ  
يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿١٠٧﴾ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ عَمَلُهُ يَفْعَلُ  
الْقُلُوبُورُ إِنَّمَا يُوَفِّرُهُمْ يَوْمَ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿١٠٨﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
تَهْوِي إِلَيْهِمْ	تَعْمِلُ إِلَيْهِمْ، وَتَحْنُ.
تَشْخَصُ	تَرْتَفِعُ عَيْنُهُمْ فِيهِ، وَلَا تَقْمَضُ.

## ● العمل بالآيات

١. تذكر ظلما وقع منك، وتحلل منه قبل ان تتمنى ولا تستطيع، (إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ).

٢. ادع الله بأدعية إبراهيم عليه السلام، ﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آيَةً وَاجْعَلْنِي وَمَنْ أَتَّبَعْتُ أَنْ مُبَدِّلَ الْقَوَامَ ۖ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي وَبَنَاءَ الْمُقَرَّبِ ۚ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِإِخْوَتِي الَّذِينَ اتَّبَعْتُ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝١٠ ﴾ ، ﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي وَبَنَاءَ الْمُقَرَّبِ ۚ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِإِخْوَتِي الَّذِينَ اتَّبَعْتُ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝١٠ ﴾ .

٣. ادع الله أن يزيحك الدرية الصالحة، ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَمَنْ عَلَى الْكِبَرِ إِسْتَعْمَلَ ۖ وَإِسْحَاقَ ابْنَ رَبِّي سَمِيعَ الدُّعَا ۖ ﴾ .

## ● التوجيهات

١. لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَعُدَّ نِعَمَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْكَ، فَضْلاً عَنْ أَنْ تَشْكُرَهَا، وَلَكِنْ لَا يَزَالُ نَسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ لَا هَجَا بِشُكْرِهِ، ﴿وَأَنْتُمْ مِّنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَفُتَّاهٌ كَفَّارٌ﴾.

٢. علاقة الإيمان والتوحيد أولى من علاقة الرحم والنسب، ﴿رَبِّ إِيَّاهُنَّ أَصْلَلْنِ كَيْدَ إِيْمَانِ الْكَافِرِينَ مَنْ يَمَعِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَافِرٌ رَحِيمٌ﴾.

٣. الحفاظ على أمن البلد من أول أمنيات الصالحين والدعاة، ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿ مُهْطِعِينَ مُقْنِي رُؤُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَلْقَيْتَهُمْ هَوَاءً ﴾  
(مهطعين): ... لا يلتفتون يميناً ولا شمالاً، ولا يعرفون مواطن أقدامهم ...  
(لا يرتد إليهم طرفهم): لا ترجع إليهم ابصارهم من شدة النظر، وهي شاحصة؛ قد شغلها ما بين أيديهم، (وألقيتهم هواءً): ... خرجت قلوبهم عن صدورهم، فصارت في حناجرهم؛ لا تخرج من أفواههم، ولا تعود إلى أماكنها. البغوي: ٥٦٨/٢.

السؤال: هل رأيت الظلمة، وبأسهم، وصلابة قلوبهم على المؤمنين في الدنيا؟ بين كيف يكون حالهم في القيامة.

﴿ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ﴾

مديمو النظر، لا يطرفون لحظة؛ لكثرة ما هم فيه من الهول، والفكر، والخافة؛ لما يحل بهم. ابن كثير: ٥٢٢/٢.

السؤال: لماذا لا يرتد للظالمين طرفهم، ولا يستطيعون إغلاق أعينهم يوم القيامة؟

﴿ وَأَلْقَيْتَهُمْ هَوَاءً ﴾

أي: خالية من العقل والفهم؛ لفرط الحيرة والدeshة، ومنه قيل للجبان والأحمق: قلبه هواء؛ أي: لا قوة، ولا رأي فيه. الألويسي: ٣١٠/١٤.

السؤال: كيف يكون القلب هواءً؟

﴿ وَصَرَّيْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ ﴾

أي: في بلاد نمود، ونحوها، فهنا اعتبرتم بمساكنهم بعد ما تبين لكم ما فعلنا بهم. القرطبي: ١٦٣/١٢.

السؤال: ما تقول لمن مر على ديار الهالكين ولم يعتبر بحالهم؟

﴿ فَلَا تَحْسِنَ اللَّهُ مَخْلَفَ وَعْدِهِ. رُسُلُهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴾

(فلا تحسن الله مخلف وعده رسله) يعني: وعد النصر على الكفار؛ فإن قيل: هلا قال: مخلف رسله وعده، ولم قدم المفعول الثاني على الأول؟

فالجواب أنه قدم الوعد ليعلم أنه لا يخلف الوعد أصلاً على الإطلاق، ثم قال: (رسله) ليعلم أنه إذا لم يخلف وعد أحد من الناس فكيف يخلف وعد رسله، وخيرة خلقه، فقدم الوعد أولاً بقصد الإطلاق، ثم ذكر

الرسل لقصد التخصيص. ابن جزي: ٤٤٨/١.

السؤال: ما سبب تقديم المفعول الثاني على الأول في قوله: (مخلف وعده رسله)؟

﴿ وَنَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴾

يقرن كل كافر مع شيطانه في سلسلة، وقيل: مقرنة أيديهم وأرجلهم إلى رقابهم بالأصفاد والقيود. البغوي: ٥٧١/٢.

السؤال: بين كيف يكون حشر المجرمين يوم القيامة.

﴿ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾

لأنه يعلم كل شيء، ولا يخفى عليه خافية، وإن جميع الخلق بالنسبة إلى قدرته كالأولاد منهم. ابن كثير: ٥٢٥/٢.

السؤال: لم وصف حساب الله - سبحانه وتعالى - بالسرير؟

﴿ مُهْطِعِينَ مُقْنِي رُؤُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَلْقَيْتَهُمْ هَوَاءً ﴾  
﴿ وَأَذِرْنَا أَمْثَالَهُمْ يَوْمَ لَا يُبْقِيهِمُ الْآثَارُ ﴾  
﴿ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا آخِرْنَا لَكِ الْآجِلِ قَرِيبٌ يُجِيبُ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعُ الرَّسُولَ أُولَئِكَ تَكُونُوا آفَئِسْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا كُنْتُمْ مِنْ ذَوَالِ ﴾  
﴿ وَسَكَنْتُمْ فِي مَسْكَانٍ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَنَبَّيْنَا كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ ﴾  
﴿ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾  
﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴾  
﴿ يَوْمَ يُبَدِّلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾  
﴿ وَنَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴾  
﴿ سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطَرَانٍ يُتَفَسَّيْنَ وَيُجَاهَهُمُ النَّارُ ﴾  
﴿ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾  
﴿ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِمْ وَيَعْلَمُوا أَنَّ مَا هُمْ إِلَهٌ وَحِيدٌ وَلِيُنذِرُوا الْآلِيبِ ﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
مُهْطِعِينَ	مُسْرِعِينَ.
مُقْنِي رُؤُوسِهِمْ	رَافِعِي رُؤُوسِهِمْ.
وَأَلْقَيْتَهُمْ هَوَاءً	قُلُوبُهُمْ خَالِيَةً مِنْ شِدَّةِ الْهَوْلِ.
مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ	مُقْتَبِلِينَ بِالْقَيْدِ، قَدْ قُرِنَتْ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِالسَّلَاسِلِ.
سَرَابِيلُهُمْ	ثِيَابُهُمْ.

## ● العمل بالآيات

- أرسل رسالة تنذر فيها من عذاب الله، وشدة غضبه سبحانه، ﴿ وَأَذِرْنَا أَمْثَالَهُمْ يَوْمَ لَا يُبْقِيهِمُ الْآثَارُ ﴾.
- استمد بالله من مكر الظالمين، وقل: «اللهم إنا ندرك بك في نحورهم، ونمود بك من شرورهم»، وقل: «اللهم امكر لنا، ولا تمكر علينا»، ﴿ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾.
- تأمل قصة أي ظالم ذكرت في القرآن، وكيف خطط لحرب دين الله، ثم تأمل كيف كانت نهايته، ﴿ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾.

## ● التوجيهات

- بينما يكون الظالم الطاغى صلياً به عدوانه في الدنيا إذا به يبعث يوم القيامة خائفاً فرعاً قد تقطع قلبه من الهلع، ﴿ مُهْطِعِينَ مُقْنِي رُؤُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَلْقَيْتَهُمْ هَوَاءً ﴾.
- الأثار القديمة للألم العذبة إنما هي للتذكير الناس بما حلّ بالاقوام من قبلنا من عذاب الاستئصال، ﴿ وَسَكَنْتُمْ فِي مَسْكَانٍ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَنَبَّيْنَا لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ ﴾.
- لن يخلف الله وعده عن رسله وأوليائه، بل حتماً سيأتيهم النصر والتمكين، ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴾.

وَعُدَّهُ هذا حاصل يوم بُدِّلَ الأرض غير الأرض، وهي هذه على غير الصفة المألوفة المعروفة، كما جاء في الصحيحين عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «تُجَرَّسُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بِيضَاءَ عَفْرَاءَ، كَقَرْصَةِ النَّفْيِ، لَيْسَ فِيهَا مَعْلَمٌ لِأَحَدٍ».

وعن عائشة قالت: أنا أولُ الناس سأل رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿يَوْمَ يُدْبَلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ قلت: أين الناس يومئذٍ يا رسول الله؟ قال: «على الصراط» [رواه مسلم]. وقوله: ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ﴾ أي: خَرَجَتْ الخلائق جميعها من قبورهم لله «الوَاحِدِ الْقَهَّارِ» أي: الذي قَهَرَ كل شيء وعَلَبَهُ، ودانت له الرقاب، وَخَصَمَتْ له الألباب.

الآية (٤٩-٥١): يقول تعالى: ﴿يَوْمَ يُدْبَلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾، وَتَبْرُزُ الخلائق لِدَيَّانِها، ترى يا محمد يومئذٍ المجرمين، وهم الذين أَجْرَمُوا بكفرهم وفسادهم، «مُتَقَرِّينَ» أي: بعضهم إلى بعض، كل صنف إلى صنف، كما قال تعالى: ﴿تَشْتَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَرْزَوْهُمْ﴾ [الصافات: ٢٢]، وقال: ﴿وَإِذَا الْقُلُوبُ أُنْفِثَتْ مَكَانًا ضَيِّقًا مَقَرِّينَ دَعَا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ [الفرقان: ١٣]. والأصفاد: هي القيود، قاله ابن عباس وسعيد بن جبير والأعمش وعبد الرحمن بن زيد. وهو مشهور في اللغة. وقوله: ﴿سَرَابِلُهُمْ مِّنْ ظِلِّينَ﴾ أي: ثيابهم التي يلبسونها عليهم من ظِلِّران، وهو الذي تُظَلَّى به الإبل، وهو أَلَصُّ شيء بالنار. وكان ابن عباس يقول: القَطْران هو: النحاس المُذَاب، وربما قرأها (سرايلهم من قَطْرِ آن) أي: من نحاس حار قد انتهى حرُّه. وكذا روي عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقناة.

وقوله: ﴿وَتَشْتَرِيْ جُوهَرُهُمُ النَّارُ﴾، كقوله: ﴿تَلْفَحُ وَجُوهُهُمْ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالْعِخْلِقِ﴾ [الزمر: ١٠٤]. وقوله: ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ﴾ أي: يوم القيامة، كما قال: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَفُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحَقِّ﴾ [النجم: ٣١]. «لَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ»: يحتمل أن يكون كقوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠]، ويحتمل أنه في حال محاسبته لعبده سريع النجاز؛ لأنه يعلم كل شيء، ولا يخفى عليه خافية، وأن جميع الخلق بالنسبة إلى قدرته كالواحد منهم؛ كقوله تعالى: ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَسْمَعُ إِلَّا كَفْتٍ﴾ [الأنبياء: ٢١]. وهذا معنى قول مجاهد: «سَرِيعُ الْحِسَابِ»: إحصاء. ويحتمل أن يكون المعنيان مُرَادَيْنِ، والله أعلم.

الآية (٥٢): يقول تعالى: هذا القرآن بلاغ للناس؛ كقوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ يَدٌ وَمَنْ يَلْغُ﴾ [الأنعام: ١١٠]، أي: هو بلاغ لجميع الخلق من إنس وجان. «وَلْيَسْتَدْرِكُوا بِهِ» أي: لِيَسْمَعُوا به «وَلْيَسْمَعُوا أَنَّهُ هُوَ إِلَهُ وَحْدٌ» أي: يَسْتَدْلُوا بما فيه من الحجج والدلالات على أنه لا إله إلا هو. «وَلْيَدْرِكُوا أَوَّلَ الْأَلْبَابِ» أي: ذوو العقول.

الآية (٤٣): ذكر تعالى كيفية قيامهم من قبورهم ومجيئهم إلى قيام المحشر فقال: ﴿مُتَهَيِّئِينَ﴾ أي: مسرعين، كما قال تعالى: ﴿مُتَهَيِّئِينَ إِلَى الدَّاعِ﴾ الآية [القمر: ٨]، وقال: ﴿يَوْمَ نَحْمِلُ مِنِّي الْأَكْبَارَ بِرِجَالِهِمُ﴾ [المعارج: ٤٣]. «مُتَهَيِّئِينَ رُؤُوسِهِمْ» قال ابن عباس وغير واحد: رافعي رؤوسهم. «لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ» أي: أبصارهم طائفة شاخصة، يُدِيمُونَ النظر لا يطفرون لحظة لكثرة ما هم فيه من الهول والفكرة والمخافة، لِمَا يَجُلُّ بِهِمْ، عبادًا بالله العظيم من ذلك؛ ولهذا قال: ﴿وَأَقْبَتَهُمْ هَوَاءٌ﴾ أي: وقلوبهم خاوية خالية ليس فيها شيء لكثرة الوجَل والخوف. وقال بعضهم: «هَوَاءٌ»: خراب لا بُدَّ من شَيْءٍ.

الآية (٤٤-٤٦): لشدة ما أخبر الله تعالى عنهم، قال لرسوله: ﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ يَقُولُوا الَّذِينَ ظَلَمْنَا مَا بِقَوْلِ تَعَالَى غِبْرًا عَنْ قَبْلِ الذِّلِّينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، عِنْدَ مَعَايِنَةِ الْعَذَابِ: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْأَرْضِ قَرِيبًا نَّجْتِ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الْأَوْسَلَ﴾، كما قال تعالى: ﴿حَقًّا إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٩]، وقال تعالى: ﴿فَقَالُوا يَلَيْسَ إِنَّنَا نَرَى وَلَا نَحْكُمُ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ وَتَكُونُ مِنَّا مَلَكًا ضَيِّقًا مَقَرِّينَ رَأدًا عَلَيْهِمْ فِي قَوْلِهِمْ هَذَا: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِّنْ قَبْلِ مَا لَكُم مِّنْ زَوَالٍ﴾ أي: أولم تكونوا تلحفون من قبل هذه الحال: أنه لا زوال لكم عما أنتم فيه، وأنه لا معاد ولا جزاء؟! فذوقوا هذا بذلك. قال مجاهد وغيره: «مَا لَكُمْ مِّنْ زَوَالٍ» أي: ما لكم من انتقال من الدنيا إلى الآخرة، كما أخبر عنهم تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلْ وَعَدَ عَلَيْهِمْ حَقًّا﴾ [الحل: ٣٨]. «وَسَكَتُمْ فِي مَسْجِدِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ» أي: قد رأيتم وبلغكم ما أحللنا بالأمم المكذبة قبلكم، ومع هذا لم يكن لكم فيهم مُعْتَبَرٌ، ولم يكن فينا أَوْقَعْنَا بِهِمْ مُزْدَجَرٌ لكم! وعن ابن عباس في قوله: ﴿وَلَوْ كُنَّا مَكْرُهُمْ لَيَرْوُلَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ يقول: ما كان مكرهم لتزول منه الجبال. وكذا قال الحسن البصري، وَوَجَّهَ ابن جرير بأن هذا الذي فعلوه بأنفسهم من كفرهم بالله وشركهم به، ما ضَرَّ ذلك شيئًا من الجبال ولا غيرها، وإنما عاد وبأل ذلك على أنفسهم. قلت: ويُسَبِّحُ هذا إذا قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ فِي الْأَرْضِ مَرَكًا إِنَّكَ أَفْحَقُ الْأَرْضِ وَلَكِنْ تَتَّبِعِ الْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء: ٣٧]. والقول الثاني في تفسيرها: ما رواه علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: «وَلَوْ كُنَّا مَكْرُهُمْ لَيَرْوُلَ مِنْهُ الْجِبَالُ»: يقول شركهم، كقوله: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ﴾ وَتَشْتَرِيْ الْأَرْضُ رَجَحَ الْجِبَالِ هَذَا ⑤ أَنْ دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلِذَا ⑥ [مریم: ٩٠-٩١]، وهكذا قال الضحاك وقناة.

الآية (٤٧-٤٨): يقول تعالى مقرِّرًا لوعده ومؤكِّدًا: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ تَخَلِّفُ وَعْدَهُ رُسُلَهُ﴾ أي: من نُصِرْتُمْ في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد. ثم أخبر تعالى أنه ذو عِزَّةٍ لا يَمْتَنِعُ عليه شيء أَرَادَهُ، ولا يُغَالِبُ، «ذُو أُنْفِقَارٍ» مَن كَفَّرَ به وَجَّحَدَهُ، فويل يومئذٍ للمكذِّبين؛ ولهذا قال: ﴿يَوْمَ يُدْبَلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ أي:

تفسير سورة الحجر

وهي مكية. ﴿وآياتها (٩٩) آية﴾.

الآية (٣-١): قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة في أوائل السور. وقوله تعالى: ﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية، إخبار عنهم أنهم سيندمون على ما كانوا فيه من الكفر، ويتمنون لو كانوا مع المسلمين في الدار الدنيا. وقيل: المراد أن كل كافر يؤث عند احتضاره أن لو كان مؤمناً. وقيل: هذا إخبار عن يوم القيامة، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّنَا إِذْ وَفَّوْا عَلَى الْآثَارِ وَقَالُوا لَوْلَا إِلَهُنَا نَرُدُّ وَلَا نُكْذِبُ بِمَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٢٧].

وقال ابن جرير: كان ابن عباس وأنس بن مالك يتأولان هذه الآية: ﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾: يوم يحبس الله أهل الخطايا من المسلمين مع المشركين في النار. فيقول لهم المشركون: ما أغنى عنكم ما كنتم تعبدون في الدنيا؟! فيغضب الله لهم بفضل رحمته، فيخرجهم، فذلك حين يقول: ﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾.

وعن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا اجتمع أهل النار في النار، ومعهم من شاء الله من أهل القبلة، قال الكفار للمسلمين: ألم تكونوا مسلمين؟ قالوا: بلى. قالوا: فما أغنى عنكم الإسلام؟! فقد صرثم معنا في النار! قالوا: كانت لنا ذنوب فأخذنا بها. فسمع الله ما قالوا، فأمر بمن كان في النار من أهل القبلة فأخرجوا، فلما رأى ذلك من بقي من الكفار قالوا: يا ليتنا كنا مسلمين فنخرج كما خرجوا». قال: ثم قرأ رسول الله ﷺ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿الرَّيَّاكَ مَا يَأْتِيكَ الْكَتَبُ وَقَرَأْتَ ثَمِينٌ﴾ ﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [رواه الطبراني والحاكم وابن أبي عاصم، وصححه الألباني].

وقوله: ﴿ذَرَهُمْ يَبْغُلُوا وَيَسْتَعْمُوا﴾: تهديد لهم شديد، ووعيد أكيد؛ كقوله تعالى: ﴿قُلْ تَتَّبِعُوا فَإِنَّ صَيْبَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾ [إبراهيم: ٣٠]. وقوله: ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ تُجْرَمُونَ﴾ [المرسلات: ٤٦]؛ ولهذا قال: ﴿وَيُنْذِرُهُمُ الْآخِلَ﴾ أي: عن التوبة والإنابة ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ أي: عاقبة أمرهم.

الآية (٥-٤): يخبر تعالى: أنه ما أهلك قرية إلا بعد قيام الحجة عليها وانتهاء أجلها، وأنه لا يؤخر أمة حان هلاكها عن ميقانها ولا يتقدمون عن مدتهم. وهذا تنبيه لأهل مكة، وإرشاد لهم إلى الإقلاع عما هم فيه من الشرك والعناد والإلحاد، الذي يستحقون به الهلاك.

الآية (٩-٦): يخبر تعالى عن كفرهم وعنادهم في قولهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ دُرِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ﴾ أي: الذي يدعي ذلك ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ أي: في دعائك إيانا إلى اتباعك وتزك ما وجدنا عليه آباءنا، ﴿لَوْ مَا﴾ أي: هلاً ﴿تَأْتِينَا بِالْمَلَكَةِ﴾ أي: يشهدون لك بصحة ما جئت به، كما قال فرعون: ﴿فَلَوْلَا أَلْتَمِئْتُ عَلَيْهِ أَسُودَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ

الْمَلَكُ مَعَهُ مَقْرَّبِينَ﴾ [الزخرف: ٥٣]. ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَكَةُ أَوْ نَرَىٰ رِجَالًا لَّعَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ [النجم: ١٠٠] ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَكَةَ لَا بُشْرَىٰ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حَجْرًا مَّعْجُونًا﴾ [الفرقان: ٢١-٢٢]. وكذا قال في هذه الآية: ﴿مَا نُنْزِلُ الْمَلَكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ﴾. وقال مجاهد في قوله: ﴿مَا نُنْزِلُ الْمَلَكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾: بالرسالة والعذاب. ثم قرّر تعالى أنه هو الذي أنزل الذكر، وهو القرآن، وهو الحافظ له من التغير والتبدل.

الآية (١٠-١٣): يقول تعالى مُسْتَلِيًا لِّرَسُولِهِ ﷺ في تكذيب من كذبه من كفار قريش: إنه أرسل من قبله في الأمم الماضية، وإنه ما أتى أمة رسول إلا كذبوه واستهزؤوا به، ثم أخبر أنه سلك التكذيب في قلوب المجرمين الذين عاندوا واستكبروا عن اتباع الهدى. قال أنس والحسن البصري: ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾: يعني: الشرك. وقوله: ﴿وَقَدْ خَلَّتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: قد علم ما فعل تعالى بمن كذب رسله من الهلاك والدمار، وكيف أنجى الله الأنبياء وأتباعهم في الدنيا والآخرة.

الآية (١٤-١٥): يخبر تعالى عن قوة كفرهم وعنادهم ومكابرتهم للحق: أنه لو فتح لهم باباً من السماء، فجعلوا يصعدون فيه، لَسَا صدقوا بذلك، بل قالوا: ﴿إِنَّمَا شَكْرَتْ أَبْصَارُنَا﴾ قال مجاهد: سُدَّتْ أبصارنا، وقال ابن عباس: أُخِذَتْ أبصارنا، وقال الكلبي: عميت أبصارنا.



## ● الوقفات التدريبية

﴿ رَبُّمَا يَوْذُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا سَلِيمِينَ ﴾

قال الحسن: إذا رأى المشركون المؤمنين وقد دخلوا الجنة، وما راوهم في النار، تمنوا أنهم كانوا مسلمين. القرطبي: ١٧٦/١٢.

السؤال: متى يتمنى الكافر أن لو كان مسلماً؟

﴿ ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَسْتَعْمُوا وَيَلْبَسُوا وَيَلْبَسُوا وَيَلْبَسُوا وَيَلْبَسُوا وَيَلْبَسُوا ﴾

طول الأمل داء عضال، ومرض مزمن، ومتى تمكن من القلب فسد مزاجه، واشتد علاجه، ولم يفارقه داء، ولا نجع فيه دواء، بل أعيا الأطباء، ويئس من برئه الحكماء والعلماء، وحقيقة الأمل: الحرص على الدنيا، والانتكباب عليها، والحب لها، والإعراض عن الآخرة. القرطبي: ٣٨٩/١٢.

السؤال: ما الداء العظيم الذي حذر الله تعالى منه في الآية؟

﴿ ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَسْتَعْمُوا وَيَلْبَسُوا وَيَلْبَسُوا وَيَلْبَسُوا وَيَلْبَسُوا ﴾

وفي الآية إشارة إلى أن التلذذ والتنعيم وعدم الاستعداد للآخرة والتأهب لها ليس من أخلاق من يطلب النجاة، وجاء عن الحسن: ما أطال عبد الأمل إلا أساء العمل... وفي بعض الآثار عن علي: إنما أخشى عليكم اثنتين: طول الأمل، واتباع الهوى؛ فإن طول الأمل ينسي الآخرة، واتباع الهوى يصمد عن الحق. الألوسي: ٣٤١/١٤.

السؤال: لطول الأمل أضرار، بينها من خلال الآية.

﴿ لَوْ مَا تَأْتِيَا بِالْمَلَكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾

فَلَمَّا لَمْ تَأْتِ بِالْمَلَكَةِ فَلَسْتَ بِصَادِقٍ، وهذا من أعظم الظلم والجهل: أما الظلم فظاهر؛ فإن هذا تجرؤ على الله، وتعنّت بتعيين الآيات التي لم يخترها، وحصل القصد والبرهان بدونها من الآيات الكثيرة الدالة على صحته ما جاء به. وأما الجهل: فإتهم جهلوا مصلحتهم من مضرتهم؛ فليس في أنزال الملائكة خير لهم، بل لا ينزل الله الملائكة إلا بالحق الذي لا إهمال على من لم يتبعه وينتد له. السعدي: ٤٢٩.

السؤال: في طلبهم الإتيان بالملائكة ظلم وجهل، وضح ذلك.

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ ﴾

أي: القرآن الذي فيه ذكرى لكل شيء من المسائل والدلائل الواضحة، وفيه يتذكر من أراد التذكّر. السعدي: ٤٢٩.

السؤال: ما وجه وصف القرآن بالذكور؟

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَنُحِيطُونَ ﴾

ومعنى حفظه: حراسته عن التبديل والتغيير كما جرى في غيره من الكتب، فتولى الله حفظ القرآن، فلم يقدر أحد على الزيادة فيه ولا النقصان منه، ولا تبديله بخلاف غيره من الكتب؛ فإن حفظها موكول إلى أهلها؛ لقوله: (بما استحفظوا من كتاب الله) للمائدة: ٤٤.

ابن جزي: ٤٥٠/١.

السؤال: ما الفرق بين القرآن الكريم والكتب السماوية الأخرى من حيث حفظه عن التبديل؟

﴿ مَا نُنَزِّلُ الْمَلَكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا نُظِرَ فِي ﴾

قال مجاهد: بالرسالة والعذاب، وأما على الرُّسل فبالحق من الأقوال، وأما على المنذرين فبالحق من الأفعال من الهلاك والنجاة. البقاعي: ٢٠٦/٤.

السؤال: ما الحق الذي تنزل الملائكة لأجله؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْءَانٍ مُبِينٍ ۝ رَبُّمَا يَوْذُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ۝ ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَسْتَعْمُوا وَيَلْبَسُوا وَيَلْبَسُوا وَيَلْبَسُوا وَيَلْبَسُوا وَيَلْبَسُوا ۝ مَا تَشِيقُ مِنْ أَمَةٍ أَهْلَهَا وَمَا يَسْتَعِزُّونَ ۝ وَقَالُوا إِنَّا بِمَا أَلْمَزْتُمْ لَكُمْ لَنَكْفُرَنَّ ۝ لَوْ مَا تَأْتِيَا بِالْمَلَكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۝ مَا نُنَزِّلُ الْمَلَكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ ۝ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَنُحِيطُونَ ۝ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ ۝ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ۝ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ۝ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ ۝ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ۝ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ۝ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَنْصُرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ۝

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
وَلْيَلْبَسُوا وَيَلْبَسُوا وَيَلْبَسُوا وَيَلْبَسُوا وَيَلْبَسُوا وَيَلْبَسُوا	يَسْغُلُهُمُ الطَّمَعُ فِي الدُّنْيَا، وَطُولُ الْبَقَاءِ فِيهَا.
لَوْ مَا	هَلَّا.
شَيْعِ الْأَوَّلِينَ	فِرْقِ الْأُمَمِ السَّابِقِينَ.
فَظَلُّوا	فَاسْتَمَرُّوا.
يَعْرُجُونَ	يَصْعَدُونَ.
سُكَّرَتْ	سُجِّرَتْ.

## ● العمل بالآيات

١. أحمد الله أن هداك للإسلام، وادع الله تعالى أن يثبتك عليه حتى تلقاه، ﴿ رَبُّمَا يَوْذُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا سَلِيمِينَ ﴾.
٢. زِر القبور، وتأمل في المصير؛ فإن زيارة القبور سنة، وهي مما يقصر به أمل العبد، ﴿ ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَسْتَعْمُوا وَيَلْبَسُوا وَيَلْبَسُوا وَيَلْبَسُوا وَيَلْبَسُوا ﴾.
٣. صمم جدولاً ترتب فيه وقتك؛ ليعينك على تحديد الأهداف، والعمل الجاد المتواصل، ﴿ ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَسْتَعْمُوا وَيَلْبَسُوا وَيَلْبَسُوا وَيَلْبَسُوا وَيَلْبَسُوا ﴾.

## ● التوجيهات

١. الأفلام وبرامج الجوالات الترفيهية تشغل عن العمل الصالح، ﴿ ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَسْتَعْمُوا وَيَلْبَسُوا وَيَلْبَسُوا وَيَلْبَسُوا وَيَلْبَسُوا ﴾.
٢. من مظاهر رحمة الله بالإنسان أن الإنسان يطلب نزول العذاب، والله ينزل الرحمة، ﴿ مَا نُنَزِّلُ الْمَلَكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ ﴾.
٣. عدم الانتفاع بالقرآن عند سماعه أو قراءته عقوبة بسبب الذنوب، ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ ۝ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴾.

﴿ ١ ﴾ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴿

**السؤال: النجوم والبروج التي في السماء كيف تزيد في إيمان المؤمن؟**

﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا ﴾ ١

السؤال: من إساءة الظن بالله أن يعتقد الإنسان أن أرزاق الأرض لن تكفي الناس في المستقبل، وضح هذا من الآية.

﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ﴾ (١١) وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ  
يَحْكُمُ هُمْ إِنَّهُمْ لَكَرِيمٌ عَلِيمٌ ﴿

(ولقد علمنا المتقدمين منكم) يعني: الأولين والآخرين من الناس، وذكر ذلك على وجه الاستدلال على الحشر الذي ذكر بعد ذلك في قوله: (وإن ربك هو يحشرهم إنه حكيم عليم)؛ لأنه إذا احاط بهم علماً لم تصعب عليه إعادتهم وحشرهم. ابن جزي: ٤٥١.

السؤال: ما مناسبة مجيء قوله تعالى: (وإن ربك هو يحشرهم) بعد قوله: (ولقد علمنا المتقدمين منكم)؟

﴿ ١ ﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ﴿٢﴾ وَالْبَآنَ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّجُورِ ﴿٣﴾

والمقصود من الآية: التنبيه على شرف آدم عليه السلام وطيب عنصره.  
ابن كثير: ٥٣١/٢.

**السؤال: لماذا نُهرَنَ بين خلق الإنسان وخلق الجن؟**

﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُمْ وَنَفَخْتُمْ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾

وأمر الملائكة السجود لا ينيل في تحريم السجود في الإسلام لغیر الله من وجوه: أحدها: أن ذلك المنع لسد ذريعة الإصرار، والملائكة معصومون من تطرق ذلك إليهم. وثانيها: أن شريعة الإسلام امتازت بنهاية مبالغ الحق والصلاح، فجاءت بما لم تكن به الشرائع السالفة؛ لأن الله أراد بلوغ اتباعها أوج الكمال في المدارك. وثالثها: أن هذا إخبار عن أحوال العالم العلوي، ولا تقاس أحكامه على تكاليف عالم الدنيا. ابن عاشور: ١٤/٤٥.

**السؤال:** أمر الملائكة بالسجود لا ينفي تحريم السجود لغير الله تعالى في الإسلام من وجوه، اذكرها.

﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُمْ وَنَفَخْتُ فِيهِمْ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُمْ سَاجِدِينَ ﴾

وإن كان مخلوقاً من طين فقد حصل له بنفخ الروح المقدسة: فيه ما شرف به؛ فلهذا قال: (إذاً) سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين)، فخلق السجود بأن ينفخ فيه من روحه، فالواجب للتفضيل هذا المعنى الشريف الذي ليس لإبليس مثله. ابن تيمية: ١٢٥/١.

السؤال: بين وجه تكريم آدم - عليه السلام - على غيره من خلال الآية:

يذكر تعالى نعمته وإحسانه على أبينا آدم عليه السلام، وما جرى من عدوه إبليس، وفي ضمن ذلك التحذير لنا من شره وفتنته. السعدي: ٤٣١.

**السؤال: ما المقصد من تفصيل قصة خلق آدم وموقف إبليس؟**

وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّظِيرِينَ ﴿٣٥﴾  
وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴿٣٦﴾ إِلَّا مَنْ أَسْرَفَ السَّمْعَ  
فَاتَّبَعَهُ وَشَهِابٌ مُثِيرٌ ﴿٣٧﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا  
رَوَاسِيَ وَأَلْبَسْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ ثَمَرٍ مَوْرُونَ ﴿٣٨﴾ وَجَعَلْنَا الْكُفْرَ  
فِيهَا مَعِيشٍ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِزَاقِينَ ﴿٣٩﴾ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا  
عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُ إِلَّا بِإِقْدَارٍ مَعْلُومٍ ﴿٤٠﴾ وَأَرْسَلْنَا  
الرِّيحَ لَوْفِحَ فَاُنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ  
لَهُ بِخَشِيرِينَ ﴿٤١﴾ وَإِنَّا لَآتِيُونَ نُحْيِيهِ وَنُقْبِضُ الْوَرُودُ ﴿٤٢﴾  
وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ﴿٤٣﴾  
وَإِن رَّبَّكَ هُوَ يُخْشِرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا  
الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ﴿٤٥﴾ وَالْجَانَّ خَلَقْتَهُ مِنْ  
قَبْلُ مِنْ نَارِ السُّمُومِ ﴿٤٦﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا  
مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ﴿٤٧﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ  
مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٤٨﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ  
أَجْمَعُونَ ﴿٤٩﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٥٠﴾

## معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
بُرُوجًا	مَنَازِلَ لِلْكَوَاكِبِ تَنَزَّلُ فِيهَا.
رَجِيمٍ	مَطْرُودٍ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ.
استَرَقَّ السَّمْعُ	اخْتَلَسَ الْوَحْيُ مِنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا.
لَوَاقِحَ	تَلَقَّحَ السَّحَابُ؛ فَيَمْتَلِئُ بِالْمَاءِ.
صَلْصَالٍ	طِينٍ يَابِسٍ يُسْمَعُ لَهُ صَوْتُ إِذَا نُقِرَ.
حَمًا	طِينٍ أَسْوَدَ.
مَسْنُونٍ	مُتَغَيِّرٍ لَوْنُهُ وَرِيحُهُ.
نَارِ السُّمُومِ	نَارٍ شَدِيدَةِ الْحَرَارَةِ لَا دُخَانَ لَهَا.

## ● العمل بالآيات

١. تصدق على محتاج، أو المؤسسة تطوعية، ولا تخش من ذي العرش إقلًا،  
 ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾.

٢. اسبق غيرك إلى عبادة من العبادات؛ فإن المتقدم أسبق إلى الجنة، ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا لُتُغْرِينَ﴾.

٣. اقرأ قصة آدم وإبليس من كتب التفسير، ثم تأمل النقاط التي استغلها إبليس في التأثير على آدم، ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّن صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَلٍ مَّسْنُونٍ﴾.

## ● التوجيهات

١. تأمل في الكواكب ونجوم السماء؛ فإن الله قد جعلها آية وزينة للناظرين، ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ﴾

٢. تأمل في الأرض وانبساطها وما فيها من أرزاق، ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَلْبَسْنَا فِيهَا مِن كُلِّ ثَمَرٍ وَمَوْزُونٍ﴾.

٣. لَا تَحْزَنْ عَلَى قِلَّةِ رِزْقِكَ: فَإِنَّ اللَّهَ أَعْلَمُ بِمَصْلَحَتِكَ مِنْكَ، وَارْضَ بِمَا قَدَرَهُ اللَّهُ لَكَ، ﴿وَمَا نَزَّلَهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾.

الآية (١٦-٢٠): يذكر تعالى خلقه الساء في ارتفاعها وما رزقها به من الكواكب الثواب لمن تأملها، وكُرِّرَ النظر فيها، يرى فيها من العجائب والآيات البهارات ما يحار نظره فيه. ولهذا قال مجاهد وقتادة: البروج ههنا هي: الكواكب. قلت: وهذا كقوله تعالى: ﴿بَنَّاكَ الْوَدَىٰ جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ [الفرقان: ٦١]. ومنهم من قال: البروج هي: منازل الشمس والقمر.

وجعل الشهب حرسًا لها من مَرَدَةِ الشياطين، لئلا يَسْمَعُوا إلى الملأ الأعلى، فمن تَمَرَّدَ منهم وتقدَّم لاستراق السمع جاءه ﴿يَهَابٌ ثَيِّبٌ﴾ فأتلفه، فربما يكون قد ألقى الكلمة التي سمعها قبل أن يُنْزِلَ به الشهاب إلى الذي هو دونه، فيأخذها الآخر، ويأتي بها إلى وليِّه، كما جاء مصرحًا به في الصحيح، كما روى البخاري عن أبي هريرة، يبلغ به النبي ﷺ، قال: «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاء لقوله كأنه سلسلة على صفوان يُفْقِذُهم ذلك، فإذا فُزِعَ عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الذي قال الحق، وهو العلي الكبير. فيسمعها مسترقو السمع، ومسترقو السمع هكذا واحد فوق آخر، فربما أَدْرَكَ الشهابُ المستمع قبل أن يَرْمِي بها إلى صاحبه فيحرقه، وربما لم يُنْزِلْهُ حتى يَرْمِي بها إلى الذي يليه، إلى الذي هو أسفل منه، حتى يلقوها إلى الأرض».

ثم ذكر تعالى خلقه الأرض، وملأها ونوسيعها وسطها، وما جعل فيها من الجبال الرواسي، والأودية والأراضي والرمال، وما أنبت فيها من الزروع والثمار المتناسبة. وقال ابن عباس: ﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّزُودٌ﴾ أي: معلوم. وكذا قال سعيد بن جبير وعكرمة وقتادة وغيرهم. ومنهم من يقول: مُقَدَّرٌ بِقَدَرٍ. وقال ابن زيد: من كل شيء يُوزَنُ وَيُقَدَّرُ بِقَدَرٍ.

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا لِكُلِّ فِيهَا مَنَاشِئَ﴾: يذكر تعالى أنه صَرَّفَهُم في الأرض في صنوف الأسباب والمعاش، وهي جمع معيشة. ﴿وَمِنْ أَشْجَرٍ لَّزَبْرُجَيْنِ﴾: قال مجاهد: وهي الدواب والأنعام. وقال ابن جرير: هم العبيد والإماء والدواب والأنعام. والقصد: أنه تعالى يمتنُّ عليهم بما يَسَّرَ لهم من أسباب المكاسب ووجوه الأسباب وصنوف المعاش، وبما سَخَّرَ لهم من الدواب التي يركبونها والأنعام التي يأكلونها، والعبيد والإماء التي يستخدمونها، وورزقهم على خالقهم لا عليهم، فلهم هم المنفعة، والرزق على الله تعالى.

الآية (٢١-٢٥): تجرَّع تعالى أنه مالك كل شيء، وأن كل شيء سهل عليه، يسير لديه، وأن عنده خزائن الأشياء من جميع الصنوف ﴿وَمَا نَزَّلْنَاهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾، كما يشاء وكما يريد، ولما له في ذلك من الحكمة البالغة، والرحمة بعباده، لا على الوجوب، بل هو كَتَبَ على نفسه الرحمة. قال عبد الله [ابن مسعود]: ما من عام بأمطر من عام، ولكن الله يقسمه حيث شاء، عامًا ههنا، وعامًا ههنا. ثم قرأ: ﴿وَأَنْ يَنْقُصَ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَ تَخَافَتَيْنِهِ وَمَا نَزَّلْنَاهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾.

وقوله: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوْفٍ﴾ أي: تُلْقِجُ السَّحَابَ قَتِيرَ ماء، وتُلْقِجُ الشجر فتفتِّح عن أوراقها وأكمامها. وعن عبد الله بن مسعود

في قوله: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوْفٍ﴾: قال: ترسل الريح، فتحمل الماء من السماء، ثم تَسْمُرُ مَرَّ السحاب، حتى تُثِيرَ كما تُثِيرُ اللَّفْحَةُ. وكذا قال ابن عباس. وقوله: ﴿فَأَسْقَيْنَكُمُوهُ﴾ أي: أنزلناه لكم عَذْبًا يُمكنكم أن تشربوا منه، ولو نشاء لجلعناه أجاجًا كما بينه الله على ذلك في الآية الأخرى في سورة «الواقعة»، وهو قوله: ﴿أَوَلَيْسَ آلَاءُ الَّذِي خَسِرْتُمْ أَن يَبْعَثَ إِلَيْكُمْ فَوَاحِشًا مُتَشَابِهَةً﴾ [الواقعة: ٦٨-٧٠]، وفي قوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُنْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ [النحل: ١٠].

وقوله: ﴿وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِحَافِظِينَ﴾ بل نحن ننزله ونحفظه ويحتمل أن المراد: وما أنتم له بحافظين، ولو شاء تعالى لأغاره عليكم، ونجعله معينًا وينابيع في الأرض، ولو شاء تعالى لأغاره وذَهَبَ به، ولكن من رحمته أنزله وجعله عَذْبًا، وحفظه في العيون والآبار والأنهار وغير ذلك، ليبقى لهم في طول السنة، يشربون ويسقون أنعامهم وزروعهم وثمارهم.

وقوله: ﴿وَأَنَّا لَنَحْنُ غَنِيٌّ وَنُثَبِّتُ﴾: إخبار عن قدرته تعالى على بدء الخلق وإعادته، وأنه هو الذي أحيا الخلق من العدم، ثم يميتهم ثم يعيدهم كلهم ليوم الجمع. وأخبر أنه تعالى يَرِثُ الأرض ومن عليها وإليه يرجعون. ثم قال خبرًا عن تمام علمه بهم، وأولهم وآخرهم: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْأَشْجَارَ إِذْ يَذُكُّونَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْأَشْجَارَ إِذْ يَذُكُّونَ﴾ قال ابن عباس: المستقدمون: كل من هلك من لَدُنْ آدم عَلَيْهِ السَّلَام، والمستأخرون: من هو حيٌّ ومِن سِيَّائِي إلى يوم القيامة. وروي نحوه عن عكرمة ومجاهد والضحاك وقتادة وغيرهم. وهو اختيار ابن جرير.

الآية (٢٦-٢٧): قال ابن عباس ومجاهد وقتادة: المراد بالصلصال ههنا: التراب اليابس. والظاهر أنه كقوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾ [الرحمن: ١٤-١٥]. وعن مجاهد أيضًا: الصلصال: السُّتْنُ. وتفسير الآية بالآية أولى. وقوله: ﴿يَنْزِلُ السُّتْنُ﴾ أي: الصلصال من سَمَاءٍ، وهو: الطين. والمسنون: الأملس، ولهذا روي عن ابن عباس: أنه قال: هو التراب الرطب. وعن ابن عباس ومجاهد أيضًا: أن الحمأ المسنون هو السُّتْنُ. وقيل: المراد بالمسنون ههنا: المصبوب. وقوله: ﴿وَالَّذِينَ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: من قبل الإنسان ﴿يَنْزِلُ السُّتْنُ﴾ أي: هي السُّتْمُومُ التي تَقْتُلُ، وعن ابن عباس: أن الجان خُلِقَ من لَهَبِ النار، وفي رواية: من أحسن النار. وقد وَرَدَ في الصحيح: «خُلِقَتِ الملائكة من نور، وخُلِقَتِ الجان من مارج من نار، وخُلِقَ بنو آدم ممَّا وُصِفَ لكم» [رواه مسلم]، ومقصود الآية: التنبيه على شرف آدم، عَلَيْهِ السَّلَام، وطيب عُصْرَهُ، وطهارة نَحْتِهِ<sup>(١)</sup>.

الآية (٢٨-٣٠): يذكر تعالى تنويهه بذكر آدم في ملائكته قبل خلقه له، وتشريفه بإياه بأمره الملائكة بالسجود له.

(١) المَخِيد: الأصل والطبع [القاموس المحيط، مادة (حند)].







## ● الوقفات التدريبية

❶ ﴿ قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِشَيْءٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلَافٍ مِنْ حَمَلٍ مَنْثُورٍ ﴾

يذكر تخلف إبليس عن السجود له من بين سائر الملائكة حسداً وكفراً، وعناداً، واستكباراً، وافتخاراً بالباطل. ابن كثير: ٥٣١/٢.

السؤال: إلى أي حد يمكن أن يصل الغرور والحسد بصاحبه؟

❷ ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ ❸ ﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴾

وليس إجابة الله لدعائه كرامة في حقه، وإنما ذلك امتحان وإبتلاء من الله له وللعباد؛ ليتبين الصادق الذي يطيع مولاه دون عهده ممن ليس كذلك. السعدي: ٤٣.

السؤال: ما وجه استجابة الله سبحانه لدعاء إبليس؟

❶ ﴿ قَالَ رَبِّ يَا أَغْوَيْتَنِي لِأُزَيِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا غَوِيَّتَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾

وتزيينه هنا يكون بوجهين: إما بفعل المعاصي، وإما بشغلهم بزيينة الدنيا عن فعل الطاعة. القرطبي: ٢١٢/٢.

السؤال: اذكر بابين يدخل منهما الشيطان على الإنسان؟

❶ ﴿ قَالَ رَبِّ يَا أَغْوَيْتَنِي لِأُزَيِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا غَوِيَّتَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ ❸ ﴿

إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ﴾

أي: الذين أخلصتهم واجتنبتهم؛ لإخلاصهم، وإيمانهم، وتوكلهم. السعدي: ٤٣١.

السؤال: من المستثنون من إغواء إبليس؟

❶ ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾

فأهل الإخلاص والإيمان لا سلطان له عليهم؛ ولهذا يهربون من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة، ويهربون من قراءة آية الكرسي، وآخر سورة البقرة، وغير ذلك من قوارع القرآن. ابن تيمية: ١٣١/٤.

السؤال: ذكرت الآية فتنة لا سلطان للشيطان عليهم، فمن هم؟ مع ذكر وسيلتين لطرد الشيطان.

❶ ﴿ نَبِيٌّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾

فإنهم إذا عرفوا كمال رحمته ومغفرته سعوا في الأسباب الموصلة لهم إلى رحمته، وأقلعوا عن الذنوب، وتابوا منها؛ لينالوا مغفرته. السعدي: ٤٣٢.

السؤال: ما موقف المؤمن حين يعلم أن الله غفورٌ رحيمٌ؟

❶ ﴿ نَبِيٌّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ ❸ ﴿ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ

الْأَلِيمُ ﴾

فالعبد ينبغي أن يكون قلبه دائماً بين الخوف والرجاء، والرغبة والرهبة؛ فإذا نظر إلى رحمة ربه ومغفرته وجوده وإحسانه أحدث له ذلك الرجاء والرغبة، وإذا نظر إلى ذنوبه وتقصيره في حقوق ربه أحدث له الخوف، والرهبة، والإقلاع عنها. السعدي: ٤٣٢.

السؤال: كيف يكون قلب المسلم في هذه الحياة الدنيا؟

قَالَ يٰٓإِبْرٰهٖمُ مَا لَكَ اَلَّا تَكُوْنَ مَعَ السَّٰجِدِيْنَ ۝ قَالَ لَمْ اَكُنْ لِلسَّجْدِ لِشَيْءٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلَافٍ مِّنْ حَمَلٍ مَنْثُوْرٍ ۝ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَاِنَّكَ رَجِيْمٌ ۝ وَاِنَّ عَلٰٓيْكَ الْفِتْنَةَ اِلٰٓى يَوْمِ الْاٰلِذِيْنَ ۝ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِيْ اِلٰٓى يَوْمِ يُبْعَثُوْنَ ۝ قَالَ فَاِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِيْنَ ۝ اِلٰٓى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُوْمِ ۝ قَالَ رَبِّ يَمَّا اَغْوَيْتَنِيْ لِاُزَيِّنَ لَهُمْ فِى الْاَرْضِ وَلَا غَوِيَّتَهُمْ اَجْمَعِيْنَ ۝ اِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِيْنَ ۝ قَالَ هٰذَا صِرَاطٌ عَلٰٓى مُّسْتَقِيْمٍ ۝ اِنَّ عِبَادِيْ لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطٰنٌ اِلَّا مَن اتَّبَعَكَ مِنَ الْغٰوِيْنَ ۝ وَاِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ اَجْمَعِيْنَ ۝ لَهَا سَبْعَةُ اَبْوَابٍ كُلٌّ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُوْمٌ ۝ اِنَّ الْمَقْصُوْرِيْنَ فِى جَنَّتٍ وَغَيْرُوْنَ ۝ اَدْخُلُوْهَا يَاسٰٓئِرَةً اٰمِيْنَ ۝ وَتَرٰعْنَا مَا فِى صُدُوْرِهِمْ مِّنْ عِلٍّ اِِخْوٰنًا عَلٰٓى سُرُرٍ مُّتَقٰبِلِيْنَ ۝ لَا يَمَسُّهُمْ فِيْهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِيْنَ ۝ \* نَبِيٌّ عِبَادِيْ اَنِّيْ اَنَا الْغَفُوْرُ الرَّحِيْمُ ۝ وَاَنَّ عَذَابِيْ هُوَ الْعَذَابُ الْاَلِيْمُ ۝ وَتَبَيَّنْهُمْ عَنْ صَبِيْفٍ اٰتْرٰهِيْمَ ۝

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
فَأَنْظِرْنِي	فَأَمْهِلْنِي.
صِرَاطٌ	طَرِيقٌ.
سُلْطَانٌ	قُوَّةٌ.
بَسَلَامٍ	سَالِيْنٍ مِنْ كُلِّ سُوءٍ.
غُلٌّ	حَقِيْدٌ.
نَصَبٌ	تَعَبٌ.
نَبِيٌّ	أَخْبِرْ.

## ● العمل بالآيات

- حدد حيلة تحس أن الشيطان غلبك بها ثم فكر في طريقة للتخلص منها، ﴿ قَالَ رَبِّ يَا أَغْوَيْتَنِيْ لَهُمْ فِى الْاَرْضِ وَلَا غَوِيَّتَهُمْ اَجْمَعِيْنَ ﴾.
- سل الله تعالى أن يعصمك من الشيطان، وأن يجعلك من عباده المخلصين، ﴿ اِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِيْنَ ﴾.
- سامح احداً ظلمك، أو أخطأ عليك؛ فإنه أظهر لقلبك، وفيه راحة نفسك، ﴿ وَتَرٰعْنَا مَا فِى صُدُوْرِهِمْ مِّنْ عِلٍّ اِِخْوٰنًا عَلٰٓى سُرُرٍ مُّتَقٰبِلِيْنَ ﴾.

## ● التوجيهات

- أحب لغيرك ما تحب لنفسك؛ ففي هذا راحة لقلبك، ﴿ قَالَ لَمْ اَكُنْ لِلسَّجْدِ لِشَيْءٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلَافٍ مِّنْ حَمَلٍ مَنْثُوْرٍ ﴾.
- تزيين للمهيات والمحرمات من اقوى أسلحة إبليس، ﴿ قَالَ رَبِّ يَمَّا اَغْوَيْتَنِيْ لِاُزَيِّنَ لَهُمْ فِى الْاَرْضِ وَلَا غَوِيَّتَهُمْ اَجْمَعِيْنَ ﴾.
- إبليس ليس له سلطان وتسلط على احد؛ إلا من سمح له بذلك، ﴿ اِنَّ عِبَادِيْ لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطٰنٌ اِلَّا مَن اتَّبَعَكَ مِنَ الْغٰوِيْنَ ﴾.



## ● الوقفات التدريبية

﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ ﴾

لأن الضيف طرَقوا ببيتهم في غير وقت طروق الضيف؛ فظنهم يريدون به شراً.  
ابن عاشور: ٥٨/١٤.

السؤال: لماذا ابتدأ إبراهيم -عليه السلام- بقوله: (إننا منكم وجلون)؟

﴿ قَالُوا بَشِّرْنَا بِالْحَقِّ فَلَا تُكْذِبْ مِنَ الْقَنَاطِينِ ﴾

ولما كان إبراهيم -عليه السلام- منزهاً عن القنوط من رحمة الله، جاءوا في موعظته بطريفة الأدب المناسب؛ فنهوه عن أن يكون من زمرة القانطين؛ تحذيراً له مما يدخله في تلك الزمرة. ابن عاشور: ٦٠/١٤.

السؤال: في خطاب الملائكة لإبراهيم -عليه السلام- انموذج من الأدب، بينه.

﴿ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴾

أي: من يياس من رحمة ربه (إلا الضالون) أي: الخاسرون، والقنوط من رحمة الله كبيرة كالأمن من مكره البغوي: ٥٩/٢.

السؤال: يقنط بعض المذنبين وبعض أهل المصائب من رحمة الله تعالى، فيقول: لا يغفر الله لي، أو: لن تتكشف كربتي، فكيف تجيب عليه؟

﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكَ أَحَدٌ ﴾

وقد جرت عادة الكبراء أن يكونوا أدنى جماعتهم إلى الأمر والخوف؛ سماحاً بأنفسهم، وتثبيتاً لغيرهم، وعلماً منهم بأن مدانة ما فيه وجل لا يُقرب من أجل، وضده لا يغني من قدر، ولا يُباعد من ضرر، ولئلا يشتغل قلبك بمن خلفك، وليحتشموك؛ فلا يلتفتوا، أو يتخلف أحد منهم، وغير ذلك من المصالح. البقاعي: ٢٢٩/٤.

السؤال: ما المصلحة في أن يمضي لوط -عليه السلام- خلف أهله وهم أمامه عند خروجهم من قريتهم؟

﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ ﴾

وأن يكون لوط -عليه السلام- يمشي وراءهم ليكون أحفظ لهم، وهكذا كان رسول الله ﷺ يمشي في الغزو؛ إنما يكون ساقية يزيج الضعيف، ويحمل المنقطع. ابن كثير: ٥٣٥/٢.

السؤال: تحدث عن سنة النبي ﷺ في السير إلى الجهاد.

﴿ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكَ أَحَدٌ ﴾

لأن الملتفت غير ثابت؛ لأنه إما غير مستيقن لخبرنا، أو متوجع لهم، فمن التفت ناله العذاب، وذلك أيضاً أجدر في الهجرة، وأسرع في السير، وادل على إخراج ما خلفوه من منازلهم وامتنعتهم من قلوبهم، وعلى أنهم لا يرقون من غضب الله عليهم مع أنهم ربما راوا ما لا تطيقه أنفسهم. البقاعي: ٢٢٩/٤.

السؤال: ما الحكمة في أمر آل لوط -عليه السلام- بعدم الالتفات حينما خرجوا من القرية؟

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزَوْنَ ﴾

وقد ذكرهم بالوازع الديني وأن كانوا كفاراً -استقصاء للدعوة التي جاء بها، وبالوازع العربي؛ فقال: (واتقوا الله ولا تخزون). ابن عاشور: ٦٦/١٤.  
السؤال: جمع لوط -عليه السلام- بين تذكير قومه بالوازع الديني والوازع العربي؛ وضع ذلك.

﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ ﴾ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلَيْكَ ﴿٥٥﴾ قَالَ أَشَرْتُكُمْ فِي عَلَنَ أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَا يُبَشِّرُونِ ﴿٥٦﴾ قَالُوا ابْشِرْكَ بِالْحَقِّ فَلَا تُكِنُّ مِنَ الْقَنَاطِينِ ﴿٥٧﴾ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿٥٨﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ مُجْرِمِينَ ﴿٦٠﴾ إِلَّا آءَالَ لُوطِ إِنَّا لَمَنَّا جُوهْمُ أَجْمَعِينَ ﴿٦١﴾ إِلَّا أَمْرَانَهُ وَقَدْ زَنَّا بِمَا لَمَنَّا الْعَذِيبِينَ ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا جَاءَ آءَالَ لُوطِ الْمُرْسَلُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٦٤﴾ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُوْمَرُونَ ﴿٦٧﴾ وَنَصَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ ﴿٦٨﴾ وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٩﴾ قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ صَبِيحُ فَلَا تَقْضُحُونَ ﴿٧٠﴾ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزَوْنَ ﴿٧١﴾ قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٧٢﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
وَجِلُونَ	فَزُعُونَ، خَائِفُونَ.
القَانِطِينَ	الْيَاسِينَ.
فَمَا خَطْبُكُمْ	فَمَا شَأْنُكُمْ الْخَطِيرُ؟
قَدَرْنَا	قَضَيْنَا.
الْعَاقِبِينَ	الْبَاقِينَ فِي الْعَذَابِ.
وَقَضَيْنَا	أَوْحَيْنَا.
مَقْطُوعٌ	مُهْلِكٌ بِالْعَذَابِ.

## ● العمل بالآيات

١. ابتدئ بالسلام عند دخولك المنزل، أو عند إقبالك على مسلم، ﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ ﴾.
٢. بشر مسلماً اليوم بخبر يفرحه ويؤنس قلبه، ﴿ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلَيْكَ ﴾.
٣. الق كلمة، أو ارسل رسالتك؛ تبين فيها خطر القنوط من رحمة الله، ﴿ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴾.

## ● التوجيهات

١. البشارة ربما تأتي بعد انقطاع الأسباب الدنيوية، ﴿ قَالَ أَشَرْتُكُمْ فِي عَلَنَ أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَا يُبَشِّرُونِ ﴾ قَالُوا بَشِّرْنَا بِالْحَقِّ فَلَا تُكْذِبْ مِنَ الْقَنَاطِينِ ﴿٥٥﴾.
٢. اشتغال الإنسان بإصلاح نفسه وأهله ومن حوله ينجيهِ من المصائب الدنيوية والأخروية، ﴿ إِلَّا آءَالَ لُوطِ إِنَّا لَمَنَّا جُوهْمُ أَجْمَعِينَ ﴾.
٣. لا قيمة للنسب ولا المصاهرة إذا عدم الإيمان، ﴿ إِلَّا أَمْرَانَهُ وَقَدْ زَنَّا بِمَا لَمَنَّا الْعَذِيبِينَ ﴾.

الآية (٥٢-٧٠): يُخَبِّرُ تَعَالَى عَنْ مَجِيءِ قَوْمِ لُوطٍ لَمَّا عَلِمُوا بِأُضْيَافِهِ وَصَبَاحَةِ وَجُوهِهِمْ، وَأَنَّهُمْ جَاؤُوا مُسْتَبْشِرِينَ بِهِمْ فَرَحِينَ.

﴿قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءَ صَبِيٌّ فَلَا تَفْضَحُونِ ۖ﴾ ٥٦ ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا اللَّهَ وَلَا تُخْزَوْنَ﴾ وهذا إنما قاله لهم قبل أن يعلم بأنهم رُسل الله - كما قال في سياق سورة هود<sup>(١)</sup> - وأما ههنا فتقدم ذكر أنهم رسل الله، وعطف بذكر مجيء قومه ومُحَاجَّتِهِ لَهُمْ، ولكن الواو لا تقتضي الترتيب، ولا سيما إذا دلَّ دليل على خلافه. فقالوا له مجيبين: ﴿أَوَلَمْ نُنْهَكْ عَنِ الْمَلَائِكَةِ﴾ أي: أوما نهييناك أن تُضَيِّفَ أَحَدًا؟!

الآية (٥٢-٥٦): ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلِّمْنَا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾ أي: خائفون. وقد ذكر سبب خوفه منهم لَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَى مَا قَرَّبَهُ لَهُمْ ضِيَافَةً، وهو العجل السمين الحنيد.

﴿قَالُوا لَا تَوْجَلْ﴾ أي: لا تخف ﴿وَبَشِّرُوهُ بِمَلِكٍ عَلِيمٍ﴾ [الذاريات: ٢٨] وهو إسحاق عَلَيْهِ السَّلَامُ، كما تقدم في سورة هود.

ثم قال متعجبًا من كِبَرِهِ وَكِبَرِ زَوْجَتِهِ وَمُتَحَقِّقًا لِلوَعْدِ: ﴿أَبَشِّرْتُمُونِي عَلَى أَن مَسَّيَ إِلَيْكَ قَوْمٌ يُبَشِّرُونَ﴾ فأجابوه مُؤَكِّدِينَ لِمَا بَشَّرُوهُ بِهِ تَحْقِيقًا وَبَشَارَةً بَعْدَ بَشَارَةٍ، ﴿قَالُوا بَشِّرْ نَكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْفَظِيعِينَ﴾ فأجابهم بأنه ليس يَقْطَعُ، ولكن يرجو من الله الولد، وإن كان قد كَبُرَ وَأَسْنَتُ أَمْرَانَهُ، فإنه يعلم من قدرة الله ورحمته ما هو أبلغ من ذلك.

الآية (٥٧-٦٠): يقول تعالى إخبارًا عن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا دَخَبَ عَنْهُ الرُّوعُ وَجَاءَتْهُ الْبَشْرَى: إِنَّهُ شَرَعَ بِسَالِحِهِمْ عَمَّا جَاؤُوا لَهُ، فقالوا: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ ثَمُودَ نَبِيًّا﴾ يعنون: قوم لوط. وأخبروه أنهم سَيَبْجُونَ آلَ لُوطٍ مِنْ بَيْنِهِمْ إِلَّا امْرَأَتَهُ فإِذَا مِنَ الْمُهْلَكِينَ؛ ولهذا قالوا: ﴿إِلَّا أَمْرَأَتَهُ، فَذَرْنَاهَا لِمَا كُنَّ الْفَاسِيَّةَ﴾ أي: الباقين المهلكين.

الآية (٦١-٦٤): يخبر تعالى عن لوط لَمَّا جَاءَتْهُ الْمَلَائِكَةُ فِي صُورَةِ شِبَابٍ حِسَانٍ الْوُجُوهِ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ دَارَهُ، ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّشْكِرُونَ﴾ ٦١ ﴿قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ يعنون: بعدايمهم وهلاكهم ودمارهم الذي كانوا يَشْكُونُ فِي وَقُوعِهِ بِهِمْ، وحلوله بساحتهم، ﴿وَأَيُّنَكَ بِالْحَقِّ﴾ كما قال تعالى: ﴿مَا نُنْزِلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الحجر: ٨].

وقوله: ﴿وَأِنَّا لَمُنذِرُونَ﴾ تأكيد لخبرهم إياه بما أخبروه به، من نجاته وإهلاك قومه.

الآية (٦٥-٦٦): يذكر تعالى عن الملائكة أنهم أمروه أن يسري بأهله بعد مُضِيِّ جَانِبٍ مِنَ اللَّيْلِ، وَأَن يَكُونَ لُوطٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَمْشِي وَرَاءَهُمْ؛ لِيَكُونَ أَحْفَظَ لَهُمْ. وهكذا كان رسول الله ﷺ يَمْشِي فِي الْغَزْوِ، وَإِنَّا يَكُونُ سَاقَةً، يُرْجِي الضَّعِيفَ، وَيُجَلِّلُ الْمُنْقَطِعَ.

وقوله: ﴿وَلَا يَلْفُتْ سِكْرًا أَحَدٌ﴾ أي: إذا سمعتم الصيحة بالقوم فلا تلتفتوا إليهم، وذروهم فيما حلَّ بهم من العذاب والنكال، ﴿وَأَمْسُوا حَيْثُ تَوَمَّرُونَ﴾ كأنه كان معهم من يديهم السبيل، ﴿وَفَضَّلْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ﴾ أي: تقدمنا إليه في هذا، ﴿أَنْتَ دَابِرُ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾ أي: وقت الصباح؛ كما قال في الآية الأخرى: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ [هود: ٨١].

(١) آيتا سورة هود هما: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيقَهُ بِهِمْ وَصَاقٍ يَوْمَ ذُنُوبِهِمْ قَالَ هَذَا يَوْمُ عَصَابَتِي ۖ أَيْسَرُ قَوْمُهُ يَعْنُونَ إِلَيْهِ وَيَنْقَلِبُونَ إِلَيْهِ قَالُوا يَنْقَلِبُ هَؤُلَاءَ لَنَا قَالُوا أَتَأْتِيهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَلَاحِزُونَ فِي ضَعُفٍ أَلَيْسَ مِنْكُمْ ضَعُفٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ٧٧، ٧٨].

(١) طريقٌ مَهْيَعٌ: أى: بَيِّنٌ [القاموس المحيط، مادة: (هيع)].



## ● الوقفات التدريبية

❶ ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٌ لِّمُتَوَكِّئِينَ﴾

وذلك يكون بجودة الفريضة، وحدة الخاطر، وصفاء الفكر... وتفرغ القلب من حشو الدنيا، وتطهيره من ادناس المعاصي، وكدورة الأخلاق، وفضول الدنيا. القرطبي: ١٢/٢٣٤.

السؤال: كيف يصل العبد للتوسم والفراسة الصادقة؟

❷ ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسِلِينَ﴾

كذبوا صالحاً نبياً عليهم - عليه السلام - ومن كذب برسول فقد كذب بجميع المرسلين؛ ولهذا أطلق عليهم تكذيب المرسلين. ابن كثير: ٢/٥٣٦.  
السؤال: كيف كذب أصحاب الحجر جميع المرسلين مع أنهم لم يكذبوا إلا صالحاً؟

❸ ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَتَاعُهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾

من الأموال، والحصون في الجبال، ولا ما أعطوه من القوة. القرطبي: ١٢/٢٤٩.

السؤال: هل يدفع الغنى أو القوة المادية العذاب عن العبد أو عن الدول؟

❹ ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾

دون الصبر الذي ليس بجميل؛ وهو الصبر في غير محله، فلا يصبر حيث اقتضى المقام العقوبة، كعقوبة المعتدين الظالمين الذين لا ينفع فيهم إلا العقوبة. السعدي: ٤٣٤.

السؤال: هل هناك صبر غير جميل؟ وما هو؟

❺ ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَنَافِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾

عن أبي سعيد بن الملقى قال: قال رسول الله ﷺ: «(الحمد لله رب العالمين) هي السبع المانني، والقرآن العظيم الذي أوتيته». الألويسي: ١٤/٤٣٢.

السؤال: ما السبع المانني المذكورة في الآية؟

❻ ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾

(لا تمدن عينيك) أي: لا تنظر إلى ما متعننا به في الدنيا؛ كأنه يقول: قد آتيناك السبع المانني، والقرآن العظيم؛ فلا تنظر إلى الدنيا؛ فإن الذي أعطيناك أعظم منها. ابن جزي: ١/٤٥٥.

السؤال: في هذه الآية منهج في تركيبة النفس تضمن عدة وصايا، بينها.

❼ ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾

أي: إلى جانبك لمن آمن بك، وتواضع لهم؛ وأصله أن الطائر إذا ضم فرخه إلى نفسه بسط جناحه ثم قبضه على الفرخ، فجعل ذلك وصفاً لتقريب الإنسان أتباعه. القرطبي: ١٢/٢٥٤.

السؤال: كيف تكون علاقة المؤمن مع إخوانه المؤمنين؟

قَالَ هَؤُلَاءِ بِمَا أَن كُفِّرُوا فَعِلِينَ ﴿١٥﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٦﴾ فَأَخَذْتُهُمُ الصَّيْحَةُ مُمْسِقِينَ ﴿١٧﴾ فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمَ سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَابًا رَّيْنٌ سَجِيلٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ ﴿١٩﴾ وَأَنَّا لَإِلْسِيلٌ مُّقْبِرٌ ﴿٢٠﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمُؤْمِنِينَ ﴿٢١﴾ وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَيْنَا فِيهَا مَارْمِثِينَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسِلِينَ ﴿٢٤﴾ وَءَاتَيْنَهُمْ آيَاتِنَا فَكَأَنَّهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٢٥﴾ وَكَأَنَّهُمْ يَتَجَحَّدُونَ مِنَ الْجِبَالِ يَبُوءُونَ أَنَّهُمْ مُّصَيَّرُونَ ﴿٢٦﴾ فَأَخَذْتُهُمُ الصَّيْحَةُ مُمْسِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآيَةٌ قَاصِصَةٌ فَاصْفَحْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَنَافِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴿٣١﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٢﴾ وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴿٣٣﴾ كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴿٣٤﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
لَعَمْرُكَ	قَسَمَ مِنَ اللَّهِ بِحَيَاةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
سَكْرَتِهِمْ	غَفْلَتِهِمْ.
يَعْمَهُونَ	يَتَرَدَّدُونَ مُتَحِيرِينَ.
لِّمُتَوَسِّمِينَ	لِلنَّاطِلِينَ، الْمُتَبَرِّجِينَ.
الْمُقْتَسِمِينَ	الَّذِينَ قَسَمُوا الْقُرْآنَ فَأَمَّنُوا بِبَعْضٍ، وَكَفَرُوا بِبَعْضٍ.

## ● العمل بالآيات

١. سل الله تعالى أن يرزقك الفراسة، وإبدل أسبابها؛ وهي: تقوى الله، ومخالفة هوى النفس، ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٌ لِّمُتَوَكِّئِينَ﴾.
٢. اقرأ سورة الفاتحة متديراً لها، واستخرج من كل آية فائدة، ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَنَافِي﴾.
٣. عامل إخوانك المسلمين - خاصة الخدم والعمال - بلطف وبشاشة، ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

## ● التوجيهات

١. المبالغة في حب زينة الدنيا قد تفقد الإنسان عقله، ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.
٢. من أحبه الله شغله بالباقيات الصالحات عن زينة الدنيا، ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَنَافِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ (٣١) لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ.
٣. قوة البناء والصناعة لا تغني شيئاً إذا وقع غضب الله، ﴿وَكَأَنَّهُمْ يَتَجَحَّدُونَ مِنَ الْجِبَالِ يَبُوءُونَ أَنَّهُمْ مُّصَيَّرُونَ﴾ (٢٦) فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ.



القارى  
الصوتى

## ● الوقفات التحذيرية

﴿ فَرِيكَ لَسْتَ لَهُمْ أَجْمِينَ ﴾ ﴿ عَاكَأُوا يَمْلُكُونَ ﴾

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «لا يسألهم سؤال استخبار واستعلام: هل عملتم كذا وكذا؟ لأن الله عالم بكل شيء، ولكن يسألهم سؤال تقييد وتوبيخ». القرطبي: ٢٠١/١٢.

السؤال: ما نوع سؤال الله للكافرين عن أعمالهم يوم القيامة؟

﴿ إِنَّا كُنَّا لَنَسْتَهْزِئُ بِكَ ﴾

وهذا وعد من الله لرسوله أن لا يضربه المستهزون، وأن يكفيه الله إياهم بما شاء من أنواع العقوبة، وقد فعل تعالى؛ فإنه ما تظاهر أحد بالاستهزاء برسول الله ﷺ، وبما جاء به إلا أهلكه الله، وقتله شر قتلة: السعدي: ٤٣٥.

السؤال: لقد وعد الله رسوله ﷺ أن يكفيه المستهزئين، فكيف يتحقق هذا الوعد؟ وما حكم من استهزا بالرسول ﷺ؟

﴿ إِنَّا كُنَّا لَنَسْتَهْزِئُ بِكَ ﴾ ﴿ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾

وفي وصفهم بذلك (أي: بالشرك) تسلية لرسول الله ﷺ، وتهوين للخطب عليه، عليه الصلاة والسلام، بالإشارة إلى أنهم لم يقتصروا على الاستهزاء به ﷺ، بل اجتروا على العظيمة التي هي الإشراك به سبحانه. الألوسي، ٤٤١/٤.

السؤال: في وصفهم بالشرك بعد بيان كفاية الله تعالى لنبيه من شرهم وإذا هم فائدة فما هي؟

﴿ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِيْتُ ﴾

كان عمر بن عبد العزيز يقول: «ما رأيت يقيناً أضبه بالشك من يقين الناس بالموت، ثم لا يستعدون له؛ يعني كأنهم فيه شاكون». القرطبي: ٢٠١/١٢.

السؤال: ماذا يفيد المؤمن من تسمية الله تعالى للموت باليقين في هذه الآية؟

﴿ أَنَّهُ أَمْرٌ أَلَدٌ ﴾

يخبر تعالى عن اقتراب الساعة ودنوها، مُعَبِّراً بصيغة الماضي الدال على التحقيق والوقوع لا محالة. ابن كثير: ٥٤١/٢.

السؤال: لماذا قال الله سبحانه: (أتى أمر الله) بصيغة الماضي، ولم يقل: «سيأتي أمر الله»؟ وماذا يفيد المؤمن من ذلك؟

﴿ يُزِيلُ الْمَلٰٓئِكَةُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَن مَّنْ يَّشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾

سماه روحاً؛ لأنه يحيي به القلوب. البغوي: ٦٠٤/٢.

السؤال: لم سمى الله تعالى الوحي روحاً؟

﴿ وَالَّذِينَ خَلَقْنَا لَكُمْ فِيهَا دِفًا وَمَنْفَعًا لَّكُمْ فِيهَا دِفًا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾

ولكم فيها جمال حيث تريحون وحين ترحون

هذه السورة تسمى سورة النعم؛ فإن الله ذكر في أولها أصول النعم وقواعدها، وفي آخرها متمماتها ومكملاتها. السعدي: ٤٣٥-٤٣٦.

السؤال: تُسمَّى سورة النحل بسورة النعم، فما سبب هذه التسمية؟

الَّذِينَ جَعَلُوا الْفِتْنَةَ أَنْ عَصَيْتَ ﴿١١﴾ فَرِيكَ لَسْتَ لَهُمْ أَجْمِينَ ﴿١٢﴾ عَاكَأُوا يَمْلُكُونَ ﴿١٣﴾ فَاصْصِعْ يَمَّا تَأْمُرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿١٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١٨﴾ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِيْتُ ﴿١٩﴾

سُورَةُ النَّحْلِ ﴿١٦﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَنَّ أَمْرَ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١١﴾ يُزِيلُ الْمَلٰٓئِكَةُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَن مَّنْ يَّشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُوا ﴿١٢﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٣﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿١٤﴾ وَالْأَنْعَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تَرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿١٦﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
عَصِيئٌ	أَجَزَاءٌ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: سِحْرٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: كِهَانَةٌ، وَغَيْرَ ذَلِكَ.
فَاصْصِعْ	فَاجْهَرْ.
بِالرُّوحِ	بِالْوَحْيِ.
خَصِيمٌ	شَدِيدُ الْخُصُومَةِ.
تُرِيحُونَ	تَرْوُونَهَا إِلَى مَبَارِكِهَا وَخَطَائِرِهَا فِي الْمَسَاءِ.
تَسْرَحُونَ	تُخْرِجُونَهَا لِلْمَرْعَى فِي الصَّبَاحِ.

## ● العمل بالآيات

١. تشارك مع بعض زملائك أو أحد أقاربك في أمر بمعروف أو نهي عن منكر، ﴿ فَاصْصِعْ يَمَّا تَأْمُرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾.
٢. اجمع النعم الواردة في سورة النحل، ثم تأمل فيها حتى تدرك مقصد هذه السورة؛ وهو تعداد النعم، ﴿ وَالَّذِينَ خَلَقْنَا لَكُمْ فِيهَا دِفًا وَمَنْفَعًا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾.
٣. اقرأ عن أشراف الساعة الصغرى والكبرى، ﴿ أَنَّهُ أَمْرٌ أَلَدٌ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾.

## ● التوجيهات

١. أهمية الجهر بالحق وبيانه لا سيما إذا لم يكن هناك اضطهاد أو مفسد تزيد على مصلحة قول الحق، ﴿ فَاصْصِعْ يَمَّا تَأْمُرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾.
٢. التسبيح والسجود يشرحان الصدر، ويزيلان الضيق والكدر عن النفس، ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾ ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴾.
٣. العبادة مستمرة حتى يأتي الأجل، ﴿ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِيْتُ ﴾.

أسنمة، ﴿وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ أى: غدوة حين تبعثونها إلى المرعى.



(١) لعل ابن كثير أختَرَ تفسيرَ هذا المقطع إلى هذا الموضع لانصال الكلام قبله بعضه ببعض، وإلا فاللفظة جزء من الآية رقم (٥) الواردة بالصفحة السابقة.



## ● الوقفات التدريبية

❶ ﴿وَالْخَيْلَ وَالْإِبَالَ وَالْحَمِيرَ لِرِكْبَوهَا زِينَةً﴾

أي: تارة تستعملونها للضرورة في الركوب، وتارة لأجل الجمال والزينة، ولم يذكر الأكل لأن الإبل والحمر محرم أكلها، والخيل لا تستعمل في الغالب للأكل. السعدي: ٤٣.

السؤال: لماذا لم يذكر الأكل من منافع هذه الأشياء المذكورة؟

❷ ﴿وَالْخَيْلَ وَالْإِبَالَ وَالْحَمِيرَ لِرِكْبَوهَا زِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾

(ويخلق ما لا تعلمون): مما يكون بعد نزول القرآن من الأشياء التي يركبها الخلق في البر، والبحر، والجو، ويستعملونها في منافعهم، ومصالحهم؛ فإنه لم يذكرها بأعيانها لأن الله تعالى لا يذكر في كتابه إلا ما يعرفه العباد، أو يعرفون نظيره، وأما ما ليس له نظير فإنه لو ذكر لم يعرفوه، ولم يفهموا المراد منه؛ فيذكر أصلاً جامعاً يدخل فيه ما يعلمون وما لا يعلمون؛ كما ذكر نعيم الجنة: سمي منه ما نعلم ونشاهد نظيره؛ كالنخل، والأعناب، والرمان، وأجمل ما لا نعرف له نظير. السعدي: ٤٣٦.

السؤال: ما طريقة القرآن في ذكر النعم الغيبية من خلال الآية؟

❸ ﴿وَالْخَيْلَ وَالْإِبَالَ وَالْحَمِيرَ لِرِكْبَوهَا زِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾

❹ ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَايزٌ﴾

لما ذكر تعالى من الحيوانات ما يسار عليه في السبل الحسية، بُدئ على الطرق المعنوية الدينية، وكثيراً ما يقع في القرآن العبور من الأمور الحسية إلى الأمور النافعة الدينية. ابن كثير: ٥٤٤/٢.

السؤال: ما علاقة الآيتين المذكورتين ببعضهما البعض؟

❺ ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَايزٌ وَلَوْ شَاءَ هَدَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾

لما ذكرت نعمة تيسير السبيل الموصلة إلى المقاصد الجماعية ارتقي إلى التذكير بسبيل الوصول إلى المقاصد الروحية؛ وهو سبيل الهدى، فكان تعهد الله بهذه السبيل نعمة أعظم من تيسير المسالك الجماعية؛ لأن سبيل الهدى تحصل به السعادة الأبدية. ابن عاشور: ١١٢/٤.

السؤال: أيهما أعظم النعم الحسية، أو الروحية؟ ولماذا؟

❻ ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَايزٌ وَلَوْ شَاءَ هَدَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾

(وعلى الله قصد السبيل) أي: على الله تقويم طريق الهدى بنصب الأدلة، وبعث الرسل. ابن جزي: ٥٩٩/١.

السؤال: في هذه الآية مظهر من مظاهر رحمة الله، وضح.

❼ ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لَكُمْ كَلًّا إِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْهُ جَلِيدٌ تَلْبَسُونَ﴾

تسخير البحر هو: تمكين البشر من التصرف فيه، وتذليله بالركوب والإفراء وغيره، وهذه نعمة من نعم الله علينا؛ فلو شاء سلطه علينا، وأغرقنا. القرطبي: ١٢/٢٩٤.

السؤال: بين نعمة الله تعالى لعباده بتسخير البحر.

❽ ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلَتَبْتَغُوا مِنْ قَبْلِهِ﴾

(وترى الفلك مواخر فيه): قال قتادة: مقبلته ومدبرة؛ وهو أنك ترى سفينتين: إحدهما: قبيل، والآخرى تدبر، تجريان بريح واحدة. البغوي: ٦٠٨/٢.

السؤال: بين عظيم نعمة الله وقدرته في تسخير الفلك.

وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَوِّفٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾ وَالْخَيْلَ وَالْإِبَالَ وَالْحَمِيرَ لِرِكْبَوهَا زِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَايزٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿٨﴾ يُنْزِلُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٩﴾ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنَّجْمُ مَسْحَرَتٌ بِأَمْرِ عِزَّتٍ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لَكُمْ لَواًئِمَهُ لِحِمَاطِرِنَا وَتَسْتَخْرِجُوهَا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُوهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلَتَبْتَغُوا مِنْ قَبْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
أَثْقَالَكُمْ	أَمْعَتَكُمْ الثَّقِيلَةَ.
جَائِزٌ	مَائِلٌ عَنِ الْحَقِّ.
فِيهِ تُسِيمُونَ	فِي الشَّجَرِ تَرَعُونَ دَوَابَّكُمْ.
ذَرَأَ	خَلَقَ.
مَوَاجِرَ فِيهِ	السُّفُنَ الْجَوَارِي فِيهِ تَشُقُّ وَجْهَ الْمَاءِ.

## ● العمل بالآيات

- عدد ثلاثاً من نعم الله علينا بالمرائب، ثم اشكر الله تعالى على ذلك، ﴿وَالْخَيْلَ وَالْإِبَالَ وَالْحَمِيرَ لِرِكْبَوهَا زِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.
- إذا ركبت الدابة قل: «بسم الله، الحمد لله، سبحان الذي سخر لنا هذا، وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون»، ﴿وَالْخَيْلَ وَالْإِبَالَ وَالْحَمِيرَ لِرِكْبَوهَا زِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.
- تفكر فيما ينبت من ثمار مختلفة، والجميع يسقى بماء واحد، ثم اشكر الله على نعمه، ﴿يُنْزِلُ لَكُمْ مِنَ الزَّرْعِ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

## ● التوجيهات

- من أجل نعم الله تعالى على العباد: إنزال الماء من السماء؛ فيه حياة كل شيء، ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾.
- النجوم لا تملك أمر نفسها، فمن باب أولى أنها لا تضر ولا تنفع غيرها، فإنه سبحانه يتجه الدعاء، ﴿وَالنَّجْمُ مَسْحَرَتٌ بِأَمْرِ رَبِّهِ﴾.
- كن عبداً شكوراً؛ كلما مرت بك نعمة شكرت الله عليها، ﴿وَلَتَبْتَغُوا مِنْ قَبْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.



## ١ الوقفات التحذيرية

﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوًى أَنْ يَدُبَّ بَكُمْ وَيَنْزِعَ مِنْكُمْ لَكُمُ تَهْنُوتٌ﴾

وبه هذه الآية أدل دليل على استعمال الأسباب: القرطبي: ٣٠٥/١٢.

السؤال: هل التوكل على الله ينلني الأخذ بالأسباب؟ وضع ذلك.

﴿وَأَنْ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

(وإن تعدوا نعمة الله) عددا مجردا عن الشكر (لا تحصوها)، فضلا عن كونكم تشكرونها؛ فإن نعمه الظاهرة والباطنة على العباد بعدد الأنفاس واللحظات، من جميع أصناف النعم مما يعرف العباد، ومما لا يعرفون، وما يدفع عنهم من النقم فأكثر من أن تحصي، (إن الله لغفور رحيم) يرضى منكم باليسير من الشكر مع إنعامه الكثير. السعدي: ٤٣٧.

السؤال: لماذا ختمت الآية بصفتي الغفور الرحيم؟

﴿وَأَنْ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

ذكر من أول السورة إلى هنا أنواعا من مخلوقاته تعالى على وجه الاستدلال بها على وحدانيته، ولذلك أعقبها بقوله: (أفمن يخلق كمن لا يخلق)، وفيها أيضا تعداد لنعمه على خلقه؛ ولذلك أعقبها بقوله: (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها)، ثم أعقب ذلك بقوله: (إن الله لغفور رحيم) أي: يغفر لكم التقصير في شكر نعمه. ابن جزي: ٤٦١/١.

السؤال: ما وجه التعقيب بقوله: (إن الله لغفور رحيم)؟

﴿وَأَلَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُنْجِسُونَ﴾

يخبر تعالى أنه يعلم الضمائر والسرائر كما يعلم الظواهر، وسيجزي كل عامل بعمله يوم القيامة: إن خيرا أفعيل، وإن شرا ففسد. ابن كثير: ٥٤٦/٢.

السؤال: ما الفائدة العملية التي تفيدها من معرفة أن الله يعلم ما تسروا وتعلن؟

﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۚ أَمْ تُرْسَاتٌ غَيْرَ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾

قوله سبحانه: (غير أحياء) ... فائدة ذكرهم... أن بعض ما لا حياة فيه قد تعثر به الحياة؛ كالتطفة، هجي به لا احتراز عن مثل هذا البعض، فكانه قيل: هم أموات وغير قابلين للحياة مآلاً. الأنوسي: ٤٨٥/١٤.

السؤال: ما فائدة تأكيد لفظ (أموات) بقوله: (غير أحياء) في التعبير عن

آلهة المشركين؟

﴿لِيُحْجِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾

يُضِلُّونَ مَنْ لَا يَعْلَمُ أَنَّهُمْ ضُلَالٌ عَلَى الْبَاطِلِ، وفيه تنبيه على أن كيدهم لا يروج على ذي نبي، وإنما يضلُّونهم الجهلة الأغبياء، وفيه زيادة تمييز لهم وذك؛ إذ كان عليهم إرشاد الجاهلين لا إضلالهم... واستدل بالآية على أن المقلد يجب عليه أن يبحث ويميز بين الحق والباطل، ولا يُعَدِّزُ بالجهل. الأنوسي: ٤٨٩-٤٩٠.

السؤال: من خلال الآية، تحدث عن مساوئ الجهل والتقليد في أمور الدين.

﴿وَأَتَتْهُمْ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾

أي: من حيث ظنوا أنهم في أمان. القرطبي: ٣١٤/١٢.

السؤال: هل يأتي العذاب غالبا من الجهات المأمونة، أم المخوفة؟

وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوًى أَنْ يَدُبَّ بَكُمْ وَأَنْتُمْ وَهْلًا ۚ وَلَكُمْ تَهْنُوتٌ ۚ وَأَفْصَحَ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۚ وَأَنْ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۚ أَمْ تُرْسَاتٌ غَيْرَ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ۚ إِلَهُكُمْ إِلَهٌُ وَاحِدٌ ۚ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ۚ لَأَحْجَمَ آتِ اللَّهِ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ۚ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أُنْزِلَ لَكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۚ لِيُحْجِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ أَلَا سَاءَ مَا يَزِينُونَ ۚ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۚ فَأَنَّى اللَّهُ بَيِّنَاتُهُمْ مِنَ الْقَوَائِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَتْهُمْ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ۚ

(٢٦١)

## معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
رَوًى	جبالاً ثوابت.
أَنْ يَدُبَّ	لئلاَّ يُدبَّ، وتضطرب.
أَيَّانَ	وقت.
لَأَحْجَمَ	حُفَا.
أَسَاطِيرُ	قِصَص، وَأَبَاطِيلُ.
أَوْزَارُهُمْ	أثامهم.
فَخَرَّ	فَسَقَطَ.

## العمل بالآيات

١. أرسل رسالة تبين فيها أن من يدعون من دون الله تعالى لا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعاً، فضلاً عن أن يملكوهم غيرهم: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۚ أَمْ تُرْسَاتٌ غَيْرَ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾.
٢. استعد بالله من الكبر والاستكبار، ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾.
٣. استغفر الله من كل رسالة أو خبر أو قصة نشرتها؛ فيها إثم؛ فإنك تحمل وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة: ﴿لِيُحْجِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾.

## التوجيهات

١. لن تستطيع شكر جميع النعم؛ ولكن كن من عباد الله الشكورين؛ أي: المكتنين للشكر، ﴿وَأَنْ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْهَا﴾.
٢. احذر أن تحمل أوزار غيرك يوم القيامة؛ وذلك بأن تدل غيرك على معصية أو تذكره بها، ﴿لِيُحْجِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِينُونَ﴾.
٣. لا يحق المكبر السب إلا بأهله، ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَنَّ اللَّهَ بَيِّنَاتُهُمْ مِنَ الْقَوَائِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾.

مُتَعَجِّبِينَ مِنْ ذَلِكَ: ﴿اجْعَلِ الْآيَةَ الْهَادِيَةً إِنَّ هَذَا لَنُفْعٌ عَجَابٌ﴾ [ص:٥٠] وقال: ﴿وَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ حَدهُ أَسْمَانًا تُلَوِّحُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذَكَرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَعْجِلُونَ﴾ [الزمر:٤٥].

وقوله: ﴿وَهُمْ يُسْتَكْبَرُونَ﴾ أي: عن عبادة الله مع إنكار قلوبهم لتوحيده، كما قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُسْتَكْبَرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَرْجُلُونَ مِنْ جَهَنَّمَ دَٰخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]، ولهذا قال ههنا: ﴿لَا جَرَمَ﴾ أي: حقاً ﴿أَنَّكَ أَنتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَمَا يَشْرُونَ وَمَا يُغْنُونُ﴾ أي: وسيجزيم على ذلك أتم الجزاء، ﴿إِنَّهُ لَا يَحِثُّ أَلَمُ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾.

الآية (٢٤-٢٥): يَقُولُ تَعَالَى: وَإِذَا قِيلَ لَهُوَالَّذِينَ: ﴿عَذَابًا أُنْزِلَ رَسُولُكَ قَالُوا﴾ مُعْرِضِينَ عَنِ الْجَوَابِ: ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أَي: لَمْ يَنْزِلْ شَيْئًا، إِنَّمَا هَذَا الَّذِي يُنْتَلَى عَلَيْنَا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ، أَي: مَأْخُوذٌ مِنَ كُتُبِ الْمُتَقَدِّمِينَ: كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أَسْتَنْبَحَهَا فَوَيْ تَمَثَّلَ عَلَيْهِ بُكَرَةً وَأَصِيلًا ﴿الفرقان: ٥﴾ أَي: يَقْتَرِنُونَ عَلَى الرُّسُلِ، وَيَقُولُونَ فِيهِ أَقْوَالًا مُخْتَلَفَةً مُتَضَادَّةً، كُلُّهَا بَاطِلَةٌ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَنْظِرْ كَيْفَ صَرَّفُوا لَكَ الْأَمْثَلُ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيحًا﴾ ﴿الفرقان: ٩﴾ وَذَلِكَ أَنَّ كُلَّ مَنْ خَرَجَ عَنِ الْحَقِّ فِيهَا قَالَ أَخْطَأَ. قَالَ تَعَالَى: ﴿يَلْحِمْلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أَي: إِنَّمَا قَدَرْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ يَقُولُوا ذَلِكَ فَيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَهُمْ وَيُؤَقِّفُونَهُمْ، أَي: يَصِيرُ عَلَيْهِمْ خَطِيئَةُ ضَلَالِهِمْ فِي أَنْفُسِهِمْ، وَخَطِيئَةُ إِغْوَائِهِمْ لغيرِهِمْ وَاقْتِدَاءِ أَوَّلِكَ بِهِمْ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ اتَّبَعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ اتَّبَعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا» [رواه مسلم]. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: يَحْمِلُونَ أَثْقَالَهُمْ: ذُنُوبَهُمْ وَذُنُوبَ مَنْ أَطَاعَهُمْ، وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ أَطَاعَتُهُمْ مِنَ الْعَذَابِ شَيْئًا.

الآية (٢٦): قال ابن عباس في قوله: ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ قال: هو نمرود الذي بنى الصرح. وقال آخرون: هذا من باب المثل، لإبطال ما صنعه هؤلاء الذين كفروا بالله وأشركوا في عبادته غيره، كما قال نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا كَبِيرًا﴾ [نوح: ٢٢] أي: احتالوا في إضلال الناس بكل حيلة، وأمالوهم إلى تركهم بكل وسيلة، كما يقول لهم أتباعهم يوم القيامة: ﴿بَلْ مَكَرُ الْبَلِيلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا﴾ الآية [سبا: ٣٣]. وقوله: ﴿فَأَفَّكَ اللَّهُ مَيْتَنَهُمْ مِنَ الْفَوَاعِدِ﴾ أي: اجتثته من أصله، وأبطل عملهم، كما قال تعالى: ﴿كَلِمَةً أَقْوَمُوا نَارًا لِلْعَرْبِ أُفْلَحُوا اللَّهُ﴾ [الأنعام: ٦٤]. وقوله: ﴿فَأَنذَهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْشِسُوا وَكَذَلِكَ فِي قُلُوبِهِمُ الرَّعْبُ يُجِثُّونَ بِرُءُوسِهِمْ إِلَى الْأَرْضِ وَأَكْبَرُوا الْقَوْمِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [الحجر: ٢]. وقال ههنا: ﴿فَأَفَّكَ اللَّهُ مَيْتَنَهُمْ مِنَ الْفَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَنْتَهُمُ الْعَدَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

الآية (١٥-١٨): ذَكَرَ تعالى الأرض، وما جعل فيها من الرواسي  
الشاخات والجبال الراسيات، لِيَتَرَى الأرضَ وَلَا تَسْجُدَ لَهَا: أي: تضطرب  
بها عليها من الحيوان فلا يهنأ لهم عيش بسبب ذلك؛ ولهذا قال:  
﴿وَالْجِبَالُ أَرْسَاهَا﴾ [النازعات: ٣٢]. وقوله: ﴿وَأَنْتَهَرُوا سُبُلًا﴾ أي: وجعل  
فيها أنهاراً تجري من مكان إلى مكان آخر، رزقاً للعباد، يَبْتَغِ في موضع  
وهو رزق لأهل موضع آخر! فيقطع البقاع والبراري والقفار،  
ويخترق الجبال والآكام، فيصل إلى البلد الذي سُخِّرَ لأهله. وهي  
سائنة في الأرض يمنةً ويسرةً، وجنوباً وشمالاً، وشرقاً وغرباً، ما بين  
صغار وكبار، وأودية تجري حيناً وتنقطع في وقت، وما بين نَبْعٍ وَجَنَعٍ،  
وقوي السير وبطيئه، بحسب ما أراد وقَدَّر، وَسَخَّرَ وَيَسَّرَ، فلا إله إلا  
هو، ولا ربَّ سواه. وكذلك جَعَلَ فيها سُبُلًا، أي: طُرُقاً يسلك فيها  
من بلاد إلى بلاد، حتى إنه تعالى ليقطع الجبل حتى يكون ما بينهما عمراً  
وَسَلْكًا، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا﴾ [الأنبياء: ٣١].

وقوله: ﴿وَعَلَّسَتْ﴾ أي: دلائل من جبال كيار وآكام صفار، ونحو ذلك، يَسْتَدِلُّ بها المسافرون بَرًّا وبحرًا إذا ضَلُّوا الطريق.

﴿وَاللَّجِيمُ هُمْ يَسْتَدُونَ﴾ أي: في ظلام الليل، قاله ابن عباس.  
ثم نُسبَ تعالى على عظمته، وأنه لا تنبغي العبادة إلا له دون ما سواه  
من الأوثان، التي لا تخلق شيئاً بل هم يُخلَقون؛ ولهذا قال: ﴿أَفَمَنْ  
يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾.

ثُمَّ نَبِّهِهُمْ عَلَى كَثْرَةِ نِعْمَةِ عَلَيْهِمْ وَإِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: ﴿رَبِّانَا نَعْتَدُكَ نِعْمَةً أَلَّا تَخْضُوهُمَا إِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أَي: يَتَجَاوَزُ عَنْكُمْ، وَلَوْ طَالَبَكُم بِشُكْرِ جَمِيعِ نِعْمَةِ لَعَجَزْتُمْ عَنِ الْقِيَامِ بِذَلِكَ، وَلَوْ أَمَرَكُمْ بِهِ لَصَعَقْتُمْ وَتَرَكْتُمْ، وَلَوْ عَلَبَكُمْ لَعَذَّبَكُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَكُمْ، وَلَكِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ، يَغْفِرُ الْكَثِيرَ، وَيَجَازِي عَلَى الْيُسْرِ.

وقال ابن جرير: يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ﴾ لِمَا كَانَ مِنْكُمْ مِنْ تَقْصِيرٍ فِي شُكْرِ بَعْضِ ذَلِكَ، إِذَا تُبِيتُمْ وَأَنْبِيتُمْ إِلَى طَاعَتِهِ وَاتِّبَاعِ مَرْضَاتِهِ، رَحِيمٌ بِكُمْ أَنْ يُعَذِّبَكُمْ بَعْدَ الْإِنَابَةِ وَالتَّوْبَةِ.

الآية (١٩-٢١): يُخَيَّرُ تَعَالَى أَنَّهُ يَعْلَمُ الضَّائِرَاتِ وَالسَّائِرَاتِ كَمَا يَعْلَمُ الظَّاهِرَ، وَسَيَجْزِي كُلَّ عَامِلٍ بِعَمَلِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِنَّ خَيْرًا فَخِيرًا، وَإِنْ شَرًّا فَفَشَرٌ، ثُمَّ أَخْبَرَ أَنَّ الْأَصْنَامَ الَّتِي يَدْعُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾، كَمَا قَالَ الْخَلِيلُ: ﴿أَتَدْعُونَ مَا يَكْفُرُونَ ۖ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٥-٩٦]. وقوله: ﴿أَمَرْتُ عِبْرَ لَيْلٍ﴾ ﴿وَمَا شَعَرْتُمْ أَنِّيَأَن يَبْعَثُوكَ﴾ أي: لا يدرون متى تكون الساعة، فكيف يُرِيحُنِي عِنْدَ هَذِهِ نَفْعٌ أَوْ ثَوَابٌ أَوْ جَزَاءٌ؟! إِنَّمَا يُرِيحُنِي ذَلِكَ مِنَ الَّذِي يَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ، وَهُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ.

الآية (٢٢-٢٣): يخبر تعالى أنه لا إله إلا هو الواحد الأحد الفرد الصمد، وأخبر أن الكافرين تُنكير قلوبهم ذلك، كما أخبر عنهم

لَيْسَ وَلَتَحْزَنَهُمْ أَجْرُهُمْ بِأَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿[النحل: ٩٧]،  
أي: من أحسن عمله في الدنيا أحسن الله إليه في الدنيا والآخرة.

ثم أخبروا بأن دار الآخرة خيرٌ، أي: من الحياة الدنيا، والجزاء فيها  
أتم من الجزاء في الدنيا، كما قال تعالى: ﴿وَكَاَلَا لَذِيكَ أَوْتُوا أَلِیَمًا  
وَلَيْسَ لَكُمْ ثَوَابٌ إِلَّاهُ خَيْرٌ﴾ [النصص: ٨٠]، وقال تعالى: ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ  
لِّلْآزْبَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٨]، وقال تعالى: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَثَرٌ﴾ [الاعلى: ١٧]،  
وقال لرسوله ﷺ: ﴿وَلَا آخِرَةَ خَيْرَ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾ [الصحرى: ٤]، ثم وصّفوا  
الدار الآخرة فقالوا: ﴿وَلَيْسَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾.

وقوله: ﴿جَنَّتْ عَدْنٌ﴾ بَدَلٌ مِنْ ﴿دَارِ الْمُتَّقِينَ﴾ أي: لهم في  
الآخرة ﴿جَنَّتْ عَدْنٌ﴾ أي: إقامة ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾.

﴿تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي: بين أشجارها وقصورها ﴿فَمَنْ فِيهَا  
مَا يَشَاءُونَ﴾؛ كما قال تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ  
الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا كَالْعِجَلِ﴾ [الزخرف: ٧١].

﴿كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ﴾ أي: كذلك يجزي الله كلَّ من آمن به  
وآثقه وأحسن عمله. ثم أخبر تعالى عن حالهم عند الاحتضار، أنهم  
طيِّبون، أي: مخلصون من الشرك والذنوب وكل سوء، وأن الملائكة  
تُسَلِّم عليهم وتُشْرِفهم بالجنة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا  
اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَوْا نَسْتَزِلُّ عَلَيْهِمُ التِّلْكَكَ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا  
وَأَنْتُمْ بِالْجَنَّةِ أَنْتُمْ تَعْدُونَ﴾ [نصت: ٣٠].

الآية (٣٣-٣٤): يقول تعالى مُتَهَدِّدًا للمشركين على تمأويلهم في  
الباطل واغترارهم بالدنيا: هل ينتظر هؤلاء إلا الملائكة أن تأتيهم  
بقبض أرواحهم، ﴿أَوْ يَأْتِي أَمْرٌ رَبِّكَ﴾ أي: يوم القيامة وما  
يعانونه من الأهوال.

وقوله: ﴿كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي: هكذا تمادى في  
شركهم أسلافهم ونظراؤهم وأشباههم من المشركين حتى ذاقوا بأس  
الله، وحلُّوا فيها هم فيه من العذاب والنكال.

﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ﴾ لأنه تعالى أَعَذَّر إليهم، وأقام حُجَّتَهُ عليهم  
بإرسال رسله وإنزال كتبه، ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾  
بمخالفة الرسل والتكذيب بما جاؤوا به، فهذا أصابهم عقوبة الله على  
ذلك. ﴿وَمَا يَبْهَمُ﴾ أي: أحاط بهم من العذاب الأليم ﴿وَمَا كَانُوا بِهِ  
يَسْتَهْزِئُونَ﴾ أي: يستخرون من الرسل إذا تَوَعَّدوهم بعقاب الله؛  
لهذا يقال يوم القيامة: ﴿هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ [الطور: ٤].

الآية (٢٧): ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَجْزِيهِمْ﴾ أي: يظهر فضائلهم، وما  
كانت تُجَنِّه ضمائرهم، فيجعله علاية؛ كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْلُغُ السَّكِينَةُ﴾  
[الطارق: ٩] أي: تظهر وتُسْتَهْر. عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ:  
﴿يُنْصَبُ لِكُلِّ غَادِرٍ لَوْاءٌ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ اسْتِهِ بِقَدْرِ غَدْرَتِهِ، يُقَالُ:  
هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانٍ بِنِ فُلَانٍ﴾ [متفق عليه].

وهكذا هؤلاء يظهر للناس ما كانوا يُبْهِرُونَهُ مِنَ الْمَكْرِ، وَيُجْزِيهِمْ  
الله على رؤوس الخلائق، ويقول لهم الربُّ تبارك وتعالى مُقَرَّعًا لهم  
ومُؤَيَّنًا: ﴿إِنَّ شَرْكَاءَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَشْفِقُونَ فِيهِمْ؟ تَحَارِبُونَ  
وَتُعَادُونَ فِي سَبِيلِهِمْ، أَيْنَ هُمْ عَنْ نَصْرِكُمْ وَخَلَاصِكُمْ ههنا؟! هَلْ  
يَصْرُوكُمْ أَوْ يَنْصِرُونَ﴾ [الشعراء: ٩٣]، ﴿قَالَهُ مِنْ قُدُّوْ وَلَا تَكْمِرُ﴾ [الطارق: ١٠].  
فإذا تَوَجَّهَتْ عليهم الحجة، وقامت عليهم الدلالة، وَحَقَّتْ عليهم  
الكلمة، وَأُسْكِنُوا عن الاعتذار حين لا فِرَار ﴿قَالَ الَّذِينَ أُوْتُوا  
الْآيَةَ﴾ وهم السَّادَةُ في الدنيا والآخرة، والمُخْجِرُونَ عن الحقِّ في  
الدنيا والآخرة، فيقولون حَيْثُ: ﴿إِنَّ الْآخِرَةَ الْآيَمَ وَالشَّوْءَ عَلَى  
الْكُفْرَيْنِ﴾ أي: الفضيحة والعذاب اليوم بمن كَفَرَ بالله، وأشْرَكَ به  
ما لا يضرُّه ولا ينفعه.

الآية (٢٨-٢٩): يخبر تعالى عن حال المشركين الظالمين أنفسهم  
عند احتضارهم ومجيء الملائكة إليهم لقبض أرواحهم: ﴿قَالُوا  
أَسْأَلُكَ﴾ أي: أظهروا السمع والطاعة والانقياد قائلين: ﴿مَا كُنَّا  
نَعْمَلُ مِنْ شَيْءٍ﴾ كما يقولون يوم المعاد: ﴿وَاللَّهُ رَبُّنَا مَا كُنَّا مُفْرِكِينَ﴾  
[الأنعام: ٢٣]، ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْشُرُونَ لَهُ كَمَا يَحْشُرُونَ لَكَ﴾ [المجادلة: ١٨].  
قال الله مُكَلِّبًا لهم في قبليهم ذلك: ﴿بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ  
تَعْمَلُونَ﴾ ﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَلِيلِيكُمْ فِيهَا فَلَيْسَ مَثْوًى  
الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ أي: بسبب السَّعْيِ وَالْمَقَامِ وَالْمَكَانِ مِنْ دَارِ هَوَانٍ، لمن  
كان مُتَكَبِّرًا عن آيات الله واتباع رسله. وهم يدخلون جهنم من يوم  
تماتهم بأرواحهم، ويأتي أجسادهم في قبورها من حَرِّهَا وَسُمُومِهَا،  
فإذا كان يوم القيامة سَلَكَتْ أرواحهم في أجسادهم، وَخَلَدَتْ في نار  
جهنم، ﴿لَا يَفْضَنُ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾  
[فاطر: ٣٦]، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُعْرِضُونَ عَلَيْهَا غُڈًا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ  
تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦].

الآية (٣٠-٣٢): هذا خبرٌ عن السعداء، بخلاف ما أخبر به عن  
الاشقياء، فإن أولئك قيل لهم: ﴿مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ﴾ [النحل: ٢٤] فقالوا  
معرضين عن الجواب: لم يُنْزَلْ شَيْءٌ، إنما هذا أساطير الأولين.  
وهؤلاء ﴿قَالُوا خَيْرٌ﴾ أي: أَنْزَلَ خَيْرًا، أي: رحمة وبركة وحسنا  
لمن اتَّبَعَهُ وَأَمَنَ بِهِ.

ثم أَخْبَرُوا عَمَّا وَعَدَ الله عباده فيها أَنْزَلَهُ عَلَى رَسَلِهِ، فقالوا:  
﴿لَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلِذِي الْأَخِرَةِ خَيْرٌ﴾، كما قال  
تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاتٍ



## ● الوقفات التدريبية

١ ﴿ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْإِيمَانُ إِنَّ الْآخِرَىٰ أَلِيمٌ وَالْأَوَّلَىٰ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾

في هذا فضيلة لأهل العلم، وأنهم الناطقون بالحق في هذه الدنيا، ويوم يقوم الأُشهاد، وأن لقولهم اعتباراً عند الله وعند خلقه. السعدي: ٤٣٩.

السؤال: ما فضيلة أهل العلم المذكورة في الآية؟

٢ ﴿ فَأَقْرَأُوا الْقُرْآنَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُورَةٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

وهذا في بعض مواقف القيامة، ينكرون ما كانوا عليه في الدنيا ظناً أنه ينفعهم، فإذا شهدت عليهم جوارحهم، وتبين ما كانوا عليه أقروا واعترفوا؛ ولهذا لا يدخلون النار حتى يعترفوا بذنوبهم. السعدي: ٤٣٩.

السؤال: كيف تجمع بين إنكار المشركين لأعمالهم يوم القيامة

واعترافهم بها؟

٣ ﴿ فَأَدْخَلُوا أَبْرَءَ جَهَنَّمَ ﴾

كُلُّ أَهْلِ عَمَلٍ يَدْخُلُونَ مِنَ الْبَابِ الْإِلَاقِ بِحَالِهِمْ. السعدي: ٤٣٩.

السؤال: أبواب جهنم سبعة، فمن أي باب يدخل أهل النار؟

٤ ﴿ فَأَدْخَلُوا أَبْرَءَ جَهَنَّمَ خَلِيلِيكَ فِيهَا فُلَيْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾

وهم يدخلون جهنم من يوم مماتهم بأرواحهم، وينال أجسادهم في قبورها من حرها وسمومها، فإذا كان يوم القيامة سلكت أرواحهم في أجسادهم، وخلدت في نار جهنم. ابن كثير: ٥٤٨/٢.

السؤال: يمر الكافر بعد مماته بمرحلتين من العذاب، ما هما؟

٥ ﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرٌ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ

الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلِلَّذِينَ تَابُوا رِجْلُهُمْ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴾

وحسنة الدُّنْيَا هي الحياة الطيبة وما فتح الله لهم من زهرة

الدنيا مع نعمة الإيمان. ابن عاشور: ١٤٢/١٤.

السؤال: ما حسنة الدنيا الواردة في الآية الكريمة؟

٦ ﴿ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَمْ يَمَسَّ فِيهَا مَا يَشَاءُ النَّاسُ ذَلِكَ

يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴾

وذكر بعضهم أن تقديم (فيها) للحصر، و(ما) للعموم بقرينة المقام؛ فيفيد أن الإنسان لا يجد جميع ما يريده إلا في الجنة، فتأمل.

الألوسي: ٥٠٠/١٤.

السؤال: كيف ينظر المؤمن إلى ما فاتته من نعيم الدنيا وكمال زينتها؟

٧ ﴿ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ ﴾

طابت قلوبهم بمعرفة الله ومحبته، والسننهم بذكره والثناء عليه،

وجوارحهم بطاعته والإقبال عليه. السعدي: ٤٣٩.

السؤال: كيف تجعل نفسك طيباً عند الموت؟

تُؤْتُوا الْقِيَمَةَ بِخَيْرٍ مِنْهُمْ وَيَقُولُ آتِنَا شُرَكَاءَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْآخِرَىٰ أَلِيمٌ وَالْأَوَّلَىٰ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَقْرَأُوا الْقُرْآنَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُورَةٍ بَلَّغَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ فَأَدْخَلُوا أَبْرَءَ جَهَنَّمَ خَلِيلِينَ فِيهَا فُلَيْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٣﴾ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرٌ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلِلَّذِينَ تَابُوا رِجْلُهُمْ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَمْ يَمَسَّ فِيهَا مَا يَشَاءُ النَّاسُ ذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
يُخْزِيهِمْ	يُفْضِخُهُمْ، وَيُذِلُّهُمْ بِالْعَذَابِ.
تُشَاقُّونَ فِيهِمْ	تُحَارِبُونَ، وَتُجَادِلُونَ الْأَنْبِيَاءَ لِأَجْلِهِمْ.
فَأَقْرَأُوا السَّلَامَ	فَاسْتَسَلِّمُوا لِأَمْرِ اللَّهِ.
مَثْوًى	مَقَرٌّ.
يَنْتَظِرُونَ	يَنْتَظِرُونَ.
وَحَاقَ	وَأَحَاطَ.

## ● العمل بالآيات

١. لا تهجر طلب العلم واحضر اليوم درساً، أو اسمع محاضرة، أو اقرأ كتاباً؛ فإن الله تعالى يرفع أهل العلم في الدنيا والآخرة، ﴿ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْإِيمَانُ إِنَّ الْآخِرَىٰ أَلِيمٌ وَالْأَوَّلَىٰ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾.
٢. حدد عدة أعمال ثبت أن الله أدخل أصحابها بسببها الجنة، وأبدا اليوم بواحد منها، ﴿ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾.
٣. سل الله تعالى حسن الخاتمة، ﴿ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾.

## ● التوجيهات

١. من تلاعب الشيطان بالعقول الضعيفة أن الالتزام بالوحي يعني التخلف، ﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرٌ ﴾.
٢. يشهد العلماء الربانيون يوم القيامة على صنيع أهل الدنيا؛ فعليك بمتابعتهم في الدنيا في معرفة ما يحبه الله ويرضاه، ﴿ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْإِيمَانُ إِنَّ الْآخِرَىٰ أَلِيمٌ وَالْأَوَّلَىٰ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾.
٣. احذر السخرية أو الاستهزاء بالدعاة إلى الله، والعلماء المصلحين، ﴿ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا يَسْتَهْزِئُونَ ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الصَّلَواتِ ﴾  
 لم يرزل تعالى يرسل إلى الناس الرسل بذلك منذ حدث الشرك في بني آدم؛  
 من عهد نوح أول رسول إلى أهل الأرض إلى زمن خاتم النبيين - صلوات  
 الله عليه وعليهم - ودعوة الكل واحدة كما قال تعالى: (وما أرسلنا من  
 قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) [الأنبياء: ٢٥]،  
 وكما أخبر هنا في هذه الآية، فكيف يسوغ لأحد من المشركين بعد هذا  
 أن يقول: (لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء) [القاسمي: ٥١٦/٤].

السؤال: ماذا نقصد من تعاقب الرسل من نوح إلى زمن النبي ﷺ على أمر واحد؟  
 ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلْ وَعَدَ عَلَيْهِ حَقًّا  
 وَلَكِن أَكْثَر النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

ووجه التعجب انهم يظهرون تعظيم الله فيقسمون به، ثم يعجزونه  
 عن بعت الأموات. القرطبي: ٣٢٤/١٢.

السؤال: ما وجه العجب من قسم المكذبين في الآية؟

﴿ وَبَعَثْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَاذِبِينَ ﴾

حين يرون أعمالهم حسرًا عليهم، وما نفعتهم ألهمهم التي يدعون مع الله  
 من شيء لما جاء أمر ربك، وحين يرون ما يعبدون حطبًا لجهنم، وتكون الشمس  
 والقمر، وتتناثر النجوم، ويتضح لمن يعبدونها أنها عبيد مسخرات، وأنهن مفتقرات  
 إلى الله في جميع الحالات. السعدي: ٤٤٠.

السؤال: كيف يعلم الذين كفروا يوم القيامة أن زعماءهم كانوا كاذبين؟

﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَبُوءَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَآخِرُ  
 الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾

ويحتمل أن يكون سبب نزول هذه الآية الكريمة في مهاجرة الحبشة ...  
 تركوا مساكنهم وأموالهم فموضهم الله خيرا منها في الدنيا؛ فإن من  
 ترك شيئا لله عوضه الله بما هو خير له منه، وكذلك وقع ... (لو كانوا  
 يعلمون) أي: لو كان المتخلفون عن الهجرة معهم يعلمون ما ادخر الله لن  
 أطاعه واتبع رسوله. ابن كثير: ٥٥١/٢.

السؤال: من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه، تحدث عن ذلك في ضوء هذه الآية.  
 ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَبُوءَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَآخِرُ  
 الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾

قال قتادة: هم أصحاب النبي ﷺ ظلمهم أهل مكة، وأخرجهم من ديارهم، حتى  
 لحق طائفة منهم بالحبشة، ثم بواهم الله المدينة بعد ذلك؛ فجعلها لهم دار هجرة،  
 وجعل لهم أنصارًا من المؤمنين. القرطبي: ٦١٥/٢.

السؤال: حينما ترى المذنبين والمظلومين في زماننا؛ فبأي آية من كتاب  
 الله تعزيهم؟

﴿ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾

والتعبير في جانب الصبر بالماضي، وفي جانب التوكل بالمضارع إيماء إلى أن  
 صبرهم قد أذن بالانقضاء؛ لانقضاء أسبابه، وأن الله قد جعل لهم فرجا بالهجرة  
 الواقعة، والهجرة الترقية، فهذا بشارة لهم. وأن التوكل ديدنهم؛ لأنهم  
 يستقبلون أعمالا جليلة تتم لهم بالتوكل على الله في أمورهم؛ فهم يكررونه،  
 وفي هذا بشارة بضمان النجاح. ابن عاشور: ٥٩/١٤.

السؤال: لماذا جاء التعبير في جانب الصبر بالفعل الماضي وفي جانب التوكل بالفعل المضارع؟  
 ﴿ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾

(وعلى ربهم يتوكلون)؛ في كل أمورهم. وقال بعض أهل التحقيق:  
 خيار الخلق من إذا نابه أمر صبر، وإذا عجز عن أمر توكل؛ قال الله تعالى:  
 (الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون). القرطبي: ٣٢٨/١٢.

السؤال: ما أبرز صفات خيار الخلق التي ذكرها الله تعالى؟

وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ  
 شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَمَلْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ  
 فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ  
 ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ  
 وَاجْتَنِبُوا الصَّلَواتِ قِمْنَهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمَنْهُمْ مَنْ  
 حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَيَسْأَلُونَ فِي الْأَرْضِ فَنَنْظُرُوا كَيْفَ  
 كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾  
 ﴿ إِن تَحْزَنْ عَلَىٰ هُدَاهُمْ  
 فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الضَّالِّينَ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾  
 ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلْ  
 وَعَدَ عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِن أَكْثَر النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾  
 ﴿ لَيَسَّيْنَّ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ وَلَيَعْلَمَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا  
 أَنََّّهُمْ كَاذِبُونَ ﴾  
 ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ  
 لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾  
 ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا  
 لَنَبُوءَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَآخِرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا  
 يَعْلَمُونَ ﴾  
 ﴿ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
الطَّاعُونَ	مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ
جَهْدُ أَيْمَانِهِمْ	مُجْتَهِدِينَ بِالْحَلِيفِ بِالْعَظْمِ الْأَيْمَانِ.
لَنَبُوءَنَّهُمْ	لَنُنَسِّكُنَّهُمْ.
حَسَنَةً	ذَا رَأَى طَبِيبًا.

## ● العمل بالآيات

١. بلغ أصدقاءك أو إخوانك مسألتهم دافعة اقتداء بالأنبياء، وسيرا على نهجهم،  
 ﴿ فَهَلْ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴾.

٢. حدد ثلاثة من أسباب هلاك الله للمكذبين، ﴿ فَيَسْأَلُونَ فِي الْأَرْضِ فَنَنْظُرُوا  
 كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾.

٣. الهداية لا تكون إلا بعد مشيئة الله وإرادته، فاسأل الله هدايتك، ﴿ إِن تَحْزَنْ  
 عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الضَّالِّينَ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾.

## ● التوجيهات

١. اهتم كثيرا بتوحيد الله سبحانه في تعليمك، وتعليمك، ودعوتك، ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا  
 فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الصَّلَواتِ ﴾.

٢. تأمل في أحوال الأمم السابقة إذا مرت بديارهم، أو قرأت شيئا عنهم؛ فإن ذلك  
 معين على ثبوت التوحيد واستقراره في قلبك، ﴿ فَيَسْأَلُونَ فِي الْأَرْضِ فَنَنْظُرُوا كَيْفَ  
 كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾.

٣. اصبر في عبادتك، وتوكل على الله سبحانه وتعالى في جميع أمورك؛ فإن  
 ذلك سبب للفلاح، ﴿ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾.

يُقَدِّمُهُمْ مِنْ عَذَابِهِ وَوَقَائِهِ، ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

الآية (٣٨-٤٠): يقول تعالى خبراً عن المشركين: أنهم حلفوا فأقسموا ﴿وَاللَّهِ جَهَنَّمَ آتَيْنَاهُمْ﴾ أي: اجتهدوا في الحلف وغلطوا الأيمان على أنه ﴿لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ﴾ أي: استبعدوا ذلك، فكذبوا الرسل في إخبارهم لهم بذلك، وحلفوا على نقيضه. فقال تعالى مكذباً لهم وراذلاً عليهم: ﴿بَلَىٰ﴾ أي: بل سيكون ذلك ﴿وَعَذَابُ عَلِيِّ حَقًّا﴾ أي: لا بد منه، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: فليجهلهم يخالفون الرسل ويقعون في الكفر. ثم ذكر تعالى حكمته في المعاد وقيام الأجساد يوم التناد، فقال: ﴿إِنِّي لَنُفِئُهُمْ﴾ أي: للناس ﴿الَّذِينَ يَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ أي: من كل شيء، ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ﴾ أي: في أيمانهم وأقسامهم: لا يبعث الله من يموت؛ ولهذا يُدْعَوْنَ يوم القيامة إلى نار جهنم دعاءً، وتقول لهم الزبانية: ﴿هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الطور: ١٤]. ثم أخبر تعالى عن قدرته على ما يشاء، وأنه لا يُعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، وإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له: ﴿كُنْ﴾، فيكون، والمعاد من ذلك إذا أراد كونه فلأنما يأمر به مرة واحدة، فيكون كما يشاء. ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ أي: أن يأمر به دفعةً واحدة فإذا هو كائن، أي: أنه تعالى لا يحتاج إلى تأكيد فيما يأمر به؛ فإنه تعالى لا يُنَاقِضُ ولا يُخَالِفُ، لأنه الواحد القهار العظيم، الذي قهر سلطانه وجبروته وعزته كل شيء، فلا إله إلا هو ولا رب سواه.

الآية (٤١-٤٢): يخبر تعالى عن جزائه للمهاجرين في سبيله ابتغاء مرضاته، الذين فارقوا الدار والإخوان والحلآن، رجاء ثواب الله وجزائه. ويُحْتَمَلُ أن يكون سبب نزول هذه الآية الكريمة في مهاجرة الحبشة الذين اشتدَّ أذى قومهم لهم بمكة، حتى خرجوا من بين أظهرهم إلى بلاد الحبشة، ليمتكنوا من عبادة ربهم. وقد فعل فوعدهم تعالى بالمُجَازَاةِ الحسنة في الدنيا والآخرة فقال: ﴿إِنِّي وَفَّيْتُهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ قال ابن عباس: المدينة. وقيل: الرزق الطيب، قاله مجاهد. ولا منافاة بين القولين؛ فإنهم تركوا مسكنهم وأموالهم فعوضهم الله خبراً منها في الدنيا؛ فإن من ترك شيئاً لله عوضه الله بما هو خير له منه، وكذلك وقع؛ فإنهم مكَّن الله لهم في البلاد وحكَّمهم على رقاب العباد، فصاروا أمراء حكاماً، وكلُّ منهم للمعتقين إماماً، وأخبر أن ثوابه للمهاجرين في الدار الآخرة أعظم ممَّا أعطاهم في الدنيا، فقال: ﴿وَلَا جَزَاءَ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ أي: ممَّا أعطيناهم في الدنيا ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أي: لو كان السَّخَلَفُونَ عن الهجرة معهم يعلمون ما أدخر الله لمن أطاعه وأتبع رسوله.

ثم وصفهم تعالى فقال: ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ أي: صبروا على أذى من آذاهم من قومهم، متوكِّلين على الله الذي أحسن لهم العاقبة في الدنيا والآخرة.

الآية (٣٥-٣٧): يخبر تعالى عن اغترار المشركين بما هم فيه من الشرك واعتذارهم حُجَّتَيْنِ بالقدر، في قولهم: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي: من البَحَائِرِ وَالسَّوَائِبِ وَالْوَسَائِلِ وغير ذلك ممَّا كانوا ابتدعوه واخترعوه من تلقاء أنفسهم، ما لم يُنَزَّلْ الله به سلطاناً.

ومضمون كلامهم: أنه لو كان تعالى كارهاً لِمَا فعلنا لأنكره علينا بالعقوبة وَلِمَا مَكَّنَّا منه. قال الله راذاً عليهم شبهتهم: ﴿فَهَلْ عَلَى الرَّسْلِ إِلَّا الْبَلَّغُ النَّسِيحُ؟﴾ أي: ليس الأمر كما تزعمون أنه لم يُعَيِّرْهُ عليكم ولم يُنَكِّرْهُ، بل قد أنكره عليكم أشدَّ الإنكار، ونهاكم عنه أكد النهي، وبعث ﴿فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا﴾ أي: في كل قرن من الناس وطائفة رسولاً، وكلهم يدعو إلى عبادة الله، وينهى عن عبادة ما سواه: ﴿أَبِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الصُّلُوفَ﴾، فلم يُزَلِّ تعالى يُرْسِلْ إلى الناس الرسل بذلك، منذ حَدَّثَ الشرك في بني آدم، في قوم نوح الذين أرسل إليهم نوح، وكان أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض إلى أن ختمهم بمحمد ﷺ الذي طَبَّقَتْ دَعْوَتُهُ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ في المشارق والمغارب، وكلهم كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الصُّلُوفَ﴾، فكيف يَسُوِّغُ لأحد من المشركين بعد هذا أن يقول: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ؟﴾ إفساداً في فميشته تعالى الشرعية مُتَّبِعَةً؛ لأنه نهاهم عن ذلك على السنة رسله، وأما مشيئته الكونية، وهي تمكينهم من ذلك قدرًا، فلا حُجَّةَ لهم فيها؛ لأنه تعالى خَلَقَ النار وأهلها من الشياطين والكفرة، وهو لا يرضى لعباده الكفر، وله في ذلك حجة بالغة وحكمة قاطعة.

ثم إنه تعالى قد أخبر أنه عَيَّرَ عليهم، وأنكر عليهم بالعقوبة في الدنيا بعد إنذار الرسل؛ فلماذا قال: ﴿فَيُعَذِّبُهُم مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّقَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ فَيَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ أي: اسألوا عما كان من أمر من خالف الرسل وكذب الحق كيف دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ وَلِكَيْفِمْ أَمَثَلُهُمْ [محمد: ١٠]، ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا كَذَّبًا كَبِيرًا﴾ [الملك: ١٨]. ثم أخبر الله تعالى رسوله ﷺ أن حرصه على هدايتهم لا ينفعهم إذا كان الله قد أراد إضلالهم، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا﴾ [المائدة: ٤١]، وقال نوح لقومه: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَصْحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُصِيبَكُمْ﴾ [هود: ٣٤]، وقال في هذه الآية الكريمة: ﴿إِنْ تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ﴾، كما قال تعالى: ﴿مَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا حَادٍ لَهُ، وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٦].

فقوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ﴾ أي: شأنه وأمره أنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن؛ فلماذا قال: ﴿لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ﴾ أي: من أضله، فمن الذي يهديه من بعد الله؟! أي: لا أحد، ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرٍ﴾ أي:



وقوله: ﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ فِي تَقْلِبِهِمْ﴾ أي: في تَقْلِبِهِمْ في المعاش واشتغالهم بها، من أسفار ونحوها من الأشغال الملهية.



## ● الوقفات التدريبية

١ ﴿ فَتَنَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

وفي ضميمته تعديل لأهل العلم، وتركيبته لهم؛ حيث أمر بسؤالهم، وإن بذلك يخرج الجاهل من التبعية، فدل على أن الله الثمنهم على وحيه وتنزيله. السعدي: ٤٤١.

السؤال: دلت الآية على فضيلة لأهل العلم، بينها.

٢ ﴿ فَتَنَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٣٧) وَالْيَتِيمَ الَّذِي أَنزَلْنَا إِلَيْنَا الذِّكْرَ

وأفضل أهل الذكر: أهل القرآن العظيم؛ فإنهم أهل الذكر على الحقيقة، وأولى من غيرهم بهذا الاسم؛ ولهذا قال تعالى: (وانزلنا إليك الذكر) أي: القرآن. السعدي: ٤٤٤.

السؤال: أفضل العلماء أقربهم من القرآن، بين هذا من خلال الآية.

٣ ﴿ أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾

(أو يأخذهم على تخوف)، فيه وجهان: أحدهما: أن معناه على تنقص؛ أي: ينتقص أموالهم وأنفسهم شيئا بعد شيء، حتى يهلكوا من غير أن يهلكهم جملة واحدة، ولهذا أشار بقوله: (فإن ربكم لرؤوف رحيم)؛ لأن الأخذ هكنا أخف من غير، وقد كان عمر ابن الخطاب أشكل عليه معنى التخوف في الآية، حتى قال له رجل من هذيل: التخوف: التنقص في لغتنا، والوجه الثاني: أنه من الخوف؛ أي يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا هم ذلك، فيأخذهم بعد أن توقصوا العذاب وخافوه. ابن جزي: ٤٦٥/١.

السؤال: ما المقصود بأخذهم على تخوف؟

٤ ﴿ أَقَامِينَ الَّذِينَ مَكُرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخِفَّ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (٥٠) أَوْ يَأْخُذْهُمْ فِي ثَغْلِيهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾

ولكنه رؤوف رحيم، لا يعاجل العاصين بالعقوبة، بل يمهلهم، ويعافيههم، ويرزقهم، وهم يؤذونه، ويؤذون أوليائه، ومع هذا يفتح لهم أبواب التوبة، ويدعوهم إلى الإقلاع عن السيئات التي تضربهم، ويعدهم بذلك أفضل الكرامات، ومغفرة ما صدر منهم من الذنوب. السعدي: ٤٤١.

السؤال: لماذا ختمت آيات التهديد هذه بالأماء الدالة على الرحمة؟

٥ ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْتِهِمْ وَيَلْعَلُونَ مَا يَأْمُرُونَ ﴾

هنا موضع سجود للقارئ بالاتفاق، وحكمته هنا إظهار المؤمن أنه من الفريق الممدوح بأنه مشابه للملائكة في السجود لله تعالى. ابن عاشور: ١٧١/١٤.

السؤال: ما حكمه سجود التلاوة عند الآية الكريمة؟

٦ ﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَذَكَّرُوا لِلَّذِينَ آتَيْنَا هَؤُلَاءِ وَجِدًا فَإِنِّي فَأَزِيدُنِي وَالْاِقْتِصَارَ عَلَى الْأَمْرِ بِالرَّهْبَةِ، وقصرها على كونها من الله يفهم منه الأمر بقصر الرغبة عليه؛ لدلالة قصر الرهبة على اعتقاد قصر القدرة التامة عليه تعالى. ابن عاشور: ١٧٤/١٤.

السؤال: ما فائدة الاقتصار على الأمر بالرهبة، وقصرها على كونها من الله تعالى وحده؟

٧ ﴿ وَمَا يَكُم مِّنْ تَصَدَّقَ فَإِنَّ اللَّهَ إِذَا مَسَّكُمْ الضَّرُّ فَإِلَيْهِ تَجَعُّونَ ﴾

أي: كيف تتقون غير الله، وما بكم من نعمة فمنه وحده، (فإليه تجارون) أي: ترفعون أصواتكم بالاستغاثة والتضرع. ابن جزي: ٤٦٦/١.

السؤال: كيف تستنبط من هذه الآية أن التوحيد فطرة في الإنسان؟

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِيَ إِلَيْهِ فَتَعْلَمُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَالْيَتِيمَ الَّذِي أَنزَلْنَا إِلَيْنَا الذِّكْرَ لِئَتِيَنَّ النَّاسَ مَا نَزَّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَقَامِينَ الَّذِينَ مَكُرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخِفَّ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٣٩﴾ أَوْ يَأْخُذْهُمْ فِي ثَغْلِيهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٠﴾ أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٤١﴾ أَوْ لَعَلَّكُمْ إِلَى مَا مَخَّلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَتَّحُونَ أَظْلُمُ لَكُمْ الْيَمِينُ وَالشَّمَائِلُ سُوءَ اللَّهُ وَهُوَ ذَاخِرُونَ ﴿٤٢﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ بِكُمْ ﴿٤٣﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْتِهِمْ وَيَقَعْلُونَ مَا يَأْمُرُونَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَذَكَّرُوا لِلَّذِينَ آتَيْنَا هَؤُلَاءِ وَجِدًا فَإِنِّي فَأَزِيدُنِي وَالْاِقْتِصَارَ عَلَى الْأَمْرِ بِالرَّهْبَةِ، وقصرها على كونها من الله يفهم منه الأمر بقصر الرغبة عليه؛ لدلالة قصر الرهبة على اعتقاد قصر القدرة التامة عليه تعالى. ابن عاشور: ١٧٤/١٤.

سورة النمل

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
وَالرُّبُوبِ	الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ
مَكُرُوا السَّيِّئَاتِ	ذَبَرُوا الْمَكَائِدِ
يَتَفَتَّحُونَ	يَمِيلُ
ذَاخِرُونَ	خَاضِعُونَ لِعِظَمَةِ اللَّهِ
وَاصِبًا	دَائِمًا
تَجَارُونَ	تَضْجَعُونَ بِالْذُّعَاءِ

## ● العمل بالآيات

١. اقرأ حديثاً، أو مجموعة أحاديث من كتاب التفسير من صحيح البخاري، وتأمل كيف كان رسول الله ﷺ بين القرآن، ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِئَتِيَنَّ النَّاسَ مَا نَزَّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾.
٢. تعرّف على معنى اسمي الله: (الرؤوف) و (الرحيم)، وادع الله بهما، ﴿ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾.
٣. تذكر نعمة عظيمة أنعم الله بها عليك، ثم قل: «الله انعم علي بكذا»، وإياك ونسبته إلى الخلق أو إلى نفسك، ﴿ وَمَا يَكُم مِّنْ تَصَدَّقَ فَإِنَّ اللَّهَ إِذَا مَسَّكُمْ الضَّرُّ فَإِلَيْهِ تَجَعُّونَ ﴾.

## ● التوجيهات

١. أي مساتلة تجهلها فليكن أن ترجع إلى أهل الاختصاص بها، ولا تأت بشيء من عندك، ﴿ فَتَنَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾.
٢. لن تصل إلى مقاصد القرآن ودقائقه إلا بمعرفة سنة الحبيب ﷺ، ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِئَتِيَنَّ النَّاسَ مَا نَزَّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾.
٣. المصير على معصيته قد ينزل الله به العذاب من حيث لا يشعر ولا يتوقع، ﴿ أَقَامِينَ الَّذِينَ مَكُرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخِفَّ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾.



## ● الوقفات التدريبية

﴿ وَيَعْمَلُونَ لِمَا لَا يَرْجُونَ نَبِيًّا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ ﴾

يجعلون لأصنامهم - التي لا تعلم ولا تنفع ولا تضر - نصيبا مما رزقهم الله، وأنعم به عليهم؛ فاستعانوا برزقه على الشرك به، وتقربوا به إلى أصنام منحوتة السعدي: ٤٢٠.

السؤال: بين مدى حق المشركين في صرفهم القربات للمشركاء من دون الله.

﴿ تَاللَّهِ لَشَأْنُ عَمَّا كُتِبَ لَهُمْ ﴾

فاقسم تعالى بنفسه الكريمة ليسألهم عن ذلك الذي افتروه وانتكفوه، وليقابلهم عليه، وليجازيهم أوفر الجزاء في نار جهنم. ابن كثير: ٥٤٢/٢.

السؤال: ما المراد من وراء الإخبار بأنهم سيسالون عما يفترونه؟

﴿ وَإِذَا بَشِّرْ أَحَدَهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ ينزوي من القوم من سوء ما ينشر به أمهاتكم على هوب أربدته في الرأب آلا ساء ما يحكمون

والآية ظاهرة في ذم من يحزن إذا بشر بالأنثى؛ حيث أخبرنا أن ذلك فعل الكفرة، وقد أخرج ابن جرير وغيره عن قتادة أنه قال في قوله سبحانه: (وإذا بشر أحدكم بأبنة أمهاتكم على هوب أربدته في الرأب آلا ساء ما يحكمون) بشر: هذا صنيع مشركي العرب؛ أخبركم الله تعالى بخبئه، فاما المؤمن فهو حقيق أن يرضى بما قسم الله تعالى له، وقضاء الله تعالى خير من قضاء الرء لنفسه، ولعمري ما لندي أي خير؛ لرب جارية خير لأهلها من غلام، وإنما أخبركم الله عز وجل بصنيعهم لتجتنبوه، ولتنهوا عنه. الألوسي: ٥٤٩/١٤.

السؤال: ما الواجب على المسلم إذا ولدت زوجته خلاف ما يتمنى؟

﴿ وَلَوْ يَوَازِدُ اللَّهُ النَّاسَ ظُلْمَهُمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَحْزِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَعْدُونَ ﴾

(ولو يواخذ الله الناس بظلمهم ما ترك زيادة ولا نقص (ما ترك عليها من دابة) أي: لأهلك المباشرين للمعصية وغيرهم من أنواع الدواب والحيوانات؛ فإن شؤم المعاصي يهلك به الحرث والنسل. (ولكن يؤخرهم) عن تعجيل العقوبة عليهم إلى أجل مسمى؛ وهو يوم القيامة. (فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) فليحذروا ما داموا في وقت الإمهال قبل أن يجيء الوقت الذي لا إمهال فيه. السعدي: ٤٤٣.

السؤال: ضرر المعصية من الفرد يعود على جميع المجتمع، وضع ذلك من خلال الآية:

﴿ وَلَوْ يَوَازِدُ اللَّهُ النَّاسَ ظُلْمَهُمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَحْزِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَعْدُونَ ﴾

روي أن أبا هريرة - رضي الله عنه - سمع رجلاً يقول: إن الظالم لا يضر إلا نفسه، فقال: بئس ما قلت، إن الجباري تموت في وكراهها بظلم الظالم. البغوي: ٦٢/٢.

السؤال: إلى أي حد يصل شؤم الظلم وأهله؟

﴿ فَرَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَكِنَّ عَذَابَ آلِ يَمٍ ﴾ سماه ولياً لهم لطاعتهم إياه. البغوي: ٦٢/٢.

السؤال: ما وجه ولاية الشيطان لهم؟

﴿ وَمَا أَرْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا يُشِينُ لَهُمُ الْآلِ أَخْلَفُوا فِيهِ وَهَدَىٰ رَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾

فالقرآن أهم مقاصده هذه الفوائد الجامعة لأصول الخير؛ وهي: كشف الجهالات، والهدى إلى المعارف الحق، وحصول أثر دينك الأمرين؛ وهو الرحمة الناشئة عن مجانية الضلال واتباع الهدى. ابن عاشور: ١٩٦/١٤.

السؤال: ما مقاصد إنزال القرآن الكريم؟

يَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَسْأَلُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَرْجُونَ نَبِيًّا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ ﴿٥٦﴾ وَيَعْمَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَنَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بَشِّرْ أَحَدَهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَنْزَوِي مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَوْ يَوَازِدُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَحْزِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَعْدُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَنَصِفُ أَيْسِنَهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَآجِرَةً أَنْ لَهُمُ النَّارُ وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّنْ قَبْلِكَ فَرَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَا أَرْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾

(٢٧٣)

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
كَظِيمٌ	مُتَبَلِّغٌ عَمَّا وَخَزْنَا.
هُونٌ	ذُلٌّ، وَهَوَانٌ.
يَدُسُّهُ	يَدْفِنُهُ.
لَا جَرَمَ	حَقًّا.
مُفْرَطُونَ	مُتْرَكُونَ فِي النَّارِ، مَنْسَبُونَ.

## ● العمل بالآيات

١. أرسل رسالة تبين فيها حال المرأة في الجاهلية القديمة والحديثة، وحالها في الإسلام، ﴿ وَإِذَا بَشِّرْ أَحَدَهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ ينزوي من القوم من سوء ما ينشر به أمهاتكم على هوب أربدته في الرأب آلا ساء ما يحكمون.

٢. سبح الله بصفتيه: (العزيز) و(الحكيم)، ثم اعلم أن العزة والحكمة لا تنال إلا منه، فاطلبها من مالها جل وعلا، ﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾.

٣. سل الله أن يهديك ويرحمك بكتابه، ﴿ وَمَا أَرْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾.

## ● التوجيهات

١. المؤمن إذا تذكر أنه مسؤول أمام الله تعالى - قوله وفعله - فإنه يحذر من قول السوء وعمله، ﴿ تَاللَّهِ لَشَأْنُ عَمَّا كُتِبَ لَهُمْ ﴾.

٢. أحسن معاملة بناتك وأخواتك، واطهر البشر لقدمهن، ﴿ وَإِذَا بَشِّرْ أَحَدَهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾.

٣. احذر أن تكون ممن زين له الشيطان سوء عمله، فحسن له القبيح، وقبح له الحسن، وهو غافل، ﴿ فَرَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَكِنَّ عَذَابَ آلِ يَمٍ ﴾.

وقوله: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْفُرُونَ﴾ أي: من البنات ومن الشركاء الذين هم عبیده، وهم يأنفون أن يكون عند أحدهم شريك له في ماله. ﴿وَيَصِفُ أَيْسَهُنَّ الْأَكَبَرُ أَنَّ لَهُنَّ لُحْمٌ﴾ إنكار عليهم في دعواهم مع ذلك أن لهم الحسنى في الدنيا، وإن كان ثم معاد فيه أيضا لهم الحسنى، وإخبار عن قيل من قال منهم: كقوله: ﴿وَلَكِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكُونُ مِنَّا كَافِرًا﴾ ﴿وَلَكِنْ أَذَقْنَاهُ نِعْمَةً بَعْدَ ضَرْبٍ مِّنْهُ لِيَقُولَ زَعْبٌ أَلَيْسَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ رَبِّيِّ فَتُكْفَرُ﴾ [هود: ١٠٩-١١٠]، وكقوله: ﴿وَلَكِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرْبٍ مِّنْهُ لِيَقُولَ هَذَا لِي وَمَا أَطْلُتُ النَّاسَ قَائِمَةً وَلَكِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْبَى فَلَئِن يَبْعَثْ إِلَيْنَا كَفُورًا إِنَّمَا عَمِلُوا وَلِيُدَّبَقَهُمْ مِنْ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [نص: ٥٠]، وقوله: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّكَ مَالًا وَّلَوْلَا الَّذِي أَسْأَلُكَ الْغَايَةَ أَزِيدُ﴾ [مريم: ٧٧-٧٨]، وقال إخبارًا عن أحد الرجلين: ﴿وَوَحَلَّ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن يَبْعَثَ رَبِّيُّ هَذَا بَلْ أَنَا مِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الكهف: ٣٥-٣٦] فجمع هؤلاء بين عمل الشؤ وغنى الباطل بأن يجازوا على ذلك حُسْنًا، وهذا مستحيل.

ولهذا قال الله تعالى رادًا عليهم في تمنيهم: ﴿لَا جَرَمَ﴾ أي: حقًا لا بد منه ﴿أَنَّ لَهُمُ النَّارَ﴾ أي: يوم القيامة، ﴿وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ﴾ قال مجاهد وسعيد بن جبَر وقتادة وغيرهم: مُنْسَوْنٌ فيها مُضَيَّعُونَ. وهذا كقوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ نَنسِفُهُمْ كَمَا نَسَوْنَا إِفَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾ [الأعراف: ٥١]، وعن قتادة أيضًا: ﴿مُفْرَطُونَ﴾ أي: مُمَجَّلُونَ إلى النار، من الفَرَط وهو السابق إلى الورَد، ولا منافاة؛ لأنهم يُعَجَّلُ بهم يوم القيامة إلى النار، ويُنسَوْنَ فيها، أي: يُحْلَلُونَ.

الآية (٦٣-٦٤): يذكر تعالى أنه أرسل إلى الأمم الخالية رُسُلًا، فكذبت الرسل، فلك يا محمد في إخوانك من المرسلين أسوة، فلا يبيدَنَّك (١) تكذيب قومك لك، وأما المشركون الذين كذبوا الرسل، فإنما تحلهم على ذلك تزيين الشيطان لهم ما فعلوه، ﴿فَقَوَّ وَرِثَهُمُ الْآلِيمُ﴾ أي: هم تحت العقوبة والنكال، والشيطان وليهم، ولا يملك لهم خلاصًا، ولا صريح لهم، وهم عذاب اليم.

ثم قال تعالى لرسوله: إنه إننا أنزل عليه الكتاب ليبين للناس الذي يختلفون فيه؛ فالقرآن فاصل بين الناس في كل ما يتنازعون فيه، ﴿وَهَذِكُمْ﴾ أي: للقلب، ﴿وَرَحْمَةً﴾ أي: لِمَن تَمَسَّكَ به ﴿وَلَقَوْرٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

الآية (٥٥): ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ قيل: «اللام» هنا لام العاقبة. وقيل: لام التعليل، بمعنى: قِيَضْنَا لهم ذلك ليكفروا، أي: يستروا ويحسدوا نِعَمَ الله عليهم، وأنه المُشْدِي إلىهم النعم، الكاشف عنهم التقم. ثم تَوَعَّدَهُم قائلًا: ﴿فَتَسْمَوْا﴾ أي: اعملوا ما شئتم وتمتعوا بما أنتم فيه قليلًا، ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ عاقبة ذلك.

الآية (٥٦-٦٠): يخبر تعالى عن قبائح المشركين الذين عبدوا مع الله غيره من الأصنام والأوثان والأنداد، وجعلوا لها نصيبًا مما رَزَقَهُم الله، فأقسم الله تعالى بنفسه الكريمة ليسألنهم عن ذلك الذي افتروه، واتفكوه، ولقبابنهم عليه، وليجازينهم أَوْفَرُ الجزاء في نار جهنم، فقال: ﴿تَاللَّهِ لَأَسْأَلَنَّ عَنْ أَمْرٍ كَثْرَةً فَنَنْتَرُونَ﴾. ثم أخبر تعالى عنهم أنهم جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثًا، وجعلوا بنات الله، وعبدوها معه، فأخطأوا خطأ كبيرًا في كل مقام من هذه المقامات [الثلاثة]، فنسبوا إليه تعالى أن له ولدًا، ولا ولد له! ثم أعطوه أَحْسَنَ القِسْمَيْنِ من الأولاد، وهو البنات، وهم لا يرضونها لأنفسهم، كما قال: ﴿أَلَمْ تَذْكُرْ وَلَهُ الْأُنْثَى﴾ ﴿تِلْكَ إِذَا وَسَّهَ ضَرِيضَةٌ﴾ [النجم: ٢١-٢٢]، وقال ههنا: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ﴾ أي: عن قولهم وإفكهم، ﴿الَّذِينَ يَمُنُّونَ بِمَا لَمْ يُنْزَلْ بِهِمْ لَقَوْلُهُمْ﴾ ﴿وَلَدَ اللَّهُ وَلَهُنَّ لَكِدُونُ﴾ ﴿أَسْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾ [٣٣] ما لَكُرِهُتُمْ فَتَعْمَلُونَ [الصافات: ١٥١-١٥٤].

وقوله: ﴿وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾ أي: يخنارون لأنفسهم الذكور ويأنفون لأنفسهم من البنات التي نسبوها إلى الله، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً؛ فإنه إذا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا، أي: كُتِبَ من الهُمِّ، ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ ساكتٌ من شدة ما هو فيه من الحُزْنِ ﴿يَتَوَكَّنُ مِنْ أَلْفَوْقٍ﴾ أي: يكره أن يراه الناس ﴿مِنْ شَوْءٍ مَا يُبَشِّرُ بِوَلَدٍ يُنْكَهُهُ عَلَى حُوبٍ أَوْ يُدْشَنُ فِي الرَّأْبِ﴾ أي: إن أبغها أبغها مُهَانَةً لا يُورَثُهَا، ولا يَعتني بها، وَيُفْضَلُ أولاده الذكور عليها، ﴿أَوْ يُدْشَنُ فِي الرَّأْبِ﴾ أي: يَئِلَمًا: وهو: أن يدفنها فيه حَيَّةً، كما كانوا يصنعون في الجاهلية. أفمن يكرهونه هذه الكراهة ويأنفون لأنفسهم عنه، يعملونه لله؟! ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ أي: بشس ما قالوا، وبشس ما قَسَمُوا، وبشس ما نسبوا إليه؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [الزخرف: ١٧]، وقال ههنا: ﴿لِيَذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ﴾ أي: القصص إنما يُنسب إليهم، ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ أي: الكمال المُطْلَق من كل وجه، وهو منسوب إليه، ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

الآية (٦١-٦٢): يخبر تعالى عن حِلْمِهِ بخلقهم مع ظلمهم، وأنه لو يُؤَاخِذُهُم بما كَسَبُوا ما ترك على ظهر الأرض من دابة؛ أي: لأهلك جميع دواب الأرض تبعًا لإهلاك بني آدم، ولكن الرب جَلِيلٌ لا يحلم ويستر، وَيُنْظِرُ ﴿إِنَّ أَجَلَ مُسَمًّى﴾ أي: لا يُعَاجِلُهُم بالعقوبة؛ إذ لو فَعَلَ ذلك بهم لَمَّا أَبْقَى أَحَدًا.

(١) لا يبيدَنَّك: لا يزعجك ولا يكرهك [انظر القاموس المحيط مادة: (هيد)].

لَقَوْمٍ يَكْفُرُونَ ﴿٦٥﴾ في عظمة خالقها ومقدرها ومُسَعِّرُها ومُيَسِّرُها، قَسِيتُلُون بذلك أنه القادر الحكيم العليم، الكريم الرحيم.

الآية (٧٠): يخبر تعالى عن تصرفه في عباده، وأنه هو الذي أنشأهم من العدم، ثم بعد ذلك يتوفاهم، ومنهم من يتركه حتى يدركه الهرم - وهو الضعف في الخلقة - كما قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ [الروم: ٥٤].

وقد روي عن علي عليه السلام في أرذل العمر قال: خمس وسبعون سنة. وفي هذا السن يحصل له ضعف القوى والضعف وسوء الحفظ وقلة العلم؛ ولهذا قال: ﴿لَيْسَ لَكَ يَأْمُرُ بَعْدَ عِلْمِنَا﴾ أي: بعد ما كان عالماً أصبح لا يدري شيئاً من القدر والضعف. وعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ كان يدعو: «أعوذ بك من البخل والكسل، والهرم وأرذل العمر، وعذاب القبر، وفتنة الدجال، وفتنة المحيا والممات» [متفق عليه].

الآية (٧١): يُبَيِّنُ تعالى للمشركين جهلهم وكفرهم فيما زعموه لله من الشركاء، وهم يعترفون أنها عبيد له، فقال تعالى منكراً عليهم: إنكم لا ترضون أن تساووا عبيدكم فيما رزقناكم، فكيف يرضى هو تعالى بمساواة عبيده له في الإقية والتعظيم؟! قال ابن عباس في هذه الآية: لم يكونوا يُشِيرُكُوا عبيدَهُمْ في أموالهم ونسائهم، فكيف يُشْرِكُونَ عبيدي معي في سلطاني؟! فذلك قوله: ﴿أَفَبِعِزَّةِ اللَّهِ يَجْهَدُونَ﴾، وقال في الرواية الأخرى عنه: فكيف ترضون لي ما لا ترضون لأنفسكم؟! وقال قتادة: هذا مثل ضربه الله، فهل منكم من أحد يشاركه مملوكه في زوجته وفي فراشه، فتعدلون بالله خلقه وعباده؟! فإن لم ترض لنفسك هذا، فالله أحق أن يُزْرَه منك.

وقوله: ﴿أَفَبِعِزَّةِ اللَّهِ يَجْهَدُونَ﴾ أي: إني جعلوا الله عما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً، فجحدوا نعمته، وأشركوا معه غيره.

الآية (٧٢): يذكر تعالى نعمه على عبده، بأن جعل لهم من أنفسهم أزواجاً من جنسهم وشكلهم، ولو جعل الأزواج من نوع آخر لكانت اختلافاً ومودة ورحمة، ولكن من رحمته خلق من بني آدم ذكوراً وإناثاً، وجعل الإناث أزواجاً للذكور.

ثم ذكر تعالى أنه جعل من الأزواج البنين والبنات، وهم أولاد البنين. قاله ابن عباس وعكرمة والحسن والضحاك وابن زيد. قال ابن عباس: ﴿بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾: هم الولد وولد الولد. وقال مجاهد: ابنه وخادمه. وقال في رواية: الحفدة: الأنصار والأعوان والخدّام. وقال عكرمة: الحفدة: من خدمك من ولدك وولد ولدك. قال ابن جرير: وهذه الأقوال كلها داخلة في معنى: «الحفد» وهو الخدمة، ولما كانت الخدمة قد تكون من الأولاد والأصهار والخدم، فالنعمه حاصلة بهذا كله؛ ولهذا قال: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾.

﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾: من المطاعم والمشارب. ثم قال تعالى منكراً على من أشرك في عبادة المُشْتَمِعِ غيره: ﴿أَفَأَنْتُمْ تُؤْمِنُونَ﴾ وهم: الأصنام والانداد، وَبَيَّنَّتِ اللَّهُ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ أي: يسترون نعم الله عليهم ويضيفونها إلى غيره.

الآية (٦٥): كما جعل تعالى القرآن حياة للقلوب السميّة بكفرها، كذلك نجّي الأرض بعد موتها بما أنزله عليها من السماء من ماء، وإن في ذلك لآية لقوم يستمعون ﴿٦٥﴾ أي: يفهمون الكلام ومعناه.

الآية (٦٦-٦٧): يقول تعالى: ﴿وَلَنْ لَكُمْ﴾ أيها الناس ﴿فِي الْأَنْفَادِ﴾ وهي: الإبل والبقر والغنم ﴿لَعِيزَةً﴾ أي: لآية ودلالة على قدرة خالقها وحكمته ولطفه ورحمته، ﴿شَتِيرَةً﴾ أي: مطرية. وأقرده ههنا الضمير عوداً على الحيوان؛ فإن الأنعام حيوانات، أي: تُشَفِّقُكُمْ ممّاً في بطن هذا الحيوان. ﴿وَمِنْ بَيْنِ قَرْنٍ وَدَرٍ لَبَاسًا خَالِصًا﴾ أي: يتخلص بياضه وطعمه وحلاوته من بين قَرْنٍ ودم في بطن الحيوان، فيسري كل إلى موطنه، إذا نَصَحَ الغذاء في معدته تصرف منه دم إلى العروق، ولين إلى الضرع، ويول إلى المئانة، وروث إلى المَخْرَج، وكل منها لا يشوب الآخر ولا يمازجُه بعد انفصاله عنه، ولا يتغير به. وقوله: ﴿لَبَاسًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾ أي: لا يَغْضُ به أحد.

ولما ذكر اللبن وأنه تعالى جعله شرباً للناس سائغاً، ثنى يذكر ما يتجده الناس من الأشربة من ثمرات: النخيل، والأعناب، وما كانوا يصنعون من النبيذ المُشْكِرِ قبل تحريمه؛ ولهذا امتنّ به عليهم فقال: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا﴾، قال ابن عباس في قوله: ﴿سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾: السكر: ما حُرِّمَ من ثمرتيها، والرزق الحسن ما أحل من ثمرتيها. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ناسب ذكر العقل ههنا؛ فإنه أشرف ما في الإنسان؛ ولهذا حُرِّمَ الله على هذه الأمة الأشربة المُشْكِرَة صيانةً لعقولها.

الآية (٦٨-٦٩): ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ﴾ المراد بالوحي ههنا: الإلهام والهداية والإرشاد ﴿إِلَى الْقَتْلِ﴾ أن تتجده ﴿بَيْنَ يَدَيْكَ يَوْمًا﴾ ناوي إليها، ﴿وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ ثم هي تحكّمة في غاية الإتيان في تشديدها ورزقها، بحيث لا يكون بينها خلل. ثم أذن لها تعالى إذا قدرتها تسخيرياً أن تأكل من كل الثمرات، وأن تسلك الطرق التي جعلها الله تعالى لها مثلاً، أي: سهلة عليها حيث شاءت. وقال قتادة وابن أسلم: ﴿فَأَسْلَمَ سَبِيلَ رَبِّكَ ذَلِكَ﴾، أي: مطيعة. فجعلها حالاً من السالكة. والقول الأول أظهر، وهو أنه حال من الطريق؛ أي: فأسلكها مثلاً لك، نصّ عليه مجاهد. وقال ابن جرير: كلا القولين صحيح. وقوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ خَلِيفٌ لَوْنُهُ﴾، أي: ما بين أبيض وأصفر وأحمر وغير ذلك من الألوان الحسنة، على اختلاف مراعيها ومأكليها منها.

وقوله: ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ أي: في العسل شفاء للناس من أدواء تعرّض لهم. في صحيح البخاري عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «الشفاء في ثلاثة: في شرطه عَجَج، أو شربة عسل، أو كية بنار، وأنه أمتي عن الكي». وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ أي: إن في إلهام الله لهذه الدواب الضعيفة الخلقة إلى السلوك في هذه المهامه<sup>(١)</sup> والاجتناء من سائر الشار، ثم تجوعها للشمع والعسل، وهو من أطيب الأشياء ﴿لَآيَةً

(١) (الهامه) هي في الأصل: للمفارقة والبركة الفقر. ولكن من معانيها أيضاً: الأرض البعيدة؛ قال الليث: أرض مهابة، بمعنى: ينظر تاج العروس ولسان العرب، مادة (مهه).



## ● الوقفات التدريبية

### ١ ﴿وَلَا لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَبَةٌ﴾

قال أبو بكر الوراق: العبرة في الأنعام تسخيرها لأربابها، وطاعتها لهم، وتمردك على ربك، وخلافك له في كل شيء، ومن أعظم العبر بريء يحمل مذنباً. القرطبي: ٣٥٠/١٢.

السؤال: بين العبرة والعظة التي جعلها الله تعالى في تسخير الأنعام.

### ٢ ﴿وَلَا لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَبَةٌ تُشَفِّقُكُمْ بِمَا بِطُؤَيْهِ مِنْ بَيْنِ قَرْيَةٍ وَدَرٍ لَبْنَا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾

فهل هذه إلا قدرة إلهية لا أمور طبيعية؟ فاي شيء في الطبيعة يقلب العلف الذي تأكله البهيمة، والشراب الذي تشربه من الماء العذب والملح لبناً خالصاً سائغاً للشاربين. السعدي: ٤٤٤.

السؤال: ما وجه العبرة من خروج اللبن من بطون الأنعام؟

### ٣ ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَنَّجِدُونَ مِنْهُ سَكْرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾

(إن في ذلك آية لقوم يعقلون) عن الله كمال اقتداره؛ حيث أخرجها من اشجار شبيهة بالحطب، فصارت ثمرة لذيذة، وفاكهة طيبة، وعلى شمول رحمته، حيث غم بها عباده، ويسر بها لهم. السعدي: ٤٤٤.

السؤال: ما الآيات التي يفيدها العاقلون من وجود الثمرات المختلفة المتنوعة؟

### ٤ ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَنَّجِدُونَ مِنْهُ سَكْرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾

قال ابن عباس في قوله: (سكراً ورزقاً حسناً): «السكر: ما حرم من ثمرتيهما، والرزق الحسن: ما أحل من ثمرتيهما... (إن في ذلك آية لقوم يعقلون): ناسب ذكر العقل هاهنا، فإنه أشرف ما في الإنسان؛ ولهذا حرم الله على هذه الأمة الأضرمة المسكرة صيانة لعقولها. ابن كثير: ٥٥٦/٢.

السؤال: ما وجه مناسبة ختم الآية بذكر العقل؟

### ٥ ﴿ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ، فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾

(إن في ذلك آية لقوم يتفكرون) أي: يعتبرون، ومن العبرة في النحل يانصاف النظر والطاق الفكر في عجيب أمرها؛ فيشهد اليقين بأن ملهمها الصنعة اللطيفة مع البنية الضعيفة، وحدقتها باحتياها في تفاوت أحوالها هو الله سبحانه وتعالى... ثم أنها تأكل الحامض والمر والحلو والمالح والحشائش الضارة، فيجعله الله تعالى عسلاً حلواً وشفاء، وفي هذا دليل على قدرته. القرطبي: ٣٧٤/٢.

السؤال: بين وجهاً من أوجه العجب في هذا المخلوق؛ وهو النحل.

### ٦ ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ، فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾

قال بعض من تكلم على الطب النبوي: لو قال «فيه الشفاء للناس» لكان دواء لكل داء، ولكن قال: (فيه شفاء للناس)؛ أي: يصلح لكل أحد من أدواء باردة، فإنه حار، والشئ يداوى بضده. ابن كثير: ٥٥٦/٢.

السؤال: لم قال سبحانه (فيه شفاء) ولم يقل «فيه الشفاء»؟

### ٧ ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ تَبَوْفَقَكُمْ وَيُسَبِّحُكُمْ رَبُّكُمُ إِنَّ أَزْوَاجَ الْأُمَمِ لَكُمْ لَا يَعْلَمُ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾

وكان من دعائه ﷺ عن أنس: (أعوذ بك من البخل، والكسل، وأرذل العمر، وعذاب القبر، وفتنة الدجال، وفتنة الحيا والمات). الألوسي: ٥٧٢/٤.

السؤال: كيف كان النبي ﷺ يتناول هذه الآية: (ومنكم من يرد إلى أرذل العمر)؟

وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْيَاهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿١﴾ وَلَا لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَبَةٌ تُشَفِّقُكُمْ بِمَا بِطُؤَيْهِ مِنْ بَيْنِ قَرْيَةٍ وَدَرٍ لَبْنَا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴿٢﴾ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَنَّجِدُونَ مِنْهُ سَكْرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ، فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمَنَّكُمْ مِنْ يُرْذِلُكُمْ أَرْذَلِ الْعُمَرِ لَكُمْ لَا يَعْلَمُ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَأْيِ رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِعَمَلِهِمْ تُلَاقُوا أَلَمْ يَتَّخِذُوا وَلَدًا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٧﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ أَنْفُسَكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمُ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَيْنًا وَحَفَدهً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِالنَّعْتِ اللَّهُ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٨﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
لَبَةٌ	لُحْظَةٌ
قَرْيَةٍ	مَا فِي الْكَرْشِ
سَائِغًا	لَذِيذًا لَا يَفْصُ بِهِ شَارِبُهُ
يَعْرِشُونَ	يَبْنُونَ مِنَ الْبُيُوتِ وَالسُّقُوفِ لِلنَّحْلِ
فَاسْلُكِي	فَادْخُلِي
ذُلُلًا	مُذَلَّلَةً، مُسَخَّرَةً
أَرْذَلِ الْعُمَرِ	أَرْدَا أَعْمَارَكُمْ، وَهُوَ الْهَرَمُ

## ● العمل بالآيات

١. اشرب لبناً، ثم تذكر كيف أخرجها الله تعالى لك، ثم قل: «اللهم بارك لنا فيه، وزدنا منه». ﴿وَلَا لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَبَةٌ تُشَفِّقُكُمْ بِمَا بِطُؤَيْهِ مِنْ بَيْنِ قَرْيَةٍ وَدَرٍ لَبْنَا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾.
٢. استشف اليوم بشرب العسل؛ ففيه شفاء، ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ، فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾.
٣. قل: «أعوذ بك من البخل والكسل، وأرذل العمر، وعذاب القبر، وفتنة الدجال، وفتنة الحيا والمات»، ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَيُسَبِّحُكُمْ رَبُّكُمُ إِنَّ أَزْوَاجَ الْأُمَمِ لَكُمْ لَا يَعْلَمُ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾.

## ● التوجيهات

١. لو تأملت كيف تدرج اللبن من برسيم في المزرعة إلى مصنع في بطن الحيوان، حتى صار مشروباً لذيذاً على مائدتك، ما وفيت الله حقه من الشكر، ﴿لَبْنَا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾.
٢. إياك والحسد؛ فإن الله تعالى هو الذي فاضل بين الناس في أرزاقهم وعقولهم، ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾.
٣. كل طيب حلال، وكل خبيث حرام، ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿ فَلَا تَضْرِبُوا إِلَهَ الْأَمْثَالِ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

أي: يعلم قبح ما تشركون وأنتم لا تعلمونه، ولو علمتموه لما جراتم عليه؛ فهو تحليل للنهي. أو يعلم كنه الأشياء وأنتم لا تعلمونه، فدموا رأيكم وقياسكم دون نصه. القاسمي: ٥٣٤/٤.

السؤال: ما وجه تدليل الآية بقوله: (إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون)؟

﴿ فَلَا تَضْرِبُوا إِلَهَ الْأَمْثَالِ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

وجه كون الإشراف ضرب مثل لله انهم اثبتوا للأصنام صفات الإلهية، وشبهوها بالخالق. ابن عاشور: ٢٢٣/٤.

السؤال: ما وجه الخطأ والجهل في عبادة المشركين للأصنام؟

﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَرَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوِي الْهَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

فشبه حال أصنامهم في العجز عن رزقهم بحال مملوك لا يقدر على تصرف في نفسه، ولا يملك مالا. ابن عاشور: ٢٢٣/٤.

السؤال: الأصنام والأضرحة والقبور عاجزة عن نفع نفسها، فكيف تنفع غيرها، وضع ذلك من خلال الآية.

﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَرَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوِي الْهَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

مثل لله تعالى وللأصنام؛ فالأصنام كالعبد المملوك الذي لا يقدر على شيء، والله تعالى له الملك، ويبيد الرزق ويتصرف فيه كيف يشاء، فكيف يسوي بينه وبين الأصنام؟ ابن جزي: ٤٣٢/١.

السؤال: الشرك ينال العقل، وضع ذلك من خلال الآية.

﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ ﴾

خص هذه الأعضاء الثلاثة لشرفها وفضلها، ولأنها مفتاح لكل علم؛ فلا يصل للعبد علم إلا من أحد هذه الأبواب الثلاثة. السعدي: ٤٤٥.

السؤال: لماذا حُصت هذه الأعضاء الثلاثة بالذكر؟

﴿ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْكُفْرِ مَسْخَرَتِ فِي جَوْ السَّمَاءِ مَا يَتَّبِعُونَ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾

وجمع الآيات لأن في الطير دلائل مختلفة من: خلقة الهواء، وخلقته

أجساد الطير مناسبة للطيران في الهواء، وخلق الإلهام للطير بأن يسبح

في الجو، وبأن لا يسقط إلى الأرض إلا بإرادته. ابن عاشور: ٢٣٦/١٤.

السؤال: لماذا وردت لفظة: (آيات) في الآية بصيغة الجمع؟

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾

لأنهم المنتفعون بآيات الله، المتفكرون فيما جعلت آية عليه، وأما غيرهم فإن نظرهم نظر لهُو وغفلت. السعدي: ٤٤٥.

السؤال: لماذا حُصَّ المؤمنون بالانتفاع بالآيات الكونية؟

وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢٥﴾ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ  
إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا  
مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَرَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا  
فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوِي الْحَمْدُ لِلَّهِ  
بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا ثَلَاثِينَ  
أَخَذَهُمَا أَنَا لَقَدْ دُرُّ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ  
أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِي بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ  
بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٨﴾ وَلِلَّهِ عِثَبُ  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَنَفْثِ  
الْيَدِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾  
وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا  
وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ  
تَشْكُرُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْكُفْرِ مَسْخَرَتِ فِي جَوْ السَّمَاءِ  
مَا يَتَّبِعُونَ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣١﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
الْأَمْثَالُ	الأشياء الّذين تُشْرِكُونَهُمْ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى.
أَبْكُمْ	أَخْرَسَ لَا يَتَكَلَّمُ خَلْقَةً.
كُلٌّ	عِيبٌ، قَيْلٌ.
مَوْلَاهُ	سَيِّدُهُ الَّذِي يَلِي أُمُورَهُ، وَيُقَوِّلُهُ.
كَلَمَجِ الْبَصَرِ	كَحْطَفَةٍ بِالْبَصَرِ، وَنَظَرَةٍ سَرِيعَةٍ.

## ● العمل بالآيات

١. أحمد الله أن أسبغ عليك نعمه ورزقه، ثم انفق مرة سرًا وأخرى علانية، ﴿ وَرَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ﴾.
٢. تذكر قريباً أو صديقاً لك مات فجأة، ثم تخيل أن مصيرك مثله، ﴿ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَنَفْثِ الْيَدِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾.
٣. تأمل في الطير كيف يطير ويعلو في الهواء؟ فتفكر في هذا استجابةً لأمر الله تعالى، ﴿ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْكُفْرِ مَسْخَرَتِ فِي جَوْ السَّمَاءِ مَا يَتَّبِعُونَ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾.

## ● التوجهات

١. من يتكلم بالعدل ويأمر به فله قيمة عالية عند الله سبحانه، ﴿ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾.
٢. تخيل لو تمطلت أو مرضت إحدى نعم: السمع، والبصر، والفاؤ؛ فما حالك؟ اشكر الله سبحانه عليها، ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾.
٣. استخدم ضرب المثل في نصحك ودعوتك لتقريب الأمور، ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَرَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾.

الْبَصِيرَ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّكَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٣﴾، كما قال: ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بِكُمْكُمْ إِلَّا كَفَتْنِ وَجَدَةً﴾ [لقمان: ٢٨].

ثم ذكر تعالى مبتدئاً على عباده، في إخراجهم إياهم من بطون أمهاتهم لا يعلمون شيئاً، ثم بعد هذا يرزقهم تعالى السمع الذي به يدركون الأصوات، والأبصار اللاتي بها يحسون الرغبات، والأفئدة - وهي العقول - التي مركزها القلب على الصحيح، وقيل: الدماغ. والعقل به يُعَيَّرُ بين الأشياء ضارّها ونافعها. وهذه القوى والحواس تحضّر للإنسان على التدرّج قليلاً قليلاً، كلّها كبر زَيْدٌ في سمعه وبصره وعقله حتى يبلغ أشده.

وإنما جعل تعالى هذه في الإنسان، ليتكّن بها من عبادة ربه تعالى، فيستعين بكل جراحة وعضو وقوة على طاعة مولاه، كما جاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ أنه قال: يقول تعالى: من عادى لي ولياً فقد بارزني بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه. ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن دعاني لأجيبه، ولئن استعاذ بي لأعيذنه، وما تردّدت في شيء أنا فاعله تردّدي في قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته، ولا بدّ له منه.

فمعنى الحديث: أن العبد إذا أخلص الطاعة صارت أفعاله كلها لله ﷻ، فلا يسمع إلا الله، ولا يبصر إلا الله، أي: ما شرّعه الله له، ولا يبطش ولا يمشي إلا في طاعة الله ﷻ، مستعيناً بالله في ذلك كله؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَجَعَلْ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ كما قال في الآية الأخرى: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [سورة النحل: ٢٣-٢٤].

ثم نبّه تعالى عباده إلى النظر إلى الطير المُسَخَّرِ بين السماء والأرض، كيف جعله طير بجناحيه بين السماء والأرض، في جوّ السماء ما يُمكنه هناك إلا الله بقدرته تعالى، الذي جعل فيها قوى تفعل ذلك، وسخّر الهواء يحملها ويسرّ الطير لذلك، كما قال تعالى في سورة المائدة: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَائِفٌ وَيُفَيِّضْنَ مَا يُمِيسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ [المائدة: ١٩]، وقال ههنا: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

الآية (٧٣-٧٤): يقول تعالى إخباراً عن المشركين الذين عبدوا معه غيره، مع أنه هو المُتَّضِلُّ الخالق الرازق وحده لا شريك له، ومع هذا يعبدون من دونه من الأصنام والأنداد والأوثان ﴿مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا﴾ أي: لا يقدر على إنزال مطر ولا إنبات زرع ولا شجر، ولا يملكون ذلك، أي: ليس لهم ذلك ولا يقدرّون عليه لو أرادوه، ولهذا قال تعالى: ﴿فَلَا تَضُرُّوهُ بِالْأَنْثَمَالِ﴾ أي: لا تمجّلوا له أنداداً وأشباهاً وأمثالاً.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي: إنه يعلم ويشهد أنه لا إله إلا الله، وأنتم بجعلكم تشركون به غيره.

الآية (٧٥): قال ابن عباس: هذا مثل ضربه الله للكافر والمؤمن. وكذا قال قتادة، واختاره ابن جرير؛ فالعبد المملوك الذي لا يقدر على شيء مثل الكافر، والمرزوق الرزق الحسن فهو يُنفِقُ منه سِرّاً وجَهراً هو المؤمن. وقال مجاهد: هو مثل مضروب للوثن وللحق تعالى، فهل يستوي هذا وهذا؟ ولأن كان الفرق ما بينهما بيّناً واضحاً ظاهراً لا يجبهه إلا كل عبيٍّ، قال تعالى: ﴿الْمَعْدُ لِلَّهِ لَئِنْ أَكْفَرْتُمْ عَنْهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

الآية (٧٦): قال مجاهد: وهذا أيضاً المراد به الوثن والحق تعالى، يعني: أن الوثن أَيْكَمَ لا يَتَكَلَّمُ ولا يَنْطِقُ بخبر ولا بشيء، ولا يقدر على شيء بالكلية، فلا تَقَالُ ولا فِعَالُ، وهو مع هذا ﴿كُلُّ﴾ أي: عِيَالٌ وكُلْفَةٌ ﴿عَلَى مَوْلَاهُ﴾، ﴿إِنَّمَا يُجِهِهُ﴾ أي: ينعتقه، ﴿لَا يَأْتِ بِخَبَرٍ﴾ ولا ينصح مساماً، ﴿هَلْ يَسْمَعُ﴾ من هذه صفاته ﴿وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ أي: بالقسط، فقالهُ <sup>(١)</sup> حقّ وفعاله مستقيمة، ﴿وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ وبهذا قال السدي وقاتدة وعطاء الخراساني. واختار هذا القول ابن جرير.

وقال ابن عباس: هو مثل للكافر والمؤمن أيضاً، كما تقدّم. وعن ابن عباس في قوله: ﴿عَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾: نزلت في رجل من قريش وعبيده. وفي قوله: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ﴾ إلى قوله: ﴿وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، قال: هو عثمان بن عفان. قال: والأكبم الذي ﴿إِنَّمَا يُجِهِهُ لَا يَأْتِ بِخَبَرٍ﴾ قال: هو مولى لعثمان بن عفان، كان عثمان يُنفِقُ عليه ويكفله ويكفيه المتونة، وكان الآخر يكره الإسلام ويأباه وينهاه عن الصدقة والمعروف، فنزلت فيها.

الآية (٧٧-٧٩): يخبر تعالى عن كماله وقدرته على الأشياء، في علمه غيب السموات والأرض، واختصاصه بذلك؛ فلا اطلاع لأحد على ذلك إلا أن يُطلّعه تعالى على ما يشاء، وفي قدرته التامة التي لا تخالف ولا تمنع، وأنه إذا أراد شيئاً فإنها يقول له: «كن» فيكون، كما قال: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَجِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ [الفرق: ٥٠] أي: فيكون ما يريد كطرف العين. وهكذا قال ههنا: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحٍ

(١) القول والقال بمعنى واحد أو متقارب. [ينظر القاموس المحيط (قول)].





## ● الوقفات التحذيرية

﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زَنْهُمْ عَذَابٌ فَوْقَ الْمَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴾

أي: عذاباً على كفرهم، وعذاباً على صددهم الناس عن اتباع الحق ... وهذا دليل على تفاوت الكفار في عذابهم كما يتفاوت المؤمنون في منازلهم في الجنة ودرجاتهم. ابن كثير: ٥٦٢/٢.

السؤال: تدل الآية على تفاوت الكفار في درجات جهنم، بين ذلك ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ ﴾

هذا من كمال عدل الله تعالى؛ أن كل رسول يشهد على أمته؛ لأنه اعظم اطلاعا من غيره على أعمال أمته، واعدل وأشفق من أن يشهد عليهم إلا بما يستحقون. السعدي: ٤٤٧.

السؤال: في الآية دليل على كمال عدل الله ورحمته، بين ذلك ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ ﴾

وزيد في هذه الجملة أن الشهيد يكون من انفسهم زيادة في التذكير بان شهادة الرسل على الأمم شهادة لا مطعن لهم فيها؛ لأنها شهود من قومهم؛ لا يجد المشهود عليهم فيها مساعاً للظلم. ابن عاشور: ٢٥٠/١٤.

السؤال: ما فائدة وصف الشهيد في الآية الكريمية بأنه (من انفسهم) ﴿ وَزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بُيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (لكل شيء) يفيد العموم؛ إلا أنه عموم عربي في دائرة ما ملته تجيء الأديان والشرائع من: إصلاح النفوس، وإكمال الأخلاق، وتقويم المجتمع المدني، وتبين الحقوق، وما تتوقف عليه الدعوة من الاستدلال على الوحدانية؛ وصدق الرسول ﷺ. ابن عاشور: ٢٥٣/١٤.

السؤال: بين القرآن الكريم كل ما يحتاجه البشر من عقائد وشرائع وأخلاق، كيف ذلك؟ ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى ﴾

يدخل في ذلك جميع الأقارب: قريتهم، وبيعتهم، لكن كل ما كان أقرب كان أحق بالبر. السعدي: ٤٤٧.

السؤال: من الأقارب المقصودون في الآية؟ ومن أحقهم بالبر؟ ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى ﴾ وخص الله بالذكر من جنس أنواع العدل والإحسان نوعاً مهماً يكثر أن يفل الناس عنه، ويتهاونوا بحقه، أو يفضلوه؛ وهو: إيتاء ذي القربى؛ فقد تقرر في نفوس الناس الاعتناء باجتلاب الأبعد، وإتقاء شره، كما تقرر في نفوسهم الغفلة عن القريب، والاطمئنان من جانبه، وتعود التساهل في حقوقه. ابن عاشور: ٢٥٦/١٤.

السؤال: لماذا خص إيتاء ذي القربى بالذكر بعد العدل والإحسان مع اندراجها فيها؟ ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى وَبَيْنَ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يُعْظَمُ لَكُمْ تَذَكُّرُونَ ﴾

يعني بالعدل: فعل الواجبات، وبالإحسان: المندوبات؛ وذلك في حقوق الله تعالى وفي حقوق المخلوقين. قال ابن مسعود: «هذه أجمع آية في كتاب الله تعالى». ابن جزي: ١٧٢/١.

السؤال: لم كانت هذه الآية أجمع آية في كتاب الله؟

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زَنْهُمْ عَذَابٌ فَوْقَ الْمَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿٥٦٢﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بُيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٥٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يُعْظَمُ لَكُمْ تَذَكُّرُونَ ﴿٥٦٤﴾ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَفْضَحُوا أَلَيْسَ الْبَيْعَ تَوْكِيداً هَؤُلَاءِ جَعَلَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ كَيْفِيلاً إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٥٦٥﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي تَفْضَحَتْ عَنْهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكُنَا تَنْخَضُونَ أَلَيْسَ لَكُمُ بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُغُ اللَّهُ بِهِ وَلَيْسَ بَيْنَكُمْ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٦٦﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يَبْضُلُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَسْتَ لَنْ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٦٧﴾

(٢٧٧)

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
الْفَحْشَاءُ	مَا قُبِحَ مِنَ الْأَكَاذِبِ.
وَالْبَغْيِ	الظلم والتعدي.
كَيْفِيلاً	ضامناً وشاهداً.
أَنْكُنَا	أنقاضاً بعد قتلها.
دَخَلَا	خديعة ومكر، والدخل: ما يدخل في الشيء للفساد.
أَرَبِي	أكثر مالا ومنفعة.

## ● العمل بالآيات

١. اقرأ سورة قراتية، مستخرجاً منها ثلاث أفكار لإصلاح نفسك، ﴿ وَزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بُيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾.
٢. أحسن إلى أحد جيرانك بهدية، أو كلمة طيبة، ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾.
٣. زر أحد أقاربك، ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى ﴾.

## ● التوجيهات

١. كن ممن يتذكرون وينتفعون إذا وعظوا وذكروا بالله تعالى، ﴿ يُعْظَمُ لَكُمْ تَذَكُّرُونَ ﴾.
٢. الوفاء بالعهد، والصدق بالوعد، سبيل أهل الإيمان، ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَفْضَحُوا أَلَيْسَ الْبَيْعَ تَوْكِيداً هَؤُلَاءِ جَعَلَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ كَيْفِيلاً ﴾.
٣. كن ممن يثبت على العمل الصالح، واحذر من إبطاله، وذهاب أجره، ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي تَفْضَحَتْ عَنْهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكُنَا تَنْخَضُونَ أَلَيْسَ لَكُمُ بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُغُ اللَّهُ بِهِ وَلَيْسَ بَيْنَكُمْ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾.

الآية (٨٨): ثم قال تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ يَذُنُّهُمْ عَذَابًا قَوْفَ الضَّالِّينَ بِمَا كَانُوا يَقْسِدُونَ﴾ أي: عذابًا على كفرهم، وعذابًا على ضلالتهم الناس عن اتباع الحق؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غِنًى وَتَتَّبِعْ غِنًى﴾ [الأنعام: ٢٦]. وهذا دليل على تفاوت الكفار في عذابهم، كما يتفاوت المؤمنون في منازلهم في الجنة.

الآية (٨٩): يقول تعالى مخاطبًا عبده ورسوله محمدًا ﷺ: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ﴾ يعني: أي: اذكر ذلك اليوم وهوله وما منحك الله فيه من الشرف العظيم والمقام الرفيع. وقوله: ﴿وَرَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ قال ابن مسعود: قد بين لنا في هذا القرآن كل علم، وكل شيء. وقال مجاهد: كل حلال وحرام. وقول ابن مسعود: أعم وأشمل؛ فإن القرآن اشتمل على كل علم نافع من خبر ما سبق، وعلم ما سيأتي، وحكم كل حلال وحرام، وما الناس إليه محتاجون في أمر دنياهم ودينهم، ومعاشهم ومعادهم، ﴿وَهَذَى﴾ أي: للقلوب، ﴿وَرَحِمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾. وجه اقتران قوله: ﴿وَرَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ مع قوله: ﴿وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ﴾ أن المراد - والله أعلم - أن الذي قرص عليك تبليغ الكتاب الذي أنزله عليك، سائلك عن ذلك يوم القيامة.

الآية (٩٠): يخبر تعالى أنه يأمر عباده بالعدل، وهو القسط والموازنة، ويتذنب إلى الإحسان؛ كما قال تعالى: ﴿وَيَحْكُمُوا بِحُكْمِ اللَّهِ﴾ [النور: ٤٠]، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على هذا، من شرعية العدل والتدب إلى الفضل. وقال ابن عباس: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ قال: شهادة أن لا إله إلا الله. وقال ابن عثيمين: العدل في هذا الموضع هو استواء السريرة والعلاية من كل عامل لله عملاً. والإحسان: أن تكون سريرتك أحسن من علانيتك، والفحشاء والمنكر: أن تكون علانيتك أحسن من سريرتك.

وقوله: ﴿وَيَأْتِي ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ أي: يأمر بصلة الأرحام.

وقوله: ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ فالفواحش: المحرمات، والمنكرات: ما ظهر منها من فاعلها؛ ولهذا قال في الموضع الآخر: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأعراف: ٣٣]. وأما البغي فهو: العدوان على الناس. وقد جاء في الحديث: «ما من ذنب أجدر أن يعجل الله عقوبته في الدنيا، مع ما يؤخر لصاحبه في الآخرة، من البغي وقطيعة الرحم» [رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه، وصححه الألباني].

وقوله: ﴿يُعِظُكُمْ﴾ أي: يأمركم بما يأمركم به من الخير، وينهاكم عما ينهاكم عنه من الشر، ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

قال ابن مسعود: إن أجمع آية في القرآن في سورة النحل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ الآية. عن قتادة: ليس من خلق حسن كان أهل الجاهلية يعملون به ويستحسنون إلا أمر الله به، وليس من خلق سيئ كانوا يتعاطونه بينهم إلا نهى الله عنه وقدم فيه. وإنما نهى عن سفاسيف الأخلاق ومذامها.

الآية (٩١-٩٢): وهذا مما يأمر الله تعالى به، وهو: الوفاء بالعهود والمواثيق، والمحافظة على الأيمان المؤكدة؛ ولهذا قال: ﴿وَلَا تَقْضُوا الْآيَةَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾. ولا تعارض بين هذا وبين قوله: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْشَكُمْ لِكَيْتَبَسَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٤] وبين قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ كَذِبٌ أَتَيْنَكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ [النساء: ٨٩] أي: لا تركوها بلا تكفير، لا تعارض بين هذا ولا بين الآية المذكورة ههنا، وهي قوله: ﴿وَلَا تَقْضُوا الْآيَةَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾؛ لأن هذه الأيمان المراد بها الداخلة في العهود والمواثيق، لا الأيمان التي هي واردة على حث أو منع؛ ولهذا قال مجاهد في قوله: ﴿وَلَا تَقْضُوا الْآيَةَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ يعني: الحلف، أي: حلف الجاهلية؛ ويؤيده ما روي عن جبير بن مطعم قال: قال رسول الله ﷺ: «لا حلف في الإسلام، وأبنا حلف كان في الجاهلية لم يزد الإسلام إلا شدة» [رواه مسلم]. ومعناه: أن الإسلام لا يحتاج معه إلى الحلف الذي كان أهل الجاهلية يفعلونه؛ فإن في التمسك بالإسلام كفاية عما كانوا فيه. وأما ما ورد في الصحيحين عن أنس، أنه قال: حالف رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار في دارنا. فمعناه: أنه آخى بينهم، فكانوا يتوارثون به، حتى نسخ الله ذلك، والله أعلم. وقوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَمَلِكُ مَا تَشَاءُونَ﴾ تهديد ووعد لمن نقض الأيمان بعد توكيدها. وقوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَدِّ قُوَّةٍ أَنْكَبَتْ﴾ قال مجاهد وقاتدة: هذا مثل لمن نقض عهده بعد توكيده. ﴿أَنْكَبَتْ﴾ يحتمل أن يكون اسم مصدر: نقضت غزلها أنكابت، أي: انقاضاً. ويحتمل أن يكون بدلاً عن خبر كان، أي: لا تكونوا أنكابتاً، جمع نكت من ناكبت؛ ولهذا قال بعده: ﴿تَتَذَكَّرُونَ﴾ أي: تذكروا ما فعلتكم. أي: خديعة ومكر. ﴿أَنَّ تَكُونُ أُمَّةٌ مِنْ أُمَّةٍ مِنْ أُمَّةٍ﴾ أي: تحلفون للناس إذا كانوا أكثر منكم ليطمئنون إليكم، فإذا امتنكم الغدر بهم غدرتم. فنهى الله عن ذلك، ليبيته بالأدنى على الأعلى؛ إذا كان قد نهى عن الغدر والحالة هذه، فلأن ينهى عنه مع التمكن والقدرة بطريق الأولى. قال ابن عباس: ﴿أَنَّ تَكُونُ أُمَّةٌ مِنْ أُمَّةٍ مِنْ أُمَّةٍ﴾ أي: أكثر. وقال مجاهد: كانوا يحلفون الحلفاء، فيجدون أكثر منهم وأعر، فينقضون حلف هؤلاء ويحلفون أولئك الذين هم أكثر وأعر، فنهوا عن ذلك.

وقوله: ﴿إِنَّمَا يَبْذُوكُمُ اللَّهُ يَوْمَ﴾ قال ابن جبير: يعني بالثرة، وقال ابن جرير: أي: بأمره إياكم بالوفاء بالعهد. ﴿وَيُكَلِّمُ الْكَافِرِينَ الْقِيمَةَ مَا كَسَبُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ فيجأى كل عامل بعمله، من خير وشر.

الآية (٩٣): يقول تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ﴾ أيها الناس ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جِيعًا﴾ [يونس: ٩٩] أي: لو فلق بينكم، ولما جعل اختلافاً ولا تباعضاً ولا شجاءً. ﴿وَلَكِنْ يُبَيِّنُ لَكُمْ شَيْئًا وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ ثم يسألكم يوم القيامة عن جميع أعمالكم، فيجازيكم عليها على القليل والثير والقطمير.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِقَايَتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَذِبُونَ ﴾

ردّ على قولهم: (إنما أنت مفتر) النحل: ١٠١، يعني: إنما يليق الكذب بمن لا يؤمن، لأنه لا يخاف الله، وأما من يؤمن بالله فلا يكذب عليه. ابن جزي: ٤٧٤/١.

السؤال: الإيمان ينافي الكذب، وضح ذلك من الآية.

﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ﴾ من أكرهه على الكفر، وأجبر عليه وقلبه مطمئن بالإيمان راغب فيه؛ فإنه لا حرج عليه، ولا إثم. السعدي: ٥٠.

السؤال: إذا توفرت شروط الإكراه، فإن رحمة الله أوسع من تضيق العباد، وضح ذلك من الآية.

﴿ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِ غَضَبُ رَبِّكَ وَالْهُدَى عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ أخبر تعالى عن كفر به بعد الإيمان والتبصر، وشرح صدره بالكفر واطمان به، أنه قد غضب عليه؛ لعلمهم بالإيمان، ثم عدولهم عنه. ابن كثير: ٥٨/٢.

السؤال: لماذا كان ذنب المرتد عن الإسلام أعظم من ذنب الكافر الأصلي؟

﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِ غَضَبُ رَبِّكَ وَالْهُدَى عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

أجمع العلماء على أن من أكرهه على الكفر فاختار القتل؛ أنه أعظم أجراً عند الله ممن اختار الرخصة القرطبي: ٤٤٤/١٢.

السؤال: بين المراتب الجائزة للمكروه حسب الأفضلية.

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾

فأقدموا على ما أقدموا عليه من الردة لأجل الدنيا. ابن كثير: ٥٦٨/٢.

السؤال: بينت الآية سببا كبيرا لردة كثير من المرتدين، فما هو؟

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾

الله سبحانه وتعالى جعل استحباب الدنيا على الآخرة هو الأصل الموجب للخسران. ابن تيمية: ١٨٥/٤.

السؤال: ما الأصل الذي تعود إليه ضلالات الكفار؟

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَصَبَّرَهُمْ وَأَوَّلَتْهُمْ هُمْ الْفَقُولُ ﴾

ثم وصفهم فقال: (أولئك الذين طبع الله على قلوبهم) أي: عن فهم المواقف، (وسمعهم) عن كلام الله تعالى، (وابصارهم) عن النظر في الآيات، (وأولئك هم الغافلون) غمًا يزياد بهم. القرطبي: ٤٤٩/١٢.

السؤال: ما اثر الطبع على القلوب، والابصار، والاسماع؟

وَلَقَدْ تَعَلَّمَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يَعْلَمُهُ بَشَرٌ لِسَانِ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَتَجِدُ هَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِقَايَتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِقَايَتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَذِبُونَ ﴿١٧﴾ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبُ رَبِّكَ وَالْهُدَى عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٨﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَصَبَّرَهُمْ وَأَوَّلَتْهُمْ هُمْ الْفَقُولُ ﴿٢٠﴾ لَاحِرَةً أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا أَنَّهُ جَاهِدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢﴾

٢٧٩

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ	يَتَسُبُّونَ إِلَيْهِ أَنَّهُ عَلَّمَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
طَبَعَ	خَتَمَ.
لَا جَرَمَ	حَقًّا.
فَتِنُوا	عَذَّبُوا، وَابْتَلَوْا.

## ● العمل بالآيات

١. شارك في بعض المواقع الالكترونية، أو برامج الاتصال للدفاع عن الدين واهله، ﴿ وَلَقَدْ تَعَلَّمَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يَعْلَمُهُ بَشَرٌ لِسَانِ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَتَجِدُ هَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾.

٢. زر المقبرة، وتذكر أول ليلة لك في القبر، ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ ﴾.

٣. استخرج ثلاث فوائد من الآية: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا أَنَّهُ جَاهِدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

## ● التوجيهات

١. تعلم اللغة العربية عبادة؛ لأنها توصل إلى فهم القرآن الكريم، ﴿ لِسَانِ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَتَجِدُ هَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾.

٢. الاستسلام للنفس في تتبع اللذات الدنيوية سبب للانحراف، ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾.

٣. من علامات الغفلة: عدم تتبع المواقف والذكر ومحاولة الانتفاع بها، ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَصَبَّرَهُمْ وَأَوَّلَتْهُمْ هُمْ الْفَقُولُ ﴾.

الآية (١٠٣): يقول تعالى غيراً عن المشركين ما كانوا يقولونه من الكذب والافتراء والبُهْت: إن عمداً ﴿إِنَّمَا يَمْلِكُهُ﴾ هذا الذي يتلوه علينا من القرآن ﴿نَسْرُ﴾، ويشيرون إلى رجل أعجمي كان بين أظهرهم، غلام لبعض بطون قريش، وكان بياضاً يبيع عند الصفا، فربما كان رسول الله ﷺ يجلس إليه ويُكَلِّمه بعض الشيء، وذلك كان أعجمي اللسان لا يعرف العربية، أو أنه كان يعرف الشيء اليسير بقدر ما يَرِدُ جواب الخطاب فيها لا بد منه؛ فلهذا قال الله تعالى راداً عليهم في افتراءهم ذلك: ﴿لَكَاتُ الَّذِي يَلْحَدُونَكَ لِأَنَّهُ أَعْجَبِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ ثَبِيثٌ﴾ يعني: القرآن، أي: فكيف يتعلَّم من جاء بهذا القرآن، في فصاحته وبلاغته ومعانيه التامة الشاملة، كيف يتعلَّم من رجل أعجمي؟! لا يقول هذا من له أدنى مُشْكَةٍ من العقل.

الآية (١٠٤-١٠٥): يُخَبِّرُ تعالى أنه لا يهدي من أعرض عن ذكره وتغافل عما أنزله على رسوله، ولم يكن له قُصْدٌ إلى الإيمان بما جاء من عند الله، فهذا الجنس من الناس لا يهديهم الله إلى الإيمان بآياته وما أرسل به رسله في الدنيا، ولهم عذاب أليم مُوجِعٌ في الآخرة. ثم أخبر تعالى أن رسوله ليس بِمُفْتَرٍ ولا كَذَّابٍ؛ لأنه ﴿إِنَّمَا يَقُولُ الْكَذِبَ﴾ على الله وعلى رسوله شراً إلهيًّا، ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَكَ بِمَا يَأْتِيكَ اللَّهُ﴾ من الكفرة والملحدين المعروفين بالكذب عند الناس. والرسول محمد ﷺ، كان أصدق الناس وأبرهم وأكملهم علماً وعملاً وإيماناً وإيقاناً، معروفًا بالصدق في قومه، لا يشكُّ في ذلك أحد منهم بحيث لا يُدْعَى بينهم إلا بالأمين محمد.

الآية (١٠٦-١٠٩): أخبر تعالى عَمَّنْ كَفَّرَ به بعد الإيمان والتبُّر، وشرح صدره بالكفر واطمأن به: أنه قد غَضِبَ عليه؛ لعلهمم بالإيمان ثم عدولهم عنه، وأن لهم عذاباً عظيماً في الدار الآخرة؛ لأنهم استحيوا الحياة الدنيا على الآخرة، فأقدموا على ما أقدموا عليه من الرُّدَّة لأجل الدنيا، ولم يَنْدِ الله قلوبهم ويثبتهم على الدين الحق، فطُيْعَ على قلوبهم فلا يعقلون بها شيئاً ينفعهم ويختم على سمعهم وأبصارهم فلا يسمعون بها، ولا أغْنَتْ عنهم شيئاً، فهم غافلون عما يُرَادُ بهم.

﴿لَا جَرَمَ﴾ أي: لا بد ولا عجب أن من هذه صفته ﴿أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْخَاسِرُونَ﴾ أي: الذين خسروا أنفسهم وأهاليهم يوم القيامة.

وأما قوله: ﴿إِنَّمَا مَنْ أَكْثَرَهُ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ فهو استثناء ممن كفر بلسانه ووافق المشركين بلفظه مكرهاً لِمَا ناله من ضرب وأذى، وقلبه يأبى ما يقول، وهو مطمئن بالإيمان بالله ورسوله. [سبب النزول]: عن ابن عباس: أن هذه الآية نزلت في عَمَّار ابن ياسر، حين عذَّبَه المشركون حتى يكفر بمحمد ﷺ، فوافقهم على ذلك مُكْرَهاً، وجاء معتزلاً إلى النبي ﷺ، فَأَنْزَلَ الله هذه الآية؛ ولهذا

اتَّفَقَ العلماء على أنه يجوز أن يُؤَالِيَ المُكْرَهَ على الكفر، إبقاءً لِمُهْجَتِهِ، ويجوز له أن يَسْتَقِيلَ، كما كان بلال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يأبى عليهم ذلك، وهم يفعلون به الأفاعيل، حتى إنهم لضعمون الصخرة العظيمة على صدره في شدَّة الحر، ويأمرونه أن يشرك بالله فيأبى عليهم، وهو يقول: أَحَدًا، أَحَدًا. ويقول: والله لو أعلم كلمة هي أَقْبَضُ لكم منها لقلتُها رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وأرضاه. والأفضل والأولى أن يَثْبُتَ المسلم على دينه، ولو أَفْضَى إلى قتله، كما [روى] الحافظ ابن عساكر في ترجمة عبد الله ابن خُذَّافَةَ السهمي أحد الصحابة: أنه أَسْرَتُهُ الروم، فجأؤوا به إلى ملكهم، فقال له: تَنْصُرُ وأنا أَشْرِكُكَ في ملكي وأزورك ابنتي. فقال له: لو أعطيتني جميع ما تَمْلِكُ وجميع ما تملكه العرب، على أن أرجع عن دين محمد طَرَفَةَ عين، ما فعلت! فقال: إِذَا أَقْبَلْتُكَ. قال: أنت وذلك! فَأَمَرَ به فَصُلِبَ، وَأَمَرَ الرماة قَرْمَوْه قريباً من يديه ورجليه، وهو يَعْْرِضُ عليه دين النصرانية فيأبى، ثم أَمَرَ به فَأَنْزِلَ، ثم أَمَرَ بِقِنْدَرٍ -وفي رواية: ببقرة من نحاس- فَأُحْمِيَتْ، وجاء بأسير من المسلمين فألقاه وهو ينظر، فإذا هو عظام تَلُوحُ. وعَرَضَ عليه فأبى، فَأُمرَ به أن يُلقَى فيها، فَرُفِعَ في البكرة لِيُلْقَى فيها، فبَكَى فَطَمِعَ فيه ودعاه، فقال له: إني إنما بكيت لأن نفسي إنما هي نفس واحدة، ثَلَّثَ في هذه القِنْدَرِ الساعة في الله، فأحببت أن يكون لي بعدد كل شعرة في جسدي نفسٌ تُعَذِّبُ هذا العذاب في الله. وفي بعض الروايات: أنه سجنه ومنع عنه الطعام والشراب أياماً، ثم أرسل إليه بخمر ولحم خنزير، فلم يَقْرَبْهُ، ثم استدعاه فقال: ما تَمْلِكُ أن تأكل؟ فقال: أما إنه قد حَلَّ لي، ولكن لم أكن لِأُسْمَتِكَ فِي. فقال له الملك: فَاقْبَلْ رَأْسِي وأنا أَطْلِقُكَ. فقال: وَأُطْلِقُ معي جميع أسارى المسلمين؟ قال: نعم. فقبِلَ رأسه، فَأُطْلِقَهُ وَأُطْلِقَ معه جميع أسارى المسلمين عنده، فَلَمَّا رَجَعَ قال عمر بن الخطاب: حَقٌّ على كل مسلم أن يُقْبَلَ رأس عبد الله بن خُذَّافَةَ، وأنا أَبْدَأُ. فقام فقبِلَ رأسه.

الآية (١١٠): ﴿ثُمَّ لِيَكْ رَبُّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَنَهِدُوا وَصَبَرُوا﴾ هؤلاء صنف آخر كانوا مستضعفين بمكة، مُهَانِينَ في قومهم قد وَاتَّوَّهُمُ <sup>(١)</sup> على الفتنة، ثم إنهم أمكنهم الخلاص بالهجرة، فَتَرَكُوا بلادهم وأهليهم وأموالهم ابتغاء رضوان الله وغفرانه، وَأَنْتَظَمُوا في سِلْكِ الْمُؤْمِنِينَ، وجاهدوا معهم الكافرين، وَصَبَرُوا، فَأَخْبَرَ الله تعالى أنه ﴿مِنْ بَعْدِهَا﴾ أي: تلك الْفِتْلَةُ، وهي الإجابة إلى الفتنة ﴿لَعَنُورٌ﴾ لهم، ﴿رَجِيحٌ﴾ بهم يوم معادهم.

(١) تقول: اتَّبَعَهُ على ذلك الامر موافقة، وإذا وافقته وطاعته. والمائة تقول: واتَّبَعَتْ. فقول: (واتوهم على الفتنة) معناه: وافقوهم وطاعوهم بسبب الفتنة؛ [ينظر تاج اللغة وصحاح العربية، ولسان العرب، مادة (اتب)].

أَهْدَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ. ❖ أي: ذُبِحَ عَلَى غَيْرِ اسْمِ اللَّهِ.

ومع هذا ﴿تَمَيَّزَ اصْطَرَّ﴾ أي: احتاج في غير بني ولا عدوان  
﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ رَحِيمٌ﴾ وقد تقدّم الكلام على مثل هذه الآية في  
سورة «البقرة»<sup>(١)</sup>.

ثم نهي تعالى عن سلوك سبيل المشركين، الذين حَلَّلُوا وَحَرَّمُوا  
بمجرد ما وضعوه واصطلحوا عليه من الأسماء بأرائهم، من البجيرة  
والسائبة والوصيلة والحام، وغير ذلك مما كان شرعاً ما ابتدعوه في  
جاهليتهم، فقال: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكُذْبَ هَذَا حَلَلٌ  
وَهَذَا حَرَامٌ لِنَعْرِضَ عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ﴾.

وَيَدْخُلُ فِي هَذَا كُلُّ مَنْ ابْتَدَعَ بَدْعًا لَيْسَ فِيهَا مَسْتَدَّ شَرْعِي، أَوْ حَلَّلَ شَيْئًا مَأْخَرَمَ اللَّهِ، أَوْ حَرَّمَ شَيْئًا مَأْباحَ اللَّهِ، بِمَجَرَّدِ رَأْيِهِ وَتَشْبِيهِهِ. ثُمَّ تَوَعَّدَ عَلَى ذَلِكَ فَقَالَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يَقُولُوهُمْ﴾ أي: في الدنيا ولا في الآخرة. أما في الدنيا فمتاع قليل، وأما في الآخرة فلهم عذاب أليم، كما قال: ﴿نَعِمْتُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [لقمان: ٢٤]، وقال: ﴿وَالَّذِينَ يَفْعَلُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يَقُولُوهُمْ﴾ ﴿٧٩﴾ مَتَّعَ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِنَّنَا سَرَجُمُهُمْ ثُمَّ نَذِقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ [يونس: ٦٩-٧٠].

الآية (١١٨): لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى أَنَّهُ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْنَا الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ، وَمَا أَهْلُ لَغِيرِ اللَّهِ بِهِ، وَأَنَّهُ أَرْخَصَ فِيهِ عِنْدَ الضَّرُورَةِ، وَفِي ذَلِكَ تَوْسِعَةٌ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ؛ ذَكَرَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَا كَانَ حَرَمَهُ عَلَى الْيَهُودِ فِي شَرِيعَتِهِمْ قَبْلَ أَنْ يَنْسَخَهَا، وَمَا كَانُوا فِيهِ مِنَ الْأَصَارِ وَالْأَغْلَالِ وَالْحَرَجِ وَالنَّضِيقِ، فَقَالَ: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا مِمَّا قَفَضْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ﴾ يعني قوله: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا مِمَّا كَلَّ ذِي ظُلْمٍ وَبَرٍّ أَلْبَرِ وَأَلْفَنَرِ حَرَمًا عَلَيْهِمْ شَوْحُمَهَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهَا أَوْ أَلْحَايَا أَوْ مَا تَخَلَّطَ بِظُلْمِ ذَلِكَ جَرَّتْهُمْ بَيْتُهُمْ وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٦]؛ ولهذا قَالَ ههنا: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾ أي: فِيمَا ضَمِنَّا عَلَيْهِمْ، ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ أي: فَاسْتَحَقُّوا ذَلِكَ، كَمَا قَالَ: ﴿فَيُظْلَمُونَ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا عَلَيْهِمْ طَبِئَتْ أُجَلَتْ لَهُمْ وَصَدَّتْهُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كِبِيرًا﴾ [النساء: ١٦٠].

الآية (١١١): ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ بِجَدِلٍ﴾ أي: مُحَاجَّةٍ  
﴿عَنْ نَفْسِهَا﴾ ليس أحد يُحَاجُّ عنها، لا أب ولا ابن ولا أخ ولا زوجة.  
﴿وَتَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ أي: من خير وشر.  
﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ أي: لا يُنْقُصُ من ثواب الخير، ولا يزداد  
على ثواب الشرِّ، ولا يُظْلَمُونَ فقيرًا.

الآية (١١٢-١١٣): ﴿هَذَا مَثَلٌ أُرِيدُ بِهِ أَهْلَ مَكَّةَ، فَإِنَّمَا كَانَتْ أَمْنَةً مَطْمَئِنَةً مُسْتَقَرَّةً، يُخْطَفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهَا، وَمَنْ دَخَلَهَا آمِنًا لَا يَخَافُ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا إِنَّا نَتَّبِعُ الْأَلْهَى مَعَكُمْ نَتَخَفَتُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْلَمْ تُؤْمِنُوا أَنَّهُمْ خَرَمُوا أَمْوَالَنَا لِيُبَيِّحَ لِيُنْفِقَ مِنْ ذَلِكَ مِمَّا لَدُنَّا﴾ [القصاص: ٥٧]. وهكذا قال ههنا: ﴿بِأَيِّهَا زِدْنَاهَا عَذَابًا﴾ أي: هَيْئًا سَهْلًا، ﴿مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرْتَ بِأَتَمِّهِ اللَّهِ﴾ أي: جَحَدْتَ إِيَّاهُ اللَّهُ عَلَيْهَا، وَأَعْظَمَ ذَلِكَ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ إِلَيْهِمْ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَأِ الْآلِينَ يَدْعُوا بِدَوْلَا يُعْتَمَدُ اللَّهُ كُفْرًا وَأَعْلُوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا وَيُسْكِرُ الْفَسَّارُ﴾ [إبراهيم: ٢٨-٢٩].

ولهذا بدلهم الله بحاليتهم الأولين خلفها، فقال: ﴿فَأَذْنَبَهَا اللَّهُ لِيَاسِّ الْجُوعِ﴾ أي: ألَبَسَهَا وأَذْنَبَهَا الجوع بعد أن كان يُجْبِي إليهم ثمرات كل شيء، ويأتيها رزقها رَعْدًا من كل مكان.

وقوله: ﴿وَالْخَوْفُ﴾ وذلك بأنهم بُدِّلُوا بأمنهم خوفاً من رسول الله ﷺ وأصحابه، حين هاجروا إلى المدينة، من سطوة سراياه وجيوشه، وجعلوا كل ما هم في سَفَالٍ وَدَمَارٍ، حتى فَتَحَهَا اللهُ عليهم، وذلك بسبب صنيعهم وبِزْهِيمٍ وتكذيبهم الرسولَ الذي بَعَثَهُ اللهُ فيهم منهم، وامتنَ به عليهم في قوله: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، وقال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَّوَلَّى الْكَافِرِينَ الْأَيْنَ مَا مَوَدَّةَ أَنْزَلُ اللَّهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ ۖ ذِكْرُ ۝١٠﴾ سُورَةُ بَنِي إِسْرَءِيلَ آيَةُ ١٠، مَيْتَرٌ يُخْرِجُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ آيَةُ [الطلاق: ١٠-١١]، وقوله: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَمُزَكِّمًا لَكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا تَكْفُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥١-١٥٢].

وكما أنه انعكس على الكافرين حالهم، ففعلوا بعد الأمن، وجاعوا بعد الرِّقْد، بَدَّلَ الله المؤمنين من بعد خوفهم أَمْنًا، وَزَرَقَهُم بعد الْعَيْلَةِ، وَجَعَلَهُم أُمَرَاءَ النَّاسِ وَحُكَّامَهُمْ، وسَادَتِهِمْ وَقَادَتِهِمْ وَأَثَمَتَهُمْ. وهذا الذي قلناه من أن هذا المثل مضروب لمكة، قاله العوفي عن ابن عباس. وإليه ذهب مجاهد وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم. وحكاها مالك عن الزهري رحمه الله.

الآية (١١٤-١١٧): يقول تعالى أمراً عباده المؤمنين بأكل رزقه الحلال الطيب، وشكره على ذلك؛ فإنه المُنْعِمُ الْمُتَقَصِّلُ به ابتداءً، الذي يستحقُّ العبادة وحده لا شريك له. ثم ذَكَرَ ما حَرَّمَهُ عليهم ممَّا فيه مُضَرَّةٌ لهم في دينهم ودنياهم، من الميتة والدم ولحم الخنزير، ﴿وَمَا

(١) الآية (١٧٣) ص ٢٦؛ وما قاله ابن كثير هناك هو: أباح تعالى تناول ذلك عند الضرورة والاحتياج إليها، عند فقْدِ غيرها من الأطعمة، فقال: ﴿فَمَنْ أَشْطَرُّ غَيْرَ بَاسٍ وَلَا عَادٍ﴾ أي: في غير بُعْيٍ ولا عدوان، وهو مجاوزة الحد، ﴿فَلَا أَتِمُّ عَلَيْهِ﴾ أي: في أكل ذلك؛ ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ رَحِيمٌ﴾. قال قتادة: غير باعٍ في الميتة، أي: في أكله: إن يتعدى حلالاً إلى حرام، وهو يُحْدِثُ عنه مَنَدُوحَةً.



## ● الوقفات التدريبية

١ ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ مُّجْدِلٌ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهِيَ لَا يَظْلُمُونَ﴾

(يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها): تخاصم، وتحتج عن نفسها بما أسلفت من خير وشر، مشتغلاً بها، لا تتفرغ إلى غيرها. البغوي: ٢/٢٤١.

السؤال: متى يشغل العبد بنفسه ولا يتفرغ ليعوب الآخرين؟

٢ ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً بِأَيْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾

وقدم الأمن على الطمأنينة؛ إذ لا تحصل الطمأنينة بدونه، كما أن الخوف يسبب الانزعاج، والقلق. ابن عاشور: ١٤/٣٠٥.

السؤال: لماذا قدم الأمن على الطمأنينة في الآية الكريمة؟

٣ ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً بِأَيْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾

سماء لباساً لأنه يظهر عليهم من الهزال، وشحوبة اللون، وسوء الحال ما هو كالباس. القرطبي: ١٢/٥٢٢.

السؤال: لم سمى الله تعالى الجوع والخوف النازل بالأمم الهالكة لباساً؟

٤ ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً بِأَيْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾

جعلهم مثلاً وعظة لمن يأتي بمثل ما أتوا به من إنكار نعمته الله ابن عاشور: ١٤/٣٠٣.

السؤال: كيف تكون القرى المهلكة مثلاً وعظة لغيرها؟

٥ ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَيْزِرِ وَمَا أَيْلَ لَّغَيْرِ اللَّهِ يَوْمَ﴾

فأله تعالى ما حرم علينا إلا الخبيثات، تفضلاً منه، وصيانة عن كل مستقذر. السعدي: ٥٩١.

السؤال: ما علّة التحريم في الأطعمة المحرمة؟

٦ ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا يُصِفُّكُمْ أَلَيْسَتْ كُفْرًا هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَقْتُلُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يَفْلَحُونَ﴾

ويدخل في هذا كل من ابتعد بدعة ليس له فيها مستند شرعي. ابن كثير: ٢/٥٧٠.

السؤال: كيف تدل الآية على تحريم البدع في الدين؟

٧ ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا يُصِفُّكُمْ أَلَيْسَتْ كُفْرًا هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَقْتُلُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يَفْلَحُونَ﴾

هذه الآية مخاطبة للعرب الذين أحلوا أشياء، وحرموا أشياء، كالبهيرة وغيرها مما ذكر في سورة المائدة والأنعام، ثم يدخل فيها كل من قال:

هذا حلال، وهذا حرام بغير علم. ابن جزي: ١/٤٧٦.

السؤال: بين الأصناف الذين يدخلون في هذه الآية.

\* يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ مُّجْدِلٌ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهِيَ لَا يَظْلُمُونَ ﴿١﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً بِأَيْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿٣﴾ فَكُلُوا مِن مَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَلًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا يِعْنَتَ اللَّهِ إِنَّ كُنتُمْ إِتِيَاءَ عِبَادُونَ ﴿٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَيْزِرِ وَمَا أَيْلَ لَّغَيْرِ اللَّهِ يَوْمَ تَقُفُّونَ فَمَنِ أَضْطَرَّ بِغَيْرِ اللَّهِ فَلَاحِقَ اللَّهُ عَفْوَ رَحِيمٌ ﴿٥﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَا يُصِفُّكُمْ أَلَيْسَتْ كُفْرًا هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَقْتُلُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يَفْلَحُونَ ﴿٦﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمًا فَصَصَبْنَاهُمْ عَلَىٰ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْتَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٨﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
رَغَدًا	هينئاً سهلاً.
غَيْرِ بَاقٍ	غَيْرِ مُرِيدٍ وَلَا طَالِبٍ لِلْمَحْرَمِ.
وَلَا عَادٍ	وغير متجاوز حد الضرورة مما يسد الرَّمَقَ.

## ● العمل بالآيات

- اشتغل اليوم بعبودك؛ بالتفكير فيها، ومعرفة طرق إصلاحها، ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ مُّجْدِلٌ عَنْ نَفْسِهَا﴾.
- أرسل رسالة تحذر فيها من أمثلة موجودة في المجتمع للكفر بالنعمته، ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً بِأَيْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾.
- سم الله تعالى قبل الأكل، واحمده بعده، وإذا بقي منك طعام صالح للأكل فاذهب به إلى أحد المحتاجين، ﴿فَكُلُوا مِن مَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَلًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا يِعْنَتَ اللَّهِ إِنَّ كُنتُمْ إِتِيَاءَ عِبَادُونَ﴾.

## ● التوجيهات

- تأمل في أسباب إهلاك الله تعالى للأمم والدول قديماً وحديثاً، ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً بِأَيْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾.
- احذر من أكل ما لم يذكر اسم الله عليه، وكذب المصانع في ذلك فإنه سبب لرد دعائك وبعدك عن ربك، ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَيْزِرِ وَمَا أَيْلَ لَّغَيْرِ اللَّهِ يَوْمَ تَقُفُّونَ﴾.
- إذا جاءك الداعية أو الناصح فاقبل منه الحق، منقاداً لأوامر الله، ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾.



## ● الوقفات التدريبية

﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا الشُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

أخبر تعالى تكراً وامتناناً في حق العصاة المؤمنين أن من تاب منهم إليه تاب عليه، فقال: (ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة) قال بعض السلف: كل من عصى الله فهو جاهل. ابن كثير: ٥٧١/٢.

السؤال: لماذا يوصف العاصي بالجهل؟

﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا الشُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

معنى الإصلاح: الاستقامة على التوبة البغوي: ٦٤٣/٢.

السؤال: ما المقصود بقوله تعالى (ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا)؟

﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾

(إن إبراهيم كان أمة)؛ فيه وجهان: أحدهما: أنه كان وحده أمة من الأمم بكامله، وجمعه لصفات الخير... والآخر: أن يكون أمة بمعنى إماماً؛ كقوله: (إني جاعلك للناس إماماً) (البقرة: ١٢٤)، قال ابن مسعود: والأمة: معلم الناس الخير. ابن جزي: ٤٧٧/١.

السؤال: تضمنت كلمة (أمة) عدة صفات اتصف بها إبراهيم عليه السلام، فما هي؟

﴿ وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾

نفى عنه الشرك قصد الرد على المشركين من العرب الذين كانوا ينتمون إليه. ابن جزي: ٤٧٧/١.

السؤال: من انتسب للنبي ﷺ أو آل بيته وهو مشرك، فهل ينفعه ذلك شيئاً؟

﴿ أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَدِّ لَّهُمُ الْبَاطِلَ هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾

المراد بالسبيل هنا: الإسلام، (والحكمة) هي الكلام الذي يظهر صوابه، (والموعظة) هي الترغيب والترهيب، والجدال هو الرد على المخالف.

وهذه الأشياء الثلاثة يسميها أهل العلوم العقلية بالبرهان، والخطابة، والجدال. ابن جزي: ٤٧٨/١.

السؤال: تحدث عن مقومات الدعوة الناجحة من خلال هذه الآية.

﴿ وَحَدِّ لَّهُمُ الْبَاطِلَ هِيَ أَحْسَنُ ﴾

فيجدال بالتي هي أحسن، وهي الطرق التي تكون أدعى لاستجابته عقلاً ونقلاً، ومن ذلك: الاحتجاج عليه بالأدلة التي كان يعتقد؛ فإنه أقرب إلى حصول المقصود، وإن لا تؤدي المجادلة إلى خصام أو مشاتمة تذهب بمقصودها، ولا تحصل الفائدة منها، بل يكون القصد منها هداية الخلق

إلى الحق، لا المغالبة ونحوها. السعدي: ٤٥٢.

السؤال: كيف تكون المجادلة بالتي هي أحسن؟

﴿ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾

أي: بمعونته الله وتوقيفه. البغوي: ٦٤٧/٢.

السؤال: هل يستطيع العبد أن يحقق الصبر بنفسه؟

﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا الشُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾  
 إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ  
 ﴿ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾  
 ﴿ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَآتَاهُ فِي الْآخِرَةِ لَمَنْ الصَّالِحِينَ ﴾  
 ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾  
 ﴿ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَخْكُمُ بَيْنَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾  
 ﴿ أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَدِّ لَّهُمُ الْبَاطِلَ هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾  
 ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾  
 ﴿ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَلُوبٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴾  
 ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾

(٢٨١)

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
بِجَهَالَةٍ	بِسَفْهَةٍ وَجَهْلٍ لِعَاقِبَتِهَا، وَكُلُّ مَنْ عَصَى اللَّهَ فَهُوَ جَاهِلٌ.
أُمَّةً	إِمَامًا، جَامِعًا لِبَخَالِ الْخَيْرِ.
قَانِتًا	خَاضِعًا، مُدَاوِمًا عَلَى الطَّاعَةِ.
حَنِيفًا	مَائِلًا عَنِ الشُّرْكِ إِلَى التَّوْحِيدِ قَصْدًا.
اجْتَبَاهُ	اخْتَارَهُ.
سَبِيلِ رَبِّكَ	دِينِ رَبِّكَ، وَطَرِيقَهُ الْمُسْتَقِيمِ.

## ● العمل بالآيات

١. استخرج الأساليب الدعوية في هذه الآية وطبقها في عمل دعوي هذا اليوم،

﴿ أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَدِّ لَّهُمُ الْبَاطِلَ هِيَ أَحْسَنُ ﴾.

٢. تدرب مع صديقك اليوم على الجدال بالتي هي أحسن، ﴿ وَحَدِّ لَّهُمُ الْبَاطِلَ هِيَ أَحْسَنُ ﴾.

٣. تذكر ذنبا ارتكبته وانت جاهل، ثم استغفر الله منه، ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا الشُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾.

## ● التوجيهات

١. من أساليب الدعوة استخدام الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، ﴿ أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَدِّ لَّهُمُ الْبَاطِلَ هِيَ أَحْسَنُ ﴾.

٢. إذا أراد الله بعيد خيرا رزقه الصبر، ﴿ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾.

٣. التقوى والإحسان سببان لحصول معية الله للعبد، ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾.

إلى الله ﴿وَالْحِكْمَةُ﴾ قال ابن جرير: وهو ما أنزله عليه من الكتاب والسنة، ﴿وَالْمَوْعِظَةُ الْحَسَنَةُ﴾ أي: بما فيه من الزواجر والوقائع بالناس؛ دَعَرْتُهُمْ بها، لِيَحْذَرُوا بِأَسِ اللَّهِ تعالى. وقوله: ﴿وَيَحْيِدْ لَهُمْ يَأْتِي مِنْ أَحْسَنَ﴾ أي: من احتاج منهم إلى مناصرة وجدال، فليكن بالوجه الحسن برفق ولين، وحسن خطاب، كما قال: ﴿وَلَا تَجِدُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا يَأْتِي مِنْ أَحْسَنَ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾

[التكوير: ٤٦]، فأمره تعالى بيلين الجانب، كما أمر موسى وهارون -عليهما السلام- حين بعثهما إلى فرعون فقال: ﴿قُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْسَ لَكَ بِدَعْوَةٍ أَوْ يَحْتَضِرُ﴾ [طه: ٤٤]. وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْجَرِينَ﴾ أي: قد علم الشقي منهم والسعيد، وكتب ذلك عنده وقرع منه، فادعهم إلى الله، ولا تذهب نفسك على من ضلَّ منهم حسرات؛ فإنه ليس عليك هدام إننا أنت نذير، عليك البلاغ، وعلينا الحساب، ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القمر: ٥٦].

الآية (١٢٦-١٢٨): يأمر تعالى بالعدل في الاقتصاد والمائلة في استيفاء الحق، كما قال ابن سيرين في قوله تعالى: ﴿فَعَارِفُونَ يُمِثِّلُ مَا عُوِفْتُمْ بِهِ﴾: إن أخذ منكم رجل شيئاً، فخذوا منه مثله. وكذا قال مجاهد وإبراهيم والحسن البصري وغيرهم. واختاره ابن جرير.

وهذه الآية الكريمة لها أمثال في القرآن؛ فإنها مشتملة على مشروعية العدل والتدب إلى الفضل، كما في قوله: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا سَيِّئًا سَيِّئًا يَنْتَلِهَا﴾، ثم قال: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَمْلَحَ غَلْبَهُ عَلَى آلِهِ﴾ [النور: ٤٠]. وقال: ﴿وَالْجُرُوحُ قِصَاصٌ﴾، ثم قال: ﴿فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ﴾ [المائدة: ٤٥]. وقال في هذه الآية الكريمة: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَارِفُونَ يُمِثِّلُ مَا عُوِفْتُمْ بِهِ﴾، ثم قال: ﴿وَلَيْنَ صَبَرْتُمْ لَهَوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾. وقوله: ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا يَلْلَهُ﴾: تأكيد للأمر بالصبر، وإخبار بأن ذلك إنما يُثَال بمشيئة الله وإعاقته، وحوله وقوته.

﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ أي: على من خالفك، لا تحزن عليهم؛ فإن الله قدر ذلك، ﴿وَلَا تَأْكُ فِي ضَيْقٍ﴾ أي: غمٍّ ﴿وَمَا يَمْكُرُونَ﴾ أي: مما يجهدون في عداوتك وإيصال الشر إليك؛ فإن الله كافيك وناصرك ومؤيدك ومظهرهم ومظفرهم بهم.

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ أي: معهم بتأييده ونصره ومعونته وهذه معية خاصة؛ كقوله: ﴿إِذْ يُوسَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَأِكَةِ آتَىٰ مَكَّمْ﴾ [الأشغال: ١٢]، وقوله لموسى وهارون: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَتَمَّ وَأَزْكَى﴾ [طه: ٤٦]، وقول النبي ﷺ للصديق وهما في الغار: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠]، وأما المعية العامة فبالسمع والبصر والعلم؛ كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ مَكَرَ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤]. ومعنى: ﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ أي: تركوا المحرمات، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ أي: فعلوا الطاعات؛ فهؤلاء الله يحفظهم ويكلوهم، ويصبرهم ويؤيدهم، ويظهرهم على أعدائهم ومخالفهم.

الآية (١١٩): أخبر تعالى تَكْرُمًا وامتنانًا في حق العصاة المؤمنين: أن من تاب منهم إليه تاب عليه، فقال: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا الشُّوءَ بِجَهْلَةٍ﴾ قال بعض السلف: كل من عصى الله فهو جاهل. ﴿فَمَنْ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا﴾ أي: أقبلوا عما كانوا فيه من المعاصي، وأقبلوا على فعل الطاعات. ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾ أي: تلك الفعلة والزلة ﴿لَعَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

الآية (١٢٠-١٢٣): يمدح تعالى عبده ورسوله وخليله إبراهيم، إمامَ الختفاء ووالد الأنبياء، ويؤيده من المشركين، ومن اليهودية والنصرانية فقال: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا﴾، فاما «الأمّة» فهو الإمام الذي يُقْتَدَى به. والقانت: هو الحاشع المطيع. والخنيف: المُنْحَرِفُ قَصْدًا عن الشرك إلى التوحيد؛ ولهذا قال: ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾. وقوله: ﴿شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ﴾ أي: قاتبا بشكر نعم الله عليه، كما قال: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ [النجم: ٣٧]، أي: قام بجميع ما أمره الله تعالى به. ﴿أَحْسِبُهُ﴾ أي: اختاره واصطفاه ﴿وَهَدَّاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ وهو عبادة الله وحده لا شريك له على شرع مرضي. وقوله: ﴿وَمَا يَنْتَهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ أي: يجمع له خير الدنيا من جميع ما يحتاج المؤمن إليه في إكمال حياته الطيبة ﴿وَأَلَّاهُ فِي الْآخِرَةِ لَيَنَّ الصَّالِحِينَ﴾، وقال مجاهد في قوله: ﴿وَمَا يَنْتَهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ أي: لسان صدق. وقوله: ﴿ثُمَّ أَرْحَبْنَا إِلَيْكَ أَنْ أَنْعِيَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ أي: ومن كماله وعظمته وصحة توحيده وطريقه، أنا أوحينا إليك يا خاتم الرسل وسيد الأنبياء: ﴿إِنْ أَنْعِيَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ كما قال: ﴿قُلْ إِنِّي مَدَنِيٌّ مَدَنِيَّاتِي صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٦١].

الآية (١٢٤): قال تعالى منكرا على اليهود: ﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾. لا شك أن الله شرع في كل ملة يوما من الأسبوع، يجتمع الناس فيه للعبادة، فشرع تعالى لهذه الأمة يوم الجمعة؛ لأنه اليوم السادس الذي أكمل الله فيه الخليقة، وتَمَّتْ النعمة على عباده. ويقال: إنه تعالى شرع ذلك لبني إسرائيل على لسان موسى، فعَدَلُوا عنه واختاروا السبت؛ لأنه اليوم الذي لم يخلق فيه الربُّ شيئاً من المخلوقات الذي كَمَلَ خلقها يوم الجمعة، فالزمهم تعالى به في شريعة التوراة، ووصَّاهم أن يتمسكوا به وأن يحافظوا عليه، مع أمره بإيهاهم بمناجاة محمد ﷺ إذا بَتَّه. وأخذهم موافقهم وعهودهم على ذلك؛ ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾. قال مجاهد: اتَّبَعُوهُ وتركوا الجمعة. وقد ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، ثم هذا يومهم الذي قرَّضَ الله عليهم فاختلفوا فيه، فهذا الله له، فالناس لنا فيه تبع، اليهود غداً، والنصارى بعد غد».

الآية (١٢٥): يقول تعالى أمراً رسوله محمداً ﷺ أن يدعو الخلق



وهي مكية، [وعدد آياتها (١١١) آية].

[فضل السورة]: عن ابن مسعود رضي الله عنه قال في بني إسرائيل والكهف ومريم: إنهن من العنقا الأول وهن من يلاذي <sup>(١)</sup> [رواه البخاري]. وعن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يقرأ كل ليلة «بني إسرائيل»، و«الزمر» [رواه أحمد والنسائي والترمذي، وصححه الألباني].

الآية (١): يعبد تعالى نفسه، ويعظم شأنه، لقدرته على ما لا يقدر عليه أحد سواه، فلا إله غيره ولا رب سواه «الَّذِي أَنْشَأَ بَنِيَّهِ» يعني محمداً ﷺ «لَيْلًا» أي في جنح الليل «وَمَنْ أَلَمَسَ جِدَ الْحَزَائِرِ» وهو مسجد مكة «إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا» وهو بيت المقدس الذي هو بليلاء، معدن الأنبياء من لدن إبراهيم الخليل، ولهذا يجتمعوا له هنالك كلهم، فأتهم في محلتهم ودارهم، فدل على أنه هو الإمام الأعظم، والرئيس المقدم. قوله: «الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ» أي: في الزروع والثمار «لَنُرِيَهُ» أي: محمداً «مِنْ أَيْنِسْنَا» أي: العظام كما قال تعالى: «لَقَدْ رَأَيْنَا آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى» [النجم: ١٨]. قوله: «إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» أي: السميع لأقوال عباده، مؤمنهم وكافرهم، مُصَدِّقُهُمْ ومَكْذِبُهُمْ، البصير بهم، فيعطي كلًا منهم ما يستحقه في الدنيا والآخرة. عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «سررت ليلة أسري بي على موسى، عليه السلام، قائما يصلي في قبره» [رواه مسلم]. والحق أنه ﷺ لا يظن أنه يبقظ لا منامًا من مكة إلى بيت المقدس. ورأى الجنة والنار، وفرض الله عليه هنالك الصلوات خمسين، ثم خففها إلى خمس؛ رحمة منه ولفظًا بعباده. ثم اختلف الناس: هل كان الإسراء بيده ﷺ وروحه أو بروحه فقط؟ فالأكثر من العلماء على أنه أسري بيده وروحه ببقظ لا منامًا؛ والدليل على هذا قوله: «سَيَحْنُ الَّذِي أَنْشَأَ بَنِيَّهِ» لَيْلًا، فالنسيح هنا يكون عند الأمور العظام، فلو كان منامًا لم يكن فيه كبير شيء ولم يكن مستعظما، ولما بادرت كفار قريش إلى تكذيبه، ولما ارتد جماعة ممن كان قد أسلم. وأيضًا فإن العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد، وقد قال: «أَنْشَأَ بَنِيَّهِ» لَيْلًا، وقد قال: «مَنْ أَلَمَسَ الْحَزَائِرَ وَمَا كُنْ» [النجم: ١٧]، والبصر من آلات الذات لا الروح. وأيضًا فإنه محمل على البراق، وهو دابة بيضاء براءة لها لمعان، وإنما يكون هذا للبدن لا للروح؛ لأنها لا تحتاج في حركتها إلى مركب تركب عليه. وقال آخرون: بل أسري برسول الله ﷺ بروحه لا بجسده. وقد تعقبه ابن جرير في تفسيره بالرد والإنكار والتشنيع بأن هذا خلاف ظاهر سياق القرآن.

الآية (٢-٣): لما ذكر تعالى أنه أسرى بعبده محمد ﷺ، عطف بذكر موسى عبده وكليمه أيضًا، فإنه تعالى كثيرا ما يقرن بين ذكر موسى ومحمد -عليهما السلام- وبين ذكر التوراة والقرآن؛ ولهذا قال بعد ذكر

(١) أي من أول ما أخذته وتعلمته بمكة. اهـ [النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، مادة (تلاذ)].

الإسراء: ﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ يعني التوراة ﴿وَجَعَلْنَاهُ أَيْ الْكِتَابَ هُدًى﴾ أَيْ: هاديا ﴿لِنَبَيِّ إِسْرَءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا﴾ أَيْ: لئلا تتخذوا ﴿مِنْ دُونِي وَكِيلًا﴾ أَيْ: وليا ولا نصيرا ولا معبودا دوني؛ لأن الله تعالى أنزل على كل نبي أرسله أن يعبد وحده لا شريك له. قوله: ﴿ذَرِيَّةً مِّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ تقديره: يا ذرية من حملنا مع نوح. فيه تبيين وتنبيه على المنه؛ أي: يا سلالة من نجينا فحملنا مع نوح في السفينة، تشبهوا بأبيكم «إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا» فاذكروا أنتم نعمتي عليكم بإرسالي إليكم محمداً ﷺ. عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «فأتون نوحا فيقولون: يا نوح، إنك أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وقد ساء لك الله عبدا شكورا، فاشفع لنا إلى ربك» [متفق عليه].

الآية (٤-٦): يخبر تعالى أنه قضى إلى بني إسرائيل في الكتاب، أَيْ: تقدم إليهم وأخبرهم في الكتاب الذي أنزله عليهم أنهم سيفسدون في الأرض مرتين ويعلمون علوا كبيرا، أَيْ: يتجبرون ويظنون ويفجرون على الناس. قوله: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَئِهِمَا﴾ أَيْ: أولى الإفسادتين، «فَتَنَّا عَبْدًا نَافِلًا أَوَّلَ بَأْسٍ سَدِيدٍ» أَيْ: سلطنا عليكم جندا من خلقنا أولي بأس شديد، أَيْ: قوة وعدة وسلطة شديدة، «فَتَبَاشَوْا ذِئَابَ الْبِلَادِ» أَيْ: تملكوا بلادكم وسلخوا خلال بيوتكم، أَيْ: بينها ووسطها، وانصرفوا ذاهبين وجائين لا يخافون أحدا، «وَكُنَّا وَعَدًا مَّعْرُولاً» وقد اختلف المفسرون في هؤلاء المسلمين عليهم من هم؟ فمن ابن عباس: أنه جالوت الجزري وجنوده، سلط عليهم أولا، ثم أديلو عليه بعد ذلك. وقيل داود جالوت؛ ولهذا قال: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ الآية. وعن سعيد بن جبير: أنه بُخْتَنَصَّرَ مَلِكُ بَابِلَ. وقد أخبر الله عنهم أنهم لما بغوا وظفوا سلط الله عليهم عدوهم، فاستباح بيضتهم، وسلك خلال بيوتهم وأذهم وقهرهم، جزاء وفاء، وما ربك بظالم للعبيد؛ فإنهم كانوا قد تمردوا وقتلوا خلقا من الأنبياء والعلماء. عن سعيد بن المسيب: ظهر بُخْتَنَصَّرُ على الشام، فخرَّب بيت المقدس وقتلهم، ثم أتى دمشق فقتل سبعين ألفا من المسلمين وغيرهم. وهذا صحيح إلى سعيد، وهذا هو المشهور، وأنه قتل أشرفهم وعلماءهم، حتى إنه لم يبق من يحفظ التوراة، وأخذ معه منهم خلقا كثيرا أسرى من أبناء الأنبياء وغيرهم، وجرت أمور وكوائف يطول ذكرها.

الآية (٧): قوله: ﴿إِن أَحْسَنْتَ أَحْسَنْتَ لَأَمْسِكَنَّ﴾ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا، أَيْ: فعليها كما قال: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ، وَمَنْ أَسَاءَ فَلِنَفْسِهِ﴾ [نص: ٤٦]. قوله: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾ أَيْ: الكرّة الآخرة، أَيْ: إذا أفسدتم المرة الثانية وجاء أعداؤكم «لَيَسْتَوْفُوا جُزْءَكُمْ» أَيْ: يهنؤكم ويقهروكم «وَلَيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ» أَيْ: بيت المقدس «كَمَا دَخَلُوا أَوَّلَ مَرَّةٍ» أَيْ: في التي جاسوا فيها خلال الديار «وَلَيَسْهَبُوا» أَيْ: يذمروا ويحزبوا «مَاعْلَا» أَيْ: ما ظهوروا عليه «نَبِيرًا».



## ● الوقفات التديرية

﴿ شَبَّحَنَ الَّذِي أَمَرَنِي بِعَبْدِهِ لِيَمْلِكَنِ الْمَوْتُ وَالْحَيَاةَ إِلَى السَّعِيدِ ۝ أَلَمْ أَفْصَلْ الَّذِي بَرَكْتَ لَكَ بِهِ لَعَلَّكَ تَتَذَكَّرُ ۝ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝ ﴾

الافتتاح بكلمة التسبيح من دون سبق كلام مُتَضَمِّنٌ مَا يَجِبُ تَنْزِيهِ اللَّهِ عَنْهُ يُؤْذِنُ بَأَنَ خَبْرًا عَجِيبًا يَسْتَقْبِلُهُ السَّامِعُونَ: دَالًّا عَلَى عَظِيمِ الْقُدْرَةِ مِنَ الْمَلِكِ، وَرَفِيعِ مَنْزِلَةِ الْمُتَحَدِّثِ عَنْهُ. ابن عاشور: ٩/١٥.

**السؤال: بين فائدة الافتتاح بالتسبيح في الآية الكريمة.**

﴿سُجِّنَ الَّذِينَ أَسْرَىٰ مَعَهُ، لِأَنَّ مِنَ السَّجْدِ الْحَرَامِ إِلَى السَّجْدِ الْأَخْصَا﴾<sup>١</sup>  
والحق انه -عليه السلام- أسري به يقظة لا نماً ... فالتسبيح إنما  
يكون عند الأمور العظام، فلو كان نماً لم يكن فيه كبير شيء، ولم  
يكن مستعظماً، ولما بدرت كفار قريش إلى تكذيبه، ولما ارتدت جماعة  
ممن كان قد أسلم. وأيضاً فإن العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد،  
وقد قال: (أسرى بعبد). ابن كثير: ٢٣/٣.

وقد قال: ( أسرى بعبدہ ) . ابن كثير: ۲۳/۳ .

**السؤال:** هل أُسري بروح النبي ﷺ فقط، أم بروحه وجسده؟ وضح ذلك.

﴿سَبَّحَنَ الَّذِي أَمَرَنِي بِعِبَادِهِ﴾  
 وذكره هنا بصفة العبودية لأنه نال هذه المقامات الكبار بتكميله لعبودية ربه. السعدي: ٤٥٣.

لعبودية ربه. السعدي: ٤٥٣.

السؤال: ما الحكمة من وصف النبي ﷺ بالعبودية في هذا المقام؟ ﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكَتَبَ وَجَعَلْنَاهُ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا تَنْجِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا﴾

دُونِي وَكِيلًا ﴿١٠﴾

نهى أن يتخذ من دونه وكيلًا لأن المخلوق لا يستقل بجميع حاجات العبد. والوكالة الجائزة أن يوكل الإنسان في فعل بقدر عليه، فيحصل للموكل بذلك بعض مطلوبه، فأما مطالبه كلها فلا يقدر عليها إلا الله. ابن تيمية: ٢٠٢/٤.

الله. ابن تیمیة: ۴/۲۰۲.

**السؤال: لماذا نهينا عن اتخاذ وكيل من دون الله؟**

﴿ ذُرِّيَّةً مِّنْ حَمَلِنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾

اي: كثير الشكر؛ كان يحمد الله على كل حال، وهذا تعليل لما تقدم؛

اي: كونوا شاكرين كما كان ابوكم نوح. ابن جزى: ١/٨١.

اي: ڪونوا شاڪرين ڪما ڪان اٻوڪم نوح. ابن جزري: ۸۱/۱.

السؤال: لم خص الله نوحاً -عليه السلام- بصفة الشكر مع اتصافه بغيرها من الصفات؟

بغيرها من الصفات؟

﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَرِيحًا مُبَارِئِينَ جَلَلُ إِلَهِائِهِمْ ﴾ ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُمْ أَلَكْرَةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاهُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾

وَأَمَدَدْنَكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٤﴾

فكان ظهور بني إسرائيل على عدوهم تارة، وظهور عدوهم تارة من دلائل نبوة موسى عليه السلام، وكذلك ظهور أمة محمد ﷺ على عدوهم تارة، وظهور عدوهم عليهم تارة هو من دلائل رسالة محمد وأعلام نبوته. ابن تيمية: ٢٠٣.

وإعلام نبوته. ابن تيمية: ٤/٢٠٣.

**السؤال:** بينت الآيات ظهور بني إسرائيل على عدوهم تارة، وظهور عدوهم عليهم تارة أخرى، فعلى ماذا يدل ذلك؟

**عدوهم عليهم قارة أخرى، فعلى ماذا يدل ذلك؟**

﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنَهُ لَأَجْزِكُمْ وَلِنْ أَسَأْتُمْ مَسَاءتُمْ﴾  
 معنى (إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم) اننا نرد لكم الكرة لأجل التوبة  
 وتجدد الجيل وقد أصبحتم في حالة نعمة، فإن أحسنتم كان جزاؤكم  
 حسنا وإن أسأتم أسأتم لأنفسكم، فكما أهلكنا من قبلكم بذنوبهم فقد  
 أحسننا إليكم بتوبتكم، فاحذروا الإساءة كيلا تصيروا إلى مصير من  
 قبلكم. ابن عاشور: ٢٨/١٥.

قہلکم۔ ابن عاشور: ۲۸/۱۵۔

**السؤال: في الآية بشاره ونذارة، فمما كانت النذارة؟**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ وَلَيْسَ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى  
الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَى كَاهِلُهُمْ لِرَأْيِهِ مِنْ عَيْنِنَا إِنَّمَا  
هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ  
هُدًى لِبَنِي إِسْرَءِيلَ أَنْ لَا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكَيْلًا ۝  
ذُرِّيَّتَهُ مَنْ حَمَلْتُمْ تُوجِئُهُمُ اللَّهُ وَكَانَ عَبْدًا مُتَكَبِّرًا ۝  
وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ  
مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا  
بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ  
الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدُ مَقْعُولًا ۝ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكِبْرَ  
عَلَيْهِمْ وَأَمَدَدْنَاكُمْ بِالْمَوْلِ وَبَيْنَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَعْيُنَ مُنْقَرِعِينَ  
۝ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا  
جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيُسْطَوْا وُجُوهُكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ  
كَمَا دَخَلُوا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيَبْتَلُوا مَاعْلَا أَنْ تَعْبُرُوا ۝

985

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
وَكَيْلًا	مَعْبُودًا تَقْضُونَ أُمُورَكُمْ إِلَيْهِ.
فَجَاسُوا	فَطَافُوا.
الْكُرَّةَ	الْقَلْبَةَ وَالظُّهُورَ.
وَلْيُنَبِّرُوا	لْيُذَكِّرُوا.
تَنْبِيرًا	تَذَمِيرًا كَامِلًا.

## ● العمل بالآيات

١. قال: «سبحان الله» وكرر ذكرها: فهي تعظيم لله تعالى، وهي من أحب الكلام إلى الله تعالى، وهي تنزيه يختص بالله تعالى وحده، ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَمْرُكُمْ فِي يَدَيْهِ﴾.

٢. اجتمع مع بعض إخوانك، أو زملائك، ثم اقرأوا حادثة الإسراء والمعراج من صحيح البخاري، أو من تفسير ابن كثير، ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَمْرُكُمْ فِي يَدَيْهِ﴾ لَيْلًا مِنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَيْنَا حَوْلَهُ.

٣. تذكر خمسا من أكبر نعم الله عليك، واشكر الله عليها؛ اقتداء بالأنبياء في شكرهم لله تعالى، ﴿ذُرِّيَّةً مِنْ كَلْنَا مَمْ نُوعِمْ إِيَّاهُ كَانَتْ عِبَادًا شَاكِرِينَ﴾.

## ● التوجيهات

١. اتَّخِذِ اللَّهَ سَاحِبًا وَتَعَالَى - وَكِيلًا لَكَ فِي جَمِيعِ أُمُورِكَ، ﴿أَلَا تَتَذَكَّرُونَ مِنْ دُونِي رَكِيعًا﴾.

٢. مَا قَضَاهُ اللَّهُ تَعَالَى كَاتِنًا، وَمَا وَعَدَ بِهِ نَاجِزًا، وَالْإِيمَانُ بِذَلِكَ وَاجِبٌ، ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا﴾.

٣. الشُّكْرُ مِنْ صِفَاتِ الرُّسُلِ، فَيُهْدَاهُمْ لِقَابَهُ، ﴿ذُرِّيَّةً مِنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾.



﴿ عَنِ زَكَرَىٰ أَنْ يَرْمَكَ رَبُّكَ إِنَّكَ كَدُّنَا وَعَمَلُنَا بِجَهَنَّمَ لَكُفْرِينَ حَسِيرًا ﴾

في هذه الآيات التحذير لهذه الأمة من العمل بالمعاصي لئلا يصيبهم ما أصاب بني إسرائيل؛ فسنة الله واحدة؛ لا بُدُّ ولا تَغْيِيرُ، ومن نظر إلى تسليط الكفرة على المسلمين والظلمة عرف أن ذلك من أجل ذنوبهم؛ عقوبة لهم، وأنهم إذا أقاموا كتاب الله وسنة رسوله مكن لهم في الأرض، ونصرهم على أعدائهم. السعدي، ٤٥٤.

﴿ ١ ﴾ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِي هُمْ أَقَوْمٌ مَبْشُرُونَ وَلِلَّذِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿

**السؤال: القرآن الكريم عصمة من الهلكة، بين كيف دلت الآية الكريمة على ذلك؟**

السؤال: بين صورة من صور عجلة الإنسان.

﴿ وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴾

**السؤال:** قد يجلب بعض الناس الشر لأنفسهم، وضح ذلك من خلال الآية ﴿وَعَلَّمْنَا الْقَالَ وَالْكَافِرَ أَيَّتَيْنِ هُمُونا آيَةَ الْكَلِّ وَهَلَمَّا آيَةُ الْفَارِ مُجِيرًا لِيَتَّبِعُوا فَصَلَا مِنْ رَبِّكَ وَلِتَعْلَمُوا عَدَّةَ الْيَسِينِ وَالْحِسَابِ وَكُلُّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾

السؤال: ما وجه كونه الليل والنهار آيتين؟

﴿ أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ۝١﴾

السؤال: من خلال هذه الآية: تحدث عن كمال عدل الله سبحانه وتعالى.

ومعناه: أنكم أيها المكذبون لستم أكرم على الله منهم، وقد كذبتم أشرف الرسل وأكرم الخلائق، فعقوبتكم أولى وأحرى. ابن كثير: ٣٣/٤.

السؤال: ما المراد من الإخبار بأن الله قد أهلك أمماً كثيرة بعد قوم نوح؟

عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُذْتُمْ نَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ  
حَصِيرًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يُهْدِي لِلَّذِي هُوَ أَقْوَمُ وَيُبَيِّنُ  
لِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٥٦﴾  
وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَغْدَا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥٧﴾  
وَيَعَذِّبُ الْإِنْسَانَ بِالشَّدِيدَةِ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَنُوفًا ﴿٥٨﴾  
وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ لِّمَن حَمَلَ آيَةَ الْكِتَابِ وَجَعَلْنَا آيَةَ  
النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّمَن يَبْتَغِي فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ وَلِتَعْلَمُوا عَاقِدَ  
النَّيْتِينَ وَالْحِسَابِ ﴿٥٩﴾ كُلُّ شَيْءٍ قَضَيْنَاهُ نُقْصِيلًا ﴿٦٠﴾ وَكَذَٰلِكَ  
يُنشِئُ الْإِنْسَانُ ظِلْمَهُ فِي عَفْوِهِ وَنُخْجُ لُهُ رَوْحُ الْقَيْمَةِ كِتَابًا  
يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿٦١﴾ أَفَرَأَىٰ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا  
﴿٦٢﴾ مَن أَهْدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ  
عَلَيْهَا وَلَا تَنَزَّلُ وَارِدَةٌ وَرُوحُهَا وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ تَبْعَثَ  
رُسُلَنَا ﴿٦٣﴾ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَوْمًا مِّنَّا مَتًىٰ فَفِيهَا قِسْفٌ مُِّنْهَا  
فَقَىٰ عَلَيْهَا الْقَوْلَ فَدَمَّرْنَا كُتُبَهَا وَنَدَمْنَا ﴿٦٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نَكُن مِّنَ الْقَادِرِينَ  
مِن بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٦٥﴾

## معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
حَصِيرًا	سَجَنًا لَا خُرُوجَ مِنْهُ أَبَدًا.
أَقْوَمُ	أَعْدَلُ، وَأَصْوَبُ.
فَمَحُونًا	طَمَسْنَا.
مُبْصِرَةٌ	مُضِيئَةٌ.
طَائِرُهُ	مَا عَمِلَهُ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ.
وَلَا تَزِرُ	لَا تَحْمِلُ.
وَأَزْدَةٌ	نَفْسٌ آثِمَةٌ.

## العمل بالآيات

١٠. حدّ أمرا أهملك، ثم ابحت عن آيات تتحدّث عنه وامتلّ تعاليمها حتى يسره الله لك. ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِينَ هُمْ أَقْدَمُ وَيُذَكِّرُ الْفَاسِقِينَ﴾.

١١. ادع نفسك وأهلك بالصلاح والخير، ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ غَلَاظٍ مِّنَ الشَّيْءِ﴾.

١٢. أرسل رسالتك تبين فيها خطر الترف، وإفاره السبئية، ﴿وَلَا أَرَدْنَا أَنْ يُثَبِّتَ قَرْنَهُ أَمْراً مُّطْبِعاً فَمَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا دَمِيرًا﴾.

## التوجيهات

١. احذر عند الغضب من أن تدعو على نفسك، أو أولادك، أو مالك بالشر، واحذر المحلة في الأمور، ولكن متريئاً صبوراً، ﴿وَيَعِزُّ الْإِنْسَانَ يَأْتَـرُ دَعَاَهُ، الْمَلَكُ وَكَأَنَّ الْإِنْسَانَ عَجُولًا﴾.

٢. تخالف الفطرة السوية التي خلقنا الله عليها؛ وتجعل ليلك عملاً ونهارك نوماً، ﴿وَجَعَلْنَا آيَاتِهِ الْبَارِ بَصِيرَةً لِّمَنْ أَهْلَكَ بِهَا﴾.

٣. فسق الآخرين وفجورهم قد يكون سبباً لهلاكك ومن حولك إذا لم تأمروا بالمعروف، وتنهوا عن المنكر، ﴿وَلَا أَرَادُ أَنْ يَهْلِكَ قَوْمٌ أَمَرُوا بِمَنْعِهَا فَهَلَكُوا بِهَا فَجَعَلْنَا الْقَوْلَ دَعْوَةً لِّمَنْ يَخْتَارُ﴾.

له عمله كله في كتاب يُعْطَاهُ يوم القيامة، إما يمينه إن كان سعيداً، أو بشماله إن كان شقيماً، ﴿مَنْشُورًا﴾ أي: مفتوحاً يقرؤه هو وغيره، فيه جميع عمله من أول عمره إلى آخره. قوله: ﴿أَفَرَأَيْتَ كَيْفَ يَنْفِخُ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَبِيبًا﴾ أي: إنك تعلم أنك لم تظلم ولم يكتب عليك غير ما عملت؛ لأنك ذكرت جميع ما كان منك، ولا ينسى أحد شيئاً مما كان منه، وكل أحد يقرأ كتابه من كاتب وأُمِّي. وإنا ذَكَرَ الْعُقُوتَ؛ لأنه عضو من الأعضاء لا نظير له في الجسد، ومن ألزم بشيء فيه فلا يحيد له عنه.

الآية (١٥): يخبر تعالى أن من اهتدى واتبع الحق واقتفى آثار النبوة، فإنها تحصيل عاقبة ذلك الحميدة لنفسه ﴿وَمَنْ سَلَ﴾ أي: عن الحق، وزاغ عن سبيل الرشاد، فإنها يجني على نفسه، وإنا يعوذ وبأن ذلك عليه. ثم قال: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ أي: لا يعمل أحد ذنب أحد، ولا يجني جان إلا على نفسه؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَنْ تَدْعُ مَثَلَهُ إِلَىٰ جَنبِهِ لِيَحْمِلَ مِنْهُ شَيْءٌ﴾ [فاطر: ١٨]. ولا منافاة بين هذا وبين قوله تعالى: ﴿وَلِيَحْمِلَنَّ أَثْقَالَهُمْ وَتَقَالُ سَعَىٰ أَثْقَالِهِمْ﴾ [المنكوث: ١٣]، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَوْزَارَ الْآثِمَاتِ يُعْثِرُونَهَا بِخَيْرٍ عَلِيمٍ﴾ [النحل: ٢٥]، فإن الدعاة عليهم إثم ضلالتهم في أنفسهم، وإثم آخر بسبب ما أضلوا من أضلوا من غير أن ينقص من أوزار أولئك، ولا يحملوا عنهم شيئاً. وهذا من عدل الله ورحمته بعباده.

﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ إخبار عن عدله تعالى، وأنه لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه بإرسال الرسول إليه؛ كقوله تعالى: ﴿كَلَّمَآ أَلَيْنِي بِنَا فَوَجَّ سَلَامُهُمْ خَزَنَاتُ الْأَرْضِ يَذْكُرُ نَذِيرًا﴾ [١٠] قَالُوا بَلْ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَشْتَدَّ إِلَّا فِي سَحَابٍ كِبَرٍ [الملك: ٩، ٨].

الآية (١٦): اختلف القراء في قراءة قوله: ﴿أَمْرًا﴾ فالمشهور قراءة التخفيف، واختلف المفسرون في معناها، فقيل: ﴿أَمْرًا مُتَرَفِّعًا فَتَسْقُوا فِيهَا﴾ أمراً قدرتاً؛ كقوله تعالى: ﴿أَتَيْنَاهَا أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا﴾ [يونس: ٢٤]، فإن الله لا يأمر بالفحشاء. قالوا: إنه سخرهم إلى فعل الفواحش فاستحقوا العذاب. وقيل: معناها: أمراًهم بالطاعات ففعلوا الفواحش فاستحقوا العقوبة. قاله ابن عباس. وقال ابن جرير: وقد يحتمل أن يكون معناها جعلناهم أمراء. قلت: إنما يبيح على قراءة من قرأ «أمرنا مُتَرَفِّعًا». قال ابن عباس: سلطنا أشرارها فعصوا فيها، فإذا فعلوا ذلك أهلكتهم بالعذاب، وهو قوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْثَرَ شَرِّهِمْ كَيْفَ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٣]. وقال ابن عباس: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ لَكَافَرُوا فَسَأَلْنَا مِنْ رَبِّكَ قَوْلًا نَضَعُهُ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الأنعام: ١٢٣]. أكثرنا عددهم. وعن الزهري: «أمرنا مُتَرَفِّعًا»: أكثرنا.

الآية (١٧): يقول تعالى منذراً كفار قريش في تكذيبهم رسوله محمداً ﷺ بأنه قد أهلك أمماً من المكذبين للرسول من بعد نوح، ودل هذا على أن القرون التي كانت بين آدم ونوح على الإسلام، كما قال ابن عباس: كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام. ومعناها: أنكم أيها المكذبون لستم أكرم على الله منهم، وقد كنتم أشرف الرسل وأكرم الخلق، ففوتكم أولى وأحرى. قوله: ﴿وَكُنْ بِرَبِّكَ يَذُنُّوْكَ بِجَاوِبِهِ خَيْرًا بِصِيرًا﴾ أي: هو عالم بجميع أفعالهم، خيرها وشرها، لا يخفى عليه منها خافية سبحانه وتعالى.

الآية (٨): ﴿عَسَىٰ رَبُّكَ أَنْ يَرْحَمَكُ﴾ أي: فيصرفهم عنكم ﴿وَلَنْ عُدَّتْ عُدَّتَا﴾ أي: متى عدتم إلى الإنسان «عدتاً» إلى الإدالة عليكم في الدنيا مع ما تذرهم لكم في الآخرة من العذاب والنكال، ولهذا قال: ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ أي: مستقراً ومحصراً وسجناً لا يحيد لهم عنه. قال قتادة: قد عاد بنو إسرائيل، فسلب الله عليهم هذا الحي، محمداً ﷺ وأصحابه، يأخذون منهم الجزية عن يد وهم صاغرون.

الآية (٩-١٠): يمدح تعالى كتابه العزيز الذي أنزله على رسوله محمد ﷺ وهو القرآن، بأنه يهدي لأقوم الطرق، وأوضح السبل ﴿وَيُثَبِّرُ الْمُنَافِقِينَ﴾ به ﴿الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ﴾ على مقتضاه ﴿أَنْ لَّهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ أي: يوم القيامة. قوله: ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ أي: ويُثَبِّرُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَنْ ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: يوم القيامة، كما قال: ﴿يَتَذَكَّرُ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٢١].

الآية (١١): يخبر تعالى عن عجلة الإنسان ودعائه في بعض الأحيان على نفسه أو ولده أو ماله ﴿وَاللَّيْلِ﴾ أي: بالموت أو الهلاك والدمار واللغة ونحو ذلك، فلو استجاب له ربه هلك بدعائه؛ كما قال: ﴿وَلَوْ يُعْجِلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَلْسُنَهُمْ﴾ [يونس: ١١]، كذا فسر ابن عباس وغيره، وإنا نحمل ابن آدم على ذلك عجلته وقلقه؛ ولهذا قال: ﴿وَكُلَّ النَّاسِ نَجْولًا﴾.

الآية (١٢): يَمْتَنُّ تعالى على خلقه بآياته العظام؛ فمنها مخالفته بين الليل والنهار، ليستكنوا في الليل ويتشروا في النهار للمعاش والصناعات والأعمال والأسفار، وليعلموا عدد الأيام والجمع والشهور والأعوام، ويعرفوا مضي الأجل المضروبة للديون والعبادات والمعاملات والإجازات وغير ذلك؛ ولهذا قال: ﴿لَتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي: في معاشكم وأسفاركم ونحو ذلك ﴿وَلَتَسْلَمُوا عَكْدَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ فإنه لو كان الزمان كله نَسَقًا واحداً وأسلوباً متساوياً لما عُرف شيء من ذلك؛ كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنۢ لَّا يَذَّكَّرُ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان: ٦٢].

ثم إنه تعالى جعل الليل آية، أي: علامة يُعرف بها وهي الظلام وظهور القمر فيه، وللنهار علامة، وهي النور وظهور الشمس النيرة فيه، وفاوت بين نور القمر وضياء الشمس؛ ليعرف هذا من هذا؛ كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ [الأنعام: ١٠١]. الآية (يونس: ٥). قال ابن عباس: كان القمر يضيء كما تضيء الشمس، والقمر آية الليل، والشمس آية النهار ﴿فَمِنْ حَوْرَانِ آيَةِ اللَّيْلِ﴾ السواد الذي في القمر. وقد روى ابن جرير من طرق متعددة جيدة: أن ابن الكواء سأل علي بن أبي طالب فقال: يا أمير المؤمنين، ما هذه اللطخة التي في القمر؟ فقال: ويحك. أما تقرأ القرآن ﴿فَمِنْ حَوْرَانِ آيَةِ اللَّيْلِ﴾ فنهله محوه.

الآية (١٣-١٤): يقول تعالى بعد ذكر الزمان وذكر ما يقع فيه من أعمال بني آدم: ﴿وَكُلٌّ إِسْنِ الْأَرْزَمَةِ طَعْمُهُ فِي عُقُوبِهِ﴾ وطائرته: هو ما طار عنه من عمله، كما قال ابن عباس: من خير وشر، يلزم به ويجازى عليه ﴿فَمَنْ يَمَسَّ يَشْقَالُ دَرَجَةً خَيْرًا بِرَمَّةٍ﴾ [١٣] وَمَنْ يَمَسَّ يَشْقَالُ دَرَجَةً شَرًّا بِرَمَّةٍ [الزلزلة: ٥-٦]. والمقصود أن عمل ابن آدم محفوظ عليه، قليله وكثيره، ويكتب عليه ليلاً ونهاراً، صباحاً ومساءً. قوله: ﴿وَنَحْنُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كَتَائِبًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ أي: يجمع

الآية (٢٣-٢٤): يقول تعالى آمراً بعبادته وحده لا شريك له: فإن القضاء ههنا بمعنى الأمر. قال مجاهد: «وَقَضَى» يعني: وصى، ولهذا قرن بعبادته بر الوالدين فقال: «وَالْأَلَدَيْنِ لِحَسَنًا» أي: وأمر بالوالدين إحساناً؛ كما قال في الآية الأخرى: «إِن شَكَرْتُمَا لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى النَّصِيرِ» [لقان: ١٤]. قوله: «مَا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أُدْهِمَآ

الآية (٢٦-٢٧): لما ذكر تعالى بر الوالدين عطف بذكر الإحسان إلى القرابة وصلة الأرحام، وفي الحديث: «من أحب أن يُسَـطَّ له في رزقه ويُتَسَّأ له في أجله، فليصل رحمه» [متفق عليه]. قوله: ﴿وَلَا يَبْذَرْ تَبَذُّرًا﴾ لما أمر بالإففاق نهى عن الإسراف فيه، بل يكون وسطاً؛ كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧]. ثم قال منفرداً عن التبذير والسرف: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ أي: أشباههم في ذلك. قال ابن مسعود: التبذير: الإنفاق في غير حق. وقال مجاهد: لو أنفق إنسان ماله كله في الحق لم يكن مبذراً، ولو أنفق مثلاً في غير حقه كان مبذراً. قال قتادة: التبذير: السفقة في معصية الله تعالى، وفي غير الحق، والفساد. وقوله: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ أي: في التبذير والسفك وترك طاعة الله وارتكاب معصيته؛ ولهذا قال: ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ أي: جَحُودًا؛ لأنه أنكر نعمة الله عليه ولم يعمل بطاعته؛ بل أقبل على معصيته ومخالفته.



## ● الوقفات التدريبية

١ ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَذْحُورًا ﴾

أي: في حالة الخزي والفضيحة والذم من الله ومن خلقه، والبعد عن رحمة الله، فيجمع له بين العذاب والفضيحة السعدي: ٤٥٥.

السؤال: في جهنم عذاب نفسي وعذاب جسني، وضع هذا في ضوء هذه الآية.

٢ ﴿ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴾

وفي الآية تنبيه على أن إرادة خير الآخرة من غير سعي غرور، وإن إرادة كل شيء لا بد لنجاحها من السعي في أسباب حصوله. ابن عاشور: ١٥/٦٠. السؤال: من الغرور والغفلة أن تحب الخير ولا تسعى له، وضع هذا من الآية.

٣ ﴿ وَقَفَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِنَّمَا يَلْعَنَ عِنْدَكَ الْكِبَرُ أَكْثَرُ أَمْهَمًا أَوْ كَلَامًا فَلَا تَقُلْ لِّمَا آتَى وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾

وإنما خص حالة الكبر لأنهما حينئذ أحوج إلى البر والقيام بحقوقهما لضعفهما. ابن جزي: ١/٤٨٥.

السؤال: لم خص الله حالة الكبر بمزيد من البر مع أنه واجب على كل حال؟

٤ ﴿ وَقَفَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِنَّمَا يَلْعَنَ عِنْدَكَ الْكِبَرُ أَكْثَرُ أَمْهَمًا أَوْ كَلَامًا فَلَا تَقُلْ لِّمَا آتَى وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾

(أف): معناها قول مكروه؛ يقال عند الضجر ونحوه، وإنما المراد بها أقل كلمة مكروهة تصدر من الإنسان، فنهى الله تعالى أن يقال ذلك للوالدين، وأولى وأحرى ألا يقال لهما ما فوق ذلك. ابن جزي: ١/٤٨٥.

السؤال: تضمن النهي عن كلمة (أف) تحذيرا شديدا للولد، وضحه.

٥ ﴿ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْنِي سَغِيرًا ﴾

وفهم من هذا أنه كلما ازدادت التربية، ازداد الحق، وكذلك من تولى تربية الإنسان في دينه ودنياه تربية صالحة غير الأبوين؛ فإن له على من رباه حق التربية. السعدي: ٤٥٦.

السؤال: كثيرا ما نسمع أن المعلم أب ثان، فما الحق الذي يستحقه هذا المعلم؟

٦ ﴿ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْنِي سَغِيرًا ﴾

خص التربية بالذكر ليتذكر العبد شفقة الأبوين، وتعبهما في التربية؛ فيزيد ذلك إشفاقاً لهما، وحنانا عليهما. القرطبي: ١٣/٦٠.

السؤال: ما سر ذكر تربية الوالدين للولد في الصغر؟

٧ ﴿ وَلَا تَبْزِرْ تَبْزِيرًا ۖ إِنَّ الْمَبْذِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴾

من أنفق ماله في الشهوات زائدة على قدر الحاجات، وعرضه بذلك للنفاق؛ فهو مبذر. القرطبي: ١٣/٦٥.

السؤال: متى يكون العبد مبذرا ماله؟

مَنْ كَانَ يُرِيدَ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ يُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَذْحُورًا ۖ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ۖ كَلَّا نَبْذِهُنَّ ذُلًّا وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ۖ أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ۚ وَالْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْصِيلًا ۖ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَنحُودًا ۖ ﴿٥٥﴾ وَقَفَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ۚ وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِنَّمَا يَلْعَنُ عِنْدَكَ الْكِبَرُ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَمْرًا وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۖ جَنَاحَ الدُّلَى مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْنِي صَغِيرًا ۖ ﴿٥٦﴾ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَادِقِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّلِينَ غَفُورًا ۖ ﴿٥٧﴾ وَأَبِ ذَا الْقُرْنَى حَقَّهُ ۚ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ۚ وَلَا تَبْزِرْ تَبْزِيرًا ۖ إِنَّ الْمَبْذِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ۖ ﴿٥٨﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
العاجلة	الدنيا.
مذحورا	مطرودا من رحمة الله.
محظورا	ممنوعا.
منحودا	غير منصوب، ولا معانٍ من الله.
للأوابين	للمراجعين إليه في كل وقت.

## ● العمل بالآيات

١. قدم اليوم هدية لوالديك وقل لهما قولا يعجبهما. ﴿ وَقَفَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِنَّمَا يَلْعَنُ عِنْدَكَ الْكِبَرُ أَكْثَرُ أَمْهَمًا أَوْ كَلَامًا فَلَا تَقُلْ لِّمَا آتَى وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾.
٢. صل قربانك اليوم بزيارة، أو كلمة هاتفية، أو تصدق على أحد المحتاجين. ﴿ وَأَبِ ذَا الْقُرْنَى حَقَّهُ ۚ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَلَا تَبْزِرْ تَبْزِيرًا ﴾.
٣. اكتب رسالة تبين فيها خطر التبذير والإسراف. ﴿ إِنَّ الْمَبْذِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴾.

## ● التوجيهات

١. مجرد الرغبة في الآخرة لا يكفي، بل لا بد من الإيمان والعمل مع تلك الرغبة. ﴿ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴾.
٢. يعطي الله تعالى الدنيا من يحب ومن لا يحب، وعطاؤه دائر بين التكريم والابتلاء والاستسراج. ﴿ كَلَّا نَبْذِهُنَّ ذُلًّا وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾.
٣. لا تنس أنك محاسب على المال. ﴿ وَأَبِ ذَا الْقُرْنَى حَقَّهُ ۚ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَلَا تَبْزِرْ تَبْزِيرًا ۖ إِنَّ الْمَبْذِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ﴾



## ● الوقفات التحذيرية

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾

(ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك): استعارة في معنى غاية البخل: كان البخل حبست يده عن الإعطاء، وشدت إلى عنقه. (ولا تبسطها كل البسط): استعارة في معنى غاية الجود: فنهى الله عن الطرفين وأمر بالتوسط بينهما: كقوله: (والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً) [الفرقان: ٦٧]. ابن جرير: ٤٨٧/١.

السؤال: جعل الله هذه الشريعة وسطاً، مثل لذلك بمثال.

﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِبَصِيرَةٍ ﴾ أي: خير بصير بمن يستحق الغنى، ومن يستحق الفقر؛ فإن من العباد من لا يصلحه إلا الفقر، ولو غني لفسد عليه دينه، وإن من العباد من لا يصلحه إلا الغنى، ولو افتقر لفسد عليه دينه، وقد يكون الغنى في حق بعض الناس استدراجاً، والمقر عقوبةً، عياداً بالله من هذا وهذا. ابن كثير: ٣٧/٣.

السؤال: ما وجه ختم هذه الآية بوصفي الخير والبصير؟

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ حَتَّىٰ إِمْلَئُوا ﴾

هذه الآية الكريمة دالة على أن الله تعالى أرحم بعباده من الوالد بولده.

ابن كثير: ٣٧/٣.

السؤال: من أرحم بك؟ ربك، أم والدك؟ ولماذا؟

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الرِّقَّةَ ﴾

والنهي عن قربانه أبلغ من النهي عن مجرد فعله؛ لأن ذلك يشمل النهي عن جميع مقدماته ودواعيه؛ فإن من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه، خصوصاً هذا الأمر الذي في كثير من النفوس أقوى داع إليه. السعدي: ٤٥٧.

السؤال: ما الفرق بين (ولا تقربوا الزنى) و«لا تفعلوا الزنى»؟ وإيهما أبلغ وأشد في النهي؟

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الرِّقَّةَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً ﴾

ووصف الله الزنا وقبحه بأنه كان فاحشة أي: إنشأ يستفحش في الشرع، والعقل، والفطر؛ لتضمنه التجرد على الحرمة في حق الله، وحق المرأة، وحق أهلها، أو زوجها، وإفساد الفراش، واختلاط الأنساب، وغير ذلك من المفساد. السعدي: ٤٥٧.

السؤال: ما الأسباب التي جعلت الزنا يستحق الوصف بكونه فاحشة؟

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولٌ ﴾

وهذا أدب خلقي عظيم، وهو أيضاً إصلاح عقلي جليل؛ يعلم الأمة التفريق بين مراتب الخواطر العقلية؛ بحيث لا يختلط عندها المعلوم، والمظنون، والموهوم. ابن عاشور: ١٠١/١٥.

السؤال: أرشد الآية الكريمة إلى أدب خلقي، واصطلاح عقلي، بين ذلك

﴿ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طَوْلًا ﴾

أي: مقدرك لا تبلغ هذا المبلغ، بل أنت عبد ذليل، محاط بك من تحتك، ومن فوقك، والمحاط محصور ضعيف، فلا يليق بك التكبر.

القرطبي: ٨٣/١٣.

السؤال: لماذا لا يليق بالعبد الضعيف التكبر؟

وَأَمَّا تَعْرِضْنَ عَنْهُمْ أَيْتَحَهُ رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ تَرْجُوها فَقُلْ لَهُمْ وَلَا مَبْشُورًا ﴿٥٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٥٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِبَصِيرَةٍ ﴿٦٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ حَتَّىٰ إِمْلَئُوا بِأَنفُسِكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴿٦١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا الرِّقَّةَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٦٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَرِيسِهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا ﴿٦٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالْيَقِينِ هِيَ أَحْسَنُ حَقِّ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٦٤﴾ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمَا بِالْقَيْسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٦٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٦٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طَوْلًا ﴿٦٧﴾ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٦٨﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
مَلُومًا	يَلُومُكَ النَّاسُ، وَيَذْمُونُكَ.
مَحْسُورًا	فَارِغَ النَّيِّ نَادِمًا، عَلَى تَبْذِيرِكَ.
وَيَقْدِرُ	يُضَيِّقُ.
إِمْلَاقٍ	فَقْرٍ.
وَلَا تَقْفُ	لَا تَتَّبِعْ.
مَرَحًا	مُخْتَلًا، مُتَكَبِّرًا.

## ● العمل بالآيات

١. حدد سببا يذكرك المعصية، وابتعد عنه، ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الرِّقَّةَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾.
٢. اصقل يتيما، أو اسهم في كفالتة عن طريق إحدى المؤسسات الخيرية، ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالْيَقِينِ هِيَ أَحْسَنُ حَقِّ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ﴾.
٣. قل: لا أعلم، لا أدري، وعود لسانك هذه الكلمة فيما لا تعرفه، ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾.

## ● التوجيهات

١. ابتعد عن الخطوات التي تؤدي بك إلى الوقوع في الفواحش والمعاصي؛ فإن من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه، ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الرِّقَّةَ ﴾.
٢. أنت مسؤول يوم القيامة عن العهد والعقد التي عقدتها مع الله، أو مع خلقه؛ فاحرص على الوفاء بها، ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾.
٣. هذه الجوارح أنت مسؤول عنها أمام الله تعالى ولا يعرف قيمتها إلا من فقدها، فاستعملها في الطاعة، ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾.

النفس بالنفس، والزاني المحصن، والتارك لدينه المفارق للجماعة.  
وقوله: ﴿وَمِنْ قَوْلٍ مَلُولًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا﴾ أي: سلطة على القاتل؛ فإنه بالخيار فيه: إن شاء قتله قودًا، وإن شاء عفا عنه على الدية، وإن شاء عفا عنه مجانًا، كما ثبتت السنة بذلك. وقوله تعالى: ﴿فَلَا يَشْرَفُ فِي الْقَتْلِ﴾ قالوا: معناه: فلا يسرف الولي في قتل القاتل بأن يمثل به أو يقتص من غير القاتل. ﴿وَإِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا﴾ أي: أن الولي منصور على القاتل شرعًا، وغالب قدرًا.

الآية (٣٤-٣٥): قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ أي: لا تصرفوا في مال اليتيم إلا بالغة، ولا تأكلوها إسرارًا وبدارًا أن يكبروا ومن كان غيبًا فليستعفف ومن كان فقيرًا فليأكل بالمعروف [النساء: ٦]. وقد جاء في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال لأبي ذر: «ولا تولي من مال يتيم». وقوله: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ﴾ أي: الذي تعاهدون عليه الناس والعقود التي تعاملونهم بها، فإن العهد والعقد كل منهما يسأل صاحبه عنه، ﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ أي: عنه. قوله: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ﴾ أي: من غير تطفيف، ولا تبخسوا الناس أشياءهم. قوله: ﴿وَرِزُّوا بِالْقِسْطِ﴾ قرئ بضم القاف وكسرهما - كالقسطاس - وهو الميزان. وقال مجاهد: هو العدل بالرومية، ﴿لَتَسْتَفِيمَ﴾ أي: الذي لا عوجاج فيه ولا انحراف ولا اضطراب، ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ أي: لكم في معاشكم ومعادكم؛ ولهذا قال: ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ أي: مآلًا ومنقلبًا في آخرتهم.

الآية (٣٦): قوله: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ﴾ قال ابن عباس: يقول: لا تقل، وقال قتادة: لا تقل: رأيت ولم تر، وسمعت ولم تسمع، وعلمت ولم تعلم؛ فإن الله سائلك عن ذلك كله. ومضمون ما ذكره: أن الله تعالى نهي عن القول بلا علم، بل بالظن الذي هو التوهم والخيال؛ كما قال تعالى: ﴿يَجْتَنِبُوا كِبَرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّكُم بِمَقَرِّ الظَّنِّ بِئْسَ الَّذِي تَقُولُونَ﴾ [الحجرات: ١٢]. وقوله: ﴿كُلُّ أُولَئِكَ﴾ أي: هذه الصفات من السمع والبصر والفؤاد، ﴿كَانَ عَنَّهُ مَسْئُولًا﴾ أي: سيسأل العبد عنها يوم القيامة، وعما عمل فيها.

الآية (٣٧-٣٨): يقول تعالى ناهيًا عباده عن التَّجَبُّرِ والتَّبَخُّرِ في المشية: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَمًا﴾ أي: متبخترًا متباليًا مشي الجبارين ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ﴾ أي: لن تقطع الأرض بمشيك ﴿وَكُلُّ نَفْسٍ رَّجَعٌ إِلَىٰ بَاطِلٍ طَوْلًا﴾ أي: بتبايلك وفخرك وإعجابك بنفسك، بل قد يجازي فاعل ذلك بنقيض قصده؛ كما ثبت في الصحيح: «بيننا رجل يمشي فيمن كان قبلكم، وعليه بُردان يتبختر فيها إذ خُفِصَ به الأرض، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة» [متفق عليه]. وكذلك أخبر الله تعالى عن قارون أنه خرج على قومه في زينته، وأن الله تعالى خسف به وبداره الأرض. قوله: ﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ معناه: كل هذا الذي ذكرناه من قوله: ﴿وَقَفَّيْ رَبِّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ إلى ههنا فسيئته؛ أي: فقيحه مكروه عند الله.

الآية (٢٨): قوله: ﴿وَإِنَّمَا تَرْضَوْنَ عَنْهُمْ أَنْعَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا﴾ أي: إذا سألك أقاربك ومن أمرناك بإعطائهم وليس عندك شيء، وأعرضت عنهم لفقد النفقة ﴿فَقُلْ أَهْرَ قَوْلًا مِّنْهُ﴾ أي: عذمهم وعُدًّا بسهولة ولين: إذا جاء رزق الله فنفسلكم إن شاء الله.

الآية (٢٩-٣٠): يقول تعالى أمرًا بالاقتصاد في العيش، ذمًّا للبخل، ناهيًا عن السرف: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَمْلُوءَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ أي: لا تكن بخيلًا منوعًا، لا تعطي أحدًا شيئًا، كما قالت اليهود عليهم لعائن الله: ﴿يَدُ اللَّهِ مَمْلُوءَةٌ﴾ [البقرة: ٦٤] أي: نسبوها إلى البخل. وقوله: ﴿وَلَا يَبْطُلْهَا كُلُّ اللَّسِطِ﴾ أي: ولا تسرف في الإنفاق فتعطي فوق طاقتك، وتخرج أكثر من دخلك، ﴿فَتَقْدُمَ مَلُومًا مَّخْشُورًا﴾ ومتى بسطت يدك فوق طاقتك، قعدت بلا شيء تنفقه، فتكون كالخسر، وهو كالدابة التي قد عجزت عن المسير، فوقفت ضعفًا وعجزًا؛ فإنها تسمى الخسر. هكذا فسر هذه الآية - بأن المراد هنا البخل والسرف - ابن عباس والحسن وقتادة. في الصحيحين عن أساء بنت أبي بكر قالت: قال رسول الله ﷺ: «أنفقي هكذا وهكذا، ولا توعي قيوحي الله عليك، ولا توعي قيوحي الله عليك، ولا توعي قيوحي الله عليك». قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ إخبار أنه تعالى هو الرزاق القابض الباسط، المتصرف في خلقه بما يشاء، فيغيث من يشاء، ويفقر من يشاء، بما له في ذلك من الحكمة؛ ولهذا قال: ﴿وَإِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ أي: خبير بصير بمن يستحق الغنى ومن يستحق الفقر، وقد يكون الغنى في حق بعض الناس استدراجًا، والفقر عقوبة، عيادًا بالله من هذا وهذا.

الآية (٣١): هذه الآية الكريمة دالة على أن الله تعالى أرحم بعباده من الوالد بولده؛ لأنه نهي عن قتل الأولاد، كما أوصى بالأولاد في الميراث، وقد كان أهل الجاهلية لا يورثون البنات، بل كان أحدهم ربما قتل ابنته لثلاث عيئته، فنهى الله تعالى عن ذلك وقال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ أي: خوف أن تفترقوا في ثاني الحال؛ ولهذا قدم الاهتمام برزقهم فقال: ﴿مَنْ نَزَّذَهُمْ وَإِذَا رَجَوْا فِي الْأَنْعَامِ﴾ وفي الأنعام: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ إِنَّكُمْ لَرِزْقَهُمْ مِنِّي﴾ أي: من فقر ﴿مَنْ نَزَّذَهُمْ وَإِذَا رَجَوْا فِي الْأَنْعَامِ﴾ قوله: ﴿إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾ أي: ذنبًا عظيمًا. في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود قال: قلت: يا رسول الله، أيُّ الذنب أعظم؟ قال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك». قلت: ثم أي؟ قال: «أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك».

الآية (٣٢): يقول تعالى ناهيًا عباده عن الزنا وعن مقارنته، وهو مخالطة أسبابه ودواعيه: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً﴾ أي: ذنبًا عظيمًا ﴿وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ أي: وبئس طريقًا ومسلكًا.

الآية (٣٣): يقول تعالى ناهيًا عن قتل النفس بغير حق شرعي، كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله إلا بإحدى ثلاث:







## ● الوقفات التدريبية

﴿ أَفَأَصْفَكَ رَبُّكُمْ بِالْبَيْنِ وَالتَّيْنِ وَأَعَدَّ مِنَ التَّائِبِينَ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قَوْلًا عَظِيمًا ﴾  
وجعله مجرد قول؛ لأنه لا يبدو أن يكون كلاماً صدر عن غير رويته  
لأنه لو تأمله قائله أدنى تأمل؛ لوجده غير داخل تحت قضايا القبول عقلاً.  
ابن عاشور: ١٥/١٠٨.

السؤال: وصف المشركين للملائكة بأنهم بنات الله لماذا عبرت عنه الآية  
الكريمة بأنه مجرد قول؟

﴿ نَسِجَ لَهُ السُّتُورَ السَّبْعَ وَالْأَكْشَرَ وَمِنْ فِيهِمْ إِنْ شَاءَ رَبُّهُ إِلَّا يَسْمَعُ يُجْوَدُونَ  
وَلَكِنْ لَا تَقْضُونَ سِيَئَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا حَسِبًا عَمُورًا ﴾

ولعل إيثار فعل: (لا تقضون سيئهم) دون أن يقول: «لا تعلمون» للإشارة إلى أن  
المنفي علم دقيق. ابن عاشور: ١٥/١١٥.

السؤال: لماذا قال: (لا تقضون)، ولم يقل: «لا تعلمون»؟

﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَجَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ﴾  
ووصف الحجاب بالمستور مبالغة في حقيقة جنسه؛ أي: حجاباً بالغاً الغاية  
في حجب ما يحجبه هو، حتى كأنه مستور بسائر آخر ... أو أريد أنه حجاب  
من غير جنس الحجاب المعروفة فهو حجاب لا تراه الأعين. ابن عاشور: ١٥/١١٧.

السؤال: ما فائدة تأكيد وصف الحجاب بالمستور في الآية الكريمة؟

﴿ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ ﴾

أي: أعطيتهم وأغشيتهم لا يفقهون معها القرآن، بل يسمعون سماعاً تقوم به  
عليهم الحجة السعدي: ٥٩.

السؤال: ما علامة وجود الغشاء أو الغطاء على القلب؟

﴿ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾

قوله: (وفي آذانهم وقراً) أي: وجعل تعالى في آذان أولئك المشركين  
الخصوم قلاً في آذانهم؛ فلا يسمعون القرآن الذي يتلى عليهم؛ وهذا  
كله من الحجاب الساتر. والأكنة، والوقر في الأذان عقوبة من الله  
تعالى لهم حرهم بها من الهداية بالقرآن لسابقة الشر لهم، وما ظلمهم  
الله ولكن كانوا هم الظالمين برفضهم للرسول وما جاء به، وحربهم له ولما  
جاء به من التوحيد، والدين الحق. الجزلري: ٣/١٩٩.

السؤال: ما العقوبة المذكورة في الآية لمن أبغض ما جاء به الرسول ﷺ؟

﴿ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوَّا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا ﴾

قال أبو الجوزاء أوس بن عبد الله: ليس شيء أطرده للشيطان من القلب  
من قول: «لا إله إلا الله»، ثم تلا: (وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا  
على أدبارهم نفوراً). القرطبي: ١٣/٩٥.

السؤال: كيف تطرد الشيطان عن قلبك؟

﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ ﴾

أي: إنما منعناهم من الانتفاع عند سماع القرآن لأننا نعلم أن مقاصدهم  
سيئة؛ يريدون أن يعثروا على أقل شيء ليقعدوا به، وليس استماعهم  
لأجل الاسترشاد وقبول الحق، وإنما هم معتمدون على عدم اتباعه، ومن  
كان بهذه الحالة لم يفده الاستماع شيئاً. السعدي: ٥٩.

السؤال: ما الطريقة المثلى للإفادة من القرآن عند سماع آياته؟

ذَلِكَ وَمَا أُوتِيَ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا  
آخَرَ فَتُلَاقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا ﴿١﴾ أَفَأَصْفَكَ رَبُّكَ  
بِالْبَيْنِ وَالتَّيْنِ وَالتَّائِبِينَ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٢﴾  
وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٣﴾  
قُلْ لَوْ كُنَّا مَعَهُ إِلهًا كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَا تَتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي الْعَرْشُ سَبْعُ  
مِائَةِ أَلْفَ رُكْنٍ وَتُحْمَلُهُ أَسَافِيرُ كَذِبٍ ﴿٤﴾ سُبْحَانَ اللَّهِ السَّمْعُ  
السَّمْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِندَ سِتْرِهِ يَتَحَدَّثُونَ  
لَهُ الْفُتُورَ ﴿٥﴾ لَقَدْ قَرَأْتَ كِتَابَ الْأَلْقَامِ إِذْ كُنْتَ فِي ظُلُمٍ مَلُومٍ ﴿٦﴾  
وَلَقَدْ قَرَأْتَ كِتَابَ الْأَلْقَامِ إِذْ كُنْتَ فِي ظُلُمٍ مَلُومٍ ﴿٧﴾  
وَلَقَدْ قَرَأْتَ كِتَابَ الْأَلْقَامِ إِذْ كُنْتَ فِي ظُلُمٍ مَلُومٍ ﴿٨﴾  
وَلَقَدْ قَرَأْتَ كِتَابَ الْأَلْقَامِ إِذْ كُنْتَ فِي ظُلُمٍ مَلُومٍ ﴿٩﴾  
وَلَقَدْ قَرَأْتَ كِتَابَ الْأَلْقَامِ إِذْ كُنْتَ فِي ظُلُمٍ مَلُومٍ ﴿١٠﴾  
وَلَقَدْ قَرَأْتَ كِتَابَ الْأَلْقَامِ إِذْ كُنْتَ فِي ظُلُمٍ مَلُومٍ ﴿١١﴾  
وَلَقَدْ قَرَأْتَ كِتَابَ الْأَلْقَامِ إِذْ كُنْتَ فِي ظُلُمٍ مَلُومٍ ﴿١٢﴾  
وَلَقَدْ قَرَأْتَ كِتَابَ الْأَلْقَامِ إِذْ كُنْتَ فِي ظُلُمٍ مَلُومٍ ﴿١٣﴾  
وَلَقَدْ قَرَأْتَ كِتَابَ الْأَلْقَامِ إِذْ كُنْتَ فِي ظُلُمٍ مَلُومٍ ﴿١٤﴾  
وَلَقَدْ قَرَأْتَ كِتَابَ الْأَلْقَامِ إِذْ كُنْتَ فِي ظُلُمٍ مَلُومٍ ﴿١٥﴾  
وَلَقَدْ قَرَأْتَ كِتَابَ الْأَلْقَامِ إِذْ كُنْتَ فِي ظُلُمٍ مَلُومٍ ﴿١٦﴾  
وَلَقَدْ قَرَأْتَ كِتَابَ الْأَلْقَامِ إِذْ كُنْتَ فِي ظُلُمٍ مَلُومٍ ﴿١٧﴾  
وَلَقَدْ قَرَأْتَ كِتَابَ الْأَلْقَامِ إِذْ كُنْتَ فِي ظُلُمٍ مَلُومٍ ﴿١٨﴾  
وَلَقَدْ قَرَأْتَ كِتَابَ الْأَلْقَامِ إِذْ كُنْتَ فِي ظُلُمٍ مَلُومٍ ﴿١٩﴾  
وَلَقَدْ قَرَأْتَ كِتَابَ الْأَلْقَامِ إِذْ كُنْتَ فِي ظُلُمٍ مَلُومٍ ﴿٢٠﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
مَلُومًا	يُؤْمَرُ النَّاسُ وَنَفْسُهُ.
مَدْحُورًا	مَطْرُودًا مُبْعَدًا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ.
أَفْأَصْفَاكُمْ	أَفْخَضَكُمْ؟
صَرَّفْنَا	نَوَّعْنَا الْأَسَالِيبَ، وَوَضَّحْنَاهَا.
أَكِنَّةٌ	أَغْطِيَةٌ.
وَقْرًا	صَمَمًا وَثَقَلًا فِي السَّمْعِ.
وَرَفَاتًا	أَجْزَاءً مُفْتَتَتَةً.

## ● العمل بالآيات

١. اقرأ سورة من القرآن تذكرك الآخرة، ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا ﴾.
٢. ادع الله تعالى باسميه: (الحليم)، و(الغفور) أن يعاملك بحلمه، وأن يفر لك  
ويتجاوز عن سيئاتك، ﴿ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾.
٣. استعد بالله من شر الغفلة، ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾  
وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفوراً.

## ● التوجيهات

١. أعظم القول وأشنع ما كان فيه طعن في ذات الله تعالى، ﴿ أَفَأَصْفَكَ رَبُّكُمْ بِالْبَيْنِ وَالتَّيْنِ وَأَعَدَّ مِنَ التَّائِبِينَ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قَوْلًا عَظِيمًا ﴾.
٢. عدم فقه القرآن وفهمه قد يكون عقوبة بسبب المعاصي، فسارع إلى التوبة  
وكثرة الاستغفار، ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ ﴾.
٣. ذكر الله تعالى -خاصة كلمة التوحيد وقراءة القرآن- هو سبب لحفظ  
العبد من الشياطين، ﴿ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوَّا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿ وَيَقُولُوا مَتَى هَذَا الْيَوْمُ أَتِيهِمْ ﴾

فليس في تعيين وقته فائدة، وإنما الفائدة والمدار على تقريره، والإقرار به، وإشباته، وإلا فكل ما هو آتٍ فإنه قريب. السعدي: ٤٦٠.

السؤال: سؤال المشركين عن وقت يوم القيامة سؤال في غير محله، فلماذا؟

﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَقُولُونَ إِنَّ لَئِنَّهُ إِلَّا فُتَيْكَا ﴾

لأن الإنسان لو مكث الوفاً من السنين في الدنيا وفي القبر عد ذلك قليلاً في مدة القيامة والخلود؛ قال قتادة: يستحقرون مدة الدنيا في جنب

القيامة. البغوي: ٢/٢٨٧.

السؤال: لماذا يظن العبد يوم القيامة أن مكوته في الدنيا كان قليلاً؟

﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾

إذا دار الأمر بين امرين حَسَنَيْنِ فإنه يؤمر بإيثار أحسنهما إن لم يمكن الجمع بينهما. والقول الحسن داعٍ لكل خلق جميل، وعمل صالح؛ فإن مَنْ مَلَكَ لِسَانَهُ مَلَكَ جَمِيعَ أَمْرِهِ. السعدي: ٤٦٠.

السؤال: ما الفرق بين القول الحسن والأحسن، وإيهما أمرنا به؟

﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ ﴾

أي: يسعى بين العباد بما يفسد عليهم دينهم ودنياهم؛ فدواء هذا أن لا يطيعوه في الأقوال غير الحسنة التي يدعوهم إليها، وأن يلبثوا فيما بينهم؛ لينقمع الشيطان الذي ينزع بينهم؛ فإنه عدوهم الحقيقي الذي ينبغي لهم أن يحاربوه. السعدي: ٤٦٠.

السؤال: الشيطان يدخل في المحادثة بينك وبين الناس، كيف تعالج ذلك؟

﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا ﴾

والقصد الأهم من هذا التاديب تأديب الأمة في معاملتهم بعضاً بحسن والمعاملة وإلانة القول؛ لأن القول ينم عن المقاصد... ثم تأديبهم في مجادلة المشركين اجتناباً لما تشيره المشادة والغلظة من ازدياد مكابرة المشركين وتصلبهم؛ فذلك من نزغ الشيطان بينهم وبين عدوهم. ابن عاشور: ١٥/١٣٢.

السؤال: ما المقصود الأهم في الآية الكريمة؟

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴾

لا تتم العبادة إلا بالخوف والرجاء؛ فبالخوف ينكف عن المناهي، وبالرجاء يكثر من الطاعات. ابن كثير: ٤/٦٢.

السؤال: ما أهمية الرجاء والخوف في حياة المؤمن؟

﴿ وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْوَيْسَكَةِ أَوْ مَذْبُوحُهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴾

قال ابن مسعود رضي الله عنه: إذا ظهر الزنى والربا في قرية أذن الله في هلاكهم. القرطبي: ١٣/١٠٧.

السؤال: متى يهلك الله تعالى القرى؟

\* قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥﴾ أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْفُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَتَسْمِعُونَ مَنْ يُبْدِي تَأْوِيلَ الَّذِي قَطَرْتُمْ أَلَأَمْ تَرَوْهُ مُسْتَنْفِضُونَ إِلَيْكُمْ وَسُوءُ مَا يَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٦﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَقُولُونَ إِنَّ لَئِنَّهُ إِلَّا فُتَيْكَا ﴿٧﴾ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا ﴿٨﴾ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنَّ يَسَاءَ أَرْسَالِكُمْ أَنَّ يَسَاءَ مَا أَعْلَمُ بِكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٩﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴿١٠﴾ قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ رَعَيْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿١١﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿١٢﴾ وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مَعَذْبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿١٣﴾

## ● معاني الكلمات

المعنى	الكلمة
يُحَرِّكُونَ مُسْتَهْزِئِينَ.	فَسَيُفْضَضُونَ
يُفْسِدُ.	يَنْزِعُ
يُطْلُبُونَ.	يَبْتَغُونَ
الْقُرْبَى بِالطَّاعَةِ.	الْوَسِيلَةَ
اللُّوحُ الْحَفُوفُ.	الْكِتَابُ
مَكْتُوبًا.	مَسْطُورًا

## ● العمل بالآيات

١. قل لأخيك أو لزميلك قولاً حسناً؛ لتزيد فيه من الأنفة والمحبة بينكما. ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾.
٢. استعد بالله من نزغات الشيطان، ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ ﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَتْ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا ﴿٨﴾.
٣. احرص اليوم على كتابة وصيتك تطبيقاً لأمر الرسول ﷺ ﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَقُولُونَ إِنَّ لَئِنَّهُ إِلَّا فُتَيْكَا ﴾.

## ● التوجيهات

١. عود لسانك التزام الكلام الحسن، ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾.
٢. محبة الله سبحانه، ورجاؤه، والخوف منه؛ هذه الأعمال القلبية الثلاثة هي أصل لكل خير؛ لأجل ذلك وصف الله بها المقربين عنده، ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴾.
٣. إذا كثرت الخبث قرب الهلاك، ﴿ وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مَعَذْبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴾.

الآية (٥٤-٥٥): يقول تعالى: ﴿زَكَرْنَاكَ يَكْرُ﴾ أي: أُنشأنا نبيًا بَرَحْمَتِكَ ﴿بأن يوفقكم لطاعته والإنابة إليه﴾. ﴿أَوَلَيْسَ أَتَى بِكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ﴾ يا محمد ﴿عَلَيْكُمْ وَكَيْلًا﴾ أي: إنما أُرسلناك نذيرًا، فمن أطاعك دخل الجنة، ومن عصاك دخل النار. قوله: ﴿وَبِكَ أَعْلَزُ يَمِينٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: بمراتبهم في الطاعة والمعصية ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾ كما قَالَ تعالى: ﴿بِكَ أَرْسَلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣]. وهذا لا ينافي ما في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «لا تفضلوا بين الأنبياء»؛ فإن المراد من ذلك هو التفضيل بمجرد التشبه والعصية، لا بمقتضى الدليل، ولا خلاف أن الرسل أفضل من بقية الأنبياء، وأن أولي العزم منهم أفضل. ولا خلاف أن محمدًا ﷺ أفضلهم، ثم بعده إبراهيم، ثم موسى ثم عيسى -عليهم السلام- على المشهور. قوله: ﴿وَأَتَيْنَا دَاوُدَ رُؤُوسًا﴾ تنبيه على فضله وشرفه.

الآية (٥٦-٥٧): يقول تعالى: ﴿قُلْ﴾ يا محمد هؤلاء المشركين الذين عبدوا غير الله: ﴿ادْعُوا إِلَيْنِ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ من الأصنام والأنداد، فارغبوا إليهم، فإنهم ﴿لَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ﴾ أي: بالكلية ﴿وَلَا تَحْيِيَّةً﴾ أي: أن يحولوه إلى غيركم. والمعنى: أن الذي يقدر على ذلك هو الله وحده لا شريك له الذي له الخلق والأمر. قال ابن عباس: كان أهل الشرك يقولون: نعيد الملائكة والمسيح وعزيرًا، وهم الذين يدعون، يعني: الملائكة والمسيح وعزيرًا. عن عبد الله في قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَيْنَ رَيْبَهُمُ الْوَيْسِيلَةَ﴾ قال: ناس من الجن، كانوا يُعبدون فأسلموا. وفي رواية: كان ناس من الإنس يعبدون ناسًا من الجن، فأسلم الجن وتمسك هؤلاء بدينهم [متفق عليه]. [سبب النزول]: قال ابن مسعود في قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَيْنَ رَيْبَهُمُ الْوَيْسِيلَةَ﴾: نزلت في نفر من العرب، كانوا يعبدون نفرًا من الجن، فأسلم الجن، والإنس الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون بإسلامهم، فنزلت هذه الآية. وقال مجاهد: عيسى والعزير والملائكة. واختار ابن جرير قول ابن مسعود؛ لقوله: ﴿يَبْتَغُونَ إِلَيْنَ رَيْبَهُمُ الْوَيْسِيلَةَ﴾، وهذا لا يعبر به عن الماضي، فلا يدخل فيه عيسى والعزير. قال: والويسيلة هي القرية، كما قال قتادة؛ ولهذا قال: ﴿أَتَيْنَهُمْ أَقْرَبَ﴾. وقوله: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ لا تتم العبادة إلا بالخوف والرجاء؛ فبالخوف يَنْكَفُ عن المناهي، وبالرجاء يكثر من الطاعات. قوله: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ أي: ينبغي أن يُحذر منه، ويُحاف من وقوعه وحصوله، عيادًا بالله منه.

الآية (٥٨): هذا إخبار من الله ﷻ بأنه قد حَتَمَ وقضى بها قد كتبه عنده في اللوح المحفوظ: أنه ما من قرية إلا سيهلكها، بأن يُبَيِّدَ أهلها جميعهم أو يعذبهم ﴿عَذَابًا شَدِيدًا﴾ إما بقتل أو ابتلاء بها بشاء، وإنما يكون ذلك بسبب ذنوبهم وخطاياهم؛ كما قال تعالى عن الأمم الماضية: ﴿وَمَا ظَلَمْتُهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ [هود: ١٠١].

الآية (٥٠-٥١): أمر الله سبحانه رسول الله ﷺ أن يجيبهم فقال: ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حديدًا﴾ إذ هما أشد امتناعًا من العظام والرفات. ﴿أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْفُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ قال مجاهد: سألت ابن عباس عن ذلك فقال: هو الموت. وعن ابن عمر أنه قال: لو كنتم موتى لأحييتكم. ومعنى ذلك: أنكم لو فرضتم أنكم لو صرتم إلى الموت الذي هو ضد الحياة، لأحياكم الله إذا شاء؛ فإنه لا يمنع عليه شيء إذا أَرَادَهُ. وقال مجاهد: ﴿أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْفُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ يعني: الساء والأرض والجبال. وفي رواية: ما شئتم فكونوا، فيعيدكم الله بعد موتكم. قوله: ﴿فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُبَيِّدُنَا﴾ أي: من يعيدنا إذا كنا حجارة أو حديدًا أو خلقًا آخر شديدًا؟! ﴿قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أي: الذي خلقكم ولم تكونوا شيئًا مذكورًا ثم صرتم بشرًا تنتشرون؛ فإنه قادر على إعادتكم ولو صرتم إلى أي حال ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ الآية [الروم: ٢٧]. قوله: ﴿فَسَيَقُولُونَ إِلَيْكَ رُؤُوسَهُمْ﴾ قال ابن عباس وفتادة: يحركونها استهزاء.

قوله: ﴿وَيَقُولُونَ مَنْ هُوَ﴾ إخبار عنهم بالاستبعاد منهم لوقوع ذلك؛ كما قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَنْ هَذَا أَلَوَعَدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [المك: ٢٥]. وقوله: ﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾ أي: احذروا ذلك، فإنه قريب إليكم، سيأتيكم لا محالة، فكلُّ ما هو آتٍ آت. الآية (٥٢): قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ﴾ أي: الرب تعالى؛ ﴿إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ غَرُجُونَ﴾ [الروم: ٢٥] أي: إذا أمركم بالخروج منها فإنه لا يُخَالَف ولا يُتَانَع، بل كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا مَيَّ زَجَرْتُمْ وَجِدَتْ﴾ ﴿١٣﴾ ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ [الزمر: ١٣-١٤] أي: إنما هو أمر واحد بانتهاز، فإذا الناس قد خرجوا من باطن الأرض إلى ظاهرها؛ كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ﴾ أي: تقومون كلكم إجابة لأمره وطاعة لإرادته.

قال ابن عباس: ﴿فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ﴾ أي: بأمره. وقال قتادة: بمعرفته وطاعته. وقال بعضهم: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ﴾ أي: وله الحمد في كل حال. قوله: ﴿وَتَنْظُرُونَ﴾ أي: يوم تقومون من قبوركم ﴿إِنْ لَيْتَنِي﴾ أي: في الدار الدنيا ﴿لَا قِيْلًا﴾، وكقوله: ﴿كَانَ يَوْمَ يَرْؤُهَا رَبِّي لَوَاقِعًا لِّلْأَعْيُنِ أَوْ ضُحًى﴾ [النازعات: ٤٦].

الآية (٥٣): يأمر تبارك وتعالى عبده ورسوله ﷺ أن يأمر عباد الله المؤمنين أن يقولوا في مخاطبتهم ومحاورتهم الكلام الأحسن والكلمة الطيبة؛ فإنهم إذ لم يفعلوا ذلك، نزع الشيطان بينهم، وأخرج الكلام إلى الفعال، ووقع الشر والمخاصمة والمقاتلة؛ فإنه عدو لآدم وذريته من حين امتنع من السجود لآدم، وعداوته ظاهرة بينة؛ ولهذا نهى أن يشير الرجل إلى أخيه المسلم بحديدة؛ فإن الشيطان يَنْزِعُ في يده، أي: فربما أصابه بها. قال رسول الله ﷺ: «لا يُشِيرَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَى أَخِيهِ بالسلاح؛ فإنه لا يدري أحذكم لعل الشيطان أن ينزع في يده، فيقع في حفرة من النار» [متفق عليه].

الآية (٥٩): [سبب النزول]: عن ابن عباس قال: سأل أهل مكة النبي ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذبيحة، وأن يُتَحَيَّ الجبال عنهم فيزرعوا، فقيل له: إن شئت أن نستأني بهم، وإن شئت أن نُؤْتِيَهُم الذي سألوا، فإن كفروا أهلكوا كما أهلكك من كان قبلهم من الأمم. قال: «لا، بل استأني بهم». وأنزل الله: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾ الآية (رواه أحد والسائي في الكبرى، وصححه إسناده أحد شاكراً).

قوله: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾<sup>٦٥</sup> أي: نبعث الآيات ونأتي بها على ما سأل قومك منك؛ فإنه سهل علينا يسير لدينا، إلا أنه قد كذب بها الأولون بعدما سألوها، وجرت سُنَّتُنَا فيهم وفي أمثالهم أتم لا يُوَخَّرُونَ إن كذبوا بها بعد نزولها. كما قال تعالى عن ثمود حين سألوها آية: ناقة تخرج من صخرة عَنِّيْهَا، فدعا صالح ربه، فأخرج له منها ناقة على ما سألوا ﴿فَنظَلَمُوا بِهَا﴾ أي: كفروا بمن خلقها، وكذبوا رسوله وعقروا الناقة فقال: ﴿تَمَتَّعُوا فِي آدَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعَذَابُ كَذِبٍ﴾<sup>٦٦</sup>؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا ثَلَاثَةَ مِصَافٍ﴾ أي: دالة على وحدانية من خلقها وصدق الرسول الذي أجيب دعاؤه فيها.

﴿فَقُلُوا لَهُمْ﴾ أي: كفروا بها ومنعوها شربها وقتلوا، فأباهم الله عن آخرهم، وانتقم منهم. قوله: ﴿وَمَا تُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا خَيْرًا﴾ قال قتادة: إن الله تعالى يُخَوِّفُ الناس بها شاء من الآيات لعلهم يعتبرون ويذكرون ويرجعون. قال رسول الله ﷺ: «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، وإنهما لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، ولكن الله ﷻ يرسلهما يخوف بها عباده» [متفق عليه].

الآية (٦٠): يقول تعالى لرسوله ﷺ عِزًّا لَهُ عَلَىٰ إِبْلَاحِ رِسَالَتِهِ، وَخَيْرًا لَهُ بِأَنَّهُ قَدْ عَصَمَهُ مِنَ النَّاسِ؛ فَإِنَّهُ الْقَادِرُ عَلَيْهِمْ، وَهُمْ فِي قَبْضَتِهِ وَتَحْتِ قَهْرِهِ وَعِظَّتِهِ. قَالَ مجاهد والحسن وقَتَادَةُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَوْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحْمَقُ مِنَ النَّاسِ﴾: أَي: عَصَمَكَ مِنْهُمْ. قَوْلُهُ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرِّجْزَ الَّذِي أُرْسِلَتْكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: هِيَ رُؤْيَا عَيْنِ أَرَبَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِي بِهِ، ﴿وَالشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ فِي الْقُرْآنِ﴾ شَجَرَةُ الزُّقُومِ [رواه البخاري]. وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ نَاسًا رَجَعُوا عَنْ دِينِهِمْ بَعْدَمَا كَانُوا عَلَى الْحَقِّ؛ لِأَنَّهُ لَمْ تَحْمَلْ قُلُوبَهُمْ وَعَقُولَهُمْ ذَلِكَ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿إِلَّا فِتْنَةً﴾: أَي: اخْتِبَارًا وَامْتِحَانًا. قَوْلُهُ: ﴿يَعْتَوِيهِمْ﴾: أَي: الْكَفَارُ بِالْوَعِيدِ وَالْعَذَابِ وَالتَّكَاثُلِ ﴿فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾: أَي: تَمَادِيًا فَيَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ. وَذَلِكَ مِنْ خِذْلَانِ اللَّهِ لَهُمْ.

الآية (٦١-٦٢): يذكر تعالى عداوة إبليس لآدم وذريته، وأنها عداوة قديمة منذ خَلَقَ آدم؛ فإنه تعالى أمر الملائكة بالسجود لآدم، فسجدوا كلهم إلا إبليس استكبر وأبى أن يسجد له؛ افتخاراً عليه واحتقاراً له: ﴿قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتُ طِينًا﴾ كما قال في الآية الأخرى: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢].

و﴿قَالَ أَيْضًا: «أَرَأَيْتَكَ يَقُولُ لِلرَّبِّ جِرَاءَةً وَكُفْرًا، وَالرَّبُّ يَحْلُمُ وَيُنْظُرُ: «أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَحْبَبْتُ لِيَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ

لَأَحْزَنَكَ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٠﴾ قال ابن عباس: يقول: لأستولين على ذريته إلا قليلاً. وقال مجاهد: لأحتوين. وقال ابن زيد: لأضلنهم. وكلها متقاربة، والمعنى: أنه يقول: أرايتك هذا الذي شرفته وعظمته علي، لكن أنظرني لأضلن ذريته إلا قليلاً منهم.

الآية (٦٣-٦٥): لما سأل إبليس النِّظَرَةَ ﴿قَالَ﴾ الله له: ﴿أَذْهَبْ﴾ فقد انظرْتُكَ، كما قال في الآية الأخرى: ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ (٣٧) إِلَى بَوْرِ الزُّوْفَةِ الْمَعْلُومَةِ [الحجر: ٣٧، ٣٨]. ثم أوعده ومن اتبعه من ذرية آدم جهنم ﴿قَالَ أَدْهَبْ فَمَنْ يَبْعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ﴾ أي: على أعمالكم ﴿جَزَاءُ مُؤَفَّرًا﴾ قال مجاهد: وافراً. وقال قتادة: موفوراً عليكم، لا ينقص لكم منه. قوله: ﴿وَأَسْتَفْزِرُ مِنْهُ﴾ اسْتَفْعَلْتُ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ ﴿قال مجاهد: باللغو والغناء، أي: استخفهم بذلك. وقال ابن عباس: كل داع دعا إلى معصية الله ﷻ واختاره ابن جرير. قوله: ﴿وَأَلْبَبَ عَلَيْهِمْ حَبِيلَكَ وَرَجَّلَكَ﴾ يقول: واحمل عليهم بجنودك خيالاتهم ورجلتيهم. ومعناه: تَسَلَّطَ عَلَيْهِمْ بكل ما تقدر عليه. وقال ابن عباس ومجاهد في قوله: ﴿وَأَلْبَبَ عَلَيْهِمْ حَبِيلَكَ وَرَجَّلَكَ﴾: كل راكب وماشى في معصية الله. قوله: ﴿وَسَارَكُمُ فِي الْأَمْوَالِ﴾ قال ابن عباس ومجاهد: هو ما أمرهم به من إنفاق الأموال في معاصي الله. وقال عطاء: هو الربا. وقال الحسن: جمعها من خبيث، وإنفاقها في حرام. وقال ابن عباس: أما مشاركته إياهم في أموالهم فهو ما حَرَّمَهُ من أنعامهم، يعني: من البحائر والسوائب ونحوها. قال ابن جرير: والأولى أن يقال: إن الآية تعم ذلك كله.

قوله: ﴿وَالَّذِينَ﴾ قال مجاهد والضحاك: يعني أولاد الزنا. وقال ابن عباس: هو ما كانوا قتلوه من أولادهم سفهاً بغير علم. قال ابن جرير: وأولى الأقوال بالصواب أن يقال: كل مولود ولدته أنثى، عصى الله فيه، بتسميته ما يكرهه الله، أو بإدخاله في غير الدين الذي ارتضاه الله، أو بالزنا بأمه، أو بقتله أو واده، أو غير ذلك من الأمور التي يعصي الله بفعله به أو فيه، فقد دخل في مشاركة إبليس فيه من وُلِدَ ذلك الولد له أو منه؛ لأن الله لم يخص بقوله: ﴿وَسَارِكُهُ فِي الْأَمْزَلِ وَالَّذِينَ﴾ معنى الشركة فيه بمعنى دون معنى، فكل ما عصى الله فيه أو به، وأطيع فيه الشيطان أو به، فهو مشاركة. وهذا الذي قاله مُنَجِّه وكل من السلف فسر بعض المشاركة.

وقوله: ﴿وَعَذَابُهُمْ وَاصٍ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأعراف: ٤٤] ﴿كَمَا أَخْبَرَ تَعَالَى عَنْ إِبْلِيسَ أَنَّهُ يَقُولُ إِذَا حُصِّلَ الْحَقُّ يَوْمَ يَقْضَىٰ بِالْحَقِّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَذَابُهُمْ وَعَذَابُ الْحَقِّ وَوَعَدُكَ فَخَلَعْتُكَ﴾ [الأنعام: ١٢٢]. قوله: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [إخبار بتأييده تعالى عباده المؤمنين، وحفظه إياهم، وحراسته لهم من الشيطان الرجيم؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَكُنْ بِرَبِّكَ وَكَفَىٰ﴾ [أى: حافظاً ومؤيداً وناصرًا].

الآية (٦٦): يَجْرِ تَعَالَى عَنْ لُطْفِهِ بِخَلْقِهِ فِي تَسْخِيرِهِ لِعِبَادِهِ الْقُلُوكَ فِي الْبَحْرِ، وَتَسْهِيلِهِ لِمَصَالِحِ عِبَادِهِ، لَا يَتَغَانَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ فِي التَّجَارَةِ مِنْ إِقْلِيمٍ إِلَى إِقْلِيمٍ؛ وَهَذَا قَالَ: ﴿إِنَّكُمْ كَانَتْ رَحِيمًا﴾ أَي: إِنَّا فَعَلْ هَذَا بِكُمْ مِنْ فَضْلِهِ عَلَيْكُمْ، وَرَحْمَتِهِ بِكُمْ.



## ● الوقفات التدبرية

● ﴿وَمَا أَتَيْنَا نَمُودَ الثَّاقَةِ مُبِيرَةً فَعَلَمُوا بِهَا وَمَا تُرْسِلُ بِالْأَنْبِئِ إِلَّا تَحِيماً﴾  
وخص بالذكر نَمُود وَاتِيَتْا لشهرة أمرهم بين العرب، ولأن آثار  
هلاكهم في بلاد العرب قريبة من أهل مكة، يبصرها صادرهم وواردهم  
في رحلاتهم بين مكة والشام. ابن عاشور: ١٤/١٥.

السؤال: لماذا خصت نَمُود بالذكر في الآية الكريمة؟

● ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّبَا الَّتِي أَرَيْتَكَ إِلَّا فَتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾  
وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا

لما أخبرهم بالإسراء وشجرة الزقوم أنكرو ذلك طائفة منهم، وزعموا أن  
العقل ينفي ذلك، وأنزل الله تعالى: (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة  
للناس والشجرة الملعونة في القرآن...) أي: محنة وابتلاء للناس؛ ليطمئن  
المؤمن عن الكافر، وكان فيما أخبرهم به أنه رأى الجنة والنار، وهذا  
مما يُخَوِّفُهُمْ به: قال تعالى: (وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا).

ابن تيمية: ٣٣٥/٤.

السؤال: كيف كان ما رآه النبي ﷺ وأخبر به فتنة للناس؟ وضع ذلك  
من خلال الوقفة.

● ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾

وقد اختير الفعل المضارع: (نخوفهم) و (يزيدهم) لاقتضائه تكرار  
التخويف وتجده، وأنه كلما تجدد التخويف تجدد طغيانهم وعظم.  
ابن عاشور: ١٤/١٥.

السؤال: لماذا اختير الفعل المضارع (نخوفهم) و (يزيدهم) في الآية  
الكريمة؟

● ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ هَٰذَا الَّتِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ  
لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾

(لأحتنكن ذريته) معناه: لأستولين عليهم، ولأوقدهم؛ وهو مأخوذ من  
تحنيك الدابة؛ وهو أن يشد على حنكها بحبل فتتقاد. ابن جزي: ١٤٩/١.

السؤال: ما المقصود باحتناك الشيطان للإنسان؟ وما علامته؟

● ﴿وَأَسْتَفْزِرُ مَنِ اسْتَعْظَمَ بِتَمِّمْ بَصَوِّكَ﴾

وصوته: كل داع يدعو إلى معصية الله تعالى؛ فعن ابن عباس- رضي الله  
عنهما- ومجاهد: الغناء والمزامير والهلل. القرطبي: ١٣/١٣.

السؤال: كيف يكون استفزاز الشيطان بصوته؟

● ﴿وَأَسْتَفْزِرُ مَنِ اسْتَعْظَمَ بِتَمِّمْ بَصَوِّكَ وَاجْلِبَ عَلَيْهِمْ بَخِيلُكَ وَرَجَلُكَ﴾  
كل متكلم بغير طاعة الله، ومصوت بيراع أو زمزام أو دُف حرام أو طبل؛  
فذلك صوت الشيطان. وكل ساعٍ في معصية الله على قدميه فهو من  
رَجَلِهِ. وكل راصب في معصية الله فهو من خيالاته. ابن القيم: ١٤٢/٢-١٤٣.

السؤال: وضع المقصود بصوت الشيطان وخيله ورجله.

● ﴿وَسَارَكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدَهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾  
مشاركته في الأموال بكسبها من الربا، وانفاقها في المعاصي، وغير ذلك،  
ومشاركته في الأولاد هي بالاستيلاء بالزنا، وتسمية الولد عبد شمس  
وعبد الحارث، وشبه ذلك. ابن جزي: ١٤٢/١.

السؤال: عدد مظاهر من مشاركة الشيطان لبني آدم في المال والولد.

وَمَا مَعَنَا أَنْ تُرْسِلَ يَا لَأَنْبِئِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ  
وَمَا أَتَيْنَا نَمُودَ الثَّاقَةِ مُبِيرَةً فَعَلَمُوا بِهَا وَمَا تُرْسِلُ بِالْأَنْبِئِ  
إِلَّا تَحِيماً ٥ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا  
الرُّبَا الَّتِي أَرَيْتَكَ إِلَّا فَتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ  
فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ٦  
وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ  
قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ٧ قَالَ أَرَأَيْتَ هَٰذَا الَّتِي كَرَّمْتَ  
عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ  
ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ٨ قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ يَتَعَلَّكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ  
جَهَنَّمَ جَزَاءُ كُلِّ جَزَاءٍ مُّوَفُّوهُ ٩ وَأَسْتَفْزِرُ مَنِ اسْتَعْظَمَ  
مِنْهُمْ بَصَوِّكَ وَاجْلِبَ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجُلِكَ وَسَارَكُهُمْ  
فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدَهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا  
غُرُورًا ١٠ إِنَّ عِبَادِي لَشَيْءٌ لَّكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى  
بِرَبِّكَ وَكِيلًا ١١ رَبُّكُمْ الَّذِي يُرْسِلُ لَكُمْ الْفُلُوكَ فِي  
الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ١٢

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
أَرَايْتَكُ	أخبرني.
لَأَحْتَنِكَنَّ	لأستولين عليهم.
مُوفُّوهُ	وأوفوا.
وَأَسْتَفْزِرُ	استعجف، واستعجل.
وَاجْلِبُ	اجمع، وصبح عليهم.
بَخِيلِكَ وَرَجُلِكَ	بجنودك الرَّاكِبِينَ، وَالرَّالِجِينَ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ.

## ● العمل بالآيات

١. أرسل رسالتك عن خطر الغناء والموسيقى، وأنها من خطوات الشيطان،  
﴿وَأَسْتَفْزِرُ مَنِ اسْتَعْظَمَ بِتَمِّمْ بَصَوِّكَ وَاجْلِبَ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجُلِكَ﴾.
٢. احرص اليوم على أذكاء الصباح والمساء، وأذكاء الطعام، والدخول والخروج  
من المنزل، ﴿إِنَّ عِبَادِي لَشَيْءٌ لَّكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾.
٣. ادع الله تعالى أن يجعلك من عباده الذين ليس للشيطان عليهم سبيل،  
﴿إِنَّ عِبَادِي لَشَيْءٌ لَّكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾.

## ● التوجيهات

١. ما أحلم الله على عباده؛ يعصونه وهو محيط بهم، ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ  
أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾.
٢. من لم يحرص على مراعاة أحكام الشرع في أمواله، وأولاده، وطعامه، فقد  
شاركه الشيطان فيها، ﴿وَسَارَكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾.
٣. ابحث عن صفات الذين ليس للشيطان عليهم سلطان، وحرص أن تكون منهم،  
﴿إِنَّ عِبَادِي لَشَيْءٌ لَّكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿ أَفَأَمْسَرُّ أَنْ يُخَيِّفَ بِكُمْ جَانِبَ الْوَرْدِ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا يَجِدُ لَكُمْ وِكِيلًا ﴾

في هذا تنبيه على أن السلامة في البر نعمة عظيمة تنسونها؛ فلو حدث لكم خسف لهلكتم هلاكاً لا نجاة لكم منه، بخلاف هول البحر. ابن عاشور: ١٦٢/١٥. السؤال: السلامة في البر نعمة عظيمة ننساها كثيراً، كيف أرشد الآية الكريمة إلى ذلك؟

﴿ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾

الصحيح الذي يعول عليه: أن التفضيل إنما كان بالعقل الذي هو عمدة التكليف، وبه يعرف الله، ويفهم كلامه، ويوصل إلى نعيمه وتصديق رسله، إلا أنه لما لم ينهض بكل المراد من العبد بعثت الرسل، وانزلت الكتب؛ فمثال الشرع الشمس، ومثال العقل العين، فإذا فتحت وكانت سليمة رأت الشمس، وادركت تفاصيل الأشياء. القرطبي ١٣/١٢٦.

السؤال: بين بأي شيء فضل الله تعالى بني آدم على سائر المخلوقات.

﴿ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أَنَسَابٍ بِإِسْمِهِ فَمَنْ أُوْفِيَ كِتَابُهُ بِرَّيْسِهِ، فَأُولَئِكَ يَفْرَهُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يَظْلَمُونَ شَيْئًا ﴾

الفيتل هو الخط الذي في شق نواة التمرة، والمعنى أنهم لا يظلمون من أعمالهم قليلاً ولا كثيراً؛ فغير بأهل الأشياء تنبيهاً على الأكثر. ابن جزي: ٩٣/١.

السؤال: ما وجه التعبير بالفيتل في الآية؟

﴿ وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَصْلُ سَبِيلًا ﴾

الإشارة به (هذه) إلى الدنيا، والعَمَى يراد به عمى القلب؛ أي: من كان في الدنيا أعمى عن الهدى والصواب فهو في يوم القيامة أعمى؛ أي: حيران، يائس من الخير. ابن جزي: ٩٣/١.

السؤال: ما المقصود بعمى الدنيا، وعمى الآخرة؟

﴿ وَلَئِنْ كَادُوا لَيَفْتِنَنَّكَ عَنِ آلِيكِ أَوْحِيْنَا إِلَيْكَ لِنَفْتَرِيَ عَلَيْكَ غَيْرَهُ وَإِذًا لَا تَخْذُوكَ خَلِيلًا ﴾

ولكن لتعلم أنهم لم يعادوك وينابذوك العداوة إلا للحق الذي جئت به، لا لذاتك السعدي: ٤٦٤.

السؤال: ما سبب معاداة المشركين للنبي ﷺ؟ وكيف يفيد الداعية من هذا الأمر؟

﴿ وَلَوْ لَا أَنْ بُنِنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنْ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴾

في هذه الآيات دليل على شدة افتقار العبد إلى تثبيت الله إياه، وأنه ينبغي له أن لا يزال متملقاً لربه أن يثبت على الإيمان، ساعياً به بكل سبب موصل إلى ذلك؛ لأن النبي ﷺ -وهو أكمل الخلق- قال الله له: (ولو لا أن بئتناك لقد كدت تركن إلينا شيئاً قليلاً) فكيف بغيره؟ السعدي: ٤٦٤.

السؤال: في هذه الآيات دليل على شدة افتقار العبد إلى تثبيت الله إياه، وضع ذلك.

﴿ إِذَا لَدَفْتَنَّاكَ لُفْتًا فَدَعْ مَا تُغْنِيكَ عَنِ الْغَنَىٰ وَاعْبُدْ اللَّهَ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يُغْنِيكَ عَنِ الْغَنَىٰ وَأَنَّ اللَّهَ يُبْدِلُ الْوَيْلَ لِلْكَافِرِينَ ﴾

بحسب علو مرتبة العبد، وتواتر النعم عليه من الله يعظم إثمه، ويتضاعف جرمه إذا فعل ما يلام عليه؛ لأن الله ذكر رسوله لو فعل -وحاشاه من ذلك- بقوله: (إذا لدفنناك لفتاً فضع الحياة وضع الملمات ثم لا تجد لك علينا نصيراً). السعدي: ٤٦٤.

السؤال: ما سبب كون الخطأ من النبي ﷺ أو العالم أو الداعية -لو حصل- أعظم من خطأ غيرهم؟

وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهُةَ فَلَمَّا تَجَدَّكَ إِلَى الْفِئَةِ أَعْرِضْهُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كُفُورًا ﴿١٥﴾ أَفَأَمْسَرُّ أَنْ يُخَيِّفَ بِكُمْ جَانِبَ الْوَرْدِ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا يَجِدُ لَكُمْ وِكِيلًا ﴿١٦﴾ أَمْ أَمْسَرُّ أَنْ يُعِيدَ كُفْرِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيَغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكُمْ عَلَيْهَا يَدَ تَبِيْعًا ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَجَعَلْنَاهُمْ فِي الْوَرْدِ وَالْبَحْرِ وَرَدًّا فَكُنْهُمْ قِرَاطًا يَدِينُ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿١٨﴾ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أَنَسَابٍ بِإِسْمِهِ فَمَنْ أُوْفِيَ كِتَابُهُ بِرَّيْسِهِ فَأُولَئِكَ يَفْرَهُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يَظْلَمُونَ شَيْئًا ﴿١٩﴾ وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَصْلُ سَبِيلًا ﴿٢٠﴾ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنَنَّكَ عَنِ آلِيكِ أَوْحِيْنَا إِلَيْكَ لِنَفْتَرِيَ عَلَيْكَ غَيْرَهُ وَإِذًا لَا تَخْذُوكَ خَلِيلًا ﴿٢١﴾ وَإِذَا لَدَفْتَنَّاكَ لُفْتًا فَدَعْ مَا تُغْنِيكَ عَنِ الْغَنَىٰ وَاعْبُدْ اللَّهَ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يُغْنِيكَ عَنِ الْغَنَىٰ وَأَنَّ اللَّهَ يُبْدِلُ الْوَيْلَ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٢﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
حَاصِبًا	ريحا شديدة ترميكم بالحصباء.
قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ	ريحا شديدة لا تمر على شيء إلا كسرتة.
بِإِسْمِهِمْ	بمن كانوا يقتدون به في الدنيا.
كَادُوا	قاربوا.
لَيَفْتِنَنَّكَ	لنصبر فؤدك، ويوقعوك في الفتنة.

## ● العمل بالآيات

١. تذكر موقفا انجاه الله فيه، ثم اشكر الله عليه، ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهُةَ فَلَمَّا تَجَدَّكَ إِلَى الْفِئَةِ أَعْرِضْهُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كُفُورًا ﴾.
٢. سل الله تعالى أن تؤتي كتابك بيمينك، ﴿ فَمَنْ أُوْفِيَ كِتَابُهُ بِرَّيْسِهِ، فَأُولَئِكَ يَفْرَهُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يَظْلَمُونَ شَيْئًا ﴾.
٣. رسول الله ﷺ احتاج لتثبيت الله له، فادع أنت بهذا الدعاء: «اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد»، ﴿ وَلَوْ لَا أَنْ بُنِنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنْ إِلَيْنَا شَيْئًا قَلِيلًا ﴾.

## ● التوجيهات

١. من ضعف العبد أنه بعد انجاه الله تعالى له وتفريج كربته، فإنه سرعان ما يعود إلى غفلته وإعراضه وفساده، ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهُةَ فَلَمَّا تَجَدَّكَ إِلَى الْفِئَةِ أَعْرِضْهُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كُفُورًا ﴾.
٢. لا تحقر أحداً للون، أو نسب، أو بلد، ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾.
٣. لا يتخذك المجرمون صديقاً إلا إذا شاركهم معاصيهم، ﴿ وَلَئِنْ كَادُوا لَيَفْتِنَنَّكَ عَنِ آلِيكِ أَوْحِيْنَا إِلَيْكَ لِنَفْتَرِيَ عَلَيْكَ غَيْرَهُ وَإِذًا لَا تَخْذُوكَ خَلِيلًا ﴾.

الآية (٧١-٧٢): يخبر تعالى أن الناس إذا مسهم ضرٌّ، يدعو منيبين إليه، خالصين له الدين؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ الضُّرُّ فِي الْبَيْتِ ضَلَمَ مَنْ دَعَا إِلَّا يَأْتِيهِ﴾ أي: ذهب عن قلوبكم كل ما تعبدون غير الله تعالى. قوله: ﴿فَلَمَّا تَخَذُوا إِلَى اللَّهِ أَعْرَضْتُمْ﴾ أي: نستتم ما عرفتم من توحيدة في البحر، وأعرضتم عن دعائه وحده لا شريك له. قوله: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ أي: سَجِيئَةً هَذَا، ينسى النعم ويحذوها، إلا من عَصَمَ الله.

الآية (٦٨): يقول تعالى: أفحسبتم بخروجكم إلى البرِّ [أنكم] أمتم من انتقامه وعذابه ﴿أَنْ يَخَيِّفَ بِكُمْ جَانِبَ الزَّبَرِ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ وهو: المطر الذي فيه حجارة. قاله مجاهد؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا لَا آتَاكَ لَوْلِي يُنَجِّهِمْ يَسْخِرُ﴾ [الفر: ٣٤]، وقد قال في الآية الأخرى: ﴿وَأَنْتُمْ نَارًا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا كَمَا تَكُونُ فِي السَّمَاءِ﴾ [هود: ٨٢]، وقال: ﴿أَمْ أَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَلْمِزُونَهُ كَيْفَ يَذِرُ﴾ [الشك: ١٦-١٧]. وقوله: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوكَ وَكَفِيلًا﴾ أي: ناصراً يرد ذلك عنكم، وينقذكم منه.

الآية (٦٩): يقول تعالى: ﴿أَمْ أَمِنتُمْ﴾ أيها المرضون عنا بعدما اعترفوا بتوحيدنا في البحر، وخرجوا إلى البرِّ ﴿أَنْ يُبِيدَكُمْ﴾ في البحر مرة ثانية ﴿فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ﴾ أي: يقصف الصواري ويفرق المراكب. قال ابن عباس: القاصف: ريح البحار التي تكسر المراكب وتفرقها. قوله: ﴿فَيُفَرِّقْكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ﴾ أي: بسبب كفركم وإعراضكم عن الله تعالى. ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوكَ وَكَفِيلًا يَدِينُهُمَا﴾ قال ابن عباس: نصيراً، وقال مجاهد: نصيراً ثائراً، أي: يأخذ بثأركم بعدكم.

الآية (٧٠): يخبر تعالى عن تشريفه لبني آدم، وتكريمه إياهم، في خلقه لهم على أحسن الهيئات وأكملها؛ كقوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [الين: ٤] أي: يمشي قائماً منتصباً على رجله، ويأكل بيديه، وغيره من الحيوانات يمشي على أربع ويأكل بفمه، وجعل له سمعاً وبصراً وفؤاداً، يفقه بذلك كله ويتفقه به، ويفرق بين الأشياء، ويعرف منافعها وخواصها ومضارها في الأمور الدنيوية والدينية. ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ فِي آلٍ﴾ أي: على الدواب من الأنعام والحيل والبغال، ﴿وَالْبَحْرِ﴾ أيضاً على السفن الكبار والصغار ﴿وَوَرَدْنَاهُمْ مِنَ الْبَلَدِ﴾ أي: من زروع وثمار، ولحوم وآلبان، من سائر أنواع الطعوم والألوان، المشتهاة اللذيذة، والمناظر الحسنة، والملابس الرفيعة من سائر الأنواع، على اختلاف أصنافها وألوانها وأشكالها، مما يصنعونه لأنفسهم، ويجلبه إليهم غيرهم من أقطار الأقاليم والنواحي ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ أي: من سائر الحيوانات وأصناف المخلوقات. وقد استدل بهذه الآية على أفضلية جنس البشر على جنس الملائكة.

الآية (٧١-٧٢): يخبر تعالى أن الناس إذا مسهم ضرٌّ، يدعو منيبين إليه، خالصين له الدين؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ الضُّرُّ فِي الْبَيْتِ ضَلَمَ مَنْ دَعَا إِلَّا يَأْتِيهِ﴾ أي: ذهب عن قلوبكم كل ما تعبدون غير الله تعالى. قوله: ﴿فَلَمَّا تَخَذُوا إِلَى اللَّهِ أَعْرَضْتُمْ﴾ أي: نستتم ما عرفتم من توحيدة في البحر، وأعرضتم عن دعائه وحده لا شريك له. قوله: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ أي: سَجِيئَةً هَذَا، ينسى النعم ويحذوها، إلا من عَصَمَ الله.

الآية (٦٨): يقول تعالى: أفحسبتم بخروجكم إلى البرِّ [أنكم] أمتم من انتقامه وعذابه ﴿أَنْ يَخَيِّفَ بِكُمْ جَانِبَ الزَّبَرِ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ وهو: المطر الذي فيه حجارة. قاله مجاهد؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا لَا آتَاكَ لَوْلِي يُنَجِّهِمْ يَسْخِرُ﴾ [الفر: ٣٤]، وقد قال في الآية الأخرى: ﴿وَأَنْتُمْ نَارًا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا كَمَا تَكُونُ فِي السَّمَاءِ﴾ [هود: ٨٢]، وقال: ﴿أَمْ أَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَلْمِزُونَهُ كَيْفَ يَذِرُ﴾ [الشك: ١٦-١٧]. وقوله: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوكَ وَكَفِيلًا﴾ أي: ناصراً يرد ذلك عنكم، وينقذكم منه.

الآية (٦٩): يقول تعالى: ﴿أَمْ أَمِنتُمْ﴾ أيها المرضون عنا بعدما اعترفوا بتوحيدنا في البحر، وخرجوا إلى البرِّ ﴿أَنْ يُبِيدَكُمْ﴾ في البحر مرة ثانية ﴿فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ﴾ أي: يقصف الصواري ويفرق المراكب. قال ابن عباس: القاصف: ريح البحار التي تكسر المراكب وتفرقها. قوله: ﴿فَيُفَرِّقْكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ﴾ أي: بسبب كفركم وإعراضكم عن الله تعالى. ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوكَ وَكَفِيلًا يَدِينُهُمَا﴾ قال ابن عباس: نصيراً، وقال مجاهد: نصيراً ثائراً، أي: يأخذ بثأركم بعدكم.

الآية (٧٠): يخبر تعالى عن تشريفه لبني آدم، وتكريمه إياهم، في خلقه لهم على أحسن الهيئات وأكملها؛ كقوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [الين: ٤] أي: يمشي قائماً منتصباً على رجله، ويأكل بيديه، وغيره من الحيوانات يمشي على أربع ويأكل بفمه، وجعل له سمعاً وبصراً وفؤاداً، يفقه بذلك كله ويتفقه به، ويفرق بين الأشياء، ويعرف منافعها وخواصها ومضارها في الأمور الدنيوية والدينية. ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ فِي آلٍ﴾ أي: على الدواب من الأنعام والحيل والبغال، ﴿وَالْبَحْرِ﴾ أيضاً على السفن الكبار والصغار ﴿وَوَرَدْنَاهُمْ مِنَ الْبَلَدِ﴾ أي: من زروع وثمار، ولحوم وآلبان، من سائر أنواع الطعوم والألوان، المشتهاة اللذيذة، والمناظر الحسنة، والملابس الرفيعة من سائر الأنواع، على اختلاف أصنافها وألوانها وأشكالها، مما يصنعونه لأنفسهم، ويجلبه إليهم غيرهم من أقطار الأقاليم والنواحي ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ أي: من سائر الحيوانات وأصناف المخلوقات. وقد استدل بهذه الآية على أفضلية جنس البشر على جنس الملائكة.

الآية (٧٣-٧٥): يخبر تعالى عن تأييد رسوله، صلوات الله عليه وسلامه، وتثبيت، وعصمته وسلامته من شر الأشرار وكيد الفجار، وأنه تعالى هو المتولي أمره ونصره، وأنه لا يَكِلُهُ إلى أحد من خلقه، بل هو وليه وحافظه وناصره ومؤيده ومظهره، ومظهر دينه على من عاداه وخالفه ونأوا، في مشارق الأرض ومغاربها.



الآية (٨٠-٨١): قال قتادة: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ أَذْلَىٰ مِنْ مِثْلِ هَٰذِهِ﴾ يعني: المدينة «وَأَخْرَجَنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ» يعني: مكة. وهذا القول هو أشهر الأقوال. وهو اختيار ابن جرير. قوله: ﴿وَأَجْمَلَ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَنًا نَصِيرًا﴾ قال الحسن: وعده ربه لِيَنْزِعَنَّ مُلْكَ فَارَسَ، وَعِزَّ فَارَسَ، وليجعلنه له، ومُلْكَ الروم، وَعِزَّ الروم. وقال قتادة: إن نبي الله ﷺ علم ألا طاقة له بهذا الأمر إلا بسلطان. فسأل سلطانًا نصيرًا لكتاب الله، ولحدود الله، ولقراض الله، ولإقامة دين الله؛ فإن السلطان رحمة من الله جعله بين أظهر عباده، ولولا ذلك لأغار بعضهم على بعض، فأكل شديدُهم ضعيفهم. قال مجاهد: «سُلْطَانًا نَصِيرًا»: حجة وبينة. واختار



## ● الوقفات التدريبية

١ ﴿وَلَن كَادُوا لَيَسْتَغْفِرَنَّكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خَلْقَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾

أي: لو أخرجوك لم يلبثوا بعد خروجك بمكة إلا قليلاً. فلما خرج النبي ﷺ مهاجراً من مكة إلى المدينة لأجل إداية قريش له ولأصحابه؛ لم يبقوا بعد ذلك إلا قليلاً، وقتلوا يوم بدر. ابن جزي: ٩٤/١.

السؤال: بين سنة الله عز وجل فيمن أذى الدعاة والمصلحين.

٢ ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾

وفي صحيح البخاري عن ابن عمر: إن الناس يصيرون يوم القيامة جثاً ... أي: جماعات - كل أمة تتبع نبيها؛ يقولون: يا فلان اشفع؛ حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود. ابن عاشور: ١٨٥/١٥.

السؤال: ما المقصود بالمقام المحمود؟

٣ ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾

قيام الليل فيه الخلوة مع البارئ، والمناجاة دون الناس. القرطبي: ١٥١/١٣.

السؤال: بم يتميز قيام الليل عن بقية العبادات؟

٤ ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾

(إن الباطل كان زهوقاً) أي: هذا وصف الباطل، ولكنه قد يكون له صولته ورواجان إذا لم يقابله الحق؛ فعند مجيء الحق يضمحل الباطل، فلا يبقى له حراك، ولهذا لا يروج الباطل إلا في الأزمان والأمكنة الخالية من العلم بآيات الله وبياناته. السعدي: ٤٦٥.

السؤال: متى يكون للباطل قوة ومكانة؟

٥ ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾

ودل فعل (كان) على أن الزهوق شئنة الباطل، وشأنه في كل زمان أنه يظهر ثم يضمحل. ابن عاشور: ١٨٨/١٥.

السؤال: ماذا يفيد الفعل (كان) في الآية الكريمة؟

٦ ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾

فالشفاء الذي تضمنه القرآن عامٌ لشفاء القلوب من الشُّبه، والجهالة، والانحراف السيء، والقصود السيئة؛ فإنه مشتمل على العلم اليقيني

الذي تزول به كل شبهة وجهالة، والوعظ والتذكير الذي يزول به كل شهوة تخالف أمر الله، وشفاء الأبدان من الأمراض وأسقامها.

السعدي: ٤٦٥.

السؤال: ما وجه كون القرآن شفاءً للقلوب؟

٧ ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾

في هذه الآية دليل على أن المسؤول إذا سئل عن أمرٍ الأولي بالأسئلة غيره أن يعرض عن جوابه، ويدله على ما يحتاج إليه، ويرشده إلى ما ينفعه.

السعدي: ٤٦٦.

السؤال: يكثر في الناس أن يسألوا عن أمورٍ لا تفيدهم في دينهم ولا دنياهم، فكيف يتصرف الداعية وطالب العلم مع مثل هذه الأسئلة؟

وَلَن كَادُوا لَيَسْتَغْفِرَنَّكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خَلْقَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٦﴾ سُنَّةٌ مِّن قَدَرَسَلْنَا قَبْلَكَ مِّن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٥٧﴾ أَفَمَن أَصْبَلُوهٗ لِيُدْلِكَ الشَّمْسُ إِلَى عَسَاقِ اللَّيْلِ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِن قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَاتٍ مَّشْهُودًا ﴿٥٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٥٩﴾ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مَدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِّن لَّدُنكَ سُلْطٰنًا نَّصِيرًا ﴿٦٠﴾ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٦١﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٦٢﴾ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسٰنِ أَعْرَضَ وَنَأٰى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا ﴿٦٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلِيهِ فَرِيضَةٌ أَعْلٰهُ يَمِّنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٦٤﴾ وَيَسْءَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِّنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٥﴾ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلِيًّا رَكِيًّا ﴿٦٦﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
كَادُوا	قَارَبُوا.
تَحْوِيلًا	تَغْيِيرًا.
لِيُدْلِكَ الشَّمْسُ	مِن وَقْتِ زَوَالِ الشَّمْسِ عِنْدَ الظُّهْرِ.
عَسَى اللَّيْلِ	ظُلْمَتِهِ.
وَزَهَقَ	بَطُلَ، وَاضْمَحَلَّ.
زَهُوقًا	لَا بَقَاءَ لَهُ، وَلَا ثَبَاتَ.
وَنَأٰى بِجَانِبِهِ	تَبَاعَدَ عَنِ طَاعَتِهِ رَبِّهِ كِبَارًا، وَعِنَادًا.
شَاكِلِيهِ	طَرِيقَتِهِ، وَمَا يَلِيْقُ بِهِ.

## ● العمل بالآيات

١. حافظ على أداء الصلوات الخمس في المسجد؛ خاصة صلاة الفجر، ﴿أَفَمَن أَصْبَلُوهٗ لِيُدْلِكَ الشَّمْسُ إِلَى عَسَاقِ اللَّيْلِ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِن قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَاتٍ مَّشْهُودًا﴾.
٢. قم هذه الليلة من الليل ما تيسر، ثم اوتر، ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾.
٣. ارق نفسك، أو من حولك بالقرآن، ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾.

## ● التوجيهات

١. القرآن شفاء، ورحمة للمؤمنين خاصة؛ فاستشف به من أمراضك الحسية والمعنوية، ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾.
٢. متى ما قام أهل الحق بنشره فلا بد أن يضمحل الباطل مهما انتفش، ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾.
٣. إياك والظلم؛ فبقدر الظلم يمنع الظالم من الانتفاع بالقرآن، ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾.



القرآن  
الصوتي

## ١ الوقفات التحذيرية

﴿لَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾

إذ جعلك سيد ولد آدم، وأعطاك المقام المحمود، وهذا الكتاب العزيز.  
القرطبي: ١٦٩/١٣.

السؤال: ما الفضائل الكريمة التي أكرم الله تعالى بها نبيه ﷺ ؟

﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ. وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ يُبْصِرُ ظُهُيرَ الْآخَرِ﴾

عجز الخلق عن الإتيان بمثله لما تضمنه من العلوم الإلهية، والبراهين الواضحة والمعاني العجيبة التي لم يكن الناس يعلمونها، ولا يصلون إليها، ثم جاءت فيه على الكمال. وقال أكثر الناس: إنهم عجزوا عنه لفصاحته، وحسن نظمه. ووجوه إعجازه كثيرة. ابن جزي: ٤٩٦/١.

السؤال: بين بعض أوجه إعجاز القرآن من الآية.

﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ. وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ يُبْصِرُ ظُهُيرَ الْآخَرِ﴾

وهذا دليل قاطع، وبرهان ساطع، على صحة ما جاء به الرسول وصدقه؛ حيث تحدى الله الإنسان والجن أن يأتوا بمثله، وأخبر أنهم لا يأتون بمثله، ولو تعاونوا كلهم على ذلك لم يقدروا عليه، ووقع كما أخبر الله السعدي: ٤٦٦.

السؤال: كيف تدل الآية على صدق رسالة محمد ﷺ ؟

﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ. وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ يُبْصِرُ ظُهُيرَ الْآخَرِ﴾

فإن القرآن معجز في النظم والتأليف، والإخبار عن الغيوب، وهو في أعلى طبقات البلاغة، لا يشبه كلام الخلق، لأنه غير مخلوق، ولو كان مخلوقاً لأتوا بمثله. البغوي: ٧١٤/٢.

السؤال: بين ما اشتمل عليه القرآن الكريم من إعجاز.

﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَنْزِلَ لَنَا مِنَ السَّمَاءِ بَرُوقًا﴾

وذلك سهل على الله تعالى، يسير، لو شاء لفعله، ولأجابههم إلى جميع ما سألوا وطلبوا، ولكن علم أنهم لا يهتدون. ابن كثير: ٦٣/٣.

السؤال: لماذا لم يستجب الله لطلبات المشركين؟

﴿أَوْ تَسْقُطَ السَّمَاءُ كَافًا تَافِتًا﴾

أي: أنك وعدتنا أن يوم القيامة تنشق فيه السماء ونهبى، وتدل أطرافها، فمحل ذلك في الدنيا، وأسقطها كسفا... وأما نبي الرحمة ونبي التوبة للبعوث رحمة للعالمين فسأل إنظارهم وتأجيلهم؛ لعل الله أن يخرج من أصلاهم من يعبد الله لا يشرك به شيئاً، وكذلك وقع؛ فإن من هؤلاء الذين ذكروا من أسلم بعد ذلك، وحسن إسلامه. ابن كثير: ٦٣/٣.

السؤال: لماذا لم يدع النبي ﷺ ربه أن يسقط السماء كسفاً على هؤلاء المعاندين الذين طلبوا ذلك؟

﴿قُلْ لَوْ كَانَتْ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَسْمَعُونَ مَلَكًا لَرَزَلْنَا عَلَيْهُمُ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾

(قل لو كان في الأرض ملائكة يسمعون مملئنين)، مستوطنين مقيمين. (لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً): من جنسهم؛ لأن القلب إلى الجنس أميل منه إلى غير الجنس. البغوي: ٧١٧/٢.

السؤال: لماذا جعل الله تعالى الأنبياء للبشر من جنسهم، ولم يجعلهم ملائكة؟

لَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ۝ قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ. وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ يُبْصِرُ ظُهُيرَ الْآخَرِ ۝ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَلَيْكَ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كَعُفُورًا ۝ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَنْزِلَ لَنَا مِنَ السَّمَاءِ بَرُوقًا ۝ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَجِيلٍ ۝ وَنَعْبُدُ قُتَيْبًا مِنَ الْأَنْفَرِ خَلَلَهَا فَفُتِحَ لَهَا ۝ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زُيِّنَتْ عَلَيْكَ سَفًا ۝ أَوْ تَأْتِيَ بِاللهِ وَالْمَلَائِكَةِ فَبِئْسَ مَا يَكُونُ لَكَ يَدْعُ مِنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْفَى فِي السَّمَاءِ ۝ وَلَنْ نُؤْمِنَ بِرُؤْيَاكَ حَتَّى تَنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا تُفَرِّدُ بِهِ ۝ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ۝ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمْ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ۝ قُلْ لَوْ كَانَتْ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَسْمَعُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ۝ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ۝

## معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
ظُهُيرًا	مُعيَّنًا.
صَرَّفْنَا	نَوَّعْنَا وَبَيَّنَّا.
يُنْبِئُونَا	عَيَّنَا جَارِيَةً.
كَسَفًا	قَطْعًا.
فَبِئْسَ	تُضَاهِدُهُمْ مُقَابَلَةً وَعَيَّنَا.
زُخْرَفٍ	ذَهَبٍ.

## العمل بالآيات

- عدد خمساً من أكبر فضائل الله تعالى عليك، ثم أكثر من شكر الله عليها.
- اقرأ مثلاً قرآنياً، ثم استنبط منه فائدة، ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَلَيْكَ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كَعُفُورًا﴾.
- ابحث عن ترجمة لمعاني القرآن وأعطها لكاشر لعله يسلم بسببك، ﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ. وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ يُبْصِرُ ظُهُيرَ الْآخَرِ﴾.

## التوجيهات

- نوع الله في هذا القرآن المواعظ والأمثال ليتحقق المقصود منها، ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَلَيْكَ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كَعُفُورًا﴾.
- تعلم فن الحوار والجدال وتدريب عليه، ﴿قُلْ لَوْ كَانَتْ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَسْمَعُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾.
- كلما اشتدت عليك الأمور اقرأ في السيرة النبوية حتى تقفدي بصبره ﷺ، ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَنْزِلَ لَنَا مِنَ السَّمَاءِ بَرُوقًا﴾.



الآية (١٠٠). يقول تعالى لرسوله ﷺ: قل لهم يا محمد: لو أنكم أبها الناس تملكون التصرف في خزائن الله، لأمسكنكم خشية الإنفاق. أي الفقر؛ أي: خشية أن تُذهبوا، مع أنها لا تفرغ ولا تنفد أبداً؛ لأن هذا من طباعكم وسجايكم؛ وهذا قال: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ شُكُورًا ﴾ أي: بخيلاً متوَعًا. وقال تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يَكُنْ مِنْ آيَاتِكُمْ يَوْمَ لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴾ (النساء: ٥٣). أي: لو أن لهم نصيباً في ملك الله لما أعطوا أحداً شيئاً، ولا مقدار نَقِيرٍ!! والله تعالى يصف الإنسان من حيث هو، إلا من وفقه الله وهداه؛ فإن البخل والجزع والهلع صفة له؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُورٌ﴾ (١١) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿١٢﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْفَقْرُ مَنُوعًا ﴿١٣﴾ (الأنصاف: ١٩-٢٢).



## ● الوقفات التدريبية

١ ﴿ وَمَنْ يَدْرُ اللَّهَ فَهُوَ اللَّهُمَّ وَمَنْ يُضِلُّ فَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ ﴾  
أي: لو هداهم الله لاحتدوا. (ومن يضل فلن تجد لهم أولياء من دونه)  
أي: لا يهديهم أحد. القرطبي: ١٧٨/١٣.

السؤال: هل يستطيع أحد أن يصل إلى الهداية بغير إرادة الله تعالى؟  
٢ ﴿ وَتَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عَذَابٌ رَشِيدٌ ﴾  
يسحبون يوم القيامة على وجوههم إلى جهنم كما يفعل في الدنيا بمن  
يبالغ في هوانه وتعذيبه. وهذا هو الصحيح؛ لحديث أنس: أن رجلاً قال:  
يا رسول الله الذين يحشرون على وجوههم؛ أيحشر الكافر على وجهه؟  
قال رسول الله ﷺ: «اليس الذي أمشاه على الرجلين قادراً على أن يمشيه  
على وجهه يوم القيامة؟» قال قتادة حين بلغه: بلى وعزة ربنا. أخرجه  
البخاري ومسلم. القرطبي: ١٧٨/١٣.

السؤال: كيف يحشر الكفار على وجوههم يوم القيامة؟ وما دلالة ذلك؟  
٣ ﴿ وَتَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عَذَابٌ رَشِيدٌ ﴾  
كَمَا خَبَتْ رِزْقُهُمْ سَوِيرًا ﴿

وهذا جزء مناسب للجرم؛ لأنهم روجوا الضلالة في صورة الحق، ووسمو  
الحق بسماط الضلال، فكان جزاؤهم أن حولت وجوههم أعضاء مشي عوضاً  
عن الأرجل، ثم كانوا (عمياً وبكماً) جزءاً أقوالهم الباطلة على الرسول  
وعلى القرآن، (و) (صما) جزءاً امتناعهم من سماع الحق. ابن عاشور: ٢١٧/١٥.

السؤال: جزاء الكفار يوم القيامة مناسب لجرمهم، بين ذلك.  
٤ ﴿ وَتَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عَذَابٌ رَشِيدٌ ﴾  
فإن قيل: كيف وصفهم بأنهم عمى، وبكم، وصم، وقد قال: (ورأى  
المجرمون النار) [الكهف: ٥٣]، أثبت لهم الرؤية، والكلام، والسمع؟ قيل:  
يحشرون على ما وصفهم الله، ثم تعاد إليهم هذه الأشياء، وجواب آخر:  
قال ابن عباس رضي الله عنهما: (عمياً وبكماً): لا يرون ما يسرهم، كما  
لا ينطقون بحجة. (وصماً): لا يسمعون شيئاً يسرهم، وقال الحسن: هذا  
حين يساقون إلى الموقف إلى أن يدخلوا النار. البغوي: ٧١٨/٢.

السؤال: كيف يحشر أهل النار (عمياً وبكماً وصماً)؟  
٥ ﴿ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا ﴾  
أي: بخيلاً ممسكاً عن الإنفاق. البغوي: ٧١٩/٢.

السؤال: بين صفة الإنسان الجبيلية في المال، وكيف ينجو العبد من ذلك؟  
٦ ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءَ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَائِرٍ وَإِنِّي  
لَأَظُنُّكُمْ يَكْفُرُونَ مَشُورًا ﴾  
فموسى وهو الصادق المصدق يقول: (لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب  
السموات والأرض بصائر)، فدل على أن فرعون كان علماً بأن الله أنزل  
الآيات، وهو من أكبر خلق الله عناداً وبغياً؛ لفساد إرادته وقصده، لا لعدم  
علمه. ابن تيمية: ٢٤٨/٤.

السؤال: قد يضل الإنسان وهو يعلم، بين ذلك من خلال الآية.  
٧ ﴿ فَأَرَادَ أَنْ يَنْتَفِرَ مِنْ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمِنْ مَعَهُ جَمِيعًا ﴾  
فقد اضمر المشركون إخراج النبي ﷺ والمسلمين من مكة، فمئلت  
إرادتهم بإرادة فرعون إخراج موسى وبني إسرائيل من مصر.  
ابن عاشور: ٢٢٨/١٥.

السؤال: هناك تشابه بين مشركي قريش وقوم فرعون، وضح.

وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ  
مِنْ دُونِهِ وَتَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عَذَابٌ رَشِيدٌ  
وَصُمًّا مَا أُولَئِكَ جَهَنَّمُ كَمَا خَبَتْ رِزْقُهُمْ سَوِيرًا ﴿٥٧﴾  
ذَلِكَ جَزَاءُ هُمَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا  
وَرَقًا أَأَنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٥٨﴾ \* أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ  
الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ  
وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلَ أَلَدٍ فِيهِ فَوَيْلٌ لِلظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ كَفُورًا ﴿٦٠﴾  
قُلْ لَوِ انْتَفَعْتُمْ تَعْلِيمَ خَزَائِنِ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ  
الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ  
آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسَبَّ يَتَّىٰ اسْتَرَىٰ يَدَ إِدْجَاهُ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ  
إِنِّي لَأَظُنُّكَ تَكْتُمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿٦٢﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا أَنْزَلَ  
هَؤُلَاءَ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَائِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكُمْ  
يَكْفُرُونَ مَشُورًا ﴿٦٣﴾ فَأَرَادَ أَنْ يَنْتَفِرَ مِنْ الْأَرْضِ  
فَأَغْرَقْنَاهُ وَمِنْ مَعَهُ جَمِيعًا ﴿٦٤﴾ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِيَتَّىٰ اسْتَرَىٰ يَدَ  
أَسْكَوْا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿٦٥﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
خَبَتْ	سَكَنَ لَهَايُهَا.
قَتُورًا	مُبَالِغًا فِي الْبُخْلِ.
بَصَائِرٍ	دَلَائِلُ تَدُلُّ أَهْلَ الْبَصِيرَةِ عَلَىٰ وَحْدَانِيَةِ اللَّهِ، وَعَلَىٰ صِدْقِي.
مَشُورًا	هَالِكًا مَخْلُوبًا مَلْعُونًا.
لَفِيفًا	جَمِيعًا.

## ● العمل بالآيات

١. أسبغ الوضوء على جوارحك لعله يكون سبباً في تكفير ذنوبها، ﴿ وَتَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عَذَابٌ رَشِيدٌ ﴾.
٢. سل الله تعالى أن يغنيك بفضلته عن سواه، ﴿ قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَسْكَنْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا ﴾.
٣. انفق في أحد أوجه الخير لتعود نفسك على الكرم، ﴿ قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَسْكَنْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا ﴾.

## ● التوجيهات

١. الإنسان مهما بلغ من الكرم والعطاء فإن الأصل فيه الإمساك، والله سبحانه هو الكريم المنان، المعطي بدون حساب، ﴿ قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَسْكَنْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا ﴾.
٢. كلما عظم مقام الرب في قلب العبد هان عليه مقام المخلوقين، ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءَ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَائِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكُمْ يَكْفُرُونَ مَشُورًا ﴾.
٣. مهما اشتد الأذى فاصبر، فإن العاقبة للمتقين، ﴿ فَأَرَادَ أَنْ يَنْتَفِرَ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمِنْ مَعَهُ جَمِيعًا ﴾ ﴿٦٤﴾ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِيَتَّىٰ اسْتَرَىٰ يَدَ أَسْكَوْا الْأَرْضَ ﴾.



## ● الوقفات التحديرية

﴿وَقَدْ آتَيْنَاكَ آيَاتِنَا عَلَى الْتَابِ عَلَىٰ مِثْقَلِ ذَرَّةٍ﴾

أي: على مهل؛ ليتدبروه، ويتفكروا في معانيه، ويستخرجوا علومه.  
السعدي: ٤٦٨.

السؤال: ما الطريقة الأمثل لقراءة القرآن لمن أراد أن يتدبره؟

﴿قُلْ مَا يَشَاءُ بِهِ إِلَّا لَا تُؤْمِنُوا إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْآذْقَانِ سُجَّدًا﴾

(قل آمنوا به أو لا تؤمنوا): أمر باحتقارهم، وعدم الاكتراث بهم؛ كأنه يقول: سواء أنتم أو لم تؤمنوا، لكونكم تستمع بحجة، وإنما الحجة أهل العلم من قبله، وهم المؤمنون من أهل الكتاب. (إن الذين أوتوا العلم من قبله): يعني المؤمنين من أهل الكتاب، وقيل: الذين كانوا على الحنيفية قبل البعثة. ابن جزي: ٤٩٩/١.

السؤال: في هذه الآية رفعة لشأن أهل العلم، وضع ذلك.

﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْآذْقَانِ سُجَّدًا وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْآذْقَانِ يَسْكَبُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا

(ويخرون للآذقان ييكون): هذه مبالغة في صفتهم، ومدح لهم. وحق لكل من توسم بالعلم، وحصل منه شيئا أن يجري إلى هذه المرتبة؛ فيخشع عند استماع القرآن، ويتواضع، ويدل، وفي مسند الدارمي أبي محمد عن التيمي قال: «من أوتي من العلم ما لم ييكنه لخلق إلا يكون أوتي علما؛ لأن الله تعالى ثعت العلماء»، ثم تلا هذه الآية: القرطبي: ١٨٩/١٣.

السؤال: بين ما ينبغي أن يكون عليه حال أهل العلم عند سماعهم القرآن.

﴿وَيَخِرُّونَ لِلْآذْقَانِ يَسْكَبُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا

الخرور على الذقن عبادة مقصودة يحبها الله، وليس المراد بالخرور إلصاق الذقن بالأرض كما تلصق الجبهة، والخرور على الذقن هو مبداء الركوع، والسجود منهاه. ابن تيمية: ٢٤٩/٤.

السؤال: ما صورة الخور على الذقن التي يحبها الله؟

﴿لَتَجِدَنَّ يَوْمَ الَّذِي أُتْلَىٰ عَلَيْهِ الْكِتَابَ

فحمد نفسه، وفي ضمنه إرشاد العباد ليجمده على إرسال الرسول إليهم، وإنزال الكتاب عليهم. السعدي: ٤٦٩.

السؤال: ما الفائدة العملية التي يفيدها المسلم من معرفة حمد الله لنفسه؟

﴿لَتَجِدَنَّ يَوْمَ الَّذِي أُتْلَىٰ عَلَيْهِ الْكِتَابَ وَلَرَّ يَجْمَلُ لَهُ عَمَّا

وخص رسوله ﷺ بالذكر؛ لأن إنزال القرآن عليه كان نعمة عليه على الخصوص، وعلى سائر الناس على العموم. البقوي: ٥/٣.

السؤال: لم خص النبي ﷺ بالذكر؟

﴿وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ تَكِينٌ فِيهِ أَبَدًا

هذا القرآن قد اشتمل على كل عمل صالح موصل لما تستبشر به النفوس، وتضرع به الأرواح. السعدي: ٤٧٠.

السؤال: ما مصدر الاستبشار عند المؤمن؟

وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٥﴾  
وَقَدْ آتَيْنَاكَ آيَاتِنَا عَلَى الْتَابِ عَلَىٰ مِثْقَلِ ذَرَّةٍ نَزَّلْنَا نَزِيرًا ﴿١٦﴾  
قُلْ آمِنُوا بِهِ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا بِالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْآذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْآذْقَانِ يَسْكَبُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا

سجدة

خُشُوعًا ﴿١٩﴾ قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَدْعُوا الرِّحْمَانَ أَيَّامَاتٍ دَعْوَا فَلَهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُوهَا وَاتَّبِعْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿٢٠﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ رُوفٌ مِنَ الدَّلِيلِ وَكَبِيرٌ تَكْبِيرًا ﴿٢١﴾

يَسْمَعُ اللَّهُ الرِّجْزَ الرَّجِيمَ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴿٢٢﴾ فَيَمَّا يَتَذَكَّرُ أَلَّا سَاحِدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢٣﴾ مَكِينٍ فِيهِ أَبَدًا ﴿٢٤﴾ وَيُنذِرُ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٢٥﴾

٢٢٣

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
فَرَقْنَاهُ	بَيَّنَّاهُ، وَفَصَّلْنَاهُ فَارِقًا بَيْنَ الْهُدَىٰ وَالضَّلَالِ.
مُكِبٌ	تَوَدُّةٌ، وَتَمَهِّلٌ.
يَخِرُّونَ لِلْآذْقَانِ	يَسْجُدُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ.
وَلَا تُخَافِتُ	وَلَا تُسِرُّ بِهَا.
عِوَجًا	مِيلًا عَنِ الْحَقِّ.
مِنْ لَدُنْهُ	مِنْ عِنْدِهِ.

## ● العمل بالآيات

١. احفظ أول عشر آيات من سورة الكهف: فقد قال ﷺ: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال». [صحيح مسلم]. ﴿لَتَجِدَنَّ يَوْمَ الَّذِي أُتْلَىٰ عَلَيْهِ الْكِتَابَ

٢. اجتمع مع بعض زملائك، وليقرأ كل واحد آيات من كتاب الله سبحانه، ﴿وَقَدْ آتَيْنَاكَ آيَاتِنَا عَلَى الْتَابِ عَلَىٰ مِثْقَلِ ذَرَّةٍ نَزَّلْنَا نَزِيرًا﴾.

٣. تأمل معاني بعض أسماء الله، ثم ادعه بها، ﴿قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَدْعُوا الرِّحْمَانَ أَيَّا مَا دَعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾.

## ● التوجيهات

١. القرآن حق من الله، وما نزل به كله حق، ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾.

٢. القراءة المتأنية تعين على تدبر القرآن، ﴿وَقَدْ آتَيْنَاكَ آيَاتِنَا عَلَى الْتَابِ عَلَىٰ مِثْقَلِ ذَرَّةٍ نَزَّلْنَا نَزِيرًا﴾.

٣. من مراحل الترفي بالقرآن الكريم: التلاوة المتأنية، ثم التدبر، ثم السجود والدعاء، ثم الخشية والبكاء، ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْآذْقَانِ يَسْكَبُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا

تفسير سورة الكهف

[سبب النزول]: عن ابن عباس قال: نَزَلَتْ هذه الآية، وهو مُتَوَارٍ بمكة، كان إذا صَلَّى بأصحابه رَفَعَ صوته بالقرآن، فَلَمَّا سَمِعَ ذلك المشركون سُبُوحًا القرآن، وَسُبُوحًا من أُنْزَلَتْ، ومن جاء به. قال: فقال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاةِكَ﴾ أي: بقراءتك تَسْمَعُ المشركون قِسْوَ القرآن. ﴿وَلَا تُخَافُتْ بِهَا﴾ عن أصحابك فَلَا تَسْمِعُهُمُ القرآن حتى يأخذوه عنك، ﴿وَأَنْتَ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [مغن عليه]. وهكذا



﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ﴾ يَجْرُ تَعَالَى عَنْ أَوْلَئِكَ الْفِتْيَةِ الَّذِينَ قَرُّوا بِدِينِهِمْ مِنْ قَوْمِهِمْ لثَلَا يَفْتَنُوهُمْ عَنْهُ، فَهَرَّبُوا مِنْهُمْ فَلَجَّوْا إِلَى غَارٍ فِي جَبَلٍ لِيَخْتَفُوا عَنْ قَوْمِهِمْ، ﴿فَقَالُوا﴾ حِينَ دَخَلُوا سَائِلِينَ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى رَحْمَةً وَلَطْفَهُ بِهِمْ: ﴿رَبَّنَا إِنَّا مِنْ لَدُنْكَ رَجَعْنَا﴾ أَي: هَبْ لَنَا مِنْ عِنْدِكَ رَحْمَةً تَرَحُّنًا بِهَا وَتَسْتَرِنَا عَنْ قَوْمِنَا، ﴿وَهَبْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ أَي: وَقَلِّزْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا هَذَا رَشَدًا، أَي: اجْعَلْ عَاقِبَتَنَا رَشَدًا.

وقوله: ﴿فَفَتَرْنَا عَلَيْنَا عَاقِبَتَهُمْ فِي الْكَهْفِ سِتْرًا عَدَدًا﴾ أَي: أَلْقَيْنَا عَلَيْهِمُ النَّوْمَ حِينَ دَخَلُوا إِلَى الْكَهْفِ، فَنَامُوا سِنِينَ كَثِيرَةً. ﴿ثُمَّ بَنَيْنَاهُمْ﴾ أَي: مِنْ رَقْدَتِهِمْ تِلْكَ، وَخَرَجَ أَحَدُهُمْ بِدِرَاهِمٍ مَعَ لِيَشْتَرِيَ لَهُمْ بِهَا طَعَامًا يَأْكُلُونَهُ، كَمَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ وَتَفْصِيلُهُ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿ثُمَّ بَنَيْنَاهُمْ لِيُعْلَمَ لَأَيِّ الْفَرِيقَيْنِ﴾ أَي: الْمَخْتَلِفِينَ فِيهِمْ ﴿أَخْصَى لِمَا يَشَاءُونَ أَمْدًا﴾ قِيلَ: عَدَدًا، وَقِيلَ: غَايَةً، فَإِنَّ الْأَمَدَ الْغَايَةَ.

الآية (١٣-١٥): مِنْ ههنا شَرَعَ فِي بَسْطِ الْقِصَّةِ وَشَرَحَهَا، فَذَكَرَ تَعَالَى أَنَّهُمْ فِتْيَةٌ - وَهُمْ الشَّبَابُ - وَهُمْ أَقْبَلُ لِلْحَقِّ، وَأَهْدَى لِلْسَبِيلِ مِنَ الشُّيُخِ، الَّذِينَ قَدْ عَتَوْا وَانْعَمَسُوا فِي دِينِ الْبَاطِلِ، وَلِهَذَا كَانَ أَكْثَرُ الْمُسْتَجِيبِينَ لَهُ وَلِرَسُولِهِ ﷺ شَبَابًا، وَأَمَّا الْمَشَايخُ مِنْ قُرَيْشٍ، فَعَامَّتُهُمْ بَقَاؤُهُمْ عَلَى دِينِهِمْ، وَلَمْ يُسَلِّمْ مِنْهُمْ إِلَّا الْقَلِيلُ. وَهَكَذَا أَخْبَرَ تَعَالَى عَنْ أَصْحَابِ الْكَهْفِ أَنَّهُمْ كَانُوا فِتْيَةً شَبَابًا ﴿عَامَّتُوا بَرِيَّهُمْ﴾ أَي: اعْتَرَفُوا لَهُ بِالْوَحْدَانِيَّةِ، وَشَهِدُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ.

﴿وَرَدَّ نَهُهُمْ هُدًى﴾ اسْتَدَلَّ بِهَذِهِ الْآيَةِ وَأَمَثَلِهَا غَيْرِ وَاحِدٍ مِنَ الْأَثْمَةِ كَالْبَخَارِيِّ وَغَيْرِهِ، مِمَّنْ ذَهَبَ إِلَى زِيَادَةِ الْإِيمَانِ وَتَفَاضُلِهِ، وَأَنَّهُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَرَدَّ نَهُهُمْ هُدًى﴾ كَمَا قَالَ: ﴿فَأَنَّا الْيُوسُفُ عَامَّتُوا فَرَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [التوبة: ١٢٤]، وَقَالَ: ﴿لِيَرَدَّادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِيهِمْ﴾ [التفتح: ٤] إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى ذَلِكَ. وَالظَّاهِرُ أَنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ مِلَّةِ النَّصْرَانِيَّةِ بِالْكَلِيَّةِ، فَإِنَّهُ لَوْ كَانُوا عَلَى دِينِ النَّصْرَانِيَّةِ، لَمَا اعْتَنَى أَحْبَابُ الْيَهُودِ بِحِفْظِ خَيْرِهِمْ وَأَمْرِهِمْ، لِمَابِتَّهِمْ لَهُمْ.

وقوله: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يَقُولُ تَعَالَى: وَصَرَّفْنَا لَهُمْ عَلَى خِلَافَةِ قَوْمِهِمْ وَمَدِينَتِهِمْ، وَمِفَارِقَةٍ مَا كَانُوا فِيهِ مِنَ الْعَيْشِ الرَّغِيدِ وَالسَّعَادَةِ وَالنَّعْمَةِ.

﴿لَنْ نَدْعُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهًا﴾ وَلَنْ: لِنَفْسِ التَّائِيدِ<sup>(١)</sup>، أَي: لَا يَقَعُ مَنَا هَذَا أَبَدًا، لِأَنَّا لَوْ قُلْنَا ذَلِكَ لَكَانَ بَاطِلًا؛ وَلِهَذَا قَالَ عَنْهُمْ: ﴿أَلَدَّ قُلْنَا إِذَا سَطَطًا﴾ أَي: بَاطِلًا وَكُذِّبًا وَبُهْتَانًا. ﴿هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾ أَي: هَلَّا أَقَامُوا عَلَى صِحَّةِ مَا ذَهَبُوا إِلَيْهِ دَلِيلًا وَاضِحًا صَحِيحًا؟! ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ يَقُولُونَ: بَلْ هُمْ ظَالِمُونَ كَاذِبُونَ فِي قَوْمِهِمْ ذَلِكَ. وَالْمَشْرُوعُ عِنْدَ وَقُوعِ الْفِتَنِ فِي النَّاسِ، أَنْ يَفِرَّ الْعَبْدُ خَوْفًا عَلَى دِينِهِ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرُ مَالٍ أَحَدِكُمْ غَنًا يَتَّبِعُ بِهَا شَعَفَ الْجِبَالِ وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ، يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الْفِتَنِ» [رواه البخاري ب نحوه].

فَفِي هَذِهِ الْحَالِ تُشْرَعُ الْعِزْلَةُ عَنِ النَّاسِ، وَلَا تُشْرَعُ فِيهَا عُدَاهَا، لِئَلَّا يَقُوتَ بِهَا مِنْ تَرْكِ الْجَمَاعَاتِ وَالْجَمْعِ.

الآية (٥): ﴿مَا لَمْ يَدِهِ مِنْ غَيْرٍ﴾ أَي: هَذَا الْقَوْلُ الَّذِي افْتَرَاهُ وَاتَّقَنَّهُ مِنْ عِلْمٍ ﴿وَلَا لِأَيَّامِهِمْ﴾ أَي: لِأَسْلَافِهِمْ.

﴿كَثُرَتْ كَلِمَةً﴾ أَغْظَمَ بِكَلِمَتِهِمْ كَلِمَةً، وَهَذَا تَبَشِيرٌ لِمَقَالَتِهِمْ وَاسْتِعْظَامٌ لِفَقْهِمْ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿كَثُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ أَي: لَيْسَ لَهَا مُسْتَدٌ سِوَى قَوْلِهِمْ، وَلَا دَلِيلٌ لَهُمْ عَلَيْهَا إِلَّا كَذِبُهُمْ وَافْتِرَاؤُهُمْ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿إِنْ يَقُولُوا إِلَّا كَذِبًا﴾.

الآية (٦-٨): يَقُولُ تَعَالَى مُسَلِّيًا رَسُولَهُ ﷺ فِي حَزْنِهِ عَلَى الْمَشْرِكِينَ، لَتَرْكِهِمُ الْإِيمَانَ وَتُعْلِيهِمْ عَنْهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ [فاطر: ٨]. ﴿يَنْجُ﴾ أَي: مَهْلِكُكَ نَفْسُكَ يَخْرُجُكَ عَلَيْهِمْ، ﴿إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ﴾ يَعْنِي: الْقُرْآنَ ﴿أَسَفًا﴾ يَقُولُ: لَا تَهْلِكُ نَفْسُكَ أَسَفًا. قَالَ قَتَادَةُ: قَاتِلُ نَفْسِكَ غَضَبًا وَخُرْنًا عَلَيْهِمْ. أَي: لَا تَأْسَفْ عَلَيْهِمْ، بَلْ أَبْلِغْهُمْ رَسُولَةَ اللَّهِ، فَمَنْ اهْتَدَى فَلْنَفْسِهِ، وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّا بِضَلِّ عَلَيْهِ، فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ.

ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّهُ جَعَلَ الدُّنْيَا دَارًا فَانِيَةً مُرْتَبَةً بِزِينَةٍ زَائِلَةٍ، وَإِنَّا جَعَلْنَا دَارَ اخْتِبَارٍ لَا دَارَ قَرَارٍ، فَقَالَ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِمَنْ يَسْبُغُهَا أَهْلُهَا أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ الدُّنْيَا حُلُومٌ حَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَنَظَرُ مَاذَا تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا، وَاتَّقُوا النَّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةٍ بَنَى إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النَّسَاءِ» [رواه مسلم]. ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَى بِزَوَالِهَا وَفَنَائِهَا، وَفِرَاقِهَا وَانْقِضَائِهَا، وَذَهَابِهَا وَخُرَابِهَا، فَقَالَ: ﴿وَلِنَّا لَجَعَلُونَ مَا عَلَيْهَا﴾ أَي: وَإِنَّا لَمُصْبِرُونَ بِهَا بَعْدَ الزَّيْنَةِ إِلَى الْخُرَابِ وَالْدمَارِ، فَتَجَمَّلَ كُلُّ شَيْءٍ عَلَيْهَا هَالِكًا ﴿سَعِيدًا جَزْأً﴾ لَا يُنْبِتُ وَلَا يُنْتَعَمُ بِهِ؛ كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَهْلِكُ كُلُّ شَيْءٍ عَلَيْهَا وَيَبِيدُ. وَقَالَ قَتَادَةُ: الصَّيْدُ: الْأَرْضُ الَّتِي لَيْسَ فِيهَا شَجَرٌ وَلَا نَبَاتٌ.

الآية (٩-١٢): هَذَا إِخْبَارٌ عَنْ قِصَّةِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ، عَلَى سَبِيلِ الْإِجْمَالِ وَالْإِخْتِصَارِ، ثُمَّ بَسَطَهَا بَعْدَ ذَلِكَ فَقَالَ: ﴿أَرُ حَسِبْتَ﴾ يَعْنِي: يَا مُحَمَّدُ ﴿أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ أَي: لَيْسَ أَمْرُهُمْ عَجَبِيًّا فِي قُدْرَتِنَا وَسُلْطَانِنَا؛ فَإِنَّ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَاخْتِلَافَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَالْقَمَرِ وَالْكَوَاكِبِ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ الْعَظِيمَةِ الدَّالَّةِ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ، وَتَسْخِيرِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالْكَوَاكِبِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ الْعَظِيمَةِ الدَّالَّةِ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَنَّهُ عَلَى مَا يَشَاءُ قَادِرٌ، وَلَا يَعْجِزُهُ شَيْءٌ أَعْجَبُ مِنْ أَخْبَارِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿أَرُ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾: الَّذِي أَتَيْتُكَ مِنَ الْعِلْمِ وَالسَّنَةِ وَالْكِتَابِ، أَفْضَلُ مِنْ شَأْنِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ.

وَأَمَّا «الْكَهْفُ» فَهُوَ: الْغَارُ فِي الْجَبَلِ، وَهُوَ الَّذِي لَجَأَ إِلَيْهِ هَؤُلَاءِ الْفِتْيَةُ. وَأَمَّا «الرَّقِيمُ» فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الْكِتَابُ. وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ: لَوْحٌ مِنْ حِجَارَةٍ، كَتَبُوا فِيهِ قِصَصَ أَصْحَابِ الْكَهْفِ، ثُمَّ وَضَعُوهُ عَلَى بَابِ الْكَهْفِ. وَقَالَ ابْنُ أَسْلَمٍ: الرَّقِيمُ: الْكِتَابُ. ثُمَّ قَرَأَ: ﴿كُتِبَ مَرْقُومٌ﴾ [المطففين: ٩]. وَهَذَا هُوَ الظَّاهِرُ مِنَ الْآيَةِ، وَهُوَ اخْتِبَارُ ابْنِ جَرِيرٍ، قَالَ: «الرَّقِيمُ» قَعِيلٌ يَعْنِي مَرْقُومٌ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(١) هذه العبارة من باب إضافة الشيء إلى صفته؛ كما هو بيِّنٌ من الشرح بعدها.



## ● الوقفات التدريبية

﴿ فَلَمَّا كُنْتُمْ خَلْفَ مَنَافِقِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمَرُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾  
 في هذه الآية ونحوها عبرة؛ فإن للماور بدعاء الخلق إلى الله عليه التبليغ والسعي بكل سبب ليوصل إلى الهداية؛ وسد طرق الضلال والغواية بغاية ما يمكنه، مع التوصل على الله في ذلك؛ فإن اهتموا فيها ونعمت، وإلا فلا يحزن، ولا بأس؛ فإن ذلك مُضْعَفٌ للنفس، هادم للقوى، ليس فيه فائدة، بل يعضي على فعله الذي كُفِّفَ به، وتوجه إليه، وما عدا ذلك فهو خارج عن قدرته السعدي: ٤٧.

السؤال: في الآية فائدة دعوية جلية، بينها.

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا ﴾ يعني: ما يصلح للترين؛ كاللilas، والمطاعم، والأشجار، والأنهار، وغير ذلك (لنبلوهم أيهم أحسن عملاً) أي: لنختبرهم أيهم أزهدي في زينة الدنيا. ابن جزلي: ٥٢/١.

السؤال: زين الله الأرض بأنواع الزينة لحكمة عظيمة، فما هي؟

﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴾ (إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آئنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشداً) وفيه لفت لعقول السائلين عن الاشتغال بعجائب القصص إلى أن الأولى لهم الاعتاط بما فيها من العبر والأسباب وأثارها، ولذلك ابتدئ ذكر أحوالهم بقوله: (إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آئنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشداً). ابن عاشور: ٢٥٩/١٥.

السؤال: ينبغي الاشتغال بما في القصص من عبر وعظات عما فيها من عجائب، دل على ذلك من خلال عرض قصة أصحاب الكهف.

﴿ إِذْ أوى الْفَتِيَّةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آئنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشداً ﴾

هذه الآية صريحة في الفرار بالدين، وهجرة الأهل والبنين، والقربات، والأصدقاء، والأوطان، والأموال خوف الفتنة وما يلقاه الإنسان من المحنة، وقد خرج النبي ﷺ فاراً بدينه، وكذلك أصحابه ... وهجروا أوطانهم، وتركوا أرضهم، وديارهم، وأهاليهم، وأولادهم، وقرباتهم، وإخوانهم رجاء السلامة بالدين والنجاة من فتنة الكافرين، القرطبي: ٢١٦/١٣.

السؤال: هل يترك المؤمن موطنه إذا خشي على دينه؟ أم يغامر بدينه ليبقى في موطنه؟

﴿ وَهُمْ فِيهِ سَامِتُونَ ﴾ (وَرَبَّنَا هَؤُلَاءِ نَا مِنَ الْأَوَّلِينَ) ذكر تعالى أنهم فتية، وهم الشباب، وهم قبل للحق، وأهدى للسبيل من الشيوخ الذين قد عتوا وانغمسوا في دين الباطل، ولهذا كان أكثر المستجيبين لله تعالى ولرسوله ﷺ شباباً، وأما المشايخ من قريش فعامتهم بقوا على دينهم، ولم يسلم منهم إلا القليل، ابن كثير: ٧٢/٣.

السؤال: أي فئات العمر أقرب لقبول دعوة الحق؟

﴿ وَرَبَّنَا هَؤُلَاءِ نَا مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴾ (وَرَبَّنَا هَؤُلَاءِ نَا مِنَ الْأَوَّلِينَ) بالصبر والتثبوت، وقوتهم بنور الإيمان حتى صبروا على هجران دار قومهم، ومفارقة ما كانوا فيه من العز، وخصب العيش، وفروا بدينهم إلى الكهف. البعوي: ١٧/٣.

السؤال: كيف ربط الله - تعالى - على قلوب أصحاب الكهف؟

﴿ وَرَبَّنَا هَؤُلَاءِ نَا مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴾ (وَرَبَّنَا هَؤُلَاءِ نَا مِنَ الْأَوَّلِينَ) الربط على القلب عكس الخذلان؛ فالخذلان: حله من رباط التوفيق؛ فيفعل عن ذكر ربه ويتبع هواه، ويصير أمره فرطاً، والربط على القلب: شده برباط التوفيق؛ فيتصل بذكر ربه، ويتبع مرضاته، ويجتمع عليه شمله. ابن القيم: ١٥٧/٢.

السؤال: بين من خلال الوقفة الفرق بين الربط على القلب والخذلان.

مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿١﴾ فَلَمَّا كُنْتُمْ خَلْفَ مَنَافِقِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمَرُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٣﴾ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُثًا ﴿٤﴾ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴿٥﴾ إِذْ أوى الْفَتِيَّةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آئنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشداً ﴿٦﴾ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿٧﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَمْ يَأْمُرْ أَمَدًا ﴿٨﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿٩﴾ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذْ شَطَطًا ﴿١٠﴾ هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَوْلَا بَاتُونَ عَلَيْهِمْ مُسْلَمِينَ يَنْتَظِرُونَ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١١﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
بَاخَعُ	مُهْلِكُهُ
أَسَفًا	حَزَنًا، وَغَمًا.
وَالرَّقِيمِ	اللُّوحُ الَّذِي كُتِبَتْ فِيهِ أَسْمَاؤُهُمْ.
أَمَدًا	مُدَّةً، وَغَايَةً.
شَطَطًا	جَائِزًا، بَعِيدًا عَنِ الْحَقِّ.

## ● العمل بالآيات

١. قل: «اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»، وَرَبَّنَا هَؤُلَاءِ نَا مِنَ الْأَوَّلِينَ فَقَالُوا رَبَّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا.
٢. أكثر اليوم من هذا الدعاء: ﴿ رَبَّنَا آئنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشداً ﴾.
٣. خطط اليوم لاكتساب رفقة صالحة تعينك على العبادة والثبات على الدين، ﴿ إِذْ أوى الْفَتِيَّةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آئنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشداً ﴾.

## ● التوجيهات

١. شدة شفقة النبي ﷺ على الناس ليؤمنوا؛ حتى يكاد أن يهلك نفسه لذلك، ﴿ فَلَمَّا كُنْتُمْ خَلْفَ مَنَافِقِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمَرُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾.
٢. احذر! فالنعم واللذات الدنيوية إنما هي ابتلاء من الله سبحانه وتعالى؛ لأنك تستطيع أن تستعين بها على الطاعة، وتستطيع أن تستعين بها على المعصية، ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾.
٣. الرفقة الصالحة من أسباب الهداية والثبات على الدين، ﴿ إِذْ أوى الْفَتِيَّةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آئنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشداً ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿وَأَذِّنْ لَتَشُمُّهُمَ وَمَا يَشْعُرُونَ إِلَّا اللَّهُ﴾

فيقال: إن ملكهم لما دعوه إلى الإيمان بالله أبى عليهم وتهدهم وتوعدهم ... وأجلهم لينظروا في أمرهم لعلهم يرجعون عن دينهم الذي كانوا عليه ... فإنهم في تلك النظرة توصلوا إلى الهرب منه والفرار بدينهم من الفتنة ... فضي هذه الحال تشع العزلة عن الناس، ولا تشع فيما عداها لما يفوت بها من ترك الجماعات والجمع. ابن كثير: ٧٣/٣.

السؤال: متى يُشعُ للمسلم أن يعتزل الناس، ويفر بدينه؟

﴿وَرَى الشَّمْسُ إِذَا طَلَّتْ رُؤُوسَ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبَتْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾  
ومعنى الآية: أن الشمس لا تصيبهم عند طلوعها، ولا عند غروبها؛ لئلا يحترقوا بحرها، فقيل: إن ذلك كرامة لهم وخرق عادة. ابن جزي: ٥٠٤/١.

السؤال: كيف حفظ الله أهل الكهف؟

﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾

أي: لا سبيل إلى ضل الهدياية إلا من الله؛ فهو الهادي، المرشد لمصالح الدارين. السعدي: ٤٧٢.

السؤال: إذا أردت الهدياية فيمن تطلبها وتسألها؟

﴿وَتَقَرَّبْهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾

هذا أيضاً من حفظه لأبدانهم؛ لأن الأرض من طبيعتها أكل الأجسام المتصلة بها، فكان من قدر الله أن قلبهم على جنوبهم يمينا وشمالاً، بقدر ما لا تفسد الأرض أجسامهم، والله تعالى قادر على حفظهم من الأرض من غير تقليب، ولكنه تعالى حكيم، أراد أن تجري سنته في الكون، ويربط الأسباب بمسبباتها. السعدي: ٤٧٢.

السؤال: الله تعالى قادر على حفظ أهل الكهف من الأرض من غير تقليب، فلماذا جعلهم يتقلبون؟

﴿وَكَلَّهِمْ بَسِطَ ذِرَاعِيهِ بِالْوَيْدِ﴾

قال ابن عطية: قلت: إذ كان بعض الكلاب قد نال هذه الدرجة العليا بصحبته ومخالطته الصلحاء والأولياء حتى أخبر الله تعالى بذلك في كتابه جل وعلا، فما ظنك بالمؤمنين الموحدين المخالطين المحبين للأولياء والصالحين. القرطبي: ٢٣٢/١٣.

السؤال: ماذا نتعلم من ذكر القرآن للكلب في هذه القصة؟

﴿قَالُوا رَبِّكُمْ آغْلَوْ بِمَا لَيْسَتْ﴾

الأدب فيمن اشتبه عليه العلم أن يرده إلى عالمه، وأن يقف عند حده. السعدي: ٤٧٣.

السؤال: ما الأدب الشرعي إذا سُئلت عن أمر لا تعلمه؟

﴿فَلْيَنْظُرْ آيَاتُ أَزْكَ طَعَامًا فَلْيَأْكُلْكُمْ بِرِزْقِ مِنْهُ﴾

جواز أكل الطيبات والمطاعم اللذيذة إذا لم تخرج إلى حد الإسراف المنهي عنه، وخصوصاً إذا كان الإنسان لا يلائمه إلا ذلك. السعدي: ٤٧٣.

السؤال: هل الإنسان مأمور بأن يبتعد عن الأزكى من الطعام؟

وَأَذِّنْ لَتَشُمُّهُمَ وَمَا يَشْعُرُونَ إِلَّا اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ الْكَافِرُونَ  
يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّجْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِزْقًا  
﴿وَرَى الشَّمْسُ إِذَا طَلَّتْ رُؤُوسَ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبَتْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾  
﴿وَتَحْسَبُهُمْ أُنْقَاطًا وَهُمْ رُفُودٌ يُنْفِلُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلَّهِمْ بَسِطَ ذِرَاعِيهِ بِالْوَيْدِ أَوْ أَطْلَقَتْ عَلَيْهِمْ لَوْلِيَّتْ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلِئَتْ مِنْهُمْ رُغْبًا﴾  
﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لَيِّسَاءً لِيُؤْخِرَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِئْتُمْ قَالُوا لَيْسَ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَيْسْتُمْ قَابِعُونَ  
أَحَدَكُمْ يَورِقُ فِي هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَ طَعَامًا فَلْيَأْكُلْكُمْ بِرِزْقِ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾  
﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْنَا لَنَعْلَمَنَّ كَيْفَ يَرْجِعُونَ أَوْ يُعِيدُوا وَكَمْ فِي آلِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدَا﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
مِرْقًا	مَا تَنْتَفِعُونَ بِهِ فِي حَيَاتِكُمْ مِنْ أَسْبَابِ الْعِيشِ.
تَزَاوُرُ	تَمِيلُ.
تَقَرَّبُ	تَقَرَّبُكُمْ، وَتَتَجَاوَزُ عَنْهُمْ.
فَجْوَةٌ	مُنْتَسِعٌ.

## ● العمل بالآيات

١. رتب لنفسك قائمة طعام تعتمد على الأزكى والأطيب من الأطعمة، وابتعد عن المحرم والمشتبه فيه؛ فإن هذا أصلح لقلبك، وأقوى لعقلك، وأحرى لاستجابة دعائك، ﴿فَلْيَنْظُرْ آيَاتُ أَزْكَ طَعَامًا فَلْيَأْكُلْكُمْ بِرِزْقِ مِنْهُ﴾.
٢. لا سبيل إلى نيل الهدياية إلا من الله؛ فاسألها ممن يملكها، واستعد به من الضلال والغواية، ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾.
٣. لا تمنن لقاء العدو، واسأل الله تعالى المعافاة في دينك ودينك، ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدَا﴾.

## ● التوجيهات

١. حفظ الله أوليائه في نومهم أفلا يحفظهم في يقظتهم؟ ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أُنْقَاطًا وَهُمْ رُفُودٌ يُنْفِلُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾.
٢. طيب الطعام له منافع كثيرة؛ فهو سبب للهدياية واجابة الدعاء، والبعد عن الأمراض، ﴿فَلْيَنْظُرْ آيَاتُ أَزْكَ طَعَامًا فَلْيَأْكُلْكُمْ بِرِزْقِ مِنْهُ﴾.
٣. كلما كان المؤمن على حذر من عداوة الكفار؛ كان في مأمن من شرهم، ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدَا﴾.

على الباب كما جَرَتْ به عادة الكلاب. وكان جلوسه خارج الباب؛ لأن «الملاحكة لا تدخل بيتاً فيه كلب» [متفق عليه]؛ وَشَمَلَتْ كَلْبُهُمْ بِرَكَّتُهُمْ، فأصابه ما أصابهم من النوم على تلك الحال. وهذا فائدة صعبة الاختيار؛ فإنه صار لهذا الكلب ذِكْرٌ وَخَبَرٌ وَشَأْنٌ. وقوله: ﴿لَوْ أَطْلَعَتْ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رِجْسًا﴾ أي: أنه تعالى ألقى عليهم المهابة بحيث لا يقع نظر أحد عليهم إلا هابهم؛ لِمَا أُلِّسُوا مِنَ الْمَهَابَةِ وَالذُّغْرِ، لئلا يدنو منهم أحد ولا تَمَسَّهُمْ يَدُ لَامِسٍ، حتى يبلغ الكتاب أجله، وتنقضي رَقْدَتُهُمْ التي شاء تبارك وتعالى فيهم، لِمَا لَهُ فِي ذَلِكَ مِنَ الْحِجَةِ وَالْحِكْمَةِ الْبَالِغَةِ، والرحمة الواسعة.

الآية (١٩-٢٠): يقول تعالى: وكما أَرَقَدْنَاهُمْ بعثناهم صحيحة أبدانهم وأشعارهم وأبصارهم، لم يفقدوا من أحوالهم وهياتهم شيئاً، وذلك بعد ثلاثمائة سنة وتسع سنين؛ ولهذا تساءلوا بينهم: ﴿كَمْ لَيْسَتْ؟﴾ أي: أي رقدتم، ﴿قَالُوا لَيْسَ أَيُّومًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ كان دخولهم إلى الكهف في أول نهار، واستيقاظهم كان في آخر نهار؛ ولهذا استدرکوا فقالوا: ﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَيْسَتْ﴾ أي: الله أعلم بأمركم، وكأنه حصل لهم نوع تَرَدُّدٍ في كثرة نومهم، فالله أعلم، ثم عدلوا إلى الأهم في أمرهم إذ ذاك، وهو احتياجهم إلى الطعام والشراب، فقالوا: ﴿فَبَاعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ﴾ أي: فضيئكم هذه. وذلك أنهم كانوا قد استصبحوا معهم دراهم من منازلهم لحاجتهم إليها. ﴿إِلَى الْمَدِينَةِ﴾ أي: مدينتكم التي خرجتم منها. ﴿فَلْيَنْظُرْ آيَاتُنَا آتَاكَ طَعَامًا﴾ أي: أطب طعاماً. وقيل: أكثر طعاماً، والصحيح الأول؛ لأن مقصودهم إنما هو الطيب الحلال، سواء كان قليلاً أو كثيراً. ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ أي: في خروجه وذهابه، وشرائه ولإيابه؛ يقولون: وليتخف كل ما يقدر عليه، ﴿وَلَا يَتَّخِذْ﴾ أي: ولا يُغْلِمَنَّ ﴿وَبِكُمْ أَحَدًا﴾ ٨ ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾ أي: إن علموا بمكانكم ﴿يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعَذِّبُوكُمْ﴾ أي: يُلَاحِظُونَكُمْ، يخافون منهم أن يَطْلُعُوا على مكانهم، فلا يزالون يعذبونهم بأنواع العذاب إلى أن يُعِيدُوهُمْ في مِلَّتِهِم التي هم عليها أو يموتوا، وإن افقتهم على العود في الدين فلا فلاح لكم في الدنيا ولا في الآخرة، ولهذا قال: ﴿وَلَنْ تَنصُرَهُمْ إِنْ أَبْكَدَا﴾.

الآية (١٦): فَلَمَّا وَقَعَ عَزْمُهُمْ عَلَى الذَّهَابِ وَالْهَرَبِ مِنْ قَوْمِهِمْ، واختار الله تعالى لهم ذلك، وأخبر عنهم بذلك في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ وَمَا يَسْتُوذِرُونَ إِلَّا أَنَّهُ﴾ أي: وإذا فارقتموهم وخالفتموهم بأديانكم في عبادتهم غير الله، ففارقوهم أيضاً بأبدانكم ﴿فَأَنَّا إِلَى الْكَهْفِ نَبْشِرُ لَكُمْ ذِكْرَكُمْ مِنَ رَحْمَتِنَا﴾ أي: يَسِطُ عَلَيْكُمْ رَحْمَةً يَسْتُرُكُمْ بِهَا مِنْ قَوْمِكُمْ، ﴿وَيَهَيِّجُ لَكُمْ مِنَ الْأَمْرِ﴾ الذي أنتم فيه ﴿وَيَرْفَعُ﴾ أي: أَمْرًا تَرْفَعُونَ بِهِ. فنعد ذلك خروجاً هَرَبًا إِلَى الْكَهْفِ، فأووا إليه، فَفَقَدَهُمْ قَوْمُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِهِمْ، وَتَطْلَعُ الْمَلِكُ فيقال: إنه لم يظفر بهم، وَعَمَّى اللهُ عَلَيْهِ خَبَرَهُمْ. كما فَعَلَ بَنِيهِ مُحَمَّدٌ ﷺ وصاحبه الصُّدِّيقُ، حين لجأ إلى غار ثور.

الآية (١٧): أَخْبَرَ أَنْ الشَّمْسُ إِذَا دَخَلَتْهُ عِنْدَ طُلُوعِهَا تَزَاوَرَتْ عَنْهُ ذَاتَ الْيَمِينِ﴾ أي: يَتَقَلَّصُ الْقِيءُ يَمْنَةً، كما قال ابن عباس وسعيد ابن جبير وقتادة: ﴿تَزَاوَرَتْ﴾ أي: تَحِيلَتْ؛ وذلك أنها كلما ارتفعت في الأفق تقلص شعاعها بارتفاعها حتى لا يبقى منه شيء عند الزوال. وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة: ﴿تَقَرَّبَتْهُمْ﴾ تَزَكَّتْهُمْ.

وقد أخبر الله تعالى بذلك وأراد منا فهمه وتذريه، ولم يخبرنا بمكان هذا الكهف في أي البلاد من الأرض؛ إذ لا فائدة لنا فيه ولا قصد شرعي. وقد تَكَلَّفَ بعض المفسرين فذكروا فيه أقوالاً، والله أعلم بأي بلاد الله هو، ولو كان لنا فيه مصلحة دينية لأرشدنا الله ورسوله إليه، فقد قال رسول الله ﷺ: «ما تركت شيئاً يقربكم إلى الجنة ويباعدكم من النار، إلا وقد أعلمتكم به» إرواه البيهقي في شعب الإيمان، وصححه الألباني. فأعلمنا تعالى بصفته، ولم يُعَلِّمْنَا بِمَكَانِهِ. ﴿وَهُمْ فِي سَجَرَةٍ مِنْهُ﴾ أي: في مَشْتَعٍ منه داخلياً، بحيث لا تَمَسُّهُمْ؛ إذ لو أصابهم لأَحْرَقَتْ أبدانهم وثيابهم، قاله ابن عباس. ﴿ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ حيث أرشدهم تعالى إلى هذا الغار الذي جعلهم فيه أحياء، والشمس والريح تدخل عليهم فيه لتبقى أبدانهم؛ ولهذا قال: ﴿ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾.

ثم قال: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدَى﴾ الآية، أي: هو الذي أرشد هؤلاء الفتية إلى الهداية من بين قومهم؛ فإنه من هداة الله اهتدى، ومن أضله فلا هادي له.

الآية (١٨): ذكر بعض أهل العلم أنهم لَمَّا صَرَبَ اللهُ عَلَى آذَانِهِم بالنوم، لم تَنْطَبِقْ أَعْيُنُهُمْ؛ لئلا يُسْرِعَ إِلَيْهَا الْبَلَى، فإذا بقيت ظاهرة للهواء كان أبقى لها؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَنَحْنَبِّهُمْ أَتَقَاطًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾. وقوله: ﴿وَنَقْلِبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾ قال ابن عباس: لو لم يُقْلَبُوا لَأَكَلَتْهُمْ الْأَرْضُ. ﴿وَكَلْبُهُمْ بَنِيَّ ذُرِّيَّتِهِ بِالْوَصِيدِ﴾ الوصيد: الفئاء، وقال ابن عباس: بالباب، وقيل: بالصعيد، وهو التراب. والصحيح أنه بالفئاء، وهو الباب، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا عَلَيْهِمْ مُوَسَدَةٌ﴾ [الهمزة: ٨] أي: مُطَبَّعَةٌ مُغْلَقَةٌ. وَيَضُّ كَلْبُهُمْ





## ● الوقفات التدريبية

﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا ﴾

في هذه القصة دليل على أن من هُرّ بدينه من الفتن سلمه الله منها، وأن من حرص على العافية عافاه الله، ومن أوى إلى الله أواه الله وجعله هداية لغيره، ومن تحمل الذل في سبيله وابتغاء مرضاته كان آخر أمره وعاقبته العز العظيم من حيث لا يحتسب. السعدي: ٤٧٣.

السؤال: اذكر ثلاث فوائد مختصرة من قصة أصحاب الكهف.

﴿ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُيُوتًا رِزْقُهُمْ أَتَمَّ بِهُمْ قَالَ الْوَيْتُ غَلْبًا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّهُمْ عَلِيمٌ تَسْجِدًا ﴾

واتخاذ المساجد على القبور، والصلاة فيها منهي عنه؛ لأن ذلك ذريعة إلى عبادة صاحب القبر، أو شبّه بفعل من يعبدون صالحي ملتهم. ابن عاشور: ٢٩١/١٥.

السؤال: لماذا نهينا عن اتخاذ المساجد على القبور؟

﴿ قُلْ رَبِّ أَعْمَ يَعْبُدِيهِمْ ﴾

إرشاد إلى أن الأحسن في مثل هذا المقام رد العلم إلى الله تعالى؛ إذ لا احتياج إلى الخوض في مثل ذلك بلا علم، لكن إذا اطلعنا على أمر قلنا به، ولا وقفنا. ابن كثير: ٧٧/٣.

السؤال: ما الطريقة المثلى لطلاب العلم عند تحيره وتوقفه في بعض المسائل العلمية؟

﴿ وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾

فيها دليل على المنع من استفتاء من لا يصلح للفتوى؛ إما لقصوره في الأمر المستفتى فيه، أو لكونه لا يبالي بما تكلم به، وليس عنده ورع يحجزه ... وفي الآية أيضاً دليل على أن الشخص قد يكون منهيّاً عن استفتائه في شيء دون آخر، فيستفتى فيما هو أهل له، بخلاف غيره؛ لأن الله لم ينه عن استفتائهم مطلقاً، إنما نهى عن استفتائهم في قصة أصحاب الكهف، وما أشبهها. السعدي: ٤٧٤.

السؤال: اذكر بعض المسائل المتعلقة بالفتوى، والمستنبطة من الآية.

﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُشَاقُّ إِلَيْنَا قَاعِلٌ ذَلِكَ عَدَا ۖ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾

يعني: إذا عزمتم على أن تفعل غداً شيئاً فلا تقل: أفعل غداً، حتى تقول: إن شاء الله. البغوي: ٢٣/٣.

السؤال: بين الأدب القرآني فيما يجب على العبد أن يقول إذا أراد فعل الشيء في المستقبل.

﴿ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا قُيِّدْتَ ﴾

أرشد من نسي الشيء في كلامه إلى ذكر الله تعالى؛ لأن النسيان منشاؤه من الشيطان ... وذكر الله تعالى يطرد الشيطان، فإذا ذهب الشيطان ذهب النسيان؛ فنذكر الله سبب للذكر. ابن كثير: ٧٨/٣.

السؤال: ما العلاقة بين ذكر الله وذهاب النسيان؟

﴿ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴾

الولي: هو من انعقد بينك وبينه سبب يواليك وتواليه به؛ فالإيمان سبب يوالي به المؤمنون بهم بالطاعة، ويواليهم به الثواب والنصر والإعانة الشنقيطي: ٢٥٧/٣.

السؤال: كيف تكون ولاية الله سبحانه للمؤمنين، وولاية المؤمنين لله؟

وَكَذَلِكَ أَخْذَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّلُ فِيهَا رَبُّهُمْ بِمَنْزِلِ رَحْمَتِهِمْ فَصَالُوا أَمْرُهُمْ عَلَيْهِمْ رِزْقُهُمْ وَأَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الْوَيْتُ غَلْبًا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّهُمْ عَلِيمٌ تَسْجِدًا ۖ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَأَيْبُهُمْ كُلُّهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادُسُهُمْ كُلُّهُمْ رَجَمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَقَامُهُمْ كُلُّهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَلَايَكُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ۖ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُشَاقُّ إِلَيْنَا قَاعِلٌ ذَلِكَ عَدَا ۖ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا قُيِّدْتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِّي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ۖ وَلِيُثَبِّتُ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِتِّينَ وَآزِدْهُمُ أَلْفًا مِائَةً قُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَيْسُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ۖ وَأَقْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبْدِلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ يَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ۖ

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
أَخْذَرْنَا عَلَيْهِمْ	أَطْلَعْنَا عَلَيْهِمْ أَهْلَ ذَلِكَ الزَّمَانِ.
لَا رَيْبَ	لَا شَكَّ.
غَلْبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ	أَصْحَابُ النُّفُوزِ فِيهِمْ.
رَجَمًا بِالْغَيْبِ	قَوْلًا بِالظَّنِّ مِنْ غَيْرِ دَلِيلٍ.
فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ	لَا تَجَادَلْ فِي عُدَّتِهِمْ.
إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا	إِلَّا جِدَالَ ظَاهِرًا لَا حَقَّ فِيهِ بِأَنْ تَقُولُوا مَا أُوحِيَ إِلَيْكُمُ.
مُلْتَحَدًا	مُلْجَأًا تَلَجَّأَ إِلَيْهِ.

## ● العمل بالآيات

- أكثر اليوم من ذكر الله تعالى، ﴿ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا قُيِّدْتَ ﴾.
- أحرص من اليوم عند كل قول مرتبط بأفعال مستقبلية أن تقيد بقوله: (إن شاء الله تعالى)، ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُشَاقُّ إِلَيْنَا قَاعِلٌ ذَلِكَ عَدَا ۖ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾.
- اتل سورة القرآن الكريم، ﴿ وَأَقْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبْدِلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ يَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴾.

## ● التوجيهات

- العاطفة والحماس في عمل الخير لا يكفيان؛ فلا بد من التقيد بأحكام الشرع؛ فبناء المساجد على القبور محرّم، ﴿ قَالَ الْوَيْتُ غَلْبًا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّهُمْ عَلِيمٌ تَسْجِدًا ﴾.
- لا تجادل إلا فيما عندك فيه علم، ﴿ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾.
- إذا أردت أن تستفتي في شؤون دينك فابحث عن الأصلح في عبادته وعلمه، ﴿ وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْيَمْنِيِّ يُرِيدُونَ وَجَهَهُمْ وَلَا تَدْعُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾

(واصبر نفسك) أي: احبسها صابراً (مع الذين يدعون ربهم)؛ هم فقراء المسلمين: كبلال، وخباب، وصهيب. وكان الكفار قد قالوا له: اطرده هؤلاء نجالسك نحن. ابن جزي: ١/٥٠٧.

السؤال: يتعامل الداعية في دعوته مع مختلف الطبقات، فما المنهج القرآني في التعامل معهم؟

﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْيَمْنِيِّ يُرِيدُونَ وَجَهَهُمْ﴾

في الآية استحباب الذكر والعبادة والدعاء طرقة النهار؛ لأن الله مدحهم بفعله، وكل فعل مدح الله فاعله دل ذلك على أن الله يحبه، وإذا كان يحبه فإنه يأمر به، ويُزَعِّبُ فيه. السعدي: ٤٧٥.

السؤال: كيف تستدل بالآية على مشروعية أذكار الصباح والمساء؟

﴿وَلَا تَدْعُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾

(تريد زينة الحياة الدنيا)؛ فإن هنا ضار غير نافع، قاطع عن المصالح الدينية؛ فإن ذلك يوجب تعلق القلب بالدنيا، فتصير الأفكار والهواجس فيها، وتزول من القلب الرغبة في الآخرة؛ فإن زينة الدنيا تروق للناظر، وتسحر العقل، فيغفل القلب عن ذكر الله، ويُغْبِلُ على اللذات والشهوات، فيضيع وقته، وينفرض أمره. السعدي: ٤٧٥.

السؤال: ما ضرر محبة الدنيا على الآخرة؟

﴿وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾

ودلت الآية على أن الذي ينبغي أن يطاع ويكون إماماً للناس من امتلا قلبه بمحبة الله، وفاض ذلك على لسانه؛ فلهج بذكر الله، واتبع مراضيه ربه؛ فقدمها على هواه؛ فحفظ بذلك ما حفظ من وقته، وصلحت أحواله، واستقامت أفعاله، ودعا الناس إلى ما مَنَّ الله به عليه، فحقيق بذلك أن يتبع ويحمل إماماً. السعدي: ٤٧٥.

السؤال: لا بُدَّ للإنسان أن يُغْلَدَ غيره ويتبعه في بعض الأمور الدينية، أو في الأمور الدنيوية، فمن الذي يجب علينا اتباعه؟ ومن الذي يجب علينا مفارقتها؟

﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ مَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾

الله يؤتي الحق من يشاء وإن كان ضعيفاً، ويحرمه من يشاء وإن كان قوياً غنياً، ولست بطارد المؤمنين لهواكم، فإن شئتم فامنوا؛ وإن شئتم فاكفروا. القرطبي ١٣/٦٦٠.

السؤال: عطايا الآخرة والحرمان منها هل يعودان إلى غنى الإنسان وفقره؟

﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ مَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾

وقدم الإيمان على الكفر؛ لأن إيمانهم مرغوب فيه. ابن عاشور: ١٥/٣٠٧.

السؤال: لماذا قدم الإيمان على الكفر في هذه الآية؟

﴿وَكَانَ لَهُمْ نَفَقَاتٌ لِمَصْرِفِهِمْ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ نِكَاحًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾

قال قتادة: تلك والله أمنية الفاجر: كثرة المال، وعزة النفس. ابن كثير: ٨١/٣.

السؤال: ما غاية أمنية الكافر؟ وما الذي يفيد المسلم من هذا؟

وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْيَمْنِيِّ يُرِيدُونَ وَجَهَهُمْ وَلَا تَدْعُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿١٥﴾ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ مَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهَا مِنْ سَمِئَاتِ السَّمَاءِ فَاِنْ يَسْتَعْجِلُوْا نَعُوْا يَوْمًا كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوْهُ يَبْسُ السَّرَابِ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿١٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿١٧﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ يَتَغَايَرُونَ ﴿١٨﴾ وَحَسَنَتْ مَرْفَقًا ﴿١٩﴾ وَأَصْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِحَدِّمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَبَّادًا ﴿٢٠﴾ كُنَّا الْجَنَّتَيْنِ مَاتَتْ أَكْهَامُهُمَا تَطْلُبُ رُتْنَهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا ﴿٢١﴾ وَكَانَ لَهُ رِشْمٌ فَفَقَالَ لَصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ نِكَاحًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٢٢﴾

٢٩٧

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
فُرُطًا	هَلَاكًا، وَضْيَاعًا.
سُرَادِقُهَا	سُورُهَا.
كَالْمُهْلِ	كَالزَّيْتِ الْعَكْرِ.
وَسَاءَتْ مَرْفَقًا	قُبِحَتْ مَنَزَلًا وَمَقَامًا.
سُنْدُسٍ	رَقِيقِ الْحَرِيرِ.
وَإِسْتَبْرَقٍ	غَلِيظِ الْحَرِيرِ.

## ● العمل بالآيات

- شارك في برنامج دعوي مع مجموعة من الصالحين، ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْيَمْنِيِّ يُرِيدُونَ وَجَهَهُمْ﴾.
- ابحث عن رجل من الأخيار وصاحبه، واصبر نفسك على مصاحبته واحتسبها عبادة لله سبحانه، ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْيَمْنِيِّ يُرِيدُونَ وَجَهَهُمْ وَلَا تَدْعُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾.
- استعد بالله من أن تتكبر بسبب ما وهبك الله من النعم، واسأل الله أن يجعلها عوناً لك على عبادته، ﴿وَكَانَ لَهُمْ نَفَقَاتٌ لِمَصْرِفِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ نِكَاحًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾.

## ● التوجيهات

- اجعل لك ورداً تحرص عليه في أذكار الصباح والمساء، ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْيَمْنِيِّ يُرِيدُونَ وَجَهَهُمْ﴾.
- عليك بصحبة الأخيار، ومجاهدة النفس على صحبتهم ومخالطتهم، وإن كانوا فقراء، واحذر أن تلهيك الدنيا عن ذلك، ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْيَمْنِيِّ يُرِيدُونَ وَجَهَهُمْ﴾.
- من أعظم العقوبات أن تعاقب على بعض المعاصي بأن يجعل قلبك غافلاً عن ذكر الله تعالى، ﴿وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا﴾.

وَمُتَّعَمًا وَمَوْضِعًا لِلِاتِّفَاقِ، كما قال في الآية الأخرى: ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان: ٦٦].

الآية (٣٠-٣١): لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى حَالَ الْأَشْقِيَاءِ، ثَمَّ يَذْكُرُ السَّعَادَةَ، الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ فِيمَا جَاؤُوا بِهِ، وَعَمِلُوا بِمَا أَمَرُوهُمْ بِهِ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، فَلَهُمْ ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ وَالْعَدْنُ: الْإِقَامَةُ، تَعْرِى مِنْ تَحْنِيمِ الْأَنْهَرِ﴾ أي: مِنْ تَحْتِ عُزْفِهِمْ وَمَنَازِلِهِمْ، قَالَ فِرْعَوْنُ: ﴿وَهَٰذَا الَّذِي كُنْتُ أُبْغِضُ مِنَ النَّارِ﴾ [الزخرف: ٥١]. ﴿يُحْمَلُونَ فِيهَا عَلَى الْحِلْيَةِ﴾ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ، وَقَالَ فِي الْمَكَانِ الْآخَرِ: ﴿وَلَوْ لَوُاْ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحج: ٢٣]. وَقَضَلَهُ هُنَا فَقَالَ: ﴿وَلْيَسْئَلُوا يُبَاسًا خَضِرًا مِنْ شَجَرٍ وَسَيَبْرَقُ﴾ فَالْشُّدْنُسُ: ثِيَابٌ رِقَاقٌ وَرَقَاقٌ كَالْقَمِصَانِ وَمَا يَجْرَى مَجْرَاهَا، وَأَمَّا الْإِسْتِرْقُ: فَغَلِيظُ الدِّيَاجِ وَفِيهِ بَرِيقٌ.

وقوله: ﴿مُتَّعَمِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ الْإِنكَاءُ: قِيلَ: الْاضْطِجَاعُ. وَقِيلَ: التَّرْتُّبُ فِي الْجُلُوسِ. وَهُوَ أَشْبَهُ بِالْمُرَادِ هُنَا، وَمِنَ الْخَدِيثِ الصَّحِيحِ: «أَنَا أَفْلَا أَكُلْتُ مُتَّعَمًا» [رواه البخاري]. فِيهِ الْقَوْلَانِ. وَالْأَرَائِكُ: جَمْعُ أَرِيكَ، وَهِيَ السَّرِيرُ تَحْتَ الْحِجَلَةِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. ﴿يَتِمُّ الثَّوَابُ﴾ أي: يَنْعَمُ الْجَنَّةُ ثَوَابًا عَلَى أَعْمَالِهِمْ، ﴿وَحَسَنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ أي: حَسُنَتْ مَنَزَلًا وَمَقِيلًا وَمَقَامًا، كَمَا قَالَ فِي النَّارِ: ﴿يُنْسَكُ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩]. وَهَكَذَا قَابِلٌ بَيْنَهُمَا فِي سُورَةِ الْفِرْقَانِ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان: ٦٦]. ثُمَّ ذَكَرَ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ: ﴿أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرُفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا مِنْ حَسَنَةٍ وَسَلَامًا ۖ﴾ [٧٥] خَلِيلِيكَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان: ٧٥-٧٦].

الآية (٣٢-٣٤): يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى بَعْدَ ذِكْرِ الْمُشْرِكِينَ الْمُسْتَكْبِرِينَ عَنْ مَجَالِسَةِ الضُّعَفَاءِ وَالْمَسَاكِينِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَافْتَخَرُوا عَلَيْهِمْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَحْسَابِهِمْ، فَضَرَبَ لَهُمْ مَثَلًا بِرَجُلَيْنِ، جَعَلَ اللَّهُ ﴿لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ﴾ أي: بَسْتَانَتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ، مَخْفُوفَتَيْنِ بِالنَّخْلِ الْمُخْدِقَةِ فِي جَنَابِعِهِمَا، وَفِي خِلَافِهَا الزَّرْعُ، وَكُلٌّ مِنَ الْأَشْجَارِ وَالزَّرْعِ مُثْمِرٌ مُقْبِلٌ فِي غَايَةِ الْجُودِ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿كُنَّا لَلْجَنَّتَيْنِ مَاءً أَكْثَمًا﴾ أي: أَخْرَجَتْ ثَمَرَهَا. ﴿وَلَمْ تَطْلُرْ مِنْهُ شَيْئًا﴾ أي: وَلَمْ تَنْقُصْ مِنْهُ شَيْئًا.

﴿وَجَعَلْنَا خِلَافَهُمَا نَهْرًا﴾ أي: وَالْأَنْهَارَ مُتَفَرِّقَةً فِيهَا هُنَا وَهُنَا. ﴿وَكَانَ لَهُ نَهْرٌ﴾ قِيلَ: الْمُرَادُ بِهِ: الْمَالُ. وَقِيلَ: النَّهْرُ، وَهُوَ أَظْهَرُ هُنَا، ﴿فَقَالَ﴾ أي: صَاحِبُ هَاتَيْنِ الْجَنَّتَيْنِ: ﴿لِصْنَجِيهِ وَهُوَ يَحَاوِرُهُ﴾ أي: يُجَادِلُهُ وَمُجَاحَصُهُ، يَتَفَتَّرُ عَلَيْهِ وَيَتَرَأْسُ: «أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَعْرًا» أي: أَكْثَرُ خَدَمًا وَحَشَنًا وَوَلَدًا. قَالَ قَتَادَةُ: تِلْكَ -وَاللَّهُ- أُمْنِيَةُ الْفَاجِرِ: كَثْرَةُ الْمَالِ وَعِزَّةُ النَّعْرِ.

الآية (٢٨): ﴿وَأَصْبَرَ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَفْوِ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ أي: اجلس مع الذين يذكرون الله ويَسْتَلْجُونَ، وَيَعْبُدُونَهُ وَيُسَبِّحُونَهُ وَيُكْبِّرُونَهُ، وَيَسْأَلُونَهُ بِكَرَّةٍ وَعَشِيًّا مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ، سَوَاءٌ كَانُوا فُقَرَاءَ أَوْ أَغْنِيَاءَ أَوْ أَقْوِيَاءَ أَوْ ضَعَفَاءَ. يَقَالُ: إِنَّهَا نَزَلَتْ فِي أَشْرَافِ قُرَيْشٍ، حِينَ طَلَبُوا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يَجْلِسَ مَعَهُمْ وَحْدَهُ، وَلَا يُجَالِسُهُمْ بِضَعْفَاءٍ أَصْحَابِهِ كِبَالًا وَعِمَارًا وَصَهْبًا وَخَبَّابًا وَابْنَ مَسْعُودٍ، وَلِئَلَّا يَأْتِيَكَ بِمَجْلِسٍ عَلَى حِدَةٍ. فَهَذَا اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَفْوِ﴾ [الأنعام: ٥٢]. وَأَمَرَهُ أَنْ يَصْبِرَ نَفْسَهُ فِي الْجُلُوسِ مَعَ هَؤُلَاءِ، فَقَالَ: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَفْوِ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾.

عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ سِتَّةَ نَفَرٍ، فَقَالَ الْمَشْرُكُونَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: اطرد هؤلاء لَا يَجْتَرِئُونَ عَلَيْنَا! قَالَ: وَكُنْتُ أَنَا وَابْنُ مَسْعُودٍ وَرَجُلٌ مِنْ هَذِلٍ وَبِلَالٌ وَرَجُلَانِ نَسَبَتْ أَسْمِيَهُمَا، فَوَقَعَ فِي نَفْسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقَعَ، فَحَدَّثَتْ نَفْسَهُ، فَانْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَفْوِ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [رواه مسلم]. وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَلَا تُجَاوِزْهُمْ إِلَى غَيْرِهِمْ: يَعْنِي: تَطْلُبْ بَدَنَهُمْ أَصْحَابَ الشَّرَفِ وَالثَّرْوَةِ، ﴿وَلَا تَطْلُعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا﴾ أي: شُغِلَ عَنْ الدِّينِ وَعِبَادَةِ رَبِّهِ بِالْدُّنْيَا، ﴿وَأَتَّبِعْ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ أي: أَعْمَالُهُ وَأَفْعَالُهُ سَفَهٌ وَتَفْرِيطٌ وَضِياعٌ، وَلَا تَكُنْ مُطِيعًا لَهُ وَلَا مُجِبًّا لَطَرِيقَتِهِ، وَلَا تَغْلُظْ بِهَا فِيهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ بَنِيكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِمْ أَزْوَاجَهُمْ وَهُمْ لَمْ يَحْشَوْا إِلَيْنَا فَاغْتَبَوْا بِهِمْ وَإِذْ جَاءُوكَ بِالْغَدْوَةِ فَخِطَابُكَ خَيْرٌ مِمَّا يَخْتَارُونَ﴾ [طه: ١٣١].

الآية (٢٩): يَقُولُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: وَقُلْ يَا مُحَمَّدُ لِلنَّاسِ: هَذَا الَّذِي جِئْتُمْ بِهِ مِنْ رَبِّكُمْ هُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَا رَمِيَّةَ فِيهِ وَلَا شَكَّ. ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُتَوَكَّلْ عَلَى شَأْنِهِ فَلْيُكْفَرْ﴾ هَذَا مِنْ بَابِ التَّهْدِيدِ وَالْوَعْدِ الشَّدِيدِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿إِنَّا أَعَدَدْنَا﴾ أي: أَرْصَدْنَا ﴿لِلظَّالِمِينَ﴾ وَهُمْ الْكَافِرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَكُتَابِهِ ﴿فَإِذَا أَحَاطَ بِهِمْ سَرَاقُهُمْ﴾ أي: سَوْرُهُمَا، ﴿وَلَنْ يَسْتَنْصِفُوا يَتَأَوَّلُوا يَمَاءً كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ﴾ [الآية] قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «الْمُهْلُ»: مَاءٌ غَلِيظٌ مِثْلُ ذُرِّيِّ الزَّيْتِ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: هُوَ كَالْدَمِ وَالْقَجِحِ. وَهَذِهِ الْأَقْوَالُ لَيْسَ شَيْءٌ مِنْهَا يَنْفِي الْآخَرَ؛ فَإِنَّ الْمُهْلَ يَجْمَعُ هَذِهِ الْأَوْصَافَ الرَّذِيلَةَ كُلَّهَا، فَهُوَ أَسْوَدُ مُثْنَيْنِ غَلِيظٌ حَارٌّ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿يَشْوِي الْوُجُوهَ﴾ أي: مِنْ حَرِّهِ، إِذَا أَرَادَ الْكَافِرُ أَنْ يَشْرَبَهُ وَقَرَّبَهُ مِنْ وَجْهِهِ، شَوَاهُ حَتَّى يَسْقُطَ جِلْدُ وَجْهِهِ فِيهِ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى بَعْدَ وَصْفِهِ هَذَا الشَّرَابَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ الذَّمِيمَةِ الْقَبِيحَةِ: ﴿يُنْسَكُ الشَّرَابُ﴾ أي: يَشْرَبُ هَذَا الشَّرَابَ، كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْآخِرَى: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْلَهُمْ﴾ [عند: ١٥]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿تَشَقُّقٌ مِنْ عَيْنٍ مَائِيَةٍ﴾ [الناسية: ٥] أي: حَارَّةٌ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَبَيْنَ حَبِيرٍ مَاءٍ﴾ [الرحمن: ٤٤]. ﴿وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ أي: وَسَاءَتْ النَّارُ مَنَزَلًا وَمَقِيلًا



الآية (٣٦-٣٥): قوله: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾ أي: يكفره ويحذره وتكبره وتجبره وإنكاره السمعة. ﴿قَالَ مَا أَظُنُّ أَن يَبْدُ هَذِهِ أَبَدًا﴾ وذلك اغترار منه، لئلا رأى فيها من الزروع والشار والأشجار والأنهار المطردة في جوانبها وأرجائها، ظن أنها لا تفتنى ولا تفرغ ولا تهلك ولا تتلف، وذلك لبقلة عقله، وضغف بيقينه بالله، وإعجابه بالحياة الدنيا وزينتها، وكفوره بالآخرة؛ ولهذا قال: ﴿وَمَا أَظُنُّ النَّسَاءَ قَائِمَةً﴾ أي: كائنة ﴿وَلَكِن رُّودَتْ إِلَى رَبِّي لَا أُجِدُّ فِيهَا مِمَّنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ أي: ولكن كان معاد ورجعة ومرد إلى الله، ليكونن لي هناك أحسن من هذا الحظ عند ربِّي، ولولا كرامتي عليه ما أعطاني هذا؛ كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَلَكِن تُحِثُّ إِلَى رَبِّي إِنِّي لَمِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [نصت: ٥٠]، وقال: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّكَ مَالًا وَّلَوْلِيًّا﴾ [مریم: ٧٧] أي: في الدار الآخرة، تألَّى على الله ﷻ. الآية (٤١-٣٧): يقول تعالى مخبرًا عما أجابه صاحبه المؤمن، واعظًا له وزاجرًا عما هو فيه من الكفر بالله والاعترار: ﴿كَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ﴾ الآية! وهذا إنكار وتعظيم لئلا وقع فيه من جحود ربه، الذي خلقه وابتدأ خلق الإنسان من طين وهو آدم، ﴿ذُرَّ جَدَلٌ سَلَكُوا مِنْ سُلُوكِهِمْ مَقَلَّتْ لَهُمْ﴾ [الجن: ٨]، كما قال تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَتُونَا فَاقْتَنَعْتُمْ﴾ الآية [البقرة: ٢٨]، أي: كيف تمجدون ربكم، ودلائله عليكم ظاهرة جليلة، كل أحد يعلمها من نفسه؛ فإنه ما من أحد من المخلوقات إلا ويعلم أنه كان معدومًا ثم وُجد، وليس وجوده من نفسه ولا مستندًا إلى شيء من المخلوقات؛ لأنه بمثابته، فلم يتم إسناده إلى خالقه، وهو الله لا إله إلا هو خالق كل شيء؛ ولذا قال: ﴿لَنُكَلِّمَنَّ اللَّهُ رَجُلًا مِنْهُمْ﴾ أي: أنا لا أقول بمقابلتك، بل أعترف لله بالوحدانية والربوبية، ﴿وَلَا أَشْرِكُ بِرَبِّيَ أَحَدًا﴾ أي: بل هو الله المعبود وحده لا شريك له.

ثم قال: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ﴾ الآية، هذا تحضيض وحث على ذلك، أي: هَلَّا إِذْ أَصْبَحْتَ حين دخلتها ونظرت إليها تحمدت الله على ما أنعم به عليك، وأعطاك من المال والولد ما لم يعطه غيرك، وقلت: ﴿مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾؛ ولهذا قال بعض السلف: من أعجبته شيء من حاله أو ماله أو ولده، فليقل: ﴿مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ وهذا مأخوذ من هذه الآية الكريمة. وقد ثبت عن أبي موسى أن رسول الله ﷺ قال له: ﴿أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كُنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ؟ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [متفق عليه].

وقوله: ﴿فَمَسَى رَجُلٌ أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ﴾ أي: في الدار الآخرة، ﴿وَرُئِبِيلَ عَلَيْهِمَا﴾ أي: على جنتك في الدنيا التي ظننت أنها لا تبلى ولا تفتنى ﴿حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ الظاهر أنه مطرٌ عظيم مُرْجِع، يُقْلَعُ زرعها وأشجارها؛ ولهذا قال: ﴿فَنُصِيعَ صَعِيدًا رَلَقًا﴾ أي: بَلَقًا ترابًا أملس، لا يثبت فيه قدم.

وقوله: ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا﴾ أي: غائرًا في الأرض، وهو ضد النابع الذي يطلُب وجه الأرض، فالغائر يطلُب أسفلها، كما قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ [الملك: ٣٠] أي: جَارٍ وَسَائِعٍ. وقال ههنا: ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا﴾ والغور: مصدر بمعنى غائر، وهو أبْلَغ منه.

الآية (٤٤-٤٢): يقول تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِشَرِّهِ﴾ بأموره، أو بشاره على القول الآخر. والمقصود أنه وقع بهذا الكافر ما كان يحذر، مما خَوْفُهُ به المؤمن من إرسال الحُسْبَانِ على جَنَّتِهِ، التي اغتر بها وألَهَتْهُ عن الله ﷻ ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفِّهِ عَلَى مَا أَتَقَى فِيهَا﴾ يُصَفِّقُ كَفِّهِ متأسفًا متلهفًا على الأموال التي أذهبها عليها، ﴿وَيَقُولُ بَلَأَنبِيئًا لَّزْ أَشْرَكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾.

﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةً﴾ أي: عشيرة أو ولد، كما افتخر بهم واستعز، ﴿يَصْرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾ ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ﴾ المعنى: هنالك الموالاة لله، أي: هنالك كل أحد من مؤمن أو كافر، يرجع إلى الله وإلى مولاته والخضوع له إذا وقع العذاب، ﴿وَالْحَقُّ﴾ نعت لله ﷻ، كقوله: ﴿ثُمَّ رَدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ [الأنعام: ٦٢]، ولهذا قال تعالى: ﴿هُوَ خَيْرُ ثَوَابًا﴾ أي: جزاء، ﴿وَحَيْرُ عُقْبًا﴾ أي: الأفعال التي تكون لله ﷻ ثوابها خير، وعاقبتها حيدة رشيدة، كلها خير.

الآية (٤٥): يقول تعالى: ﴿وَأَضْرَبَ﴾ يا محمد للناس ﴿مَثَلُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا﴾ في زوالها وفنائها وانقضائها ﴿كَمَا أَرْزَلَهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاتَخَلَّتْ بِهِ وَبَاسَ وَبَاسَ﴾ أي: ما فيها من الحب، فَنَسَبَ وَحَسَنَ، وعَلَاهُ الزهر والنور والنضرة ﴿فَأَصْبَحَ﴾ بعد هذا كله ﴿هَشِيمًا﴾ يابسًا ﴿تَذَرُوهُ الرِّيحُ﴾ أي: تفرقه وتطرحه ذات اليمين وذات الشمال. ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقَدِّرًا﴾ أي: هو قادر على هذه الحال، وهذه

الحال، وكثيرًا ما يضرب الله مثل الحياة الدنيا بهذا المثل كما في سورة يونس: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا كَمَا أَرْزَلَهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاتَخَلَّتْ بِهِ وَبَاسَ وَبَاسَ﴾ الآية [يونس: ٢٤]، وقال في الزمر: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَرْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنابيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ﴾ الآية [الزمر: ٢١]، وقال في سورة الحديد: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا لُطْءٌ وَقُوتٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَزْوَاجِ كَشَلٍّ غَيْرَ أَجَبَ الْكُفَّارُ بَنَاءَهُ﴾ الآية [الحديد: ٢٠].

وفي الحديث الصحيح: «الدنيا حلوة خضرة» [رواه مسلم].



## ● الوقفات التذيرية

﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن يُبَدَّ هَذِهِ أَبَدًا ﴾  
(وهو ظالم لنفسه): إما بكفره، وإما بمقابلته لأخيه: فإنها تتضمن  
الفخر، والكبر، والاحتقار لأخيه. ابن جزي: ٥١٠/١.

السؤال: ظلم صاحب الجنتين نفسه بأمور أربعة، عددها؟

﴿ وَلَئِن رُّودَّتْ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴾

فأى تلازم بين عطاء الدنيا وعطاء الآخرة حتى يظن بجهله أن من  
أعطى في الدنيا أعطى في الآخرة، بل الغالب أن الله تعالى يزيو الدنيا  
عن أوليائه وأصفينائه، ويوسعها على أعدائه الذين ليس لهم في الآخرة  
نصيب. السعدي: ٤٧٧.

السؤال: هل هناك تلازم بين عطاء الدنيا وعطاء الآخرة؟

﴿ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾

أي: ما اجتمع لك من المال فهو بقدره الله تعالى وقوته، لا بقدرتك  
وقوتك، ولو شاء لنزع البركة منه فلم يجتمع. القرطبي: ٢٨٠/١٣.

السؤال: هل يملك الإنسان شيئاً بقدرته وقوته؟

﴿ إِنْ كَرِهَ إِنَّا أَقْلَ مِنْكَ مَا لَوْكَلَّا ﴾ ﴿ فَسَيَرَبِّيَ أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ ﴾

أخبره أن نعمة الله عليه بالإيمان والإسلام -ولو مع قلة ماله وولده-  
أنها هي النعمة الحقيقية، وأن ما عداها معرض للزوال، والعقوبة عليه  
والنكال. السعدي: ٤٧٧.

السؤال: ما أفضل النعم وأكملها وأتمها على المسلم؟

﴿ وَأُحِيطَ بِشَرِّهِ فَأَصْبَحَ يَقُلُّ لِقَائِهِ عَلَى مَا أَتَقَى فِيهَا وَهِيَ خَائِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا ﴾

وأحاط به هذا العقاب لا لمجرد الكفر؛ لأن الله قد يمتنع كافرين  
كثيرين طول حياتهم، ويميل لهم، ويستدرجهم، وإنما أحاط به هذا  
العقاب جزاء على طغيانه، وجعله ثروته وماله وسيلة إلى احتقار المؤمن  
الفقير. ابن عاشور: ٣٢٨/١٥.

السؤال: ما سبب تهجيل العقوبة لهذا الكافر المذكور في الآية مع أن الله  
تعالى قد يمتنع كافرين كثيرين طول حياتهم؟

﴿ وَيَقُولُ يَلْبَسُنِي لَرَأَشْرِكُ رَبِّي أَحَدًا ﴾

ولا يستبعد من رحمة الله ولطفه أن صاحب هذه الجنة التي أحيط بها  
تحسنت حاله، ورزقه الله الإنابة إليه، وراجع رشده، وذهب تمرده وطفياه؛  
بدليل أنه أظهر الندم على شركه بربه، وأن الله أذهب عنه ما طغيه، وعاقبه  
في الدنيا، وإذا أراد الله بعبد خيراً سبّل له العقوبة في الدنيا. السعدي: ٤٧٨.

السؤال: قد تكون العقوبة التي أصابت صاحب الجنتين خيراً له؛ بين وجه ذلك.  
﴿ وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا لِّلْخَيْرِ الَّذِي كَلَّمَ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ  
بَنَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ ﴾

قالت الحكماء: إنما شبه تعالى الدنيا بالماء ... لأن الماء لا يستقيم على  
حالة واحدة، كذلك الدنيا، ولأن الماء لا يبقى، ويذهب، كذلك الدنيا  
تفنى، ولأن الماء لا يقدر أحد أن يدخله ولا يبطل، كذلك الدنيا لا يسلم  
أحد دخلها من فتنها وأفتها، ولأن الماء إذا كان بقدر كان نافعاً منبتاً،  
وإذا جاوز المقدار كان ضاراً مهلكاً، وكذلك الدنيا: الكفاف منها ينفع،  
وفضولها يضر. القرطبي: ٢٨٩/١٣.

السؤال: بين بعض أوجه الشبه بين الدنيا والماء.

وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن يُبَدَّ هَذِهِ  
أَبَدًا ﴿٢٧﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّودَّتْ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ  
خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٢٨﴾ قَالَ لَهُ صَاحِبُهَا وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ  
بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ تُظْفَرُ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ﴿٢٩﴾  
لَكِنَّكَ هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٣٠﴾ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ  
جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَى أَنَا أَقْلَ مِنْكَ  
مَا لَوْكَلَّا ﴿٣١﴾ فَسَيَرَبِّيَ أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ  
عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٣٢﴾ أَوْ يُصْبِحَ  
مَا وَهَا عَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ وَطْأًا ﴿٣٣﴾ وَأُحِيطَ بِشَمْرِهِ  
فَأَصْبَحَ يُقَدِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَتَقَى فِيهَا وَهِيَ خَائِيَةٌ عَلَى  
عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَلْبَسُنِي لَرَأَشْرِكُ رَبِّي أَحَدًا ﴿٣٤﴾ وَلَتَوَكَّلْ لَهُ  
فِتْنَةٌ يَصْرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٣٥﴾ هُنَالِكَ الْوَلِيَّةُ  
لِلَّهِ الْحَقُّ هُوَ خَيْرٌ تَرَوَابًا وَخَيْرٌ عَقْبًا ﴿٣٦﴾ وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا لِّلْخَيْرِ  
الَّذِي كَلَّمَ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ بَنَاتُ الْأَرْضِ  
فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٣٧﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
تَبِيدَ	تَهَلَّكَ.
صَعِيدًا زَلَقًا	أَرْضًا مَلْسَاءَ جَرَاءَ لَا تُثْبِتُ عَلَيْهَا قَدَمٌ، وَلَا تُثْبِتُ شَيْئًا.
عَوْرًا	خَالِفًا ذَاهِبًا فِي عَمَقِ الْأَرْضِ.

## ● العمل بالآيات

١. انصح أحد أصحابك المخالفين لأمر الله ورسوله؛ فالصحبة لا تعني عدم  
التناصح؛ ﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهَا وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ تُظْفَرُ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ﴾.
٢. تأمل إنجازات حقيقتها في حياتك، وانسب الفضل فيها إلى الله تعالى، وقل: «ما  
شاء الله، لا قوة إلا بالله»، ﴿ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ  
إِنْ كَرِهَ إِنَّا أَقْلَ مِنْكَ مَا لَوْكَلَّا ﴾.
٣. استغفر الله من نعمة نسبته إلى نفسك ونسبت فيها فضل الله عليك؛ فإن  
عقوبة الله قربية من الغافل عن شكره، ﴿ وَأُحِيطَ بِشَرِّهِ فَأَصْبَحَ يَقُلُّ لِقَائِهِ عَلَى مَا  
أَتَقَى فِيهَا وَهِيَ خَائِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَلْبَسُنِي لَرَأَشْرِكُ رَبِّي أَحَدًا ﴾.

## ● التوجيهات

١. احذر الغرور والأمن من مكر الله تعالى، ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ  
قَالَ مَا أَظُنُّ أَن يُبَدَّ هَذِهِ أَبَدًا ﴾ ﴿٢٧﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّودَّتْ إِلَى رَبِّي  
لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴾.
٢. من خذله الله تعالى فإنه لا ينصر أبداً، ﴿ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ يَصْرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ  
وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴾.
٣. تواضع لعباد الله، وإياك والعلو والكبر، ﴿ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ  
اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ كَرِهَ إِنَّا أَقْلَ مِنْكَ مَا لَوْكَلَّا ﴾.



## ● الوقفات التدريبية

﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾

(المال والبنون): التي يفخر بها عبدة وأصحابه الأغنياء (زينة الحياة الدنيا): ليست من زاد الأخرة. قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «المال والبنون حرث الدنيا، والأعمال الصالحة حرث الأخرة، وقد يجمعها الله لأهوام». البغوي: ٣/٣٤.

السؤال: ما حرث الدنيا، وما حرث الأخرة؟

﴿وَالَّذِينَ اتَّصَلُوا بِرَبِّكَ فَوَافُوا وَعَبَدُوا﴾

الذي يبقى للإنسان وينفعه ويسره: الباقيات الصالحات، وهذا يشمل جميع الطاعات الواجبة والمستحبة من حقوق الله وحقوق عباده: من: صلاة، وزكاة، وصدقة، وحج، وعمرة، وتسبيح، وتحميد، وتهليل، وتكبير، وقراءة، وطلب علم نافع، وأمر بمعروف، ونهي عن منكر، وصلوة رحم، وبر والدين، وقيام بحق الزوجات، والمالك، والبهائم، وجميع وجوه الإحسان إلى الخلق. السعدي: ٤٧٩.

السؤال: اذكر بعض الباقيات الصالحات.

﴿وَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾

أي: بداية ظاهرة، ليس فيها معلّم لأحد، ولا مكان يوارى أحداً، بل الخلق كلهم ضاحون لربهم، لا تخفى عليه منهم خافية. ابن كثير: ٨٥/٣-٨٦.

السؤال: ما التهديد الكامن في قوله تعالى: (وترى الأرض بارزة)؟

﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾

أي: بلا مال، ولا أهل، ولا عشيرة: ما معهم إلا الأعمال التي عملوها، والمكاسب في الخير والشر التي كسبوها. السعدي: ٤٧٩.

السؤال: ما المقصود بقوله تعالى: (لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة)؟

﴿وَيَقُولُونَ بَوْلًا مَالِ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ تُعْبَدُونَ﴾

قال قتادة: اشتكى القوم الإحصاء، وما اشتكى أحد ظلماً، فإياكم ومحقرات الذنوب: فإنها تجتمع على صاحبها حتى تهلكه. القرطبي: ١٥/٥٩.

السؤال: متى يهلك العبد بالصغائر؟

﴿وَلَقَدْ كُنَّا لِلْمَلَكَةِ أَسْجُودًا﴾

سجود تشريف، وتكريم، وتعظيم. ابن كثير: ٨٧/٣.

السؤال: هل سجود الملائكة لأدم كان سجود عبادة؟ أم ماذا؟

﴿وَلَقَدْ كُنَّا لِلْمَلَكَةِ أَسْجُودًا﴾

يقول تعالى منبهاً بني آدم على عداوة إبليس لهم، ولأنهم من قبلهم، ومقرعاً لمن اتبعه منهم، وخالف خالقه ومولاه، وهو الذي أنشأه وابتدأه بالطهارة، وورقه وغذاه، ثم بعد هذا كله وإلى إبليس وعادى الله، فقال تعالى: (وإذ قلنا للملائكة: ابن كثير: ٨٧/٣).

السؤال: بين جهل بعض بني آدم وعنادهم من خلال الآية.

الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿١﴾ وَيَوْمَ نُسِفُ السِّبْطَ وَالْجِبَالَ نَنزِلُ الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحُسِّتْهُمْ فَكُلُّهُمْ لَدَيْهِمْ أَعْدَاٌ ﴿٢﴾ وَعَرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُوهُمْ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ﴿٣﴾ وَوَضَعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمَجْرُمِينَ مُشْفِقِينَ فِي مَقَافِهِ وَيَقُولُونَ بَوْلًا مَالِ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ لَا تُعْبَدُونَ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿٥﴾ مَا أَشْهَدُ لَهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقِ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُمْ مُتَعَدِّينَ عَصَاةً ﴿٦﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا ﴿٧﴾ وَرَأَى الْمَجْرُمُونَ النَّارَ وَقَطَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَاقْعَوْهَا وَلَمْ يَنجِدُوا عَنْهَا مَصْرَفًا ﴿٨﴾

## ● معاني الكلمات

المعنى	الكلمة
خَيْرٌ مَا يُرْجَى عِنْدَ اللَّهِ	وَحَيْرٌ أَمَلًا
فَخَرَجَ.	فَفَسَقَ
أَعْوَانًا.	عَصَاةً
مَهْلِكًا فِي جَهَنَّمَ يَهْلِكُونَ فِيهِ جَمِيعًا.	مَوْبِقًا

## ● العمل بالآيات

١. سل الله تعالى سلامة الصدر، واستعن بالله من الحسد والكبر: فإنما اهلك الشيطان داء الحسد والكبر، ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾.
٢. حدد ذنوباً فعلتها تراها من الكبر، وأكثر من الاستغفار منها؛ لعلها تسحق من صهيبة سبائكك، ﴿وَيَقُولُونَ بَوْلًا مَالِ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ لَا تُعْبَدُونَ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾.
٣. حدد عملاً صالحاً كبيراً ليكون مشروع حياتك، ثم ابدا خطوات جادة في تحقيقه، واستعن بالله سبحانه عليه حتى لا تعيش غافلاً، ﴿وَالَّذِينَ اتَّصَلُوا بِرَبِّكَ فَوَافُوا وَعَبَدُوا﴾.

## ● التوجيهات

١. لا تجعل المال والبنين مشغلة لك عن عمل الصالحات، بل اجعلها مساعدة لك عليه، ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾.
٢. من أحصى على نفسه في الدنيا الحسنات والسيئات لم يتفاجأ يوم القيامة بكتابه، ﴿وَيَقُولُونَ بَوْلًا مَالِ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ لَا تُعْبَدُونَ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾.
٣. أشد الندم حينما يكتشف المشرِك يوم القيامة أن لا أحد يشارك الله سبحانه في تفريغ الكربات وإجابة الدعاء، ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا﴾.



وقوله: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ﴾ أي: ربك - يا محمد - غفور ذو رحمة واسعة، ﴿لَوْ يُؤَاخِذُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْبَثُونَ لَآتَاكُمُ الْعَذَابَ﴾ كما قال: ﴿لَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كُنتُمْ تَعْبَثُونَ مَا تَلَاكُمْ عَلَيْهِمْ مِنْ ذَاتِكُمْ﴾ [فاطر: ٤٥]، وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ تَابِعِيهِمْ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ تَابِعِيهِمْ﴾ [الرعد: ٦١] والآيات في هذا كثيرة.

ثم أخبر أنه يحلّم ويسرّ ويتغفر، وربّما هدى بعضهم من الغي إلى الرشاد، ومن استمر منهم قلّة يوم تشيب فيه الوليد، وتضع كل ذات خلح حملها؛ ولهذا قال: ﴿بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجْعَدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْعِدًا﴾ أي: ليس لهم عنه تحيد ولا تحيص ولا تغديل.

وقوله: ﴿وَبَيْنَكَ أَفْرَاقٌ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾ أي: الأمم السالفة والقرون الخالية أهلكناهم بسبب كفرهم وعنادهم، ﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾ أي: جعلناهم إلى مدة معلومة ووقت معلوم معين، لا يزيد ولا ينقص، أي: وكذلك أنتم أيها المشركون، احذروا أن يصيبكم ما أصابهم، فقد كذبتُم أشرف رسول وأعظم نبي، ولستم بأعزّ علينا منهم، فخافوا عذابي ونذري.

الآية (٦٠-٦١): سبب قول موسى لفتاه - وهو يوشع بن نون - هذا الكلام: أنه ذكر له أن عبدا من عباد الله بمجمع البحرين، عنده من العلم ما لم يحيط به موسى، فأحبّ الذهاب إليه، وقال لفتاه ذلك: ﴿لَا أَبْرَحُ﴾ أي لا أزال سائرا ﴿حَتَّى أَتِلْعَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾ أي: هذا المكان الذي فيه مجمع البحرين، قال قتادة وغير واحد: وهما بحر فارس وما يلي المشرق، وبحر الروم وما يلي المغرب. وقال محمد بن كعب القرظي: مجمع البحرين عند طنجة، يعني في أقصى بلاد المغرب، والله أعلم.

وقوله: ﴿أَوْ أَمْضَى حُقُبًا﴾ أي: ولو أي أسير حُقُبًا من الزمان. قال ابن جرير: ذكر بعض أهل العلم بكلام العرب أن الحُقُب في لغة قيس: سنة. وعن عبد الله بن عمرو قال: الحُقُب ثمانون سنة. وقال ابن عباس قوله: ﴿أَوْ أَمْضَى حُقُبًا﴾ قال: دهرا.

وقوله: ﴿كَلِمًا بَلَعًا جَمَعَ بَيْنَهُمَا نِسِيًا حُوتَهُمَا﴾ [عن أبي بن كعب: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إن موسى قام خطيبا في بني إسرائيل، فُسِّلَ أي الناس أعلم؟ فقال: أنا، فعتب الله عليه إذ لم يردّ العلم إليه، فأوحى الله إليه: إن لي عبدا بمجمع البحرين هو أعلم منك، قال موسى: يا رب فكيف لي به؟ قال: تأخذ معك حوتا فتجعله في مكتل، فحشا فقدت الحوت فهو ثم، فأخذ حوتا فجعله في مكتل، ثم انطلق وانطلق معه بفتاه يوشع بن نون، حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رؤوسهما فناما، واضطرب الحوت في المكتل فخرج منه فسقط في البحر، ﴿فَاتَّخَذَ سَيْلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾، وأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق. [متفق عليه].

الآية (٥٤): يقول تعالى: ولقد بينّا للناس في هذا القرآن، ووضّحنا لهم الأمور، وفضلناهم، كيلا يضلّوا عن الحق، ويخرجوا عن طريق الهدى. ومع هذا البيان وهذا الفرقان، الإنسان كثير المجادلة والمخاصمة والمعارضة للحق بالباطل، إلا من هدى الله وبصره لطريق النجاة. عن علي بن أبي طالب، أن رسول الله ﷺ طرّقه وفاطمة بنت رسول الله ﷺ ليلة، فقال: «ألا تَصْلِيَانِ؟!» فقلت: يا رسول الله، إنا أنفستا بيد الله، فإذا شاء أن يبعثنا بعتنا. فانصرف حين قلت ذلك، ولم يرجع إلي شيئا، ثم سمعته وهو مودّ يضرب فخذه ويقول: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [متفق عليه].

الآية (٥٥-٥٦): تحيّر تعالى عن مُرَدِّ الكفرة في قديم الزمان وحديثه، وتكذيبهم بالحق البينّ الظاهر مع ما يشاهدون من الآيات والدلالات الواضحات، وأنه ما منّهم من اتباع ذلك إلا طلبهم أن يشاهدوا العذاب الذي وعّدوا به عيانا، كما قال أولئك لنبيهم: ﴿فَأَقِمْ وَفِئْتَنَا كَيْفًا مِنْ أَسْمَاءَ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصّٰدِقِیْنَ﴾ [الشعراء: ١٨٧] وآخرون قالوا: ﴿أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصّٰدِقِیْنَ﴾ [النكبات: ٢٩]، وقالت قريش: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ أَلْحَقٌ مِنْ عَذَابِكَ فَأَطِمْ عَلَيْنَا جِجَارَةً مِنْ أَسْمَاءَ أَوْ أَتَيْنَا بِعَذَابِ الْآلِیْرِ﴾ [الأنفال: ٣٢]، وقالوا يأتينا الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون ﴿لَوْ مَا أَتَيْنَا بِالْمَلَكَةِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصّٰدِقِیْنَ﴾ [الحجر: ٧٦] إلى غير ذلك من الآيات الدالة على ذلك.

ثم قال: ﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ أَلَّا يَكُونُوا مِنْ غَشِيَانِهِم بِالْعَذَابِ وَأَخَذَهُمْ مِنْ آخِرِهِمْ، أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ فُبُلًا﴾ أي: يروونه عيانا مواجهة، ثم قال: ﴿وَمَا تُرْسِلُ الرُّسُلَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ أي: قبل العذاب مبشرين من صدقهم وآمن بهم، ومنذرين لمن كذبهم وخالفهم. ثم أخبر عن الكفار بأنهم يجادلون بالباطل ﴿لِيُدْحِضُوا بِهِ﴾ أي: ليضعفوا به ﴿الْمَلَقَ﴾ الذي جاءتهم به الرسل، وليس ذلك بحاصل لهم، ﴿وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا﴾ أي: اتخذوا الحجج والبراهين وخوارق العادات التي بُعث بها الرسل، وما أنذروهم وخوفهم به من العذاب ﴿هُزُوًا﴾ أي: سخروا منهم في ذلك، وهو أشدّ التكذيب.

الآية (٥٧-٥٩): يقول تعالى: وأي عباد الله أظلم ممن ذكر بآيات الله ﴿فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾، أي: تناساها وأعرض عنها، ولم يصغ لها، ولا ألقى إليها بالآ، ﴿وَنَسَى مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ أي: من الأعمال السيئة والأفعال القبيحة، ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ أي: قلوب هؤلاء ﴿أَكِنَّةً﴾ أي: أغشية وغشاوة، ﴿أَنْ يَفْقَهُوْهُ﴾ أي: لتلا يفهموا هذا القرآن والبيان، ﴿وَفِي عَادَاتِهِمْ وَفَرًا﴾ أي: صمّا معنويا عن الرشاد، ﴿وَلَنْ نَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾.



## ● الوقفات التدريبية

١ ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾

عن علي: ان النبي ﷺ طرقة وفاطمة: ليلاً، فقال: (الا تصليان؟) فقال علي: يا رسول الله إنما انفسنا بيد الله إن شاء أن يبعثنا بعثنا، قال: فانصرف رسول الله حين قلت له ذلك ولم يرجع إلي شيئا، ثم سمعته يضرب فخذيه ويقول: (وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً). ابن عاشور: ٣٤٨/١٥.

السؤال: الناصح بخير يُقابل بالقبول قدر المستطاع، وضع ذلك.

٢ ﴿ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾

كثير من الناس يجادلون في الحق بعد ما تبين، ويجادلون بالباطل ليدحضوا به الحق، ولهذا قال: (وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً) أي: مجادلةً ومنازعةً فيه، مع أن ذلك غير لائق بهم، ولا عدل منهم، والذي أوجب له ذلك وعدم الإيمان بالله إنما هو الظلم والعناد، لا تقصير في بيانه وحجته، وبرهانه. السعدي: ٤٨٠.

السؤال: كثرة المجادلة مع العلماء وطلبة العلم هل هي من الخير في شيء؟ وما السبب الذي يجعل الإنسان يكثر من الجدل مع أهل الحق؟

٣ ﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْأَنْبِيَاءِ كُفْرًا يَلْبِطْ لِيُدْخِلْهُ اللَّهُ فِي أَصْحَابِ الْإِنْفِرِ وَمَا نُزِّلُ هُزُومًا ﴾

ففرق بين الآيات الدالة على العلم التي يعلم بالعقل أنها دلائل للرب، وبين النذر: وهو الإخبار عن المخوف، كإخبار الأنبياء بما يستحقه العصاة من العذاب، فهذا يعلم بالخبر والنذر. ابن تيمية: ٣٦٠/٤.

السؤال: ما الفرق بين الآيات والنذر؟

٤ ﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ ﴾

(وما نرسل المرسلين إلا مبشرين) أي: بالجنة لمن آمن، (ومنذرين) أي: مخوفين بالعذاب من كفر. القرطبي: ٣١١/١٣.

السؤال: اذكر أساليب من أساليب الدعوة إلى الله تعالى جاء ذكرهما في الآية.

٥ ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاؤُهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَلَنْ نَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴾

وفي هذه الآية من التخويف لمن ترك الحق بعد علمه أن يحال بينهم وبينه، ولا يتمكن منه بعد ذلك، ما هو أعظم مرهب وأرجع عن ذلك السعدي: ٤٨١.

السؤال: هناك فرق بين من يعرض عن الحق وهو عالم به، ومن هو جاهل به، تحدث عن ذلك في ضوء هذه الآية.

٦ ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاؤُهُ ﴾

أي: لا أحد أظلم لنفسه ممن وعظ بآيات ربه، فتهاون بها، وأعرض عن قبولها. القرطبي: ٣١٢/١٣.

السؤال: من أظلم الناس لنفسه؟

٧ ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَدْعُكُمُ إِلَى إِلَهِكُمْ وَإِلَى وَلَدِ اللَّهِ أَحَدٍ مَنِ اعْتَدَى عَلَيْهِ فُلْجَمَةٌ وَأَنْتُمْ لَا تُعْلَمُونَ ﴾

في هذا من الفقه: رحلة العالم في طلب الازدياد من العلم، والاستعانة على ذلك بالخادم والصاحب، واغتنام لقاء الفضلاء والعلماء وإن بعدت أقطارهم - وذلك كان دأب السلف الصالح، وبسبب ذلك وصل

المرتحلون إلى الحظ الرابع، وحصلوا على السعي الناجح: فرسخت لهم في العلوم أقدام، وصح لهم من الذكر والأجر والفضل أفضل الأقسام، قال البخاري: ورحل جابر ابن عبد الله مسيرة شهر إلى عبد الله بن أنيس - رضي الله عنهم - في حديث. القرطبي: ٣١٨/١٣.

السؤال: ماذا يتعلم طالب العلم من رحلة موسى عليه الصلاة والسلام؟

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ۝ وَمَا مَنَعُ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ فُبُكَ ۝ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْآيَاتِ كُفْرًا يَلْبِطْ لِيُدْخِلْهُ اللَّهُ فِي أَصْحَابِ الْإِنْفِرِ وَمَا نُزِّلُ هُزُومًا ۝ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاؤُهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَلَنْ نَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ۝ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ أَخَذَهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلْ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجْدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلًا ۝ وَلِلَّهِ الْأَفْرُؤُ أَهْلَكْتُمْ لَمَّا ظَلَمْتُمْ وَجَعَلْنَا لِيَمْلِكْهُمْ مَوْعِدًا ۝ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ لَا آتِبُكُمْ حَتَّى أَتِلْعَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ۝ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نِسَاءُ آلِ مُوسَى عَلَى الْبَحْرِ يَسْرِى ۝

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
يُدْخِلْهُ	يُدْخِلْهُ
أَكِنَّةً	أَغْطِيَةً
وَقْرًا	صَمَمًا وَثِقَلًا فِي السَّمْعِ
مَوْيلًا	مَلْجَأً، وَمَخْلَصًا
حُقُبًا	زَمَنًا طَوِيلًا

## ● العمل بالآيات

١. اقرأ قصة من القصص الواردة في سورة الكهف، وتدبر ما فيها من العبر والعظات، ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾.

٢. حدد واحدا من أسباب غفلتك، وابدأ خطوات جادة في تركه، واسأل الله أن يعوضك خيرا منه، ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاؤُهُ ﴾.

٣. زر عالما، واستمع منه العلم، أو اقرأ عليه كتابا، أو تعلم من أديبه وسمته، فذاك من الباقيات الصالحات، ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَدْعُكُمُ إِلَى إِلَهِكُمْ وَإِلَى وَلَدِ اللَّهِ أَحَدٍ مَنِ اعْتَدَى عَلَيْهِ فُلْجَمَةٌ وَأَنْتُمْ لَا تُعْلَمُونَ ﴾.

## ● التوجيهات

١. الجدال والمخاصمة غريزة في الإنسان؛ فليحرص على تهذيبها وتوجيهها في الخير، ﴿ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾.

٢. استخدم الترغيب والترهيب في دعوتك إلى الله تعالى، ﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ ﴾.

٣. قد يضرب الله سبحانه الأكنة والغشاوة على قلب العاصي، فلا يستطيع تدبر القرآن وفهم أمثاله وقصصه حتى يتوب، ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاؤُهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

① ﴿عَيْنَا غَدَاةً﴾

استحباب إطعام الإنسان خادمه من مأكله، واكلهما جميعاً؛ لأن ظاهر قوله: (أتنا غداً) إضافة إلى الجميع، أنه أكل هو وهو جميعاً.

السعدي: ٤٨٣.

السؤال: في الآية تنبيه على بعض الآداب في التعامل مع الخدام، بين ذلك.

① ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِقَتَهُ ءَيْنَا غَدَاةً نَا لَقَدَّ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾

وفي هذا دليل على جواز الإخبار بما يجده الإنسان من الألم والأمراض، وأن ذلك لا يقدر في الرضا، ولا في التسليم للقضاء، لكن إذا لم يصدر ذلك من ضجر ولا سخط، القرطبي: ٣٢٢/١٣.

السؤال: هل يعد الإخبار بالحال اعتراضاً على القدر؟

① ﴿وَمَا أَنْسَيْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾

إضافة الشر واسبابه إلى الشيطان على وجه التوسيل والتزيين، وإن كان الكل بقضاء الله وقدره. السعدي: ٤٨٣.

السؤال: لماذا نسب النسيان إلى الشيطان، مع أن ذلك بتقدير الله سبحانه وتعالى؟

① ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَيْكَ عَنْ أَنْ تَعْلَمَ مِمَّا عَلِمْتَ رُشْدًا﴾

سؤال تلميح، لا على وجه الإلزام والإجبار، وهكذا ينبغي أن يكون سؤال المتعلم من العالم. ابن كثير: ٩٤/٣.

السؤال: في الآية أدب يجب على المتعلم أن يتحلى به مع العالم، فما هو؟

① ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَيْكَ عَنْ أَنْ تَعْلَمَ مِمَّا عَلِمْتَ رُشْدًا﴾

العلم النافع هو العلم المرشد إلى الخير؛ فكل علم يكون فيه رشد وهداية لطرق الخير، وتحذير عن طريق الشر، أو وسيلة لذلك، فإنه

من العلم النافع، وما سوى ذلك فإما أن يكون ضاراً، أو ليس فيه فائدة؛ لقوله: (تعلمن مما علمت رشداً). السعدي: ٤٨٤.

السؤال: لم طلب موسى من الخضر أن يُعَلِّمَهُ رشداً، ولم يطلب منه أن يعلمه أي علم؟

① ﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾

وفي هذا أصل من أصول التعليم: أن ينبه المعلم المتعلم بعوارض موضوعات العلوم الملقنة؛ لا سيما إذا كانت في معالجتها مشقة.

ابن عاشور: ٣٧٢/١٥.

السؤال: في الآية الكريمة أصل من أصول التعليم، فما هو؟

① ﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾

أي: إنك لا تقدر على مصاحبتي، لما ترى مني من الأفعال التي تخالف شريعتك. ابن كثير: ٩٤/٣.

السؤال: لم لم يصبر موسى على أعمال الخضر؟

فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِقَتَهُ ءَيْنَا غَدَاةً نَا لَقَدَّ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ۝ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْكُوتَ وَمَا أَنْسَيْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ مَجْجًا ۝ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ۝ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا اتَّبِعَهُ رَحْمَةً مِنَّا عَيْنًا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ۝ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَيْكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَ مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا ۝ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۝ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خَبْرًا ۝ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ۝ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَتَّبِعْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ۝ فَانْظُرْ لَهَا وَخَفَىٰ ۖ وَإِذَا رَاكِيًا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ۝ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۝ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عَسَىٰ ۖ فَاظْلُقَا هَٰذَا لَقِينَا عِلْمًا فَفَتَنَاهُ ۖ قَالَ أَفَتُلْقِ نَفْسًا رَكِيَةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ۝

٣٠١

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
أَوَيْنَا	تَجَانَا.
نَبِغْ	نَطْلُبُ.
فَارْتَدَّا	فَرَجَعَا.
خَرَقَهَا	قَلَعَ لُوحًا مِنْ أَلْوَاجِهَا.
إِمْرًا	أَمْرًا مُنْكَرًا.
نُكْرًا	مُنْكَرًا عَظِيمًا.

## ● الفصل بالآيات

١. سل الله تعالى أن يبرزك الرحمة بالخلق والعلم بالخالق؛ فإن أعلم الناس بربه هو أرحمهم بخلقه، ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا عَيْنًا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾.

٢. ولاية الله تبارك وتعالى؛ مصاحبة أوليائه، ومصاحبة أوليائه تحتاج إلى حسن الخلق، ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَيْكَ عَنْ أَنْ تَعْلَمَ مِمَّا عَلِمْتَ رُشْدًا﴾.

٣. اقرأ كتابا يتعلق بادب طالب العلم، وتأمل فيه، وامتثل ما فيه، ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَيْكَ عَنْ أَنْ تَعْلَمَ مِمَّا عَلِمْتَ رُشْدًا﴾.

## ● التوجيهات

١. السماع والقراءة والتأمل أسباب فقط، ومؤتي العلم هو الله سبحانه، ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾.

٢. قد يصدر عن الشيخ عتاب ليرى مقدار تحمل الطالب وعلو همته، ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾.

٣. تأمل هذه القصة المشتملة على الرحلة في طلب العلم؛ ففيها من العبر الكثير، ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِقَتَهُ ءَيْنَا غَدَاةً نَا لَقَدَّ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾.

فخرقتها لتغرق أهلها! لقد جئت شيئا إمرا». **﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَّنَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾** قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عَسْرًا، وقال **﴿كَانَتْ الْأُولَى مِنْ مُوسَى نَسِيَانًا﴾** [فذكر الحديث] قال رسول الله **﴿وَدَعَانَا أَنْ مُوسَى كَانَ صَبْرًا حَتَّى يَقْضَى اللَّهُ عَلَيْنَا مِنْ خَيْرِ مَا﴾** [متفق عليه].

الآية (٦٦-٧٠): يخبر تعالى عن قبل موسى **﴿عَلَيْكَ السَّلَامُ لِلذَّكَاءِ الْعَالَمِ﴾** وهو الحضر، الذي خصَّه الله بعلم لم يُطْلِعْ عليه موسى، كما أنه أعطى موسى من العلم ما لم يُعطه الحضر. **﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَيْتُكَ﴾** سؤال تَلَطُّفٍ، لا على وجه الإلزام والإجبار. وهكذا ينبغي أن يكون سؤال المُتَعَلِّمِ مِنَ الْعَالَمِ. وقوله: **﴿أَتَيْتُكَ﴾** أي: أصبحت وأُزِفْتُكَ **﴿عَلَى أَنْ تَعْلِمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُسُلًا﴾** أي: مما علَّمَكَ الله شيئا، أسْتَشِيدُ بِهِ فِي أَمْرِي، من علم نافع وعمل صالح. فعندها **﴿قَالَ﴾** الحضر لموسى: **﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾** أي: أنك لا تقدر على مصاحبتني لِمَا تَرَى مِنِّي مِنَ الْأَعْمَالِ الَّتِي تُخَالِفُ شَرِيعَتَكَ؛ لِأَنِّي عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ مَا عَلَّمَكَ اللَّهُ، وَأَنْتَ عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ مَا عَلَّمْتَنِي اللَّهُ، فَكُلُّ مِمَّا مُكَلِّفٌ بِأُمُورِ اللَّهِ دُونَ صَاحِبِهِ، وَأَنْتَ لَا تَقْدِرُ عَلَى صِحْبَتِي، **﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خَيْرًا﴾**، فإنا أعرف أنك ستُكْثِرُ عَلَيَّ مَا أَنْتَ مَعْدُورُ فِيهِ، وَلَكِنْ مَا أَطَّلَعْتُ عَلَى حِكْمَتِهِ وَمَصْلَحَتِهِ الْبَاطِنَةِ الَّتِي أَطَّلَعْتُ أَنَا عَلَيْهَا دُونَكَ. **﴿قَالَ﴾** موسى **﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا﴾** على ما أرى من أُمُورِكَ، **﴿وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾** أي: ولا أخالفك في شيء. فعند ذلك شارطه الحضر: **﴿وَإِنْ أَتَيْتَنِي فَلَا تَسْتَأْذِنِي عَنْ شَيْءٍ﴾** أي: ابتداء **﴿حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾** أي: حتى أبدأك أنا به قبل أن تسألني.

الآية (٧١-٧٣): يقول تعالى مُخْبِرًا عَنْ مُوسَى وَصَاحِبِهِ، وَهُوَ الْحَضَرُ، أَنَّهُمَا انْطَلَقَا، فَرَكِبَا فِي السَّفِينَةِ. وفي الحديث أنهم عرفوا الحضر، فحملوهما بغير نَوَلٍ -يعني بغير أجره- تَكْرِمَةً لِلْحَضَرِ. فلما استقلت بهم السفينة في البحر، وَلَجَجَتْ أَي: دخلت اللجة، قام الحضر فخرَّقَهَا، واستخرج لوحًا من ألواحها ثم رَقَعَهَا. فلم يملك موسى **﴿عَلَيْكَ السَّلَامُ﴾** نفسه أن قال منكرًا عليه: **﴿أَخْرَقَهَا لِنُفْرَقِ أَهْلَهَا﴾**. وهذه اللام العاقبة لا لام التعليل، **﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾** مُتَكْرِرًا. فعندها قال له الحضر مُدْكَرًا بِمَا تَقَدَّمَ مِنَ الشَّرْطِ: **﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾** يعني: وهذا الصنيع فعلته قصدًا، وهو من الأمور الَّتِي اشْتَرَطْتُ مَعَكَ الْأَنْتِكَرَ عَلَيَّ فِيهَا، لِأَنَّكَ لَمْ تُحِطْ بِهَا خَيْرًا، وَلَكِنَّهَا دَاخِلٌ هُوَ مُصْلَحَةٌ، وَلَمْ تَعْلَمْهُ أَنْتَ. **﴿قَالَ﴾** موسى: **﴿لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عَسْرًا﴾** أي: لا تُضَيِّقْ عَلَيَّ وَتُسَدِّدْ عَلَيَّ.

الآية (٧٤): يقول تعالى: **﴿فَأَطْلَعْنَا﴾** أي: بعد ذلك **﴿حَتَّى إِذَا لَوِيَّا عُلْمًا فَقُلْنَا﴾**، فلما شاهد موسى **﴿عَلَيْكَ السَّلَامُ﴾** هذا أَتَكَرَّهُ أَشَدَّ مِنَ الْأَوَّلِ، وبأدب فقال: **﴿أَفَلَنْتَ نَفْسًا رَكِيَةً﴾** أي صغيرة لم تعمل الحنث، ولا حَمَلَتْ إِيَّاهُ بَعْدَ، فَقَتَلَتْهُ؟ **﴿بَغِيرَ نَقِيرٍ﴾** أي: بغير مُسْتَدٍّ لِقَتْلِهِ، **﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾** أي: ظاهر النكارة.

الآية (٦٢-٦٥): **﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾** أي: المكان الذي نَسِيََا الْحَوْتَ فِيهِ، وَنَسِبَ النِّسْبَانِ إِلَيْهَا، وَإِنْ كَانَ يُوشَعُ هُوَ الَّذِي نَسِيَهُ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: **﴿يَخْرُجُ مِنْهَا الْوُثُودُ وَالْوَرَسَاتُ﴾** [الرحم: ٢٢]، وَإِنَّمَا يَخْرُجُ مِنَ الْمَالِحِ فِي أَحَدِ الْقَوْلَيْنِ. فَلَمَّا دَهَبَا عَنِ الْمَكَانِ الَّذِي نَسِيَاهُ فِيهِ مَرْحَلَةً **﴿قَالَ﴾** موسى **﴿لِفَتْنَةٍ إِنَّا عَدَدْنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا﴾** أي: الذي جاوزا فيه المكان. **﴿نَصَبًا﴾** يعني: تعبًا. **﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَبِيتُ الْخَوْتُ وَمَا أُنْسِينِي إِلَّا الشُّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ. وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ﴾** أي: طريقه **﴿فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾** **﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ﴾** أي: هذا الذي نَطْلُبُ. **﴿فَارْتَدَّا﴾** أي: رَجَعَا **﴿عَلَى أَثَارِهِمَا﴾** أي: طريقهما **﴿قَصَصًا﴾** أي: يَقْضِيَانِ أَمْرَ مَشِيئتهما، وَيَقْفُوَانِ أَمْرَهُمَا. **﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِبْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾** وهذا هو الحضر **﴿عَلَيْكَ السَّلَامُ﴾** كما دلَّتْ عليه الأحاديث الصحيحة عن رسول الله **﴿صَلَّى﴾** [عن] أَبِي بِنِ كَعْبٍ **﴿صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ﴾** أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ **﴿صَلَّى﴾** يَقُولُ: «إِنْ مُوسَى قَامَ خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ فُسِّطِلَ: أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ قَالَ: أَنَا. فَتَعَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَزِدْ الْعِلْمَ إِلَيْهِ، فَأَوْحَى إِلَيْهِ: إِنَّ لِي عَبْدًا يَجْمَعُ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ. فَقَالَ مُوسَى: يَا رَبِّ، وَكَيْفَ لِي بِهِ؟ قَالَ: تَأْخُذْ مَعَكَ حُوتًا، تَجْعَلُهُ بِبَيْتِكَ، نَحِيشًا فَقَدْتَ الْحَوْتَ فَهُوَ تَمُّ. فَأَخَذَ حُوتًا، فَجَعَلَهُ بِبَيْتِكَ، ثُمَّ انْطَلَقَ وَانْطَلَقَ مَعَهُ فَتَاهُ يُوشَعُ بْنُ نُونٍ **﴿عَلَيْكَ السَّلَامُ﴾**، حَتَّى إِذَا أَتَى الصَّخْرَةَ وَصَعَا رُؤُوسَهَا فَنَامَا، وَاضْطَرَبَ الْحَوْتَ فِي الْبَيْتِ، فَخَرَجَ مِنْهُ، فَسَقَطَ فِي الْبَحْرِ، وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا، وَأَمْسَكَ اللَّهُ عَنِ الْحَوْتَ جَرِيَةَ الْمَاءِ، فَصَارَ عَلَيْهِ مِثْلُ الطَّاقِ. فَلَمَّا اسْتَقِظَ نَسِيَ صَاحِبَهُ أَنْ يُخْبِرَهُ بِالْحَوْتَ، فَانْطَلَقَا بَقِيَّةَ يَوْمِهِمَا وَلَيْلَتِهِمَا، حَتَّى إِذَا كَانَ مِنَ الْغَدِ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ: **﴿إِنَّا عَدَدْنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾**، وَلَمْ يَجِدْ مُوسَى النَّصَبَ حَتَّى جَاوَزَا الْمَكَانَ الَّذِي أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ. قَالَ لَهُ فَتَاهُ: **﴿أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَبِيتُ الْخَوْتُ وَمَا أُنْسِينِي إِلَّا الشُّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ. وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾** قَالَ: «فَكَانَ لِلْحَوْتَ سَرَبًا، وَلِمُوسَى وَفَتَاهُ عَجَبًا»، **﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ﴾** **﴿فَارْتَدَّا عَلَى أَثَارِهِمَا قَصَصًا﴾** ١. قَالَ: «فَرَجَعَا يَقْضِيَانِ أَمْرَهُمَا حَتَّى أَتَاهُمَا إِلَى الصَّخْرَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ مُسْجَى بِثُوبٍ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ مُوسَى، فَقَالَ الْحَضَرُ: وَأَنْتَ بَارِضُكَ السَّلَامُ؟ فَقَالَ: أَنَا مُوسَى. فَقَالَ: مُوسَى بْنُ إِسْرَائِيلَ؟ قَالَ: نَعَمْ، أَتَيْتُكَ لَتَعْلَمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُسُلًا. **﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾**، يَا مُوسَى إِنِّي عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمْتَنِي، لَا تَعْلَمُهُ أَنْتَ، وَأَنْتَ عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَكَ اللَّهُ لَا أَعْلَمُهُ. فَقَالَ مُوسَى: **﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾** قَالَ لَهُ الْحَضَرُ: **﴿وَإِنْ أَتَيْتَنِي فَلَا تَسْتَأْذِنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾**. فَانْطَلَقَا بِمِشْيَانٍ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ، فَمَرَّتْ سَفِينَةٌ فَكَلَّمَهُمْ أَنْ يَحْمِلُوهُمَا، فَعَرَفُوا الْحَضَرَ، فَحَمَلُوهُمَا بِغَيْرِ نَوَلٍ، فَلَمَّا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ لَمْ يَفْجَأْ إِلَّا وَالْحَضَرُ قَدْ قَلَعَ لَوْحًا مِنَ الْأَوَاحِ السَّفِينَةِ بِالْقُدُومِ، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: قَدْ حَمَلُونَا بِغَيْرِ نَوَلٍ فَعَمِدْتُ إِلَى سَفِينَتِهِمْ



وقوله: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ فيه دليل على أن الرجل الصالح يُحفظ في ذريته، وتُتمل بركة عبادته لهم<sup>(١)</sup> في الدنيا والآخرة بشفاعته فيهم ورفع درجاتهم إلى أعلى درجة في الجنة لِتَقَرُّ عَيْنُهُ بِهِمْ. قال ابن عباس: حُفَظَ بِصَلَاحِ آبِيهِمَا، ولم يذكر لهما صلاحًا، فإله أعلم.

وقوله: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا﴾ ههنا أَسَدَتِ الإرادة إلى الله تعالى؛ لأن بلوغهما الحُلُمَ لا يَقْدِرُ عليه إلا الله؛ وقال في الغلام: ﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رُحْمًا حَتَّىٰ يَمُتَ﴾، وقال في السفينة: ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَمِيبَهَا﴾، فإله أعلم.

وقوله: ﴿رَحِمَةً لِّرَبِّكَ﴾ أي: هذا الذي فعلته في هذه الأحوال الثلاثة، إنها هو من رحمة الله بمن ذكّرنا من أصحاب السفينة، ووالدي الغلام، وولدي الرجل الصالح، ﴿وَمَا فَعَلْنَاهُ عَنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ لكنني أُمِرْتُ به ووقفت عليه، وفيه دلالة لمن قال بنبوّة الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ مع ما تقدّم من قوله: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِبْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥]. وعن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «إنما سُمِّيَ الخضر؛ لأنه جَلَسَ على قُرُوّة، فإذا هي تبتز من خلفه خضراء» [رواه البخاري]. والمراد بالقروة ههنا الحشيش اليابس، وهو الحشيش من النبات، قاله عبد الرزاق. وقيل: المراد بذلك وجه الأرض. وقوله: ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ أي: هذا تفسير ما ضُفّت به ذرعا، ولم تصر حتى أُخْبِرَكَ به ابتداء، ولكن أن كُتِرَ له وبَيَّنَّه وَوَضَّحَهُ وأزال المُشْكِلَ قال: ﴿تَسْطِعُ﴾، وقيل ذلك كان الإشكال قويًا ثَقِيلًا فقال: ﴿تَسْطِعُ﴾ فقابل الأثقل بالأثقل، والأخف بالأخف، فقابل كَلَامًا يناسبه لفظًا ومعنى، والله أعلم. فإن قيل: فما بال فتى موسى ذُكِرَ في أوّل القصة ثُمَّ لم يُذَكَّر بعد ذلك؟! فالجواب: أن المقصود بالسياق إنها هو قصة موسى مع الخضر، وذُكِرَ ما كان بينهما، وفتى موسى معه تَبَعَ.

الآية (٨٣): يقول تعالى لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿رَبِّكَ ذُو الْقُرَيْنَيْنِ﴾ أي: عن خِبره. وقد بَيَّنَّ كُفْرًا مكة إلى أهل الكتاب يسألون منهم ما يَمْتَحِنُونَ عن النبي ﷺ، فقالوا: سألوه عن رجل طَوَّافٍ في الأرض، وعن فِتْنَةٍ لا يُدْرَى ما صَنَعُوا، وعن الروح، فَتَرَكْتُ سورة الكهف.

قال وهب بن منبه: كان ملكًا، وإنما سمي ذا القرنين لأن صفحتي رأسه كانتا من نُحاس، قال: وقال بعض أهل الكتاب: لأنه ملك الروم وفارس. وقال بعضهم: كان في رأسه شبه القرنين، وقد سُتِلَ على ﷺ عَنْ ذِي الْقُرْنَيْنِ، فقال: كان عبدًا ناصحًا الله فَنَاصَحَهُ، دعا قومه إلى الله فَصَرَّبُوهُ على قُرْنِهِ فَمَاتَ، فَسُمِّيَ ذا القرنين. ويُقال: إنه إِنَّمَا سُمِّيَ ذا القرنين؛ لأنه بَلَغَ المَشارِقَ والمَغَارِبَ، من حيث يَطْلُعُ قُرْنُ الشَّمْسِ وَيَغْرُبُ.

(١) مُتَعَلَّقٌ حرف الجر في (لهم) هو كلمة (بركة) لا (عبادته) والمعنى أن بركة عبادته تشملهم في الدنيا والآخرة.

الآية (٧٥-٧٦): ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ لَكَ إِلَهٌ لَّنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ فَأَكَّدَ أيضًا في التَّذْكَارِ بالشرط الأول؛ فلهذا قال له موسى: ﴿إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَ هَذَا﴾ أي: إن اعترضت عليك بشيء بعد هذه المرة ﴿فَلَا تُصِجْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عَذْرًا﴾ أي: قد أعذرت إلي مرة بعد مرة.

الآية (٧٧-٧٨): انطلقا بعد السَّيْرَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ ﴿حَتَّىٰ إِذَا آتَا أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ عن ابن سيرين أنها الأيلة. ﴿فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوهَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ﴾ إسناد الإرادة ههنا إلى الجدار على سبيل الاستعارة؛ فإن الإرادة في المُخَدَّثَاتِ بمعنى السَّيْلِ. والانعقاد هو: السقوط. وقوله: ﴿فَأَقَامَهُ﴾ أي: قَرَّهه إلى حالة الاستقامة، وهذا خارق، فعند ذلك قال موسى له: ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَنَزَّلْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ أي: لأجل أنهم لم يُضَيِّقُوا كان ينبغي ألا تعمل لهم مجَانًا. ﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ أي: لأنك سَرَطْتَ عند قتل الغلام أنك إن سألتني عن شيء بعدها فلا تصاحبني، فهو فراق بيني وبينك، ﴿سَأُنَبِّتُكَ بِنَأْوِيلِ﴾ أي: بتفسير ﴿مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾.

الآية (٧٩): هذا تفسير ما أَشْكَلَ أَمْرُهُ على موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وما كان أَتَكَرَّ ظاهره، وقد أظهر الله الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ على باطنه، فقال: إن السفينة إنما خَرَقَتْهَا لِأَعْيِبَها؛ لأنهم كانوا يَحْمِلُونَ بها على مَلِكٍ من الظَّلَمَةِ ﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ صَالِحٍ﴾ أي: جيدة ﴿غَصَبًا﴾ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعْيِبَهَا، لِأَرَدَهُ عنها لِأَعْيِبَهَا، فَيَتَقَعَّ بها أصحابها المساكين الذين لم يكن لهم شيء ينتفعون به غيرها.

الآية (٨٠-٨١): عن أبي بن كعب، عن النبي ﷺ قال: «الغلام الذي قَتَلَهُ الخضر طُبعَ يومَ طُبعَ كَافِرًا» [رواه مسلم]؛ ولهذا قال: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا مُؤْمِنِينَ فَأَخْبَسْنَا أَنْ يُرِيقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ أي: يحملها حُبُّه على متابعتها على الكفر. قال قتادة: قد فَرِحَ به أبواه حين وُلِدَ، وحزننا عليه حين قُتِلَ، ولو بَقِيَ كان فيه هلاكهما، فَلْيَرَضْ امرؤ بقضاء الله؛ فإن قضاء الله للمؤمن فيها يَكْرِهُ خير له من قضائه فيها يُحِبُّ. وَصَحَّ في الحديث: «لا يقضي الله للمؤمن قضاء إلا كان خيرًا له» [رواه مسلم]. وقال تعالى: ﴿وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦].

وقوله: ﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رُحْمًا حَتَّىٰ يَمُتَ رُكُودًا وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ أي: ولدًا أَرْكَمًا من هذا، وهما أَرْحَمُ به منه.

الآية (٨٢): في هذه الآية دليل على إطلاق القرية على المدينة؛ لأنه قال أولًا: ﴿حَتَّىٰ إِذَا آتَا أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ [الكهف: ٧٧] وقال ههنا: ﴿وَكَانَ لِمَدْيَنَ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ﴾. كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ مِنْ قَرْيَةٍ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ [عن: ١٣]. ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١] يعني: مكة والطائف. ومعنى الآية: أن هذا الجدار إنما أصلحته لأنه كان لَغْلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ في المدينة، ﴿وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزُهُمَا﴾. قال عكرمة وقاتدة وغير واحد: كان تحته مال مدفون لهما. وهذا ظاهر السياق من الآية، وهو اختيار ابن جرير رحمه الله.

﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ لَكَ إِنَّا لَنَنَسْتَبِيحَ مَعِيَ صَبْرًا ۝ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَيِّبْنِي ۖ فَنَدَّ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُنْدًا ۝ فَأُظْلَمَ فَاخْتِئَافًا إِنَّمَا أَهْلُ قَرْيَةٍ اسْتَعْظَمُوا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّعُوا هُومًا فَوَجَدَ فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ ۝ قَالَ لَوْ شِئْتُ لَتَخَذْتُ عَلَيْهِ أَجْرًا ۝ قَالَ هَذَا أِفْرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ۖ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ۝ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَ هَرَمٍ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ۝ وَأَمَّا الْفُلُوكُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۝ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِمَّا كَانَتْ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ۝ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ۖ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ۚ ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ۝ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْيَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ۝

٣٠٢

## معاني الكلمات

المعنى	الكلمة
طَلَبًا طَعَامًا عَلَى سَبِيلِ الضَّيَافَةِ.	اسْتَعْظَمُوا أَهْلَهَا
يُوشِكُ أَنْ يَسْفُطَ.	يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ
بِمَالٍ، وَعَاقِبَةٍ.	بِتَأْوِيلٍ
يُكَلِّفُهُمَا، وَيُحْمِلُهُمَا.	يُرْهِقُهُمَا
صُلَاحًا، وَطَهَارَةً.	زَكَاةً
بِرًّا بِهِمَا، وَرَحْمَةً عَلَيْهِمَا.	وَأَقْرَبَ رُحْمًا
مَلِكٍ صَالِحٍ عَادِلٍ مَلِكٌ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ.	ذِي الْقَرْيَيْنِ

## العصل بالآيات

١. اعمل اليوم عملاً صالحاً، يصل نفعه إلى الآخرين، ﴿ فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ ۝ ﴾.
٢. اجتهد هذا اليوم في دفع ظلم عن مظلوم أو ضعيف، ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَ هَرَمٍ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ۝ ﴾.
٣. اسأل الله تعالى صلاح ذريتك، ﴿ وَأَمَّا الْفُلُوكُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۝ ﴾.

## التوجيهات

١. الصبر شرط لطلب العلم، ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ لَكَ إِنَّا لَنَنَسْتَبِيحَ مَعِيَ صَبْرًا ۝ ﴾.
٢. حسن تدبير الله تعالى لأوليائه بما ظاهره الم، ولكن في باطنه رحمة، ﴿ وَأَمَّا الْفُلُوكُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۝ ﴾.
٣. إصلاح الأب نفسه سبب في صلاح ذريته ورزقهم، ﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ۖ ﴾.



## الوقفات التذيرية

١. ﴿ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَيِّبْنِي ۖ فَنَدَّ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُنْدًا ۝ ﴾ وهنا لم يعتذر موسى بالنسيان، إما لأنه لم يكن نسي، ولكنه رجح تغيير المنكر العظيم - وهو قتل النفس بدون موجب - على واجب الوفاء بالالتزام، وإما لأنه نسي وأعرض عن الاعتذار بالنسيان لسماعة تكرر الاعتذار به. ابن عاشور: ٦/١٦.

السؤال: لماذا لم يعتذر موسى - عليه السلام - بالنسيان مرة أخرى؟

١. ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَ هَرَمٍ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ۝ ﴾

القاعدة الكبيرة أيضاً وهي: (أن عمل الإنسان في مال غيره إذا كان على وجه المصلحة وإزالة المفسدة، أنه يجوز، ولو بلا إذن، حتى ولو ترتب على عمله إتلاف بعض مال الغير)؛ كما خرق الخضر السفينة لتعيب، فتسلم من غضب الملك الظالم. فعلى هذا: لو وقع حرق، أو غرق، أو نحوهما في دار إنسان أو ماله، وكان إتلاف بعض المال أو هدم بعض الدار فيه سلامة للباقي جاز للإنسان، بل شرع له ذلك، السعدي: ٤٨٥.

السؤال: استنبط العلماء من هذه الآية قاعدة مهمة، فما هي؟

١. ﴿ وَأَمَّا الْفُلُوكُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۝ ﴾ قال قتادة: قد فرح به أبواه حين وُلِدَ، وحزننا عليه حين قُتِلَ، ولو بقي لكان فيه هلاكهما؛ فليرض امرؤ بقضاء الله؛ فإن قضاء الله للمؤمن فيما يكره خير له من قضائه فيما يحب. ابن كثير: ٩٦/٣.

السؤال: المسلم تصيبه الأحزان والصاب، فكيف عليه أن يتعامل معها؟

١. ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا ۖ ﴾ فيه دليل على أن الرجل الصالح يحفظ في ذريته، أو تسلمهم بركة عبادته في الدنيا والآخرة بشفاعته فيهم، ورفع درجتهم إلى أعلى درجة في الجنة لتقر عينه بهم. ابن كثير: ٩٧/٣.

السؤال: عملك الصالح قد يُبَيِّدُ ذريتك، وضح ذلك من خلال الآية؟

١. ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا ۖ ﴾ ففيها ما يدل على أن الله تعالى يحفظ الصالح في نفسه وفي ولده، وإن بعدوا عنه، وقد روي أن الله تعالى يحفظ الصالح في سبعة من ذريته.

القرطبي: ٣٥٦/١٣

السؤال: ما الثمرة العاجلة لصلاح المرء واستقامته؟

١. ﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ۖ ﴾ (فأراد ربك)، أسند الإرادة هنا إلى الله لأنها في أمر مغيب مستأنف، لا يعلم ما يكون منه إلا الله، وأسند الخضر إلى نفسه في قوله: (فأرادت أن أعيبها) لأنها لفظت عيب، فتأدب بأن لا يسندنا إلى الله؛ وذلك كقول إبراهيم عليه السلام: (وإذا مرضت فهو يشفين) (الشعراء: ٨٠). ابن جزى: ٥٨/١.

السؤال: لم أسند الخضر الإرادة إليه في خرق السفينة، بينما أسندنا إلى الله في إقامة الجدار؟

١. ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ۚ ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ۝ ﴾ (وما فعلته عن أمري) أي: باختياري وراي، بل فعلته بأمر الله البغوي: ٥٥/٣. السؤال: هل يفعل العالم والقادة ما يريد، أم يتبع ويمتثل أمر الله تعالى؟



## ● الوقفات التحذيرية

﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴾

هذه القصة القرآنية تعطي صفات لا محيد عنها: أحداها: أنه كان ملكاً صالحاً عادلاً؛ الثانية: أنه كان ملهماً من الله، الثالثة: أن ملكه شمل أقطاراً شاسعة، الرابعة: أنه بلغ في فتوحه من جهة المغرب مكاناً كان مجهولاً؛ وهو عين حمئة. ابن عاشور: ٢٠/١٦.

السؤال: قد يجمع الله للعبد نعم الدنيا والآخرة، وضع ذلك من خلال الآية:

﴿ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴾

وهذه الأسباب التي اعطاها الله إياها لم يخبرنا الله ولا رسوله بها، ولم تتناقلها الأخبار على وجه يفيد العلم، فلماذا لا يسعنا غير السكوت عنها. السعدي: ٤٨٥.

السؤال: ما موقفنا مما سكت الله ورسوله ﷺ عنه؟

﴿ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴾ (٨١) فَأَتْبَعَ سَبَبًا

أي: استعملها على وجهها؛ فليس كل من عنده شيء من الأسباب يسلكه، ولا كل أحد يكون قادراً على السبب، فإذا اجتمع القدرة على السبب الحقيقي والعمل به حصل المقصود، وإن عدما أو أحدهما لم يحصل. السعدي: ٤٨٥.

السؤال: متى يستطيع الإنسان الاستفادة من الأسباب؟

﴿ فَلَمَّا بَلَغَ الْفَرْقَيْنِ إِمَّا أَنْ نَكْذِبَ وَإِمَّا أَنْ نَمُوتَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴾

معنى هذا: أن الله تعالى مكّنه منهم، وحكّمه فيهم، وأظفره بهم، وخيّره: إن شاء قتل وسبى، وإن شاء من أو فدى، فعرف عدله وإيمانه فيما أبداه. ابن كثير: ١٩٣/٥.

السؤال: المؤمنون هم أرحم الخلق بالخلق، وضع ذلك من خلال الآية:

﴿ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴾

أي: فله الجنة والحالة الحسنة عند الله جزاء يوم القيامة. (وسنقول له من أمرنا يسراً) أي: وسنحسن إليه، ونلطف له بالقول، ونيسر له المعاملة. وهذا يدل على كونه من الملوك الصالحين، الأولياء العادلين العالمين؛ حيث وافق مرضاة الله في معاملة كل أحد بما يليق بحاله. السعدي: ٤٨٥.

السؤال: ما علامة التوفيق للأمير الصالح؟

﴿ قَالُوا بَلِّغْ الْفَرْقَيْنِ إِنْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ مُفْعِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ يَجْعَلُ لَكَ خَرْبًا

عَلَّ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ۖ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ

بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ۚ

في هذه الآية دليل على أن الملك فرض عليه أن يقوم بحماية الخلق في حفظ بيضتهم، وسد فرجتهم، وإصلاح نفوسهم من أموالهم التي تضيء عليهم، وحقوقهم التي تجمعها خزانة الله تحت يده ونظره، حتى لو أكلتها الحشرات وأنفذتها المون لكان عليهم جبر ذلك من أموالهم، وعليه حسن النظر لهم؛ وذلك بثلاثة شروط: الأول: ألا يستأثر عليهم بشيء، الثاني: أن يبدا بأهل الحاجة؛ فيعينهم، الثالث: أن يسوي في العطاء بينهم على قدر منازلهم. القرطبي: ٣٨٤-٣٨٥.

السؤال: بين الواجب على من ولّاه الله تعالى ولاية أو إمارة تجاه من تحته.

﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ۚ

المعنى: قال لهم ذو القرنين: ما بسطة الله تعالى لي من القدرة والملك خير من خرجكم وأموالكم. القرطبي: ٣٨٤/١٣.

السؤال: هل افتتن ذو القرنين بملكه، فافتخر بقوته ونسي المنعم جل وعلا؟

إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ۖ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَقْرِبَ السَّامِيسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ۖ وَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلُتَا بِذَٰلِكَ الْفَرْقَيْنِ إِمَّا أَنْ نَكْذِبَ وَإِمَّا أَنْ نَمُوتَ فِيهِمْ حُسْنًا ۖ قَالَ أَأَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ ۖ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا ۖ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ۖ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ السَّامِيسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سَبِيلًا ۖ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ۖ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ۖ قَالُوا بَلِّغْ الْفَرْقَيْنِ إِنْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ مُفْعِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ يَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ۖ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ۖ ءَأَتُونِي ذُرِّيًّا حَرِيدًا حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ أَنفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَأَتُونِي أُفْعَ عَلَيْهِ قَطْرًا ۖ فَمَا اسْتَطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا ۖ

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
سَبَبًا	أَسْبَابًا وَطُرُقًا تُوَصِّلُهُ إِلَىٰ مَا يُرِيدُ مِنْ فَتْحِ الْمُدْرِ، وَفَهْر الْأَعْدَاءِ
فَأَتْبَعَ سَبَبًا	أَخَذَ جَادًا بِالْأَسْبَابِ وَالطَّرِيقِ الْمُوَصِّلَةِ إِلَىٰ مَا يُرِيدُ.
حَمِئَةٍ	حَارَّةٌ ذَاتُ طِينٍ أَسْوَدَ.
نُكْرًا	عَظِيمًا.
خَرْجًا	أَجْرًا.
رَدْمًا	سَدًّا.

## ● العمل بالآيات

- استخرج ثلاث فوائد وعبر من خلال قراءتك لقصة ذي القرنين: ﴿ قَالُوا بَلِّغْ الْفَرْقَيْنِ إِنْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ مُفْعِدُونَ فِي الْأَرْضِ ۖ ﴾.
- استعد بالله من فتنة ياجوج وماجوج، ﴿ قَالُوا بَلِّغْ الْفَرْقَيْنِ إِنْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ مُفْعِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ يَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ۖ ﴾.
- ساعد اليوم أحد الضعفاء والمحتاجين، ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ۖ ﴾.

## ● التوجيهات

- إذا رايت شراً، أو اضلماً، أو فساداً، فأدِّ واجب النصيحة، ﴿ قَالُوا بَلِّغْ الْفَرْقَيْنِ إِنْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ مُفْعِدُونَ فِي الْأَرْضِ ۖ ﴾.
- اعترف دائماً بفضل الله تعالى عليك مهما بلغ عرك ومالك وجاهك، ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ ۖ ﴾.
- الأمر الكبار تواجه بالتعاون بين الناس: هذا براهيه، وهذا بماله، وهذا بجهدك، ﴿ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ۖ ﴾ (٨١) ءَأَتُونِي ذُرِّيًّا حَرِيدًا حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ أَنفُخُوا ۖ

حُرَّ الشَّمْسِ. وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾ قال مجاهد والسدي: علما، أي: نحن مطلعون على جميع أحواله وأحوال جيشه، لا يخفى علينا منها شيء، وإن تفرقت أمتهم وتقطعت بهم الأرض؛ فإنه تعالى: ﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَيْنَا شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [آل عمران: ٥٠].

الآية (٩٢-٩٦): يقول تعالى خبرنا عن ذي القرنين: ﴿ثُمَّ أُنْبِئْ سَبِيًّا﴾ أي: ثم سلك طريقا من مشارق الأرض ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ﴾ وما جبلان مُتَنَاقِحَانِ<sup>(١)</sup> بينهما ثغرة يخرج منها يأجوج ومأجوج على بلاد التُّرك، فيقيمون فيها فسادا، ويهلكون الحَرثَ والنَّشْلَ. ويأجوج ومأجوج من سلالة آدم عَلَيْهِ السَّلَام، كما ثبت في الصحيحين: «إن الله تعالى يقول: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك. فيقول: ابعت بَعَثَ النار. فيقول: وما بَعَثَ النار؟ فيقول: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار، وواحد إلى الجنة! فحينئذ يشيب الصغير، وتضع كل ذات حمل حملها، فيقال: إن فيكم أئتين، ما كانتا في شيء إلا كُتِرَتَا: يأجوج ومأجوج».

﴿وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ أي: لاستعجاب كلامهم وبُعدهم عن الناس، ﴿قَالُوا يَٰذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾ قال ابن عباس: أجرا عظيما، يعني أنهم أرادوا أن يجمعوا له من بينهم مالا يُعطونه إياه حتى يجعل بينهم وبينهم سدا. فقال ذو القرنين بَعَثُوا وَبَيَّانَةً وَصَلَّاحَ وَقَصِدَ لِلخَيْرِ: ﴿مَا مَكَّنِي فِي ذِي خَيْرٍ﴾ أي: إن الذي أعطاني الله من الملك والتمكين خير لي من الذي تجمعونوه، كما قال سليمان عَلَيْهِ السَّلَام: ﴿أَتَيْدُونَنِي بِمَا لَمْ يَأْتِ بِنِيَّةٍ أَلَهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَانَاكُمْ﴾ [النمل: ٣٦]. وهكذا قال ذو القرنين: الذي أنا فيه خير من الذي تبذلونه، ولكن ساعدوني ﴿بِقُوَّةٍ﴾ أي: بملككم وآلات البناء، ﴿أَجْعَلْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾<sup>(٢)</sup> أَوْنِي زَبْرَ الْخَلِيدِ وَالزَّبْرُ: جمع زُبْرَةٍ، وهي القطعة منه، وهي كاللينة. ﴿حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدْقَيْنِ﴾ أي: وُضِعَ بعضه على بعض من الأساس حتى إذا خاذى به رءوس الجبلين طولا وعرضا ﴿قَالَ أَنْفُخُوا﴾ أي: أَسْجِعْ عليه النار حتى صار كله نارا، ﴿قَالَ أَوْنِي فَأُفِخَ عَلَيْهِ فَيَطْرَاقُ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة والضحاك وقتادة والسدي: هو النحاس. وزاد بعضهم: الشذاب.

الآية (٩٧): يقول تعالى خبرنا عن يأجوج ومأجوج أنهم ما قدروا على أن يصعدوا فوق هذا السَّدِّ، ولا قدروا على تَقْيِهِ من أسفله. ولَمَّا كان الظهور عليه أسهل من تَقْيِهِ قابل كُلًّا بما يَنَاسِبُهُ فقال: ﴿فَمَا أَسْأَلُكُمْ أَنْ يَظْهَرُوا وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُمْ نَبَأٌ﴾ وهذا دليل على أنهم لم يقدروا على تَقْيِهِ، ولا على شيء منه.

عن زينب بنت جحش قالت: استنقظ النبي ﷺ من نومه، وهو يقول: «لا إله إلا الله! ويل للعرب من شرٍّ قد اقترَبَ! فُتِحَ اليوم من رَدَمٍ يأجوج ومأجوج مثل هذا». وحَلَقَ. قلت: يا رسول الله، أَهْلِكَ وفينا الصالحون؟! قال: «نعم إذا كَثُرَ الْحَبْثُ» [متفق عليه].

الآية (٨٤): وقوله ﴿إِنَّا مَكِّنَّا لَكَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: أعطينا ملكا عظيما مُمَكِّنًا؛ فيه له من جميع ما يُؤْتَى الملوك من التمكين والجنود، وآلات الحرب والحِصَارَاتِ؛ ولهذا مَكَّنَ المشرق والمغرب من الأرض، ودَانَتْ له البلاد، وَخَضَعَتْ له ملوك العباد، وَخَدَمَتْهُ الأمم، من العرب والعجم؛ ولهذا ذَكَرَ بعضهم أَنَّهُ إِنَّمَا سُمِّيَ ذا القرنين لأنه بَلَغَ قرنَيِ الشمس: مَشْرِقَهَا وَمَغْرِبَهَا. ﴿وَالْبَيْنَتَيْنِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبِيًّا﴾ يعني علما. وَيَسَّرَ الله له الأسباب: أي: الطُّرُقَ والوسائل إلى فتح الأقاليم والرَّصَاتِينِ والبلاد والأراضي وكَسَرَ الأعداء، وَكَبَّتْ ملوك الأرض، وإِذْلالَ أهل الشرك. أَوْنِي من كُلِّ شَيْءٍ مَّا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِثْلُهُ سَبِيًّا، والله أعلم.

الآية (٨٥-٨٨): قال ابن عباس: ﴿فَأَنْبِئْ سَبِيًّا﴾ يعني بالسبب: المنزل. وقال مجاهد: ﴿فَأَنْبِئْ سَبِيًّا﴾: منزلا وطريقا ما بين المشرق والمغرب. وفي رواية عن مجاهد: قال: طرفي الأرض. وقال قتادة: أي: أُنْبِئْ مَنَازِلَ الأرض وَمَعَالِمَهَا. وقال سعيد بن جبير في قوله: ﴿فَأَنْبِئْ سَبِيًّا﴾ قال: علما. وهكذا قال عكرمة والسدي. ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَقَرَّ مَثَلَيْنِ﴾ أي: فَسَلَكَ طريقا حتى وَصَلَ إلى أَقْصَى مَا يُسَلَّكُ فِيهِ من الأرض من ناحية المغرب، وهو مغرب الأرض. وأما الوصول إلى مغرب الشمس من السماء فممتدِّر، وما يذكره أصحاب القصص والأخبار من أنه سار في الأرض مدة والشمس تغرب من ورائه فشيء لا حقيقة له، وأكثر ذلك من خرافات أهل الكتاب، واختلاق زنادقتهم وكَذِبُهُمْ. ﴿وَجِدْهَا نَقْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ أي: رأى الشمس في مَنْظَرِهِ تَغْرُبُ في البحر المحيط، وهذا شأن كل من انتهى إلى ساحله، يراها كأنها تَغْرُبُ فيه، وهي لا تُفَارِقُ الفلك الذي هي مثبتة فيه لا تفارقه. والْحَمِيَّةُ مشقة من «الحمة» وهو الطين، كما قال: ﴿بَيْنَ حَكْمٍ مَشْتَوِيٍّ﴾ [الحجر: ٢٨] أي: طين أَمْلَسَ. وقال ابن عباس: «حامية» يعني: حارة. وكذا قال الحسن البصري. وقال ابن جرير: والصواب أنها قراءتان مشهورتان. قلت: ولا منافاة بين معنيهما؛ إذ قد تكون حارة لمجاورتها وَهَجَ الشمس عند غروبها، وملاقاها الشماع بلا حائل، وَحَمِيَّةٌ في ماء وطين أسود، كما قال كعب الأبحار وغيره. وقوله: ﴿وَجِدْهَا عِنْدَهَا قَوْمًا﴾ أي: أُمَّة من الأمم.

﴿فَلَمَّا يَدَّا الْقَرْنَيْنِ إِيمًا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمًا أَنْ تَنْجِيَهُمْ خَسَنًا﴾ معنى هذا: أن الله تعالى مَكَّنَهُ منهم، وَحَكَمَهُ فيهم، وَأَطْفَرَهُ بهم وَخَبَّرَهُ: إن شاء قَتَلَ وَسَبَى، وإن شاء مَنَّ أَوْ قَدَّى. فَعَرَّفَ عَذْلَهُ وإيمانه فيما أبداه عدله وبيانه في قوله: ﴿فَمَا مَنَ ظَلَمَ﴾ أي: من استمرَّ على كفره وشركه يربه ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ﴾ قال قتادة: بالقتل. وقوله: ﴿تُزَيِّرُكَ لِرَبِّكَ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نَكِرًا﴾ أي: شديدا بليغا وجيما أليما. وفيه إثبات المعاد والجزاء. ﴿وَأَمَّا مَنْ دَامَتْ﴾ أي: تابعتنا على ما ندعوه إليه من عبادة الله وحده لا شريك له ﴿فَلَهُ جَزَاءُ الْفَسْقِ﴾ أي: في الدار الآخرة عند الله ﷻ ﴿وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرٍ آيَاتٍ﴾ قال مجاهد: معروفا.

الآية (٨٩-٩١): يقول: ثم سَلَكَ طريقا فسار من مغرب الشمس إلى مطلعها. وَلَمَّا انتهى إلى مطلع الشمس من الأرض كما قال تعالى: ﴿وَجِدْهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوِّيرٍ﴾ أي: أُمَّة ﴿لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ دِينًا سِوَاكَ﴾ أي: ليس لهم بناء يَكُونُهُمْ، ولا أشجار تَظِلُّهُمْ وَتَسَرُّهُمْ من

(١) أي: متقابلان؛ يُقَالُ: مِمَّا جَبَلَانِ يَتَنَاقِحَانِ وَشَجَرَتَانِ يَتَنَاقِحَانِ إِذَا كَانَتَا مُتَقَابِلَتَيْنِ.

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ﴾: أَي: نُخَبِّرُكُمْ ﴿وَالْأَخْسَرُونَ أَعْمَلًا؟﴾ ثُمَّ قَسَرَهُمْ فَقَالَ: ﴿الَّذِينَ مَلَ سَعِيهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: أَي: عَمَلُوا أَعْمَالًا بَاطِلَةً عَلَى غَيْرِ شَرِيعَةٍ مَشْرُوعَةٍ مُرَضِيَةِ مَقْبُولَةٍ، ﴿وَمَنْ يَحْسَبْنِ أَنْهُمْ يُحْصِنُونَ ضَعُفًا﴾

الآية (١١٠): يقول لرسوله محمد ﷺ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ الْمَشْرِكُ  
 الْمَكِينُ بِرِسَالَتِكَ إِلَيْهِمْ: ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ فمن زَعَمَ أَنِي كاذب  
 فليأتِ بِمِثْلٍ مَا جِئْتُ بِهِ، فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ فَيَا أَخْبِرْكُمْ بِهِ مِنْ  
 الْمَاضِي مِمَّا هُوَ مُطَابِقٌ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ، لَوْلَا مَا أَطْلَعَنِي اللَّهُ عَلَيْهِ، وَإِنَّمَا  
 أَخْبِرُكُمْ ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ الَّذِي أَدْعُوكُمْ إِلَى عِبَادَتِهِ ﴿إِلَهُ وَحِيدٌ﴾ لَا  
 شَرِيكَ لَهُ، ﴿فَمَنْ كَانَ زَيْجُوا لِقَاءِ رَبِّهِ﴾: أَي: ثَوَابِهِ وَجَزَاءَهُ الصَّالِحِ،  
 ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾ وهو مَا كَانَ مُوَافِقًا لَشَرْعِ اللَّهِ، ﴿وَلَا يَشْرِكْ بِعِبَادَةِ  
 رَبِّهِ أَحَدًا﴾ وهو الَّذِي يُؤَادُّ بِهِ وَجْهَ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَهَذَا  
 رُكْنُ الْعَمَلِ الْمُتَعَبَّلِ: لَا بَدَانَ يَكُونُ خَالِصًا لِلَّهِ، صَوَابًا عَلَى شَرِيعَةِ  
 رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿قَالَ اللَّهُ  
 عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا خَيْرُ الشُّرَكَاءِ، مَنْ عَمِلَ لِي عَمَلًا فَأَشْرِكُ فِيهِ غَيْرِي فَأَنَا  
 مِنْهُ بِرِيءٌ، وَهُوَ لِلَّذِي أَشْرَكَ﴾ (رواه أحمد، وصححه إسناده أحمد شاكر).

منه بریء، وهو للذی أشرك» [رواه أحمد، وصحح إسناده أحمد شاكر].



## ● الوقفات التدريبية

﴿ وَعَرَّضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرَضًا ﴾

يعرض عليهم جهنم، أي: يبرزها لهم، ويظهرها؛ ليروا ما فيها من العذاب والنكال قبل دخولها؛ ليكون ذلك ابغى في تعجيل الهم والحزن لهم.

ابن كثير: ١٠٤/٣.

السؤال: لماذا تعرّض جهنم للكافرين في عرصات يوم القيامة قبل أن يدخلوها؟

﴿ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غَلَاظٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴾

أي: لا يقدرّون على سماع آيات الله الموصلة إلى الإيمان؛ لبطئهم القرآن والرسول؛ فإن المبغض لا يستطيع أن يلقى سمعه إلى كلام من ابغضه، فإذا انحجبت عنهم طرق العلم والخير فليس لهم سمع ولا بصر، ولا عقل نافع. السعدي: ٤٨٧.

السؤال: ما السبب الذي جعل المبغضين للدين لا يستطيعون سماع آيات القرآن سماعاً ينتفعون به؟

﴿ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي آلِيَاءَ إِنَّا أَعْنَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴾

وإطلاق اسم النزل على العذاب استعارة علاقتها التهمك. ابن عاشور: ٤٥/١٦.

السؤال: ما وجه إطلاق اسم النزل على العذاب؟

﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴾ ﴿ الَّذِينَ ضَلَّ سَبِيلُهُم فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ شُعْمًا ﴾

فيه دلالة على أن من الناس من يعمل العمل، ويظن أنه محسن، وقد حبط سعيه. والذي يوجب إحباط السعي: إما فساد الاعتقاد، أو المراءاة. القرطبي: ٣٩٢/١٣.

السؤال: قد يحبط عمل العبد وهو لا يشعر، فما الأسباب؟

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِمْ فَطَبَعَ أَعْمَالَهُمْ فَلَا يُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ شُعْمًا ﴾

وجعل عدم إقامة الوزن مفرعاً على حبط أعمالهم؛ لأنهم حبط أعمالهم صاروا محقرين، لا شيء لهم من الصالحات. ابن عاشور: ٤٨/١٦.

السؤال: لم يكن للكافرين وزن يوم القيامة؟

﴿ لَا يَتَّبِعُونَ عَنَّا حِوْلًا ﴾

أي: تحوّل ولا انتقال؛ لأنهم لا يرون إلا ما يحببهم ويهيجهم، ويسرهم ويفرحهم، ولا يرون نعيماً فوق ما هم فيه. السعدي: ٤٨٨.

السؤال: لم لا يريد أهل الجنة التحول عنها إلى شيء آخر؟

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مُِّثْلُكُمْ يُرْسَلُ إِلَيَّ أَنَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَحِيدٌ ﴾

قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: علم الله رسوله ﷺ التواضع لئلا يزهو على خلقه؛ فأمره أن يقر، فيقول: إني آدمي مثلكم، إلا أنني خصصت بالوحي وأكرمني الله به. البغوي: ٧٠/٣.

السؤال: بين ما يدل على أهمية التواضع من هذه الآية.

الجزء

قَالَ هَذَا رَحْمَةً مِنِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿١٥﴾ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَمَجَّعْنَاهُمْ مَجَّعًا ﴿١٦﴾ وَعَرَّضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرَضًا ﴿١٧﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غَلَاظٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٨﴾ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي آلِيَاءَ إِنَّا أَعْنَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿١٩﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿٢٠﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَبِيلُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ شُعْمًا ﴿٢١﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِمْ فَطَبَعَ أَعْمَالَهُمْ فَلَا يُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا ﴿٢٢﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَتَلَّخَذُوا بِآيَاتِي وَرُسُلِي هُمْزًا ﴿٢٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿٢٤﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوْلًا ﴿٢٥﴾ قُلْ لَوْ كَانُ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكُنْتُ رَبِّي لَنَفَذَ إِلَيْهِمْ قِيلَ أَن تَفْذَلَ كُنْتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿٢٦﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مُِّثْلُكُمْ يُرْسَلُ إِلَيَّ أَنَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَحِيدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ إِنَّ أَحَدًا

٣٠٤

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
دَكَّاءَ	مُنْهَدِمًا مُسْتَوِيًا بِالْأَرْضِ.
فَجَجَّعْنَاهُمْ	فَطَبَعْنَاهُمْ.
حِوْلًا	تَحْوِيلًا.
لَنَفَذَ	لَفْظِي وَفَرْغَ.
مَدَدًا	جِبْرًا.

## ● العمل بالآيات

١. كلما انتهيت اليوم من عبادة فادع الله أن يتقبلها منك، ﴿ الَّذِينَ ضَلَّ سَبِيلُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ شُعْمًا ﴾.
٢. استعد بالله من الشرك والبدعة والرياء؛ فإنها مفسدت للأعمال، ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴾ ﴿ الَّذِينَ ضَلَّ سَبِيلُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ شُعْمًا ﴾.
٣. عدد الأعمال الصالحة الواردة في سورة الكهف، واعمل واحدا منها؛ لعلك تنال الفردوس من الجنة، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴾.

## ● التوجيهات

١. كلما ساعدت غيرك فاحمد الله على أن وفقك لهذا العمل، ﴿ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنِّي ﴾.
٢. لا قيمة ولا وزن لعمل لا يوافق رضا الله تعالى وقبوله، ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴾ ﴿ الَّذِينَ ضَلَّ سَبِيلُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ شُعْمًا ﴾.
٣. العمل الصالح هو الذي يجمع بين الإخلاص والمتابعة للرسول ﷺ بالبدليل الصحيح، وما عدا ذلك فهو مردود وإن بدا صالحا، ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

١ ﴿ذَكَرَ رَحْمَتَ رَبِّكَ عَبْدُهُ زَكَرِيَّا﴾

وصفه بالعبودية تشريفاً له، وإعلاماً له بتخصيصه وتقريبه. ابن جزى: ٢/٢.

السؤال: لم وصف الله زكريا - عليه السلام - بالعبودية؟

١ ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ يَذَّاءَ خَفِيًّا﴾

(إذ نادى ربه) يعني: دعاه. (نداء خفياً): إخفاؤه لأنه يسمع الخفي كما يسمع الجهر، ولأن الإخفاء أقرب إلى الإخلاص، وأبعد من الرياء، ولئلا يلومه الناس على طلب الولد. ابن جزى: ٢/٢.

السؤال: في وصف النداء بالخفي مناسبة لطيفة اشتملت على عدة أمور، بينها.

١ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾

توسل إلى الله تعالى بضعفه وعجزه، وهذا من أحب الوسائل إلى الله؛ لأنه يدل على التبري من الحول والقوة، وتعلق القلب بحول الله وقوته. السعدي: ٤٨٩.

السؤال: في قصته زكريا بياناً لوسيلة ناجعة من وسائل الدعاء، فما هي؟

١ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾

قال العلماء: يستحب للمؤمن أن يذكر في دعائه نعم الله تعالى عليه، وما يليق بالخضوع؛ لأن قوله تعالى: (وهن العظم مني) إظهار للخضوع، وقوله: (ولم أكن بدعائك رب شقياً) إظهار لعادات تفضله في إجابته أذعيت: أي: لم أكن بدعائي إياك شقياً؛ أي: لم تكن تخيب دعائي إذا دعوتك؛ أي: إنك عودتني الإجابة فيما مضى. القرطبي: ٤٩١/١٣.

السؤال: بين ما ينبغي أن يكون عليه المتضرع إذا دعا الله تعالى.

١ ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَّ مِن وَرَأْيِكَ وَكَانَتْ أَمْرًا قَاسِراً فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۖ يَرْثِي وَيُورِثُ مِنِّي آلَ يَعْقُوبَ ۖ﴾

وجه خوفه: أنه خشي أن يتصرفوا من بعده في الناس تصرفاً سيئاً، فسأل الله ولداً يكون نبياً من بعده؛ ليسوسهم بثبوته ما يوحي إليه، فأجيب في ذلك؛ لا أنه خشي من وراثتهم له ماله؛ فإن النبي أعظم منزلة، وأجل قدراً من أن يشفق على ماله إلى ما هذا خذ. ابن كثير: ١٠٩/٣.

السؤال: هل كان نبي الله زكريا يخشى على ماله أن يأخذه بعد موته الوارثون الذين ليسوا بأبناء؛ كما يفعله أهل الدنيا اليوم؟ وهل الأنبياء أصلاً يورثون؟

١ ﴿يَرْثِي وَيُورِثُ مِنِّي آلَ يَعْقُوبَ ۖ﴾

فتضمنت هذه البشارة ثلاثاً: أشياء: أحدها: إجابة دعائه، وهي كرامته. الثاني: إعطاؤه الولد؛ وهو قوة، والثالث: أن يفرد بتسميته. القرطبي: ٤١٧/١٣.

السؤال: ما البشارة التي ساقها الله تعالى لنبيه زكريا - عليه السلام - بعد تضرعه؟

١ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتْ أَمْرًا قَاسِراً وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ۖ﴾

تعجب واستبعاد أن يكون له ولد مع شيخوخته وعقم امرأته؛ فسأل ذلك أولاً لعلهم بقدرته الله عليه، وتعجب منه لأنه نادر في العادة. وقيل: سألته وهو في سن من يرجوه، وأجيب بعد ذلك بسنتين وهو قد شاخ. ابن جزى: ٤/٢.

السؤال: كيف تعجب زكريا من بشارة الله له بالولد، مع كونه هو الذي دعا بذلك؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كَهَمِصٍّ ۚ ذَكَرَ رَحْمَتَ رَبِّكَ عَبْدُهُ زَكَرِيَّا ۚ إِذْ نَادَى رَبَّهُ يَذَّاءَ خَفِيًّا ۚ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۚ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَّ مِن وَرَأْيِكَ وَكَانَتْ أَمْرًا قَاسِراً فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۖ يَرْثِي وَيُورِثُ مِنِّي آلَ يَعْقُوبَ ۖ وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۚ يَرْثِي وَيُورِثُ مِنِّي نَبِيًّا ۖ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۖ وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ۖ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْئٍ ۖ وَقَدْ خَلَقْنَاكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ۖ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ۖ قَالَ آيَةُكَ أَنَّ لَكَ بُكَاءَ النَّاسِ ثُمَّ لَيْلَ سَوِيًّا ۖ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۖ

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
نَادَى	دَعَا.
وَهَنَ	ضَعُفَ.
الْمَوَالِي	أَقَارِبِي وَعَصَبَتِي.
عَاقِرًا	لَا تَلِدُ.
عِتِيًّا	النَّهَائِيَّةُ فِي الْكِبَرِ، وَالْيَبْسِ.
بُكْرَةً وَعَشِيًّا	صَبَاحًا، وَمَسَاءً.

## ● العمل بالآيات

١. حدد أمراً صعب عليك، ثم ناد ربك به نداء خفياً؛ محسناً الظن به، ﴿ذَكَرَ رَحْمَتَ رَبِّكَ عَبْدُهُ زَكَرِيَّا﴾ ١. إذ نادى رَبَّهُ يَذَّاءَ خَفِيًّا.
٢. سل الله تعالى أن يرزقك الذرية الصالحة، وأن يجعل ذريتك من أولياء الله تعالى، ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾.
٣. أكثر من ذكر الله تعالى في الصباح والمساء، ﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾.

## ● التوجيهات

١. أحسن الظن بالله تعالى؛ فإله سبحانه عند حسن ظن عبده به، ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾.
٢. تأمل في إجابة الله تعالى لدعاء من دعاه، يدفعك ذلك للإكثار من التضرع إليه، ﴿يَرْثِي وَيُورِثُ مِنِّي آلَ يَعْقُوبَ ۖ وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۚ يَرْثِي وَيُورِثُ مِنِّي نَبِيًّا ۖ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۖ وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ۖ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْئٍ ۖ وَقَدْ خَلَقْنَاكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ۖ﴾.
٣. لا تقص رغبائك بقدرتك، وإنما قسها بقدرته الله تعالى، ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۚ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَّ مِن وَرَأْيِكَ وَكَانَتْ أَمْرًا قَاسِراً فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۖ يَرْثِي وَيُورِثُ مِنِّي آلَ يَعْقُوبَ ۖ وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۚ يَرْثِي وَيُورِثُ مِنِّي نَبِيًّا ۖ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۖ وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ۖ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْئٍ ۖ وَقَدْ خَلَقْنَاكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ۖ﴾.

## تفسير سورة مريم عليها السلام

وهي مكية، [وعدد آياتها (٩٨) آية].

[فضل السورة]: عن ابن مسعود، في قصة الهجرة إلى أرض الحبشة من مكة: أن جعفر بن أبي طالب قرأ صدر هذه السورة على النجاشي وأصحابه [رواه أحمد، وحثه أحد شاكر].

[وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال في بني إسرائيل والكهف ومريم: إنهن من العتاق الأول وهن من تِلَادِي [رواه البخاري].]

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الآية (١-٤): أما الكلام على الحروف المقطعة فقد تقدم في أول سورة البقرة. قوله: ﴿ذَكَرْهُمْ رَبُّكَ﴾ أي: هذا ذكر رحمة الله بعبده زكريا، وكان نبيا عظيما من أنبياء بني إسرائيل. وفي صحيح البخاري: أنه كان نجارا، أي: كان يأكل من عمل يديه في التجارة. قوله: ﴿وَإِذْ نَادَى رَبَّهُ يَدَاؤُهُ خَوِّفًا﴾ قال بعض المفسرين: إنما أخفى دعاءه لئلا يُنسب في طلب الولد إلى الرُعونة لكبره. وقال آخرون: إنما أخفاه لأنه أحب إلى الله؛ كما قال قتادة في ﴿خَفِيًّا﴾: إن الله يعلم القلب النقي، ويسمع الصوت الخفي. قوله: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَكَلْتُكَ مَنِيَّ﴾ أي: ضعفت وخارت القوى، وأشتعلت أنفاسي سببا. أي: اضطرم المشيب في السواد. والمراد من هذا: الإخبار عن الضعف والكبر، ودلائله الظاهرة والباطنة. قوله: ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ أي: ولم أهدم منك إلا الإجابة في الدعاء، ولم تزدني قط فيها سالتك.

الآية (٥-٦): قوله: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِي مِنْ وَرَاءِي﴾ قال مجاهد وقتادة والسدي: أراد بالموالي العصبية. وقال أبو صالح: الكلالة. ووجه خوفه: أنه خشى أن يتصرفوا بعده في الناس تصرفا سيئا، فسأل الله ولدا يكون نبيا من بعده ليسوسهم بنبوته ما يوحى إليه. فأجيب في ذلك، لا أنه خشى من وراثتهم له ماله؛ فإن النبي أعظم منزلة وأجل قدرًا من أن يشفق على ماله إلى ما هذا حده أن يأنف من وراثته عصباته له، ويسأل أن يكون له ولد ليحوز ميراثه دونهم. هذا وجه. الثاني: أنه لم يذكُر أنه كان ذا مال، بل كان نجارا يأكل من كسب يديه، ومثل هذا لا يجمع مالا، ولا سببا الأنبياء، فإنهم كانوا أزهذ شيء في الدنيا. الثالث: أنه قد ثبت أن رسول الله ﷺ قال: «لَا تُورَث، ما تركنا فهو صدقة» [بخلافه]. وعلى هذا فتعين حل قوله: ﴿فَخَبَّرَ بِي مِنْ لَدُنْكَ وَادًّا﴾ ﴿بَرْنِي﴾ على ميراث النبوة؛ ولهذا قال: ﴿وَوَرِّثَ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾؛ كقوله: ﴿وَوَرِّثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾ [النمل: ١٦]. أي: في النبوة؛ إذ لو كان في المال لسا خصه من بين إخوته بذلك، ولما كان في الإخبار بذلك كبير فائدة؛ إذ من المعلوم المستفَرَّ في جميع الشرائع والمثل أن الولد يرث أباه، فلو لا أنها وراثه خاصة لسا أخبر بها، وكل هذا يقرره ويثبت حديث: «نحن معاشر الأنبياء لا نُورَث، ما تركنا فهو صدقة» [السنن في السنن الكبرى، وأصله في الصحيحين كما سبق]. قوله: ﴿وَأَجَعَلَهُ رَبِّي زُرِّيًّا﴾ أي: مرضيا عندك وعند خلقك، تحبه وتحببه إلى خلقك في دينه وخلقه.

الآية (٧): هذا الكلام يتضمن مخدوفاً؛ وهو أنه أجيب إلى ما سأل

في دعائه فقيل له: ﴿بَشِّرْكَ إِنَّا بُشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى﴾ كما قال تعالى: ﴿مُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ ﴿٨﴾ فَأَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٩﴾ [آل عمران: ٣٨-٣٩]. قوله: ﴿لَمْ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ أي: لم يُسم أحد قبله بهذا الاسم، وعن ابن عباس: أي لم تلد العواقر قبله مثله، وهذا دليل على أن زكريا عليه السلام كان لا يولد له، وكذلك امرأته كانت عاقرا من أول عمرها، بخلاف إبراهيم وسارة -عليهما السلام- فإنها إنما تعجبا من البشارة بإسحاق لكبرهما لا لعقرهما؛ ولهذا قال: ﴿أَبَشِّرْهُنَّ بِمَا كُنَّ يَكْفُرْنَ بِالْحَرَمِ﴾ ﴿١٠﴾ مع أنه كان قد ولد له قبله إسمايل بثلاث عشرة سنة، وقالت امرأته: ﴿يَوَالَيْكَ أَلَدُ إِنَّا نَمُوتُ وَهَذَا بَعْلِي شَيْعًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ ﴿١١﴾ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَرَكُنْتُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْآلِيَّتِ إِنَّهُ يُخَيِّدُ مَن يَشَاءُ [هود: ٧٢-٧٣].

الآية (٨-٩): ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي نَكُوثٌ لِّي عُذْمٌ وَكَانَتْ أُمْرَاتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ هذا تعجب من زكريا عليه السلام حين أجيب إلى ما سأل، وبُشِّر بالولد، ففرح فرحا شديدا، وسأل عن كيفية ما يولد له، والوجه الذي يأتيه منه الولد، مع أن امرأته كانت عاقرا لم تلد من أول عمرها مع كبرها، ومع أنه قد كبر وعُتَا، أي: عَسَا عَظُمُهُ وَنَحُلٌ ولم يبق فيه لقاح ولا جماع. وقال مجاهد: ﴿عِتِيًّا﴾ يعني: نحول العظم. وقال ابن عباس: الكبر. والظاهر أنه أخص من الكبر. ﴿قَالَ﴾ أي: الملك مجيبا لزكريا عما استعجب منه: ﴿كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ أي: إيجاب الولد منك ومن زوجتك هذه لا من غيرها ﴿هَئِن﴾ أي: يسير سهل على الله. ثم ذكر له ما هو أعجب مما سأل عنه فقال: ﴿وَقَدْ خَلَقْنَاكَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ تَرَى أَنَّ شَيْئًا﴾ كما قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنْ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١].

الآية (١٠-١١): يقول تعالى مخبرا عن زكريا عليه السلام أنه ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾ أي: علامة ودليلا على وجود ما وعدتني، لتستقر نفسي ويطمن قلبي بها وعدتني؛ كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ آتِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَرَأَيْتَ إِنْ قُلْتُ لَكَ وَلَكِنْ لَيْطَمَنَنَّ قَلْبِي﴾ الآية [البقرة: ٢٦٠]. قوله: ﴿قَالَ أَيُّشَاكَ﴾ أي: علامتك ﴿أَلَا تُكَلِّمُ النَّاسَ لَوْلَا سَوِيًّا﴾ أي: أن تحبس لسانك عن الكلام ثلاث ليال وأنت صحيح سوي من غير مرض ولا علة؛ كما قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ أَيُّشَاكَ أَلَا تُكَلِّمُ النَّاسَ لَوْلَا أَنَّهُمْ كَانُوا أَهْلَ عِلْمٍ﴾ [آل عمران: ٤١]. وهذا دليل على أنه لم يكن يُكَلِّم الناس في هذه الليالي الثلاث وأيامها ﴿لَا أَمْرًا﴾ أي: إشارة؛ ولهذا قال في هذه الآية: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ﴾ أي: الذي بُشِّر فيه بالولد، ﴿فَأَرْحَبَ إِلَيْهِمْ﴾ أي: أشار إشارة خفية سريعة: ﴿إِنَّ سَيِّئُوا بِكُورًا وَعَجِيبًا﴾ أي: موافقة له فيما أمر به في هذه الأيام الثلاثة زيادة على أعماله، وشكرا لله على ما أولاه.



قال: ﴿وَلَنَجْعَلَنَّ بَابَهُ لِلنَّاسِ﴾ أي: دلالة وعلامة للناس على قدرة بارئهم وخالقهم، الذي نوع في خلقهم، فخلق أباهم آدم من غير ذكر ولا أنثى، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى، وخلق بقية الذرية من ذكر وأنثى، إلا عيسى فإنه أوجده من أنثى بلا ذكر، فنمت القسمة الرباعية الدالة على كمال قدرته وعظيم سلطانه، فلا إله غيره ولا رب سواه. قوله: ﴿وَرَحْمَةً مِنَّا﴾ أي: ونجعل هذا الغلام رحمة من الله نبيًا من الأنبياء يدعو إلى عبادة الله تعالى وتوحيده؛ كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَكُتُ الْيَمْرُوتُ إِنَّ اللَّهَ مَبْتَئِرٌ بِكَ كَلِمَتِهِ مِنْهُ أَسْمُ الْيَسُوعَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَحِمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُتَرَبِّينَ ﴿١٠٧﴾ وَيُكَلِّمُ الْنَّاسَ فِي الْهَيْدِ وَكَلَّمَكَ مِنَ الْفَصْلِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْكُمْ لَلْأَنفَالِ أَتَى عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [آل عمران ٤٥، ٤٦] أي: يدعو إلى عبادة ربه في مهده وكهولته.

وقوله: ﴿وَكَاذِبًا مِّنْ قَبْلِهِ﴾ يُحْتَمَلُ أَنْ هَذَا مِنْ كَلَامِ جَبْرِيلَ لِمَرْيَمَ، يَخْبِرُهَا أَنَّ هَذَا أَمْرٌ مُّقَدَّرٌ فِي عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى وَقَدَرِهِ وَمَشِيتِهِ. وَيَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مِنْ خَبَرِ اللَّهِ تَعَالَى لِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَأَنَّهُ كَتَبَ بِهَذَا عَنِ النَّفْخِ فِي فَرْجِهَا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَيْنَا فَرْجَهَا فَنَنْفَخَنَّ مِنْ رَبِّهَا رُوحَنَا﴾ [التحریم: ١٢].

الآية (٢٢): يقول تعالى مخبراً عن مريم أنها لما قال لها جبريل عن الله تعالى ما قال، أنها استسلمت لقضاء الله تعالى. ثم اختلف المفسرون في مدة حمل عيسى عليه السلام فالمشهور الظاهر - والله على كل شيء قدير - أنها حملت به كما تحمل النساء بأولادهن.

الآية (٢٣): ﴿فَاجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلِ﴾ أي: فاضطرها وألجأها الطلق إلى جذع نخلة في المكان الذي نحتت إليه. والمشهور الذي تلقاه الناس بعضهم عن بعض، ولا يشك فيه النصارى: أنه بيت لحم. وقوله تعالى إخباراً عنها: ﴿قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا نَسِيًّا﴾ فيه دليل على جواز تمني الموت عند الفتنة؛ فإنها عرفت أنها ستبتلى وتمتنع بهذا المولود الذي لا يحمل الناس أمرها فيه على السداد، ولا يصدقونها في خبرها، وبعد ما كانت عندهم عابدة ناسكة، تصبح عندهم فيها يظنون عاهرة زانية! فقالت: ﴿يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا﴾ أي: قبل هذا الحال ﴿وَكُنْتُ نَسِيًّا نَسِيًّا﴾ أي: لم أخلق ولم أك شيئاً. قاله ابن عباس. وقال قتادة: أي: شيئاً لا يُعرف، ولا يُذكر، ولا يُدْرَى من أنا.

الآية (٢٤-٢٥): قرأ بعضهم: (من تحتها) بمعنى: الذي تحتها. وقرأ آخرون: (من تحتها) على أنه حرف جر. واختلف المفسرون في المراد بذلك من هو؟ فقال ابن عباس: جبريل، ولم يتكلم عيسى حتى أتت به قومها، وكذا قال سعيد بن جبير والضحاك، وقال مجاهد: عيسى ابن مريم. واختاره ابن جرير.

وقوله: ﴿أَلَا تَحْزَنِي﴾ أي: ناداها قائلاً: لا تحزني، ﴿فَدَجَّلَ رَبُّكَ تَحَنُّكَ سِرًّا﴾، عن البراء بن عازب قال: الجدول. وكذا قال ابن عباس: السري: النهر. والظاهر أنها لم تكن في إبان ثمرها، ولهذا امتن عليها بذلك؛ أن جعل عندها طعاماً وشراباً، فقال: ﴿سَقِطَ عَلَيْكَ رُطْبَاجِنَا﴾.

الآية (١٢-١٥): قوله: ﴿يَتَّبِعُنِي أَنزِلُكِتَابَ يَقُولُ﴾ أي: تعلم الكتاب ﴿يَقُولُ﴾ أي: بجذ وحرص واجتهاد، ﴿وَأَيَّتُهُ الْمَلَكُ صَبِيحًا﴾ أي: الفهم والعلم والجد والعزم، والإقبال على الخير، والإقبال عليه، والاجتهاد فيه وهو صغير حدث. قوله: ﴿وَحَنَانًا مِّنَ لَّدُنَّا﴾ قال ابن عباس: ورحمة من عندنا لا يقدر عليها غيرنا. والظاهر من هذا السياق أن: ﴿وَحَنَانًا﴾ معطوف على قوله: ﴿وَأَيَّتُهُ الْمَلَكُ صَبِيحًا﴾ أي: وآتيته الحكم وحناناً، ﴿وَرُكُوءًا﴾ أي: وجعلناه ذا حنان وركاء؛ فالحنان هو المحبة في شفقة وميل. وقوله: ﴿وَرُكُوءًا﴾ معطوف على ﴿وَحَنَانًا﴾ فالركاء الطهارة من الدنس والآثام والذنوب ﴿وَرُكُوءًا نَفِيًّا﴾ ذا طهر، فلم يمت بذبذبة. قوله: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ لما ذكر تعالى طاعته لربه، وأنه خلقه ذا رحمة وركاء وثقى، عطف بذكر طاعته لوالديه وبرِّه بها، ومجانبة عقوبتها، قولاً وفعلًا وأمرًا ونهيًا؛ ولهذا قال: ﴿وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾. ثم قال بعد هذه الأوصاف الجميلة جزاء له على ذلك: ﴿وَسَلَّمْ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ أي: له الأمان في هذه الثلاثة الأحوال.

الآية (١٦): لما ذكر تعالى قصة زكريا عليه السلام وأنه أوجد منه في حال كبره وعمق زوجته ولذا زكياً طاهراً مباركاً، عطف بذكر قصة مريم في إيجاده ولدها عيسى عليه السلام منها من غير أب؛ فإن بين القصتين مناسبة ومشابهة؛ ليدل عباده على قدرته وعظمه سلطانه، وأنه على ما يشاء قادر، فقال: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ﴾ وهي مريم بنت عمران، من سلالة داود عليه السلام، وكانت من بيت طاهر طيب في بني إسرائيل. فلما أراد الله تعالى أن يوجد منها عبده ورسوله عيسى عليه السلام ﴿انْبَدَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ أي: اعتزلتهم وتنحت عنهم، وذهبت إلى شرق المسجد المقدس.

الآية (١٧-٢٠): ﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا﴾ أي: استترت منهم وتوارت، فأرسل الله تعالى إليها جبريل عليه السلام ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ أي: على صورة إنسان تام كامل. قوله: ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ نَفِيًّا﴾ أي: لما تبدى لها الملك في صورة بشر، وهي في مكان منفرد وبينها وبين قومها حجاب، خافتة وظلت أنه يريد بها على نفسها، فقالت: ﴿إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ نَفِيًّا﴾ أي: إن كنت تخاف الله. ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ﴾ أي: فقال لها الملك حياءً لها ومزيلاً ما حصل عندها من الخوف على نفسها: لست مما تظنين، ولكني رسول ربك؛ أي: بعثني إليك ﴿لَا هَبْ لَكَ عَلَماً رَّكِيًّا﴾. قوله: ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾ أي: فتعجبت مريم من هذا وقالت: كيف يكون لي غلام؟! أي: على أي صفة يوجد هذا الغلام مني، ولست بذات زوج، ولا بتصور مني الفجور؛ ولهذا قالت: ﴿وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرًا وَلَمْ أَكُنْ بِغِيًّا﴾ والبغي: هي الزانية.

الآية (٢١): ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلِيمٌ هَيِّئْ﴾ أي: فقال لها الملك حياءً لها عما سألت: إن الله قد قال: إنه سيوجد منك غلاماً، وإن لم يكن لك بعل، ولا يوجد منك فاحشة؛ فإنه على ما يشاء قادر؛ ولهذا

﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾

**السؤال: هذه الآية فيها حقان، فما هما؟**

﴿وَسَلَّمَ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾

قال سفیان بن عیینة: أوحش ما يكون المرء في ثلاثة مواطن: يوم يولد؛ فيرى نفسه خارجاً مما كان فيه، ويوم يموت؛ فيرى هوماً لم يكن عاينهم، ويوم يبعث؛ فيرى نفسه في محشر عظيم. قال: فأكرم الله فيها يحيى بن زكريا، خصمه بالسلام عليه. ابن كثير: ١١/٣.

**السؤال:** لماذا خصت هذه المواطن الثلاثة بذكر السلام فيها على النبي

بحسب عليه السلام؟

﴿ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ نَقِيًّا ﴾

تذكير له بالله؛ وهذا هو المشروع في الدفع: أن يكون بالأسهل فالأسهل؛ فخوفته أولاً بالله عز وجل. ابن كثير: ١١٣/٣.

**السؤال: ما الطريقة المثلى لدفع المعتدى على الإنسان؟**

﴿ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ نَقِيًّا ﴾

وذكرها صفة (الرحمن) دون غيرها من صفات الله لأنها أرادت أن يرحمها الله بدفع من حسبه داعراً عليها. ابن عاشور: ١٦/٨١.

**السؤال: لماذا خصت مريم عليها السلام صفة الرحمن دون غيرها؟**

﴿ وَلِنَجْعَلَ آيَةً لِلنَّاسِ ﴾

تدل على كمال قدرة الله تعالى، وعلى أن الأسباب جميعها لا تستقل  
بالتأثير، وإنما تأثيرها بتقدير الله؛ فيري عباده خرق العوائد في بعض  
الأسباب العادية؛ لئلا يقفوا مع الأسباب، ويقطعوا النظر عن مُقَدِّرِها  
ومسببها. السعدي: ٤٩١.

**السؤال:** قصة مريم وابنها، تجعل القلوب متعلقة بالله وحده دون الأسباب الدنيوية، وضح ذلك .

١ ﴿وَهَزَىٰ إِلَيْكَ بِعِصَّةِ النَّخْلَةِ تَسْقُطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًا﴾

استدل بعض الناس بهذه الآية على أن الإنسان ينبغي له أن يتسبب في طلب الرزق؛ لأن الله أمر مريم بهز النخلة، ابن جزي: ٦/٢.

السؤال: يستفاد من الآية أنه على العبد أن يتسبب في طلب الرزق،  
وضع ذلك.

١ ﴿وَهَزَىٰ إِلَيْكَ بِمِجْذِ النَّخْلَةِ فُسِّقَطَ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا﴾

وقد اخذ بعض العلماء من هذه الآية أن خير ما تطعمه النفساء الرطب؛ قالوا: لو كان شيء أحسن للنفساء من الرطب لأطعمه الله مريم وقت نفاسها بعيسى، قاله الربيع بن خثيم وغيره الشنقيطي: ٣/٣٩٩.

**السؤال:** في هذه الآية منهج طبي يقدمه القرآن فما هو؟

يَلَيْحِي خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ أَتَيْنَكَ الْحُكْمَ صِدْقًا ٣١  
وَحَنَانًا لَّنَا وَذِكْرًا وَكَانَ نَبِيًّا ٣٢ وَسِرًّا بُولَدِيهِ وَلَمْ  
يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ٣٣ وَسَلَّمْهُ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ مَمُوتِ  
وَيَوْمَ يُعْرَثُ حَيًّا ٣٤ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ  
مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ٣٥ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا  
فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ٣٦ قَالَتْ إِنِّي  
أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ نَذِيرًا ٣٧ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ  
رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ٣٨ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي  
غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ٣٩ قَالَ كَذَلِكَ  
قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٌ وَلَنَجْعَلَ لَهْءَ آيَةٍ لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً  
مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ٤٠ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهٍ  
مَكَانًا قَصِيًّا ٤١ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جَانِبِ الْخَلَّةِ  
قَالَتْ يَلَيْحِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَقْسِيًّا ٤٢  
فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ٤٣  
وَهَزَى إِلَيْكِ جَنْعَ الْخَلَّةِ سَقِطَ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا ٤٤

٣٠٦

## معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
خُذِ الْكِتَابَ	التَّوْرَةَ.
بِقُوَّةٍ	بِحُجَّةٍ، وَاجْتِهَادٍ؛ حِفْظًا، وَفَهْمًا، وَعَمَلًا.
الْحُكْمَ	الْحِكْمَةَ وَحُسْنَ الْفَهْمِ وَالْعَمَلِ.
وَحَنَانًا	رَحْمَةً وَمَحَبَّةً.
انْتَبَذَتْ	اعْتَزَلَتْ وَابْتَعَدَتْ.
فَأَجَاجَهَا	فَأَلْبَجَاهَا.
الْمَخَاضُ	طُلُقُ الْحَمْلِ.
سَرِيًّا	جَدْوَلُ مَاءٍ.
جَنِيًّا	غَضًا جَنِيًّا مِنْ سَاعَتِهِ.

## ● العمل بالآيات

١. احرص على القوة في الالتزام بدينك، وإياك واللعبة في الالتزام بأحكامه،  
﴿يَبْحَثُ خُدَّ الْكَتَبِ يُعَوِّدُ وَأَيِّنُهُ لِقَوْمٍ صَبِيهَا﴾.

٢. مريم لما فرغت عندما رأت جبريل استغاثت بالله، سبحانه ولم تستفت بغيره،  
﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ﴾.

٣. عليك ببذل السبب، ولا تتواكل، ﴿وَهَرَبْنَا إِلَيْكَ مِجَنَّا نَلْجَأُ لَوُحِ الْوَسْطَىٰ وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْوَسْطَىٰ﴾.

## ● التوجيهات

١. قُلْ لِّلذِيكَ شَيْئًا حَبَابَهُ، وَبَرًّا بِرَبِّكَ يَوْمَ تَوَلَّى وَرَبُّكَ أَنَّ جَبْرًا عَصِيًّا ﴿١﴾  
 ٢. كُلُّ مَنْ خَافَ إِذَا هَاسَتِ الدُّيُومُ بِاللَّهِ مِنْهُ، قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالْحَمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ نَقِيًّا ﴿٢﴾  
 ٣. تَصْبِحُ بِسَمْعِ نَمْرَاتٍ، وَهَزَى إِلَيْكَ جَذَعُ النَّخْلِ تَنْقُطُ عَلَيْكَ رَمْلًا حَبِيًّا ﴿٣﴾



## ● الوقفات التحذيرية

﴿فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ إِنْشَاءً﴾ ١

وانما لم تؤمر بمخاطبتهم في نفي ذلك عن نفسها لأن الناس لا يصدقونها، ولا فيه فائدة، وليكون ثبوتها بكلام عيسى في المهد اعظم شاهد على براءتها؛ فإن إتيان المرأة بولد من دون زوج، ودعواها انه من غير أحد من اكبر الدعاوى التي لواقم عدة من الشهود لم تصدق بذلك، فجعلت بينة هذا الخارق للعادة أمراً من جنسه؛ وهو كلام عيسى في حال صغره جداً. السعدي: ٤٩٢.

السؤال: لماذا أمرت مريم - عليها السلام - ألا تكلم أحداً من الناس بشأن عيسى؟

﴿فَأَتَتْ بِوَهْ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ﴾ ٢

أتت بعيسى قوماً تحملها؛ وذلك لعلمها ببراءة نفسها وطهارتها. السعدي: ٤٩٢.

السؤال: كيف تجرأت مريم عليها السلام على أن تأتي قوماً حاملات عيسى مع انها لم تتزوج؟

﴿قَالَ إِنْ عَبْدَ اللَّهِ مَا أَنَّنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ ٣

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن أول كلمة نطق بها عيسى وهو صبي في مهده: انه عبد الله؛ وفي ذلك اعظم زجر للنصارى عن دعواهم أنه الله، أو ابنه، أو إله معه. الشنقيطي: ٤١٦/٣.

السؤال: ما الذي تفهمه من أول كلمة نطق بها عيسى عليه الصلاة والسلام؟

﴿قَالَ إِنْ عَبْدَ اللَّهِ﴾ ٤

فخاطبهم بوصفه بالعبودية، وأنه ليس فيه صفة يستحق بها أن يكون إلهاً، أو ابناً للإله، تعالى الله عن قول النصارى المخالفين لعيسى في قوله. السعدي: ٤٩٢.

السؤال: لماذا كان أول ما نطق به عيسى عليه السلام: (إني عبد الله)؟

﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾ ٥

أي: نقأاً حيث ما توجهت، وقال مجاهد: معلماً للخير، وقال عطاء: ادعو إلى الله، وإلى توحيده وعبادته. البغوي: ٨٥/٣.

السؤال: كيف يكون العيد مباركاً حيثما كان؟

﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ ٦

وقد خصه الله تعالى بذلك بين قومه لأن بر الوالدين كان ضعيفاً في بني إسرائيل يومئذ، وبخاصة الوالدة؛ لأنها تستضعف؛ لأن فرط حنانها ومشتقتها قد يجردان الولد على التساهل في البر بها. ابن عاشور: ١٠٠/١٦.

السؤال: لماذا خص بر عيسى - عليه السلام - بوالدته بالذكر؟

﴿وَالسَّلَامُ عَلَى يَوْمٍ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ ٧

وذكر المواطن التي خصها؛ لأنها أوقات حاجة الإنسان إلى رحمة الله. ابن عطية: ١٥/٤.

السؤال: وضع سبب تخصيص هذه المواطن بالذكر من عيسى عليه الصلاة والسلام.

فَكُلٌّ وَأَشْرَفِي وَقَرِي عَيْنًا فَمَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي  
إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ إِنْشَاءً ١ فَأَتَتْ  
بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَمْرُؤُكُمْ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ٢  
يَتَأَخَّرُونَ مَا كَانَ أَتُوكَ أَمْرًا سَوْءَ وَمَا كَانَتْ  
أَمَّاكَ بَغِيًّا ٣ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي  
الْمَهْدِ صَبِيًّا ٤ قَالَ إِنْ عَبْدَ اللَّهِ مَا أَنَّنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي  
نَبِيًّا ٥ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَنِي بِالصَّلَاةِ  
وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ٦ وَبَرًّا بِوَالِدَيْ وَلَمْ يَجْعَلْنِي  
جَبَّارًا شَقِيًّا ٧ وَالسَّلَامُ عَلَى يَوْمٍ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ  
وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ٨ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ  
الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ٩ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَنَهُ  
إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ١٠ وَلَئِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ  
فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ١١ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ  
بَنِيهِمْ قَوْلَ لَلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مُشْهَدٍ يَوْمٍ عَظِيمٍ ١٢ أَسْمِعْ بِهِمْ  
وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُوتَنَّا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ١٣

٣٠٧

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
وَقَرِي عَيْنًا	وطيبي نفساً.
فَرِيًّا	أمراً عظيماً مفترى.
بَغِيًّا	زانية.
مُبَارَكًا	عظيم الخير والنفع.
يَمْتَرُونَ	يشكون.
الْأَحْزَابُ	الفِرَقُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ.
قَوْلٍ	قَهْلًا.
مُشْهَدٍ	شهود.
أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ	مَا أَشَدَّ سَمْعَهُمْ وَبَصَرَهُمْ.

## ● العمل بالآيات

١. دافع اليوم عن مظلوم بالوسيلة التي تستطيع، ﴿فَأَتَتْ بِوَهْ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَمْرُؤُكُمْ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾.
٢. أذ الصلوات مع الجماعة ثم أذ السنن الرواتب، ﴿وَأَوْصَنِي بِالصَّلَاةِ﴾.
٣. اقرأ قصة عيسى - عليه السلام - من أحد المصادر الصحيحة، ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾.

## ● التوجيهات

١. لا تتعجل بحكم السوء على الصالحين؛ فاعمل وراء الأمور ما هو خاف عليك، ﴿فَأَتَتْ بِوَهْ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَمْرُؤُكُمْ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾.
٢. تمسك بالصلاة والزكاة ما دام فيك نفس يتردد؛ فإن ذلك شعار الأنبياء والصالحين من قبل، ﴿وَأَوْصَنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾.
٣. بر الوالدين من صفات الأنبياء والصالحين، ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْ﴾.

خلق من خلق الله، نَجْمًا وَثِيًّا وَبُيُوتَ كَاسِرِ الْخَلَاتِقِ، ولكن له السلامة في هذه الأحوال التي هي أَشَقُّ ما يكون على العباد.

الآية (٣٤): يقول تعالى لرسوله محمد ﷺ: ذلك الذي قصصنا عليك من خبر عيسى ﴿قَوْلَ الْحَيِّ الَّذِي فِيهِ يَتَذَكَّرُ﴾ أي: يختلف البطلون والمحقون من آمن به وكفر به.

الآية (٣٥-٣٦): لما ذكر تعالى أنه خلقه عبدًا نبيًّا، نَزَّهَ نفسه المقدسة فقال: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ﴾ أي: عما يقول هؤلاء الجاهلون الظالمون المعتدون علوًّا كبيرًا، ﴿إِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ أي: إذا أراد شيئًا فإنما يأمُر به، فيصير كما يشاء؛ كما قال تعالى: ﴿لَوْ كُنَّ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ الآية [آل عمران: ٥٩]. ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكَ﴾ أي: وما أمر عيسى به قومه وهو في مهده، أن أخبرهم إذ ذاك أن الله ربهم وربهم وأمرهم بعبادته، فقال: ﴿فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ أي: هذا الذي جئتكم به عن الله صراط مستقيم، أي: قويم، من اتبعه رَشَدٌ وَهْدِي، ومن خالفه ضَلَّ وَغَوَى.

الآية (٣٧): قوله: ﴿فَأَخْتَلَفَ الْأَعْرَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ أي: اختلفت أقوال أهل الكتاب في عيسى بعد بيان أمره ووضوح حاله، وأنه عبده ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه؛ فَصَمَّتْ طائفة - وهم جمهور اليهود - على أنه ولد زَنْبِي، وقالوا: كلامه هذا سحر. وقالت طائفة أخرى: إنما تكلم الله. وقال آخرون: هو ابن الله. وقال آخرون: ثالث ثلاثة. وقال آخرون: بل هو عبد الله ورسوله. وهذا هو قول الحق، الذي أرشد الله إليه المؤمنين. قوله: ﴿قَوْلِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ شَهِيدٍ بِرَّ عَظِيمٍ﴾ تهديد ووعيد شديد لمن كذب على الله، وافترى، وزعم أن له ولدًا. ولكن أنظَرْهم تعالى إلى يوم القيامة وأَجْلَهم حلًّا وثقة بقدرته عليهم؛ فإنه الذي لا يعجل على من عصاه، كما جاء في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لَا أَحَدٌ أَصْبِرُ عَلَى أَدَى سَمْعِهِ مِنَ اللَّهِ؛ إِنَّهُمْ يَجْعَلُونَ لَهُ وَلَدًا، وَهُوَ يَرْزُقُهُمْ وَيُعَافِيهِمْ». وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفْلًا عَمَّا يَفْعَلُ الْكَافِرُونَ إِنَّكَ بِأَعْيُنِنَهُمْ يَوْمَ تُنْفَخُ الْأَشْفَارُ﴾ [إبراهيم: ٤٢]؛ ولهذا قال ههنا: ﴿قَوْلِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ شَهِيدٍ بِرَّ عَظِيمٍ﴾ أي: يوم القيامة.

الآية (٣٨): يقول تعالى خبرًا عن الكفار يوم القيامة أنهم يكونون أَسْمَعَ شيء وأبصره؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِلَىٰ الْأَنْجَرِ حَوْرًا نَافِسًا رُؤُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾ الآية [الجن: ١٧]؛ أي: يقولون ذلك حين لا ينفعهم ولا يجيذي عنهم شيئًا، ولو كان هذا قبل مُعَانِيَةِ الْعَذَابِ، لكان نافعًا لهم ومُنْقِذًا من عذاب الله؛ ولهذا قال: ﴿أَسْمَعَ بِهِمْ وَأَبْصَرُ﴾ أي: ما أَسْمَعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ ﴿يَوْمَ بَأْتُونَا﴾ يعني: يوم القيامة ﴿لَكِنَّ الْأَعْمَالُ الْأَنْثَى﴾ أي: في الدنيا ﴿فِي سَكَلٍ مَبِينٍ﴾ أي: لا يسمعون ولا يسمرون ولا يعقلون؛ فحيث يُطْلَبُ منهم الهدى لا يبتدون، ويكونون مطيعين حيث لا ينفعهم ذلك.

الآية (٢٦): ﴿فَكُنْ لِلرَّبِّ قَاطِرًا وَكَفَىٰ عَنَّا﴾ أي: طيبي نفسًا؛ ولهذا قال عمرو بن ميمون: ما من شيء خير للنفس من التمر والرطب، ثم تلا هذه الآية الكريمة. وقوله: ﴿فَإِنَّمَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا﴾ أي: مهما رأيت من أحد ﴿فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ المراد بهذا القول: الإشارة إليه بذلك، لا أن المراد به القول اللفظي؛ لئلا ينافي: ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾. قال أنس بن مالك في قوله: ﴿صَوْمًا﴾ أي: صمتًا. وكذا قال ابن عباس، والضحاك.

الآية (٢٧): يقول تعالى خبرًا عن مريم حين أمرت أن تصوم يومها ذلك، وألا تكلم أحدًا من البشر؛ فإنها سَتَقْفِي أمرها ويقام بِحُجَّتِهَا، فَسَلِّمَتْ لِأَمْرِ اللَّهِ ﷻ واستسلمت لقضائه، فأخذت ولدها ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ﴾ فلما رأوها كذلك أعظموا أمرها واستكروه جدًّا، ﴿وَقَالُوا لَيَبْرَأَنَّكَ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا﴾ أي: أمرًا عظيمًا.

الآية (٢٨): ﴿يَتَخَذَتْ هُزُونَ﴾ أي: يا شبيهة هارون في العبادة، ﴿مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوًّا وَمَا كَانَتْ أُمَّكَ بَيْعًا﴾ أي: أنت من بيت طيب طاهر، معروف بالصلاح والعبادة والزهادة، فكيف صدر هذا منك؟! [و] عن المغيرة بن شعبة قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى نجران، فقالوا: أرايت ما تَقْرَؤُونَ: ﴿يَتَخَذَتْ هُزُونَ﴾، وموسى قبل عيسى بكذا وكذا؟! قال: فرجعت فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «ألا أخبرتهم أنهم كانوا يَسْتَمُونَ بالأنبياء والصالحين قبلهم!» [رواه مسلم].

الآية (٢٩-٣٣): قوله: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نَكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ أي: أنهم لما استرابوا في أمرها واستكروا قضيتها، وقالوا لها ما قالوا مُعْرِضِينَ بِذَقِّهَا ومِمْهَا بالفريضة، وقد كانت يومها ذلك صائمة صامتة، فأحالت الكلام عليه، وأشارت لهم إلى خطابه وكلامه، فقالوا مُتَهَكِّمِينَ بها، ظانين أنها تزدرى بهم وتلعب بهم: ﴿كَيْفَ نَكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ أي: من هو موجود في مهده في حال صباه وصغره. قوله: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ أول شيء تكلم به أن نَزَّهَ جَنَابَ رَبِّهِ تعالى، وبَرَّاهُ عن الولد، وأثبت لنفسه العبودية لربه. قوله: ﴿إِنِّي الْكَائِبُ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ تبرئة لأمه عما تُسَبِّت إليه من الفاحشة. وقال عكرمة: أي: قضى أنه يؤتيني الكتاب فيها قضى. قوله: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾ قال مجاهد: وجعلني معلمًا للخير. قوله: ﴿وَأَوْصَنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ كقوله تعالى لمحمد ﷺ: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ تَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩]. وعن مالك بن أنس في قوله: ﴿وَأَوْصَنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ قال: أخبره بما هو كائن من أمره إلى أن يموت، ما أثبتنا لأهل القدر.

قوله: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدِيَّ﴾ أي: وأمرني ببر والدي، ذكره بعد طاعة ربه؛ لأن الله تعالى كثيرًا ما يَفَرِّقُ بين الأمر بعبادته وطاعة الوالدين. قوله: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ أي: ولم يجعلني جبارًا مستكبرًا عن عبادته وطاعته وبر والدي، فأشقى بذلك. قوله: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَى يَوْمٍ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ إثبات منه لعبوديته لله ﷻ، وأنه

وعبيها، فإنك إن لم تنته عن ذلك اقتصصت منك وشتمتك وسينتك، وهو قوله: ﴿لَا تَرْجُحْ﴾، قاله ابن عباس. وقوله: ﴿وَأَهْجُرْني مَيْلًا﴾ قال مجاهد: يعني دهرًا. وقال الحسن البصري: زمانًا طويلًا، وقال ابن عباس: سويًا سالمًا، قبل أن تصيبك مني عقوبة. واختاره ابن جرير. فعندها قال إبراهيم لأبيه: ﴿سَلِّمْ عَلَيْكَ﴾؛ كما قال تعالى في صفة المؤمنين: ﴿وَلِإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣]. ومعنى: ﴿سَلِّمْ عَلَيْكَ﴾ يعني: أما أنا فلا ينالك مني مكروه ولا أذى، وذلك لحُرمة الأئمة. ﴿سَأَسْتَغْفِرُكَ رَبِّي﴾ أي: ولكن سأسأل الله تعالى فيك أن يهديك ويغفر ذنبك، ﴿إِنَّكَ كَانتَ فِي حَيَاتٍ﴾ قال ابن عباس: لطيفًا، أي: في أن هداني لعبادته والإخلاص له. وقد استغفر إبراهيم لأبيه -مدة طويلة، وبعد أن هاجر إلى الشام وبنى المسجد الحرام، وبعد أن ولد له إسماعيل وإسحاق عليهما السلام- في قوله: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤١] ثم بين تعالى أن إبراهيم أقنع عن ذلك، ورجع عنه، فقال تعالى: ﴿مَا كَانُ لِلنَّبِيِّ وَالْكَافِرِ مَأْتًا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُنْكَرِ كَيْفَ هِيَ -إلى قوله- ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَوَّابٌ﴾ [إبراهيم: ١١٣-١١٤]. وقوله: ﴿وَأَعْرَضَ لَكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي﴾ أي: اجتنبكم وأتبرأ منكم ومن آفةكم التي تعبدونها من دون الله، ﴿وَأَدْعُوا رَبِّي﴾ أي: وأعبد ربي وحده لا شريك له، ﴿عَسَىٰ أَلاَّ أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ و«عسى» هذه موجهة لا محالة؛ فإنه عليه السلام سيد الأنبياء بعد محمد ﷺ.

الآية (٤٩-٥٠): يقول: فلما اعتزل الخليل أباه وقومه في الله، أبدله الله من هو خير منهم، وهوب له إسحاق ويعقوب، يعني ابنه وابن إسحاق؛ كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَيَعْقُوبُ نَافِلَةٌ﴾ [الأنبياء: ٧٢]، وقال: ﴿وَمِنْ وَرَثَةِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبُ﴾ [هود: ٧١]. ولا خلاف أن إسحاق والد يعقوب، ولهذا إننا ذكر ههنا إسحاق ويعقوب، أي: جعلنا له نسلاً وعقبًا أنبياء، أقر الله بهم عينه في حياته؛ ولهذا قال: ﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾، فلو لم يكن يعقوب قد نبى في حياة إبراهيم، لما اقتصر عليه، ولذكر ولده يوسف، فإنه نبي أيضًا. قوله: ﴿وَوَعَدْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُم لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ قال ابن عباس: يعني الشاء الحسن. وقال ابن جرير: إنها قال: ﴿عَلِيًّا﴾؛ لأن جميع الملل والأديان يُثنون عليهم ويمدحونهم، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

الآية (٥١): لما ذكر تعالى إبراهيم الخليل وأثنى عليه، عطف بذكر الكليم، فقال: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا﴾ قرأ بعضهم بكسر اللام، من الإخلاص في العبادة. وقرأ الآخرون بفتحها، بمعنى أنه كان مُصطفى؛ كما قال تعالى: ﴿إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَىٰ النَّاسِ﴾ [الأعراف: ١٤٤]. ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ لمجبع له بين الوصفين؛ فإنه كان من المرسلين الكبار أولي العزم الخمسة، وهم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

الآية (٣٩): قوله: ﴿وَأَذْكُرُهُمْ يَوْمَ الْمُنْشَرِ﴾ أي: أُنذر الخلائق يوم الحسرة، ﴿إِذْ فُتِحَ الْأَمْرُ﴾ أي: فُصل بين أهل الجنة وأهل النار، ودخل كل إلى ما صار إليه خلدًا فيه، ﴿وَرَمَ﴾ أي: اليوم ﴿فِي غَفْلَةٍ﴾ عما أُنذروا به، ﴿وَرَمَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: لا يُصدقون به. عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «يُجاء بالموت كأنه كبش أملح، فيوقف بين الجنة والنار، فيقال: يا أهل الجنة، هل تعرفون هذا؟ قال: «فَيَسْتَرِثُونَ فَيَنْظُرُونَ ويقولون: نعم هذا الموت». قال: «فَيُقال: يا أهل النار، هل تعرفون هذا؟ قال: «فَيَسْتَرِثُونَ فَيَنْظُرُونَ ويقولون: نعم، هذا الموت» قال: «فيؤمر به فيُدْبج» قال: «ويقال: يا أهل الجنة، خلود ولا موت، ويا أهل النار خلود ولا موت» قال: ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَأَذْكُرُهُمْ يَوْمَ الْمُنْشَرِ إِذْ فُتِحَ الْأَمْرُ وَرَمَ فِي غَفْلَةٍ﴾ وأشار بيده. قال: «أهل الدنيا في غفلة الدنيا» هكذا رواه الإمام أحمد، وقد أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما، ولفظهما قريب من ذلك. الآية (٤٠): قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ رَبُّ الْأَرْضِ وَمَنْ عَنَّا وَإِنَّا بَرِئُونَ﴾ يغير تعالى أنه الخالق المالك المتصرف، وأن الخلق كُلُّهم يتلكون ويبقى هو تعالى وتقدس، ولا أحد يدعي مُلكًا ولا نصرًا، بل هو الوارث لجميع خلقه، الباقي بعدهم، الحاكم فيهم، فلا تظلم نفس شيئًا ولا جناح بعوضة ولا مثقال ذرة.

الآية (٤١-٤٥): يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ﴾: وأتل على قومك، هؤلاء الذين يعبدون الأصنام، واذكر لهم ما كان من خبر إبراهيم خليل الرحمن -الذين هم من ذريته، ويدعون أنهم على ملته، وقد كان صديقًا نبيًّا- مع أبيه كيف نهاه عن عبادة الأصنام، فقال: ﴿يَتَأْتِيهِمْ قَبْلاً مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يَبْصُرُ وَلَا يُحِيطُ بِشَيْءٍ﴾ أي: لا يفهم ولا يدفع عنك ضررًا. ﴿يَتَأْتِي إِيَّاهُ قَدْ جَاءَ فِي رَحْمَةٍ أَلْقَاهُ مَا لَمْ يَأْتِكُ﴾ يقول: فإن كنت من صلبك وترى أني أصغر منك لأني ولدك، فاعلم أني قد أطلعت من العلم من الله على ما لم تعلمه أنت ولا أطلعت عليه ولا جاءك بعد، ﴿فَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ يَمْرُقًا سَوِيًّا﴾ أي: طريقًا مستقيمًا موصلًا إلى نيل المطلوب، والنجاة من المهووب. ﴿يَتَأْتِيَ لَا يَتَّبِعُ الشَّيْطَانَ﴾ أي: لا تُطعمه في عبادتك هذه الأصنام؛ فإنه هو الداعي إلى ذلك والراضي به. قوله: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾ أي: مخالفًا مستكبرًا عن طاعة ربه، فطرده وأبعده، فلا تتبعه نصير مثله. ﴿يَتَأْتِيَ إِيَّاهُ خَافًا أَن يَسْكَنَ عَذَابَ يَوْمِ الرَّجْزِ﴾ أي: على شركك وعصيانك لما أمرك به، ﴿فَتَكُونُ لِلشَّيْطَانِ رَاقِيًا﴾ يعني: فلا يكون لك مولى ولا ناصرًا ولا منفيًا إلا إبليس، وليس إليه ولا إلى غيره من الأمر شيء، بل اتباعك له موجب لإحاطة العذاب بك، كما قال: ﴿ثُمَّ أَنَا الَّذِي أَرْسَلْتُ إِلَىٰ أَنبِيَائِي قَدْ كَفَرُوا فَمِمَّا أَعْمَلُوا هُمُ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ﴾ [النحل: ٦٣].

الآية (٤٦-٤٨): يقول تعالى خبرًا عن جواب أبي إبراهيم لولده إبراهيم فيها دعاه إليه أنه قال: ﴿أَرَأَيْتَ أَتَىٰ عَنِّي إِلَهِي بِمَا بَرَّيْتُمْ﴾ يعني: إن كنت لا تريد عبادتها ولا ترضاها، فأتتني عن سبها وشتمها



## ● الوقفات التدريبية

﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَمَنْ يَنْفَرُ مِنْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾

الحسرة: أشد الندم والتلف على الشيء الذي فات ولا يمكن تداركه، والإنذار: الإعلام المقترب بتهديد؛ أي: أذار الناس يوم القيامة، وقيل له يوم الحسرة لشدة ندم الكفار فيه على التفریط، وقد يندم فيه المؤمنون على ما كان منهم من التقصير. الشنقيطي: ٤٢٢/٣.

السؤال: لماذا سمي يوم القيامة يوم الحسرة؟ وهل الحسرة خاصة بالكفار؟

﴿ وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِرَبِّهِ أَتَىٰ عَذَابُكَ مِنَ الرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴾

الصدیق: الكثير الصدق القائم عليه، وقيل: من صدق الله في وحدانيته، وصدق أنبياءه ورسله، وصدق بالبعث، وقام بالأوامر فعمل بها؛ فهو الصدیق. البغوي: ٨٨/٣.

السؤال: كيف يكون العبد صدیقاً؟

﴿ يَتَأْتِيَ لَمْ تَقْدَمَ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يَبْصُرُ وَلَا يُفْقِ عَنكَ شَيْئًا ﴾ ﴿ يَتَأْتِيَ إِنْ قَدْ جَاءَ مِنْ أَلِيمٍ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْ أَهْلَكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴾ ﴿ يَتَأْتِيَ لَا تَعْبُدُ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴾ ﴿ يَتَأْتِيَ إِنْ أَخَافَ أَنْ يَسَّكَ عَذَابُ رَبِّ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴾

فتدريج الخليل - عليه السلام - بدعوة أبيه بالأسهل فالأسهل؛ فأخبره بعلمه وأن ذلك موجب لاتباعك إياي، وأنت إن أطمعني اهتديت إلى صراط مستقيم، ثم نهاه عن عبادة الشيطان، وأخبره بما فيها من المضار، ثم حذره عقاب الله ونقمته إن أقام على حاله، وأنه يكون ولياً للشيطان. السعدي: ٩٥.

السؤال: التدرج في الدعوة من أهم الأمور التي يجب أن يحرص عليها الداعية، فكيف نستفيد هذا الأمر من قصة إبراهيم؟

﴿ يَتَأْتِيَ إِنْ قَدْ جَاءَ مِنْ أَلِيمٍ مَا لَمْ يَأْتِكَ ﴾

وفي هذا من لطف الخطاب ولينه ما لا يخفى؛ فإنه لم يقل: «يا ابت أنا عالم وأنت جاهل»، أو «ليس عندك من العلم شيء»، وإنما أتى بصيغة تقتضي أن عندي وعندك علماً، وأن الذي وصل إلي لم يصل إليك ولم يأتلك. السعدي: ٩٤.

السؤال: كيف يستفيد الداعية من هذه الآية في مخاطباته للناس حال دعوته؟

﴿ يَتَأْتِيَ لَا تَعْبُدُ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴾

وذكر وصف: (عصياً) الذي هو من صيغ المبالغة في العصيان، مع زيادة فعل (كان) للدلالة على أنه لا يفارق عصيان ربه، وأنه متمكن منه. ابن عاشور: ١١٧/١٦.

السؤال: لم وصف الشيطان بـ (عصياً)؟

﴿ قَالَ سَلَّمَ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُكَ رَبِّي ﴾

أجاب الخليل جواب عباد الرحمن عند خطاب الجاهلين، ولم يشتمه، بل صبر، ولم يقابل إياه بما يكره، وقال: (سلام عليك). السعدي: ٩٥.

السؤال: كيف يكون أدب الداعية إلى الله إذا قُوبِلَ بالأذى والكلام السيء؟

﴿ وَأَعِزَّنَا لَكُمْ وَمَا دَعَوْتُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴾

وهذه وظيفة من أيسر مَن دعاهم... أن يشتغل بإصلاح نفسه، ويرجو القبول من ربه، ويعتزل الشر وأهله. السعدي: ٩٥.

السؤال: ما الذي يفعله الداعية إذا لم يجد القبول عند من يدعو؟

وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥﴾ إِنَّا نَحْنُ رَبُّ الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِنَّا يُرْجِعُونَ ﴿١٦﴾ وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿١٧﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَتَأْتِيَ لِيُتَعَبَّدَ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يَبْصُرُ وَلَا يُفْقِ عَنكَ شَيْئًا ﴿١٨﴾ يَتَأْتِيَ إِنْ قَدْ جَاءَ مِنْ أَلِيمٍ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْ أَهْلَكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿١٩﴾ يَتَأْتِيَ لَا تَعْبُدُ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٢٠﴾ يَتَأْتِيَ إِنْ أَخَافَ أَنْ يَسَّكَ عَذَابُكَ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٢١﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِنْ أَخَذَ عَنِّي إِلَهِي يَتَأْتِيهِمْ لَيْنَ لَوْ تَشَاءُ لَأَرْجُمَنَّكَ وَأَهْجُرَنِي مَلِيًّا ﴿٢٢﴾ سَلَّمَ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٢٣﴾ وَأَعِزَّنَا لَكُمْ وَمَا دَعَوْتُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا أَغْتَرَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٢٥﴾ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٢٦﴾ وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِذْ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٢٧﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
الحسرة	التندبات
صدیقاً	عظيم الصدق لا يكذب.
صراطاً سويًّا	طريقاً لا عوج فيه.
مليًّا	زمنًا طويلاً.
حفيًّا	رحيماً بحالي يكرمني ويحبيني إذا دعوته.
مخلصاً	مُصطَفًى مُختاراً.

## ● العمل بالآيات

- احتسب الأجر على بلاء أصابك؛ فقد ابتلي إبراهيم بكفر أبيه فصبر على قضاء الله وقدره، فوهبه الله النبوة في دعوته. ﴿ فَلَمَّا أَغْتَرَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴾.
- قصة إبراهيم في دعوته مع أبيه مليئة بالفوائد، حاول أن تدونها في عدة نقاط، وارسلها لمن حولك. ﴿ وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴾.
- سل الله تعالى الغفرة والرضوان لوالديك. ﴿ قَالَ سَلَّمَ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴾.

## ● التوجيهات

- عبادة الأصنام، والقبول، والأضرحة، تعد عبادة للشيطان؛ لأنه الأمر بها، والداعي إليها، ﴿ يَتَأْتِيَ لَا تَعْبُدُ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴾.
- لا تأنف من أخذ العلم ممن صغر سنه، أو قلت درجته عندك، ﴿ يَتَأْتِيَ إِنْ قَدْ جَاءَ مِنْ أَلِيمٍ مَا لَمْ يَأْتِكَ ﴾.
- اعتزل أماكن الفساد والشر، ولا تتساهل في ذلك، ﴿ وَأَعِزَّنَا لَكُمْ وَمَا دَعَوْتُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾

قال مجاهد: لم يعد شيئاً إلا وفقى به، وقال مقاتل: وعد رجل أن يقيم مكانه حتى يرجع إليه الرجل، فاقام إسماعيل مكانه ثلاثة أيام للمبيعة؛ حتى رجع إليه الرجل. البغوي: ٩١/٣.

السؤال: بين قيمة الوفاء بالوعد عند الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾

فكمل نفسه، وكمل غيره، وخصوصاً أخص الناس عنده، وهم أهله؛ لأنهم أحق بدعوته من غيرهم. السعدي: ٤٩٦.

السؤال: لماذا خص الأهل بالذكر هنا؟

﴿إِذَا نُنَادِي عَلَيْهِمْ مَائِدَتِ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا﴾

وفي إضافة الآيات إلى اسمه (الرحمن) دلالة على أن آياته من رحمته بعباده، وإحسانه إليهم؛ حيث هداهم بها إلى الحق، وبصرهم من العمى، وأنقذهم من الضلالة، وعلمهم من الجهالة. السعدي: ٤٩٦.

السؤال: ما الذي يستفاد من إضافة الآيات إلى اسم الله (الرحمن)؟

﴿خَلَفَ مِنْ بَينِهِمْ خَلْفٌ أَصَاغُوا أَصْلُوهُ وَأَتَّبَعُوا الشَّهْرَبَ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾ سألوا ابن مسعود عن إضاعتها فقال: هو تأخيرها حتى يخرج وقتها، فقالوا: ما كنا نرى ذلك إلا تركها، فقال: لو تركوها لكانوا كفاراً. ابن تيمية: ٤/٢٨٥.

السؤال: بين خطورة تأخير الصلاة عن وقتها.

﴿خَلَفَ مِنْ بَينِهِمْ خَلْفٌ أَصَاغُوا أَصْلُوهُ﴾

وإذا اضاعوها فهم لما سواها من الواجبات اضيع؛ لأنها عماد الدين، وقوامه، وخير أعمال العباد. ابن كثير: ٣/١٢٥.

السؤال: تخصيص الصلاة بالذكر في الآية تنبيه على أمر مهم، فما هو؟

﴿جَنَّتْ عَذْنُ النَّبِيِّ وَعَدَّ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ وَالْقَلْبُ﴾

أضافها إلى اسمه (الرحمن) لأنها فيها من الرحمة والإحسان ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. وإيضاً فهي إضافتها إلى رحمته ما يدل على استمرار سرورها، وأنها باقية بقاء رحمته التي هي أثرها وموجبها. السعدي: ٤٩٧.

السؤال: ما الذي يستفاد من اقتران ذكر الجنات باسمه (الرحمن) في هذه الآية؟

﴿وَلَمْ يَرْزُقْهُمْ فِيهَا بَكْرَةً وَعَشِيًّا﴾

(بكرة وعشيا) أي: في قدر هذين الوقتين، إذ لا بكرة ثم ولا عشيا ... وقال العلماء: ليس في الجنة ليل ولا نهار، وإنما هم في نور أبداً.

القرطبي: ١٣/٤٧٩.

السؤال: كيف يكون رزق أهل الجنة بكرة وعشيا؟ وهل في الجنة نهار وليل؟

وَنَدْبَتُهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبَتْهُ نَحِيًّا ﴿٥٠﴾ وَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَهْلَهُ هُزُونًا نَبِيًّا ﴿٥١﴾ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥٢﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٣﴾ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجِبِينَ إِذَا نُنَادِي عَلَيْهِمْ أَإِنِّي لَمُتُّ وَلَمْ يَرْجِعُوا سُبْحًا وَمَبِيتًا لَمْ يَنْتَبِهُوا وَلَكُمْ فِي الْقِصَّةِ عِلْمٌ لِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٦﴾ وَبَيْنَ أَيْدِيكُمْ أَيْدِي آبَائِكُمْ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجِبِينَ إِذَا نُنَادِي عَلَيْهِمْ أَإِنِّي لَمُتُّ وَلَمْ يَرْجِعُوا سُبْحًا وَمَبِيتًا لَمْ يَنْتَبِهُوا وَلَكُمْ فِي الْقِصَّةِ عِلْمٌ لِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٧﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
الطور	جَبَلٌ بَسِيطَةٌ.
نَحِيًّا	مُنَاجِيًا لَنَا.
وإِسْرَائِيلَ	يَعْقُوبُ عَلَيْهِ السَّلَام.
وَاجِبِينَ	اصْطَفَيْنَا.
خَلَفَ	اتَّبَعَ سُوًى.
غِيًّا	شَرًّا وَخِيْبَةً فِي جَهَنَّمَ.
مَاتِيًّا	أَتِيًّا لَا مَحَالَةَ.
لَقُوا	بَاطِلًا.

## ● العمل بالآيات

١. أمر إخوانك وأهل بيتك بالصلاة والصدقة، وذكرهم بأدائها في وقتها، ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾.

٢. ابك أو تباك عند قراءة القرآن؛ خصوصاً إذا كنت وحدك، ﴿إِذَا نُنَادِي عَلَيْهِمْ مَائِدَتِ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا﴾.

٣. تذكر دنيا فعلته، والنج على الله بالاستغفار والتوبة منه، ﴿إِنِّي لَمُتُّ وَلَمْ يَرْجِعُوا سُبْحًا وَمَبِيتًا لَمْ يَنْتَبِهُوا وَلَكُمْ فِي الْقِصَّةِ عِلْمٌ لِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

## ● التوجيهات

١. احرص على الصدق في أقوالك، وأفعالك، ومواعيدك، وعهودك؛ فذلك من أخلاق الأنبياء، ﴿إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾.

٢. تفقد أحوال الأهل والأقارب في صلاتهم وزكاتهم من صفات الأنبياء والصالحين، ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾.

٣. تعاهد صلاتك بين الفينة والأخرى، وتفقد حالك معها؛ فإن إضاعتها إضاعة للدين بأكمله، ﴿خَلَفَ مِنْ بَينِهِمْ خَلْفٌ أَصَاغُوا أَصْلُوهُ وَأَتَّبَعُوا الشَّهْرَبَ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾.

قوله: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ قال ابن عباس: خسراً. وقال قتادة: شراً.  
قوله: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ أي: إلا من رجع عن ترك  
الصلوات واتباع الشهوات؛ فإن الله يقبل توبته، ويحسن عاقبته،  
ويجعل له من ورثة جنة النعيم؛ ولهذا قال: ﴿وَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا  
يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾؛ وذلك لأن التوبة تُحِبُّ ما قبلها. ولهذا لا يُنْقَضُ  
هؤلاء التائبون من أعمالهم التي عملوها شيئاً، ولا قُوبِلُوا بما عملوه  
قبلها فيُنْقَضُ لهم بما عملوه بعدها؛ لأن ذلك ذهب هدراً وترك نسياناً،  
وذهب نجاً من كرم الكريم، وحلم الحليم. وهذا الاستثناء كقوله في  
سورة الفرقان: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ  
اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفرقان: ٧٠].

الآية (٦١-٦٣): يقول تعالى: الجنات التي يدخلها التائبون من  
ذنوبهم هي جنات ﴿عَدْنٍ﴾ أي: إقامة، ﴿الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ﴾. بظهر  
الغيب؛ أي: هي من الغيب الذي يؤمنون به وما راوه؛ وذلك لشدة  
إيقانهم وقوة إيمانهم. قوله: ﴿إِنَّكَ كَانَتْ وَعْدُهُمْ حَقًّا﴾ تأكيد لحصول ذلك  
وثبوته واستقراره، فإن الله لا يخلف الميعاد ولا يبدله؛ كقوله: ﴿كَانَ  
وَعْدُهُ مُفْعُولًا﴾ [الزلزال: ١٨] أي: كانت لا محالة. وقوله ههنا: ﴿مَأْنِيًا﴾ أي:  
العباد صابرون إليه، وسيأتونه. قوله: ﴿لَا تَسْمَعُونَ فِيهَا لَقْوًا﴾ أي: هذه  
الجنات ليس فيها كلام ساقط تافه لا معنى له، كما قد يوجد في الدنيا،  
﴿إِلَّا سَلَامًا﴾ استثناء منقطع؛ كقوله: ﴿لَا تَسْمَعُونَ فِيهَا لَقْوًا وَلَا تَأْتِيهَا ۝١٥  
إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾ [الواقعة: ٢٥، ٢٦]. قوله: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا بَكْرَةٌ  
وَعِيشًا﴾ أي: في مثل وقت البكرات ووقت العشيات، لا أن هناك  
ليلاً أو نهراً ولكنهم في أوقات تتعاقب، يعرفون مُضِيِّهَا بأصواء  
وأنوار. قال قتادة: فيها ساعتان: بكرة وعشي، ليس ثمَّ ليل ولا نهار،  
ولأنها هو ضوء ونور. قوله: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾  
أي: هذه الجنة التي وصفنا هذه الصفات العظيمة هي التي نورثها  
عبادنا المتقين، وهم المطيعون لله ﷻ في السراء والضراء، والكاظمون  
الغيظ والعافون عن الناس، كما قال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ  
فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢ إِلَىٰ أَنْ قَالَ: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ۝٣ الَّذِينَ  
يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠-١١].

الآية (٦٤): [سبب النزول]: عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ  
لجبريل: «ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا؟» قال: فنزلت ﴿وَمَا  
نَنْزَلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ إلى آخر الآية، انفرد بإخراجه البخاري.  
قوله: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَهُمْ فِيهَا مَا خَلَقْنَا﴾ قيل: المراد: ﴿مَا يَشَاءُونَ فِيهَا﴾:  
أمر الدنيا، ﴿وَمَا خَلَقْنَا﴾: أمر الآخرة، ﴿وَمَا يَشَاءُونَ فِيهَا﴾: ما بين  
المتخفين. هذا قول أبي العالية. وقيل: ﴿مَا يَشَاءُونَ فِيهَا﴾ ما نستقبل من  
أمر الآخرة، ﴿وَمَا خَلَقْنَا﴾ أي: ما مضى من الدنيا، ﴿وَمَا يَشَاءُونَ فِيهَا﴾  
أي: ما بين الدنيا والآخرة. واختاره ابن جرير. قوله: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ  
نَبِيًّا﴾ قال مجاهد والشَّيْخُ: معناه: ما نسيك ربك. عن أبي الدرداء  
يرفعه قال: «ما أحل الله في كتابه فهو حلال، وما حرم فهو حرام، وما  
سكت عنه فهو عافية، فاقبلوا من الله عافيته؛ فإن الله لم يكن لينسى  
شيئاً» ثم تلا هذه الآية: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَبِيًّا﴾ [إرواه الحاكم، وحسنه الألباني].

الآية (٥٢-٥٣): قوله: ﴿وَوَدَّيْتَهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ﴾ أي: الجبل  
﴿الْأَيْمَنِ﴾ من موسى حين ذهب يبتغي من تلك النار جذوة، فرآها  
تلوح فقصدها، فوجدها في جانب الطور الأيمن منه، غريبة عند  
شاطئ الوادي، فكلمه الله تعالى وناداه وقرَّبه وناجاه. عن ابن عباس  
قال: أدنى حتى سمع صريف القلم. قوله: ﴿وَوَفَّيْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَحَادَ  
هُزُونَ نَبِيًّا﴾ أي: وأجبتنا سؤاله وشفاعته في أخيه، فجعلناه نبياً، كما في  
الآية الأخرى: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْضَلُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْنَا مِنِّي  
رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِيَّاهُ أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ [النقص: ٣٤]، ولهذا قال بعض  
السلف: ما شفع أحدٌ في أحدٍ شفاعَةً في الدنيا أعظم من شفاعَةِ  
موسى في هارون أن يكون نبياً.

الآية (٥٤-٥٥): هذا ثناء من الله تعالى على إسماعيل بن إبراهيم  
الخليل -عليهما السلام- وهو والد عرب الحجاز كلهما، بأنه ﴿كَانَ  
صَادِقَ الْوَعْدِ﴾. وقال بعضهم: إننا قيل له: ﴿صَادِقَ الْوَعْدِ﴾ لأنه قال  
لأبيه: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الْقَبُورِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢]، فصدق في  
ذلك. فصدق الوعد من الصفات الحميدة، كما أنَّ خُلُقَهُ من الصفات  
الذميمة. قوله: ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ في هذا دلالة على شرف إسماعيل  
على أخيه إسحاق؛ لأنه إنَّما وُصِفَ بالنبوة فقط، وإسماعيل وُصِفَ  
بالنبوة والرسالة. قوله: ﴿وَكَانَ بِأَمْرٍ أَهْلًا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ  
مَرْضِيًّا﴾ هذا أيضاً من الثناء الجميل، والصفة الحميدة، والخلقة  
السديدة؛ حيث كان مثابراً على طاعة ربه أمراً بها لأهله.

الآية (٥٦-٥٧): ذكر إدريس عليه السلام بالثناء عليه بأنه كان صديقاً  
نبياً، وأن الله رفعه مكاناً علياً. وفي الصحيح: أن رسول الله ﷺ مرَّ به في  
ليلة الإسراء وهو في الساء الرابعة (منفرد عليه).

الآية (٥٨): يقول تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ هَؤُلَاءِ النَّبِيُّونَ -وَلَيْسَ الْمُرَادَ  
المذكورين في هذه السورة فقط، بل جنس الأنبياء -عليهم السلام-  
استطرد من ذكر الأشخاص إلى الجنس، ﴿الَّذِينَ آمَنَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ  
النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ﴾ الآية. قال الشَّيْخُ وابن جرير: الذي عني به من  
ذرية آدم: إدريس، والذي عني به من ذرية من حملنا مع نوح: إبراهيم،  
والذي عني به من ذرية إبراهيم: إسحاق ويعقوب وإسماعيل، والذي  
عني به من ذرية إسرائيل: موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى ابن  
مريم. قوله: ﴿إِذَا نُنَادِيهِمْ ءَاتَيْنَا الرَّحْمَنَ خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ اللَّهِ  
إِذَا قَامُوا﴾ سمعوا كلام الله المتضمن حُجْبِهِ ودلائله وبراهينه سجدوا لرَبِّهِم  
خضوعاً واستكانة، وحداً وشكراً على ما هم فيه من النعم العظيمة.  
«والبحي»: جمع باهٍ، فلهاذا أجمع العلماء على شرعية السجود ههنا،  
اقتداء بهم، واتباعاً لمثلهم.

الآية (٥٩-٦٠): ﴿خَلَقَ مِنْ بَيْنِهِمْ خَلْفًا﴾ أي: قرون آخر  
﴿أَضَاعُوا الصَّلَاةَ﴾ وإذا أضاعوها فهم لما سواها من الواجبات أضيع؛  
لأنها عباد الدين وقوامه، وغير أعمال العباد. وأقبلوا على شهوات  
الدنيا وملذاتها، ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها، فهؤلاء سيلقون  
غياً؛ أي: خساراً يوم القيامة. وقد اختلفوا في المراد بإضاعة الصلاة  
ههنا، فقال قائلون: المراد بإضاعتها تركها بالكليّة، واختاره ابن  
جرير. وقال عمر بن عبد العزيز: لم تكن إضاعتهم تركها، ولكن  
أضاعوا الوقت. وقال الحسن: عطّلوا المساجد، ولزموا الضيعات.



(١) راجع صفحة: ٢٩٩.



## ● الوقفات التدريبية

﴿ فَرَيْكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثًا ﴾

وعطف (الشياطين) على ضمير المشركون لقصد تحقيرهم بأنهم يحشرون مع أحقر جنس وافسده، وللإشارة إلى أن الشياطين هم سبب ضلالتهم الموجب لهم هذه الحالة. ابن عاشور: ١٦/١٢٧.

السؤال: ما فائدة عطف (الشياطين) على ضمير المشركون في الآية الكريمة؟

﴿ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عَيْنًا ﴾

(أيهم أشد على الرحمن عينا): عتوا؛ قال ابن عباس رضي الله عنهما: يعني جرة. وقال مجاهد: هجورا؛ يريد: الأعتى فالأعتى. وقال الكلبي: قائدهم ورأسهم في الشر؛ يريد أنه يقدم في إدخال النار من هو أكبر جرما وأشد كفرا. وفي بعض الآثار: أنهم يحشرون جميعا حول جهنم

مسلسلين مغلولين، ثم يقدم الأضر فالأضر. البغوي: ٩٩/٣.

السؤال: بين عقوبة من كان إماما في الشر والطفيان.

﴿ وَلَنْ يَنْفَعَكَ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتَاً مَقْصُودًا ﴾

كان عبد الله بن رواحة واضعاً رأسه في حجر امرأته فبكت، فبكت امرأته، فقال: ما يبكيك؟ قالت: رايتك تبكي فبكت، قال: إني ذكرت قول الله عز وجل: (وإن منكم إلا واردها) فلا أدري أنجو منها، أم لا. وكان أبو ميسرة إذا أوى إلى فراشه قال: يا ليت أمني ثم تلدني، ثم يبكي، فقيل له: ما يبكيك يا أبا ميسرة؟ فقال: أخبرنا أنا واربوها، ولم نخبر أننا صادرون عنها. ابن كثير: ١٢٩/٣.

السؤال: لم يخاف التدبر للقرآن من الورود على النار؟

﴿ وَإِذَا نُنْفِلُ عَلَيْهِمْ آيَاتَنَا يَسْتَكْبِرُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴾

(خير مقاماً أي: في الدنيا من: كثرة الأموال، والأولاد، وتوفر الشهوات ... وعلم من هذا أن الاستدلال على خير الآخرة بخير الدنيا من أفسد الأدلة، وأنه من طرق الكفار. السعدي: ٤٩٩.

السؤال: كثيراً ما يجعل الناس النعمة الدنيوية دليلاً على محبة الله لهم، فما رأيك في هذا؟

﴿ وَكَرَّاهِلُكُمْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثْنًا وَرَدًّا ﴾

الأثان: المال من لباس ونحوه، والرني: النظير، فأخبر أن الذين أهلكتهم قبلهم كانوا أحسن صورة، وأحسن أثاناً وأموالاً؛ ليبين أن ذلك لا ينفع عنده، ولا يعيب به. ابن تيمية: ٤/٢٩٢.

السؤال: لا تجدي الأموال والصور نفعاً عند الله عز وجل، بين ذلك من الآية الكريمة:

﴿ قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَسُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدْخِجًا إِذَا رَأَوْا كَأَنَّ الْمَؤُودِينَ إِذَا الْعَذَابُ وَآمَنَ السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا ﴾

فمعيار التفرقة بين النعمة الناشئة عن رضى الله تعالى على عبده وبين النعمة التي هي استدراج لمن كفر به هو النظر إلى حال من هو في نعمة

بين حال هدى وحال ضلال. ابن عاشور: ١٦/١٥٥.

السؤال: كيف نفرق بين من كان في نعمة لرضى الله تعالى، ومن كان

في نعمة للاستدراج؟

﴿ وَالَّذِينَ اتَّصَلُوا مِنْكُمْ عَلَى رَأْسِهِمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سُرُورًا ﴾

(والباقيات الصالحات): الأذكاء والأعمال الصالحة التي تبقى لصاحبها.

البغوي: ١٥٥/٣.

السؤال: ما الباقيات الصالحات؟ ولم سميت بذلك؟

رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٥٥﴾ وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ إِذَا مَاتَ مَتَى لَسَوْفَ أُخْرَجَ حَيًّا ﴿٥٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكْ سَمِيًّا ﴿٥٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثًا ﴿٥٨﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عَيْنًا ﴿٥٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا ﴿٦٠﴾ وَإِنْ يَنْفِرُ الْآدَمُ أَتَقْوُوا وَنَذِرُ الْفُلَاحِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٦١﴾ وَإِذَا نُنْفِلُ عَلَيْهِمْ آيَاتَنَا يَسْتَكْبِرُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٦٢﴾ وَكَرَّاهِلُكُمْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثْنًا وَرَدًّا ﴿٦٣﴾ قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَسُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدْخِجًا إِذَا رَأَوْا كَأَنَّ الْمَؤُودِينَ إِذَا الْعَذَابُ وَآمَنَ السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا ﴿٦٤﴾ وَيَرْيِدُ اللَّهُ الَّذِينَ أَهْتَدُوا هُدًى وَالَّذِينَ اتَّصَلُوا مِنْكُمْ عَلَى رَأْسِهِمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سُرُورًا ﴿٦٥﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
جِثًا	بَارِكِينَ عَلَى رُكْبِهِمْ مِنَ الْهَوْلِ.
عَيْنًا	تَمَرَّدًا وَعَصِيَانًا.
صِلِيًّا	دُخُولًا، وَمُقَاسَاةً لِحَرْهَا.
وَارِدُهَا	مَارًا بِالصَّرَاطِ الْمَنْصُوبِ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ.
نَدِيًّا	مَجْلِسًا.
أَثْنًا	مَتَاعًا.
وَرَدًّا	مَنْظَرًا، وَمَرَأً.
مَرَدًا	مَرَجِحًا، وَعَاقِبَةً.

## ● العمل بالآيات

- استعد بالله من عذاب جهنم؛ فقد ثبت ورودك لها لكن لم يثبت لك النجاة منها، ﴿ وَلَنْ يَنْفَعَكَ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتَاً مَقْصُودًا ﴾.
- سل الله تعالى أن يجعلك ممن زاده هدى، ﴿ وَيَرْيِدُ اللَّهُ الَّذِينَ أَهْتَدُوا هُدًى ﴾.
- قل: «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر»؛ فهي من الباقيات الصالحات، ﴿ وَالَّذِينَ اتَّصَلُوا مِنْكُمْ عَلَى رَأْسِهِمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سُرُورًا ﴾.

## ● التوجيهات

- العبادة تحتاج إلى صبر ومجاهدة؛ فدرّب نفسك على ذلك، ﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ ﴾.
- الجزاء من جنس العمل؛ فبقدّم رؤساء الضلالة وأئمة الكفر إلى جهنم قبل الاتباع، ﴿ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عَيْنًا ﴾.
- كل من سمى إلى علم أو عمل صالح وهو جاد وصادق هداة الله إلى علم وعمل صالح آخر، ﴿ وَيَرْيِدُ اللَّهُ الَّذِينَ أَهْتَدُوا هُدًى ﴾.



## ● الوقفات التدريبية

﴿ وَرَبُّهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِنَا فَردًا ﴾

أي: نسلبه ما اعطيناه في الدنيا من مال وولد، وقال ابن عباس- رضي الله عنهما- وغيره: «أي: نرثه المال والولد بعد إهلاكنا إياه». وقيل: نحرمة ما تمناه في الآخرة من مال وولد، ونجعلنا تغيره من المسلمين. (ويأتينا فردًا) أي: منفردًا لا مال له، ولا ولد، ولا عشيرة تنصره. القرطبي: ٥٩/١٣. السؤال: حينما ترى في الواقع من اغتر بماله وجاهه وولده، وظن أنه مخلد، كيف تعظه بهذه الآيات؟

﴿ وَرَبُّهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِنَا فَردًا ﴾

ومعنى إرث أولاده: أنهم يصيرون مسلمين، فيدخلون في حزب الله؛ فإن العاص ولّد عمرًا الصحابي الجليل، وهشامًا الصحابي الشهيد يوم أجنادين، فهنا بشارة للنبي ﷺ، ونكاية وكمد للعاص بن وائل. ابن عاشور: ١٦٣/١٦.

السؤال: ما معنى إرث أولاد العاص بن وائل السهمي المذكور في الآية الكريمة؟

﴿ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ۖ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ۖ ﴾

ما علق العبد رجاءه وتوكله بغير الله إلا خاب من تلك الجهة، ولا استعصر بغير الله إلا خذل. ابن تيمية: ٢٩٢/٤.

السؤال: ما علق العبد رجاءه وتوكله بغير الله إلا خاب من تلك الجهة، كيف دلت الآية الكريمة على ذلك؟

﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ۖ ﴾

الوافد لا بد أن يكون في قلبه من الرجاء وحسن الظن بالوافد إليه ما هو معلوم؛ فالمتقون ينفذون إلى الرحمن راجين منه رحمته وعميم إحسانه، والفرز بعطايه في دار رضوانه. السعدي: ٥٠٠.

السؤال: ما ظن المتقين بربهم يوم القيامة حين يحشرون إليه؟

﴿ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًا ۖ ﴾

يساقون إلى جهنم وردًا أي: عطاشًا، وهذا أبشع ما يكون من الحالات؛ سوفهم على وجه الذل والصغار إلى أعظم سجن وأفظع عقوبة -وهو جهنم- في حال ظمئهم ونصبهم. السعدي: ٥٠٠.

السؤال: في الآية تصوير لحالة المشركين البشعة يوم القيامة، فبينها.

﴿ لَا يَمْلِكُونَ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ۖ ﴾

وسمى الله الإيمان به واتباع رسله عهدًا لأنه عهد في كتبه وعلى السنة رسله بالجزاء الجميل لمن اتبعهم. السعدي: ٥٠١.

السؤال: ما وجه تسمية الإيمان بالله ورسله عهدًا؟

﴿ نَكَدَ السَّمَوَاتِ يَنْقُطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشِقُ الْأَرْضُ وَتُخْرِ الْجِبَالُ هَدًّا ۖ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ۖ ﴾

قال ابن عباس: إن الشرك فزع من السماوات والأرض والجبال وجميع الخلاق، إلا الفلقين. ابن كثير: ١٣٥/٣.

السؤال: الجبال والشجر أعقل من بعض البشر، وضع ذلك من خلال الآية.

أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَلَدًا ۖ ۝ أَطْلَعَ الْغَيْبَ أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ۖ ۝ كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ۖ ۝ وَرَبُّهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِنَا فَردًا ۖ ۝ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ۖ ۝ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ۖ ۝ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤْزُهُمْ أَزًّا ۖ ۝ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذَابًا ۖ ۝ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ۖ ۝ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًا ۖ ۝ لَا يَمْلِكُونَ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ۖ ۝ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۖ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ۖ ۝ تَكَادَ السَّمَوَاتُ يَنْقَطَرْنَ مِنْهُ ۖ ۝ وَتَشَقُّ الْأَرْضُ وَتُخْرِ الْجِبَالُ هَدًّا ۖ ۝ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ۖ ۝ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ۖ ۝ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ۖ ۝ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۖ ۝ وَكُلُّهُمْ آيَةٌ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَردًا ۖ ۝

٣١١

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
أَفَرَأَيْتَ	أَعْلَمْتَ؟
وَنَمُدُّ لَهُ	نَزِيدُهُ.
تَؤْزُهُمْ أَزًّا	تَدْفَعُهُمْ عَنِ الطَّاعَةِ، وَتُغْرِبُهُمْ بِالْعَصِيَةِ.
وَرِدًا	مُشَاءً عَطَاشًا.
يَنْقَطَرْنَ	يَتَشَقَّقْنَ.
وَتُخْرِ الْجِبَالُ هَدًّا	تَسْقُطُ سُقُوطًا شَدِيدًا.

## ● العمل بالآيات

١. تعاهد نفسك هذا اليوم أن لا تقول إلا ما يرضي الله سبحانه، وتذكر قول الله تعالى: ﴿ كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ ﴾.
٢. قل: «أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم»؛ فإن للشيطان أزا للباطل، فمن استعاذ بالله تعالى منه أعاده، ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤْزُهُمْ أَزًّا ﴾.
٣. ادع الله تعالى أن يحشرك في زمرة المتقين، ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ﴾.

## ● التوجيهات

١. كل من صرف عبادة لغير الله سبحانه فسيكون من صرفها له عدوًا له يوم القيامة، ﴿ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴾.
٢. يسارع الكافرون والناقصون إلى الشر والفساد والشبهات لوجود شياطين تحركهم وتدفعهم إليها، ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤْزُهُمْ أَزًّا ﴾.
٣. لا تجامل قريبًا ولا بعيدًا في العبادة؛ فإنك ستأتي الله فردًا يوم القيامة، ﴿ وَكُلُّهُمْ آيَةٌ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَردًا ﴾.

والشهور، والأيام، والساعات. وقال ابن عباس: نعد أنفسهم في الدنيا. الآية (٨٥-٨٧): يخبر تعالى عن أوليائه المتقين، الذين خافوه في الدار الدنيا، واتبعوا رسله وصدقهم فيها وأخبروهم، وأطاعوهم فيها أمروهم به، وانتهوا عما زجروهم: أنه يحشرهم يوم القيامة وفداً إليه. والوفد: هم القادمون ركبانا، ومنه الوفود، وركوبهم على نجائب من نور، من مراكب الدار الآخرة، وهم قادمون على خير موفود إليه، إلى دار كرامته ورضوانه. وأما المجرمون الكاذبون للرسل المخالفون لهم فإنهم يساقون غفقا إلى النار ﴿وَرَدَا﴾ عطاشا، قاله ابن عباس. وههنا يقال: ﴿أَتَى الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ (مريم: ٧٣). وقال ابن عباس: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَقَدًا﴾: ركبانا. وقوله: ﴿وَنَسُوءُ الْكَاذِبِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرَدًا﴾ أي: عطاشا، ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفْعَةَ﴾ أي: ليس لهم من يشفع لهم، كما يشفع المؤمنون بعضهم لبعض، كما قال تعالى مخبرا عنهم: ﴿فَمَا تَأْتِيَن شَفِيعِينَ﴾ ﴿لَا صَدِيقَ حَسْبُ﴾ (الشعراء: ١٠٠-١٠١). ﴿لَا مَنَ أَتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ هذا استثناء منقطع، بمعنى: لكن من اتخذ عند الرحمن عهدا، وهو شهادة أن لا إله إلا الله، والقيام بحقها. قال ابن عباس: العهد: شهادة أن لا إله إلا الله، ويبرأ إلى الله من الحول والقوة، ولا يرجو إلا الله ﷻ.

الآية (٨٨-٨٩): لما قرر تعالى في هذه السورة الشريفة عبودية عيسى عليه السلام وذكر خلقه من مريم بلا أب، شرع في مقام الإنكار على من زعم أن له ولدا - تعالى وتقدس وتنزه عن ذلك علوا كبيرا - فقال: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ ﴿٨٩﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ ﴿٩٠﴾ في قولكم هذا ﴿شَيْئًا إِذَا﴾ قال ابن عباس: أي عظيما.

الآية (٩٠-٩٥): قوله: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾ ﴿٩٠﴾ أَنَّ دَعْوَا الرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾ أي: يكاد يكون ذلك عند سماعهن هذه المقالة من فجرة بني آدم، إعظاما للرب وإجلالا، لأنهن مخلوقات ومؤسسات على توحيده، وأنه لا إله إلا هو، وأنه لا شريك له، ولا نظير له، ولا ولد له، ولا صاحبة له، ولا كفه له، بل هو الأحد الصمد. عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿مَا أَحَدٌ أَصْبَرَ عَلَى أَدَى يَسْمَعُهُ مِنَ اللَّهِ: إِنَّهُ يُشْرِكُ بِهِ، وَيُجْعَلُ لَهُ وَلَدٌ وَهُوَ يَعَافِيهِمْ وَيُدْفَعُ عَنْهُمْ، وَيَرْزُقُهُمْ﴾ (متفق عليه). وقوله: ﴿وَمَا يَلْبِغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ أي: لا يصلح له، ولا يليق به لجلاله وعظمته؛ لأنه لا كفه له من خلقه؛ لأن جميع الخلائق عبيد له؛ ولهذا قال: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا بِيِ الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ ﴿٩١﴾ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ أي: قد علم عددهم منذ خلقهم إلى يوم القيامة؛ ذكرهم وأنثاهم وصغيرهم وكبيرهم. قوله: ﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا﴾ أي: لا ناصر له ولا مجبر إلا الله وحده لا شريك له، فيحكم في خلقه بما يشاء، وهو العادل الذي لا يظلم مثقال ذرة، ولا يظلم أحدا.

الآية (٧٧-٧٨): [سبب النزول]: عن خباب بن الأرت قال: كنت رجلا قتيلا، وكان لي على العاص بن وائل دين، فأنيته أنقاضه، فقال: لا، والله لا أقضيك حتى تكفر بمحمد. فقلت: لا والله لا أكفر بمحمد ﷺ حتى تموت ثُمَّ بُعِثْتُ. قال: فإني إذا مِتُّ ثُمَّ بُعِثْتُ جِئْتَنِي وَلِي ثُمَّ مَالٌ وَوَلَدٌ، فأعطيتك. فأنزل الله: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ إلى قوله: ﴿وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ (متفق عليه). قال البخاري: ﴿أَرَأَيْتَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾: موثقا.

وقوله: ﴿أَطْلَعَ الْغَيْبَ﴾: إنكار على هذا القائل: ﴿لَأُوتِيَنَّكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ - يعني يوم القيامة - أي: أعلم ما له في الآخرة حتى تألى وحلف على ذلك!؟ ﴿أَرَأَيْتَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ أم له عند الله عهد سيؤتيه ذلك!؟ وقال ابن عباس: ﴿أَطْلَعَ الْغَيْبَ﴾ أَرَأَيْتَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ قال: لا إله إلا الله، فارجو بها.

الآية (٧٩-٨٠): ﴿كَذَّ﴾ هي حرف رذع لما قبلها وتأكيد لما بعدها ﴿سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ﴾ أي: مِنْ طَلَبِهِ ذَلِكَ وَحُكْمِهِ لِنَفْسِهِ بِمَا ثَمَّاهُ، وكفزه بالله العظيم، ﴿وَنَسُدُّ لَكَ مِنَ الْغَدَابِ مَدًّا﴾ أي: في الدار الآخرة، على قوله ذلك وكفزه في الدنيا، ﴿وَنَرْفَعُ مَا يَقُولُ﴾ أي: من مال وولد؛ نسلبه منه، عكس ما قال: إنه يؤتى في الدار الآخرة مالا وولدا زيادة على الذي له في الدنيا؛ بل في الآخرة يُسَلَّبُ مِنَ الَّذِي كَانَ لَهُ فِي الدُّنْيَا، ولهذا قال: ﴿وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ أي: من المال والولد، لا يتبعه قليل ولا كثير.

الآية (٨١-٨٢): يخبر تعالى عن الكفار المشركين بربههم: أنهم اتخذوا من دونه آلهة لتكون تلك الآلهة ﴿عِزًّا﴾ يعتززون بها ويستصرونها. ثم أخبر أنه ليس الأمر كما زعموا، ولا يكون ما طمعوها، فقال: ﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِبِادِيهِمْ﴾ أي: يوم القيامة، ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ صِدًّا﴾ أي: بخلاف ما ظنوا فيهم؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَمْسَلَ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَنْصُرُهُمْ اللَّهُ فِي يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾ ﴿٨٢﴾ إِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِبِادِيهِمْ كَافِرِينَ﴾ [الأحاف: ٦٠، ٥]. وقال السدي: ﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِبِادِيهِمْ﴾ أي: بعبادة الأوثان. قوله: ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ صِدًّا﴾ أي: بخلاف ما زعموا منهم.

الآية (٨٣-٨٤): قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤْزُهُمْ أَزًّا﴾ قال ابن عباس: تَؤْزُهُمْ إِغْوَاءٌ. وقال العوفي عنه: تحرضهم على محمد وأصحابه. وقال قتادة: ترضعهم إزعاجا إلى معاصي الله. وقوله: ﴿فَلَا تَعْمَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَّا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ أي: لا تعجل يا محمد على هؤلاء في وقوع العذاب بهم، ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ أي: إنما نؤخرهم لأجل معدود مضبوط، وهم صائرون لا محالة إلى عذاب الله ونكاله ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَفْعَلُ الْفَاسِقُونَ﴾ إِنَّمَا يُؤْخَرُهُمْ يَوْمَ نَشْخُصُ فِيهِ الْآفُسُ ﴿[إبراهيم: ٤٢]﴾ ﴿قِيلَ الْكَاذِبِينَ أَمْ أَمَلْتُمْ رُوَادًا﴾ [الطارق: ١٧]. قال السدي: ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾: السنين،





## ● الوقفات التدريبية

١ ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾  
قال مجاهد: يحبهم الله، ويحبهم إلى عباده المؤمنين - قال هرم بن حيان: ما أقبل عبد بقلبه إلى الله - عز وجل - إلا أقبل الله بقلوب أهل الإيمان إليه؛ حتى يرزقه مودتهم . البخوي: ١١٠/٣.

السؤال: كيف ينال العبد اللود من الله تعالى، ومن عباده؟

٢ ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾  
يجعل لهم وداً: أي: محبة ووداداً في قلوب أوليائه، وأهل السماء والأرض، وإذا كان لهم في القلوب وداً تيسر لهم كثير من أمورهم، وحصل لهم من الخيرات، والدعوات، والإرشاد، والقبول، والإمامة ما حصل. السعدي: ٥١.

السؤال: ما الفائدة التي يستفيد بها المسلم من محبة الصالحين له؟

٣ ﴿فَأَنَّمَا يُرِيتُكَ يَسَارًا﴾  
أي: القرآن؛ يعني: ببناء بلسانك العربي، وجعلناه سهلاً على من تدبره وتأمله. القرطبي: ٥٢٨/١٣.

السؤال: هل مشروع تدبر القرآن الذي تعيش معه صعب، أم سهل؟

٤ ﴿لَا تَذْكُرْ لِنَ يَخُنِّي﴾  
والتذكيرة: الموعظة التي تليها القلوب، فتمثل أمر الله، وتجتنب نهيه، وخص بالتذكيرة من يخشى دون غيرهم لأنهم هم المنتفعون بها. الشنقيطي: ٥/٤.

السؤال: ما الصفة التي تهينك للاستفادة من التذكير والمواعظ؟

٥ ﴿لَا تَذْكُرْ لِنَ يَخُنِّي﴾  
والتذكيرة: ظهور النسي بالذهن؛ فإن التوحيد مستقر في الفطرة والإضرار مناف لها، فالدعوة إلى الإسلام تذكير لما في الفطرة، أو تذكير لما إبراهيم عليه السلام. ابن عاشور: ١٨٥/١٦.

السؤال: لماذا قال سبحانه تذكيرة، ولم يقل تعليمًا؟

٦ ﴿وَأَن يَحْجَرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾  
عن ابن عباس وسعيد بن جبير رضي الله عنهم: السر ما تسر في نفسك، وأخفى من السر ما يليق به عز وجل في قلبك من بعد، ولا تعلم أنك ستحدث به نفسك؛ لأنك تعلم ما تسر به اليوم، ولا تعلم ما تسر به غدا، والله يعلم ما أسررت اليوم، وما تسر به غدا. وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما: السر ما أسر ابن آدم في نفسه، وأخفى: ما خفي عليه مما هو فاعله قبل أن يعمل. البخوي: ١١٣/٣.

السؤال: بين عظيم قدرة الله في علمه السر وأخفى.

٧ ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾  
وفي ذكر قصة موسى بأسرها في هذه السورة تسليية للنبي عما لقي في تبليغه من المشقات وكفر الناس؛ فإنما هي له على جهة التمثيل في أمره. ابن عطية: ٣٨/٤.

السؤال: قصة موسى في سورة طه تبث على السكينة والطمأنينة، تدبرها ثم استخرج فائدتين منها.

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿١﴾ فَأَنَّمَا يُرِيتُكَ يَسَارًا ﴿٢﴾ لَّيْسَ بِكَ بِمُتَّبِعٍ بِهِ الْمُتَّقِينَ ﴿٣﴾ وَتُذِيرُ بِهِ قَوْمًا لَّدَا ﴿٤﴾ وَكَرَّاهِلًا قَبْلَهُمْ مِّن قَبْلُ هَلْ يَخْشَىٰ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٥﴾

سُورَةُ طه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
طه ﴿١﴾ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَذِيرًا لِّمَن هَلَكَ فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ الْعُلَىٰ ﴿٤﴾ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن يُجْهَرُ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَىٰ ﴿٧﴾ إِنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴿٩﴾ إِذْ رَأَاهُ أَنَا أَنَا فَقَالَ لَأَهْلِي أَمْكُو إِلَىٰ أَيْمَانِي نَاكَ لَعَلَّيْكُمْ يَهْبَسُونَ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَمْوَسَىٰ ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَالْحَقْ تَعَالَيْكَ إِنَّكَ بِأَوْدَانِ الْمُقَدَّسِ طَوًى ﴿١٢﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	ال معنى
وَدًّا	مَحَبَّةً فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ.
لَّدَا	شَدِيدِي الْخُصُومَةِ بِالْبَابِطِ.
قَرْنٍ	أُمِّ.
رِكْزًا	صَوْتًا خَفِيًّا.
الثَّرَى	التُّرَابُ النَّدِي؛ وَالْمُرَادُ: الْأَرْضُ السَّيْبُ؛ لِأَنَّهَا تَحْتَهُ.
يَهْبَسُ	بِشُعْلَةٍ تَسْتَدْفِقُونَ بِهَا.

## ● العمل بالآيات

١. اقرأ سورة مريم، واستخرج منها بشارتين وندارتين، ﴿فَأَنَّمَا يُرِيتُكَ يَسَارًا﴾  
﴿لَّيْسَ بِكَ بِمُتَّبِعٍ بِهِ الْمُتَّقِينَ﴾ وَتُذِيرُ بِهِ قَوْمًا لَّدَا ﴿٤﴾.
٢. ارسل رسالة تبين فيها أقرب طريق وأيسره ذكرته الآية لتلي حب الناس، ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾.
٣. تعرف على صفات الله تعالى الواردة في سورة طه، وادع الله بمقتضاها؛ فقل: «يا رحمن ارحمني، يا غني ارزقني»، ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾.

## ● التوجيهات

١. تأمل في الأمم الغابرة التي أهلكها الله تعالى؛ هل تسمع لهم صوتًا؟ هل ترى لهم أثرًا؟ ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ يُخْشَىٰ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾.
٢. تعلم اللغة العربية عبادة؛ لأنها توصل لفهم القرآن الكريم، ﴿فَأَنَّمَا يُرِيتُكَ يَسَارًا﴾.
٣. تذكر أن الله تعالى مطلع على السرائر والخفيات، فلا تقل ولا تفعل ما يسخطه سبحانه، ﴿وَأَن يَحْجَرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾.



## ● الوقفات التدريبية

﴿ فَأَعْبُدِي رَأْسَهُ السَّلَوةَ لِزَكْرِيَّ ﴾

(فاعبدني): بجميع أنواع العبادة: ظاهرها وباطنها، أصولها وفروعها، ثم خص الصلاة بالذكر - وإن كانت داخلية في العبادة - لفضلها وشرافها، وتضمنها عبودية القلب واللسان والجوارح. السعدي: ٥٠٣.

السؤال: لماذا خُصَّت الصلاة بالذكر مع أنها داخلية في العبادة؟

﴿ فَأَعْبُدِي رَأْسَهُ السَّلَوةَ لِزَكْرِيَّ ﴾.

قيل: المعنى لتذكرني فيها، وقيل: لأذكرك بها. ابن جزي: ١٦/٢.

السؤال: دلت الآية على مقصد عظيم من مقاصد الصلاة، فما هو؟

﴿ وَمَا تِلْكَ يَبِيبُكَ يَمُوسَى ﴾

إنما سأله ليريه عظيم ما يفعله في العصا من قلبها حيية فمعنى السؤال: تقرير أنها عصا، فيتين له الفرق بين حالها قبل أن يقلبها، وبعد أن قلبها. ابن جزي: ١٧/٢.

السؤال: ما الغرض من سؤال الله - جل وعلا - لموسى، مع كونه تعالى يعلم السر وأخفى؟

﴿ أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴾ ﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴾ ﴿ وَبَيَّرَ لِي أَمْرِي ﴾  
ولما علم موسى ذلك لم يبادر بالمراجعة في الخوف من ظلم فرعون، بل تلقى الأمر، وسأل الله الإعانة عليه بما يؤول إلى رباطة جأشه وخلق الأسباب التي تعينه على تلبيفه، وإعطائه فصاحة القول للإسراع بالإقناع بالحجة. ابن عاشور: ٢١/١٦.

السؤال: بين سرعة الأنبياء - عليهم السلام - في التسليم والقبول لأمر الله تعالى.

﴿ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴾

أي: وسَّعه وأفسحه لأتحمل الأذى القولي والفعل، ولا يتكدس قلبي بذلك، ولا يضيق صدري؛ فإن الصدر إذا ضاق لم يصلح صاحبه لهداية الخلق ودعوتهم. السعدي: ٥٠٤.

السؤال: في الآية حثٌ للدعاة أن يدعوا الله أن يزيل عنهم الهموم الثقيلة عنهم قبل مباشرة الدعوة، وضَّح ذلك.

﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴾ ﴿ وَبَيَّرَ لِي أَمْرِي ﴾

سأل الله أن يوسع قلبه للحق؛ حتى يعلم أن أحدا لا يقدر على مضرتة إلا بإذن الله، وإذا علم ذلك لم يخف فرعون مع شدة شوخته وكثرة جنوده. البخوي: ١١٩/٣.

السؤال: ما سنة الأنبياء في معالجة الهموم الكبيرة والعقبات الشديدة في الدعوة إلى الله؟

﴿ وَأَحْلَلْ عُقْدَةً مِن لِسَانِي ﴾ ﴿ فَفَقَّهُوا قَوْلِي ﴾

وذلك لما كان أصابه من الشغ حين عرض عليه التمرة والجمرة فأخذ الجمرة فوضعها على لسانه... وما سأل أن يزول ذلك بالكلية، بل بحيث يزول الجي، ويحصل لهم فهم ما يريد منه، وهو قدر الحاجة، ولو سأل الجميع لزال، ولكن الأنبياء لا يسألون إلا بحسب الحاجة. ابن كثير: ١٤٣/٣.

السؤال: في الآية بيانٌ لأدب من آداب دعاء الأنبياء لربهم في حاجاتهم الدنيوية، فما هو؟

وَأَنَا أَخَذْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴿١٥﴾ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٦﴾ إِنَّ السَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ﴿١٧﴾ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى ﴿١٨﴾ وَمَا تِلْكَ يَبِيبُكَ يَمُوسَى ﴿١٩﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَاهْتَسُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِي فِيهَا مَنَازِلُ أُخْرَى ﴿٢٠﴾ قَالَ أَلْقَاهَا يَمُوسَى ﴿٢١﴾ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَبَّةٌ تَسْعَى ﴿٢٢﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَعِيدٌ هَاسِرٌ تَهَاوَى أُولَى ﴿٢٣﴾ وَأَضْمَمَ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجُ بَيضَةً مِّنْ غَيْرِ سُوءٍ ءَاتِيَةٌ أُخْرَى ﴿٢٤﴾ لِنُرِيكَ مِنْ ءَلَيْنَا الْأَكْبَرَى ﴿٢٥﴾ أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٢٦﴾ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٧﴾ وَبَيَّرَ لِي أَمْرِي ﴿٢٨﴾ وَأَحْلَلْ عُقْدَةً مِن لِسَانِي ﴿٢٩﴾ فَفَقَّهُوا قَوْلِي ﴿٣٠﴾ وَأَجْعَلْ لِي زُرًى مِّنْ أَهْلِي ﴿٣١﴾ هَؤُلَاءِ أَخِي ﴿٣٢﴾ أَشَدُّ ذِيَّةً أَرَى ﴿٣٣﴾ وَأَشْرَكَهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٤﴾ كَيْ تَسْبِيحَكَ كَبِيرًا ﴿٣٥﴾ وَتَذْكُرَكَ كَبِيرًا ﴿٣٦﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَاصِرٍ ﴿٣٧﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتُ سُورَتَكَ يَمُوسَى ﴿٣٨﴾ وَلَقَدْ مَنَّاعَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى ﴿٣٩﴾

٣٣

## ● معاني الكلمات

المعنى	الكلمة
فَتَهْلِكُ.	فَتَرْدَى
أَعْتَمَدَ عَلَيْهَا فِي الْمَشْيِ.	أَتَوَكَّأَ عَلَيْهَا
أَهْزُ بِهَا الشَّجَرُ؛ لِتَرَعَى غَنَمِي مَا يَتَسَاقَطُ مِنْ وَرْقِهِ.	وَاهْتَسُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي
مَنَافِعُ، وَحَاجَاتُ.	مَنَازِلُ
بَرَصٌ.	سُوءٌ
أَطْلَقَ لِسَانِي بِفَصِيحِ النَّطْقِ.	وَأَحْلَلْ عُقْدَةً
قَوْنِي بِهِ، وَشُدَّ بِهِ ظَهْرِي.	أَشَدُّ بِهِ أَرَى

## ● العسل بالآيات

١. سَجَّلَ في ورقة أهم النقاط التي تعين الداعية في دعوته من خلال قصة موسى عليه السلام، ﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴾ ﴿ وَبَيَّرَ لِي أَمْرِي ﴾.
٢. أبحث عن صاحب صالح مناسب لك، واشترك معه في عمل دعوي، ﴿ وَأَجْعَلْ لِي زُرًى مِّنْ أَهْلِي ﴾.
٣. تعاهد نفسك هذا اليوم بأذكار الصباح والمساء، وأدبار الصلوات، وعند النوم، ﴿ كَيْ تَسْبِيحَكَ كَبِيرًا ﴾ ﴿ وَتَذْكُرَكَ كَبِيرًا ﴾.

## ● التوجيهات

١. الحذر الحذر من قطاع الطريق بينك وبين الله سبحانه، ﴿ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى ﴾.
٢. العمل على كسب العيش وفعل الأسباب من سنة الأنبياء عليهم السلام، ﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَاهْتَسُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِي فِيهَا مَنَازِلُ أُخْرَى ﴾.
٣. على الآية قبل أن يبدأ بأي عمل أن يطلب العون والتوفيق من الله، ﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴾ ﴿ وَبَيَّرَ لِي أَمْرِي ﴾.

﴿وَأَضْمُ إِلَىٰ جَنَاحِكَ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ [القصص: ٣٢]. وقال مجاهد: ﴿وَأَضْمُ بِكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾ كَفَكَ تحت عَضْدِكَ. ﴿خَرَجَ بَيْعَةً مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ﴾ أي: من غير برص ولا أذى، ومن غير شَيْنٍ. قاله ابن عباس، ولهذا قال تعالى: ﴿لِرَبِّكَ مِنْ بَيْنِنَا أَلْكَرِي﴾. وقوله: ﴿أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ أي: أذهب إلى فرعون ملك مصر، الذي خَرَجْتَ قَارًا منه وهاربًا، فاذْهَبْ إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ومُرُهُ فَلْيُحْسِنِ إِلَى بني إسرائيل ولا يُعَذِّبهم؛ فإنه قد طغى وبغى، وأثر الحياة الدنيا، ونسي الرب الأعلى.

﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ ﴿٥٥﴾ وَبَيِّرْ لِي أَمْرِي: هذا سؤال من موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لربه ﷻ أن يشرح له صدره فيما بَعَثَهُ به، فإنه قد أَمَرَهُ بأمر عظيم، وَخُطِبَ جَسِيمٌ. بَعَثَهُ إلى أعظم ملك على وجه الأرض إذ ذاك، وَأَجْرِهِمْ، وَأَشْدُّهُمْ كَفْرًا، وأكثرهم جنودًا، وَأَغْرَمَهُمْ مُلْكًا، وأطغاهم وألبغهم تمردًا، بَلَغَ من أمره أن ادَّعى أنه لا يعرف الله، ولا يعلم لرعاياه إلها غيره! هذا وقد مَكَثَ موسى في داره مدةً وليدًا عندهم، في حُجْرِ فرعون، على فراشه، ثم قَتَلَ منهم نفسًا فخافهم أن يقتلوه، فَهَرَّبَ منهم هذه المدةً بكماها. ثم بعد هذا بَعَثَهُ رَبُّهُ ﷻ إليهم نذيرًا يدعوهم إلى الله ﷻ أن يعبدوه وحده لا شريك له؛ ولهذا قال: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ ﴿٥٥﴾ وَبَيِّرْ لِي أَمْرِي﴾ أي: إن لم تكن أنت عَوْنِي ونصيري، وعضدي وظهري، وإلا فلا طاقة لي بذلك. ﴿وَأَسْخَلَّ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي﴾ ﴿٥٦﴾ يَقْفَهُوا قَوْلِي﴾ وذلك لِمَا كان أصابه من اللُّغَةِ حين غُرِصَ عليه النمرة والجمرة، فأخذ الجمرة فوضعها على لسانه. وما سأل أن يزول ذلك بالكلية، بل بحيث يزول الحي، ويحصل لهم فهم ما يريد منه وهو قَدْرُ الحاجة. ولو سأل الجميع لزال، ولكن الأنبياء لا يسألون إلا بحسب الحاجة، ولهذا بَقِيَتْ بقية؛ قال تعالى إخبارًا عن فرعون أنه قال: ﴿أَرَأَيْتُمْ مَنِ هَذَا الَّذِي هُوَ مَعَكُمْ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ [الزخرف: ٥٢] أي: يُفْصِح بالكلام. وقال ابن عباس: شكى موسى إلى ربه ما يَتَخَوَّفُ من آل فرعون في القتل، وعُقْدَةُ لسانه، فإنه كان في لسانه عُقْدَةٌ تَسْتَمِنُهُ من كثير من الكلام، وسأل ربه أن يُعِينَهُ بأخيه هارون يكون له رِذَاءً وَيَتَكَلَّمُ عنه بكثير عما لا يُفْصِحُ به لسانه، فَأَتَاهُ سُؤْلُهُ، فَحَلَّ عُقْدَةً من لسانه.

وقوله: ﴿وَأَسْخَلَّ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي﴾ ﴿٥٧﴾ هَارُونَ أَخِي: وهذا أيضًا سؤال من موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، في أمر خارجي عنه، وهو مساعدة أخيه هارون له. قال ابن عباس: بُنِيَ هارون سَاعَتَهُ حين بُنِيَ موسى عليها السلام. وقوله: ﴿أَشْدُّهُوَ أَمْرِي﴾ قال مجاهد: ظهري. ﴿وَأَشْرَكَ لِي أَمْرِي﴾ أي: في مشاوري. ﴿كَيْ تَسْمِعَكَ كَيْدًا﴾ ﴿٥٨﴾ وَتَذَكَّرَكَ كَيْدًا﴾ قال مجاهد: لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيرًا حتى يذكر الله قَاتِمًا وقاعدًا ومضطجعًا. وقوله: ﴿إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ أي: في اصطفاك لنا، وإعطائك إِيَّانَا النبوة، وَبَعَثْتَ لَنَا إلى عدوك فرعون. الآية (٣٦-٣٧): هذه إجابة من الله لرسوله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فيما سأل من ربه ﷻ، وتذكير له بِنِعْمَةِ السالفة عليه.

الآية (١٣-١٦): ﴿وَأَنَا أَخَذْتُكَ﴾ أي: على جميع الناس مِنَ الموجودين في زمانه. ﴿فَأَسْتَجِبْ لِمَا يَرْجُو﴾ أي: اسمع الآن ما أقول لك وأوحى إليك، ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ هذا أول واجب على المكلفين أن يعلموا أنه لا إله إلا الله، وحده لا شريك له.

﴿وَأَقْبِرْ﴾ أي: وحُذِنِي وَثَمَّ بعبادتي من غير شريك، ﴿وَأَقْبِرِ السَّكْرَةَ لِلزَّكْرَةِ﴾ قيل: معناها: صلِّ لتذكرني. وقيل: معناها: وأقيم الصلاة عند ذكرك لي. ويشهد لهذا الثاني ما رواه أنس، عن النبي ﷺ قال: «إِذَا رَقَدَ أَحَدُكُمْ عَنِ الصَّلَاةِ، أَوْ غَفَلَ عَنْهَا، فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿وَأَقْبِرِ السَّكْرَةَ لِلزَّكْرَةِ﴾» [متفق عليه].

وقوله: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آيَةٌ﴾ أي: قاتمة لا محالة، وكائنه لا بدَّ منها. ﴿كَأَدُّ أَخْفِيَا﴾ قال ابن عباس: لا أُطْلِعُ عليها أحدًا غيري. وقال السُّدِّي: ليس أحد من أهل السموات والأرض إلا قد أخفى الله عنه عِلْمَ السَّاعَةِ، ولم يَرِ لِقْدَ أخفائها الله من الملائكة المُقَرَّبِينَ، ومن الأنبياء والمرسلين. وقوله: ﴿لَنَجْزِيَنَّ كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ أي: أقيمها لا محالة لأجزئي كل عامل بعمله. ﴿فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى﴾ المراد بهذا الخطاب آحاد المكلفين، أي: لا تَتَّبِعُوا سَبِيلَ مَنْ كَذَبَ بالسَّاعَةِ، وأقبل على ملأه في دنياه، وعصى مولاه واتبع هواه، فمن وافقهم على ذلك فقد خاب وخسر، ﴿فَتَرْدَى﴾ أي: تَهْلِكْ وتَمُتْ.

الآية (١٧-٢١): هذا برهان من الله تعالى لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ومعجزة عظيمة، وَخَرَقَ للعادة باهر، دَالٌّ على أنه لا يقدر على مثل هذا إلا الله ﷻ، وأنه لا يأتي به إلا نبيُّ مرسل، وقوله: ﴿وَمَا تَلَكَ بِبَيْمِينِكَ يَمْشُو﴾ قال بعض المفسرين: إنما قال له ذلك على سبيل الإيناس له. وقيل: إنما قال له ذلك على وجه التقرير، أي: أما هذه التي في يمينك عصاك التي تعرفها! فستري ما نصنع بها الآن؛ ﴿وَمَا تَلَكَ بِبَيْمِينِكَ يَمْشُو﴾ استفهام تقرير. ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا﴾ أي: أعتد عليها في حال المشي، ﴿وَأَمْشُ بِهَا عَلَى عَنَتِي﴾ أي: أَمْشُ بِهَا الشجرة لِيَسْقُطَ وَرَقُهَا، لَتَرْعَاهُ غنمي. ﴿وَلِي فِيهَا مَنَارِبٌ أُخْرَى﴾ أي: مصالح ومناافع وحاجات أُخْرَى غير ذلك. ﴿قَالَ آفَوْهَا يَمْشُو﴾ أي: هذه العصا التي في يدك يا موسى، ألقها. ﴿فَأَلْقَاهَا فَلَمَّا هِيَ حَيَّةٌ﴾ أي: صارت في الحال حَيَّةً عظيمةً، ثعبانًا طويلًا، يَتَحَرَّكُ حركةً سريعةً، فإذا هي تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ، وهو أسرع الحيات حركةً، ولكنه صغير، فهذه في غاية الكِبَرِ، وفي غاية سرعة الحركة! ﴿تَسْتَنِي﴾ أي: تمشي وتضطرب. فَكَشَفَ عن يده ثم قَبَضَ فإذا هي عصاه التي عَهِدَهَا، وإذا يَدُهُ في موضعها الذي كان يضعها إذا تَوَكَّأَ بين الشُّبُعَيْنِ؛ ولهذا قال تعالى: ﴿سَتَجِدُنَهَا أَلَدَى﴾ أي: إلى حالها التي تعرف قبل ذلك.

الآية (٢٢-٣٥): هذا برهان ثان لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهو أن الله أَمَرَهُ أَنْ يَدْخُلَ يده في جيبه، كما صَرَّحَ به في الآية الأخرى، وههنا عَبَّرَ عن ذلك بقوله: ﴿وَأَضْمُ بِكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾، وقال في مكان آخر:







## ● الوقفات التدريبية

❶ ﴿وَأَقْبَتَ عَلَيْكَ حَبَّةٌ مِّنِّي وَلَضَعَ عَلَى عَيْنِي﴾

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «أحببه الله، وحبيه إلى خلقه»، وقال ابن زيد: «جعلت من رآك أحبك، حتى أحبك فرعون، فسلمت من شره، وأحببتك أسية بنت مزاحم فتبنتك». القرطبي: ٥٨/١٤.

السؤال: من الذي يضع للعبد المحبة في قلوب الخلق؟

❷ ﴿وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾

إذا كان الحبيب إذا أراد اصطناع حبيبه من المخلوقين، وأراد أن يبلغ من الكمال المطلوب له ما يبلغ، يبذل غاية جهده، ويسعى نهاية ما يمكنه في إيصاله لذلك، فما ظنك بصنائع الرب القادر الكريم، وما تحسبه يفعل بمن أرادته لنفسه، واصطفاه من خلقه؟ السعدي: ٥٠٦.

السؤال: كيف تدل الآية على فضل موسى عليه السلام؟

❸ ﴿أَذْهَبَ أَنتَ لَوْكُوكَ يَا بَنِي وَلَا نَبِيًّا فِي ذِكْرِي﴾

يقول: ولا تضعنا في أن تذكراني فيما امرتكما ونهيتهما؛ فإن ذكركما إياي يقوي عزائمكما، ويثبت أقدامكما؛ لأنكما إذا ذكرتماني ذكرتما مني عليكم نعمًا جمّة، ومننا لا تحصى كثرة. الطبري: ٣١٢/١٨.

السؤال: ما الفوائد التي يجنيها الداعية من ذكر الله؟

❹ ﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿١٣﴾ فَقَوْلَا لَهُ قَوْلًا لِّئَا لَمَلَهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَحْشَن﴾

قال يحيى بن معاذ في هذه الآية: «هذا رفقه بمن يقول: أنا الإله، فكيف رفقه بمن يقول: أنت الإله؟» القرطبي: ١٤/٦٦.

السؤال: اذكر مظهرًا من مظاهر رحمة الله تعالى بعباده من خلال الآية.

❺ ﴿قَوْلًا لَهُ قَوْلًا لِّئَا لَمَلَهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَحْشَن﴾

إذ المقصود من دعوة الرسل حصول الاهتداء، لا إظهار العظمة، وغلظة القول بدون جدوى، فإذا لم ينفع اللين مع المدعو، وأعرض واستكبر؛ جاز في موقعه الإغلاظ معه. ابن عاشور: ٢٢٥/١٦.

السؤال: ما المقصود بالحكمة في دعوة الناس؟

❻ ﴿قَالَ فَمَنْ رَّبُّكُمْ يَا مُوسَى﴾

وأعرض عن أن يقول: فمن ربي؟ إلى قوله: (فمن ربكما) إعراضاً عن الاعتراف بالربوبية ولو بحكاية قولهما؛ لئلا يقع ذلك في سمع أتباعه وقومه، فيحسبوا أنه متردد في معرفته ربه، أو أنه اعترف بأن له رباً. ابن عاشور: ٣٣٢/١٦.

السؤال: لماذا لم يقل فرعون: فمن ربي، وإنما قال: (فمن ربكما)؟

❼ ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلَقَهُ. ثُمَّ هَدَى﴾

قال الحسن وقادة: أعطى كل شيء صلاحه، وهداه لما يصلحه. الفيوفي: ١٢٤/٣.

السؤال: بين نعمة الله تعالى على خلقه بإعطائهم وهدايتهم.

إِذَا رُجِيتَ إِلَىٰ أَمِك مَأْوُجِي ﴿٥٠﴾ أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي النَّارِ وَأَقْذِفِيهِ فِي آيَةٍ فَلْيَلْهِمِ إِلَهُهُ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَهُ. وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلَضَمَّةً عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٥١﴾ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ. فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ. وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَرَجَعْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا. فَلَمِيتَ سِتِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ مِّنْ مُّوسَىٰ ﴿٥٢﴾ وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٥٣﴾ أَذْهَبَ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴿٥٤﴾ أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٥٥﴾ فَقَوْلَا لَهُ قَوْلًا لِّئَا لَمَلَهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَحْشَن. قَالَا رَجِعْنَا إِلَىٰ مَلِكِنَا أَنْ يَفْزُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطَّغَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٥٧﴾ فَأَيُّهَا قَوْلَا لِّئَا رُسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَا تَضْحَكْ بِهِمْ. فَدَجَّنَكَ بِيَاغِي مَن رَّبِّكَ. وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَن اتَّبَعَ الْهُدَىٰ. إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٥٨﴾ قَالَ فَمَنْ رَّبُّكُمْ يَا مُوسَىٰ ﴿٥٩﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ حَلَقَهُ. ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ الْفُرُونَ الْأُولَىٰ ﴿٦١﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
الْيَمُّ	نهر النيل.
يَكْفُلُهُ	يُرَبِّيهِ، وَيُرْضِعُهُ.
تَقَرَّ عَيْنُهَا	تَطْيِبَ نَفْسُهَا.
وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا	ابْتَلَيْنَاكَ ابْتِلَاءً.
عَلَى قَدَرٍ	عَلَىٰ وَفْقِ الْوَقْتِ الْمُنْدَرِ لِرُسَالِكَ.
وَلَا تَنِيَا	لَا تَفْتَرَا وَلَا تَضَعُفَا.
يَفْزُطُ	يُعَاجِلُنَا بِالْعُقُوبَةِ.

## ● العمل بالآيات

- اسأل الله أن يلقي عليك محبة منه، وأن يضع لك القبول في الأرض، كما أُنعم على أوليائه، ﴿وَأَقْبَتَ عَلَيْكَ حَبَّةٌ مِّنِّي وَلَضَعَ عَلَى عَيْنِي﴾.
- مر بمرعوف، وأنه عن منكرب حكمة وعلم، ولا تخف، ﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿١٣﴾ فَقَوْلَا لَهُ قَوْلًا لِّئَا لَمَلَهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَحْشَن﴾.
- احتسب الأجر في حضور مجلس نبوية تعلم الحوار والجدال في الدعوة إلى الله سبحانه، ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ حَلَقَهُ. ثُمَّ هَدَىٰ﴾.

## ● التوجيهات

- أمر موسى وهارون ألا يفترآ عن ذكر الله وهما ذاهبان لدعوة فرعون؛ لأن ذكر الله يهون الأمور على الإنسان، ﴿وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾.
- الكلام اللين، والخطاب الهين في الدعوة إلى الله أقرب للإجابة وأقوى في الحجة، ﴿قَوْلًا لَهُ قَوْلًا لِّئَا لَمَلَهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَحْشَن﴾.
- معية الله وحفظه لأوليائه وأهل طاعته، ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾.



## ● الوقفات التدريبية

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى﴾

(الذي جعل لكم الأرض مهذا) أي: فراشا، وانظر كيف وصف موسى ربه تعالى بأوصاف لا يمكن فرعون أن يتصف بها؛ لا على وجه الحقيقة، ولا على وجه المجاز، ولو قال له: هو القادر، أو الراق، وشبه ذلك؛ لأمكن فرعون أن يغالطه، ويدعي ذلك لنفسه. ابن جزي: ٢٠/٢.

السؤال: على الداعية المؤثر أن يكون متقنًا في حجته، كيف تستفيد

ذلك من حوار موسى مع فرعون؟

﴿إِنِّي فِي ذَلِكَ لَآتِيكَ لَدُلُي أَنَّهُ﴾

(آيات لا ولي النهي): لدوي العقول؛ وأحدها نهية؛ سميت نهية لأنها تنهى صاحبها عن القبائح والمعاصي. البغوي: ١٣٦/٣.

السؤال: لم سمى الله تعالى أصحاب العقول أولي النهي؟

﴿كُلُوا وَارْزُقُوا أَنفُسَكُمْ إِنِّي فِي ذَلِكَ لَآتِيكَ لَدُلُي أَنَّهُ﴾

وخص الله أولي النهي بذلك؛ لأنهم المنتفعون بها، الناظرون إليها نظر اعتبار، وأما من عدهم فإنهم بمنزلة البهائم السارحة، والأنعام السائمة؛ لا ينظرون إليها نظر اعتبار، ولا تنفذ بصائرهم إلى المقصود منها، بل حظهم حظ البهائم؛ يأكلون ويشربون، وقلوبهم لاهية، وأجسامهم معرضة السعدي: ٥٠٧.

السؤال: من المستفيد من آثار نعمة الله وقدرته، المدرك لمقاصدها؟

﴿قَالَ أَجِئْنَا لَنُخْرِجَنَّهُ مِّنْ أَرْضٍ بِسَاحٍ يُخْرَجُ مِنْهَا﴾

زعم أن هذه الآيات التي أراه إياها موسى سحر وتوهم المقصود منها إخراجهم من أرضهم والاستيلاء عليها؛ ليكون كلامه مؤثرا في قلوب قومه؛ فإن الطباع تميل إلى أوطانها، ويصعب الخروج منها ومفارقتها. السعدي: ٥٠٨.

السؤال: لماذا اختار فرعون أن ينهم موسى بأنه جاء لإخراج فرعون وقومه من أرضهم؟

﴿قَالَ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَن يُخْرَجَ النَّاسُ ضُكِّي﴾

وإنما واعدهم ذلك اليوم ليكون علو كلمة الله، وظهور دينه، وكبت الكافر، وزهوق الباطل على ربوس الأشهاد، وفي الجمع الغاص؛ لتقوى رغبة من رغب في الحق، ويكل حد المبطلين وأشياهم، ويكثر الحديث بذلك الأمر العلم في كل بدو وحضر، ويشيع في جمع أهل الوبر والدر. القرطبي: ٨٦/١٤.

السؤال: ما السر في اختيار موسى -عليه السلام- لمواعدة بني إسرائيل يوم عيد واجتماع عام؟

﴿فَقَوْلِي فَرَعُونَ جَمَعَ كَيْدُهُمْ أَنِّي﴾

ومعنى جمع الكيد: تدبير أسلوب مناظرة موسى، وإعداد الحيل لإظهار غلبة السحرة عليه، وإقناع الحاضرين بأن موسى ليس على شيء. وهذا أسلوب قديم في المناظرات؛ أن يسعى الناظر جهده للتشهير ببطلان حجة خصمه بكل وسائل التليس والتشنيع والتشهير، ومباداته بما يفت في عضده، ويشوش رأيه، حتى يذهب منه تدبيره. ابن عاشور: ٢٤٧/١٦.

السؤال: ذكرت الآية الكريمة أسلوباً من الأساليب الفرعونية في المناظرات، فما هو؟

﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ آتُوا صَفًا﴾

ليكون أمكن لعملكم، وأهيب لكم في القلوب، ولئلا يترك بعضكم بعض مقدوره من العمل. السعدي: ٥٠٨.

السؤال: لماذا تناصح السحرة فيما بينهم أن يأتوا صفًا؟

قَالَ عَلَّمَاهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَبْصُلُ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ۝ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى ۝ كُلُوا وَارْزُقُوا أَنفُسَكُمْ إِنِّي فِي ذَلِكَ لَآتِيكَ لَدُلُي أَنَّهُ ۝ وَمِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ۝ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْنَا كَاهِنًا فَكَذَّبَ وَإِنِّي ۝ قَالَ أَجِئْنَا لَنُخْرِجَنَّهُ مِّنْ أَرْضٍ بِسَاحٍ يُخْرَجُ مِنْهَا ۝ فَلَمَّا آتَيْنَكَ بِسَاحٍ قِيلَ لَهُ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى ۝ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَن يُخْرَجَ النَّاسُ ضُكِّي ۝ فَقَوْلِي فَرَعُونَ جَمَعَ كَيْدُهُمْ أَنِّي ۝ قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيَكُذِّبُكُمْ لَا تَقْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيَسْجِتَكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ ۝ وَقَدْ خَابَ مَن أَفْتَرَى ۝ فَتَنَزَّلُوا أَمْرُهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا ۝ التَّجَوَّى ۝ قَالُوا إِن هَٰذَا لَسِحْرَانِ بُرِيدَانِ ۝ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسَاحٍ يَمْشَى ۝ وَبَدَّ هَبًا يَبْطِرُ يَفْتِكُمُ الْمُثَلَّى ۝ فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ آتُوا صَفًا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَن أَسْتَعْلَى ۝

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
مَهْدًا	مُيَسَّرَةً لِلانْتِفَاعِ بِهَا.
سُبُلًا	طُرُقًا.
لأُولِي النُّهَى	لِدَوِي الْعُقُولِ السَّالِمَةِ.
سُوًى	مُسْتَوِيًا مُعْتَدِلًا.
يَوْمَ الزَّيْنَةِ	يَوْمَ الْعِيدِ.
فَيَسْجِتُكُمْ	فَيَسْتَأْصِلُكُمْ.
بَطْرِيقِكُمُ الْمُثَلَّى	طَرِيقَةُ السَّحَرِ الْعَظِيمَةِ.

## ● العمل بالآيات

١. الق كلمة، أو أرسل رسالة عن خطر السحر، ﴿فَلَمَّا آتَيْنَكَ بِسَاحٍ يَمْشَى﴾ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى.
٢. انصح أنت وبعض زملائك ساحرا أو مشعوذا أو عرافا أو مجاهرا بمعضية، وادعه إلى التوبة، وذكره بعظيم ذنبه وخطورته، وعظيم مغفرة الله ورحمته، ﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيَكُذِّبُكُمْ لَا تَقْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيَسْجِتَكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ﴾.
٣. انكر منكرا رايته بين زملائك، ﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيَكُذِّبُكُمْ لَا تَقْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيَسْجِتَكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ وَقَدْ خَابَ مَن أَفْتَرَى.

## ● التوجيهات

١. مشروعية المناظرة لإظهار الحق وإبطال الباطل، ﴿قَالَ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَن يُخْرَجَ النَّاسُ ضُكِّي﴾.
٢. لا تناظر إلا عن علم وبصيرة وشهود، ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَن يُخْرَجَ النَّاسُ ضُكِّي﴾.
٣. الدعاة وطلبة العلم أولى في التعاون لإيصال الدعوة إلى الآخرين وتبليغ الدين، ﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ آتُوا صَفًا﴾.

الناس قدرة الله على ما يشاء، ومعجزات الأنبياء، وبطالان معارضة السحر لخوارق العادات النبوية؛ ولهذا قال: ﴿وَأَنْ يُحَرِّكَ النَّاسَ﴾ أي: جميعهم ﴿ضَحِيًّا﴾ أي: ضحوة من النهار؛ ليكون أظهر وأجلى وأبين وأوضح، وهكذا شأن الأنبياء: كل أمرهم واضح بيّن، ليس فيه خفاء ولا ترويح؛ ولهذا لم يقل ﴿الْبَلَاءَ﴾ ولكن نهارًا ضحى. وقال مجاهد وقتادة: ﴿مَكَانًا سَوِيًّا﴾ منصفًا. وقال السدي: عذلاً. وقال ابن أسلم: مُسْتَوِيٌّ يَبْكِبُنُ الناس ما فيه، ولا يَتَقَيَّبُ بَعْضُ ذلك عن بعض، مُسْتَوِيٌّ حتى يرى.

الآية (٦٠-٦٤): يقول تعالى مخبرًا عن فرعون أنه لَمَّا تَوَاعَدَ هو وموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى وقت ومكان معلومين ﴿تَوَلَّى﴾ أي: شَرَعَ في جمع السحرة من مدائن مملكته، كل من يُنْسَبُ إلى سحر في ذلك الزمان. وقد كان السحر فيهم كثيرًا نافيًا جدًا؛ كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَأْتُونِي بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ﴾ [يونس: ٧٩]. ثُمَّ أَتَى أي: اجتمع الناس لملاقات يوم معلوم وهو يوم الزينة، وجلس فرعون على سرير مملكته، واصطف له أكابر دولته، ووقفت الرعايا يمنة ويسرة، وأقبل موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يَتَوَكَّلًا على عصاه، ومعه أخوه هارون، ووقف السحرة بين يدي فرعون صُفُوفًا، وهو يُحَرِّضُهُمْ وَيُجَنِّدُهُمْ، ويُرْعِبُهُمْ في إجادة عملهم في ذلك اليوم، وَيَسْتَوْنُ عليه، وهو يَدْعُهُمْ وَيُمْنِيهِمْ، فيقولون: ﴿أَيْنَ لَنَا لَأَحْزَنُ لَنَا كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ ① قَالَ نَعَمْ وَلَكُمْ إِذَا لِينُ الْمُفْرِقِينَ ② [الشعراء: ٤١، ٤٢]. ﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ أي: لا تُخَيِّلُوا للناس بأعمالكم إيجاد أشياء لا حقائق لها، وأنها مخلوقة، وليست مخلوقة، فكونون قد كَذَبْتُمْ على الله. ﴿فَيُسْحِرْكُمْ بِعَذَابٍ﴾ أي: يهلككم بعقوبة هلاكًا لا بقية له، ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ أَفْتَرَى﴾. ﴿فَنَنْزِعُوا أَمْرَهُمْ بِنَجْمٍ﴾ قيل: معناه: أنهم تشاجروا فيما بينهم، فقاتل يقول: ليس هذا بكلام ساحر، إنا هذا كلام نبي. وقال يقول: بل هو ساحر. وقيل غير ذلك، والله أعلم.

﴿وَأَنزَلُوا النَّجْمَ﴾ أي: تناجوا فيما بينهم، ﴿قَالُوا إِنْ هَذَا لَسِحْرٌ﴾ يعنون: موسى وهارون ساحران عالمان خيران بصناعة السحر، يريدان في هذا اليوم أن يَغْلِبَاكُمْ وقومكم وَيَسْتَوْلِيَا على الناس، وتبعمها العامة وثقيلات فرعون وجنوده، فَيَسْتَوِرَا عليه ويخرجاكم من أرضكم. ﴿وَيَذْهَبُ بِطَرَفَيْكُمْ النَّجْمُ﴾ أي: وَيَسْتَبِيدُ بهذه الطريقة، وهي السحر؛ فإنهم كانوا مُعْظَمِينَ بسببها، لهم أموال وأرزاق عليها، يقولون: إذا غَلَبَ هذان أهلناكم وأخرجاكم من الأرض، ونفروا بذلك، وَتَحَصَّصَتْ لها الرياسة بها دونكم.

﴿فَأَجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ أَتَتْهُ صَفًّا﴾ أي: اجتمعوا كلُّكم صَفًّا واحدًا، والقوم ما في أيديكم مرة واحدة، لِيُتْهَرَا الأَبْصَارُ، وتغلبوا هذا وأخاه، ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى﴾ أي: مِنَّا ومنه، أما نحن فقد وَعَدْنَا هذا الملك العطاء الجزيل، وأما هو فَيَنَالُ الرياسة العظيمة.

الآية (٥٢): ﴿قَالَ عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ﴾ قال له موسى في جواب ذلك: هم، وإن لم يَعْبُدُوهُ، فإن عَمَلَهُمْ عند الله مضبوط عليهم، وسيجزيهم بعملهم في كتاب الله، وهو اللوح المحفوظ وكتاب الأعمال. ﴿لَا يَصِلُ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ أي: لا يَشُدُّ عنه شيء، ولا يفوته صغير ولا كبير، ولا ينسى شيئًا. يصف علمه تعالى بأنه بكل شيء مُحِيط، وأنه لا ينسى شيئًا تبارك وتعالى وتقدس؛ فإن عِلْمَ المخلوق يَغْتَرِيهِ نُقْصَانَانِ: أحدهما: عدم الإحاطة بالشيء، والآخر نسيانه بعد علمه، فَزَرَهُ نفسه عن ذلك.

الآية (٥٣-٥٦): هذا من كلام موسى فيما وَصَفَ بِهِ رَبَّهُ ﷻ، حين سأله فرعون عنه، فقال: ﴿الَّذِي أَطْعَمَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾، ثم اعترض الكلام بين ذلك، ثم قال: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾ وفي قراءة بعضهم: ﴿وَمَهَادًا﴾ أي: قرارًا تستقرون عليها وتقومون وتنامون عليها وتُسَافِرُونَ على ظهرها. ﴿وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ أي: جعل لكم طرقًا تمشون في مناكبها؛ كما قال: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لِّمَنْ يَهْتَدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣١]. ﴿وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى﴾ أي: من ألوان النباتات من زروع ونهار، ومن حامض وحلو، وسائر الأنواع. ﴿كُلُوا وَارْعَوْا أَنْفُسَكُمْ﴾ أي: شيء لطعامكم وفاكتكم، وشيء لأنعامكم لأقواتها خضرًا وبأسًا. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ أي: للدلالات وَحُجَجًا وبراهين ﴿لِذِي الْأُنْثَى﴾ أي: لذوي العقول السليمة المستقيمة، على أنه لا إله إلا الله، ولا رب سواه. ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَمِمْهَا نُفِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ أي: من الأرض مَبْدُؤُكُمْ؛ فإن أبابكم آدم خلق من تراب من أديم الأرض، ﴿وَمِنْهَا نُفِيدُكُمْ﴾ أي: وإليها تصيرون إذا مِتُّم وبليتُم، ومنها نخرجكم تارة أخرى ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْجُدُونَ خُضُوعًا وَتَقَطُّونَ إِنْ كُنْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٥٢]. وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ [الأعراف: ٢٥].

وقوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى﴾ يعني: فرعون؛ أنه قامت عليه الحجج والآيات والدلالات، وعاین ذلك وأبصره، فكذب بها وأبأها كفرًا وعنادًا وغييًا؛ كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَ وَاسْطَيْفَتْنَاهَا أَنْفُسَهُمْ ظُلُمًا وَطُورًا﴾ الآية [النمل: ١٤].

الآية (٥٧-٥٩): يقول تعالى مخبرًا عن فرعون أنه قال لموسى حين أراه الآية الكبرى، وهي إلقاء عصاه فصارت ثعبانًا عظيمًا، وَنَزَعَ يده من تحت جناحه فَخَرَجَتْ بيضاء من غير سوء، فقال: هذا سحر، جئت به لِتَسْحَرَنَا، وَتَسْتَوِيَّ به على الناس، فَيُعْبُوكَ وَتُكَاثِرُنَا بهم، ولا يَمُتُ هذا معك؛ فإن عندنا سحرًا مثل سحرِكَ، فلا يَغْرُنْكَ ما أنت فيه، ﴿فَأَجْعَلْ يَسَنًا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا﴾ أي: يومًا نجتمع نحن وأنت فيه، فَنُعَارِضُ ما جئت به بآ عندك من السحر في مكان معين، ووقت معين، فعند ذلك ﴿قَالَ هُمْ مُوسَى مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ﴾ وهو يوم عيدهم وَتَوَرَّوْزِهِمْ وَتَفَرَّقِهِمْ من أعمالهم واجتماعهم جميعهم؛ لِشَاهِدِ

(٢) الحَبَّةُ بِالْكَسْرِ: بُذُورُ الْبُقُولِ وَحَبُّ الرِّيحَانِ. وَقِيلَ هُوَ نَبْتُ صَغِيرٍ يَنْبُتُ فِي الْحَشِيشِ. [النهاية في غريب الحديث والأثر (١/٣٢٦)].



## ● الوقفات التدريبية

﴿ قَالُوا يَبْرُسُ بْنُ إِيمَانَ أَنْ تَقُولَ أَنْ تَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَمَنَ ﴾ (٥٠) قَالُوا بَلْ أَتَوْا بِمَا جَاءَتْهُمْ رَعِيصَتُهُمْ مُبْمَلِّ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ إِنَّهَا تَأْتِي

خبروه، موهمين أنهم على جزم من ظهورهم عليه بأي حالة كانت.  
السعدي: ٥٠٨.

السؤال: ثقة أهل الباطل بأنفسهم لا تززع ثقة المؤمن بربه، وضع ذلك من خلال الآية.

﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ﴾

كما هو مقتضى الطبيعة البشرية، ولا فهو جازم بوعد الله ونصره.  
السعدي: ٥٠٨.

السؤال: ما سبب الخوف الذي وقع من موسى؟ وهل كان شاكاً في وعد الله؟  
﴿ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴾

يعم نفي جميع أنواع الفلاح عن الساحر، وأكد ذلك بالتعميم في الأمكنة بقوله: (حيث أتى)، وذلك دليل على كضره؛ لأن الفلاح لا ينفي بالكلية نفيها عما لا عمل لا خير فيه؛ وهو الكافر. الشنقيطي: ٣٩/٤.

السؤال: ما وجه نفي الفلاح عن الساحر؟

﴿ قَالَ مَا مَنَّتُ لَهُ، قَبْلَ أَنْ آدَّكُمْ إِنَّهُ لَكَيْدُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمْ أَنِخَرَفَ فَلَا يَفْلَحُ أَتَيْدُكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَا صِلَتُكُمْ فِي جُدُوعِ النَّحْلِ وَلَنَلْعَنَنَّ إِنَّمَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ﴾

ولما رأى فرعون إيمان السحرة فغيظ ورام عقابهم، ولكنه علم أن العقاب على الإيمان بموسى بعد أن فتح باب المناظرة معه نكت لأصول المناظرة، فاختلق -للتضي من الذين آمنوا- علمة إعلانهم الإيمان قبل استئذان فرعون، فعد ذلك جراً عليه. ابن عاشور: ٢٦٣/٦.

السؤال: من صفات المغلوب اختلاق الأعداء الواهية، بين ذلك من الآيات الكريمة.  
﴿ قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَنْ مَا جَاءَنَا مِنَ الْيَتِيَّتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾

أظهروا استخفافهم بوعيده وبتعديده؛ إذ أصبحوا أهل إيمان وبقين، وكذلك شأن المؤمنين بالرسول إذا اشرفت عليهم أنوار الرسالة؛ فسرعان ما يكون انقلابهم عن جهالة الكفر وقساوته إلى حكمة الإيمان وثباته. ابن عاشور: ٢٦٦/١٦.

السؤال: بين حال المؤمنين إذا اشرفت عليهم أنوار الرسالة.  
﴿ قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَنْ مَا جَاءَنَا مِنَ الْيَتِيَّتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾

وفي هذا الكلام من السحرة دليل على أنه ينبغي للعاقل أن يوازن بين لذات الدنيا ولذات الآخرة، وبين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة. السعدي: ٥٠٩.

السؤال: إذا واجهتك لذنة من لذات الدنيا المحرمة؛ فإن هذه الآية تدلك على طريقة تتخلص بها من هذه الشهوة، بين ذلك.

﴿ إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ بِحِجْرٍ مَّا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴾

فلا ينتفع بحياته، ولا يستريح بموته، وقيل: نفس الكافر معلقة في حنجرتها، كما أخبر الله تعالى عنه، فلا يموت بفرافها، ولا يحيا باستقرارها. القرطبي: ١٠٧/٤.

السؤال: بين شدة عذاب الله تعالى للكافر في كونه بين الحياة والموت.

قَالُوا يَبْرُسُ بْنُ إِيمَانَ أَنْ تَقُولَ أَنْ تَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَمَنَ ﴿٥٠﴾ قَالُوا بَلْ أَتَوْا بِمَا جَاءَتْهُمْ رَعِيصَتُهُمْ مُبْمَلِّ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ إِنَّهَا تَأْتِي ﴿٥١﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ﴿٥٢﴾ فَلَمَّا لَاحَظَ أَنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴿٥٣﴾ وَأَنَّ مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَّفَ مَا صَنَعُوا لِمَا صَنَعُوا كَيْدُ سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴿٥٤﴾ فَأَتَى السَّحْرَةَ سِجْدًا قَالُوا أَمْ تَأْتِي هَٰؤُلَاءِ وَمُوسَى ﴿٥٥﴾ قَالَ أَمْثَلُكُمْ وَقَبْلَ أَنْ آدَّكُمْ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَيْدُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمْ السَّحْرَ فَلَا قِطْعَنَ أَتَيْدُكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَا صِلَتُكُمْ فِي جُدُوعِ النَّحْلِ وَلَنَلْعَنَنَّ إِنَّمَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ﴿٥٦﴾ قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْيَتِيَّتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٥٧﴾ إِنَّمَا أَمْتَارُ بِنَا يُغَيِّرُ نَحْلَ حَظِيلِنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السَّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿٥٨﴾ إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ بِحِجْرٍ مَّا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴿٥٩﴾ وَمَنْ يَأْتِهِ مَوْثِقَةٌ فَعَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ﴿٦٠﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ﴿٦١﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	معنى
فَأَوْجَسَ	فَشَعَرَ، وَأَخْشَى فِي نَفْسِهِ.
تَلَقَّفَ	تَبَتَّلَعَ.
مِنْ خِلَافٍ	مُخَالِفًا بَيْنَ الْأَيْدِي وَالْأَرْجُلِ، فَيَقْطَعُ يَدًا مِنْ جِهَةٍ، وَوَرَجَلًا مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى.
نُؤْثِرُكَ	نُفَضِّلُكَ.
فَطَرَنَا	خَلَقَنَا وَأَبْدَعَنَا.
فَاقْضِ	فَاقْضِلْ وَأَحْكَمْ.

## ● العمل بالآيات

١. أرسل رسالة تحذر فيها من السحر واهله، ﴿ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴾.
٢. قل: «اللهم يا مغلب القلوب ثبت قلبي على دينك»، ﴿ قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَنْ مَا جَاءَنَا مِنَ الْيَتِيَّتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا ﴾.
٣. أرسل رسالة تبشر فيها أنه ليس كل ما يهدد به الطفافة يقع؛ لأن الحكم لله أولاً وأخيراً، ﴿ فَلَا قِطْعَنَ أَتَيْدُكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَا صِلَتُكُمْ فِي جُدُوعِ النَّحْلِ وَلَنَلْعَنَنَّ إِنَّمَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ﴾.

## ● التوجيهات

١. من علامة ضعف عقول الطفافة توعد أهل الحق بالقوة والبطش، ﴿ فَلَا قِطْعَنَ أَتَيْدُكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَا صِلَتُكُمْ فِي جُدُوعِ النَّحْلِ وَلَنَلْعَنَنَّ إِنَّمَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ﴾.
٢. إذا واجه الداعية تهديداً أو بطشاً قارن بينه وبين ما ينتظره في الآخرة؛ فهان عليه وصبر، ﴿ قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَنْ مَا جَاءَنَا مِنَ الْيَتِيَّتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾.
٣. كلما اشتد الابتلاء قرب الفرج، ﴿ فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ ۚ يَسَّ لَا تَخَفْ دُرُوكَ وَلَا تَخَفْ ۚ ﴾

اقتصر على وعده دون بقية قومه لأنه قدوتهم، فإذا لم يخف هو تشجعوا وقوي يقينهم. ابن عاشور: ٢٧/١٦.

السؤال: لماذا جاء الوعد في الآية الكريمة بعدم الخوف من الدرك لموسى عليه السلام دون قومه؟

﴿ وَلَا تَطْفَرُوا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي ۚ وَمَنْ يَحِلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ۚ ﴾

قال ابن عباس رضي الله عنهما: لا تظلموا، وقال الكلبي: لا تكفروا النعمة فتكونوا ظالمين طاغين، وقيل: لا تنفقوا في معصيتي، وقيل: لا تنفقوا بنعمتي على معاصي. البغوي: ١٣٤/٣.

السؤال: متى يصل العبد إلى حد الطفيان الذي تنتزل بسببه العقوبة؟

﴿ وَلِيٍّ لَّفَقَارِ لِمَنْ تَابَ وَمَأْمَنَ وَوَعَلَٰ صَلَاحًا ثُمَّ أَهْدَىٰ ۚ ﴾

الأسباب (أسباب المغفرة) كلها منحصرة في هذه الأشياء: فإن التوبة تجب ما قبلها، والإيمان والإسلام يهدم ما قبله، والعمل الصالح الذي هو الحسنات يذهب السيئات، وسلوك طريق الهداية بجميع أنواعها: من تعلم علم، وتدبر آية أو حديث، حتى يتبين له معنى من المعاني يهتدي به، ودعوة إلى دين الحق، ورد بدعة أو كفر أو ضلالة، وجهاد، وهجرة، وغير ذلك من جزئيات الهداية، كلها مكفرات للذنوب، محصلات لغاية المطلوب. السعدي: ١١١.

السؤال: ذكرت الآية ثلاثة أسباب للمغفرة، فما هي؟

﴿ وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَمُوسَىٰ ۚ ﴾

موسى- عليه السلام- لما أمره الله أن يسير هو وبنو إسرائيل إلى الطور، تقدم هو وحده بمبادرة إلى أمر الله، وطلباً لرضاه، وأمر بني إسرائيل أن يسيروا بعده، واستخلف عليهم أخاه هارون، فأمرهم السامري حينئذ بعبادة العجل. ابن جزي: ٢٣/٢.

السؤال: ما الذي أعجل موسى عليه السلام؟

﴿ وَعَجِلْتَ إِلَيْكَ رَبِّ لِرَجَىٰ ۚ ﴾

أي: عجلت إلى الموضع الذي أمرتني بالمصير إليه؛ لترضى عني. القرطبي: ١١٧/١٤.

السؤال: ما الصفة التي تزيد رضا الله عن المتعبد؟

﴿ فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَنَ أَبْعَا ۚ ﴾

أي: بعد ما أخبره تعالى بذلك في غاية الغضب والحنق عليهم؛ هو فيما هو فيه من الاعتناء بأمرهم، وتسلم التوراة التي فيها شريعتهم، وهذا شرف لهم، وهم قوم قد عبدوا غير الله. ابن كثير: ١٥٧/٣.

السؤال: الأنبياء والدعاة من أشفق الناس على الأمة، وضح ذلك من خلال هذه الآية.

﴿ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَدَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ۚ ﴾

وحاصل ما اعترض به هؤلاء الجهلة: أنهم تورعوا عن زينة القبط، فالتفوها عنهم، وعبدوا العجل؛ فتورعوا عن الحقيق، وفعلوا الأمر الكبير.

الشنقيطي: ٨٧/٤.

السؤال: من خلال الآية: وضح ضرر الورع إن كان عن جهل.

وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَسَّ لَا تَخَفْ دُرُوكَ وَلَا تَخَفْ ۚ قَاتِبَهُمُ فَرَعُونَ بِحُجُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ۚ وَأَنْزَلْنَا فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ وَمَاهِدَىٰ ۚ بِنِيِّ إِسْرَءِيلَ قَدْ أَهْبَأْتُمْ مِنْ عَذَابِكُمْ ۚ وَوَعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلَوى ۚ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي ۚ وَمَنْ يَحِلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ۚ وَلِيٍّ لَّفَقَارِ لِمَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ۚ وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَمُوسَىٰ ۚ قَالَهُمْ أَوْلَاةٌ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتَ إِلَيْكَ رَبِّ لِرَجَىٰ ۚ قَالُوا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ۚ فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَنَ أَبْعَا قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَدَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ۚ

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
أَسْرَ	أَخْرَجَ نِيلاً.
دُرُوكًا	إِدْرَاكًا.
الْمَنَّاءَ	طَعَامًا، كَالْعَسَلِ.
وَالسَّلَوى	طَيْرًا، كَالسُّمَانِي.
عَلَى أَثَرِي	خَلْفِي سَوْفَ يَلْحَقُونَ بِي.
بِمَلِكِنَا	بِاخْتِيَارِنَا وَقُدْرَتِنَا.
مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ	مِنْ خِلْيَ قَوْمِ فِرْعَوْنَ.

## ● العمل بالآيات

١. قل: «يا رب لك الحمد، أنجيتني من بلاء كذا، حفظتني من فتنة كذا، فرجت عني كربتي كذا وكذا»، «يَبْنِي إِسْرَءِيلَ قَدْ أَهْبَأْتُمْ مِنْ عَذَابِكُمْ ۚ وَوَعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلَوى ۚ».

٢. استعن بالله من أسباب غضبه، ﴿ وَمَنْ يَحِلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ۚ ﴾.

٣. سم الله تعالى عند الأكل، واحمده بعده، واحذر الإسراف والمباهاة، ﴿ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي ۚ ﴾.

## ● التوجيهات

١. كن على يقين بوعده الله تعالى، ولا تخف من الباطل وأهله، ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَسَّ لَا تَخَفْ دُرُوكَ وَلَا تَخَفْ ۚ ﴾.

٢. تحريم الإسراف والظلم، وكسر النعم، ﴿ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي ۚ ﴾.

٣. من صفات الأنبياء: الغضب والحزن على وقوع معصية أو ترك طاعة، ﴿ فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَنَ أَبْعَا ۚ ﴾.

﴿تَابَ﴾ أي: رَجَعَ عَمَّا كَانَ فِيهِ مِنْ كُفْرٍ أَوْ شُرْكَ أَوْ نِفَاقٍ أَوْ مَعْصِيَةٍ، ﴿وَأَمَّنَ﴾ أي: بِقَلْبِهِ، ﴿وَكَيْلَ صِلَاحًا﴾ أي: بِجَوَارِحِهِ.

﴿ثُمَّ أَهْدَى﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَيِ ثَم لَمْ يُشْكَكْ. وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ: أَيِ: اسْتِقَامَ عَلَى السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ. وَرَوَى نَحْوَهُ عَنْ مُجَاهِدٍ وَالضَّحَّاكِ وَغَيْرِ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ. وَثُمَّ هُنَا لَرْتِيبُ الْخَبَرِ عَلَى الْخَبَرِ؛ كَقَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَّصَوْا بِالْمَرْمَةِ﴾ [البقرة: ١٧].

الآية (٨٣-٨٧): لَمَّا سَارَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بَنِي إِسْرَائِيلَ بَعْدَ هَلَاكِ فِرْعَوْنَ، ﴿فَأَتَا عَلَى قَوْمِهِ يَتَكَلَّمُ عَلَىٰ أُصْحَابِ لِهْمٍ﴾ قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: أَجْمَلَ لَمَّا إِلَيْهَا كَمَا لِهْمُ الْإِهْمَةِ قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: قَوْمُهُ يَتَكَلَّمُونَ، إِنَّ هَذِهِ قَوْمُهُمْ فِيهِ وَبِطَلْمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ [الأعراف: ١٣٩، ١٣٨] وَاوَعَدَهُ رَبُّهُ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً ثُمَّ أَتَبَّعَهَا لَهُ عَشْرًا، فَتَمَّتْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، فَسَارَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مُبَايَرًا إِلَى الطُّورِ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِخَاهُ هَارُونَ، وَهَذَا قَالَ: ﴿وَمَا أَصْعَلَكُمُ عَنْ قَوْمِكُمْ يَتَمَوَّسُونَ﴾ [٨٣] قَالَ هُمْ أَزْلَاجٌ عَلَىٰ أَنْزَى: أَيِ: قَادِمُونَ يَنْزِلُونَ قَرِيبًا مِنَ الطُّورِ، ﴿وَعَجَّلْتَ إِلَيْكَ رَبِّ الرَّحْمَنُ﴾ أَيِ: لَتَزِدُنِي عَنِي رَضًا، ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَسْلَمْنَا نَسَامِرِي﴾ أَخْبَرَ تَعَالَى نَبِيَّهُ مُوسَى بِمَا كَانَ بَعْدَهُ مِنَ الْحَدَثِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَعِبَادَتِهِمُ الْعَجَلِ الَّذِي عَمِلَهُ فَمِنْ ذَلِكَ السَّامِرِيُّ. وَكَتَبَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ فِي هَذِهِ الْمِلَّةِ الْأَلْوَابِ الْمُتَضَمِّنَةِ التَّوْرَةِ. ﴿فَرَجَعَ مُوسَى إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ أَيِ: بَعْدَ مَا أَخْبَرَهُ تَعَالَى بِذَلِكَ ﴿غَضِبَنَ أَيْسًا﴾ فِي غَايَةِ الْغَضَبِ وَالْحَقَقِ عَلَيْهِمْ، هُوَ فِيهَا هُوَ فِيهِ مِنَ الْإِعْتِنَاءِ بِأَمْرِهِمْ، وَتَسَلَّمَ التَّوْرَةَ الَّتِي فِيهَا شَرِيعَتُهُمْ، وَفِيهَا شَرَفٌ لَهُمْ، وَهُمْ قَوْمٌ قَدْ عَبَدُوا غَيْرَ اللَّهِ؛ مَا يَعْلَمُ كُلُّ عَاقِلٍ لَهُ لُبٌّ بِطُلَانِ وَسَخَافَةِ عَقُولِهِمْ وَأَذَاهَانِهِمْ؛ وَهَذَا رَجَعَ إِلَيْهِمْ ﴿غَضِبَنَ أَيْسًا﴾، وَالْأَسَفُ: شِدَّةُ الْغَضَبِ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: أَيِ: جَرَّعًا. وَقَالَ قَتَادَةُ وَالسَّيِّدِيُّ: ﴿أَيْسًا﴾ أَيِ: حَزِينًا عَلَىٰ مَا صَنَعَ قَوْمُهُ مِنْ بَعْدِهِ.

﴿قَالَ تَقْوَىٰ أَلَمْ يَذْكُرْ رَبَّكُمْ وَعَدَا حَسًّا﴾ أَيِ: أَمَا وَعَدَكُمْ عَلَىٰ لِسَانِي كُلِّ خَيْرٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَحُسْنِ الْعَاقِبَةِ كَمَا شَاهَدْتُمْ مِنْ نُصْرَتِهِ إِيَّاكُمْ عَلَىٰ عَدُوِّكُمْ، وَإِظْهَارِكُمْ عَلَيْهِ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ أَيْدِيهِ عِنْدَكُمْ؟! ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْقَهْدُ﴾ أَيِ: فِي انْتِظَارِ مَا وَعَدَكُمْ اللَّهُ، وَنَسِيَانِ مَا سَلَفَ مِنْ نِعْمَةٍ، ﴿أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يُحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ «أَمْ هُنَا بِمَعْنَى «بَل» وَهِيَ لِلْإِضْرَابِ عَنِ الْكَلَامِ الْأَوَّلِ، وَحُدُودِ إِلَى الثَّانِي؛ كَأَنَّهُ يَقُولُ: بَلْ أَرَدْتُمْ بِصَنِيعِكُمْ هَذَا أَنْ يُحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ» ﴿فَأَخْلَقْتُ مُوَيْدِي﴾ [٨٥] قَالُوا: أَيِ: بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي جَوَابِ مَا أَتَاهُمْ مُوسَى وَقَرَّعَهُمْ: ﴿مَا أَتَلَقْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلَكِنَا﴾ أَيِ: عَنْ قُدْرَتِنَا وَاخْتِيَارِنَا. ثُمَّ شَرَّعُوا بِعَتْدُونِ بِالْمُذَرِّ الْبَارِدِ؛ يَخْبِرُونَهُ عَنْ تَوَرُّعِهِمْ عَمَّا كَانَ بِأَيْدِيهِمْ مِنْ حُلِيِّ الْقَيْطِ الَّذِي كَانُوا قَدْ اسْتَعَارَوْهُ مِنْهُمْ، حِينَ خَرَجُوا مِنْ مِصْرَ، ﴿فَقَدَّحْنَاهَا﴾ أَيِ: أَلْقَيْنَاهَا عَنَّا. ثُمَّ جَاءَ ذَلِكَ السَّامِرِيُّ فَالَّقَىٰ عَلَيْهَا تِلْكَ الْقَبْضَةَ الَّتِي أَخَذَهَا مِنْ أَثَرِ الرُّسُولِ، وَهَذَا قَالُوا: ﴿فَكَذَّبَكَ أَخَى النَّسَارِيِّ﴾.

الآية (٧٧-٧٩): يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا أَنَّهُ أَمَرَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ أُبِيَ فِرْعَوْنَ أَنْ يُرْسِلَ مَعَهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ، أَنْ يَسْرِيَ بِهِمْ فِي اللَّيْلِ، وَيَذْهَبَ بِهِمْ مِنْ قَبْضَةِ فِرْعَوْنَ. وَقَدْ بَسَطَ اللَّهُ هَذَا الْقَامُ فِي غَيْرِ هَذِهِ السُّورَةِ الْكَرِيمَةِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ مُوسَى لَمَّا خَرَجَ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَصْبَحُوا، وَلَيْسَ مِنْهُمْ بِمِصْرَ لَا دَاعٍ وَلَا حَاجِبٍ، فَغَضِبَ فِرْعَوْنَ غَضَبًا شَدِيدًا، وَأَرْسَلَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ، أَيِ: مَنْ يَجْعَلُونَ لَهُ السُّجْدَ مِنْ بِلْدَانِهِ وَرَسَائِقِهِ<sup>(١)</sup>، ثُمَّ لَمَّا جَمَعَ جُنْدَهُ وَاسْتَوَثَّقَ لَهُ جَيْشَهُ، سَاقٍ فِي طَلَبِهِمْ ﴿فَاتَّبَعُوهُمْ شُرَافِيكُ﴾ [النمل: ٦٠] أَيِ: عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، ﴿فَلَمَّا تَرَاهُ جَمْعًا﴾ أَيِ: نَظَرَ كُلُّ مَنْ الْفَرِيقَيْنِ إِلَى الْآخِرِ ﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوَيْدِي إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾ [٧٩] قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَزِيدُنِي [النمل: ٦١-٦٢]، وَوَقَّفَ مُوسَى بِبَنِي إِسْرَائِيلَ؛ الْبَحْرَ أَمَامَهُمْ، وَفِرْعَوْنَ وَرَاءَهُمْ، فَعِنْدَ ذَلِكَ أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: ﴿فَأَنْزَلْنَاهُ فَمِنْ طَرِيقٍ فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفُ دَرَكًا﴾ أَيِ: مِنْ فِرْعَوْنَ، ﴿وَلَا تَخَفْ﴾ بِمَعْنَى: مِنْ الْبَحْرِ أَنْ يُفَرِّقَ قَوْمَكَ.

﴿فَاتَّبَعَهُمْ رَعْدٌ يُخَوِّدُهُمْ فَفَشِلَتْ مِنْ أَلْيَمِهِ﴾ أَيِ: الْبَحْرِ ﴿مَا غَشِيَهُمْ﴾ أَيِ: الَّذِي هُوَ مَعْرُوفٌ وَمَشْهُورٌ. وَهَذَا يُقَالُ عِنْدَ الْأَمْرِ الْمَعْرُوفِ الْمَشْهُورِ، وَكَمَا تَقَدَّمَ فِرْعَوْنَ فَسَلَّكَ بِهِمْ فِي الْيَمِّ فَأَصْلَحَهُمْ، وَمَا هَدَاهُمْ إِلَى سَبِيلِ الرِّشَادِ، كَذَلِكَ ﴿بَقَدَّمَ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَيَسَّ الْأَوْرِدَ الْأَمُورُودُ﴾ [هود: ٩٨].

الآية (٨٠-٨٢): يَذْكُرُ تَعَالَى نِعْمَهُ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ الْعِظَامَ وَمِثْنَهُ الْجَسَامَ؛ حَيْثُ نَجَّاهُمْ مِنْ عَدُوِّهِمْ فِرْعَوْنَ، وَأَثَرُ أَعْيُنِهِمْ مِنْهُ، وَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ وَإِلَى جُنْدِهِ قَدْ غَرَّقُوا فِي صَبِيحَةٍ وَاحِدَةٍ، لَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ أَحَدٌ؛ كَمَا قَالَ: ﴿وَأَعْرَفْنَاهُ دَالَ فِرْعَوْنَ وَأَشْرَهُ نَظْرُونَ﴾ [البقرة: ٥٠].

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَمَّا قَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ وَالْيَهُودَ تَصُومُ عَاشُورَاءَ، فَسَأَلَهُمْ فَقَالُوا: هَذَا الْيَوْمَ الَّذِي أَظْفَرَ اللَّهُ فِيهِ مُوسَى عَلَىٰ فِرْعَوْنَ، فَقَالَ: «نَحْنُ أَوْلَىٰ بِمُوسَى قُصُومُهُ» [متفق عليه].

ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَى وَاعَدَ مُوسَى وَبَنِي إِسْرَائِيلَ بَعْدَ هَلَاكِ فِرْعَوْنَ إِلَىٰ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ، وَهُوَ الَّذِي كَلَّمَهُ تَعَالَى عَلَيْهِ، وَسَأَلَ فِيهِ الرُّؤْيَا، وَأَعْطَاهُ التَّوْرَةَ هُنَاكَ، وَفِي غُضُونِ ذَلِكَ عَبَدَ بَنُو إِسْرَائِيلَ الْعِجْلَ.

﴿الَّذِينَ وَالَّتِلَوْنَ﴾ تَقْدِمُ الْكَلَامَ عَلَىٰ ذَلِكَ فِي سُورَةِ «الْبَقَرَةِ» وَغَيْرِهَا. فَالْمَنْ: حُلُوٌّ كَانَتْ تَنْزِلُ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّاءِ. وَالسَّلَوَى: طَائِرٌ يَسْقُطُ عَلَيْهِمْ، فَيَأْخُذُونَ مِنْ كُلِّ قَدَرٍ الْحَاجَةَ إِلَى الْغَدِّ، لَطْفًا مِنْ اللَّهِ، وَرَحْمَةً بِهِمْ، وَإِحْسَانًا إِلَيْهِمْ؛ وَهَذَا قَالَ: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي﴾ أَيِ: كُلُوا مِنْ هَذَا الَّذِي رَزَقْنَاكُمْ، وَلَا تَطْغَوْا فِي رِزْقِي، فَتَأْخُذْهُ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ، وَتَخَالِفُوا مَا أَمَرَكُمْ بِهِ، ﴿فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي﴾ أَيِ: أَغْضِبَ عَلَيْكُمْ، ﴿وَمَنْ يَحِلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَيِ: فَقَدْ شَقِيَ.

﴿وَلِيَّ لَفْقَارٍ لَيْنَ تَابَ﴾ أَيِ: كُلِّ مَنْ تَابَ إِلَيَّ ثُبْتُ عَلَيْهِ مِنْ أَيِّ ذَنْبٍ كَانَ، حَتَّىٰ إِنَّهُ تَعَالَى تَابَ عَلَىٰ مَنْ عَبَدَ الْعِجْلَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ.

(١) الرستق: كلمة معربة، أصلها بالفارسية: (رسته) معناها: الصف من الناس [ينظر: لسان العرب، مادة (رزدق)] والمقصود صفوف جنوده.



الآية (٨٨-٨٩): ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَمَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا﴾ أي: الضلال منهم، الذين افتتنوا بالمجل وعبدوه: ﴿هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ قَتِيلٍ﴾ أي: نسيه ههنا، وَهَبَ يَبْطُلُهُ. وبه قال مجاهد. وقال سيبك عن عكرمة عن ابن عباس: ﴿قَتِيلٌ﴾ أي: نسي أن يذكركم أن هذا إلهكم. وقال ابن عباس: فقالوا: ﴿هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ﴾ قال: فَكَفُّوا عليه وأحبوه حُبًّا لم يُحِبُّوا شيئاً قط يعني مثله، يقول الله: ﴿قَتِيلٌ﴾ أي: ترك ما كان عليه من الإسلام يعني: السامري. قال الله تعالى رَدًّا عليهم، وتقريماً لهم، وبياناً لفضيحتهم وسخافة عقولهم فيما ذُهِبوا إليه: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّ رَجْعَ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ صَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ أي: العجل: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ﴾ أنه لا يبيحهم إذا سألوهم، ولا إذا خاطبوه، ﴿وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ صَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ أي: في دنياهم ولا في آخرتهم. قال ابن عباس: لا والله ما كان خُورُهُ إلا أن يدخل الريح في دُبره فيخرج من فيه، فيُسمع له صوت.

وحاصل ما اعترض به هؤلاء الجهلة أنهم تَوَرَّعُوا عن زينة القُبُطِ، فآلَقَوْهَا عنهم، وَعَبَدُوا العِجْلَ. فَتَوَرَّعُوا عن الحَقِيرِ وَقَعَلُوا الأمر الكبير، كما جاء عن ابن عمر: أنه سأله رجل من أهل العراق عن دم البعوض إذا أصاب الثوب -يعني: هل يُصَلِّي فيه أم لا؟- فقال ابن عمر -رضي الله عنهما-: انظروا إلى أهل العراق، قتلوا ابن بنت رسول الله ﷺ -يعني: الحسين- وهم يسألون عن دم البعوض! [رواه البخاري].

الآية (٩٠-٩١): يخبر تعالى عما كان من تَهَيَّ هارون عَلَيْهِ السَّلَامُ لهم عن عبادة العِجْلِ، وإخباره إياهم: إنما هذا فتنة لكم ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمْ الرَّحْمَنُ﴾ الذي خَلَقَ كل شيء فَقَدَرَهُ تقديراً، ذو العرش المجيد، الفعال لما يُريد، ﴿فَالْيَقُونِي﴾ أي: فيما أمركم به، واتركوا ما أناكم عنه. ﴿قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَمَلَ كَيْدٍ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾ أي: لا نترك عبادته حتى نَسْمَعَ كلام موسى فيه. وخالفوا هارون في ذلك وحاربوه، وكادوا أن يقتلوه!

الآية (٩٢-٩٤): يخبر تعالى عن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ حين رَجَعَ إلى قومه، فرأى ما قد حَدَثَ فيهم من الأمر العظيم، فامتلاً عند ذلك غَضَبًا، وألقى ما كان في يده من الألواح الإلهية، وأخذ برأس أخيه يُجْرُهُ إليه، وقد قَدَمْنَا في «الأعراف» بَسْطَ ذلك. وَشَرَعَ يُلوم أخاه هارون فقال: ﴿مَا سَمِعْتُمْ إِلَّا مِنِّيهِمْ صَلَوًا ﴿١٤٧﴾ أَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ أي: فتخبرني بهذا الأمر أَوَّلَ ما وَقَعَ.

﴿أَفَصَبَّيْتُ أَمْرِي﴾ أي: فيما كنت قَدَّمْتُ إليك، وهو قوله: ﴿اخْلَفَنِي فِي قَوْمِي وَأَسْبَغَ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٧]. ﴿قَالَ يَبْنَؤُمْ﴾ تَرَفَّقَ لَهُ بِذِكْرِ الْأَمِّ مع أنه شقيقه لأبويه؛ لأنَّ ذِكْرَ الْأَمِّ ههنا أَرْقَى وَأَبْلَغُ، أي: في السُحُوِّ وَالْعَطْفِ؛ ولهذا قال: ﴿يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي﴾ الآية. هذا اعتذار من هارون عند موسى في

سبب تأخره عنه، حيث لم يلحقه فيخبره بما كان من هذا الخطب الجسيم قال: ﴿إِنِّي خَشِيتُ﴾ أن أَتَبَكَ فَأُخْرِكَ بهذا، فنقول لي: لِمَ تَرَكْتَهُمْ وحدهم وَفَرَقْتَ بينهم؟! ﴿وَلَمْ تَرْفُقْ قَوْمِي﴾ أي: وما راعيت ما أَمَرْتُكَ به حيث استخلفتك فيهم. قال ابن عباس: وكان هارون هائِبًا له مطيعًا.

الآية (٩٥-٩٨): يقول موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلسَّامِرِيِّ: ما خَلَّكَ على ما صَنَعْتَ؟ وما الذي عَرَّضَ لك حتى فَعَلْتَ ما فَعَلْتَ؟ ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾ أي: رأيت جبريل حين جاء هلاك فرعون، ﴿فَقَضَّضْتُ فِقْصَهُ مِنْ أَكْثَرِ الرُّسُولِ﴾ أي: من أثير قُرَيْشِهِ. وهذا هو المشهور عند كثير من المفسرين أو أكثرهم. ولهذا قال: ﴿فَبَدَّئْتُهَا﴾ أي: أَلْقَيْتُهَا مع من ألقى، ﴿وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾ أي: حَسَنَتْهُ وَأَعَجَبَهَا إِذَا ذَاكَ.

﴿قَالَ فَأَذْهَبَ فَإِنَّكَ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا يَسَاسَ﴾ أي: كما أَخَذْتُ وَمَسَسْتُ ما لم يكن لك أَخْذُهُ وَمَسُّهُ من أثر الرسول، فمعبوتك في الدنيا أن تقول: «لا مساس» أي: لا تُجَاسُ النَّاسُ وَلَا يَمَسُونَكَ.

﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا﴾ أي: يوم القيامة ﴿أَنْ تُخْلَعَهُ﴾ أي: لا تحيد لك عنه. وقال قتادة: ﴿أَنْ تَقُولَ لَا يَسَاسَ﴾ قال: عقوبة لهم، وبقيامهم اليوم يقولون: لا مساس. وقوله: ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا أَنْ تُخْلَعَهُ﴾ قال الحسن وقائدة وأبو نبيك: لن تُغَيَّبَ عنه.

وقوله: ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ﴾ أي: مَعْبُودِكَ ﴿الَّذِي ظَلَمْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾ أي: أَقَمْتَ على عبادته، يعني: العجل، ﴿لَتَنصِفَنَّهُ فِي الْيَوْمِ نَصْفًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ يقول لهم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ليس هذا إلهكم، ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: لا يستحقُّ ذلك على العباد إلا هو، ولا تنبغي العبادة إلا له، فإن كل شيء فقير إليه، عبد له.

وقوله: ﴿وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ أي: هو عالم بكل شيء، ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِ﴾ [الطلاق: ١٢]، ﴿وَأَمَّا كُلُّ شَيْءٍ عَدَاؤُا﴾ [الحج: ٢٨]، ﴿فَ لَا يَغْرِبُ عَنْهُ مُنْقَالُ ذَرَّةٍ﴾ [سبا: ٣]، ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَسْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ مِنْ طَلْحَتٍ إِلَّا تَسْلَمُهَا وَلَا رَيْبُ وَلَا يَكِبُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]، ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَوْمَ تُنْقَضُ سُنَنُهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [هود: ٦].

والآيات في هذا كثيرة جدًا.



## ● الوقفات التدريبية

● ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ الْآرْبَعِ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ صَرًّْا وَلَا نَقْمًا﴾

وقدم الصّرّ على النفع قطعاً لغرضهم في اعتقاد الهيته؛ لأن عذر الخائف من الصّرّ أقوى من عذر الرابغ في النفع. ابن عاشور: ٢٨٩/١٦.

السؤال: لماذا قدم الضرر على النفع في الآية الكريمة؟

● ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ الْآرْبَعِ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ صَرًّْا وَلَا نَقْمًا﴾

لأن ذلك محل العبرة من فقدانه صفات العاقل؛ لأنهم يدعون، ويثنون عليه، ويمجدونه، وهو ساكت، لا يشكر لهم، ولا يمدحهم باستجابته، وشأن الكامل إذا سمع ثناء أو تلقى طلبة أن يجيب. ابن عاشور: ٢٨٨/١٦.

السؤال: من أدلة بطلان عبادة الأصنام والأضرحة والقبور أنها لا تجيب أصحابها، كيف دلت الآية الكريمة على ذلك؟

● ﴿قَالَ يَهُدُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿١٣﴾ أَأَلَّا تَنبَيْحُ أَفْصَحْتَ أَمْرِي﴾  
هذا كله أصل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتغييره ومفارقة أهله، وإن المقيم بينهم. لاسيما إذا كان راضياً. حكمه كحكمهم. القرطبي: ١٢٤/٤.

السؤال: ما الأصل العظيم الذي يفيد كل مؤمن من هذه الآية؟

● ﴿قَالَ يَنْبَغُ أَنْ تَأْخُذَ بِلَيْعِي وَلَا بِرَأْيِي﴾

ترقق له بذكر الأم، مع أنه شقيقه لأبيه؛ لأن ذكر الأم هنا أرق وأبلغ في الحنو والعطف. ابن كثير: ١٥٩/٣.

السؤال: لماذا نادى هارون موسى بـ (يا ابن أم) مع أنه شقيقه؟

● ﴿قَالَ يَنْبَغُ أَنْ تَأْخُذَ بِلَيْعِي وَلَا بِرَأْيِي﴾

هذه الآية الكريمة بضميمة آية «الأنعام» إليها تدل على لزوم إعفاء الحيّة فهي دليل قرآني على إعفاء الحيّة وعدم حلقها. وآية الأنعام المذكورة هي قوله تعالى: (ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون) الآية «الأنعام: ٩٠». ثم إنه تعالى قال بعد أن عد الأنبياء الكرام المذكورين (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده)، فدل ذلك على أن هارون من الأنبياء الذين أمر نبينا ﷺ بالاقتران بهم، وأمره ﷺ بذلك أمر لنا؛ لأن أمر القدوة أمر لاتباعه. الشنقيطي: ٩٢/٤.

السؤال: كيف تجعل من الآية دليلاً على وجوب إعفاء اللحية؟

● ﴿قَالَ قَدْ هَبَ فَرَكُكَ لَكَ فِي الْحَيَوَةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَلَكِنَّكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ﴾

هذه الآية أصل في نفي أهل البدع والمعاصي وهجرانهم، وإلا يخالفوا؛ وقد فعل النبي ﷺ ذلك بكعب بن مالك، والثلاثة الذين خلفوا رضي الله عنهم. القرطبي: ١٣٠/٤.

السؤال: كثر في هذا الزمان دعاة البدع ودعاة الضلالة، كيف نتعامل معهم في ضوء هذه الآية؟

● ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْبِفَنَّهُ فِي الْآبَةِ نَسْفًا﴾

ف فعل موسى ذلك، فلو كان إلهاً لامتنع ممن يريد به بأذى ويسعى له بالإتلاف، وكان قد أشرب العجل في قلوب بني إسرائيل، فإراد موسى عليه السلام - إتلافه - وهم ينظرون - على وجه لا تمكن إعادته، بالإحراق والسحق، وذريه في اليوم، ونسفه؛ ليزول ما في قلوبهم من حبه، كما زال شخصه. السعدي: ٥١٢.

السؤال: لماذا أزال موسى العجل بهذه الطريقة؟

فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ  
وَأَلَهُ مُوسَى فَقَسَى ﴿٥﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ الْآرْبَعِ إِلَيْهِمْ قَوْلًا  
وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ صَرًّْا وَلَا نَقْمًا ﴿٥﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ  
مِنْ قَبْلُ يَقَوْمُ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي  
وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿٥﴾ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ  
إِلَيْنَا مُوسَى ﴿٥﴾ قَالَ يَهُدُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٥﴾  
أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٥﴾ قَالَ يَبْتَغُونَ لِيَ أَخَذَ بِلَيْحِي  
وَلَا يَرَأُونِي فِي خَشْيَةٍ أَنْ يَقُولَ فَرَقْتُ بَيْنَ يَتَى إِسْرَءِيلَ  
وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٥﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَسْلَمِي ﴿٥﴾ قَالَ  
بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَشْرِ  
الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٥﴾ قَالَ  
فَآذِ هَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَوَةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ  
مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ، وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ  
عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْبِفَنَّهُ فِي الْآبَةِ نَسْفًا ﴿٥﴾ إِنَّمَا  
إِلَهُكُمْ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٥﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
جَسَدًا	مُجَسَّدًا مِنَ الذَّهَبِ.
لَهُ خُورٌ	لَهُ صَوْتُ كَصَوْتِ الْبَقَرِ.
لَنْ نَبْرَحَ	لَنْ نَزَالَ.
وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي	لَمْ تَحْفَظْ وَصِيَّتِي بِحُسْنِ رِعَايَتِهِمْ.
بَصُرْتُ	رَأَيْتُ أَوْ عَلِمْتُ بِبَصِيرَتِي.
لَا مِسَاسَ	أَيُّ: تَكُونُ مَنِبُودًا؛ تَقُولُ لِكُلِّ وَاحِدٍ: لَا أَمْسُكَ، وَلَا تَمْسُنِي.

## ● العمل بالآيات

١. انكر منكرا بالقول والقلب إذا لم تستطع تغييره باليد، ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَقَوْمُ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾.
٢. وفر لحيتك ولا تحلقها؛ فإنها سنة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ﴿قَالَ يَنْبَغُ أَنْ تَأْخُذَ بِلَيْعِي وَلَا بِرَأْيِي﴾.
٣. استعد بالله من النفس الأمارة بالسوء التي تزين المعصية، ﴿وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾.

## ● التوجيهات

١. العدل والعتاب لا يقطع الأخوة في الله، ﴿قَالَ يَهُدُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٥﴾ أَأَلَّا تَنبَيْحُ أَفْصَحْتَ أَمْرِي﴾.
٢. التلطف في الرد على الغضبان، ومناداته بما يرقق قلبه من أسباب تهدئته، ﴿قَالَ يَنْبَغُ أَنْ تَأْخُذَ بِلَيْعِي وَلَا بِرَأْيِي﴾.
٣. إزالة الباطل من قلوب الناس يجب أن يكون بأحكام طريقة تقنعهم ببطلانه، ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْبِفَنَّهُ فِي الْآبَةِ نَسْفًا﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءٍ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا﴾

ما يقص من أخبار الأمم ليس المقصود به قطع حصة الزمان، ولا إنباس السامعين بالحديث، إنما المقصود منه العبرة، والتذكير، وإيقاظ لبصائر المشركين من الحرب إلى موضع الاعتبار من هذه القصة. ابن عاشور: ٣٠٢/١٦.

السؤال: ما المقصود من قصص الأمم في القرآن الكريم؟

﴿وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا﴾

وهو هذا القرآن الكريم؛ ذكر للأخبار السابقة، واللاحقة، وذكر يتذكر به ما لله تعالى من الأسماء والصفات الكاملة، ويتذكر به أحكام الأمر والنهي، وأحكام الجزاء. السعدي: ٥١٢.

السؤال: لماذا سمي القرآن ذكراً؟

﴿يَتَخَفَتُونَ يَتَنَبَّهْنَ إِذْ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ الْآيَاتُ﴾ نحن أعلم بما يقولون إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يوماً ﴿٣١﴾

أي: يقول بعضهم لبعض في السر: إن لبثتم في الدنيا إلا عشر ليال، وذلك لاستقلالهم مدة الدنيا. وقيل: يعنون لبثهم في القبور. (يقول أمثلهم طريقة: إن لبثتم إلا يوماً) أي: يقول أعلمهم بالأمور؛ بالإضافة إليهم. (إن لبثتم إلا يوماً) واحداً؛ فاستقل المدة أشد مما استقلها غيره. ابن جزي: ٢٤/٢.

السؤال: كيف دلّت هذه الآية على حقارة الدنيا؟

﴿يَتَخَفَتُونَ يَتَنَبَّهْنَ إِذْ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ الْآيَاتُ﴾ نحن أعلم بما يقولون إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يوماً ﴿٣١﴾

والمقصود من هذا: الندم العظيم؛ كيف ضيعوا الأوقات القصيرة، وقطعوها ساهين لاهين، معرضين عما ينفعهم، مقبلين على ما يضرهم، فها قد حضر الجزاء، وحق الوعيد، فلم يبق إلا الندم، والدعاء بالويل والثبور. السعدي: ٥١٣.

السؤال: ما الذي يفيد الإنسان من هذا الإخبار عن المجرمين؟

﴿وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلَّهِ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾

وكنى عن الناس بالوجوه؛ لأن آثار الذل إنما تتبين في الوجه. القرطبي: ١٤٢/١٤.

السؤال: ما السبب في التعبير بالوجوه في الآية؟

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾

لأن العمل لا يقبل من غير إيمان. القرطبي: ١٤٣/١٤.

السؤال: بين منزلة الإيمان في قبول الأعمال الصالحة.

﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَأَتْلَوْهُ بِتَفْهُونٍ أَوْ يَحُوتَ لَمْ يَذْكُرْ﴾

وهذا وصف يفيد المدح؛ لأن اللغة العربية أبغ اللغات، وأحسنها فصاحة وإنسجاماً. ابن عاشور: ٣١٤/١٦.

السؤال: ما الذي يفيد وصف القرآن بكونه عربياً؟

كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءٍ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ﴿٣٠﴾ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا ﴿٣١﴾ خَلِيلِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ حِمْلًا ﴿٣٢﴾ يَوْمَ نُبْعَثُ فِي الْأَشْوَاقِ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿٣٣﴾ يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿٣٤﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿٣٥﴾ وَمَكَانُكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿٣٦﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿٣٧﴾ لَا تَبْقَىٰ فِيهَا جَبَلٌ وَلَا ثَمَرًا ﴿٣٨﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ أَعْوَجَ لَهُ وَخِشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿٣٩﴾ يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴿٤٠﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴿٤١﴾ وَسَعَتِ الْجَوْهَرُ لِلَّهِ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿٤٢﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿٤٣﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَأَتْلَوْهُ بِتَفْهُونٍ أَوْ يَحُوتَ لَمْ يَذْكُرْ ﴿٤٤﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
زُرْقًا	زُرْقُ الْغُيُونِ مَعَ سَوَادِ وَجُوهِهِمْ.
يَتَخَفَتُونَ	يَتَسَاءَلُونَ، وَيَتَهَاوَسُونَ.
أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً	أَعْلَمُهُمْ، وَأَوْفَاهُمْ عَقْلًا.
قَاعًا	أَرْضًا مَسْطُورَةً لَا نَبَاتَ بِهَا.
صَفْصَفًا	مُسْتَوِيَّةً.
وَلَا أَمْتًا	ارْتِفَاعًا.
وَعَنْتِ	خَضَعَتْ، وَذَلَّتْ.
هَضْمًا	نَقْصًا مِنْ حَسَنَاتِهِ.

## ● العمل بالآيات

١. اقرأ قصة من قصص الأمم السابقة، تجد فيها العبرة والعظة، ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءٍ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا﴾.
٢. اقرأ سورة من سور القرآن الكريم متاملاً موضوعها العام، ﴿وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا﴾ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا ﴿٣١﴾.
٣. قل: اللهم اني اسألك شفاعة نبيك محمد ﷺ يوم القيامة، ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾.

## ● التوجيهات

١. اقبل على القرآن الكريم تعلمًا، وتعليمًا، وعملاً؛ ففيه النجاة، ﴿وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا﴾ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا ﴿٣١﴾.
٢. تذكر يوم ستكون الأصوات بين يدي الله تعالى، حتى لا يسمع إلا همس من عظم ما هم فيه من الهول، ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ أَعْوَجَ لَهُ وَخِشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾.
٣. تذكر أن الشفاعة عند الله لا تنفع إلا بإذن الله للشايف، ورضاه عن المشفوع له، ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾.

والأهوال، يستجيبون مسارعين إلى الداعي، حيثاً أمروا بادروا إليه، ولو كان هذا في الدنيا لكان أنفع لهم، ولكن حيث لا ينفعهم؛ كما قال تعالى: ﴿تَهْطِطِينَ إِلَى الدَّاعِ﴾ [القمر: ٨٠]. وقال محمد بن كعب القرظي: يحشر الله الناس يوم القيامة في ظلمة، ويطوي الساء، وتنتشر النجوم، وتذهب الشمس والقمر، وينادي مناد؛ فَيُتَبَعُ النَّاسُ الصَّوْتُ بِؤْمُوتِهِ، فذلك قوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ﴾. وقال قتادة: ﴿لَا عِوَجَ لَهُ﴾ لا يميلون عنه. وَخَسَعَتِ الْأَشْجَارُ لِلرَّحْمَنِ: قال ابن عباس: سكنت. وكذا قال السدي. ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ قال ابن عباس: الصوت الخفي. وقال سعيد بن جبير: الحديث، وبشره، ووطه الأقدام. أما وطة الأقدام فالمراد سعي الناس إلى المحشر، وهو مشيهم في سكون وخضوع. وأما الكلام الخفي فقد يكون في حال دون حال، فقد قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلُمُ النَّفْسُ إِلَّا بِذِيهِ﴾ [هود: ١٠٥].

الآية (١٠٩-١١٢): ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم القيامة ﴿لَا تَنفَعُ الشَّفَعَةُ﴾ أي: عنده ﴿لَا مَنْ أَدَّكَ الرَّحْمَنُ وَرَحِمَى لَهُوَلَا﴾ كقوله: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨]. وعن رسول الله ﷺ، وهو سيد ولد آدم، وأكرم الخلاق على الله ﷻ أنه قال: «أتى تحت العرش، وأخبر الله ساجداً، وفتح عليّ بمحامد لا أحصيها الآن، فبدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقول: يا محمد، ارفع رأسك، وقُلْ يَسْمَعُ، وَاسْمَعُ تُسْمَعُ...» [تفص عليه].

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أي: يُحِيطُ عِلْمًا بِالْخَلْقِ كُلِّهِمْ، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ كقوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وقوله: ﴿وَعَبَّتِ السَّجُودُ لِلَّهِ الْقَبِيرُ﴾ قال ابن عباس وغير واحد: خَسَعَتْ وَذَلَّتْ وَاسْتَسَلَمَتْ الْخَلْقُ لِحَبَارَاهَا الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، ﴿الْقَبِيرُ﴾: الذي لا ينام، وهو قَبِيمٌ على كل شيء، يُدَبِّرُهُ ويحفظه، فهو الكامل في نفسه، الذي كل شيء فقير إليه، لا قوام له إلا به. وقوله: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ أي: يوم القيامة؛ فإن الله سيؤدِّي كل حق إلى صاحبه، حتى يقتصر للشاة الجثاء من الشاة المَرْثَاءَ [رواه البخاري في الأدب المفرد، وصححه الألباني]، وفي الصحيح: «يا أيكم والظلم؛ فإن الظلم ظلمات يوم القيامة» [رواه مسلم].

وقوله: ﴿وَمَنْ يَمَسَّ مِنَ الصَّالِحِينَ هُوَ مُؤَيَّدٌ فَلَا تَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾: لَمَّا ذَكَرَ الظَّالِمِينَ وَعِيدَهُمْ، ثَبَّتَ بِالْمُتَّقِينَ وَحُكْمَهُمْ، وَهُوَ أَنَّهُمْ لَا يُظْلَمُونَ وَلَا يُهْضَمُونَ؛ أي: لا يَزِيدُ في سيئاتهم ولا ينقص من حسناتهم. قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك والحسن وقاتة وغير واحد. فالظلم: الزيادة بأن يجعل عليه ذنب غيره، والهضم: النقص.

الآية (١١٣): يقول تعالى: وَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْمَادِ وَالْجَزَاءِ بِالْخَيْرِ وَالشَّرِّ وَأَمَّا لَا عَمَلَةَ، أَنْزَلْنَا الْقُرْآنَ بَشِيرًا وَنَذِيرًا، بِلِسَانِ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ فَصِيحٍ، لَا لَبْسَ فِيهِ وَلَا عِوَجَ، ﴿وَصَرَفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ أي: يتركون الماتم والمحارم والفواحش، ﴿أَوْ يُحِثُّ لَمْ يَذْكُرْ﴾ وهو إيجاد الطاعة وفعل القربات.

الآية (٩٩-١٠١): يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ: كَمَا قَضَيْنَا عَلَيْكَ خَبَرَ مُوسَى، وَمَا جَرَى لَهُ مَعَ فِرْعَوْنَ وَجُنُودِهِ عَلَى الْجَلِيلَةِ وَالْأَمْرِ الْوَاقِعِ، كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ الْأَخْبَارَ الْمَاضِيَةَ كَمَا وَقَعَتْ مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ وَلَا نَقْصٍ، هَذَا ﴿وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا﴾ أي: عندنا ﴿ذِكْرًا﴾ وهو القرآن العظيم، الذي لم يُعْطَ نبي من الأنبياء منذ بُعِثُوا إِلَى أَنْ تُحْمِلُوا بِمُحَمَّدٍ ﷺ كِتَابًا مِثْلَهُ وَلَا أَكْمَلَ مِنْهُ، وَلَا أَجْعَلْ لَخَبَرِ مَا سَبَقَ وَخَبَرِ مَا هُوَ كَائِنٌ، وَحُكْمِ الْفَضْلِ بَيْنَ النَّاسِ مِنْهُ؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾ أي: كَذَّبَ بِهِ وَأَعْرَضَ عَنْ تَابِعِهِ أَمْرًا وَطَلِبًا، وَابْتَعَى الْهَدْيَ فِي غَيْرِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى سَوَاءِ الْحَجِيمِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا﴾ أي: إثمًا.

وهذا عام في كل من بَلَغَهُ الْقُرْآنُ مِنَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ، أَهْلُ الْكِتَابِ وَغَيْرِهِمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا تَذْكُرْهُمْ بِهِ، وَمَنْ يَلِكْ﴾ [الأنعام: ١٩]. فكل من بَلَغَهُ الْقُرْآنُ فهو نذير له وداع، فمن أَتْبَعَهُ هُدًى، وَمَنْ خَالَفَهُ وَأَعْرَضَ عَنْهُ ضَلَّ وَشَقِيَ فِي الدُّنْيَا، وَالْآخِرَةِ مَوْعِدُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا﴾ [٢٠] خَلِيلِينَ فِيهِ: أي: لا يحيد لهم عنه ولا انفكاك، ﴿وَسَاءَ لِمَنْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ جِزَاءُ﴾ أي: بس الجمل جملهم.

الآية (١٠٢-١٠٤): ثَبَّتَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سُبُلٌ عَنِ الصُّورِ، فَقَالَ: «قُرْنُ يَنْفُخُ فِيهِ» [رواه أحمد وأبو داود وصححه إسناده أحمد شاكر]. ينفخ فيه إسرائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ. وقوله: ﴿وَتَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرًّا﴾ قيل: معناه زُرْقُ الْعَيُونِ مِنْ شِدَّةِ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْأَهْوَالِ، ﴿يَتَحَفَرُونَ بَيْنَهُمْ﴾ قال ابن عباس: يَسْتَارُونَ بَيْنَهُمْ، أي: يقول بعضهم لبعض: ﴿إِنْ لَيْتُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾ أي: في الدار الدنيا، لَقَدْ كَانَ بُتُّكُمْ فِيهَا قَلِيلًا، عَشْرَةَ أَيَّامٍ أَوْ نَحْوَهَا. ﴿تَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ أي: في حال تَنَاجِيهِمْ بَيْنَهُمْ، ﴿إِذْ يَقُولُ أَتْلُوهُمْ طَرِيقَةً﴾ أي: الْعَاقِلُ الْكَامِلُ فِيهِمْ: ﴿إِنْ لَيْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾ أي: لِقِصْرِ مَدَةِ الدُّنْيَا فِي أَنْفُسِهِمْ يَوْمَ الْمَادَةِ، لِأَنَّ الدُّنْيَا كُلُّهَا، وَإِنْ تَكَرَّرَتْ أَوْ قَامَتْ وَتَعَابَتْ لِيَالِيهَا وَأَيَّامُهَا وَسَاعَاتُهَا كَانَتْ يَوْمًا وَاحِدًا؛ وَلِهَذَا تَسْتَقْصِرُ مَدَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَكَانَ غَرَضُهُمْ فِي ذَلِكَ تَرَدُّ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ لِقِصْرِ الْمَدَةِ؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ تَقُورُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لِيْشَأْغَا عَنِ سَاعَتِهِ﴾ [الروم: ٥٥].

الآية (١٠٥-١٠٨): ﴿وَسَيُنْزِلُكَ عَنِ الْغَيَْالِ﴾ أي: هل تبقى يوم القيامة أو تزول؟ ﴿فَقُلْ يَسْمِعُهَا رَبِّي سَمْعًا﴾ أي: يُدْهِمُهَا عَنْ أَمَاكِنِهَا وَيَمَحُضُهَا وَيُسَبِّحُهَا تَسْبِيحًا. ﴿فَيَذَرُهَا﴾ أي: الْأَرْضَ ﴿فَاقَا صَفْقَتَا﴾ أي: بَسَاطًا وَاحِدًا. وَالْقَاعُ: هُوَ الْمُسْتَوِي مِنَ الْأَرْضِ. وَالصَّفْقَتَانِ تَأْكِيدٌ لِمَعْنَى ذَلِكَ، وَقِيلَ: الَّذِي لَا نَبَاتَ فِيهِ. وَالْأَوَّلُ أَوَّلِي، وَإِنْ كَانَ الْآخِرُ مُرَادًا أَيْضًا بِاللَّزَمِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ أي: لَا تَرَى فِي الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ وَادِيًا وَلَا رَابِيَةً، وَلَا مَكَانًا مُنْخَفِضًا وَلَا مُرْتَفَعًا، كَذَلِكَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَعُكْرَةُ وَمَجَاهِدٌ وَالْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ وَالضَّحَّاكُ وَقَتَادَةُ وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ.

﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ﴾ أي: يوم يرون هذه الأحوال

لَكَالْإِنِّ الْقَصِيرِ ﴿٢١﴾ [الأعراف: ٢١].

وقد تقدّم أن الله تعالى أوحى إلى آدم وزوجته أن يأكلا من كل الثمار، ولا يقربا هذه الشجرة المعينة في الجنة. فلم يزلّ بهما إبليس حتى أكلتا منها، وكانت شجرة الخلد<sup>(١)</sup> يعني: التي من أكل منها خُلدَ ودام مُكُنَّه. وقوله: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِمَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ رَبِّهِ لَئِنَّهُ﴾ قال مجاهد: يُرْتَقَانِ كهيئة الثوب. وكذا قال قتادة والسدي. وقوله: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴿١٣﴾ ثُمَّ أَغْنَيْنَا رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «حاج موسى آدم، فقال له: أنت الذي أخرجت الناس من الجنة بذنبيك وأشقيتهم؟! قال آدم: يا موسى، أنت الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه، أتؤمّني على أمرٍ قد كتب الله عليّ قبل أن يخلقني، أو: قدّر الله عليّ قبل أن يخلقني؟! قال رسول الله ﷺ: «فحج آدم موسى» [متفق عليه].

الآية (١٢٣-١٢٥): يقول تعالى لآدم وحواء وإبليس: اهبطوا منها جميعاً، أي: من الجنة كلكم. ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ آدم وذريته، وإبليس وذريته.

وقوله: ﴿فَإِنَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾ قال أبو العالية: الأنبياء والرسول والبيان، ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْغَى﴾ قال ابن عباس: لا يضلّ في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة.

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ وَصِيَّيَّ﴾ أي: خالف أمري، وما أنزلته على رسولي؛ أعرض عنه وتناساه وأخذ من غيره هداية ﴿فَإِنَّ لَهُ عَمَلَهُمُ صَنَسِكًا﴾ أي: في الدنيا؛ فلا طمأنينة له، ولا انشراح لصدره، بل صدره ضيقٌ حَرَجٌ لِضَلَالِهِ، وإن تنعم ظاهره، وليس ما شاء وأكل ما شاء، وسكن حيث شاء؛ فإن قلبه ما لم يخلص إلى اليقين والهدى، فهو في قلقٍ وحيرةٍ وشكٍّ، فلا يزال في ريبٍ يتردد. فهذا من صنك المعيشة. عن أبي سعيد في قوله: ﴿عَمِلَ صَنَسِكًا﴾ قال: يضيّق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه فيه.

وقوله: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ قال مجاهد وأبو صالح والسدي: لا حجة له. وقال عكرمة: عُمي عليه كل شيء إلا جهنم. ومُحْتَمَلٌ أن يكون المراد: أنه يُحْشَرُ أو يُعَيَّنُ إلى النار أعمى البصر والبصيرة أيضاً، كما قال تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَنُحَصِّلُهَا لَهُمْ مَأْوَهُمْ جَهَنَّمَ كُلًّا خَبِثَ لَدُنْهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧]. ولهذا يقول: ﴿رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾ أي: في الدنيا.

الآية (١١٤): ﴿فَتَمَلَّكُ اللَّهُ الْمَلِكَ الْحَقُّ﴾ أي: تَنَزَّهَ وَتَقَدَّسَ الملك الحق، الذي هو حقٌّ، ووَعْدُهُ حقٌّ، ووَعِيدُهُ حقٌّ، ورسوله حقٌّ، والجنة حقٌّ، والنار حقٌّ، وكل شيء منه حقٌّ. وَعَدُّهُ تعالى أَلَّا يُعَذِّبَ أَحَدًا قبل الإنذار وبعثة الرسل والإعذار إلى خلقه؛ لئلا يَبْقَى لأحد حجةٌ ولا شبهة.

وقوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُفْصَلَ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ كقوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتُجَعلَ بِهِ ﴿١٤﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٥﴾ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاقْرَأْهُ مَعَ قُرْآنِهِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٧﴾﴾ [البقرة: ١٤-١٦-١٧]، وَبَيَّنَّ عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يُعَالِجُ مِنَ الْوَحْيِ شِدَّةً، فكان يَمَّا يُحَرِّكُ لِسَانَهُ، فَانْزَلَ اللهُ هذه الآية [منفزع عليه]. يعني: أنه عَلَيْهِ السَّلَامُ كان إذا جاءه جبريل بالوحي، كلياً قال جبريل آيةً قالها معه، من شِدَّةِ حرصه على حفظ القرآن، فأرشدَه اللهُ تعالى إلى ما هو الأسهل والأخف في حقه؛ لئلا يَشُقَّ عليه، فقال: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتُجَعلَ بِهِ ﴿١٤﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٥﴾﴾ أي: أن نجمعه في صدرك، ثم تقرأه على الناس من غير أن تنسى منه شيئاً، ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاقْرَأْهُ مَعَ قُرْآنِهِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٧﴾﴾ وقال في هذه الآية: ﴿وَلَا تَجْعَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُفْصَلَ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ أي: بل أنصت، فإذا قَرَأَ الملك من قراءته عليك فاقراه بعده ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ أي: زدني منك علماً.

الآية (١١٥-١٢٢): ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ نَنسِيَّ وَلَوْ جَدَلَهُ عَزَمًا﴾ قال ابن عباس: إنما سُمِّيَ الإنسان لأنه هُجِدَ إِلَيْهِ نَسِيٌّ. وقال مجاهد والحسن: ترك.

وقوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ يذكر تعالى تشريف آدم وتكرمه، وما نُفِضَ به على كثير من خلقٍ تفضيلاً. وقد تقدم الكلام على هذه القصة في سورة «البقرة»، وفي «الأعراف»، وفي «الحجر»، و«الكهف»، وسيأتي في آخر سورة «ص». يَذْكُرُ فيها تعالى خَلَقَ آدم وأمره الملائكة بالسجود له تشريفاً وتكريماً، وَيُبَيِّنُ عداوة إبليس لبني آدم ولأيهم قديماً؛ ولهذا قال تعالى: ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى﴾ أي: امتنع واستكبر، ﴿فَقُلْنَا يَتَدَبَّرُونَ هَذَا عَدُوًّا لَكَ وَلِرِزْقِكَ﴾ يعني: حواء عليها السلام.

﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ أي: إِيَّاكَ أن يسعى في إخراجك منها، فَتَشَقُّ وتُعَنَى وتشقى في طلب رزقك؛ فإنك ههنا في عيش رغيد ههنا، لا كلفة ولا مشقة.

﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى﴾: إنما قَرَنَ بين الجوع والعري؛ لأن الجوع ذلُّ الباطن، والعري ذلُّ الظاهر.

﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى﴾: وهذان أيضاً متقابلان، فالظما: حرُّ الباطن، وهو العطش. والصحى: حرُّ الظاهر.

وقوله: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَدَبَّرُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْئَلُ﴾ قد تقدم أنه دَلَّاهما بغرور ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِيَّيَّيَّ﴾

(١) لعل ابن كثير يقصد: في زعم إبليس؛ وإلا فقد أكذبه في زعمه ذلك في تفسيره لآية الأعراف: ﴿وَقَالَ مَا تَهْكُمُنَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠]. ينظر ص: ١٥٢.



## ● الوقفات التدريبية

﴿نَعْمَلُ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ ●

ويع وصفه بالحق إيماء إلى أن ملك غيره من المُتَسَمِّين بالملوك لا يخلو من نقص. ابن عاشور: ٣١٥/١٦.

السؤال: بين باختصار ثلاثة فروق بين ملك الله وملك ملوك الدنيا.

● ﴿وَلَا تَجْعَلْ بِالْفَرَّانِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقَعَّزَ إِلَيْكَ وَحِيدٌ، وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾

ويؤخذ من هذه الآية الكريمة: الأدب في تلقي العلم، وأن المستمع للعلم ينبغي له أن يتأنى ويصبر حتى يفرغ للعلم من كلامه المتصل بعضه ببعض، فإذا فرغ منه سال إن كان عنده سؤال، ولا يبادر بالسؤال وقطع كلام مُلقِي العلم؛ فإنه سبب للحرمان. السعدي: ٥١٤.

السؤال: ما الأدب الذي يستقيه طالب العلم من هذه الآية؟

● ﴿وَلَا تَجْعَلْ بِالْفَرَّانِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقَعَّزَ إِلَيْكَ وَحِيدٌ، وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾

لما كانت عجلته ﷺ على ثَلُثُ الوحي ومبادرته إليه تدل على محبته التامة للعلم، وحرصه عليه؛ أمره الله تعالى أن يسأله زيادة العلم. السعدي: ٥١٤.

السؤال: في الآية وسيلة مهمة للحصول على العلم النافع، فما هي؟

● ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾

كان ابن مسعود - رضي الله عنه - إذا قرأ هذه الآية قال: اللهم زدني علماً وإيماناً ويقيناً. البغوي: ١٤٢/٣.

السؤال: كيف تندبر هذه الآية ونعمل بها؟

● ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى (١) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى (٢)﴾

وقد قرن بين انتفاء الجوع واللباس في قوله: (إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى)، وقرن بين انتفاء انظماً والم الجسم في قوله: (وأنك لا تظمأ فيها ولا تصحى) لمناسبة بين الجوع والعري في أن الجوع خلو باطن الجسم عما يقبه تأله؛ وذلك هو الطعام، وأن المري خلو ظاهر الجسم عما يقبه تأله، وهو لفتح الحر، وقرص البرد. ومناسبة بين الظمأ وبين حرارة الشمس في أن الأول ألم حرارة الباطن، والثاني ألم حرارة الظاهر. ابن عاشور: ٣٢٢/١٦.

السؤال: لماذا قرن الجوع بالعري، والظمأ بالصحى في الآيات الكريمة؟

● ﴿فَمَنْ أَنْعَمَ هَدَاىَ فَلَا يَضِلَّ وَلَا يُشْغَى﴾

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «ضمن الله تعالى لمن قرأ القرآن وعمل به ألا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة»، وتلا الآية القرطبي: ١٥٦/١٤.

السؤال: هل يكفي حفظ القرآن للمهابة في الدنيا، والنجاة في الآخرة؟

● ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً﴾

فلا طمأنينة له، ولا انشراح صدره، بل صدره ضيق حرج لضلاله، وإن تنعم ظاهره، وليس ما شاء، وأكل ما شاء، وسكن حيث شاء؛ فإن قلبه ما لم يخلص إلى اليقين والهدى فهو في قلق، وحيرة، وشك، فلا يزال في ريبية يتردد، فهذا من ضنك المعيشة. ابن كثير: ١٦٤/٣.

السؤال: هل نعيم الظاهر دليل على سعادة الباطن؟ وضع ذلك من الآية.

فَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَجْعَلْ بِالْفَرَّانِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقَعَّزَ إِلَيْكَ وَحِيدٌ، وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا، وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَتَسَى وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً (١) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ ابْنِي (٢) فَقُلْنَا يَبْتَأْ إِنْ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِرِجْلِكَ فَلَا يُخْرِجُكَ كَمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى (٣) إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى (٤) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى (٥) فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَبْتَأْ هَلْ أَتَاكَ عَلَى شَجَرَةٍ الْمُنَّادِ وَمَلَائِكُ لَا يَجِئُ (٦) فَأَكْلا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءُهُمَا وَطُفِقَا بِيَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ رِيقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (٧) ثُمَّ اجْبَثَبَهُ رَبُّهُ وَقَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى (٨) قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَمَا يَأْتِيَنَّكَ عَمْرِي هُدىً فَتَمِيزَ أَنْعَمَ هَدَاىَ فَلَا يَضِلَّ وَلَا يُشْغَى (٩) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى (١٠) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (١١)

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
فَعَلَى	فَتَنَزَّهُ، وَارْتَفَعَ، وَتَقَدَّسَ عَنْ كُلِّ نَقْصٍ.
عَزْماً	جَفْظاً لِمَا أَمَرَ بِهِ.
وَطُفِقَا	أَخَذَا.
يَخْصِفَانِ	يُلْصِقَانِ.
اجْبَثَبَاهُ	اصْطَفَاهُ.
ضَنْكاً	ضَيْقَةً شَاقَّةً.

## ● العمل بالآيات

١. أكثر من الدعاء بزيادة العلم، ﴿رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾.
٢. استعن بالله من الشيطان الرجيم، وعوذ أهلك وأولادك منه، ﴿فَقُلْنَا يَبْتَأْ إِنْ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِرِجْلِكَ فَلَا يُخْرِجُكَ مِنْ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾.
٣. تذكر ذنبا كبيرا فعلته، وأكثر من الاستغفار والإحراج في ذلك؛ لعله يكون سببا في اجتنابه ربك لك، ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ، فَغَوَى (٧) ثُمَّ اجْبَثَبَهُ رَبُّهُ، وَقَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾.

## ● التوجيهات

١. من مداخل إبليس على بني آدم: عدم القناعة بالرزق، والتشبث بطول البقاء، ﴿قَالَ يَبْتَأْ هَلْ أَتَاكَ عَلَى شَجَرَةِ الْمُنَّادِ وَمَلَائِكُ لَا يَجِئُ﴾.
٢. احرص على معرفة سيرة من تصحك قبل أن تقبل نصيحته، ﴿فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَبْتَأْ هَلْ أَتَاكَ عَلَى شَجَرَةِ الْمُنَّادِ وَمَلَائِكُ لَا يَجِئُ﴾.
٣. الحياة مع القرآن سبب لسعادة الدنيا والآخرة، والإعراض عنه سبب لشقاوة الدنيا والآخرة، ﴿فَمَنْ أَنْعَمَ هَدَاىَ فَلَا يَضِلَّ وَلَا يُشْغَى (٩) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

● ﴿قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾

النسيان في هذه الآية بمعنى: الترك. ولا مدخل للذهول في هذا الموضع، و(تنسى) بمعنى: تترك في العذاب. ابن عطية: ٦٩/٤.

السؤال: ما المراد بالنسيان في الآية؟

● ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشدُّ وَأَلَمُّ﴾

لكونه لا ينقطع، بخلاف عذاب الدنيا فإنه منقطع، فالواجب الخوف والحذر من عذاب الآخرة. السعدي: ٥١٦.

السؤال: المسلم قد يواجه صعوبات ومتاعب في حياته، فكيف يفيد من هذه الآية في تهوين هذه المصاعب عليه؟

● ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ الْيَلِّ فَسَبِّحْ وَطَرَفَ النَّهَارِ لَمَلَكْتَ تَرْحَمُ﴾

وامره بأن يقبل على مزاولته تركيبة نفسه وتركيبه أهله بالصلاة، والإعراض عما متع الله الكفار برهاية العيش، ووعده بأن العاقبة للمتقين. ابن عاشور: ٣٣٧/١٦.

السؤال: ينبغي للمؤمن عند انتشار أذى المشركين الإقبال على تركيبة نفسه وتقويتها بالعبادات للصمود أمام أذاهم، بين ذلك من الآية.

● ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْثَنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقَ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾

وفي هذه الآية إشارة إلى أن العبد إذا رأى من نفسه طموحاً إلى زينة الدنيا، وإقبالاً عليها، أن يذكرها ما أمامها من رزق ربه، وأن يوازن بين هذا وهذا. السعدي: ٥١٧.

السؤال: تَمَرُّ على المسلم لحظات يشتهي فيها أن يكون من المتعمين المترفين في هذه الحياة الدنيا، فكيف يتعامل مع هذه اللحظات؟

● ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾

والأمر بالشئ أمرٌ بجميع ما لا يتم إلا به، فيكون أمراً بتعليمهم ما يصلح الصلاة، ويفسدها، ويكملها... فإن العبد إذا أقام صلاته على الوجه المأمور به؛ كان لما سواها من دينه أحفظ وأقوم، وإذا ضيعها كان لما سواها أضيع. السعدي: ٥١٧.

السؤال: كيف يكون أمر الأهل وغيرهم بالصلاة؟ ولماذا خصت الصلاة بالأمر بها والاصطبار عليها دون سائر العبادات؟

● ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلْكَ رِزْقًا عَنْ رِزْقِكَ وَالْمَغْنَمَةَ لِلْفَقْرِ﴾ (لا نسألك رزقاً) أي: لا نسألك أن ترزق نفسك ولا أهلك؛ فتفرغ أنت وأهلك للصلاة، فنحن نرزقك، وكان بعض السلف إذا أصاب أهله خصاصة قال:

قوموا فصلوا؛ بهذا أمركم الله، ويتلو هذه الآية. ابن جزي: ٢٩/٢.

السؤال: تضمنت هذه الآية منفعة عظيمة وثمرة من ثمار الصلاة، فما هي؟

● ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلْكَ رِزْقًا عَنْ رِزْقِكَ وَالْمَغْنَمَةَ لِلْفَقْرِ﴾ أي: لا نسألك أن ترزق نفسك وإياهم، وتشغل عن الصلاة بسبب الرزق، بل نحن نتكفل برزقك وإياهم، فكان عليه الصلاة والسلام إذا نزل بأهله ضيق أمرهم بالصلاة. القرطبي: ١٦٥/١٤.

السؤال: هل الانشغال بطلب الرزق عذر لتأخير الصلاة؟ وماذا تقول لمن يتشغل بعمله وقت الصلاة؟

قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴿٣٦﴾ وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَلَمُّ ﴿٣٧﴾ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كُرْهُهُمَا فَكُلُّوا مِنْ ثَمَرِهِمْ وَمَا عَمِلُوا بِآيَاتِنَا يُغْنِي عَنْهُمْ وَالَّذِينَ نَسُوا آيَاتِنَا فَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ الْيَلِّ فَسَبِّحْ وَطَرَفَ النَّهَارِ لَمَلَكْتَ تَرْحَمُ ﴿٣٨﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْثَنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقَ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلْكَ رِزْقًا عَنْ رِزْقِكَ وَالْمَغْنَمَةَ لِلْفَقْرِ ﴿٤٠﴾ وَقَالُوا لَوْلَا آيَاتُنَا بِآيَاتِهِ مِنْ رَبِّهِ أَوَلَمْ نَأْتِهِمْ بِبَيِّنَاتٍ مَّا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿٤١﴾ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَمَلَّاحُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنُذِّقَنَّ آيَاتِنَاكَ مِن قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿٤٢﴾ قُلْ كُلُّ مَرِيضٍ بِرَأْيِهِ قَدْ جُنَّ فَلْيَسْتَعْلَمُونَ مَن أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ ﴿٤٣﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
الْقُرُونُ	الْأُمَمُ الْمُكَذِّبَةُ.
لَكَانَ لِرِزَامًا	لَكَانَ الْهَلَاكُ عَاجِلًا لِرِزَامًا.
آنَاءٍ	سَاعَاتٍ.
مُتَرَبِّصٌ	مُنْتَظِرٌ.
السَّوِيِّ	الْمُسْتَقِيمِ.

## ● العمل بالآيات

١. اجعل لك ورداً لمراجعة ما حفظت من القرآن، ولا تنسه. ﴿قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾.
٢. قل أذكرك الصباح قبل طلوع الشمس، وأذكرك المساء قبل غروبها، ولا تنس أن تسبح الله في بقية ليالك ونهارك، ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ الْيَلِّ فَسَبِّحْ وَطَرَفَ النَّهَارِ لَمَلَكْتَ تَرْحَمُ﴾.
٣. مُز إخوانك وأهلك بيتك بادء الصلاة في وقتها، ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلْكَ رِزْقًا عَنْ رِزْقِكَ وَالْمَغْنَمَةَ لِلْفَقْرِ﴾.

## ● التوجيهات

١. ليقصد الداعية بصبر النبي محمد ﷺ على أذى المدعوين، ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾.
٢. إذا أوديت فاحرص على كثرة التسبيح؛ خاصة بعد الفجر وقبل المغرب؛ فإنه سبب لراحة القلب، ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ الْيَلِّ فَسَبِّحْ وَطَرَفَ النَّهَارِ لَمَلَكْتَ تَرْحَمُ﴾.
٣. إذا رايت من زاده الله في زينة الدنيا عليك فلا تمدن عينيك إليه، وتذكر ما زادك الله في الدين عليه، ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْثَنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقَ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾.

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرَى﴾ [الضحى: ٥] ولهذا قال: ﴿وَرَوِّقْ رَيْكَ خَيْرَ وَابَقَى﴾ فكان صلوات الله وسلامه عليه أزهد الناس في الدنيا مع القدرة عليها؛ إذا حصلت له يُفْقِئُها هكذا وهكذا في عباد الله، ولم يَدْخُرْ لنفسه شيئاً لغد. وقال قتادة: ﴿لِفَتْهُمْ فِيهِ﴾ لِيَتَبَلَّيْهُمْ.

وقوله: ﴿وَأَمْرُ أَهْلِكَ بِالصَّلَاةِ وَأَسْطَرٌ عَلَيَّ﴾ أي: استنقذهم من عذاب الله بإقام الصلاة، واضطرَّ أُنْتُ على فعلها؛ كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحریم: ٦]. وقوله: ﴿لَا تَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ يعني: إذا أقمت الصلاة أتاك الرزق من حيث لا تحسب؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥١﴾ إِنِّي أَرِيدُ مِنْهُمْ مَزَاجًا وَنَا أَرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ ﴿٥٢﴾﴾ [الأنعام: ٥١-٥٢]. ولهذا قال: ﴿لَا تَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ﴾، وقال الثوري: ﴿لَا تَسْأَلُكَ رِزْقًا﴾ أي: لا تَحْتَلِّكَ الطلب. وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى: يا ابن آدم، تَفَرِّغْ لِعِبَادِي أَمْثَلَا صَدْرَكَ غَنَى، وَأَسَدَّ فَفَرَكْ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ مَلَكَتْ صَدْرَكَ شُغْلًا، وَلَمْ أَسَدَّ فَفَرَكْ» [رواه الترمذي وابن ماجه، وصححه الألباني]. «وَالْمَنِيَّةُ لِلنَّفْسِ» أي: وحسن العاقبة في الدنيا والآخرة، وهي الجنة لمن اتقى الله.

الآية (١٣٣-١٣٥): يقول تعالى مخبراً عن الكفار في قوله: ﴿لَوْ لَا﴾ أي: هَلَا ﴿يَأْتِيَنَّ﴾ محمد ﴿بَعَايَةٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ أي: بعلامة دالة على صدقه في أنه رسول الله! قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةٌ مَا فِي الصَّحُفِ آتَاوُكُ﴾ يعني: القرآن العظيم الذي أنزله عليه الله وهو أمي، لا يُحِسُّ الكتابة، ولم يُدَارِسْ أهل الكتاب، وقد جاء فيه أخبار الأولين، بما كان منهم في سالف الدهور، بما يوافق عليه الكتب المتقدمة الصحيحة منها؛ فإن القرآن مُهَمَّنٌ عليها، يَصَدِّقُ الصحيح، وَيُبَيِّنُ خطأ المكذوب فيها وعليها. [وعن أبي هريرة] عن رسول الله ﷺ قال: «ما من نبي إلا وقد أُوتِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا آمَنَ عَلَى مِثْلِهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّا كَانُوا الَّذِينَ أُوتِيَتْهُ وَخَيَّا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيْهِ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرُهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ» [متفق عليه]. «وَإِنَّا ذَكَرْنا هُنَا أَكْثَرَ الْآيَاتِ الَّتِي أُعْطِيَهَا عَلَيْكُمْ وَهُوَ الْقُرْآنُ، وَلَهُ مِنَ الْمُعْجَزَاتِ مَا لَا يُحَدُّ وَلَا يُحْصَرُ». ثم قال: ﴿لَوْ لَا أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا إِنَّا لَوَدَّ أَنْزَلَتْ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾ أي: لو أننا أهلكنا هؤلاء المكذبين قبل أن نرسل إليهم هذا الرسول الكريم، ونُنَزِّلَ عليهم هذا الكتاب العظيم لكانوا قالوا: ﴿رَبَّنَا لَوْ لَا أَنْزَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾ قبل أن تُبْلِكُنَا، حتى نؤمن به ونَتَّبِعَهُ؟ «فَتَنَجَّعْ إِلَيْنَا مِنْ قَبْلِ أَنْ نَنْزِلَ وَنَحْزَرَ» يَبَيِّنُ تعالى أن هؤلاء المكذبين متعتون معاندون لا يؤمنون، ﴿لَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى رَأَوْا الْعَذَابَ الْآلِيمَ﴾ [يونس: ٩٧]. ثم قال تعالى: ﴿قُلْ﴾ أي: يا محمد لن كُتِّبَ وخالفك واستمر على كفره وعناده: ﴿كُلُّ مُتَرَبِّصٍ﴾ أي: متآ ومنكم، ﴿فَرَبِّصُوا﴾ أي: فانظروا ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَبَ الصِّرَاطَ السَّوِيَّ﴾ أي: الطريق المستقيم ﴿وَمَنْ أَهْتَكَنَ﴾ إلى الحق وسبيل الرشاد.

الآية (١٢٦): ﴿قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾ أي: لَمَّا أَعْرَضَتْ عن آيات الله، وعاملتها معاملة من لم يَذْكُرْها، بعد بلاغها إليك؛ تناسيتها وأَعْرَضَتْ عنها وَأَغْفَلَتْها، كذلك تُعَامِلُكَ اليوم معاملة من نسيك، ﴿فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا كُنَّا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾ [الأعراف: ٥١] فإن الجزاء من جنس العمل.

أما نسيان لفظ القرآن مع فهم معناه والقيام بمقتضاه، فليس داخلًا في هذا الوعيد الخاص.

الآية (١٢٧): هكذا نجازي المفسرين المكذبين بآيات الله في الدنيا والآخرة، ﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحُورِ الْأَذْيَابِ وَالْعَذَابُ الْأَخْرَءُ أَشَدُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقِفٍ﴾ [الرعد: ٣٤]. ولهذا قال: ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾ أي: أشدُّ النَّاسِ من عذاب الدنيا، وأدوم عليهم، فهم مخلدون فيه.

الآية (١٢٨-١٣٠): يقول تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ﴾ هؤلاء المكذبين بما جتهد به يا محمد، كم أهلكنا من الأمم المكذبين بالرسول قبلهم، فبادوا فليس لهم باقية ولا عين ولا أثر، كما يشاهدون ذلك من ديارهم الخالية التي خلفهم فيها، يمشون فيها، ﴿وَإِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْتَى﴾ أي: العقول الصحيحة والألباب المستقيمة.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى﴾ أي: لولا الكلمة السابقة من الله وهو أنه لا يُعَذَّبُ أحدًا إلا بعد قيام الحجة عليه، والأجل المُسَمًّى الذي صَرَّبه الله تعالى هؤلاء المكذبين إلى مدة مُعَيَّنة، لجاءهم العذاب بغتة؛ ولهذا قال لنبيه مُسَلِّيًا له: ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ أي: من تكذيبهم لك، ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾ يعني: صلاة الفجر، ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ يعني: صلاة العصر، كما جاء عن عمارة بن رُوَيْبَةَ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لَنْ يَلْجُ النَّارَ أَحَدٌ صُلِيَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَقَبْلَ غُرُوبِهَا» [رواه مسلم]. «وَمَنْ عَانَى الْيَلَّيْنِ فَسَبِّحْ» أي: من ساعاته فَهَجِّدْ به. وحمله بعضهم على المغرب والعشاء، «وَأَطْرَافِ النَّهَارِ» في مقابلة آتاء الليل. ﴿لِمَلِكٍ رَحْمَنٍ﴾ كما قال تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرَى﴾ [الضحى: ٥]. وفي الصحيح: «يقول الله: يا أهل الجنة، فيقولون: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ. فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى، وقد أعطينا ما لم نَطْغِ أحدًا من خلقك؟! فيقول: إني أعطيتكم أفضل من ذلك. فيقولون: وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أَحِلُّ عَلَيْكُمْ رضوانِي، فلا أَسْطَحَ عليكم بعده أبدًا» [متفق عليه].

الآية (١٣١-١٣٢): يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ: لا تنظر إلى هؤلاء الْمُتَرَبِّصِينَ وَأَشْبَاهَهُمْ وَنُظَرَائِهِمْ، وما هم فيه من النعم، فإنما هو زهرة زائلة، ونعمة خائلة، لِيَحْتَرِبَهُمْ بِذَلِكَ. وقال مجاهد: ﴿أَزْدِيَا يَنْتَهُمُ﴾ يعني: الأغنياء، فقد أتاك الله خيرا مما أتاهم، كما قال: ﴿وَلَقَدْ مَاتَنَّا سَبْعًا مِنَ النَّسَائِي وَالْفَرَّاتِ الْعَظِيمِ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدُّ عَيْنَكَ إِلَى مَا مَتَعْنَا بِهِ أَوَّجًا وَشَتًّا﴾ [الحجر: ٨٧-٨٨]. وكذلك ما أَدَّخَرَهُ الله تعالى لرسوله في الدار الآخرة أمر عظيم لا يُحَدُّ وَلَا يُوصَفُ، كما قال تعالى:



## تفسير سورة الأنبياء

وهي مكية، [وعدد آياتها (١١٢) آية].

[فضل السورة:] قال ابن مسعود: بنو إسرائيل، والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء، هُنَّ من العِصَايَ الْأَوَّل، وهُنَّ من نِيَادِي. [رواه البخاري].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الآية (١-٦): هذا نبيه من الله ﷻ على اقتراب الساعة ودُؤُوعَهَا، وأن الناس في غفلة عنها، أي: لا يعملون لها، ولا يستعدون من أجلها. وقال تعالى: ﴿أَنَّا أَمَرْنَا اللَّهَ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [الحل: ١]، وقال: ﴿أَقْرَبَ السَّاعَةُ وَانْتَقَى الْعَقَرُ ۖ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّشْتَرٍ﴾ [الفر: ١-٢]. ثم أخبر تعالى أنهم لا يُصغون إلى الوحي الذي أنزل الله على رسوله، والخطاب مع قريش ومن شابههم من الكفار، فقال: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُّحْدَثٍ﴾ أي: جديد إنزاله ﴿إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَنُونَ﴾ قال ابن عباس: ما لكم تسألون أهل الكتاب عما بأيديهم وقد حَرَّفُوهُ وَبَدَّلُوهُ وَزَادُوا فِيهِ وَنَقَصُوا مِنْهُ، وكتابكم أَدَّيْتُ الْكُتُبَ بِاللَّهِ تَقَرُّوْنَهُ غَضًا لَمْ يُثَبِّ. [رواه البخاري بنحوه]. وقوله: ﴿وَأَنزَلْنَا النَّجْمَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي: قائلين فيما بينهم خُفْيَةً: ﴿هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ يعنون رسول الله ﷺ، يستبعدون كونه نبيًا؛ لأنه بشرٌ مثلهم، فكيف اختص بالوحي دونهم؟! ولهذا قال: ﴿أَنفَأَتُوبُ إِلَىٰ حَرِّهِ وَأَنفَأَتُوبُ إِلَىٰ حَرِّهِ؟﴾ أي: أَتَتَّبِعُونَهُ فَتَكُونُونَ كَمَنْ أَتَى السَّخَرُ، وهو يعلم أنه سِخَر. فقال تعالى مُّجِيبًا لَهُمْ عَمَّا افْتَرَوْهُ وَاخْتَلَفُوهُ مِنَ الْكُذْبِ: ﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: الذي يعلم ذلك، لا يخفى عليه خافية، وهو الذي أنزل هذا القرآن المشتمل على خبر الأولين والآخرين، الذي لا يستطيع أحد أن يأتي بمثله، إلا الذي يعلم السِّرَّ في السموات والأرض، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لا قوام لهم، ﴿الْعَلِيمُ﴾ بأحوالهم. وفي هذا عهديهم ووعد. وقوله: ﴿بَلْ قَالُوا أَضَلَّتْ أَهْلًا مِّنْ قَبْلِهِمْ﴾ بل افترنهُ، هذا إخبار عن تَعَثَّ الكُفَّار والحادهم، واختلافهم فيما يصفون به القرآن، وحَزَبَتِهِمْ فِيهِ، وضلالهم عنه. فتارة يجعلونه سِحْرًا، وتارة يجعلونه شعرًا، وتارة يجعلونه أضغاث أحلام، وتارة يجعلونه مُفْتَرًى؛ كما قال: ﴿أَنظُرْ كَيْفَ صَرَّفُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٤٨، والفرقان: ٩].

وقوله: ﴿فَلْيَأْنِ يَا نَبِيَّ كَمَا أَتَىٰ الْأَوَّلُونَ﴾ يعنون كناقاة صالح، وآيات موسى وعيسى. وقد قال الله: ﴿وَمَا مَنَعَكَ أَن تَأْتِيَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أن كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾ الآية [الإسراء: ٩٠]، ولهذا قال تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ قَبْلَهُمْ مِنْ قَبِيلٍ أَهْلَكْنَاهُمْ أَفَهُمْ يَرْثُونَ﴾ أي: ما أتينا قريبة -من القرى الذين بُعِثَ فِيهِمُ الرُّسُلُ- آيَةً عَلَىٰ يَدَيْ نَبِيِّهَا فَأَتَوْهَا، بل كَذَّبُوا، فأهلكناهم بذلك، أنهؤلاء يؤمنون بالآيات لو رَأَوْهَا دُونَ أُولَئِكَ؟! كلا، بل ﴿إِنَّ الْأَوَّلِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [١٠] وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ رَوَوْا عَذَابَ الْآلِئِيمِ﴾ [يونس: ٩٦-٩٧].

هذا كله، وقد شاهدوا من الآيات الباهرات، والحجج القاطعات،

والدلائل البينات، على يدي رسول الله ﷺ ما هو أَظْهَرُ وَأَجْلَىٰ، وَأَبْرَ وَأَقْطَعُ وَأَقَهْرُ، مِمَّا شُوهِدَ بِهِ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

الآية (٧-٩): يقول تعالى رَأْدًا عَلَىٰ مَنْ أَنْكَرَ بَعْثَ الرُّسُلِ مِنَ الْبَشَرِ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ﴾ أي: جميع الرسل الذين تقدّموا كانوا رجالًا من البشر، لم يكن فيهم أحد من الملائكة، كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ﴾ [يوسف: ١٠٩]، وقال تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدَاعِيٍّ أُرْسِلُ﴾ [الحاف: ٩]، وقال تعالى حكاية عَمَّنْ تقدّم من الأمم أنهم أنكروا ذلك فقالوا: ﴿أَنفَأَتُوبُ إِلَىٰ حَرِّهِ وَأَنفَأَتُوبُ إِلَىٰ حَرِّهِ؟﴾ [التغاب: ٦]، ولهذا قال تعالى: ﴿فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي: أسألوا أهل العلم من الأمم كاليهود والنصارى وسائر الطوائف: هل كان الرسل الذين أنوهم بَشَرًا أو ملائكة؟ إنا كانوا بَشَرًا، وذلك من تمام يَمُّعُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ؛ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رُسُلًا مِنْهُمْ يَتَمَكَّنُونَ مِنْ تَنَاقُلِ الْبَلَاغِ مِنْهُمْ وَالْأَخْذِ عَنْهُمْ. وقوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾ أي: بل قد كانوا أجسادًا يأكلون الطعام، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَشْرَبُونَ فِي الْآسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٢٠]، أي: قد كانوا بَشَرًا من البشر، يأكلون ويشربون مثل الناس، ويدخلون الأسواق للتَّكْسِبِ والتجارة، وليس ذلك بَضَرًا لَهُمْ وَلَا نَاقِصَ مِنْهُمْ شَيْئًا، كما تَوَهَّمَهُ الْمُشْرِكُونَ فِي قَوْلِهِمْ: ﴿مَا هَذَا إِلَّا رَسُولٌ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَشْرَبُ فِي الْآسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُتُبُ مَعَهُ نَذِيرًا ۖ أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كُتُبٌ أَوْ يَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رِجَالًا مُّشْرِكُونَ﴾ [الفرقان: ٧-٨].

وقوله: ﴿وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾ أي: في الدنيا، بل كانوا يعيشون ثم يموتون ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾ [الأنبياء: ٣٤]، وَخَاصَّتْهُمْ أَنَّهُمْ يُوحَىٰ إِلَيْهِمْ مِنَ اللَّهِ ﷻ، تَنْزِيلَ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ عَنْ اللَّهِ بِمَا يَحْكُمُ فِي خَلْقِهِ مِمَّا يَأْتِرُهُ وَيَنْهَىٰ عَنْهُ. وقوله: ﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُ الْوَعْدَ﴾ أي: الذي وعدهم بِهِمْ: لِكَيْلَئِكَ الظَّالِمِينَ، صَدَقْنَاهُ اللَّهُ وَعْدَهُ فَعَلَّ ذَلِكَ؛ ولهذا قال: ﴿فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمِنْ نَحْشَاءِ﴾ أي: أنبأهم من المؤمنين. ﴿وَأَهْلَكْنَا الْآسُورِينَ﴾ أي: المكذِّبين بما جاءت الرسل به.

الآية (١٠): يقول تعالى مُنْجِبًا عَلَى شَرَفِ الْقُرْآنِ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ قال ابن عباس: شرفكم. وقال مجاهد: حديثكم. وقال الحسن: دينكم. ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أي: هذه النعمة، وتلقونها بالقبول، كما قال تعالى: ﴿وَأَنفَأَتُوبُ إِلَىٰ حَرِّهِ وَأَنفَأَتُوبُ إِلَىٰ حَرِّهِ؟﴾ [الزخرف: ٤٤].



## ● الوقفات التدريبية

١ ﴿ أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾

ومن علم اقتراب الساعة قصر أمله، وطابت نفسه بالتوبة، ولم يركن إلى الدنيا، فكان ما كان لم يكن إذا ذهب، وكل آت قريب، والموت لا محالة آت، وموت كل إنسان قيام ساعته، والقيامة أيضا قريبة بالإضافة إلى ما مضى من الزمان، فما بقي من الدنيا أقل مما مضى. القرطبي: ١٧١/١٤.

السؤال: لماذا يذكرنا الله تعالى باقتراب الساعة؟ وما أثر ذلك على المؤمن؟

٢ ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُدْرِكُهُمْ ﴾

(لا إلهة قلوبهم)، غافلة، يقول: ما يستمع هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم هذا القرآن (لا وهم يلمعون، غافلة عنه قلوبهم، لا يتدبرون حكمه، ولا يتفكرون فيما أودعه الله من الحجج عليهم. الطبري: ٤١٠/٨).

السؤال: لماذا يوصف من لا يتدبر القرآن الكريم؟

٣ ﴿ فَتَنَّا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

لم يؤمر بسؤالهم إلا لأنه يجب عليهم التعليم، والإجابة عما علموه. السعدي: ٥١٩.

السؤال: ما حقوق المجتمع على العلماء، وطلبة العلم؟

٤ ﴿ فَتَنَّا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

وفي تخصيص السؤال بأهل الذكر والعلم نهى عن سؤال المعروف بالجهل وعدم العلم، ونهى له أن يتصدى لذلك. السعدي: ٥١٩.

السؤال: لا تقوم الحجة إلا بسؤال من له صفة معينة، فما هي؟

٥ ﴿ فَتَنَّا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

لم يختلف العلماء أن العامة عليها تقليد علمائها، وأنهم المراد بقول الله تعالى: (فاسألوا). القرطبي: ١٧٩/١٤.

السؤال: ما الواجب على من لا علم عنده؟

٦ ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾

(ذكركم) أي: شرفكم، وفخركم، وارتفاعكم؛ إن تذكرتم به ما فيه من الأخبار الصادقة فاعتقدتموها، واستلتم ما فيه من الأوامر، واجتنبتم

ما فيه من النواهي ارتفع قدركم، وعظم أمركم. السعدي: ٥١٩.

السؤال: متى يصبح هذا الكتاب سبباً لشرفنا، وعزتنا، ورفعنا؟

٧ ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾

وتنكير (كتاباً) للتعظيم؛ إيماء إلى أنه جمع خصلتين عظيمتين: كونه كتاب هدى، وكونه آية ومعجزة للرسول ﷺ لا يستطيع أحد أن يأتي

بمثله، أو مُدَاهِيهِ. ابن عاشور: ٢٢/١٧.

السؤال: ما فائدة تنكير (كتاباً) في الآية الكريمة؟

أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ١  
مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُخَدَّثٍ إِلَّا أَسْمَعُوهُ وَهُمْ  
يَلْعَبُونَ ٢ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَلَوْ بِهِمْ مَسْرُورٌ أَوْ سُرُورٌ أَوْ نَكْرٌ  
ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَةَ وَأَنْتُمْ  
تُبْصِرُونَ ٣ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ  
وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ٤ بَلْ قَالُوا أَضْغَعْتُ أَحَلِمَ بَلْ  
أَفَرَنْدَ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ  
٥ مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ أَهْلَكْنَاهُمْ تِلْكَ الْأُمَمُ يُوقِنُونَ  
٦ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَتَسْلَوُا أَهْلَ  
الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ٧ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً  
لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ٨ ثُمَّ صَدَقْنَاهُ  
الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَاهُ تِلْكَ الْأُمَمُ سَرِفُونَ ٩  
لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ١٠

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
مُحَدَّثٌ	خَبِيرٌ التَّنْزِيلُ يُجَدِّدُ الذِّكْرَ لَهُمْ.
وَأَسْرَوْا النَّجْوَى	بِالْعَوَا فِي إِخْفَاءٍ مَا يَتَنَاجَوْنَ بِهِ.
أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ	أَخْلَاطٌ مَنَامَاتٌ لَا حَقِيقَةَ لَهَا.
جَسَداً	أَجْسَاداً خَارِجَةً عَنِ طَبْعِ الْبَشَرِ.
فِيهِ ذِكْرُكُمْ	فِيهِ عِزُّكُمْ، وَشَرَفُكُمْ، إِنْ أَنْظَلْتُمْ بِهِ.

## ● العسل بالآيات

١. احرص على أذكار الصباح قبل طلوع الشمس، وعلى أذكار المساء قبل مغيب الشمس؛ حتى لا تكون لاهياً، ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾.
٢. سل علماً عن مسانة تجهلها، ﴿ فَتَنَّا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾.
٣. تدبر آية من الآيات التي تقرأها في وددك هذا اليوم، ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾.

## ● التوجيهات

١. اقرب حسابك؛ فهل تشعر بهذا؟ ﴿ أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾.
٢. طالب الحق يطلب الدليل لينقاد له لا لتعجيز خصمه، ﴿ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ ﴾.
٣. عليك بطلب العلم؛ فإن لطالب العلم منزلة رفيعة في الدنيا والآخرة، ﴿ فَتَنَّا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾.

﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْمَلَأَى عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾

﴿لَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا نَصِفُونَ﴾

﴿ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴾

**السؤال: متى يكون العبد من ربه أقرب؟**

﴿ أَمْ أَخَذُوا مِنَ اللَّهِ مِيثَاقًا ﴾

**السؤال: كيف أفادت الآية الكريمة التهكم بالمشركين؟**

السؤال: دلت هذه الآية على أمرين في إثبات الألوهية لله وحده، بينهما.

﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾

**السؤال: في الآية دليل على وجوب التسليم للشرع، وضح ذلك.**

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾

**السؤال: ما سبب ضلالت كثير من الناس؟**

وَكُرِّهْتُمَا مِنْ قَبْلِهِ فَكَانَتْ ظِلْمًا وَأَنْتَا نَافِقًا وَأَمَّا هَاقُمًا فَمُتَّعْنَا  
 آخِرِينَ ﴿٥٥﴾ فَلَمَّا أَحْسَبُوا أَنَّكُمْ لَا تَأْتِيهِمْ سَاعَةً إِذَا هُمْ فِيهَا يَرْكَبُونَ ﴿٥٦﴾  
 لَا تَرْكَبُوا وَأَنْتُمْ جَاهِلُونَ إِنَّمَا تَأْتِيهِمْ فِيهِ وَفِيهِمْ مَسَكِينٌ كَرِهَ لَكُمْ تَعْتَمِدُوا  
 سَعِيدُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوا إِنَّمَا يُنَادِيكُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٥٨﴾ فَتَنَزَّلَتْ إِلَيْكَ  
 دَعْوَانُهُمْ حَتَّى جَعَلْتَهُمْ خَصِيصًا ذُلًّا مَبِينًا ﴿٥٩﴾ وَمَا تَخْلَقْنَا  
 السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا الْبَعِيدَ ﴿٦٠﴾ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَخْلُجَ  
 لَهَوًا لَأَخْلَجْنَاهُ مِنْ لَدُنْكَ إِنَّا كُنَّا قَادِرِينَ ﴿٦١﴾ بَلْ تَقْدُوفُ بِالْغِي  
 ثِ عَلَى الْبَطِيلِ قَيْدَهُ فَيَذَرُوهَا زَاغِينَ ﴿٦٢﴾ وَلِكُلِّ أَوَّلٍ مُنَاقِبَةٌ  
 ﴿٦٣﴾ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ  
 عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَئِنْ سَأَلْتُمْ خَيْرَ مَنِ السَّجُونِ الْبَلَّ وَالنَّهَارَ  
 لَا يَبْقَرُونَ ﴿٦٤﴾ أَمْ أَخَذُوا مِنَ اللَّهِ مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ ﴿٦٥﴾  
 لَوْ كَانُوا فِيهِمَاءَ اللَّهِ إِلَّا أَنَّ اللَّهَ لَقَسَّدَ مَا تَسْجُنَ اللَّهُ رَبَّ الْعَرْشِ  
 عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٦٦﴾ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿٦٧﴾ أَمْ أَخَذُوا  
 مِنْ دُونِهِ مِنَ اللَّهِ فَلَمْ يَأْتِكُمْ كُفْرًا هَذَا كُفْرًا مَعِيَ وَذَكَرَ  
 مَنْ قَبْلَ بَلْ أَنْتُمْ لَمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾

الكلمة	المعنى
أَحْسُوا	زَأُوا.
حَصِيدًا	كَالزَّرْعِ الْحَصُودِ.
خَامِدِينَ	مَيِّتِينَ.
فَيَذِمُّهُ	يَحْقُّهُ، وَيَذِخُّهُ.
وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ	لَا يَمْلُونَ.
لَا يَفْتَرُونَ	لَا يَضَعُفُونَ، وَلَا يَسْأَمُونَ.

١. سَلِ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ مَسْكَنَكَ وَجَمِيعَ مَا رَزَقَكَ عُونًا لَكَ عَلَى طَاعَتِهِ، ﴿لَا تَرْكَبُوا  
وَأَرْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسْكَنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

٢. حدد اليوم أحد العباد الصالحين وحاول أن تقدي به في بعض عبادته، ﴿وَلَهُمْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحِيرُونَ﴾.

٣. قل عشر مرات في الصباح ومثلها في المساء: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير» ﴿يَسْجُدُونَ لِلَّهِ أَلْبَلَّ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾.

١. التنديد بالظلم؛ وأعلى درجاته الشرك بالله، ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَبْلِكَ أَكْثَرُ عَذَابِ﴾  
ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿١٠﴾

٧. تذكر إهلاك الله تعالى للأمم والدول السابقة والحاضرة، ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَبْلِهِ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾.

٣. لا توجد شبهة دينية إلا ولها ما يردّها ويبطلها في القرآن أو السنة، فعليك بالعلم الشرعي، ﴿بَلْ نَقْزِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾.

ثم أخبر تعالى عن عبودية الملائكة له، ودأبهم في طاعته ليلاً ونهاراً، فقال: ﴿وَلَهُمْ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ﴾ يعني: الملائكة ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ أي: لا يستكفون عنها؛ كما قال: ﴿لَنْ يَسْتَكْبِرَ التَّيْسُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَكْبِرْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَسَيَكْفِرْ فَسَيَحْشَرُهُمُ إِلَيْنَا جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٧٢]. وقوله: ﴿وَلَا يَسْتَحِيرُونَ﴾ أي: لا يتعجبون ولا يتعللون. ﴿يَسْتَحِينُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتَنُونَ﴾ فهم دائبون في العمل ليلاً ونهاراً، مطيعون قصداً وعملاً، قادرون عليه؛ كما قال تعالى: ﴿لَا يَصْنَعُونَ اللَّهُ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: ٦].

الآية (٢١-٢٣): يُنْكِرُ تعالى على من اتَّخَذَ من دونه آلهة، فقال: ﴿أَمْ اتَّخَذُوا إِلَهًا مِنَ الدُّنْيَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ أي: أهم يُجْهِون المولى ويُشْرِكُونهم من الأرض؟ أي: لا يُفْخِرُونَ على شيء من ذلك، فكيف جَعَلُوا لله نداً وَعَبَدُوا معه؟!

ثم أخبر تعالى أنه لو كان في الوجود آلهة غيره لَفَسَدَتِ السموات والأرض، فقال: ﴿لَوْ كَانَ فِيهَا إِلَهٌ إِلَّا أَنَا﴾ أي: في السماء والأرض ﴿لَفَسَدَتَا﴾؛ كقوله تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلِمَا لَمْ يَخْلُقْ عَنْ يَدِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصُفُّونَ﴾ [المؤمنون: ٩١]. وقال ههنا: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصُفُّونَ﴾ أي: عما يقولون إن له ولداً أو شريكاً سبحانه وتعالى وتقدس وتترع عن الذي يفترون ويأفكون علواً كبيراً.

وقوله: ﴿لَا يَسْتَلْ عَنَّا يَفْعَلُ مُمْسِكًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَهْلًا﴾ أي: هو الحاكم الذي لا مُعَقَّبَ لحكمه، ولا يَمْرُضُ عليه أحد، لعظمته وجلاله وكبريائه، وعُلُوِّه وحكمته وعِزُّه ولُطْفُهُ.

﴿وَهُمْ يَسْأَلُونَ﴾ أي: وهو سائلٌ خَلَقَهُ عما يعملون؛ كقوله: ﴿وَرَبُّكَ لَسَاتِلْفُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢، ٩٣]. وهذا كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ [المؤمنون: ٨٨].

الآية (٢٤): يقول تعالى: ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهًا قُلْ يَا عَمَلِكُمْ﴾ أي: دليلكم على ما تقولون.

﴿هَذَا ذِكْرٌ مِنْ نَبِيِّ﴾ يعني: القرآن، ﴿وَذِكْرٌ مِنْ قَبْلِي﴾ يعني: الكتب المتقدمة على خلاف ما تقولون وتزعمون، فكل كتاب أنزل على نبي أرسل، ناطق بأنه لا إله إلا الله، ولكن أنتم -أيها المشركون- لا تعلمون الحق، فأنتم معرضون عنه.

الآية (١١-١٥): ﴿وَكَمْ فَصَنَّا مِنْ قَبِيرَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً﴾ هذه صيغة تكثير؛ كما قال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ﴾ [الإسراء: ١٧]. وقال: ﴿فَكَانَ مِنْ قَبَرِيَّةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فِيهِ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَبْرِئُ الْمُعْطَلَةَ وَقَصِيْرُ تَمِيمٍ﴾ [الحج: ٤٥]. وقوله: ﴿وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ أي: أمة أخرى بعدهم. ﴿فَلَنَّا أَحْسَنُ بَأْسًا﴾ أي: نيقنوا أن العذاب واقع بهم، كما وَعَدَهُمْ نبيهم ﴿إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكَبُونَ﴾ أي: يقرعون هارين. ﴿لَا تَرْكَبُوا وَأَرْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسْكَنِكُمْ﴾ هذا تحكُّمٌ بهم قدره أي: قيل لهم قدرنا؛ لا تركبوا هارين من نزول العذاب، وارجعوا إلى ما كنتم فيه من النعمة والسرور، والمعيشة والمساكن الطيبة. قال قتادة: استهزاء بهم. ﴿لَمَلَكْتُمْ شَتْلُونَ﴾ أي: عما كنتم فيه من أداء شكر النعمة.

﴿قَالُوا يَوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ اعترفوا بذنوبهم حين لا ينفعهم ذلك، ﴿فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَبِيدًا خَلِيدِينَ﴾ أي: ما زالت تلك المقالة -وهي الاعتراف بالظلم- مَجْرِيًّا لهم<sup>(١)</sup>، حتى حَصَنَّا نَاهُمْ حَصْنًا، وَحَدَّثَ حركاتهم وأصواتهم خودًا.

الآية (١٦-٢٠): يخبر تعالى أنه خلق السموات والأرض بالحق، أي: بالعدل والقسط، ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَفُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحَقِّ﴾ [النجم: ٣١]. وأنه لم يَخْلُقْ ذلك عبثاً ولا لعباً، كما قال: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا قِيلَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ النَّارِ﴾ [ص: ٢٧].

وقوله تعالى: ﴿لَوْ أَرَادْنَا أَنْ نَنزِلَهُ لَوْ لَأَخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا﴾ قال مجاهد: يعني: من عندنا، يقول: وما خلقنا جنة ولا ناراً، ولا موتاً ولا بعثاً ولا حساباً. وقال الحسن وقتادة وغيرهما: اللُّهُو: المرأة بلسان أهل اليمن، وقال عكرمة والسدي: المراد باللهو ههنا: الولد. وهذا والذي قبله متلازمان، وهو كقوله تعالى: ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَخْلُقَ وَلَكَّا لَأَسْلَفَ مِنَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَ اللَّهِ هُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الزمر: ٤]. فنزعه نفسه عن اتخاذ الولد مطلقاً، لا سيما عما يقولون من الإلفك والباطل، من اتخاذ عيسى أو العزير أو الملائكة ﴿سُبْحَانَكَ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عَلَوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٤٣].

وقوله: ﴿إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ قال قتادة وإبراهيم النخعي: أي: ما كنا فاعلين. وقال مجاهد: كل شيء في القرآن ﴿إِنْ﴾ فهو إنكار.

وقوله: ﴿بَلْ تَقْدِيفٌ يَلْحَقُ عَلَى الْبَاطِلِ﴾ أي: بُيِّنَ الحق قَبْدَحُصَّ الباطل، ولهذا قال: ﴿فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ أي: ذاهب مُضْمَحِلٌّ. ﴿وَلَكُمْ الْوَيْلُ﴾ أي: أيها القائلون: لله ولد ﴿مِمَّا نَصِفُونَ﴾

أي: تقولون وتفترون.





## ● الوقفات التدريبية

﴿وَأَلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ بَلْعِبَادٍ مُّكْرَمُونَ﴾

ولما كان اتخاذ الولد نقصاً في جانب واجب الوجود أعقب مقالتهم بكلمة (سبحانه) تنزيهاً له عن ذلك؛ فإن اتخاذ الولد إنما ينشأ عن الاهتقار إلى إكمال النقص العارض بفقد الولد. ابن عاشور: ٥٠/١٧.

السؤال: ما الحكمة في ذكر التسبيح بعد مقالتهم؟

﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ﴾

أي: لا يقولون قولاً مما يتعلق بتدبير الملكة حتى يقول الله لكمال أديهم، وعلمهم بكمال حكمته وعلمه. السعدي: ٥٢٢.

السؤال: لماذا كان من صفة الملائكة أنهم لا يسبقون الله تعالى بالقول؟

﴿وَمَنْ يَكُلْ مِنْهُمْ لَبِئْسَ إِلَهٌ مِّنْ دُونِهِ﴾ ﴿فَذَلِكَ نَجْزِي جَهَنَّمَ كَذَلِكَ

نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾

وأي ظلم أعظم من ادعاء المخلوق -الناقص الفقير إلى الله من جميع الوجوه- مشاركة الله في خصائص الإلهية والربوبية؟ السعدي: ٥٢٣.

السؤال: ما وجه وصف مدعي الألوهية بالظلم؟

﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن يَمَنَّ فَهُمْ لَخَالِدُونَ﴾

سببها أن الكفار طعنوا على النبي ﷺ بأنه بشر يموت، وقيل: إنهم تمنوا موته ليشمتوا به، وهذا أنسب لما بعدهم. ابن جزي: ٣٦/٢.

السؤال: كيف رد القرآن على من تنقص النبي ﷺ بكونه سيموت؟

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾

وهذه الآية تدل على بطلان قول من قال ببقاء الخضر، وأنه مخلص في الدنيا، فهو قول لا دليل عليه، ومناقض للأدلة الشرعية. السعدي: ٥٢٣.

السؤال: يقول البعض: إن الخضر خالد مخلص في الدنيا، فما رأيك؟

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَبَلْوَكُمْ أَلْسِنُ وَالْحَيَرَةُ فِتْنَةٌ وَاللَّيِّنَةُ تُرْجَوْنَ﴾

(وبلّوكم بالشر والخير) أي: نختبركم بالفقر والغنى، والصحة والمرض، وغير ذلك من أحوال الدنيا؛ ليطهر الصبر على الشر، والشكر على الخير، أو خلاف ذلك. ابن جزي: ٣٦/٢.

السؤال: ما الحكمة من تنوع الابتلاء بالشر والخير؟

﴿وَبَلْوَكُمْ أَلْسِنُ وَالْحَيَرَةُ فِتْنَةٌ وَاللَّيِّنَةُ تُرْجَوْنَ﴾

قال ابن زيد: بلّوهم بما يحبون وبما يكرهون، نختبرهم بذلك؛ لننظر كيف شكرهم فيما يحبون، وكيف صبرهم فيما يكرهون.

الطبري: ٤٤٠/١٨.

السؤال: كيف يكون الابتلاء بالخير والشر؟

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿١﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ بَلْعِبَادٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٢﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٣﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَرْزُقَ وَهُمْ مِنْ حَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٤﴾ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِيَّاكَ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾ أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٧﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٨﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلْنَا للبَشَرِ مِنْ قَبْلِكَ الْخَلْدَ أَفَإِن يَمَنَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ﴿١٠﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَبَلْوَكُمْ أَلْسِنُ وَالْحَيَرَةُ فِتْنَةٌ وَاللَّيِّنَةُ تُرْجَوْنَ ﴿١١﴾

٣٢٤

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
رَتْقًا	ملتصقتين.
فَفَتَقْنَاهُمَا	فَفَصَلْنَاهُمَا بِقُدْرَتِنَا.
رَوَاسِيَ	جبالاً تُقْبِضُهَا.
أَنْ تَمِيدَ	لَنْتَلَا تَضْطَرِبَ.
فِجَاجًا سُبُلًا	طُرُقًا وَاسِعَةً مَسْلُوكَةً.
مَحْفُوظًا	لَا تَسْقُطُ، وَلَا تَحْتَرِقُهَا الشَّيَاطِينُ.
فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ	فِي مَدَارٍ يَجْرِي فِيهِ لَا يَحِيدُ عَنْهُ.

## ● العمل بالآيات

١. بادر بكتابة وصيتك هذا اليوم، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَبَلْوَكُمْ أَلْسِنُ وَالْحَيَرَةُ فِتْنَةٌ وَاللَّيِّنَةُ تُرْجَوْنَ﴾.
٢. ادع الله أن يرزقك خشية في الغيب والشهادة، ﴿وَمَنْ يَنْ حَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ﴾.
٣. تصور لو أن الماء انقطع عن مدينتك أسبوعاً فماذا سيحدث للناس؟ ثم احمده الله على نعمة الماء، ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾.

## ● التوجيهات

١. اتبع منهج الأنبياء عليهم السلام ببدء دعوتك بتعريف الناس بالله تعالى وتحبيبهم له سبحانه، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾.
٢. المؤمن يتبع أوامر غيره إذا كانت غير مخالفة لأوامر الله سبحانه، ﴿وَمَنْ يَأْمُرْ بِمَعْلُوكٍ﴾.
٣. المؤمن لا ينفك عن الفتنة في هذه الدنيا، إما بالخير والنعمة، ليرى الله تعالى شكره، وإما بالشر والحينة، ليرى الله تعالى صبره، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَبَلْوَكُمْ أَلْسِنُ وَالْحَيَرَةُ فِتْنَةٌ وَاللَّيِّنَةُ تُرْجَوْنَ﴾.

٣. التامل في أحوال الأمم المهلكة سببٌ للابتعاد عن الذنوب والمعاصي، والإقبال على الله سبحانه، ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾.

كانوا يستبعدون وقوعه؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَنَّهُمْ نَصَرْنَا وَلَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّئِ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٤].

ثم ذكر تعالى نعمته على عبده في حفظه لهم بالليل والنهار، وكلاءته وحرصه عليهم بعينه التي لا تنام، فقال: ﴿قُلْ مَنْ يَكْذُوبُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ؟﴾ أي: يَدُلُّ الرَّحْمَنُ، بمعنى: غيره.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ أي: لا يعترفون بنعمه عليهم وإحسانه إليهم، بل يُعْرِضُونَ عن آياته والآله، ثم قال: ﴿أَمْ لَهُمْ عَلَيْهِمْ مَنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا﴾ استفهام إنكار وتقريع وتوبيخ، أي: أَلَهُمْ آلَةٌ تَمْنَعُهُمْ وَتَكْلُفُهُمْ غَيْرُنَا؟ ليس الأمر كما توهموا ولا كما زعموا؛ ولهذا قال: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ﴾ أي: هذه الآلهة التي استندوا إليها غير الله لا يستطيعون نصر أنفسهم.

وقوله: ﴿وَلَا هُمْ يَنْصَحُونَ﴾ قال ابن عباس: أي: يُجَارُونَ، وقال قتادة: لا يُضَحِّبُونَ من الله بخبر، وقال غيره: يُنْعَمُونَ.

الآية (٤٤): يقول تعالى خبراً عن المشركين: إِنَّمَا عَزَّاهُمْ وَخَلَّاهُمْ عَلَى مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الضَّلَالِ، أَنَّهُمْ مَتَّعُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَنُتِعُوا وَطَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ فِيمَا هُمْ فِيهِ، فَاغْتَفَلُوا أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ.

ثم قال واعظاً لهم: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّ نَارَ الْأَرْضِ تَنْفُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾، اختلف المفسرون في معناه، وأحسن ما فُتِّرَ بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَ كُرٍّ مِنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَأَعْلِمَ لَهُمْ نَجْوَاهُمْ﴾ [الأحاف: ٢٧]. وقال الحسن البصري: يعني بذلك ظهور الإسلام على الكفر. والمعنى: أفلا يعتبرون بنصير الله لأوليائه على أعدائه، وإهلاكه الأمم المُكذِّبَةِ وَالْقَرَى الظَّالِمَةِ، وإنجائه لعباده المؤمنين؛ ولهذا قال: ﴿أَفَهُمْ أَغْلِبُونَ﴾ يعني: بل هم المغلوبون الأسفلون، الأخسرون الأدلون.

الآية (٣٦-٣٧): يقول تعالى لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني: كفار قريش؛ كأبي جهل وأشباهه، ﴿إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ أي: يستهزئون بك ويتقصونك، يقولون: ﴿أَهَذَا الَّذِي يَدْعُنَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى﴾ يعنون: أهذا الذي يُشَبِّهُ أَلَهَتَكُمْ وَنُسُقَهُ أَحْلَامَكُمْ؟! قال تعالى: ﴿وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَعِفْرُونَ﴾ أي: وهم كافرون بالله، ومع هذا يستهزئون برسول الله؛ كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَدْعُنَا إِلَى اللَّهِ رُسُلًا﴾ ① إِنْ كَادَ لَكَيْشُنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حَيْثُ يَرْوُونَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلَّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤١-٤٢].

وقوله: ﴿خَلِقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَلٍ﴾ كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عُجُولًا﴾ [الإسراء: ١١] أي: في الأمور.

والحكمة في ذكر عجلة الإنسان ههنا أنه لَمَّا ذَكَرَ المستهزئين بالرسول ﷺ، وقع في النفوس سرعة الانتقام منهم، فقال الله تعالى: ﴿خَلِقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَلٍ﴾؛ لأنه تعالى يُعْجِلُ للظالم حتى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ، يُؤْجَلُ ثُمَّ يُعْجَلُ، وَيُنْظَرُ ثُمَّ لَا يُؤْخَرُ.

ولهذا قال: ﴿سَأُزَيِّكُم مَّا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ أي: نَفْعِي وَحَكْمِي واقتداري على من عصاني ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾.

الآية (٣٨-٤٠): يخبر تعالى عن المشركين أنهم يستعجلون أيضاً بوقوع العذاب بهم، تكديباً وجحوداً وكفراً وعناداً واستبعاداً، فقال: ﴿وَقَالُوا مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، قال الله تعالى: ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُرُونَ عَنْ وُجُوهِِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ﴾ أي: لو يَتَنَبَّأُوا أنها واقعة بهم لا محالة لَمَّا استعجلوا به، ولو يعلمون حين يَفْشَاهُمُ الْعَذَابُ من فَوْقِهِمْ ومن تحت أرجلهم ﴿لَمْ يَنْتَهِ عَنْ قَوْلِهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَمِنْ قَبْلِهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ﴾ [الزمر: ١٦] ﴿لَمْ يَنْتَهِ عَنْ قَوْلِهِمْ هَٰذَا وَمِنْ قَبْلِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الأعراف: ٤١]، وقال في هذه الآية: ﴿حِينَ لَا يَكْفُرُونَ عَنْ وُجُوهِِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ﴾ وقال: ﴿سَرَّابِلُهُمْ مِنْ قِطْرَانٍ وَتَفَتَّىٰ وَجُوهُهُمْ النَّارُ﴾ [إبراهيم: ٥٠]، فالعذاب محيط بهم من جميع جهاتهم.

﴿وَلَا هُمْ يُصْرُونَ﴾ أي: لا ناصر لهم؛ كما قال: ﴿وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾ [الرعد: ٣٤].

وقوله: ﴿بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْةٌ﴾ أي: فأتاهم النار بغتةً، أي: فجأةً. ﴿فَتَنَبَّهَتْهُمْ﴾ أي: تَذَعَّرَتْهُمْ فَيَسْتَلِمُونَ لها حائرين، لا يدرون ما يصنعون، ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدًّا﴾ أي: ليس لهم حيلة في ذلك، ﴿وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ أي: ولا يُؤَخَّرُ عنهم ذلك ساعة واحدة.

الآية (٤١-٤٣): يقول تعالى مُسَلِّحاً لِرَسُولِهِ عَمَّا آذَاهُ بِهِ الْمُشْرِكُونَ مِنَ الاستهزاء والتكذيب: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ فَكَفَرُوا بِالنَّبِيِّينَ فَكَانَ أَلَدًا﴾ يعني: من العذاب الذي



الآية (٤٨-٥٠): تَقَدَّمَ التَّنْبِيْهُ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَثِيْرًا مَا يَفْقِرُ بَيْنَ ذِكْرِ مُوسَى وَمُحَمَّدٍ -صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمَا- وَبَيْنَ كِتَابَيْهِمَا؛ وَهَذَا قَالَ: ﴿إِنَّمَا أَنَا مُوسَى وَهَارُونَ أَقْرَبَانِ﴾. قَالَ قَنَادَةُ: التَّوْرَةُ، حَلَالُهَا وَحَرَامُهَا، وَمَا فَرَّقَ اللَّهُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ. وَجَامِعُ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ: أَنَّ الْكُتُبَ السَّامِيَةَ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى التَّفَرُّقِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالْهُدَى وَالضَّلَالِ، وَالنَّبِيِّ وَالرَّشَادِ، وَالْحَلَالَ وَالْحَرَامِ، وَعَلَى مَا يُحْصَلُ نُورًا فِي الْقُلُوبِ، وَهَدَايَةً وَخَوْفًا وَإِنَابَةً وَخَشْيَةً؛ وَهَذَا قَالَ: ﴿وَصِيَاةَ



## ١ الوقفات التدريبية

﴿ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴾

عن قتادة يقول: إن الكافر قد ضم عن كتاب الله، لا يسمعه، ولا ينتفع به، ولا يعقله، كما يسمعه المؤمن وأهل الإيمان. الطبري: ٤٥٠/١٨.

السؤال: ما الفرق بين المؤمن والكافر تجاه كتاب الله تعالى؟

﴿ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴾

أي: الأصم لا يسمع صوتاً؛ لأن سمعه قد فسد، وتعلل، وشرط السماع مع الصوت؛ أن يوجد محل قابل لذلك؛ كذلك الوحي سبب لحياة القلوب والأرواح، وللفقه عن الله، ولكن إذا كان القلب غير قابل لسماع الهدى كان بالنسبة للهدى والإيمان بمنزلة الأصم بالنسبة إلى الأصوات. السعدي: ٥٢٤.

السؤال: ما وجه تشبيه الكفار بالصُّم؟ وكيف يؤهل الإنسان نفسه للإفادة من كتاب الله عز وجل؟

﴿ وَلَكِنْ مَسْتَهْزِئَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ يَقُولُكَ بَلْ إِنَّمَا كُنَّا مِنْ ظَالِمِينَ ﴾

ظالمين

فالمنعني: ولئن مسهم أقل شيء من العذاب (ليقولن يا ويلنا إنا كنا ظالمين)

أي: متعددين؛ فيمترون حين لا ينفعهم الاعتراف. القرطبي: ٢١١/١٤.

السؤال: كيف يكون حال الإنسان إذا نزل به أقل شيء من عذاب الله تعالى؟

﴿ وَلَقَدْ مَاتَنَّا مِثْلَ مُوسَى وَهَارُونَ الْفَرَّاقَيْنِ وَصِيَّةً وَوَكَّلًا لِلْمُتَّقِينَ ﴾

وخص المتقين بالذكر؛ لأنهم المنتفعون بذلك علماً وعملاً. السعدي: ٥٢٥.

السؤال: لماذا خص الله المتقين بالذكر؟

﴿ وَلَقَدْ مَاتَنَّا مِثْلَ مُوسَى وَهَارُونَ الْفَرَّاقَيْنِ وَصِيَّةً وَوَكَّلًا لِلْمُتَّقِينَ ﴾

الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ

أي: يخشونه في حال غيبتهم، وعدم مشاهدة الناس لهم، فمع المشاهدة أولى، فيتورعون عما حرم، ويقومون بما أُمروا. السعدي: ٥٢٥.

السؤال: ما الحكمة من تقييد الخشية بالغيب؟

﴿ وَهَذَا ذِكْرُ مُبَارَكِ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ تُنْكِرُونَ ﴾

ووصف القرآن بالبارك يعم نواحي الخير كلها؛ لأن البركة زيادة الخير، فالقرآن كله خير من جهة بلاغة الفاظه، وحسنها، وسرعة حفظه، وسهولة تلاوته، وهو أيضاً خير لما اشتمل عليه من أفاضل الكلام، والحكمة، والشريعة، واللطائف البلاغية... وبذلك اهتمت به أهم كثيرة في جميع الأزمان، وانتفع به من آمنوا به. ابن عاشور: ٩٠/١٧.

السؤال: اذكر أنواعاً من بركة القرآن الكريم.

﴿ وَأَلَّاوُ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴾

أخبر أنه لم يكتف بالمحاجة باللسان، بل كسر أصنامهم، فعل واثق بالله تعالى، موطن نفسه على مقاساة المكروه في الذب عن الدين.

القرطبي: ٢١٦-٢١٧/١٤.

السؤال: بين إلى أي حد بلغت ثقة إبراهيم - عليه السلام - بربه جل وعلا.

قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿١﴾ وَلَكِنْ مَسْتَهْزِئَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَنْتَظِرُونَ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢﴾ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفَرَّاقَيْنِ وَصِيَّةً وَوَكَّلًا لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٥﴾ وَهَذَا ذِكْرُ مُبَارَكِ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ تُنْكِرُونَ ﴿٦﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُسُودَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٨﴾ قَالُوا ارْجِعْ ذُنُوبَكُمْ إِنَّا لَنَاقِمُونَ الَّذِينَ أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٩﴾ قَالُوا أَتُؤْتُونَهُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالُوا أَأَلْهَيْتُمُونَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ﴿١١﴾ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١٢﴾ وَقَالَ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿١٣﴾

## معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
أُنذِرُكُمْ	أُخَوِّفُكُمْ
نَضَعُ	نَضِيْبُ يَضِيْبُ
مِثْقَالِ حَبَّةٍ	مَا يُعَادِلُ وَزْنَ ذَرَّةٍ
فَطَرَهُنَّ	خَلَقَهُنَّ
لَأَكِيدَنَّ	لَأَكُونَنَّ وَأُكْشِرَنَّ
مُدْبِرِينَ	ذَاهِبِينَ

## العمل بالآيات

- ذكر أحد زملائك أو أقاربك آية قرآنية، أو حديث نبوي، ﴿ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ ﴾.
- تذكر اليوم من ظلمته في مال، أو عرض، أو حق، فتحلل منه قبل ألا تستطيع، ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾.
- تأمل في قصة إبراهيم، واستخرج أسلوبي ناجحين من أساليب الحوار أو النهي عن المنكر، ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴾.

## التوجيهات

- البالغة في حب الشيء يورث الصمم، حتى لا يرى إلا ما أحبه، ﴿ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴾.
- القوي في الحجة والإقناع هو الذي يستخدم أدلة الوحي من قرآن وسنة في دعوته وموعظته، ﴿ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ ﴾.
- الآلام والمصائب التي تواجهك في الدنيا تذكرة لك؛ فَذَكْرُكَ بِعَذَابِ اللَّهِ، ودافع يدفعك إلى التوبة والاستغفار، ﴿ وَلَكِنْ مَسْتَهْزِئَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَنْتَظِرُونَ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ جُنُودًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ ﴾

وتأمل هذا الاحتراز العجيب: فإن كل معقوت عند الله لا يطلق عليه الفاظ التعظيم إلا على وجه إضافته لأصحابه؛ كما كان النبي ﷺ إذا كتب إلى ملوك الأرض المشركين يقول: «إلى عظيم الفرس»، «إلى عظيم الروم»، ونحو ذلك، ولم يقل: «إلى العظيم». وهنا قال تعالى: (إلا كبيراً لهم)، ولم يقل: «كبيراً من أصنامهم»، فهذا ينبئ التنبه له والاحتراز من تعظيم ما حقره الله، إلا إذا أضيف إلى من عظمه السعدي: ٥٣٦.

السؤال: لماذا عبر سبحانه في وصف الصنم بقوله: (كبيراً لهم)؟

﴿ فَتَنَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴾

وإنما أراد بهذا أن يبادروا من تلقاء أنفسهم، فيعترفوا أنهم لا ينطقون، وإن هذا لا يصدر عن هذا الصنم؛ لأنه جماد. ابن كثير: ١٧٨/٣.

السؤال: ما القصد الذي أراده إبراهيم من هذا السؤال؟

﴿ ثُمَّ نَكْسُوهُمْ عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴾

(ثم نكسوا على رؤوسهم)، استعارة لانقلابهم برجوعهم عن الاعتراف بالحق إلى الباطل والمعادنة، فقالوا: (لقد علمت ما هؤلاء ينطقون) أي: فكيف تأمرنا بسؤالهم؟ فهم قد اعترفوا بأنهم لا ينطقون، وهم مع ذلك يعبدونهم، فهذه غاية الضلال في فعلهم، وغاية المكابرة والمعادنة في جدالهم. ابن جزى: ٣٩/٢.

السؤال: ما عادة أهل الباطل إذا ظهر لهم الحق؟

﴿ قَالُوا حُرُوفُهُمْ وَإِنْ شَاءَ اللَّهُ تَكُونُ كَأَنَّكُمْ كُنْتُمْ قَمِيلِينَ ﴾

لما دحضت حججهم، وبان عجزهم، وطهر الحق، واندفع الباطل؛ عدلوا إلى استعمال جاه ملوكهم، فقالوا: (حرفوه وانصروا ألهتهم). ابن كثير: ١٧٩/٣.

السؤال: ما الطريقة التي يلجأ إليها العاجزون عن إيجاد دليل لما يقولون؟

﴿ فَلَمَّا يَنْتَازِعُونَ كُنُوفَهُمْ بِرِئَاءِ رَبِّهِمْ أَلَمْ يَأْمُرْ اللَّهُ بِالَّذِينَ بَدَّلُوا مَوَدَّتَهُمْ أَلَيْسَ الْبِرُّ لِلَّهِ الْكَبِيرُ ﴾

وعن أبي العاليت: لو لم يقل الله: (وسلاماً) لكان بردها أشد عليه من حرها، ولو لم يقل: (على إبراهيم) لكان بردها باقياً إلى الأبد. الشنقيطي: ١٦٣/٤.

السؤال: لماذا جاء الأمر بأن تكون النار سلاماً؟ ولماذا خصها بإبراهيم عليه السلام؟

﴿ وَبَيَّنَّا لَهُ رُءُوسَهُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَلَيْسَ إِنَّهُ لَشَدِيدُ الْعَذَابِ ﴾

هي الشام؛ خرج إليها من العراق. وبركتها بخصبها، وكثرة الأنبياء فيها. ابن جزى: ٤٠/٢.

السؤال: ما نوع البركة في أرض الشام؟

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴾

(ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة) أي: زيادة؛ لأنه دعا في إسحاق، وزيد يعقوب من غير دعاء، فكان ذلك نافلة؛ أي: زيادة على ما سأل؛ إذ قال: (ربِّ هب لي من الصالحين)، ويقال لولد الولد: نافلة؛ لأنه زيادة على الولد.

القرطبي: ٢٣٠/١٤.

السؤال: يقول العلماء: إن العبد إذا صدق مع الله أعطاه فوق ما يرجو، وزاده فوق ما يأمل، دلل على ذلك من الآية.

فَجَعَلْنَاهُمْ جُنُودًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٣٦﴾ قَالُوا مَنْ قَلِيلٌ هَؤُلَاءِ الِهَتَانِ يَا إِبْرَاهِيمُ لِمَنِ الظِّلِمَتِ ﴿٥٣٧﴾ قَالُوا أَسْمِعْ أَفَتَى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ ﴿٥٣٨﴾ قَالُوا فَأَنُؤَا بِوَيْءٍ عَلَى آغَيْنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٥٣٩﴾ قَالُوا أَأَنْتَ قَعَلْتَ هَؤُلَاءِ الِهَتَانِ يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٥٤٠﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْتَأْذِنُوا هَؤُلَاءِ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿٥٤١﴾ فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمْ الظَّالِمُونَ ﴿٥٤٢﴾ ثُمَّ نَكْسُوهُمْ عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿٥٤٣﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٥٤٤﴾ أَلَيْسَ لَكُمْ أَنْتُمْ وَآلُكُمْ وَآلُكُمْ أَنْتُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥٤٥﴾ قَالُوا حُرُوفُهُمْ وَإِنْ شَاءَ اللَّهُ تَكُونُ كَأَنَّكُمْ كُنْتُمْ قَمِيلِينَ ﴿٥٤٦﴾ فَلَمَّا يَنْتَازِعُونَ كُنُوفَهُمْ بِرِئَاءِ رَبِّهِمْ أَلَمْ يَأْمُرْ اللَّهُ بِالَّذِينَ بَدَّلُوا مَوَدَّتَهُمْ أَلَيْسَ الْبِرُّ لِلَّهِ الْكَبِيرُ ﴿٥٤٧﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٥٤٨﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
جُنُودًا	قِطْعًا صَغِيرَةً.
عَلَى آغَيْنِ النَّاسِ	بِمَرَأَى مِنَ النَّاسِ.
نَكْسُوهُمْ عَلَى رُءُوسِهِمْ	رَجَعُوا إِلَى عِبَادِهِمْ.
أَفْ لَكُمْ	قُبْحًا لَكُمْ.
نَافِلَةً	زِيَادَةً عَمَّا سَأَلَ.

## ● العمل بالآيات

- اقرأ كتاباً في أساليب الحوار والإقناع، وإقامة الحجج، وتعلم ذلك من خلال النظر في حوارات الكتاب والسنة، ﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْتَأْذِنُوا إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴾ ﴿٥٤١﴾ فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمْ الظَّالِمُونَ ﴿٥٤٢﴾.
- سل الله تعالى أن يرزق ذرية صالحة، ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴾.
- تقرب إلى الله تعالى بطاعة من الطاعات؛ ينجك الله بها وقت الشدة، ﴿ فَلَمَّا يَنْتَازِعُونَ كُنُوفَهُمْ بِرِئَاءِ رَبِّهِمْ أَلَمْ يَأْمُرْ اللَّهُ بِالَّذِينَ بَدَّلُوا مَوَدَّتَهُمْ أَلَيْسَ الْبِرُّ لِلَّهِ الْكَبِيرُ ﴾.

## ● التوجيهات

- إدانة الخصم من لسانه من أعلى أنواع الإدانات، ﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْتَأْذِنُوا إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴾ ﴿٥٤١﴾ فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمْ الظَّالِمُونَ ﴿٥٤٢﴾.
- الهادية ليست بمجرد العقل أو لمكانة الإنسان، بل هي منة من الله سبحانه، ﴿ فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمْ الظَّالِمُونَ ﴾ ﴿٥٤٢﴾ ثُمَّ نَكْسُوهُمْ عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿٥٤٣﴾.
- العناد يحرم صاحبه خيري الدنيا والآخرة، ﴿ ثُمَّ نَكْسُوهُمْ عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴾.

ما قال: ﴿فَرَجَعُوا إِلَيَّ أَنفُسُهُمْ﴾ أي: باللامة في عدم احترازهم وحراستهم لأنفسهم، فقالوا: ﴿إِنَّا كُنَّا أَتَيْنَاكَ بِمَعِينٍ﴾ أي: في تزكيتهم لها مهملة لا حافض عندها. ﴿ثُمَّ لِيُكْسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ﴾ أي: ثم أطرقوا في الأرض فقالوا: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنطِقُونَ﴾ قال قتادة: أذركت القوم خبره سوء فقالوا: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنطِقُونَ﴾. وقال السدي: ﴿ثُمَّ لِيُكْسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ﴾ أي في الفتنة. وقال ابن زيد: أي في الرأي. وقول قتادة أظهر في المعنى؛ لأنهم إنما فعلوا ذلك حيرة وعجزاً؛ ولهذا قالوا له: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنطِقُونَ﴾ فكيف تقول لنا: سلوهم إن كانوا ينطقون، وأنت تعلم أنها لا تنطق؟! فعندها قال لهم إبراهيم ليأعرفوا بذلك: ﴿أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ أي: إذا كانت لا تنطق، وهي لا تضر ولا تنفع، فلم تعبدوها من دون الله.

﴿أَبَى لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أي: أفلا تتدبرون ما أنتم فيه من الضلال والكفر الغليظ، الذي لا يزوج إلا على جاهل ظالم فاجر؟! فأقام عليهم الحجة، وألزمهم بها؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُكَ مَا تَبَيَّنَّا لِإِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾ الآية [الأنعام: ٨٣].

الآية (٧٨-٧٠): ﴿لَمَّا دَخَلَتْ حُجَّتُهُمْ، وَبَانَ عَجْرُهُمْ، وَظَهَرَ الْحَقُّ، وَانْدَفَعَ الْبَاطِلُ، عَدَلُوا إِلَى اسْتِعْمَالِ جَاهِ مُلْكِهِمْ، فَقَالُوا: ﴿حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾﴾

فلما ألغوه قال: «حسبي الله ونعم الوكيل» كما رواه البخاري عن ابن عباس قال: «حسبي الله ونعم الوكيل» قالها إبراهيم حين ألقي في النار، وقالها محمد حين قالوا: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْتَوَهُمْ فَزَادَهُمُ يُسَتًّا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

قال الله: ﴿فَلَمَّا يَنْزَلُ كُرْبَىٰ بَرَا وَسَلَّمَا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ عن علي بن أبي طالب قال: «لا تضره». وقال ابن عباس وأبو العالية: لولا أن الله قال: ﴿وَسَلَّمَا﴾ لأذى إبراهيم برؤسها.

وقوله: ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ أي: المغلوبين الأسفلين؛ لأنهم أرادوا بنيي الله كيداً، فكادهم الله ونجاه من النار، ﴿فَعْبُدُوا هَؤُلَاءِ﴾ [الأعراف: ١١٩].

الآية (٧١-٧٢): يقول تعالى خبراً عن إبراهيم، أنه سلمه الله من نار قومه، وأخرجه من بين أظهرهم مهاجراً إلى بلاد الشام، إلى الأرض المقدسة منها، كما قال أبو بن كعب وأبو العالية.

وقوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ قال عطاء ومجاهد: «عطية». وقال ابن عباس وقاتة والحكم بن عتيبة: النافلة ولد الولد؛ يعني: أن يعقوب ولد إسحاق؛ كما قال: ﴿فَنَشَرْنَاهَا إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ [مزم: ٧١]. وقال عبد الرحمن بن زيد: سأل واحداً فقال: ﴿يَرْبِي هَبَ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الصافات: ١٠٠]، فأعطاه الله إسحاق، وزاده يعقوب نافلة. ﴿وَوَلَّاهُمَا صَالِحِينَ﴾ أي: الجميع أهل خير وصلاح.

الآية (٥٨-٦٣): قوله: ﴿فَجَعَلْنَاهُ جُودًا﴾ أي: خطاماً، كثرها كلها ﴿إِلَّا كَبِيرًا لَّمْ﴾ يعني: إلا الصنم الكبير عندهم كما قال: ﴿فَرَأَىٰ عَلَيْهِمْ سُرَّيًّا يَالَيْتِينَ﴾ [الصافات: ١٣].

﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ ذكروا أنه وضع القدم في يد كبيرهم، لعلهم يعتقدون أنه هو الذي غار لنفسه، وأتف أن تعبد معه هذه الأصنام الصغار، فكسرها.

﴿قَالُوا مَن قَعَلَ هَذَا بِإِلَهِنَا إِنَّا لَنَرِيكَ لَظَالِمًا﴾ أي: حين رجعوا وشاهدوا ما فعله الخليل بأصنامهم من الإهانة والإذلال الدال على عدم إلهيته، وعلى سخافة عقول عابديها ﴿قَالُوا مَن قَعَلَ هَذَا بِإِلَهِنَا إِنَّا لَنَرِيكَ لَظَالِمًا﴾ أي: في صنيعه هذا؟! ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ أي: قال من سمعته يخلف أنه ليكيدهم: ﴿سَمِعْنَا فَتًى﴾ أي: شاباً ﴿يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ قال ابن عباس: ما بعث الله نبياً إلا شاباً، ولا أوتي العلم عالم إلا وهو شاب، وتلا هذه الآية: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾.

﴿قَالُوا فَاتَّبَعْنَاهُ عَلَىٰ أَعْيُنِنَا﴾ أي: على رؤوس الأشهاد في الملأ الأكبر بخضرة الناس كلهم، وكان هذا هو المقصود الأكبر لإبراهيم: أن يتبين في هذا المخيل العظيم كثرة جهلهم وقلة عقلهم في عبادة هذه الأصنام التي لا تدفع عن نفسها ضرراً، ولا تملك لها نصراً، فكيف يطلب منها شيء من ذلك؟! ﴿قَالُوا مَا تَأْتِي هَذَا بِإِلَهِنَا يَكْفُرُ بِهِمْ﴾ قال بل فعكسه، كبرههم هذا؛ يعني: الذي تركه لم يكبره، ﴿فَتَنَالَهُمُ إِن كَانَ أَتَوْا بِطِقُونَ﴾ وإنما أراد بهذا أن يبادروا من تلقاء أنفسهم، فيعترفوا أنهم لا ينطقون؛ فإن هذا لا يصدر عن هذا الصنم لأنه جماد. وعن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «إن إبراهيم عليه السلام لم يكذب غير ثلاث: ثنتين في ذات الله: قوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾، وقوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩] قال: «وبينا هو يسير في أرض جبّار من الجبابرة ومعه سارة، إذ تزك منزلًا، فأتى الجبّار رجل، فقال: إنه قد تزك بأرضك رجل معه امرأة أحسن الناس، فأرسل إليه فجاء، فقال: ما هذه المرأة منك؟ قال: هي أختي. قال: فاذهب فأرسل بها إلي، فانطلق إلى سارة فقال: إن هذا الجبّار سألني عنك فأخبرته أنك أختي، فلا تكذبيني عنده، فإنك أختي في كتاب الله، وأنه ليس في الأرض مثلهم غري وغيرك، فانطلق بها إبراهيم ثم قام يصلي. فلما أن دخلت عليه فرأها أموى إليها، فتناولها، فأخذ أخذاً شديداً، فقال: ادعي الله لي ولا أضرك، فدعت له فأرسل، فأموى إليها فتناولها فأخذ بمنزلها أو أشد. ففعل ذلك الثالثة فأخذ، فذكر مثل السرّتين الأولتين، فقال: ادعي الله فلا أضرك. فدعت له فأرسل، ثم دعا أدنى حجابيه، فقال: إنك لم تأتني بإنسان، وإنما أتيتني بشيطان، أخرجهما وأعطيهما هاجر، فأخرجت وأعطيت هاجر، فأقبلت، فلما أحس إبراهيم بمجيئها انفكك من صلاته، قال: مهيم؟ قالت: كفى الله كيد الكافر الفاجر، وأخذمتي هاجر» [متفق عليه].

الآية (٦٤-٦٧): يقول تعالى خبراً عن قوم إبراهيم حين قال لهم

الآية (٧٣-٧٥): ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً﴾ أي: يُفَتِّدِي بِهِمْ، ﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ أي: يدعون إلى الله بإذنه؛ ولهذا قال: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ﴾ من باب عطف الخاص على العام، ﴿وَوَكَّلْنَا لَكَ عِيسَى﴾ أي: فاعلين لِمَا يأمرون الناس به. ثم عطف بذكر لوط، كان قد آمن بإبراهيم، وأبنته، وهاجر معه، فاتاه الله حكماً وعلماً، وأوحى إليه وجعله نبياً، وبعثه إلى سدوم وأعمالها، فخالقوه وكذبوه، فأهلكهم الله وذرهم عليهم، كما قصَّ خبرهم في غير موضع من كتابه العزيز؛ ولهذا قال: ﴿وَنَجِّنَاكَ مِنَ الْغَمَّةِ الَّتِي كُنتَ تَعْمَلُ لَتَفْسِدُنَّ إِلَهُنَّ كَاثُرًا قَوْمَ سَوْرٍ فَصِيقٍ ﴿٧٦﴾ وَأَذَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

الآية (٧٦-٧٧): يخبر تعالى عن استجابته لعبده ورسوله نوح عليه السلام حين دعا على قومه لئلا كذبوه: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ﴾ [القم: ١٠]، وقال نوح رَّبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٧٧﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْنَاهُمْ يَفِضُلُوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٦-٢٧]، ولهذا قال ههنا: ﴿إِذْ نَادَىٰ مِنْ قَبْلِهِ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، فَجَعَلْنَاهُ وَاٰهْلَهُ﴾ أي: الذين آمنوا به كما قال: ﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠].

وقوله: ﴿مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ أي: من الشدة والتكذيب والأذى، فإنه لَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا يدعوه إلى الله ﷻ، فلم يؤمن به منهم إلا القليل، وكانوا يَصَّدُّونَ لَأَذَاهُ، ويتواصون قرناً بعد قرن، وجيلاً بعد جيل على خلافه. ﴿وَنَجَّيْنَاهُ﴾ أي: ونجَّيناه وخَلَّصْنَاهُ مِنْتَصَرًّا، ﴿مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْرٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي: أهلكهم الله بعمائه، ولم يُبْقِ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مِنْهُمْ أَحَدًا؛ إذ دعا عليهم نبيهم.

الآية (٧٨-٨١): قال ابن عباس: النَّفْثُ: الرعي. وقال شريح والزهرى وقادة: النَّفْثُ بالليل. زاد قتادة: والهُمْلُ بالنهار. وقال ابن جرير عن ابن مسعود في قوله: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَمَمُ الْقَوْمِ﴾ قال: كَرُمٌ قد أَكْبَتْتَ عَنَاقِيدَهُ، فَأَفْسَدْنَاهُ. قال: فَقَصَّى داود بالغنم لصاحب الكرُم، فقال سليمان: غيرُ هذا يا نبي الله! قال: وما ذاك؟ قال: تدفع الكرُم إلى صاحب الغنم، فيقوم عليه حتى يعود كما كان، وتدفع الغنم إلى صاحب الكرُم فيصيب منها حتى إذا كان الكرُم كما كان دَفَعْتَ الكرُم إلى صاحبه، ودَفَعْتَ الغنم إلى صاحبه، فذلك قوله: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾.

وقوله: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكَلَّمَا بَيْنَنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ قال حميد: إن إياس بن معاوية لَمَّا اسْتَقْضَى أَتَاهُ الْحَسَنُ فَبَكَى، قال: ما يبكيك؟ قال: يا أبا سعيد، بلغني أن القضاة: رجل اجتهد فأخطأ، فهو في النار، ورجل مال به أهوى فهو في النار، ورجل اجتهد فأصاب فهو في الجنة. فقال الحسن البصري: إن فيما قَصَّ الله من نبأ داود وسليمان -عليهما السلام- والانبياء حُكْمًا يَرُدُّ قَوْلَ هَؤُلَاءِ النَّاسِ عَنْ قَوْلِهِمْ،

قال الله تعالى: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَمَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ فأنشأ الله على سليمان ولم يَذْمُ داود. ثم قال -يعني الحسن-: إن الله اتخذ على الحكماء ثلاثاً: لا يشتركون به تمناً قليلاً، ولا يتبعون فيه الهوى، ولا يتخشون فيه أحداً، ثم تلا: ﴿يُنَادُواؤُنَا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص: ٢٦]، وقال: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّكَاسَ وَآخِشُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، وقال: ﴿وَلَا تَخْشَوُا بَيَاقِي شُكَا قَلِيلًا﴾ [المائدة: ٤٤].

قلت: أما الأنبياء -عليهم السلام- فكلهم معصومون مؤيدون من الله ﷻ. وهذا مما لا خلاف فيه بين العلماء الْمُحَقِّقِينَ مِنَ السَّالَفِ وَالْخَلَفِ، وأما من سواهم فقد ثبت في صحيح البخاري عن عمرو ابن العاص أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر»، فهذا الحديث يَرُدُّ نَصًّا مَا تَوَهَّمَهُ «إياس» من أن القاضي إذا اجتهد فأخطأ فهو في النار، والله أعلم.

وفي السنن: «القضاة ثلاثة: قاضي في الجنة، وقاضيان في النار: رجل علم الحق وقَضَى به فهو في الجنة، ورجل حَكَمَ بين الناس على جهل فهو في النار، ورجل عَلِمَ الْحَقَّ وقَضَى بخلافه، فهو في النار» [رواه أبو داود وابن ماجه، وصححه الألباني]. وقريب من هذه القصة المذكورة في القرآن ما روي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «بيننا امرأتان معهما ابنان لهما، جاء الذنب فأخذ أحد الابنين، فتحكما إلى داود، فقَضَى به للكبرى، فخرَجْنَا. فدعاهما سليمان فقال: هاتوا السكين أشقُّه بينهما، فقالت الصغرى: يَرَحُّكَ الله هو ابنها، لا تُشَقُّه، فقَضَى به للصغرى» [متفق عليه]. وقوله: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ وذلك لطيب صوته بتلاوة كتابه الزبور، وكان إذا تَرَنَّمَ به تَقَفَّ الطير في الهواء، فَتَجَاوَبَ، وتَرَدَّدَ عليه الجبال تَأْوِينًا؛ ولهذا لَمَّا مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ على أبي موسى الأشعري، وهو يتلو القرآن من الليل، وكان له صوت طَيِّبٌ، فَوَقَّفَ واستمع لقراءته، وقال: «لقد أُوتِيَ هذا من مزامير آل داود». قال: يا رسول الله، لو عَلِمْتُ أَنَّكَ تَسْمَعُ لَحَزَنَتِي لَكَ تَخَيَّرًا [رواه البخاري].

وقوله: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُؤْسٍ لَّكُم لِيُحْصِيَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ﴾ يعني صَنْعَةَ الدروع. قال قتادة: إِنَّمَا كَانَتْ الدروع قبله صفائح، وهو أَوَّلُ مَنْ سَرَّحَهَا جَلَقًا. كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّا لَهُ لَلْعَلِيدُ﴾ ﴿٧٩﴾ أَن أَتَمَلَ سَيِّغَتِي وَقَدَّرَ فِي السَّرِّ﴾ [سبا: ١٠-١١] أي: لا تُوسِّعُ الْحَقْلَةَ فَتَقْلِقُ الْمَسَارَ، ولا تُثَلِّظُ الْمَسَارَ فَتَقْدَحُ الْحَقْلَةَ؛ ولهذا قال: ﴿لِيُحْصِيَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ﴾ يعني: في القتال، ﴿فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ﴾ أي: يَعمُ الله عليكم، لِمَا أَلْهَمَ به عبده داود، فعلمه ذلك من أجلكم.

وقوله: ﴿وَلَسُلَيْمَانَ رِجْعَ عَاصِفَةٍ﴾ أي: وَسَخَّرْنَا لِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ الْعَاصِفَةَ، ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا﴾ يعني أرض الشام، ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ﴾.



## ● الوقفات التدريبية

● ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً يَهْدُوتَ بِأَمْرِنَا﴾

وهذا من اكبر نعم الله على عبده: ان يكون اماماً يهتدي به المهتدون، ويمشي خلفه السالكون. السعدي: ٥٢٧.

السؤال: ما الذي يفاد من امتنان الله على ابراهيم وذريته بجعلهم ائمة؟ وما النعمة التي يستشعرها حافظ القرآن وطالب العلم إذا قرأ هذه الآية؟

● ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ﴾

(واوحينا اليهم فعل الخيرات): وهذا شامل لجميع الخيرات من حقوق الله وحقوق العباد، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة) هذا من باب عطف الخاص على العام: لشرف هاتين العبادتين، وفضلهما، ولأن من كملهما كما أمر كان قائماً بدينه، ومن ضيعهما كان لما سواهما اضيع، ولأن الصلاة افضل الأعمال التي فيها حقه تعالى، والزكاة افضل الأعمال التي فيها الإحسان خلقه. السعدي: ٥٢٧.

السؤال: لماذا خص الصلاة والزكاة بالذكر مع انهما داخلان في عموم الخيرات؟

● ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَمْحُكَّانِ فِي الْغَرِيِّ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَمُّ الْقَوْمِ وَكُنَّا لَبَكِيهِمْ مِنْهُمْ﴾

(فَقَهَمَا سُلَيْمَانَ) أي: فهمنا هذه القضية، ولا يدل ذلك ان داود لم يفهمه الله في غيرها، ولهذا خصها بالذكر؛ بدليل قوله: (وَكُنَّا) من داود وسليمان (آتينا حكماً وعلماً) وهذا دليل على ان الحاكم قد يصيب الحق والصواب، وقد يخطئ ذلك، وليس بعلوم إذا اخطأ مع بذل اجتهاده. السعدي: ٥٢٨.

السؤال: متى يُعذر الحاكم، أو القاضي، أو المعلم، أو الوالد في خطئه؟

● ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَمْحُكَّانِ فِي الْغَرِيِّ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَمُّ الْقَوْمِ وَكُنَّا لَبَكِيهِمْ مِنْهُمْ﴾

قال الحسن: ثلوا هذه الآية: رأيت القضاة هلكوا، ولكنه تعالى اثني على سليمان بصوابه، وعذر داود باجتهاده. القرطبي: ٢٣٧/١٤.

السؤال: بين رحمة الله تعالى بأهل العلم والقضاء في هذه الآية.

● ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾

وذلك انه كان من اعبد الناس واكثرهم لله ذكراً، وتسبيحاً، وتجييداً. السعدي: ٥٢٨.

السؤال: لماذا خصَّ الله داود بهذه الخاصية، وهي ان الجبال والطير تسبح معه؟

● ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾

والظاهر ان قوله: (وَكُنَّا فَاعِلِينَ) مؤكّد لقوله: (وسخرنا مع داود الجبال يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ)، والموجب لهذا التأكيد ان تسخير الجبال وتسبيحها امر عجب خارق للعادة، مظنة لان يكذب به الكفرة الجهلة الشنقيطي: ٢٣٢/٤.

السؤال: ما المناسبة في ختم الآية بجملة: (وكنا فاعلين)؟

● ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِيُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْكَرُونَ﴾

شكر العبد لربه: هو ان يستعين بنعمه على طاعته، وشكر الرب لعبده: هو ان يشييه الثواب الجزيل من عمله القليل. الشنقيطي: ٢٣٤/٤.

السؤال: متى يوصف العبد بالشاكر؟ وكيف يشكر الرب تعالى عبده؟

وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً يَهْدُوتَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عِلِيدِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَوْ طَاءَ آتِيَنَّهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَبَجِيتُهُ مِنْ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبْرَتِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سُوءِ فَسْقِينَ ﴿٣٤﴾ وَأَذْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٥﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٣٦﴾ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سُوءِ فَاعْرَفْتَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٧﴾ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَمْحُكَّانِ فِي الْغَرِيِّ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَمُّ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحَكِيمِهِمْ شَهِيدِينَ ﴿٣٨﴾ فَفَقَهَمْنَاهَا سُلَيْمَانُ وَكَانَ لَنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٣٩﴾ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِيُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْكَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكَتْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ ﴿٤١﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
قَوْمٌ سُوءٌ	أَهْلُ فُسَادٍ وَفُجِحٍ.
نَفَسَتْ	انْتَفَرَتْ فِيهِ لَيْلًا بِلَا رَاعٍ.
صَنْعَةُ لَبُوسٍ	صِنَاعَةُ الدَّرْعِ يَعْمَلُهَا حَلَقًا مُتَشَابِكَةً.
لِيُحْصِنَكُمْ	لِيُحْمِيَكُمْ.
بَأْسِكُمْ	حَرْبِكُمْ.
عَاصِفَةٌ	شَدِيدَةُ الْهُبُوبِ.

## ● العمل بالآيات

١. خفف عن مصاب مصيبتك، أو تصدّق من مالك في سبيل الله، أو صم صيام نافلة تطوعاً لله، ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عِلِيدِينَ﴾.
٢. قل: اللهم يا معلم ابراهيم علمني ويا مفهم سليمان فهمني، ﴿فَقَهَمْنَاهَا سُلَيْمَانُ وَكَانَ لَنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾.
٣. شارك في دورة مهارية تتعلم فيها صنعة نافعة، ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِيُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ﴾.

## ● التوجيهات

١. فضل الدعوة إلى الله تعالى وشرف القائمين بها، ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً يَهْدُوتَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عِلِيدِينَ﴾.
٢. الخبث إذا كثر في الأمة استوجب الهلاك والدمار، ﴿وَلَوْ طَاءَ آتِيَنَّهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَبَجِيتُهُ مِنْ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبْرَتِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سُوءِ فَسِقِينَ﴾.
٣. عند الكرب الجأ إلى الله تعالى، فلا هرج إلا من عنده، ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿وَأُتُوبُكَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَتَى سَقَى الشَّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (٥١)  
فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ فَعَجَفْنَا مَا يَرْغَبُ مِنْ ضَرْبٍ وَأَعْيَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ  
رَحْمَةً مِنْ عِزِّنا وَذَكَرْنَاهُ لِلْمُذْنِبِينَ ﴿

(وذكرى للعابدين) أي: وجعلناه في ذلك فحوة؛ لئلا يظن أهل البلاء انما فعلنا بهم ذلك لئلا نعلمهم علينا، وليتأسوا به في الصبر على مقصودات الله وابتلائه لعباده بما يشاء. ابن كثير: ١٨٥/٣.

السؤال: ما وجه كون أيوب وقصته ذكرى للعابدين؟

﴿رَحْمَةً مِنْ عِزِّنا وَذَكَرْنَاهُ لِلْمُذْنِبِينَ﴾

ابتليناه ليعظم ثوابه غدا، (وذكرى للعابدين) أي: وتذكيرا للعباد؛ لأنهم إذا ذكروا بلاء أيوب، وصبره عليه، ومحنته له -وهو أفضل أهل زمانه- وطنوا أنفسهم على الصبر على شدائد الدنيا، نحو ما فعل أيوب، فيكون هذا تنبيها لهم على إدامة العباد، واحتمال الضرر. القرطبي: ١٨٥/٣.

السؤال: بين الحكمة التي لأجلها ذكر الله تعالى ابتلاءه لأيوب عليه السلام.

﴿وَأَعْلَنَهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾

وصفهم أيضا بالصالح، وهو يشمل صلاح القلوب بمعرفته الله، ومحبتة، والإنابة إليه كل وقت، وصلاح اللسان بأن يكون رطبا من ذكر الله، وصلاح الجوارح بأشتغالها بطاعة الله وكفها عن المعاصي. السعدي: ٥٢٩.

السؤال: متى يوصف الإنسان بالصالح؟

﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذُهِبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾

(فنادى في الظلمات) وهي ظلمة الليل، والبحر، وبطن الحوت. ابن جزي: ٤٣/٢.  
السؤال: ما الظلمات التي كان فيها يونس عليه السلام؟ ثم بين باختصار أثر الذكر في كشف الكربة من خلال هذه الآية.

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾

أقر لله تعالى بكمال الألوهية: (لا إله إلا أنت)، ونزحه عن كل نقص وعيب وأفت: (سبحانك)، واعترف بظلم نفسه وجنانيته: (إني كنت من الظالمين). السعدي: ٥٢٩.

السؤال: تضمن هذا الدعاء ثلاثة أمور استحق بها يونس أن ينجى بها من بطن الحوت، فما هذه الأمور الثلاثة؟

﴿وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾

أي: إذا كانوا في الشدائد، ودعونا منيين إلينا، ولا سيما إذا دعوا بهذا الدعاء في حال البلاء. ابن كثير: ١٨٧/٣.

السؤال: اذكر طريقة مثلى للنجاة من الشدائد دلت عليها هذه الآية.

﴿فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَاهُ لَهُ رُوحَهُ﴾

(وأصلحنا له روحه) بعدما كانت عاقرا؛ لا يصلح رحمها للولادة، فأصلح الله رحمها للحمل؛ لأجل نبيه زكريا. وهذا من فوائد الجليس والقرين الصالح، انه مبارك على قرينه، فصار يحيى مشتركا بين الوالدين. السعدي: ٥٣٠.

السؤال: مستدلا بهذه الآية، كيف يصبح القرين الصالح بركة على قرينه ومصاحبه؟

وَمِنَ الشَّيْطَانِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَفَظِينَ ﴿٥٢﴾ وَأُتُوبُكَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ وَأَتَى مَسْقَى الشَّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٥٣﴾ فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ فَعَجَفْنَا مَا يَرْغَبُ مِنْ ضَرْبٍ وَأَعْيَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِزِّنا وَذَكَرْنَاهُ لِلْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ وَأَسْمِعْ لِي وَادْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿٥٥﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥٦﴾ وَذَا النُّونِ إِذْ ذُهِبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٧﴾ فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَاهُ لَهُ رُوحَهُ وَإِنَّهُمْ كَانُوا يُسْأَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خاشِعِينَ ﴿٥٨﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
يَغُوصُونَ لَهُ	يَغُوصُونَ فِي الْبَحَارِ؛ لِاسْتِخْرَاجِ الْأَلْبَانِ.
نَقْدِرَ عَلَيْهِ	أَنْ لَنْ نُضِيقَ عَلَيْهِ فِي بَطْنِ الْحَوْتِ، وَنُؤَاخِذَهُ.
خَيْرِ الْوَارِثِينَ	خَيْرِ الْبَاقِينَ، وَخَيْرٌ مِنْ خَلْقِي بِخَيْرٍ.
رَغَبًا وَرَهَبًا	رَجَاءً فِي الثَّوَابِ، وَخَوْفًا مِنَ الْعِقَابِ.

## ● العمل بالآيات

- ألقى قصة من قصص القرآن عن سير الأنبياء على إخوتك أو أبنائك، مبينا لهم أهم الفوائد، والعبر منها، ﴿رَحْمَةً مِنْ عِزِّنا وَذَكَرْنَاهُ لِلْمُذْنِبِينَ﴾.
- تذكر ذنبا فعلته وقعت بعده مصيبة، ثم قل: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.
- بادر إلى الصلوات الخمس بعد النداء مباشرة، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْأَرُونَ فِي الْكُورَاتِ﴾.

## ● التوجيهات

- إذا أصابك شيء من الضر فلا تتردد في رفع يديك إلى الله داعيا: ﴿أَتَى مَسْقَى الشَّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.
- إذا اشتدت عليك المشاق والمصائب فارجع إلى قصة أيوب أو يوسف أو محمد -عليهم الصلاة والسلام- ففيها السلولى، ﴿وَأُتُوبُكَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَتَى مَسْقَى الشَّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ فَعَجَفْنَا مَا يَرْغَبُ مِنْ ضَرْبٍ وَأَعْيَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِزِّنا وَذَكَرْنَاهُ لِلْمُذْنِبِينَ ﴿
- علو مقام الصبر، ومثله الشكر؛ فالأول على البأساء، والثاني على النعماء، ﴿وَلِإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الْمُسْتَبِينَ﴾.

فَفَعَّمَا يَمِينَهُ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ غَافَةَ الْبَحْرِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَنُفِثْنَا بِهِمْ إِلَى جَنِّينَ ﴿٩٨﴾. [يونس: ٩٨]. وأما يونس عليه السلام فإنه ذَهَبَ فَرَكِبَ مع قوم في سفينة فَلَجَجَتْ بهم، وخافوا أن يَغْرَقُوا. فاقْتَرَعُوا على رجل يُلْقُوهُ من بينهم يَخْفَفُونَ منه، فَوَقَعَتِ الْفُرْقَةُ على يونس، فأبوا أن يُلْقُوهُ، ثم أَعَادُوا الْفُرْقَةَ فَوَقَعَتْ عليه أيضًا، فأبوا، ثم أَعَادُوا فَوَقَعَتْ عليه أيضًا، قال الله تعالى: ﴿فَنَاهَمُ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾ [الصافات: ٤١٧]. أي: وَقَعَتْ عليه الْفُرْقَةُ، فقام يونس عليه السلام وَتَجَرَّدَ من ثيابه، ثم ألْقَى نفسه في البحر، وقد أَرْسَلَ الله سبحانه حوتًا فالتقم يونس حين ألْقَى نفسه من السفينة، فأَوْحَى الله إلى ذلك الحوت ألا تاكل له لحماً، ولا تَحْسِمَ له عظاماً؛ فإن يونس ليس لك رزقاً، وإنا بَطْنُكَ نكون له سجنًا.

وقوله: ﴿وَدَا الْكُتُوبَ﴾ يعني: الحوت، صحَّتْ الإضافة إليه بهذه النسبة، ﴿إِذْ ذَهَبَ مُخِضِبًا﴾ قال الضحاك: لقومه، ﴿فَقُلْنَا لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ أي: نُضَيِّقُ عليه في بطن الحوت. يروى نحو هذا عن ابن عباس ومجاهد والضحاك وغيرهم، واختاره ابن جرير، واستشهد عليه بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ قُدِّرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ﴾ [الطلاق: ٧]. وقال عطية العوفي: نُضَيِّقُ عليه؛ كأنه جَعَلَ ذلك بمعنى التقدير؛ فإن العرب تقول: قَدَّرَ وَقَدَّرَ بمعنى واحد، ومنه قوله تعالى: ﴿فَاللَّهُ يَلْعَنُ أُمَّةً عَمَلُوا قَدْرًا﴾ [الفر: ١٧]. أي: قَدَّرَ. ﴿فَنَسَائِدُ فِي الظُّلُمَاتِ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ قال ابن مسعود: ظُلُمَةٌ بطن الحوت، وظُلُمَةٌ البحر، وظُلُمَةٌ الليل. وكذا روي عن ابن عباس وسعيد بن جبَر والحسن وقتادة. ﴿فَأَسْتَجَبْنَا لَهُ وَجِجْنَهُ بِنَاغٍ﴾ أي: أَخْرَجْنَاهُ مِنْ بَطْنِ الحوت، وتلك الظلمات، ﴿وَكَذَلِكَ نُفِخُ الْوُحُوشَ﴾ أي: إذا كانوا في الشدائد وَدَعُونَا مَبِينِينَ إِلَيْنَا، ولا سِيا إذا دعوا بهذا الدعاء في حال البلاء؛ فقد جاء الترغيب في الدعاء بها عن سيد الأنبياء ﷺ قال: «دَعْوَةُ ذِي النُّونِ، إِذْ هُوَ فِي بَطْنِ الْحَوْتِ: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ فإنه لم يَدْعُ بها مسلم ربُّه في شيء قط إلا استجاب له» [رواه أحمد والترمذي والنسائي في الكبرى، وصححه إسناده أحمد شاكر].

الآية (٨٩-٩٠): يخبر تعالى عن عبده زكريا، حين طلب أن يهبَهُ الله ولداً يكون من بعده نبياً: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ﴾ أي: خُفِيَ عن قومه: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا﴾ أي: لا وَلَدَ لي ولا وَارِثَ يقوم بعدي في الناس، ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ دعاءً وثناءً مناسباً للمسألة. قال الله تعالى: ﴿فَأَسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَاهُ لَهُ وَزَكَّاهُ﴾ أي: امرأته. قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبَر: كانت عاقراً لا تَلِدُ، فَوَلَدَتْ.

وقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْـَٔرِعُونَ﴾ في الْخَيْرَاتِ ﴿أَي: فِي عَمَلِ الْقُرْبَاتِ وَفِعْلِ الطَّاعَاتِ، وَيُدْعُونَكَ رَغْبًا وَرَهْبًا﴾ قال الثوري: ﴿رَغْبًا﴾ فيها عندنا، ﴿وَرَهْبًا﴾ مِمَّا عِنْدَنَا، ﴿وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ قال ابن عباس: أي مُصْـَٔدِّقِينَ بِمَا أَنْزَلَ الله. وقال مجاهد: مؤمنين حقاً. وقال أبو العالية: خائفين. وقال أبو يسابن: الخشوع هو الخوف اللازم للقلب، لا يُفَارِقُهُ أبداً. وقال الحسن وقتادة والضحاك: ﴿خَشِيعِينَ﴾ أي: مُتَدَلِّلِينَ لله ﷻ. وكل هذه الأقوال متقاربة.

الآية (٨٢): ﴿وَبَرَّ الشَّيْطَانِ مَنْ يَغُوصُ لَهُ﴾ أي: في الماء يستخرجون اللاقي وغير ذلك. ﴿وَيَسْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ﴾ أي: غير ذلك. وقوله: ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَفِيظِينَ﴾ (١) أي: يَحْرُسُهُ الله أن يَنَالَهُ أحد من الشياطين بسوء، بل كل في قبضته وتحت قَهْرِهِ لا يَتَجَاسَرُ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى الدُّثُورِ إِلَيْهِ وَالْقُرْبِ مِنْهُ، بل هو مُحْكَمٌ فِيهِمْ، إن شاء أَطْلَقَ، وإن شاء حَبَسَ مِنْهُمْ مَنْ يَشَاءُ؛ ولهذا قال: ﴿وَأَخْرَجَ مَقْرِنَ فِي الْآخِثَاءِ﴾ [ص: ٣٨].

الآية (٨٣-٨٤): يذكر تعالى عن أيوب عليه السلام ما كان أصابه من البلاء في ماله وولده وجسده؛ وذلك أنه كان له من الدَّوَابِّ والأنعام والحَرْثِ شيء كثير، وأولاد كثيرة، ومنازل مَرْضِيَّة. فَأَنْبِئُ في ذلك كله، وَذَهَبَ عَنْ آخِرِهِ، ثم أَنْبِئُ في جسده - يُقَالُ - بِالْجَذَامِ في سائر بدنه، ولم يَبْقَ منه سليم سوى قلبه ولسانه، يذكرهما الله ﷻ، حتى عَافَهُ الْجَلِيسُ، وَأَفْرَدَ في ناحية من البلد، ولم يَبْقَ من الناس أحد يَخْتُلُوْهُ عليه سوى زوجته؛ كانت تقوم بأمره، ويُقَالُ: إِنَّا احتاجت فصارت تَحْدُمُ الناس من أجله، وقد قال النبي ﷺ: «أَشَدُّ الناس بَلَاءً الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الصَّالِحُونَ، ثُمَّ الْأَمْنُكُلُ فَلَا أَمْنُكُلَ» [رواه أحمد والترمذي، وصححه الألباني]. وفي الحديث الآخر: «يُنْتَلَى الرجل على قدر دينه، فإن كان في دينه صلابة زِيدَ في بَلَاءِهِ» [رواه أحمد والترمذي، وصححه الألباني]. وقد كان نبي الله أيوب عليه السلام غَايَةً في الصبر، وبه يُضْرَبُ المثل في ذلك.

وقوله: ﴿وَوَاسِيَتُهُ أَهْلُ بَيْتِهِ وَمَنْ مَعَهُمْ﴾ عن ابن عباس أنه قال: رُدُّوا عليه بأعيانهم. وروى مثله عن ابن مسعود ومجاهد، وبه قال الحسن وقتادة. ﴿رَحْمَةً مِنَّا عَيْنًا﴾ أي: فعلنا به ذلك رحمةً من الله به. ﴿وَيَذْكُرُنَا لِلْعَمِيدِينَ﴾ أي: وجعلناه في ذلك قدوةً، لئلا يَظُنُّ أهل البلاء أننا فعلنا بهم ذلك هوانهم علينا، وليتأسوا به في الصبر على مقدرات الله وابتلائه لعباده بما يشاء، وله الحكمة البالغة في ذلك.

الآية (٨٥-٨٦): إسماعيل عليه السلام تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ، وكذلك إدريس عليه السلام. وأما ذو الكفل فالظاهر من السياق أنه ما قُرُنَ مع الأنبياء إلا وهو نبيٌّ. وقال آخرون: إنما كان رجلاً صالحاً، وكان مَلِكًا عادلاً، وَحَكَمًا مُقْسِطًا، وتوقف ابن جرير في ذلك، فالله أعلم.

عن مجاهد قال: رجل صالح غير نبي، تكفل لني قومه أن يكفيه أمر قومه ويقضيهم له ويقضي بينهم بالعدل، ففعل ذلك، فسمي: ذا الكفل.

الآية (٨٧-٨٨): يونس بن مَتَّى عليه السلام بَعَثَهُ الله إلى أهل قرية «نِيْنَوَى»، وهي قرية من أرض السَّوْصِلِ، فَدَعَاهُمْ إلى الله، فَأَبَوْا عليه وتمادوا على كفرهم، فَنَخَّرَ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ مُفَاضِيًا لَهُمْ، وَوَعَدَهُمْ بالعذاب بعد ثلاث. فلَمَّا فَتَحَقَّقُوا مِنْ ذَلِكَ، وَعَلِمُوا أَنَّ النَّبِيَّ لَا يَكْذِبُ، خَرَجُوا إلى الصحراء بأطْفالهم وأنعامهم ومواشيهم، وَفَرَّقُوا بَيْنَ الْأَمْهَاتِ وَأَوْلَادِهِنَّ، ثُمَّ نَصَرُوا عِوَا إِلَى اللَّهِ ﷻ، وَجَازَوْا إِلَيْهِ، وَرَغَتْ الْإِبِلُ وَفُضِّلَتْهَا، وَخَارَتِ الْبَقَرُ وَأَوْلَادُهَا، وَنَفَتْ الْغَنَمُ وَمَخْلَاهَا، فَرَفَعَ اللهُ عَنْهُمْ الْعَذَابَ؛ قال الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ

(١) قال الطبري: «وَكُنَّا لَهَا عَلَيْهِمْ وَأَعْدَاهُمْ حَافِظِينَ»، وقال الزجاج: «معناه حفظناهم من أن يفسدوا ما عملوا». [ينظر تفسير الآية عند ابن جرير والبغوي].



[منها] حديث النّوأس بن سمان الكلبي قال: قال رسول الله: «... فينبا هم كذلك، إذ أوحى الله ﷻ إلى عيسى ابن مريم: أي قد أخرجت عبداً من عبادي لا يدان<sup>(١)</sup> لك بقتالهم، فحَوَزَ<sup>(٢)</sup> عبادي إلى الطور، فَبَيْعَتَ الله ﷻ بأجوج ومأجوج، وهم كما قال الله: ﴿وَبَيْنَ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾، فَبَزَغَ عيسى وأصحابه إلى الله ﷻ، فِيرسل الله عليهم نَعْفًا في رقابهم، فيصبحون قَرَسَى، كموت نفس واحدة، فَيَهْطُ عيسى وأصحابه، فلا يجدون في الأرض بيتاً إلا قد ملأه زَهْمُهُم وتَنْتُهُم، فَبَزَغَ عيسى وأصحابه إلى الله، فَيُرْسِلُ عليهم طيرًا كأعناق البُخْتِ، فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله» انفرد بإخراجه سلم. وعن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿يُحِجُّنَ هذا البيت، وليُعْتَمِرْنَ بعد خروج يأجوج ومأجوج﴾ [انفرد بإخراجه البخاري].

وقوله: ﴿وَأَقْرَبَ الزَّوْعِدُ الْحَقُّ﴾ يعني: يوم القيامة، إذا حصلت هذه الأهوال والزلازل والبلابل، أُرْفَت الساعة واقربت، فإذا كانت وَوَقَعَت قال الكافرون: ﴿هَذَا يَوْمٌ عَرِيرٌ﴾ [النمر: ٨]. ولهذا قال تعالى: ﴿فَإِذَا هُمْ شَرُّهُ شَرُّهُ أَتَصْنَعُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: من شدة ما يشاهدونه من الأمور العظام: ﴿يَتَوَلَّيْنَا﴾ أي: يقولون: ﴿يَتَوَلَّيْنَا قَدَكُنَّا فِي عَقْلٍ وَنَ هَذَا﴾ أي: في الدنيا، ﴿بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ يعترفون بظلمهم لأنفسهم حيث لا ينفعهم ذلك.

الآية (٩٨-١٠١): يقول تعالى مخاطباً لأهل مكة من مشركي قريش، ومن دان بدينهم: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ قال ابن عباس: أي وقودها؛ يعني كقوله: ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحریم: ٦]. وقال مجاهد وعكرمة وقادة: حطبها. وقال الضحاك: ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ أي: ما يرمى به فيها. وكذا قال غيره. والجمع قريب. ﴿أَنْتُمْ لَهَا رُزْدُونَ﴾ أي: داخلون.

﴿لَوْ كَانَتْ هَذِهِ آيَةً لَّكُنَّا لَكَادُومِينَ﴾ يعني: لو كانت هذه الأصنام والأنداد التي اتخذوها من دون الله آية صحيحة لَآوَدُوا النار، وَلَآوَدُوا دخلوها، ﴿وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ أي: العابدون ومعبوداتهم، كلهم فيها خالدون. ﴿لَهُمْ فِيهَا زُفُورٌ﴾ كما قال: ﴿لَهُمْ فِيهَا زُفُورٌ﴾ [مرد: ١٠٦]. والزفير: خروج أنفاسهم، والشهيق: ولوج أنفاسهم، ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾.

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى﴾ قال عكرمة: الرحمة. وقال غيره: السعادة. ﴿أُولَئِكَ مَتَّعْنَا مَعْدُونٌ﴾ لَمَّا ذكر تعالى أهل النار وعذابهم بسبب شركهم بالله، عَقَفَ بِذِكْرِ السعداء من المؤمنين بالله ورسله، وهم الذين سَبَقَتْ لهم من الله السعادة، وأسلفوا الأعمال الصالحة في الدنيا؛ كما قال: ﴿الَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمُنَاسِقَةٍ زِيَادَةً﴾ [يونس: ٢٦]، فكما أحسنوا العمل في الدنيا، أحسن الله ما لهم وثوابهم، فنجَّاهم من العذاب، وحصل لهم جزيل الثواب، فقال: ﴿أُولَئِكَ مَتَّعْنَا مَعْدُونٌ﴾.

الآية (٩١): هكذا يذكر تعالى قصة مريم وابنها عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مبرونة بقصة زكريا وابنه يحيى -عليهما السلام- فيذكر أولاً قصة زكريا، ثم يُنبِئها بقصة مريم؛ لأن تلك مربوطة بهذه، فإنها إيجاد ولد من شيخ كبير قد طعن في السن، ومن امرأة عجوز عاقرة لم تكن تلد في حال شبابها، ثم يذكر قصة مريم وهي أعجب؛ فإنها إيجاد ولد من أنثى بلا ذكر. ﴿وَالَّتِي أَحْصَيْتُ فَجْعَهَا﴾ يعني: مريم -عليها السلام- كما قال: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَيْتُ فَجْعَهَا فَنَنفَخْتُ فِيهَا مِن رُّوحِي﴾ [التحریم: ١٢].

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَأَبْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ أي: دلالة على أن الله على كل شيء قدير، وأنه يخلق ما يشاء، ﴿وَأَنَّا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]. وهذا كقوله: ﴿وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ [مريم: ٢١].

الآية (٩٢-٩٤): قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبّير وابن أسلم في قوله: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ يقول: دينكم دين واحد. وقال الحسن البصري: بَيَّنَّ لهم ما يتَّقُونَ وما يأتون ثم قال: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أي: سُبُكُم سنة واحدة. أي: هذه شريعتم التي بُيِّنَتْ لكم ووُضِّحَتْ لكم. وقوله: ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ نصب على الحال؛ ولهذا قال: ﴿وَأَنَّا رُزِقْنَا فَعْبُدُونِي﴾؛ كما قال: ﴿وَلِأَنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَّا رُزِقْنَا فَعْبُدُونِي﴾ [المؤمن: ٥٢]، وقال رسول الله ﷺ: «نحن معشر الأنبياء أولاد علات، ديننا واحد» [متفق عليه]، يعني: أن المقصود هو عبادة الله وحده لا شريك له بشرائع متنوعة لرسله؛ كما قال تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]. وقوله: ﴿وَيَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾ أي: اختلفت الأمم على رسلها؛ فمن بين مُصَدِّقٍ لهم ومُكَذِّبٍ؛ ولهذا قال: ﴿كُلُّ إِلَٰهٍ لِّرَبِّهِمْ كَافِرٌ﴾ أي: يوم القيامة، فَيُجَازَى كُلٌّ بحسب عمله؛ إن خيراً فخير، وإن شراً فشر؛ ولهذا قال: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ أي: قلبه مُصَدِّقٌ، وعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا ﴿فَلَا كُفْرَانَ لِّسَنِيهِ﴾ كقوله: ﴿وَأَنَّا لَا نَفْضِيحُ أَمْرًا مِّنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٣٠] أي: لا يُكْفَرُ سَعْيُهُ، وهو عمله، بل يُشْكِرُ، فلا يُظْلَمُ مثقال ذرة؛ ولهذا قال: ﴿وَلِإِنَّا لَهُ كَنُزُوتٌ﴾ أي: يكتب جميع عمله، فلا يضيع عليه منه شيء.

الآية (٩٥-٩٧): ﴿وَحَرَّمْ عَلَى قَرِينَةٍ﴾ قال ابن عباس: وَجِبَ، يعني: قَدَرًا مُقَدَّرًا أن أهل كل قرية أهلوا أنهم لا يرجعون إلى الدنيا قبل يوم القيامة. هكذا صَرَّحَ به ابن عباس وقادة وغير واحد. وقوله: ﴿حَوَازٍ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ [وهم] من سلالة آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، بل هم من نسل نوح أيضاً، تركوا من وراء السِّدِّ الذي بناه ذو القرنين، وقال: ﴿هَذَا رَحْمَةٌ مِن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ [الكهف: ٩٨].

﴿وَهُمْ يَنَ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ أي: يُسْرِعُونَ في المشي إلى الفساد والحلْبَد؛ هو المرتفع من الأرض، قاله ابن عباس وعكرمة والثوري وغيرهم، وهذه صفتهم في حال خروجهم؛ كَأَنَّ السامع مشاهد لذلك، ﴿وَلَا يَبْنِيكَ مِثْلَ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤]. هذا إخبار عالم ما كان وما يكون، الذي يعلم غيب السموات والأرض، لا إله إلا هو. وقد ورد ذكر خروجهم في أحاديث متعددة من السنة النبوية

(١) الْعَرَبُ يَقُولُ: مَا لِي بِهِ يَدٌ أَيْ مَا لِي بِهِ قُوَّةٌ وَمَا لِي بِهِ يَدَانِ وَمَا لِي بِهِ يَدٌ أَيْ أَيْدِي

قُوَّةٌ. [لسان العرب، مادة (يد)].

(٢) فَحَوَزَ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ: أَيْ شَمَّهْمُ إِلَيْهِ. [النهاية في غريب الحديث والأثر] وفي نسخة لصحيح مسلم: (فَحَوَزَ) بِالرَّاءِ.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿وَأَلْقَى أَخَصَصْتَ فَرَجَهَا فَفَتَحْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ ٥١  
 مائة للعالَمين

هكذا يذكر تعالى قصة مريم وابنها عيسى -عليهما السلام- مقرونة بقصة زكريا وابنه يحيى -عليهما السلام- فيذكر أولاً قصة زكريا، ثم يتبعها قصة مريم: لأن تلك مربوطّة بهذه؛ فإنها إبداع ولد من شيخ كبير قد طعن في السن، ومن امرأة عجوز عاقر لم تكن تلد في حال شبابها، ثم يذكر قصة مريم وهي أعجب؛ فإنها إبداع ولد من أنثى بلا ذكر، هكذا وقع في سورة آل عمران، وفي سورة مريم، وههنا، ابن كثير: ١٨٩/٣. السؤال: كثيراً ما يقرن ذكر قصة مريم وعيسى بقصة يحيى وزكريا عليهم السلام، فلماذا؟

﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون﴾

أي: هؤلاء الرسل المذكورون هم أممكم، وأنتمكم الذين بهم تأتمنون، ويهديهم تقتدون: كلهم على دين واحد، وصراط واحد، والرب أيضاً واحد، ولهذا قال: (وَأَنَا رَبُّكُمْ). السعدي: ٥٣.

السؤال: كيف تكون جميع الرسل واتباعها أمّة واحدة؟

﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون﴾ ٥١  
 وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلُّ إِلَهَةٍ رَجُوعٌ

أي: هذه أممكم ما دامت أمّة واحدة، واجتمعتم على التوحيد، فإذا تفرقتم وخالفتم فليس من خالف الحق من جملة أهل الدين الحق. القرطبي: ٧٨٣/٤. السؤال: بين منزلة الاجتماع على الحق، وترك الافتراق.

﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون﴾

ومعنى كونها واحدة، أنها تؤخّذ الله تعالى؛ فليس دونه إله، وهذا حال شرائع التوحيد، وبخلافها أديان الشرك؛ فإنها لتعدد آلهتها تتشعب إلى عدة أديان؛ لأن لكل صنم عبادة واتباعاً، وإن كان يجمعها وصف الشرك. ابن عاشور: ١٧/٤١. السؤال: التوحيد يوحد الأمّة، والشرك يفرقها، بين ذلك.

﴿وَأَقْرَبَ الْوَعْدِ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾

ففي ذلك اليوم ترى أبصار الكفار شاخِصة من شدة الأفزع، والأهوال المزعجة، والقلال المفضضة، وما كانوا يعرفون من جناياتهم وذنوبهم، وأنهم يدعون بالويل والثبور، والندم والحسرة على ما فات. السعدي: ٥٣. السؤال: ما سبب شخوص أبصار الذين كفروا يوم القيامة؟

﴿إِنَّكُمْ وَمَنْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾

وأنما يخرج من هذا من عبّد مع كراهته لأن يُعبّد ويطلق في معصية الله؛ فهم الذين سبق لهم الحسنى؛ كالسيح، والعزير، وغيرهما، فأولئك (مبعدون). ابن تيمية: ٣٩٣/٤.

السؤال: المسيح - عليه السلام - والحسين - رضي الله عنه - والجيلاني - رحمه الله - عبّدوا من دون الله، فهل يدخلون في الآية؟ ولماذا؟

﴿إِنَّكُمْ وَمَنْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ والحكمة في دخول الأصنام النار - وهي جماد لا تعقل، وليس عليها

ذنب - بيان كذب من اتخذها آلهة، وليزداد عذابهم. السعدي: ٥٣١.

السؤال: ما الحكمة في دخول الأصنام النار؟

وَأَلْقَى أَخَصَصْتَ فَرَجَهَا فَفَتَحْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ٥١  
 أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون ٥٢  
 وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلُّ إِلَهَةٍ رَجُوعٌ ٥٣  
 فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَنُوزٌ ٥٤  
 وَأَهْلُكَ نَتَّبِعُهُمْ إِنَّمَا يُرِجِعُونَ ٥٥  
 حَقٌّ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ٥٦  
 وَأَقْرَبَ الْوَعْدِ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَإِنَّا لَهُمْ مِتْنًا آفَدٌ كُنَّا فِي عَقْلِهِمْ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ٥٧  
 إِنَّكُمْ وَمَنْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ٥٨  
 هَؤُلَاءِ آيَةُ اللَّهِ مَا وَرَدُوا كُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ٥٩  
 لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ٦٠  
 إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ٦١

٣٣٠

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ	اختلفوا على رسلهم، وتفرقوا.
فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ	فلا جُحود بعمله.
حَدَبٍ	مرتفع من الأرض.
يَنْسِلُونَ	يسرعون.
شَاخِصَةٌ	مفتوحة لا تكاد تطرف.
حَصَبُ جَهَنَّمَ	وقودها، وحطبها.

## ● العمل بالآيات

١. تموّد بالله من فتنة ياجوج وماجوج، ﴿حَقٌّ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾.

٢. زور المقبرة؛ حتى لا تكون في غفلة من آخرتك، ﴿وَأَقْرَبَ الْوَعْدِ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا بَيْنَهُمْ قَدْ كُنَّا فِي عَقْلِهِمْ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾.

٣. سل الله تعالى أن تكون ممن سبق لهم من الله تعالى الحسنى، وأن تكون من المبعدين عن جهنم، ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾.

## ● التوجيهات

١. فضيلة العفة والحياء واحسان الفرج، ﴿وَأَلْقَى أَخَصَصْتَ فَرَجَهَا فَفَتَحْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾.

٢. التوحيد الخالص عمدة وإساس لتوحيد الأمّة الإسلامية، ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون﴾.

٣. الإيمان شرط لقبول الصالحات، ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَنُوزٌ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

● ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرَقُ الْأَكْبَرُ﴾

والفرق الأكبر: أهوال يوم القيامة والبعث ... وقال الحسن: هو وقت يؤمر بالعباد إلى النار، وقال ابن جريج وسعيد بن جبير والضحاك: هو إذا أطيقت النار على أهلها، وذبح الموت بين الجنة والنار. القرطبي: ١٤/٢٩٥.

السؤال: لماذا لا يحزن المؤمنون في الآخرة من الفرق الأكبر؟

● ﴿يَوْمَ تَطْوِي السَّمَاءَ كُلِّي السَّجَلِ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾

روى مسلم عن ابن عباس قال: قام فينا رسول الله بموعظة فقال: «يا أيها الناس إنكم تحشرون إلى الله خفة عراة غرلاً: (كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين)». ابن عاشور: ١٧/١٦١.

السؤال: من خلال الآية الكريمة وضع كيف كان يعظ الناس بالقرآن الكريم.

● ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرْثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾

الأرض هنا على الإطلاق في مشارق الأرض ومغاربها، وقيل: الأرض المقدسة، وقيل: أرض الجنة والأول أظهر. والعباد الصالحون: أمة محمد ﷺ. ففي الآية ثناء عليهم، وإخبار بظهور غيب مصداقه في الوجود؛ إذ فتح

الله لهذه الأمة مشارق الأرض ومغاربها. ابن جزي: ٤٦/٢.

السؤال: ما صفة الذين وعدهم الله بوراثة الأرض؟

● ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرْثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾

قال ابن عباس رضي الله عنهما: أراد أن أراضي الكفار يفتحها المسلمون، وهذا حكم من الله يظاهر الدين، وإعزاز المسلمين. البغوي: ٣/١٩٦.

السؤال: في الآية بشرى للصالحين، فما هي؟

● ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾

والمعنى على كل وجه: أن الله رحم العالمين بإرسال سيدنا محمد ﷺ لأنه جاءهم بالسعادة الكبرى، والنجاة من الشقاوة العظمى، ونالوا على يديه الخيرات الكثيرة في الآخرة والأولى، وعلمهم بعد الجاهلية، وهداهم بعد الضلالة. ابن جزي: ٤٦/٢.

السؤال: كيف كان النبي ﷺ هو الرحمة المهداة؟

● ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾

إن قيل: رحمة للعالمين عموم، والكفار لم يرحموا به؟ فالجواب من وجهين: أحدهما: أنهم كانوا معرضين للرحمة به لو آمنوا؛ فهم الذين تركوا الرحمة بعد تعريضها لهم، والآخر: أنهم رحموا به؛ لكونهم لم يعاقبوا بمثل ما عوقب به الكفار المتقدمون من الطوفان، والصيحة، وشبه ذلك. ابن جزي: ٤٦/٢.

السؤال: ما الجواب على من قال: (رحمة للعالمين) عموم، والكفار لم يرحموا به؟

● ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾

عن ابن عباس في قوله: (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) قال: تمت الرحمة لمن آمن به في الدنيا والآخرة، ومن لم يؤمن به عوِّجَ مما أصاب الأمم قبل. الطبري: ١٨/٥٥٢.

السؤال: كيف صار نبينا محمد ﷺ رحمة للمؤمن به والكافر؟

لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿٣١﴾ لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرَقُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تَطْوِي السَّمَاءَ كُلِّي السَّجَلِ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرْثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿٣٤﴾ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَادِينَ ﴿٣٥﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ قُلْ إِنَّمَا بُوِحِيَ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ وَإِنْ أَذِرْتُ أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدُ مَا تُوعَدُونَ ﴿٣٨﴾ إِنَّهُ بِعِلْمِهِ الْجَهَنَّمِ مِنَ الْقَوْلِ يَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿٣٩﴾ وَإِنْ أَذِرُ لَعَلَّهِمْ فَتْنَةً لِّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴿٤٠﴾ قُلْ رَبِّ أَحْكَمْ بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿٤١﴾

سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ

١١٢ آيَاتٍ

٣٣١

## ● معاني الكلمات

المعنى	الكلمة
صَوْتُ لَهَيْبِهَا، وَاحْتِرَاقِ الْأَجْسَادِ فِيهَا.	حَسِيسَهَا
الهُولُ الْأَعْظَمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.	الْفَرَقُ الْأَكْبَرُ
كَمَا تَطْوِي الصَّحِيفَةَ عَلَى مَا كَتَبَ فِيهَا.	كُطِّي السَّجَلِ لِلْكُتُبِ
الْكُتُبُ الْمُنَزَّلَةُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ.	الزَّبُورُ
اللُّوْحُ الْمَحْفُوظُ	الذِّكْرُ
أَعْلَمْتُمْكُمَا مَا أَمَرْتُ بِهِ.	آذَنْتُكُمْ
أَنَا وَأَنْتُمْ مُسْتَوُونَ فِي الْعِلْمِ بِهِ.	عَلَى سَوَاءٍ

## ● العمل بالآيات

١. ادع الله تعالى أن يمكن لعباده الصالحين في الأرض، ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرْثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾.
٢. انشر رسالة تبين فيها مظاهر رحمة النبي ﷺ بالخلق، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾.
٣. اطلب الاستعانة بالله على كل عمل تعمله، ﴿وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾.

## ● التوجيهات

١. العبادة والصلاح سبب لوراثة الأرض، ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرْثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾.
٢. تمسك بهذا القرآن، واحفظه، وتعلم معانيه؛ فإن فيه بلاغاً شافياً كافياً لمن تمسك به، ﴿إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَادِينَ﴾.
٣. اتزامك بأنواع العبادات هو سبب التوفيق لفهم القرآن الكريم، والعمل به، ﴿إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَادِينَ﴾.

الآية (١٠٢-١٠٣): ﴿لَا تَسْمَعُونَ حَيِّسَهَا﴾ أي: حريقها في الأجساد. ﴿وَعَمَّ فِي مَا أَشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَلْدُونَ﴾ فسلمتهم من المحذور والمروء، وحصل لهم المطلوب والمحبوب.

قال ابن عباس: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾، ثم استثنى فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى﴾ فيقال: هم الملائكة وعيسى ونحو ذلك مما يعبد من دون الله ﷻ. وكذا قال عكرمة والحسن وابن جريج. وقوله: ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ قيل: المراد بذلك الموت. وقيل: المراد بالفزع الأكبر: النفخة في الصُّور. وقيل: حين يُذْبَح الموت بين الجنة والنار. ﴿وَنُلْقِيَهُمْ فِي النَّارِ﴾ هذا يومكم الذي كنتم تُوعِدُونَ يعني: تقول لهم الملائكة، يُبَشِّرُهُمْ يوم معادهم إذا خَرَجُوا من قبورهم: ﴿هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعِدُونَ﴾ أي: قابِلُوا ما يَسُرُّكُمْ.

الآية (١٠٤): يقول تعالى: هذا كائن يوم القيامة ﴿يَوْمَ تَطْوِي السَّمَاءَ كَلْفِي السَّجَلِ﴾، كما قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا بِيَضِّهِ يَوْمَ الْفَيْصَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ يَبِيئِينَ﴾. سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ [الزمر: ٦٧]، وروى البخاري عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَقْبِضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْأَرْضَيْنِ، وَتَكُونُ السَّمَوَاتُ بِيَمِينِهِ﴾.

وقوله: ﴿كَلْفِي السَّجَلِ﴾ للكُتُبِ، قيل: المراد بالسَّجَل: الكتاب. وقيل: ملك من الملائكة.

والصحيح عن ابن عباس أن السَّجَل هي الصحيفة، ونَصَّ على ذلك مجاهد وقتادة وغير واحد. واختاره ابن جرير؛ لأنه المعروف في اللغة، فعلى هذا يكون معنى الكلام: ﴿يَوْمَ تَطْوِي السَّمَاءَ كَلْفِي السَّجَلِ﴾ أي: على الكتاب، بمعنى المكتوب، والله أعلم. وقوله: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا﴾ يعني: هذا كائن لا محالة، يوم يُعيد الله الخلاق خلقًا جديدًا، كما بَدَأَهُمْ هو القادر على إعادتهم، وذلك واجب الوقوع؛ لأنه من جملة وعْدِ الله الذي لا يُخْلَفُ ولا يُبَدَّلُ، وهو القادر على ذلك؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾. وعن ابن عباس قال: قام فينا رسول الله ﷺ بموعظة فقال: ﴿إنكم محشورون إلى الله ﷻ خُفَاءَ غُرَاءَ غُرْلًا﴾ ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [متفق عليه].

الآية (١٠٥-١٠٧): يقول تعالى مُخْرِجًا عَمَّا حَتَمَهُ وَقَضَاهُ لعباده الصالحين من السعادة في الدنيا والآخرة، ووراثه الأرض في الدنيا والآخرة. وأخير تعالى أن هذا مسطور في الكتب الشرعية والقدرية فهو كائن لا محالة؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ قال سعيد بن جبيرة: الزبور: التوراة والإنجيل والقرآن. وقال ابن عباس وقتادة وغير واحد: الزبور: الذي أنزل على داود، والذِّكْر: التوراة، وعن ابن عباس: الزبور: القرآن. وقال مجاهد: الزبور: الكتب بعد الذِّكْرِ، والذِّكْر: أم الكتاب عند الله. واختار ذلك ابن جرير رحمه الله. وقال ابن عباس: أخبر الله سبحانه في التوراة

والزبور وسابق علمه قبل أن تكون السموات والأرض: أن يُورَثَ أُمَّةٌ محمد ﷺ الأرض وَيُذْخِلَهُمُ الْجَنَّةَ، وهم الصالحون. وعن ابن عباس: ﴿أَنَّكَ الْأَرْضُ رِثَّتُهَا عِبَادِي الصَّالِحُونَ﴾ قال: أرض الجنة. وكذا قال مجاهد وسعيد بن جبيرة والشعبي وقتادة وغيرهم.

وقوله: ﴿إِنَّ فِي هَذَا لَلْبَلَاءِ لَعُوبَةً عِبَدِينَ﴾ أي: إن في هذا القرآن الذي أنزلناه على عبدنا محمد ﷺ ﴿لَلْبَلَاءِ﴾: لمنفعة وكفاية ﴿لَعُوبَةٍ عِبَدِينَ﴾ وهم الذين عبدوا الله بما شَرَعَهُ وَأَحَبَّهُ وَرَضِيَهُ، وآثَرُوا طاعة الله على طاعة الشيطان وشهوات أنفسهم.

وقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ يُخَبِّرُ تعالى أن الله جَعَلَ محمدًا ﷺ رحمة للعالمين، أي: أرسله رحمة لهم كلهم، فمن قَبِلَ هذه الرحمة وَشَكَرَ هذه النعمة سعد في الدنيا والآخرة، ومن رَدَّهَا وَجَحَدَهَا خَسِرَ في الدنيا والآخرة، وعن أبي هريرة قال: قيل: يا رسول الله، ادْعُ على المشركين، قال: ﴿إِنِّي لَمْ أَبْعَثْ لَعْنًا، وَإِنِّي أَبْعَثْتُ رَحْمَةً﴾ انفراد بإخراجه مسلم. فإن قيل: فأَيُّ رَحْمَةٍ حَصَلَتْ لِمَنْ كَفَرَ بِهِ؟ فالجواب: عن ابن عباس قال: من آمن بالله واليوم الآخر، نُحِبَّ لَهُ الرحمة في الدنيا والآخرة، ومن لم يؤمن بالله ورسوله عُوفِيَ مِمَّا أَصَابَ الْأُمَمَ مِنَ الْحَسَفِ وَالْقُدْفِ.

الآية (١٠٨-١١٢): يقول تعالى أَمَرَ رسول الله ﷺ أن يقول للمشركون: ﴿إِنَّمَا يُدْعِي إِلَى آسَاءِ أَلْسِنَتِكُمْ إِلَهُهُ وَإِلَهُ وَحْدَهُ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ أي: مُتَّبِعُونَ على ذلك، مستسلمون مُتَقَادُونَ له.

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أي: تَرَكُوا ما دَعَوْتَهُمْ إليه ﴿فَقَدْ أَذَنْتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾ أي: أعلمتكم أني خَرَبْتُ لكم، كما أنكم خَرَبْتُ لي، بَرِيءٌ مِنْكُمْ كما أنكم بُرَأْتُمْ مِنِّي. وقوله: ﴿وَإِنْ أَذْرَبْتَ أَبْرَأَ مِنْكَ بَعِيدًا مَّا تُوعَدُونَ﴾ أي: هو واقع لا محالة، ولكن لا عِلْمَ لي بِقَرْبِهِ ولا بِبُعْدِهِ ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهَنَّمَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾ أي: إن الله يَعْلَمُ الْغَيْبَ جَمِيعَهُ، وَيَعْلَمُ مَا يُظْهِرُهُ الْعِبَادَ وما يُبْشِرُونَ، يَعْلَمُ الظواهر والضمائر، وَيَعْلَمُ السِّرَّ وأُخْفَى، وَيَعْلَمُ ما الْعِبَادَ عاملون في أَجْهَارِهِمْ وَأَسْرَارِهِمْ، وَسَيَجْزِيهِمْ على ذلك، على القليل والجليل.

وقوله: ﴿وَإِنْ أَذْرَبْتَ لَعَلَّاهُ فَنَسْنَأْ لَكَ وَمَتَّعْ إِلَى حِينٍ﴾ أي: وما أدري لعل هذا فَنَةٌ لكم ومتاعٌ إلى حين، قال ابن جرير: لعل تأخير ذلك عنكم فَنَةٌ لكم، ومتاعٌ إلى أَجَلٍ مُّسَمًّى. وحكاة عون عن ابن عباس، والله أعلم. ﴿قُلْ رَبِّ أَسْكُنْ لِي بَلَدًا﴾ أي: أَفْضَلُ بَيْنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا الْمُكْذِبِينَ بِالْحَقِّ. قال قتادة: كان الأنبياء -عليهم السلام- يقولون: ﴿رَبَّنَا أَنْتَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩]، وأمر رسول الله ﷺ أن يقول ذلك. ﴿وَرَبَّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا يَصِفُونَ﴾ أي: على ما يقولون ويفترون من الكذب، ويتنوعون في مقامات التكذيب والإفك، والله المستعان عليهم في ذلك.

[مدنية، وآياتها (٧٨) آية].

الآية (١-٢): يقول تعالى أمراً عباده بتقواه، وخبراً لهم بما يستقبلون من أهوال يوم القيامة وزلازها وأحوالها. وقد اختلف المفسرون في زلزلة الساعة: هل هي بعد قيام الناس من قبورهم يوم نُشورهم إلى عَرَصات القيامة، أو ذلك عبارة عن زلزلة الأرض قبل قيام الناس من أجدانهم؛ كما قال تعالى: ﴿هَٰذَا زَلْزَلَتِ الْأَرْضُ زَلَّٰزَمَآ ۖ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۚ﴾ [الزلزلة: ١-٢]. فقال قائلون: هذه الزلزلة كائنة في آخر عُمر الدنيا، وأول أحوال الساعة. وعن علقمة قال: قبل الساعة. وقال الشعبي: هذا في الدنيا قبل يوم القيامة. [ف] هذه الزلزلة كائنة قبل يوم الساعة، وأُضيفت إلى الساعة لقربها منها، كما يُقال: أشرط الساعة ونحو ذلك، والله أعلم.

وقال آخرون: بل ذلك هَوَلٌ وَفَزَعٌ وَزَلْزَالٌ وَلِبَّالٌ كائن يوم القيامة في العَرَصات، بعد القيامة من القبور. واختار ذلك ابن جرير. واحتجوا بأحاديث [منها حديث] أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى يوم القيامة: يا آدم! فيقول: لبيك ربنا وسعديك. فينادي بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بمنّا إلى النار. قال: يا رب، وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين. فحينئذ تضع الحامل حملها، ويشيب الوليد، وتري الناس سُكْرَى وَمَا هُمْ بِسُكْرَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ...» [متفق عليه]. ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۖ أَيُّ أَمْرٍ كَبِيرٍ، وَخُطْبٌ جَلِيلٌ، وَطَارِقٌ مُفْطِحٌ، وَحَادِثٌ هَائِلٌ، وَكَائِنٌ عَجِيبٌ. والزلازل: ما يحصل للنفس من الفزع والرعب.

ثم قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا ۚ هَٰذَا مِنْ بَابِ ضَمِيرِ الشَّانِ؛ ولهذا قال مفسراً له: ﴿بَنَدَلٌ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ ۖ أَيُّ تَشْتَقِلُ -لِيَهْوَلَ مَا تَرَى- عن أحب الناس إليها، والتي هي أشفق الناس عليه، تدهش عنه في حال إرضاعها له؛ ولهذا قال: ﴿كُلُّ مُرْضِعَةٍ ۖ، ولم يقل: «مرضع»، وقال: ﴿عَمَّا أَرْضَعَتْ ۖ أَيُّ: عن رضيعها قبل فظامه. ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَلْيٍ حَمْلَهَا ۖ أَيُّ: قبل تمامه لإشدة الهول، ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكْرَى ۖ أَيُّ: من شدة الأمر الذي صاروا فيه قد ذهبت عقولهم، وغابت أذهانهم، فمن رآهم حبيب أنهم سُكْرَى، ﴿وَمَا هُمْ بِسُكْرَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ۖ.

الآية (٣-٤): يقول تعالى دائماً من كُذِّبَ بالبعث، وأنكر قدرة الله على إحياء الموتى، مُعْرِضاً عَمَّا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى أَنْبِيَائِهِ، مُتَّبِعاً في قوله وإنكاره وكفره كُلُّ شَيْطَانٍ مُرِيدٍ مِنَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ، وهذا حال أهل الضلال والبدع، المعرضين عن الحق، المُتَّبِعِينَ للباطل؛ يتركون ما أنزله الله على رسوله من الحق المبين، ويتبعون أقوال رؤوس الضلالة، الدعاة إلى البدع بالأهواء والآراء، ولهذا قال في شأنهم وأشباههم: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ أَيُّ: علم صحيح، ﴿وَيَتَّبِعُ كُلُّ شَيْطَانٍ مُرِيدٍ ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ ۖ قال مجاهد: يعني الشيطان،

يعني: حُبَّ عليه كتابة قدرته ﴿أَنَّهُ مِنْ ذُلَّاهُ ۖ أَيُّ: اتَّبَعَهُ وَقَلَّدهُ، ﴿فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ۖ أَيُّ: يُضِلُّهُ في الدنيا ويقوده في الآخرة إلى عذاب السعير، وهو الحارُّ المُوْجَّعُ المُتَّقِلِقُ.

الآية (٥): لَمَّا ذَكَرَ تعالى المخالف للبعث، المنكر للمعاد، ذَكَرَ تعالى الدليل على قدرته تعالى على المعاد، بما يشاهد من بَدَنِهِ للخلق، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ ۖ أَيُّ: في شك ۖ مِنَ الْبَيْتِ ۖ وهو المعاد وقيام الأرواح والأجساد يوم القيامة ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ۖ أَيُّ: أصل بَرْنِه لَكُمْ من تراب، وهو الذي خُلِقَ منه آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ۖ أَيُّ: ثم جعل نَسْلَهُ من سلالة من ماء مهين، ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ ۖ ذلك أنه إذا استقرت النطفة في رَجَمِ المرأة تَكَثَّتْ أربعين يوماً كذلك، يُضَافُ إليه ما يَجْمَعُ إليها، ثم تَنَقِّلُبُ عِلْقَةً حَرَاءَ بِإِذْنِ اللَّهِ، فَتَمُكُثُ كذلك أربعين يوماً، ثم تستحيل فتصير مضغة -قطعة من لحم لا شَكْلَ فيها ولا تخطيط- ثم يَتَشَرَّعُ في التشكيل والتخطيط، فيُصَوِّرُ منها رأساً ويَدَانِ، وَصَدْرَ وَبَطْنَ، وفخذان ورجلان، وسائر الأعضاء. فَتَآرُ نَسْقِطُهَا المرأة قبل التشكيل والتخطيط، وتَآرُ تَلْقِيهَا وقد صارت ذات شَكْلٍ وتخطيط؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ ۖ أَيُّ: كما تشاهدونها. ﴿لَنَسِيتَ لَكُمْ تَعْوِذِي ۖ الْأَرْحَامَ مَنَآئِكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى ۖ أَيُّ: وتارة تستقر في الرحم لا تلقيها المرأة ولا تُسْقِطُها؛ عن ابن مسعود قال: حدثنا رسول الله ﷺ -وهو الصادق المصدوق-: «إِنْ خُلِقَ أَحَدُكُمْ يَجْمَعُ في بطن أمه أربعين ليلة، ثم يكون عِلْقَةً مثل ذلك، ثم يكون مُضْغَةً مثل ذلك، ثم يَبْعَثُ اللهُ إِلَيْهِ الْمَلِكَ فيُؤَمِّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكُتِّبَ عَمَلُهُ وَأَجَلُهُ وَرِزْقُهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثم يُنْفَخُ فيه الروح» [متفق عليه]. وقوله: ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ مُطْفَأَةً ۖ أَيُّ: ضعیفاً في بدنه، وسمعه وبصره وحواسه، وبطئته وعقله. ثم يعطيه الله القوة شيئاً فشيئاً، ويلطف به، ويُخَيِّنُ عليه والديه في آتاء الليل وأطراف النهار؛ ولهذا قال: ﴿ثُمَّ لِيَسْأَلَنَّكُمْ أَشَدَّكُمْ ۖ أَيُّ: يتكامل القوى ويتزايد، ويصل إلى عُتُقُونِ الشَّيْبِ وَحُسْنِ الْمَنْظَرِ، ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يَرْوُفٌ ۖ أَيُّ: في حال شبابه وقواه، ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يَرُدَّ إِلَىٰ أَرْدَى الْأُمْرِ ۖ وهو الشيخوخة والهَرَمُ وضعف القوة والعقل والفهم، وتناقص الأحوال من الحَرَفِ وَضَعْفِ الْفِكْرِ؛ ولهذا قال: ﴿لِيَكِيلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ۖ. وقوله: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً ۖ هَٰذَا دَلِيلٌ آخَرٌ عَلَىٰ قُدْرَتِهِ تعالى على إحياء الموتى، كما يُخَيِّنُ الْأَرْضَ الْمَيِّتَةَ الْهَامِدَةَ، وهي القَحْلَةُ التي لَا تَبْتُ فيها ولا شيء، ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَلَآءَ اعْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأُكْبِتَتْ مِنْ كُلِّ دُجْعٍ بِهِيجٌ ۖ أَيُّ: فإذا أنزل الله عليها المطر ﴿اعْتَزَّتْ ۖ أَيُّ: تحركت وحييت بعد موتها، ﴿وَرَبَّتْ ۖ أَيُّ: ارتفعت لَمَّا سَكَنَ فيها التَّرى، ثم أنبتت ما فيها من الألوان والفنون، من ثمار وزروع، وأشتات النباتات في اختلاف ألوانها وطعومها، وروائحها وأشكالها ومنافعها؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَأُكْبِتَتْ مِنْ كُلِّ دُجْعٍ بِهِيجٌ ۖ أَيُّ: حَسَنَ الْمَنْظَرِ طَيِّبَ الرِّيحِ.



## ● الوقفات التدريبية

١ ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَتَقُولُوا رَبِّكُمْ﴾

يخاطب الله الناس كافة بأن يتقوا ربهم؛ الذي رباهم بالنعمة الظاهرة والباطنة، فحقيق بهم أن يتقوه، بترك الشرك والفسوق والعصيان، ويمتثلوا أوامره مهما استطاعوا. السعدي: ٥٣٢.

السؤال: لماذا حُصّ ذكر الرب هنا دون سائر أسماء الله وصفاته؟

٢ ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَتَقُولُوا رَبِّكُمْ﴾

يَوْمَ تَرَوْنها تَدْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَضَعُ كُلِّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ٥ وَنَ الْتَائِسَ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ٦ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ٧ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن نَّبَرٍ مِّن نَّطَقَةٍ ثُمَّ مِّن عِلْقَةٍ ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّئَلَّيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ آجَلٍ مَّسْمُومٍ ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِمَّنْ مَّن يَمُوتُ ٨ وَمِمَّنْ مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأُتْبِتَتْ مِن كُلِّ رُوحٍ يَهْبِجُ ٩

فائدة ذكر هولاء ذلك اليوم: التحريض على التاهب له، والاستعداد بالعمل الصالح. القرطبي: ٣١١/٤.

السؤال: ما فائدة ذكر أهوال القيامة؟

١ ﴿يَوْمَ تَرَوْنها تَدْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾

مع أنها مجبولة على شدة محبتها لولدها، خصوصاً في هذه الحال التي لا يعيش إلا بها. السعدي: ٥٣٣.

السؤال: لماذا حُصّت المرضعة بالذكر هنا؟

٢ ﴿يَوْمَ تَرَوْنها تَدْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾

إنما لم يقل مرضع؛ لأن المرضعة هي التي في حال الإرضاع ملقمة لديها للصبى، والمرضع التي شافها أن ترضع وإن لم تبشر الإرضاع في حال وصفها به، فقال: (مرضعة) ليكون ذلك اعظم في الذهول؛ إذ تنزع لديها من فم الصبي حينئذ. ابن جزي: ٤٨/٢.

السؤال: ما الوجه البلاغي في الوصف بـ (مرضعة) دون «مرضع»؟

٣ ﴿وَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾

تشبيهه بالسكارى من شدة الغم. ابن جزي: ٤٩/٢.

السؤال: لم شبههم بالسكارى مع كونهم ليسوا كذلك؟

٤ ﴿وَمَنَ الْتَائِسَ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾

قال الفخر الرازي في تفسيره: هذه الآية بمفهومها تدل على جواز المجادلة الحققة لأن تخصيص المجادلة مع عدم العلم بالدلائل يدل على أن المجادلة مع العلم جائزة، فالمجادلة الباطلة هي المراد من قوله: (ما ضربه لك إلا جدلاً) (الزخرف: ٥٨)، والمجادلة الحققة هي المراد من قوله: (وجادلهم بالتى هي أحسن) (النحل: ١٢٥) أهـ منه. الشنقيطي: ٢٦٣/٤.

السؤال: الجدل نوعان فما هما؟ وما الجائز منهما؟

٥ ﴿وَمَنَ الْتَائِسَ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾

هذه حال الضال المتبع لمن يضل، فلم يحتج إلى تفصيل، فبين أنه يجادل بغير علم، ويتبع كل شيطان مريد؛ كتب على ذلك الشيطان أنه من تولاه فإنه يضل به ويهديه إلى عذاب السعير، وهذه حال مقلد أئمة الضلال بين أهل الكتاب وأهل البدع؛ فإنهم يجادلون في الله بغير علم، ويتبعون من شياطين الجن والإنس من يضلهم. ابن تيمية: ٤٠١/٤.

السؤال: بين خطورة تقليد أئمة الضلال.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المزني

يَأْتِيهَا النَّاسُ أَتَقُولُوا رَبِّكُمْ إِنْ زَلَّالَةُ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ١ يَوْمَ تَرَوْنها تَدْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَضَعُ كُلِّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ٥ وَنَ الْتَائِسَ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ٦ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ٧ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن نَّبَرٍ مِّن نَّطَقَةٍ ثُمَّ مِّن عِلْقَةٍ ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّئَلَّيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ آجَلٍ مَّسْمُومٍ ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِمَّنْ مَّن يَمُوتُ ٨ وَمِمَّنْ مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأُتْبِتَتْ مِن كُلِّ رُوحٍ يَهْبِجُ ٩

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
تَدْهَلُ	تَهْفُؤُ، وَتَنْسَهَلُ.
مَرِيدٍ	مُتَمَرِّدٍ.
عَلَقَةٍ	دَمٍ أَحْمَرٍ غَلِيظٍ تَعَلَّقُ فِي الرَّجَمِ.
مُضْغَةٍ	قِطْعَةٍ لَحْمٍ صَغِيرَةٍ قَدَرُ مَا يُمَضَّغُ.
مُخَلَّقَةٍ	تَامَةِ الْخَلْقِ.

## ● العمل بالآيات

١. صل الله تعالى الأمن يوم الفزع، ثم قل: «اللهم إني أسألك الهدى، والتقى، والعفاف، والفنى»، ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَتَقُولُوا رَبِّكُمْ﴾
٢. الق كلمته، أو ارسل رسالته تبين فيها خطر الجدل في الدين بغير علم، ﴿وَمَنَ الْتَائِسَ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾.
٣. استعد بالله من أن ترد إلى أردل العمر، ﴿وَمِمَّنْ مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾.

## ● التوجيهات

١. تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر أحوالهما وأهوالهما، ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَتَقُولُوا رَبِّكُمْ﴾
٢. حرمة الكلام في شرع الله بغير علم من وحي الله، أو كلام نبوي صحيح، ﴿وَمَنَ الْتَائِسَ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾.
٣. موالات الشياطين واتباعهم فنفضي إلى الضلالة ودخول جهنم وعذاب السعير، ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّثِيرٍ ﴾

فليس عنده علم ضروري، ولا علم مكتسب بالنظر الصحيح العقلي، ولا علم من وحي، فهو جاهل محض من جميع الجهات. الشنقيطي: ٢٨٠/٤.

السؤال: متى يستطيع الإنسان الجدل، أو الحوار؟

﴿ ثَانِي عَطْفِهِ يُضِلُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ ﴾

(له في الدنيا خزي)، وهو الإهانة والذل؛ كما أنه استكبر عن آيات الله لقائه الله المذلة في الدنيا، وعاقبه فيها قبل الآخرة؛ لأنها أكبر همه ومبلغ علمه. ابن كثير: ٢٠٣/٣.

السؤال: لماذا كان جزءا ثاني العطف عند سماع القرآن أن يُدل؟ ولماذا

كان ذله في الدنيا قبل الآخرة؟

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَبْعُدُ اللَّهُ عَنْ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَلِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَيْرٌ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾

نزلت في قوم من الإعراب: كان أحدهم إذا اسلم فاتفق له ما يعجبه في ماله وولده، قال: هذا دين حسن، وإن اتفق له خلاف ذلك تشام به، وارتد عن الإسلام. ابن جزي: ٥٠/٢.

السؤال: ما رأيك فيمن يستقيم أو يدخل في الدين للحصول على المكاسب

الدنيوية فقط؟

﴿ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾

أما في الدنيا؛ فإنه لا يحصل له بالردة ما أمّله الذي جعل الردة رأساً لماله، وعوضاً عما يظن إدراكه، فخاب سعيه، ولم يحصل له إلا ما قسم له. السعدي: ٥٣٥.

السؤال: ما وجه خسارة المرتد للدنيا؟

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَبْعُدُ اللَّهُ عَنْ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَلِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ ﴾

أي: ومن الناس من هو ضعيف الإيمان، لم يدخل الإيمان قلبه، ولم تخالطه بشاشته، بل دخل فيه؛ إما خوفاً، وإما عادة على وجه لا يثبت عند المحن. السعدي: ٥٣٤.

السؤال: ما السبب الذي يجعل إيمان المرء على حَرْفٍ مُّهْذَباً فيه بالزوال؟

﴿ يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْصُرُهُمْ وَمَا لَا يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ۝ يَدْعُوا لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِمْ لَيْسَ لِّلْمَوْلَىٰ وَلَيْسَ الْعَشِيرُ ﴾

(يدعو لمن ضره أقرب من نفعه)، فيها إشكالان: الأول: في المعنى، وهو كونه وصف الأصنام بأنها لا تضر ولا تنفع، ثم وصفها بأن ضرها أقرب من نفعها، فنفي الضر، ثم اثبتته، فالجواب: أن الضر المنفي أولاً يرد به ما يكون من فعلها؛ وهي لا تفعل شيئاً، والضر الثاني: يرد به ما يكون بسببها من العذاب وغيره. ابن جزي: ٥١/٢.

السؤال: كيف وصفت الأصنام بأنها لا تضر ولا تنفع، ثم وصفها بأن

ضرها أقرب من نفعها؟

﴿ يَدْعُوا لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِمْ لَيْسَ لِّلْمَوْلَىٰ وَلَيْسَ الْعَشِيرُ ﴾

لأن شأن المولى جلب النفع لولاه، وشأن العشير جلب الخير لعشيرته، فإذا تخلف ذلك منهما نادراً كان مذمة وغضاضة، فأما أن يكون ذلك منه مطرداً فذلك شر الموالى. ابن عاشور: ٢١٦/١٧.

السؤال: ما سبب كون الأصنام بئس المولى، وبئس العشير؟

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّ الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ وَعَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ۝ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّثِيرٍ ۝ ثَانِي عَطْفِهِ يُضِلُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ ۝ وَنَذِيرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَذَابُ الْحَرِيقِ ۝ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَكَ ۝ وَاللَّهُ لَيْسَ بِظَلِيمٍ لِلْعِيدِ ۝ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَبْعُدُ اللَّهُ عَنْ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَلِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَيْرٌ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ۝ يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْصُرُهُمْ وَمَا لَا يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ۝ يَدْعُوا لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِمْ لَيْسَ لِّلْمَوْلَىٰ وَلَيْسَ الْعَشِيرُ ۝ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۝ وَاللَّهُ يَقَعْلُ مَا يُرِيدُ ۝ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ ۝

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
ثَانِي عَطْفِهِ	لَاوِيًا عُنُقَهُ فِي تَكْبِيرٍ.
عَلَى حَرْفٍ	عَلَى ضَعْفٍ، وَشَكٍّ، وَتَرُدٍّ.
خَيْرٌ	صِحْحًا، وَسَعَةً، رِزْقٍ.
فِتْنَةٌ	إِبْتِلَاءٌ بِمَكْرُوهِ وَشِدْقَةٍ.
الْمَوْلَى	النَّاصِرُ.
ثُمَّ لْيَقْطَعْ	أَي: لْيَقْطَعْ ذَلِكَ الْحَبْلَ.

## ● العمل بالآيات

١. احضر دورة علمية، أو استمع إليها عن طريق التسجيل لتكون على هدى، وعلم، ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّثِيرٍ ﴾.
٢. قل: (رب زدني علماً)، ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّثِيرٍ ﴾.
٣. قل: (اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك)، ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَبْعُدُ اللَّهُ عَنْ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَلِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَيْرٌ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾.

## ● التوجيهات

١. من الجهل الجدل في الدين بغير علم، ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّثِيرٍ ﴾.
٢. من أشد الحرمان والعقوبات أن يزين لك حرب هذا الدين والاجتهاد في ذلك، ﴿ ثَانِي عَطْفِهِ يُضِلُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ ﴾.
٣. احذر من علامة المنافق: عبادة وقت الرخاء، ورده وقت الابتلاء، ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَبْعُدُ اللَّهُ عَنْ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَلِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَيْرٌ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾.

على العبادة، وإن قَسَدَتْ عليه دنياه وتَغَيَّرَتْ، انقلبَ فلا يُقِيم على العبادة إلا لِمَا صَلَحَ من دنياه، فإن أصابته فتنة أو شدة أو اختبار أو ضيق، ترك دينه ورجع إلى الكفر. وقال مجاهد في قوله: ﴿انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ﴾ أي: ارتد كافراً. وقوله: ﴿خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ أي: فلا هو حصل من الدنيا على شيء، وأما الآخرة فقد كَفَرَ بالله العظيم، فهو فيها في غاية الشقاء والإهانة؛ ولهذا قال: ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَسَادُ الْأَكْبَرُ﴾ أي: هذه هي الخسارة العظيمة، والصفقة الخاسرة.

وقوله: ﴿يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْصُرُهُمْ وَمَا لَا يَنْفَعُهُمْ﴾ أي: من الأصنام والأنداد؛ يستغيث بها ويستنصرها ويسترزقها، وهي لا تنفعه ولا تنصره، ﴿ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَاسِطُ﴾ (١٣) يدْعُوا لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ. أي: ضرره في الدنيا قبل الآخرة أقرب من نفعه فيها، وأما في الآخرة فضرره مُحَقَّقٌ مُتَيْقِنٌ.

وقوله: ﴿لَيْسَ الْمَوْلَى﴾ قال مجاهد: يعني الوَلَن، يعني: بنس هذا الذي دعا به من دون الله مولى، يعني: ولياً وناصرًا.

﴿وَلَيْسَ الْعَشِيرُ﴾ وهو المخالط والمعاشر. واختار ابن جرير أن المراد: لبس ابن العم والصاحب من يعبد الله على حَرْفٍ ﴿فَلِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ أَلَمَانَ بِهِ وَلِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ﴾ [الحج: ١١]. وقول مجاهد: إن المراد به الوَلَن، أولى وأقرب إلى سياق الكلام، والله أعلم.

الآية (١٤): لَمَّا ذَكَرَ أَهْلَ الضَّلَالَةِ الْأَشْقِيَاءَ، عَطَفَ بِذِكْرِ الْأَبْرَارِ السَّعَادَةِ، مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا بِقُلُوبِهِمْ، وَصَدَّقُوا لِإِيمَانِهِمْ بِأَعْمَالِهِمْ، فَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ جَمِيعِ أَنْوَاعِ الْقُرْبَاتِ، وَتَرَكُوا الْمُنْكَرَاتِ، فَأَوْفَوْهُمْ ذَلِكَ سُكْنَى الدَّرَجَاتِ الْعَالِيَاتِ، فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ. وَلَمَّا ذَكَرَ أَنَّهُ أَضَلَّ أَوْلَكَ وَهَدَى هَؤُلَاءِ، قَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾.

الآية (١٥): قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنَّ لَنْ يَنْصُرَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴿فَلْيَمْدَدْ بِسَبِّ﴾ أي: بِحَبْلِ ﴿إِلَى السَّمَاءِ﴾ أي: سَاءَ بَيْتِهِ، ثُمَّ لَيَقْطَعْ بِقَوْلِهِ: ثُمَّ لَيُخْتَنِقَنَّ بِهِ. وَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ وَعِكْرَمَةُ وَعَطَاءُ وَأَبُو الْجَوْزَاءِ وَقَتَادَةُ وَغَيْرُهُمْ. وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدٍ: ﴿فَلْيَمْدَدْ بِسَبِّ إِلَى السَّمَاءِ﴾ أي: لِيَتَوَصَّلَ إِلَى بُلُوغِ السَّاءِ؛ فَإِنَّ النُّصْرَ إِنَّمَا يَأْتِي مُحَمَّدًا مِنَ السَّمَاءِ، ثُمَّ لَيَقْطَعْ ذَلِكَ عَنْهُ، إِنَّ قَدْرَ عَلَى ذَلِكَ.

وقول ابن عباس وأصحابه أولى وأظهر في المعنى، وأبلغ في التهكم؛ فَإِنَّ الْمَعْنَى: مَنْ ظَنَّ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِنَاصِرٍ مُحَمَّدًا وَكِتَابَهُ وَدِينَهُ، فَلْيَذْهَبْ فَلْيَقْتُلْ نَفْسَهُ، إِنَّ كَانَ ذَلِكَ غَائِظَةً، فَإِنَّ اللَّهَ نَاصِرُهُ لَا حَالَةَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَنُؤَيِّدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلْسِنَهُمْ﴾ [غافر: ٥١]؛ وَهَذَا قَالَ: ﴿فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُدْهِمُ كَيْدُهُ، مَا يَنْظُرُ﴾ قَالَ السُّدِّيُّ: يَعْنِي: مِنْ شَأْنِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَقَالَ عَطَاءُ الْخِرَاسَانِيُّ: فَلْيَنْظُرْ هَلْ يَشْفِي ذَلِكَ مَا يَجِدُ فِي صَدْرِهِ مِنَ الْغَيْظِ.

الآية (٦-٧): ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَاقُّ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ أي: الْخَالِقُ الْمُدَبِّرُ الْفَعَّالُ لِمَا يَشَاءُ، وَرَأْتَهُ يُحْيِي الْمَوْتِ أَتَى: كَمَا أَحْيَا الْأَرْضَ الْمَيِّتَةَ وَانْبَتَتْ مِنْهَا هَذِهِ الْأَنْوَاعُ؛ ﴿إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُتَّى الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت: ٢٩]؛ فَهَذَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿يَس: ٨٢﴾. ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ أي: كَانَتْ لَا شَكَّ فِيهَا وَلَا مَرِئَةٍ، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ أي: يُعِيدُهُمْ بَعْدَ مَا صَارُوا فِي قُبُورِهِمْ رَمًا، وَيُوجِدُهُمْ بَعْدَ الْعَمَدِ.

الآية (٨-١٠): لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى حَالَ الضَّلَالِ الْجُهَالِ الْمُقْلِدِينَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَجِدُ فِي اللَّهِ يَغْيِرَ عَلَيْهِ وَيَكْرِهُ كُلَّ شَيْءٍ يَخُذُ مِنْ رَأْيِهِ﴾ [الحج: ٣]، ذَكَرَ فِي هَذِهِ حَالَ الدَّعَاةِ إِلَى الضَّلَالِ مِنْ رُؤُوسِ الْكُفْرِ وَالْبِدْعِ، فَقَالَ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَجِدُ فِي اللَّهِ يَغْيِرَ عَلَيْهِ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابَ تُبَيِّنُ﴾، أَي: بِلَا عَقْلٍ صَحِيحٍ، وَلَا نَقْلٍ صَحِيحٍ صَرِيحٍ، بِلَ بَمَجْرَدِ الرَّأْيِ وَالْهَوَى.

وقوله: ﴿ثَانِي عَطْفِهِ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ: مُسْتَكْبِرًا عَنْ الْحَقِّ إِذَا دُعِيَ إِلَيْهِ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ: لَا وَبَى عُنُقِهِ، وَهِيَ رَقَبَتُهُ، يَعْنِي: يُعْرِضُ عَنَّا يُدْعَى إِلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ، وَيَنْتَهِي رَقَبَتُهُ اسْتِكْبَارًا؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا نَسْتَفِزْكُمْ مِنْ آلِ تَارُوتَ إِذْ سَأَلُوهُمْ لَمَن يَنْصُرُنَا بِدَاوُدَ بْنِ هَارُونَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ﴾ [الأنفال: ٥]، وَقَالَ لِقَانُ لَابَنَهُ: ﴿وَلَا تُصَغِرْ حَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ [لقان: ١٨] أَي: فَيُخِلُّهُمْ عَنْهُمْ اسْتِكْبَارًا عَلَيْهِمْ. وَقَوْلُهُ: ﴿لِيُحِيلَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ: هَذِهِ لَامُ الْعَاقِبَةِ؛ لِأَنَّهُ قَدْ لَا يَقْصِدُ ذَلِكَ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ لَامُ التَّعْلِيلِ. ثُمَّ إِمَّا أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِهَا الْمَعَانِدِينَ، أَوْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِهَا أَنْ هَذَا الْفَاعِلُ لَهَا إِنَّمَا جَبَلْنَاهُ عَلَى هَذَا الْحُلُقِ الَّذِي يَجْعَلُهُ مَنْ يُضِلُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ وَهُوَ الْإِهَانَةُ وَالذُّلُّ، كَمَا أَنَّهُ لَمَّا اسْتَكْبَرَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ لَقَاءَهُ اللَّهُ الْمَدْلَّةُ فِي الدُّنْيَا، وَعَاقِبُهُ فِيهَا قَبْلَ الْآخِرَةِ؛ لِأَنَّهُ أَكْبَرُ مَمَّةٍ وَمَبْلَغُ عِلْمِهِ، وَتُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَكَ﴾ أَي: يُقَالُ لَهُ هَذَا تَقْرِيعًا وَتَوْبِيخًا، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلِيمٍ لِلْعَبِيدِ﴾.

الآية (١١-١٣): قَالَ مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ وَغَيْرُهُمَا: ﴿عَلَى حَرْفٍ﴾: عَلَى شَكٍّ، وَقَالَ غَيْرُهُمْ: عَلَى طَرَفٍ. وَمِنْهُ حَرْفُ الْجَبَلِ، أَي: طَرَفُهُ؛ أَي: دَخَلَ فِي الدِّينِ عَلَى طَرَفٍ، فَإِنَّ وَجَدَ مَا يُجِبُّ اسْتِقْرًا، وَإِلَّا انْتَشَرَ.

[سبب النزول]: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ نَاسٌ مِنَ الْأَعْرَابِ يَأْتُونَ النَّبِيَّ ﷺ فَيَسْتَلِمُونَ، فَإِذَا رَجَعُوا إِلَى بِلَادِهِمْ، فَإِنْ وَجَدُوا عَامَ غَيْثٍ وَعَامَ خُضْبٍ وَعَامَ وَلَا دَ حَسَنٍ، قَالُوا: إِنَّ دِينَنَا هَذَا لِصَالِحٍ، فَتَمَسَّكُوا بِهِ، وَإِنْ وَجَدُوا عَامَ جُدُوبَةٍ وَعَامَ وَلَا دَ سَوْءٍ وَعَامَ قَحْطٍ، قَالُوا: «مَا فِي دِينِنَا هَذَا خَيْرٌ» فَانْزَلِ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَجِدُ اللَّهُ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ﴾ الْآيَةَ. وَهَكَذَا ذَكَرَ قَتَادَةُ وَالضَّحَّاكُ وَابْنُ جُرَيْجٍ وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ [رواه البخاري بنحوه].

وقال عبد الرحمن بن زيد: هو المنافق، إن صلحت له دنياه أقام







## ● الوقفات التدريبية

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّجَرُ الْمُسْمَّرُ ﴾  
وَالْجُومُ ﴿

(والشمس والقمر والنجوم)؛ إنما ذكر هذه على التنصيص لأنها قد عُبِدَت من دون الله، فبين أنها تسجد لخالقها، وأنها مربية مسخرة. ابن كثير: ٢٥/٣.

السؤال: لماذا خُصَّت هذه الآيات الكونية بالذكر دون غيرها؟

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّجَرُ الْمُسْمَّرُ ﴾  
وَالْجُومُ وَاللِّبَالُ وَالشَّجَرُ وَالذُّوَابُ ﴿

ما من جمادٍ إلا وهو مطيع لله خاضع له مسبح له كما أخبر الله تعالى عن السموات والأرض (فالتنا نأينا طائعين)، لفصلت: ١١، وقال في وصف الحجارة (وإن منها لما يهبط من خشية الله)، (البقرة: ٧٤)، وقال تعالى: (وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم)، (الإسراء: ٤٤)، البغوي: ٢٥/٣.

السؤال: هل المخلوقات تعبد الله تعالى؟ وأي شيء نتعلمه من ذلك؟

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّجَرُ الْمُسْمَّرُ ﴾  
وَالْجُومُ وَاللِّبَالُ وَالشَّجَرُ وَالذُّوَابُ ﴿

يسجد لعظمته كل شيء طوعاً وكرهاً، وسجود كل شيء مما يختص به. ابن كثير: ٢٥/٣.

السؤال: كيف تسجد المخلوقات لله عز وجل؟

﴿ وَمَنْ يُؤْمِنِ بِاللَّهِ فَقَدْ هَبَّ مِنْ ثَمَرِهِ أَنْ يَفْعَلَ مَا يَشَاءُ ﴾

يقول تعالى ذكره: ومن يؤمن بالله من خلقه فيشقه، (فما له من مكرم) بالسعادة يسعد بها؛ لأن الأمور كلها بيد الله، يوفق من يشاء لطاعته، ويخذل من يشاء، ويشقى من أراد، ويسعد من أحب. وقوله: (إن الله يفعل ما يشاء)؛ يقول تعالى ذكره: إن الله يفعل في خلقه ما يشاء من إهانة من أراد إهانة، وإكرام من أراد إكرامه؛ لأن الخلق خلقه، والأمر أمره. الطبري: ٨٧/١٨.

السؤال: من الذي يملك الإكرام والإهانة على وجه الحقيقة؟ ولماذا؟

﴿ فَأَلَّيْنِ كَعَرُوا قُلِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴾  
قال سعيد بن جبيرة: ثياب من نحاس مذاب، وليس من الأنثى شيء إذا حمي أشد حراً منه، وسمي باسم الثياب لأنها تحيط بهم كإحاطة الثياب، وقال بعضهم: يلبس أهل النار مقطعات من النار. البغوي: ٢٥/٣.

السؤال: كيف تكون النار لباساً لأهل النار والعباد بالله تعالى؟

﴿ كَلِمًا أَرَادُوا أَنْ يَخْرِجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾  
وقوله: (وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ) كقوله (وقيل لهم ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ) (السجدة: ٢٥) ومعنى الكلام: أنهم يهانون

بالعذاب قولاً وفعلًا. ابن كثير: ٧٤/٥.

السؤال: لماذا يُقال لأهل النار وهم يعذبون: ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ؟

﴿ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾

(ولباسهم فيها حرير)؛ في مقابلة ثياب أهل النار التي فصلت لهم.

ابن كثير: ٢٥/٣.

السؤال: ما سبب الحديث عن لباس أهل الجنة؟

وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ يَتَذَكَّرُ أَلَّا اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ  
﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغِينَ وَالصَّنِيعِينَ  
وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ  
الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾  
﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ  
يَسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ  
وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْوَاقِبُ وَكَبِيرٌ  
مِنْ النَّاسِ وَكَبِيرٌ عَلَى الْعَذَابِ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ  
مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾  
﴿ هَذَا خِطْمَانِ  
أَخْصَمُوا فِي رَيْبِهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ رِيشَابُ  
مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴾  
﴿ يُصْهَرُ بِهِ  
مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴾  
﴿ وَلَهُمْ مَقْنَعٌ مِنْ حَدِيدٍ ﴾  
﴿ كُلَّمَا  
أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ  
الْحَرِيقِ ﴾  
﴿ إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ  
أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
وَالصَّابِغِينَ	عَبْدَةُ الْمَلَأَنَةِ، أَوْ الْكَوَاعِبِ.
وَالْمَجُوسَ	عَبْدَةُ النَّارِ.
الْحَمِيمُ	الْمَاءُ الْمُتَنَاهِي فِي حَرِّهِ.
يُصْهَرُ بِهِ	يُذَابُ بِهِ.
مَقْنَعٌ	مَطَارِقٌ.

## ● العمل بالآيات

١. اسجد سجود التلاوة عند قراءة هذه الآية مستشعراً أنه ليس كل الناس يسجدون هذا السجود، ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ ﴾.
٢. أخبر من حولك بهذه الحقيقة التي قررها القرآن: أن من كتب الله عليه الهوان فلن يستطيع أحد أن يعزه، وأن من أراد العزة فليطلبها من الله سبحانه، ﴿ وَمَنْ يُؤْمِنِ بِاللَّهِ فَقَدْ هَبَّ مِنْ ثَمَرِهِ أَنْ يَفْعَلَ مَا يَشَاءُ ﴾.
٣. استعد بالله من عذاب جهنم؛ فإن عذابها لا يطاق، ﴿ فَأَلَّيْنِ كَعَرُوا قُلِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴾ (١١) يُصْهَرُ بِهِ، مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ (١٢) وَلَهُمْ مَقْنَعٌ مِنْ حَدِيدٍ (١٣).

## ● التوجيهات

١. تذكر أن الهداية بيد الله تعالى وحده؛ فلا تذهب نفسك حشرات على العصاة والمكذبين، وتأمل عظيم ما اختصك الله به من نعمته الهداية، ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ ﴾.
٢. تدبر القرآن طريق الهداية، ﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ يَتَذَكَّرُ أَلَّا اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ ﴾.
٣. تقرير إرادة الله ومشيئته المطلقة؛ فهو تعالى يفعل ما يشاء، ويهدي من يريد، ﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ يَتَذَكَّرُ أَلَّا اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالسَّجِدِ الْكَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَنكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴾

«الإلحاد»: الميل عن الصواب، و«الظلم» هنا عام في المعاصي من الكفر إلى الصغائر؛ لأن الذنوب في مكة أشد منها في غيرها، وقيل: هو استحلال الحرام. ابن جزى: ٥٤/٢.

السؤال: كيف دلّت هذه الآية على تعظيم الله لبيته الحرام؟

﴿ وَطَهَّرَ بَيْتَ الْفَلَاكِينِ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعَ أَشْجُورٍ ﴾

وطهّير البيت عام في الكفر، والبدع، وجميع الأنجاس، والدماء القرطبي: ٣٥٩/١٤.

السؤال: بين كيف يكون تطهير البيت.

﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾

وقد حصل ما وعد الله به؛ أتاه الناس رجالاً وركباناً من مشارق الأرض ومغاربها. السعدي: ٥٣٧.

السؤال: في الآية وجهٌ من وجوه إعجاز القرآن المتعلقة بالإخبار بالمغيبات، بين ذلك.

﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾

ومن حكمة مشروعيته تلقى عقيدة توحيد الله بطريق المشاهدة للهيكال الذي أقيم لذلك؛ حتى يرسخ معنى التوحيد في النفوس؛ لأن للنفس ميلاً إلى المحسوسات؛ ليتقوى الإدراك العقلي بمشاهدة المحسوس. ابن عاشور: ٢٤٣/١٧.

السؤال: اذكر حكمة من حكم مشروعية الحج.

﴿ وَرَلَّيْطَوْفُوا بِالْبَيْتِ الْعَمِيقِ ﴾

قال قتادة: سمي عتيقاً لأن الله اعتقه من أيدي الجبابرة أن يصلوا إلى تخريبه، فلم يظهر عليه جبار قط، وقال سفيان بن عيينة: سمي عتيقاً لأنه لم يملك قط. البغوي: ٢١٦/٣.

السؤال: لم سمي المسجد الحرام بالبيت العتيق؟

﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ حُرْمَتَ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ ﴾

أي: ومن يجتنب معاصيه ومحارمه، ويكون ارتكابها عظيماً في نفسه (فهو خير له عند ربه)، فكمّا على فعل الطاعات ثواب كثير وأجر جليل؛ كذلك على ترك المحرمات، واجتناب المحظورات. ابن كثير: ٢١٢/٣.

السؤال: كيف يمكن للمسلم أن يكسب الأجر الجزيل بدون أن يعمل شيئاً بجوارحه؟

﴿ فَأَجْحَنِيُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْحَنِيُوا فَوْكَ الرُّؤُوسِ ﴾

ووصف الأوثان بالرجس أنها رجس معنوي؛ لكون اعتقاد إلهيتها في النفوس بمنزلة تعلّق الخبث بالأجساد. ابن عاشور: ٢٥٣/١٧.

السؤال: لماذا وصفت الأوثان بالرجس في الآية الكريمة؟

وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ  
﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْكَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَنكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴾  
﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾  
﴿ وَطَهَّرَ بَيْتَ الْفَلَاكِينِ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعَ أَشْجُورٍ ﴾  
﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾  
﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا أَنَّمَا اللَّهُ فِي أَنْبَاءِ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَفَعَهُمْ مِنْ بَيْعَتِهِمُ الْأَنْعَمَ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْفَقِيرِ ﴾  
﴿ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾  
﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ حُرْمَتَ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأَجَلْتُ لَكُمْ الْأَنْعَمَ إِلَّا مَا يَنْتَهِى عَنْكُمْ فَأَجْحَنِيُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْحَنِيُوا فَوْكَ الرُّؤُوسِ ﴾

## ● معاني الكلمات

المعنى	الكلمة
المقيم فيه.	العاصف فيه
القادم إليه.	الباد
بمحلّ عن الحق ظلمًا.	بالحاد بظلم
هيئًا، وبيئًا.	بؤانا
البعير خفيف اللحم من الأعمال لا من الهزال.	ضامر

## ● العمل بالآيات

- اجتهد هذا اليوم ألا تتكلم إلا بكلام طيب، ﴿ وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ ﴾.
- أكثر اليوم من قول: «لا إله إلا الله»؛ فهي الكلمة الطيبة التي من أكثر منها وعمل بها مات عليها، ﴿ وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾.
- نظف بيتاً من بيوت الله، محتسباً في ذلك الأجر من الله، ﴿ وَطَهَّرَ بَيْتَ الْفَلَاكِينِ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعَ أَشْجُورٍ ﴾.

## ● التوجيهات

- عظّم شأن الحرم، وحاذر أن تفكر فيه بالمعاصي؛ إذ يؤاخذ فيه على مجرد إرادة العصية، ﴿ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴾.
- الاشتغال بالصدق سبيل الله يستوجب العذاب الأليم، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْكَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَنكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴾.
- المساجد أقيمت لعبادة الله وحده، لا لبنائها على القبور والأضرحة والشرك بالله، ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَاتِ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهَّرَ بَيْتَ الْفَلَاكِينِ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعَ أَشْجُورٍ ﴾.

الدنيا والآخرة؛ أما منافع الآخرة فرضوان الله تعالى، وأما منافع الدنيا فما يُصيبون من منافع البُدن والذبايح والتجارات. وكذا قال مجاهد وغير واحد. ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي آيَاتِهِ مَقْلُوبَةً عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ قال ابن عباس: الأيام المعلومات: أيام العشر، وروي مثله عن أبي موسى الأشعري ومجاهد وعطاء وسعيد بن جبير، وهو مذهب الشافعي، والمشهور عن أحمد بن حنبل. والعشر مشتمل على يوم عرفة؛ سئل رسول الله ﷺ عن صيام يوم عرفة فقال: «أحسب على الله أن يكفر السنة الماضية والآية» [رواه مسلم]، ويشتمل على يوم النحر الذي هو يوم الحج الأكبر، وقد ورد في حديث أنه أفضل الأيام عند الله. [رواه أحمد وأبو داود، وصححه الألباني]. [وقيل] في الأيام المعلومات [غير ذلك]. «عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ» يعني: الإبل والبقر والغنم. «فَكُلُوا مِنْهَا» استدل بهذه الآية من ذهب إلى وجوب الأكل من الأضاحي، وهو قول غريب، والذي عليه الأكثرون أنه من باب الرخصة أو الاستحباب. وقال مجاهد: في قوله: «فَكُلُوا مِنْهَا» هي كقوله: «وَإِذَا خَلَاكُمْ فَاصْطَادُوا» [الأنعام: ٢٧] وهذا اختيار ابن جرير.

﴿وَأَطِيعُوا أَمْرَ اللَّهِ﴾ قال عكرمة: هو المضطر الذي عليه البؤس، و﴿الْفَقِيرَ﴾ السَّمْعَف. وقال مجاهد: هو الذي لا يَسْتَيْطِعُ يده. وقال قتادة: هو الرِّمَن. وقال مقاتل بن حيان: هو الضريع.

وقوله: ﴿ثُمَّ لَيَقْعَسُوا قَعَهُمْ﴾ قال ابن عباس: هو وَضْعُ الإحرام من خَلَقِ الرأس وَلَيْسَ الثَّيَابُ وَقَصَّ الْأَفْطَارَ ونحو ذلك. وقال عكرمة عن ابن عباس: التَّحَتُّ: المناسك. «وَلَيُؤْرِثُوا نَدْوَهُمْ» قال ابن عباس: يعني: نَحْرُ مَا تَذَرُ من أمر البُدن. وقال مجاهد: تَذَرُ الحج والهدي وما تَذَرُ الإنسان من شيء يكون في الحج. وقال عكرمة: حَجَّهْم. «وَلَيَسْطَوْا» قال مجاهد: يعني: الطواف الواجب يوم النحر. قلت: وهكذا صَنَعَ رسول الله ﷺ. وعن ابن عباس قال: أَمَرَ الناس أن يكون آخر عهدهم بالبيت الطواف، إلا أنه خُفِّفَ عن المرأة الخائض [منقذ عليه]. «بِالْبَيْتِ الْكَرِيمِ» قال خَصِيف: إنما سُمِّيَ البيت العتيق لأنه لم يَظْهَرْ عليه جَبَّارٌ قط. وقال مجاهد: أُغْنِيَ من الجبابة أن يُسَلِّطُوا عليه.

الآية (٣٠): ﴿وَمَنْ يُعْظِمْ حُرْمَتَ اللَّهِ﴾ أي: ومن يَحْتَسِبُ معاصيه ومحارمه، ويكون ارتكابها عظيماً في نفسه، «فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِنْدَ رَبِّهِ» أي: قلَّه على ذلك خير كثير وثواب جزيل، فكما على فعل الطاعات ثواب كثير وأجر كبير، كذلك على تَرْك المحرمات واجتناب المحظورات. قال مجاهد: «حُرْمَتِ اللَّهِ»: مكة والحج والعمرة، وما نَهَى الله عنه من معاصيه كلها. وكذا قال ابن زيد. «وَأُجِلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامُ» أي: أحللتنا لكم جميع الأنعام «وَلَا مَا بَيْنَ يَدَيْكُمْ» أي: من تحريم: «الْبَيْتِ وَالَّذِينَ وَكَلَّمُوا الْغَنِيَّ وَمَا أَوْلَى لَيْتَ اللَّهُ يَدُومَ وَالْمُتَخَفَةُ» الآية [الثلاثة: ٣٠] قال ذلك ابن جرير، وحكاه عن قتادة.

وقوله: ﴿فَأَجْتَبِئُوا الرَّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الثُّورِ﴾ أي: اجتنبوا الرجس الذي هو الأوثان. وقرن الشرك بالله بقول الثور، ومنه شهادة الزور.

الآية (٢٤): ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ فهُدُوا إِلَى المكان الذي يَسْمَعُونَ فيه الكلام الطَّيِّبَ، لا كما يُثَانِ أهل النار بالكلام الذي يُرْوَعُونَ به ويُقَرَّعون به. «وَهُدُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» أي: إلى المكان الذي يَحْمَدُونَ فيه ربهم، على ما أَحْسَنَ إليهم وَأَنْعَمَ به وأساده إليهم، «يُلْهِمُونَ النَّبِيَّ وَالتَّحْمِيدَ، كَمَا يُلْهِمُونَ النَّفْسَ» [رواه مسلم]. وقيل: «الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ» القرآن. وقيل: لا إله إلا الله. وقيل: الأذكار المشروعة. «صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» أي: الطريق المستقيم في الدنيا. وكل هذا لا يُثَانِي ما ذكرناه، والله أعلم.

الآية (٢٥): يقول تعالى مذكراً على الكفار في صَدَمِ المؤمنين عن إتيان المسجد الحرام، وقضاء مناسكهم فيه: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ» أي: وَيَصُدُّونَ عن المسجد الحرام من أراده من المؤمنين الذين هم أَحَقُّ الناس به في نفس الأمر. «الَّذِينَ جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ شَرَعًا» سَوَاءً «وَسَوَاءٌ لَنَا فِي بَيْنِ السُّبُحِ فِيهِ» والنائي عنه البعيد الدار منه، «وَالْعَكِيفُ فِيهِ وَالْبَادِ» ومن ذلك استواء الناس في رباح مكة وشكاتها، قال ابن عباس: يَنْزِلُ أهل مكة وغيرهم في المسجد الحرام. وقال مجاهد: أهل مكة وغيرهم فيه سواء في المنازل. وكذا قال أبو صالح وعبد الرحمن بن سابط وعبد الرحمن بن زيد. وقال قتادة: سواء فيه أهله وغير أهله. «وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ» أي: عامداً قاصداً أنه ظَلَمَ، ليس بِمُتَأَوِّلٍ. قال ابن عباس: «بِإِلْهَامٍ يُظْلِمُ» بِشْرِك، وقال مجاهد: أَنْ يَمِيدَ فِيهِ غير الله. وكذا قال غير واحد.

وهذه الآثار، وإن دلت على أن هذه الأشياء من الإلحاد، ولكن هو أعم من ذلك، بل فيها تنبيه على ما هو أغلظ منها، ولهذا لما هم أصحاب الفيل على تخريب البيت أرسل الله عليهم طيراً أبابيل وجعلهم عيرة ونكالا لكل من أراده بسوء.

الآية (٢٦-٢٧): ذكر تعالى أنه بَوَّأَ لإبراهيم مكان البيت، أي: أرشده إليه، وسَلَّمَهُ له، وَأَذِنَ له في بنائه. «أَنْ لَا تُشْرِكَ بِهِ» أي: إنيته على اسمي وحدي، «وَلَهَّزْ بَنِيَّ» قال مجاهد وقاتة: من الشرك، «وَالطَّاغُوتِ وَالْقَائِيَةِ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ» أي: اجعله خالصاً لهؤلاء الذين يعبدون الله وحده لا شريك له، فالطائف به معروف، «وَالْقَائِيَةِ» أي: في الصلاة؛ ولهذا قال: «وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ» فقرن الطواف بالصلاة؛ لأنها لا يُشْرَعُان إلا مُتَّحِضِينَ بالبيت.

«وَرَأَى فِي الْآيَاتِ بِالْحَجِّ» ذكر أنه قال: يا رب، وكيف أَبْلَغَ الناس وصوتي لا يَنْفَعُهُمْ؟ فقيل: ناد، وعلينا البلاغ. فَبَلَّغَ الصوت أرجاء الأرض، وأَسْمَعَ مَنْ في الأرحام والأصلاب، وأجابه كل شيء سمعه من حَجَرٍ وَمَدَرٍ وَشَجَرٍ، ومن كَتَبَ الله أنه يَجِئُ إلى يوم القيامة: «لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ». هذا مضمون ما روي عن ابن عباس وغير واحد من السلف، والله أعلم. وقوله: «يَأْتُوا رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ شَاوٍ» الآية، قد يستدل بهذه الآية من ذهب من العلماء إلى أن الْحَجَّ ماشياً - لمن قَدَّر عليه - أفضل من الْحَجِّ رَاكِباً، والأكثر من على أن الحج رَاكِباً أفضل؛ اقتداء برسول الله ﷺ؛ فإنه حَجَّ رَاكِباً مع كمال قوته. «يَأْتِيكَ مِنْ كُلِّ فَنٍ» يعني: طريق، «عَبِي» أي: بعيد. قاله مجاهد وعطاء وغير واحد. الآية (٢٨-٢٩): «لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ» قال ابن عباس: منافع

سبعة، كما ثبت به الحديث من رواية جابر قال: أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ نَشْرَكَ فِي الْأَضَاحِي، الْبَدَنَةُ عَنْ سَبْعَةٍ، وَالْبَقَرَةُ عَنْ سَبْعَةٍ [رواه مسلم].

وقوله: ﴿لَكُرٌّ فِيهَا خَيْرٌ﴾ أي: ثواب في الدار الآخرة. وقال مجاهد: أجر ومنافع. وقال إبراهيم النخعي: يركبها ويحلبها إذا احتاج إليها.

وقوله: ﴿فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾ عن جابر قال: صليت مع رسول الله ﷺ عيد الأضحي، فلما انصرف أتني بكبش فذبحه، فقال:

«بسم الله والله أكبر، اللهم هذا عتي، وعمن لم يَضَعْ من أمي» [رواه أحمد وأبو داود والترمذي، وصححه الألباني]. ﴿صَوَاكٌ﴾ قال ابن عباس: قيامًا على ثلاث قوائم، معقولة يدها اليسرى. وفي الصحيحين عن ابن

عمر: أنه أتى على رجل قد أناخ بدنته وهو ينحرها، فقال: ابتعنها قيامًا مقيدة؛ سنة أبي القاسم ﷺ. وقال ابن مسعود: «صَوَافٍ»، أي: معقولة قيامًا. وقال مجاهد: من قرأها «صَوَافٍ» قال: معقولة. ومن قرأها:

﴿صَوَاكٌ﴾ قال: تصف بين يديها. ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُثُوبُهَا﴾ قال مجاهد: سقطت إلى الأرض. وهو رواية عن ابن عباس، وكذا قال مقاتل.

وقال عبد الرحمن بن زيد: ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُثُوبُهَا﴾ يعني: ماتت. وهذا القول هو مُرَادُ ابن عباس ومجاهد؛ فإنه لا يجوز الأكل من البدن إذا نُحِرَتْ حتى تموت وتبرد حركتها. وفي الحديث: «إن الله كتب

الإحسان على كل شيء، فإذا قُتِلْتُمْ فأحسنوا القِتْلَةَ، وإذا ذُبِحْتُمْ فأحسنوا الذبْحَ، وليُحَدِّثْ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، وَلْيُرِخْ ذَبِيحَتَهُ» [رواه مسلم].

وعن أبي واقد قال: قال رسول الله ﷺ: «ما قطع من البهيمة وهي حية، فهو ميتة» [رواه أحمد وأبو داود والترمذي، وصححه الألباني]. ﴿الْقَانِغُ وَالْمُعْتَرُ﴾ اختلف في المراد، فقال ابن عباس: ﴿الْقَانِغُ﴾: المتعفف،

﴿وَالْمُعْتَرُ﴾: السائل. وهذا قول قتادة وإبراهيم النخعي. [وقيل غير ذلك]، واختار ابن جرير أن ﴿الْقَانِغُ﴾: هو السائل؛ لأنه من أَفْنَعَ بيده إذا رَفَعَهَا للسؤال، و﴿وَالْمُعْتَرُ﴾: من الاعتراض، وهو: الذي

يتعرض لأكل اللحم. وقوله: ﴿كَذَلِكَ﴾ من أجل هذا ﴿سَحَرْنَاهَا﴾ أي: ذللناها ﴿لَكُرٍّ﴾ أي: جعلناها مُنْقَادَةً لكم خاضعة، إن شئتم ركبتم، وإن شئتم حلبتم، وإن شئتم ذبحتم، ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

الآية (٣٧): ﴿لَنْ يَأْتِيَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا يَمْلَأُهَا وَلَكِنَّ بَالَهُ النُّفُوسُ وَيُنَكِّمُ﴾ أي: يتقبل ذلك ويميز عليه. ﴿كَذَلِكَ سَحَرَهَا لَكُرٌّ﴾ أي: من أجل ذلك سحر لكم البدن ﴿لِيُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْكُمْ﴾ أي:

لتعظيمهم كما هداكم لدينه وشرعه وما يحبه، وما يرضاه، ونهاكم عن فعل ما يكرهه ويأباه. ﴿وَيُزَيِّرُ الْمُخْبِتِينَ﴾ في عملهم، القائمين بحدود الله، الْمُتَعَبِّينَ ما شرع لهم، الْمُصْطَفِينَ الرسول فيما أبلغهم وجاءهم به من عند ربه ﷻ.

الآية (٣٨): ﴿يَجْزِي تَعَالَى أَنَّهُ يُدْفِعَ عَنْ عِبَادِهِ الَّذِينَ تَوَكَّلُوا عَلَيْهِ وَأَنَابُوا إِلَيْهِ شَرَّ الْأَشْرَارِ وَكَيْدَ الْفَجَارِ، وَبِحَفَظِهِمْ وَيَكُلُّوهُمْ وَيَنْصَرِّمُهُمْ. إِنَّ اللَّهَ لَا يُجِبُّ كُلَّ حَرَانٍ كَذُوبٍ﴾ أي: لا يجب من عباده

من أتصف بهذا، وهو الخيانة في العهد والمواثيق، لا يفني بما قال. والكفر: الجحد للنعيم، فلا يعترف بها.

الآية (٣١): ﴿حُفَاةٌ لِلَّهِ﴾ مخلصين له الدين، منحرفين عن الباطل قَصْدًا إلى الحق؛ ولهذا قال ﴿غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾ ثم ضَرَبَ

للمشرك مثلاً في ضلاله وهلاكه ويُهدى عن الهدى فقال: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنْ سَّمَاءٍ آيَةً: سَقَطَ مِنْهَا، فَتَنَطَّلَفُ الْطَلَبُ﴾ أي: تقطعه الطيور في الهواء، ﴿أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِينٍ﴾ أي:

بعد مهلك لمن هوى فيه.

الآية (٣٢-٣٣): ﴿ذَلِكَ﴾ هذا ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ﴾ أي: أوامره، ﴿فَلَنَهَيَّا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ ومن ذلك تعظيم الهدايا والبدن، كما قال ابن عباس: تعظيمها: اشتينها وأشتينها. وقال أبو أمامة

ابن سهل: كنا نُسَمِّنُ الأضحية بالمدينة، وكان المسلمون يُسَمِّنُونَ [رواه البخاري]. وقال ابن عباس: البدن من شعائر الله. وقال ابن عمر: أعظم

الشعائر البيت. قوله: ﴿لَكُرٌّ فِيهَا مَنَافِعٌ﴾ أي: لكم في البدن منافع، من لبنها وصفوها وأوبارها وأشعارها، وركوبها ﴿إِنَّ أَجَلَ مُسْنًى﴾ قال ابن عباس: ما لم يُسَمِّ بُدْنًا. وقال آخرون: بل له أن ينتفع بها، وإن

كانت هَذِيًا، إذا احتاج إلى ذلك، كما ثبت عن جابر عن رسول الله ﷺ أنه قال: «اركبها بالمعروف إذا أُلْجِئَ إليها» [رواه مسلم].

وقوله: ﴿ثُمَّ عَمَلُهَا إِلَى الْبَيْتِ الْقَتِينِ﴾ أي: يحل الهدي وانتهاؤه إلى البيت العتيق، وهو الكعبة؛ كما قال تعالى: ﴿هَدْيًا بَلِغَ الْكَعْبَةِ﴾ [المائدة: ٩٥].

الآية (٣٤-٣٥): ﴿يَجْزِي تَعَالَى أَنَّهُ لَمْ يَزَلْ دَيْحُ الْمَنَاسِكِ وَإِرَاقَةُ الدَّمَاءِ عَلَى اسْمِ اللَّهِ مَشْرُوعًا فِي جَمِيعِ الْمَلَلِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنَسَكًا﴾ قال: عيدًا. وقال عكرمة: ذبيحة. ﴿لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾، كما ثبت في الصحيحين عن انس

قال: «أَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بكبشين أملحين أقرنين، فسَمَّى وَكَبَّرَ، وَوَضَعَ رِجْلَهُ عَلَى صَفَاحِهَا. ﴿فَلِلَّهِ كُلُّ لَهِ وَحْدٌ﴾ أي: معبودكم واحد، وإن تَنَوَّعتْ شرائع الأنبياء وَنَسَخَ بعضها بعضًا، فالجميع يدعون إلى

عبادة الله وحده لا شريك له، ﴿فَلَهُ أَسْلِمُوا﴾ أي: أخلصوا واستسلموا لحكمه وطاقته. ﴿وَيُزَيِّرُ الْمُخْبِتِينَ﴾ قال مجاهد: الْمُطْمَئِنِّينَ، وقال الضحَّاك وقاتدة: الْمُتَوَاضِعِينَ. وقال السدي:

الْوَجِلِينَ. وأحسن ما يُقَسَّرُ به بعده، وهو قوله: ﴿الَّذِينَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: خافت منه قلوبهم، ﴿وَالَّذِينَ عَلَى مَا أُصَابَهُمْ﴾ أي: من المصائب، ﴿وَالَّذِينَ يُسَلِّوْنَ﴾ أي: السُّودِينَ حَقَّ الله فيما

أَوْجَبَ عليهم من أداء فرائضه، ﴿وَمَنْ أَرَادَ قَتْلَهُمْ يُفْقَرُونَ﴾ أي: وينفقون ما آتاهم الله من طيب الرزق على أهلبيهم وأقربائهم، وفقراتهم ومحاوليهم، ويحسون إلى خلق الله مع محافظتهم على حدود الله.

الآية (٣٦): ﴿وَالْبَدَنَةُ﴾ قال عطاء: البقرة والبعر. وكذا روي عن ابن عمر وابن المسيب والحسن. وقال مجاهد: إنما البدن من الإبل. قلت: أما إطلاق البدنة على البعر فمُتَّفَقٌ عليه، واختلفوا في

صحة إطلاق البدنة على البقرة، على قولين، أصحها أنه يُطْلَقُ عليها ذلك، ثم جمهور العلماء على أنه يُجْزَى البدنة عن سبعة، والبقرة عن



## الوقفات التدريبية

﴿ حُفَّتْ لَّهُ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ. وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَّفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِينٍ ﴾

قيل: شبه حال المشرك بحال الهاوي من السماء في أنه لا يملك لنفسه حيلة حتى يقع: بحيث تسقطه الريح، فهو هالك لا محالة؛ إما باستلاب الطير لحمله، وإما بسقوطه إلى المكان السحيق، وقال الحسن: شبه أعمال الكفار بهذه الحال في أنها تنهب وتبطل: فلا يقدر على شيء منها. البغوي: ٢١٨/٣.

السؤال: بين حال المشرك بالله تعالى في الدنيا والآخرة.

﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْ شُكْرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾

وتعظيمها: إجلالها، وتوقيرها، والقصد إليها. وقيل: الشعائر أمور الدين على الإطلاق، وتعظيمها: القيام بها، وإجلالها. ابن جزي: ٥٦/٢.

السؤال: كيف يعظم العبد شعائر الله؟

﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْ شُكْرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾

فالقصد تقوى القلوب لله؛ وهو: عبادته له وحده دون ما سواه بغاية العبودية له، والعبودية فيها غاية المحبة، وغاية الذل والإخلاص، وهذه ملته إبراهيم الخليل، وهذا كله مما بين أن عبادة القلوب هي الأصل. ابن تيمية: ٤٢٧/٤.

السؤال: عبادة القلوب هي الأصل في العبادة، كيف دلت الآية على ذلك؟

﴿ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّادِقِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمُ الْمَقْصِرُ وَالصَّالُونَ وَكَارِهُنَّ يُنْفِقُونَ ﴾

وقد أتبع صفة (المخبتين) بأربع صفات، وهي: وجل القلوب عند ذكر الله، والصبر على الأذى في سبيله، وإقامة الصلاة، والإنفاق. ابن عاشور: ٢٦١/١٧.

السؤال: يكون الإخبات لله بتحقيق أربع صفات، ما هي؟

﴿ فَإِذَا جِئْتَ جَنَّتَ رَبِّكَ فَاذْكُرْهَا وَأَطِيعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لَعْنَكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

فالمعنى: أطعموا من سأل ومن لم يسأل ممن تعرض بلسان حاله، وأطعموا من تعفف عن السؤال بالكليّة، ومن تعرض للعطاء. ابن جزي: ٥٨/٢.

السؤال: من خلال الآية: بين باختصار كيف كان حرص الإسلام على التكافل الاجتماعي.

﴿ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لَعْنَكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

مَنْ سَبَّحَنَاهُ عَلَيْنَا بَتْدَائِلِهَا، وتمكيننا من تصريفها، وهي أعظم منا أبداناً، وأقوى منا أعضاء، ذلك ليعلم العبد أن الأمور ليست على ما تظهر إلى العبد من التدبير، وإنما هي بحسب ما يريدها العزيز القدير، فيقبل الصغير الكبير؛ ليعلم الخلق أن الغالب هو الله، الواحد، القهار فوق عباده. القرطبي: ٤٠٣/١٤.

السؤال: بين دقيق نعمة الله ومنته على عباده بتسخير هذه البهائم العظام.

﴿ لَنْ يَبَالَ اللَّهُ لِحُومِهَا وَلَا دِمَآؤِهَا وَلَكِنْ يَبَالُهُ الْقَوِيُّ مِنْكُمْ ﴾

المعنى: لن تصلوا إلى رضا الله باللحوم ولا بالدماء، وإنما تصلون إليه بالقوى؛ أي: بالإخلاص لله، وقصد وجه الله بما تدبجون وتتحرون من الهدايا، فعبر عن هذا المعنى بلفظ: (لن يبال) مبالغةً وتأكيذاً؛ لأنه قال: لن تصل لحومها، ولا دماؤها إلى الله، وإنما تصل بالقوى منكم؛ فإن ذلك هو الذي طلب منكم، وعليه يحصل لكم الثواب. ابن جزي: ٥٨/٢.

السؤال: ما المقصد الأعظم من إقامة شعائر الحج؟

حُفَّتْ لَّهُ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ. وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَّفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِينٍ ﴿٥٦﴾ ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْ شُكْرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٥٧﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَمِنْهَا إِلَى أَتَيْتِ الْعِينِ ﴿٥٨﴾ وَلِكُلِّ أَفْوَجٍ مَنَافِعُ مَسْكَاةً لَكُمْ وَأَسْمَاءُ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَيْمَتِهِ الْأَعْلَى فَإِلَهُكُمْ إِلَهُ وَحْدَ قَلْبِهِ ﴿٥٩﴾ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٦٠﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّادِقِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمُ الْمَقْصِرُ وَالصَّالُونَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَصَارَ زَقْنُهُمْ بِنُفُقُونَ ﴿٦١﴾ وَالَّذِينَ جَعَلَتْهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا حَبِيرٌ فَادْكُرُوا أَسْمَاءَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجِئَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لَعْنَكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦٢﴾ لَنْ يَبَالَ اللَّهُ لِحُومِهَا وَلَا دِمَآؤِهَا وَلَكِنْ يَبَالُهُ الْقَوِيُّ مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لَعْنَكُمْ لِكُلِّ رَاغِبٍ إِلَى مَا هَدَىٰكُمْ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يَذْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٦٤﴾

## معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
سَحِينٌ	بَعِيدٌ مُهْلِكٌ
مَجْلُهَا	وَقْتُ ذَبْحِهَا
مَنْسَكًا	نُسْكًا وَعِبَادَةً، يَذْبَحُ الْأَنْعَامَ تَقَرُّبًا لِلَّهِ
وَجِلَتْ	خَافَتْ
صَوَافٍ	قَائِمَاتٍ؛ قَدْ صُفِّتْ ثَلَاثٌ مِنْ قَوَائِمِهَا، وَقُدِّتِ الرَّابِعَةُ
وَجِئَتْ	سَقَطَتْ عَلَى الْأَرْضِ بَعْدَ النَّحْرِ
الْقَانِعَ	الْفَقِيرَ الَّذِي لَمْ يَسْأَلْ تَعَفُّفًا
وَالْمُعْتَرَّ	الَّذِي يَسْأَلُ لِحَاجَتِهِ

## العمل بالآيات

- حذر الناس من الشرك بالله، وبين لهم خطورته، ﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَّفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِينٍ ﴾.
- أقم الصلاة في جماعة، ﴿ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ ﴾.
- أطعم اليوم فقيراً، ﴿ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ﴾.

## التوجيهات

- عظم شعائر الله تعالى ظاهراً وباطناً، وإياك والاستخفاف بها، ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْ شُكْرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾.
- ذكر الله من أعظم مقاصد العبادات، فعلى العبد أن يتذكر هذا المقصد العظيم دائماً، ﴿ وَلِكُلِّ أَفْوَجٍ مَنَافِعُ مَسْكَاةً لَكُمْ وَأَسْمَاءُ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَيْمَتِهِ الْأَعْلَى ﴾.
- لا تسخط مما يحصل لك من المصائب، بل اصبر ابتغاء وجه ربك، واحتسب ثوابه، وارقب أجره، ﴿ وَالصَّادِقِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ ﴾.



## ● الوقفات التدريبية

١ ﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ﴾

وهذا يدل على حكمة الجهاد، وأن المقصود منه إقامة دين الله، وذبح الكفار المؤذنين للمؤمنين. السعدي: ٥٣٩.

السؤال: أشارت الآية إلى حكمة من حكم مشروعية الجهاد، وضع ذلك

١ ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتَّتْ صُلُوبُهُمْ وَيَبِغِ وَصَلَاتُكَ وَسَجْدُكَ يَذْكُرُ فِيهَا أَسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ﴾

الآية تقوية للإذن في القتال، وإظهار للمصلحة التي فيه؛ كأنه يقول: لولا القتال والجهاد لاستولى الكفار على المسلمين وذهب الدين. ابن جزي: ٥٩/٢.

السؤال: في الجهاد حكمة عظيمة في بقاء الدين، وضع ذلك

١ ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتَّتْ صُلُوبُهُمْ وَيَبِغِ وَصَلَاتُكَ وَسَجْدُكَ يَذْكُرُ فِيهَا أَسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ﴾

ودل ذلك على أن البلدان التي حصلت فيها الطمأنينة بعبادة الله، وعمرت مساجدها، وأقيمت فيها شعائر الدين كلها من فضائل المجاهدين، وببركتهم دفع الله عنها الكافرين. السعدي: ٥٣٩.

السؤال: للمجاهدين أفضال على المسلمين، بين ذلك

١ ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتَّتْ صُلُوبُهُمْ وَيَبِغِ وَصَلَاتُكَ وَسَجْدُكَ يَذْكُرُ فِيهَا أَسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ﴾

ومفاني هذه الأسماء هي في الأمم التي لها كتاب على قديم الدهر، ولم يذكر في هذه المجوس، ولا أهل الإشراك؛ لأن هؤلاء ليس لهم ما تجب حمايته، ولا يوجد ذكر الله إلا عند أهل الشرائع. ابن عطية: ١٢٥/٤.

السؤال: ما وجه عدم ذكر معابد المجوس والمشركين في الآية؟

١ ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ﴾

أي: من ينصر دينه وأوليائه، وهو وعد تضمن الحضر على القتال. ابن جزي: ٥٩/٢.

السؤال: ما شرط تحقيق النصر؟

١ ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَنْتُمْ فِي الْأَرْضِ آمَنُوا صَلَواتُكُمْ أَتَوْا الزَّكَاةَ وَآمَنُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾

فمن قام بهذه الأمور نصره الله على عدوم. ابن تيمية: ٤٣٤/٤.

السؤال: ما واجب المجاهدين عند تمكينهم في الأرض؟

١ ﴿ فَإِنَّمَا لَا تَمْنَى الْآبُصَرُ وَلَكِنَّ تَمْنَى الْقُلُوبِ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾

معناه: أن العمى الضار هو عمى القلب، فأما عمى البصر فليس بضرار في أمر الدين. البيهقي: ٢٢٤/١٤.

السؤال: ما العمى الضار الذي يوجب هلاك الإنسان؟

أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتِّلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلُمًا وَأَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ تَضَرُّعِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ﴿٢﴾ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتَّتْ صُلُوبُهُمْ وَيَبِغِ وَصَلَاتُكَ وَسَجْدُكَ يَذْكُرُ فِيهَا أَسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ﴿٣﴾ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤﴾ الَّذِينَ إِنْ مَكَنْتُمْ فِي الْأَرْضِ آمَنُوا صَلَواتُكُمْ أَتَوْا الزَّكَاةَ وَآمَنُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٥﴾ وَإِنْ يَكُذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ ﴿٦﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٧﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَىٰ فَأَمَلَتْ لِلْكَافِرِينَ ثَمَرًا أَخَذَتْهُمُ فَكِيكَفَ كَانَتْ تَكْبِيرُ ﴿٨﴾ فَكَانَتْ مِنْ قَرَبٍ أَعْلَسَتْ نَازِلَةً فِي ظِلَالَةٍ فَبِمَا كَانَتْ تَكْبُرُ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْسَ مُعْتَلِفًا وَقَصْرٌ مَشِيدٌ ﴿٩﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿١٠﴾

٣٢٧

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
صَوَامِعُ	مَعَابِدُ رَهَبَانَ النَّصَارَى.
وَبِيعَ	كَفَالَتُ النَّصَارَى.
وَصَلَوَاتُ	مَعَابِدُ الْيَهُودِ.
فَأَمَلَتْ	فَأَمَلَتْ وَكَمْ أَعَاجِلُ بِالْعُقُوبَةِ.
عُرُوشُهَا عَلَى	مُتَهَدِّمَةٌ قَدْ سَقَطَتْ حِيطَانُهَا عَلَى سُقُوفِهَا.
وَقَصْرٌ مَشِيدٌ	مَرْفُوعُ الْبُنْيَانِ مُزَخْرَفٌ قَدْ خَلَا مِنْ سَاجِنِيهِ.

## ● العمل بالآيات

- أدع لإخوانك المستضعفين من المسلمين في أرجاء المعمورة، ﴿ أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتِّلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلُمًا وَلَئِنْ اللَّهُ عَلَىٰ تَضَرُّعِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾.
- حافظ على إقامة الصلاة، وحث من حولك عليها، ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَنْتُمْ فِي الْأَرْضِ آمَنُوا صَلَواتُكُمْ أَتَوْا الزَّكَاةَ وَآمَنُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾.
- انكر بحكمة ما تراه من منكرات بين زملائك وفي حيك، ﴿ وَآمَنُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾.

## ● التوجيهات

- وعد من الله سبحانه أن نصره يتنزل على من نصر دينه، ورفع شرعه، ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ﴾.
- إن الله ليملي للظالمين حتى إذا أخذهم لم يفلتهم، ﴿ فَكَانَ مِنْ قَرَبٍ أَعْلَسَتْ نَازِلَةً فِي ظِلَالَةٍ فَبِمَا كَانَتْ تَكْبُرُ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾.
- العبرة بالبصيرة القلبية لا بالبصر؛ فكم من أعمى هو أبصر للحقائق من ذي بصر، ﴿ فَإِنَّمَا لَا تَمْنَى الْآبُصَرُ وَلَكِنْ تَمْنَى الْقُلُوبِ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾.





الآية (٥٥): يقول تعالى خبراً عن الكفار أنهم لا يزالون في مِرْية، أي: في شكٍّ وريب من هذا القرآن، قاله ابن جرير، واختاره ابن جرير. وقال سعيد بن جبیر وابن زيد: ﴿وَيْتَنَّهُ﴾ أي: مآلَى الشيطان. ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ قال مجاهد: فجأة، ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمْ مَغْرَابٌ بِغَيْرِ عَرَبٍ﴾ قال أبو بن كعب: هو يوم بدر، وكذا قال عكرمة وسعيد بن جبیر وقناة وغير واحد. واختاره ابن جرير. وقال عكرمة ومجاهد -في رواية عنهما-: هو يوم القيامة ل ليلة له. وكذا قال الضحك والحسن البصري. وهذا القول هو الصحيح، وإن كان يوم بدر من جملة ما أُوْعِدُوا به، لكن هذا هو المراد.



## ● الوقفات التدبرية

١ ﴿وَكَايْنِ بْنِ قَرِيْبٍ أَتَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾

فلم يكن مبادرتهم بالظلم موجبا لمبادرتنا بالعقوبة السدي: ٥٤١.

السؤال: هل تنعم الظالم وأمنه واطمئنانه دليل على صحة أفعاله؟

٢ ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَصَلُوا الصَّالِحِينَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾

ووصفه بالكريم يجمع وفرته وصفائه من المكدرات. ابن عاشور: ٢٩٤/١٧.

السؤال: على ماذا يدل وصف الرزق بالكريم في الآية الكريمة؟

٣ ﴿لِيَجْزَلَ مَا يَلْقَى الشَّيْطَانُ فَتَنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَائِسَةِ قُلُوبُهُمْ وَالَّذِينَ الظَّالِمِينَ لَنِي شِقَاقِي بَعِيرٌ﴾

أي: محنة، وليبية، وشك، ونفاق. (والقائسة) يعني: الجافية (قلوبهم) عن قبول الحق؛ وهم المشركون؛ وذلك أنهم افتتنوا لما سمعوا ذلك البيوي: ٢٢٨/٣.

السؤال: ما القلوب التي تؤثر فيها وساوس الشيطان، وتفتنها؟

٤ ﴿لِيَجْزَلَ مَا يَلْقَى الشَّيْطَانُ فَتَنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَائِسَةِ قُلُوبُهُمْ وَالَّذِينَ الظَّالِمِينَ لَنِي شِقَاقِي بَعِيرٌ﴾ (وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْآيَةَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِمْ) (وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْآيَةَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِمْ) (وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْآيَةَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِمْ)

(ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة) لطافتين من الناس لا يبالي الله بهم؛

وهم: الذين (في قلوبهم مرض) أي: ضعف وعدم إيمان تام وتصديق

جازم؛ فيؤثر في قلوبهم ادنى شبهة تطرأ عليها، فإذا سمعوا ما ألقاه

الشيطان داخلهم الريب والشك، فصار فتنة لهم. (والقائسة قلوبهم)

أي: الغليظة التي لا يؤثر فيها زجر، ولا تكدير، ولا تفهم عن الله وعن

رسوله لقسوتها ... فما يلقيه الشيطان يكون فتنة لهؤلاء الطائفتين،

فيظهر به ما في قلوبهم من الخبث الكامن فيها. وأما الطائفة الثالثة فإنه

يكون رحمة في حقها؛ وهم المذكورون بقوله: (وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْآيَةَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ)؛ لأن الله منحهم من العلم ما به يعرفون الحق من

الباطل، والرشد من الغي، فيميزون بين الأمرين. السعدي: ٥٤٢.

السؤال: ينقسم الناس أمام الشبهات إلى ثلاثة أقسام، ما هي؟

٥ ﴿لِيَجْزَلَ مَا يَلْقَى الشَّيْطَانُ فَتَنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَائِسَةِ قُلُوبُهُمْ وَالَّذِينَ الظَّالِمِينَ لَنِي شِقَاقِي بَعِيرٌ﴾ (وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْآيَةَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِمْ) (وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْآيَةَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِمْ) (وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْآيَةَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِمْ)

جعل الله القلوب ثلاثة أقسام: قاسية، وذات مرض، ومؤمنة مخبئة. ابن تيمية: ٤٤١.

السؤال: ما أقسام القلوب الواردة في الآيات الكريمة؟ وكيف تصنف قلوبك؟

٦ ﴿لِيَجْزَلَ مَا يَلْقَى الشَّيْطَانُ فَتَنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَائِسَةِ قُلُوبُهُمْ وَالَّذِينَ الظَّالِمِينَ لَنِي شِقَاقِي بَعِيرٌ﴾ (وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْآيَةَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِمْ) (وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْآيَةَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِمْ) (وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْآيَةَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِمْ)

الحق كلما جود الله له ظهرت حججه، وأسفرت وجوهه، ووضحت

براهينه، وغمرت لججه، كما قال تعالى: (يضل به كثيراً ويهدي به

كثيراً) (البقرة: ٢٦). (فيؤمنوا به) لما ظهر لهم من صحته بما ظهر من

ضعف تلك الشبه، (فتخت) أي: تطمئن وتخضع (له قلوبهم) وتسكن به

قلوبهم؛ فإن الله جعل فيها السكينة الباقية: ٧٣/١٣.

السؤال: جدال أهل الحق مع غيرهم فيه خير للبشرية، بينه.

٧ ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) (وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ)

يعني يوم بدر، ووصفه بالعقيم لأنه لا ليلة لهم بعده، ولا يوم؛ لأنهم

يقتلون فيه. ابن جزى: ٦٢/٢.

السؤال: في وصف اليوم بالعقيم تهديد وإنذار للكفار، وض ذلك.

وَيَسْتَعِجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَكَانَ يُومِنُ  
عِنْدَ رَبِّكَ كَأَن لَّيْسَ بِشَيْءٍ مِمَّا تَعْدُونَ ﴿٥٥﴾ وَكَانَ مِنْ  
قَرِيْبٍ أَمَلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَى الْمَصْدُرِ  
﴿٥٦﴾ قُلْ يَتَّخِذُهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥٧﴾ فَالَّذِينَ  
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٨﴾  
وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ  
الْجَحِيمِ ﴿٥٩﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا  
إِذَا تَمَنَّيَ الْكُفَّارُ الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي  
الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُخَوِّكُمُ اللَّهُ ءَايَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ لِيَجْعَلَ  
مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فَتَنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَائِسَةِ  
قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَنِي شِقَاقِي بَعِيدٌ ﴿٦١﴾ وَلِيَعْلَمَ  
الَّذِينَ أُوتُوا الْآيَةَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِمْ  
فَتَحْتَ لَهُمْ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ  
مُسْتَقِيمٍ ﴿٦٢﴾ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى  
تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ عَذَابٌ يَوْمَ عَقِيمٍ ﴿٦٣﴾

٣٣٨

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
أَمَلَيْتُ لَهَا	أَمَلْتُهَا، وَلَمْ أَعِجَلْهَا بِالْعُقُوبَةِ.
تَمَنَّى	قَرَأَ الْآيَاتِ الْمُنَزَّلَةَ عَلَيْهِمْ.
فَتَحَبَّتْ	تَخَضَّعَ، وَتَسَكَّنَ.
مِرْيَةٍ	شَكٍّ.
بَغْتَةً	فَجْأَةً.
يَوْمَ عَقِيمٍ	لَا خَيْرَ فِيهِ، وَلَا يَوْمَ بَعْدَهُ، وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ.

## ● العمل بالآيات

١. اللهم إني أعوذ برضاك من سطوك، وبعفوك من عقوبتك، وبك منك، لا  
نحصى ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك، ﴿وَيَسْتَعِجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ  
يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾.

٢. تذكر خلال الأسبوع الماضي كم تركت من واجب شرعي، وكم وقع منك  
من معصية، ثم أكثر من الاستغفار حتى لا تتماذى في غفلتك وقسوة قلبك،  
﴿لِيَجْزَلَ مَا يَلْقَى الشَّيْطَانُ فَتَنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَائِسَةِ قُلُوبُهُمْ﴾.

٣. حدد ثلاثة أسباب تحس أنها ترقق قلبك، ثم اعمل بها، ﴿لِيَجْزَلَ مَا يَلْقَى الشَّيْطَانُ فَتَنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَائِسَةِ قُلُوبُهُمْ﴾.

## ● التوجيهات

١. كن داعياً إلى الله تعالى؛ محذراً من عقوبته، مبيناً للناس دينهم،  
﴿قُلْ يَتَّخِذُهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾.

٢. احرص على تخليص قلبك من الشهوات والشبهات بالذكر وطلب العلم؛  
فإن بقاها فيه سبب للافتتان من دين الله، ﴿لِيَجْزَلَ مَا يَلْقَى الشَّيْطَانُ فَتَنَةً  
لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾.

٣. أهمية العناية بأعمال القلوب؛ كالحيية، والخشية، والتعظيم، وغيرها،  
﴿لِيَجْزَلَ مَا يَلْقَى الشَّيْطَانُ فَتَنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَائِسَةِ قُلُوبُهُمْ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿ فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾

(مُهينٌ) لهم من شدته، والله، وبلوغه للأفئدة؛ كما استهانوا برسله وآياته  
أهانهم الله بالعذاب. السعدي: ٥٤٣.

السؤال: كيف جازى الله المجرمين بجنس أعمالهم؟

﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ﴾

خص بالذكر منهم الذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا تنوياً  
بشان الهجرة. ابن عاشور: ٣٩/١٧.

السؤال: لماذا خص المهاجرين في سبيل الله تعالى بالذكر مع أنهم داخلون  
في جملة المؤمنين الوارد ذكرهم في الآيات السابقة؟

﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِلَيْكَ لُحُوقُهُمْ خَيْرٌ مِنَ الرِّزْقِ ﴾

يقول تعالى ذكره: والذين هاجروا أو طعنوا أو طعنوا، فتركوا ذلك في  
رضا الله، وطاعته، وجهاد أعدائه، ثم قتلوا، أو ماتوا وهم كذلك؛ ليرزقهم  
الله يوم القيامة في جناته رزقاً حسناً، يعني بالحسن: الكريم. الطبري: ١٨/٦٧٣.

السؤال: متى يعتبر ترك الوطن عملاً صالحاً؟

﴿ ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ ﴾

(إن الله لعفو غفور): إن قيل: ما مناسبة هذين الوصفين للمعاقبة؟  
فالجواب من وجهين: أحدهما: أن في ذكر هذين الوصفين إشعاراً بأن  
العمو أفضل من العقوبة، فكانه حض على العفو، والثاني: أن في ذكرهما  
إعلاماً بعفو الله عن المعاقب حين عاقب. ابن جزي: ٦٧/٢.

السؤال: ما مناسبة ختم الآية بالعفو والغفور؟

﴿ ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ ﴾

فإنه هذا وصفه المستقر اللازم الذاتي، ومعاملته لعباده في جميع  
الأوقات بالعفو والغفوة، فينبغي لكم أيها المظلومون المجني عليهم أن  
تعفوا وتصفحوا وتغفروا؛ ليعاملكم الله كما تعاملون عباده؛ (فمن عفا  
وأصلح فأجره على الله) (الشورى: ٤٠). السعدي: ٥٤٣.

السؤال: ماذا تفيد من وصف الله عز وجل بالعفو والغفور؟

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِيهِمُ الْيُسْرَى وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾

فإن النصر يقتضي تغليب أحد الضدين على ضده، وإحقاق الجيش في الجيش  
الأخر في المحمة، فغضب له مثلاً بتغليب مدة النهار على مدة الليل في بعض  
السنّة، وتغليب مدة الليل على مدة النهار في بعضها. ابن عاشور: ٣٩/١٧.

السؤال: تتقلب أحوال الناس من غالب إلى مغلوب، كيف مثلت الآية  
الكريمة هذا المعنى؟

﴿ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾

ومن كبريائه: أن العبادات كلها الصادرة من أهل السماوات والأرض؛  
كلها المقصود منها تكبيره وتعظيمه وإجلاله وإكرامه؛ ولهذا كان  
التكبير شعاراً للعبادات الكبار؛ كالصلاة وغيرها. السعدي: ٥٤٤.

السؤال: لماذا كان التكبير شعاراً للعبادات الكبار؟

أَلَمْ تَكُنْ يَوْمَئِذٍ حَكِيمًا يُخَيِّدُكُمْ بَيْنَهُمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا  
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّةٍ الْتَعْمِيرِ ۝ وَالَّذِينَ  
كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ  
مُهِينٌ ۝ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا  
أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِلَيْكَ لُحُوقُهُمْ  
خَيْرٌ مِنَ الرِّزْقِ ۝ لَيْدَ خَلَنَّهُمْ كِدَالٌ يَنْزُوتُهُ ۝  
وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ۝ ذَلِكُمْ وَمَنْ عَاقَبْ بِمِثْلِ  
مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ  
لَعَفُوفٌ غَفُورٌ ۝ ذَلِكُمْ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِيهِمُ الْيُسْرَى  
وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ۝ ذَلِكُمْ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَتَّخِذُونَ  
مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ۝  
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتَصَيِّغُ الْأَرْضَ  
مُخْضِرَةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ۝ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ  
وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ لُحُوقُ الْحَمِيدِ ۝

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
مُدْخَلًا	وَهُوَ الْجَنَّةُ
بُغِيَ عَلَيْهِ	أُعْتَدِيَ عَلَيْهِ.
يُولِيهِ	يُدْخِلُ.

## ● العمل بالآيات

١. هاجر رفقاء السوء، وأماكن المعصية؛ محتسباً ذلك من أبواب الهجرة إلى الله سبحانه،  
﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا  
وَإِلَيْكَ لُحُوقُهُمْ خَيْرٌ مِنَ الرِّزْقِ ﴾.
٢. تأمل بعد صلاة الفجر قدرة الله في دخول النهار في الليل، ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ  
يُولِيهِمُ الْيُسْرَى فِي النَّهَارِ وَيُولِيهِمُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾.
٣. تعبد لله بأسمائه الحسنى الواردة في هذا الوجه: ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾،  
﴿ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾، ﴿ ذَلِكَ اللَّهُ لَهُمُ الْغَوْثُ الْحَمِيدُ ﴾.

## ● التوجيهات

١. ثناء الله تعالى على من هاجر وترك أرضه وداره في سبيل الله دليل على خطورة الإقامة  
في دار الكفر، ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ  
رِزْقًا حَسَنًا وَإِلَيْكَ لُحُوقُهُمْ خَيْرٌ مِنَ الرِّزْقِ ﴾.
٢. تذكر أن الله تعالى لا يخذل عبده إذا ظلم وأودى في سبيله، ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي  
سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ﴾.
٣. كل دعوة تقام لجمع الكلمة وهي على غير منهج الله فهي باطلة،  
﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَتَّخِذُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ ﴾.

الآية (٥٦-٥٧): ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ كقوله ﴿تِلْكَ يَوْمَ الَّذِينَ﴾ [الفاحة: ٤]. وقوله: ﴿الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْخَلْقُ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَذَابًا﴾ [الفرقان: ٢٦].

﴿كَالَّذِينَ﴾ ءَامَنُوا وَكَلِمَاتُ الصَّالِحِينَ﴾ أي: آمنت قلوبهم، وصدقوا بالله ورسوله، وعملوا بمقتضى ما علموا، وتوافق قلوبهم وأقوالهم وأعمالهم، ﴿فِي جَنَّاتٍ النَّعِيمِ﴾ أي: لهم النعيم المقيم، الذي لا يمحول ولا يزول ولا يلبس.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ أي: كفرت قلوبهم بالحق، وجحدوا به وكذبوا به، وخالفوا الرُّسُلَ، واستكبروا عن اتباعهم ﴿فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ أي: مقابلة استكبارهم وإعراضهم عن الحق؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [خافر: ٦٠] أي: صاغرين.

الآية (٥٨-٦٠): يُجْزَى تعالى عَمَّنْ خَرَجَ مُهَاجِرًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ابتغاء مرضاته، وطلبًا لِمَا عنده، وترك الأوطان والأهلين والخلان، وفارق بلاده في الله ورسوله، ونصرة لدين الله، ﴿ثُمَّ قُتِلُوا﴾ أي: في الجهاد، ﴿أَوْ مَاتُوا﴾ أي: خفف أنفسهم، أي: من غير قتال على قُرُشِهِمْ، فقد حصلوا على الأجر الجزيل، والثناء الجميل؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْوُثْقُ فَقَدْ رَفَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [النساء: ١٠٠].

وقوله: ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ أي: ليُجْزَيْنَ عليهم من فضله ورزقه من الجنة ما تَقَرُّ به أعينهم، ﴿وَلَيَكُنَّ لَهُمْ خَيْرُ الْمَرْزُوقِينَ﴾ ﴿لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا رَاضِينَ﴾ أي: الجنة؛ كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ ﴿قَرَّبَ رِزْقًا وَجَنَّتْ نَيْبِهِ﴾ [الزمر: ٨٨-٨٩]، فأخبر أنه يحصل له الراحة والرزق وجنة نعيم، كما قال مهنا: ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾.

ثم قال: ﴿وَلَيْلَ اللَّهِ لَكَلِيمٌ﴾ أي: بمن يُهاجر ويُجاهد في سبيله، وبمن يستحق ذلك، ﴿حَلِيمٌ﴾ أي: يَلُومُ وَيَضَعُ وَيَغْفِرُ لَهُمُ الذنوب ويكفرها عنهم بهجرتهم إليه، وتوكلهم عليه. فأمل من قُتِلَ في سبيل الله من مهاجر أو غير مهاجر، فإنه حيٌّ عند ربه يُرزق، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْزَنْ أَلِذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]، والأحاديث في هذا كثيرة، وأما من تَوُفِّيَ في سبيل الله من مهاجر أو غير مهاجر، فقد تَصَمَّنَتْ هذه الآية الكريمة مع الأحاديث الصحيحة إجراء الرُّزْقِ عليه، وعظيم إحسان الله إليه.

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ عَلَبَّ يَجِدْ مَا عَوِظَ بِهِ ثُمَّ بُعِيَ عَلَيْهِ لَيْسَ رُزْقُهُ اللَّهُ﴾ [سبب النزول]: ذكر مقاتل وابن جريج أنها نزلت في سرية من الصحابة، لقوا بجمعًا من المشركين في شهر محرم، فناشدهم المسلمون لئلا يقاتلوه في الشهر الحرام، فأبى المشركون إلا قتالهم وبغوا عليهم، فقاتلهم المسلمون، فنصرهم الله عليهم ﴿وَإِلَّا اللَّهُ لَعَفَوْا غَوًى﴾.

الآية (٦١-٦٢): يقول تعالى مُنْهَبًا عَلَى أَنَّهُ الْخَالِقُ الْمُصَوِّرُ فِي خَلْقِهِ بِمَا يَشَاءُ؛ كما قال: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ يَوْمَئِذٍ إِلَهُكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿فُلِحَ الْإِلَهُ فِي النَّهَارِ وَفُلِحَ النَّهَارُ فِي الْإِلَهِ وَتُخْرِجُ الْإِلَهَ مِنْ أَلْفَيْتٍ وَتُخْرِجُ الْإِلَهَ مِنْ أَلْفَيْتٍ وَتُخْرِجُ الْإِلَهَ مِنْ أَلْفَيْتٍ﴾ [آل عمران: ٢٦١-٢٦٢]، ومعنى إيلاجه الليل في النهار، والنهار في الليل: إدخاله من هذا في هذا، ومن هذا في هذا، فتارة يطول الليل ويقصر النهار؛ كما في الشتاء، وتارة يطول النهار ويقصر الليل؛ كما في الصيف. وقوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ بأقوال عباده، ﴿بَصِيرٌ﴾ بهم، لا يخفى عليه منهم خافية في أحوالهم وحركاتهم وسكناتهم.

ولَمَّا بَيَّنَّ أَنَّهُ الْمُصَوِّرُ في الوجود، الحاكم الذي لا مُعَقَّبَ لحكمه، قال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ أي: الإله الحق الذي لا تَبْغِي العبادة إلا له؛ لأنه ذو السلطان العظيم، الذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وكل شيء فقير إليه، ذليل لديه، ﴿وَإِنَّكَ مَا تَعْبُوثُ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ أي: من الأصنام والأنداد والأوثان، وكل ما عُدَّ من دونه تعالى فهو باطل؛ لأنه لا يملك ضراً ولا نفعاً.

وقوله: ﴿وَإِنَّكَ اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ كما قال: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال: ﴿الْكَبِيرُ الْمُتَعَالَى﴾ [الرعد: ٩]، فكل شيء تحت قهره وسلطانه وعظمته، لا إله إلا هو، ولا رب سواه؛ لأنه العظيم الذي لا أعظم منه، العَلِيُّ الذي لا أعلى منه، الكبير الذي لا أكبر منه، تعالى وتقدس وتنزه، وعَزَّ وَجَلَّ عَمَّا يَقُولُ الظالمون عُلوًّا كَبِيرًا.

الآية (٦٣-٦٤): وهذا أيضاً من الدلالة على قدرته وعظيم سلطانه، وأنه يُرْسِلُ الرياح، فيثير سحباً، فيمطر على الأرض الجزر التي لا نبات فيها، وهي هامة يابسة سوداء قحلة، ﴿فَلَمَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ أَخْيَرْنَا نَبَاتًا وَنَبَتَ﴾ [الحج: ٥].

﴿فَتَصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ أي: خضراء بعد بُيُوبِهَا ومُحُوطِهَا. وقد ذُكِرَ عن بعض أهل الحجاز: أنها تُصْبِحُ عَقِبَ المطر خضراء، فالله أعلم. وقوله: ﴿وَإِنَّكَ اللَّهُ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ أي: عليم بما في أرجاء الأرض وأقطارها وأجزائها من الحب وإن صغر، لا يخفى عليه خافية، فَيُؤْصِلُ إِلَى كُلِّ مَنَةٍ قِسْطَهُ مِنَ السَّاءِ قِسْطَهُ به؛ كما قال لقمان: ﴿يَبْقَى لِتَمَّا إِنْ تَكُ يَشْقَالُ حَبَّةٌ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي أَسْكَنْتٍ أَوْ فِي أَلْأَرْضِ يَأْتِي بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ١٦]، وقال: ﴿لَيُخْرِجَنَّ اللَّهُ لَكَ الَّذِي يَخْرِجُ الْخَشْيَةَ فِي الْأَسْكَنْتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النمل: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَا تَسْطُرُ مِنْ رِزْقٍ إِلَّا يَلْعَلُهَا وَلَا حَاجَةَ فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا زَلَمٍ وَلَا يَكِينٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]، وقال: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [يونس: ٦١]. وقوله: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَذَٰلِكَ اللَّهُ لَهُ الْخَلْقُ الْحَكِيمُ﴾ أي: ملكه جميع الأشياء، وهو غني عما سواه، وكل شيء فقير إليه، عبد لديه.

وقوله: ﴿وَيَسَّالُ الْمَصِيرُ﴾ أي: وبش النار منزلاً ومَرْجِعاً ومَوْتاً ومُقَاماً ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسَقَّرًا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان: ٦٦].





## ● الوقفات التدبيرية

﴿ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾

وقوله: (ما قدروا الله حق قدره) يقول: ما عظم هؤلاء الذين جعلوا الألهة لله شريكا في العبادة حق عظمتهم حين أشركوا به غيره، فلم يخلصوا له العبادة، ولا عرفوه حق معرفته؛ من قولهم: ما عرفت لفلان قدره إذا خاطبوا بذلك من قصر بحقه، وهم يريدون تعظيمه. الطبري: ٦٨٦/١٨.

السؤال: من طاف على القبور، أو ذبح لها، أو صلى إليها ما قدر الله حق قدره، وضع ذلك من الآية.

﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِبْرَاهِيمَ ۚ اللَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾

فاصطفى الله جبريل من الملائكة، واصطفى محمداً من البشر. ابن تيمية: ٤٤٤/٤.

السؤال: بَيْنَ فَضْلِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ خِلَالِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ.

﴿يَتَذَكَّرُهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَاقْعُوا  
الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تَتْلِحُونَ﴾

فبعد استيفاء ما سبق إلى المشاركين من الحجج والقوارع والنداء على مساوي أفعالهم خُتمت السورة بالإقبال على خطاب المؤمنين بما يُصلح أفعالهم، وينوّه بشأنهم، وفي هذا الترتيب إيماء إلى أن الاشتغال بإصلاح الاعتقاد مقدم على الاشتغال بإصلاح الأعمال. ابن عاشور: ٣٤٥/١٧.

السؤال: إصلاح الاعتقاد مقدم على إصلاح العمل، بين هذا من الآيات الكريمة.

﴿يَتْلُوهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَرْكَعُوا وَسَلِّجُوا وَاسْبُحُوا وَاقْعُوا﴾  
 الْحَيِّزُ لَكُمْ تَقُولُونَ ﴿

المراد بالركوع والسجود الصلوات، وتخصيصهما بالذكر من بين أعمال الصلاة لأنهما أعظم أركان الصلاة؛ إذ بهما إظهار الخضوع والعبودية. ابن عاشور: ٣٤٦/١٧.

**السؤال: لماذا خصت الآية الكريمة الركوع والسجود من أفعال الصلاة؟**

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا  
الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

(وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ): عموم في العبادة بعد ذكر الصلاة التي عبر عنها بالركوع والسجود، وإنما قدمها لأنها أهم العبادات. ابن جزي: ٦٥/٢.

**السؤال: ما مناسبة تقديم ذكر الصلاة مع أنها من سائر العبادات؟**

﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾

الجهاد: بذل الوسع في حصول الفرض المطلوب، فالجهاد في الله حق جهاده هو: القيام التام بأمر الله، ودعوة الخلق إلى سبيله بكل طريق موصل إلى ذلك؛ من: نصيحة، وتعليم، وقتال، وأدب، وزجر، ووعظ، وغير ذلك السعدي: ٥٤٧.

**السؤال: هل الجهاد مقتصر على استخدام السلاح في دفع الأعداء؟**

﴿ هُوَ اجْتَبَيْنَاكُمْ وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾

اخبر انه ما جعل علينا في الدين من حرج نفيا عاما مؤكدا، فمن اعتقد ان فيما امر الله به مثقال ذرة من حرج فقد كذب الله ورسوله، فكيف بمن اعتقد ان المأمور به قد يكون فسادا وضرا لا منفعة فيه، ولا مصلحة لنا. ابن تيمية: ٤٤٨/٤.

السؤال: ليس فيما امر الله تعالى به حرج أو ضرر، بين ذلك من خلال الآية الكريمة.

يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضَرْبٌ مِثْلُ فَانْتِعَاجِ الْعِوَازِ الَّذِينَ  
تَدْعُوهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَعَلَ اللَّهُ  
وَأَنْ يَسْلُبَهُمُ الذُّبَابُ شَيْعًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ  
الطَّلَابُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ  
لَعَزِيزٌ نَجِيزٌ ﴿٧٤﴾ اللَّهُ يُضْطَرِّي مَرَاتِمَ الْغَلَبَةِ زُسْلًا  
وَمِنْ النَّاسِ إِنْ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ  
أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَآلِ اللَّهِ شُجْعُ الْأُمُورِ ﴿٧٦﴾ يَتَأْتِيهَا  
الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ  
وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ وَجَاهِدُوا فِي

اللَّهُ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ  
فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَثَلًا بَلَاءٍ لِرَبِّهِمْ هُوَ سَمِعَكُمْ  
الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ  
وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ  
وَأَعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾

سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ

## معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
الطَّالِبُ	الْمَعْبُودُ مِنْ دُونِ اللَّهِ الَّذِي أَخَذَ مِنْهُ شَيْءٌ.
وَالْمَطْلُوبُ	الدُّبَابُ.
مَا قَدَرُوا	مَا عَظَّمُوا.
يَصْطَفِي	يَخْتَارُ.
اجْتَبَاكُمْ	اصْطَفَاكُمْ.
مِلَّةَ آبَائِكُمْ	هَذِهِ الْمِلَّةُ السَّمْحَةُ مِلَّةَ آبَائِكُمْ.
مَوْلَاكُمْ	مَا لَكُمْ، وَنَاصِرُكُمْ، وَمُنَوَّلِي أُمُورِكُمْ.

## العمل بالآيات

١. اطل اليوم الركوع والسجود، فإن الله سبحانه يحب ذلك، ﴿يَتْلَاهَا الَّذِينَ  
آمَنُوا أَرْكَعُوا وَسَجْدُوا وَعَظِدُوا بِهِ رِئَاسَةً﴾.

١٠. احرص اليوم على أداء السنن الرواتب مع صلاتك للفرائض حيث أمر الله،  
﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾.

٣. ساعد محتاجاً بمال، أو جهد، أو قضاء حاجة، ﴿وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ

## التوجيهات

عظم الله سبحانه في قلبك بالمحبة والخشية تعظمه جوارحه ﴿ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَعَزِيزٌ لَقُيُتْ مِنْ يَدَيْهِ ﴾

١. اعتصم بالله مولاك في كل وقت وحين؛ فإن من اعتصم بغيره هلك وخسر،  
(وَأَعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ) ٤.

٢. اعلم أن العمل الصالح يحتاج إلى مجاهدة، وصبر، وبذل، ومشقة، فاصبر على ذلك، ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾.

سورة الحج: هل هي مشروع السجود فيها أم لا؟ على قولين.

قوله: ﴿وَجْهَيْدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جَهَادِهِ﴾ أي: بأموالكم والستكم وأنفسكم؛ كما قال تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. وقوله:

﴿هُوَ أَجْتَبَنَكُمْ﴾ أي: يا هذه الأمة، الله اصطفاكم واختاركم على سائر الأمم، وفَضَّلَكُمْ وشَرَّفَكُمْ وَخَصَّكُمْ باكرم رسول، وأكمل شَرَعَ.

﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ أي: ما كَلَّفَكُمْ ما لا تُطِيقُونَ، وما أَلَزَمَكُمْ بشيء يَشُقُّ عليكم إلا جَعَلَ الله لكم قَرَجًا وَخَرَجًا،

فالصلاة -التي هي أكبر أركان الإسلام بعد الشهادتين- تَجِبُ في الْحَضَرِ أَرْبَعًا، وفي السفر تُقَصَّرُ إلى اثْنَيْنِ، وفي الخوف يصلها بعض

الأئمة ركعة؛ كما ورد به الحديث، وتُصَلَّى رجالًا وركبانًا، مستقبلي القبلة وغير مستقبليها. والقيام فيها يَسْقُطُ بعذر المرض، فيصليها

المرضى جالسًا، فإن لم يستطع فعل جنبه، إلى غير ذلك من الرُّخْصِ والتخفيفات في سائر الفرائض والواجبات؛ ولهذا قال ﷺ لماعز وأبي

موسى حين بعثهما أميرين إلى اليمن: ﴿بَشِّرَا وَلَا تُفْزَرَا، وَيَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا﴾ [متفق عليه]. والأحاديث في هذا كثيرة؛ ولهذا قال ابن عباس في

قوله: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ يعني: من ضيق. وقوله: ﴿يَتْلُو آيَاتِكُمْ لِيُرِيَكُمْ﴾ حَتْمٌ وَأَغْزَاهُمْ على ما جاء به

الرسول صلوات الله وسلامه عليه بأنه مَلَأَ أبيهم إبراهيم الخليل، ثم ذَكَرَ مَتَّى تعالى على هذه الأمة بما تَوَّه به من ذَنْبِهَا والثناء عليها في

سَالِفِ الدهر وقديم الزمان، في كُتُبِ الأنبياء، يُنْقَلَى على الأحبار والرهبان، فقال: ﴿هُوَ سَمَّيْتُكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ﴾ أي: من قبل هذا

القرآن ﴿وَفِي هَذَا﴾ أي القرآن.

﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ أي: إنما جعلناكم هكذا أمة وسطًا عُدُولًا خيارًا، مشهودًا بعدالتكم عند جميع

الأمم، لتكونوا يوم القيامة ﴿شُحَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾؛ لأن جميع الأمم معترفة يومئذ بسيادتها وفضلها على كل أمة سواها؛ فلهذا تُقْبَلُ

شهادتهم عليهم يوم القيامة في أن الرسل بَلَّغْتَهُمْ رسالة ربهم، والرسول يَشْهَدُ على هذه الأمة أنه بَلَّغَهَا ذلك.

قوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ أَكْثَرَهُ وَأَتُوا اللَّهَ حَقَّ عِلْمِهِ﴾ أي: قابلو هذه التَّعْمَةَ العظيمة بالقيام بِشُكْرِهَا، وَأَدُّوا حَقَّ الله عليكم في أداء ما افترض،

وطاعة ما أَوْجَبَ، وَتَزَكَّ ما حَرَّمَ. ومن أَمَمَ ذلك: إقام الصلاة وإيتاء الزكاة؛ وهو الإحسان إلى خلق الله بما أَوْجَبَ للفقر على الغني، من

إخراج جُزْءٍ نَزَرَ من ماله في السَّنة للضعفاء والمَحَاجِيجِ. ﴿وَاعْتَصِمُوا بِاللهِ﴾ أي: اعتضدوا بالله، واستعينوا به، وَتَوَكَّلُوا

عليه، وَتَأَيَّدُوا به، ﴿هُوَ مَوْلَانَا﴾ أي: حافظكم وناصركم ومُظَفِّرُكُمْ على أعدائكم، ﴿فَوَعِدَ الْمَوْلَى وَفِعْرَ النَّصِيرِ﴾ يعني: نِعْمَ الولي، ونِعْمَ

الناصر من الأعداء.

الآية (٧٣-٧٤): يقول تعالى مُتَّبِعًا على حقارة الأصنام وسَخَافَةِ عقول عابديها: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ شُرْبٌ مِثْلُ﴾ أي: لِمَا يَبْغُو الجاهلون بالله المشركون به، ﴿فَأَسْتَوِعُوا لَهُ﴾ أي: انصَبُوا وَتَفَهَّمُوا.

﴿إِنَّ إِلَٰهَ إِلَٰهِيكَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ أي: لو اجتمع جميع ما تعبدون من الأصنام والأنداد على خلق

ذباب واحد ما قَدَرُوا على ذلك.

كما روي عن أبي هريرة -مرفوعًا-: «ومن أظلم ممن ذهب بخلق كخلقى، فليخلقوا مثل خلقي ذرة، أو ذبابة، أو حبة» رواه أحمد، وصححه

إسناده أحمد شاكراً، وقال الله ﷻ: ومن أظلم ممن ذهب بخلق كخلقى؟! فليخلقوا ذرة، فليخلقوا شعيرة» [متفق عليه].

ثم قال تعالى أيضًا: ﴿وَلَنْ يَسْلُبَهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِئُوهُ مِنْهُ﴾ أي: هم عاجزون عن خلق ذباب واحد، بل أبلغ من ذلك

عاجزون عن مقاومته والانتصار منه، لو سَلَبَهَا شَيْئًا من الذي عليها من الطَّيِّبِ، ثم أرادت أن تَسْتَفِئَهُ مِنْهُ، لِمَا قَدَّرَتْ على ذلك.

هذا والذباب من أضعف مخلوقات الله وأحقرها ولهذا قال: ﴿صَمْعَكَ الطَّلَبُ وَالطَّلَبُ﴾. قال ابن عباس: ﴿الطَّلَبُ﴾: الصنم، ﴿وَالطَّلَبُ﴾: الذباب. واختاره ابن جرير، وهو ظاهر السياق. وقال

السدي وغيره: ﴿الطَّلَبُ﴾: العابد، ﴿وَالطَّلَبُ﴾: الصنم. ثم قال: ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ أي: ما عَزَفُوا قَدْرَ الله

وعظمته حين عَبَدُوا معه غيره من هذه التي لا تقاوم الذباب لضعفها وعجزها، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ أي: هو القوي الذي بقدرته وقُوَّتُهُ

خَلَقَ كل شيء، ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَتْ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]، ﴿إِنَّ بَشَرَ رَبِّكَ لَنَدِيمٌ﴾ [٢٨] ﴿لَهُ هُوَ بَيْتٌ وَيَعِذُّ﴾ [البروج: ١٢-١٣]، ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ أَرْزَاقُ ذُو الْفَوِّ السَّيِّئِ﴾ [الناريات: ٥٨]

[الناريات: ٥٨]. وقوله: ﴿عَزِيزٌ﴾ أي: قد عَزَّ كل شيء فَفَقِهَرَهُ وَعَلَبَهُ، فلا يُسَانَعُ ولا يُغَالَبُ، لعظمته وسلطانه، وهو الواحد القهار.

الآية (٧٥-٧٦): يجز تعالى أنه يختار من الملائكة رسلًا فيما يشاء من شريعته وقدره، ومن الناس لإبلاغ رسالاته، ﴿إِنَّ إِلَٰهَ سَكِينٍ﴾

لأنوال عباد، ﴿بَصِيرٌ﴾ بهم، عليم بمن يَسْتَحِقُّ ذلك منهم؛ كما قال: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَمَعُدُّ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

وقوله: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ أي: يعلم ما يفعل رسله فيما أَرْسَلَهُمْ به، فلا يخفى عليه من أمورهم شيء؛ كما قال: ﴿عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يَظْهَرُ عَنْ عِيُونِهِ أَشْيٌ﴾ [الأنعام: ١٧]

أَرْضَقَ مِنْ رَسُولٍ إلى قوله ﴿وَأَمَّا كُلُّ شَيْءٍ عَدَا﴾ [البقر: ٢٦-٢٨]، فهو سبحانه رقيب عليهم، شهيد على ما يُقَالُ لهم، حافظ لهم، ناصر

لِحُجَّتِهِمْ؛ ﴿يَتَأْتِي الرَّسُولَ بَلَغٌ مَّا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَبْصِرُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ الآية [الأنعام: ٦٧].

الآية (٧٧-٧٨): اختلفت الأئمة، في هذه السجدة الثانية من



تفسير سورة المؤمنون

وهي مكية، [وعدد آياتها (١١٨) آية].

الآية (١-١١): ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ أي: قد فازوا وشِعُوا وحصلوا على الفلاح، وهم المؤمنون الْمُتَّصِفُونَ بهذه الأوصاف: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ قال ابن عباس: خائفون ساكنون. وكذا روي عن مجاهد والحسن وقائدة والزهري. وعن عليّ ابن أبي طالب: الخشوع: خشوع القلب. وقال الحسن البصري: كان خشوعهم في قلوبهم، فغَضُوا بذلك أبصارهم، وَخَفَضُوا الجناح. والخشوع في الصلاة إنما يحصل لمن قَرَعَ قلبه لها، واشتغل بها عَمَّا عَدَاهَا، وَأَتْرَاها على غيرها، وحينئذ تكون راحة له وقوة عين، كما في حديث أنس، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «حُبُّ الْإِلَهِ الطَّيِّبِ وَالنِّسَاءِ وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ» [رواه أحمد والنسائي، وصححه الألباني].

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغوِّ مُعْرِضُونَ﴾ أي: عن الباطل. وهو يشمل الشرك - كما قاله بعضهم - والمعاصي، وما لا فائدة فيه من الأقوال والأفعال؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِلْكَ الْوُجُوهَ كَرِهُوا﴾ [الفرقان: ٧٢]. ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ الأكثرون على أن المراد بالزكاة ههنا: زكاة الأموال. ومُحْتَمَلٌ أن يكون المراد بالزكاة ههنا: زكاة النفس من الشرك والدُّنَسِ، كقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ ① وَقَدْ غَابَ مَنْ دَسَّاهَا [النسب: ٩-١٠]، على أحد القولين في تفسيرها، ومُحْتَمَلٌ أن يكون كيلاً الأمرين مراداً، وهو زكاة النفوس وزكاة الأموال؛ فإنه من جملة زكاة النفوس، والمؤمن الكامل هو الذي يعطى هذا وهذا، والله أعلم. ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأُزْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ ② لِأَعْلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَلَهُمْ عَلَيْهِمْ مَوَدَّةٌ ③ مَنِ ابْتِغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ④ أي: قد حفظوا قُرُوبَهُمْ من الحرام، فلا يَقْعَمُونَ فيما نهاهم الله عنه من زنا أو لواط، ولا يَقْرَبُونَ سوى أزواجهم التي أَحَلَّها الله لهم، وما مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ من السَّرَّارِي، ومن تعاطى ما أَحَلَّه الله له فلا لَوْمَ عليه ولا خَرَجَ؛ ولهذا قال: ﴿فَلَهُمْ عَلَيْهِمْ مَوَدَّةٌ ⑤ مَنِ ابْتِغَى وَرَاءَ ذَلِكَ﴾ أي: غير الأزواج والإماء، فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ⑥ أي: المعتدون.

وقد استدل الإمام الشافعي ومن وافقه على تحريم الاستمنا باليد بهذه الآية الكريمة. قال: فهذا الصنيع خارج عن هذين القسمين، وقد قال: ﴿مَنِ ابْتِغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَسْتَنْتِيهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ﴾ أي: إذا أَوْثَقُوا لم يَخُونُوا، بل يُؤَدُّونَهَا إلى أهلها، وإذا عاهدوا أو عاقدوا أَوْفَوْا بذلك، لا كصفات المنافقين الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: «آية المنافق ثلاث: إذا حَدَّثَ كَذَبَ، وإذا وَعَدَ أَخْلَفَ، وإذا أُوْتِيَ خَانَ» [متفق عليه].

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ أي: يُؤَاطِبُونَ عليها في مَوَاقِيتِها؛ كما قال ابن مسعود: سألت النبي ﷺ قلت: يا رسول الله، أَيُّ العمل أَحَبُّ إلى الله؟ قال: «الصلاة على وقتها». قلت: ثم أَيُّ؟ قال: «يَرْوِي الدِّينَ». قلت: ثم أَيُّ؟ قال: «الجهاد في سبيل الله» [متفق عليه].

وقد افتتح الله ذكر هذه الصفات الحميدة بالصلاة، واختتمها بالصلاة، فدل على أفضليتها. ولِئَلَّا وَصَفَهُمُ تعالى بالقيام بهذه الصفات الحميدة والأفعال الرشيدة قال: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الَّذِينَ يَرْتُونَ الْآخِرَ﴾ ⑦ يَرْتُونَ الْآخِرَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ⑧ وَتَبَّتْ فِي الصَّاحِحِينَ أن رسول الله ﷺ قال: «إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس؛ فإنه

أعلى الجنة، وأوسط الجنة، ومنه تَنْفَعُ أُنْهَارُ الجنة، وفوقه عرش الرحمن». وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا وله منزلان: منزل في الجنة، ومنزل في النار، فإن مات ودخل النار وَرِثَ أهل الجنة منزله، فذلك قوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الَّذِينَ يَرْتُونَ الْآخِرَ﴾ [رواه ابن ماجه، وصححه الألباني]. فالْمُؤْمِنُونَ يَرْتُونَ منازل الكفار لأنهم خَلِقُوا لعبادة الله تعالى، فلَمَّا قام هؤلاء المؤمنون بما وَجِبَ عليهم من العبادة، وترك أولئك ما أَمَرُوا به مِمَّا خَلَقُوا له، أحرز هؤلاء نصيب أولئك لو كانوا أطاعوا ربهم. قلت: هذه الآية كقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْحَاقَّةُ الَّتِي نُرِثُ مِنْ عِبَادَتِكَ مَنْ كَانَ نَفِيقًا﴾ [مريم: ٦٣]. وقد قال مجاهد وسعيد بن جبّير: الجنة بالرومية هي الفردوس. وقال بعض السلف: لا يُسَمَّى البستان فِرْدَوْسًا إلا إذا كان فيه عنب، فإله أعلم.

الآية (١٢-١٦): يقول تعالى مُخْبِرًا عن ابتداء خلق الإنسان من سلالة من طين، وهو آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ: خَلَقَهُ اللهُ ﴿مِنْ صَلَاسِلٍ بَيْنَ حَمَلٍ مَشْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٦]. وقال ابن عباس: ﴿بَيْنَ سَلَكَيْنِ طِينٍ﴾ قال: صفوة الماء. وقال مجاهد: ﴿بَيْنَ سَلَكَيْنِ﴾ أي: من مَتْنِ آدم. قال ابن جرير: وإنما سُمِّيَ آدم طِينًا لأنه خلوق منه. وقال قتادة: اشْتَلَّ آدم من الطين. وهذا أَظْهَرُ في المعنى، وأَقْرَبُ إلى السياق؛ فإن آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ خُلِقَ ﴿مِنْ طِينٍ لَأَرْسِبَ﴾ [الصافات: ١١]، وهو الصَّلَاسِلُ من الْحَمَلِ الْمَسْنُونِ، وذلك خلوق من التراب. ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً﴾ هذا الضمير عائدة على جنس الإنسان؛ كما قال: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نَسْلًا مِنْ سُلَالَةٍ مِمَّا مَتَّعْنَاهُمْ﴾ [السجدة: ٨] أي: ضعيف. ﴿فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ يعني: الرحم مُعَدٌّ لذلك مَهَيَّأَ له. ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ أي: ثم صَبَرْنَا النَّطْفَةَ، وهي الماء اللَّافِقُ الذي يَخْرُجُ من صُلْبِ الرجل - وهو ظهره - وَتَرَاتِبُ المرأة - وهي عظام صدرها ما بين الرَّقْوَعة إلى التَّلْوَةِ ① - فَصَارَتْ عَلَقَةً حَرَاءَ على شَكْلِ الْعَلَقَةِ مُسْتَقْبِلَةٍ. قال عكرمة: وهي دَمٌ. وَخَلَقْنَا أَلَمَلَقَةً مُضْغَةً ② وهي قطعة كالضغمة من اللحم، لا شَكْلَ فيها ولا تَخْطِيطَ، وَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا ③ يعني: شَكَلْنَاهَا ذات رأس ويدين ورجلين بعظامها وعصبها وعروقها. ﴿فَنَكَّسْنَا الْفِطْرَةَ لِحَافًا﴾ أي: وجعلنا على ذلك ما يَسْتُرُهُ وَيَشُدُّهُ وَيُقَوِّيه، ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ أي: ثم نَخَّصْنَا فيه الروح، فَتَحَرَّكَ وَصَارَ ﴿خَلْقًا آخَرَ﴾ ④ ذا سمع وبصر وإدراك وحركة واضطراب، ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾: يعني: حين ذكر قدرته ولطفه في خلق هذه النطفة من حال إلى حال، وشكل إلى شكل، حتى تصورت إلى ما صارت إليه من الإنسان السوي الكامل الخلق. قال: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾. وقوله: ﴿ثُمَّ إِنَّا رَدَدْنَاهُ إِلَى نُطْفَةٍ﴾ يعني: بعد هذه النشأة الأولى من العدم تصيرون إلى الموت، ﴿ثُمَّ إِنَّا رَدَدْنَاهُ إِلَى نُطْفَةٍ﴾ يعني: يوم المعاد، وقيام الأرواح والأجساد، فيحاسب الخلاق، ويوفي كل عامل عمله؛ إن خيرا فخير، وإن شرا فشر.

الآية (١٧): لَمَّا ذَكَرَ تعالى خَلْقَ الإنسان، عَطَفَ بِخَلْقِ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ. وقوله: ﴿سَبْعَ طَرَائِقٍ﴾ قال مجاهد: يعني السَّمَوَاتِ السَّبْعِ. ﴿وَمَا كُنَّا عَنْ خَلْقِهَا غَافِلِينَ﴾ أي: وهو سبحانه لا يجيب عنه ساءٌ ساءٌ ولا أرضٌ أرضًا ولا جبلٌ إلا يعلم ما في وعده، ولا بحرٌ إلا يعلم ما في قعره، يعلم عدد ما في الجبال والتلال والرمال والبحار والقفار والأشجار.

(١) الرَّقْوَعة: عَظْمٌ بين ثُفرة النحر والماتق. والتَّلْوَةُ: لحم الثدي أو أصله. [القاموس المحيط، مادة: (تروق) ومادة (ندد)].



## ● الوقفات التدريبية

١. ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ٢﴾ إلى قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الَّذِينَ هُمْ يُرِيدُونَ ٥﴾ الَّذِينَ يَرْثُونَ قِصَاصَهُمْ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ٦﴾

أخبر سبحانه وتعالى أن هؤلاء هم الذين يرثون فردوس الجنة، وذلك يقتضي أنه لا يرثها غيرهم، وقد دل هذا على وجوب هذه الخصال: إذ لو كان فيها ما هو مستحب لكانت جنة الفردوس تورث بدونها؛ لأن الجنة تنال بفعل الواجبات دون المستحبات، ولهذا لم يذكر في هذه الخصال إلا ما هو واجب، وإذا كان الخشوع في الصلاة واجبا؛ فالخشوع يتضمن السكينة والتواضع جميعا. ابن تيمية: ٤/٤٥٤.

السؤال: دلت الآية الكريمة على وجوب الخشوع، كيف ذلك؟

٢. ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ٢﴾

والخشوع في الصلاة ... روح الصلاة، والمقصود منها، وهو الذي يكتب للعباد؛ فالصلاة التي لا خشوع فيها ولا حضور قلب، وإن كانت مجزئة مثابا عليها، فإن الثواب على حسب ما يعقل القلب منها. السعدي: ٥٤٧-٥٤٨.

السؤال: لماذا خص الخشوع بالذكر دون سائر أركان الصلاة وواجباتها؟

٣. ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ٣﴾

في هذه الآية الكريمة: أن من صفات المؤمنين المفلحين إعراضهم عن اللغو، وأصل اللغو: ما لا فائدة فيه من الأقوال والأفعال، فيدخل فيه اللعب واللهو والهزل، وما توجب الروية تركه. الشنيطي: ٣٠٦/٥.

السؤال: من الفلاح تقليل الاشتغال ببرامج الهاتف الجوال والحاسب

الألي إذا كانت من اللغو، وضح ذلك من الآية.

٤. ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِرُوحِهِمْ خَافِضُونَ ٥﴾

هذا تنويه من الله بذكر عباده المؤمنين، وذكر فلاحهم وسعادتهم، وبأي شيء وصلوا إلى ذلك، في ضمن ذلك: الحث على الاتصاف بصفاتهم، والترغيب فيها. فلينزح العبد نفسه وغيره على هذه الآيات، ويعرف بذلك ما معه وما مع غيره من الإيمان زيادة ونقصا، وكثرة وقلة. السعدي: ٥٤٧.

السؤال: كيف يعرف الإنسان النقص الذي فيه؛ حتى يكمله؟

٥. ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ٥﴾

والأمانة والعهد يجمع كل ما يحمله الإنسان من أمر دينه ودنياه، قولا وفعلًا، وهذا يعم معاشرته الناس والمواعيد وغير ذلك، وغاية ذلك حفظه والقيام به. القرطبي: ١٥/١٥.

السؤال: بين مفهوم الأمانات الواجب على العبد رعايتها.

٦. ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ٦﴾

المحافظة عليها هي فعلها في أوقاتها؛ مع توفية شروطها، فإن قيل: كيف كسر ذكر الصلوات أولاً وآخرًا؟ فالجواب: أنه ليس بتكرار؛ لأنه قد ذكر أولاً الخشوع فيها، وذكر هنا المحافظة عليها، فهما مختلفان. ابن جزي: ٢٨/٢.

السؤال: لم كرر الله ذكر الصلاة في أول السورة، وفي هذا الموضع؟

٧. ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ٧﴾

وقال أكثر المفسرين: أي: عن الخلق كلهم من أن تسقط عليهم، فتهلكهم. القرطبي: ١٥/٢٢.

السؤال: بين صورة من صور حفظ الله تعالى للعباد.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ٣ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ٤ وَالَّذِينَ هُمْ لِرُوحِهِمْ خَافِضُونَ ٥ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ٦ فَتَنَىٰ رَبِّي وَأَنَا مِنَ الْبَاقِينَ ٧ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ٨ وَالَّذِينَ هُمْ لِرُوحِهِمْ خَافِضُونَ ٩ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ١٠ فَتَنَىٰ رَبِّي وَأَنَا مِنَ الْبَاقِينَ ١١ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ١٢ وَالَّذِينَ هُمْ لِرُوحِهِمْ خَافِضُونَ ١٣ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ١٤ فَتَنَىٰ رَبِّي وَأَنَا مِنَ الْبَاقِينَ ١٥ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ١٦ وَالَّذِينَ هُمْ لِرُوحِهِمْ خَافِضُونَ ١٧ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ١٨ فَتَنَىٰ رَبِّي وَأَنَا مِنَ الْبَاقِينَ ١٩ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ٢٠ وَالَّذِينَ هُمْ لِرُوحِهِمْ خَافِضُونَ ٢١ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ٢٢ فَتَنَىٰ رَبِّي وَأَنَا مِنَ الْبَاقِينَ ٢٣ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ٢٤ وَالَّذِينَ هُمْ لِرُوحِهِمْ خَافِضُونَ ٢٥ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ٢٦ فَتَنَىٰ رَبِّي وَأَنَا مِنَ الْبَاقِينَ ٢٧ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ٢٨ وَالَّذِينَ هُمْ لِرُوحِهِمْ خَافِضُونَ ٢٩ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ٣٠ فَتَنَىٰ رَبِّي وَأَنَا مِنَ الْبَاقِينَ ٣١ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ٣٢ وَالَّذِينَ هُمْ لِرُوحِهِمْ خَافِضُونَ ٣٣ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ٣٤ فَتَنَىٰ رَبِّي وَأَنَا مِنَ الْبَاقِينَ ٣٥ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ٣٦ وَالَّذِينَ هُمْ لِرُوحِهِمْ خَافِضُونَ ٣٧ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ٣٨ فَتَنَىٰ رَبِّي وَأَنَا مِنَ الْبَاقِينَ ٣٩ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ٤٠ وَالَّذِينَ هُمْ لِرُوحِهِمْ خَافِضُونَ ٤١ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ٤٢ فَتَنَىٰ رَبِّي وَأَنَا مِنَ الْبَاقِينَ ٤٣ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ٤٤ وَالَّذِينَ هُمْ لِرُوحِهِمْ خَافِضُونَ ٤٥ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ٤٦ فَتَنَىٰ رَبِّي وَأَنَا مِنَ الْبَاقِينَ ٤٧ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ٤٨ وَالَّذِينَ هُمْ لِرُوحِهِمْ خَافِضُونَ ٤٩ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ٥٠ فَتَنَىٰ رَبِّي وَأَنَا مِنَ الْبَاقِينَ ٥١ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ٥٢ وَالَّذِينَ هُمْ لِرُوحِهِمْ خَافِضُونَ ٥٣ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ٥٤ فَتَنَىٰ رَبِّي وَأَنَا مِنَ الْبَاقِينَ ٥٥ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ٥٦ وَالَّذِينَ هُمْ لِرُوحِهِمْ خَافِضُونَ ٥٧ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ٥٨ فَتَنَىٰ رَبِّي وَأَنَا مِنَ الْبَاقِينَ ٥٩ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ٦٠ وَالَّذِينَ هُمْ لِرُوحِهِمْ خَافِضُونَ ٦١ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ٦٢ فَتَنَىٰ رَبِّي وَأَنَا مِنَ الْبَاقِينَ ٦٣ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ٦٤ وَالَّذِينَ هُمْ لِرُوحِهِمْ خَافِضُونَ ٦٥ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ٦٦ فَتَنَىٰ رَبِّي وَأَنَا مِنَ الْبَاقِينَ ٦٧ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ٦٨ وَالَّذِينَ هُمْ لِرُوحِهِمْ خَافِضُونَ ٦٩ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ٧٠ فَتَنَىٰ رَبِّي وَأَنَا مِنَ الْبَاقِينَ ٧١ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ٧٢ وَالَّذِينَ هُمْ لِرُوحِهِمْ خَافِضُونَ ٧٣ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ٧٤ فَتَنَىٰ رَبِّي وَأَنَا مِنَ الْبَاقِينَ ٧٥ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ٧٦ وَالَّذِينَ هُمْ لِرُوحِهِمْ خَافِضُونَ ٧٧ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ٧٨ فَتَنَىٰ رَبِّي وَأَنَا مِنَ الْبَاقِينَ ٧٩ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ٨٠ وَالَّذِينَ هُمْ لِرُوحِهِمْ خَافِضُونَ ٨١ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ٨٢ فَتَنَىٰ رَبِّي وَأَنَا مِنَ الْبَاقِينَ ٨٣ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ٨٤ وَالَّذِينَ هُمْ لِرُوحِهِمْ خَافِضُونَ ٨٥ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ٨٦ فَتَنَىٰ رَبِّي وَأَنَا مِنَ الْبَاقِينَ ٨٧ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ٨٨ وَالَّذِينَ هُمْ لِرُوحِهِمْ خَافِضُونَ ٨٩ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ٩٠ فَتَنَىٰ رَبِّي وَأَنَا مِنَ الْبَاقِينَ ٩١ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ٩٢ وَالَّذِينَ هُمْ لِرُوحِهِمْ خَافِضُونَ ٩٣ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ٩٤ فَتَنَىٰ رَبِّي وَأَنَا مِنَ الْبَاقِينَ ٩٥ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ٩٦ وَالَّذِينَ هُمْ لِرُوحِهِمْ خَافِضُونَ ٩٧ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ٩٨ فَتَنَىٰ رَبِّي وَأَنَا مِنَ الْبَاقِينَ ٩٩ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ١٠٠ وَالَّذِينَ هُمْ لِرُوحِهِمْ خَافِضُونَ ١٠١ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ١٠٢ فَتَنَىٰ رَبِّي وَأَنَا مِنَ الْبَاقِينَ ١٠٣ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ١٠٤ وَالَّذِينَ هُمْ لِرُوحِهِمْ خَافِضُونَ ١٠٥ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ١٠٦ فَتَنَىٰ رَبِّي وَأَنَا مِنَ الْبَاقِينَ ١٠٧ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ١٠٨ وَالَّذِينَ هُمْ لِرُوحِهِمْ خَافِضُونَ ١٠٩ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ١١٠ فَتَنَىٰ رَبِّي وَأَنَا مِنَ الْبَاقِينَ ١١١ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ١١٢ وَالَّذِينَ هُمْ لِرُوحِهِمْ خَافِضُونَ ١١٣ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ١١٤ فَتَنَىٰ رَبِّي وَأَنَا مِنَ الْبَاقِينَ ١١٥ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ١١٦ وَالَّذِينَ هُمْ لِرُوحِهِمْ خَافِضُونَ ١١٧ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ١١٨ فَتَنَىٰ رَبِّي وَأَنَا مِنَ الْبَاقِينَ ١١٩ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ١٢٠ وَالَّذِينَ هُمْ لِرُوحِهِمْ خَافِضُونَ ١٢١ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ١٢٢ فَتَنَىٰ رَبِّي وَأَنَا مِنَ الْبَاقِينَ ١٢٣ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ١٢٤ وَالَّذِينَ هُمْ لِرُوحِهِمْ خَافِضُونَ ١٢٥ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ١٢٦ فَتَنَىٰ رَبِّي وَأَنَا مِنَ الْبَاقِينَ ١٢٧ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ١٢٨ وَالَّذِينَ هُمْ لِرُوحِهِمْ خَافِضُونَ ١٢٩ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ١٣٠ فَتَنَىٰ رَبِّي وَأَنَا مِنَ الْبَاقِينَ ١٣١ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ١٣٢ وَالَّذِينَ هُمْ لِرُوحِهِمْ خَافِضُونَ ١٣٣ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ١٣٤ فَتَنَىٰ رَبِّي وَأَنَا مِنَ الْبَاقِينَ ١٣٥ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ١٣٦ وَالَّذِينَ هُمْ لِرُوحِهِمْ خَافِضُونَ ١٣٧ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ١٣٨ فَتَنَىٰ رَبِّي وَأَنَا مِنَ الْبَاقِينَ ١٣٩ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ١٤٠ وَالَّذِينَ هُمْ لِرُوحِهِمْ خَافِضُونَ ١٤١ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ١٤٢ فَتَنَىٰ رَبِّي وَأَنَا مِنَ الْبَاقِينَ ١٤٣ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ١٤٤ وَالَّذِينَ هُمْ لِرُوحِهِمْ خَافِضُونَ ١٤٥ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ١٤٦ فَتَنَىٰ رَبِّي وَأَنَا مِنَ الْبَاقِينَ ١٤٧ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ١٤٨ وَالَّذِينَ هُمْ لِرُوحِهِمْ خَافِضُونَ ١٤٩ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ١٥٠ فَتَنَىٰ رَبِّي وَأَنَا مِنَ الْبَاقِينَ ١٥١ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ١٥٢ وَالَّذِينَ هُمْ لِرُوحِهِمْ خَافِضُونَ ١٥٣ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ١٥٤ فَتَنَىٰ رَبِّي وَأَنَا مِنَ الْبَاقِينَ ١٥٥ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ١٥٦ وَالَّذِينَ هُمْ لِرُوحِهِمْ خَافِضُونَ ١٥٧ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ١٥٨ فَتَنَىٰ رَبِّي وَأَنَا مِنَ الْبَاقِينَ ١٥٩ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ١٦٠ وَالَّذِينَ هُمْ لِرُوحِهِمْ خَافِضُونَ ١٦١ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ١٦٢ فَتَنَىٰ رَبِّي وَأَنَا مِنَ الْبَاقِينَ ١٦٣ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ١٦٤ وَالَّذِينَ هُمْ لِرُوحِهِمْ خَافِضُونَ ١٦٥ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ١٦٦ فَتَنَىٰ رَبِّي وَأَنَا مِنَ الْبَاقِينَ ١٦٧ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ١٦٨ وَالَّذِينَ هُمْ لِرُوحِهِمْ خَافِضُونَ ١٦٩ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ١٧٠ فَتَنَىٰ رَبِّي وَأَنَا مِنَ الْبَاقِينَ ١٧١ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ١٧٢ وَالَّذِينَ هُمْ لِرُوحِهِمْ خَافِضُونَ ١٧٣ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ١٧٤ فَتَنَىٰ رَبِّي وَأَنَا مِنَ الْبَاقِينَ ١٧٥ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ١٧٦ وَالَّذِينَ هُمْ لِرُوحِهِمْ خَافِضُونَ ١٧٧ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ١٧٨ فَتَنَىٰ رَبِّي وَأَنَا مِنَ الْبَاقِينَ ١٧٩ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ١٨٠

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
أَفْلَحَ	فَازَ.
اللغو	مَا لَا خَيْرَ فِيهِ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ.
رَاعُونَ	خَافِضُونَ.
نُطْفَةً	مَنْيَ الرُّجَالِ يَخْرُجُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ.
قَرَارٍ مَكِينٍ	هُوَ الرُّجْمُ تَسْتَقِرُّ فِيهِ النُّطْفَةُ.
عَلَقَةً	دَمًا أَحْمَرَ مُلْتَصِقًا بِالرُّجْمِ.
مُضْغَةً	قِطْعَةً لَحْمٍ قَدَرُ مَا يُمَضَّغُ.
سَبْعَ طَرَائِقَ	سَمَاوَاتٍ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ.

## ● العمل بالآيات

- حدد ثلاثة من أسباب الخشوع في الصلاة وطبقها اليوم في صلاتك ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ٢﴾.
- اجتهد اليوم في مجلسك في تغيير كلام اللغو إلى كلام مفيد، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ٣﴾.
- اجتهد في غض بصرك؛ فإنه سبب لحفظ الفرج، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِرُوحِهِمْ خَافِضُونَ ٥﴾.

## ● التوجيهات

- وعد الله من اتصف بهذه الصفات بفلاح، يشمل فلاح الدنيا والآخرة، ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ١﴾.
- الأمانة خلق عظيم؛ فراجعها، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ٥﴾.
- نتناول الفلاح حافظ على أداء الصلاة في أوقاتها، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ٦﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَقَدَرْنَا فَنَكُنْهُ فِي الْأَرْضِ نَبَاتًا ۖ وَنُفِثَ بِهِ لَعْنُورُونَ ﴾

يقول جل ثناؤه: وإنا على الماء الذي استكنه في الأرض لقادرون أن نذهب به، فتهلكوا أيها الناس عطشا، وتخرب أرضوكم، فلا تثبت زرعاً، ولا غرساً، وتهلك مواشيكم، يقول: فمن نعمتي عليكم تركي ذلك لكم في الأرض جارياً. الطبري: ٢٠/١٩.

السؤال: ما مصدر الماء الذي ينبع من الأرض؟

﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَقَدَرْنَا ﴾

أي: بحسب الحاجة؛ لا كثيراً فيفسد الأرض وال عمران، ولا قليلاً فلا يكفي الزروع والثمار، بل بقدر الحاجة إليه من السقي والشرب والارتفاع به. ابن كثير: ٣/٢٣٥.

السؤال: ما وجه الإنعام من إنزال الماء بقدر؟

﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَقَدَرْنَا ﴾

وهذا تنبيه منه لعباده أن يشكروه على نعمته، ويقدرُوا علمها ماذا يحصل به من الضرر. السعدي: ٥٩٩.

السؤال: في الآية تنبيه إلى طريقة يعرف بها الناس حقيقة النعمة، فما هي؟

﴿ وَشَجَرَةٍ تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدَّهْنِ وَصَنِيعَ لِّلْأَوَّلِينَ ﴾ (١٠) وَلَئِنْ لَّكَ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ لِّتُفَكِّرَ بِمَا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ (١١) (وإن لكم في الأنعام لعبرة: بيان للنعم الواصلة إليهم من جهة الحيوان

إثر بيان النعم الفائضة من جهة الماء والنبات. الأنوسي: ٩/٢٢٥.

السؤال: لماذا بدأ بنعمة الماء والنبات قبل نعمة الأنعام؟

﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَٰذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ وَكَوْنَهُ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مِنْكَ مَكَّةَ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴾ (١٢) إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ

وهذه الشبهة التي أوردوها... هي في نفسها متناقضة، متعارضة، فقولها: (ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم) اشتبوا أن له عقلاً يكيدهم به ليعلوهم ويسودهم، ويحتاج مع هذا أن يحذر منه لئلا يغتر به، فكيف يلتزم مع قولهم: (إن هو إلا رجل به جنّة)؟ السعدي: ٥٥٠.

السؤال: بين التناقض والتعارض الموجود في كلامهم.

﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَٰذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ وَكَوْنَهُ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مِنْكَ مَكَّةَ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴾ (١٢) استبعدوا أن تكون النبوة لبشر؛ فيها عجباً منهم إذ اشتبوا الربوبية لحجراً ابن جزي: ٧٠/٢.

السؤال: في استبعاد الكفار أن تكون الرسل من البشر غاية التناقض، وضع ذلك.

﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَٰذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ وَكَوْنَهُ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مِنْكَ مَكَّةَ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴾ (١٢) سادة القوم ظنوا أنه ما جاء بتلك الدعوة إلا حياً أن يسود على قومهم؛ فحشوا أن تزول سيادتهم، وهم بجهم لا يتدبرون أحوال النفوس، ولا ينظرون مصالح

الناس، ولكنهم يقيسون غيرهم على مقياس أنفسهم. ابن عاشور: ٤٢/١٨.

السؤال: حب الرئاسة والسيادة خطر على الإنسان وعلى دينه، بين ذلك من الآية الكريمة.

وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَقَدَرْنَا فَنَكُنْهُ فِي الْأَرْضِ نَبَاتًا ۖ وَنُفِثَ بِهِ لَعْنُورُونَ ﴿١٠﴾ فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَجِيلٍ وَأَعْنَبْ لَكُمْ فِيهَا فَوْرَكٌ كَثِيرٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١١﴾ وَشَجَرَةٌ تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدَّهْنِ وَصَنِيعَ لِّلْأَوَّلِينَ ﴿١٢﴾ وَلَئِنْ لَّكَ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ لِّتُفَكِّرَ بِمَا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٣﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَّقُوا اللَّهَ عِبَادُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٥﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَٰذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ وَتَوَّشَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مِنْكَ مَكَّةَ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَمَا يُؤْمِنُ بِهِ ۚ وَنُفِثَ بِهِ لَعْنُورُونَ ﴿١٧﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِّي آيَةً ۚ فَأَوْحَيْتَ إِلَيْهِ أَنْ صَبَّغْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَوَحَّيْنَا إِذْ جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ شَتَّىٰ ۚ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخْطِئُ فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّعَذَّبُونَ ﴿١٨﴾

٣٣

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
بِالدَّهْنِ	بالزيت.
وَصَنِيعٍ	إدام يَفْعَسُ فِيهِ الْخُبْزُ.
بِأَعْيُنِنَا	بِحفظنا وكلاءنا؛ وفيه إثبات صفة العين لله على الوجه اللائق به.
وَفَارَ التَّنُّورُ	نَبَعُ الْمَاءِ مِنَ التَّنُّورِ الْمَعْرُوفِ.
فَاسْلُكْ فِيهَا	فَادْخُلْ فِيهَا.
سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ	اسْتَحَقَّ الْعَذَابَ.

## ● العمل بالآيات

١. إذا شربت اليوم وغسلت فتذكر أن نعمة الماء العذب من أكثر نعم الله الدنيوية علينا؛ فاکثر من شكر الله عليها، ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَقَدَرْنَا فَنَكُنْهُ فِي الْأَرْضِ نَبَاتًا ۖ وَنُفِثَ بِهِ لَعْنُورُونَ ﴾.

٢. اجعل في طعامك اليوم زيت الزيتون؛ فإنه من شجرة مباركة، وفيه من المنافع الشيء الكثير، ﴿ وَشَجَرَةٍ تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدَّهْنِ وَصَنِيعَ لِّلْأَوَّلِينَ ﴾.

٣. قل عند ركوب الدابة: «سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون»، ﴿ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴾.

## ● التوجيهات

١. أكثر من العبادة الخالصة لله سبحانه، ﴿ عِبَادُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ﴾.  
٢. وجهاء المجتمع قادة مؤثرون في الخير أو في الشر؛ فلنحرص على صلاحهم، ﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَٰذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ ﴾.  
٣. لا تتكل على نسبك؛ فالأنساب لا تجي من عذاب الله تعالى، ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ شَتَّىٰ ۚ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ ﴾.

بالسفن، ﴿وَصَيْغٌ﴾ أي: أُمٌّ ﴿لِلْأَكْلَيْنِ﴾ أي: فيها ما يتفجع به من الدُّهْنِ والاصطباغ.

وقوله: ﴿وَلَنْ لَّكَ فِي الْأَنْعَامِ لَبِئَةً تُشْفِيكَ بِهَا مِنْ طَٰوِيلِهَا وَلَكُورٍ بِهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ ﴿١٨﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفَالِكِ لَحْمٌ مَّكُونٌ ﴿١٩﴾ يذكر تعالى ما جعل لِحَلْفِهِ في الأنعام من المنافع؛ وذلك أنهم يشربون من ألبانها الخارجة من بين قَرْنٍ وِذَمٍ، ويأكلون من مَخْلَاطِهَا، وَيَلْبَسُونَ من أوصافها وأوبارها وأشعارها، ويركون ظهورها ويحملونها الأحمال الثقال إلى البلاد النائية عنهم؛ كما قال تعالى: ﴿وَتَحْمِلُ أُنْفُسُكُمُ إِلَى بَلَدٍ لَّكُمْ تَكُونُوا بِلْدَيْهِ إِلَّا يَشِقُ الْأَنفُسُ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَوُفٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ٧]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِنَّا صِلَاتٍ مَّا هِيَ بَأْيَدِيَ الْبَٰئِنَاتِ أُنْفُسًا فَهُمْ لَهَا مَلِكُونَ﴾ ﴿٢٠﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَسَارِبٌ أَفْلَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٢﴾ [يس: ٧١-٧٣].

الآية (٢٣-٢٥): يَجْعَلُ تعالى عن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ حين بَعَثَهُ إلى قومه، لِيُذَرِّهَمُ عَذَابَ اللَّهِ وَيَأْمُرَهُ الشَّدِيدِ، وَاِنْتَفَاهُ مِّنْ أَشْرَكٍ بِهِ وَخَالَفَ أَمْرَهُ وَكَذَّبَ رُسُلَهُ ﴿فَقَالَ يَتَوَفَّاكَ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ عِزٌّ أَفَلَا تُنْقَوْنَ﴾ أي: أَلَا تَخَافُونَ من الله في إشراكم به؟ فقال الملائكة - وهم السادة والأكابر - منهم: ﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْعَلَ عَلَيْكُمْ مِّثْلَكُمْ، يَغْوِيكُمُ بِالْغَيْبِ عَلَيْهِمْ وَتَمَٰظِلُهُمُ بَدْعُوا النُّبُوَّةَ، وَهُوَ بِشَرِّ مِثْلِكُمْ، كَيْفَ أُوحِيَ إِلَيْهِ دُونَكُمْ؟﴾

﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ لَازِلًا مُّكَلِّمًا﴾ أي: لو أراد أن يبعث نبياً، لَبِثَتْ مَلَكًا من عنده، ولم يكن بِشَرًّا!

﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا﴾ أي: يَبْعَثُ البشر ﴿فِي ءَابَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾ يَغْوُونَ بِهِ ذَا أَسْلَافِهِمْ وَأَجْدَادَهُمُ وَالْأُمَمَ الْمَاضِيَةَ.

﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ يُدْعَىٰ﴾ أي: يَجْنُونَ فِيهِ زَيْغُهُ مِنْ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَهُ إِلَيْكُم، وَاخْتَصَّهُ مِنْ بَيْنِكُمْ بِالْوَحْيِ، ﴿فَتَرْتَضَوْا بِهِ حَقًّا جَبِينًا﴾ أي: انظروا به رَيْبَ الْمُنُونِ، وَاصْبِرُوا عَلَيْهِ مَدَّةً حَتَّى تَسْتَرِيحُوا مِنْهُ.

الآية (٢٦-٢٧): يَقُولُ تعالى خَبْرًا عَنْ نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ دَعَا رَبَّهُ لِيَسْتَجِيرَهُ عَلَى قَوْمِهِ، كَمَا قَالَ تعالى خَبْرًا عَنْهُ فِي الْآيَةِ الْآخِرَى: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ﴾ [النمر: ١٠]، وَقَالَ هَهُنَا: ﴿رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كُنْتُ دُوبُونَ﴾، فَعِنْدَ ذَلِكَ أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِصُنْعَةِ السَّفِينَةِ وَإِحْكَامِهَا وَإِتْقَانِهَا، وَأَنْ يَحْمِلَ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ اثْنَيْنِ؛ أَي: ذَكَرًا وَأُنْثَى مِنْ كُلِّ صِنْفٍ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ وَالنباتات وَالتَّجَارِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَأَنْ يَحْمِلَ فِيهَا أَهْلَهُ ﴿لَا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ أي: سَبَقَ فِيهِ الْقَوْلُ مِنَ اللَّهِ بِالْهَلَاكِ، وَهُمْ الَّذِينَ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ مِنْ أَهْلِهِ؛ كَابْنِهِ وَزَوْجَتِهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وقوله: ﴿وَلَا تُخْطِئُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ﴾ أي: عِنْدَ مُعَابِنَةِ إِنْزَالِ الْمَطَرِ الْعَظِيمِ، لَا تَأْخُذَنَّكَ رَافَةُ بِقَوْمِكَ، وَشَفَقَةُ عَلَيْهِمْ، وَطَمَعٌ فِي تَأْخِيرِهِمْ لِعَلِّهِمْ يُؤْمِنُونَ، فَإِنِّي قَدْ قَضَيْتُ أَنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ وَالطَّغْيَانِ.

الآية (١٨-٢٢): يَذْكُرُ تَعَالَى نِعْمَتَهُ عَلَى عِبِيدِهِ الَّتِي لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى، فِي إِنْزَالِهِ الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ ﴿يَقْدِرُ﴾ أي: بِحَسَبِ الْحَاجَةِ، لَا كَثِيرًا فَتُفْسِدُ الْأَرْضَ وَالْعِمْرَانَ، وَلَا قَلِيلًا فَلَا يَكْفِي الزَّرْعَ وَالنَّارَ، بَلْ يَقْدِرُ الْحَاجَةَ إِلَيْهِ مِنَ الشَّقِيِّ وَالشَّرْبِ وَالِانْتِفَاعِ بِهِ، حَتَّى إِنْ الْأَرْضُ الَّتِي تَحْتَاجُ مَاءً كَثِيرًا لَزَرَعِهَا، وَلَا تَحْمِلُ دُمُتَهَا إِنْزَالَ الْمَطَرِ عَلَيْهَا، يَسُوقُ إِلَيْهَا الْمَاءَ مِنْ بِلَادٍ أُخْرَى، كَمَا فِي أَرْضِ مِصْرَ، وَيُقَالُ لَهَا: «الْأَرْضُ الْجُرْزُ»، يَسُوقُ اللَّهُ إِلَيْهَا مَاءَ النَّيْلِ مَعَ طِينٍ أَحْمَرَ يَجْرِفُهُ مِنَ بِلَادِ الْحَبْشَةِ فِي زَمَانِ أَمْطَارِهَا، فَيَأْتِي الْمَاءُ يَحْمِلُ طِينًا أَحْمَرَ، فَيَسْقِي أَرْضَ مِصْرَ، وَيَقِرُّ الطِّينُ عَلَى أَرْضِهِمْ لِيَزْدَرِعُوا فِيهِ؛ لِأَنَّ أَرْضَهُمْ سَبَاحٌ يَغْلُبُ عَلَيْهَا الرَّمَالُ، فَسَبَّحَانَ اللَّطِيفِ الْخَبِيرِ الرَّحِيمِ الْغَفُورِ.

وقوله: ﴿فَأَنشَأَهُ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: جَعَلْنَا الْمَاءَ إِذَا نَزَلَ مِنَ السَّحَابِ يَحْمِلُ فِي الْأَرْضِ، وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ قَابِلِيَةً لَهُ، تَشْرَبُهُ وَتَعْتَدِي بِهِ مَا فِيهَا مِنَ الْحَبِّ وَالتَّنَوُّي.

وقوله: ﴿وَأَنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِكَ لَتَذِرُونَ﴾ أي: لَوْ شِئْنَا أَلَّا تُظْهِرَ لِفَعْلِنَا، وَلَوْ شِئْنَا لَصَرَفْنَاهُ عَنْكُمْ إِلَى السَّيْبَاحِ وَالْبَرَارِيِّ وَالْبَحَارِ وَالْقَفَارِ، وَلَوْ شِئْنَا لَجَعَلْنَاهُ لَا يَتَفَعَّلُ بِهِ لَشَرْبٍ وَلَا لَسَقْيٍ، وَلَوْ شِئْنَا لَجَعَلْنَاهُ لَا يَنْزِلُ فِي الْأَرْضِ، بَلْ يَنْجَرُّ عَلَى وَجْهِهَا، وَلَوْ شِئْنَا لَجَعَلْنَاهُ إِذَا نَزَلَ فِيهَا يَغُورُ إِلَى مَدَى لَا تَصِلُونَ إِلَيْهِ وَلَا تَنْتَفِعُونَ بِهِ. وَلَكِنْ بَلَطْنَاهُ وَرَحِمْنَاهُ يُنْزِلُ عَلَيْكُمُ الْمَاءَ مِنَ السَّحَابِ عَذْبًا فَرَاتًا زَلَالًا، فَيُسْقِيهِ فِي الْأَرْضِ وَيَسْلُكُهُ يَنْبَاعٍ فِي الْأَرْضِ، فَيَفْتَحُ الْعَيُونَ وَالْأَنْهَارَ، فَيَسْقِي بِهِ الزَّرْعَ وَالنَّارَ، وَتَشْرَبُونَ مِنْهُ وَدَوَابُّكُمْ وَأَنْعَامُكُمْ، وَتَغْتَسِلُونَ مِنْهُ وَتَنْظُرُونَ وَتَنْتَفِقُونَ، فَلهِ الْحَمْدُ وَالْمَنَةُ.

وقوله: ﴿فَأَنشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِّنْ نَّجِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ بِمَعْنَى: فَأَخْرَجْنَا لَكُمْ بِمَا أَرْزَلْنَا مِنَ الْمَاءِ ﴿جَنَّاتٍ﴾ أَي: بِسَاتِينَ وَحِدَاقٍ ذَاتِ هَبْجَةٍ، أَي: ذَاتِ مَنْظَرٍ حَسَنٍ. وَقَوْلُهُ: ﴿مِّنْ نَّجِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ أَي: فِيهَا نَخِيلٌ وَأَعْنَابٌ. وَهَذَا مَا كَانَ يَأْتِي أَهْلَ الْحِجَازِ، وَلَا فَرْقَ بَيْنَ الشَّيْءِ وَبَيْنَ نَظَرِهِ، وَكَذَلِكَ فِي حَقِّ كُلِّ أَهْلِ إِقْلِيمٍ؛ عِنْدَهُمْ مِنَ الثَّارِ مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مَا يَفْخَرُونَ عَنِ الْقِيَامِ بِشُكْرِهِ. وَقَوْلُهُ: ﴿لَكُمْ فِيهَا فَوْكٌ كَثِيرَةٌ﴾ أَي: مِنْ جَمِيعِ الثَّارِ، كَمَا قَالَ: ﴿يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ [النحل: ١١]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ كَأَنَّهُ مَعْطُوفٌ عَلَى شَيْءٍ مَّقْدَرٍ، تَقْدِيرُهُ: تَنْظُرُونَ إِلَى حُسْنِهِ وَنُضْجِهِ، وَمِنْهُ تَأْكُلُونَ.

وقوله: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ﴾ بِمَعْنَى: الزَيْتُونَةُ. وَالطُّورُ: هُوَ الْجَبَلُ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّمَا يُسَمَّى طُورًا إِذَا كَانَ فِيهِ شَجَرٌ، فَإِنْ عَرِيَ عَنْهَا سَمِيَ جَبَلًا لَا طُورًا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَطُورُ سَيْنَاءَ: هُوَ طُورُ سَيْنِينَ، وَهُوَ الْجَبَلُ الَّذِي كَلَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمَا حَوْلَهُ مِنَ الْجِبَالِ الَّتِي فِيهَا شَجَرُ الزَيْتُونِ. وَقَوْلُهُ: ﴿تَنْبُتُ بِالذُّهْنِ﴾ أَي: تُخْشَرُ بِالذُّهْنِ، أَوْ تَأْتِي

الآية (٢٨-٣٠): ﴿فَإِذَا أَسْتَوَيْتَ أُنْثَىٰ وَمِن مَّعَلَىٰ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ لَاحِدٌ إِلَهُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْفُلْكِ﴾ كما قال: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ﴾ ﴿لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ ﴿وَإِلَّا إِلَهُ رَبَّنَا لَمَتَّقَلِيُونَ﴾ [الزخرف: ١٢-١٤].

وقد امتثل نوح عليه السلام هذا؛ كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ نَجِجُهَا بِهَا وَنُمِسُهَا﴾ [هود: ٤١].  
فذكر الله تعالى عند ابتداء سبزه وعند انتهائه، وقال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْزُقْنِي مِثْلَ مَا رَزَقْتَ خَيْرَ الْمَرْزُوقِينَ﴾.

وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ أي: إن في هذا الصنيع - وهو إنجاء المؤمنين وإهلاك الكافرين - ﴿لَآيَاتٍ﴾ أي: لحججاً ودلائل واضحة على صِدْقِ الأنبياء فيها جاؤوا به عن الله تعالى، وأنه تعالى فاعل لما يشاء، وقادر على كل شيء، عليم بكل شيء.

﴿وَإِن كُنَّا لَبَشِيرِينَ﴾ أي: لمُخْتَرِينَ للعباد بإرسال المرسلين.  
الآية (٣١-٤١): ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ يَجِبَرُ تَعَالَى أَنَّهُ أَنْشَأَ بَعْدَ قَوْمِ نُوحٍ قَوْمًا آخَرِينَ﴾ قيل: المراد بهم عاد؛ فهم كانوا مُسْتَخْلَفِينَ بَعْدَهُمْ. وقيل: المراد بهؤلاء ثمود؛ لقوله: ﴿فَلَاخَذْتُهُمُ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ﴾ وأنه تعالى أَرْسَلَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ، فدعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، فَكَذَّبُوهُ وَخَالَفُوهُ، وَأَسَؤُوا مِنْ اتِّبَاعِهِ لَكُونَهُ بَشَرًا مِثْلَهُمْ، وَاسْتَكْبَرُوا عَنْ اتِّبَاعِ رَسُولِ بَشَرٍ، وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ فِي الْقِيَامَةِ، وَأَنْكَرُوا الْمَعَادَ الْجَنَّتَيْنِ، وَقَالُوا: ﴿أَيَعِدُّكَ أَكْثَرُ إِذَا يَشُمُّ وَكُنْتُمْ رُزَاءً وَعِظْلًا أَكْثَرُ تُخْرَجُونَ﴾ ﴿هَبَاتَ هَبَاتٍ لِّمَا تُوعَدُونَ﴾ أي: بعيد بعيد ذلك.

﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ أي: فيما جاءكم به من الرسالة والنذارة والإخبار بالمعاد ﴿وَمَا تَحْنُ لَهُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾.  
﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُون﴾ أي: استفتح عليهم الرسول واستنصر ربه عليهم، فأجاب دعاءه ﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَارِينَ﴾ أي: بمخالفتك وعنادك فيما جِئْتَهُمْ بِهِ، ﴿فَلَاخَذْتُهُمُ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ﴾ أي: وكانوا يَسْتَحِفُّونَ ذَلِكَ مِنَ اللَّهِ لِكُفْرِهِمْ وَطُغْيَانِهِمْ.

والظاهر أنه اجتمع عليهم صَيْحَةٌ مَعَ الرِّيحِ الصَّرِصِرِ الْعَاصِيفِ الْقِسْوِيِّ الْبَارِدَةِ ﴿تُدِيرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَكِنَتُهُمْ﴾ [الأحقاف: ٢٥].

وقوله: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ نَسِئًا﴾ أي: صَرَعَىٰ هَلَكَىٰ كَفَثًا السَّيْلَ، وهو الشيء السَّحِيرُ النَّافِهُ الْهَالِكُ الَّذِي لَا يُنْتَفَعُ بِشَيْءٍ مِنْهُ.  
قوله: ﴿فَبَعَثْنَا لِقَوْمِ الْفَظَّالِينَ﴾ كقوله: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الْفَظَّالِينَ﴾ [الزخرف: ٧٦] أي: بِكُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ وَمُخَالَفَةِ رَسُولِ اللَّهِ، فَلَيَحْذَرُ السَّامِعُونَ أَنْ يُكْذَّبُوا رَسُولَهُمْ.



## ● الوقفات التدريبية

﴿ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَعَكَ عَلَى الْفَلَاحِ فَقُلْ لِلَّهِ الْحَمْدُ ۖ إِنَّهُ أَلَمَّ بِالْغُيُوبِ ۚ﴾  
الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾ وَقُلْ رَبِّ أَرْزُقْنِي مِثْلَ مَا رَزَقْتَ وَأَنْتَ خَيْرُ الْمَرْزُقِينَ ﴿٥١﴾

ثم امره تعالى بأن يحمده ربه على النجاة من الظلمة عند استوائه وتمكنه في الفلك، ثم امره بالدعاء في بركة المنزل. ابن عطية: ١٤٢/٤.

السؤال: ما أنواع الدعاء المذكورة في الآية؟

﴿ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَعَكَ عَلَى الْفَلَاحِ فَقُلْ لِلَّهِ الْحَمْدُ ۖ إِنَّهُ أَلَمَّ بِالْغُيُوبِ ۚ﴾  
قال الخفاجي: إن في ذلك إشارة إلى أنه لا ينبغي المسرة بمصيبة أحد؛

ولو عدوا من حيث كونها مصيبة له؛ بل لما تضمنته من السلامة من ضرره، أو تطهير الأرض من وسخ شركه وإضلاله. الألوسي: ٢٣/٩.

السؤال: في الآية تفريق بين الانتصار للنفس والانتصار للدين، وضح ذلك.

﴿ وَقُلْ رَبِّ أَرْزُقْنِي مِثْلَ مَا رَزَقْتَ وَأَنْتَ خَيْرُ الْمَرْزُقِينَ ۚ﴾  
وبالجملة هالاية تعليم من الله عز وجل لعباده إذا ركعوا وإذا نزلوا أن يقولوا هذا، بل وإذا دخلوا بيوتهم وسلموا. القرطبي: ٣٧/١٥.

السؤال: ما الفائدة العملية التي تنفيدها من الآية؟

﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ هُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ بَاطِلٌ مِمَّا تُلَاحِظُونَ مِنْهُ وَيَتَشْرَبُونَ مِمَّا تَشْرَبُونَ ۚ﴾

وفي هذين الوصفين إيماء إلى انهما الباعث على تكذيبهم رسولهم؛ لأن تكذيبهم بقاء الآخرة ينفي عنهم توقع المؤاخاة بعد الموت، واثرتهم ونعمتهم تغريهم بالكبر والصلف؛ إذ إضوا أن يكونوا سادة لا تبعاً. ابن عاشور: ٥٢/١٨.

السؤال: عدم الخوف من الآخرة والترف من أكبر الأسباب في رد الحق، وتكذيب الرسل، بين ذلك.

﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ هُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ بَاطِلٌ مِمَّا تُلَاحِظُونَ مِنْهُ وَيَتَشْرَبُونَ مِمَّا تَشْرَبُونَ ۚ﴾

بيان سنة من سنن البشر؛ وهي أن دعوة الحق أول من يردّها الكبراء من أهل الكفر. الجزائري: ٥١٣/٣.

السؤال: بين خطورة الترف من خلال الآية.

﴿ أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْبُتُنُ إِذْ رَمَى وَكُنْهُ رَبًّا وَعِظْنَا آلُكُمْ نَحْنُ خَيْرُ الْبَنَاتِ ۚ﴾  
هَيْبَاتٍ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٥٢﴾

أي: بعيد بعيد ما يعدكم به من البعث بعد أن تمزقتم، وكنتم تراباً وعظماً؛ فنظروا نظراً قاصراً، وراوا هذا بالنسبة إلى قدرهم غير ممكن،

فماسوا قدرة الخالق بقدرهم، تعالى الله. السعدي: ٥٥١.

السؤال: ما الخطأ الذي ارتكبه هؤلاء، ولأجله أنكروا البعث؟

﴿ قَالَ رَبِّ أَصْبِرْ بِمَا كُنتَ بِنَاءً ۚ﴾  
للمعنى: قال الله لهذا النبي الداعي: عَمَّا قَلِيلٍ يندم قومك على كفرهم

حين لا ينفعهم الندم. ابن عطية: ١٤٤/٤.

السؤال: دعوة الصالحين المظلومين سريعة الاستجابة، بين ذلك من الآية.

فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَعَكَ عَلَى الْفَلَاحِ فَقُلْ لِلَّهِ الْحَمْدُ ۖ إِنَّهُ أَلَمَّ بِالْغُيُوبِ ۚ  
تَجَنَّبَا مِنَ الْقَوْرِ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾ وَقُلْ رَبِّ أَرْزُقْنِي مِثْلَ مَا رَزَقْتَ وَأَنْتَ خَيْرُ الْمَرْزُقِينَ ﴿٥١﴾  
إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ كَانُوا مُتَعَبِينَ ﴿٥٢﴾ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٥٣﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٥٤﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ هُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ بَاطِلٌ مِمَّا تُلَاحِظُونَ مِنْهُ وَيَتَشْرَبُونَ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٥٥﴾  
وَلَيْنَ أَطْعَمَهُ بَشَرًا مِثْلُكُمْ أَنْكُمْ إِذَا لَحَسِبْتُمْ أَنْكُمْ تَكُونُونَ ﴿٥٦﴾  
إِذَا مِتُّ وَكَرَّمْتُ لِيَوْمَ تَأْتُونَ ۚ إِنَّ هِيَ هِيَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِهَا ۚ إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٥٧﴾  
إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٨﴾ قَالَ رَبِّ أَنْصُرْنِي بِمَا كُنتَ بِنَاءً ۚ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَادِيَةً ﴿٥٩﴾  
فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ ۚ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً ۚ فَبَعَثَ الْقَوْمُ الظَّالِمِينَ ﴿٦٠﴾ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٦١﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
تَجَنَّبَا	تَحْتَضِرَانِ
قَوْمًا	قَوْمًا
الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ	أَشْرَافُ قَوْمٍ هُودٍ، وَوُجْهَاتُهُمْ.
هَيْبَاتٍ	بَعِيدًا حَقًّا.
غُثَاءً	كَفْنَاءِ السَّيْلِ الَّذِي يَطْفُو عَلَى الْمَاءِ.
فَبَعَثَ	فَهَلَّاكَ وَإِعْثَارًا مِنَ الرَّحْمَةِ.

## ● العمل بالآيات

١. تذكر موقفًا انقذك الله فيه من حرج أو خطر، واحمد الله على ذلك، ﴿ فَقُلْ لِلَّهِ الْحَمْدُ ۖ إِنَّهُ أَلَمَّ بِالْغُيُوبِ ۚ﴾.
٢. استعد بالله تعالى أن يليك النعيم عن طاعته والقرب منه، ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ هُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ ۚ﴾.
٣. حدد مطلبًا شق عليك، ثم تضرع إلى الله تعالى وسله التيسير فيه، ﴿ قَالَ رَبِّ أَنْصُرْنِي بِمَا كُنتَ بِنَاءً ۚ﴾.

## ● التوجيهات

١. إذا نجوت من مصيبة، أو من ظلم ظالم؛ فلا تنس أن تحمد الله سبحانه وتعالى، ﴿ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَعَكَ عَلَى الْفَلَاحِ فَقُلْ لِلَّهِ الْحَمْدُ ۖ إِنَّهُ أَلَمَّ بِالْغُيُوبِ ۚ﴾.
٢. عليك بتدبر قصص الرسل، وتأملها؛ فإن الله ما ذكرها إلا لما فيها من الدروس والعبر، ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ ۚ﴾.
٣. عاقبة الظالمين قريبة؛ وإن طال الزمان، ﴿ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَادِيَةً ۚ﴾.



## ● الوقفات التدبيرية

﴿ ١ ﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِۦ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿

استكبارهم على تلقي دعوة موسى وآياته وحجته إنما نشأ عن سجيّتهم من الكبر وتطبعهم. ابن عاشور: ٦٤/١٨.

**السؤال: ما سبب ضلال قوم فرعون؟**

﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً ﴾

يقول تعالى مخبرا عن عبده ورسوله عيسى ابن مريم -عليهما السلام-  
 انه جعلهما آية للناس: أي حجة قاطعة على قدرته على ما يشاء؛ فإنه

خلق آدم من غير أب ولا أم، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى، وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر، وخلق بقية الناس من ذكر وأنثى. ابن كثير: ٢٣٨/٣.

**السؤال: ما وجه كون ابن مريم وأمه آية؟**

﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾<sup>١</sup>  
 وتقديـم الأمر بأكل الحلال؛ لأن أكل الحلال معين على العمل

الصالح، وصح: (أيما لحم نبت من سحت فالنار أولى به). الألبوسي: ٢٤١/٩.

**السؤال:** ما الذي يفيد تقديم الأمر بالأكل الحلال على الأمر بالعمل الصالح؟

﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾  
 روى الصحيح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أبها الناس إن الله

طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال:

وقال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم) [البقرة: ١٧٢]، ثم ذكّر آل حلّ، بطيّل، السفر أشعث أغبر، بمد يديه إلى السماء: يا

رب يارب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام،  
فأني يستجاب لذلك» (الفتح: ١٧٢/١).

السؤال: ما المقصود بالأكل، الطب في الآية

يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّهُ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا

يأمر تعالى عباده المرسلين -عليهم الصلاة والسلام- أجمعين

من الحلال، والقيام بالصالح من الأعمال، فدل هذا على أن الحلال عون على العمل الصالح. ابن كثير: ٢٣٩/٣.

**السؤال: ما العلاقة بين الطعام الطيب الحلال والعمل الصالح؟**

﴿ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾

جعلوا دينهم أدياناً بعد ما أمروا بالاجتماع، ثم ذكر تعالى أن كلاً منهم معجب براهيه وضلالته، وهذا غاية الضلال. القرطبي: ٥٢/١٥.

**السؤال: بين خطورة التفريق والإعجاب بالرأي من خلال الآية.**

﴿ أَيْحَسِبُونَ أَنَّمَا نُنْزِلُهُمْ بِإِذْنٍ مِن مَّالِكِ وَبَيِّنَاتٍ ﴿٥٥﴾ سَائِجٍ مِّمَّنْ فِي الْفِرْيَةِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾

**يعني: أيظن هؤلاء المغرور**

لكرامتهم علينا، ومعزتهم ع

**أخطأوا في ذلك، وخاب رجاؤهم**

واملاء ابن كثير: ٢٤٠/٣.

**السؤال: لماذا يمد الله تعالى المجرمين بالأموال والبنين؟**

مَا تَسْتَفِيقُونَ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلُهَا وَمَا يَسْتَفْخِرُونَ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا  
تَتَرَكُلْ مَلَاجَةً أُمَّةً رُسُلُهَا كَذَبُوا فَأَتَيْنَا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ  
وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبَعْدَ الْقَوْمِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٨﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى  
وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٣٩﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ  
فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٠﴾ فَقَالُوا أَأَتُومِنُ لِبَنِي إِسْرَءِيلَ  
وَقَوْمُهُمَا لَنَا عِيدٌ ﴿٤١﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ﴿٤٢﴾  
وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ وَجَعَلْنَا  
بَيْنَ مِصْرَ وَأُمَمَةٍ آيَةً وَأَوْثَقْنَاهُمَا إِلَى زُرْعَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ  
﴿٤٤﴾ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا  
تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٤٥﴾ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّةُكُمْ مِنْ قَبْلِ هَٰذَا وَأَنَّا بِكُم  
فَاعْتَدُونَ ﴿٤٦﴾ فَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَزِمَهُ  
فَرِحُوا ﴿٤٧﴾ فَذَرَوْهُ فِي عَمَرَئِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٨﴾ ائْتَحِسُّونَ أَمَّا يَوْمُهُمْ  
يَوْمَهُمْ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ ﴿٤٩﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾  
إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفَعُونَ ﴿٥١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ  
بِقَائِهِمْ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٣﴾

## معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
أَجَلُهَا	موعد هَلَاكِهَا المحدد.
تَتَرَا	يَتَنَعَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا.
رَبِوَةٌ	مَكَانٌ مُرْتَفِعٌ مِنَ الْأَرْضِ.
ذَاتُ قَرَارٍ	مُسْتَوٍ لِلِاسْتِقْرَارِ عَلَيْهِ.
وَمَعِينٍ	مَاءٌ جَارٍ ظَاهِرٍ لِلْعُيُونِ.
فَتَنْقُطُوا أَمْرَهُمْ	فَتَنْفَرِّقُوا الْأَتْبَاعَ فِي الدِّينِ.
زُرُبَا	شَيْعًا، وَأَحْزَابًا.
غَمَرَتْهُمْ	ضَلَالَتُهُمْ، وَجَهْلُهُمْ.

## العمل بالآيات

١. اسعد بالله من الكبر؛ فإنه يصد عن الحق، ﴿فَاسْكُرُوا وَكَافُوا تَوْفَىٰ عَلَيْنَ﴾.  
 ٢. استعرض أنواع طعامك؛ فإن وجدت طعاماً محرماً فأبعد عنه حتى يستجاب دعائك، ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾.  
 ٣. أرسل رسالة تحذر فيها من أسباب الافتراق والاختلاف في الدين، ﴿وَلَنْ هُذَيْبُكُمْ أُمَّةٌ وَجِدَّةٌ وَأَنَا بِكُمْ فَائِزٌ فَتَقَطَّعُوا أَرْهَافَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا﴾.

## التوصيات

١. من أسباب السعادة الاقتصار على اكل الطيبات والاشتغال بالعمل الصالح، ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾.
٢. انتبه من غفلتك؛ فقد تكون النعمة المنزلة عليك استدرجا، ﴿أَيَّاسِينَ أَمَّا يُنْذِرُهُمْ﴾.
٣. من مآل ربيّن ﴿سَاحِجٌ هُمْ فِي الْغُرُوبِ﴾ بل لَا يَشْعُرُونَ.
٤. لا تغتر بعلمك بالصالح، بل ابق خائفاً من الله، ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ تُشْفِقُونَ﴾.

بهذا أتمّ القيام، وجعوا بين كل خير، قولاً وعملاً ودلالةً ونصحاً، فجزاهم الله عن العباد خيراً. قال الحسن البصري: أما والله ما أمرؤ بأصفركم ولا أحرّكم، ولا خلوكم ولا حامضكم، ولكن قال: انتهوا إلى الحلال منه. وقال سعيد بن جبير والضحاك: ﴿كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ يعني: الحلال. وقد ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس، إنّ الله طيّب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾». وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ (البقرة: ١٧٢). ثم ذكر الرجل يُطيل السفر أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يُمْدُ يديه إلى السماء: يا رب، يا رب، ومطعمه حرام، ومشرّبه حرام، وملبسه حرام، وغذّي بالحرام، فأني يستجاب لذلك؟! ﴿وَلَنِ هَذِهِ أَشْكَرُ أَمَةٍ وَجِدَةٍ﴾ أي: دينكم -يا معشر الأنبياء- دين واحد، وملة واحدة؛ وهو الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له؛ ولهذا قال: ﴿وَأَنَا بِكُمْ فَاقِقُونَ﴾.

وقوله: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ذُرّاً﴾ أي: الأمم الذين بُعث إليهم الأنبياء ﴿كُلَّ حِزْبٍ بِمَا لَزِمَهُمْ قِسْوَ﴾ أي: يفرحون بها هم فيه من الضلال؛ لأنهم يحسبون أنهم مهتدون؛ ولهذا قال مُتَهَذِّلاً لهم ومُتَوَعِّداً: ﴿فَذَرُّوا عَصِيْبَهُمْ﴾ أي: في عيبتهم وضلالهم ﴿حَتَّىٰ يَبِيْزَ﴾ أي: إلى حين حينهم وهلاكهم. ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَنَبِيٍّ﴾ ﴿شَايَ لَكُمْ فِي لَقِيْرَتِ﴾ بل لا يَشْعُرُونَ يعني: أبظن هؤلاء المفلوون أن ما نعطيه من الأموال والأولاد لكرامتهم علينا ومعزتهم عندنا؟! كلا، ليس الأمر كما يزعمون في قولهم: ﴿نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلَاداً وَمَا نَحْنُ بِمُعْصِيْنَ﴾ [سبا: ٣٠] لقد أخطؤوا في ذلك وخاب رجائهم، بل إننا نضل بهم ذلك استدراجاً وإنظاراً وإملاء؛ ولهذا قال: ﴿كُلَّ لَا يَشْعُرُونَ﴾. قال قتادة في قوله: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَنَبِيٍّ﴾ ﴿شَايَ لَكُمْ فِي لَقِيْرَتِ﴾ بل لا يَشْعُرُونَ قال: مُكَيِّرُ الله بالقوم في أموالم وأولادهم، يا ابن آدم، فلا تَعْتَبِرِ الناس بأموالم وأولادهم، ولكن اعتبرهم بالإيمان والعمل الصالح.

الآية (٥٧-٥٩): يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشِيَةِ رَبِّهِمْ خَشِفُوا﴾ أي: هم مع إحسانهم وإيمانهم وعملهم الصالح، مشفقون من الله خائفون منه، وجُلُون من مَكْرِهِ بهم؛ كما قال الحسن البصري: إن المؤمن يجمع إحساناً وشفقة، وإن المنافق يجمع بجح إساءة وأماناً. ﴿وَالَّذِينَ هُمْ يَكِلُونَ رَبَّهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾ أي: يؤمنون بآياته الكونية والشرعية؛ كقوله تعالى إخباراً عن مريم -عليها السلام-: ﴿وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُنْتِ مِنَ الْبَرِّ﴾ [التحریم: ١٢] أي: أيقنت أن ما كان إنبا هو عن قدر الله وقضائه، وما شرعه الله فهو إن كان أمراً فإني مُجِبٌّ ویرضاه، وإن كان نبياً فهو ممّا يكرهه وبإياه، وإن كان خبراً فهو حقٌّ، كما قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُكْرِهُونَ﴾ أي: لا يعلدون معه غيره، بل يُوحِّدونه ويعلمون أنه لا إله إلا الله أحداً صمداً، لم يَخْذُ صاحبةً ولا ولداً، وأنه لا نظير له ولا كفه له.

الآية (٤٣-٤٤): ﴿مَا تَسْبِيْهُنَّ مِنْ أُمَّةٍ أَعْلَمَهَا وَمَا يَسْتَفْخِرُونَ﴾ يعني: بل يُؤْخِذُونَ حَسَبَ مَا قَدَّرَ لهم تعالى في كتابه المحفوظ وعلمه قبل كونهم أمة بعد أمة، وقرناً بعد قرن، وجيلاً بعد جيل، وخلفاً بعد سلف.

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا﴾ قال ابن عباس: يعني يَتَّبِعُ بعضهم بعضاً. ﴿كُلَّ مَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ رَّبِّهِمْ كَذَبُوهُ﴾ يعني: جمهورهم وأكثرهم؛ كقوله تعالى: ﴿يَسْتَحْزِرُونَ عَلَى الْإِسَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [يس: ٣٠]. ﴿فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا﴾ أي: أهلكناهم.

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ إخباراً وأحاديث للناس؛ كقوله: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَرَفَنَاهُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ﴾ الآية [سبا: ١٩] ﴿فَنَعِدُ الْقَوْمَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

الآية (٤٥-٤٩): تُجِيزُ تعالى أنه بَعَثَ رسوله موسى ﷺ وأخاه هارون إلى فرعون وملئيه، بالآيات والْحُجُجِ الدامغات، والبراهين القاطعات، وأن فرعون وقومه استكبروا عن اتباعها، والانقياد لأمرها، لكونها بشرين كما أنكرت الأمم الماضية بغتة الرسل من البُفْرِ، تَشَابَهَتْ قلوبهم، فَأَهْلَكَ الله فرعون وملأه، وَأَغْرَقَهُم في يوم واحد أجمعين، وَأَنْزَلَ على موسى الكتاب -وهو التوراة- فيها أحكامه وأوامره ونواهي، وذلك بعد ما قَصَمَ الله فرعون والقيط، وأخذهم أخذ عزيز مقتدر، وبعد أن أنزل الله التوراة لم يُبْلِكْ أمة بعامية، بل أمر المؤمنين بقتال الكافرين؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِن بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصاص: ٤٣].

الآية (٥٠): يقول تعالى مخبراً عن عبده ورسوله عيسى ابن مريم -عليها السلام- أنه جَعَلَهَا آيَةً لِلنَّاسِ: أي حجة قاطعة على قدرته على ما يشاء؛ فإنه خَلَقَ آدم من غير أب ولا أم، وَخَلَقَ حواءَ من ذَكَرِ بلا أنثى، وَخَلَقَ عيسى من أنثى بلا ذَكَرٍ، وَخَلَقَ بَقِيَّةَ النَّاسِ من ذَكَرٍ وأنثى.

وقوله: ﴿وَأَوَّيْنَاهُمَا إِلَىٰ زُجُوجٍ ذَاتِ قُرَارٍ وَصِيْعٍ﴾ قال ابن عباس: الرُّبُوءُ: المكان المرتفع من الأرض، وهو أحسن ما يكون فيه النبات. وكذا قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وقاتدة. قال ابن عباس: وقوله: ﴿ذَاتِ قُرَارٍ﴾ ذات خصب ﴿وَصِيْعٍ﴾ يعني: ماء ظاهرًا.

وعن ابن عباس: ﴿ذَاتِ قُرَارٍ وَصِيْعٍ﴾ قال: أنهار دمشق. وقال مجاهد: ﴿وَأَوَّيْنَاهُمَا إِلَىٰ زُجُوجٍ﴾ عيسى ابن مريم وأمه حين أَوَّيَا إلى غُوطَةِ دمشق وما حولها. وأقرب الأقوال في ذلك ما روي عن ابن عباس في قوله: ﴿وَصِيْعٍ﴾ قال: المعين الماء الجاري، وهو النهر الذي قال الله تعالى: ﴿قَدْ جَعَلَ رَبِّيَ خَيْبًا سَرِيًّا﴾ [مريم: ٢٤]. وكذا قال الضحاك وقاتدة: هو بيت المقدس. فهذا والله أعلم هو الأظهر؛ لأنه المذكور في الآية الأخرى. والقرآن يُفَسِّرُ بعضه بعضاً.

الآية (٥١-٥٦): يأمر تعالى عباده المرسلين عليهم الصلاة والسلام أجمعين بالأكل من الحلال، والقيام بالصالح من الأعمال، فذل هذا على أن الحلال عون على العمل الصالح، فقام الأنبياء -عليهم السلام-



وقوله: ﴿حَقَّ إِذَا أَغْنَيْنَا مِنْهُمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْتَرُونَ﴾ يعني: حتى إذا جاء مترفيهم - وهم السعداء الْمُتَعَمِّونَ في الدنيا - عذابُ الله وبأسه ونقمته بهم ﴿إِذَا هُمْ يَجْتَرُونَ﴾ أي: يصرخون ويستغيثون، ﴿لَا يَجْتَرُوا الْيَوْمَ الْيَوْمَ كَمَا لَا يَجْتَرُونَ﴾ أي: لا يُجِيرُكم أحدٌ مما حلَّ بكم، سواء جأركم أو سكتكم، لا عيِد ولا مناص ولا وَزَرَ، لِزَمِ الأمرُ وَوَجِبَ العذاب. ثم ذكر أكبر ذنوبهم فقال: ﴿فَدَاكَتْ أَيْتِي نَتْلِي عَلَيْكَ نَكْثَهُ عَلَى أَغْفِيكَ نَكْصُونَ﴾ أي: إذا دُعِيتُمُ آبِيتُم، وإن طَلِيتُمُ امْتَعْتُم، ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴿عاف: ١٢﴾. وقوله: ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَعِيرًا يَهْجَرُونَ﴾ في تفسيره قولان، أحدهما: أن «مستكبرين» حالٌ منهم حين نُكُوصِهِم عن الحق وإبانِهِم إِيَّاهُ، استكبارًا عليه واحتقارًا له ولأهله، فعلى هذا الضمير في ﴿بِهِ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الحرم، أي: بمكة؛ دُثُوا لأنهم كانوا يَسْتُرُونَ بالهَجَر من الكلام. والثاني: أنه ضمير للقرآن، كانوا يَسْتُرُونَ ويَذْكُرُونَ القرآن بالهَجَر



## ● الوقفات الأدبية

﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾

الأعمال الظاهرة يعظم قدرها، ويصغر قدرها بما في القلوب، وما في القلوب يتفاضل؛ لا يعرف مقادير ما في القلوب من الإيمان إلا الله. ابن تيمية: ٤٦١/٤.

السؤال: استخرج فائدتين من الآية.

١ ﴿ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَلَهُمْ أَسْجُورٌ ﴾ ﴿ وَلَا تَكُفُّ نَفْسًا إِلَّا وَهُمْ ﴾

لما ذكر مسارعهم إلى الخيرات وسبقهم إليها، ربما وهم وهم ان للطلب منهم ومن غيرهم أمر غير مقدور أو متعسر؛ أخير تعالى أنه لا يكلف نفساً إلا وسعها. السعدي: ٥٥٤.

السؤال: السباق إلى الخيرات قد يصل إلى التكلف، كيف عالجت الآية هذه القضية؟

٢ ﴿ فَكَانَتْ أَيْدِيهِمْ يَشْكُرُونَ لَكُمْ تَكْثِيرًا عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَكْثِيرًا ﴾

(هكتمت على أعقابكم تنكصون) أي: راجعين القهقري إلى الخلف؛ وذلك لأن بآتياعهم القرآن يتقدمون، وبالإعراض عنه يستأخرون، وينزلون إلى أسفل سافلين. السعدي: ٥٥٥.

السؤال: في الآية إشارة بأن تحكيم الشريعة هي الوسيلة المثلى للتقدم والرفق، وضع ذلك.

٣ ﴿ أَفَلَمْ يَذْكُرُوا الْقَوْلَ ﴾

إذا - والله - يجدون في القرآن زاجراً عن معصية الله لو تدبره القوم وعقلوه، ولكنهم أخذوا بما تشابه به؛ فهلكوا عند ذلك. ابن كثير: ٢٤٢/٣.

السؤال: ما فائدة حثهم على التدبر؟

٤ ﴿ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُبْكَرُونَ ﴾

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «أليس قد عرفوا محمداً ﷺ صغيراً وكبيراً، وعرفوا نسبه، وصداقه، وأمانته، ووفاءه بالمهود، وهذا على سبيل التوبيخ لهم على الإعراض عنه بعدما عرفوه بالصدق والأمانة البغوي: ٢٥٢/٣.

السؤال: بين أهمية دراسة سيرة النبي ﷺ وتعلم أخلاقه.

٥ ﴿ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُبْكَرُونَ ﴾

وإنما أسندت كراهية الحق إلى أكثرهم دون جميعهم؛ إنصافاً لمن كان منهم من أهل الأخلام الراجحة الذين علموا بطلان الشرك، وكانوا يجنحون إلى الحق، ولكنهم يشايعون طغاة قومهم مصانعة لهم، واستبقاء على حرمة أنفسهم. ابن عاشور: ٩١/١٨.

السؤال: لماذا أسندت كراهية الحق إلى أكثر الكفار لا جميعهم؟

٦ ﴿ وَلَوْ اتَّبَعَ أَسْقَىٰ أَوْلَاهُ لَمَّا فَسَدَتْ أَسْوَكَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا ﴾

(ولو اتبع الحق أهواءهم) أي: بما يهواه الناس ويشتهونه؛ لبطل نظام العالم؛ لأن شهوات الناس تختلف، وتتضاد، وسبيل الحق أن يكون متبوعاً، وسبيل الناس الانقياد للحق. القرطبي: ٧٧/١٥.

السؤال: للحرية حدود، ماذا يحدث لو أزيلت هذه الحدود؟

وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿١﴾  
أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَلَهُمْ أَسْجُورٌ ﴿٢﴾ وَلَا تَكُفُّ نَفْسًا إِلَّا وَهُمْ أَسْمَعُهَا وَلَٰئِكَ يَلْطَفُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يَنْظُرُونَ ﴿٣﴾  
بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّنْ دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَاثِلُونَ ﴿٤﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْعَرُونَ ﴿٥﴾ لَا جُنُودَ الْيَوْمَ أَذْكُرُ مَتَا لَا تَصُرُونَ ﴿٦﴾ فَكَانَتْ عَٰبِتِي ثَنًى عَلَيْكَ وَكَفَنَتِي عَلَىٰ أَعْقَابِكَ تَنْكَصُوتُ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سِمَرَ الْجُحُورِ ﴿٧﴾ أَفَلَمْ يَذْكُرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُبْكَرُونَ ﴿٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ وَآكَثَرُهُمُ الْحَقِّ كَرِهُونَ ﴿١٠﴾ وَلَوْ اتَّبَعَ أَسْقَىٰ أَوْلَاهُ لَمَّا فَسَدَتْ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَنْتَبَهُمْ يَذْكُرُ هَهُمُ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُّعْرِضُونَ ﴿١١﴾ أَمْ تَسْتَأْذِنُ لَهُمْ خَرَاجَ قَرْيَةٍ بِكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١٢﴾ وَلَٰئِكَ لَتَذْعُرُهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَيِّتُونَ ﴿١٤﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
وَجَلَةٌ	خَائِفَةٌ مِنْ عَدَمِ الْقَبُولِ.
غَمْرَةٌ مِنْ هَٰذَا	ضَلَالٍ عَنْ هَٰذَا الْقُرْآنِ.
يَجَاوِرُونَ	يَرْفَعُونَ أَصْوَاتَهُمْ مُتَضَرِّعِينَ.
عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنْكَصُونَ	تَنْفِرُونَ مِنْ سَمَاعِ الْآيَاتِ كَالَّذِي يَرْجِعُ إِلَى الْوُزَاءِ.
سَامِرًا تَهْجُرُونَ	تَتَسَامَرُونَ بِاللَّيْلِ حَوْلَ الْكعبةِ بِالسَّيْرِ مِنَ الْقَوْلِ.

## ● العمل بالآيات

- اختر طاعة من الطاعات، وسابق إليها، وكن من أول من يفعلها. ﴿ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَجُورٌ ﴾.
- كما تعودت أن يكون لك ورد تتلو فيه القرآن، أو تحفظه فيه؛ فاجعل لنفسك ورداً تتدبر فيه آيات من القرآن، ﴿ أَفَلَمْ يَذْكُرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾.
- اقرأ كتاباً في شمائل النبي ﷺ، ﴿ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُبْكَرُونَ ﴾.

## ● التوجيهات

- تذكر دائماً وقوفك بين يدي الله تعالى يوم القيامة، ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾.
- الذنوب سبب لغمرة القلب، وتشتت أحواله، وتركها سبب لسلامته وصحته، ﴿ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّنْ دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَاثِلُونَ ﴾.
- من أسباب إغراض الناس عن الحق: غمرة الجهل والتعصب، وعمى التقليد، ﴿ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّنْ دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَاثِلُونَ ﴾.



الفاقي  
الصوتي

## ● الوقفات التحذيرية

﴿ وَلَوْ رَحَّمْنَهُمْ وَكُنْهْمَا مَا يَهْمُنُ مِنَ مُنْزِلِ لَحْمٍ فِي طَعْنِهِمْ يَهْمُونَ ﴾

يقول تعالى: ولو رحمنا هؤلاء الدين لا يؤمنون بالأخرة، ورفقنا عنهم ما بهم من الضحط والجذب، وضرب الجوع، والهزال (لجوا في طغيانهم) يعني: في عتوهم، وجرأتهم على ربهم. (يعمّهون) يعني: يترددون. الطبري: ٥٩/١٩. السؤال: لم لا يُرفع الضر والعذاب عن الكافرين في الدنيا؟ وضع ذلك من خلال الآية.

﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَضُرُّهُمْ ﴾

يقول تعالى ذكره: ولقد أخذنا هؤلاء المشركين بمذابنا، وانزلنا بهم بأسنا، وسخطنا، وضيقنا عليهم معاشهم، واجدبنا بلادهم، وقتلنا سراهم بالسيف، (فما استكانوا لربهم) يقول: فما خضعوا لربهم؛ فينقادوا لأمره ونهيه، وينيبوا إلى طاعته، (وما يضرهم) يقول: وما يتدللون له. الطبري: ٦٠/١٩.

السؤال: ينزل الله تعالى العذاب بالعصاة لإصلاحهم، كيف ذلك؟

﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَضُرُّهُمْ ﴾ ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْسِئُونَ ﴾

(وما يضرهم) (وما يضرعون) إليه، ويفتقرون، بل مر عليهم ذلك، ثم زال كأنه لم يصيبهم؛ ثم يزالوا في غيهم وكصرهم، ولكن وراهم العذاب الذي لا يرد، وهو قوله: (حتى إذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد). السعدي: ٥٥٦.

السؤال: الغفلة عن الإنذار توجب عذاباً بعده، وضع ذلك من خلال الآية.

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾

وذكر السمع، والبصر، والأفئدة - وهي القلوب - أعظم المنافع التي فيها، فيجب شكر خالقها، ومن شكره: توحيده، واتباع رسوله عليه الصلاة والسلام، ففي ذكرها تعديد نعمته، وإقامة حجة ابن جزي: ٧٦/٢.

السؤال: لم خص الله تعالى هذه الأعضاء بالذكر دون سائر الجسد؟ وما الفائدة من ذكرها؟

﴿ قُلْ لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ ﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَنْقَرُونَ ﴾

ودلت هذه الآيات على جواز جدال الكفار، وإقامة الحجة عليهم. القرطبي: ٨٠/١٥. السؤال: هل يجوز للمراء إذا كان على علم أن يجادل الكفار لأجل هدايتهم؟

﴿ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ ﴾

(وهو يجير) من يشاء؛ أي: يحمي ويحفظ من يشاء؛ فلا يستطيع أحد أن يمسّه بسوء. (ولا يجار عليه) أي: ولا يستطيع أحد أن يجير، أي: يحمي، ويحفظ عليه أحداً أراد به سوء. الجزائري: ٥٣٥/٣.

السؤال: في الآية تطمين للمؤمن، بين ذلك؟

﴿ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ ﴾

أي: يمنع، ولا يمنع منه، وقيل: (يجير)، يؤمن من شاء، (ولا يجار عليه) أي: لا يؤمن من أخافه... أي: من أراد الله إهلاكه وخوفه لم يمنعه منه مانع، ومن أراد نصره وأمنه لم يدفعه من نصره وأمنه دافع. القرطبي: ٧٩/١٥.

السؤال: عرفت معنى قوله تعالى: (وهو يجير ولا يجار عليه) فكيف تنتفع بهذه المعرفة؟

الحزب الثامن عشر

﴿ وَلَوْ رَحَّمْنَهُمْ وَكُنْهْمَا مَا يَهْمُنُ مِنَ مُنْزِلِ لَحْمٍ فِي طَعْنِهِمْ يَهْمُونَ ﴾ ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَضُرُّهُمْ ﴾ ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْسِئُونَ ﴾ ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ ﴿ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتَلَفَ الْأَيْلَ وَالنَّهَارُ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ ﴿ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴾ ﴿ قَالُوا إِنْ دَامَتَا وَعَسَىٰ أَنْ تَأْتِيَا بَاقًا وَعَظْمًا كَإِذَا كُنَّا أَهْلَ الْأَرْضِ فَأَسْطِطِرُّنَا أَوَّلِينَ ﴾ ﴿ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ ﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَنْقَرُونَ ﴾ ﴿ قُلْ مَنْ يَدْعُو مَلَكَتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنِّي تُسْحَرُونَ ﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
لَلْجُوا	تَلَمَّذُوا.
يَعْمَهُونَ	يَتَحَيَّرُونَ وَيَتَحَبَّطُونَ.
اسْتَكَانُوا	خَضَعُوا.
مُبْسِئُونَ	أَيْسُونَ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ مُتَحَيَّرُونَ.
ذَرَأَكُمْ	خَلَقَكُمْ، وَبَنَى.
يُجِيرُ	يَحْمِي وَيُعِيتُ مَنْ يَشَاءُ.
وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ	لَا يُفَاتُ أَخَذَ وَيُحْمَى مِنْهُ.

## ● العمل بالآيات

١. تذكر بلاء كشفه الله عنك، واشكره عليه، ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَضُرُّهُمْ ﴾.
٢. تنضرع إلى الله أن يكشف الكرب والضر عن المسلمين، ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَضُرُّهُمْ ﴾.
٣. اقرا وتفكر في نعمته السمع، أو البصر، أو العقل، ثم اشكر الله عليها، ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾.

## ● التوجيهات

١. كلما زاد عليك الابتلاء فزد في العبادة، استكانة لله، وتضرعا له، ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَضُرُّهُمْ ﴾.
٢. احذر زيادة نزول عذاب الله تعالى عليك إن استمررت على معصيته، ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَضُرُّهُمْ ﴾ ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْسِئُونَ ﴾.
٣. ما اصتر اغترار الخلق بحلم الله عليهم، ﴿ لَقَدْ وَدَّعْنَاكُمْ وَأَكْبَأْنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسْطِطِرُّنَا أَوَّلِينَ ﴾.

الْأَوَّلِينَ ﴿ يعنون: الإعادة عُحال، إنسا يُخْبِرُ بها من تَلَقَّها عن كُتُبِ الأولين واختلافهم.

الآية (٨٤-٨٩): يُقَرِّرُ تعالى وحدانيته، واستقلاله بالخلق والتصرف والمُلْكُ لِتُرْشِدِ إلى أنه الذي لا إله إلا هو، ولا تنبغي العبادة إلا له وحده لا شريك له؛ ولهذا قال لرسوله محمد ﷺ أن يقول للمشرِكين العابدين معه غيره، المعترفين له بالربوبية، وأنه لا شريك له فيها، ومع هذا فقد أشركوا معه في الإلهية، فَعَبَدُوا غيره معه، مع اعترافهم أن الذين عَبَدُوهم لا يَخْلُقُونَ شيئاً، ولا يَمْلِكُونَ شيئاً، ولا يَسْتَبْدُونَ بشيء، بل اعتقدوا أنهم يقربونهم إليه زُلْفَى؛ فقال: ﴿ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا ﴾ أي: مَنْ مالِكها الذي خَلَقَها ومن فيها من الحيوانات والنباتات والتمرات، وسائر المخلوقات ﴿ إِنَّ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾.

﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾ أي: فيعتفون لك بأن ذلك لله وحده لا شريك له، فإذا كان ذلك ﴿ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ أنه لا تنبغي العبادة إلا للمخلوق الرازق لا لغيره!؟

﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَكِاتِ السَّجِجَةِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ أي: مَنْ هو خالق العالم العلوي بما فيه من الكواكب النُّجُرات، والملائكة الخاضعين له في سائر الأقطار منها والجهات، ومن هو رب العرش العظيم!؟ يعني: الذي هو سَقَفُ المخلوقات. وقال الضحَّاك عن ابن عباس: إنما سُمِّيَ عَرْشاً لارتفاعه. وقال مجاهد: ما السموات والأرض في العرش إلا كَحَلَقَةٍ في أرض فلاة. وعن ابن عباس قال: العرش لا يُقَدَّرُ أَحَدٌ قَدْرَهُ إلا الله ﷻ.

ولهذا قال ههنا: ﴿ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ يعني: الكبير. وقال في آخر السورة: ﴿ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ [المؤمنون: ١١٦] أي: الْحَسَنُ الْبِهِيُّ؛ فقد جَمَعَ العرش بين العظمة في الاتساع والعلو، والحُسْنُ الْبَاهِرُ؛ ولهذا قال من قال: إنه من باقوة حبراء. وقال ابن مسعود: إن ربكم ليس عنده ليل ولا نهار، نورُ العرش من نور وجهه.

﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ أَفَلَا نُنْقِطُ ﴾ أي: إذا كنتم تعترفون بأنه ربُّ السموات وربُّ العرش العظيم، أفلا تخافون عقابه وتَحَلُّوْنَ عَذابه، في عبادتكم معه غيره وإشراككم به!؟ ﴿ قُلْ مَنْ مَلِكُكُمْ كَيْفَ تَعْبُدُونَهُ ﴾ أي: يبيد الملك، ﴿ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ﴾ [هود: ٥٦] أي: مُنْصَرِّفٌ فيها. فهو سبحانه الخالق المالك الْمُصَرِّفُ، ﴿ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ ﴾ إِنَّ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿ كانت العرب إذا كان السيد فيهم فأجار أحداً، لا يُجَفَّرُ في جواره، وليس لمن دونه أن يُجِيرَ عليه، لثلاث فَيَنَاتٍ عليه، ولهذا قال الله: ﴿ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ ﴾ أي: وهو السيد العظيم الذي لا أعظم منه، الذي له السَّخْلُ والأمر، ولا مُعَقَّبَ لحكمه، الذي لا يُسَانَعُ ولا يُجَالَفُ، وما شاء كان، وما لم يَشَأْ لم يكن.

وقوله: ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾ أي: سيعترفون أن السيد العظيم الذي يُجِيرُ ولا يُجَارُ عليه هو الله تعالى وحده لا شريك له، ﴿ قُلْ فَأَنَّى تُشْرِكُونَ ﴾!؟ أي: فكيف تذهب عُقُولُكم في عبادتكم معه غيره مع اعترافكم وعلمكم بذلك!؟

الآية (٧٥): يُخْبِرُ تعالى عن غَلْظِهِمْ في كفرهم بأنه لو أراح عِلْلَهُمْ وَأَنهَمَهُمُ القرآن، لَمَّا اتقادوا له ولاستمرُّوا على كفرهم وعنادهم وطفياهم؛ كما قال تعالى: ﴿ وَتَوَلَّى اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٣]، فهذا من باب علمه تعالى بما لا يكون لو كان كيف يكون.

الآية (٧٦-٨٣): يقول تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ ﴾ أي: ابتليناهم بالمصائب والشدائد، ﴿ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَضُرُّوْنَ ﴾ أي: فما رَدَّهم ذلك عما كانوا فيه من الكفر والمخالفة، بل استمروا على ضلالهم وعيبيهم، ﴿ فَمَا اسْتَكَانُوا ﴾ أي: ما خَشَعُوا، ﴿ وَمَا يَضُرُّوْنَ ﴾ أي: ما دعوا؛ كما قال تعالى: ﴿ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام: ٤٣].

[سبب النزول]: عن ابن عباس أنه قال: جاء أبو سفيان إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، أنشدك الله والرحم، فقد أَكَلْنَا الْعِلَهِيَّ - يعني: الوَيْرَ والدم- فأنزل الله: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا ﴾ الآية. إرواه أحد والنسائي وابن جبان، وصححه الألباني وأصله في الصحيحين أن رسول الله ﷺ دعا على قریش حين استعصوا فقال: «اللهم أعني عليهم يسع كسب يوسف».

وقوله: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبِيلُونَ ﴾ أي: حتى إذا جاءهم أمر الله وجاءتهم الساعة بغتة، وأخذهم من عقاب الله ما لم يكونوا يَحْتَسِبُونَ، فعند ذلك أَبْكَسُوا من كل خير، وأبْشُوا من كل راحة، وانقطعت آمالهم ورجاؤهم.

ثم ذكر تعالى نعمته على عباده في أن جعل لهم السمع والأبصار والأُنُفُة، وهي العقول والفهوم التي يدركون بها الأشياء، ويعتبرون بها في الكون من الآيات الدالة على وحدانية الله، وأنه الفاعل المختار لِمَا يَشَاءُ ﴿ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ أي: وما أَقَلُّ شُكْرِكُمْ لله على ما أنعم به عليكم؛ كقوله: ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٣].

ثم أخبر تعالى عن قدرته العظيمة وسلطانها القاهرة، في بَرزِهِ الخليفة وذَرِيَّتِهِ لهم في سائر أقطار الأرض، على اختلاف أجناسهم ولغاتهم وصبغاتهم، ثم يوم القيامة يَجْمَعُ الأولين منهم والآخرين لِمِيقَاتِ يوم معلوم، فلا يترك منهم صغيراً ولا كبيراً، ولا ذَكَراً ولا أُنْثَى، ولا جليلاً ولا حقيراً، إلا أعاده كما بدأه؛ ولهذا قال: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُمَيِّتُ وَيُحْيِي ﴾ أي: يُحْيِي الرُّمَمَ وَيُحْيِي الأُمَمَ، ﴿ وَلَهُ أَمْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾ أي: وعن أمره تسخير الليل والنهار، كُلٌّ منها يُطَلَّبُ الآخر طَلَبًا حَاشِيًا، يتعاقبان لا يفتران، ولا يفترقان بزمان غيرهما؛ كقوله: ﴿ لَا السَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ﴾ [يس: ٤٠].

﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ أي: أفليس لكم عقول تَدُلُّكم على العزيز العليم، الذي قد فَهَر كل شيء، وَخَضَعَ له كل شيء!؟ ثم قال خبراً عن سُكْرِي البعث الذين أَشْبَهُوا من قبلهم من المكذِبين: ﴿ بَلْ قَالُوا يَسْئَلُ مَا قَالِ الْأَوَّلُونَ ﴾ (٨٨) قَالُوا أَوَدَا وَشَنَا وَكُنَّا تَرَاكًا وَعِظْنَا أَوَدًا لَمَبْمُوتُونَ ﴿ يعني يستبعدون وقوع ذلك بعد صبرورهم إلى البلى. ﴿ لَقَدْ وَعِدْنَا نَحْنُ وَوَعَّدْنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسْطِطِيرُ

الآية (٩٠): ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا الْآيَاتِ الْكُذْبَىٰ﴾، وهو الإعلام بأنه لا إله إلا الله، وأقمنا الأدلة الصحيحة الواضحة القاطعة على ذلك.

﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ أي: في عبادتهم مع الله غيره، ولا دليل لهم على ذلك؛ فالشركون لا يفعلون ذلك عن دليل قاطعهم إلى ما هم فيه من الإفك والضلال، وإنما يفعلون ذلك اتباعاً لأبائهم وأسلانهم الحياري الجاهل؛ كما قالوا: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ إِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣].

الآية (٩١-٩٢): **يُبَيِّنُ تَعَالَى نَفْسَهُ عَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ أَوْ شَرِيكَ فِي الْمُلْكِ وَالتَّصَرُّفِ وَالْعِبَادَةِ، فَقَالَ: ﴿مَا اخْتَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا أَذْنَبَ كُلُّ الْإِنْسَانِ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾** أي: لو قُدِّرَ تَعَدُّدُ الْأَلْهَةِ لَانْفَرَدَ كُلُّ مِنْهُمْ بِمَا يَخْلُقُ، فَمَا كَانَ يَنْتَظِمُ الوجود. **وَالْمُشَاهِدَةُ أَنَّ الوجودَ مُنْتَظِمٌ مُتَّسِقٌ؛ كُلُّ مَنْ الْعَالَمِ الْعُلُويِّ وَالسَّفَلِيِّ مُرْتَبِطٌ بِبَعْضِهِ بِيَعُضٍ فِي غَايَةِ الْكِبَالِ، ﴿مَتَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوتٍ﴾** [الملك: ٣]، ثُمَّ لَكَانَ كُلُّ مِنْهُمْ يَطْلُبُ قَهْرَ الْآخَرِ وَخِلَافَةً، فَيَقُولُوا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ أي: عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ الْمُعْتَدِلُونَ فِي دَعْوَاهِ الْوَلَدِ أَوْ الشَّرِيكِ عَلَوًّا كَبِيرًا. **﴿عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾** أي: يَعْلَمُ مَا يَغِيبُ عَنِ الْمَخْلُوقَاتِ وَمَا يَشَاهِدُونَهُ، **﴿فَتَمْتَكِنُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾** أي: تَقْدَسُ وَتَنْزَهُ وَتَعَالَى وَعَزَّ وَجَلَّ عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ وَالْجَاهِلُونَ.

الآية (٩٣-٩٨): يقول تعالى آمَرَ نَبِيَّ مُحَمَّدًا ﷺ أَنْ يَدْعُو هَذَا الدُّعَاءَ عِنْدَ حُلُولِ النَّفْسِ: ﴿قُلْ رَبِّ إِنَّمَا رُفِعَ صَوْنِي مَآبُوعَدُوكَ﴾ أي: إِنْ عَاقِبْتَهُمْ -وَإِنِّي شَهِدْتُ ذَلِكَ- فَلَا تَجْعَلْنِي فِيهِمْ؛ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «وَإِذَا أَرَدْتَ بِقَوْمٍ فِتْنَةً فَتَقَوَّنِي إِلَيْكَ غَيْرَ مُفْتَنٍ» [رواه أحمد والترمذي، وصححه إسناده أحمد شاكر]. وقوله: ﴿وَيَا عَلَانُ أَفَئِنَّكَ مَا مَدَّيْهُمْ لَتَقْدِرُونَ﴾ أي: لو شِئْنَا لَأَرْيَاكَ مَا نُفْعِلُ بِهِمْ مِنَ النَّفَمِ وَالبَاءِ وَالسَّحَنِ. ثُمَّ قَالَ مُرْشِدُهُ لِي التَّيَابِقِ النَّافِعِ فِي مَخَالِطَةِ النَّاسِ؛ وَهُوَ الْإِحْسَانُ إِلَى مَنْ يُبْغِيهِ لَيْسَ يَجْلِبُ خَاطِرُهُ، فَتَعَوَّدَ عِدَاؤُهُ صَدَاقَةً وَيُعْضَهُ حُبَّةً، فَقَالَ: «أَدْفَعْ يَأْتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ عَنْ أَعْلَمِ بِصَافِيَتِهَا». كَمَا قَالَ: «أَدْفَعْ يَأْتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي يَبْنِيكَ وَيَبْنِيهِ عَدَاؤُكَ كَأَنَّكَ وَلِيُّ حَبِيبٍ» (٩٣) وَمَا يَلْفَقُهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا» [نص: ٣٤-٣٥] أَي مَا يُلْقِمُ هَذِهِ الْوَصِيَّةَ أَوْ الْحِصْلَةَ أَوْ الصِّفَةَ «إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا» [نص: ٣٤] أَي: عَلَى أَدَى النَّاسِ، فَعَامِلُوهُمْ بِالْجَمِيلِ مَعَ إِسْدَائِهِمُ إِلَيْهِمُ الْقَبِيحَ، «وَمَا يَلْفَقُهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ» [نص: ٣٥] أَي: فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وقوله: ﴿وَقُلْ رَبِّ اعُوْذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ أَمَرَهُ أَنْ يَسْتَعِيذَ مِنَ الشَّيَاطِينِ؛ لَأَنَّهُمْ لَا تَنْفَعُ مَعَهُمُ الْحِيلُ، وَلَا يَنْقَادُونَ بِالْمَعْرُوفِ.  
وقوله: ﴿وَأَعُوْذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُوْنِي﴾ أي: فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِي؛  
ولهذا أَمَرَ بِذِكْرِ اللَّهِ فِي ابْتِدَاءِ الْأُمُورِ؛ وَذَلِكَ لِطَرْدِ الشَّيْطَانِ عِنْدَ الْأَمَلِ  
وَالْجَمَاعِ وَالذَّبْحِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ.

الآية (٩٩-١٠٠): يُخبر تعالى عن حال المُحتَضِر عند الموت، من الكافرين أو المُفْطِرِين في أَمْرِ الله تعالى، وَيَقْتُلُهُمْ عند ذلك، وَسَوْأُهُم الرَّجْمَةَ إِلَى الدُّنْيَا، لِصُلْحٍ مَا كَانَ أَفْسَدَهُ فِي مَدَّةِ حَيَاتِهِ؛ وَهَذَا قَالَ: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مِمَّنْ تَتَذَكَّرُ﴾ ۝ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۝ كَمَا قَالَ تَعَالَى:

وَأَفْقُوا أَيَّ نَارٍ فَنَقَمْتُمْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمُ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ ۚ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾ [التأفّفون: ١٠-١١]. فذكر تعالى أنّهم يسألون الرجعة فلا يجابون: عند الاحتضار، ويوم النشور، ووقت العرض على الجبار، وحين يعرضون على النار، وهم في غمرات عذاب الجحيم.

﴿كَلَّا﴾ حرف رَدُّعٍ وَزَجْرٍ، أي: لَأُنْجِيَهُ إِلَى مَا طَلَبَ وَلَا نَقِيلَ مِنْهُ. وقوله: ﴿كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ مَوْقَالِيهَا﴾ قال ابن أسلم: أي لا بد أن يقولها - لا محالة - كُلُّ مُحَضَّرٍ ظَالِمٍ. ويحتمل أن يكون ذلك علة لقوله: ﴿كَلَّا﴾ أي: لأنها كلمة، أي: سؤاله الرجوع ليعمل صالحاً هو كلام منه، وقول لا عَمَلٌ معه، ولو رُدَّتْ لَهَا عَمَلٌ صالحاً، ولكننا نَكْذِبُ في مقالته هذه؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُمَا لَوَادُوا إِلَهُهُمَا عَصَمُوا لَيْتَنَّهُمْ كِلِيدُونَ﴾ [الأنعام: ٢٨]. وقال قتادة: والله ما نَعْنَى أن يرجع إلى أهل ولا إلى عشيرة، ولكن نَعْنَى أن يرجع فيَعْمَلُ بطاعة الله، فَرَحِمَ الله امرأ عَمِلَ فيها يَتَمَنَّى الكافر إذا رأى العذاب. وقال أبو صالح وغيره في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ذُرِّيَّتِهِمْ﴾ يعني: أُنْصَابِهِمْ. وقال مجاهد: البرزخ: الحاجز ما بين الدنيا والآخرة. وفي قوله: ﴿وَمِنَ ذُرِّيَّتِهِمْ بَرَزَخٌ﴾ تهديد هؤلاء الْمُحَضَّرِينَ من الظُّلَمَةِ بعذاب البرزخ. وقوله: ﴿إِلَى يَوْمٍ نَبْعَثُونَ﴾ أي: يستمر به العذاب إلى يوم النِّعْثِ.

الآية (١٠١-١٠٤): يخبر تعالى أنه إذا نُفِخَ في الصور نَفَخَ  
النَّشُورُ، وقام الناس من القبور ﴿فَلَا أَسْأَلُ بِمَنْ يَنْهَكُ يَوْمَهُمْ وَلَا  
بِمَنْ يَنْهَكُ يَوْمَهُمْ﴾ أي: لا تنفع الأنساب يومئذٍ، ولا يُزَيَّرُ، والدُّلُوكُ، ولا  
يَلْوِي عليه؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَسْأَلُ حِمِيمٌ حِمِيمًا﴾ (١٠١) يَصُورُهُمْ  
[العارج: ١٠-١١] أي: لا يسأل القريب قريبه وهو يُصَيِّرُهُ، ولو كان عليه  
من الأوزار ما قد أَثْقَلَ ظَهْرَهُ، وهو كان أَعَزَّ الناس عليه في الدنيا، ما  
التفت إليه ولا حَلَّ عنه وَزَنَ جناح بعوضة؛ قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْزُغُ  
الْمُرَّةُ مِنَ الْأَيْدِ﴾ (٢١) زَائِبُهُ، وَأَبْدُهُ (٢٥) وَصَحْفَتُهُ، وَيَدُهُ [الآيات (عس: ٣٤-٣٦).  
وعن المسور بن مخرمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ  
مَنِي؛ يَقْبِضُنِي مَا يَقْبِضُهَا، وَيَسْطِنِي مَا يَسْطِطُهَا، وَإِنَّ الْأَنْسَابَ تَنْقُطُ  
يَوْمَ الْقِيَامَةِ غَيْرَ نَسَبِي وَسَبِي وَصَهْرِي. [رواه أحمد، وصححه الألباني]

وقوله: ﴿مَنْ ثَمَلْتِ مَوَازِينَهُ﴾: أي: من رَجَحَتْ حسانته على سيئاته ولو بواحدة، قاله ابن عباس. ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتْلِفُونَ﴾: أي: الذين فازوا فَتَحُوا من النار وأدخلُوا الجنة. وقال ابن عباس: أولئك الذين فازوا بها طُكِبُوا، وَتَحَوُّا من شَرٍّ ما منه هَرَبُوا.

﴿وَمَنْ حَفَّ مَأْرِبُهُ﴾ أي: فُتِلَتْ سَيِّمَاتُهُ عَلَى حَسَنَاتِهِ ﴿فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَيْرُوا أَنفُسَهُمْ﴾ أي: خَابُوا وَعَلَكُوا، وَبَاوُوا بِالصَّفْقَةِ الْخَاسِرَةِ؛ وَهَذَا قَالَ: ﴿فِي جَهَنَّمَ خَلِيلُونَ﴾ أي: مَاكُون، دَائِمُونَ مُقِيمُونَ لَا يَنْطَفُونَ. ﴿تَنْفَخُ وَجُوهُهُمْ النَّارُ﴾، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُونُونَ عَنْ وَجُوهِهِمُ النَّارُ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يَنْصُرُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٩].

وقوله: ﴿وَمُمْ فِيهَا كَلِيلُ حَوْرٍ﴾، قال ابن عباس: يعني عابسون.  
وقال ابن مسعود: أَلَمْ تَرِ إِلَى الرَّأْسِ الْمُشَيَّطِ<sup>(١)</sup> الذي قد بَدَأَ أَسْنَانَهُ  
وَقَلَصَتْ شِفَاهَهُ.



السؤال: في ضوء هذه الآيات: وضح قيمة الاكثار من الحسنات.

٣٤٨

٣. كيف يفخر بنسبه ولونه من علم ان الانساب تنقطع يوم القيامة، فلا يعمل عليها، ولا ينظر فيها، ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ يَنْهَرُ يَوْمَئِذٍ وَلَا نَسَبٌ لَبِيبٌ ﴾.



## ● الوقفات التدبيرية

﴿ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا ﴾

أي: قد قامت علينا الحجة، ولكن كنا أشقى من أن نقاد لها ونتبعها.  
ابن كثير: ٢٤٩/٣.

**السؤال: بين خطورة غلبة الشقاء على الإنسان.**

﴿ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴾

وأحسن ما قيل في معناه: غلبت علينا لذاتنا وأهواؤنا، فسمى اللذات والأهواء شقوة؛ لأنهما يؤديان إليها... وقيل: حسن الظن بالنفس، وسوء الظن بالخلق. البغوي: ٩١/١٥.

**السؤال: لمَ سَمِيَ اللذة والهوى شقوة؟**

﴿ إِنَّهُ كَانَ يَفْقَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ مَقُولُوكُمْ رَتَاءً مِمَّا فُغِرَ لَنَا وَلِحَسَنَاتِ خَيْرِ  
الرَّجْوَى ﴾ (١٨) فَأَعْلَنَهُمْ خَيْرًا حَتَّى أَتَوْكُمْ بِذِكْرِهِمْ وَكَشَفَ عَنْهُمْ مَصْحُوكَاتِ ۖ  
ويستفاد من هذا: التحذير من السخرية، والاستهزاء بالضعفاء  
والمساكين، والاحتقار لهم، والإضرار عليهم، والاشتغال بهم فيما لا يفي،  
وأن ذلك مبعث من الله عز وجل. القرطبي: ٩٥/١٥.

**السؤال: بين من الآيات خطورة السخرية والاستهزاء بالضعفاء.**

﴿ إِنَّكَ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُوا رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴾ (١٥) فَأَعْلَزْنَاهُمْ بِسَخَرَاتِنَا حَتَّىٰ أَسْكَنُوا مَا كَانُوا يَسْكُونُونَ ﴿١٦﴾

وقوله في هذه الآية: (إنه كان فريق من عبادي) يدل فيه لفظ (إن) الكسورة المشددة، على أن الأسباب التي أدخلتهم النار هو استهزاؤهم، وسخريتهم من القريق المؤمن الذي يقول: (ربنا آمنا فاعفّر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين)، فالكفار يسخرون من ضعفاء المؤمنين في الدنيا حتى ينسيهم ذلك ذكر الله، والإيمان به؛ فيدخلون بذلك النار. الشنقيطي: ٣٦٠/٥.

**السؤال: السخرية والاستهزاء بالصالحين له عاقبة وخيمة، فما هي؟**

﴿ قُلْ كَمْ لِيَشْرُ فِي الْأَرْضِ عِدَّةَ سِنِينَ ﴾ ﴿١٣٣﴾ قَالُوا لَيْسَ بِيَوْمٍ  
فَسْئَلِ الْعَادِينَ ﴿١٣٤﴾

والغرض من هذا: توقيضهم على أن أعمارهم قصيرة، أداهم الكفر فيها إلى عذاب طويل. ابن عطية: ٤/١٥٨.

**السؤال: لماذا سأل الله -تعالى- أهل النار عن المدة التي مكثوها في الدنيا؟**

﴿فَحِصْبَةُ إِنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عِبَادًا وَأَنْتُمْ إِلَيْنَا لَا تَرْجِعُونَ﴾ ﴿١٧﴾ فَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَوْبَرِ ﴿١٨﴾

(فتعالى الله) أي: تعاضم وارتفع عن هذا الظن الباطل الذي يرجع إلى  
القدح في حكمته. السعدي: ٥٦٠.

السؤال: لماذا أتبع ذكر حسيبان الخلق العبث بقوله: (فتعالى الله)؟

وَمَنْ يَتَّعِمْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١٠﴾

انظر كيف افتتح السورة بفلاح المؤمنين، وختمها بعدم فلاح الكافرين؛  
ليبين البون بين الفريقين، والله اعلم. ابن جزري ٧٩/٢.

**السؤال: ما مناسبة أول السورة لآخرها؟**

الَّذِينَ ءَاتَيْنَا تِلْكَ عَلَيْنَا لَنُنَوِّتَ بِهَا نَارَ الْيَتَامَىٰ ۚ فَالْأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْآيَةِ ۚ وَرَبَّنَا آخِزْهَا مِنَّا هِدَآءًا وَإِذَا غُلِلْنَا بِهَا خَافِئًا ۚ خَلَلُمُوتَ ۚ قَالَ أَأَسْخَرُوا فِيهَا وَلَا تَكْفُرُونَ ۚ إِنَّهُمْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّمَا قَاعِفِرْنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ۚ فَاتَّخَذُوا لَهُمْ سِيَرًا حَقًّا ۚ أَسْوَكَ لِرُءُوسِهِمْ وَكَفَّ عَنْهُمْ فَصَحَّحَكَوَتْ ۚ إِلَىٰ جَنَّتِهِمْ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا ۚ إِنَّهُمْ هُمُ الْقَائِمُونَ ۚ قُلْ كَلَيْتُمْ عَلَى الْأَرْضِ عِدَّةَ سِنِينَ ۚ قَالُوا إِنَّمَا كُنَّا نُورِثُهَا وَأَبْعَثْ يَوْمَ فَتَنَ الْقَائِمِينَ ۚ قُلْ إِن لَّيْسَ لِي إِلَّا قَلِيلٌ لَّوْ أَنَا كُنْتُ تَعْلَمُونَ ۚ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ۚ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ۚ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ۚ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ۚ

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
اِحْسَاؤًا	اَمْكُنُوا اَدْلَاءً.
فَاتَخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًا	اِسْتَعْلَمْتُمْ بِالْاِسْتِهْزَاءِ بِهِمْ.
الْعَادِيْنَ	الْحُسَابُ الَّذِيْنَ يَعْدُوْنَ الْاَيَّامَ.

## ● العمل بالآيات

١. ادع بهذا الدعاء: ﴿رَبَّنَا ءَامِنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّحِيمِينَ﴾.

١. انصح شخصاً رايته يسخر من اهل الدين والدعاة إلى الله، واقرا عليه هذه الآية: ﴿ فَاتَّخِذُوهُمْ سِغْرًا حَتَّىٰ أَسْؤُكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴾.

٧. حذر اهلك ومن تعرف من الأقوال والأفعال الشركية، وبين لهم خطورتها، ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾.

## ● التوجيهات

۱۵۸. احذر الاستهزاء بالصالحين، فإنه كان فريق من عباده يقولون ربنا امنا فافزع لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين ﴿١٥٨﴾ فأتخذتمهم سخرانا حتى أسوكم كبري وكنتم منهم مضحكون ﴿١٥٩﴾

١. منزلة الصبر من الإيمان كمنزلة الرأس من الجسد، ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا إِنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾.

٧. حياتك قليلة مهما طالت، فتحمل في سبيل الله كل أذى ومشقة، ﴿قُلْ إِنْ لَيْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

﴿قَدْ لَكُمْ لَيْتَنٌ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾ أي: كم كانت إقامتكم في الدنيا؟ ﴿قَالُوا لَيْتَنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمِ قَسَتِلَ الْعَاذِينَ﴾ أي: الحاسبين، ﴿قَدْ لَكُمْ لَيْتَنٌ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: مُدَّةٌ يسيرةٌ على كل تقدير ﴿لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: لَمَا أَثَرْتُمُ الْفَانِي عَلَى الْبَاقِي، وَلَمَا تَصَرَّفْتُمْ لِنَفْسِكُمْ هَذَا النَّصْرَ السَّيِّئَ، وَلَا اسْتَحَقَقْتُمُ اللَّهَ سُحْطَةً فِي يَوْمِ ذَلِكَ الْمُدَّةِ الْبَسِيرَةِ، وَلَوْ أَنْتُمْ صَبَرْتُمْ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَعِبَادَتِهِ - كَمَا فَعَلَ الْمُؤْمِنُونَ - لَفَرَّغْتُمْ كَمَا قَارَؤُا.

وقوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنْتُمَا خَلَقْتُمَا عَبْنًا﴾ أي: أَفَطَنْتُمَا أَنْتُمْ خَلْقُوهَا عَبْنًا بِلَا قَصْدٍ وَلَا إِرَادَةٍ مِنْكُمْ وَلَا حِكْمَةٍ لَنَا، وَقِيلَ: لِلْعَبْتِ، أَيِ تَلَعَّبُوا وَتَعَبَّوْا كَمَا خُلِقْتَ الْبَهَائِمُ، لَا ثَوَابَ لَهَا وَلَا عِقَابَ، وَإِنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ لِلْعِبَادَةِ وَإِقَامَةِ أَوَامِرِ اللَّهِ ﷻ.

﴿وَأَنْتُمْ لَنَا لَا تُزْعَمُونَ﴾ أي: لَا تَعُودُونَ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَحَسِبَ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦]، يَعْنِي هَمَلًا.

وقوله: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ أي: تَقَدَّسَ أَنْ يَخْلُقَ شَيْئًا عَبْنًا؛ فَإِنَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُمْتَزِعُ عَنْ ذَلِكَ، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَبِيرِ﴾ فَذَكَرَ الْعَرْشَ لِأَنَّهُ سَقَفُ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ، وَوَصَفَهُ بِأَنَّهُ كَرِيمٌ؛ أَيِ: حَسَنُ الْمَنْظَرِ بَيْتُ الشَّكْلِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَنْبَأْنَا فِيهَا مِنْ كَثَرٍ نَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ [القيامة: ١٠].

الآية (١١٧-١١٨): يَقُولُ تَعَالَى مُتَوَعِّدًا مَنْ أَشْرَكَ بِهِ غَيْرَهُ، وَعَبَدَ مَعَهُ سِوَاهُ، وَخَبَّرًا مَنْ أَنْشَرَكَ بِاللَّهِ ﴿لَا يُرْعَنُ لَهُ﴾ أَيِ: لَا دَلِيلَ لَهُ عَلَى قَوْلِهِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾ وَهَذِهِ جُمْلَةٌ مُعَرَّضَةٌ، وَجَوَابُ الشَّرْطِ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَأَنْبَأْنَا بِحَسَابِهِ﴾ عِنْدَ رَبِّهِ؛ أَيِ: اللَّهُ يُجَاسِبُهُ عَلَى ذَلِكَ.

ثم أخبر: ﴿إِنَّهُ لَا يَفْصَحُ الْكَافِرُونَ﴾ أي: لَدَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا فَلَاحَ لَهُمْ وَلَا نَجَاةَ.

وقوله: ﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ هَذَا إِرْشَادٌ مِنَ اللَّهِ إِلَى هَذَا الدُّعَاءِ، فَالْغَفْرُ - إِذَا أُطْلِقَ - مَعْنَاهُ: نَحْوُ الذَّنْبِ وَسَرِّهِ عَنْ النَّاسِ، وَالرَّحْمَةُ مَعْنَاهَا: أَنْ يُسَدِّدَهُ وَيُوقِفَهُ فِي الْأَنْوَالِ وَالْأَفْعَالِ.

الآية (١٠٥-١٠٧): هَذَا تَفْرِيعٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِأَهْلِ النَّارِ، وَتَوْبِيخٌ لَهُمْ عَلَى مَا ارْتَكَبُوا مِنَ الْكُفْرِ وَالْمَأْتَمِّ وَالْمَحَارِمِ وَالْعِظَامِ الْوُثْقَى أَوْبَقَتْهُمْ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: ﴿أَلَمْ تَكُنْ مِنْ آيَاتِي تَنْتَلِ عَلَيْكَ أَنْكُنْتَ بِهَا تُكْذِبُونَ﴾ أي: قَدْ أَرْسَلْتُ إِلَيْكُمْ الرُّسُلَ، وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكُمْ الْكِتَابَ، وَأَنْزَلْتُ فِيهِمْ، وَلَمْ يَبْقَ لَكُمْ حُجَّةٌ؛ كَمَا قَالَ: ﴿إِنَّمَا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعْذِرِينَ حَتَّى تَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الاسراء: ١٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿كُلَّمَا أَلِيقُوا فِيهَا مَوْجٌ سَلَّمْتُمْ خَرْبَهَا أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْبَرْقُ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَسَحَقًا لِيَصْحَبَ السَّعِيرُ﴾ [الملك: ٨-١١].

ولهذا قالوا: ﴿رَبَّنَا عَلَّمَتْ عَلَيْنَا فِتْنَتَنَا يَقُونًا وَكُنَّا قَوْمًا سَآئِلِينَ﴾ أي: قَدْ قَامَتْ عَلَيْنَا الْحُجَّةُ، وَلَكِنْ كُنَّا أَشْقَى مِنْ أَنْ نَقْدَّاهَا وَنَتَّعِبَهَا، فَضَلَّلْنَا عَنْهَا وَلَمْ نَرْزُقْهَا.

ثم قالوا: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ أي: رُدُّنَا إِلَى الدَّارِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ عَدْنَا إِلَى مَا سَلَفَ مِنَّا، فَحَنَ ظَالِمُونَ مُسْتَحِقُّونَ لِلْعُقُوبَةِ؛ كَمَا قَالُوا: ﴿فَاعْرِضْنا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾ ﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَلِنْ يَشْرِكْ بِهِ تَقْبَلُونَهُ﴾ ﴿فَلَعَلَّكُمْ لِلَّهِ الْعَمَلُ الْكَبِيرُ﴾ [غافر: ١١-١٢]؛ أَيِ: لَا سَبِيلَ إِلَى الْخُرُوجِ؛ لِأَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَشْرَكُونَ بِاللَّهِ إِذَا وَحَّدَهُ الْمُؤْمِنُونَ.

الآية (١٠٨-١١١): هَذَا جَوَابٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِلْكَافِرِ إِذَا سَأَلُوا الْخُرُوجَ مِنَ النَّارِ وَالرَّجْعَةَ إِلَى هَذِهِ الدَّارِ، يَقُولُ: ﴿أَخْشَوْا فِيهَا﴾ أَيِ: امْكُثُوا فِيهَا صَاحِرِينَ مُهَانِينَ أَذْلَاءَ، ﴿وَلَا تُكَلِّمُون﴾ أَيِ: لَا تَعُودُوا إِلَى سَوَالِكُمْ هَذَا؛ فَإِنَّهُ لَا جَوَابَ لَكُمْ عِنْدِي.

قال ابن عباس: ﴿أَخْشَوْا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُون﴾ قَالَ: هَذَا قَوْلُ الرَّحْمَنِ حِينَ انْقَطَعَ كَلَامُهُمْ مِنْهُ.

ثم قال تعالى مُذَكِّرًا لَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَمَا كَانُوا يَسْتَهْزِئُونَ بِعِبَادَةِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَوْلِيَائِهِ، فَقَالَ: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْرَتِهِمْ﴾ أَيِ: فَسَخَّرْتُمْ مِنْهُمْ فِي دَعَائِهِمْ إِيَّايَ وَتَضَرَّعْتُمْ إِلَيَّ، ﴿حَتَّى آتَاكُمْ ذِكْرِي﴾ أَيِ: تَحَلَّكُمُ يُغْضِبُهُمْ عَلَى أَنْ تَسِيئُمْ مَعَامِلَتِي.

﴿وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضَاعُكُونَ﴾ أَيِ: مِنْ صَنِيعِهِمْ وَعِبَادَتِهِمْ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ ﴿وَإِذَا سَأَرُوا بِهِمْ يَنْغَارُونَ﴾ [الطغف: ٢٩-٣٠]؛ أَيِ: يَلْجِزُونَهُمْ اسْتِهْزَاءً.

ثم أخبر عَمَّا جَازَى بِهِ أَوْلِيَاءَهُ وَعِبَادَهُ الصَّالِحِينَ، فَقَالَ: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا﴾ أَيِ: عَلَى إِذَاكَمُ لَهُمْ وَاسْتِهْزَائِكُمْ مِنْهُمْ ﴿إِنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ بِالسَّعَادَةِ وَالسَّلَامَةِ وَالْجَنَّةِ، وَالنَّجَاةِ مِنَ النَّارِ.

الآية (١١٢-١١٦): يَقُولُ تَعَالَى مُنْبِئًا لَهُمْ عَلَى مَا أَضَاعُوهُ فِي عُمْرِهِمُ الْقَصِيرِ فِي الدُّنْيَا مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَعِبَادَتِهِ وَحَدِّهِ، لَوْ صَبَرُوا فِي مَدَةِ الدُّنْيَا الْقَصِيرَةِ لَفَارُوا كَمَا فَارَ أَوْلِيَاءَهُ الْمُتَّقُونَ.



وهي مدنية، [وعدد آياتها (٦٤) آية].

الآية (١-٢): ﴿سُورَةُ أَنْزَلْنَاهَا﴾ فيه تنبيه على الاعتناء بها ولا ينفي ما عداها، ﴿وَرَفَعْنَاهَا﴾ قال مجاهد وقناة: أي: بيتاً للحلال والحرام، والأمر والنهي، والحدود، ﴿وَأَنْزَلْنَاهَا فَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: مفسرات وأحكام ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ الزَّانِي لَا يَخْلُو إِذَا كَانَ يَكُونُ بَكَراً، وَهُوَ الَّذِي لَمْ يَتَزَوَّجْ، أَوْ مَحْضَنًا، وَهُوَ الَّذِي قَدْ وَطِئَ فِي نِكَاحٍ صَحِيحٍ، وَهُوَ خُرٌّ بَالِغٌ عَاقِلٌ. فَمَا إِذَا كَانَ يَكُونُ بَكَراً لَمْ يَتَزَوَّجْ، فَإِنْ حَلَّ مِائَةَ جَلْدَةٍ كَمَا فِي الْآيَةِ، وَيُزَادُ عَلَى ذَلِكَ أَنْ يُغْرَبَ عَامًّا عَنْ بِلْدِهِ عِنْدَ جُمْهُورِ الْعُلَمَاءِ؛ لِأَنَّهُ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَزَيْدِ بْنِ خَالِدِ الْجُهَنِيِّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَلَى ابْنِكَ جَلْدُ مِائَةٍ وَتَغْرِبَ عَامٍ. وَاغْدِ يَا أُنَيْسُ -لِرَجُلٍ مِنْ أَسْلَمَ- إِلَى امْرَأَةٍ هَذَا، فَإِنْ اعْتَرَفَتْ فَارْجِعْهَا»، وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ عُمَرَ قَالَ: رَجَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَرَجَعْنَا بَعْدَهُ، فَالْرَجْمُ فِي كِتَابِ اللَّهِ حَقٌّ عَلَى مَنْ زَنَى، إِذَا أُخْصِنَ، إِذَا قَامَتِ الْبَيِّنَةُ أَوْ الْحَكْلُ أَوْ الْإِعْرَافُ [متفق عليه].

وقد أمر رسول الله ﷺ بوجع زوجة الرجل الذي استأجر الأجير لَمَّا زَنَتْ مَعَ الْإِجْرِ، وَرَجَمَ النَّبِيَّ ﷺ مَاعِزًا وَالْغَائِمِيَّةَ. وَكُلُّ هَؤُلَاءِ لَمْ يُثَقِّلْ عَن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ جَلَّدَهُمْ قَبْلَ الرَّجْمِ، وَإِنَّمَا وَرَدَتِ الْأَحَادِيثُ الصَّحَاحُ لِلتَّعْلُفَةِ الطَّرِيقِ وَالْأَلْفَافِ بِالْإِقْتِصَارِ عَلَى رَجْمِهِمْ، وَلَيْسَ فِيهَا ذِكْرُ الْجَلْدِ؛ وَلِهَذَا كَانَ هَذَا مَذْهَبَ جُمْهُورِ الْعُلَمَاءِ، وَذَهَبَ الْإِمَامُ أَحَدٌ إِلَى أَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يَجْمَعَ عَلَى الزَّانِي الْمُحْصَنِ بَيْنَ الْجَلْدِ لِلْآيَةِ، وَالرَّجْمِ لِلْسَّنَةِ؛ كَمَا رَوَى مُسْلِمٌ عَنِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْبَكْرُ بِالْبَكْرِ، جَلْدُ مِائَةٍ وَتَغْرِبُ سَنَةٌ، وَالنَّيْبُ بِالنَّيْبِ، جَلْدُ مِائَةٍ وَالرَّجْمُ».

وقوله: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِمَا رَأَيْتُمْ بِرَبِّ اللَّهِ﴾ أي: في حكم الله. وليس المنهي عنه الرافة الطبيعية، وإنما هي الرافة التي تحمِلُ الحاكم على ترك الحدِّ، فلا يجوز له ذلك. قال مجاهد: الحدود إذا رُفِعت إلى السلطان تُقَامُ وَلَا تُعْطَلُ. وكذا زُوي عن سعيد بن جبْرِ وعطاء بن أبي رباح. وقيل: المراد: فلا تقيموا الحدَّ كما ينبغي، من سُدَّةِ الضَّرْبِ الزَّاجِرِ عَنِ الْمَأْثَمِ، وليس المراد الضَّرْبُ الْمُبْتَدِئُ.

وقوله: ﴿إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ أي: فافعلوا ذلك؛ أقيموا الحدود على مَنْ زَنَى، وَتَسَدَّدُوا عَلَيْهِ الضَّرْبَ، وَلَكِنْ لَيْسَ مَبْرَحًا؛ لِتَرْتَدِيعِ هُوٍ وَمَنْ يَصْنَعُ مِثْلَهُ بِذَلِكَ. وقوله: ﴿وَلَنْشَهِدَ عَلَيْهَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ هذا فيه تنكيل للزَّانِيَيْنِ إِذَا جُلِدَا بِحَضْرَةِ النَّاسِ؛ فَإِنْ ذَلِكَ يَكُونُ أَبْلَغُ فِي رَجْعِهِمَا، وَأَنْجَعُ فِي رَدْعِهِمَا؛ فَإِنْ فِي ذَلِكَ تَقَرُّعًا وَتَوْبِيخًا وَفَضِيحَةً إِذَا كَانَ النَّاسُ حَاضِرِينَ. عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: الطَّائِفَةُ: الرَّجُلُ فَمَا فَوْقَهُ. قَالَ الْحَسَنُ: يَعْنِي: عِلَاقِيَّةً. قَالَ قَتَادَةُ: أَمَرَ اللَّهُ أَنْ يَشْهَدَ عَذَابُهَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ؛ أَي: نَفَرٌ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ؛ لِيَكُونَ ذَلِكَ مَوْعِظَةً وَعِبْرَةً وَنَكَالًا.

الآية (٣): ﴿الزَّانِي لَا يَخْلُو عَمَلُهُ مَرَدَهُ مِنَ الزَّانِيَةِ إِلَّا زَانِيَةً عَاصِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً، لَا تَرَى حُرْمَةَ ذَلِكَ، وَكَذَلِكَ: ﴿وَالزَّانِيَةُ لَا يَكُونُ بِهَا إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً﴾ لا يعتقد تحريمه. قال ابن عباس: ليس هذا بالنكاح، إنما هو الجماع؛ لا يزني بها إلا زانٍ أو مشرك. وقوله تعالى: ﴿وَحَرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: تعاطيه والتزويج

بالبغايا، أو تزويج العفاف بالفجَّار من الرجال. وعن ابن عباس قال: حَرَّمَ اللَّهُ الزَّانَا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَهَذِهِ الْآيَةُ كَقَوْلِهِ: ﴿مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسْتَحْبَبَاتٍ وَلَا مُتَّخَذَاتِ أَحْدَانٍ﴾ [النساء: ٢٥]

ومن ههنا ذهب الإمام أحمد، رحمه الله، إلى أنه لا يصح العقد من الرجل العفيف على المرأة البغي ما دامت كذلك حتى تستتاب، فإن تاب صَحَّ العقد عليها وإلا فلا. وكذلك لا يصح تزويج المرأة الحرة العفيفة بالرجل الفاجر المسافح، حتى يتوب توبة صحيحة.

الآية (٤-٥): ﴿أَوْجَبَ عَلَى الْقَاذِفِ إِذَا لَمْ يُقِمْ بَيِّنَةً عَلَى صَحَّةِ مَا قَالَهُ ثَلَاثَةَ أَحْكَامٍ: أَحَدُهَا: أَنْ يُجْلَدَ ثَلَاثِينَ جَلْدَةً. الثَّانِي: أَنَّهُ تُرَدُّ شَهَادَتُهُ دَائِمًا. الثَّالِثُ: أَنْ يَكُونَ فَاسِقًا لَيْسَ بِعَدْلٍ؛ لَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَا عِنْدَ النَّاسِ. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ تَأْلَفُوا مِنْ بَيْنِ ذَلِكَ فَاسْلُكُوا﴾، الْآيَةُ، اخْتَلَفَ فِي هَذَا الْاسْتِثْنَاءِ هَلْ يَعُودُ عَلَى الْجُمْلَةِ الْآخِرَةِ؟ أَوْ الْجُمْلَتَيْنِ الثَّانِيَةِ وَالثَّلَاثَةِ؟ فَذَهَبَ مَالِكٌ وَالشَّافِعِيُّ وَاحِدٌ إِلَى أَنَّهُ إِذَا تَابَ قُبِلَتْ شَهَادَتُهُ، وَارْتَفَعَتْ عَنْهُ حُكْمُ الْفِسْقِ. وَنَصَّ عَلَيْهِ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ وَجَمَاعَةٌ مِنَ السَّلَفِ أَيْضًا. وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: إِنَّمَا يَعُودُ الْاسْتِثْنَاءُ إِلَى الْجُمْلَةِ الْآخِرَةِ فَقَطْ، فَيَرْتَفِعُ الْفِسْقُ بِالتَّوْبَةِ، وَيَبْقَى مُرَدُّ الشَّهَادَةِ أَبَدًا. وَعَمَّنْ ذَهَبَ إِلَيْهِ مِنَ السَّلَفِ: الْقَاضِي شُرَيْحٌ وَإِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَمَكْحُولٌ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

الآية (٦-١٠): ﴿هَذِهِ الْآيَةُ فِيهَا قَرْعُ الْأَزْوَاجِ وَخُرُجُ إِذَا قَذَفَ أَحَدُهُمْ زَوْجَتَهُ وَتَعَسَّرَ عَلَيْهِ إِقَامَةُ الْبَيِّنَةِ، أَنْ يُلَاحِظَهَا كَمَا أَمَرَ اللَّهُ ﷻ، وَهُوَ أَنْ يُحْضِرَهَا إِلَى الْإِمَامِ، فَيَقْدِعِي عَلَيْهَا بِمَا رَمَاهَا بِهِ، فَيُحْلِفُهُ الْحَاكِمُ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ فِي مِقَابِلَةِ أَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ﴿إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾، أَي: فِيهَا رَمَاهَا بِهِ مِنَ الزُّنَا، ﴿وَالْحَقِيسَةُ أَنْ لَعَنَتُ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَذِبِينَ﴾. فَإِذَا قَالَ ذَلِكَ بَانَتْ مِنْهُ بَيِّنَةُ هَذَا اللَّعَّانِ عِنْدَ الشَّافِعِيِّ وَطَائِفَةٍ كَثِيرَةٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ، وَخُرُوتُ عَلَيْهِ أَبَدًا، وَيُطْهِمُهَا مَهْرَهَا، وَيُوجِّهُ عَلَيْهَا حَدَّ الزُّنَا، وَلَا يَتَرَأَّاهَا الْعَذَابُ إِلَّا أَنْ تُلَاحِظَ، فَتُشْهِدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَذِبِينَ، أَي: فِيهَا رَمَاهَا بِهِ، ﴿وَالْحَقِيسَةُ أَنْ غَضَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ فَخَصَّهَا بِالْغَضَبِ، كَمَا أَنَّ الْغَالِبَ أَنَّ الرَّجُلَ لَا يَنْجَسُ فُضِيحَةً أَهْلَهُ وَرَمَاهَا بِالزُّنَا إِلَّا وَهُوَ صَادِقٌ مُعَذَّورٌ، وَهِيَ تَعْلَمُ صِدْقَهُ فِيهَا رَمَاهَا بِهِ؛ وَلِهَذَا كَانَتِ الْحَامِسَةُ فِي حَقِّهَا أَنْ غَضَبَ اللَّهُ عَلَيْهَا. وَالْمَغْضُوبُ عَلَيْهِ هُوَ الَّذِي يَعْلَمُ الْحَقَّ ثُمَّ يُحِيدُ عَنْهُ.

ثم ذَكَرَ تَعَالَى لَطْفَهُ بِخَلْقِهِ، وَرَأْفَتَهُ بِهِمْ، فَقَالَ: ﴿وَلَوْ لَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ رَحْمَتَهُ﴾، أَي: لَحَرَجْتُمْ وَلَشَقَّ عَلَيْكُمْ كَثِيرٌ مِنْ أُمُورِكُمْ، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ﴾، أَي: عَلَى عِبَادِهِ -وإن كان بعد الحلف والأيمان المغلظة- ﴿حَكِيمٌ﴾، فِيهَا يَشْتَرِعُهُ وَيَأْتُرُّ بِهِ وَفِيهَا يَنْتَهِي عَنْهُ. وَقَدْ وَرَدَتْ الْأَحَادِيثُ بِمَقْتَضَى الْعَمَلِ بِهَذِهِ الْآيَةِ.

ذَكَرَ سَبَبَ نَزُولِهَا: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ هَلَالَ بْنِ أُمِيَّةٍ قَذَفَ امْرَأَتَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الْبَيِّنَةُ وَالْأَحَدُ فِي ظَهْرِكَ». فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِذَا رَأَى أَحَدُنَا عَلَى امْرَأَتِهِ رَجُلًا يَنْطَلِقُ يَلْتَمِسُ الْبَيِّنَةَ؟! وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنِّي لَصَادِقٌ، وَلِكِنْ لَزِلْتُ اللَّهَ مَا يُبْرِئُ ظَهْرِي مِنَ الْحَدِّ. فَتَزَلَّ جَبْرِيلُ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ: ﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ زَوْجَهُمْ﴾، فَانصرف النبي ﷺ فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا، فَجَاءَ هَلَالَ فَشَهِدَ، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ أَنَّ أَحَدَكُمَا كَاذِبٌ، فَهَلْ مِنْكُمَا تَائِبٌ؟» [الحديث إرواه البخاري].



## ● الوقفات التذيرية

﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَشَهِدَ عَلَيْهِمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾  
وقد ذكر الزانية على الزاني للاهتمام بالحكم؛ لأن المرأة هي الباعث على زنى الرجل، وبمساعتها الرجل يحصل الزنى، ولو منعت المرأة نفسها ما وجد الرجل إلى الزنى تمكينا، فتقديم المرأة في الذكر لأنه أشد في تحذيرها. ابن عاشور: ١٨/٢٤٦.

السؤال: لم قدم ذكر الزانية على الزاني؟

﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَشَهِدَ عَلَيْهِمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾  
وهذا في الحقيقة من رحمة الله بعباده؛ فإن الله إنما أرسل محمدا رحمة للعالمين، وهو سبحانه أرحم بعباده من الوالدة بولدها، لكن قد تكون الرحمة المطلوبة لا تحصل إلا بنوع من ألم وشدة تلحق بعض النفوس. ابن تيمية: ٤/٤٨٦.

السؤال: تحصل رحمة الله تعالى بخلقه أحيانا بما فيه نوع ألم وشدة، بين ذلك من الآية الكريمة.

﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾

وليس المنهي عنه الرأفة الطبيعية، وإنما هي الرأفة التي تحمل الحاكم على ترك الحد؛ فلا يجوز ذلك. ابن كثير: ٣/٢٥٣.

السؤال: ما الرأفة المنهي عنها في الآية؟

﴿وَلَشَهِدَ عَلَيْهِمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

ليشهر، ويحصل بذلك الخزي والارتداد. السعدي: ٥٦١.

السؤال: ما الفائدة من شهود الناس للحد؟

﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾

هذا بيان لذيلة الزنا، وأنه يندس عرض صاحبه وعرض من قارنه ومازجه ما لا يفعله بقية الذنوب. السعدي: ٥٦١.

السؤال: في الآية توضيح لعظم ذيلة الزنا، بين ذلك.

﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ يَأْتُوا بَأْرَهُنَّ شَهْلَةً فَعَلِدُوهُنَّ مَنَيْنَ جِلْدَةٍ وَلَا تَقْبَلُوا لَهُنَّ شَهْدَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾

ذكر الله تعالى في الآية النساء من حيث هن أهم، ورميهن بالفاحشة أشنع واتكى للنفوس. وقذف الرجال داخل في حكم الآية بالمعنى، وإجماع الأمة على ذلك. القرطبي: ١٥/١٢٣.

السؤال: لم خص ذكر النساء في القذف، مع أن الحكم يشمل الرجال أيضا؟

﴿وَلَفْوَصَةٌ أَنْ غَسَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ كَانَ مِنَ الصَّدِيقِينَ﴾

فخصها بالفضب؛ لأن الغالب أن الرجل لا يتجشم فضيحة أهله، ورميها بالزنا إلا وهو صادق معذور، وهي تعلم صدقه فيما رماها به، ولهذا كانت الخامسة في حقها أن غضب الله عليها، والمغضوب عليه هو الذي يعلم الحق ثم يبيد عنه. ابن كثير: ٣/٢٥٧.

السؤال: لم خصت المرأة في الملاعة بالفضب؟

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ النُّورِ أُنزِلَتْهَا وَقُرْصَتْهَا وَأُنزِلَتْ فِيهَا آيَاتُ يَسْتَبْطِئُ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ  
١ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَشَهِدَ عَلَيْهِمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ٢ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ٣ وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ يَأْتُوا بَأْرَهُنَّ شَهْدَةً فَأَعْلَدُوهُنَّ مَنَيْنَ جِلْدَةٍ وَلَا تَقْبَلُوا لَهُنَّ شَهْدَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ٤ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٥ وَالَّذِينَ يَزْمُونَ أَرْوَاهُكُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شَهْدَةٌ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَدُوا أَحْسَنَ شَهْدَتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ٦ وَلَفْوَصَةٌ أَنْ غَسَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ٧ وَيَذَرُوا عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ٨ وَلَفْوَصَةٌ أَنْ غَسَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ٩ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ١٠

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
وَقُرْصَتْهَا	أَوْجَبْنَا الْعَمَلَ بِأَحْكَامِهَا.
طَائِفَةٌ	جَمَاعَةٌ.
يَزْمُونَ	يَقْدُحُونَ بِالزُّنَى.
الْمُحْصَنَاتِ	الْعَفِيفَاتِ، وَمِثْلُهُنَّ الْعَفِيفُونَ.
وَيَذَرُوا	يَدْفَعُ الْعُقُوبَةَ.

## ● العمل بالآيات

- اكتب مقالة، أو أرسل رسالة عن خطر الزنا على الفرد والمجتمع، ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾.
- بين بمقالة أو رسالة أضرار منهج التفاق الذي يدعو عبر الإعلام - إلى نزع حجاب المرأة، واختلاط النساء بالرجال، واتخاذ الصداقات المحرمة عوضاً عن الزواج، ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾.
- القى كلمة عن خطر الخوض في أعراض الناس، ﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ يَأْتُوا بَأْرَهُنَّ شَهْدَةً فَأَعْلَدُوهُنَّ مَنَيْنَ جِلْدَةٍ وَلَا تَقْبَلُوا لَهُنَّ شَهْدَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

## ● التوجيهات

- اقتران وصف الزاني والزانية بالمشرك والمشاركة في النكاح فيه تنفير شديد من الزنا، ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾.
- تجنب الكلام في أعراض الناس، ﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ يَأْتُوا بَأْرَهُنَّ شَهْلَةً فَعَلِدُوهُنَّ مَنَيْنَ جِلْدَةٍ وَلَا تَقْبَلُوا لَهُنَّ شَهْدَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.
- شرع الله الحدود: لإصلاح المجتمع وابعاده عن الرذيلة والانتصار للمظلوم، ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لِّكَ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّمَّنْ مَا آكَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾

(بل هو خير لكم)، خطاب للمسلمين، والخير في ذلك من خمسة أوجه: تبرئة أم المؤمن، وكرامة الله لها بإنزال الوحي في شأنها، والأجر الجزيل لها في الفرية عليها، وموعظة المؤمنين، والانتقام من المفتزين. ابن جزى: ٨٤/٢.

السؤال: بين بعض أوجه الخير في حادثة الإفك.

﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِنَّ خَيْرٌ وَقَالُوا هَذَا أَفْكٌ مُّبِينٌ﴾  
المعنى: أنه كان ينبغي للمؤمنين والمؤمنات أن يقيسوا ذلك الأمر على أنفسهم؛ فإن كان ذلك يبعد في حقهم، فهو في حق عائشة أبعد؛ لفضلها، وروي أن هذا النظر وقع لأبي أيوب الأنصاري، فقال لزوجته: أكنت أنت تفعلين ذلك، قالت: لا والله، قال: فعاثت أفضل منك؟ قالت: نعم. لابن جزى: ٨٥/٢.

السؤال: ما الواجب على المسلم إذا سمع عن الصالحين شيئا لا يسر؟

﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ مِثْلًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾  
﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَنَكَ هَذَا بَهْتَنٌ عَظِيمٌ﴾

ومعنى (تلقونه): يأخذ بعضهم من بعض. وفي هذا الكلام، وفي الذي قبله وبعده عتاب لهم على خوضهم في حديث الإفك، وإن كانوا لم يصدقوه؛ فإن الواجب كان الإغضاء عن ذكره، والتركت بالكلية، فعاتبهم على ثلاثة أشياء، وهي: تلقيه بالأسننة؛ أي: السؤال عنه، وأخذه من المسؤول، والثاني: قولهم ذلك، والثالث: أنهم حسبوه هينا، وهو عند الله عظيم. وفائدة قوله: (بالاستنكم) و(بأفواهكم): الإشارة إلى أن ذلك الحديث كان باللسان دون القلب؛ إذ كانوا لم يعلموا حقيقته بقلوبهم. ابن جزى: ٨٥/٢.

السؤال: بين الموقف الصحيح من الإشاعات حول الصالحين من خلال الآية.

﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ مِثْلًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾

وفي هذا من الأدب الأخلاقي أن للره لا يقول بلسانه إلا ما يعلمه، ويتحققه. ابن عاشور: ١٧٨/١٨.

السؤال: بينت الآية الكريمة أدبا للقول، فما هو؟

﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾

وهذا فيه الزجر البليغ عن تعاطي بعض الذنوب على وجه التهاون بها؛ فإن العبد لا يفيد حسبانها شيئا، ولا يخفف من عقوبة الذنب، بل يضاعف الذنب، ويسهل عليه مواقفته مرة أخرى. السعدي: ٥٦٤.

السؤال: ما خطورة التهاون في بعض الذنوب؟

﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَنَكَ هَذَا بَهْتَنٌ عَظِيمٌ﴾  
قال العلماء: إن الآية أصل في أن درجة الإيمان التي حازها الإنسان، ومنزلة الصلاح التي حلها المؤمن، وليست العفاف التي يستتر بها المسلم، لا يزيلها عنه خبر محتمل وإن شاع - إذا كان أصله فاسدا أو مجهولا. القرطبي: ١٧٢/١٥.

السؤال: ما موقفنا من الإشاعات الفاسدة عن الصالحين؟

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَشَدُّ لَا تَعْلَمُونَ﴾

(إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة: الإشارة بذلك إلى المنافقين الذين أحبوا أن يشيع حديث الإفك، ثم هو عام في غيرهم ممن اتصف بصفتهن. ابن جزى: ٨٥/٢.

السؤال: في هذه الآية بيان لصفة من صفات المنافقين، فما هي؟

إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لِّكُلِّ امْرِئٍ مِّمَّنْ مَّا آكَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِنَّ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا أَفْكٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ لَوْلَا جَاءَهُ عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿٥﴾ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَنَكَ هَذَا بَهْتَنٌ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٧﴾ وَيَذَرُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلَيْهِ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَشَدُّ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
بِإِفْكِ	أَشْنَعَ الْكَذِبِ، وَهُوَ رَمَى أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بِالزُّنَى.
عُصْبَةٌ مِنْكُمْ	جَمَاعَةٌ مِنْكُمْ.
أَفَضْتُمْ فِيهِ	خُضَّمْتُمْ فِيهِ مِنْ حَدِيثِ الْإِفْكِ.
بُهْتَانٌ	كُذِّبَ.
يَعِظُكُمْ	يَنْهَاكُمْ.

## ● العمل بالآيات

١. اقرا حادثة الإفك من صحيح البخاري، ثم استخرج منها ثلاث فوائد، ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لِّكُلِّ امْرِئٍ مِّمَّنْ مَّا آكَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.
٢. اذكر ثلاثة من علاجات الإشاعات السيئة، ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾.
٣. اقترح حلالا لمنع إشاعة الفاحشة في المجتمع حولك، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾.

## ● التوجيهات

١. قضاء الله تعالى للمؤمن كله خير له؛ فلا تحزن على ما أصابك؛ فلعله خير أريد بك، ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لِّكُلِّ امْرِئٍ مِّمَّنْ مَّا آكَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.
٢. احسن الظن بإخوانك المؤمنين والمؤمنات، ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِنَّ خَيْرًا﴾.
٣. حرمة الإفك والقول بدون علم وبشاعتها، وعظيم جرمها، ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾.

جَهْرَةً عَلَى رَاحِلَةِ صَفْوَانَ بْنِ الْمَعْلُوفِ فِي وَقْتِ الظُّهْرِ، وَالْجَيْشُ بِكَمَالِهِ يَشَاهِدُونَ ذَلِكَ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ، لَوْ كَانَ هَذَا الْأَمْرُ فِيهِ رِيَّةٌ لَمْ يَكُنْ هَكَذَا جَهْرَةً، وَلَا كَانَا يَقْدُمَانِ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ، فَتَعَيَّنَ أَنَّ مَا جَاءَ بِهِ أَهْلُ الْإِفْكَ عَمَّا رَوَوْا بِهِ أَمْ الْمُؤْمِنِينَ هُوَ الْكَذِبُ الْبَحْتُ، وَالْقَوْلُ الزُّورُ، وَالزُّعُونَةُ الْفَاحِشَةُ، وَالصَّفَقَةُ الْخَاسِرَةُ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَوْلَا﴾ أَي: هَلَا، ﴿جَاءُوا عَلَيْهِ﴾ أَي: عَلَى مَا قَالُوهُ، ﴿يَأْتِيَهُمْ شَهَادَةٌ﴾ يَشْهَدُونَ عَلَى صَحَّةِ مَا جَاءُوا بِهِ، ﴿فَإِذَا لَمْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ أَي: فِي حُكْمِ اللَّهِ كَاذِبُونَ فَاجْرُونَ.

الآية (١٤-١٥): ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ أَيُّهَا الْخَافِضُونَ فِي شَأْنِ عَائِشَةَ ﴿وَرَحْمَتِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ بَأَنْ قَبِلَ تَوْبَتَكُمْ وَإِنَابَتَكُمْ إِلَيْهِ فِي الدُّنْيَا، وَعَفَا عَنْكُمْ لِإِيَابَتِكُمْ بِالنَّبِيِّ إِلَى الدَّارِ الْآخِرَةِ، ﴿لَسُكِّرَ بِمَا أَنْفَضْتُمْ فِيهِ﴾ مِنْ قَضِيَةِ الْإِفْكَ ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾. وَهَذَا فِيمَنْ عِنْدَهُ إِيَابٌ يَقْبَلُ اللَّهُ بِسَبِيهِ التَّوْبَةَ؛ كِمُسْطَحٍّ، وَحَسَنٍ، وَتَحَنُّنًا بِنْتِ جَحْشٍ. فَأَمَّا مَنْ خَاضَ فِيهِ مِنَ الْمُنَافِقِينَ؛ كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَرْزٍ سُلُوكَ وَأَضْرَابِهِ، فَلَيْسَ أَوْلَتْكَ مَرَادٍ فِي هَذِهِ الْآيَةِ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ عَنْدهُمْ مِنَ الْإِيَابِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ مَا يَعْدِلُ هَذَا وَلَا مَا يِعَارِضُهُ. وَهَكَذَا شَأْنُ مَا يَرِدُ مِنَ الْوَعِيدِ عَلَى فِعْلٍ مُعَيَّنٍ، يَكُونُ مُطْلَقًا مُشْرُوطًا بِعَدَمِ التَّوْبَةِ، أَوْ عَدَمِ مَا يَقَابِلُهُ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ يُوَازِنُهُ أَوْ يَرْجِعُ عَلَيْهِ. ثُمَّ قَالَ: ﴿وَإِذَا تَلَقَّوْهُ بِالْإِسْتِخْرَةِ﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ وَسَعِيدٌ بْنُ جَبْرِ: أَي: يَرِيهِوهُ بَعْضُكُمْ عَنْ بَعْضٍ، يَقُولُ هَذَا: سَمِعْتُهُ مِنْ فُلَانٍ، وَقَالَ فُلَانٌ كَذَا، وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ كَذَا. ﴿وَتَقُولُونَ يَا أَهْلَ الْبَيْتِ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ أَي: تَقُولُونَ مَا لَا تَعْلَمُونَ. ﴿وَتَحْسِبُونَهُ هَيِّئًا وَهَوًى عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ أَي: تَقُولُونَ مَا تَقُولُونَ فِي شَأْنِ أَمْ الْمُؤْمِنِينَ، وَتَحْسِبُونَ ذَلِكَ يَسِيرًا، وَلَوْ لَمْ تَكُنْ زَوْجَةُ النَّبِيِّ ﷺ لَمَا كَانَ قَبِيحًا، كَيْفَ وَهِيَ زَوْجَةُ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ وَسَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ؟

الآية (١٦-١٨): هَذَا تَأْدِيبٌ آخَرُ بَعْدَ الْأَوَّلِ: الْأَمْرُ بِالظَّنِّ خَيْرًا، أَي: إِذَا ذُكِرَ مَا لَا يَلِيقُ مِنَ الْقَوْلِ فِي شَأْنِ الْخَبَرَةِ، فَأَوَّلَى [مَا] يَنْبَغِي: الظَّنُّ بِهِمْ خَيْرًا، وَالْأَشْغَرُ نَفْسُهُ سِوَى ذَلِكَ، ثُمَّ إِنَّ عِلْقَ نَفْسِهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ - وَسُوءُهُ أَوْ خِيَالًا - فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَنْكَلَمَ بِهِ. وَقَالَ: ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ فَانْهَوْا عَلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ أَي: مَا يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَوَقَّعَ هَذَا الْكَلَامَ وَلَا نَذْكُرَهُ لِأَحَدٍ ﴿سَبِّحْتَكَ هَذَا تَبْتَنُّ عَظِيمٌ﴾ أَي: سَبِّحَانُ اللَّهُ أَنْ يُقَالَ هَذَا الْكَلَامُ عَلَى زَوْجَةِ رَسُولِهِ وَحَلِيلَتِهِ خَلِيلِهِ. ثُمَّ قَالَ: ﴿يُعْطِيكَ اللَّهُ أَنْ تَعْرُدُوا لِإِثْمِهِ أَبَدًا﴾ أَي: يَنْهَاكُمُ اللَّهُ مُتَوَعِّدًا أَنْ يَقَعَ مِنْكُمْ مَا يُشَبِّهُ هَذَا أَبَدًا، أَي: فِيمَا يُسْتَبْكَلُ. وَلِهَذَا قَالَ: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ﴾ أَي: إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَشَرَعِهِ، وَتُعَظِّمُونَ رَسُولَهُ ﷺ، فَأَمَّا مَنْ كَانَ مُتَعَصِّفًا بِالْكَفْرِ فَذَلِكَ لَهُ حُكْمٌ آخَرُ. ثُمَّ قَالَ: ﴿وَيَسِّرْ اللَّهُ لَكَ الْأَمْرَ﴾ أَي: يُوضِعْ لَكُمْ الْأَحْكَامَ الشَّرْعِيَّةَ وَالْحُكْمَ الْقُدْرِيَّةَ، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بِمَا يُصْلِحُ عِبَادَهُ، ﴿حَكِيمٌ﴾ فِي شَرْعِهِ وَقُدْرَتِهِ.

الآية (١٩): وَهَذَا تَأْدِيبٌ ثَالِثٌ لِمَنْ سَمِعَ شَيْئًا مِنَ الْكَلَامِ السَّيِّئِ، فَقَامَ بِذَنْهِهِ شَيْءٌ مِنْهُ، وَتَكَلَّمَ بِهِ، فَلَا يُخَيَّرُ مِنْهُ وَيُسَبِّحُهُ وَيُذَيِّعُهُ، فَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَخْرُجَ الْفِتْنَةُ فِي الدُّنْيَا أَسْوَءُ﴾ أَي: يَخْتَارُونَ ظُهُورَ الْكَلَامِ عَنْهُمْ بِالْقَبِيحِ، ﴿فَلَمَّ عَذَابُ الْيَمِّ فِي الدُّنْيَا﴾ أَي: بِالْخِلْدِ وَفِي الْآخِرَةِ بِالْعَذَابِ، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ أَي: فَرَّقُوا الْأُمُورَ إِلَيْهِ تَرَشُّعًا. الْآيَةُ (٢٠): يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ زَعُوفٌ﴾ أَي: لَوْلَا هَذَا لَكَانَ أَمْرٌ آخَرُ، وَلَكِنَّهُ تَعَالَى رُؤُوفٌ بِعِبَادِهِ، ﴿حَكِيمٌ﴾ بِهِمْ، فَتَابَ عَلَيَّ مِنْ تَابٍ إِلَيْهِ مِنْ هَذِهِ الْقَضِيَةِ، وَطَهَّرَ مِنْ طَهَّرَ مِنْهُمْ بِالْحَدِّ الَّذِي أَقِيمَ عَلَيْهِ.

الآية (١١): هَذِهِ الْعَشْرُ الْآيَاتُ كُلُّهَا تَرَكَّتْ فِي شَأْنِ عَائِشَةَ أَمْ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حِينَ رَمَاهَا أَهْلُ الْإِفْكَ وَبِالْهَتَانِ مِنَ الْمُنَافِقِينَ بِأَقَالِهِ مِنَ الْكَذِبِ الْبَحْتِ، وَالْفَرِيَّةِ الَّتِي غَارَ اللَّهُ بِهَا وَلَنَبِيَّةٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى بَرَاءَتَهَا لِمَرْضِ الرَّسُولِ ﷺ، فَقَالَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ أَي: جَمَاعَةٌ مِنْكُمْ، يَعْنِي: مَا هُوَ وَاحِدٌ وَلَا اثْنَانِ بَلْ جَمَاعَةٌ، فَكَانَ الْقَدَمُ فِي هَذِهِ اللَّعْنَةِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَرْزٍ سُلُوكُ رَأْسِ الْمُنَافِقِينَ؛ فَإِنَّهُ كَانَ يَجْمَعُهُمْ وَيَسْتَوْشِيهِ حَتَّى دَخَلَ ذَلِكَ فِي أَذْنَانِ بَعْضِ الْمُسْلِمِينَ، فَتَكَلَّمُوا بِهِ، وَبَقِيَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ قَرِيبًا مِنْ شَهْرٍ حَتَّى نَزَلَ الْقُرْآنُ، وَسَيَاقُ ذَلِكَ فِي الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ... وَعَنْ أَمِّ رُومَانَ، قَالَتْ: بَيْنَا أَنَا عِنْدَ عَائِشَةَ، إِذْ دَخَلَتْ عَلَيْهَا امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَتْ: فَعَلَ اللَّهُ - بِأَبْنَاهَا - وَفَعَلَ. فَقَالَتْ عَائِشَةُ: وَمَنْ؟ قَالَتْ: إِنَّهُ كَانَ فِيمَنْ حَدَّثَ الْحَدِيثَ. قَالَتْ عَائِشَةُ: وَأَيُّ حَدِيثٍ؟ قَالَتْ: كَذَا وَكَذَا. قَالَتْ: وَقَدْ بَلَغَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، وَبَلَغَ أَبَا بَكْرٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، فَخَرَّتْ عَائِشَةُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، مَغْشِيًا عَلَيْهَا، فَمَا أَفَاقَتْ إِلَّا وَعَلَيْهَا حُمَى بِنَافِضٍ. قَالَتْ: فَغَمَّتْ فَدَثَرْتَهَا، قَالَتْ: وَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «مَا شَأْنُ هَذِهِ؟» قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخَذْتَهَا حُمَى بِنَافِضٍ. قَالَ: «فَلَعَلَّهِ فِي حَدِيثٍ تَحَدَّثُ بِهِ؟». قَالَتْ: فَاسْتَوَتْ لَهُ عَائِشَةُ قَاعِدَةً فَقَالَتْ: وَاللَّهِ لَوْ لَحِقْتُ لَكُمْ لَا تَصَدَّقُونِي، وَلَوْ اعْتَذَرْتُ إِلَيْكُمْ لَا تَعَذَّرُونِي، فَمَتَّلِي وَمِثْلَكُمْ كَمِثْلُ يَعْقُوبَ وَبَنِيهِ، ﴿وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [يُوسُفُ: ١٨] قَالَتْ: وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عِلْمَهَا، فَجَرَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعَهُ أَبُو بَكْرٍ، فَدَخَلَ فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَنْزَلَ عَذْرَكَ». فَقَالَتْ: بِحَمْدِ اللَّهِ لَا يَحْمِدُكَ إِلَّا رُوحُهُ أَحَدٌ بِلِقَظَةٍ، وَالْخَارِجِيُّ يَنْهَوُ.

﴿بِالْإِفْكِ﴾ بِالْكَذِبِ وَالْبَهْتِ وَالْإِفْرَاءِ. ﴿عُصْبَةٌ﴾ أَي: جَمَاعَةٌ مِنْكُمْ. ﴿لَا تَصْبُوهُ شَرًّا لَكُمْ﴾ أَي: يَا أَلْهَ أَبِي بَكْرٍ، ﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكَ﴾ أَي: فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ لَسَانُ صِدْقٍ فِي الدُّنْيَا وَدِفْعَةٌ مِنْ نَزَالِ فِي الْآخِرَةِ، وَإِظْهَارُ شَرَفٍ لَهُمْ بِاعْتِنَاءِ اللَّهِ بِعَائِشَةَ أَمْ الْمُؤْمِنِينَ؛ حَيْثُ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى بَرَاءَتَهَا فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ الَّذِي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ [صَلَاحُ: ٤٢]. وَقَوْلُهُ: ﴿كُلُّ أَمْرٍ فِيهِمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ﴾ أَي: لِكُلِّ مَنْ تَكَلَّمَ فِي هَذِهِ الْقَضِيَةِ وَدَمَى أَمْ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا شَيْءٌ مِنَ الْفَاحِشَةِ، نَصِيبٌ عَظِيمٌ مِنَ الْعَذَابِ. ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ﴾ قِيلَ: ابْتَدَأَ بِهِ. وَقِيلَ: الَّذِي كَانَ يَجْمَعُهُ وَيَسْتَوْشِيهِ وَيُذَيِّعُهُ وَيُسَبِّحُهُ، ﴿لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ أَي: عَلَى ذَلِكَ، ثُمَّ الْأَكْثَرُونَ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَرْزٍ سُلُوكُ قَبِيحَتِهِ وَاللَّعْنَةُ.

الآية (١٢-١٣): هَذَا تَأْدِيبٌ مِنَ اللَّهِ لِلْمُؤْمِنِينَ فِي قَضِيَةِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حِينَ أَفَاضَ بَعْضُهُمْ فِي ذَلِكَ الْكَلَامِ السَّوِّءِ، وَمَا ذُكِرَ مِنْ شَأْنِ الْإِفْكَ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَوْلَا﴾ بِمَعْنَى: هَلَا، ﴿إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾ أَي: ذَلِكَ الْكَلَامَ الَّذِي رُمِيَ بِهِ أَمْ الْمُؤْمِنِينَ. ﴿ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ أَنْفُسَهُنَّ يَأْفِكُنَّ﴾ أَي: قَاسُوا ذَلِكَ الْكَلَامَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، فَإِنْ كَانَ لَا يَلِيقُ بِهِمْ قَامَ الْمُؤْمِنُونَ أَوَّلَى بِالْبَرَاءَةِ مِنْهُ بِطَرِيقِ الْأَوَّلَى وَالْآخَرَى.

[سَبَبُ الزَّلُولِ]: أَنَّ أَبَا أَيُّوبَ خَالِدَ بْنَ زَيْدٍ قَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ أَمْ أَيُّوبُ: يَا أَبَا أَيُّوبَ، أَمَا تَسْمَعُ مَا يَقُولُ النَّاسُ فِي عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؟ قَالَ: نَعَمْ، وَذَلِكَ الْكَذِبُ. أَكُنْتُ فَاعِلَةٌ ذَلِكَ يَا أَمْ أَيُّوبُ؟ قَالَتْ: لَا وَاللَّهِ مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَهُ. قَالَ: فَعَائِشَةُ وَاللَّهِ خَيْرُ مِنْكَ. قَالَ: فَلَمَّا نَزَلَ الْقُرْآنُ ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَنْ قَالَ فِي الْفَاحِشَةِ مَا قَالَ مِنْ أَهْلِ الْإِفْكَ. وَقَوْلُهُ: ﴿ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ﴾ أَي: هَلَا ظَنُّوا الْخَيْرَ؛ فَإِنَّ أَمْ الْمُؤْمِنِينَ أَهْلُهُ وَأَوَّلَى بِهِ، هَذَا مَا يَتَمَلَّقُ بِالْبَاطِنِ، ﴿وَقَالُوا﴾ أَي: بِالسَّهْمِ، ﴿هَذَا إِفْكٌ شَيْنٌ﴾ أَي: كَذِبٌ ظَاهِرٌ عَلَى أَمْ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّ الَّذِي وَقَعَ لَمْ يَكُنْ رِيَّةً، وَذَلِكَ أَنَّ عِجْمِي أَمْ الْمُؤْمِنِينَ رَاكِبَةٌ

كافر؛ لأنه معاند للقرآن، وفي بقية أمهات المؤمنين قولان: أصحابها أنهن كهي والله أعلم. وقوله تعالى: ﴿لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ الآية كقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٧]. وقد ذهب بعضهم إلى أنها خاصة بعائشة. وقد اختار ابن جرير عمومها، وهو الصحيح.

وقوله: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ﴾ الآية عن أنس [مرفوعاً]: «...» فيقول الله: كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً، وبالكرام عليك شهوداً. فيُخْتَم على فيه، ويُقَال لآركانه: انطقي، فتنتطق بعمله، ثم يُجَلَّى بينه وبين الكلام، فيقول: بُعْدًا لَكُنَّ وَسُخْطًا، فمَنْكُنَّ كُنْتُ أَنَا ضَلُّوا [رواه مسلم]. وقال قتادة: ابن آدم، والله إن عليك لشهوداً غير مُثَمِّمَةٍ من بَدَنِكَ، فراقبهم، وأتق الله في سرِّك وعلاتيك؛ فإنه لا يخفى عليه خافية، الظلمة عنده ضوؤه، والسرُّ عنده علانية، فمن استطاع أن يموت وهو بالله حسن الظنِّ، فَلْيَفْعَلْ، ولا قوة إلا بالله.

وقوله: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ الْبُيُوتُ مِنَ اللَّهِ وَيَنْفَخُ الْحَقُّ﴾ قال ابن عباس: أي: حسابهم. وكذا قال غير واحد. وقوله: ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْقَائِمُ﴾ أي: وَعُدُّهُ وَعَوِيدُهُ وحسابه هو العدل، الذي لا جَوْرَ فيه.

الآية (٢٦): قال ابن عباس: الخبيثات من القول. والطيبات من الرجال. والخبيثون من الرجال. والطيبون من الرجال للطيبات من القول. قال: ونزلت في عائشة وأهل الإفك. وهكذا روي عن مجاهد وعطاء وسعيد بن جبْرِ وغيرهم. واختاره ابن جرير، ووجهه بأن الكلام القبيح أولى بأهل القبح من الناس، والكلام الطيب أولى بالطيبين من الناس، فما نَسَبَهُ أهل النفاق إلى عائشة هم أولى به، وهي أولى بالبراءة والنزاهة منهم؛ ولهذا قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ مَرَكُومٌ يَمُنَّ يَقُولُونَ﴾.

وقال عبد الرحمن بن زيد: الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال، والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء، والطيبات من النساء للطيبين من الرجال، والطيبون من الرجال للطيبات من النساء. وهذا -أيضاً- يرجع إلى ما قاله أولئك باللازم، أي: ما كان الله ليجمع عائشة زوجةً لرسول الله ﷺ إلا وهي طيبة؛ لأنه أطيّب من كل طيّب من البشر، ولو كانت خبيثةً لَمَّا صَلَحَتْ له، لا شرعاً ولا قدراً؛ ولهذا قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ مَرَكُومٌ يَمُنَّ يَقُولُونَ﴾ أي: هم بُدءاء عمّا يقولوه أهل الإفك والعدوان، ﴿لَهُمْ تَغْفِيرَةٌ﴾ أي: بسبب ما قِيلَ فيهم من الكَذِبِ، ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ أي: عند الله في جنات النعيم. وفيه وعد بأن تكون زوجة رسول الله ﷺ في الجنة.

الآية (٢٧): هذه آداب شرعية، أدَّبَ الله بها عباده المؤمنين، وذلك في الاستئذان؛ أمرهم ألا يدخلوا بيوتاً غير بيوتهم حتى يستأمنوا؛ أي: يستأذنوا قبل الدخول ويسلموا بعده. وينبغي أن يستأذن ثلاثاً، فإن أُذِنَ له، وإلا انصرف، كما ثبت أن أبا موسى قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إذا استأذن أحدكم ثلاثاً، فلم يؤذن له، فَلْيَنْصَرَفْ» [متفق عليه]. وقال مجاهد: ﴿حَقٌّ سَتَأْتِيهِمْ﴾ قال: تَنْخَضُوا أَوْ تَنْتَحِمُوا.

﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ يعني: الاستئذان خير لكم، بمعنى: هو خير للطرفين: لِلْمُسْتَأْذِنِ ولأهل البيت ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

الآية (٢١): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَ الشَّيْطَانِ﴾ يعني: طرائقه ومسالكه وما يأمر به، ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوبَ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ هذا تنفير وتحذير من ذلك بأفصح عبارة وأوجزها وأبلغها وأحسنها. قال ابن عباس: ﴿خُطُوبُ الشَّيْطَانِ﴾: عمله. وقال عكرمة: نَزْعَاتُهُ. وقال قتادة: كل معصية فهي من خطوات الشيطان. ثم قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ أي: لولا هو يَرْزُقُ من يشاء التوبة والرجوع إليه، ويُرْزِقُ النفوس من شِرْكها وفُجُورها ودَسَّها وما فيها من أخلاق رديئة، كل بحسبه، لَمَّا حَصَلَ أحد لنفسه زكاة ولا خيراً، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ﴾ أي: من خلقه، ويضِلُّ من يشاء ويُرِيدُ في مَهَالِك الضلال والغِيِّ. ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لأقوال عباده ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن يستحق منهم الهدى والضلال.

الآية (٢٢): ﴿وَلَا يَأْتَلِ مِنْهُ الْإِلَهِ، وَهِيَ: الْخَلِيفَةُ، أي: لا يَخْلِفُ﴾ ﴿أُولُوا الْأَفْضَالِ مِنْكُمْ﴾ أي: الطَّوَلُ وَالصَّدَقَةُ وَالْإِحْسَانُ ﴿وَالْعَتَّةُ﴾ أي: الجِدَّةُ، ﴿أَنْ يُؤْذَى أُولَى الْقُرْبَى وَالْعَسْكَينَ وَالْمَهْجُورِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: لا تَحْلِفُوا إِلَّا تَصِلُوا اقربائكم المساكين والمهاجرين. وهذه في غاية الرَّفْقِ وَالْعَطْفِ على صِلَةِ الأرحام؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا﴾ أي: عمّا تَقَدَّمَ منهم من الإساءة والأذى، وهذا من حِلْمِهِ تعالى وكرمه ولطفه بخلقِهِ مع ظلمهم لأنفسهم.

[سبب النزول]: وهذه الآية نَزَلَتْ في الصَّديق، حين خَلَفَ الْأَيُّوبُ بْنُ سَلْحٍ بن أثانَةَ بنافعاً أبداً بعدما قال في عائشة ما قال. فلَمَّا أَنْزَلَ الله براءة أم المؤمنين عائشة، وطابت النفوس المؤمنة واستقرت، وتاب الله على من كان تكلم من المؤمنين في ذلك، وأقيمَ الحَدُّ على من أقيمَ عليه - شَرَعَ تبارك وتعالى يُعْطَفُ الصَّديقُ على قريبه ونسيبه، وهو سَلْحٌ بن أثانَةَ، فإنه كان ابن خالة الصَّديق، وكان مسكيناً لا مال له إلا ما يُنْفِقُ عليه أبو بكر ﷺ، وكان من المهاجرين في سبيل الله، وقد وَلَقِيَ وَلَقِيَ (١) تاب الله عليه منها، وضربَ الحَدَّ عليها. وكان الصَّديق ﷺ معروفاً بالمعروف، له الفضل والأباذي على الأقارب والأجانب. فلَمَّا نَزَلَتْ هذه الآية إلى قوله: ﴿أَلَا يُحِبُّونَ أَنْ يَتَغْفَرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ الآية - أي: فإن الجزاء من جنس العمل؛ فكما تَغْفِرُ ذَنْبَ مَنْ أَذْنَبَ إِلَيْكَ يَغْفِرُ الله لك، وكما تَصْفَحُ يَصْفَحُ عنك، فعند ذلك قال الصَّديق: بلى، والله إنا نُحِبُّ أَنْ تَغْفِرَ لنا يا ربنا. ثم رَجَعَ إلى سَلْحٍ ما كان يصِلُهُ من النفقة، وقال: والله لا أنزعها منه أبداً، في مقابلة ما كان قال: والله لا أنفعه بنافعاً أبداً، فلماذا كان الصَّديق هو الصَّديق ﷺ وعن ابنته.

الآية (٢٣-٢٥): هذا وعيدٌ من الله تعالى للملئين يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ - خُرُجَ خُرُجِ الْغَالِبِ - فَأَمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ أُولَى بِالْدِّخُولِ في هذا من كل مُحْصَنَةٍ، ولا سبياً التي كانت سبب النزول، وهي عائشة بنت الصَّديق ﷺ. وقد أجمع العلماء قاطبة على أن مَنْ سَبَّها بعد هذا فإنه

(١) الواو واللام والقاف: كلمة تدل على إسرار وخفة [معجم مقاييس اللغة]، والوَلَقُ: أخف الطمن [لسان العرب]؛ فمقصود ابن كثير أنه تعجل بالخوض في الإفك ولم يقصده ولا تنبأه.



## ● الوقفات التدريبية

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوبَ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

والكلام كناية عن اتباع الشيطان، وامتنال وسواسه، فكانه قيل: لا تتبعوا الشيطان في شيء من الأفعال؛ التي من جملتها إشاعة الفاحشة، وجها: الألويس: ٣٢٠/٩.

السؤال: لماذا نهى الله عن اتباع خطوات الشيطان؛ ولم ينه عن اتباعه مباشرة؟  
﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

والآية على العموم عند بعض المفسرين؛ قالوا: أخبر الله أنه لولا فضله ورحمته بالعصمة ما صلح منكم أحد. البغوي: ٢٨١/٣.

السؤال: هل يستطيع أحد أن يعصم نفسه من المخالفة؟  
﴿وَلَا يَأْتِي أُولَ الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْمُوا وَلِيَصَفَّحُوا أَلَا تَجِدُونَ أَنَّ يُغْفَرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

نزلت الآية بسبب أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- حين حلف أن لا ينطق على مسطح لما تكلم في حديث الإفك، وكان ينطق عليه لسنته، ولأنه قريبه، وكان ابن بنت خالته، فلما نزلت الآية رجع إلى مسطح النفقة والإحسان، وكفر عن يمينه. قال بعضهم: هذه أرجى آية في القرآن؛ لأن الله أوصى بالإحسان إلى القاذف، ثم إن لفظ الآية على عمومها في أن لا يحلف أحد على ترك عمل صالح، (ألا تجدون أن يغفر الله لكم) أي: كما تحبون أن يغفر الله لكم، كذلك اغفروا أنتم لمن أساء إليكم، ولما نزلت قال أبو بكر رضي الله عنه: «إني لأحب أن يغفر الله لي»، ثم ردت النفقة إلى مسطح. ابن جزي: ٨٧/٢.

السؤال: هل أخطاء الآخرين في حقك توجب ترك الإحسان إليهم؟  
﴿وَلْيَعْمُوا وَلِيَصَفَّحُوا أَلَا تَجِدُونَ أَنَّ يُغْفَرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾  
فإن الجزء من جنس العمل؛ فكما تقفر ذنب من اذنب إليك بغفر الله لك، وكما تصفح يصفح عنك. ابن كثير: ٢٧٧/٣.

السؤال: تحدث عن قاعدة (الجزء من جنس العمل) من خلال الآية.  
﴿إِنَّ الَّذِينَ يُرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْفَاحِشَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَأُنَجِّيَنَّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾

والغافلة عن الفاحشة أي: لا يقع في قلبها فعل الفاحشة، وكانت عائشة -رضي الله عنها- كذلك. البغوي: ٢٨٢/٣.

السؤال: كيف تكون الغفلة عن الفواحش والمنكرات؟  
﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾  
لأن لهذه الأعضاء عملاً في رمي المحصنات؛ فهم ينطقون بالظن، ويشيرون بالأيدي إلى المقدورات، ويسعون بأرجلهم إلى مجالس الناس لإبلاغ القذف. ابن عاشور: ١٨٠/١٨.

السؤال: لماذا خصت هذه الأعضاء بالذكر دون بقية الأعضاء؟  
﴿لَقَدْ يَنْشَأُ الْخَبِيثَاتِ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالْخَبِيثَاتِ لِلْخَبِيثِينَ أُولَئِكَ يَتْلُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾

قال أبو السائب القاضي: كنت يوماً بحضرة الحسن بن زيد الداعي ... وكان بحضرته رجل، فذكر عائشة بذكر قبيح من الفاحشة، فقال: يا غلام: اضرب عنقه، فقال له العلويون: هذا رجل من شيعةنا، فقال: معاذ الله، هذا رجل طعن على النبي ﷺ، قال الله تعالى: (الخبيثات للخبِيثين والخبِيثون للخبِيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرأون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم)؛

فإن كانت عائشة خبيثة فالنبي ﷺ خبيث، فهو كافر، فاضربوا عنقه، فاضربوا عنقه و أنا حاضر. رواه اللالكائي. ابن تيمية: ٥٠/٥.

السؤال: الطعن في أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- طعن في النبي ﷺ بين ذلك.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوبَ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ وَلَا يَأْتِي أُولَى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْمُوا وَلِيَصَفَّحُوا أَلَا تَجِدُونَ أَنَّ يُغْفَرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْفَاحِشَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَأُنَجِّيَنَّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ يَوْمَ يَمْيِزُ يَوْمَئِذٍ اللَّهُ ذَبْتَهُمْ الْحَقُّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ الْخَبِيثَاتِ وَالْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثَاتِ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثَاتِ لِلْخَبِيثِينَ أُولَئِكَ يَتْلُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
مَا زَكَا	مَا تَطَهَّرَ مِنَ الذُّنُوبِ.
وَلَا يَأْتِي	لَا يَحِلُّ.
أُولَى الْفَضْلِ	أَهْلُ الْفَضْلِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.
الغافلات	الْعَمِيضَاتِ اللَّوَاتِي لَمْ تَخْطُرِ الْفَاحِشَةُ بِقُلُوبِهِنَّ.
تَسْتَأْذِنُوا	تَسْتَأْذِنُوا أَهْلَ الْبُيُوتِ، وَسَمَّى الْإِسْتِذْنَاسَ اسْتِئْذَانًا؛ لِأَنَّهُ يُزِيلُ الْوَحْشَةَ مِنَ الْقَادِمِ.

## ● العمل بالآيات

- اطلب من الله، والاح عليه أن يزكي نفسك، ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ﴾.
- أحسن إلى شخص أساء إليك، ﴿وَلْيَعْمُوا وَلِيَصَفَّحُوا أَلَا تَجِدُونَ أَنَّ يُغْفَرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.
- تعلم آداب الاستئذان، وطبقها، ﴿يَتَأْتِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾.

## ● التوجيهات

- لا تحلف على قطيعة رحم أو ترك معروف، وإن حلفت فارجع في يمينك، وكفر عنها، ﴿وَلَا يَأْتِي أُولَى الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾.
- عظم ذنب قذف المحصنات الغافلات المؤمنات، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْفَاحِشَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَأُنَجِّيَنَّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.
- تذكر تكلم الجوارح، وشهادتها على قولك وعملك يوم القيامة، ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.







الآية (٣٥): ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قال ابن عباس: هادي أهل السموات والأرض. وقال مجاهد وابن عباس: يُدِيرُ الأمرَ فيهما؛ نجومهما وشمسهما وقمرهما. وقال أنس بن مالك: إن إلهي يقول: نوري هُداي. واختار هذا القول ابن جرير. وقال السدي: فنوره أضاءت السموات والأرض. «مَثَلُ نُورِهِ» في هذا الضمير قولان: أحدهما: أنه عائد إلى الله ﷻ، أي: مَثَلُ هُداي في قلب المؤمن «كَيْشْكُورَ»، قاله ابن عباس. والثاني: أن الضمير عائد إلى المؤمن الذي دَلَّ عليه سياق الكلام، وتقديره: مثل نور المؤمن الذي في قلبه «كَيْشْكُورَ». فَتَبَّهَ قَلْبَ المؤمن في صفاته في نفسه بالقنديل من الزجاج الشفاف الجوهري، وما يَسْتَهْدِيهِ من القرآن والشَّرع بالزيت الجيّد الصافي المُشرق المعتدل، الذي لا كَدْرَ فيه ولا انحراف.

«كَيْشْكُورَ» قال ابن عباس وغير واحد: هو موضع القنيلة من القنديل. هذا هو المشهور. «فِيهَا يَصْبِاحُ» وهو الدُّبَالَةُ التي تُضيء.

«الْيَصْبَاحُ فِي رُجَاجٍ» أي: هذا الضوء مشرق في زجاجة صافية. «الرُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دَرِّيٌّ» كأنها كوكب من دُرٍّ. قال أبي بن كعب: كوكب مضيء. وقال قتادة: مضيء مُبِين صَخْمٌ. «يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ» أي: يَسْتَعِيدُ من زيت زيتون شجرة مباركة، «زَيْتُونَةٍ» بدل أو عطف بيان، «لَا شَرْقِيَّةٌ وَلَا غَرْبِيَّةٌ» أي: أنها في مستوى من الأرض، في مكان فسح بارز ظاهر صَاحٍ للشمس، تَفْرَعُهُ من أوّل النهار إلى آخره، ليكون ذلك أضفى لزيته وألطف، كما قال غير واحد؛ ولهذا قال: «يَكَادُ زَيْتُهَا يَضِيءُ» وَكَوْنَهُ تَمَسَّسَةً نَارًا. قال عبد الرحمن بن زيد: يعني: لِضَوْءِ إِشْرَاقِ الزَّيْتِ. «ثَوْرٌ عَلَى ثَوْرٍ» قال ابن عباس: إيمان العبد وعمله. وقال مجاهد والسدي: نور النار ونور الزيت. وقال أبي: فهو يَتَقَلَّبُ في خمسة من النور: فكلامة نور، وعمله نور، ومَدَحُهُ نور، ومَحْرَجُهُ نور، ومصيره إلى النور يوم القيامة إلى الجنة. وقال السدي: نور النار ونور الزيت، حين اجتماع أضواء، ولا يُضيءُ واحد بغير صاحبه، كذلك نور القرآن ونور الإيمان حين اجتماع، فلا يكون واحد منهما إلا بصاحبه. «يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ» أي: يُرْشِدُ الله إلى هدايته من يختاره.

لَمَّا ذَكَرَ تعالى هذا مثلاً لنور هُداي في قلب المؤمن، خَتَمَ الآية بقوله: «وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ فَأَنَّهُ يَكُلُّ شَيْءًا عَلَيْهِ» أي: هو أعلم بمن يَسْتَحِقُّ الهداية مَن يَسْتَحِقُّ الإضلال.

الآية (٣٦): ﴿فِي يَوْمٍ﴾ هي المساجد «أَيَّنَ اللَّهُ أَنْ تَرْفَعَ» أَمَرَ الله بَعَالُهَا وتطهرها من النُّسَسِ واللغو والأفعال والأقوال التي لا تَلِيْقُ فيها، قال قتادة: هي هذه المساجد أَمَرَ الله بينائها وعِمَارَتِهَا ورفعها وتطهيرها، فعن أمير المؤمنين عثمان بن عفان ؓ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من بنى مسجدًا يتبعني به وجه الله، بنى الله له مثله في الجنة». أخرجه في الصحيحين. وقوله: «وَيَذْكُرُ فِيهَا أَسْمُهُ» أي: اسم الله، قال ابن عباس: يعني: يُبَلِّغُ فيها كتابه. وقوله: «وَيَسْبِغُ لَهُ فِيهَا الْفُلُودُ وَالْأَصَالُ» أي: في البكرات والعشيمات. «وَالْأَصَالُ»: جمع أصيل، وهو آخر النهار. وقال ابن عباس: «بِالْفُلُودِ»: صلاة الغداة، «وَالْأَصَالُ»: صلاة العصر، وهما أول ما افترض الله من الصلاة، فَأَحَبُّ أَنْ يَذْكُرَها وَأَنْ يَذْكُرَ بها عباده.

الآية (٣٢-٣٤): ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيْمَى مِنكُمُ﴾ هذا أمر بالتزويج. وقد ذهب طائفة من العلماء إلى وجوبه على كل من قَدَّرَ عليه. «الْأَيْمَى»: جمع أَيْم، ويُقَالُ ذلك للمرأة التي لا زَوْجَ لها، وللرجل الذي لا زَوْجَةَ له. وسواء كان قد تزَوَّجَ ثم فَازَقَ، أو لم يَتَزَوَّجْ واحد منهما. «إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُعْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ» وَأَلَّهَ وَيَسَّعَ عَلَيْهِ. قال ابن عباس: رَحِمَهُمُ الله في التزويج، وأمر به الأحرار والعبيد، وعَدَّهُم عليه الفَنَى. وعن ابن مسعود: التَّيَسُّو الفَنَى في النكاح. «وَلَسْتُمْ بِمُتَّقِينَ» لَا يَحْدُونَ بِكَافٍ حَتَّى يَقْبِضَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ. هذا أَمْرٌ من الله تعالى لِمَنْ لَا يَحْدُ تزويجًا بالتَّعَفُّفِ عن الحرام؛ كما قال -عليه الصلاة والسلام-: «يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج؛ فإنه أَوْفَى للبصر، وأحصن للفرج. ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء» (متفق عليه). «وَالَّذِينَ يَبْنُونَ الْكُتُبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَنَكَبْتُهُمْ» إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا؛ هذا أَمْرٌ من الله تعالى لِلشَّاعَةِ إِذَا طَلَبَ منهم عَيْبُهُمُ الْكِتَابَةِ أَنْ يُكَاتِبُوا، بِشَرْطِ أَنْ يكون للعبد حيلةٌ وَكَسْبٌ يُؤَدِّي إلى سَبْطِهِ المَالِ الذي شَارَطَهُ على أدائه. وقد ذهب كثير من العلماء إلى أن هذا الأمر أَمْرٌ لإرشاد واستحباب، لا أَمْرٌ تَحْتَمُّ وإِجَاب. وذهب آخرون إلى أنه يجب. واختار ابن جرير الوجوب لظاهر الآية. «إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا» قال بعضهم: أمانة. وقيل: صدقًا. وقيل: مَالًا، وقيل: حيلةً وَكَسْبًا.

وقوله: ﴿وَأَنفُسُهُمْ يَنَالُ آلُ اللَّهِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ قيل: معناه اطْرَحُوا لهم من الكتابة بعضها، ثم قال بعضهم: مقدار الربع. وقيل: الثلث. وقيل: النصف. وقيل: جزء من الكتابة من غير حَدٍّ. وقال آخرون: بل المراد هو النصيب الذي قَرَضَ الله لهم من أموال الزكوات. وهذا قول الحسن وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وأبيه ومقاتل. واختاره ابن جرير.

«وَلَا تُكْرَهُوا ظَنُّنَاكُمْ عَلَى الْإِيمَانِ أَنْ أَرَدْنَ تَخَصُّصًا لِلْغَنَى عَنِ الْخَيْرِ الَّذِينَ آمَنُوا» الآية. كان أهل الجاهلية إذا كان لأحدهم أُمَةٌ أرسلها تزني، وجعل عليها ضريبة يأخذها منها كل وقت. فلما جاء الإسلام نهى الله للمسلمين عن ذلك. وكان سبب نزول هذه الآية الكريمة -فيما ذكره غير واحد من المفسرين من السَّلَفِ وَالْخَلَفِ- في شأن عبد الله بن أبي بن سلول المنافق، فإنه كان له إماء، فكان يُكْرَهُنَّ على البغاء طلبًا لخرابهن، ورغبةً في أولادهن، ورئاسة منه فيها يَرْغَمُ. «إِنْ أَرَدْنَ تَخَصُّصًا» هذا خَرَجٌ مخرج الغالب، فلا مفهوم له<sup>(١)</sup>. «لِيَبْنُوا عَرْضَ الْخَيْرِ الَّذِينَ آمَنُوا» أي: من خَرَّاجِهِنَّ ومهورهن وأولادهن. وقد نهى رسول الله ﷺ، عن كسب الحُجَّامِ، ومهر البَغِيِّ، وحُلُولِ الكاهن (متفق عليه).

«وَمَنْ يُكْرِهْهُمْ فَلَا يَكْرِهُهُنَّ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ عَقُورٌ رَجِيمٌ» أي: لَكُهُنَّ، وقال ابن عباس: إنَّهُنَّ على من أَكْرَهَهُنَّ. «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ مُبِينَاتٍ» يعني: القرآن فيه آيات واضحة مُفَسَّرَات.

«وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكَ» أي: خَبَرًا عن الأمم الماضية، وما حَلَّ بهم في مخالفتهم أوامر الله تعالى. «وَمَوْعِظَةً» أي: زاجرًا عن ارتكاب المآثم والمحارم، «لِلْمُتَّقِينَ» أي: لمن اتَّقَى الله وخافه.

(١) يريد أن أسلوب الشرط هنا ليس له مفهوم مخالف؛ بحيث لو لم يردن التحصن فلا بأس بدفعهن للبغاء! وإن جاء قيد الشرط لأن هذا هو الغالب حال الإكراه. ولإبراده هنا نكتة بلاغية؛ حيث يفيد التنفير من الإكراه.



## ● الوقفات التدريبية

﴿ وَأَنكُرُوا الْأَيْمَنَ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِن عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِيهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾

أردفت أوامر العفاف بالإرشاد إلى ما يعين عليه، ويُغني نفوس المؤمنين والمؤمنات، ويفض بأبصارهم، فأمر الأولياء بأن يزوجوا إمامهم ولا يتركون متابعات؛ لأن ذلك أعف لهم وللرجال الذين يتزوجونهم. ابن عاشور: ١٨/٢١٥.

السؤال: حين أمر القرآن بغض البصر وبالعفاف بين الوسائل المعينة على ذلك، كيف دلت الآية الكريمة على ذلك؟

﴿ وَأَنكُرُوا الْأَيْمَنَ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِن عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِيهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾

لما طبع الأدمي عليه من الهلع في قلة الوثوق بالرزق، أجاب من كانه قال: قد يكون الإنسان غير قادر لكونه معدماً بقوله: (إن يكونوا فقراء يغنيهم الله) إذا تزوجوا. (من فضله)، لأنه قد كتب لكل نفس رزقها فلا ينعمهم فقرهم من إنكاحهم... وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: «اطمئنا الله فيما أركم من النكاح ينجز لكم ما وعدكم من الفنى». البقاعي: ١٣/٣٦٥.

السؤال: بينت الآية سببا من أسباب الفنى فما هو؟

﴿ وَلَيَسْتَوِفَّ الَّذِينَ لَا يَحِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾

إرشاد للتأقنين العاجزين عن مبادي النكاح وأسبابه إلى ما هو أولى لهم وأحرى بهم؛ أي وليجتهد في العفة وصون النفس. الألوسي: ٤/٣٤٤.

السؤال: لماذا تنصح من لم يتزوج؟ وما وعد الله له؟

﴿ وَلَيَسْتَوِفَّ الَّذِينَ لَا يَحِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾

أمر بالاستعفاف؛ وهو الاجتهاد في طلب العفة من الحرام لن لا يقدر على التزويج؛ بقوله: (لا يجدون نكاحاً) معناه لا يجدون استطاعة على التزويج؛ بأي وجه تعذر التزويج. ابن جزي: ٢/٩١.

السؤال: ما الواجب على من لا يستطيع النكاح؟

﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ﴿ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ﴾ وذكر سبحانه آية النور عقيب آيات غرض البصر، فقال: (الله نور السموات والأرض)، وكان شاه بن شعاع الكراماني لا تخطئ له فراسته، وكان يقول: «من عمر ظاهره باتباع السنة، وباطنه بدوام المراقبة، وغض بصره عن المحارم، وكف نفسه عن الشهوات، وذكر خصلته خامسة وهي أكل الحلال؛ لم تخطئ له فراسته». والله تعالى يجزي العبد على عمله بما هو من جنس عمله؛ فغض بصره عما حرم يعضوه الله عليه من جنسه بما هو خير منه، فيطلق نور بصيرته ويفتح عليه. ابن تيمية: ٤/٥١٣.

السؤال: لماذا جاءت آية النور عقيب آيات غرض البصر؟

﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ﴿ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ﴾

قال تعالى: (نور على نور) قال بعض السلف في الآية: هو المؤمن ينطق بالحكمة وإن لم يسمع فيها بأثر، فإذا سمع بالأثر كان نوراً على نور؛ نور الإيمان الذي في قلبه يطابق نور القرآن. ابن تيمية: ٤/٥١٣.

السؤال: متى يجتمع للمؤمن نوران؟

﴿ فِي يَوْمٍ أَذْنُ الْأَنفِ تَرَفُّعٌ وَيُذَكَّرُ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْعُدُوِّ وَالْأَسَالِ ﴾ (يُسَبِّحُ) أي: يصلي ويذكر، (لَهُ) أي: خاصته، (فيها بالعدو) أي: الإيثار بصلاة الصبح، (والأصالي) أي: العنصيات ببقية الصلوات؛ فيفتحون أعمالهم ويختمونها بذكره ليحفظوا فيما بين ذلك، ويشارك لهم فيما يتقلبون فيه. البقاعي: ١٣/٢٧٨.

السؤال: ما فائدة بدء المسلم يومه وختمه بالصلاة وذكر الله سبحانه؟

وَأَنكُرُوا الْأَيْمَنَ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِن عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِيهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ٥١  
وَلَيَسْتَوِفَّ الَّذِينَ لَا يَحِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِن عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا أَوْ أَوْفَرُوهُنَّ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تَكُونُوا مِثْلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كُنْتُمْ عَلَى الْيَعَاءِ إِن أَرَدْنَ مُحْصَنَاتٍ لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٥٢  
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ كُتُبٍ آتَيْنَاهُم مِّن بَيْنَتٍ وَمَثَلًا لِّلَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ٥٣ ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مِثْلُ نُورِهِ كَمِثْلُ شَوْجَاهِ فِيهِ مُضْبِحٌ مِّثْلُ الْهَضْبِ فِي رُجَاةِ الْخُجَاةِ كَأَنهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ تُسَبِّحُ بِحَمْدِ رَبِّهَا وَلَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْهَانُهَا يَضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ٥٤ ﴿فِي يَوْمٍ أَذْنُ الْأَنفِ تَرَفُّعٌ وَيُذَكَّرُ فِيهَا أَسْمُهُ وَيُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْعُدُوِّ وَالْأَسَالِ﴾ ٥٥

المعنى

٣٥٤

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
الْأَيْمَنُ	مَنْ لَا زَوْجَ لَهُ.
وَأِمَائِكُمْ	جَوَارِيكُمْ.
الْبِغَاءُ	الرَّغْبَى.
تَحَصَّنَا	تَعَفَّفَا.
كَمِثْلَةِ	هِيَ: الْكَوْثَةُ فِي الْحَاطِطِ غَيْرِ النَّافِذَةِ.
دُرِّيٌّ	مُضِيءٌ.

## ● العمل بالآيات

١. تبرع لإحدى الجمعيات التي تعين على تزويج الشباب، ﴿ وَأَنكُرُوا الْأَيْمَنَ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِن عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِيهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾.
٢. سل الله تعالى أن يهديك لنوره، ﴿ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ﴾.
٣. اقرأ أذكاء الصباح وأنت في المسجد، وفي المساء كذلك، ﴿ فِي يَوْمٍ أَذْنُ الْأَنفِ تَرَفُّعٌ وَيُذَكَّرُ فِيهَا أَسْمُهُ وَيُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْعُدُوِّ وَالْأَسَالِ ﴾.

## ● التوجيهات

١. الفقر ليس عائقاً من الزواج؛ بل قد يكون سبباً للفنى، ﴿ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِيهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾.
٢. احرص على معرفة قصص القرآن؛ ففيها بينات وعبر ومواعظ، ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ كُتُبٍ آتَيْنَاهُم مِّن بَيْنَتٍ وَمَثَلًا لِّلَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾.
٣. من أسباب الفراسة: هداية العبد إلى نور الله، وقد بين الله في هذه السورة أسباب هذا النور وأماكنه وموانعه، ﴿ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ٥٤ ﴾ ﴿فِي يَوْمٍ أَذْنُ الْأَنفِ تَرَفُّعٌ وَيُذَكَّرُ فِيهَا أَسْمُهُ وَيُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْعُدُوِّ وَالْأَسَالِ﴾.



## ● الوقفات التدبيرية

﴿ ١ ﴾ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴿

(رجال): فيه إشعار بمهمهم السامية، ونياتهم وعزائمهم العالية التي بها صاروا عُمَاراً للمساجد: التي هي بيوت الله في أرضه، ومواطن عبادته، وشكره، وتوحيده، وتنزيهه. ابن كثير ٣/ ٢٨٤.

**السؤال: ما المستفاد من وصف عامري المساجد بأنهم (رجال)؟**

﴿يَسْأَلُ لَّهُمَّ بَعْرَةً وَلَا يَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَقَالَ الْمَسْكُونَةُ وَلَيْلَةُ الْكَرْبَةِ﴾  
قال كثير من الصحابة: نزلت هذه الآية في أهل الأسواق الذين إذا سمعوا النداء بالصلاة تركوا كل شغل، ويأدروا، ورأى سالم بن عبد الله أهل الأسواق وهم مقبلون إلى الصلاة فقال: هؤلاء الذين أراد الله بقوله: (لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله). القرطبي: ٢٨٦/١٥.

**السؤال: ما صفات الرجال الذين أثنى الله تعالى عليهم في هذه الآية؟**

﴿ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾

ولما كان ترك الدنيا شديداً على أكثر النفوس، وحب المكاسب بأنواع  
التجارات محبوباً لها، ويشق عليها تركه في الغالب، وتتكلف من تقديم  
حق الله على ذلك، ذكر ما يدعوها إلى ذلك ترفيهاً وترهيباً، فقال:  
(يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار). السعدي: ٥٦٩.

السؤال: لماذا ختمت الآية بقوله: (يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار)؟

﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ أَكْثَرَ مَا عَمِلُوا﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٥﴾ فَذَكَرَ الْجِزَاءَ عَلَى الْحَسَنَاتِ، وَلَمْ يَذْكُرِ الْجِزَاءَ عَلَى السَّيِّئَاتِ وَإِنْ كَانَ يُجَازِي عَلَيْهِمَا لِأَمْرَيْنِ: أَحَدُهُمَا أَنَّهُ تَرْغِيبٌ، فَاقْتَصَرَ عَلَى ذِكْرِ الرَّغْبَةِ، الثَّانِي: أَنَّهُ صِفَةٌ قَوْمٍ لَا تَكُونُ مِنْهُمْ الْكِبَالُ، فَكَانَتْ صِفَاتِهِمْ مَفْهُومَةً. القرطبي: ٣: ٤/١٥.

**السؤال: لم ذكر الجزاء والأجر على الحسنات ولم يذكر السيئات؟**

وَالَّذِينَ كَفَرُوا أََعْمَلْتُمْ كُرْسِيًّا يَحْمِلُهُ الطُّغَمَاءُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا  
جَاءَهُمْ لَمْ يَجِدْهُ مَسْنَكًا

الكافر يحسب أنه قد عمل عملاً، وأنه قد حصل شيئاً، فإذا واهى الله يوم القيامة وحاسبه عليها، ونوقش على أفعاله، لم يجد له شيئاً بالكلية قد قبل، إما لعدم الإخلاص، وإما لعدم سلوك الشرع؛ كما قال تعالى: (وقدنا إلى ما

عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا) [الفرقان: ٢٣]. ابن كثير: ٢٨٦/٣.

**السؤال: ما سبب رد الأعمال يوم القيامة؟**

وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلْتُمْ كُتُوبًا فِيهِمْ يَعْسَبُهُ الظُّلُمَاتُ مَاءً حَقًّا إِذَا جَاءَهُمْ لَا يُجِدُّهُ شَيْئًا ۝

لما ذكر الله حال المؤمنين أعقب ذلك بمثالين لأعمال الكافرين: الأول يقتضي حال أعمالهم في الآخرة، وأنها لا تنفعهم، بل يضمحل ثوابها كما يضمحل السراب... والسراب هو ما يرى في الفلوات من ضوء الشمس في الهجيرة حتى يظهر كأنه ماء يجري على وجه الأرض. ابن جزي: ٩٤/٢.

السؤال: للمشركين عبادات كثيرة لكن دخلها الشرك، ما مصيرها يوم القيامة؟

عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ﴿١٠﴾

خص الطير بالذكر من جملة الحيوان؛ لأنها تكون بين السماء وال

فتكون خارجة عن حكم من في السماء والأرض. القرطبي: ٣/٣٠٦.

**السؤال: لم خص الطير بالذكر بعد ذكر من في السموات والأرض؟**

يَجَالُ لَا تُلَهِيهُمْ تِجْرَةٌ وَلَا يَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَقَائِهِ الصَّلَاةِ  
وَأَيَّاءَ الزَّكَاةِ يُخَافُونَ نَوْمًا تَتَغَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ ۝ وَالْأَبْصَارُ ۝  
لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ  
يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَتَعْمَلَهُمْ كَسْرَابٍ  
بَقِيعةً يَحْسَبُهُ الظَّالِمَان مَاءً حَمِيًّا إِذَا جَاءَهُمْ وَلَمْ يَجِدْهُ سَعِيًّا  
وَمَجِدَّ اللَّهُ عِنْدَهُ وَفُوقَهُ حِسَابُهُ ۖ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۝  
أَوَلَمْ نَكُن مِّن قَبْلِهِ بِحَرِّ لَّيْلِ يَنْفِثُ مَوْجَ مِّن قُوفٍ ۖ مَوْجَ مِّن قُوفٍ ۖ  
سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكُنْ  
يَرِيحُهَا ۖ وَلَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نَورًا قَمَرًا ۖ مِّن نُّورٍ ۝ أَلَمْ تَرَ أَنَّ  
اللَّهَ يَسْخَرُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَالظَّالِمُ صَغِيرٌ كُلُّ  
قَدٍّ عَلَيْهِ صَلَاتُهُ وَشَيْعَتُهُ ۖ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ۝ وَاللَّهُ مُلْكُ  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَلِلَّهِ اللَّهُ الْمَصِيرُ ۝ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُرْسِ  
سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِّن  
خِلَالِهِ ۖ وَيُرْسِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِجَالٍ فِيهَا مَن يَرِيدهُ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ  
وَيُضِرُّهُ ۖ وَعَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَاطِرُهُ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ۝

## معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
كَسْرَابٍ	هُوَ مَا يُشَاهَدُ كَالْمَاءِ عَلَى الْأَرْضِ الْمُسْتَوِيَةِ فِي الظَّهِيرَةِ.
بِقِيعَةٍ	الْأَرْضُ الْمُنْخَفِضَةُ الْمُسْتَوِيَةُ.
لُجِّي	عَمِيقٍ.
يَعْشَاهُ	يَعْلُوهُ.
صَافَاتٍ	بِاسْطَاتٍ أَجْنَحَتْهُنَّ فِي الْهَوَاءِ.
يُرْجِي	يَسُوقُ.

## ● العمل بالآيات

١٠. إِذَا أذن المؤذن اترك مشاغلك، وحافظ على تكبيرة الإحرام، ﴿يَمْلَأُ  
الْقُلُوبَ وَالْأَبْصَرَ﴾ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَفَافِرِ السَّلَوةِ وَلِيَنَّكَ الزَّكُورُ بِمَا هُوَ نَقَبٌ فِيهِ

٢. اطلب النور والهداية من الله تعالى وحده؛ فهو المالك لذلك دون من سواه، وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ .

٣. قل: «سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم» مائة مرة، ﴿الَّذِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ بُحْبُوحَةَ لَدُنْهُ  
مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّيْتُ كُلِّ قَدَمٍ صَلَاتُهُ وَيُسَبِّحُهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾.

## ● التوجيهات

١. من أسباب الأمان يوم القيامة: الخوف من الله تعالى في الدنيا، ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا  
تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾.

٧. بيان خسرة الكافرين في اعمالهم الدينية، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلَهُمْ كِرْبًا فَيَعْبُدُونَ بِحَسْبِهِ الظَّنَّ أَنَّهُ مَاءٌ حَرٌّ إِذَا جَاءَهُمْ لَرَّ يَجِدُهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ قُوَّةً حَسَابَهُ وَاللَّهُ مَرِيحُ الْحَسَابِ﴾.

۳۔ ادع الله تعالى عند نزول المطر؛ فالدعاء مستجاب، ﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ اللَّهَ تَعَالَىٰٓ أَن يُزِيلَ غَوَاةَهُمْ﴾<sup>(۱)</sup>  
﴿ثُمَّ لَمْ يَجْعَلْهُمُ اللَّهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾<sup>(۲)</sup>

فَهُوَ يَقْتَلِبُ فِي خِصَّةٍ مِنَ الظُّلَمِ: كَلَامُهُ ظُلْمَةٌ، وَعَمَلُهُ ظُلْمَةٌ، وَمَذْخَلُهُ ظُلْمَةٌ، وَخَرَجُهُ ظُلْمَةٌ، وَمَصْرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى الظُّلُمَاتِ، إِلَى النَّارِ. وَقَالَ الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ وَالسُّدِّيُّ نَحْوَ ذَلِكَ أَيْضًا. وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَنْ لَمْ يَعْمَلْ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَلَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾: أَيُّ مَنْ لَمْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَهُوَ هَالِكٌ جَاهِلٌ حَاطِرٌ بَاطِلٌ كَافِرٌ، وَهَذَا فِي مُقَابَلَةِ مَا قَالَ فِي مِثْلِ الْمُؤْمِنِينَ: ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [المؤمنون: ٣٥] فَنَسَّاهُ اللَّهُ الْعَظِيمُ أَنْ يَجْعَلَ فِي قُلُوبِنَا نُورًا، وَعَنْ أَيْبَانِنَا نُورًا، وَعَنْ شَهَائِلِنَا نُورًا، وَأَنْ يُعْظِمَ لَنَا نُورًا.

الآية (٤١-٤٢): يُخَبِّرُ تَعَالَى أَنَّهُ يَسْخِجُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ؛ أَيُّ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالْإِنْسَانِيَّةِ، وَالْجَانِّ وَالْحَيَوَانِ، حَتَّى الْجِهَادِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿سَخِجَ لَهُ أَكْثَرُ النَّاسِ السَّخِجَ وَالْأَرْضَ وَمَنْ فِيهَا﴾ [الأنعام: ٤٤]. وَقَوْلُهُ: ﴿وَالطَّيْرَ سَخِجَتْ﴾: أَيُّ فِي حَالِ طَيْرَانِهَا تَسْخِجُ رِبَهَا وَتَعْبُدُهُ بِتَسْخِجِ أَلْسِنَتِهَا وَأَرْشَدَهَا إِلَيْهِ، وَهُوَ يَعْلَمُ مَا هِيَ فَاعِلَةٌ؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿كُلُّ قَدْ أَرْشَدَهُ إِلَى طَرِيقَتِهِ وَمُسْلَكِهِ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ ﷻ﴾. ثُمَّ أَخْبَرَ أَنَّهُ عَالِمٌ بِجَمِيعِ ذَلِكَ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ فَقَالَ: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾.

ثُمَّ أَخْبَرَ أَنْ لَهُ: ﴿مُلْكُ أَكْثَرِ النَّاسِ وَالْأَرْضَ﴾: فَهُوَ الْحَاكِمُ الْمُتَصَرِّفُ الَّذِي لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ، وَهُوَ الْإِلَهُ الْمَعْبُودُ الَّذِي لَا تَبْغِي الْعِبَادَةَ إِلَّا لَهُ ﴿وَلِلَّهِ الْكَوْبُورُ﴾: أَيُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُحْكَمُ فِيهِ بِمَا يَشَاءُ ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَتَوْا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ الَّذِينَ اسْتَوَسُوا بِالْمَقْشِقِ﴾ [النجم: ٣١]، فَهُوَ الْخَالِقُ الْمَالِكُ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَكِيمُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَلَهُ الْحُكْمُ فِي الْأَوَّلَى وَالْآخِرَةِ.

الآية (٤٣): يَذْكُرُ تَعَالَى أَنَّهُ يَسُوقُ السَّحَابَ بِقُدْرَتِهِ أَوَّلَ مَا يُنْشِئُهَا وَهِيَ ضَعِيفَةٌ، وَهُوَ الْإِرْجَاءُ، ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ﴾: أَيُّ يَجْمَعُهُ بَعْدَ تَفَرُّقِهِ، ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا﴾: أَيُّ مُتَرَكَامًا، أَيُّ يَرْكَبُ بَعْضُهُ بَعْضًا، ﴿فَتَرَى الْوَدَّكَ﴾: أَيُّ الْمَطَرِ ﴿يَخْرُجُ مِنْ خَلِيلِهِ﴾: أَيُّ مِنْ خَلِيلِهِ. وَكَذَا قَرَأَهَا ابْنُ عَبَّاسٍ وَالضَّحَّاكُ.

وقوله: ﴿وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِزَالَ فِيهَا مِنْ بَرٍّ﴾: قَالَ بَعْضُ النُّحَاةِ: «مِنْ» الْأَوَّلَى لِابْتِدَاءِ الْغَايَةِ، وَالثَّانِيَةِ لِلتَّجْهِيزِ، وَالثَّالِثَةِ لِبَيَانِ الْجِنْسِ. وَهَذَا إِنَّمَا يَجِيءُ عَلَى قَوْلٍ مِنْ ذَهَبَ مِنَ الْمُفْسِّرِينَ إِلَى أَنَّ مَعْنَاهُ: أَنَّ فِي السَّمَاءِ جِبَالَ بَرٍّ يُنْزَلُ اللَّهُ مِنْهَا الْبَرْدُ. وَأَمَّا مَنْ جَعَلَ الْجِبَالَ هَهُنَا كِتَابَةً عَنِ السَّحَابِ، فَإِنَّ «مِنْ» الثَّانِيَةَ عِنْدَ هَذَا لِابْتِدَاءِ الْغَايَةِ أَيْضًا، لَكِنَّا بَدَّلَ مِنَ الْأَوَّلَى، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وقوله: ﴿فَيُصِيبُ بِرَمِّ سَيْتَةٍ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ﴾: يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: ﴿فَيُصِيبُ بِرَمِّ﴾: أَيُّ بِمَا يُنْزَلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ نَوْحِي الْبَرْدِ وَالْمَطَرِ، فَيَكُونُ قَوْلُهُ: ﴿فَيُصِيبُ بِرَمِّ سَيْتَةٍ﴾ رَحْمَةً لَهُمْ، وَ«يَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ»: أَيُّ يُؤَخِّرُ عَنْهُمْ الْغَيْثَ.

وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: ﴿فَيُصِيبُ بِرَمِّ﴾: أَيُّ بِالْبَرْدِ نَقْمَةً عَلَى مَنْ يَشَاءُ لِمَا فِيهِ مِنْ تَثَرُّ ثَارِهِمْ وَإِتْلَافِ زُرُوعِهِمْ وَأَشْجَارِهِمْ. وَ«يَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ» رَحْمَةً بِهِمْ.

وقوله: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقُهُ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾: أَيُّ يَكَادُ ضَوْؤُهُ يَبْزُقُ مِنْ شِدَّتِهِ يَخْطِفُ الْبَصَارَ إِذَا أَتَتْهُ وَتَرَاةَتْهُ.

الآية (٣٧-٣٨): قَوْلُهُ: ﴿رِجَالٌ﴾ فِيهِ إِشْعَارٌ بِهِمِجِهِمُ السَّائِيَةِ وَيَتَاهِمُ وَعِزَاتِهِمُ الْعَالِيَةِ الَّتِي يَهَا صَارُوا عِزًّا لِلْمَسَاجِدِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَنْتَفِيزِينَ رِجَالٌ صِدْقًا مَا وَعَدَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣].

﴿رِجَالٌ لَا لِهَيْبِهِمْ يَخِرُّوْنَ وَلَا يَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ لَا تَسْغُلُهُمُ الدُّنْيَا وَتُخْرِفُهَا وَزِينَتُهَا وَتَمْلَأُ بَيْنَهُمَا وَرَبِيعَهَا عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمُ الَّذِي هُوَ خَالِقُهُمْ وَرَازِقُهُمْ، وَالَّذِينَ يَعْلَمُونَ أَنَّ الَّذِي عِنْدَهُ هُوَ خَيْرٌ لَهُمْ وَأَنْفَعُ مِمَّا بِأَيْدِيهِمْ؛ لِأَنَّ مَا عِنْدَهُمْ يَفْنَى وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿لَا لِهَيْبِهِمْ يَخِرُّوْنَ وَلَا يَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَرِثَةِ السَّلَوةِ وَإِلَهَةِ الرَّكْوةِ﴾: أَيُّ يَقْدُمُونَ طَاعَتَهُ وَمُزَادَهُ وَحُبَّتَهُ عَلَى مُرَادِهِمْ وَحُبَّتِهِمْ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ يَقُولُ: عَنْ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ. وَقَالَ السُّدِّيُّ: عَنْ الصَّلَاةِ فِي جَمَاعَةٍ. وَقَوْلُهُ: ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا﴾: أَيُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِي «تَنْقَلِبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ» مِنْ شِدَّةِ الْفَرَقِ وَعَظَمَةِ الْأُمُورِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنْذَرُ يَوْمَ الْأَرْزَقَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظِيمَةٍ﴾ [غافر: ١٨]. ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾: أَيُّ هَؤُلَاءِ مِنَ الَّذِينَ يَقْتَلِبُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ. «وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ» أَيُّ يَتَكَبَّلُ مِنْهُمْ الْحَسَنَ وَيُضَاعِفُهُ لَهُمْ «وَاللَّهُ يَزِدُّ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ».

الآية (٣٩-٤٠): هَذَانِ مَثَلَانِ ضَرَبَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى لِنَوْحِي الْكَفَّارِ؛ فَأَمَّا الْأَوَّلُ: فَهُوَ لِلْكَفَّارِ الدُّعَاةِ إِلَى كُفْرِهِمْ، الَّذِينَ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْأَعْمَالِ وَالْإِعْتِقَادَاتِ، وَلَيْسُوا فِي نَفْسِ الْأَمْرِ عَلَى شَيْءٍ، فَتَمْلِكُهُمْ فِي ذَلِكَ كَالسَّرَابِ الَّذِي يُزَيَّرُ فِي الْقِيَامَةِ مِنَ الْأَرْضِ عَنْ بُعْدِ كَأَنَّهُ بَحْرٌ طَامٌ. «وَبِقِيَمَةٍ» الْقِيَمَةُ: جَمْعُ قَاعٍ، كَجَارٍ وَجِيرَةٍ، وَالْقَاعُ أَيْضًا: وَاحِدُ الْقِيَامَةِ، كَمَا يَقَالُ: جَارٌ وَجِيرَانٌ. وَهِيَ: الْأَرْضُ الْمُسْتَوِيَّةُ الْمُتَبَسِّطَةُ، وَفِيهِ يَكُونُ السَّرَابُ، يُزَيَّرُ كَأَنَّهُ مَاءٌ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِذَا رَأَى السَّرَابَ مِنْ هُوَ حَاجٌّ إِلَى الْمَاءِ، حَسِبَهُ مَاءً فَقَضَّاهُ لِيَسْرَبَ مِنْهُ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْهِ «لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا»، فَكَذَلِكَ الْكَافِرُ يَحْسِبُ أَنَّهُ قَدْ عَمِلَ عَمَلًا، وَأَنَّهُ قَدْ حَصَلَ شَيْءٌ، فَإِذَا وَافَى اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَحَاسِبًا عَلَيْهَا، وَتَوَقَّشَ عَلَى أَعْمَالِهِ، لَمْ يَجِدْ لَهُ شَيْئًا بِالْكُلِّيَّةِ قَدْ قِيلَ: إِنَّمَا لَعْدَمُ الْإِخْلَاصِ، وَإِنَّمَا لَعْدَمُ سُلُوكِ الشَّرْعِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَدْ مَنَّا عَلَى مَنْ عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ نَبْهَةً تَنْشُرُهَا﴾ [الفرقان: ٢٣]. وَقَالَ هَهُنَا: ﴿وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعٌ الْحِسَابِ﴾. وَهَكَذَا رُوِيَ عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٍ وَقَتَادَةَ وَغَيْرِ وَاحِدٍ.

وهذا المثل مثال لذوي الجهل المركب.

فأما أصحاب الجهل البسيط، وهم الأغصام المقلدون لأئمة الكفر، الضُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ، فَتَمْلِكُهُمْ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَوِ كُذِّبَتْ فِي بَحْرِ لُجِّي﴾ قَالَ قَتَادَةُ: وَهُوَ الْعَمِيقُ «بَنَشْنَشَةِ مَوْجٍ مِنْ قُوَّهِ مَوْجٍ مِنْ قُوَّهِ» مَحَابَّتُ ظُلْمَتِهِ بَعْضُهَا قُوَّةٌ بَعْضُهَا إِذَا أَخْرَجَ يَكُونُ لَمْ يَكْدِرْهَا أَيُّ: لَمْ يُقَارَبْ رُؤْيَاهَا مِنْ شِدَّةِ الظُّلَمِ، فَهَذَا مِثْلُ قَلْبِ الْكَافِرِ الْجَاهِلِ الْبَسِيطِ الْمُقْلِدِ الَّذِي لَا يَدْرِي أَيْنَ يَذْهَبُ، وَلَا يَعْرِفُ حَالَهُ مِنْ يَقُودِهِ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «بَنَشْنَشَةِ مَوْجٍ مِنْ قُوَّهِ مَوْجٍ مِنْ قُوَّهِ» يَعْنِي بِذَلِكَ: الْغَشَاوَةَ الَّتِي عَلَى الْقَلْبِ وَالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ. وَقَالَ أَبُو بِنِ كَعْبٍ فِي قَوْلِهِ: «ظُلْمَتُهُ بَعْضُهَا قُوَّةٌ بَعْضُهَا»:

وَأَيُّ مَا كَانَ فَهُوَ مُتَّحِضٌ، والله عليم بكلِّ منهم، وما هو عليه مُنْظَرٍ من هذه الصفات.

وقوله: ﴿بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ أي: بل هم الظالمون الفاجرون، والله ورسوله مُبْرَأَانِ مَّا يُظَنُّونَ وَيَتَوَكَّمُونَ مِنَ الْحَيْفِ وَالْجَوْرِ، تعالى الله ورسوله عن ذلك.

ثم أخبر تعالى عن صفة المؤمنين المستجيبين لله ولرسوله، الذين لا يغبون ديناً سوى كتاب الله وسنة رسوله، فقال: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ أي: سمعنا وطاعة؛ ولهذا وصفهم تعالى بالآلاح، وهو نيل المطلوب والسلامة من المرهوب، فقال: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ والأحاديث والآثار في وجوب الطاعة لكتاب الله وسنة رسوله، وللخلفاء الراشدين، والأئمة إذا أمرُوا بطاعة الله أكثر من أن تُخَصَّرَ في هذا المكان.

وقوله: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ قال قتادة: فيها أمرُاه به وترك ما نبهاه عنه، ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ﴾ فيها مَضَى من ذنوبه، ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ﴾ فيها يَسْتَقْبِلُ. وقوله: ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ يعني: الذين فازوا بكل خير، وأمنوا ما كل شر في الدنيا والآخرة.

الآية (٥٣): يقول تعالى مُخْبِراً عن أهل النفاق، الذين كانوا يحلفون للرسول ﷺ: ﴿لَنْ أَمْرَهُمْ بِالْخُرُوجِ فِي الْغَزَا لِيُخْرَجُوا﴾ قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَا تُفْسِدُوا﴾ أي: لا تحلفوا.

وقوله: ﴿طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ﴾ قيل: معناه: طاعتكم طاعةً معروفةً، أي: قد علم طاعتكم، إنها هي قول لا يفعل معه، وكلما حلفتم كذبتم؛ كما قال تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ وَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنْ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٩٦]، وقال تعالى: ﴿وَالْحَقُّ أَنَّهُمْ مِنْ جُنَّةٍ فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [التافقون: ٢]، فهم من سَجِيَّتِهِمُ الْكَذِبَ حتى فيما يختارونه؛ كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [١١] لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُوا مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُوهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُولَيَنَّ الْأَفْكَارُ لَا يَصْرُوحُونَ﴾ [الحشر: ١١-١٢].

وقيل: المعنى في قوله: ﴿طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ﴾ أي: ليكن أمرُكم طاعةً معروفةً، أي: بالمعروف من غير حلف ولا إقسام، كما يطيع الله ورسوله المؤمنون بغير حلف، فكونوا أنتم مثلهم.

﴿إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ أي: هو خير بكم، وبمن يُطِيعُ مَنْ يَعْصِي، فالخلف وإظهار الطاعة -الباطن بخلافه، وإن راج على المخلوق- فالخالق تعالى يعلم السر وأخفى، لا يُزْجِج عليه شيء من التدليس، بل هو خير بضائر عباده، وإن أظهرها خلافها.

الآية (٤٤): ﴿يُحَلِّبُ اللَّهُ الْبَلَّ وَالنَّهَارَ﴾ أي: يَتَصَرَّفُ فيها، فيأخذ من طول هذا في قصر هذا حتى يَمْتَدِلَا، ثم يأخذ من هذا في هذا، فيطول الذي كان قصيراً، ويَقْصُرُ الذي كان طويلاً. والله هو الْمُتَصَرِّفُ في ذلك بأمره وقهره وعزته وعلمه.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ أي: للدليل على عظمته تعالى. كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَخُرُوجِ الْبَلِّ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لَأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠] وما بعدها من الآيات.

الآية (٤٥): يَذْكُرُ تعالى قدرته التامة وسلطانه العظيم في خلقه أنواع المخلوقات، على اختلاف أشكالها وألوانها، وحرركاتها وسكناتها، من ماء واحد، ﴿فِيهِمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ﴾ كالحيَّة وما شاكلها، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى سَاقَيْنِ﴾ كالإنسان والطير، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ﴾ كالأنعام وسائر الحيوانات؛ ولهذا قال: ﴿يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ أي: بقدرته؛ لأنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

الآية (٤٦): يُقَرِّرُ تعالى أنه أنزل في هذا القرآن من الحكم والحكم والأمثال البينة المحكمة، كثيراً جداً، وأنه يُرْشِدُ إلى تَهْجِيهَا وَتَعْقُلِهَا أُولِي الْأَلْبَابِ والبصائر والنهَى. ولهذا قال: ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

الآية (٤٧-٥٢): يجبر تعالى عن صفات المنافقين، الذين يُظْهِرُونَ خلاف ما يُبْطِنُونَ، يقولون قولاً بالاستتيم: ﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِأَرْسُولِهِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَكَّلُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ أي: يَخْلِفُونَ أقوالهم بأعمالهم، فيقولون ما لا يفعلون. ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا أُولَئِكَ إِلَّا الْفُتُونُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ الآية، أي: إذا طُلبُوا إلى اتِّبَاعِ الْهَدَى فيما أنزل الله على رسوله، أَعْرَضُوا عنه واستكبروا في أنفسهم عن اتِّبَاعِهِ، كقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَرْمِعُونَ أَهْلَهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ إلى قوله: ﴿وَرَأَيْتُ الْمُتَفَلِّقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ [النساء: ٦٠-٦١].

وقوله: ﴿وَلَنْ يَكُنْ لَهُمْ لَقَى يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِبِينَ﴾ أي: إذا كانت الحُكُومَةُ لهم لا عليهم، جازوا سامعين مطيعين، وهو معنى قوله: ﴿مُذْعِبِينَ﴾، وإذا كانت الحُكُومَةُ عليه أَعْرَضَ ودعا إلى غير الحق، وأَحَبَّ أَنْ يَتَحَاكَمَ إلى غير النبي ﷺ لِتَرْجُحِ بَاطِلِهِ ثُمَّ قَدْ عَانَهُ أَوَّلًا لَمْ يَكُنْ عَنْ اعْتِقَادٍ مِنْهُ أَنَّ ذَلِكَ هُوَ الْحَقُّ، بل لأنه مُوَافِقٌ لِهَوَاهُ؛ ولهذا لَمَّا خَالَفَ الْحَقُّ قَصْدَهُ، عَدَلَ عنه إلى غيره.

ولهذا قال تعالى: ﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ رَبَاهُمْ أَن يَحْكُمُوا أَنْ يُبَيِّنَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ﴾ يعني: لا يُخْرِجُ أمرُهم عن أن يكون في القلوب مَرَضٌ لَزِمَ لها، أو قد عَرَضَ لها شك في الدين، أو يَخَافُونَ أَنْ يَجُورَ الله ورسوله عليهم في الحكم.



## ● الوقفات التدريبية

﴿يَقُلِّبُ اللَّهُ الْكَلِمَ الْأَيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾

أي لكل من له بصيرة يراجعها ويعلمها؛ فالأبصار هنا جمع بصير بمعنى البصيرة بخلافها فيما سبق. وقيل: هو بمعنى البصر الظاهر كما هو المتبادر منه، والتعبير بذلك دون البصائر للإيذان بوضوح الدلالة.

الألوسي: ٣٨٤/٩.

السؤال: ما فائدة التعبير بالأبصار وليس البصائر؟

﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾

(آيات مبينات): يعم كل ما نصب الله تعالى من آية وصنعة للعبارة.

وكل ما نص في كتابه من آية تنبيه وتذكير. ابن عطية: ١٩١/٤.

السؤال: ما الآيات التي يهدي الله بها المؤمنين؟

﴿وَقِيلُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فِئَةٍ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾

وفي هذه الآيات دليل على أن الإيمان ليس هو مجرد القول، حتى يقترب

به العمل، ولهذا نفي الإيمان عمن تولى عن الطاعة السعدي: ٥٧٢.

السؤال: في الآية فائدة عقديّة، اذكرها.

﴿وَأَذِّنْ لِلْعَذَابِ أَنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَيَحْكُمُ بِهِمْ إِذَا فُتِنُوا مِنْهُمْ مَعْرُوضُونَ﴾

روي أن رجلاً من المنافقين اسمه بشر كانت بينه وبين رجل من اليهود

خصومة فدعاه اليهودي إلى التحاكم عند رسول الله ﷺ وكان المنافق

مبطلا فأبى من ذلك ودعا اليهودي إلى كعب بن الأشرف، فنزلت

هذه الآية فيه، وأسند الزهراوي عن الحسن بن أبي الحسن أنه قال:

من دعاه خصمه إلى حكم من حكام المسلمين فلم يجب فهو ظالم.

ابن عطية: ١٩١/٤.

السؤال: ما موقف المؤمن إذا دعي إلى التحاكم إلى شرع الله تعالى؟

﴿أَمْ يَحْضَرُونَ أَنَّ يَخِيفُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ رَسُولَهُ﴾

يحرم إساءة الظن بأحكام الشريعة، وأن يظن بها خلاف العدل والحكمة.

السعدي: ٥٧٢.

السؤال: الرضى بالشرع نعمة من الله، وضع ذلك من خلال الآية.

﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَتَقَى اللَّهَ وَنَفْسَهُ فَاُولَئِكَ هُمُ الْقَائِمُونَ﴾

جمعت الآية أسباب الفوز في الآخرة وأيضاً في الدنيا. ابن عاشور: ٢٧٦/١٨.

السؤال: تعد الآية الكريمة من جوامع الكلم، بين ذلك.

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَنْ أُمرَّتَهُمْ لَيُخْرِجَنَّ قُلٌ لَا تَقْسِمُوا طَاعَةَ

مَعْرُوفَةٍ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ يَمَّا تَعْمَلُونَ﴾

ذلك أن المنافقين كانوا يقولون لرسول الله ﷺ: أينما كنت تكن معك،

لئن خرجت خرجنا، وإن أقمت أقمنا، وإن أمرتنا بالجهاد جاهدنا، فقال

تعالى: (قل لا تقسموا)، لا تحلفوا، وقد تم الكلام، ثم قال: (طاعة

معروفة)، يعني: هذه طاعة بالقول باللسان دون الاعتقاد، وهي معروفة؛

يعني: أمر عرف منكم أنكم تكذبون، وتقولون ما لا تفعلون. البغوي: ٣٠٩/٣.

السؤال: هل يكفي قول اللسان دون اعتقاد القلب؟

يَقُلِّبُ اللَّهُ الْكَلِمَ الْأَيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ٥٥  
وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ  
يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ  
إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٥٦ لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبِينَاتٍ  
وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ٥٧ وَيَقُولُونَ  
آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فِئَةٍ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ  
ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ٥٨ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ  
لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فِئَةٍ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ ٥٩ وَلَنْ يَكُنَ لَهُمُ الْحَقُّ  
يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ٦٠ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ أَرْسَلُوا أَمْ يَحْضَرُونَ  
أَنْ يُخَيَّفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ أَمْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ٦١ إِنَّمَا  
كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ  
يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ٦٢ وَمَنْ  
يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَتَقَى اللَّهَ وَنَفْسَهُ فَاُولَئِكَ هُمُ الْقَائِمُونَ ٦٣  
﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَنْ أُمرَّتَهُمْ لَيُخْرِجَنَّ قُلٌ لَا تَقْسِمُوا طَاعَةَ  
مَعْرُوفَةٍ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ يَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ٦٤

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
مُذْعِنِينَ	طَائِعِينَ مُنْقَادِينَ.
مَرَضٌ	نِفَاقٌ.
أَرْسَلُوا	شَكُّوا فِي النُّبُوَّةِ.
يُخَيَّفُ	يُجَوِّزُ.
جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ	مُجْتَهِدِينَ فِي الْحَلْفِ بِأَعْلَى الْأَيْمَانِ.

## ● العمل بالآيات

١. تأمل في تنوع خلق الله، ثم احمده الله على تسوية خلقك وحسنه،

﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

٢. ادع الله أن يهديك إلى صراطه المستقيم، ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

٣. ارسل رسالة عن خطر الاعتراض على حكم الله، وأنه من صفات المنافقين، ﴿وَقِيلُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فِئَةٍ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾.

## ● التوجيهات

١. اهل البصيرة الشاقبة والعقول النيرة يتعملون بآيات الله في الكون، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾.

٢. الإذعان للشرعية يجب أن يكون في كل الأحوال؛ سواء كان الحكم موافقاً لهواك، أو مخالفاً له، ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فِئَةٍ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ (٥٩) وَلَنْ يَكُنَ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ.

٣. فصل طاعة الله ورسوله، وتقوى الله عز وجل، وإن اهلها هم الفائزون بالنجاة من النار ودخول الجنان، ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَتَقَى اللَّهَ وَنَفْسَهُ فَاُولَئِكَ هُمُ الْقَائِمُونَ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَّغُ الْأَمِّ ﴾

وجملة: (وإن تطيعوه تهتدوا) إرداف التهديد الذي تضمنه قوله: (وعليكم ما حملتم) بالترغيب في الطاعة. ابن عاشور: ٢٨١/١٨.

السؤال: جمعت الآية بين الترغيب والترهيب، بين ذلك.

﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ﴾

(وإن تطيعوه تهتدوا): إلى الصراط المستقيم قولاً وعملاً: فلا سبيل لكم إلى الهداية إلا بطاعته، وبدون ذلك لا يمكن، بل هو محال. السعدي: ٥٧٣.

السؤال: هل من سبيل إلى الهداية غير طاعة الرسول ﷺ؟

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الْأَوَّلِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾

في الآية دلالة واضحة على أن خلفاء الأمة مثل: ابي بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن ومعاوية كانوا يحمل الرضى من الله تعالى؛ لأنه استخلفهم استخلاقاً كاملاً كما استخلف الذين من قبلهم، وفتح لهم البلاد من المشرق إلى المغرب، وأخاف منهم الأكاسرة والقيصرة. ابن عاشور: ٢٨٦/١٨.

السؤال: كيف دلت الآية الكريمة على فضل هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم؟

﴿ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾

(ومن كفر بعد ذلك التمكين والسلطنة التامة لكم يا معشر المسلمين (هاولئك هم الفاسقون) الذين خرجوا عن طاعة الله وفسدوا، فلم يصلحوا لصالح، ولم يكن فيهم أهلية للخير؛ لأن الذي يترك الإيمان في حال عزه وقهره وعدم وجود الأسباب المانعة منه يدل على فساد نيته، وخبث طويته؛ لأنه لا داعي له لترك الدين إلا ذلك. السعدي: ٥٧٣.

السؤال: لماذا وصف الله الذين كفروا بعد التمكين بالفسق؟

﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾

يامر تعالى بإقامة الصلاة... وإيتاء الزكاة... فهذان أكبر الطاعات واجلها، جامعتان لحقه وحق خلقه، للإخلاص للمعبود، وللإحسان إلى العبيد، ثم عطف عليهما الأمر العام فقال: (وأطيعوا الرسول)... (لعلكم)

حين تقومون بذلك (ترحمون) فمن أراد الرحمة فهذا طريقها، ومن رجاها من دون إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الرسول فهو مُتَمَنٍّ كاذب، وقد منته نفسه بالأماني الكاذبة السعدي: ٥٧٣.

السؤال: لماذا خصت الصلاة والزكاة من بين الأوامر التي يجب فيها إطاعة الرسول؟ وما رايك فيمن تمنى رحمة الله وهو مقصر في صلاته وزكاته، عاص لرسوله؟

﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِي السَّمَاءِ مِن مَّعْجِزٍ ﴾

وقوله تعالى: (في الأرض) ظرف لمعجزين... لإفادة شمول عدم الإعجاز لجميع أجزائها: أي لا تحسبنهم معجزين الله تعالى عن إدراكهم واهلاكهم في قطر من اقطار الأرض بما رحبت وإن هربوا منها كل مهرب. الألوسي: ٣٩٨/٩.

السؤال: ما الذي افاده قوله تعالى في الآية: (في الأرض)؟

﴿ يَدَّأِيهَا الَّذِينَ لَا يُسْتَغْفَرُونَ لَدُنَّا الَّذِينَ لَمْ يَرْبُوا لَنَا لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

وإنما خص هذه الأوقات لأنها ساعات الخلوة ووضع الثياب، فربما يبدو

من الإنسان ما لا يجب أن يراه أحد. القرطبي ٣١٣/١٥.

السؤال: لم خص هذه الساعات بالأمر بتعليم الاستئذان فيها؟

قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَّغُ الْأَمِّ ﴿١﴾ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الْأَوَّلِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٢﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٣﴾ لَّا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِي السَّمَاءِ مِن مَّعْجِزٍ ﴿٤﴾ يَدَّأِيهَا الَّذِينَ لَا يُسْتَغْفَرُونَ لَدُنَّا الَّذِينَ لَمْ يَرْبُوا لَنَا لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ مَرْثَاتٌ مِّن قَبْلِ صَلَوةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَوةِ الْعِشَاءِ تِلْكَ عَوْرَاتٌ لَّكَ لَيْسَ عَلَيْكَ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدُهَا ظُهُورُهُمْ عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ عَلَىٰ بَعْضِ عَصَاكَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ	عَلَى الرَّسُولِ فَعَلْ مَا أَمَرَ بِهِ مِنْ تَبْلِيغِ الرُّسَالَةِ.
وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ	عَلَيْكُمْ فَعَلْ مَا كُفِّلْتُمْ بِهِ مِنَ الْإِمْتِنَانِ.
مُعْجِزِينَ	فَائِتِينَ مِنَ الْعَذَابِ بِالْهَرَبِ.
جَنَاحٌ	خَرَجٌ.

## ● العمل بالآيات

١. صل الصلوات الخمس مع الجماعة، واخضع فيها؛ فذلك من إقامتها، ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾.
٢. تصدق بشيء من مالك، ﴿ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾.
٣. تدارس مع من حولك بعضاً من آداب الاستئذان، ﴿ يَدَّأِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَغْفِرُوا لَدُنَّا الَّذِينَ لَمْ يَرْبُوا لَنَا لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴾.

## ● التوجيهات

١. اتباع آيات القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة موجب لسعادة الدارين، ومعارضتهما موجبة للضلال والخسران، ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ﴾.
٢. وعد الله تعالى بالتمكين في الأرض والاستخلاف فيها مشروط بتحقيق العبادة وترك الشرك، ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الْأَوَّلِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾.
٣. قارن بين دولة كافرة قوية معاصرة وأمة كافرة قديمة اهلكها الله، واستخرج أوجه الشبه بينهما، ﴿ لَّا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِي السَّمَاءِ مِن مَّعْجِزٍ ﴾.





الآية (٥٩-٦٠): ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا﴾ يعني: إذا بلغ الأطفال الذين إنما كانوا يستأذنون في العورات الثلاث، إذا بلغوا الحُلُمَ، وَجِبَ عليهم أن يستأذنوا على كلِّ حال، يعني بالنسبة إلى أجانبيهم، وإلى الأحوال التي يكون الرجل على امرأته، وإن لم يكن في الأحوال الثلاث. قال يحيى بن أبي كثير: إذا كان الغلام رِبَاعِيًّا فإنه يستأذن في العورات الثلاث على أبويه، فإذا بلغ الحُلُمَ فليستأذن على كلِّ حال. وهكذا قال سعيد بن جبير. وقال في قوله: ﴿كَأَنَّمَا اسْتَزَدْتُمُ اللَّهَ مِنْ قِبَلِهِ﴾ يعني: كما استأذن الكبار من وَلَدِ الرَّجُلِ وأقاربه. وقوله: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ قال سعيد بن جبير ومقاتل ابن حِيَّان وقناة والضحاك: هُنَّ اللواتي انقطع عنهن الحيض، وَيَسْتَسْنِ من الولد، ﴿الَّتِي لَا يَرْجُونَ كَيْلًا﴾ أي: لم يبقَ لهنَّ تشوف إلى التزويج، ﴿فَلْيَسْتَأْذِنُوا عَلَيْهِنَّ جَنَاحُ مَنْ يَضَعُ يَدَيْهِنَّ عَلَى خُصْرِهِنَّ لِيُرِيَهُنَّ﴾ أي: ليس عليها من الحَرَجِ في التَّسَرُّعِ كما على غيرها من النساء. قال ابن مسعود: ﴿يَدَايَهُنَّ﴾ قال: الجلباب، أو الرِّدَاءُ، وكذا روي عن ابن عباس وابن عمر ومجاهد وغيرهم. وقال سعيد بن جبير: ﴿عَنْ مَسْرُوحٍ بِنْتِ بَرْبَكَةَ﴾ يقول: لا يَبْرَحُ بَوْضِعُ الجلباب، أن يَرى ما عليها من الزينة. وقوله: ﴿وَأَن يَسْتَعِيفَ عَنْ لَهْفِهِ﴾ أي: وترك وَضْعِيَّتِهِ لِيَسَاهِنَ - وإن كان جائزاً - خير وأفضل لهنَّ ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

الآية (٦١): اختلف المفسرون -رحمهم الله- في المعنى الذي رُفِعَ من أَجْلِ الحَرَجِ عن الأعمى والأعرج والمرضى مهناً؛ فقال عطاء الخُرَّاساني وعبد الرحمن بن زيد: نَزَلَتْ في الجهاد؛ أي: أنهم لا إثم عليهم في ترك الجهاد؛ لَضَعْفِهِمْ وَعَجْزِهِمْ. وقيل: المراد مهناً أنهم كانوا يَتَحَرَّجُونَ من الأكل مع الأعمى؛ لأنه لا يرى الطعام وما فيه من الطيبات، فربما سَبَقَهُ غيره إلى ذلك، ولا مَعَ الأعرج؛ لأنه لا يَمَكِّنُ من الجلوس، فَيَقْتَاتُ عليه جليسه، والمرضى لا يَسْتَوِي من الطعام كغيره، فَكَرِهُوا أن يُؤْكِلُوهُمْ لثلاث تَطْلِيْمُهُمْ، فَأَنْزَلَ الله هذه الآية رخصةً في ذلك. وهذا قول سعيد بن جبير ومِقْسَم. وقال الضحاك: كانوا قبل السَّبْعِ يَتَحَرَّجُونَ من الأكل مع هؤلاء تَقَدُّراً وَتَقَرُّراً، ولثلاث يَتَفَضَّلُوا عليهم، فَأَنْزَلَ الله هذه الآية.

وقال السُّدِّي: كان الرجل يدخل بيت أبيه أو أخيه أو ابنه فَتُحْفَهُ المرأةُ بالشئ من الطعام، فلا يأكل من أجل أن رَبَّ البيت ليس تَمَّ. فقال الله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ﴾، إلى قوله: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعاً أَوْ أَشْتَاتاً﴾. وقوله: ﴿وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ﴾، إنما ذكر هذا - وهو معلوم - ليعطف عليه غيره في اللفظ، وليساويه ما بعده في الحكم. وَتَضَمَّنَ هذا بيوت الأبناء؛ لأنه لم يَنْصُصْ عليهم. ولهذا استدل بهذا من ذهب إلى أن مال الولد بمنزلة مال أبيه، وقد جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أنت ومالك لأبيك» [رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه، وصححه إسناده أحمد شافراً].

وقوله: ﴿أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ إلى قوله:

﴿أَوْ مَا مَلَكَتْهُمُ مَفَاحِشُهُ﴾ هذا ظاهر. وقد يَسْتَدِلُّ به من يُوجب نَقْفَ الأقارب بعضهم على بعض، كما هو مذهب أبي حنيفة وأحد في المشهور عنها. وأما قوله: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْهُمُ مَفَاحِشُهُ﴾ فقال سعيد بن جُبَيْر والسُّدِّي: هو خادم الرجل من عبد وقَهْرَمَان، فلا بأس أن يأكل مما استودعه من الطعام بالمعروف.

[سبب النزول]: عن عائشة قالت: كان المسلمون يرغبون في النفر مع رسول الله ﷺ، فيدفعون مفايحهم إلى ضُمَّنَاتِهِمْ، ويقولون: قد أخللنا لكم أن تأكلوا ما احتججتم إليه. فكانوا يقولون: إنه لا يحِلُّ لنا أن نأكل؛ إِيَّاهُمْ أَذْنُوْنَا لَنَا غير طيب أنفسهم، وإنما نحن أَمَنَاءُ. فَأَنْزَلَ الله: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْهُمُ مَفَاحِشُهُ﴾.

وقوله: ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ أي: بيوت أصدقائكم وأصحابكم، فلا جناح عليكم في الأكل منها إذا عَلِمْتُمْ أن ذلك لا يَشُقُّ عليهم، ولا يَكْرَهُونَ ذلك. وقال قتادة: إذا دَخَلْتَ بيتَ صديقك فلا بأس أن تأكل بغير إذنه.

وقوله: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعاً أَوْ أَشْتَاتاً﴾ [سبب النزول]: قال ابن عباس في هذه الآية: وذلك لَمَّا أُنْزِلَ الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالطَّيْلِ﴾ [النساء: ٢٩]، قال المسلمون: إن الله قد نهانا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل، والطعام هو أفضل من الأموال، فلا يحِلُّ لأحد مِنَّا أن يأكل عند أحد. فَكَفَّ النَّاسُ عن ذلك، فَأَنْزَلَ الله: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى إِلَى قَوْلِهِ: ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾. وكانوا أيضاً يَأْتِفُونَ وَيَتَحَرَّجُونَ أن يأكل الرجل الطعام وحده، حتى يكون معه غيره، فَرَخَّصَ الله لهم في ذلك، فقال: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعاً أَوْ أَشْتَاتاً﴾. فهذه رُخْصَةٌ من الله تعالى في أن يأكل الرجل وحده ومع الجماعة، وإن كان الأكل مع الجماعة أفضل وأَبْكَرُ، كما روي أن رجلاً قال للنبي ﷺ: إنا نأكل ولا نَشْبَعُ. قال: «فلعلكم تأكلون مُتَفَرِّقِينَ، اجتمعوا على طعامكم، واذكروا اسم الله يُبَارِكُ لكم فيه» [رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه، وصححه الألباني].

وقوله: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ قال سعيد بن جبير والحسن البصري: فليُسَلِّمَ بعضكم على بعض. وقال جابر: إذا دخلت على أهلك فسَلِّمْ عليهم «حَيْثُ بَيْنَ عِنْدِ اللَّهِ مُبَرَكَةٌ طَبِيبَةٌ». وقال مجاهد: إذا دَخَلْتَ المسجد فقل: السلام على رسول الله. وإذا دَخَلْتَ على أهلك فسَلِّمْ عليهم، وإذا دَخَلْتَ بيتاً ليس فيه أحد فقل: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين. وقوله: ﴿كَذَلِكَ بَيَّنَّ اللَّهُ لَكُمْ الْأَيَّاتِ لَمَّا كُنْتُمْ تَقُولُونَ﴾ لَمَّا ذَكَرَ تعالى ما في السورة الكريمة من الأحكام المحكمة والشرائع المُتَّفَقَةِ المُتَرَبِّعَةِ، بَيَّنَّ تعالى على أنه يَبَيِّنُ لعباده الآيات بيانياً شافياً، لِيَتَعَبَّرُوا وَيَتَقَلَّبُوا لِعَلِّهِمْ يَعْلَمُونَ.



**السؤال: ما وجه وصف التحية بالبركة؟**

35A

٣. اجعل تحيتك الدائمة للناس هي التحية التي شرعها الله: (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته)، فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبْرَكَةً طَيِّبَةً.



﴿ إِنَّا التَّوْحِيدَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ عَمَلٌ شَرٌّ عَلَى أَمْرِ جَلِيلٍ  
لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوا إِنْ الْإِيمَانَ يَسْتَأْذِنُكَ لَوْلَاكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ  
بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾

(عَلَى أَمْرِ جَامِعٍ يَقُولُ: عَلَى أَمْرِ يَجْمَعُ جَمِيعَهُمْ مِنْ: حَرْبِ حَضْرَتِ، أَوْ صَلَاةِ  
 اجْتَمَعَ لَهَا، أَوْ تَشَاوُرٍ فِي أَمْرِ تَزُلُ. (لَمْ يَنْهَبُوا) يَقُولُ: لَمْ يَنْصَرَفُوا عَمَّا اجْتَمَعُوا  
 لَهُ مِنْ الْأَمْرِ حَتَّى يَسْتَأْذِنُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ. الطبري: ١٩/٢٢٨.

السؤال: الاستئذان دليل الإيمان، ونجاح الأمر الجماعي، وضع ذلك من الآية:

﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

(واستغفر لهم) يقول: وادع الله لهم بأن يتفضل عليهم بالعفو عن تبعات ما بينه وبينهم. (إن الله غفور) لذنوب عباده التائبين: (رحيم) بهم أن يعاقبهم عليها بعد توبتهم منها. الطبري: ٢٢٩/١٩.

السؤال: من رفق القائد ونجاحه الدعاء لمن تحت إمرته بظهر الغيب بين ذلك.

فهُوَ عَنْ أَنْ يَدْعُوا الرَّسُولَ عِنْدَ مُنَادَاتِهِ كَمَا يَدْعُو بَعْضُهُمْ بَعْضًا فِي  
الْفِظْ أَوْ فِي الْهَيْئَةِ فَأَمَّا فِي الْفِظْ فَيَأْنِ لَا يَقُولُوا: يَا مُحَمَّدُ، أَوْ يَا ابْنَ عَبْدِ  
اللَّهِ، أَوْ يَا ابْنَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ، وَلَكِنْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْ يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَوْ بِكُنْيَتِهِ: يَا  
أَبَا الْقَاسِمِ، وَأَمَّا فِي الْهَيْئَةِ فَيَأْنِ لَا يَدْعُوهُ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَرَاتِ، وَأَنْ لَا يُلْحِقُوا  
فِي دَعَائِهِ إِذَا لَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِمْ. ابن عاشور: ٣٠٩/١٨.

السؤال: تعظيم الرسول ﷺ من تعظيم الله، بين ذلك من خلال الآية:

﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ﴾

فيه من تعظيم أمر الرسول ﷺ ما فيه، وذكر أن الشيخ في جماعته كالنبي في أمته، فينبغي أن يحترم في مخاطبته، ويمنز على غير الألواسي: ٤/ ٤١٩.

السؤال: لطالب العلم مع شيخه ومربيه ومع العلماء والكبار آداب جميلة،  
بين هذا من خلال الآتي.

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نُبُزًا ﴾

وفي تسميته فرقاناً وجهان: أحدهما: لأنه فرق بين الحق والباطل، والمؤمن والكافر، الثاني: لأن فيه بيان ما شرع من حلال وحرام. القرطبي: ٣٦٦/١٥.

**السؤال: لم سمي القرآن الكريم بالفرقان؟**

﴿ تَبَرَّكَ الَّذِي رَزَقَ الْقُرْآنَ عَلَى حَبِيبِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نُبْرًا ﴾

والمراد بعبده نبينا محمد ﷺ، وإيراده عليه الصلاة والسلام بذلك العنوان لتشريفه، والإيذان بأنه -صلوات الله تعالى وسلامه عليه- في أقصى مراتب العبودية، والتنبيه على أن الرسول لا يكون إلا عبداً للمرسل رداً على النصارى. الألبوسي: ٤٢٢/٩.

**السؤال: ذكر الله سبحانه في مقام إنزال القرآن العبودية، ولم يذكر النوة والرسالة، ما الذي تستفيد من هذا؟**

﴿وَلَقَدْ كَلَّمْنَا نُوَّاحًا نَفَذَ إِلَهُهُ الْأَمْرَ﴾<sup>٣٢١</sup>

فسواه وهياه لما يصلح له، لا خلل فيه ولا تفاوت، وقيل: قدر لكل شيء تقديرًا من الأجل والرزق، فجرت المقادير على ما خلق. البغوي: ٣٢١/٣.

السؤال: بين شيئاً من عظمة الله تعالى في تقديره لخلقه.

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ  
عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَم يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوا مِنَ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُكَ  
أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا أَسْتَأْذَنُكَ  
لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذِّنْ لِمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ  
اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٨﴾ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ  
بِئْتِكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ  
يَسْتَأْذِنُونَ مِنْكُمْ لِيُذْهِبَ أَقْلَ الَّذِينَ يَنجَالِفُونَ عَنْ  
أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ أَلَا إِنَّ  
لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَكَوْنَهُ

سُورَةُ التَّوْبَةِ ٩٠

سُورَةُ التَّوْبَةِ

٩٧

بَيْنَهُمُ اللَّهُ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ  
تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا  
۝ الَّذِي لَهُ مَلَأْتُكَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَهُ يَكُونُ  
لَهُ شَرِيفُ الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدْ رُءُوهُ وَقَدَرَهُ وَتَقَدَّرَ ۝

## معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
أَمْرٌ جَامِعٌ	أَمْرٌ مِنْهُمْ مِنْ مَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ جُمِعُوا لَهُ.
دَعَا الرَّسُولُ	يَدَّاءُكُمْ لَهُ بَأَن تَقُولُوا: يَا مُحَمَّدًا وَلَكِنْ قُولُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ
يَسْتَلُونَ مِنْكُمْ	يَخْرُجُونَ خُمِيَّةً بَعِيرٍ إِذِنْ.
لَوْأَدَا	يَسْتَرُّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فِي الْخُرُوجِ.
فِتْنَةً	مِحْنَةً، وَشَرٌّ، وَعَذَابٌ.
فَقْدَرَهُ	سَوَّاهُ عَلَى مَا يُنَاسِبُ مِنَ الْخَلْقِ.

## ● العمل بالآيات

١. استغفر الله للمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات،  
﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهُ﴾.  
٢. صل على النبي ﷺ كلما ورد اسمه، ﴿لَا تَجْمَعُوا دَعَاةَ الرَّسُولِ يَنفَكُمُ  
دَعَاةٌ بِعَيْنِكُمْ بَعْضًا﴾.  
٣. أرسل رسالة تبين فيها خطر مخالفة هدي النبي ﷺ، ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ  
يُمَايِلُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

## ● التوجيهات

١. وجوب تعظيم رسول الله ﷺ، وحرمة إساءة الأدب معه حياً وميتاً،  
﴿لَا تَجْعَلُوا دَعْوَةَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدَعَاءِ بَعْضِكُمْ مَبْعُوثٌ﴾.

٢. المنجر على سنة الرسول ﷺ يخشى عليه أن يموت على سوء الخاتمة والعباد  
بالله، ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

٣. سوف ينبئك الله بما عملت من صغير وكبير؛ فاحرص على أن ينبئك الله  
بما تحب، ﴿وَرَوِّبْهُمْ لِيُدْعِيَكَ إِيَّاهُ فَيُنَبِّئَكَ بِمَا عَمِلْتَ﴾.

﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ﴾ أي: ويوم يرجع الخلاق إلى الله - وهو يوم القيامة - ﴿فَيُنِثُّهُمْ يَسَاعِلًا﴾ أي: يجبرهم بما فعلوا في الدنيا، من جليل وحقير، وصغير وكبير؛ كما قال تعالى: ﴿يَبْئُتُكَ الَّذِينَ يَوْمَهُمْ يَسْأَلُونَ﴾ [البقرة: ١٣]. وقال: ﴿وَوَضِعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يَقَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّرُوكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]. ولهذا قال ههنا: ﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنِثُّهُمْ يَسَاعِلًا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

### نفسر سورة الفرقان

وهي مكية، وآياتها (٧٧) آية.

الآية (١-٢): يقول تعالى حامداً نفسه الكريمة على ما نزلَه على رسوله الكريم من القرآن العظيم؛ كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ نُنِذِرُكَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ الآية [الكهف: ١]. وقال ههنا: ﴿تَبَارَكَ﴾ وهو تفاعُل من البركة المستقيمة الدائمة الثابتة.

﴿الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ﴾ نَزَلَ، فَعَلَ، من التَّكْرُرِ والتَّكثُّرِ؛ لأن الكتب المستقيمة كانت تنزل جملة واحدة، والقرآن نزل مُتَجَمِّعاً مُفْرَقاً مُفَصَّلاً، آيات بعد آيات، وأحكاماً بعد أحكام، وسُوراً بعد سُور. وهذا أشد وأبلغ، وأشد اعتناءً بمن أنزل عليه، كما قال في أثناء هذه السورة: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾ [الفرقان: ٣٢].

ولهذا ساء ههنا الفرقان؛ لأنه يفرق بين الحق والباطل، والهدى والضلال، والغي والرشاد، والحلال والحرام. وقوله: ﴿عَلَى عَبْدِيهِ﴾ هذه صفة مدح وثناء؛ لأنه أضافه إلى عبوديته، كما وصفه بها في أشرف أحواله، وهي ليلة الإسراء، فقال: ﴿شَبَّحْنَاهُ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ [الإسراء: ١٠]. وكما وصفه بذلك في مقام الدعوة إليه: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُ عَلَيْهِ لَكُمْ﴾ [الحج: ١٩]. وكذلك وصفه عند إنزال الكتاب عليه ونزول الملك إليه، فقال: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ﴾.

﴿يَكُونُ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ أي: إنها خصه بهذا الكتاب العظيم المبين المُفَصَّل المُحْكَم الذي لا يأتيه البطل من بين يديه ولا من خلفه. تَزِيلُ بَيْنَ حَكِيمٍ حَبِيرٍ [نصت: ٤٢]، الذي جعله فرقاناً عظيماً، إنها خصه به ليُخَصَّ بالرسالة إلى من يستظل بالخضراء، ويستقل على الغبراء، كما قال ﷺ: «يُعْنَتُ إِلَى الْأَمْرِ وَالْأَسْوَدِ» [رواه مسلم]. وقال الله تعالى: ﴿قُلْ يَأْتِيهَا أَنفَاسٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨] أي: الذي أرسلني هو مالك السموات والأرض، الذي يقول للشيء كُنْ فيكون. وهو الذي يُحْيِي ويميت، وهكذا قال ههنا: ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ يَخْذُ لَكُمْ يَتُوبُ وَيُكَفِّرُ عَنْ شَرِّكَ فِي الْمُلْكِ﴾، فتره نفسه عن الولد، وعن الشريك. «وخلق كل شيء بقدره وتقديره» أي: كل شيء مما سواه خلق مربوب، وهو خالق كل شيء ورَبُّه ومليكه وإلهه، وكل شيء تحت قهره، وتدبيره وتقديره.

الآية (٦٢): وهذا أيضاً أدب أرشد الله عباده المؤمنين إليه، فكما أمرهم بالاستئذان عند الدخول، كذلك أمرهم بالاستئذان عند الانصراف، لا سيما إذا كانوا في أمر جامع مع الرسول ﷺ من صلاة جمعة أو عيد أو جماعة، واجتماع في مشورة ونحو ذلك، أمرهم الله تعالى ألا يتفرقوا عنه - والحالة هذه - إلا بعد استئذانه ومشاورته. وإن من يفعل ذلك فإنه من المؤمنين الكاملين. ثم أمر رسوله ﷺ إذا استأذنه أحد منهم في ذلك أن يأذن له إن شاء؛ ولهذا قال: ﴿فَأَذِنَ لِمَن شِئْتُمْ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ﴾ الآية.

الآية (٦٣): قال ابن عباس: كانوا يقولون: يا محمد، يا أبا القاسم، فنهاهم الله ﷻ عن ذلك؛ إعظاماً لنبه ﷺ. قال: فقالوا: يا رسول الله، يا نبي الله. وهكذا قال مجاهد وسعيد بن جبیر. وقال قتادة: أمر الله أن يتأهب نبيه ﷺ، وأن يجبل وأن يعظم وأن يسود. هذا قول، وهو الظاهر من السياق؛ كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رِعْسًا وَفُؤُلًا أَنْظَرْنَا﴾ [البقرة: ١٠٤]. فهذا من باب الأدب في مخاطبة النبي ﷺ والكلام معه وعنده، كما أمروا بتقديم الصدقة قبل مناجاته.

والقول الثاني: أن المعنى: لا تعتقدوا أن دعاءه على غيره كدعاء غيره؛ فإن دعاءه مستجاب، فاحذروا أن يدعوا عليكم فتَهْلِكُوا. حكاه ابن أبي حاتم عن ابن عباس والحسن والعوفي، والله أعلم. ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْكُلُونَ مِنْكُمْ لِرَادَا﴾ قال مقاتل بن حيان: هم المنافقون. وقال السدي: إذا كانوا معه في جماعة، لاذ بعضهم ببعض، حتى يتغيبوا عنه، فلا يراهم. وقال قتادة: يعني: لو أذا عن نبي الله وعن كتابه. وقال سفيان: من الصف. وقال مجاهد: ﴿لِرَادَا﴾: خلافاً. ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾ أي: عن أمر رسول الله ﷺ، وهو سبيله ومنهجه وطريقته وشريعته، فتورن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله، فما وافق ذلك قبل، وما خالفه فهو مَرْدُودٌ على قائله وفاعله، كاتناً ما كان، كما ثبت في الصحيحين وغيرهما، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا؛ فهو رد» [ومنا لفظ مسلم]. أي: فليحذر وليخش من خالف شريعة الرسول باطناً أو ظاهراً «أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ أي: في قلوبهم، من كفر أو نفاق أو بدعة، «أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: في الدنيا، يقتل أو حد أو حبس أو نحو ذلك.

الآية (٦٤): يخبر تعالى أنه مالك السموات والأرض، وأنه عالم الغيب والشهادة، وهو عالم بما العباد عاملون في سرهم وجهرهم، فقال: ﴿قَدْ﴾ وقد، للتحقيق؛ كما قال قبلها: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْكُلُونَ مِنْكُمْ لِرَادَا﴾ [النور: ٦٣].

﴿يَعْلَمُ مَا أُنْشَرُ عَلَيْهِ﴾ أي: هو عالم به، مُشَاهِدٌ له، كما قال: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُبْعَثُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِن شَيْءٍ نَسْنَالُ ذُرُوفٍ الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [يونس: ٦١]. فهو شهيد على عباده بما هم فاعلون من خير وشر.

الآية (٣): تَجْرِىٰ تَعَالَىٰ عَنْ جَهْلِ الْمُشْرِكِينَ فِي اتِّخَاذِهِمْ آلِهَةً مِنْ دُونِ اللَّهِ، الْخَالِقُ لِكُلِّ شَيْءٍ، الْمَالِكُ لِأَرْثَةِ الْأُمُورِ، الَّذِي مَا شَاءَ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَمَعَ هَذَا عَبْدُهُو مَعَ الْأَصْنَامِ مَا لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ خَلْقِ جَنَاحٍ بِعَوْضَةٍ، بِهَمِّ مَخْلُوقُونَ، وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا، كَيْفَ يَمْلِكُونَ لِعِبَادِهِمْ؟!

﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾ أَي: لَيْسَ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ، بَلْ ذَلِكَ مَرْجِعُهُ كُلُّهُ إِلَى اللَّهِ ﷻ الَّذِي هُوَ بَاحِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ الَّذِي يَعِيدُ الْخَالِقَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَوَّلَهُمْ وَآخِرَهُمْ، ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَبْعَثُكُمْ إِلَّا فِي مَعْلَمٍ وَيَجِدُكُمْ﴾ [التغابن: ٢٨]، ﴿إِنْ كُنْتُمْ إِلَّا صِحَاحَ وَحَدٍّ فَلَآ أُولَئِكَ لَدَيْنَا مَصْرُورٌ﴾ [يس: ٥٣]، فَهُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ وَلَا رَبَّ سِوَاهُ، وَلَا تَنْبَغِي الْعِبَادَةُ إِلَّا لَهُ؛ لِأَنَّهُ مَا شَاءَ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ. وَهُوَ الَّذِي لَا وَلَدَ لَهُ وَلَا وَالِدَ، وَلَا عَدِيلَ وَلَا نَيْدَ وَلَا وَزِيرَ وَلَا نَظِيرَ، بَلْ هُوَ الْأَخَذُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَكَفْؤًا أَحَدًا.

الآية (٤-٦): يَقُولُ تَعَالَىٰ مَخْبَرًا عَنْ سَخَافَةِ عُقُولِ الْجَهْلَةِ مِنَ الْكُفَرَاءِ، فِي قَوْلِهِمْ عَنِ الْقُرْآنِ: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ﴾ أَي: كَذِبٌ. ﴿أَفَرَأَيْتُمْ﴾ يَعْنُونَ: النَّبِيَّ ﷺ، ﴿وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ مَّخْرُورٌ﴾ أَي: وَاسْتَعَانَ عَلَىٰ جَمْعِهِ بِقَوْمٍ آخَرِينَ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَقَدْ جَاءُوا ظُلُمًا وَزُورًا﴾ أَي: فَقَدْ أَفْتَرُوا هَمَّ قَوْلًا بَاطِلًا، هُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ بَاطِلٌ، وَيَعْرِفُونَ كَذِبَ أَنْفُسِهِمْ فَيَا يَزْعُمُونَ.

﴿وَقَالُوا أَسْطِطِرُّوهُ الْآدِلَةُ﴾ يَعْنُونَ: كُتِبَ الْأَوَائِلُ اسْتَنْسَخَهَا، ﴿فَبِئْسَ تَمَثَّلَ عَلَيْهِ﴾ أَي: تَفَرَّقَا عَلَيْهِ ﴿بُكَرَةً وَآسِيًّا﴾ أَي: فِي أَوَّلِ النَّهَارِ وَآخِرِهِ. وَهَذَا الْكَلَامُ -لِسَخَافَتِهِ وَكَذِبِهِ وَبُجْبِهِ مِنْهُمْ- كُلُّ أَحَدٍ يَعْلَمُ بَطْلَانَهُ؛ فَإِنَّهُ قَدْ عَلِمَ بِالنُّوَارِ وَبِالضَّرُورَةِ: أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ لَمْ يَكُنْ يَعْانِي شَيْئًا مِنَ الْكُتَابَةِ، لَا فِي أَوَّلِ عَمَرِهِ وَلَا فِي آخِرِهِ، وَقَدْ نَشَأَ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ مِنْ أَوَّلِ مَوْلَدِهِ إِلَى أَنْ بَعَثَهُ اللَّهُ نُحُورًا مِنْ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَهُمْ يَعْرِفُونَ مَذْخَلَهُ وَخُرُوجَهُ، وَصِدْقَهُ، وَبِرَّهُ وَأَمَانَتَهُ وَنِزَاهَتَهُ مِنَ الْكُذِبِ وَالْفُجُورِ وَسَائِرِ الْأَخْلَاقِ الرَّذِيلَةِ، حَتَّى إِنْهُمْ لَمْ يَكُونُوا يُسْمَوْنَ فِي صِفَرِهِ إِلَى أَنْ بُعِثَ إِلَّا الْأَمِينُ، لَيْتَا يَعْلَمُونَ مِنْ صِدْقِهِ وَبِرِّهِ. فَلَمَّا أَكْرَمَهُ اللَّهُ بِمَا أَكْرَمَهُ بِهِ، تَصَبَّوْا لَهُ الْعِدَاوَةَ، وَزَمَوْهُ بِهَذِهِ الْأَقْوَالِ الَّتِي يَعْلَمُ كُلُّ عَاقِلٍ بَرَاءَتَهُ مِنْهَا، وَحَارَوْا مَاذَا يَقْدِرُونَهُ بِهِ، فَتَارَةً مِنْ إِفْكَهِمْ يَقُولُونَ: سَاحِرٌ، وَتَارَةً يَقُولُونَ: شَاعِرٌ، وَتَارَةً يَقُولُونَ: مَجْنُونٌ، وَتَارَةً يَقُولُونَ: كَذَّابٌ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٤٨، الفرقان: ٩].

وَقَالَ تَعَالَىٰ فِي جَوَابِ مَا عَانَدُوا هَهُنَا وَافْتَرَوْا: ﴿فَلْ أُنْزِلْهُ الْآلِىَ يَعْلَمُ الْآلِىَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أَي: أُنْزِلْ الْقُرْآنَ الْمَشْتَمِلَ عَلَىٰ أَخْبَارِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ إِبْخَارًا حَقًّا صِدْقًا مُطَابِقًا لِلْوَاقِعِ، مَاضِيًا وَمُسْتَقْبَلًا. ﴿أُنْزِلْهُ الْآلِىَ يَعْلَمُ الْآلِىَ﴾ أَي: اللَّهُ الَّذِي يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَيَعْلَمُ السَّرَائِرَ كَعَلَمِهِ بِالظَّوَاهِرِ. وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا﴾ دَعَاءٌ لَهُمْ إِلَى التَّوْبَةِ وَالْإِنْبَاءَةِ،

وَإِبْخَارَ بَأْنِ رَحْمَتِهِ وَاسِعَةٍ، وَأَنْ جَلَمَتُهُ عَظِيمٌ، وَأَنْ تَابَ إِلَيْهِ تَابَ عَلَيْهِ. فَهَؤُلَاءِ مَعَ كَذِبِهِمْ وَافْتَرَاءِهِمْ وَفُجُورِهِمْ وَبُجْبِهِمْ وَكُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ، وَقَوْلِهِمْ عَنِ الرَّسُولِ وَالْقُرْآنِ مَا قَالُوا، يَدْعُوهُمْ إِلَى التَّوْبَةِ وَالْإِقْلَاعِ عَمَّا هُمْ فِيهِ إِلَى الْإِسْلَامِ وَالْهُدَى؛ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُهُ وَحْدَهُ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَعُولُونَ لِمَسَّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [٣١] أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ٧٣-٧٤]، وَقَالَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَنَوْا الْمُؤْمِنِينَ وَكُفِّرُوا عَنْهُمْ لَمْ يَبُورُوا فَهُمْ عَذَابٌ جَحِيمٌ وَهُمْ عَذَابٌ مُّكْرِمٌ﴾ [البروج: ١٠٠]، قَالَ الْحَسَنُ: انْظُرُوا إِلَى هَذَا الْكَرَمِ وَالْجُودِ؛ قَتَلُوا أَوْلِيَائِهِ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى التَّوْبَةِ وَالرَّحْمَةِ.

الآية (٧-١١): تَجْرِىٰ تَعَالَىٰ عَنْ تَمَثُّلِ الْكُفَرَاءِ وَعِنَادِهِمْ، وَتَكْذِيبِهِمْ لِلْحَقِّ بِلا حِجَةٍ وَلَا دَلِيلٍ مِنْهُمْ، وَإِنَّمَا تَعَلَّلُوا بِقَوْلِهِمْ: ﴿مَا لَنا هَذَا أَرْسُولًا يَأْكُلُ الطَّعَامَ﴾ يَعْنُونَ: كَمَا نَأْكُلُ، وَيَحْتَاجُ إِلَيْهِ كَمَا نَحْتَاجُ. ﴿وَيَبْسُ فِي الْأَنْبِيَاءِ﴾ أَي: يَتَرَدَّدُ فِيهَا وَإِلَيْهَا طَلَبًا لِلتَّكْثِيبِ وَالتَّجَارَةِ، ﴿لَوْلَا أَنْزَلْ إِلَيْنَا مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ زَيْدٌ﴾ يَقُولُونَ: هَلَّا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، فَيَكُونُ لَهُ شَاهِدًا عَلَىٰ صِدْقِ مَا يَدَّعِيهِ! كَمَا قَالَ فِرْعَوْنُ: ﴿قَوْلًا لِّئَلَّا يَقُولَ عَلَىٰ سُوْرَةٍ مِّنْ ذَهَبٍ آيَةً مَّعَهُ التَّمْيِيكَةُ مُقَرَّرِينَ﴾ [الزخرف: ٥٣].

وَكَذَلِكَ قَالَ هَؤُلَاءِ عَلَى السَّوَاءِ؛ تَمَثَّلَتْ قُلُوبُهُمْ. وَلِهَذَا قَالَ: ﴿أَوْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ لِيَوْمِ هَذَا﴾ يُثَبِّتُ مِنْهُ ﴿أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ أَي: تَسِيرُ مَعَهُ حَيْثُ سَارَ. وَهَذَا كُلُّهُ سَهْلٌ يَسِيرٌ عَلَى اللَّهِ، وَلَكِنْ لَهُ الْحِكْمَةُ فِي تَرْكِ ذَلِكَ، وَلَهُ الْحِجَةُ الْبَالِغَةُ ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنَّا تَسْتَعْتِفُونَ لِأَرْجُلِنَا سَخِرُوا﴾. قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾ أَي: جَاؤُوا بِمَا يَقْدِرُونَكَ بِهِ وَيَكْذِبُونَ بِهِ عَلَيْكَ، مِنْ قَوْلِهِمْ: «سَاحِرٌ، مَسْحُورٌ، مَجْنُونٌ، كَذَّابٌ، شَاعِرٌ». وَكُلُّهَا أَقْوَالٌ بَاطِلَةٌ، كُلُّ أَحَدٍ مِّنْهُمْ لَهُ أَذْنَىٰ فَهَمٌّ وَعَقْلٌ يَعْرِفُ كَذِبَهُمْ وَافْتَرَاءَهُمْ فِي ذَلِكَ. وَلِهَذَا قَالَ: ﴿فَضْلًا﴾ أَي: عَنْ طَرِيقِ الْهُدَى، ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ كُلٌّ مِنْ خَرَجَ عَنِ الْحَقِّ فَإِنَّهُ ضَالٌّ حَيْثَا تَوَجَّهَ؛ لِأَنَّ الْحَقَّ وَاحِدٌ وَمَنْعَجٌ مُّتَّحِدٌ، يَصْدُقُ بِبَعْضِهِ بَعْضًا. ثُمَّ قَالَ تَعَالَىٰ مَخْبَرًا نَبِيًّا أَنَّهُ لَوْ شَاءَ لَأَتَاهُ خَيْرًا مِّمَّا يَقُولُونَ فِي الدُّنْيَا وَأَفْضَلَ وَأَحْسَنَ، فَقَالَ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي أَنْزَلَ سَكَاةً جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّنْ ذَلِكَ جَنَّتِ تَحْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْتَهَرُ وَجَعَلَ لَكَ فَضْرًا﴾. قَالَ مُجَاهِدٌ: بِعَنِي: فِي الدُّنْيَا، قَالَ: وَقَرِشٌ يُسْمَوْنَ كُلُّ بَيْتٍ مِنْ حِجَارَةٍ قَصْرًا، سِوَاكَ كَانَ كَبِيرًا أَوْ صَغِيرًا.

وَقَوْلُهُ: ﴿يَكْذِبُوا بِالسَّاعَةِ﴾ أَي: إِنَّمَا يَقُولُ هَؤُلَاءِ هَكَذَا تَكْذِيبًا وَعِنَادًا، لَا أَنَّهُمْ يَطْلُبُونَ ذَلِكَ تَبَصُّرًا وَاسْتِزْشَادًا، بَلْ تَكْذِيبُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُمْ عَلَى قَوْلِ مَا يَقُولُونَهُ مِنْ هَذِهِ الْأَقْوَالِ. ﴿وَأَعَدْنَا﴾ أَي: وَأَرْصَدْنَا ﴿لِنَسْجُدَ بِالسَّاعَةِ سَمِيرًا﴾ أَي: عَذَابًا أَلِيمًا حَارًّا لَا يُطْفَأُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ. وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ: «السَّعِيرُ»: وَادٌ مِنْ قَتِيعِ جَهَنَّمَ.



## ● الوقفات التدريبية

﴿وَأَتَّخِذُوا مِن دُونِي آلِهَةً لَّا يُخْلَقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيًّا وَلَا شُرَكَاءَ﴾

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن الآلهة التي يعبدونها المشركون من دونه متصفون بستة أشياء: كل واحد منها برهان قاطع أن عبادتها مع الله لا وجه لها بحال، بل هي ظلم منها، وجه عظيم... الأول منها: أنها لا تخلق شيئاً، أي: لا تقدر على خلق شيء. والثاني منها: أنها مخلوقة كلها؛ أي: خلقها خالق كل شيء. والثالث: أنها لا تملك لأنفسها ضراً ولا نفعاً، الرابع والخامس والسادس: أنها لا تملك موتاً، ولا حياة، ولا نشوراً؛ أي: بعثاً بعد الموت. الشنقيطي: ٩/٦.

السؤال: ما صفات النقص التي يتصف بها كل معبود من دون الله تعالى؟  
﴿قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

وذكر (الشراكون الجهر) لأنه من علم السر فهو الجهر أعلم. القرطبي: ٣٩٩/١٥  
السؤال: لم خص ذكر السر في الآية الكريمة دون ذكر الجهر؟

﴿وَقَالُوا أَأُتِىَ السَّاطِرُ الْأَوَّلُ أَمْ كُنْتُمْ فِي سَبِيلٍ﴾  
﴿قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾  
(إنه كان غفوراً رحيماً) دعاء لهم إلى التوبة والإنابة، وإخبار لهم بأن رحمته واسعة، وأن حلمه عظيم، وأن من تاب إليه تاب عليه؛ فهؤلاء مع كذبهم وافترائهم، وفجورهم وبهتانهم، وكفرهم وعنادهم، وقولهم عن الرسول والقرآن ما قالوا، يدعوهم إلى التوبة والإقلاع عما هم فيه إلى الإسلام والهدى. ابن كثير: ٢٩٩/٣.

السؤال: لماذا ختمت هذه الآية بقوله: (إنه كان غفوراً رحيماً)؟  
﴿قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾

فإن قيل: ما مناسبة قوله: (إنه كان غفوراً رحيماً) لما قبله؟ فالجواب أنه لما ذكر أقوال الكفار أعقبها بذلك ليبيان أنه غفور رحيم في كونه لم يعجل عليهم بالعقوبة؛ بل أمهلهم، وإن أسلموا قاب عليهم، وغفر لهم. ابن جزي: ١٠٣/٢.  
السؤال: ما مناسبة قوله: (إنه كان غفوراً رحيماً) لما قاله الكفار من تكذيب للنبي ﷺ؟

﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَنْتَشِي فِي الْأَنْوَاقِ﴾  
واستدل بالآية على إباحة دخول الأسواق للعلماء وأهل الدين والصالح؛ خلافاً لمن كرهه لهم. الألوسي: ٤٢٧/٩.

السؤال: من أعظم ما يعين الداعية: التواضع، ومخالطة الناس، كيف تستفيد هذا المعنى من الآية؟

﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَنْتَشِي فِي الْأَنْوَاقِ﴾  
(وقالوا مال هذا الرسول: يعنون: محمداً صلى الله عليه وسلم، (ياكل الطعام) كما تأكل نحن، (وينتشي في الأنواق): يلتمس المعاش كما نمشي؛ فلا يجوز أن يمتاز عنّا بالنبوة. وكانوا يقولون له: لست أنت بملك ولا بملك؛ لأنك تأكل والملك لا يأكل، ولست بملك؛ لأن الملك لا يتسوق، وأنت تتسوق وتبتذل. وما قالوه فاسد؛ لأن أكله الطعام لكونه آدمياً، ومشيه في الأسواق لتواضعه، وكان ذلك صفته له، وشيء من ذلك لا ينافي النبوة. البغوي: ٣٢٢/٣.

السؤال: من علامات صدق الداعية التواضع والواقعية؛ تصرفاته بين ذلك من الآية  
﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ﴾

أي: إنما يقول هؤلاء هكذا تكذيباً وعناداً، لا أنهم يطلبون ذلك تبصراً واسترشاداً، بل تكذيبهم بيوم القيامة؛ يحملهم على ما يقولونه من هذه الأقوال. ابن كثير: ٣٠٠/٣.

السؤال: ما سبب كثير من أقوال الكفار والمنافقين ومواقفهم؟

وَأَتَّخِذُوا مِن دُونِي آلِهَةً لَّا يُخْلَقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيًّا وَلَا شُرَكَاءَ ۚ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكُ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءَهُمْ ظُلْمًا وَزُورًا ۚ وَقَالُوا أَأُتِىَ السَّاطِرُ الْأَوَّلُ أَمْ كُنْتُمْ فِي سَبِيلٍ ۚ عَلَيْهِ بُعْثَ وَأُصْحِلَا ۚ قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ۚ وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ وَذِيلاً أَوْ يُنَزَّلَ إِلَيْهِ كُتُبٌ أَوْ تُكُونَ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّشْهُورًا أَفْظَرَ كَذِبَ فَرِيضٍ لَّكُمُ الْأَمْثَلُ فَصَلُّوا فَلَْيَسْتَطِيعُوا سَبِيلًا ۚ تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكُ خَيْرًا مِّنْ ذَلِكَ جَنَّتِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ فُصُورًا ۚ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ۝

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
نُشُورًا	بَعَثًا بَعْدَ الْمَوْتِ.
إِفْكُ افْتَرَاهُ	كَذِبٌ اخْتَرَعَهُ مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ.
وُزُورًا	كَذِبًا شَنِيعًا.
أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ	أَحَادِيثُ الْأُمَمِ الْقَدِيمَةِ الْمُسْتَهْزَأَةِ فِي كُتُبِهِمْ.
سَعِيرًا	نَارًا حَارَةً تُسَعِّرُ بِهِمْ.

## ● العمل بالآيات

١. قل: «اللهم أحسن عاقبتى في الأمور كلها، واجزني من خزي الدنيا وعذاب الآخرة»، ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ﴾.
٢. ألق كلمة، أو أرسل رسالة عن التوحيد مبيناً للناس أن المالك لأمر العباد هو الله وحده، وأنه لا نافع ولا ضار إلا الله تعالى، ﴿وَأَتَّخِذُوا مِن دُونِي آلِهَةً لَّا يُخْلَقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيًّا وَلَا شُرَكَاءَ﴾.
٣. سل الله تعالى المغفرة والرحمة، ﴿قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

## ● التوجيهات

١. تذكر أن الله تعالى يعلم ما غاب وخفي، فكيف بما ظهر، ﴿قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.
٢. من داب المكذبين الاستهزاء والنيل من الدعاة إلى الله تعالى، ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَنْتَشِي فِي الْأَنْوَاقِ﴾.
٣. اصبر على الأذى في سبيل الله؛ فإن الرسول ﷺ قد سمع من أذى القوم الشيء الكثير، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكُ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءَهُمْ ظُلْمًا وَزُورًا﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿ إِذَا رَأَيْتَهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴾

قد غضبت عليهم لغضب خالقها، وقد زاد لهاها لزيادة كفرهم وشرهم.  
السعدي: ٥٧٩.

السؤال: لماذا غضبت النار على أهلها؟

﴿ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّبِينَ ﴾

جمع في مكان بين: ضيق المكان، وتزاحم السكان، وتقربهم بالسلاسل والأغلال. السعدي: ٥٧٩.

السؤال: في الآية ألوان من عذاب الكافرين، بينها.

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ رَبُّهُمْ وَمَا يَسْتُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ مَا أَنْتُمْ أَصْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ صُلُو السَّيْلِ ﴾

فإن قيل: فإن كانت الأصنام التي تعبد تحشر، فكيف تنطق وهي جماد؟ قيل له: ينطقها الله تعالى يوم القيامة كما ينطق الأيدي والأرجل. القرطبي: ٣٧٨/١٥.

السؤال: كيف تنطق الأصنام يوم القيامة وهي جمادات؟

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ رَبُّهُمْ وَمَا يَسْتُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ مَا أَنْتُمْ أَصْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ صُلُو السَّيْلِ ﴾

والعنى أن الله يقول يوم القيامة للمعبودين: (أنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا) من تلقاء أنفسهم باختيارهم، ولم تضلوهم أنتم؟ ولأجل ذلك بين هذا المعنى بقوله: (هم) ليتحقق إسناد الضلال إليهم؛ فإنما سألهم الله هذا السؤال - مع علمه بالأمور - ليوبخ الكفار الذين عبدوهم. ابن جزي: ١٠٤/٢.

السؤال: في سؤال الله للمعبودات توبيخ للكافرين، وضح ذلك.

﴿ وَلَكِنْ مَتَّعْتُهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴾

أي: في الدنيا بالصحة، والغنى، وطول العمر بعد موت الرسل - صلوات الله عليهم - (حتى نسوا الذكر) أي: تركوا ذكرك، فأشركوا بك بطراً وجهلاً. القرطبي: ٣٧٩/١٥.

السؤال: بين خطورة كثرة الانشغال باللهو والاستمتاع بزينات الدنيا.

﴿ قَالُوا سَجَّكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتُهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴾

قالوا: (سججك) نزهوا الله من أن يكون معه آلهة، (ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونه من أولياء) يعني ما كان ينبغي لنا أن نوالي أعداءك، بل أنت ولينا من دونه، وقيل: ما كان لنا أن نأمرهم بعبادتنا ونحن نعبده. البغوي: ٣٢٦/٣.

السؤال: بين براءة أولياء الله مما يفعله الجهلة عند قبورهم في ضوء الآية.

﴿ وَهَمَّائِ بِمَعْصِكُمْ لِيَعْرِضَ وَنَسُوا نَصْرَهُمْ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾

(وجعلنا بعضكم لبعض فتنة) أي: بليّة، فالغني فتنة للفقير، والشريف فتنة للفقير، وقال ابن عباس: أي جعلت بعضكم بلاء لبعض لتصبروا على ما تسمعون منهم. البغوي: ٣٢٦/٣.

السؤال: كيف يكون الناس بعضهم فتنة لبعض؟

﴿ إِذَا رَأَيْتَهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴾  
﴿ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّبِينَ دَعَوْا هَٰذَا الَّذِي كُنَّا بُورًا ﴾  
﴿ لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ بُورًا وَفِيهَا دَعْوَانُ بُورًا ﴾  
﴿ قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ حِزْبُ الْخُلْدِ أَلَيْ وَبَعْدَ الْغَفْوَةِ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءٌ وَصِيرًا ﴾  
﴿ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ ﴾  
﴿ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا ﴾  
﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ رَبُّهُمْ وَمَا يَسْتُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ مَا أَنْتُمْ أَصْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ صُلُو السَّيْلِ ﴾  
﴿ قَالُوا سَجَّكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتُهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴾  
﴿ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِم مَعَكُمْ نُدْأَهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴾  
﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ مِنْ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا أَنَّهُمْ لِيَأْكُلُونَ الْأَطْعَامَ وَيَمْسُحُوا فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ يَئِصٌ فَتَنَةٌ أَنْصَرُّهُمْ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾

٣٦١

## ● معاني الكلمات

المعنى	الكلمة
صَوًّا شَدِيدًا مِنْ شِدَّةِ الْغَيْظِ.	وَزَفِيرًا
قُرْنَتْ أَيْدِيَهُمْ بِالسَّيْلِ إِلَى أَعْنَاقِهِمْ.	مُقَرَّبِينَ
هَلَاكًا.	بُورًا
هَالِكِينَ.	بُورًا
دَفْعًا لِلْعَذَابِ.	صَرْفًا
ابْتِلَاءً، وَاجْتِبَارًا.	فِتْنَةً

## ● العمل بالآيات

- استغفر الله أن تكون سبباً في ضلال أحد، أو غواية أحد؛ فإنك ستسال عن ذلك. ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ رَبُّهُمْ وَمَا يَسْتُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ مَا أَنْتُمْ أَصْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ صُلُو السَّيْلِ ﴾.
- سل الله تعالى جنّة الخلد، وإن يملكك من عباده المتقين، ﴿ قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ حِزْبُ الْخُلْدِ أَلَيْ وَبَعْدَ الْغَفْوَةِ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءٌ وَصِيرًا ﴾.
- قل: اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، ﴿ وَهَمَّائِ بِمَعْصِكُمْ لِيَعْرِضَ وَنَسُوا نَصْرَهُمْ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾.

## ● التوجيهات

- فضل التقوى، فمن آمن واتقى فقد استوجب الدرجات العلى، ﴿ قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ حِزْبُ الْخُلْدِ أَلَيْ وَبَعْدَ الْغَفْوَةِ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءٌ وَصِيرًا ﴾.
- يا لهول الموقف إذا سُئِلَ المعبودون عن عبودهم، والمظلومون عن ظلمهم، ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ رَبُّهُمْ وَمَا يَسْتُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ مَا أَنْتُمْ أَصْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ صُلُو السَّيْلِ ﴾.
- خطورة طول العمر وسعة الرزق على الإنسان الغافل عن ربه، ﴿ وَلَكِنْ مَتَّعْتُهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴾.

هؤلاء إلى عبادتكم من دوني، أم هم عبودكم من تلقاء أنفسهم، من غير دعوة منكم لهم؟ كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأَهْلِيَّ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُحْنُكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ﴾ الآية [المائدة: ١١٦]. ولهذا قال تعالى خبراً عاماً يُحْيِي به المعبودون يوم القيامة: ﴿قَالُوا سُحْنُكَ مَا كَانَ يَلْبِغِي لَكَ أَنْ تَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ ۚ﴾ قرأ الأكثرون بفتح «النون» من قوله: ﴿تَتَّخِذَ﴾ أي: ليس للخالق كلهم أن يعبدوا أحداً سواك، لا نحن ولا هم، فنحن ما دعوناهم إلى ذلك، بل هم فعلوا ذلك من تلقاء أنفسهم من غير أمرنا ولا رضانا ونحن برآء منهم ومن عبادتهم، كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جِمَاعٌ ۚ ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْمُؤُلَاءَ إِنْ أُنْكُرُوا يَعْبُدُونَ ۚ﴾ ﴿قَالُوا سُحْنُكَ﴾ الآية [سبا: ٤١-٤٠].

وقرأ آخرون بضم النون «تَتَّخِذُ»، أي: ما ينبغي لأحد أن يعبدنا، فلنا عبيد لك، فقرأ على قربة المعنى من الأولى.

﴿وَلَكِنْ مَتَّعْنَاهُمْ وَلِسَاءَ لَهُمْ ۚ﴾ أي: طال عليهم العمر «حَتَّىٰ سَوُوا الْوَيْكَرَ»، أي: نسا ما أنزلته إليهم على السنة رُسُلُك، من الدعوة إلى عبادتك وحده لا شريك لك. ﴿وَكَاثُرًا قَوْمًا يُّورَا ۚ﴾ قال ابن عباس: أي هلكى. وقال الزهري: أي لا خير فيهم.

قال الله تعالى: ﴿فَمَذَّكَذِبُوكُمْ بِمَا نَقُولُوكَ ۚ﴾ أي: فقد كذبكم الذين عبادتم فيها زعمتم أنهم لكم أولياء، وأنكم اتخذوهم قرباناً يقربونكم إليه زلفى.

وقوله: ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا تَصْنَعُونَ ۚ﴾ أي: لا يقدرُونَ على صرف العذاب عنهم ولا الانتصار لأنفسهم، ﴿وَمَنْ يَظْلِم يَنْصُرْهُ ۚ﴾ أي: يُشْرِكُ بالله «بِقُوَّةِ عَدَائِكَ كَبِيرًا».

الآية (٢٠): يقول تعالى خبراً عن جميع من يتَّعَمَّ من الرسل المُتَّقِدِينَ: إنهم كانوا يأكلون الطعام، ويمتاجون إلى التَّغْذِي به «وَيَسْتَحْشِرُونَ فِي الْأَشْيَاقِ» للتَّكْشِب والتجارة، وليس ذلك بمنافٍ لحالهم وَمَنْصِبِهِمْ، فإن الله جَعَلَ لهم من السَّيِّئَاتِ الحسنة، والصفات الجميلة، والأقوال الفاضلة، والأفعال الكاملة، والخواص الباهرة، والأدلة القاهرة، ما يَسْتَدِلُّ به كُلُّ ذِي لُبٍّ سليم، وبصيرة مستقيمة، على صِدْق ما جاؤوا به من الله ﷻ.

وقوله: ﴿وَمَعَلَّنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ وَشَتَّىٰ أَتَصَبَّرُوكَ ۚ﴾ أي: اخترنا بعضهم ببعض، وبلونا بعضهم ببعض، لنعلم مَنْ يُطِيع مَنْ يَعِصِي، ولهذا قال: ﴿أَتَصَبَّرُوكَ وَكَانَ رَيْكَ بَصِيرًا ۚ﴾ أي: بمن يَسْتَحِقُّ أن يُوحَى إليه، ومن يَسْتَحِقُّ أن يَهْدِيَهُ الله لِمَا أَرْسَلَهُمْ به، ومن لا يَسْتَحِقُّ ذلك. وقال محمد بن إسحاق في قوله: ﴿وَمَعَلَّنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ وَشَتَّىٰ أَتَصَبَّرُوكَ ۚ﴾ قال: يقول الله: لو شئت أن أجْعَلَ الدنيا مع رُسُلِي فلا تَخْلُقُونَ، لَفَعَلْتُ، ولكني قد أَرَدْتُ أن أَبْثِلَ العبادَ بهم، وَأَبْثِلَهُمْ بهم. وفي صحيح مسلم عن عياض بن حار، عن رسول الله ﷺ: «يقول الله: إني مبتليك، ومبتل بك».

الآية (١٢-١٤): ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ ۚ﴾ أي: جهنم «مِنْ تَكَايَ بَصِيرًا» يعني: في مقام المَحْشَر. قال السُّدِّي: من مسيرة مائة عام.

﴿يَسْمَعُوا لَهَا نَظِيطًا وَزَفِيرًا ۚ﴾ أي: حَقًّا عليهم؛ كما قال تعالى: ﴿إِذَا أُنْفُثِيَ سَمْعُهَا سَمِعَتْ لَهَا شَيْعًا وَهِيَ تَفُورُ ۚ﴾ ﴿تَكَادُ تَمُوتُ مِنَ الْغَيْظِ ۚ﴾ [الملك: ٧-٨]، أي: يكاد يَنْفُصِل بعضها من بعض، من شدة غَيْظِهَا على مَنْ كَفَّرَ بالله. عن ابن عباس قال: «إن الرجل لِيَجُزَّ إلى النار، فَتَنْزَوِي وَتَنْقِيضُ بعضها إلى بعض، فيقول لها الرحمن: ما لك؟ قالت: إنه يَسْتَجِيرُ مني. فيقول: أرسلوا عبيدي. وإن الرجل لِيَجُزَّ إلى النار، فيقول: يا رب، ما كان هذا الظَّنُّ بك! فيقول: فما كان ظَنُّكَ؟ فيقول: أن تَسْعِي رحمتك. فيقول: أرسلوا عبيدي، وإن الرجل لِيَجُزَّ إلى النار، فَتَشْهَرُ إليه النار سُهَوقَ التَّعَلُّةِ إلى الشَّعِير، وَتَزْفُرُ زَفْرَةً لَا يَبْقَى أَحَدٌ إِلَّا خَافَ» وهذا إسناده صحيح.

وقوله: ﴿وَإِذَا أُنْفُثِيَ مَكَانًا مَكَانًا سَمِيعًا ۚ﴾ قال عبد الله بن عمرو: مثل الرُّجِّ في الرَّمَح، أي: من ضيقه. «مُتَّعِرِينَ» قال أبو صالح: يعني: مُتَّعِفِينَ، ﴿دَعَا هُنَالِكَ ثُبُورًا ۚ﴾ أي: بالزُّلْ والسَّهَرَة والسَّخِيَّة، ﴿لَا دَعَا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَجِدًا وَادْعَا ثُبُورًا كَثِيرًا ۚ﴾ قال ابن عباس: لا تدعوا اليوم وَيْلًا واحدًا، وادعوا وَيْلًا كثيرًا.

وقال الضحاك: الثُّبُور: الهلاك. والأظهر: أن الثُّبُور يَجْمَعُ الهلاك والويل والسَّخَسَار والذُّمَار؛ كما قال موسى لفرعون: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَنْفِرُ غَوًى مَشُورًا ۚ﴾ [الإسراء: ١٠٢]، أي: هَالِكًا.

الآية (١٥-١٦): يقول تعالى: يا محمد، هذا الذي وَصَفْنَاهُ من حال أولئك الأشقياء، الذين يُجْشِرُونَ على وجوههم إلى جهنم، فَتَتَلَقَّاهُمْ بوجه عُبُوس وَتَغِيظُ وَزَفِير، ويُلقُونَ في أماكنها الضيقة مقرنين، لا يستطيعون حراكًا، ولا انتصارًا ولا كَفَاكَ مَأْمٍ فيه، أهذا خير أم جنة الخلد التي وَعَدَهَا الله المتقين من عباده، التي أَعَدَّهَا لهم، وجَعَلَهَا لهم جزاءً على ما أطاعوه في الدنيا، وجَعَلَ مَأْمٍ إليها. ﴿هَلُمَّ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ ۚ﴾ من المَلَاد: من مأكَل ومشارب، وملابس ومسكن، ومرابك ومناظر، وغير ذلك، مَأْمٍ لا عَيْنَ رَأَتْ، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ، ولا خَطَرٌ على قلب أحد. وهم في ذلك خالدون أبدًا داتما سَرْمَدًا بلا انقطاع ولا زوال، ولا انقضاء، لا يغيثون عنها جولا.

وهذا مِنْ وَعْدِ الله الذي تَفَضَّلَ به عليهم، وَأَحْسَنَ به إليهم، ولهذا قال: ﴿كَانَ عَلَىٰ رَيْكَ وَعَدًا مَسْئُورًا ۚ﴾ أي لا بد أن يقع وأن يكون، كما حكاه ابن جرير عن بعض علماء العربية أن معنى قوله: ﴿وَعَدًا مَسْئُورًا ۚ﴾ أي: وَعَدًا واجبًا. وقال ابن عباس: «كَانَ عَلَىٰ رَيْكَ وَعَدًا مَسْئُورًا ۚ» يقول: سَلُّوا الذي وَعَدْتُكُمْ -أو قال: وعدناكم- تُنْجِزُوا.

الآية (١٧-١٩): يقول تعالى خبراً عما يَقَع يوم القيامة من تقرير الكفار في عبادتهم مَنْ عبدوا من دون الله، من الملائكة وغيرهم، فقال: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ۚ﴾ قال مجاهد: عيسى والعزير والملائكة، «فَيَقُولُ مَا أَنتُمْ أَضَلُّكُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءَ أَمْ هُمْ ضَلُّوا أَلَسَّيْلَ ۚ» أي: فيقول الرَّبُّ تبارك وتعالى للمعبودين: أأنتم دعوتهم



﴿فَجَعَلْنَاهُ نَاسِئًا نَّشُورًا﴾ عن عليّ قال: شعاع الشمس إذا دَخَلَ في الكُوَّةِ. وعنه: الهَبَاءُ رَهْجُ الدَّوَابِ. وذلك أنهم عملوا أعمالاً اعتقدوا أنها شيء، فلَمَّا عُرِضَتْ على الملك الحكيم العدل الذي لا يبور ولا يظلم أحداً، إذا [بها] لا شيء بالكليّة. وشُهِتَتْ في ذلك بالشيء التَّائِفُ الحَقِيرُ الْمُسْتَقَرُّ، الذي لا يَقْدِرُ منه صاحبه على شيء بالكليّة. ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ ذَلِكَ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا﴾ وذلك لأن أهل الجنة يصيرون إلى الدرجات العاليات، والغرفات الأمانت، فهم في مقام أمين، حَسَنَ المنظر، طيب المقام، فَبِهَ تعالى بحال السعداء على حال الأشقياء، وأنه لا خير عندهم بالكليّة. ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ قال ابن عباس: إنا هي صَحُوفَةٌ يَقْبَلُ أولياء الله على الأَمِيرَةِ مع الحور العين، وَيَقْبَلُ أعداء الله مع الشياطين مَقْرَنِينَ. وقال سعيد بن جبير: يفرغ الله



## ● الوقفات التدريبية

❶ ﴿وَقِيمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَعَمَلُهُنَّ هَبْةً مِّنْهُنَّ﴾

قال ابن المبارك: هي الأعمال التي عملت لغير الله، وقال مجاهد: هي الأعمال التي لم تقبل، ابن تيمية: ١٢/٥.

السؤال: بين خطورة العمل لغير وجه الله تعالى.

❷ ﴿أَلَمْ تَكُنْ بِمُؤْمِدٍ الْحَقِّ لِلرَّحْمَنِ﴾

ومما يرتاح له القلب، وتطمئن به النفس، وينشرح له الصدر: أن اضاف للملك في يوم القيامة لاسمه (الرحمن) الذي وسعت رحمته كل شيء، وعمت كل حي ... وخلق هذا الأدمي الضعيف وشرفه وكرمه ليطم عليه نعمته، وليتممه برحمته، وقد حضروا في موقف الذل والخضوع والاستكانة بين يديه، ينتظرون ما يحكم فيهم، وما يجري عليهم، وهو أرحم بهم من أنفسهم والوالدهم، فما ظنك بما يعاملهم به؟ السعدي: ٥٨٢.

السؤال: ما الذي يستفاد من إضافة ملك يوم القيامة لاسمه (الرحمن)؟

❸ ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُ النَّاسَ عَلَىٰ ذَنُوبِهِمْ عَمَلٌ ذُوْلُكُمْ عَلَيْهِمْ﴾

من أَرْضَى الناس بسخط الله لم يغفوا عنه من الله شيئاً؛ كالظالم الذي يعرض على يده؛ يقول: (يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً) يا وليتي ليتني لم اتخذ فلاناً خليلاً). ابن تيمية: ١٢/٥.

السؤال: من أَرْضَى الناس بسخط الله لم يغفوا عنه شيئاً؛ دلت على ذلك.

❹ ﴿يَوْمَ تَكُنْ لِّتَىٰ لَّا تَخَذُ فَلَائِلًا غَلِيلاً﴾

جاءت في وَكَانَ الْكَافِرُ لِلْإِنْسَانِ كَذُوبًا

وفيه إيماء إلى أن شأن الخلقة الثقة بالخليل، وحمل مشورته على النصيحة؛ فلا ينبغي أن يضع المرء خلته إلا حيث يوقن بالسلامة من إشارات السوء ابن عاشور: ١٤/١٩.

السؤال: من خلال الآية: بين أهمية النصيحة بين الصديقين.

❺ ﴿لَقَدْ أَصَلَّيْ عَنِ الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَتْهُ وَكَانَ الظَّالِمُ لِلْإِنْسَانِ

كَذُوبًا

(لقد) أي: والله لقد (أضلني عن الذكر) أي: عمى علي طريق القرآن الذي لا ذكر في الحقيقة غيره - وصرفني عنه. البقاعي: ٣٧٥/١٣.

السؤال: ما علامات صديق السوء؟

❻ ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وكما جعلنا لك يا محمد أعداء من مشركي قومك، كذلك جعلنا لكل من نبأناه من قبلك عدواً من مشركي قومه، فلم تخصص بذلك من بينهم؛ يقول: فاصبر لما نالك منهم كما صبر من قبلك أولو العزم من رسلنا. الطبري: ١٩/٣٦٥.

السؤال: من علامات صدق الداعية الابتلاء، وضح ذلك من خلال الآية.

❼ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ

بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً

(كذلك لنثبت به فؤادك؛ هذا جواب لهم تقديره: أنزلناه كذلك مفزحاً؛ لنثبت به فؤاد محمد ﷺ... وأيضاً فإنه نزل بأسباب مختلفة تقتضي أن ينزل كل جزء منه عند حدوث سببه، وأيضاً من ناسخ ومنسوخ، ولا يتأتى ذلك فيما ينزل جملة واحدة. (ورتلناه ترتيلاً) أي: فرقناه تفريقاً، فإنه نزل بطول عشرين سنة. ابن جزي: ٢/١٠٧.

السؤال: اذكر بعض الفوائد في نزول القرآن منجماً، أي (مفزحاً).

وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَكُ أَتُنَزِّلُ رَبَّنَا لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢﴾ وَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا ﴿٣﴾ أَصْحَابُ الْحِجَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٤﴾ وَيَوْمَ تَشَقُّقُ السَّمَاءُ بِالسَّعِيرِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا ﴿٥﴾ الْمَلَائِكَةُ يَوْمَئِذٍ رَّاغِبِينَ لِلْحَقِّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَذَابًا ﴿٦﴾ وَيَوْمَ يَعْصِي الْأَمْرُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يٰلَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٧﴾ يَوْمَ لَيْتَنِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فَلَائِلًا غَلِيلاً ﴿٨﴾ لَقَدْ أَصَلَّيْ عَنِ الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿٩﴾ وَقَالَ الرَّسُولُ يَذَرُكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿١٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ﴿١١﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا	لَا يُؤْمِنُونَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ.
وَعَتُوا	تَجَاوَزُوا الْحَدَّ فِي الطُّغْيَانِ.
هَبَاءٌ	كَالْهَبَاءِ، وَهُوَ مَا يَرَى فِي ضَوْءِ الشَّمْسِ مِنْ خَفِيفِ الْغُبَارِ.
مَقِيلًا	مَنْزِلًا مُّريحًا.
بِالْقَمَامِ	بِالسَّحَابِ الْأَبْيَضِ الرُّقِيقِ.

## ● العمل بالآيات

١. سل الله تعالى أن يقبل أعمالك الصالحة، ﴿وَقِيمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَعَمَلُهُنَّ هَبْةً مِّنْهُنَّ﴾.
٢. إن كان لك صديق سوء فاهجره قبل أن تعض أصابع الندم على صداقته، وابحث عن صديق صالح، وادع الله أن يبسر لك ذلك، ﴿يٰلَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ ﴿يَوْمَ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فَلَائِلًا غَلِيلاً﴾ ﴿لَقَدْ أَصَلَّيْ عَنِ الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَتْهُ﴾.
٣. اجعل لك وردياً يومياً في قراءة القرآن، ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَذَرُكَ إِنْ قَرَأْتُ اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾.

## ● التوجيهات

١. احذر من محيطات العمل من شرك ورياء، أو من واذي، ﴿وَقِيمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَعَمَلُهُنَّ هَبْةً مِّنْهُنَّ﴾.
٢. جعل الله لكل نبي أعداء من المجرمين، فإن رأيت من يعاديك فلا تتلمس ولا تحزن؛ فهذا طريق الأنبياء، ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾.
٣. كتاب الله يثبت المؤمن على الحق مهما كثرت عليه الفتن واشتدت، ﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾.



وقال قتادة: فُلَّحَ من قرى اليمامة. وقال عكرمة عن ابن عباس: «وَأَصَابَ الرَّسَّ» قال: بثر بأذربيجان. وقال عكرمة: الرَّسُّ بثر رَشُوا فيها نبيهم. أي: دَفَنُوهُ فيها. واختار ابن جرير أن المراد بأصحاب الرَّسِّ هم أصحاب الأخدود، الذين ذُكِرُوا في سورة البروج، فالله أعلم. وقوله: «وَفُتِنُوا بَيْنَ ذَلِكَ كَيْدًا» أي: وَأَمَّا -بَيْنَ أَضْعَافٍ مِّنْ ذِكْرِ- أَهْلَكْنَاهُمْ كَثِيرَةً.

ولهذا قال: «وَكَلَّأَ صَرِيكَاهُ الْأَمْتَلُ» أي: بَيَّنَّا لَهُمُ الْحَقَّ، وَوَضَّحْنَا لَهُمُ الْأَمْلَةَ؛ كما قال قتادة: أَرَزْنَا عَنْهُمْ الْأَعْدَارَ.

«وَكَلَّأَ تَرَبَّيَّا تَنْبِيرًا» أي: أَهْلَكْنَا إِهْلَاكًا؛ كقوله: «وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنِّي الْقُرُونُ مِن دُونِ نُوْحٍ» [الإسراء: ١٧]. والقرن: هو الأمة من الناس؛ كقوله: «فَرَأَيْنَاهُ يَتَّخِذُ وَتَنًا آخَرِينَ» [الزمر: ٣١]. وَحَدَّهُ بِعَظْمِهِمْ بِمِائَةِ عَشْرِينَ سَنَةً، وَقِيلَ: بِمِائَةِ سَنَةٍ. وَقِيلَ: بِشَاهِينَ سَنَةٍ. وَقِيلَ: أَرْبَعِينَ. وَقِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ. وَالْأَظْهَرُ: أَنَّ الْقَرْنَ هُمُ الْأُمَّةُ السُّتَعَاصِرُونَ فِي الزَّمَنِ الْوَاحِدِ؛ فَإِذَا ذَهَبُوا وَخَلَقَهُمْ جِيلٌ آخَرُ فَهُمْ قَرْنٌ ثَانٍ، كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِينَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُوكُهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُوكُهُمْ» الحديث.

وقوله: «وَلَقَدْ أَنشَأْنَا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَطْلَقْتَ مَطَرُ السَّوْدِ» يعني: قَوْمِ لُوطٍ، وَهِيَ سِدُومُ وَمَعَامِلُهَا الَّتِي أَهْلَكَهَا اللَّهُ بِالْقَلْبِ، وَبِالْمَطَرِ مِنَ الْحِجَارَةِ الَّتِي مِنْ سَجَلٍ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: «وَأَنَّا أَلَيْسَ لِيَبْلِيَّ قُيُومٍ» [الحجر: ٧٦] ولهذا قال: «أَنكَمْ يَكُونُوا يَكُونُهَا» أي: فَيَعْتَبِرُوا بِمَا حَلَّ بِأَهْلِهَا مِنَ الْعَذَابِ وَالْكَأَلِ بِسَبَبِ تَكْذِيبِهِمُ بِالرُّسُولِ وَمُخَالَفَتِهِمْ أَوَامِرَ اللَّهِ.

وقوله: «بَلْ كَانُوا» يعني: السَّائِرِينَ بِهَا مِنَ الْكُفَّارِ لَا يَعْتَبِرُونَ؛ لِأَنَّهُمْ «لَا يَرْجِعُونَ شُورًا»، أي: مَعَادًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

الآية (٤١-٤٣): يَجْعَلُ تَعَالَى عَنْ اسْتِهْزَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِالرُّسُولِ ﷺ إِذَا رَاوَهُ، يَمْنُونَهُ بِالْعِيبِ وَالنَّقْصِ «وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَدْخُودَكَ إِلَّا هُذُنًا أَهْدَا أَلْوَى يَسْتَكْبِرُونَ لِلَّهِ رُسُلًا»؟! أي: عَلَى سَبِيلِ التَّنْقِصِ وَالْإِزْدِرَاءِ -قَبْضِهِمْ اللَّهُ- كَمَا قَالَ: «وَلَقَدْ أَسْتَهْزِئُ بِرُسُلِي مِّن قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِي» [الرعد: ٣٢].

وقوله: «إِن كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا» يعنون: أَنَّهُ كَادَ يَنْتَبِهُنَّ عَنْ عِبَادَةِ أَصْنَامِهِمْ، لَوْلَا أَن صَبَرُوا وَتَحَمَّلُوا وَاسْتَمَرُّوا عَلَى عِبَادَتِهَا. قَالَ تَعَالَى مُتَوَعِّدًا لَهُمْ وَمَتَّهِدًا: «رَسَوَكَ يَتَكَبَّرُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَن أَهْلَ سَبِيلًا». ثُمَّ قَالَ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ، مَنِهَا لَهُ أَنَّ مِنْ كُتُبِ اللَّهِ عَلَيْهِ الشَّقَاوَةُ وَالضَّلَالُ، فَإِنَّهُ لَا يَهْدِيهِ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ: «أَوَيْتُم مِّنْ أَغْصَانِ الْبُهْدِ، هَوْنَةً» أي: مِمَّا اسْتَحْسَنَ مِنْ شَيْءٍ وَرَأَى حَسَنًا فِي هَوَى نَفْسِهِ، كَانَ دِينُهُ وَمَذْهَبُهُ. وَهَذَا قَالَ هِنَا: «أَنَّا لَا تَكُونُ عَلَيْهِ وَكَيْلًا» قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كَانَ الرَّجُلُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَمْعِدُ الْحَجَرَ الْأَبْيَضَ زَمَانًا، فَإِذَا رَأَى غَيْرَهُ أَحْسَنَ مِنْهُ عَبْدَ الثَّانِي، وَتَرَكَ الْأَوَّلَ.

الآية (٣٣-٣٤): «وَلَا يَأْتُونَكَ بِبَلٍّ» أَي بِحِجَةٍ وَشِبْهَةٍ «إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَكَأْسَنَ تَنْبِيرًا» أَي: وَلَا يَقُولُونَ قَوْلًا يُعَارِضُونَ بِهِ الْحَقَّ، إِلَّا أَجَبْنَاهُمْ بِمَا هُوَ الْحَقُّ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ وَأَبَيْنُ وَأَوْضَحُ وَأَفْصَحُ مِنْ مَقَالَتِهِمْ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «وَلَا يَأْتُونَكَ بِبَلٍّ» أَي: بِمَا يَلْتَمِسُونَ بِهِ عَيْبَ الْقُرْآنِ وَالرُّسُولِ، «لَا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَكَأْسَنَ تَنْبِيرًا» أَي: لَا نَزَلَ جَبْرِيلُ مِنَ اللَّهِ بِجَوَابِهِمْ. ثُمَّ فِي هَذَا اعْتِنَاءٌ كَبِيرٌ لِشَرَفِ الرُّسُولِ ﷺ؛ حَيْثُ كَانَ يَأْتِيهِ الْوَحْيُ مِنَ اللَّهِ بِالْقُرْآنِ صَبَاحًا وَمَسَاءً، لَيْلًا وَنَهَارًا، سَفَرًا وَحَضَرًا، فَكُلُّ مَرَّةٍ كَانَ يَأْتِيهِ الْمَلِكُ بِالْقُرْآنِ كَأَنزَالِ كِتَابٍ مَّاءَ قَبْلَهُ مِنَ الْكُتُبِ الْمُتَقَدِّمَةِ، فَهَذَا الْمَقَامُ أَعْلَى وَأَجَلُّ، وَأَعْظَمُ مِنْ سَائِرِ إِخْوَانِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ. فَالْقُرْآنُ أَشْرَفُ كِتَابٍ أَنْزَلَهُ اللَّهُ، وَعَمَدٌ عَظِيمٌ نَبِيٌّ أَرْسَلَهُ اللَّهُ، وَقَدْ جَمَعَ اللَّهُ تَعَالَى لِلْقُرْآنِ الصِّفَتَيْنِ مَعًا: فَعَلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى أَنْزَلَ جِلَّةً مِنَ اللَّوْحِ الْمُحْفَظِ إِلَى بَيْتِ الْحِزَّةِ فِي سَمَاءِ الدُّنْيَا، ثُمَّ نَزَلَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى الْأَرْضِ مُتَجَنِّبًا بِحَسَبِ الْوَقَائِعِ وَالْحَوَادِثِ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى خَبِيرًا عَنْ سُوءِ حَالِ الْكُفَّارِ فِي مَعَادِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَحَشَرِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ، فِي أَسْوَأِ الْحَالَاتِ وَأَقْبَحِ الصِّفَاتِ: «الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى رُءُوسِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُولَئِكَ سَرُّ نَكَاةٍ وَأَصْلٌ سَيِّئٌ». وَعَنْ أَنَسٍ: أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ يُحْشَرُ الْكَافِرُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ: «إِنَّ الَّذِي أَمْسَاهُ عَلَى رَجْلَيْهِ قَادِرٌ أَنْ يُمَشِّيَهُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» [متفق عليه].

الآية (٣٥-٤٠): يَقُولُ تَعَالَى مُتَوَعِّدًا مَنْ كَذَّبَ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِهِ وَمِنْ خَالَفِهِ، وَتَحَذَّرُهُمْ مِنْ عِقَابِهِ وَالْبِمِ عَذَابِهِ، مَّا أَحَلَّهُ بِالْأَمَمِ الْمَاضِيَةِ الْمَكْذُوبِينَ لِرَسُولِهِ، فَبَدَأَ بِذِكْرِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَنَّهُ ابْتَعَثَهُ وَجَعَلَ مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزَيْرًا، أَي: نَبِيًّا مُؤَاوِزًا وَمُؤَيَّدًا وَنَاصِرًا، فَكَذَّبَاهُمَا فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ، فَدَمَرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا. وَكَذَلِكَ فَعَلَ بِقَوْمِ نُوحٍ حِينَ كَذَّبُوا رَسُولَهُ نُوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمَنْ كَذَّبَ بِرَسُولٍ فَقَدْ كَذَّبَ بِجَمِيعِ الرُّسُلِ؛ إِذْ لَا فَرْقَ بَيْنَ رَسُولٍ وَرَسُولٍ، وَلَوْ فُرِضَ أَنَّ اللَّهَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ كُلَّ رَسُولٍ فَإِنَّهُمْ كَانُوا يُكْذِّبُونَهُ؛ وَهَذَا قَالَ: «وَقَوْمٌ نُّوحٌ لَّمَّا كَذَّبُوا أَرْسِلَ» وَلَمْ يُبْعَثْ إِلَيْهِمْ إِلَّا نُوحٌ فَقَطْ، وَقَدْ لَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا، يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ، وَيُحَذِّرُهُمْ بِقَمَتِهِ، فَمَا آمَنَ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلٌ. وَهَذَا أَفْرَقَهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ، وَلَمْ يَبْقَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مِنْ بَنِي آدَمَ سِوَى أَصْحَابِ السَّفِينَةِ فَقَطْ. «وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً» أَي: عِبْرَةً يَعْتَبِرُونَ بِهَا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: «إِنَّا لَنَّاظِمُونَ الْآلِهَةَ مَحَلَّةً فِي اللَّيْلِ» ① لِجَعْلِهَا لِكُرْ ذِكْرًا وَنَبِيًّا أَذْنَ رَحِيَةً» [الحاقة: ١١-١٢] أَي: وَأَبْقَيْنَا لَكُمْ مِنَ الشُّقْسِ مَا تَرْكَبُونَ فِي لُجَجِ الْبَحَارِ، لِتَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ فِي إِنْجَاتِكُمْ مِنَ الْغُرُقِ، وَجَعَلَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَصَدَّقَ أَمْرَهُ.

«وَعَادًا وَتَوَعُّدًا» قَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى قِصَّتِهَا فِي غَيْرِ مَا سُورَةٍ.

وَأَمَّا أَصْحَابُ الرَّسِّ؛ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُمُ أَهْلُ قَرْيَةٍ مِنْ قَرْيِ نَمُودٍ. وَقَالَ عَكَرْمَةُ: أَصْحَابُ الرَّسِّ بِفَلَجٍ، وَهُمُ أَصْحَابُ يَسْ.

من عبادي مؤمن بي وكافر: فأما من قال: مُطَرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ. وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطَرْنَا بِنُوءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي، مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ» [رواه مسلم].

الآية (٥١-٥٤): ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَکُنَّا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا﴾  
يدعوهوم إلى الله ﷻ، ولكننا خَصَصْنَاكَ -يا محمد- بِالْبَعْثَةِ إِلَى جَمِيعِ أَهْلِ الْأَرْضِ، وَأَمَرْنَاكَ أَنْ تُبَلِّغَ النَّاسَ هَذَا الْقُرْآنَ، ﴿لَا يُذَكِّرُكَ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]. وفي الصحيحين: «بُعِثْتُ إِلَى الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ»، وفيها: «وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَةً»؛ ولهذا قال: ﴿فَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَحِينَئِذِهِمْ بِهِ﴾، يعني: بِالْقُرْآنِ، قاله ابن عباس: «جَهَادًا كَبِيرًا» كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣، التحريم: ٩].

﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾ أي: خَلَقَ الْمَاءَ ثِنْتَيْنِ: الْخُلُقُ وَالْمِلْحُ؛ فَالْخُلُقُ كَالْأَنْهَارِ وَالْعَيُونِ وَالْأَبَارِ، وَهَذَا هُوَ الْبَحْرُ الْخُلُقُ الْفَرَاتُ الْعَذْبُ الرُّيَالُ، قَالَه ابْنُ جَرِيرٍ وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ. وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ إِنَّمَا أَخْبَرَ بِالْوَقَائِعِ لِنَبِيِّهِ الْعِبَادَ عَلَى نِعْمَةٍ عَلَيْهِمْ لِيَشْكُرُوهُ؛ فَالْبَحْرُ الْعَذْبُ هُوَ هَذَا السَّارِحُ بَيْنَ النَّاسِ، فَرَقَهُ تَعَالَى بَيْنَ خَلْقِهِ لِاحْتِيَاجِهِمْ إِلَيْهِ أَنْهَارًا وَعَيُونًا فِي كُلِّ أَرْضٍ بِحَسَبِ حَاجَتِهِمْ وَكِفَايَتِهِمْ لَأَنْفُسِهِمْ وَأَرْضِيهِمْ. ﴿وَهَذَا مِلْحٌ أَمَّا﴾ أي: مَالِحٌ مَرُّ رُغَائِقٌ لَا يُسْتَسَاعَى؛ وَذَلِكَ كَالْبَحَارِ الْمَعْرُوفَةِ فِي الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ الَّتِي لَا تَجْرِي، وَلَكِنْ تَمُوجُ وَتَضْطَرِبُ وَتَلْتَظِمُ فِي زَمَنِ الشِّتَاءِ وَشِدَّةِ الرِّيحِ، وَمِنْهَا مَا فِيهِ مَدٌ وَجَزْرٌ؛ خَلَقَهَا اللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَالِحَةً الْمَاءِ لئَلَّا يَحْضُلَ سَبَبُهَا نَتْنُ الْهَوَاءِ، فَيَفْسُدَ الْوُجُودُ بِذَلِكَ، وَلئَلَّا تُجْرَى الْأَرْضُ بِمَا يَمُوتُ فِيهَا مِنَ الْحَيَوَانِ.

﴿وَجَعَلَ يَنْبُتًا﴾ أي: بَيْنَ الْعَذْبِ وَالْمَالِحِ ﴿بَرْزَخًا﴾ أي: حَاجِزًا، وَهُوَ الْبَيْسُ مِنَ الْأَرْضِ ﴿وَحِجْرًا تَحْجُورًا﴾ أي: مَانِعًا أَنْ يَصِلَ أَحَدُهُمَا إِلَى الْآخَرِ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۚ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ۚ﴾ قِيَامِي، أَلَمْ يَرْكَبَا نَجْرًا ۚ﴾ [الرحمن: ١٩-٢١].

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا﴾ أي: خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نَظْفَةٍ ضَعِيفَةٍ، فَسَوَّاهُ وَعَدَّلَهُ، وَجَعَلَهُ كَامِلَ الْخَلْقَةِ، ذَكَرًا أَوْ أُنْثَى، كَمَا يَشَاءُ. ﴿فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ فَهُوَ فِي ابْتِدَاءِ أَمْرِهِ وَلَدٌ نَسَبِيٌّ، ثُمَّ يَتَزَوَّجُ فَيَصِيرُ صِهْرًا، ثُمَّ يَصِيرُ لَهُ أَصْهَارُ وَأَخْتَانُ وَقَرَابَاتُ. وَكُلُّ ذَلِكَ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَكَانَ رَيْكٌ قَدِيرًا﴾.

الآية (٥٥): يَجْزِي تَعَالَى عَنْ جَهْلِ الْمُشْرِكِينَ فِي عِبَادَتِهِمْ غَيْرَ اللَّهِ مِنَ الْأَصْنَامِ، الَّتِي لَا تَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا، بَلَا دَلِيلَ قَادِمُهُمْ إِلَى ذَلِكَ، وَلَا حَاجَةَ أَذْنِهِمْ إِلَيْهِ، بَلْ بِمَجْدِ الْأَرَاءِ، وَالتَّنْهِيهِ وَالْأَهْوَاءِ، فَهَمُّ يُوَالُوهُمْ وَيَقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِمْ، وَيُعَادُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ فِيهِمْ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَيْبٍ ظَهِيرًا﴾ أي: عَوْنًا فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ عَلَى جِزْبِ اللَّهِ، وَجِزْبِ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ. قَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَيْبٍ ظَهِيرًا﴾ قَالَ: يُظَاهِرُ الشَّيْطَانُ عَلَى مَعْصِيَةِ اللَّهِ؛ يُعِينُهُ. وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: ﴿ظَهِيرًا﴾: عَوْنًا لِلشَّيْطَانِ عَلَى رَبِّهِ بِالْعِدَاوَةِ وَالشُّرْكِ. وَقَالَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ: ﴿ظَهِيرًا﴾: قَالَ: مَوْلِيَا.

الآية (٤٤): ﴿أَلَمْ تَحْسُبْ أَنَّ كُفْرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْلَمُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا أَكْالُ لَحْمٍ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ أي: أَسْوَأُ أَحَالًا مِنَ الْأَنْعَامِ السَّارِحَةِ؛ فَإِنَّ تِلْكَ تَعْمَلُ مَا خُلِقَتْ لَهُ، وَهَؤُلَاءِ خُلِقُوا لِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَهَمَّ يَعْبُدُونَ غَيْرَهُ وَيَشْرُكُونَ بِهِ، مَعَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ، وَإِرْسَالِ الرِّسْلِ إِلَيْهِمْ.

الآية (٤٥-٤٧): شَرَعَ تَعَالَى فِي بَيَانِ الْأَدْلَةِ الدَّالَّةِ عَلَى وَجُودِهِ، وَقُدْرَتِهِ التَّامَةِ عَلَى خَلْقِ الْأَشْيَاءِ الْمُخْتَلِفَةِ وَالْمُتَضَادَّةِ، فَقَالَ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ؟﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَابْنُ عُمَرَ وَمُجَاهِدٌ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: هُوَ مَا بَيْنَ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ. ﴿وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾ أي: دَائِمًا لَا يَزُولُ كَمَا قَالَ: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الظِّلَّ سَرَدًا إِلَى يَوْمِ الْفِتْنَةِ﴾ [القصص: ١٧].

﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ أي: لَوْلَا أَنَّ الشَّمْسَ تَطْلُعُ عَلَيْهِ لَمَّا عَرِفَ؛ فَإِنَّ الظِّلَّ لَا يُعْرَفُ إِلَّا بِضِدِّهِ. وَقَالَ قَتَادَةُ وَالسَّدِّيُّ: دَلِيلًا يَتَلَوَّهُ وَيَتَّبِعُهُ حَتَّى يَأْتِيَ عَلَيْهِ كَلُهُ. ﴿ثُمَّ قَضَيْتَهُ إِلَيْنَا﴾ أي: الظِّلَّ. وَقِيلَ: الشَّمْسُ. ﴿فَقَضَا بَيْسِيرًا﴾ أي: سَهْلًا. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: سَرِيْعًا. ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الَّيْلَ لِبَاسًا﴾ أي: يَلْبَسُ الْوُجُودَ وَيُعْشِيهِ ﴿وَالنَّوْمَ سُبَاتًا﴾ أي: قَطْعًا لِلْحَرَكَةِ لِرَاحَةِ الْأَبْدَانِ؛ فَإِنَّ الْأَعْضَاءَ وَالْجَوَارِحَ تَكُلُ مِنْ كَثَرَةِ الْحَرَكَةِ فِي الْإِنْتِشَارِ بِالنَّهَارِ فِي الْمَعَاشِ، فَإِذَا جَاءَ اللَّيْلُ وَسَكَنَ سَكَنَتِ الْحَرَكَاتُ، فَاسْتَرَحَتْ فَخَضَلَ النَّوْمُ الَّذِي فِيهِ رَاحَةُ الْبَدَنِ وَالرُّوحِ مَعًا. ﴿وَجَعَلَ أَنْهَارًا تَنْشُرُكُمُ﴾ أي: يَنْتَشِرُ النَّاسُ فِيهِ لِمَعَاشِهِمْ وَمَكْسَبِهِمْ وَأَسْبَابِهِمْ.

الآية (٤٨-٥٠): وَهَذَا أَيْضًا مِنْ قُدْرَتِهِ التَّامَةِ وَسُلْطَانِهِ الْعَظِيمِ؛ وَهُوَ أَنَّهُ تَعَالَى يَرْسِلُ الرِّيحَ مَبْشَرَاتٍ، أي: بِجَمْعِ السَّحَابِ بَعْدَهَا. ﴿وَأَرْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ أي: آتَةً يَنْظُرُ بِهَا؛ كَالسَّحُورِ وَالْقَوْدِ وَمَا جَرَى بِجَرَاهُ. هَذَا أَصَحُّ مَا يُقَالُ فِي ذَلِكَ.

﴿لِنُخْرِجَ بِهِ بَلَدَةً مَيْتًا﴾ أي: أَرْضًا قَدْ طَالَ انْتِظَارُهَا لِلْنَّحْيِ، فَهِيَ هَامِدَةٌ لَا نَبَاتَ فِيهَا وَلَا شَيْءَ. فَلَمَّا جَاءَهَا الْحَيَا عَاشَتْ وَاسْتَعْتَبَتْ رُبَاهَا أَنْوَاعَ الْأَزْهَارِ وَالْأَلْوَانِ؛ كَمَا قَالَ: ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ رَوْحٍ يَهْبِجُ﴾ [الحج: ٥]. ﴿وَنُخْرِجُ بِهِمَا خَلْقًا أَنْعَمًا وَأَنَاقِيًّا كَثِيرًا﴾ أي: وَلِيَشْرَبَ مِنْهُ الْحَيَوَانُ مِنْ أَنْعَامٍ وَأَنَاسِيٍّ مُتَحَاجِينَ إِلَيْهِ غَايَةَ الْحَاجَةِ، لَشَرِبِهِمْ وَزُرْعِهِمْ وَثَمَرِهِمْ.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ﴾ أي: أَمَطَرْنَا هَذِهِ الْأَرْضَ دُونَ هَذِهِ، وَشَقْنَا السَّحَابَ فَمَرَّ عَلَى الْأَرْضِ وَتَعَدَّاهَا وَجَاوَزَهَا إِلَى الْأَرْضِ الْآخَرِ فَأَمَطَرْتَهَا، وَالتِّي وَرَاءَهَا لَمْ يَتَزَلْ فِيهَا قَطْرَةٌ مِنْ مَاءٍ، وَلِهَذَا فِي ذَلِكَ الْحُجَّةِ الْبَالِغَةِ وَالْحِكْمَةِ الْقَاطِعَةِ. قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ وَابْنُ عَبَّاسٍ: لَيْسَ عَامٌ بِأَكْثَرَ مَطَرًا مِنْ عَامٍ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يُصَرِّفُهُ كَيْفَ يَشَاءُ. ﴿لِيَذْكُرُوا﴾ أي: لِيَذْكُرُوا بِإِحْيَاءِ اللَّهِ الْأَرْضَ الْمَيْتَةَ أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى إِحْيَاءِ الْأَمْوَاتِ وَالْعِظَامِ الرُّفَاتِ. أَوْ: لِيَذْكُرَ مَنْ مُنِعَ الْقَطْرَ أَنَّهُ أَصَابَهُ ذَلِكَ بِذَنْبِ أَصَابِهِ، فَيُقِلُّ عَمَّا هُوَ فِيهِ.

﴿فَأَنَّى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كَفُورًا﴾ قَالَ عِكْرِمَةُ: يَعْنِي الَّذِينَ يَقُولُونَ: مُطَرْنَا بِنُوءِ كَذَا وَكَذَا؛ كَمَا فِي الْحَدِيثِ: «قَالَ رَبُّكُمْ: أَصْبَحَ





## ● الوقفات التحذيرية

﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مِنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَهَ رَبِّهِ سِبْكَ ﴾  
(ما اسألكم عليه) أي: على الإبلاغ بالبشارة والندارة (من اجر) لتتعمقوني  
اني ادعوكم لأجله، او تقولوا: لولا الذي إليه كثر ليقتني به عن ذلك؛  
فكانه يقول: الاختصار عن التوسع في المال إنما يكره لمن يسأل الناس،  
وليس هذا من شيمي قبل النبوة؛ فكيف بما بعدها؟! فلا غرض لي حينئذ  
إلا نفعكم. البقاعي: ٤١٢/١٣.

السؤال: ما علامة الدعاة الصادقين السائرين على طريق الأنبياء؟

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى آلِهِي الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَمِعَ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ يَذُنُّوْهُ  
عِبَادُوهُ حَيْرًا ﴾

وفي الآية إشارة إلى أن المرء الكامل لا يثق إلا بالله؛ لأن التوكل على  
الأحياء المعرضين للموت؛ وإن كان قد يفيد أحياناً، لكنه لا يدوم.  
ابن عاشور: ٥٩/١٩.

السؤال: لا ينفع التوكل إلا إذا كان على الله عز وجل، بين ذلك.

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا  
وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴾

فلما حكى إياهم من السجود للرحمن في معرض التعجب من شأنهم  
عزز ذلك بالعمل بخلافهم، ففسد النبي هنا مخالفاً لهم مخالفةً بالفعل؛  
مخالفةً في مخالفتهم. ابن عاشور: ٦٣/١٩.

السؤال: ما وجه السجود عند قراءة الآية الكريمة؟

﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ظِلَّةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْكُرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾  
إن القلوب تتقلب وتنتقل في ساعات الليل والنهار، فيحدث لها النشاط  
والكسل، والذكر والغفلة، والقبض والبسط، والإقبال والإعراض،  
فجعل الله الليل والنهار يتواليان على العباد ويتكرران ليحدث لهم  
الذكر والنشاط والشكر لله في وقت آخر. السعدي: ٥٨٦.

السؤال: كيف يكون اختلاف الليل والنهار سبباً لشكر الله  
سبحانه وتعالى؟

﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ظِلَّةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْكُرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾  
وقال عمر بن الخطاب والحسن وابن عباس معناه: لمن أراد أن يذكر  
ما فاته من الخير والصلاة ونحوه في أحدهما فيستدركه في الذي يليه.  
ابن عطية: ٢١٨/٤.

السؤال: وضح من خلال الآية أثر تعاقب الليل والنهار على عبادة العبد.

﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَتَّقُونَ عَلَى الْآرْضِ هَوْنًا ﴾  
الهون: مصدر الهين؛ وهو من السكينة والوقار، وفي التفسير: يمشون على  
الأرض حلماء متواضعين؛ يمشون في اقتصاد، والقصد والتؤدة وحسن

السمت من أخلاق النبوة. القرطبي: ٤٦٦/١٥.

السؤال: بين خلق المؤمن في شبهة على الأرض.

﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾

يقول: وإذا خاطبهم الجاهلون بالله بما يكرهونه من القول، أجابوهم  
بالمعروف من القول، والسماد من الخطاب. الطبري: ٢٩٥/١٩.

السؤال: اذكر الطريقة الحكيمة في الرد على الجبهة.

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ  
مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مِنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَهَ رَبِّهِ سِبْكَ ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ  
عَلَى آلِهِي الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَمِعَ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ  
يَذُنُّوْهُ عِبَادُوهُ حَيْرًا ﴿٣﴾ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ  
وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ  
فَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ خَيْرًا ﴿٤﴾ وَلَئِنْ قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا  
وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴿٥﴾ تَبَارَكَ  
الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا  
مُنِيرًا ﴿٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ  
أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ سُكُورًا ﴿٧﴾ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَتَّقُونَ  
عَلَى الْآرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٨﴾  
وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ  
يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ  
غَرَامًا ﴿١٠﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿١١﴾ وَالَّذِينَ إِذَا  
أُتُوا بِهَا لَمْ يَسْأَلُوا لَهَا يَسْأَلُوا وَلَمْ يَقُولُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿١٢﴾

٣٦٥

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
اسْتَوَى عَلَى	عَلَا وَارْتَفَعَ اسْتَوَاءً يَلِيْقُ بِجَلَالِهِ.
نُفُورًا	بُعْدًا.
بُرُوجًا	نُجُومًا كَبِيرًا يَمْنَانًا لَهَا.
خِلْفَةً	مُتَعَابِقِينَ يَخْلَفُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ.
هَوْنًا	بِسْكِينَةٍ وَوَقَارٍ، وَتَوَاضَعٍ.
يَقْتَرُوا	يُضَيِّقُوا فِي النِّفَقَةِ.
قَوَامًا	وَسَطًا.

## ● العمل بالآيات

١. اقتبذ بالنبي ﷺ، وادع اليوم أحد العصاة، أو الغافلين، وابدأ بالبشارة قبل  
الندارة، ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾.
٢. صل ركعتين من الليل، ﴿ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴾.
٣. احرص اليوم أن يكون انفاقك على نفسك أو أهلك بدون إسراف، ولا تقصير،  
﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾.

## ● التوجيهات

١. المحاول الداعية الاستغناء عن أموال المدعوين، وأن لا يأخذ أجراً ممن يدعوه؛  
فإنها من أسباب القرب من الله، وعلامة على صدقه، ﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مِنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَهَ رَبِّهِ سِبْكَ ﴾.
٢. لا تتوكل على غير الله؛ فإنه يمشي على الحي الذي لا  
يموت، ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى آلِهِي الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَمِعَ بِحَمْدِهِ ﴾.
٣. اسئح من الله سبحانه أينما كنت؛ فإنه عليم بذنوبك كلها، ﴿ وَكَفَى بِهِ  
يَذُنُّوْهُ عِبَادُوهُ حَيْرًا ﴾.

ذَهَبَ ذَاكَ. ﴿لَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْتَكِرَ أَوْ أَرَادَ شُكْرًا﴾ أي: جعلها يتعاقبان توقيتاً لعبادة عباده له، فمن فاته عمل في الليل استدركه في النهار، ومن فاته عمل في النهار استدركه في الليل. وقد جاء في الحديث الصحيح: «إن الله تعالى يَسْطُطُ يده بالليل لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَسْطُطُ يده بالنهار لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ» (رواه مسلم). وقال ابن عباس: قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَمَعَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ يقول: من فاته شيء من الليل أن يعمل، أدركه بالنهار، أو من النهار أدركه بالليل. وكذا قال عكرمة وسعيد بن جبير والحسن. وقال مجاهد وقتادة: ﴿خِلْفَةً﴾ أي: مُخْتَلِفِينَ، هذا بسواده، وهذا بضيائه.

الآية (٦٣-٦٧): هذه صفات عباد الله ﴿الَّذِينَ يَسْتَوُونَ عَلَى الْأَرْضِ مُوقِنًا﴾ أي: بسكينة ووقار من غير جبرية ولا استكبار ولا مَرَحٍ، ولا أَتْرَافٍ ولا بَطَرٍ، وليس المراد أنهم يمشون كالمريض من التصنع تَصَنُّعًا وَرِيَاءً؛ فقد كان سيِّد وَلَدِ آدَمَ ﷺ إذا مَسَى كَانَتْ يَدَايَاهُ تَبْخُطُ مِنْ حَبِّ رَوْحِ الثَّمَرِ، وصححه الآلبان. وقد كره بعض السلف النبي يَضَعُ يَدَيْهِ وَيَضَعُ يَدَيْهِمْ ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ أي: إذا سَفَّ عَلَيْهِمُ الْجَهْلَاءُ بِالسَّيِّئِ، لم يقابلوهم عليه بمثل، بل يعفون ويصفحون، ولا يقولون إلا خيراً؛ كما كان رسول الله ﷺ لا تزيده شدة الجهل عليه إلا جِلَّةً، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْمِعُوا لِلنَّاسِ غَرْوًا وَهُمْ لَا يَتَفَعَّلُونَ﴾ (النجم: ٥٥).

وروى الإمام أحمد عن النعمان بن مقرن المزني قال: قال رسول الله ﷺ [وسب رجل رجلاً عنده، قال: فجعل الرجل المسبوب يقول: عليك السلام. قال: فقال رسول الله ﷺ: «أما إن ملكاً بينكما يذب عنك، كلما شتمك هذا قال له: بل أنت وأنت أحق به. وإذا قال له: عليك السلام، قال: لا بل عليك، وأنت أحق به» إسناده حسن. وقال مجاهد: ﴿سَلَامًا﴾: قالوا سَدَادًا. وقال سعيد بن جبير: رَفُوعًا معروفاً من القول. وقال الحسن: ﴿قَالُوا سَلَامًا﴾: قال: حُلَاءُ لا يجهلون، وإن جُهِلَ عليهم حُلُومًا؛ يُضَاجِبُونَ عِبَادَ اللَّهِ نَاهِغِينَ بِمَا تَسْمَعُونَ، ثم ذكر أن ليلهم خير ليل، فقال: ﴿وَالَّذِينَ يَسْتَوُونَ عَلَى الْأَرْضِ مُوقِنًا﴾ أي: في عبادته وطاعته؛ كما قال: ﴿كَأَنَّهُمْ قِيلَ لَيْنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجُونَ﴾ (الأنعام: ١٧) ثم يَسْتَقْفِرُونَ ﴿[النار: ١٧-١٨].

قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ أي: مُلَازِمًا دائماً. ولهذا قال الحسن في قوله: ﴿غَرَامًا﴾: كل شيء يصيب ابن آدم ويوزل عنه فليس بغرام، وإنما الغرام اللازم ما دامت السموات والأرض. وكذا قال سليمان التيمي. وقال محمد بن كعب: ما نَعِمُوا في الدنيا؛ إن الله سأل الكفار عن النعمة فلم يَرُدُّوها إليه، فَأَقْرَبَهُمْ فَادْخَلَهُمُ النَّارَ. ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ أي: شس المنزل منظرًا، وبشس القليل مقامًا. ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ أي: ليسوا بمبذرين في إنفاقهم فيصرفون فوق الحاجة، ولا بخلاء على أهلهم فيقصرّون في حقهم فلا ينفونهم، بل عدلاً خيياراً، وخير الأمور أوسطها، لا هذا ولا هذا، ﴿كَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾؛ كما قال: ﴿وَلَا تَحْسَبْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾ [الإنعام: ٢٩].

الآية (٥٦-٦٠): ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ أي: بشيراً للمؤمنين ونذيراً للكافرين، مُبَشِّرًا بالجنة لمن أطاع الله، ونذيراً بين يدي عذاب شديد لمن خالف أمر الله.

﴿قَدْ مَاتَ آتُكُمْ عَلَيْكُمْ آخِرُ﴾ أي: على هذا البلاغ وهذا الإنذار من أجرة أظلمها من أموالكم، وإنما أفعل ذلك ابتغاء وجه الله. ﴿إِلَّا مَنْ شَكَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ أي: طريقاً ومَسْلَكًا وَمَتَّحًا يَقْتَدِي فِيهَا بِمَا جَنَّتْ بِهِ. ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ أي: في أمورك كلها كُنْ متوكلاً على الله الحي الذي لا يموت أبداً، الذي ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣]، الدائم الباقي السَّرمَدِي الأبدِي، الحي القيوم رب كل شيء ومليكه، اجعله دُخْرَكَ وَمَلْجَأَكَ، وهو الذي يُتَوَكَّلُ عليه ويُفَرَّجُ إليه؛ فإنه كافيك وناصرك ومؤيدك ومُظَفِّرُكَ؛ كما قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ يَلْعَنُ مَا أَنزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَوْ تَغَفَّلَ فَصَافَتْ رِسَالَتُهُ وَاللَّهُ يَقْضِيكَ مِنَ النَّاسِ [الثلاثه: ٦٧].﴾ ﴿وَسَمِيعٌ بِحُدُودِهِ﴾ أي: اقرن بين حمده وتسيحه؛ ولهذا كان رسول الله ﷺ يقول: «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك» [متفق عليه] أي: أخْلِصْ له العبادة والتَّوَكُّلَ.

﴿وَكُنَّا بِهِ يَدُوبِيَّ سَادِمًا خَيْرًا﴾ أي: لعلمه التام الذي لا يخفى عليه خافية، ولا يَمْرُبُ عنه مثقال ذرة. ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ خلق بقدرته وسلطانه السموات السبع، في ارتفاعها واتساعها، والأرضين السبع في سفوها وكثافتها، ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ أَتَوْنِي عَلَى الْغَرَسِ﴾ أي: يُدَبِّرُ الأمر، وَيَقْضِي الحَقَّ، وهو خير الفاصلين. ﴿الرَّحْمَنُ مَنْ تَكَلَّمَ بِهِ خَيْرًا﴾ أي: استعلم عنه من هو خير به عالم به فائمه واقتد به، وقد عَلِمَ أنه لا أحد أعلم بالله ولا أخبر به من عبده ورسوله محمد ﷺ سيِّد وَلَدِ آدَمَ على الإطلاق، في الدنيا والآخرة، قال مجاهد: ﴿تَكَلَّمَ بِهِ خَيْرًا﴾ قال: ما أخبرتك من شيء فهو كما أخبرتك. وكذا قال ابن جُرَيْج.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ؟﴾ أي: لا نعرف الرحمن ولا نَقْرُبُ به، وكانوا يُكْرَهُونَ أَنْ يُسَمَّى الله باسمه الرحمن. ﴿أَتَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا؟﴾ أي: لِمُجَرَّدِ قولك، ﴿وَرَدَّاهُمْ تَقَرُّوا﴾. أما المؤمنون فإنهم يعبدون الله الذي هو الرحمن الرحيم، ويُفَرِّدُونَهُ بِالْإِلَهِيةِ ويسجدون له. وقد اتَّفَقَ العلماء -رحمهم الله- على أن هذه السَّجْدَةُ التي في الفرقان مشروعةٌ عندنا لقارتها ومستمعها، والله أعلم.

الآية (٦١-٦٢): ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾ يقول تعالى مَجْدِّدًا نفسه، ومعطياً على جبل ما خَلَقَ في السماء من البروج؛ وهي الكواكب العظام في قول مجاهد وسعيد بن جبير. وقيل: هي قصور في السماء للحرس؛ يُرَوَّى هذا عن علي وابن عباس. والقول الأول أظهر؛ اللهم إلا أن يكون الكواكب العظام هي قصور للحرس، فيجتمع القولان. ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رِجًّا﴾ وهي الشمس المنيرة، التي هي كالسراج في الوجود. ﴿وَوَقَعَ فِيهَا النَّارُ﴾ أي: مضيئاً مشرقاً بنور آخر ونوع آخر وَقَعَ آخر، غير نور الشمس.

﴿وَهُوَ الَّذِي جَمَعَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ أي: يَخْلُفُ كل واحد منها الآخر، يتعاقبان لا يَفْترقان، إذا ذَهَبَ هذا جاء هذا، وإذا جاء هذا



الآية (٦٨-٧١): [سبب النزول]: عن ابن عباس: أن ناساً من أهل الشرك قتلوا فأكثروا، ونزوا فأكثروا، ثم أتوا محمداً ﷺ فقالوا: إن الذي نقول وتدعو إليه حسن، لو تخبرنا أن لنا عملاً كفارة، فنزلت: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ آلِهِمَا آخَرَ﴾ الآية، ونزلت: ﴿قُلْ يٰٓعِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ الآية [الرم: ٥٣] [متفق عليه].

﴿وَمَن يَعْمَلْ ذَلِكَ فَلَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ﴾ روي عن عبد الله بن عمرو أنه قال: ﴿أَنَامَا﴾: وإد في جهنم. وقال عكرمة: أودية في جهنم يُعَذَّب فيها الرُتاة. وكذا روي عن سعيد بن جبير ومجاهد. وقال قتادة: ﴿أَنَامَا﴾: نكالا، كنّا نَحْدُثُ أنه وإد في جهنم. وقال السدي: ﴿يَلْقَىٰ أَنَامَا﴾ جزاء. وهذا أشبه بظاهر الآية؛ ولهذا فسّره به بعدة مُبْدَلَا منه، وهو قوله: ﴿يَصْنَعُ لَهُ الْكَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ أي: يُكَرِّر عليه ويُغْلُظُ، ﴿وَيَعْلَدُ فِيهِمْ مَّكَانَا﴾ أي: حقيراً ذليلاً.

﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾ أي: جزاؤه على ما فَعَلَ من هذه الصفات القيحة ما ذُكِرَ ﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾ في الدنيا إلى الله من جيع ذلك؛ فإن الله يتوب عليه. وفي ذلك دلالة على صحة توبة القاتل.

في معنى قوله: ﴿يَدْعُو اللَّهَ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ قولان: أحدهما: أنهم يُدْعُوا مكانَ عَمَلِ السيئات بِعَمَلِ الحسنات، قال ابن عباس: هم المؤمنون؛ كانوا من قبل إيمانهم على السيئات، فرغب الله بهم عن السيئات فحوّلهم إلى الحسنات، فأبدلهم مكان السيئات الحسنات. وقال عطاء بن أبي رباح: هذا في الدنيا، يكون الرجل على هيئة قبيحة، ثم يُبَدِّلُهُ اللَّهُ بِهَا خَيْرًا. والقول الثاني: أن تلك السيئات الماضية تَنَقَّلِبُ بنفس التوبة النصوح حسناتٍ، وما ذاك إلا أنه كلّما تَذَكَّرَ ما مضى تَدِم واسترجع واستغفر، فيَنَقْبِلُ الذَّنْب طاعةً بهذا الاعتبار، فيوم القيامة وإن وَجَدَهُ مكتوباً عليه، لكنه لا يضره، وينقلب حسنةً في صحيفته، كما بُنِيَت السَّنة بذلك، وصحّت به الآثار المروية عن السلف -رحمهم الله تعالى- قال علي زين العابدين: ﴿يَدْعُو اللَّهَ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ قال: في الآخرة. وقال مكحول: يغفرها لهم فيجعلها حسناتٍ.

ثم قال تعالى خبراً عن عموم رحمة عباده، وأنه من تاب إليه منهم تاب عليه من أي ذنب كان، جليل أو حقير، كبير أو صغير: فقال: ﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَكَابًا﴾ أي: فإن الله يقبل توبته.

الآية (٧٢-٧٤): ﴿لَا يَشْهَدُونَ أَلُودٌ﴾ قيل: هو الشرك وعبادة الأصنام. وقيل: الكذب والفسق واللغو والباطل. وقال محمد بن الحنفية: هو اللغو والغناء. وقال أبو العالية والضحاك والربيع بن أنس وغيرهم: هي أعياد المشركين. وقال عمرو بن قيس: هي مجالس السوء والخنأ. وقيل: المراد: شهادة الزور، وهي الكذب مُتَعَمِّداً على غيره. والأظهر من السياق أن المراد: لا يشهدون الزور، أي: لا يحضرونه؛ ولهذا قال: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ﴾ أي: لا يحضرون الزور، وإذا اتَّفَقَ مرورهم به مرّوا، ولم يتدنّسوا منه بشيء، ولهذا قال: ﴿مَرُّوا كَرَامًا﴾.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا

وَعُمِيَانَا﴾ وهذه من صفات المؤمنين ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمِيَانَا﴾ [الأنفال: ٢٠]، بخلاف الكافر؛ فإنه إذا سمع كلام الله لا يُؤَثِّرُ فيه ولا يُقْصِرُ عَمَّا كان عليه، بل يبقى مستمراً على كفره وغطيانه وجهله وضلاله. فقوله: ﴿لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمِيَانَا﴾ أي: بخلاف الكافر الذي إذا سمع آيات الله فلا تؤثر فيه، فيستمر على حاله، كأن لم يسمعها أصم أعمى. قال مجاهد: قوله: ﴿لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمِيَانَا﴾: لم يسمعوا ولم يبصروا، ولم يفقهوا شيئاً. وقال الحسن: كم من رجل يقرؤها ويخِرُّ عليها أصم أعمى. وقال قتادة: لم يصموا عن الحق ولم يعموا فيه، فهم -والله- قوم عقلوا عن الله وانفتخوا بها سمعوا من كتابه. وقوله: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا فَرَّةً أُغْرِبَ﴾ يعني: الذين يسألون الله أن يُخْرِجَ من أصلابهم وذريابهم من يطيعه وبعده وحده لا شريك له. قال ابن عباس: يعنون من يعمل بالطاعة، فنقّره به أعينهم في الدنيا والآخرة. وقال عكرمة: لم يريدوا بذلك صِبَاحَةً ولا جَلَالاً، ولكن أرادوا أن يكونوا مطيعين. وقال ابن جريج: يعبدونك ويمسنون عبادتك، ولا يمحرون علينا الجرائر. ﴿وَأَجْمَعْنَا لِلْمُنْفِقِينَ إِمَامًا﴾ قال ابن عباس والحسن وقاتدة والسدي والربيع بن أنس: أئمة يُقْتَدَى بنا في الخير. وقال غيرهم: هداة مهتدين ودعاة إلى الخير، فأحبوا أن تكون عبادتهم مُتَّصِلَةً بعبادة أولادهم وذريابهم، وأن يكون هداهم متعدداً إلى غيرهم بالتَّعَمُّقِ، وذلك أكثر ثواباً، وأحسن مآباً.

الآية (٧٥-٧٧): ﴿أُولَٰئِكَ﴾ أي: المُتَّصِفُونَ بهذه الصفات الجميلة، والأفعال والأقوال الجليلة ﴿يُجَزَّوْنَ﴾ يوم القيامة ﴿الْفَرَقَةَ﴾ وهي الجنة. قال أبو جعفر الباقر وسعيد بن جبير والضحاك والسدي: سُمِّيَتْ بذلك لارتفاعها. ﴿يَمَّا صَبْرًا﴾ على القيام بذلك ﴿وَيُثْقَلُونَ فِيهَا﴾ أي: في الجنة ﴿بِحَبِيَّةٍ وَسَلَامًا﴾ أي: يُثْبِتُونَ فيها بالنحية والإكرام، ويُثَقِّلُونَ فيها التوقير والاحترام، فلهم السلام وعليهم السلام؛ فإن الملائكة يدخلون عليهم من كل باب، ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٤].

﴿حَكْلِيلِينَ فِيهَا﴾ أي: مقيمين، لا يظعنون ولا يَحْمِلُونَ ولا يموتون، ولا يزولون عنها ولا يَنْتَقِلُونَ عَنْهَا حَرْلًا. [الكهف: ١٠٨].

﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي بِكُمْ إِلَهٌ﴾ أي: لا يَكُونُ لِي ولا يَكُونُ لَكُمْ إِلهٌ إذا لم تعبدوه؛ فإنه إنما خَلَقَ الخلق ليعبدوه ويوحّدوه وَيُسَبِّحُوهُ بِكْرَةً وَأَصِيلًا. وقال مجاهد وعمرو بن شعيب: يقول: ما يَفْعَلُ بكم ربي. وقال ابن عباس: يقول: لولا إيمانكم، وأخبر الله الكفار أنه لا حاجة له بهم إذ لم يخلقهم مؤمنين، ولو كان له بهم حاجة لَحَبَّبَ إليهم الإيمان كما حَبَّبَ إلى المؤمنين. ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ أيها الكافرون ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ أي: فسوف يكون تكذيبكم لزماً لكم، يعني: مقتضياً هلاككم وعذابكم ودماركم في الدنيا والآخرة، ويدخل في ذلك يوم بدر، كما فسّره بذلك ابن مسعود وأبي بن كعب ومجاهد وقاتدة وغيرهم. وقال الحسن: ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ أي: يوم القيامة. ولا منافاة بينهما.



## ● الوقفات التدريبية

● ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾

أصغر الكبائر ثلاث: الكفر ثم قتل النفس بغير الحق ثم الزنا، كما رتبها الله... وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود قال: قلت يا رسول الله: أي الذنب أعظم؟ قال: (أن تجعل لله ندا وهو خلقك) قلت: ثم أي؟ قال: (ثم أن تقتل ولدك خشيته أن يطعم منك) قلت: ثم أي؟ قال: (أن تزاني بحليلة جارك). ولهذا الترتيب وجه مقبول: وهوان قوى الإنسان ثلاث: قوة العقل، وقوة الغضب، وقوة الشهوة. ابن تيمية: ٢١/٥-٢٢.

السؤال: لم رتب المعاصي الواردة في الآية الكريمة بهذا الترتيب (الشرك، القتل، الزنا)؟  
● ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾  
تلك السيئات الماضية تنقلب بنفس التوبة النصوح حسنات: وما ذاك إلا لأنه كلما تذكر ما مضى ندم، واسترجع، واستغفر، فينقلب الذنب طاعة بهذا الاعتبار، فيوم القيامة وإن وجدته مكتوباً عليه؛ فإنه لا يضره، وينقلب حسنة في صحيفته. ابن كثير: ٣١٦/٣.

السؤال: من خلال الآية: بين عظيم فضل التوبة الصادقة.  
● ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾  
(لا يشهدون الزور) أي: لا يشهدون بالزور؛ وهو الكذب؛ فهو من الشهادة. وقيل: معناه لا يحضرون مجالس الزور واللغو؛ فهو على هذا من الملاحظة والحضور. والأول أظهر. (وإذا مروا باللغو مروا كراما): اللغو هو الكلام القبيح على اختلاف أنواعه، ومعنى (مروا كراما) أي: عرضوا عنه، واستحيوا، ولم يدخلوا مع أهله، تنزيهاً لأنفسهم عن ذلك ابن جزي: ١١٣/٢.  
السؤال: ما الواجب على المسلم إذا مر بمجلس فيه معصية، أو كلام قبيح؟  
● ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ اللَّهِ كِرَامًا﴾  
(لم يخروا عليها صما وعميانا) أي: لم يعرضوا عن آيات الله، بل أقبلوا عليها باسماعهم وقلوبهم. ابن جزي: ١١٣/٢.

السؤال: ما الصفات التي ينبغي للمسلم أن يتحلى بها حال سماعه آيات القرآن؟  
● ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾  
يدعون الله تعالى بأكمل الدعاء الذي ينتفعون به من صلاح أزواجهم وذرياتهم، ومن لوازم ذلك: سعيهم في تعليمهم، وعظمتهم، ونصحهم؛ لأن من حرص على شيء ودعا الله فيه لا بد أن يكون متسبباً فيه. السعدي: ٥٨٨.  
السؤال: الدعاء بصلاح الأزواج والذرية يلزم منه شيء، ما هو؟  
● ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾  
قال القرطبي: ليس شيء أقر لعين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده مطيعين لله عز وجل. البغوي: ٣٤٧/٣.

السؤال: ما أعظم ما تقر به عين المؤمن؟  
● ﴿أُولَئِكَ يَجْزِيكَ اللَّهُ بِمَا كَسَبُوا وَلَقَدْ كَانَ فِيهَا كَيْدٌ وَسُخَاءٌ﴾  
حكايك فيها حسنت مستقر ومقاماً

وتلك مجموع إحدى عشرة خصلة، وهي: التواضع، والحلم، والتهجد، والخوف، وترك الإسراف، وترك الإقتار، والتزهد عن الشرك، وترك الزنا، وترك قتل النفس، والتوبة، وترك الكذب، والعضو عن المسيء، وقبول دعوة الحق، وإظهار الاحتياج إلى الله بالدعاء. ابن عاشور: ٨٤/١٩.  
السؤال: عدد الخصال الصالحة التي أوردتها الآيات السابقة من خصال عباد الرحمن، وحاول أن تربى نفسك عليها.

وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ١٥ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ١٦ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ١٧ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ١٨ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَلَئِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ١٩ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ اللَّهِ كِرَامًا ٢٠ وَلَا يُذَكِّرُونَ فِيهَا نَجْوَىٰ وَلَا حَسَنَاتٍ ٢١ فَمَا يَسْتَفْتُونَكَ قُلْ مَا يُعْذِرُكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ٢٢

٢٢

٢١

٢٠

١٩

١٨

١٧

١٦

١٥

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
مَتَابًا	رُجُوعًا صَاحِبًا.
لَمْ يَخْرُوْا	لَمْ يَقَعُوا سُجُودًا غَافِلِينَ، بَلْ سَجَدُوا مُطِيعِينَ.
قُرَّةَ أَعْيُنٍ	تَقَرُّ بِهِمْ عُيُونُنَا، وَبِهِمْ نَأْنِسُ وَنَفْرَحُ.
مَا يَصَبُّ	مَا يَكْتَرُّ بِكُمْ وَلَا يُبَالِي.
لِزَامًا	عَذَابًا مُلَازِمًا لَكُمْ.

## ● العمل بالآيات

١. استغفر الله، وتب إليه اليوم مائة مرة، ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾.
٢. صم يوماً في سبيل الله، أو قدم العون إلى محتاج، ﴿وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾.
٣. سل الله تعالى قرة العين في الذرية الصالحة، والزوجة المباركة، وليكن من ادعيتك الدائمة: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾.

## ● التوجيهات

١. ارفع همتك وادع الله أن يجعلك للمتقين إماماً، ﴿وَأَجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾.
٢. اجعل الخوف من الله حاجزاً لك من الشرك وكبائر الذنوب، وتذكر آثار الذنوب على دينك ودنياك، ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾.
٣. تأمل في عظيم رحمة الله تعالى وفضله؛ حيث يبدل سيئات عبده التائب إلى حسنات، ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنَ الرَّحْمَنِ مُعَذِّبًا إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴾

والتعرض لعنوان الرحمة لتخليط شناعتهم وتهويل جناباتهم؛ فإن الإعراض عما يأتيهم من جنبه جل وعلا على الإطلاق شنيع قبيح، وعما يأتيهم بموجب رحمته تعالى لحض منفعتهم أشنع وأقبح؛ أي ما يأتيهم تذكير وموعظة أو طائفة من القرآن من قبله عز وجل بمقتضى رحمته الواسعة يحدد تنزيله حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة إلا جددوا إعراضا عنه واستمروا على ما كانوا عليه. الألوسي: ٦١/١٠.

السؤال: ماذا يفيد التعبير بصفة (الرحمن) في هذا الموضع؟

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَرَأَيْنَاهَا مِنْ كُلِّ رُجْعٍ كَرِيمٍ ﴾

(من كل زوج) أي: من كل صنف من النبات؛ فيعم ذلك الأقوات، والفواكه، والأدوية، والمرعى. ووصفه بالكرم لما فيه من الحسن ومن المنافع. ابن جزي: ١١٤/٢.

السؤال: لم وصف الله النبات بأنه كريم؟

﴿ وَإِلَّا نَادَى رَبُّكَ مُوسَى ﴾

أعاد الباري قصة موسى وثأها في القرآن ما لم يُنَّ غير ما لكونها مشتملة على حكم عظيمة وعبر، وفيها نباه مع الظالمين والمؤمنين، وهو صاحب الشريعة الكبرى، وصاحب التوراة أفضل الكتب بعد القرآن. السعدي: ٥٨٩.

السؤال: لماذا تكررت قصة موسى في القرآن أكثر من غيرها؟

﴿ وَإِلَّا نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ أَنْتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾

والتظلم يعم أنواعه؛ فمنها ظلمهم أنفسهم بعبادة ما لا يستحق العبادة، ومنها ظلمهم الناس حقوقهم إذ استعبدوا بني إسرائيل واضطهدوهم. ابن عاشور: ١١٤/١٩.

السؤال: بين أنواعا من ظلم قوم فرعون.

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ ﴿ وَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴾

هذه أعداد سال من الله لإزاحتها عنه، كما قال في سورة طه: (قال رب اشرح لي صدري) ويسر لي أمري (وحلل عقدة من لساني) يفقهوا قولي (واجعل لي وزيرا من أهلي) هارون أخي (اشدد به أزري) وأشركه في أمري (كي نسبحك كثيرا) ونذكرك كثيرا (إنك كنت بنا بصيرا) قال قد أوتيت سؤلك يا موسى (طه: ٢٥-٣٦). ابن كثير: ٣٢١/٣.

السؤال: ما مقصد موسى من هذا الدعاء؟

﴿ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ ﴾

ففي هذا دليل على أن ما لا يستقل بأمر، ويخاف من نفسه تقصيرا، أن يأخذ من يستعين به عليه، ولا يلحقه في ذلك لوم. القرطبي: ١٦/١٣.

السؤال: ماذا تستفيد من طلب موسى من الله عز وجل أن يساعده هارون في مهمته؟

﴿ وَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴾

أي: لا يتمكنون من قتلك... ولهذا لم يتمكن فرعون من قتل موسى، مع مباينته له غاية المباينة، وتسفيه رايه، وتضليله وقومه. السعدي: ٥٨٩.

السؤال: لماذا لم يقدر فرعون على موسى؟

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَسَمَ ﴿ نَكَأَ عَيْنَهُ الْكَتِبَ الْمُبِينِ ﴾ لَعَلَّكَ بَخِعَ نَفْسَكَ إِلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿ إِن شَأْنُنَا نَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْيُنُهُمْ أَغْرَارًا فَخَصَّيْنَا ﴿ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا يَؤْمُرُ بِسِتْرِهِ وَنَ ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَرَأَيْنَاهَا مِنْ كُلِّ رُجْعٍ كَرِيمٍ ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿ وَإِلَّا نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ أَنْتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلا يَتَفَكَّرُونَ ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ ﴿ وَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿ قَالَ كَلَّا فَادْهَابَا بِأَيْنَتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿ أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿ قَالَ أَلَمْ نُنَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿ وَفَعَلْتَ فَعَلْنَاكَ آتِي فَفَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿

٣١٧

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
طَسَمَ	مُهَلِّكٌ
مُحَدَّثٍ	خَدِيثِ النَّزُولِ
رُجْعٍ كَرِيمٍ	نَوْعٍ حَسَنِ نَافِعٍ

## ● العمل بالآيات

١. احضر اليوم مجلس ذكر وطلب علم، ﴿ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنَ الرَّحْمَنِ مُعَذِّبًا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴾.
٢. اذهب إلى أحد البساتين، أو إلى محل بيع خضار وفواكه، وتأمل مظاهر عظمة الله في اختلاف الثمار وتنوعها، ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَرَأَيْنَاهَا مِنْ كُلِّ رُجْعٍ كَرِيمٍ ﴾.
٣. انكر منكرا رأيته بين زملائك، أو جيرانك بأسلوب مناسب، ﴿ وَإِلَّا نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ أَنْتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾.

## ● التوجيهات

١. بيان أن القرآن الكريم معجز؛ لأنه متكون من حروف مثل: (طاء، وسين، وميم)، ولم يستطع أحد أن يؤلف مثله، ﴿ طَسَمَ ﴾.
٢. بيان ما كان ينال الرسول ﷺ من الغم والحزن، وتكذيب قومه له، ﴿ لَعَلَّكَ بَخِعَ نَفْسَكَ إِلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾.
٣. التحذير من عاقبة التكذيب بآيات الله، وعدم الاكتراث بها، ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا يَؤْمُرُ بِسِتْرِهِ وَنَ ﴾.

.. تفسير سورة الشعراء ..

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ أي: دلالة على قدرة الخالق للأشياء، الذي  
سَطَّ الأرض وَرَفَعَ بناء السماء، ومع هذا ما آمن أكثر الناس، بل

ابن عباس وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، واختاره ابن جرير.

وقدراها، فإن كان هذا الذي يزعم أنه ربكم وإلهم صادقاً فليتكسر الأمر، وليجعل المشرق مغرباً، والمغرب مشرقاً؛ كما أخبر تعالى عن ﴿الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمَلَكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُبْعَثُ رُبِّيَ، وَيُحْيِي قَالَ آتَا أَنَا أُحْيِي وَأَمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِينَ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الضَّالِّينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨]؛ ولهذا لما غلبَ فرعون، وانقطعت حجته، عدل إلى استعمال جاهه وقوته وسلطانه، واعتقد أن ذلك نافع له ونافذ في موسى عليه السلام.

الآية (٢٩-٣٧): ﴿لَمَّا قَامَتَ الْحُجَّةُ عَلَى فِرْعَوْنَ بِالْبَيَانِ وَالْعَقْلِ، عَدَلَ إِلَى أَنْ يَقَهَّرَ مُوسَى بِيَدِهِ وَسُلْطَانِهِ، فَظَنَّ أَنَّهُ لَيْسَ وَرَاءَ هَذَا الْمَقَامِ مَقَالٌ، فَقَالَ: ﴿لَيْنَ أَتَخَذَتِ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْمَلَكَ مِنَ الْمَسْجُونِ﴾.

فبعد ذلك قال موسى: ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ﴾ أي: بمرهان قاطع واضح، ﴿قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (٣٧) فألقى عصاه فإذا هي ثَمَانِ شَيْئٍ أي: ظاهر واضح في غاية الجلاء والوضوح والعظمة، ذات قوائم وفيه كبير، وشكل هائل مزعج.

﴿وَرَجَّ بِدَعْوَةٍ﴾ أي: من جيبه ﴿فَإِذَا هِيَ بِصَلَاةٍ لِلطَّيْرِ﴾ أي: تتلأأ كقطعة من القمر. فبادر فرعون بشقاوته إلى التكذيب والعناد، فقال للملا حوله: ﴿إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ﴾ أي: فاضل بارع في السحر. فروج عليهم فرعون أن هذا من قبيل السحر لا من قبيل المعجزة، ثم هيجهم وحزهم على مخالفته والكفر به، فقال: ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ أي: أراد أن يذهب بقلوب الناس معه بسبب هذا، فيكثر أعداؤه وأنصاره وأتباعه ويغلبكم على دولتكم، فيأخذ البلاد منكم، فاشيروا عليّ فيه ماذا أصنع به.

﴿قَالُوا أَتَجِدُ رَجُلًا غَافِقًا فِي الدِّينِ حَسِيرًا﴾ (٣٨) يأتوك بكل سخارٍ عليهم أي: أخوه وأخاه حتى تجتمع له من مدائن مملكتك وأقاليم دولتك كل سخار عليهم يقابلونه، ويأتون بنظير ما جاء به، فتغلبه أنت وتكون لك النصرة والتأييد. فأجابهم إلى ذلك. وكان هذا من تسخير الله تعالى لهم في ذلك؛ ليجتمع الناس في صعيد واحد، ولتظهر آيات الله وحججه وبراهينه على الناس في النهار جهرة.

الآية (٣٨-٣٩): ﴿ذَكَرَ تَعَالَى هَذِهِ الْمُنَاطَرَةَ الْفَعْلِيَّةَ بَيْنَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالْقَيْطُ فِي (سورة الأعراف) وفي (سورة طه)، وفي هذه السورة؛ وذلك أَنَّ الْقَيْطَ أَرَادُوا أَنْ يُطْفِئُوا نَوْرَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ، فَأَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَتِمَّ نَوْرُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ.

وهذا شأن الكفر والإيمان: ما تواجهها وتقابلا إلا عليه الإيمان، ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا فُصِّحُوا﴾ [الأنبياء: ١٨]، ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١]، ولهذا لما جاء السحرة، وقد جموعهم من أقاليم بلاد مصر، وكانوا إذ ذاك أسخر الناس وأصنهم وأشدهم تحيلاً في ذلك، وكان السحرة جماعاً كثيراً، وجماعاً غفيراً، والله أعلم بصدقهم.

الآية (٢٠-٢٢): ﴿قَالَ فَتَلَّهَا إِذَا فِي تِلْكَ الْحَالِ، وَأَنَا مِنَ الصَّالِّينَ﴾ أي: قبل أن يوحى إليّ ويُنعم الله عليّ بالرسالة والنبوة. قال ابن عباس ومجاهد وقادة وغيرهم: ﴿وَأَنَا مِنَ الصَّالِّينَ﴾ أي: الجاهلين. ﴿فَقَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ أي: انفصل الحال الأول وجاء أمر آخر، فقد أرسلني الله إليك، فإن أطمعته سلبت، وإن خالفته عطيت.

ثم قال موسى: ﴿وَتِلْكَ يَشْكُرُ نَتْنًا عَلَى أَنْ عَدَدْتُ بِحَقِّ إِسْرَائِيلَ﴾ أي: وما أحسنت إليّ وربيتني مقابل ما أسأت إلى بني إسرائيل، فجعلتهم عبيداً وخدماً، فصرّتهم في أملاك ومشاق رعينك، أقيمتي إحسانك إلى رجل واحد منهم بما أسأت إلى مجموعهم؟! أي: ليس ما ذكرته شيئاً بالنسبة إلى ما فعلت بهم.

الآية (٢٣-٢٨): يقول تعالى مخبراً عن كفر فرعون، وتسرّده وطفانيه وجحوده، في قوله: ﴿وَمَا رَبِّيَ الْعَالَمِينَ﴾؟ وذلك أنه كان يقول لقومه: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمُ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨]، ﴿فَأَسْتَحَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ﴾ [الزخرف: ٥٤]، وكانوا يمجّدون الصانع تعالى، ويعتقدون أنه لا ربّ لهم سوى فرعون، فلما قال له موسى: ﴿إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الزخرف: ٤٦]، قال له: ومن هذا الذي تزعم أنه رب العالمين غيري؟! هكذا فسّره علماء السلف وأئمة الحنّلف، حتى قال السدي: هذه الآية كقوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يُمُوسَى﴾ (١٩) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلْفَهُ ثُمَّ هَدَىٰ [طه: ٥٩-٥٠].

فبعد ذلك قال موسى لئلا سأل عن رب العالمين: ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أي: خالق جميع ذلك ومالكة، والمتصرّف فيه وإلهه، لا شريك له، هو الله الذي خلق الأشياء كلها: العالم العلوي وما فيه من الكواكب الثابتة والسيارات النيرات، والعالم السفلي وما فيه من بحار وقفار، وجبال وأشجار، وحيوان ونبات وثمار، وما بين ذلك من الهواء والطيور، وما يحتوي عليه الجو؛ الجميع عبيد له خاضعون ذليلون. ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ﴾ أي: إن كانت لكم قلوب موقنة، وأبصار نافذة.

فبعد ذلك التفت فرعون إلى من حوله من ملّيه ورؤساء دولته قائلاً لهم، على سبيل التّهكم والاستهزاء والتكذيب لموسى فيما قاله: ﴿أَلَا تَسْتَعِينُونَ﴾؟! أي: ألا تعجبون ممّا يقول هذا في رّعه أن لكم إلهاً غيري؟! فقال لهم موسى: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبِّيَ أَبَايَكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: خالقكم وخالق آبائكم الأولين، الذين كانوا قبل فرعون وزمانه.

﴿قَالَ﴾ أي: فرعون لقومه: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَجُنُّونٌ﴾ أي: ليس له عقل في دعواه أن تمّ رباً غيري. ﴿قَالَ﴾ أي: موسى لأولئك الذين أوعز إليهم فرعون ما أوعز من الشبهة، فأجاب موسى بقوله: ﴿رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُقِيمِينَ﴾ أي: هو الذي جعل المشرق مشرقاً وتطلع منه الكواكب، والمغرب مغرباً تغرب فيه الكواكب، ثوابتها وسياراتها، مع هذا النظام الذي سخّر لها فيه



## ● الوقفات التدريبية

● ﴿وَلَا يَسْمَعُ تَتَابَعًا أَنْ عُدَّتْ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾

يقول: تَن عَلِيَّ أَنْ رِبِّيْتِي، وتَنسى جنابك على بني إسرائيل بالاستعبداء،  
والعاملات الصبيحة أو يريده: كيف تَن علي بالتريبة وقد استعبدت  
قومي؟ ومن أهين قومه ذل، فتعبيدك بني إسرائيل قد أحبط إحسانك  
إليّ. البغوي: ٣/٣٥٦.

السؤال: بين كيف كان رد موسى - عليه السلام - على فرعون عندما امتن عليه.

● ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَجَنُّونٌ ﴿٧﴾ قَالَ رَبُّ الشَّرْقِيِّ  
وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾

(إن كنتم تعقلون)، وفيه إيماء وتنبيه إلى أن الذي رميتم به موسى  
من الجنون أنه داؤكم، فرميتم أزكى الخلق عقلاً، وأكملهم علماً  
بالجنون، والحال أنكم أنتم المجانين، حيث ذهبت عقولكم لإنكار أظهر  
للموجودات: خالق الأرض والسموات وما بينهما. السعدي: ٥٩.

السؤال: في كلام موسى رد على كلام فرعون في اتهامه بالجنون، بين ذلك

● ﴿قَالَ رَبُّ الشَّرْقِيِّ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنُونَ﴾

ولما دعاه صلى الله عليه وسلم باللين: فاساء الأدب عليه في الجواب الماضي،  
ختم هذا البرهان بقوله: (إن كنتم تعقلون) أي: فأنتم تعلمون ذلك ...  
فكان قوله أنكا مع أنه اللطيف، وأوضح مع أنه أستر وأشرف. البقاعي: ٢٧/٤.

السؤال: من الحكمة أن تقول الكلام المناسب في المكان المناسب، وضع ذلك من الآية

● ﴿قَالَ رَبُّ الشَّرْقِيِّ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنُونَ﴾

فإن قيل: كيف قال أولاً: (إن كنتم موقنين)، ثم قال آخره: (إن كنتم  
تعقلون)؟ فالجواب أنه لا يَن أولاً طمعاً في إيمانهم، فلما رأى منهم العناد  
والغالطة ويخهم بقوله: (إن كنتم تعقلون)، وجعل ذلك في مقابلة قول  
فرعون: إِنْ رَسُولُكُمْ لَجَنُّونٌ. ابن جزي: ١١٧/٢.

السؤال: كيف قال موسى لفرعون أولاً: (إن كنتم موقنين)، ثم قال له  
بعد ذلك: (إن كنتم تعقلون)؟

● ﴿قَالَ لَيْنَ أَخَذْتُ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ السَّجَّوِينَ﴾

لما غلب فرعون، وانقطعت حجته، عدل إلى استعمال جاهه وقوته  
وسلطانه. ابن كثير: ٣/٣٢٢.

السؤال: بين طريقة الظالمين إذا فقدوا الحجة والدليل.

● ﴿قَالَ قَتْلَى عَصَا فَاذًا هِيَ تُعْبَانُ مُبِينٌ﴾

(مبين): دال على شدة الظهور من أجل أن زيادة المبني تدل على زيادة المعنى،  
أي: لعبان ظاهر أنه لعبان، لا لبس فيه، ولا تخيل. ابن عاشور: ١٩/١٢٣.

السؤال: ما فائدة وصف الشعب بالبين في الآية الكريمة؟

● ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاذَ وَيَتَّيْتُ فِي الدَّلَائِي حَشِيرِينَ ﴿٥﴾ بَأْتُوكَ بِكُلِّ  
سَحَابٍ عِلِيمٍ ﴿٦﴾ فَمِجَّ السَّحَابَ لِيَقْبَتَ بَوْمَ مَعْلُومٍ ﴿٧﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ  
هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ﴾

وكان هذا من تسخير الله تعالى لهم في ذلك: ليجتمع الناس في صعيد واحد،  
وتظهر آيات الله وحججه وبراهينه على الناس في النهار جهره. ابن كثير: ٣/٣٢٢.

السؤال: أراد فرعون أن يبطل حجة موسى بجمع السحرة، فحصل له  
نقيض قصده؛ بين ذلك.

قَالَ فَعَلَّهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٥﴾ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَ خِفْتُكُمْ  
فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ وَذَلِكَ نِعْمَةٌ  
تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عُدَّتْ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٧﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ  
﴿٨﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ  
﴿٩﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ ﴿١٠﴾ قَالَ رَبُّكُمْ رَبُّ آبَائِكُمْ  
الْأَوَّلِينَ ﴿١١﴾ قَالَ إِنْ رَسُولُكُمْ أَلَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَنَجُّونٌ  
﴿١٢﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ  
﴿١٣﴾ قَالَ لَيْنَ أَخَذْتُ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ  
﴿١٤﴾ قَالَ أُولُو حِشَّتِكَ يَشْتَوِي مُبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ فَأَتَيْتُ بِهِ إِنْ كُنْتُ  
مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٦﴾ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴿١٧﴾  
وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بِيَمِينِهِ لَلنَّظِيرِ ﴿١٨﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ  
إِنَّ هَذَا السَّحَابُ عَلِيمٌ ﴿١٩﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ  
بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٢٠﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاذَ وَابْتِغِ فِي الْمَدَائِنِ  
حَشِيرِينَ ﴿٢١﴾ بَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَابٍ عِلِيمٍ ﴿٢٢﴾ فَمِجَّ السَّحَابَ  
لِيَقْبَتَ بَوْمَ مَعْلُومٍ ﴿٢٣﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ﴿٢٤﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
الضَّالِّينَ	الْجَاهِلِينَ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُوحَىٰ إِلَيَّ.
حُكْمًا	النُّبُوَّةَ.
عُدَّتْ	جَعَلَتْهُمْ عِبِيدًا.
وَنَزَعَ يَدَهُ	أَخْرَجَهَا مِنْ جَبِيهِ.
أَرْجِهْ	أَخْرَجْ.
حَشِيرِينَ	جُنُودًا يَجْمَعُونَ السَّحَرَةَ.

## ● العمل بالآيات

١. قل: «اللهم اني أسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وكلمة الحق في الرضى والغضب»، ﴿قَالَ فَعَلَّهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾.
٢. ابحث عن ضعيف مظلوم، واحتسب الأجر في الدفاع عنه، ﴿وَلَا يَسْمَعُ تَتَابَعًا أَنْ عُدَّتْ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾.
٣. تأمل في ثلاثة من مظاهر عظمة الله تعالى، ﴿قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾.

## ● التوجيهات

١. الخوف الطبيعي لا ينافي الخوف من الله تعالى، ﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَ خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.
٢. أهل الكبر والعلو في الأرض إذا اعتمدت الحجج لجأوا إلى التهديد والوعيد واستخدام القوة، ﴿قَالَ لَيْنَ أَخَذْتُ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ السَّجَّوِينَ﴾.
٣. على الداعية إلى الله أن يتدبر على المناظرة وإقامة الحجج الواضحة والقوية؛ فإنها ادعى لظهور الحق، ﴿قَالَ أُولُو حِشَّتِكَ يَشْتَوِي مُبِينٌ﴾.



## ● الوقفات التدريبية

● ﴿ قَالَ لَهُ مُوسَى أَفَأَمَّا أَنَا مُلْتَقُونُ ﴾

لم يبادر موسى بإلقاء عصاه أولاً لأن المساواة مساواة علم لا مساواة حرب؛ ففي الحرب تنتفع المبادرة بافتكاك زمام المعركة، وأما في العلم فيحسن تقديم الخصم، فإذا أظهر ما عنده كره عليه بالحجج والبراهين فابطله، وظهر الحق وانتصر على الباطل، هذا الأسلوب الذي اتبع موسى بإنياء من ربه تعالى، الجزائري: ٦٤٩/٣.

السؤال: لماذا لم يبادر موسى - عليه السلام - بإلقاء عصاه قبل السحرة؟

● ﴿ قَالُوا جَاءَهُمْ وَعَصِيَّتُهُمْ وَقَالُوا بَعْرَةٌ فَرَعُونَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴾

(وقالوا) مقسمين (بعرة فرعون) فكل من حلف بغير الله - كان يقول: وحياة فلان، وحق راسه، ونحو ذلك- فهو تابع لهذه الجاهلية البقاعي: ٣٢/١٤ - ٣٣.

السؤال: الحلف بغير الله يدل على تسوية المقسم به مع الله في التعظيم، وضع ذلك.

● ﴿ قَالُوا جَاءَهُمْ وَعَصِيَّتُهُمْ وَقَالُوا بَعْرَةٌ فَرَعُونَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴾

وارادوا بذلك إلقاء الخوف في نفس موسى؛ ليكون ما سيلقيه في نوبته عن خور نفس؛ لأنهم يعلمون أن العزيمة من أكبر أسباب نجاح السحر، وتأثيره على الناظرين، ابن عاشور: ١٢٧/١٩.

السؤال: لماذا قال السحرة (إنا نحن الغالبون)؟

● ﴿ إِنَّمَا لَكُمْ إِلَهُكُمُ الَّذِي عِنْدَكُمُ السِّحْرُ ﴾

هذه مكابرة يعلم كل أحد بطلانها؛ فإنهم لم يجتمعوا بموسى قبل ذلك اليوم، فكيف يكون كبيرهم الذي أهادهم صناعة السحر؟ هذا لا يقوله عاقل، ابن كثير: ٣٢٤/٣.

السؤال: تدل الآية على عظم معاندة فرعون، بين ذلك.

● ﴿ قَالُوا لَا ضَيْرَ ﴾

قال السحرة -حين وجدوا حلاوة الإيمان وذاقوا لذته- لا ضير، أي: لا نبالي بما توعدتنا به، السعدي: ٥٩٢.

السؤال: لماذا لم يتأثر السحرة بتهديدات فرعون؟

● ﴿ إِنَّا نَطْلُعُ أَنْ يَقْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطْبَيْنَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

وعبروا بالطمع إشارة إلى أن جميع أسباب السعادة منه تعالى؛ فكانه لا سبب منهم أصلاً، البقاعي: ٣٦/١٤.

السؤال: ماذا يفيد التعبير بالطمع في المغفرة؟

● ﴿ وَلَنَا جَمِيعٌ حَذِرُونَ ﴾

والعنى: أن الحذر من شيمته وعادته؛ فكذاك يجب أن تكون الأمة معه في ذلك؛ أي: إنا من عادتنا التيقظ للحوادث، والحذر مما عسى أن يكون لها من سيئ العواقب، وهذا أصل عظيم من أصول السياسة، وهو سد ذرائع الفساد، ولو كان احتمال إفضائها إلى الفساد ضعيفاً، ابن عاشور: ١٣١/١٩.

السؤال: دلت الآية الكريمة على أصل عظيم من أصول السياسة بين ذلك.

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
بَعْرَةٌ فَرَعُونَ	أقسموا بجزئته، وقوته.
تَلَقَّفُ	تبتلع بسرعة.
مَا يَأْفِكُونَ	ما يفعلونه من الكذب والتزوير.
لَا ضَيْرَ	لا ضرر.
مُنْقَلِبُونَ	راجعون.
خَاسِرِينَ	جامعين للخسار من المداين.
لَشِرْذِمَةً	لطائفة صغيرة.

## ● العمل بالآيات

- أدعوا دعوتاً، واحسب ما تجده من التعب والأذى في سبيل الله، ﴿ إِنَّا نَطْلُعُ أَنْ يَقْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطْبَيْنَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾.
- ادع الله تعالى أن يغير لك ذنبك، ويثبتك على الإيمان، ﴿ إِنَّا نَطْلُعُ أَنْ يَقْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطْبَيْنَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾.
- اكتب مواضع حفظ الله سبحانه وتأييده ونصره لتنبه موسى عليه السلام في هذه السورة الكريمة، ﴿ قَالَتْ مُوسَىٰ عَبَاةَ إِذَا هِيَ تَلَقَّفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾.

## ● التوجيهات

- ابتغى العزة في غير دين الله اذله الله، ﴿ وَقَالُوا بَعْرَةٌ فَرَعُونَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴾.
- يُنال الصالحين من تهديدات الجبابرة فهو وسيلة للوصول إلى الدرجات العالية في الدنيا والآخرة، ﴿ قَالُوا لَا ضَيْرَ ﴾.
- ما هو الخلق على الله إذا هم عصوه؛ بينما فرعون ملك بطر يدعي الربوبية إذا هم غريق في اليم، ﴿ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ وكنوز ومقار كريم.

وهذه مكابرة يعلم كل أحد بطلانها؛ فإنهم لم يجتمعوا بموسى قبل ذلك اليوم، فكيف يكون كبيرهم الذي أفادهم صناعة السحر؟! هذا لا يقوله عاقل. ثم توعدهم فرعون بقطع الأيدي والأرجل والصلب، فقالوا: ﴿لَا ضَرَّ﴾ أي: لا حَرَج ولا يضرنا ذلك، ولا نبالي به.

﴿يَا أَيُّهَا رَبَّنَا شَغِيلُونَ﴾ أي: المرجع إلى الله، وهو لا يضيع أجر من أحسن عملاً، ولا يخفى عليه ما فعلت بنا، وسيجزينا على ذلك أتم الجزاء؛ ولهذا قالوا: ﴿يَا نَعْلَمُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَتَنَا﴾ أي: ما قارفناه من الذنوب، وما أكرهتنا عليه من السحر، ﴿أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: بسبب أننا بادرنافوتنا من القبط إلى الإيمان. فقتلهم كلهم.

الآية (٥٢-٥٩): لَمَّا طَالَ مَقَامُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِيَلَدِ مِصْرَ، وَأَقَامَ بِهَا حُجَّجَ اللَّهُ وَبَرَاهِينُهُ عَلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ، وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ يَكْبَرُونَ وَيَعَانِدُونَ، لَمْ يَلْمِ لَهُمْ إِلَّا الْعَذَابَ وَالنَّكَالَ، فَأَمَرَ اللَّهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يُخْرِجَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَيْلًا مِنْ مِصْرَ، وَأَنْ يُضَيِّقَ بِهِمْ حَيْثُ يُؤْمَرُ، فَفَعَلَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا أَمَرَهُ بِهِ رَبُّهُ ﷻ، خَرَجَ بِهِمْ بَعْدَ مَا اسْتَعَارُوا مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ حِلْيَةً كَثِيرًا. وَأَنْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ سَأَلَ عَنْ قَبْرِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَذَلَّتْهُ امْرَأَةٌ عَجُوزٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَيْهِ، فَاحْتَمَلَ تَابُوتَهُ مَعَهُمْ، وَيَقَالُ: إِنَّهُ هُوَ الَّذِي حَمَلَهُ بِنَفْسِهِ -عَلَيْهَا السَّلَام- وَكَانَ يُوسُفُ قَدْ أَوْصَى بِذَلِكَ إِذَا خَرَجَ بَنُو إِسْرَائِيلَ أَنْ يَحْمِلُوهُ مَعَهُمْ [رواه ابن حبان والحاكم، وصححه الألباني]. فَلَمَّا أَصْبَحُوا وَلَيْسَ فِي نَادِيهِمْ دَاعٍ وَلَا حَبِيبٌ، غَاضَ ذَلِكَ فِرْعَوْنَ وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ؛ لِأَنَّهُ يُرِيدُ اللَّهُ بِهِ مِنَ الدَّمَارِ، فَأَرْسَلَ سَرِيعًا فِي بِلَادِهِ حَاشِرِينَ، أَي: مِنْ يُمْشِرُ الْجُنْدَ وَيَجْمَعُهُ، كَالْقَتَابَةِ وَالْحُجَابِ، وَنَادَى فِيهِمْ: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ كَذِبُونَ﴾ يعني: بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿يَتَزَيَّمُونَ قِيلُونَ﴾ أي: لَطَافَةٌ قَلِيلَةٌ ﴿وَلَيْتُمْ لَنَا لَعَّاطُونَ﴾ أي: كُلُّ وَاقْتِ يَعْبَلُ لَنَا مِنْهُمْ مَا يَغِطُّنَا، ﴿وَلَيْتُمْ لَنَا لَعَّاطُونَ﴾ أي: نَحْنُ كُلُّ وَاقْتِ نَحْذَرُ مِنْ غَائِلَتِهِمْ، وَلَئِنْ أُرِيدَ أَنْ اسْتَأْصَلَ شَأْقَهُمْ، وَأَيَّدَ خَضْرَاءَهُمْ. فَخُوزِي فِي نَفْسِهِ وَجُنْدِهِ بِمَا أَرَادَ لَهُمْ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۖ وَكُنُوزٍ وَمَقَارٍ كَثِيرٍ ۖ وَفَجَرَحُوا مِنْ هَذَا النِّعَمِ إِلَى الْحَجِيمِ، وَتَرَكُوا تِلْكَ الْمَنَازِلَ الْعَالِيَةَ وَالْبَسَاتِينَ وَالْأَنْهَارَ وَالْأَمْوَالَ وَالْأَرْزَاقَ وَالْمُلُوكَ وَالْجَاهَ الْوَافِرَ فِي الدُّنْيَا. كَذَلِكَ وَأَوَدَّتْهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَعَادِينَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ الآية [الأعراف: ١٣٧]، وَقَالَ: ﴿وَوَدِدْنَا أَنْ نَكُونَ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَيْمَةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ [النقص: ٥].

الآية (٦٠): ذَكَرَ غَيْرَ وَاحِدٍ مِنَ الْمَفْسَرِينَ: أَنَّ فِرْعَوْنَ خَرَجَ فِي مَجْلٍ عَظِيمٍ وَجَمْعٍ كَبِيرٍ، هُوَ عِبَارَةٌ عَنْ مَمْلَكَةِ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ فِي زَمَانِهِ، أَوَّلِي السَّحْلِ وَالْمَعْدَنَ وَالذُّوْلَ مِنَ الْأَمْرَاءِ وَالْوُزَرَاءِ وَالْكَبَرَاءِ وَالرُّؤَسَاءِ وَالْجُنُودِ، ﴿فَأَتَّبَعُوهُمْ تَشْرِيقًا﴾ أي: وَصَلُوا إِلَيْهِمْ عِنْدَ شُرُوقِ الشَّمْسِ، وَهُوَ طُلُوعُهَا.

الآية (٤٠-٤٨): اجْتَهَدَ النَّاسُ فِي الْاجْتِمَاعِ ذَلِكَ الْيَوْمَ، وَقَالَ قَائِلُهُمْ: ﴿لَمَّا نَجَّيْنَا السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا مِنْ الْفَلِيِّينَ﴾، وَلَمْ يَقُولُوا: نَتَّبِعُ الْحَقَّ سِوَاكَ مِنَ السَّحَرَةِ أَوْ مِنْ مُوسَى، بَلِ الرَّعِيَّةُ عَلَى دِينِ مُلْكِهِمْ.

﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةَ﴾ أَي: إِلَى مَجْلِسِ فِرْعَوْنَ وَقَدْ ضَرَبَ لَهُ وَطْأًا، وَجَمَعَ حَسَمَهُ وَخَدَمَهُ وَأَمْرَاءَهُ وَوُزَرَءَهُ وَرُؤَسَاءَ دَوْلَتِهِ وَجُنُودَ مَمْلَكَتِهِ، فَقَامَ السَّحَرَةُ بَيْنَ يَدَيْ فِرْعَوْنَ، يَطْلُبُونَ مِنْهُ الْإِحْسَانَ إِلَيْهِمْ وَالتَّقَرُّبَ إِلَيْهِ إِنْ غَلَبُوا، أَيْ هَذَا الَّذِي جَمَعْتَنَا مِنْ أَجْلِهِ، فَقَالُوا: ﴿أَيْنَ لَنَا لَأَجْرُ إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْفَلِيِّينَ﴾ (٤٠) قَالَ نَعَمْ وَلَكُمْ إِنْ لَيْتُمْ الْفَلِيِّينَ (٤١) أَي: وَأَخْصَصْ مِمَّا تَطْلُبُونَ أَجْعَلْكُمْ مِنَ الْمُتَقَرِّبِينَ عِنْدِي وَجِلْسَانِي. فَعَادُوا إِلَى مَقَامِ الْمُنَظَرَةِ ﴿قَالُوا يَبُوءُونَ إِيَّاهُ أَنْ تُلْقِيَ وَإِنَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى﴾ (٤٢) قَالَ بَلْ أَلْقُوا (٤٣) [طه: ٦٥-٦٦]، وَقَدْ اخْتَصَرَ هَذَا هَهُنَا. فَقَالَ لَهُمْ مُوسَى: ﴿أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾ (٤٤) قَالُوا جِئْنَاكَ وَصِيَّتَهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْفَلِيُّونَ (٤٥)، وَهَذَا كَمَا يَقُولُهُ الْجَهْلَةُ مِنَ الْعَوَامِ إِذَا قَعَلُوا شَيْئًا: هَذَا بِثَوَابِ فَلَانٍ. وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ فِي «سُورَةِ الْأَعْرَافِ»: أَنَّهُمْ «سَكَّرُوا» أَعْيَتْ أَلْسِنَهُمْ وَأَسْرَهَتْهُمُ وَجَعَلُوا يَسْجِرَ عَظِيمٍ [الأعراف: ١١٦]، وَقَالَ فِي «سُورَةِ طه»: ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا جِئْنَاكَ وَصِيَّتَهُمْ يُخَيِّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِجَرِهِمْ أَمْثًا نَعَى (٤٦) فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى (٤٧) فَلَمَّا لَا تَخَفْ بَلَّكَ أَنتَ الْأَعْلَى (٤٨) وَأَلْقَى مَا فِي بَيْتِنَا لَنَلْفَاقَهُمْ فَأَنشَوْنَ السَّحَرَةَ وَسِحْرُهُمْ لَا يَقْلِيحُ السَّاحِرِ حَيْثُ أَنْ (٤٩) [طه: ٦٦-٦٩]. وَقَالَ هَهُنَا: ﴿فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ أَي: تَخْتَطِفُهُ وَتَجْمَعُهُ مِنْ كُلِّ بَقْعَةٍ وَتَبْتَلِمُهُ فَلَمْ تَدَعْ مِنْهُ شَيْئًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَوَقَّعَ لَحْنُهُمْ وَكَلَّمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٥٠) فَقُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَفِينٍ (٥١) وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجِيدِينَ (٥٢) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْمَلَائِكِينَ (٥٣) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ (٥٤) [الأعراف: ١١٨-١٢٢] وَكَانَ هَذَا أَمْرًا عَظِيمًا جَدًّا، وَبِرَهَانًا قَاطِعًا لِلْمَعْرِ وَحُجَّةً دَامِغَةً؛ وَذَلِكَ أَنَّ الَّذِينَ اسْتَنْصَرُوا بِهِمْ وَطَلَبُوا مِنْهُمْ أَنْ يَغْلِبُوا، قَدْ غَلِبُوا وَخَضَعُوا وَأَسْمُوا بِمُوسَى فِي السَّاعَةِ الرَّاهِتَةِ، وَسَجَدُوا لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الَّذِي أَرْسَلَ مُوسَى وَهَارُونَ بِالْحَقِّ وَبِالْمُعْجَزَةِ الْبَاهِرَةِ، فَقُلِبَ فِرْعَوْنَ غَلِيًّا لَمْ يُشَاهِدِ الْعَالَمَ مِثْلَهُ، وَكَانَ وَفِيَّ حَرْبًا، عَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ، فَعُدِّلَ إِلَى الْمَكَابِرَةِ وَالْعِنَادِ وَدَعْوَى الْبَاطِلِ، فَفَرَّحَ بِهَيْدَتِهِمْ وَتَوَعَّدَهُمْ، وَيَقُولُ: ﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ الْيَتْرَ﴾ [طه: ٧١]، وَقَالَ: ﴿إِنَّ هَذَا لَكُنْزٌ فَكَرْتُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجُوا مِنْهَا أُمَّهَاتَهُمْ فَأَكُلْنَ﴾ [الأعراف: ١٢٣].

الآية (٤٩-٥١): تَجَدَّدَ فَلَمْ يَنْفَعِ ذَلِكَ فِيهِمْ، وَتَوَعَّدَهُمْ فَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيْيَانًا وَتَسْلِيًّا؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ قَدْ كُثِفَ عَنْ قُلُوبِهِمْ حِجَابُ الْكُفْرِ، وَظَهَرَ لَهُمُ الْحَقُّ بِعِلْمِهِمْ مَا يَجْهَلُ قَوْمُهُمْ مِنْ أَنَّ هَذَا الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى لَا يَصْدُرُ عَنْ بَشَرٍ إِلَّا أَنْ يَكُونَ اللَّهُ قَدْ آيَّدَهُ بِهِ، وَجَعَلَهُ لَهُ حُجَّةً وَدَلَالَةً عَلَى صِدْقِ مَا جَاءَ بِهِ مِنْ رَبِّهِ؛ وَهَذَا لَمَّا قَالَ لَهُمْ فِرْعَوْنُ: ﴿آمَسْتُمْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ مَادَّةٌ لَكُمْ (٤٩) أَي: كَانَ يَنْبَغِي أَنْ تَسْتَأْذِنُونِي فِيمَا فَعَلْتُمْ، وَلَا تَفْتَانُوا عَلَيَّ فِي ذَلِكَ، فَإِنْ أُذِنْتُ لَكُمْ فَعَلْتُمْ، وَإِنْ مَنَعْتُكُمْ امْتَنَعْتُمْ، فَإِنِّي أَنَا الْحَاكِمُ الْمُنْطَاطِ. إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ الْيَتْرَ﴾



الآية (٨٣): وهذا سؤال من إبراهيم عليه السلام أن يؤتيه وبه حكمًا. قال ابن عباس: وهو العِلْمُ. وقال عكرمة: هو اللبُّ. وقال مجاهد: هو القرآن. وقال السدي: هو النبوة. قوله: ﴿وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ أي: اجعلني مع الصالحين في الدنيا والآخرة؛ كما قال النبي ﷺ عند الاحتضار: «اللهم الرفيق الأعلى» قالها ثلاثًا [متفق عليه].



## ● الوقفات التدريبية

﴿ فَلَمَّا تَرَاهُ الْجَمْعَانِ قَالِ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمَذْكُورُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا لَا إِلَهَ إِلَّا رَبُّ سِيبِينَ ﴾ (قال) موسى - عليه السلام - ردعا لهم عن ذلك، وإرشادا إلى أن تدبیر الله عز وجل يفني عن تدبيره: (كلا) لن يدر كوكم (إن معي ربي) بالحفظ والنصرة (سيهدين) قريبا إلى ما فيه نجاتكم منهم، ونصركم عليهم. الألوسي: ٨٤/١٠.

السؤال: ما أجمل اليقين: ثبت الله به المؤمن عند الفتن، وضع ذلك من الآيات.

﴿ وَأَتْلَوْهُ عَلَيْهِمْ بِنَاءَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٢٦﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوا نَعْبُدُ آبَاءَنَا مَا خَلَقُوا لَهَا عَظِيمِينَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا هَلْ يَسْمَعُونَ تَكْمُرًا إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يُضَرُّونَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٠﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٣١﴾ أَشْتَرَاءَ بَنَاتِكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٣٤﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٣٦﴾ وَالَّذِي يُؤَيِّسُ لِي مَخْرَجِي ﴿٣٧﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٣٨﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِّقْ بِالصَّلَاحِينَ ﴿٣٩﴾

السؤال: أمر الله تعالى نبيه أن يخبر بحالته من حالات إبراهيم دون سائر أحواله: وهي حالة الدعوة، فلماذا؟

﴿ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ أضربوا عن أن يكون لهم سمع أو نفع أو ضرر اعترافا بما لا سبيل لهم إلى إنكاره، واضطروا إلى إظهار أن لا سند لهم سوى التقليد: فكانهم قالوا: لا يسمعون ولا ينفعوننا ولا يضررون، وإنما وجدنا آبائنا يفعلون مثل فعلنا، ويعبدونهم مثل عبادتنا، فافتدنا بهم. الألوسي: ٩٢/١٠.

السؤال: هل تقليد الآباء في الخطأ حجة مقبولة يوم القيامة؟

﴿ أَشْتَرَاءَ بَنَاتِكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴾ ووصف الآباء بالأقدمية إيفال في قلته الأكثرات بتقليدهم: لأن عرف الأمم أن الآباء كلما تقادم عهدهم كان تقليدهم أكد. ابن عاشور: ١٤/١٩.

السؤال: لماذا وصف الآباء بالأقدمين؟

﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ يقول قائل: وكيف يوصف الخشب والحديد والنحاس بعداوة ابن آدم؟

فإن معنى ذلك: فإنهم عدو لي لو عبدتهم يوم القيامة، كما قال جل ثناؤه: (واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا) • كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا (أمرهم: ٨١، ٨٢). الطبري: ٣٦٣/١٩.

السؤال: ما وجه وصف الأصنام بعداوة ابن آدم، مع أنها جمادات؟

﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٣٣﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٣٤﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٣٨﴾

فربي هذا الذي بيده نفعي وضري، وله القدرة والسلطان، وله الدنيا والآخرة، لا الذي لا يسمع إذا دعي، ولا ينفذ ولا يضر. وإنما كان هذا الكلام من إبراهيم احتجاجا على قومه في أنه لا تصلح الألوهة، ولا ينبغي أن تكون العبادة إلا لمن يفعل هذه الأفعال، لا لمن لا يعطي نفعا ولا ضرا. الطبري: ٣٦٣/١٩.

السؤال: ما الأدلة العقلية التي ذكرها إبراهيم لإثبات ربوبية الله سبحانه وبطلان غيرها؟

﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ أسند المرض إلى نفسه، وأسند الشفاء إلى الله، تأديا مع الله. ابن جزي: ١١٩/٢.

السؤال: في هذه الآية أدب ينبغي التأدب به في التعامل مع الله، فما هو؟

فَلَمَّا تَرَاهُ الْجَمْعَانِ قَالِ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمَذْكُورُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا لَا إِلَهَ إِلَّا رَبُّ سِيبِينَ ﴿١٧﴾ أَصْرِبْ بِصَاحِكَ الْخَرَّ فَأَنْتَ لَقَدْ كُنَّا كُلُّ فَرْقٍ كَالطُّودِ الْعَظِيمِ ﴿١٨﴾ وَأَرْلَقْنَا ثَمَرَ الْآخِرِينَ ﴿١٩﴾ وَأَنْجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ وَأَجْمَعِينَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴿٢١﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهْوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٢٣﴾ وَأَتْلَوْهُ عَلَيْهِمْ بِنَاءَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٢٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوا نَعْبُدُ آبَاءَنَا مَا خَلَقُوا لَهَا عَظِيمِينَ ﴿٢٦﴾ قَالُوا هَلْ يَسْمَعُونَ تَكْمُرًا إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يُضَرُّونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٢٩﴾ أَشْتَرَاءَ بَنَاتِكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٣٠﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٣١﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٣٣﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٣٤﴾ وَالَّذِي يُؤَيِّسُ لِي مَخْرَجِي ﴿٣٥﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٣٦﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِّقْ بِالصَّلَاحِينَ ﴿٣٧﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
تَرَائِي	رَأَى كُلُّ فَرْقٍ الْآخَرَ.
فَرْقٍ	قِطْعَةٍ مِنَ الْبَحْرِ.
كَالطُّودِ	كَالْجَبَلِ.
وَأَرْلَقْنَا ثَمْرًا	قَرَّبْنَا هُنَاكَ، فَهَرَعُونَ، وَقَوْمُهُ.

## ● العمل بالآيات

- اكتب عن ظاهرة الدعاء والذبح لغیر الله، وخطرها على الفرد والمجتمع، في موقع إلكتروني، أو رسالة هاتف جوال، وارسلها لمن تشاء، ﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَ تَكْمُرًا إِذْ تَدْعُونَ ﴿٢٧﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يُضَرُّونَ ﴾.
- قل: «اللهم عافني في بدني، اللهم عافني في سمعي، اللهم عافني في بصري، لا إله إلا أنت»، ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾.
- عدد ثلاثا من نعم الله عليك، ثم اشكره عليها؛ فإن ذلك من أسباب زيادة محبتك لله سبحانه؛ كما قال خليل الله عليه الصلاة والسلام: ﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٣٣﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٣٤﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾.

## ● التوجيهات

- تأمل في إخبار الله تعالى عن حال أكثر الناس، وأنهم غير مؤمنين، وحينها لا تأمن على نفسك من الضلالة، فأكثر من دعاء الله بالثبات، ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾.
- احذر التقليد المحرم الذي كان سببا في هلاك الأمم؛ فإن الكفار إنما ضلوا عن صراط الله بسبب تقليد الآباء والأجداد، ﴿ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾.
- تيقن أنه لو نزل بك مرض فلا يستطيع دفعه إلا الأنبياء والأولياء إلا الله تعالى وحده سبحانه، ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ ١

(لسان صدق في الآخِرِينَ): هو الثناء، وخذ المكانة بإجماع من المفسرين.

ابن عطية: ٢٣٥/٤.

السؤال: ما المراد بلسان الصدق؟

﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ ٢ ﴿لَأَمِنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ ٣

والمعنى على هذا أن المال لا ينفع إلا من انفق في طاعة الله.

ابن جزي: ١١٩/٢.

السؤال: متى يكون المال نافعاً للعبد يوم القيامة؟

﴿لَأَمِنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ ٣

وخص القلب بالذكر: لأنه الذي إذا سلم سلمت الجوارح، وإذا فسد

فسدت سائر الجوارح. القرطبي: ٤٤/١٦.

السؤال: لم خص الله تعالى القلب بالذكر؟

﴿وَجُنُودٍ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾ ٤

(وَجُنُودُ إِبْلِيسَ): نسله، وكل من يتبعه؛ لأنهم جند له واعوان.

ابن عطية: ٢٣٦/٤.

السؤال: متى يصير الإنسان من جنود إبليس؟

﴿فَمَنْ لَنَا مِنْ شُعَيْبٍ﴾ ٥ ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ ٦

قال قتادة: يعلمون والله أن الصديق إذا كان صالحاً نفع، وأن الحميم إذا

كان صالحاً شفع. ابن كثير: ٣٢٩/٣.

السؤال: كيف تحث هذه الآية على اتخاذ الصديق الصالح؟

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ﴾ ٧

(إذ قال لهم أخوهم) في النسب (نوح)، وإنما ابتعث الله الرسل من نسب

من أرسل إليهم لئلا يشتمزوا من الانقياد له، ولأنهم يعرفون حقيقته؛

فلا يحتاجون أن يبحثوا عنه. السعدي: ٥٩٤.

السؤال: لماذا بعث الله الرسل من أنساب قومهم؟

﴿قَالُوا أَتُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ ٨

بهذا يعرف تكبرهم عن الحق، وجهلهم بالحقائق؛ فإنهم لو كان

قصدهم الحق لقالوا -إن كان عندهم إشكال وشك في دعوته-: بين لنا

صحة ما جئت به بالطرق الموصلة إلى ذلك. السعدي: ٥٩٤.

السؤال: كيف تدل الآية على تكبرهم عن الحق؟

وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ١ وَأَجْعَلْ لِي مِنْ رِزْقِي جَنَّةَ  
الْعَبِيرِ ٢ وَأَعْفِرْ لِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الصَّالِينَ ٣ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ  
يُجْعَلُونَ ٤ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ٥ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ  
سَلِيمٍ ٦ وَأَزْلَفْتُ الْجَنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ ٧ وَبُرَزْتُ الْجَحِيمَ لِلْغَاوِينَ ٨  
وَقِيلَ لَهُمْ أَنْ مَأْكُتُمْ تَعْبُدُونَ ٩ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَضُرُّكُمْ  
أَوْ يَنْتَصِرُونَ ١٠ فَكَبِكُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ١١ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ  
أَجْمَعُونَ ١٢ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ١٣ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لِنَظُنُّ  
صَلَائِلَ مُبِينٍ ١٤ إِذْ نُسَوِّدُكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ١٥ وَمَا أَصَلْنَا إِلَّا  
الْمُجْرِمُونَ ١٦ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ١٧ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ١٨ فَلَوْ  
أَنَّ لَنَا كَذَّةٌ فَبَتْنَاكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ١٩ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كُنَّا  
أَكْثَرَهُمْ مُؤْمِنِينَ ٢٠ وَإِنْ رَبَّكَ لَهُمُ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ٢١ كَذَّبَتْ  
قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ٢٢ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ٢٣  
إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ٢٤ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ٢٥ وَمَا أَسْأَلُكُمْ  
عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنِّي أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ٢٦ فَاتَّقُوا اللَّهَ  
وَأَطِيعُوا أَمْرًا ٢٧ قَالُوا أَتُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ٢٨

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
لِسَانَ صِدْقٍ	ثَنَاءً حَسَنًا.
الْآخِرِينَ	مَنْ يَأْتُونَ بَعْدِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.
سَلِيمٍ	سَالِمٍ مِنَ الشَّرِّ وَالنَّفَاقِ وَالضَّغِينَةِ.
وَأَزْلَفْتُ	قُرْبْتُ.
وَبُرَزْتُ	أُظْهِرْتُ.
فَكَبِكُوا	فَجَمِعُوا، وَأَقْبُوا.
حَمِيمٍ	مُشْفِقٍ يَهْتَمُّ بِأَمْرِنَا.
كَذَّةٌ	زَجَعَةٌ إِلَى الدُّنْيَا.
الْأَرْذَلُونَ	السُّفَلَةُ مِنَ النَّاسِ.

## ● العمل بالآيات

- ادع لوالديك بالمغفرة والرحمة، ﴿وَأَعْفِرْ لِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الصَّالِينَ﴾.
- صادق من تقربك صادقته إلى الله تعالى، ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾.
- علم أحداً من المسلمين سورة من سور القرآن الكريم ابتغاء وجه الله، ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنِّي أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

## ● التوجيهات

- راقب قلبك، واصلح من شأنه؛ فلن ينجو إلا من أتى الله بقلب سليم، ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ ٥ ﴿لَأَمِنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾.
- احذر سبل الغاوين الذين يضلون الناس؛ فقد جعل الله الجحيم مأوى لهم، ﴿وَبُرَزْتُ الْجَحِيمَ لِلْغَاوِينَ﴾.
- احرص على اتخاذ الرفقة الصالحة؛ فإنهم بعد إذن الله قد ينفعوك بالشفاعة في الآخرة، ﴿فَمَنْ لَنَا مِنْ شُعَيْبٍ﴾ ٥ ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾.

شيئاً، ولا تَدْفَعُ عن أنفسها؛ فإنكم وإياها اليوم ﴿حَصَبٌ جَهَنَّمَ أَشَدُّ لَهَا وَرْدُوتٌ﴾ [الأنبياء: ٩٨]. وقوله: ﴿تَكْبِكُوا فِيهَا هُمْ وَالْفَارُونَ﴾ قال مجاهد: يعني: قد هَوُوا فيها. وقال غيره: كَبِكُوا فيها، والكاف مكررة، والمراد: أنه أُلْقِيَ بعضهم على بعض؛ من الكفار وقادهم الذين دعواهم إلى الشرك ﴿وَحُودٌ يُدْعَوْنَ﴾ أي: أُلْفُوا فيها عن آخرهم. ﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾ تَالَّهُ إِنْ كُنَّا لِنَيِّضَكَ لِيٍّ ضَالِكٍ تَبَيَّنَ ﴿١٧٣﴾ إِذْ سُورِكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي: يقول الضمعاء للذين استكبروا: ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَمَا كُنَّا بِمُشْفِقِينَ﴾ عَنَّا فَيَسْبِقُونَ النَّارَ﴾ [غافر: ٤٧]. ويقولون وقد عادوا على أنفسهم باللاما: ﴿تَاللهِ إِنْ كُنَّا لِنَيِّضَكَ لِيٍّ ضَالِكٍ تَبَيَّنَ﴾ ﴿١٧٤﴾ إِذْ سُورِكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي: نجعل أَمْرَكُم مطاعاً كما يُطَاع أمر رب العالمين، وعبدناكم مع رب العالمين.

﴿وَمَا أَصَلْنَا إِلَّا الْمُشْرِكِينَ﴾ أي: ما دعانا إلى ذلك إلا المجرمون، ﴿فَمَا نَا مِنْ شَيْعِينَ﴾ قال بعضهم: يعني من الملائكة. ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَرِيمٍ﴾ أي: قريب. قال قتادة: يعلمون -الله- أن الصديق إذا كان صالحاً نَفَعَ، وأن الحميم إذا كان صالحاً شَفَعَ.

﴿فَلَوْ أَنَّا كُنَّا كَرَّةً فَتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾؛ وذلك أنهم يتمنون أنهم يُرَدُّونَ إلى الدار الدنيا ليعملوا بطاعة ربهم -فبما يزعمون- وهو سبحانه وتعالى يعلم أنه لو رُدُّهُم إلى الدار الدنيا ﴿لَعَادُوا لِمَا هُوَ أَعْتَدَ لَهُمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا﴾ [الأنعام: ٢٨]. وقد أخبر تعالى عن تخاصم أهل النار في سورة «ص»، ثم قال: ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ [ص: ٦٤].

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ أي: إن في حجة إبراهيم لقومه وإقامته الحجج عليهم في التوحيد آية ودلالة واضحة جلية على أنه لا إله إلا الله، ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٧٥﴾ وَلَئِنْ رَأَوْهُمُ الْقُرْبَىٰ الرَّحِيمَ﴾.

الآية (١٠٥-١١٠): هذا إخبار من الله ﷻ عن عبده ورسوله نوح عليه السلام، وهو أول رسول بعثه الله إلى الأرض بعدما عُبِدَت الأصنام والأنداد؛ بعثه الله ناهياً عن ذلك، ومُحَذِّراً من وَيْبِلِ عِقَابِهِ، فَكَذَّبَهُ قومه واستمروا على ما هم عليه من الفِعال الخبيثة في عبادتهم أصنامهم مع الله تعالى، ونَزَلَ الله تعالى تكذيبهم له منزلة تكذيبهم جميع الرسل، ولهذا قال: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ أي: ألا تخافون الله في عبادتكم غيره؟! ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ﴾ من الله إليكم، ﴿أَمِينٌ﴾ فيما يَبْتَغِي به؛ أبلغكم رسالة الله لا أزيد فيها ولا أُنْقِصُ منها، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ ﴿١٠٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا عَلَىٰ رِبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي: لا أطلب منكم جزاء على نصحي لكم، بل أَدْخِرُ ثواب ذلك عند الله. ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ فقد وَصَحَ لكم وبأن صدقي ونصحي وأمانتي فيما يَبْتَغِي الله به واتممتي عليه.

الآية (١١١): يقولون: لا نُؤْمِنُ لك ولا نَبْتَغِيكَ، وتأسى في ذلك بهؤلاء الأردلين الذين اتَّبَعُواكَ وَصَدَّقُواكَ، وهم أراذلنا؛ ولهذا قالوا: ﴿أَتُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذِلُونَ﴾؟!

الآية (٨٤-٨٩): ﴿وَأَتَعَلَّىٰ لِي لِسَانُ صَدِيقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ أي: واجمل لي ذكراً جبلاً بعدي أَذْكَرُ به، ويُقْتَدَى بي في الخير. قال مجاهد وفتادة: ﴿لِسَانُ صَدِيقٍ﴾ يعني: الشاء الحسن. قال مجاهد: وهو كقولہ تعالى: ﴿وَمَا يَنْتَهِي فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَيَنْتَهِي فِي الْآخِرَةِ لِيَنَّ الصَّالِحِينَ﴾ [النحل: ١٢٢]. قال لَيْث بن أَبِي سَلِيم: كل ملة تُحِبُّهُ وتَتَوَلَّاهُ. وكذا قال عكرمة. وقوله: ﴿وَأَجْعَلَنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ أي: أُنْجِمْ عَلَيَّ في الدنيا ببقاء الذكر الجميل بعدي، وفي الآخرة بأن تجعلني من ورثة جنة النعيم وقوله: ﴿وَأَغْفِرْ لِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ كقوله: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾ [إبراهيم: ٤١]، وهذا مما رَجَعَ عنه إبراهيم عليه السلام، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ أَسْطَفَاءُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَأَ مِنْهُ﴾ [التوبة: ١١٤].

وقوله: ﴿وَلَا تُخْزِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ أي: أجزني من الخزي يوم القيامة يوم يُبْعَثُ الخلائق أولهم وآخرهم. عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «يلقى إبراهيم أباه أَرَزَّ يوم القيامة، وعلى وجه أَرَزَّ قَرَّةً وَغَبَرَةً، فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك: لا تَعْصِيَنِي؟! فيقول أبوه: فاليوم لا أَغْصِيكَ. فيقول إبراهيم: يا رب، إنك وَعَدْتَنِي أَلَّا تُخْزِيَنِي يوم يبعثون، فأني خِزِي أَخْزَى من أبي الأبعد؟! فيقول الله تعالى: إِنِّي حَرَمْتُ الْجَنَّةَ عَلَى الْكَافِرِينَ. ثم يقول: يا إبراهيم، ما نَحَتْ رجلِك؟ فينظر فإذا هو بِذِيخٍ مُتَلَطِّعٍ، فيؤْخَذُ بِقُرَائِمِهِ فيُلْقَى في النار» [رواه البخاري]. والذبيخ: هو الذَّكَرُ من الضَّيَّاع، كأنه حَوْلَ أَرَزَّ إلى صورة ذبيخ مُتَلَطِّعٍ بَعْدَ زَوْرِهِ، فيُلْقَى في النار كذلك.

وقوله: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ أي: لا يَبْقَى المرء من عذاب الله ماله، ولو افتدى بملء الأرض ذهباً، ﴿وَلَا بَنُونَ﴾ ولو افتدى بمن في الأرض جميعاً، ولا يَنْفَعُ يومئذٍ إلا الإِيْمَانُ بالله، وإخلاص الدين له، والتَّبَرُّيُّ من الشرك؛ ولهذا قال: ﴿إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ أي: سالم من الدُّنَسِ والشُّرْكِ. قال محمد بن سيرين: القلب السليم أن يَعْلَمَ أن الله حقٌّ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور. وقال ابن عباس: يعني: يشهد أن لا إله إلا الله. وقال مجاهد والحسن وغيرهما: ﴿بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ يعني: من الشرك. وقال سعيد بن المسيب: القلب السليم: هو القلب الصحيح، وهو قلب المؤمن؛ لأن قلب الكافر والمنافق مريض. وقال أبو عثمان النيسابوري: هو القلب الحالي من البدعة، المطمئن إلى السنة.

الآية (٩٠-١٠٤): ﴿وَأَرْزُقْ لِحَبَّةٍ﴾ أي: قُرْبَتِ الجنة وأُذِنَتْ من أهلها مُزْخَرَةٌ مَزِينَةٌ لناظرها، وهم المتقون الذين رَغِبُوا فيها على ما في الدنيا، وعَمِلُوا لها في الدنيا. قوله: ﴿وَرَزَقْنَا الْجَبْحَمَ لِنَاقِيْنَ﴾ أي: أَظْهَرْتُ وكُشِفَتْ عنها، وبَكَدَتْ منها عُقٌّ، فَزُقِرَتْ زُقَرَةً بَلَغَتْ منها القلوب الحناجر، وقيل لأهلها تقرباً وتوبيخاً: ﴿إِنَّ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ ﴿٩٠﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَصُّوْنَهُ أَوْ يَنْصُرُونَهُ؟ أي: ليست الآلهة التي عبدتموها من دون الله -من تلك الأصنام والأنداد- تُغْنِي عنكم اليوم

﴿إِنْ حَسِبْتُمْ إِلَّا عَلَىٰ رِءُوسِ نَفْسٍ لَّو تَسْمَعُونَ﴾ ﴿١٧﴾ وَمَا أَطَاعِدَ الْأَنْفُسِينَ ﴿١٨﴾ كَانَهُمْ سَالُوا مِنْهُ أَنْ يُبْعِدَهُمْ عَنْهُ لِيُتَابَعُوهُ، فَأَبَىٰ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ، وَقَالَ: ﴿وَمَا أَتَا بِطَارِدَ الْأَنْفُسِينَ﴾ ﴿١٩﴾ إِنَّ أَتَا إِلَّا لَنَبِّئَنَّهُنَّ ﴿٢٠﴾ أَيُّ: إِنَّمَا يُبْعَثُ نَذِيرًا، فَمَنْ أَطَاعَنِي وَاتَّبَعَنِي وَصَدَّقَنِي كَانَ مِنِّي وَكُنْتُ مِنْهُ، سَوَاءٌ كَانَ شَرِيفًا أَوْ وَضِيعًا، أَوْ جَلِيلًا أَوْ حَقِيرًا.

وقال ههنا: ﴿فَأَعْيِنَهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفَلَاحِ الشَّحُونُ﴾ ﴿١٣٨﴾ ثُمَّ أَفْرَقْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ ﴿١٣٩﴾ والمشحون: هو المملوء بالامتنعة والأزواج التي تحمّل فيه من كلّ زوجين اثنين، أي: أنجبنا نوحاً ومن اتبعه كلّهم، وأفرقنا من كفر به وخالف امره، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٤٠﴾ وَلَئِنْ رَأَيْتَ لَهَوَ الْبَعْرِ الرِّجِيمَ ﴿١٤١﴾.

﴿فَتَشْتَوُونَ﴾ وإنا تفعلون ذلك عِبَتًا لا للاحتياج إليه، بل لمجرد اللعب واللهو وإظهار القوة؛ ولهذا أنكر عليهم نَبِيَهُمْ عَلَيْهِ السَّلَام ذلك؛ لأنه تضييع للزمان وإتعاث للأبدان في غير فائدة، واشتغال بها لا

الآية (١٣٦): يقول تعالى مخبراً عن جواب قوم هود له، بعدما سَلَّوْهُمْ وَأَنْذَرَهُمْ، وَرَفَعَهُمْ وَزَجَّيْنَاهُمْ، وَيَنْ لَّهُمْ الْحَقُّ وَوَضَّحَهُ: ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أُعْطِيَ أَمْ لَمْ تُنْكُنْ مِنَ الْوَارِثِينَ﴾ أي: لا نرجع عما نحن فيه، ﴿وَمَا نَحْنُ بِسَارِكِي آلِهِمْ أَعَنْ قَوْلَكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (هود: ٥٣). وهكذا الأمر؛ فإن الله تعالى قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنْذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَيْهِمْ كَذِبٌ كَرِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٤]، ﴿وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى رَأَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ (يونس: ٩٦-٩٧).

﴿فَتَشْتَوُونَ﴾ وإنا تفعلون ذلك عِبَتًا لا للاحتياج إليه، بل لمجرد اللعب واللهو وإظهار القوة؛ ولهذا أنكر عليهم نَبِيَهُمْ عَلَيْهِ السَّلَام ذلك؛ لأنه تضييع للزمان وإتعاث للأبدان في غير فائدة، واشتغال بها لا



## الوقفات التدريبية

١ ﴿قَالَ وَمَا عَلَيَّ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾

قال نوح لقومه: وما علي بما كان أتباعي يعملون، إنما لي منهم ظاهر أمرهم دون باطنه، ولم أكلف علم باطنهم، وإنما كلفت الظاهر، فمن أظهر حسنا ظننت به حسنا، ومن أظهر سيئا ظننت به سيئا. يقول: إن حساب باطن أمرهم الذي خفي عني إلا على ربي لو تشعرون، فإنه يعلم سر أمرهم وعلايته. الطبري: ٣٧٠/١٩.

السؤال: الداعية مسؤول عن ظاهر أحوال الناس، وليس مكلفا بالعلم ببواطنهم، وضح ذلك من الآية.

٢ ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾

وكانهم طلبوا منه طرد الضعفاء كما طلبته قريش. (إن أنا إلا نذير مبين) يعنى: إن الله ما أرسلني أخص ذوي الفتن دون الفقراء، إنما أنا رسول أبلغكم ما أرسلت به، فمن أطاعني فذلك السعيد عند الله وإن كان فقيرا. القرطبي: ٥٣/١٦.

السؤال: هل الدعوة خاصة بالأغنياء؟ وضح ذلك من خلال الآية.

٣ ﴿أَتَتَّبِعُونَ كُلَّ رِيعٍ عَائِيَةٍ تَشْتُونَ﴾

ومقام الموعظة أوسع من مقام تغيير المنكر؛ فموعظة هود - عليه السلام - متوجهة إلى ما في نفوسهم من الأدواء الروحية، وليس في موعظته أمر بتغيير ما بثوه من العلامات ولا ما اتخذوه من المصانع. ابن عاشور: ١٦٦/١٩.

السؤال: هل أنكر هود - عليه السلام - على قومه بناء المباني؟

٤ ﴿أَتَتَّبِعُونَ كُلَّ رِيعٍ عَائِيَةٍ تَشْتُونَ﴾

دل توبيخه - عليه السلام - إياهم بما ذكر على استيلاء حب الدنيا والكبر على قلوبهم؛ حتى أخرجهم ذلك عن حد العبودية. الألوسي: ١٠٨/١٠.

السؤال: ما أثر المبالغة في حب الدنيا؟

٥ ﴿أَمَذَّكُمْ فَأَتَمَّرَ وَيَنَ﴾

ابتدا في تعداد النعم بذكر الأنعام؛ لأنها أجل نعمة على أهل ذلك البلد؛ لأن منها اقواتهم، ولباسهم، وعليها أسفارهم. ابن عاشور: ١٧٠/١٩.

السؤال: لماذا ابتدئ بذكر الأنعام في الآية الكريمة؟

٦ ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَارِثِينَ﴾

كانت عاد قد بلغوا مبلغا عظيما من البأس وعظم السلطان والتغلب على البلاد مما أشار قولهم: (من أشد منا قوة) (فصلت: ١٥) ... فطال عليهم الأمد، وتفتنوا في إرضاء الهوى، وأقبلوا على اللذات واشتد الغرور بأنفسهم فاضاعوا الجانب الأهم للإنسان وهو جانب الدين وزكاء النفس ... واستخفوا بجانب الله تعالى، واستحتموا الناصحين. ابن عاشور: ١٦٥/١٩.

السؤال: بين خطورة كثرة النعم على المجتمع الغافل عن ذكر الله.

٧ ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَارِثِينَ﴾

(قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الوارثين) كل ذلك عندنا سواء؛ لا نسمع منك، ولا نلوي على ما تقوله. القرطبي: ٥٩/١٦.

السؤال: بين حال قساة القلوب إذا وعظوا، وذكروا بالله تعالى.

قَالَ وَمَا عَلَيَّ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ٣٧٠ ﴿٣٧٠﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ٣٧١ ﴿٣٧١﴾ إِن أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ٣٧٢ ﴿٣٧٢﴾ قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَسْمُوحَ لَنَا كُفْرًا مِنَّا ٣٧٣ ﴿٣٧٣﴾ رَبِّ إِنَّا قَوْمٌ كَذِبُونَ ٣٧٤ ﴿٣٧٤﴾ فَأَفْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ٣٧٥ ﴿٣٧٥﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ٣٧٦ ﴿٣٧٦﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ ٣٧٧ ﴿٣٧٧﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ٣٧٨ ﴿٣٧٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهْوَ الْغَيْرِ الرَّجِيمِ ٣٧٩ ﴿٣٧٩﴾ عَادَ الْمُرْسَلِينَ ٣٨٠ ﴿٣٨٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ هُودٌ ٣٨١ ﴿٣٨١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ٣٨٢ ﴿٣٨٢﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ٣٨٣ ﴿٣٨٣﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِن أَجْرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ٣٨٤ ﴿٣٨٤﴾ أَتَتَّبِعُونَ كُلَّ رِيعٍ عَائِيَةٍ تَشْتُونَ ٣٨٥ ﴿٣٨٥﴾ وَتَتَخَذُونَ مِصْنَاعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلَدُونَ ٣٨٦ ﴿٣٨٦﴾ وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَرِيرِينَ ٣٨٧ ﴿٣٨٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ٣٨٨ ﴿٣٨٨﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ ٣٨٩ ﴿٣٨٩﴾ أَمَذَّكُمْ فَأَتَمَّرَ وَيَنَ ٣٩٠ ﴿٣٩٠﴾ وَحَتَّىٰ وَعْيُونِ ٣٩١ ﴿٣٩١﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ٣٩٢ ﴿٣٩٢﴾ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَارِثِينَ ٣٩٣ ﴿٣٩٣﴾

## معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
المرجومين	المقتولين رميا بالحجارة.
فافتح	احكم.
المشحون	المملوء بالناس، والدواب، والمتاع.
ريع	مكان مرتفع.
أيمه	بناء عاليا.
تعبثون	تسرفون منه فتسخرؤون من المارة.
مصانع	قصورا منيعة وخصوصا مشيدة.
أمدكم	أعطاكم وأنعم عليكم.
سواء علينا	يستوي عندنا.

## العمل بالآيات

١. اذهب إلى الضعفاء والفقراء الصالحين وجالسهم، وقدم لهم الهدايا، ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾
٢. ادع الله تعالى أن يهلك الظالمين بالظالمين، وأن يخرج المسلمين من بينهم سالمين، ﴿فَأَفْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.
٣. استمع إلى موعظة من المواعظ، وطبق ما سمعته، ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَارِثِينَ﴾.

## التوجيهات

١. الظلمة والطغاة إذا اعيتهم الحجج؛ لجأوا إلى القوة، ﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَسْمُوحَ لَنَا كُفْرًا مِنَّا﴾
٢. مشروعية طلب الفتح من الله عند اشتداد الظلم، ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّا قَوْمٌ كَذِبُونَ﴾
٣. ﴿فَأَفْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.
٤. لما كان صبر نوح طويلا كانت استجابة الله له سريعة، ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿ فَكَذَّبُوا فَأَهْلَكْنَاهُمْ ﴾ ١

قد بين سبب إهلاكه إياهم في غير موضع من القرآن؛ بأنه أرسل عليهم ريحا صرصرا عاتية؛ أي: ريحا شديدة الهبوب، ذات برد شديد جدا، فكان إهلاكهم من جنسهم، فإنهم كانوا أعتى شيء وأجبره، فسلط الله عليهم ما هو أعتى منهم، وأشد قوة. ابن كثير: ٣/٣٣١.

السؤال: (الجزء من جنس العمل) وضَّح هذه المقولة من خلال عقوبة عاد قوم هود.

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴾ ١

كذبوا صالحاً - عليه السلام - الذي جاء بالتوحيد الذي دعت إليه المرسلون؛ فكان تكذيبهم له تكذيباً لجميع. السعدي: ٥٩٦.

السؤال: كيف حصل من قوم ثمود التكذيب لجميع المرسلين؟

﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُكُمْ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ١

فتقولون: يمتنعنا من اتباعك، أنك تريد أخذ أموالنا، (إن أجري إلا على رب العالمين) أي: لا أطلب الثواب إلا منه. السعدي: ٥٩٦.

السؤال: ما علامة صدق أولياء الله الصادقين المذكورة في الآية؟

﴿ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هُمْ بِآمِنِينَ ﴾ ١

(اتركون): تخويف لهم معناه: اتطمعون أن تتركوا في النعم على كفركم. ابن جزي: ١٢/٢١.

السؤال: هل يستمر دوام الحال إذا اجتمع النعيم مع المعاصي في المجتمع؟

﴿ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هُمْ بِآمِنِينَ ﴾ ١

آمنين حال مبينة لبعض ما أجمله قوله: (في ما هاهنا)؛ وذلك تنبيه على نعمة عظيمة لا يدل عليها اسم الإشارة لأنها لا يشار إليها؛ وهي نعمة الأمن التي هي من أعظم النعم ولا يتذوق طعم النعم الأخرى إلا بها.

ابن عاشور: ١٩/١٧٥.

السؤال: لماذا كانت نعمة الأمن من النعم العظيمة؟

﴿ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾ ١

ولما كان (يفسدون) لا يناقني إصلاحهم أحيانا؛ أزدف بقوله تعالى: (ولا يصلحون) لبيان كمال إفسادهم، وأنه لم يخالطه إصلاح أصلا.

الألوسي: ١٠/١١٢.

السؤال: ما فائدة الجمع بين الوصف بالإفساد، وعدم الإصلاح؟

﴿ فَأَعَذَّاهُمُ الْعَذَابَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ ١

(فَعَزَّاهُمَا فَاصْبَحُوا نَادِمِينَ) أي: على عقربا لما يقنوا بالعذاب؛ وذلك أنه انظرهم ثلاثا فظهرت عليهم العلامة في كل يوم، وندموا ولم ينفعهم الندم عند معاينة العذاب. وقيل: لم ينفعهم الندم لأنهم لم يتوبوا.

القرطبي: ١٦/٦٧.

السؤال إلى: متى لا ينفع الندم صاحبه؟

إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿٣٨﴾ فَكَذَّبُوا فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلا تَتَّقُونَ ﴿٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿٤٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرَ اللَّهِ وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْغَالِيينَ ﴿٤٤﴾ أَنْتُمْ كُونَ فِي مَا هُمْ بِآمِنِينَ ﴿٤٥﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٦﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضْبٌ ﴿٤٧﴾ وَتَنْجُوتُ مِنَ الْجِبَالِ يَوْمَ تَقُورُ هَينَ ﴿٤٨﴾ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٤٩﴾ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٥٠﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿٥١﴾ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥٢﴾ قَالَ هَئِنَا نَاقَةٌ تَأْتِي تَرْبُوتُ وَتَكُ شَرْبُ يَوْمَ مَعْلُومٍ ﴿٥٣﴾ وَلَا تَمْسُوهَا يُسُوءَ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَظِيمٍ ﴿٥٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا تَدْمِينَ ﴿٥٥﴾ فَأَعَذَّاهُمُ الْعَذَابَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥٧﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
خُلُقٌ	دِينٌ، وَعَادَةٌ.
طَلْعُهَا هَضْبٌ	نَمْرُهَا يَنْعُغُ لَيْتَ نَضِيجٌ.
فَارِهِينَ	مَاهِرِينَ بِنَحْتِهَا أَشْرِينَ بِطَرِينِ.
الْمُسْرِفِينَ	الْمُتَمَادِينَ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ.
شَرْبٌ	نَصِيبٌ مِنَ الْمَاءِ.
فَعَقَرُوهَا	نَحَرُوهَا.

## ● العمل بالآيات

- أرسل رسالةً بالهاتف الجوال تذكر فيها الدعاة أن من أسباب نجاح دعوتهم إخلاصهم، وعدم إرادة الدنيا في دعوتهم، ﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُكُمْ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾.
- علم مسلماً بعض أذكار اليوم والليلة محتسباً في ذلك الأجر من الله، ﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُكُمْ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾.
- اكتب رسالةً تبين فيها خطر الكفار والمنافقين، ومظاهر إفسادهم في الأرض، ﴿ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ.

## ● التوجيهات

- لا تأبه باحتقار الكذابين وسخريتهم؛ فهذه حيلة الضعفاء الجاهلين، ﴿ إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴾.
- الأمانة شعار الرسل والدعاة الصادقين في كل الأمم والعصور، ﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾.
- التحذير من طاعة المشركين في الذنوب والمعاصي؛ لخطورة عاقبة طاعتهم، ﴿ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ.





الآية (١٦٠-١٦٤): يقول تعالى خبراً عن عبده ورسوله لوط عليه السلام، وهو: لوط بن هاران بن آزر، وهو ابن أخي إبراهيم الخليل عليه السلام، وكان الله تعالى قد بعثه إلى أمة عظيمة في حياة إبراهيم عليه السلام وكانوا يسكنون «سدوم» وأهلها التي أهلكها الله بها، وجعل مكانها بحيرة ممتنة خبيثة، وهي مشهورة ببلاد الغور، بناحية جبال البيت المقدس، فدعاهم إلى الله ﷻ، أن يعبدوه وحده لا شريك له، وأن يطيعوا رسولهم الذي بعثه الله إليهم، وتباهم عن معصية الله، وارتكاب ما كانوا قد ابتدعوه في العالم، مما لم يسبقهم أحد من الخلائق إلى فعله، من إتيان الذكران دون الإناث.

الآية (١٦٥-١٧٥): لَمَّا نَهَا هُمْ نَبِيَّ اللَّهِ عَنْ ارْتِكَابِ الْفَوَاحِشِ، وَغَشْيَانِهِمُ الذُّكُورَ، وَأَرْسَلَهُمْ إِلَى إِبْرَاهِيمَ نَسَائِهِمُ اللَّاتِي خَلَقَهُنَّ اللَّهُ لَهُمْ، مَا كَانَ جَوَابَهُمْ لَهُ إِلَّا أَنْ قَالُوا: ﴿لَيْنَ لَرَسَنَهُ يَلُوطُ﴾ أَي: عَمَّا جِئْنَا بِهِ، ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ أَي: نَفِيكَ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرْنَا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَفَرِحُوا بِمَا لُوطُ مِنْ قَرِينَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْفُسُ يَنْطَهَرُونَ﴾ [النمل: ٥٦]، فَلَمَّا رَأَى أَنَّهُمْ لَا يَرْتَدِعُونَ عَمَّا هُمْ فِيهِ، وَأَنَّهُمْ مُسْتَمِرُّونَ عَلَى ضَلَالَتِهِمْ، تَبَرَّأَ مِنْهُمْ، وَقَالَ: ﴿إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ﴾ أَي: الْمُبْغِضِينَ، لَا أَجِبُهُ وَلَا أَرْضَى بِهِ؛ فَأَنَّا بَرِيءٌ مِنْكُمْ.

الآية (١٧٦-١٨٠): رَبِّ يَحْنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾ أَي: كُلَّهُمْ ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَدِيرِ﴾ وهي امرأته، وكانت عجوز سوء بقيت فهلكت مع من بقي من قومها، حين أمره الله أن يسري بأهله إلا امرأته، وأنهم لا يلتفتون إذا سمعوا الصيحة حين تنزل على قومه، فصبروا لأمر الله واستمروا، وأنزل الله على أولئك العذاب الذي عمَّ جميعهم، وأمطر عليهم حجارة من سجيل منضود؛ ولهذا قال: ﴿ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَلَيْنَ رَبِّكَ لَمَّا الْمَرْيُومُ الرَّجِيمُ﴾.

الآية (١٨١-١٨٣): أصحاب الأيكة: هم أهل مدين على الصحيح. وكان نبي الله شعيب من أنفسهم، وإنما لم يُقَلَّ هنا «أخوهم شعيب»؛ لأنهم نُسبوا إلى عبادة الأيكة، وهي شجرة. وقيل: شجر مُلْتَفٌّ كالغصية، كانوا يعبدونها؛ فلهذا لَمَّا قَالَ: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ﴾ لَمْ يَقُلْ: «إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ شُعَيْبٌ»، وَإِنَّمَا قَالَ: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ﴾، فَقَطَعَ نِسْبَةَ الْأَخُوَّةِ بَيْنَهُمْ؛ لِلْمَعْنَى الَّذِي نُسبُوا إِلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ أَخَاهُمْ نَسَبًا. وَمِنَ النَّاسِ مَنْ لَمْ يَفْطَنْ لَهُذِ النُّكْتَةِ، فَظَنَّ أَنَّ أَصْحَابَ الْأَيْكَةِ غَيْرُ أَهْلِ مَدِينٍ، فَزَعَمَ أَنَّ شُعَيْبًا عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى أَهْلَيْنِ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: ثَلَاثُ أُمَمٍ.

والصحيح أنهم أمة واحدة، وُصِفُوا فِي كُلِّ مَقَامٍ بِشَيْءٍ؛ وَهَذَا وَعَظٌ هُوَ لَا وَأَمَرَهُمْ بِوَفَاءِ الْمَكْيَالِ وَالْمِيزَانِ، كَمَا فِي قِصَّةِ مَدِينِ سَوَاءٍ بِسَوَاءٍ، فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّهُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ.

الآية (١٨١-١٨٣): يأمرهم عليه السلام بإيفاء المكيال والميزان، وينهاهم عن التطفيف فيها، فقال: ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾ أَي: إِذَا دَفَعْتُمْ إِلَى النَّاسِ فَكَمَلُوا الْكَيْلَ لَهُمْ، وَلَا تَبَخَسُوا الْكَيْلَ فَتَقْطَعُوهُ نَاقِصًا، وَتَأْخُذُوهُ - إِذَا كَانَ لَكُمْ - نَاقِصًا وَافِيًا، وَلَكِنْ خُذُوا كَمَا تُعْطُونَ، وَأَعْطُوا كَمَا تَأْخُذُونَ.

﴿وَرِنُّهُمَا بِالْقَيْسِطِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ وَالْقَيْسِطُ هُوَ: الْمِيزَانُ، وَقِيلَ: الْقَبَانُ. وَقَالَ قَتَادَةُ: الْقَيْسِطُ: الْعَدْلُ.

وقوله: ﴿وَلَا تَبَخَسُوا نَاسًا أَشْيَاءَهُمْ﴾ أَي: تَنْقُصُوهُمْ أُمُورَهُمْ، ﴿وَلَا تَقْتُلُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ يَعْنِي: قَطْعَ الطَّرِيقِ، كَمَا فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُؤْتِيهِمْ﴾ [الأعراف: ٨٦].

ثم دعا الله عليهم فقال: ﴿رَبِّ يَحْنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾ أَي: كُلَّهُمْ ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَدِيرِ﴾ وهي امرأته، وكانت عجوز سوء بقيت فهلكت مع من بقي من قومها، حين أمره الله أن يسري بأهله إلا امرأته، وأنهم لا يلتفتون إذا سمعوا الصيحة حين تنزل على قومه، فصبروا لأمر الله واستمروا، وأنزل الله على أولئك العذاب الذي عمَّ جميعهم، وأمطر عليهم حجارة من سجيل منضود؛ ولهذا قال: ﴿ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَلَيْنَ رَبِّكَ لَمَّا الْمَرْيُومُ الرَّجِيمُ﴾.

الآية (١٨٠-١٧٦): أصحاب الأيكة: هم أهل مدين على الصحيح. وكان نبي الله شعيب من أنفسهم، وإنما لم يُقَلَّ هنا «أخوهم شعيب»؛ لأنهم نُسبوا إلى عبادة الأيكة، وهي شجرة. وقيل: شجر مُلْتَفٌّ كالغصية، كانوا يعبدونها؛ فلهذا لَمَّا قَالَ: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ﴾ لَمْ يَقُلْ: «إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ شُعَيْبٌ»، وَإِنَّمَا قَالَ: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ﴾، فَقَطَعَ نِسْبَةَ الْأَخُوَّةِ بَيْنَهُمْ؛ لِلْمَعْنَى الَّذِي نُسبُوا إِلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ أَخَاهُمْ نَسَبًا. وَمِنَ النَّاسِ مَنْ لَمْ يَفْطَنْ لَهُذِ النُّكْتَةِ، فَظَنَّ أَنَّ أَصْحَابَ الْأَيْكَةِ غَيْرُ أَهْلِ مَدِينٍ، فَزَعَمَ أَنَّ شُعَيْبًا عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى أَهْلَيْنِ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: ثَلَاثُ أُمَمٍ.

والصحيح أنهم أمة واحدة، وُصِفُوا فِي كُلِّ مَقَامٍ بِشَيْءٍ؛ وَهَذَا وَعَظٌ هُوَ لَا وَأَمَرَهُمْ بِوَفَاءِ الْمَكْيَالِ وَالْمِيزَانِ، كَمَا فِي قِصَّةِ مَدِينِ سَوَاءٍ بِسَوَاءٍ، فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّهُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ.

الآية (١٧٦-١٨٠): رَبِّ يَحْنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾ أَي: كُلَّهُمْ ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَدِيرِ﴾ وهي امرأته، وكانت عجوز سوء بقيت فهلكت مع من بقي من قومها، حين أمره الله أن يسري بأهله إلا امرأته، وأنهم لا يلتفتون إذا سمعوا الصيحة حين تنزل على قومه، فصبروا لأمر الله واستمروا، وأنزل الله على أولئك العذاب الذي عمَّ جميعهم، وأمطر عليهم حجارة من سجيل منضود؛ ولهذا قال: ﴿ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَلَيْنَ رَبِّكَ لَمَّا الْمَرْيُومُ الرَّجِيمُ﴾.

الآية (١٨١-١٨٣): يأمرهم عليه السلام بإيفاء المكيال والميزان، وينهاهم عن التطفيف فيها، فقال: ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾ أَي: إِذَا دَفَعْتُمْ إِلَى النَّاسِ فَكَمَلُوا الْكَيْلَ لَهُمْ، وَلَا تَبَخَسُوا الْكَيْلَ فَتَقْطَعُوهُ نَاقِصًا، وَتَأْخُذُوهُ - إِذَا كَانَ لَكُمْ - نَاقِصًا وَافِيًا، وَلَكِنْ خُذُوا كَمَا تُعْطُونَ، وَأَعْطُوا كَمَا تَأْخُذُونَ.

﴿وَرِنُّهُمَا بِالْقَيْسِطِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ وَالْقَيْسِطُ هُوَ: الْمِيزَانُ، وَقِيلَ: الْقَبَانُ. وَقَالَ قَتَادَةُ: الْقَيْسِطُ: الْعَدْلُ.

وقوله: ﴿وَلَا تَبَخَسُوا نَاسًا أَشْيَاءَهُمْ﴾ أَي: تَنْقُصُوهُمْ أُمُورَهُمْ، ﴿وَلَا تَقْتُلُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ يَعْنِي: قَطْعَ الطَّرِيقِ، كَمَا فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُؤْتِيهِمْ﴾ [الأعراف: ٨٦].



## الوقفات التدرية

﴿تَأْتُونَ الذِّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾

والمعنى: (تأتون الذكور) مخالفتين جميع العالمين من الأنواع التي فيها ذكور وإناث؛ فإنها لا يوجد فيها ما يأتي الذكور. فهذا تنبيه على أن هذا الفعل الفضيل مخالف للفطرة، لا يقع من الحيوان العجم، فهو عمل ابتدعه ما فعله غيرهم. ابن عاشور: ١٩/١٧٩.

السؤال: كيف بينت الآية الكريمة فطاعة عمل قوم لوط؟

﴿قَالُوا لَيْنَ لَرْتَنَّهُ يَكُونُ لَكُونُ مِنَ الْمُحْسِرِينَ﴾

قالوا كما قال من قبلهم: تشابهت قلوبهم في الكفر فتشابهت أقوالهم. السعدي: ٥٩٦.

السؤال: على ماذا يدل تشابه الأقوال بين المجرمين قديما وحديثا؟

﴿قَالَ إِنِّي لَعَلَّكُمْ مِنَ الْغَالِينَ﴾

قال لوط عليه السلام: (إني لعلمكم من الغالين)، والظلي: بغضه وهجره، والأنبياء أولياء الله؛ يحبون ما يحب، ويبغضون ما يبغض. ابن تيمية: ٤٩/٥.

السؤال: بين من الآية صفة من أهم صفات أولياء الله.

﴿رَبِّ يَحْيَى وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾

(رب يحيى وأهلي مما يعملون) أي: من عذاب عملهم؛ دعا الله لما ليس من إيمانهم ألا يصيبه من عذابهم. القرطبي: ١٦/٦٩.

السؤال: بين شدة خوف نبي الله لوط - عليه السلام - من نزول العذاب.

﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾

(ألا عجوزا) وهي امراته، كائنات (في) حكم (الغابرين) أي: لماكثرين الذين تلحقهم الخبرة بما يكون من الداهية؛ فإننا لن أنجيناها لقضائنا بذلك في الأول؛ تكونها لم يتابعه في الدين، وكان هواها مع قومها. الباقعي: ٨٣/١٤.

السؤال: صلة الدين أقوى من صلة النسب، وضع ذلك من الآية.

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾

﴿قَالَ لَيْنَ لَرْتَنَّهُ يَكُونُ لَكُونُ مِنَ الْمُحْسِرِينَ﴾

وإنما كانت دعوة هؤلاء الأنبياء كلهم فيما حكي الله عنهم على صيغة واحدة لاتفاقهم على الأمر بالتقوى والطاعة والإخلاص في العبادة، والامتناع من أخذ الأجر على الدعوة، وتبليغ الرسالة. البغوي: ٣/٣٧١.

السؤال: ما الصفات التي اشترك فيها الرسل - عليهم السلام - في دعوتهم؟

﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾

والمراد: الأمر بوفاء الوزن، وإتمامه، والنهي عن النقص دون النهي عن الزيادة، والظاهر أنه لم ينه عنها، ولم يؤمر بها في الكيل والوزن، وكان ذلك دليل على أن من فعلها فقد أحسن، ومن لم يفعلها فلا عليه. الأتوسي: ١١٧/١٠.

السؤال: ماذا يفيد السكوت عن الزيادة في الكيل والوزن؟

كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴿١٨﴾ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩﴾ أَتَأْتُونَ الذِّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٢١﴾ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿٢٢﴾ قَالُوا لَيْنَ لَرْتَنَّهُ يَكُونُ لَكُونُ مِنَ الْمُحْسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ إِنِّي لَعَلَّكُمْ مِنَ الْغَالِينَ ﴿٢٤﴾ رَبِّ يَحْيَى وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ فَجَنَّبْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿٢٧﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ ﴿٢٨﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا مُثَوِّسًا ﴿٢٩﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِنْ رَدَّكَ لَهُمْ الْعَزْزُ الرَّحِيمُ ﴿٣١﴾ كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٢﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿٣٤﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴿٣٥﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿٣٧﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطِ أَسْقَاتِ الْمُسْتَقِيرِ ﴿٣٨﴾ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٩﴾

## معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
عَادُونَ	مُتَجَاوِزُونَ مَا أَبَاحَهُ اللَّهُ لَكُمْ مِنَ الْحَلَالِ إِلَى الْحَرَامِ.
الْقَائِينَ	الْمُبْغِضِينَ لِعَمَلِكُمْ بَغْضًا شَدِيدًا.
الْغَابِرِينَ	الْبَاقِينَ فِي الْعَذَابِ.
أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ	أَسْحَابُ الْأَرْضِ ذَاتِ الشَّجَرِ الْمُلْتَفِّ، وَهُمْ قَوْمٌ شُعَيْبٍ.
الْمُخْسِرِينَ	النَّاصِينَ لِحُقُوقِ النَّاسِ.
بِالْقِسَاسِ	بِالْمِيزَانِ.

## العمل بالآيات

١. قل: اللهم كرهه إلى الكفر والفسوق والعصيان، ﴿تَأْتُونَ الذِّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ أَنْفُسَكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦﴾.
٢. أنه عن منكر ثم أرسل رسالته تبين فيها أنه إذا تساهلت الأمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر انتشر فيها الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف والعباد بالله، ﴿قَالُوا لَيْنَ لَرْتَنَّهُ يَكُونُ لَكُونُ مِنَ الْمُحْسِرِينَ﴾.
٣. اكتب كلمة: عن خطر التطفيف في الوزن، وعقوبته، ووزعها على الباعة الذين في حيك، ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾.

## التوجيهات

١. إذا عدت محبة الله في القلب فحدث ولا حرج عن انعدام الفطرة، ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ أَنْفُسَكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾.
٢. استجابة دعوة المظلوم: لاسيما إن كان من الصالحين، ﴿رَبِّ يَحْيَى وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ فَجَنَّبْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿٢٧﴾.
٣. توقع العذاب إذا انتشر الشر، وعظم الظلم والفساد، ﴿رَبِّ يَحْيَى وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

١ ﴿ فَاسِطَ عَلَيْنَا كَيْفَا مِّنَ السَّمَاءِ ﴾ ، ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُم عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ ﴾

هذا من جنس ما سألوهم من إسقاط الكسف عليهم؛ فإن الله سبحانه وتعالى جعل عقوبتهم أن أصابهم حر عظيم مدة سبعة أيام لا يكنهم منه شيء، ثم أقبلت إليهم سحبابة أظلمتهم، فجعلوا ينطلقون إليها، يستظلون بظلها من الحر، فلما اجتمعوا كلهم تحتها أرسل الله تعالى عليهم منها شراً من نار، ولهباً، ووهجاً عظيماً، ورجفت بهم الأرض، وجاءتهم صيحة عظيمة أزهقت أرواحهم. ابن كثير: ٣/٣٣٠.

السؤال: كان عذاب قوم شعيب من جنس ما سألوهم من العذاب، وضح ذلك.

١ ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾

فإن قيل: لم يكرر قوله: (إن في ذلك لآية) مع كل قصة؟ فالجواب: أن ذلك أبلغ في الاعتبار، وأشد تنبيهاً للقلوب، وأيضاً فإن كل قصة منها كانت كلام قائم مستقل بنفسه، فختمت بما ختمت به صاحبها. ابن جزي: ١٣٣/٢.

السؤال: ما الفائدة من تكرار قوله: (إن في ذلك لآية) وما كان أكثرهم مؤمنين) في كل مقطع من السورة؟

١ ﴿ وَلِلَّهِ لَنْزِيلُ رَبِّ الْمَالِكِينَ ﴾

فالذي أنزله فاطر الأرض والسموات، الربّي جميع العالم العلوي والسفلي، وكما أنه رايهم بهدايتهم لمصالح ديناهم وأبدانهم فإنه يربيههم أيضاً بهدايتهم لمصالح دينهم وأخراهم، ومن أعظم ما رايهم به: إنزال هذا الكتاب الكريم الذي اشتمل على الخير الكثير، والبر الغزير، وفيه من الهداية لمصالح الدارين والأخلاق الفاضلة ما ليس في غيره السعدي: ٥٩٧-٥٩٨.

السؤال: ما الفائدة من وصف الله في هذا الموضع بأنه رب المالكين؟

١ ﴿ وَلِلَّهِ لَنْزِيلُ رَبِّ الْمَالِكِينَ ﴾ ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴾ ﴿ عَلَى قَلْبِكَ لَتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴾ ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾

تأمل كيف اجتمعت هذه الفضائل الفاخرة في هذا الكتاب الكريم؛ فإنه أفضل الكتب، نزل به أفضل الملائكة، على أفضل الخلق، على أفضل بضفة فيه وهي قلبه، على أفضل أمة أخرجت للناس، بأفضل الألسنة وأفصحها وأوسعها؛ وهو اللسان العربي المبين. السعدي: ٥٩٨.

السؤال: تحدث عن الفضائل المجتمعة في هذا القرآن الكريم.

١ ﴿ أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ عَلَيْهِ أَنْ يَعْلمَهُ عِلْمُهُوايِ اسْمُ رَبِّكَ ﴾

فإن كل شيء يحصل به اشتباه يرجع فيه إلى أهل الخبرة والدراية، فيكون قولهم حجة على غيرهم؛ كما عرف السحرة الذين مهروا في علم السحر صدق معجزة موسى، وأنه ليس بسحر؛ فقول الجاهلين بعد هذا لا يؤبه به السعدي: ٥٩٨.

السؤال: لماذا خص علم علماء بني إسرائيل بأنه دليل كاف على صدق هذا القرآن؟

١ ﴿ فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ ﴾

أي: لنؤمن ونصدق؛ يتمنون الرجعة والنظرة. البغوي: ٣/٣٧٣.

السؤال: أي شيء يمتنى المكذب إذا نزل العذاب؟

١ ﴿ أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴾

المعنى: أن مدة إمهالهم لا تقني مع نزول العذاب بعدهما، وإن طالبت مدة سنين؛ لأن كل ما هوأت قريب. ابن جزي: ١٢٤/٢.

السؤال: هل يغني الإنسان طول العمر إن استمر على المعاصي؟

وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْحَيَلَةَ الْأُولَى ۝ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ۝ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ۝ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۝ قَالَ رَبِّ أَعْلَمْ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُم عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۝ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝ وَلَئِنَّ زَيْدَ لَمِنَ الْمُنْكَرِينَ ۝ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ۝ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ۝ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ۝ وَلَئِنَّ لَكَ لَأُولَى الْأُولَى ۝ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ۝ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ۝ كَذَلِكَ سَكَّنَهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ۝ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ۝ فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝ فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ ۝ أَفَعِدَّائِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ۝ أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ۝ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ۝

## ● معاني الكلمات

المعنى	الكلمة
الْخَلِيقَةِ وَالْأُمَمِ الْمَاضِينَ.	وَالْحَيَلَةَ
مَنْ أَصَابَهُمْ سِحْرٌ شَدِيدٌ، فَذَهَبَ بِمَقُولِهِمْ.	الْمُسَحَّرِينَ
قِطْعًا مِّنَ الْعَذَابِ.	كِسَفًا
سَحَابَةٌ أَظْلَمَتْهُمْ وَجَدُوا تَحْتَهَا بَرْدًا، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا أَحْرَقَتْهُمْ بِنَارِهَا.	الظُّلَّةِ
كُتِبَ الْأَنْبِيَاءِ السَّابِقِينَ.	زَيْدِ الْأُولَى
الَّذِينَ لَا يَتَكَلَّمُونَ الْعَرَبِيَّةَ.	الْأَعْجَمِينَ

## ● العمل بالآيات

١. اقرأ قصة قوم شعيب في أكثر من موضع من القرآن الكريم وتأمل ما فيها من فوائد، ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ﴾.
٢. اكتب رسالة تنصح فيها مسلماً بتذكيره بآية من آيات القرآن الكريم، ﴿ وَلِلَّهِ لَنْزِيلُ رَبِّ الْمَالِكِينَ ﴾ ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴾ ﴿ عَلَى قَلْبِكَ لَتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴾.
٣. ادرس متناً في اللغة العربية بنية تفهم كتاب الله تعالى، ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾.

## ● التوجيهات

١. انذر جساءك بما تحفظه وتفهمه من معاني القرآن الكريم، ﴿ لَتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴾.
٢. موت القلب يجعل المرء يستبعد وقوع العذاب عليه، ﴿ فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾.
٣. مهما كثر التمتع وطال الزمان، فليس ذلك ببعث للبعد عن الحساب والجزاء، ﴿ أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴾ ﴿ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾.

لا تأكله الأرض. ﴿عَلَّكَ لَيْكُونَ مِنَ السُّذِينَ﴾ أي: نزل به ملكٌ كريم أمين، ذو مكانة عند الله، مطاع في الملأ الأعلى، ﴿عَلَّكَ﴾ يا محمد، سالماً من الدُّنس والزيادة والنقص؛ ﴿لَيْكُونَ مِنَ السُّذِينَ﴾ أي: لئلا ينزل به بأس الله ونقمته على من خالفه وكذَّبه، وتُشر به المؤمنين السُّذِينَ له. وقوله: ﴿يَلْسَانُ عَرَبِيٍّ﴾ أي: هذا القرآن الذي أنزلناه إليك أنزلناه بلسانك العربي الفصيح الكامل الشامل، ليكون بيننا واضحاً ظاهرة، قاطعاً للذُّر، مُبَيِّناً للحُجَّة، دليلاً إلى المَحَجَّة.

الآية (١٩٦-١٩٩): يقول تعالى: وَإِنْ ذُكِّرَ هَذَا الْقُرْآنُ وَالتَّوْبَةُ بِهِ لَمْ وَجُودٌ فِي كُتُبِ الْأَوَّلِينَ الماثورة عن أنبيائهم الذين يَشْرُو به في قديم الدهر وحديثه، كما أَخَذَ اللهُ عليهم الميثاق بذلك، حتى قام آخرهم خطيئاً في ملته بالشارة بأحد: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَبَشِيرًا بِرَسُولِ اللَّهِ يَأْتِي مِنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَهْلٌ أَهْلَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الص: ٦٠]، والزُّبُر ههنا هي الكتب، وهي جمع زُبُرَة، وكذلك الزُّبُور، وهو كتاب داود. وقال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ مَقْلُوفٌ أَزْجَرٌ﴾ [الفر: ٥٢] أي: مكتوب عليهم في صُحُف الملائكة.

ثم قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَتُنَا بِإِشْرَارِكِ﴾ أي: أوليس يكفيهم من الشاهد الصادق على ذلك: أن العلماء من بني إسرائيل يجذون ذُكْرَ هذا القرآن في كُتُبهم التي يدرسونها؟! والمراد: العدول منهم، الذين يعرفون بها في أيديهم من صفة محمد ﷺ ومبعثه وأمته، كما أَخْبَرَ بذلك مَنْ آمَنَ منهم؛ كعبد الله بن سلام، وسليمان الفارسي، عَمَّنْ أَذْكُرُهُ منهم ومن شاكلهم. وقال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوزَةً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

ثم قال تعالى خبراً عن شِدَّةِ كُفْرِ قريش وعنادهم لهذا القرآن؛ أنه لو أنزل عليه رجل من الأعاجم، مَن لا يدري من العربية كلمة، وأنزل عليه هذا الكتاب ببَيان وفصاحته، لا يؤمنون به؛ ولهذا قال: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ﴾ (١٨٤) فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿كَمَا أَخْبَرَ عَنْهُمْ فِي آيَةِ الْآخِرَى: ﴿إِنَّ الْأَوَّلِينَ كَفَرُوا عَلَيْهِمْ كَيْفَ زَكَّاهُ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١٨٥) وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ بِرُؤُوسِ الْعُلَاقِ الْأَلْيَةِ﴾ [يونس: ٩٦-٩٧].

الآية (٢٠٠-٢٠٦): يقول تعالى: كُلُّك سَلَكْنَا التَّكْذِيبَ والكفر والجحود والعناد، أي: أدخلناه ﴿فِي قُلُوبِ الْمُتَجَرِّبِينَ﴾.

﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ أي: بالحق ﴿حَتَّى يَبْرُؤَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ﴾ أي: حيث ﴿لَا يَنْفَعُ الْقَلِيلِينَ مَذْرَعُهُمْ وَلَهُمُ الْعَذَابُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [عافر: ٥٢]. ﴿فَيَأْتِيهِمْ بَغْةٌ﴾ أي: عذاب الله بغْةٌ ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (٢٠١) فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ؟ أي: يَتَسَوَّوْنَ حين يُشَاهَدُونَ العذاب أن لو أنظروا قليلاً ليعلموا بطاعة الله، فكل ظالم وفاجر وكافر إذا شَاهد عقوبته، نَدِمَ نَدَمًا شديداً.

﴿أَفَمَعَالِإِذَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ إنكارٌ عليهم، وتهديد لهم؛ فإنهم كانوا يقولون للرسول تكذيباً واستبعاداً: ﴿أَنَّا نَبْغِ الْعَذَابَ اللَّهِ﴾ [النكبت: ٢٩]، كما قال تعالى: ﴿وَمَسْتَعْجِلُونَا بِالْعَذَابِ﴾ [النكبت: ٥٣]. ثم قال: ﴿أَفَسَوْفَ يَكُنْ مُنْغَشَّرِينَ﴾ (٢٠٢) فَرَجَاهُمْ مَا كَانُوا يوعَدُونَ.

الآية (١٨٤): ﴿وَأَنقَرُوا الَّذِي خَلَقْتُمْ وَالْجِلَّةَ الْأَوَّلِينَ﴾ يُجَوِّفُهُمْ بِأَسَ اللهِ الذي خَلَقَهُمْ وَخَلَقَ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ. قال ابن عباس ومجاهد: ﴿وَالْجِلَّةَ الْأَوَّلِينَ﴾ يقول: خلق الأولين.

الآية (١٨٥-١٩١): يخبر تعالى عن جواب قومه له بمثل ما أجاب به ثمود لرسولها؛ حيث قالوا: ﴿إِنَّا أَنْتَ مِنَ الْمُسْحَرِينَ﴾ يعنون: من المسحورين، ﴿وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَطَّلُكَ لَيَنْ الْكَذِبِينَ﴾ أي: نَعْتَمِدُ الْكَذِبَ فيها نقوله، لا أن الله أرسلك إلينا.

﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ قال الضحاك: جانباً من السماء. وقال قتادة: قِطْعًا من السماء. وقال السدي: عَذَابًا من السماء. ﴿قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ يقول: الله أعلم بكم، فإن كنتم تستحقون ذلك جزاكم به غير ظالم لكم، وكذلك وَقَعَ بهم كما سألوهم، جزاءً وفاءً؛ ولهذا قال تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يُؤَبِّرُ الْآلُفَّ إِنَّهُ كَانَ عَذَابٌ يُؤَبِّرُ عَظِيمٌ﴾ وهذا من جنس ما سألوهم من إسقاط الكسِف عليهم؛ فإن الله سبحانه وتعالى جعل عُقُوبَتَهُمْ أَنْ أَصَابَهُمْ حَرٌّ شَدِيدٌ جَدًّا مُدَّةَ سبعة أيام لا يُكَيِّفُهُمْ منه شيء، ثم أَقْبَلَتْ إِلَيْهِمْ سَحَابَةٌ أَظْلَمَتْهُمْ، فَجَعَلُوا يَطْلُقُونَ إِلَيْهَا يَسْتَظِلُّونَ بِظِلِّهَا مِنَ الْحَرِّ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا نَحْتَهَا أَرْسَلَ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ مِنْهَا شَرَارًا مِنْ نَارٍ، وَلَهَا وَوَهَجًا عَظِيمًا، وَرَجَفَتْ بِهِمُ الْأَرْضُ، وَجَاءَهُمْ صَيْحَةٌ عَظِيمَةٌ أَرْهَقَتْ أرواحهم؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَذَابٌ يُؤَبِّرُ عَظِيمٌ﴾؛ وقد ذكر الله تعالى صفة إهلاكهم في ثلاثة مواطن، كل موطن بصفة تناسب ذلك السياق؛ ففي الأعراف ذكر أنهم أخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين؛ وذلك لأنهم قالوا: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَعْصِييُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَنَعْرُدَّنَّ فِي يَلِينَا﴾ [الأعراف: ٨٨]، فأرجفوا بني الله ومن اتبعه، فأخذتهم الرجفة. وفي سورة هود قال: ﴿وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾ [هود: ٩٤] وذلك لأنهم استهزؤوا بني الله في قولهم: ﴿أَصَلُّوْنَاكَ تَأْمُرُنَا أَنْ تَنْقُرَ مَا يَعْجِدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَإِلَ مَا دَشَّنُوْنَا إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيلُ الرَّشِيدُ﴾ [هود: ٨٧]. قالوا ذلك على سبيل التَّهْكُمِ والازدراء، فناسب أن تأتيهم صيحة تُنَكِّفُهُمْ. وههنا قالوا: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ على وجه التَّعْتِيبِ والعناد، فناسب أن يُخَيَّرَ عليهم ما استبعدوا وقوعه: ﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يُؤَبِّرُ الْآلُفَّ إِنَّهُ كَانَ عَذَابٌ يُؤَبِّرُ عَظِيمٌ﴾ (١٨٥) إِنَّ فِي ذَلِكَ آيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ.

﴿وَلَنْ يَكُنَّ لَكَ الْغَرِيْبُ﴾ في انتقامه من الكافرين. ﴿الرَّحِيمُ﴾ بعباده المؤمنين.

الآية (١٩٢-١٩٥): يقول تعالى خبراً عن الكتاب الذي أنزله على عبده ورسوله محمد ﷺ: ﴿وَلَهُ﴾ أي: القرآن -الذي تقدَّم ذكره في أول السورة في قوله: ﴿وَمَا بَالِيَهُمْ بَيْنَ ذِكْرِي مِنَ الرِّبِّ مَحْذَرًا لَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ [الشعراء: ٥]- ﴿لَنَنْزِلَ رَبِّي الْكَافِرِينَ﴾ أي: أنزل الله عليك وأوحاه إليك، ﴿نَزَّلَ بِهِ الرُّوحَ الْأَمِينُ﴾ وهو جبريل عليه السلام، قاله غير واحد من السلف: ابن عباس ومحمد بن كعب و قتادة وعطية العوفي والسدي والضحاك والزهري وابن جريج. وهذا ما لا نزاع فيه. قال الزهري: وهذه كقوله: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٩٧]. وقال مجاهد: من كلمة الرُّوحِ الْأَمِينِ

الآية (٢٢١-٢٢٧): ﴿هَلْ أَتَيْتُكُمْ﴾ أي: أخيركم ﴿عَلَىٰ مَنْ تَزَلَّ الشَّيْطَانُ﴾ (٣) تَزَلَّ عَلَىٰ أَقَالِي أُبَيَّرُ أي: كذوب في قوله، وهو الأفاك. «أُبَيَّرُ» أي: الفاجر في أفعاله. فهذا هو الذي تَزَلَّ عليه الشياطين؛ كالكهَّان وما جَرَى مجراهم من الكذبة الفسقة؛ فإن الشياطين أيضًا كذبة فسقة. ﴿يُتَفَوَّرُ السَّمْعُ﴾ أي: يسترقون السمع من السماء، فيسمعون الكلمة من علم الغيب، فيزيدون معها مائة كذبة، ثم يُلقَوْنَهَا إلى أوليائهم من الإنس فيَحَدِّثُون بها، فيُصدِّقُهم الناس في كل ما قالوه، بسبب صدقهم في تلك الكلمة التي سَمِعَتْ من السماء؛ كما روى البخاري عن عائشة قالت: سأل ناس النبي ﷺ عن الكهان، فقال: «إنهم ليسوا بشيء». قالوا: يا رسول الله، فإنهم يحدِّثون بالشئ يكون حقًا فقال النبي ﷺ: «تلك الكلمة من الحق يحفظها الجني، فيقرؤها في أذن وليه تقررقة الدجاجة، فيخلطون معها أكثر من مائة كذبة».

﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْفَأْوَنُ﴾ قال ابن عباس: يعني: الكفار يتبعهم ضلَّالُ الإنس والجن. وكذا قال مجاهد وعبد الرحمن بن زيد وغيرهما. وقال عكرمة: كان الشاعران يتهاجَّيان، فيتصغر لهذا فتأم من الناس، ولهذا فتأم من الناس، فأنزل الله: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْفَأْوَنُ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ قال ابن عباس: في كل لغو بخوضون. وقال الضحاك عن ابن عباس: في كل فن من الكلام. وكذا قال مجاهد وغيره، وقال قتادة: الشاعر يمدح قومًا يباطل، ويلم قومًا يباطل.

﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ قال ابن عباس: أكثر قولهم يكذبون فيه. وهذا الذي قاله ابن عباس هو الواقع في نفس الأمر؛ فإن الشعراء يتبجحون بأقوال وأفعال لم تصدُر منهم ولا عنهم، فيتكثرون بها ليس لهم. والمراد من هذا: أن الرسول ﷺ الذي أنزل عليه القرآن ليس بكاهن ولا بشاعر؛ لأن حاله مناف لحالهم من وجوه ظاهرة.

وقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد وقاتدة وزيد بن أسلم وغير واحد: إن هذا استثناء عمَّا تقدَّم. ولا شك أنه استثناء، ولكن هذا الاستثناء يدخل فيه شعراء الأنصار وغيرهم، حتى يدخل فيه من كان مُتَلَكِّسًا من شعراء الجاهلية بدم الإسلام وأهله ثم تاب وأناب، ورجع وأقلع، وعمل صالحًا، وذكر الله كثيرًا في مقابلة ما تقدَّم من الكلام السيئ؛ فإن الحسنات يُذهبن السيئات، وامتدح الإسلام وأهله في مقابلة ما كذب بدمه.

﴿وَذَكِّرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ قيل: معناه: ذكروا الله كثيرًا في كلامهم. وقيل: في شعرهم، وكلامها صحيح مكفَّر لِمَا سبق.

﴿وَأَنصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾ قال ابن عباس: يردُّون على الكفار الذين كانوا يهجون به المؤمنين. وكذا قال مجاهد وقاتدة وغير واحد، كما ثبت أن رسول الله ﷺ قال لحسان: «أهجهم -أو قال: هاجهم- وجبريل معك» [متفق عليه]. «وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ» في الصحيح: أن رسول الله ﷺ قال: «الظلم ظلمات يوم القيامة» [متفق عليه]. وقال قتادة: «وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا» من الشعراء وغيرهم. وقيل: المراد بهم أهل مكة. وقيل: الذين ظلموا من المشركين. والصحيح أن هذه الآية عامَّة في كل ظالم.

الآية (٢٠٧-٢٠٩): ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ أي: لو أخزناهم وأنظرناهم، وأملنا لهم برهة من الزمان وحيثًا من الدهر وإن طال، ثم جاءهم أمر الله، أي شيء يُجْزِي عنهم ما كانوا فيه من النعم؟ ثم قال الله تعالى خبرًا عن عدله في خلقه: أنه ما أهلك أمة من الأمم إلا بعد الإعذار إليهم، والإنذار لهم وبعثة الرسل إليهم وقيام الحجج عليهم؛ ولهذا قال: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْنٍ إِلَّا لَمَّا مَنَدُوا﴾ (٣٨) ذَكَرُوا وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ.

الآية (٢١٠-٢١٢): يقول تعالى خبرًا عن كتابه العزيز: أنه تَزَلَّ به الروح الأمين المؤيد من الله، ﴿وَمَا تَزَلَّتْ بِالشَّيْطَانِ﴾. ثم ذكر أنه يمتنع عليهم ذلك من ثلاثة أوجه: أحدها: أنه ما يَبْكِي لهم، أي: ليس هو من بُغْيَتهم ولا من طَلَبَتهم؛ لأن من سجاياهم الفساد وإضلال العباد، وهذا فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونور وهُدًى وبرهان عظيم، فينبغي وبين الشياطين منافاة عظيمة؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا يَبْكِي لَهُمْ﴾. وقوله: ﴿وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ أي: ولو اتَّبَعِي لهم لَمَّا استطاعوا ذلك. ثم يَبِّن أنه لو اتبعتهم واستطاعوا تحله وتأديته، لَمَّا وصلوا إلى ذلك؛ لأنهم يمعزل عن استماع القرآن حال نزوله؛ لأن السماء ﴿مِلَّتْ خَشَا سَدِيدًا وَسُفْهُهَا﴾ [الجن: ٨] في مدة أنزال القرآن على رسوله، فلم يَخْلُص أحد من الشياطين إلى استماع حرف واحد منه، لئلا يَشْتَبِه الأمر. وهذا من رحمة الله بعباده، وحفظه لشريعته، وتأيد لكتابه ولرسوله؛ ولهذا قال: ﴿إِن تَهْتَرَعِ السَّمْعُ لَسَمْعُ لَوْحُونَ﴾ كما قال: ﴿وَلَا كَا تَقْعُدُ مَعَهَا مَقْعِدُ السَّمْعِ فَمَنْ يَسْمِعُ أَكُنْ بِحَدِّهِ شُهَابًا نَّصْدًا﴾ [الجن: ٩].

الآية (٢١٣-٢٢٠): يقول تعالى أمرًا بعبادته وحده لا شريك له، ومُخْبِرًا أن من أشرك به عذبه. ثم قال تعالى أمرًا لرسوله ﷺ أن يُنْذِرَ عشيرته الأقربين؛ أي: الأذنين إليه، وأنه لا يَخْلُص أحدًا منهم إلا إيمانًا بربه ﷻ، وأمره أن يُبَيِّنَ جانبَه لمن اتَّبعه من عباد الله المؤمنين. ومن عصاه من خلق الله كائنًا من كان فَلْيَتَرَّأ منه؛ ولهذا قال تعالى: ﴿فَإِنْ عَصَاكَ فَقُلْ إِنِّي رَسُولٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾. وهذه النذارة الخاصة لا تنافي العامة، بل هي فرد من أجزائها. وعن ابن عباس قال: لَمَّا أنزل الله ﷻ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ أتى النبي ﷺ الضُّفَا فصعد عليه، ثم نادى: «يا صِبَاخَا». فاجتمع الناس إليه بين رجل يجيء إليه، وبين رجل يبعثُ رسوله، فقال رسول الله ﷺ: «يا بني عبد المطلب، يا بني فهر، يا بني لؤي، أرايتُم لو أخبرتكم أن خيلًا بسفح هذا الجبل، تريد أن تُغَيِّرَ عليكم، صدَّقتموني؟» قالوا: نعم. قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد. فقال أبو هب: تَبَّ لك سائر اليوم، أما دعوتنا إلا لهذا؟! وأنزل الله: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [السد: ١] [رواه البخاري].

وقوله: ﴿وَيُؤَكِّدُ عَلَى الْفَرِيزِ الرَّحِيمِ﴾ أي: في جميع أمورك؛ فإنه مؤيدك وحافظك ومُظَفِّرُك ومُعَلِّ كَلِمَتِكَ. وقوله: ﴿الَّذِينَ يَرْجُونَ نُفُوزَ﴾ أي: هو مُعْتَنٍ بك. قال ابن عباس: «يَرْجُونَ نُفُوزَ» يعني: إلى الصلاة. وقال عكرمة: يرى قيامه وركوعه وسجوده. وقال الحسن: إذا صليت وحدك. وقال الضحاك: من فراشك أو مجلسك. وقال قتادة: قاتمًا وجالسًا وعلى حالائك. وقوله: ﴿وَتَقَبَّلْكَ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ قال قتادة: في الصلاة، براك وحدك ويراك في الجُمُع. وهذا قول عكرمة وعطاء الخراساني والحسن البصري. «إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ» لأقوال عباده، «الْعَلِيمُ» بركاتهم وسكناتهم.



## ● الوقفات التدريبية

﴿ مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْشُونَ ﴾

يقول تعالى ذكره: ثم جاءهم العذاب الذي كانوا يوعدون على كفرهم بأياتنا، وتكذيبهم رسولنا. (ما أغنى عنهم) يقول: أي شيء أغنى عنهم التأخير الذي أخرنا في أجالهم، والمتاع الذي متنعمن به من الحياة، إذ لم يتوبوا؟ هل زادهم تمتيعنا إياهم ذلك إلا خبالاً؟ وهل نفعمهم شيئاً؟ بل ضرهم بازديادهم من الأثام، واكتسابهم من الإجمام ما لو لم يمتعوا لم يكتسبوه. الطبري: ٤٠٢/٩.

السؤال: طول العمر بدون عمل صالح هلاك وعذاب، بين ذلك.

﴿ فَلَا تَنْفَعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُكْفَرُ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ ﴾

خوطف به النبي ﷺ مع استحالة صدور المنهي عنه عليه الصلاة والسلام تهيباً وحشاً لزيادة الإخلاص؛ فهو كناية عن: «أخلص في التوحيد حتى لا ترى معه عز وجل سواه». وفيه لطف لسائر المكلفين ببيان أن الإنسان من القبح والسوء بحيث ينهي عنه من لم يمكن صدوره عنه، فكيف بمن عداه. الأولوسي: ١٣١/١.

﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾

وهذا لا ينافي أمره بإذنا جميع الناس؛ كما إذا أمر الإنسان بعموم الإحسان، ثم قيل: «أحسن إلى قرابتك» فيكون هذا خصوصاً دالاً على التأكيد، وزيادة الحق. السعدي: ٥٩٩.

السؤال: هل يفهم من هذه الآية أن دعوة النبي ﷺ خاصة بقومه؟

﴿ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢٧) فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَمَعُّونَ

(فإن عصوك)... هذا لدفع احتراز وهم من يتوهم أن قوله: (واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) يقتضي الرضاء بجميع ما يصدر منهم ما داموا مؤمنين، فدفع هذا بهذا. السعدي: ٥٩٩.

السؤال: لماذا عَقَّبَ قوله: (فإن عصوك) بعد قوله: (واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين)؟

﴿ وَتَقَبَّلْكَ فِي السَّجْدِينَ ﴾

معناه: يرى صلاتك مع المصلين؛ ففي ذلك إشارة إلى الصلاة مع الجماعة. ابن جزى: ١٢٤/٢.

السؤال: كيف دلَّت هذه الآية على صلاة الجماعة؟

﴿ يُلْقُونَ السَّخَّ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴾

(يلقون): بمعنى: يلقون المسموع، والضمير يحتمل أيضاً على هذا أن يكون للشياطين؛ لأنهم يلقون الكلام إلى الكهان، أو يكون للكهان؛ لأنهم يلقون الكلام إلى الناس، (وأكثرهم كاذبون) يعني: الشياطين، أو الكهان لأنهم يكذبون فيما يخبرون به عن الشياطين. ابن جزى: ١٢٥/٢.

السؤال: من أين جاء كذب الكهنة والعرافين؟

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴾

يقول: في كل لغو يخوضون، ولا يتبعون سنن الحق؛ لأن من اتبع الحق، وعلم أنه يكتب عليه ما يقوله تثبت ولم يكن هائماً يذهب على وجهه لا يبالي ما قال. القرطبي: ٩٥/١٦.

السؤال: ما تقول فيمن يخوض مع كل خائض، ويتكلم بما شاء، ولا يتبع الحق؟

مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْشُونَ ﴿١﴾ وَمَا أَهْلَكَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ ﴿٢﴾ ذَكَرْنَاهُ وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٣﴾ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴿٤﴾ وَمَا يَسْمَعُونَ لَّهُمْ وَمَا يَسْتَعِظُونَ ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْرُوُونَ ﴿٦﴾ فَلَا تَنْفَعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُكْفَرُ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ ﴿٧﴾ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٨﴾ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٩﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٠﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿١١﴾ الَّذِي يَرْفَعُ حِينَ تَقُومُ ﴿١٢﴾ وَتَقَبَّلُكَ فِي السَّجْدِينَ ﴿١٣﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٤﴾ هَلْ أَتَيْتَهُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿١٥﴾ تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿١٦﴾ يُلْقُونَ السَّخَّ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴿١٧﴾ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿١٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿١٩﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٠﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا أَوْ سَمِعُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى مَقْلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٢١﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
السَّخَّ	استماع القرآن من السماء.
لَمَعْرُوُونَ	لَحْجُوبُونَ مَرْجُومُونَ بالشَّهْبِ.
وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ	أَبْنِ جَانِبَكَ وَكَلَامَكَ تَوَاضَعًا.
أَفَّاكٍ	كَذَّابٍ.
أَثِيمٍ	كَثِيرِ الْأَثَامِ.
وَادٍ	فَنْ مِنْ فُنُونِ الْبَاطِلِ، وَالْكَذِبِ.
يَهِيمُونَ	يَخْوضُونَ.
مُنْقَلَبٍ	مَرْجِعٍ.

## ● العمل بالآيات

١. تعاون مع بعض أقاربك في عمل برنامج دعوي تفيد فيه أقاربك بكلمة طيبة، وهدية محببة، ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾.
٢. قم الليل، وأطل السجود، ﴿ الَّذِي يَرْفَعُ حِينَ تَقُومُ ﴾ (١٢) وَتَقَبَّلُكَ فِي السَّجْدِينَ.
٣. اذكر الله تعالى بالأذكار المطلقة والمقيدة، مثل قول: (سبحان الله وبحمده) مائة مرة، والاستغفار سبعين مرة، ﴿ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا ﴾.

## ● التوجيهات

١. من مات يدعو غير الله فهو مع المعذبين، ﴿ فَلَا تَنْفَعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُكْفَرُ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ ﴾.
٢. لا نجاح للداعية إلا بالحلم، والتواضع، ولين الجانب، ﴿ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾.
٣. احذر الظلم وتذكر سوء عاقبة أهله، وتامل في حال من حولك ممن طفا وتجر؛ كيف قصصهم الله تعالى، ﴿ وَسَمِعُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى مَقْلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾.



## تفسير سورة النمل

وهي مكية. [وعدد آياتها (٩٣) آية].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الآية (١-٦): قد تقدم الكلام في «سورة البقرة» على الحروف المقطعة في أوائل السور.

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ آيَاتُ﴾ أي: هذه آيات ﴿الْقُرْآنِ وَكِتَابِ يُبَيِّنُ﴾ أي: يبين واضح، ﴿هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: إنا نحصل الهداية والبشارة من القرآن لمن آمن به واتبعه وصدقَه وعمل بما فيه، وأقام الصلاة المكتوبة، وآتى الزكاة المفروضة، وأيقن بالدار الآخرة والبعث بعد الموت، والجزاء على الأعمال، أخبرها وشَرَّها، والجنة والنار، كما قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَبُشْرَىٰ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِيهِمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [نمل: ٤٤]. وقال: ﴿لِيُبَيِّنَ بِهِ الْبَصِيرَاتِ وَيُذَكِّرَ بِهِ قَوْمًا لَّدُنَّا﴾ [مريم: ٩٧]؛ ولهذا قال ههنا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ أي: يكتبون بها، ويستبعدون وقوعها، ﴿ذِينَ لَهُمْ عَمَلُهُمْ هُمْ يَحْسَبُونَ﴾ أي: حسَبًا لهم ما هم فيه، ومدَّنا لهم في عَمَلِهِمْ فهم يَتَّبِعُونَ في ضَلَالِهِمْ. وكان هذا جزاءً على ما كَذَّبُوا به من الدار الآخرة؛ كما قال تعالى: ﴿وَنَقْلِبُ أَعْيُنَهُمْ وَانصُدُّهُمْ كَمَا لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ١١٠].

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ أي: في الدنيا والآخرة. ﴿وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخَسَرُونَ﴾ ليس يخسر أنفسهم وأموالهم سواهم من أهل المحشر.

﴿وَلَقَدْ﴾ يا محمد! ﴿لَنُنَلِّقُ﴾ قال قتادة: أي: لنأخذ ﴿الْقُرْآنَ﴾ من لَدُنِّي أي: من عند ﴿حِكْمِي﴾ في أوامره ونواهيه، ﴿عَلَيْهِ﴾ بالأمور جليلاً وخفياً، فخرها، فخره هو الصدق السمخض، وحكمه هو العدل التام؛ كما قال تعالى: ﴿وَكَمْ كُنتَ بِرَبِّكَ صِدْقًا وَعَدًا﴾ [الأنعام: ١١٥].

الآية (٧-١٣): يقول تعالى لرسوله محمد ﷺ مَدَّ رَأْيَهُ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كيف اصطفاه الله وكلمته، ونجاه وأعطاه من الآيات العظيمة الباهرة، والأدلة القاهرة، واتبعته إلى فرعون وملئه، فنجَّاهما وكفروا واستكبروا عن اتباعه والافتقار له، فقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لَأُخْبِرَ﴾ أي: اذكر حين سار موسى بأهله، فأصل الطريق، وذلك في ليل وظلام، فأنس من جانب الطور نازلاً، أي: رأى نازلاً تاججاً وتضطرباً، فقال ﴿لَأُخْبِرَ بِإِيَّاهِ وَأَسْتَكْبِرُ نَارًا سَكَنَ فِيهَا جِبْرِيلُ﴾ أي: عن الطريق، ﴿أَوَّاهِيكُمْ بِسَهَابٍ مِّمَّنْ لَمَّا تَصَلُّوْا﴾ أي: تستدقون به. وكان كما قال؛ فإنه رجَّع منها بخبر عظيم، واقتبس منها نوراً عظيماً؛ ولهذا قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ أي: فلما أتاهما رأى منظراً هائلاً عظيماً؛ حيث انتهى إليها والنار تضطرب في شجرة خضراء، لا تزدد النار إلا توقُّداً، ولا تزدد الشجرة إلا خضرة ونضرة، ثم رَفَعَ رأسه فإذا نورها مُتَّصِلٌ بَعَنَانِ السماء. قال ابن عباس وغيره: لم تكن نازلاً، إنا كانت نورا يتوهج. وفي رواية عن ابن عباس: نور رب العالمين. فوقَّت موسى مُتَعَجِّباً مما رأى.

﴿أَنْ بُورِكَ مَن فِي النَّارِ﴾ قال ابن عباس: تقدَّس.

﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ أي: من الملائكة. قاله ابن عباس وعكرمة وسعيد ابن جبير. وعن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِشْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ اللَّيْلِ، وَجِبَابُهُ النَّورُ - أَوْ النَّارُ - لَوْ كَشَفَهَا لَأَحْرَقَتْ شُبُحَاتُ وَجْهِهِ كُلَّ شَيْءٍ أَذْرَكَ بَصَرُهُ». ثم قرأ أبو عبيدة: ﴿أَنْ بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ إرواه أحد وابن ماجه، وصححه الألباني، وأصله في مسلم.

وقوله: ﴿وَسُبْحَنَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي: الذي يفعل ما يشاء ولا يُشَبِّهُ شَيْئاً مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، ولا يحيط به شيء من مصنوعاته، وهو العلي العظيم، المبين لجميع المخلوقات، ولا يكتفي الأرض والسموات، بل هو الأحد الصمد، المنزه عن مائثلة المخلوقات.

وقوله: ﴿يُسَبِّحُ إِلَهُهُ أَنَّ اللَّهَ﴾ أَعْلَمَهُ أَنَّ الذي يُخَاطَبُهُ وَنَجَّاهُ هو رَبُّهُ الله ﴿الْعَزِيزُ﴾ الذي عَزَّ كُلَّ شَيْءٍ وَقَهَرَهُ وَعَلَبَهُ، ﴿الْمَكِينُ﴾ في أفعاله وأقواله.

ثم أمره أَنْ يُقَيِّمَ عَصَاهُ مِنْ يَدِهِ؛ لِيُظْهِرَ لَهُ دليلاً واضحاً على أنه الفاعل المختار، القادر على كل شيء. فلما ألقى موسى تلك العصا من يده انقلبت في الحال حَيَّةٌ عظيمة هائلة في غاية الكبر، وسُرعة الحركة مع ذلك؛ ولهذا قال: ﴿فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾ والجأن: ضرب من الحيات، أَسْرَعُهُ حَرَكَةً، وَأَكْثَرُهُ اضْطِرَابًا.

فلما عاين موسى ذلك ﴿وَلَّى مُدْبِرًا وَرَاءَ عَقْبِهِ﴾ أي: لم يَلْتَفِتْ مِنْ شدة فَرَقِهِ، ﴿يَتَسَوَّى لَا تَخَفْ إِيَّايَ لَا تَخَفْ لَدُنِّي الرَّسُولُ﴾ أي: لا تخف مما ترى؛ فإني أريد أن أصطفيك رسولاً، وأجعلك نبياً وجيهاً.

وقوله: ﴿إِنَّمَا مِنْ ظَلَمٍ فَرُّ بَدَلٍ حَسْبًا بَعْدَ سَوْءِ فَإِنِّي عَفْوٌ رَحِيمٌ﴾ هذا استثناء منقطع، وفيه بشارة عظيمة للبشر؛ وذلك أن من كان على عَمَلٍ شَيْءٍ ثُمَّ أَفْلَحَ عَنْهُ، وَرَجَعَ وَأَنَابَ، فَإِنَّ اللَّهَ يُتَوُّبُ عَلَيْهِ؛ كما قال تعالى: ﴿وَلِي لَفْظًا لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [طه: ٨٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠] والآيات في هذا كثيرة جداً.

وقوله: ﴿وَأَنْزَلَ بِكَ فِي جَبِّكَ تَخْرُجُ بِيضًا مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾: هذه آية أخرى، ودليل باهر على قدرة الله الفاعل المختار، وصدق من جمل له معجزة؛ وذلك أن الله تعالى أمره أَنْ يُدْخِلَ يَدَهُ فِي جَبِّ دِزْجِهِ، فإذا أَدْخَلَهَا وَأَخْرَجَهَا خَرَجَتْ بِيضًا ساطعة، كأنها قطعة قمر، لها لَمَعَانٌ يَتَلَا كَالْبَرْقِ الْحَاطِفِ.

وقوله: ﴿فِي سَبْعِ آيَاتٍ﴾ أي: هاتان ثنتان من تسع آيات أُوْدِكَ بِهِنَ، وَأَجْعَلُهُنَّ بَرَهَانًا لَكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وقومه ﴿إِنَّهُمْ كَافِرَاتٌ بَقِيَّةٌ﴾. ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ﴾ إِنْكَتَابٌ مُبِينٌ. أي: بيِّنة واضحة ظاهرة. ﴿قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ وأرادوا معارضة بسخرهم فغلبوا وانقلبوا صاغرين.



الآية (٢٢): ﴿فَمَكَتْ﴾ الهدهد ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ أي: غاب زمانًا يسيرًا ثم جاء، فقال لسليمان: ﴿أَحْطَطُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾ أي: اطلعتُ على ما لم تطلع عليه أنت ولا جنودك، ﴿وَرِحْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بَنِي يَاقِينَ﴾ أي: بخبر صدق حق ياقين. وسبأ: هم: حمير، وهم ملوك اليمن.



## ● الوقفات التدريبية

﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾

وفحوى الخطاب يقول: احذروا أيها اللكذبيون لحمد، الجاحدون لما جاء به من ربه: أن يصيبكم ما أصابهم بطريق الأولى والأخرى: فإن محمداً ﷺ أشرف وأعظم من موسى، وبرهانه أدل وأقوى من برهان موسى. ابن كثير: ٣/٣٤٥-٣٤٦. السؤال: في هذه الآية تحذير لمن يكفر بنبوته محمد ﷺ مع أن الكلام عمن كفر بموسى، وضح ذلك.

﴿وَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾

وهذا عنوان سعادة العبد: أن يكون شاكر لله على نعمه الدينية والدنيوية، وأن يرى جميع النعم من ربه: فلا يفخر بها، ولا يعجب بها، بل يرى أنها تستحق عليه شكراً كثيراً. السعدي: ٦٠٢.

السؤال: في ضوء هذه الآية: وضع أثر النعم على الصالحين.

﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾

أي: في الملك والنبوة، وليس المراد وراثة المال: إذ لو كان كذلك لم يخص سليمان وحده من بين سائر أولاد داود... فإن الأنبياء لا تورث أموالهم. ابن كثير: ٣٤٦.

السؤال: من أجمل ما يرث الولد من أبيه الإيمان والعلم والحكمة، بين ذلك من خلال الآية.

﴿فَبَسَّسَ صَاحِبُكَ مِنْ قَوْلِهَا﴾

قال الزجاج: أكثر ضحك الأنبياء التيسم، وقوله: ضاحكاً أي: مبتسماً. البغوي: ٣/٣٩١. السؤال: كيف كان ضحك الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؟

﴿وَتَقَعَّدَ الظَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْفَائِزِينَ﴾

في هذه الآية دليل على تفقد الإمام أحوال رعيته، والمحافظة عليهم، فانظر إلى الهدهد مع صفه كيف لم يخف على سليمان حاله، فكيف بعظام الملك، ويرحم الله عمر: فإنه كان على سيرته، قال: لو أن سخلت على شاطئ الفرات أخذها الذئب لیسأل عنها عمر. القرطبي: ١٦/١٣١. السؤال: هل الإمارة تشريف وفخر أم أمانة ومسؤولية يُسأل عنها صاحبها؟ بين هذا من الآية.

﴿لَا تُخَذِّلُكَ عَدَاؤُنَا شَيْئاً أَوْ لَا تُذِخُّكَ أَوْلِيَانِيَّيْنِي سُلْطَانِي ثَمِينٍ﴾

أي: حجة واضحة على تخلفه. وهذا من كمال ورعه وإنصافه: أنه لم يقسم على مجرد عقوبته بالعذاب أو القتل: لأن ذلك لا يكون إلا من ذنب، وغيبته قد تحتمل أنها لعنوا واضح: فلذلك استثناه لورعه وفطنته. السعدي: ٦٠٤.

السؤال: كيف تدل الآية على ورع سليمان وتأنيه وعدم استعجاله؟

﴿فَمَكَتْ عَمْرٌ بَعِيدٌ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحْطُ بِهِمْ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبِيلٍ بَنِيَّ يَقِينُ﴾

في هذه المكافحة التنبيه على أن أضعف الخلق قد يؤتى ما لا يصل إليه أقوامهم: لتتأقروا إلى العلماء علمهم، ويردوا العلم في كل شيء إلى الله، وفيه إبطال لقول الرافضة: إن الإمام لا يخفى عليه شيء، ولا يكون في زمانه هو ما أعلم منه. البقاعي: ١٤/١٥٠.

السؤال: ما الذي يدل عليه معرفة الهدهد لما غاب عن سليمان - عليه السلام - مع سعة علمه وملكه؟

وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَضَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عَلِمَاءَ وَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَأْتِيهَا النَّاسُ عُلْمًا مَّنَاطِقَ الظَّيْرِ وَأَوْتِنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿٣﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالظَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٤﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمَلَةٌ يَأْتِيهَا النَّعْلُ أَذْغُلُوا مَسَكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانَ وَجُنُودُهُمْ وَلَا يَشْعُرُونَ ﴿٥﴾ فَبَسَّسَ صَاحِبُكَ مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَذْخُلِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿٦﴾ وَتَقَعَّدَ الظَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْفَائِزِينَ ﴿٧﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْخَبَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ فَمَكَتْ عَمْرٌ بَعِيدٌ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحْطُ بِهِمْ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبِيلٍ بَنِيَّ يَقِينُ ﴿٩﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
يُوزَعُونَ	يُرَدُّ أَوَّلُ كُلِّ جَنَسٍ عَلَىٰ آخِرِهِمْ لِيَقِفُوا جَمِيعًا مُنْتَظِمِينَ.
أَوْزِعْنِي	أَهْمِنِي.
فَمَكَتْ عَمْرٌ بَعِيدٌ	بَقِيَ زَمَانًا غَيْرَ طَوِيلٍ.
سَبِيلًا	مَدِينَةً بِالْيَمَنِ.

## ● العمل بالآيات

١. تذكر ثلاث نعم اختصك الله بها، ثم اشكر الله تعالى عليها اقتداء بالأنبياء، ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عَلِمَاءَ وَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.
٢. تأمل حياة النمل، أو استمع إلى برنامج علمي عن حياتها، ثم اكتب ثلاث فوائد من تلك المشاهدة، ﴿قَالَتْ نَمَلَةٌ يَأْتِيهَا النَّعْلُ أَذْغُلُوا مَسَكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانَ وَجُنُودُهُمْ وَلَا يَشْعُرُونَ﴾.
٣. قل: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَذْخُلِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾.

## ● التوجيهات

١. تَبَسُّمٌ فِي الْمَوَاضِعِ الَّتِي يَحْسِنُ فِيهَا التَّبَسُّمُ، وَإِيَّاكَ وَجِهَاتِهِ الْوَجْهَ الدَّائِمَ، ﴿فَبَسَّسَ صَاحِبُكَ مِنْ قَوْلِهَا﴾.
٢. إِذَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِنِعْمَةٍ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالدِّيكُ فَاشْكُرْهُ عَلَيْهَا: فَإِنَّ النِّعْمَةَ عَلَى الْوَالِدِ نِعْمَةٌ عَلَى الْوَلَدِ، وَالْحَمْدُ وَالشُّكْرُ مِنْ أَسْبَابِ دَوَامِ النِّعَمِ، ﴿أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ﴾.
٣. مِنْ وَلَادَةِ اللَّهِ أَمْرًا مِنَ الْأُمُورِ فَمَنْ تَقَوَّى اللَّهَ أَنْ يَتَفَقَّدَ مَا تَوَلَّاهُ وَيَرْعَاهُ، ﴿وَتَقَعَّدَ الظَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْفَائِزِينَ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿إِنِّي وَجَدْتُ أُمَّرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ١٣﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّيْءِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنُ لَهُمْ الشَّيْطَانُ أَصْنَانُهُمْ فَسَدُّوا عَنْ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿١٤﴾ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يَخْرِجُ الْحَبَّ فِي السَّمَكِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٦﴾ قَالَ سَتُنظرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٧﴾ أَهَذَّبَ بِكُنْيَا هَذَا قَالِقَةُ إِلَهُهَا قَوْلُ عَنْهُمْ فَأَنْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا إِلَيْنِ الْيَقِينُ إِلَيَّ كَيْتٌ كَرِيمٌ ﴿١٩﴾ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢٠﴾ أَلَا تَعْلَمُونَ أَنِّي مُسْلِمٌ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَقًّا تَشْهَدُونَ ﴿٢١﴾ قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوْا قُوَّةً وَأُولُوْا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٢٣﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٢٤﴾

السؤال: استخرج فائدة من الآية.

﴿أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يَخْرِجُ الْحَبَّ فِي السَّمَكِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾

أي: يعبدوا الذي له الكمال كله بالسجود الذي هو محل الأنس، ومحط القرب، ودارة المناجاة، وآية المغفرة، فإنهم لو سجدوا له سبحانه لاهتدوا، فإن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ففات الشيطان ما يقصده منهم من الضلال. البقاعي: ١٥٢/٣-١٥٣.

السؤال: ما أثر السجود لله في حياة الإنسان؟

﴿قَالَ سَتُنظرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾

في قوله: (أصددت أم كنت من الكاذبين) دليل على أن الإمام يجب عليه أن يقبل عذر رعيته، ويبرا العقوبة عنهم في ظاهر أحوالهم بباطن أعدائهم؛ لأن سليمان لم يعاقب الهدهد حين اعتذر إليه، وإنما صار صدق الهدهد عذرا. البقاعي: ٥٩/٣.

السؤال: من سنن الأنبياء الثابت من الأقوال، وضع ذلك من الآية.

﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَقًّا تَشْهَدُونَ﴾ واستدل بالآية على استحباب المشاورة والاستعانة بالأراء في الأمور المهمة. الألوسي: ١٩٢/١٠.

السؤال: كيف تتصرف في الأمور المهمة؟

﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

فيه: استحباب ابتداء الكتب بالبسملة كاملة. السعدي: ٦٠٤.

السؤال: ما المستحب في بداية الكتابة؟

﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾

قال قتادة: «رحمها الله ورضي عنها، ما كان عقلها في إسلامها وفي شررها علمت أن الهدية تقع موقعا من الناس». وقال ابن عباس وغير واحد: «قالت لقومها: إن قبل الهدية فهو ملك فقاتلوه، وإن لم يقبلها فهو نبي فاتبعوه». ابن كثير: ١٩٠/٦.

السؤال: التعامل بحكمة قد يؤدي إلى الهداية، وضع ذلك من الآية.

﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾

قالت لقومها: «إني أجرب هذا الرجل بهدية من نفائس الأموال، فإن كان ملكا دنيوا أرضاه المال، وإن كان نبيا لم يرضه المال، وإنما يرضيه دخولنا في دينه، فبعثت إليه هدية عظيمة. ابن جزي: ١٣٠/٢.

السؤال: كيف استطاعت ملكة سبأ أن تعرف صدق سليمان؟ وماذا تستفيد من هذا التصرف؟

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
الْحَبَّ	المخبوء المستور عن الأعين.
الْمَلَأُ	أشرف الناس.
تَعْلَمُوا عَلَيَّ	تتكبروا عليّ.
أَفْتُونِي	أشيروا عليّ.
قَاطِعَةً أَمْرًا	قاضية حكما وفاصلة فيه.
تَشْهَدُونَ	تحضروني.
أُولُو	أصحاب.
فَنَاظِرَةٌ	مُنْتَظِرَةٌ.

## ● العمل بالآيات

١. تثبت اليوم من خير سمعته؛ فإن التثبت من الأخبار منهج قرآني لا يفصل عنه الصالحون، ﴿قَالَ سَتُنظرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾.
٢. انكر منكرا رأيته في الحي؛ فهذا الهدهد انكر الشرك بالله تعالى، ﴿وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّيْءِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.
٣. قدم هدية لمن تطمع في هدايته؛ لما فيها من تواءم القلوب، ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ﴾.

## ● التوجيهات

١. العاقل يعرف ضعف المرأة، فلا يزوج بها فيما لا يصلح لها من الأعمال، ﴿إِنِّي وَجَدْتُ أُمَّرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾.
٢. تذكر أن الشيطان يزين القبيح للفاصلين عن ذكر الله، ويصد العبد عن طاعة الله تعالى، ﴿وَزَيْنُ لَهُمْ الشَّيْطَانُ أَصْنَانُهُمْ فَسَدُّوا عَنْ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾.
٣. يستحب في تأليف الكتب والخطب والرسائل أن يبتدأ فيها بالبسملة، ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

الآية (٢٧-٣١): يقول تعالى مخبراً عن قيل سليمان عليه السلام للهدد حين أخبره عن أهل سبا وملكتهم: ﴿قَالَ سَتَرْتُ الْأَصَدَقَاتِ﴾ أي أَصَدَقْتُ في إخبارك هذا ﴿أَمْ كُنْتُ مِنَ الْكَذَّابِينَ﴾ في مقاتلتك، لتَحْلَصَ من الوعيد الذي أَوْعَدْتُكَ؟! ﴿أَذْهَبَ بِكِىَ كَذَا فَأَقْبَهُ الْيَهُودُ ثُمَّ نَزَلَ عَنْهُمْ فَأَنْظَرُ مَاذَا يَرْجُونَ﴾ وذلك أن سليمان عليه السلام كتب كتاباً إلى بلقيس وقومها، وأعطاه لذلك الهدد فحملته، وجاء إلى بلادهم فجاء إلى قصر بلقيس، إلى الخُلُوة التي كانت تختلي فيها بنفسها، فالتقاه إليها من كُوة هالك بين يديها، ثم تَوَلَّى ناحية أدباً

ثُمَّ عَدَلَتْ إِلَى الْمَهَادَنَةِ وَالْمَصَالِحَةِ وَالْمَسَالَةِ وَالْمَخَادَعَةِ وَالْمَصَانَعَةِ، فَقَالَتْ: ﴿وَلَايَ مُرْسِلَةٍ إِلَيْهِمْ يَهْدِيهِمْ فَطَاطِرٌ يُرْجَعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ أَي: سَأَبَيْتُ إِلَيْهِ يَهْدِيهِ تَلِيْقُ بِهِ، وَأَنْظُرُ مَاذَا يَكُونُ جَوَابُهُ بَعْدَ ذَلِكَ، فَلَمَعَهُ يَقْتُلُ ذَلِكَ وَيَكْتَفِ عَنَّا، أَوْ يَضْرِبُ عَلَيْنَا خَرَجًا نَحْمِلُهُ إِلَيْهِ فِي كُلِّ عَامٍ، وَنَلْتَزِمُ لَهُ بِذَلِكَ وَيَتْرَكَ قَاتِلَنَا وَمَحَارِبَنَا. قَالَ قَتَادَةُ: رَحِمَهَا اللَّهُ وَرَضِيَ عَنْهَا، مَا كَانَ أَعْقَلَهَا فِي إِسْلَامِهَا وَفِي شِرْكِهَا! عَلِمْتُ أَنَّ الْهَدِيَّةَ تَنْقَعُ مَوْقَعًا مِنَ النَّاسِ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُ وَاحِدٍ: قَالَتْ لِقَوْمِهَا: إِنْ قَبِلَ الْهَدِيَّةَ فَهُوَ عَلَيْكَ فَقَاتِلُوهُ، وَإِنْ لَمْ يَقْبَلْهَا فَهُوَ نَبِيٌّ فَأَتِبُوهُ.

الآية (٣٨-٤٠): قال قتادة: لَمَّا بَلَغَ سُلَيْمَانُ أَهْلًا جَانِيَةً، وَكَانَ ذِكْرُ لَهُ عَرْشُهَا فَأَعْجَبَهُ، فَكَّرَهُ أَنْ يَأْخُذَهُ بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ. وَفَدَّ عِلْمَ نَبِيِّ اللَّهِ أَنَّهُمْ مَتَى أَسْلَمُوا تَحْرُمُ أُمُومُهُمْ مَعَ دِمَائِهِمْ، فَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ أَلَا أُخْبِرُكُمْ أَنِّي بِعَرْشِهَا قَدْ أَتَيْتُ سُلَيْمَانَ﴾. وهكذا قال عطاء الخراساني. ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ قال مجاهد: أي ماردٌ من الجن، ﴿أَنَا أَعْلَيْكَ بِهِ قَدْ أَتَيْتُكَ نَفْعًا مِّنْ قِبَلِي﴾ قال ابن عباس: يعني: قبل أن تقوم من مجلسك. وقال مجاهد: متعمدك، ﴿وَأَنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ قال ابن عباس: أي قَوِيٌّ عَلَى حَمْلِهِ، أَمِينٌ عَلَى مَا فِيهِ مِنَ الْجَوْهَرِ. فقال سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَرِيدُ أَعْجَلَ مِنْ ذَلِكَ. ومن ههنا يَظْهَرُ أَنَّ النَّبِيَّ سُلَيْمَانَ أَرَادَ بِإِحْضَارِ هَذَا السَّرِيرِ إِظْهَارَ عَظَمَتِهِ مَا وَهَبَ اللَّهُ لَهُ مِنَ السُّلْطَانِ، وَسُخَّرَ لَهُ مِنَ الْجُنُودِ، الَّذِي لَمْ يُعْطَهُ أَحَدٌ قَبْلَهُ، وَلَا يَكُونُ لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ. وَلِيُخَيِّدَ ذَلِكَ حُجَّةً عَلَى نَبَوِّهِ عِنْدَ بَلْقَيْسَ وَقَوْمِهَا؛ لِأَنَّ هَذَا خَارِقٌ عَظِيمٌ أَنَّ يَأْتِي بِعَرْشِهَا كَمَا هُوَ مِنْ بِلَادِهَا قَبْلَ أَنْ يَقْدِمُوا عَلَيْهِ، فَلَمَّا قَالَ سُلَيْمَانُ: أَرِيدُ أَعْجَلَ مِنْ ذَلِكَ ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ﴾ قال ابن عباس: وهو أَصَفُ كَاتِبِ سُلَيْمَانَ. وقله: ﴿أَنَا أَعْلَيْكَ بِهِ قَدْ أَتَيْتُكَ بِرُفْقِكَ﴾ أي: أَرَفَعُ بَصْرَكَ وَانْظُرْ مَدَّ بَصْرِكَ مِمَّا تَقْدِيرُ عَلَيْهِ، فَإِنَّكَ لَا يَكْفُلُ بَصْرَكَ إِلَّا وَهُوَ حَاضِرٌ عِنْدَكَ. وقال ابن أسلم: لم يشعر سليمان إلا وعرشها حَمَلٌ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَمَّا عَابَنَ سُلَيْمَانَ وَمَلَأُوهُ ذَلِكَ، وَرَأَاهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ ﴿قَالَ هَذَانِ قَضَلِي رَجُلٌ أَيْ: هَذَا مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيَّ﴾ ﴿يَسْلُوفٌ﴾ أي: ليخترني ﴿أَشْكُرُكُمْ أَكْثَرُ مِمَّنْ شَكَرَكُمْ فَلَمَّا تَذَكَّرْتُ لِنَفْسِي﴾. وقله: ﴿وَمَنْ ذَكَرَ فَإِنَّ رَبِّي عَنِّي﴾ أي: هو عَنِّي



## ● الوقفات التدريبية

﴿ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانُ قَالَ أَتَيْدُونَنِي بِمَالٍ مِّمَّا آتَيْنِي اللَّهُ خَيْرَ مِمَّا آتَاكُمْ ﴾

إنما جعلت بلفظ قبول الهدية أو ردها علامة على ما في نفسها، على ما ذكرناه من كون سليمان ملكاً أو نبياً؛ لأنه قال لها في كتابه: (ألا تعلوا علي واتوني مسلمين)، وهذا لا تقبل فيه هدية، ولا يؤخذ عنه هدية، وليس هذا من الباب الذي تقرر في الشريعة عن قبول الهدية بسبيل، وإنما هي رشوة وبيع الحق بالباطل، وهي الرشوة التي لا تحل. وأما الهدية المطلقة للتحبيب والتواصل فإنها جائزة من كل أحد وعلى كل حال. القرطبي: ١٥٩/١٦.

السؤال: لم رد سليمان - عليه السلام - الهدية؟

﴿ بَلْ أَنتُمْ بِعِدَّتِكُمْ تَمْرَحُونَ ﴾

فاللعني: أنتم تفرحون بما يهدي إليكم لقصور همتكم على الدنيا، وحبكم الزيادة فيها، ففي ذلك من الحط عليهم ما لا يخفى. الألوسي: ١٩٥/١٠.

السؤال: الداعية إلى الحق والهدى لا ينبغي له الاعتراض بزخرف الدنيا.

كيف تستنبط هذا من الآية؟

﴿ قَالَ تَبَايَأُ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَيْكُمْ بِأَلْسِنَتِهِمْ ﴾

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال بالصواب في السبب الذي من أجله خص سليمان بسؤاله الملأ من جنده بإحضاره عرش هذه المرأة دون سائر ملكها عندنا -ليجعل ذلك حجة عليها في نبوته، ويعرفها بذلك قدرة الله، وعظيم شأنه-

أنها خلفته في بيت في جوف أبيات؛ بعضها في جوف بعض، مغلق، مقفل عليها، فأخرجه الله من ذلك كله بغير فتح أغلاق وأقفال، حتى أوصله إلى وليه من خلقه وسلمه إليه، فكان لها في ذلك أعظم حجة على حقيقة ما دعاها إليه

سليمان، وعلى صدق سليمان فيما أعلمها من نبوته. الطبري: ٤٦٣/١٩.

السؤال: لماذا طلب سليمان إحضار عرش الملكة دون سائر ملكها؟

﴿ قَالَ غَفِرْتُ مِّنَ الْإِنِّ أَنَا إِلَيْكَ بِهِ. قَدْ أَن تَقْرَمَ مِن تَقَالِبِكُ وَلِيَّ عَلَيْهِ قَوْلِي أَمِينَ ﴾  
﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا إِلَيْكَ بِهِ. قَدْ أَن تَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِي رَبِّي يُبَلِّغُ أَعْيُنَكُمْ أَلْهَامًا ﴾

وهذه المناظرة بين العفريت من الجن والذي عنده علم من الكتاب ترمز إلى أنه يتأتى بالحكمة والعلم ما لا يتأتى بالقوة. ابن عاشور: ٢٧١/١٩.

السؤال: كيف دلت الآية الكريمة على فضل العلم والحكمة؟

﴿ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِي رَبِّي يُبَلِّغُ أَعْيُنَكُمْ أَلْهَامًا ﴾  
(من فضل ربي) أي: تقضه جل شأنه علي من غير استحقاق ذاتي لي له،

ولا عمل مني يوجب عليه سبحانه وتعالى. الألوسي: ١٩٩/١٠.

السؤال: من أعظم الشكر للنعمة نسبتها إلى المتفضل بها سبحانه. بين ذلك من الآية.

﴿ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِي رَبِّي يُبَلِّغُ أَعْيُنَكُمْ أَلْهَامًا ﴾  
(قال هذا من فضل ربي يبليوني أشكر أم أكفر) أي: ليختبرني بذلك، فلم يفتري عليه السلام بملكه وسلطانه وقدرته كما هو دأب الملوك الجاهلين، بل علم أن ذلك اختيار من ربه فخاف أن لا يقوم بشكر هذه النعمة، ثم بين أن هذا الشكر لا ينتفع الله به، وإنما يرجع نفعه إلى صاحبه، فقال: (وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ). السعدي: ٦٠٥.

السؤال: ما الفارق الرئيس بين الملوك الصالحين والملوك الجاهلين؟

﴿ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾

(ومن شكر فإنما يشكر لنفسه) أي: يعود نفع شكره إليه؛ وهو أن يستوجب به تمام النعمة ودوامها؛ لأن الشكر قيد النعمة الموجودة وصيد النعمة المفقودة، (ومن كفر فإن ربي غني عن شكره، (كریم) بالافضال على من يكفر نعمه. البغوي: ٤٠٤/٣.

السؤال: ما فائدة شكر النعمة؟

فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانُ قَالَ أَتَيْدُونَنِي بِمَالٍ مِّمَّا آتَيْنِي اللَّهُ خَيْرَ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِعِدَّتِكُمْ تَمْرَحُونَ ﴿١٥﴾ أَسْمِعْ إِلَيْهِمْ فَلَمَّا أَتَيْتَهُمْ يَحْضُرُونَ لَا يَقُولُ لَهُمْ بِهَا وَلَنْ تَخْرُجَهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَغِيرُونَ ﴿١٦﴾ قَالَ تَبَايَأُ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَيْكَ يَا نَبِيَّ بِعَرِّهَا قِيلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ عَفْوَكَ مِنَ الْإِنِّ أَنَا إِلَيْكَ بِهِ قِيلَ أَنْ تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيَّ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا إِلَيْكَ بِهِ قِيلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِي رَبِّي يُبَلِّغُ أَعْيُنَكُمْ أَلْهَامًا أَشْكُرَ أَمْ أَكْفَرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿١٩﴾ قَالَ تَخْضَعُوا لَهَا عَرَشَهَا تَنْظُرَ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٠﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٢١﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٢٢﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقِهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْمَأْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
صَاغِرُونَ	مُهَانُونَ.
عَفْرِيَّتْ	مَارِدٌ قَوِيٌّ شَدِيدٌ.
تَخَرُّوا	غَيَّرُوا.
الصَّرْحُ	الْقَصْرُ، وَكَانَ صَحْنُهُ مِّن زُجَاجٍ تَحْتَهُ مَاءٌ.
مُمَرَّدٌ	مُمَلَّسٌ مُسَوَّى.
مِن قَوَارِيرَ	مِن زُجَاجٍ صَافٍ.

## ● العمل بالآيات

١. اكتب رسالة تبين فيها خطر تقديم الدنيا على الدين، ﴿ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانُ قَالَ أَتَيْدُونَنِي بِمَالٍ مِّمَّا آتَيْنِي اللَّهُ خَيْرَ مِمَّا آتَاكُمْ ﴾.
٢. اكتب رسالة عبر الهاتف الجوال، تحذر فيها من الرشوة، ﴿ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانُ قَالَ أَتَيْدُونَنِي بِمَالٍ مِّمَّا آتَيْنِي اللَّهُ خَيْرَ مِمَّا آتَاكُمْ ﴾.
٣. تذكر ثلاثاً من النعم التي انعم الله بها عليك، ثم اشكره عليها؛ حتى يبارك لك فيها، ﴿ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِي رَبِّي يُبَلِّغُ أَعْيُنَكُمْ أَلْهَامًا أَشْكُرَ أَمْ أَكْفَرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾.

## ● التوجيهات

١. مقاييس أهل الآخرة تختلف عن مقاييس أهل الدنيا؛ ولذلك لا يفرحون بالدنيا كما يفرح بها أهلها، ﴿ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانُ قَالَ أَتَيْدُونَنِي بِمَالٍ مِّمَّا آتَيْنِي اللَّهُ خَيْرَ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِعِدَّتِكُمْ تَمْرَحُونَ ﴾.
٢. اعلم أن أجل النعم هي نعمة الدين، وأما الدنيا فهي إلى زوال، لا يركن للمؤمن إليها، ﴿ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانُ قَالَ أَتَيْدُونَنِي بِمَالٍ مِّمَّا آتَيْنِي اللَّهُ خَيْرَ مِمَّا آتَاكُمْ ﴾.
٣. تأمل في اجتماع الوصفين: الغنى والكرم لله عز وجل، ﴿ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿ قَالُوا أَطِيرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴾

(قال طائركم عند الله أي: ما يصيبكم من الخير والشر عند الله بأمره، وهو مكتوب عليكم؛ سمي طائرا لسرعة نزوله بالإنسان؛ فإنه لا شيء

أسرع من قضاء محتوم. البغوي: ٤٠٧/٣)

السؤال: لم سمي القضاء بالطائر؟

﴿ قَالُوا أَطِيرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴾

ولا شيء أضر بالراي، ولا أفسد للتدبير من اعتقاد الطيرة، ومن ظن أن خوار بكرة، أو تعيق غراب يرد قضاء، أو يدفع مقدورا فقد جهل. القرطبي: ١٨١/١٦.

السؤال: بين خطر الطيرة على الإنسان.

﴿ قَالُوا أَطِيرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴾

(قالوا اطيرنا بك وبمن معك) زعموا -قبحهم الله- أنهم لم يروا على وجه صالح خيرا، وأنه هو ومن معه من المؤمنين صاروا سببا لمنع بعض مطالبهم الدنيوية، فقال لهم صالح: (طائركم عند الله) أي: ما أصابكم إلا بدنيوكم، (بل انتم قوم تفتنون) بالسراء والضراء، والخير والشر؛

لينظر هل تفلحون وتنبون أم لا؟ السعدي: ٦٠٦.

السؤال: ما أسباب الحوادث والمصائب التي تقع على الإنسان؟

﴿ وَمَكْرُؤًا مَكَرًا وَكَرْهًا وَكَرْهًا وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

سمى الله تأمرهم مكرًا؛ لأنه كان تدبير ضرر في خفاء. ابن عاشور: ٢٨٤/١٩.

السؤال: لم سمي التآمر مكرًا في الآية الكريمة؟

﴿ فَبَلَّغْ يَوْمَهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾

وفي هذه الآية -على ما قيل- دلالة على أن الظلم يكون سببا لخراب الدور. وروي عن ابن عباس أنه قال: «أجد في كتاب الله تعالى أن الظلم

يخراب البيوت»، وتلا هذه الآية. وفي التوراة: «ابن آدم لا تظلم يخراب

بيتك»، قيل: وهو إشارة إلى هلاك الظالم؛ إذ خراب بيته متعقب هلاكه، ولا يخفى أن كون الظلم بمعنى الجور والتعدي على عباد الله تعالى

سببا لخراب البيوت مما شوهد كثيرا في هذه الأعصار. الألوسي: ٢٠٩/١٠.

السؤال: ما أعظم عواقب الظلم؟

﴿ فَبَلَّغْ يَوْمَهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾

ولما خص الله معلمهم بوصف الظلم من بين عدة أحوال يشتمل عليها كفرهم كالفساد؛ كان ذلك إشارة إلى أن للظلم أثرا في خراب بلادهم. ابن عاشور: ٢٨٥/١٩.

السؤال: لم اقتضت الآية الكريمة على ذكر الظلم من بين أسباب

عذاب شمود؟

﴿ وَلَوْ لَأِذْ قَالَ لِقَوْمِهِمْ أَنْتُمْ أَفْلَحْتُمْ وَأَنْتُمْ تُبْعَثُونَ ﴾

أي: الفعل الشنعاء التي تستحقها العقول والفطر، وتستحقها الشرائع. السعدي: ٦٠٧.

السؤال: ما وجه تسمية جريمة قوم لوط بالفاحشة؟

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِهِمْ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ  
فَإِذَا هُمْ قَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿١٠﴾ قَالَ يَقَوْمِ لِمَ تَسْتَعِجِلُونَ  
بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ  
تُرحَمُونَ ﴿١١﴾ قَالُوا أَطِيرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ  
عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿١٢﴾ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ  
بَسْعَةٌ رَهْطٌ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٣﴾  
قَالُوا اتَّقُوا اللَّهَ يَا آلِهَةَ رَبِّكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٤﴾  
وَأَهْلُهَا رُحْمٌ يُذَفَّرُونَ ﴿١٥﴾ وَمَكَرُوا  
مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ فَأَنْظِرْ  
كَيْفَ كَانَ عَقِيبُهُمْ مَكْرِهِمْ إِذْ دَمَّرْنَا قَوْمَهُمْ وَقَوْمَهُمْ  
أَجْمَعِينَ ﴿١٧﴾ فَذَلِكَ يَوْمَهُمْ تَخَافُونَ حَاوِيَةً بِمَا ظَلَمْتُمْ إِنَّكُمْ  
فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا  
وَكُنَّا نُنْقِذُ الْغَافِلِينَ ﴿١٩﴾ وَلَوْ لَأِذْ قَالَ لِقَوْمِهِمْ أَنْتُمْ  
أَفْلَحْتُمْ وَأَنْتُمْ تُبْعَثُونَ ﴿٢٠﴾ أَيْنَكُمُ لَمَّا كُنْتُمْ فِي  
شَهْوَةِ مَن دُونَ الْإِنْسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُجَاهِلُونَ ﴿٢١﴾

(٢٨١)

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
أَطِيرْنَا	تَشَاءَمْنَا.
طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ	مَا أَصَابَكُمْ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، فَاللَّهُ مُقَدِّرُهُ عَلَيْكُمْ.
تَقَاسَمُوا	خَلَفَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِالْآخِرِ.
نُبَيِّنُهَا	لِنَأَيِّنَّهَا بِالْبَيِّنَاتِ فَتَقْتُلُهَا.
خَاوِيَةً	خَالِيَةً.

## ● العمل بالآيات

١. أرسل رسالة تبين فيها أن حكم الطيرة لا يرتبط بالطيور فقط، بل في كل شيء تشاءم منه، ﴿ قَالُوا أَطِيرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴾.

٢. احفظ الدعاء الوارد في كراهية الطيرة؛ وهو قوله: «اللهم لا طير إلا طيرك، ولا خير إلا خيرك، ولا إله غيرك»، ﴿ قَالُوا أَطِيرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴾.

٣. ادع الله أن يجعل ما يدبره الكفار لأهل الإسلام تدميراً لهم، ﴿ فَأَنْظِرْ كَيْفَ كَانَ عَقِيبُهُمْ مَكْرِهِمْ إِذْ دَمَّرْنَا قَوْمَهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾.

## ● التوجيهات

١. المؤمن دائماً متفائل؛ فالفأل لا يأتي إلا بخير، وهو من كمال حسن الظن بالله، ﴿ قَالَ يَقَوْمِ لِمَ تَسْتَعِجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾.

٢. تذكر أن من مكر بالناس مكر الله به، وأن العقاب السيئة راجعة عليه، ﴿ وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.

٣. يقيننا ثابت بنصرة الله تعالى لأوليائه، وحفظه لهم، ﴿ وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَنْقُذُونَ ﴾.

فِي الْمَدِينَةِ فِتْنَةً يَهْدِي اللَّهُ فِي الْأَرْضِ وَلَا يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَانُوا يَفْرُسُونَ الدَّاهِمَ، يعني: أنهم كانوا يأخذون منها، وكأنهم كانوا يَتَعَامَلُونَ بها عَدَدًا، كما كان العرب يَتَعَامَلُونَ.

وقال سعيد بن المسيب: قَطَعَ الدَّهَبُ وَالْوَرِقُ من الفساد في الأرض. والغَرَضُ: أن هؤلاء الكَفَرَةَ الفَسَقَةَ، كان من صفاتهم الإفساد في الأرض بكل طريق يقدرون عليها، فمنها ما ذكره هؤلاء الأئمة وغير ذلك.

وقوله: ﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ﴾ أي: نَحَالِفُوا وَنَبَايَعُوا على قَتْلِ نبي الله صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ لِيلاً غِيْلَةً. فكَادَهُم الله، وَجَعَلَ الدَّائِرَةَ عليهم. قال مجاهد: تَقَاسَمُوا وَنَحَالِفُوا على هَلَاكِهِ، فَلَمْ يَصِلُوا إِلَيْهِ حَتَّى هَلَكُوا وَقَوْمُهُمْ أَجْمَعِينَ. وقال ابن عباس: هم الذين عَقَرُوا النَّاقَةَ، قالوا حين عَقَرُوهَا: لَنُبَيِّتَنَّ صَالِحًا وَأَهْلَهُ وَقَوْمَهُ فَتَقْتُلُهُمْ، ثم يقول لأولياء صالح: ما سَهَلْنَا مِنْ هَذَا شَيْئًا، وما لَنَا بِهِ مِنْ عِلْمٍ. فَدَثَرَهُمُ اللهُ أَجْمَعِينَ.

وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم: لَمَّا عَقَرُوا النَّاقَةَ وَقَالَ لَهُمْ صَالِحٌ: ﴿تَمَسَّمُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعَدٌ غَيْرُ مَكْدُوبٍ﴾ [مود: ٦٥]، قالوا: رَعِمَ صَالِحٌ أَنَّهُ يَفْرُقُ مَنَا إِلَى ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، فَحَنَنَ نَفْرُغٌ مِنْهُ وَأَهْلَهُ قَبْلَ ثَلَاثٍ. وَكَانَ لَصَالِحٍ مَسْجِدٌ فِي الْحِجْرِ عِنْدَ شُعْبٍ هُنَاكَ يُصَلِّي فِيهِ، فَخَرَجُوا إِلَى كَهْفٍ، أَي: غَارِ هُنَاكَ لَيْلًا، فَقَالُوا: إِذَا جَاءَ يُصَلِّي قَتَلْنَاهُ، ثُمَّ رَجَعْنَا إِذَا فَرَّغْنَا مِنْهُ إِلَى أَهْلِهِ، فَفَرَّغْنَا مِنْهُمْ. فَبَيَّتَ اللهُ صَخْرَةً مِنَ الصَّهْبِ حِيَالَهُمْ، فَخَشُوا أَنْ تُشَدَّخَهُمْ فَتَبَادِرُوا فَانْطَبَقَتْ عَلَيْهِمُ الصَّخْرَةُ وَهُمْ فِي ذَلِكَ الْغَارِ، فَلَا يَدْرِي قَوْمُهُمْ أَيْنَ هُمْ، وَلَا يَدْرُونَ مَا فَعَلَ بِقَوْمِهِمْ. فَعَذَّبَ اللهُ هَؤُلَاءَ هَهُنَا، وَهَؤُلَاءَ هَهُنَا، وَأَنْجَى اللهُ صَالِحًا وَمَنْ مَعَهُ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَكَرْهًا وَسَكْرًا فَفُتِنُوا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ⑤، فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عِقَابُهُ مَكْرَهُمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ⑥، فَيَلَكُ بَيُّوتُهُمْ خَاوِيَةً ⑦، أَي: فَارِغَةً لَيْسَ فِيهَا أَحَدٌ ﴿يَا عَالَمُونَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ⑧ وَأَخْبَسْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَنَفَّسُونَ ⑨.

الآية (٥٤-٥٥): يخبر تعالى عن عبده ورسوله لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ أَكْذَرُ قَوْمِهِ نِعْمَةً اللهُ بِهِمْ فِي فِعْلِهِمُ الْفَاحِشَةَ الَّتِي لَمْ يُسَبِّحْهُمْ إِلَيْهَا أَحَدٌ مِنْ بَنِي آدَمَ، وَهِيَ إِبْتِغَاءُ الذَّكَورِ دُونَ الْإِنَاثِ، وَذَلِكَ فَاحِشَةٌ عَظِيمَةٌ؛ اسْتَغْنَى الرَّجُلُ بِالرَّجَالِ، وَالنِّسَاءُ بِالنِّسَاءِ، فَقَالَ: ﴿أَتَأْتُونَ أَفْعَاجِسَةً فَأُنْتَبِثُ تَبِعُهُمْ رَبُّهُمُ﴾ ⑩، أَي: يَسْرَى بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ! ⑪

﴿أَيُّكُمْ لَأَتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ﴾ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ بِجَهْلُسٍ ⑫، أَي: لَا تَعْرِفُونَ شَيْئًا لَا طَبْعًا وَلَا شَرْعًا؛ كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: ﴿أَتَأْتُونَ الذَّكَرَ مِنَ الْعُنْتِكِينَ﴾ ⑬، وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ⑭. [النساء: ١٦٥-١٦٦].

الآية (٤٥-٤٧): يخبر تعالى عن ثمود وما كان من أمرها مع نبيها صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ بَعَثَهُ اللهُ إِلَيْهِمْ، فَدَعَاهُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

﴿فَإِذَا هُمْ بِقَيْحَانَ يَخْتَصِمُونَ﴾ ⑮، قال مجاهد: مؤمن وكافر؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضِعُوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ ⑯، قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنُمْ بِهِ مُكْذِبُونَ ⑰. [الأعراف: ٧٥-٧٦].

﴿قَالَ يَبْعَثُ لِيِ مَنْ شِئْتُمْ بِالْحَيَّةِ قَبْلَ الْحَيَّةِ﴾ ⑱، أَي: لَمْ تَذْعُوبْ بِخُضُورِ الْعَذَابِ، وَلَا تَطْلُبُونَ مِنْ اللهِ رَحْمَةً! ⑲

ولهذا قال: ﴿قُلْ لَا تَسْتَعْتِفُونَ أَنَّ لَكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ ⑲، قَالُوا أَطَعْنَاكَ بِكَ وَبَيْنَ مَعَكَ ⑳، أَي: مَا رَأَيْنَا عَلَى وَجْهِكَ وَوَجْوهَ مَنْ أَتَيْتَكَ خَيْرًا؛ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ -لَشِقَائِهِمْ- كَانَ لَا يُحِبُّبُ أَحَدًا مِنْهُمْ شَوْءًا إِلَّا قَالَ: هَذَا مِنْ قِبَلِ صَالِحٍ وَأَصْحَابِهِ. قَالَ مجاهد: تَشَاءُوا بِهِمْ.

وهذا كما قال تعالى إِخْبَارًا عَنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ: ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَيَّةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ نَصَبْنَاهُمْ سِجْنًا يَبْكُوا يُسْأَلُونَ مِنْ مَعْنَاهُ أَأَلَّا إِنَّمَا طَلَبْنَاهُمْ عِنْدَ اللَّهِ ⑲. [الأعراف: ١٣١]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ نَصَبْنَاهُمْ حَسَنَةً يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ نَصَبْنَاهُمْ سِجْنًا يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٧٨]، أَي: بِقَضَاءِ اللهِ وَقُدْرِهِ.

وقال خبرًا عن أهل القرية إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ: ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَلَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ نَنْتَهُوا لَنَرْجِمَنَّكُمْ وَلِنَمَسَّكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْعَلُونَ﴾ ⑳، قَالُوا طَلَبْنَاكُمْ مَعَكُمْ ㉑. [يس: ١٨-١٩].

وقال هؤلاء: ﴿أَطَعْنَاكَ بِكَ وَبَيْنَ مَعَكَ﴾ قَالَ طَلَبْنَاكُمْ عِنْدَ اللَّهِ ㉒، أَي: اللهُ يُجَازِيكُمْ عَلَى ذَلِكَ ﴿بَلْ اسْتَفْتَمْتُمْ نَفْسَهُ﴾ ㉓، قَالَ قَتَادَةُ: يُتَبَلَّوْنَ بِالطَّاعَةِ وَالْمَعْصِيَةِ. وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ: ﴿تَفْتَنُونَ﴾ ㉔، أَي: تُسْتَنْزَجُونَ فِيهَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنَ الضَّلَالِ.

الآية (٤٨-٥٣): يخبر تعالى عن طُعَاةِ ثمود وَرُؤُوسِهِمُ الَّذِينَ كَانُوا دُعَاةَ قَوْمِهِمْ إِلَى الضَّلَالَةِ وَالْكَفْرِ وَتَكْذِيبِ صَالِحٍ، وَآلِ بِهِمُ الْحَالِ إِلَى أَنَّهُمْ عَقَرُوا النَّاقَةَ، وَهَمُّوا بِقَتْلِ صَالِحٍ أَيْضًا، بَانَ يُبَيِّتُونَهُ فِي أَهْلِ لَيْلٍ فَيَقْتُلُونَهُ غِيْلَةً، ثُمَّ يَقُولُوا لِأَوْلِيَائِهِمْ مِنْ أَقْرَبِيهِ: إِنَّهُمْ مَا عَلِمُوا بِشَيْءٍ مِنْ أَمْرِهِ، وَإِنَّهُمْ لَصَادِقُونَ فِيهَا أَخْبَرُوهُمْ بِهِ مِنْ أَنَّهُمْ لَمْ يُشَاجِدُوا ذَلِكَ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ ثَمُودُ﴾ ㉕، مَدِينَةُ ثَمُودِ ﴿يَتِمَّةٌ رَهْطٌ﴾ ㉖، أَي: تِسْعَةٌ نَفَرٌ ﴿يَهْدِيُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يَهْدِيُونَ﴾ ㉗، وَإِنَّمَا غَلَبَ هَؤُلَاءَ عَلَى أَمْرِ ثَمُودَ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا كِبَرَاءَ فِيهِمْ وَرُؤُسَاءَهُمْ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هَؤُلَاءَ هُمُ الَّذِينَ عَقَرُوا النَّاقَةَ؛ أَي: الَّذِي صَدَرَ ذَلِكَ عَنْ آرَائِهِمْ وَمَشُورَعِهِمْ -تَبَجَّهَ اللهُ وَلَعَنَهُمْ- وَقَدْ فَعَلَ ذَلِكَ.

قال الله تعالى: ﴿فَتَادَا صَالِحًا فَتَعَالَى فَمَقَرَّ﴾ [الفر: ٢٩]، وَقَالَ تَعَالَى ﴿إِذْ أَنْبَأَتْ آبَاؤُهَا﴾ [النس: ١٢]، وَقَالَ عَطَاءُ بْنُ أَبِي رِيَاحٍ: ﴿وَكَانَ



فَعَلَ هَذَا مَعَهُ، بَلْ هُوَ الْمُتَعَدِّدُ بِهِ. يُقَالُ: فَكَيْفَ تَعْبُدُونَ مَعَهُ غَيْرَهُ وَهُوَ الْمُسْتَقْبَلُ الْمُتَعَدِّدُ بِالْخَلْقِ وَالتَّدْبِيرِ؟! «أَنْتَ خَلَقْتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ»؟! «أَنْتَ» فِي هَذِهِ الْآيَاتِ كُلِّهَا تَقْدِيرُهُ: أَمَنْ يَقَعْلُ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ كَمَنْ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا؟! هَذَا مَعْنَى السِّيَاقِ وَإِنْ لَمْ يُذَكَّرْ الْآخَرُ. «بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْبُدُونَ» أَي: يَجْعَلُونَ لِلَّهِ عَدْلًا وَنَظِيرًا.

الآية (٦١): «أَمَنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا»؟! أَي: قَارَةً سَاكِنَةً ثَابِتَةً، لَا تُغَيِّدُ وَلَا تَتَحَرَّكُ لِأَهْلِهَا وَلَا تَرْجِفُ بِهِمْ؛ فَإِنَّمَا لَوْ كَانَتْ كَذَلِكَ لَمَّا طَابَ عَلَيْهَا الْعَيْشُ وَالْحَيَاةُ، بَلْ جَعَلَهَا مِنْ فَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ يَهَادًا بِسَاطًا ثَابِتَةً لَا تَتَزَلَّزَلُ وَلَا تَتَحَرَّكُ.

«وَجَعَلَ خَلْقَهَا أَتَمًّا» أَي: جَعَلَ فِيهَا الْأَنْهَارَ الْعَذْبَةَ الطَّيِّبَةَ. «وَجَعَلَ لَهَا رُوسًا» أَي: جَبَالًا شَاخِةً تُرْسِي الْأَرْضَ وَتُثْبِتُهَا؛ ثَلَاثًا تَجِدُّ بِكُمْ، «وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا» أَي: جَعَلَ بَيْنَ الْمَاءِ الْعَذْبَةِ وَالسَّالْحَةِ حَاجِزًا، أَي: مَانِعًا يَمْنَعُهُمَا مِنَ الْإِخْطِلَاطِ، ثَلَاثًا يُقْسِدُ هَذَا هَذَا وَهَذَا هَذَا؛ فَإِنَّ الْحِكْمَةَ الْإِلَهِيَّةَ تَقْتَضِي بَقَاءَ كُلِّ مِمَّا عَلَى صِفَتِهِ الْمَقْصُودَةِ مِنْهُ؛ وَهَذَا قَالَ: «أَوَّلُهُ مَعَ اللَّهِ» أَي: فَعَلَ هَذَا! أَوْ يُعْبَدُ؟ عَلَى الْقَوْلِ الْأَوَّلِ وَالْآخَرِ؟! وَكِلَاهُمَا مُتَلَازِمٌ صَحِيحٌ. «بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» أَي: فِي عِبَادَتِهِمْ غَيْرَهُ.

الآية (٦٢): «يُسَبِّحُ تَعَالَى أَنَّهُ هُوَ الْمَدْعُو عِنْدَ الشَّدَائِدِ، الْمَرْجُو عِنْدَ النَّوَازِلِ كَمَا قَالَ: «وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهًا» [الإسراء: ٦٧] «أَمَنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَا» أَي: مَنْ هُوَ الَّذِي لَا يَلْجَأُ الْمُضْطَرُّ إِلَّا إِلَيْهِ، وَالَّذِي لَا يَكْشِفُ ضُرَّ الْمُضْطَرِّ وَرَيْنَ سِوَاهُ.

عَنْ أَبِي نَعِيمَةَ الْأَهْجَمِيِّ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ بَلْجِيمٍ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ، الَّذِي إِنْ مَسَّكَ ضَرُّ فِدْعَوْتِهِ كَشَفَ عَنْكَ، وَالَّذِي إِنْ أَضْلَلْتَ بِأَرْضٍ قَفَرِ فِدْعَوْتِهِ رَدَّ عَلَيْكَ، وَالَّذِي إِنْ أَصَابَكَ سَنَةٌ فِدْعَوْتُهُ أَنْبَتَ لَكَ» [رواه أحمد، وصححه الألباني].

«وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ» أَي: يُخَلِّفُ قَرْنًا لِقَرْنٍ قَبْلَهُمْ وَخَلْفًا لِسَلَفٍ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: «وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ» [الأنعام: ١٦٥]، وَقَالَ: «وَإِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً» [البقرة: ٣٠]، أَي: قَوْمًا يُخَلِّفُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا. وَهَكَذَا هَذِهِ الْآيَةُ: «وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ» أَي: أُمَّةً بَعْدَ أُمَّةٍ، وَجِيلًا بَعْدَ جِيلٍ، وَقَوْمًا بَعْدَ قَوْمٍ. وَلَوْ شَاءَ لَأَوْجَدْتُمْ كُلَّهُمْ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ.

«أَمَنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَا» وَيَكْشِفُ الشُّوْءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَوَّلُهُ مَعَ اللَّهِ؟! أَي: يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ، أَوْ إِلَهُ مَعَ اللَّهِ يُعْبَدُ، وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْمُتَعَدِّدُ بِفَعْلٍ ذَلِكَ؟! «فَلَيْسَ مَا نَذْكُرُ» أَي: مَا أَقَلَّ تَذْكُرُهُمْ فِيمَا يُرِيدُهُمْ إِلَى الْحَقِّ، وَيَهْدِيهِمْ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ. الْآيَةُ (٦٣): «أَمَنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَئْلٍ وَالْبَحْرِ»؟! أَي: بِمَا خَلَقَ مِنَ الدَّلَالِ السَّائِرَةِ وَالْأَرْضِيَّةِ؛ كَمَا قَالَ: «وَعَلَّمَكُمُ الْيَمِينَ وَالشَّامِيَةَ» [النمل: ١٦]. «وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيْحَ بُشْرًا بِمَا يَدْنِي رَحْمَتُهُ» أَي: يَنْبِيئُ بِمَا يَدْنِي السَّحَابَ الَّذِي فِيهِ مَطَرٌ، يُبَشِّرُ بِهِ عِبَادَهُ الْمُجْتَبِينَ الْأَوَّلِينَ الْقَطِينِينَ «أَوَّلُهُ مَعَ اللَّهِ» تَعَالَى اللَّهُ عَنَّا يَنْشُرُكُمْ.

الآية (٥٦-٥٨): «فَمَا كُنَّا جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ كَانُوا آخِرِينَ» أَلَا لَوْ طُورَ مِنْ قَرِينَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْشَأَ يَنْطَلِقُونَ؟ أَي: يَتَخَرَّجُونَ مِنْ فِعْلٍ مَا تَفْعَلُونَ، وَمِنْ إِرْقَارِكُمْ عَلَى ضَيْعِكُمْ، فَأَخْرَجُوهُمْ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِكُمْ فَإِذَا يَضِلُّونَ لِمَجَاوَزَتِكُمْ فِي بِلَادِكُمْ. فَغَرَبُوا عَلَى ذَلِكَ، فَدَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالًا.

«فَأَنبِئَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَانَهُ» فَذَرَبْنَاهَا مِنَ الْفَتْرِ «أَي: مِنْ أَهْلِ الْكَلْبِ مَعَ قَوْمِهَا؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ رِدْءًا لَهُمْ عَلَى دِينِهِمْ، وَعَلَى طَرِيقَتِهِمْ فِي رِضَاها بِأَفْعَالِهِمُ الْقَبِيحَةِ، فَكَانَتْ تُدَلُّ قَوْمَهَا عَلَى ضِيْفَانِ لَوْطٍ، لِأَتَاوُا إِلَيْهِمْ، لِأَنَّهَا كَانَتْ تَفْعَلُ الْفَوَاحِشَ، تَكْرِمَةً لِنَبِيِّ اللَّهِ ﷺ لَا كَرَامَةً لَهَا. «وَأَمْرَانَهُ عَلَيْهِمْ مَطَرًا» أَي: «حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَبْثُورٍ» مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ يَعْجِدُونَ [نوح: ٨٢، ٨٣]؛ وَهَذَا قَالَ: «فَنَاءَ مَطَرٍ أَتَشْدِيدٌ» أَي: الَّذِينَ قَامَتْ عَلَيْهِمُ الْحِجَةُ، وَوَصَلَ إِلَيْهِمُ الْإِنْذَارُ، فَخَالَفُوا الرَّسُولَ وَكَذَّبُوهُ، وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِهِ مِنْ بَيْنِهِمْ.

الآية (٥٩-٦٠): «يَقُولُ تَعَالَى أَمْرًا رَسُولُهُ ﷺ أَنْ يَقُولَ: «لَتَمُدَّيْهِ» أَي: عَلَى نَعِيمِهِ عَلَى عِبَادِهِ، الَّتِي لَا تَمُدُّ وَلَا تُحْصَى، وَعَلَى مَا اتَّصَفَ بِهِ مِنَ الصِّفَاتِ الْعُلَى وَالْأَسْمَاءِ الْحَسَنَى، وَأَنْ يُسَلِّمَ عَلَى عِبَادِ اللَّهِ الَّذِينَ اصْطَفَاهُمْ وَاخْتَارَهُمْ؛ وَهُمْ رُسُلُهُ وَأَنْبِيَآؤُهُ الْكَرَامُ، عَلَيْهِمْ مِنَ اللَّهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، هَكَذَا قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمٍ. وَقَالَ الثَّوْرِيُّ وَالسَّيِّدِيُّ: هُمْ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ وَرَضِيَ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ، وَزَوَّى نَحْوَهُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ. وَلَا مَنَافَاةً، فَإِنَّهُمْ إِذَا كَانُوا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ الَّذِينَ اصْطَفَى، فَالْأَنْبِيَاءُ بِطَرِيقِ الْأَوَّلَى وَالْآخِرَى، وَالْقَصْدُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَ رَسُولَهُ وَمَنْ أَتَّبَعَهُ بَعْدَ مَا ذُكِرَ لَهُمْ مَا فَعَلَ بِأُولَئِكَ مِنَ النَّجَاةِ وَالنَّصْرِ وَالتَّائِيدِ، وَمَا أَهْلُ بِأَعْدَائِهِ مِنَ الْخِزْيِ وَالنَّكَالِ وَالْقَهْرِ، أَنْ يَجْمُدُوهُ عَلَى جَمِيعِ أَفْعَالِهِ، وَأَنْ يُسَلِّمُوا عَلَى عِبَادِهِ الْمُضْطَرِّينَ الْأَخْيَارِ. وَقَوْلُهُ: «لَتَمُدَّيْهِ» أَمَا يُشِيرُكُمْ؟؟! اسْتَفْهَامٌ

إِنْكَارٌ عَلَى الْمُشْرِكِينَ فِي عِبَادَتِهِمْ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى. ثُمَّ شَرَعَ تَعَالَى يُبَيِّنُ أَنَّهُ الْمُتَعَدِّدُ بِالْخَلْقِ وَالرُّزْقِ وَالتَّدْبِيرِ دُونَ غَيْرِهِ، فَقَالَ: «أَمَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ»؟! أَي: تِلْكَ السَّمَوَاتُ بَارْتِفَاعِهَا وَصَفَائِهَا، وَمَا جَعَلَ فِيهَا مِنَ الْكَوَاكِبِ النَّبَرَةِ وَالنَّجُومِ الزَّاهِرَةِ وَالْأَفْلَاقِ الدَّائِرَةِ، وَالْأَرْضَ بِاسْتِفْالِهَا وَكثَافَتِهَا، وَمَا جَعَلَ فِيهَا مِنَ الْجِبَالِ وَالْأَوْعَارِ وَالسَّهُولِ، وَالْفَيَافِي وَالْقَفَارِ، وَالْأَشْجَارِ وَالزُّرُوعِ، وَالثَّيَارِ وَالْبَحُورِ، وَالْحَيَوَانَ عَلَى اخْتِلَافِ الْأَصْنَافِ وَالْأَشْكَالِ وَالْأَلْوَانِ وَغَيْرِ ذَلِكَ. وَقَوْلُهُ: «وَأَنزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً» أَي: جَعَلَهُ رِزْقًا لِلْعِبَادِ «فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ» أَي: بِسَاتِينَ «ذَاتَ بَهْجَةٍ» أَي: مَنْظَرَ حَسَنٍ وَشَكْلٍ يَبِيٍّ «فَمَا كُنَّا لَكُمْ لَكُمْ أَنْ تَنْبِتُوا شَجَرًا» أَي: لَمْ تَكُونُوا تَقْدِرُونَ عَلَى إِبْنَاتِ شَجَرِهَا، وَإِنَّمَا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ الْخَالِقُ الرَّازِقُ، الْمُسْتَقْبَلُ بِذَلِكَ الْمُتَعَدِّدُ بِهِ دُونَ مَا سِوَاهُ مِنَ الْأَصْنَافِ وَالْأَنْدَادِ، كَمَا يَعْتَرِفُ بِهِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ.

«أَوَّلُهُ مَعَ اللَّهِ»؟! أَي: إِلَهُ مَعَ اللَّهِ يُعْبَدُ، وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ وَلِكُلِّ ذِي لُبٍّ مِمَّا يَعْرِفُونَ بِهِ أَيْضًا أَنَّهُ الْخَالِقُ الرَّازِقُ؟! وَمِنَ الْمُفَسِّرِينَ مَنْ يَقُولُ: مَعْنَى قَوْلِهِ: «أَوَّلُهُ مَعَ اللَّهِ»؟! أَي: إِلَهُ مَعَ اللَّهِ فَعَلَ هَذَا! وَهُوَ يَرْجِعُ إِلَى مَعْنَى الْأَوَّلِ؛ لِأَنَّ تَقْدِيرَ الْجَوَابِ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: لَيْسَ ثُمَّ أَحَدٌ



## ● الوقفات التدريبية

﴿ فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْفُسُ يَنْطَهَرُونَ ﴾

البلاء موكّل بالمنطق؛ فهم قالوا: (اخرجوا آل لوط من قريبتكم إنهم أناس يتطهرون)، ومفهوم هذا الكلام: وأنتم متلوّثون بالخبيث والقذر المقتضي لنزول العقوبة بقريبتكم ونجاة من خرج منها. السعدي: ٦٠٧.

السؤال: كان منطق قوم لوط سبباً لهلاكهم، بيّن ذلك.

﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَأَتَهُ قَدَرْنَاهَا مِنَ الْغَائِبِينَ ﴾

أي: من الهالكين مع قومها؛ لأنها كانت رداً لهم على دينهم، وعلى طريقتهم في رضاها بأهلهم القبيحة، فكانت تدل قومها على ضيفان لوط ليأتوا إليها، لا أنها كانت تفعل الفواحش؛ تكرمته نبي الله ﷺ لا كرامة لها. ابن كثير: ٣٥٦/٣.

السؤال: لماذا أهلك امرأة لوط؟ وما وجه موافقتها لقومها؟

﴿ قُلْ لَنْدُ لِلَّهِ وَمَلَكٌ عَلَى عَرْشِهِ الْعَلِيِّ أَسْمَىٰ مِنْ اللَّهِ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾

أمر بأن يتبعه بالسلام على الرسل؛ الذين سبقوه قدراً لقدّر ما تجسموه في نشر الدين الحق. ابن عاشور: ٦/٢٠.

السؤال: لماذا جاء الأمر بالسلام على الرسل بعد حمد الله تعالى؟

﴿ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسٍ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْفُضُولُ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ الْخُلُوفَ الْأَرْضِ أَوَّلَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴾

وهذا تدبير عجيب، ولا يُدرك تمام هذا الصنع العجيب إلا عند العلم بأن هذه الأرض سابحة في الهواء، متحركة في كل لحظة، وهي مع ذلك قارة فيما يبدو لسكانها، فهذا تدبير أعجب، وفيه مع ذلك رحمة ونعمة، ولولا قرارها لكان الناس عليها متزلزلين، مضطربين، ولكانت أشغالهم مُعنتة لهم. ابن عاشور: ١٣/٢٠.

السؤال: كيف ندرك عظمة تدبير الله تعالى للأرض؟

﴿ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْفُضُولُ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ الْخُلُوفَ الْأَرْضِ أَوَّلَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴾

(وجعل بين البحرين) البحر المالح والبحر العذب (حاجزاً) يمنع من اختلاطهما فتفتت النعنة المقصودة من كل منهما. السعدي: ٦٠٨.

السؤال: لماذا جعل بين البحرين حاجزاً؟

﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ الْخُلُوفَ الْأَرْضِ أَوَّلَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴾

الوجه في إجابة المضطر أن ذلك الاضطراب الحاصل له يتسبب عنه الإخلاص وقطع النظر عما سوى الله، وقد أخبر الله سبحانه بأنه يحب دعاء المخلصين له الدين وإن كانوا كافرين؛ فقال: (حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءته ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين) (أيونس: ٢٢)، وقال: (فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون) (العنكبوت: ٦٥)، فاجابهم عند ضرورتهم وإخلاصهم مع علمه بأنهم سيعودون إلى شركهم. الشوكاني: ١٦٩/٤.

السؤال: ما سبب إجابة الله دعاء المضطر وإن كان كافراً؟

﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ الْخُلُوفَ الْأَرْضِ أَوَّلَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴾

ضمن الله تعالى إجابة المضطر إذا دعاه، وأخبر بذلك عن نفسه؛ والسبب في ذلك أن الضرورة إليه بالجاء ينشأ عن الإخلاص وقطع القلب عما سواه، وللإخلاص عنده سبحانه موقع ودمية، وجد من مؤمن أو كافر، طالع أو فاجر. القرطبي: ١١٦/١٩.

السؤال: بين ثمرة إخلاص الدعاء لله سبحانه وتعالى.

\* فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْفُسُ يَنْطَهَرُونَ ﴿١﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَأَتَهُ قَدَرْنَاهَا مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴿٣﴾ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا يَشْرِكُونَ ﴿٤﴾ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَمْ يَكُنْ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٥﴾ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسٍ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْفُضُولُ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ الْخُلُوفَ الْأَرْضِ أَوَّلَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦﴾ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْجَحْرِ وَمِنْ بَرِّسِلِ الرِّيحِ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَلَمْ يَكُنْ مَعَ اللَّهِ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٧﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
قَدَرْنَاهَا	جَعَلْنَا امْرَأَةً لُوطٍ.
الْغَائِبِينَ	الْبَاقِينَ فِي الْعَذَابِ.
ذَاتَ بَهْجَةٍ	ذَاتَ مَنْظَرٍ حَسَنٍ.
يَعْدِلُونَ	يَجْعَلُونَ لَهُ عِدْلًا وَنَظِيرًا.
خِلَالَهَا	وَسَطُهَا.
رَوَاسِي	جِبَالًا تَوَاقِبَتْ.

## ● العمل بالآيات

١. ادع الله تعالى أن يحبب إليك الإيمان، وأن يزينه في قلبك، وأن يكره إليك الكفر والفسوق والعصيان، ﴿ فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْفُسُ يَنْطَهَرُونَ ﴾.
٢. أكثر اليوم ودائماً من دعاء: (ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما)، ﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَأَتَهُ قَدَرْنَاهَا مِنَ الْغَائِبِينَ ﴾.
٣. تذكر حاجة من حاجاتك صعبت عليك، وادع الله تعالى والحق عليه في الدعاء أن يبسرّها لك، ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ الْخُلُوفَ الْأَرْضِ أَوَّلَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴾.

## ● التوجيهات

١. الظالمون إذا اعتبهم الحجاج والبراهين يفزعون إلى القوة ﴿ فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْفُسُ يَنْطَهَرُونَ ﴾.
٢. للره إذا امن على معصية تصبغ غير قبيحة عنده، ﴿ فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْفُسُ يَنْطَهَرُونَ ﴾.
٣. سنت إنباء الله أوليائه، وإهلاكه أعداءه، ﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَأَتَهُ قَدَرْنَاهَا مِنَ الْغَائِبِينَ ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾  
لما أبطلت الآيات السابقة إلهية أصنام المشركين بالأدلة المتظاهرة فانقطع دابر عقيدة الإشراك، فثني عنان الإبطال إلى أثر من آثار الشرك؛ وهو ادعاء علم الغيب بالكهانة، وأخبار الجن. ابن عاشور: ١٩/٢٠.

السؤال: أبطلت الآيات الكريمة أثراً من آثار الشرك، فما هو؟

﴿ بَلْ أَذْرَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ عَنْهَا عَمُونَ ﴾  
فانتقل في الإخبار عن أحوال هؤلاء المكذابين بالإخبار أنهم لا يدرون متى وقت الآخرة، ثم الإخبار بضعف علمهم فيها، ثم الإخبار بأنه شك، ثم الإخبار بأنه عمو، ثم الإخبار بإنكارهم لذلك، واستبعادهم وقوعه، أي: وبسبب هذه الأحوال ترحل خوف الآخرة من قلوبهم، فاقدموا على معاصي الله، وسهل عليهم تكذيب الحق، والتصديق بالباطل، واستحلوا الشهوات على القيام بالعبادات؛ فحسروا دنياهم وأخراهم. السعدي: ٦٠٩.  
السؤال: ما السبب الذي جعل الكفار مقدمين على أنواع المعاصي، ومتجرئين عليها؟

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾

ثم وعظهم تعالى بحال من كذب من الأمم، فأمر نبيه أن يامرهم بالسير والتطلع على حال مجرمي الأمم، وبالحذر أن يصيبهم مثل ما أصاب أولئك. ابن عطية: ٤/٢٦٩.

السؤال: ما الفائدة من قراءة سير المجرمين وتاريخهم؟

﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴾

كانت الرحمة غالبية على النبي ﷺ والشفقة على الأمة من خلاله، فلما أُنذر المكذبون بهذا الوعيد؛ تحركت الشفقة في نفس الرسول - عليه الصلاة والسلام- فربط الله على قلبه بهذا التشجيع أن لا يحزن عليهم إذا أصابهم ما اندرأوا به. ابن عاشور: ٢٠/٢٦٩.

السؤال: كيف دلت الآية على رحمته ﷺ بالخلق؟

﴿ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفٌ لَكُمْ بَشْرٌ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴾ (٧١) ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴾

وهذا خبر خاص بالنبي ﷺ تنبيهاً على أن تأخير الوعيد أثر من آثار رحمة الله؛ لأن أزمته التأخير أزمته إمهال، فهم فيها بنعمته. ابن عاشور: ٢٨/٢٠.

السؤال: تأخير العذاب أثر من آثار رحمة الله تعالى، بين ذلك.

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾

وفي الآية إيدان بأن لهم قبائح غير ما حكى عنهم، وتقديم الاكتئان ليظهر المراد من استواء الخفي والظاهر في علمه جل وعلا، أو لأن

مضمرات الصدور سبب لما يظهر على الجوارح. الألوسي: ١٠/٢٢٨.

السؤال: ما الفائدة تقديم علم ما تكنه صدورهم على ما يعلنون؟ وكيف تستدل من الآية على أهمية أعمال القلوب؟

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفُصَّلُ عَلَى نَبِيِّ إِبْرَاهِيمَ الْأَكْثَرِ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾

والعنى: إن هذا القرآن يبين لهم ما اختلفوا فيه لو أخذوا به. القرطبي: ١٦/٢٠٤.

السؤال: إذا اختلفنا في أمر من الأمور فإين نجد المخرج؟

أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ يُوعِدُهُ، وَمَنْ يَرْفُكُنَّ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ  
إِلَهُ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَانُوا بَرَهْتَ كُرْآنَ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥﴾ قُلْ  
لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ  
أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ بَلْ أَذْرَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي  
شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ عَنْهَا عَمُونَ ﴿١٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَذَا  
كَتْمٌ أَتَيْنَا بِهِ لَكُمْ خُبْرٌ ﴿١٨﴾ لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا  
نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٩﴾  
قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ  
﴿٢٠﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾  
وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٢﴾ قُلْ عَسَى  
أَنْ يَكُونَ رَدِفٌ لَكُمْ بَشْرٌ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ  
لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ  
رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَا مِنْ غَافِلَةٍ  
فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ  
يَفُصَّلُ عَلَى نَبِيِّ إِبْرَاهِيمَ الْأَكْثَرِ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٧﴾

## ● معاني الكلمات

المعنى	الكلمة
مَا يَعْلَمُونَ.	وَمَا يَشْعُرُونَ
مَتَى.	أَيَّانَ
تَكَامَلُ أَوْ انْتَهَى عِلْمُهُمْ وَعَجَزَ عَنْ مَعْرِفَةِ وَقْتِهَا.	أَذْرَكَ
عَمِيَتْ بَصَائِرُهُمْ عَنْهَا.	عَمُونَ
مَا سَطَّرَ الْقُدَمَاءُ مِنَ الْأَكْذَابِ.	أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ
اقْتَرَبَ لَكُمْ.	رَدِفٌ لَكُمْ
تُخْفِي.	تُكِنُّ

## ● العمل بالآيات

١. انصح من يبحثون عن الغيب من خلال النجوم أو المشعوذين، ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾.

٢. اقرا وتأمل في مصارع الظالمين، ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾.

٣. تذكر خمسا من أكبر نعم الله عليك، ثم اشكر الله تعالى عليها، ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴾.

## ● التوجيهات

١. علم الغيب خاص بالله تعالى، فمن ادعى أنه يعلم غيبا فقد كذب، ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾.

٢. عدم التصديق باليوم الآخر يجعل العبد متجرئاً على المعاصي، ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَذَا كِتْمٌ أَتَيْنَا بِهِ لَكُمْ خُبْرٌ ﴾ (١٨) ﴿ لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾.

٣. اتباع هدي القرآن فيه العصمة من الاختلاف والفرقة، ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفُصَّلُ عَلَى نَبِيِّ إِبْرَاهِيمَ الْأَكْثَرِ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾.

الآية (٦٤): أي: هو الذي بقدرته وسلطانه يبدأ الخلق ثم يعيله؛ كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿إِنَّهُ هُوَ بَدِئُكُمْ وَمِعَدُّكُمْ﴾ [البروج: ١٣].  
﴿وَمَنْ يَرْفُقْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: بما يُنزل من مطر السماء، ويُنبت من بركات الأرض، فهو تبارك وتعالى يُنزل من السماء ماءً مباركا فيُسقيه في الأرض، ثم يُخرج به منها أنواع الزروع والثمار والأشجار، وغير ذلك من ألوان شتى.

﴿أَوَلَمْ نَعْلَمْ أَنِّي فَعَلْتُ هَذَا؟﴾ وعلى القول الآخر: يُعبد؟  
﴿قُلْ مَا أَشَاءُ رَبُّكُمْ﴾ على صحة ما تدعونه من عبادة آلهة أخرى.  
﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في ذلك، وقد علم أنه لا حجة لهم ولا برهان؛ كما قال الله: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا مَآخَرًا لَّيُبْرِهَنَّ لَهُمْ فَلْيَمَّا حُكْمُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّهُ لَا يَفْصَحُ الْكَافِرُونَ﴾ [الزمن: ١١٧].

الآية (٦٥-٦٦): يقول تعالى أمرا رسوله ﷺ أن يقول مُعَلِّمًا لجميع الخلق: أنه لا يعلم أحد من أهل السموات والأرض الغيب. ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ استثناء منقطع؛ أي: لا يعلم أحد ذلك إلا الله ﷻ؛ فإنه المتفرد بذلك وحده، لا شريك له؛ كما قال: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ الآية [الأنعام: ٥٩]. ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَتَى بِمِثْرِكَ﴾ أي: وما يشعُرُ الخلائق الساكنون في السموات والأرض بوقت الساعة؛ كما قال: ﴿فَنُفِثَ فِي السَّحَابِ وَالْأَرْضُ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بِغُفَّةٍ﴾ [الأعراف: ١٨٧]. عن عائشة قالت: من زعم أنه يعلم -[تعني:] النبي ﷺ- ما يكون في غيب، فقد أعظم على الله الفرية؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿لَا يَخْفَى مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبُ إِلَّا اللَّهُ﴾ [رواه ابن أبي حاتم، وهو متفق عليه بنحوه].

وقال قتادة: إنما جعل الله هذه النجوم لثلاث خصال: جعلها زينة للسماء، وجعلها يُتَدَبَّرُ بها، وجعلها رُجُومًا للشياطين، فمن تعاطى فيها غير ذلك فقد قال براهية، وأخطأ خطه، وأضاع نصيبه وتكلفت ما لا علم له به.

﴿بَلْ أَذْرَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا﴾ أي: انتهى علمهم وعجز عن معرفة وقتها. وقرأ آخرون: ﴿بَلْ أَذْرَكَ عِلْمُهُمْ﴾ أي: تَسَاوَى علمهم في ذلك، أي: تَسَاوَى في العجز عن ترك ذلك علمُ المسؤول والسائل. قال ابن عباس: ﴿بَلْ أَذْرَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ أي: غاب. وقال قتادة: يعني: يُجهلهم ربهم، يقول: لم يُنفذ لهم إلى الآخرة علم، هذا قول. وعن ابن عباس: ﴿بَلْ أَذْرَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾: حين لم ينفع العلم، وبه قال عطاء الخراساني والسدي: أن علمهم إنما يترك ويكمل يوم القيامة حيث لا ينفعهم ذلك.

﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا﴾ أي: المراد الكافرون، شاكون في وجودها ووقوعها، ﴿بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾ في حماية وجهل كبير في أمرها وشأنها. الآية (٦٧-٧٠): يقول تعالى مخبرا عن مُنْكَرِي الْبَيْتِ من المشركين: أنهم استبعدوا إعادة الأجساد بعد صيروتها عظاما ورَفَاتًا وترابًا، ثم قال: ﴿لَقَدْ عِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ﴾ أي: ما زلنا

نسمع بهذا نحن وآبائنا، ولا نرى له حقيقة ولا وقوعا. وقولهم: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: أخله قومٌ عمن قبلهم، من كُتِبَهم بَلَقًا بعض عن بعض، وليس له حقيقة. قال الله تعالى محييا لهم عما ظنوه من الكفر وعدم المعاد: ﴿قُلْ يَا عَمَلُوا هَؤُلَاءِ﴾ أي: المكذِبين بالرسول وما جاؤوهم به من أمر المعاد وغيره، كيف حُلَّتْ بهم يَقَمُ الله وعذابه ونكاله، ونَجَّى الله من بينهم رُسُلَهُ الكرام ومن اتَّبَعَهُم من المؤمنين، قَدْ لَدَّ ذلك على صِدْق ما جاءت به الرسل وصحته.

ثم قال تعالى مُسَلِّيًا لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿لَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ أي: المكذِبين بما جِئْتَ به، ولا تأسف عليهم وتذهب نفسك عليهم حسرات. ﴿وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ أي: في كيدك ورَدِّ مَا جِئْتَ به؛ فإن الله مُؤَيِّدُك وناصرك، ومُظْهِرُ دِينِكَ على من خالفه وعانده في المشارق والمغارب.

الآية (٧١-٧٥): يقول تعالى مخبرا عن المشركين، في سؤالهم عن يوم القيامة واستبعادهم وقوع ذلك: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ قال الله محييا لهم: ﴿قُلْ يَا عَمَلُوا عَسَى أَنْ يَكُونَ رَوْفٌ لَكُمْ بِشَيْءٍ الَّذِي تَسْتَعِجِلُونَ﴾ قال ابن عباس: قُرب - أو: قُرب. وهكذا قال مجاهد وقاتدة والسدي. وهذا هو المراد بقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قَدْ عَلِمَ أَنَّ يَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الإسراء: ٥١].

﴿وَلَيْلَ رَبِّكَ لَدُو قَدِيلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ أي: في إسباغهِ يَمَعَهُ عليهم مع ظُلُومهم لأنفسهم، وهم مع ذلك لا يُشْعُرُونَهُ على ذلك إلا القليل منهم، ﴿وَأَنْزَلَ رَبُّكَ لِيَعْلَمَ مَا تَكُونُ صُدُورُهُمْ وَمَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: يعلم السرائر والضاير، كما يعلم الظواهر، ﴿سَوَاءٌ يَسْكُرُ مَنْ أَمَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ [الرعد: ١٠]. ﴿يَعْلَمُ الْغَيْبُ وَالْخَفَى﴾ [طه: ٧]. ثم أخبر تعالى بأنه عالم غيب السموات والأرض، وأنه عالم الغيب والشهادة - وهو ما غاب عن العباد وما شاهدوه - فقال: ﴿وَمَا يَنْصَرِفُونَ إِلَّا عَلَى آلِهِمْ﴾ قال ابن عباس: يعني: وما من شيء في السماء والأرض؛ كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَقْرَأْ أَنَّ اللَّهَ يَقْرَأُ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠].

الآية (٧٦): يقول تعالى مخبرا عن كتابه العزيز، وما اشتمل عليه من الهدى والبيّنات والفرقان: أنه ﴿يُفَصِّلُ الْبَيِّنَاتِ لِقَوْمٍ أُولِي خُلُقٍ﴾ أي: التوراة والإنجيل، ﴿أَكْثَرُ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ كاختلافهم في عيسى وتبائيتهم فيه؛ فاليهود افتروا، والنصارى علّوا، فجاء القرآن بالقول الوَسَطَ الْحَقَّ الْعَدْلَ: أنه عَبْدٌ من عِبَادِ الله وأنبيائه ورسله الكرام عليه الصلاة والسلام، كما قال تعالى: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَيِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ [مريم: ٣٤].

ويسألون عن اعتقادهم، وأعمالهم، فلما لم يكونوا من أهل السعادة، وكانوا كما قال الله تعالى عنهم: ﴿فَلَا صَدَقَ لَهُمْ لَعْنٌ﴾ (٣٦) وَلَكِنْ كَذَبَ وَتَوَلَّى ﴿[القباحة: ٣١، ٣٢]، فحينئذ قامت عليهم الحجة، ولم يكن لهم عذر يعتذرون به؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَذُنُّ لَهُمْ يَمِينًا وَخَدًا﴾ [المرسلات: ٣٦]. وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَظْهَرُونَ﴾ أي: بُهِتُوا فلم يكن لهم جواب؛ لأنهم كانوا في الدار الدنيا ظلمة لأنفسهم، وقد رُدُّوا إلى عالم الغيب والشهادة الذي لا تخفى عليه خافية.

ثم قال تعالى مُتَّبِعْهَا عَلَى قُدْرَتِهِ التَّامَةِ، وسلطانهِ العَظِيمِ، وشأنهُ الرَفِيع. الذي حُجِبَ طاعته والانتِقاد لأوامره، وتَصْلِيْقُ أَنْبِيائِهِ فِيا جَؤاؤِها بِهِ مِنْ الحَقِّ الذي لا يُحْدَ عَنْهُ، فَقَالَ ﴿أَتُوبُوا إِنَّا جَعَلْنَا الْبَيْلَ لِمُتَكْوِفِينَ﴾ أي: أَيُّ فِيهِ ظَلَامٌ تَسْكُنُ بِسَبَبِهِ حَرَكَاتِهِمْ، وَتَهْدَأُ أَنْفُسُهُمْ، وَتَسْرِعُ حُجُوبُهُمْ مِنْ نَصَبِ التَّعَبِ فِي نَهَارِهِمْ. ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ أي: مِنْبَرًا مُشْرِقًا، فَبِسَبَبِ ذَلِكَ يَتَصَرَّفُونَ فِي الْمَعَاشِ وَالْمَكَاسِبِ، وَالْأَسْفَارِ وَالتَّجَارَاتِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شُؤْنِهِم الَّتِي يَحْتَاجُونَ إِلَيْهَا ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

الآية (٨٧-٨٨): يُخَبِّرُ تَعَالَى عَنْ هَؤُلَاءِ يَوْمَ نَفْخَةِ الْفَرْعِ فِي الصُّورِ، وَأَنَّ إِسْرَافِيلَ هُوَ الَّذِي يَنْفُخُ فِيهِ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى، فَيَنْفُخُ فِيهِ أَوَّلًا نَفْخَةَ الْفَرْعِ وَيُطَوِّلُهَا، وَذَلِكَ فِي آخِرِ عَمْرِ الدُّنْيَا، حِينَ يَقُومُ السَّاعَةُ عَلَى شِرَارِ النَّاسِ مِنَ الْأَحْيَاءِ، فَيَفْرَعُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمِنْ فِي الْأَرْضِ ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾، وَهَمَّ الشَّهَادَةُ فَنَابَهُمُ ﴿أَحْيَاءَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

عن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «... قَبِيحُ شَرِّ النَّاسِ فِي خُفَّةِ الطَّيْرِ وَأَحْلَامِ السَّيَاحِ، لَا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُونَ مَنكَرًا، فَيَمْتَلِكُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ يَقُولُ: أَلَا تَسْجُدُونَ؟» فيقولون: فما تَأْمُرُنَا؟ فَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ دَارٌ رُفْقَهُمْ حَسَنٌ عَشِيَّتُهُمْ. ثُمَّ يَنْفُخُ فِي الصُّورِ فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْنَى لَيْتًا وَرَفَعَ لَيْتًا. قَالَ: «فَيَصْعَقُ النَّاسُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ - أَوْ قَالَ: يُنْزِلُ اللَّهُ - مطرًا كأنه الطَّل - أَوْ قَالَ: الطَّل - فَيَنْثَبُثُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ، ثُمَّ يَنْفُخُ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ» [رواه مسلم]. وقوله: «لَيْتًا»، اللَّيْتُ: صفحة العنق، أي: أَمَالُ عُنُقِهِ لِيَسْمَعَهُ مِنَ السَّاءِ جِدًّا. فهذه نفخة الفَرَع. ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ نَفْخَةُ الصَّمَقِ، وَهُوَ الْمَوْت. ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ نَفْخَةُ الْقِيَامِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ، وَهُوَ النُّشُورُ مِنَ الْقُبُورِ لِمَجْمُوعِ الْخَلَائِقِ؛ وَهَذَا قَالَ: ﴿وَكُلُّ أُنُودٍ ذَرِيرٌ﴾ [أي: صَاغِرِينَ مُطِيعِينَ، لَا يَتَخَلَّفُ أَحَدٌ عَنْ أَمْرِهِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِمَحْمُودٍ﴾ [الإسراء: ٥٢]، وَقَالَ: ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٢٥]، وَقَالَ: ﴿يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَعْدَادِ يَرْبَاكُم إِلَى نَفْسٍ مُوَفَّوْنَ﴾ [المعارج: ٤٣]. وَقَوْلُهُ: ﴿وَنَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبًا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ [أي: تَرَاهَا كَأَنَّهَا ثَابِتَةٌ بَاقِيَةٌ عَلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ، وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ، أَي: تَزُولُ عَنْ أَمَاكِنِهَا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَسْتَلْزِمُونَكَ مِنَ الْجِبَالِ فَتَقُلُّ بِسَفْهَى رِيحٍ شَفَا﴾ [١٠٥-١٠٦]. وَقَوْلُهُ: ﴿صُغِيَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [أي: يَفْعَلُ ذَلِكَ بِقُدْرَتِهِ الْعَظِيمَةِ الَّذِي قَدْ أَنْفَقَ كُلَّ مَا خَلَقَ، وَأَوْدَعَ فِيهِ مِنَ الْحِكْمَةِ مَا أَوْدَعَ ﴿إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [أي: هُوَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُ عِبَادَهُ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، فَيُجَازِيهِمْ عَلَيْهِ].

الآية (٧٧-٨١): ﴿رَبَّنَا هَذَا أَقْرَبُ مِنَّا لِلْعَذَابِ أَفَنُفِخْ فِي الصُّورِ﴾ أي: هُدَى لقلوب المؤمنين، ورحمة لهم. ثم قال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ﴾ أي: يوم القيامة بحكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ فِي انْتِقَامِهِ ﴿الْعَلِيمُ﴾ بأفعال عباده وأقوالهم. ﴿تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ أي: في أمورك، وبلغ رسالة ربك. ﴿إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ أي: أنت على الحق المبين وإن خالفك من خالفك مَنْ كُتِبَتْ عَلَيْهِ الشَّقَاوَةُ وَحَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ، ﴿وَلَوْ جَاءَهُمْ كُلُّ آيَةٍ﴾ [يونس: ٩٧]؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى﴾ أي: لا تسمعهم شيئاً ينفعهم، فكذلك هؤلاء على قلوبهم غشاوة، وفي آذانهم وقْر والكفر؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمِعُ الْقَوْمَ الَّذِينَ إِذَا دُكِّوا مُدْبِرِينَ﴾ ﴿٨١﴾ وَمَا أَنْتَ بِإِذَى الْمُتَمَنِّ عَنْ ضَلَاتِهِمْ إِنْ تَسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْمِعُونَ﴾ أي: إنا يستجيب لك من هو سميع بصير؛ السمع والبصر النافع في القلب والبصيرة، الخاضع لله، ولما جاء عنه على ألسنة الرسل عليهم السلام.

الآية (٨٢): هذه الدَّابَّةُ تَخْرُجُ في آخر الزمان عند فُسَادِ الناسِ وَتَرْكِهِم أوامِرَ الله وَتَبْيِلِهِم الدينَ الحقَّ، تُخْرِجُ الله لهم دَابَّةً من الأرض - قيل: من مكة. وقيل: من غيرها- فَتُكَلِّمُ الناسَ على ذلك. قال ابن عباس والحسن وقتادة -وَرَوِيَّ عن عليٍّ-: تُكَلِّمُهُمْ كَلَامًا؛ أي: تُخَاطِبُهُمْ مَخَاطَبَةً. وقال عطاء الخراساني: تُكَلِّمُهُمْ فتقول لهم: إن «النَّاسَ كَانُوا بِعِدَّتَيْنَا لَأَوَاقُونَ» <sup>(١)</sup>. واختاره ابن جرير. وفي هذا القول نَظَرٌ لَا يَحْتَقِقُ، والله أعلم. وقال ابن عباس -في رواية-: تَجَرَّحُهُمْ. وعنه -في رواية-: كُلَّا تَقْمَلُ. يعني هذا وهذا، وهو قول حَسَنٍ، ولا منافاة، والله أعلم. روى مسلم عن عبد الله بن عمرو قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنْ أَوَّلَ الْآيَاتِ خُرُوجًا طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ صُحًى، وَإِيَّاهَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا، فَالْأُخْرَى عَلَى أَثَرِهَا قَرِيًّا». وعن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا: طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، أَوِ الدِّخَانُ، أَوِ الدُّجَالُ، أَوِ الدَّابَّةُ، أَوْ خَاصَةُ أَحَدِكُمْ، أَوْ أَمْرُ الْعَامَةِ» [رواه مسلم].

الآية (٨٣-٨٦): يقول تعالى مخبراً عن يوم القيامة، وحشر الظالمين المكشوفين بآيات الله ورسله إلى بين يدي الله ﷻ ليسألمهم عما قُتلوه في الدار الدنيا، تقريباً وتوبيخاً، وتصغيراً وتحقيراً، فقال: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ أِي: أي: من كل قوم وقرن ﴿نَبِيًّا﴾ أي: جماعة مِمَّنْ يَكْذِبُ بِآيَاتِنَا﴾.

﴿فَمَنْ يُرِثُونُ﴾ قال ابن عباس: يُدْعَوْنَ. وقال قتادة: وَرِثَةٌ تَرْتَدُّ أَوْلَاهُمْ عَلَى آخِرِهِمْ. وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: يُسَاقُونَ. حَتَّى إِذَا جَاءُوْهُ أَيُّ أَوْقُفُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ ﷻ فِي مَقَامِ الْمَسْأَلَةِ قَالَ أَسَدَيْتُمْ بَيْنَايَ وَلَمْ تُحِطُوا بِهَا عِلْمًا أَنَاذَاكُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي:

(١) خلاصة قول السعدي -رحمه الله- في هذه الآية: أي: لاجل أن الناس صُفَّتْ بيقينهم بآيات الله أظهر الله هذه الدابة من آياته المعجبية، وأن التكليم منها خارق للموائد المألوفة وأنه من الأدلة على صدق ما أخبر الله به في كتابه. [ينظر: تيسر الكريم الرحمن، تفسر الآية ٨٢ من سورة النمل].

(٢) الْوَرَعَةُ: جمع وازع [القاموس المحيط]؛ مثل سَحَرَة جمع ساحر. تقول: وَرَعْتُه؛ أي: كَفَفْتُه ورددته. والمقصود: الملائكة في المحشر ترد أولهم على آخرهم.



## ● الوقفات التحذيرية

❶ ﴿وَلَهُ مَلَكٌ رَحِمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾

وأما كونه رحمة لهم؛ فلأنهم لما اهتموا به قد نالوا الفوز في الدنيا بصلاح نفوسهم، واستقامة أعمالهم، واجتماع كلمتهم، وفي الآخرة بالفوز بالجنة. ابن عاشور: ٣١/٢٠.

السؤال: كيف كان القرآن الكريم رحمة للمؤمنين؟

❷ ﴿وَلَهُ مَلَكٌ رَحِمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾

وتخصيص المؤمنين بالذكر مع أنه رحمة للعالمين؛ لأنهم المنتفعون به. الألوسي: ٢٢٩/١.

السؤال: لماذا خص المؤمنين بالذكر مع أنه رحمة للعالم كله؟

❸ ﴿مَنْ كَانَ عَلَىٰ آلِهَةٍ إِلَّا عَلَى اللَّهِ فَإِنَّمَا يَتَّبِعُ مَا يَدْعُوهُ إِلَىٰ حَقٍّ وَيَقُومُ

بنصرته. أحق من غيره بالتوكل؛ فإنه يسعى في أمر مجزوم به، معلوم صدقه، لا شك فيه ولا مريية. السعدي: ٦٠٩.

السؤال: ما علاقة التوكل بكون النبي ﷺ على الحق المبين؟

❹ ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْكُفَّارَ لِكُرْهِهِمْ وَلَا تَنصِتُ إِلَيْهِمْ إِنَّكَ بِخَدَرٍ مِّمَّنْ كَلَامَتُهُمْ سَاهٍ﴾

(إنك لا تسمع الكفاري؛ يعني: الكفار؛ لتركهم التدبر فهم كالملوك؛ لا خس لهم، ولا عقل ... (ولا تسمع الصم الدعاء) يعني: الكفار الذين هم بمنزلة الصم عن قبول الواعظ، فإذا دُعوا إلى الخير أعرضوا وولوا؛ كأنهم لا يسمعون. القرطبي: ٢٠٥/١٦.

السؤال: لم شبه هؤلاء بالملوك وبالصم؟

❺ ﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ﴾

قال قتادة: كيف ينطقون ولا حجة لهم؟ البغوي: ٤١٨/٣.

السؤال: لماذا سكتوا عن النطق؟

❻ ﴿إِن كُنتُمْ لَا تَحِبُّونَ لِقَاءَ رَبِّكُمْ فَلْيَمْسِكُوا بِمَا كُنتُمْ تَمْسِكُونَ﴾

أي: قضيت بأن إيمانهم لا يزال يتجدد، فهم كل يوم في علو وارتفاع. البقاعي: ٢٢٢/١٤.

السؤال: ما فائدة التعبير بالفعل المضارع: (يؤمنون)؟

❼ ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتَقَنَ كُلُّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾

كل ما خلقه الله فله فيه حكمة، كما قال: (صنع الله الذي أتقن كل شيء)، وقال: (الذي أحسن كل شيء خلقه) [السجدة: ١٧]. وهو سبحانه غني عن العالمين؛ فالحكمة تتضمن شيئين: أحدهما: حكمة تعود إليه؛ يحبها، ويرضاها. والثاني: إلى عباده، هي نعمة عليهم يفرحون بها، ويلتذنون بها. ابن تيمية: ٦٨/٥.

السؤال: كل ما خلقه الله تعالى فيه حكمة، بين ما الذي تتضمنه حكمته سبحانه.

وَأَنَّهُ وَلَهُ عَلَىٰ أَعْيُنِنَا رَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ١٥ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ١٦ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَىٰ الْحَقِّ الْمُبِينِ ١٧ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْكُفَّارَ وَلَا تَسْمَعُ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ١٨ وَمَا أَنتَ بِمُهْدَىٰ الْعُتَىٰ عَنْ صَلَاتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْمُوتُونَ ١٩ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ٢٠ وَيَوْمَ نَخْشَعُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مَّمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ٢١ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ قَالَ أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِطُوا بِمَا عَلَّمَا أَنَا ذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ٢٢ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَنَّمُوا أَنَّهُمْ لَا يَنْطِقُونَ ٢٣ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا آلِيلَ لِسَانِهِمْ وَانفَعْنَا وَانفَعْنَا لِسَانَهُمْ فِي ذَلِكَ لَيَحْكُمَ الْقَوْرَ يُؤْمِنُونَ ٢٤ وَيَوْمَ يَنْفَعُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمْعَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوْا دَاخِرِينَ ٢٥ وَتَرَىٰ الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتَقَنَ كُلُّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا تَفْعَلُونَ ٢٦

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
وَلَّوْا مُدْبِرِينَ	أَعْرَضُوا عَنْكَ.
فَوْجًا	جَمَاعَةً.
يُوزَعُونَ	يُدْفَعُونَ أَوْ يُجْبَسُ أَوَّلُ الْمُكَذِّبِينَ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ عَلَىٰ آخِرِهِمْ، لِيُجْتَبَعُوا، ثُمَّ يُسَاقُونَ إِلَى الْحِسَابِ.
دَاخِرِينَ	صَاحِبِينَ أَدْلَاءَ.
جَامِدَةً	وَاقِفَةً مُسْتَقَرَّةً.
تَمُرُّ	تَسِيرُ.

## ● العمل بالآيات

- ادع الله أن يجعل القرآن الكريم حجة لك، ورحمة عليك. ﴿وَلَهُ مَلَكٌ رَحِمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾.
- استمع إلى محاضرة أو موعظة، ثم اعمل بما سمعت، ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْكُفَّارَ وَلَا تَسْمَعُ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾.
- ثم ليلة مبكرا ثم ليلة أخرى متأخرا وانظر الفرق بينهما على نفسيته وصحتك وأعمالك وعبادتك، ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا آلِيلَ لِسَانِهِمْ وَانفَعْنَا وَانفَعْنَا لِسَانَهُمْ فِي ذَلِكَ لَيَحْكُمَ الْقَوْرَ يُؤْمِنُونَ﴾.

## ● التوجهات

- هباية الناس ورحمتهم من مقاصد القرآن الكريم، ﴿وَلَهُ مَلَكٌ رَحِمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾.
- كل خلاف بين الناس اليوم سبحانه الله تعالى بين أهله يوم القيامة بحكمه العادل، ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾.
- الواجب على المسلم وطالب العلم أن يتوقف عن أي مسألة ليس له فيها علم حتى ينكشف له الحق، فلا يتكلم إلا بعلم، ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ قَالَ أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِطُوا بِمَا عَلَّمَا﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿ مِنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَرَجٍ يَوْمَئِذٍ مَائُونُونَ ﴾

(فله خير منها): للتفضيل، أي: ثواب الله خير من عمل العبد وقوله وذكره، وكذلك رضوان الله خير للعبد من فعل العبد. وقيل: ويرجع هذا إلى الإضعاف: فإن الله تعالى يعطيه بالواحدة عشرة، وبالإيمان في مدة يسيرة الثواب الأبدي. القرطبي: ٢٢٤/١٦.

السؤال: ما معنى قوله تعالى في الآية: (فله خير منها)؟

﴿ وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ فَمَنْ أَهْتَدَىٰ وَلَمَّا يُهْتَدَىٰ لِنَفْسِهِ ﴾

(وأن أتلو القرآن): أي: أوظب على قراءته على الناس بطريق تكرير الدعوة وتثنيته الإرشاد: لكفائته في الهداية إلى طريق الرشاد، وقيل: أي أوظب على قراءته ليتكشف لي حقائقه الرائقة المخزونة في تضاعيفه شيئا فشيئا. الألويسي: ٢٤٨/١٠.

السؤال: ما اثر المواظبة على قراءة القرآن الكريم؟

﴿ وَمَنْ صَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾

أي: لبي أسوة بالرسول الذين اندرأوا قومهم، وقاموا بما عليهم من أداء الرسالة إليهم، وخلصوا من عهدتهم، وحساب أمهم على الله تعالى. ابن كثير: ٣٦٦/٣.

السؤال: ما واجب المنذرين تجاه الضالين؟

﴿ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ مِنْ نَبِِّ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لَعَلَّهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴾

فإليهم يساق الخطاب، ويوجه الكلام: حيث إن معهم من الإيمان ما يقبلون به على تدبر ذلك، وتلقيه بالقبول، والاهتداء بمواقع العبر، ويزدادون إيمانا وقيناً وخيراً إلى خيرهم، وأما من عداهم فلا يستفيدون منه إلا إقامة الحجة عليهم، وصانه الله عنهم، وجعل بينهم وبينه حجاباً أن يفقهوه السعدي: ٦١١.

السؤال: لماذا حُصِّت القصة بالقوم المؤمنين؟

﴿ إِنْ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾

وصورت عظمت فرعون في الدنيا بقوله: (علا في الأرض) لتكون العبرة بهلاكه بعد ذلك العلو أكبر العبر. ابن عاشور: ٦٦/٢٠.

السؤال: لماذا وصفت عظمت فرعون وتكبره بقوله تعالى: (علا في الأرض)؟

﴿ إِنْ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْ أَمَلُهَا شَيْئاً ﴾

(شيئاً): أي: فرحاً يتبع كل فرقة شيئاً وتصره، والكل تحت قهره وطوع أمره: قد صاروا معه كالشيعاء، وهو دق الحطب: فرق بينهم ثلاثاً يتمثلوا عليه، فلا يصل إلى ما يريده منهم، فافتقرت كلمتهم، فلم يحم بعضهم لبعض، فتخاذلوا، فسفل أمرهم. البقاعي: ٢٤٠/١٤.

السؤال: من أهداف الأعداء دائماً تفريق الصف، ما اثر التفريق على قوة الأمة؟

﴿ يُدْعِي أُنْيَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾

وذلك لأن الكهنة قالوا له: إن مولوداً يولد في بني إسرائيل يذهب ملكك على يديه، أو قال المنجمون له ذلك، أو رأى رؤيا فعبرت كذلك. قال الزجاج: العجب من حمقه لم يدر أن الكاهن إن صدق فالقتل لا ينفع، وإن كذب فلا معنى للقتل. القرطبي: ٢٣٠/١٦.

السؤال: بين ما بلغه حمق فرعون.

مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَرَجٍ يَوْمَئِذٍ مَائُونُونَ ٥  
وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكَيْتٌ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ يُجْتَرُونَ ٦  
مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ٧  
إِنَّمَا أَمْرُهُ أَنْ تَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدِ ٨  
الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأَمْرُهُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ٩  
وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ ١٠  
فَمَنْ أَهْتَدَىٰ وَلَمَّا يُهْتَدَىٰ لِنَفْسِهِ ١١  
وَمَنْ صَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ١٢  
وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سِرِّيكُمْ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الْغَافِلِينَ ١٣  
فَقَرِعْنَاهَا وَمَا رَأَيْكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ١٤

٣٨٥

٣٨٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَسَّرَ ٥ تِلْكَ ٦ إِنَّكَ ٧ الْكِتَابُ ٨ الْمُبِينُ ٩ تَتْلُوا ١٠ عَلَيْهِ ١١  
مِنْ نَبِِّ ١٢ مُوسَىٰ ١٣ وَفِرْعَوْنَ ١٤ بِالْحَقِّ ١٥ لِقَوْمٍ ١٦ يُؤْمِنُونَ ١٧  
إِنْ ١٨ فِرْعَوْنَ ١٩ عَلَا ٢٠ فِي الْأَرْضِ ٢١ وَجَعَلَ ٢٢ أَهْلَهَا ٢٣ شَيْعاً ٢٤  
يَسْتَضِعُّ ٢٥ طَائِفَةً ٢٦ مِنْهُمْ ٢٧ يُدْعِي ٢٨ أُنْيَاءَهُمْ ٢٩ هُوَ ٣٠ وَيَسْتَحْيِي ٣١ نِسَاءَهُمْ ٣٢  
إِنَّهُ ٣٣ كَانَ ٣٤ مِنَ ٣٥ الْمُفْسِدِينَ ٣٦ وَنُرِيدُ ٣٧ أَنْ نَمُنَّ ٣٨ عَلَى ٣٩ الَّذِينَ ٤٠  
أَسْخَضُوا ٤١ فِي ٤٢ الْأَرْضِ ٤٣ وَنَجْعَلَهُمْ ٤٤ أَيْمَةً ٤٥ وَنَجْعَلَهُمُ ٤٦ الْوَارِثِينَ ٤٧

٣٨٥

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
بِالْحَسَنَةِ	بِالتَّوْحِيدِ، وَالْإِيمَانِ، وَالْعِبَادَةِ.
بِالسَّيِّئَةِ	بِالشُّرْكِ وَالْكُفْرِ.
حَرَّمَهَا	جَعَلَهَا حَرَاماً؛ فَلَا يُسْفِكُ فِيهَا دَمٌ، أَوْ يُصَادُ صَيْدٌ، أَوْ يُقَطَّعُ شَجَرٌ.
عَلَا	تَكَبَّرَ، وَطَغَى.
شَيْعاً	طَوَائِفَ مُتَفَرِّقَةً.
نَمُنَّ	نَتَفَضَّلُ.

## ● العمل بالآيات

١. اعمل عملاً صالحاً، وسل الله تعالى أن يضاعف لك أجره، ﴿ مِنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَرَجٍ يَوْمَئِذٍ مَائُونُونَ ﴾.
٢. اقرأ سورة من سور القرآن الكريم بتدبر وتفهم، ﴿ وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ فَمَنْ أَهْتَدَىٰ وَلَمَّا يُهْتَدَىٰ لِنَفْسِهِ وَمَنْ صَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾.
٣. قل: اللهم أرني الحق حقاً، وارزقني اتباعه، وأرني الباطل باطلاً، وارزقني اجتنابه، ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سِرِّيكُمْ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الْغَافِلِينَ فَاقْرِئْنَاهَا وَمَا رَأَيْكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾.

## ● التوجيهات

١. على قدر عملك للحسنات يكون أمنك من الفزع يوم القيامة، ﴿ مِنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَرَجٍ يَوْمَئِذٍ مَائُونُونَ ﴾.
٢. إذا أراد الله الهداية للعبد فقد يكون سبب هدايته مجرد سماعه لتلاوة القرآن الكريم، ﴿ وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ فَمَنْ أَهْتَدَىٰ وَلَمَّا يُهْتَدَىٰ لِنَفْسِهِ وَمَنْ صَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾.
٣. من سنن الله سبحانه أن يهلك الظالمين إذا تعالوا على المصلحين، أو فرقوا كلمتهم، أو سعوا في إضعافهم أو قتلهم، ﴿ إِنْ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شَيْعاً يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدْعِي أُنْيَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾.

﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ عَنِ النَّاسِ فَتَعْرِفُونَهَا﴾ أي: لله الحمد الذي لا يُعَدُّبُ أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه، والإعذار إليه، ولهذا قال: ﴿سُبْحَانَهُ عَنِ النَّاسِ فَتَعْرِفُونَهَا﴾؛ كما قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّهِمْ إِنَّا كُنَّا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصل: ٥٣].  
﴿وَمَا رَأَيْتُكَ بِغَيْرِ عَمَاءٍ تَمْلِكُونَ﴾ أي: بل هو شهيد على كل شيء. وقد ذُكِرَ عن الإمام أحمد أنه كان يُشَدُّ هذين البيتين، إمالة أو لغيره:

إِذَا مَا خَلَقْتُ الدُّمُورَ يَوْمًا فَلَا تَقُلْ  
خَلَقْتُ وَلَكِنْ قُلْ عَلَيَّ رَقِيبٌ  
وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ سَاعَةً  
وَلَا أَنَا بِمُجْفَى، عَلَيْهِ يَغِيبُ

### تفسير سورة القصص

وهي مكية. [وعدد آياتها (٨٨) آية].

الآية (٥-١): قد تقدّم الكلام على الحروف المقطعة.

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: هذه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: الواضح الحليّ الكاشف عن حقائق الأمور، وعلم ما قد كان وما هو كائن.  
وقوله: ﴿نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مِثْلِ مِثْلٍ مَوْسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾؛ كما قال: ﴿تَحَنَّنْ نَفْسُ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [يوسف: ٣].  
أي: نذكر لك الأمر على ما كان عليه، كأنك تُشاهد وكأنك حاضِر.  
ثم قال: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: تكبرَ وتَجَبَّرَ وطغى، ﴿وَجَعَلْنَا أُمَمًا سِمْكًا﴾ أي: أصنافاً، قد صرّف كل صنف فيما يُريد من أمور دولته.

﴿يَسْتَضِئُ مِنْ سُرُورِهِمْ﴾ يعني: بني إسرائيل. وكانوا في ذلك الوقت خيار أهل زمانهم. هذا وقد سلط عليهم هذا الملك الجبار العنيد؛ يستعملهم في أحسن الأعمال، ويكذبهم ليلاً ونهاراً في أشغاله وأشغال رعيته، ويقتل مع هذا أبناءهم ويستحيي نساءهم، إهانة لهم واحتقاراً، وخوفاً من أن يُوجدَ منهم الغلام الذي كان قد تخوّف هو وأهل مملكته من أن يُوجدَ منهم غلام، يكون سبب هلاكه وذهاب دولته على يديه. وكانت القبط قد تلقوا هذا من بني إسرائيل فيما كانوا يدرُسونه من قول إبراهيم الخليل، حين وَرَدَ الدِّيار المصرية، وَجَرَى له مع جَبَّارِها ما جرى، حين أَخَذَ سَارَةَ لِيَتَّخِذَهَا جَارِيَةً، فصارتها الله منه، وَنَمَتُهُ منها بقدرة وسلطانة. فَبَشَّرَ إبراهيم عليه السلام وَلَدَهُ أنه سيُولدُ من صلبه وذُرِّيَّتُهُ مَنْ يكون هلاكَ مَلِكٍ يَضُرُّ على يديه، فكانت القبط تتحدّث بهذا عند فرعون، فاختَرَزَ فرعون من ذلك، وَأَمَرَ بِقَتْلِ ذكور بني إسرائيل، ولن ينفع حَذْرٌ من قَدَرٍ؛ لأنَّ جَلَّ جَلَّ الله إذا جاء لا يُؤَخَّرُ، ولكلِّ أَجَلٍ كتاب.

ولهذا قال: ﴿وَرُئِيَ أَن تَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَفْعَوْا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً وَيَعْمَلْهُمُ الْوَارِثِينَ﴾.

الآية (٨٩-٩٠): يَبَيِّنُ تعالى حال السعداء والأشقياء يومئذ فقال: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾ قال قتادة: بالإخلاص. وقال زين العابدين: هي لا إله إلا الله، وقد بيّن في المكان الآخر أنه عَشْرُ أمثالها. ﴿وَمَنْ مِّنْ فِرْعَ يَوْمَئِذٍ مَّامُونٌ﴾ كما قال في الآية الأخرى: ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرَقُ الْأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء: ١٠٣]، وقال: ﴿أَفَنُفْلِحُ فِي النَّارِ خَيْرًا مِّنْ يَأْتِيهِ آمَنًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [فصل: ٤٠]، وقال: ﴿وَمَنْ فِي الْفِرْعَوْنِ مَّامُونٌ﴾ [سبأ: ٣٧].

قوله: ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَكُنْتُ وَجْهَهُمْ فِي النَّارِ﴾ أي: من لَقِيَ الله مُسِيئاً لا حسنة له، أو: قد رَجَحَتْ سيئاته على حسناته، كلٌّ بحسبه؛ ولهذا قال: ﴿هَلْ نَحْزَنُوكَ إِلَّا مَا كُنْتَ تَعْمَلُونَ﴾.

وقال ابن مسعود وأبو هريرة وابن عباس وأنس بن مالك وعطاء وسعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد في قوله: ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ﴾ يعني: بالشرك.

الآية (٩١-٩٣): يقول تعالى خبراً رسوله وأمرًا له أن يقول: ﴿إِنَّمَا أَمَرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّكَ هَكَذَا الْبَلَدَةَ الَّتِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ﴾؛ كما قال: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّكُم﴾ [يونس: ١٠٤].

وإضافة الربوبية إلى البلدة على سبيل التشريف لها والاعتناء بها؛ كما قال: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَلَدِ ۚ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّنْ جَوْعٍ وَآمَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ﴾ [فريق: ٤-٣].

وقوله: ﴿الَّذِي حَرَّمَهَا﴾ أي: الذي إنما صارت حراماً قَدَرًا وشرعاً بتحريمه لها؛ كما بُتيت في الصحيحين عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة: «إن هذا البلد حرّمه الله يوم خلق السموات والأرض، فهو حرام بحُرْمَةِ الله إلى يوم القيامة، لا يُعْبَدُ شَوْكُهُ، ولا يُتَقَرَّرُ صَبْلُهُ، ولا يُلْتَقَطُ لِقَطْعُهُ إِلَّا لِمَنْ عَرَفَهَا، ولا يُحْتَلُّ خِلَافُهَا».

وقوله: ﴿وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ﴾ من باب عطف العام على الخاص، أي: هو رَبُّ هذه البلدة، وَرَبُّ كل شيء وعليّكه.

﴿وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ أي: الْمُؤَحِّدِينَ الْمُخْلِصِينَ الْمُتَقَابِلِينَ لِأَمْرِ الْمُطِيعِينَ لَهُ.

وقوله: ﴿وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ﴾ أي: على الناس أبلّغهم إياه؛ كقوله: ﴿ذَلِكَ نَتْلُو عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْمَكِيدِ﴾ [آل عمران: ٥٨]، وكقوله: ﴿نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مِثْلِ مِثْلٍ مَوْسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [القصص: ٣]، أي: أنا مُبَلِّغٌ وَمُنْذِرٌ.

﴿فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَلِنَا يَهْدِيَ لِنَفْسِهِ. وَمَنْ ضَلَّ فَعَلَّ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ أي: لي أسوة بالرُّسُل الذين أنذروا قومهم، وقاموا بما عليهم من أداء الرسالة إليهم، وَخَلَصُوا مِنْ عَهْدِهِمْ، وَحَسَابُ أَهْمِهِمْ على الله؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ [الرعد: ٤٠]، وقال: ﴿إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [هود: ١٢].



وَأَسْكَنَهَا الْجَنَّةَ بِسَبِيلِهِ. وَقَوْلُهَا: ﴿أَوْ نَتَّخِذْهُ وَلَدًا﴾ أَي: أَرَادَتْ أَنْ تَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَتَبْنَاهُ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ مِنْهُ.

وقوله: ﴿وَمَنْ لَا يَشْكُرْ﴾ أَي: لَا يَدْرُونَ مَا أَرَادَ اللَّهُ مِنْهُ بِالنِّقَاطِطِ إِتْيَانَهُ، مِنَ الْحِكْمَةِ الْعَظِيمَةِ الْبَالِغَةِ، وَالْحِجَةِ الْقَاطِعَةِ.

الآية (١٠-١٣): يَقُولُ تَعَالَى غَيْرًا عَنْ فَوَادٍ أُمِّ مُوسَى، حِينَ ذَهَبَ وَلَدُهَا فِي الْبَحْرِ، أَنَّهُ أَصْبَحَ فَارِعًا، أَي: مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا إِلَّا مِنْ مُوسَى. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَعِكْرَمَةُ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَغَيْرُهُمْ: ﴿إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِيَ بِهِ﴾ أَي: إِنْ كَادَتْ مِنْ شِدَّةِ وَجْدِهَا وَخُزْنِهَا وَأَسْفَافِهَا تَنْظُرُ أَنَّهُ ذَهَبَ لَهَا وَلَدٌ، وَتُخْبِرُ بِحَالِهَا، لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ بَيَّنَّهَا وَصَّرَهَا.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَوْلَا أَنْ رَئَيْنَا عَلَى قَلْبِهَا لُتُكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأَخِيهِ: ﴿قُصِّيبِ﴾ أَي: أَمَرَتْ ابْنَتَهَا - وَكَانَتْ كَبِيرَةً تَحْبِي مَا يُقَالُ لَهَا - فَقَالَتْ لَهَا: ﴿قُصِّيبِ﴾ أَي: ابْتِغِي أَثَرَهُ، وَخُذِي خَبْرَهُ، وَتَطْلُبِي شَأْنَهُ مِنْ نَوَاحِي الْبَلَدِ. فَخَرَجَتْ لِلذَّكَاءِ، ﴿فَبَصَّرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: عَنْ جَانِبٍ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: عَنْ بَعِيدٍ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَحَرَّسْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلٍ﴾ أَي: تَحْرِيصًا قَدَرِيًّا، وَذَلِكَ لِكِرَامَةِ اللَّهِ لَهُ صَانَهُ عَنْ أَنْ يَرْتَضِعَ غَيْرَ ثَدْيِ أُمِّهِ، وَلأنَّ اللَّهَ جَعَلَ ذَلِكَ سَبِيلًا إِلَى رُجُوعِهِ إِلَى أُمِّهِ، لِرُضْعِهِ وَهِيَ أَمْنَةٌ، بَعْدَمَا كَانَتْ خَافَتُهُ.

فَلَمَّا رَأَتْهُمُ اخْتَارَتْنِ فِيمَنْ يُرِضِعُهُ قَالَتْ: ﴿هَلْ أَتَاكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَكُمْ لَكُمْ وَهُمْ لَنْ نُصِغُوا﴾. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَلَمَّا قَالَتْ ذَلِكَ أَخَذُوهَا وَشَكُوا فِي أَمْرِهَا، وَقَالُوا لَهَا: وَمَا يَدْرِيكَ بِنَصِحِهِمْ لَهُ وَشَفَقَتِهِمْ عَلَيْهِ؟ فَقَالَتْ لَهُمْ: وَغَبْتُمْ فِي سُرُورِ الْمَلِكِ وَرِجَاءِ مَنَفَعَتِهِ. فَأَرْسَلُوهَا، فَلَمَّا قَالَتْ لَهُمْ ذَلِكَ وَخَلَصَتْ مِنْ أَذَاهُمْ، ذَهَبُوا مَعَهَا إِلَى مَنْزِلِهِمْ، فَذَخَلُوا بِهِ عَلَى أُمِّهِ، فَاعْطَتْهُ ثَدْيَهَا فَالْتَمَعَهُ، ثُمَّ سَأَلَتْهَا أَسِيَّةُ أَنْ تُقِيمَ عِنْدَهَا فَتُرْضِعَهُ، فَأَبَتْ عَلَيْهَا، وَقَالَتْ: إِنْ لِي بَعْلًا وَأَوْلَادًا، وَلَا أَقْدِرُ عَلَى السَّمَقَامِ عِنْدَكَ. وَلَكِنْ إِنْ أَشِيبْتِ أَنْ أَرْضِعِي فِي بَيْتِي فَلَعَلْتُ. فَاجَابَتْهَا امْرَأَةٌ فَرُوعُونَ إِلَى ذَلِكَ، وَاجْتَرَتْ عَلَيْهَا النِّفَقَةَ وَالصَّلَاتِ وَالْكَسَاوِي وَالْإِحْسَانَ الْجَزِيلَ.

فَرَجَعَتْ أُمُّ مُوسَى بَوْلَدِهَا رَاضِيَةً مُرْضِيَةً، قَدْ أَبَدَهَا اللَّهُ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهَا أَمْنًا، فِي عِزٍّ وَجَآءٍ وَرِزْقٍ دَارٍ. فَسَبَحَانَ مِنْ يَدَيْهِ الْأَمْرِ! مَا شَاءَ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، الَّذِي يَعْمَلُ لِمَنْ أَتَقَاهُ بَعْدَ كُلِّ هَمٍّ قَرَجًا، وَبَعْدَ كُلِّ ضَيْقٍ تَحَرَجًا. وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَذُفٍّ عَيْنِهَا﴾ أَي: بِهِ، ﴿وَلَا تَحْزَنْ﴾ أَي: عَلَيْهِ، ﴿وَلَنَعْلَمَنَّ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ أَي: فِيمَا وَعَدَهَا مِنْ رَدِّهِ إِلَيْهَا، وَجَعَلَهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ. فَحِينَئِذٍ تَحَقَّقَتْ بِرَدِّهِ إِلَيْهَا أَنَّهُ كَاتِنٌ مِنْهُ رَسُولٌ مِنَ الْمُرْسَلِينَ، فَعَامَلَتْهُ فِي تَرْبِيَتِهِ مَا يَنْبَغِي لَهُ طَبْعًا وَشَرْعًا. وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَسْلُكُونَ﴾ أَي: حِكْمَ اللَّهِ فِي أَعْمَالِهِ وَعَوَاقِبِهَا الْمَحْمُودَةِ، الَّتِي هُوَ الْمَحْمُودُ عَلَيْهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَرَبَّنَا يَبْقِ الْأَمْرَ كَرِيمًا إِلَى النُّفُوسِ، وَعَاقِبَتُهُ مَحْمُودَةٌ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَسَيِّئًا أَنْ تَكْفُرُوا سَيِّئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَسَيِّئًا أَنْ تُجِيرُوا سَيِّئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَسَيِّئًا أَنْ تَكْفُرُوا سَيِّئًا وَتَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩٠].

الآية (٦): ﴿وَبَرِّي فِرْعَوْنَ وَنَحْنُ وَخُودُهَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ وَقَدْ فَعَلَ تَعَالَى ذَلِكَ بِهِمْ؛ كَمَا قَالَ: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَكْرَدَهَا أَلْفِي بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ وَمَا كَانُوا يُعْرِشُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٧]، وَقَالَ: ﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [الشعراء: ٥٩]، أَرَادَ فِرْعَوْنَ بِخَوْلِهِ وَقَوْمَهُ أَنْ يَنْجُو مِنْ مُوسَى، فَمَا نَفَعَهُ ذَلِكَ مَعَ قَدْرِ الْمَلِكِ الْعَظِيمِ الَّذِي لَا يَخَالِفُ أَمْرُهُ الْقَدْرِي، بَلْ نَفَذَ حُكْمَهُ وَجَرَى قَلَمُهُ فِي الْقَدَمِ بَأَنْ يَكُونَ إِهْلَاكُ فِرْعَوْنَ عَلَى يَدَيْهِ، بَلْ يَكُونَ هَذَا الْعَلَامُ الَّذِي احْتَرَزَتْ مِنْ وَجُودِهِ، وَقَتْلَتْ بِسَبِيلِهِ الْوَلَدَانَ، إِنَّمَا مَشْهُوهُ وَمُرَبَّاهُ عَلَى فِرَاشِكَ، وَفِي دَارِكَ، وَغَدَاؤُهُ مِنْ طَعَامِكَ، وَأَنْتِ تَرْبِيهِ وَتُدَلِّلُهُ وَتَقْدِّمُهُ، وَخَفَقَتْ وَهَلَاكَ هَلَاكُ جُنُودِكَ عَلَى يَدَيْهِ، لَتَعْلَمَنَّ أَنَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَالْمَلَأِ هُوَ الْقَادِرُ الْغَالِبُ الْعَظِيمُ، الْعَزِيزُ الْقَوِيُّ الشَّدِيدُ الْمَحَالُ، الَّذِي مَا شَاءَ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ.

الآية (٧-٩): ذَكَرُوا أَنَّ فِرْعَوْنَ لَمَّا أَكْثَرَ مِنْ قَتْلِ ذُكُورِ بَنِي إِسْرَءِيلَ، خَافَتْ الْفِطْرَةُ أَنْ يُفْنِيَ بَنِي إِسْرَءِيلَ، فَيَلُومُهُمْ هَمَّ مَا كَانُوا يَلُومُونَهُ مِنَ الْأَحْوَاشِ الشَّائِقَةِ. فَقَالُوا لِفِرْعَوْنَ: إِنَّهُ يَبُوشِكُ - إِنْ اسْتَمَرَّ هَذَا الْحَالُ - أَنْ يَمُوتَ شَيْخُوهُمْ، وَعِلْمَانِهِمْ لَا يَمُوتُونَ، وَنَسَاؤُهُمْ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَقْتَنَ بِمَا يَقُومُ بِهِ رَجَالُهُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ، فَيَخْلُصَ إِلَيْنَا ذَلِكَ. فَأَمَرَ بِقَتْلِ الْوَلَدَانِ عَامًا وَتَرْكِهِمْ عَامًا، فَوُلِدَ هَارُونَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي السَّنَةِ الَّتِي يَبْزُكُونَ فِيهَا الْوَلَدَانَ، وَوُلِدَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي السَّنَةِ الَّتِي يَقْتُلُونَ فِيهَا الْوَلَدَانَ، فَلَمَّا ضَاقتْ [أُمُّ مُوسَى] دَرَجًا بِهِ أَهْمَتْ فِي سِرِّهَا، وَأَلْقَتْ فِي خَلِيلِهَا، وَنَيْتَتْ فِي رُؤُوسِهَا كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ إِذَا فَخَضَتْ عَلَيْهِ كَأَنَّهُ فِي الْيَمِّ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا نَجْعَلُكَ مِنْ آلِ الْفَارُوقِ﴾. وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَتْ دَارُهَا عَلَى حَافَةِ النَّيْلِ، فَاتَّخَذَتْ تَابُوتًا، وَتَهَدَّتْ فِيهِ مَهْدًا، وَجَعَلَتْ تُرْضِعُهُ وَلَدُهَا، إِذَا دَخَلَ عَلَيْهَا أَحَدٌ مِنْ خُفَافِ جَعَلَتْ فِي ذَلِكَ التَّابُوتِ، وَسِرَّتْهُ فِي الْبَحْرِ، وَرَبَطَتْهُ بِجَنْبِ عِنْدِهَا. فَلَمَّا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ دَخَلَ عَلَيْهَا مِنْ تَحْفَاهُ، فَلَذَهَبَتْ فَوْصَتَهُ فِي ذَلِكَ التَّابُوتِ، وَأَرْسَلَتْهُ فِي الْبَحْرِ وَذَهَلَتْ عَنْ أَنْ تَرِيَهُ، فَلَذَهَبَ مَعَ الْمَاءِ وَاحْتَمَلَهُ، حَتَّى مَرَّ بِهِ عَلَى دَارِ فِرْعَوْنَ، فَالْتَقَطَهُ الْجَوَارِي فَاحْتَمَلْنَهُ، فَلَذَهَبْنَ بِهِ إِلَى امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ، وَلَا يَدْرِينَ مَا فِيهِ، وَخَشِينَ أَنْ يَفْتَنَّ عَلَيْهَا فِي فَتْحِهِ دُونَهَا. فَأَوْرَعَ اللَّهُ حَبِيَّتَهُ فِي قَلْبِهَا حِينَ نَظَرَتْ إِلَيْهِ، وَذَلِكَ لِسَعَادَتِهَا وَمَا أَرَادَ اللَّهُ مِنْ كِرَامَتِهَا وَشَقَاوَةِ بَعْلِهَا؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿فَالنَّظَرُ مَا لَمْ يَفْرُغْ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَرًّا﴾. مَعْنَاهُ: أَنَّ اللَّهَ قَيَّسَهُمَ لِلنِّقَاطِطِ لِيَجْعَلَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَرًّا فَيَكُونَ أَبْلَغُ فِي إِطْلَاقِ خَلْقِهِمْ مِنْهُ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿لَنْ يَفْرُغَ وَنَحْنُ وَخُودُهَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾. وَقَوْلُهُ: ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْئُ عَيْنِي لِي وَلَيْكَ لَا تَقْلُوهَا عَيْنِي أَنْ يَنْفَعَنِي أَوْ نَتَّخِذْهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَسْتَفْهِمُونَ﴾. يَعْنِي: أَنَّ فِرْعَوْنَ لَمَّا رَأَى هَمَّ بِقَتْلِهِ خَوْفًا مِنْ أَنْ يَكُونَ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ، فَجَعَلَتْ أَمْرَهُ أَسِيَّةَ بِنْتِ مَزَاحِمٍ مُتَحَاجٍّ عَنْهُ وَتَلْبُذٍ دُونَهُ، وَتُحْبِجٍ إِلَى فِرْعَوْنَ، فَقَالَتْ: ﴿قُرْئُ عَيْنِي لِي وَلَيْكَ﴾ فَقَالَ: أَمَا لَكَ قَسَمٌ، وَأَمَا لِي فَلَا. فَكَانَ كَذَلِكَ، وَهَذَا اللَّهُ بِهِ، وَأَهْلَكَ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ.

وقوله: ﴿عَيْنِي أَنْ يَنْفَعَنِي﴾ وَقَدْ حَصَلَ لَهَا ذَلِكَ، وَهَذَا اللَّهُ بِهِ،



## ١ الوقفات التدريبية

- ١ ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَرْمُومًا أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا حَفَّتْ عَلَيْهِ كَأَنِّيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِ وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾  
بين أنه يلهم المؤمنين الإيمان وما ينفعهم، وذلك إحياء إليهم وإن لم يكونوا أنبياء، ابن تيمية: ٧٠/٥.

السؤال: بينت الآية الكريمة فضل الله تعالى على المؤمنين، بين ذلك؟

- ١ ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَرْمُومًا أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا حَفَّتْ عَلَيْهِ كَأَنِّيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِ وَلَا تَحْزَنِي ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ وَرَأَيْتَ لِأُخْتَيْهِ فَصِيَّةً ﴾  
إن العبد ولو عرف أن القضاء والقدر ووعده الله نافذ لا بد منه فإنه لا يهمل فعل الأسباب التي أمر بها، ولا يكون ذلك منافياً لإيمانه بخبر الله، فإن الله قد وعد أم موسى أن يرده عليها، ومع ذلك اجتهدت في رده، وأرسلت اخته لتقصه وتطلبه السعدي: ٦١٩.  
السؤال: إرسال أم موسى اخته لتتظن ماذا حصل في أمره، هل يناهي الإيمان بوعده الله سبحانه وتعالى؟

- ١ ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَرْمُومًا أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا حَفَّتْ عَلَيْهِ كَأَنِّيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِ وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾  
وإنما أمرها الله بإرضاعه لتقوى بُنيته بلبان أمه، فإنه أسعد بالطفل في أول عمره من لبان غيرها، وليكون له من الرضاعة الأخيرة - قبل إلقائه في اليم - قوت يشد بنيته فيما بين قذفه في اليم وبين التقاط آل فرعون إياه، وإيصاله إلى بيت فرعون. ابن عاشور: ٧٣/٢٠.

السؤال: لماذا أمرت أم موسى بإرضاعه قبل إلقائه في البحر؟

- ١ ﴿ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْسُوهُ عَنِّي أَنْ يَنْفَعَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَكَّا وَهُمْ لَا يُشْعُرُونَ ﴾  
وجود الصالحين من بين المفسدين يخفف من لأواء فساد المفسدين، فإن وجود امرأة فرعون كان سبباً في صد فرعون عن قتل الطفل، مع أنه تحقق أنه إسرائيلي. ابن عاشور: ٨٦/٢٠.

السؤال: وجود الصالحين بين المفسدين يخفف من الفساد، بين ذلك

- ١ ﴿ عَنِّي أَنْ يَنْفَعَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَكَّا ﴾  
فقدر الله تعالى أنه نفع امرأة فرعون التي قالت تلك المقالة: فإنه لما صار قرة عين لها، وأحبته حباً شديداً، فلم يزل لها بمنزلة الولد الشفيق حتى كبر، ونباه الله وأرسله، فبادرت إلى الإسلام والإيمان به، رضي الله عنها وأرضاها. السعدي: ٦١٢.  
السؤال: هل انتفعت امرأة فرعون من شفقتها على موسى؟

- ١ ﴿ وَأَصْبَحَ قُودًا أَرْمُومًا قَرِيبًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدَى بِهِ لَوْلَا أَنْ رَظُنَّا عَلَى قَلْبِهَا أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾  
فإن العبد إذا أصابته مصيبة فصبّر وثبت ازداد بذلك إيمانه، ودل ذلك على أن استمرار الجزع مع العبد دليل على ضعف إيمانه. السعدي: ٦١٣.

السؤال: ما علاقة الجزع بزيادة الإيمان ونقصانه؟

- ١ ﴿ وَأَصْبَحَ قُودًا أَرْمُومًا قَرِيبًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدَى بِهِ لَوْلَا أَنْ رَظُنَّا عَلَى قَلْبِهَا أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾  
قيل: فارغا من كل شيء إلا من ذكر موسى. ابن تيمية: ٢١٩/١٠.

السؤال: حب الأم لأولادها عظيم، بين ذلك من خلال الآية.

وَتُمْكِنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَلْمَنَ رَجُودَهُمَا مِنْهُمَا مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ١ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أَرْمُومَةٍ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا حَفَّتْ عَلَيْهِ كَأَنِّيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِ وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ٢ فَالتَّفْقُطُ وَءَالَ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَرًّا إِنَّا فِرْعَوْنَ وَهَلْمَنَ وَرَجُودَهُمَا كَأَنَّهُمَا خَطِيئَتَانِ ٣ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْسُوهُ عَنِّي أَنْ يَنْفَعَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَكَّا وَهُمْ لَا يُشْعُرُونَ ٤ وَأَصْبَحَ قُودًا أَرْمُومًا قَرِيبًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدَى بِهِ لَوْلَا أَنْ رَظُنَّا عَلَى قَلْبِهَا أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ٥ وَقَالَتِ لِأُخْتَيْهِ فَصِيَّةً فَصُرْتُ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ٦ «وَحَرَّمَ سَاعَاتِيهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلِ فَقَالَ هَلْ أَذِلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَكِرَةٌ ٧ فَزِدْكَ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ٨ وَلَتَعْلَمَنَّ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٩

## معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
الْيَمُّ	النهر، وهو نهر النيل.
قُرْتُ عَيْنٍ لِي	مصدر سرور لي.
فَارِغًا	خاليًا من كل شيء إلا هم موسى عليه السلام.
لَتُبْدَى بِهِ	فتصرّح بأنه ابنها.
عَنْ جُنُبٍ	عن بُعد.
يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ	يقومون بتربيته وإرضاعه.

## العمل بالآيات

- وجه رسالة إلى أسرة ظلم أحد أفرادها وبشرهم بهذه الآية: ﴿ وَلَا تَخَافِ وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾.
- سل الله تعالى أن يجعل زوجتك وذريتك قرة عين لك، ﴿ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْسُوهُ عَنِّي أَنْ يَنْفَعَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَكَّا ﴾.
- ادع الله تعالى أن يربط على قلبك، ويثبتك في السراء والضراء، ﴿ لَوْلَا أَنْ رَظُنَّا عَلَى قَلْبِهَا أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾.

## التوجيهات

- التمكين في الأرض يحتاج إلى صبر، وإعداد، وبذل جهد، ﴿ وَتُمْكِنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَلْمَنَ رَجُودَهُمَا مِنْهُمَا مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾.
- قد تأتي المنح مع المحن: فإن الله تعالى يعد أم موسى في لحظة كربتها بالفرج مع فضل عظيم، وهو جعل ابنها نبيا مرسلا، ﴿ وَلَا تَخَافِ وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾.
- الصبر عند المصائب منتهى من الله تعالى، فاسأل الله إياها، ﴿ لَوْلَا أَنْ رَظُنَّا عَلَى قَلْبِهَا أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾.



## ● الوقفات التدبرية

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾  
(وكذلك نجزي المحسنين). - في عبادة الله، المحسنين لحق الله، نعطهم علماً وحكماً بحسب إحسانهم، ودل هذا على كمال إحسان موسى عليه السلام. السعدي: ٦١٣.

السؤال: دلّت الآية على عظيم جزاء الإحسان، بين وجه ذلك.

﴿قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾

في هذا دليل على أن الأصل في النفس الإنسانية هو الخير، وأنه الفطرة، وأن الانحراف عنها يحتاج إلى سبب غير فطري؛ وهو تخلل نزغ الشيطان في النفس. ابن عاشور: ٩٠/٢.

السؤال: ما الأصل في النفس الإنسانية من خلال الآية الكريمة؟

﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِنْ شِيعَةِ هَٰذَا وَمِنَ الْآخَرِ فَاسْتَغْنَىٰ عَنْهُ وَخَرَّ غَوًى فَتَنَّمَا فِي يَدَيْهِ مِنَ الْوِكْزَةِ فَكَرَهُ مَوْعِنَ فَعَضَّ عَلَيْهُ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾

(ففضى عليه) معناه: قتله مجهزاً، وكان موسى - عليه السلام - لم يرد قتل القبطي، لكن وافقت وكرهته الأجل وكان عنها موته فندم، ورأى أن ذلك من نزغ الشيطان في يده، وأن الغضب الذي اقترنت به تلك الوكزة كان من الشيطان ومن همزه، ونص هو - عليه السلام - على ذلك، وبهذا الوجه جملة من عمله، وكان فضل قوة موسى ربما أفرط في وقت غضبه بأكثر مما يقصد. ابن عطية: ٢٨٠/٤.

السؤال: ما وجه إضافة موسى - عليه الصلاة والسلام - قتله للقبطي إلى الشيطان؛ مع أنه هو الفاعل؟

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ﴾

فاتعترف بظلمه نفسه فيما كان من جنابة على غيره لم يؤمر بها. ابن تيمية: ٧١/٥.

السؤال: الاعتراف بالحق صفة الأنبياء، بين ذلك.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾  
ثم اعترف واستغفر؛ فغفر الله له. فإن قيل: كيف استغفر من القتل وكان المقتول كافراً؟ فالجواب: أنه لم يؤذن له في قتله، ولذلك يقول يوم القيامة: إني قتلت نفساً لم أؤمر بقتلها. ابن جزى: ١٤١/٢.

السؤال: كيف استغفر موسى - عليه السلام - من قتل كافراً؟

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾  
ندم موسى - عليه السلام - على ذلك الوكز الذي كان فيه ذهاب

النفس، فحمله لدمه على الخضوع لربه، والاستغفار من ذنبه، قال قتادة: عرف والله المخرج؛ فاستغفر، ثم لم يزل يردد ذلك على نفسه مع علمه بأنه قد غفر له، حتى أنه في القيامة يقول: إني قتلت نفساً لم أؤمر بقتلها، وإنما عدده على نفسه ذنباً، وقال: (ظلمت نفسي فاغفر لي) من أجل أنه لا ينبغي لنبي أن يقتل حتى يؤمر، وأيضاً فإن الأنبياء يشفقون مما لا يشفق منه غيرهم. القرطبي: ٢٤٧/١٦-٢٤٨.

السؤال: لماذا اعتبر موسى - عليه السلام - نفسه مذنباً بقتل القبطي؟

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾

الظهير: المعين، والباء سببية، والمعنى: بسبب إضماكم علي لا أكون ظهيراً للمجرمين؛ فهي معاهدة عاهد موسى عليها ربه. ابن جزى: ١٤٠/٢.

السؤال: ما الذي يجب على المؤمن فعله إذا وقع منه ذنب ثم رأى نعم الله عليه بالستر والإحسان؟

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٥﴾ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِنْ شِيعَةِ هَٰذَا وَمِنَ الْآخَرِ فَاسْتَغْنَىٰ عَنْهُ وَخَرَّ غَوًى فَتَنَّمَا فِي يَدَيْهِ مِنَ الْوِكْزَةِ فَكَرَهُ مَوْعِنَ فَعَضَّ عَلَيْهُ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٧﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي آتَيْتُكَ بِخَبَرٍ مُّسْتَكْرَبٍ فَأَنْجِني مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
مِنْ شِيعَتِهِ	مِنْ قَوْمِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُمْ بَنُو إِسْرَائِيلَ.
فَوَكَرَهُ	ضَرَبَهُ بِجُمُعِ كَفَّهُ.
يَتَرَقَّبُ	يَتَوَقَّعُ الْمَكْرُوهَ.
يَسْتَصْرِخُهُ	يَطْلُبُ مِنْهُ النُّصْرَ.
لَقَوِيَّ	كَثِيرَ الْغَوَايَةِ، ضَالًّا عَنْ الرُّشْدِ.

## ● العمل بالآيات

- أصلح بين اثنين متخاصمين، ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِنْ شِيعَةِ هَٰذَا وَمِنَ الْآخَرِ فَاسْتَغْنَىٰ عَنْهُ وَخَرَّ غَوًى فَتَنَّمَا فِي يَدَيْهِ مِنَ الْوِكْزَةِ فَكَرَهُ مَوْعِنَ فَعَضَّ عَلَيْهُ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾.
- تذكر ذنباً فعلته، واستغفر الله، وقل: رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي، ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.
- دافع عن أحد الصالحين بالذب عنه فيما يكتب في الصحف أو الإنترنت، أو الرسائل، ﴿رَجَاءَ رَجُلٍ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَمْشِي لِكِ الْمَلَأَ بِأَيْمُونِكِ يَكُ الْمَلَأَ بِأَيْمُونِكِ﴾.

## ● التوجيهات

- أحسن في عبادتك بعبطك الله حكماً وعلماً، ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾.
- احذر الشيطان؛ فإنه عدو بني آدم، مضل لهم، ﴿قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾.
- من الإحسان: المبادرة في تقديم الخير للناس، وبذل النصيحة لهم، ﴿رَجَاءَ رَجُلٍ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَمْشِي لِكِ الْمَلَأَ بِأَيْمُونِكِ يَكُ الْمَلَأَ بِأَيْمُونِكِ﴾.

الْقَلِيلَيْنِ ﴿١٤﴾ أَي: من فرعون وملكه. فذكروا أن الله سبحانه وتعالى بعث إليه ملكاً على فرس فأرشده إلى الطريق، فآله أعلم.

الآية (١٤-١٧): لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى مَبْدَأَ أَمْرِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ذَكَرَ أَنَّهُ لَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى، آتَاهُ اللَّهُ حِكْمًا وَعِلْمًا، قَالَ مُجَاهِدٌ: بِعَنِي النَّبُوءَةِ. وَكَذَلِكَ تَجَزَّى الْمُتَحَبِّينَ ﴿١٥﴾.

ثُمَّ ذَكَرَ تَعَالَى سَبَبَ وَصُولِهِ إِلَى مَا كَانَ تَعَالَى قَدَّرَ لَهُ مِنَ النَّبُوءَةِ وَالتَّكْلِيمِ فِي قَضِيَّةِ قَتْلِهِ ذَلِكَ الْقِبْطِيَّ، الَّذِي كَانَ سَبَبَ خُرُوجِهِ مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ إِلَى بِلَادِ مَدْيَنَ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَوَحَلَّ آلَ مَدْيَنَ عَلَىٰ حِينٍ عَقَلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ﴾ أَي: يَتَضَارَبَانِ وَيَتَنَازَعَانِ. ﴿هَذَا مِنْ شِيعِهِ﴾ أَي: إِسْرَائِيلِي، ﴿وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾ أَي: قِبْطِي، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَتَاوَدَ السَّيِّدِي وَمُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ.

فَاسْتَفَاتِ الْإِسْرَائِيلِيَّ بِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَوَجَدَ مُوسَى فُرْصَةً، وَهِيَ غَفْلَةُ النَّاسِ، فَعَمِدَ إِلَى الْقِبْطِيِّ ﴿فَوَكَرَهُ مُوسَى﴾؛ قَالَ مُجَاهِدٌ: وَكَرَهُ أَي: طَعَنَهُ بِجُمُوعِ كُفُّهِ. وَقَالَ تَاوَدَ: وَكَرَهُ بِعَصَا كَانَتْ مَعَهُ.

﴿فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ أَي: كَانَ فِيهَا حُكْمُهُ فَمَاتَ. ﴿قَالَ﴾ مُوسَى: ﴿هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّي إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٧﴾ قَالَ رَبِّي يَمَّا أَتَمَمْتُ عَلَىٰ ﴿أَي: بِمَا جَعَلْتُ لِي مِنَ الْجَاهِ وَالْعِزَّةِ وَالْمَنَعَةِ﴾ ﴿فَلَنَ أَكُونُ ظَاهِرًا﴾ أَي: مُعِينًا ﴿لِّلْمُتَحَرِّينَ﴾ أَي: الْكَافِرِينَ بِكَ، الْمُخَالِفِينَ لِأَمْرِكَ.

الآية (١٨-١٩): يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ مُوسَى لَمَّا قَتَلَ ذَلِكَ الْقِبْطِيَّ أَنَّهُ أَصْبَحَ ﴿فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا﴾ أَي: مِنْ مَعْرَةِ مَا فَعَلَ ﴿يَتَرَقَّبُ﴾ أَي: يَتَلَفَّظُ وَيَتَوَقَّعُ مَا يَكُونُ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ.

فَعَرَّ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ ﴿فَإِذَا﴾ ذَاكَ ﴿الَّذِي اسْتَصْرَعَهُ بِالْأَمْسِ﴾ عَلَى ذَلِكَ الْقِبْطِيِّ يُقَاتِلُ آخَرَ، فَلَمَّا مَرَّ مُوسَى اسْتَصْرَخَهُ عَلَى الْآخَرِ، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: ﴿إِنَّكَ لَمَوْتِيٌّ﴾ أَي: ظَاهِرُ النُّوَابِغِ كَثِيرُ الشَّرِّ. ثُمَّ عَزَمَ عَلَى الْبَطْشِ بِذَلِكَ الْقِبْطِيِّ، فَاعْتَقَدَ الْإِسْرَائِيلِيَّ لِخَوَرِهِ وَضَعْفِهِ وَذَلَّتِهِ أَنَّ مُوسَى إِنَّمَا يُرِيدُ قَضَاءَهُ لَمَّا سَمِعَهُ يَقُولُ ذَلِكَ، فَقَالَ يَدْفَعُ عَنْ نَفْسِهِ: ﴿يَتَوَسَّعُ أَتْرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ﴾؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ لَمْ يَعْلَمْ بِهِ إِلَّا هُوَ وَمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَلَمَّا سَمِعَهَا ذَلِكَ الْقِبْطِيُّ لَقَفَهَا مِنْ قَعِهِ، ثُمَّ ذَهَبَ بِهَا إِلَى بَابِ فِرْعَوْنَ فَأَلْقَاهَا عَنْدهُ، فَعَلِمَ بِذَلِكَ، فَاسْتَدَّ حَقْنَهُ، وَعَزَمَ عَلَى قَتْلِ مُوسَى، فَطَلَبُوهُ وَبَغَتُوا وَرَاءَهُ لِيُخَضِّرُوهُ لِذَلِكَ. الْآيَةُ (٢٠): قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْتَسْخِرُكَ وَصَفَهُ بِالرَّجُولَةِ لِأَنَّهُ خَالَفَ الطَّرِيقَ، فَسَلَكَ طَرِيقًا أَقْرَبَ مِنْ طَرِيقِ الدِّينِ يُبْغِتُوا وَرَاءَهُ، فَسَبَقَ إِلَى مُوسَى.

﴿قَالَ يَتَوَسَّعُ إِنَّكَ لَمَلَأَ بِأَتْمِرُونَ يَدَكَ﴾ أَي: بِشَاوَرُونَ فِيكَ ﴿لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ﴾ أَي: مِنَ الْبَلَدِ ﴿إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾.

الآية (٢١): لَمَّا أَخْبَرَهُ ذَلِكَ الرَّجُلُ بِمَا تَسَمَّى عَلَيْهِ فِرْعَوْنَ وَدَوْلَتَهُ فِي أَمْرِهِ، خَرَجَ مِنْ مِصْرَ وَحَدَهُ، وَلَمْ يَأْلَفْ ذَلِكَ قَلْبَهُ، بَلْ كَانَ فِي رِفَاهِيَّةٍ وَنَعْمَةٍ وَرِيَاسَةٍ.

﴿خَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ أَي: يَتَلَفَّظُ ﴿قَالَ رَبِّي يُبْغِي مِنَ الْقَوِي

شعيب. وقال آخرون: كان شعيب قبل زمان موسى عليه السلام بمدة طويلة؛ لأنه قال لقومه: ﴿وَمَا قَوْمٌ لَوْطٍ مِنْكُمْ بِعِيبٍ﴾ [هود: ٨٩]. وقد كان هلاك قوم لوط في زمن الخليل عليه السلام بنص القرآن، وقد عُلِمَ أنه كان بين موسى والخليل -عليهما السلام- مدة طويلة تزيد على أربعمائة سنة كما ذكره غير واحد. وما قيل إن شعيباً عاش مدة طويلة، إنما هو -والله أعلم- احتراز من هذا الإشكال، ثم من الضموني لكونه ليس بشعيب أنه لو كان إياه لأَوْشَكَ أَنْ يُنْصَحَ عَلَى اسمه في القرآن ههنا. وما جاء في بعض الأحاديث من التصريح بذكره في قصة موسى لم يصح إسناده، والله أعلم.

وقوله: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَأْبَىٰ اسْتَجِرُّهُ إِنِّي خَشِيتُ مِنَ اسْتَجَرْتِ أَلْقَاؤَ الْأَيِّمِينَ﴾ أي: قالت إحدى ابنتي هذا الرجل. قيل: هي التي ذُكِرَتْ وراء موسى عليه السلام، قالت لأبيها: ﴿يَتَابَعْتُ اسْتَجِرُّهُ﴾ أي: لرعية هذه الغنم. قال عمر وابن عباس وشريح القاضي وقادة وغير واحد: ﴿لَمَّا قَالَتْ: ﴿إِنِّي خَشِيتُ مِنَ اسْتَجَرْتِ أَلْقَاؤَ الْأَيِّمِينَ﴾ قَالَ لَهَا أَبُوهَا: وَمَا عَلَيْكَ بِذَلِكَ؟ قَالَتْ: إِنَّهُ رَفَعَ الصَّخْرَةَ الَّتِي لَا يُطِيقُ حَمْلَهَا إِلَّا عَشْرَةُ رِجَالٍ، وَإِنَّهُ لَمَّا جِثَّتْ مَعَهُ تَقَدَّمَتْ أَمَامَهُ، فَقَالَ لِي: كُونِي مِنْ وَرَائِي، فَإِذَا اجْتَنَبْتُ الطَّرِيقَ فَاحْذِرِي لِي بِخَصَاةٍ أَعْلَمُ بِهَا كَيْفَ الطَّرِيقَ لِأَهْتَدِيَ إِلَيْهِ. عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: أَقْرَسَ النَّاسُ ثَلَاثَةً: أَبُو بَكْرٍ حِينَ تَقَرَّسَ فِي عُمُرٍ، وَصَاحِبُ يَوْسُفَ حِينَ قَالَ: ﴿أَكْرِمِي مَثْوَاهُ﴾ [يوسف: ٢١]، وَصَاحِبَةُ مُوسَى حِينَ قَالَتْ: ﴿يَتَابَعْتُ اسْتَجِرُّهُ إِنِّي خَشِيتُ مِنَ اسْتَجَرْتِ أَلْقَاؤَ الْأَيِّمِينَ﴾.

﴿قَالَ لِأَيُّ أُرِيدُ أَنْ أَتِيَّكَ إِحْدَى ابْنَتَيْ هَذَيْنِ﴾ أي: طَلَبَ إِلَيْهِ هَذَا الرَّجُلُ الشَّيْخَ الْكَبِيرَ أَنْ يَرْعَى عَنْهُ وَيُزَوِّجَهُ إِحْدَى ابْنَتَيْهِ هَاتَيْنِ. وقوله: ﴿وَلَعَلَّ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حِجَّاجٍ فَإِنِ اتَّخَذْتُ عَشْرًا مِمَّنْ فِي عِنْدِكَ﴾ أي: على أن تُزَوِّجَ عَلَيَّ ثَمَانِي سِنِينَ، فَإِنِ تَبَرَّغْتُ بِزِيَادَةِ سِنَيْنِ فَهُوَ إِلَيْكَ، وَإِلَّا فَفِي ثَمَانِ كِفَايَةٍ.

﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْسُقَ عَلَيْكَ سِتْرِي فَإِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ الصَّالِحِينَ﴾ أي: لَا أَشَاقُكَ، وَلَا أَؤَاذِيكَ، وَلَا أُمَارِيكَ.

وقوله تعالى إخباراً عن موسى عليه السلام: ﴿قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَةَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نُقُولُ وَكِيلٌ﴾، يقول: إن موسى قال لصهره: الأمر على ما قُلْتُ مِنْ أَنَّكَ اسْتَاجَرْتَنِي عَلَى ثَمَانِ سِنِينَ، فَإِنِ اتَّخَذْتُ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِي، فَإِنَا مَتَى قَعَلْتُ أَقْلَهُمَا فَقَدْ بَرَأْتُ مِنَ الْعَهْدِ، وَخَرَجْتُ مِنَ الشَّرْطِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَةَ عَلَيَّ﴾ أي: فَلَا حَرَجَ عَلَيَّ. وهذا وقد دَلَّ الدليل على أن موسى عليه السلام إنما قَعَلَ أَكْمَلَ الْأَجَلَيْنِ وَأَتَمَّهُمَا؛ رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ قَالَ: سَأَلَنِي يَهُودِيٌّ مِنْ أَهْلِ الْحَبَرَةِ: أَيُّ الْأَجَلَيْنِ قَضَىٰ مُوسَى؟ قَعَلْتُ: لَا أَدْرِي حَتَّى أَتَدْرَأَ عَلَى حَبَرِ الْعَرَبِ فَسَأَلَهُ. فَقَدِمْتُ فَسَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَقَالَ: قَضَىٰ أَكْثَرَهَا وَأَطْيَبَهَا، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ إِذَا قَالَ قَعَلَ.

الآية (٢٢-٢٤): ﴿وَلَمَّا نَزَحَتْ يَلْغَاةً مَذْيَكٌ﴾ أي: أَخَذَ طَرِيقًا سَالِكًا مَهْمِيًّا<sup>(١)</sup> فَرَحَ بِذَلِكَ ﴿قَالَ عَسَىٰ رَيْتُ أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ أي: إِلَى الطَّرِيقِ الْأَقْوَمِ. فَقَعَلَ اللَّهُ بِهِ ذَلِكَ، وَهَدَاهُ إِلَى الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَجَعَلَهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا. ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَذْيَكٍ﴾ أي: وَلَمَّا وَصَلَ إِلَى مَدِينِ وَوَرَدَ مَاءُهَا، وَكَانَ لَهَا بِشَرُّ تَرْدِهِ رِغَاءُ الشَّاءِ ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أَمَةً مِنْ الْكَاسِ﴾ أي: جَاعَةً ﴿يَسْتَقِرُّ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ أَمْرَاتَيْنِ تَذَوَّدَانِ﴾ أي: تُكْفِكِفَانِ عَنْهُمَا أَنْ تَرِدَ مَعَ غَنَمِ أَوْلَئِكَ الرِّعَاءِ لِئَلَّا يُؤْذِيَا. فَلَمَّا رَأَاهُمَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ رَقَى لِهَمَّا وَرَجَعَهَا.

﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا﴾ أي: مَا خَبَرُكُمَا لِمَا تَرِدَانِ مَعَ هَؤُلَاءِ؟ ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّيحَ﴾ أي: لَا يَخْتَصِلُ لَنَا سَقْيٌ إِلَّا بَعْدَ فِرَاقِ هَؤُلَاءِ، ﴿وَأَتُونَا شَيْخَ كَبِيرٍ﴾ أي: هَذَا الْحَالُ الْمُلْحِجُ لَنَا إِلَى مَا تَرَى.

قال تعالى: ﴿فَسَقَى لَهُمَا﴾ [روى] أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ عَنْ عُمَرَ ابْنِ الْخَطَّابِ: أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿لَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَذْيَكٍ وَجَدَ عَلَيْهِ أَمَةً مِنْ الْكَاسِ يَسْتَقِرُّ﴾، قَالَ: فَلَمَّا قَرَعُوا أَعْدَادُوا الصَّخْرَةَ عَلَى الْبِشْرِ، وَلَا يُطِيقُ رَفْعُهَا إِلَّا عَشْرَةُ رِجَالٍ، فَإِذَا هُوَ بِأَمْرَتَيْنِ تَذَوَّدَانِ، ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا؟ فَحَدَّثَتَاهُ، فَأَتَى الْحَجَرَ قَرَفَعَهُ، ثُمَّ لَمْ يَسْتَقِ إِلَّا ذَوْنِيَا وَاحِدًا حَتَّى رَوَيْتِ الْغَنَمَ. إِسْنَادٌ صَحِيحٌ. وَقَوْلُهُ: ﴿إِلَى الظِّلِّ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَابْنُ مَسْعُودٍ وَالشُّدِّي: جَلَسَ تَحْتَ شَجَرَةٍ.

الآية (٢٥-٢٨): ﴿لَمَّا رَجَعَتِ الْمَرَاتَانِ سَرِيمًا بِالْغَنَمِ إِلَى أَبِيهَا، أَنْكَرَ حَالَهَا وَمَجْنِبَتَهَا سَرِيمًا، فَسَأَلَهَا عَنْ خَبَرِهَا، فَقَصَّصَتْ عَلَيْهِ مَا قَعَلَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَبَشَّتْ إِحْدَاهُمَا إِلَيْهِ لَتَذَوُّهُ إِلَى أَبِيهَا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَمَّا تَلَقَّيْنِيهِمَا تَتَشَّى عَلَى أَسْبَحِيَّاءٍ﴾ أي: مُثْنِي الْخُرَائِرِ، كَمَا رَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: كَانَتْ مُسْتَبْرَءَةً بِكُمُ دِزْعَهَا. وَعَنْ عُمَرَ بْنِ مَيْمُونٍ قَالَ: قَالَ عُمَرُ: جَاءَتْ تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ، قَائِلَةٌ ثَوْبُهَا عَلَى وَجْهِهَا، لَيْسَتْ بِسَلْفَعٍ خَرَّاجَةٍ وَلَا جَاجَةٍ. هَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ. قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: السَّلْفَعُ مِنَ الرِّجَالِ: الْجَسُورُ، وَمِنْ النِّسَاءِ: الْجَرِيئَةُ السَّلِيطَةُ، وَمِنْ الثَّوْقِ: الشَّدِيدَةُ.

﴿قَالَتْ إِنِّي أَدْعُوكَ لِتَجْزِيَنِي بِكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ وَهَذَا تَأْدِيبٌ فِي الْبَيَارَةِ، لَمْ تَطْلُبْهُ طَلَبًا مُطْلَقًا لِئَلَّا يُؤْهِمَ رِيَّةً، بَلْ قَالَتْ: ﴿إِنِّي أَدْعُوكَ لِتَجْزِيَنِي بِكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾. يَعْنِي: لِيُثَبِّتَ وَيُكَافِكَ عَلَى سَفِيكَ لَغْنَمِنَا. ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ، وَفَضَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ﴾ أي: ذَكَرَ لَهُ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ، وَمَا جَزَى لَهُ مِنَ السَّبَبِ الَّذِي خَرَجَ مِنْ أَجْلِهِ مِنْ بَلَدِهِ. ﴿قَالَ لَا تَخَفْ جَعَلَتْ مِنْ أَلْقَاؤِ الظَّالِمِينَ﴾ يَقُولُ: طِبَّ نَفْسًا وَقَرَّ عَيْنًا؛ فَقَدْ خَرَجْتَ مِنْ مَمْلَكَتِهِمْ فَلَا حُكْمَ لَهُمْ فِي بِلَادِنَا؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿جَعَلَتْ مِنْ أَلْقَاؤِ الظَّالِمِينَ﴾.

وقد اختلف المفسرون في هذا الرجل: من هو؟ على أقوال:

أحدها: أنه شعيب النبي عليه السلام الذي أُرْسِلَ إِلَى أَهْلِ مَدِينِ. وهذا هو المشهور عند كثيرين، وقد قاله الحسن البصري وغير واحد، وقال آخرون: بل كان ابن أخي شعيب. وقيل: رجل مؤمن من قوم

(١) طريق مهيع: واسع واضح بين [لسان العرب مادة (هيع)].



## ● الوقفات التدريبية

﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ فَقَالُوا لَا نَسْقِي حَتَّى يَصْدُرَ الرَّعَاءُ وَأُبْرِكَاشِخْ كَبِيرٌ﴾  
(قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء؛ امرأتان لا نستطيع أن نزاحم الرجال،  
(وابونا شيخ كبير) لا يقدر أن يمس ذلك من نفسه، ولا يسقي ماشيته،  
فنحن ننتظر الناس حتى إذا فرغوا أسقينا، ثم انصرفوا. الطبري: ١٩/٥٥٤.

السؤال: دلت الآية على أن منع الاختلاط بين الجنسين من سنن الأنبياء  
والصالحين، وضح ذلك.

﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَزَلْتُكَ إِلَى مِنْ خَيْرٍ فَغِيرُ﴾  
فاول ذلك إيتاء الحكمة والعلم، ومن الخير: إنجاؤه من القتل، وقريبته  
الكلمة في بدخث الملك وعزته، وحفظه من أن تتسرب إليه عقائد العائلة  
التي ربي فيها؛ فكان منتقفا بمنافهها، مجنبا ردائلها واضرارها. ومن الخير:  
أن جعل نصر قومه على يده، وأن أنجاه من القتل الثاني ظلماً، وأن هداه إلى  
منجى من الأرض، ويسر له التعرف ببيت نبوة. ابن عاشور: ٢٠/١٠٢.

السؤال: اذكر ثلاثة من أوجه الخير التي أكرم الله به عبده موسى.

﴿فَجَاءَهُهُمَا بِكِبْرٍ وَكِبَرٍ عَلَى أَسْتَحْيَاوُ قَالَتُ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَزَلْتُكَ إِلَى يَدْعُوكَ لِجَزِيكَ  
أَجْرٌ مَا سَقَيْتُ لَنَا﴾

ولما كان الحياء كانه مركب لها وهي متمكنة منه، مالكة لزمانها،  
عبر بأداة الاستعلاء، فقال: (على استحياء) أي: حياء موجود منها؛ لأنها  
كلف الإتيان إلى رجل اجنبي: تكلمه، وتماشيه. البقاعي: ١٤/٣٦٨.

السؤال: الحياء سبب للزواج من الرجل الصالح، وضح هذا من خلال الآية.  
﴿قَالَتُ إِحْدَهُمَا بِتَأْتِيَّ أَسْتَجِرُّهُ لَكَ خَيْرٌ مِّنْ أَسْتَجَرْتُ الْقَوِيَ الْأَمِينُ﴾  
(استأجره) أي: اجعله أجيراً لك، (إن خير من استأجرت القوي الأمين)؛  
هذا الكلام حكمة جامعة بليغة؛ روي أن أباهما قال لها: من أين عرفت قوته  
وأمانته؟ قالت: أما قوته فهي رفعة الحجر عن فم البئر، وأما أمانته فإنه  
لم ينظر إلي. ابن جزي: ٢/١٤٣.

السؤال: في الآية مشروعية تقديم النصيح لمن بيده الأمر، بين ذلك.

﴿لَكَ خَيْرٌ مِّنْ أَسْتَجَرْتُ الْقَوِيَ الْأَمِينُ﴾  
هذان الوصفان ينبغي اعتبارهما في كل من يتولى للإنسان عملاً  
يأجارة أو غيرها؛ فإن الخلل لا يكون إلا بفقدتهما أو فقد إحداهما، وأما  
اجتماعهما فإن العمل يتم ويكمل. السعدي: ٦١٤.

السؤال: كيف نستنبط من الآية الصفات المثلى فيمن يتولى شؤون العامة؟  
﴿وَمَا أَرِيدُ أَنْ أُثْقِيَ عَلَيْكَ سَعْدِيذِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الْكَاسِلِينَ﴾  
فرغبه في سهولة العمل، وفي حسن المعاملة، وهذا يدل على أن الرجل  
الصالح ينبغي له أن يحسن خلقه مهما أمكنه. السعدي: ٦١٥.

السؤال: كيف تدل الآية على الواجب في أخلاق أصحاب الأعمال وأربابها؟  
﴿سَعْدِيذِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الْكَاسِلِينَ﴾

قصد بذلك تعريف خلقه لصاحبه، وليس هذا من تركية النفس  
المنهي عنه؛ لأن النهي عنه ما قصد به قائله الفخر والتمدح، فاما ما كان  
لفرض في الدين أو المعاملة؛ فذلك حاصل لداع حسن. ابن عاشور: ٢٠/١٠٩.  
السؤال: هل في قول شعيب: (ستجدني إن شاء الله من الصالحين) تركية لنفسه؟

وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سُبُلَ  
السَّبِيلِ ﴿٥٥﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ  
النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ  
مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يَصْدُرَ الرَّعَاءُ وَأُبْرِكَاشِخْ  
كَبِيرٌ ﴿٥٦﴾ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ  
رَبِّ إِنِّي لِمَا أَزَلْتُكَ إِلَى مِنْ خَيْرٍ فَغِيرُ ﴿٥٧﴾ فَجَاءَهُهُمَا  
بِكَبْرٍ وَكِبَرٍ عَلَى أَسْتَحْيَاوُ قَالَتُ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَزَلْتُكَ إِلَى يَدْعُوكَ لِجَزِيكَ  
أَجْرٌ مَا سَقَيْتُ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ  
لَا تَحْزَنْ جَعَلَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٥٨﴾ قَالَتَا إِحْدَهُمَا  
يَتَأْتِيَّ أَسْتَجِرُّهُ إِنْ خَيْرٌ مِّنْ أَسْتَجَرْتُ الْقَوِيَ الْأَمِينُ  
﴿٥٩﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ  
تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حَجْجٌ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ  
وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُلْثِقَ عَلَيْكَ سَعْدِيذِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ  
الصَّالِحِينَ ﴿٦٠﴾ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ  
قَضَيْتُ فَلَا عُدْرَةَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦١﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
تِلْقَاءَ مَدْيَنَ	جهنماً.
سُبُلَ السَّبِيلِ	الطريق الأحسن إلى مدین.
تَذُودَانِ	نحيسان غنمهما عن الماء.
مَا خَطْبُكُمَا	ما شأنكما؟
يُصْدِرُ الرَّعَاءَ	ينصرف الرعاء بأغنماهم عن الماء.
تَأْجُرَنِي	تكون أجيراً لي في زهي ماشيتي.
حَجْجٌ	سبين.

## ● العمل بالآيات

١. ساعد أحد الضعفاء بتقديم يد العون له، ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ فَقَالُوا لَا نَسْقِي حَتَّى يَصْدُرَ الرَّعَاءُ وَأُبْرِكَاشِخْ كَبِيرٌ﴾ ﴿٥٥﴾ فسقى لهم.
٢. أرسل رسالتك تنصح من تتكشف بستر نفسها، وأن الحياء سنة المؤمنين منذ القدم، ﴿فَجَاءَهُهُمَا بِكِبْرٍ وَكِبَرٍ عَلَى أَسْتَحْيَاوُ﴾ ، ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يَصْدُرَ الرَّعَاءُ﴾.
٣. كافئ شخصاً أحسن إليك؛ فإن هذا من داب الصالحين، ﴿قَالَتُ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَزَلْتُكَ إِلَى يَدْعُوكَ لِجَزِيكَ أَجْرٌ مَا سَقَيْتُ لَنَا﴾.

## ● التوجيهات

١. فضل الحياء للنساء، وشرف المؤمنات اللاتي يتعففن عن الاختلاط بالرجال، ﴿وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يَصْدُرَ الرَّعَاءُ وَأُبْرِكَاشِخْ كَبِيرٌ﴾.
٢. رعاية الضعفاء والقيام على مصالحهم من أخلاق الأنبياء وشيمهم، ﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَزَلْتُكَ إِلَى مِنْ خَيْرٍ فَغِيرُ﴾.
٣. من أسباب إجابة الدعاء تضرع العبد، وإظهاره ذله ومسكنته، كما قال موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَزَلْتُكَ إِلَى مِنْ خَيْرٍ فَغِيرُ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُورٌ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَسْمُوتَ يُرَىٰ أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾

وصف (رب العالمين) يدل على أن جميع الخلق مسخرة له؛ ليثبت بذلك قلب موسى من هول تلقي الرسالة. ابن عاشور: ١١٢/٢.

السؤال: ما دلالة وصف (رب العالمين) في الآية الكريمة؟

﴿ وَأَنْ أَلْقِي عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدِرًّا وَلَهُ يَمُوتُ يَسْمُوتُ أَقْبَلَ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴾

يبقى احتمال؛ وهو أنه قد يقبل وهو غير خائف، ولكن لا تحصل له الوقاية والأمن من المكروه، فقال: (إنك من الأمنين) فحينئذ اندفع المحذور من جميع الوجوه، فأقبل موسى عليه السلام غير خائف ولا مرعوب، بل مطمئن، وثاقبا بخبر ربه، قد ازداد إيمانه، وتم يقينه؛ فهذه آية أراه الله إياها قبل ذهابه إلى فرعون ليكون على يقين تام، فيكون اجرا له، وأقوى وأصلب. السعدي: ٦١٥.

السؤال: خوف القلوب وأمنها بيد الله سبحانه، وضع ذلك من الآية.

﴿ وَأَخَىٰ مَكْرُوثٌ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلَهُ مَعِي رَدًّا يُصَدِّقُنِي إِنَِّّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴾

وإنما عينه ولم يسأل مؤيدا ما تعلمه بأمانته، وإخلاصه لله وأخيه، وعلمه بفصاحته لسانه. ابن عاشور: ١١٦/٢.

السؤال: من سنن الأنبياء الحرص على الرفيق المصاحب في الدعوة؛ صاحب الصفات المناسبة؛ بين هذا من خلال الآية.

﴿ وَأَخَىٰ مَكْرُوثٌ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلَهُ مَعِي رَدًّا يُصَدِّقُنِي إِنَِّّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴾

(فارسه معي ردا أي: معاونًا ومساعدًا، (يصدقني) فإنه مع تضافر الأخبار يقوى الحق، فأجابه الله إلى سؤاله فقال: (سنشد عضدك بأخيك) أي: نعاونك به ونقويك. السعدي: ٦١٥.

السؤال: من كان صادقا في حمل هم الدعوة فإنه يسعى لإكمال نقصه بوسائل أخرى، وضع ذلك من الآية.

﴿ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ ﴾

قال بعض السلف: ليس أحد أعظم منة على أخيه من موسى على هارون عليهما السلام؛ فإنه شفع فيه حتى جعله الله نبيا ورسولا معه إلى فرعون وملئه. ابن كثير: ٣٧٥/٣.

السؤال: لموسى على هارون -عليهما السلام- منة عظيمة، بينها.

﴿ وَنَجْعَلُ لَكَ سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكَ بِأَنْتَ بِنَايْنَا أَنْتَا وَمِنَ اتَّبَعَكُمُ الْغَالِبُونَ ﴾

(أنتم ومن اتبعكم الغالبون)؛ وهذا وعد لموسى في ذلك الوقت، وهو وحده فريد، وقد رجع إلى بلده بعد ما كان شريدا، فلم تزل الأحوال تتطور، والأمور تنتقل، حتى أنجز الله له موعوده، ومكنه من العباد والبلاد، وصار له ولأتباعه، الغلبة والظهور. السعدي: ٦١٥.

السؤال: ما فائدة هذه الآية لموسى -عليه السلام- قبل بعثه لفرعون؟

﴿ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكَ سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكَ بِأَنْتَ بِنَايْنَا أَنْتَا وَمِنَ اتَّبَعَكُمُ الْغَالِبُونَ ﴾

ومحل العبرة من هذا الجزء من القصة: التنبيه إلى أن الرسالة فيض من الله على من اصطفاها من عباده، وأن رسالتهم محمد ﷺ كرسالة موسى؛ جاءته بفتنة فنودي محمد في غار جيل حراء كما نودي موسى في جانب جبل الطور، وأنه اعتراه من الخوف مثل ما اعتري موسى، وأن الله ثبتته كما ثبت موسى، وأن الله يكفيه أعداءه كما كفى موسى أعداءه. ابن عاشور: ١١٨/٢.

السؤال: في الآية إشارة وتلميح بأن الله سيثبت وينصر نبيه محمدا ﷺ، وضح ذلك.

﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا أَلْعَلَّيْهَا نَارُ مَنَاجِيرَ أَوْ جَدَّةٌ فَوَقَّتَ النَّارَ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿١٥﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُورٌ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَسْمُوتَ إِلَىٰ أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ وَأَنْ أَلْقِي عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدِرًّا وَلَهُ يَمُوتُ أَقْبَلَ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴿١٧﴾ أَسَلَكَ بِدَكَ فِي جَبِّكَ تَخْرُجُ بَيْضَةً مِنْ غَيْرِ سُرْعٍ وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَتَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿١٨﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿١٩﴾ وَأَخَىٰ هَارُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلَهُ مَعِيَ رَدًّا يُصَدِّقُنِي إِنَِّّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿٢٠﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكَ سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكَ بِأَنْتَ بِنَايْنَا أَنْتَا وَمِنَ اتَّبَعَكُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٢١﴾

## ● معاني الكلمات

المعنى	الكلمة
أَبْصَرَ.	آنَسَ
شُعْلَةٌ مِنَ النَّارِ.	جَدَّةٌ
تَسْتَدْفِنُونَ.	تَصْطَلُونَ
جَانِبٍ.	شَاطِئٍ
هَاتَانِ.	فَذَانِكَ
عَوْنَا.	رَدًّا
سُقُوتُكَ، وَتُعِينُكَ.	سَنَشُدُّ عَضُدَكَ

## ● العمل بالآيات

- اشك همك وخوفك إلى الله تعالى وحده، متأسيا بنبي الله موسى في شكواه إلى ربه، ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴾.
- ساعد أحد الدعاة في أمر يحتاجه، ﴿ فَأَرْسَلَهُ مَعِيَ رَدًّا يُصَدِّقُنِي إِنَِّّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴾.
- استعن بمن يعينك على القيام بدعوتك ممن يملك الموصفات المناسبة، ﴿ وَأَخَىٰ مَكْرُوثٌ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلَهُ مَعِيَ رَدًّا يُصَدِّقُنِي إِنَِّّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴾.

## ● التوجيهات

- الأنبياء أوفياء؛ فموسى قضى أوفى الأجلين وأتمه؛ وهو العشر، ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا ﴾.
- من صفات الصالحين: السعي في طلب الرزق، والاجتهاد في حل المشكلات الدنياوية بحكمة وصبر، ﴿ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا أَلْعَلَّيْهَا مَنَاجِيرَ أَوْ جَدَّةٌ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾.
- أحرص على استحضار الدليل والمثال المناسب في دعوتك، ﴿ فَذَانِكَ بُرْهَتَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾.

حَصَلَ لَكَ مِنْ خَوْفِكَ مِنَ الْحَيَّةِ. وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْمُرَادَ أَعْمَ مِنْ هَذَا، وَهُوَ أَنَّهُ أُمِرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا خَافَ مِنْ شَيْءٍ أَنْ يَضُمَّ إِلَيْهِ جَنَاحَهُ مِنَ الرَّهْبِ، وَهِيَ يَدُهُ، فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُهُ مِنَ الْخَوْفِ. وَرَبُّمَا إِذَا اسْتَعْمَلَ أَحَدُ ذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ الْاِقْتِدَاءِ فَوَضَعَ يَدَيْهِ عَلَى فُؤَادِهِ، فَإِنَّهُ يَزُولُ عَنْهُ مَا يَجِدُ أَوْ يَخَفُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَبِهِ الثَّقَةُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿فَنَذَرَكَ بَرَكَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ بِمَعْنَى الْإِقْدَاءِ الْعَصَا وَجَعَلَهَا حَيَّةً تَسْعَى، وَإِدْخَالَهُ يَدَهُ فِي جَيْبِهِ فَتَخْرُجُ بِيضًا مِنْ غَيْرِ سُوءِ دِلِيلَانِ قَاطِعَانِ وَاضِحَانِ عَلَى قُدْرَةِ الْفَاعِلِ الْمُخْتَارِ، وَصَحَّةِ نَبْوَةِ مَنْ جَرَى هَذَا الْخَارِقُ عَلَى يَدَيْهِ؛ وَهَذَا قَالَ: ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾ أَي: وَقَوْمِهِ مِنَ الرُّسَاءِ وَالْكَهْبَاءِ وَالْأَتْبَاعِ، ﴿وَنُفِثَ كَأَنفَاقِهِمْ فَنَفِثُوا﴾ أَي: خَارَجِينَ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ، مُخَالِفِينَ لِأَمْرِهِ وَدِينِهِ.

الآيَةُ (٣٣-٣٥): لَمَّا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِالذَّهَابِ إِلَى فِرْعَوْنَ الَّذِي إِنَّمَا خَرَجَ مِنْ دِيَارِ مِصْرَ فِرَارًا مِنْهُ وَخَوْفًا مِنْ سَطْوَتِهِ، ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قُلْتُ إِنَّهُمْ نَفَسًا﴾ بِمَعْنَى ذَلِكَ الْقَبِيضِ ﴿فَأَنفَثُوا نَفْسَهُمْ﴾ أَي: إِذَا رَأَوْهُ. ﴿وَأَخَى هَارُونَ﴾ هُوَ أَفْصَحُ بِمَعْنَى لِسَانًا، وَذَلِكَ أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ فِي لِسَانِهِ لَفْظَةً، بِسَبَبِ مَا كَانَ تَتَوَلَّى تِلْكَ الْجَمْعَةُ حِينَ خَبَّرَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الثَّرَةِ أَوْ الدُّرَّةِ، فَأَخَذَ الْجَمْعَةُ فَوَضَعَهَا عَلَى لِسَانِهِ، فَحَصَلَ فِيهِ شِبْهُةٌ فِي التَّعْبِيرِ؛ وَهَذَا قَالَ: ﴿وَأَسْمَلُ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي﴾ بِمَعْنَى قَوْلِي ﴿١٥﴾ وَأَجْعَلْ فِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ﴿١٦﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿١٧﴾ أَشَدُّ بِؤْسَ آزَرِي ﴿١٨﴾ وَأَشْرَكَ فِي أَمْرِي ﴿١٩﴾ (ط: ٢٧-٣٢)، أَي: يُؤَسِّسِي فِيهَا أَمْرَتِي بِهِ مِنْ هَذَا الْمَقَامِ الْعَظِيمِ، وَهُوَ الْقِيَامُ بِأَعْيَابِ النُّبُوَّةِ وَالرَّسَالَةِ إِلَى هَذَا الْمَلِكِ الْمُتَكَبِّرِ الْجَبَّارِ الْعَنِيدِ.

وَهَذَا قَالَ: ﴿فَأَرْسَلْتُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي﴾ أَي: وَزِيرًا وَمُعِينًا وَمُقَوِّيًا لِأَمْرِي، يُصَدِّقُنِي فِيمَا أَقُولُهُ وَأُخْبِرُ بِهِ عَنْ اللَّهِ ﷻ؛ لِأَنَّ خَبَرَ اثْنَيْنِ أَنْجَعُ فِي النُّفُوسِ مِنْ خَبَرِ وَاحِدٍ، وَهَذَا قَالَ: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾. وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ: ﴿رِدْءًا يُصَدِّقُنِي﴾ أَي: يَبَيِّنُ لِي لِمَ عَنِي مَا أَكُلِّمُهُمْ بِهِ؛ فَإِنَّهُ يَفْهَمُ عَنِي مَا لَا يَفْهَمُونِي.

فَلَمَّا سَأَلَ ذَلِكَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ أَي: سَنَقْوِي أَمْرَكَ، وَنُعِزُّ جَانِبَكَ بِأَخِيكَ، الَّذِي سَأَلَتْ لَهُ أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا مَعَكَ. وَهَذَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: لَيْسَ أَحَدٌ أَعْظَمُ مَنَّةً عَلَى أَخِيهِ مِنْ مُوسَى عَلَى هَارُونَ -عَلَيْهِمَا السَّلَامُ- فَإِنَّهُ شَفَعَ فِيهِ حَتَّى جَعَلَهُ اللَّهُ نَبِيًّا وَرَسُولًا مَعَهُ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ، وَهَذَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي حَقِّ مُوسَى: ﴿وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ [الأحزاب: ٦٩].

﴿وَجَعَلْنَا لَكُمَا سُلْطَانًا﴾ أَي: حِجَّةً قَاهِرَةً ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْنَا﴾ بِمَعْنَى أَنَّهُ لَا سَبِيلَ لَهُمْ إِلَى الْوُصُولِ إِلَى إِذَاكَمَا بِسَبَبِ إِبْلَاغِكُمَا آيَاتِ اللَّهِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهَا لَا تُغْنِي عَنْهُمْ شَيْئًا﴾ [الأحزاب: ٣٩]، أَي: وَكَفَى بِاللَّهِ نَاصِرًا وَمُعِينًا وَمَوْئِدًا. وَهَذَا أَخْبَرَنَا أَنَّ الْعَاقِبَةَ لَهَا وَلَمْ يَتَّبِعْهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَقَالَ: ﴿أَنشَأْ وَمَنْ أَتَبَعُكُمْ أَتَلْبِثُونَ﴾ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَخْلَيْنَ أَتَاوُسَ عَلَى رَأْسِ اللَّهِ قُوًى عَزِيزًا﴾ [المجادلة: ٢١].

الآيَةُ (٢٩-٣٢): قَدْ تَقَدَّمَ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ قَبْلُهَا أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَضَى أَتَمَّ الْأَجَلِينَ وَأَوْفَاهُمَا وَأَبْرَهُمَا وَأَكْمَلَهُمَا وَأَنْقَاهُمَا، وَقَدْ يُسْتَفَادُ هَذَا أَيْضًا مِنَ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ حَيْثُ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ﴾ أَي: الْأَكْمَلَ مِنْهَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. ﴿وَسَارَ بِأَهْلِيهِ﴾ قَالُوا: كَانَ مُوسَى قَدْ اشْتَقَّ إِلَى بِلَادِهِ وَاهْلِهِ، فَعَزَمَ عَلَى زِيَارَتِهِمْ فِي خُفْيَةٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ، فَتَحَمَّلَ بِأَهْلِهِ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ الْغَنَمِ الَّتِي وَهَبَهَا لَهُ صِهْرُهُ، فَسَلَكَ بِهِمْ فِي لَيْلَةٍ مَطِيرَةٍ مُظْلِمَةٍ بَارِدَةٍ، فَتَزَلَّ مَتَزِلًا، فَجَحَلَ كَلْبًا أَوْزَى رَنْدَهُ لَا يُضِيءُ شَيْئًا، فَتَجَبَّبَ مِنْ ذَلِكَ، فَبَيَّنَّا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ: ﴿مَاتَكَ مِنْ جَانِبِ الظُّلُمِ كَارًا﴾ أَي: رَأَى نَارًا نُفِثَ لَهُ عَلَى بُعْدِ، ﴿قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا﴾ أَي: حَتَّى أَتَّعَبَ إِلَيْهَا، ﴿لَعَلِّي مَأْتِيكُمْ بِخَبَرٍ﴾ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ قَدْ أَضَلَّ الطَّرِيقَ، ﴿أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ﴾ أَي: قِطْعَةً مِنْهَا ﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ أَي: تَتَذَفُّونَ بِهَا مِنَ الْبَرَدِ.

﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُورٌ﴾ مِنْ سُلْطَنِ الْأَوَادِ الْأَتَيْنِ. أَي: مِنْ جَانِبِ الْوَادِي مِمَّا عَلَى الْجَبَلِ عَنْ يَمِينِهِ مِنْ نَاحِيَةِ الْغَرْبِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنْتُ بِجَانِبِ آلِ فِرْعَوْنَ إِذْ فَصَّيْنَاهُ إِلَى مُوسَى الْأَخْتَرِ﴾ [القصص: ٤٤]، فَهَذَا يَأْتِي بِرُشْدٍ إِلَى أَنَّ مُوسَى قَصَدَ النَّارَ إِلَى جِهَةِ الْقَبْلَةِ، وَالْجَبَلِ الْغَرْبِيِّ عَنْ يَمِينِهِ، وَالنَّارَ وَجَدَهَا تَضْطَرُّمُ فِي شَجَرَةٍ خَضِرَاءَ فِي لَحْفِ الْجَبَلِ مِمَّا عَلَى الْوَادِي، فَوَقَّفَ بِهَا تَمَّا فِي أَمْرِهِ، فَدَادَهُ رَبُّهُ. ﴿مِنْ سُلْطَنِ الْأَوَادِ الْأَتَيْنِ﴾ فِي الْقَبْعَةِ الْمُبْدَرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ. وَقَوْلُهُ: ﴿أَنْ يَسْمُوتَ إِذْ أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ أَي: الَّذِي يُحَاطِطُ وَيُكَلِّمُكَ هُوَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، الْفَعَالُ لِمَا يَشَاءُ، لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، وَلَا رَبَّ سِوَاهُ، تَعَالَى وَتَقَدَّسَ وَتَنَزَّاهُ عَنْ مِثَالَةِ الْمَخْلُوقَاتِ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ، وَأَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ سُبْحَانَهُ!

وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَنْ أَلْقَى عَصَاكَ﴾ أَي: الَّتِي فِي يَدِكَ. كَمَا قَرَّرَهُ عَلَى ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا يَأْتِيكَ بِسِحْرِيكَ يَمْشِي﴾ ﴿٢٠﴾ قَالَ هُوَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَمْشِي مَعَ آلِي عَنِي وَلِي فِيهَا مَنَازِلُ أُخْرَى. (ط: ١٧-١٨).

وَالْمَعْنَى: أَمَّا هَذِهِ عَصَاكَ الَّتِي تَعْرِفُهَا أَلْقِهَا ﴿٢١﴾ فَالْقَوْلُ فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴿٢٠﴾، فَعَرَفَ وَتَحَقَّقَ أَنَّ الَّذِي يُحَاطِطُ وَيُكَلِّمُهُ هُوَ الَّذِي يَقُولُ لِلشَّيْءِ: «كُنْ» فَيَكُونُ. وَقَالَ هَهُنَا: ﴿فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ﴾ أَي: تَضْطَرُّبُ ﴿كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾ أَي: فِي حَرَكَتِهَا السَّرِيعَةِ مَعَ عَظَمِ خَلْقِ قُوَّائِهَا وَاتِّسَاعِ قُوَّامِهَا، وَاصْطِلَاحِهَا أَنْبَاءَهَا وَأَضْرَاسَهَا، بِحَيْثُ لَا تَمُرُ بِصَخْرَةٍ إِلَّا ابْتَلَعَتْهَا، فَتَنْخَلِجُ فِيهَا تَنْفَعُفَقَ، كَأَنَّهَا حَاوِرَةٌ فِي وَادٍ فَعِنْدَ ذَلِكَ ﴿وَلَىٰ مُدِيرٌ وَلَا يَعْصِيكَ﴾ أَي: وَلَمْ يَكُنْ يَلْتَمِصُ؛ لِأَنَّ طَبْعَ الْبَشَرِيَّةِ يَتَغَيَّرُ مِنْ ذَلِكَ. فَلَمَّا قَالَ اللَّهُ لَهُ: ﴿يَسْمُوتُ أَقِيلَ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِينَ﴾ رَجَعَ فَوَقَّفَ فِي مَقَامِهِ الْأَوَّلِ. ثُمَّ قَالَ اللَّهُ لَهُ: ﴿أَسْأَلُكَ بِذَلِكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بِيضًا مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ أَي: إِذَا أَدْخَلْتُ يَدَكَ فِي جَيْبِ وَزْعِكَ، ثُمَّ أَخْرَجْتَهَا فَإِنَّهَا تَخْرُجُ تَنَلَّالًا، كَأَنَّهَا قِطْعَةُ قَمَرٍ فِي لِمَعَانِ الْبَرَقِ؛ وَهَذَا قَالَ: ﴿مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ أَي: مِنْ غَيْرِ بَرَصٍ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَضْمَمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ: مِنَ الْفَزَعِ. وَقَالَ قَتَادَةُ: مِنَ الرَّهْبِ. وَقَالَ ابْنُ أَسْلَمَ وَابْنُ جَرِيرٍ: مِمَّا



وقال: ﴿يَأْتِيَكُمُ الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ وهذا قول ابن جرير.

وقوله: ﴿وَأَسْتَكَرَّ هُوَ وَحُثُوهُ فِي الْأَرْضِ يَكْتُمُ الْحَقَّ وَطَنُوا أَنَّهُمْ إِلْسًا لَا يُرْجَعُونَ﴾ أي: طغوا وتَجَرَّروا، وأكثرُوا في الأرض الفساد، واعتقدوا أنه لا مَعَادَ ولا قِيَامَةَ، ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ ﴿٣٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبَازِلٌ مُّصَادٍ ﴿[النجر: ١٣-١٤]، ولهذا قال مهنا: ﴿فَأَحْذَرْتَهُ وَحُثُوهُ، فَسَبَّحْنَاهُمْ فِي اللَّيْلِ﴾ أي: أغرقتاهم في البحر في صبيحة واحدة، فلم يَبْقَ منهم أحد.

﴿فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٣٧﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً يَذْعَرُونَ إِلَى اتِّكَارٍ﴾ أي: لمن سَلَكَ وراءهم وأخذ بطريقتهم في تكذيب الرُّسل وتعطيل الصانع.

﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ لَا يُصْرُونَ﴾ أي: فاجتمع عليهم خزي الدنيا موصولاً بِذُلِّ الآخرة، كما قال تعالى: ﴿أَهْلِكْتَهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ [عد: ١٣]. وقوله: ﴿وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ أي: وشرع الله لعنتهم ولعنة مَلِكِهِم فرعون على السنة المؤمنين من عباده السُّعْيِينَ رُسُلَهُ، وكما أنهم في الدنيا ملمعونون على السنة الأنبياء وأتباعهم، كذلك يوم القيامة هم من المقيوحين.

قال قتادة: وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةَ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ الرَّقْدُ الْمَرْفُودُ﴾ [هود: ٩٩].

الآية (٤٣): تجرّ تعالى عَمَّا نَعْمَ به على عبده ورسوله موسى الكليم، عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم، من إنزال التوراة عليه بعد ما أَهْلَكَ فرعون وملاؤه.

وقوله تعالى: ﴿مِن بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى﴾ يعني: أنه بعد إنزال التوراة لم يَعْذَبْ أُمَّةً بِعَاقِبَةٍ، بل أَمَرَ المؤمنين أَنْ يُقَاتِلُوا أعداء الله من المشركين؛ كما قال تعالى: ﴿وَجَاءَ زَعْرُونَ وَنَّ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَةَ بِالْخَاطِلَةِ﴾ ﴿١﴾ فَمَضَى رَسُولُ رَبِّهِمْ فَلَمَّحَهُمْ أَخَذَهُ رَابِعَةً﴾ [الحاقة: ٩، ١٠].

وقوله: ﴿بَصَاكِرَ لِلنَّاسِ﴾ أي: من العَمَى والغَيِّ، ﴿وَعُدَى﴾ إلى الحق، ﴿وَرَحْمَةً﴾ أي: إرشاداً إلى الأعمال الصالحة؛ ﴿لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ أي: لعلَّ الناس يتذكرون به، ويهتدون بسببه.

الآية (٣٦-٣٧): تجرّ تعالى عن نجي موسى وأخيه هارون إلى فرعون وملئه، وعَرَضَهُ ما آتاهما الله من المعجزات الباهرة والدلالة القاهرة، على صِدْقِهَا فيها أخبرا به عن الله ﷻ من توحيده واتباع أوامره. فلما عاين فرعون ومَلُوهُ ذلك وشاهدوه وتحققوه، وأيقنوا أنه من الله، عَدَلُوا بكفرهم وبَغَيْهِم إلى العناد والمباهة؛ وذلك لطغيانهم وتكبرهم عن اتباع الحق، فقالوا: ﴿مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرَى﴾ أي: مُفْتَعَلٌ مصنوع. وأرادوا معارضته بالحيلة والجاه، فما صَدَّ عنهم ذلك. وقوله: ﴿وَمَا سَعَيْنَا فِيهِ بِمَا كَانُوا الْأَوَّلِينَ﴾ يعني: عبادته الله وحده لا شريك له، يقولون: ما رأينا أحداً من آبائنا على هذا الدين، ولم نَرِ الناس إلا يُشْرِكُونَ مع الله آفةً أخرى.

فقال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ عِيَا لَهُم: ﴿رَبِّ أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَهُ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ﴾ يعني: مني ومنكم، وسيفصل بيني وبينكم. ولهذا قال: ﴿وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾ أي: النَّصْرَةُ والظَّفَرُ والتأييد؛ ﴿إِنَّهُ لَا يُمْلِكُ الظَّالِمُونَ﴾ أي: المشركون بالله ﷻ.

الآية (٣٨-٤٢): تجرّ تعالى عن كفر فرعون وطغيانه وافتراءه في دعوى الإلهية لنفسه القبيحة -لعنه الله- قال الله تعالى: ﴿فَأَسْحَفَتْ قَوْمَهُ فَآطَاعُوهُ﴾ [الزخرف: ٥٤]، وذلك لأنه دعاهم إلى الاعتراف له بالإلهية، فأجابوه إلى ذلك بِقِلَّةِ عقولهم وسخافة أذهانهم؛ ولهذا قال: ﴿يَأْتِيَكُمُ الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾، وقال تعالى إخباراً عنه: ﴿فَحَسْرَتَانِي﴾ ﴿٣٧﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَوَّلُ﴾ ﴿٣٨﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ ﴿٣٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَنْ يَتَّقِي﴾ [النزعات: ٢٣-٢٤] يعني: أنه جمع قومه ونادى فيهم بصوته العالي مُصْرَحاً لهم بذلك، فأجابوه سامعين مطيعين. ولهذا انتقم الله تعالى منه، فجعلهُ عبرةً لغيره في الدنيا والآخرة، وحتى إنه واجه موسى الكليم بذلك فقال: ﴿لَئِنْ أَخَذْتُ إِلَهًا غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُورِينَ﴾ [الشعراء: ٢٩].

وقوله: ﴿فَأَوْقَدْ لِي يَهْنَكُنْ عَلَى الطَّيْنِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَّسَكِّي أَطْلُعَ إِلَهَ إِلَهٍ مُّوسَى﴾ أي: أَمَرَ وزيره هامان ومُدَبِّرَ رعيته ومشير دولته أَنْ يُوقِدَ له على الطَّيْنِ، لِيَجْزِلَ له أَجْرًا لِبْناءِ الصَّرْحِ، وهو القَصْرُ السُّنِيفِ الرفيع؛ كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَقَالَ وَفُتُونِي يَهْمَكُنْ آتِيَنِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ ﴿٤٠﴾ أَسْبَابَ السَّمَرَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَذِبًا وَكَذَلِكَ زَيْنُ يَفْرَعُونَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ [غافر: ٣٦-٣٧].

وذلك لأن فرعون بنى هذا الصَّرْحَ الذي لم يُر في الدنيا بناء أعلى منه، إنما أراد بهذا أن يُظْهِرَ لرعيته تكذيب موسى فيما رَعَمَهُ من دعوى إله غير فرعون؛ ولهذا قال: ﴿وَإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ أي: في قوله: إِنَّ نَمَ رَبًّا غَيْرِي، لا أنه كَذَبَ في أن الله أَرْسَلَهُ؛ لأنه لم يكن يَعْرِفُ بوجود الصانع؛ فإنه قال: ﴿وَمَا رَبِّي الْعَالِيِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣]، وقال: ﴿لَئِنْ أَخَذْتُ إِلَهًا غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُورِينَ﴾ [الشعراء: ٢٩]،



## ● الوقفات التدريبية

﴿جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرٍ وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾

(وما سمعنا بهذا) أي: الذي نقوله من الرسالة عن الله. (في آبائنا): وأشاروا إلى البدعة التي قد أضلت أكثر الخلق؛ وهي تحكيم عوائد التقليد؛ ولا سيما عند تقادمها. البقاعي: ١٤/٢٩٢.

السؤال: ما أكثر حجة يرددها المتبدعة في بدعتهم؟

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتْلُوا كِتَابَ الْمَلَكِ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِ فَأَوْذَىٰ بِرِيحِهِمْ يَوْمَئِذٍ فَأَخَذَهُمُ الْمَلَكُ فَأَنزَلْنَاهُمْ سَوَاءً وَكَانَ صَرْحًا لِّعَالَمٍ﴾

ولكن العجب من هؤلاء الملأ الذين يزعمون أنهم كبار... كيف لعب هذا الرجل بعقولهم، واستخف أحلامهم؟! وهذا لتسقيم الذي صار صفة راسخة فيهم، فسد دينهم، ثم تبع ذلك فساد عقولهم. تفسير السعدي: ١٦٦.

السؤال: كيف فسدت عقول قوم فرعون؟

﴿فَأَنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾

فانظر يا محمد بعين قلبك: كيف كان أمر هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم فكفروا بربهم، وردوا على رسوله نصيحته، ألم نهلكهم فنورث ديارهم وأموالهم أوليائنا؟! الطبري: ١٩/٥٨٢.

السؤال: بين كيف أمر الله نبيه عليه الصلاة والسلام بأن ينظر إلى عاقبة إهلاك فرعون وجنوده ولم يكن معهم في زمنهم؟

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً يُعَذِّبُ عَلَى النَّكَارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُبْصَرُونَ﴾ (الآية يدعو إلى النار) أي: كانوا يدعون الناس إلى الكفر للوجوب للنار. ابن جزي: ٢/١٤٣.

السؤال: كيف يكون الإنسان داعية إلى النار؟

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً يُعَذِّبُ عَلَى النَّكَارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُبْصَرُونَ﴾ أي: جعلناهم زعماء يتبعون على الكفر، فيكون عليهم وزرهم ووزر من اتبعتهم حتى يكون عقابهم أكثر، وقيل: جعل الله الملأ من قوم رؤساء السفلة منهم، فهم يدعون إلى جهنم، وقيل: آتاهم بهم ذوو العبر، ويتعظ بهم أهل البصائر. القرطبي: ١٦/٣٣٠.

السؤال: بين كيف كانوا زعماء في الكفر.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بَصَارًا لِلنَّاسِ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّعَالَمٍ يَتَذَكَّرُونَ﴾

إن الله سبحانه وتعالى كانت سنته قبل إنزال التوراة إذا كذب نبي من الأنبياء ينتقم الله من أعدائه بعذاب من عنده؛ كما أهلك قوم نوح بالفقر، وقوم هود بالبرح الصرصر، وقوم صالح بالصيحة، وقوم شعيب بالظلمة، وقوم لوط بالحاصب، وقوم فرعون بالفرق. ابن تيمية: ٨٠/٥.

السؤال: اذكر خمسة من أنواع عذاب الله للآدم العاصية.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ﴾ وهذا دليل على أنه بعد نزول التوراة انقطع الهلاك العام، وشرع جهاد الكفار بالسيف. السعدي: ١٦٧.

السؤال: هل حصل هلاك عالم لآمة من الأمم بعد هلاك فرعون وقومه؟

فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرٍ وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿١﴾ وَقَالَ مُوسَى رَأَيْتُ أَكْثَرَكُمْ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ وَرَأَيْتُكُمْ تَقُولُونَ لَئِنْ آتَيْنَا بِكُمْ آيَةً فَقَدْ فَعَلْنَا فِيكُمْ آيَةً فَاقْبَلُوا آلَاءَ اللَّهِ وَاعْلَمُوا بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتْلُوا كِتَابَ الْمَلَكِ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِ فَأَوْذَىٰ بِرِيحِهِمْ يَوْمَئِذٍ فَأَخَذَهُمُ الْمَلَكُ فَأَنزَلْنَاهُمْ سَوَاءً وَكَانَ صَرْحًا لِّعَالَمٍ ﴿٣﴾ وَأَنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٤﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً يُعَذِّبُ عَلَى النَّكَارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُبْصَرُونَ ﴿٥﴾ وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿٦﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بَصَارًا لِلنَّاسِ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّعَالَمٍ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٧﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
مُفْتَرٍ	مُخْتَلَقٌ، تَنْسِبُهُ إِلَى اللَّهِ كَذِبًا.
عَاقِبَةُ الدَّارِ	النَّهَائِيُّ الْمَحْمُودَةُ فِي الْآخِرَةِ.
صَرْحًا	بِنَاءً عَالِيًا.
فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ	فَأَلْقَيْنَاهُمْ وَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْبَحْرِ.
آيَةً	قَادَةً إِلَى النَّارِ.
وَأَتْبَعْنَاهُمْ	أَلْحَقْنَاهُمْ.
الْمَقْبُوحِينَ	الْمُبْغِضِينَ الْمُسْتَقْدَرَةَ أَفْعَالُهُمْ.
بَصَارًا لِلنَّاسِ	نُورًا يَلْقَوْنَهُمْ يُبْصِرُونَ بِهِ الْحَقَائِقَ.

## ● العمل بالآيات

- استعد بالله من الاستكبار عن الحق، ﴿وَأَسْتَكَرُّهُ وَجُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِكَيْفِ الْحَقِّ وَطَرَأَ أَهْلُهُ إِيَّانَا لَا يُرْجَعُونَ﴾.
- أرسل رسالة تحذر فيها من يقتدي به في الشر أن عليه وزره ووزر من اقتدى به، ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً يُعَذِّبُ عَلَى النَّكَارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُبْصَرُونَ﴾.
- سل الله تعالى أن تكون إماما في الخير، واستعد به أن تكون إماما في الشر، ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً يُعَذِّبُ عَلَى النَّكَارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُبْصَرُونَ﴾.

## ● التوجيهات

- المؤمن واثق من وعد الله أهل طاعته بالعاقبة الحميدة، ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبِّ أَعْلَمْ بِمَا كَانَ آلُ فِرْعَوْنَ يَفْعَلُونَ لَأَن يُغْنِيَهُمْ أَجْرُكَ فَكَانَ عَاقِبَتُكَ فَتَبَدَّدْتَهُمْ فَأَنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾.
- احذر أن تكون ظالما؛ فعاقبة الظالمين إلى الخسارة، ﴿إِنَّهُ لَا يَفْلَحُ الظَّالِمُونَ﴾.
- عاقبة الظلمة الدمار والهلاك، ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ فَتَبَدَّدْتَهُمْ فَأَيُّ الْآيَةِ فَنَظَرْتُ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾.



## ● الوقفات التدبيرية

﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾  
 (وَمَا كُنْتُ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ): خطاب لسيدنا محمد ﷺ، والمراد به إقامته  
 حجة لإخباره بحال موسى وهو لم يحضره. (والغربي): المكان الذي في  
 غربي الطور؛ وهو المكان الذي كلم الله فيه موسى. والأمر المقضي إلى  
 موسى هو النبوة. (من الشاهدين) معناه: من الحاضرين هناك ... المعنى:  
 لم تحضريا محمد للاطلاع على هذه الغيوب التي تخبر بها، ولكنها  
 صارت إليك بوحينا؛ فكان الواجب على الناس التسارعة إلى الإيمان بك  
 ابن جزى: ١٤٥/٢.

**السؤال:** كيف كان في خبر موسى عليه السلام دليل على أن هذا الكتاب من عند الله، وأن محمداً رسول الله؟

﴿ وَلَكُمْ أَنْتُمْ مَدْرُسًا فَكَلِّمُوا عَلَيْهِمُ الْعِلْمَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْرَهُونَ ﴾  
 ﴿ أَهْلَ مَدْرَسَةٍ تَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكُمْ كِتَابٌ مُزِينٌ ﴾

فاندرس العلم، وتُسيِّت آياته؛ فبعضناك في وقت اشتدت الحاجة إليك،  
 وإلى ما علمناك وأوحينا إليك السعدي: ٦١٧.

**السؤال: متى تتأكد الحاجة في الناس إلى وجود داعية يذكرهم ويعلمهم؟**

وَلَكُمْ أَنَا فُتُوًا فَتَوَلَّوْا عَلَيْهِمُ الْمُنْمَرُ ﴿٣﴾

وذلك ان الله تعالى قد عهد إلى موسى وقومه عهداً في محمد ﷺ والإيمان به، فلما طال عليهم العمر، وخلفت القرون بعد القرون نسوا تلك العهد وتركوا الوفاء بها. البغوي: ٤٤٣/٣.

**السؤال: ما الذي نسيه قوم موسى بتناول العمر عليهم؟**

﴿وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ يَأْكُلَ النَّاسُ أَلْسِنَهُمْ﴾<sup>٢٩٧</sup>  
 أي بما اقترحوا من الكفر والمعاصي. ويعبر عن كل الأعمال وإن لم  
 تصدر عن الأيدي باجتراف الأيدي وتقديم الأيدي لما أن أكثر الأعمال  
 تزاول بها. الألوسي: ١/٢٩٧.

السؤال: الأيدي نعمة من الله ووسيلة تستخدمها في الخير وفي الشر، وضح ذلك.

﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ  
 اتَّبَعَ هَوَاهُ يَمْشِي هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾

دليل على أن كل من لم يستجب للرسول، وذهب إلى قول مخالف لقول الرسول؛ فإنه لم يذهب إلى هُدى، وإنما ذهب إلى هوى. السعدي: ٦١٨.

**السؤال: ما علامة اتباع الهوى المذكورة في هذه الآية؟**

﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ فَاعْلَمْ أَنَّهُمْ أَهْلُ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ وَأَنْزَلَ مَعَهُ الْقُرْآنَ نَزْلًا أَرَادَ أَنْ يُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٨٣﴾

والأهواء هي إرادات النفس بغير علم؛ فكل من فعل ما تريده نفسه بغير علم يبين أنه مصلحة فهو متبع هواه، والعلم بالذي هو مصلحة العبد عند الله في الآخرة هو العلم الذي جاءت به الرسل. ابن تيمية: ٨٣/٥.

**السؤال: ما المقصود بالأهواء التي يتبعها أهل الباطل؟**

وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ يُغَيِّرْهُدًى مِنَ اللَّهِ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٠﴾

واتباع الهوى - مع إلغاء أعمال النظر ومراجعته في النجاة - يلقي بصاحبه إلى كثير من أحوال الضرر بدون تحديد ولا انحصار. ابن عاشور: ١٤١/٢٠.

السؤال: ما وجه كون متبع الهوى لا أضل منه؟

[illegible]

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
الْقَرِيبُ	الْجَبَلُ الْقَرِيبُ مِنْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام.
قَضَيْنَا	عَهَدْنَا.
أَنْشَأْنَا	خَلَقْنَا.
فَتَطَاوَلْ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ	فَمَكَثُوا زَمَنًا طَوِيلًا.
ثَاوِيًا	مُقِيمًا.

## ● العمل بالآيات

١. اختر واحدة من قصص القرآن وأقرأ تفسيرها من كتب التفسير أو التاريخ،  
ففيها العظات والعبر، ﴿ وَلَكُمْ أَنْتَانَا فُتُورًا فَطَاقُوا عَلَيْهِمُ الْأُمُورَ وَمَا كُنْتُمْ  
أَوْيَاءَ لِأَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ مَا يَنْتَوْنَ ﴾.

١. حدد عملاً تحس أنك قدمت هوى نفسك فيه على شرع الله ثم استغفر الله  
وقدم شرع الله على هوى نفسك، ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ  
مِنْ أَصْلٍ مِمَّنْ أَنْتُمْ هُوَ لَهُ يَتَّبِعُ الْغَايِبَ يُدْرِكُ اللَّهُ سِرَّهُمْ﴾.

١. استعذ بالله من اقباع الهوى، ومن الضلالة بعد الهدى، ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا  
كَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ يَضِلُّ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾.

## ● التوجيهات

الإيمان والعلم لا بُدَّ لهما من التعاهد والمذاكرة؛ فإن تطاول العمر، ومرور الزمان يسببان النسيان، ﴿ وَلَكِنَّا أَفْشَانَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْأُمُورُ ﴾.

المسلم يصدر عن الدليل الشرعي الصحيح، ﴿قُلْ فَأَتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ هَدًى مِنْهُمَا أْتَعَهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

۱. اعلم انه لا يوجد كتاب اهدى من كتاب الله، ﴿ قُلْ فَأَتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ يُؤَدِّي مِثْلَ مَا كُنْتُمْ مَصْرِفِينَ ﴾.

عَلَى قَتَرٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ والآيات في هذا كثيرة.

الآية (٤٨-٥٠): يقول تعالى مخبراً عن القوم الذين لو عذبهم قبل قيام الحجة عليهم لاحتجبوا بأنهم لم يأثمهم رسول: أنهم لَمَّا جَاءَهُم الْحَقُّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَلَى لِسَانِ مُحَمَّدٍ ﷺ، قالوا على وَجْهِ التَّعَنُّتِ والعناد والكفر والجهل والإلحاد: ﴿تَوَلَّوْا أَوْفَىٰ شَيْئًا مَّا أَوْفَىٰ مُوسَىٰ﴾ الآية، يعنون -والله أعلم-: من الآيات الكثيرة، مثل العصا واليد، والطوفان والجراد والقُفْلُ والضفادع والدِّم، وتنقيص الزروع والثمار، مِمَّا يَضِيقُ عَلَى أَعْدَاءِ اللَّهِ، وَكَفَلَتِ الْبَحْرُ وتظليل الغمام، وإنزال المُنِّ والسلوى إلى غير ذلك من الآيات الباهرة، والحُجُج القاهرة، التي أجراها الله على يدي موسى ﷺ وَآلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَبِرَاهِمِ لِه عَلَى فِرْعَوْنَ ومُلْكِهِ وبني إِسْرَائِيلَ، ومع هذا كله لم يَنْجِعْ في فِرْعَوْنَ ومُلْكِهِ، بل كفروا بموسى وأخيه هارون؛ كما قال تعالى: ﴿كَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنْ الْمُهْلَكِينَ﴾ [المؤمنون: ٤٨].

ولهذا قال ههنا: ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أَوْفَىٰ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلَ؟ أَيْ: أَوَلَمْ يَكْفُرَ الْبَشَرُ بِمَا أَوْفَىٰ مُوسَىٰ مِنْ تِلْكَ الْآيَاتِ الْعظِيمَةِ. ﴿قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا﴾ أَيْ: تعاونوا، ﴿وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَذِبٍ لَّكُنَّا بِكُمْ مُنَاقِبُونَ﴾ أَيْ: قال مجاهد بن جبر: أَمَرَتِ الْيَهُودُ قَرِيبَنَا أَنْ يَقُولُوا لِمُحَمَّدٍ ﷺ ذَلِكَ، فقال الله: ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أَوْفَىٰ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلَ قَالُوا سَاحِرَانِ تَظَاهَرَا﴾ قال: يعني موسى وهارون صل الله عليهما وسلم ﴿تَظَاهَرَا﴾ أَيْ: تعاونوا وتَنَاصَرَا وَصَدَّقَ كُلُّ مِنْهَا الْآخَرَ. وبهذا قال سعيد بن جبيرة وأبو رزین في قوله: ﴿سَاحِرَانِ﴾ يعنون: موسى وهارون. وهذا قول جيد قوِيٌّ، والله أعلم.

وَأَمَّا مَنْ قَرَأَ ﴿سَاحِرَانِ تَظَاهَرَا﴾ فقال ابن عباس: يعنون: التوراة والقرآن. قال السُّدِّي: يعني صَدَّقَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا الْآخَرَ. وقال عكرمة: يعنون: التوراة والإنجيل. واختاره ابن جرير. والظاهر على قراءة: ﴿سَاحِرَانِ﴾ أنهم يعنون: التوراة والقرآن؛ لأنه قال بعده: ﴿قُلْ فَاتَّبِعُوا أَوْفَىٰ مِمَّا يُكْتَبُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ﴾، وكثيراً ما يقرن الله بين التوراة والقرآن، وقد عَلِمَ بِالضَّرُورَةِ لِذَوِي الْأَلْبَابِ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يُزَلِّ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ أَتَزَلُّ مِنَ الْكُتُبِ الْمُتَعَلِّقَةِ عَلَى أَنْبِيَائِهِ أَتَحْمَلُ وَلَا أَشْمَلُ وَلَا أَفْصَحُ وَلَا أَظْهَرُ وَلَا أَشْرَفُ مِنَ الْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، وهو القرآن، ويعنه في الشَّرَفِ والعظمة الْكِتَابُ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى مُوسَىٰ بْنِ عِمْرَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، والإنجيل إِنَّمَا نَزَلَ مُتَمِّمًا لِلتَّوْرَةِ وَتَحْلُلًا لِمَعْصُومٍ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ؛ ولهذا قال تعالى: ﴿قُلْ فَاتَّبِعُوا أَوْفَىٰ مِمَّا يُكْتَبُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ﴾ إِنَّ كَسْبَهُ صَدِيقٌ ﴿أَيْ: فِيهِ تَدْفِئُونَ بِهِ الْحَقَّ وَتُعَارِضُونَ بِهِ مِنَ الْبَاطِلِ. قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ﴾ أَيْ: فَإِنْ لَمْ يُجِيبُواكَ عَمَّا قُلْتَ لَهُمْ وَلَمْ يَتَّبِعُوا الْحَقَّ ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُمْ كَذِبُونَ﴾ أَيْ: بَلَدٌ لَدَيْهِمْ وَلَا حُجَّةٌ ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾ أَيْ: بِغَيْرِ حُجَّةٍ مَأْخُذَةٍ مِنَ كِتَابِ اللَّهِ، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

الآية (٤٤-٤٧): يقول تعالى مُنَبِّهًا عَلَى بَرَهَانِ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ حيث أَخْبَرَ بِالْغُيُوبِ الْمَاضِيَةِ، خَبَرًا كَانَ سَامِعُهُ شَاهِدًا وَرَأَىٰ لَا تَقْدَمُ، وهو رجل أُمِّي لَا يَقْرَأُ شَيْئًا مِنَ الْكِتَابِ، نَشَأَ قَوْمٌ لَا يَعْرِفُونَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، كما أَنَّهُ لَمَّا أَخْبَرَهُ عَنْ مَرْيَمَ وَمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهَا، فقال تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَفْلَحَ هُمُ إِنْ هُمْ يُكْفَلُونَ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [آل عمران: ٤٤]، أَيْ: مَا كُنْتَ حَاضِرًا لِلذَّكَاءِ، ولكن الله أَوْحَاهُ إِلَيْكَ كَمَا قَالَ سَعْدُ قِصَّةِ يُوسُفَ -﴿ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَتَوْهُم بِهَدْيِهِمْ وَهُمْ يَكْفُرُونَ﴾ [يوسف: ١٠٢]. وقال ههنا: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْفَرْقِ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ﴾ يعني: يا محمد، مَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْجَبَلِ الْغَرْبِيِّ الَّذِي كُلَّمَا اللَّهُ مُوسَى مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي هِيَ شَرْقِيَّةٌ عَلَى شَاطِئِ الْوَادِي، ﴿وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ لذلك، ولكن الله سبحانه وتعالى أَوْحَى إِلَيْكَ ذَلِكَ، لِيَجْعَلَ حُجَّةً وَبَرَهَانًا عَلَى قُرُونٍ قَدْ تَطَاوَلَ عَهْدُهَا، وَنَسُوا حُجُجَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، وَمَا أَوْحَاهُ إِلَى الْأَنْبِيَاءِ الْمُتَقَدِّمِينَ. ﴿وَمَا كُنْتَ قَارِبًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا﴾ أَيْ: وَمَا كُنْتَ مَقِيمًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا، حِينَ أَخْبَرْتَ عَنْ نَبِيِّهَا شُعَيْبٍ، وَمَا قَالَ لِقَوْمِهِ وَمَا رَدُّوا عَلَيْهِ. ﴿وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ أَيْ: وَلَكِنْ نَحْنُ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ذَلِكَ، وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا.

﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ قال مقاتل: نادينا أَمْنَكَ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ أَنْ يُؤْمِنُوا، وقال قتادة: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ موسى. وهذا -والله أعلم- أَشْبَهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْفَرْقِ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ﴾. ثم أَخْبَرَ ههنا بِصِفَةِ أُخْرَى أَخَصَّ مِنْ ذَلِكَ، وهو النداء، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ﴾ [الشعراء: ١٠٠]، وقال: ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْغَدِيِّ طَوًى﴾ [النازعات: ١٦]، وقال: ﴿وَرَدَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَفَرَّقْنَاهُ يَمِينًا﴾ [مريم: ٥٢].

وقوله: ﴿وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ أَيْ: مَا كُنْتَ مُشَاهِدًا لشيءٍ مِنْ ذَلِكَ، ولكن الله أَوْحَاهُ إِلَيْكَ وَأَخْبَرَكَ بِهِ، رَحْمَةً مِنْكَ وَبِالْعِبَادِ بِإِرسَالِكَ إِلَيْهِمْ؛ ﴿لِيُنذِرَ قَوْمًا مِمَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ أَيْ: لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ بِمَا جَسَّتْ بِهِ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى. ﴿وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ مِمَّا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنُتَّبِعَ ءَايَاتِكَ وَنَكُونُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ أَيْ: وَأَرْسَلْنَاكَ إِلَيْهِمْ لِنُقِيمَ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةَ وَلِنَقْطَعَ عُذْرَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ عَذَابٌ مِنَ اللَّهِ بِكُفْرِهِمْ، فَيَحْتَجُّوا بِأَنَّهُمْ لَمْ يَأْتِهِمْ رَسُولٌ وَلَا نَذِيرٌ، كما قال تعالى بعد ذِكْرِهِ إِنْزَالِ كِتَابِهِ الْبَارِكِ، وهو القرآن: ﴿أَنْ تَقُولُوا لِمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَفَنَافِلِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكَ كِتَابٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ﴿٥٧﴾﴾ [الأنعام: ١٥٦-١٥٧]، وقال: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِيَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]، وقال تعالى: ﴿يَتَاخَلَّاتُ الْكِتَابَ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ

**يَسْتَحِقُّ الهداية مَنْ يَسْتَحِقُّ الغواية.**

**[سبب النزول]:** وقد ثبت أنها نزلت في أبي طالب عم رسول الله ﷺ، وقد كان يحوطه ويضمره، ويقوم في صفه ويحمله حبا شديدا طبعيا لا شرعيا. عن المسيب بن حزن المخزومي قال: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةَ جَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلَ بْنَ هِشَامٍ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أُمِيَّةٍ مِنَ الْغُبَرَةِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا عَمَّ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَلِمَةُ أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ». فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمِيَّةٍ: يَا أَبَا طَالِبٍ، أَتَزْعُمُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمَطْلُبِ؟! فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَبْعِثُهَا عَلَيْهِ، وَيُوعِدَانِ لَهُ بِنُكْحَانِ الْقَالَةِ، حَتَّى قَالَ آخِرُ مَا قَالَ: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمَطْلُبِ. وَأَوَّلَى أَنْ يَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَّا لَأَسْتَفْزِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أَلْشُرْكَ بِهِ مِنْ قَبْلُ» ﴿التوبة: ١١٣﴾، وَأَنْزَلَ فِي أَبِي طَالِبٍ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [متفق عليه].

الآية (٥٧): يقول تعالى مخبراً عن اعتذار بعض الكفار في عدم اتباع الهدى؛ حيث قالوا الرسول الله ﷺ: ﴿إِنْ نَسِجَ الْهَدْيُ مَعَكَ فَنَحْنُ ظَنَفٌ﴾. وخالفنا من حَوْلَنَا مِنْ أَشْيَاءِ الْعَرَبِ الْمُشْرِكِينَ، أَنْ يَقْصِدُونَا بِالْأَدْنَى وَالْمَحَارِبَةِ، وَيَنْتَضِقُوا بِنَا كُنَّا، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى حَيِّجَا لَهُمْ: ﴿أَوَلَمْ تَرَ كَيْفَ جَعَلْنَا لَهْجَهُمْ حَرَجًا وَأَلَمَّا﴾ يعني: هذا الذي اعتدروا به كَذِبٌ وباطلٌ، لَأَنَّ اللَّهَ جَعَلَهُمْ فِي بِلَدٍ آمِينَ، وَحَرَمٍ مُعَظَّمٍ آمِينَ مِنْهُ وَضِعَ، كَيْفَ يَكُونُ هَذَا الْحَرَمُ آمِنًا فِي سَائِلِ كُفْرِهِمْ وَشُرْكَهُمْ، وَلَا يَكُونُ آمِنًا لَهُمْ وَقَدْ أَسْلَمُوا وَتَابَعُوا الْحَقَّ! وقوله: ﴿يَجِئُ إِلَيْهِ تَمَرَّتْ كُلُّ شَيْءٍ﴾ أي: من سائر الشار عما حَوْلَهُ مِنَ الطَّائِفِ وَغَيْرِهِ، وَكَذَلِكَ التَّاجِرُ وَالْأَمْتَةُ ﴿وَرَزَقًا لِنَدْنًا﴾ أي: من عندنا، ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾. ولهذا قالوا ما قالوا.

الآية (٥٨-٥٩): يقول تعالى مُعْرِضًا بأهل مكة في قوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِكَ بِطُغْيَانِ مَيْمَنَتِهَا﴾ أي: طَغَتْ وَأَيْسَرَتْ وَكَثُرَتْ نعمة الله، فيها أُنعمَ به عليهم من الأرزاق.

ولهذا قال: ﴿فَبِئْسَ الْكَسْبُ كَسَبُهُمْ لَوْ شِئْنَا بِمَدْعَائِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: وَدَثِرَتْ ديارهم فلا تَرى إِلَّا مساكنهم ﴿وَكُنَّا غَنَى الْأَوَّلِينَ﴾ أي: وَجَعَلَتْ خَزَائِنَ أُولَئِكَ فِيهَا أَحَدًا.

ثم قال الله خبراً عن عدله، وأنه لا يهلك أحداً ظالماً له، وإنما يهلك من أهلك بعد قيام الحجة عليهم، ولهذا قال: ﴿وَمَا كَأَنَّ رَيْكَ مَهْلِكًا لِقَوْمٍ حَتَّى يُبْعَثَ فِي أُمَمٍ﴾ وهي مكة ﴿رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ فيه دلالة على أن النبي الأمي، وهو محمد ﷺ المبعوث من أم القرى، رسول إلى جميع القرى، من عَرَبٍ وَأَعْجَامٍ. فجعل تعالى بعثة النبي الأمي شاملة لجميع القرى؛ لأنه مبعوث إلى أمها وأصلها التي ترجع إليها. وثبت في الصحيحين عنه ﷺ أنه قال: «يُبْعَثُ إِلَى الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ». ولهذا حَتَمَ به الرسالة والنبوة، فلا نبي بعده ولا رسول، بل شَرَعُهُ باق بقاء الليل والنهار إلى يوم القيامة.

الآية (٥١): ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ﴾ قال مجاهد: فَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ. وقال السُّدِّيُّ: بَيَّنَّا لَهُمُ الْقَوْلَ. وقال قتادة: أَخْبَرَهُمْ كَيْفَ صَنَعَ بَعْنُ مَضَى وَكَيْفَ هُوَ صَانِعٌ، ﴿لَمَّا لَهُمْ يَنْذَرُورُ﴾.

الآية (٥٢-٥٥): يخبر تعالى عن العلماء الأولياء من أهل الكتاب أنهم يؤمنون بالقرآن؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَجَدْتُمْ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَعْبُدُكَ يَا أُمَّةَ مَثَلِهِ مَثَلِهِمْ﴾ وَرَهَبْنَا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾ [المائدة: ٨٢-٨٣]. قال سعيد بن جبير: نزلت في سبعين من القسيسين بعثتهم النجاشي، فلما قدموا على النبي ﷺ قرأ عليهم: ﴿يَسَّ ١﴾ وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ ﴿٢﴾ حَتَّى خَتَمَهَا، فَجَعَلُوا يَبْكُونَ وَأَسْلَمُوا، وَنَزَلَتْ فِيهِمْ هَذِهِ الْآيَةُ الْأُخْرَى: ﴿الَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَكْتُبْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ هُمْ يَفِيضُونَ ٣﴾ وَإِذَا نَزَلَ عَلَيْهِمْ الْقُرْآنُ آمَنَ بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٤﴾ يعني: من قبل هذا القرآن كُنَّا مسلمين، أي: موحِّدين خلصين لله مُسْتَجِيبِينَ لَهُ.

﴿أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾ ﴿أَي: هَؤُلَاءِ الْمُتَصِفُونَ  
بهذه الصفة الذين آمَنُوا بالكتاب الأول، ثُمَّ بِالثَّانِي يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ  
بِإِيَابِهِمْ بِالرَّسُولِ الْأَوَّلِ ثُمَّ بِالثَّانِي؛ وَهَذَا قَالَ: ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ ﴿أَي: عَلَى  
اتِّبَاعِ الْحَقِّ؛ فَإِنَّ تَجَشُّمَ مِثْلِ هَذَا شَدِيدٌ عَلَى النَّفُوسِ. وَقَدْ وَرَدَ فِي  
الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلَاثَةٌ يُؤْتَوْنَ  
أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنَ بِنَبِيِّهِ ثُمَّ آمَنَ بِ...» الْحَدِيثُ.  
وَقَوْلُهُ: ﴿وَيَذَرُونِ إِلَى سِنَّةٍ السَّيِّئَةِ﴾ ﴿أَي: لَا يُقَابِلُونَ السَّيِّئَ  
بِمِثْلِهِ، وَلَكِنْ يَغْفُونَ وَيَصْفَحُونَ، ﴿وَمِمَّا زَكَّاهُمْ يُغْفُوكَ﴾ ﴿أَي: وَمِنْ  
الَّذِي زَكَّاهُمْ مِنَ الْحِلَالِ يُغْفُونَ عَلَى خَلْقِ اللَّهِ فِي النِّفَاقَاتِ الْوَاجِبَةِ  
لَهُمْ وَأَقَارِبِهِمْ، وَالزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَالْمُسْتَحَبَّةَ مِنَ التَّطَوُّعَاتِ،  
وَصَدَقَاتِ النُّقْلِ وَالْفُرْثَاتِ. وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِذَا سَكَبُوا الْقَلْعُ أَعْرَضُوا  
عَنْهُ﴾ ﴿أَي: لَا يَتَحَالَطُونَ أَهْلَهُ وَلَا يَتَعَايَرُونَهُمْ، بَلْ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا  
سَكَبُوا الْقَلْعُ مَرَّوْا كَرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢].

﴿وَقَالُوا لَنَّا أَعْنَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلِّمْ عَلَيْكُمْ لَا تَبْنِيَ الْجَهَنَّيْنَ﴾ ﴿أَي: إِذَا سَفَى عَلَيْهِمْ سَفِيهِ، وَكَلَّمَهُمْ بِمَا لَا يَلِيقُ بِهِمُ الْجَوَابُ عَنْهُ، أَفَرَضُوا عَنْهُ وَلَمْ يَبْقَاوْهُ بِمَثَلِهِ مِنَ الْكَلَامِ الْقَبِيحِ، وَلَا يَتَضَرَّ عَنْهُمْ إِلَّا كَلَامٌ طَيِّبٌ، وَلِهَذَا قَالَ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ قَالُوا: ﴿لَنَّا أَعْنَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلِّمْ عَلَيْكُمْ لَا تَبْنِيَ الْجَهَنَّيْنَ﴾ ﴿أَي: لَا تَرِيدُ طَرِيقَ الْجَاهِلِينَ وَلَا تُنْجِهَا.

الآية (٥٦). يقول تعالى لرسوله ﷺ: يَا مُحَمَّدُ ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ أي: ليس إليك ذلك، إنما عليك البلاغ، والله يهدي من يشاء، وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة؛ كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

وهذه الآية أخص من هذا؛ فإنه قال: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ أي: هو أعلم بمن



## ● الوقفات التدريبية

﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾

وللتوصيل أحوال كثيرة: فهو باعتبار الفاظه وصل بعضه ببعض ولم ينزل جملة واحدة، وباعتبار معانيه وصل أصنافاً من الكلام: وعداً، ووعداً، وترغيباً، وترهيباً، وقصصاً ومواعظ وعبراً، ونصائح يعقب بعضها بعضاً وينتقل من هن إلى هن، وفي كل ذلك عون على نشاط الذهن للتذكر والتدبر. ابن عاشور: ١٤٢/٢٠.

السؤال: بين أحوال توصيل القرآن الكريم.

﴿وَيَذَرُونَهُمْ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ﴾

قيل: يدفعون بالاحتمال والكلام الحسن الأذى، وقيل: يدفعون بالتوبة والاستغفار الذنوب، وعلى الأول فهو وصف لكارم الأخلاق، أي: من قال لهم سوءاً. قابلوه من القول الحسن بما يدفعه. القرطبي: ٢٩٦/١٦.

السؤال: كيف يكون درء السيئة بالحسنة؟

﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُكُمْ وَأَعْمَلُكُمْ سَلَمٌ عَلَيْكُمْ لَا يَبْنِي الْجَاهِلِينَ﴾

ما افصح عنه قولهم (لا يبنّي الجاهلين) من أن ذلك خلقهم: أنهم يتطلبون العلم، ومكارم الأخلاق. ابن عاشور: ١٤٦/٢٠.

السؤال: إلى ماذا يشير قول من آمن بالقرآن من أهل الكتاب: (لا يبنّي الجاهلين)؟

﴿سَلَمٌ عَلَيْكُمْ لَا يَبْنِي الْجَاهِلِينَ﴾

(سلام عليكم) معناه هنا: التاركة والمباعدة لا التحية، أو كانه سلام الانصراف والبعد. (لا يبنّي الجاهلين) أي: لا نطلبهم للجدال والمراجعة في الكلام. ابن جزي: ١٤٧/٢.

السؤال: ما الذي ينبغي على المسلم فعله حين يكون في مجلس لغو وباطل؟

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْهُدَى﴾

فيقولون إن الاهتداء الذي في القلب لا يقدر عليه إلا الله، ولكن العبد يقدر على أسبابه، وهو المطلوب منه بقوله تعالى: (اهدنا الصراط المستقيم)، وهو المنفي عن الرسول ﷺ بقوله: (إنك لا تهدي من أحببت). ابن تيمية: ٨٧/٥.

السؤال: بين المقصود بالهداية التي لا يملكها إلا الله سبحانه وتعالى.

﴿وَقَالُوا إِنَّمَا تَتَّبِعُ الْمَذَى مَكَ تَتَخَفُ مِنْ أَرْضِنا أَوْلَمْ تُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا مَأْمَنًا يُجِيبُ إِلَيْهِ تَمَرَّتْ كُلُّ مَن وَزَقْنَا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنْ أَكْرَمَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾

لا وجه لخوف من التخطف إن آمنوا؛ فإنهم لا يخافون منه وهم عبدة أصنام، فكيف يخافون إذا آمنوا وضموا حرمة الإيمان إلى حرمة المقام؟ الألويسي: ٣٠٥/١٠.

السؤال: في الهداية والتزام شرع الله الأمان الحقيقي، وضع ذلك.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَلِئَالِكَ مَسْكَنُهُمْ لَوْ شِئْنَا لَمْ تَدْرِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾

ومعنى بطرهم لها: أنهم شقوها بمجاوزة الحد إلى المرح، والأشر والفرح، إلى أن تعدوها فافسدها، وكفروها فلم يشكروها، بل فعلوا في تلقاها فعل الحائر المهوش، فلم يحسنوا رعايتها. البقاعي: ٣٢٧/١٤.

السؤال: متى يكون العيش ذو الرخاء الواسع سبباً للهلك؟

﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ الَّذِينَ أَتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿وَإِذَا يَتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا هَذَا مِثْلُ الْقُرْآنِ الَّذِي مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾ أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرُهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَقَّبْنَاهُمْ نُوَفِّوهُنَّ ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَمٌ عَلَيْكُمْ لَا يَبْنِي الْجَاهِلِينَ﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَا يَكُنْ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿وَقَالُوا إِنَّمَا تَتَّبِعُ الْهْدَى مَعَكَ تَتَخَفُ مِنْ أَرْضِنا أَوْلَمْ تُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا مَأْمَنًا يُجِيبُ إِلَيْهِ تَمَرَّتْ كُلُّ مَن وَزَقْنَا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنْ أَكْرَمَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَلِئَالِكَ مَسْكَنُهُمْ لَوْ شِئْنَا لَمْ تَدْرِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴿وَمَا كَانَتْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
وَصَّلْنَا	فَصَّلْنَا وَبَيَّنَّا.
مَرَّتَيْنِ	إِلْيَمَانِهِمْ بِكِتَابِهِمْ وَبِالْقُرْآنِ.
وَيَذَرُونَهُمْ	يَدْفَعُونَهُمْ.
تَتَخَفُ	تَنْتَرِعُ بِسُرْعَةٍ بِالْقَتْلِ، وَالْأَسْرِ.
بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا	طَلَعَتْ وَتَمَرَّدَتْ فِي حَيَاتِهَا.

## ● العمل بالآيات

١. اتفق جزءاً من مالك في سبيل الله، ﴿وَمِمَّا رَقَّبْنَاهُمْ نُوَفِّوهُنَّ﴾.
٢. احضر مجلساً من مجالس الذكر، واقبل عليه بعقلك وسمعه، ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُكُمْ وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ﴾.
٣. ارسل رسالة تحذر فيها من الإسراف والبطر في المعيشة، فهما من أسباب زوال النعمة، واستشهد بهذه الآية، ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَلِئَالِكَ مَسْكَنُهُمْ لَوْ شِئْنَا لَمْ تَدْرِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾.

## ● التوجيهات

١. بيان فضل أهل الكتاب إذا آمنوا بالنبي الأمي وكتابه، واسلموا لله رب العالمين، ﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرُهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَذَرُونَهُمْ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ وَمِمَّا رَقَّبْنَاهُمْ نُوَفِّوهُنَّ﴾.
٢. فضيلة من يدار بالحسنة السيئة، وينفق مما رزقه الله، ﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرُهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَذَرُونَهُمْ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ وَمِمَّا رَقَّبْنَاهُمْ نُوَفِّوهُنَّ﴾.
٣. اجعل عباراتك خالية من الكلام البذيء والمؤذي، حتى مع العصاة، ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُكُمْ وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَمٌ عَلَيْكُمْ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿ وَمَا أُرْسِي عَنْ شَيْءٍ فَفَتَحَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَرَبَّنَّهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَنبَغُ أَفَلَا يَتَّقُونَ ﴾

(ففتح الحياة الدنيا وربنتها): فهو شيء شأنه أن يتمتع به، ويتزين به أياما قلائل، ويشعر بالقلة لفظ المتاع، وكذا ذكر أبقي في المقابل، وفي لفظ الدنيا إشارة إلى القلة والخسرة. (وما عند الله) في الجنة: وهو الثواب، (خير) في نفسه من ذلك؛ لأنه لذة خالصة وبهجة كاملة. (وابقي) لأنه أبدي، وابن المتناهي من غير المتناهي. (أفلا تفتكرون أي: لا تتفكرون فلا تفعلون هذا الأمر الواضح، فتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير. الألوسي: ٣٠٦/١٠.

السؤال: أشارت هذه الآية إلى حقارة الدنيا في مقابل الآخرة، وضع ذلك. ﴿ وَمَا أُرْسِي عَنْ شَيْءٍ فَفَتَحَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَرَبَّنَّهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَنبَغُ أَفَلَا يَتَّقُونَ ﴾

فدل ذلك أنه بحسب عقل العبد يؤثر الأخرى على الدنيا، وأنه ما أثر أحد الدنيا إلا لنقص في عقله. السعدي: ٦٦١.

السؤال: كيف تعرف العاقل من غير العاقل؟ ﴿ وَمَا أُرْسِي عَنْ شَيْءٍ فَفَتَحَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَرَبَّنَّهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَنبَغُ أَفَلَا يَتَّقُونَ ﴾

وما عند الله لأهل طاعته وولايته خير مما أوتيتموه أنتم في هذه الدنيا من متاعها وزينتها. الطبري: ٦٠٤/١٩.

السؤال: لماذا كانت أكثر عطايا الدنيا لأهل الكفر؟ ﴿ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِنَّا كَاذِبِينَ ﴾

(ربنا هؤلاء): إشارة إلى اتباع. (الذين اغويانا أي: أوقعنا الإغواء-وهو الإضلال- بهم بما زينا لهم من الأقوال التي اعاننا على قبولهم أنها منا، مع كونها ظاهرة العوار، واضحة العار، ما خولتنا فيه في الدنيا من الجاه والمال، ثم استأنفوا ما يظنون أنه يدفع عنهم، فقالوا: (اغويانهم) أي: فغوا باختيارهم. البقاعي: ٣٣٤/١٤.

السؤال: من خلال الآية بين خطورة الصحبة الفاسدة، والطاعة العمياء لهم. ﴿ وَيَوْمَ يَأْتِيهِمْ يَفْقَهُونَ مَاذَا أَجْبَسَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٥٧﴾ فَمَيِّتْ عَلَيْهِمُ الْآبَاءَ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾

يقول: فخفيت عليهم الأخبار؛ من قولهم: قد عمي عني خبر القوم؛ إذا خفي. وإنما عني بذلك أنهم عميت عليهم الحجة، فلم يدروا ما يحتاجون؛ لأن الله تعالى قد كان أبلغ إليهم في المَعْدَرَة، وتابع عليهم الحجة، فلم تكن لهم حجة يحتاجون بها، ولا خبر يخبرون به، مما تكون لهم به نجاة ومخلص. الطبري: ٦٠٧/١٩.

السؤال: لماذا لا يجد العصاة حجة يحتاجون بها يوم القيامة؟ ﴿ فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ سَلَامًا فَفَسَّحْنَا لَهُ مَخْرَجَ مِّنَ الْمُفْلِحِينَ ﴾ وعسى من الله موجبة فإن هذا واقع بفضل الله ومنته لا محالة. ابن كثير: ٣٨٣/٣.

السؤال: ماذا تفيد كلمة (فحسى) إذا كانت من الله تعالى؟ ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ﴾

قال بعض العلماء: لا ينبغي لأحد أن يقدم على أمر من أمور الدنيا حتى يسأل الله الخيرة في ذلك؛ بأن يصلي ركعتين صلاة الاستخارة. القرطبي: ٣٠٨/١٦.

السؤال: كيف تتحصل على الخيرة من الله سبحانه وتعالى في أمور دنياك؟

﴿ وَمَا أُرْسِي عَنْ شَيْءٍ فَفَتَحَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَرَبَّنَّهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَنبَغُ أَفَلَا يَتَّقُونَ ﴾ ﴿ أَفَنَزَّلْنَاهُ لَكَ عَذَابًا وَأَعَدَّتَهُ وَعَدَّ أَحْسَنًا فَهُوَ لَيْقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَكْفُرُ ﴾ ﴿ فَمَيِّتْ عَلَيْهِمُ الْآبَاءَ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾ ﴿ فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَفَسَّحْنَا لَهُ مَخْرَجَ مِّنَ الْمُفْلِحِينَ ﴾ ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ﴿ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ ﴿ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحُكْمُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
أَغْوَيْنَا	دَعَوْنَاهُمْ لِلْغَوَايَةِ فَاتَّبَعُونَا.
فَمَيِّتْ	فَحْفَيْتِ.
الْخِيَرَةُ	الْإِخْتِيَارُ.

## ● العمل بالآيات

- استغفر الله تعالى وتب إليه هذا اليوم سبعين مرة، ﴿ فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ سَلَامًا فَفَسَّحْنَا لَهُ مَخْرَجَ مِّنَ الْمُفْلِحِينَ ﴾.
- حدد امرأ أنت مقبل عليه من أمور دنياك، ثم صل ركعتين للاستخارة، وادع بهذا الدعاء: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَعِذُّكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ؛ فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَامُ الْغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ -هنا تسمي حاجتك- خَيْرٌ لِّي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي، أَوْ قُل: عاجل أَمْرِي وَأَجَلِي؛ فَاقْضِهِ لِي، وَيَسِّرْهُ لِي، ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ، اللَّهُمَّ وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ -هنا تسمي حاجتك- شَرٌّ لِّي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي، أَوْ قُل: عاجل أَمْرِي وَأَجَلِي، فَاصْرِفْهُ عَنِّي، وَاصْرِفْهُ عَنِّي، وَاقْضِ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ ارْضِنِي بِهِ،) ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ﴾.
- سل الله تعالى أن يصلح علانيتك وسريرتك، ﴿ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾.

## ● التوجيهات

- لا يشغلك طعام ولا لباس ولا مسكن في الدنيا عن ما في الآخرة، ﴿ وَمَا أُرْسِي عَنْ شَيْءٍ فَفَتَحَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَرَبَّنَّهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَنبَغُ أَفَلَا يَتَّقُونَ ﴾.
- براعة رؤساء الضالين من اتباعهم يوم القيامة، ﴿ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِنَّا كَاذِبِينَ ﴾.
- إذا جاءك الدليل الصحيح فامتثل، واعمل به، وتذكر أن الله تعالى سياسلك ماذا أجبت الرسول؟ ﴿ وَيَوْمَ يَأْتِيهِمْ يَفْقَهُونَ مَاذَا أَجْبَسَ الْمُرْسَلِينَ ﴾.

الآية (٦٠-٦١): يقول تعالى مخبراً عن حقارة الدنيا، وما فيها من الرتبة الدنيئة والزهرة الفانية بالنسبة إلى ما أعده الله لعباده الصالحين في الدار الآخرة من النعيم العظيم المقيم، كما قال تعالى: ﴿ مَا عِدَّكُمْ يَوْمَ عَمَلِكُمْ مَا بَاقٍ ﴾ [النحل: ٩٦]، وقال: ﴿ وَمَا عِدَّ اللَّهُ خَيْرَ لِّلْآزِبِينَ ﴾ [آل عمران: ١٩٨]، وقال: ﴿ وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ ﴾ [الرعد: ٢٦]، وقال: ﴿ نَبِّئُوا الصَّالِحِينَ أَنَّ الْحَيَوةَ الدُّنْيَا ﴿٦٠﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ [الاعل: ١٦، ١٧]، وقال رسول الله ﷺ: «والله ما الدنيا في الآخرة إلا كما يغمس أحدكم إصبعه في البيم، فلينظر ماذا يرجع إليه» [رواه مسلم]. وقوله: ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ أي: أفلا يعقل من يقدم الدنيا على الآخرة؟!

وقوله: ﴿ أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَئِيْقٌ بِهِ كَن مُّنتَهَنَةً مِّنَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مِنَ الْمُخْضَرِّينَ ﴾ يقول: أفمن هو مؤمن مُصَدِّق بما وعده الله على صالح أعماله من الثواب الذي هو صائر إليه لا محالة، كمن هو كافر مُكذِّب ببقاء الله ووَعْدِهِ وَعَوْدِهِ، فهو مُتَّعٌ في الحياة الدنيا أياماً قلائل، ﴿ ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مِنَ الْمُخْضَرِّينَ ﴾ قال مجاهد وقناة: من المعبدين. ثم قد قيل: إنها نزلت في رسول الله ﷺ وفي أبي جهل. وقيل: في حزة وعلي وأبي جهل، وكلامها عن مجاهد. والظاهر أنها عامة، وهذا كقوله تعالى إخباراً عن ذلك المؤمن حين أشرف على صاحبه، وهو في الدرجات وذلك في الدرجات: ﴿ وَلَوْ لَا رِزْمَةٌ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُخْضَرِّينَ ﴾ [الصافات: ٥٧].

الآية (٦٢-٦٧): يقول تعالى مخبراً عما يُؤْتِي به الكفار المشركين يوم القيامة، حيث يُناديهم فيقول: ﴿ أَتِنُّ شُرَكَاءُ الَّذِينَ كَفَرُوا نَزَعْتُمْ عَنْهُمْ ﴾ يعني: أين الآلهة التي كنتم تعبدونها في الدار الدنيا، من الأصنام والأنداد، هل ينصرونكم أو ينتصرون؟! وهذا على سبيل التفريع والتهديد.

وقوله: ﴿ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ ﴾ يعني: من الشياطين والمرتدة والدعاة إلى الكفر: ﴿ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَشْعُرُونَ ﴾ فشهّدوا عليهم أنهم أغوَوْهُمْ فَاتَّبَعُوهُمْ، ثم تبرَّأوا من عبادهم؛ كما قال تعالى: ﴿ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴾ [٨١] كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا [مریم: ٨١-٨٢]، وقال الخليل لقومه: ﴿ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ مَوْءِدًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم مِّبَعْضًا يَتَّبِعُنَّ وَمَن يَكْفُرْ بَعْضُكُم مِّبَعْضًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴾ [النكبوت: ٢٥]، وقال الله: ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا رَبَّاهُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ أَلسِنَاتٌ لِّمَن كَانَ لَهُمُ الْإِيمَانُ ﴾ [النحل: ١٢٦-١٢٧]، ولهذا قال: ﴿ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ﴾ أي: ليخلصوكم مما أنتم فيه، كما كنتم تزجون منهم في الدار الدنيا، ﴿ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ ﴾ أي: وَتَبَقُّوا أَنَّهُمْ صَائِرُونَ إِلَى النَّارِ لَا محالة.

وقوله: ﴿ تَرَاهُمْ كَاذِبِينَ ﴾ أي: قُودُوا حين عابوا العذاب لو أنهم كانوا من المهتدين في الدار الدنيا.

وهذا كقوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَافِقُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عِنَّا مَصْرَفًا ﴾ [الكهف: ٥٢-٥٣].

وقوله: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴾ النداء الأول عن سؤال التوحيد، وهذا فيه إثبات النبوات: ماذا كان جوابكم للمرسلين إليكم؟ وكيف كان حالكم معهم؟ وهذا كما يُسأل العبد في قبره: مَنْ ربك؟ وَمَنْ نبيُّك؟ وما دينك؟ فاما المؤمن فيشهد أنه لا إله إلا الله، وأن محمداً عبد الله ورسوله. وأما الكافر فيقول: هاه، هاه، لا أدري؛ ولهذا لا جواب له يوم القيامة غير السكوت؛ لأن من كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً، ولهذا قال تعالى: ﴿ فَصَبَّ عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ لَا يَبْصُرُونَ ﴾ [النمل: ٢٥] وقال مجاهد: فعصيت عليهم الحجج، فهم لا يتساءلون بالأنساب.

وقوله: ﴿ فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ أي: في الدنيا ﴿ فَصَبَّ عَنْهُ الْبُكَرُ مِنَ الْمُنْجِلِينَ ﴾ أي: يوم القيامة، «وعسى» من الله مُوجِبَةٌ، فإن هذا واقع بفضل الله ومَنَّةً لا تحال.

الآية (٦٨-٧٠): يخبر تعالى أنه المُنفَرِدُ بِالْخَلْقِ والاختيار، وأنه ليس له في ذلك مُنَازِع ولا مُعَقِّب، فقال: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴾ أي: ما يشاء، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، فالأمور كلها خيرها وشرها بيده، ومرجعها إليه.

وقوله: ﴿ مَا كَانُوا لِيُفِيدَ ﴾ تَفِي على أصح القولين: كقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ رِسْوَتهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخَبْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، وقد اختار ابن جرير أن ﴿ مَا ﴾ هنا بمعنى «الذي»، تقديره: ويختار الذي لهم فيه خيرة. والصحيح أنها نافية؛ فإن المقام في بيان انفراده تعالى بِالْخَلْقِ والتقدير والاختيار، وأنه لا نظير له في ذلك؛ ولهذا قال: ﴿ سُبْحَنَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ أي: من الأصنام والأنداد، التي لا تخلق ولا تختار شيئاً. ثم قال: ﴿ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ أي: يعلم ما تُكِنُّ الضمائر، وما تنطوي عليه السرائر، كما يعلم ما تُبْذِرُهُ الظواهر من سائر الخلائق، ﴿ سَوَاءٌ يَنْصُرُكُمْ أَمْ أَمَرُ الْقَوْلِ وَمَنْ جَهَرُوا بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَائِرِ اللَّيَالِي ﴾ [الرعد: ١١].

وقوله: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ أَن يَبْتَغِ الْإِيمَانَ ﴾ أي: هو المُنفَرِدُ بِالْإِيمَانِ، فلا معبود سواه، كما لا رب يخلق ويختار سواه، ﴿ لَهُ الْخَبْرُ فِي الْأُمُورِ وَالْآخِرَةُ ﴾ أي: في جميع ما يفعله هو المحمود عليه، لعذله وحكمته. ﴿ وَلَهُ الْحُكْمُ ﴾ أي: الذي لا مُعَقِّب له، لقهره وعظمته وحكمته ورحمته، ﴿ وَإِلَيْهِ رُجُوعُ ﴾ أي: جميعكم يوم القيامة فيجازي كلَّ عامل بعمله، من خير وشر، ولا يخفى عليه منهم خافية في سائر الأعمال.



وقوله: ﴿وَأَنْتَعِمْنَا بِمَا آتَيْنَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾ أي: استعمل ما وهبك الله - من هذا المال الجزيل والنعمة الطائلة - في طاعة ربك والتقرب إليه بأنواع القربات، التي تحصل لك بها الثواب في الدار الآخرة.

﴿وَلَا تُنْسِكْ بُيُوتَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ أي: بما أباح الله فيها من المأكول والمشرب والملابس والمساكن والمناجح؛ فإن لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، وأهلك عليك حقاً، ولزورك عليك حقاً، فأت كل ذي حق حقه.

﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ أي: أحسن إلى خلقه كما أحسن هو إليك.

﴿وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: لا تكن همك بما أنت فيه أن تُفسد به الأرض، وتُسيء إلى خلق الله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾.

الآية (٧١-٧٣): يقول تعالى ممثلاً على عباده بما سخر لهم من الليل والنهار، اللذين لا قوام لهم بدونهما. ويبين أنه لو جعل الليل دائماً عليهم سراً إلى يوم القيامة لأضر ذلك بهم، ولستيمت النفوس وانحصرت منه، ولهذا قال تعالى: ﴿مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ﴾ أي: تبصرون به وتستأنسون بسببه ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾.

ثم أخبر أنه لو جعل النهار سراً دائماً إلى يوم القيامة لأضر ذلك بهم، ولتعت الأبدان وكلفت من كثرة الحركات والأشغال؛ ولهذا قال تعالى: ﴿مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُ فِيهِ﴾ أي: تستريحون من حركاتكم وأشغالكم.

﴿أَفَلَا تَشْكُرُونَ﴾ ﴿٧٢﴾ ﴿وَمِنْ نَحْمِيهِ﴾ أي: بكم ﴿جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ أي: خلق هذا وهذا ﴿إِنْ شِئْتُمْ بِهِ﴾ أي: في الليل ﴿وَلَيْتَبَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ أي: في النهار بالأشغال والترحال، والحركات والأشغال. وقوله: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي: تشكرون الله بأنواع العبادات في الليل والنهار، ومن فاته شيء بالليل استدركه بالنهار، أو بالنهار استدركه بالليل؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَلْمِزُوا جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان: ٦٢]، والآيات في هذا كثيرة.

الآية (٧٤-٧٥): وهذا أيضاً نداء ثان على سبيل التقرير والتوبيخ لمن عبد مع الله إلهاً آخر؛ يُناديهم الرب تبارك وتعالى على رؤوس الأشهاد فيقول: ﴿إِنَّ شُرَكَّاءَ الَّذِينَ كَفَرُوا ضَعُفٌ﴾ أي: في الدار الدنيا.

﴿وَزَعَمْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ قال مجاهد: يعني رسولاً ﴿تَقْلُنَّاهُمْ بَرْهَنَكُم﴾ أي: على صحة ما ادَّعيتُموه من أن الله شركاء ﴿فَقُلُوا أَنْ الْحَقَّ لِلَّهِ﴾ أي: لا إله غيره، أي: فلم ينطقوا، ولم يحجروا جواباً، ﴿وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا لَفَتَرُونَ﴾ أي: ذهبوا فلم ينفعوهم.

الآية (٧٦-٧٧): عن ابن عباس قال: ﴿إِنْ قَدَرُونَ كَاتِبِينَ قَوِيَّ مَوْثِقِينَ﴾ قال: كان ابن عمه. وهكذا قال إبراهيم النخعي وابن جريج وغيرهم: أنه كان ابن عم موسى عليه السلام. قال ابن جرير: وأكثر أهل العلم على أنه كان ابن عمه، والله أعلم.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ أَكْثَرُ﴾ أي: الأموال ﴿مِمَّا يَنْفَعُهُمْ لَنُحْوَ بِأَلْمُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ﴾ أي: يُقبل حملها الفئام من الناس ليكثر بها. ﴿إِنْ قَالَ لَهُمُ مَوْلَاهُمْ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ أي: وعظه فيما هو فيه صالح قوم، فقالوا على سبيل النصيح والإرشاد: لا تفرح بما أنت فيه، يعنون: لا تبطر بما أنت فيه من الأموال.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ قال ابن عباس: يعني: المفرحين. وقال مجاهد: يعني: الأشهرين البطيرين، الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم.



## ● الوقفات التذكيرية

﴿قُلْ أَوْيَيْتُنَا إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ مَرَمِدًا إِلَى يَوْمِ الْبَيْعَةِ مَن إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيَكُم بِضِيَاءٍ أَمْ لَا تَسْمَعُونَ﴾

ومن أبداع الاستدلال أن اختيار الاستدلال على وحدانية الله هذا الصنع العجيب المتكرر كل يوم مرتين، والذي يستوي في إدراكه كل مميز، والذي هو أجلى مظاهر التغير في هذا العالم. ابن عاشور: ١٦٨/٢٠.

السؤال: لماذا اختير الاستدلال على وحدانية الله تعالى بتغيير الليل والنهار؟ ﴿قُلْ أَزِيدُكُمْ فِي جَهَنَّمَ إِنَّكُمْ عَلَيْهَا لَكُمُ النَّهَارُ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرَ اللَّهِ يُبَدِّلُ عَلَيْكُمْ يَلَيْلَ تَكُونُونَ فِيهِ أَفْلا تُعْقِلُونَ﴾

في هذه الآيات تنبيه إلى أن العبد ينبغي له أن يتدبر نِعَمَ الله عليه، ويتبصر فيها، ويقسها بحال عَمَلها؛ فإنه إذا وازن بين حالته وجودها وبين حالته عَمَلها تنبيه عقله لموضع المنّة، بخلاف من جرى مع العوائل، ورأى أن هذا أمر لم يزل مستمرّاً، ولا يزال، وعمي قلبه عن الثناء على الله بِنِعَمِهِ، ورؤيته افتقاره إليها في كل وقت، فإن هذا لا يحدث له فِكْره شكراً ولا ذكراً السعدي: ٦٣٣.

السؤال: تَبَّهَ الآيَاتِ إِلَى حَالَةٍ مِنَ الْحَالَاتِ التَّجْدِيدِ وَالتَّفَكُّرِ فِي نِعْمَةِ اللَّهِ، فَمَا هِيَ؟ ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ۚ وَلَكُمْ تَسْكُرُونَ﴾

ثم ذكر عز وجل انقسام الليل والنهار على السكون وابتغاء الفضل بالمشي والتصرف، وهذا هو الغالب في أمر الليل والنهار، فقد التفتنا إلى ما لا يغلب، وإن وجد من يسكن بالنهار، ويبتغي فضل الله بالليل، فالشاذ النادر لا يعتد به. ابن عطية: ٢٩٧/٤.

السؤال: هل وجود من ينام بالنهار ويسهر بالليل يناقض معنى الآية؟ وضع ذلك.

﴿إِنَّ قُرُونَكُمْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ مُؤْمِنٍ فَبَقِيَ عَلَيْهِمْ﴾

لَقَالَ تَعَالَى: (وَمَا أَوْتَيْتُمْ مِنْ شَيْءٍ مُفْتَعٍ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا) بَيْنَ أَنْ قَارُونَ  
 يَمُوتَ وَبَيْنَ أَنْ يَحْيَى قَارُونَ، وَلَمْ تَعْصِمَهُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ كَمَا لَمْ تَعْصِمِ فِرْعَوْنَ، وَلَسْتُمْ أَيُّهَا  
 الْمُرْسَلُونَ بِأَكْثَرِ عِدَدٍ وَمَا لَكُمْ قَارُونَ وَفِرْعَوْنَ، فَلَمْ يَنْفَعِ فِرْعَوْنَ جُنُودُهُ  
 وَأُمَمُوهُ، وَلَمْ يَنْفَعِ قَارُونَ قَرَابَتُهُ مِنْ مُوسَى وَلَا كُنُوزُهُ الْقُرْطُبَى: ٣١٢/١٦.

السؤال: بين لماذا ساق الله تعالى قصة قارون؟ وما العبرة من ذلك؟

لا تفرح: الفرح هنا هو الذي يقود إلى الإحجاب والطفيان، ولذلك قال: (إن الله لا يحب الفرحين)، وقيل: السرور بالدنيا؛ لأنه لا يفرح بها إلا من غفل عن الآخرة، ويدل على هذا قوله: (ولا تفرحوا بما آتاكم) الحليد: ٢٣، ابن جرير: ١٥١/٢.

السؤال: ما الضرح المنهي عنه؟

﴿وَلَا تُنْسِ تَصَدِّقَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾<sup>٥١</sup>  
 أي: لا تضع حظك من دنيائك، وتمتع بها مع عملك للأخرة، وقيل: معناه  
 لا تضع عملك بترك الأعمال الصالحات؛ فإن حظ الإنسان من الدنيا إنما  
 هو بما يعمل فيها من الخير؛ فالكلام على هذا وعظ، وعلى الأول إباحة  
 التمتع بالدنيا لئلا ينفر عن قبول الموعظة. (وأحسن كما أحسن الله إليك)  
 أي: أحسن إلى عباد الله كما أحسن الله إليك بالفن. ابن جزي: ١٥١/٢.

السؤال: كيف ينجو العبد من فتنة المال؟ ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾

وأضافة النصيب إلى ضميمه دالة على أنه حقه، وأن للمرء الانتفاع بماله فيما يلائمه في الدنيا؛ خاصة مما ليس من القربات، ولم يكن حراماً. ابن عاشور: ١٧٩/٢٠

**السؤال:** لا ينبغي للمسلم أن يضيق على نفسه في مطعم أو مشرب وعنده سعة، بين ذلك.

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الَيَّلَ سَنَمًا مِثْلَ نَوْمِ  
الْيَمِينَةِ مِنْ إِلَهِ عِزِّ اللَّهِ بِآيَاتِهِ كُمْ بَضِيئًا أَفَلَا تَسْمَعُونَ  
﴿٣٥﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَنَمًا مِثْلَ  
يَوْمِ الْيَمِينَةِ مِنْ إِلَهِ عِزِّ اللَّهِ بِآيَاتِهِ كُمْ بَضِيئًا أَفَلَا  
تُبْصِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ  
وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ  
تَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ وَنَوْمٌ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاؤِيَ الَّذِينَ  
كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٣٨﴾ وَتَزْعُمَانِ عَلَى أُنُفُسِهِمْ سَهِيْدًا أَقْبَلْنَا  
هَٰؤُلَاءِ وَبَرَّهْنَهُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ  
مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنْ قُرُونٌ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ مُوسَىٰ  
فَتَنَىٰ عَلَيْهِمْ ؕ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُتُبِ مَا لَمْ يَكُنْ لَهَا مَفَاحِيهُ وَلَوْ أَنَّ  
الْعَصْبَةَ أُولَىٰ الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَنْفَخْ فِي رُفِّ اللَّهِ  
لَا يَحِبُّ الضَّالِّينَ ﴿٤٠﴾ وَابْتَغِ فِئَاءَ أَتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ  
وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ  
وَلَا تَبْتَغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤١﴾

## ● معاني الكلمات

المعنى	الكلمة
دَائِمًا بَاقِيًا.	سَرْمَدًا
ذَهَبَ.	وَضَلَّ
يَخْتَلِفُونَهُ مِنَ الْكَذِبِ.	يَفْتَرُونَ
لَيَنْثُلُ حَمْلُهَا عَلَى الْجَمَاعَةِ الْكَثِيرَةِ.	لَتَنْوُو بِالْعُصْبَةِ
النَّوَسَ وَأَطْلَبَ.	وَابْتَغَ
لَا تَتْرُكْ حَظْلَكَ.	وَلَا تَنْسَ نَصِيْبَكَ

## ● العمل بالآيات

١. تذكر نجاحا حققت، ثم اشكر الله سبحانه وتواضع له، ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾.

٢. حاول الليلة أن تنام مبكرا وتصحو مبكرا! فهذا من شكر نعمة الله وأقرب للفطرة، ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

٣. ضع جدولاً لدخلك الشهري توازن فيه بين مصالحك في الدنيا والآخرة،  
﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾.

## ● التوجيهات

١. السمع الحقيقي هو: سماع القلب واستجابته، ﴿مَنْ لَّهِ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بَعْضِكُمْ أَفْلاً تَسْمَعُونَ﴾.

٢. من شكر الله تعالى شغل النهار بطلب العيش والليل في السكون وذلك فيما يرضي الله ولا يسخطه، ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ۚ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

٣. من لم يؤمن ويتيقن اليوم فسيعلم الحق إذا وقف بين يدي الله تعالى، ﴿فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾.



﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ۚ أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَن هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۙ ﴾

**السؤال: ما سنة الله سبحانه فيمن اغتر بنفسه أو ماله؟**

**السؤال:** من أعرض عن زينة الدنيا عن علم، وأقبل على الآخرة عن علم فإنه أثبت من غيره عند الفتن، وضح ذلك من الآية.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ لَئِنْ دُعِيتُمْ عَلَى الْغَيْبِ لَتَعْلَمُنَّ عَنْهُمَا وَعَلَى صُلْحِهِمْ﴾  
فليس (الذين أُوتوا العلم) داعين بنابول على الذين يريسون الحياة الدنيا لأن  
الناسب لمقام الوعظة لئِنْ الخطاب ليكون أعون على الاعتاض ولكنهم يتعجبون  
من تعلق نفوس أولئك بزينَةِ الحياة الدنيا واغتيالهم بحال قارون دون اهتمام  
بنواب الله الذي يستطيعون تحصيله بالإقبال على العمل بالدين والعمل النافع،

وهم يعلمون أن قارون غير متخلق بالفضائل الدينية. ابن عاشور: ١٨٤/٢٠.

**السؤال: ماذا قصد أهل العلم بقولهم (ويلكم)؟**

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَن ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴾

(إِلَّا الصَّابِرُونَ) يعني بذلك: الذين صبروا عن طلب زينة الحياة الدنيا، وآثروا ما عند الله من جزيل ثوابه على صالحات الأعمال على لذات الدنيا وشهواتها، فحَدُوا في طاعة الله، ورفضوا الحياة الدنيا. (الطبري: ٦٣٩/١٩).

**السؤال: من الذي يوفق للثبات في زمن الضن؟**

﴿ وَلَا يُلْقِيهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴾

(وَلَا يُلْقَاهَا) أي: لا يجعل لآقياً لهذا الكلمات أو النصيحة التي قالها أهل العلم: أي عاملأ بها (إِلَّا الصَّابِرُونَ) أي على قضاء ربه في السراء والضراء: والحاملون أنفسهم على الطاعات، الذين صار الصبر لهم خلقاً. وعبر بالجمع ترغيباً في التعاون إشارة إلى أن الدين لصعوبته لا يستقل به الواحد. البقاعي: ٣٥٨/١٤.

السؤال: الصبر خلق عظيم يحتاج إلى تعاون، كيف دلت الآية على هذا المعنى؟

جزاء من جنس عمله؛ فكما رفع نفسه على عباد الله، أنزله الله أسفل سافلين، هو وما اغتر به من داره وأثائه ومتاعه. السعدي: ٦٢٤.

**السؤال: لماذا عُدَّ قارون بعذاب الخسف دون أنواع العذاب الأخرى؟**

﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ﴾ سورة القصص ... افتتحتها بامر فرعون وذكر علوه في الأرض وهو الرئاسة والشرف والسلطان ثم ذكر في آخرها هارون وما أوتيته من الأموال وذكر عقابته سلطان هذا وعاقبة مال هذا ثم قال: (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا) كحال فرعون وهارون ابن تيمية/ ٩٠.

يريدون علواً في الأرض ولا فساداً؟

قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ۖ أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ  
مِنْ قَبْلِهِ مِنْ الْفُرُونَ ۖ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَكَثْرَتُ جَعًا  
وَلَا يُنْتَبِهُ عَنْ ذُنُوبِهِ الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ  
فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا  
مِثْلَ مَا أُوتِيَ قُرُونُ ۖ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ  
أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَكُنْ لَكُمْ قَوَابِلُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ  
صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الْصَّادِقُونَ ﴿٦٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِ  
وَبِذَاهِهِ الْأَرْضَ ۖ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَبْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ  
اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ ﴿٦١﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَتَّوْا  
مَكَانَهُ بِأِلَافٍ يَاقُولُونَ وَيَكَانُ اللَّهُ يَتَبَسَّطُ الرِّزْقَ لِمَنْ  
يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا  
وَيَكَانَ لَافْتِقَالٍ الْكَافِرُونَ ﴿٦٢﴾ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ ۖ نَجْعَلُهَا  
لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ غُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۖ وَالْعَالِيَةُ لِمُتَّقِينَ  
﴿٦٣﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا ۖ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا  
يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٤﴾

## معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
الْقُرُونُ	الأُمم.
وَلَا يُسَالُ	أَي: لَا يُسْأَلُونَ سُؤَالَ اسْتِعْلَامٍ؛ بَلْ سُؤَالَ تَوْبِيخٍ وَتَقْرِيرٍ.
وَيَكُنَّ	كَلِمَةً تُوجِبُ، وَتَأْسِفُ، وَتَعَجِبُ.
وَيَكُنَّهٗ	أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّهُ؟
عُلُوًّا	تَكْبَرًا.

## ● العمل بالآيات

١. انصح من تعرف ممن يقترون بالمظاهر ان متاع الدنيا زائل، وذكروهم بقصة قارون، ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ تَوَابُ اللَّهِ غَيْرَ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُفْنِيهَا إِلَّا الْعَصِيُونَ ﴾.

٢. اجلس مع عامل فقير، وتعرف إلى حاجته، وتصدق عليه، ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ  
نَجْعُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالَّذِينَ هُمْ لِلْمُؤْمِنِينَ

٣. استعذ بالله من العلو على الناس، والإفساد في الأرض، ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ﴾  
﴿يَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

## ● التوجيهات

١. الفتنة أسرع إلى قلوب الماديين أبناء الدنيا: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ۖ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا إِنَّا بُنِيتُمْ لَهَا مِثْلَ مَا أُوتُوا فَرَدُّوا إِلَيْهِ ۖ لَدُوْ حَظٌّ عَظِيمٌ ۖ﴾

٢٠. الْفِتْنَةُ إِذَا أَقْبَلَتْ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا الْعُلَمَاءُ، فَإِذَا أَدْبَرَتْ عَرَفَهَا كُلُّ النَّاسِ، وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ تَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا خُلُوفُهَا إِلَّا الصُّبْرَةُ.

٣. فضل الله تعالى ورحمته ان ضاعف الحسنات، ولم يضاعف السيئات، ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

إِذَا رَآهٖ إِذْ خُصِفَ بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلَّجَلُ فِي الْأَرْضِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.  
وقوله: ﴿فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنْ الْأَنْصَارِ﴾ أي: ما أُنقذ عنه ماله، وما جمعه، ولا خُدعته وحشمه. ولا دَفَعُوا عنه نَفْثَةَ اللَّهِ وعذابه ونكاله، ولا كان هو في نفسه متصصراً لنفسه، فلا ناصر له من نفسه، ولا من غيره.

وقوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ﴾ أي: الذين كُتِبَ لَهُمْ فِي زَيْتَةِ قَالُوا: ﴿وَبَيَّنَّا لَكُمُ الْأَمْثِلَ مَا أَفْوَتْ قُدْرُوهُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾، فلما خُصِفَ به أصبحوا يقولون: ﴿وَبَيَّنَّا لَكُمُ اللَّهُ يَسْتَظِلُّ الْزَيْفُ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ﴾ أي: ليس المال ببدل على رضا الله عن صاحبه، فإن الله يعطي ويمنع ويضيئ ويؤسح، ويخفف ويثقل، وله الحكمة الثابتة والحجة البالغة. ﴿لَوْلَا أَنَّ مَنْ اللَّهَ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بَنَّا﴾ أي: لولا لطف الله بنا وإحسانه إلينا لَخَسَفَ بنا كما خَسَفَ به، لأننا وِدَعْنَا أَنْ نَكُونَ مِثْلَهُ. ﴿وَبَيَّنَّا لَهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ يعنون: أنه كان كافراً، ولا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ عند الله، لا في الدنيا ولا في الآخرة.

وقد اختلف في معنى ﴿وَبَيَّنَّا لَكُمُ﴾ فقال بعضهم: معناها: «ويلك اعلم أن»، وقيل: معناها: ألم تر أن. قاله قتادة. قال ابن جرير: وأقوى الأقوال في هذا قول قتادة.

الآية (٨٣-٨٤): يجبر تعالى أن الدار الآخرة ونعيمها السُّعِيم الذي لا يحول ولا يزول، جعلها لعباده المؤمنين المُواضِعِينَ، الذين لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ، أي: ترفعوا على خلق الله وتعاظموا عليهم وتجبروا بهم، ولا فساداً فيهم. كما قال عكرمة: المُلُو: التَّجَبُّر. وقال سعيد بن جبير: العلو: البغي.

وقال ابن جرير: ﴿لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ﴾: تَعَطُّوا وَتَجَبَّرُوا. ﴿وَلَا فَسَادًا﴾: عملاً بالمعاصي. وقال علي: إن الرجل يُعْجِبُهُ مِنْ شِرَاكَ تَمْلَهُ أَنْ يَكُونَ أَجْوَدَ مِنْ شِرَاكَ صَاحِبِهِ، يَتَدَخَّلُ فِي قَوْلِهِ: ﴿يَا نَكَ الْأَذْرُ الْأَخْرَةُ جَعَلَهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْقَبِيحَةُ لِلْمُنَافِقِينَ﴾. وهذا محمول على ما إذا أراد بذلك الفخر والتطاول على غيره؛ فإن ذلك مذموم، كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «إنه أَوْجَعِي لِي أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يُتَّبِعِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ» (رواه مسلم)، وأما إذا أَحَبَّ ذَلِكَ لِتُجَرَّدِ التَّجَمُّلِ فَهَذَا لَا بَأْسَ بِهِ؛ فَقَدْ بَيَّنَّ أَنْ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَحِبُّ أَنْ يَكُونَ رِدَائِي حَسَنًا وَتَعْلِي حَسَنَةً، أَفَمَنْ الْكَبِيرُ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: «لَا، إِنْ اللَّهُ جِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ» (رواه مسلم).

وقوله: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ﴾ أي: يوم القيامة ﴿فَلَهُ حَسَنَاتُهَا﴾ أي: ثواب الله خير من حَسَنَةِ الْعَبْدِ، فكيف والله يُضَاعِفُهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً؟! فهذا مقام الفضل. ثم قال: ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يَجْزِي الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَهُمُومُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النمل: ٩٠] وهذا مقام الفضل والمَذَلِّ.

الآية (٧٨): يقول تعالى خبراً عن جواب قارون لقومه، حين نَصَحُوهُ وَأَرَشَدُوهُ إِلَى الْخَيْرِ: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عَيْنِي﴾ أي: أنا لا أَفْتَرُ إِلَى مَا تَقُولُونَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِنَّمَا أَعْطَانِي هَذَا الْمَالَ لِيُعْلِمَ بَأَنِّي أَشْتَقُّهُ، وَلِحُبِّهِ لِي، فَتَقْدِيرُهُ: إِنَّمَا أُعْطِيْتُهُ لِيُعْلِمَ اللَّهُ فِي أَنِّي أَهْلٌ لَهُ<sup>(١)</sup>؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا مَنَّ الْإِسْكَانُ ضُرْعَانَا ثُمَّ إِذَا حَوَّلْنَاهُ نَفْثَةً مَنَا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ [الرعر: ٤٩] أي: على علم من الله بي، وكقوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ أَذَقْتَهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرْحَةٍ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾ [ص: ٥٠] أي: هذا أَشْتَقُّهُ؛ وَلِهَذَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى -رَادًّا عَلَيْهِ فِيمَا ادَّعَاهُ مِنْ اعْتِنَاءِ اللَّهِ بِهِ فِيمَا أَعْطَاهُ مِنَ الْمَالِ-: ﴿وَأَلَمْ يَلْمِزْ أَلَّ اللَّهُ قَدَّ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمًّا﴾ أي: قد كان من هو أكثر منه مالاً، وما كان ذلك من حُبِّهِ مِنَّا لَهُ، وقد أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ مَعَ ذَلِكَ بِكَفَرِهِمْ وَعَدَمِ شُكْرِهِمْ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَلَا يَسْتَلْ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ أي: لكثرة ذنوبهم. وقد أجاد في تفسير هذه الآية الإمام عبد الرحمن بن زيد بن أسلم؛ فإنه قال في قوله: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عَيْنِي﴾ قال: لولا رِضَا اللَّهِ عَنِّي، وَمَعْرِفَتُهُ بِقُضَائِي مَا أَعْطَانِي هَذَا الْمَالَ، وَقَرَأَ: ﴿وَأَلَمْ يَلْمِزْ أَلَّ اللَّهُ قَدَّ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمًّا وَلَا يَسْتَلْ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ وهكذا يقول من قَلَّ عِلْمُهُ إِذَا رَأَى مِنْ وَسَّعِ اللَّهُ عَلَيْهِ يَقُولُ: لَوْلَا أَنَّهُ يَسْتَحِقُّ ذَلِكَ لَمَّا أُعْطِيَ.

الآية (٧٩-٨٠): يقول تعالى خبراً عن قارون: إنه خَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَةٍ عَظِيمَةٍ، وَتَجَمَّلَ بِبَاهِرٍ مِنْ مَرَاكِبٍ وَمَلَابِسٍ عَلَيْهِ وَعَلَى خَدَمِهِ وَحَشَمِهِ، فَلَمَّا رَأَهُ مِنْ بُرُودِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَتَبَيَّلَ إِلَى زَخَارِفِهَا وَزِينَتِهَا، تَمَنَّوْا أَنْ لَوْ كَانَ لَهُمْ مِثْلُ الَّذِي أُعْطِيَ، قَالُوا: ﴿وَبَيَّنَّا لَكُمُ الْأَمْثِلَ مَا أَفْوَتْ قُدْرُوهُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ أي: ذو حظ وافر من الدنيا. فلما سَمِعَ مَقَالَتَهُمْ أَهْلَ الْعِلْمِ النَّافِعِ قَالُوا لَهُمْ: ﴿وَبَيَّنَّا لَكُمُ ثَوَابَ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ عَامَرَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ أي: جزاء الله لعباده المؤمنين الصالحين في الدار الآخرة خير مما ترون؛ كما في الحديث الصحيح: «يقول الله تعالى: أَحَدُذْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، وَاقْرَءُوا إِنْ يَشْتُمُ: ﴿فَلَا تَمْلِكُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً يَمَآكَوْا يَعْمَلُونَ﴾» [السنن: ١٧] (رواه مسلم).

وقوله: ﴿وَلَا يُلْقِيهَا إِلَّا الْعَصَايِرُ﴾: قال السدي: وما يُلقَى الجنة إلا الصابرون. كانه جعل ذلك من تمام كلام الذين أوتوا العلم. قال ابن جرير: وما يُلقَى هذه الكلمة إلا الصابرون عن حُبِّهِ الدُّنْيَا، الرَّاغِبُونَ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ. وكأنه جعل ذلك مقطوعاً من كلام أولئك، وجعله من كلام الله ﷻ وإخباره بذلك.

الآية (٨١-٨٢): كُتِبَ ذَكَرَ تَعَالَى اخْتِيَالِ قَارُونَ فِي زِينَتِهِ، وَقَفَرَهُ عَلَى قَوْمِهِ وَبَغِيهِ عَلَيْهِمْ، عَقَّبَ ذَلِكَ بَأَنَّهُ خَسَفَ بِهِ وَبَدَّاهُ الْأَرْضَ؛ كَمَا رَوَى الْبَخَارِيُّ عَنْ ابْنِ عَمْرِو بْنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «بَيْنَا رَجُلٌ يَجُورُ

(١) ذكر السعدي -رحمه الله- تفسيراً آخر للآية، فقال: «أي: إنها أدركت هذه الأموال بكسبي ومعرفتي بوجوه المكاسب وحذني. [تفسير الكريم الرحمن، (القصص: ٧٨)].»

الآية (٨٥-٨٨): يقول تعالى أمراً رسوله ﷺ ببلاغ الرسالة وتلاوة القرآن على الناس، وخبراً له بأنه سيُرَدُّه إلى معاد، وهو يوم القيامة، فيسأله عما استراحه من أعباء النبوة؛ ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ أَلْوَىٰ فِرْضَ عَلَيْكَ أَلْفَرَاءَاتُ﴾ أي: اقترض عليك أداءه إلى الناس ﴿لَرَأَدُكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ أي: إلى يوم القيامة فيسألك عن ذلك.

وقال ابن عباس: لَرَأَدُكَ إِلَى الْجَنَّةِ، ثم سَأَلْتُكَ عَنِ الْقُرْآنِ. وقال: إلى يوم القيامة. وقال: إلى الموت.

ولهذا طُرِّقَ عن ابن عباس، وفي بعضها: لَرَأَدُكَ إِلَى مَعْدِنِكَ مِنَ الْجَنَّةِ. وقال مجاهد: يُجَيِّدُكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وكذا رُوِيَ عَنْ عِكْرَمَةَ وَعُطَاءٍ وَسَعِيدِ بْنِ جَبْرِ، وقال الحسن البصري: إِي وَاللَّهِ! إِنْ لَهُ لَمَعْمَادًا، فَيُنْعَتُهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ يُدْخِلُهُ الْجَنَّةَ.

وقد رُوِيَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ غَيْرَ ذَلِكَ، كَمَا رَوَى الْبَخَارِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿لَرَأَدُكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ قال: إلى مكة. ووجه الجمع بين هذه الأقوال أن ابن عباس فَسَّرَ ذَلِكَ تَأْرَةً بِرَجُوعِهِ إِلَى مَكَّةَ، وَهُوَ الْفَتْحُ الَّذِي هُوَ عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ أَمَارَةٌ عَلَى اقْتِرَابِ أَجَلِهِ ﷺ، كَمَا فَسَّرَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ بِسُورَةِ ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ أَنَّهُ أَجَلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نُبُعِي إِلَيْهِ، وَكَانَ ذَلِكَ بِحَضْرَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَوَاقِفَهُ عُمَرُ عَلَى ذَلِكَ، وَقَالَ: لَا أَعْلَمُ مِنْهَا غَيْرَ الَّذِي تَعْلَمُ. ولهذا فَسَّرَ ابْنُ عَبَّاسٍ تَأْرَةً أُخْرَى قَوْلُهُ: ﴿لَرَأَدُكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ بِالْمَوْتِ، وَتَأْرَةً بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ الَّذِي هُوَ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَتَأْرَةً بِالْجَنَّةِ الَّتِي هِيَ جَزَاؤُهُ وَمَصِيرُهُ عَلَى آدَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَإِبْلَاغِهَا إِلَى الثَّقَلَيْنِ: الْجَنِّ وَالْإِنْسِ، وَلِأَنَّهُ أَكْمَلَ خَلْقَ اللَّهِ، وَأَفْضَحَ خَلْقَ اللَّهِ، وَأَشْرَفَ خَلْقَ اللَّهِ عَلَى الْإِطْلَاقِ.

وقوله: ﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ أي: قُلْ لِمَنْ خَالَفَكَ وَكَذَّبَكَ يَا مُحَمَّدٌ مِنْ قَوْمِكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَمَنْ يَتَّبِعُهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ: ﴿رَبِّي أَعْلَمُ﴾ بِالْمُهَنْدِي مِنْكُمْ وَمَنِي، وَسَتَعْلَمُونَ لِمَنْ تَكُونُ عَاقِبَةُ الدَّارِ، وَلِمَنْ تَكُونُ الْعَاقِبَةُ وَالنَّصْرَةُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

ثم قال تعالى مذكراً لِنَبِيِّهِ نِعْمَتِهِ الْعَظِيمَةِ عَلَيْهِ وَعَلَى الْعِبَادِ إِذْ أَرْسَلَهُ إِلَيْهِمْ: ﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَن يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ﴾ أي: مَا كُنْتُ تَظُنُّ قَبْلَ إِنْزَالِ الْوَحْيِ إِلَيْكَ أَن الْوَحْيَ يَنْزِلُ عَلَيْكَ.

﴿وَلَا رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ﴾ أي: إِنَّمَا نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ رَحْمَتِهِ بِكَ وَبِالْعِبَادِ بِسَبَبِكَ، فَإِذَا مَنَحَكَ بِهِذِهِ النِّعْمَةَ الْعَظِيمَةَ ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا﴾ أي: مُعِينًا لِلْكَافِرِينَ، وَلَكِنْ فَارْقَهُمْ وَنَابِذَهُمْ وَخَالَفَهُمْ. ﴿وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ﴾ أي: لَا تَتَأَثَّرْ لِمُخَالَفَتِهِمْ لَكَ وَصُدُّهُمْ النَّاسَ عَنْ طَرِيقِكَ، لَا [تَلُو] عَلَى ذَلِكَ وَلَا تَبَالِهْ؛ فَإِنَّ اللَّهَ مُثْلِي كَلِمَتِكَ، وَمُؤَيِّدُ دِينِكَ، وَمَظْهَرٌ مَا أُرْسِلْتَ بِهِ عَلَى سَائِرِ الْأَيَّانِ؛ وَهَذَا قَالَ: ﴿وَإِنَّمَا إِلَهُ الْكَافِرِينَ﴾ أي: إِلَى عِبَادَةِ رَبِّكَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُنْشَرِكِينَ﴾.

وقوله: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: لَا تَلِيْقُ الْعِبَادَةَ إِلَّا لَهُ وَلَا تَتَّبِعِ الْإِلَهِيَّةَ إِلَّا لِعَظَمَتِهِ.

﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ إخبار بأنه الدائم الباقي الحي القيوم، الذي تموت الخلائق ولا يموت، فَعَبَّرَ بِالْوَجْهِ عَنِ الذَّاتِ، قَوْلُهُ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ أي: إِلَّا إِيَّاهُ. وقال مجاهد والثوري في قوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ أي: إِلَّا مَا أُرِيدَ بِهِ وَجْهَهُ، وَهَذَا الْقَوْلُ لَا يُنَافِي الْقَوْلَ الْأَوَّلَ؛ فَإِنَّ هَذَا إِبْرَاهِيمَ عَنْ كُلِّ الْأَعْمَالِ بِأَنَّهَا بَاطِلَةٌ إِلَّا مَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهَ اللَّهِ ﷻ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الْمُنَاطِقَةِ لِلشَّرِيعَةِ. والقول الأول مقتضاه أن كل الذوات فانية وهالكة وزائلة إلا ذاته تعالى؛ فإنه الأول الآخر الذي هو قبل كل شيء وبعد كل شيء. وقوله: ﴿لَهُ الْخُزُونُ﴾ أي: الْمُلْكُ وَالنَّصْرُ، وَلَا مُقَبَّلَ حُكْمِهِ. ﴿وَالَّذِينَ يُرْمَوْنَ﴾ أي: يَوْمَ مَعَادِكُمْ، فَيَجْزِيكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٍ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٍّ.

... تفسير سورة النكبات ...

وهي مكية. [وعدد آياتها (٦٩) آية].

الآية (١-٤): الكلام على الحروف المقطعة تقدّم في أول «البقرة». وقوله: ﴿أَحْسِبَ النَّاسَ أَن يَتَذَكَّرُوا أَنَّهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ استفهام إنكار، ومعناه: أَنَّهُ لَيْسَ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَهُ بِدْ أَن يُنْتَقَلَ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِحَسَبِ مَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْإِيمَانِ؛ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «أَشَدُّ النَّاسِ بِلَاءَ الْأَنْبِيَاءِ ثُمَّ الصَّالِحُونَ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ؛ يُنْتَقَلُ الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صَلَاحَةٌ زِيدَ فِي الْبَلَاءِ» [رواه أحمد والترمذي وصححه الألباني]؛ وَهَذِهِ الْآيَةُ كَقَوْلِهِ: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الضَّالِّينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢] وَهَذَا قَالَ هَهُنَا: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ أي: الَّذِينَ صَدَقُوا فِي دَعْوَاهُمُ الْإِيمَانِ مَنْ هُوَ كَاذِبٌ فِي قَوْلِهِ وَدَعْوَاهُ. وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَعْلَمُ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ، وَمَا لَمْ يَكُنْ لَوْ كَانَ كَيْفَ يَكُونُ. وَهَذَا مُجْمَعٌ عَلَيْهِ عِنْدَ أُمَّةِ السَّنَةِ وَالْجَمَاعَةِ.

وقوله: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَن يَسْفُتُوا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ أي: لَا يَجُزُّبُ الَّذِينَ لَمْ يَدْخُلُوا فِي الْإِيمَانِ أَنَّهُمْ يَتَحَلَّصُونَ مِنْ هَذِهِ الْفِتْنَةِ وَالْإِمْتِحَانِ؛ فَإِنَّ مِنْ وَرَائِهِمْ مِنَ الْعُقُوبَةِ وَالنَّكَالِ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ هَذَا وَأَطَمُّ؛ وَهَذَا قَالَ: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَن يَسْفُتُوا﴾ أي: يَقُوتُوا، «سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ» أي: بِشَ مَا يَظُنُّونَ.

الآية (٥-٦): ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ﴾ أي: فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ، وَعَمِلَ الصَّالِحَاتِ رَجَاءً مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الثَّوَابِ الْجَزِيلِ، فَإِنَّ اللَّهَ سَيُحَقِّقُ لَهُ رَجَاءَهُ وَيُؤَيِّدُهُ عَمَلَهُ كَامِلًا مُوفُورًا، فَإِنَّ ذَلِكَ كَائِنٌ لَا حَالَةَ؛ لِأَنَّهُ سَمِيعُ الدَّعَاءِ، بِصِيرٍ بِكُلِّ الْكَائِنَاتِ.

وقوله: ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾ مِنْ عَمَلٍ صَالِحًا فَإِنَّمَا يَعُودُ نَفْعَ عَمَلِهِ عَلَى نَفْسِهِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْ أَعْمَالِ الْعِبَادِ، وَلَوْ كَانُوا كُلُّهُمْ عَلَى اتِّقَى قَلْبٍ رَجُلٍ مِنْهُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مَلِكِهِ شَيْئًا؛ وَهَذَا قَالَ: ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ. قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: إِنْ الرَّجُلُ لِيُجَاهِدَ، وَمَا ضَرَبَ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ بِسَيْفٍ.



## ● الوقفات التدريبية

﴿ وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أَنْزِلَتْ إِلَيْكَ وَأَدْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾

يعني: أقوالهم وكذبهم وإذاهم، ولا تلتفت نحوهم، وامض لأمرك وشأنك. القرطبي: ٣٣٠/١٦.

السؤال: كيف دلت الآية على الاستمرار في الدعوة رغم العقبات المبطنة؟

﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَمَّاكَ وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾

اطن الناس أن يُتركوا بغير اختبار ولا ابتلاء؟ (ان يقولوا) أي: بأن يقولوا: (أمنأ وهم لا يفتنون)، لا يبتلون في أموالهم وأنفسهم، كلا لنختبرتهم ليتبين المخلص من المنافق، والصادق من الكاذب. البغوي: ٤٦١/٣.

السؤال: لماذا يبتلي الله تعالى عباده؟

﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَمَّاكَ وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾

نزلت في قوم من المؤمنين كانوا بمكة مستضعفين، وكان كفار قريش يؤذونهم، ويعذبونهم على الإسلام، فضاعت صدورهم بذلك؛ فأنسهم الله بهذه الآية، وعظمهم وأخبرهم أن ذلك اختبار ليوطنوا أنفسهم على الصبر على الأذى، والثبوت على الإيمان، فأعلمهم الله تعالى أن تلك سيرته في عباده: يسلط الكفار على المؤمنين ليمحصهم بذلك، ويظهر الصادق في إيمانه من الكاذب، ولتظهر مع ذلك عام، فحكمها على العموم في كل من أصابته فتنة من معصية أو مضرة في النفس، والمال، وغير ذلك ابن جزي: ١٥٤/٢.

السؤال: من خلال هذه الآية: بين فوائد الابتلاء.

﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾

والمراد بالذين من قبلهم: المؤمنون أتباع الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- أصابهم من ضروب الفتن والمحن ما أصابهم فصبروا، وعضوا على دينهم بالنواجذ؛ كما يعرب عنه قوله تعالى: (وكان من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا) آل عمران: ١٤٦، ١. الألوسي: ٣٤٠/١٠.

السؤال: من سنن الله تعالى ابتلاء المؤمنين، ما الواجب على المؤمن في هذه الحال؟

﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾

والله عالم بهم قبل الاختبار، ومعنى الآية: وليظهرن الله الصادقين من الكاذبين؛ حتى يوجد معلومه الذي في آزره. البغوي: ٤٦٢/٣.

السؤال: لقد علمت أن الله تعالى يعلم كل شيء، فما وجه قوله هذا: (فليعلمن الله)؟

﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعِثْرَةَ أَنْ يَسْمُرُوكَ ﴾

أي: أحسب الذين همهم فعل السيئات وارتكاب الجنائيات أن أعمالهم ستهمل، وأن الله سيفضل عنهم، أو يفوتونه؛ فلذلك أقدموا عليها، وسهل عليهم عملها. السعدي: ٦٢٦.

السؤال: ما الذي يسهل على العبد ارتكاب المعاصي والجنائيات؟

﴿ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾

معنى الآية: من كان يرجو ثواب الله فليصبر في الدنيا على المجاهدة في طاعة الله حتى يلقى الله فيجزيه؛ فإن لقاء الله قريب الإتيان.

ابن جزي: ١٥٥/٢.

السؤال: ما شرط الحصول على ثواب الله سبحانه؟

إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ دَعَىٰ أَعْمَرَ مِنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ٥٥ وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ ٥٦ وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أَنْزِلَتْ إِلَيْكَ وَأَدْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ٥٧ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ٥٨ لَهُ الْخُكُومُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ٥٩

سُورَةُ التَّحْكِيمِ ٦٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْح ٥١ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَمَّاكَ وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ٥٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ٥٣ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ٥٤ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ٥٥ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ٥٦

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
فَرَضَ	أَنزَلَ.
لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ	لَرَجْعُكَ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي خَرَجْتَ مِنْهُ، وَهُوَ مَعَادٌ.
تَرْجُو	تُؤْمَلُ.
يُلْقَى	يُنَزَّلُ.
ظَهِيرًا	عَوْنًا.
أَنْ يَسْبِقُونَا	يُجْعَزُونَا، وَيَفُوتُونَا بِأَنْفُسِهِمْ.

## ● العمل بالآيات

١. ادعُ إلى الله -سبحانه وتعالى- بأي طريقة جائزة تحسنها، ﴿ وَأَدْعُ إِلَى رَبِّكَ ﴾.
٢. ادعُ الله تعالى بقولك: (اللهم يا مقبل القلوب ثبت قلبي على دينك)، فإن النبي ﷺ كان يكثر منه، ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَمَّاكَ وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾.
٣. اقرأ أخبار أحد الصحابة الذين تعرضوا للفتنة؛ كسلمان الفارسي، أو عمار بن ياسر مثلاً، وكيف صدقوا وصبروا، ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾.

## ● التوجيهات

١. خطر رفقاء السوء، وإنهم سبب في الصد عن سبيل الله، ﴿ وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أَنْزِلَتْ إِلَيْكَ ﴾.
٢. يجب على العبد الخوف من الشر؛ فإن الله نهى نبيه ﷺ عن دعاء غير الله، فخيرهُ من باب أولى، ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾.
٣. عظم منزلة المجاهدة، وإن فيها خلاص النفس ونجاتها، ﴿ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ ﴾.



## ١ الوقفات التحذيرية

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

اي بأحسن اعمالهم؛ وهو الطاعة، وقيل: نعطيههم اكثر مما عملوا وأحسن. البغوي: ٤٦٣/٣.

السؤال: كيف يجازي المؤمنون عند الله تعالى بأحسن ما عملوا؟

﴿ وَإِنْ جَهَدُوا لَنُشْرِكَنَّ بِمَا لَهُمْ لَكُمْ يَوْمَ يَكُونُ لَكُمْ مِيزَانٌ ﴾

ومن لطيف مناسبة هذا الطرف في هذا المقام ان المؤمن لما امر بعصيان والديه إذا امره بالشرك كان ذلك مما يثير بينه وبين أبويه جفاء وتفرقة، فجعل الله جزاء عن وحشة تلك التفرقة أنسا يجعله في عداد الصالحين؛ يأنس بهم. ابن عاشور: ٢١٥/٢٠.

السؤال: أكرم الله تعالى من يقدم طاعته على طاعة الخلق غاية الإكرام، بين ذلك.

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كُذَّابٌ لِلَّهِ ﴾

اي: جعل أذى الناس وعذابهم كعذاب الله في الآخرة؛ اي: جزع من أذى الناس، ولم يصبر عليه، فاطاع الناس كما يطيع الله من خاف من عذابه. البغوي: ٤٦٤/٣.

السؤال: كيف يجعل المنافق فتنه الناس كعذاب الله تعالى؟

﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَنْفَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ﴾

إخبار عن الدعاة إلى الكفر والضلالة؛ انهم يحملون يوم القيامة اوزار انفسهم، واوزاراً يسبب ما اضلوا الناس، من غير ان ينقص من اوزار اولئك شيئاً. ابن كثير: ٢٢٦/٦.

السؤال: هل وزر الداعي للفساد نفس وزر المدعو المستجيب؟ وضع هذا من خلال الآية.

﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَنْفَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ﴾

فالتائب الذي فعله التابع لكل من التابع والمتبوع حصته منه؛ هذا لأنه فعله وباشره، والمتبوع لأنه تسبب في فعله ودعا إليه، كما ان الحسنه إذا فعلها التابع له اجرها بالمباشرة، وللداعي اجره بالتسبب. السعدي: ٦٢٧.

السؤال: في الآية حث من وجه خفي على الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى بين هذا الوجه.

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾

والنكته في اختيار السنه: اولاً انها تطلق على الشدة والجذب بخلاف العام، فاسبب اختيار السنه لزمان الدعوة الذي قاسى عليه السلام فيه ما قاسى من قومه. الألوسي: ٣٤٨/١٠.

السؤال: ما فوائد التعبير بسنة في قوله: (الف سنة)؟

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾

فانت يا محمد، لا تأسف على من كفر بك من قومك، ولا تحزن عليهم؛ فإن الله يهدي من يشاء، ويضل من يشاء، وبيده الأمر، وإليه ترجع الأمور. ابن كثير: ٣٩٣/٣.

السؤال: هل الهداية بمجرد العقل أم بماذا؟

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١﴾ وَصَبَّأْنَا الْإِنسَانَ يَوْمَ يُدْفَعُ حُسْنًا وَإِنْ جَهَدَكَ لِتُشْرِكَ بِمَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴿٣﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كُذَّابٌ لِلَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴿٤﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴿٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلَنَحْمِلَ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ قُلْ شِئَءٌ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٦﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَنْفَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسْتَلْنَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿٨﴾

## معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
فِتْنَةُ النَّاسِ	عَذَابُ النَّاسِ لَهُ، وَأَذَاهُمْ.
سَبِيلَنَا	دِينَنَا.
أَثْقَالَهُمْ	أَوْزَارُهُمْ.
يَحْتَلِفُونَ	يَخْتَلِفُونَ مِنَ الْكُذْبِ.

## العمل بالآيات

١. أحسن إلى والديك بشراء هدية لهما، ﴿ وَصَبَّأْنَا الْإِنسَانَ يَوْمَ يُدْفَعُ حُسْنًا ﴾.
٢. اقرأ كتاباً في فقه الفتن، ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كُذَّابٌ لِلَّهِ ﴾.
٣. انصح زميلك الا يرسل رسالتك محرمة عبر الهاتف الجوال؛ فإن عليه إثم كل من تاجر بها او نشرها، ﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَنْفَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ﴾.

## التوجيهات

١. وجوب بر الوالدين في المعروف، وعدم طاعتهما فيما هو منكراً؛ كالشرك، والمعاصي، ﴿ وَصَبَّأْنَا الْإِنسَانَ يَوْمَ يُدْفَعُ حُسْنًا وَإِنْ جَهَدَكَ لِتُشْرِكَ بِمَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾.
٢. إذا ابتليت بمعصية فاحذر من دعوة غيرك إليها؛ خضبة ان ينالك وزر من شاركك فيها، ﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَنْفَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ﴾.
٣. الاقتداء بالأنبياء -عليهم السلام- في صبرهم وما بذلوه للدعوة، ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾.

وَتَمَنَّعَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿النساء: ١٤١﴾.

وقال تعالى مخبراً عنهم مهنا: ﴿وَلَيْنَ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾. ثم قال تعالى: ﴿وَأَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾ أي: أليس الله بأعلم بما في قلوبهم، وما تكنه صبايرهم، وإن أظهروا لكم الموافقة؟ وقوله: ﴿وَلَيَعْلَنَنَّ اللَّهُ لِلدِّينِ مَأْنُوًا وَلَيَعْلَنَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ أي: وليختبرن الله الناس بالضراء والسراء، ليصيروا هؤلاء من هؤلاء، ومن يطيع الله في الضراء والسراء، ومن إنما يطيعه في حظ نفسه؛ كما قال: ﴿وَلَيَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى تَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّادِقِينَ وَيَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ (عمد: ٣١).

الآية (١٢-١٣): يقول تعالى مخبراً عن كفار قريش: أنهم قالوا لمن آمن منهم وأتبع الهدى: ارجعوا عن دينكم إلى ديننا، واتبعوا سبيلنا ﴿وَلَنَحْمِلَ خَطِيئَتَكُمْ﴾ أي: وأنا نحميكم - إن كانت لكم آثام في ذلك - علينا وفي رقابنا؛ كما يقول القاتل: «افعل هذا وخطيئتك في رقبتي». قال الله تكذيباً لهم: ﴿وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطِيئَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ أي: فيما قالوه: إنهم يعملون عن أولئك خطاياهم، فإنه لا يحمل أحد وزر أحد ﴿وَلَيْنَ دَعَا مُنْقَلَبُ إِلَى جِلْمِهَا لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قَرْبَى﴾ (فاطر: ١٨). وقوله: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ إخبار عن الدعاة إلى الكفر والضلالة أنهم يوم القيامة يعملون أوزار أنفسهم، وأوزاراً آخر بسبب من أضلوا من الناس، من غير أن ينقص من أوزار أولئك شيئاً؛ كما قال تعالى: ﴿لَيَحْمِلُنَّ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّوهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا سَاءَ مَا يَزِينُونَ﴾ (النحل: ٢٥). وفي الصحيح: «... من دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من أتبعه إلى يوم القيامة، من غير أن ينقص من آثامهم شيئاً» (رواه مسلم). وقوله: ﴿وَلَيَسْتَنَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غَمًّا كَأَنَّهُمْ بَفَرُّوْا﴾ أي: يكذبون ويختلقون من البهتان.

الآية (١٤): هذه تسلية من الله تعالى لعبده ورسوله محمد ﷺ يخبره عن نوح عليه السلام: أنه مكث في قومه هذه المدة يدعوهم إلى الله ليلاً ونهاراً، وسيراً وجهاراً، ومع هذا ما زادهم ذلك إلا فراراً عن الحق، وإعراضاً عنه وتكذيباً له، وما آمن معه منهم إلا قليل؛ ولهذا قال: ﴿فَلَيْتَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ لَا تَخْصِي عَمَّا فَلَحْظُهُمُ الطُّرُقَاتِ وَهُمْ غَالِمُونَ﴾ أي: بعد هذه المدة الطويلة ما تخع فيهم البلاغ والإنذار، فانت - يا محمد - لا تأسف على من كفر بك من قومك، ولا تحزن عليهم؛ فإن الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء، ويبدد الأمر وإليه ترجع الأمور، واعلم أن الله سيظهرك وينصرك ويؤيدك، ويذل عدوك، ويكنيهم ويعلمهم أسفل السافلين، عن ابن عباس قال: بعث نوح وهو لأربعين سنة، ولبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، وعاش بعد الطوفان ستين عاماً، حتى كثر الناس وفشوا. وظهر السياق من الآية أنه مكث في قومه يدعوهم إلى الله ألف سنة إلا خمسين عاماً.

الآية (٧): ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ثم أخبر أنه مع غناه عن الخلائق جميعهم من إحسانه وبره بهم يجازي الذين آمنوا وعملوا الصالحات أحسن الجزاء؛ وهو أنه يكفر عنهم أسوأ الذي عملوا، ويجزيهم أجزهم بأحسن ما كانوا يعملون، فيقبل القليل من الحسنات، ويثيب عليها الواحدة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، ويجزي على السيئة بمثلها أو يغفو ويصفح.

الآية (٨-٩): يقول تعالى أمراً عباده بالإحسان إلى الوالدين بعد الحث على التمسك بتوحيده؛ فإن الوالدين هما سبب وجود الإنسان، ولهما عليه غاية الإحسان، فالوالد بالإفناق والوالدة بالإشفاق؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنا رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدَ إِلَّا إِلَاهًا وَإِلَىٰ رَبِّكَ إِنْسَابًا مَا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آيَةً وَلَا تَهَرَّعْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿١٠﴾ وَخُفْصَةً لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا﴾ (الإسراء: ٢٣، ٢٤).

ومع هذه الوصية بالرافة والرحمة والإحسان إليهما، في مقابلة إحسانهما المقدم، قال: ﴿وَإِنْ جَهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ أي: وإن خرصا عليك أن تتابعهما في دينهما إذا كانا مشركين، فياك وبإمامهما، لا تطيعهما في ذلك؛ فإن مرجعكم إلى يوم القيامة، فأجزيك بإحسانك إليهما، وصرك على دينك، وأخشرك مع الصالحين لا في زمرة والديك، وإن كنت أقرب الناس إليهما في الدنيا؛ فإن المرء إنما يخشع يوم القيامة مع من أحب، أي: حُباً دينياً؛ ولهذا قال: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمُ فِي الصَّالِحِينَ﴾.

عن سعد، قال: نزلت في أربع آيات. فذكر قصة، وقالت أم سعد: أليس قد أمرك الله بالبر؟ والله لا أطعم طعاماً، ولا أقرب شرباً حتى أموت أو تكفر، قال: فكانوا إذا أرادوا أن يطعموها شجروا قاعاً، فأنزل الله: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَسَنًا وَإِنْ جَهَدَاكَ عَنْهُمَا فَقُلْ هَاتَا إِلَيَّ فَأَتِيَنَّكُمْ﴾ (الإسراء: ٢٣).

الآية (١٠-١١): يقول تعالى مخبراً عن صفات قوم من المكذبين الذين يدعون الإيمان بالاستهتار، ولم يثبت الإيمان في قلوبهم، بأنهم إذا جاءتهم فتنة ومحنة في الدنيا، اعتقدوا أن هذا من نعمة الله تعالى بهم، فارتدوا عن الإسلام؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ آيَةَ اللَّهِ كَذَابًا أَلْفًا﴾ قال ابن عباس: يعني: فنته أن يرتد عن دينه إذا أُوذِيَ في الله. وكذا قال غيره من علماء السلف. وهذه الآية كقولهم تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعِدُّ اللَّهُ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ (سورة الحديد: ١١).

ثم قال عز وجل: ﴿وَلَيْنَ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾ أي: ولئن جاء نصر قريب من ربك - يا محمد - وفتح ومغانم، ليقولن هؤلاء لكم: ﴿إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾ أي: كنا إخوانكم في الدين؛ كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَرْمِضُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فِتْنَةٌ مِنْ اللَّهِ فَكُلُوا أَلْفًا تَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ تَسْتَحِذُوا عَلَيْهِمْ







## ● الوقفات التدريبية

١ ﴿ فَأُجِيبَتْهُ وَأُصْحَبَ السَّفِينَةَ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾

لأن من لم يشاهد بقايا سفينة نوح يشاهد السفن فيذكر سفينة نوح، وكيف كان صنعها بوحى من الله لإنقاذ نوح ومن شاء الله نجاته، ولأن الذين من أهل قريبتها يخبرون عنها، وتنقل أخبارهم فتصير متواترة.

ابن عاشور: ٢٠/٢٢٣.

السؤال: كيف كانت سفينة نوح آية للعالمين؟

٢ ﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ﴾

قال: (أوثاناً) إشارة إلى تضرع الهم بكثرة العبادة، والكثرة يلزمها الفرقته، ولا خير في الفرقته البقاعي: ١٤/٤٠٧.

السؤال: ما الذي أفاده جمع الأوثان في الآية؟

٣ ﴿ فَأَنْبَتُوا عِندَ اللَّهِ الزَّرْعَ وَأَعْبَدُوهُ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِلَهُهُمُ ﴾

(فانبتوا) وأشار بصيغة الافتعال إلى السعي فيه؛ لأنه أجرى عادته سبحانه أنه في الغالب لا يؤتيه إلا بك من المرزوق وجهد؛ إما في العبادة والتوكل، وإما في السعي الظاهر في تحصيله بأسبابه الدنيوية، (والفاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأمانى). البقاعي: ١٤/٤١٢-٤١٣.

السؤال: كيف أشارت الآية إلى أن الرزق لا بد له من بذل السبب؟

٤ ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

(فانظروا كيف بدأ الخلق)؛ على كثرتهم وتفاوت هياتهم، واختلاف السننهم والوانهم وطبائعهم، وانظروا إلى مساكن القرون الماضية وديارهم وأثارهم، كيف أهلكهم؛ لتعلموا بذلك كمال قدرة الله. القرطبي: ١٧/٣٥٢.

السؤال: اذكر ثلاثة من آثار قدرة الله سبحانه وتعالى.

٥ ﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴾

أي: ترجعون إلى الدار التي بها تجري عليكم أحكام عذابه ورحمته، فاختسبوا في هذه الدار ما هو من أسباب رحمته من الطاعات، وابتعدوا من أسباب عذابه وهي المعاصي. السعدي: ٦٢٩.

السؤال: ما الذي يستفيد المسلم من إخبار الله سبحانه وتعالى بأن الانقلاب إليه؟

٦ ﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴾

وابتدي بذكر العقاب لأن الخطاب جار مع منكري البعث الذين حظمهم فيه هو التعذيب. ابن عاشور: ٢٠/٢٢٣.

السؤال: لماذا ابتدئ بذكر العذاب في الآية؟

٧ ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَكِيدَتِ اللَّهُ وَلِقَائِهِمْ أُولَئِكَ يَهِيمُونَ مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

يحتمل أن يكون يأسهم في الآخرة، أو يكون وصف لحالهم في الدنيا؛ لأن الكافر يئس من رحمة الله، والمؤمن راج خائف. ابن جزي: ٢/١٥٧.

السؤال: ما الفرق بين المؤمن والكافر في نظرهم إلى رحمة الله؟

فَأُجِيبَتْهُ وَأُصْحَبَ السَّفِينَةَ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ  
١٥ ﴿ وَإِذْ يَرْهَىٰ لَكُمْ لَقَوْمَهُ أَعْبَدُوا اللَّهَ وَآفَقُوا ذَلِكَ  
خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ١٦ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن  
دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن  
دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ  
وَأَعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِلَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ١٧ وَإِنْ كَذَّبُوا  
فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ  
الْمُبِينُ ١٨ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ  
يُعِيدُهُنَّ إِنَّا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ١٩ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ  
فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ  
إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٢٠ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ  
مَن يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ٢١ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي  
الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن  
وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ٢٢ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَكِيدَتِ اللَّهُ وَلِقَائِهِ  
أُولَئِكَ يَهِيمُونَ مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٢٣

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا	تَفْتَرُونَ كَذِبًا.
فَابْتَغُوا	الْتَمِسُوا وَاطْلُبُوا.
بَدَأَ الْخَلْقَ	أَنْشَأَهُ.
تُقْلَبُونَ	تُرَدُّونَ، وَتُرْجَعُونَ.
بِمُعْجِزِينَ	فَائِتِينَ مِنْ عَذَابِهِ بِالْهَرَبِ وَغَيْرِهِ.

## ● العمل بالآيات

١. ادع الله تعالى أن يرزقك، ثم اجتهد في فعل السبب، ﴿ فَأَنْبَتُوا عِندَ اللَّهِ الزَّرْعَ ﴾.
٢. اقرأ بعض الأحاديث من كتاب: «بدء الخلق» من صحيح البخاري لتتأمل عظيم قدرة الله، ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾.
٣. شاهد فيلمًا وثائقيًا، أو صورًا من مراحل خلق الإنسان؛ لتتذكر أصل خلقته ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ﴾.

## ● التوجيهات

١. الله تعالى هو الذي يرفع الفقر، ويكتب الرزق، ومن عاده لا يملك ذلك؛ فلندعه مباشرة، ﴿ إِنَّكَ الْذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الزَّرْعَ وَأَعْبَدُوهُ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِلَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾.
٢. تقرير عجز الإنسان التام، وأنه لا مهرب يملك الفرار إليه إلا بالإيمان والتقوى، ﴿ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾.
٣. اليأس من رحمة الله من أسباب العذاب والهلاك، ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَكِيدَتِ اللَّهُ وَلِقَائِهِمْ أُولَئِكَ يَهِيمُونَ مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾.



## ● الوقفات التدبيرية

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ﴾

وذلك لأنهم قام عليهم البرهان، وتوجهت عليهم الحجة، فعدلوا إلى استعمال جاههم وقوة ملكهم. ابن كثير ٣/٣٩٥.

**السؤال: على ماذا يدل لجوء الظلمة إلى استخدام القوة؟**

﴿ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾

ولم يجعل آية واحدة لأنه آية لكل من شهدته من قومه، ولأنه يد

قدرة الله، وكرامة رسوله، وتصديق وعده، وإهانة عدوه، وأن المخلوقات كلها جليلها وحقيرها مسخرة لقدرة الله تعالى. ابن عاشور: ٢٠/٢٣٥.

السؤال: يُعد إنقاذ الله تعالى لإبراهيم عليه السلام من النار آيات لا آية واحدة، بين ذلك.

﴿ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَلَيَعْلَنُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ ﴾

ويدخل في هذا كل من وافق أصحابه من أهل المعاصي أو البطالة على الرذائل ليعفوه حسن العشرة مذهب الأخلاق لطيف الذات، أو خوفاً من أن يصفوه بكثافة الطبع وسوء الصحبة، ولقد عم هذا عمري أهل الزمان ليوسفوا بمواهة الإخوان ومصافاة الخلان، معرضين عن رضى

الملك الديان. البقاعي: ٤٢٤/١٤.

**السؤال:** إرضاء الأصحاب والجلساء له حدود، وضح ذلك من الآية.

﴿ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ ۚ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا ۚ ﴾

عن قتادة قال: صارت كل خلّة في الدنيا عداوة على أهلها يوم القيامة إلا خلّة المتقين. الطبري: ٢٥/٢٥.

**السؤال: وضع فائدة الصحبة الخيرة وعاقبة الصحبة السيئة.**

﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَلَيَعْلَمَنَّ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ﴾  
تتبرأ الأوثان من عابديها، وتتبرأ القادة من الأتباع، وليعلم الأتباع القادة. البغوي ٤٦٧/٣.

السؤال: إذا كانت التبعية في الدنيا على معصية الله فما نتيجتها يوم القيامة؟

لم يذكر الله عنهم أنه أهلكهم بعباد، بل ذكر اعتزاله إياهم، وهجرته من بين أظهرهم... فلو كان الله استأصلهم بالعباد لذكره كما ذكر إهلاك الأمم المكذبة، ولكن لعل من أسرار ذلك أن الخليل عليه السلام من أرحم الخلق وأفضلهم وأحلمهم وأجلهم، فلم يدعُ على قومه كما دعا غيره... ومما يدل على ذلك: أنه راجع الملائكة في إهلاك قوم لوط، وجادلهم، ودافع عنهم، وهم نيسوا قومه، وإله أعلم بالحال. السعدي: ٦٩٩-٦٣٠.

**السؤال: من صفات أولياء الله سبحانه أنهم أ**

وَلَوْ طَآءُ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأَتُونَ الْفَحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ

يَهَكُمُ أَحَدُهُمْ أَكْثَرُ مِنَ الْآخَرِينَ ﴿٢٤١﴾

إن كثيرا من المفسدات تكون الناس في غفلة عن ارتكابها لعدم الاعتقاد بها، حتى إذا أقدم أحد على فعلها، وشهود ذلك منه، تنبهت الأذهان إليها وتعلقت الشهوات بها. ابن عاشور: ٢٤١/٢.

**السؤال: بين خطورة السنة السيئة للمعاصي.**

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ  
فَأَنجَيْنَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ  
﴿٣٥﴾ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِهِمْ  
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ تَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم  
بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ  
وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٣٦﴾ فَنَادَىٰ مِرْيَدُ أَهْلَ الْوَلُوطِ وَقَالَ  
إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَيْثَ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾  
وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ  
الْأُتُورَ وَالْكَتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ  
فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٨﴾ وَلُوطُ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ  
إِنَّا كُنَّا نَأْتِيَكُمُ اللَّحْظَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ  
مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا كُنَّا نَأْتِيَكُمُ اللَّيْلَ وَتَقْطَعُونَ  
السَّبِيلَ وَتَأْتُون فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ  
قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوا يَعْدَابُ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ  
الصَّادِقِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤١﴾

۳۹۹

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
مَوَدَّةٌ بَيْنَكُمْ	تَتَحَابُّونَ عَلَى عِبَادَتِهَا، وَتَتَوَادَّدُونَ عَلَى خِدْمَتِهَا.
يَكْفُرُ	يَتَبَرَّأُ.
وَمَاوَاكُمُ	مَصِيرُكُمْ.
مُهَاجِرٌ	تَارِكٌ دَارَ قَوْمِي إِلَى أَرْضِ الشَّامِ الْمُبَارَكَةِ.
أَجْرُهُ فِي الدُّنْيَا	بِالذِّكْرِ الْحَسَنِ، وَالْوَلَدِ الصَّالِحِ وَالنُّبُوَّةِ فِي ذُرِّيَّتِهِ.
نَادِيكُمْ	مَجْلِسُكُمْ الَّذِي تَجْتَمِعُونَ فِيهِ.

## ● العمل بالآيات

١. قل: «حسبي الله ونعم الوكيل» فهي مخرج من الشدائد؛ فقد قالها إبراهيم عليه السلام- حين ألقى في النار، ﴿فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ﴾.

٧. أخرج معصية من المعاصي التي تعرفها من نفسك، أو جليساً يأمرك  
بفسوء فهي من الهجرة إلى الله، ﴿فَأَمَّا لَوْ لَوْ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ  
الْمَنِيرُ الْحَكِيمُ﴾.

٣. أنكر منكراً رأيت بالموعظة والإقناع العقلي، ﴿وَلَوْ أَنِ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأَنُوتُونَ الْفَلْحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْمَنُوتِينَ﴾.

## ● التوجيهات

١. المؤمن واثق من دفاع الله ونصرته لمن ينصر دينه، ﴿فَأَنْجَحَهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ﴾.

٢. الظلمة إذا اعتيم الحجاج يلجأون إلى استعمال القوة، فَمَا كَانَ

٢٠. مَنْ تَرَكَ شَيْئًا لِهَوَاهُ عَوضَهُ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَوَعَدَ اللَّهُ لِمَنْ إِسْحَاقَ  
وَعِيسَى وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ  
لِمَنِ الصَّلَاحُ.

الدين والتمكّن من ذلك؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ﴾ أي: له العزة ورسوله وللمؤمنين به، ﴿الْحَكِيمُ﴾ في أقواله وأفعاله وأحكامه القدرية والشرعية. وقوله: ﴿وَوَعَيْنَا لَهُ إِسْحَاقَ رَيْعُوبَ﴾: لَمَّا فارق قومه أقرّه الله عيّنه بوجود ولّد صالح نبي وولّد له ولد صالح في حياة جده. وكون يعقوب وولّد لإسحاق نصّ عليه القرآن، وبُتّت به السنة النبوية؛ قال الله: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا لَنْ نَبُذَكَ إِلَهُكَ إِنَّكَ أَنْتَ بِنَاؤُنَا بِرَبِّكَ وَأَسْتَعِينُكَ بِرَبِّكَ﴾ [البقرة: ١٣٣]، وفي الصحيحين: «إِنَّ الْكَرِيمَ ابْنَ الْكَرِيمِ ابْنَ الْكَرِيمِ ابْنَ الْكَرِيمِ: يوسف بن يعقوب ابن إسحاق بن إبراهيم».

وقوله: ﴿وَوَحَّيْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ هذه خلعة سنيّة عظيمة، مع اتخاذ الله إياه خليلاً، وجعله للناس إماماً، أن جعل في ذُرِّيَّتِهِ النبوة والكتاب، فلم يوجد نبي بعد إبراهيم عليه السلام إلا وهو من سلالة، فجميع أنبياء بني إسرائيل من سلالة يعقوب بن إسحاق ابن إبراهيم، حتى كان آخرهم عيسى ابن مريم، فقام في ملتهم مُبَشِّرًا بالنبي العربي القرشي الهاشمي، خاتم الرسل على الإطلاق، وسيد ولّد آدم في الدنيا والآخرة، الذي اصطفاه الله من صميم العرب العرباء، من سلالة إسماعيل بن إبراهيم -عليهما السلام-: ولم يوجد نبي من سلالة إسماعيل سواه، عليه أفضل الصلاة والسلام.

وقوله: ﴿وَوَاعَدْنَا آبَاءَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَنِ الصَّالِحِينَ﴾ أي: بجمع الله له بين سعادة الدنيا الموصولة بسعادة الآخرة، فكان له في الدنيا الرزق الواسع الهنيء، والمنزل الرّحْب، والمورد العذب، والزوجة الحسنة الصالحة، والثناء الجميل، والذكر الحسن، فكلُّ أحد مُجِبٌّ وَيَتَوَلَّاهُ، كما قال ابن عباس ومجاهد وقادة وغيرهم، مع القيام بطاعة الله من جميع الوجوه، كما قال تعالى: ﴿وَيُزَيِّنُكَ لِرَبِّهِمْ﴾ [النجم: ٣٧]، أي: قام بجميع ما أمر به، وكَمَل طاعة ربه؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا آبَاءَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَنِ الصَّالِحِينَ﴾.

الآية (٢٨-٣٠): يقول تعالى مخبراً عن نبيه لوط عليه السلام أنه أنكر على قومه سوء صنيعهم، وما كانوا يفعلونه من بيعح الأعمال، في إتيانهم الذّكران من العالين، ولم يَسْفِهْهم إلى هذه الفعلة أحد من بني آدم قبلهم وكانوا مع هذا يكفرون بالله، ويكذبون رسوله، ويخالفون ويُقَطِّعُونَ السبيل، أي: يقفون في طريق الناس يقتُلونهم ويأخذون أموالهم. ﴿وَيَأْتُونَكَ فِي سَكَرٍ كَمَا يَسَكَّرُ الْبَشَرُ﴾ أي: يفعلون ما لا يليق من الأقوال والأفعال في مجالسهم التي يجتمعون فيها، لا يُبْكَر بعضهم على بعض شيئاً من ذلك، فمن قاتل: كانوا يأتون بعضهم بعضاً في الملأ، قاله مجاهد. ومن قاتل: كانوا يَتَصَارَطُونَ ويتصاحكون، قالته عائشة والقاسم. ومن قاتل: كانوا يَنَاطِحُونَ بين الكباش، ويَنَاقِرُونَ بين الديوك. وكلُّ ذلك كان يصدر عنهم، وكانوا شرّاً من ذلك. ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتَيْنَا بِعَدَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ وهذا من كفرهم واستهزائهم وعنادهم؛ ولهذا استنصر عليهم نبي الله فقال: ﴿رَبِّ أَنْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾.

الآية (٢٤-٢٥): يقول تعالى مخبراً عن قوم إبراهيم في كفرهم وعنادهم ومكابرتهم، ودفعهم الحقّ بالباطل: أنه ما كان لهم جواب بعد مقالة إبراهيم هذه المُسْتَمْلَةِ على الهدى والبيان ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا أَفَتُلْقُونَهُمْ أَوْ تَعْمَلُونَ فِيهِمْ وَقُوَّةً لَهُمْ﴾؛ وذلك لأنهم قام عليهم الرهان، وتوجّهت عليهم الحجة، فعدّلوا إلى استعمال جاههم وقوّة ملكيهم، ﴿قَالُوا إِنَّا لَنَرِيكَ فِي السَّمَاءِ مُتَكَبِّراً﴾ قَالُوا بِرَبِّكَ كَيْفَ جَعَلْتَهُمُ الْأَسْقَلِينَ ﴿[الصافات: ٩٧-٩٨]، وذلك أنهم حشدوا في جمع أخطاب عظيمة مدّة طويلة، وحطّوا حولها، ثُمَّ أَضْرَمُوا فِيهَا النَّارَ، فارتفع لها لهبٌ إلى عَتَانِ السَّمَاءِ، ولم تُوقَدْ نار قطّ أعظم منها، ثُمَّ عَدُّوا إلى إبراهيم فَكَتَفُوهُ وَالْقُوَّةَ فِي كَيْفِ الْمُنَجِّينَ، ثُمَّ قَدَّفُوا به فيها ﴿فَأَنجَيْنَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ﴾ أي: سلّمه منها، بأن جعلها عليه برّداً وسلاماً.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ وقال أيضاً أَخَذْتُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أُوتُنَا مَوَدَّةً بَيْنَكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴿يقول لقومه مفرّغاً لهم وموتخاً على سوء صنيعهم، في عبادتهم الأوثان: إِنَّا أَخَذْنَا مِنْكُمْ هَذِهِ لَتَجْتَمِعُوا عَلَى عِبَادَتِهَا فِي الدُّنْيَا، صِدَاقَةٌ وَأَلْفَةٌ مِنْكُمْ، بعضكم لبعض في الحياة الدنيا. وهذا على قراءة من نصبَ مَوَدَّةً بَيْنَكُمْ﴾ على أنه مفعول له، وأما على قراءة الرفع فمعناه: إِنَّا أَخَذْنَا مِنْكُمْ هَذَا يُحْصَلُ لَكُمْ الْمَوَدَّةُ فِي الدُّنْيَا فَقَطْ، ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ينعكس هذا الحال، فَيَبْقَى هذه الصّدَاقَةُ وَالْمَوَدَّةُ بَغْضَةً وَشَتَاءً، ف ﴿يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ﴾ أي: تَتَجَاحَدُونَ ما كان بينكم، ﴿وَيَلْمِزُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ أي: يَلْمِزُ الْأَنْبِيَاءُ الْمَتَّبِعِينَ، وَالْمَتَّبِعُونَ الْأَنْبِيَاءَ، ﴿كَمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَمَنَتْ أَخْتَهَا﴾ [الأعراف: ٣٨] وقال تعالى: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزمر: ٦٧]، وقوله: ﴿وَمَا رَسَدَكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَصِيرَةٍ﴾ أي: ومصيركم ومزجكم بعد عَرَاضَاتِ الْقِيَامَةِ إِلَى النَّارِ، وما لكم من ناصر ينصركم، ولا مُنْقِذ يُنْقِذُكُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ. وهذا حال الكافرين، فأما المؤمنون فبخلاف ذلك.

الآية (٢٦-٢٧): يقول تعالى مخبراً عن إبراهيم: أنه آمَنَ له لوط، يقال: إنه ابن أخيه إبراهيم، يعني: ولم يُؤْمِنْ به من قومه سواه، وسارة امرأة الخليل. لكن يُقَالُ: كيف الجَمْع بين هذه الآية، وبين الحديث الوارد في الصحيح أن إبراهيم حين مرّ على ذلك الجبار، فسأل إبراهيم عن سارة: ما هي منه؟ فقال: أختي، ثم جاء إليها فقال لها: إني قد قلت له: «إِنَّكَ أختي، فلا تكذبيني، فإنه ليس على وجه الأرض مؤمن غيرك وغيري، فأنت أختي في الدين» [رواه مسلم].

وكان المراد من هذا -والله أعلم- أنه ليس على وجه الأرض زوجان على الإسلام غيري وغيرك، فإن لوطاً عليه السلام آمَنَ به من قومه، وهاجر معه إلى بلاد الشام. وقوله: ﴿وَقَالُوا إِنَّا مَهَاجِرٌ إِلَى رَيْحٍ﴾ يُجْمَلُ عود الضمير في قوله: ﴿وَقَالَ﴾ على لوط؛ لأنه أقرب المذكورين، ويُجْمَلُ عوده إلى إبراهيم. قال ابن عباس، والضحاك: وهو المكنى عنه بقوله: ﴿فَأَمَّا لَدُلُوطُ﴾ أي: من قومه.

ثم أخبر عنه بأنه اختار المهاجرة من بين أظهرهم، ابتغاء إظهار

الآية (٣٨): يُخَبِّرُ تَعَالَى عَنْ هَؤُلَاءِ الْأُمَمِ الْمَكْذِبَةِ لِلرَّسْلِ كَيْفَ أَبَادَهُمْ وَتَنَوَّعَ فِي عَذَابِهِمْ، وَأَخَذَهُمْ بِالْإِنْتِقَامِ مِنْهُمْ؛ فَعَادَ قَوْمَ هود، وَكَانُوا يَسْكُنُونَ الْأَحْقَافَ، وَهِيَ قَرْيَةٌ مِنْ حَضْرَمَوْتَ بِلَادِ الْيَمَنِ، وَتُمُودُ قَوْمٌ صَالِحٌ، وَكَانُوا يَسْكُنُونَ الْحِجْرَ قَرِيبًا مِنْ وَادِي الْقَرْيَةِ. وَكَانَتِ الْعَرَبُ تَعْرِفُ مَسَاكِنَهُمَا جَيِّدًا، وَتُسَمَّرُ عَلَيْهَا كَثِيرًا.

الآية (٣٥-٣٦): لَمَّا اسْتَنْصَرَ لوطٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ اللَّهَ عَلَيْهِمْ؛ بَعَثَ اللَّهُ لِنُصْرَتِهِ مَلَائِكَةً فَمَرُّوا عَلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي هَيْئَةِ أَضْيَافٍ، فَجَاءَهُمْ بِمَا يَبْتَغِي لِلضَّيْفِ، فَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ لَا هَيْئَةَ لَهُمْ إِلَى الطَّعَامِ نَكَرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً، فَشَرَّعُوا يَدَايَهُمْ وَإِنْشَوْنَهُ وَيُسْهِرُونَهُ بِوُجُودِ وَلَدٍ صَالِحٍ مِنْ أَمْرَانِهِ سَارَةٍ - وَكَانَتْ حَاضِرَةً - فَتَعَجَّبَتْ مِنْ ذَلِكَ.

فَلَمَّا جَاءَتْ إِبْرَاهِيمَ الْبَشْرَى، وَأَخْبَرُوهُ بِأَنَّهُمْ أُرْسِلُوا لِهَلَاكِ قَوْمِ لوط، أَخَذَ يُدَافِعُ لِعَلَّهُمْ يُنْظَرُونَ، لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَبْدِيَهُمْ، وَلَمَّا قَالُوا: ﴿إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾، قَالَ: ﴿إِنَّ فِيهَا لَوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنَنْجِيَنَّاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرًا نَكُونُ﴾. كَانَتْ مِنَ الْفَتَرَةِ ﴿أَي: مِنَ الْمَالِكِينَ؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ تُسَمَّى لَهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ وَبَغْيِهِمْ. ثُمَّ سَارُوا مِنْ عِنْدِهِ فَدَخَلُوا عَلَى لوط فِي صُورَةِ ثِيَابِ جَسَانٍ، فَلَمَّا رَأَاهُمْ كَذَلِكَ ﴿يَوْمَ يَوْمَ وَصَّافَ يَوْمَ ذَرْعًا﴾ أَي: اغْتَمَّ بِأَثَرِهِمْ، إِنَّهُ هُوَ أَضَافَهُمْ خَافَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَوْمِهِ، وَإِنْ لَمْ يُضْفِهِمْ خَشِيَ عَلَيْهِمْ مِنْهُمْ، وَلَمْ يَعْلَمْ بِأَثَرِهِمْ فِي السَّاعَةِ الرَّاهِنَةِ ﴿وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجِيُكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أَمْرًا نَكُونُ﴾. كَانَتْ مِنَ الْفَتَرَةِ.

﴿إِنَّا مُزِيلُونَ عَنْ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رَجْرًا مِنْ أَسْمَاءٍ يَمَّا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾. وَذَلِكَ أَنَّ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَفْتَلَحَ قُرَاهُمْ مِنْ قَرَارِ الْأَرْضِ، ثُمَّ رَفَعَهَا إِلَى عَنَانِ السَّمَاءِ، ثُمَّ قَلَبَهَا عَلَيْهِمْ.

وَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴿جَحَازَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنُشُورٍ﴾ ﴿٣٨﴾ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا مِنْ أَظْلَمَ لِمَنْ يَجْعَلُ ﴿[هود: ٨٢-٨٣]، وَجَعَلَ اللَّهُ مَكَانَهَا بُحِيرَةً خَبِيثَةً مُتَبَيِّنَةً، وَجَعَلَ لَهُمْ عِبْرَةً إِلَى يَوْمِ التَّنَادِ، وَهُمْ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْمَعَادِ؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً يُبَيِّنُهَا﴾ أَي: وَاضِحَةً ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾؛ كَمَا قَالَ: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ عَنْ عُلَيمٍ مُصْطَفِينَ﴾ ﴿٣٧﴾ وَبِالْأَيْلِ أَفْلَاقُ قُلُوبٍ ﴿[الصافات: ١٣٧-١٣٨]﴾.

الآية (٣٦-٣٧): يُخَبِّرُ تَعَالَى عَنْ عِبْدِهِ وَرَسُولِهِ شُعَيْبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ أَنْذَرَ قَوْمَهُ أَهْلَ مَدْيَنَ، فَأَمَرَهُمْ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنْ يَخَافُوا بِأَسْمِ اللَّهِ وَنِقْمَتِهِ وَسَطْوَتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَقَالَ: ﴿يَعْقُوبُ أَغْبُدُوا لِلَّهِ وَارْجِعُوا إِلَى الْيَوْمِ الْآخِرِ﴾. مَعْنَاهُ: وَاخْشَوْا الْيَوْمَ الْآخِرَ، وَهَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [المتحة: ٦].

ثُمَّ نَهَاَهُمْ عَنِ الْعَيْثِ فِي الْأَرْضِ بِالْفَسَادِ، وَهُوَ السَّعْيُ فِيهَا وَالْبَغْيُ عَلَى أَهْلِهَا؛ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا يُقْضُونَ الْمَكْيَالُ وَالْمِيزَانُ، وَيَقْطَعُونَ الطَّرِيقَ عَلَى النَّاسِ، هَذَا مَعَ كُفْرِهِمْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَأَهْلَكَهُمْ اللَّهُ بِرَجْفَةٍ عَظِيمَةٍ زَلَزَلَتْ عَلَيْهِمْ بِلَادَهُمْ، وَصَبَّحَتْ أَخْرَجَتْ الْقُلُوبَ مِنْ حَنَاجِرِهَا، وَعَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ الَّذِي أَزْهَقَ الْأَرْوَاحَ مِنْ مُسْتَقَرِّهَا، إِنَّهُ كَانَ عَذَابٌ يَوْمٌ عَظِيمٌ.

وقوله: ﴿فَأَصْحَبُ حُورًا فِي دَارِهِمْ جَنِينَاتٍ﴾. قَالَ قَتَادَةُ: مَيِّينَ. وَقَالَ غَيْرُهُ: قَدْ أُلْقِيَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ.



## ● الوقفات التدريبية

﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّكَ لَأَنْتَ أَهْلُهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ٥١ ﴾

ومن لطف الله بإبراهيم أن قدم له البشرى قبل إعلامه بإهلاك قوم لوط: لعلمه تعالى بحلم إبراهيم. ابن عاشور: ٢٠/٢٤٢.

السؤال: ما فائدة تقديم البشرى على الإخبار بإهلاك قوم لوط؟

﴿ إِنَّا مُزِلُّونَ عَنْ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنْ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ٥٢ ﴾

عن ابن عباس قال: إن قوم لوط كانت فيهم ذنوب غير الفاحشة منها: أنهم يتطلعون فيما بينهم، ويشتم بعضهم بعضا ... وتتشبه الرجال بلباس النساء والنساء بلباس الرجال، ويضربون المكوس على كل عابر، ومع هذا كله كانوا يشركون بالله، وهم أول من ظهر على أيديهم اللوطية والسحاق. القرطبي: ١٣/٣٤٢.

السؤال: من خلال هذه الآية: بين أسباب هلاك المدن والدول.

﴿ وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٥٣ ﴾

أي: ولقد أبقينا من فعلتنا التي فعلنا بهم (آية): يقول: عبرة بينة، وعظة واعظة (لقوم يعقلون) عن الله حججه، ويتفكرون في مواعظه. الطبري: ٢٠/٣٣.

السؤال: ما فائدة بقاء آثار القرون الأولى التي أهلكها الله؟

﴿ وَلَا تَتَمَوَّا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ٥٤ ﴾

أي: لا تكفروا! فإنه أصل كل فساد، والعشو والعثي: أشد الفساد. القرطبي: ١٦/٣٦١.

السؤال: ما أعظم الفساد الذي نهى عنه نبي الله شعيب عليه السلام؟

﴿ وَزَكَرَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ٥٥ ﴾

(وزين لهم الشيطان) بوسوسته وغايله (أعمالهم) القبيحة من الكفر والمعاصي ... (مستبصرين) أي: عقلاء؛ يمكنهم التمييز بين الحق والباطل بالاستدلال والنظر، ولكنهم أغفلوا ولم يتدبروا. الأنوسي: ١٠/٣٦٢.

السؤال: ما أهم طرق الشيطان لإغواء العقلاء من الناس؟

﴿ وَزَكَرَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ٥٦ ﴾

(وكانوا مستبصرين): قيل: معناه لهم بصيرة في كفرهم، وإعجاب به، وقيل: لهم بصيرة في الإيمان، ولكنهم كفروا عنادا. ابن جزي: ٢/١٥٩.

السؤال: هل كل كفر سببه الجهل؟

﴿ وَزَكَرَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ٥٧ ﴾

(كانوا مستبصرين): قد عرفوا الحق من الباطل بظهور البراهين... قال القراء: كانوا عقلاء ذوي بصائر، فلم تنفعهم بصائرهم.

القرطبي: ١٦/٣٦٢.

السؤال: هل ينتفع الإنسان بمقله إذا عصى ربه تعالى؟

وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّكَ لَأَنْتَ أَهْلُهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ٥١  
قَالَ إِن فِيهَا لِلْأُولَىٰ قُلُوبٌ يَعْلَمُ مِنْ فِيهَا لَنَتَجِدَنَّه  
وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرًا تَرَاهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ٥٢ وَلَمَّا  
أَنَّ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِوَىٰ يَوْمِهِمْ فَصَافَ بِهِمْ ذُرِّيَّتًا  
وَقَالُوا لَا تَحْزَنْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْزِلُونَكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا  
أَمْرًا تَرَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ٥٣ إِنَّا مُزِلُّونَ عَلَىٰ أَهْلِ  
هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا قَرِيبَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ  
٥٤ وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ  
٥٥ وَإِلَىٰ مَدِينَةٍ آخَاهُمْ شَعِيبًا فَقَالَ يَقُولُ أَعْبُدُوا اللَّهَ  
وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَتَمَوَّا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ  
٥٦ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ  
جِثَاجِينَ ٥٧ وَعَادًا وَثَمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُم مِّنْ  
مَّسْكِينِهِمْ وَزَكَرَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ  
فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ٥٨

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
بِالْبُشْرَى	بِالْخَيْرِ السَّارِّ، وَهُوَ: الْبَشَارَةُ بِإِسْحَاقَ عَلَيْهِ السَّلَام.
الْغَابِرِينَ	الْبَاقِينَ فِي الْعَذَابِ.
وَصَافَ بِهِمْ ذُرْعًا	صَافَ صَدْرَهُ، وَحَزَنَ خَوْفًا عَلَيْهِمْ.
رِجْزًا	عَذَابًا شَدِيدًا.
وَلَا تَعْتَوُوا	لَا تَكْثُرُوا الْفَسَادَ.
الرَّجْفَةُ	الزَّلْزَلَةُ الشَّدِيدَةُ.

## ● العمل بالآيات

١. تصرف على أحوال الصالحين المجاورين لك وعلى أخبارهم، ودافع عنهم، ﴿ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا تَحْزَنْ أَعْمَرُ مِنْ فِيهَا ٥١ ﴾.
٢. هون على أحد زملائك ما يجد من حزن وضيق صدر، ﴿ وَلَمَّا أَنَّ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِوَىٰ يَوْمِهِمْ فَصَافَ بِهِمْ ذُرْعًا قَالُوا لَا تَحْزَنْ وَلَا تَحْزَنْ ٥٢ ﴾.
٣. قل: اللهم لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا، ﴿ إِنَّا مُزِلُّونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا قَرِيبَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ٥٤ ﴾.

## ● التوجيهات

١. الإيمان والعمل الصالح هما سبب النجاة من العقوبات، والعلاقة الزوجية بدونهما لا تنفع شيئا، ﴿ وَقَالُوا لَا تَحْزَنْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْزِلُونَكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أَمْرًا تَرَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ٥٢ ﴾.
٢. تذكر اليوم الآخر والخوف منه من أعظم ما يعين على ترك المعاصي، ﴿ فَقَالَ يَقُولُ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَتَمَوَّا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ٥٦ ﴾.
٣. خطوات الشيطان في إضلال العباد: تزوين الأعمال السيئة، الفاحش الحذر من ذلك، ﴿ وَزَكَرَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ ٥٨ ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْمَكْشُوكِ أَخَذَتْ بَيْتًا وَلَنْ أَهْرَعَ الْيُبُوتِ لَبِثَ الْمَكْشُوكِ تَوَكُّاؤًا بَلْمُوتٍ ﴾

قال الضراء: هو مثل ضربته الله سبحانه لمن اتخذ من دونه آلهة لا تنفعه ولا تضره؛ كما أن بيت العنكبوت لا يقيه حراً ولا برداً... أي: لو علموا أن عبادة الأوثان كاتخاذ بيت العنكبوت التي لا تنفعي عنهم شيئاً، وأن هذا مثلهم لما عبدوها. القرطبي: ١٦/٣٦٣.

السؤال: بين وجه الشبه بين بيت العنكبوت والقبور والأضرحة التي تُعبد من دون الله

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْمَكْشُوكِ أَخَذَتْ بَيْتًا وَلَنْ أَهْرَعَ الْيُبُوتِ لَبِثَ الْمَكْشُوكِ تَوَكُّاؤًا بَلْمُوتٍ ﴾

فالمشركون أشبهوا العنكبوت في الغرور بما عدوه، وأولياؤهم أشبهوا بيت العنكبوت في عدم الفناء عمن اتخذوها وقت الحاجة إليها وتزول بأقل تحريكه ابن عاشور: ٢٠/٢٥٢.

السؤال: ما وجه شبه المشركين وأوليائهم بالعنكبوت وبيتها؟

﴿ وَبَلَّغَ الْأَمَثَلُ نَصْرِيهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَقُولُهَا إِلَّا الْمَسْلُوثُونَ ﴾

لا يفهم مغزاها إلا الذين كملت عقولهم؛ فكانوا علماء غير سفهاء الأحلام. وفي هذا تعريض بأن الذين لم يتفقهوا بها جهلاء العقول، فما بالك بالذين اعتاضوا عن التدبر في دلائلها باتخاذها هُزْماً وسخرية. ابن عاشور: ٢٠/٢٥٦.

السؤال: ما خطورة عدم تدبر أمثال القرآن؟

﴿ وَبَلَّغَ الْأَمَثَلُ نَصْرِيهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَقُولُهَا إِلَّا الْمَسْلُوثُونَ ﴾

والسبب في ذلك أن الأمثال التي يضربها الله في القرآن إنما هي للأمور الكبار، والمطالب العالية، والمسائل الجليلة، فأهل العلم يعرفون أنها أهم من غيرها لا اعتناء الله بها، وحتة عبادة على تعقلها وتدبرها، فيبدلون جهدهم في معرفتها. السعدي: ٦٣.

السؤال: لماذا حُصِنَت معرفة الأمثال بالعالمين؟

﴿ أَنْتَ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقْرَبَ الْمَكْلُوفِ ﴾

والإكثار في تلاوته يزيد بصيرة في أمره، ويفتح كنوز الدقائق من علمه، وهو أكرم من أن ينيل قارنه فائدته، وأجل من أن يعطي قياد فوائده، ويرفع الحجاب عن جواهره وفرائده في أول مرة، بل كلما رده القارئ بالتدبر حياه بكنز من أسرار، ومهما زاد زاده من لوامع أنواره، إلى أن يقطع بأن عجائبه لا تعد، وغرائب لا تحصى. البقاعي: ١٤/٤٤٧.

السؤال: متى يستفيد المسلم من تلاوة القرآن؟

﴿ وَأَقْرَبَ الْمَكْلُوفِ إِلَيْكَ الْمَكْلُوفَةُ نَعْنِي عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾

روي عن بعض السلف أنه كان إذا قام إلى الصلاة ارتعد واصفر لونه، فكلم به ذلك، فقال: (إني واقف بين يدي الله تعالى، وحق لي هذا مع ملوك الدنيا، فكيف مع ملك الملوك؟) فهذه صلاة تنهى ولا بد عن الفحشاء والمنكر. ومن كانت صلاته دائرة حول الإجزاء: لا خشوع فيها، ولا تذكر، ولا فضائل، -كصلاتنا وليتها تجزي- فتلك تترك صاحبها من منزلته حيث كان. القرطبي: ١٦/٣٦٧.

السؤال: ما نوع الصلاة التي تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر؟

﴿ وَأَقْرَبَ الْمَكْلُوفِ إِلَيْكَ الْمَكْلُوفَةُ نَعْنِي عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾

إذا كان للصلي خاشعاً في صلاته، متذكراً لعظمته من وقف بين يديه؛ حملة ذلك على التوبة من الفحشاء والمنكر، فكان الصلاة نافية من ذلك ابن جزي: ١٦/٢١٠.

السؤال: كيف تكون الصلاة ناهية عن الفحشاء والمنكر؟

وَقَرُّونَ وَفَزَعُونَ وَهَمَلَنَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ﴿١٥﴾ فَكُنَّا لَا آخِذًا بِذُنُوبِهِمْ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦﴾ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَلَنْ أَهْرَعَ الْيُبُوتِ لَبِثَ الْمَكْشُوكِ تَوَكُّاؤًا بَلْمُوتٍ ﴿١٧﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُعْمَلُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِشَيْءٍ مِنْ الدُّنْيَا أُولَئِكَ هُمُ السَّادِقُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَبِثُوا كَاذِبُونَ ﴿١٩﴾ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ أَنْتَ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقْرَبَ الْمَكْلُوفِ إِلَيْكَ الْمَكْلُوفَةُ نَعْنِي عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلِذِكْرِ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٢١﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ	فَالْبَيِّنَاتِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ
أَخَذًا بِذُنُوبِهِ	أَخَذًا الْمَذْكُورِينَ بَعْدَ بَيِّنَاتٍ بِسَبَبِ دُؤُوبِهِمْ.
حَاصِبًا	حِجَابَةً مِنْ طِينٍ مَنْصُودٍ.
أَوْهَنَ	أَضْعَفَ.
وَمَا يَعْقِلُهَا	يَتَذَبَّرُهَا، وَيُفْهَمُهَا.

## ● العمل بالآيات

- استعد بالله من الكبير؛ فهو من أسباب رد الحق، ﴿ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ﴾.
- اتل سورة من سور القرآن، فهو الوحي الذي تستشير به القلوب، وتصلح به أمور الدنيا والدين، ﴿ أَنْتَ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ ﴾.
- الصلوات الخمس في أحسن حال حتى تكون مانعة لك من فحش أعمال القلوب؛ كالخوف وامانة من منكرات الجوارح، ﴿ وَأَقْرَبَ الْمَكْلُوفِ إِلَيْكَ الْمَكْلُوفَةُ نَعْنِي عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾.

## ● التوجيهات

- أن عدل الله تبارك وتعالى أنه لا يعذب أحداً إلا بما كسب، ﴿ فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ ﴾.
- تذكر أن الله تعالى لا يظلم الناس شيئاً، وإنما يظلم العبد نفسه، بالذنوب، ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾.
- فضل العلم، وأنه من أسباب الانتفاع بما يضرب الله للعباد من أمثال، ﴿ وَبَلَّغَ الْأَمَثَلُ نَصْرِيهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَقُولُهَا إِلَّا الْمَسْلُوثُونَ ﴾.

الْمُتَضَلُّونَ مِنْهُ.

الآية (٤٤-٤٥): يقول تعالى خبراً عن قدرته العظيمة: أَنَّهُ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ، يعني: لا على وجه العبث واللَّعب ﴿لَتَجْزِيَّ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [طه: ١٥]، ﴿لَتَجْزِيَّ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْمُسْقَى﴾ [النجم: ٣١].

وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: لدلالة واضحة على أَنَّهُ تعالى الْمُتَقَرِّبُ بِالْخَلْقِ والتدبير والإلهية.

ثم قال تعالى آمراً رسوله والمؤمنين بتلاوة القرآن، وهو قراءته وإبلاغه للناس: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِامْكِنِ الصَّلَاةَ تَنَهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ يعني: أن الصلاة تُشْتَمِلُ على شيئين: على تَرْكِ الفواحش والمنكرات، أي: إن مواظبتها تُعْمَلُ على تَرْكِ ذلك. عن أبي هريرة قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إن فلانا يصلي بالليل فإذا أصبح سرق! فقال: «إنه سينهاه ما يقول» [رواه أحمد، وصححه الألباني].

وتُشْتَمِلُ الصلاة أيضاً على ذِكْرِ الله تعالى، وهو المطلوب الأكبر؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ أي: أعظم من الأول.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ أي: يعلم جميع أقوالكم وأعمالكم. وقال أبو العالية في قوله: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنَهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ قال: إن الصلاة فيها ثلاث خِلال، فكلُّ صلاة لا يكون فيها شيء من هذه الخِلال فليست بصلاة: الإخلاص، والخشية، وذِكْرُ الله. فالإخلاص يأمره بالمعروف، والخشية تنهاه عن المنكر، وذِكْرُ الله - القرآن - يأمره وينهاه. وقال ابن عَوْن الأنصاري: إذا كُنْتُ في صلاة فأنْتَ في معروف، وقد حَجَزْتُكَ عن الفحشاء والمنكر، والذي أنت فيه من ذِكْرِ الله أكبر. وقال حماد بن أبي سليمان: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنَهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ يعني: ما دُمْتُ فيها.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ يقول: ولَذِكْرُ الله لعباده أكبر - إذا ذَكَرْتَهُ - من ذِكْرِهِمْ إِيَّاهُ. وكذا رَوَى غير واحد عن ابن عباس. وبه قال مجاهد وغيره.

وعن ابن عباس في قوله: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ قال: لها وجهان، قال: ذِكْرُ الله عند ما حَرَّمَهُ، قال: وذِكْرُ الله إِيَّاكُمْ أعظم من ذِكْرِكُمْ إِيَّاهُ. وقال ابن جرير عن عبد الله بن ربيعة قال: قال لي ابن عباس: هل تدري ما قوله تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾؟ قال: قلت: نعم. قال: فما هو؟ قلت: التسييح والتحميد والتكبير في الصلاة، وقراءة القرآن، ونحو ذلك. قال: لقد قلت قولاً عَجَباً، وما هو كذلك، ولكنه إنما يقول: ذِكْرُ الله إِيَّاكُمْ عند ما أَمَرَ به أو نَهَى عنه إذا ذَكَرْتُمُوهُ، أكبر من ذِكْرِكُمْ إِيَّاهُ. وقد رَوَى هذا من غير وجه عن ابن عباس. وَرَوَى أيضاً عن ابن مسعود وأبي الدرداء وسلمان الفارسي وغيرهم. واختاره ابن جرير.

الآية (٣٩-٤٠): قارون صاحب الأموال الجزيلة ومفاتيح الكنوز الثقيلة. وفرعون ملك مصر في زمان موسى ووزيره هامان القبطيَّان الكافران بالله ورسوله.

﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ﴾ أي: كانت عقوبته بما يُنَاسِبُهُ. ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾ وهم عاد؛ وذلك أنهم قالوا: من أَشَدَّ مِنَّا قُوَّةً؟ فجاءتهم ريحٌ صَرْصَرٌ باردة شديدة البرد، عاتية شديدة الهبوب جلاء، تَحْمِلُ عليهم حُصْبَاءَ الأرض فتَقْلِبُهَا عليهم، وتَقْتُلُهُمْ من الأرض فَتَرْفَعُ الرَّجُلَ مِنْهُمْ إِلَى عَنَانِ السَّاءِ، ثم تُنَكِّسُهُ على أُمِّ رَأْسِهِ فَتُشَدِّدُهُ فَيَبْقَى بَدَنًا بِلَا رَأْسٍ، كأنهم أعجاز نخلٍ مَنْفُوعٍ.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ﴾ وهم ثمود، قامت عليهم الحجة، وظَهَرَتْ لهم الدلالة من تلك الناقة التي انْفَلَقَتْ عنها الصخرة، مثلما سألوها سواءً بسواء، ومع هذا ما آمنوا بل استمروا على طغيانهم وكفرهم، وَتَهَدَّدُوا نَبِيَّ الله صَالِحًا وَمَنْ آمَنَ مَعَهُ، وَتَوَعَّدُوهُمْ بِأَنْ يُخْرِجُوهُمْ وَيَرْجُمُوهُمْ، فجاءتهم صيحة أَخَذَتْ الأصوات منهم والحركات.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ وهو قارون الذي طَغَى وَبَغَى وَعَتَا، وَعَصَى الرَّبَّ الْأَعْلَى، وَمَتَّى فِي الْأَرْضِ مَرَحًا، وَفَرَحَ وَمَرَحَ وَتَأَنَّهُ بِنَفْسِهِ، واعتقد أنه أفضل من غيره، واختال في مشيته، فَخَسَفَ اللهُ بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ، فهو يَتَحَلَّجَلُ فيها إلى يوم القيامة.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا﴾ وهم فرعون ووزيره هامان، وجنوده عن آخرهم، أَغْرَقُوا فِي صَبِيحَةٍ وَاحِدَةٍ، فلم يَبْقَ مِنْهُمْ مَخْبِرٌ.

﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ﴾ أي: فيما فَعَلَ بِهِمْ. ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ أي: إِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ جَزَاءً وَفَاقًا بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيهِمْ. وهذا الذي ذَكَرْنَاهُ ظاهر سياق الآية، وهو من باب اللَّفِّ وَالتَّنْثِيرِ، وهو أَنَّهُ ذَكَرَ الْأُمَمَ الْمَكْدُوبَةَ، ثم قال: ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ﴾ الآية، أي: من هؤلاء المذكورين.

الآية (٤١-٤٣): هذا مَثَلٌ صَرَّهَ اللهُ تعالى للمشرِكين في اتِّخَاذِهِمْ آلِهَةً مِنْ دُونِ اللهِ، يَرْجُونَ نَصْرَهُمْ وَرِزْقَهُمْ، وَيَتَمَسَّكُونَ بِهِمْ فِي الشَّدَائِدِ، فهم في ذلك كَيِّتِ الْعَنْكَبُوتِ فِي صَفْعَتِهِ وَوَهْنِهِ.

فليس في أيدي هؤلاء من أَلْفِهِمْ إِلَّا كَمَنْ يَتَمَسَّكُ بَبَيْتِ الْعَنْكَبُوتِ؛ فَإِنَّهُ لَا يُجْنِيهِ عَنْهُ شَيْءٌ، فَلَوْ عَلِمُوا هَذَا الْحَالَ لَسَاءَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ أَوْلِيَاءَ. وهذا بخلاف المسلم المؤمن؛ قَلْبُهُ لله، وهو مع ذَلِكَ يُجَسِّنُ الْعَمَلَ فِي اتِّبَاعِ الشَّرْعِ، فَإِنَّهُ مُسْتَمْسِكٌ ﴿بِالْعَزْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَالٍ لَهَا﴾ [البقرة: ٢٥٦] لِقُرْبِهَا وَبَيَاطِهَا.

ثم قال تعالى مُتَوَعِّدًا لِمَنْ عَبَدَ غَيْرَهُ وَأَشْرَكَ بِهِ: إِنَّهُ تَعَالَى يَعْلَمُ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْأَعْمَالِ، وَيَعْلَمُ مَا يُشْرِكُونَ بِهِ مِنَ الْأَنْدَادِ، وَسَيَجْزِيهِمْ وَصْفُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ.

ثم قال تعالى: ﴿رَبِّكَ الْأَمْتَلُ نَصْرُهَا لِلْإِنْسَانِ وَمَا يَقُولُهَا إِلَّا الْقَلِيلُ مِنَ الْعِلْمِ﴾ أي: وما يَقُولُهَا وَيَتَّبِعُهَا إِلَّا الرَّاكِبُونَ فِي الْعِلْمِ



﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [الفر: ١٧]. واختار ابن جرير أن المعنى: بل العلم بأنك ما كنت تتلو من قبل هذا الكتاب كتاباً ولا تخطه بيمينك، آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم من أهل الكتاب. ونقله عن قتادة، وابن جرير. وحكى الأول عن الحسن البصري فقط. قلت: وهو الذي رواه العوفي عن عبد الله بن عباس، وقاله الضحاك، وهو الأظهر، والله أعلم. ﴿وَمَا يَحْكُدُ يَأَيُّنَا إِلَّا أَتَّكِلُشُوكَ﴾ أي: ما يكذب بها ويخس حقها ويردها إلا الظالمون، أي: المعتدون المكابرون، الذين يعلمون الحق ويمجدون عنه.

الآية (٥٠): يقول تعالى مخبراً عن المشركين في تعنتهم وطلبهم آيات -يعنون- ترشدهم إلى أن محمداً رسول الله كما جاء صالح بناتقته، قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَا مُحَمَّد: ﴿إِنَّا آتَيْنَاكَ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: إنما أمر ذلك إلى الله؛ فإنه لو علم انكم تهتدون لأجابكم إلى سؤالكم؛ لأن ذلك سهل عليه، يسير لديه، ولكنه يعلم منكم أنها قصدكم التعنت والامتنان، فلا يبيحكم إلى ذلك.

﴿وَإِنَّا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ أي: إنما بعثت نذيراً لكم بين الندارة، فعلي أن أبلغكم رسالة الله ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَوَيْتَ يُضِلُّ فَلَنْ يَجْدَكَ﴾ [الكهف: ١٧].

الآية (٥١): ثم قال تعالى مبيناً كثرة جهلهم، وسخافة عقولهم: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَاتُنَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ أي: أولم يكفهم آية أنا أنزلنا عليك هذا الكتاب العظيم، الذي فيه خبر ما قبلهم، ونبأ ما بعدهم، وحكم ما بينهم، وأنت رجل أمي لا تقرأ ولا تكتب، ولم تخاطب أحداً من أهل الكتاب، فجهتكم بأخبار ما في الصحف الأولى، ببيان الصواب مما اختلفوا فيه، وبالحق الواضح البين الجلي؛ كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَأْتِيَهِمُ الْبُرْهَانُ﴾ [النساء: ١٤٧]. ﴿وَإِنْ فِي ذَلِكَ﴾ أي: إن في هذا القرآن ﴿رُشْدَةً﴾ أي: بياناً للحق، وإزاحة للباطل ﴿وَذِكْرٌ﴾ بما فيه حلول النقاات ونزول المقاب بالمكذبين والعاصين ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

الآية (٥٢): ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا﴾ أي: ﴿هُوَ أَشَدُّ بِمُقَابِلَتِي فِيهِ﴾ [الاحقاف: ٨] من التكذيب، ويعلم ما أقول لكم من إخباري عنه بأنه أرسلني، فلو كنت كاذباً عليه لانتقم مني؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ طَائِفَةٌ مَقَالًا لَّوَلَّيْتُمْ ۖ لَأَخَذْتُمُوهَا بِيَمِينِكُمْ ۖ ثُمَّ لَقَطْنَا مِنْهُ الْفَوَاقِشَ ۖ فَمَا يَسْكُرُونَ أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ حُجُوجٌ﴾ [الحاقة: ٤٤-٤٧]؛ وإنما أنا صادق عليه فيما أخبركم به، ولهذا أئدني بالمعجزات الواضحات، والدلائل القاطعات. ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: لا تخفى عليه خافية، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْغَيْبِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ أي: يوم معادهم سيجزيم على ما فعلوا، ويقابلهم على ما صنعوا من تكذيبهم بالحق واتباعهم الباطل؛ كذبوا برسول الله مع قيام الأدلة على صدقهم، وآمنوا بالطواغيت والأوثان بلا دليل، سيجازيهم على ذلك، إنه حكيم عليم.

الآية (٤٦): ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ قال قتادة وغير واحد: هذه الآية منسوخة بآية السيف، ولم يبق معهم مجادلة، وإنما هو الإسلام أو الجزية أو السيف. وقال آخرون: بل هي باقية أو محكمة لمن أراد الاستبصار منهم في الدين، فيجادل بالتي هي أحسن، ليكون أنجع فيه؛ كما قال تعالى: ﴿أَنزِلْ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَدِّثْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥]. وهذا القول اختاره ابن جرير. ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ أي: حادوا عن وجه الحق، وعثوا عن واضح المحجة، وعاندوا وكابروا، فحينئذ ينتقل من الجدل إلى الجلال، ويُقاتلون بما يردعهم ويمنعهم. قال مجاهد: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ يعني: أهل الحرب، ومن امتنع منهم عن أداء الجزية. ﴿وَوُفُّوا أَمَانًا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ يعني: إذا أخبروا بما لا يعلم صدقه ولا كذبه، فهذا لا تقدم على تكذيبه لأنه قد يكون حقاً، ولا على تصديقه، فلهذا أن يكون باطلاً، ولكن تؤمن به إيماناً محملاً معلقاً على شرط وهو أن يكون منزلاً، لا مُبدلاً ولا مؤولاً. عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا: آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم، وإلنا وإلهم واحد، ونحن له مسلمون» [تفرد به البخاري].

الآية (٤٧): قال ابن جرير: يقول الله تعالى: كما أنزلنا الكتب على من قبلك -يا محمد- من الرسل، كذلك أنزلنا إليك هذا الكتاب. وهذا الذي قاله حسن، ومُناسبته وارتباطه جيد. ﴿فَالَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَكْثَرُ يَوْمُوتُكُمْ بِهٖ﴾ أي: الذين أخذوه قتلوه حق تلاوته من أحبارهم العلماء الأذكياء؛ كعبد الله بن سلام وسلمان الفارسي وأشباهها. ﴿وَمَنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾ يعني: العرب من قريش وغيرهم. ﴿وَمَا يَحْكُدُ يَأَيُّنَا إِلَّا الْكُفْرُونَ﴾ أي: ما يكذب بها ويمجد حقها إلا ما يستر الحق بالباطل، ويفضي ضوء الشمس بالوصائل، وهيهات.

الآية (٤٨): ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكُمْ﴾ أي: قد لبثت في قومك -يا محمد- ومن قبل أن تأتي بهذا القرآن عمراً لا تقرأ كتاباً ولا تحسن الكتابة، بل كل أحد من قومك وغيرهم يعرف أنك رجل أمي لا تقرأ ولا تكتب، وهكذا صفته في الكتب المتقدمة؛ كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوءًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧]. قوله: ﴿إِذَا لَازَ تَابَ الْبَطْلُوتُ﴾ أي: لو كنت تحسنتها لارتاب بعض الجهلة من الناس فيقول: إنما تعلم هذا من كتب قبله مأثورة عن الأنبياء، مع أنهم قالوا ذلك مع علمهم بأنه أمي لا يحسن الكتابة. ﴿وَقَالُوا أَتُطِيعُونَ أَلَوِيلَ أَكُنْتُمْ أَهْلَ مَثَلٍ عَلَيْهِ بُعْثَهُ وَأُصْبِحَ﴾ [الفرقان: ٥].

الآية (٤٩): ﴿قُلْ هُوَ أَعْيَنُ يَسْتَنْتَ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْوَيْلَ﴾ أي: القرآن آيات بينة واضحة في الدلالة على الحق، أمراً ونهياً وخبراً، يحفظه العلماء، يشره الله عليهم حفظاً وتلاوة وتفسيراً؛ كما قال تعالى:



## ● الوقفات التدريبية

﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَإِلَيْنَا وَإِلَهُكُمْ وَإِلَهُنَا وَلِلَّهِمُ الْوَحْدُ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾

ووجه الوصاية بالحسنى في مجادلة أهل الكتاب: أن أهل الكتاب مؤمنون بالله غير مشركين به؛ فهم متأهلون لقبول الحجة غير مظنون بهم للكبر، ولأن آداب دينهم وكتابهم أكسبتهم معرفة طريق المجادلة؛ فينبغي للاقتصار في مجادلتهم على بيان الحجة دون إغلاظ حذراً من تنفيرهم. ابن عاشور: ٦/٢١.

السؤال: ما وجه الوصاية بالحسنى في مجادلة أهل الكتاب؟

﴿وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ﴾ ولا تكن مناظرتهم إيهام على وجه يحصل به القبح في شيء من الكتب الإلهية، أو بأحد من الرسل؛ كما يفعله الجاهل عند مناظرة الخصوم؛ يقدح بجميع ما معهم من حق وباطل؛ فهذا ظلم وخروج عن الواجب وآداب النظر؛ فإن الواجب أن يرد ما مع الخصم من الباطل، ويقبل ما معه من الحق، ولا يرد الحق لأجل قوله ولو كان كافراً. السعدي: ٦٣٢.

السؤال: الجدل مع الكافر مبني على العدل والحكمة، وضع ذلك من خلال الآية. ﴿وَكَذَلِكَ أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾

وجيء بصيغة المضارع للدلالة على أنه سيقع في المستقبل، أو للدلالة على تجدد إيمان هذا الفريق به؛ أي إيمان من آمن منهم مستمر يزداد عدد المؤمنين يوماً فيوماً. ابن عاشور: ٩/٢١.

السؤال: لماذا جيء بالفعل (يؤمنون) في الآية بصيغة المضارع؟

﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾

الذين دأبهم الجحود للحق والعناد له، وهذا حصر لمن كفر به؛ أنه لا يكون من أحد قصده متابعة الحق، وإلا فكل من له قصد صحيح فإنه لا بد أن يؤمن به؛ لما اشتمل عليه من البينات لكل من له عقل، أو القى السمع وهو شهيد. السعدي: ٦٣٣.

السؤال: هل يكفر بهذا القرآن من له قصد حسن؟

﴿بَلْ هُوَ آيَاتُ يَنْتَظِرُ فِي سُورِ الْآلِئِ أَوْرَا وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾

قال الحسن: أعطيت هذه الأمة الحفظ، وكان من قبلها لا يقرعون كتابهم إلا نظراً، فإذا أطبقوه لم يحفظوا ما فيه، إلا النبيون. القرطبي: ١٦/٣٧٦.

السؤال: لحفظ القرآن الكريم فضل عظيم، بينه.

﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾

المعنى: كيف يطلبون آية والقرآن الكريم أعظم الآيات، وأوضحها دلالة على صحة النبوة، فهلا اكتفوا به عن طلب الآيات. ابن جزي: ١٦١/٢.

السؤال: كيف يكون نزول القرآن رداً على من زعم أن القرآن جاء به النبي ﷺ؟

﴿قُلْ كُنْ يَاللَّهُ بَنِي وَيَتَكَمَّمُ شَيْدَا﴾

يعلم ما أقول لكم من إخباري عنه بأنه أرسلني، فلو كنت كاذباً عليه لاتنقم مني. ابن كثير: ٤/٣.

السؤال: كيف تكون شهادة الله على صدق نبوة محمد ﷺ؟

﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَإِلَيْنَا وَإِلَهُكُمْ وَإِلَهُنَا وَلِلَّهِمُ الْوَحْدُ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾  
﴿وَكَذَلِكَ أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾  
﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّ رِيسَمِينَ إِذَا لَا تَرْتَابَ الْمُنْطَلُونَ﴾  
﴿بَلْ هُوَ آيَاتُ يَنْتَظِرُ فِي سُورِ الْآلِئِ أَوْرَا وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾  
﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا آيَاتُكَ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾  
﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾  
﴿قُلْ كُنْ يَاللَّهُ بَنِي وَيَتَكَمَّمُ شَيْدَا﴾  
﴿شَهِيدًا بِمَا تَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
ظَلَمُوا مِنْهُمْ	عَانَدُوا الْحَقَّ، وَأَعْلَنُوا الْحَرْبَ.
مُسْلِمُونَ	خَاضِعُونَ مُتَذَلِّلُونَ بِالطَّاعَةِ.
وَمِنْ هَؤُلَاءِ	الْعَرَبُ مِنْ قُرَيْشٍ.
لَوْلَا	هَلَا.
آيَاتٌ	حُجَجٌ وَبَرَاهِينٌ تُشَاهِدُهَا، كَنَاقَةِ صَالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَام.

## ● العمل بالآيات

١. احفظ اليوم آيات لم تكن تحفظها من قبل، ﴿بَلْ هُوَ آيَاتُ يَنْتَظِرُ فِي سُورِ الْآلِئِ أَوْرَا وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾.

٢. تدرب على الحوار؛ فهو من سنن الأنبياء؛ اختر زميلاً وحاووه بهدوء وحكمة، واحرص على العدل والانصاف في كلامك، ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾.

٣. ادع الله تعالى أن يجعلك مستسماً لأمره وشرعه، ﴿وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾.

## ● التوجيهات

١. العالم من عرف العبادة الصحيحة ولو كان لا يقرأ ولا يكتب، ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّ رِيسَمِينَ إِذَا لَا تَرْتَابَ الْمُنْطَلُونَ﴾.

٢. القرآن بلغ الغاية في الفصاحة، مع أن الرسل به نبينا ﷺ، أمي لا يقرأ ولا يكتب، ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّ رِيسَمِينَ إِذَا لَا تَرْتَابَ الْمُنْطَلُونَ﴾.

٣. فضل الله سبحانه على هذه الأمة؛ إذ أنزل إليهم خير كتاب على أفضل رسول، ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾

ابن كثير: ٤٠٤/٣

﴿وَيَقُولُ دُعُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

**السؤال: لماذا يقال لهم في جهنم هذه المقولة؟**

﴿يَعْبَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَسِعَةٌ فَيَأْتِي فَأَعْبُدُونِ﴾ ﴿٣﴾

**السؤال: ما المراد من إخبار المؤمنين بأن أرض الله واسعة؟**

﴿يَعْبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَسِعَةً فَلِيَئِي فاعْبُدُونِ﴾ ﴿٣﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٤﴾

السؤال: بما ترد على من يقول: كيف أعيش إن خرجت من أرض المعاصي ورزقي فيها؟

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُؤْتِيَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾

وقصد منها أيضاً تهوين ما يلاقيه المؤمنون من الأذى في الله -و لو بلغ إلى الموت- بالنسبة لما يترقبهم من فضل الله وثوابه الخالد. ابن عاشور: ٢٣/٢١.

**السؤال:** وضع في ضوء الآية هوان ما يلاقيه المؤمن من اذى مقابل ما ينتظره من ثواب.

﴿ وَكَانَ مِنْ دَابَّةٍ ضَعِيفَةٍ لَا تَقْدِرُ عَلَى حَمْلِ رِزْقِهَا، وَلَكِنْ يَرْزُقُهَا اللَّهُ بِرِزْقِهَا وَإِلَيْكُمْ مَوْرُئُ السَّيْعِ الْعَلِيمُ ﴾

أي: كم من دابة ضعيفة لا تقدر على حمل رزقها، ولكن الله يرزقها مع ضعفها، والقصد بالآية: تقوية لقلوب المؤمنين؛ إذا خافوا الفقر والجوع في الهجرة إلى بلاد الناس، أي: كما يرزق الله الحيوانات الضعيفة كذلك يرزقكم إذا هاجرتم من بلدكم. ابن جزي: ١٦٢/٢.

السؤال: في هذه الآية تقوية لقلوب المؤمنين، وتركية للنفس، وضع ذلك.

﴿ وَكَانَ يَنْتَظِرُ أَنْ يُعَذِّبَ رَزَقَهَا اللَّهُ رِزْقَهَا وَإِلَيْكُمْ وَهِيَ تَسْمَعُ الْعَلَمِ ﴾  
(الله) يرزقها وإياكم: يسوي بين الحريص واللتوكل في رزقه، وبين  
الراغب والقانع، وبين الحيول والعاجز؛ حتى لا يفتر الجلد أنه مرزوق  
بجلده، ولا يتصور الفاجز أنه ممنوع بعجزه القرطبي: ٣٨٦/١٦.

**السؤال: هل يزداد في رزق الحريص على الرزق لحرصه؟**

وَيَسْتَعِجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ  
وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْضَةٌ وَهَلْ يُسْعَوْنَ ﴿٣٦﴾ يَسْتَعِجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ  
وَلَا يَجْعَلُونَ لِمُحِيطَةٍ بِالْكِفَرِ ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَبْغِضُهُمُ الْعَذَابُ  
مِنْ قَوِيَّتِهِ وَمِنْ تَحْتِ أَنْجُلِهِمْ يَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ  
﴿٣٨﴾ يَبْعَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِنَّي فَاعْتَدُ لِلَّذِينَ  
﴿٣٩﴾ كُلِّ نَفْسٍ ذَاقَةُ الْعَذَابِ ثُمَّ إِلَيَّا تُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ وَالَّذِينَ  
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُؤْتِيَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَافًا تَجْرِي  
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَخَالِدِينَ فِيهَا أُنَبِّئُكُمْ أَجْرَ الْعَامِلِينَ ﴿٤١﴾ الَّذِينَ  
صَبَرُوا وَعَلَىٰ رُفْعِهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾ وَكَأَيُّ مَن ذَاقَتْهُ لَأَحْمِلُ  
رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤٣﴾ وَلَئِنْ  
سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَحَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ  
لَيَقُولَنَّ اللَّهُ أَنَّا بَنَوْكُنَّ ﴿٤٤﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ  
عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٤٥﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ  
مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْبَاهُ بِأَفْخَايِهِ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ أَنَّا بَنَوْكُنَّ  
لَيَقُولَنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٦﴾

٤٠٣

الكلمة	المعنى
أَجَلَ مُسَمًّى	وَقَدْ عَدَّاهُمُ الْمَقْدَرُ عِنْدَ اللَّهِ
يَفْشَاهُمْ	يُحِيطُ بِهِمْ وَيَعْلُوهُمْ.
وَكَايِنٍ مِنْ	وَكَمْ مِنْ؟
فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ	فَكَيْفَ يَصْرَهُونَ عَنِ الْإِيمَانِ؟
يَسُطُّ	يُوسِعُ.
وَيَقْدِرُ	يُضَيِّقُ.

## ● العمل بالآيات

سَلِّ اللَّهُ أَنْ يَرْزُقَكَ الصَّبْرَ، وَيُعِينَكَ عَلَيْهِ، ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.

١. حدد أوقات قدرتك على العمل في يومك وأسبوعك ثم اقسّمها بين العمل للدنيا  
للآخرة متيقناً أن رزقك على الله لا على جهدك، ﴿وَكَأَن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا  
لِلَّهِ يَرْزُقُهَا وَإِنَّكُمْ لَعِندَهُ السَّامِعُونَ﴾.

١. تأمل النمل والطير كيف يسوق الله تعالى إليها رزقها، ثم ادع الله أن يرزقك رزقا حلالا طيبا، مبارك فيه، ﴿وَكَأَنَّ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا إِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝﴾

## ● التوجيهات

۱۰۰. احذر ان ياتيك اجلك وانت على معصية الله، ﴿وَلَوْلَا اَجَلٌ مُّسَمًّى لِّجَاءِ مُرَّ عَذَابٍ وَّيَأْتِيهِمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

لا عذر لأحد في ترك عبادة الله وتوحيده؛ لأنه إن منع منها في بلد وجب عليه أن يهاجر إلى بلد آخر، ﴿يَبْجَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَسِعَةٌ فَإِنِّي ءَأْتِدُونَ﴾.

١. لَا تَحْمِلْ هِمَّ الرِّزْقِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ كَفَاكَ إِيَّاهُ، ﴿وَكَأَنْ مِّنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِنَّهَا لَكُمُ ۝﴾

فيها أبدا ﴿لَا يَتُوبُونَ عَنْهَا حَتَّىٰ﴾ [الكهف: ١٠٨] ﴿يَعْمَ أَجْرُ الْعَمِلِينَ﴾ نعمت هذه الغُفْرُ أجرا على أعمال المؤمنين.  
 الآية (٥٩): ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ أي: على دينهم، وهاجروا إلى الله، وناذبوا الأعداء، وفارقوا الأهل والأقرباء، ابتغاء وجه الله، ورجاء ما عنده وتصديق موعوده، ﴿وَعَلَىٰ رَيْبِهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ في أحوالهم كلها، في دينهم ودنياهم.

الآية (٦٠): ثم أخبرهم تعالى أن الرزق لا يختص ببقعة، بل رزقه تعالى عام خلقه حيث كانوا وأين كانوا، بل كانت أرزاق المهاجرين حيث هاجروا أكثر وأوسع وأطيب؛ فإنهم بعد قليل صاروا حكام البلاد في سائر الأقطار والأمصار؛ ولهذا قال: ﴿وَكَيْفَ يُنْزِلُ اللَّهُ رِزْقَهُمْ إِلَّا بِطَوْلٍ خَلْقَهُمْ﴾ أي: لا تطيق جمعه وتحصيله ولا تدخر شيئا لغد، ﴿اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ أي: الله يقض لها رزقها على ضعفها، ويسره عليها، فيبعث إلى كل مخلوق من الرزق ما يصلحه، حتى الدر في قرار الأرض، والطير في الهواء والحيتان في الماء؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَىٰ اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَوْدِعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [هود: ٦]. وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ أي: السميع لأقوال عباده، العليم بحركاتهم وسكناتهم.

الآية (٦١-٦٣): ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَنْ خَلَقَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [١١] ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ يَكِلُ شَيْءَهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ﴾ [١٢] ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ زَكَّىٰ السَّمَاءَ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ يقول تعالى مقررا أنه لا إله إلا هو؛ لأن المشركين -الذين يعبدون معه غيره- معترفون بأنه المستقل بخلق السموات والأرض والشمس والقمر، وتسخير الليل والنهار، وأنه الخالق الرازق لعباده، ومُقدِّر أجالهم، واختلافها واختلاف أرزاقهم ففاوت بينهم، فمنهم الغني والفقير، وهو العليم بما يصلح كلَّ منهم، ومن يستحق الغنى ممن يستحق الفقر، فذكر أنه المستبد بخلق الأشياء المفرد بتدبيرها، فإذا كان الأمر كذلك فلم يُعبد غيره؟! ولم يُؤكل على غيره؟! فكما أنه الواحد في ملكه فليكن الواحد في عبادته، وكثيرا ما يقرر تعالى مقام الإلهية بالاعتراف بتوحيد الربوبية. وقد كان المشركون يعترفون بذلك، كما كانوا يقولون في تليبتهم: «لييك لا شريك لك، إلا شريكا هو لك، تملكه وما ملك».

الآية (٥٣-٥٤): يقول تعالى خبرا عن جهل المشركين في استعجالهم عذاب الله أن يقع بهم، وبأس الله أن يجل عليهم؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُ إِنْ كُنْتَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَنْظِرْ عَلَيْنَا حِسَابَكَ مِنَ السَّعَةِ أَوْ أَتَيْنَا بِمَذَاقٍ آخِرٍ﴾ [الأفلاك: ٣٢] وقال ههنا: ﴿وَسْتَجْلِبُوكَ بِالدِّبَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ﴾ أي: لولا ما حتم الله من تأخير العذاب إلى يوم القيامة لجاءهم العذاب قريبا سريعا كما استعجلوه. ثم قال: ﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً﴾ أي: فجأة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [٣٣] ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالدِّبَابِ وَلَئِنْ جَهَنَّمُ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ أي: يستعجلون بالعذاب، وهو واقع بهم لا محالة.

الآية (٥٥): ثم قال ﷻ: ﴿يَوْمَ يَشْنَعُ الْمُعَذَّبُونَ﴾ أي: يوم ينفذون عذابهم، وقوله تعالى: ﴿لَمْ يَنْ يَنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الأعراف: ٤١] وقال تعالى: ﴿لَمْ يَنْ يَنْ فَوْقَهُمْ ظُلُلٌ مِنَ النَّارِ وَبِهَا يَكْتُمُونَ ظُلُلٌ﴾ [الزمر: ١٦] وقال تعالى: ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْشَفُوكَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ﴾ [الأنبياء: ٣٩] فالنار تغشاهم من سائر جهاتهم، وهذا أبلغ في العذاب الحسي.

وقوله: ﴿وَيَقُولُ دُفُّوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ تهديد وتقرع وتوبيخ، وهذا عذاب معنوي على النفوس؛ كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِِهِمْ دُفُّوا مِمَّنْ سَفَرًا﴾ [١٤] ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٨-٤٩] وقال: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً﴾ [١٣] ﴿هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ يُهْمَا تَكِيدُونَ﴾ [١٤] ﴿أَفَسِحْرَ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ [١٥] ﴿أَصْلَحُوا مَا صَبَرُوا أَوْ لَا صَبَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الطور: ١٣-١٦].

الآية (٥٦): هذا أمر من الله لعباده المؤمنين بالمهجرة من البلد الذي لا يقدرُونَ فيه على إقامة الدين إلى أرض الله الواسعة، حيث يمكن إقامة الدين، بأن يوحدها الله ويعبدوه كما أمرهم؛ ولهذا قال تعالى: ﴿يَتَجَادَى الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ أَرْضٍ وَبِيعَةً فَإِنِّي فَأَعْبُدُونَ﴾. ولهذا لما ضاق على المستضعفين بمكة مقامهم بها، خرجوا مهاجرين إلى أرض الحبشة، ليأمنوا على دينهم هناك، فوجدوا هناك خير المنزلين، أصحمة النجاشي ملك الحبشة -رحمه الله- آواهم وأيدهم بنصره، وجعلهم سُيُومًا بيلاده. ثم بعد ذلك هاجر رسول الله ﷺ وأصحابه الباقون إلى المدينة النبوية يثرب المطهرة.

الآية (٥٧-٥٨): ثم قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ أي: أينما كنتم يدرحكم الموت، فكونوا في طاعة الله وحيث أمركم الله، فهو خير لكم؛ فإن الموت لا بد منه، ولا عجد عنه، ثم إلى الله المرجع، فمن كان مطيعا له جازاه أفضل الجزاء، ووافاه أتم الثواب. ولهذا قال: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا يُجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي: لنسكنهم منازل عالية في الجنة تجري من تحتها الأنهار، على اختلاف أصنافها، من ماء وخر، وعسل ولبن، يصرفونها ويجرونها حيث شاؤوا، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أي: ما كنين

فذكره أبو بكر لرسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «أما إنهم سيغلبون». فذكره أبو بكر لهم، فقالوا: اجعل بيننا وبينك أجلاً، فإن ظهرنا كان لنا كذا وكذا، وإن ظهرتم كان لكم كذا وكذا. فجعل أجلاً خمس سنين، فلم يظهروا، فذكر ذلك أبو بكر لرسول الله ﷺ فقال: «ألا جعلتها لي ذون» أراه قال: «المشر». قال سعيد بن جبير: البضع ما دون المشر. ثم ظهرت الروم بعد، قال: فذلك قوله: ﴿آلَتِ ٱلرُّومِ ۝١ غَلِبَتِ الرُّومُ ۝٢﴾ في آتَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَلَيْهِمْ ٱسْقَاتُ ٱلْمَنِي ۝٣ وَهُوَ ٱلْمَنِي ٱلرَّحِي ۝٤﴾ [رواه الترمذي وغيره، وقال أحد شاكرك: إسناده صحيح]. وعن مسروق قال: قال عبد الله: خمس قد مضين: الدخان، واللزام، والبطشة، والقمر، والروم (منقول عليه). قوله: ﴿آلَتِ ٱلرُّومِ ۝١ غَلِبَتِ الرُّومُ ۝٢﴾ قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة في أوائل السور. وأما الروم فهم من سلالة العيص بن إسحاق بن إبراهيم، وهم أبناء عم بني إسرائيل. وكانوا يعبدون الكواكب السيارة السبعة، وكان من ملك الشام مع الجزيرة منهم يقال له: قيصر. كان آخرهم هرقل. فناهوه كسرى ملك الفرس، والمشهور أن كسرى غزاه بنفسه في بلاده فقهره وكسره، ولم يبق معه سوى مدينة قسطنطينية. فحاصره بها مدة طويلة حتى ضاقت عليه، ولم يقدر كسرى على فتح البلد لحصانتها. فلما طال الأمر دبّر قيصر مكيدة، فطلب من كسرى أن يقلع عن بلاده على مال يصلح له عليه. فأجابته إلى ذلك، وطلب منه أموالاً عظيمة. فطأه قيصر، وسأل كسرى أن يمكنه من الخروج إلى بلاد الشام وأقاليم مملكته، ليسعى في تحصيل ذلك، فأطلق سراحه. فركب قيصر وسار مسرعاً حتى انتهى إلى بلاد فارس، فعاتب في بلادهم قتلاً، حتى انتهى إلى المدائن، فقتل من بها وأخذ جميع حواصله وأمواله، وأسر نساءه وحريمه، وحلق رأس ولده، ورجّبه على حمار، وكتب إلى كسرى يقول: هذا ما طلبت فخذ. فلما بلغ ذلك كسرى اشتد حنقه على البلد، فاشتد في حصارها بكل ممكن فلم يقدر على ذلك. وقدم قيصر وجنوده، ودخلوا القسطنطينية. وكان ذلك يوماً مشهوداً عند النصاري. فكان هذا من غلب الروم فارس، وكان ذلك بعد تسع سنين من غلب الفرس للروم. قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ٱقْرَبُوا أَقْرَبَهُ مَوَدَّةً ۝١﴾ أي: من قبل ذلك ومن بعده. ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَقَرُحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٢﴾ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ۝٣ أي: للروم أصحاب قيصر ملك الشام، على فارس أصحاب كسرى، وهم المجوس، وقد كانت نصره الروم على فارس يوم وقعة بدر في قول طائفة كبيرة من العلماء، كابن عباس. وقال آخرون: بل كان نصره الروم على فارس عام الحديبية؛ قاله عكرمة والزهرى. والأمر في هذا سهل قريب، إلا أنه لما انتصرت فارس على الروم ساء ذلك المؤمنين، فلما انتصرت الروم على فارس فرح المؤمنون بذلك؛ لأن الروم أهل كتاب في الجملة، فهم أقرب إلى المؤمنين من المجوس؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ مَوْدَّةً ۝١﴾ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱلَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَحْكُمُ ۝٢﴾ الآية [المائدة: ٨٢]. قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْمَنِي ۝٣﴾ أي: في انتصاره وانتقامه من أعدائه، ﴿ٱلرَّحِي ۝٤﴾ بعباده المؤمنين.

الآية (٦٤): يقول تعالى مخبراً عن حقارة الدنيا وزوالها وانقضائها، وأنها لا دوام لها، وغاية ما فيها هو ولعب: ﴿وَإِنَّ ٱلْآخِرَةَ لَٰهِيَ ٱلْحَيَاةُ ٱلدَّائِمَةُ ٱلْحَقُّ ٱلَّتِى لَا زَوَالُ لَهَا وَلَا ٱنْقِضَآءُ، بَلْ هِىَ مُسْتَمِرَّةٌ ٱبْدَ ٱلْآبَادِ، ۝١﴾ ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۝٢﴾ أي: لأنروا ما يبقى على ما يفتى.

الآية (٦٥-٦٦): أخبر تعالى عن المشركين أنهم عند الاضطراب يدعون وحده لا شريك له، فهلاً يكون هذا منهم دائماً؟ فإذا ركبوا في الفلكي دعوا الله مخلصين له الذين ﴿كَفَلَهُمْ ۝١﴾ كقوله: ﴿وَإِذَا سَأَلَ ٱلشَّرَّ فِي ٱلْبَحْرِ ۝٢﴾ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهَهُ ۝٣ فَلَمَّا نَجَّكَ إِلَى ٱلْبَرِ ءَعْرَضْتُمْ ۝٤﴾ [الإسراء: ٦٧]، وقال ههنا: ﴿فَلَمَّا نَجَّيْتُمْ إِلَى ٱلْبَرِ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ۝٥﴾. قوله: ﴿يَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَهُمْ وَلَيَسْتَنْمِقُونَ ۝٦﴾ هذه اللام لام العاقبة، لأنهم لا يقصدون ذلك، ولا شك أنها كذلك بالنسبة إليهم، وأما بالنسبة إلى تقدير الله عليهم ذلك وتقيضه إياهم لذلك فهي لام التعليل.

الآية (٦٧-٦٩): يقول تعالى ممثلاً على قريش فيما أحلهم من حريمه، الذي جعله للناس سواء العاكف فيه والباد، ومن دخله كان آمناً، فهم في أمن عظيم، والأعراب حوله ينهب بعضهم بعضاً ويقتل بعضهم بعضاً؛ كما قال تعالى: ﴿لَا يَلْبِثُ قَرْيَةً ۝١﴾ إلى آخر السورة [قريش: ١-٤]. ﴿أَيُّهَا ٱلْبَاطِلُ يُؤْمِنُونَ وَيَنْعَمَ ٱللَّهُ بِكَفَرُونَ ۝٢﴾ أي: أفكسان شكرهم على هذه النعمة العظيمة أن أشركوا به، وعبدوا معه الأصنام والأنداد، و﴿يَدْعُوا وَيَسْتَعِزُّونَ ٱللَّهَ كَذِبًا وَأَعْلَوْا قَوْمَهُمْ ذَا ٱلْأَوَارِ ۝٣﴾ [إبراهيم: ٢٨]، وكفروا بنبي الله وعبدوا رسوله؟! فكان اللاتق بهم إخلاص العبادة لله، وألا يشركوا به، وتصديق الرسول وتعظيمه وتوقيره، فكذبوه وقتلوه وأخرجوه من بين أظهرهم؛ ولهذا سلبهم الله ما كان أنعم به عليهم، وقتل من قتل منهم بيده، وصارت الدولة لله ولرسوله وللمؤمنين، ففتح الله على رسوله مكة، وأرغم أتباعهم وأذل رقابهم. ﴿وَمِنْ أَظْلَمَ ۝١﴾ وَمِنْ أَقْبَرَى عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا يَكُذِّبُ ٱلْحَقُّ لَمَّا جَاءَهُ ۝٢﴾ أي: لا أحد أشد عقوبة ممن كذب على الله فقال إن الله أوحى إليه، ﴿وَلَنُرِيَنَّ ٱلْآيَاتِ ۝٣﴾ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ ۝٤﴾ [الأنعام: ١٣]. وهكذا لا أحد أشد عقوبة ممن كذب بالحق لما جاءه، فالأول مفتر، والثاني مكذب؛ ولهذا قال: ﴿ٱلَّذِينَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكُفْرَيْنِ ۝١﴾. ﴿وَٱلَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا ۝٢﴾ يعني: الرسول، صلوات الله وسلامه عليه، وأصحابه واتباعه إلى يوم الدين، ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۝٣﴾ أي: لننصرهم سبلنا، أي: طرقنا في الدنيا والآخرة، قال عباس الهمداني أبو أحمد -من أهل عكا- في قول الله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٤﴾ قال: الذين يعملون بما يعلمون يهديهم الله لما لا يعلمون.

#### تفسير سورة الروم

وهي مكية. [وعدد آياتها ستون آية].

الآية (١-٥): عن ابن عباس قال: كان المشركون يجيئون أن تظهر فارس على الروم؛ لأنهم أصحاب أوثان، وكان المسلمون يجيئون أن تظهر الروم على فارس؛ لأنهم أهل كتاب، فذكر ذلك لأبي بكر،





## ● الوقفات التحذيرية

﴿ وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

إضافة الوعد إلى الله تلويح بأنه وعد محقق الإيفاء؛ لأن وعد الصادق القادر الغني لا موجب لإخلافه. ابن عاشور: ٤٨/٢١.

السؤال: ما فائدة إضافة الوعد إلى الله تعالى؟

﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا لِنَارٍ لَمَّا جَاءَ الدُّنْيَا وَمَنْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفِيلُونَ ﴾

ومن العجب أن هذا القسم من الناس قد بلغت بكثير منهم الفطنة والذكاء في ظاهر الدنيا إلى أمر يحير العقول، ويدهش الأبواب، وأظهروا من العجائب النورية والكهربائية، والمراكب البرية والبحرية والهوائية ما فاقوا به وبرزوا ... وهم مع ذلك أبلد الناس في أمر دينهم، وأشدهم غفلة عن آخرتهم، وأقلهم معرفة بالعواقب، قد رامهم أهل البصائر النافذة في جهلهم يتخبطون، وفي ضلالهم يعمهون، وفي باطلهم يترددون ... فعرفوا أن الأمر لله، والحكم له في عباده، وإن هو إلا توفيقه وخلافة؛ فحاقوا بهم، وسأوه إن يتم لهم ما وهبهم من نور العقول والإيمان؛ حتى يصلوا إليه، ويحلوا بساحته. السعدي: ٦٣٧.

السؤال: كيف نوازن بين علم الدنيا وعلم الآخرة؟

﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا لِنَارٍ لَمَّا جَاءَ الدُّنْيَا وَمَنْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفِيلُونَ ﴾

قال الحسن: «إن أحدهم لينقر الدرهم بطرف ظفره فيذكر وزنه ولا يخطيء، وهو لا يحسن يصلي» انتهى. وأمثال هذا لهم كثير، وهو وإن كان عند أهل الدنيا عظيماً فهو عند الله حقيراً؛ فلذلك حقره لأنهم ما زادوا فيه على أن ساواوا البهائم في إدراكها ما ينفعها؛ فتستجليه بضروب من الحيل، وما يضرها فتدفعه بأنواع من الخداع. البقاعي: ٤٤/١٥ - ٤٥.

السؤال: ما العلم النافع في الآخرة؟

﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا لِنَارٍ لَمَّا جَاءَ الدُّنْيَا وَمَنْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفِيلُونَ ﴾

يعني: أمر معاشهم؛ كيف يكتسبون ويتجرون، ومتى يفرسون ويزرعون ويحصدون، وكيف يبنون ويعيشون، (وهم عن الآخرة هم غافلون)، سامون عنها جاهلون، لا يتفكرون فيها ولا يعملون لها. البقاعي: ٤٨/٣.

السؤال: متى يذم أهل العلوم الدنيوية؟

﴿ فَمَا كَانَتْ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾

(يظلمون أي: يجددون الظلم لها بإيقاع الضرر موقع جلب النفع؛ لأنهم لا يعتبرون بعقولهم التي ركبناها فيهم ليستضيئوا بها فيعلموا الحق من الباطل، ولا يقبلون من الهداة إذا كشفوا لهم ما عليها من الفضاء، ولا يرجعون عن الغي إذا اضطروهم بالآيات الباهرات، بل ينتقلون من الغفلة إلى العناد. البقاعي: ٥٧/١٥.

السؤال: كيف يكون تعطيل العقل ظلماً؟

﴿ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾

عُبر عن ظلمهم أنفسهم بصيغة المضارع للدلالة على استمرار ظلمهم وتكرره، وإن الله أمهلهم فلم يقلعوا حتى أخذهم. ابن عاشور: ٥٨/٢١.

السؤال: ما فائدة صيغة المضارع في حال التعبير عن ظلم المشركون أنفسهم؟

﴿ فَمَا لَئِيكَ ءَأْمَنُوا وَهَمَلُوا الصَّالِحِينَ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴾

(يحبرون): يتبين عليهم أثر النعيم، وقال يحيى بن أبي كثير: (في روضة يحبرون) قال: السماع في الجنة، وقاله الأوزاعي: قال: إذا أخذ أهل الجنة في السماع لم تبق شجرة في الجنة إلا رددت الغناء بالتسبيح والتقديس. القرطبي: ٤٠٦/١٦.

السؤال: من خلال الآية، بين كيف يكون حال المؤمن في الجنة.

وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ  
﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا لِنَارٍ لَمَّا جَاءَ الدُّنْيَا وَمَنْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفِيلُونَ ﴾  
﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَلَئِنْ كُنْتُمْ مِنْ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴾  
﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَنَارُوا فِي الْأَرْضِ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَتْ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾  
﴿ ثُمَّ كَانَتْ عَاقِبَةُ الَّذِينَ اسْتَفْتَأُوا السُّوءَ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾  
﴿ اللَّهُ يَدْعُ الْخَلْقَ لِتَرْجِعَهُمْ لِرَبِّهِمْ فَرُجِعُوا وَكُنْتُمْ تُخْشَعُونَ ﴾  
﴿ وَكَمْ تَقُومُ السَّاعَةَ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴾  
﴿ وَلَوْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ ﴾  
﴿ وَكَمْ تَقُومُ السَّاعَةَ يُؤَمِّدُ بِتَقَرُّوَتْ ﴾  
﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَأْمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
وَأَجَلٍ مُّسَمًّى	وَقَدْ مُّسَمًّى تَنْتَهِي إِلَيْهِ.
وَأَنَارُوا	حَرَّوْا وَزَرَّعُوا.
السُّوءِ	الْفُجُورِ الْمُنْتَهِيَةِ فِي السُّوءِ.
يُبْلِسُ	يُنَاسُ مِنَ الشَّجَاةِ مِنَ الْعَذَابِ.
يُحْبَرُونَ	يُكْرَمُونَ، وَيُعْمَرُونَ.

## ● العمل بالآيات

- استمع إلى محاضرة في وصف الجنة والنار، ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا لِنَارٍ لَمَّا جَاءَ الدُّنْيَا وَمَنْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفِيلُونَ ﴾.
- اختر واحدة من جوارحك، ثم تأمل كيف خلقها الله، واكتب ثلاث فوائد استفدتها من تأملك، ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ ﴾.
- سل الله تعالى أن يرزقك شفاعته النبي ﷺ، وإن يوفقك لحسن اتباعه، ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ ﴾.

## ● التوجيهات

- اربط ما تتعلمه من علوم دنيوية بعظمة الله وقدرته حتى تنتفع به، ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا لِنَارٍ لَمَّا جَاءَ الدُّنْيَا وَمَنْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفِيلُونَ ﴾.
- التفكير من أجل العبادات، ومن رزق التدبر فقد رزق بقطة القلب؛ لأنه يجعله دائم الصلة بالله، ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾.
- تقرير عقيدة أن لا شفاعته لمشارك يوم القيامة، ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ ﴾.

السالفة وتكذيبهم المتقدم؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ثُرْكَانَ عَقِيْبَةِ الَّذِيْنَ اسْتَفْزَأَ الشُّرَكَاءُ اَنْ كُذِّبُوا يَتَذَكَّرُ اللّٰهُ وَكَاشَوْا بِهَا يَسْتَهْزِئُوْنَ﴾؛ كما قال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ اَفْئِدَتَهُمْ وَاَنصُدُّهُمْ كَمَا لَا يَرْجُوْنَ اِيَّاهُ اَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُوْنَ﴾ [الانعام: ١١٠]، وقوله: ﴿فَلَمَّا رَاَعُوْا اَنْزَاغَ اللّٰهِ قُلُوْبَهُمْ﴾ [الص: ٥]، وقال تعالى: ﴿فَاِنْ تَوَلَّوْا فَاَعْلَمْنَا اَنَّآ اِيْدُ اللّٰهِ اَنْ يُصِيبَهُمْ يَبْتَغِيْزُ ذُنُوْبَهُمْ﴾ [المائدة: ٤٩]، وعلى هذا تكون ﴿الشُّرَكَاءُ﴾ منصوبة مفعولاً لـ ﴿اسْتَفْزَأَ﴾، وقيل: بل المعنى في ذلك: ﴿ثُرْكَانَ عَقِيْبَةِ الَّذِيْنَ اسْتَفْزَأَ الشُّرَكَاءُ﴾ أي: كانت الشؤاى عاقبتهم؛ لأنهم كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون.

الآية (١١): يقول تعالى: ﴿اللّٰهُ يَدْعُوْا اَلْحَقَّ ثُمَّ يُدْخِلُهُ اِيَّيْ: كما هو قادر على بداءته فهو قادر على إعادته، ﴿ثُمَّ اِلَيْهِ تُرْجَعُوْنَ﴾ أي: يوم القيامة، فيجازي كل عامل بعمله.

الآية (١٢-١٣): قال: ﴿وَيَوْمَ نَقُومُ السَّاعَةَ يُبْلِِسُ السَّجِرِمُونَ﴾ قال ابن عباس: يباس المجرمون. وقال مجاهد: يفتضح المجرمون. وفي رواية: يكتب المجرمون.

قوله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِّنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ﴾ أي: ما شفعت فيهم الآلهة التي كانوا يعبدونها من دون الله تعالى، وكفروا بهم وخانوهم أحوج ما كانوا إليهم.

الآية (١٤-١٥): ثم قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَقُومُ السَّاعَةَ يُؤْمِزُ بِفَرَقَتِهِمْ﴾ قال قتادة: هي -والله- الفرقة التي لا اجتماع بعدها. يعني: إذا رُفِعَ هذا إلى عليين، ونُفِضَ هذا إلى أسفل السافلين، فذاك آخر العهد بينهما.

ولهذا قال: ﴿فَأَمَّا الَّذِيْنَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْحَةٍ يُنْبِئُوْنَ﴾ قال مجاهد وقاتة: ينعمون. وقال يحيى بن أبي كثير: يعني سماع الفناء. والْحَبْرَةُ أعم من هذا كله.

الآية (٦): قوله: ﴿وَعَدَ اللّٰهُ لَا يَخْلِفُ اللّٰهُ وَعْدَهُ﴾ أي: هذا الذي أخبرناك به - يا محمد - من أننا نستنصر الروم على فارس، وعد من الله حق، وخبر صدق لا يخلف، ولا بد من كونه ووقوعه؛ لأن الله قد جرت شئته أن ينصر أقرب الطائفتين المقتلتين إلى الحق، ويجعل لها العاقبة.

قوله: ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُوْنَ﴾ أي: بحكم الله في كونه وأفعاله المحكمة الجارية على وفق العدل.

الآية (٧): قوله: ﴿يَعْلَمُوْنَ ظَاهِرَاتِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غٰفِلُونَ﴾ أي: أكثر الناس ليس لهم علم إلا بالدنيا وأكسابها وشؤونها وما فيها، فهم حُذَاق أذكباء في تحصيلها ووجوه مكاسبها، وهم غافلون عما ينفعهم في الدار الآخرة، كأن أحدهم مُغْفَل لا ذهن له ولا فكرة. قال الحسن البصري: والله ليبلغ من أحدهم بدنياء أنه يقلب الدرهم على ظهره، فيخبرك بوزنه، وما يحسن أن يصلي!

وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُوْنَ ظَاهِرَاتِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غٰفِلُونَ﴾ يعني: الكفار، يعرفون عمران الدنيا، وهم في أمر الدين جهال.

الآية (٨): يقول تعالى منبهاً على التفكير في مخلوقاته، الدالة على وجوده وانفراده بخلقها، وأنه لا إله غيره ولا رب سواه، فقال: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِيْ أَنفُسِهِمْ﴾ يعني به: النظر والتدبر والتأمل لخلق الله الأشياء من العالم العلوي والسفلي، وما بينهما من المخلوقات المتنوعة، والأجناس المختلفة، فيعلمون أنها ما خلقت سُدى ولا باطلاً، بل بالحق، وأنها مؤجلة إلى أجل مسمى، وهو يوم القيامة؛ ولهذا قال: ﴿وَلَنْ كَثِيْرًا مِّنَ النَّاسِ بِإِلْقَائِيْ رَيْبِهِمْ لَكُفْرُوْنَ﴾.

الآية (٩-١٠): نبيهم على صدق رسله فيها جاؤوا به عنه، بما أيدهم به من المعجزات والدلائل الواضحات، من إهلاك مَنْ كَفَرَ بهم، ونجاة مَنْ صدقهم، فقال: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: بأفهامهم وعقولهم ونظريهم وسماع أخبار الماضين؛ ولهذا قال: ﴿فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الَّذِيْنَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ أي: كانت الأمم الماضية والقرون السالفة أشد منكم أيها الميموث إليهم محمد ﷺ وأكثر أموالاً وأولاداً، وما أوتيتم معشار ما أوتوا، ومُتَنَوَّاهَا في الدنيا تمكيتاً لم تبلغوا إليه، وعُتِمُوا فيها أعباراً طوالاً، فعمروها أكثر منكم، واستغلوها أكثر من استغلالكم، ومع هذا لما جاءتهم رسلهم بالبينات وفرحوا بها أوتوا، ﴿أَخَذَهُمُ اللّٰهُ بِذُنُوْبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِّنَ اللّٰهِ مِن وَّاقٍ﴾ [غافر: ٢١]، ولا حالت أموالهم ولا أولادهم بينهم وبين بأس الله، ولا دفعوا عنهم مثقال ذرة، وما كان الله ليظلمهم فيما أحل بهم من العذاب والنعكال.

قوله: ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُوْنَ﴾ أي: وإنما أتوا من أنفسهم؛ حيث كذبوا بآيات الله، واستهزؤوا بها، وما ذاك إلا بسبب ذنوبهم



(٢) الْحِلْيَةُ: تَحْلِيَّتُكَ وجه الرجل إذا وصفته، وحلية الرجل: صورته يَكْسُرُ الحاءَ لَا غير. [كتاب العين، وجمهرة اللغة، مادة (حلى)].



## ● الوقفات التدريبية

١ ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾

يذكر فيها خلقه الأشياء وأضدادها، يبدل خلقه على كمال قدرته، فمن ذلك إخراج النبات من الحب والحب من النبات، والبيض من الدجاج والدجاج من البيض، والإنسان من النطفة والنطفة من الإنسان، والمؤمن من الكافر والكافر من المؤمن. ابن كثير: ٢٧٧/٣.

السؤال: ما الذي يستفاد من إخبار الله عن خلقه الأشياء وأضدادها؟

٢ ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾

جعل بين الزوجين المودة والرحمة فهما يتوآدان ويتراحمان، وما شيء أحب إلى أحدهما من الآخر، من غير رحم بينهما. (إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) في عظمة الله وقدرته. البغوي: ٤٩١/٣.

السؤال: بين عظيم إنعام الله تعالى بجعل المودة والرحمة بين الزوجين.

٣ ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخَلْقَ الْبَشَرِ وَالْزَيْتِ﴾

ومن عنايته بعباده ورحمته بهم أن قدر ذلك الاختلاف - اختلاف الأنسنة والألوان - للابق التناوب؛ فيحصل الاضطراب، ويفوت كثير من المقاصد السعدية: ٦٣٩.

السؤال: في اختلاف الأنسنة والألوان بيان لرحمة الله عند المتفكرين، ما وجه ذلك؟

٤ ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخَلْقَ الْبَشَرِ وَالْزَيْتِ﴾

جميع اهل الأرض، بل اهل الدنيا منذ خلق الله آدم إلى قيام الساعة؛ كل له عينان وحاجبان وأنف وجبين وفم وخدان، وليس يشبه واحد منهم الآخر، بل لا يد أن يفارقه بشيء من السمات أو الهيئة أو الكلام - ظاهرا كان أو خفيا - يظهر عند التأمل؛ كل وجه منهم أسلوب بذاته، وهيئته لا تشبه أخرى. ابن كثير: ٢٧٩/٦.

السؤال: إذا تأملت أنواع البشر في خلقهم، فماذا تستفيد من ذلك؟

٥ ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخَلْقَ الْبَشَرِ وَالْزَيْتِ﴾

(واختلاف السننكم والوانكم): اللسان في الضم، وفيه اختلاف اللغات من: العربية، والعجمية، والتركية، والرومية. واختلاف الألوان في الصور من: البياض، والسواد، والحمرة؛ فلا تكاد ترى أحدا إلا وانت تفرق بينه وبين الآخر، وليس هذه الأشياء من فعل النطفة، ولا من فعل الأبوين، فلا بد من فاعل، فعمل أن الفاعل هو الله تعالى، فهذا من أدل دليل على المدبر الباري. القرطبي: ٤١٣/٦.

السؤال: على ماذا يدل اختلاف الأنسنة والألوان؟

٦ ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَاشِكُ بَالٍ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُسْمِعُونَ﴾

وفي اقتران الفضل بالابتغاء إشارة إلى أن العبد ينبغي أن لا يرى الرزق من نفسه ويحذره، بل يرى كل ذلك من فضل ربه جل وعلا. الألوسي: ٣٣/١١.

السؤال: ما الذي يفيد اقتران الفضل بالابتغاء في قوله: (وابتغواكم من فضله)؟

٧ ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمَا يَفِيءُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾

ونيط الانتفاع بهذه الآيات بأصحاب صفة العقل؛ لأن العقل المستقيم غير المشوب بعاثة العناد والمكابرة كاف في فهم ما في تلك المذكورات من الدلائل والحكم. ابن عاشور: ٧٩/٢١.

السؤال: لماذا جعل الانتفاع في الآية الكريمة خاصا بأهل العقول؟

وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُخَضَّرُونَ ﴿٥٥﴾ فَسُبْحَنَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿٥٦﴾ وَلَهُ الْحَكْمُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعِشْيَا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿٥٧﴾ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿٥٨﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخَلْقَ الْبَشَرِ وَالْزَيْتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَاشِكُ بَالٍ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُسْمِعُونَ ﴿٦٢﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
مُخَضَّرُونَ	مُحْمَرُونَ.
تُظْهِرُونَ	تَدْخُلُونَ وَقْتَ الظُّهْرِ.
لِلْعَالَمِينَ	جَمْعُ عَالَمٍ، وَهُمْ ذُو الْعِلْمِ وَالْبَصِيرَةِ.
وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ	طَلْبُكُمْ لِلرِّزْقِ فِي النَّهَارِ.
خَوْفًا وَطَمَعًا	تَخَافُونَ مِنَ الصُّوَابِقِ، وَتَطْمَعُونَ فِي الْغَيْثِ.

## ● العمل بالآيات

١. قل: (سبحان الله ويحمده) مائة مرة في المساء، أو الصباح، أو العشي، أو الظهر، أو فيها جميعا، ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ ﴿٥٥﴾ وَلَهُ الْحَكْمُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعِشْيَا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾.
٢. بادر بحفظ ما لم تحفظه من اذكار الصباح والمساء، ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾.
٣. ساعد والديك في تقديم كل منهما هدية للآخر؛ تودداً وتحبباً، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

## ● التوجيهات

١. من أصول التربية: النوايا والعقاب، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾.
٢. ذكر الله يكون طوال اليوم، ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ ﴿٥٥﴾ وَلَهُ الْحَكْمُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعِشْيَا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾.
٣. سبحان من يدرك الأصوات على اختلاف اللغات، فيلبي الحاجات ويتجاوز عن الزلات، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخَلْقَ الْبَشَرِ وَالْزَيْتِ﴾.



## ● الوقفات التدريبية

﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَتْ عَلَيْهِ وَلَهُ النُّسْخُ الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾

ومن جملة النسخ الأعلى: عزته وحكمته تعالى؛ فخصاً بالذكر هنا لأنهما الصفاتان اللتان تظهر آثارهما في الغرض المتحدث عنه؛ وهو: بدء الخلق وإعادة: فالعززة تقتضي الغنى المطلق، فهي تقتضي تمام القدرة، والحكمة تقتضي عموم العلم، ابن عاشور: ٨٤/٢١.

السؤال: لماذا خصت صفاتاً (العزير الحكيم) بالذكر في الآية الكريمة؟

﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَتْ عَلَيْهِ ﴾

(وهو) أي: الإعادة للخلق بعد موته. (أهون عليه) من ابتداء خلقهم؛ وهذا بالنسبة إلى الأذهان والعقول؛ فإذا كان قادراً على الابتداء الذي يُعزرون به؛ كانت قدرته على الإعادة أهون وأولى. السعدي: ٦٤.

السؤال: أسلوب الرد العقلي مستخدم في القرآن، وضح من خلال هذه الآية.

﴿ كَذَلِكَ نَقُصِّلُ الْأَيَّاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾

والقوم الذين يعقلون هم المنتزهون عن الكابرة والإعراض، والطالبون للحق والحقائق لوفرة عقولهم، فيزداد المؤمنون يقيناً، ويؤمن الغافلون والذين تروج عليهم ضلالات المشركين ثم تنكشف عنهم بمثل هذه الدلائل البينة... وفي هذا تعريض بالمصلين في شركهم بأنهم ليسوا من أهل العقول، وليسوا ممن ينتفعون. ابن عاشور: ٨٧/٢١.

السؤال: بين من خلال الوقفة أهم أوصاف العقلاء.

﴿ كَذَلِكَ نَقُصِّلُ الْأَيَّاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾

وأما من لا يعقل؛ فهو مُفْصَلٌ له الآيات، ويُنْبِت له البينات، ثم يكن له عقل يبصر به ما تبين، ولا يُبْ يعقل به ما توضح؛ فأهل العقول والألباب هم الذين يساق إليهم الكلام، ويوجه الخطاب. السعدي: ٦٤.

السؤال: لماذا حُصَّ العقلاء بالخطاب؟

﴿ فَأَيُّ وَجْهٍ لِلَّذِينَ حِينِمْ فُطِرَ اللَّهُ إِلَيْهِ فُطْرَ النَّاسِ عَلَيْهِ لَا يَبْدِلُ لِيَخْلُقَ اللَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

وصف الإسلام بأنه فطرة الله معناه: أن أصل الاعتقاد فيه جار على مقتضى الفطرة العقلية، وأما تشريعاته وتفاصيله فهي: إما أمور فطرية أيضاً؛ أي: جارية على وفق ما يدركه العقل ويشهد به، وإما أن تكون لصالحه مما لا ينافي فطرته. ابن عاشور: ٩١/٢١.

السؤال: ما معنى وصف الإسلام بالفطرة؟

﴿ مُنْبِئِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوا وَأَمْسِكُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾

﴿ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيْعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾

فإذا اختلفوا في أمور الدين الاختلاف الذي يقتضيه اختلاف الاجتهاد، أو اختلفوا في الآراء والسياسات لاختلاف العوائد؛ فليحذروا أن يجرحهم ذلك الاختلاف إلى أن يكونوا شيعاً متعددين متفرقين. ابن عاشور: ٩٦/٢١.

السؤال: ما الفائدة التي يستفيد بها المسلمون من ذم تفرق أهل الكتاب؟

﴿ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيْعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾

(شيعاً) أي: فرقة متحالفين؛ كل واحدة منهم تشجع من دان بدينها على من خالفهم؛ حتى كثر بعضهم بعضاً، واستباحوا الدماء والأموال، ففعل قطعاً أنهم كلهم ليسوا على الحق. (فرحون) ظناً منهم أنهم صادفوا الحق، وفازوا به دون غيرهم. الباقي: ٩١-٩٠/١٥.

السؤال: وضع من خلال الآية خطر الاختراق في دين الله.

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿١٥﴾ وَلَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَنِينٌ ﴿١٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَتْ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٧﴾ صَرَبَ لَكُمْ مَقَاسًا مِّنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَّكُمْ مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْتَكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُهُمْ كَخِيفَتَكُمْ أَنْفُسُكُمْ كَذَلِكَ نَقُصِّلُ الْأَيَّاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٨﴾ بَلِ اسْتَعْجَلْنَا لَكُمْ أَمْوَالَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِّن نَّاصِرِينَ ﴿١٩﴾ فَأَقْرِبْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٠﴾ مُنْبِئِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوا وَأَمْسِكُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٢١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيْعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٢٢﴾

٤٠٧

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
فِطْرَةُ اللَّهِ	الزُّمُو دِينَ اللَّهِ، وَهُوَ الْإِسْلَامُ.
فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا	جَبَلَهُمْ وَطَبَعَهُمْ عَلَيْهَا.
الْقَيِّمُ	الْمُسْتَقِيمُ الْمَوْصِلُ إِلَى رِضَا اللَّهِ.
فَرَّقُوا دِينَهُمْ	بَدَّلُوا دِينَهُمْ وَغَيَّرُوهُ فَأَخَذُوا بِبَعْضٍ وَتَرَكُوا بَعْضًا.
شِيْعًا	فِرْقًا وَأَحْزَابًا.

## ● العمل بالآيات

- استفتح صلواتك بهذا الدعاء الثابت: «وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين» رواه مسلم، ﴿ فَأَقْرِبْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾.
- أهم الصلاة مع الجماعة بخشوع وطمانينة؛ لتحقيق الإيمان، ﴿ مُنْبِئِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوا وَأَمْسِكُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾.
- استمع بالله، وحذر من حولك من تفرق جماعة المؤمنين، ﴿ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيْعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾.

## ● التوجيهات

- الكون من حولك فانت، خاضع لله، فلا تكن من المعرضين الغافلين، ﴿ وَلَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَنِينٌ ﴾.
- كنبراً ما بين الله في كتابه أن سبب إعراض المعرضين هو اتباع الهوى، ﴿ بَلِ اسْتَعْجَلْنَا لَكُمْ أَمْوَالَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِّن نَّاصِرِينَ ﴾.
- من عادة المشركين الافتراق؛ فاحذر من مشابهمهم، ﴿ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ﴿ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيْعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾.



ولهذا قال: ﴿وَمَا آتَيْنَاهُ مِنْ دَكَّوْنٍ تَرِيْدُونَ وَمَا اللَّهُ فَاُولَئِكَ هُمُ الضَّعِيفُونَ﴾ أي: الذين يضاعف الله لهم الثواب والجزاء، كما جاء في الصحيح: «وما تصدق أحد بعدل ثمرة من كسب طيب إلا أخذها الرحمن بيمينه، فثريبها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه أو فضيله، حتى تصير الثمرة أعظم من أخذ» [متفق عليه].

الآية (٤٠): ﴿قوله تَبَّكَ﴾: «اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ» أي: هو الخالق الرازق، يخرج الإنسان من بطن أمه عرباناً، لا علم له ولا سمع ولا بصر ولا قوًى، ثم يرزقه جميع ذلك بعد ذلك، والرياش واللباس والمال والأموال والمكاسب. «ثُمَّ يُنْشِئُكُمْ» أي: بعد هذه الحياة، «ثُمَّ يُخَيِّبُكُمْ» أي: يوم القيامة. قوله: «هَذَا مِنْ شُرَاكَيْكُمْ» أي: الذين تعبدونهم من دون الله «فَنَنْقُلُكُمْ مِنْ ذَلِكَ مَنَ قَبْلُ» أي: لا يقدر أحد منهم على فعل شيء من ذلك، بل الله سبحانه وتعالى هو المستقل بالخلق والرزق، والإحياء والإماتة، ثم يبعث الخلائق يوم القيامة؛ ولهذا قال بعد هذا كله: «سَنُحْيِيكُمْ وَنُقَلِّلُكُمْ عَنَّا يُتَرَكُونَ» أي: تعالى وتقدس وتنزه وتعظم وجل وعز عن أن يكون له شريك أو نظير أو شسوي، أو ولد أو والد.

الآية (٤١): ﴿قال ابن عباس: المراد بالبر: الفياضي، وبالبحر: الأمصار والقرى. وقال آخرون: بل المراد بالبر: هو البر المعروف، وبالبحر: البحر المعروف. وقال زيد بن رُقيع: «ظَهَرَ الْفَسَادُ» يعني: انقطاع المطر عن البر يعقبه القحط، وعن البحر تعمى دوابه. وعن مجاهد قال: فساد البر: قتل ابن آدم، وفساد البحر: أخذ السفينة غصباً. وقال عطاء الخراساني: المراد بالبر: ما فيه من المدن والقرى، وبالبحر: جزائره. والقول الأول أظهر، وعليه الأكثر، ويؤيده ما ذكره محمد بن إسحاق: أن رسول الله ﷺ صالح ملك أيلة، وكتب إليه ببحره، يعني: ببلده. ومعنى: «ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ» أي: بأن النقص في الثمار والزروع بسبب المعاصي. وقال أبو العالية: من عصى الله في الأرض فقد أفسد في الأرض؛ لأن صلاح الأرض والسوء بالطاعة؛ ولهذا إذا نزل عيسى عليه السلام في آخر الزمان فحكم بهذه الشريعة المطهرة في ذلك الوقت، فلا يقبل إلا الإسلام أو السيف، فإذا أهلك الله في زمانه الدجال وأتباعه ويأجوج ومأجوج، قيل للأرض: أخرجي بركاتك. فيأكل من الرمانة الفثام من الناس، ويستظلون بقحفها، ويكفي لبن اللقحة الجماعة من الناس. وما ذاك إلا بركة تنفيذ شريعة رسول الله ﷺ، فكلما أقيم العدل كثرت البركات والخير. ولهذا ثبت في الصحيح: «إن الفاجر إذا مات تستريح العباد والبلا، والشجر والدواب» [متفق عليه]. قوله: ﴿لِيَذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا﴾ أي: يتلهم بنقص الأموال والأنفس والثمرات، اختبأ منه، ومجازاة على صنيعهم، «لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ» أي: عن المعاصي؛ كما قال تعالى: ﴿وَيُؤْتِيهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٨].

الآية (٣٣-٣٥): يقول تعالى مخبراً عن الناس أنهم في حال الاضطراب يدعون الله وحده لا شريك له، وأنه إذا أسبغ عليهم النعم إذا فريق منهم في حالة الاختيار يشركون بالله، ويعبدون معه غيره. قوله: ﴿يَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ هي لام العاقبة عند بعضهم، ولام التعليل عند آخرين، ولكنها تعليل لتقيض الله لهم ذلك. ثم توعدهم بقوله: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ قال بعضهم: والله لو توعدني حارس دزب لحقت منه، فكيف والمتوعد ههنا الذي يقول للشيء: «كن»، فيكون! ثم قال تعالى منكراً على المشركين فيما اختلقوه من عبادة الأوثان بلا دليل ولا حجة ولا برهان: «أَمْ أَنْزَلْنَاهُمْ شُلُطَنًا» أي: حجة، «فَهُوَ يَنْكُرُ» أي: ينطق: ﴿يَسْأَلُونَكَ بِهِ بِمَا تُنْكِرُونَ؟﴾ وهذا استفهام إنكار، أي: لم يكن لهم شيء من ذلك.

الآية (٣٦-٣٧): ﴿قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ مِثْقَلُ ذَرَّةٍ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ يُسَاءَلُوهَا وَإِنْ تَصِيبُهُمْ مِثْقَلُ ذَرَّةٍ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَرْضَوْنَ﴾﴾ هذا إنكار على الإنسان من حيث هو إلا مَنْ عَصَمَهُ الله ووفقه؛ فإن الإنسان إذا أصابته نعمة بطير وقال: ﴿ذَهَبَ السَّيِّئَاتِ عَنِّي إِنَّهُ لَمَرْجٌ فَخَرُّ﴾ [مرد: ١٠٠]، أي: يفرح في نفسه ويفخر على غيره، وإذا أصابته شدة قُطِعَ وأيس أن يحصل له بعد ذلك خير بالكآبة! قال الله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [مرد: ١١]، أي: صبروا في الضراء، وعملوا الصالحات في الرخاء، كما ثبت في الصحيح: «عجباً للمؤمن، لا يقضي الله له قضاء إلا كان خيراً له، إن أصابته سرء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له» [رواه مسلم]. قوله تعالى: ﴿وَأَوَّلَ يُبَْرَأْ أَنَّ اللَّهَ يَبْطِئُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ أي: هو المتصرف الفاعل لذلك بحكمته وعدله، فيوسع على قوم ويضيق على آخرين، ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

الآية (٣٨): ﴿يقول تعالى أمراً بإعطاء ذي ﴿الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾﴾ أي: من البر والصلة «وَالْيَتَامَى» وهو الذي لا شيء له ينفع عليه، أو له شيء لا يقوم بكفايته، «وَالْيَتَامَى» وهو المسافر المحتاج إلى نفقة وما يحتاج إليه في سفره. «ذَلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ» أي: النظر إليه يوم القيامة، وهو الغاية القصوى، «وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» أي: في الدنيا وفي الآخرة.

الآية (٣٩): ﴿قوله: ﴿وَمَا آتَيْنَاهُ مِنْ رَبٍّ لَّا يَزِيدُو فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَزِيدُوا عِنْدَ اللَّهِ﴾﴾ أي: من أعطى عطية يريد أن يرد الناس عليه أكثر مما أهدى لهم، فهذا لا ثواب له عند الله - بهذا فسر ابن عباس - وهذا الصنيع مباح، وإن كان لا ثواب فيه، إلا أنه قد بُيِّه عنه رسول الله ﷺ خاصة. قاله الضحاك، واستدل بقوله: ﴿وَلَا تَسْأَلْهُنَّ شَيْئًا﴾ [النساء: ٦] أي: لا تُعطِ العطاء تريد أكثر منه. وقال ابن عباس: الربا رباءان: قريباً لا يصح، يعني: ربا البيع. ورباً لا بأس به، وهو هدية الرجل يريد فضلها وأضعافها. ثم تلا: ﴿وَمَا آتَيْنَاهُ مِنْ رَبٍّ لَّا يَزِيدُو فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَزِيدُوا عِنْدَ اللَّهِ﴾. وإنما الثواب عند الله في الزكاة.



## ● الوقفات التدريبية

﴿ وَإِذَا مَسَّ النَّاسُ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاهُمْ رَحْمَةً ﴾  
﴿ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يَشْكُرُونَ ﴾

أي: إذا مس هؤلاء الكفار ضر من مرض وشدة دعوا ربهم؛ أي: استغاثوا به في كشف ما نزل بهم، مقبلين عليه وحده دون الأصنام؛ تعلمهم بأنه لا فرج عندها. (ثم إذا أذهاهم منه رحمة): أي: عافية ونعمة، (إذا فريق منهم بربهم يشكرون): أي: يشكرون به في العبادة. القرطبي: ١٦/٣٣. السؤال: بين كيف عاب الله تعالى على من يذكره في الشدة وينساه في الرخاء.

﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَمْزُقُونَ يَدَايَهُمْ وَإِنَّا لَهُمْ بِقَاطِرُونَ ﴾

انظر كيف قال هنا: (وإذا)، وقال في الشر: (وان تصيبهم سيئة): لأن (وإذا) للقطع بوقوع الشرط، بخلاف (إن)، فإنها للشك في وقوعه، فهي ذلك إشارة إلى أن الخير الذي يصيب به عباده أكثر من الشر. ابن جزي: ٢/١٦٩.

السؤال: ما وجه الدلالة في الآية على أن الخير الذي يصيب العباد أكثر من الشر؟  
﴿ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَمْزُقُونَ يَدَايَهُمْ وَإِنَّا لَهُمْ بِقَاطِرُونَ ﴾

ولما كانت المصائب مسببة عن الذنوب، قال منها لها على ذلك منكر فأنوطهم وهم لا يرجعون عن المعاصي التي عوقبوا بسببها. (بما قدمت أيديهم). البقاعي: ٩٥/١٥.

السؤال: عدد بعض الآثار المترتبة على الذنوب.

﴿ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَمْزُقُونَ يَدَايَهُمْ وَإِنَّا لَهُمْ بِقَاطِرُونَ ﴾

قوله (بما قدمت أيديهم) لتنبئهم إلى أن ما يصيبهم من حالة سيئة في الدنيا إنما سببها أفعالهم التي جعلها الله أسبابا لمصائب مؤثرة، لا يحيط بأسرارها ودقائقها إلا الله تعالى، فما على الناس إلا أن يحاسبوا أنفسهم ويجروا أسباب إصابتهم السيئات، ويتداركوا ما فات، فذلك أنجى لهم من السيئات وأجدر من القنوط. وهذا أدب جليل من آداب التنزيل؛ قال تعالى: (ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك) (النساء: ٧٩). ابن عاشور: ٢١/١٠١.

السؤال: ما سبب المصائب التي تصيب الإنسان في الدنيا؟

﴿ وَمَا أَتَيْنَاهُمْ مِنْ زَلْزَلَةٍ إِلَّا هِيَ زُلْزُلَةٌ أَلْهَمْنَا لِلنَّاسِ فَلاَ يَرَوْنَ عَذَابَ اللَّهِ وَوَمَا أَتَيْنَاهُمْ مِنْ زَكَاةٍ يُرِيدُونَ وَبِهِ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴾

قال الشعبي: معنى الآية: أن ما خدم الإنسان به أحدا وخف له لينتفع به في دنياه، فإن ذلك النفع الذي يجزي به الخدمة لا يربو عند الله القارطي: ١٦/٤٣٨.

السؤال: هل يثاب العبد على إعانته لأحد إذا كان يرجو بها الثواب الدنيوي فقط؟

﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾

فسبحان من أنعم ببلانه، وتفضل بمقوبته، وإلا فلو أذاهم جميع ما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة. تفسير السعدي: ٦٤٣.

السؤال: حتى في البلاء نعمة وفضل من الله سبحانه وتعالى فما وجه ذلك؟

﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ ﴾

فظهر الفساد في البر والبحر، والفتن، وشبه ذلك، وظهور الفساد في البحر بالفرق، وقلعة الصيد، وكساد التجارات، وشبه ذلك، وكل ذلك بسبب ما يفعله الناس من الكفر والعصيان. ابن جزي: ٢/١٦٩.

السؤال: ما علامات ظهور الفساد؟ وما سببه؟

وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاهُمْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّهِمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يَشْكُرُونَ ﴿١﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ فَتَسْتَحْمُوا فَتُغْفَرُونَ ﴿٢﴾ أَمْ أَنتَ أَعْلَمُ بِمَا عَلَّمْنَاهُمْ فَهُمْ يَخْلَعُونَ عَنْكَ الْحُكْمَ وَيَكْفُرُونَ بِمَا كُنتَ تَكْفُرُونَ ﴿٣﴾ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَمْزُقُونَ يَدَايَهُمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٤﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥﴾ فَتَاتَ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٦﴾ وَمَا ءَاتَيْنَاهُمْ مِنْ زَكَاةٍ يُرِيدُونَ فِي أَهْلِ النَّاسِ فَلَا يَرَوْنَ عُذْرَ اللَّهِ وَمَا ءَاتَيْنَاهُمْ مِنْ زَكَاةٍ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴿٧﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَرَزَكُمْ فَمُنِيبُكُمْ فَرِيضٌ يَكْتُمُ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَن يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ مَن شَاءَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٨﴾ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٩﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
يَقْنَطُونَ	يَيْأَسُونَ مِنْ زَوَالِ الْبَلَاءِ
يَبْسُطُ	يُوسِعُ
وَيَقْدِرُ	يُضَيِّقُ
رَبًّا	قَرَضًا مِنَ الْمَالِ بِقَصْدِ الرَّبِّ الْمُحَرَّمِ
لِيُرِيَهُ	لِيُزَيِّدَ

## ● العمل بالآيات

١. زُر أحد أقاربك، أو اتصل به، واطمئن على حاله، ﴿ فَتَاتَ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾. تصدق على مسكين، أو ادهه إلى منزله، وأحسن ضيافته، ﴿ فَتَاتَ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾.
٢. أرسل رسالة تبين فيها أضرار الربا، أو المعاصي الاجتماعية، وغيرها، ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾.

## ● التوجيهات

١. حكمة الله، وتدبيره في الرزق: توسعة وتقليلاً، وإدراك ذلك خاص بالمؤمنين، ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾. عليك بالإخلاص في نفقاتك، فليس كل صدقة مقبولة، ﴿ وَمَا أَتَيْنَاهُمْ مِنْ زَكَاةٍ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴾.
٢. إذا رايت مصيبة وقعت، أو كوارث قد حلت، فتذكر دنيا وقع قبلها، ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾.



## ● الوقفات التدريبية

﴿ قُلْ مِيرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾

والأمر بالسير في الأرض يدخل فيه السير بالأبدان، والسير في القلوب:  
للنظر والتأمل بعواقب المتقدمين. السعدي: ٦٤٣.

**السؤال: هل السير في الأرض للتأمل مقتصر على السفر؟**

﴿فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ﴾  
 فاحذروا أن تعقلوا هؤلاء، يُحَذِّى بِكُمْ حَنُومَهُمْ؛ فَإِنَّ عَدْلَ اللَّهِ وَحُكْمَهُ فِي  
 كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ السَّعْدِيُّ: ٦٤٣.

**السؤال: ما الذي يفيد الإنسان من تأمل عاقبة من قبله؟**

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانُوا أَكْثَرُهم مُّشْرِكِينَ ۝﴾

وقوله تعالى: (كان أكثرهم مشركين) استئناف للدلالة على أن الشرك وحده لم يكن سبب تدمير جميعهم، بل هو سبب للتدمير في أكثرهم، وما دونه من المعاصي سبب له في قليل منهم. وجوز أن يكون للدلالة على أن سوء عاقبتهم لنفوس الشرك وغلبته فيهم؛ ففيه تهويل لأمر الشرك بأنه فتنة لا تصيب الذين ظلموا خاصة. الألوسي: ٤٩/١١.

السؤال: ما أسباب هلاك الأمم؟ وما أعظمها؟

﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾

ومع هذا هو العادل فيهم؛ الذي لا يجور. ابن كثير: ٤٢٠/٣.

**السؤال: هل يترقب على عدم المحبة تسويغ الظلم؟**

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيَذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ ﴾  
 فَيُنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ مَطَرًا تَحْيَا بِهِ الْبِلَادَ وَالْعِبَادَ، وَتَذُقُونَ مِنْ  
 رَحْمَتِهِ مَا تَعْرِفُونَ أَنَّ رَحْمَتَهُ هِيَ الْمُنْقَذَةُ لِلْعِبَادِ، وَالْجَالِبَةُ الْأَرْزَاقَ؛  
 فَتَشْتَاقُونَ إِلَى الْإِكْثَارِ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الْفَاتِحَةِ لِحَزَائِنِ الرَّحْمَةِ.  
 السعدي: ٦٤٣.

**السؤال : كيف يتأثر المسلم عندما يتذوق رحمة الله سبحانه وتعالى؟**

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَآمَنُوا ثُمَّ بِالْإِسْنَةِ فَنَنْقِمْنَا مِنْ الَّذِينَ أُجْرِمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

(وكان حقاً علينا نصر المؤمنين) وإنجاهم من العذاب؛ ففي هذا تبشير للنبي ﷺ بالظفر في العقوبة والنصر على الأعداء؛ قال الحسن: إنجاهم مع الرسل من عذاب الأمم. البغوي: ٥٠٠/٣.

السؤال: هل تسلط أهل الباطل لزمنٍ طويل يسوغ للمؤمن اليأس؟ وضح هذا من الآيت.

﴿ ١٧ ﴾ وَلَئِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ أَنْ يَنْزَلَ عَلَيْهِمْ الْقُرْآنُ لَمُبْسِدِينَ ﴿١٨﴾ فَانظُرْ إِلَىٰ  
مَآثِرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمَعْلَمٌ لِّلْمُؤْمِنِ  
وَعُو عَلَىٰ كُلِّ قَدِيرٍ ﴿١٩﴾

(من قبله): كرر للتأكيد، وليزيد سرعة تقلب قلوب الناس من القنوط إلى الاستيثار. ابن جزى: ١٧٠/٢.

السؤال: ما السر في مجيء (من قبل)، ثم مجيئها مرة أخرى: (من قبله) في الآية نفسها؟

قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ  
كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ ﴿٥٠﴾ فَأَوْرَثَهُمْ بَنِيهِمْ وَجِثَّهُمْ لِلَّذِينَ الْقَرِيبِينَ  
قَبِيلٌ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنْ اللَّهِ يَوْمَ يُبَدِّلُ بَصْدَعُونَ ﴿٥١﴾ مَنْ  
كَفَرَ فَلَيْسَ لَهُ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نُفْسُهُ لَهُ يَوْمَئِذٍ ﴿٥٢﴾  
لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ  
الْكَافِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَنْ آيِسْتُمْ أَنْ يَرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلَيَذَّاقَكُمْ  
مِنْ زَجْرِهِ وَلَيَجْزِيَ الْفُلُكَ بِأَمْرِهِ وَلَيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ  
تَشْكُرُونَ ﴿٥٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا فِي قَوْمِهِ فَأَخَذَهُمْ  
بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَفَعْتُمُ الْآيَاتِ أَخْرَجُوا أَرْكَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ تَضُرَّ  
الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُخْرِجُ مِنْهَا بَارِقَاتٍ يَسْفُطُ  
فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ رُسُفًا فَتَرَى الْوَدَّ يَخْجُجُ مِنْ  
خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مِنْ يَسَاءٍ مِنْ عِبَادِنَا ذُحُرُوا وَيَسْتَبِشِرُونَ ﴿٥٦﴾  
وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ فَقِيلِهِ لِمُتَّبِعِينَ  
﴿٥٧﴾ فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُخْرِجُ الْأَرْضَ بِعَدَّتِهَا  
إِنْ ذَلِكَ لَمُنْجَى الْمُؤْمِنِينَ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٨﴾

## معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
لَا مَرَدَّ لَهُ	لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى رَدِّهِ.
يَصْدَعُونَ	يَتَفَرَّقُ الْخَلَائِقُ أَشْتَاتًا، ثُمَّ مَأْلُهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ، أَوْ النَّارِ.
يَمْهَدُونَ	يُهَيِّئُونَ مَنَازِلَهُمْ فِي الْجَنَّةِ.
فَتْتِيرُ	تُحَرِّكُ، وَتَسْخَرُ.
كَسَفًا	قِطْعًا مُنْقَرَعَةً.

## ● العمل بالآيات

١. اكتب رسالة عن الاستقامة وأهميتها، وارسلها إلى زملائك، ﴿ فَأَقْرَأَ وَجَعَلَ لِلَّذِينَ  
الْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمَ لَا مَدْرَ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَ يُؤْذَى مُبْذَعُونَ ﴾.
٢. إذا رأيت ريحاً أو صحاباً فقل ما ورد في السنة: «اللهم إني أسألك خيرها، وخير  
ما فيها، وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها، وشر ما فيها، وشر ما أرسلت  
به». وَمِنْ مَائِنَتِهِ: أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبْتَرِينَ وَلِيَذْبُكَنَّ مِنْ رَحْمَتِهِ.
٣. تأمل ثلاثاً من آثار رحمة الله عليك وعلى من حولك، ثم اشكر الله تعالى، ﴿ فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُخَيِّ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾.

## ● التوجيهات

١. الجزء من جنس العمل، ﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نُفْسِهِمْ يَهْدُونَ ﴿١﴾.
٢. اعلم أن ثواب الله تعالى لعباده المؤمنين اعظم وأكبر مما عملوه؛ فهو يجازيهم بفضله ورحمته الواسعة، ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾.
٣. إياك والياس؛ فإن الله ناصر دينه، ﴿وَكَانَ سَعَاءَ عَيْنًا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

الآية (٤٢): قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ﴾، أي: من قبلكم، ﴿كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ﴾ أي: فانظروا ماذا حلَّ بهم من تكذيب الرسل وكفر النعم.

الآية (٤٣-٤٥): يقول تعالى أمراً عباده بالمبادرة إلى الاستقامة طاعته، والمبادرة إلى الخيرات: ﴿فَأَقْصِرْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَاسِمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ بَوْمٌ لَا مَرَدَ لَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ أي: يوم القيامة، إذا أراد كونه فلا راد له، ﴿وَيَوْمَ يُصْذَقُونَ﴾ أي: يتفرون، ففرق في الجنة وفرق في السعير.

ولهذا قال تعالى: ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَن عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسَ يَمَنَّهُدُونَ﴾ (١١) لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِن فَضْلِهِ﴾ أي:

يجازيهم مجازاة الفضل: الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعةائة ضعف، إلى ما يشاء الله، ﴿وَإِنَّهُ لَا يُحِيطُ بِكَافِرِينَ﴾ ومع هذا هو العادل فيهم، الذي لا يجور.

الآية (٤٩-٥٠): قوله تعالى: ﴿وَلَن كَانُوا مِن قَبْلِ أَن يُنْزَلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِ لَمَلِيحِينَ﴾ معنى الكلام: أن هؤلاء القوم الذين أصابهم هذا

المطر كانوا قتيطين أزلين من نزول المطر إليهم قبل ذلك، فلما جاءهم، جاءهم على فاقة، فوقع منهم موقماً عظيماً.

ثم تَبَّ بذلك على إحياء الأجساد بعد موتها وتفرقها وتمزقها، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَمُنْجَى الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ أي: إن الذي فعل ذلك لقادر

على عليم من النعم الظاهرة والباطنة، التي لا تعد ولا تحصى.

الآية (٤٧): ثم قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَنفَقْنَا مِنَ الَّذِينَ جَاءَهُمْ هَذِهِ تَسْلِيَةٌ لِّعِبَادِهِ

ورسوله محمد ﷺ بأنه وإن كذَّب كثير من قومه ومن الناس، فقد كُذِّبَت الرسل المتقدمون مع ما جاوزوا أئمتهم به من الدلائل الواضحات، ولكن الله انتقم ممن كذبهم وخالفهم، وأنجى المؤمنين بهم. ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: هو حق أوجب على نفسه الكريمة، تكريمًا وتفضلاً؛ كقوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ (الأنعام: ٥٤).

الآية (٤٨): بين تعالى كيف يخلق السحاب الذي ينزل منه الماء

فقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾، إما من البحر على ما ذكره غير واحد، أو مما يشاء الله ﷻ، ﴿فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ أي: يُمَدُّه فيكثره وينمي، ويجعل من القليل كثيراً، ينشئ سحابة فتزى في رأي العين مثل الترس، ثم يبسطها حتى غلّا أرجاء الأفق، وتارة يأتي السحاب من نحو البحر ثقلاً مملوء ماء؛ كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيِّنَاتٍ يَدُّ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا فَقَالَ سَفَنُهُ لِكُلِّ مَنِيَةٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتُ لِكُلِّ مَن كَفَرْتُمْ﴾ (الأعراف: ٥٧)، وكذلك قال ههنا: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي



الآية (٥٢-٥٣): يقول تعالى: كما أنك ليس في قدرتك أن تسمع الأموات في أجدانها، ولا تبلغ كلامك الصُّم الذين لا يسمعون، وهم مع ذلك مُذْبرون عنك، كذلك لا تقدر على هداية العميان عن الحق، ورَّدهم عن ضلالتهم، بل ذلك إلى الله تعالى؛ فإنه بقدرته يُسْمِعُ الأموات أصوات الأحياء إذا شاء، ويهدي من يشاء، ويضل من يشاء، وليس ذلك لأحد سواه؛ ولهذا قال تعالى: ﴿إِنْ تَسْمِعْ إِلَّا مَنْ يُؤْمِرُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْمِعُونَ﴾ أي: خاضعون مستحيون مطيعون، فأولئك هم الذين يستمعون الحق ويتبعونه، وهذا حال المؤمنين والأول مثل الكافرين؛ كما قال: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتُ يَسْمِعُهُمْ اللَّهُ ثُمَّ يُفَارِجُ عَنْهُمْ﴾ [الأنعام: ٣٦]. وقد استدلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بهذه الآية: ﴿فَإِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتُ﴾ على توهيم عبد الله بن عمر في روايته مخاطبة النبي ﷺ القتل الذي أُلِّقوا في قلب بدر بعد ثلاثة أيام، ومعابته إياهم وتقريعه لهم، حتى قال له عمر: يا رسول الله، ما تخاطبُ من قوم قد جُفِّقُوا؟ فقال: «والذي نفسي بيده، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكن لا يجيبون» [متفق عليه]. وتأولته عائشة على أنه قال: «إنهم الآن ليعلمون أنَّ ما كنت أقول لهم حق» [متفق عليه]. وقال قتادة: أحياهم الله حتى سمعوا مقالته توبيحًا ونقمة. والصحيح عند العلماء رواية ابن عمر؛ لما لها من الشواهد على صحتها من وجوه كثيرة، من أشهر ذلك ما رواه ابن عبد البر مصححًا له عن ابن عباس مرفوعًا: «ما من أحد يمر بقبر أخيه المسلم، كان يعرفه في الدنيا، فيسلم عليه، إلا رد الله عليه روحه، حتى يرد عليه السلام». وثبت عنه ﷺ أن الميت يسمع قرع نعال المشيعين له، إذا انصرفوا عنه [رواه البخاري ومسلم]. وقد شرع النبي ﷺ لأمته إذا سلَّموا على أهل القبور أن يسلموا عليهم سلام من يخاطبونه فيقول المسلم: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين» [رواه مسلم]، وهذا خطاب لمن يسمع ويعقل، ولولا هذا الخطاب لكانوا بمنزلة خطاب المدوم والجهاد، والسلف مجمعون على هذا. وقد شرع السلام على الموتى، والسلام على من لم يشعر، ولا يعلم بالمسلم محال، وقد علَّم النبي ﷺ أمته إذا رأوا القبور أن يقولوا: «سلام عليكم أهل الديار من المؤمنين، وإنَّا إن شاء الله بكم لاحقون»، يرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين، نسأل الله لنا ولكم العافية» [رواه مسلم]، فهذا السلام والخطاب والنداء لموجود يسمع ويخاطب ويعقل ويرد، وإن لم يسمع المسلم الرد، والله أعلم.

الآية (٥٤): بنه تعالى على تنقل الإنسان في أطوار الخلق حالًا



## ● الوقفات التدبيرية

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾

وذكر وصف العلم والقدرة؛ لأن التطور هو مقتضى الحكمة؛ وهي من شؤون العلم. ابن عاشور: ١٢٨/٢١.

السؤال: ما مناسبة ختام الآية الكريمة بصفتي: (العليم القدير) ؟

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾

(خلقكم من ضعف) الضعف الأول: كون الإنسان من ماء مهين، وكونه ضعيفاً في حال الطفولية، والضعف الثاني الأخير الهرم. ابن جزي: ١٧١/٢.

السؤال: وضع ما المراد بالضعفين الواردين في الآية.

﴿يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِرُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾

يخبر تعالى عن جهل الكفار في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا فعلوا ما فعلوا من عبادة الأوثان، وفي الآخرة يكون منهم جهل عظيم أيضاً، فمنه: إقسامهم بالله أنهم ما لبثوا غير ساعة واحدة في الدنيا، ومقصودهم بذلك: عدم قيام الحجة عليهم، وأنهم لم ينظروا حتى يعذر إليهم. ابن كثير: ٤٢٤/٣.

السؤال: دلّت الآية على جهل الكفار في الدنيا والآخرة، بين ذلك.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثُوا فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمَ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

وعطف الإيمان على العلم للاهتمام به؛ لأن العلم بدون إيمان لا يرشد إلى العقائد الحق التي بها الفوز في الحياة الآخرة. ابن عاشور: ١٣١/٢١.

السؤال: لماذا عطف الإيمان على العلم في الآية الكريمة؟

﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾

أي: يختم (الله) الذي جلت عظمته، وعظمت قدرته (على قلوب الذين لا يعلمون) أي: لا يطلبون العلم، ولا يتحرون الحق، بل يصرون على خرافات اعتقدوها، وترهات ابتدعوها؛ فإن الجهل المركب يمنع إدراك الحق، ويوجب تكذيب الحق، ومن هنا قالوا: هو شر من الجهل البسيط.

الألوسي: ٦١-٦٠/١١.

السؤال: بين خطر عدم تحري الحق، والإصرار على الجهل.

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾

وهذا مما يعين على الصبر؛ فإن العبد إذا علم أن عمله غير ضائع، بل سيجهه كاملاً؛ فإن عليه ما يلقاه من المكاره، ويسر عليه كل عسير.

السعدي: ٦٤٦.

السؤال: لماذا ذكر الصبر قبل ذكر الله أن وعده حق؟

﴿وَلَا يَسْتَحْجَنُكَ الَّذِينَ لَا يُوَفُّونَ﴾

وهذا مما يدل على أن كل مؤمن موفق: رزين العقل يسهل عليه الصبر، وكل ضعيف اليقين ضعيف العقل؛ خفيفه؛ فالأول بمنزلة اللب، والآخر بمنزلة القشور. السعدي: ٦٤٦.

السؤال: هذه الآية تدل على اختلاف عقول من يقع عليهم الابتلاء، بين ذلك.

وَلَيْنَ أَرْسَلْنَا رَحْمَةً أَوْ مَصْفَرًا لَقُلُوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ﴿٤١﴾ فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْكُفْرَ وَلَا تَسْمَعُ الضَّرْعَ الدُّعَاءَ إِذَا وَلُوا مُدِيرِينَ ﴿٤٢﴾ وَمَا أَنْتَ بِمَهْدٍ الْمُعْنَى عَنْ صَلَاحِهِمْ إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٤٣﴾ \* اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿٤٤﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِرُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٤٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثُوا فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمَ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مُعَذَّرُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَيْنَ جَهَنَّمُ بِمَا بَيَّغُوا لِيُفِرُوا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَسْمُوا إِلَّا مُتَغَلَّبُونَ ﴿٤٨﴾ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُؤْفَكُونَ ﴿٥٠﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
مُصْفَرًا	صَارَ أَصْفَرَ بَعْدَ خُضْرَتِهِ؛ مِنَ الْفَسَادِ.
وَشَيْبَةً	شَيْخُوخَةً، وَهَرَمًا.
يُؤْفَكُونَ	يُصْرَفُونَ عَنِ الْحَقِّ.
وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ	لَا يُطَلَّبُ مِنْهُمْ إِرْضَاءُ اللَّهِ بِالطَّاعَةِ وَالتَّوْبَةِ.
وَلَا يَسْتَخِفُّكَ	لَا يَسْتَفْرِئُكَ، وَلَا يَحْمِلُكَ عَلَى الْخَفَةِ، وَالطَّيْشِ.

## ● العمل بالآيات

١. سَلِّ الله تعالى حسن الخاتمة، ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾.
٢. تَبَّ إِلَى الله سبحانه من كل ذنوبك قبل أن يأتي يوم لا تنفع فيه التوبة، ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مُعَذَّرُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾.
٣. ادع الله تعالى أن يجعل قلبك سليماً، وإن ثبت قلبك على دينه، ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

## ● التوجيهات

١. احذر أن تضع قوة شبابك وصحتك في غفلة؛ ولهم، ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾.
٢. العلم عطية من الله تعالى، والجهد والذكاء مجرد سبب، فاكثر من قولك: (رب زدني علماً)، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثُوا فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمَ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.
٣. أسوأ أحوال الإنسان عندما يطبع على قلبه لكثرة ذنوبه؛ فيصعب لا يفهم، ولا يعقل شيئاً، ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ يُكْسِبُونَ الْحَكِيمَ﴾ ① هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ ﴿

ولكن مع أنه حكيم، يدعو إلى كل خلق كريم، وينهى عن كل خلق لئيم، أكثر الناس محرومون الاهتداء به، معرضون عن الإيمان والعمل به، إلا من وفقه الله تعالى وعصمه، وهم المحسنون في عبادة ربهم، والمحسنون إلى الخلق. السعدي: ٦٤٦.

السؤال: ما موقف الناس من هذا الكتاب الحكيم؟

﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ ②

خُصَّ من العمل عملين فاضلين: الصلاة المشتملة على الإخلاص، ومناجاة الله تعالى، والتعبد العام للقلب، واللسان، والجوارح، المعينة على سائر الأعمال، والزكاة التي تزكي صاحبها من الصفات الرذيلية، وتنفع أخاه المسلم، وتسد حاجته، ويبين بها أن العبد يؤثر محبة الله على محبته للمال؛ فيخرج محبوبه من المال لما هو أحب إليه؛ وهو طلب مرضاة الله. السعدي: ٦٤٦.

السؤال: لماذا خُصَّ هذان العاملان دون سائر الأعمال؟

﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ ③

(الذين يقيمون الصلاة) أي: يجعلونها كأنها قائمة، بفعلها بسبب إتيان جميع ما أمر بعد فيها، وندب إليه، وتوقفت بوجه عليه، على سبيل التجديد في الأوقات المناسبة لها والاستمرار. البقاعي: ١٤٤/١٥.

السؤال: ما الذي افاده التعبير بـ(يقيمون الصلاة)؟

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَتَخَذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ هُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ ④

قال أبو الصهباء البكري: سألت ابن مسعود عن هذه الآية فقال: «هو الغناء والله الذي لا إله إلا هو» يردد ما ثلاث مرات، وقال إبراهيم النخعي: الغناء ينبت النفاق في القلب، ... وقيل: الغناء رقية الزنا. البغوي: ٥٠٦/٣.

السؤال: من خلال هذه الآية: بين مفاصد الغناء، وخطره من كلام السلف.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَتَخَذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ هُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ ⑤

(لهو الحديث) أي: ما يليه من الأشياء المتجددة التي تستلذ، فيقطع بها الزمان من: الغناء، والمضحكات، وكل شيء لا اعتبار فيه، فيوصل النفس بما أوصلها إليه من اللذة إلى مجرد الطبع البهيمي، فيدعوها إلى العبث من اللعب؛ كالرقص، ونحوه... فينزل إلى أسفل سافلين كما علا الذي قبله بالحكمة إلى أعلى عليين. البقاعي: ١٤٦/١٥.

السؤال: ما خطر الانزلاق مع الملهيات؟

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَتَخَذَهَا هُزُوًا﴾ ⑥

قال قتادة: والله لعله لا يتفق فيه مأل، ولكن شراه استجابته، بحسب المرء من الضلالة أن يختار حديث الباطل على حديث الحق، وما يضر على ما ينفع. ابن كثير: ٤٢٦/٣.

السؤال: هل يلزم من دخول المرء في هذه الآية أن يكون قد دفع مالا في شراء لهو الحديث؟

﴿أُولَئِكَ هُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ ⑦

أي: كما استهانوا بآيات الله وسبيله أمينوا يوم القيامة في العذاب الدائم المستمر. ابن كثير: ٤٢٦/٣.

السؤال: جزاء هؤلاء كان من جنس عملهم، وضح ذلك.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْع ۝ يٰلَكَ اَيْنْتُ الْكِتٰبَ الْحَكِيْمَ ۝ هُدًى وَرَحْمَةً ۝ لِلْمُحْسِنِيْنَ ۝ الَّذِيْنَ يُقِيْمُوْنَ الصَّلٰوةَ وَيُؤْتُوْنَ الزَّكٰوةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُوْنَ ۝ اُولٰٓئِكَ عَلٰى هُدًى مِّنْ رَّبِّهِمْ ۝ اُولٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُوْنَ ۝ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَتَخَذَهَا هُزُوًا ۝ اُولٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝ وَاِذَا تُتْلٰى عَلَيْهِ اٰيٰتُنَا وَلِيَ مُّسْتَكْبِرًا ۝ كٰنَ لَمْ يَسْمَعْهَا كَاَنَّ فِيْ اُذُنَيْهِ وَقْرًا ۝ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ اَلِيْمٍ ۝ اِنَّ الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا وَعَمِلُوا الصَّالٰحٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ النَّعِيْمِ ۝ خٰلِدِيْنَ فِيْهَا ۝ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا ۝ وَهُوَ الْعَزِيْزُ الْحَكِيْمُ ۝ خَلَقَ السَّمٰوٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ رَّوٰىهَا ۝ وَاَلْقٰى فِي الْاَرْضِ رَوٰسًى ۝ اَنْ يَّبْدَ يَكْمُوْرًا ۝ وَفِيْهَا مِنْ كُلِّ دَآبَّةٍ ۝ وَاَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَآءِ مَآءً ۝ فَالْتَبٰتْنَا فِيْهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيْمٍ ۝ هٰذَا خَلْقُ اللَّهِ قَارِءِيْ مَاذَا خَلَقَ الَّذِيْنَ مِنْ دُوْنِهِ ۝ بَلِ الْظَّٰلِمُوْنَ فِيْ ضَلٰلٍ مُّبِيْنٍ ۝

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
هُزُوًا	سُخْرِيَّةً
وَقْرًا	صُمَمًا
رَوَاسِي	جِبَالًا ثَابِتَةً
أَنْ يَبْدَ	لِيُثْلَقَ تَطَهَّرَ وَتَتَحَرَّكَ
وَبَثَّ	نَشَرَ

## ● العمل بالآيات

١. أ. الصلوات الخمس في جماعة مع إدراك تكبيرة الإحرام، ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾.

٢. ارسل رسالة تبين فيها خطر الغناء، وأنه يضل عن سبيل الله، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَتَخَذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ هُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾.

٣. استعد بالله من الاستكبار على خلق الله، أو على الانقياد للشرع، ﴿وَاِذَا تُتْلٰى عَلَيْهِ اٰيٰتُنَا وَلِيَ مُّسْتَكْبِرًا ۝ كٰنَ لَمْ يَسْمَعْهَا كَاَنَّ فِيْ اُذُنَيْهِ وَقْرًا ۝ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ اَلِيْمٍ﴾.

## ● التوجيهات

١. من ثمرات اتباع القرآن التي يتحصل عليها العبد: الهدى والرحمة، وتحصيل مرتبة الإحسان، ﴿يٰلَكَ اَيْنْتُ الْكِتٰبَ الْحَكِيْمَ﴾ ① هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ ﴿.

٢. من استمع الغناء انصرف قلبه عن حب القرآن، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَتَخَذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ هُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾.

٣. التواضع يعين على اتباع الحق بعكس الكبر، ﴿وَاِذَا تُتْلٰى عَلَيْهِ اٰيٰتُنَا وَلِيَ مُّسْتَكْبِرًا ۝ كٰنَ لَمْ يَسْمَعْهَا كَاَنَّ فِيْ اُذُنَيْهِ وَقْرًا ۝ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ اَلِيْمٍ﴾.

## تفسير سورة لقمان

وهي مكية، [وعدد آياتها أربع وثلاثون آية].

الآية (١-٥): تقدم في أول سورة البقرة عامة الكلام على ما يتعلق بصدر هذه السورة، وهو أنه تعالى جعل هذا القرآن هدى وشفاء ورحمة للمحسنين، وهم الذين أحسنوا العمل في اتباع الشريعة، فأقاموا الصلاة المفروضة بحدودها وأوقاتها، وما يتبعها من نوافل راتبه وغير راتبه، وآتوا الزكاة المفروضة عليهم إلى مستحقها، ووصلوا قربانهم وأرحامهم، وأيقنوا بالجزاء في الدار الآخرة، فرغبوا إلى الله في ثواب ذلك، لم يراءوا به ولا أرادوا جزاءً من الناس ولا شكوراً، فمن فعل ذلك كذلك فهو من الذين قال الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ أي: على بصيرة وبينه ومنهج واضح وجلي ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ أي: في الدنيا والآخرة.

الآية (٦): لما ذكر تعالى حال السعداء، وهم الذين يتلون بكتاب الله ويتفهمون بسماحه؛ كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ زَكَرَ أَحْسَنَ لِّلْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّتَافِي تَفْشِيرُهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣]، عطف بذكر حال الأشقياء، الذين أعرضوا عن الانتفاع بسماح كلام الله، وأقبلوا على استماع المزامير والغناء بالألحان وآلات الطرب، كما روي عن أبي الصهباء البكري أنه سمع عبد الله بن مسعود وهو يسأل عن هذه الآية: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فقال عبد الله: الغناء والله الذي لا إله إلا هو، يرددها ثلاث مرات. وكذا قال ابن عباس، وجابر، وعكرمة، وسعيد بن جبسر، ومجاهد، ومكحول، وعمر بن شعيب.

وقال الحسن البصري: أنزلت هذه الآية: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ في الغناء والمزامير. وقال قتادة: قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ والله لعله لا ينفق فيه مالا، ولكن شراؤه استحبابه، بحسب المرء من الضلالة أن يختار حديث الباطل على حديث الحق، وما يضر على ما ينفع. وقيل: عني بقوله: ﴿يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾ اشتراء المغنيات من الجوارير. وقال الضحاك في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾ يعني: الشرك. وبه قال عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم. واختار ابن جرير أنه كل كلام يصد عن آيات الله واتباع سبيله.

وقوله: ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: إنما يصنع هذا للتخالف للإسلام وأهله، ﴿وَيَخَذَهَا هُزُواً﴾ قال مجاهد: ويتخذ سبيل الله هزواً يستهزئ بها. وقال قتادة: يعني: ويتخذ آيات الله هزواً. وقول مجاهد أولى. وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ عَذَابُ مُّهِينٍ﴾ أي: كما استهانوا بآيات الله وسبيله، أهينوا يوم القيامة في العذاب الدائم المستمر.

الآية (٧): قال تعالى: ﴿وَإِذَا نُنَادِيكَ عَلَيْهِ ءَانَسْنَا لَكَ مَسْتَعِيرًا كَأَن لَّرَ يَسْمَعَهَا كَأَنَّ فِي آذَانِهِ وَقْرًا﴾ أي: هذا المقبل على اللهو واللعب والطرب، إذا نلت عليه الآيات القرآنية، ولَّى عنها وأعرض وأدبر وتَصَامَّ وما به من صَمَم، كأنه ما يسمعها؛ لأنه يتأذى بسماحها، إذ لا انتفاع له بها، ولا أَرْبَ له فيها، ﴿فَيَنْتَرَهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ أي: يوم القيامة؛ يؤله كما تألم بسماح كتاب الله وآياته.

الآية (٨-٩): هذا ذكر مآل الأبرار من السعداء في الدار الآخرة، الذين آمنوا بالله وصَدَّقُوا المرسلين، وعملوا الأعمال الصالحة المتابعة لشريعة الله ﴿لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾ أي: يتمتعون فيها بأنواع الملاذ والمسار من المأكول والمشرب والملابس والمساكن والمراكب والنساء، والنضرة والسعاح الذي لم يخطر ببال أحد، وهم في ذلك مقيمون دائماً فيها، لا يظعنون ولا يغيثون عنها حولاً.

وقوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾ أي: هذا كائن لا محالة؛ لأنه من وعد الله، والله لا يخلف الميعاد؛ لأنه الكريم المنان، الفعال لما يشاء، القادر على كل شيء، ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ الذي قد فهر كل شيء، ودان له كل شيء، ﴿الْحَكِيمُ﴾ في أقواله وأفعاله، الذي جعل القرآن هدى للمؤمنين ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَبَيِّنَاتٌ لِّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي مَآذَانِهِمْ﴾ ﴿وَقَرُّ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ [نصت: ٤٤]، ﴿وَنُزُلٌ مِّنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شَفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَرْيُدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الاسراء: ٨٢].

الآية (١٠): بين سبحانه بهذا قدرته العظيمة على خلق السموات والأرض، وما فيها وما بينها، فقال: ﴿حَقَّقَ الْكُنُوزَ بِغَيْرِ عَمَلٍ﴾ قال الحسن وقناة: ليس لها عَمَدٌ مرقية ولا غير مرقية، وقال ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد: لها عمد لا ترونها<sup>(١)</sup>. ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾ يعني: الجبال أرسّت الأرض وثقلتها لئلا تضطرب بأهلها على وجه الماء؛ ولهذا قال: ﴿أَن يَحِيدَ بَكُمْ﴾ أي: لئلا تمجد بكم ﴿وَبَيَّنَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ﴾ أي: وذرا فيها من أصناف الحيوانات مما لا يعلم عدد أشكلها والوانها إلا الذي خلقها.

ولما قرر أنه الخالق نبه على أنه الرازق بقوله تعالى: ﴿وَأَرْزَقْنَا مِن السَّمَاءِ مَاءً فَأَلْبَسْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ أي: من كل زوج من النبات كريم، أي: حسن المنظر. وقال الشعبي: والناس - أيضاً - من نبات الأرض، فمن دخل الجنة فهو كريم، ومن دخل النار فهو لثيم. الآيات (١١): قوله: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ﴾ أي: هذا الذي ذكره تعالى من خلق السموات والأرض وما بينهما صادر عن فعل الله وخلقته وتقديره وحده لا شريك له في ذلك؛ ولهذا قال: ﴿فَاعْرِضْ مَا خَلَقَ﴾ ﴿الَّذِينَ مِن دُونِهِ﴾ أي: مما تعبدون وتدعون من الأصنام والأنداد ﴿بَلِ الظَّالِمُونَ﴾ يعني: المشركين بالله العابدين معه غيره ﴿فِي ضَلَالٍ﴾ أي: جهل وعمى ﴿ثَبِينَ﴾ أي: واضح ظاهر لا خفاء به.

(١) ينظر أيضاً كلام ابن كثير أول سورة الرعد، ص ٢٤٩.

يطعموها شجروا فاما، فأنزل الله ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حَسَنًا وَإِنْ جَهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ الآية [العنكبوت: ٨]. [رواه مسلم].

الآية (١٦-١٩): هذه وصايا نافعة قد حكاها الله تعالى عن لقمان الحكيم؛ ليمثلها الناس ويتقود بها، فقال: ﴿يَبْنِي إِنَّمَا أَنْتَ مُشْفَلٌ حَبْرٌ مِّنْ خَرَدَلٍ﴾ أي: إن المظلمة أو الخطيئة لو كانت مثقال حبة خردل ﴿يَأْتِي بِهَا اللَّهُ﴾ أي: أحضرها الله يوم القيامة حين يضع الموازين القسط، وجازى عليها إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر؛ كما قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ ثِقَلٌ مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ مِّنْ خَرَدَلٍ أَنِزْنَاهَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَكِيمِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وقال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧-٨]، ولو كانت تلك الذرة حصنة محجة في داخل صخرة صماء، أو غائبة ذاهبة في أرجاء السموات أو الأرض، فإن الله يأتي بها؛ لأنه لا تخفى عليه خافية، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ﴾ أي: لطيف العلم، فلا تخفى عليه الأشياء وإن دقت ولطفت وتضاءلت، ﴿خَيْرٌ﴾ بديب النمل في الليل البهيم. ثم قال: ﴿يَبْنِي أَقْبَرُ الصَّلَاةِ﴾ أي: بحدودها وفروضها وأوقاتها، ﴿وَأُمَرُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الشُّكْرِ﴾ أي: بحسب طاقتك وجهدك ﴿وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾ علم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا بد أن يناله من الناس أذى، فأمره بالصبر ﴿إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ أي: إن الصبر على أذى الناس لمن عزم الأمور. قوله: ﴿وَلَا تَضَعِرْ حَدُّكَ لِلنَّاسِ﴾ يقول: لا تُعرض بوجهك عن الناس إذا كلمتهم أو كلموك، احتقارًا منك لهم واستكبارًا عليهم، ولكن ألن جانبك، وابسط وجهك إليهم. قال ابن عباس: لا تتكبر فتحقر عبادة الله، وتعرض عنهم بوجهك إذا كلموك. وقال زيد بن أسلم: لا تكلم وأنت معرض. وقال إبراهيم النخعي: يعني بذلك: التشديق في الكلام. والصواب القول الأول. قال ابن جرير: وأصل الصَّعْر: داء يأخذ الإبل في أعناقها أو رؤوسها، حتى تُلفت أعناقها عن رؤوسها، فشبه به الرجل المتكبر. قوله: ﴿وَلَا تَمْنَحْ فِي الْأَرْضِ مَرَسًا﴾ أي: جِدْلاً متكبرًا جبارًا عنيدًا، لا تفعل ذلك يغيضك الله، ولهذا قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ أي: مختال معجب في نفسه، فخور: أي على غيره. قوله: ﴿وَأَنصِدْ فِي مَثَرِكَ﴾ أي: امش مشيًا مقتصدًا ليس بالبطيء المشبط، ولا بالسرير المفرط، بل عدلًا وسطًا بين بين. قوله: ﴿وَأَغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾ أي: لا تبالغ في الكلام، ولا ترفع صوتك فضا لا فائدة فيه؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْمُفْرِغِ﴾ قال مجاهد: إن أقبح الأصوات لصوت الحمير، أي: غاية من رفع صوته أنه يُثبِّه بالحمير في علوه ورفعه، ومع هذا هو بغض إلى الله تعالى. وهذا التشبيه في هذا بالحمير يقتضي تحريمه وذمه غاية الذم؛ لأن رسول الله ﷺ قال: [ليس لنا مثل السوء، العائد في هبته كالكلب بقي] ثم يعود في قيته [متن عليه]. فهذه وصايا نافعة جدًا، وهي من قصص القرآن العظيم عن لقمان الحكيم.

الآية (١٢): اختلف السلف في لقمان: هل كان نبيا، أو عبدا صالحا من غير نبوة. جمهور السلف على أنه لم يكن نبيا. قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لَقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ أي: الفهم والعلم والتعبير ﴿أَنْ أَشْكُرَ لِلَّهِ﴾ أي: أمرناه أن يشكر الله ﷻ على ما آتاه الله ومنحه وهبه من الفضل الذي خصه به عن سواه من أبناء جنسه وأهل زمانه. ثم قال: ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ أي: إنما يعود نفع ذلك وثوابه على الشاكرين؛ لقوله: ﴿وَمَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَهْدِيهِ﴾ [الروم: ٤٤]. قوله: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَفِيْرٌ حَسِيْدٌ﴾ أي: غني عن العباد، لا ينصر بذلك، ولو كفر أهل الأرض كلهم جميعا؛ فإنه الغني عما سواه؛ فلا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إياه. الآية (١٣-١٤): يقول تعالى خبرا عن وصية لقمان لولده، وقد ذكره تعالى بأحسن الذكر؛ فإنه آتاه الحكمة، وهو يوصي ولده الذي هو أشفق الناس عليه وأحبههم إليه، فهو حقيق أن يمنحه أفضل ما يعرف؛ ولهذا أوصاه أولا بأن يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا، ثم قال محذرا له: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ أي: هو أعظم الظلم. عن ابن مسعود قال: لما نزلت: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢] شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، وقالوا: إِنَّمَا لَمْ يَلْبِسْ إِيْمَانَهُ بِظُلْمٍ؟! فقال رسول الله ﷺ: [إنه ليس بذلك، ألا تسمع إلى قول لقمان: ﴿يَبْنِي لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾] [متن عليه].

ثم قرأ بوصيته إياه بعبادة الله وحده البر بالوالدين؛ كما قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣]. وكثيرا ما يقرن تعالى بين ذلك في القرآن، وقال ههنا: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حَسَنًا ثُمَّ وَحَّيْنَا عَلَىٰ وَهْيٍ﴾. قال مجاهد: مشقة وحن الولد، وقال قتادة: جهدا على جهد، وقال عطاء الخراساني: ضعفا على ضعف. قوله: ﴿وَوَصَّلُهُ فِي عَامَيْنِ﴾ أي: تربيته وإرضاعه بعد وضعه في عامين؛ كما قال: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنْفِثَ الرِّضَاعَةَ﴾ [البقرة: ٢٣٣]. ومن ههنا استنبط ابن عباس وغيره من الأئمة أن أقل مدة الحمل ستة أشهر؛ لأنه قال في الآية الأخرى: ﴿وَحَمَلُهُ وَفَصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥]. وإنما يذكر تعالى تربية الوالدة وتعبها ومشقتها في سهرها ليلا ونهارا، ليذكر الولد بإحسانها المتقدم إليه؛ كما قال: ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤]؛ ولهذا قال: ﴿أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْلَدِي إِلَىٰ الْمَصِيرِ﴾ أي: فإني سأجزيك على ذلك أوفر الجزاء.

الآية (١٥): قوله: ﴿وَإِنْ جَهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تَشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ أي: إن حرصا عليك كل الحرص على أن تتابعهما على دينهما، فلا تقبل منهما ذلك، ولا يمنعنك ذلك من أن تصاحبهما في الدنيا معروفا، أي: محسنا إليهما، ﴿وَأَتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ يعني: المؤمنين ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

[سبب النزول]: عن سعد [بن أبي وقاص] قال: نزلت في أربع آيات. فذكر قصة، وقالت أم سعد: أليس قد أمرك الله بالبر؟! والله لا أطعم طعاما ولا أشرب شرابا حتى أموت أو تكفر، قال: فكانوا إذا أرادوا أن



## ● الوقفات التدريبية

- ١ ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لَقْمَنَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَاتَّسِعَ لِأَنْفُسِهِ ۖ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾

كان اول ما لقنه لقمان من الحكمة هو الحكمة في نفسه؛ بان امره الله بشكره على ما هو محفوف به من نعم الله؛ التي منها نعمة الاصطفاء. ابن عاشور: ١٥٢/٢١.

السؤال: ما اول حكمة لقمان -عليه السلام- من خلال الآية الكريمة؟

- ٢ ﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَقْمَنُ لِابْنِهِ ۖ وَهُوَ يَعِظُهُ ۚ يَبْنِي لَكَ شَرَكَ يَأْتِيكَ الشَّرَكَ لَظْمٌ عَظِيمٌ ﴾

ابتدا لقمان موعظة ابنه بطلب اقلعه عن الشرك بالله؛ لأن النفس المعرضة للتزكية والكمال يجب ان يقدم لها قبل ذلك تخليتها عن مبادئ الفساد والضلال. ابن عاشور: ١٥٥/٢١.

السؤال: لماذا ابتدا لقمان -عليه السلام- بنهي ابنه عن الشرك؟

- ٣ ﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَقْمَنُ لِابْنِهِ ۖ ﴾

يوصي ولده الذي هو اشفق الناس عليه، واحبهم اليه؛ فهو حقيق ان يمنحه افضل ما يعرف. ابن كثير: ٤٢٨/٣.

السؤال: ما الفائدة من كون الوصايا كانت لابنه؟

- ٤ ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ ۖ وَهَمَّا عَلَىٰ وَهْنٍ ۖ وَفَصَّلَهُ فِي عَامَيْنِ ﴾

وانما يذكر تعالى تربية الوالدة، وتعبها، ومشقتها في سهرها ليلاً ونهاراً؛ ليدكر الولد بإحسانها المتقدم إليه. ابن كثير: ٤٢٩/٣.

السؤال: لماذا ذكر سبحانه وتعالى مشقة الوالدة في تربية ولدها؟

- ٥ ﴿ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْلَايَكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ ﴾

قيل: الشكر لله على نعمة الإيمان، وللوالدين على نعمة التربية، وقال سفيان بن عيينة: من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله تعالى، ومن دعا لوالديه في أدبار الصلوات فقد شكرهما. القرطبي: ٤٧٥/١٦.

السؤال: كيف يكون شكر الله تعالى وشكر الوالدين؟

- ٦ ﴿ وَأُمِّرَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الشُّكْرِ وَأَسْرَعَ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ﴾

علم ان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا بد ان يناله من الناس اذى، فامره بالصبر. ابن كثير: ٤٣٠/٣.

السؤال: لماذا امره بالصبر بعد ان امره بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟

- ٧ ﴿ وَأَقْبِدْ فِي شَيْكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ ۖ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْمَيِّيرِ ﴾

أي: ليكن مشيك قصداً؛ لا تخيلاً، ولا إسراعاً. وقال عطاء: امش بالوقار والسكينة، كقوله: (يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا) [الفرقان: ٦٣]. البيهقي: ٥١١/٣.

السؤال: كيف تكون الحكمة في المشي؟

وَلَقَدْ آتَيْنَا لَقْمَنَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَاتَّسِعَ لِأَنْفُسِهِ ۖ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ۝ وَلَا قَالَ لَقْمَنُ لِابْنِهِ ۖ وَهُوَ يَعِظُهُ ۚ يَبْنِي لَكَ شَرَكَ يَأْتِيكَ الشَّرَكَ لَظْمٌ عَظِيمٌ ۝ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ ۖ وَهَمَّا عَلَىٰ وَهْنٍ ۖ وَفَصَّلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْلَايَكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ ۝ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۚ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىٰ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ يَبْنِي إِلَهُكَ أَنْ تَكُنْ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنَ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِي بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ۝ يَبْنِي أَقِيمَ الصَّلَاةِ وَأْمُرَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۚ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ ۝ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۝ وَأَقْبِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْمَيِّيرِ ۝

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
وَهْنًا	ضَعْفًا.
وَفَصَّلَهُ	فَطَّمَهُ عَنِ الرُّضَاعَةِ.
أَنَابَ	رَجَعَ، وَتَابَ.
حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ	حَبَّةٌ صَغِيرَةٌ مُتَنَاهِِيَةٌ فِي الصَّغَرِ.
مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ	مِنْ الْأُمُورِ الَّتِي يَنْبَغِي الْجُرْعُ عَلَيْهَا.
وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ	لَا تُجَلِّ وَجْهَكَ كِبَرًا وَتَعَاظُمًا.
مَرَحًا	مُخْتَالًا مُتَبَخَّرًا.

## ● العمل بالآيات

- أد اليوم أحد الأعمال المنزلية التي تتولاها أمك حتى تعرف صبرها وفضلها، ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ ۖ وَهَمَّا عَلَىٰ وَهْنٍ ۖ وَفَصَّلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْلَايَكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ ﴾.
- ذكر من تراهم جالسين في الطرقات وقت الصلاة باداء الصلاة، ﴿ يَبْنِي أَقِيمَ الصَّلَاةِ ﴾ وأمر بالمعروف وأنه عَنِ الشُّكْرِ.
- تكلم بصوت منخفض، ولا تكن صخاباً مزعجاً، ﴿ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْمَيِّيرِ ﴾.

## ● التوجيهات

- لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وهذا لا ينافي بر الوالدين في غير المعصية، ﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾.
- اتبع سبيل من أناب إلى الله سبحانه وتعالى من العلماء الربانيين، ﴿ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىٰ ﴾.
- احذر ذنوب الخلوات، ﴿ يَبْنِي إِلَهُكَ أَنْ تَكُنْ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنَ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِي بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهَرَهُ وَيَاظُنُّهُ﴾

فوظيفتكم أن تقوموا بشكر هذه النعم: بمحبة النعم والخضوع له، وصرفها في الاستعانة على طاعته، وإن لا يستعان بشيء منها على معصيته. السعدي: ٦٤٩.

السؤال: كيف يكون شكر النعم؟

﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهَرَهُ وَيَاظُنُّهُ﴾

(نعمه ظاهرة وباطنة) الظاهرة: الصحة، المال، وغير ذلك، والباطنة: النعم التي لا يطلع عليها الناس، ومنها ستر القبيح من الأعمال. ابن جزي: ١٧٤/٢.

السؤال: مثل لبعض النعم الظاهرة والباطنة.

﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهَرَهُ وَيَاظُنُّهُ﴾

عن ابن عباس: النعمة الظاهرة: الإسلام والقرآن، والباطنة: ما ستر عليك من الذنوب، ولم يجعل عليك بالنعمة، وقال الضحاك: الظاهرة: حسن الصورة، وتسوية الأعضاء، والباطنة: المعرفة القرطبي: ١٢/٣.

السؤال: اذكر اثنتين من النعم التي تعتقد أن الله سبحانه اختصك بها.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾  
وشمل قوله (بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير) مراتب اكتساب العلم، وهي: إما الاجتهاد والاكتساب، أو التلقي من العالم، أو مطالعة الكتب الصائبة. ابن عاشور: ١٧٥/٢١.

السؤال: اشتملت الآية الكريمة على مراتب اكتساب العلم الثلاث بينها.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾  
﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾

أي: يخلص عبادته وقصده إلى الله تعالى، (وهو محسن)؛ لأن العبادة من غير إحسان ولا معرفة القلب لا تنفع. القرطبي: ٨٧/١٦.

السؤال: كيف تسلم وجهك لله تعالى؟ ولم قيد ذلك بالإحسان؟

﴿وَمِنَ الْكَافِرِينَ مَن يَخْزَعُونَ رَبَّهُمْ فَزِيلَهُمْ إِلَى الْعَذَابِ وَهُمْ لَكَ آخِذُونَ﴾

ومناسبتة هنا أن كفر المشركين بعضهم إعلان، وبعضه إسرار. ابن عاشور: ١٧٨/٢١.

السؤال: ما مناسبة ختام الآية الكريمة بقوله تعالى: (إن الله عليم بذات الصدور)؟

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرٍ أَكَلَهُمَّ وَلَوَّحُ مِثْلُ شَجَرٍ سَبْعَةَ مِائَةِ أَلْفٍ مَا يَأْتِيهِمْ مَّا يَدْعُونَ﴾

الآية أخبار بكثرة كلمات الله، والمراد: اتساع علمه، ومعنى الآية: إن

شجر الأرض لو كانت أقلاماً، والبحر لو كان مداداً يصب فيه سبعة أبحر صباً دائماً، وكتبت بذلك كلمات الله؛ لنفدت الأشجار والبحار، ولم تنفذ كلمات الله؛ لأن الأشجار والبحار متناهية، وكلمات الله غير متناهية. ابن جزي: ١٧٥/٢.

السؤال: اذكر فائدة من هذه الآية.

الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهَرَهُ وَيَاظُنُّهُ وَيَاظُنُّهُ وَيَاظُنُّهُ  
يَعْتَرِ عِلْمٌ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٠﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْبِعُوا مَّا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَنبَغُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ عَاجِئًا نَّأُولُو كَانَ  
الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾ وَمَنْ يُسَازِرْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ  
وَأِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿١٢﴾ وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ  
إِنَّا نَمَسْكُكُمْ فَلَمَّا تَمُنَّ بِحَمِيٍّ مَّا عَمِلْنَا إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ بَدَاتِ الصُّدُورِ  
﴿١٣﴾ نَمَسْكُكُمْ فَلَمَّا تَمُنَّ بِحَمِيٍّ مَّا عَمِلْنَا إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ بَدَاتِ الصُّدُورِ  
وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ  
لِخَلْقِ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ وَلِلَّهِ مَّا فِي السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ  
مِنَ شَجَرٍ أَكَلَهُمَّ وَالْبَحْرُ مِثْلُ شَجَرٍ سَبْعَةَ مِائَةِ أَلْفٍ  
مَا يَأْتِيهِمْ مَّا يَدْعُونَ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٦﴾ مَا خَلَقَكُمْ  
وَلَا يَبْعَثُكُمْ إِلَّا كَتَفْقِيسٍ وَجَدَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١٧﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
سَخَّرَ لَكُمْ	ذَلَّلَ لَكُمْ.
وَأَسْبَغَ	عَمَّمَ بِنِعْمِهِ.
بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ	أَوْقَىٰ سَبَبٍ مُّوَصِّلٍ إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ.
عَاقِبَةُ	مَآلٌ، وَمَرْجِعٌ.
غَلِيظٌ	قَاطِعٌ ثَقِيلٌ.

## ● العمل بالآيات

- اختر سورة من القرآن وطبق عليها المراتب الثلاث لطلب العلم، وهي:
  - تأمل ما فيها من فوائد ب - تدارس السورة مع من هو أعلم منك
  - قراءة تفسيرها من أحد كتب التفسير، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾.
- اكتب في ورقة بعض النعم الظاهرة والباطنة عليك؛ ليعينك ذلك على الشكر، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهَرَهُ وَيَاظُنُّهُ وَيَاظُنُّهُ وَيَاظُنُّهُ﴾.
- ارسل رسالتك تبين فيها خطر الجدل بغير علم، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾.

## ● التوجيهات

- التقليد الأعمى وتعطيل العقل مضرة، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَبْغِ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ مِآثًا نَّأُولُو كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾.
- التمسك بالدين هو حبل النجاة وصمام الأمان، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾.
- العبد مكلف بتبليغ دعوة الله، أما النتائج فامرأها إلى الله، ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ إِنَّنَا نَمَسْكُكُمْ فَلَمَّا تَمُنَّ بِحَمِيٍّ مَّا عَمِلْنَا إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ بَدَاتِ الصُّدُورِ﴾.

فقر إليه، الحميد في جميع ما خلق، له الحمد في السموات والأرض على ما خلق وشرع، وهو المحمود في الأمور كلها.

الآية (٢٧): يقول تعالى خبرًا عن عظمته وكبريائه وجلاله، وأسائه الحسنى وصفاته العُلا وكلماته النامة التي لا يحيط بها أحد، ولا اطلاع لبشر على كنهها وإحصائها، فقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَدٌ وَالْبَحْرُ يَمْدُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ أي: ولو أن جميع أشجار الأرض جعلت أقلامًا، وجعل البحر مدادًا ومَدَّه سبعة أبحر معه، فُكِّت بها كلمات الله الدالة على عظمته وصفاته وجلاله لتكسرت الأقلام، ونَفِدَ ماء البحر، ولو جاء أمثالها مَدَدًا. وإنما ذكرت «السبعة» على وجه المبالغة، ولم يُرد الحصر.

وقال الحسن البصري: لو جعل شجر الأرض أقلامًا، وجعل البحر مدادًا، وقال الله: ﴿إِنْ مِنْ أَمْرِي كَذَا، وَمِنْ أَمْرِي كَذَا..﴾ لنفد ما في البحور، وتكسرت الأقلام. وقال قتادة: قال المشركون: إنها هذا كلام يوشك أن ينفد، فقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَدٌ﴾ أي: لو كان شجر الأرض أقلامًا، ومع البحر سبعة أبحر، ما كان لتنفد عجائب ربي وحكمته وخلقته وعلمه. وقال الربيع بن أنس: إن مثل علم العباد كلهم في علم الله كقطرة من ماء البحور كلها، وقد أنزل الله ذلك: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَدٌ﴾ الآية، يقول: لو كان البحر مدادًا لكلمات الله والأشجار كلها أقلامًا، لتكسرت الأقلام وفني ماء البحر، وبقيت كلمات الله قائمة لا يفنيها شيء، لأن أحدًا لا يستطيع أن يقدر قدره، ولا ينشي عليه كما ينبغي، حتى يكون هو الذي ينشي على نفسه. إن ربنا كما يقول، وفوق ما نقول. وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ أي: عزيز قد عز كل شيء وفهره وغلبه، فلا مانع لما أراد، ولا يخالف ولا معقب لحكمه، ﴿حَكِيمٌ﴾ في خلقه وأمره، وأقواله وأفعاله، وشرعه وجميع شؤونه.

الآية (٢٨): قوله: ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَعْصِيكُمْ إِلَّا كَفِّينَ وَحِيدٌ﴾ أي: ما خلق جميع الناس ويعثمهم يوم المعاد بالنسبة إلى قدرته إلا كنسبة خلق نفس واحدة؛ الجميع حين عليه ﴿وَأَمَّا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، ﴿وَمَا أَمْرًا إِلَّا وَحْدَةً كَلِمَةً يَبْصُرُ﴾ [الفر: ٥٠] أي: لا يأمر بالشيء إلا مرة واحدة، فيكون ذلك الشيء، لا يحتاج إلى تكرره وتوكده ﴿فَلَمَّا جَاءَ جَزَعًا وَحِيدًا﴾ [٢٨] فإذا هم بِالْأَمْرَةِ [النازعات: ١٣-١٤].

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ أي: كما هو سميع لأقوالهم بصير بأفعالهم كسمعه وبصره بالنسبة إلى نفس واحدة، كذلك قدرته عليهم كقدرته على نفس واحدة، ولهذا قال: ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَعْصِيكُمْ إِلَّا كَفِّينَ وَحِيدٌ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾.

الآية (٢٠): يقول تعالى منها خلقه على نعمه عليهم في الدنيا والآخرة، بأنه سخر لهم ما في السموات من نجوم يستضيئون بها في ليهم، وما يخلق فيها من سحب وأمطار وتلج ويرد، وجعله إياها لهم سقفا محفوظًا، وما خلق لهم في الأرض من قرار وأنهار وأشجار وزروع وثمار. وأسبح عليهم نعمه الظاهرة والباطنة من إرسال الرسل وإنزال الكتب، وإزاحة الشبه والعلل، ثم مع هذا كله ما آمن الناس كلهم، بل منهم من يجادل في الله: أي: في توحيده وإرسال الرسل، ومجادلته في ذلك بغير علم، ولا مستند من حجة صحيحة، ولا كتاب ماثور صحيح؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَجِدُ فِي اللَّهِ مَغْيِرٍ غَيْرٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ أي: مبین یضی.

الآية (٢١): ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ أي: هؤلاء المجادلين في توحيد الله: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ﴾ أي: على رسوله من الشرائع المطهرة ﴿قَالُوا بَلْ نَنبَغُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ أي: لم يكن لهم حجة إلا اتباع الآباء الأقدمين، قال الله: ﴿أَوَلَوْ كُنَّا آبَاءَهُمْ لَا يَسْقَلُونُ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠] أي: فإنا ظنكم أي المحتجون بصنيع آبائهم، أنهم كانوا على ضلالة وأنتم خلف لهم فيها كانوا فيه؛ ولهذا قال: ﴿أَوَلَوْ كُنَّا الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ النَّارِ﴾.

الآية (٢٢): يقول تعالى خبرًا عن أسلم وجهه لله، أي: أخلص له العمل وانقاد لأمره واتباع شرعه؛ ولهذا قال: ﴿وَهُوَ حَسْبٌ﴾ أي: في عمله باتباع ما به أمر وترك ما عنه زجر.

﴿فَقَدْ اسْتَسْلَكَ بِالنُّجُومِ﴾ أي: فقد أخذ موثقًا من الله ميتيًا أنه لا يعذبه ﴿وَالِلَّهِ عِيقَةُ الْأُمُورِ﴾.

الآية (٢٣): ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزِنُهُ﴾ أي: لا تحزن يا محمد عليهم في كفرهم بالله وبما جئت به؛ فإن قدر الله نافذ فيهم، إلى الله مرجعهم فينبئهم بما عملوا، أي: فيجزئهم عليه ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِلَايَاتِ السُّدُورِ﴾ فلا تخفى عليه خافية.

الآية (٢٤): قال: ﴿نُعَمِّمُهُمْ فَلْيَكُ﴾ أي: في الدنيا، ﴿ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ﴾ أي: تلجئهم ﴿إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ أي: فظيع صعب مُشِيقٌ على النفوس؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ لَا يَفْلَحُونَ﴾ [٢٤] مَتَّعَ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ أَلَيْنَا مَرْجِعَهُمْ ثُمَّ نَذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ [يونس: ٦٩-٧٠].

الآية (٢٥): يقول تعالى خبرًا عن هؤلاء المشركين به: إنهم يعرفون أن الله خالق السموات والأرض وحده لا شريك له، ومع هذا يعبدون معه شركاء يعرفون أنها خلق له وملك له؛ ولهذا قال: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أي: إذ قامت عليكم الحجة باعتراكم، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

الآية (٢٦): ثم قال: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: هو خلقه وملكه، ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ أي: الغني عما سواه، وكل شيء



الآية (٣٣): يقول تعالى منذراً للناس يوم المآل، وأمرًا لهم بتقواه والخوف منه، والخشية من يوم القيامة حيث ﴿لَا يَمِيزُ وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ﴾ أي: لو أراد أن يفديه بنفسه لما قبل منه. وكذلك الولد لو أراد فداء والده بنفسه لم يقبل منه. ثم عاد بالوعظة عليهم بقوله: ﴿فَلَا تَعْتَرِكُمْ أَلْحَادٌ لِّدُنْيَا﴾ أي: لا تلهيكم بالطمأنينة فيها عن الدار الآخرة ﴿وَلَا يَغُرُّكُمْ بِأَلِهَةِ الْآلَمِينَ﴾ يعني: الشيطان. قاله ابن عباس، ومجاهد، والضحاك، وقطادة؛ فإنه يغر ابن آدم وبعده وتأمينه، وليس من ذلك شيء، بل كما قال تعالى: ﴿يَعِدُّهُمْ أَلْسِنَتُنَا لِلْآعْرُوبِ﴾ [النساء: ١٢٠].

الآية (٢٩): يخبر تبارك وتعالى أنه ﴿يُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾ يعني: يأخذ منه في النهار، فيطوُّ ذاك ويقصر هذا، وهذا يكون زمن الصيف؛ يطول النهار إلى الغاية، ثم يشرع في النقص فيطول الليل ويقصر النهار، وهذا يكون في الشتاء، ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَجْزِيََ إِلَيْنَا لَاجِلًا شَيْئًا﴾ قيل: إلى غاية محدودة. وقيل: إلى يوم القيامة. وكلا المعنيين صحيح. وقوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ كقوله: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الحج: ٧٠]. ومعنى هذا: أنه تعالى الخالق العالم بجميع الأشياء؛ كقوله: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢].

الآية (٣١): يَجْرُ تَعَالَى أَنَّهُ هُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لَتَجْزِيَ فِيهِ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ، أَي: بِلُطْفِهِ وَتَسْخِيرِهِ، فَإِنَّهُ لَوْلَا مَا جَعَلَ فِي الْمَاءِ مِنْ قُوَّةٍ يَجْمَلُ بِهَا السَّفْنَ لَمَا جَرَتْ؛ وَهَذَا قَالَ: ﴿لِيُذَيِّكَ مِنْ أَكْبَرِهِ﴾ أَي: مِنْ قُدْرَتِهِ ﴿لَإِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ أَي: صَبَّارٍ فِي الضَّرَاءِ، شَكُورٍ فِي الرِّخَاءِ.

الآية (٣٢): ثم قال تعالى: ﴿وَإِذَا عَشِيتُمْ تَوَجَّ كَاطِلًا﴾ أي: كالجبال والغمام ﴿دَعَاَ اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفَلَكِ دَعَاَ اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [النبوة: ٦٥]. ثم قال: ﴿فَلَمَّا بَجَنَّهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِتَهُمْ مِثْقَلِدَ﴾ قال مجاهد: أي كافر. كأنه فسر المقتصد هنا بالجاحد، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا بَجَنَّهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [النبوة: ٦٥]. وقال ابن زيد: هو المتوسط في العمل. وهذا الذي قاله ابن زيد هو المراد في قوله: ﴿فَمِتَهُمْ ظُلُمًا لِنَفْسِهِمْ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ [فاطر: ٣٢]، فالمقتصد هنا هو: المتوسط في العمل. ويحتمل أن يكون مراداً هنا أيضاً، ويكون من باب الإنكار على من شاهد تلك الأحوال والأمور العظام والآيات الباهرات في البحر، ثم بعد ما أنعم عليه من الخلاص، كان ينبغي أن يقابل ذلك بالعمل التام والدؤوب في العبادة، والمبادرة إلى الخيرات. فمن اقتصد بعد ذلك كان مقصراً والحالة هذه، والله أعلم. وقوله: ﴿وَمَا يَحْمِلُ بَنَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ فالختار: هو الغدار. وهو



## ● الوقفات التدريبية

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ ٥٠ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبُطْلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ٥١ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ يَجْرِي فِي الْبَحْرِ يَنْصَبُ اللَّهُ لِيُرِيكَ مِن ءَايَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ٥٢ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَجٌ كَالظُّلَلِ دَعَاُ اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الدَّيْرِ فَتَنَّهُمْ مِّثْقَلُ ذَرَّةٍ مَّا بَخَصَخُوا إِنَّا لَأَعْلَمُ خِتَارَكَ لَكُوفٍ ٥٣ يَتَأَيَّمُوا أَنَّا قَوْمٌ فَتَكُونُ وَآخِشُوا يَوْمًا لَا يَجْرِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَانِبُ عَن وَلَدِهِ وَشَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ٥٤ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمُنْزِلُ الْقُرْآنِ وَمَا تَدْرِي مَاذَا تَكْسِبُ عَذَابًا وَمَا تَدْرِي نَفْسُ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ٥٥

السؤال: لماذا ابتدأت الآية الكريمة بالليل؟

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ يَجْرِي فِي الْبَحْرِ يَنْصَبُ اللَّهُ لِيُرِيكَ مِن ءَايَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾

ووجه إيتار خلقي الصبر والشكر هنا للكتابة بهما، من بين شعب الإيمان، أنهما أنسب بمقام السير في البحر؛ إذ راكب البحر بين خطر وسلامة، وهما مظهر الصبر والشكر. ابن عاشور: ١٩٠/٢١.

السؤال: ما وجه إيتار خلقي الصبر والشكر عند ذكر جريان الفلك في البحر؟

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾

أي: صبار لقضائه، شكور على نعمائه، وقال أهل المعاني: أراد لكل مؤمن بهذه الصفة؛ لأن الصبر والشكر من أفضل خصال الإيمان. القرطبي: ٤٩٣/١٦.

السؤال: لم ختم الآية بهذين الوصفين العظيمين؟

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ يَجْرِي فِي الْبَحْرِ يَنْصَبُ اللَّهُ لِيُرِيكَ مِن ءَايَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾

مبالغ في كل من الصبر والشكر، وعلم من صيغة المبالغة في كل منهما أنه لا يعرف في الرخاء من عظمت الله ما كان يعرفه في الشدة إلا من طبعهم الله على ذلك، ووقفهم له، وأعانهم عليه بحفظ العهد، وترك النقض، جريا مع ما تدعو إليه الفطرة الأولى السليمة، وقليل ما هم. البقاعي: ٢٠٦/١٥.

السؤال: ما الذي يفيد ختم الآية بصفتي الصبر والشكر بصيغة المبالغة؟

﴿ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَجٌ كَالظُّلَلِ دَعَاُ اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الدَّيْرِ فَتَنَّهُمْ مِّثْقَلُ ذَرَّةٍ مَّا بَخَصَخُوا إِنَّا لَأَعْلَمُ خِتَارَكَ لَكُوفٍ ﴾

(ختار) أي: غدار، شديد الغدر؛ وذلك أنه جحد نعمته الله غداراً. ابن جزي: ١٧٦/٢.

السؤال: لم كان الكافر شديد الغدر؟

﴿ يَتَأَيَّمُوا أَنَّا قَوْمٌ فَتَكُونُ وَآخِشُوا يَوْمًا لَا يَجْرِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَانِبُ عَن وَلَدِهِ وَشَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ٥٤

يأمر تعالى الناس بتقواه؛ التي هي امتثال أوامره وترك زواجره، ويستلقتهم لخشيته يوم القيامة؛ اليوم الشديد، الذي فيه كل أحد لا يهيم إلا نفسه فلا يجوز والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً، لا يزيد حسناته ولا ينقص من سيئاته، قد تم على كل عبد عمله، وتحقق عليه جزاؤه. فلفت النظر في هذا لهذا اليوم المهين مما يقوي العبد، ويسهل عليه تقوى الله. السعدي: ٦٥٢.

السؤال: لماذا أكثر الله من ذكر أحوال يوم القيامة في القرآن؟

﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمُنْزِلُ الْقُرْآنِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ عَذَابًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾

وُنُقِيت هذه الخمسة في كلام النبي ﷺ بمفاتيح الغيب، وفسر بها قوله تعالى: (وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو) [الأنعام: ٥٩]؛ فهي صحيح البخاري من حديث ابن عمر قال رسول الله ﷺ: (مفاتيح الغيب خمس) ثم قرأ: (إن الله عنده علم الساعة). ابن عاشور: ١٩٨/٢١.

السؤال: بماذا تسمى الأمور الخمسة المذكورة في الآية الكريمة؟

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ٥٠ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبُطْلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ٥١ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ يَجْرِي فِي الْبَحْرِ يَنْصَبُ اللَّهُ لِيُرِيكَ مِن ءَايَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ٥٢ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَجٌ كَالظُّلَلِ دَعَاُ اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الدَّيْرِ فَتَنَّهُمْ مِّثْقَلُ ذَرَّةٍ مَّا بَخَصَخُوا إِنَّا لَأَعْلَمُ خِتَارَكَ لَكُوفٍ ٥٣ يَتَأَيَّمُوا أَنَّا قَوْمٌ فَتَكُونُ وَآخِشُوا يَوْمًا لَا يَجْرِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَانِبُ عَن وَلَدِهِ وَشَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ٥٤ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمُنْزِلُ الْقُرْآنِ وَمَا تَدْرِي مَاذَا تَكْسِبُ عَذَابًا وَمَا تَدْرِي نَفْسُ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ٥٥

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
يُولِجُ	يُدْخِلُ، بِأَن يَأْخُذَ مِن سَاعَاتِ اللَّيْلِ فَيُطَوِّلُ النَّهَارَ، وَالْعَكْسَ.
غَشِيَهُمْ	عَلَاهُمْ.
كَالظُّلَلِ	كَالسَّحَابِ، أَوِ الْجِبَالِ الْمُطْبَتِ.
خِتَارٌ	غَدَارٌ نَاقِضٌ لِلْعَهْدِ.

## ● العمل بالآيات

١. شاهد صورا من السفن، أو اقرا شيئا عنها؛ لتتعرف على عظيم نعمته الله علينا بها، ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ يَجْرِي فِي الْبَحْرِ يَنْصَبُ اللَّهُ لِيُرِيكَ مِن ءَايَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾.

٢. تذكر موقفا صعبا نجاك الله منه، واحمد الله على نعمته النجاة، ثم اعمل عملاً صالحا شكرا لله، ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَجٌ كَالظُّلَلِ دَعَاُ اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الدَّيْرِ فَتَنَّهُمْ مِّثْقَلُ ذَرَّةٍ مَّا بَخَصَخُوا إِنَّا لَأَعْلَمُ خِتَارَكَ لَكُوفٍ ﴾.

٣. تذكر شيئا من زينة الدنيا تعلق به قلبك، ثم اكتب ثلاثة من عيوبه؛ حتى يخف تعلقك به، ﴿ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴾.

## ● التوجيهات

١. بعض مشركي هذا الزمان أشد من كفار قريش؛ لأنهم يشركون في الرخاء والشدة، أما مشركو قريش فكانوا يشركون في الرخاء، ويوحدون في الشدة، ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَجٌ كَالظُّلَلِ دَعَاُ اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الدَّيْرِ فَتَنَّهُمْ مِّثْقَلُ ذَرَّةٍ مَّا بَخَصَخُوا إِنَّا لَأَعْلَمُ خِتَارَكَ لَكُوفٍ ﴾.

٢. ادعاء علم الغيب كثر، ومن يزعم أن أحدا من الأنبياء والأولياء يعلم الغيب فقد ادعى مشاركة المخلوق للخالق، ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمُنْزِلُ الْقُرْآنِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ عَذَابًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾.

٣. احذر التسويف، وعلبك بالعمل، ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ عَذَابًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾.



## ● الوقفات التدريبية

﴿الْأَلَمْ تَنْهَى الْمَكْنَبَ لَا رَبِّ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْمَلَكِينَ﴾

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقْرَأُ فِي الصُّبْرِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ: (الم ♦ تنزيل) السجدة، (وهل أتى على الإنسان). ابن كثير: ٣٥٨/٦.

السؤال: تأمل سورة السجدة، ثم حاول أن تبين الحكمة من استحباب قراءتها في فجر الجمعة.

﴿تَنْهَى الْمَكْنَبَ لَا رَبِّ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْمَلَكِينَ﴾

نزل من رب العالمين، الذي رباهم بنعمته، ومن اعظم ما رباهم به هذا الكتاب: الذي فيه كل ما يصلح أحوالهم، ويتمم أخلاقهم. السعدي: ٦٥٣.

السؤال: ما المقصود بوصف الربوبية في قوله تعالى: (رب العالمين)؟

﴿تَنْهَى الْمَكْنَبَ لَا رَبِّ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْمَلَكِينَ﴾

افتتحت السورة بالتوبيه بشأن القرآن؛ لأنه جامع الهدى الذي تضمنته هذه السورة وغيرها، ولأن جماع ضلال الضالين هو التكذيب بهذا الكتاب، فالحال جعل القرآن هدى للناس، وخص العرب أن يشرّفهم بجعلهم أول من يتلقى هذا الكتاب. ابن عاشور: ٢١٠/٢١.

السؤال: دلت الآية الكريمة على تعظيم شأن القرآن الكريم، بين ذلك.

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَيْءٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾

أي: ألا تسمعون هذه المواعظ؛ فلا تتذكرون بها، أو اتسمعونها؛ فلا تتذكرون بها، فالإنكار على الأول متوجه إلى عدم السماع، وعدم التذكر معا، وعلى الثاني إلى عدم التذكر مع تحقق ما يوجب به السماع. الألوسي: ١١٨/١١.

السؤال: متى تتحقق الفائدة من سماع الموعدة؟

﴿مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَيْءٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾

يقول: ما لكم أيها الناس دونه ولي يلي أمركم وينصركم منه إن أراد بكم ضرا، ولا شفيع يشفع لكم عنده إن هو عابقيكم على معصيتكم إياه، يقول: فإياه فاتخذوا وليا، وبه وبطاعته فاستعينوا على أموركم؛ فإنه يمنعكم إذا أراد منعكم ممن أرادكم بسوء، ولا يقدر أحد على دفعه عما أراد بكم هو؛ لأنه لا يقهره قاهر. الطبري: ١٦٦/٢٠.

السؤال: لا يصح أن يتعلق القلب والجوارح إلا بالله وحده، وضع ذلك من الآية.

﴿يَذِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾

فيه إشارة إلى أن تدبير العباد عند تدبيره عز وجل لا اثر له، فطوبى لمن رزق الرضا بتدبير الله تعالى واستغنى عن تدبيره. الألوسي: ١٣٨/١١.

السؤال: ما فائدة التوسل على الله سبحانه؟

﴿ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾

ومناسبة وصفه تعالى بـ (العزیز الرحيم) عقب ما تقدم: أنه خلق الخلق بمحض قدرته بدون معين، فالعزة - وهي الاستغناء عن الغير - ظاهرة، وأنه خلقهم على أحوال فيها لطف بهم؛ فهو رحيم بهم فيما خلقهم؛ إذ جعل أمور حياتهم ملائمة لهم، فيها نعيم لهم، وجنهم الآلام فيها. ابن عاشور: ٢١٥/٢١.

السؤال: ما مناسبة وصفه تعالى بـ (العزیز الرحيم) في الآية الكريمة؟

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ الْمَكْنَبَ لَا رَبِّ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْمَلَكِينَ  
﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِشِدَّةِ قُوَّتِهِ  
مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قِبَلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ اللَّهُ  
الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ  
ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَيْءٍ  
أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ يَذِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَرْجِعُ  
إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ ذَلِكَ  
عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ الَّذِي أَحْسَنَ  
كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ ثُمَّ جَعَلَ  
نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ  
رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا  
مَّا تَشْكُرُونَ﴾ وَقَالُوا آيَةُ ذَا صُلْبِنَا فِي الْأَرْضِ آيَةً نَّالِي  
خَلْقَ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾ قُلْ يَتُوبُ اللَّهُ  
مَلِكُ الْمَوْتِ الَّذِي يُكْسِلُ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
افْتَرَاهُ	اخْتَلَقَهُ مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ.
اسْتَوَى	عَلَا وَارْتَفَعَ؛ اسْتَوَاءً يَلِيْقُ بِجَلَالِهِ وَعَظَمَتِهِ.
يَهْرُجُ إِلَيْهِ	يَصْعَدُ إِلَيْهِ.
نَسْلُهُ	ذُرِّيَّتُهُ.
سُلَالَةٍ	وَهِيَ النُّطْفَةُ؛ لِأَنَّهَا مُسْتَلَّةٌ مِنْ جَمِيعِ الْبَنِينَ.
مَّهِينٍ	ضَعِيفٍ رَقِيقٍ.
صَلَبْنَا فِي الْأَرْضِ	تَحَوَّلْنَا قَرَابًا بَعْدَ الْمَوْتِ.

## ● العمل بالآيات

١. ذكر إمام مسجدك بقراءة سورة السجدة مع سورة الإنسان فجر الجمعة؛ فإنها سنة.

٢. ادع الله تعالى أن يدير لك أمورك، وأن يرزقك العلم النافع، فهو المدير والعليم؛ ﴿يَذِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾.

٣. ادع الله أن يحسن خلقك كما حسن خلقك؛ ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾.

## ● التوجيهات

١. في الآية بيان لعظيم قدرة الله في تدبير الأمور؛ ﴿يَذِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾.

٢. السمع والبصر نعمتان، وشكرهما يكون باستعمالهما فيما يقرب إلى الله؛ ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾.

٣. تذكر لحظة الوفاة التي تقابل الله تعالى فيها بعملك؛ إن خيرا، أو شرا؛ ﴿قُلْ يَتُوبُ اللَّهُ مَلِكُ الْمَوْتِ الَّذِي يُكْسِلُ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾.

## تفسير سورة السجدة

وهي مكية، [وعدد آياتها (٣٠) آية].

[فضل السورة]: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يقرأ في الفجر يوم الجمعة: ﴿آلَآءُ تَبَارَكَ الَّذِي السَّجْدَةُ﴾، و﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ﴾ [رواه البخاري ومسلم]. وعن جابر قال: كان النبي ﷺ لا ينام حتى يقرأ ﴿آلَآءُ تَبَارَكَ الَّذِي السَّجْدَةُ﴾، و﴿تَبَارَكَ الَّذِي يَدْبِرُ الْأُمُورَ﴾ [رواه أحمد والترمذي، وصححه الألباني].

الآية (١-٢): قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة [البقرة] بما أغنى عن إعادته.

وقوله: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي لَدَيْهِ مَغَازٍ﴾ أي: لا شك فيه ولا مرية أنه منزل ﴿مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

الآية (٣): ثم قال خبراً عن المشركون: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ﴿آفَرَبُّهُ﴾ أَي: اختلقه من تلقاء نفسه، ﴿بَلْ هُوَ الْوَعْدُ الَّذِي يَبْدُونَ﴾ بل يقولون ﴿مَا آتَاهُمْ مِنْ نَّذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ أي: يتبعون الحق.

الآية (٤): يخبر تعالى أنه الخالق للأشياء، ف﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾. قوله: ﴿مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلٍ وَلَا شَفِيعٍ﴾ أي: بل هو المالك لأرمة الأمور، الخالق لكل شيء، المدبر لكل شيء، القادر على كل شيء، فلا ولي لخلقه سواه، ولا شفيع إلا من بعد إذنه.

﴿أَفَلَا نُنذِرُكُمْ﴾ يعني: أيها العابدون غيره، المتوكلون على من عداه، تعالى وتقدس وتنزه أن يكون له نظير أو شريك أو نديد، أو وزير أو عدل، لا إله إلا هو ولا رب سواه.

الآية (٥): قوله: ﴿يُبْدِ الْأُمُورَ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ﴾ أي: ينتزل أمره من أعلى السموات إلى أقصى تخوم الأرض السابعة؛ كما قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحْلَلَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً﴾ [الطلاق: ١٢].

وتُرفع الأعمال إلى ديوانه فوق سماء الدنيا، ومسافة ما بينها وبين الأرض مسيرة خمسمائة سنة، وسُمك السماء خمسمائة سنة.

وقال مجاهد، وقتادة، والضحاك: النزول من الملك في مسيرة خمسمائة عام، وصعوده في مسيرة خمسمائة عام، ولكنه يقطعها في طرفة عين؛ ولهذا قال تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾.

الآية (٦): ﴿ذَلِكَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ أي: المدبر لهذه الأمور الذي هو شهيد على أعمال عباده، يُرفع إليه جليلها وحقيقها، وصغيرها وكبيرها، هو ﴿الْعَزِيزُ﴾ الذي قد عز كل شيء فقهره وغلبه، ودانت له العباد والرقاب، ﴿الْجَبَّارُ﴾ بعباده المؤمنين: فهو عزيز في رحمته، رحيم في عزته، وهذا هو الكمال: العزة مع الرحمة، والرحمة مع العزة، فهو رحيم بلا ذل.

الآية (٧): يقول تعالى خبراً أنه الذي أحسن خلق الأشياء وأنقنها وأحكمها. قال مالك عن زيد بن أسلم: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾: أحسن خلق كل شيء كأنه جعله من المقدم والمؤخر.

الآية (٨): ﴿لَمَّا ذُكِّرُوا بِالْإِنْسَانِ﴾: لَمَّا ذُكِّرَ خلق السموات والأرض شرع في ذكر خلق الإنسان فقال: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِن طِينٍ﴾ يعني: خلق أبا البشر آدم من طين.

الآية (٩): ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ أي: يتناسلون كذلك من نقطة تخرج من بين صلب الرجل وتواب المرأة، ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ﴾ يعني: آدم، لما خلقه من تراب خلقه سواً مستقيماً، ﴿وَوَضَعْنَاهُ فِي رُحُونِ رُحِيمٍ وَجَعَلْنَا لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ يعني: العقول ﴿فَلْيَكْلَمُوا فَتَمَّ شُكْرُكُمْ﴾ أي: بهذه القوى التي رزقكموها الله ﷻ. فالسعيد من استعملها في طاعة ربه ﷻ.

الآية (١٠): يقول تعالى خبراً عن المشركون في استبعادهم المعاد حيث قالوا: ﴿أَوَدَا صَلَّيْنَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: تمزقت أجسامنا وتفرقت في أجزاء الأرض وذهبت ﴿أَوَلَمْ نَلْقَ خَلْقَ جَدِيدٍ﴾ أي: أئنا لتعود بعد تلك الحال؟! يستبعدون ذلك، وهذا إنما هو بعيد بالنسبة إلى قدرتهم العاجزة، لا بالنسبة إلى قدرة الذي بداهم وخلقهم من العدم، الذي إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن، فيكون.

ولهذا قال: ﴿بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾.

الآية (١١): ﴿قُلْ يَتُوبُ إِلَيْكُمْ مَلِكُ السَّمَوَاتِ الَّذِي وَكَّلَ بِكُمْ الظَّاهِرَ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ مَلِكَ الْمَوْتِ شَخْصٌ مَعِينٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَقَدْ سَمِيَ بِبَعْضِ الْأَنْبَاءِ بِعِزِّائِيلَ وَهُوَ الْمَشْهُورُ، قَالَ قَتَادَةُ وَغَيْرُ وَاحِدٍ، وَلَهُ أَعْوَانٌ.

وهكذا ورد في الحديث أن أعوانه ينتزعون الأرواح من سائر الجسد، حتى إذا بلغت الخلقوم تناولها ملك الموت. قال مجاهد: حُوت له الأرض فجعلت له مثل الطست، يتناول منها حيث يشاء. وقوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ إِلَيْنَا رُجُوكُمْ تَرْجَعُونَ﴾ أي: يوم معادكم وقيامكم من قبوركم لجزائكم.

الآية (١٢): يخبر تعالى عن حال المشركين يوم القيامة، وحالهم حين عابنوا البعث، وقاموا بين يدي الله حقيرين ذليلين، ناكسي رؤوسهم، أي: من الحياء والنحل، يقولون: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْنَا وَسَلِّغْنَا﴾ أي: نحن الآن نسمع قولك ونطيع أمرك، كما قال تعالى: ﴿أَسْمِعْ يَوْمَ وَأَصْبِرْ يَوْمَ يَأْتُوكَ﴾ [مریم: ٣٨]. وكذلك يعمدون على أنفسهم بالملامة إذا دخلوا النار بقولهم: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠]. وهكذا هؤلاء يقولون: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْنَا وَسَلِّغْنَا قَاتِرِغْنَا﴾ أي: إلى الدار الدنيا ﴿تَحْمِلْ صَليحًا إِنَّا مَرْفُوقُونَ﴾ أي: قد أيقنا وتحققنا أن وعدك حق ولقاءك حق، وقد علم الرب تعالى منهم أنه لو أعادهم إلى الدار الدنيا لكانوا كما كانوا فيها كفارًا يكذبون آيات الله ويخالفون رسله؛ كما قال: ﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُ إِذْ وَفَّوْنَا عَلَى الْكُفَرِ فَقَالُوا ذَلِكُنَا تِلْكَ ذَلِكُنَا يَأْتِي رَبِّنَا وَكَانُوا مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [٧] بل بدلًا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه فَيُؤْمِنُ كَذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٧-٢٨].

الآية (١٣): قال ههنا: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هَدًى﴾ كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمَّ جِيعًا﴾ [يونس: ٩٩]. ﴿وَلَكِن حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ أي: من الصنفين، فذأهم النار لا يحيد لهم عنها ولا يحص لهم منها، نعوذ بالله وكلماته الثامنة من ذلك.

الآية (١٤): ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ أي: يقال لأهل النار على سبيل التقرير والتوبيخ: ذوقوا العذاب بسبب تكذيبكم به، واستبعادكم وقوعه، وتناسيكم له؛ إذ عاملتموه معاملة من هو ناس له، ﴿إِنَّا نَسِيتُكُمْ﴾ أي: ستعاملكم معاملة الناس؛ لأنه تعالى لا ينسى شيئًا ولا يضل عنه شيء، بل من باب المقابلة؛ كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ نَسُوا نَسْكَكَ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ [الباقية: ٣٤]. قوله: ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: بسبب كفركم وتكذيبكم؛ كما قال في الآية الأخرى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ [١٦] إِلَّا حَيْثُ مَا وَصَّافَا ﴿١٧﴾ جَزَاءً وَفَاءً ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿١٩﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ﴿٢٠﴾ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢١﴾ فَذُوقُوا فَلَن نُّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [الباقية: ٢٤-٣٠].

الآية (١٥-١٦): يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ أي: إنما يصدق بها ﴿الَّذِينَ إِذَا دُعُوا إِلَيْهَا خَرُّوا سُجَّدًا﴾ أي: استمعوا لها وأطاعوها قولًا وفعلًا ﴿وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ أي: عن اتباعها والانقياد لها، كما يفعله الجهلة من الكفرة الفجرة؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]. قال تعالى: ﴿نَسَجَافٍ جُتُوبُهُمْ عَنِ الْمَصَائِجِ﴾ يعني بذلك: قيام الليل، وترك النوم والاضطجاع على الفُرش الوطنية. قال مجاهد والحسن في قوله تعالى: ﴿نَسَجَافٍ جُتُوبُهُمْ﴾: يعني بذلك: قيام الليل. وعن أنس وعكرمة: هو الصلاة بين

العشاءين. وعن أنس أيضًا: هو انتظار صلاة العتمة. رواه ابن جرير بإسناد جيد. وقال الضحاك: هو صلاة العشاء في جماعة، وصلاة الغداة في جماعة. ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ أي: خوفًا من وبال عقابه، وطمعًا في جزيل ثوابه ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ فيجمعون بين فعل القربات اللازمة والمتعدية، ومُقَدَّم هؤلاء وسيدهم وفخرهم في الدنيا والآخرة رسول الله ﷺ. عن معاذ بن جبل قال: كنت مع النبي ﷺ فقال: «ألا أدلك على أبواب الخير؟ الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة، وصلاة الرجل في جوف الليل». ثم قرأ: ﴿نَسَجَافٍ جُتُوبُهُمْ عَنِ الْمَصَائِجِ﴾ حتى بلغ ﴿يَعْمَلُونَ﴾ [رواه النسائي والترمذي، وصححه الألباني].

الآية (١٧): قوله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: فلا يعلم أحد عظمة ما أخفى الله لهم في الجنات من النعيم المقيم، واللذات التي لم يطلع على مثلها أحد، لما أخفوا أعمالهم أخفى الله لهم من الثواب جزاءً وفاءً؛ فإن الجزاء من جنس العمل. قال الحسن البصري: أخفى قوم عملهم فأخفى الله لهم ما لم تر عين ولم يخطر على قلب بشر. عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «قال تعالى: أعدت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر». قال أبو هريرة: فافرقوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [متفق عليه].

الآية (١٨): يخبر تعالى عن عدله أنه لا يساوي في حكمه يوم القيامة من كان مؤمنًا بآياته متبعًا لرسله، بمن كان فاسقًا، أي: خارجًا عن طاعة ربه مكذبًا لرُسله إليه؛ كما قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَ لَهُمْ آيَاتِنَا أَسْمَاءً وَعَظِمُوا الصَّلَاةَ سَوَاءً بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الباقية: ٢١]. وقال: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْفَسِيْقِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨]. ولهذا قال ههنا: ﴿أَفَسَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ﴾ أي: عند الله يوم القيامة. وقد ذكر عطاء بن يسار والسُّدي أنها نزلت في علي بن أبي طالب، وعقبة بن أبي معيط.

الآية (١٩-٢٠): قال: ﴿أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أي: صدقت قلوبهم بآيات الله وعملوا بمقتضاها، وهي الصالحات ﴿فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ﴾ أي: التي فيها المساكن والدور والغرف العالية ﴿نَزُلًا﴾ أي: ضياقة وكرامة ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [٢١] وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا﴾ أي: خرجوا عن الطاعة ﴿فَأَعَدَّ لَهُمْ أَتَارَافَ كُلِّ أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾ كقوله: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَيْرِ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [الحج: ٢٢]. قال الفضيل بن عياض: والله إن الأيدي لموتقة، وإن الأرجل لمقيدة، وإن اللهب ليرفهمهم والملائكة تقمعهم. ﴿وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهَا تَكْفُرُونَ﴾ أي: يقال لهم ذلك تقريبًا وتوبيخًا.



## ● الوقفات التدريبية

١ ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾

ولو ترى حال المجرمين في الآخرة؛ لرايت أمرا مهولاً. (ناكسوا رؤوسهم) عبارة عن الذل، والغم، والندم. (ربنا أبصرنا وسمعنا) تقديره: يقولون:

ربنا قد علمنا الحقائق. ابن جزي: ١٧٨/٢.

السؤال: لماذا ينكس المجرمون رؤوسهم يوم القيامة؟

٢ ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّىٰ بَعَائِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾

أي: خروا سجداً لله تعالى على وجوههم؛ تعظيماً لآياته، وخوفاً من سطوته وعذابه. القرطبي: ٢٧/١٧.

السؤال: ما الحال التي ينبغي أن يكون عليها المؤمن عند تذكره بآيات الله؟

٣ ﴿ نَسْجَا جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَصَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾

(تسجأ جنوبهم عن المضاجع) أي: ترتفع، والمعنى: يتركون مضاجعهم بالليل من كثرة صلاتهم النوافل، ومن صلى العشاء والصبح في جماعة فقد أخذ بحظه من هذا. ابن جزي: ١٧٩/٢.

السؤال: ما الذي دفع بعض المؤمنين إلى ترك مضاجعهم؟

٤ ﴿ نَسْجَا جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَصَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾

(وطمعاً) أي: في رضاه الموجب لثوابه، وعبر به دون الرجاء؛ إشارة إلى أنهم لشدة معرفتهم بنقائصهم لا يعمدون أعمالهم شيئاً، بل يطلبون فضله بغير سبب، وإذا كانوا يرجون رحمته بغير سبب فهم مع السبب أرحم؛ فهم لا يياسون من روحه. البقاعي: ٢٥٦/١٥.

السؤال: لماذا عبر بالطمع بدل الرجاء؟

٥ ﴿ نَسْجَا جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَصَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾

(ومما رزقناهم ينفقون)، ولما ذكر إيتارهم التقرب إلى الله على حظوظ لذاتهم الجسدية ذكر معه إيتارهم إياه على ما به نوال لذات أخرى؛ وهو المال. ابن عاشور: ٢٢٩/٢١.

السؤال: لماذا جاء قوله تعالى (ومما رزقناهم ينفقون) بعد الكلام عن قيام الليل؟

٦ ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾

أي: فلا يعلم أحد عظمت ما أخفى الله لهم في الجنات من النعيم المقيم، واللذات التي لم يطلع على مثله أحد؛ لما أخفوا أعمالهم، كذلك أخفى الله لهم من الثواب، جزاءً وفاً؛ فإن الجزاء من جنس العمل. قال الحسن البصري: أخفى قوم عملهم فأخفى الله لهم ما لم تر عين، ولم يخطر على قلب بشر. ابن كثير: ٤٤٣/٣.

السؤال: لماذا أخفى الله الكثير من جزاء أهل الجنة؟

٧ ﴿ كَلِمًا أَرَادُوا أَن يَخْرِجُوا مِنْهَا أَعْيِدُوا فِيهَا ﴾

فكلما حدثتهم إرادتهم بالخروج لبلوغ العذاب منهم كل مبلغ، ردوا إليها، فذهب عنهم روح ذلك الفرج، واشتد عليهم الكرب. السعدي: ١٥٦.

السؤال: كيف يدل هذا الجزء من الآية على شدة عذابهم؟

وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَكِن حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٢﴾ قَدْ قَرَأَ بِمَا نَسِيحْتُمْ لِقَاءَ رَبِّكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِعَائِنَا الَّذِينَ إِذَا دُكِّرُوا بِهَا خَرُوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤﴾ نَسْجَا جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَصَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴿٧﴾ إِنَّمَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَإِنَّمَا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٩﴾

سجدة

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ	قَدْ خَفَضُوهَا، وَأَطَرُوهَا خِزْيًا وَنَدَمًا.
حَقَّ الْقَوْلُ	ثَبَّتَ وَتَحَقَّقَ وَوَجَبَ.
الْجِنَّةِ	الْجِنُّ.
نَسْجَا	تَرَفَّعَ، وَتَنَتَّحَى لِلْعِبَادَةِ.
الْمَصَاجِعِ	فُرْشِ النَّوْمِ.
مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ	مَا أَخْفَى لَهُمْ مِنَ الْجَزَاءِ.
مِن قُرَّةِ أَعْيُنٍ	مَا يُفْرِحُ، وَيَسُرُّ.
الْمَأْوَىٰ	الَّتِي يَأْوُونَ إِلَيْهَا، وَيُقِيمُونَ فِيهَا.
نُزُلًا	ضِيَافَةً لَهُمْ.

## ● العمل بالآيات

- اسجد سجدة تلاوة عند قراءة هذه الآية: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِعَائِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾.
- اضبط منتهك لتقوم وتصلي من الليل وتدعو ربك، ﴿ نَسْجَا جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَصَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾.
- تصدق بصدقة، ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾.

## ● التوجيهات

- اعمل الصالحات قبل أن تمنى عملها ولا تستطيع، ﴿ فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾.
- الهداية بيد الله تعالى، فاسأل الله إياها، ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى ﴾.
- ليكن لك خبيثة عمل صالح، فاعمل عملاً صالحاً لا يطلع عليه إلا الله، ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾.



## ● الوقفات التدريبية

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فُزِعَ عَنْهَا إِثْمًا مِّنَ الْمَجْرِمِينَ سُنِقُوا ﴾

(ومن اظلم اي: لا احد اظلم لنفسه، (ممن ذكر بآيات ربه) اي: بحججه وعلاماته، (ثم اعرض عنها) بترك القبول، (انا من المجرمين مننقمون) لتكذيبهم وإعراضهم. القرطبي: ٤١-٤٠/١٧.

السؤال: بين خطورة الإعراض عن مواضع الله تعالى وعاقبته.

﴿ وَحَمَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾

فيه إشارة إلى ما ينبغي ان يكون المرشد عليه من الأوصاف: وهو الصبر على مشاق العبادات، وأنواع البليات، وحبس النفس عن ملاذ الشهوات، والإيقان بالآيات، فمن يدعي الإرشاد وهو غير متصف بما ذكر فهو ضال. الألوسي: ١١/١٣٩.

السؤال: كيف يكون الداعية من أئمة الهدى؟

﴿ وَحَمَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ﴾

سئل سفيان عن قول علي -رضي الله عنه-: «الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد» فقال: ألم تسمع قوله: (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا) قال: «لما أخذوا برأس الأمر صاروا رؤوساً». ابن كثير: ٤٤٦/٣.

السؤال: من أين جاء علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- بهذا المعنى:

«الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد»؟

﴿ وَحَمَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾

(لما صبروا) اي: لتصبرهم جعلناهم أئمة. وهذا الصبر صبر على الدين، وعلى البلاء، وقيل: صبروا عن الدنيا. القرطبي: ٤٣/١٧.

السؤال: ما المقصود بالصبر في هذه الآية؟

﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴾

(إن في ذلك) اي: فيما ذكر من إهلاكنا للأمم الخالية العاتية، أو في مساكنهم، (آيات) عظيمة في انفسهم، كثيرة في عبادهم، (افلا يسمعون) هذه الآيات سماع تدبر واتعاظ. الألوسي: ١١/١٣٦.

السؤال: ما الفائدة ذكر اخبار الأمم الخالية؟

﴿ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾

ومن زعم أن المراد من هذا الفتح فتح مكة فقد أبعد النجعة، وأخطأ فافحش: فإن يوم الفتح قد قبل رسول الله ﷺ إسلام الطلقاء، وقد كانوا قريباً من الفين، ولو كان المراد فتح مكة لما قبل إسلامهم: لقوله تعالى: (قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون)، وإنما المراد الفتح الذي هو القضاء والفصل. ابن كثير: ٤٤٧/٣.

السؤال: ما المقصود بالفتح في هذه الآية؟

﴿ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ فَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ إِنَّهُمْ مُنْتَفِظُونَ ﴾

فاعرض عن سفهمهم، ولا تجههم إلا بما امرت به، (وانتظر إنهم منتظرون) اي: انتظر يوم الفتح: يوم يحكم الله لك عليهم. القرطبي: ٤٦/١٧.

السؤال: بين المنهج القرآني في التعامل مع المكذبين المعرضين؟

وَلَذِيقَتْهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْآدَنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فُزِعَ عَنْهَا إِثْمًا مِّنَ الْمَجْرِمِينَ سُنِقُوا ﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٤٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٤٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُم يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٥﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْكَلْبَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَيْدًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَعْمَلُمُهُ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٩﴾ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ فَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ إِنَّهُمْ مُنْتَفِظُونَ ﴿٥٠﴾

سُورَةُ الْاِنْشِرَاقِ ﴿٥١﴾

٤١٧

## ● معاني الكلمات

المعنى	الكلمة
البَلَاءُ وَالْمَصَائِبُ فِي الدُّنْيَا.	الْعَذَابُ الْأَدْنَى
شَكَّ	مِرْيَةً
لِقَاءِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ.	مِنْ لِّقَائِهِ
أَوَلَمْ يَتَّبِعِ لَهُؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ؟	أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ
الْيَابِسَةُ، الْغُلِيظَةُ الَّتِي لَا نَبَاتَ فِيهَا.	الْجُرُزُ
يُحْمَلُونَ.	يُنْظَرُونَ

## ● العمل بالآيات

١. تذكر ثلاثاً من المصائب والابتلاءات التي انذر الله بها أهل بلدك، ثم ذكر بها غيرك، ﴿ وَلَذِيقَتْهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْآدَنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾.
٢. تذكر مصيبة نزلت بك، ثم حاسب نفسك، وارجع إلى ربك، ﴿ وَلَذِيقَتْهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْآدَنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾.
٣. استعرض من قصص القرآن خمساً من صور العذاب الدنيوي التي عوقب بها العصاة، ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴾.

## ● التوجيهات

١. إهلاك الله تعالى للقرن السابغة أكبر واعظ لمن له قلب وبصيرة، ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴾.
٢. استعجال العذاب يدل على الجهل والطيش، ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾.
٣. التوبة لا تقبل عند معاينة العذاب، أو مشاهدة ملك الموت ساعة الاحتضار، ﴿ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾.

ولهذا قال: ﴿يَسْتَوْفُونَ مِنْكَ حَقَّهُمْ﴾ أي: هؤلاء المكذوبون يمضون في مساكن أولئك المكذبين فلا يرون فيها أحداً ممن كان يسكنها ويعمرها، ذهبوا منها؛ كما قال: ﴿فَقَالَ يُؤْتِيهِمْ خَاوِيَةً يَمَّا ظَلَمُوا﴾ [النمل: ٥٠]؛ ولهذا قال ههنا: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ أي: إن في ذهاب أولئك القوم ودمارهم وما حل بهم بسبب تكذيبهم الرسل، ونجاة من آمن بهم، آيات وعبراً ومواعظ ودلائل مظهرة ﴿أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ أي: أخبار من تقدم، كيف كان أمرهم؟!

الآية (٢٧): ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا سَوَّيْنَا إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزَ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعُمُهُمْ وَأَنْعُمُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ بين تعالى لطفه بخلقه، وإحسانه إليهم في إرسال الماء إما من السماء أو من السبح، وهو: ما تحمله الأنهار وينحدر من الجبال إلى الأراضي المحتاجة إليه في أوقاته؛ ولهذا قال: ﴿إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾ وهي التي لا نبات فيها؛ كما قال: ﴿وَلَوْ أَنَّا لَجَعَلْنَاهَا مَاءً عَلِيًّا حَرَبْنَا عَلَيْهَا صَحِيدًا جُرُزًا﴾ [الحج: ٨]، أي: يئسا لا تنبت شيئا. قال ابن عباس: قوله: ﴿إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾ هي التي لا غطاء إلا مطراً لا يغني عنها شيئا، إلا ما يأتيها من السيول. وقال عكرمة وقادة: الأرض الجز: التي لا نبات فيها وهي مغبرة. قلت: وهذا كقوله: ﴿وَأَيُّكُمْ أَلَمْ يَأْتِ الْأَرْضَ أَيْتُهُمْ أَحْيَيْتُهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَيَتَنَّهُمْ بِأَكْثَرُونَ﴾ [٢٨] ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا حَبْلًا مِنْ نَجِيلٍ وَأَعْنَبَ فِيهَا مَصْفَرًّا وَمِنْهَا الْيَتُومُونَ﴾ [٢٩] ﴿يَأْكُلُونَ مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ [٣٠] (س: ٣٣-٣٥).

الآية (٢٨): يقول تعالى خبراً عن استعجال الكفار ووقوع بأس الله بهم، وحلول غضبه ونقمته عليهم، استعباداً وتكذيباً وعناداً: ﴿وَنُفِثُوا مِنْ مَتْنِ هَذَا الْفَتْحِ﴾ أي: متى نُصَرِّعُ علينا يا محمد؟ كما تزعم أن لك وقتاً ثلثاً علينا، ويُتَقَمُّ لك منا، فمتى يكون هذا؟ ما نراك أنت وأصحابك إلا خائفين خائفين ذليلاً!

الآية (٢٩): ﴿قَدْ يَوْمَ الْفَتْحِ﴾ أي: إذا حل بكم بأس الله وسخطه وغضبه في الدنيا وفي الآخرة ﴿لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِسْنُهُمْ وَلَا هَرَبُظُنُّهُمْ﴾؛ كما قال تعالى: ﴿قَدْ يَوْمَ الْفَتْحِ إِسْنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سَأَلُ اللَّهَ إِلَهَ الْفَلَاحِ فِي عِبَادِهِ وَخَيْرَ هَؤُلَاءِ الْكَافِرُونَ﴾ [غافر: ٨٥]، ومن زعم أن المراد من هذا الفتح فتح مكة فقد أبعد النجعة، وأخطأ فأفحش؛ فإن يوم الفتح قد قبل رسول الله ﷺ إسلام الطلقاء، ولو كان المراد فتح مكة لما قبل إسلامهم، وإنما المراد الفتح الذي هو القضاء والفصل؛ كقوله تعالى: ﴿فَأَنْفَعُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ قَسَمًا إِنَّهُ وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١١٨].

الآية (٣٠): ﴿فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَأَنْظَرْنَا إِلَهُهُمْ مُنْتَظِرُونَ﴾ أي: أعرض عن هؤلاء المشركين وبلغ ما أنزل إليك من ربك، وانتظر فإن الله سينجز لك ما وعدك، وسينصرك على من خالفك، إنه لا يخلف الميعاد. ﴿إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ﴾ أي: أنت منتظر، وهم منتظرون، ويتربصون بكم الدوائر، وسترى أنت عاقبة صبرك عليهم وعلى أداء رسالة الله في نصرتك وتأيلدك، وسيجدون غيباً ما ينتظرونه فيك وفي أصحابك، من وبيل عقاب الله لهم، وحلول عذابه بهم، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

الآية (٢١-٢٢): ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلَدِّ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ قال ابن عباس: يعني بالعذاب الأدنى: مصائب الدنيا وأسقامها وآفاتا، وما يحل بأهلها مما يتلى الله به عباده ليتوبوا إليه. وروي مثله عن أبي بن كعب، والحسن، ومجاهد، وقادة. وعن أبي بن كعب: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلَدِّ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾ قال: المصيبات والدخان قد مضيا، والبطشة واللزام (رواه مسلم موقوفاً بنحوه، وعند البخاري عن ابن مسعود بنحوه). وقال عبد الله بن مسعود أيضاً في رواية عنه: العذاب الأدنى: ما أصابهم من القتل والسبي يوم بدر. قال السدي: لم يبق بيت بمكة إلا دخله الحزن على قتل لهم أو أسر، فأصيبوا أو غرموا، ومنهم من مَجَّعَ له الأمران. ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَكَرَ يُنَادِي بِرَبِّهِ ثُمَّ اعْرَضَ عَنْهَا﴾ أي: لا أظلم ممن ذكَّره الله بآياته وبينها له ووضحها، ثم بعد ذلك تركها وجحدتها وأعرض عنها وتناساها، كأنه لا يعرفها. قال قتادة: إياكم والإعراض عن ذكر الله؛ فإن من أعرض عن ذكره فقد اغتر أكبر الغرقة، وأعوز أشد العوز، ولهذا قال تعالى متهدداً لمن فعل ذلك: ﴿إِنَّا مِنَ الْمُشْرِكِينَ مُنْهَوْنُونَ﴾ أي: سأنتقم ممن فعل ذلك أشد الانتقام.

الآية (٢٣): يقول تعالى خبراً عن عبده ورسوله موسى ﷺ ﴿فَلَا تَكُنْ فِي مَرْيَبٍ مِّنْ لِّقَائِهِ﴾ قال قتادة: يعني به ليلة الإسراء. [وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «أريت ليلة أسري بي موسى بن عمران؛ رجلاً آدم طَوَّالاً جَعْدًا، كأنه من رجال شنوءة... في آيات أراهن الله إياه»] ﴿فَلَا تَكُنْ فِي مَرْيَبٍ مِّنْ لِّقَائِهِ﴾ أنه قد رأى موسى، ولقي موسى ليلة أسري به. [البيهقي في الدلائل، وأصله في البخاري]. قوله: ﴿وَجَعَلْنَاهُ﴾ أي: الكتاب الذي آتيناها ﴿هَذِي لَبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ كما قال تعالى: ﴿وَمَا آتَيْنَا مُوسَى إِلَّا كِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُذًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ أَلاَّ يَتَّبِعُوا مِن دُونِي رِسَالًا﴾ [الإسراء: ٢].

الآية (٢٤-٢٥): ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِأَيِّدِنَا يُوقِنُونَ﴾ أي: لما كانوا صابرين على أوامر الله، وترك نواهيهم وزواجهم، وتصديق رسله واتباعهم فيها جاؤوهم به، كان منهم أئمة يهدون إلى الحق بأمر الله، ويدعون إلى الخير، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر. ثم لما بدلوا وخرفوا وأولوا، ضلُّوا ذلك المقام، وصارت قلوبهم قاسية، يجرفون الكلم عن مواضعه، فلا عملاً صالحاً، ولا اعتقاداً صحيحاً؛ ولهذا قال: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾ قال قتادة: لما صبروا عن الدنيا. وقال سفيان: هكذا كان هؤلاء، ولا ينبغي للرجل أن يكون إماماً يُقْتَدَى به حتى يتحامي عن الدنيا. وقال بعض العلماء: بالصبر واليقين ثنال الإمامة في الدين. قال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ أي: من الاعتقادات والأعمال.

الآية (٢٦): يقول تعالى: أولم يهد هؤلاء المكذبين بالرسل ما أهلك الله قلوبهم من الأمم الماضية، بتكذيبهم الرسل ومخالفتهم إياهم فيها جاؤوهم به من قويم السبل، فلم يبق منهم باقية ولا عين ولا أثر؛



... تفسير سورة الأحزاب ...

وهي مدنية، [وعدد آياتها (٧٣) آية].

[فضل السورة]: روى الإمام أحمد عن زِدِّ قال: قال لي أَبِي بن كعب: كَأَيِّنْ تَقْرَأُ سُورَةَ الْأَحْزَابِ؟ أَوْ كَأَيِّنْ تَعْدَمُهَا؟ قَالَ: قُلْتُ: ثَلَاثًا وَسَبْعِينَ آيَةً. فَقَالَ: قَطُّ! لَقَدْ رَأَيْتُهَا وَإِنَّا لَنُعَادِلُ (سُورَةَ الْبَقَرَةِ)، وَلَقَدْ قَرَأْنَا فِيهَا: (الشَّيْخَ وَالشَّيْخَةَ إِذَا زَيْنَا فَارْجُوهُمَا الْبَتَّةَ، نَكَالًا مِنْ اللَّهِ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ). وَهَذَا إِسْنَادٌ حَسَنٌ، وَهُوَ يَقْتَضِي أَنَّهُ كَانَ فِيهَا قِرَاءَانٌ ثُمَّ نُسْخَ لَفْظِهِ وَحُكْمِهِ أَيْضًا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

الآية (٣-١): ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾ هذا تنبيه بالأعلى على الأدنى؛ فإنه تعالى إذا كان يأمر عبده ورسوله بهذا، فَلَمَّا يَأْمُرُ مَنْ دُونَهُ بِذَلِكَ بِطَرِيقِ الْأَوَّلِيِّ وَالْآخَرِيِّ. قال طَلْقُ بْنُ حَبِيبٍ: اتَّقُوا اللَّهَ، تَعْمَلُ بِطَاعَةِ اللَّهِ، عَلَى نُورٍ مِنَ اللَّهِ، تَرْجُو ثَوَابَ اللَّهِ، وَأَنْ تَتْرَكَ مَعْصِيَةَ اللَّهِ، عَلَى نُورٍ مِنَ اللَّهِ، خَافَةَ عَذَابَ اللَّهِ. ﴿وَلَا تُطِيعُوا الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ أَي: لَا تَسْمَعْ مِنْهُمْ وَلَا تَسْتَرْهُمْ ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ أَي: فَهُوَ أَحَقُّ أَنْ تَتَّبِعَ أَمْرَهُ وَتَطِيعَهُ؛ فَإِنَّهُ عَلِيمٌ بِعَوَاقِبِ الْأُمُورِ، حَكِيمٌ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ.

﴿وَاتَّبَعَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ أي: من قرآن وسنة ﴿إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يَمْتَحِنُكَ﴾ أي: فلا تخفى عليه خافية. ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ أي: في جميع أمورك وأحوالك ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ أي: وكفى به وكيلًا من توكل عليه وأتاب إليه.

الآية (٤): يقول تعالى مُوطَّئًا قبل المقصود المعنوي أمرًا معروفًا حسيًا، وهو أنه كما لا يكون للشخص الواحد قلبان في جوفه، ولا نصير زوجته التي يظهر منها بقوله: أَنْتَ عَلَيَّ كَظْهَرِ أُمِّي أَمَّا لَه، كذلك لا يصير الدَّعْيُ وَلَدًا للرجل إذا تَبَنَّاهُ فدعاه ابنًا له، فقال: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّنْ قَلْبَيْنِ فِيْ جَوْفِهِ، وَمَا جَعَلَ أَرْوَاحَكُمْ أَلَّتِي تَطَّهَّرُونَ مِنْهُنَّ أَهْتِكُمْ﴾ كقوله: ﴿مَا هُبَّ أَهْتُهُمْ إِنِّ أَهْتُهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَلَدْنَهُمْ﴾ [المجادة: ٢٠]. وقوله: ﴿وَمَا جَعَلَ أَرْوَاحَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ﴾ هذا هو المقصود بالنفي؛ فإنها نزلت في شأن زيد بن حارثة مولى النبي ﷺ، كان النبي ﷺ قد تَبَنَّاهُ قبل النبوة، وكان يقال له: زيد بن محمد. فأراد الله تعالى أن يقطع هذا الإلحاق وهذه النسبة. قوله: ﴿ذَلِكَم قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ﴾ يعني: تَبَيَّنْكُمْ لَمْ قَوْل لا يقتضي أن يكون ابنًا حقيقيًا؛ فإنه مخلوق من صلب رجل آخر، فما يمكن أن يكون له أبوان، كما لا يمكن أن يكون للبشر الواحد قلبان. قال سعيد بن جبير: ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ﴾ أي: العدل. وقال قتادة: ﴿وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ أي: الصراط المستقيم. [سبب النزول]: قد ذكر غير واحد: أن هذه الآية نزلت في رجل من قريش، كان يزعم أنه له قلبين، كل منهما بمقل وافر. فأنزل الله هذه الآية ردًا عليه. واختاره ابن جرير. وعن ابن عباس قال: قام رسول الله ﷺ يومًا يصلي، فحَطَرَ حَطْرَهُ<sup>(١)</sup>، فقال المنافقون الذين يصلون معه: ألا ترون

(١) يريد الوسوسة التي يوسوس بها الشيطان للمرأة في صلاته. [ينظر: النهاية في غريب الحديث، ولسان العرب، مادة (خطر)].

له قَلِيلَيْن، قَلْبًا مَعَكُمْ وَقَلْبًا مَعَهُمْ؟! فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي حَرْفِهِ﴾ (رواه أحمد وغيره، وصححه إسناده أحمد شاكر).

الآية (٥): ﴿أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ هذا أمر ناسخ لما كان في ابتداء الإسلام من جواز ادعاء الأبناء الأجانب، وهم الأدعياء، فأمر تعالى برد نسبهم إلى آبائهم في الحقيقة، وأن هذا هو العدل والقسط. عن عبد الله بن عمر أن زيداً مولى رسول الله ﷺ ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد، حتى نزل القرآن: ﴿أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [متفق عليه]. وقد كانوا يعاملونهم معاملة الأبناء من كل وجه، في الخلوة بالمحارم وغير ذلك. ولهذا لما نسخ هذا الحكم تزوج رسول الله ﷺ بزينب بنت جحش زوجة زيد بن حارثة. وأما دعوة الغير ابناً على سبيل التكريم والتعجيل فليس مما نهي عنه في هذه الآية. قوله: ﴿فَإِنْ لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَلَا تَحْكُمُوا فِي الَّذِينَ وَمَوْلَاهُمْ﴾ أمر تعالى برد أنساب الأدعياء إلى آبائهم إن عرفوا، فإن لم يعرفوا آباءهم فهم إخوانهم في الدين ومواليهم؛ أي: عوضاً عما فاتهم من النسب؛ ولهذا قال رسول الله ﷺ لزيد: «أنت أخونا ومولانا» (رواه مسلم). «وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ» أي: إذا نسبتم بعضهم إلى غير أبيه في الحقيقة خطأ، بعد الاجتهاد واستفراغ الوسع؛ فإن الله قد وضع الحرج في الخطأ ورفع إثمته. «وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا» أي: وإنما الإثم على من تعمد الباطل؛ كما قال تعالى: ﴿لَا يُؤَاغِدُكُمْ اللَّهُ بِاللُّغُوفِ فِي أَيْثُنِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاغِدُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٥].

الآية (٦): قد علم الله تعالى شفقة رسوله ﷺ على أمته، ونصحه لهم، فجعله أولى بهم من أنفسهم، وحكمه فيهم مُقَدِّمًا على اختيارهم لأنفسهم؛ كما قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ رِيسًا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]. عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة؛ اقرؤوا إن شئتم: ﴿الَّذِي أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾» [رواه البخاري]. قوله: ﴿وَأَرْوَجُهُ أَهْلَهُمْ﴾ أي: في الحرمة والاحترام، والإكرام والتوقير والإعظام، ولكن لا تجوز الخلوة بهن، ولا يتشر التحريم إلى بناتهن وأخواتهن بالإجماع. قوله: ﴿رَأَوُلُو أَعْزَابَهُنَّ مِنْ بَعْضِهِمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ أي: في حكم الله ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَنْجِرِينَ﴾ أي: القربات أولى بالتواثر من المهاجرين والأنصار. وهذه ناسخة لما كان قبلها من التوارث بالحلف والمواخاة التي كانت بينهم. قوله: ﴿وَلَا أَنْ تَقْعَلُوا إِلَيَّ أَوْلِيَا يَكُم مَّعْرُوفًا﴾ أي: ذهب الميراث، وبقي النصر والبر والصلة والإحسان والوصية. قوله: ﴿كَانَ ذَلِكَ فِي آلِ كِتَابٍ مَّسْطُورًا﴾ أي: هذا الحكم -وهو أن أولى الأرحام بعضهم أولى ببعض- حكم من الله مقدر مكتوب في الكتاب الأول، الذي لا يبدل ولا يغير. قاله مجاهد. وإن كان تعالى قد شرع خلافه في وقت لما له في ذلك من الحكمة البالغة، وهو يعلم أنه سينسخه إلى ما هو جار في قدره الأزلي، وقضائه القدرى الشرعى.



## ● الوقفات التدريبية

﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ أَنَّ اللَّهَ لَا يُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَالْمُتَنَفِّقِينَ إِنَّكَ اللَّهُ كَاتٌ عَلِيماً حَكِيماً﴾

(يا أيها النبي): نداء فيه تكريم له؛ لأنه ناداه بالنبوة، ونادى سائر الأنبياء بأسمائهم. ابن جزى: ١٨١/٢.

السؤال: كيف كان النداء للنبي ﷺ في هذه الآية نداء تكريم؟

● ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ أَنَّ اللَّهَ لَا يُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَالْمُتَنَفِّقِينَ﴾

هذا تنبيه بالأعلى على الأدنى؛ فإنه تعالى إذا كان يأمر عبده ورسوله بهذا؛ فلأن يأتمر من دونه بذلك بطريق الأولى والأخرى. تفسير ابن كثير: ٤٤٨/٣.

السؤال: هل يستغني أحد عن الأمر بالتقوى والنهي عن طاعة الكافرين والمنافقين؟

● ﴿وَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَالْمُتَنَفِّقِينَ﴾

فهؤلاء هم الأعداء على الحقيقة؛ فلا تطعهم في بعض الأمور التي تنتقض التقوى وتناقضها. السعدي: ٦٥٧.

السؤال: لماذا نهي الله عن طاعة الكافرين والمنافقين؟

● ﴿وَأَنْتَعِمَ مَا يُؤْتِيكَ مِنْ رَبِّكَ﴾

يعني: القرآن، وفيه زجر عن اتباع مراسم الجاهلية، وأمر بجهادهم ومنابذتهم، وفيه دليل على ترك اتباع الآراء مع وجود النص. والخطاب له ولأمته. القرطبي: ٥١/١٧.

السؤال: كيف ترد على من يترك القرآن، ويتبع هواه وأقوال البشر؟

● ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ أَنْتُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾

الأدعياء: جمع دعى؛ وهو الذي يدعى ولد فلان وليس بولده، وسببها أمر زيد بن حارثة؛ وذلك أنه كان هتي من قبيلة كلب، فسباه بعض العرب وباعه من خديجة، فوهبته للنبي ﷺ فتبناه، فكان يقال له: زيد بن محمد، حتى أنزلت هذه الآية. ابن جزى: ١٨٢/٢.

السؤال: أبطلت هذه الآية عادة من عادات الجاهلية، فما هي؟

● ﴿الَّذِي أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾

(من أنفسهم): فضلاً عن أبائهم في نفوذ حكمه فيهم، ووجوب طاعته عليهم؛ لأنه لا يدعوهم إلا إلى العقل والحكمة، ولا يأمرهم إلا بما ينجيهم، وأنفسهم إنما تدعوهم إلى الهوى والفتنة؛ فتأمرهم بما يردبهم. الباقعي: ٢٩٠/١٥.

السؤال: لماذا كان النبي ﷺ أولى بنا من أنفسنا؟

● ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾

شرف الله تعالى أزواج نبيه ﷺ بأن جعلهن أمهات المؤمنين؛ أي: في وجوب التعظيم والمبرة والإجلال، وحرمة النكاح على الرجال. القرطبي: ٦٢/١٧.

السؤال: كيف ترد على المبتدعة في انتقاصهم لأمهات المؤمنين من خلال الآية الكريمة؟

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ أَنَّ اللَّهَ لَا يُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَالْمُتَنَفِّقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً ۝ وَأَنْتَعِمَ مَا يُؤْتِيكَ إِلَٰهَكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ۝ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جُوفِهِ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَهُ الَّتِي تَزْوَجُونَ مِنْهُمْ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ۚ أَنْتُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ۝ أَدْعُوهُمْ لِأَنْبَاءِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ ۚ وَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَلَا حَرْجَ فِي الَّذِينَ وَمَوْلَاكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ ۚ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۝ الَّذِينَ أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ وَأَنْبَاءُهُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ۝

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
تُظَاهَرُونَ مِنْهُمْ	الظُّهَارُ: أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ لِامْرَأَتِهِ: أَنْتَ عَلَيَّ كَظَهَرِ أُمِّي.
أَدْعِيَاءُكُمْ	مَنْ تَبَنَّى تَمَوَّهُ مِنْ أَوْلَادٍ غَيْرِكُمْ.
وَمَوْلَاكُمْ	أَوْلِيَائُكُمْ فِي الدِّينِ.
جُنَاحٌ	إِثْمٌ.
أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ	أَنْفَقَ، وَأَرَأَفَ، وَأَقْرَبَ لَهُمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ فِي الدِّينِ وَالْدُنْيَا.
وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ	مِثْلُ أُمَّهَاتِهِمْ: فِي تَحْرِيمِ نِكَاحِهِمْ، وَتَعْظِيمِ حَقِّهِمْ.

## ● العمل بالآيات

١. قل: «حسبي الله، لا إله إلا هو، عليه توكلت، وهو رب العرش العظيم» ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾.
٢. ترض عن أمهات المؤمنين، وتعترف على حقوقهن، ﴿الَّذِي أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾.
٣. زر بعض أرحامك، وصلهم بأي نوع من أنواع الصلة، ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾.

## ● التوجيهات

١. أمر الله لنبيه بالتقوى حتى لا يأنف أحد من النصيحة والتذكير، ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ أَنَّ اللَّهَ لَا يُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَالْمُتَنَفِّقِينَ إِنَّكَ اللَّهُ كَاتٌ عَلِيماً حَكِيماً﴾.
٢. الكافرون والمنافقون لا يصلحون للاستشارة في أمر من أمور الدين، ﴿وَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَالْمُتَنَفِّقِينَ﴾.
٣. من توكل على الله جعل الله له من كل هم فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، ومن كل بلاء عافية، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾.



الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا . قال مجاهد: هي الصبا. ويؤيده الحديث: «نصرت بالصبا»<sup>(١)</sup>، وأهلك عاد بالدبور»<sup>(٢)</sup>، [رواه البخاري]. قوله: «وَحُوتُوا لَمْ يَرْوُهَا» هم الملائكة، زلزلتهم وألقت في قلوبهم الرعب والخوف. قوله: «إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ» أي: الأحزاب «وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ» بنو قريظة «وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ» أي: من شدة الخوف والفزع.

«وَتَطَوَّعَتْ أَلْسِنُ الْغُلَامِ» قال ابن جرير: ظن بعض من كان مع رسول الله ﷺ أن الدائرة على المؤمنين، وأن الله سيفعل ذلك. وقال الحسن: ظنون مختلفة، ظن المنافقون أن محمدًا وأصحابه يستأصلون، وأيضًا المؤمنون أن ما وعد الله ورسوله حق، وأنه سيظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

الآية (١١-١٣): يقول تعالى مخبرًا عن ذلك الحال، حين نزلت الأحزاب حول المدينة، والمسلمون محصورون في غاية الجهد والضيق، ورسول الله ﷺ بين أظهرهم: أنهم ابتلوا واختبروا وزلزلوا زلزالًا شديدًا، فحيث ظهر النفاق، وتكلم الذين في قلوبهم مرض بما في نفوسهم: «وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا» أما المنافقون فنجم نفاقه، والذي في قلبه شبهة أو حسكة، لضعف حاله فتفتس بما يجده من الوسواس في نفسه؛ لضعف إيمانه، وشدة ما هو فيه من ضيق الحال. وقوم آخرون قالوا كما قال الله: «وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ! مُقَامٌ لَكُمْ» أي: ههنا، يعنون عند النبي ﷺ في مقام المراقبة، «فَارْتَبِعُوا» أي: إلى بيوتكم ومنازلكم. «وَيَسْتَفِذُّونَ فَسَبَقَ بَيْنَهُمُ الْبَيْتُ يَقُولُونَ إِنَّا يَوْمًا عَوْرَةٌ» قال ابن عباس: هم بنو حارثة قالوا: بيوتنا نخاف عليها السرق. وذكر ابن إسحاق أن القائل لذلك: هو أوس ابن قَيْطِي، يعني: اعتذروا في الرجوع إلى منازلهم بأنها عورة، أي: ليس دونها ما يحجبها عن العدو، فهم يخشون عليها منهم.

قال تعالى: «وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ» أي: ليست كما يزعمون «إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا» أي: هربًا من الزحف.

الآية (١٤): يخبر تعالى عن هؤلاء الذين «يَقُولُونَ إِنَّا يَوْمًا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا» أنهم لو دخل عليهم الأعداء من كل جانب من جوانب المدينة، وقطّر من أقطارها، ثم سلوا الفتنة، وهي الدخول في الكفر، لكفروا سريعًا، وهم لا يحافظون على الإيمان، ولا يستمسكون به مع أدنى خوف وفزع. وهذا ذم لهم في غاية الذم.

الآية (١٥): قال تعالى يذّكرهم بما كانوا عاهدوا الله من قبل هذا الخوف، ألا يولوا الأديبار ولا يفروا من الزحف، «وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا» أي: وإن الله تعالى سيسألهم عن ذلك العهد، لا بد من ذلك.

الآية (٧-٨): يقول تعالى مخبرًا عن أولي العزم الخمسة، وبقية الأنبياء أنه أخذ عليهم العهد والميثاق في إقامة دين الله، وإبلاغ رسالته، والتعاون والتناصر والاتفاق؛ كما قال تعالى: «وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ لَمْ آمَنُوا مِنْكُمْ بَيْنَ يَدَيْكُمْ وَكَذَّبُوا عَنْكُمْ رَسُولًا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ» قَالَ «أَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي» قَالُوا «أَقْرَرْنَا» قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ [آل عمران: ٨١].

فهذا العهد والميثاق أخذ عليهم بعد إرسائهم، وكذلك هذا. ونص من بينهم على هؤلاء الخمسة، وهم أولو العزم، وقد صرح بذكرهم أيضًا في هذه الآية، وفي قوله: «يَخْرُجُ لَكُمْ مِنَ الَّذِينَ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِينَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ» [التورى: ١٣]، فذكر الطرفين والوسط، الفاتح والخاتم، ومن بينهما على هذا الترتيب. فهذه هي الوصية التي أخذ عليهم الميثاق بها. قوله: «لَيَسْتَلِ الْأَعْدَاءُ مِنَ الَّذِينَ عَصَوْا اللَّهَ وَرَسُولَهُ نَجْدًا لِلَّذِينَ هَلَكُوا مِنْهُمْ» أي: من أهمهم «عَذَابًا أَلِيمًا» أي: موجعًا، فنحن نشهد أن الرسل قد بلغوا رسالات ربهم، ونصحوا الأمم وأفصحوا لهم عن الحق المبين، الواضح الجلي، الذي لا ليس فيه، ولا شك، ولا امتراء، وإن كذبهم من كذبهم من الجحيلة والمعاندين والمارقين والقاسطين، فما جاءت به الرسل هو الحق، ومن خالفهم فهو على الضلال.

الآية (٩-١٠): يقول تعالى مخبرًا عن نعمته وفضله وإحسانه إلى عباده المؤمنين، في صرفه أعداءهم وهزمهم إياهم عام تألبوا عليهم وتمزّبوا، وذلك عام الخندق، وذلك في شوال سنة خمس من الهجرة على الصحيح. وكان سبب قدوم الأحزاب أن نفرًا من أشراف يهود بني النضير، الذين أجلاهم رسول الله ﷺ إلى خيبر اجتمعوا بأشراف قريش، وألبوهم على حرب رسول الله ﷺ، ووعدوهم من أنفسهم النصر والإعانة. فأجابوهم إلى ذلك، ثم خرجوا إلى غطفان فدعوههم فاستجابوا لهم أيضًا. وخرجت قريش، والجميع قريب من عشرة آلاف، فلما سمع رسول الله ﷺ بمسيرهم أمر المسلمين بحفر الخندق حول المدينة، وجاء المشركون فنزلوا شرقي المدينة، ونزلت طائفة منهم في أعالي أرض المدينة؛ كما قال تعالى: «إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ» . وكانت بنو قريظة لهم حصن شرقي المدينة، ولم عهد من النبي ﷺ وذمة، فذهب إليهم حُثَي بن أعطب النَّضْرِي اليهودي، فلم يزل بهم حتى نقضوا العهد، ومالوا الأحزاب على رسول الله ﷺ، فعظم الخطب واشتد الأمر، وضاق الحال. ومكثوا محاصرين للنبي ﷺ وأصحابه قريبًا من شهر، إلا أنهم لا يصلون إليهم، ولم يقع بينهم قتال، إلا أن عمرو بن عبد ودة العامري ركب ومعه فوارس فاتحموا الخندق، وخلصوا إلى ناحية المسلمين، فندب رسول الله ﷺ عليًا فخرج إليه، فتجالوا ساعة، ثم قتله علي رضي الله عنه. ثم أرسل الله ﷺ على الأحزاب ريحًا شديدة الهبوب قوية، حتى لم يبق لهم خيمة ولا شيء ولا ثوقد لهم نار، ولا يقر لهم قرار، حتى ارتحلوا خائئين خاسرين؛ كما قال الله: «يَتَأْتِيهَا

(١) الصَّبَا: ريح يقال لها القَبِيل - يفتح القاف - لأنها تقابل باب الكعبة؛ إذ مهبها من مشرق الشمس. [فتح الباري لابن حجر: ٥٢١/٢].

(٢) الدُّبُور: الريح التي تقابل الصَّبَا [القاموس المحيط، مادة (دبر)].

ولهذا قال: ﴿لَمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾.

الآية (٢٢): قال تعالى خبراً عن عباده المؤمنين المصدقين بموعود الله لهم، وجعله العاقبة حاصلة لهم في الدنيا والآخرة، فقال: ﴿وَلَمَّا رَمَا الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ قال ابن عباس وقتادة: يعنون قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤] أي: هذا ما وعدنا الله ورسوله من الابتلاء والاختبار والامتحان الذي يعقبه النصر القريب؛ ولهذا قال: ﴿وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾.

﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ دليل على زيادة الإيمان وقوته بالنسبة إلى الناس وأحوالهم؛ كما قاله جمهور الأئمة: إنه يزيد وينقص. ومعنى قوله: ﴿وَمَا زَادَهُمْ﴾ أي: ذلك الحال والضيق والشدة ﴿وَالْإِيمَانُ﴾ بالله ﴿وَتَسْلِيمًا﴾ أي: انقياداً لأوامره، وطاعة لرسوله.

الآية (١٦): أخبرهم أن فرارهم ذلك لا يؤخر أجالهم، ولا يطول أعمارهم، بل ربما كان ذلك سبباً في تعجيل أخذهم غزاة؛ ولهذا قال: ﴿وَلَا تَنْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: بعد هزيمكم وفراركم، ﴿فَلَمْ يَنْتَعِ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى﴾ [النساء: ٧٧].

الآية (١٧): ﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ أي: يمنعكم، ﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لِمَنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ أي: ليس لهم ولا لغيرهم من دون الله عجز ولا مغيب.

الآية (١٨-١٩): يخبر تعالى عن إحاطة علمه بالمعوقين لغيرهم عن شهود الحرب ﴿وَالْقَائِلِينَ لِإِخْرَجِهِمْ﴾ أي: أصحابهم وعُشْرانهم وخطائهم: ﴿هَلُمْ إِلَيْهَا﴾ أي: إلى ما نحن فيه من الإقامة في الظلال والشار، وهم مع ذلك ﴿لَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

قوله: ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ أي: بخلاء بالمودة، والشفقة عليكم. ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَقْرُءُونَ إِلَيْكَ تَدْوِيرًا مِمَّنْ كَالَّذِي يَشْنَعُ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ أي: من شدة خوفه وجزعه، وهكذا خوف هؤلاء الجبناء من القتال، ﴿فَإِذَا دَخَبَ الْخَوْفُ سَلَفُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ أي: فإذا كان الأمن تكلموا كلاماً بليغاً فصيحاً عالياً، وادعوا لأنفسهم المقامات العالية في الشجاعة والنجدة، وهم يكذبون في ذلك.

وقال ابن عباس: ﴿سَلَفُوكُمْ﴾ أي: استقبلوكم. وقال قتادة: أما عند الغنمة فأشح قوم، وأسوؤه مقاسمة: أعطونا، أعطونا، قد شهدنا معكم. وأما عند البأس فأجبن قوم، وأخذله للحق. وهم مع ذلك أشح على الخير، أي: ليس فيهم خير، قد جمعوا الجبن والكذب وقلة الخير؛ ولهذا قال تعالى: ﴿أَوَلَيْكَ لِرَبِّئِمْزُورٍ فَلَمْ يَحْطِ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ أي: سهلاً هيناً عنده.

الآية (٢٠): هذا أيضاً من صفاتهم القبيحة في الجبن والخوف والخور ﴿يَحْسِبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا﴾ بل هم قريب منهم، وإن لم عودة إليهم ﴿وَلَمَّا يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُوا فِي الْأَعْرَابِ يَسْتَأْذِنُونَ عَنْ أَنْبَاءِكُمْ﴾ أي: ويودون إذا جاءت الأحزاب أنهم لا يكونون حاضرين معكم في المدينة، بل في البادية يسألون عن أخباركم، وما كان من أمركم مع عدوكم، ﴿وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: ولو كانوا بين أظهركم لما قاتلوا معكم إلا قليلاً؛ لكثرة جبنهم وذلتهم وضعف يقينهم.

الآية (٢١): هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله؛ ولهذا أمر الناس بالتأسي بالنبي ﷺ يوم الأحزاب، في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه ﷻ، صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين؛ ولهذا قال تعالى للذين تقلعوا وتضجعوا وتزلزلوا واضطربوا في أمرهم يوم الأحزاب: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ أي: هلا اقتديتم به وتأسيتم بشأنه؟!



## ● الوقفات التدريبية

﴿ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ ﴾

والأسباب تنفع إذا لم يعارضها القضاء والقدر، فإذا جاء القضاء والقدر تلاشى كل سبب، وبطلت كل وسيلة ظنها الإنسان تنجيها. السعدي: ٦٦٠.

السؤال: هل في الآية دليل على إبطال الأسباب؟

﴿ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَمْ تَمُوتُوا لَأَنْتُمْ عَنْهَا ﴾

والمقصود من الآية: تخليق المسلمين بخلق استضعاف الحياة الدنيا، وصرف همهم إلى السعي نحو الكمال؛ الذي به السعادة الأبدية، سيراً وراء تعاليم الدين. ابن عاشور: ٢١/٢٩١.

السؤال: في الآية تربية للمسلم في تقديم الآخرة الباقية على الدنيا الزائلة. وضح ذلك.

﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلْ وُثِّقُوا أَوْ الْبَاسُ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

أي: الذين يعوقون الناس عن الجهاد، ويمنعونهم منه بأقوالهم وأفعالهم، (والقائلين لإخوانهم هلم إلينا)، هم المنافقون الذين قعدوا بالمدينة عن الجهاد، وكانوا يقولون قربانهم أو للمنافقين مثلهم: هلم إلى الجلوس معنا بالمدينة، وترك القتال. ابن جزي: ٢/١٨٤.

السؤال: بين الله في هذه الآية وما بعدها واحدة من صفات المنافقين، اذكرها.

﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ﴾ ﴿ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمَرُوا ﴾

(أشحة عليكم): بإبدانهم عند القتال، وأموالهم عند النفقة فيه؛ فلا يجاهدون بأموالهم وأنفسهم ... (أشحة على الخير): الذي يراد منهم؛ وهذا ضرر ما في الإنسان؛ أن يكون شحيحاً بما أمر به، شحيحاً بما له أن ينفقه في وجهه، شحيحاً في بدنه أن يجاهد أعداء الله أو يدعو إلى سبيل الله، شحيحاً بجاهه، شحيحاً بعلمه ونصيحته ورايه. السعدي: ٦٦١.

السؤال: عدد أنواعاً من الشح المقصود في هذه الآية.

﴿ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَقْرَهُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْتَنَبُ مِنَ الْمَوْتِ ﴾

لتصوير هيئة نظرهم نظراً الخائف الذعور؛ الذي يحقن بعينه إلى جهات يحذر أن تأتيه المصائب من إحداها. ابن عاشور: ٢١/٢٩٧.

السؤال: في الآية الكريمة صفة للمنافقين تظهر عند حضور المخاوف، اذكرها.

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾

استدل الأصوليون في هذه الآية على الاحتجاج بأفعال الرسول ﷺ، وأن الأصل أن أمته أسوته في الأحكام، إلا ما دل الدليل الشرعي على الاختصاص به. السعدي: ٦٦١.

السؤال: هل يُحتج بأفعال الرسول ﷺ؟

﴿ وَكَأَنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الْأَخْرَابُ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾

دليل على زيادة الإيمان وقوته بالنسبة إلى الناس وأحوالهم، كما قال جمهور الأئمة؛ إنه يزيد وينقص. ابن كثير: ٣/٤٥٧.

السؤال: هل يزيد الإيمان وينقص؟ وضح ذلك من خلال هذه الآية.

قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَمْ تَمُوتُوا لَأَنْتُمْ عَنْهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴿١﴾ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢﴾ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلْ وُثِّقُوا أَوْ الْبَاسُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَقْرَهُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْتَنَبُ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا هَبَّ الْخَوْفُ سَقَفُكُمْ يَالَيْسَتْ حِدَادٌ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمَرُوا فَاحْطَبِ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٤﴾ يَحْسَبُونَ الْأَخْرَابَ لَرَيْدٍ هَبْرًا وَإِنْ يَأْتِ الْأَخْرَابُ يُدْوُوا أَوْ يَتَّخِذُوا فِي الْأَخْرَابِ يُسْكَوْنَ عَنْ أَنْبَاءِ يَكْرَهُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٦﴾ وَلَتَأْتِيَ الْمُؤْمِنُونَ الْأَخْرَابُ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٧﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
الْمُؤْمِنِينَ	الْمُتَّبِعِينَ عَنِ الْجِهَادِ
أَشِحَّةً	بُخْلًا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَجُودِهِمْ.
تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ	خَوْفًا، وَهَلَعًا.
سَقَفُكُمْ	رَمَوكُمْ.
حِدَادٌ	ذَرِيَّةٌ، سُلَيْطَةٌ، مُؤَدِّيَّةٌ.
بَادُونَ	فِي الْبَادِيَّةِ.

## ● العمل بالآيات

- ادع الله تعالى أن يعصمك من مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن، ﴿ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾.
- سبح الله تعالى اليوم وكبره، واحمده قدر ما تستطيع، ﴿ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾.
- طبق سنة من السنن المحجورة، ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾.

## ● التوجيهات

- الضرار من مواطن المحن والشدائد لا يزيد الأعمار، ولا يؤخر الأجال، بل ربما كان ذلك سبباً في تعجيل أخذه على غرة، ﴿ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَمْ تَمُوتُوا لَأَنْتُمْ عَنْهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴾.
- من صفات المنافقين: التخدير، وتعطيل أعمال الخير، فاحذر أن تكون مغلفاً للخير، مفتاحاً للشر، ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلْ وُثِّقُوا أَوْ الْبَاسُ إِلَّا قَلِيلًا ﴾.
- أكثر ما يعين على الاقتداء بالنبي ﷺ تذكر الآخرة، وذكر الله عز وجل، ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا يَعْبُدُ اللَّهُ عَلَيْهِ فِينَهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَيَمُتُّهُم مِّنْ يَّنظُرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا﴾<sup>١</sup>

فهؤلاء الرجال على الحقيقة، ومن عداهم فصورهم صور رجال، وأما الصفات فقد قصرت عن صفات الرجال. السعدي: ٦٦١.

السؤال: ما الرجولة الحقيقية؟

﴿وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾<sup>٢</sup>

وتعليق التعذيب على المشيئة تنبيه لهم بسعة رحمة الله، وأنه لا يقطع رجائهم في السعي إلى مغفرة ما أتوه بأن يتوبوا فيتوب الله عليهم. ابن عاشور: ٣٠٩/٢١.

السؤال: لماذا علق التعذيب على المشيئة في الآية الكريمة؟

﴿وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾<sup>٣</sup>  
(أو يتوب عليهم)، بأن يوفقهم للتوبة والإنابة. وهذا هو الغالب على كرم الكريم؛ ولهذا ختم الآية باسمين دالين على المغفرة، والفضل، والإحسان. السعدي: ٦٦٢.

السؤال: لماذا ختم الآية باسميه الغفور والرحيم؟

﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَاتَ اللَّهُ قَوْلًا عَزِيمًا﴾<sup>٤</sup>  
(وكلم الله المؤمنين القتال): بأن أرسل عليهم ريحاً وجنوداً حتى رجعوا، ورجعت بنو قريظة إلى صياصيمهم، فكفى أمر قريظة بالعرب. القرطبي: ١١٥/١٦.

السؤال: من قوة الله وعزته أن له جنوداً لا يعلمها إلا هو، بين هذا من خلال الآية.

﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَبَنَاتَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطْغَوْهَا وَكَاتَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَوْمٍ قَبْرًا﴾<sup>٥</sup>

(وأرضاً لم تظنوها): هذا وعد بفتح أرض لم يكن المسلمون قد وطنوها حينئذ، وهي مكة، واليمن، والشام، والعراق، ومصر، فأورث الله المسلمين جميع ذلك وما وراها إلى أقصى المشرق والمغرب. ابن جزي: ١٨٦/٢.

السؤال: بين وجه الإعجاز في قوله: (وأرضاً لم تظنوها).

﴿وَلَمَّا كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْأَرْضَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنِينَ مِنْكُمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾<sup>٦</sup>

وفي هذا التخيير فوائد عديدة: ... ومنها: إظهار رفعتهم، وعلو درجاتهم، وبيان علوهم: أن كان الله ورسوله والدار الآخرة مرادهن ومقصودهن دون الدنيا وحطامها. السعدي: ٦٦٣.

السؤال: في هذا التخيير إظهار لترفع أمهات المؤمنين، فبين وجه ذلك.

﴿يُنَاسِئُ الَّتِي مَن بَآتٍ مِنْكُمْ بِفَحْشَىٰ مُّبِينَةٍ يُضَعِّفْ لَهَا الْعَذَابَ ضِعْفَيْنِ وَكَاتَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾<sup>٧</sup>

كلما تضاعفت الحرمات فهتكت تضاعفت العقوبات؛ ولذلك ضوعف حد الحر على العبد، والثيب على البكر. القرطبي: ١٣٣/١٦.

السؤال: هل من علت رتبته تضاعف الخطأ في حقه؟

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فِينَهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَيَمُتُّهُم مِّنْ يَّنظُرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا<sup>١</sup> لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا<sup>٢</sup> وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَيْثِهِمْ لَنَا لِيُؤْخِرََّا وَكَفَىٰ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا<sup>٣</sup> وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَلَهُمْ وَهُمْ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيمِهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا<sup>٤</sup> وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَبَنَاتَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطْغَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا<sup>٥</sup> يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلُوبًا لَّأَيُّهَا لَازِلًا كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا لَكُمْ فَلَن تَمْنَحُنَّ وَاسْرُجَحُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا<sup>٦</sup> وَإِن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنِينَ مِنْكُمْ أَجْرًا عَظِيمًا<sup>٧</sup> يَنْسِئُ الَّتِي مَن بَآتٍ مِنْكُمْ بِفَحْشَىٰ مُّبِينَةٍ يُضَعِّفْ لَهَا الْعَذَابَ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا<sup>٨</sup>

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
قَضَىٰ نَحْبَهُ	وَفَىٰ بِنَذَرِهِ فِي نُصْرَةِ دِينِهِ، أَوْ مَاتَ شَهِيدًا.
بَغِيْظُهُمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا	مُفْتَاطِينَ لَمْ يَنَالُوا مَا أَرَادُوا.
ظَاهَرُهُمْ	عَاوَنُوا الْأَحْزَابَ.
صَيَاصِيمُهُمْ	خُصُوصُهُمْ.
وَأَسْرَحُنَّ	أَطْلَقْنَهُنَّ.
بِفَاحْشَةٍ مُّبِينَةٍ	مُعَصِيَةٍ ظَاهِرَةٍ.

## ● العمل بالآيات

١. استعرض بعض سير الصحابة فهم قدوتنا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا يَعْبُدُ اللَّهُ عَلَيْهِ فِينَهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَيَمُتُّهُم مِّنْ يَّنظُرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا﴾.

٢. أرسل رسالة عن الثبات على دين الله وأهميته: ﴿وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا﴾.

٣. سل الله تعالى أن يبرزك الصديق ويشبك عليه حتى تلقاه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا يَعْبُدُ اللَّهُ عَلَيْهِ فِينَهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَيَمُتُّهُم مِّنْ يَّنظُرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا﴾.

## ● التوجيهات

١. عظم منزلة الصحابة وفضلهم، وتزكية الله لهم، فمن سيهم فقد كذب القرآن: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا يَعْبُدُ اللَّهُ عَلَيْهِ فِينَهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَيَمُتُّهُم مِّنْ يَّنظُرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا﴾.

٢. قدرة الله لا تحد أبداً؛ فهو تعالى على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء، ﴿وَكَاتَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَوْمٍ قَبْرًا﴾.

٣. بيان أن سيئة العالم والشريف أشد من سيئة الجاهل والوضيع: ﴿يُنَاسِئُ الَّتِي مَن بَآتٍ مِنْكُمْ بِفَحْشَىٰ مُّبِينَةٍ يُضَعِّفْ لَهَا الْعَذَابَ ضِعْفَيْنِ وَكَاتَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾.

وصدق وعده، ونصر رسوله وعيده.

الآية (٢٦-٢٧): لما أيد الله ونصر، وكبت الأعداء وردهم خائنين بأخسر صفقة، ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة مؤيداً منصوراً، ووضع الناس السلاح. إذ تبدي جبريل فقال: أَوْضَعَتِ السِّلَاحَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟! قال: «نعم». قال: لكن الملائكة لم تضع أسلحتها. ثم قال: إن الله يأمرك أن تنهض إلى بني قريظة. ثم نازلهم رسول الله ﷺ وحاصروهم، فلما طال عليهم الحال، نزلوا على حكم سعد بن معاذ سيد الأوس؛ لأنهم كانوا حلفاءهم في الجاهلية، واعتقدوا أنه يحسن إليهم في ذلك، فعند ذلك استدعاه رسول الله ﷺ، فلما أقبل جعل الأوس يقولون: يا سعد، إنهم مواليك، فأحسن فيهم. فقال: إني أحكم أن تقتل مقاتلتهم، وتؤبى ذريتهم [وتقسم] أموالهم. فقال له رسول الله ﷺ: «لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة» [إني الصحيحين بنحوه]. ثم جيء بهم مكثفين فضرب أعناقهم، وسبى من لم يثبت منهم مع النساء وأموالهم، ولهذا قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمُ﴾ أي: عاونوا الأحزاب وساعدوهم على حرب رسول الله ﷺ ﴿وَمَنَ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ يعني: بني قريظة من اليهود ﴿مِنَ صَيَاصِيهِمْ﴾ يعني: حصونهم. ﴿وَوَقَدَ فِي قُلُوبِهِمُ ارْتَعَبٌ﴾ وهو الخوف؛ لأنهم كانوا مالئوا المشركين على حرب رسول الله ﷺ، فأخافوا المسلمين وراموا قتلهم ليعزوا في الدنيا، فانعكس عليهم الحال، ولهذا قال تعالى: ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْبِرُونَ فَرِيقًا﴾، فالذين قُتِلُوا هم المقاتلة، والأسراء هم الأصاغر والنساء. قوله: ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَبَنَاتَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾ أي: جعلها لكم من قتلهم لهم، ﴿وَأَرْضًا لَّمْ تَطْوَعُوا﴾ قيل: خير. وقيل: مكة. وقيل: فارس والروم. وقال ابن جرير: يجوز أن يكون الجميع مراداً ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾.

الآية (٢٨-٢٩): هذا أمر من الله لرسوله ﷺ بأن يغير نساءه بين أن يفارقهن، فيذهبن إلى غيره ممن يحصل لهن عنده الحياة الدنيا وزيتتها، وبين الصبر على ما عنده من ضيق الحال، ولهن عند الله في ذلك الثواب الجزيل، فاخترن رضي الله عنهن وأرضاهن الله ورسوله والدار الآخرة، فجمع الله لهن بعد ذلك بين خير الدنيا وسعادة الآخرة.

الآية (٣٠): يقول تعالى وأعطنا نساء النبي ﷺ، اللاتي اخترن الله ورسوله والدار الآخرة، واستقر أمرهن تحت رسول الله ﷺ أن يغيرهن بحكمهن وتخصيصهن دون سائر النساء، بأن يأت منهن بفاحشة مبينة، قال ابن عباس: وهي الشوز وسوء الخلق. وعلى كل تقدير فهو شرط، والشرط لا يقتضي الوقوع كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قِبَلِكَ لَئِن أَشْرَكَكَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥]، فلما كانت محلتهن رفيعة، ناسب أن يجعل الذنب لو وقع منهن مغلفاً، صيانة لجنابهن وحجابهن الرفيع؛ ولهذا قال: ﴿مَن يَأْتِ بِسَكَنٍ يَقْبُضْهُ مِثْلَ بَعْرِ بَعْرِ لَهَا لَئِن لَّمْ يَكُن لَّهَا بَعْضٌ مِّمَّا بَعْضٌ يَكُن لَّهَا بَعْضٌ مِّمَّا بَعْضٌ﴾ [النور: ٦٥]، قال زيد بن أسلم: في الدنيا والآخرة ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ أي: سهلاً هيناً.

الآية (٢٣): لما ذكر ﷺ عن المنافقين أنهم نقضوا العهد الذي كانوا عاهدوا الله عليه لا يولون الأوبار، وصف المؤمنين بأنهم استمروا على العهد والميثاق، ﴿وَصَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَيَنْهَضُونَ مَن قَضَىٰ عَلَيْهِ﴾. قال بعضهم: أجله. وقال البخاري: عهده. وهو يرجع إلى الأول. عن أنس بن مالك قال: نرى هذه الآية نزلت في أنس بن النضر: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [رواه البخاري]. قال مجاهد في قوله: ﴿فَيَنْهَضُونَ مَن قَضَىٰ عَلَيْهِ﴾: عهده ﴿وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ يَوْمًا فِيهِ الْفِتْنَةُ فَيُصْطَفَىٰ فِي الْفِتْنَةِ﴾. قوله: ﴿وَمَا يَدَّبْدُوا بَدِيلًا﴾ أي: وما غيروا عهدهم، وبدلوا الوفاء بالغدر، بل استمروا على ما عاهدوا الله عليه، وما نقضوه كفعل المنافقين.

الآية (٢٤): ﴿لَيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ﴾ إن شاء أو يتوب عليهم ﴿أي﴾: إنما يجزر عبادهم بالخوف والزلال ليميز الخبيث من الطيب، فيظهر أمر هذا بالفعل، وأمر هذا بالفعل، مع أنه تعالى يعلم الشيء قبل كونه، ولكن لا يعذب الخلق بعلمه فيهم، حتى يعملوا بما يعلمه فيهم؛ ولهذا قال: ﴿لَيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ أي: بصبرهم على ما عاهدوا الله عليه، وقيامهم به، ومحافظةهم عليه. ﴿وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ﴾ وهم الناقضون لعهد الله، المخالفون لأوامره، فاستحقوا بذلك عقابه وعذابه، ولكن هم تحت مشيئته في الدنيا، إن شاء استمر بهم على ما فعلوا حتى يلقوه به فيعذبهم عليه، وإن شاء تاب عليهم بأن أرشدهم إلى النزوع عن النفاق إلى الإيمان، والعمل الصالح بعد الفسوق والعصيان. ولما كانت رحمته ورأفته بخلقه هي الغالبة لغضبه قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

الآية (٢٥): يقول تعالى غييراً عن الأحزاب لما أجلاهم عن المدينة، بما أرسل عليهم من الرياح والجنود الإلهية، ولولا أن جعل الله رسوله رحمة للعالمين، لكانت هذه الرياح عليهم أشد من الرياح العقيم على عاد، ولكن قال: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَن تَكُونَ الْفِتْنَةُ﴾ [الأنفال: ٣٣] فسلط عليهم هواء فرق شملهم، وردهم خائنين خاسرين يغيظهم وحققهم، لم ينالوا خيراً لا في الدنيا، بما كان في أنفسهم من الظفر والمنغم، ولا في الآخرة بما تحملوه من الآثام في مبارزة الرسول صلوات الله وسلامه عليه بالعداوة، ومهمهم بقتله واستئصال جيشه، ومن هم بشيء وصدقهم بفعله، فهو في الحقيقة كفاعله. قوله: ﴿وَكَفَىٰ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ أي: لم يحتاجوا إلى منازلهم ومبارزتهم حتى يجلوهم عن بلادهم، بل كفى الله وحده، ونصر عبده، وأعز جنده؛ ولهذا قال رسول الله ﷺ: «لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، فلا شيء بعده» [متفق عليه]. وفي قوله: ﴿وَكَفَىٰ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ إشارة إلى وضع الحرب بينهم وبين قريش، وهكذا وقع بعدها، لم يغزهم المشركون، بل غزاهم المسلمون في بلادهم؛ عن سليمان بن صرد يقول: قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب: «الآن نغزوهم ولا يغزونا» [رواه البخاري]. قوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا غَافِرًا﴾ أي: بحوله وقوته ردهم خائنين، لم ينالوا خيراً، وأعز الله الإسلام وأهله



أي: بلطفه يكن بلغتن هذه المنزلة، ويخبرته يكن وأنكن أهل لذلك، أعطاك ذلك وخصك بذلك. قال ابن جرير -رحمته الله- واذكرن نعمة الله عليكم بأن جعلكن في بيوت تتلى فيها آيات الله والحكمة، فاشكرن الله على ذلك واحمدنه.

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ أي: ذا لطف يكن؛ إذ جعلكن في البيوت التي تتلى فيها آياته والحكمة -وهي السنة- خيرًا يكن إذ اختاركن لرسوله أزواجًا.

الآية (٣٥): [سبب النزول]: عن أم سلمة زوج النبي ﷺ قالت: قلت للنبي ﷺ: ما لنا لا نُذَكَّرُ في القرآن كما يذكر الرجال؟ قالت: فلم يرغني منه ذات يوم إلا ودأده على المنبر، قالت: وأنا أَسْرَحُ شعري، فلففت شعري، ثم خرجت إلى حجرتي، خُجِرَ بي، فجعلت سمعي عند الجريد، فإذا هو يقول عند المنبر: «يا أيها الناس، إن الله يقول: ﴿إِنَّ الْأُمْتَلِينَ وَالْمُسْتَسِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾» إلى آخر الآية. [رواه أحمد والسنائي وصححه شعب الأرنؤوط]. فقلوه: ﴿إِنَّ الْأُمْتَلِينَ وَالْمُسْتَسِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ دليل على أن الإيمان غير الإسلام، وهو أخص منه، لقوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَوْ تَوَفَّيْنَا وَلَٰكِن قَوْلًا أَشْتَرًا وَلَٰكِنَّا يَدْخُلُ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤]. وفي الصحيحين: «لا يزي الزاني حين يزي وهو مؤمن»؛ فيسلبه الإيمان، ولا يلزم من ذلك كفره بإجماع المسلمين، فدل على أنه أخص منه. ﴿وَالْقَنِينِ وَالْقَنِينَتِ﴾ القنوت: هو الطاعة في سكون، قال تعالى: ﴿وَلَدَرَمَنَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَهٍّ قَنِينٌ﴾ [الروم: ٢٦]، فالإسلام بعده مرتبة يرتقى إليها، ثم القنوت ناشئ عنها. ﴿وَالصَّدِيقِينَ وَالصَّدِيقَاتِ﴾ هذا في الأقوال؛ فإن الصدق خصلة محمودة، وهو علامة على الإيمان، كما أن الكذب أمانة على النفاق، ومن صدق نجا. ﴿وَالصَّيِّدِينَ وَالصَّيِّدَاتِ﴾ هذه سَجِيَّةُ الأبيات؛ وهي الصبر على المصائب، والعلم بأن المقدور كائن لا محالة، وتَلَقَّى ذلك بالصبر والنبات، وإنما الصبر عند الصدمة الأولى؛ أي: أصعبه في أول وهلة، ثم ما بعده أسهل منه، وهو صدق السجدة وثباتها. ﴿وَالْخَشِيعِينَ وَالْخَشِيعَاتِ﴾ الخشوع: السكون والطمأنينة، والتؤدة والوقار والتواضع، والحامل عليه الخوف من الله ومراقبته. ﴿وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ﴾ الصدقة: هي الإحسان إلى الناس المحاوِج الضعفاء، الذين لا كَسْبَ لهم ولا كاسب، يُعْطُونَ من فضول الأموال طاعة لله، وإحسانًا إلى خلقه. ﴿وَالصَّيِّمِينَ وَالصَّيِّمَاتِ﴾ قال سعيد بن جبير: من صام رمضان وثلاثة أيام من كل شهر دخل في قوله: ﴿وَالصَّيِّمِينَ وَالصَّيِّمَاتِ﴾. ولما كان الصوم من أكبر العون على كسر الشهوة ناسب أن يذكر بعده: ﴿وَالْمُحْفَظِينَ قُرُوجَهُمْ وَالْمُحْفَظَاتِ﴾ أي: من المحارم والمأثم إلا عن المباح. وقوله: ﴿وَالَّذِكْرِيكَ وَالَّذِكْرِيكَ﴾ عن أبي هريرة قال: كان النبي ﷺ يسير في طريق مكة فقال: «سبق المُقَرَّدُونَ». قالوا: وما المُقَرَّدُونَ؟ قال: «الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات» [رواه مسلم]. قوله: ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ خبر عن هؤلاء المذكورين كلهم، أن الله تعالى قد أعد لهم أي: هيا لهم منه لذونهم مغفرة وأجرًا عظيمًا وهو الجنة.

الآية (٣١): ثم ذكر عدله وفضله في قوله: ﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنكُمْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أي: يطع الله ورسوله ويستجب ﴿تُؤْتِيهَا أَجْرًا مَّرْثِيًّا وَعَدْنَا لَهُمُ رِزْقًا كَرِيمًا﴾ أي: في الجنة؛ فأنهن في منازل رسول الله ﷺ في أعلى عليين، فوق منازل جميع الخلائق، في الوسيلة التي هي أقرب منازل الجنة إلى العرش.

الآية (٣٢): هذه آداب أمر الله تعالى بها نساء النبي ﷺ، ونساء الأمة تبع لهن في ذلك، فقال مخاطبًا لنساء النبي ﷺ بأنهن إذا اتقن الله كما أمرهن فإنه لا يشبههن أحد من النساء، ولا يلحقهن في الفضيلة والمنزلة، ثم قال: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾ قال السدي: يعني بذلك: ترقيق الكلام إذا خاطبن الرجال؛ ولهذا قال: ﴿وَقَطِّعْنَ أَلْسِنَهُنَّ فِي قُلُوبِهِنَّ مَرَضٌ﴾ أي: دَغَلٌ ﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ قال ابن زيد: قولًا حسنًا جميلًا معروفًا في الخبر. ومعنى هذا: أنها تخاطب الأجانب بكلام ليس فيه ترخيم، أي: لا تخاطب المرأة الأجانب كما تخاطب زوجها.

الآية (٣٣-٣٤): قوله: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ أي: الزمن ببيوتكن فلا تخرجن لغير حاجة. وقوله: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ قال مجاهد: كانت المرأة تخرج تمشي بين يدي الرجال، فذلك تبرج الجاهلية. وقال قتادة: يقول: إذا خرجتن من بيوتكن -وكانت لهن مشية وتكسر وتفتج- فنهى الله عن ذلك. وقال مقاتل بن حَيَّان: والتبرج: أنها تُلْقِي الخمار على رأسها، ولا تشده فيواري قلائدها وقرطها وعنقها، ويبدو ذلك كله منها، وذلك التبرج، ثم هُتَّتْ نساء المؤمنين في التبرج. وقوله: ﴿وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ نهان أولًا عن الشر ثم أمرهن بالخير، من: إقامة الصلاة؛ وهي: عبادة الله وحده لا شريك له، وإيتاء الزكاة؛ وهي: الإحسان إلى المخلوقين. ﴿وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ وهذا من باب عطف العام على الخاص. ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ هذا نص في دخول أزواج النبي ﷺ في أهل البيت ههنا. قالت عائشة: خرج رسول الله ﷺ ذات غداة، وعليه مرط مُرَحَّل من شعر أسود، فجاء الحسن فأدخله معه، ثم جاء الحسين فأدخله معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها معه، ثم جاء علي فأدخله معه، ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [رواه مسلم]. ثم الذي لا يشك فيه من تدبر القرآن أن نساء النبي ﷺ داخلات في قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾؛ فإن سياق الكلام معهن؛ ولهذا قال تعالى بعد هذا كله: ﴿وَأَذْكُرَنَّ مَا بُدِّلَ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾ أي: اعملن بما ينزل الله على رسوله في بيوتكن من الكتاب والسنة. قاله قتادة. واذكرن هذه النعمة التي خصصتن بها من بين الناس: أن الوحي ينزل في بيوتكن دون سائر الناس، وعائشة الصديقة بنت الصديق أولاهن بهذه النعمة، وأحظاهن بهذه الغنيمة، وأخصهن من هذه الرحمة العميمة؛ فإنه لم ينزل على رسول الله ﷺ الوحي في فراش امرأة سواها، ولكن إذا كان أزواجه من أهل بيته، فقرارته أحق بهذه التسمية، كما في الحديث: «وأهل بيتي أحق» [رواه أحمد، وصححه شعب الأرنؤوط]. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾

١. خطورة خضوع النساء في القول، ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي لَيْبِهِ مَرْءٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾.
٢. حرمة التبرج، وأنه من علامات الجاهلية، ﴿وَقَدْ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾.
٣. قراءة القرآن والأدعية المأثورة في البيوت تحسنها ومن فيها من شياطين الأنس والجن، ﴿وَأَذْكُرَنَّ مَا بُدِّلَ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾

معناها: أنه ليس لمؤمن ولا مؤمنة اختيار مع الله ورسوله، بل يجب عليهم التسليم والانقياد لأمر الله ورسوله. ابن جزي: ١٨٩/٢.

السؤال: ما الواجب على المؤمن إذا بلغه الدليل من الكتاب والسنة؟

﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ ﴾

من الرأي الحسن لمن استشار في فراق زوجته: أن يؤمر بإمسакها مهما أمكن صلاح الحال، فهو أحسن من الفرقة. السعدي: ٦٦٦.

السؤال: ما الذي ينبغي أن يُشار به على من أراد ترك زوجته؟

﴿ وَتَخْفَىٰ فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ﴾

الرسول ﷺ قد بلغ البلاغ المبين، فلم يدع شيئاً مما أوحى إليه إلا وبلغه؛ حتى هذا الأمر الذي فيه عتابه. السعدي: ٦٦٦.

السؤال: بَلَّغَ النبي ﷺ غاية الصدق في تبليغ ما أوحى إليه، كيف تستشهد على ذلك من هذه الآية؟

﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا ﴾

التعليم الفعلي ابلاغ من القول، خصوصاً إذا اقترن بالقول؛ فإن ذلك نور على نور. السعدي: ٦٦٦.

السؤال: في الآية إشارة إلى الترتيب بالتطبيق العملي، وضح.

﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾

واستدراك قوله: (ولكن رسول الله) لرفع ما قد يُتوهم من نفي أبوته من انفصال صلة التراحم والبر بينه وبين الأمة، فذكروا بأنه رسول الله ﷺ فهو كالأب لجميع أمته في شفقتة ورحمته بهم، وفي برهم وتوقيرهم إياه؛ شأن كل نبي مع أمته. ابن عاشور: ٤٤/٢٢.

السؤال: ما الفائدة الاستدراك الوارد في قوله تعالى: (ولكن رسول الله)؟

﴿ يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَبِيرًا ﴾

اشتراط الله الكثرة في الذكر حيثما أمر به بخلاف سائر الأعمال. والذكر يكون بالقلب وباللسان، وهو على أنواع كثيرة من: التهليل، والتسبيح، والحمد، والتكبير، وذكر أسماء الله تعالى. ابن جزي: ١٨١/٢.

السؤال: من خلال هذه الآية، بم اقتصص الذكر على سائر الأعمال الفاضلة؟

﴿ يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَبِيرًا ﴾

أمر الله تعالى عباده بأن يذكروه ويشكروه، ويكثرُوا من ذلك على ما انعم به عليهم، وجعل تعالى ذلك دون حد لسهولة على العبد، ولعظم الأجر فيه، قال ابن عباس: لم يعذر أحد في ترك ذكر الله إلا من غلب على عقله. القرطبي: ١٦٧/١٦.

السؤال: هل لأحد عذر في ترك ذكر الله تعالى؟

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴿١٥﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفَىٰ فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿١٦﴾ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يُسَلِّتُونَ رِسَالَتَ اللَّهِ وَتَخْشَوْنَهُمْ وَلَا تَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكُنْ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿١٨﴾ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿١٩﴾ يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ وَسَيَجْزِيكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢١﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّيْكَ عَلَيْهِ كُرْهُ وَمَلَائِكَتُهُ يُخْرِجُكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٢٢﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
قَضَىٰ	حَقَمَ.
قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا	قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا طَلَقَهَا.
أَدْعِيَائِهِمْ	مَنْ كَانُوا يَتَّبِعُونَهُمْ.
وَطَرًا	حَاجَةً.
خَرَجَ	إِثْمَ.

## ● العمل بالآيات

١. اذكر الله هذا اليوم أكثر من ذكرك له بالأمس، ﴿ يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَبِيرًا ﴾.

٢. صل على النبي ﷺ في الصباح والمساء حتى يصلي الله عليك، ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّيْكَ عَلَيْهِمْ وَمَلَائِكَتُهُ يُخْرِجُكَ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾.

٣. احضر درساً علمياً أو محاضرة لتصلي عليك الملائكة، ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّيْكَ عَلَيْهِمْ وَمَلَائِكَتُهُ يُخْرِجُكَ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾.

## ● التوجيهات

١. الحذر من تأويل الأوامر الصريحة حسب ما تهواه النفس، ووجوب التسليم والانقياد لأوامر الشرع؛ فإنها من لوازم الإيمان بالله وبالرسول ﷺ، ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴾.

٢. اعلم أنه لا أحد أعلى من النصيحة والموعظة والتذكير، ﴿ وَتُخْفَىٰ فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ﴾.

٣. دفاع الله تعالى عن أوليائه والمبلغين عنه، ﴿ الَّذِينَ يُسَلِّتُونَ رِسَالَتَ اللَّهِ وَتَخْشَوْنَهُمْ وَلَا تَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكُنْ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾.

الآية (٣٦): [سبب النزول]: عن ابن عباس قال: خطب رسول الله ﷺ زينب بنت جحش لزيد بن حارثة، فاستنكفت منه، وقالت: أنا خير منه حسبا، فأنزل ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾ الآية كلها. وهذه الآية عامة في جميع الأمور؛ وذلك أنه إذا حكم الله ورسوله بشيء، فليس لأحد مخالفته ولا اختيار لأحد ههنا، ولا رأي ولا قول؛ كما قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَيْكَ لَا يُوْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]؛ ولهذا شدد في خلاف ذلك، فقال: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾؛ كقوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

الآية (٣٧): يقول تعالى مخبرا عن نبيه أنه قال لولاء زيد بن حارثة وهو الذي ﴿أَتَمَّ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ أي: بالإسلام، ومتابعة الرسول عليه الصلاة والسلام: ﴿وَأَتَمَّتْ عَلَيْهِ﴾ أي: بالعتق من الرق، وكان رسول الله ﷺ قد تزوجه بامته زينب بنت جحش، ثم وقع بينها، فجاء زيد يشكوها إلى رسول الله ﷺ، فجعل رسول الله يقول له: «امسك عليك زوجك، واتق الله»، قال الله تعالى: ﴿وَتُخْفَىٰ فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتُخْفَىٰ النَّاسَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَن تَخْفَىٰ﴾. عن أنس قال: إن هذه الآية: ﴿وَتُخْفَىٰ فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ نزلت في شأن زينب بنت جحش وزيد بن حارثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (رواه البخاري). ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنهَا وَطَرًا رَوَّحْنَاهَا﴾ الوطر: هو الحاجة والأرب، أي: لما فرغ منها وفارقها، رَوَّجْنَاهَا، وكان الذي ولي تزويجها منه هو الله ﷻ. ﴿لِيَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾ أي: إنا أبغنا لك تزويجها وفعلنا ذلك لتلا يقى حرج على المؤمنين في تزويج مطلقات الأدعياء؛ وذلك أن رسول الله ﷺ كان قبل النبوة قد تبنى زيد بن حارثة، فكان يقال له: «زيد بن محمد»، فلما قطع الله هذه النسبة بقوله: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَائَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ ① أدعوتهم لأبائهم هو أقسط عند الله ﷻ [الأحزاب: ٥٤]. زاد ذلك بيانا وتأكيدا بوقوع تزويج رسول الله ﷺ بزينب لما طلقها زيد؛ ولهذا قال في آية التحريم: ﴿وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾ [النساء: ٢٣] ليحترز من الابن الدعي؛ فإن ذلك كان كثيرا فيهم. ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَعْرُوفًا﴾ أي: وكان هذا الأمر الذي وقع قد قدره الله تعالى وحُتِّمه، وهو كائن لا محالة، كانت زينب في علم الله تستصير من أزواج النبي ﷺ.

الآية (٣٨): ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ﴾ أي: فيما أحل له وأمره به من تزويج زينب التي طلقها دعيه زيد بن حارثة. قوله: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾ أي: هذا حكم الله في الأنبياء قبله؛ لم يكن لأمرهم شيء وعليهم في ذلك حرج. ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ أي: وكان أمره الذي يقدره كائنا لا محالة، وواقعًا لا عمد عنه ولا معديل، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

الآية (٣٩): يمدح تعالى ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ﴾ أي: إلى خلقه ويؤدونها بأمانتها ﴿وَيُحْشِنُونَ﴾ أي: يخافونه ولا يخافونه أحدًا سواه، فلا تمنعهم سطوة أحد عن إبلاغ رسالات الله ﴿وَكُنْ بِأَلَدٍ

حَيًّا﴾ أي: وكفى بالله نصرًا ومعينًا. وسيد الناس في هذا المقام - بل وفي كل مقام - محمد رسول الله ﷺ. ثم ورت مقام البلاغ عنه أمته من بعده، فكان أعلى من قام بها بعده أصحابه، فرضي الله عنهم وأرضاهم. ثم ورثه كل خلف عن سلفهم إلى زماننا هذا، فينورهم يقتدي المهتدون، وعلى منهمهم يسلك الموفقون.

الآية (٤٠): ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ نهي تعالى أن يقال بعد هذا: زيد بن محمد. أي: لم يكن أباه وإن كان قد تنبأ؛ فإنه صلوات الله عليه وسلامه لم يعيش له ولد ذكر حتى بلغ الحلم. قوله: ﴿وَلَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ كقوله: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَمُوتُ رَسُولُكُمْ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، فهذه الآية نص في أنه لا نبي بعده، وإذا كان لا نبي بعده فلا رسول بعده بطريق الأولى. عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «مثلي ومثلي النبيين من قبلي كمثل رجل بنى دارا فأتمها إلا لبنة واحدة، فبحث أنا فأتممت تلك اللبنة». انفرد بإخراجه مسلم.

الآية (٤١-٤٢): يقول تعالى آمرا عباده المؤمنين بكثرة ذكرهم لربهم تعالى، المنعم عليهم بأنواع النعم وصنوف المنن، لما هم في ذلك من جزيل الثواب، وجبيل المآب. قال ﷻ: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إعطاء الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فضربوا أعناقهم، ويضربوا أعناقكم؟» قالوا: وما هو يا رسول الله؟ قال: «ذكر الله ﷻ» (رواه أحمد والترمذي وابن ماجه، وصححه الألباني). وقال ابن عباس: إن الله لم يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها حدا معلوما، ثم عذر أهلها في حال عذر، غير الذكر؛ فإن الله لم يجعل له حدا ينتهي إليه، ولم يعذر أحدا في تركه إلا مغلوبا على تركه، فقال: ﴿فَادْكُرُوا اللَّهَ فِيمَا تَوْفَعُوا وَعَلَىٰ حُبُوبِكُمْ﴾ [النساء: ١٠٣]، بالليل والنهار، في البر والبحر، وفي السفر والحضر، والغنى والفقر، والصحة والسقم، والسر والعلانية، وعلى كل حال. ﴿وَسَبِّحُوا بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ أي: عند الصباح والمساء؛ كقوله: ﴿فَسُبِّحْنَ اللَّهَ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ [الروم: ١٧].

الآية (٤٣): ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ﴾ هذا تهيج إلى الذكر؛ أي: إنه سبحانه يذكركم فاذكروهم أنتم؛ كقوله: ﴿فَادْكُرُوا اللَّهَ فِيمَا تَوْفَعُوا﴾. ﴿وَأَنصُرُوا إِلَىٰ ذَاكَ تُدْرِكُونَ﴾ [البقرة: ١٥٢]. والصلاة من الله ثناءه على العبد عند الملائكة، حكاية البخاري عن أبي العالية. وقال غيره: الصلاة من الله: الرحمة. وقد يقال: لا منافاة بين القولين، والله أعلم. وأما الصلاة من الملائكة فمعنى الدعاء للناس والاستغفار. ﴿يُخْرِجُكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ أي: بسبب رحمته بكم وثنائه عليكم، ودعاء ملائكته لكم بخرجكم من ظلمات الجهل والضلال إلى نور الهدى واليقين. ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ أي: في الدنيا والآخرة؛ أما في الدنيا: فإنه هداهم إلى الحق الذي جهله غيرهم، وبصرهم الطريق الذي ضل عنه وحاد عنه من سواهم من الدعاة إلى الكفر أو البدعة وأشياهمهم من الطعام. وأما رحمته بهم في الآخرة: فآمنهم من الفزع الأكبر، وأمر ملائكته بتلقوهم بالبشارة بالفوز بالجنة والنجاة من النار، وما ذاك إلا لمحبتهم لهم ورافقتهم بهم.

الآية (٤٤): ﴿يَحْيَتُهُمْ يَوْمَ يَقُومَةُ سَلَمٌ﴾ الظاهر أن المراد ﴿يَحْيَتُهُمْ﴾ أي: من الله تعالى ﴿يَوْمَ يَقُومَةُ سَلَمٌ﴾ أي: يوم يسلم عليهم؛ كما قال: ﴿سَلَمٌ قَوْلَانِ رَبِّ زَيْبٍ﴾ [يس: ٥٨]. وزعم قتادة أن المراد أنهم يُحْيَى بعضهم بعضًا بالسلام، يوم يلقون الله في الدار الآخرة، واختاره ابن جرير. قلت: وقد يستدل بقوله: ﴿دَعَوْنَهُمْ فِيهَا سُبْحَنَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ﴾ وما جاز دَعَوْنَهُمْ أَنْ أَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ [يونس: ١٠]. ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ يعني: الجنة وما فيها من المأكول والمشروب، والملابس والمساكن، والمتاع والملاذ والمناظر، وما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

الآية (٤٥-٤٨): عن عطاء بن يسار قال: لقيت عبد الله بن عمرو، فقلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة. قال: أجل، والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، وَحَرًّا لِلْأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمِيتُكَ الْمُتَوَكِّلَ، لَسْتَ بَغْظٌ وَلَا غِلِظٌ وَلَا سَخَّابٌ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَدْفَعُ السَّيْئَةَ بِالسَّيْئَةِ، وَلَكِنْ يَغْفُو وَيُغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يَقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْمُوجَاءَ، بَأَنْ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يَفْتَحُ بِهِ أُمِّيًّا عَمِيًّا، وَأَدَانًا ضَمًّا، وَقَوْلِيًّا غَلْفًا﴾ [رواه البخاري]. ﴿شَهِيدًا﴾ أي: الله بالوحدانية، وأنه لا إله غيره، وعلى الناس بأعمالهم يوم القيامة ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١]. ﴿وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ أي: مبشرًا للمؤمنين بجزيل الثواب، ونذيرًا للكافرين من وبيل العقاب. ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ﴾ أي: داعيًا للخلق إلى عبادة ربهم عن أمره لك بذلك، ﴿وَسِرَكِبًا تُبِيرًا﴾ أي: وأمرًا ظاهر فيها جثت به من الحق، كالشمس في إشراقها وإضاءتها، لا يمحدها إلا معانده. ﴿وَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ أي: اصفح لا تطعمهم وتسمع منهم في الذي يقولونه، ﴿وَدَعِ أَهْلَهُمْ﴾ أي: اصفح وتجاوز عنهم، وكل أمرهم إلى الله؛ فإن فيه كفاية لهم؛ ولهذا قال: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾.

الآية (٤٩-٥٠): هذه الآية الكريمة فيها أحكام، منها: إطلاق النكاح على العقد وحده، وليس في القرآن آية أصرح في ذلك منها، وفيها دلالة لإباحة طلاق المرأة قبل الدخول بها. قوله: ﴿الْمُؤْمِنَاتِ﴾ خرج مخرج الغالب؛ إذ لا فرق في الحكم بين المؤمنة والكثانية في ذلك بالاتفاق. وقد استدلل ابن عباس وجماعة بهذه الآية على أن الطلاق لا يقع إلا إذا تقدمه نكاح؛ لأن الله قال: ﴿إِذَا نَكَحَتِ الْمُؤْمِنَاتِ نَرَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ﴾ فعقب النكاح بالطلاق، فدل على أنه لا يصح ولا يقع قبله. وهذا مذهب الشافعي وأحمد وطائفة كثيرة من السلف والخلف. وذهب مالك وأبو حنيفة إلى صحة الطلاق قبل النكاح؛ فيما إذا قال: إن تزوجت فلانة فهي طالق. فعندهما متى تزوجها طلقت منه. وعن ابن عباس قال: إذا قال: كل امرأة أتزوجها فهي طالق، قال: ليس بشيء من أجل أن الله تعالى يقول: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ يَآمَنُوا إِذَا نَكَحَتِ الْمُؤْمِنَاتِ نَرَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ﴾ الآية. وقال رسول الله ﷺ: «لا طلاق لابن آدم فيما لا يملك» [رواه أحمد وأصحاب السنن، وصححه الألباني]. قوله: ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدْوٍ مَعْدُونَةٍ﴾ هذا أمر بجمع عليه بين

العلاء: أن المرأة إذا طُلِّقت قبل الدخول بها لا عدة عليها، فتذهب فتزوج؛ فإنها تعتد منه أربعة أشهر وعشراً، وإن لم يكن دخل بها بالإجماع أيضاً. ﴿فَتَمُوتُوهُنَّ وَمَيِّتُوهُنَّ سَرَاجِيكًا﴾ المتعة ههنا أعم من أن تكون نصف الصداق المسمى، أو المتعة الخاصة إن لم يكن قد سُمي لها: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَقْرُبُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرَهُ وَعَلَى الْمُتَمَرِّقَةِ قَدَرَهُ، مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَصَيِّبِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٦]. عن سهل بن سعد وأبي أسيد: أن رسول الله ﷺ تزوج أميمة بنت سُرَّاحيل، فلما دخلت عليه بسط يده إليها، فكانها كرهت ذلك، فأمر أبا أسيد أن يجهزها ويكسوها ثوبين زَارَقَتَيْنِ [رواه البخاري]. ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنْ أَلْحَنَّا لَكَ أَزْوَاجَكَ الْكُفَى أَتَيْتَ أَجْرَهُنَّ﴾ يقول تعالى مخاطباً نبيه ﷺ بأنه قد أحل له من النساء أزواجه اللاتي أعطاهن مهرهنَّ، وهي الأجور ههنا. كما قاله مجاهد، وقد كان مهرُ لنسائه اثنتي عشرة أوقية ونشاً وهو نصف أوقية، فالجمع خساسة درهم، إلا أم حبيبة فإنه أمرها عنه النجاشي أربعائة دينار، وإلا صفية فإنه اصطفاهما من سُبَيِّ خبير، ثم أعقها وجعل عتقها صداقها. وكذلك جُورِيَّة بنت الحارث أدَّى عنها كتابتها إلى ثابت بن قيس بن شماس وتزوجها. ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ يَمَانُ آفَاءَ اللَّهِ عَلَيْكَ﴾ أي: وأباح لك النسرى مما أخذت من المغانم، وقد ملك صفية وجورِيَّة فأعتقها وتزوجها. وملك ربحانة بنت شمعون النضرية، ومارية القطبية أم ابنه إبراهيم، وكانتا من السراي. ﴿وَنَوَاتِ عَيْكَ وَنَوَاتِ عَيْتِكَ وَنَوَاتِ خَالِكَ وَنَوَاتِ خَالِكَ﴾ هذا عدل وسط بين الإفراط والتفريط؛ فإن النصارى لا يتزوجون المرأة إلا إذا كان الرجل بينه وبينها سبعة أجداد فصاعداً، واليهود يتزوج أحدهم بنت أخيه وبنت أخته، فجاءت هذه الشريعة الكاملة الطاهرة بهدم إفراط النصارى، فأباح بنت العم والعمة، وبنت الحلال والحالة، وتحريم ما قرطت فيه اليهود من إباحة بنت الأخ والأخت. ﴿الَّتِي هَاجَرَ مَمْلَكَتُ﴾ قال قتادة: المراد: من هاجر معه إلى المدينة. ﴿وَأَمْرًا مُؤْمَنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا﴾ أي: ويحل لك -يا أيها النبي- المرأة المؤمنة إذا وهبت نفسها لك أن تتزوجها بغير مهر إن شئت ذلك. ﴿وَخَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال عكرمة: أي: لا تحل الموهوبة لغيرك، ولو أن امرأة وهبت نفسها لرجل لم تحل له حتى يعطيها شيئاً. أي: أنها إذا فوضت المرأة نفسها إلى رجل، فإنه متى دخل بها وجب لها عليه مهر مثلها. وقال قتادة: ليس لامرأة تهب نفسها لرجل بغير ولي ولا مهر إلا للنبي. ﴿فَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ أي: ومن حضرهم في أربع نسوة حرائر وما شاءوا من الإماء، واشترط الولي والمهر والشهود عليهم، وهم الأمّة، وقد رخصنا لك في ذلك، فلم نوجب عليك شيئاً منه ﴿بَلْ كَيْلًا يَكُونُ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا رَحِيمًا﴾.



## ● الوقفات التدريبية

- ٥ ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ ⑤ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ. وَرَسُولًا يُبَشِّرُكَ

هذه الأشياء التي وصف الله بها رسوله محمدا ﷺ هي المقصود من رسالته، وزيدتها، وأصولها التي اختص بها. السعدي: ٦٦٧.

السؤال: لماذا ذكرت هذه الأشياء الخمسة في وصف نبينا دون غيرها؟

- ٥ ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾

وقدمت البشارة على النذارة لأن النبي ﷺ غلب عليه التبشير؛ لأنه رحمة للعالمين، ولكثرة عدد المؤمنين في أمته. ابن عاشور: ٥٣/٢٢.

السؤال: لماذا قدمت البشارة على النذارة في وصفه ﷺ في الآية؟

- ٥ ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ﴾

إخلاص الدعوة إلى الله، لا إلى نفسه وتعظيمها، كما قد يعرض ذلك لكثير من النفوس في هذا المقام. السعدي: ٦٦٨.

السؤال: قد يحصل زلل من الدعاة في شأن الإخلاص، وضح ذلك من خلال الآية؟

- ٥ ﴿وَنَذِيرَ الْمُتَّقِينَ﴾ ⑤ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَثِيرًا ﴿

قال ابن عطية: قال لنا أبي: هذه من أرجى آية عندي في كتاب الله تعالى؛ لأن الله عز وجل قد أمر نبيه أن يبشر المؤمنين بأن لهم عنده فضلا كبيرا، وقد بين تعالى الفضل الكبير في قوله تعالى: (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) في روضات الجنات لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير) (الشورى: ١٢٢). القرطبي: ١٧٣/١٦.

السؤال: بين كيف عد بعض العلماء هذه الآية من أرجى الآيات؟

- ٥ ﴿وَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعِ أَذْنَهُمْ﴾

فإن ذلك جالب لهم، وداع إلى قبول الإسلام، وإلى كف كثير من أذيتهم له ولأهله. السعدي: ٦٦٨.

السؤال: لماذا نهى الله عن أذية الكافرين والمنافقين؟

- ٥ ﴿وَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعِ أَذْنَهُمْ﴾

أي: لا تطعمهم فيما يشيرون عليك من المهادنة في الدين ولا تماثلهم. القرطبي: ١٧٣/١٦.

السؤال: يريد الكافرون والمنافقون من الداعية أمرا معينا، فما هو؟

- ٥ ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا كُنْتُمْ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عَدُوٍّ تَعْدُوْنَهُنَّ فَمَتَّحُوهُنَّ وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾

وأمرهم بتمتعيهن بهذه الحالة بشيء من متاع الدنيا الذي يكون فيه جبر لخواطرهن لأجل فراقهن. السعدي: ٦٦٨.

السؤال: ما الحكمة من تشريع التمتع هنا؟

يَحْيَتُهُمْ يَوْمَ تَلْقَوْنَهُ وَسَلَّمَ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ⑤ يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ⑤ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُبِينًا ⑤ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَثِيرًا ⑤ وَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعِ أَذْنَهُمْ وَمَنْ يَتَّبِعْ أَهْلَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ⑤ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا كُنْتُمْ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عَدُوٍّ تَعْدُوْنَهُنَّ فَمَتَّحُوهُنَّ وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ⑤ يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَخْلَلْنَا نَكَاحَ أَزْوَاجِكَ النَّبِيِّ عَاتَيْتُ أَجْرَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَمَا أَقَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتُ عَمَّتِكَ وَبَنَاتُ خَالَكَ وَبَنَاتُ خَالَتِكَ النَّبِيِّ هَاجَرْنَ مَعَكَ وَأَمْرَأَةُ مُؤْمِنَةٍ إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ⑤ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ⑤

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
تَمْسُوهُنَّ	تَدْخُلُوْنَ بِهِنَّ، وَتُجَامِعُوهُنَّ.
عِدَّةٌ	مُدَّةٌ تَنْتَظِرُ فِيهَا الْمَرْأَةُ.
تَعْتَدُونَهَا	تُحْصِنُونَهَا عَلَيْهِنَّ.
وَسَرَّحُوهُنَّ	طَلَقُوهُنَّ.
أَقَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ	أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكَ بِالْجِهَادِ.
خَالِصَةً لَكَ	خَاصَّةً بِكَ.

## ● الصل بالآيات

- ألقى السلام بتواضع على من هو دونك في السن أو المنزلة عسى أن يكون سبباً في سلام الله عليك يوم القيامة، ﴿يَحْيَتُهُمْ يَوْمَ تَلْقَوْنَهُ وَسَلَّمَ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾.
- سَلِّ اللَّهُ أَنْ يَرْزُقَكَ الْإِخْلَاصَ، وَأَنْ يَجْنِبَكَ الرِّيَاءَ فِي دَعْوَتِكَ وَأَمْرِكَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيِكَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ ﴿.
- بشِّرْ إخوةً لك بما أعده الله لهم من الفضل العظيم لصبرهم على عبادة الله وعلى أقدار الله، ﴿وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَثِيرًا﴾.

## ● التوجيهات

- عظم مكانة النبي ﷺ ومنزلته وفضله على سائر الخلق، ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ ⑤ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ. وَرَسُولًا يُبَشِّرُكَ
- مشروعية الدعوة إلى الله إذا كان الداعي متاهلاً بالعلم والحلم، ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾.
- حرمة طاعة الكافرين والمنافقين والفجرة والطالين فيما يتنافى مع مرضاة الله تعالى، ﴿وَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعِ أَذْنَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

١ ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾

مناسبة صفة العلم لقوله: (والله يعلم ما في قلوبكم) ظاهرة، ومناسبة صفة الحليم باعتبار أن المقصود ترغيب الرسول ﷺ في البقاء الأحوال بصفة الحليم. ابن عاشور: ٧٧/٢٢.

السؤال: ما الحكمة من ختم الآية الكريمة بصفة العلم؟

١ ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ الْإِنْسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ مِنْ أَنْفُسٍ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ أَجَبَكَ خُسْفًا﴾

هذا شكر من الله -الذي لم يزل شكورا- لزواج رسول الله رضي الله عنهن؛ حيث اخترن الله ورسوله والدار الآخرة، أن رحمن وقصر رسوله عليهن. السعدي: ٦٧٠.

السؤال: في الآية حث على تقديم الآخرة على الدنيا، فما وجه ذلك؟

١ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَبَاتٍ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْصَرِفُوا وَلَا تَقْنَبُوا جُلُوسَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ فَتَقْنَبُوا مِنْكُمْ﴾

قال ابن عباس: نزلت في قوم كانوا يتحينون طعام النبي ﷺ فيدخلون عليه قبل الطعام، فيقعدون إلى أن يطبخ، ثم يأكلون ولا يخرجون، فأمروا أن لا يدخلوا حتى يؤذن لهم، وأن ينصرفوا إذا أكلوا (فإذا طعمتم فانتصروا) أي: انصرفوا، قال بعضهم: هذا آداب الله به القلاء. ابن جزي: ١٩٤/٢.

السؤال: ما آداب الزيارة التي تستفاد من هذه الآية؟

١ ﴿إِنْ دَلِمَكُمْ كَانَ يَوْمِي أَلْتِي فَيَسْتَعِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَعِي مِنْ الْهَيْئَةِ﴾

فالأمر الشرعي ولو كان يتوهم أن في تركه أدبا وحياء، فإن الحزم كل الحزم اتباع الأمر الشرعي، وأن يجزم أن ما خالفه ليس من الأدب في شيء. السعدي: ٦٧٠.

السؤال: هل مطابقة الناس بحقوقهم التي أحقها لهم الشرع يعتبر مخالفاً للآداب والأذواق العامة؟

١ ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَأَلْنَهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾

(أطهر لقلوبكم وقلوبهن) أي: أكثر تطهيرا من الخواطر الشيطانية التي تخطر للرجال في أمر النساء والنساء في أمر الرجال؛ فإن الرؤية سبب التعلق والفتنة، وفي بعض الآثار: النظر سهم مسموم من سهام إبليس. الألوسي: ٢٤٨/١.

السؤال: ما أثر نظر الرجل والمرأة إلى غير محارمهم؟

١ ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَأَلْنَهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾

لأنه أبعد عن الريبة، وكلما بعد الإنسان عن الأسباب الداعية إلى الشر فإنه أسلم له، وأطهر لقلبه، ولهذا من الأمور الشرعية التي بين الله كثيرا من تفاصيلها أن جميع وسائل الشر وأسبابه ومقدماته ممنوعة، وأنه مشروع البعد عنها بكل طريق. السعدي: ٦٧٠.

السؤال: من حكمة الشرع أنه لم يكتف بتحرير الحرام فقط، بل حرم أسبابه والطرق الموصلة إليه، بين هذا باختصار من خلال الآية.

١ ﴿ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾

قلوب الفريقين طاهرة بالتقوى، وتعظيم حرمات الله وحرمة النبي ﷺ، ولكن لما كانت التقوى لا تصل بهم إلى درجة العصمة أراد الله أن يزيدهم منها بما يسكب المؤمنين مراتب من الحفاظ الإلهي من الخواطر الشيطانية؛ يقطع أضعف أسبابها، وما يقرب أمهات المؤمنين من مرتبة العصمة الثابتة لزوجهن ﷺ؛ فإن الطيبات للطيبين يقطع الخواطر الشيطانية عنهن يقطع دابرهما ولو بالعرض. ابن عاشور: ٩١/٢٢.

السؤال: ما السبيل الأمثل لطهارة القلوب؟

١ ﴿تُرْجَى مِنْ شَأْنِهِمْ مَنْ شَأْنُهُمْ وَتُؤَيَّ إِلَيْكَ مِنْ شَأْنِهِ وَمَنْ ابْتَغَيْتَ وَمَنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْنَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾ لَا يَحِلُّ لَكَ الْإِنْسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ مِنْ أَنْفُسٍ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ أَجَبَكَ خُسْفًا حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَبَاتٍ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْصَرِفُوا وَلَا تَقْنَبُوا جُلُوسَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ فَتَقْنَبُوا مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَعِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَعِي مِنْ الْهَيْئَةِ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكَرُوا أَرْوَاحَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا إِنْ تَبَدَّلُوا شَيْئًا أَوْ خَفَوْهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
تُرْجَى	تُؤَخَّرُ الْقَسَمُ فِي الْمَبِيتِ، عَمَّنْ شِئْنٌ مِنْ زَوْجَاتِكَ.
وَتُؤَيَّ	تَضَعُ فِي الْمَبِيتِ.
ابْتَغَيْتَ	طَلَبْتَ الْمَبِيتَ عِنْدَهَا.
عَزَلْتَ	أَحْرَتَ قِسْمَهَا.
نَاطِرِينَ إِنَاهُ	مُنْتَظَرِينَ نَضْجَهُ.
مَتَاعًا	شَيْئًا مِنْ أَوَانِي الْمَبِيتِ، وَنَحْوَهَا.

## ● العمل بالآيات

١. اتق كلمة أو أرسل رسالة عن خطورة التساهل في الاختلاط بين الرجال والنساء، ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَأَلْنَهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾
٢. سل الله أن يرزقك الجراة، والحكمة، وحسن الأدب في قول الحق، ﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَعِي مِنْ الْهَيْئَةِ﴾
٣. ذكر زميلا لك أن من الأدب مع العلماء والدعاة عدم الإطالة في الجلوس عند زيارتهم؛ لكثرة انشغالهم، ﴿إِنْ دَلِمَكُمْ كَانَ يَوْمِي أَلْتِي فَيَسْتَعِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَعِي مِنْ الْهَيْئَةِ﴾

## ● التوجيهات

١. تذكر أن الله تعالى يعلم ما في قلبك، فلا تودعن فيه إلا ما يرضيه سبحانه، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾
٢. درب نفسك على عدم الحياء من قول الحق والدعوة إليه، ﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَعِي مِنْ الْهَيْئَةِ﴾
٣. احذر الاختلاط بالنساء غير المحارم؛ فكل وسيلة تبعد الرجال عن النساء، فهي طهارة لقلوب الطرفين، ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَأَلْنَهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾

الآية (٥١): [سبب النزول]: عن عائشة أنها كانت تُعَرِّبُ النساء اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله ﷺ، قالت: ألا تستحي المرأة أن تعرض نفسها بغير صداق؟! فأنزل الله ﷻ: ﴿تَرْجِي مَنْ نَشَأَ مِنْهُنَّ وَقُوَىٰ إِلَيْكَ مَنْ نَشَأَ وَمَنْ أَنْبَغَتْ وَمَنْ عَزَلَتْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾. قالت: إني أرى ربك يسارع لك في هواك [منفق عليه]. قوله: ﴿تَرْجِي﴾ أي: تؤخر ﴿مَنْ نَشَأَ مِنْهُنَّ﴾ أي: من الواهبات ﴿وَقُوَىٰ إِلَيْكَ مَنْ نَشَأَ﴾ أي: من شئت قبلتها، ومن شئت رددتها، ومن رددتها فانت فيها أيضًا بالخيار بعد ذلك: إن شئت عُدَّتْ فيها فأوتيتها؛ ولهذا قال: ﴿وَمَنْ أَنْبَغَتْ وَمَنْ عَزَلَتْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾. وقال آخرون: بل المراد: من أزواجك، لا حرج عليك أن تترك القسم هن، فنقدم من شئت، وتؤخر من شئت، وتجمع من شئت، وتترك من شئت. ومع هذا كان صلوات الله وسلامه عليه يقسم هن. عن عائشة أن رسول الله ﷺ كان يستأذن في يوم المرأة منا بعد أن نزلت هذه الآية [رواه البخاري]. فهذا الحديث عنها يدل على عدم وجوب القسم، ومن ههنا اختار ابن جرير أن الآية عامة في الواهبات وفي النساء اللاتي عنده أنه خير فيهن إن شاء قسم وإن شاء لم يقسم. وهذا الذي اختاره حسن جيد قوي، ولهذا قال: ﴿ذَلِكَ أَذْكَ أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَ وَرَضَّيَكَ بِمَا عَاقِبْتَهُنَّ كُلَّهُنَّ﴾ أي: إذا علمن أن الله قد وضع عنك الحرج في القسم، فإن شئت قسمت، وإن شئت لم تقسم، لا جناح عليك في أي ذلك فعلت، ثم مع هذا أنت تقسم هن اختيارًا منك لا أنه على سبيل الوجوب، فرحن بذلك واستبشرن به وحلن جميلك في ذلك، واعترفن بيبنتك عليهن في قسمك هن وتسويتك بينهن وإنصافك هن وعدلك فيهن. ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ أي: من المبال إلى بعضهن دون بعض، مما لا يمكن دفعه. روى الإمام أحمد وأهل السنن عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يقسم بين نسائه فيعدل، ثم يقول: «اللهم هذا فعلي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك» وإسناده صحيح، ورجاله كلهم ثقات. ولهذا عقب ذلك بقوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ أي: بضائير السرائر، ﴿عَلِيمًا﴾ أي: يعلم ويغفر.

الآية (٥٢): ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ الْفِسَاءُ مِنْ بَعْدِ﴾ ذكر غير واحد من العلماء أن هذه الآية نزلت مجازاة لأزواج النبي ﷺ ورَضِيَّ عنهن على حسن صنعهم في اختيارهن الله ورسوله والدار الآخرة، لما أخبرهن رسول الله ﷺ. فلما اخترن رسول الله ﷺ كان جزاؤهن أن الله قَصَرَهُ عليهن، وحرم عليه أن يتزوج بغيرهن، أو يستبدل بهن أزواجًا غيرهن، ولو أعجبه حسنهن، إلا الإمام والسراي فلا حجر عليه فيهن. ثم إنه رفع عنه الحجر في ذلك ونسخ حكم هذه الآية، وأباح له الزوج، ولكن لم يقع منه بعد ذلك تَزَوُّجٌ لتكون المنة للرسول ﷺ عليهن. وقال آخرون: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ الْفِسَاءُ مِنْ بَعْدِ﴾ أي: بعدما ذكرنا لك من صفة النساء اللاتي أحللنا لك من نسائك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك، وبنات العم والعماات والخال والخالات والواهة، وما سوى ذلك من أصناف النساء فلا يحل لك. واختار ابن

جرير أن الآية عامة فيمن ذُكر من أصناف النساء، وفي النساء اللواتي في عصمته وكن نسما. وهذا الذي قاله جيد. قوله: ﴿وَلَا أَنْ تَبْدَلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ﴾ نهاه عن الزيادة عليهن، أو طلاق واحدة منهن واستبدال غيرها بها إلا ما ملكت يمينه.

الآية (٥٣): [سبب النزول]: عن أنس قال: لما تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش، دعا القوم فَطَعَمُوا ثم جلسوا يتحدثون، فإذا هو كأنه يتهاى للقيام فلم يقوموا. فلما رأى ذلك قام، فلما قام قام من قام، وقعد ثلاثة نفر. فجاء النبي ﷺ ليدخل فإذا القوم جلوس، ثم إنهم قاموا فانطلقت، فبحث فأخبرت النبي ﷺ أنهم قد انطلقوا. فجاء حتى دخل، فذهبت أدخل، فألقى الحجاب بيني وبينه، فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ﴾ الآية [منفق عليه]. فقوله: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ﴾ حَظَرَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَدْخُلُوا مَنَازِلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بغير إذن، كما كانوا قبل ذلك يصنعون في بيوتهم في الجاهلية وابتداء الإسلام، حتى غار الله هذه الأمة فأمرهم بذلك. ثم استثنى من ذلك فقال: ﴿وَلَا أَنْ يُوَدَّعَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَبِيطٍ﴾ قال مجاهد وقتادة: أي غير متحيتين فضجه واستواءه، أي: لا ترقبوا الطعام حتى إذا قارب الاستواء تعرضتم للدخول؛ فإن هذا يكرهه الله ويذمه وهذا دليل على تحريم التطفيل. قال: ﴿وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَبِرُوا﴾ في صحيح مسلم عن ابن عمر قال رسول الله ﷺ: «إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُجِبْ، غُرْمًا كَانَ أَوْ غَيْرَهُ». قال: ﴿وَلَا مَسْتَقْبِلِينَ لِحَدِيثٍ﴾ أي: كما وقع لأولئك نفر الثلاثة الذين استرسل بهم الحديث، ونشوا أنفسهم، حتى شَقَّ ذلك على رسول الله ﷺ، كما قال: ﴿إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَعِجِي بِكُمْ﴾. وقيل: المراد أن دخولكم منزله بغير إذنه كان يشق عليه ويتأذى به، لكن كان يكره أن ينهاهم عن ذلك من شدة حياته عَلَيْهِ السَّلَامُ، حتى أنزل الله عليه النهي عن ذلك؛ ولهذا قال: ﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَعِجِي مِنَ النَّبِيِّ﴾ أي: ولهذا نهاكم عن ذلك وزجركم عنه. قال: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ أي: وكما نهيتكم عن الدخول عليهن، كذلك لا تنظروا إليهن بالكلية، ولو كان لأحدكم حاجة يريد تناولها منهن فلا ينظر إليهن، ولا يسألن حاجة إلا من وراء حجاب ﴿ذَلِكَكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ أي: هذا الذي أمرتكم به وشرعته لكم من الحجاب أطهر وأطيب. قوله: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا﴾ أجمع العلماء قاطبة على أن من تَوَقَّى عنها رسول الله ﷺ من أزواجه أنه يحرم على غيره تزويجها من بعده؛ لأنهن أزواجه في الدنيا والآخرة وأمهات المؤمنين. وقد عَظَّمَ الله تعالى ذلك، وشدد فيه وتوعد عليه بقوله: ﴿إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾.

الآية (٥٤): ﴿إِنْ تَبَدَّلُوا شَيْئًا أَوْ أَخْفَوْهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ أي: مهما كُنْتُمْ ضائركم وتنطوي عليه سرائركم، فإن الله يعلمه؛ فإنه لا تخفى عليه خافية.



وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي» [رواه الترمذي، وحسنه الألباني]. وهذا الحديث دليل على وجوب الصلاة عليه ﷺ كلما ذكر، وهو مذهب طائفة من العلماء.

الآية (٥٧): ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِمًا﴾ يقول تعالى متهدداً ومتوعداً من آذاه، بمخالفة أوامره وارتكاب زواجره وإصراره على ذلك، وإيذاء رسوله بعب أو تنقص، عياداً بالله من ذلك. قال عكرمة: نزلت في المصورين. في الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله ﷻ: يؤذني ابن آدم، يَسُبُّ الدهر وأنا الدهر وأقلب ليله ونهاره». ومعنى هذا: أن الجاهلية كانوا يقولون: يا خيبة الدهر، فعل بنا كذا وكذا. فيسندون أفعال الله تعالى إلى الدهر ويسبونه، وإنا الفاعل لذلك هو الله ﷻ، فنهى عن ذلك. هكذا قرره الشافعي. وقال ابن عباس: نزلت في الذين طعنوا على النبي ﷺ في تزويجه صفية بنت





## ● الوقفات التحذيرية

﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ لَهُ السَّاعَةُ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾ (١٧) إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿

ومجرد مجيء الساعة قريباً وبعداً ليس تحته نتيجة ولا فائدة، وإنما النتيجة والخسار والريح والشقاء والسعادة؛ هل يستحق العبد العذاب، أو يستحق الثواب؟ فهذه سأخبركم بها، وأصف لكم مستحقها، فوصف مستحق العذاب، ووصف العذاب؛ لأن الوصف المذكور منطبق على هؤلاء المكذبين بالساعة، فقال: (إن الله لعن الكافرين). السعدي: ٦٧٢.

السؤال: ما الحكمة من ذكر عذاب الكافرين بعد ذكر قرب الساعة؟  
﴿ يَوْمَ تَقُفُّ أَرْجُلُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيِّنَا اللَّهُ وَأَلَمْنَا الرُّسُلَا ﴾ (١٨) وتخصيص الوجوه بالذكر من بين سائر الأعضاء؛ لأن حر النار يؤدي الوجوه أشد مما يؤدي بقية الجلد؛ لأن الوجوه مقر الحواس الرقيقة: العيون، والأفواه، والأذان، والنفاس؛ كقوله تعالى: (افمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة) (الزمر: ٢٤). ابن عاشور: ١١٢/٢٢.

السؤال: لماذا خصت الوجوه بالذكر من بين سائر الأعضاء في الآية الكريمة؟  
﴿ فَبَرَأَ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهاً ﴾ (١٩)

قال ابن عباس: «كان حظاً عند الله لا يسأل شيئاً إلا أعطاه»، وقال الحسن: «كان مستجاب الدعوة»، وقيل: كان محبوباً مقبولاً. البغوي: ٥٨٨/٣.

السؤال: بين منزلة موسى - عليه السلام - عند ربه تعالى.

﴿ وَرَوَّلُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ (٢٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمِنَ بَطْنِ اللَّهِ رَسُولُهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿

(وقولوا قولاً سديداً)، قال ابن عباس: صواباً، وقال قتادة: عدلاً، وقال الحسن: صدقاً ... (يصلح لكم أعمالكم)، قال ابن عباس: يتقبل حسناتكم، وقال مقاتل: يترك أعمالكم. (ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً)، أي: طفر بالخير كله. البغوي: ٥٨٩/٣.

السؤال: ما العواقب الحسنة لحفظ اللسان وتحري القول السديد؟

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ (٢١)

الأمانة هي التكليف الشرعية من: التزام الطاعات وترك المعاصي، وقيل: هي الأمانة في الأموال، وقيل: غسل الجنابة، والصحيح العموم في التكليف. ابن جزي: ١٩٨/٢.

السؤال: ما الأمانة التي حمّلنا الله إياها؟

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ (٢٢)

وعطف الجبال على الأرض وهي منها؛ لأن الجبال أعظم الأجزاء المعروفة من ظاهر الأرض، وهي التي تشاهد الأبصار عظمته. ابن عاشور: ١٢٥/٢٢.

السؤال: لماذا عطف الجبال على الأرض وهي منها؟

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ (٢٣) لِيَذَّبَ اللَّهُ السَّافِقِينَ

وَالسَّافِقِينَ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكِينَ وَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿

يعظم تعالى شأن الأمانة التي ائتمن الله عليها المكلفين ... فانقسم الناس

بحسب قيامهم بها وعدمه إلى ثلاثة أقسام: منافقون اظهروا أنهم قاموا بها ظاهراً لا باطناً، ومشركون تركوها ظاهراً وباطناً، ومؤمنون قائمون بها ظاهراً وباطناً، فنذكر الله تعالى أعمال هذه الأقسام الثلاثة، وما لهم من الثواب والعقاب، فقال: (ليذبح الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفوراً رحيمًا). السعدي: ٦٧٤.

السؤال: ما أقسام الناس تجاه الأمانة؟

يَسْعَاكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ عَنِ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿١٦﴾ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿١٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ فِيهَا وَلِيًّا وَلَا يُصِيرُ إِلَى يَوْمِ تُقْلَبُ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيِّنَا اللَّهُ وَأَلَمْنَا الرُّسُلَا ﴿١٨﴾ وَأَطَعْنَا الرُّسُلَا ﴿١٩﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَنَا نَا فَأَصْلَحْنَا السَّبِيلَا ﴿٢٠﴾ رَبَّنَا إِنَّمَا ضَعَفْتَنِي مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَةِ لَعَنَّا كَثِيرًا ﴿٢١﴾ يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادُوا وَمُؤْمِنِي قَبْرُهُ اللَّهُ وَمَا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهاً ﴿٢٢﴾ يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٢٣﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمِنَ بَطْنِ اللَّهِ رَسُولُهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٢٤﴾ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٢٥﴾ لِيَذَّبَ اللَّهُ السَّافِقِينَ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكِينَ وَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٢٦﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
سَعِيرًا	نَارًا موقدة، شديدة الحرارة.
ضَعْفَيْنِ	مثلين.
وَجِيهاً	عظيم القدر.
سَدِيدًا	مؤافقاً للحق، خالياً من الكذب والباطل.
فَأَبَيْنَ	امتنع.
وَأَشْفَقْنَ	خفن من الخيانة فيها.

## ● العمل بالآيات

١. قل: اللهم اصرف عني عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً، ﴿ يَوْمَ تَقُفُّ أَرْجُلُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيِّنَا اللَّهُ وَأَلَمْنَا الرُّسُلَا ﴾.
٢. دافع بكتابة رسالة أو مقال، أو بإلقاء كلمة عن رجل صالح اتهم زوراً وبهتاناً، ﴿ يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادُوا وَمُؤْمِنِي قَبْرُهُ اللَّهُ وَمَا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهاً ﴾.
٣. قل: اللهم سدّد لساني، واهد قلبي، ﴿ يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾.

## ● التوجيهات

١. لا تتبع سيّداً ولا كبيراً في معصية الله؛ فإنهم لن يغفوا عنك من الله شيئاً، ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَنَا نَا فَأَصْلَحْنَا السَّبِيلَا ﴾.
٢. احسن إلى عباد الله، ولا تؤذ مسلماً، خصوصاً العلماء والمصلحين، ﴿ يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادُوا وَمُؤْمِنِي قَبْرُهُ اللَّهُ وَمَا قَالُوا ﴾.
٣. تذكر عظيم الأمانة التي تحملها ابن آدم، ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾.

الآية (٦٣-٦٥): يقول تعالى خبراً لرسوله ﷺ: أنه لا علم له بالساعة، وإن سألته الناس عن ذلك. وأرشده أن يرد علمها إلى الله ﷻ، لكن أخبره أنها قريبة بقوله: ﴿وَمَا يَدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾، كما قال: ﴿أَقْرَبَ السَّاعَةِ وَاتَّقِ الْقَوْمَ﴾ [الفر: ١٠]. ثم قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَمَنَّ الْكَافِرِينَ﴾ أي: أبعدهم من رحمته ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ أي: في الدار الآخرة ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ أي: ما كثرين مستمرين، فلا خروج لهم منها ولا زوال لهم عنها ﴿لَا يَجِدُونَ فِيهَا وَلًا وَلَا نَصِيرًا﴾ أي: وليس لهم منيغث ولا معين ينقذهم مما هم فيه.

الآية (٦٦): ﴿يَوْمَ نَقُصُّهُمْ فِي النَّارِ بِقَوْلِهِمْ إِنَّا كُنَّا نَعْبُدُ اللَّهَ وَنَعْبُدُ الْرُسُلَ﴾ أي: يسحبون في النار على وجوههم، وتلوى وجوههم على جهنم، يقولون وهم كذلك، يتمنون أن لو كانوا في الدار الدنيا من أطاع الله وأطاع الرسول، كما أخبر عنهم في حال العرصات بقوله: ﴿وَيَوْمَ نَقُصُّ الْأَقْدَامَ عَلَىٰ يَدَيْهِمْ يَقُولُ بَلْ كُنَّا نَعْبُدُكَ مَعَ الرُّسُلِ سُبْحَانَكَ﴾ ﴿يَوْمَ تَقُصُّ لَيْسَ لَكَ أَفْعَادٌ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ﴿لَقَدْ أَهْلَكْنَا عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَهُمْ وَكَانَ آتِيتُهُمْ لِّلْإِنْسَانِ حَذُولًا﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٩]. وهكذا أخبر عنهم في حالتهم هذه أنهم يودون أن لو كانوا أطاعوا الله وأطاعوا الرسول في الدنيا.

الآية (٦٧-٦٨): ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِرَّاتَنَا فَاذْلُونا سَبِيلًا﴾ أي: اتبعنا السادة وهم الأمراء والكبراء من المشيخة، وخالفنا الرسل واعتقدنا أن عندهم شيئاً وأنهم على شيء، فإذا هم ليسوا على شيء ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَتَيْنَاهُمْ فِي ضَلَالٍ مِّنَ الْمَذَابِ﴾ أي: بكفرهم وإغوائهم إيانا ﴿وَاللَّهِ لَمَّا كُنَّا كَافِرِينَ﴾ قرأ بعض القراء بالباء الموحدة. وقرأ آخرون بالباء المثناة، وهما قريباً المعنى، كما أن القارئ غير بين القراءتين أينهما قرأ فحَسَنَ، وليس له الجمع بينهما.

الآية (٦٩): عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن موسى عليه السلام كان رجلاً حَيًّا سَيِّئًا، لا يرى من جلده شيء استحياء منه، فأذاه من آذاه من بني إسرائيل، فقالوا: ما ينسهر هذا التستر إلا من عيب بجلده: إما برص وإما أدرة وإما آفة، وإن الله ﷻ أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى عليه السلام، فخلا يوماً وحده، فخلع ثيابه على حجر ثم اغتسل، فلما فرغ أقبل على ثيابه ليأخذها، وإن الحجر عدا بثوبه، فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر، فجعل يقول: ثوبي حَجَرٍ، ثوبي حَجَرٍ، حتى انتهى إلى ملا من بني إسرائيل، فأراه غريباً أحسن ما خلق الله ﷻ، وأبراه مما يقولون، وقام الحجر، فأخذ ثوبه فلبسه، وطفق بالحجر ضرباً بعصاه، فوالله إن بالحجر لَنَبِيًّا من أثر ضربه ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً، قال: فذلك قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً﴾ هذا الحديث من أفراد البخاري. قوله: ﴿وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً﴾ أي: له وجاهة وجاءه عند ربه ﷻ. قال الحسن البصري: كان مستجاب الدعوة عند الله. وقال غيره من السلف: لم يسأل الله شيئاً إلا أعطاه. ولكن منع الرؤية لما يشاء الله ﷻ. وقال بعضهم: من وجاهته العظيمة عند الله أنه شفع في أخيه هارون أن يرسله الله معه، فاجاب الله سؤاله،

وقال: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُمِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾ [مريم: ٥٣]. الآية (٧٠-٧١): يقول تعالى أمراً عباده المؤمنين بتقواه، وأن يعبدوه عبادة من كأنه يراه، وأن يقولوا ﴿قَوْلًا سَدِيدًا﴾ أي: مستقيماً لا اعوجاج فيه ولا انحراف. ووعدهم أنهم إذا فعلوا ذلك أثابهم عليه بأن يصلح لهم أعمالهم، أي: يوفقهم للأعمال الصالحة، وأن يغفر لهم الذنوب الماضية، وما قد يقع منهم في المستقبل يلهمهم التوبة منها. ثم قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ وذلك أنه يجازي نار الجحيم، ويصير إلى النعيم المقيم. قال عكرمة: القول السديد: لا إله إلا الله. وقال غيره: السديد: الصدق. وقال مجاهد: هو السداد. وقال غيره: هو الصواب. والكل حق.

الآية (٧٢): عن ابن عباس: يعني بالأمانة: الطاعة التي عرضها عليهم قبل أن يعرضها على آدم فلم يطقنها، فقال لآدم: إني قد عرضت الأمانة على السموات والأرض والجبال فلم يطقنها، فهل أنت أخذ بها فيها؟ قال: يا رب، وما فيها؟ قال: إن أحسنت جوزيت، وإن أسأت عوقبت. فأخذها آدم فتحملها، فذلك قوله: ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾. وقال ابن عباس: الأمانة: الفرائض، عرضها الله على السموات والأرض والجبال، إن أذوها أثابهم، وإن ضيعوها عذبهم، فكروها ذلك وأشفقوا من غير معصية، ولكن تعظيماً لدين الله ألا يقوموا بها، ثم عرضها على آدم فقبلها بها فيها، وهو قوله: ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ يعني: غرأ بأمر الله. وقال ابن عباس: عرضت على آدم فقال: خذها بها فيها، فإن أطعت عَفَرْتُ لك، وإن عصيت عذبتك. قال: قبلت، فما كان إلا قدر ما بين العصر إلى الليل من ذلك اليوم حتى أصاب الخطيئة. وهكذا قال مجاهد، وسعيد بن جبير، وغير واحد: إن الأمانة هي الفرائض. وقال آخرون: هي الطاعة. وقال أبي بن كعب: من الأمانة أن المرأة أؤتمت على فرجها. وقال قتادة: الأمانة: الدين والفرائض والحدود. وقال بعضهم: الفسل من الجنابة. وقال زيد بن أسلم: الأمانة ثلاثة: الصلاة والصوم والاعتسالم من الجنابة. وكل هذه الأقوال لا تنافي بينها، بل هي متفقة وراجعة إلى أنها التكليف، وقبول الأوامر والنواهي بشرطها، وهو أنه إن قام بذلك أتيب، وإن تركها عوقب، فقبلها الإنسان على ضعفه وجهله وظلمه، إلا ما وفق الله.

الآية (٧٣): ﴿لَعَلَّابَ اللَّهِ اتَّسَفُفِينَ وَالْأَتْسَفُفِينَ وَالْمُتَشْرِكِينَ﴾ أي: إنما حمل ابن آدم الأمانة وهي التكليف ليعذب الله المنافقين منهم والمنافقات، وهم الذين يظهرن الإيمان خوفاً من أهله، ويطنون الكفر متابعة لأهله. ﴿وَالْمُتَشْرِكِينَ﴾ أي: وهم الذين ظاهرهم وباطنهم على الشرك بالله ﷻ، ومخالفة رسله. ﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ أي: وليرحم المؤمنين من الخلق الذين آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله، العاملين بطاعته ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

تفسير سورة سبا

وهي مكية، [وعدد آياتها (٥٤) آية].

الآية (٢-١): يخبر تعالى عن نفسه الكريمة: أن له الحمد المطلق في الدنيا والآخرة؛ لأنه المنعم المتفضل على أهل الدنيا والآخرة، المالك لجميع ذلك، الحاكم في جميع ذلك؛ كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحُدُودُ فِي الْأَرْضِ وَالْآخِرَةُ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ١٧٠] ولهذا قال تعالى ههنا: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ لِلَّهِ الْإِلَهِيَّةُ كُلُّهَا وَالْأَرْضُ وَمَا فِيهَا لِلَّهِ وَالْآخِرَةُ وَالْأُولَى﴾ [الليل: ١٣].

ثم قال ﷺ: ﴿وَلَهُ الْحُدُودُ فِي الْآخِرَةِ﴾ فهو المعبود أبداً، المحمود على طول المدي.

﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ أي: في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره ﴿الْحَكِيمُ﴾ الذي لا تخفى عليه خافية، ولا يغيب عنه شيء. قال الزهري: خبير بخلق، حكيم بأمره؛ ولهذا قال: ﴿تَعْلَمُ مَا يَلْجِئُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ أي: يعلم عدد القطر النازل في أجزاء الأرض، والحب المبذور والكامن فيها، ويعلم ما يخرج من ذلك: عدده وكيفيته وصفاته. ﴿وَمَا يَزِلُّ مِنَ السَّمَاءِ﴾ أي: من قطر ورزق ﴿وَمَا يَرْجِعُ فِيهَا﴾ أي: من الأعمال الصالحة وغير ذلك ﴿وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾ أي: الرحيم بعباده فلا يعاجل عصاتهم بالعقوبة، الغفور عن ذنوب التائبين إليه المتوكلين عليه.

الآية (٣): هذه إحدى الآيات الثلاث التي لا رابع لها، مما أمر الله رسوله ﷺ أن يقسم بربه العظيم على وقوع المعاد لما أنكره من أنكره من أهل الكفر والعناد؛ فأحدها في سورة بونس عَلَيْهِ السَّلَام، وهي قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَفِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَشَدُّ يُمْحِيزِينَ﴾ [بونس: ٥٣] والثانية هذه: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾، والثالثة في التناين، وهي قوله تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُخْلِقَ بَلَى وَرَبِّي لَتُنْفِثَنَّ لَنْبُونَ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التناين: ١٧]. فقال تعالى: ﴿قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾، ثم وصفه بما يؤكد ذلك ويقرره فقال: ﴿عَلَيْهِ الْغَيْبُ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْبَحُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا آكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾. قال مجاهد وقناة: ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ﴾: لا يغيب عنه، أي: الجميع مندرج تحت علمه، فلا يخفى عليه منه شيء، فالعظام وإن تلاشت وتفرقت وتمزقت، فهو عالم أين ذهبت وأين تفرقت، ثم يعيدها كما بداها أول مرة؛ فإنه بكل شيء عليم.

الآية (٤-٥): ثم بين حكمته في إعادة الأبدان وقيام الساعة بقوله: ﴿يَخْرِجُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ تَغْفِرٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [٤] وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُهْجِينَ﴾ أي: سعوا في الصد عن سبيل الله وتكذيب رسله، ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ

أبَدٍ﴾ أي: لينعم السعداء من المؤمنين، ويعذب الأشقياء من الكافرين؛ كما قال: ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ أَفْضَلُ مِنْهُمْ﴾ [الحشر: ٢٠]. وقال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ تَحْسَبُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَالضَّالِّينَ﴾ [ص: ٢٨].

الآية (٦): قوله تعالى: ﴿وَرَبِّيَ الَّذِينَ أَوْثَرُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقُّ﴾ هذه حكمة أخرى معطوفة على التي قبلها، وهي أن المؤمنين بما أنزل على الرسل إذا شاهدوا قيام الساعة ومجازاة الأبرار والفجار بالذي كانوا قد علموه من كتب الله في الدنيا، رأوه حيثئذ عين اليقين، ويقولون يومئذ أيضاً: ﴿لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ مِنَّا بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٤٣]، ويقال أيضاً: ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ٥٢]. ﴿لَقَدْ لَبِثْتُ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَاقِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَاقِ﴾ [الروم: ٥٦].

﴿وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّبِينٍ الْحَمِيدُ﴾ العزيز: هو المنيع الجناح الذي لا يُغالب ولا يُمتنع، بل قد فهر كل شيء، ﴿الْحَمِيدُ﴾ في جميع أقواله وأفعاله وشرعه وقدره، وهو المحمود في ذلك كله.

الآية (٧): هذا إخبار من الله عن استبعاد الكفرة الملحدين قيام الساعة، واستهزائهم بالرسول ﷺ في إخباره بذلك: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُكُّكُمْ عَلَىٰ رِجُلَيْكُمْ نَبْشُكُمْ إِذَا مُرِقْتُمْ كُلُّ مَرَقٍ﴾ أي: تفرقت أجسادكم في الأرض وذهبت فيها كل مذهب وتمزقت كل عرق. ﴿إِنَّكُمْ﴾ أي: بعد هذا الحال ﴿لَنُيَخْلِجَنَّكُمْ﴾ أي: نعودون أحياء ترزقون بعد ذلك.



## ● الوقفات التدريبية

﴿لَمَسُدِّ اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾

افتتحت السورة بـ (الحمد لله) للتنبيه على أن السورة تتضمن من دلائل تفردته بالإلهية وتصافه بصفات العظمة ما يقتضي إنشاء الحمد له، والإخبار باختصاصه به. ابن عاشور: ١٣٥/٢٢.

السؤال: ما مناسبة افتتاح سورة سبأ بـ (الحمد لله)؟

﴿لَمَسُدِّ اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾

وفي هذه الصلة تعريض بكفران المشركين: الذين حمدوا أشياء ليس لها في هذه العوالم أدنى تأثير، ولا لها بما تحتوي عليه أدنى شعور، ونسوا حمد مالها، وسائر ما في السماوات والأرض. ابن عاشور: ١٣٦/٢٢.

السؤال: ما فائدة صلة الموصول في الآية الكريمة؟

﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ﴾

لأن في الآخرة يظهر من حمده والثناء عليه ما لا يكون في الدنيا، فإذا قضى الله تعالى بين الخلائق كلهم، ورأى الناس والخلق كلهم ما حكم به، وكمال عدله وقسطه وحكمته فيه، حمدوه كلهم على ذلك، حتى أهل العقاب ما دخلوا النار إلا وقلوبهم ممتلئة من حمده، وأن هذا من جراء أعمالهم، وأنه عادل في حكمه بعقابهم. السعدي: ٦٧٤.

السؤال: لماذا خص حمده في الآخرة؟

﴿عَلِيمٌ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾

(لا يعزب عنه): لا يغيب عنه؛ أي: الجميع مندرج تحت علمه، فلا يخفى عليه شيء؛ فالعظام وأن تلاشت وتفرقت وتمزقت فهو عالم أين ذهبت وأين تفرقت، ثم يعيدها كما بدأها أول مرة، فإنه بكل شيء عليم. ابن كثير: ٥٤/٣.

السؤال: لماذا خص وصف الله سبحانه بأنه عالم الغيب بعد ذكر البعث؟

﴿وَرَبِّیَ الَّذِیْنَ أَوْثَرُوا الْعِلْمَ الَّذِیْ أُنْزِلَ إِلَیْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ﴾

واختير فعل الرؤية هنا دون (ويعلم) للتنبيه على أنه علم يقيني بمنزلة العلم بالمرئيات التي علمها ضروري. ابن عاشور: ١٤٥/٢٢.

السؤال: لماذا عبر بالفعل (ويرى) دون (يعلم) في الآية الكريمة؟

﴿وَرَبِّیَ الَّذِیْنَ أَوْثَرُوا الْعِلْمَ الَّذِیْ أُنْزِلَ إِلَیْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَرَهْدَىٰ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِیزِ الْحَمِیدِ﴾

وايثار وصفي (العزیز الحمید) هنا دون بقية الأسماء الحسنى إيماء إلى أن المؤمنين حين يؤمنون بأن القرآن هو الحق والهداية استشعروا من الإيمان أنه صراط يبلغ به إلى العزة؛ قال تعالى: (وله العزة ولرسوله وللمؤمنين) المنافقون: ٨٠. ابن عاشور: ١٤٦/٢٢.

السؤال: ما فائدة إيثار وصفي (العزیز الحمید) في الآية الكريمة؟

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّبِينٍ إِذَا مَرْفَقَتُمْ كُلُّ مَرْفَقٍ﴾

فإن قلت: كان رسول الله ﷺ مشهوراً علماً في قريش، وكان إنباءه بالبعث شائعاً عندهم، فما معنى قولهم: (هل ندلكم على رجل) فنكروه لهم، وعرضوا عليهم الدلالة عليه كما يدل على مجهول في أمر مجهول؟ قلت: كانوا يقصدون بذلك ... الهزء والسخرية ... للضحك والتلهي متجاهلين به وبأمره. القرطبي: ١٧/٢٥٧.

السؤال: لم تجاهلوا أمر النبي ﷺ بوصفهم إياه بـ (رجل)؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْحَمِيدُ ۝ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ۝ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَلَىٰ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ۝ لَيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَكْثَرُ إِلَٰهٍ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٌ ۝ وَرَبِّيَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْمَطَرَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَرَهْدَىٰ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّبِينٍ ۝ يَتَّبِعُكُمْ إِذَا مَرِئْتُمْ كُلَّ مَرْفَقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
يَلِجُ	يَدْخُلُ.
يَخْرُجُ	يَخْرُجُ.
لَا يَعْزُبُ	لَا يَغِيبُ.
عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٍ	أَسْوَأُ الْعَذَابِ وَأَشَدُّهُ أَلَمًا.
مَرْفَقَتُمْ	مُتَمِّمٌ، وَتَفَرَّقَتْ أَجْسَادُكُمْ فِي الْأَرْضِ.

## ● العمل بالآيات

- اللهم جازني بالحسنات إحساناً، وبالسيئات عفواً وغفراناً، ﴿لَيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَكْثَرُ إِلَٰهٍ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾.
- اعمل عملاً صالحاً جديداً اليوم؛ رجاء أن يفر الله لك، ويرزقك رزقاً كريماً، ﴿لَيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَكْثَرُ إِلَٰهٍ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾.
- احضر درساً علمياً؛ رجاء معرفة الحق من الباطل، ﴿وَرَبِّيَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْمَطَرَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَرَهْدَىٰ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾.

## ● التوجيهات

- من أكثر من حمد الله في الدنيا حري أن يكون ممن يحمده في الآخرة، ﴿لَمَسُدِّ اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْحَمِيدُ﴾.
- كن ممن يدعو إلى دين الله تعالى وينافح عنه، واحذر من أن تكون ممن يسعى في الصد عنه، ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٌ﴾.
- العلم الشرعي الصحيح المبني على اتباع كلام الله وسنة نبيه ﷺ يوصل إلى فلاح الدنيا والآخرة، ﴿وَرَبِّيَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْمَطَرَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَرَهْدَىٰ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا يَبْدِئُ بِهِمْ وَمَا خَلَقَهُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ شَأْ نُخْصِفُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطُ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ ﴾

اعلم الله تعالى أن الذي قدر على خلق السماوات والأرض وما فيهن؛ قادر على البعث، وعلى تعجيل العقوبة لهم، فاستدل بقدرة عليه، وأن السماوات والأرض ملكه، وإنهما محيطتان بهم من كل جانب، فكيف يأمنون الخسف والكسف، كما فعل بقارون وأصحاب الأيكة. القرطبي: ٢٥٩/١٧.

السؤال: ما دلالة قدرة الله سبحانه وتعالى في خلق السماوات والأرض على قدرته على عقوبة العصاة؟

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴾

فكلما كان العبد اعظم إنابة إلى الله كان انتفاعه بالآيات اعظم؛ لأن المنيب مقبل إلى ربه، قد توجهت إراداته وهماته لربه، ورجع إليه في كل أمر من أموره، فصار قريباً من ربه، ليس له هم إلا الاشتغال بمرضاته، فيكون نظره للمخلوقات نظراً فكرياً وعبرة، لا نظراً غفلة غير نفاعته السعدية: ١٧٦.

السؤال: لماذا اقتص الانتفاع بالآيات بالعباد المنيبين إلى الله سبحانه وتعالى؟

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِمَّا فُضِّلَ بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُ وَالطَّيْرَ وَأَنَّا لَهُ الْخَبِيرُ ﴾ وتنكير (فضلاً) لتعظيمه؛ وهو فضل النبوة، وفضل الملك، وفضل العناية بإصلاح الأمة، وفضل القضاء بالعدل، وفضل الشجاعة في الحرب، وفضل سمة النعمة عليه، وفضل إغناؤه عن الناس بما ألهم من صنع دروع الحديد، وفضل إيثاره الزبور، وإيثاقه حسن الصوت، وطول العمر

في الصلاح، وغير ذلك. ابن عاشور: ١٥٥/٢٢.

السؤال: ما فائدة تنكير (فضلاً) في الآية الكريمة؟

﴿ أَن أَعْمَلَ سَخِرْتِ وَقَدَّرَ فِي السَّرِّ وَأَعْمَلُوا صِلِحًا إِنِّي بِمَا تَكْمُلُونَ بَصِيرٌ ﴾ في هذه الآية دليل على تعلم أهل الفضل الصنائع، وأن التحرف بها لا ينقص من مناصبهم، بل ذلك زيادة في فضلهم وفضائلهم؛ إذ يحصل لهم التواضع في أنفسهم، والاستغناء عن غيرهم، وكسب اللال الخلي عن الامتنان. القرطبي: ٢٣٣/١٧.

السؤال: هل في تعلم طالب العلم للصنائع والمهارات منقصة؟

﴿ أَعْمَلُوا مَالًا دَاوُدَ شُكْرًا ﴾ فيه دلالة على أن الشكر يكون بالفعل كما يكون بالقول والنية؛ كما قال الشاعر:

أفادكم النعماء مني ثلاثة • يدي ولساني والضمير المحجب. ابن كثير: ٥٠٧/٣.

السؤال: ما طرائق الشكر التي يشكر بها الإنسان ربه؟

﴿ أَعْمَلُوا مَالًا دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ ﴾ روي أن داود - عليه السلام - قال: يارب، كيف أطيق شكرك على نعمك، وإلهامي وقدرتي على شكر نعمتك لك؟ فقال: يادود الآن عرفنتي ... والشكر حقيقته: الاعتراف بالنعم، والتمتع، واستعمالها في طاعته - والكفران: استعمالها في العصية - وقليل من يفعل ذلك. القرطبي: ٢٧٨/١٧.

السؤال: بين كيف تكون حقيقة الشكر، وهل أهل الشكر كثير؟

﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّمْ عَلَى مَرْوِيهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَاءَهُ فَمَا خَرَّيْنَاهُ إِلَّا أَن تَوَكَّلَ عَلَى الْغَيْبِ مَا لِيُثْرَى فِي الْمَذَابِ الْمُتَنِينِ ﴾ والمعنى: ظهر للناس أن الجن لا يعلمون الغيب، وقيل: تبينت بمعنى علمت. ابن جزي: ٢٠٣/٢.

السؤال: كيف ترد على من يزعم أن الجن يعلمون الغيب؟

أَفَرَأَيْتَ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْعَمِيدِ ﴿٥﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا يَبْدِئُ بِهِمُ وَمَا خَلَقَهُمُ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ شَأْنُ خُسْفٍ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطُ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٦﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِمَّا فُضِّلَ بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُ وَالطَّيْرَ وَأَنَّا لَهُ الْخَبِيرُ ﴿٧﴾ سَخِرْتِ وَقَدَّرَ فِي السَّرِّ وَأَعْمَلُوا صِلِحًا إِنِّي بِمَا تَكْمُلُونَ بَصِيرٌ ﴿٨﴾ وَلَسْتَ تَعْلَمُ الْغَيْبَ عَدُوًّا شَهْرًا وَدَوَّاحَهَا شَهْرًا وَأَسْأَلُكَ عَيْنَ الْقَطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ إِذِ رِيءُ وَمَنْ يَرِغُ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرٍ تَأْذِيهِ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٩﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ وَمَا يُشَاءُ مِنْ مَّحْرَبٍ وَتَكْثِيلِ رِجْفَانٍ كَالْخَوَابِ وَقُدُورِ رَأْسِيكَ أَعْمَلُوا أَلْ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٠﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّمْ عَلَى مَرْوِيهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَاءَهُ وَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتْ الْجِنَّ أَن تَوَكَّلُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لِيُثْرَى فِي الْعَذَابِ الْمُتَنِينِ ﴿١١﴾

٤٢٩

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
كِسْفًا	قِسْفًا مِنَ الْعَذَابِ.
مُنِيبٍ	رَاجِعٍ إِلَى رَبِّهِ بِالْتَّوْبَةِ وَالطَّاعَةِ.
أَوْبِيٍّ مَعَهُ	سَبَّحِي مَعَهُ.
وَقَدَّرَ فِي السَّرِّ	قَدَّرَ الْمُسَامِيرَ فِي حَلْقِ الدُّرُوعِ بِأَلَّا تَكُونَ الْحَلْقُ صَغِيرَةً ضَعِيفَةً، وَلَا كَبِيرَةً قَبِيلَةً.
عَيْنَ الْقَطْرِ	عَيْنَ النَّحَاسِ، فَيَسِيلُ لَهُ النَّحَاسُ كَالْمَاءِ.
وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ	قِصَاعٌ كَبِيرَةٌ، كَالْأَحْوَاضِ الَّتِي يَجْتَمِعُ فِيهَا الْمَاءُ.

## ● العمل بالآيات

١. اتقن جميع أعمالك هذا اليوم على الوجه الذي يرضي الله سبحانه، ﴿ وَأَعْمَلُوا صِلِحًا إِنِّي بِمَا تَكْمُلُونَ بَصِيرٌ ﴾.
٢. علم مسلماً سورة من سور القرآن؛ شكراً لله على حفظك للسورة. ﴿ أَعْمَلُوا مَالًا دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ ﴾.
٣. قل: اللهم اجعلني من عبادك الشاكرين، ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ ﴾.

## ● التوجيهات

١. كثرة الإنابة إلى الله سبب للانتفاع بالآيات الكونية، ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴾.
٢. ليكن لك صنعة تحسنها أو مهارة تتقنها، تستفد بها عن الناس، ﴿ أَن أَعْمَلَ سَخِرْتِ وَقَدَّرَ فِي السَّرِّ وَأَعْمَلُوا صِلِحًا إِنِّي بِمَا تَكْمُلُونَ بَصِيرٌ ﴾.
٣. الغيب لا يعلمه إلا الله تعالى، ﴿ فَلَمَّا خَرَّيْنَاهُ إِلَّا أَن تَوَكَّلَ عَلَى الْغَيْبِ مَا لِيُثْرَى فِي الْمَذَابِ الْمُتَنِينِ ﴾.

بصير بأعمالكم وأقوالكم، لا يخفى عليّ من ذلك شيء.

الآية (١٢): لما ذكر تعالى ما أنعم به على داود، عطف بذكر ما أعطى ابنه سليمان -عليهما الصلاة والسلام- من تسخير الريح له تحمل بساطه، «وَعُدُّوْهَا شَبْرًا وَرَوَّاحُهَا شَبْرًا». قوله: «وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقَاطِرِ» قال ابن عباس: القطر: النحاس. قال السدي: وإنا أسلّمت له ثلاثة أيام. قوله: «وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْبَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ إِذْ قَالَ رَبِّي» أي: وسخرنا له الجن يعملون بين يديه بإذن الله، أي: بقدره وتسخيره لهم بمشيئته ما يشاء من البنايات وغير ذلك. «وَمِنَ رِيحٍ مِّنْهُم عَن آمِنًا» أي: ومن يعدل ويخرج منهم عن الطاعة «فَنَذَرُهُمْ فِي عَذَابِ السَّعِيرِ» وهو الحريق. قال الحسن: الجن ولد إبليس، والإنس ولد آدم، ومن هؤلاء مؤمنون ومن هؤلاء مؤمنون، وهم شركاؤهم في الثواب والعقاب، ومن كان من هؤلاء وهؤلاء مؤمنًا فهو ولي الله، ومن كان من هؤلاء وهؤلاء كافرًا فهو شيطان.

الآية (١٣): «يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَّحَبَةٍ وَتَسْئَلُهُ أُمَّا الْمَحَارِبِ فِيهِ الْبِنَاءُ الْحَسَنُ، وَهُوَ أَشْرَفُ شَيْءٍ فِي الْمَسْكَنِ وَصَدْرِهِ. وقال مجاهد: المحارب: بناية دون القصور. وقال الضحّاك: هي المساجد. وقال قتادة: هي المساجد والقصور. وقال ابن زيد: هي المساكن. وأما التنايل فقال عطية العوفي والضحاك والسدي: التنايل: الصور. قال مجاهد: وكانت من نحاس. وقال قتادة: من طين وزجاج. «وَجَعَلْنَا كَلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ» الجواب: جابية، وهي الحوض الذي يجيئ فيه الماء. وقال ابن عباس: «كَلْجَوَابٍ» أي: كالجوبة من الأرض. وقال العوفي عنه: كالخياض. والقُدُور الراسيات: أي الثابتات في أماكنها لا تتحول ولا تتحرك عن أماكنها لعظمها. وقال عكرمة: أثانيها منها. قوله: «وَأَعْمَلُوا مَالًا دَائِرًا شُكْرًا» أي: وقلنا لهم أعملوا شكرًا على ما أنعم به عليكم في الدنيا والدين. و«شُكْرًا»: مصدر من غير الفعل، أو أنه مفعول له، وعلى التقديرين فيه دلالة على أن الشكر يكون بالفعل كما يكون بالقول وبالبينة. قال أبو عبد الرحمن السلمي: الصلاة شكر، والصيام شكر، وكل خير تعلمه لله شكر. وأفضل الشكر: الحمد. وعن محمد بن كعب القرظي قال: الشكر: تقوى الله والعمل الصالح. وهذا يقال لمن هو متلبس بالفعل، وقد كان آل داود كذلك قائمين بشكر الله قولاً وعملاً. قوله: «وَوَقَّلْنَا مِنْ حِيَاطِ الشُّكْرِ» إخبار عن الواقع.

الآية (١٤): «فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةً عَلَى الْآرِضِ تَأْكُلُ مِنِّي» أي: فلما قضينا عليه الموت ما دَلَّمْ على موته إلا دابةً على الأرض تأكل مني. يذكر تعالى كيفية موت سليمان عليه السلام، وكيف عَمَى الله موته على الجن المسخرين له في الأعمال الشاقة؛ فإنه مكث متوكلًا على عصاه - وهي سُنَّتُهُ - كما قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد - مدة طويلة نحوًا من سنة، فلما أكلتها دابة الأرض، وهي الأرضة، ضعفت وسقط إلى الأرض، وعلم أنه قد مات قبل ذلك بمدة طويلة، تبين الجن والإنس أيضًا أن الجن لا يعلمون الغيب كما كانوا يتوهمون ويوهمون الناس ذلك.

الآية (٨): «أَفَرَأَيْتَ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ» هو في هذا الإخبار لا يخلو أمره من قسمين: إما أن يكون قد تعدد الافتراء على الله أنه قد أوحى إليه ذلك، أو أنه لم يتعمد لكن بُس عليه كما يُكس على المعتوه والمجنون، ولهذا قالوا: «أَفَرَأَيْتَ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ» قال الله ﷻ رادًا عليهم: «بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ» أي: ليس الأمر كما زعموا ولا كما ذهبوا إليه، بل محمد ﷺ هو الصادق البار الراشد الذي جاء بالحق، وهم الكذبة الجهلة الأغبياء «فِي الْعَذَابِ» أي: الكفر المفضي بهم إلى عذاب الله «وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ» من الحق في الدنيا.

الآية (٩): ثم قال منبهاً لهم على قدرته في خلق السموات والأرض: «أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِّنْ أَسْمَاءَ وَالْأَرْضِ» أي: حيثما توجهوا وذهبوا، فالسماوات مظلّة عليهم والأرض تحتهم؛ كما قال: «وَأَسْمَاءُ بَيْنَهُمَا يَبْتِثِرُ وَإِنَّا لَنُورِثُوهَا وَالْأَرْضُ فَرْشَتُنَا فَنَعْمَ الْمُتَّبِعُونَ» [الناريت: ٤٧-٤٨]. عن قتادة قال: إنك إن نظرت عن يمينك أو عن شمالك، أو من بين يديك أو من خلفك، رأيت السماء والأرض. قوله: «إِن نَّشَأْ نَحْنُ خَلْقَ بَيْتٍ أَوْ شَيْطَانٍ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ الْأَسْمَاءِ» أي: لو شئنا لقلعنا بهم ذلك لظلمهم وقدرتنا عليهم، ولكن نؤخر ذلك لحلمنا وعفونا. قال: «إِن فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ» قال قتادة: المنيب: المقبل على الله ﷻ؛ أي: إن في النظر إلى خلق السماء والأرض لدلالة لكل عبد فطن لبيب رجّاح إلى الله على قدرة الله تعالى على بعث الأجساد ووقوع المعاد؛ لأن من قدر على خلق هذه السموات في ارتفاعها واتساعها، وهذه الأرضين في انخفاضها وأطوالها وأعراضها، إنه لقادر على إعادة الأجسام ونشر الرميم من العظام؛ كما قال تعالى: «أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِنْهُنَّ مِثْلَهُنَّ بَلَىٰ» [يس: ٨١]. وقال: «لَخَلْقُ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ» [غافر: ٤٧].

الآية (١٠-١١): يخبر تعالى عما أنعم به على عبده ورسوله داود مما آتاه من الفضل المبين، وجمع له بين النبوة والملك التمكن، والجنود ذوي العُدِّ والعُدِّد، وما أعطاه ومنحه من الصوت العظيم، الذي كان إذا سبّح به تسبّح معه الجبال الراسيات، الصم الشاغات، وتقف له الطيور السارحات، والغايات والرائحات، وتجاوبه بأنواع اللغات. ومعنى قوله: «أَوَيْي» التأييد في اللغة هو الترجيع، فأمرت الجبال والطير أن ترجع معه بأصواتها؛ أي: رَجْعِي مُسَبِّحَةً معه. وقوله: «وَأَنَّا لَهُ الْخَدِيدُ» قال الحسن البصري: كان لا يحتاج أن يدخله نارًا ولا يضره بمطرقة، بل كان يقتله بيده مثل الخيوط؛ ولهذا قال: «أَن أَعْمَلَ سَيِّئَتٍ» وهي: الدروع. قال قتادة: وهو أول من عملها من الخلق، وإننا كانت قبل ذلك صفائح. قوله: «وَوَدَّعَى السَّيْرَ» هذا إرشاد من الله تعالى لنبيه داود عليه السلام في تعليمه صنعة الدروع. قال مجاهد: لا تُدَقُّ المسار يُقَلَّتْ في الحلقة، ولا تُنَلَّظْ فيفصمها، واجمله بقدر. وقال ابن عباس: السرد: حلق الحديد. وقال بعضهم: يقال: درع مسرودة: إذا كانت مسمورة الحلق. قوله: «وَأَعْمَلُوا صَالِحًا» أي: في الذي أعطاكم الله من النعم، «إِنِّي يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ» أي: مراقب لكم،



الآية (١٨-١٩): يذكر تعالى ما كانوا فيه من الغبطة والنعمة، والعيش الهنيئ الرغيد، والبلاد الرخية، والأماكن الآمنة، والقرى



## ● الوقفات التدريبية

● ﴿لَقَدْ كَانَ لِسِرِّي فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةً﴾

جُرْ خُبر سليمان عليه السلام إلى ذكر سبأ لما بين ملك سليمان وبين مملكة سبأ من الاتصال بسبب قصة (بلقيس). ولأن في حال أهل سبأ مضادة لأحوال داود وسليمان؛ إذ كان هذان مثلاً في إسباغ النعمة على الشاكرين، وكان أولئك مثلاً لسلب النعمة عن الكافرين. ابن عاشور: ١٦٥/٢٢.

السؤال: اذكر مناسبات مجيء قصة سبأ بعد قصة سليمان عليه السلام.

● ﴿فَاعْرُضُوا قَارِئُنَا عَلَيْنَا سَبِيلَ الْعَرَمِ وَيَذَلِّهِمْ يَجْتَنِبِينَ ذَوَاتِي أَكُلِي خَمِطٍ وَأَثْلَى وَشَقِيٍّ مِّنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾

(فَاعْرُضُوا أَي: اعرضوا عن شكر الله، أو عن طاعة الأنبياء ابن جزي: ٢٠٣/٢).  
السؤال: ما الأمر الذي اعرض عنه أهل سبأ وبسببه تبدل حالهم؟

● ﴿وَيَذَلِّهِمْ يَجْتَنِبِينَ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أَكُلِي خَمِطٍ وَأَثْلَى وَشَقِيٍّ مِّنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾  
وهذا من جنس عملهم؛ فكما بدلوا الشكر الحسن بالكفر القبيح، بدلوا تلك النعمة بما ذكر السعدي: ٢٧٧.

السؤال: تكلم عن قاعدة (الجزاء من جنس العمل) من خلال الآية الكريمة.

● ﴿وَيَمْلَأَنَّ بَيْنَهُمُ بَيْنَ الْقَرَىٰ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قَرْيَ ظَهْرَةٍ وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرًا فِيهَا لِبَالَىٰ وَلِبَالًا مَّائِينَ﴾

وقوله تعالى: (وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ) هو ما ذكرناه من أن المسافر فيها كان يبيت في قرية ويقبل في أخرى على أي طريق سلكه لا يعمده ذلك. وقوله تعالى: (سِيرًا) معناه: قلنا لهم. و(مائين) معناه: من الخوف من الناس المفسدين، و(مائين) من الجوع والعطش وآفات المسافر. ابن عطية: ٤١٦/٤.

السؤال: ما معنى كل من: (وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ) و(مائين) الواردين في الآية؟

● ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾

وجُمع (الآيات) لأن في تلك القصة عدة آيات وعبر؛ فحالة مساكنهم آية على قدرة الله ورحمته وإنعامه... وفي إرسال سيل العرم عليهم آية على انفرادهم تعالى بالتصريف، وعلى أنه المنتقم... وفي انعكاس حالهم من الرفاهة إلى الشظف آية على قلب الأحوال وتغير العالم... وفي ذلك آية من عدم الاطمئنان لدوام حال في الخير والشر. وفيما كان من عمران إقليمهم واتساع قراهم إلى بلاد الشام آية على مبلغ العمران وعظم السلطان من آيات التصرفات، وآية على أن الأمن أساس العمران. وفي تنعيم زوال ذلك آية على ما قد تلبسه العقول من الانحطاط المضي إلى اختلال أمور الأمة وذهاب عظمتها، وفيما صاروا إليه من النزوح عن الأوطان والتشتت في الأرض آية على ما يلجئ الاضطراب إليه الناس من ارتكاب الأخطار والمكارم والجمع بين (صبار) و(شكور) في الوصف لإفادة أن واجب المؤمن التخلق بالخلقين وهما: الصبر على المكاره، والشكر على النعم، وهؤلاء المتحدث عنهم لم يشكروا النعمة فبطروها، ولم يصبروا على ما أصابهم من زواها. ابن عاشور: ١٨٠/٢٢.

السؤال: لماذا جمعت كلمتي (الآيات) في الآية؟ ولماذا جمع في آخرها بين (صبار) و(شكور)؟

● ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

قال ابن قتيبة: إن إبليس لما سأل النظرة فانظره الله، قال: لأغويهم ولأضلنهم، لم يكن مستيقناً وقت هذه المقالة أن ما قاله فيهم يتم، وإنما قاله ظناً، فلما اتبعوه وأطاعوه صدق عليهم ما ظننه فيهم. قال الحسن: لم يسل عليهم سبباً ولا ضربهم بسوط، وإنما وعدهم ومنهم فاعتروا. البغوي: ٦٠٤/٣.

السؤال: بين كيف صدق عليهم إبليس ظننه.

● ﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لَنَعْلَمَ مَنْ يُّؤْمِنُ بِآخِرَتِهِمْ مِّنْ حُورٍ مِّنْهَا فِي سُلْطَانٍ وَرَبِّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَافِظٌ﴾

لم يقهرهم إبليس على الكفر، وإنما كان منه الدعاء والتزيين... لم تكن له حجة يتبجحهم بها، وإنما اتبعوه بشهوة وتقليد وهوى نفس لا عن حجة ودليل. البغوي: ٦٠٤/٣.

السؤال: هل لإبليس قوة يقهر بها الإنسان على الكفر والمعاصي؟

لَقَدْ كَانَ لِسِرِّي فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةً جَنَّاتٍ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ  
كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلَدَةً طَيِّبَةً وَرَبِّ عَفُورٌ  
فَاعْرُضُوا قَارِئُنَا عَلَيْنَا سَبِيلَ الْعَرَمِ وَيَذَلِّهِمْ يَجْتَنِبِينَ  
جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أَكُلِي خَمِطٍ وَأَثْلَى وَشَقِيٍّ مِّنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ  
ذَلِكَ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُنْفَخُونَ أَكْشَادُهُمْ فِي الْوُجُوهِ  
وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمُ الْوُجُوهِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قَرْيَ ظَهْرَةٍ  
وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرًا فِيهَا لِبَالَىٰ وَلِبَالًا مَّائِينَ  
فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ  
أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ  
شَكُورٍ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا  
فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ  
إِلَّا لَنَعْلَمَ مَنْ يُّؤْمِنُ بِآخِرَتِهِمْ مِّنْ حُورٍ مِّنْهَا فِي سُلْطَانٍ  
وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَافِظٌ قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ  
دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي  
الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُم مِّنْهُم مِّنْ ظَهِيرٍ

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
آيَةً	دلالة على قدرتنا.
ذَوَاتِي	صاحبتني.
سَبِيلَ الْعَرَمِ	السَّيْلُ الْجَارِفُ الشَّدِيدُ الَّذِي خَرَّبَ السُّدَّ، وَأَغْرَقَ الْبَنَاتِينَ.
أَكُلِي خَمِطٍ	نَمْرُ مَرٍّ، كَرِيهِ الطَّعْمِ.
وَأَثْلَى	شَجَرٌ مَّعْرُوفٌ شَبِيهُ بِالطَّرْفَاءِ، لَا نَمْرَ لَهُ.
سِدْرٍ	شَجَرِ النَّبَقِ، كَثِيرِ الشُّوكِ.

## ● العمل بالآيات

١. سمَّ الله قبل الأكل، واحمده بعده؛ شكراً لله تعالى، ﴿كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلَدَةً طَيِّبَةً وَرَبِّ عَفُورٌ﴾.
٢. عدد ثلاث عواقب من عواقب كفر النعم من خلال آيات قصة سبأ، ﴿لَقَدْ كَانَ لِسِرِّي فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةً جَنَّاتٍ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلَدَةً طَيِّبَةً وَرَبِّ عَفُورٌ﴾.
٣. ارسل رسالة لأقاربك وزملائك تذكركم بالعقوبات الإلهية لمن اعرض عن دين الله، ﴿فَاعْرُضُوا قَارِئُنَا عَلَيْنَا سَبِيلَ الْعَرَمِ وَيَذَلِّهِمْ يَجْتَنِبِينَ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أَكُلِي خَمِطٍ وَأَثْلَى وَشَقِيٍّ مِّنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾.

## ● التوجيهات

١. احذر من كفر نعم الله تعالى، ﴿ذَلِكَ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُنْفَخُونَ أَكْشَادُهُمْ فِي الْوُجُوهِ﴾.
٢. ادعُ بما ينفعك واحذر من الدعاء بما يضرك، ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ﴾.
٣. احذر وساوس الشيطان وفزغاته، ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.



## ● الوقفات التدريبية

﴿ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أِذِنَ لَهُ ﴾

وهذا تنبيه من الله تعالى وإخبار أن الملائكة مع اصطفايتهم ورفعتهم لا يمكنهم أن يشفعوا لأحد حتى يؤذن لهم، فإذا أذن لهم وسمعوا صعدوا، وكانت هذه حالهم؛ فكيف تشفع الأصنام؟ وكيف تؤملون أنتم الشفاعة؟ ولا تعترفون بالقيامة؟ القرطبي: ٣١٧/١٧.

السؤال: بين عظم أمر الشفاعة عند الله يوم القيامة من هذه الآيات.

﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾

تظهرت الأحاديث عن رسول الله أن هذه الآية في الملائكة -عليهم السلام- فإنهم إذا سمعوا الوحي إلى جبريل يفزعون لذلك فزعاً عظيماً، فإذا زال الفزع عن قلوبهم قال بعضهم لبعض: ماذا قال ربكم؟ فيقولون: قال الحق. ابن جزي: ٢٥٠/٢.

السؤال: في هذه الآية دليل على عظمة الوحي، بين ذلك.

﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾

وتخصيص هاتين الصفتين لمناسبة مقام الجواب أي: قد قضى بالحق لكل أحد بما يستحقه، فإنه لا يخفى عليه حال أحد، ولا يعوقه عن إيصاله إلى حقه عائق. ابن عاشور: ١٩٠/٢٢ - ١٩١.

السؤال: ما فائدة تخصيص صفتي: (العلي الكبير) بالذكر في الآية الكريمة؟

﴿ وَإِنَّا أَتَيْنَاكُمْ لَعَلَّ هَذِي أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾

أي: واحد من الفريقين مبطل، والآخر محق؛ لا سبيل إلى أن تكونوا أنتم ونحن على الهدى أو على الضلال، بل واحد منا مصيب. ابن كثير: ٥١٦/٣.

السؤال: ما رايك فيمن يهون من الخلاقات بين الفرق وبين الديانات، ويرى أن كل واحد مصيب؟

﴿ قُلْ يَجْعَلُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ رِثَةً يَفْتَحُ بَيْنَنَا وَالْحَقِّ وَهُوَ الْفَاحِشُ الْعَلِيمُ ﴾

وانما اتبع (الفتاح) (بالعليم) للدلالة على أن حكمه عدل محض؛ لأنه عليم لا تحف بحكمه أسباب الخطأ والجور الناشئة عن الجهل والعجز واتباع الضعف النفساني الناشئ عن الجهل بالأحوال والعواقب. ابن عاشور: ١٩٥/٢٢.

السؤال: لماذا اتبع اسمه تعالى (الفتاح) باسمه سبحانه (العليم)؟

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَفَّةً لِّلنَّاسِ بَيْنَكُمَا وَبَيْنَكُمَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

هذا إعلام من الله تعالى بأنه بعث محمداً ﷺ إلى جميع العالم... وهذه إحدى الخصال التي خص بها محمد ﷺ من بين الأنبياء. ابن عطية: ٤٢٠/٤.

السؤال: ذكرت الآية خصلة مما خص به نبينا محمد ﷺ فما هي؟

﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ

الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴾

(ولو ترى) يا محمد (إذا الظالمون موقوفون عند ربهم) أي: محبوسون في موقف الحساب، يترجعون الكلام فيما بينهم باللوم والعتاب بعد أن كانوا في الدنيا أخلاء متناصرين. وجواب (لو) محذوف: أي: لرايت أمراً هائلاً عظيماً. القرطبي: ٣١٦/١٧.

السؤال: صف حال الأخلاء من المشركين إذا وقفوا بين يدي الله تعالى.

المُتَرَتِّبُ

وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أِذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿١﴾ قُلْ مَنْ يَرْفَعُكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ ﴿٢﴾ وَإِنَّا أَتَيْنَاكُمْ لَعَلَّ هَذِي أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ قُلْ لَا تَسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤﴾ قُلْ يَجْعَلُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ رِثَةً يَفْتَحُ بَيْنَنَا وَالْحَقِّ وَهُوَ الْفَاحِشُ الْعَلِيمُ ﴿٥﴾ قُلْ أَرَأَيْتِ الَّذِينَ أَحَقُّمْ بِهِمْ شُرَكَاءُ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨﴾ قُلْ لَكُمْ وَمِعَادٌ يَوْمَ لَا تَسْتَعِجِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
فُزِعَ	زَالِ الْفَزَعُ عَنْ قُلُوبِهِمْ.
يَفْتَحُ	يَقْضِي.
بِالْحَقِّ	بِالْعَدْلِ.
الْفَتْاحُ	الْحَاجِمُ بَيْنَ خَلْقِهِ.
وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ	وَلَا بِالَّذِي تَقْدَمُهُ مِنَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ.
مَوْقُوفُونَ	مَحْبُوسُونَ فِي مَوْقِفِ الْحِسَابِ.
يَرْجِعُ	يَرْدُ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ.

## ● العمل بالآيات

- ادع الله أن يشفعك فيمن تحب، ﴿ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أِذِنَ لَهُ ﴾.
- سأل الله سبحانه أن يشفع فيك أنبياءه وملائكته وصالحى خلقه، ولا تسأله من أحد غيره كائنًا من كان، ﴿ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أِذِنَ لَهُ ﴾.
- اشكر الله سبحانه وتعالى على رزقه الذي رزقك إياه، ﴿ قُلْ مَنْ يَرْفَعُكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾.

## ● التوجيهات

- سأل الله أن يملأ قلبك من خشيته وتعظيمه ومحبته، ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾.
- تذكر أن الرزاق هو الله وحده، فلا تسأل سواه، ﴿ قُلْ مَنْ يَرْفَعُكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ ﴾.
- استخدم في دعوتك التبشير بالخير، والإنذار من الشر، ﴿ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.



الآية (٣٢): ﴿قَالَ لَهُمُ الْقَادَةُ وَالسَّادَةُ: وَالَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا: ﴿أَنْتُمْ مَكِيدُونَ﴾ عَنِ الْمَلَكِ بَعْدَ إِذْ جَاءَكَ: أَي: نحن ما فعلنا بكم أكثر من أنّا دعوناكم فاتبعتونا من غير دليل ولا برهان، وخالفتم الأدلة والبراهين والحجج التي جاءت بها الرسل، لشهوتكم واختياركم لذلك؛ ولهذا قالوا: ﴿بَلْ كُنتُمْ تَخْرِبُونَ﴾.﴾

الآية (٣٣): ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ الْأَيْلِ وَالنَّهَارِ: أَي: بل كنتم تَمْكُرُونَ بنا ليلاً ونهاراً، وتَغْرُبُونَ وَتُخُونُوا، وتُخُونُواَنَا على هدى وأنا على شيء، فإذا جمع ذلك باطل وكذب ومُتَيْن. قال قتادة وابن زيد: ﴿بَلْ مَكْرُ الْأَيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ يقول: بل مكرهم بالليل والنهار، ﴿إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا﴾ أَي: نظراء وأهله معه، وتقيمون لنا شُبُهًا وأشياء من المحال، تُضِلُّونَنَا بها. ﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَنَا رَأَوْا الْعَذَابَ﴾ أَي: الجميع من السادة والأتباع؛ كُلُّ نَدَمٍ على ما سَلَفَ منه.

﴿وَجَعَلْنَا الْخَلْقَ فِي أَغْيَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وهي السلاسل التي تجمع أيديهم مع أعناقهم ﴿هَلْ يُجِزُّونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أَي: إنما نجازيكم بأعمالكم، كُلُّ بِحَسَبِهِ؛ للقيادة عذاب بحسبهم، وللأتباع بحسبهم؛ ﴿قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٨].

الآية (٣٤): يقول تعالى مسلماً لنبيه ﷺ، وأمرأ له بالناسي بمن قبله من الرسل، ونخبره بأنه ما بعث نبياً في قرية إلا كَذَّبَهُ مُرْتَفِئاً، واتبعه ضعفاؤهم؛ كما قال قوم نوح: ﴿تَوَيْتُ لَكَ وَالْعَمَلُ الْأَزْدَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١]، ﴿وَمَا تَرْفَعُ أَثْعَبَكَ إِلَّا أَلْيَتُكُمْ هُمْ أَزَادُوا بَادِي الْأَرِي﴾ [هود: ٢٧]. وقال الكبراء من قوم صالح: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِمَنْ ءَامَنَ وَهُمْ أَهْلُكُمُ أَنْتَ صَاحِبُهُمْ مِنْ قَوْمٍ فَاسِقُونَ﴾ [الأنعام: ٥٣]. وقال ههنا: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا﴾ وهم أولو النعمة والخشمة والثروة والرياسة. قال قتادة: هم حُجَّابُ رُؤسِهِمْ وقادتهم ورؤوسهم في الشر.

﴿إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ أَي: لا نؤمن به ولا نتبعه. وهكذا قال هرقل لأبي سفيان حين سأله عن تلك المسائل، قال فيها: وسألتك: أضغاث الناس اتبعه أم أشرافهم؟ فزعمت: بل ضعفاؤهم، وهم أتباع الرسل [متفق عليه].

الآية (٣٥-٣٦): قوله تعالى إخباراً عن المترفين المكذبين: ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ أَي: افتخروا بكمرة الأموال والأولاد، واعتقدوا أن ذلك دليل على محبة الله لهم واعتنائه بهم، وأنه ما كان ليعذبهم هذا في الدنيا، ثم يعذبهم في الآخرة، وهيهات لهم ذلك؛ قال الله: ﴿يَحْسِبُونَ أَنَّكُمْ تُبَدِّلُونَهُمْ مِنْ مَّالٍ

وَبَيْنَ ﴿سُئِلَ لِمَ لَمْ يَكْفُرْتُمْ بِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [المؤمن: ٥٥-٥٦]. وقال: ﴿فَلَا تُمْسِكْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا أَوْلَادَهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِمَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [البقرة: ٥٥]. وقد أخبر الله عن صاحب الجنتين: أنه كان ذا مال وولد وثمر، ثم لم تُغن عنه شيئاً، بل سلب ذلك كله في الدنيا قبل الآخرة. ولهذا قال تعالى ههنا: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ أَي: يعطي المال لمن يحب ومن لا يحب، فيفقر من يشاء، ويغني من يشاء، وله الحكمة التامة البالغة، والحجة الدامغة القاطعة ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

الآية (٣٧): ﴿وَمَا أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِمَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أَي: ليست هذه دليلاً على محبتنا لكم، ولا اعتنائنا بكم. عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ إِنَّمَا يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ» [رواه مسلم].

ولهذا قال: ﴿إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ أَي: إنما يقرّبكم عندما زلّى الإيمان والعمل الصالح، ﴿فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ أَجْرِهِمْ بِمَا عَمِلُوا﴾ أَي: تُضاعف لهم الحسنة بعشرة أمثالها، إلى سبعمائة ضعف ﴿وَهُمْ فِي أَفْرَقٍ ءَامِنُونَ﴾ أَي: في منازل الجنة العالية آمنون من كل بأس وخوف وأذى، ومن كل شر يُجَدَّرُ منه.

الآية (٣٨): ﴿وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي أَرْضِنَا مُعْجِزِينَ﴾ أَي: يسمعون في الصدّ عن سبيل الله واتباع الرسل والتصديق بآياته، ﴿وَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ أَي: جميعهم يُجْزَوْنَ بأعمالهم فيها بحسبهم.

الآية (٣٩): قوله: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ﴾ أَي: بحسب ما له في ذلك من الحكمة؛ يسطر على هذا من المال كثيراً، ويضيق على هذا ويقرّ عليه رزقه جُدّاً، وله في ذلك من الحكمة ما لا يدركها غيره؛ كما قال تعالى: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَئِنَّ آيَاتِ رَبِّكَ لَتَكُنَّ لِنَافِعٍ لِلنَّاسِ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَافِقُونَ﴾ [الأنعام: ٥٣]. وفي الحديث: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَتَفِقُ أَتَفِقُ عَلَيْكَ» [متفق عليه]. وفي الحديث: «أَنْ تَمْلِكِينَ يَصِحَّاحُ كُلِّ يَوْمٍ، يَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ اعْطِ مُسْكِيًا تَلَقًّا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ اعْطِ مُنْفَقًا خَلَقًا» [متفق عليه]. وقال مجاهد: لا يتأولن أحدكم هذه: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾. إذا كان عند أحدكم ما يقيمه فليَقْصِدْ فيه؛ فإن الرزق مقسوم.



## ● الوقفات التدريبية

﴿ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَكُمْ عَنْ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بِلْ كُنْتُمْ شُرَٰهِيْمَ ۝ ﴾

أي: نحن ما فعلنا بكم أكثر من أنا دونكم فاتبعتونا من غير دليل ولا برهان، وخالفتم الأدلة والبراهين والحجج التي جاءت بها الرسل لشهوتكم واختياركم؛ ولهذا قالوا: (بل كنتم مجرمين). ابن كثير: ٥١٨/٣.

السؤال: لماذا وُصِفَ المستضعفون بالمجرمين؟

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا ۝ ﴾

المعنى: أن المستضعفين قالوا للمستكبرين: بل مكركم بنا في الليل والنهار سبب كفرنا. ابن جزي: ٢٠٧/٢.

السؤال: كل ولاء وتبعية مبنية على غير شرع الله تنقلب إلى عداوة، مثل لهذا من خلال الآية.

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا ۝ ﴾

هذه مراجعة من التتابع للرؤساء حين قالوا لهم: إنما كفرتم ببصائر أنفسكم، قال المستضعفون: بل كفرنا بكمركم بنا بالليل والنهار، وأضاف المكر إلى الليل والنهار... لتدل هذه الإضافة على الدُّوب والدوام. ابن عطية: ٤٢١/٤.

السؤال: ما رد المستضعفين على رؤسائهم المضلين يوم القيامة؟

﴿ وَأَسْرَأُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ ۝ ﴾

أي: زال عنهم ذلك الاحتجاج الذي احتج به بعضهم على بعض لينجوا من العذاب، وعلم أنه ظالم مستحق له، فندم كل منهم غاية الندم، وتمنى أن لو كان على الحق، وأنه ترك الباطل الذي أوصله إلى هذا العذاب سراً في أنفسهم؛ لخوفهم من الفضيحة في إقرارهم على أنفسهم. السعدي: ٦٨١.

السؤال: لماذا لم يجهر الكافرون بالندامة يوم القيامة؟

﴿ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ۝ ﴾

أي: افتخروا بكثرة الأموال والأولاد، واعتقدوا أن ذلك دليل على محبة الله تعالى لهم واعتناؤه بهم، وأنه ما كان ليعطيهم هذا في الدنيا ثم يعذبهم في الآخرة. ابن كثير: ٥١٩/٣.

السؤال: لماذا ربط الكفار بين كثرة الأموال والأولاد وعدم العذاب؟

﴿ قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝ ﴾

إخبار يتضمن الرد عليهم بأن بسط الرزق وقبضه في الدنيا معلق بمشيئة الله؛ فقد يوسع الله على الكافر وعلى العاصي، ويضيق على المؤمن والمطيع، وبالعكس، فليس في ذلك دليل على أمر الآخرة. ابن جزي: ٢٠٨/٢.

السؤال: ما سنن الله في تقسيم الرزق؟ وهل هي مقياس حقيقي للنجاة في الآخرة؟

﴿ وَمَا أَفْقَرُ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يَخْلُقُهُ ۝ وَهُوَ خَيْرُ الْكَافِرِينَ ۝ ﴾

قال ابن العربي: "قد يعوِّض مثله أو أزيد، وقد يعوِّض ثواباً، وقد يدخر له، وهو كالدعاء في وعد الإجابة". أهـ. قلت: وقد يعوِّض صحته، وقد يعوِّض تعميره، وله في خلقه أسرار. ابن عاشور: ٢٢١/٢٢.

السؤال: اذكر أنواعاً مما يخلقه الله تعالى على عبده إذا أنفق.

قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَكُمْ عَنْ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بِلْ كُنْتُمْ شُرَٰهِيْمَ ۝  
اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا وَأَسْرَأُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْطِلَ فِي أَهْوَائِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُخْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْنَا بِهِ كَافِرُونَ ۝  
وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ۝  
قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَأْتِي تَقْرِيَكُمْ عِندَنَا لُفْظٌ إِلَّا مَنَ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءٌ أَضْعَافٌ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْفُرْقَتِ ءَامِنُونَ ۝ وَالَّذِينَ يَسْتَعِزُّونَ فِي ءَلِيَّتِنَا مَعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ۝  
قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ۝ وَمَا أَفْقَرُ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يَخْلُقُهُ ۝ وَهُوَ خَيْرُ الْكَافِرِينَ ۝

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
النَّدَامَةُ	التَّخَسُّرُ.
يَبْسُطُ	يُوسِعُ.
زُلْفَى	قُرْبَى.
الْفُرْقَاتِ	الْمَنَازِلِ الرَّفِيعَةِ فِي الْحَبْتِ.
مُعَاجِزِينَ	مُشَاقِّينَ يَطْنُونَ أَنَّهُمْ يَفُوتُونَنَا.
مُحْضَرُونَ	تُحْضَرُهُمُ الرِّبَابِيَّةُ إِلَى جَهَنَّمَ.
وَيَقْدِرُ لَهُ	يُضَيِّقُهُ عَلَيْهِ.

## ● العمل بالآيات

١. صم يوماً في سبيل الله، ﴿ هَلْ يُخْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾.
٢. قل: اللهم اجعلنا عند النعماء من الشاكرين، وعند البلاء من الصابرين، ﴿ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴾.
٣. أنفق من مالك في دعم مشروع دعوي راجيا الخلف من الله تعالى، ﴿ وَمَا أَفْقَرُ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يَخْلُقُهُ ۝ وَهُوَ خَيْرُ الْكَافِرِينَ ﴾.

## ● التوجيهات

١. تجنب طاعة الكبراء في الباطل، ﴿ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَكُمْ عَنْ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بِلْ كُنْتُمْ شُرَٰهِيْمَ ﴾.
٢. احذر من صداقة أهل النفاق الذين يمحرون ويحاولون صدك عن طاعة الله بانواع الحيل، ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا ﴾.
٣. تذكر أن أهل الكفر والعصيان سيندمون أشد الندم إذا عاينوا العذاب، ﴿ وَأَسْرَأُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْطِلَ فِي أَهْوَائِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُخْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿وَيَوْمَ يُخَشَرُهُمْ حَيْثَا تَمَّ قَوْلُ الْمَلَكِكَةِ اهْزُلُوا إِذَا كُنَّا يَعْبُدُونَ﴾ ٦

يخبر تعالى أنه يقرر المشركين يوم القيامة على رؤوس الخلائق؛ فيسأل للملائكة: (اهْزُلُوا إياكم كانوا يعبدون)، ابن كثير: ٥٢٠/٣.

السؤال: ما الحكمة من سؤال الملائكة يوم القيامة عن عبادة المشركين لهم؟

﴿وَيَوْمَ يُخَشَرُهُمْ حَيْثَا تَمَّ قَوْلُ الْمَلَكِكَةِ اهْزُلُوا إِذَا كُنَّا يَعْبُدُونَ﴾ ٦

والاقتصار على تقرير الملائكة واستشهادهم على المشركين لأن إبطال إلهية الملائكة يفيد إبطال إلهية ما هو دونها ممن (عبدا) من دون الله بدلالة الضحية، أي بطريق الأولى، فإن ذلك التقرير من أهم ما جعل الحشر لأجله، ابن عاشور: ٢٢٢/٢٢.

السؤال: ما فائدة الاقتصار على تقرير الملائكة، واستشهادهم على المشركين يوم القيامة؟

﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا تَلَفُوا وَمَسَارَ مَا إِلَيْنَهُمْ فَكَذَّبُوا رَسُولِي فَكَفَّ كَانَ نَكِيرٌ﴾ ٦

أي: أعطينا الأمم الخالية من القوة والنعمة وطول العمر (فكذبوا رسلي فكيف كان نكير) أي: إنكاري وتغييري عليهم؛ يحذر كفار هذه الأمة عذاب الأمم الماضية، البغوي: ٦١١/٣.

السؤال: بين السر في إشارة القرآن للأمم القوية المكذبة من قبل أمّة محمد ﷺ.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْطَاكُمْ بِرَحْمَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَتَى وُفِّرَتْ نَزْرُ نَفْسِكُمْ مَا يَصَاحِبُكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ ٦

ومعناه: أن تقوموا للنظر في أمر محمد ﷺ قياماً خالصاً لله تعالى، ليس فيه اتباع هوى ولا ميل. وليس المراد بالقيام هنا القيام على الرجلين، وإنما المراد القيام بالأمر والجهد فيه، ابن جزي: ٢٠٩/٢.

السؤال: متى يكون القيام بأمر الله خالصاً ومتى يكون باطلاً؟

﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْطَاكُمْ بِرَحْمَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَتَى وُفِّرَتْ نَزْرُ نَفْسِكُمْ مَا يَصَاحِبُكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ ٦

(ثم تنفكروا) هل جربتم على صاحبكم كذبا، أو رأيتم فيه جنة أو في أحواله من فساد، أو اختلف إلى أحد ممن يدعي العلم بالسحر، أو تعلم الأفاقيص وقرأ الكتب، أو عرفتموه بالطمع في أموالكم، أو تقدرون على معارضته في سورة واحدة؟ فإذا عرفتم بهذا الفكر صدقه، فما بال هذه المعادة؟ (فهو لكم) أي فاشهدكم أن ذلك الأجر -على التقدير- أنه لكم، القرطبي: ٣٣٠/١٧.

السؤال: ما التفكير الذي طلب منهم؟ وكيف تعرف بذلك الحق من الباطل؟

﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾ ٦

وتم مانع للنفس آخر من اتباع الداعي إلى الحق، وهو: أنه يأخذ أموال من يستجيب له، ويأخذ اجرة على دعوته، فهين الله تعالى نزاهة رسوله ﷺ عن هذا الأمر، فقال: (قل ما سألتم من أجر) أي: على اتباعكم للحق.

السعدي: ٦٨٣.

السؤال: بين الله عز وجل في هذه الآية علامة من علامات الدعاة الصادقين، فما هي؟

﴿قُلْ إِنْ رَّبِّي يَقْذِرُ بِالْحَقِّ عِلْمَ الْغُيُوبِ﴾ ٦

وتخصيص وصف (علم الغيوب) من بين الأوصاف الإلهية للإشارة إلى أنه عالم بالأنوار، وأن القائل يعلم ذلك، فالذي يعلم هذا لا يجترئ على الله بادعائه باطلاً أنه أرسله إليكم، ابن عاشور: ٢٣٨/٢٢.

السؤال: ما فائدة تخصيص وصف (علم الغيوب) في الآية الكريمة؟

وَيَوْمَ يُخَشَرُهُمْ حَيْثَا تَمَّ قَوْلُ الْمَلَكِكَةِ اهْزُلُوا إِذَا كُنَّا يَعْبُدُونَ ﴿٦﴾ قَالُوا سُبْحَنَكَ أَنْتَ وَلَيْسَ مِنْ دُونِهِمْ شَيْءٌ كُنَّا يَعْبُدُونَ أَلَيْسَ أَسْمَاءُ مِنْهُمْ مُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ قَالُوا لَوْ لَا بَسْمَلُكَ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفَعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٨﴾ وَإِذَا نُنَادِي عَلَيْهِمْ أَنْ يُبَيِّنْ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَنْ مَا كَانُوا يَعْبُدُ آبَاءَكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا آفَاقُكَ مُفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِحُكْمِ لَنَا جَاءَهُمْ مِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٩﴾ وَمَا أَتَيْنَهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ ﴿١٠﴾ وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا تَلَفُوا وَمَسَارَ مَا إِلَيْنَهُمْ فَكَذَّبُوا رَسُولِي فَكَفَّ كَانَ نَكِيرٌ ﴿١١﴾ قُلْ إِنَّمَا أَعْطَاكُمْ بِرَحْمَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَتَى وُفِّرَتْ نَزْرُ نَفْسِكُمْ مَا يَصَاحِبُكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿١٢﴾ قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٣﴾ قُلْ إِنْ رَّبِّي يَقْذِرُ بِالْحَقِّ عِلْمَ الْغُيُوبِ ﴿١٤﴾

٤٢٣

## ● معاني الكلمات

المعنى	الكلمة
يَقْرُؤُونَهَا.	يَدْرُسُونَهَا
إِنْكَارِي عَلَيْهِمْ.	نَكِيرٌ
بِخَصْلَةٍ وَاحِدَةٍ.	بِوَاحِدَةٍ
اِثْنَيْنِ اِثْنَيْنِ.	مَتْنَيْنِ
جُنُونٍ.	جِنَّةٍ
يُرْمِي بِحُجَجِ الْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ؛ فَيَدْمِغُهُ.	يَقْذِرُ بِالْحَقِّ

## ● العمل بالآيات

١. انطق بشهادة التوحيد، قاصداً التبرؤ من كل معبود سوى الله سبحانه وتعالى، ﴿وَيَوْمَ يُخَشَرُهُمْ حَيْثَا تَمَّ قَوْلُ الْمَلَكِكَةِ اهْزُلُوا إِذَا كُنَّا يَعْبُدُونَ﴾ ٦.

٢. أرسل رسالتك إلى أهلك أو زملائك للتحذير من السحر والذهاب إلى السحرة، مبيناً أن هذا مناب عبادة الله، ﴿قُلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ آفَاقًا﴾ ٦.

٣. فرغ وقتاً لنفسك، وقرأ سورة من سور القرآن الكريم، ﴿وَإِذَا نُنَادِي عَلَيْهِمْ أَنْ يُبَيِّنْ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَنْ مَا كَانُوا يَعْبُدُ آبَاءَكُمْ﴾ ٦.

## ● التوجيهات

١. نزه الله تعالى، وسبحه، وعظمه، وخاصة عند سماع ما ينقص من عظمته وجلاله؛ اقتداء بالملائكة المقربين، ﴿سُبْحَنَكَ أَنْتَ وَلَيْسَ مِنْ دُونِهِمْ شَيْءٌ كُنَّا يَعْبُدُونَ﴾ ٦.

٢. احصي في نفسك عبادة التفكير؛ فهي من أجل العبادات القلبية، ﴿قُلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ آفَاقًا﴾ ٦.

٣. لا تجعل الدين سلباً تنال به عرض الدنيا الزائل؛ فإن الآخرة خير وأبقى، ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ٦.

يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَنَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدُّ قُوَّةً ﴿٤٨﴾ [غافر: ٨٢]، أي: وما دفع ذلك عنهم عذاب الله ولا رده، بل دمر الله عليهم لما كذبوا رسله.

ولهذا قال: ﴿فَكَذَّبُوا رَسُولِي فَكَيفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ أي: كيف كان نكالي وعقابي وانتصاري لرسلي!؟

الآية (٤٦): يقول تعالى: قل يا محمد هؤلاء الكافرين الزاعمين أنك مجنون: ﴿إِنَّمَا أَعْطَاكُمْ بِوَاحِدَةٍ﴾ أي: إنها أكرمكم بواحدة، وهي: ﴿أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ خِيَلٍ مُّنِيٍّ وَفَرَدَى ثَرْءٌ تَنَفَّكُرُوا مَا يَصَاحِبُكُمْ مِّن جِنَّةٍ﴾ أي: تقوموا قيامًا خالصًا لله، من غير هوى ولا عصبية، فيسأل بعضكم بعضًا: هل بمحمد من جنون؟ فينصح بعضهم بعضًا ﴿ثَرْءٌ تَنَفَّكُرُوا﴾ أي: ينظر الرجل لنفسه في أمر محمد ﷺ، ويسأل غيره من الناس عن شأنه إن أشكل عليه، ويتفكر في ذلك؛ ولهذا قال: ﴿أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ خِيَلٍ مُّنِيٍّ وَفَرَدَى ثَرْءٌ تَنَفَّكُرُوا مَا يَصَاحِبُكُمْ مِّن جِنَّةٍ﴾. هذا معنى ما ذكره مجاهد وقنادة وغيرهم، وهذا هو المراد من الآية.

وقوله: ﴿إِن هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ عن ابن عباس قال: صعد النبي ﷺ الصفا ذات يوم، فقال: يا صباحاه. فاجتمعت إليه قريش، فقالوا: ما لك؟ فقال: «أرايتم لو أخبرتكم أن العدو يُصَبِّحُكُمْ أو يُصَيِّمُكُمْ، أما كنتم تصدقوني؟» قالوا: بلى. قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد». فقال أبو لهب: تبًا لك! لهذا جمعنا؟! فأنزل الله: ﴿تَبَّتْ يُدَىٰ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١] (رواه البخاري). وعن بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خرج إلينا رسول الله ﷺ يومًا فنادى ثلاث مرات، فقال: «أيها الناس أتندرون ما مثلي ومثلكم؟» قالوا: الله تعالى ورسوله أعلم. قال ﷺ: «إنما مثلي ومثلكم مثل قوم خافوا عدوًّا يأتيهم، فبعضوا رجلًا يترأى لهم، فبينما هو كذلك أبصر العدو، فأقبل لينذرهم، وخشي أن يدركه العدو قبل أن ينذر قومه، فأهوى بنيه، أيها الناس [أُتِيتُمْ]، أيها الناس [أُتِيتُمْ]» ثلاث مرات (رواه أحمد، وصححه شعيب الأرناؤوط).

الآية (٤٧): يقول تعالى أمرًا رسوله ﷺ أن يقول للمشركين: ﴿مَا سَأَلْتُكُمْ مِّنْ آخِرٍ فَعُولُكُمْ﴾ أي: لا أريد منكم جُعلاً ولا عطاءً على أداء رسالة الله إليكم، ونصحي إياكم، وأمركم بعبادة الله، ﴿إِنْ أَجَبَىٰ إِلَّآ عَلَى اللَّهِ﴾ أي: إنما أطلب ثواب ذلك عند الله ﴿وَقَوْلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ وَهِيَ فِي شَيْءٍ﴾ أي: عالم بجميع الأمور، بيا أنا عليه من إخباري عنه بإرساله إياي إليكم، وما أنتم عليه.

الآية (٤٨): قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي رَجِيْتُ قُبُورَ الْمَلَكِ عَلَّمَ الْغُيُوبِ﴾ كقوله تعالى: ﴿يَلْقَى الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [غافر: ١٥]. أي: يرسل الملك إلى من يشاء من عباده من أهل الأرض، وهو علم الغيوب، فلا تخفى عليه خافية في السموات ولا في الأرض.

الآية (٤٠-٤١): يخبر تعالى أنه يُفَرِّقُ المشركين يوم القيامة على رؤوس الخلائق، فيسأل الملائكة، الذين كان المشركون يزعمون أنهم يعبدون الأنداد التي هي على صورهم ليقربهم إلى الله زُلْفَى، فيقول للملائكة: ﴿أَهْوَلَاءُ إِنَّا كُنَّا بَعْدُوكُمْ﴾؟ أي: أنتم أمرتم هؤلاء بعبادتهم؟! كما قال في سورة الفرقان: ﴿مَا أَنتُمْ أَهْلُكُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ صُلُوًّا السَّبِيلِ﴾ [الفرقان: ١٧]، وكما يقول لميسى عَلَيْهِ السَّلَام: ﴿مَا أَتَى قُلْتُ لِلنَّاسِ آمَنُوكُمْ وَإِنِّي إِلَهُهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَن أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّهِ﴾ [المائدة: ١١٧].

وهكذا تقول الملائكة: ﴿سُبْحَانَكَ﴾ أي: تعاليت وتقدست عن أن يكون معك إله ﴿أَنْتَ وَرِثْنَا مِنْ دُونِهِمْ﴾ أي: نحن عبيدك ونبرا إليك من هؤلاء.

﴿بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ آلِهَةً﴾ يعنون: الشياطين؛ لأنهم هم الذين يزينون لهم عبادة الأوثان ويضلونهم ﴿أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾، كما قال تعالى: ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنْتَانَا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْئًا مَّرِيدًا﴾ [النساء: ١١٧].

الآية (٤٢): قال الله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ أي: لا يقع لكم نفع عن كنتم ترجون نفعه اليوم من الأنداد والأوثان، التي ادخرتم عبادتها لشدائدكم وكربكم، اليوم لا يملكون لكم نفعًا ولا ضرًا. ﴿وَقَوْلَىٰ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ وهم المشركون ﴿ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ إِنَّا كُنْزُهَا كُنُوزٌ﴾ أي: يقال لهم ذلك تقريرًا وتوبيخًا.

الآية (٤٣): يخبر تعالى عن الكفار أنهم يستحقون منه العقوبة والأليم من العذاب؛ لأنهم كانوا إذا تلى عليهم آياته يبنات يسمعونها غَصْبَةً طرية من لسان رسوله ﷺ ﴿قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَنْ كَانِ يَعْبُدُ آبَاءَكُمْ﴾ يعنون أن دين آبائهم هو الحق، وأن ما جاءهم به الرسول عندهم باطل.

﴿وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا فَنَاءٌ مُّفَرِّقٌ﴾ يعنون: القرآن، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾.

الآية (٤٤): قال الله تعالى: ﴿وَمَا آتَيْنَهُمْ مِّنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ﴾ أي: ما أنزل الله على العرب من كتاب قبل القرآن، وما أرسل إليهم نبيًا قبل محمد ﷺ، وقد كانوا يؤذون ذلك ويقولون: لو جاءنا نذير أو أنزل علينا كتاب، لكننا أهدى من غيرنا، فلما أمر الله عليهم بذلك كذبوه وعاندوه وجحدوه.

الآية (٤٥): ثم قال تعالى: ﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي: من الأمم ﴿وَمَا بَلَّغُوا مَا آتَيْنَهُمْ﴾ قال ابن عباس: أي من القوة في الدنيا. وكذا قال قنادة والسدي وابن زيد: كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّهُمْ فِيمَا إِن كُنْتُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَبَصَرًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِّن مَّوَدِّ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِكَآيَتِ اللَّهِ وَحَقِّ رِسْمِ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الاحقاف: ٢٦]، ﴿أَفَلَمْ



تفسير سورة فاطر

الآية (٥٣-٥٤): ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾: أي: كيف يحصل لهم الإيمان في الآخرة، وقد كفروا بالحق في الدنيا وكذبوا بالرسول؟! ﴿وَيَقْدِرُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾: قال زيد بن أسلم: ﴿وَيَقْدِرُونَ بِالْغَيْبِ﴾: بالظن. قلت: كما قال تعالى: ﴿رَبَّمَا بِالْغَيْبِ﴾ [الكهف: ٢٢]: فتارة يقولون: شاعر. وتارة يقولون: كاهن. وتارة يقولون: ساحر. وتارة يقولون: مجنون. إلى غير ذلك من الأقوال الباطلة، ويكذبون بالغيب والشور والمعاد، ويقولون: ﴿إِنْ نَقُلْ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَقِرِّينَ﴾ [الحج: ٣٢]. قال قتادة: يرجون بالظن، لا بعث ولا جنة ولا نار. ﴿وَجِئَ لِنَبِيٍّ مِنْ مَدْيَنَ وَمِنْ آلِ عِمْرَانَ﴾: قال الحسن



## ● الوقفات التدريبية

١ ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فُزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾

(ولو ترى إذ فزعوا) في الدنيا عند نزول الموت أو غيره من بأس الله تعالى بهم ... وقيل: هو فزعهم في القبور من المصيبة القارضية: ٣٣٣/١٧.

السؤال: كيف يكون حال الكافر إذا عاين الحقائق المخيفة؟

٢ ﴿ وَيَقْدِرُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾

يقذفهم الباطل: ليدحضوا به الحق، ولكن لا سبيل إلى ذلك؛ كما لا سبيل للرأي من مكان بعيد إلى إصابة الغرض، فذلك الباطل من اللحال أن يغلب الحق أو يدفعه، وإنما يكون له صولته وقت غفلة الحق عنه، فإذا برز الحق وقام الباطل قمعه. السعدي: ١٨٤.

السؤال: لماذا وصف رمي أهل الباطل للحق بأنه من مكان بعيد؟

٣ ﴿ وَجِئَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُيِّلَ بِأَشْيَاءِهِمْ مِنْ قَبْلِ إِتْمَانِهِمْ كَاثُرًا فِي شَكِّكَ شَرِيبٍ ﴾

أي: حيل بينهم وبين دخول الجنة، وقيل: حيل بينهم وبين الانتفاع بالإيمان حينئذ، وقيل: حيل بينهم وبين نعيم الدنيا والرجوع إليها. ابن جزي: ٢١٠/٢.

السؤال: ما الأمر الذي اشتراه الكفار وحيل بينهم وبينه؟

٤ ﴿ وَجِئَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُيِّلَ بِأَشْيَاءِهِمْ مِنْ قَبْلِ إِتْمَانِهِمْ كَاثُرًا فِي شَكِّكَ شَرِيبٍ ﴾

وفائدة هذا التشبيه: تذكير الأحياء منهم - وهم مشركو أهل مكة - بما حل بالأمم من قبلهم؛ ليوقنوا أن سنة الله واحدة، وأنهم لا تنفعهم أصنامهم التي زعموها شفعاء عند الله. ابن عاشور: ٢٤٥/٢٢.

السؤال: ما فائدة التشبيه في الآية الكريمة؟

٥ ﴿ لَمَسْدٌ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِئِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنً وَثُلَاثَ وَرُبْعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

افتتاحها بـ (الحمد لله) مؤذن بأن صفات من عظمته الله ستذكر فيها، وإجراء صفات الأفعال على اسم الجلالته من خلقه السماوات والأرض، وأفضل ما فيها من الملائكة والمرسلين مؤذن بأن السورة جاءت لإثبات التوحيد وتصديق الرسول ﷺ. ابن عاشور: ٢٤٨/٢٢.

السؤال: لماذا افتتحت سورة فاطر بالحمد لله؟

٦ ﴿ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ﴾

(ما يفتح الله للناس من رحمة): قيل: من مطر وورق. (فلا ممسك لها): لا يستطيع أحد على حبسها. (وما يمسك فلا مرسل له من بعده): وهو (العزیز) فيما أمسك، (الحكيم) فيما أرسل. البغوي: ١١٦/٣.

السؤال: هل يستطيع أحد من الخلق إمساك شيء كتبه الله لك؟

٧ ﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنْ أَسْطٰوَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآلَافٌ تُؤْفَكُونَ ﴾

ينبه تعالى عباده ويرشدهم إلى الاستدلال على توحيده في إفراد العبادة له، كما أنه المستقل بالخلق والرزق، فذلك فيضرد بالعبادة ولا يشرك به غيره من الأصنام والأنداد والأوثان. ابن كثير: ٥٧٠/٣.

السؤال: ما علاقة الخلق والرزق بتوحيد العبادة؟

قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبَدِّلُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ١٥ قُلْ إِنْ صَلَّيْتُ قَائِمًا أَوْ سَاجِدًا عَلَى نَفْسِي وَإِنْ أَهْتَدَيْتُ فِيمَا يُؤْتِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ١٦ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فُزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ١٧ وَقَالُوا مَا مَتَابِعُهُمْ ؕ إِنَّا لَنَهْمُ الْتَنَافُسِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ١٨ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْدِرُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ١٩ وَجِئَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُيِّلَ بِأَشْيَاءِهِمْ مِنْ قَبْلِ إِتْمَانِهِمْ كَاثُرًا فِي شَكِّكَ مُرِيبٍ ٢٠

١١٣

سُورَةُ فَاطِرٍ

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَمَسْدٌ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِئِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنً وَثُلَاثَ وَرُبْعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ١ مَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ٢ يَأَيُّهَا النَّاسُ أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآلَافٌ تُؤْفَكُونَ ٣

٤٣٤

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
فَزِعُوا	خَافُوا عِنْدَ مُعَايِنَةِ الْعَذَابِ.
فَلَا فَوْتَ	فَلَا نَجَاةَ لَهُمْ، وَلَا مَهْرَبَ.
وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَافُسَ	كَيْفَ لَهُمْ تَنَافُلُ الْإِيمَانِ، وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ؟
وَيَقْدِرُونَ بِالْغَيْبِ	يَرْمُونَ بِالظُّنُونِ الْكَاذِبَةِ.
بِأَشْيَاءِهِمْ	أَمْثَالِهِمْ مِنْ كُضَارِ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ.
فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ	كَيْفَ تُصَرَّفُونَ عَنْ تَوْحِيدِهِ؟

## ● العمل بالآيات

١. قل: «اللهم اجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي». ﴿ وَإِنْ أَهْتَدَيْتُ فِيمَا يُؤْتِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴾.
٢. تذكر كلمة محرمة قلها ثم استغفر الله تعالى منها: ﴿ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴾.
٣. اجمع خمسا من صفات الملائكة من خلال آيات القرآن الكريم: ﴿ جَاعِلِ الْمَلَكِئِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنً وَثُلَاثَ وَرُبْعَ ﴾.

## ● التوجيهات

١. علمك بصفتي الله سبحانه: (السميع) و (القريب)، يدعوك إلى استشعار إجابة الله لك وقربه منك: ﴿ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴾.
٢. من الآن استقم على طاعة الله، والزم العبادات قبل أن تستهني ذلك فيحال بينك وبينه: ﴿ وَجِئَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُيِّلَ بِأَشْيَاءِهِمْ مِنْ قَبْلُ ﴾.
٣. تأمل في عظيم خلق الله تعالى للملائكة، ومع ذلك فهم في غاية الذلة والانكسار لله تعالى: ﴿ لَمَسْدٌ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِئِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنً وَثُلَاثَ وَرُبْعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ﴾.



القارى  
الصوتى

## ● الوقفات التحذيرية

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾

فإذا كان وعده حقاً، فتهيؤوا له، وبادروا أوقاتكم الشريفة بالأعمال الصالحة، ولا يقطعكم عن ذلك قاطع. السعدي: ٦٨٥.

السؤال: إذا علمت أن وعد الله حق فما الذي ينبغي عليك أن تفعله؟

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّكُمْ الْهَيْوَةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُؤُ﴾

قال سعيد بن جبير: غرور الحياة الدنيا: أن يشتغل الإنسان بنعيمها ولذاتها عن عمل الآخرة، حتى يقول: (يا ليتني قدمت لحياتي) [الفجر: ١٢].

القرطبي: ٣٤٦/١٧.

السؤال: بين كيف يكون الاغترار بالحياة الدنيا.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّكُمْ الْهَيْوَةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُؤُ﴾

وقد تضمنت الآية غرورين: غروراً يغرته المرء من تلقاء نفسه، ويزين لنفسه من المظاهر الفاتنة التي تلوح له في هذه الدنيا ما يتوهمه خيراً، ولا ينظر في عواقبه؛ بحيث تخفى مضاره في بادي الرأي، ولا يظن أنه من الشيطان، وغروراً يتلقاه ممن يغرته وهو الشيطان. وكذلك الغرور كله في هذا العالم؛ بعضه يملئه المرء على نفسه، وبعضه يتلقاه من شياطين الإنس والجن. ابن عاشور: ٢٥٩/٢٢.

السؤال: تضمنت الآية الكريمة التحذير من غرورين، فما هما؟

﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حُزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾

فعداوة الشيطان لما كانت جبليّة لا يجرى زوالها مع من يعفو عنه، لم يأمر الله إلا باتخاذ عدوٍّ؛ لأنه إذا لم يتخذ عدوًّا لم يراقب المسلم مكانه ومخادعته. ومن لوازم اتخاذ عدوٍّ: العمل بخلاف ما يدعو إليه؛ لتجنب مكانه، ولحقته بالعمل الصالح. ابن عاشور: ٢٦١/٢٢.

السؤال: لماذا أمر الله سبحانه باتخاذ الشيطان عدوًّا مطلقاً، ولم يأمر بالصفح أو العفو عنه؟

﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حُزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾

أي: عادوه بطاعة الله، ولا تطيعوه... وكان الفضيل بن عياض يقول: يا كذاب يا مفتر، اتق الله، ولا تسب الشيطان في العلانية وانت صديقه في السر؛ وقال ابن السماك: يا عجباً لمن عصى المحسن بعد معرفته بإحسانه،

وأطاع اللعين بعد معرفته بعداوته. البغوي: ٦١٦/٣، القرطبي: ٣٤٧/١٧.

السؤال: كيف تعادي عدو الله إبليس كما أمرك الله تعالى؟

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْغَرَّةَ فَلْيَلْغِرْ جَمِيعًا﴾

أي: يا من يريد العزّة: اطلبها ممن هي بيده؛ فإن العزّة بيد الله، ولا تنال إلا بطاعته. السعدي: ٦٨٥.

السؤال: ما الذي يفيد المسلم من معرفة أن العزّة لله جميعاً؟

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْغَرَّةَ فَلْيَلْغِرْ جَمِيعًا﴾

الآية تحتمل ثلاثة معانٍ: أحدها - وهو الأظهر - من كان يريد نيل العزّة فليطلبها من عند الله؛ فإن العزّة كلها لله، والثاني: من كان يريد العزّة بمغالبة الإسلام؛ فله العزّة جميعاً؛ فالمغالبة له مغلوب، والثالث: من كان يريد أن يعلم أن العزّة فليعلم أن العزّة لله جميعاً. ابن جزي: ٢١٢/٢.

السؤال: بين الله الطريق لطالب العزّة، ووضحه.

وَأَنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١٠﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّكُمْ الْهَيْوَةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُؤُ ﴿١١﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حُزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٣﴾ أَفَمَنْ رَزَقْنَاهُ سَوْءَ عَمَلٍ قَرَأَهُ حَسَنًا فَإِنْ آتَاهُ اللَّهُ بُضْلاً مِنْ نِسَاءٍ وَهَدَى مَنْ يَسَاءُ فَلَا تَنْزِعُ عَنْهُ نَفْسٌ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٌ فَإِنْ حَسَرْتُمْ أَنْ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا تَصْمَتُونَ ﴿١٤﴾ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتَنَّا سَحَابًا فَسَفَقْنَاهُ إِلَى بَلَرٍ مَيِّتٍ فَأَخْبَيْنَاهُ إِلَى أَرْضٍ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ الشُّعُورُ ﴿١٥﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْغَرَّةَ فَلْيَلْغِرْ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْجَبَّ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ بِالسَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبَوِّرُ ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نَظْفٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعْمَرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَضُ مِنْ عُمرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٧﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
فَلَا تَغُرَّكُمْ	لَا تَخُدَّعَنَّكُمْ، وَلَا تَلْهِيَنَّكُمْ.
الْغُرُؤُ	الشَّيْطَانُ.
فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ	فَلَا تُهْلِكْهَا.
حَسْرَاتٍ	خُزناً عَلَى كُفْرِ هَؤُلَاءِ الضَّالِّينَ.
فَتْنِيرٌ	تَحْرُكٌ.
يُبَوِّرُ	يَفْسُدُ، وَيَبْطُلُ.
مُعَمَّرٌ	طَوِيلُ الْعُمُرِ.

## ● العمل بالآيات

١. قل: «اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همي، ولا مبلغ علمي ولا إلى النار مصيري» ﴿فَلَا تَغُرَّكُمْ الْهَيْوَةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُؤُ﴾.
٢. تذكر عداوة الشيطان لك كل صباح ومساءً، واستعد بالله منه، وكن على حذر، ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حُزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾.
٣. امض الأذى عن الطريق، أو ساعد محتاجاً بجهدك أو بمالكه ابتغاء وجه الله، ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾.

## ● التوجيهات

١. من العزاة للداوية أن الإعراض والتكذيب قد وقع للرسول من قبله، ﴿وَأَنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾.
٢. من استشعر العداوة لزم الحذر، ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حُزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾.
٣. الزم السنة والدليل الصحيح، واحذر البدعة واتبع الهوى والعاطفة؛ حتى لا تكون ممن زين له سوء عمله فراه حسناً، ﴿أَفَمَنْ رَزَقْنَاهُ سَوْءَ عَمَلٍ قَرَأَهُ حَسَنًا فَإِنْ آتَاهُ اللَّهُ بُضْلاً مِنْ نِسَاءٍ وَهَدَى مَنْ يَسَاءُ فَلَا تَنْزِعُ عَنْهُ نَفْسٌ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٌ فَإِنْ حَسَرْتُمْ أَنْ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا تَصْمَتُونَ﴾.

قوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلْبُ اللَّطِيبُ﴾ يعني: الذكر والتلاوة والدعاء. ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ قال ابن عباس: الكلم الطيب: ذكر الله يُصعد به إلى الله ﷻ، والعمل الصالح: أداء الفريضة. ومن ذكر الله ولم يؤد فرائضه رُدَّ كلامه على عمله، فكان أولى به. وكذا قال مجاهد: العمل الصالح يرفع الكلام الطيب. ﴿وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ قال مجاهد وسعيد بن جبير: هم المراءون بأعمالهم، يعني: يمشون بالناس، يوهمون أنهم في طاعة الله، وهم يُفَضُّوا إلى الله ﷻ، يراؤون بأعمالهم ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢]. وقال عبد الرحمن بن زيد: هم المشركون. الصحيح أنها عامة، والمشركون داخلون بطريق الأولى، ولهذا قال: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُيُوتٌ﴾ أي: يفسد ويبطل ويظهر زيفهم عن قريب لأولي البصائر واللهي؛ فإنه ما أسرَّ عبد سريرة إلا أبداها الله على صفحات وجهه وفلتات لسانه، وما أسرَّ أحد سريرة إلا كساه الله رداءها، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر.

الآية (١١): ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كَرِيمًا ثَمَّ مِنْ طُفْقَةٍ ابْتَدَأَ خَلَقَ آيِبِكُمْ آدَمَ مِنْ تَرَابٍ، ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ، ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾ أي: ذكرنا وأنتي، لطفًا منه ورحمة أن جعل لكم أزواجًا من جنسكم لتسكنوا إليها. ﴿وَمَا يَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ أي: هو عالم بذلك، لا يخفى عليه من ذلك شيء، بل ﴿وَمَا تَشْقَطُ مِنْ رَوْحِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ وَخَلَقَ فِي ظُلُمَاتٍ الْأَرْضِ وَلَا رُحَى وَلَا يُبَاسِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ١٠٩]. ﴿وَمَا يُمْسِرُ مِنْ عُشْرٍ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عُشْرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ أي: ما يعطى بعض النطف من العمر الطويل بعلمه، وهو عنده في الكتاب الأول. ﴿وَلَا يُنْقُصُ مِنْ عُشْرِهِ﴾ الضمير عائد على الجنس لا على العن؛ لأن العن: الطويل العمر في الكتاب وفي علم الله لا ينقص من عمره، وإنما عاد الضمير على الجنس. قال ابن جرير: وهذا كقولهم: «عندي ثوب ونصفه» أي: ونصف آخر. وعن ابن عباس يقول: ليس أحد قضيت له طول عُمر وحياء، إلا وهو بالغ ما قدرت له من العمر، وقد قضيت ذلك له، فإنما ينتهي إلى الكتاب الذي قدرت لا يزاد عليه، وليس أحد قضيت له أنه قصير العمر والحياء يبلغ للعمر، ولكن ينتهي إلى الكتاب الذي كتبت له، فذلك قوله: ﴿وَلَا يُنْقُصُ مِنْ عُشْرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾، يقول: كل ذلك في كتاب عنده. وقال قتادة: والذي ينقص من عمره فالذي يموت قبل ستين سنة. وقال مجاهد: ﴿وَمَا يُمْسِرُ مِنْ عُشْرٍ وَلَا يُنْقُصُ مِنْ عُشْرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ أي: في بطن أمه يكتب له ذلك، لم يخلق الخلق على عمر واحد، بل لهذا عمر، ولهذا عمر هو أنقص من عمره، وكل ذلك مكتوب لصاحبه، بالغ ما بلغ. واختار ابن جرير القول الأول، وهو كما قال؛ عن أنس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنْقِطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْشَأَ لَهُ فِي آثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَجْمَهُ» وقد رواه البخاري ومسلم.

﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ أي: سهل عليه، يسير لديه علمه بذلك وتبصيله في جميع مخلوقاته؛ فإن علمه شامل للجميع لا يخفى عليه شيء منها.

الآية (٤-٦): يقول تعالى: وإن يكذبك -يا محمد- هؤلاء المشركون بالله، ويخالفوك فيما جنتهم به من التوحيد، فلك فيمن سلف قبلك من الرسل أسوة؛ فإنهم كذلك جاءوا قومهم بالبينات وأمروهم بالتوحيد فكذبوهم وخالفوهم، ﴿وَلَيْلَ اللَّهِ تُرِجُ الْأُمُورُ﴾ أي: وسنجزيم على ذلك أوفر الجزاء. ﴿كَتَابًا لِلنَّاسِ إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾ أي: المعاد كائن لا محالة ﴿فَلَا تَعْرَكُكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ أي: العيشة الدنية بالنسبة إلى ما أعد الله لأوليائه وأتباع رسله من الخير العظيم، فلا تتلَّهُوا عن ذلك الباقي بهذه الزهرة الفانية، ﴿وَلَا يَفْرَكُكُمْ بِاللَّهُ الْقَرَرُ﴾ هو الشيطان؛ قاله ابن عباس. أي: لا يفتنكم الشيطان ويصرفكم عن اتباع رسل الله وتصديق كلماته؛ فإنه غرَّار كذاب أفك، وهذه الآية كآلية التي في آخر لقمان: ﴿فَلَا تَعْرَكُكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَفْرَكُكُمْ بِاللَّهُ الْقَرَرُ﴾ [لقمان: ٣٣]. ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ أي: هو مبارز لكم بالعداوة، فعادوه أنتم أشد العداوة، وخالفوه وكذبوه فيما يفركم به ﴿إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ أي: إنما يقصد أن يضلكم حتى تدخلوا معه إلى عذاب السعير، فهذا هو العدو المين، وهذه كقوله عن إبليس: ﴿أَتَتَّخِذُونَنِي وَرِثَةً وَأُولِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِشَى لِّلظَّالِمِينَ بِذَلِكَ﴾ [الكهف: ٥٠].

الآية (٧-٨): لما ذكر تعالى أن أتباع إبليس مصيرهم إلى السعير، ذكر بعد ذلك أن الذين كفروا لهم عذاب شديد؛ لأنهم أطاعوا الشيطان وعصوا الرحمن، وأن الذين آمنوا بالله ورسوله ﴿وَمِمَّنْ أَلْحَبَتْ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ أي: لما كان منهم من ذنب، ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ على ما عملوه من خير. ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾ يعني: كالكفار والفجار؛ يعملون أفعالًا سيئة وهم في ذلك يعتقدون ويمسبون أنهم يحسنون صنعًا، أي: أفمن كان هكذا قد أضله الله، ألك فيه حيلة؟! لا حيلة لك فيه ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ أي: بقدره كان ذلك. ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ أي: لا تأسف على ذلك؛ فإن الله حكيم في قدره، إنما يضل من يضل ويهدي من يهدي، لما له في ذلك من الحجة البالغة، والعلم التام. ولهذا قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾.

الآية (٩-١٠): كثيرًا ما يستدل تعالى على المعاد بإحيائه الأرض بعد موتها، ينبه عباده أن يعتبروا بهذا على ذلك؛ فإن الأرض تكون ميتة هاملة لا نبات فيها، فإذا أرسل إليها السحاب تحمل الماء وأنزله عليها ﴿فَازْهَرَتْ وَذَيْتَ وَأَكْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [الحج: ٥]، كذلك الأجساد إذا أراد الله تعالى بثمتها ونشورها أنزل من تحت العرش مطرًا يعم الأرض جميعًا، فنبتت الأجساد في قبورها كما تنبت الحبة في الأرض؛ ولهذا جاء في الصحيح: «كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب، منه خلق ومنه يُرْكَبُ» [رواه مسلم]؛ ولهذا قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ من قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ أي: من كان يحب أن يكون عزيزًا في الدنيا والآخرة، فليعلم طاعة الله؛ فإنه يحصل له مقصوده؛ لأن الله مالك الدنيا والآخرة، وله العزة جميعها؛ كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الْكُفْرَينَ أُولَئِكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَلْيَبْتَتُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٩].





## ● الوقفات التدريبية

١ ﴿وَالَّذِينَ نَادَعُوا مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾  
أي: لا يملكون شيئاً: لا قليلاً ولا كثيراً، حتى ولا القطمير الذي هو أحققر الأشياء،  
فكيف يدعون وهم غير مالكين لشيء من ملك السماوات والأرض؟ السعدي: ٢٨٦.  
السؤال: ما الفائدة التي يستفيد بها الإنسان من معرفة أن ما يدعى من  
دون الله لا يملك شيئاً؟

٢ ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ  
الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكَكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾  
ولما كشف حال الأصنام في الدنيا بما فيه تأسيس من انتفاعهم بها ...  
كشف أمرها في الآخرة بأن تلك الأصنام ينطقها الله؛ فتتبرأ من شركهم؛  
أي: تتبرأ من أن تكون دعت له، أو رضيت به. ابن عاشور: ٢٨٢/٢٢.

السؤال: كيف أظهر الله سبحانه بطلان عبادة الأصنام في الدنيا والآخرة؟  
٣ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾  
لما أشبع المقام أدبته، ومواضع ... ولم يظهر مع ذلك كله من أحوال القوم ما  
يتوشم منه نزعهم عن ضلالهم، وربما أحدث ذلك في نفوس أهل العزة منهم  
إعجاباً بأنفسهم، واعتزازاً بأنهم مرغوب إلى انضمامهم إلى جماعة المسلمين؛  
فيزي بهم ذلك الغرور قبولاً لتسويل مكايد الشيطان لهم أن يعصموا  
بشركتهم، ناسب أن ينبههم الله بأنه غني عنهم، وأن دينه لا يعتز بامثالهم،  
وأنه مصيرهم إلى الفناء، وأت بناس يعتز بهم الإسلام. ابن عاشور: ٢٨٥/٢٢.

السؤال: ما الحكمة من وصف عموم الناس بالفقر في هذه الآية؟

٤ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾

يخاطب تعالى جميع الناس، ويخبرهم بحالهم ووصفهم، وأنهم فقراء إلى الله  
من جميع الوجوه:

- فقراء في إيجادهم؛ فلولا إيجاده إياهم لم يوجدوا.
- فقراء في إصداهم بالقوى والأعضاء والجوارح التي لولا إعداده إياهم بها لما  
استعملوا لأي عمل كان.
- فقراء في إمدادهم بالأقوات، والأرزاق، والنعم الظاهرة والباطنة؛ فلولا فضله  
وإحسانه وتيسيره الأمور لما حصل لهم من الرزق والنعم شيء.
- فقراء في صرف النقم عنهم، ودفع المكار، وإزالة الكرب والشدة؛ فلولا دفعه عنهم  
وتفريجه لكرباتهم وإزالته لصرهم لاستمرت عليهم المكار والشدة. السعدي: ٢٨٧.

السؤال: هل فقر الناس إلى الله هو في المال فقط؟ بين شيئاً من أوجه  
الفقر التي يفتقر الناس فيها إلى ربه.

٥ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾

لما أثبت فقرهم إليه وغناه عنهم، وليس كل غني ناعماً بفناه إلا إذا كان  
الغني جواداً منعماً ... ذكر (الحميد) ليدل به على أنه الغني النافع بفناه  
خلقه، الجواد المنعم عليهم. القرطبي: ٣٦٦/٧.

السؤال: لم قرن صفة (الغني) بصفة (الحميد) في الآية؟

٦ ﴿وَلَنْ تَدْعَ مُثْقَلَةٌ إِلَى جِلْهٍ إِلَى جِلْهٍ لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾

قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: يلقى الأب والأم ابنه فيقول: يا بني  
احمل عني بعض ذنوبي، فيقول: لا أستطيع؛ حسبي ما علي. البهوي: ٢٦١/٣.

السؤال: من سيحمل عك ذنوبك يوم القيامة؟

٧ ﴿إِنَّمَا نُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّىٰ  
فَلِنَسْأَلَنَّكَ لِنَفْسِهِ﴾

المعنى: أن الإنسان لا ينعف إلا الذين يخشون ربهم، وليس المعنى اختصاصهم  
بالإنذار. ابن جزي: ٢١٥/٢.

السؤال: هل تدل الآية على أن الرسل والدعاة لا يندرون إلا أهل خشية؟ وضع ذلك.

وَمَا يَسْتَوِي الْكَافِرُ هَذَا عَذَابٌ مُرْتَابٌ سَائِعٌ مُرْتَابٌ وَهَذَا  
مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمَنْ كُلُّ تَأْكُلُونَ لَخَطَايَا مَا تَنْتَهَوْنَ عَنْهَا  
حِلَّةٌ تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاجِرَ يَتَّبِعُونَ مِنْ فَضْلِهِ  
وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥﴾ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ  
النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ اللَّهُ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ كُلٌّ يَجْرِي  
لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكَ كُنْزُ اللَّهِ لِلَّذِينَ  
تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿٦﴾ إِنْ  
تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ  
وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكَكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ  
﴿٧﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ  
الْحَمِيدُ ﴿٨﴾ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٩﴾  
وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٠﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِنْ  
تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى جِلْهٍ لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ  
إِنَّمَا نُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ  
وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَلِنَسْأَلَنَّكَ لِنَفْسِهِ وَاللَّهُ الْمَصِيرُ ﴿١١﴾

المؤمنين

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
فُرَاتٌ	شديد العذوبة.
سَائِعٌ	سهل مَرُورُهُ في الحلق.
أُجَاجٌ	شديد الملوحة.
مَوَاجِرَ	تَشَقُّ الْمِيَاهِ.
قِطْمِيرٍ	هِيَ: الْقِشْرَةُ الرَّهِيْقَةُ الْبَيْضَاءُ عَلَى النَّوَاةِ.
مُثْقَلَةٌ	نَفْسٌ مُثْقَلَةٌ بِالْخَطَايَا.
جِلْهٍ	ذُنُوبِهَا الَّتِي أَثْقَلَتْهَا.

## ● العمل بالآيات

١. قل: «اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكها، أنت وليها ومولاها»،  
﴿وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَلِنَسْأَلَنَّكَ لِنَفْسِهِ﴾. ﴿وَاللَّهُ الْمَصِيرُ﴾.
٢. اقرأ كتاباً عن أعمال القلوب وأهميتها، ﴿وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَلِنَسْأَلَنَّكَ لِنَفْسِهِ﴾.  
﴿وَاللَّهُ الْمَصِيرُ﴾.
٣. تصدق بشيء من مالك، أو قم هذه الليلة بصلاة، أو اقرأ القرآن الكريم،  
﴿وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَلِنَسْأَلَنَّكَ لِنَفْسِهِ﴾. ﴿وَاللَّهُ الْمَصِيرُ﴾.

## ● التوجيهات

١. احذر من دعاء غير الله تعالى، ﴿وَالَّذِينَ نَادَعُوا مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾  
﴿٥﴾ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ  
يَكْفُرُونَ بِشْرِكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ.
٢. الله سبحانه أقرب إلى القلوب المنكسرة له، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ  
وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾.
٣. احرص على الاتعاظ والاستفادة من الوعد والتذكير؛ تكن من أهل خشية الله تعالى،  
﴿إِنَّمَا نُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَنْجَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴾

تمثيل لمن آمن؛ فهو كالحي، ومن لم يؤمن فهو كالميت. (إن الله يسمع من يشاء؛ عبارة عن هداية الله لمن يشاء. وما أنت بمسمع من في القبور). عبارة عن عدم سماع الكفار للبراهين والمواضع، فشبهم بالموتى في عدم إحساسهم. ابن جزي: ٢١٥/٢.

السؤال: في هذه الآية تمثيل بليغ بين الكفار والموتى، بين أوجه الشبه في ذلك. ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَنْجَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴾ اعظم حرمان نشأ عن الكفر هو حرمان الانتفاع ببالغ كلام واصدقه، وهو القرآن. ابن عاشور: ٢٩٥/٢٢.

السؤال: ما اعظم حرمان حُرمة الكافر في الدنيا؟ ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودَ ﴾ ﴿ وَرَبِّكَ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ ﴾

يذكر تعالى خلقه للأشياء المتضادات التي أصلها واحد، ومادتها واحدة، وفيها من التفاوت والفرق ما هو مشاهد معروف؛ ليدل العباد على كمال قدرته وبديع حكمته... فتفاوتها دليل عقلي على مشيئة الله تعالى التي خصصت ما خصصت منها بلونه، ووصفه، وقدرة الله تعالى حيث أوجدها كذلك، وحكمته ورحمته. السعدي: ٦٨٨.

السؤال: ما الصفة الإلهية المستفادة من تعدد الخلق وتشكله وتلونه؟ ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّكَ اللَّهُ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ قال الربيع بن أنس: «من لم يخش الله تعالى فليس بعالم»، وعن ابن مسعود: «كفى بخشية الله تعالى علماً، وبالاغترار به جهلاً»، وعن مجاهد قال: «إنما الفقيه من يخاف الله عز وجل». القرطبي: ٣٧٥-٣٧٦.

السؤال: ما الصفة البارزة التي تميز طالب العلم الصادق؟ ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّكَ اللَّهُ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ والمراد بالعلماء: العلماء بالله وبالشريعة. وعلى حسب مقدار العلم في ذلك تقوى الخشية؛ فأما العلماء بعلوم لا تتعلق بمعرفة الله وثوابه وعقابه معرفة على وجهها؛ فليست علومهم بمقربة لهم من خشية الله. ابن عاشور: ٣٠٤/٢٢.

السؤال: من العالم حقاً؟ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تَجَارَةً لَّنْ كَبُورَ ﴾ في الآية ما يشمل جواب فراء القرآن؛ فإنهم يصدق عنهم أنهم من الذين يتلون كتاب الله، وقيمون الصلاة، ولو لم يصاحبهم التدبر في القرآن؛ فإن لتلاوة حفظها من الثواب والتتور بأنوار كلام الله. ابن عاشور: ٢٩٧/٢٢.

السؤال: هل لتالي القرآن أجر ولو لم يصاحبه تدبر؟ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تَجَارَةً لَّنْ كَبُورَ ﴾ وهذا فيه أنهم يخلصون بأعمالهم، وأنهم لا يرجون بها من المقاصد السيئة والنيات الفاسدة شيئاً. السعدي: ٦٨٩.

السؤال: ما المستفاد من قوله تعالى (يرجون تجارة لن تبور)؟

وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَلَا الظُّلُمُتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢﴾ وَلَا الظُّلُ وَلَا الظُّلُورُ ﴿٣﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ﴿٤﴾ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٥﴾ إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٦﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٧﴾ وَإِنْ يَكْفُرُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالْزُكْرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿٨﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٩﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودَ ﴿١٠﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ ﴿١١﴾ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴿١٢﴾ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿١٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تَجَارَةً لَّنْ كَبُورَ ﴿١٤﴾ لِيُوفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿١٥﴾

٤٣٧

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
الْحُرُورُ	الرَّيْحُ الْحَارَّةُ.
وَبِالزُّكْرِ	الْكِتَابُ الْمَجْمُوعُ فِيهَا كَثِيرٌ مِنَ الْأَحْكَامِ.
نَكِيرٌ	إِنْكَارِي عَلَيْهِمْ، وَغُفُوبِي لَهُمْ.
جُدَدٌ	ذَاتُ طَرَائِقٍ وَخُطُوطٍ مُخْتَلِفَةِ الْأَلْوَانِ.
وَغَرَابِيبُ سُودَ	شَدِيدَةُ السَّوَادِ؛ كَالْأَغْرَبِيَّةِ.
لَّنْ كَبُورَ	لَّنْ تَكْسُدَ، وَتَهْلِكَ.

## ● العمل بالآيات

١. ابتداء من اليوم خصص لك مقدراً من القرآن ولو قصيراً تقرأه كل يوم، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ ﴾.
٢. أذ الصلاة جماعة مع إدراك التكبيرة الأولى، ﴿ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ﴾.
٣. تصدق من مالك بصدقة لا يعلم عنها أحد إلا الله، وتصديق بصدقة أخرى علانية لعله يقتدي بك غيرك، ﴿ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تَجَارَةً لَّنْ كَبُورَ ﴾.

## ● التوجيهات

١. حقق خشية الله تعالى في حياتك تكن من أهل العلم حقيقة، ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّكَ اللَّهُ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾.
٢. أكثر من تلاوة القرآن معتبراً متفكراً، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تَجَارَةً لَّنْ كَبُورَ ﴾.
٣. تذكر دائماً أن التجارة التي لا تبور هي التجارة مع الله تعالى، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تَجَارَةً لَّنْ كَبُورَ ﴾.

مالك والحسن وقتادة والسدي. ومنها: ﴿غَرَابِيبُ سُودٍ﴾ قال عكرمة: الغرابيب: الجبال الطوال السود. وقال ابن جرير: والعرب إذا وصفوا الأسود بكثرة السواد، قالوا: أسود غريب.

الآية (٢٨): ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالْأَنْعَامِ وَالْأَنْعَامِ تَحْتَلِفُ أَلْوَنُهُ كَذَلِكَ﴾ أي: كذلك الحيوانات من الأناسي والدواب -وهو: كل ما دب على قوائم- والأنعام، من باب عطف الخاص على العام. كذلك هي مختلفة أيضاً؛ فالناس منهم: بربر وجُوش في غابة السواد، وصقالبة وروم في غابة البياض، والعرب بين ذلك، والهناد دون ذلك؛ ولهذا قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَأَخْلَفَ أَلْسِنَتَكُمْ وَأَلْوَنَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّعَالَمِينَ﴾ [الروم: ٢٢]. وكذلك الدواب والأنعام مختلفة الألوان، حتى في الجنس الواحد، بل النوع الواحد منهم يختلف الألوان، بل الحيوان الواحد يكون أبلق، فيه من هذا اللون وهذا اللون، فبارك الله أحسن الخالقين. قال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ أي: إنما يخشاه حق خشية العلماء العارفين به؛ لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال المنوعة بالأسماء الحسنى؛ كلما كانت المعرفة به أتم والعلم به أكمل، كانت الخشية له أعظم وأكثر. قال ابن عباس في قوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾: الذين يعلمون أن الله على كل شيء قدير. وقال: العالم بالرحمن من لم يشرك به شيئاً، وأحل حلاله، وحرم حرامه، وحفظ وصيته، وأيقن أنه ملاقيه ومحاسب بعمله. وقال سعيد ابن جبير: الخشية هي التي تحول بينك وبين معصية الله ﷻ. وقال الحسن البصري: العالم مَنْ خشي الرحمن بالغيب، ورغب فيها ورغب الله فيه، وزهد فيها سخط الله فيه، ثم تلا الحسن: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾. وعن ابن مسعود أنه قال: ليس العلم عن كثرة الحديث، ولكن العلم عن كثرة الخشية. وعن أبي حيان التميمي، عن رجل قال: كان يقال: العلماء ثلاثة: عالم بالله عالم بأمْرِ الله، وعالم بالله ليس بعالم بأمْرِ الله، وعالم بأمْرِ الله ليس بعالم بالله. فالعالم بالله وبأمْرِ الله: الذي يخشى الله ويعلم الحدود والفرائض. والعالم بالله ليس بعالم بأمْرِ الله: الذي يخشى الله ولا يعلم الحدود ولا الفرائض. والعالم بأمْرِ الله ليس بعالم بالله: الذي يعلم الحدود والفرائض، ولا يخشى الله ﷻ.

الآية (٢٩-٣٠): يغير تعالى عن عباده المؤمنين الذين يتلون كتابه ويؤمنون به ويعملون بها فيه من: إقام الصلاة، والإيفاء بما رزقهم الله في الأوقات المشروعة ليلاً ونهاراً، سرّاً وعلانية ﴿يَرْجُونَ كِتَابَكَ تَسْبُورٌ﴾ أي: يرجون ثواباً عند الله لا بد من حصوله؛ ولهذا قال: ﴿يَرْجُونَ أَجْرَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ أي: ليوافقهم ثواب ما فعلوه ويضاعفه لهم بزيادات لم تحظر لهم، ﴿إِنَّهُمْ غَفُورٌ﴾ أي: لذنوبهم، ﴿تَسْبُورٌ﴾ للقليل من أعمالهم. قال قتادة: كان مَطْرَفٌ -رحمته الله- إذا قرأ هذه الآية يقول: هذه آية الفراء.

الآية (١٩-٢٢): يقول تعالى: كما لا تستوي هذه الأشياء المتباينة المختلفة، كالأعمى والبصير لا يستويان، بل بينهما فرق وبون كثير، وكما لا تستوي الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور، كذلك لا تستوي الأحياء ولا الأموات، وهذا مثل ضربه الله للمؤمنين وهم الأحياء، وللكافرين وهم الأموات؛ كقوله: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ مِثْلًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢]. وقال ﷻ: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَصْنَى وَالْأَصْبَرِ وَالْأَصْبَرُ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ [هود: ٢٤]، فالؤمن سميع بصير، في نور يمشي على صراط مستقيم في الدنيا والآخرة، حتى يستقر به الحال في الجنات ذات الظلال والعيون، والكافر أعمى أصم، في ظلمات يمشي لا خروج له منها، بل هو يتيه في غيّه وضلاله في الدنيا والآخرة، حتى يفضي به ذلك إلى الحرور والسوم والحميم. ﴿إِنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ مَنْ يَشَاءُ﴾ أي: يهديهم إلى سماع الحجة وقبولها والانتقاد لها ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ أي: كما لا يتفقد الأموات بعد موتهم وصبرورهم إلى قبورهم -وهم كفار- بالهداية والدعوة إليها، كذلك هؤلاء المشركون الذين كُتِبَ عليهم الشقاوة لا حيلة لك فيهم، ولا تستطيع هدايتهم.

الآية (٢٣-٢٦): ﴿إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ أي: إنما عليك البلاغ والإنذار، والله يضل من يشاء ويهدي من يشاء. ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا لِلْمُؤْمِنِينَ وَنَذِيرًا لِلْكَافِرِينَ، ﴿وَلَنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ أي: وما من أمة خلعت من بني آدم إلا وقد بعث الله إليهم النذير، وأزاح عنهم العلل؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧]. قوله: ﴿وَلَنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ هي: المعجزات الباهرات، والأدلة القاطعات ﴿وَيَا زَيْنِرُ﴾ وهي الكتب ﴿وَيَا لِكُتُبِ الْبَيِّنَاتِ﴾ أي: الواضح البين ﴿ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: ومع هذا كله كذب أولئك رسلهم فيما جاؤوهم به، فأخذتهم، أي: بالعقاب والנקال. ﴿فَكَيْفَ كَانَتْ تَكْبِيرُ﴾ أي: فكيف رأيت إنكاري عليهم عظيمًا شديدًا بليغًا؟

الآية (٢٧): يقول تعالى منهاً على كمال قدرته في خلقه الأشياء المتنوعة المختلفة من الشيء الواحد، وهو الماء الذي ينزله من السماء، يخرج به ثمرات مختلفاً ألوانها، من أصفر وأحمر وأخضر وأبيض، إلى غير ذلك من ألوان الثمار، كما هو المشاهد من تنوع ألوانها وطعومها وروائحها؛ كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَبَّرٌ رَتْجًا رَتْجًا يَنْ أَعْتَصَبَ وَرَزَّ وَفُيِّلَ صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ﴾ [الرعد: ٤]. قوله: ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهَا﴾ أي: وخلق الجبال كذلك مختلفة الألوان، كما هو المشاهد أيضاً من بيض وحمرة، وفي بعضها طرائق -وهي: الجُدَدُ، جمع جُدَّة - مختلفة الألوان أيضاً. قال ابن عباس: الجُدَدُ: الطرائق. وكذا قال أبو







## ● الوقفات التدريبية

● ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾  
قال عمر وابن مسعود وابن عباس وكعب وعائشة وأكثر المفسرين:  
هذه الأصناف الثلاثة: أمة محمد ﷺ، فالظالم لنفسه: العاصي.  
والسابق: التقى. والمقتصد: بينهما. ابن جزي: ٢١٧/٢.  
السؤال: إلى أي أمة ينتمي الأصناف الثلاثة المذكورون في الآية؟ مع بيان المراد بصفاتهم.

● ﴿ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ﴾

وقوله: (بإذن الله) راجع إلى السابق بالخيرات؛ لئلا يفتر بعمله، بل ما سبق إلى الخيرات إلا بتوفيق الله تعالى ومعونته، فينبغي له أن يشتغل بشكر الله تعالى على ما أنعم به عليه. السعدي: ٦٨٩.

السؤال: لماذا خص السابق بالخيرات بقوله: (بإذن الله)؟

● ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾

قال ابن عباس: حزن النار، وقال قتادة: حزن الموت، وقال مقاتل: حزنوا لأنهم كانوا لا يدرون ما يصنع الله بهم، وقال عكرمة: حزن الذنوب والسيئات، وخوف رد الطاعات. البغوي: ٦٦٦/٣.

السؤال: ما الذي أحزن أهل الإيمان في الدنيا فأذهب الله عنهم في الجنة؟  
● ﴿ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَمَسٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾

(دار المقامة): هي الجنة، والمقامة: هي الإقامة والموضع، وإنما سميت الجنة دار المقامة لأنهم يقومون فيها ولا يخرجون منها. ابن جزي: ٢١٧/٢.  
السؤال: لم سميت الجنة بدار المقامة؟

● ﴿ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ ﴾

الذي أعطانا هذه المنزلته وهذا المقام من فضله ومنته ورحمته؛ لم تكن أعمالنا تساوي ذلك. ابن كثير: ٥٣٥/٤.

السؤال: هل يدخل الإنسان الجنة بمجرد عمله؟ وضع ذلك من خلال الآية.

● ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَاثِبٍ ﴾

وقوله: (لا يقضى) معناه: لا يجهز؛ لأنهم لو ماتوا لبطلت حواسهم فاستراحوا. ابن عطية: ٤٤/٤.

السؤال: لماذا نفي الموت عن أهل النار؟

● ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِّشُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ﴾

قال ابن عباس: «نقل: لا إله إلا الله» ... أي: نؤمن بدل الكفر، ونطيع بدل المعصية، ونمتثل أمر الرسل. القرطبي: ٣٨٨/١٧.  
السؤال: ما العمل الصالح الذي يتمناه أهل النار بعد دخولهم فيها؟

وَالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٥٦﴾ جَنَّتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُجِئُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٥٨﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَمَسٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَاثِبٍ ﴿٦٠﴾ وَهُمْ يَصْطَرِّشُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَوَعَدْنَا الْمُؤْمِنِينَ فَذُقُوا فَلَمَّا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٦١﴾ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٦٢﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ	بِفِعْلِ بَعْضِ الْمَعَاصِي.
مُقْتَصِدٌ	يُؤَدِّي الْوَاجِبَاتِ، وَيَجْتَنِبُ الْمُحَرَّمَاتِ.
سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ	مُجْتَهِدٌ فِي عَمَلِ الصَّالِحَاتِ؛ فَرَضَهَا وَفَضَّلَهَا.
عَدْنٌ	إِقَامَةٌ.
لُغُوبٌ	إِعْيَاءٌ وَتَعَبٌ.

## ● العمل بالآيات

١. قل: اللهم ارزقني حفظ كتابك، والعمل به، والدعوة إليه، ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾.
٢. سابق جماعة مسجدك على الصنف الأول، ﴿ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾.
٣. ارسل رسالة تذكر فيها أن من أراد لباس أهل الجنة فليبتعد عن اللباس المحرم في الدنيا، ﴿ جَنَّتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُجِئُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾.

## ● التوجيهات

١. لا تعظم نفسك، ولا تستكثر عملك؛ فهذه عائشة - رضي الله عنها - تعد نفسها من الظالمات لأنفسهن، ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ﴾.
٢. اعلم أن من اصطفاه الله تعالى ورثه علم الكتاب، والعمل به؛ فكن منهم، ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾.
٣. تأمل كيف شمل ربنا جل وعلا الظالم لنفسه مع عباده المصطفين، ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ، وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ خَلْقَ فِي الْأَرْضِ مَنْ كَفَرَ فَلَيْتَهُ كُفْرُهُ وَلَا يُرِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا مُقْتًا وَلَا يُرِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا مُقْتًا﴾

يقول تعالى ذكره: فمن كفر بالله متكم أيها الناس، فعلى نفسه ضرر كفره، لا يضر بذلك غير نفسه؛ لأنه المعاقب عليه دون غيره. الطبري: ٤٨٠/٢٠.

السؤال: على من يقع ضرر كفر ابن آدم؟

﴿وَلَا يُرِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا مُقْتًا﴾

أي: كلما استمروا على كفرهم ابغضهم الله تعالى ... بخلاف المؤمنين؛ فإنهم كلما طال عمر أحدهم وحسن عمله ارتفعت درجته ومنزله في الجنة، وزاد أجره، وأحب خالقه وبارئته رب العالمين. ابن كثير: ٥٣٨/٣.

السؤال: في الآية ذكر لما يفعله الكافر بالكافرين، فما الذي يفعله الإيمان بالمؤمنين؟

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ أَهْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا رَادَّهُمْ إِلَّا غَوْرًا﴾

وليس إقسامهم المذكور لقصد حسن، وطلب للحق، ولا لوقفوا له، ولكنه صادر عن استكبار في الأرض على الخلق وعلى الحق، وبهرجة في كلامهم هذا؛ يريدون به المكر والخداع، وأنهم أهل الحق الحريصون على طلبه، فيفترون به المغترون، ويمشي خلفهم المقتدون. السعدي: ٦٩١.

السؤال: هل كان قسمهم هذا طلباً للحق؟

﴿أَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ (استكباراً: أي: غشوا عن الإيمان، ومكر السيء: أي: مكر العمل السيء؛ وهو الكفر وخدع الضعفاء، وضدهم عن الإيمان؛ لكثر اتباعهم. القرطبي: ٣٩٦/١٧).

السؤال: ما حقيقة مكرهم السيء الذي أوقعهم في العقوبة لنحذر منه؟  
﴿أَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن يَغْدِلَ اللَّهُ تَبْدِيلًا وَلَن يَغْدِلَ اللَّهُ تَحْوِيلًا﴾  
فإذا لم يامن أفراد الإنسان بعضهم بعضاً، تنكر بعضهم لبعض، وتبادروا الإضرار والإهلاك؛ ليفوز كل واحد بكيد الآخر قبل أن يقع فيه؛ فيفشي ذلك إلى فساد كبير في العالم، والله لا يحب الفساد. ابن عاشور: ٣٣٥/٢٢.

السؤال: ما آثار فقد الأمن في المجتمع؟ بين ذلك من خلال الآية.

﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن يَغْدِلَ اللَّهُ تَبْدِيلًا وَلَن يَغْدِلَ اللَّهُ تَحْوِيلًا﴾

أجرى الله العذاب على الكفار، وجعل ذلك سنة فيهم، فهو يعذب بمثله من استحقه، لا يقدر أحد أن يبدل ذلك، ولا أن يحول العذاب عن نفسه إلى غيره. القرطبي: ٤٠٠/١٧.

السؤال: هل تبدل سنة الله تعالى في نزول العقوبة على من عصى؟

﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ يُعْجِزُهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾

عجز المرید عن تحقيق إرادته إما أن يكون سببه خفاء موضع تحقق الإرادة؛ وهذا ينال إعطاة العلم، أو عدم استطاعة التمكن منه؛ وهذا ينال عموم القدرة. ابن عاشور: ٣٣٩/٢٢.

السؤال: ما المستفاد من ختم الآية بوصف الله تعالى بصفتي العلم والقدرة؟

هُوَ الَّذِي جَعَلَ خَلْقَ فِي الْأَرْضِ مَنْ كَفَرَ فَلَيْتَهُ كُفْرُهُ وَلَا يُرِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا مُقْتًا وَلَا يُرِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا مُقْتًا ﴿١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا فَمِنْهُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ إِنْ يَغْدِلَ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٢﴾ إِنْ اللَّهُ يُعْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْ تَرَوْنَهَا وَلَئِنْ رَأَيْتُمُ السَّمَكَيْنِ يَخْرُجَانِ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٣﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ أَهْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا رَادَّهُمْ إِلَّا غَوْرًا ﴿٤﴾ أَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن يَغْدِلَ اللَّهُ تَبْدِيلًا وَلَن يَغْدِلَ اللَّهُ تَحْوِيلًا ﴿٥﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٦﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
خَلَقَ	يَخْلُقُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فِي الْأَرْضِ.
مَقْتًا	بُغْضًا وَغَضَبًا.
أَرَأَيْتُمْ	أَخْبِرُونِي.
بَيِّنَةٍ مِنْهُ	حُجَّةٍ مِنْهُ.
غُرُورًا	خِدَاعًا وَبَاطِلًا.
جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ	مُجْتَهِدِينَ فِي الْحَلْفِ بِأَعْلَظِ الْأَيْمَانِ.
يَحِيقُ	يُحِيطُ، وَيَنْزِلُ.

## ● العمل بالآيات

١. تواصل أنت وزميلك على عمل صالح تقومان به، ﴿لَنْ يَغْدِلَ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾.
٢. تعبد الله باسمه الحليم الغفور، وقل: يا حليم احلم علي ولا تعذبني، يا غفور اغفر لي وارحمني، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُعْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْ تَرَوْنَهَا وَلَئِنْ رَأَيْتُمُ السَّمَكَيْنِ يَخْرُجَانِ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِمَا إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾.
٣. شاهد هيلما وذائقا، أو صورا عن براكين أو زلازل أو فيضانات، متاملا قدرة الله عز وجل وضعف البشر، ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾.

## ● التوجيهات

١. الكفر والعصية يزيدان العبد عند الله تعالى مقْتًا وبغْضًا، ﴿وَلَا يُرِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا مُقْتًا وَلَا يُرِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا مُقْتًا﴾.
٢. اعلم أن عود الظالمين بعضهم لبعض غرور وكذب؛ فاحذر الاغترار بهم، ﴿لَنْ يَغْدِلَ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾.
٣. ابشر ولا تخف؛ فإن المكر السيء لا يحيق إلا بأهله، ﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ يُعْجِزُهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾.

الآية (٣٩): ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكَ خَلْقًا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: يخلف قوم لآخرين قبلهم، وجبل لحبل قبلهم؛ كما قال: ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ [النمل: ٦٧]. ﴿فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ كُفْرِهِ﴾ أي: فإنما يعود وبال ذلك على نفسه دون غيره.

﴿وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ إِلَّا مَقْتًا﴾ أي: كلما استمروا على كفرهم أبغضهم الله، وكلما استمروا فيه خسروا أنفسهم وأهلهم يوم القيامة، بخلاف المؤمنين؛ فإنهم كلما طال عُمرُ أحدهم وحسن عمله، ارتفعت درجته ومنزلته في الجنة، وزاد أجره، وأجبه خالقه وبأثره رب العالمين.

الآية (٤٠): يقول تعالى لرسوله ﷺ أن يقول للمشركين: ﴿أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: من الأصنام والأنداد ﴿أَرَأَيْتُمْ مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ﴾ أي: ليس لهم شيء من ذلك، ما يملكون من قطعير.

وقوله: ﴿أَرَأَيْتَهُمْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتُوبُوا﴾ أي: أم أنزلنا عليهم كتابًا بما يقولون من الشرك والكفر؟! ليس الأمر كذلك.

﴿بَلْ يَنْذِرُ الَّذِينَ الظَّالِمِينَ﴾ أي: بل إنما اتبعوا في ذلك أهواءهم وآراءهم وأمانيتهم التي تمنوها لأنفسهم، وهي غرور وباطل وزور.

الآية (٤١): ثم أخبر تعالى عن قدرته العظيمة التي بها تقوم السماء والأرض عن أمره، وما جعل فيها من القوة الماسكة لها، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُنْزِلُ السَّمَاءَ مَطَرًا ثُمَّ يَكْبِتُ الْأَرْضَ﴾ أي: أن تضطربا عن أماكنها؛ كما قال: ﴿وَيُنْزِلُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا لِبَذْيِهِ﴾ [الحج: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾ [الروم: ٢٥].

﴿وَلَكِنْ زَالًا إِذِ انْشَقَّتْ عَنْهُمْ سِجَابَةُ الْعَرِيِّنَ﴾ أي: لا يقدر على دواهما وإبقائهما إلا هو، وهو مع ذلك حلیم غفور، أي: يرى عباده وهم يكفرون به ويعصونه، وهو يحلم فيؤخر ويُظفر ويؤجل ولا يعجل، ويستر آخرين ويغفر؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾.

الآية (٤٢-٤٣): يخبر تعالى عن قريش والعرب أنهم أقسموا بالله جهد أيمانهم، قبل إرسال الرسول إليهم: ﴿لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ يَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ﴾ أي: من جميع الأمم الذين أرسل إليهم الرسل. قاله الضحاک وغيره؛ كقوله تعالى: ﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ إِلَهُكُمُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ بَيْنِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ﴾ أو تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لَخِفَّ عَلَيْكَ لَخِفَّ لَكَ أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكَ كُفْرٌ مِنْ رَبِّكَمْ وَهَدًى وَرَحْمَةً مِنْ ظِلِّهِ وَمَنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا﴾ [الأنعام: ١٥٦-١٥٧]، وكقوله تعالى: ﴿وَلَنْ كَانُوا يَقُولُونَ ﴿٣٧﴾ لَوْ أَنَّ عَلَيْنَا لِقَاءَ رَبِّكَ إِذْ أَنْزَلْنَا الْقُرْآنَ عَلَى الْمُجْرِمِينَ ﴿٣٨﴾ لَكَانَ عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٣٩﴾ فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ وهو: محمد ﷺ، بما أنزل معه من الكتاب العظيم، وهو القرآن المبين ﴿مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ أي: ما ازدادوا إلا كفرًا إلى كفرهم.

ثم بين ذلك بقوله: ﴿اسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: استكبروا عن اتباع آيات الله، ﴿وَمَكَرَ النَّاسُ﴾ أي: ومكروا بالناس في صدهم إياهم عن سبيل الله.

﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ أي: وما يعود وبال ذلك إلا عليهم أنفسهم دون غيرهم. وقال محمد بن كعب القرظي: ثلاث من فعلهن لم يَنْجُ حتى ينزل به: مَنْ مَكَرَ أَوْ بَغَى أَوْ نَكَتَ، وتصديقها في كتاب الله: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾، ﴿لَئِنَّمَا بِعَيْتِكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ [يونس: ٢٣]. ﴿فَمَنْ نَكَتَ فَلَئِنَّمَا يَنْتَكُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ [التغ: ١٠].

وقوله: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ﴾ يعني: عقوبة الله لهم على تكذيبهم رسله ومخالفتهم أمره.

﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ أي: لا تغير ولا تبدل، بل هي جارية كذلك في كل مكذب.

﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ أي: وإذا أراد الله يَقْوِرَ شَيْئًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ﴾ [الرعد: ١١]، ولا يكشف ذلك عنهم، ويعوله عنهم أحد، والله أعلم.

الآية (٤٤): يقول تعالى: قل يا محمد هؤلاء المكذبين بما جتهدتم به في الرسالة: سيروا في الأرض، فانظروا كيف كان عاقبة الذين كذبوا الرسل؟! كيف ﴿دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أُمُتَالُهُمْ﴾ [محمد: ١٠]، فَحَلَّتْ مِنْهُمْ مَنَازِلُهُمْ، وشَلُّوا ما كانوا فيه من النعم بعد كمال القوة، وكثرة العدد والعُدَّة، وكثرة الأموال والأولاد، فما أغنى ذلك شيئًا، ولا دفع عنهم من عذاب الله من شيء، لما جاء أمر ربك؛ لأنه تعالى لا يعجزه شيء، إذا أراد كونه في السموات والأرض ﴿إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ أي: عليم بجميع الكائنات، قدير على مجموعها.

كَلِمَتٍ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ  
الْأَلِيمَ ﴿يونس: ١٩٦-١٩٧﴾ ثم قال: من منعه الله لا يستطيع.

الآية (١٠-١١): قوله: ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: قد ختم الله عليهم بالضلالة، فما يفيد فيهم الإنذار ولا يثأرون به؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿يونس: ١٩٧-١٩٨﴾.  
قوله: ﴿إِنَّمَا شِذْرٌ مِّنْ أَتْبَعِ الْكَفَرِ﴾ أي: إنما يتبع بإنذارك المؤمنون الذين يتبعون الذكر، وهو القرآن العظيم، ﴿وَحِثَّى الرَّحْمَنَ بِالْقَيْبِ﴾ أي: حيث لا يراه أحد إلا الله، يعلم أن الله مطلع عليه، وعالم بما يفعله ﴿فَبَيْتَهُ بِغَفْرَةٍ﴾ أي: لذنوبه ﴿وَأَخْبَرِ كَرِيمٍ﴾ أي: كبير واسع حسن جميل؛ كما قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الملك: ١٢].

الآية (١٢): قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى﴾ أي: يوم القيامة، وفيه إشارة إلى أن الله تعالى يحيي قلب من يشاء من الكفار الذين قد ماتت قلوبهم بالضلالة، فيهديهم بعد ذلك إلى الحق؛ كما قال بعد ذكر قسوة القلوب: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الحديد: ١٧]. قوله: ﴿وَنَكُتُ مَا قَدَّمُوا﴾ أي: من الأعمال. وفي قوله: ﴿وَنَاقِرُهُمْ﴾ قولان: أحدهما: نكتب أعمالهم التي باسروها بأنفسهم، وآثارهم التي أثروها من بعدهم، فنحزيم على ذلك أيضًا، إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر؛ كقوله ﷺ: «إذا مات ابن آدم، انقطع عمله إلا من ثلاث: من علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له، أو صدقة جارية من بعده» [رواه مسلم]. والقول الثاني: أن المراد بذلك آثار خطاهم إلى الطاعة أو المعصية. قال مجاهد: ﴿مَا قَدَّمُوا﴾: أعمالهم ﴿وَنَاقِرُهُمْ﴾: خطاهم بأرجلهم. قال قتادة: لو كان الله تعالى مُغْفِلًا شيئًا من شأنك يا ابن آدم، أغفل ما تُعفي الرياح من هذه الآثار، ولكن أحصى على ابن آدم أثره وعمله كله، حتى أحصى هذا الأثر فيها هو من طاعة الله أو من معصيته، فمن استطاع منك أن يكتب أثره في طاعة الله فليفعل.

عن جابر بن عبد الله قال: خلت البقاع حول المسجد، فأراد بنو سلمة أن ينتقلوا قرب المسجد، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال لهم: «إنه بلغني أنكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد». قالوا: نعم، يا رسول الله، قد أردنا ذلك. فقال: «يا بني سلمة، دياركم تكتب آثاركم، دياركم تكتب آثاركم» [رواه مسلم]. وهذا القول لا تنافي بينه وبين الأول، بل في هذا تنبيه ودلالة على ذلك بطريق الأولى والأخرى؛ فإنه إذا كانت هذه الآثار تكتب، فلأن تكتب تلك التي فيها قُدوة بهم من خير أو شر بطريق الأولى، والله أعلم. ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَارٍ تُبَيِّنُ﴾ أي: جميع الكائنات مكتوب في كتاب مسطور مضبوط في لوح محفوظ، والإمام المين ههنا هو أم الكتاب.

الآية (٤٥): قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكْنَا عَلَى ظَهْرِهِا مِّنْ ذَنْبٍ﴾ أي: لو أخذهم بجميع ذنوبهم لأهلك جميع أهل الأرض، وما يملكونه من دواب وأوراق. عن عبد الله بن مسعود قال: كاد الجعل أن يُعذب في جُجْره بذنوب ابن آدم، ثم قرأ: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكْنَا عَلَى ظَهْرِهِا مِّنْ ذَنْبٍ﴾. وقال سعيد بن جبير والشدي: أي: لئلا يساقمهم المطر، فمات جميع الدواب.

﴿وَلَكِنْ يُخَذِّرُهُم لِّئَلَّا أَهْلَ شَيْءٍ﴾ أي: ولكن يُنْظِرُهُم إلى يوم القيامة، فيحاسبهم يومئذ، ويوفي كل عامل بعمله، فيجازي بالثواب أهل الطاعة، وبالعقاب أهل المعصية؛ ولهذا قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾.

تفسير سورة يس

وهي مكية. [وعدد آياتها (٨٣) آية].  
الآية (١-٥): قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة. ﴿وَالْقُرْآنَ الْمَكِيدَ﴾ أي: المحكم الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ [صلى: ٤٢]. ﴿إِنَّكَ﴾ أي: يا محمد ﴿لِّمَنِ الْوَسِيلِينَ﴾ ﴿عَلَّ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ أي: على منهج ودين قويم، وشرع مستقيم ﴿تَزِيلُ الْغَمِّزِ الرَّحِيمِ﴾ أي: هذا الصراط والمنهج والدين الذي جئت به تنزيل من رب العزة، الرحيم بعباده المؤمنين؛ كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ ﴿صِرَاطُ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٢-٥٣].

الآية (٦-٧): ﴿لَنُنْزِلَنَّ قُرْآنًا مِّنْ أَنْزَارٍ مَا تَوْفَهُمْ غَفِيلُونَ﴾ يعني بهم العرب؛ فإنه ما أتاهم من نذير من قبله. وذكُرهم وحدهم لا ينفي من عداهم، كما أن ذكر بعض الأفراد لا ينفي العموم. ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَّ أَكْثَرِهِمْ﴾ قال ابن جرير: لقد وجب العذاب على أكثرهم بأن الله قد حتم عليهم في أم الكتاب أنهم لا يؤمنون ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بالله، ولا يصدقون رسله.

الآية (٨): يقول تعالى: إنا جعلنا هؤلاء المحتوم عليهم بالشقاء نسيبتهم إلى الوصول إلى الهدى كنسبة من جُبل في عتقه غُل، فجَمَعَ يديه مع عتقه تحت ذقنه، فارتفع رأسه، فصار مُقَمَّحًا؛ ولهذا قال: ﴿فَهُمْ مُّقَمَّحُونَ﴾ والمقمح: هو الرفع رأسه. واكتفى بذكر الغُل في العنق عن ذكر اليدنين، وإن كانتا مرادتين، والغُل إنما يُعرف فيها تجمع اليدنين مع العنق. قال ابن عباس: هو كقوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ﴾ [الإسراء: ٢٩] يعني بذلك: أن أيديهم موقوفة إلى أعناقهم، لا يستطيعون أن يسطوها بخير. وقال مجاهد: رافمو رؤوسهم، وأيديهم موضوعة على أفواههم، فهم مغلولون عن كل خير.

الآية (٩): قوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَكَاً﴾ قال مجاهد: عن الحق. ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَكَاً﴾ قال مجاهد: عن الحق، فهم يترددون. وقال قتادة: في الضلالت. قوله: ﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ﴾ أي: أغشينا أبصارهم عن الحق ﴿فَهُمْ لَا يَبْصُرُونَ﴾ أي: لا يتفهمون بخير ولا يهتدون إليه. وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: جعل الله هذا السد بينهم وبين الإسلام والإيمان، فهم لا يخلصون إليه، وقرأ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ



﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا  
مِنْ دَابَّةٍ ﴾

**السؤال: هل يصل أثر ذنوب العباد إلى الدواب والبهائم؟**

**السؤال:** تأخر عقوبة المشرِك ليس علامة على صحة حاله، كيف وضحت الآية الجريمة ذلك؟

**السؤال: ما أقوى أدلة رسالة النبي ﷺ؟**

السؤال: لماذا جاء وصف (الرَّحْمَن) دون اسم الجلالة (الله) تعالى في الآية الكريمة؟ ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتُومَ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآخَرَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾

السؤال : ما أهمية تركك لأثر حسن بعد وفاتك؟ وما عاقبة ترك الأثر السيء؟ ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَحْيُ الْمَوْتَىٰ وَنَعْلَمُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ ﴾

وهي آثار الخير وآثار الشر التي كانوا هم السبب في إيجادها في حال حياتهم وبعد وفاتهم ... وهذا الموضع يبين لك علوم مرتبة الدعوة إلى الله، والهادية إلى سبيله بكل وسيلة وطريق موصل إلى ذلك، ونزول درجة الداعي إلى الشر الإمام فيه، وأنه أسفل الخليقة، وأشدهم جرماً، وأعظمهم إثماً. السعدي: ٦٩٣.

السؤال: نُنّ مرتبة الدعوة إلى الله من خلال هذه الآيات.

وَلَوْ يَأْخُذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهَرِهَا  
مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا  
جَاءَ أَجَلُهُمْ فَأَرَبَ اللَّهُ كَانَ بَعْدَ دَهْرٍ مُّبْصِرًا ﴿٤٥﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يس ﴿١﴾ وَالْقُرْآنَ إِذَا الْحَكِيمَ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنْزِيلَ الْقُرْآنِ الرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِنُذِيرَ قَوْمًا مَّا أَذِيرَ ﴿٦﴾ أَبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ﴿٧﴾ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٨﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَنْعَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَا لَهُمْ فَهْمَهُمْ لَا يَبْصُرُونَ ﴿١٠﴾ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ إِنَّمَا نُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْعَلِيمَ ﴿١٢﴾ فَيَسْتَعِذُّ بِعَفْوِهِ وَأَجْرِهِ يَوْمَ دُرَيْدٍ ﴿١٣﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآخَرَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴿١٤﴾

33.

الكلمة	المعنى
جُمِعَتْ أَيْدِيهِمْ إِلَىٰ أَعْنَاقِهِمْ؛ تَثْبِيلٌ لِشِدَّةِ إِعْرَاضِهِمْ.	جُمِعَتْ أَيْدِيهِمْ إِلَىٰ أَعْنَاقِهِمْ؛ تَثْبِيلٌ لِشِدَّةِ إِعْرَاضِهِمْ.
مُقْمَحُونَ	رَافِقُونَ رُؤُوسَهُمْ، لَا يَسْتَطِيعُونَ خَفْضَهَا.
فَأَغْشَيْنَاهُمْ	أَعْمَيْنَا أَبْصَارَهُمْ.
وَأَنَارَهُمْ	مَا سَنُّوهُ، وَأَبْقَوْهُ مِنْ خَيْرٍ وَشُرِّ.

١. تذكر موعظة سمعتها واتبع ماجاء فيها من وصايا حتى تبشر بمغفرة  
وأجر كريم، ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنََ الْغَيْبُ فَبَشِّرْهُ  
بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ۝

٢. اختر عملاً يبقى أثره بعد موتك، واعمل به اليوم؛ كالمساعدة في بناء مسجد، أو دعوة غير مسلم إلى الإسلام، أو تعليم جاهل شيئاً، أو نحو ذلك، ﴿وَنَكُتِبْ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ﴾.

٣. اذهب إلى المسجد ماشياً تكتب لك خطواتك، ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتِ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآخَّرَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾.

١. تيقن ان من حان اجله فلن يتاخر عنه لحظة واحدة، وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَهْلِهِمْ فَاِذَا حُيِّئُوا لَهُمْ اٰجُلُهُمْ قَالُوا لَا إِلٰهَ اِلَّا اللَّهُ كَانَ يَعْبَادُهُمْ نُصْرًا ۚ

٢. من حق عليه العذاب فلا تنفع فيه الندارة، ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُرْمُونَ﴾.

٣. إِذَا خَشِيتُ مِنْ ظُلْمِ ظَالِمٍ فَقُلْ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَكْنًا مِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ ﴾

تعيين تلك القرية لو كان فيه فائدة لعينها الله ... ما تعرف به ان طريق العلم الصحيح الوقوف مع الحقائق، وترك التعرض لما لا فائدة فيه، وبذلك تزكو النفس، ويزيد العلم من حيث يظن الجاهل ان زيادته بذكر الأقوال التي لا دليل عليها، ولا حجة عليها، ولا يحصل منها من الفائدة إلا تشويش الذهن واعتماد الأمور المشكوك فيها. السعدي: ٦٩٣.

السؤال: ما الطريقة المثلى للتعامل مع المبهمات في القرآن؟ ولماذا؟

﴿ قَالُوا طَائِفُكُمْ مَعَكُمْ أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّشْرِكُونَ ﴾

وقولهم عليهم السلام: (طائفتكم معكم) معناه: حظكم وما صار إليه من خير وشر معكم؛ أي: من أفعالكم ومن تكسباتكم، ليس هو من أجلنا ولا بسببنا، بل ببغيتكم وكفركم، وبهذا فسر الناس. وسمي الحظ والنصيب طائرا استعارة؛ أي: هو مما تحصل عن النظر في الطائر. ابن عطية: ٤٥٠/٤.

السؤال: في الآية رد على من يرى التطير بشيء والتشاؤم منه، وضع ذلك.

﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَنْفَوْرُ أَكْبُوهَا الْمُرْسَلِينَ ﴾

ووصف الرجل بالسعي يفيد أنه جاء مسرعا، وأنه بلغه هم أهل المدينة برجم الرسل أو تعذيبهم، فأراد أن ينصحهم خشية عليهم وعلى الرسل، وهذا ثناء على هذا الرجل يفيد أنه ممن يقتدى به في الإسراع إلى تغيير المنكر. ابن عاشور: ٣٦٦/٢٢.

السؤال: ما فائدة الوصف بالجملة الفعلية: (يسعى) في الآية التريمية؟

﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَنْفَوْرُ أَكْبُوهَا الْمُرْسَلِينَ ﴾

وبهذا يظهر وجه تقديم (من أقصى المدينة) على (رجل) للاهتمام بالثناء على أهل أقصى المدينة، وأنه قد يوجد الخير في الأطراف ما لا يوجد في الوسط، وأن الإيمان يسبق إليه الضعفاء؛ لأنهم لا يصعبهم عن الحق ما فيه أهل السيادة من ترف وعظمة؛ إذ المعتاد أنهم يسكنون وسط المدينة. ابن عاشور: ٣٦٥/٢٢.

السؤال: لماذا قُدم لفظ (من أقصى المدينة) على (رجل)؟

﴿ أَنْبِئُوا مَنْ لَا يَسْتَلْكَوْا أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴾

أي: هؤلاء المرسلون لا يسألونكم أجره على الإيمان، فلا تخسرون معهم شيئا من دنياكم، وتريحون معهم الاهتداء في دينكم. ابن جزي: ٢٢٢/٢.

السؤال: ذكرت الآية عاملين من عوامل صدق الداعي، فما هما؟

﴿ أَنْبِئُوا مَنْ لَا يَسْتَلْكَوْا أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴾

(اتبعوا من لا يسألكم أجرا) أي: اتبعوا من نصحبكم نصحا يعود إليكم بالخير، وليس يريد منكم أموالكم، ولا أجرا على نصحه لكم وإرشاده إياكم، فهذا موجب لاتباع من هذا وصفه. بقي أن يقال: فلهذا يدعو ولا يأخذ أجرا، ولكنه ليس على الحق، فدفع هذا الاحتراز بقوله: (وهم مهتدون)؛ لأنهم لا يدعون إلا ما يشهد العقل الصحيح بحسنه، ولا ينهون إلا بما يشهد العقل الصحيح ببقبحه. السعدي: ٦٩٤.

السؤال: لماذا ختمت الآية بقوله سبحانه: (وهم مهتدون)؟

﴿ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَلَيْتُ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾

وفي هذه الآية تنبيه عظيم، ودلالة على وجوب كظم الغيظ، والحلم عن أهل الجهل، والترؤف على من أدخل نفسه في غمار الأشرار وأهل البغي، والتشمر في تخليصه، والتلطف في اقتدائه، والاشتغال بذلك عن الشماتة به والدعاء عليه، ألا ترى كيف تمنى الخير لقتله والباغين له الفوائل، وهم كفرة عبدة أصنام. القرطبي: ٤٣٣/١٧.

السؤال: ما الخلق العظيم الذي يتعلمه المؤمن من هذه الآية؟

وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٥١﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَرَزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا كَذِبُونَ ﴿٥٣﴾ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿٥٤﴾ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٥٥﴾ قَالُوا إِنَّا أَنْطَرْنَا بِكُمْ لِنَنْتَهِيَهُمْ فَارْجِعُوا لِرَبِّكُمْ فَعَلِمَ أَنَّ لَكُمْ بِئْسَ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٦﴾ قَالُوا أَطِيعُوا أَمْرًا دُخِرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّشْرِكُونَ ﴿٥٧﴾ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَنْفَوْرُ أَكْبُوهَا الْمُرْسَلِينَ ﴿٥٨﴾ أَنْبِئُوا مَنْ لَا يَسْتَلْكَوْا أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدَ الَّذِي فَطَرَنِي وَالَّذِي لِلَّهِ رَجُوعُونَ ﴿٦٠﴾ أَعْتَذِرُ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا إِنْ يُرِيدَنَّ الزَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُفِيدُونِ ﴿٦١﴾ إِنْ لِيَ إِلَّا الْفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٦٢﴾ إِنْ لِيَ إِلَّا أَمْنٌ بِرَيْحِكُمْ فَأَسْمَعُونَ ﴿٦٣﴾ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَلَيْتُ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٦٥﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
فَعَزَزْنَا	أَيَّدْنَا، وَقَوَّيْنَا.
تَطْهِيرًا بِكُمْ	تَشَاءَمًا بِكُمْ.
طَائِفُكُمْ مَعَكُمْ	شُؤْمُكُمْ، وَأَعْمَالُكُمْ مِنَ الشَّرِّ وَالشَّرِّ مَعَكُمْ، وَمَرُودَةٌ عَلَيْكُمْ.
أَنْبِئُوا مَنْ لَا يَسْتَلْكَوْا أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ	أَنْبِئُوا مَنْ لَا يَسْتَلْكَوْا أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ؟
يَسْعَى	يُسْرِعُ فِي شَيْءٍ.
فَطَرَنِي	خَلَقَنِي.

## ● العمل بالآيات

١. اذهب إلى مجموعة من الغافلين عن الصلاة، وانصحهم بأدائها، ﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَنْفَوْرُ أَكْبُوهَا الْمُرْسَلِينَ ﴾.
٢. انصر أحد الصالحين أو الدعاة وبين فضله وسيرته، وانشرها برسالة أو باي وسيلة أخرى، ﴿ أَنْبِئُوا مَنْ لَا يَسْتَلْكَوْا أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴾.
٣. اعذر إلى الله بإبلاغ حق، أو إنكار منكر، ﴿ قَالَ يَنْفَوْرُ أَكْبُوهَا الْمُرْسَلِينَ ﴾.

## ● التوجيهات

١. اتبع الرسل، واقتف الرهم، ﴿ قَالَ يَنْفَوْرُ أَكْبُوهَا الْمُرْسَلِينَ ﴾.
٢. لا تسأل أجرا على دعوتك؛ فهذا من أسباب القبول، ﴿ أَنْبِئُوا مَنْ لَا يَسْتَلْكَوْا أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴾.
٣. كن محبا لهداية الناس لا لعذابهم، فذلك من أعظم ما يتخلق به الداعية الرباني، ﴿ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَلَيْتُ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾.

قوله: ﴿أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ أي: من أجل أننا  
 ذُكِّرناكم وأمرناكم بتوحيد الله وإخلاص العبادة له، قابلتمونا بهذا



الآية (٢٨-٢٩): يخبر تعالى أنه انتقم من قومه بعد قتلهم إياه، غضباً منه تعالى عليهم؛ لأنهم كذبوا رسله، وقتلوا وليه. ويذكر تعالى أنه ما أنزل عليهم، وما احتاج في إهلاكه إياهم إلى إنزال جند من الملائكة عليهم، بل الأمر كان أيسر من ذلك. قال ابن مسعود: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنْ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾ أي: ما كانوا هم بالجموع، الأمر كان أيسر علينا من ذلك: ﴿إِنْ كُنْتُمْ إِلَّا صِغَرةً وَجِدَّةً فَإِذَا هُمْ خَشِيدُونَ﴾ قال: فأهلك الله ذلك الملك، وأهلك أهل أنطاكية، فبادوا عن وجه الأرض، فلم يبق منهم باقية. وقيل: وما كنا ننزل الملائكة على الأمم إذا أهلكناهم، بل نبعث عليهم عذاباً يدمرهم. وقيل: المعنى في قوله: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنْ السَّمَاءِ﴾ أي: من رسالة أخرى إليهم. قال قتادة: فلا والله ما عاتب الله قومه بعد قتله، ﴿إِنْ كُنْتُمْ إِلَّا صِغَرةً وَجِدَّةً فَإِذَا هُمْ خَشِيدُونَ﴾. قال ابن جرير: والأول أصح؛ لأن الرسالة لا تسمى جنداً. قال المفسرون: بعث الله إليهم جبريل عليه السلام فأخذ بعضهم باب بلدهم، ثم صاح بهم صيحة واحدة، فإذا هم خامدون عن آخرهم، لم يبق فيهم روح تردد في جسد. وقد ذكر أبو سعيد الخدري وغير واحد من السلف: أن الله تعالى بعد إنزاله التوراة لم يهلك أمة من الأمم عن آخرهم بعذاب يبعثه عليهم، بل أمر المؤمنين بعد ذلك بقتال المشركين؛ ذكروه عند قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى﴾ [النقص: ٤٣]. فعلى هذا يتعين أن هذه القرية قرية أخرى غير أنطاكية، كما أطلق ذلك غير واحد من السلف، أو تكون أنطاكية -إن كان لفظها محفوظاً في هذه القصة- مدينة أخرى غير هذه المشهورة المعروفة؛ فإن هذه لم يعرف أنها أهلكت لا في الملة النصرانية ولا قبل ذلك، والله سبحانه وتعالى أعلم.

الآية (٣٠-٣٢): قال ابن عباس: ﴿يَحْشَرُهُ عَلَى الْعِبَادِ﴾ أي: يا ويل العباد. وقال قتادة: أي: يا حسرة العباد على أنفسهم، على ما ضيعت من أمر الله، وفرطت في جنب الله. ومعنى هذا: يا حسرتهم وندامتهم يوم القيامة إذا عابوا العذاب! كيف كذبوا رسل الله، وخالفوا أمر الله؟! فإنهم كانوا في الدار الدنيا -المكذبون منهم- ﴿يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِنَّ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ أي: يكذبونه ويستهزئون به، ويمجدون ما أرسل به من الحق. ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَرِهَ اللَّهُ قَتْلَهُمْ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُمْ قَتَلُوا دَاوُدَ بْنَ مَرْيَمَ وَإِنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ أي: ألم يتظاولوا بمن أهلك الله قبلهم من المكذبين للرسل؟ كيف لم تكن لهم إلى هذه الدنيا كرامة ولا رجعة! ولم يكن الأمر كما زعم كثير من جهلهم وفجرهم من قولهم: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حِكْمَةٌ تِلْكَ الْأَيَّامُ تَمْوُتُ وَتَحْيَا﴾ [البقرة: ٢٥٧]. ﴿وَلَنْ كُلُّ لَمَنَّا يُرْجَعُ لَدُنَّا مُحْضَرُونَ﴾ أي: وإن جمع الأمم الماضية والآية ستحضر للحساب يوم القيام بين يدي الله ﷻ، فيجازيهم بأعمالهم كلها خيراً وشرها؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَلَّا تَلَّا وَلَئِنْ لَوِيتُمْ لَفُوتُمْ﴾ [مريم: ١١١].

الآية (٣٣-٣٦): ﴿وَأَيُّكُمْ هُمْ﴾ أي: دلالة لهم على وجود الصانع وقدرته التامة وإحيائه الموتى ﴿الْأَرْضُ أَلْبَنَتُ﴾ أي: إذا كانت ميتة هامة لا شيء فيها من النبات، فإذا أنزل الله عليها الماء اهتزت وربت، وأنبتت من كل زوج بهيج؛ ولهذا قال: ﴿أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ أي: جعلناه رزقاً لهم ولأعمالهم. ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَجِيلٍ وَأَعْنَبَ فِيهَا مَصَافِرًا وَمِنْ الْفَيْفِ﴾ أي: جعلنا فيها

أنهاراً سارحة في أمكنة، يحتاجون إليها. ﴿يَأْكُلُونَ مِنْ ثَمَرِهِ﴾ لما امتن على خلقه بإيجاد الزروع لهم؛ عطف بذكر النهر وتنوعها وأصنافها. ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: وما ذاك كله إلا من رحمة الله بهم، لا يسعهم ولا كدهم، ولا يحولهم وقوتهم. ولهذا قال: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ﴾! أي: فهل يشكرونه على ما أنعم به عليهم من هذه النعم التي لا تعد ولا تحصى؟! ثم قال: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ﴾ أي: من زروع ونهار ونبات. ﴿وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ فجعلهم ذكراً وأنثى، ﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: من مخلوقات شتى لا يعرفونها.

الآية (٣٧-٣٨): يقول تعالى: ومن الدلالة لهم على قدرته تعالى العظيمة: خلق الليل والنهار؛ هذا بظلامه، وهذا بضائه، وجعلها يتعاقبان، يحىء هذا فيذهب هذا، ويذهب هذا فيحيىء هذا؛ كما قال: ﴿يَتَنَبَّأُ أَتَيْلُ النَّهَارِ تَطْلُبُهُ حِينَهَا﴾ [الاعراف: ٥٤]؛ ولهذا قال ههنا: ﴿وَأَيُّكُمْ لَّهُمْ أَتَيْلُ سَلَخَ مِنْهُ النَّهَارُ﴾ أي: نصرمه منه فيذهب، فيقبل الليل؛ ولهذا قال: ﴿فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾، كما في الحديث: «إذا أقبل الليل من ههنا، وأدبر النهار من ههنا، وغربت الشمس، فقد أظفر الصبام» [متفق عليه]. وفي معنى ﴿لِيُسْتَفَرَّ لَهُمَا﴾ قولان: أحدهما: أن المراد: مستقرها المكاني، وهو تحت العرش بما يلي الأرض من ذلك الجانب، وهي أينما كانت فهي تحت العرش هي وجميع المخلوقات. والقول الثاني: أن المراد بمستقرها هو: منتهى سيرها، وهو يوم القيامة، يبطل سيرها وتسكن حركتها وتكور، وينتهي هذا العالم إلى غايته، وهذا هو مستقرها الزماني. ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ﴾ أي: الذي لا يخالف ولا يئانع ﴿لَمَلِكِهِ﴾ بجميع الحركات والسكنات، وقد قدر ذلك وقته على منوال لا اختلاف فيه ولا تعاكس؛ كما قال تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ الْإِصْبَاحُ وَجَدْنَاهُ أَتَيْلُ سَكَنًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [الأنعام: ٩٦].

الآية (٣٩-٤٠): ﴿وَالْقَمَرُ قَدَرْتَهُ مَنَازِلَ﴾ أي: جعلناه يسير سيراً آخر يستدل به على مضي الشهور، كما أن الشمس يُعرف بها الليل والنهار؛ كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِيَعْلَمُوا عَدَدَ النَّجْمِ وَالْحِسَابِ﴾ [يونس: ٥]؛ فجعل الشمس لها ضوء يخصها، والقمر له نور يخصه، وفاوت بين سير هذه وهذا. والقمر قدره منازل، يطلع في أول ليلة من الشهر ضليلاً قليل النور، ثم يزداد نوراً في الليلة الثانية، ويرتفع منزلة، حتى يتكامل نوره في الليلة الرابعة عشرة، ثم يشرع في النقص إلى آخر الشهر، حتى يصير كالمرجوج القديم. قال ابن عباس: وهو أصل العِذْق. يعني: أصل العنقود من الرطب إذا عتق ويسس وانحنى. ثم بعد هذا يديه الله جديداً في أول الشهر الآخر. قوله: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾ قال مجاهد: لكل منهما حد لا يعدوه ولا يقصر دونه، إذا جاء سلطان هذا ذهب هذا، وإذا ذهب سلطان هذا جاء سلطان هذا. وقال عكرمة: يعني: أن لكل منهما سلطاناً، فلا ينبغي للشمس أن تطلع بالليل. ﴿وَلَا أَتَيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾ المعنى في هذا: أنه لا فترة بين الليل والنهار، بل كل منهما يعقب الآخر بلا مهلة ولا فراخ؛ لأنها مسخران [دائبان] يتطالبان طلباً حثيثاً. ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ يعني: الليل والنهار، والشمس والقمر، كلهم يسبحون، أي: يدورون في فلك السواء. قال ابن عباس وغير واحد: في فلكة كَفَلَكَةُ الْمَغْرَلِ.



## ● الوقفات التدريبية

﴿ وَمَا أَرْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ ﴾

المعنى أن الله أهلكهم بصيحة صاحها جبريل، ولم يحتج في تعذيبهم إلى إنزال جند من السماء؛ لأنهم أهون من ذلك. ابن جزي: ٢٢٣/٢.

السؤال: من خلال الآية بين ضعف القرى وهوانها على الله إذا أراد عذابها.

﴿ وَمَا أَرْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ ﴾

أي: ما احتجنا أن نتكلف في عقوبتهم فنزل جنداً من السماء لإتلافهم، (وما كنا منزلين) لعدم الحاجة إلى ذلك، وعظمة اقتدار الله تعالى، وشدة ضعف بني آدم، وأنهم أدنى شيء يصيبهم من عذاب الله يكفيهم. السعدي: ٦٩٥.

السؤال: تحدث عن ضعف الجنس البشري من خلال هذه الآية.

﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الَّتِي تَبْلُغُ أَقْسَامَهَا وَأَنْتَ مُدْبِرُ السَّاعَةِ ﴾

يا حسرة من العباد على أنفسهم، وتندماً وتلهفاً في استهزائهم برسول الله عليهم السلام. القرطبي: ٤٣٦/١٧.

السؤال: ما سبب وقوع الحسرة من العبادة؟

﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الَّتِي تَبْلُغُ أَقْسَامَهَا وَأَنْتَ مُدْبِرُ السَّاعَةِ ﴾

نبههم الله تعالى بهذا على إحياء الموتى، وذكرهم توحيده وكمال قدرته، وهي الأرض الميتة؛ أحيائها بالنبات وإخراج الحب منها. القرطبي: ٤٤٠/١٧.

السؤال: ما الفائدة من ذكر الأرض الميتة وإحيائها في هذا الموضع؟

﴿ سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ وَمِثْلَهَا مَعَهُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾

﴿ وَمِمَّا لَا يُبْلَغُونَ ﴾

أي: عجباً لهؤلاء في كفرهم مع ما يشاهدونه من هذه الآيات، ومن تعجب من شيء قال: سبحان الله. القرطبي: ٤٤١/١٧.

السؤال: ماذا يقول الإنسان عند التعجب من شيء؟

﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الَّتِي تَبْلُغُ أَقْسَامَهَا وَأَنْتَ مُدْبِرُ السَّاعَةِ ﴾

﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الَّتِي تَبْلُغُ أَقْسَامَهَا وَأَنْتَ مُدْبِرُ السَّاعَةِ ﴾

﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الَّتِي تَبْلُغُ أَقْسَامَهَا وَأَنْتَ مُدْبِرُ السَّاعَةِ ﴾

﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الَّتِي تَبْلُغُ أَقْسَامَهَا وَأَنْتَ مُدْبِرُ السَّاعَةِ ﴾

﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الَّتِي تَبْلُغُ أَقْسَامَهَا وَأَنْتَ مُدْبِرُ السَّاعَةِ ﴾

﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الَّتِي تَبْلُغُ أَقْسَامَهَا وَأَنْتَ مُدْبِرُ السَّاعَةِ ﴾

﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الَّتِي تَبْلُغُ أَقْسَامَهَا وَأَنْتَ مُدْبِرُ السَّاعَةِ ﴾

﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الَّتِي تَبْلُغُ أَقْسَامَهَا وَأَنْتَ مُدْبِرُ السَّاعَةِ ﴾

﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الَّتِي تَبْلُغُ أَقْسَامَهَا وَأَنْتَ مُدْبِرُ السَّاعَةِ ﴾

﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الَّتِي تَبْلُغُ أَقْسَامَهَا وَأَنْتَ مُدْبِرُ السَّاعَةِ ﴾

﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الَّتِي تَبْلُغُ أَقْسَامَهَا وَأَنْتَ مُدْبِرُ السَّاعَةِ ﴾

﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الَّتِي تَبْلُغُ أَقْسَامَهَا وَأَنْتَ مُدْبِرُ السَّاعَةِ ﴾

﴿ وَمَا أَرْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ ﴾ ١  
﴿ إِنَّكَ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴾ ٢  
﴿ يَحْسَرُونَ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ ٣  
﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا كَمَا أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ ٤  
﴿ وَإِن كُلُّ لَمَنَّا لجَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾ ٥  
﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الَّتِي تَبْلُغُ أَقْسَامَهَا وَأَنْتَ مُدْبِرُ السَّاعَةِ ﴾ ٦  
﴿ فَبِئْسَ الْيَاكُلُونَ ﴾ ٧  
﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّن تَجْوِيلٍ ﴾ ٨  
﴿ وَأَعْنَبٍ وَفَجْرَافٍ فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴾ ٩  
﴿ يَأْكُلُونَ مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾ ١٠  
﴿ سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ وَمِثْلَهَا مَعَهُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ ١١  
﴿ وَمِمَّا لَا يُبْلَغُونَ ﴾ ١٢  
﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الَّتِي تَبْلُغُ أَقْسَامَهَا وَأَنْتَ مُدْبِرُ السَّاعَةِ ﴾ ١٣  
﴿ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴾ ١٤  
﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ﴾ ١٥  
﴿ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ ١٦  
﴿ وَالْقَمَرَ قَدْرَ ذَرَّةٍ مِّنَ مَنَازِلِ حَتَّىٰ ﴾ ١٧  
﴿ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيرِ ﴾ ١٨  
﴿ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا آيِلُ سَابِقِ الثَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ ١٩

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
خَامِدُونَ	مَيِّتُونَ، هَامِدُونَ.
مُحْضَرُونَ	نُحْضَرُهُمْ لِلْجَزَاءِ وَالْحِسَابِ.
تَسْلُجُ	تَنْزِعُ.
كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيرِ	مِثْلَ عِنَقِ الْخَلَّةِ الْمُتَّقُوسِ فِي الرُّقَّةِ، وَالْإِنْجَاءِ، وَالضُّفْرَةِ، لِقَدِيمِهِ.
يَسْبَحُونَ	يَجْرُونَ.

## ● العمل بالآيات

١. اقرأ في القرآن قصة من قصص الأنبياء وتأمل ما حل بأقوامهم؛ كقوم فرعون، أو عاد، أو غيرهم، ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا كَمَا أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾.

٢. تأمل بعض الحبوب أو الثمار في طعامك من بذرها حتى وصولها إليك، ثم اشكر الله على نعمه التي لا تحصى، ﴿ يَأْكُلُونَ مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾.

٣. قل في الصباح: «اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا، وبك نحيا وبك نموت، وإليك النشور»، وفي المساء: «اللهم بك أمسينا وبك أصبحنا، وبك نحيا وبك نموت، إليك المصير»، ﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الَّتِي تَبْلُغُ أَقْسَامَهَا وَأَنْتَ مُدْبِرُ السَّاعَةِ ﴾.

## ● التوجيهات

١. بيان شدة عقوبة الله تعالى لمن عصاه: حيث أهلكهم بصيحة واحدة، قال تعالى: ﴿ إِنَّكَ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴾.

٢. تذكر متول الخلائق كلها بين يدي الله تعالى، ﴿ وَإِن كُلُّ لَمَنَّا لجَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾.

٣. تفكر في مخلوقات الله تعالى، في الأرض وثمارها، وفي السماء وكواكبها، ﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الَّتِي تَبْلُغُ أَقْسَامَهَا وَأَنْتَ مُدْبِرُ السَّاعَةِ ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿وَأَيُّكُمْ أَتَى حَمَلًا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ﴾

وذكر الذرية لضعفهم عن السفر، فالتفتهم فيها امكن.  
ابن عطية: ٤٥٥/٤.

السؤال: ما وجه ذكر الذرية في الآية؟

﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾

(وهم يَخِصِّمُونَ) أي: وهم لا هم عنها، ثم تخطر على قلوبهم في حال خصوصتهم وتشاجرهم بينهم، الذي لا يوجد في الغالب إلا وقت الغفلة.  
السعدي: ٦٩٧.

السؤال: لماذا حُصِّ وقت التخاصم دون سائر الأوقات؟

﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾

يعني: يختصمون في أمر الدنيا من البيع والشراء، ويتكلمون في المجالس والأسواق. البغوي: ٦٤٣/٣.

السؤال: بين حال غفلة العباد الذين تقوم فيهم القيامة.

﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾

وخص الأهل بالذكر: لأن القول معهم في ذلك الوقت أهم على الإنسان من الأجنيبين، وأؤكد في نفوس البشر. ابن عطية: ٤٥٧/٤.

السؤال: خص الأهل بالذكر لوجه فما هو؟

﴿قَالُوا يَوَيْلًا مِّنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾

وقيل: إن الكفار لما قال بعضهم لبعض: (من بعثنا من مرقدنا) صدقوا الرسل لما عاينوا ما أخبروهم به، ثم قالوا: (هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون) فكذبنا به؛ أقروا حين لم ينفعهم الإقرار. القرطبي: ٦١٥/١٧.

السؤال: متى يظهر ندم الكفار على عدم الإيمان والتوبة؟

﴿قَالُوا يَوَيْلًا مِّنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾

يعنون: قبورهم التي كانوا يعتقدون في الدار الدنيا أنهم لا يعيشون منها، فلما عاينوا ما كذبوا به في محشرهم قالوا: (يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا)، وهذا لا ينفي عذابهم في قبورهم؛ لأنه بالنسبة إلى ما بعده في الشدة كالرقاد. ابن كثير: ٥٥٢/٣.

السؤال: هل قول المشركين: (من بعثنا من مرقدنا) ينافي عذاب القبر؟

﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾

ولا تحسب أن ذكر الرحمن في هذا الموضع لمجرد الخبر عن وعده،

وإنما ذلك للإخبار بأنه في ذلك اليوم العظيم سيرون من رحمته ما لا يخطر على الظنون، ولا حسب به الحاسبون، كقوله: (الملك يومئذ الحق للرحمن) (الفرقان: ٢٦)، (وخشعت الأصوات للرحمن) (طه: ١٠٨)، ونحو

ذلك مما يذكر اسم الله الرحمن في هذا. تفسير السعدي: ٦٩٧.

السؤال: لماذا حُصِّ اسم الرحمن دون سائر الأسماء في هذا الموقف؟

وَأَيُّكُمْ أَتَى حَمَلًا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ ﴿١﴾ وَظَلَمْنَا لَهُمُ مِن قَبْلُ مِمَّا يَنْبَغِي لَكَ، ﴿٢﴾ وَإِن تَشَاءُ نَرْفَعْهُمْ فَلَا يَصْرِخُ لَهُمْ وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِن آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اقْرَءُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا الَّذِينَ كَفَرُوا بِالَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَعُمُ مِن لَّوْثَاءِ الشَّجَرِ أَن نَّطْعَمَهُ إِنْ أَنشَأْنَا لَهُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨﴾ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا الصَّيْحَةَ وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٠﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمُ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴿١١﴾ قَالُوا يَوَيْلًا مِّنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنْ كُنَّا إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿١٣﴾ قَالِ يَوْمَ لَا تَنْفَعُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تَنْجِي نَفْسٌ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
فَلَا صَرِيحٌ	فَلَا مُفِيدٌ.
يَخِصِّمُونَ	يَخْتَصِمُونَ فِي شُؤْنِ حَيَاتِهِمْ.
الْأَجْدَاثِ	الْقُبُورِ.
يَنْسِلُونَ	يُسْرِعُونَ فِي الْخُرُوجِ.
مَرْقَدِنَا	قُبُورِنَا.

## ● العمل بالآيات

١. تأمل لو لم توجد وسائل النقل الحديثة كيف ستكون معاناتك، ثم اشكر الله تعالى على تسخيرها لنا، ﴿وَأَيُّكُمْ أَتَى حَمَلًا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ﴾ (١) وَظَلَمْنَا لَهُمُ مِن قَبْلُ مِمَّا يَنْبَغِي لَكَ، ﴿٢﴾ وَإِن تَشَاءُ نَرْفَعْهُمْ فَلَا يَصْرِخُ لَهُمْ وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤﴾.
٢. سل الله، والحق عليه بقوله: «اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك»، ﴿وَإِن تَشَاءُ نَرْفَعْهُمْ فَلَا يَصْرِخُ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَدُونَ﴾ (١٣) إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤﴾.
٣. تصدق بجزء من مالك على أحد الفقراء أو المساكين، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اقْرَءُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا الَّذِينَ كَفَرُوا بِالَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَعُمُ مِن لَّوْثَاءِ الشَّجَرِ أَن نَّطْعَمَهُ إِنْ أَنشَأْنَا لَهُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (٧) إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٧﴾.

## ● التوجيهات

١. من ضعف البشرية أنها احتاجت إلى سفينة واحدة لبقاء نسلها في زمن نوح عليه السلام، ﴿وَأَيُّكُمْ أَتَى حَمَلًا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ﴾ (١).
٢. لا ينجي العبد من العذاب الدنيوي والأخروي إلا رحمة الله تعالى، ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ (٤).
٣. إذا سمعت الآية واللوعة فاقبل عليها بقلبك، واعمل بما فيها، ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِن آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ (٦).

الآية (٤٨): يخبر تعالى عن استبعاد الكفرة لقيام الساعة في قولهم: ﴿مَنْ هَذَا الْوَعْدُ؟﴾ يَسْتَعِجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا [الشورى: ١٨].  
 الآية (٤٩-٥٠): قال الله عز وجل: ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ أي: ما ينتظرون إلا صيحة واحدة، وهذه - والله أعلم - نفخة الفزع؛ ينفخ في الصور نفخة الفزع، والناس في أسواقهم ومعاشهم يختصمون ويتشاجرون على عادتهم، فيسبوا هم كذلك إذ أمر الله تعالى إسرائيل فنخ في الصور نفخة يطؤها ويُنْذِها، فلا يبقى أحد على وجه الأرض إلا أصفى ليشاً، ورفع ليشاً - وهي صفحة العنق - تسمع الصوت من قبل السماء. ثم يساق الموجودون من الناس إلى محشر القيامة بالنار، تحيط بهم من جوانبهم؛ ولهذا قال: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ أي: على ما يملكونه، الأمر أهم من ذلك ﴿وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾. ثم تكون بعد هذا نفخة الصق، التي تموت بها الأحياء كلهم ما عدا الحي القيوم، ثم بعد ذلك نفخة البعث.

الآية (٥١): ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ هذه هي النفخة الثالثة، وهي نفخة البعث والنشور للقيام من الأجداد والقبور؛ ولهذا قال: ﴿فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾، والنسلان هو: المشي السريع؛ كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُخْرِجُنَا مِنْ الْأَجْدَاثِ يَرَاهَا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُفُوسِهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ [المارج: ٤٣].  
 الآية (٥٢): ﴿قَالُوا يَوَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا؟﴾ يعنون: قبورهم التي كانوا يعتقدون في الدار الدنيا أنهم لا يبعثون منها، فلما عاينوا ما كذبوه في محشرهم ﴿قَالُوا يَوَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا؟﴾ وهذا لا ينفي عذابهم في قبورهم؛ لأنه بالنسبة إلى ما بعده في الشدة كالرقاد. وقال أبي بن كعب وقادة: ينامون نومة قبل البعث. قال قتادة: وذلك بين النفختين. فلذلك يقولون: ﴿مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا؟﴾ فإذا قالوا ذلك أجابهم المؤمنون - قاله غير واحد من السلف -: ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾. وقال الحسن: إنما يجيبهم بذلك الملائكة. ولا منافاة إذ الجمع ممكن، والله أعلم. وقال عبد الرحمن بن زيد: الجميع من قول الكفار: ﴿يَوَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾. نقله ابن جرير، واختار الأول وهو أصح، وذلك كقوله: ﴿وَقَالُوا يَوَيْلَنَا هَذَا يَوْمَ النَّارِ﴾ ﴿هَذَا يَوْمَ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [الصافات: ٢٠-٢١]، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَعْمُ السَّاعَةَ يُفْسِدُ الْمُجْرِمُونَ مَا لِيُسْأَلَكُمْ عَنْ سَاعَتِهِ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَاسِ فَهَذَا يَوْمَ الْبَاسِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٥٥-٥٦].

الآية (٥٣-٥٤): قوله: ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ كقوله: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ [النار: ١٣-١٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [الحل: ٧٧]، وقال: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِمَحْمُودٍ وَتَنْتَحِرُونَ أَنْ يُغْلَبَ عَلَيْكُمْ﴾ [الاسراء: ٥٢] أي: إنما نأمرهم أمراً واحداً، فإذا الجميع محضرون. ﴿فَإِنَّمَا لَا تُلْغَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ أي: من عملها، ﴿وَلَا تُنْزَوَاتُ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

الآية (٤١): يقول تعالى: ودلالة لهم أيضاً على قدرته تعالى: تسخيره البحر ليحمل السفن، فمن ذلك - بل أوله - سفينة نوح عليه السلام التي أنجاه الله فيها بمن معه من المؤمنين، الذين لم يبق على وجه الأرض من ذرية آدم غيرهم. ولهذا قال: ﴿رَبِّهِمْ أَتَا حَلَّتَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ أي: آباءهم ﴿فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ أي: في السفينة المملوءة من الأمتعة والحيوانات، التي أمره الله أن يحمل فيها من كل زوجين اثنين. قال ابن عباس: المشحون: الموفر. وكذا قال سعيد بن جبير والشعبي وقادة. وقال الضحاك وقادة: وهي سفينة نوح عليه السلام.

الآية (٤٢): قوله: ﴿وَنَلَقْنَاكُمْ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ مَا يَرْكَبُونَ﴾ عن ابن عباس: يعني بذلك: الإبل؛ فإنها سفن البر يحملون عليها ويركبونها. وقال السدي - في رواية - هي الأنعام. وقال ابن جرير عن ابن عباس قال: تدرون ما ﴿وَنَلَقْنَاكُمْ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ مَا يَرْكَبُونَ﴾؟ قلنا: لا. قال: هي السفن، جعلت من بعد سفينة نوح على مثلها. وكذا قال قتادة والسدي. ويقوي هذا المذهب في المعنى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَأْكُلُ الْأَعْيُنَ مِنَ الْبَرِّ لَوْ كُنَّا آلِهَةً﴾ [الحاقة: ١١-١٢].

الآية (٤٣-٤٤): قوله: ﴿وَلَنْ نَسْأَلَ نَفْسَهُمْ﴾ يعني: الذين في السفن ﴿فَلَا صَرِيحٌ لَكُمْ﴾ أي: فلا مغيث لهم مما هم فيه ﴿وَلَا هُمْ يُقْدَرُونَ﴾ أي: مما أصابهم ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا﴾ وهذا استثناء منقطع، تقديره: لكن برحمتنا نسركم في البر والبحر، ونسلمكم إلى أجل مسمى؛ ولهذا قال: ﴿وَمَتَّعْنَا إِلَىٰ الْيَوْمِ﴾ أي: إلى وقت معلوم عند الله.

الآية (٤٥-٤٦): يقول تعالى مخبراً عن تمادي المشركين في غيهم وضلالهم، وعدم اكتراثهم بذنوبهم التي أسلفوها، وما يستقبلون بين أيديهم يوم القيامة: ﴿وَلَدَا قِيلَ لَهُمْ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ قال مجاهد: من الذنوب<sup>(١)</sup>، وقال غيره بالعكس ﴿تَلَكُّوا رُحُومَكُمْ﴾ أي: لعل الله باتقائكم ذلك يرحمكم ويؤمنكم من عذابه. وتقدير كلامه: أنهم لا ينجيهم من ذلك ويعرضون عنه. واكتفى عن ذلك بقوله: ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ أي: على التوحيد وصدق الرسل ﴿وَلَا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ أي: لا يتأملونها ولا يتنبهون بها.

الآية (٤٧): قوله: ﴿وَلَدَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ أي: وإذا أمروا بالإنفاق مما رزقهم الله على الفقراء والمحتاجين من المسلمين ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: عن الذين آمنوا من الفقراء، أي: قالوا لمن أمرهم من المؤمنين بالإنفاق حاججهم فيما أمرهم به: ﴿أَنْفِقْ مِنْ لَوْ يَسَاءَ اللَّهُ أَطْعَمَهُ﴾ أي: هؤلاء الذين أمرغونا بالإنفاق عليهم، لو شاء الله لأغناهم ولأطعمهم من رزقه، فنحن نوافق مشيئة الله فيهم، ﴿إِنْ أَنْتَ إِلَّا فَاكِلٌ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ أي: في أمركم لنا بذلك.

(١) العبارة غامضة، والكلام يشعر بوجود سقط، ويضج بها في تفسير الطبري: «عن مجاهد قوله: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾ قال: ما مضى من ذنوبهم. وعليه فيكون: ﴿وَمَا تَلَكُّوا﴾ معناه: ما لم تعملوه بعد من الذنوب. وبهذا التوضيح تصح عبارة ابن كثير: «وقال غيره بالعكس» أي: جعل ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾ ما يستقبل من الذنوب، ﴿وَمَا تَلَكُّوا﴾ ما مضى منها. [ينظر تفسير الطبري، سورة: يس، الآية ٤٥].

(١) الحجلة: كالقبة تزين بالثياب والستور [القاموس المحيط، مادة (حجل)].  
والمقصود أن الأرائك كالسرر التي تُضَرَّب عليها الستائر المزينة.



## ● الوقفات التدريبية

١ ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكِهِونَ﴾

هذا يؤذن بأن أهل الجنة عجل بهم إلى النعيم قبل أن يبعث إلى النار أهلها، وأن أهل الجنة غير حاضرين ذلك المحضر. ابن عاشور: ٤١/٢٣.

السؤال: من إكرام الله تعالى لأهل الجنة التعجيل بهم إليها. كيف دلت الآية الكريمة على ذلك؟

٢ ﴿وَأَمَّا الْيَوْمَ الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾

قال مقاتل: اعتزلوا اليوم من الصالحين، ... وقال الضحاك: إن لكل كافر في النار بيتاً، يدخل ذلك البيت ويردم بابه بالنار، فيكون فيه أبد الأبد. البغوي: ٦٤٥/٣.

السؤال: كيف يمتاز المجرمون عن أهل الإيمان يوم القيامة؟

٣ ﴿أَلَمْ نَعِدْكُمْ بَنِي إِدْمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾

وهذا التوبيخ يدخل فيه التوبيخ عن جميع أنواع الكفر والمعاصي؛ لأنها كلها طاعة للشيطان وعبادة له. السعدي: ٦٩٨.

السؤال: من الذي يدخل في هذا التوبيخ المذكور في هذه الآية؟

٤ ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَنصِتُهُمْ أَمَّا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾

قيل: لأن اليد مباشرة لعمله، والرجل حاضرة، وقول الحاضر على غيره شهادة، وقول الفاعل على نفسه إقرار بما قال أو فعل، فلذلك عبر عما صدر من الأيدي بالقول، وعما صدر من الأرجل بالشهادة. القرطبي: ٤٧٦/٧.

السؤال: ما سر التعبير بالكلام في حق الأيدي، والشهادة في حق الأرجل؟

٥ ﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ﴾

يخبر تعالى عن ابن آدم أنه كلما طال عمره رد إلى الضعف بعد القوة، والعجز بعد النشاط ... والمراد من هذا -والله أعلم- الإخبار عن هذه الدار بأنها دار زوال وانتقال، لا دار دوام واستقرار. ابن كثير: ٥٥٥/٣.

السؤال: ما المراد من الإخبار عن تنكيس الإنسان عند كبره؟

٦ ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾

روى ابن الفاسم عن مالك أنه سئل عن إنشاد الشعر فقال: لا تكثرن منه، فمن عيبه أن الله يقول: (وما علمناه الشعر وما ينبغي له).

القرطبي: ٤٨٤/٧.

السؤال: هل الإكثار من الشعر محمود؟ وما دليل ذلك؟

٧ ﴿يُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحْيِي الْقَوْلَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾

لينذر القرآن (من كان حياً) يعني: مؤمناً، حي القلب؛ لأن الكافر كالميت في أنه لا يتدبر ولا يتفكر. البغوي: ٦٤٩/٣.

السؤال: من المقصود بالحي والميت في هذه الآية؟

إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكِهِونَ ﴿١﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّ عَلَى الْأَرْشِ مَكِينُونَ ﴿٢﴾ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ ﴿٣﴾ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ ﴿٤﴾ وَأَمَّا الْيَوْمَ الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَعِدْكُمْ بَنِي إِدْمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦﴾ وَأَنْ تَعْبُدُوا فِي هَذَا صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧﴾ وَلَقَدْ أَصَلَّ مِنْكُمْ جِبَلًا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٨﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٩﴾ أَصَلُّوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَنصِتُهُمْ أَمَّا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١١﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَضَلُّوا مَضِيًّا وَلَا يُرْجِعُونَ ﴿١٣﴾ وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحْيِي الْقَوْلَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿١٦﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
الْأَرْشُ	الأسرة المزيّنة.
وَأَمَّا زَوْجُوا	تَمَيَّزُوا وَانْفَصَلُوا عَنِ الْمُؤْمِنِينَ.
لَمَسَخْنَاهُمْ	لَغَيَّرْنَا خُلُقَهُمْ.
مَكَانَتِهِمْ	أَمَاكِنِهِمْ.
مُضْبِيًّا	أَنْ يَمُوتُوا أَمَامَهُمْ.
نُعَمِّرُهُ	نُطِلُّ عُمُرَهُ.
نُنَكِّسُهُ فِي الْخَلْقِ	نُعِدُّهُ إِلَى الْحَالَةِ الَّتِي ابْتَدَأَهَا؛ وَهِيَ الضَّعْفُ.

## ● العمل بالآيات

١. قل: اللهم إني أسألك نعيماً لا ينفد، ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكِهِونَ﴾.
٢. اعمل عملاً صالحاً بجوارحك؛ كمساعدة مسلم، أو إمالة أذى عن الطريق، أو مشي إلى صلاة، أو نحو ذلك، ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَنصِتُهُمْ أَمَّا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.
٣. قل: اللهم إني أعوذ بك أن أرد إلى أذل العمر، أو أن يتخبطني الشيطان عند الموت، ﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾.

## ● التوجيهات

١. انشغال أهل الجنة بالنعيم، مقابل انشغالهم بالطاعات في الدنيا، ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكِهِونَ﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّ عَلَى الْأَرْشِ مَكِينُونَ.
٢. تدبر، ورتل آيات من كتاب الله تعالى، ففيه حياة القلوب، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾.
٣. لا تكثر من الشعر ونحوه؛ كالأناشيد، حتى لا يصرفك عن القرآن الكريم، ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾.



الفاقي  
الصوتي

## ● الوقفات التحذيرية

١ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِنَّا عَمَلَتْ أَيْدِيئَانَا أَنْعَمًا فَمَهُمْ لَهَا مَلِكُونَ﴾  
أي: ضابطون قاهرون، أي: لم يخلق الأنعام وحشية نافرة من بني آدم لا يقدرون على ضبطها، بل هي مسخرة لهم. البغوي: ١٤٩/٣.

السؤال: ما وجه الإنعام بتملك الأنعام وتذليلها للعباد؟

٢ ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمِسَارِبٌ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾

فرع على هذا التكسير والامتنان قوله: (أفلا يشكرون) استفهاماً تعجيبياً؛ لتركهم تكرير الشكر على هذه النعم العدة، فذلك جيء بالمضارع المفيد للتجديد والاستمرار؛ لأن تلك النعم متتالية متعاقبة في كل حين. ابن عاشور: ٩٩/٢٣.

السؤال: دلت الآية الكريمة على أهمية تجديد الشكر لله تعالى في كل حين، كيف ذلك؟

٣ ﴿فَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُيْرَتُونَ وَمَا يُمْلُونُ﴾

إننا نعلم أن الذي يدعوه إلى قيل ذلك الحسد، وهم يعلمون أن الذي جنتهم به ليس بشعر، ولا يشبه الشعر، وإنك لست بكذاب، فنعلم ما يسرون من معرفتهم بحقيقة ما تدعوه إلى، وما يعلنون من جحودهم ذلك بالاستنهم علانية. الطبري: ٥٥٣/٢٠.

السؤال: ما الذي يفيد الداعية من هذه الآية؟

٤ ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُيْرَتُونَ وَمَا يُمْلُونُ﴾

أي: نحن نعلم جميع ما هم فيه، وسنجزيهم وصفهم، ونعاملهم على ذلك: يوم لا يقدسون من أعمالهم جليلاً ولا حقيراً، ولا صغيراً ولا كبيراً، بل يعرض عليهم جميع ما كانوا يعملون قديماً وحديثاً. ابن كثير: ٥٥٨/٣.

السؤال: ما المراد من إخبار الله عن نفسه بأنه يعلم ما يسر وما يعلن الكفار؟

٥ ﴿قُلْ يَحْيِيَا الَّذِي أَنْشَأَنَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾

أي: يعلم العظام في سائر أقطار الأرض وأرجائها أين ذهبت، وأين تفرقت وتمزقت. ابن كثير: ٥٥٩/٣.

السؤال: بين سعة علم الله عز وجل من خلال الآية.

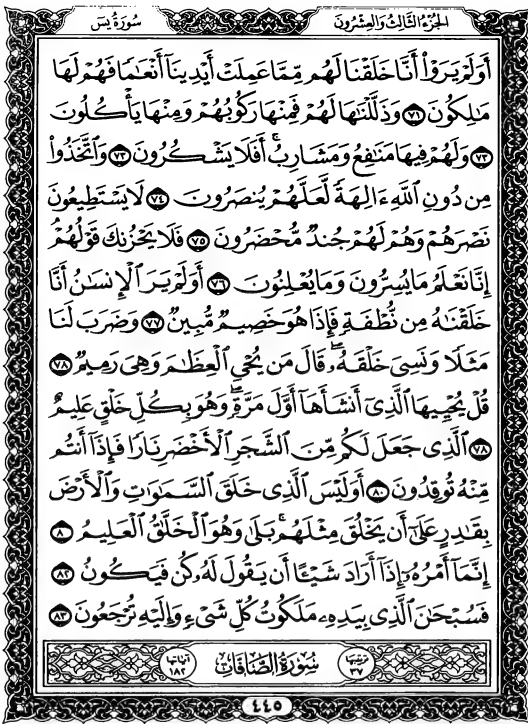
٦ ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ تُوقَدُونَ﴾  
ثم ذكر دليلاً ثالثاً على البعث: (الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون) فإذا أخرج النار اليابسة من الشجر الأخضر الذي هو في غاية الرطوبة، مع تضادها وشدة تخالفهما، فأخراجه الموتى من قبورهم مثل ذلك. السعدي: ٧٠٠.

السؤال: ما وجه الاستدلال بهذه الآية على البعث؟

٧ ﴿فَسَبِّحْ لِلَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾

ما قدرنا الله حق قدره، وكل من أنكر البعث فإنما أنكره لجهله بقدره الله سبحانه وتعالى. ابن جزي: ٢٣٠/٢.

السؤال: ما سبب إنكار الكفار للبعث؟



## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
وَذَلَّلْنَاهَا	سَخَّرْنَاهَا.
رَكُوبُهُمْ	مَا يَرْكَبُونَهُ فِي الْأَسْفَارِ.
خَصِيمٌ	كَثِيرُ الْخِصَامِ.
رَمِيمٌ	بَالِيَةٌ، مُتَفَتِّتَةٌ.

## ● العمل بالآيات

١. اشكر الله تعالى على نعمته المركب والمأكول والمشرب والملبس، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِنَّا عَمَلَتْ أَيْدِيئَانَا أَنْعَمًا فَمَهُمْ لَهَا مَلِكُونَ﴾ (٧١) وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ (٧٢) وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمِسَارِبٌ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾.
٢. قل: اللهم لا تكني إلى نفسي طرفة عين، ولا اقل من ذلك، ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَمْ يَجِدْ تُعْمَضِرُونَ﴾.
٣. قل: اللهم اعني ولا تعن علي، وانصرني ولا تنصر علي، واهدني ويسر الهدى لي، ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَمْ يَجِدْ تُعْمَضِرُونَ﴾.

## ● التوجيهات

١. ليكن التجاؤك إلى الله وحده في جميع حاجاتك، ﴿وَأَعْبُدُوا مِن دُونِ اللَّهِ إِلَهًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ يُضْهِرُونَ﴾ (٧١) لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَمْ يَجِدْ تُعْمَضِرُونَ ﴿٧٢﴾.
٢. تأمل أصل خلقتك: لتعرف حدود قدرتك، ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾.
٣. لا تجادل، ولا تخاصم على سبيل التعنت ورد الحق، ﴿وَصَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَبَيَّنَّا خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُعْنِي الْعَظَمُ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ (٧٨) قُلْ يَحْيِيَا الَّذِي أَنْشَأَنَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾.

الآية (٧١-٧٣): يذكّر تعالى ما أنعم به على خلقه من هذه الأنعام التي سخرها لهم ﴿فَهُمْ لَهَا مَلِكُونَ﴾ قال قتادة: مطيقون، أي: جعلهم يقهرونها وهي ذليلة لهم، لا تمتنع منهم، بل لو جاء صغير إلى بعير لأناخه، ولو شاء لأقامه وساقه، وذاك ذليل منقاد معه. وكذا لو كان القطرُ مائة بعير أو أكثر، لसार الجميع بسير صغير. ﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾ أي: منها ما يركبون في الأسفار، ويحملون عليه الأثقال، إلى سائر الجهات والأقطار، ﴿وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾ إذا شاقوا نَحَرُوا واجتزروا، ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ أي: من أصوافها وألبانها وأشعارها أَفْنَأَ وَنَمَتًا إِلَى حَبِينِ [النحل: ٨٠]، ﴿وَمَسَارِبُ﴾ أي: من ألبانها وأبواها لمن يتداوى، ونحو ذلك. ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾؟ أي: أفلا يُوَحِّدُونَ خالق ذلك ومُسَخِّرَه، ولا يشركون به غيره؟!

الآية (٧٤-٧٦): يقول تعالى منكراً على المشركين في اتخاذهم الأنداد آلهة مع الله، يبتغون بذلك أن تنصرهم تلك الآلهة وترزقهم وتقربهم إلى الله زلفى. ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ﴾ أي: لا تقدر الآلهة على نصر عابديها، بل هي أضعف من ذلك وأقل وأذل وأحق وأدحر، بل لا تقدر على الانتصار لأنفسها، ولا الانتقام ممن أرادها بسوء؛ لأنها جمد لا تسمع ولا تعقل. ﴿وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُّحْتَرُونَ﴾ قال مجاهد: يعني: عند الحساب، يريد أن هذه الأصنام محشورة مجموعة يوم القيامة، محضرة عند حساب عابديها؛ ليكون ذلك أبلغ في خزيهم، وأدّل في إقامة الحجة عليهم. وقال قتادة: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ﴾ يعني: الآلهة ﴿وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُّحْتَرُونَ﴾ والمشركون يفضون للآلهة في الدنيا وهي لا تسوق إليهم خيراً، ولا تدفع عنهم سوءاً، إنها هي أصنام. وهذا القول حسن، وهو اختيار ابن جرير رحمه الله. ﴿فَلَا يَخْرُجُكَ قَوْلُهُمْ﴾ أي: تكذيبهم لك وكفرهم بالله ﴿وَإِنَّا نَعْلَمُ مَا يُبْرُونَ وَمَا يُعْتَوْنَ﴾ أي: نحن نعلم جميع ما هم عليه، وسنجزئهم وضئهم ونعاملهم على ذلك، يوم لا يفقدون من أعاليهم جليلاً ولا حقيراً، ولا صغيراً ولا كبيراً، بل يعرض عليهم جميع ما كانوا يعملون قديماً وحديثاً.

الآية (٧٧): [سبب النزول]: قال مجاهد وعكرمة وقناة: جاء أبي  
ابن خلف إلى رسول الله ﷺ وفي يده عظم رميم وهو يُفْتَتِه ويذريه في  
المواء، وهو يقول: يا محمد، أتزعم أن الله يبعث هذا؟! فقال: «نعم،  
يُميتك الله ثم يبعثك، ثم يَمْشُرُكَ إِلَى النَّارِ». ونزلت هذه الآيات:  
﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ إلى آخره. وعن ابن عباس  
أن العاص بن وائل أخذ عظمًا من البطحاء فَفَتَّه بيده، ثم قال لرسول  
الله ﷺ: أُنْجِئِ الله تعالى هذا بعد ما أرى؟! فقال رسول الله ﷺ:  
«نعم، يُميتك الله ثم يَحْيِيكَ، ثم يَدْخُلُكَ جَهَنَّمَ». قال: ونزلت الآيات  
من آخر «يس». وعلى كل تقدير سواء كانت هذه الآيات قد نزلت في  
أبي بن خلف أو العاص بن وائل، أو فيها، فهي عامة في كل من أنكر  
البعث. والألف واللام في قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ﴾ للجنس، يعم  
كل منكر للبعث. ﴿أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ أي:

أولم يستدل من أنكر البعث بالبدء على الإعادة؟ فإن الله ابتداء خلق الإنسان من سلالة من ماء مهين، فخلقه من شيء حقير ضعيف مهين، كما قال تعالى: ﴿وَالْخَلْقُ كُلٌّ مِنْ أَمْرٍ مَّهِينٍ﴾ (٢) فَجَعَلْنَاهُ فِرَارًا مُبْهِينًا (٣) إِلَى قَدَرٍ مَّا تَكْمُلُونَ (٤) (المرسلات: ٢٠-٢٢)، وقال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ مَبْثُورَةٍ﴾ (الإنسان: ٢): أي: من نطفة من أخلاط متفرقة، فالذي خلقه من هذه النطفة الضعيفة أليس بقادر على إعادته بعد موته؟!

الآية (٧٨-٧٩): ﴿ وَصَرَّفْنَا تِلْكَ أَعْيُنَ عِبَادِهِمْ لِقَبْلِ رَبِّهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ أي: استبعد إعادة الله تعالى -ذي القدرة العظيمة التي خلقت السموات والأرض- للأجساد والعظام الرميمة، ونسي نفسه، وأن الله خلقه من العدم، فعلم من نفسه ما هو أعظم مما استبعده وأنكره وجحد، ولهذا قال: ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ أي: يعلم العظام في سائر أقطار الأرض وأرجائها، أين ذهبت، وأين تفرقت وتمزقت.

الآية (٨٠): ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ أي: الذي بدأ خلق هذا الشجر من ماء حتى صار خَضِرًا نَضْرًا إذا ثمر وتبع، ثم أعاده إلى أن صار حطبًا يابسًا، تُوقَد به النار، كذلك هو فعَّال لما يشاء، قادر على ما يريد لا يمنعه شيء. قال قتادة: الذي أخرج هذه النار من هذا الشجر قادر على أن يعينه.

الآية (٨١-٨٢): يقول تعالى منهاها على قدرته العظيمة في خلق السموات السبع، بما فيها من الكواكب السيارة والثوابت، والأرضين السبع وما فيها من جبال ورمال، وبحار وقفار، وما بين ذلك، ومرشداً إلى الاستدلال على إعادة الأجساد بخلق هذه الأشياء العظيمة؛ كقوله: ﴿لَخَلْقُ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ [غافر: ٤٧]. وقال ههنا: ﴿وَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَلَقَ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدَرٍ عَظِيمٍ﴾ [مائدة: ١٠١]. مثل البشر، فيعيدهم كما بدأهم. قاله ابن جرير. وقال: ﴿بَلْ وَهَوَّ لَخَلْقِ الْعَلَمِ﴾ (٨١) إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ أي: يأمر بالشئ أمراً واحداً، لا يحتاج إلى تكرار.

الآية (٨٣): ﴿فَسَبِّحْ لِلَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ أي: تنزهه وتقديسه وتبرّته من السوء للحي القيوم، الذي بيده مقاليد السموات والأرض، وإليه يرجع الأمر كله، وله الخلق والأمر، وإليه يرجع العباد يوم القيامة، فيجازي كل عامل بعمله، وهو المنعم المتفضل. ومعنى قوله: ﴿فَسَبِّحْ لِلَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ كقوله ﷻ: ﴿قُلْ مَنْ يَدْبُرُ مَلَكَوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [المؤمنون: ٨٨]، وكقوله تعالى: ﴿يَبْرِكُ لِلَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ [الملك: ١]، فالملك والملكوت واحد في المعنى، ومن الناس من زعم أن الملك هو عالم الأجساد، والملكوت هو عالم الأرواح، والأول هو الصحيح، وهو الذي عليه الجمهور من المفسرين وغيرهم.



وهي مكية، [وعدد آياتها (١٨٢) آية].

عن عبد الله بن عمر قال: كان رسول الله ﷺ يأمرنا بالتخفيف، ويؤمنا بالصافات. [رواه أحد والسائي، وحسنه الألباني].

الآية (١-٥): عن ابن مسعود قال: ﴿وَالصَّنَدُ صَفًا﴾ وهي: الملائكة، ﴿فَالزَّجَرُ زَجْرًا﴾ وهي: الملائكة، ﴿فَالثَّلَاثُ ثَلَاثًا﴾ هي: الملائكة. قال قتادة: الملائكة صفوف في السماء. روى مسلم عن جابر ابن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أَلَا تَصُفُّونَ كَمَا تَصِفُ الْمَلَائِكَةَ عِنْدَ رَبِّهِمْ؟!» قلنا: وكيف تصف الملائكة عند ربهم؟ قال ﷺ: «يُصَوِّفُونَ الصُّفُوفَ الْمُتَقَدِّمَةَ، وَيَتَرَاوُونَ فِي الصَّفِّ». وقال الشَّدي: معنى قوله: ﴿فَالزَّجَرُ زَجْرًا﴾ أنها تزجر السحاب. وقال الربيع بن أنس: ما زجر الله عنه في القرآن. ﴿فَالثَّلَاثُ ثَلَاثًا﴾ قال الشَّدي: الملائكة يجيئون بالكتاب والقرآن من عند الله إلى الناس. وهذه الآية كقولها: ﴿فَالثَّلَاثُ ثَلَاثًا﴾ عَزَّ وَجَلَّ [المرسلات: ٦-٥]. ﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾ هذا هو المقسم عليه؛ أنه تعالى لا إله إلا هو ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أي: من المخلوقات، ﴿وَرَبُّ السَّمَوَاتِ﴾ أي: هو المالك المتصرف في الخلق بتسخيره بما فيه من كواكب نواب، وسيارات تبدو من المشرق، وتغرب من المغرب. واكتفى بذكر المشارق عن المغارب لدالتها عليه. وقد صرح بذلك في قوله: ﴿وَلَا أَمِيرٌ مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا لِقَدِيرِهِ﴾ [المعارج: ٤٠].

الآية (٦-٨): يخبر تعالى أنه زين السماء الدنيا للناظرين إليها من أهل الأرض ﴿يَزِينُ السَّمَاءَ الْأَرْضَ﴾، فَرُبُّ بِالْإِضَافَةِ وَبِالْبَدَلِ<sup>(١)</sup>، وكلاهما بمعنى واحد، فالكواكب السيارة والنوابت يثقب ضوءها جرم السماء الشفاف، فتضيء لأهل الأرض؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَبَعَلْنَا سُبْحَانَ رَبِّنَا لِنُنْذِرَ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ٥]. وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا قَدِيرَهُ﴾ وحفظناها حفظًا ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّارٍ﴾ يعني: المتمرد الماتى إذا أراد أن يسرق السمع آناه شهاب ثاقب فأحرقه؛ ولهذا قال: ﴿لَا يَسْمَعُونَ إِلَى آلِهَا الْأَعْلَى﴾ أي: لئلا يصلوا إلى الملا الأعلى، وهي السموات ومن فيها من الملائكة، إذا تكلموا بما يوحى الله بما يقوله من شرعه وقدره. ولهذا قال: ﴿وَيَعْبُدُونَ﴾ أي: يُرْمَسُونَ ﴿مِنْ كُلِّ جَانِبٍ﴾ أي: من كل جهة يقصدون السماء منها.

الآية (٩-١٠): ﴿دُحُورًا﴾ أي: رجاء يُدحرون به ويُزجرون، ويؤمنون من الوصول إلى ذلك. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ أي: في الدار الآخرة لهم عذاب دائم موجه مستمر؛ كما قال: ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ٥]. ﴿إِلَّا مَنْ حُطِّفَ الْخُطْفَةُ﴾ أي: إلا من اختطف من الشياطين الخطفة، وهي الكلمة يسمعونها من السماء فيلقها إلى الذي تحته، ويلقها الآخر إلى

(١) قوله: بالبدل، أي على أن (الكواكب) بدل من (زينة)، فتكون (زينة) بالنون غير مضافة للكواكب؛ وهي قراءة عاصم وحمة. أما الإضافة أي: إضافة (زينة) إلى (الكواكب) بدون تنوين فهي قراءة الباقيين.

الذي تحته، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وربما ألقاها بقدر الله قبل أن يأتيه الشهاب فيحرقه، فيذهب بها الآخر إلى الكاهن، ولهذا قال: ﴿إِلَّا مَنْ حُطِّفَ الْخُطْفَةُ فَاتَّبَعَهُ يَهَابٌ ثَائِبٌ﴾ أي: مستبصر.

الآية (١١-١٩): يقول تعالى: فَسَلْ هَؤُلَاءِ الْمُتَكِرِينَ لِلْبَيْتِ: أَيُّمَا أَشَدَّ خَلْقًا هُم أَمْ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضُ، وما بينها من الملائكة والشياطين والمخلوقات العظيمة؟! فإنهم يُقَرُّونَ أن هذه المخلوقات أشدَّ خلقًا منهم، وإذا كان الأمر كذلك فلم ينكرون البيت؟! وهم يشاهدون ما هو أعظم مما أنكروا؛ كما قال: ﴿لَخَلْقُ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ السَّمَكَاتِ﴾ [غافر: ٥٧]. ثم بين أنهم خُلِقُوا من شيء ضعيف فقال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِن طِينٍ لَّازِبٍ﴾ قال مجاهد: هو الجيد الذي يلتزق بعضه ببعض. وقال ابن عباس: هو اللزج. وقال قتادة: هو الذي يلزق باليد. ﴿بِكُلِّ عِجَصٍ وَنَخْلٍ﴾ أي: بل عجبت - يا محمد - من تكذيب هؤلاء المتكرين للبيت، وأنت موقن مصدق بما أخبر الله به من الأمر العجيب - وهو إعادة الأجسام بعد فنائها - وهم بخلاف أمرك من شدة تكذيبهم يسخرون مما تقول لهم من ذلك. ﴿وَلَا رَأْيَآةَ﴾ أي: دلالة واضحة على ذلك ﴿يَنْتَسِرُونَ﴾ قال مجاهد: يستهزئون. ﴿وَقَالُوا إِنَّا هَذَا آلَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ أي: إن هذا الذي جئت به إلا سحر مبین، ﴿أَوَلَا مَنَّا نَبَاٌ وَكُنَّا نَرَاكَ وَعَصَلْنَا أَوَّلًا لَّنَبْعَثُوكَ﴾ [نباؤنا الأولون] يستبعدون ذلك ويكذبون به. ﴿قُلْ نَعَمْ﴾ أي: قل لهم يا محمد: نعم يُبعثون يوم القيامة بعد ما تصبرون ترابًا وعظامًا، ﴿وَأَنْتُمْ دَخِرْتُمْ﴾ أي: حقيرون تحت القدرة العظيمة؛ كما قال: ﴿وَكُلُّ أُنُوفٍ ذَخِيرَةٌ﴾ [النمل: ٨٧]. ﴿فَأَنبَأْهُمْ بِدَعْوَةِ رَبِّهِمْ فَمَا هُمْ بِبَظُنُورٍ﴾ أي: إنما هو أمر واحد من الله، يدعوهم دعوة واحدة أن يخرجوا من الأرض، فإذا هم قيام بين يديه، ينظرون إلى أهوال يوم القيامة.

الآية (٢٠-٢٤): يخبر تعالى عن قيل الكفار يوم القيامة أنهم يرجعون على أنفسهم باللامه، ويعترفون بأنهم كانوا ظالمين لأنفسهم في الدار الدنيا، فإذا عاينوا أهوال القيامة تَدْمُؤُوا كُلَّ النَّدَمِ حيث لا ينفعهم الندم ﴿وَقَالُوا إِنَّا كُنَّا نَبَاٌ هَذَا بَيْنَ يَدَيْنَا﴾. فنقول لهم الملائكة والمؤمنون: هَذَا يَوْمَ الْقَسَلِ الَّذِي كُتِبَ بِهِ تَكْذُوبُكُمْ. وهذا يقال لهم على وجه التقرير والتوبيخ. ويأمر الله الملائكة أن تُخَيِّرَ الكفار أن يُعَيِّرَ المؤمنين في الموقف في عشرهم ومنشرهم؛ ولهذا قال: ﴿أَشْمُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَرْجَحَهُمْ﴾ قال النعمان بن بشير: يعني بأزواجهم: أشباههم وأمثالهم. وعن عمر قال: أشباههم. يجيء صاحب الربا مع أصحاب الربا، وصاحب الرِّزَا مع أصحاب الرِّزَا، وصاحب الخمر مع أصحاب الخمر. ﴿وَمَا كَانُوا بِعَيْدُونَ﴾ [بين دون الله] أي: من الأصنام والأنداد، تُحْشَرُ معهم في أماكنهم. ﴿فَاهْتَدَوْهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْحَيِّمِ﴾ أي: أرشدوهم إلى طريق جهنم.

﴿وَفَقَّهْرُهُمْ﴾ أي: قنوقهم حتى يسألوا عن أعمالهم وأقوالهم التي صدرت عنهم في الدار الدنيا، كما قال الضحاك: عن ابن عباس: يعني أحبسوهم إنهم محاسبون. وقال ابن المبارك: سمعت عثمان بن زائدة يقول: إن أول ما يُسأل عنه الرجل جلساؤه.



## ● الوقفات التدريبية

### ❶ ﴿وَالصَّفَّاتِ صَفًا﴾

تصف في السماء كصفوف الخلق في الدنيا للصلاة، وقيل: تصف اجنحتها في الهواء واقفة فيه؛ حتى يأمرها الله بما يريد. القرطبي: ١/٨٠.

السؤال: ما حال الملائكة في التذلل والتعبد لله تعالى؟

### ❷ ﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ۚ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا رَبُّ الْمَشْرِقِ﴾

أي: هو الخالق لهذه المخلوقات، والرازق لها، المدير لها؛ فكما أنه لا شريك له في ربوبيته إياها فكذلك لا شريك له في إلهيته، وكثيراً ما يقرر تعالى توحيد الإلهية بتوحيد الربوبية؛ لأنه دالٌّ عليه، وقد أقر به المشركون في العبادة، فيلزمهم بما أقروا به على ما أنكرهم السعدي: ٧٠٠.

السؤال: لماذا اتبع الله ذكر الربوبية بعد ذكر الألوهية؟

### ❸ ﴿إِنَّا زَيْنًا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِرَبِّهِ الْكَوَكِبِ﴾

خص تعالى السماء الدنيا بالذكر؛ لأنها التي تباهر بأبصارنا، وإيضاً فالحفظ من الشيطان إنما هو فيه وحدها. ابن عطية: ٤٦٦.

السؤال: تخصيص (السماء الدنيا) بالذكر هنا لأمرين فما هما؟

### ❹ ﴿كُلٌّ عِندَكَ وَتَسْخَرُونَ﴾

قال قتادة: عجب النبي ﷺ من هذا القرآن حين أنزل وضلال بني آدم، وذلك أن النبي ﷺ كان يظن أن كل من يسمع القرآن يؤمن به، فلما سمع المشركون القرآن؛ سخروا منه ولم يؤمنوا به، فعجب من ذلك البغوي: ٣٠٦/٣.

السؤال: ما الباعث لعجب النبي ﷺ من كفر المشركين بالقرآن؟

### ❺ ﴿قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ﴾

صاغرون أذلاء؛ لأنهم إذا راوا وقوع ما أنكروه فلا محالة يذلون. القرطبي: ١٨/٢٢.

السؤال: ما سبب ذلّ العصاة يوم القيامة؟

### ❻ ﴿أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَرْوَجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ۖ﴾

إِلَى صِرَاطٍ لِلْجَحِيمِ

اجمعوهم إلى اللوقوف؛ للحساب والجزاء. (وازواجهم): أشباههم واتباعهم وامثالهم، قال قتادة والكلبي: كل من عمل مثل عملهم؛ فاهل الخمر مع أهل الخمر، وأهل الزنا مع أهل الزنا. البغوي: ٣٠٧/٣.

السؤال: مع من يحشر المرء يوم القيامة؟ وماذا نتعلم من ذلك؟

### ❼ ﴿وَقَفُّهُمْ إِلَهُمْ سَتُؤَلُّونَ﴾

لما سيقوا إلى النار حبسوا عند الصراط، فقيل: وقفهم إنهم مسؤولون، قال ابن عباس: عن جميع أقوالهم وأفعالهم. البغوي: ٣٠٧/٣.

السؤال: أين يكون الوقوف بين يدي الله تعالى؟ وعم يكون السؤال يوم القيامة؟

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالصَّفَّاتِ صَفًا ۚ فَالْزَجْرَاتِ زَجْرًا ۚ فَالَّتِي لَدِكْ ذِكْرًا ۚ إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ۚ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ ۚ إِنَّا زَيْنًا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِرَبِّهِ الْكَوَكِبِ ۚ وَحَفَظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ ۚ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْأَعْلَى الْأَعْلَى وَيَقْدُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ۚ دُخُورًا لَهُمْ عَذَابٌ وَأَصِيبٌ ۚ إِلَّا مَنْ خِطَفَ الْخَطَفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ۚ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهْمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ ۚ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ۚ وَإِنَّا ذَكَّرُوهُمْ لَا يُذَكَّرُونَ ۚ وَإِنَّا أَرَأَايَهُ يَسْتَخِرُونَ ۚ وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ۚ أَلَمْ يَأْتِنَا زَكَاةً وَأَعْظَمًا ۚ أَلَمْ نَأْتِ الْبَعَثُونَ ۚ أَوْ أَبَاؤُنَا أَوْ آبَاؤُنَا ۚ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ۚ فَلَمَّا هَمَّ زَجْرَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ بِنُظُرٍ ۚ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ هَذَا يَوْمَ الْبَرِّ ۚ هَذَا يَوْمُ الْقَضَى الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ۚ \* أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَرْوَجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ۚ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ الْجَحِيمِ ۚ وَقَفُّهُمْ إِلَهُمْ قَسُوتُونَ ۚ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
وَالصَّفَّاتِ	قَسَمٌ بِالْمَلَائِكَةِ حِينَ تُصَفُّ فِي عِبَادَتِهَا.
فَالْزَجْرَاتِ	قَسَمٌ بِالْمَلَائِكَةِ حِينَ تَزْجُرُ السَّحَابَ، وَتَسُوقُهُ.
فَالَّتِي لَدِكْ	قَسَمٌ بِالْمَلَائِكَةِ حِينَ تَتَلَوُّ ذِكْرَ اللَّهِ، وَكَلَامَهُ.
مَارِدٍ	جَنِي مُتَمَرِّدٍ، خَارِجٍ عَنِ الطَّاعَةِ.
دُخُورًا	طَرْدًا لِلشَّيَاطِينِ عَنِ الْإِسْتِمَاعِ.
وَأَصِيبٌ	دَائِمٌ مُوجِعٌ.
خِطَفَ الْخَطَفَةَ	اخْتَلَسَ الْكَلِمَةَ؛ مُسَارِقَةً بِسُرْعَةٍ.
لَازِبٍ	لَزِجٌ يَلْتَصِقُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ.

## ● العمل بالآيات

١. تأمل في خلق النجوم، ثم احمده الله على أن منع الشياطين من استراق السمع ثلاثا يفتنوا العباد، ﴿وَيَحْفَظُنَّ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ﴾.
٢. استعد بالله تعالى من شر الشيطان الرجيم، ﴿وَيَحْفَظُنَّ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ﴾.
٣. تذكر نصيحة سمعتها وبادر بالامتثال لها، ﴿وَإِنَّا ذَكَّرُوهُمْ لَا يُذَكَّرُونَ﴾.

## ● التوجيهات

١. تأمل في حال الشياطين ودحرجهم بعد بعثته محمد ﷺ، ﴿وَيَحْفَظُنَّ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ﴾ ﴿لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْأَعْلَى الْأَعْلَى وَيَقْدُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ﴾ ﴿دُخُورًا وَهُمْ عَذَابٌ وَأَصِيبٌ﴾.
٢. لا تكن ممن إذا دُخِرَ لا يتذكر، ﴿وَإِنَّا ذَكَّرُوهُمْ لَا يُذَكَّرُونَ﴾.
٣. احفظ لسانك وأفعالك، حتى لا تقف موقفا يسووك بين يدي الله، ﴿وَقَفُّهُمْ إِلَهُمْ سَتُؤَلُّونَ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿ مَا لَكُمْ لَا تَنَارُونَ ﴾ ١

فكانهم لا يجيبون هذا السؤال؛ لأنه قد ادهاهم الذل والصفار، واستسلموا لعذاب النار، وخشعوا وخضعوا وأبلسوا فلم ينطقوا. السعدي: ٧٠٢.

السؤال: ذكر الله سؤال أهل النار ولم يذكر إجاباتهم، فلماذا؟

﴿ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾ ٢ ﴿ إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴾

إننا هكذا نفعل بالذين اختاروا معاصي الله في الدنيا على طاعته، والكفر به على الإيمان؛ فنذيبهم العذاب الأليم، ونجمع بينهم وبين قرنائهم في النار. الطبري: ٣٣/٢١.

السؤال: الاشتراك والتشابه في هذه الدنيا يؤدي إلى الاشتراك في الآخرة، كيف ذلك؟

﴿ أُولَئِكَ لَمْ يَرَوْا رِزْقَ اللَّهِ ﴾ ٣ ﴿ فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كُفَرُوا ﴾ ٤ ﴿ فِي جَهَنَّمَ النَّعِيمِ ﴾ ٥ ﴿ عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴾ ٦ ﴿ يَلْفَافُ عَلَيْهِمْ بِكُأْسٍ مِنْ نَعِيمٍ ﴾ ٧ ﴿ يَتَذَكَّرُ لَذَّةً لِلَّشَّرِيبِ ﴾ ٨ ﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ﴾ ٩ ﴿ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴾ ١٠ ﴿ كَأَنَّهُمْ يَبِصُّونَ مَكُونٌ ﴾ ١١

ذكر طعامهم وشرابهم ومجالسهم، وعموم النعيم وتفاصيله داخلته في قوله: ﴿ في جنات النعيم ﴾، لكن فصل هذه الأشياء لتعلم فتشاق النفوس إليها. السعدي: ٧٠٣.

السؤال: لماذا فصل في ذكر نعيم أهل الجنة مع أن قوله: ﴿ في جنات النعيم ﴾ عام لكل ذلك؟

﴿ فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كُفَرُوا ﴾ ١٢ ﴿ فِي جَهَنَّمَ النَّعِيمِ ﴾

ولهم إكرام من الله جل وعز- برفع الدرجات، وسماع كلامه ولقائه. القرطبي: ٢٩/١٨.

السؤال: بين شيئاً من إكرام الله تعالى لأهل الجنة.

﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ﴾

أي: لا تفتال عقولهم، ولا يصيبهم منها مرض ولا صداع، وإنما صرف الله تعالى السكر عن أهل الجنة؛ لئلا ينقطع الالتذاذ عنهم بنعيمهم. القرطبي: ٣١/١٨-٣٣.

السؤال: لم صرف الله السكر عن أهل الجنة؟

﴿ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴾

قصرت طرفها على زوجها؛ لعفتها، وعدم مجاوزته لغيره، ولجمال زوجها وكماله؛ بحيث لا تطلب في الجنة سواه، ولا ترغب إلا به... هذا يدل على جمال الرجال في الجنة. تفسير السعدي: ٧٠٣.

السؤال: كيف تدل الآية على كمال جمال الرجال في الجنة؟

﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ ١٣ ﴿ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴾ ١٤ من المعلوم أن لذة أهل العلم بالتساؤل عن العلم والبحث عنه فوق اللذات الجارية في أحاديث الدنيا، فلهم من هذا النوع النصيب الوافر، ويحصل لهم من انكشاف الحقائق العلمية في الجنة ما لا يمكن التعبير عنه. السعدي: ٧٠٤.

السؤال: لأهل العلم نعيم خاص في الجنة من خلال حديثهم، فما هو؟

مَا لَكُمْ لَا تَنَارُونَ ١ ﴿ بَلْ هُمْ يَوْمٌ مُّسْتَسَامُونَ ٢ ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ٣ ﴿ قَالُوا إِنَّا كُنْهُمْ ثَلَاثًا فَنُفِخَ فِي سُورَةٍ ٤ ﴿ قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مَوْعِدِينَ ٥ ﴿ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ ٦ ﴿ بَلْ كُنْهُمْ قَوْمًا طَافِينَ ٧ ﴿ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ ٨ ﴿ فَأَعْوَجْتُمْ كُرْسًى إِنَّا كَاغِبُونَ ٩ ﴿ فَأَنهَرُ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ١٠ ﴿ إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ١١ ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ١٢ ﴿ وَقُولُوا إِنَّا لَا نَزِدُّكُمْ إِلَهًا إِلَّا إِلَهُ الْبَرِّ ١٣ ﴿ لِيَسْأَلَ بَعْضُهُمْ أَلْحَقَ بِصَدَقِ الْمُرْسَلِينَ ١٤ ﴿ إِنَّا كُنْهُمْ قَوْمًا طَافِينَ ١٥ ﴿ وَمَا تَخْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ١٦ ﴿ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ١٧ ﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ ١٨ ﴿ فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كُفَرُوا ١٩ ﴿ فِي جَهَنَّمَ النَّعِيمِ ٢٠ ﴿ عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ٢١ ﴿ يَلْفَافُ عَلَيْهِمْ بِكُأْسٍ مِنْ نَعِيمٍ ٢٢ ﴿ يَتَذَكَّرُ لَذَّةً لِلَّشَّرِيبِ ٢٣ ﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ٢٤ ﴿ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ٢٥ ﴿ كَأَنَّهُمْ يَبِصُّونَ مَكُونٌ ٢٦ ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ٢٧ ﴿ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ٢٨

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
عَنِ الْيَمِينِ	من قِبَلِ الْحَقِّ وَالْدِينِ.
سُلْطَانٌ	حُجَّةٌ، أَوْ قُوَّةٌ.
طَافِينَ	مُجَاوِزِينَ الْحَدَّ فِي الْعِصْيَانِ.
فَحَقَّ عَلَيْنَا	وَجِبَ عَلَيْنَا.
الْمُخْلَصِينَ	الَّذِينَ أَخْلَصُوا فِي عِبَادَةِ اللَّهِ؛ فَأَخْلَصَهُمْ، وَأَخْتَصَّهُمْ بِرَحْمَتِهِ.
لَا فِيهَا غَوْلٌ	لَيْسَ فِيهَا مَا يَفْتَالُ عُقُولُهُمْ.
وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ	لَا يَسْكُرُونَ، وَلَا تُضَرُّ أَبْدَانُهُمْ.
مَكُونٌ	مَحْفُوظٌ لَمْ تَمْسُهِ الْأَيْدِي.
قَرِينٌ	صَاحِبٌ مُلَازِمٌ لِي.

## ● العمل بالآيات

١. زور أخاً لك في الله، ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَنَارُونَ ﴾.
٢. اكتب رسالة تدافع فيها عن أحد الدعاة، ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَنَارُونَ ﴾.
٣. أكثر اليوم من قول (لا إله إلا الله)، ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾.

## ● التوجيهات

١. ألزم الصالحين من الناس، وعد ارادتهم، ﴿ فَأَعْوَجْتُمْ كُرْسًى إِنَّا كَاغِبُونَ ﴾.
٢. احذر للتبوعين المضلين واهواهم، فهم ينقلبون في القيامة أعداء، ﴿ فَأَعْوَجْتُمْ كُرْسًى إِنَّا كَاغِبُونَ ﴾ ٣ ﴿ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾.
٣. تواضع للحق، واخفض لجناحه، ودع الكبر، ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾.

الآية (٣٨-٤٧): يقول تعالى مخاطباً للناس: ﴿إِنَّكَ لَنَافِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ﴾ (٣٨) وَمَا جَزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾، ثم استثنى من ذلك عباده المخلصين؛ كما قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرُ﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ خَاسِرٌ ﴿٤٠﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴿٤١﴾ [المعر: ١-٣]؛ ولهذا قال ههنا: ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ أي: ليسوا يذوقون العذاب الأليم، ولا يناقشون في الحساب، بل يتجاوز عن سيئاتهم، إن كان لهم سيئات، ويجزون الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمئة ضعف إلى أضعاف كثيرة، إلى ما يشاء الله تعالى

الآية (٦٣): ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [سبب النزول]: قال قتادة: ذُكرت شجرة الزقوم، فافتتن بها أهل الضلالة، وقالوا: صاحبكم يبينكم أن في النار شجرة، والنار تاكل الشجر، فانزل الله ﷻ: ﴿إِنهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ غُلَّتْ من النار، ومنها خُلقت. قلت: ومعنى الآية: إنا أخبرناك يا محمد بشجرة الزقوم اختبارًا نخبر به الناس، من يصدق منهم من يكذب؛ كقوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الزُّيُتَ إِلَّا آلِیٰ



## ● الوقفات التدريبية

- ﴿ فَأُطْلِعَ فِرْعَاوْنَ فِي سَوَاءِ الْحَجِيرِ ﴾ ﴿٥٠﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتُ لِتَرْوِينِ ﴿٥١﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُخْضَرِّينَ ﴿٥٢﴾

وفي هذه الآية عبرة من الحذر من قرناء السوء، ووجوب الاحتراس مما يدعون إليه، ويزينونه من المالك. ابن عاشور: ١١٩/٢٣.

السؤال: بين خطورة الجليس السيء من الآية الكريمة.

- ﴿ فَأُطْلِعَ فِرْعَاوْنَ فِي سَوَاءِ الْحَجِيرِ ﴾

قال بعض العلماء: لولا أن الله جل وعز- عرفه إياه لما عرفه، لقد تغير جبره وسبره. يعني: لونه وهيئته. القرطبي: ٣٩/١٨.

السؤال: كيف يعرف القرين قرينه وهو في النار؟ وقد تغير لونه وهيئته؟

- ﴿ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُخْضَرِّينَ ﴾

(ولولا نعمته ربي): رحمته وإنعامه علي بالإسلام، (لكننت من المخضرين) معك في النار. البغوي: ٦١/٣.

السؤال: هل نجاة المؤمن من النار وجعيمها بعمله وطاعته فقط؟

- ﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْحَجِيرِ ﴾

فهذا مخرجها، ومعدنها أشر المعادن وأسوأها، وشر الفرس يدل على شر الفراس وخسئته، ولهذا نبهنا الله على شرها بما ذكر أين تنبت به، وبما ذكر من صفة ثمرتها. السعدي: ٧٠٤.

السؤال: ما الاستفادة من وصف الشجرة بأنها تخرج في أصل الحجيم؟

- ﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾

تبشع لها، وتكره لذكورها... وإنما شبهها برؤوس الشياطين وإن لم تكن معروفة عند المخاطبين؛ لأنه قد استقر في النفوس أن الشياطين قبيحة المنظر. ابن كثير: ١٢/٤.

السؤال: كيف شبه طلع شجرة الزقوم بشيء غير معروف وهو رعوس الشياطين؟

- ﴿ ثُمَّ إِنْ مَرَّجَهُمْ لِإِلَ الْحَجِيمِ ﴾ ﴿٥٧﴾ إِنَّهُمْ الْقَوَاءُ أَبَاءَ مُرْسَلِينَ ﴿٥٨﴾

وكانه قيل: ما الذي أوصلهم إلى هذه الدار؟ فقال: (إنهم القوا آبائهم ضالين). السعدي: ٧٠٤.

السؤال: ما العلاقة بين هاتين الآيتين المتتاليتين؟

- ﴿ وَلَقَدْ صَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ﴾

ووصف الذين ضلوا قبلهم بأنهم (أكثر الأولين) لئلا يفتخر ضعفاء العقول بكثرة المشركين ولا يعتزوا بها، ليعلموا أن كثرة العدد لا تبرر

ضلال الضالين ولا خطأ المخطئين، ... فإذا عرضت لإحدهما كثرة أو قلته فلا تكونان فتنة لقصار الأنظار وضعفاء التفكير؛ قال تعالى: (قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث) (الأنفال: ١٣).

ابن عاشور: ١٢٨/٢٣.

السؤال: الكثرة والقلّة ليسا دالين على الهدى أو الضلال، بين ذلك.

يَقُولُ أَهْ نَكَ لِمَنِ الْمَصْدِقِينَ ﴿٥٤﴾ أَهْ دَامَتْنَا وَكُنَّا بَابًا وَعِظْلًا أَهْ نَا  
لَمَدِينُونَ ﴿٥٥﴾ قَالَ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ أَفْعَالُكُمْ أَهْ فِي سَوَاءِ  
الْحَجِيرِ ﴿٥٦﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتُ لِتَرْوِينِ ﴿٥٧﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي  
لَكُنْتُ مِنَ الْمُخْضَرِّينَ ﴿٥٨﴾ أَفَتَأْتِحُونَ بِمَعِينٍ ﴿٥٩﴾ إِنْ هَذَا إِلَّا مَوْثِقَاتُ  
الْأُولَى وَمَأْتِحُونَ بِمُعْذِرِينَ ﴿٦٠﴾ إِنَّ هَذَا لَهَوُ الْقَوْمِ الْعَظِيمِ ﴿٦١﴾  
لِيُثِلَ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦٢﴾ أَذَلِكَ خَيْرٌ نَزْلًا أَمْ شَجَرَةُ  
الزَّوْقِمْ ﴿٦٣﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴿٦٤﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ  
تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْحَجِيرِ ﴿٦٥﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٦٦﴾  
فَاتَّهَمُوا لَوْلَا كَوْنُ مِنْهَا قَائِلُونَ مِنْهَا الْبُظُرُونَ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ انْهَرُوا لَهُمْ  
عَلَيْهَا الشُّوْبَاءُ مِنْ حَيْبٍ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ إِنْ مَرَّجَهُمْ لِإِلَ الْحَجِيرِ ﴿٦٩﴾  
إِنَّهُمْ الْقَوَاءُ أَبَاءَ هَرَضَ الْإِنِّ ﴿٧٠﴾ فَهُمْ عَلَى الْأَذْرَى يَهْرَعُونَ ﴿٧١﴾  
وَلَقَدْ صَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ  
مُنْذِرِينَ ﴿٧٣﴾ فَأَنْظَرَكُمْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُنْذِرِينَ ﴿٧٤﴾  
إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحَ فَلَمَّعَ  
الْمُجِيبُونَ ﴿٧٦﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٧﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
لَمَدِينُونَ	لَمَجْرُؤُونَ، وَمُحَاسِبُونَ.
إِنْ كِدْتُ	إِنْ كُنْتُ قَارِبْتُ.
لَتَرْوِينِ	لَتُهْلِكُنِي بِضَلَالِكَ، وَإِغْوَالِكَ.
الْمُخْضَرِّينَ	مَنْ أَحْضَرُوا فِي الْعَذَابِ مَعَكَ.
طَلْعُهَا	ثَمَرُهَا.
تَشُوبًا	لِخَلْطٍ، وَمَزَاجًا.
أَنْفُوا	وَجُّوْا.
يَهْرَعُونَ	يُسْرِعُونَ فِي مُتَابَعَتِهِمْ عَلَى الضَّلَالِ.

## ● العمل بالآيات

١. ساعد والدتك في عملها لهذا اليوم، ﴿ لِيُثِلَ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴾.
٢. صم يومًا تقربا إلى الله تعالى لتنجو من حر يوم القيامة، ﴿ لِيُثِلَ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴾.
٣. ادع الله تعالى مناديا، متضرعا إليه، ﴿ وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحَ فَلَيَعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴾.

## ● التوجيهات

١. صديق صالح خير من عشرات الغافلين، ﴿ فَأُطْلِعَ فِرْعَاوْنَ فِي سَوَاءِ الْحَجِيرِ ﴾ ﴿٥٠﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتُ لِتَرْوِينِ ﴿٥١﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُخْضَرِّينَ ﴿٥٢﴾.
٢. اتظلم احدا من الناس؛ فشجرة الزقوم عذاب الظالمين، ﴿ أَذَلِكَ خَيْرٌ نَزْلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّوْقِمْ ﴾ ﴿٦٣﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴿٦٤﴾.
٣. اعلم انه لا مجيب إلا الله، ولا مغيث إلا هو، ﴿ وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحَ فَلَيَعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴾.



الفاقي  
الصوتي

## ● الوقفات التحذيرية

﴿ إِذْ جَاءَ رَبُّكَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾

مخلص من الشرك والشك، وقال عوف الأعرابي: سألت محمد بن سيرين: ما القلب السليم؟ فقال: الناصح لله - عز وجل - في خلقه. القرطبي: ٥٠/١٨.

السؤال: ما سمات القلب السليم لتتصف بها؟

﴿ فَمَا تَلَكَ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

فما ظنكم برب العالمين ان يفعل بكم وقد عبدتم معه غيره؟ وهذا ترهيب لهم بالجزاء بالعقاب على الإقامة على شركهم. السعدي: ٧٠٥.

السؤال: في الآية تخويف وترهيب للمشركين، بين وجه ذلك.

﴿ فَرَأَى إِلَهُ الْإِنسَانِ فَقَالَ لَوْلَا أَنَا لَكُمُ الْغَوْثُ ﴾

إنما قال ذلك على وجه الاستهزاء بالذين يعبدون تلك الأصنام. ابن جزى: ٢٣٨/٢.

السؤال: كيف خاطب إبراهيم - عليه السلام - الأصنام وهي لا تعقل؟

﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّدِي ﴾

هذه الآية أصل في الهجرة والعزلة، وأول من فعل ذلك إبراهيم عليه السلام، وذلك حين خلصه الله من النار؛ قال: (إني ذاهب إلى ربي) أي: مهاجر من بلد قومي ومولدي إلى حيث أتمكن من عبادة ربي. القرطبي: ٥٩/١٨.

السؤال: متى تشرع العزلة أو الهجرة للمؤمن؟

﴿ رَبِّي هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾

ووصفه بأنه من الصالحين لأن نعمة الولد تكون أكمل إذا كان صالحاً؛ فإن صلاح الأبناء قوة عين للأب، ومن صلاحهم برهم بوالديهم. ابن عاشور: ١٤٨/٢٣.

السؤال: بين أهمية الدعاء بالولد الصالح.

﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَؤُا إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى ﴾ قَالَ يَتَأَتَّى أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾

إن قيل: لم شاورة في أمر هو حتم من الله؟ فالجواب: أنه لم يشاورة ليرجع إلى رايه، ولكن ليعلم ما عنده، فثبت قلبه، ويوطن نفسه على الصبر، فاجابه بأحسن جواب. ابن جزى: ٢٣٨/٢.

السؤال: لم شاورة إبراهيم - عليه السلام - ابنه مع أن رؤيا الأنبياء حق؟

﴿ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾

أخبر أباه أنه موطن نفسه على الصبر، وقرن ذلك بمشيئة الله تعالى؛ لأنه لا يكون شيء بدون مشيئة الله تعالى. السعدي: ٧٠٦.

السؤال: ما فائدة قرن إسماعيل صبره بمشيئة الله تعالى؟

وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴿٣٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٣٨﴾ سَلَّمَ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَعْرَفْنَا الْآخَرِينَ ﴿٤٢﴾ \* وَإِنْ مِنْ شَيْعَتِهِ لِبَرْهٍ ﴿٤٣﴾ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٤٥﴾ أَفَكُفَّاءُ الْهَذًى تُؤْتِيَهُمْ دُونَ اللَّهِ يُرِيدُونَ ﴿٤٦﴾ فَتَاطَلُّ مِنْ يَدَيْ الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ فَتَنْظُرُ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٤٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٤٩﴾ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٥٠﴾ فَرَاغَ إِلَهُ الْهَيَمَةِ ﴿٥١﴾ فَقَالَ الْآتَا كُلُّهُمْ ﴿٥٢﴾ مَا لَكُمْ لَا تَعْبُدُونَ ﴿٥٣﴾ قَالُوا أَتَبْنِيكَ قَالُوا لَقُوءُ ﴿٥٤﴾ فِي الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْقَلِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّدِينَ ﴿٥٧﴾ رَبِّي هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥٨﴾ فَنَسَرْتَهُ يُغْلِمُ جُلُوسَهُ ﴿٥٩﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَؤُا إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى ﴿٦٠﴾ قَالَ يَتَأَتَّى أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦١﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ	أَبْقَيْنَا لَهُ ذِكْرًا جَمِيلًا.
فِي الْآخِرِينَ	فِي مَن جَاءَ بَعْدَهُ مِنَ النَّاسِ.
سَقِيمٌ	مَنْ تَابَعَهُ عَلَى دِينِهِ، وَمِنْهَا جَه.
أَفْكَاءُ الْهَذًى	أَتَرِيدُونَ إِلَهَةً مُخْتَلَفَةً تَعْبُدُونَهَا؟
فَتَنْظُرُ	رَفَعَ بَصَرَهُ إِلَى النُّجُومِ مُتَفَكِّرًا فِيمَا يَعْتَذِرُ بِهِ مِنَ الْخُرُوجِ مَعَهُمْ.
سَقِيمٌ	مَرِيضٌ، وَهَذَا تَعْرِيفٌ مِنْهُ؛ أَرَادَ: أَنِّي لَا أَخْلُو مِنْ سَقَمِ كُفَاةِ النَّاسِ أَوْ أَنِّي ضَعِيفٌ، أَوْ سَقِيمُ الْقَلْبِ مِنْ عِبَادَتِكُمْ غَيْرِ اللَّهِ.
يُرِيدُونَ	يَعْدُونَ مُسْرِعِينَ غَاضِبِينَ.

## ● العمل بالآيات

- استعد بالله من أمراض الشهوات والشبهات، ﴿ إِذْ جَاءَ رَبُّكَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾.
- قل: اللهم ارزقني ذريةً صالحةً، إنك سميع الدعاء، ﴿ رَبِّي هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾.
- ساعد والدك وأجب طلبه على وجه السرعة، ﴿ قَالَ يَتَأَتَّى أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾.

## ● التوجيهات

- كن من المحسنين؛ وذلك بإحسانك عبادة ربك، وإحسانك إلى الناس، ﴿ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾.
- طهر قلبك من كل دنس، واسأل الله سلاماً قلبك، ﴿ إِذْ جَاءَ رَبُّكَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾.
- انكر المنكر بحكمة إذا رايته، ولو كان من أقرب قريب؛ كالأب ونحوه، ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴾ (٤٥) أَفَكُفَّاءُ الْهَذًى أَلَمْ تُؤْتِيَهُمْ دُونَ اللَّهِ يُرِيدُونَ ﴾.

الآية (٧٧-٨٢): ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ قال ابن عباس يقول: لم تبق إلا ذرية نوح عليه السلام. وقال قتادة: الناس كلهم من ذرية نوح عليه السلام. قوله: ﴿وَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ قال ابن عباس: يذكر بخير. وقال مجاهد: يعني لسان صدق للأنبياء كلهم. وقال قتادة والسدي: أبى الله عليه الثناء الحسن في الآخرين. قال الضحاك: السلام والثناء الحسن. وقوله: ﴿سَلَّمْنَا عَلَى نُوحٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ مفسر لما أبى عليه من الذكر الجميل والثناء الحسن أنه يسلم عليه في جميع الطوائف والأمم. ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ أي: هكذا نجزي من أحسن من العباد في طاعة الله؛ نجعل له لساناً صدق يذكر به بعده بحسب مرتبته في ذلك. ﴿يَقُولُ يَوْمَئِذٍ إِنَّهُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ بَدَّعْنَاهُ مِنْ قَبْلُ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ أي: المصدقين الموحدين الموقنين. ﴿ثُمَّ أَعْرَفْنَا الْآخِرِينَ﴾ أي: أهلكتهم، فلم يبق منهم عين تطرف، ولا ذكر لهم، ولا عين ولا أثر، ولا يعرفون إلا بهذه الصفة القبيحة.

الآية (٨٣-٨٧): قال ابن عباس: ﴿وَرَأَى مِنْ يَتِيمِينَ إِلَى جَنَاحِ عَرْشِهِ﴾ يقول: من أهل دينه. وقال مجاهد: على منهاجه وسنته. ﴿إِذْ جَاءَ رَيْثُهُ يَقْلِبُ سَلِيمٌ﴾ قال ابن عباس: يعني شهادة أن لا إله إلا الله. وقال الحسن: سليم من الشرك. وقال عروة: لا يكون لئاماً. ﴿إِذْ قَالَ لِأَيُّهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾ أنكر عليهم عبادة الأصنام والأنداد، ولهذا قال: ﴿أَفَنُكِرُ الْمَآلِهَةَ دُونَ اللَّهِ تَرْيَدُونَ﴾ ﴿٨٥﴾ فَمَا تَعْبُدُونَ إِلَّا الْغَالِيَةَ﴾ قال قتادة: يعني: ما ظنكم به أنه فاعل بكم إذا لاقيتموه وقد عبدتم غيره؟

الآية (٨٨-٩٨): إنها قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام لقومه ذلك ليقيم في البلد إذا ذهبوا إلى عيدهم، فإنه كان قد أرفَّ خروجهم إلى عيد لهم، فأحب أن يختلي بأنهم ليكرها، فقال لهم كلاماً هو حق في نفس الأمر، فهموا منه أنه سقيم على مقتضى ما يعتقدونه. ﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾ قال قتادة: والعرب تقول لمن تفكر: نظر في النجوم. يعني قتادة أنه نظر في السماء متفكراً فيما يلهمهم به، فقال: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ أي: ضعيف. قال سفيان: يعني: طعين. وكانوا يفرون من المطمون<sup>(١)</sup>، فأراد أن يخلو بأنهم. وقال آخرون: فقال: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ بالنسبة إلى ما يستقبل، يعني: مرض الموت. وقيل: أراد: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ أي: مريض القلب من عبادتكم الأوثان من دون الله تعالى. ولهذا قال تعالى: ﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾ أي: إلى عيدهم. ﴿فَرَّغَ إِلَهُهُمْ﴾ أي: ذهب إليهم - بعد أن خرجوا - في سرعة واختفاء، ﴿فَقَالَ آلُ تَالُوتَ﴾ وذلك أنهم كانوا قد وضعوا بين أيديها طعامتاً قرباناً لتبارك لهم فيه. قوله: ﴿فَرَّغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ قال الفراء: معناه مال عليهم ضرباً باليمين. وقال قتادة: فأقبل عليهم ضرباً باليمين. وإنما ضربهم باليمين لأنها أشد وأنكى؛ ولهذا تركهم جذاذاً إلا كبيراً لهم لعلهم إليه يرجعون. وقوله: ﴿فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَرَوْنَ﴾ قال مجاهد: أي يسرعون. وهذه القصة ههنا مختصرة؛ فإنهم لما رجعوا ما

عرفوا من أول وهلة من فعل ذلك حتى كشفوا واستعلموا، فعرفوا أن إبراهيم عليه السلام هو الذي فعل ذلك. فلما جاؤوا ليعاتبوه أخذ في تأنيبهم وعيبتهم، فقال: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَحْمِلُونَ؟﴾ أي: أتعبدون من دون الله من الأصنام ما أنتم تحتونها وتجعلونها بأيديكم؟! ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَحْمِلُونَ﴾ يحتمل أن تكون «ما» مصدرية، فيكون تقدير الكلام: والله خلقكم وعملكم. ويحتمل أن تكون بمعنى «الذي»؛ تقديره: والله خلقكم والذي تعملونه. وكلا القولين متلازم، والأول أظهر. فعند ذلك لما قامت عليهم الحجة عدلوا إلى أخذه باليد والقهر، فقالوا: ﴿إِنَّا لَنَرُّوْهُ فَتَقُوهُ فِي الْجَبْرِ﴾ وكان من أمرهم ما تقدم بيانه في سورة الأنبياء، ونجاه الله من النار وأظهره عليهم، وأعل حجته ونصرها؛ ولهذا قال: ﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾.

الآية (٩٩-١٠٢): يقول تعالى خبراً عن خليله إبراهيم عليه السلام: بعد ما نصره الله على قومه وأبس من إيمانهم بعد ما شاهدوا من الآيات العظيمة، هاجر من بين أظهرهم، وقال: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّدِينَ﴾ ﴿٩٩﴾ رَبِّيَ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ يعني: أولاً طامعين عوصاً من قومه وعشيرته الذين فارقه. قال الله تعالى: ﴿بَشِّرْهُ بِبُحَيْرٍ حَلِيمٍ﴾ وهذا الغلام هو إسماعيل عليه السلام؛ فإنه أول ولد بُشِّرَ به إبراهيم عليه السلام، وهو أكبر من إسحاق باتفاق المسلمين وأهل الكتاب. وهذا كتاب الله شاهد ومرشد إلى أنه إسماعيل؛ فإنه ذكر البشارة بالغلام الحليم، وذكر أنه الذبيح، ثم قال بعد ذلك: ﴿وَبَشِّرْهُ بِيَسْحَاقَ يَتِيمًا إِنَّ يَسْحَاقَ يَتِيمٌ﴾ [الصافات: ١١٢]. ولما بشرت الملائكة إبراهيم بإسحاق قالوا: ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَالِمٍ﴾ [الحجر: ٥٣]، وقال تعالى: ﴿بَشِّرْنَاهَا بِيَسْحَاقَ وَيْنَ وَكَوْنَا يَسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ [مريم: ٥٦] أي: يولد له في حياتها ولد يسمى يعقوب، فيكون من ذريته عقب ونسل. ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّنَةَ﴾ أي: كبر وترعرع وصار يذهب مع أبيه ويمشي معه. وقد كان إبراهيم عليه السلام يذهب في كل وقت يتفقد ولده وأم ولده ببلاد «فاران» وينظر في أمرهما. وعن ابن عباس ومجاهد: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّنَةَ﴾ يعني: شبَّ وأرجل وأطاق ما يفعله أبوه من السعي والعمل. ﴿كَأَلَيْسَ إِنَّ رَبِّيَ لَشَدِيدٌ﴾ أي: أليس الله من شدة الله من الصلابة؟ قال عبيد بن عمير: رؤيا الأنبياء وخي، ثم تلا هذه الآية: ﴿كَأَلَيْسَ إِنَّ رَبِّيَ لَشَدِيدٌ﴾ أي: أليس الله من شدة الله من الصلابة؟ وإنما أعلم ابنه بذلك ليكون أهون عليه، وليختبر صبره وجلده وهزمه من صغره على طاعة الله تعالى وطاعة أبيه. ﴿قَالَ يَبْنَوتُ أَفْعَلُ مَا تُؤْمُرُ﴾ أي: امض لما أمرك الله من ذبيحي ﴿سَجِدْ لِلَّهِ إِنَّ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ أي: سأصبر وأحسب ذلك عند الله. ﴿وَصَدَّقَ - صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ - فِيهَا وَعَدَ﴾ ولهذا قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ ﴿١٠٠﴾ وَكَانَ بِأَمْرِهِمْ بِالْصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِمْ مَرْضِيًّا﴾ [مريم: ٥٤-٥٥].

(١) الطاعون: وباء معروف، ويقال للمصاب به: طعن، ومطمون: [يراجع القاموس المحيط، مادة (طعن)].



يشغل المصلي». قال سفيان: لم يزل قرنا الكيش معلقين في البيت حتى احترق البيت، فاحترقا إرواه أحمد وأبو داود، وصححه الألباني.

وهذا دليل مستقل على أنه إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَام، فإن قريناً توارثوا قرني الكيش الذي قُدِّي به إبراهيم خلفاً عن سلف وجيلاً بعد جيل إلى أن بعث الله رسوله ﷺ.

الآية (١١٢-١١٣): ﴿وَنَزَّلْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ لما تقدمت البشارة بالذبيح - وهو إسماعيل - عطف بذكر البشارة بأخيه إسحاق. قوله: ﴿نَبِيًّا﴾ حال مقدرة، أي: سيصير منه نبي من الصالحين. قوله: ﴿وَنَزَّلْنَاهُ عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا نَحْنُ وَغَالِمْ لِنَفْسِهِ هُيُوتٌ﴾ كقوله: ﴿قِيلَ يَتُوحَّ أَهْبَطْ يَسْكُنْ مِنَّا وَزَكَتْ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمِّهِ وَمِمَّن مَّعَكَ وَأُمُّهُمْ سَتَعْتَمُهُمْ ثُمَّ يَعْتَمُهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [هود: ٤٨].

الآية (١١٤-١١٦): يذكر تعالى ما أنعم به على موسى وهارون من النبوة والنجاة بمن آمن معهم من قهر فرعون وقومه، وما كان يعتمد في حقهم من الإساءة العظيمة من قتل الأبناء واستحياء النساء، واستعمالهم في أحسن الأشياء. ثم بعد هذا كله نصرهم عليهم، وأقر أعينهم منهم، وغلبهم وأخذوا أرضهم وأموالهم وما كانوا جمعه طول حياتهم.

الآية (١١٧-١٢٢): ثم أنزل الله ﷻ على موسى الكتاب العظيم الواضح الجلي المستبين، وهو التوراة؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضَيْكَةَ﴾ [الأنبياء: ٤٨]. وقال ههنا: ﴿وَأَنزَلْنَاهُ الْكِتَابَ الْمُنِيرَ﴾ ﴿وَهَدَيْنَاهُمَا صِرَاطَ الْمُسْتَقِيمِ﴾ أي: في الأقوال والأفعال ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرَةِ﴾ أي: أبقينا لهما من بعدهما ذكراً جيلاً ونساءً حسناً.

ثم فسر بقوله: ﴿سَلَّمْنَا عَلَىٰ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ ﴿وَنَزَّلْنَا الْكِتَابَ الْغُرُورِ﴾ ﴿إِنَّمَا مِنْ عِبَادَاتِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

الآية (١٢٣-١٢٤): قال قتادة وابن إسحاق: يقال: إلياس هو إدريس. عن عبد الله بن مسعود قال: إلياس هو إدريس. ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ: لَا تَتَّبِعُوا آلَ نَافُثٍ﴾ أي: ألا تحافون الله في عبادتكم غيره؟!

الآية (١٢٥-١٢٦): ﴿أَلَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَلْقِينَ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وقاتدة: ﴿بَعْلًا﴾ يعني: رباً. قال قتادة وعكرمة: وهي لغة أهل اليمن. وفي رواية عن قتادة: هي لغة أزد شنوء. وقال ابن إسحاق: أخبرني بعض أهل العلم أنهم كانوا يعبدون امرأة اسمها: «بعل». وقال زيد بن أسلم: هو اسم صنم كان يعبد أهل مدينة يقال لها: «بعلبك» غربي دمشق. وقال الضحاك: هو صنم كانوا يعبدونه. قوله: ﴿أَلَدْعُونَ بَعْلًا﴾ أي: أتعبدون صنماً؟! ﴿وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَلْقِينَ﴾ ﴿اللَّهُ رِبُّكُمْ وَالْأَوَّلِينَ﴾ أي: هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له.

الآية (١٠٣): ﴿ثَلَاثًا أَسَلْنَا﴾ أي: فلما تشهدوا وذكرنا الله تعالى: إبراهيم على الذبح والولد على شهادة الموت. وقيل: ﴿أَسَلْنَا﴾ يعني: استسلبا وانقادا؛ إبراهيم امتثل أمر الله، وإسماعيل طاعة لله وأبيه. قاله مجاهد وعكرمة والسدي. ومعنى ﴿وَنَزَّلَهُ لِلْجَنِّينَ﴾ أي: صرعه على وجهه لينبجه من قفاه، ولا يشاهد وجهه عند ذبحه، ليكون أهون عليه. قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وقاتدة: ﴿وَنَزَّلَهُ لِلْجَنِّينَ﴾ أكتبه على وجهه. عن ابن عباس أنه قال: لما أمر إبراهيم بالمتناسك عرض له الشيطان عند المسعى، فسابقه فسبقه إبراهيم، ثم ذهب به جبريل إلى جرة العقبة، فعرض له الشيطان، فرماه بسبع حصيات، حتى ذهب، ثم عرض له عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات، وتَمَّ ثَلَاثًا لِلْجَنِّينَ، وعلى إسماعيل قميص أبيض، فقال له: يا أبت، إنه ليس لي ثوب تكفني فيه غيره، فاخلعه حتى تكفني فيه. فعالجه ليخلعه، فتودى من خلفه: ﴿أَن يَتَذَكَّرَ لَكُمْ يَوْمَ تَكُونُ الْأَرْضُ أَدْنَىٰ مِّنْ يَدَيْهِ فَذَرْهُنَّ عَنكُم مَّحْضُوحَاتٍ لِّكُلِّ شَايِءٍ عَنِ الْإِنسَانِ﴾ [الأنبياء: ١٠٥-١٠٦]. قال ابن عباس: لقد رأيتنا نتبع ذلك الضرب من الكباش [رواه أحمد، وصححه أحمد شاكر].

الآية (١٠٤-١٠٥): قوله: ﴿وَنَزَّلْنَاهُ بِإِسْحَاقَ﴾ ﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾ أي: قد حصل المقصود من رؤياك وإضحائك ولدك للذبح. وذكر السدي وغيره أنه أمر السكين على رقبته فلم تقطع شيئاً، بل حال بينها وبينه صفيحة من نحاس، ونودي إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَام عند ذلك: ﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾. وقوله: ﴿إِنَّا كَذَّبُكَ نَجْرَى الْمُحْسِنِينَ﴾ أي: هكذا نصرف عمن أطاعنا المكاره والشدائد، ونجعل لهم من أمرهم فرجاً وخرجاً؛ كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ ﴿وَنَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٢-٣].

الآية (١٠٦): ﴿إِن كَذَّبْنَا لَمَّا بَلَّغُوا الْآيَاتِ﴾ أي: الاختبار الواضح الجلي؛ حيث أمر بذبح ولده فسارع إلى ذلك مستسلماً لأمر الله، منقاداً لطاعته؛ ولهذا قال: ﴿يَتَذَكَّرُ لَكُمْ يَوْمَ تَكُونُ الْأَرْضُ أَدْنَىٰ مِّنْ يَدَيْهِ فَذَرْهُنَّ عَنكُم مَّحْضُوحَاتٍ لِّكُلِّ شَايِءٍ عَنِ الْإِنسَانِ﴾ [النجم: ٣٧].

الآية (١٠٧-١١١): قوله: ﴿وَنَزَّلْنَاهُ بِذَنبٍ عَظِيمٍ﴾ عن ابن عباس قال: الصخرة التي بنى بأصل ثبير هي الصخرة التي ذبح عليها إبراهيم فداء ابنه. وقال مجاهد: ذبحه بمنى عند المنحر. وعن عكرمة أن ابن عباس كان أفتى الذي جعل عليه نذراً أن ينحر نفسه، فأمره بإثابة من الإبل. ثم قال بعد ذلك: لو كنت أفتيته بكيش لأجزاه أن يذبح كبشاً؛ فإن الله تعالى قال في كتابه: ﴿وَنَزَّلْنَاهُ بِذَنبٍ عَظِيمٍ﴾. والصحيح الذي عليه الأكثرون أنه قُدِّي بكيش. وقد روى الإمام أحمد عن صفية بنت شيبة قالت: أخبرني امرأة من بني سليم - ولدت عامة أهل دارنا - أرسل رسول الله ﷺ إلى عثمان بن طلحة، وقال مرة: إنها سألت عثمان: لم دعاك النبي ﷺ؟ قال: قال لي رسول الله ﷺ: «إني كنت رأيت قرني الكيش، حين دخلت البيت [أي: الكعبة]، فنسيت أن أمرك أن تحمهما، فحتمهما، فإنه لا ينبغي أن يكون في البيت شيء



## ● الوقفات التدبرية

● ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴾

انتقاداً وخضعا لأمر الله تعالى؛ قال ابن عباس: أضجعه على جبينه على الأرض والجهة بين الجبينين. البغوي: ٦٦٧/٣.

السؤال: ما فائدة التعبير بصيغة المثني في قوله: (أسلما)؟

● ﴿ قَدْ سَدَقَ الرَّؤْيَا ﴾

أي: قد حصل المقصود من رؤياك واضجاعك ولذك للذبح. ابن كثير: ١٧/٤.

السؤال: كيف صدق الرؤيا وهو لم يذبح ولده؟

● ﴿ إِنَّكَ هَذَا كَوَيْلَتَا الْيَتِيمِ ﴾

هو خليل الرحمن، والخلة أعلى أنواع المحبة وهو منصب لا يقبل المشاركة، ويقتضي أن تكون جميع أجزاء القلب متعلقة بالمحبيب، فلما تعلقت شعبة من شعب قلبه بابنه إسماعيل أراد تعالى أن يصفى وده، ويختبر خلته، فأمره أن يذبح من زاعم حبه حب ربه، فلما قدم حب الله، وآثره على هواه، وعزم على ذبحه، وزال ما في القلب من المزاحم، بقي الذبح لا فائدة فيه. السعدي: ٧٠٦.

السؤال: كانت هذه الواقعة امتحاناً وتصفيّة لقلب إبراهيم -عليه السلام- بين ذلك.

● ﴿ وَلَدَيْنَهُ يَذْبَحُ عَظِيمًا ﴾

كان عظيماً من جهة أنه كان فداءً لإسماعيل، ومن جهة أنه من جملة العبادات الجليلة، ومن جهة أنه كان قرباناً وسُنَّةً إلى يوم القيامة. السعدي: ٧٠٦.

السؤال: ما وجه وصف القربان بأنه عظيم؟

● ﴿ وَرَكَّعَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴾ ﴿ سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾

سأل إبراهيم، فقال: (وأجعل لي لسان صدق في الآخرين) (الشعراء: ٨٤) قال: فترك الله عليه الشاء الحسن في الآخرين، كما ترك اللسان السوء على فرعون وأشباهه. الطبري: ٩١/٢١.

السؤال: اذكر علامة على إرادة الله سبحانه الخير بالإنسان تظهر بعد موته.

● ﴿ وَرَكَّعَا عَلَيْهِ وَكَانَ إِنْشَقَّ وَبَيْنَ ذُرِّيَّتَيْهَا حَمِيمٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِيرٌ ﴾

وفيه تنبيه على أن الخبيث والطيب لا يجري أمرهما على العرق والعنصر؛ فقد ولد البُرُّ الفاجر والفاجرُ البُرُّ، وعلى أن فساد الأعداء لا يُعدُّ غصاصة على الآباء، وأن مناطق الفضل هو خصال الذات وما اكتسب المرء من الصالحات، وأما كرامة الآباء فتكملة للكمال وباعت على الاتسام بفضائل الخلال. ابن عاشور: ١٦٢/٢٣.

السؤال: الخبيث والطيب لا يجري أمرهما على العرق، بين ذلك من الآية الكريمة.

● ﴿ وَرَكَّعَا عَلَيْهِ وَكَانَ إِنْشَقَّ وَبَيْنَ ذُرِّيَّتَيْهَا حَمِيمٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِيرٌ ﴾

لما ذكر البركة في الذرية والكرمة قال: منهم محسن، ومنهم مسيء، وأن المسيء لا تنفعه بنة النبوة؛ فاليهود والنصارى وإن كانوا من ولد إسحاق، والعرب وإن كانوا من ولد إسماعيل، فلا بد من الفرق بين الحسن والمسيء، والمؤمن والكافر. القرطبي: ٨٣/١٨.

السؤال: هل يكفي عنك صلاح أبيك؟ وهل يضررك فساده؟

فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٧﴾ وَتَدْنِيَنَّهُ أَنْ يَتَابَرَهُمَا ﴿١٨﴾ قَدْ صَدَّقَتِ الرَّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩﴾ هَذَا هُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿٢٠﴾ وَقَدَرْنَاهُ بِذَنْجٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ وَرَكَّعَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٢٢﴾ سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٢٣﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٤﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٥﴾ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنْ الصَّالِحِينَ ﴿٢٦﴾ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ ﴿٢٧﴾ وَمِنْ ذُرِّيَّتَيْهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿٢٨﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿٢٩﴾ وَخَيَّرْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٣٠﴾ وَنَصَرْنَاهُمْ فَمَا نَوَّاهُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٣١﴾ وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٣٢﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٣٣﴾ وَرَكَّعَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ﴿٣٤﴾ سَلَّمَ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٧﴾ وَإِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ لَمَّا أُنْمِلَتْ أَلْسِنُهُ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ آلِهَتَكُمْ ﴿٣٨﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَلْقِينَ ﴿٣٩﴾ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٤٠﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
أَسْلَمَا	استسلمَا لأمر الله.
وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ	ألقاهُ عَلَى جَانِبِ جَبْهَتِهِ عَلَى الْأَرْضِ.
الْبَلَاءُ الْمُبِينُ	الِاخْتِبَارُ الشَّاقُّ الَّذِي أَبَانَ عَنْ صِدْقِ إِيْمَانِهِ.
وَقَدَرْنَاهُ	جَعَلْنَاهُ بَدِيلًا عَنْهُ.
يَذْبَحُ	يَكْبِشُ.
أَتَدْعُونَ بَعْلًا	أَتَعْبُدُونَ الصَّنَمَ الْمُسَمَّى: «بَعْلًا».

## ● العمل بالآيات

١. ابتسم في وجه أخيك، أو ساعد جارك في حمل متاعه، أو ألق كلمة طيبة على زملائك، فكل هذا من الإحسان، ﴿ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُتَّقِينَ ﴾.
٢. قل: اللهم اهدني الصراط المستقيم، ﴿ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾.
٣. وزع شريطاً أو كتيباً على زملائك أو في الحي تدعوهم به إلى الله، ﴿ وَإِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ لَمَّا أُنْمِلَتْ أَلْسِنُهُ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ آلِهَتَكُمْ ﴾.

## ● التوجيهات

١. النسب والجاه لا ينجيان العبد، والمعول عليه صالح العمل بعد رحمة أرحم الراحمين، ﴿ وَرَكَّعَا عَلَيْهِ وَكَانَ إِنْشَقَّ وَبَيْنَ ذُرِّيَّتَيْهَا حَمِيمٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِيرٌ ﴾.
٢. اعلم أن الفرج يأتي بعد الشدة والضيق، فلا تياس، وإن من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه، ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴾ ﴿ وَتَدْنِيَنَّهُ أَنْ يَتَابَرَهُمَا ﴾ ﴿ قَدْ سَدَقَ الرَّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾.
٣. دعاء غير الله مناف للتعقوى، فاحرص على تحقيق التقوى بدعاء الله وحده سبحانه، ﴿ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ آلِهَتَكُمْ ﴾ ﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَلْقِينَ ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿ سَلَّمَ عَلَى آلِ يَأْقِينَ ﴾ ﴿ إِنَّا كَذَّبْنَا نَجْرِي الْمُنَجِّينَ ﴾ ﴿ إِنَّمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُنَجِّينَ ﴾  
وفي قصة إلياس إنباء بأن الرسول عليه أداء الرسالة، ولا يلزم من ذلك أن يشاهد عقاب المكذبين ولا هلاكهم للرد على المشركين الذين قالوا: (متى هذا الوعد إن كنتم صادقين) (يونس: ٤٨)؛ قال تعالى: (قل رب إما تريني ما يوعدون) ﴿ رب فلا تجعلني في القوم الظالمين ﴾ وإنا على أن نريك ما نعدهم (لقادرون) المؤمنون: ٩٣ - ٩٥. ابن عاشور: ١٧٠/٢٣.  
السؤال: على الداعية تبليغ الدعوة لا غير، وليس عليه انتظار عقوبة من خالفه، بين ذلك من الآية الكريمة.

﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَكُونُونَ عَلَيْهِمْ مُصِيبِينَ ﴾ ﴿ وَيَأْتِلُ أَلْفًا مَقُولًا ﴾  
تمرون بالنهار والليل عليهم؛ إذا ذهبتم إلى أسفاركم ورجعتم، (افلا تقولون) فتعتبرون بهم. البغوي: ٦٧٨/٣.

السؤال: بقاء آثار السابقين للاعتبار والتخويف وليس للتسلية والترفيه، بين هذا من خلال الآية.

﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَكَانَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ ﴿ إِذْ أُنْقِيَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴾ ﴿ فَسَأَمَ فُلْكَانَ مِنَ الْمُحْضِينَ ﴾ ﴿ فَالتَّمَمَهُ الْحَوْتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾ ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴾ ﴿ لَكُنَّ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾

واعلم أن الغرض من ذكر يونس هنا تسلية النبي ﷺ فيما يلقاه من نقل الرسالة بأن ذلك قد انقل الرسل من قبله، فظهرت مرتبة النبي ﷺ في صبره على ذلك، وعدم تنمره، وإعلام جميع الناس بأنه مأمور من الله تعالى بمداومة الدعوة للدين؛ لأن المشركين كانوا يلومونه على الحاجة عليهم، ودعوته إياهم في مختلف الأزمان والأحوال. ابن عاشور: ١٧٨/٢٣.

السؤال: ما الغرض من ذكر قصة يونس عليه السلام؟

﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَكَانَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ ﴿ إِذْ أُنْقِيَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴾  
ولم يذكر الله ما غاضب عليه، ولا ذنبه الذي ارتكبه؛ لعدم فائدتنا بذكره، وإنما فائدتنا بما ذكرنا عنه أنه أذنب، وعاقبه الله مع كونه من الرسل الكرام، وأنه نجاه بعد ذلك، وأزال عنه اللام، وقبض له ما هو سبب صلاحه. السعدي: ٧٠٧.

السؤال: ماذا تستفيد من علمك أن نبياً من الأنبياء عوقب بسبب ذنب فعله؟  
﴿ إِذْ أُنْقِيَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴾

أي: أراد الهروب، ودخل في البحر، وعبر عن هروبه بالإباق من حيث هو عبد الله، فر عن غير إذن مولاه؛ فهذه حقيقة الإباق. ابن عطية: ٤٨٥/٤.

السؤال: الإباق لفظ يستخدم لهروب العبد من سيده، فكيف قيل عن يونس أنه أبق مع أنه حر؟

﴿ إِذْ أُنْقِيَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴾  
أي: هرب إلى السفينة. (الفلك) هنا واحد، (المشحون): المملوء، وسبب هروبه غضبه على قومه حين لم يؤمنوا. ابن جزي: ٢٤١/٢.

السؤال: لم هرب نبي الله يونس - عليه السلام - إلى الفلك المشحون؟  
﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴾

أخبر الله - عز وجل - أن يونس كان من المسبحين، وأن تسبيحه كان سبب نجاته، ولذلك قيل: إن العمل الصالح يرفع صاحبه إذا عثر. قال الحسن: ما كان له صلاة في بطن الحوت، ولكنه قدم عملاً صالحاً في حال الرخاء؛ فذكره الله به في حال البلاء. القرطبي: ٩٩/١٨.

السؤال: ما سبب نجات نبي الله يونس عليه السلام؟

فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٧٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٧٨﴾ وَتَرَكَآ عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٧٩﴾ سَلَّمَ عَلَى آلِ يَأْسِينَ ﴿١٨٠﴾ إِنَّا كَذَّبْنَا نَجْرِي الْمُحْضِينَ ﴿١٨١﴾ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٨٢﴾ وَإِنْ لَوْطَا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨٣﴾ إِذْ أَخْتَلَفْتَهُ وَاهِلَهُ وَأَجْمَعِينَ ﴿١٨٤﴾ الْأَعْمَجُورَ فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٨٥﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٨٦﴾ وَانْكُورَ لَمْرُؤٍ عَلَيْهِمْ مُصِيبِينَ ﴿١٨٧﴾ وَيَأْتِلُ أَلْفًا مَقُولًا ﴿١٨٨﴾ وَيُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨٩﴾ إِذْ أُنْقِيَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٩٠﴾ فَسَأَمَ فُلْكَانَ مِنَ الْمُحْضِينَ ﴿١٩١﴾ فَالتَّمَمَهُ الْحَوْتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٩٢﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٩٣﴾ لَكُنَّ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٩٤﴾ وَتَرَكَآ عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٩٥﴾ سَلَّمَ عَلَى آلِ يَأْسِينَ ﴿١٩٦﴾ إِنَّا كَذَّبْنَا نَجْرِي الْمُحْضِينَ ﴿١٩٧﴾ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩٨﴾ وَالْعَمَجُورَ فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٩٩﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ ﴿٢٠٠﴾ وَانْكُورَ لَمْرُؤٍ عَلَيْهِمْ مُصِيبِينَ ﴿٢٠١﴾ وَيَأْتِلُ أَلْفًا مَقُولًا ﴿٢٠٢﴾ وَيُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠٣﴾ إِذْ أُنْقِيَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿٢٠٤﴾ فَسَأَمَ فُلْكَانَ مِنَ الْمُحْضِينَ ﴿٢٠٥﴾ فَالتَّمَمَهُ الْحَوْتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٢٠٦﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿٢٠٧﴾ لَكُنَّ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٢٠٨﴾ وَتَرَكَآ عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٢٠٩﴾ سَلَّمَ عَلَى آلِ يَأْسِينَ ﴿٢١٠﴾ إِنَّا كَذَّبْنَا نَجْرِي الْمُحْضِينَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٢﴾

المزبور

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
الغَابِرِينَ	الْبَاقِينَ فِي الْعَذَابِ.
أَبَقَ	هَرَبَ مِنْ بَلَدِهِ مِنْ غَيْرِ إِذْنِ رَبِّهِ.
فَسَأَمَ	اِقْتَرَعَ رُكُوبَ السَّفِينَةِ؛ لِتَخْفِيفِ الْحُمُولَةِ خَوْفِ الْغُرُقِ.
الْمُحْضِينَ	الْمَغْلُوبِينَ بِالْقُرْعَةِ.
فَالْتَمَمَهُ	ابْتَلَعَهُ.
مُلِيمٌ	أَبَ بِمَا يَلَامُ عَلَيْهِ.
فَتَبَدَّدَاهُ	فَطَرَحْنَاهُ مِنْ بَطْنِ الْحَوْتِ.

## ● العمل بالآيات

١. قل: اللهم اجعلني من عبادك المخلصين، ﴿ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴾.
٢. تذكر أحدًا من معارفك دعوته حتى يست من هدايته، ثم استغفر الله من يأسك؛ فإنه معصية لله سبحانه، ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَكَانَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ ﴿ إِذْ أُنْقِيَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴾.
٣. سبح الله تعالى لعل الله يدفع عنك البلاء بذلك، ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴾ ﴿ لَكُنَّ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾.

## ● التوجيهات

١. تأمل في الوعد الشديد لكل من كذب الرسل وأذاهم، ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾.
٢. اعلم أن العقل السوي يقود العبد المؤمن للاعتبار والتفكير في سنن الله تعالى، ﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَكُونُونَ عَلَيْهِمْ مُصِيبِينَ ﴾ ﴿ وَيَأْتِلُ أَلْفًا مَقُولًا ﴾.
٣. اعلم أن أعظم الإهك ما كان متعلقاً بحق الله تعالى، ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكَهُمْ يُقُولُونَ ﴾ ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَكَذِبُونَ ﴾.

لها فهي من البقطين. وفي رواية عنه: كل شجرة تَهْلِك من عابها فهي من البقطين. وذكر بعضهم في القرع فوائد، منها: سرعة نباته، وظليل ورقه لكبره، ونعومته، وأنه لا يقرها الذباب، وجودة أغذية ثمره، وأنه يؤكل نيئاً ومطبوخاً بله وقشره أيضاً. وقد ثبت أن رسول الله ﷺ كان يحب اللبأ، ويشبهه من خواشي الصُّحُفَة (متفق عليه).

الآية (١٤٧-١٤٨): ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُكَ﴾ عن ابن عباس أنه قال: إنما كانت رسالة يونس بعد ما نبذه الحوت. وقال مجاهد: أرسل إليهم قبل أن يلتقمه الحوت. قلت: ولا مانع أن يكون الذين أرسل إليهم أولاً، أمر بالعدو إليهم بعد خروجه من الحوت، فصعدوه كلهم وأماتوا به. قوله: ﴿أَوْ يَزِيدُكَ﴾ قال ابن عباس - في رواية عنه - بل يزيدون، وكانوا مائة وثلاثين ألفاً. قال ابن جرير: وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول في ذلك: معناه إلى المائة الألف، أو كانوا يزيدون عندهم، يقول: كذلك كانوا عندهم. ولهذا سلك ابن جرير ههنا ما سلكه عند قوله: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ يَوْمَ بَعْدَ ذَلِكَ فَيَمَى كَالْجِبَارِ أَوْ أَشَدَّ سَوَاءً﴾ [البقرة: ٧٤]، أن المراد ليس أنقص من ذلك، بل أزيد. ﴿فَتَأْتُوا﴾ أي: فآمن هؤلاء القوم الذين أرسل إليهم يونس عليه السلام جميعهم ﴿فَتَعْتَنَّهُمْ الْإِلَهِينَ﴾ أي: إلى وقت آجالهم؛ كقوله: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَنُهَا إِلَّا قَوْمٌ يَبُوءُونَ لِمَا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ غِيَابَ الْخَبْرِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَنَعْتَنَّهُمْ الْإِلَهِينَ﴾ [يونس: ٩٨].

الآية (١٤٩-١٥٣): يقول تعالى منكراً على هؤلاء المشركين في جعلهم لله البنات سبحانه ولم هم يشتبهون؛ أي: من الذكور؛ أي: يَدُون لأنفسهم الجيد. ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [النحل: ٥٨]؛ أي: يسوءه ذلك، ولا يختار لنفسه إلا البنين. يقول ﷺ: فكيف نسبوا إلى الله القسم الذي لا يختارونه لأنفسهم؟! ولهذا قال: ﴿فَأَسْتَفْتِيهِمْ﴾ أي: سلهم على سبيل الإنكار عليهم: ﴿أَلَرَأَيْتَ الْبَنَاتَ وَلَهُنَّ الْبُتُوكُ﴾؟ كقوله: ﴿أَلَا تَرَ أَنَّ الْفُلُوكَ وَالْأَنْفُ ①﴾ ﴿يَلِكُ إِذَا فُتِحَتْ يَابِغَةُ﴾ [النجم: ٢١-٢٢]. ﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾؟ أي: كيف حكموا على الملائكة أنهم إناث وما شاهدوا خلقهم؟! كقوله: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِندَ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَخِيبًا لَّهُمْ شَهَادَاتٌ وَعَشُونَ﴾ [الرعد: ١٩]؛ أي: يسألون عن ذلك يوم القيامة. ﴿أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ لَدُنْكَ﴾ أي: من كذبهم ﴿لَقَوْلُوكَ ②﴾ ﴿وَلَدَ اللَّهُ﴾ أي: صدر منه الولد ﴿وَأَنَّهُمْ لَكَاِبُونَ﴾، فذكر الله عنهم في الملائكة ثلاثة أقوال في غاية الكفر والكذب: فأولاً جعلوهم بنات الله، فجعلوا لله ولداً. وجعلوا ذلك الولد أنثى. ثم عبدوهم من دون الله. وكل منها كافٍ في التخليد في نار جهنم. ثم قال منكراً عليهم: ﴿أَسْطَقَى الْبَنَاتَ عَلَى الْكَسْبِ﴾ أي: أي شيء يجعله على أن يختار البنات دون البنين؟! كقوله: ﴿أَفَأَسْفَكَ دَمَكُمْ بَالَيْنٍ وَاتَّخَذَ مِنْ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا لَنُكْفَرُنَّ قَوْلًا عَظِيمًا﴾ [الإسراء: ٤٠].

الآية (١٢٧-١٣٢): ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ أي: للعذاب يوم الحساب ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ أي: الموحدين منهم. قوله: ﴿وَرَزَّكَ عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ أي: ثناء جليلاً ﴿سَلَّمَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ كما يقال في إسماعيل: إسماعيل. وهي لغة بني أسد. وقرأ آخرون: «سلام على إدراسين»، وهي قراءة عبد الله بن مسعود. قوله: ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْضَرِينَ ③﴾ ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ قد تقدم تفسيره.

الآية (١٣٣-١٣٨): يجز تعالى عن عبده ورسوله لوط عليه السلام أنه بعثه إلى قومه فكذبوه، فنجاه الله من بين أظهرهم هو وأهله، إلا امرأته؛ فإنها هلكت مع من هلك من قومها؛ فإن الله تعالى أهلكتهم بأنواع من العقوبات، وجعل محلتهم من الأرض بحيرة متنتة قبيحة المنظر والطعم والريح، وجعلها بسبيل مقيم، يمر بها المسافرون ليلاً ونهاراً؛ ولهذا قال: ﴿وَلَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَخِيمَاتِهِمْ ④﴾ ﴿وَلَنَأْتِيَنَّ أَفْكَاءًا يَقُولُونَ﴾ أي: أفلا تعتبرون بهم كيف دمر الله عليهم، وتعلمون أن للكافرين أمثالها؟!.

الآية (١٣٩-١٤٢): في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى». قوله: ﴿إِذَا بَلَغَ إِلَىٰ فَلَيْكِ الْمَسْجُودُ﴾ قال ابن عباس: هو الموقر، أي: المملوء بالامتعة ﴿سَاعَهُمْ﴾ أي: قارعه ﴿فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾ أي: المغلوبين؛ وذلك أن السفينة تَلَمَّحَتْ بها الأمواج من كل جانب، وأشرافوا على الغرق، فسامها على من تقع عليه القرعة يلقي في البحر، لتخف بهم السفينة، فوقعت القرعة على نبي الله يونس عليه الصلاة والسلام ثلاث مرات، وهم يَضُوتُونَ ⑤ به أن يلقي من بينهم، فتجرد من ثيابه ليلقي نفسه وهم يأبون عليه ذلك. وأمر الله تعالى حوثاً من البحر أن يشق البحار، وأن يلتقم يونس عليه السلام، فلا يَبْشُرُ له لحماً، ولا يكسر له عظماً.

الآية (١٤٣-١٤٦): ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ⑥﴾ لَكُنَّ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ⑦ قيل: لولا ما تقدم له من العمل في الرخاء. قاله الضحّاك بن قيس وقادة. واختاره ابن جرير. وفي حديث عن ابن عباس: «تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة» رواه أحمد والترمذي، وصححه أحمد شاكر والألباني. وقال ابن عباس وسعيد بن جبّير: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ يعني: المصلين. وصرح بعضهم بأنه كان من المصلين قبل ذلك. وقيل: المراد هو قوله: ﴿فَكَادَتْ أَنْ أَقْلَمُنَّ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنَّا كُنْهُنَ مِنَ الظَّالِمِينَ ⑧﴾ فَأَسْتَجَبْنَا لَهُ وَجِجْتَهُ مِنَ الْقَدَرِ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ⑨ [الأنبياء: ٨٧-٨٨]، قاله سعيد بن جبّير. ولهذا قال تعالى: ﴿فَبَدَّلْنَاهُ﴾ أي: ألقيناه ﴿وَالْعَرَاءَ﴾ قال ابن عباس: وهي الأرض التي ليس بها نبت ولا بناء. ﴿وَهُوَ سَفِيرٌ﴾ أي: ضعيف البدن. قال ابن مسعود: كهنية الفرخ ليس عليه ريش. وقال السّدي: كهنية الصبي حين يولد، وهو المنفوس. ﴿وَأَلْبَسْنَا عَلَيْهِ سَجْرَةً يَتَّبِعِينَ﴾ قال ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وغير واحد قالوا كلهم: البقطين هو القرع. وعن سعيد بن جبّير: وكل شجرة لا ساق

(١) يَضُوتُونَ به: يبخلون به؛ والمقصود أنه يمز عليهم اللقاء لمعرفتهم بصلاحه.

الآية (١٥٤-١٦٠): ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ أي: ما لكم عقول تدبرون بها ما تقولون؟! ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ شَيْءٌ﴾ أي: حجة على ما تقولونه. ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾ أي: هاتوا برهاناً على ذلك يكون مستنداً إلى كتاب منزل من السماء عن الله: أنه اتخذ ما تقولونه؛ فإن ما تقولونه لا يمكن استناده إلى عقل، بل لا يجوزُه العقل بالكلية. ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نِجَاسًا﴾ قال مجاهد: قال المشركون: الملائكة بناتُ الله. فسأل أبو بكر: فمن أمهاتهم؟ قالوا: بنات سُرّوات الجن. ولهذا قال: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتِ الْجِنَّةُ﴾ أي: الذين نسبوا إليهم ذلك ﴿أَنَّهُمْ لَمُحَضَّرُونَ﴾ أي: إن الذين قالوا ذلك لمحضرون في العذاب يوم الحساب لكنهم في ذلك وافترائهم. وقولهم الباطل بلا علم.

﴿سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي: تعالى وتقدس وتنزه عن أن يكون له ولد، وعما يصفه به الظالمون الملحدون علواً كبيراً. ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ وهم المتبعون للحق المنزل على كل نبي ومرسل.

الآية (١٦١-١٦٣): يقول تعالى مخاطباً للمشركين: ﴿فَاتَّخَذُوا ثُبُورًا﴾ ﴿١٦١﴾ مَا أَنتَرَ عَلَيْهِ بَنَاتَيْنِ﴾ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هَوَّسَ الشَّيْطَانُ﴾ أي: ما ينقاد لمقالكهم وما أنتم عليه من الضلالة والعبادة الباطلة إلا من هو أضل منكم عن ذوي الشار ﴿فَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَنَافٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاقِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩]. فهذا الضرب من الناس هو الذي ينقاد لادين الشرك والكفر والضلالة؛ كما قال تعالى: ﴿إِذْ كُنَّا فِي قُلُوبِ النَّاسِ﴾ ﴿١٦٣﴾ عَنَّةً مِّنْ ذِكِّكَ﴾ [التأريث: ١٩] أي: إنها يضل به من هو مأفوك ومبطل.

الآية (١٦٤-١٦٦): قال تعالى مُنْزَماً للملائكة عما نسبوا إليهم من الكفر بهم والكذب عليهم وأنهم بنات الله: ﴿وَمَا يَنبَغِي إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ أي: له موضع مخصوص في السموات ومقامات العبادة لا يتجاوزُه ولا يتعداه. قال الضحاك: كان مسروق يزوري عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «ما من السماء الدنيا موضع إلا عليه ملك ساجد أو قائم» فذلك قوله: ﴿وَمَا يَنبَغِي إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ [رواه الطحاوي في تشكيل الآثار، وحسنه الألباني]. ﴿وَلَيْتَ لَتَنَّ السَّاقُونَ﴾ أي: نقف صفوفاً في الطاعة. قال الوليد بن عبد الله بن أبي مغيث: كانوا لا يصفون في الصلاة حتى نزلت: ﴿وَلَيْتَ لَتَنَّ السَّاقُونَ﴾ فصنعوا. وفي صحيح مسلم عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «فُضِّلْنَا عَلَى النَّاسِ ثَلَاثًا: جُعِلَتْ صُفُوفُنَا كَصُفُوفِ الْمَلَائِكَةِ، الْخِدِثُ.

﴿وَلَيْتَ لَتَنَّ الْمُسَبِّحُونَ﴾ أي: نصطف فنسبح الرب ونمجده ونقدسه وتنزهه عن النقائص، فنحن عبيد له، فقرأ إليه، خاضعون لديه. وقال ابن عباس ومجاهد: ﴿وَمَا يَنبَغِي إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ الملائكة، ﴿وَلَيْتَ لَتَنَّ السَّاقُونَ﴾ الملائكة ﴿وَلَيْتَ لَتَنَّ الْمُسَبِّحُونَ﴾ الملائكة يسبحون الله عز وجل. وقال قتادة: ﴿وَلَيْتَ لَتَنَّ الْمُسَبِّحُونَ﴾ يعني: المصلون، يثبتون بمكانهم من العبادة؛ كما قال تعالى: ﴿رَقُّوا لِمَا أَتَخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ ﴿١٦٥﴾ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٦٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُوَ بِأَمْرِهِ يَتِمَّلُونَ ﴿١٦٧﴾ يَوْمَ مَا بَدَأَ أَلْبَهُمْ وَمَا كَفَّلَهُمْ وَلَا يَسْأَلُونَكَ إِلَّا لِمَنْ أَتَقَضَىٰ وَهُمْ مِنْ حَقِّهِمْ مُّشْفِقُونَ﴾ ﴿١٦٨﴾ وَنَنْ يُّقَلُّ مِنْهُمْ لِرَبِّ إِلَهٍ مِّنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٢٦-٢٩].

الآية (١٦٧-١٧٠): ﴿وَإِنْ كَانُوا يَقُولُونَ﴾ ﴿١٦٧﴾ لَنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ أي: قد كانوا يتمنون قبل أن تأتيهم با محد لو كان عندهم من يذكرهم بأمر الله، وما كان من أمر القرون الأولى، ويأتيهم بكتاب الله؛ كما قال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّكَوْنُوا أَهْدَىٰ مِنْ أَوَّلَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ [فاطر: ٤٢]؛ ولهذا قال ههنا: ﴿فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ وعيد أكيد وعهيد شديد على كفرهم بربهم ﷻ وتكذيبهم رسوله ﷺ.

الآية (١٧١-١٧٥): ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَيْفَنَّا لِعِبَادِنَا الْآلِثِينَ﴾ أي: تقدم في الكتاب الأول أن العاقبة للرسول وأتباعهم في الدنيا والآخرة؛ كما قال تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَخْلِيَنَّكَ أَنَا وَرُسُلِي إِلَيْكَ اللَّهُ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: ٢١]؛ ولهذا قال: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَيْفَنَّا لِعِبَادِنَا الْآلِثِينَ﴾ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ هُمُ الْمُتَّصِرُونَ﴾ أي: في الدنيا والآخرة. كما تقدم بيان نصرتهم على قومهم من كذبهم وخالفهم، وكيف أهلك الله الكافرين، ونجَّى عباده المؤمنين. ﴿وَلَيْتَ لَتَنَّ السَّاقُونَ﴾ أي: تكون لهم العاقبة. ﴿فَوَلَّوْا عَنْهُمْ حَتَّىٰ جِئَ﴾ أي: اصبر على أذاهم لك، وانتظر إلى وقت مؤجل؛ فإننا سنجعل لك العاقبة والنصرة والظفر. ﴿وَأَنصِرْهُمْ﴾ أي: أنظرهم وارقب ماذا يجل بهم من العذاب والكال على مخالفتك وتكذيبك؛ ولهذا قال على وجه التهديد والوعيد: ﴿فَسَوْفَ يَصِيرُونَ﴾.

الآية (١٧٦-١٧٩): ﴿أَفَعِدَّةَنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ أي: هم إنما يستعجلون العذاب لتكذيبهم وكفرهم؛ فإن الله بغضب عليهم بذلك، ويعجل لهم العقوبة. قال تعالى: ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِآيَاتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ﴾ أي: فإذا نزل العذاب بمحلتهم، فبئس ذلك اليوم يومهم، يهلكهم ودمارهم. قال السُّدِّي: ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِآيَاتِهِمْ﴾ يعني: بدارهم ﴿فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ﴾ أي: فبئس ما يصبحون؛ أي: بش الصبح صباحهم. ولهذا ثبت في الصحيحين عن أنس قال: صَبَّحَ رسول الله ﷺ خبير، فلما خرجوا بفؤوسهم ومساحيهم وأروا الجيش، رجعوا وهم يقولون: محمد والله، محمد والخميس. فقال النبي ﷺ: «الله أكبر، خربت خبير، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين». ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ حَتَّىٰ جِئَ﴾ ﴿١٧٨﴾ وَأَنصِرْ فَسَوْفَ يَصِيرُونَ﴾ تأكيد لما تقدم من الأمر بذلك.

الآية (١٨٠-١٨٢): ينزه تعالى نفسه الكريمة ويقدها ويربها عما يقوله الظالمون المكذبون، ولهذا قال: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ﴾ أي: ذي العزة التي لا تُرام ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ أي: عن قول هؤلاء المعتدين المقتربين، ﴿وَسَلَّمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ أي: سلام الله عليهم في الدنيا والآخرة؛ لسلامة ما قالوه في ربهم، وصحته وحقيقته، ﴿وَلَحَقَدَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي: له الحمد في الأولى والآخرة في كل حال.

ولما كان التسبيح يتضمن التنزيه والتبرئة من النقص بدلالة المطابقة، ويستلزم إثبات الكمال، كما أن الحمد يدل على إثبات صفات الكمال مطابقة، ويستلزم التنزيه من النقص؛ قرن بينهما في هذا الموضع، وفي مواضع كثيرة من القرآن. ولهذا قال: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَّمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿١٨١﴾ وَلَحَقَدَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.



## ● الوقفات التدبيرية

﴿ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نِسْبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾

أي: جعل هؤلاء المشركون بالله بين الله وبين الجنة نسباً ... والحال أن  
الجنة قد علمت أنهم محضرون بين يدي الله؛ ليجازيهم عباداً أذلاء، فلو  
كان بينهم وبينه نسب لم يكونوا كذلك؛ السعدي: ٧٠٨.

**السؤال: ما المقصد من وراء الإخبار عن الجنة بأنهم محضرون للحساب؟**

﴿ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١١١﴾ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِحِينَ ﴿١١٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ﴾

وفيها من المعاني ان الشياطين لا يصلون إلى إضلال أحد إلا من كتب الله عليه أنه لا يهتدي، ولو علم الله -جل وعز- أنه يهتدي لحال بينه وبينهم . القرطبي: ١١٢/١٨.

السؤال: هل يمكن للشيطان أن يصل لإضلالك متى شاء؟ وماذا تستفيد من ذلك؟

﴿ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴾

أي: ما منا ملك إلا له مقام معلوم في السموات؛ يعبد الله فيه، قال ابن عباس: ما في السموات موضع شبر إلا وعليه ملك يصلي أو يسبح.

البغوي: ٦٨١/٣.

**السؤال: بين حال الملائكة في العبادة.**

﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴾

أي: الواقفون في العبادة صفوها؛ ولذلك أمر المسلمون بتسوية الصفوف في صلاتهم؛ ليقعدوا باللائكة، وليس أحد من أهل الملل يصلون صفوهاً إلا المسلمون. ابن جزى: ٢/٢٤٤.

إلا المسلمون. ابن جزي: ٢٤٤/٢.

**السؤال: الملائكة أعظم المخلوقات قوة وأشدّها لله ذلّة، بين هذا من خلال الآية.**

﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴾ ﴿١٦٥﴾ ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسِخُونَ ﴾ ﴿١٦٦﴾

عن أبي نضرة قال: كان عمر إذا أقيمت الصلاة أقبل على الناس بوجهه، فقال: يا أيها الناس استووا، إن الله إنما يريد بكم هدي الملائكة (وإنما نحن الصافون ◆ وإننا نحن المسيحيون) استووا، تقدم أنت يا فلان، تأخر أنت أي هذا، فإذا استووا تقدم فكبر. الطبري: ١٢٨/٢١.

تأخر أنت أي هذا، فإذا استووا تقدم فكبر. الطبري: ١٢٨/٢١.

السؤال: تَشَبَّهَ الْمُؤْمِنُونَ بِالْمَلَائِكَةِ في أمر فيه تعظيم لله عز وجل، وضح ذلك.

﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾

نفسه عنها فقال: (سبحن ربك). السعدي: ٧٠٩.

نفسه عنها فقال: (سبحن ربك). السعدي: ٧٠٩.

**السؤال: لماذا ختم السورة بتسبيح نفسه سبحانه؟**

﴿ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

(والحمد لله رب العالمين): يقول تعالى ذكره: والحمد لله رب الثقلين: الجن، والإنس، خالصا دون ما سواه: لأن كل نعمة لعباده فمنه، فالحمد لله خالص لا شريك له، كما لا شريك له في نعمه عندهم. الطبري: ١٣٤/٢١.

**السؤال: لماذا يجب تخصيص الله -جل وعلا- بالحمد على النعم؟**

مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٥٥﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٥٦﴾ أَمْ كَرِهَ سُلْطَانُ ثِيْنٍ ﴿٥٧﴾  
فَأَنذِرْ بِكُنْ كَمَا إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٥٨﴾ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ  
مِثْقَالَكُمْ وَلَئِنْ كُنْتُمْ لَهُمْ لَخَشِيعُونَ ﴿٥٩﴾ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا  
يَصِفُونَ ﴿٦٠﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٦١﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿٦٢﴾  
مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِحِينَ ﴿٦٣﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَبِّيرِ ﴿٦٤﴾ وَمَا مِثْقَالُهَا إِلَّا  
لَهُ مِقْقَالٌ مَّعْلُومٌ ﴿٦٥﴾ وَأَنذِرْ الصَّافِينَ ﴿٦٦﴾ وَأَنذِرْ النَّاسَ الْمَسِيحِينَ ﴿٦٧﴾  
وَإِن كَانُوا لِلثُّغُلِ لَوَّارُونَ ﴿٦٨﴾ لَوْ أَن عِندَنَا ذِكْرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٩﴾ لَكُنَّا  
عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٧٠﴾ فَكْفُرُوا بِهِمْ فَسُوفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ  
سَبَقَتْ كُلُّمْنَا الْعِبَادَ وَالْمُرْسَلِينَ ﴿٧٢﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ﴿٧٣﴾  
وَإِن جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٧٤﴾ وَقَوْلَ عَنْهُمْ حَتَّى جِيئَ ﴿٧٥﴾ وَأَنصُرْهُمْ  
فَسُوفَ يَصِيرُونَ ﴿٧٦﴾ أَفَعِدَّائِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٧﴾ فَإِنَّا نَزَّلْ بِسَاحِيزِهِ  
فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذِرِينَ ﴿٧٨﴾ وَقَوْلَ عَنْهُمْ حَتَّى جِيئَ ﴿٧٩﴾ وَأَنصُرْ  
فَسُوفَ يَصِيرُونَ ﴿٨٠﴾ سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨١﴾  
وَسَلِّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿٨٢﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٣﴾

آیات

۱۰۰

40

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ	بِئْسَ الْحُكْمَ مَا تَحْكُمُونَهُ.
سُلْطَانٌ	حُجَّةٌ.
لِحَاضِرُونَ	إِنَّ الْكُفَّارَ سَيُحْضَرُونَ لِلْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.
بِقَاتِنَيْنِ	بِمُضِلِّينَ أَحَدًا.
صَالِ الْجَحِيمِ	مَنْ يَصَلَّى الْجَحِيمِ بِدُخُولِهَا وَمُقَاسَاةِ حَرِّهَا.
الصَّافُونَ	الْوَاقِفُونَ صُفُوفًا فِي عِبَادَةِ اللَّهِ.
بِسَاحَتِهِمْ	بِفَنَائِهِمْ.

## ● العمل بالآيات

١. قل: «سبحان الله وبحمده عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته»، ﴿سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصْنُونَ﴾.

٢. انضبط في الصف مستويا عند أدائك الصلاة، ﴿وَأِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ﴾.

٣. انصر هذه الأمة برسالة ترسلها لتكون من عباد الله الناصرين لدينه، ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ لِعِبَادِنَا الْغُرُسَيْنِ﴾ (٧١) ﴿إِنَّهُمْ لَمُتَّصِرُونَ﴾ (٧٢) ﴿وَلَنْ جُدُنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (٧٣).

## ● التوجيهات

١. اعتقد جازما ان دين الله تعالى منصور لا محالة، ﴿وَقَدِمَبَقْتُ كَيْتَنَا لِعِبَادَةِ الرَّسُولِ﴾  
 ﴿١٧١﴾ اِنَّهُمْ لَمُ الْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَلَنْ جُنْدَهُمْ اَلْقَابُونَ ﴿١٧٣﴾

٢. أمرنا الله تعالى بالإعراض عن المكذبين، ﴿وَوَلَّ عَنْهُمْ حَقَّ حِينٍ﴾.

۳. نَزَّ اللَّهُ وَسَبِّحْهُ إِذَا سَمِعْتَ قَوْلَ الْأَفَّاكِينَ، ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾.



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ص وَالْقُرْآنِ ذِى الذِّكْرِ ١ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ٢  
كِرَاهِلَكُمْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَ وَأَوَّلَاتٍ حِينَ مَنَاصٍ ٣ وَعَجِبُوا ٤  
أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكُفَرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ ٥  
أَجْعَلِ الْآلِهَةَ الْهَامِجِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ٦ وَأَطْلُقِ الْمَلَأُ ٧  
مِنْهُمْ أَنْ أَمْشُوا وَأَصْبِرُوا عَلَى الْهَيْكُورِ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ٨  
مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَافٌ ٩ أَنْزَلَ ١٠  
عَلَيْهِ الذِّكْرَ مِنْ بَيْنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَدْعُونَ عَذَابَ ١١  
أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنٌ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ١٢ أَمْ لَهُمْ مَلَكٌ ١٣  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا الْاَسْتَب ١٤ خُذْ ١٥  
مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْاَخْرَابِ ١٦ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ ١٧  
وَعَادُ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ١٨ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَبُ ١٩  
لَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَخْرَابِ ٢٠ إِنْ كُنْ إِلَّا كَذَّابٌ الرَّسُلُ ٢١  
فَحَقَّ عِقَابُ ٢٢ وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا الصَّيْحَةَ وَجَدَ مَا لَهَا ٢٣  
مِنْ قَوَاقٍ ٢٤ وَقَالُوا رَبَّنَا اجْعَلْ لَنَا قِطْعَةً قَبْلَ نَوْمِ الْحِسَابِ ٢٥

١٤٣

## معاني الكلمات

المعنى	الكلمة
دين آبائنا ودين النصارى.	الْمِلَّةُ الْآخِرَةُ
كذب، وافتراء.	اخْتِلَافٌ
فليارتقوا في الأسباب الموصلة إلى السماء، وليمنفوا الوحي.	فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ
أصحاب الأشجار والبساتين؛ وهم قوم شعيب عليه السلام.	وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ
رجوع.	قَوَاقٍ
نصيبنا من العذاب.	قِطْعَةً

## العمل بالآيات

١. قل: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير» ﴿كَمَلُ الْأَمَلَةِ إِلَهًا وَجَدْنَا هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾.
٢. قل: «اللهم اهزم الكفرة الذين يصدون عن سبيلك، ويعادون أهل دينك» ﴿جُنْدُ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَخْرَابِ﴾.
٣. اقرأ اليوم كتابا في التفسير فيه شرح لدرسك الذي تحفظه من القرآن ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِى الذِّكْرِ﴾.

## التوجيهات

١. اعتبر بالقرون الماضية التي اهلكها الله تعالى، ﴿كِرَاهِلَكُمْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَ وَأَوَّلَاتٍ حِينَ مَنَاصٍ﴾.
٢. من سنن الله الباقية إلى قيام الساعة سب دعاء الحق والاستهزاء بهم، فلا يُضِرْك ذلك، ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكُفَرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ﴾.
٣. لا تكن حاسدا للناس على نعم الله تعالى، فانت بذلك تعترض على قضاء الله وقدره، ﴿أَمْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرَ مِنْ بَيْنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَدْعُونَ عَذَابَ﴾.

## الوقفات التحذيرية

١. ﴿وَالْقُرْآنِ ذِى الذِّكْرِ﴾ ١ ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾

أي: إن في هذا القرآن لذكرا لمن يتذكر، وعبرة لمن يعتبر، وإنما لم ينتفع به الكافرون لأنهم (في عزة أي: استكبار عنه وحمية وشقاق أي: ومخالفة له، ومعاندة، ومفارقة. ابن كثير: ٢٧/٤).

السؤال: اذكر الموانع التي تمنع الإفادة من القرآن في الآيات.

١. ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾

قال بعض أهل العلم: أصل الشقاق من المشقة لأن المخالف المعاند يجتهد في إيصال المشقة إلى من هو مخالف معاند. وقال بعضهم: أصل الشقاق من شق العصا: وهو الخلاف والتفرق. الشنقيطي: ٣٣٠/٦.

السؤال: ما وجه وصف الله تعالى الكفار بأنهم في شقاق؟

١. ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكُفَرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ﴾

ولفظ: (هذا) أشاروا به إلى النبي ﷺ استعمالوا اسم الإشارة لتحقير مثله. ابن عاشور: ٢٩/٢٣.

السؤال: لماذا استعمل المشركون اسم الإشارة في التعبير عن النبي ﷺ؟

١. ﴿وَأَطْلُقِ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ أَمْشُوا وَأَصْبِرُوا عَلَى الْهَيْكُورِ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾

(نشيء يُراد أي: يقصد أي: له قصد ونية غير صالحة في ذلك، وهذه شبهة لا تروج إلا على السفهاء؛ فإن من دعا إلى قول حق أو غير حق لا يُردُّ قوله بالقدح في نيته، فنيته وعمله له، وإنما يُردُّ بمقابلته بما يبطله ويفسده من الحجج والبراهين. السعدي: ٧١٠).

السؤال: وضع من خلال هذه الآية: كيف ترد على من يقبح في نية العلماء والدعاة.

١. ﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرَ مِنْ بَيْنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَدْعُونَ عَذَابَ﴾

إنما اغتروا بطول الإمام، ولو ذاقوا عذابي على الشرك لزال عنهم الشك. القرطبي: ١٣٥/١٨-١٣٦.

السؤال: ما سبب اغترار الكفار وإصرارهم على الشرك؟

١. ﴿جُنْدُ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَخْرَابِ﴾

هذا وعيد بهزيمتهم في القتال، وقد هزموا يوم بدر وغيره. ابن جزي: ٢٤٨/٢.

السؤال: وعد الله نبيه بهزيمة المشركين في بداية دعوته في مكة والمسلمون مستضعفون، فمتى تحقق هذا الوعد؟

١. ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادُ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ﴾

ووصف فرعون بـ (ذو الأوتاد) لعظمة ملكه وقوته؛ فلم يكن ذلك ليحول بينه وبين عذاب الله. ابن عاشور: ٢٢/٢٣.

السؤال: ما فائدة وصف فرعون بـ (ذو الأوتاد)؟

## تفسير سورة «ص»

وهي مكية، [وعدد آياتها (٨٠) آية].

الآية (١-٣): أما الكلام على الحروف المقطعة فقد تقدم في أول سورة البقرة. «وَالْقُرْآنُ ذِي الذِّكْرِ» أي: والقرآن المشتمل على ما فيه ذكر للعباد، ونفع لهم في المعاش والمعاد. قال الضحاك: «ذِي الذِّكْرِ» كقوله: «لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ» [الأنبياء: ١٠] أي: تذكيركم. واختاره ابن جرير. وقال ابن عباس: «ذِي الذِّكْرِ» ذي الشرف، أي: ذي الشأن والمكانة. ولا منافاة بين القولين؛ فإنه كتاب شريف مشتمل على التذكير والإعذار والإنذار. «بِالَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزِّ رِيشَاقِي» أي: إن في هذا القرآن لذكرًا لمن يذكر، وعبرة لمن يعتبر. وإنما لم يتفق به الكافرون لأهم [في عِزِّهِ] أي: استكبار عنه وحمية، «وَرِيشَاقِي» أي: مخالفة له ومعاندة ومفارقة. ثم خوفهم ما أهلك به الأمم المكذبة قبلهم بسبب مخالفتهم للرسول وتكذيبهم الكتب المنزلة من السماء، فقال: «كَرَّاهُنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنْ قَبْلٍ» أي: من أمة مكذبة، «فَنَادَوْا» أي: حين جاءهم العذاب استغاثوا وجأروا إلى الله. وليس ذلك بمُخْجِدٍ عنهم شيئًا؛ كما قال تعالى: «فَلَمَّا أَصْحَاؤُا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِّنْهَا يَرْكَبُونَ» [الأنبياء: ١٢] أي: يهربون، «لَا تَرْكَبُوا وَأْتِجِعُوا إِلَيَّ مَا تَرْفَعُونَ» [الأنبياء: ١٣].

«وَلَا تَجِدُ حِينَ تُسَاءِلُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ» ليس بحين مفات. وقال محمد ابن كعب: نادوا بالتوحيد حين تولت الدنيا عنهم، واستنصوا<sup>(١)</sup> للتوبة حين تولت الدنيا عنهم. وقال مجاهد: ليس بحين فرار ولا إجابة. «وَلَا تَجِدُ حِينَ تُسَاءِلُ» أي: ليس الحين حين فرار ولا ذهاب.

الآية (٤-٨): «وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُمْ مُّذِيرٌ مِّنْهُمْ» أي: بشر مثلهم «وَقَالَ الْكَاذِبُونَ هَذَا سِحْرٌ مُّكْدَانٍ» ﴿٥﴾ «جَعَلَ الْآيَةَ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى» أي: أَرَعَمَ أَنْ الْعَبِيدَ وَاحِدَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ! أنكر المشركون ذلك وتعجبوا من ترك الشرك بالله؛ فإنهم كانوا قد تلقوا عن آبائهم عبادة الأوثان وأشرته قلوبهم، فلما دعاهم الرسول ﷺ إلى خلع ذلك من قلوبهم، وإفراد الإله بالوحدانية، أعظموا ذلك وتعجبوا وقالوا: «جَعَلَ الْآيَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ» ﴿٦﴾ «وَاتَّبَعُوا الْكَلْبَ مِنْهُمْ» وهم سادتهم وقادتهم وروساؤهم وكبرائهم قائلين: «أَسْأَلُكُمْ» أي: استمعوا على دينكم «وَأَسْمِعُوا عَلَىٰ مَا إِلَٰهِيكُمْ»، ولا تستجيبوا لما يدعوكم إليه محمد من التوحيد. «إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرْكَأُ» قال ابن جرير: إن هذا الذي يدعوننا إليه محمد من التوحيد لشيء يريد به الشرف عليكم، والاستعلاء، وأن يكون له منكم أتباع، ولسنا نجيبه إليه.

[سبب النزول]: عن ابن عباس قال: لما مرض أبو طالب دخل عليه رهم من قريش ... فقالوا: إن ابن أخيك يشتم أمتنا ... فلو بعثت إليه فنهيت؟ فبعث إليه فجاء النبي ﷺ ... فقال له أبو طالب: أي ابن أخي ما بال قومك يشكونك، يزعمون أنك تشتم أمتهم؟ ... وتكلم رسول الله ﷺ فقال: «يا عم إني أريدكم على كلمة واحدة! يقولونها تلين لهم بها العرب

(١) المناص: الملجأ. فالمقصود: لجؤوا إلى التوبة [ بنظر: لسان العرب، والقاموس المحيط، مادة (نوص) ].

وتؤدي إليهم بها المعجم الجزية». فزعوا لكلمته ولقوله، وقالوا: كلمة واحدة! نعم وأبكت عشترا! فقالوا: وما هي؟ وقال أبو طالب: وأي كلمة هي يا ابن أخي؟ فقال: «لا إله إلا الله» فقاموا زرعين يتفوضون ثيابهم وهم يقولون: «جَعَلَ الْآيَةَ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ» قال: ونزلت من هذا الموضع إلى قوله: «بِالَّذِينَ كَفَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ نَّجْدٌ» [رواه ابن جرير، وأحمد بن حنبل، وصححه إسناده أحمد شاكر].

«مَا تَحِثُّ بَيْنَنَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ» أي: ما سمعنا بهذا الذي يدعونا إليه محمد من التوحيد في الملة الآخرة. قال مجاهد وقتادة: يعنون دين قريش. وقال ابن عباس: يعني: النصرانية، قالوا: لو كان هذا القرآن حقًا أخبرتنا به النصارى. «إِنَّ هَذَا إِلَّا أَمَانٌ لَّكُمْ» قال مجاهد وقتادة: كذب. وقال ابن عباس: تحوُّص. «أَمْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ» يعني: أنهم يستبعدون تخصيصه بإنزال القرآن عليه من بينهم كلهم؛ ولهذا لما قالوا هذا الذي دل على جهلهم وقلة عقلهم، في استبعادهم إنزال القرآن على الرسول من بينهم، قال: «بَلْ لَّمَّا يَدُفَعُوا غَدَابَ» أي: إنما يقولون هذا لأنهم ما ذاقوا إلى حين قولهم ذلك عذاب الله ونقمته، سيعلمون غيبًا ما قالوا، وما كذبوا به، يوم يُدْعَوْنَ إلى نار جهنم دَعَا. الآية (٩-١١): «أَرَأَيْتُمْ خَلَائِفَ رَبِّكَ الَّذِينَ أَلْفَبُوا» أي: العزيز الذي لا يُرَامُ جنباه، الوهاب الذي يعطي ما يريد لمن يريد. «أَرَأَيْتُمْ لَكُمْ مِثْلَ الْآيَةِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ» أي: إن كان لهم ذلك فليصعدوا في الأسباب. قال ابن عباس: يعني طُرق السماء. «جُنُدٌ مَا هُنَا لَكِ مَهْرُومٌ مِنَ الْآخِرَاتِ» أي: هؤلاء الجند المكذبون الذين هم في عزة وشقاق سيهرمون ويُغلبون ويُكْتَبُونَ. «كَمَا كُنْتَ الْيَوْمَ مِنْ قَبْلِهِمْ» [المجادلة: ٥] من الأحزاب المكذبين، وهذه كقوله: «أَرَأَيْتُمْ لَكُمْ مِثْلَ الْآيَةِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ» [الفرع: ٤٤، ٤٥].

الآية (١٢-١٦): يقول تعالى خبرًا عن هؤلاء القرون الماضية، وما حلَّ بهم من العذاب والنكال والنقبات في مخالفة الرسل وتكذيب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. «أَوَلَيْكَ الْآخِرَاتُ» أي: كانوا أكثر منكم وأشد قوة، وأكثر أموالًا وأولادًا، فإذ دفع ذلك عنهم من عذاب الله من شيء، لما جاء أمر ربك، ولهذا قال: «إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَّبَتْ الرُّسُلُ فَحَقَّ عِقَابٌ» فجعل علة إهلاكهم هو تكذيبهم بالرسول، فليحذر المخاطبون من ذلك أشد الحذر. «وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِنْ فَوْاقٍ» أي: ما «يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا» [عن: ١٨: ٤] أي: فقد اقتربت ودنت وأزقت، وهذه الصيحة هي نفخة الفرع التي يأمر الله إسرائيل أن يطولها، فلا يبقى أحد من أهل السموات والأرض إلا فرع، إلا من استثنى الله ﷻ. «رَقَالُوا رَبَّنَا مَجْلًا قَطْنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ» هذا إنكار من الله على المشركين في دعائهم على أنفسهم بتعجيل العذاب؛ فإن القبط هو الكتاب، وقيل: هو الخط والنصيب. قال ابن عباس: سألوهم تعجيل العذاب، زاد قتادة: كما قالوا: «اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ حَقًّا فَلْيَسِّرْ لَنَا مَطَرًا عَلَيْنَا حِسَابَكَ مِنْ السَّعَةِ أَوْ أَتَيْنَا بِمَذَاقٍ أَلَسَّ» [الأفان: ٣٢]. وقيل: سألوهم تعجيل نصيبهم من الجنة؛ إن كانت موجودة أن يلقوا ذلك في الدنيا. وإنما خرج هذا منهم مخرج الاستبعاد والتكذيب. وقال ابن جرير: سألوهم تعجيل ما يستحقونه من الخير أو الشر في الدنيا. وهذا الذي قاله جيد، والله أعلم.



(١) التَّزُّنُ: التأهب والتهيؤ للشيء والاستعداد له. [النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة (شزن)].



## ● الوقفات التدريبية

﴿أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾

ذكر داود ومن بعده من الأنبياء في هذه السورة فيه تسليته للنبي- صلى الله عليه وسلم- بوعده له بالنصر، وتفريخ الكرب، وإعانة له على ما أمر به من الصبر؛ وذلك أن الله ذكر ما انعم به على داود من تسخير الطير والجبال، وشدة ملكه، وإعطائه الحكمة، وفصل الخطاب، ثم الخاتمة له في الآخرة بالزلفى وحسن المآب، فكانه يقول: يا محمد كما انعمنا على داود بهذه النعم كذلك ننعم عليك، فاصبر ولا تحزن على ما يقولون، ابن جزى: ٢٤٩/٢.

السؤال: ما المناسبة بين أمر الله لسيدنا محمد ﷺ بالصبر، وأمره له بذكر داود؟

﴿أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ﴾

من الفوائد والحكم في قصة داود... أن الله تعالى يمدح ويحب القوة في طاعته؛ قوة القلب واليد، فإنه يحصل منها من آثار الطاعة وحسنها وكثرتها ما لا يحصل مع الوهن وعدم القوة، وأن العبد ينبغي له تعاطي أسبابها، وعدم الركون إلى الكسل والبطالة المخلقة بالقوى المضعفة للنفس، السعدي: ٧١٣.

السؤال: إن الله تعالى يحب القوة في طاعته، بين ذلك من خلال وصفه تعالى لداود -عليه السلام- بأنه (ذا الأيد) أي: ذا القوة.

﴿وَأَتَيْنَهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ﴾

من الفوائد والحكم في قصة داود... أن أكبر نعم الله على عبده أن يرزقه العلم النافع، ويعرف الحكم والفصل بين الناس، كما امتن الله به على عبده داود عليه السلام، السعدي: ٧١٣.

السؤال: ماذا تستفيد من امتنان الله على داود بإتيانه الحكمة؟

﴿إِنْ هَذَا آخِ لَمْ يَتَّعْ وَيُسْعَنْ نَجْمَةٌ وَلِي نَجْمَةٍ وَجِدَةً فَقَالَ أَكَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ (٢٣) قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْيمِكَ إِلَى نَجَاحِهِ. وَإِنْ كِيرًا مِنْ لَقَاطِلِهِ لِيَنِّي بَضُمُّهُ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَكَانَ دَاوُدُ أَمَّا قُتَيْبَةٌ فَاسْتَفْتَرَّ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ

وفي كتب بني إسرائيل في هذه القصة صور لا تليق، وقد حدث بها قصاص في صدر هذه الأمة، فقال علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-: من حدث بما قال هؤلاء القصاص في أمر داود -عليه السلام- جلدته حدين لما ارتكب من حرمة من ربه الله محله، ابن عطية: ٤٩٩/٤.

السؤال: فيما نقل عن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- في هذه القصة حفظ لقام النبوة، وضح ذلك.

﴿وَإِنْ كِيرًا مِنْ لَقَاطِلِهِ لِيَنِّي بَضُمُّهُ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَكَانَ دَاوُدُ أَمَّا قُتَيْبَةٌ فَاسْتَفْتَرَّ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾

(إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات)، فإنهم لا يظلمون أحدا، (وقليل ما هم) يعني: الصالحين، القرطبي: ١٧٢/١٨.

السؤال: حثت الآية على أهمية مراعاة الإيمان والصلاح في اختيار الشريك، وضح ذلك.

﴿وَكَانَ دَاوُدُ أَمَّا قُتَيْبَةٌ فَاسْتَفْتَرَّ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ (٢٣) فَقَرَأَ لَهُ ذَلِكَ

الاستغفار والعبادة -خصوصاً الصلاة- من مكفرات الذنوب؛ فإن الله رتب مغفرة ذنب داود على استغفاره وسجوده، السعدي: ٧١٣.

السؤال: من خلال الآية: ما أهمية الصلاة في تكفير الذنوب؟

﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَلَمْ يَأْتِ الْتَّائِينَ بِلِقَائِي وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَعْصُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَوْمَ تُنْفَخُ الْحِسَابِ﴾

ومعظم الكمالات صعبت على النفس؛ لأنها ترجع إلى اتباعها النفس، والارتقاء بها عن حضيض الحيوانية، فالاسترسال في اتباعها وقوع في الدنائل في العال. ابن عاشور: ٢٤٤/٢٣.

السؤال: اتباع الهوى ينافي إدراك الكمالات، بين هذا المعنى من الآية الكريمة.

أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١﴾ إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ وَجُوعَ الْيَتَامَى وَالْإِشْرَاقِ ﴿٢﴾ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴿٣﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَءَاثَمْنَاهُ الْحَكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ ﴿٤﴾ هَلْ أَتَاكَ نَجْوَى الْخَضِرِ إِذْ سَوَّرُوا الْمِخْرَابَ ﴿٥﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصَصْنَا لَكَ فِي هَذِهِ مِمَّا نَحْنُ بِمُتَّبِعِيهِ فَاصْطَبِرْ بَيْنَ أَلْمَانِي وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الْغَيْبِ ﴿٦﴾ إِنَّ هَذَا لَأَمْرٌ لَمْ يَسْعَ وَنَسْعُهُ نَجْمَةٌ وَلِي نَجْمَةٍ وَجِدَةً فَقَالَ أَكَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٧﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْيمِكَ إِلَى نَجَاحِهِ وَإِنْ كِيرًا مِنْ لَقَاطِلِهِ لِيَنِّي بَضُمُّهُ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَكَانَ دَاوُدُ أَمَّا قُتَيْبَةٌ فَاسْتَفْتَرَّ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٨﴾ فَقَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٩﴾ يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَعْصُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَوْمَ تُنْفَخُ الْحِسَابِ ﴿١٠﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
ذَا الْأَيْدِ	صاحب القوة على الطاعة، وفي الحرب.
أَوَّابٌ	كثير الرجوع إلى ما يرضي الله.
وَلَا تُشْطِطْ	لا تجر في حكمك، ولا تظلم.
أَكَلْنِيهَا	أكلنيها، وأنزل لي عنها.
الْخِلَاطُ	الشُرَكَاء.
لَزُلْفَى	لقربى ومكانته.
مَآبٍ	مرجع.

## ● العمل بالآيات

- أخذ لنفسك ورداً من التسبيح وغيره من الأذكار في الصباح والمساء، ﴿إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحُنَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾.
- قل: «اللهم إني أعوذ بك أن أضل أو أزل أو أزل أو أضل، أو أضل أو أزل، أو أظم أو أظم، أو أجهل أو يجهل علي»، ﴿وَإِنْ كِيرًا مِنْ لَقَاطِلِهِ لِيَنِّي بَضُمُّهُ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ﴾.
- استغفر الله مائة مرة؛ وإسأل الله أن يقبل استغفارك، ﴿فَاسْتَفْتَرَّ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ (٨) فَقَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ.

## ● التوجيهات

- كن دائم التذكر والتحدث عن قصص الأنبياء والصالحين، ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَجْوَى الْخَضِرِ إِذْ سَوَّرُوا الْمِخْرَابَ﴾.
- اصبر على أذى من آذاك، ﴿أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾.
- احذر اتباع الهوى، فهو سبب الضلال والإضلال، والزلم العدل والحق في حكمك، ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾.



## ● الوقفات التدبرية

﴿ كَتَبَ أَنْزَلَهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لَيْتَبَرُوا بِآيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرُوا أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾

وظاهر هذه الآية يعطي أن التدبر من أسباب إزلال القرآن، فالترتيل إذاً أفضل من الهدى؛ إذ التدبر لا يكون إلا مع الترتيل. ابن عطية: ٥٠٣/٤.

السؤال: وضع العلاقة بين التدبر والترتيل.

﴿ كَتَبَ أَنْزَلَهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لَيْتَبَرُوا بِآيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرُوا أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾

وكل آيات القرآن مبارك فيها؛ لأنها إما مرشدة إلى خير، وإما صارفة عن شر وفساد، وذلك سبب الخير في العاجل والأجل، ولا بركة أعظم من ذلك. ابن عاشور: ٢٥١/٢٣.

السؤال: كل كتاب الله تعالى مبارك فيه، بين ذلك من الآية الكريمة.

﴿ كَتَبَ أَنْزَلَهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لَيْتَبَرُوا بِآيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرُوا أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾

و(أولو الألباب): أهل العقول، وفيه تعريض بأن الذين لم يتذكروا بالقرآن ليسوا من أهل العقول، وإن التذكر من شأن المسلمين الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه؛ فهم ممن تدبروا آياته فاستنبطوا من المعاني ما لم يعلموا ... والكافرون أعرضوا عن التدبر؛ فلا جرم فاتهم التذكر. ابن عاشور: ٢٥٣/٢٣.

السؤال: بين علامة أهل العقول من خلال الآية الكريمة.

﴿ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴾  
وسميت الخيل خيراً؛ لأنه معقود بنواصيها الخير: الأجر والغنم. البغوي: ٧٠٣/٣.

السؤال: لم سميت الخيل بالخير؟

﴿ قَالَ رَبِّ اغْزِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾  
قدم الاستغفار على طلب الملك؛ لأن أمور الدين كانت عندهم أهم من الدنيا، فقدم الأولى والأهم. ابن جزي: ٢٥٥/٢.

السؤال: لم قدم سليمان -عليه السلام- الاستغفار على طلب الملك؟

﴿ قَالَ رَبِّ اغْزِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾  
فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ

عن الحسن، أن نبي الله سليمان -عليه السلام- لما عرضت عليه الخيل، فشغله النظر إليها عن صلاة العصر (حتى توارت بالحجاب)، فغضب لله، فأمر بها ففقرت، فأبدله الله مكانها أسرع منها؛ سخر الريح تجري بأمره رخاء حيث شاء. الطبري: ٢٠١/٢١-٢٠٢.

السؤال: بين من خلال الآية أن من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه.

﴿ وَأَذْكُرْ عَبْدًا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَى السَّيْطَانُ يَصْصِي وَعَنَابِ ﴾  
وخص هذا الحال بالذكر من بين أحواله؛ لأنه مظهر توكُّله على الله، واستجابة الله دعاءه بكشف الضر عنه. ابن عاشور: ٢٦٨/٢٣.

السؤال: لماذا خص حال مناداة أيوب -عليه السلام- ربه دون غيره من أحواله عليه السلام؟

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٥٠﴾ أَمْ يَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٥١﴾ كَذَبَ الَّذِينَ اتَّكَمُوا الْيَمِينَ لَا يَكُنْ لَهُمْ يَمِينٌ وَلَا يُنْصَرُونَ ﴿٥٢﴾ وَلَيْسَ ذِكْرُكَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿٥٣﴾ وَهَئِنَّا لَادَاؤُدَ سُلَيْمَانَ نَعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ رَوَّابٌ ﴿٥٤﴾ إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ يَالْعِيسَى الصِّفَتِ الْجَبَادِ ﴿٥٥﴾ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٥٦﴾ رُدُّوهُمَا عَلَيَّ فَطُفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ ﴿٥٨﴾ قَالَ رَبِّ اغْزِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٥٩﴾ فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٦٠﴾ وَالشَّيْطَانِ كُلِّ بَنَاءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٦١﴾ وَءَاخَرِينَ مَقْرُونِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٦٢﴾ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٦٣﴾ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَئِيٌّ وَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٦٤﴾ وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَى السَّيْطَانُ يَصْصِي وَعَنَابِ ﴿٦٥﴾ أَرَأَيْتَ بِرَجُلِكَ هَذَا مَفْتَسِلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٦٦﴾

## ● معاني الكلمات

المعنى	الكلمة
الْحُبُولُ الْوَاقِفَةُ عَلَى ثَلَاثِ قَوَائِمٍ، وَتَرَفَعُ الرَّابِعَةُ لِنَجَابَتِهَا وَخَفَتِهَا.	الضَّافِنَاتُ
الْحُبُولُ الْأَصِيلَةُ السَّرِيعَةُ.	الْجِيَادُ
شَرَعٌ.	فَطْفِقَ
يَمَسُّحٌ سِيْقَانَهَا وَأَعْنَاقُهَا، أَوْ يَقَطَعُهَا بِالسَّيْفِ تَقَرُّبًا إِلَى اللَّهِ.	مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ
لَيْسَتْ طَيِّمَةً.	رُخَاءً
مَشَقَّةٌ وَقَبٌّ.	بُنْصِبَ

## ● العمل بالآيات

١. اقرأ سورة من جزء عم، وقرأ معناها، ثم تدبر ما فيها من الفوائد والعلم والعمل، ﴿ كَتَبَ أَنْزَلَهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لَيْتَبَرُوا بِآيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرُوا أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾.
٢. انظر شيئاً تملكه، ويشغلك كثيراً عن طاعة الله، وتصدق به في سبيل الله، لعل الله يعوضك خيراً منه، ﴿ رُدُّوهُمَا عَلَيَّ فَطُفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴾، ﴿ فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴾.
٣. سل الله تعالى من خيرى الدنيا والآخرة القداء بآبائيه، ﴿ قَالَ رَبِّ اغْزِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾.

## ● التوجيهات

١. اعلم أن أصحاب العقول السليمة هم أهل الانتفاع والتذكر بالوعظ، ﴿ كَتَبَ أَنْزَلَهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لَيْتَبَرُوا بِآيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرُوا أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾.
٢. احذر أن تنشغل بشيء من الدنيا عن طاعة الله تعالى، ﴿ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴾.
٣. إذا ذهبت، أو أصابك بلاء، أو هم، فكن أواباً رجاعاً إلى الله تعالى، ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ ﴾ ﴿ قَالَ رَبِّ اغْزِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾.

بسبب أنه اشتغل بها حتى خرج وقت الصلاة؛ ولهذا لما خرج عنها لله تعالى عَوْضَهُ الله تعالى ما هو خير منها، وهي الريح التي تجري بأمره رُخَاءً حيث أصاب، غدوُّها شهر ورواحها شهر، فهذا أسرع وخير من الخيل.

الآية (٣٤-٤٠): ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ﴾ أي: اختبرناه بأن سلبناه الملك مرة ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جُنْدًا﴾ قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وغيرهم: يعني شيطاناً. ﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾ أي: رجع إلى ملكه وسلطانه وأبته. ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِجُنْدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ قال بعضهم: معناه: لا يصلح لأحد أن يسلبني بعدي، كما كان من قضية الجسد الذي ألقى على كرسيه. والصحيح أنه سأل من الله تعالى ملكاً لا يكون لأحد من بعده من البشر مثله، وهذا هو ظاهر السياق من الآية، وبذلك وردت الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ، عن أبي هريرة رضي الله عنه النبي ﷺ قال: «إن عفرتنا من الجن تفلت على البارحة - أو كلمة نحوها - لقطع علي الصلاة فأمكنني الله منه وأردت أن أربطه إلى سارية من سوارى المسجد حتى تصبحوا ونظروا إليه كلهم فذكرت قول أخي سليمان: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِجُنْدٍ مِنْ بَعْدِي﴾ قال روح: فردّه خاساً» (متفق عليه). ﴿فَسَخَرْنَا لَهُ أَرْبَعَ نَجَرٍ بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ قال الحسن البصري: لما عقر سليمان الخيل غضباً لله ﷻ عوضه الله ما هو خير منها وأسرع، الريح التي غدوها شهر ورواحها شهر. ﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾ أي: حيث أراد من البلاد. ﴿وَاللَّيْلِ كُلِّ بَنَاءً رَعَوَاصٍ﴾ أي: منهم من هو مستعمل في الأبنية الهائلة ﴿مِنْ تَحَرِيْبٍ وَتَكْوِيْلٍ وَتَحْقَانٍ كَلْجَابٍ وَقُدُورٍ رَاسِيَةٍ﴾ (سبا: ١٣٠) أي غير ذلك من الأعمال الشاقة التي لا يقدر عليها البشر، وطائفة غواصون في البحار يستخرجون ما فيها من اللؤلؤ والجواهر والأشياء النفيسة التي لا توجد إلا فيها، ﴿وَمَآخِرِينَ مُقَرَّبِينَ إِلَى الْأَشْوَاقِ﴾ أي: موثّقون في الأغلال والأكبال، ممن قد تمرد وعصى وامتنع من العمل وأبى، أو قد أساء في صنيعه واعتدى. ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِمَتَرٍ حِسَابٍ﴾ أي: هذا الذي أعطيناك من الملك التام والسلطان الكامل كما سألنا، فاعط من شئت واحرم من شئت، لا حساب عليك، أي: مهما فعلت فهو جائز لك، احكم بما شئت فهو صواب. ولما ذكر تبارك وتعالى ما أعطى سليمان في الدنيا تَبَّه على أنه ذو حظ عظيم عند الله يوم القيامة أيضاً، فقال: ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَأَلْتَهُ نَفَسًا زِدْنَاكَ الْفَرَسَ وَحَسَنَ نَسَبًا﴾ أي: في الدار الآخرة.

الآية (٤١-٤٢): يذكر تعالى عبده ورسوله أيوب عليه السلام وما كان ابتلاء تعالى به من الضر في جسده وماله وولده، حتى لم يبق له من حال الدنيا شيء يستعين به على مرضه وما هو فيه، غير أن زوجته حفظت وده لإيائها بالله ورسوله. فلما طال المطال، وتم الأجل المقدر، تضرع إلى رب العالمين: ﴿إِنِّي مَسْكِينٌ فَاسْقُرْ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٣). وفي هذه الآية قال: ﴿إِنِّي مَسْكِينٌ الشَّيْطَانُ يُصِيبُ وَعَذَابٌ﴾ قيل: بنصب في بدني وعذاب في مالي وولدي. فعند ذلك استجاب له أرحم الراحمين، وأمره أن يقوم من مقامه، وأن يركض الأرض برجله. ففعل فأنبع الله عيناً وأمره أن يغتسل منها، فأذهب جميع ما كان في بدنه من الأذى. ثم أمره فغضب الأرض في مكان آخر، فأنبع له عيناً أخرى وأمره أن يشرب منها، فأذهب ما كان في باطنه من السوء، وتكاملت العافية ظاهراً وباطناً؛ ولهذا قال: ﴿أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا غُفْلَتُكَ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾.

الآية (٢٧-٢٩): يخبر تعالى أنه ما خلق الخلق عبثاً، وإنما خلقهم ليعبدوه ويوحّدوه، ثم يجمعهم يوم الجمع، فينصب المطيع ويعذب الكافر؛ ولهذا قال: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكُمْ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: الذين لا يرون بعثاً ولا معاداً، وإنما يعتقدون هذه الدار فقط. ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ أي: ويل لهم يوم معادهم ونشورهم من النار الملتمة لهم. ثم يتن تعالى أنه من عدله وحكمته لا يساوي بين المؤمنين والكافرين فقال: ﴿أَمْ يَحْسَبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَحْسَبُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَالْمُجَارِ﴾ أي: لا تفعل ذلك، ولا يستوون عند الله، وإذا كان الأمر كذلك فلا بد من دار أخرى يثاب فيها هذا المطيع، ويعاقب فيها هذا الفاجر. وهذا الإرشاد يدل العقول السليمة والفطر المستقيمة على أنه لا بد من معاد وجزاء؛ فإنا نرى الظالم الباغي يزداد ماله وولده ونعيمه ويموت كذلك، ونرى المطيع المظلوم يموت بكمده، فلا بد في حكمة الحكيم العليم العادل، الذي لا يظلم مثقال ذرة من إنصاف هذا من هذا. وإذا لم يقع هذا في هذه الدار، فتعني أن هناك داراً أخرى لهذا الجزء والمواساة. ولما كان القرآن يرشد إلى المقاصد الصحيحة والمأخذ العقلية الصريحة قال: ﴿كُتِبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكًا لَذِكْرًا ءَاتِيَةً وَلِتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ أي: ذوق العقول، وهي الآليات. قال الحسن البصري: والله ما تدبره بحفظ حروفه وإضاعة حدوده، حتى إن أحدهم ليقول: قرأت القرآن كله، ما يؤرى له القرآن في خلق ولا عمل.

الآية (٣٠-٣٣): يقول تعالى مخبراً أنه وهب لداود سليمان، أي: نبياً، كما قال ﷻ: ﴿وَوَدَّعَيْنَا دَاوُدَ﴾ (النمل: ١٦) أي: في النبوة، وإلا فقد كان له بنون غيره. قوله: ﴿وَيَمُوتُ الْمَوْتُ إِثْمَهُ أَوَّلُ﴾ ثناء على سليمان عليه السلام بأنه كثير الظاعة والعبادة والإنابة إلى الله ﷻ. ﴿إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ يَالْهَيْهَاتِ الصَّفِيْنَتُ الْخِيَادُ﴾ أي: إذ عرض على سليمان في حال مملكته وسلطانه الخيل الصافيات. قال مجاهد: وهي التي تقف على ثلاث وطرف حافر الرابعة. والخياد: السراع. ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ ذكر غير واحد من المفسرين أنه اشتغل بعرضها حتى فات وقت صلاة العصر، والذي يقطع به أنه لم يتركها عمداً بل نسياناً، كما شغل النبي ﷺ يوم الخندق عن صلاة العصر حتى صلاها بعد الغروب. ويحتمل أنه كان سائفاً في ملتهم تأخير الصلاة لعذر الغزو والقتال، والخيل تتراد للقتال. ﴿وَرَدُّوْهَا عَلَىٰ طَلْفَيْنِ سَمًا يَأْتُسُوقَ وَالْأَعْتَاقِ﴾ قال الحسن البصري: قال: لا، والله لا تشغلني عن عبادة ربي آخر ما عليك. ثم أمر بها ففُتِرَتْ. وقال السدي: ضرب أعناقها وعراقبها بالسيف. وقال ابن عباس: جعل يسمح أعراف الخيل، وعراقبها حُباً لها. وهذا القول اختاره ابن جرير، قال: لأنه لم يكن ليعذب حيواناً بالعربية<sup>(١)</sup>، وبهلك ماله من ماله بلا سبب سوى أنه اشتغل عن صلاحه بالنظر إليها ولا ذنب لها. وهذا الذي رجح به ابن جرير فيه نظر؛ لأنه قد يكون في شرعهم جواز مثل هذا، ولا سيما إذا كان غضباً لله ﷻ

(١) العربية: قطع عرقوب الفرس أو الدابة. والعرقوب: الوتر الذي خلف الكمين بين مفصل القدم والساق من ذوات الأربع، وهو من الإنسان فوق العقب. [ينظر النهاية في غريب الحديث، مادة (عرقب)].

(١) الشمراخ هو: عذق النخل؛ وهو مجموع القضبان التي يكون عليها البسر أو الرطب أو التمر.



## ● الوقفات التدريبية

١ ﴿ وَخَذَ بِرَبِّكَ ذُنُوبًا كَثِيرًا ۖ وَلَا تَحْنُثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ سَابِقًا ﴾

وذلك أن أيوب -عليه السلام- كان قد غضب على زوجته ... وحلف إن شفاه الله تعالى ليضربنيها مائة جلدة ... فلما شفاه الله عز وجل وعافاه ما كان جزاؤها مع هذه الخدمة التامة والرحمة والشفقة والإحسان أن تقابل بالضرب، فافاته الله عز وجل أن يأخذ ذنبا، وهو الشمرخ فيه مائة قضيب، فيضربها به ضربة واحدة، وقد برت يمينه وخرج من حنثه، ووفى بنذره، وهذا من الضرع والمخرج لمن اتقى الله تعالى وأتاب إليه. ابن كثير: ٤١/٤.

السؤال: من صدق في تقوى الله تعالى أوجد الله له مخرجا، وضع هذا من الآية.

٢ ﴿ وَادْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴾

الأيد: جمع يد؛ وذلك عبارة عن قوتهم في الأعمال الصالحات، وإنما عبر عن ذلك بالأيدي؛ لأن الأعمال أكثر ما تعمل بالأيدي، وأما الأبصار فعبارة عن قوة فهمهم، وكثرة علمهم؛ من قوله: أبصر الرجل إذا تبينت له الأمور. ابن جزي: ٢٥٧/٢.

السؤال: في وصف الله تعالى لأتباعه بالـ (أولى الأيدي والأبصار) صفات مدح، وضع هذه الصفات.

٣ ﴿ هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَقَابٍ ﴾

(هذا ذكر) بمعنى: هذا ذكر جميل في الدنيا، وشرف يذكرون به في الدنيا أبداً. وإن للمتقين لحسن مآب أي: لهم مع هذا الذكر الجميل في الدنيا حسن المرجع في القيامة. القرطبي: ٢٢٦/١٨.

السؤال: في الآية ذكر لبعض جزاء المتقين في الدنيا والآخرة، وضع ذلك.

٤ ﴿ مُنْعَمًا لَهُمُ الْآيَاتُ ﴾

وهذا دليل أيضاً على الأمان التام، وأنه ليس في جنات عدن ما يوجب أن تغلق لأجله أبوابها. السعدي: ٧١٥.

السؤال: في الآية إشارة إلى عمة عظيمة ينعم الله بها على أهل الجنة، فما هي؟

٥ ﴿ وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَاتُ الْكَرْبِ ﴾

(وعندهم) من أزواجهم الحور العين (قاصرات) طرفهن على أزواجهن، وطرف أزواجهن عليهن؛ لجمالهم كلهن، ومحبة كل منهما للآخر، وعدم طموحه لغيره، وأنه لا يبغي بصاحبه بدلاً، ولا عنه عوضاً. السعدي: ٧١٥.

السؤال: في وصف الحور بأنهن (قاصرات الطرف) إشارة إلى خلق ينبغي أن تتصف به المسلمة في الدنيا؛ لعله يكون سبباً في دخولها الجنة، فما هو؟

٦ ﴿ إِن هَذَا إِلَّا رَجَاءُ مَا لَكُمْ مِنْ قَدَارٍ ﴾

وذلك أنهم كلما أخذوا ثمرة من ثمار شجرة من أشجارها، فأكلوها، عادت مكانها أخرى مثلاً، فذلك لهم دائم أبداً، لا ينقطع. الطبري: ٢٢٣/٢١.

السؤال: بينت الآية فرقا بين ثمار الجنة وثمار الدنيا، بين ذلك.

٧ ﴿ قَالُوا بَلْ أَنْشَأَ لِمَنْ رَحَبَا بَكَرَ أَنْشَأَ قَدْ مَتَّوْهُ لَنَا قِئْسَ الْفَرَارِ ﴾

أي: دعوتونا إلى العصيان فيفسد القرار لنا ولكم، قالوا يعني الأتباع: ربنا من قدم لنا هذا فزده عنا بضعفاً من النار. القرطبي: ٢٢٣/١٨.

السؤال: ما حال الأتباع من المتبوعين العصاة يوم القيامة؟ وماذا تقيد من ذلك؟

وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمَثَلَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَذَكَرُوا لَأُولَى الْأَلْبَابِ  
١٥ وَخَذَ بِرَبِّكَ ذُنُوبًا كَثِيرًا ۖ وَلَا تَحْنُثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ سَابِقًا يُتَمَرِّعُ  
الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ١٦ وَادْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى  
الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ١٧ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذَكَرْنَاهُ الْدَّارِ ١٨  
وَالْآخِرَةِ ۖ عِنْدَ الْإِيمَانِ الْمُصْطَفَيْنِ الْآخِرِ ١٩ وَادْكُرْ إسماعِيلَ  
وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْآخِرِينَ ٢٠ هَذَا ذِكْرٌ لِلْمُتَّقِينَ  
لِحُسْنِ مَقَابٍ ٢١ جَنَّاتٌ عِدْنُ الْمُتَمَتِّعِينَ ٢٢ لَهَا أَلْوَابٌ مُتَمَكِّنَةٌ  
فِيهَا يُدْعَوْنَ فِيهَا بِقَصَصٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَّابٍ ٢٣ وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَاتُ  
الْكَرْبِ ٢٤ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ٢٥ إِنَّ هَذَا  
لَرِجَاءُ مَا لَهُ مِنْ قَدَارٍ ٢٦ هَذَا وَإِنَّ لِلظَّالِمِينَ لَشَرَّ مَقَابٍ ٢٧  
جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَيَكْسِفُونَ لَهَا بِرِيقٍ ٢٨ هَذَا فَلْيَذوقُوا حِمِيمَ  
وَعَسَاقٍ ٢٩ وَآخَرِينَ سَكِينَةٍ ٣٠ هَذَا قَوْجٌ ٣١ هَذَا قَوْجٌ  
مُتَجَحِّمٌ مَعَكُمْ لَا مَرَجَ ابْعَثْ إِلَيْهِمْ قَصَاصًا ٣٢ قَالُوا  
بَلْ أَنْشَأَ لِمَنْ رَحَبَا بَكَرَ أَنْشَأَ قَدْ مَتَّوْهُ لَنَا قِئْسَ الْفَرَارِ ٣٣  
قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا يُضَعِّفُ النَّارَ ٣٤

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
ضِعْفًا	حُزْمَةً شَمَارِيخَ أَوْ قَبِيضَةً حَشِيشٍ.
وَلَا تَحْنُثْ	لَا تَنْقُضْ يَمِينَكَ الَّتِي حَلَفْتَهَا بِضَرْبِ زَوْجَتِكَ.
أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ	خَصَصْنَاهُمْ بِخَصْلَةٍ عَظِيمَةٍ.
قَاصِرَاتِ الطُّرْفِ	لَا يَنْظُرْنَ إِلَى غَيْرِ أَزْوَاجِهِنَّ.
أَتْرَابٍ	مُتَسَاوِيَاتِ السِّنِّ.
نَقَادٍ	انْقِطَاعٍ.
نَشْرَ مَا بٍ	أَسْوَأَ مَرْجِعٍ فِي الْآخِرَةِ.

## ● العمل بالآيات

١. تذكر قضية صبرت عليها وإسأل الله أن يجعل صبرك عبادة لله في ميزان حسناته. ﴿ وَخَذَ بِرَبِّكَ ذُنُوبًا كَثِيرًا ۖ وَلَا تَحْنُثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ سَابِقًا ﴾.
٢. تذكر يميننا أقسمته وحاول أن تبر به تعظيماً لأمر الله، ﴿ وَخَذَ بِرَبِّكَ ذُنُوبًا كَثِيرًا ۖ وَلَا تَحْنُثْ ﴾.
٣. اسأل الله أن لا يجعل الدنيا أكبر همك، ﴿ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذَكَرْنَاهُ الْدَّارِ ﴾.

## ● التوجيهات

١. قد يتبلى الله تعالى من يحبه من عباده؛ ليزيد في علو مقامه، ورفعته شأنه، ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمَثَلَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَذَكَرُوا لَأُولَى الْأَلْبَابِ ﴾.
٢. العلاقة التي تبني على سخط الله تنقلب في الآخرة إلى عداوة، ﴿ قَالُوا بَلْ أَنْشَأَ لِمَنْ رَحَبَا بَكَرَ أَنْشَأَ قَدْ مَتَّوْهُ لَنَا قِئْسَ الْفَرَارِ ﴾.
٣. لا تكن سبباً في معصية أحد، ﴿ قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا يُضَعِّفُ النَّارَ ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿ وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كَمَا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ ﴾

أي كنا نحسبهم أشقياء؛ قد خسروا لذة الحياة باتباعهم الإسلام ورضاهم بشطلف العيش. ابن عاشور: ٢٣/٢٩٢.

السؤال: من العذاب النفسي لأهل النار اكتشافهم خطأ موازينهم التي كانوا يقيسون بها الناس في الدنيا، وضع ذلك من الآية.

﴿ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾

هذا تقرير لألوهيته بهذا البرهان القاطع؛ وهو وحدته تعالى وقهره لكل شيء؛ فإن القهر ملازم للوحدة، فلا يكون قهاران متساويان في قهرهما أبداً؛ فالذي يقهر جميع الأشياء هو الواحد الذي لا نظير له، وهو الذي يستحق أن يُعبد وحده كما كان قاهراً وحده. السعدي: ٧١٦.

السؤال: لماذا قرن الله سبحانه وتعالى بين صفتيه (الواحد القهار)؟

﴿ قُلْ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾

(قل) لهم مخوفاً ومحذراً ومنهضاً لهم ومنذراً؛ (هو نبي عظيم) أي: ما أنبأكم به من البعث والنشور والجزاء على الأعمال خبر عظيم ينبغي الاهتمام الشديد بشأنه، ولا ينبغي إغفاله. السعدي: ٧١٦.

السؤال: إذا علمت أن يوم القيامة والحساب نبي عظيم وأمر جسيم، فما الذي ينبغي عليك؟

﴿ إِلَّا إِلَيسَ اسْتَكَرَّ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾

وقد بدت من إبليس نزعته كانت كامنة في جبلته؛ وهي نزعته الكبير والعصيان، ولم تكن تظهر منه قبل ذلك لأن الملأ الذي كان معهم كانوا على أكمل حسن الخلطة فلم يكن منهم مثير لما سكن في نفسه من طبع الكبير والعصيان، فلما طرا على ذلك الملأ مخلوق جديد، وأمر أهل الملأ الأعلى بتعظيمه، كان ذلك مورباً زناد الكبير في نفس إبليس، فنشأ عنه الكفر بالله وعصيان أمره. ابن عاشور: ٢٣/٣٠١.

السؤال: ما سبب ظهور نزعته الكبير عند إبليس؟

﴿ قَالَ يَٰإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيْـدِي اسْتَكَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾

وهذا تقرير من الله للمشركين الذين كفروا بمحمد ﷺ ... استكباراً عن أن يكونوا تبعاً لرجل منهم حين قالوا: (أنزل عليه الذكر من بيننا) (ص: ٨، (وهل هذا إلا بشر مثلكم) (الأنبياء: ١٢) فقص عليهم تعالى قصة إبليس وإهلاكه باستكباره عن السجود لأدم بدعواه أنه خير منه. الطبري: ٢١/٢٣٩.

السؤال: ما المناسبة بين قصة إبليس وموقف كزار قريش من نبينا محمد ﷺ؟

﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ ﴿ قَالَ فَاذْكُرْ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴾ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ

سأل الله النظرة إلى يوم البعث فأنظره الحليم الذي لا يعجل على من عصاه فلما أمن الهلاك إلى يوم القيامة تردد وطفى وقال: (لأعوينهم أجمعين) (إلا عبادك منهم المخلصين). ابن كثير: ٤/٤٥.

السؤال: ما الصفة الإلهية التي تفيدها من استجابة الله سبحانه لطلب إبليس بالإنظار؟

﴿ قَالَ فَاذْكُرْكَ لَأَعُوْثَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾

لما طرده بسبب آدم حلف بعزة الله أنه يضل بني آدم بتزيين الشهوات، وإدخال الشبه عليهم. القرطبي: ١٨/٢٤٠.

السؤال: ما وسائل الشيطان في إضلال بني آدم؟

وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كَمَا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ ﴿١﴾ اتَّخَذْنَاهُمْ سِحْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ ﴿٢﴾ إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُّمُ أَهْلِ النَّارِ ﴿٣﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَنْ يَزِدْكُمْ إِلَهُ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٥﴾ قُلْ هُوَ تَوَّابٌ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ أَنْذَرْتُهُمْ مُّعْصِيُونَ ﴿٧﴾ مَا كَانَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَائِكَةِ الْأَعْمَلِ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٨﴾ إِنْ يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٩﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ﴿١٠﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿١١﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿١٢﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٣﴾ يَٰإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيْـدِي اسْتَكَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿١٤﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿١٥﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿١٦﴾ وَإِنْ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ﴿١٧﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٨﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿١٩﴾ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٢٠﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأَعُوْثَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٢١﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٢﴾

٤٥٧

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
اتَّخَذْنَاهُمْ سِحْرِيًّا	هل تحبيرنا لهم خطأ؟
زَاغَتْ	مَاتَتْ، فَلَمْ تَقَعْ عَلَيْهِمْ.
بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى	الْمَلَائِكَةُ.
يَخْتَصِمُونَ	يَتَجَادَلُونَ فِي شَأْنِ خَلْقِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَام.
سَوَّيْتُهُ	خَلَقْتُ جَسَدَهُ كَامِلًا مُتَنَاسِقَ الْأَعْضَاءِ.
سَاجِدِينَ	سُجُودَ تَحِيَّةٍ، وَإِكْرَامٍ، لَا سُجُودَ عِبَادَةٍ وَتَعْظِيمٍ.
لَأَعُوْثَنَّهُمْ	لَأُضِلَّنَّهُمْ.

## ● العمل بالآيات

- استسمح مسلماً سخرت منه في يوم من الأيام، أو تصدق عنه، وادع له بالغفرة، مع التوبة النصوح، ﴿ اتَّخَذْنَاهُمْ سِحْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ ﴾.
- استعد بالله من إغواء الشيطان، واتبع خطواته، ﴿ قَالَ فَاذْكُرْكَ لَأَعُوْثَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾.
- ادع الله تعالى أن يجعلك من عبياده المخلصين، ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأَعُوْثَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (٢٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ.

## ● التوجيهات

- خصوصية أهل النار عذاب نفسي فوق العذاب الحسي، ﴿ إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُّمُ أَهْلِ النَّارِ ﴾.
- عالج أمراض النفس كالكبر والحسد بالدعاء لمن أصيبوا بها، ﴿ إِلَّا إِلَيسَ اسْتَكَرَّ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾.
- احذر الأنفة في غير محلها والكبر؛ فهو الذنب الذي دخل به إبليس النار، ﴿ إِلَّا إِلَيسَ اسْتَكَرَّ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾.

وجدت برد أنامله بين صدري، فتجلى لي كل شيء وعرفت، فقال: يا عماد، فيم يختصم الملائكة الأعلى؟ قلت: في الكفارات. قال: وما الكفارات؟ قلت: نقل الأقدام إلى الجمعات، والجلوس في المساجد بعد الصلوات، وإسباغ الوضوء عند الكريبات. قال: وما الدرجات؟ قلت: إطعام الطعام، ولين الكلام، والصلاة والناس نيام. قال: سأل. قلت: اللهم، إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وأن تغفر لي وترحمي، وإذا أردت فتنة بقوم فتوفي غير مفتون، وأسألك حبك وحب من يحبك، وحب عمل يقربني إلى حبك. وقال رسول الله ﷺ: «إنها حق فادرسوها وتعلموها»، فهو حديث النمام المشهور، ومن جعله بقطة فقد غلط، وهو في السنن من طرق. وهذا الحديث بعينه قد رواه الترمذي وقال: «حسن صحيح» [رواه أحمد والترمذي، وصححه الألباني]. وليس هذا الاختصاص هو الاختصاص المذكور في القرآن فإن هذا قد فُسر.

الآية (٧١-٨٣): الاختصاص الذي في القرآن هو قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلِيقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ الآيات. هذه القصة ذكرها الله تعالى في سورة «البقرة» وفي أول «الأعراف» وفي سورة «الحجر» و«سبحان» و«الكهف»، وههنا؛ وهي أن الله سبحانه أعلم الملائكة قبل خلق آدم عليه السلام بأنه سيخلق بشراً من صلصال من حمأ مسنون، وتقدم إليهم بالأمر: متى فرغ من خلقه وتسويته فليسجدوا له إكراماً وإعظافاً واحتراماً، وامثالاً لأمر الله ﷻ. فامتثل الملائكة كلهم ذلك سوى إبليس، ولم يكن منهم جنساً؛ كان من الجن، فخانته طبعه وجبلته أحوج ما كان إليه، فاستكف عن السجود لآدم، وخاصم ربه ﷻ فيه، وادّعى أنه خير من آدم؛ فإنه مخلوق من نار وآدم خلق من طين، والنار خير من الطين، في زعمه. وقد أخطأ في ذلك، وخالف أمر الله، وكفر بذلك، فأبعده الله وأرغم أنفه، وطرده عن باب رحمته ومحل أنسه، وحضرة قدسه، وسماه «إبليس» إعلالاً له بأنه قد أبلس من الرحمة، وأنزله من السماء مذموماً مدحوراً إلى الأرض، فسأل الله النظرة إلى يوم البعث، فأنظره الحليم الذي لا يَمُجِّلُ على من عصاه. فلما أُمِنَ الهلاك إلى يوم القيامة تمرد وطفى، وقال: ﴿قَبِرَ رَبِّكَ لِأَعْيُنِهِمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٨٣) ﴿إِلَّا عِيَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخَلَّصِينَ﴾ كما قال: ﴿أَرَأَيْتَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أُخِّرْتُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَاخْتِصِمْتُمْ دُونَهُ﴾ (٨٤) ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٦٢]، وهؤلاء هم المستثنون في الآية الأخرى، وهي قوله تعالى: ﴿إِنْ عَادَى لِيَنَّكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ [الإسراء: ٦٥].

الآية (٦٢): ﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِيسَالًا كَمَا نَمُدُّهُمُ مِنَ الْأَشْرَارِ﴾ هذا إخبار عن الكفار في النار أنهم يفقدون رجالاً كانوا يعتقدون أنهم على الضلالة - وهم المؤمنون - في زعمهم، قالوا: ما لنا لا نراهم معنا في النار؟! قال مجاهد: هذا قول أبي جهل، يقول: ما لي لا أرى بلالاً وعماراً وصهيباً وفلاتاً وفلاتاً. وهذا مثلٌ ضُرب، وإلا فكل الكفار هذا حالهم؛ يعتقدون أن المؤمنين يدخلون النار، فلما دخل الكفار النار افتقدوهم فلم يجدوهم، فقالوا: ﴿مَا لَنَا لَا نَرَى رِيسَالًا كَمَا نَمُدُّهُمُ مِنَ الْأَشْرَارِ﴾.

الآية (٦٣): قوله: ﴿أَتَخَذْتَهُمْ سَحَرِيًّا﴾ أي: في الدنيا ﴿أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْبَصَرُ﴾ يُسَلِّونَ أنفسهم بالمحال؛ يقولون: أو لعلهم معنا في جهنم، ولكن لم يقع بصرتنا عليهم. فعند ذلك يعرفون أنهم في الدرجات العاليات، وهو قوله: ﴿وَكَاذِبٌ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبَّنَا حَقًّا وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَمْرُودًا مَّوَدَّنَ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ إلى قوله: ﴿أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [الأعراف: ٤٤-٤٩].

الآية (٦٤): قوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُّمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ أي: إن هذا الذي أخبرناك به يا محمد - من تخاصم أهل النار بعضهم في بعض، ولعن بعضهم لبعض - لحقٌ لا مرية فيه ولا شك.

الآية (٦٥): يقول تعالى أمراً رسوله ﷺ أن يقول للكفار بالله المشركين به المكذبين لرسوله: إنها أنا منذر، لست كما تزعمون. ﴿وَمَا مِن إِلَهِ إِلَّا اللَّهُ الْوَحِيدُ الْقَهَّارُ﴾ أي: هو وحده قد قهر كل شيء وغلبه.

الآية (٦٦): ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أي: هو مالك جميع ذلك ومتصرف فيه.

﴿الْمَزِيدُ الْقَهَّارُ﴾ أي: غفار مع عزته وعظمته.

الآية (٦٧-٦٨): ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾ أي: خبر عظيم وشأن بليغ، وهو إرسال الله إياي إليكم. ﴿أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ أي: غافلون. قال مجاهد والسدي في قوله: ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾ يعني: القرآن.

الآية (٦٩-٧٠): قوله: ﴿مَا كَانَ لِي مِن عِلْمٍ بِأَنَّكَ الْفَعْلُ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ أي: لولا الوحي من أين كنت أدري باختلاف الملائكة الأعلى؟! يعني: في شأن آدم وامتناع إبليس من السجود له، ومحاجته ربه في تفضيله عليه. فاما الحديث الذي رواه الإمام أحمد عن معاذ قال: احتبس علينا رسول الله ﷺ ذات غداة عن صلاة الصبح، حتى كدنا نترأى قرن الشمس. فخرج رسول الله ﷺ سريعاً، فتَوَّبَ بالصلاة فصل، وتحوَّز في صلاته، فلما سَلَّمَ قال: «كما أنتم على مصافكم». ثم أقبل إلينا فقال: «إني سأحدثكم ما حبسني عنكم الغداة، إني قمت من الليل فصليت ما قُدر لي، فنمست في صلاتي حتى استيقظت، فإذا أنا بربي ﷻ في أحسن صورة، فقال: يا عماد، أتدري فيم يختصم الملائكة الأعلى؟ قلت: لا أدري رب - أعادها ثلاثاً - فرأيت وضع كفه بين كفتي، حتى



الآية (٨٤-٨٥): ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴿١﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ قرأ ذلك جماعة منهم مجاهد برفع «الحق» الأولى، وفسره مجاهد بأن معناه: أنا الحق، والحق أقول. وفي رواية عنه: الحق متي، وأقول الحق. وقرأ آخرون بنصبها. قال السدي: هو قسم أقسم الله به. قلت: وهذه الآية كقوله: ﴿وَلَكِنَّ حَقَّ الْقَوْلِ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣]، وكقوله تعالى: ﴿قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً تَوْفُورًا﴾ [الإسراء: ٦٣].

الآية (٨٦-٨٨): يقول تعالى: قل يا محمد هؤلاء المشركين: ما أسألكم على هذا البلاغ وهذا النصح أجراً تطوبونه من عرض الحياة الدنيا، ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ أي: وما أزيد على ما أرسلني الله به، ولا أبتغي زيادة عليه، بل ما أمرت به أدبته لا أزيد عليه ولا أنقص منه، وإنما أبتغي بذلك وجه الله عز وجل والدار الآخرة. عن مسروق قال: أتينا عبد الله بن مسعود قال: يا أيها الناس، من علم شيئاً فليقل به، ومن لا يعلم فليقل: الله أعلم؛ فإن من العلم أن يقول الرجل لما لا يعلم: الله أعلم؛ فإن الله قال لنبيكم ﷺ: ﴿قُلْ مَا أَشْكُرُ عَلَيْهِ مِنْ خَيْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [متفق عليه]. ﴿إِنَّ هُوَ أَذْكُرُ الْقَالِينَ﴾ يعني: القرآن ذكر لجميع المكلفين من الإنس والجن، قاله ابن عباس. وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ يَدٌ وَمَنْ يَلْبَسْ﴾ [الأنعام: ١٩]. ﴿وَلَنُكَلِّمَنَّ تِلْكَ الْأُيُوهَ﴾ خبره وصدفه ﴿بِمَعْرِفَةٍ﴾ أي: عن قريب. قال قتادة: بعد الموت. وقال عكرمة: يعني يوم القيامة. ولا منافاة بين القولين؛ فإن من مات فقد دخل في حكم القيامة. قال الحسن: يا ابن آدم، عند الموت تأتيك الخبر اليقين.

#### ... تفسير سورة الزمر ...

وهي مكية، [وعدد آياتها (٧٥) آية].

[فضل السورة]: عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول: ما يريد أن يفطر. ويفطر حتى نقول: ما يريد أن يصوم. وكان يقرأ في كل ليلة بني إسرائيل والزمر [رواه النسائي، وصححه الألباني].

الآية (١-٣): يخبر تعالى أن تنزيل هذا الكتاب -وهو القرآن العظيم- من عنده تبارك وتعالى، فهو الحق الذي لا مرية فيه ولا شك، كما قال ﷺ: ﴿وَلَقَدْ نَزَّلَ رَبِّيَ الْكَافِرِينَ ﴿١﴾ نَزَّلَ بِهِ الرُّوحَ الْأَمِينُ ﴿٢﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿٣﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٥]. وقال ههنا: ﴿نَزِيلَ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ﴾ أي: المنيع الجناح، ﴿الْمُخَيِّرِ﴾ أي: في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره. ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ﴾ أي: فاعبد الله وحده لا شريك له، وادع الخلق إلى ذلك، وأعلمهم أنه لا تصلح العبادة إلا له وحده، وأنه ليس له شريك ولا عدل ولا نديد؛ ولهذا قال: ﴿الَّذِينَ خَالَصُوا الدِّينَ لَخَالِصِينَ﴾ أي: لا يقبل من العمل إلا ما أخلص فيه العامل لله وحده لا شريك له. وقال قتادة في قوله: ﴿الَّذِينَ خَالَصُوا الدِّينَ﴾ شهادة أن لا إله إلا الله. ثم أخبر ﷺ عن عبادة الأصنام من المشركين أنهم يقولون: ﴿مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ أي: إنما يحملهم

على عبادتهم لهم أنهم عمدوا إلى أصنام اتخذوها على صور الملائكة المقربين في زعمهم، فعبدوا تلك الصور تنزيلاً لذلك منزلة عبادتهم الملائكة؛ ليشفعوا لهم عند الله في نصرهم ورزقهم، وما ينوبهم من أمر الدنيا، فأما المعاد فكانوا جاحدين له كافرين به. قال قتادة والسدي: ﴿إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ أي: ليشفعوا لنا، ويقربونا عنده منزلة. ولهذا كانوا يقولون في تلبيتهم إذا حجوا في جاهليتهم: «بيك لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك». وهذه الشبهة هي التي اعتمدها المشركون في قديم الدهر وحديثه، وجاءتهم الرسل بردها والنهي عنها، والدعوة إلى إفراة العبادة لله وحده لا شريك له، وأن هذا شيء اخترعه المشركون من عند أنفسهم، لم يأذن الله فيه ولا رضي به، بل أبغضه ونهى عنه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رُسُلًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الصُّلُوحَ﴾ [التحل: ٣٦]. وأخبر أن الملائكة التي في السموات من المقربين وغيرهم، كلهم عبيد خاضعون لله، لا يشفعون عنده إلا بإذنه لمن ارتضى، وليسوا عنده كالأمراء عند ملوكهم، يشفعون عندهم بغير إذنه فيها أحبه الملوك وأبوه، ﴿فَلَا تَقْرَبُوا لِلَّهِ الْأَشْيَاءَ﴾ [التحل: ٧٤]، تعالى الله عن ذلك. ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ أي: يوم القيامة، ﴿فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ أي: سيفصل بين الخلائق يوم معادهم، ويميز كل عامل بعمله. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ أي: لا يرشد إلى الهداية من قصده الكذب والافتراء على الله، وقلبه كافر بآياته وحججه وبراهينه.

الآية (٤): ثم بين تعالى أنه لا ولد له كما يزعمه جهلة المشركين في الملائكة، والمعاندون من اليهود والنصارى في العزيز وعيسى، فقال: ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَىٰ مِمَّا يَشْتَكِي﴾ أي: لكان الأمر على خلاف ما يزعمون. وهذا شرط لا يلزم وقوعه ولا جوازه، بل هو محال، وإنما قصد تجهيلهم فيها ادعوه وزعموه؛ كما قال: ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِثْلًا لِمَا تَتَّخِذُونَ مِنْ دُونِنَا لَإَكْثَرُنَا بَعْثًا﴾ [الأنبياء: ١٧]، كل هذا من باب الشرط، ويجوز تعليق الشرط على المستحيل لقصد التكلم. ﴿سُبْحَنَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ أي: تعالى وتنزه وتقدس عن أن يكون له ولد؛ فإنه الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي كل شيء عبد لديه، فقير إليه، وهو الغني عما سواه، الذي قد قهر الأشياء فدانت له وذلت وخضعت.

الآية (٥): يخبر تعالى أنه الخالق لما في السموات والأرض، وما بين ذلك من الأشياء، وأنه مالك الملك المتصرف فيه، يقبل ليله ونهاره، ﴿يَكُونُ الْبَلَدُ عَلَى النَّهَارِ وَيَكُونُ اللَّيْلُ عَلَى الْبَلَدِ﴾ أي: سخرها مجريان متعاقبين لا يفتران، كل منهما يطلب الآخر طلباً حثيثاً؛ كقوله: ﴿يَبْقَىٰ الْبَلَدُ الْبَاقِيَّةُ حَيًّا﴾ [الأعراف: ٥٤] هذا معنى ما روي عن ابن عباس ومجاهد. ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ يَوْمٍ فِي لُجَجٍ مُسْتَسْقَىٰ﴾ أي: إلى مدة معلومة عند الله ثم تنقضي يوم القيامة. ﴿أَلَا هُوَ أَعَزُّ مِنَ النَّفْثَاتِ﴾ أي: مع عزته وعظمته وكبريائه هو غفار لمن عصاه ثم تاب وأناب إليه.



## ● الوقفات التدريبية

❶ ﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾

عن مسروق قال: اتينا عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: يا أيها الناس من علم شيئا فليقل به، ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم؛ فإن من العلم أن يقول الرجل لما لا يعلم: الله أعلم؛ فإن الله عز وجل قال لنبيكم ﷺ: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾. ابن كثير: ٤/٤٥.

السؤال: استنبط عبد الله بن مسعود أدبا من آداب طلبية العلم من خلال تدبره للآية، ما هو؟

❷ ﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾

واخذ من قوله: (وما أنا من المتكلفين) أن ما جاء به من الدين لا تكلف فيه؛ أي: لا مشقة في تكاليفه؛ وهو معنى سماحة الإسلام، وهذا استروح مبني على أن من حكمة الله أن يجعل بين طبع الرسول ﷺ وبين روح شريعته تناسبا. ابن عاشور: ٣٠٩/٢٣.

السؤال: بين سماحة الإسلام من خلال الآية الكريمة.

❸ ﴿ إِنَّمَا أَوْلَايَا الَّذِينَ يَدْعُونَ لَهَا مِنَ الْغَيْبِ ﴾

هذه السورة العظيمة مشتملة على الذكر الحكيم ... فلهذا القسم في أولها بأنه ذو الذكر، ووصفه في آخرها بأنه ذكر للعالمين، وأكسر التكدير بها فيما بين ذلك؛ كقوله: (واذكر عبادنا)، (واذكر عبادنا)، (رحمة منا وذكرى)، (هذا ذكر). السعدي: ٧١٧.

السؤال: ما أكثر أمر اشتملت عليه السورة؟ أذكر فائدتين من ذلك.

❹ ﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾

الكلام وصف للمتكلم، والوصف يتبع الموصوف، فكما أن الله تعالى الكامل من كل وجه، الذي لا مثيل له، فكذلك كلامه كامل من كل وجه، لا مثيل له، فهذا وحده كاف في وصف القرآن، دال على مرتبته. السعدي: ٧١٨.

السؤال: في هذه الآية إخبار عن عظمة القرآن، بين ذلك.

❺ ﴿ أَلَا إِلَهُ إِلَّا الْإِذْنُ الْخَالِصُ ﴾

قال ابن العربي: هذه الآية دليل على وجوب النية الخالصة في كل عمل. القرطبي: ٢٤٦/١٨.

السؤال: ما العمل القلبي المستفاد من الآية؟ وهل هو واجب؟

❻ ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَذِبٌ كَفَّارٌ ﴾

ولا جرم أنه كلما توغل العبد في الكذب على الله وفي الكفر به؛ ازداد

غضب الله عليه، فازداد بعد الهداية الإلهية عنه؛ كما قال تعالى: (كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجامهم البيئات وأنه لا يهدي القوم الظالمين) آل عمران: ٨٦. ابن عاشور: ٣٢٤/٢٣.

السؤال: بين خطورة الكذب على الله تعالى من خلال الآية.

❼ ﴿ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَنَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾

نزه تعالى نفسه من اتخاذ الولد، ثم وصف نفسه بالواحد؛ لأن الوحدانية تنافي اتخاذ الولد؛ لأنه لو كان له ولد لكان من جنسه، ولا جنس له؛ لأنه واحد، ووصف نفسه بالقهار ليدل على نفي الشركاء والأنداد؛ لأن كل شيء مقهور تحت قهره تعالى، فكيف يكون شريكا له. ابن جزي: ٢٣٢/٢.

السؤال: في ختم الآية بقوله: (الواحد القهار) مناسبة لطيفة لضمون الآية، بينها.

قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ ۖ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ يَتَّبِعُكَ مِنْ أَتَمِّعِينَ ۖ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ۝ إِن هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ۝ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ۝

سورة الزمر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ۝ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ۝ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَنَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ۝ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ الْبَلَدَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ۖ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ۝

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
أَجْرٌ	جَزَاءٌ وَأَجْرَةٌ عَلَى الْهِدَايَةِ وَالِدَعْوَةِ.
الْمُتَكَلِّفِينَ	الْمُتَصَنِّعِينَ الْمُتَقَوِّلِينَ عَلَى اللَّهِ.
نَبَأُهُ	خَبَرُ الْفَرَانِ وَصِدْقُهُ.
مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ	مُوحِّدًا لَهُ الْعِبَادَةَ وَالطَّاعَةَ.
الدِّينَ الْخَالِصَ	الطَّاعَةَ التَّامَّةَ السَّالِمَةَ مِنَ الشَّرِكِ.
زُلْفَىٰ	تَقَرُّبًا.
لَأَصْطَفَىٰ	لَاخْتَارَ.
يُكَوِّرُ	يُدْخِلُ.

## ● العمل بالآيات

- استعد بالله من النار؛ فهي مصير اتباع إبليس، ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ يَتَّبِعُكَ مِنْ أَتَمِّعِينَ﴾.
- ادع الله تعالى أن يكون توحيدك خالصا له، لا يشوبه شرك أو رياء، ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾.
- تأمل دوران الشمس والقمر وما فيه من العبر، ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ۖ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾.

## ● التوجيهات

- إن استطعت أن لا تسأل على دعوتك أجرا إلا من الله تعالى فافعل، ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾.
- الله عز وجل لا يقبل إلا العبادة الخالصة، فاحرص أن تكون أعمالك كلها كذلك، ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾.
- ذم الكذب والتقول على الله والرسول والمؤمنين، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾.



## ● الوقفات التدريبية

١ ﴿ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْقُرْآنِ قُرْآنًا مَّجِيدًا ﴾

وهي التي ذكرها في سورة الأنعام: (ثمانية أزواج من الضان اثنين ومن المعز اثنين)، (ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين) (الأنعام: ١٤٣، ١٤٤) وخصها بالذكر مع أنه أنزل لمصالح عباده من البهائم غيرها لكثرة نفعها، وعموم مصالحها، ولشرفها، ولاختصاصها بأشياء لا يصلح غيرها، كالأضحية، والهدي، والعقيقة، ووجوب الزكاة فيها، واختصاصها بالديّة: السعدي: ٧٩.

السؤال: لماذا خص هذه الأزواج الثمانية دون غيرها من سائر البهائم؟

٢ ﴿ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ﴾

(خلقاً من بعد خلق) يعني: أن الإنسان يكون نطفة، ثم علقته، ثم مضغته، إلى أن يتم خلقه، ثم ينفخ فيه الروح. ابن جزي: ٣٤٤/٢.

السؤال: بينت الآية ضعف المخلوق، وقدرته الخالق، وضع ذلك.

٣ ﴿ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ﴾

(في ظلمات ثلاث) أي: ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة. الجزلري: ٤٦٨/٤.

السؤال: ما الظلمات الثلاث المذكورة في الآية الكريمة؟

٤ ﴿ ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ﴾

ووصفه بالربوبية تدكير لهم بنعمة الإيجاد والإمداد؛ وهو معنى الربوبية، وتوطئة للتسجيل عليهم بكفران نعمته الآتي في قوله: (إن تكفروا فإن الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر). ابن عاشور: ٣٣٦/٢٣.

السؤال: ما فائدة وصف الله تعالى بالربوبية في الآية الكريمة؟

٥ ﴿ آمَنَ هُوَ قَنِيئٌ مَّا تَلَّ إِلَيْ سَاجِدًا وَقَاسِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ ﴾

وتخصيص الليل بقنوتهم؛ لأن العبادة بالليل أعون على تمحض القلب لذكر الله، وأبعد عن مداخلته الرياء، وأدل على إثبات عبادة الله على حظ النفس من الراحة والنوم؛ فإن الليل ادعى إلى طلب الراحة، فإذا أثر للمرء العبادة فيه استنار قلبه بحب التقرب إلى الله، قال تعالى: (إن ناشئة الليل هي أشد وطناً وأقوم قبلاً) (الزلزل: ٦). ابن عاشور: ٣٤٦/٢٣.

السؤال: لماذا خص الليل بالعبادة في الآية الكريمة؟

٦ ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ ﴾

النص عام أنه كل من أحسن فله في الدنيا حسنة، فما بال من آمن في أرض يضطهد فيها ويمتنع لا يحصل له ذلك، دفع هذا الظن بقوله: (وأرض الله واسعة)... أخبر أن أرضه واسعة؛ فهمها منعتم من عبادته في موضع فهاجروا إلى غيرها. السعدي: ٧٢١.

السؤال: لماذا ذكر سعة أرضه بعد ذكر أن لكل محسن حسنة في هذه الدنيا؟

٧ ﴿ إِنَّمَا يَوْفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾

قال علي رضي الله عنه: «كل مطيع يكال له كيلاً، ويوزن له وزناً إلا الصابرون؛ فإنه يحشى لهم حثيثاً، و يروى: «يؤتي باهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان، ولا ينشر لهم ديوان، ويصب عليهم الأجر صيباً بغير حساب ... حتى يتنمي أهل العافية في الدنيا أن أجسادهم تفرض بالمقاريض مما يذهب به أهل البلاء من الفضل». البغوي: ٩/٤.

السؤال: كيف يكون أجر الصابرين عند الله تعالى بغير حساب؟

خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُنَّجَعَلْ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأُنْزِلَ لَكُم مِّنَ الْآلَاءِ تَمَكِينًا أَرْوَجَ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ قَاتِي نَصْرُ فُورَتِ ۚ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ مَّحَارِبَةٌ، مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا نَوَلَّهُ رَيْعَةً مِنْهُ لَبِىَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلٍ وَجَعَلَ لَهُ آتِدًا لِّيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۚ قُلْ مَتَّعْتُكُمْ فِي الدُّنْيَا مَا تَعْلَمُونَ ۚ قُلْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَتَمْنَوْنَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ	ثَمَانِيَةَ أَنْوَاعٍ ذُكُورًا وَإِنَاثًا، مِنَ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالضَّانِّ وَالْمَعْزِ.
فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ	ظُلُمَاتِ الْبَطْنِ، وَالرَّحِمِ، وَالْمَشِيمَةِ.
فَأَنَّى تُصْرَفُونَ	كَيْفَ تُعَدَّلُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ؟
حَوْلَهُ	أَعْطَاهُ وَمَنْحَهُ.
قَاتِنٌ	مُطْبِعٌ خَاضِعٌ لِلَّهِ.
يُؤْفَىٰ	يُعْطَىٰ وَأَفِيًّا.

## ● العمل بالآيات

١. برّ أمك التي خلقك الله في بطنها، ﴿ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ﴾.
٢. تصدق على مسكين؛ شكرًا لله على نعمه المتتابعة عليك، ﴿ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾.
٣. قم الليل، وادع الله: «اللهم إني أرجو رحمتك، واخشى عذابك، إن عذابك الجد بالكفار ملحق»، ﴿ آمَنَ هُوَ قَنِيئٌ مَّا تَلَّ إِلَيْ سَاجِدًا وَقَاسِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ ﴾.

## ● التوجيهات

١. كن ممن يعرف ربه في الرخاء كما يعرفه في الشدة، ﴿ ثُمَّ إِذَا حَوَّلَهُ رَيْعَةً مِنْهُ لَبِىَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلٍ ﴾.
٢. رفع الله مكانة أهل العلم فكمن منهم، ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَمْلِكُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَ الْأَلْبَابِ ﴾.
٣. كن من أهل الصبر؛ فإن أجرهم بغير حساب، ﴿ إِنَّمَا يَوْفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾.

وقوله: ﴿وَحَمَلْهُ إِلَىٰ آدَمَ أَذَىٰ الْقَبْلِ عَنْ سَيْبِهِ﴾ ﴿أي: في حال العافية بشرًا بالله، ويجعل له آندادًا﴾، ﴿قُلْ تَتَخَفُونَ قَهْرِي فَلَيْلَا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ ﴿أي: قل لمن هذه حاله وطريقته ومسلكه: تمنع بكفره قليلاً. وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد؛ كقوله: ﴿قُلْ تَتَّقُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾ [إبراهيم: ٣٠]، وقوله: ﴿تَتَّقُهُمْ فَلَيَّائِي تَصْطَرِفُكُمْ إِلَيَّ عَذَابِي عَلَيْهِ﴾ [لقمان: ٢٤].

الآية (٩): ﴿ أَتَنْ هُوَ فَنِيَتْ عَائَةَ النَّبِيِّ سَاجِدًا وَقَائِمًا ﴾ يقول تاج الدين: آمن هذه صفته كمن أشرك بالله وجعل له أندادًا؟! لا يستوون عند الله؛ كما قال تعالى: ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً بَيْنَ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ عَائَةَ النَّبِيِّ وَلَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٣]، وقال ههنا: ﴿ أَتَنْ هُوَ فَنِيَتْ عَائَةَ النَّبِيِّ سَاجِدًا وَقَائِمًا ﴾ أي: في حال سجوده وفي حال قيامه؛ ولهذا استدلل بهذه الآية من ذهب إلى أن القنوت هو الخشوع في الصلاة، ليس هو القيام وحده، كما ذهب إليه آخرون. قال ابن مسعود: القانت المطيع لله ولرسوله. وقال ابن عباس والحسن: ﴿ عَائَةَ النَّبِيِّ ﴾ جوف الليل. وقال منصور: بلغنا أن ذلك بين المغرب والعشاء. وقال الحسن وقتادة: ﴿ عَائَةَ النَّبِيِّ ﴾ أوله وأوسطه وآخره. وقوله: ﴿ يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ ﴾ أي: في حال عبادته خائف راج، ولا بد في العبادة من هذا وهذا، وأن يكون الخوف في مدة الحياة هو الغالب؛ ولهذا قال: ﴿ يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ ﴾، فإذا كان عند الاحتضار فليكن الرجاء هو الغالب عليه. عن يحيى البكاء أنه سمع ابن عمر قرأ: ﴿ أَتَنْ هُوَ فَنِيَتْ عَائَةَ النَّبِيِّ سَاجِدًا وَقَائِمًا ﴾ يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ؛ قال ابن عمر: ذاك عثمان بن عفان، وإنما قال ابن عمر ذلك لكثرة صلاة أمير المؤمنين عثمان بالليل وقراءته، حتى إنه ربما قرأ القرآن في ركعة، كما روى ذلك أبو عبيدة عنه. وقوله: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَمُنُّونَ وَالَّذِينَ لَا يُعْلَمُونَ ﴾ أي: هل يستوي هذا والذي قبله ممن جعل لله أندادًا ليضل عن سبيله؟! ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ أي: إنما يعلم الفرق بين هذا وهذا من له لب؛ وهو العقل. الآية (١٠): يقول تعالى آمرا عباده المؤمنين بالاستمرار على طاعته وتقواه ﴿ وَتَعِبُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفُسًا رَبِّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾ أي: لمن أحسن العمل في هذه الدنيا حسنة في دنياهم وأخراهم. ﴿ وَأَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةٌ ﴾ قال مجاهد: فهاجروا فيها، وجاهدوا، واعتزلوا الأوثان. وقال عطاء في قوله: ﴿ وَأَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةٌ ﴾: إذا دعيتم إلى المعصية فاهربوا، ثم قرأ: ﴿ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا ﴾ [النساء: ٩٧].

﴿إِنَّمَا يُوفَى الصَّادِقُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ قال الأوزاعي: ليس يُوزَن لهم ولا يُكَال، إنما يُعرف لهم غرقاً. وقال ابن جريج: بلغني أنه لا يحسب عليهم ثواب عملهم قط، ولكن يُزادون على ذلك. وقال السدي: ﴿إِنَّمَا يُوفَى الصَّادِقُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ يعني: في الجنة.

الآية (٦): قوله: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ أي: خلقكم مع اختلاف أجناسكم وأصنافكم والستكم والوانكم من نفس واحدة، وهو آدم عَلَيْهِ السَّلَام. ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا مِنْهَا رِجَالًا﴾ وهي حواء -عليها السلام- كقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا رِجَالًا وَنِسَاءً﴾ [النساء: ١].

وقوله: ﴿وَإِزْلَاجُكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَنِيَّةً أَزْوَاجًا﴾ أي: وخلق لكم من ظهور الأنعام ثمانية أزواج، وهي المذكورة في سورة الأنعام: ﴿ثَنِيَّةً أَزْوَاجٍ مِنَ الطَّيْرِ أَتَيْنَا وَمِنَ الْبَعَرِ أَتَيْنَا﴾ [الأنعام: ١٤٣]، ﴿وَمِنَ الْأَبِلِ أَتَيْنَا وَمِنَ الْبَعَرِ أَتَيْنَا﴾ [الأنعام: ١٤٤].

وقوله: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ أي: أي: قَدَرَكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ﴿خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ أي: يكون أحدكم أولاً نطفة، ثم يكون علقة، ثم يكون مضغة، ثم يَخْلُقُ فيكون لحماً وعظماً وعصباً وعروفاً، وَيُفْخِخُ فِيهِ الرُّوحَ فيصير خلقاً آخر، ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [الزُّمَرُ: ١٤]. وقوله: ﴿فِي ظِلْمَتٍ ثَلَاثٍ﴾ يعني: ظلمة الرحم، وظلمة المشيمة -التي هي كالغشاوة والوقاية على الولد- وظلمة البطن. كَذَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَجَاهِدٌ وَعُكْرَمَةُ.

وقوله: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ﴾ أي: هذا الذي خلق السموات والأرض وما بينهما، وخلقكم وأبائكم، هو الرب له الملك والتصرف في جميع ذلك.

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده، ﴿فَأَن تَصْرُفُوهُ﴾ أي: فكيف تعبدون معه غيره؟! أين يذهب بقولكم؟!

الآية (٧): يقول تعالى مخبراً عن نفسه تعالى: أنه الغني عما سواه من المخلوقات، كما قال موسى عليه السلام: ﴿إِنْ كَفَرُوا أَنْتُمْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَأَنْتَ اللَّهُ لَنْفَىٰ جِيدٍ﴾ [إبراهيم: ٨]. وفي صحيح مسلم: «يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم، كانوا على أفجر قلب رجل منكم، ما نقص ذلك من ملكي شيئاً». وقوله: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ أي: لا يجه ولا يأمر به، ﴿وَإِنْ شَكَرُوا زَيْدَةً لِّكَم﴾ أي: يجه منكم ويزدكم من فضله. ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ أي: لا تحمل نفس عن نفس شيئاً، بل كلٌّ مُطَالِبٌ بأمْرِ نفسه، ﴿ثُمَّ إِنْ رَكِبَكُمُ مَّزْجُكُمْ فَفِيكُمْ يَمَانُكُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلَيْهِ إِذَاتُ الصُّدُورِ﴾ أي: فلا تخف، عليه خافية.

الآية (٨): قوله: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ أي: عند الحاجة يضرع ويستغيث بالله وحده لا شريك له؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ يَدْعُونَ إِلَّا إِلَاءَ اللَّهِ فَلَمَّا نَجَّاهُمُ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضُوا وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٦٧]. ولهذا قال: ﴿ثُمَّ إِذَا حَوَّلَهُ بِقَعْمَةٍ مِنْهُ فَبِئْسَ مَا كَانُ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: في حال الرفاهية ينسى ذلك الدعاء والتضرع؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَا كَدًّا لِحَبْلِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَفَتْنَا عَنْهُ ضَرُّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسِّهِ﴾ [يونس: ١٢].

وتابع الصيام، وصلى والناس نيام» [رواه أحمد، وحسنه الألباني]. وعن سهل ابن سعد أن رسول الله ﷺ قال: «إن أهل الجنة ليرآون الغرفة في الجنة كما ترآون الكوكب في السماء». قال: فحدثني بذلك النعمان بن أبي عياش، فقال: سمعت أبا سعيد الخدري يقول: «كما ترآون الكوكب الدري في الأفق الشرقي أو الغربي» [متفق عليه].

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إن أهل الجنة ليرآون في الجنة أهل الغرف، كما ترآون الكوكب الدري الغارب في الأفق الطالع، في تفاضل أهل الدرجات». فقالوا: يا رسول الله، أولئك النبیون؟ فقال: «بل، والذي نفسي بيده، وأقوام آمنوا بالله وصدقوا الرسل» [رواه أحمد والترمذي، وصححه لغيره الألباني].

وقوله: ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي: تسلك الأنهار من خلال ذلك، كما يشاؤون وأين أرادوا. ﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾ أي: هذا الذي ذكرناه وَعَدَ وَعَدَهُ الله عباده المؤمنين ﴿لَا يَغْلِبُ اللَّهُ الْبَاطِلَ﴾.

الآية (٢١): ﴿يَجْزِيكَ تَعَالَى أَنْ أُصْلَ الْمَاءِ فِي الْأَرْضِ مِنَ السَّمَاءِ كَمَا قَالَ ﷻ: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ [الفرقان: ٤٨]، فإذا أنزل الماء من السماء كَمَنَ في الأرض، ثم يصرفه تعالى في أجزاء الأرض كما يشاء، ويبيعه عيوناً ما بين صغار وكبار، بحسب الحاجة إليها؛ ولهذا قال: ﴿فَسَلَكُمُ النَّجَىٰ فِي الْأَرْضِ﴾.

عن ابن عباس في قوله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعَ فِي الْأَرْضِ﴾ قال: ليس في الأرض ماء إلا نزل من السماء، ولكن عروق في الأرض تغيره، فذلك قوله تعالى: ﴿فَسَلَكَهُ يَنْبِيعَ فِي الْأَرْضِ﴾، فمن سره أن يعود الملح عذباً فليصمده. وكذا قال سعيد بن جبير وعامر الشعبي: أن كل ماء في الأرض فاصله من السماء. وقال سعيد بن جبير: أصله من الثلج، يعني: أن الثلج يترام على الجبال، فيسكن في قرارها، فتنبع العيون من أسافلها.

قوله: ﴿ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا﴾ أي: ثم يخرج بالماء النازل من السماء والنابع من الأرض زرعاً ﴿فَتَحْنُلُفَ أَوْتَةً﴾ أي: أشكاله وطعومه وروائح وروائح، وثمرته ﴿ثُمَّ يَهْبِيجُ﴾ أي: بعد نضارته وشبابه يكتهل ﴿فَتَرْتَهُ مَضْجَرًا﴾ قد خالطه اليبس ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ حَبْلًا﴾ أي: ثم يعود يابساً يتحطم.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولَى الْأَلْبَابِ﴾ أي: الذين يتذكرون بهذا فيعتبرون إلى أن الدنيا هكذا، تكون خضرة نضرة حسنة، ثم تعود عجموراً شوهاً، والشاب يعود شيخاً هرمًا كبيراً ضعيفاً، وبعد ذلك كله الموت، فالسعيد من كان حاله بعده إلى خير. وكثيراً ما يضرب الله تعالى مثل الحياة الدنيا بما ينزل الله من السماء من ماء، وينبت به زروعاً وثماراً، ثم يكون بعد ذلك حطاماً؛ كما قال تعالى: ﴿وَأَمْشَرْتُمْ لَمْ تَمْلِكُوا الدُّنْيَا كَلِّمْ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَفَ فِيهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ شَيْبًا وَنُدْرَةً لِلنَّاسِ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا﴾ [الكهف: ٤٥].

الآية (١١-١٢): ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ أي: إنما أُمِرْتُ بإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ قال السدي: يعني من أمته ﷺ.

الآية (١٣): يقول تعالى: قل يا محمد وأنت رسول الله: ﴿إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ وهو يوم القيامة. وهذا شرط، ومعناه التبرع بغيره بطريق الأولى والأخرى.

الآية (١٤-١٥): ﴿قُلْ اللَّهُ أَغْنِي عَنْكُمْ اللَّهُ دِينِيَ﴾ ﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ وهذا أيضاً تهديد وتبرع منهم. ﴿قُلْ إِنِّي لَتَقْتَتِلَ مِنْ الْخَاسِرِينَ كُلَّ الْخَسِرَانِ﴾ ﴿وَالَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَآلِهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ أي: تفارقوا فلا لقاء لهم أبداً، وسواء ذهب أهلهم إلى الجنة وقد ذهبوا هم إلى النار، أو أن الجميع أسكنوا النار، ولكن لا اجتماع لهم ولا سرور. ﴿ذَلِكَ هُوَ الْخَسِرَانُ الَّذِي﴾ أي: هذا هو الخسار البين الظاهر الواضح.

الآية (١٦): ثم وصف حالهم في النار فقال: ﴿لَهُمْ مِنْ قَوْعِهِمْ نُجْلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهَا نُجْلٌ﴾؛ كما قال: ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِثَاقٌ وَمِنْ قَوْعِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ يُخَوِّرُ الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤١]. وقوله: ﴿وَالَّذِينَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ﴾ أي: إنما يقص خبر هذا الكائن لا محالة ليخوف به عباده، لينزجروا عن المحارم والمأثم، ﴿يَعْبُدُونَ فَاتَّقُوا﴾ أي: اخشوا بأسى وسطوتى، وعذابى ونقمتى.

الآية (١٧-١٨): قال زيد بن أسلم: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا﴾ نزلت في زيد بن عمرو بن نفيل، وأبي ذر، وسليمان الفارسي. والصحيح أنها شاملة لهم ولغيرهم ممن اجتنب عبادة الأوثان، وأتاب إلى عبادة الرحمن.

فهؤلاء هم الذين لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة. ثم قال: ﴿فَيَذَرُهَا آلُ اللَّهِ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ أي: يفهمونه ويعملون بما فيه؛ كقوله تعالى لموسى حين أتاه التوراة: ﴿فَمَضَاهَا يُقَوُّ وَأَمَرَ قَوْمَهُ بِأَخَذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾ [الأعراف: ١٤٥]. ﴿وَأُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ أي: المتصفون بهذه الصفة هم الذين هداهم الله في الدنيا والآخرة، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ أي: ذوو العقول الصحيحة، والفيطر المستقيمة.

الآية (١٩): ﴿أَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كِتَابُهُ الْعَذَابَ﴾ فَأَمَّا تَقِيْدُنْ فِي النَّارِ يقول تعالى: أومن كتب الله أنه شقيّ تقيدُ نَقْدُهُ مما هو فيه من الضلال والهلاك؟! أي: لا يهديه أحد من بعد الله؛ لأنه من يضل الله فلا هادي له، ومن يهديه فلا مضل له.

الآية (٢٠): أخبر عن عباده السعداء أن لهم غرفاً في الجنة، وهي القصور الشاهقة. ﴿مِنْ قَوْعِهَا عُرُفٌ مِّنِيَّةٌ﴾ أي: طباق فوق طباق، مَبْنِيَّاتٌ محكمات مزخرفات عاليات. عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة غرفة يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، أعدها الله لمن أطعم الطعام، وألان الكلام،



## ● الوقفات التدريبية

١ ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ۝﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿﴾  
فإن قيل: كيف عطف (أمرت) على (أمرت) والمعنى واحد؟ فالجواب أن  
الأول أمر بالعبادة والإخلاص، والثاني أمر بالسبق إلى الإسلام، فهما  
معنيان اثنان. ابن جزي: ٢٦٦/٢.

السؤال: في تكرار فعل (أمرت) في الآيتين حث على امرين، فما هما؟

١ ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾

لأنني الداعي الهادي للخلق إلى ربهم، فيقتضي أنني أول من ألتزم بما  
أمر به، وأول من أسلم، وهذا الأمر لا بد من إيقاعه من محمد ﷺ، ومنمن  
زعم أنه من أتباعه. السعدي: ٧٢١.

السؤال: حث القرآن الكريم على قوة التمسك بالدين، بين ذلك من خلال  
الآية الكريمة.

١ ﴿قُلْ إِنِّي لَكُنْزِيَّةٌ لِلَّذِينَ خَيْرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾

أي: تفارقوا! فلا اتقاء لهم أبداً، وسواء ذهب أهولهم إلى الجنة وقد ذهبوا هم إلى  
النار، أو أن الجميع أسكنوا النار، ولكن لا اجتماع لهم ولا سرور. ابن كثير: ٤٩/٤.

السؤال: لو دخل العصاة مع أهلهم النار يوم القيامة هل يكونون سعداء بهم؟

١ ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾

قال ابن عباس: «هو الرجل يسمع الحسن والقبيح، فيتحدث بالحسن،  
وينكف عن القبيح، فلا يتحدث به»، وقيل: «يستمعون القرآن وغيره؛  
فيتبعون القرآن». القرطبي: ٣٦٠/١٨.

السؤال: كيف يكون استماع القول واتباع أحسنه؟

١ ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾

هذا جنس يشمل كل قول؛ فهم يستمعون جنس القول ليميزوا بين ما  
ينبغي إشاره مما ينبغي اجتنابه، فلهمنا من حزمهم وعقلهم أنهم يتبعون  
أحسنه، وأحسنه على الإطلاق كلام الله وكلام رسوله، كما قال في  
هذه السورة: (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا) ... فإن الذي لا  
يميز بين الأقوال: حسننا، وقبيحها ليس من أهل العقول الصحيحة، أو  
الذي يميز لكن غلبت شهوته عقله، فبقي عقله تابعاً لشهوته، فلم يؤثر

الأحسن: كان ناقص العقل. السعدي: ٧٢٢.

السؤال: كيف تحكم على شخص بأنه صاحب عقل راجح ومتزن؟

١ ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾

يستمعون القرآن فيتبعون بأعمالهم أحسنه: من العفو الذي هو أحسن  
من الانتصار، وشبه ذلك. ابن جزي: ٢٦٧/٢.

السؤال: من خلال ما ورد في تفسير هذه الآية، كيف يتبع الإنسان أحسن القول؟

١ ﴿أَمَنَ حَقَّ عَلَى كَلِمَةِ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُفِيدُ مَنْ فِي النَّارِ﴾

اجتنب فعل الإنقاذ هنا تشبيهاً لحال النبي ﷺ في حرصه على هديهم،  
وحالهم في انغماسهم في موجبات وعيدهم بحال من يحاول إنقاذ ساقط  
في النار قد أحاطت النار بجوانبه. ابن عاشور: ٣٧١/٢٣.

السؤال: بين حرص النبي ﷺ على هداية الخلق من خلال الآية الكريمة.

قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ۝ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ  
أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ۝ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝  
قُلْ اللَّهُ أَعَدَّ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ۝ فَأَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ ۝  
قُلْ إِنَّا لَنَحْمِصَنَّ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۝  
أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخَسِرَانُ الَّذِينَ هُمْ عَنْ قَوْلِهِمْ ظَلَلُوا ۝  
وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۝ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ ۝ يَوْمَ لَا تُفِيدُ  
وَالَّذِينَ أَجْتَنَبُوا الظَّالِمَاتِ أَنْ يَعْذَرُوا لَهُمْ وَلِيَّ اللَّهِ لَهُمْ الشَّرِيعُ  
فَيَتَّبِعُوا ۝ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۝  
أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ۝  
أَمَنَ حَقَّ عَلَى كَلِمَةِ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُفِيدُ مَنْ فِي النَّارِ ۝  
لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا هَمَّهُمْ هَمُّ عَرَفَ مَنْ فَوْقَهُمْ عَرَفَ مَتَبِعَهُ تَجَرَى  
مِنْ تَحْتِهِمْ ۝ الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يَخْلُفُ اللَّهُ الْوَعْدَ ۝  
أَنْزَلَ اللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ رِيَاسِي فِي الْأَرْضِ ۝  
يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَهُ مَضْضَرًا ثُمَّ  
يَجْعَلُهُ حُطَامًا ۝ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٌ لَأُولَى الْأَلْبَابِ ۝

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
ظَلَّلَ مِنَ النَّارِ	أَطْبَاقٌ مِنَ عَذَابِ النَّارِ كَهَيْئَةِ الظِّلِّ الْمَبْنِيَّةِ.
الظَّالِمُونَ	الْمُعْبُودَاتِ مِنْ دُونِ اللَّهِ؛ مِنَ الْأَوْثَانِ وَالشَّيَاطِينِ.
وَأَنَابُوا	رَجَعُوا إِلَى اللَّهِ بِالتَّوْبَةِ وَالطَّاعَةِ.
فَسَلَكَهُ رِيَاسِي	أَدْخَلَهُ فِي عِيُونٍ وَمَجَارٍ.
يُهِيجُ	يَبْسُ.
حُطَامًا	مُتَكْسِرًا مُتَفَتِّتًا.

## ● العمل بالآيات

١. تعاون مع أحد أفراد أسرته على عمل صالح؛ رجاء أن تفوزوا جميعاً يوم القيامة،  
﴿قُلْ إِنِّي لَكُنْزِيَّةٌ لِلَّذِينَ خَيْرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۝ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخَسِرَانُ الَّذِينَ﴾  
استمع إلى آيات من كتاب الله، وطبق ما فيها، ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ  
أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾.
٢. استمع إلى محاضرة، أو كلمة في مسجد، وطبق ما فيها، ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ  
فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾.

## ● التوجيهات

١. الإخلاص في الدين والعبادة من صفات النبي الكريم ﷺ، ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ  
اللَّهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾.
٢. الإنسان العاقل يتذكر قبل المعصية العذاب العظيم، ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ  
رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.
٣. اشد الناس خسراناً من خسر نفسه وأهله يوم القيامة، ﴿قُلْ إِنِّي لَكُنْزِيَّةٌ لِلَّذِينَ  
خَيْرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۝ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخَسِرَانُ الَّذِينَ﴾.



الصارق  
الصوتي

## ● الوقفات التحذيرية

﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّنْ رَبِّهِ ۖ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي صَلَٰئِكُمْ مُبِيدٌ ۝١٥﴾  
إشارة كلمة (شرح) للدلالة على قبول الإسلام؛ لأن تعاليم الإسلام وأخلاقه وآدابه تكسب المسلم فرحاً بحاله، ومسرة برضى ربه، واستخفافاً للمصائب والكوارث؛ لجزمه بأنه على حق في أمره، وأنه مثاب على ضربه، وأنه راج رحمة ربه في الدنيا والآخرة، ولعدم مخالطة الشك والحيرة ضميره. ابن عاشور: ٣٨٠/٢٣.

السؤال: بين مناسبة كلمة (شرح) للدلالة على قبول الإسلام.  
﴿ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي صَلَٰئِكُمْ مُبِيدٌ ۝١٥﴾  
قال مالك بن دينار: «ما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة قلب، وما غضب الله عز وجل على قوم إلا نزع منهم الرحمة». البيهقي: ١٢/٤.

السؤال: ما أعظم عقوبة تنزل بالعبد؟  
﴿ اللَّهُ زَلَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ ۝١٦﴾

ومعنى كون القرآن أحسن الحديث: أنه أفضل الأخبار؛ لأنه اشتمل على أفضل ما تشتمل عليه الأخبار من المعاني النافعة والجامعة لأصول الإيمان، والتشريع، والاستدلال، والتنبيه على عظم العوالم والكائنات، وعجائب تكوين الإنسان، والعقل، وبيت الآداب، واستدعاء العقول للنظر والاستدلال الحق، ومن فصاحة الفاظه وبلاغة معانيه البالغين حد الإعجاز. ابن عاشور: ٣٨٥/٢٣.

السؤال: ما وجه تسمية القرآن أحسن الحديث باختصار؟  
﴿ اللَّهُ زَلَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَبِّهًا مَّتَانِي ۝١٧﴾

أي: تتشبه فيه القصص والأحكام، والوعد والوعيد، وصفات أهل الخير وصفات أهل الشر، وتتشبه فيه أسماء الله وصفاته ... وأن تلك المعاني للقلوب بمنزلة الماء لسقي الأشجار، فكما أن الأشجار كلما بُعِدَ عهدها بسقي الماء نقصت، بل ربما تلفت، وكما تكرر سقيها حسنت واثمرت أنواع الثمار النافعة، فكذلك القلب يحتاج دائماً إلى تكرر معاني كلام الله تعالى عليه ... وهكذا ينبغي للقارئ للقرآن المتدبر لمعانيه أن لا يدع التدبر في جميع المواضع منه؛ فإنه يحصل له بسبب ذلك خير كثير ونفع عزيز. السعدي: ٧٢٣.

السؤال: بعض المعاني قد تكرر في القرآن في مواضع كثيرة، فما الحكمة من هذا التكرار؟

﴿ تَقَسَّرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ لَيْثٌ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ ۚ مَن يَشَأْ وَكَانَ يُضِلُّهُ اللَّهُ فَآلَهُ مِمَّنْ هَٰؤُلَاءِ ۝١٨﴾  
فإن قيل: لم ذكر الجلود أولاً وحدها، ثم ذكر القلوب بعد ذلك معها؟ فالجواب: أنه لما قال أولاً: (تقشّر) ذكر الجلود وحدها؛ لأن التقشيرة من وصف الجلود لا من وصف غيرها، ولما قال ثانياً: (تليث) ذكر الجلود والقلوب؛ لأن اللين توصف به الجلود والقلوب ... فاقشعرت أولاً من الخوف، ثم لانت بالرجاء. ابن جزي: ٢٦٨/٢.

السؤال: لم ذكرت الجلود أولاً وحدها، ثم ذكرت الجلود والقلوب بعدها معاً؟  
﴿ أَفَمَنْ يَتَّبِعِ يَوْجَهُ ۖ سَوَاءُ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۝١٩﴾  
جاءه العذاب العظيم، فجعل يتقي بوجهه الذي هو أشرف الأعضاء وأدنى شيء من العذاب يؤثر فيه، فهو يتقي فيه سوء العذاب؛ لأنه قد غلت يده ورجلاه. السعدي: ٧٢٣.

السؤال: ما السبب في اتقاء أهل النار العذاب بوجههم؟  
﴿ وَلَقَدْ صَرَّتْكَ لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّهُمْ نَذِيرُونَ ۝٢٠﴾  
وخصت أمثال القرآن بالذكر من بين مزايا القرآن؛ لأجل لفت بصرهم للتدبر في ناحية عظيمة من نواحي إعجازه، وهي بلاغة أمثاله؛ فإن بلغاهم كانوا يتفاسسون في جودة الأمثال. ابن عاشور: ٣٩٧/٢٣.

السؤال: لم خصت أمثال القرآن بالذكر؟

﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّنْ رَبِّهِ ۖ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي صَلَٰئِكُمْ مُبِيدٌ ۝١٥﴾  
﴿ اللَّهُ زَلَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَبِّهًا مَّتَانِي ۝١٦﴾  
﴿ تَقَسَّرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ لَيْثٌ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ ۚ مَن يَشَأْ وَكَانَ يُضِلُّهُ اللَّهُ فَآلَهُ مِمَّنْ هَٰؤُلَاءِ ۝١٨﴾  
﴿ أَفَمَنْ يَتَّبِعِ يَوْجَهُ ۖ سَوَاءُ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۝١٩﴾  
﴿ وَلَقَدْ صَرَّتْكَ لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّهُمْ نَذِيرُونَ ۝٢٠﴾  
﴿ وَلَقَدْ صَرَّتْكَ لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّهُمْ نَذِيرُونَ ۝٢١﴾  
﴿ وَلَقَدْ صَرَّتْكَ لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّهُمْ نَذِيرُونَ ۝٢٢﴾  
﴿ وَلَقَدْ صَرَّتْكَ لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّهُمْ نَذِيرُونَ ۝٢٣﴾  
﴿ وَلَقَدْ صَرَّتْكَ لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّهُمْ نَذِيرُونَ ۝٢٤﴾  
﴿ وَلَقَدْ صَرَّتْكَ لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّهُمْ نَذِيرُونَ ۝٢٥﴾  
﴿ وَلَقَدْ صَرَّتْكَ لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّهُمْ نَذِيرُونَ ۝٢٦﴾  
﴿ وَلَقَدْ صَرَّتْكَ لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّهُمْ نَذِيرُونَ ۝٢٧﴾  
﴿ وَلَقَدْ صَرَّتْكَ لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّهُمْ نَذِيرُونَ ۝٢٨﴾  
﴿ وَلَقَدْ صَرَّتْكَ لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّهُمْ نَذِيرُونَ ۝٢٩﴾  
﴿ وَلَقَدْ صَرَّتْكَ لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّهُمْ نَذِيرُونَ ۝٣٠﴾  
﴿ وَلَقَدْ صَرَّتْكَ لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّهُمْ نَذِيرُونَ ۝٣١﴾  
﴿ وَلَقَدْ صَرَّتْكَ لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّهُمْ نَذِيرُونَ ۝٣٢﴾  
﴿ وَلَقَدْ صَرَّتْكَ لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّهُمْ نَذِيرُونَ ۝٣٣﴾  
﴿ وَلَقَدْ صَرَّتْكَ لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّهُمْ نَذِيرُونَ ۝٣٤﴾  
﴿ وَلَقَدْ صَرَّتْكَ لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّهُمْ نَذِيرُونَ ۝٣٥﴾  
﴿ وَلَقَدْ صَرَّتْكَ لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّهُمْ نَذِيرُونَ ۝٣٦﴾  
﴿ وَلَقَدْ صَرَّتْكَ لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّهُمْ نَذِيرُونَ ۝٣٧﴾  
﴿ وَلَقَدْ صَرَّتْكَ لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّهُمْ نَذِيرُونَ ۝٣٨﴾  
﴿ وَلَقَدْ صَرَّتْكَ لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّهُمْ نَذِيرُونَ ۝٣٩﴾  
﴿ وَلَقَدْ صَرَّتْكَ لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّهُمْ نَذِيرُونَ ۝٤٠﴾  
﴿ وَلَقَدْ صَرَّتْكَ لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّهُمْ نَذِيرُونَ ۝٤١﴾  
﴿ وَلَقَدْ صَرَّتْكَ لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّهُمْ نَذِيرُونَ ۝٤٢﴾  
﴿ وَلَقَدْ صَرَّتْكَ لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّهُمْ نَذِيرُونَ ۝٤٣﴾  
﴿ وَلَقَدْ صَرَّتْكَ لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّهُمْ نَذِيرُونَ ۝٤٤﴾  
﴿ وَلَقَدْ صَرَّتْكَ لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّهُمْ نَذِيرُونَ ۝٤٥﴾  
﴿ وَلَقَدْ صَرَّتْكَ لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّهُمْ نَذِيرُونَ ۝٤٦﴾  
﴿ وَلَقَدْ صَرَّتْكَ لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّهُمْ نَذِيرُونَ ۝٤٧﴾  
﴿ وَلَقَدْ صَرَّتْكَ لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّهُمْ نَذِيرُونَ ۝٤٨﴾  
﴿ وَلَقَدْ صَرَّتْكَ لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّهُمْ نَذِيرُونَ ۝٤٩﴾  
﴿ وَلَقَدْ صَرَّتْكَ لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّهُمْ نَذِيرُونَ ۝٥٠﴾  
﴿ وَلَقَدْ صَرَّتْكَ لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّهُمْ نَذِيرُونَ ۝٥١﴾  
﴿ وَلَقَدْ صَرَّتْكَ لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّهُمْ نَذِيرُونَ ۝٥٢﴾  
﴿ وَلَقَدْ صَرَّتْكَ لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّهُمْ نَذِيرُونَ ۝٥٣﴾  
﴿ وَلَقَدْ صَرَّتْكَ لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّهُمْ نَذِيرُونَ ۝٥٤﴾  
﴿ وَلَقَدْ صَرَّتْكَ لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّهُمْ نَذِيرُونَ ۝٥٥﴾  
﴿ وَلَقَدْ صَرَّتْكَ لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّهُمْ نَذِيرُونَ ۝٥٦﴾  
﴿ وَلَقَدْ صَرَّتْكَ لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّهُمْ نَذِيرُونَ ۝٥٧﴾  
﴿ وَلَقَدْ صَرَّتْكَ لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّهُمْ نَذِيرُونَ ۝٥٨﴾  
﴿ وَلَقَدْ صَرَّتْكَ لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّهُمْ نَذِيرُونَ ۝٥٩﴾  
﴿ وَلَقَدْ صَرَّتْكَ لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّهُمْ نَذِيرُونَ ۝٦٠﴾  
﴿ وَلَقَدْ صَرَّتْكَ لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّهُمْ نَذِيرُونَ ۝٦١﴾  
﴿ وَلَقَدْ صَرَّتْكَ لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّهُمْ نَذِيرُونَ ۝٦٢﴾  
﴿ وَلَقَدْ صَرَّتْكَ لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّهُمْ نَذِيرُونَ ۝٦٣﴾  
﴿ وَلَقَدْ صَرَّتْكَ لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّهُمْ نَذِيرُونَ ۝٦٤﴾  
﴿ وَلَقَدْ صَرَّتْكَ لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّهُمْ نَذِيرُونَ ۝٦٥﴾  
﴿ وَلَقَدْ صَرَّتْكَ لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّهُمْ نَذِيرُونَ ۝٦٦﴾  
﴿ وَلَقَدْ صَرَّتْكَ لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّهُمْ نَذِيرُونَ ۝٦٧﴾  
﴿ وَلَقَدْ صَرَّتْكَ لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّهُمْ نَذِيرُونَ ۝٦٨﴾  
﴿ وَلَقَدْ صَرَّتْكَ لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّهُمْ نَذِيرُونَ ۝٦٩﴾  
﴿ وَلَقَدْ صَرَّتْكَ لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّهُمْ نَذِيرُونَ ۝٧٠﴾  
﴿ وَلَقَدْ صَرَّتْكَ لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّهُمْ نَذِيرُونَ ۝٧١﴾  
﴿ وَلَقَدْ صَرَّتْكَ لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّهُمْ نَذِيرُونَ ۝٧٢﴾  
﴿ وَلَقَدْ صَرَّتْكَ لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّهُمْ نَذِيرُونَ ۝٧٣﴾  
﴿ وَلَقَدْ صَرَّتْكَ لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّهُمْ نَذِيرُونَ ۝٧٤﴾  
﴿ وَلَقَدْ صَرَّتْكَ لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّهُمْ نَذِيرُونَ ۝٧٥﴾  
﴿ وَلَقَدْ صَرَّتْكَ لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّهُمْ نَذِيرُونَ ۝٧٦﴾  
﴿ وَلَقَدْ صَرَّتْكَ لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّهُمْ نَذِيرُونَ ۝٧٧﴾  
﴿ وَلَقَدْ صَرَّتْكَ لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّهُمْ نَذِيرُونَ ۝٧٨﴾  
﴿ وَلَقَدْ صَرَّتْكَ لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّهُمْ نَذِيرُونَ ۝٧٩﴾  
﴿ وَلَقَدْ صَرَّتْكَ لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّهُمْ نَذِيرُونَ ۝٨٠﴾  
﴿ وَلَقَدْ صَرَّتْكَ لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّهُمْ نَذِيرُونَ ۝٨١﴾  
﴿ وَلَقَدْ صَرَّتْكَ لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّهُمْ نَذِيرُونَ ۝٨٢﴾  
﴿ وَلَقَدْ صَرَّتْكَ لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّهُمْ نَذِيرُونَ ۝٨٣﴾  
﴿ وَلَقَدْ صَرَّتْكَ لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّهُمْ نَذِيرُونَ ۝٨٤﴾  
﴿ وَلَقَدْ صَرَّتْكَ لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّهُمْ نَذِيرُونَ ۝٨٥﴾  
﴿ وَلَقَدْ صَرَّتْكَ لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّهُمْ نَذِيرُونَ ۝٨٦﴾  
﴿ وَلَقَدْ صَرَّتْكَ لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّهُمْ نَذِيرُونَ ۝٨٧﴾  
﴿ وَلَقَدْ صَرَّتْكَ لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّهُمْ نَذِيرُونَ ۝٨٨﴾  
﴿ وَلَقَدْ صَرَّتْكَ لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّهُمْ نَذِيرُونَ ۝٨٩﴾  
﴿ وَلَقَدْ صَرَّتْكَ لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّهُمْ نَذِيرُونَ ۝٩٠﴾  
﴿ وَلَقَدْ صَرَّتْكَ لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّهُمْ نَذِيرُونَ ۝٩١﴾  
﴿ وَلَقَدْ صَرَّتْكَ لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّهُمْ نَذِيرُونَ ۝٩٢﴾  
﴿ وَلَقَدْ صَرَّتْكَ لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّهُمْ نَذِيرُونَ ۝٩٣﴾  
﴿ وَلَقَدْ صَرَّتْكَ لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّهُمْ نَذِيرُونَ ۝٩٤﴾  
﴿ وَلَقَدْ صَرَّتْكَ لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّهُمْ نَذِيرُونَ ۝٩٥﴾  
﴿ وَلَقَدْ صَرَّتْكَ لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّهُمْ نَذِيرُونَ ۝٩٦﴾  
﴿ وَلَقَدْ صَرَّتْكَ لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّهُمْ نَذِيرُونَ ۝٩٧﴾  
﴿ وَلَقَدْ صَرَّتْكَ لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّهُمْ نَذِيرُونَ ۝٩٨﴾  
﴿ وَلَقَدْ صَرَّتْكَ لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّهُمْ نَذِيرُونَ ۝٩٩﴾  
﴿ وَلَقَدْ صَرَّتْكَ لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّهُمْ نَذِيرُونَ ۝١٠٠﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
مَتَانِي	تَتَنَّى وَتَكَرَّرُ فِيهِ الْأَحْكَامُ وَالْقَصَصُ وَالْحُجُجُ.
تَقَسَّرُ	تَضْطَرُّبُ، وَتَرْتَعُدُ.
تَلَيِّنُ	تَسْكُنُ، وَتَطْمَئِنُّ.
عَوَجٌ	اضْطِرَابٌ، وَلَبَسٌ.
مُتَشَابِسُونَ	مُتَنَازِعُونَ.

## ● العمل بالآيات

١. قل أذكركم الصباح والمساء فإنها من أسباب انشراح الصدر، ﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّنْ رَبِّهِ ۖ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي صَلَٰئِكُمْ مُبِيدٌ ۝١٥﴾.
٢. اقرأ كتباً عن أسباب الخشوع عند قراءة القرآن الكريم، ﴿ اللَّهُ زَلَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَبِّهًا مَّتَانِي ۝١٦﴾.
٣. احرص اليوم أكثر على تدبر القرآن الكريم، ﴿ اللَّهُ زَلَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَبِّهًا مَّتَانِي ۝١٦﴾.
٤. اذكر الله، ﴿ وَلَقَدْ صَرَّتْكَ لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّهُمْ نَذِيرُونَ ۝٢٠﴾.

## ● التوجيهات

١. اعلم أن الهداية بيد الله تعالى، لا يملكها أحد غيره، فاطلبها منه كل حين، ﴿ ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ ۚ مَن يَشَأْ وَكَانَ يُضِلُّهُ اللَّهُ فَآلَهُ مِمَّنْ هَٰؤُلَاءِ ۝١٨﴾.
٢. لم يبق معصية الله في الدنيا فلن يبق وجهه سوء العذاب يوم القيامة، ﴿ أَفَمَنْ يَتَّبِعِ يَوْجَهُ ۖ سَوَاءُ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۝١٩﴾.
٣. يتبين أن مآل الجميع إلى الموت، وإذا كان الأمر كذلك، فكن مستعداً لذلك اليوم، ﴿ إِنَّكَ مِثُّ وَاٰلِهِمْ مِّثْرُونَ ۝٢٠﴾.

الآية (٢٢): ﴿أَمَّنْ سَرَجَ اللَّهِ صَدْرَهُ، لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ أي: هل يستوي هذا ومن هو قاسي القلب بعيد من الحق؟! كقوله ﷻ: ﴿وَأَمَّنْ كَانَ مِثْلًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي يَوْمَ فِي النَّاسِ كَمَن مَّنَّاهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِحَاجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢]، ولهذا قال: ﴿قَوْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ أي: فلا تلين عند ذكره، ولا تخشع ولا تعني ولا تفهم ﴿أَوَلَيْكَ فِي صَلَاتِكُمْ مِّثْلٌ﴾.

الآية (٢٣): ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّتَابًى﴾ قال مجاهد: يعني القرآن كله متشابه مثاني. وقال قتادة: الآية تشبه الآية، والحرف يشبه الحرف. وقال الضحاك: ﴿مَّتَابًى﴾ ترديد القول ليفهموا عن ربهم ﷻ. وقال عكرمة والحسن: ثنى الله فيه القضاء، زاد الحسن: تكون السورة فيها آية، وفي السورة الأخرى آية تشبهها. وقال ابن عباس: ﴿مَّتَابًى﴾ القرآن يشبه بعضه بعضًا، وُترد بعضه على بعض. وقال بعض العلماء: معنى قوله: ﴿مَّتَشَابِهًا مَّتَابًى﴾ أن سياقات القرآن تارة تكون في معنى واحد، فهذا من التشابه، وتارة تكون بذكر الشيء وضده، كذكر المؤمنين ثم الكافرين، وكصفة الجنة ثم صفة النار، وما أشبه هذا، فهذا من المثاني؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نِيعٍ﴾ [٣٢] وَلَئِىَ الْفَجَّارِ لَفِي جَحِيمٍ [الأنعام: ١٣-١٤]، وكقوله: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفَجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ [الطفتين: ٧]، إلى أن قال: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيَّينَ﴾ [الطفتين: ١٨]، ونحو هذا من السياقات، فهذا كله من المثاني، أي: في معنيين اثنين. وأما إذا كان السياق كله في معنى واحد يشبه بعضه بعضًا، فهو التشابه، وليس هذا من التشابه المذكور في قوله: ﴿وَمِنْهُ آيَاتٌ تُنْكِرُ هُنَّ أُمٌّ لِّلْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [آل عمران: ٧]، ذلك معنى آخر. قوله: ﴿وَنَفْثُ مِنْهُ جُلُودٌ أَلْدَيْنَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ أي: هذه صفة الأبرار عند سماع كلام الجبار، المهيمن العزيز الغفار، لما يفهمون منه من الوعد والعيد، والتخويف والتهديد، تقشع منه جلودهم من الخشية والخوف. ﴿ثُمَّ تَلِيَنَّ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ لما يرجون ويُؤملون من رحمة وطفه، فهم مخالفون لغيرهم من الكفار من وجوه: أحدها: أن سماع هؤلاء هو تلاوة الآيات، وسماع أولئك نغيات لأبيات من أصوات القينات. الثاني: أنهم إذا تليت عليهم آيات الرحمن خزوا سجداً وبكياً، بأدب وخشية، ورجاء ومحبة، وفهم وعلم. الثالث: أنهم يلزمون الأدب عند سماعها، كما كان الضحابة عند سماعهم كلام الله من تلاوة رسول الله ﷺ تقشع جلودهم، ثم تلمعن من قلوبهم إلى ذكر الله. لم يكونوا يتصارخون ولا يتكفون ما ليس فيهم، بل عندهم من الثبات والسكون والأدب والخشية ما لا يلحقهم أحد في ذلك. قوله: ﴿ذَلِكَ هُدًى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِّن عِبَادِهِ﴾ أي: هذه صفة من هداه الله، ومن كان على خلاف ذلك فهو ممن أضله الله.

الآية (٢٤-٢٦): ﴿أَمَّنْ يَبْقَى بِوَجْهِهِ سَوَاءُ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ ويُعْرَفُ يقال له ولأمثاله من الظالمين: ﴿دُورًا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ كمن يأتي أمّا يوم القيامة؟! كما قال ﷻ: ﴿يَوْمَ يَسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ دُورًا مِّمَّنْ سَقَرٌ﴾ [الزمر: ٤٨]، وقال تبارك وتعالى: ﴿أَمَّنْ يَلْقَى فِي النَّارِ بَئِزًا زَاغًا﴾

مَنْ يَأْتِي عَامِلًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [صفت: ٤٠]، واكتفى في هذه الآية بأحد القسمين عن الآخر. قوله: ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانْتَبَهُمُ الْعَذَابُ مِن حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ يعني: القرون الماضية المكذبة للرسل، أهلهم الله بذنوبهم، وما كان لهم من الله من واق.

﴿فَإِذَا فَهِمُ اللَّهُ الْحَزَنَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي: بما أنزل بهم من العذاب والنكال وتنقضي المؤمنين بهم، فليحذر المخاطبون من ذلك، فأنهم قد كذبوا أشرف الرسل، وخاتم الأنبياء ﷺ، والذي أمده الله لهم في الآخرة من العذاب الشديد أعظم مما أصابهم في الدنيا؛ ولهذا قال: ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

الآية (٢٧-٢٩): ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ أي: بيّنا للناس فيه بضرب الأمثال، ﴿فَلَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ فإن المثل يُقَرَّبُ المعنى إلى الأذهان؛ كما قال تعالى: ﴿صَرَّفَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [الروم: ٢٨] أي: تعلمونه من أنفسكم.

﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا عَرَبِيًّا عَرَبِيًّا عَرَبِيًّا﴾ أي: هو قرآن بلسان عربي مبين، لا اعوجاج فيه ولا انحراف ولا لبس، بل هو بيان ووضوح وبرهان، وإنما جعله الله تعالى كذلك، وأنزله بذلك ﴿فَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ أي: يحذرون ما فيه من الوعيد، ويعملون بما فيه من الوعد. ﴿صَرَّفَ اللَّهُ مَثَلًا تَجَلَّ فِيهِ شَرَكَةُ مُتَشَكِّبُونَ﴾ أي: يتنازعون في ذلك العبد المشترك بينهم، ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا رَّجُلًا﴾ أي: خالصا لرجل لا يملكه أحد غيره، ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا؟﴾ أي: لا يستوي هذا وهذا. كذلك لا يستوي المشرك الذي يبعد آفة مع الله، والمؤمن المخلص الذي لا يبعد إلا الله وحده لا شريك له. فأين هذا من هذا؟! قال ابن عباس ومجاهد: هذه الآية صُربت مثلاً للمشرك والمخلص، ولما كان هذا المثل ظاهراً بيّناً جلياً قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أي: على إقامة الحجة عليهم، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: فلهمذا يشركون بالله.

الآية (٣٠-٣١): ﴿إِنَّكَ مِثْلُ آبَائِهِمْ مِتَّ﴾ هذه الآية من الآيات التي استشهد بها الصديق عند موت الرسول ﷺ، حتى تحقق الناس موته، مع قوله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ الآية [آل عمران: ١٤٤]، ومعنى هذه الآية: ستقلون من هذه الدار لا محالة، وستجتمعون عند الله في الدار الآخرة، وتختصمون فيها أنتم فيه في الدنيا من التوحيد والشرك بين يدي الله ﷻ فيفصل بينكم، ويفتح بالحق وهو الفتح العليم، فينجي المؤمنين المخلصين الموحيدين، ويعذب الكافرين الجاحدين المشركين المكذبين. ثم إن هذه الآية - وإن كان سياقها في المؤمنين والكافرين، وذُكر الخصومة بينهم في الدار الآخرة - فإنها شاملة لكل متنازعين في الدنيا؛ فإنه تُعاد عليهم الخصومة في الدار الآخرة. قال ابن عباس: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ يخاصم الصادق الكاذب، والمظلوم الظالم، والمهدي الضال، والضعيف المستكبر. وقال أبو العالية: يعني أهل القبلة. وقال ابن زيد: يعني أهل الإسلام وأهل الكفر. والصحيح العموم، والله أعلم.



الآية (٣٨): وقوله: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ يعني: أن المشركين كانوا يعترفون بأن الله هو الخالق للأشياء كلها، ومع هذا يعبدون معه غيره، لما لا يملك لهم ضرًا ولا نفعًا؛ ولهذا قال: ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هِيَ مُمْسِكَةٌ بِرَحْمَتِي﴾ أي: لا تستطيع شيئًا من الأمر. عن ابن عباس مرفوعًا: «احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يضروك، ولو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله لك لم ينفعوك، جفت الصحف، ورفعت الأقلام، وعمل الله بالشكر في اليقين، واعلم أن في الصبر على ما تكره خيرًا كثيرًا، وأن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرًا» [رواه أحمد والترمذي، وصححه إسناده أحمد شاكر].

﴿قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾ أي: الله كافي، عليه توكلت وعليه يتوكل المتوكلون؛ كما قال هود عليه السلام حين قال له قومه: ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ (٥١) من دونه. فكيف وفي جميعا تدر لا تظنرون (٥٢) إني توكلت على الله ربي ونصرتكم ما بين ذلك إلا هو ما أخذ بناصيته إني ربي على صراط مستقيم» [هود: ٥٤-٥٦].

الآية (٣٩-٤٠): وقوله: ﴿قُلْ يَقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانِكُمْ﴾ أي: على طريقتكم، وهذا تهديد ووعد، ﴿إِنِّي عَمِلٌ﴾ أي: على طريقتي ومنهجي، ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ أي: ستعلمون غيب ذلك ووباله ﴿مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ مُخِرٌّ﴾ أي: في الدنيا. ﴿وَيَجِئْ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ أي: دائم مستمر، لا يحيد له عنه. وذلك يوم القيامة، أعاذنا الله منها.

الآية (٣٢): يقول تعالى مخاطبًا للمشركين الذين افتروا على الله، وجعلوا معه آلهة أخرى، وأدعوا أن الملائكة بنات الله، وجعلوا لله ولذا، ومع هذا كذبوا بالحق إذ جاءهم على السنة رسل الله، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ولهذا قال: ﴿فَنَنْظُرُ أَظْلَمُ مَنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ﴾ أي: لا أحد أظلم من هذا؛ لأنه جمع بين طرفي الباطل: كذب على الله، وكذب رسول الله، قالوا الباطل وردوا الحق؛ ولهذا قال متوعدًا لهم: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ وهم الجاحدون المكذبون.

الآية (٣٣): ثم قال: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾ قال مجاهد وقادة والربيع بن أنس وابن زيد: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ﴾ هو رسول الله ﷺ، وقال السدي: هو جبريل عليه السلام، ﴿وَصَدَّقَ بِهِ﴾ يعني: محمدًا ﷺ.

وقال ابن عباس: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ﴾: من جاء بلا إله إلا الله ﴿وَصَدَّقَ بِهِ﴾ يعني: محمدًا ﷺ. وقرأ الربيع بن أنس: «الذين جاؤا بالصدق» يعني: الأنبياء، «وصدقوا به» يعني: الأنبياء. وقال مجاهد: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾ أصحاب القرآن المؤمنون يحيون يوم القيامة فيقولون: هذا ما أعطينونا، فعملنا فيه بما أمرنا. وهذا القول عن مجاهد يشمل كل المؤمنين؛ فإن المؤمن يقول الحق ويعمل به، والرسول ﷺ أولى الناس بالدخول في هذه الآية على هذا التفسير؛ فإنه جاء بالصدق، وصدق المرسلين، وآمن بما أنزل إليه من ربه، والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله. وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ﴾ هو رسول الله ﷺ، ﴿وَصَدَّقَ بِهِ﴾ المسلمون. ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ قال ابن عباس: اتقوا الشرك.

الآية (٣٤-٣٥): ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ يعني: في الجنة، مهما طلبوا وجدوا، ﴿ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٣٤) لِيَكْفُرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ؛ كما قال في الآية الأخرى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ [الأحقاف: ١٦].

الآية (٣٦-٣٧): يقول تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ - وقرأ بعضهم: «عباده» - يعني: أنه تعالى يكفي من عبده وتوكل عليه.

﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ يعني المشركين؛ يخوفون الرسول ويتوعدونه بأصنامهم وآلهتهم التي يدعونها من دونه؛ جهلاً منهم وضلالاً؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ (٣٦) وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ؟ أي: منبع الجناب، لا يُضام من استند إلى جنبه ولجأ إلى بابه؛ فإنه العزيز الذي لا أعز منه، ولا أشد انتقامًا منه ممن كفر به وأشرك وعاند رسوله ﷺ.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿ مَنْ أَظْلَمُ مِنْ كَذَّبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالْحَقِّ إِذْ جَاءَهُ الْبَيِّنَاتُ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ ﴾

فإنهم اتوا اصنافاً من الظلم العظيم: ظلم الاعتداء على حرمة الرب بالكذب في صفاته؛ إذ عصوا أن له شركاء في الربوبية، والكذب عليه بادعاء أنه امرهم بما هم عليه من الباطل، وظلم الرسول بتكذيبه، وظلم القرآن بنسبته إلى الباطل، وظلم المؤمنين بالأذى، وظلم حقائق العالم بقلبها وإفسادها، وظلم أنفسهم بإقحامها في العذاب الخالد. ابن عاشور: ٥/٢٤.

السؤال: اذكر بعض اصناف الظلم التي استحق عليها المشركون وصف اظلم الخلق.

﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾

فإن جميع خصال التقوى ترجع إلى الصدق بالحق والتصديق به. السعدي: ٧٢٤.

السؤال: ما علاقة التقوى بالصدق بالحق والتصديق به؟

﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ﴾

وبما استحضر الرسول بوصف العبودية، وإضافته إلى ضمير الجلالة معنى عظيم من تشريفه بهذه الإضافة، وتحقيق أنه غير مُسلمه إلى أعدائه. ابن عاشور: ١٣/٢٤.

السؤال: بين تشریف الله لنبيه ﷺ من الآية الكريمة.

﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ﴾

وقوله تعالى: (أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ) تقويةً لنفس النبي عليه السلام؛ لأن كفار قريش كانت خوفته من الأصنام، وقالوا: يا محمد أنت تسبها ونخاف أن تصيبك بجنون أو علة، فنزلت الآية في ذلك. ابن عطية: ٥٣٢/٤.

السؤال: ما موقف المؤمن حينما يخوف بالخلقين؟ وضع ذلك من الآية.

﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ ﴾

فإذا كانوا يقررون له بالوصفين المذكورين فما عليهم إلا أن يعلموا أنه كافٍ عبده بعزته، فلا يقدر أحد على إصابته عبده بسوء، وبانتقامه من الذين يبتغون لعبده الأذى. ابن عاشور: ١٥/٢٤.

السؤال: ما مناسبة ختم الآية الكريمة بالصفتين (بعزيز ذي انتقام)؟

﴿ قُلْ يَتَّقُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِلَىٰ عَمَلِكُمْ مَسْئُومَةٌ تَعْلَمُونَ ﴾

﴿ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُثْمَرٌ ﴾

لما أبلغهم الله من الوصلة أقصى مبلغ، ونصب لهم من الحجج أسطع حجة، وثبت رسوله ﷺ أرسخ تثبيت، لا جرم أمر رسوله ﷺ بأن يوادعهم موادعة مستقرٍ النصر، ويوادعهم ما أعد لهم من خسر. ابن عاشور: ١٩/٢٤.

السؤال: ما مناسبة الآيات الكريمة لما قبلها؟

﴿ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُثْمَرٌ ﴾

(عذاب يخزيه) أي، يذله، ويكسر أنفه بالقتل والأسر والجوع والقهط، وقد أصاب المشركين هذا في مكة وبدر. وقوله: (ويحل عليه عذاب مقيم)

وهو عذاب النار في الآخرة، نموذ بالله من العذابين: عذاب الخزي في الحياة الدنيا، وعذاب النار في الدار الآخرة. الجزائري: ٤٩٠/٤.

السؤال: ما الفرق بين عذاب الخزي والعذاب المقيم؟

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالْحَقِّ إِذْ جَاءَهُ الْبَيِّنَاتُ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ ﴾ ١  
جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ بِهِ ٢ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ٣  
لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ٤  
لِيَكْفُرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَخِزْيُهُمْ أَجْرُهُمْ  
بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ٥ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ  
عِبْدَهُ وَخَوْفُكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يَضِلَّ اللَّهُ  
فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ٦ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ  
أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ ٧ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ  
مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ  
ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ  
قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ٨ قُلْ يَتَّقُوا اللَّهَ  
أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِلَىٰ عَمَلِكُمْ مَسْئُومَةٌ تَعْلَمُونَ ٩  
مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُثْمَرٌ ١٠

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
بِالْحَقِّ	بِالْحَقِّ
مَثْوًى	مَثْوًى وَمَسْكَنٌ
حَسْبِيَ	كَافِيَنِي
مَكَانَتِكُمْ	حَالَتِكُمْ الَّتِي رَضِيْتُمْوهَا لِأَنْفُسِكُمْ
يُخْزِيهِ	يُذِلُّهُ، وَيُهَيِّئُهُ

## ● العمل بالآيات

١. احرص منذ اليوم على قول الصدق في جدك ومزحك، ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾.
٢. قل: اللهم يا مقلب القلوب؛ ثبت قلبي على دينك، ﴿ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ ﴾.
٣. قل هذا الدعاء: «حسبي الله لا إله إلا هو، عليه توكلت وهو رب العرش العظيم»، ﴿ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾.

## ● التوجيهات

١. الصدق له أهمية كبرى في تقوى الله عز وجل، فكن من الصادقين مع نفسك ومع غيرك، ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾.
٢. متى كنت عبداً لله حقاً حقق الله تعالى لك كفايتك وحفظك، ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾.
٣. مهما واجهت من المتبطين فليكن خوفك من الله أكبر، ﴿ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿ اللَّهُ يَتَوَقَّى الْأَنْفُسَ مِنْ مَوْتِهَا ﴾

إخباره أنه يتوفى الأنفس وإضافته الفعل إلى نفسه لا ينافي أنه قد وكل بذلك ملك الموت وأعوانه ... لأنه تعالى يضيف الأشياء إلى نفسه باعتبار أنه الخالق المدير، ويضيفها إلى أسبابها باعتبار أن من سننه تعالى وحكمته أن جعل لكل أمر من الأمور سبباً. السعدي: ٧٢٥.

السؤال: كيف تجمع بين كون الله يتوفى الأنفس، وكون ملك الموت هو الذي يتوفاهما؟

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُفَكِّرُونَ ﴾

أي: لدلالات على قدرته؛ حيث لم يغلط في إمساك ما يمسك من الأرواح، وإرسال ما يرسل منها، قال مقاتل: علامات لقوم يفكرون في أمر البعث، يعني: أن توفى نفس النائم وإرسالها بعد التوفى دليل على البعث. البغوي: ١٩/٤.

السؤال: بين وجه دلالة إمساك الأنفس ثم إرسالها في النوم على البعث.

﴿ أَمْ أَتَأْخُذُونَ دُونَ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوْلَوْكَأُولَئِكَ لَا يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَلَا يَقُولُونَ ﴾

ولما كانت الشفاعة أمراً معنوياً، كان معنى ملكها تحصيل إجابتها، والكلام تهكم؛ إذ كيف يشفع من لا يعقل؟ فإنه لعدم عقله لا يتصور خُطوُره معنى الشفاعة عنده، فضلاً عن أن تتوجه إرادته إلى الاستشفاع؛ فاتخاذهم شفعاء من الحماقة. ابن عاشور: ٢٧/٢٤.

السؤال: كيف كان التهكم بالمشركون لاتخاذهم الأصنام شفعاء؟

﴿ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعاً لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾

نص في أن الشفاعة لله وحده، كما قال: (من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه) [البقرة: ٢٥٥]، فلا شافع إلا من شفاعته. القرطبي: ٢٨٩/١٨.

السؤال: هل يملك أحد غير الله تعالى الشفاعة؟

﴿ وَإِذَا ذُكِّرَ اللَّهُ وَرَحْمَةُ أَشْمَازَتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ﴾

معناها: أن الكفار يكرهون توحيد الله، ويحبون الإشراف به، ومعنى (أشمازت): انقبضت من شدة الكراهية. ابن جزي: ٢٧١/٢.

السؤال: كيف تستدل بهذه الآية على أن التوحيد شامل لأعمال القلوب؟

﴿ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾

وصف (فاطر السماوات والأرض) مشعر بصفة القدرة، وتقديمه قبل وصف العلم لأن شعور الناس بقدرته سابق على شعورهم بعلمه، ولأن القدرة أشد مناسبة لطلب الحكم؛ لأن الحكم الإلزام وقهر، فهو من أثار القدرة مباشرة. ابن عاشور: ٣١/٢٤.

السؤال: ما مناسبة الآيات الكريمة لما قبلها؟

﴿ وَبَدَأَ لَهُمْ مِنْ آلِهِمْ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾

عن مجاهد قال: عملوا أعمالاً توهموا أنها حسنات، فإذا هي سيئات، ويجوز أن يكونوا توهموا أنه يفر لهم من غير توبة، (وبدأ لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون) من دخول النار، وقال سفيان الثوري في هذه الآية: ويل لأهل الرياء، ويل لأهل الرياء، هذه آيتهم وقصتهم، وقال عكرمة ابن عمار: جزع محمد بن المنكدر عند موته جزعا شديداً، فقيل له: ما هذا الجزع؟ قال: أخاف آية من كتاب الله: (وبدأ لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون)، فانا أخشى أن يبدو لي ما لم أكن احتسب. القرطبي: ٢٨٩/١٨.

السؤال: هل يمكن أن تجد ما تظنه حسنات يوم القيامة سيئات؟

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ. وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهِ مَا آتَتْ عَلَيْهِمْ يَوْكِلُ. ﴿ اللَّهُ يَتَوَقَّى الْأَنْفُسَ حَيْثُ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الْآلِي قَصْقَصَ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْآخِرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُفَكِّرُونَ ﴾. ﴿ أَمْ أَتَأْخُذُونَ دُونَ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوْلَوْكَأُولَئِكَ لَا يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَلَا يَقُولُونَ ﴾. ﴿ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعاً لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾. ﴿ وَإِذَا ذُكِّرَ اللَّهُ وَرَحْمَةُ أَشْمَازَتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِّرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾. ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾. ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَا فِدَاءَ لَهُ مِنْ سَوْءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَبَدَأَ لَهُمْ مِنْ آلِهِمْ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾.

٤١٣

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
يَتَوَقَّى	يَقْبِضُ.
أَشْمَازَتْ	نَفَرَتْ.
فَاطِرٌ	خَالِقٌ وَمُبدِعٌ.
الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ	السِّرِّ وَالْغَلَابِيَةِ.
يَحْتَسِبُونَ	يُظَنُّونَ، وَيَتَوَقَّعُونَ.

## ● العمل بالآيات

١. قل: «اللهم أسلمت نفسي إليك، وفوضت أمري إليك، والجات ظهري إليك، وخبية ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجأ منك إلا إليك، أمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت»، ﴿ اللَّهُ يَتَوَقَّى الْأَنْفُسَ حَيْثُ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ﴾.

٢. اذكر الله تعالى بمجاهرات متنوعة من الذكر، ﴿ وَإِذَا ذُكِّرَ اللَّهُ وَرَحْمَةُ أَشْمَازَتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ﴾.

٣. حدد عملاً أنت متردد في صحته، واسأل أحد العلماء عن حكمه، ﴿ وَبَدَأَ لَهُمْ مِنْ آلِهِمْ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾.

## ● التوجيهات

١. تفكر ساعة خير من قيام ليلة، فلا تفكر كما جاء عن بعض السلف، ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُفَكِّرُونَ ﴾.

٢. الشفاعة كلها بيد الله تعالى، فاطلبها منه سبحانه، ﴿ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعاً ﴾.

٣. احرص على تفقد عملك من إخلاص النية وموافقته للسنة، ﴿ وَبَدَأَ لَهُمْ مِنْ آلِهِمْ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾.

﴿لَهُ مَلَكُ السَّمَوتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: هو المتصرف في جميع ذلك، ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ أي: يوم القيامة، فيحكم بينكم بعدله، ويجزي كلأ بعمله.

الآية (٤٥): ثم قال تعالى دائماً للمشركون أيضاً: ﴿وَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ مَوْدَّةً﴾ أي: إذا قيل: لا إله إلا الله ﴿أَشْمَازَتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾. ﴿أَشْمَازَتْ﴾: نفرت وكفرت واستكبرت؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الصافات: ٣٥]، أي: عن التابعية والانقياد لها. فقلوبهم لا تقبل الخير، ومن لم يقبل الخير يقبل الشر؛ ولذلك قال تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ أي: من الأصنام والأنداد، ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ أي: يفرحون ويُسْرُونَ.

الآية (٤٦): يقول تعالى بعد ما ذكر عن المشركين ما ذكر، من المذمة لهم في جهنم الشرك، ونفرتهم عن التوحيد: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمُ السَّيِّئَاتِ وَالنَّهْيَةِ﴾ أي: ادع أنت الله وحده لا شريك له، الذي خلق السموات والأرض وفطرها، أي: جعلها على غير مثال سبق. ﴿عَلِيمُ السَّيِّئَاتِ وَالنَّهْيَةِ﴾ أي: السر والعلاية. ﴿أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ أي: في دنياهم، ستفصل بينهم يوم معادهم ونشورهم، وقيامهم من قبورهم. روى مسلم عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: سألت عائشة: بأي شيء كان رسول الله ﷺ يفتح صلاته إذا قام من الليل؟ قالت: كان إذا قام من الليل افتتح صلاته: «اللهم، رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم».

وعن أبي عبد الرحمن قال: أخرج لنا عبد الله بن عمرو قرطاساً وقال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا يقول: «اللهم فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت رب كل شيء، وإله كل شيء، أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، وأن محمداً عبدك ورسولك، والملائكة يشهدون. أعوذ بك من الشيطان وشره، وأعوذ بك أن أقترف على نفسي إثماً، أو أجُرَّه إلى مسلم» [رواه أحمد، وصححه إسناده أحمد شاكر].

الآية (٤٧): قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ وهم المشركون، ﴿مِثْلَ مِثْلٍ مِنَ الْأَرْضِ جِيعاً وَمِثْلَهُ مِنْهُ﴾ أي: ولو أن جميع ملك الأرض وضعفه معه ﴿لَافْتَدَوْا بِهِمْ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ﴾ أي: الذي أوجهه الله لهم يوم القيامة، ومع هذا لا يُقبل منهم الفداء ولو كان ملء الأرض ذهباً. ﴿وَبَدَّلَهُمْ إِلَهُاً مِمَّا يَكُونُ لِحُبِّهِمْ﴾ أي: وظهر لهم من الله من العذاب والنكال بهم ما لم يكن في بالهم ولا في حسابهم.

الآية (٤١): يقول تعالى مخاطباً رسوله محمداً ﷺ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ يعني: القرآن ﴿وَالْحَقُّ بِالْحَقِّ﴾ أي: لجميع الخلق من الإنس والجن لتندرجهم به، ﴿فَمَنْ أَهْتَكَفَ فَلِنَفْسِهِ﴾ أي: فإنما يعود نفع ذلك إلى نفسه، ﴿وَمَنْ صَلَ فَإِنَّمَا يَصِلُ عَلَيْهَا﴾ أي: إنما يرجع وبال ذلك على نفسه.

﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ أي: بموكل أن يهتدوا، ﴿إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [هود: ١٢]، ﴿فَأِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ [الرعد: ٤٠].

الآية (٤٢): ثم قال تعالى خبراً عن نفسه الكريمة بأنه المتصرف في الوجود بما يشاء، وأنه يتوفى الأنفس الوفاة الكبرى بما يرسل من الحفظة الذين يقبضونها من الأبدان، والوفاة الصغرى عند النام؛ كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقَاسَ أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [١٠] ﴿وَمَوَافَاهُ تَوْفَقٌ عَسَاوَاهُ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ﴾ [الأنعام: ٦٠-٦١]، فذكر الوفايتين: الصغرى ثم الكبرى. وفي هذه الآية ذكر الكبرى ثم الصغرى؛ ولهذا قال: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَازِلِهَا فِيمِنْهَا أَلَّتْ قَرْصُنَّ عَلَيْهَا الْمَوْتُ يُرْسِلُ الْخَفَرَةَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ فيه دلالة على أنها تجتمع في الملاء الأعلى. عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أوى أحدكم إلى فراشه فلينفضه بداخله إزاره، فإنه لا يدري ما خلفه عليه، ثم يقول: باسمك ربي وضعت جنبي، وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فارحها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين» [متفق عليه].

وقال بعض السلف: يقبض أرواح الأموات إذا ماتوا، وأرواح الأحياء إذا ناموا، فتعارف ما شاء الله تعالى أن تتعارف، ﴿فِيمِنْهَا أَلَّتْ قَرْصُنَّ عَلَيْهَا الْمَوْتُ﴾ التي قد ماتت، ﴿وَيُرْسِلُ الْخَفَرَةَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ قال السدي: إلى بقية أجلها.

وقال ابن عباس: يمسك أنفس الأموات، ويرسل أنفس الأحياء، ولا يغلط ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

الآية (٤٣): يقول تعالى دائماً للمشركون في اتخاذهم شععاً من دون الله، وهم الأصنام والأنداد، التي اتخذوها من تلقاء أنفسهم بلا دليل ولا برهان حدامهم على ذلك، وهي لا تملك شيئاً من الأمر، بل وليس لها عقل تعقل به، ولا سمع تسمع به، ولا بصر تبصر به، بل هي جادات أسوأ حالاً من الحيوان بكثير.

الآية (٤٤): ثم قال: ﴿قُلْ﴾ أي: يا محمد هؤلاء الزاعمين أن ما اتخذوه شععاً لهم عند الله، أخبرهم أن الشفاعة لا تنفع عند الله إلا لمن ارتضاه وأذن له، فمرجعها كلها إليه، ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتٍ عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ أي: يوم القيامة يتحسر المجرم المفرط في التوبة والإنابة، ويود لو كان من المحسنين المخلصين المطيعين لله ﷻ. ﴿وَإِنْ كُنْتُ لِمَنِ السَّخِرِينَ﴾ أي: إنها كان عملي في الدنيا عمل ساخر مستهزئ غير موقن مصدق.



## ● الوقفات التدبيرة

﴿وَيَذَا لَهْم سَيَات مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ ١ ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَهُ إِذَا حَوَّلَتْهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فَتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَسْأَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٢ ﴿فَدَقَّا لَهَا الَّذِينَ مِن قِبَلِهِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ٣ ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيَاتٌ مَّا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِن هَؤُلَاءِ سَيَصِيبُهُمْ سَيَاتٌ مَّا كَسَبُوا وَمَاهُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ ٤ ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ٥ ﴿قُلْ يَبْعَادُ الَّذِينَ آسَرُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ٦ ﴿وَأَنبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْأَلُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ﴾ ٧ ﴿وَأَنبِئُوا أَن لَّيْسَ لَكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَقِيَّةٌ وَأَنَّكُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ ٨ ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَدْحَسُوقِي عَلَىٰ مَا قَرُوطٌ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ﴾ ٩

السؤال: لماذا قال (كسبوا) ولم يقل «عملوا»؟

﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَهُ﴾

في هذه الآية بيان حقيقة، وهي: أن كفار قريش كانوا يؤمنون بالله رباً، فهم أفضل من كفار البلاشة الشيوعيين الذين لا يؤمنون بالله تعالى، كما أن كفار قريش أحسن حالا من بعض جهال المسلمين اليوم؛ إذ يخلصون الدعاء لله في الشدة، وجهال المسلمين يشركون في الرخاء والشدة معاً؛ وذلك بدعائهم الأولياء والأموات، والاستغاثة بهم في كل حال. الجزاري: ٤/٩٨.

السؤال: لماذا كان كفار قريش أحسن حالا من بعض جهال المسلمين اليوم؟

﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾

يحتمل وجهين: أحدهما - وهو الأظهر - أن يريد على علم مني بالكاسب والمنافع، والآخر: على علم الله باستحقاقه لذلك. ابن جزي: ٢/٢٧١.

السؤال: في الآية بيان غرور صاحب المال بنفسه، بين ذلك.

﴿ثُمَّ إِذَا حَوَّلَتْهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فَتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾

أي: على علم من الله أنني له أهل، وقال مقاتل: على خير علمه الله عندي... (بل هي فتنة) يعني: تلك النعمة فتنة استدراج من الله تعالى وامتحان وبلية. البهوي: ٤/٢١.

السؤال: هل كل رزق ونعمة يُعد خيراً للإنسان؟ بين ذلك من خلال الآية.

﴿بَلْ هِيَ فَتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾

(ولكن أكثرهم لا يعلمون) فلذلك يعدون الفتنة منحة، ويشبه عليهم الخير المحض بما قد يكون سبباً للخير أو للشر. السعدي: ٧٧٧.

السؤال: ما خطورة وجود النعمة على الإنسان الجاهل والغافل؟

﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾

أي: يسطر الرزق ويقضه عائد إلى الحكمة والرحمة، وأنه أعلم بحال عبده؛ فقد يضيق عليهم الرزق لطفاً بهم؛ لأنه لو بسطه لبغوا في الأرض، فيكون تعالى مراعيّاً في ذلك صلاح دينهم الذي هو مادة سعادتهم وفلاحهم. السعدي: ٧٧٧.

السؤال: كيف تكون قلة الرزق سبباً من أسباب لطف الله بعباده ورحمته بهم؟

﴿قُلْ يَبْعَادُ الَّذِينَ آسَرُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾

أُظهِرَت آيات الوعيد بأفانها السابقة؛ لطلبنا يبلغ من نفوس سامعها أي مبلغ من الرعب والخوف، على رغم تظاهرهم بقلّة الاهتمام بها، وقد يبلغ بهم وقعا مبلغ اليأس من سعيّ نجيتهم من عباده، فاعتقها الله بيعت الرجاء في نفوسهم؛ للخروج إلى ساحل النجاة إذا ارادوا؛ على عادة هذا الكتاب المجيد من مداواة النفوس بعزج الرغيب والترهيب. ابن عاشور: ٣٩/٢٤.

السؤال: ما مناسبة الآية لما سبقها؟

وَيَذَا لَهْم سَيَات مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ١ ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَهُ إِذَا حَوَّلَتْهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فَتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَسْأَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٢ ﴿فَدَقَّا لَهَا الَّذِينَ مِن قِبَلِهِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ٣ ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيَاتٌ مَّا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِن هَؤُلَاءِ سَيَصِيبُهُمْ سَيَاتٌ مَّا كَسَبُوا وَمَاهُمْ بِمُعْجِزِينَ ٤ ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ٥ ﴿قُلْ يَبْعَادُ الَّذِينَ آسَرُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ٦ ﴿وَأَنبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْأَلُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ ٧ ﴿وَأَنبِئُوا أَن لَّيْسَ لَكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَقِيَّةٌ وَأَنَّكُمْ لَا تَشْعُرُونَ ٨ ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَدْحَسُوقِي عَلَىٰ مَا قَرُوطٌ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ ٩

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
وَحَاقَ	أَحَاطَ بِهِمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ.
خَوَّلْنَاهُ	أَعْطَيْنَاهُ، وَمَنْحْنَاهُ.
وَأَنبِئُوا	ارْجِعُوا إِلَى اللَّهِ بِالتَّوْبَةِ، وَالطَّاعَةِ.
فَرُطْتُ	ضَبَعْتُ.
جَنِبِ اللَّهِ	طَاعَتِهِ، وَحَقِّهِ.

## ● العمل بالآيات

١. تذكر ثلاثاً من أكبر نعم الله تعالى عليك، ثم اشكر الله تعالى عليها، ﴿ثُمَّ إِذَا حَوَّلَتْهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾.
٢. قل: «اللهم اغفر لي ذنبي كله، دقه وجله، أوله وآخره، علانيته وسره»، ﴿قُلْ يَبْعَادُ الَّذِينَ آسَرُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.
٣. سل الله تعالى أن يجعل ما رزقك من نعم الدنيا سبباً لتواضعك والقرب من ربك، واستعد بالله من فتنتها، ﴿ثُمَّ إِذَا حَوَّلَتْهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فَتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

## ● التوجيهات

١. احذر من ابتلاء الله لك بالنعم؛ فكم من منعم عليه مفتون مستدرج وهو لا يدري، ﴿ثُمَّ إِذَا حَوَّلَتْهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فَتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.
٢. كن راضياً عن الله في جميع قضائه؛ فهو سبحانه يسطر ويقبض لمن يشاء، ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾.
٣. إذا كانت البشارة بالمغفرة والرحمة للمسلم في الذنوب فهي لغيره من باب أولى، فبادر بالتوبة، ﴿قُلْ يَبْعَادُ الَّذِينَ آسَرُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (١) أَوْ تَقُولَ جِئْتُكَ الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٢) وقد حكي كلام النفس في ذلك الموقف على ترتيبه الطبيعي في جملته في خاطر: بالابتداء بالتحسر على ما وقعت فيه نفسها، ثم بالاعتذار والتنصل؛ طمعاً أن ينجيها ذلك، ثم بتمني أن تعود إلى الدنيا؛ لتعمل الإحسان؛ كقوله تعالى: (قال رب ارجعوني) (٣) لعلني أعمل صالحاً فيما تركت) المؤمنون: ٩٩-١٠٠، فهذا الترتيب في النظم هو أحكم ترتيب. ابن عاشور: ٤٧/٢٤

السؤال: بين تناسب الآيات الكريمة في حكايتها كلام النفس يوم القيامة. ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وَهُمْ فِي مَسْوَدٍّ أُنِيسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِمُتَكَبِّرِينَ ﴾

وفي وصفهم بالمتكبرين إيهام إلى أن عقابهم بتسويد وجوههم كان مناسباً لكبريائهم؛ لأن المتكبر إذا كان سيء الوجه انكسرت كبريائه؛ لأن الكبرياء تضعف بمقدار شعور صاحبها بمعرفة الناس نقائصه. ابن عاشور: ٥١/٢٤.

السؤال: ما الحكمة في اسوداد وجوه المتكبرين يوم القيامة؟

﴿ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمِثْلِ هَؤُلَاءِ لَئِنْ لَمْ يَنْجِئْهُمُ اللَّهُ لَافْتَرَسَتْ آلَاءُهُمْ مِنْ لَدُنْهِ الْإِذَا شَاءَ وَمَنْ يَنْصُرِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُدَارِكَةٍ وَكَذَلِكَ يَبْطُلُ كُلُّ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا الَّذِي يَنْشَأُ مِنَ الْإِيمَانِ أَذِلَّةٌ بِمَا يَفْعَلُونَ وَكَذَلِكَ يُفَصِّلُ اللَّهُ لِلْإِنسَانِ مَا يُفَعِّلُ ﴾ (١) (وينجي الله الذين اتقوا) من جهنم؛ لأنهم ليسوا بمتكبرين، وهذا إيدان بأن التقوى تنلج التكبر؛ لأن التقوى كمال الخلق الشرعي، وتقتضي اجتناب المنهيات، وامتنثال الأمر في الظاهر والباطن، والكبر مرض قلبي باطني. ابن عاشور: ٥٢/٢٤.

السؤال: ما فائدة ذكر المتقين بعد ذكر المتكبرين؟

﴿ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ (١) هذه العبارة وما أشبهها مما هو كثير في القرآن تدل على أن جميع الأشياء غير الله مخلوقة؛ فبها رد على كل من قال بقدوم بعض المخلوقات؛ كالفلاسفة القائلين بقدوم الأرض والسموات، وكالقائلين بقدوم الأرواح، ونحو ذلك من أقوال أهل الباطل المتضمنة تعطيل الخالق عن خلقه. السعدي: ٧٢٨.

السؤال: كيف ترد على من قال بقدوم بعض المخلوقات؟ وما وجه الفساد في ذلك؟

﴿ قُلْ أَفَعَزَّ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴾ (١) أي: هذا الأمر صدر من جهلكم، ولا فلو كان لكم علم بأن الله تعالى الكامل من جميع الوجوه، مسدي جميع النعم، هو المستحق للعبادة، دون من كان ناقصاً من كل وجه، لا ينفع ولا يضر، لم تأمروني بذلك. السعدي: ٧٢٩.

السؤال: ما وجه وصف المشركين بالجهل؟

﴿ بَلَى اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ (١) (وكن من الشاكرين) لله على توفيق الله تعالى؛ فكما أنه تعالى يشكر على النعم الدنيوية؛ كصحة الجسم وعافيته وحصول الرزق وغير ذلك، كذلك يشكر ويثني عليه بالنعم الدينية؛ كالتوفيق للإخلاص، والتقوى، بل يثني الدين هي النعم على الحقيقة. السعدي: ٧٢٩.

السؤال: ما وجه ختم الآية بقوله تعالى: (وكن من الشاكرين)؟

﴿ بَلَى اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ (١) وفي تدبر أن النعم الدينية من الله تعالى، والشكر لله عليها سلامة من آفة العجب التي تعرض لكثير من العاملين بسبب جهلهم، ولا فلو عرف العبد حقيقة الحال لم يعجب بنعمة تستحق عليه زيادة الشكر. السعدي: ٧٢٩.

السؤال: في هذه الآية توجيه لإزالة الغرور والعجب الذي يعرض لبعض من يعمل الصالحات، بين وجه ذلك.

أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿١﴾ أَوْ تَقُولَ جِئْتُكَ الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٢﴾ نَكَلٍ قَدْ جَاءَ نَكَالٌ إِلَيْنَا فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣﴾ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وَهُمْ فِي مَسْوَدٍّ أُنِيسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِمُتَكَبِّرِينَ ﴿٤﴾ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمِثْلِ هَؤُلَاءِ لَئِنْ لَمْ يَنْجِئْهُمُ اللَّهُ لَافْتَرَسَتْ آلَاءُهُمْ مِنْ لَدُنْهِ الْإِذَا شَاءَ وَمَنْ يَنْصُرِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُدَارِكَةٍ وَكَذَلِكَ يَبْطُلُ كُلُّ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا الَّذِي يَنْشَأُ مِنَ الْإِيمَانِ أَذِلَّةٌ بِمَا يَفْعَلُونَ وَكَذَلِكَ يُفَصِّلُ اللَّهُ لِلْإِنسَانِ مَا يُفَعِّلُ ﴿٥﴾ قُلْ أَفَعَزَّ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿٦﴾ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَيْتَ أَشْرَكْتُمْ لَيْتَ يَخْبَتُنْ عَمَلَكُمْ وَلَتَكُنَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٧﴾ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٨﴾ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
كَرَّةً	رَجْعَةً
بِمِثْلِهِمْ	بِفَوْزِهِمْ وَظَفَرِهِمْ بِالْمَطْلُوبِ.
مَقَالِيدُ	مِفْتَاحَاتُ الْخَزَائِنِ.
لَيَحْبِطُنَّ	لَيَبْطُلُنَّ.
قَبْضَتُهُ	فِي قَبْضَتِهِ يَدِهِ.
مَطْوِيَّاتٌ	يَطْوِيهَا وَيَلْفُهَا بِيَدِهِ.

## ● العمل بالآيات

١. الحمد لله تعالى واشكره على نعمه التي من أجلها نعمة الإسلام، ﴿ بَلَى اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾.
٢. الشكر سبب لزوال العجب من الأعمال الصالحة، فأكثر هذا اليوم من شكر الله تعالى على توفيقك للأعمال الصالحة، ﴿ بَلَى اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾.
٣. اكتب رسالة يسيرة تبين فيها مظاهر عظيمة لله، ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾.

## ● التوجيهات

١. احذر من داء الكبر؛ فاهله في صغار يوم القيامة، ﴿ فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾.
٢. الزم التقوى، فهي سبيل النجاة، ﴿ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمِثْلِ هَؤُلَاءِ لَئِنْ لَمْ يَنْجِئْهُمُ اللَّهُ لَافْتَرَسَتْ آلَاءُهُمْ مِنْ لَدُنْهِ الْإِذَا شَاءَ وَمَنْ يَنْصُرِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُدَارِكَةٍ وَكَذَلِكَ يَبْطُلُ كُلُّ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا الَّذِي يَنْشَأُ مِنَ الْإِيمَانِ أَذِلَّةٌ بِمَا يَفْعَلُونَ وَكَذَلِكَ يُفَصِّلُ اللَّهُ لِلْإِنسَانِ مَا يُفَعِّلُ ﴾.
٣. من أسباب الشرك الجهل، فاعمل على تعليم نفسك وتسلحها بالعلم الشرعي قدر الإمكان، ﴿ قُلْ أَفَعَزَّ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴾.

وقال الشدي: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَكِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: خزانة السموات والأرض. والمعنى على كلا القولين: أن أزمّة الأمور بيده، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، ولهذا قال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَكِيدُونَكَ﴾ أي: حُجِجَ به وإبراهيمه ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

الآية (٦٤-٦٥): قوله: ﴿قُلْ أَفَعَيَّرَ اللَّهُ تَأْمُرُونَني أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ [سبب النزول]: ما رواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس: إن المشركين من جهلهم دعوا رسول الله ﷺ إلى عبادة آلهتهم، ويعبدوا معه إله، فنزلت: ﴿قُلْ أَفَعَيَّرَ اللَّهُ تَأْمُرُونَني أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ ﴿وَلَقَدْ أَوْحَى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَكَ لَيَحْطَبَنَّ عَلَيْكَ نَارُ الْخَشِيرِ﴾. وهذه كقولهم: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَّ عَلَيْهِمْ تَأْكُفُوا وَاسْتَمَلُوا﴾ [الاسم: ٨٨].

الآية (٦٦): قوله: ﴿بَلِ اللَّهِ فَاغْبِثْ وَكُنْ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ أي: أخلص العبادة لله وحده، لا شريك له، أنت ومن معك، أنت ومن اتبعك وصدّك.

الآية (٦٧): ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ يقول تعالى: وما قدر المشركون الله حق قدره، حين عبدوا معه غيره، وهو العظيم الذي لا أعظم منه، القادر على كل شيء، المالك لكل شيء، وكل شيء تحت قهره وقدرته. قال مجاهد: نزلت في قريش. وقال الشدي: ما عظموه حق تعظيمه. وقال محمد بن كعب: لو قدروه حق قدره ما كذبوه. وقال ابن عباس: هم الكفار الذين لم يؤمنوا بقدرة الله عليهم، فمن آمن أن الله على كل شيء قدير، فقد قدر الله حق قدره، ومن لم يؤمن بذلك فلم يقدر الله حق قدره. وقد وردت أحاديث كثيرة متعلقة بهذه الآية الكريمة، والطريق فيها وفي أمثالها مذهب السلف، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكيف ولا تحريف. عن عبد الله قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ من أهل الكتاب، فقال: يا أبا القاسم، أبلغك أن الله يحمل الخلائق على إصبع، والسموات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والثرى على إصبع؟ قال: فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه. قال: وأنزل الله ﷻ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ إلى آخر الآية. [متفق عليه]. وعن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يقبض الله الأرض، ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض» [متفق عليه]. وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية ذات يوم على المنبر: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَكُوتُ مَطْوِيَتَاتٌ يَبْسُجُونَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ورسول الله ﷺ يقول هكذا بيده، يحركها يقبل بها ويدبر: «يُعْجَدُ الرب نفسه: أنا الجبار، أنا المتكبر، أنا الملك، أنا العزيز، أنا الكريم». فرجف برسول الله ﷺ المنبر حتى قلنا: لَيَحْزَنَ به! [رواه مسلم].

الآية (٥٧-٥٩): ﴿أَوْ تَقُولُ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ ﴿أَوْ تَقُولُ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ أي: تود أن لو أعيدت إلى الدار فتحسن العمل. قال ابن عباس: أخبر الله سبحانه ما العباد قائلون قبل أن يقولوه، وعملهم قبل أن يعملوه. وقال -ولا يبتك مثل خير-: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتٍ عَلَى مَا قَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ﴾ ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ ﴿أَوْ تَقُولُ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ فأخبر الله تعالى: أن لو رُدُّوا لما قدروا على الهدى، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الاسم: ٢٨]. عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «كل أهل النار يرى مقعده من الجنة فيقول: لو أن الله هداني؟! فتكون عليه حسرة». قال: «وكل أهل الجنة يرى مقعده من النار فيقول: لولا أن الله هداني!» قال: «فيكون له الشكر» [رواه أحمد والنسائي، وصححه الألباني]. ولما غنى أهل الجرائم العود إلى الدنيا، وتحسروا على [عدم] تصديق آيات الله واتباع رسله؛ قال سبحانه وتعالى: ﴿بَلْ كَذَّبَتْ ثَكَلٌ بِاتِّبَاعِي فَكَذَّبَتْ بِهَا وَأَسْتَكْبَرَتْ وَكُنْتُ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ أي: قد جاءتك أيها العبد النادم على ما كان منه آياتي في الدار الدنيا، وقامت حججي عليك، فكذبت بها واستكبرت عن اتباعها، وكنت من الكافرين بها، المجاحدين لها.

الآية (٦٠): يخبر تعالى عن يوم القيامة أنه تسود فيه وجوه، وتبيض فيه وجوه؛ تسود وجوه أهل الفرقة والاختلاف، وتبيض وجوه أهل السنة والجماعة، قال تعالى ههنا: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ﴾ أي: في دعوام له شريكاً ولولداً ﴿وَجُوهُهُمْ مَسْوَدَةٌ﴾ أي: يكذبهم واقتراهم. قوله: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ أي: أليست جهنم كافية لهم سجنًا وموتلاً، لهم فيها الخزي والهوان، بسبب تكبرهم وتجبرهم وإياهم عن الانقياد للحق. عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال: «إن المتكبرين يحشرون يوم القيامة أشباه الذر في صور الناس، يعلمهم كل شيء من الصغار، حتى يدخلوا سجنًا من النار في واد يقال له بولس، من نار الأنبار، ويسقون عصارة أهل النار، ومن طينة الحبال» [رواه أحمد والنسائي، والترمذي، وصححه إسناده أحمد شاكر].

الآية (٦١): قوله: ﴿وَنَسِىَ اللَّهُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ﴾ أي: مما سبق لهم من السعادة والفوز عند الله، ﴿لَا يَسْمَعُهُمْ السَّوَةُ﴾ أي: يوم القيامة، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ أي: ولا يحزنهم الفزع الأكبر، بل هم آمنون من كل فزع، مَرْحُوحُونَ عن كل شر، مؤمنون كل خير.

الآية (٦٢-٦٣): يخبر تعالى أنه خالق الأشياء كلها، وربها ومليكيها والمتصرف فيها، وكلٌ تحت تدبيره وقهره وكلاءته. وقوله: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَكِ وَالْأَرْضِ﴾ قال مجاهد: المقاليد هي: المفاتيح.



الآية (٧١-٧٢): يَجْر تَعَالَى عَنْ حَالِ الْأَشْيَاءِ الْكَفَّارِ كَيْفَ يُسَاقُونَ إِلَى النَّارِ، وَإِنَّا يُسَاقُونَ سَوْقًا عَنِيقًا بِزَجَرٍ وَغَدِيدٍ وَوَعِيدٍ، كَمَا قَالَ ﷻ: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكَ إِلَى تَارِكِهِمْ دَعَاً﴾ [الطور: ١٣] أَيْ: يُدْفَعُونَ إِلَيْهَا دَفْعًا. هَذَا وَهُمْ عِطَاشُ ظَهَاءٍ؛ كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْآخَرَى: ﴿يَوْمَ تَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَقَدْ﴾ (٨٥) ﴿وَسَقَى الْمُتَجَرِّبِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرَدًا﴾ [مریم: ٨٥-٨٦]. وَهُمْ فِي تِلْكَ الْحَالِ ضَمٌّ وَبِكُمْ وَعْمِي مِنْهُمْ مِنْ يَمْنِي عَلَى وَجْهِهِ ﴿وَتَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وَجْهِهِمْ عَمِيًّا وَبِحَاكُمْ وَسَقَى تَارِكَهُمْ جَهَنَّمَ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧]. ﴿حَقٌّ إِذَا جَاءُوهَا فَتُحْتِ أَزْوَاجُهَا﴾ أَيْ: بِمَجْرَدِ صَوْوِهِمْ إِلَيْهَا فَتَحَتْ لَهُمْ أَبْوَابَهَا سَرِيعًا، لَتُجَلَّ لَهُمُ الْعُقُوبَةُ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُمْ خَزَنَتُهَا مِنَ الزَّبَانِيَةِ: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾ أَيْ: مِنْ جَنْسِكُمْ تَتِمَكَّنُونَ مِنْ مَخَاطَبَتِهِمْ وَالْأَخْذِ عَنْهُمْ، ﴿تَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ﴾ أَيْ: يَقِيمُونَ عَلَيْكُمْ الْحُجْجَ وَالْبَرَاهِينَ عَلَى صَحَّةِ مَا دَعَوْكُمْ إِلَيْهِ، ﴿وَيُذَرُّوكُمْ لِقَاءَ رَبِّكُمْ هَذَا﴾ أَيْ: وَيَحْذَرُّوكُمْ مِنْ شَرِّ هَذَا الْيَوْمِ، فَيَقُولُ الْكَفَّارُ لَهُمْ: ﴿بَلَىٰ﴾ أَيْ: قَدْ جَآؤُنَا وَأَنْذَرْنَا، وَأَقَامُوا عَلَيْنَا الْحُجْجَ وَالْبَرَاهِينَ ﴿وَلَكِنَّ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ أَيْ: وَلَكِنْ كَذَبْنَاهُمْ وَخَالَفْنَاهُمْ، لَمَا سَبَقَ

الآية (٧٤): يقول المؤمنون إذا عابوا في الجنة ذلك النواب الوافر، والعطاء العظيم، والتعظيم المقيم، والملك الكبير: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ﴾ أي: الذي كان وعدنا على السنة رسله الكرام، كما دعوا في الدنيا: ﴿رَبَّنَا وَابْنَا مَا وَعَدْتَ عَلَيْنَا رَسُولِكَ وَلَا تَغْرِبْنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ ذلك لا تخلف الوعداء ﴿[آل عمران: ١٩٤]﴾. وقولهم: ﴿وَأَرْزُقْنَا الْأَرْضَ نَنْبُؤًا مِنْ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ قال أبو العالية وقتادة والسدي: أي أرض الجنة. وهذه الآية كقوله: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرْثُهَا عَبْدُكَ الْعَاقِلُ﴾ ﴿[الأنبياء: ١٠٥]﴾. ولهذا قالوا: ﴿نَنْبُؤًا مِنْ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾ أي: أين شئنا حللنا، فنعم الأجر أجرنا على عملنا.



## ● الوقفات التدريبية

### ❶ ﴿ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾

علم من هذا أن الأنوار الموجودة تنهض يوم القيامة، وتضمحل، وهو كذلك؛ فإن الله أخبر أن الشمس تكور، والقمر يخسف، والنجوم تندثر، ويكون الناس في ظلمته، فتشرق عند ذلك الأرض بنور ربها، عندما يتجلى وينزل للفصل بينهم. وذلك اليوم يجعل الله للخلق قوة، وينشئهم نشأة يقوون على أن لا يحرقهم نوره، ويتمكنون أيضاً من رؤيته، وإلا فنوره تعالى عظيم؛ لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه. السعدي: ٧٣.

السؤال: ما الدليل على أن الناس يحشرون أولاً في ظلمة؟ وما وجه الجمع بين الآية والأحاديث الدالة على أن نور الله يحرق ما انتهى إليه بصره من خلقه؟

❷ ﴿ وَجَاءَ يَأْتِيَنَّ وَالشَّهَادَةُ وَفُتِحَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَمَنْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾  
جاء بهم، فسألهم عما أجابتهم به أمهم... والشهداء الذين استشهدوا في سبيل الله، فيشهدون يوم القيامة لمن ذب عن دين الله. القرطبي: ٣١٥/١٨.

السؤال: لم جاء بالنبیین والشهداء في ذلك اليوم العصيب؟  
❸ ﴿ وَسَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾  
وابتدئ في الخبر بذكر مستحقي العقاب؛ لأنه الأهم في هذا المقام؛ إذ هو مقام إعادة الموعظة، والترهيب للذين لم يتعظوا بما تكرر في القرآن من العظات مثل هذه، فاما أهل الثواب فقد حصل المقصود منهم، فما يذكر عنهم فإنما هو تكرير بشارة وثناء. ابن عاشور: ٦٩/٢٤.

السؤال: ما فائدة الابتداء بذكر مستحقي العذاب في الآية الكريمة؟  
❹ ﴿ وَسَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾  
وانما جعلوا زُمرًا لاختلاف درجات كفرهم؛ فإن كان المراد بالذين كفروا مشركي قريش المقصودين بهذا الوعيد كان اختلافهم على حسب شدة تصلبهم في الكفر وما يخالطه من حُذَب على المسلمين أو فظاظته. ابن عاشور: ٦٩/٢٤.

السؤال: لماذا جعل الكفار زُمرًا عند سوفهم إلى جهنم؟  
❺ ﴿ وَسَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبِّهِمْ أَتَنفَخُوا إِلَىٰ الْجَنَّةِ زُمرًا ﴾  
وجعلهم زُمرًا بحسب مراتب التقوى. ابن عاشور: ٧١/٢٤.

السؤال: لماذا جعل المتقون زُمرًا في دخولهم الجنة؟  
❻ ﴿ وَسَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبِّهِمْ أَتَنفَخُوا إِلَىٰ الْجَنَّةِ زُمرًا ﴾

قال في حق الفريقين: (وسيق)؛ بلفظ واحد؛ فسوق أهل النار؛ طردهم إليها بالخزي والهوان؛ كما يفعل بالأسارى والخارجين على السلطان إذا سيقوا إلى حبس أو قتل، وسوق أهل الجنان؛ سوق مراكبهم إلى دار الكرامة والرضوان؛ لأنه لا يذهب بهم إلا راكبين؛ كما يفعل بمن يشرف ويكرم من الوافدين على بعض الملوك، فشتان ما بين السوقيين. القرطبي: ١٤٢/٤.

السؤال: هل شئت فرق بين سوق أهل النار وسوق أهل الجنة؟  
❼ ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾

لم يذكر الجواب ههنا، وتقديره: (حتى إذا جاؤوها)، وكانت هذه الأمور من فتح الأبواب لهم إكراماً وتعظيماً، ولتفتيم الملائكة الخزنة بالبيشارة والسلام والثناء، كما تلقى الزبانية الكفرة بالترهيب والتأنيب، فتقديره: إذا كان هذا سعدوا وطابوا وسروا وفرحوا بقدر كل ما يكون لهم فيه نعيم، وإذا حذف الجواب ههنا ذهب ذهن كل مذهب في الرجاء والأمل. ابن كثير: ٦٨/٤.

السؤال: ما فائدة حذف جواب الشرط في هذه الآية؟

وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصُيِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ  
إِلَآ مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ بِنُورٍ  
وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجَاءَتْ  
بِالنَّبِيِّينَ وَالشَّهَادَةُ وَفُتِحَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ  
وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ  
وَسَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا  
فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ  
يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُذِرونَكُمْ لِمَا يَوْمِكُمْ  
هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ  
قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِمَا كُفَرْتُمْ  
أَلْمُتَّكِرِينَ وَسَيَقُولُ الَّذِينَ أَتَقَفُوا أَنَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ  
زُمرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا  
سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ وَقَالُوا  
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ  
نَتَّبِعُ أَمْرَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَبِعَمَلِهِمْ جُمِعُوا إِلَى الْعَمَلِينَ

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
وَنُفِخَ	أَي: التَّفَخُّعُ الْأَوَّلِي الَّذِي يُنْفِخُ بِهِ الْخَلْقُ؛ وَهِيَ تَفَخُّعُ الصُّعُقِ.
فَصُيِقَ	مَاتَ.
زُمرًا	جَمَاعَاتٍ.
فَبِئْسَ	فَقِيحٌ.
طِبْتُمْ	طَهَّرْتُمْ مِنْ دَنَسِ الْمَعَاصِي.
نَتَّبِعُوا	نَتَّبِعُوا.

## ● العمل بالآيات

- أحسن اليوم قيامك بين يدي الله في صلاتك؛ ليهون عليك القيام بين يديه في الآخرة، ﴿ فَإِذَا هُمْ بِنُورٍ ﴾.
- اعمل اليوم عملاً يعينك على إزالة الكبر من نفسك؛ كمجالسة الفقراء والعمال، أو الأكل معهم، أو دعوتهم إلى منزلك، ﴿ فَبِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾.
- اعمل اليوم عبادات متنوعة: كالصلاة، والصيام، والصدقة، لعلك تدخل من أبواب الجنة التي خصصت لهذه الأعمال، ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾.

## ● التوجيهات

- يوفى العبد كل عمل عمله يوم القيامة، ﴿ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾.
- احذر من الإعراض عن داعي الخير، وترك الاستجابة له، ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُذِرونَكُمْ لِمَا يَوْمِكُمْ هَذَا ﴾.
- كن طيب الباطن والظاهر، طيب الطعام والملبس؛ ليقال لك يوم القيامة: ﴿ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿وَقِيلَ لِّلْحَمْدِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

حذف فاعل القول لأنه غير معين، بل كل أحد يحمده على ذلك الحكم الذي حكم فيه؛ فيحمده أهل السماوات وأهل الأرض، والأبرار والفجار، والإنس والجن، حتى أهل النار. كان الكون كله نطق بذلك. ابن القيم: ٤٠٣/٢.

السؤال: لماذا ورد فعل (وقيل) في الآية الكريمة بصيغة المبني للمجهول؟

﴿وَقِيلَ لِّلْحَمْدِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

أي: نطق الكون أجمعه؛ ناطقه وبهيمة لله رب العالمين بالحمد في حكمه وعده، ولهذا لم يسند القول إلى قائل، بل أطلقه، فدل على أن جميع المخلوقات شهدت له بالحمد. ابن كثير: ٧٠/٤.

السؤال: لماذا عُبرَ بلفظ: (وقيل) ولم يُعبرَ بلفظ: (قالوا) في الآية الكريمة؟

﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾

ووصف الله بوصفي (العزیز العليم) هنا تعريض بأن منكري تنزيل الكتاب منه مغلوبون مقهورون، وبأن الله يعلم ما تكنه نفوسهم؛ فهو محاسبهم على ذلك، ومزمز إلى أن القرآن كلام العزيز العليم؛ فلا يقدر غير الله على مثله، ولا يعلم غير الله أن يأتي بمثله. ابن عاشور: ٧٩/٢٤.

السؤال: ما مناسبة ختم الآية الكريمة بوصفي (العزیز العليم)؟

﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾

وهذه كقولته: (نُبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) وإن عذابي هو العذاب الأليم) (الحجر: ٥٠-٤٩)، يقرن هذين الوصفين كثيراً في مواضع متعددة ليبقى العبد بين الرجاء والخوف. ابن كثير: ٧١/٤.

السؤال: لماذا قرن بين الغفران والعقاب في هذه الآية وغيرها من الآيات؟

﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾

يجمع للمذنب التائب بين رحمتين: بين أن يقبل توبته فيجعلها له طاعة، وبين أن يحو عنه بها الذنوب التي تاب منها وندم على فعلها؛ فيصيح كأنه لم يفعلها. وهذا فضل من الله. ابن عاشور: ٨٠/٢٤.

السؤال: لماذا عطفت (قابل التوب) على (غافر الذنب) في الآية الكريمة؟

﴿مَا يَجِدُكَ فِي عَيْنَيْكَ إِلَّا الْإِذِينَ كَفَرُوا فَلَا تَعْرِكُ تَتْلِيهِمْ فِي الْيَلْدِ﴾

وقوله: (فلا يغررك تقلبهم في البلاد)، يقول جل ثناؤه: فلا يخدمك يا محمد تصرفهم في البلاد، ويقاؤهم ومكنهم فيها، مع كفرهم بريهم، فتحسب أنهم إنما أمهلوا وتقلبوا، فتصرفوا في البلاد مع كفرهم بالله، ولم يعاجلوا بالثمة والعذاب على كفرهم لأنهم على شيء من الحق، فإنما لم تمهلهم لذلك، ولكن ليبلع الكتاب أجله، ولتحق عليهم كلمة العذاب: عذاب ربك. الطبري: ٣٥٢/٢١.

السؤال: ما وجه إمهال الله تعالى للكفار مع إصرارهم على الكفر وتنعهم بنعمه سبحانه؟

﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ أَرْسَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾

إن قيل: ما فائدة قوله (ويؤمنون به)، ومعلوم أن حملة العرش ومن حوله يؤمنون بالله؟ فالجواب: أن ذلك إظهار لفصلية الإيمان وشرفه. ابن جزي: ٢٧٦/٢. السؤال: ما الفائدة من قوله: (ويؤمنون به)، علماً بأن حملة العرش مؤمنون؟

وَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ لِّلْحَمْدِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

١١١

سُورَةُ غَافِرٍ

١١٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمَّ ١ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ٢ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ ٣ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهٌ لَّهُ الْمَصِيرُ ٤ مَا يَجِدُكَ فِي عَيْنَيْكَ إِلَّا الْإِذِينَ كَفَرُوا فَلَا تَعْرِكُ تَتْلِيهِمْ فِي الْيَلْدِ ٥ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَخَذَلُوا بِالنَّاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ ٦ كَانَ عِقَابِ ٧ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ٨ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَرَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ ٩ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ١٠

٤٦٧

## ● معاني الكلمات

المعنى	الكلمة
مُحْدِقِينَ، وَمُحِيطِينَ.	حَافِينَ
حُكْمَ بَيْنَ الْخَلَائِقِ بِالْعَدْلِ.	وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ
صَاحِبِ الْإِنْعَامِ وَالتَّفَضُّلِ.	ذِي الطَّوْلِ
فَلَا يَغْرُرُكَ	فَلَا يَخْدَعُكَ.
لِيُطِيعُوا.	لِيُدْحِضُوا
جَنَّتِهِمْ.	وَقِهِمْ

## ● العمل بالآيات

١. قل: «اللهم أحسن عاقبتي في الأمور كلها، وأجرني من خزي الدنيا وعذاب الآخرة»، ﴿وَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ لِّلْحَمْدِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.
٢. إذا قرأت ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾ فقل: يا غافر الذنب اغفر لي ذنبي، ويا قابل التوب اغفر لي ذنوبي.
٣. اقرأ كتاباً تتعرف فيه على صفات الملائكة وملائفهم، ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ أَرْسَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾.

## ● التوجيهات

١. بيان عظمة الرب تعالى المتجلية في أسمائه: العزيز، العليم، غافر الذنب، قابل التوب، شديد العقاب، ذي الطول، ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ ١ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ ٢.
٢. احذر من الاعتزاز بما أعطى أعداء الإسلام من متاع الدنيا، ﴿فَلَا تَعْرِكُ تَتْلِيهِمْ فِي الْيَلْدِ﴾.
٣. لا تجادل بالباطل، ولكن همك الحق، ﴿وَخَذَلُوا بِالنَّاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾.

الآية (٧٥): لما ذكر تعالى حكمه في أهل الجنة والنار، وأنه نَزَلَ كُلًّا في المحل الذي يليق به ويصلح له، وهو العادل في ذلك الذي لا يجوز، أخبر عن ملائكته أنهم يُحِيقُونَ من حول عرشه المجيد، يسبحون بحمده ربهم، ويمجدونه ويعظمونه ويقصدونه وينزهونه عن النقائص والجور، وقد فصل القضية، وقضى الأمر، وحكم بالعدل؛ ولهذا قال: ﴿وَقِيصَ بَيْنَهُمْ﴾ أي: بين الخلاق ﴿بِالْحَقِّ﴾. ﴿وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي: ونطق الكون أجمعاً - ناطقه وبهيته - لله رب العالمين، بالحمد في حكمه وعده؛ ولهذا لم يسند القول إلى قائل، بل أطلقه، فدل على أن جميع المخلوقات شهدت له بالحمد. قال قتادة: افتتح الخلق بالحمد في قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [الأنعام: ١٠]، واختتم بالحمد في قوله: ﴿وَقِيصَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

### تفسير سورة غافر

وهي مكية، [وعدد آياتها (٨٥) آية].

[فضل السورة]: قد كره بعض السلف -منهم محمد بن سيرين- أن يقال الحواميم، وإنما يقال: آل حم. قال عبد الله بن مسعود: آل حم ديباج القرآن، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إن لكل شيء لباباً، وللباب القرآن لك حم، وقال ابن مسعود: إذا وقعت في كل حم فقد وقعت في روضات أئانتي فيهن. قال رسول الله ﷺ لأصحابه في بعض الغزوات: «إِنَّ بَيْتَ اللَّيْلِ فَقُولُوا: حم لا ينصرون» [مصنف عبد الرزاق، ورواه نحوه أبو داود والترمذي، وصححه الألباني].

الآية (١-٣): أما الكلام على الحروف المقطعة، فقد تقدم في أول «سورة البقرة» بما أغنى عن إعادته ههنا. ﴿تَنْزِيلَ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْغَزِيرِ الْعَلِيمِ﴾ أي: تنزيل هذا الكتاب -وهو القرآن- من الله ذي العزة والعلم، فلا يُرام جنابه، ولا يخفى عليه الذر وإن تكاثف حجابُه. ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾ أي: يغفر ما سلف من الذنب، ويقبل التوبة في المستقبل لمن تاب إليه وتَضَعُ لديه. ﴿شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾ أي: لمن غرد وطنى وأثر الحياة الدنيا، وعنا عن أوامر الله وبغى. وهذه كقوله تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنْهَا وَالْمَرْءُ إِذْ يَخِصِّصُ إِلَيْهَا إِلَهُهُ﴾ [النور: ٢٤]، ﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْأَلَمَاتُ الْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩-٥٠]، يقرن هذين الوصفين كثيراً في مواضع متعددة من القرآن؛ ليقى العبد بين الرجاء والخوف. ﴿ذِي الظُّلُمِ﴾ قال ابن عباس: يعني: السعة والغنى، وقال يزيد بن الأصم: يعني: الخير الكثير، وقال عكرمة: ذي المن، وقال قتادة: ذي النعم والفواضل. والمعنى: أنه المتفضل على عباده، المتطول عليهم بما هم فيه من المن والآنثم، التي لا يطيقون القيام بشكر واحدة منها، ﴿وَلَن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ الآية [إبراهيم: ٣٤، والنحل: ١٨]. ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: لا نظير له في جميع صفاته، فلا إله غيره، ولا رب سواه. ﴿إِلَهِ الْمَصِيرِ﴾ أي: المرجع والمآب، فيجازي كل عامل بعمله، ﴿هُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [الرعد: ٤١]. جاء رجل إلى عمر بن الخطاب فقال: يا أمير المؤمنين، إني قُتِلْتُ، فهل لي من توبة؟ فقرأ عليه: ﴿حَمْدُ تَنْزِيلِ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْغَزِيرِ الْعَلِيمِ﴾ ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾

شَدِيدِ الْعِقَابِ. وقال: اعمل ولا تيأس [رواه ابن أبي حاتم وابن جرير]. الآية (٤): يقول تعالى: ما يدفع الحق ويجادل فيه بعد البيان وظهور البرهان ﴿وَلَا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: الجاحلون لأيات الله وحججه وبراهينه، ﴿فَلَا يَنْفَعُكَ تَقَلُّبُكَ فِي الْكَيْدِ﴾ أي: في أمورها ونعيمها وزهرتها؛ كما قال: ﴿لَا يَنْفَعُكَ تَقَلُّبُكَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْكَيْدِ﴾ [مَنْعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْرِكُهُمْ جَهَنَّمَ وَيَقْسُ إِلَيْهَا] [المرج: ١٩٦-١٩٧]، وقال: ﴿ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ غَلِيظٍ﴾ [القلم: ٢٤].

الآية (٥-٦): قال تعالى مسلماً لنبيه محمد ﷺ في تكذيب من كذبه من قومه، بأن له أسوة من سلف من الأنبياء؛ فإنه قد كَذَّبَهُمْ أَمَهُمْ وخالفهم، وما آمن بهم منهم إلا قليل، فقال: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ وهو أول رسول بعثه الله بنهى عن عبادة الأوثان، ﴿وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ أي: من كل أمة. ﴿وَكَذَّبَتْ كُلُّ أُمَّةٍ رُسُلَهُمْ لِيُتُخَذَ أُولَئِكَ حُرُوفًا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَا يَفْعَلُ بِالْجَانِبِ﴾ أي: أهلكهم على ما صنعوا من هذه الآثام والذنوب العظام ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ أي: فكيف بلغك عذابي لهم، ونكالي بهم؟! قد كان شديداً موجهاً مؤثراً. قال قتادة: كان والله شديداً. ﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ أي: كما حقت كلمة العذاب على الذين كفروا من الأمم السالفة، كذلك حقت على المكذبين من هؤلاء الذين كذبوك وخالفوك يا محمد بطريق الأولى والأخرى؛ لأن من كَذَّبَكَ فلا وثوق له بتصديق خبرك.

الآية (٧): يخبر تعالى عن الملائكة المقربين من حملة العرش الأربعة، ومن حوله من الكروبيين، بأنهم يسبحون بحمد ربهم؛ أي: يقرنون بين التسييح الدال على نفي النقائص، والتحميد المقضي لإثبات صفات المدح. ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ أي: خاشعون له أدلاء بين يديه، وأنهم ﴿يَسْتَقِيمُونَ لِلَّيْلِ مَأْمُومًا﴾ أي: من أهل الأرض عن آمن بالغيب، فقبض الله سبحانه ملائكته المقربين أن يَدْعُوا للمؤمنين بظهر الغيب، ولما كان هذا من سجايا الملائكة -عليهم الصلاة والسلام- كانوا يُؤْمِنُونَ على دعاء المؤمن لأخيه بظهر الغيب، كما ثبت في صحيح مسلم: «إذا دعا المسلم لأخيه بظهر الغيب قال الملك: آمين ولك بمثله». وقد روى الإمام أحمد عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ صدق أمة في شيء من شعره، فقال:

رَجُلٌ وَفُورٌ تَحْتَ رِجْلِ يَمِينِهِ ... وَالتَّشَرُّ لِلْأُخْرَى وَلَيْتَ مُرْصَدُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «صدق». وهذا إسناده جيد: وهو يقتضي أن حملة العرش اليوم أربعة، فإذا كان يوم القيامة كانوا ثمانية؛ كما قال تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ سِتَّةَ مِائَةِ نَبِيٍّ﴾ [الحاقة: ١٧]، ولهذا يقولون إذا استغفروا للذين آمنوا: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ أي: إن رحمتك تَسَعُ ذنوبهم وخطاياهم، وعلمك محيط بجميع أعمالهم وأقوالهم وحركاتهم وسكناتهم، ﴿فَاقْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾ أي: فاصفح عن المسيئين إذا تابوا وأنابوا وأقلعوا عما كانوا فيه، واتبعوا ما أمرتهم به من فعل الخيرات وترك المنكرات، ﴿وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ أي: وزحزحهم عن عذاب الجحيم، وهو العذاب الموجه للأليم.

الآية (١١): ﴿قَالُوا رَبَّنَا آتِنَا آتْنَيْنِ وَأَحْيِيْنَا آتْنَيْنِ﴾ قال ابن مسعود: هذه الآية كقوله: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمُوتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ تُمَيِّتُهُمْ ثُمَّ يَحْيِيكُمْ ثُمَّ إِنَّهُمْ رَجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٨]. وهذا هو الصواب الذي لا شك فيه ولا مرية. والمقصود: أن الكفار يسألون الرجعة وهم وقوف بين يدي الله ﷻ في عرصات القيامة؛ كما قال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُتَجَرِّبُونَ نَآكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَاتَّخِذْنَا قَمَلًا صَلِيلًا إِنَّا نَقُوتُونَ﴾ [السجدة: ١٢]، فلا يُجَابُونَ. ثم إذا رأوا النار وعابنوها ووقفوا عليها، ونظروا إلى ما فيها من العذاب والنكال، سألوها الرجعة أشد مما سألوها أول مرة، فلا يُجَابُونَ، قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُؤْمِنُونَ عَلَى النَّارِ فَقَالُوا لَئِنَّا نَبَاتِلُكَ تَرَدُّ وَلَا تَحْكُمُ بِآيَاتِنَا رَبَّنَا وَكَوْنَنَّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَأَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [النعام: ٢٧-٢٨] فإذا دخلوا النار وذاقوا مَسَهَا وحسبها ومقامها وأغلاها، كان سؤالهم للرجعة أشد وأعظم. وفي هذه الآية تطفوا في السؤال، وقدموا بين يدي كلامهم مُقَدِّمَةً، وهي قَوْلهم: ﴿رَبَّنَا آتِنَا آتْنَيْنِ وَأَحْيِيْنَا آتْنَيْنِ﴾ أي: قدرتك عظيمة؛ فإنك أحْيَيْتَنَا بعد ما كنا أَمْوَاتًا، ثم آتَيْتَنَا ثم أَحْيَيْتَنَا، فإنت قادر على ما نشاء، وقد اعترفنا بذنوبنا، وأنا كنا ظالمين لأنفسنا في



## ● الوقفات التدريبية

- ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

وتضمن ذلك أن القارئ من زوج وولد وصاحب يسعد بقرينه، ويكون اتصاله به سببا لخير يحصل له، خارج عن عمله وسبب عمله، كما كانت الملائكة تدعو للمؤمنين ولبن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم. السعدي: ٧٣٣.

السؤال: في هذه الآية حث على مصاحبة الصالحين، وضح ذلك.

- ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾

أي: اجمع بينهم وبينهم؛ لتقر بذلك أعينهم بالاجتماع في منازل متجاورة. ابن كثير: ٧٤/٤.

السؤال: لماذا خص الأبناء والأزواج والذريات بالذكر؟

- ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

(العزیز): القاهر لكل شيء؛ فبجزئك تغفر ذنوبهم، وتكشف عنهم المحذور، وتوصلهم بها إلى كل خير. (الحكيم): الذي يضع الأشياء مواضعها؛ فلا نسالك يا ربنا أمراً تقتضي حكمته خلافه، بل من حكمته التي أخبرتنا بها على السنن رسلك، واقتضاها فضلك؛ المغفرة للمؤمنين. السعدي: ٧٣٢.

السؤال: ما وجه ختم دعائهم بهاتين الصفتين: (العزیز الحكيم)؟

- ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَسْأَلُونَكَ لِمَ لَمْ يَأْتِكُمْ اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾

المقت: البغض الذي يوجبه ذنب أو عيب، وهذه الحال تكون للكفار عند دخولهم النار؛ فإنهم إذا دخلوها مقتوا أنفسهم؛ أي: مقت بعضهم بعضاً، ويحتمل أن يمقت كل واحد منهم نفسه، فتناديهم للملائكة، وتقول لهم: مقت الله لكم في الدنيا على كفركم أكبر من مقتكم أنفسكم اليوم. ابن جزي: ٢٧٧/٢.

السؤال: كيف يمقت الكفار أنفسهم في النار؟

- ﴿قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَفَنُتَيْنِ وَأَحْيَيْنَا أَفَنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾

(أمتنا اثنيتن وأحييتنا اثنتين): إقرار بالبعث على أكمل الوجوه، طمعاً منهم أن يخرجوا عن المقت الذي مقتهم الله؛ إذ كانوا يدعون إلى الإسلام فيكفرون... فإن قيل: كيف يكون قولهم: (أمتنا اثنيتن وأحييتنا اثنتين) سبباً لاعتراهم بالذنوب؛ فالجواب أنهم كانوا كافرين بالبعث، فلمّا راوا الإمامة والإحياء قد تكرّر عليهم، علموا أن الله قادر على البعث؛ فاعترفوا بذنوبهم؛ وهي إنكار البعث، وما أوجب لهم إنكاره من المعاصي؛ فإن من لم يؤمن بالأخرة لا يبالي بالوقوع في المعاصي. ابن جزي: ٢٧٨/٢.

السؤال: فساد الاعتقاد سبب للوقوع في المعاصي، بين ذلك من الآية.

- ﴿يَلْقَى الرَّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾

(يلقي الروح): ينزل الوحي؛ سماء روحاً لأنه تحيا القلوب به. البقوي: ٣٨/٤.

السؤال: لم سمي الوحي روحاً؟

- ﴿يَلْقَى الرَّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾

(يوم التلاق) يعني: يوم القيامة؛ وسمي بذلك لأن الخلائق يلتقون فيه، وقيل: لأنه يلتقي فيه أهل السموات والأرض، وقيل: لأنه يلتقي الخلق مع ربهم. ابن جزي: ٢٧٨/٢.

السؤال: ما يوم التلاق؟ ولم سمي بهذا الاسم؟

رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ وَفِيهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَبَى السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَسْأَلُونَكَ لِمَ لَمْ يَأْتِكُمْ اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ۝ قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَفَنُتَيْنِ وَأَحْيَيْنَا أَفَنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ۝ ذَٰلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ، كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تَوَلَّيْتُمْ ۝ فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ۝ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ آيَاتِهِ وَيُنْزِلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ ۝ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ۝ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ۝ يَوْمَ هُمْ بَدْرَبُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ وَفَتْهُنَّ ۝ لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ۝

٤٦٨

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
لَمَقَّتْ اللَّهُ	الَمَقَّتْ: الْبُغْضُ الشَّدِيدُ.
يُنِيبُ	يَرْجِعُ إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ.
يَوْمَ التَّلَاقِ	الْيَوْمَ الَّذِي يَلْتَقِي فِيهِ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ.
بَارِزُونَ	ظَاهِرُونَ أَمَامَ رَبِّهِمْ.

## ● العمل بالآيات

١. أمر إخوانك وأهلك بالصلاة، وجاء أن يكونوا معك في الجنة، ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.
٢. ادعُ لغيرك من المؤمنين كما تدعو لنفسك اقتداءً بالملائكة، ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ﴾.
٣. حدد بعض ذنوبك وعيوبك، ثم سل الله التوبة قبل أن تعترف في الآخرة، ولا تفكك ذلك، ﴿فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾.

## ● التوجيهات

١. قال سعيد بن جبیر: إن المؤمن إذا دخل الجنة سأل عن أبيه وابنه وإخيه، أين هم؟ فيقال: إنهم لم يبلغوا طبقتك في العمل. فيقول: إني إنما عملت لي ولهم، فيلحقون به في الدرجة. ثم تلا سعيد بن جبیر هذه الآية: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.
٢. اعلم أن أجل رحمة يناديها العبد أن يقيه الله تعالى من تبعة السيئات، ﴿وَمَنْ تَبَى السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ﴾.
٣. إذا عملت ما يرضي الله تعالى، وسخط عليك الكفار فلا عليك من سخطهم، ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾.



## ● الوقفات التحيرية

﴿ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾

لأنه العالم الذي لا يعزب عن علمه شيء، فلا يؤخر جزاء أحد للاشتغال بغيره، وكما يرزقهم في ساعة واحدة بحاسبهم كذلك في ساعة واحدة القرطبي: ٣٤/١٨.

السؤال: بين عظمة الله تعالى في سرعة حسابه لعباده.

﴿ وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْأَرْزَاقِ إِذْ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ ﴾

سميت بذلك لأنها قريبة؛ إذ كل ما هوات قريب... (إذ القلوب لدى الحناجر كاضطمين)؛ وذلك أنها تنزل عن أماكنها من الخوف حتى تصير إلى الحناجر، فلا هي تعود إلى أماكنها، ولا هي تخرج من أفواههم فيموتوا ويستريحوا. البغوي: ٣٩/٤.

السؤال: لم سمي يوم القيامة بالأرزاق؟ وكيف تكون القلوب لدى الحناجر؟

﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾

يخبر عز وجل عن علمه التام المحيط بجميع الأشياء: جليلها وحقيقها، صغيرها وكبيرها، دقيقها ولطيفها؛ ليحذر الناس علمه فيهم، فيستحيوا من الله تعالى حق الحياة، ويتقوه حق القوا، ويراقبوه مراقبة من يعلم أنه يراهم. ابن كثير: ٧٧/٤.

السؤال: ما الفائدة العملية التي يخرج بها المسلم من هذه الآية؟

﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾

قال ابن عباس رضي الله عنهما: هو الرجل يكون جالسا مع القوم، فتمر المرأة فيسارقهم النظر إليها، وعنه: هو الرجل ينظر إلى المرأة، فإذا نظر إليه أصحابه غض بصره، فإذا رأى منهم غفلة تدسس بالنظر، فإذا نظر إليه أصحابه غض بصره، وقد علم الله عز وجل منه أنه يود لو نظر إلى عورتها. قال ابن عباس:

(وما تخفي الصدور) أي: هل يزين بها لو خلا بها، أو لا؟ القرطبي: ٣٤٣/١٨.

السؤال: كيف تكون خائنة الأعين؟ وما الذي تخفيه الصدور؟

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّتِينٍ ﴾

قص الله تعالى على رسوله قصة موسى مع فرعون؛ ليسليه بها، ويصبره، وليعلمه أن البلاء مهما اشتد يعقبه الفرج، وأن الله ناصره على قومه كما نصر موسى على فرعون وقومه. الجزائري: ٥٢٧/٤.

السؤال: ما مناسبة ذكر قصة موسى مع فرعون لما قبلها من الآيات؟

﴿ إِلَىٰ قُرُونٍ وَهَجَرُوا فَأَقْبَلُوا سِحْرَ كَذَّابٍ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ۖ﴾

قال هؤلاء الثلاثة وأجمع رأيهم على أن يقتل أبناء بني إسرائيل اتباع موسى وشبانهم وأهل القوة منهم، وأن يستحيي النساء للخضعة والاسترقاق...، وقوله تعالى: (وما كيد الكافرين إلا في ضلال) عبارة وجيزة تعطي قوتها أن هؤلاء الثلاثة لم يقدرهم الله تعالى على قتل أحد من بني إسرائيل، ولا نجحت لهم فيه سعيان، بل أضل الله سعيهم، وكيدهم. ابن عطية: ٥٥٤/٤.

السؤال: إرادة الله فوق إرادة الملوك، وضع ذلك من خلال الآيتين.

﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ۖ﴾

تدبر هذه النكتة التي يكثر مرورها بكتاب الله تعالى: إذا كان السياق في قصة معينة أو على شيء معين، وأراد الله أن يحكم على ذلك المعين بحكم لا يختص به، ذكر الحكم وعلقه على الوصف العام؛ ليكون أعم، وتندرج فيه الصورة التي سبق الكلام لأجلها، وليندفع الإيهام باختصاص الحكم بذلك المعين، فلماذا لم يقل: «وما كيدهم إلا في ضلال»، بل قال: (وما كيد الكافرين إلا في ضلال). السعدي: ٧٣٦.

السؤال: لماذا ختمت الآية بلفظ عام: (وما كيد الكافرين)، ولم تختتم بلفظ: «وما كيد فرعون» أو «وما كيدهم»؟

الْيَوْمَ نُجْزِي كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۝ وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْأَرْزَاقِ إِذْ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظْمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمِيمٍ وَلَا شَفِيعَ يُطَاعُ ۝ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ۝ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَنَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ۝ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّتِينٍ ۝ إِلَىٰ قُرُونٍ وَهَجَرُوا وَقَدَرُوا فَقَالُوا سِحْرٌ كَذَّابٌ ۝ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ۖ

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
يَوْمَ الْأَرْزَاقِ	يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْقَرِيبِ.
لَدَى الْحَنَاجِرِ	قُلُوبُهُمْ عِنْدَ حُلُوقِهِمْ مِنْ شِدَّةِ الْكَرْبِ.
كَظْمِينَ	مُتَمَتِّعِينَ غَمًّا، وَحَزَنًا.
خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ	مَا تَحْتَلِسُهُ الْعُيُونُ مِنَ النَّظَرِ إِلَىٰ مَا لَا يَحِلُّ.
وَاقٍ	دَافِعٍ.

## ● العمل بالآيات

١. تذكر أحدا ظلمته، واطلب العفو منه، أو ادع له في ظهر الغيب، واستغفر من ذنبك، ﴿الْيَوْمَ نُجْزِي كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾.
٢. حافظ على طهارة قلبك اليوم، ولا تختلس النظر إلى ما لا يحل لك في الشارع أو السوق أو التلفاز أو الحاسب الآلي أو الهاتف، ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾.
٣. تذكر دقائق قضيتها في غفلة أو معصية، وامكث مثلها في النظر إلى آيات القرآن، لعل الحسنات يذهبن السيئات، ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾.

## ● التوجيهات

١. لا يظلم أحد يوم القيامة بزيادة في سيئاته، أو نقص من حسناته، ﴿الْيَوْمَ نُجْزِي كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾.
٢. شدة هول يوم القيامة حتى إن القلوب تصل إلى الحناجر من شدة الفزع، ﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْأَرْزَاقِ إِذْ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظْمِينَ﴾.
٣. اتخذ الناس النظر في آثار الأمم السابقة للتسلية، وامضاء أوقات الفراغ، مبتعدين عن التفكير الذي امر الله به في عقوبتهم، ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَنَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾.

الآية (١٧): ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ كُلَّ فَتْنٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ يخبر تعالى عن عدله في حكمه بين خلقه؛ أنه لا يظلم مثقال ذرة من خير ولا من شر، بل يميز بالحسنة عشر أمثالها، وبالسنية واحدة. ولهذا قال: ﴿لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾ كما ثبت في صحيح مسلم عن أبي ذر عن رسول الله ﷺ - فيما يحكي عن ربه ﷻ - أنه قال: «يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا» إلى أن قال: «يا عبادي، إنا هي أفعالكم أحصياها عليكم ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه». ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ أي: بحاسب الخلاق كلهم، كما يحاسب نفساً واحدة، كما قال: ﴿مَا خَلَقُكُمْ وَلَا بِعَنَّاكُمْ إِلَّا كَفَتْ وَاحِدَةً﴾ [لقان: ٢٨].

الآية (١٨-١٩): ﴿يَوْمَ الْآزِفَةِ﴾ هو: اسم من أساء يوم القيامة؛ سميت بذلك لاقترابها، كما قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الْآزِفَةَ ﴿١٨﴾ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ [النجم: ٥٧-٥٨] وقال: ﴿أَفَتَرَبَّيْتُ السَّاعَةَ وَأَنشَقُّ الْقَحَرُ﴾ [الفر: ١]. ﴿إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظِيمٍ﴾ قال قتادة: وقفت القلوب في الحناجر من الخوف، فلا تخرج ولا تعود إلى أماكنها، وكذا قال عكرمة والسدي. ومعنى ﴿كَظِيمٍ﴾ أي: ساكنين، لا يتكلم أحد إلا بإذنه ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَاللَّيْكَهُ سَفَاً لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [الباق: ٢٨]. وقال ابن جريج: ﴿كَظِيمٍ﴾ أي: باكين. ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِسْرٍ وَلَا سَفِيحٍ طَافٌ﴾ أي: ليس للذين ظلموا أنفسهم بالشرك بالله من قريب منهم يتفهم، ولا شفيع يشفع فيهم، بل قد تقطعت بهم الأسباب من كل خير. ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ يخبر تعالى عن علمه التام المحيط بجميع الأشياء؛ جليلها وحقيقها، صغيرها وكبيرها، دقيقها ولطيفها؛ ليحذر الناس علمه فيهم، فيستحيوا من الله حق الحياء، ويتقوه حق تقواه، ويراقبوه مراقبة من يعلم أنه يراه، وأنه ﷻ يعلم العين الخائنة وإن أبدت أمانة، ويعلم ما تنطوي عليه خبايا الصدور من الضائر والسرائر. قال ابن عباس في قوله: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ﴾: وهو الرجل يدخل على أهل البيت بيتهم وفيهم المرأة الحسناء، أو تمر به وبهم المرأة الحسناء، فإذا غفلوا لحظ إليها، فإذا فطنوا غَضَّ، فإذا غفلوا لحظ، فإذا فطنوا غَضَّ، وقد اطلع الله من قلبه أنه ودَّ لو اطلع على فرجها. وقال الضحاك: هو الغمز، وقول الرجل: رأيت، ولم يره؛ أو: لم أر، وقد رأى. وقال ابن عباس في قوله: ﴿وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾: يعلم إذا أنت قلدت عليها هل تزني بها أم لا؟ وقال السدي: أي: من الوسوسة.

الآية (٢٠-٢٢): ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ﴾ أي: يحكم بالعدل. وقال ابن عباس: قادر على أن يميز بالحسنة الحسنة، وبالسنية السنية ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾. وهذا الذي فسر به ابن عباس في هذه الآية كقوله: ﴿يَجْزِي الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِي الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحَقِّ﴾ [النجم: ٣١]. ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ أي: من الأصنام والأوثان والأنداد، ﴿لَا يَقْضُونَ شَيْئًا﴾ أي: لا يملكون شيئاً ولا يحكمون

بشيء ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ أي: سمع لأقوال خلقه، بصير بهم، فيهدي من يشاء، ويضل من يشاء، وهو الحاكم العادل في جميع ذلك. ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا﴾ هؤلاء المكذبون برسالتك يا محمد ﴿فِي الْأَرْضِ فَنَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي: من الأمم المكذبة بالأنبياء؛ ما حل بهم من العذاب والنكال، مع أنهم كانوا أشد من هؤلاء قوة ﴿وَوَآثَارًا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: أثروا في الأرض من البنايات والمعالم والديارات، ما لا يقدر عليه هؤلاء؛ كما قال: ﴿وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ فِي مَآكِنَ مُنْكَرٍ لَكُمْ فَنَرَى عَذَابَ الَّذِينَ كَانُوا يُكْفَرُونَ﴾ [الأحاف: ٢٦]. وقال: ﴿وَأَنزَلْنَا الْأَرْضَ وَعَصَرْنَا أَسْفَلَ مَاءً مَعْرُوفًا﴾ [الروم: ٩] أي: ومع هذه القوة العظيمة والبأس الشديد، أخذهم الله بذنوبهم، وهي كفرهم برسولهم. ﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاوٍ﴾ أي: وما دفع عنهم عذاب الله أحد، ولا رده عنهم راد، ولا وقاهم واق. ثم ذكر علة أخذه إياهم وذنوبهم التي ارتكبوها واجترموها، فقال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي: بالدلائل الواضحات والبراهين القاطعات ﴿فَكَفَرُوا﴾ أي: مع هذا البيان والبرهان كفروا وجحدوا ﴿وَأَخَذَهُمُ اللَّهُ﴾ أي: أهلكهم ودمر عليهم وللكاشرين أمثالها.

﴿إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ أي: ذو قوة عظيمة وبطش شديد، وهو ﴿شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ أي: عقابه أليم شديد وجيع. الآية (٢٣-٢٥): يقول تعالى مُسْلِمًا لنبيه ﷺ في تكذيب من كذبه من قومه، ومبشراً له بأن العاقبة والنصرة له في الدنيا والآخرة، كما جرى لموسى عليه السلام؛ فإن الله تعالى أرسله بالآيات البينات، والدلائل الواضحات؛ ولهذا قال: ﴿وَإِنَّا بَنَيْنَاكَ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ والسلطان هو: الحجة والبرهان. ﴿إِنَّا فَزَعَنَّا﴾ هو: ملك القبط بالديار المصرية ﴿وَهَمَّكُنْ﴾ وهو: وزيره في مملكته ﴿وَقَدَرْنَا﴾ وكان أكثر الناس في زمانه مالا وتجارة ﴿فَقَالُوا سَنَجْعَلُكَ كَذَابًا﴾ أي: كذوبه وجعلوه ساحراً مجنوناً موهماً كذاباً في أن الله أرسله. وهذه كقوله: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجُنُونٌ﴾ [آل عمران: ٥٢-٥٣].

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا﴾ أي: بالبرهان القاطع الدال على أن الله تعالى أرسله إليهم ﴿قَالُوا أَتَأْتِلَوا أَنْبَاءَ الَّذِينَ مَاتُوا مِن قَبْلِهِمْ﴾ واستخبروا نبيهم ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِمْ مِنْ فَتْنَةٍ﴾ وهذا أمر ثان من فرعون يقتل ذكور بني إسرائيل. أما الأول: فكان لأجل الاحتراز من وجود موسى، أو لإذلال هذا الشعب وتقليل عددهم، أو لمجموع الأمرين. وأما الأمر الثاني: فللعلة الثانية: لإهانة هذا الشعب، ولكي يتشاءموا بموسى عليه السلام؛ ولهذا قالوا: ﴿أَوَدَيْتَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَذَابُكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَنَنْظُرَ كَيْفَ تَقْعَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٩]. قال قتادة: هذا أمر بعد أمر. قال الله ﷻ: ﴿وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ أي: وما مكروهم وقصدتهم الذي هو تقليل عدد بني إسرائيل لتلا بتصرفوا عليهم، إلا ذاهب وهالك في ضلال.



﴿وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أي: كيف تقتلون رجلاً لكونه يقول: رب الله، وقد أقام لكم البرهان على صدق ما جاءكم به من الحق؟! ثم تَنَزَّلَ معهم في المخاطبة فقال: ﴿وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَلَعَلَّكُمْ كَذِبُهُ، وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ يعني: إذا لم يظهر لكم صحة ما جاءكم به، فمن العقل والرأي التام والخزم أن تتركوه ونفسه، فلا تؤذوه، فإن يك كاذبًا فإن الله سبحانه على كذبه بالعقوبة في الدنيا والآخرة، وإن يك صادقًا وقد أذنيتموه بصبكم بعض الذي يعدكم؛ فإنه يتوعدكم إن خالفتموه بعذاب في الدنيا والآخرة، فمن الجائز عندهم أن يكون صادقًا، فينبغي على هذا ألا تتعرضوا له، بل اتركوه وقوموهم يدعوهم ويتبعونه. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ أي: لو كان هذا الذي يزعم أن الله أرسله إليكم كاذبًا كما تزعمون، لكان أمره بيتًا، يظهر لكل أحد في أقواله وأفعاله؛ كانت تكون في غاية الاختلاف والاضطراب، وهذا نرى أمره سديدًا ومنهجه مستقيمًا، ولو كان من المفسرين الكذابين لما هداه الله وأرشده إلى ما ترون



## ● الوقفات التدريبية

❶ ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾

وقد حمله غروره وقلته تدبره في الأمور على ظن أن ما خالف دينهم بعد فساد؛ إذ ليست لهم حجة لدينهم غير الإلّف والانتفاع العاجل. ابن عاشور: ١٢٥/٢٤.

السؤال: عادات الآباء والأجداد إذا كانت فاسدة فهي مانعة من الهداية، وضح ذلك.

❷ ﴿وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بَيَوْمِ الْحِسَابِ﴾  
من لم يؤمن بيوم الحساب مصداقاً، لم يكن للشواهد على الإحسان راجياً، ولا للعقاب على الإساءة، وحبس ما يأتي من الأفعال خائفاً. الطبري: ٣٧٥/٢١.

السؤال: لماذا خص موسى -عليه السلام- الاستعاذة بالله ممن لا يؤمن بيوم الحساب؟  
❸ ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾

قد اتنى الله على رجل مؤمن من آل فرعون كتم إيمانه وأسرده، فجعله الله تعالى في كتابه، وأثبت ذكره في المصاحف لكلام قاله في مجلس من مجالس الكفر، وأين هو من عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - جرد سيفه بكمته، وقال: «والله لا أعبد الله سرا بعد اليوم». ابن عطية: ٥٥٥/٤.

السؤال: هذه الآية تدل على فضائل الصحابة، وضحها.  
❹ ﴿وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَلَعَلَّهِ كَذِبٌ، وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَبْعُدُكُمْ﴾

ولم يكن ذلك لشك منه في رسالته وصدقه، ولكن تطفلاً في الاستكشاف، واستنزاً عن الأذى. القرطبي: ٣٤٨/١٨، ٣٤٩-٣٤٨.

السؤال: هل قول مؤمن آل فرعون لشك منه في صدق موسى عليه السلام؟ وأي أدب دعوي نتعلمه من ذلك الأسلوب؟  
❺ ﴿وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَبْعُدُكُمْ﴾

وإنما قال بعض ولم يقل كل مع أن الذي يصيبهم هو كل ما يعذبهم؛ ليلاطفهم في الكلام، ويبعد عن التعصب لموسى، ويظهر النصيحة لفرعون وقومه، فيرتجى إجابتهم للحق. ابن جزي: ٢٨٠/٢.

السؤال: لم قال مؤمن آل فرعون: (بعض الذي يعذبكم) مع أن ما سيصيبهم هو كل ما وعدهم به؟

❻ ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَغْتَوِّرُ أَخَافُ عَلَيْكُمْ بِثَلَاثَةِ يَوْمٍ الْخَرْابِ﴾  
(وقال الذي آمن) مكرراً دعوة قومه، غير آيس من هدايتهم، كما هي حالة الدعوة إلى الله تعالى، لا يزالون يدعون إلى ربهم، ولا يرددهم عن ذلك راد، ولا يثنينم عتو من دعوهم عن تكرار الدعوة. السعدي: ٧٣٧.

السؤال: في الآية توجيه رقيق لأصحاب الدعوة إلى الله بعدم اليأس، بيّنه.  
❼ ﴿وَيَغْتَوِّرُ أَخَافُ عَلَيْكُمْ بِثَلَاثَةِ يَوْمٍ الْخَرْابِ﴾

يوم القيامة يدعى كل أناس بإمامهم، وينادي بعضهم بعضاً: أصحاب الجنة أصحاب النار، وأصحاب النار أصحاب الجنة، وينادي أصحاب الأعراف وينادي بالسعادة والشقاوة: إلا أن فلان ابن فلان قد سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً، وفلان ابن فلان قد شقى شقاوة لا يسعد بعدها أبداً، وينادي حين يذبح للوث: يا أهل الجنة خلود فلا موت، يا أهل النار خلود فلا موت. البغوي: ٤٢/٤.

السؤال: لماذا سمي يوم القيامة بيوم التناد؟

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ❶  
وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بَيَوْمِ الْحِسَابِ ❷  
وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَلَعَلَّهِ كَذِبٌ، وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَبْعُدُكُمْ ❸  
إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ❹  
يَقُولُ لَكُمْ أَلَمْ تَكُنْ أَتَوْكُمْ بِظُلْهِرٍ مِنَ الْأَرْضِ فَهَنَ يَصُبُّرًا مِنْ تَأْسِ اللَّهِ ❺  
إِنْ جَاءَ تَأْخَرُ قَالَ فِرْعَوْنُ مَا لَكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا لَأَسِيلٍ ❻  
الرَّشَادِ ❷  
وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَغْتَوِّرُ أَخَافُ عَلَيْكُمْ بِثَلَاثَةِ يَوْمٍ الْخَرْابِ ❸  
مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ❹  
وَيَقُولُ أَخَافُ عَلَيْكُمْ بِثَلَاثَةِ يَوْمٍ الْخَرْابِ ❺  
يَوْمَ تَكُونُ مَدِيرِينَ ❻  
مَالِكُ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ وَمَنْ يَضِلَّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ❷

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
عُدْتُ	استجرتُ.
ظَاهِرِينَ	غَالِبِينَ عَالِينَ.
يَوْمَ التَّنَادِ	يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِي يُنَادِي النَّاسَ فِيهِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا.
مُدِيرِينَ	هَارِبِينَ.
عَاصِمٍ	مَانِعٍ يَمْنَعُكُمْ.

## ● العمل بالآيات

- إذا خفت من مجرم فقل: «اللهم إنا نعوذ بك من شرورهم؛ ونندرا بك في نحورهم»، ﴿وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بَيَوْمِ الْحِسَابِ﴾.
- دافع عن أحد العلماء أو الدعاة ممن يستهزئ بهم السفهاء برسائلته أو كلمته مقتدياً بمؤمن آل فرعون، ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾.
- استعد بالله من الإسراف والكذب والكبر، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾.

## ● التوجيهات

- سيرة المتكلم تدل على صدقه أو كذبه، ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾.
- الله سبحانه هو ملاذ المؤمنين من كل خوف، ﴿وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بَيَوْمِ الْحِسَابِ﴾.
- من أبعد الناس عن الهداية من أسرف في المعاصي ثم كذب وزعم أن الله أمر بها، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلِ يَالَيْتَنْتُمْ مَّا زِلْتُمْ فِي سَكِّ سَمَاءٍ وَمَا جَاءَكُمْ بِهِ حَقٌّ إِذَا هَلَكْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ ﴾

توسم فيهم قلته جدوى النصيح لهم، وأنهم مصممون على تكذيب موسى، فارتقى في موغظتهم إلى اللوم على ما مضى، ولتذكيرهم بأنهم من ذرية قوم كذبوا يوسف لما جاءهم بالبينات، فتكذيب المرشدين إلى الحق ... معروفة في أسلافهم، فتكون سجيّة فيهم. ابن عاشور: ١٣٨/٢٤.

السؤال: ما مناسبة الآية الكريمة لما قبلها؟

﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾

وكذلك عباده المؤمنون يعمتون على ذلك أشد المقت موافقة لربهم، وهؤلاء خواص خلق الله تعالى؛ فهمتهم دليل على شناعة من مقتوه السعدي: ٧٣٨.

السؤال: من يعمته العلماء والصالحون من الناس هو في وضع خطير، وعليه أن يتدارك نفسه، بين وجه ذلك من خلال الآية.

﴿ أَتَسْتَبِ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَذِبًا ﴾

ولما قال فرعون بمحض من ملّيه: (فأطلع إلى إله موسى) اقتضى كلامه الإقرار بـ (إله موسى) فاستدرك ذلك استدراكا قلعا بقوله: (واني لأظنه كاذبا). ابن عطية: ٥٦٠/٤.

السؤال: ما المناسبة بين أول الآية وقول فرعون: (واني لأظنه كاذبا)؟

﴿ أَتَسْتَبِ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَذِبًا وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِيُزَعِّزَ سَوْءَ عَمَلِهِ، وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴾

وجملة: (واني لأظنه كاذبا) معترضة للاحتراس من أن يظن هامان وقومه أن دعوة موسى أوهنت منه يقينه بدينه وأهله، وأنه يروم أن يبحث بحث متأمل ناظر في أدلة المعرفة، فحقق لهم أنه ما أراد بذلك إلا نفي ما ادعاه موسى بدليل الحس.

ابن عاشور: ١٤٧/٢٤.

السؤال: ما فائدة احتراس فرعون بجملة: (واني لأظنه كاذبا)؟

﴿ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴾

وسمي كيدا لأنه عمل ليس المراد به ظاهره، بل أريد به الإفضاء إلى إيهام قومه كذب موسى عليه السلام. ابن عاشور: ١٤٨/٢٤.

السؤال: لماذا سمي ما أمر به فرعون من بناء الصرح كيدا؟

﴿ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴾

وما احتيال فرعون الذي يحتال للاطلاع إلى إله موسى، إلا في خسار وذهاب مال وغبن؛ لأنه ذهب نفقته التي أنفقها على الصرح باطلا، ولم ينل بما أنفق شيئا مما اراده، فذلك هو الخسار والتباب. الطبري: ٣٨٨/٢١.

السؤال: ما التباب؟ ولماذا وُصف كيد فرعون بأنه في تباب؟

﴿ يَنْقُورُ إِنَّمَا هَذِهِ الدُّنْيَا مَتَّعَ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴾

أي: يتمتع بها قليلا، ثم تنقطع وتزول. (وإن الآخرة هي دار القرار) أي: الاستقرار

والخلود، ومراده بالدار الآخرة: الجنّة والنار؛ لأنهما لا يفنيان القرطبي: ٣٦١/١٨.

السؤال: بين كيف دعاهم إلى الله تعالى ببيان حقيقة الدنيا والآخرة.

وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلِ يَالَيْتَنْتُمْ مَّا زِلْتُمْ فِي سَكِّ سَمَاءٍ وَمَا جَاءَكُمْ بِهِ حَقٌّ إِذَا هَلَكْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ ﴿٥٥﴾ الَّذِينَ يَجِدُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بَغْيًا سُلْطَانِ أَتَدْرِكُكُمْ مَقَاتِلٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٥٦﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَكُنَّ آيَاتِي فِي صَرْحٍ لَعَلِّي أُتْلَغَ الْأَسْبَابُ ﴿٥٧﴾ أَسْبَبَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَذِبًا وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِيُزَعِّزَ سَوْءَ عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٥٨﴾ وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَنْقُورُ أَتَيْعُونَ أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٥٩﴾ يَنْقُورُ إِنَّمَا هَذِهِ الدُّنْيَا مَتَّعَ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٦٠﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِمَّنْ ذَكَرُوا أَنَّنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٦١﴾

(٤٧)

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
شَكَّ	وَيْبَسَ
مُرْتَابٌ	شَاكَّ فِي اللَّهِ
يَطْبَعُ	يَحْتِمُ
صَرْحًا	بِنَاءً عَظِيمًا
تَبَابٌ	خَسَارٌ، وَتَوَارٍ

## ● العمل بالآيات

- استعد بالله من الجدل بغير علم ومن مقت الله، ﴿ الَّذِينَ يَجِدُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بَغْيًا سُلْطَانِ أَتَدْرِكُكُمْ مَقَاتِلٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾.
- ادع إلى الله تعالى أحد الغافلين بحكمة وأسلوب حسن أسوة بصالحى الأمم السابقة، ﴿ وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَنْقُورُ أَتَيْعُونَ أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾.
- اعمل اليوم عملاً لم تكن قد عملته من قبل، راجياً من الله سبحانه وتعالى أن يدخلك به الجنة، ﴿ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِمَّنْ ذَكَرُوا أَنَّنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾.

## ● التوجيهات

- احذر من الجدل بغير علم، ﴿ الَّذِينَ يَجِدُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بَغْيًا سُلْطَانِ أَتَدْرِكُكُمْ مَقَاتِلٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾.
- بداية الهلاك أن تزين لك أعمالك السيئة فتراهما حسنة والعياذ بالله، ﴿ وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِيُزَعِّزَ سَوْءَ عَمَلِهِ ﴾.
- كن واقعياً بالله تعالى في نصرته وتمكنه لأوليائه، وخذلانه لأعدائه، ﴿ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴾.



القيامة». ثم مكث بعد ذلك ما شاء الله أن يمكث، فخرج ذات يوم نصف النهار مشتملاً بثوبه، حمرة عيناه، وهو ينادي بأعلى صوته: «القبر كقطع الليل المظلم. أبها الناس، لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيراً وضحكتكم قليلاً. أبها الناس، استعينوا بالله من عذاب القبر، فإن عذاب القبر حق» وهذا إسناد صحيح على شرط البخاري ومسلم، ولم يخرجاه. فيقال: فما الجمع بين هذا وبين كون الآية مكية، وفيها الدليل على عذاب البرزخ؟ والجواب: أن الآية دلت على عرض الأرواح على النار غدوًا وعشيًا في البرزخ، وليس فيها دلالة على اتصال تأملها بأجسادها في القبور، إذ قد يكون ذلك مختصًا بالروح، فاما حصول ذلك للجسد وتأله بسببه، فلم يدل عليه إلا السنة. وقد يقال: إن هذه الآية إنما دلت على عذاب الكفار في البرزخ، ولا يلزم من ذلك أن يعذب المؤمن في قبره بذنوب. عن عائشة أن رسول الله ﷺ دخل عليها وعندها امرأة من اليهود، وهي تقول: أشعرت أنكم تفتنون في قبوركم؟! فارتاع رسول الله ﷺ وقال: «إنما يفتن يهود». قالت عائشة: فلبثنا ليلي، ثم قال رسول الله ﷺ: «أشعرت أنه أوحى إلي أنكم تفتنون في القبور؟!». وقالت عائشة: سمعت رسول الله ﷺ بعد يستعذ من عذاب القبر. [رواه مسلم]. وقد يقال: إن هذه الآية دلت على عذاب الأرواح في البرزخ، ولا يلزم من ذلك أن يتصل بالأجساد في قبورها، فلما أوحى إليه في ذلك بخصوصيته استعاذ منه. وقال قتادة في قوله: «غَدُوًا وَعَشِيًا»: صباحًا ومساءً، ما بقيت الدنيا؛ يقال لهم: يا آل فرعون، هذه منازلكم، تويحًا ونقمة وصغارًا لهم. وقال ابن زيد: هم فيها اليوم يُعَذَّبُ بهم ويُرَاحُ إلى أن تقوم الساعة. عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أحدكم إذا مات عُرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار. فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله ﷻ إلى يوم القيامة» أخرجاه في الصحيحين.

الآية (٤٧-٤٩): يخبر تعالى عن تحاج أهل النار في النار وتخاصمهم، وفرعون وقومه من جملتهم، «فَيَقُولُ أَتُنَعَتُونَ؟» وهم الأنبياء «الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا» وهم القادة والسادة والكبراء: «إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا» أي: أطعناكم فيما دعوتونا إليه في الدنيا من الكفر والضلال «فَهَلْ أَشْرَ مُثْنُونَ عَنَّا فَيَكْبَرُونَ النَّارَ» أي: قسطنًا تحملونه عنا. «قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا» أي: لا نتحمل عنكم شيئًا، كفى بنا ما عندنا، وما حملنا من العذاب والنعكال. «إِنَّكَ أَنتَ أَكْبَرُ مِنْ الْوَسْوَاسِ» أي: يقسم بيننا العذاب بقدر ما يستحقه كل منا؛ كما قال تعالى: «قَالَ لِكُلٍّ ذَنْبٌ وَلَكِنْ لَّا تَعْلَمُونَ» [الأعراف: ١٣٨]. «وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ» لما علموا أن الله سبحانه لا يستجيب منهم ولا يستمع لدعائهم، بل قد قال: «اٰخَسِرُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُوْنَ» [المؤمنون: ١٠٨] سألوها الخزنة - وهم كالبوابين لأهل النار - أن يدعوا لهم الله أن يخفف عن الكافرين ولو يومًا واحدًا من العذاب.

الآية (٤١-٤٣): يقول لهم المؤمن: ما بالي أدعوكم إلى النجاة، وهي عبادة الله وحده لا شريك له وتصديق رسوله الذي بعثه «وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ» تَدْعُونِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ أي: جهل بلا دليل، «وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى التَّوْبَةِ الْفَقْرِ» أي: هو في عزته وكبريائه يغفر ذنب من تاب إليه. «لَا جَرْرَ أَمَّا تَدْعُونِي إِلَيْهِ» قال السدي وابن جرير: معنى قوله: «لَا جَرْرَ»: حقًا. وقال الضحاك: «لَا جَرْرَ» لا كذب. وعن ابن عباس: «لَا جَرْرَ» يقول: بل، إن الذي تدعونني إليه من الأصنام والأنداد «لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ». قال مجاهد: الوثن ليس بشيء. وقال قتادة: يعني الوثن لا ينفع ولا يضر. وقال السدي: لا يجيب داعيه، لا في الدنيا ولا في الآخرة. وهذا كقوله تعالى: «وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ» وَإِذَا حُيِّرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِسَادَتِهِمْ كَافِرِينَ» [الأحقاف: ١٠-١٦]. قوله: «وَأَن مَّرَدًّا إِلَى اللَّهِ» أي: في الدار الآخرة، فيجازي كلًا بعمله؛ ولهذا قال: «وَأَنَّ الْمُتَّصِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ» أي: خالدين فيها بإسرافهم، وهو شر حكمهم بالله.

الآية (٤٤): «فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ» أي: سوف تعلمون صدق ما أمرتكم به ونهيتكم عنه، ونصحتكم ووضعت لكم، وتذكرونه، وتندمون حيث لا ينفعكم الندم. «وَأَفْوُضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ» أي: وأتوكل على الله وأستعنه، وأقاطعكم وأباعدكم. «إِنَّكَ اللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ» أي: هو بصير بهم، فيهدي من يستحق الهداية، ويضل من يستحق الإضلال، وله الحجة البالغة، والحكمة التامة، والقدر النافذ.

الآية (٤٥-٤٦): «فَوَعَدَ اللَّهُ سَيَّآتٍ مَّا مَكْرُوهًا» أي: في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا فنجاه الله مع موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأما في الآخرة فبالجنة. «وَحَاقَ بِقَالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ» وهو: الفرق في اليم، ثم النقلة منه إلى الجحيم؛ فإن أرواحهم تُعرض على النار صباحًا ومساءً إلى قيام الساعة، فإذا كان يوم القيامة اجتمعت أرواحهم وأجسادهم في النار؛ ولهذا قال: «وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ» أي: أشده ألمًا وأعظمه نكالًا. وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور، وهي قوله: «النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا». ولكن ههنا سؤال: وهو أنه لا شك أن هذه الآية مكية، وقد استدلو بها على عذاب القبر في البرزخ، روى الإمام أحمد عن عائشة أن يهودية كانت تخدعها، فلا تصنع عائشة إليها شيئًا من المعروف إلا قالت لها اليهودية: وقاك الله عذاب القبر. قالت: فدخل رسول الله ﷺ علي فقلت: يا رسول الله، هل للقبر عذاب قبل يوم القيامة؟ قال: «لا، وعم ذلك؟» قالت: هذه اليهودية لا تصنع إليها شيئًا من المعروف إلا قالت: وقاك الله عذاب القبر. قال: «كذبت يهود. وهم على الله أكذب، لا عذاب دون يوم



## ● الوقفات التدبيرية

﴿وَأَقْرَضَ أَمْرَتِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ ﴿٢٨٢﴾ فَوَقَّعَ اللَّهُ سَعْيَاتِ مَأْمُورٍ ﴿٢٨٢﴾  
 دليل على أن من فوض أمره إلى الله عز وجل كان الله معه. ابن جزي ٢٨٢/٢.

**السؤال: ما الذي يستفيد المسلم من هاتين الآيتين؟**

﴿ فَوَقَّهٖ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَّامَكُرُوا ﴾ (١)

أي: من إلحاق أنواع العذاب به، فطلبوه، فما وجدوه؛ لأنه فوض أمره إلى الله. القرطبي: ٣٦٣/١٨.

**السؤال: ما الذي آل إليه أمر مؤمن آل فرعون لما فوض أمره لله تعالى؟**

﴿وَحَاقَ بِثَالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾

وأما كان الفَرْق سوء عذاب، لأن الفريق يعذب باحتباس النفس ممدّة، وهو يطفو على الماء ويغوص فيه، ويُرعبه هول الأمواج وهو موقن بالهلاك، ثم يكون عُرصة أكل الحيتان حيًّا وميتًا، وذلك ألمٌ في الحياة، وخزيٌ بعد الممات، يُذكرون به بين الناس. ابن عسّار: ١٥٨/٢٤.

**السؤال: لماذا يعد التعبير عن الفرق سوء العذاب؟**

النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿١٠٠﴾

أرواحهم تعرض على النار صباحاً ومساءً إلى قيام الساعة، فإذا كان يوم القيامة اجتمعت أرواحهم وأجسادهم في النار، ولهذا قال: (ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) أي: أشد المأ، وأعظمه تكلياً، وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور؛ وهي قوله تعالى: (النار يعرضون عليها غدواً وعشياً). ابن كثير: ٨٣/٤.

**السؤال: كيف تستدل بهذه الآية على وجود عذاب القبر؟**

وَلَا يَتَحَابَّرُ فِي النَّارِ فَيَقُولُ أَضَعَعْتُكَ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا  
إِنَّا كُنَّا لَكُمْ بَعْدَ أَهْلِكُمْ مَغْنُومُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ ﴿٦٠﴾

وقول الضعفاء للكبراء هذا الكلام يحتمل أنه على حقيقته، فهو ناشيء عما اعتادوه من الجحار إليهم في مهمهم حين كانوا في الدنيا، فخالوا أنهم في الدنيا يتولون تدبير أمورهم في ذلك المكان، ولهذا أجاب الذين استكبروا بما يفيد أنهم اليوم سواء في العجز وعدم الحيلة، فقالوا: (إنا كل فيها) أي: لو أغنيانا عنكم لأغنيانا عن أنفسنا. ويحتمل أن قول الضعفاء ليس مستعملاً في حقيقة الحث على التخفيف عنهم، ولكنه مستعمل في التوبيخ، أي: كنتم تدعوننا إلى دين الشرك؛ فكانت عاقبة ذلك أنا صرنا في هذا العذاب، فهل تستطيعون الدفع عنا؟ ابن عاشور: ١٦١/٢٤.

العذاب، فهل تستطيعون الدفع عنا؟ ابن عاشور: ١٦١/٢٤.

**السؤال: وضع فائدة قول الضعفاء للكبراء هذا القول الوارد في الآية الكريمة؟**

﴿ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِذْ قَالَ اللَّهُ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴾

وفي هذه الآية عبرة لزعماء الأمم وقادتهم ... فإن كان إقدامهم ومغامرتهم بأنفسهم وامرهم على علم بعواقب ذلك كانوا أحرى بالإنذمة والخزي في الدنيا، ومضاعفة العذاب في الآخرة ... كما قال تعالى: (وأيحلمن الظالم وثقلاً مع الظالم) (العنكبوت: ١٣)، وإن كان قحمة أنفسهم في مضائق الزعامة عن جهل بعواقب قصورهم وتقصيرهم؛ فإنهم ملومون على عدم التوثق من كفاءتهم لتدبير الأمة، فيخطئوا بها خبط عشواء؛ حتى يزلوا بها، فيؤولوا بها من شواقي بعيدة. ابن عاشور: ١٦٣/٢٤.

**السؤال: اذكر عبرةً مستفادةً للقادة والزعماء من الآية الكريمة.**

﴿قَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا مِنَ الْعَذَابِ﴾<sup>١</sup>  
 ووجه إضافة (رَبِّ) إلى ضمير المخاطبين ضرب من الإغراء بالدعاء أي:  
 أنتم اقرب إلى استجابتي لكم، ولما طعنوهم أرجى للاستجابة: سألو  
 التخفيف يوماً من أزمته العذاب، وهو أنفع لهم من تخفيف قوة النار

الذی سألوه من مستکبر بهم. ابن عاشور: ۱۶۴/۲۴.

السؤال: ما فائدة إضافة كلمة (رب) إلى ضمير المخاطب: (ربكم)؟

الحزب  
٤٨

\* وَيَقَوْمٍ مَّالٍ أَذْغَوْكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ

﴿ تَدْعُونِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ  
عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفُورِ ﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا  
تَدْعُونِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ  
وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ  
﴿ فَسْتَذَكَّرْتُ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَوْفُسُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ  
إِنْ أَلَّهُ بَصِيرًا بِالْعِبَادِ ﴾ فَوَقَّهَ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا كُفَرُوا  
وَحَاقَ بِعَالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ  
عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ  
فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ وَلَا يَذَرُ حَاجُونَ فِي النَّارِ  
فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ  
تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُعْتَبَرُونَ عَنَّا فَيَكْفُرُونَ بِكُفْرَانٍ  
أَلْوَنٍ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا فِيهَا آلَ اللَّهِ قَدْ حَكَمَ  
بَيْنَ الْعِبَادِ ﴾ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ  
ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ﴿

5A3

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
لَا جَزَمَ	حَقًّا.
لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ	لَا يَسْتَحِقُّ الدُّعْوَةَ إِلَى عِبَادَتِهِ، وَلَا يُجَاوِزُ إِلَيْهِ؛ لِعِجْزِهِ.
وَأَفْوُضَ	أَمْتَصَمَ، وَأَلْجَأَ، وَأَتَوَكَّلَ.
وَحَاقَ	نَزَلَ، وَأَخَاطَدَ.
يَتَخَاجِرُونَ	يَتَخَاصَمُونَ.
مُغْفَنُونَ	دَافِعُونَ.

## ● العمل بالآيات

١. ادع مذنباً إلى التوبة، أو كافراً إلى الإسلام، وأظهر شفقتك وحرصك عليه، ﴿وَنَقُورَ مَا لِي أَدْعُوكُم إِلَى النُّجْوَى﴾.

٢. تَذَكَّرْ أَمْرًا أَهَمَّكَ، وَتَوَكَّلْ فِيهِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى؛ فَهُوَ حُسْبُكَ، ﴿وَأَقْرَضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ﴾ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١﴾.

٣. رز المقبرة، ثم استعد بالله من عذاب القبر، ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾.

## ● التوجيهات

١. استخدم الأسلوب الوعظي المؤثر في دعوتك إلى الله، ﴿وَقَوِّمَ مَا لَنَا  
أَدْعُوكُمْ إِلَى التَّجْوِدِ وَدَعَاكُمْ إِلَى النَّارِ﴾.

۲. نِعَمَ مَا خْتَمَ بِهِ مُؤْمِنَ آلِ فِرْعَوْنَ وَعِظُهُ وَنَصْحُهُ لِقَوْمِهِ، ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ﴾ وَأَفَرَأَيْتَ إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ۝

٣. الغبن الشديد لضعاف العقول؛ يقادون في الدنيا ويتبرأ منهم في الآخرة، وَإِذْ يَتَحَابَّرُونَ فِي الْآرَاءِ فِقُولَ الضَّعِيفِ مِنَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ نَبِيًّا

فَهَلْ أَنتُمْ مُعْتَبَرُونَ عَنَّا نَفِيبًا مِّنَ النَّارِ ﴿٤٠﴾

السؤال: لماذا قدم ذكر الأعمى على البصر مع أن الأشرف هو البصر؟

٤٧٣

۲. من قدر على خلق الشيء العظيم فهو أقدر على إحياء الضعيف،

أَمَّا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا نَوْمُ الْأَشْهَدِ أَي: يوم القيامة تكون النصره اعظم وأكبر وأجل. قال مجاهد: الأشهاد: الملائكة.

الآية (٥٠-٥٢): قوله: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذَرَتُهُمْ﴾ بدل من قوله: ﴿وَيَوْمَ يَوْمُ الْأَشْهَدِ﴾. ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ﴾ وهم المشركون ﴿مَعَذَرَتُهُمْ﴾ أي: لا يقبل منهم عذر ولا فدية، ﴿وَلَهُمُ النَّعْتُ﴾ أي: الإبعاد والطرود من الرحمة ﴿وَلَهُمْ سُوءُ النَّارِ﴾ وهي النار. قاله الشدي، بنسب المنزل والمقبل. وقال ابن عباس: أي: سوء العاقبة. ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهَدْيَ﴾ وهو ما بعثه الله به من الهدى والنور، ﴿وَأَوْزَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ﴾ أي: جعلنا لهم العاقبة، وأورثناهم بلاد فرعون وأمواله وحواصله وأرضه، بها صبروا على طاعة الله واتباع رسوله موسى عَلَيْهِ السَّلَام. وفي الكتاب الذي أورثوه - وهو التوراة - ﴿هُدًى وَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ وهي: العقول الصحيحة السليمة. قوله: ﴿فَاصْبِرْ﴾ أي: يا محمد ﴿لِمَا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾ أي: وعدناك أنا سنُعطي كلمتك، ونجعل العاقبة لك ولمن اتبعك، والله لا يخلف الميعاد. وهذا الذي أخبرناك به حق لا مرية فيه ولا شك. ﴿وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكَ﴾ هذا تيسير للأمة على الاستغفار ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَمِيِّ﴾ أي: في أواخر النهار وأوائل الليل ﴿وَالْإِنشَارِ﴾ وهي أوائل النهار وأواخر الليل.

الآية (٥٦): ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ يَقْسِرُونَ عَلَىٰ حُدُودِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ بِالْبَاطِلِ، وَيَرُدُّونَ الْحُجُجَ الصَّحِيحَةَ بِالشُّبُهَةِ الْفَاسِدَةِ بَلَا بَرَهَانَ وَلَا حُجَّةَ مِنَ اللَّهِ﴾ ﴿إِنَّ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرًا مَّاءً سَمِيمًا﴾ أي: ما في صدورهم إلا كبر على اتباع الحق، واحتقار لمن جاءهم به، وليس ما يرومونه من إخال الحق وإعلاء الباطل بحاصل لهم، بل الحق هو المرفوع، وقولهم وقصدهم هو الموضوع. ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ أي: من حال مثل هؤلاء ﴿إِنَّهُمْ هُمُ السَّيِّئُ الْبَاسِ﴾ أو: من شر مثل هؤلاء المجادلين في آيات الله بغير سلطان. هذا تفسير ابن جرير.

الآية (٥٧): يقول تعالى منبهاً على أنه يعيد الخلائق يوم القيامة، وأن ذلك سهل عليه، يسير لديه بأنه خلق السموات والأرض، وخلقها أكبر من خلق الناس بدءاً وإعادة، فمن قدر على ذلك فهو قادر على ما دونه بطريق الأولى والأخرى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾؛ فلماذا لا يتدبرون هذه الحجة ولا يتأملونها، كما كان كثير من العرب يعترفون بأن الله خلق السموات والأرض، وينكرون المعاد، استبعاداً وكفراً وعناداً، وقد اعترفوا بما هو أولى مما أنكروا.

الآية (٥٨): ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ لَا يَزِلُّونَ أَعْمَىٰ﴾ أي: كما لا يستوي الأعشى الذي لا يبصر شيئاً، والبصير الذي يرى ما انتهى إليه بصره، بل بينهما فرق عظيم، كذلك لا يستوي المؤمنون الأبرار والكفرة الفجار. ﴿وَلَا يَكْفُرُ مَنَّا نَذْكُرُوكَ﴾ أي: ما أقل ما يتذكر كثير من الناس.

الآية (٥٠): قالت لهم الخزنة رادين عليهم: ﴿قَالُوا أَوَلَمْ تَكُنْ تَأْتِيكُم رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي: أوما قامت عليكم الحجج في الدنيا على السنة الرسل؟! ﴿قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا﴾ أي: أنتم لأنفسكم، فنحن لا ندعو لكم ولا نسمع منكم ولا نود خلاصكم، ونحن منكم برآء، ثم نخبركم أنه سواء دعوتكم أو لم تدعوا لا يستجاب لكم ولا يخفف عنكم. ولهذا قالوا: ﴿وَمَا دَعَا الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ أي: إلا في ذهاب، لا يقبل ولا يستجاب.

الآية (٥١): أورد ابن جرير عند قوله: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ سؤالاً فقال: قد علم أن بعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قتلهم قومه بالكيفية؛ كحيى وزكريا وشعيا. ومنهم من خرج من بين أظهرهم إما مهاجرين كإبراهيم، وإما إلى النساء كعيسى، فأين النصر في الدنيا؟! ثم أجاب عن ذلك بجوابين: أحدهما: أن يكون الخبر خرج عاماً، والمراد به البعض؛ قال: وهذا سائغ في اللغة. الثاني: أن يكون المراد بالنصر الانتصار لهم من آذاهم، وسواء كان ذلك بحضورهم أو في غيبتهم أو بعد موتهم، كما فعل بقتله يحيى وزكريا وشعيا، سُلط عليهم من أعدائهم من أهانهم وسفك دماءهم، وقد ذكر أن النمرود أخذه الله أخذ عزيز مقتدر، وأما الذين راموا صلب المسيح عليه السلام من اليهود فسلط الله تعالى عليهم الروم فأهانوهم وأذلّوهم وأظْهروهم الله تعالى عليهم، ثم قبل يوم القيامة سينزل عيسى ابن مريم - عليه الصلاة والسلام - إماماً عادلاً وحكماً مقسطاً فيقتل المسيح الدجال وجنوده من اليهود، ويقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ويضع الجزية فلا يقبل إلا الإسلام؛ وهذه نصره عظيمة، وهذه سنة الله في خلقه في قديم الدهر وحديثه: أنه ينصر عباده المؤمنين في الدنيا، ويُقَرِّبُ أعينهم من آذاهم؛ ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يقول الله تعالى: من عادى لي ولياً فقد بارزني بالحرب»؛ ولهذا أهلك تعالى قوم نوح و[عاداً] وثمود، وأصحاب الرس، وقوم لوط، وأهل مدین، وأشباههم وأضرابهم، ممن كذب الرسل وخالف الحق، وأنجى الله من بينهم المؤمنين، فلم يهلك منهم أحداً، وعذب الكافرين، فلم يفلت منهم أحداً. وهكذا نصر الله سبحانه نبيه محمداً ﷺ وأصحابه على من خالفه وناواه، وكذب وعاداه، فجعل كلمته هي العليا، ودينه هو الظاهر على سائر الأديان. وأمره بالهجرة من بين ظهرائي قومه إلى المدينة النبوية، وجعل له فيها أنصاراً وأعواناً، ثم منحه أكتاف المشركين يوم بدر، فنصره عليهم وخنلهم له، وقتل صناديدهم، وأسر سرائرهم، فاستأنهم مُقَرَّبِينَ في الأصفاد، ثم مَنَّ عليهم بأخذه الفداء منهم، ثم بعد مدة قرية فتح عليه مكة، فقرَّت عينه ببلده، وهو البلد المحرم الحرام المشرف المعظم، فأثَّقه الله به بما كان فيه من الشرك والكفر، وفتح له اليمن، ودانت له جزيرة العرب بكاملها، ودخل الناس في دين الله أفواجا. ثم قبضه الله تعالى إليه لما له عنده من الكرامة العظيمة، فأقام الله أصحابه خلفاء بعده، فبلغوا عنه دين الله، ودعوا عباد الله إلى الله. وفتحوا البلاد والرساتيق والأقاليم والمدائن والقرى والقلوب، حتى انتشرت الدعوة المحمدية في مشارق الأرض ومغاربها. ثم لا يزال هذا الدين قائماً منصوراً ظاهراً إلى قيام الساعة؛ ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ



الآية (٦٦): ﴿قُلْ إِنِّي مُهَيَّجٌ أَنْ أَعْبُدَ إِلَهُكَ تُدْعَوْنَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنَا جَاءَ الْكَافِرِينَ مِنْ رَبِّي وَأَمَرْتُ أَنْ أُسْلِمَ رَبِّي الْفَتَكَيْنِ﴾ يقول تعالى: قل يا محمد هؤلاء المشركين: إن الله ينهى أن يُعْبَدَ أحد سواه؛ من الأصنام والأنثاد والأوثان.



## ● الوقفات التدريبية

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾

(يستكبرون عن عبادتي) بمعنى: يستكبرون عن الرغبة إليّ؛ كما قال ﷺ: (من لم يسأل الله فيضبط عليه)، وأما قوله ﷻ: (الدعاء هو العيادة) فمعناه أن الدعاء والرغبة إلى الله هي العيادة؛ لأن الدعاء يظهر فيه افتقار العبد وتضرعه إلى الله. ابن جزي: ٢٨٤/٢.

السؤال: كيف نستدل بهذه الآية على أن الدعاء هو العيادة؟

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾

كان سفيان الثوري يقول: «يا من أحب عباده إليه من سألته فأكثر سؤاله، ويا من أبغض عباده إليه من لم يسأله، وليس أحد كذلك غيرك يا رب»، وفي هذا المعنى يقول الشاعر: الله فيضبط إن تركت سؤاله وبني آدم حين يسأل فيغضب. ابن كثير: ٨٧/٤.

السؤال: فارق بين سؤالك الله وسؤالك الناس.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾

أي: دليلين حقيرين: يجتمع عليهم العذاب والإهانة؛ جزاء على استكبارهم. السعدي: ٧٤١.

السؤال: تحدث عن قاعدة «الجزاء من جنس العمل» في ضوء هذه الآية.

﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً ﴾

ولما كان المقصود الأول من هذه الآية الامتنان -كما دل عليه قوله: (لكم)- فقدمت الأرض على السماء؛ لأن الانتفاع بها محسوس، وذكرتم السماء بعدها كما يستحضر الشيء بضده. ابن عاشور: ١٨٩/٢٤.

السؤال: لماذا قدمت الأرض على السماء في الآية الكريمة؟

﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ ﴾

قال مقاتل: خلقكم فأحسن خلقكم، قال ابن عباس: خلق ابن آدم قائماً معتدلاً يأكل ويتناول بيده، وغير ابن آدم يتناول بفيه. البغوي: ٥٢/٤.

السؤال: بين ميزة خلقه ابن آدم على غيره من المخلوقات.

﴿ وَرَزَقَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ ﴾

يعني: المستلذات؛ لأنه جاء ذكر الطيبات في معرض الإنعام، فيراد به المستلذات، وإذا جاء في معرض التحليل والتحريم فيراد به الحلال والحرام. ابن جزي: ٢٨٤/٢.

السؤال: ورود لفظ (الطيبات) في القرآن يأتي على معنيين، اذكرهما مع التوضيح.

﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

أذل وأخضع لرب العالمين. القرطبي: ٣٧٨/١٨.

السؤال: كيف يتحقق الإسلام لله تعالى؟

إِنَّ السَّاعَةَ لَأَيُّمَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١﴾ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٢﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَيْلَ لَتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣﴾ ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَإِنْ تَوَدَّعُونَ كَذَلِكَ يُوَفِّكُمُ اللَّهُ الْيُسْرَى كَأَنْتُمْ أَقْبَابُتُ اللَّهُ يَتَجَدَّدُونَ ﴿٤﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥﴾ هُوَ الَّذِي لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ قُلْ إِنِّي نُبَشِّرُكُمْ أَنْ أَغْبِيَنَّ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَنَأْجِيَنَّهُنَّ الْيُسْرَى مِنْ رَبِّي وَأَمُرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
لَا رَيْبَ فِيهَا	لَا شَكَّ فِيهَا.
دَاخِرِينَ	صَاحِرِينَ، حَقِيرِينَ.
لَتَسْكُنُوا	لَتَرْتَاحُوا.
مُبْصِرًا	مُضِيًّا.
فَأَنِّي تُوفِّكُون	كَيْفَ تُصَرِّفُون عَنِ الْإِيمَانِ بِهِ؟
يُوَفِّكُم	يُصَرِّفُ.

## ● العمل بالآيات

- أكثر اليوم من الدعاء حتى لا تكون من المستكبرين عن عبادة الله، ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾.
- أعمل اليوم عملاً تظهر فيه الذل لربك، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾.
- ثم هذه الليلة مبكرة، واستيقظ مبكراً حتى تكون موافقاً للطبيعة والبطرة التي خلقك الله عليها، ﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَيْلَ لَتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ﴾.

## ● التوجيهات

- بيان إنعام الله وإفضاله، والمطالبة بشكر الله تعالى، ﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَيْلَ لَتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾.
- الساعة قريبة ماذا أعدت لها؟ ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ لَأَيُّمَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.
- أخلص لله تعالى في جميع عملك، ﴿ هُوَ الَّذِي لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾.



## ● الوقفات التدريبية

١ ﴿إِذْ الْأَغْلُلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلْسِلُ يُسْحَبُونَ﴾

قال الحسن بن أبي الحسن: لم تجعل السلاسل في أعناق أهل النار لأنهم أعجزوا الربا لكن لترسيبهم إذا أطفأهم اللهيب. ابن عطية: ٥٦٩/٤.

السؤال: لم جعلت السلاسل في أعناق أهل النار؟

٢ ﴿فِي التَّيْمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾

هذا من قولك: «سجرت التتور» إذا ملأته بالنار؛ فالمعنى: أنهم يدخلون فيها كما يدخل الحطب في التتور، ولذلك قال مجاهد في تفسيره: توقد بهم النار. ابن جزي: ٢٨٥/٢.

السؤال: كيف نستدل بهذه الآيات على خطورة الجدل في آيات الله بغير علم؟

٣ ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَنْ مَّا كُنْتُمْ تَشْرِكُونَ﴾ (٣١) مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا هَلْ عَلَّمْنَا بَلْ لَمْ تَكُنْ تَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ﴾

(ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون) بعبادتك إياها من دون الله من آلهتكم وأوثانكم حتى يغيبوكم؛ فينقذوكم مما أنتم فيه من البلاء والعذاب؛ فإن المعبود يغيب من عبده وخدمه. وإنما يقال هذا لهم توبيخا وتقريبا على ما كان منهم في الدنيا. الطبري: ٤١٦/٢١.

السؤال: ما الغاية من سؤال المشركين عن آلهتهم وهم يواجهون العذاب؟

٤ ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَنْ مَّا كُنْتُمْ تَشْرِكُونَ﴾

والاستفهام هنا مستعمل في التنبيه على الغلط والفضيحة في الموقف؛ فإنهم كانوا يزعمون أنهم يعبدون الأصنام ليكونوا شفعاء لهم من غضب الله، فلما حق عليهم العذاب فلم يجدوا شفعاء ذكروا بما كانوا يزعمونه، ف قيل لهم: (أين ما كنتم تشركون). ابن عاشور: ٢٠٤/٢٤.

السؤال: ما فائدة الاستفهام في الآية الكريمة؟

٥ ﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ فِي الْأَرْضِ بِمَيْرِ لَقِيٍّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ ذَلِكُمْ الْعَذَابُ بِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ بِالْمَعَاصِي؛ يُقَالُ لَهُمْ ذَلِكَ تَوْبِيخًا؛ أَي: إِنَّمَا نَالَكُمْ هَذَا بِمَا كُنْتُمْ تَطْهَرُونَ فِي الدُّنْيَا مِنَ السُّرُورِ بِالْمَعْصِيَةِ، وَكَثْرَةِ الْمَالِ وَالْإِتْبَاعِ وَالصَّحَّةِ الْقَرطبي: ٢٨٣/١٨.

السؤال: ما سبب نزول العقوبة بهم؟ وما العبرة لنا في ذلك؟

٦ ﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ فِي الْأَرْضِ بِمَيْرِ لَقِيٍّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ أَي: تَمْرَحُونَ بِالْبَاطِلِ الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ، وَهَذَا هُوَ الْفَرْحُ الْمَذْمُومُ الْمَوْجِبُ لِلْعِقَابِ، بِخِلَافِ الْفَرْحِ الْمَدْحُودِ الَّذِي قَالَ اللَّهُ فِيهِ: (قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا) (يونس: ٥٨)، وَهُوَ الْفَرْحُ بِالْعِلْمِ النَّافِعِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ. السعدي: ٧٤٣.

السؤال: ما الفرح المدحوق؟ وما الفرح المذموم؟

٧ ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَكَفَا تَرْيَاكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ تَوَفِّيَكَ﴾ فَإِنَّا نَرْجِعُونَ﴾

إن أريانا بعض الذي نعدهم من العذاب قرأت عينك بذلك، وإن توفيناك قبل ذلك فإلينا يرجعون، فنتنقم منهم أشد الانتقام. ابن جزي: ٢٨٦/٢.

السؤال: في قوله: (فإما نرينك) تسليمة للنبي ﷺ، بين ذلك.

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُفُثَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لِيَكَوُنُوا شُيُوعًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قُضِيَ أَمْرُ أَهْلِ لَنَا يَفْعَلُ لَهُمْ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٣٣﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ قَدْ أَخَذُوا مِنَ اللَّهِ عَهْدًا ثُمَّ يَبْغُونَ مِنْهُ مُبْدِلُونَ ﴿٣٤﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ كَذَبُوا بِآلِهَتِهِمْ وَبِمَا أُرْسَلُوا بِهِمْ رُسُلًا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣٥﴾ إِذْ الْأَغْلُلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلْسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٣٦﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَنْتُمْ مَّا كُنْتُمْ تَشْرِكُونَ ﴿٣٨﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا هَلْ عَلَّمْنَا بَلْ لَمْ تَكُنْ تَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٣٩﴾ ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِمَيْرِ لَقِيٍّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٤٠﴾ أَذْخَلُوا أَزْوَاجَهُمْ خِلَافَ مَا كُنْتُمْ تَمْنَوْنَ أَلَمْ تَكْفُرُوا بِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٤١﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلِإِنَّ رَبَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ تَوَفِّيَكَ﴾ فَإِنَّا نَرْجِعُونَ ﴿٤٢﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
عَلَقَةٍ	الدَّمُ الْغَلِيظُ: الْمُتَعَلِّقُ بِجِدَارِ الرَّجَمِ، وَهُوَ أَحَدُ أَطْوَارِ الْجَنِينِ.
لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ	لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ، لِيَتَّكَمَلَ قُوَّتُكُمْ.
أَتَى يُصْرَفُونَ	كَيْفَ يَعْبُدُونَ عَنْهَا مَعَ صِحَّتِهَا؟
يُسْجَرُونَ	يُوقَدُ عَلَيْهِمْ.
ضَلُّوا عَنَّا	غَابُوا عَنْ عِيُونِنَا.
تَمْرَحُونَ	تَتَوَسَّعُونَ فِي الْفَرْحِ أَشْرًا وَبَطْرًا.
مَتَوًى	مَأْوًى، وَمَسْكَنٌ.

## ● العمل بالآيات

- استعد بالله أن ترد إلى أرذل العمر، ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِيَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لِيَكَوُنُوا شُيُوعًا﴾.
- اقرأ قصص الأنبياء من صحيح مسلم، ﴿الَّذِينَ كَذَبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أُرْسِلْنَا بِهِمْ رُسُلًا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾.
- تأمل رجلاً غافلاً أبليى يعمل فاسد؛ وهو يفرح به، واحمد الله على أن عافاك من ذلك، ﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ فِي الْأَرْضِ بِمَيْرِ لَقِيٍّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾.

## ● التوجيهات

- سوء حشر المجادلين لإبطال الحق، ﴿إِذْ الْأَغْلُلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلْسِلُ يُسْحَبُونَ﴾.
- إذا انتشر في البلد الفرح بالباطل؛ فهنا يخشى من العقوبة، ﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ فِي الْأَرْضِ بِمَيْرِ لَقِيٍّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾.
- اصبر عن معاصي الله، وعلى طاعة الله، وعلى أقدار الله؛ فالفرح قريب، ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾.

كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ يَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبُّنَا مَا كَانَ لِمُشْرِكِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الأنعام: ٢٣]؛ ولهذا قال: ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ﴾.

الآية (٧٥-٧٦): قوله: ﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ﴾ في الأرضِ بِعِثَرِ اللَّحْيِ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ أي: تقول لهم الملائكة: هذا الذي أنتم فيه جزاء على فرحكم في الدنيا بغير الحق، ومرحكم وأشركم وبطركم. ﴿أَدْخَلُوا الْوَيْلَ جَهَنَّمَ خَلِيلِينَ فِيهَا فَلَيْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ أي: فيس المُنزَلُ والمُقِيلُ الذي فيه الهوان والعذاب الشديد، لمن استكبر عن آيات الله، واتباع دلائله وحُججه.

الآية (٧٧): يقول تعالى أمراً رسولهُ ﷺ بالصبر على تكذيب من كذبه من قومه؛ فإن الله سينجز لك ما وعدك من النصر والظفر على قومك، وجعل العاقبة لك ولن اتبعك في الدنيا والآخرة، ﴿فَكَيْفَ تَتَذَكَّرُ بَعْضَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ أي: في الدنيا، وكذلك وقع؛ فإن الله أقر أعينهم من كُبرائهم وعظماهم؛ أبعاداً في يوم بدر. ثم فتح الله عليه مكة وسائر جزيرة العرب في أيام حياته ﷺ. وقوله: ﴿أَوْ تَتَوَقَّعُتَ الْآيَاتِنَا يَرْجِعُونَ﴾ أي: فنذيقهم العذاب الشديد في الآخرة.

الآية (٦٧): بَيَّنَّ تعالى أنه لا يستحق العبادة أحد سواه في قوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ رَأْسٍ ثُمَّ يَرْجِعُكُمْ فِي غِلَقٍ ثُمَّ يَخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوعًا﴾ أي: هو الذي يخلقكم في هذه الأطوار كلها وحده لا شريك له، وعن أمره وتديره وتقديره يكون ذلك كله.

﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَقَّعُ مِنْ قَبْلِ﴾ أي: من قبل أن يوجد ويخرج إلى هذا العالم، بل تسقطه أمه سقطاً، ومنهم من يتوفى صغيراً، وشاباً، وكهلاً قبل الشيخوخة؛ كقوله: ﴿لِيُخَبِّرَنَّ لَكُمْ وَيُفَعِّرَنَّ فِي الْأَرْصَادِ مَا نَشَاءُ إِنَّكَ أَجَلٌ مُسَمًّى﴾ [الحج: ٥] وقال ههنا: ﴿وَلِتَبْلُغُوا أَجَلَ مَسْمُوعٍ وَلِتَمْلِكُنَّ تَعْقِلُونَ﴾ قال ابن جريج: تذكرون البعث.

الآية (٦٨): قال: ﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ أي: هو المتفرد بذلك، لا يقدر على ذلك أحد سواه، ﴿فَإِذَا قُضِيَ أَمْرُكَ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ أي: لا يخالف ولا يمانع، بل ما شاء كان.

الآية (٦٩-٧٠): يقول تعالى: ألا تعجب يا محمد من هؤلاء المكذبين بآيات الله، ويمجادلون في الحق والباطل، كيف تُصرف عقولهم عن الهدى إلى الضلال، ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا﴾ أي: من الهدى والبيان، ﴿فَسَوْفَ يَمْلِكُونَ﴾ هذا تهديد شديد، ووعيد أكيد، من الرب جلَّ جلاله هؤلاء؛ كما قال تعالى: ﴿وَبَلِّغْ بِرُوحِكَ الشَّكْرَ لِلَّذِينَ﴾ [المرسلات: ١٥].

الآية (٧١-٧٢): قوله: ﴿إِذَا الْأَغْطَالُ فِي أَغْطِهِمْ وَأَسْلَسِلُ﴾ أي: متصلة بالأغلال بأيدي الزبانية يسحبونهم على وجوههم، تارة إلى الحميم وتارة إلى الحميم؛ ولهذا قال: ﴿يُسْحَبُونَ﴾ (٧١) في التَّحْيِيرِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ كما قال: ﴿مَذْهَبَهُمُ النَّارُ يَكْبُثُ بِهَا النَّجْمُونَ﴾ (٧٢) ﴿يَطْمُونُ بَيْنَ يَدَيْنِ حَمِيمٍ دَانٍ﴾ [الرحمن: ٤٣-٤٤]. وقال بعد ذكره أكلهم الزقوم وشربهم الحميم: ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْحَمِيمِ﴾ [الصافات: ٦٨] وقال: ﴿وَأَحْصَى الشَّيَاطِينَ مَا أَحْصَى الشَّيَاطِينَ﴾ (٧١) في سُورِهِ وَحَمِيمٍ (٧٢) وَطَلِيلِينَ يَصْنُورُ (٧٢) لَا بَارِدَ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٧٣﴾ إِلَى أَنْ قَالَ: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ إِنَّمَا أَنْتُمُ الْمَكْذُوبُونَ﴾ (٧٣) لَا كَلِمَةَ مِنْ شَجَرَيْنِ زَقُومٍ (٧٣) قَالُوا وَمَا الْبَطُونُ (٧٣) فَتَرَى مِنْ لَيْسٍ (٧٣) فَتَرَى مِنْ شَرْبِ اللَّيْلِ (٧٣) هَذَا تَرْتُلُّ يَوْمَ الْيَوْمِ (٧٣) [الواقعة: ٤١-٥٦]. وقال: ﴿إِنَّ شَجَرَتِ الزَّقُومِ (٧٣) طَعَامُ الْأَكْبَرِ (٧٣) كَالْمُهَلِ يَغْلِي فِي الْبَطُونِ (٧٣) كَغَلِي الْحَمِيمِ (٧٣) خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْحَمِيمِ (٧٣) ثُمَّ خَبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ (٧٣) ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ (٧٣) إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكْفَرُونَ﴾ [الدخان: ٤٣-٥٠]. أي: قال لهم ذلك على وجه التقرير والتوبيخ، والتحقير والتصغير، والتهمك والاستهزاء بهم.

الآية (٧٣-٧٤): قوله: ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَنْتُمْ مَكْذُوبُونَ﴾ (٧٣) مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴿٧٤﴾ أي: قيل لهم: أين الأصنام التي كنتم تعبدونها من دون الله؟! هل ينصرونكم اليوم؟! ﴿قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا﴾ أي: ذهبوا فلم ينفعونا، ﴿بَلْ لَمْ تَكُنْ تَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا﴾ أي: جحدوا عبادتهم؛

الآية (٧٨): ثم قال مسلماً له: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ كما قال في «سورة النساء» سواء<sup>(١)</sup>؛ أي: منهم من أوحينا إليك خبرهم وقصصهم مع قومهم كيف كذبوهم ثم كانت للرسل العاقبة والنصرة، ﴿وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ وهم أكثر من ذكر بأضعاف أضعاف. وقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِرُسُلِي أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أي: ولم يكن لواحد من الرسل أن يأتي قومه بخارق للعادات إلا أن يأذن الله له في ذلك، فيدل ذلك على صدقه فيما جاءهم به. ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ وهو عذابه ونكاله المحيط بالمكذبين ﴿فَقُضِيَ بِالْحَقِّ﴾ فينجو المؤمنون، ويهلك الكافرون؛ ولهذا قال: ﴿وَحَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾.

الآية (٧٩-٨٠): يقول تعالى ممتناً على عباده بما خلق لهم من الأنعام، وهي الإبل والبقر والغنم، ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمٍ يَكُونُ فِيهِ الْأَنْعَامُ حَبْشَتًا يُغْتَنَبُونَ فِيهَا مِنَ الْأَمْثَالِ فِي الْأَسْوَاقِ وَالرِّحَالِ إِلَى الْبِلَادِ نَائِيَةً، وَالْأَقْطَارُ الشَّاسِعَةُ. وَالْبَقَرُ تَوَكَّلَ، وَيُشْرَبُ لَبْنَهَا، وَتُحْرَثُ عَلَيْهَا الْأَرْضُ. وَالْغَنَمُ تَوَكَّلَ، وَيُشْرَبُ لَبْنَهَا. وَالْجَمِيعُ تُجَزَّى أَصَوَافُهَا وَأَشْعَارُهَا وَأَوْبَارُهَا، فَيُتَّخَذُ مِنْهَا الْأَثَاثُ وَالثِّيَابُ وَالْأَمْتَعَةُ، وَهَذَا قَالَ ههنا: ﴿لَتَرْكَبُوا مِنْهَا وَيَنْتَهِا تَأْكُلُونَ﴾<sup>(٢)</sup> وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلَسَبَغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِهِمْ وَعَلَيْهَا وَكَلِ الْقَلْبُكَ تُحْمَلُونَ﴾.

الآية (٨١): قوله: ﴿وَتَرِيكَمْ ءَايَتِهِ﴾ أي: حُججه وبراهينه في الأفاق وفي أنفسكم، ﴿فَأَيَّ ءَايَتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ؟﴾ أي: لا تقدرون على إنكار شيء من آياته، إلا أن تعاندوا وتكابروا.

الآية (٨٢-٨٣): يخبر تعالى عن الأمم المكذبة بالرسول في قديم الدهر، وماذا حل بهم من العذاب الشديد، مع شدة قواهم، وما أنروه في الأرض، وجموعه من الأموال، فما أغنى عنهم ذلك شيئاً، ولا رد عنهم ذرة من بأس الله؛ وذلك لأنهم لما جاءهم الرسل بالبينات، والحجج القاطعات، والبراهين الدامغات، لم يلتفتوا إليهم، ولا أقبلوا عليهم، واستغنوا بما عندهم من العلم في زعمهم عما جاءهم به الرسل.

قال مجاهد: قالوا: نحن أعلم منهم، لن نبعث ولن نُعَذَّب. وقال الشدي: فرحوا بما عندهم من العلم بجهالتهم، فأناهم من بأس الله ما لا يقبل لهم به.

﴿وَحَاقَ بِهِمْ﴾ أي: أحاط بهم ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ أي: يكذبون ويستبعدون وقوعه.

الآية (٨٤): ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَ اللَّهِ﴾ أي: عاينوا وقوع العذاب بهم، ﴿قَالُوا ءَأَمَّنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾ أي: وحدوا

الله وكفروا بالطاغوت، ولكن حيث لا تُقال العثرات، ولا تنفع الملعنة. وهذا كما قال فرعون حين أدركه الغرق: ﴿ءَأَمَّنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَّنْتُ بِهِ، بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠]، قال الله تعالى: ﴿ءَاكْفَرْنَا وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٩١] أي: فلم يقبل الله منه؛ لأنه قد استجاب لنبيه موسى دعاءه عليه حين قال: ﴿وَأَشَدُّ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٨٨].

الآية (٨٥): قال: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَ اللَّهِ سَبَّحُوا لِلَّهِ أَلْحَى قَدْ خَلَّتْ فِي عِبَادِهِ﴾ أي: هذا حكم الله في جميع من تاب عند معاناة العذاب: أنه لا يقبل؛ ولهذا جاء في الحديث: «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر» [رواه الترمذي وابن ماجه، وحسنه الألباني] أي: فإذا غرغر وبلغت الروح الخنجر، وعاین الملك، فلا توبة حينئذ؛ ولهذا قال: ﴿وَحَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾.

الآية (٨٦): قوله: ﴿وَتَرِيكَمْ ءَايَتِهِ﴾ أي: حُججه وبراهينه في الأفاق وفي أنفسكم، ﴿فَأَيَّ ءَايَتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ؟﴾ أي: لا تقدرون على إنكار شيء من آياته، إلا أن تعاندوا وتكابروا.

الآية (٨٧-٨٨): يخبر تعالى عن الأمم المكذبة بالرسول في قديم الدهر، وماذا حل بهم من العذاب الشديد، مع شدة قواهم، وما أنروه في الأرض، وجموعه من الأموال، فما أغنى عنهم ذلك شيئاً، ولا رد عنهم ذرة من بأس الله؛ وذلك لأنهم لما جاءهم الرسل بالبينات، والحجج القاطعات، والبراهين الدامغات، لم يلتفتوا إليهم، ولا أقبلوا عليهم، واستغنوا بما عندهم من العلم في زعمهم عما جاءهم به الرسل.

قال مجاهد: قالوا: نحن أعلم منهم، لن نبعث ولن نُعَذَّب. وقال الشدي: فرحوا بما عندهم من العلم بجهالتهم، فأناهم من بأس الله ما لا يقبل لهم به.

﴿وَحَاقَ بِهِمْ﴾ أي: أحاط بهم ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ أي: يكذبون ويستبعدون وقوعه.

الآية (٨٩): ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَ اللَّهِ﴾ أي: عاينوا وقوع العذاب بهم، ﴿قَالُوا ءَأَمَّنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾ أي: وحدوا

الله وكفروا بالطاغوت، ولكن حيث لا تُقال العثرات، ولا تنفع الملعنة. وهذا كما قال فرعون حين أدركه الغرق: ﴿ءَأَمَّنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَّنْتُ بِهِ، بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠]، قال الله تعالى: ﴿ءَاكْفَرْنَا وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٩١] أي: فلم يقبل الله منه؛ لأنه قد استجاب لنبيه موسى دعاءه عليه حين قال: ﴿وَأَشَدُّ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٨٨].

الآية (٨٥): قال: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَ اللَّهِ سَبَّحُوا لِلَّهِ أَلْحَى قَدْ خَلَّتْ فِي عِبَادِهِ﴾ أي: هذا حكم الله في جميع من تاب عند معاناة العذاب: أنه لا يقبل؛ ولهذا جاء في الحديث: «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر» [رواه الترمذي وابن ماجه، وحسنه الألباني] أي: فإذا غرغر وبلغت الروح الخنجر، وعاین الملك، فلا توبة حينئذ؛ ولهذا قال: ﴿وَحَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾.

الآية (٨٦): قوله: ﴿وَتَرِيكَمْ ءَايَتِهِ﴾ أي: حُججه وبراهينه في الأفاق وفي أنفسكم، ﴿فَأَيَّ ءَايَتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ؟﴾ أي: لا تقدرون على إنكار شيء من آياته، إلا أن تعاندوا وتكابروا.

الآية (٨٧-٨٨): يخبر تعالى عن الأمم المكذبة بالرسول في قديم الدهر، وماذا حل بهم من العذاب الشديد، مع شدة قواهم، وما أنروه في الأرض، وجموعه من الأموال، فما أغنى عنهم ذلك شيئاً، ولا رد عنهم ذرة من بأس الله؛ وذلك لأنهم لما جاءهم الرسل بالبينات، والحجج القاطعات، والبراهين الدامغات، لم يلتفتوا إليهم، ولا أقبلوا عليهم، واستغنوا بما عندهم من العلم في زعمهم عما جاءهم به الرسل.

قال مجاهد: قالوا: نحن أعلم منهم، لن نبعث ولن نُعَذَّب. وقال الشدي: فرحوا بما عندهم من العلم بجهالتهم، فأناهم من بأس الله ما لا يقبل لهم به.

﴿وَحَاقَ بِهِمْ﴾ أي: أحاط بهم ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ أي: يكذبون ويستبعدون وقوعه.

الآية (٨٩): ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَ اللَّهِ﴾ أي: عاينوا وقوع العذاب بهم، ﴿قَالُوا ءَأَمَّنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾ أي: وحدوا

(١) يعني قوله تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء: ١٦٤]. الجزء السادس، صفحة: ١٠٤.



## ● الوقفات التدبيرية

﴿ ۱ ﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفَلَكِ تَحمَلُونَ ﴿

وفاخلفانصاف في هذه الآية أريد بها ما قابل منافع أكل لحومها في قوله: (ومنهما تأكلون)؛ مثل: الانتفاع بأوبارها، وأبنائها، وأمانتها، وأعواضها في الديّات والمهور، وكذلك الانتفاع بجلودها باتخاذها قباباً وغيرها، وكذلك الانتفاع بجمال مرأها في العيون في المسرح والمراح. ابن عاشور: ٢٤/٢١٥-٢١٦.

السؤال: اذكر بعض المنافع المندرجة ضمن قوله تعالى: (ولكم فيها منافع).

﴿ أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾  
(هينظروا) نظر فكر واستدلال، لا نظر غفلة وإهمال. السعدي: ٧٤٤.

السؤال: متى يكون المرور على آثار الأقوام الذين أهلكهم الله مفيداً؟ ومتى يكون مضرًا؟

﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ ﴾  
وهذا عام لجميع العلوم التي نوقض بها ما جاءت به الرسل، ومن أحقها

بالدخول في هذا: علوم: الفلسفة، والمنطق اليوناني، الذي رُدَّت به كثير من آيات القرآن، ونقصت قدره من القلوب، وجعلت أدلته اليقينية

القاطعة أدلة لفظية لا تفيد شيئاً من اليقين، ويقدم عليها عقول  
 أهل السفة والباطل، وهذا من أعظم الإلحاد في آيات الله والمعارضة لها

والمناقضة السعدي: ٧٤٤.

**السؤال : متى تكون بعض العلوم مذمومة؟ تحدث عن ذلك في ضوء الآية.**

﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ ﴾

الضمير يعود على الأمم الكاذبين، وفي تفسير علمهم وجوه: أحدها: أنه ما كانوا يعتقدون من أنهم لا يبعثون ولا يحاسبون، والثاني: أنه

علمهم بمنافع الدنيا ووجوه كسبها، والثالث: أنه علم الفلاسفة الذين يحتقرون علوم الشرائع. ابن جزي/٢/٢٨٦.

السؤال: في هذه الآية دليل على أن من العلم ما يكون وبالأعلى صاحبه، اذكر أمثلة على ذلك.

﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ ﴾

سَمِي ذَلِكَ عِلْمًا عَلَى مَا يَدْعُوهُ وَيَزْعُمُونَهُ، وَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ جَهْلٌ.  
القرطبي: ٥٥/١٨.

السؤال: هل يسمى ما عند هؤلاء المكذبين علماء؟

﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَاسَنَا قَالُوا أَمَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴾  
 حكى حالة بعضهم ممن آمن بعد تلبس العذاب بهم، فلم ينفعهم ذلك.

وفي ذكر هذا حض للعرب على المبادرة، وتخويف من الثاني؛ لئلا يندرهم عذاب لا تنفعهم توبة بعد تلبسه بهم. ابن عطية: ٥٧٢/٤.

السؤال: ما الفائدة من إخبار قريش بعدم نفع إيمان من قبلهم بعد تلبس

العذاب بهم؟ ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَاسًا سَتَّ اللَّهُ آلِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ﴾

أي: سن الله عز وجل في الكفار أنه لا ينفعهم الإيمان إذا رأوا العذاب... وأن النبوة لا تقبل بعد رؤية العذاب وحصول العلم الضروري. القرطبي: ٣٨٦/١٨.

السؤال: اذكر سنة من سنن الله تعالى في خلقه ذكرتها هذه الآية.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَّن قَضَصْنَا عَلَيْكَ  
وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْضُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرُسُلِنَا أَنْ يَأْتِيَهُ  
بِعِبَادَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنْ لَّدُنْهُ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ  
هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٤﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْفُسَ  
لِتَرَوْهَا مُتَبَوِّئَاتٍ لِّمَوَاقِعِهَا تَأْتِي لَوْنٌ ﴿٣٥﴾ وَلَكُمُ فِيهَا مَتَاعٌ  
وَلِتَبْتَغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى  
الْأَفْئِدَةِ تَحْمَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَبَرَكَةٌ لِّكُمْ فِيهَا وَمِنْهَا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ  
شَكَرُوا ﴿٣٧﴾ أَفَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي الْأَرْضِ قَبْتَظُوا كَيْفَ  
كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرُ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ  
قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَعْنَى عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ  
﴿٣٨﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِّنَ  
الْعَالَمِ وَخَافُوا بِهِمْ مَّا كَانُوا بِهِمْ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَمَّا رَأَوْا  
بِأَسْنَانًا قَالُوا أَمْ آتَانَا بِاللَّهِ وَخَدَّاهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ  
مُشْرِكِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمْ يَكُ يَفْعَلُهُمْ إِلَّا مَنُورًا نَّارًا رَّا بِأَسْنَانًا سُدَّتْ  
أَنَّهُ أَلْهَىٰ قَدْ خَلَّتْ فِي عِبَادَتِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٤١﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
قُضِيَ بِالْحَقِّ	حُكِمَ بِالْعَدْلِ بَيْنَ الرُّسُلِ، وَمُكَدِّبِهِمْ.
حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ	أَمْرًا ذَا بَالٍ تَهْتَمُونَ بِهِ.
فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ	فَمَا دَفَعَ عَنْهُمْ.
وَحَاقَ	نَزَلَ وَأَحَاطَ.
بِأَسْنَا	عَذَابُنَا.
خَلَّتْ	مَضَتْ.

## ● العمل بالآيات

١. قُصْ عَلَى زَمَلَانِكَ أَوْ إِخْوَانِكَ قِصَّةَ مَنْ قِصَصَ الْقُرْآنَ، ﴿وَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾.

٢. الحمد لله تعالى، واشكره على ما سخر من الانتفاع المتنوع من السواب، ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْفُسَ لَتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾.

٢. تأمل صور آثار الأرواح الذين أهلكهم الله، ثم استغفر الله على تقصيرك وذنوبك؛ لئلا يصيبك ما أصابهم، ﴿أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ

## ● التوجيهات

١. الاعتاض والاعتبار بما قص الله تعالى من اخبار الرسل، ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾.

٢. اعلم أن مآل الباطل إلى خسار مهما اشتهر واعجب به الناس، ﴿وَحَسِرُ هَوَٰلِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾.

٣. الدين الصحيح يبنى على الوحي الصحيح، لا على البدع والخرافات، ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْكَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَخَافَ بِهِمْ مَا كَانُوا



## ● الوقفات التحديرية

﴿ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

من اعظم رحمته واجلها: انزال هذا الكتاب الذي حصل به من العلم والهدى والنور والشفاء والرحمة والخير الكثير ما هو من اجل نعمه على العباد. السعدي: ٧٤٤.

السؤال: بين اعظم مظاهر رحمة الله على هذه الأمة.

﴿ كَتَبَ فُصِّلَتْ ءَايَتُهُ ﴾

اي: فُصِّلَ كل شيء من انواعه على حدته، وهذا يستلزم البيان التام، والتفريق بين كل شيء، وتمييز الحقائق. السعدي: ٧٤٤.

السؤال: ماذا تستفيد من قوله تعالى: ﴿فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾؟

﴿ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾

نفي لسمعهم النافع الذي يعتد به. ابن عطية: ٤/٥.

السؤال: ما السمع النفي عن هؤلاء الكفرة؟

﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِيْ أَكْثُوْنِمَا نَدْعُوْا اِلَيْهِ وَفِيْ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاَعْمَلْ اِنَّا عَمِلُوْنَ ﴾

وذلك الحجاب هو اختلافهم في الدين: لان دينهم كان عبادة الأوثان، ودين محمد ﷺ عبادة الله وحده لا شريك له: فذلك هو الحجاب الذي زعموا انه بينهم وبين نبي الله الطبري: ٤٢٩/٢١.

السؤال: زعم الكفار ان بينهم وبين المرسل اليهم حجاباً، فما هو؟

﴿ قُلْ اِنَّمَا اَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ اِلَىَّ اَنَّمَا اِلَهٌكَوْا اِلَهَ وَحْدٌ ﴾

اي: لست بملك، بل انا من بني آدم. قال الحسن: علمه الله تعالى التواضع. القرطبي: ٣٩٢/١٨.

السؤال: بين ما يدل على اهمية التواضع من معنى الآية.

﴿ اَلَّذِيْنَ لَا يُؤْتُوْنَ اَلْزَكٰوةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كٰفِرُوْنَ ﴾

فإن قلت: لم خص من بين اوصاف المشركين منع الزكاة مقرونا بالكفر بالآخرة؟ قلت: لأن احب شيء إلى الإنسان ماله، وهو شقيق روحه، فإذا بذله في سبيل الله فذلك اقوى دليل على ثباته واستقامته وصدق نيته ونصوع طويته؛ الا ترى إلى قوله عز وجل: (ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتاً من انفسهم) (البقرة: ٢٦٥) اي: يشنون انفسهم، ويدلون على ثباتها بإفراق الأموال. القرطبي: ٣٩٣/١٨.

السؤال: لم قرن ذكر منع الزكاة مع الكفر بالآخرة؟

﴿ قُلْ اَيُّكُمْ لَتَكْفُرُوْا بِالَّذِي خَلَقَ الْاَرْضَ فِيْ يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُوْنَ لَهُ اٰنَادًا ۚ ذٰلِكَ رَبُّ الْعٰلَمِيْنَ ۝١٠ وَجَعَلَ فِيْهَا رَوٰسٍ مِّنْ قَوْحِهَا وَبَرَكَ فِيْهَا وَقَدَّرَ فِيْهَا اٰقْوَامًا فِيْ اَرْبَعَةِ اَيَّامٍ سَوَآءٌ لِّلْاٰلَمِيْنَ ﴾

الحكمة في خلقه هذه الخلوقات في مدة ممتدة مع قدرة الله على ايجادها في حين واحد. ليعلم عباده الثاني في الأمور والمهل. ابن عطية: ٥/٥.

السؤال: ما الحكمة في خلق السموات والأرض وما فيهما في مدة ممتدة مع قدرة الله على ايجادها في حين واحد؟

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

حَمْدٌ ۝ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ كَتَبَ فُصِّلَتْ ءَايَتُهُ ۝ وَفُصِّلَتْ اَنَّا عَرَبٌ لَقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِيْ أَكْثُوْنِمَا نَدْعُوْا اِلَيْهِ وَفِيْ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاَعْمَلْ اِنَّا عَمِلُوْنَ ۝ قُلْ اِنَّمَا اَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ اِلَىَّ اَنَّمَا اِلَهٌكَوْا اِلَهَ وَحْدٌ ۝ فَاسْتَغِيْثُوْا اِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوْهُ ۝ وَوَعَدَ لِلْمُنْشِرِيْنَ ۝ اَلَّذِيْنَ لَا يُؤْتُوْنَ اَلْزَكٰوةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كٰفِرُوْنَ ۝ اِنَّا اِلٰدِيْنَ ءَامَنُوْا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ لَهُمْ اَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُوْنٍ ۝ قُلْ اَيُّكُمْ لَتَكْفُرُوْا بِالَّذِي خَلَقَ الْاَرْضَ فِيْ يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُوْنَ لَهُ اٰنَادًا ۚ ذٰلِكَ رَبُّ الْعٰلَمِيْنَ ۝ وَجَعَلَ فِيْهَا رَوٰسٍ مِّنْ قَوْحِهَا وَبَرَكَ فِيْهَا وَقَدَّرَ فِيْهَا اٰقْوَامًا فِيْ اَرْبَعَةِ اَيَّامٍ سَوَآءٌ لِّلْاٰلَمِيْنَ ۝ ثُمَّ اَسْوَوْنَهَا اِلَى السَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْاَرْضِ اٰتِيَا طَوْعًا اَوْ كَرْهًا قَالَتَا اٰتَيْنَا طَٰعِيْنَ ۝

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
فُصِّلَتْ	بُيِّنَتْ آيَاتُهُ، وَوُضِّحَتْ مَعَانِيهِ.
أَكْثَرُهُمْ	أَغْطِيَتْ مَاجِعَهُ مِنْهُمْ مَا نَدْعُونَا إِلَيْهِ.
وَقَرٌّ	صَمَمٌ، وَثِقَلٌ.
فَاسْتَغِيْثُوْا اِلَيْهِ	اسْلُكُوا الطَّرِيقَ الْمُوْصِلَ اِلَيْهِ.
غَيْرُ مَمْنُوْنٍ	غَيْرُ مَقْطُوْعٍ، وَلَا مَمْنُوْعٍ.
اَنَادًا	شُرَكَاءَ، وَنَظَرًا.
رَوَاسِي	جِبَالًا قَوَابِطَ.
اَقْوَامَهَا	اَرْزَاقَ اَهْلِهَا.

## ● العمل بالآيات

١. على الله سبحانه ان يصلح قلبك، ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِيْ أَكْثُوْنِمَا نَدْعُوْا اِلَيْهِ وَفِيْ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاَعْمَلْ اِنَّا عَمِلُوْنَ ﴾.
٢. أكثر من الاستغفار اليوم اقتداء بنبيك ﷺ الذي كان يستغفر في اليوم أكثر من مائة مرة، ﴿ فَاسْتَغِيْثُوْا اِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوْهُ ﴾.
٣. تصدق بشيء من مالك، واستعد بالله من شر فتنة المال، ﴿ اَلَّذِيْنَ لَا يُؤْتُوْنَ اَلْزَكٰوةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كٰفِرُوْنَ ﴾.

## ● التوجيهات

١. أهمية تعلم اللغة العربية لكل مسلم يريد ان يفهم كلام الله، ﴿ كَتَبَ فُصِّلَتْ ءَايَتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾.
٢. عندما تعظ الناس أو تنصح أحداً فليكن كلامك مشتملاً على ترغيب وترهيب، ﴿ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾.
٣. راحتك تكون في الاستقامة على طاعة الله تعالى وكثرة الاستغفار كما امرك الله، ﴿ فَاسْتَغِيْثُوْا اِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوْهُ ﴾.

## تفسير سورة فصلت

وهي مكية، [وعدد آياتها (٥٤) آية].

[فصل السورة<sup>(١)</sup>]: عن عبد الله بن عمرو قال: أتى رجل رسول الله ﷺ، فقال: أقرني يا رسول الله، فقال: «اقرأ ثلاثاً من ذوات الر». فقال: كبرت سني، واشتد قلبي، وغلظ لساني، قال: «فاقرأ ثلاثاً من ذوات حم» [رواه أحمد وأبو داود، وابن حبان واللفظ له، وصححه إسناده أحمد شاكر]. الآية (٤-١): ﴿حَرِّمْنَا نَزِيلَ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ يعني: القرآن منزل من الرحمن الرحيم، كقوله: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ [الحل: ١٠٢]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ نَزَّلْنَاهُ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [نزل به الروح الأمين] ﴿عَلَى قَلْبِكَ لِيَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٤].

﴿كَتَبْنَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾ أي: بينت معانيه وأحكامه، ﴿فَرَمَانًا عَرَبِيًّا﴾ أي: في حال كونه لفظاً عربياً، بيناً واضحاً، فمعانيه مفصلة، والفاظه واضحة غير مشككة، كقوله: ﴿كَتَبْنَا أُخْبِتَ آيَاتُهُمْ﴾ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ [مرد: ١] أي: هو معجز من حيث لفظه ومعناه ﴿لَا يَأْتِيهِ الْغُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ، تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]. ﴿لَقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ أي: إنها يعرف هذا البيان والوضوح العلماء الراسخون. ﴿بَيِّنَاتٍ وَبَيِّنَاتٍ﴾ أي: تارة يبين المؤمنين، وتارة ينذر الكافرين. ﴿فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ فهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: أكثر قریش، فهم لا يفهمون منه شيئاً مع بيانه ووضوحه.

الآية (٥): ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكْثَرِ﴾ أي: في غُلف مغطاة ﴿وَمَا نَدْعُوا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ﴾ أي: صمم عما جنت به ﴿وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ فلا يصل إلينا شيء مما نقول، ﴿فَأَعْمَلُوا بِنَا عَمَلُونَ﴾ أي: اعمل أنت على طريقتك، ونحن على طريقتنا لا نتابعك. عن محمد بن كعب القُرظي قال: حَدَّثَنِي عَنْ عَتِيبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ... جالس إلى رسول الله ﷺ فقال: يا ابن أخي... إن كنت إنما تريد بما جنت به من هذا الأمر مآلاً، جمعنا لك من أموالنا حتى تكون من أكثرنا أموالاً، وإن كنت تريد به شرفاً سؤدناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد به ملكاً ملكتناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رتيلاً تراه لا تستطيع رده عن نفسك، طلبنا لك الطب، وبللنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه... حتى إذا فرغ عتبه ورسول الله ﷺ يستمع منه قال:... فاستمع مني: ﴿حَرِّمْنَا نَزِيلَ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿كَتَبْنَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ فَرَمَانًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿بَيِّنَاتٍ وَبَيِّنَاتٍ فَاعْرِضْ عَنْهُمْ فهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ثم مضى رسول الله ﷺ فيها يقرؤها عليه.

الآية (٦): ﴿قُلْ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْكَاذِبِينَ الْمَشْرِكِينَ﴾ ﴿وَمَا أَتَانِي﴾ ﴿نَزْلُكَ رُوحِي إِلَى نَفْسِي الْهَكُورَةِ إِلَهٌ وَحْدٌ﴾ لا كما تعلقونه من الأصنام والأنداد والأرباب المضيقين، إنما إله واحد، ﴿فَأَسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ﴾ أي: اخلصوا له العبادة على منوال ما أمركم به على السنة الرسل، ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا﴾ أي: لسالف الذنوب، ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ أي: دمار لهم وهلاك عليهم.

الآية (٧-٨): ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ قال ابن عباس: يعني: الذين لا يشهدون أن لا إله إلا الله. وهذا كقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٩-١٠]. والمراد بالزكاة ههنا: طهارة

النفس من الأخلاق الرذيلة، ومن أهم ذلك طهارة النفس من الشرك. وزكاة المال إنما سميت زكاة لأنها تطهره من الحرام، وتكون سبباً لزيادته وبركه وكثرة نفعه، وتوفيقاً إلى استعماله في الطاعات. وقال قتادة: يمنعون زكاة أموالهم. وهذا هو الظاهر عند كثير من المفسرين، واختاره ابن جرير. وفيه نظر؛ لأن إيجاب الزكاة إنما كان في السنة الثانية من الهجرة إلى المدينة، وهذه الآية مكية، اللهم إلا أن يقال: لا يبعد أن يكون أصل الزكاة الصدقة كان مأموراً به في ابتداء البعثة، كقوله: ﴿وَمَا أَتَانَا حَقُّهُ يَوْمَ حَصَايِهِ﴾ [الأنعام: ١٤١]، فاما الزكاة ذات النصب والمقادير فإنها بين أمرها بالمدينة، ويكون هذا جمعاً بين القولين. ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ قال مجاهد: لا مقطوع ولا مجبوع، كقوله: ﴿مَنْ كُنِيَ فِيهِ آدَمٌ﴾ [الكهف: ٣]، وكقوله تعالى ﴿عَطَا غَيْرَ مَحْذُوفٍ﴾ [مرد: ١٠٨].

الآية (٩-١٠): ﴿هَذَا إِنكَارٌ مِنْ اللَّهِ عَلَى الْمَشْرِكِينَ الَّذِينَ عبدوا معه غيره، وهو الخالق لكل شيء، القاهر لكل شيء، المقدر لكل شيء، فقال: ﴿قُلْ أَطِيعُوا نَذْرَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَصْعَلُونَ لَهُ أُنْدَادًا﴾ أي: نظراء وأمثالاً تعلقونها معه، ﴿وَالَّذِي رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ أي: الخالق للأشياء هو رب العالمين كلهم. وهذا المكان فيه تفصيل لقوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الأعراف: ٥٤]، ففصل ههنا ما يختص بالأرض عما اختص بالسما، فذكر أنه خلق الأرض أولاً لأنها كالأساس، والأصل أن يبدأ بالأساس، ثم بعده بالسقف؛ كما قال: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ قَافِ الْأَرْضِ جِيعَاءً ثُمَّ وَسَّخَهُ إِلَى السَّعَاءِ فَسَوَّيْنَاهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٩].

فاما قوله: ﴿عَاشَتْ أَسْوَاقُ خَلْقٍ أَرَأَيْتُمْ بَيْنَهُمَا﴾ ﴿رَفَعَ سَكَتَهَا فَسَوَّيْنَاهَا﴾ ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ ﴿وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ ضَحَا﴾ ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءً وَنَزَعْنَا مِنْهَا أَرْضًا﴾ ﴿وَلَبَّيْنَا أَرْضَهَا﴾ ﴿مَتَّعْنَا لَكُمْ وَأَنْتُمْ كُفَرَاءُ﴾ [النازعات: ٢٧-٣٣] ففي هذه الآية أن دحى الأرض كان بعد خلق السماء، فالدحي هو مفسر بقوله: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءً وَنَزَعْنَا مِنْهَا أَرْضًا﴾، وكان هذا بعد خلق السماء، فاما خلق الأرض فقبل خلق السماء بالنص، فقوله: ﴿خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ يعني: يوم الأحد ويوم الاثنين، ﴿وَحَمَلْنَاهَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّهَا وَنَزَّلْنَا فِيهَا﴾ أي: جعلها مباركة قابلة للخير والبر والفراس، ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا أَقْوَامًا﴾ وهو ما يحتاج أهلها إليه من الأرزاق والأماكن التي تُزْرَع وتُغْرَس، يعني: يوم الثلاثاء والأربعاء، فهُمَا مع اليومين السابقين أربعة؛ ولهذا قال تعالى: ﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَّاهُ لِلنَّاسِ آيَاتٍ﴾ أي: لمن أراد السؤال عن ذلك ليعلمه. وقال مجاهد وعكرمة في قوله: ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا أَقْوَامًا﴾: جعل في كل أرض ما لا يصلح في غيرها. وقال ابن عباس في قوله: ﴿سَوَّاهُ لِلنَّاسِ آيَاتٍ﴾ أي: لمن أراد السؤال عن ذلك. وقال ابن زيد: أي: على وفق مراد من له حاجة إلى رزق أو حاجة، فإن الله قدر له ما هو محتاج إليه.

الآية (١١): ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ وهو: بخار الماء المتصاعد منه حين خلقت الأرض، ﴿فَقَالَ لَهَا وَالْأَرْضُ أَيْنَ أَتَيْنَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ أي: استجبيا لأمري، وانفعلوا لفعلي، طاعتين أو مكرهتين. قال ابن عباس: قال الله تعالى للسماوات: أطعني شمسي وقمري ونجومي. وقال للأرض: شققي أنهارك وأخرجني ثمارك. فقلنا: ﴿أَيْنَ أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾. واختاره ابن جرير. ﴿قَالَ أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ أي: بل نستجيب لك مطيعين يا فينا، مما تريد خلقه من الملائكة والإنس والجن جميعاً مطيعين لك. حكاه ابن جرير عن بعض أهل العربية، قال: وقيل: تنزيلاً لمن معاملته من يعقل بكلامها.

(١) ذكر ابن كثير -رحمه الله- في أول سورة غافر (ص ٤٦٧) بعض ما ورد في فضائل آل حم، ولم يذكر الحديث الذي أضفناه هنا.



وقوله: ﴿فِي أَيَّامٍ مَّحْسُوتٍ﴾ أي: متتابعات<sup>(٣)</sup>؛ ﴿مَسْبُوعٍ لِّئَالٍ

الآية (١٧): وقوله: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾ قال ابن عباس

﴿فَاَخَذْتَهُمْ صَاعِقَةً الْعَذَابِ الْهُونِ﴾ أي: بعث الله عليهم صيحة

الآية (١٨): ﴿وَنَجِّنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أى: من بين أظهرهم، لم

الآية (١٩): يقول تعالى: ﴿وَنَوْمٌ مُّحْشَرٌ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ﴾ أي:

الآية (٢٠): وقوله: ﴿حَقَّ إِذَا مَا جَاءُوهَا﴾ أي: وقفوا عليها، ﴿شَهِدَ

﴿وَزَيْنًا لِّلْأَسْمَاءِ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ﴾ وهن الكواكب المنيرة المشرقة على

الآية (١٣): يقول تعالى: قل يا محمد هؤلاء المشركين المكذبين بما

الآية (١٤): قوله: ﴿إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ

﴿فَلَنَأْتِيَنَّكُمْ أَرْسِلْنَا مِنْكُمْ بَشَرًا﴾ أي: أيها البشر ﴿كُفُّوا﴾ أي: لا تتعصموا

وَأَنْتُمْ بَشَرٌ مِثْلُنَا.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ أي: أفما

الآية (١٦): قال: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ قال بعضهم:

---

(٣) من معاني (نحس): التتابع؛ تقول: تنحس الأخبار أي: تتبعها. وعلى التفسير



## ● الوقفات التدريبية

﴿ إِذْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبَّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَأَمَّا بِمَا آُرْسِلْتُمْ بِهِ كُفِرْتُمْ ﴾

وقوله: (من بين أيديهم ومن خلفهم) تمثيل لحرص رسول كل منهم على هدايتهم؛ بحيث لا يترك وسيلة يتوسل بها إلى إبلاغهم الدين (لا توسل بها، فتمثل ذلك بالمجيء إلى كل منهم؛ تارة من أمامه، وتارة من خلفه؛ لا يترك له جهة، كما يفعل الحريص على تحصيل أمر أن يتطلبه، ويعيد تطلبه، ويستوعب مظلًا وجوده أو مظلًا سماعه. ابن عاشور: ٢٥٣/٢٤).

السؤال: بين حرص الرسل على تبليغ الدين من خلال الآية الكريمة.

﴿ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبَّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَأَمَّا بِمَا آُرْسِلْتُمْ بِهِ كُفِرْتُمْ ﴾

وهذه الشبهة لم تزل متواردة بين المكذبين من الأمم، وهي من أوهى الشبه؛ فإنه ليس من شرط الإرسال أن يكون المرسل ملكًا، وإنما شرط الرسالة أن يأتي الرسول بما يدل على صدقه، فليقتضوا إن استطاعوا بصدقه بقادح عقلي أو شرعي، ولن يستطيعوا إلى ذلك سبيلاً. السعدي: ٧٤٦.

السؤال: بين تشابه حجج الكافرين من خلال الآية.

﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ﴾ اغتروا بأجسامهم حين تهددهم بالعذاب، وقالوا: «نحن نقدر على دفع العذاب عن أنفسنا بفضل قوتنا؛ وذلك أنهم كانوا ذوي أجسام طوال وخلق عظيم. القرطبي: ٤٠١/١٨.

السؤال: بم اغتر قوم هود حين جاءهم أمر الله؟ وهل نفعهم ذلك؟

﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ ﴾

وإنما نص عليهم - وإن كان جميع الأمم المهلكة قد قامت عليهم الحجة وحصل لهم البيان - لأن آية ثمود آية باهرة، قد رآها صغيرهم وكبيرهم، وذكرهم وأنشاهم، وكانت آية مبصرة، فلهذا خصهم بزيادة البيان والهدى. السعدي: ٧٤٧.

السؤال: لماذا خصت ثمود بذكر الهداية مع أن الله تعالى دعا جميع البشر للهداية؟

﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى ﴾

هذا كما هي الآن شريعة الإسلام مبينة لليهود والنصارى المختلطين لنا، ولكنهم يعرضون ويشغلون بالصد؛ فذلك استحباب العمى على الهدى. ابن عطية: ١٠/٥.

السؤال: ما المراد باستحباب العمى على الهدى المذكور في الآية؟

﴿ وَيَوْمَ يُحْمَرُ عَذَابُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾

يساقون ويدفعون إلى جهنم؛ قال قتادة والسدي: «يحبس أولهم عن آخرهم حتى يجتمعوا»، قال أبو الأحوص: «فإذا تكاملت العدة بدئ بالأكابر فالأكابر جرماً». القرطبي: ٤٠٥/١٨.

السؤال: بين كيف يساق أعداء الله إلى النار والعياذ بالله.

﴿ حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

وخص هذه الأعضاء الثلاثة؛ لأن أكثر الذنوب إنما تقع عليها أو بسببها. السعدي: ٧٤٧.

السؤال: لماذا خصت هذه الأعضاء الثلاثة بالذكر دون غيرها؟

فَقَصَبْنَاهُمْ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهُمَا  
وَرَبَّنَا السَّمَاءُ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ  
الْعَلِيمِ ﴿١٥﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ  
عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٦﴾ إِذْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ  
خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبَّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً  
فَأَمَّا بِمَا آُرْسِلْتُمْ بِهِ كُفِرْتُمْ ﴿١٧﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي  
الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ  
الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ  
﴿١٨﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنَنْفِخَهُمْ  
عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ  
لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى  
الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ  
﴿٢٠﴾ وَنَحْنُ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَنَفَّسُونَ ﴿٢١﴾ وَيَوْمَ نُخَسِّرُ أَعْدَاءَ اللَّهِ  
إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٢٢﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءَهُمْ هَاشِدٌ عَلَيْهِمْ  
سَمِعَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ وَجَلَدُوهُمْ بِمَآكِلٍ يُوعَمَلُونَ ﴿٢٣﴾

## ● معاني الكلمات

المعنى	الكلمة
فَقَصَبْنَاهُمْ، وَأَبْدَعْنَاهُمْ.	فَقَصَبْنَاهُمْ
بِنُجُومٍ مُضِيَّةٍ.	بِمَصَابِيحٍ
عَذَابًا هَالِكًا.	صَاعِقَةً
شَدِيدَةً الْبُرُودَةِ، عَالِيَةِ الصَّوْتِ.	صَرْصَرًا
مَشْؤُومَاتٍ.	نَحْسَاتٍ
الْمُهِينِ.	الْهُونِ
يُرَدُّ أَوْلَاهُمْ عَلَىٰ آخِرِهِمْ.	يُوزَعُونَ

## ● العمل بالآيات

- اقرأ أو اسأل عن أسباب هلاك إحدى الأمم الماضية، ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾.
- استمد بالله من الغرور والكبر، ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ﴾.
- إذا رأيت ريحا مقبلة قل: «اللهم إني أسألك خيرا، وخير ما فيها، وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها، وشر ما فيها، وشر ما أرسلت به»، قال تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا ﴾.

## ● التوجيهات

- احذر الإعراض والتولي عن طاعة الله؛ فذلك سبب نزول العذاب، ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾.
- لا مصيبة إلا بدنب، ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ أي: من الذنوب.
- لا تعاقب أحدا قبل أن تخبره بنفيه الذي استحق به العقوبة، ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرْوُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ ﴾  
 في معناه وجهان: أحدهما: لم تقدروا أن تستترون من سمعكم وأبصاركم وجلودكم؛ لأنها ملازمة لكم، فلم يمكنكم احتراز من ذلك، فشهدت عليكم. والآخر: لم تحفظوا من شهادة سمعكم وأبصاركم وجلودكم؛ لأنكم لم تبالوا بشهادتها، ولم تظنوا أنها تشهد عليكم. ابن جزي: ٢٩١/٢.

السؤال: ما المراد بقوله: (تسترون)؟ وما الفائدة التي تؤخذ من هذه الآية؟

﴿ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ أَنْ يَكْفُرَكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾  
 قال الحسن البصري: «إن قوماً ألهمهم الأمانى حتى خرجوا من الدنيا وما لهم من حسنة، ويقول أحدهم: إني أحسن الظن بربي. وكذب؛ ولو أحسن الظن لأحسن العمل». القرطبي: ٤١٠-٤٠٩/١٨.

السؤال: بين متى يكون حسن الظن بالله في غير محله.

﴿ وَفَیضًا لَهُمْ قِرَاءَةُ قُرْآنِهِمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾  
 أي: هيأنا لهم شياطين، وقيل: سلطنا عليهم قراءه يزينون عندهم المعاصي، وهؤلاء القراء من الجن والشياطين، ومن الإنس أيضاً. القرطبي: ٤١١/١٨.

السؤال: بينت الآية علامة إرادة الشر بالعباد، فما هي؟

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَايِ لَكُمْ تَقَبَّلُونَ ﴾  
 وهذا من شأن دعاة الضلال والباطل: أن يُكفِّموا أهواء الناطقين بالحق والحجة بما يستطيعون من تخويف وتسويل، وترهيب وترغيب، ولا يدعوا الناس يتجادلون بالحجة، ويتراجعون بالأدلة؛ لأنهم يوقنون أن حجة خصوصهم انتهت، فهم يسترونها ويدافعونها لا بمثلا، ولكن بأساليب من البهتان والتضليل، فإذا اعتبهم الجيل، وأروا بوارق الحق تخفق؛ خشوا أن يغم نورها الناس الذين فيهم بقية من خير ورشد، عدلوا إلى لغو الكلام، ونفضوا في أبواق اللغو. ابن عاشور: ٢٧٧/٢٤.

السؤال: بين من الآية الكريمة صف من صفات أهل الضلال في صد الحق.

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَايِ لَكُمْ تَقَبَّلُونَ ﴾  
 وهذه شهادة من الأعداء، وأوضح الحق ما شهد به الأعداء؛ فإنهم لم يحكموا بغيبتهم لمن جاء بالحق إلا في حال الإعراض عنه والتواصي بذلك، ومفهوم كلامهم: أنهم إن لم يلفوا فيه، بل استمعوا إليه، والقوا أذهانهم أنهم لا يقبلون. السعدي: ٧٤٨.

السؤال: في الآية شهادة من الكفار للحق، ما وجه هذه الشهادة؟

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَايِ لَكُمْ تَقَبَّلُونَ ﴾  
 قال ابن عباس رضي الله عنهما: «يعني الغفوا فيه»، وكان بعضهم يوصي إلى بعض: إذا رأيتم محمداً يقرأ فهاضوه بالرجز والشعر واللغو، قال مجاهد: والغوا فيه بالكاء والصفير، وقال الضحاك: أكثروا الكلام؛ فيختلط عليه ما يقول. القرطبي: ٦٥/٤.

السؤال: في الآية بيان لبعض أساليب المفسدين في منع الإفادة من الذكر والمواظع، وضحها.

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ أَصْلَحُوا مِنَ الْإِنْسِ جَعَلَهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا يَكُونَانِ الْأَسْفَلِينَ ﴾

ثم ذكر عز وجل مقالة كفار يوم القيامة إذا دخلوا النار؛ فإنهم يرون عظيم ما حل بهم وسوء منقلبهم، فتجول أفكارهم فيمن كان سبب غوايتهم وبإدي ضلالتهم، فيعظم غيظهم وحققهم عليه، ويودون أن يحصل في أشد عذاب، فحينئذ يقولون: (ربنا أرننا الذين أضلانا) ابن عطية: ١٤/٥.  
 السؤال: ما الذي دفع أصحاب النار لطلب أن يكون تحت أقدامهم من أضلهم من الجن والإنس؟

وَقَالُوا لَجُودٌ هَرَلَةٌ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرْوُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَيْدَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ أَنْ تُصَبِّحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٧﴾ فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فِتْنَاهُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ ﴿١٨﴾ وَفَیضًا لَهُمْ قِرَاءَةُ قُرْآنِهِمْ قَرَأَتْهُمَا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿١٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَايِ لَكُمْ تَقَبَّلُونَ ﴿٢٠﴾ فَلَنْ يَصِفَ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنْ يُخْرِجَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢١﴾ ذَلِكَ جزاء أعداء الله النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جزاء بما كانوا ياتين بحجودوت ﴿٢٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ أَصْلَحُوا مِنَ الْإِنْسِ جَعَلَهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا يَكُونَانِ الْأَسْفَلِينَ ﴿٢٣﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
تَسْتَرْوُونَ	تَسْتَحْفُونَ عِنْدَ ارْتِكَابِكُمُ الْمَعَاصِي.
مَثْوًى	مَأْوًى وَمَسْكَنٌ.
يَسْتَعْتِبُوا	يَطْلُبُوا الْعُتْبَى وَهِيَ الْمَغْفِرَةُ.
فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ	مَا هُمْ مِنَ الْمَجَابِينَ إِلَى مَا طَلَبُوا.
وَفَیضًا	هَيَّانًا.

## ● العمل بالآيات

١. حدد من يزين لك فعل السوء واحذر من مجالسته، ﴿ وَفَیضًا لَهُمْ قِرَاءَةُ قُرْآنِهِمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾.
٢. ارجع على الله تعالى بالدعاء أن يبرزك جليسا صالحا، وأن يصرف عنك جلساء السوء، ﴿ وَفَیضًا لَهُمْ قِرَاءَةُ قُرْآنِهِمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾.
٣. استمع إلى أحد المشايخ المجيدين في قراءة القرآن متدبرا الآيات، ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَايِ لَكُمْ تَقَبَّلُونَ ﴾.

## ● التوجيهات

١. أحسن الظن بالله مخالفةً لظن المشركين به، ﴿ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ أَنْ تُصَبِّحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾.
٢. من الناس من يصبر في سبيل طاعة الله، ومن الناس من يصبر في سبيل معصية الله، ﴿ فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴾.
٣. إذا خالفت أوامر المبتوعين أوامر الله هلوكوا وأهلكوا من يتبعهم، ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ أَصْلَحُوا مِنَ الْإِنْسِ جَعَلَهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا يَكُونَانِ الْأَسْفَلِينَ ﴾.

الآية (٢٥): يذكر تعالى أنه هو الذي أضل المشركين، وأن ذلك بمشيئته وكونه وقدرته، وهو الحكيم في أفعاله، بما قبض لهم من القرناء من شياطين الإنس والجن: ﴿فَرَسَوْا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أي: حسنوا لهم أعمالهم في الماضي، وبالنسبة إلى المستقبل فلم يروا أنفسهم إلا محسنين؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الرعد: ٣٦-٣٧]. قوله: ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ أي: كلمة العذاب كما حق على أمم قد خلت من قبلهم، عن فعل كفعلهم من الجن والإنس، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ أي: استوتوا هم وإياهم في الخسار والدمار.

الآية (٢٦): ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسَمِعْنَا بِهَذَا الْفَرْدَانِ﴾ أي: توأما فبما بينهم ألا يطيعوا للقرآن، ولا يتقادوا لأوامره، ﴿وَالْقُرْآنِيُّوهُ﴾ أي: إذا نُظِيَ لا تستمعوا له. قال مجاهد: ﴿وَالْقُرْآنِيُّوهُ﴾ يعني: بالمكاء والصغير والتخليط في المنطق على رسول الله ﷺ إذا قرأ القرآن، قرش تفعله. وقال ابن عباس: عيبوه. وقال قتادة: اجحدوا به، وأنكروه وعادوه. ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ هذا حال هؤلاء الجبهة من الكفار، ومن سلك مسلكتهم عند سماع القرآن. وقد أمر الله سبحانه عباده المؤمنين بخلاف ذلك فقال: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

الآية (٢٧-٢٨): قال تعالى متصرا للقرآن، ومستثما من عاداه من أهل الكفران: ﴿فَلْيَذِيقُوا الْعَذَابَ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ أي: في مقابلة ما اعتدوه في القرآن وعند سماعه، ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْرًا الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: ينشر أعمالهم وسنعي أفعالهم ﴿ذَلِكَ جَزَاءُ الْعَادِلِ وَاللَّهُ الْبَاقِي﴾ أي: دار المُنَافِقِينَ جَزَاءُ مَا كَانُوا يَأْتُونَ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ.

الآية (٢٩): ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذِينَ أُضْلَلْنَا مِنْ أَمْرِ الدِّينِ وَالْأَرْضِ يَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونُوا مِنَ الْآسَفِينَ﴾ قال سفيان الثوري عن علي في قوله: ﴿الَّذِينَ أُضْلَلْنَا﴾ قال: إبليس وابن آدم الذي قتل أخاه. وقال السدي عنه: فإبليس يدعو به كل صاحب شرك، وابن آدم يدعو به كل صاحب كبيرة، فإبليس هو الداعي إلى كل شر من شرك فما دونه، وابن آدم الأول. كما ثبت في الحديث: «ما قُتِلَ نفس ظُلِمَ إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها؛ لأنه أول من سن القتل» [متفق عليه]. قوله: ﴿يَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا﴾ أي: أسفل منا في العذاب ليكونا أشد عذابا منا؛ ولهذا قالوا: ﴿لِيَكُونُوا مِنَ الْآسَفِينَ﴾ أي: في الدرك الأسفل من النار، كما تقدم في [الأعراف] من سؤال الأنبياء من الله أن يعذب قاداتهم أضعاف عذابهم، قال: ﴿لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٨] أي: إنه تعالى قد أعطى كلاً منهم ما يستحقه من العذاب والنكال، بحسب عمله وإفساده؛ كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ [النحل: ٢٨].

الآية (٢١): ﴿وَقَالُوا لِمَوْلَاهُمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا؟﴾ أي: لا مواء أعضاءهم وجلودهم حين شهدوا عليهم، فنعد ذلك أجابتهم الأعضاء: ﴿قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أي: فهو لا يخالف ولا يتألف، وإليه ترجعون. عن أنس بن مالك قال: ضحك رسول الله ﷺ ذات يوم وتبسّم، فقال: «ألا تسألوني عن أي شيء ضحكتم؟» قالوا: يا رسول الله، من أي شيء ضحكتم؟ قال: «عجبت من مجادلة العبد ربه يوم القيامة؛ يقول: أي ربي! اليس وعدتني ألا تظلمني؟» قال: بلى، فيقول: فإني لا أقبل عليّ شاهداً إلا من نفسي. فيقول الله تبارك وتعالى: أوليس كنتي بي شهيدا، وبالملائكة الكرام الكاتبين؟» قال: فردد هذا الكلام مراراً. قال: «فيحتم على فيه، وتكلم أركانه بما كان يعمل، فيقول: بُعِدْ لَكُنْ وَصَحَقًا، عنك كنك أجاد!» [رواه مسلم].

الآية (٢٢): ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرْثَوْنَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ أي: نقول لهم الأعضاء والجلود حين يلومونها على الشهادة عليهم؛ ما كنتم تعتقدون منا الذي كنتم تفعلونه، بل كنتم تجاهرون الله بالكفر والمعاصي، ولا تبالون منه في زعمكم؛ لأنكم كنتم لا تعتقدون أنه يعلم جميع أفعالكم؛ ولهذا قال: ﴿وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

الآية (٢٣): ﴿وَلِكُلِّ ظَنٍّ لَكُمْ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَنْذِكُمْ﴾ أي: هذا الظن الفاسد - وهو اعتقادكم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون - هو الذي أنفلككم وأرداكم عند ربكم ﴿فَأَنْصِتْهُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ أي: في مواقف القيامة خسرتم أنفسكم وأهلكم. [سبب النزول]: عن عبد الله (١) قال: كنت مستتراً بأستار الكعبة فجاء ثلاثة نفر: قرشي، وختناه (٢) ثقفيان - أو: ثقفى وختناه قرشيان - كثير شحم بطونهم، قليل فقه قلوبهم، فقال أحدهم: أترون أن الله يسمع كلامنا هذا؟ فقال الآخر: إنا إذا رفعنا أصواتنا سمعته، وإذا لم نرفعه لم يسمعه، فقال الآخر: إن سمع منه شيئاً سمعته كله. قال: فذكرت ذلك للنبي ﷺ، فأنزل الله ﷻ: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرْثَوْنَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [متفق عليه].

الآية (٢٤): قوله: ﴿فَلَمَّا يَصْصِرُوا فَلَئِنَّ أَوَّلَ مَا يَنْصَرِفُونَ لَمْ يَنْصَرِفُوا فَمَّا هُمْ مِنَ الْمُنْصَرِفِينَ﴾ أي: سواء عليهم أصبروا أم لم يصبروا هم في النار، لا يعيد لهم عنها، ولا خروج لهم منها. وإن طلبوا أن يستعذبوا ويبدوا أعذاراً فما لهم أعذار، ولا تُقال لهم عثرات. قال ابن جرير: ومعنى قوله: ﴿وَلَمَّا يَنْصَرِفُونَ﴾ أي: يسألوا الرجعة إلى الدنيا، فلا جواب لهم، قال: وهذا كقوله تعالى إخباراً عنهم: ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾ (٣) رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنَّ عَدَا فُلَانًا ظَالِمُونَ (٤) قَالَ أَخْرِجْنَا مِنْهَا وَلَا تَكْلُمُنَا (٥) [المؤمنون: ١٠٦-١٠٨].

(١) هو عبد الله بن مسعود.

(٢) الحتن: الصهر، أو: كل من كان من قبل المرأة؛ كالأب والخال.

(٣) المحيط، مادة (خنن).

[النحل: ٢٨].





## ● الوقفات التدريبية

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾  
وجمع قوله: (قالوا ربنا الله ثم استقاموا) أصلي الكمال الإسلامي؛ فقوله:  
(قالوا ربنا الله) مشير إلى الكمال النفساني؛ وهو معرفة الحق للاهتمام  
به، ومعرفة الخير لأجل العمل به ... وأشار قوله: (ثم استقاموا) إلى  
أساس الأعمال الصالحة، وهو الاستقامة على الحق. ابن عاشور: ٢٤/٢٨٣.  
السؤال: كيف جمع قوله تعالى: (قالوا ربنا الله ثم استقاموا) أصلي  
الكمال الإنساني؟

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾  
قال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: «الاستقامة: أن تستقيم على الأمر  
والنهي، ولا تروغ وروغان الثعلب»، وقال عثمان بن عفان -رضي الله عنه-: «أخلصوا  
العمل لله»، وقال علي -رضي الله عنه-: «أدوا الفرائض». البغوي: ١٤٠/٦٦.

السؤال: بين حقيقة الاستقامة المرادة في الآية.

﴿نَحْنُ أُولَئِكَ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾  
أي: تقول لهم الملائكة الذين تنزل عليهم بالبشارة: (نحن أولياؤكم)،  
قال مجاهد: أي: نحن قربناؤكم الذين كنا معكم في الدنيا، فإذا كان  
يوم القيامة قالوا: لا تفارقكم حتى ندخلكم الجنة. القرطبي: ١٨/٤١٨.

السؤال: بينت الآية فائدة يفيدها المؤمنون من عالم الملائكة، فما هي؟

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ فَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾  
أي: دعا عباد الله إليه، وهو في نفسه مهتد بما يقوله، فنفعه لنفسه  
ولغيره؛ لازم ومتعد، وليس هو من الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتونه،  
وينهون عن المنكر ويأتونه، بل ياتر بالخير، ويترك الشر، ويدعو الخلق  
إلى الخالق تبارك وتعالى. ابن كثير: ٤/١٠٢.

السؤال: للداعية الصادق علامة، فما هي؟

﴿وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُرٌّ حَظٍّ عَظِيمٍ﴾  
أي: وما يوفق لهذه الخصلة الحميدة (إلا الذين صبروا) نفوسهم على  
ما تكره، وأجبروها على ما يحبه الله؛ فإن النفوس مجبولة على مقابلة  
المسيء بإساءته وعدم العضو عنه، فكيف بالإحسان؟ فإذا صبر الإنسان  
نفسه، وامتنل أمر ربه، وعرف جزيل الثواب، وعلم أن مقابله للمسيء  
بجنس عمله لا يفيد شيئا، ولا يزيد العداوة إلا شدة، وأن إحسانه إليه  
ليس بواضع قدره، بل من تواضع لله رفعه، هان عليه الأمر، وفعل ذلك  
متلذذاً مستحلياً له. السعدي: ٧٤٩.

السؤال: لماذا لم تثبت هذه الحالة إلا للذين صبروا وذوي الحظ العظيم فقط؟

﴿وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُرٌّ حَظٍّ عَظِيمٍ﴾  
لكونها من خصال خواص الخلق التي ينال بها العبد الرفعة في الدنيا  
والآخرة، التي هي من أكبر خصال مكارم الأخلاق. السعدي: ٧٤٩.

السؤال: بينت الآية علامة من علامات خواص الخلق عند الله، فما هي؟

﴿وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُرٌّ حَظٍّ عَظِيمٍ﴾  
لما ذكر تعالى ما يقابل به العدو من الإنس -وهو مقابلة إسمائه بالإحسان-

ذكر ما يدفع به العدو الجني؛ وهو: الاستعادة بالله، والاحتماء من شرم

فقال: (وما ينزعني من الشيطان نزع) أي: أي وقت من الأوقات أحسست

بشيء من نزغات الشيطان؛ أي: من وسوسه وتزيينه للشر، وتكسيله عن

الخير، واصابة ببعض الذنوب، وطاعة له ببعض ما يامر به: (فاستعد بالله)

أي: اسأله، مفقراً إليه، أن يميذك ويعصمك منه. السعدي: ٧٥٠.

السؤال: كيف ندفع العدو من الجن؟

إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا سَتَرَ عَلَيْنَا  
أَلَمَ بَكَّةُ الْأَنْحَاظِ وَلَا تَحْزَنُوا وَابْشُرُوا بِالْجَنَّةِ  
الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١﴾ نَحْنُ أُولَئِكَ وَكُنْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا  
وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكِنْ فِيهَا مَا تَشْتَهُ أَنْفُسُكُمْ وَلَكِنْ  
فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٢﴾ نَزَّلْنَا مِنْ عَذْرٍ رَجِيمٍ ﴿٣﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ  
قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّي مِنَ  
الْمُسْلِمِينَ ﴿٤﴾ وَلَا تَسْتَبْرِ الْأَحْسَنُ وَلَا السَّيِّئَةُ أَذَقَ  
بِأَلِيٍّ هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ  
وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٥﴾ وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا  
إِلَّا ذُرٌّ حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٦﴾ وَمَا يَنْزَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ  
فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَتَّبِعْ  
أَتِيلَ وَالنَّهَارَ وَاللَّيْلَ لَا تَسْجُدُ لِلشَّمْسِ  
وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدْ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ  
إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٨﴾ فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ  
رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴿٩﴾

سجدة

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
استقاموا	تَبَنُوا عَلَى الْحَقِّ عِلْمًا وَعَمَلًا.
وَلِيٌّ حَمِيمٌ	قَرِيبٌ لَكَ، شَفِيقٌ عَلَيْكَ.
وَمَا يُلْقِيهَا	مَا يُوَفِّقُهَا.
يُنَزِّعُكَ	يُلْقِيَنَّ فِي نَفْسِكَ وَسْوَسةً، وَيَصْرِفُكَ عَنِ الْخَيْرِ.
فاستعد بالله	استَجِرْ، واعتصم بالله قائلًا: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ.
لا يسأمون	لَا يَفْزَنُونَ، وَلَا يَمَلُّونَ.

## ● العمل بالآيات

١. قدم هدية لأحد بينك وبينه سوء تفاهم، وتامل فعل الهدية في إصلاح قلبكما. ﴿أَذَقَ بِأَلِيٍّ هِيَ أَحْسَنُ﴾.
٢. إذا أحسست بنزع الشيطان فاستعد بالله منه، ﴿وَمَا يَنْزَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.
٣. اسجد للتلاوة عند قراءة هذه الآية، ﴿فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾.

## ● التوجيهات

١. المؤمن يعرف مصيره في الآخرة عند خروج روحه من جسده، ﴿وَابْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾.
٢. للمؤمن في الجنة كل ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين، ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُ أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ﴾.
٣. عود نفسك الصبر؛ فهو راس الأخلاق الحسنة، ﴿وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا ﴾

فيه تهديد شديد، ووعيد أكيد، أي: أنه تعالى عالم بمن يلحد في آياته وأسمائه وصفاته، وسيجزيه على ذلك بالعقوبة والنكال. ابن كثير: ١٠٤/٤.

السؤال: ما المراد من إخبار الله عن هؤلاء الملحدين بأنهم لا يخفون عليه؟

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴾

وصف تعالى الكتاب بالعزة: لأنه بصحة معانيه ممتنع الطعن فيه، والإبراء عليه، وهو محفوظ من الله تعالى. ابن عطية: ١٩/٥.

السؤال: وضع فائدة وصف الله تعالى القرآن بأنه عزيز.

﴿ مَا يَقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴾

وصف العقاب بـ (الليم) دون وصف آخر؛ للإشارة إلى أنه مناسب لما عوقبوا لأجله؛ فإنهم آثموا نفس النبي ﷺ بما عصوا وأثوا. ابن عاشور: ٣١١/٤.

السؤال: ما فائدة وصف العقاب بالآليم في الآية الكريمة؟

﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴾

لولا عفو الله وتجاوز ما هنا أحدا العيش، ولولا وعيده وعقابه لاتكلم كل أحد. ابن كثير: ١٠٤/٤.

السؤال: لم جمعت كثير من الآيات بين المغفرة والعقاب كما في هذه الآية؟

﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ هَذِهِ وَأَسْأَلُ هَذِيكَ وَشِقَاقَهَا ﴾

أعلم الله أن القرآن هدى وشفاء لكل من آمن به من الشك، والريب والأوجاع. القرطبي: ٤٣١/١٨.

السؤال: من الذي يستفيد من هدى القرآن وشفائه؟

﴿ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقُرْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادُّونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴾

أي: إنهم لا يسمعون ولا يفهمون، كما أن من دعي من مكان بعيد لم يسمع ولم يفهم، وهذا مثل لقلة التفاهع بما يوعظون به؛ فكانهم ينادون من حيث لا يسمعون. البغوي: ٧٠/٤.

السؤال: ما المقصد القرآني من ضرب هذا المثل: (ينادون من مكان بعيد)؟

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَخُتِلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴾

يقول: وإن الفريق البطل منهم (نفي شك) مما قالوا فيه. (مریب) يقول: يريبهم قولهم فيه ما قالوا؛ لأنهم قالوا بغير ثبت، وإنما قالوه ظنا. الطبري: ٤٨٧/٢١.

السؤال: لماذا لا يثق الكفار فيما يصفون به القرآن الكريم؟

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِينَ أُخِيَاهَا الْمَاءُ لَمُوقٍ إِلَهُ عَلَيْهِمْ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَنُيْلَقِي فِي النَّارِ خَيْرًا مَن يَأْتِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿١٢﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مَّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿١٣﴾ مَا يَقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٤﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ هَذِهِ وَشِقَاقُهَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقُرْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادُّونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَخُتِلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٦﴾ مَن عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَن أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿١٧﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
اهْتَزَّتْ	دَبَّتْ فِيهَا الْحَيَاةُ، وَتَحَرَّكَتْ بِالنَّبَاتِ.
وَرَبَّتْ	انْتَفَخَتْ، وَعَلَّتْ.
يُلْحِدُونَ	يُمِيلُونَ عَنِ الْحَقِّ.
وَقُرْ	صَمَمَ.
مُرِيبٍ	شَدِيدِ الرَّيْبَةِ مُضْطَرِّبٍ.

## ● العمل بالآيات

- ادع الله أن يحيي قلبك بالإيمان كما يحيي الأرض الميتة بالماء، ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِينَ أُخِيَاهَا الْمَاءُ لَمُوقٍ إِلَهُ عَلَيْهِمْ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾.
- ارسل رسالة تبشر فيها بقرب رحمة الله في كشف الضر وصلاح الأحوال، ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِينَ أُخِيَاهَا لَمُوقٍ إِلَهُ عَلَيْهِمْ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾.
- ضع يدك على مكان ألم، واقرا ما تبسر لك من القرآن؛ فإنه شفاء، ﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ هَذِهِ وَأَسْأَلُ هَذِيكَ وَشِقَاقَهَا ﴾.

## ● التوجيهات

- لا يأس من رحمة يصلح بها الله أحوال البلد، ويزيل بها المعاصي والفقر والخراب والحرب، ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِينَ أُخِيَاهَا لَمُوقٍ إِلَهُ عَلَيْهِمْ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾.
- شبهات الكفار والمنافقين والعلمانيين حول القرآن والدين متشابهة على مر القرون والأزمان، ﴿ مَا يَقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴾.
- القرآن دواء وشفاء لأهل الإيمان، وداء على أهل الكفر والنفاق، ﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ هَذِهِ وَأَسْأَلُ هَذِيكَ وَشِقَاقَهَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقُرْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ﴾.

التعنت والعناد أبلغ.

ثم قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْتَوا هَدَيْتُمْ وَشِئْتُمْ﴾ أي: قل يا محمد: هذا القرآن لمن آمن به هُدِيَ لقلبه، وشفاء لما في الصدور من الشكوك والريب، ﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ﴾ أي: لا يفهمون ما فيه، ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ أي: لا يهتدون إلى ما فيه من البيان؛ كما قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَرْضَى الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢].

﴿أَوَلَيْكَ يَتَذَكَّرُونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ قال مجاهد: يعني بعيد من قلوبهم. قال ابن جرير: معناه: كأن من يخاطبهم يناديهم من مكان بعيد، لا يفهمون ما يقول.

قلت: وهذا كقوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَتَّقُ يَا لَا يُفْعَلُ إِلَّا دَعَاً وَبِذَّةٍ مِنْهُمْ لَمَّا هُم مَعَهُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٧١]. وقال الضحاك: يُتَذَكَّرُونَ يوم القيامة بأشنع أسمائهم.

الآية (٤٥): ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَخَتَلَفَ فِيهِ﴾ أي: كَذَّبَ وأوذي، ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرْنَا لَوْلَا الْفَرَسُ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الاحقاف: ٣٥]. ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى بِنَاقِ الْحَسَابِ إِلَى يَوْمِ الْمَعَادِ لَفُتِحَتْ بَيْنَهُمْ﴾ أي: لمَجَلْ لهم العذاب، ﴿بَلْ لَهُمْ مَزِيدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلًا﴾ [الكهف: ٥٨]، ﴿وَأَنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مِرْبٍ﴾ أي: وما كان تكذيبهم له عن بصيرة منهم لما قالوا، بل كانوا شاكين فيما قالوا، غير محققين لشيء كانوا فيه. هكذا وجَّه ابن جرير، وهو محتمل، والله أعلم.

الآية (٤٦): يقول تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾ أي: إنما يعود نفع ذلك على نفسه، ﴿وَمَنْ أَسَاءَ فَلَعَلَّهَا﴾ أي: إنما يرجع وبال ذلك عليه، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَمِيدِ﴾ أي: لا يعاقب أحداً إلا بذنبه، ولا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه، وإرسال الرسول إليه.

الآية (٣٩): قوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ أي: على قدرته على إعادة الموتى ﴿أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خُشْعَةً﴾ أي: هامة لا نبات فيها، بل هي ميتة، ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ أي: أخرجت من جيل السوان الزروع والنبات ﴿وَلِإِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ قال ابن عباس:

الآية (٤٠): قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ قال ابن عباس: الإلحاد: وضع الكلام على غير مواضعه. وقال قتادة وغيره: هو الكفر والعناد. وقوله: ﴿لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾ فيه عديد شديد، ووعيد أكيد؛ أي: أنه تعالى عالم بمن يُلحد في آياته وأسمائه وصفاته، وسيجزيه على ذلك بالعقوبة والنكال؛ ولهذا قال: ﴿أَفَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي بِلُتُومٍ أَوْ يَتَّبِعُ؟﴾ أي: أيسوي هذا وهذا؟ لا يستويان.

ثم قال ﷺ عديداً للكفرة: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ قال مجاهد والضحاك وعطاء: وعيد؛ أي: من خير أو شر، إنه عليم بكم وبصير بأعمالكم؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّهُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

الآية (٤١): ﴿لِإِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ قال الضحاك والسدي وقاتدة: وهو القرآن. ﴿وَأَنَّهُ لَكِنَّتُ عَرْشِي﴾ أي: منيع الجنب، لا يُرام أن يأتي أحد بمثله.

الآية (٤٢): ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُتْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ أي: ليس للبطلان إليه سبيل؛ لأنه منزل من رب العالمين؛ ولهذا قال: ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ أي: حكيم في أقواله وأفعاله، حميد بمعنى محمود، أي: في جميع ما يأمر به وينهى عنه، الجميع محمودة عواقبه وغاياته.

الآية (٤٣): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ﴾ قال قتادة والسدي وغيرهما: ما يقال لك من التكذيب إلا كما قد قيل للرسل من قبلك، فكما قد كُذِّبَ فقد كُذِّبُوا، وكما صبروا على أذى قومهم لهم، فاصبر أنت على أذى قومك لك. وهذا اختيار ابن جرير. وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَعْفَرٍ﴾ أي: لمن تاب إليه. ﴿وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ أي: لمن استمر على كفره، وطفائه، وعناده، وشقاقه، ومخالفته.

الآية (٤٤): لما ذكر تعالى القرآن وفصاحته وبلاغته، وإحكامه في لفظه ومعناه، ومع هذا لم يؤمن به المشركون، نَبَّه على أن كفرهم به كفر عناد وتعنت؛ كما قال ﷺ: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٨-١٩٩]. وكذلك لو أنزل القرآن كله بلغة العجم، لقالوا على وجه التعنت والعناد: ﴿لَوْلَا فَصَّلَتْ آيَاتُهُ، مَا عَجَبْنِي وَعَرَبِيَّ﴾ أي: لقالوا: هلاً أنزل مفصلاً بلغة العرب، ولأنكروا ذلك فقالوا: أعجمي وعربي؟! أي: كيف ينزل كلام أعجمي على مخاطب عربي لا يفهمه؟! هكذا روي هذا المعنى عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وغيرهم. وقيل: المراد بقولهم: ﴿لَوْلَا فَصَّلَتْ آيَاتُهُ، مَا عَجَبْنِي وَعَرَبِيَّ﴾ أي: هلاً أنزل بعضها بالأعجمي، وبعضها بالعربي. هذا قول الحسن البصري، وكان يقرؤها كذلك بلا استفهام في قوله: (أعجمي)، وهو رواية عن سعيد بن جبيرة. وهو في



الآية (٤٧): ﴿وَالَّذِي يَرِدُّ إِلَيْهِ السَّاعَةُ﴾ أي: لا يعلم ذلك أحد سواه، كما قال محمد ﷺ - وهو سيد البشر - لجبريل - وهو من سادات الملائكة - حين سأله عن الساعة: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل» [رواه مسلم، وكما قال تعالى: ﴿إِلَّا رِيكَ مِنْهُنَّ﴾ [النازعات: ٤٤]، وقال: ﴿لَا يَجِيئُهَا لُوفُؤًا إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

وقوله: ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِنْ تَحَرَّتٍ مِنْ أَكْمَالِهَا وَمَا تَحِيلُ مِنْ أَنْتَى وَلَا تَصْعُ إِلَّا بِعِلْيِهِ﴾ أي: الجميع بعلمه، لا يغزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء. وقد قال تعالى: ﴿وَمَا تَشْقُطُ مِنْ ذَرَّةٍ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ [الأنعام: ٥٩]، وقال جلَّتْ عظمته: ﴿بِعِلْمٍ مَا تَحِيلُ كُلُّ أَنْتَى وَمَا تَبْيِضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد: ٨]، وقال: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّهِ شَيْءٌ وَلَا يَنْصُفُ مِنْ عَذَابِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [فاطر: ١١].

وقوله: ﴿وَيَوْمَ يَبْدَأُ يَتُوبُهُمُ﴾ أي: يوم القيامة يتوب أي: يبرئهم الله المشركين على رؤوس الخلائق: أبين شركائي الذين عبدتوهم معي؟! ﴿قَالُوا مَا أَذْنُكَ﴾ أي: أغلظناك ﴿بِمَا بَيْنَ سِهَابٍ﴾ أي: ليس أحد منا اليوم يشهد أن مملك شريكاً. ﴿وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: ذهبوا فلم ينفعوهم، ﴿وَنُظِنُوا مَا لَهُمْ مِنْ نَجِيصٍ﴾ أي: وظنَّ المشركون يوم القيامة، وهذا بمعنى اليقين، ﴿مَا لَهُمْ مِنْ نَجِيصٍ﴾ أي: لا تحيد لهم عن عذاب الله؛ كقوله تعالى: ﴿وَرَأَى الْأَشْكِرُونَ النَّارَ فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مَوَاقِفُوهَا وَلَمْ يُجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ [الكهف: ٥٣].

الآية (٤٩-٥١): يقول تعالى: لا يَمَلُ الإنسان من دعائه ربه بالخير وهو: المال وصحة الجسم وغير ذلك، وإن مسَّ الشرُّ - وهو: البلاء أو الفقر - ﴿فَيَتَوَسَّ قُتُوبًا﴾ أي: يقع في ذهنه أنه لا يتهبَّ له بعد هذا خير. ﴿وَلَكِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَدْرِ حَرِّكَ مَسْنَةً﴾ أي: إذا أصابه خير ورزق بعد ما كان في شدة ﴿لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾ أي: كنت أَسْتَحِفُّه عند ربِّي، ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾ أي: يكفر بقيام الساعة، أي: لأجل أنه حوَّلَ نعمةً يَفْخَرُ وَيَبْتَطِرُ ويكفر؛ كما قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ﴾ ﴿١﴾ أَنْ رَأَاهُ اسْتَقْبَحَ ﴿[الملق: ٦-٧].

﴿وَلَكِنْ رَجِعْتُ إِلَى رَبِّي فَإِنِّي عِنْدَهُ لِلْخُسْفَى﴾ أي: ولئن كان ثمَّ مَعَادٌ فليُخْسِنَنَّ لِي رَبِّي، كما أحسنَّ لِي في هذه الدار؛ يَمْنَنُ على الله ﷻ مع إيساءه العمل وعدم اليقين.

قال تعالى: ﴿فَلْيُخْسِنَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَمَّا عَجِلُوا وَلَيُذِيقَهُمْ رَبِّي عَذَابٍ غَلِيظًا﴾ يَهْدُّ تعالى من كان هذا عمله واعتقاده بالعقاب والنتكال.

ثم قال: ﴿وَلَا تَأْمَنَّا عَلَى الْإِنْسَانِ عَرِضًا وَنَا بَحَائِبَهُ﴾ أي: أَعْرِضُ عن الطاعة، واستكبر عن الانقياد لأوامر الله ﷻ؛ كقوله تعالى: ﴿فَقَوْلِي رَبِّيُؤَيِّدُ﴾ [الذاريات: ٣٩].

﴿وَلَا إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ﴾ أي: الشدة ﴿فَدُودَعَاءَ عَرِيضٍ﴾ أي: يُطِيلُ المسألة في الشيء الواحد، فالكلام العريض: ما طال لفظه وقُلَّ معناه،

والوجيز: عكسه، وهو: ما قُلَّ ودَلَّ. وقد قال تعالى: ﴿وَلَا مَسَّ الْإِنْسَانُ الضَّرَّ دَعَانًا لِجَنَّتَيْهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَالِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ غُضْرَهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضَرْبٍ مَسَّهُ﴾ [يونس: ١١٢].

الآية (٥٢-٥٤): يقول تعالى: قل يا محمد لهؤلاء المشركين المكذِّبين بالقرآن: ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانُ﴾ هذا القرآن ﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ﴾ أي: كيف ترون حالكم عند الذي أنزله على رسوله؟! ولهذا قال: ﴿مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بِعِيدٍ﴾؟! أي: في كُفْرٍ وعِتَادٍ ومُشَاقَّةٍ للحقِّ، ومُشْكَلٍ بعيد من الهدى.

ثم قال: ﴿سَرِيهَةً مَائِتَانِي الْأَقَايِ فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ أي: سَظْهُرُ لهم دلالاتنا وحُجُجنا على كون القرآن حقاً منزلاً من عند الله ﷻ على رسوله ﷺ بدلائل خارجية ﴿فِي الْأَقَايِ﴾ من الفتحاح وظهور الإسلام على الأقاليم وسائر الأديان. قال مجاهد والحسن والسُّدِّي: ودلائل في أنفسهم، قالوا: وقعة بَدْرَ وفتح مكة، ونحو ذلك من الوقائع التي حَلَّتْ بهم؛ نَصَرَ الله فيها محمداً وصَحْبَهُ، وَخَدَّلَ فيها الباطل وحزبه.

ويَحْتَمَلُ أن يكون المراد من ذلك ما الإنسان مُرَكَّبٌ منه وفيه وعليه من المواد والأخلاق والهيئات العجيبة، كما هو مبسوط في علم التشرُّيح الدَّال على حكمة الصانع تبارك وتعالى. وكذلك ما هو مجبول عليه من الأخلاق النبائية، من حَسَنٍ وقبيح وبين ذلك، وما هو مُتَصَرِّفٌ فيه تحت الأقدار التي لا يقدر بحوله وقوته وحيله وحذره أن يجوزها، ولا يَمْتَدَّها.

وقوله تعالى: ﴿حَتَّى يَنْبَيَّ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوْ لَمْ يَكُفْ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَشَهِيدٌ﴾ أي: كفى بالله شهيداً على أفعال عباده وأقوالهم، وهو يشهد أن محمداً صادق فيما أَخْبَرَ به عنه. كما قال: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ، يَعْلَمُ﴾ وَأَلَمَلِكُكُهُ يَشْهَدُونَ ﴿[النساء: ١٦٦].

وقوله: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيقَةٍ لِقَاءَ رَبِّهِمْ﴾ أي: في شكٍّ من قيام الساعة؛ ولهذا لا يَتَفَكَّرُونَ فيه، ولا يعملون له، ولا يحذرون منه، بل هو عندهم هَذَرٌ لا يَمُتُّون به، وهو واقع لا ريب فيه وكائن لا محالة.

ثم قال تعالى - مُقَرِّراً على أنه على كل شيء قدير، وبكل شيء عيط، وإقامة الساعة لديه يسير سهل عليه تبارك وتعالى -: ﴿أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُخِيطٌ﴾ أي: المخلوقات كلها تحت قَهْرِهِ وفي قبضته، وتحت طَيِّ علمه، وهو المنتصرف فيها كلها بحكمه، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

## ● الوقفات التدبيرية

● ﴿لَا يَسْتَمِعُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَوْسُقُ قَنُوطًا﴾  
 هذا الخبر عن طبيعة الإنسان من حيث هو، وعدم صبره وجليله؛ لا على الخير ولا على الشر، إلا من نقله الله من هذه الحال إلى حال الكمال. السعدي: ٧٥٢.

السؤال: أنت ضعيف ببدنك وقلبك، بين هذا من خلال الآيات، وبين كيفية العلاج.

﴿لَا يَسْمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دَعْوِ الْخَيْرِ وَلَنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَنْتَوِي قَتْلًا﴾ (١١) وَلَكِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرْأَةٍ مَسَّتْهُ لِيَقُولَ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَكِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى ﴿

ووصف الإنسان بأقبح صفتين: إن مسه الشر صار إلى حال القاتن ووجع  
 وجوم الآيس، فإذا مسه الخير نسي أن الله هو المنعم عليه الفضل بما أعطا،  
 فيمر وظن أنه هو المستحق لذلك، ثم أضاف إلى ذلك تكذيبه بالبعث فقال:  
 (وما أظن الساعة قائمة)، ثم أضاف إلى ذلك ظنه الكاذب أنه إن بعث  
 ناس من الله الحسني، فعل يدع هذا للجهل والغرور وموضعا. (القصم: ٤٠-٤١).

السؤال: ما الضماتان القبيحتان اللتان يتصف بهما الحال عرَضُهُ للضر والخبر؟ ﴿وَلَا تَسْأَلُ عَنِ الْإِنْسَانِ أَمْشَىٰ وَنَجَّىٰهِ. وَإِذَا سَأَلَكَ الشَّيْطَانُ فَلْيَسِّرْهُ لَعَلَّكَ تَفْهَمُ﴾ (هذو دعاء عريض) أي: كثير جدا؛ لعدم صبره، فلا صبر في الضراء، ولا شكر في الرخاء، إِلَّا مَنْ هَدَاهُ اللَّهُ وَمَنْ عَلَيْهِ السَّعْيُ. ٧٥٢.

**السؤال:** ما هي الحال التي يجب أن يكون عليها المؤمن في السراء أو في الضراء؟ ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْآهْنَ أَشْرَافَهُمْ﴾ وَكَأَيُّ بَخِيلٍ. وَإِذَا مَسَّ الشَّرُّ فَرُدِّكُمْ عَرِيضًا وَعَدِلْ عَنْ إِسْنَادِ إصَابَةِ الشَّرِّ إِلَى اللَّهِ تَعْلِيمًا لِلأدب مع الله، كما قال إبراهيم: (الذي خلقتني هو يهديني الخ). ثم قال: (وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يُنْفِسُنِي) (الشعراء: ٧٨-٨٠)، فلم يقل: «وَإِذَا أَمْرَضَنِي». وفي ذلك سرٌّ وهو أن النعم والمن غير مسخران للإنسان في أصل وضع خلقته؛ فهما الغالبان عليه لأنهما خياريان ظاهران مأموس بقائه العزيم. وأما الشرور والأضرار فإن معظمها ينجز إلى الإنسان بسوء تصرفه ويتعرضه إلى ما حذرته منه الشرائع والحكاما للمؤمنون فقلما يقع فيها إلا الإنسان إذا علمه وجرت له. ابن عاشور: ١٥/٢٥.

**السؤال: لماذا عدلت الآية الكريمة عن إسناد إصابتة الشر إلى الله تعالى؟ وكيف يصل الشر إلى الإنسان غالباً؟**

﴿ سَرَّيْهُمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمُ أَنَّهُ الْحَقُّ ۚ ﴾  
 أي: أن القرآن حق، فأخبر أنه لا بد أن يريهم من آياته المشهودة ما يبين  
 لهم أن آياته المتلوقة حق. ابن القيم: ٤٢٠/٢.

السؤال: آيات الله في الكون والنفس دالة على صحة القرآن، وضع ذلك من خلال الآية: ﴿سُرِّيْهِمْ ءَايَاتُنَا فِي السَّمٰوٰتِ وَفِي السُّجُوْمِ حَتّٰى يَخْبُرُوْهُمْ حَتّٰى يَبَيِّنَ لَهُمْ اَنَّهُ الْحَقُّ ۗ﴾ في هذه الآية طرف من الإيجاز بالإخبار عن الغيب إذ أخبرنا بالوعد بمصوّل النصر له ولدينه؛ وذلك بما يشر الله لرسوله ﷺ وخلفائه من بعده في أفق الدنيا والمشرق والمغرب عامة. وفي بآحة العرب خاصة من الفتوح وشبائها وانطباع الأمم بها ما لم تتيسر أمثالها لأحد من ملوك الأرض والقيصرة والأكساسة على قلة المسلمين... والتاريخ شاهد بأن ما تهيأ للمسلمين من عجائب الانتشار والظلال على المسلمين كلهم خارق للعادة، فيثبت أن دين الإسلام هو حق وإن المسلمين كلما توسكوا بعرى الإسلام تقوا من نصره الله أمراً عجيبا؛ يشهد بذلك السابق واللاحق. ابن عسرو: ١٨/٢.

السؤال: في الآية الكريمة إعجاز غيبي، بينه.

إن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه صعد المتبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد أيها الناس، فإني لم أجمعكم لأمر أحدثه فيكم، ولكن فكرت في هذا الأمر الذي أنتم إليه صائرون، فعلمت أن اللصق بهذا الأمر أحق، والكذب به هالك، ثم نزل. ومعنى قوله رضي الله عنه: (إن المصدق به أحق) أي: لأنه لا يعمل له عمل مثله، ولا يحذر منه، ولا يخاف من هوله، وهو مع ذلك مصدق به، موثق بوقوعه، وهو مع ذلك يتمادي في لعبه وفضله وشهوته وذنوبه، فهو أحق بهذا الاعتبار، والأحق في الفترة ضعيف العقل. إن كثير: ١٠٧/.

السؤال: بعض الذين يصدقون بيوم القيامة ينبئ حالهم بأنهم في مرتبة وشك منه، نبي ذلك.

[illegible]

ΕΛΛ

## معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
أَكْمَامُهَا	أَوْعِيَّتُهَا.
أَذْنَاكَ	أَعْلَمْنَاكَ.
مَحِيص	مَلْجَأٌ، وَمَهْرَبٌ.
لَا يَسَامُ	لَا يَمَلُ.
وَنَأَى بِجَانِبِهِ	تَبَاعَدَ عَنِ شُكْرِ النِّعْمَةِ، وَاتَّبَعَ الْحَقَّ، تَكَبَّرَ.
فَدُوْ دُعَاءِ عَرِيضٍ	صَاحِبُ دُعَاءٍ يَكْشِفُ الضَّرَّ كَثِيرٍ.
شِقَاقٍ بَعِيدٍ	خِلَافٍ بَعِيدٍ عَنِ الْحَقِّ.

## ● العمل بالآيات

١. سَلِ اللَّهَ مِنْ وَاسِعِ رِزْقِهِ وَإِنْ يَعْلَمَكَ عِلْمًا نَافِعًا، ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضْمُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾.

٢٠. اقرأ بعض الآيات والأحاديث المتعلقة بالساعة، ﴿إِلَيْهِ يُرْجَعُ السَّاعَةَ وَمَا تَخْجَرُ مِنْ

۳. ادع الله بتفريج همك، ﴿وَلَا تَمَسَّهُ الشَّرُّ فَيَنْوَسَ قَنُوطٌ﴾.

## ● التوجيهات

١. يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْتَرِقُ كُلُّ دَاعٍ عَمَّن كَانَ يَدْعُوهُ، وَيَتَّبِعُ كُلٌّ مِنَ الْآخِرِ، وَصَلَ عَتَمَهُ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ.

٢. ضعف الإنسان حتى في عقله وتصويراته، ﴿وَإِذَا أُنْمِئَتْ عَلَى الْإِنْسَانِ آعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ، وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾.

٣. الإنسان بلا إيمان من أضل المخلوقات، ﴿مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿ كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى النَّبِيِّينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ أَعَزُّزُ الْحَكِيمُ ﴾

وإجراء وصفى: (العزیز الحکیم) على اسم الجلالة دون غيرهما لأن لهاتين الصفتين مزيد اختصاص بالفرض المقصود من أن الله يصطفى من يشاء لرسالته. ابن عاشور: ٢٧/٢٥.

السؤال: ما وجه ختم الآية بصفتي: (العزیز الحکیم)؟

﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ بِتَغَطُّرٍ مِنْ قُوَّتِهِنَّ ﴾

أي: تكاد كل واحدة منها تنفطر فوق التي عليها من قوول المشرکین: (وقالوا اتخذ الله ولدا) [البقرة: ١١٦]. القرطبي: ٤٤٤/١٨.

السؤال: من أي شيء تكاد تنفطر السماوات؟

﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ بِتَغَطُّرٍ مِنْ قُوَّتِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِنَّ ﴾

وتقديم التسبيح على الحمد إشارة إلى أن تنزيه الله عما لا يليق به أهم من إثبات صفات الكمال له؛ لأن التنزيه تمهيد لإدراك كماله تعالى. ابن عاشور: ٣٣/٢٥.

السؤال: ما فائدة تقديم التسبيح على الحمد؟

﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِنَّ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ ﴾

يسألون ربهم المغفرة لذنوب من في الأرض من أهل الإيمان به. الطبري: ٥٠٢/٢١.

السؤال: أقرب الخلق من الله سبحانه أرحمهم بالخلق، وضح ذلك من الآية.

﴿ وَمَا أَخْلَقْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾

ومفهوم الآية الكريمة: أن اتفاق الأمة حجة قاطعة؛ لأن الله تعالى لم يأمرنا أن نرد إليه إلا ما اختلفنا فيه، فما اتفقا عليه يكفي اتفاق الأمة عليه؛ لأنها معصومة عن الخطأ، ولا بد أن يكون اتفاقها موافقا لما في كتاب الله وسنته رسولته. السعدي: ٧٥٣.

السؤال: كيف تدل هذه الآية على حجية الإجماع؟

﴿ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾

وهذان الأصلان كثيراً ما يذكرهما الله في كتابه؛ لأنهما يحصل بمجموعهما كمال العبد، ويؤوته الكمال بفوتهما أو فوت أحدهما؛ كقوله تعالى: (إياك نعبد وإياك نستعين) [الفاتحة: ٥]، وقوله: (فاعبده وتوكل عليه) [هود: ١٢٣]. السعدي: ٧٥٤.

السؤال: يكثر في كتاب الله تعالى الجمع بين التوكل والعبادة، فلماذا؟

﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾

وجيء في فعل (توكلت) بصيغة الماضي، وفي فعل (أنيب) بصيغة المضارع للإشارة إلى أن توكله على الله كان سابقاً من قبل أن يظهر له تنكر قومه له؛ فقد صادف تنكرهم منه عبداً متوكلاً على ربه. سوا ما فعل (أنيب) فجيء فيه بصيغة المضارع للإشارة إلى تجدد الإنابة. ابن عاشور: ٤٣/٢٥.

السؤال: لماذا جيء في فعل (توكلت) بصيغة الماضي وفي فعل (أنيب) بصيغة المضارع؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمَّ ١ عَسَقَ ٢ كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ  
اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ٣ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ  
وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ٤ تَكَادُ السَّمَوَاتُ بِتَغَطُّرٍ مِنْ قُوَّتِهِنَّ  
وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِنَّ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي  
الْأَرْضِ ٥ إِلَّا أَنْ اللَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ٦ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا  
مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِكَلِيمٍ  
٧ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قَوْلَنَا عَرِيبًا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ  
حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْكُلْعِمْ لَأَنْتَ بِفِيهِ قَرِيبٌ فِي الْجَنَّةِ وَقَرِيبٌ فِي  
السَّعِيرِ ٨ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ  
يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ لَدُنِّي وَلَا تَنْصِيرٍ ٩ أَمْ  
اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَالَهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتِ وَهُوَ  
عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ١٠ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ  
إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ١١

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
يَتَغَطُّرْنَ	يَتَشَقَّقْنَ.
أَوْلِيَاءَ	أَلِهَةً يَتَوَلَّوْنَهَا، وَيَعْبُدُونَهَا.
حَفِيفٌ	زَهِيْبٌ عَفِيْدٌ.
أُمُّ الْقُرَىٰ	مَكَّةُ وَالْمُرَادُ أَهْلُهَا.
لَا رَيْبَ فِيهِ	لَا شَكَّ فِيهِ مَجِيئِهِ.
أُمَّةً وَاحِدَةً	مُجْتَمِعِينَ عَلَى الْهُدَى.
وَإِلَيْهِ أُنِيبُ	إِلَيْهِ أَرْجِعُ فِي كُلِّ الْأُمُورِ.

## ● العمل بالآيات

- استغفر لنفسك ولأهل الأرض من المؤمنين وللمؤمنات اقتداءً بالملائكة، ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِنَّ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ ﴾.
- ألق موعظة على جماعة المسجد أو أرسل رسالة عن يوم القيامة، ﴿ تَنْذِرُ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرُ يَوْمَ الْكُلْعِمْ لَأَنْتَ بِفِيهِ قَرِيبٌ ﴾.
- انظر مسألة اختلف فيها من حولك وابحث عن حكم الله فيها وذكرهم به مع ذكر الدليل، ﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾.

## ● التوجيهات

- المؤمن يحمل هم إخوانه المؤمنين، ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِنَّ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ ﴾.
- افضل مصدر للمواعظ والدروس هو القرآن الكريم، ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قَوْلَنَا عَرِيبًا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ ﴾.
- ستبقى اللغة العربية مفتاحاً لتعلم الدين الصحيح، فاحرص على تعلمها، ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قَوْلَنَا عَرِيبًا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ ﴾.

## تفسير سورة الشورى

وهي مكية. [وعدد آياتها (٥٣) آية].

الآية (١-٦): قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة.

وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ أي: كما أنزل إليك هذا القرآن كذلك أنزل الكتب والصُحف على الأنبياء قبلك. ﴿اللَّهُ الْعَزِيزُ﴾ أي: في انتقامه. ﴿الْحَكِيمُ﴾ في أقواله وأفعاله.

عن عائشة: أن الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: «أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس - وهو أشده عليّ - فيفصم عني وقد وعيت ما قال، وأحياناً يأتيني الملك رجلاً فيكلمني، فأعي ما يقول» قالت عائشة: فلقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه، وإن جبينه ليترعد عرقاً [متفق عليه].

وقوله تعالى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: الجميع عبيد له ومُلك له، تحت قهره وتصريفه.

﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾؛ كقوله تعالى: ﴿الْكَبِيرُ الْمُتَعَالَى﴾ [الرعد: ٩]، ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سبا: ٢٣]، والآيات في هذا كثيرة.

وقوله: ﴿تَكَادُ السَّمٰوٰتُ يَتَنَطَّرُونَ مِنْ تَوْبِهِمْ﴾ قال ابن عباس وقتادة والسدي: أي فرحاً من العظمة. ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَسْتَحْيُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ كقوله: ﴿الَّذِينَ يَجْمَلُونَ الزُّنُوحَ وَهُمْ خَوْلَةٌ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧].

وقوله: ﴿إِلَّا إِلَهُ اللَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ إعلام بذلك وتثوية به.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ يعني: المشركين.

﴿اللَّهُ خَفِيزٌ عَلَيْهِمْ﴾ أي: شهيد على أعمالهم، يحصيها ويعتدّها عدّاً، وسيجزيم بها أوفر الجزاء، ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ أي: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [معد: ١٧].

الآية (٧-٨): يقول تعالى: وكما أوحينا إلى الأنبياء قبلك ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ أي: واضحاً جلياً بيتياً.

﴿لِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ﴾ وهي مكة ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ أي: من سائر البلاد شرقاً وغرباً، وسمّيت مكة «أم القرى» لأنها أشرف من سائر البلاد، لأدلة كثيرة مذكورة في مواضعها.

ومن أوجز ذلك وأدلو ما روي عن عبد الله بن عدي بن الحمراء الزهري: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول - وهو واقف بالحزورة في سوق مكة -: «والله إنك لَحَرَبٌ أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أني أخرجتُ منك ما خرجتُ» [رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه، وصححه الألباني]. وقوله: ﴿وَنُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ﴾ وهو يوم القيامة، يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد.

﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي: لا شك في وقوعه، وأنه كائن لا محالة.

﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾؛ كقوله: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ كُلُّ النَّاسِ لِلْجَنَّةِ أَهْلِهَا﴾ [الناس: ٩]. أي: يجمع أهل الجنة أهل النار<sup>(١)</sup>، وكقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمَ يَجْمَعُ لَهُ الْآتَاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمَ مَسْهُودٌ﴾ [٣٧] ﴿وَمَا تُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُّعَدَّدٍ﴾ [١٠] يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلُمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ سُوقٌ وَسَوِيدٌ [معد: ١٠٣-١٠٥].

وعن عبد الله بن عمرو، قال: خرج علينا رسول الله ﷺ وفي يده كتابان، فقال: «أتدرون ما هذان الكتابان؟» قال: قلنا: لا، إلا أن تخبرنا يا رسول الله، قال للذي في يده اليمنى: «هذا كتاب من رب العالمين، بأساء أهل الجنة وأسَاء آبائهم وقبائلهم، ثم أجعل على آخرهم، لا يزداد فيهم ولا ينقص منهم أبداً» ثم قال للذي في يساره: «هذا كتاب أهل النار بأسائهم وأسَاء آبائهم وقبائلهم، ثم أجعل على آخرهم، لا يزداد فيهم ولا ينقص منهم أبداً» فقال أصحاب رسول الله ﷺ: فلا شيء إذا عمل إن كان هذا أمراً قد فرغ منه؟! فقال رسول الله ﷺ: «مَسَدُوا وقاربوا؛ فإن صاحب الجنة يُجْتَمَعُ له بعمل الجنة، وإن عَمِلَ أيّ عمل، وإن صاحب النار يُجْتَمَعُ له بعمل النار، وإن عَمِلَ أيّ عمل» ثم قال بيده فقبضها، ثم قال: «فَرَعَ رِجْلَهُ مِنَ الْعِبَادَةِ» ثم قال باليمين فستد بها فقال: «فريق في الجنة»، وبكيد باليسرى فقال: «فريق في السعير» [رواه أحمد والترمذي والنسائي، وحسنه الألباني].

وعن أبي نضرة، أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ - يُقال له: أبو عبد الله - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله قبض يمينه قبضة، وأخرى باليد الأخرى، قال: هذه هذه، وهذه هذه ولا أبالي» فلا أدري في أي القبضتين أنا. [رواه أحمد، وصححه الألباني].

وأحاديث القدر في الصحاح والسنن والمسانيد كثيرة جداً. وقوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أي: إما على الهداية أو على الضلالة، ولكنه تعالى فآوت بينهم، فهدي من يشاء إلى الحق، وأضل من يشاء عنه، وله الحكمة والحجة البالغة؛ ولهذا قال: ﴿وَلَكِنْ يَدْخُلُ مَنْ شَاءَ فِي رَحْمَتِي وَالْغُلَامُونَ مَا هُمْ بِتَنَزِّلِي وَلَا نَصِيرِي﴾.

الآية (٩-١٠): يقول تعالى مُنْكِراً على المشركين في اتخاذهم آلهة من دون الله، ومُخْبِراً أنه هو الولي الحق الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده؛ فإنه القادر على إحياء الموتى، وهو على كل شيء قدير.

ثم قال ﷺ: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكِّمُوهُ إِلَى اللَّهِ﴾ أي: مهما اختلفتم فيه من الأمور، وهذا عام في جميع الأشياء ﴿فَحُكِّمُوهُ إِلَى اللَّهِ﴾ أي: هو الحاكم فيه بكتابه وسنة نبيه ﷺ؛ كقوله: ﴿فَإِنْ تَنَزَّعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩].

﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبِّي﴾ أي: الحاكم في كل شيء.

﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ أي: أرجع إليه في جميع الأمور.

(١) أي: يستقصون عقولهم باختيارهم الكفر على الإيمان. [لسان العرب، مادة (غبن)].

الآية (١١-١٢): ﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: خالقهما وما بينهما، ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ أي: من جنسكم وشكلكم، مئة عليكم وتفصيلًا جعل من جنسكم ذكراً وأنثى.

﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا﴾ أي: وخلق لكم من الأنعام ثمانية أزواج. ﴿يَذَرُوكُمْ فِيهِ﴾ أي: يخلقكم فيه، أي: في ذلك الخلق على هذه الصفة لا يزال يذروكم فيه ذكوراً وإنثى، خلقاً من بعد خلق، وجيلاً بعد جيل، ونسلاً بعد نسل، من الناس والأنعام.

وقال البغوي: ﴿يَذَرُوكُمْ فِيهِ﴾ أي: في الرّحم. وقيل: في البطن. وقيل: في هذا الوجه من الخلقة. قال مجاهد: نسلًا بعد نسل من الناس والأنعام.

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ أي: ليس كخالق الأزواج كلها شيء؛ لأنه الفرد الصمد الذي لا نظير له، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

وقوله: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ تقدم تفسيره في «سورة الزمر»<sup>(١)</sup>، وحاصل ذلك أنه المتصرف الحاكم فيها.

﴿يَسُبُّوا الرِّزْقَ لَمَّا يَسَاءَ وَيَقْدِرُ﴾ أي: يوشع على من يشاء، ويضيق على من يشاء، وله الحكمة والعدل التام ﴿إِنَّهُ يَكُلِّ شَيْءٍ عِلْمٌ﴾.

الآية (١٣-١٤): يقول تعالى هذه الأمة: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ فذكر أول الرسل بعد آدم عليه السلام، وهو نوح عليه السلام، وآخرهم وهو محمد ﷺ، ثم ذكر من بين ذلك من أولي العزم وهم: إبراهيم، وموسى، وعيسى ابن مريم عليه السلام.

وهذه الآية انتظمت ذكر الخمسة كما اشتملت آية «الأحزاب» عليهم في قوله: ﴿وَلَوْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ الآية [الأحزاب: ٧].

والذين الذي جاءت به الرسل كلهم هو: عبادة الله وحده لا شريك له؛ كما قال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وفي الحديث: «نحن ممتنر الأنبياء أولاد علات، ديننا واحد» [متفق عليه]. أي: القدر المشترك بينهم هو عبادة الله وحده لا شريك له، وإن اختلفت شرائعهم ومناهجهم؛ كقوله تعالى: ﴿لِكُلِّ جَمَلًا مِنْكُمْ شِرْعَةٌ وَمِنْهَا مَا﴾ [المائدة: ٤٨]، ولهذا قال ههنا: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَفْرُقُوا فِيهِ﴾ أي: وصّى الله تعالى جميع الأنبياء عليه السلام بالاتلاف والجماعة، وتباهم عن الافتراق والاختلاف.

وقوله: ﴿كَذَّبَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ أي: شق عليهم وأنكروا ما ندعوهم إليه يا محمد من التوحيد.

﴿اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ أي: هو الذي يُقدِّر الهداية لمن يستحقها، ويكتب الضلالة على من أترها

على طريق الرشد؛ ولهذا قال: ﴿وَمَا تَفْرُقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ أي: إنما كان مخالفتهم للحق بعد بلوغه إليهم، وقيام الحجة عليهم، وما حملهم على ذلك إلا البغي والعناد والمشاقة.

﴿وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجْلِ يُسَيِّئُ﴾ أي: لولا الكلمة السابقة من الله بإنظار العباد بإقامة حسابهم إلى يوم المعاد، لعجل لهم العقوبة في الدنيا سريعاً. ﴿وَلَوْ أَنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكُتُبَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ يعني: الجيل المتأخر بعد القرن الأول المكثب للحق.

﴿لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٌ﴾ أي: ليسوا على يقين من أمرهم، وإنما هم مقلدون لأبائهم وأسلافهم، بلا دليل ولا برهان، وهم في حيرة من أمرهم، وشك مُريب، وشقاق بعيد.

الآية (١٥): اشتملت هذه الآية الكريمة على عشر كلمات مُستقلات، كل منها مُنفصلة عن التي قبلها، حكّم برأسها، قالوا: ولا نظير لها سوى آية الكرسي؛ فإنها أيضاً عشرة فصول كهذه.

قوله: ﴿فَلْيَذَلِكِ فَأَدْعُ﴾ أي: فللذي أوحينا إليك من الدين الذي وصّينا به جميع المرسلين قبلك أصحاب الشرائع الكبار المُتَّبعة كأولي العزم وغيرهم، فادعُ الناس إليه.

﴿وَأَسْتَفْتِمُ كَمَا أَمَرْتُ﴾ أي: واستقم أنت ومن اتبعك على عبادة الله، كما أمركم الله ﷻ.

﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ يعني: المشركين فيها اختلقوه، وكذبوه وافتروه من عبادة الأوثان. ﴿وَقُلْ ءَمَسْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ﴾ أي: صدقت بجميع الكتب المُنزلة من السماء على الأنبياء، لا نفرق بين أحد منهم.

وقوله: ﴿وَأَمَرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ﴾ أي: في الحكم كما أمرني الله. ﴿اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ أي: هو المعبود، لا إله غيره، فنحن نُقرُّ بذلك اختياراً، وأنتم وإن لم تفعلوه اختياراً، فله يسجد من في العالمين طَوْعاً واختياراً.

﴿لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ﴾ أي: نحن برآء منكم؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُمْ بَرِئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بِرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ٤١].

وقوله: ﴿لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ قال مجاهد: أي لا خصومة. قال السدّي: وذلك قبل نزول آية السيف. وهذا مُتَّحَةٌ، لأن هذه الآية مكيّة، وآية السيف بعد الهجرة.

﴿اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا﴾ أي: يوم القيامة؛ كقوله: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَقْعُنُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾ [سبا: ٢٦].

وقوله: ﴿وَلِلَّهِ الْمَصِيرُ﴾ أي: المرجع والمآب يوم الحساب.



## ● الوقفات التدريبية

﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ﴾

هذه أكبر منة أنعم الله بها على عباده، أن شرع لهم من الدين خير الأديان وأفضلها، وأزكاها وأطهرها؛ دين الإسلام الذي شرعه الله للمصطفين المختارين من عباده، بل شرعه الله لخيار الخيار، وصفوة الصفة؛ وهم أولو العزم من المرسلين المذكورون في هذه الآية؛ أعلى الخلق درجة، وأكملهم من كل وجه. السعدي: ٧٥٤.

السؤال: ما أعظم نعمة أنعم الله بها عليك؟

﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾

اتفق دين سيدنا محمد ﷺ مع جميع الأنبياء في أصول الاعتقادات؛ وذلك هو المراد هنا، ولذلك فسره بقوله: (أن أقيموا الدين)؛ يعني إقامة الإسلام الذي هو توحيد الله وطاعته، والإيمان برسله وكتبه وبإلداره، وأما الأحكام الفروعية، فاختلقت فيها الشرائع، فليست تتراد هنا. ابن جزي: ٢٩٩/٢.

السؤال: ما الأمور التي اتفقت فيها رسالات الأنبياء؟ وما الأمور التي اختلفت فيها؟

﴿ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾

بمث الله الأنبياء كلهم بإقامة الدين، والألفة والجماعة، وترك الفرقة والمخالفة. البيهقي: ٤/٧٧.

السؤال: ما السمة الجامعة المستفادة من الآية التي بعث الله تعالى بها جميع الأنبياء؟

﴿ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ﴾

أي: عظم عليهم (ما تدعوهم إليه) من التوحيد ورفض الأوثان؛ قال قتادة: كبر على المشركين فاشتد عليهم شهادة أن لا إله إلا الله، وضاق بها إبليس وجنوده، فأبى الله عز وجل إلا أن ينصرها ويعليها ويظهرها على من ناواها. القرطبي: ١٨/٤٥٣.

السؤال: ما الأمر الذي عظم على المشركين؟

﴿ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَيِّنَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾

بفياً من بعضهم على بعض طلباً للرئاسة؛ فليس تفرقهم لقصور في البيان والحجج، ولكن للبغي والظلم والاشتغال بالدنيا. القرطبي: ١٨/٤٥٤.

السؤال: ما سبب تفرق بعض وجهاء المسلمين رغم وجود العلم؟

﴿ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾

لما أمر تعالى باجتماع المسلمين على دينهم، ونهاهم عن التفرق، أخبرهم أنك لا تفتروا بما أنزل الله عليكم من الكتاب؛ فإن أهل الكتاب لم يتفرقوا حتى أنزل الله عليهم الكتاب الموجب للاجتماع. السعدي: ٧٥٥.

السؤال: ما الفائدة التي نخرج بها من هذا الإخبار عن أهل الكتب السابقة؟

﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ﴾

ولم يقل: «ولا تتبع دينهم»؛ لأن حقيقة دينهم الذي شرعه الله لهم هو دين الرسل كلهم، ولكنهم لم يتبعوه، بل اتبعوا أهواءهم، واتخذوا دينهم لهواً ولعباً. السعدي: ٧٥٥.

السؤال: في الآية تنبيه على خطورة البدعة، بينه.

فَاطِرَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ اَنْفُسِكُمْ اَزْوَاجًا  
وَمِنْ اَلْبَاقِي اَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيْہِ اَلَيْسَ كَيْفٰیہٗ شَیْءٌ وَهُوَ  
السَّمِیْعُ الْبَصِیْرُ ﴿١٠﴾ لَہٗ مَقَالِیْدُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ یَسْطُرُ  
الرِّزْقَ لِمَن یَّشَآءُ وَیَقْدِرُ لَہٗ یَّکُلُ شَیْءٌ عَلَیْہِ ﴿١١﴾ سَرَّعَ  
لَکُم مِّنَ الدِّیْنِ مَا وَصَّی بِہٖ نُوحًا وَالَّذِیْ اَوْحَیْنَا اِلَیْکَ وَمَا  
وَصَّیْنَا بِہٖ اِبْرٰہِیْمَ وَمُوسٰی وَعِیْسٰی اَنْ اَقِیْمُوا الدِّیْنَ  
وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِیْہِ کَبُرَ عَلَی الْمُشْرِکِیْنَ مَا تَدْعُوْهُمْ اِلَیْہِ اَللّٰہُ  
یَجْتَبِیْ اِلَیْہِ مَن یَّشَآءُ وَیَهْدِیْ اِلَیْہِ مَن یَّیْبَسُ ﴿١٢﴾ وَمَا تَفَرَّقُوا  
اِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَآءَہُمْ اَلْحُکْمُ بَیِّنًا بَیْنَهُمْ وَاَوَّلَآ کَلِمَۃٌ سَبَقَتْ  
مِّنْ رَّبِّکَ اِلَآ اَجَلٌ مُّسَمًّی لِّقَضٰی بَیْنَهُمْ وَلَآ اَلَّذِیْنَ اُورِثُوا  
اَلْکِتٰبَ مِنْ بَعْدِہِمْ لَیْسَ شَآءَ مَنۢ مَّریِبُ ﴿١٣﴾ فَاِذَآ لَکَ  
فَاَدَّعَیْ وَاسْتَفْتٰہُ کَمَا اُمِرْتُ وَلَا تَتَّبِعْ اَہْوَاَہُمْ وَکَلَّ  
ءَاَمَنْتُ بِمَا اَنْزَلَ اللّٰہُ مِنْ کِتٰبٍ وَّاُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَیْنَکُمْ  
اَللّٰہُ رَبُّنَا وَرَبُّکُمْ لَنَآ اَعْمَلُنَا وَلَکُمْ اَعْمَلُکُمْ لَا حِجَۃَ  
بَیْنَنَا وَبَیْنَکُمْ اَللّٰہُ یَجْمَعُ بَیْنَنَا وَاِلَیْہِ الْمَصِیْرُ ﴿١٤﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
فَاطِرُ	خَالِقُ، وَمُبدِعُ.
يَذُرُّكُمْ فِيْہِ	يُكثِّرُكُمْ؛ بِسَبَبِ التَّوْرِیجِ.
مَقَالِیْدُ السَّمٰوٰتِ	مَلَكُہَا، وَمَفَاتِیحُ خَزَائِنِہَا.
یَسْطُرُ	یُوسِعُ.
وَيَقْدِرُ	یُضِیْقُ.
یَجْتَبِیْ اِلَیْہِ	یَصْطَفِیْ لِتَوْحِیْدِہِ، وَدِیْنِہِ.
یُیْبَسُ	یَرْجِعُ اِلَیْہِ بِالطَّاعَةِ.
مَرِیِبُ	مَوْجِعٌ فِی الرِّیْبَةِ، وَالْاِخْتِلَافِ الْمَذْمُومِ.

## ● العمل بالآيات

- ادع صديقاً أو قريباً إلى عبادة أو سنة أنت تعملها، ﴿ فَاِذَآ لَکَ فَاَدَّعَیْ وَاسْتَفْتٰہُ کَمَا اُمِرْتُ ﴾.
- قل هذه العبارة اتباعاً لأوامر الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَقُلْ ءَاَمَنْتُ بِمَا اَنْزَلَ اللّٰہُ مِنْ کِتٰبٍ ﴾.
- انظر بدعة أو معصية انتشرت فيمن حولك وابتعد عنها، وحذر منها، ﴿ وَلَا تَتَّبِعْ اَہْوَاَہُمْ ﴾.

## ● التوجيهات

- إثبات الصفات لله سبحانه ونفي مماثلته للمخلوقات، ﴿ اَلَيْسَ كَيْفٰیہٗ شَیْءٌ وَهُوَ السَّمِیْعُ الْبَصِیْرُ ﴾.
- ارض بما قسم الله؛ فالذي يبسط الرزق ويقبضه هو الله وحده، ﴿ یَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَن یَّشَآءُ وَیَقْدِرُ لَہٗ ﴾.
- حسن مقصد العبد مع اجتهاده في طلب الهداية من اسباب التيسير لها، ﴿ اَللّٰہُ یَجْتَبِیْ اِلَیْہِ مَن یَّشَآءُ وَیَهْدِیْ اِلَیْہِ مَن یَّیْبَسُ ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾  
فإن قيل: ما وجه اتصال ذكر الكتاب والميزان بذكر الساعة؟ فالجواب  
أن الساعة يوم الجزاء والحساب؛ فكانه قال: اعدلوا وافعلوا الصواب قبل  
اليوم الذي تحاسبون فيه على أعمالكم، ابن جزي: ٣٠٠/٢.

السؤال: ما وجه ذكر الساعة بعد الكتاب والميزان؟

﴿ يَسْتَعِجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ إِنَّهَا ﴾  
أي: خائفون لإيمانهم بها، وعلمهم بما تشتمل عليه من الجزاء  
بالأعمال، وخوفهم لمعرفتهم بربهم أن لا تكون أعمالهم منجية لهم ولا  
مسعدة، السعدي: ٧٥٦.

السؤال: ما سبب خوف المؤمنين من الساعة؟

﴿ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ ﴾

ومن لطفه أن قبض لعبده كل سبب يموقه ويحول بينه وبين المعاصي،  
حتى إنه تعالى إذا علم أن الدنيا والمال والرياسة ونحوها مما يتنافس فيه أهل  
الدنيا، تقطع عبده عن طاعته، أو تحمله على الغفلة عنه، أو على معصية  
صرفها عنه، وقدر عليه رزقه، ولهذا قال هنا: (يرزق من يشاء)، السعدي: ٧٥٧.

السؤال: لماذا ذكر الرزق بعد اللطف بعباده؟

﴿ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴾

وعطف (وهو القوي العزيز) على صفة (لطيف) أو على جملة (يرزق من  
يشاء)، وهو تجسيد لله تعالى بهاتين الصفتين، ويفيد الاحتراس من توهم  
أن لطفه عن عجز أو مصانعة؛ فإنه قوي عزيز لا يعجز ولا يصانع، أو  
عن توهم أن رزقه لمن يشاء عن شئ أو قلة؛ فإنه القوي، والقوي تنتفي عنه  
أسباب الشئ، والعزیز ينتفي عنه سبب الفقر؛ فرزقه لمن يشاء بما يشاء  
منوط بحكمة غلبها في أحوال خلقه عامة وخاصة، ابن عاشور: ٧٣/٢٥.

السؤال: ما فائدة عطف (وهو القوي العزيز) على صفة (لطيف)؟

﴿ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴾

قال محمد بن علي الكتاني: اللطيف بمن لجأ إليه من عباده إذا يئس  
من الخلق وتوكل عليه ورجع إليه، فحينئذ يقبله ويقبل عليه، وقيل:  
اللطيف الذي ينشر من عباده المناقب ويستر عليهم المثالب؛ وقيل: هو  
الذي يقبل القليل ويبدل الجزيل، وقيل: هو الذي يجبر الكسير وييسر  
العسير... وقيل: هو الذي لا يعاجل من عساه ولا يخيب من رجاءه، وقيل:  
هو الذي لا يرد سائله ويؤنس أمله، وقيل: هو الذي يعفو عمن يهفو.  
وقيل: هو الذي يرحم من لا يرحم نفسه، القرطبي: ٤٥٩/١٨-٤٦١.

السؤال: ماذا تعرف عن حقيقة لطف الله تعالى بعبده؟

﴿ مَنْ كَانَتْ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْوِهِ ﴾

المعنى: أي من طلب بما رزقناه حرثاً لآخرته، فآدى حقوق الله، وانفق في إعزاز  
الدين؛ فإنما نعطيه ثواب ذلك للواحد عشرين إلى سبعمائة فأكثر، القرطبي: ٤٦١/١٨.

السؤال: ما المقصود بالزيادة في الحرث؟

﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْحَاتٍ الْجَنَّاتِ لَهُمْ ﴾  
مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾

من لطائف هذا الوجه أنه جاء على الترتيب المعهود في الحصول في الخارج؛  
فإن الضيف أو الوافد ينزل أول قدومه في منزل إكرام، ثم يحضر إليه  
القرى، ثم يخاطبه رب المنزل ويقترّب منه، ابن عاشور: ٧٩/٢٥.

السؤال: جاءت الآية الكريمة بثلاث مراتب للمؤمنين في الجنة هي  
مراتب الإكرام، بينها؟

وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ وَحَبِطَ لَهُمْ  
دَاجِبُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ  
﴿ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ ﴾  
لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿ يَسْتَعِجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾  
بِهَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّهَا الْحَقُّ  
﴿ الْآلَاءِ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴾  
﴿ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴾  
﴿ مَنْ كَانَتْ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْوِهِ وَمَنْ ﴾  
كَانَتْ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ  
مِنْ نَصِيبٍ ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ ﴾  
مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ  
وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿ تَرَى الظَّالِمِينَ ﴾  
مُشْفِقِينَ ﴿ مَقَامِكُمْ أَوْ هُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ ﴾  
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْحَاتٍ الْجَنَّاتِ لَهُمْ  
مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿

٤٨٥

## ● معاني الكلمات

المعنى	الكلمة
يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ	يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ
دَاجِبُهُمْ	دَاجِبُهُمْ
مُشْفِقُونَ مِنْهَا	خَائِفُونَ مِنْ قِيَامِهَا.
يُمَارُونَ	يُحَادِّثُونَ.
حَرْثَ الْآخِرَةِ	ثَوَابُهَا.
كَلِمَةُ الْفَصْلِ	قَضَاؤُهُ يَمَاهِلُهُمْ وَعَدَمُ مُعَاجَلَتِهِمْ بِالْعُقُوبَةِ.

## ● العمل بالآيات

١. اعمل عملاً يدل على إيمانك بقرب الساعة، ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾.
٢. تفكر في نفسك وسجل ثلاثة مظاهر لطف الله تعالى بك، ﴿ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴾.
٣. اغرس في قلبك أمنية لعمل صالح عظيم، واجتهد في تحقيقها حتى يزيدك الله أعمالاً صالحة أخرى، ﴿ مَنْ كَانَتْ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْوِهِ ﴾.

## ● التوجيهات

١. بيان بعض الحكمة في إنزال الكتاب - أي القرآن - والميزان، وهو أن يحكم الناس بالقسم، ﴿ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ ﴾.
٢. بيان وجوب إصلاح النيات؛ فإن مدار العمل قبولاً ورفضاً بحسبها، ﴿ مَنْ كَانَتْ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْوِهِ وَمَنْ كَانَتْ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴾.
٣. احذر من البدع؛ فإنها من أسباب انحراف الديانات السابقة، وتجلب غضب الله، ولذلك تجد الشيطان لا يخذل العبد عنها، ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ ﴾.

ما هو بصلده، وتُخَرَّج ناءه، ونجزيه بالحسنة عُشْر أمثاله إلى سبعةائة ضعف، إلى ما يشاء الله. ﴿وَمَنْ كَانَتْ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ أي: ومن كان إنما سميَّه ليحصل له شيء من الدنيا، وليس له إلى الآخرة همَّ الأتية بالكلية، حرَّمه الله الآخرة، والدنيا إن شاء أعطاه منها، وإن لم يشأ لم يحصل له لا هذه ولا هذه، وفاز الساعي بهذه النية بالصَّفَّة الخاسرة في الدنيا والآخرة. والدليل على هذا أن هذه الآية ههنا مقيدة بالآية التي في «سبحان»؛ وهي قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْمَالَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ (١٨) وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا (١٩) كَلَّا تَذَكَّرُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَايِكَ وَمَا كَانَ عَطَايَكَ مَحْظُورًا (٢٠) أَنْظِرْ كَيْفَ نَضَلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْصِيلًا (الإسراء: ١٨-٢١). عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «بَشِّرْ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِالسَّاءِ وَالرُّفْعَةِ، وَالنَّصْرِ وَالتَّمَكُّنِ فِي الْأَرْضِ، فَمَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ عَمَلًا الْآخِرَةَ لِلدُّنْيَا، لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ» [رواه أحمد، وصححه الألباني].

وقوله: ﴿أَمْ لَمْ نَكُنْ شَرَكَاؤُكُمْ شِرْكًا لَكُمْ مِنْ الدِّينِ الْقَوِيمِ مَا لَمْ يَأْتِ بِهِ إِلَهُ﴾ أي: هم لا يتبعون ما شرع الله لك من الدين القويم، بل يتبعون ما شرع لهم شياطينهم من الجن والإنس، من تحريم ما حرموا عليهم، من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، وتحليل الميتة والدم والقهار، إلى نحو ذلك من الضلالات والجهالة الباطلة، التي كانوا قد اخترعوها في جاهليتهم، من التحليل والتحريم، والعبادات الباطلة، والأقوال الفاسدة. وقد ثبت أن رسول الله ﷺ قال: «رَأَيْتُ عَمْرُو بْنَ لُحْيٍ بَيْنَ قَعْمَةٍ يَجْرُ قُضْبُهُ فِي النَّارِ؛ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَبَّ السَّوَابِ» [متفق عليه]. وهو الذي تحمل قريشاً على عبادة الأصنام، لعنه الله وقبحه؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَوْ لَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُصِّ بَيْنَهُمْ﴾ أي: لمؤجلوا بالعقوبة، لولا ما تقدَّم من الإنظار إلى يوم المعاد، ﴿وَإِنْ أَظْلَمَ لِيَكُنْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: شديد مُوجِعٌ في جهنم وبش المصير.

ثم قال تعالى: ﴿تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا﴾ أي: في عَرَضَاتِ الْقِيَامَةِ، ﴿وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾ أي: الذي يُخَافُونَ مِنْهُ وَاقِعٌ بِهِمْ لَا عَمَلَهُ، هَذَا حَالُهُمْ يَوْمَ مَعَادِهِمْ، وَهُمْ فِي هَذَا الْخَوْفِ وَالْوَجَلِ. ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتٍ الْجَنَّاتِ هُمْ تَائِسَتَاءُ وَنَحْنُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ فإين هذا من هذا؟! أين من هو في العَرَضَاتِ فِي الدُّلِّ وَالْهَوَانِ وَالْخَوْفِ الْمُحَقَّقِ عَلَيْهِ بِظُلْمِهِ، مِمَّنْ هُوَ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَاتِ، فِيهَا يَشَاءُ مِنْ مَأْكَلٍ وَمَشَارِبٍ وَمَلَابِسٍ وَمَسَاكِنٍ وَمَنَاظِرٍ وَمَنَاحِكٍ وَمَلَادٍ، فَيَا لَعَيْنِ رَأَتْ وَلَا أَدُنَّ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٌ؟! ولهذا قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ أي: الفوز العظيم، والنعمة التامة السابعة الشاملة العامة.

الآية (١٦-١٨): يقول تعالى مُتَوَعِّدًا الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ آمَنَ بِهِ: ﴿وَالَّذِينَ يُجَاجِرُونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجِيبَ لَهُ﴾ أي: يجادلون المؤمنين المستجيبين لله ولرسوله، ليصدُّوهم عَمَّا سَلَكَوْهُ مِنْ طَرِيقِ الْهُدَى. ﴿فَجَنَّمْ دَاجِسَةً عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ أي: باطلة عند الله، ﴿وَعَلَيْهِمْ عَذَابٌ﴾ أي: منه، ﴿وَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ أي: يوم القيامة. قال ابن عباس ومجاهد: جَادَلُوا الْمُؤْمِنِينَ بَعْدَ مَا اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ، لِيَصُدُّوهُمْ عَنِ الْهُدَى، وَطَعِمُوا أَنْ تَعُودَ الْجَاهِلِيَّةُ. وقال قتادة: هم اليهود والنصارى؛ قالوا لهم: ديننا خير من دينكم، ونبينا قبل نبيكم، ونحن خير منكم، وأولى بالله منكم. وقد كَذَّبُوا فِي ذَلِكَ. ثم قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ يعني: الْكِتَابَ الْمُنَزَّلَ مِنْ عِنْدِهِ عَلَى أَنْبِيَائِهِ، ﴿وَالَّذِينَ﴾ وهو: الْعَذْلُ وَالْإِنصَافُ، قاله مجاهد وقاتادة. وهذه كقولهِ تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ (الحديد: ٢٥)، وقوله: ﴿وَالشَّكَّاءُ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ (الأنعام: ١٠٨) وَأَقِيمُوا الزُّكْرَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَحْسِرُوا الْمِيزَانَ (الرحمن: ٧-٩). وقوله: ﴿وَمَا يَذَرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ فيه ترغيب فيها، وترهيب منها، وترهيد في الدنيا.

وقوله: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾ أي: يقولون: ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (سبا: ٢٩)، وإنا يقولون ذلك تَكْذِيبًا وَاسْتِعْجَالًا، وَكُفْرًا وَعِتَادًا. ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا﴾ أي: خائفون وَجُلُونَ مِنْ وَقْعِهَا ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا لَأَتَى﴾ أي: كائنة لا محالة، فهم مُسْتَعِجِلُونَ لَهَا عَامِلُونَ مِنْ أَجْلِهَا. وقد رُويَ مِنْ طَرَفٍ تَبْلُغُ دَرَجَةَ التَّوَاتُرِ، فِي الصَّحَاحِ وَالْحَسَنِ، وَالسَّنَنِ وَالْمُسَانِيدِ، وَفِي بَعْضِ الْفَافَةِ: أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِصَوْتِ جَهْوِيٍّ، وَهُوَ فِي بَعْضِ أَصْفَارِهِ، فَنَادَاهُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ نَحْوًا مِنْ صَوْتِهِ «هَؤُلَاءِ». فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَيْحُكَ، هِيَ كَائِنَةٌ، فَمَا أَغْدَدْتَ لَهَا؟». فَقَالَ: حُبُّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ. فَقَالَ: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَتَيْتَ؟» [متفق عليه]. فَقَوْلُهُ: «الرَّءِيعُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ» مُتَوَاتِرٌ لَا عَمَلَهُ، وَالْغَرَضُ: أَنَّهُ لَمْ يُجِئْ عَنْ وَقْتِ السَّاعَةِ، بَلْ أَمَرَهُ بِالِاسْتِعْدَادِ لَهَا. وقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ يُسَارِفُونَ فِي الْأَسَاعَةِ﴾ أي: يُجَاجِرُونَ فِي وَجُودِهَا وَيَدْفَعُونَ وَقْعَهَا.

﴿لَقَدْ سَخَّلَ بَعِيدٌ﴾ أي: فِي جَهْلِ بَيْنٍ؛ لِأَنَّ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى إِحْيَاءِ الْمَوْتَى بِطَرِيقِ الْأَوَّلَى وَالْآخِرَى؛ كَمَا قَالَ: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَتْ عَلَيْهِ﴾ (الروم: ٢٧).

الآية (١٩-٢٢): يقول تعالى مُخْبِرًا عَنْ لُطْفِهِ بِخَلْقِهِ فِي رَزْقِهِ لِيَأْهُمَ عَنْ آخِرِهِمْ، لَا يَنْسَى أَحَدًا مِنْهُمْ، سِوَا فِي رَزْقِهِ الْبَرِّ وَالْفَاجِرِ؛ كَقَوْلِهِ ﷻ: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا لَاحِلٌ إِلَيْنَا رِزْقُهَا وَنَعْلَمُ سِتْرَهَا وَمُسْتَوْدَعُهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (هود: ٦). ولها نظائر كثيرة.

وقوله: ﴿يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ﴾ أي: يُوسِّعُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ، ﴿وَهُوَ الْقَوِيُّ الْغَنِيُّ﴾ أي: لَا يَعْجِزُهُ شَيْءٌ. ثم قال: ﴿مَنْ كَانَتْ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ﴾ أي: عَمَلُ الْآخِرَةِ. ﴿نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾ أي: نُفُوهِ وَنُوعِهِ عَلَى

(١) يضم الغاف وسكون الصاد؛ أي: أمعاه. [ينظر: القاموس المحيط، مادة (نصب)].



الآية (٢٥-٢٨): يقول تعالى ممتناً على عباده بقبول توبتهم إليه إذا تابوا ورجعوا إليه: **أَنَّهُ مِنْ كَرَمِهِ وَجَلَّمَهُ أَنَّهُ يَعْفو وَيَصْفَحُ وَيَسْتُرُ**

مهما أصابكم -أيها الناس- من المصائب فإنما هو عن سيئات تقدمت  
لكم، ﴿وَيَعْلَمُ عَنْ كَثِيرٍ﴾ أي: من السيئات، فلا يجازيكم عليها بل  
يعفو عنها، ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى  
ظَهْرِهِمَا مِنْ آيَةٍ﴾ (فاطر: ٤٥). وفي الحديث: «والذي نفسي بيده، ما  
يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا حَزَنٍ إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ  
عنه بها من خطاياها، حتى الشوكة يُكْفِّرُها» [متفق عليه].



## ● الوقفات التدريبية

❶ ﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهَ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾

يقول تعالى لما ذكر روضات الجنات لعباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات: (ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات) أي: هذا حاصل لهم كائن لا محالة، ببشارة الله تعالى لهم به. ابن كثير: ١١٤/٤.

السؤال: ما وجه البشارة للمؤمنين في هذه الآية؟

❷ ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾

لما كانت التوبة من الأعمال العظيمة التي قد تكون كاملة بسبب تمام الإخلاص والصدق فيها، وقد تكون ناقصة عند نقصهما، وقد تكون فاسدة إذا كان القصد منها بلوغ غرض من الأغراض الدنيوية، وكان محل ذلك القلب الذي لا يعلمه إلا الله، ختم هذه الآية بقوله (ويعلم ما تفعلون). السعدي: ٧٥٨.

السؤال: لماذا ختمت الآية بقوله تعالى: (ويعلم ما تفعلون)؟

❸ ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾

وفي ذكر اسم العباد دون نحو: الناس، أو التابعين، أو غير ذلك، إيحاء إلى أن الله رفيق بعباده لقام العبودية، فإن الخالق والصانع يحب صلاح مصنوعه. ابن عاشور: ٩٠/٢٥.

السؤال: ما فائدة التعبير بالعباد دون الناس أو التابعين في الآية الكريمة؟

❹ ﴿وَلَوْ سَئَلُوكَ آلِهَةً لَبَدَّلُوا بَدَلَ مَا يَفْعَلُونَ﴾

قد يعلم من حال عبد أنه لو بسط عليه قاده ذلك إلى الفساد فيزوي عنه الدنيا مصلحة له؛ فليس ضيق الرزق هواناً ولا سته فضيلة... وروي: «إن من عبادي المؤمنين من يسألني الباب من العبادة وإني أعلم أن لو أعطيته إياه لدخله العجب فأفسده. وإن من عبادي المؤمنين من لا يصلحه إلا الفنى ولو أفرقه لأفسده الفقر. وإن من عبادي المؤمنين من لا يصلحه إلا الفقر ولو أغنيته لأفسده الفنى». القرطبي: ١٨/٤٧٥.

السؤال: هل سعة الرزق خير للإنسان على كل حال؟

❺ ﴿وَهُوَ الَّذِي يُزِيلُ إِلَهُاتٍ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾

وخصا بالذكر دون غيرها من النعم الدنيوية لأنها نعم لا يختلف الناس فيها؛ لأنها أصل دوام الحياة بإيجاد الغذاء الصالح للناس والدواب. ابن عاشور: ٩٥/٢٥.

السؤال: لماذا خص الفيت بالذكر بعد الرزق العام؟

❻ ﴿وَهُوَ الَّذِي يُزِيلُ إِلَهُاتٍ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾

وذكر صفتي (الولي الحميد) دون غيرهما لمناسبتهما للإغلاشة؛ لأن (الولي) يحسن إلى مواليه، و(الحميد) يعطي ما يُحمد عليه. ابن عاشور: ٩٦/٢٥.

السؤال: من أنسب الأسماء الحسنى في هذا الموضع (الولي الحميد) بين ذلك؟

❼ ﴿وَمَا أَصْبَرُكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كُنْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾

المعنى: أن المصاب التي تصيب الناس في أنفسهم وأموالهم إنما هي بسبب الذنوب. ابن جزي: ٣٠٣/٢.

السؤال: ما أريك فيمن يقول: إن سبب الكوارث أسباب طبيعية، والذنوب والمعاصي لا دخل لها بذلك؟

ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهَ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَنْ يَقْرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حَسَنَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَفُوٌّ شَكُورٌ ۝١٥ أَمْ يَقُولُونَ أَفَنُحْيِي عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشِإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَبِمَتَّ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُخْلِقُ لِقَافٍ يَكْفُرُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝١٦ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٧ وَسَيَجْزِيكَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۝١٨ وَلَوْ سَئَلُوكَ آلِهَةً لَبَدَّلُوا بَدَلَ مَا يَفْعَلُونَ ۝١٩ وَلَكِنْ يُزِيلُ إِلَهُاتٍ إِنَّهُ يُعَٰدِي عِبَادَهُ حِينَ صَبَرُوا ۝٢٠ وَهُوَ الَّذِي يُزِيلُ الْفَتِنَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ۝٢١ وَمِنْ ءَلَانِيَةِ خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ دَابَّةٍ ۝٢٢ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ۝٢٣ وَمَا أَصْبَرُكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كُنْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ۝٢٤ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝٢٥

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ	لَا تُؤَدُّونِي فِي تَبْلِيغِ الدُّعْوَةِ لِمَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ مِنْ الْقَرَابَةِ
يَقْرِفْ حَسَنَةً	يَكْتَسِبْ طَاعَةً
افْتَرَىٰ	اِخْتَلَقَ
قَنَطُوا	يَسْأَلُوا مِنْ زُرْوَلِهِ
وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ	يُسَبِّطُ مَطَرَهُ
بَثَّ	فَرَّقَ، وَنَشَرَ
دَابَّةٍ	مَا يَدْبُ عَلَى الْأَرْضِ؛ مِنْ إِنْسٍ، وَحَيَوَانٍ، وَغَيْرِهِمَا

## ● العمل بالآيات

١. قل: اللهم اقبل توبتي واعف عن سيئاتي، ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾.
٢. انظر أمراً أمر الله به ورد في الآيات واستجب له حتى يزيدك الله من فضله، ﴿وَسَيَجْزِيكَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾.
٣. تذكر مصيبة وقعت لك ثم أكثر من الاستغفار مستحضراً قوله تعالى: ﴿وَمَا أَصْبَرُكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كُنْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾.

## ● التوجيهات

١. وعد الله بمحو الباطل، ﴿وَمَتَّ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُخْلِقُ لِقَافٍ يَكْفُرُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.
٢. حكمته الله سبحانه في قسمة الأزواق بين الخلق، ﴿وَلَوْ سَئَلُوكَ آلِهَةً لَبَدَّلُوا بَدَلَ مَا يَفْعَلُونَ﴾.
٣. من مظاهر رحمة الله بخلقه نزول المطر، وهي نعمة تستوجب الشكر، ﴿وَهُوَ الَّذِي يُزِيلُ الْفَتِنَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْخَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَى ﴾ (١) إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿

وجعل ذلك آية (لكل صبار شكور) لأن في الخالتين خوفاً ونجاة، والخوف يدعو إلى الصبر، والنجاة تدعو إلى الشكر. ابن عاشور: ١٠٦/٢٥.

السؤال: لماذا جعل في جري الفلك أو ركودها على ظهر البحر آية لكل صبار شكور؟

﴿ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْضَرُونَ ﴾ ، ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ﴾ إن كلاً من الوصفين في محل. وهو فيه محمود: فالعفو عن العاجز المعترف بجرمه محمود. ولفظ الغفرة مشعر به. والانتصار من المخاصم المنصر محمود، ولفظ الانتصار مشعر به. ولو أوقعا على عكس ذلك كانا مندمومين. وعلى هذا جاء قوله:

إذا انت اكرمت الكريم ملكته ♦ وإن انت اكرمت اللئيم تمردا  
فوضع الندى في موضع السيف بالعال ♦ مضى كوضع السيف في موضع الندى  
الألوسي: ٦٦/٢٥.

السؤال: كيف نجمع بين قول الله تعالى: (وإذا ما غضبوا هم ينتصرون) وقوله: (والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون)؟

﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنَّهُمْ يُؤْتُونَ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُوقِنُونَ ﴾ ومن الاستجابة لله: إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة؛ فلذلك عطفهما على ذلك؛ من باب عطف الخاص على العام، الدال على شرفه وفضله. السعدي: ٧٦.

السؤال: إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة داخلة ضمن الاستجابة للرب، فلماذا ذكرها بعد ذكر الاستجابة؟

﴿ وَأَنَّهُمْ يُؤْتُونَ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُوقِنُونَ ﴾ أي: لا يستبد أحد منهم براهيه في أمر من الأمور المشتركة بينهم، وهذا لا يكون إلا فرعاً عن اجتماعهم وتوافقهم وتوابعهم وتحابهم وكمال عقولهم؛ أنهم إذا أرادوا أمراً من الأمور التي تحتاج إلى أعمال الفكر والرأي فيها اجتمعوا لها وتشاوروا وبحثوا فيها، حتى إذا تبينت لهم المصلحة انتهزوها وبادروها. السعدي: ٧٦.

السؤال: الشورى بين المسلمين تدل على أمر آخر عظيم، ما هو؟

﴿ وَحَرَّزُوا سَيِّئَةً سَبَيْتَ نِفْلَهَا فَمَنْ عَصَا وَاصْلَحْ فَأَمْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾ شرط الله في العفو: الإصلاح فيه؛ ليدل ذلك على أنه إذا كان الجاني لا يليق العفو عنه، وكانت المصلحة الشرعية تقتضي عقوبته، فإنه في هذه الحال لا يكون مأموراً به. السعدي: ٧٦.

السؤال: ما وجه ذكر الإصلاح بعد العفو؟

﴿ وَحَرَّزُوا سَيِّئَةً سَبَيْتَ نِفْلَهَا فَمَنْ عَصَا وَاصْلَحْ فَأَمْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾ في جعل اجر العافي على الله ما يبيح على العفو، وان يعامل العبد الخلق بما يحب ان يعامله الله به، فكما يجب ان يعفو الله عنه فليعف عنهم، وكما يجب ان يسامحه الله فليسامحهم؛ فإن الجزاء من جنس العمل. السعدي: ٧٦.

السؤال: ماذا تستفيد من جعل اجر العافي على الله؟

﴿ وَحَرَّزُوا سَيِّئَةً سَبَيْتَ نِفْلَهَا فَمَنْ عَصَا وَاصْلَحْ فَأَمْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ (٢) وَلَكِنْ انْتَصَرَ بَدَّ ظُلْمِهِمْ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴿ (فمن عفا واصلح فاجره على الله): هذا يدل على ان العفو عن الظلمة افضل من الانتصار؛ لأنه ضمن الأجر في العفو، وذكر الانتصار بلفظ الإباحة في قوله: (ولكن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل). ابن جزي: ٣٥/٢.

السؤال: كيف كان العفو افضل من الانتصار؟

وَمَنْ يَتَّبِعِ الْخَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَى ﴿١﴾ إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٢﴾ أَوْ يُوقِنُ هُمْ بِمَا كَسَبُوا وَيُغْفِرُ عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣﴾ وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُحَدِّثُونَ فِيهِ الْآيَاتِ مَا لَهُمْ مِنْ حِصْبٍ ﴿٤﴾ فَأَنَّا يُبْرِئُ مِنْ شَيْءٍ مِمَّا تَفْتَعِ الْخِلَافَةُ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَنبَأُ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رُبِّهِمْ يُتَوَكَّلُونَ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْضَرُونَ ﴿٦﴾ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنَّهُمْ يُؤْتُونَ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُوقِنُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ﴿٨﴾ وَحَرَّزُوا سَيِّئَةً سَبَيْتَ نِفْلَهَا فَمَنْ عَصَا وَاصْلَحْ فَأَمْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٩﴾ وَلَكِنْ انْتَصَرَ بَدَّ ظُلْمِهِمْ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَتَوَكَّلُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَلَكِنْ صَبَرُوا وَعَفُوا إِنَّ ذَلِكَ لِمَنْ عَزَمَ الْأُمُورَ ﴿١٢﴾ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُ يَجْعَلُ لِمَنْ يَشَاءُ الْأُمُورَ وَلَكِنْ لَمَّا رَأَى الْأَعْدَابَ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مَرَّةٌ مِّنْ سَبِيلٍ ﴿١٣﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
الْخَوَارِ	السُّفُنُ الْجَارِيَةُ.
كَالْأَعْلَى	كَالْجِبَالِ فِي عَظَمِهَا.
رَوَاكِدَ	تَوَابِتٌ لَا تَجْرِي.
يُوقِنُونَ	يُهْلِكُ السُّفُنَ بِالْفَرْقِ.
مُحِصٍ	مُهْرَبٍ، وَمَلْجَأٍ.
الْبَغْيِ	الظُّلْمُ، وَالْعُدَاوَةُ.
عَزَمَ الْأُمُورَ	الْأَفْعَالُ الْحَمِيدَةُ، وَالْخُصَالُ الْمَشْكُورَةُ.

## ● العمل بالآيات

- شاهد السفن كيف تشبي في البحر -أو صورة لها- واكتب تأملاتك لتحقيق التفكير في هذه الآية: ﴿ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْخَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَى ﴾.
- إذا أذن المؤذن فاترك ما يشغلك وقم مباشرة إلى المسجد، ﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ﴾.
- شاوِر زميلك في أحسن طريقة لحفظ سورة من القرآن الكريم، ﴿ وَأَنَّهُمْ يُؤْتُونَ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُوقِنُونَ ﴾.

## ● التوجيهات

- الحذر من كبار الذنوب، ﴿ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْضَرُونَ ﴾.
- عظم منزلة العفو: حيث جعل اجره على الله، ﴿ وَحَرَّزُوا سَيِّئَةً سَبَيْتَ نِفْلَهَا فَمَنْ عَصَا وَاصْلَحْ فَأَمْرُهُ عَلَى اللَّهِ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾.
- الهداية والضلال بيد الله؛ فاسأل الله ان يثبتك على دينه، ﴿ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُ يَجْعَلُ لِمَنْ يَشَاءُ الْأُمُورَ وَلَكِنْ لَمَّا رَأَى الْأَعْدَابَ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مَرَّةٌ مِّنْ سَبِيلٍ ﴾.

في مثل الحروب وما جرى مجراها؛ كما قال تعالى: ﴿وَسَاوَوْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَلَا عَظَمَ فِتْرَتُكَ عَلَى اللَّهِ﴾ [ال عمران: ١٥٩]، ولهذا كان - عليه الصلاة والسلام - يُسَاوَوْهُمْ في الحروب ونحوها لِيُطِيبَ بِذَلِكَ قُلُوبَهُمْ. ﴿وَمَا زِدْنَاهُمْ يَفْقَرُونَ﴾، وذلك بالإحسان إلى خلق الله، الأقرب إليهم منهم فالأقرب.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنصَابُهُم قَتِلُوا تُبْهِتُونَ﴾ أي: فيهم قوة الانتصار ممن ظلمهم واعتدى عليهم، ليسوا بعاجزين ولا أذلة، بل يقدرون على الانتقام ممن بَغَى عليهم، وإن كانوا مع هذا إذا قدرُوا عَفْوَ، كما عفا رسول الله ﷺ عن أولئك الفُتْرَ الثمانين الذين قَصَدُوهُ عام الحديبية، وَزَلُّوا من جبل التَّيْمِمْ، فَلَمَّا قَدَّرَ عَلَيْهِمْ مَنْ عَلَيْهِمْ مع قدرته على الانتقام.

الآية (٤٠-٤٣): ﴿وَحَزُوا سِوَى سَبِيلِهِمْ مِنْهُ﴾ كقوله: ﴿وَلَمَّا عَابْتُهُمْ قَعَبَاتٍ فِيمَا يَمْشِي مَا عُرِشَتْ بِهِ وَلَكِنْ صَبَرْتُمْ لَهُمْ خَيْرٌ لِّصَبْرِهِمْ﴾ [النحل: ١٢٦]، فَشَرَعَ الْعَدْلُ وَهُوَ الْقَصَاصُ، وَنَدَبَ إِلَى الْفَضْلِ وَهُوَ الْعَفْوُ؛ كقوله: ﴿وَالْحَرْجُ فِصَاصٌ فَمَنْ قَصَدَكَ بِهِ فَهُوَ كَعَارَةِ لُدٍّ﴾ [المائدة: ٤٥]، ولهذا قال ههنا: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَمْلَحَ فَرْجَهُ عَلَى اللَّهِ﴾ أي: لا يَضِيعُ ذَلِكَ عند الله كما صَحَّ في الحديث: «وما زاد الله عبداً بقبحٍ إلا عزاً» [رواه مسلم]. وقوله: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ أي: المعتدين، وهو الْمُتَّبِعِيُّ بالسبئية.

ثم قال: ﴿وَلَمَّا أَنصَرَ بَدَّ عَلَيْهِمْ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾ أي: ليس عليهم جناح في الانتصار ممن ظلمهم.

وقوله: ﴿إِنَّمَا أَنبِئُكَ بِأَيِّ الْحَرْجِ وَالْمَنْتِ﴾ عَلَى الَّذِينَ يَطْلُبُونَ أَلَتَاتِ وَيَتَوَكَّلُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ، أي: يَتَدَوَّنُونَ النَّاسَ بِالظُّلْمِ؛ كما جاء في الحديث: «السُّبُتَانِ: ما قالا فعلى البادى، ما لم يَتَعَدَّ الْمَظْلُومُ» [رواه مسلم]. ﴿وَأَنبِئُكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: شديد موجه.

ثم إنه تعالى لَمَّا ذَمَّ الظلم وأهله وَشَرَعَ الْقَصَاصَ، قال نادياً إلى العفو وَالصَّفْحَ: ﴿وَلَكِنْ سَبَرٌ وَقَفَرٌ﴾ أي: صَبَرَ عَلَى الْأَذَى وَسَرَّ السَّيئةَ، ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزِيزِ الْأَمْرِ﴾ قال سعيد بن جبیر: يعني: لمن حق الأمور التي أَمَرَ الله بها، أي: لمن الأمور المشكورة والأفعال الحميدة التي عليها ثواب جزيل وثناء جميل. عن أبي هريرة، رضي الله عنه أن رجلاً شتم أبا بكر والنبي ﷺ جالساً، فجعل النبي ﷺ يعجب ويتبسّم، فلما أكثر رد عليه بعض قوله، فغضب النبي ﷺ وقام، فلحقه أبو بكر فقال: يا رسول الله إنه كان يشتمني وأنت جالس، فلما رددت عليه بعض قوله غضبت وقمت! قال: «إنه كان معك ملك يرد عنك، فلما رددت عليه بعض قوله حضر الشيطان، فلم أكن لأقعد مع الشيطان». ثم قال: «يا أبا بكر، ثلاث كلهن حق، ما من عبد ظلم بمظلمة فيغضي عنها إلا أعزه الله تعالى بها ونصره، وما فتح رجل باب عطية يريد بها صلة إلا زاده الله بها كثرة، وما فتح رجل باب مسألة يريد بها كثرة إلا زاده الله بها قلة» [رواه أحمد وجود إسناده الألباني].

الآية (٤٤): يقول تعالى مُخْبِراً عن نفسه الكريمة: إنه ما شاء كان ولا رادَّ له، وما لم يشأ لم يكن فلا مُوجِدَ له، وأنه من هداه فلا مُضِلَّ له، ومن يضلُّ فلا هادي له؛ كما قال: ﴿وَمَنْ يَضِلُّ فَلَنْ يُجِدَ لَهُ وِلِيًّا مَرْتَبِداً﴾ [الكهف: ١٧]. ثم قال ﷺ مُخْبِراً عن الظالمين، وهم المشركون بالله: ﴿لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ﴾ أي: يوم القيامة سَمَوْا الرَّجْعَةَ إِلَى الدُّنْيَا، ﴿يَقُولُونَ هَلْ إِلَّا مَرَرْنَا مِنْ سَبِيلٍ﴾.

الآية (٣٢-٣٥): يقول تعالى: ومن آياته الدالة على قدرته وسلطانه، تسخير البحر لتجري فيه الفلك بأمره، وهي ﴿الْجَوَارِي الْيَخْرُكَ اللَّهُ﴾ أي: كالجبال، قاله مجاهد والحسن والسدي والضحاك، أي: هذه في البحر كالجبال في البر.

﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ﴾ أي: التي تسير بالسفن، لو شاء لَسَكَّنَهَا حتى لا تتحرك السفن، بل تبقى راكدة لا تحيى ولا تذهب، بل واقفة على ظهره، أي: على وجه الماء، ﴿إِنْ يَشَأْ يُدْرِكْ لَكُلَّ سَنَابِرٍ﴾ أي: في الشدائد، ﴿شَكْرٍ﴾ أي: إن في تسخير البحر وإجرائه [الهواء] بقدر ما يحتاجون إليه لسيرهم للدالات على نعمته تعالى على خلقه ﴿لِكُلِّ سَنَابِرٍ﴾ أي: في الشدائد، ﴿شَكْرٍ﴾ في الرخاء.

وقوله: ﴿أَوْ يُوقِعْهُنَّ يَمَاسِكُوا﴾ أي: ولو شاء لأَهْلَكَ السُّفُنَ وَعَرَّفَهَا بنوب أهلها الذين هم راكبون فيها. ﴿وَيَعَفُ عَنْ كَثِيرٍ﴾ أي: من ذنوبهم. ولو أَخَذَهُمْ بجميع ذنوبهم لأَهْلَكَ كُلَّ مَنْ رَكِبَ الْبَحْرَ. وقال بعض علماء التفسير: معنى قوله: ﴿أَوْ يُوقِعْهُنَّ يَمَاسِكُوا﴾ أي: لو شاء لَأَرْسَلَ الرِّيحَ قُوَّةَ عَاتِيَةٍ، فَأَخَذَتْ السُّفُنَ وَأَحْلَتَهَا عن سبيلها المستقيم، فَصَرَّتْهَا ذات اليمين أو ذات الشمال، أَبَقَةً لا تسير على طريق، ولا إلى جهة مقصد. وهذا القول يَضْمَنُ هلاكها، وهو مناسب للأول، وهو أنه تعالى لو شاء لَسَكَّنَ الرِّيحَ فَوَقَفَتْ، أو لَفَوَّاهُ فَشَرَدَتْ وَأَبْقَتْ وَهَلَكَتْ. ولكن من لطفه ورحمته أنه يُرْسِلُهُ بحسب الحاجة؛ كما يُرْسِلُ المطر بقدر الكفاية، ولو أَزَلَهُ كثيراً جَدَّ لَهَدَمَ البنيان، أو قَلِيلًا لَمَّا أَبَتِ الزُّرْعُ والشار، حتى إنه يُرْسِلُ إلى مثل بلاد مِصْرَ سَيْحًا من أرض أخرى غيرها؛ لأنهم لا يحتاجون إلى مطر، ولو أَزَلَهُ عليهم لَهَدَمَ بنيانهم، وأسقط جدرانهم.

وقوله: ﴿وَيَعْلَمُ الَّذِينَ يُخَيِّدُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ نَجِيصٍ﴾ أي: لا يخيد لهم عن بأسنا ونقمنا؛ فإنهم مَقْهُورُونَ بقدرتنا.

الآية (٣٦-٣٩): يقول تعالى مُخْبِراً لِنَاسِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وزيتها، وما فيها من الزهرة والنعيم الفاني، بقوله: ﴿مَا أُرِيْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَخُذُوا حِزْوًا أَلَدًا﴾ أي: مهما حصلتم وجمعتم فلا تغفروا به، فإنها هو متاع الحياة الدنيا، وهي دار دينية فانية زائلة لا محالة، ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ أي: وثواب الله خير من الدنيا، وهو باق سرمدي، فلا تُقَدِّمُوا الْفَانِي عَلَى الْبَاقِي؛ ولهذا قال: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: للذين صبروا على ترك الملاذ في الدنيا، ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ أي: ليُجِيبَهُمْ عَلَى الصبر في أداء الواجبات وترك المحرمات.

ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ يَخَيِّدُونَ كَثِيرًا إِلَّا إِيَّاهُ وَالْفَوَاحِشَ﴾ وقد قلنا الكلام على الإثم والفواحش في «سورة الأعراف»<sup>(١)</sup>، ﴿وَلَمَّا مَاعَظِيبُهَا هُمْ يَقَرُّونَ﴾ أي: سَجَّيْهِمْ تقتضي الصَّفْحَ والعفو عن الناس، ليس سَجَّيْهِمُ الانتقام من الناس. وقد ثبت في الصحيح: أن رسول الله ﷺ ما انتقم لنفسه قط، إلا أن تُنْتَهَكَ حرمت الله [رواه البخاري].

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾ أي: اتَّبَعُوا رُسُلَهُ وَأَطَاعُوا أَمْرَهُ، واجتنبوا رَجْرَهُ، ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ وهي أَظْهَمُ الْعِبَادَاتِ لِلَّهِ ﷻ، ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ أي: لَا يُرْمُونَ أَمْرًا حَتَّى يَشَاوِرُوا فِيهِ، لِيَسَاعَدُوا بِأَرْهَامِهِمْ

(١) صفحة ١٥٤، وفيها ذكر الفرق بين الإثم والبغي، ولم يشرع معنى الفواحش. والفحش: كلمة تدل على قبح في شيء وشناعة، وكل شيء جاوز قدره فهو فاحش، ولا يكون ذلك إلا فيما يُحْكَمُ. [معجم مقاييس اللغة، مادة (فحش)].

(١) الحديث ليس في البخاري ولا مسلم، وعادة ابن كثير إذا قال ذلك أن يقصد أنه فيها أو في أحدهما، فلعل قصده ههنا -خلافًا لعادته- أنه ماصحٍّ من الأحاديث.



## ● الوقفات التدريبية

١ ﴿وَرَبُّهُمْ يُمْرُضُونَ عَلَيْهِمْ خَشِيعَةً مِنَ الذَّلِيلِ﴾

أي: الذل قد اعتراهم بما أسلفوا من عصيان الله تعالى. ابن كثير: ١٢٢/٤.  
السؤال: ما سبب ذلهم يوم القيامة؟

٢ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الْغَنِيِّاتِ الَّذِينَ خَيَّرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ

يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَّا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ﴾

أما خسارتهم لأنفسهم فلكونهم صاروا في النار معذبين بها، وأما  
خسارتهم لأهلهم فلأنهم إن كانوا معهم في النار فلا ينتفعون بهم، وإن  
كانوا في الجنة فقد حيل بينهم وبينهم. الشوكاني: ٥٤٣/٤.

السؤال: بين كيفية خسران النفس والأهل يوم القيامة؟

٣ ﴿أَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ يَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُم

مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّنْ نَّكِيرٍ﴾

هذه الآية ونحوها فيها ذم الأمل، والأمر بانتهاز الفرصة في كل عمل  
يعرض للعبد؛ فإن للتأخير آفات. السعدي: ٧٦١.

السؤال: ما الأمل المذموم؟ وهل يسوغ تأخير العمل؟

٤ ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾

أي حافظاً لأعمالهم حتى تحاسبهم عليها، وقيل موكلاً بهم لا تفارقهم  
دون أن يؤمنوا، أي: ليس لك إكراههم على الإيمان. القرطبي: ٥٠٠/١٨.

السؤال: في الآية تسليية للدعاة عند عدم الاستجابة لهم، وضح ذلك.

٥ ﴿وَلَئِنْ إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَحَيَّاهَا وَلَئِنْ فُتِنَهُمْ سَيِّئَةً يَمَا

قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ﴾

وفيه إشارة إلى أن إذاقة الرحمة ليست للفرح والبطور، بل للشكر  
لوليها. وإصابة المحنة ليست للكفران والجزع، بل للرجوع إلى مبلّيها.

الألوسي: ٧٥/٢٥.

السؤال: ما الواجب على المؤمن أن يفعله في حال الرخاء، وفي حال الشدة؟

٦ ﴿وَلَئِنْ فُتِنَهُمْ سَيِّئَةً يَمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ﴾

أي: يجحد ما تقدم من النعم، ولا يعرف إلا الساعة الراهنة.  
ابن كثير: ١٢٢/٤-١٢٣.

السؤال: ما الفرق بين المسلم والكافر في النظر إلى النعم السابقة؟

٧ ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنشَاءً

وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الْذَّكَرَ﴾

وقيل: قدّم الإنثاء توصية برعايتها لضعفها؛ لا سيما وكانوا قريبين  
العهد بالواد، وفي الحديث: (من ابتلي بشيء من هذه البنات فأحسن إليهن  
كأن له سترًا من النار). الألوسي: ٧٥/٢-٧٦.

السؤال: بين تكريم الإسلام للمرأة وحفظه لها من خلال الآية والحديث.

وَرَبُّهُمْ يُمْرُضُونَ عَلَيْهِمْ خَشِيعَةً مِنَ الذَّلِيلِ يَنْظُرُونَ  
مِنْ طَرَفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الْغَنِيِّاتِ الَّذِينَ  
خَيَّرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَّا إِنَّ الظَّالِمِينَ  
فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ ٥ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءٍ يَصُدُّونَهُمْ  
مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ ٦ أَسْتَجِيبُوا  
لِرَبِّكُمْ يَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُم  
مِّنْ مَّلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّنْ نَّكِيرٍ ٧ فَإِنْ أَعْرَضُوا  
فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا إِنَّ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلْغُ وَإِنَّا إِذَا  
أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَحَيَّاهَا وَلَئِنْ نَصَبْنَاهُمْ سَبِيلَةً  
يَمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ ٨ لِلَّهِ مُلْكُ  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنشَاءً  
وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الْذَّكَرَ ٩ أُوَيِّزُكُمْ دُكْرَانًا وَإِنثَاءً  
وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ١٠ وَمَا كَانَ  
لِإِنْسَانٍ أَنْ يَكْلُمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ  
رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ رَعِيٌّ حَكِيمٌ ١١

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
يَنْظُرُونَ مِنْ طَرَفٍ خَفِيٍّ	يُسَارِقُونَ النَّظَرَ، وَلَا يَنْظُرُونَ بِعِلَاءِ أَعْيُنِهِمْ.
لَا مَرَدَّ لَهُ	لَا يَمُكِّنُ رَدُّهُ.
نَكِيرٍ	لَا تُنْكِرُونَ دُنُوبَكُمْ، وَلَيْسَ لَكُمْ مَكَانٌ تَسْتَخْفُونَ وَتَتَنَكَّرُونَ فِيهِ.
عَقِيمًا	لَا يُؤْنِدُ لَهُ.
مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ	كَمَا كَلَّمَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام.

## ● العمل بالآيات

- استجب لكل أمر امرك به الله تعالى من فعل أو ترك، ﴿أَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ يَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُم مِّنْ مَّلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّنْ نَّكِيرٍ﴾.
- انصح اهلك وادع الله لهم ولنفسك بالهداية، ﴿إِنَّ الْغَنِيِّاتِ الَّذِينَ خَيَّرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾.
- انظر امرا امرتك به آية أو حديثا كنت مترددا في تطبيقه، وسارع في الاستجابة له، ﴿أَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ يَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُم مِّنْ مَّلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّنْ نَّكِيرٍ﴾.

## ● التوجيهات

- ما اعظم خسائر الظالم يوم القيامة، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الْغَنِيِّاتِ الَّذِينَ خَيَّرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾.
- مهمة الرسل التبليغ والدعوة، ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا إِنَّ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلْغُ﴾.
- حكمة الله تعالى وعلمه فيما يهب للعباد من الذرية، ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنشَاءً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الْذَّكَرَ﴾.



الفارق  
الصوتي

## ● الوقفات التحذيرية

﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾

هو القرآن: وسماه روحاً لأن فيه حياة من موت الجهل... وكان مالك بن دينار يقول: يا أهل القرآن، ماذا زرع القرآن في قلوبكم؟ فإن القرآن ربيع القلوب كما أن الغيث ربيع الأرض. القرطبي: ٥٩/١٨.

السؤال: في تسمية القرآن روحاً حث ودلالة بليغة، وضع ذلك.

﴿ مَا كُنْتُ نَذِيرٌ مَّا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ ﴾

ذكر سبحانه صفة رسوله قبل أن يوحى إليه فقال: (ما كنت تنذري ما الكتاب) أي: أي شيء هو؛ لأنه صلى الله عليه وآله وسلم كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، وذلك أدخل في الإعجاز، وأدل على صحة نبوته. الشوكاني: ٥٤٥/٤.

السؤال: دللت الآية الكريمة على صحة نبوة النبي ﷺ، بين ذلك.

﴿ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوْرًا يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَأَنَّا لَكَ لَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾  
شبه الكتاب بالنور لمناسبة الهدى به؛ لأن الإيمان والهدى والعلم تشبه بالنور والضلال والجهل والكفر تشبه بالظلمة، قال تعالى: (يخرجهم من الظلمات إلى النور) البقرة: ٢٥٧؛ وإذا كان السائر في الطريق في ظلمة ضل عن الطريق، فإذا استنار له اهتدى إلى الطريق؛ فالنور وسيلة الهداء، ولكن إنما يهتدي به من لا يكون له حائل دون الهداء، وإلا لم تنفعه وسيلة الهداء؛ ولذلك قال تعالى: (نهدي به من نشاء من عبادنا). ابن عاشور: ١٥٤/٢٥.

السؤال: لماذا شبه الكتاب بالنور؟ ومن المنتفع بنور الكتاب الكريم؟

﴿ وَإِنَّمَا فِي أَزْرِ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلٌّ حَكِيمٌ ﴾

بين شرفه في المبدأ الأعلى ليشرف ويعظمه ويطيحه أهل الأرض. ابن كثير: ١٢٤/٤.

السؤال: لماذا أخبر الله بشرف هذا الكتاب وعلوه عند الملأ الأعلى؟

﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنْتُمْ قَوْمًا مُّشْرِكِينَ ﴾  
قال قتادة: والله لو كان هذا القرآن رفع حين رُدَّتْهُ أوائل هذه الأمة لهلكوا، ولكن الله رُدَّتْهُ وكرره عليهم برحمته. القرطبي: ٧/١٩.

السؤال: كيف يكون حالنا لو رفع عنا القرآن حين رده الناس عند أول نزوله؟

﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنْتُمْ قَوْمًا مُّشْرِكِينَ ﴾  
إن حالكم وإن اقتضى تخليعتكم وشانكم حتى تموتوا على الكفر والضلالة، وتبقوا في العذاب الخالد، لكننا لسعة رحمتنا لا نفعل ذلك، بل نهديكم إلى

الحق بإرسال الرسول الأمين، وإنزال الكتاب المبين. الألوسي: ٩٠/٢٥.

السؤال: كيف دللت الآية على سعة رحمة الله تعالى وفضله؟

﴿ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾

يعزي بنيه محمداً ﷺ ويسليه. القرطبي: ٩٠/١٩.

السؤال: ما المقصود من ذكر استهزاء أقوام الأنبياء ممن مضى؟

وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٩﴾ صِرَاطَ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٦٠﴾

الآية

سورة الفرقان

الآية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ﴿٥٩﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٦٠﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلٌّ حَكِيمٌ ﴿٦٢﴾ أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنْتُمْ قَوْمًا مُّشْرِكِينَ ﴿٦٣﴾ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ ﴿٦٤﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ فَأَهْلَكْنَاهُم أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَجَعَلْنَا مَثَلَهُمُ الْآوَّلِينَ ﴿٦٦﴾ وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مِّنْ خَلْقِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ لِيَقُولُوا قَالُوا لَا نَعْلَمُ ۚ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٦٧﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمُ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٦٨﴾

٤٨٩

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
رُوحًا	قُرْآنًا، سَمِيَ الْقُرْآنُ رُوحًا؛ لِأَنَّهُ حَيَاةُ الْقُلُوبِ.
صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ	هُوَ: الْإِسْلَامُ.
تَصِيرُ	تَرْجِعُ إِلَيْهِ، فَيَجَاوِزُكُمْ عَلَيْهَا.
أُمُّ الْكِتَابِ	اللُّوْحُ الْمُحْفَظُ
أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا	أَفَنَعْرِضُ عَنْكُمُ، وَتَتْرُكُ تَذَكِيرُكُمْ بِالْقُرْآنِ؟

## ● العمل بالآيات

١. سَجِّلْ ثلاث فوائد دنيوية أو اخروية احيائها فيك تدبرك للقرآن، ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾.
٢. تخيل أن القرآن لم يصل إليك، وأنك لم تهتد إلى الإسلام؛ فكم هي الضيقة والشقاء التي ستعيش بها، ثم احمد الله على نعمة الهداية والإيمان، ﴿ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾.
٣. اكتب مقالة أو الق كلمته لإخوانك عن فضل الأنبياء وعظمتهم، ﴿ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾.

## ● التوجيهات

١. اتباع سنة النبي ﷺ من أسباب الهداية إلى الطريق المستقيم، ﴿ وَإِنَّكَ لَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾.
٢. مصير الأمور ومرجعها إلى الله سبحانه، فلا تتوكل إلا عليه، ﴿ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴾.
٣. السرف في الغفلة قد يكون انفع للمسلمين من غيره إذا اهتدى، ﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنْتُمْ قَوْمًا مُّشْرِكِينَ ﴾.

الآية (٥٢-٥٣): ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ يعني: القرآن، ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِنشَاءُ﴾ أي: على التفصيل الذي شُرِعَ لك في القرآن. ﴿وَلَكِن جَعَلْنَاهُ﴾ أي: القرآن ﴿نُورًا يَهْدِي بِوَهْ مِنْ نُورِهِ مَن يَّعْبَادُنَا﴾ كقوله: ﴿قُلْ هُوَ الْوَحْدُ لَا يُدْرِكُهُ الْبَصَرُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْبَصَرَ وَهُوَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [فصلت: ٤٤].

وقوله: ﴿وَإِنَّكَ﴾ يا محمد ﴿لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ وهو الحق القويم، ثم فسره بقوله: ﴿صِرَاطُ اللَّهِ﴾ أي: شُرعه الذي أَمَرَ به الله ﴿الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: ربها ومالكها، والمُتَصَرِّفُ فيها، الحاكم الذي لا مُتَعَقَّبَ لحكمه. ﴿إِلَّا إِلَى اللَّهِ نَصِيرُ الْأُمُورِ﴾ أي: ترجع الأمور، فيفصلها ويحكم فيها.

### تفسير سورة الزخرف

وهي مكية، [وعدد آياتها (٨٩) آية].

الآية (١-٨): ﴿حَمِّمٌ ۝١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُنِينِ ﴿٢﴾ أي: الين الواضح الجلي المعاني والألفاظ؛ لأنه نَزَلَ بِلُغَةِ الْعَرَبِ التي هي أفصح اللغات للتخاطب بين الناس؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ﴾ أي: أنزلناه ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ أي: بِلُغَةِ الْعَرَبِ فصيحًا واضحًا. ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أي: تفهمونه وتتدبرونه؛ كما قال: ﴿يَسْلَوْنَ عَرَبِيَّةً مِّنْ أَلْفَاظٍ﴾ [النمر: ١٩٥]. وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُولَى الْأَكْتَابِ لَذِينَ أَعْلَى حِكْمَةٍ﴾ يَنْ شَرَفَهُ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى، لِيُشَرِّفَهُ وَيُظَمِّمَهُ وَيُطِيعَهُ أَهْلُ الْأَرْضِ، فقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ﴾ أي: القرآن ﴿فِي أُولَى الْأَكْتَابِ﴾ أي: اللوح المحفوظ، قاله ابن عباس ومجاهد، ﴿الَّذِينَ﴾ أي: عندنا، قاله قتادة وغيره، ﴿أَعْلَى﴾ أي: ذو مكانة عظيمة وشرف وفضل، قاله قتادة. ﴿حِكْمَةٍ﴾ أي: مُحْكَمٌ بِرِيءٍ مِنَ اللَّبْسِ والزَّيغِ.

وهذا كله تنبيه على شَرَفِهِ وفضله؛ كما قال: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ۝٣﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٤﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٥﴾ نَزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ [الواقعة: ٧٧-٨٠]، وقال: ﴿كَلَّا إِنَّمَا لَذِكْرُ اللَّهِ ۝٧﴾ مِّن ذِكْرِهِ ۝٨﴾ فِي مُحْكَمٍ مَّكْنُونٍ ﴿٩﴾ تَرْفَعُوهُ مَظْهَرًا ۝١٠﴾ بِأَيِّ سُبْحَةِ ۝١١﴾ كَرَامٍ مَّرُورٍ ﴿١٢﴾ [حبس: ١١-١٦]. ولهذا استنبط العلماء رَحِمَهُمُ اللَّهُ من هاتين الآيتين أَنَّ السُّحُوفَ لَا يَمَسُّ الْمُصْحَفُ؛ لِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ يَعْبُدُونَ الْمُصْحَفَ الْمُشْتَمِلَ عَلَى الْقُرْآنِ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى، فَأَهْلُ الْأَرْضِ بِذَلِكَ أَوْلَى وَأَحَرَى؛ لِأَنَّهُ نَزَلَ عَلَيْهِمْ، وَخُطَابُهُ مُتَوَجِّهٌ إِلَيْهِمْ، فَهَمُّ أَحَدٍ أَنْ يُقَابِلَهُ بِالْإِكْرَامِ والتَعْظِيمِ، وَالْإِقْبَادُ لَهُ بِالْقَبُولِ والتَّسْلِيمِ؛ لقوله: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُولَى الْأَكْتَابِ لَذِينَ أَعْلَى حِكْمَةٍ﴾.

وقوله: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنْتُمْ قَوْمًا مُّشْرِكِينَ﴾ اختلف المفسرون في معناها، فقيل: معناها: أَتَحْسَبُونَ أَن نَضْطَحَّ عَنْكُمْ فَلَا نُعَذِّبُكُمْ وَلَمْ تَفْعَلُوا مَا أُمِرْتُمْ بِهِ؟! قاله ابن عباس ومجاهد والشَّيْخُ، واختاره ابن جرير.

وقال قتادة في قوله: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا﴾ والله لو أن هذا القرآن رُفِعَ حِينَ رَفَعَهُ أَوَاتِلَ هَذِهِ الْأُمَّةِ لَهْلَكُوا، ولكن الله عاد بعائده ورحمته، وكرَّره عليهم ودعاهم إليه عشرين سنة، أو ما شاء الله من ذلك. وقول قتادة لطيف المعنى جدًّا، وحاصله أنه يقول في معناه: أنه تعالى من لطفه ورحمته بخلقه لا يترك دعاءهم إلى الخير والذكر الحكيم - وهو القرآن - وإن كانوا مُشْرِفِينَ معرضين عنه، بل أَمَرَ بِهِ لِيَهْدِيَ مَن قَدَّرَ هُدَايَتَهُ، وتقوم الحجة على من كَتَبَ شِقَاوَتَهُ. ثم قال تعالى: ﴿مُسْلِمًا لَّيْبِي فِي تَكْذِيبِ مَنْ كَذَّبَ مِنْ قَوْمِهِ، وَأَمْرًا لَهُ بِالصَّبْرِ عَلَيْهِمْ﴾: ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ﴾ أي: في شَيْعِ الْأَوَّلِينَ، ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ أي: يُكَذِّبُونَهُ ويسخرون به.

وقوله: ﴿فَأَمَلْنَا كَلَّا شَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا﴾ أي: فاهلكتنا المكذِّبين بالرسول، وقد كانوا أَشَدَّ بَطْشًا من هؤلاء المكذِّبين لك يا محمد؛ كقوله: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً﴾ [غافر: ٨٢] والآيات في ذلك كثيرة.

وقوله: ﴿وَوَضَعْنَا مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾ قال مجاهد: شَتَّيْتُهُمْ. وقال قتادة: عقوبتهم. وقال غيرهما: عِزَّبْتُهُمْ، أي: جعلناهم عبرة لِمَن بعدهم من المكذِّبين أَنْ يُضَيِّعَهُمْ مَا أَصَابَهُمْ؛ كقوله في آخر هذه السورة: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ﴾ [الزخرف: ٥٦]، وكقوله: ﴿سَنَتُ اللَّهِ أَلَّا يَكُنْ فِدْلًا فِي عِبَادِهِ﴾ [غافر: ٨٥]، وقال: ﴿وَلَن يَجْعَلَ لَسَنَتِهِ اللَّهُ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٢].

الآية (٩-١٠): يقول تعالى: وَلَيِّنْ سَالَتْ - يا محمد - هؤلاء المشركين بالله العابدِينَ معه غيره: ﴿مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ يَقُولُ لَخَلَقْنَاهُنَّ أَلَمَنَزِيرُ الْعَالَمِينَ﴾ أي: لِيُعَذِّبَنَّ بَأَنِ الْخَالِقِ لَذَلِكَ هُوَ اللَّهُ وحده لا شريك له، وهم مع هذا يعبدون معه غيره من الأصنام والأنداد. ثم قال: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾ أي: قَرَأَا قَرَارًا ثابتة، يسرون عليها ويقومون وينامون وينصرفون، مع أنها مخلوقة على تيار الماء، لكنه أرساها بالجبال لئلا تقيده هكذا ولا هكذا.

﴿وَجَعَلَ لَكُم فِيهَا سُبُلًا﴾ أي: طُرُقًا بين الجبال والأودية. ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ أي: في سيركم من بلد إلى بلد، وقطُر إلى قُطُر، وإقليم إلى إقليم.







## ● الوقفات التدريبية

❶ ﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدِرُ فَأَنْزَلْنَاهُ يَوْمَ بَلَدٍ مَيْمَنًا﴾

قال ابن عباس: أي لا كما أنزل على قوم نوح بغير قدر حتى أغرقهم، بل هو بقدر: لا طوفان مفرق ولا قاصر عن الحاجة، حتى يكون معاشا لكم ولأنعامكم. القرطبي: ١١/٩٩.

السؤال: ما سر قوله عن نزول الماء (يقدر)؟

❷ ﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدِرُ فَأَنْزَلْنَاهُ يَوْمَ بَلَدٍ مَيْمَنًا كَذَلِكَ نُخْرِجُكُمْ﴾  
انتقل من الاستدلال والامتنان بخلق الأرض إلى الاستدلال والامتنان بخلق وسائل العيش فيها؛ وهو ماء المطر الذي به تثبت الأرض ما يصلح لاقتيات الناس. ابن عاشور: ١٧٠/٢٥.

السؤال: يتدرج القرآن الكريم في الأدلة، بين ذلك من خلال الآية الكريمة: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفَلَاحِ وَالْأَنْعَامِ مَا رِزَقُكُمْ﴾ ١٥ لِيَسْتَرْآ عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ١٦ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾

(وإننا إلى ربنا لمنقلبون) أي: لصابرون إليه بعد ممانتنا، وإليه سيرنا الأكبر. وهذا من باب التنبيه بسير الدنيا على سير الآخرة؛ كما نبه بالزاد النبوي على الزاد الأخروي في قوله تعالى: (وتزودوا فإن خير الزاد التقوى) (البقرة: ١٩٧)، وبالباس النبوي على الأخروي في قوله تعالى: (وريشا ولباس التقوى ذلك خير) (الأعراف: ٣٦). ابن كثير: ١٣٦/٤.

السؤال: كثيراً ما تدلنا أمورنا الدنيوية على الأحوال الأخروية، بين ذلك من خلال الآيات السابقة.

❸ ﴿وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾

أي: راجعون، وفيه إيدان بأن حق الراكب أن يتأمل فيما يلاسه من الشئ، ويتذكر منه المسافرة العظمى التي هي الانقلاب إلى الله تعالى، فيبني أموره في مسيره ذلك على تلك الملاحظة، ولا يأتي بما ينافيها، ومن ضرورة ذلك أن يكون ركوبه لأمر مشروع، وفيه إشارة إلى أن الركوب خطيرة فلا ينبغي أن يغفل فيه عن تذكر الآخرة. الألوسي: ٩٦/٢٥.

السؤال: كيف كان ركوب الدابة وما نحوها والسفر مذكراً بالآخرة؟  
❹ ﴿لِيَسْتَرْآ عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ١٦ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾

وروى مسلم أن النبي ﷺ كان إذا ركب رحلته كبر ثلاثاً، ثم قال: (سبحن الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين) ﴿وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾ ثم يقول: (اللهم إني أسألك في سفري هذا البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى، اللهم هون علينا السفر واطو لنا البعيد، اللهم أنت صاحب السفر والخليفة في أهل، اللهم اصحبنا في سفرنا واخلفنا في أهلنا)، وكان إذا رجع إلى أهله قال: (أيون تابون إن شاء الله عابدون، لربنا حامدون). الباقعي: ١٣/٧.

السؤال: كيف يكون العمل بهذه الآية الكريمة؟

❺ ﴿أَمْ أَلْغَيْتُمَا مَنَاجِيئَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾  
تجروا على الملائكة العباد المقربين، وروقهم من مرتبة العبادة والذل إلى مرتبة المشاركة لله في شيء من خواصه، ثم نزلوا بهم عن مرتبة الذكورية إلى مرتبة الأنوثة، فسبحان من أظهر تناقض من كذب عليه وعاند رسله. السعدي: ٧٦٤.

السؤال: في قول المشركين تناقض واضح، بينه.

❻ ﴿أَوْ مَن يَشْأُو فِي الْخِصَامِ عَرَمِينَ﴾

النشوء في الزينة والنومسة من العايب والمذاق، وأنه من صفات ربات الحجال، فعلى الرجل أن يجتنب ذلك ويأنف منه، ويربأ بنفسه عنه، ويعيش كما قال عمر رضي الله تعالى عنه: «أخشوشوا في اللباس، وأخشوشوا في الطعام، وتمعدوا. وإن أراد أن يزين نفسه زينها من باطن بلباس التقوى» (الألوسي: ٩٩/٢٥).

السؤال: هل صفات النومة والمبالغة في الزينة والتجمل تليق بالرجل؟ ولماذا؟

وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدِرُ فَأَنْزَلْنَاهُ يَوْمَ بَلَدٍ مَيْمَنًا كَذَلِكَ نُخْرِجُكُمْ ١٥ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَنْزُوجَ ١٦ لِيَسْتَرْآ عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ١٦ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ١٧ وَجَعَلُوا لَهُ مِن عِبَادِهِ جُزْءًا لِّإِنْسَنِ لَكُفُّورٍ مَّيْمِينَ ١٨ أَمْ أَلْغَيْتُمَا مَنَاجِيئَ بَنِي إِسْرَءِيلَ يَاسِينَ ١٩ وَإِذَا ابْتِغَاءَ أَحَدُهُم بِمَا صَرَبَ الرَّحْمَنُ مَنَاجِيئَ عَمَلٍ وَهُوَ مُشَوَّدٌ وَهُوَ كَظِيمٌ ٢٠ أَوْ مَن يَشْأُو فِي الْحِجَابِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ عَرَمِينَ ٢١ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنْتًا أَشْهَدَ وَخَلَقَهُمْ سَكَنًا شَهَدَ لَهُمْ وَيُسَلِّتُونَ ٢٢ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِن هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ٢٣ أَمْ أَتَيْنَاهُم بِكِتَابٍ قَبْلِهِ فَهُمْ يَوْمَ مُسْتَسْكُونَ ٢٤ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَاهُ آبَاءَنَا عَلَى آثَرِهِ وَإِنَّا عَلَى آثَرِهِمْ مُهْتَدُونَ ٢٥

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
يَقْدِرُ	بِمِقْدَارٍ، وَوَزْنٍ مَّعْلُومٍ.
مُقْرِنِينَ	مُطْبِقِينَ.
وَأَصْفَاكُم	خَصَّكُمْ.
كَظِيمٍ	مُمْتَلِئٌ خَزْئًا، وَغَمًّا.
يُنْشَأُ	يُرْبَى.
الْحِجَابِ	الزَّيْنَةِ.

## ● العمل بالآيات

- عدد بعض نعم الله عليك بقولك أنعم ربي علي بكذا وكذا - ثم اشكره عليها، ﴿لِيَسْتَرْآ عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾.
- إذا ركب السيارة أو الطائرة أو السفينة أو المصعد أو الدواب فقل: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ ١٦ ﴿وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾.
- انظر عبادة يعملها أحد والديك واعمل بها وادع الله لهما وانظر عملاً خاطئاً يعملها أحد والديك واجتنبه واسأل الله الهداية لهما، ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَاهُ آبَاءَنَا عَلَى آثَرِهِ وَإِنَّا عَلَى آثَرِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾.

## ● التوجيهات

- من تعظيم الله تعالى إفراده بالعبادة، ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِن عِبَادِهِ جُزْءًا لِّإِنْسَنِ لَكُفُّورٍ مَّيْمِينَ﴾.
- عظم منزلة الملائكة عند الله، ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنْتًا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَكَنًا شَهَدَ لَهُمْ وَيُسَلِّتُونَ﴾.
- من أعظم ما يصد عن الله تعالى التقليد الخاطئ للآباء وأتباع العادات والتقاليد إذا كانت مخالفة للكتاب والسنة، ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَاهُ آبَاءَنَا عَلَى آثَرِهِ وَإِنَّا عَلَى آثَرِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾.



## ● الوقفات التدريبية

﴿وَاذْكُرْ اٰلَ اِبْرٰهِيْمَ اِذْ يَدْعُوْهُ رَبُّهُ وَقَوْمُهُ اِثْنِيْ بَرَكَةً مِّمَّا تَعْبُدُوْنَ﴾

لما ذكر لهم الأدلة، وحذّره بما أبعد، وتحرر عنهم مع التقليد لا ينفكون عنه، ذكّرهم بأعظم آياتهم، ومحط فخرهم، واحقهم بالاتباع؛ للفضو باتباع الأب في ترك التقليد أو في تقليده إن كان لا بد لهم من التقليد؛ لكونه أعظم الآباء، ولكونه مع الدليل. الباقى: ٧/٢١.

السؤال: لماذا ذكرت قصة إبراهيم بعد ذكر حال المشركين المتمسكين بدين الآباء؟

﴿وَاذْكُرْ اٰلَ اِبْرٰهِيْمَ اِذْ يَدْعُوْهُ رَبُّهُ وَقَوْمُهُ اِثْنِيْ بَرَكَةً مِّمَّا تَعْبُدُوْنَ﴾

براءة إبراهيم مما يُعبد أبوه أدل على تجنب عبادة الأصنام بحيث لا يتسامح فيها، ولو كان الذي يعبدها أقرب الناس إلى موجد الله ... مثل الأب. ابن عاشور: ٢٥/١٩٢.

السؤال: لماذا خصّ أبو إبراهيم عليه السلام بالذكر قبل قومه؟

﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يُرجِعُونَ﴾

(وجعلها) أي: هذه الخلصة الحميدة التي هي أم الخصال وأساسها؛ وهي إخلاص العبادة لله وحده، والتبري من عبادة ما سواه ... فلم تزل هذه الكلمة موجودة في ذريته عليه السلام حتى دخلهم الترف والطفيان. السعدي: ٧٦٤.

السؤال: ما تأثير الترف والطفيان على عقيدة التوحيد؟

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كٰفِرُونَ﴾

وهذا من أعظم المعاندة والمشاقة؛ فإنهم لم يكتفوا بمجرد الإعراض عنه، بل ولا جده، فلم يرضوا حتى قدحوا به قدحاً شنيعاً، وجعلوه بمنزلة السحر الباطل الذي لا يأتي به إلا أخيت الخلق وأعظمهم افتراء. السعدي: ٧٦٥.

السؤال: ما الذي تفهمه من حال المشركين من قولهم: (هذا سحر)؟

﴿وَقَالُوا لَوْلَا نَزَّلَ هٰذَا الْقُرْاٰنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْغَرَبَيْنِ عَظِيْمٍ ﴿٥٨﴾ اٰمُرُ يُقْسِمُوْنَ رَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَشْتُمُوْنَ مَعِيْشَتُهُمْ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا﴾

فإذا كانت معاش العباد وأرزاقهم الدنيوية بيد الله تعالى؛ هو الذي يقسمها بين عباده؛ فيبسط الرزق على من يشاء، ويضيقه على من

يشاء، بحسب حكمته، فرحمته الدينية التي اعلاها النبوة والرسالة أولى وأحرى أن تكون بيد الله تعالى؛ فالله أعلم حيث يجعل رسالته، فعلم أن

اقتراحهم ساقط لاغ، وأن التدبير للأمر كلها دينياً ودنيوياً بيد الله وحده. السعدي: ٧٦٥.

السؤال: لماذا ذكر قسمة الأرزاق بعد اقتراحهم نزول القرآن على رجل من القرينتين؟

﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُلٰكًا﴾

وهو من التسخير في الخدمة؛ أي رفعنا بعضهم فوق بعض لخدم بعضهم بعضاً. ابن جزي: ٢/٣١٢.

السؤال: في اختلاف منازل الناس ودرجاتهم الدنيوية حكمة عظيمة، فما هي؟

﴿وَلَوْلَا اَن يَكُوْنَ النَّاسُ اُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمٰنِ لِيُؤْيِيَهُمْ سُلٰكًا مِّنْ فَضَلِ وَمَعٰرِجٍ عَلَيٰهَا يَظْهَرُوْنَ﴾

قال الحسن: المعنى لولا أن يكفر الناس جميعاً بسبب ميلهم إلى الدنيا وتركهم الآخرة لأعطيناهم في الدنيا ما وصفناه؛ لهوان الدنيا عند الله عز وجل. القرطبي: ١٩/٣٧-٣٨.

السؤال: بين حقارة الدنيا عند الله الاستفادة من الآيات.

وَكَذٰلِكَ مَا اَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيْرٍ اِلَّا قَالُ مَرُفُوْهُمَآ اِنَّا وَجَدْنَا عَلٰى اَبَآئِكُمْ اٰثِمَةً وَاِنَّا عَلٰى اٰثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ اَوْ لَوْ جَعَلْتُمْ كُفْرًا يٰٓاَهْدٰى وَمَا وَجَدْتُمْ عَلٰى اَبَآئِكُمْ كُفْرًا قَالُوْا اِنَّا بِمَا اَرْسَلْتُمْ بِهِ كٰفِرُونَ ﴿٦٠﴾ فَانْتَقَمْتُمَا مِنْهُمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِيْنَ ﴿٦١﴾ وَاذْكُرْ اٰلَ اِبْرٰهِيْمَ اِذْ يَدْعُوْهُ رَبُّهُ وَقَوْمُهُ اِثْنِيْ بَرَكَةً مِّمَّا تَعْبُدُوْنَ ﴿٦٢﴾ اِلَّا الَّذِيْ فَطَرَنِيْ فَاِنَّهُ رَبِّيْ سَيِّدِيْنَ ﴿٦٣﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يُرجِعُونَ ﴿٦٤﴾ بَلْ مَتَّعْتُ هٰٓؤُلَآءَ وَاَبَآءَهُمْ حٰثِيَةً هٰٓؤُلَآءِ اِذْ هُمُ الْحٰقُّ وَرَسُوْلٌ مُّبِيْنٌ ﴿٦٥﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوْا هٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كٰفِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوْا لَوْلَا نَزَّلَ هٰذَا الْقُرْاٰنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْغَرَبَيْنِ عَظِيْمٍ ﴿٦٧﴾ اٰمُرُ يُقْسِمُوْنَ رَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَشْتُمُوْنَ مَعِيْشَتُهُمْ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُلٰكًا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُوْنَ ﴿٦٨﴾ وَلَوْلَا اَن يَكُوْنَ النَّاسُ اُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمٰنِ لِيُؤْيِيَهُمْ سُلٰكًا مِّنْ فَضَلِ وَمَعٰرِجٍ عَلَيٰهَا يَظْهَرُوْنَ ﴿٦٩﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
بَرَاءة	بَرِيءة
فَطَرَنِيْ	خَلَقَنِيْ
سُخْرِيًّا	مُسَخَّرًا فِي الْعَمَلِ
وَمَعَارِجَ	سُلَالِمَ مِنْ فَضْلِهِ
يُظْهَرُونَ	يُصْعَدُونَ

## ● العمل بالآيات

١. ضع خطاً للقضاء على أنواع الترف في حياتك الذي يجعلك ترتكب محرماً أو تترك واجباً، ﴿وَكَذٰلِكَ مَا اَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيْرٍ اِلَّا قَالُ مَرُفُوْهُمَآ اِنَّا وَجَدْنَا عَلٰى اَبَآئِكُمْ اٰثِمَةً وَاِنَّا عَلٰى اٰثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾.

٢. اكتب ثلاثاً مظاهر في تحقيق إبراهيم عليه السلام للتوحيد، ﴿وَاذْكُرْ اٰلَ اِبْرٰهِيْمَ اِذْ يَدْعُوْهُ رَبُّهُ وَقَوْمُهُ اِثْنِيْ بَرَكَةً مِّمَّا تَعْبُدُوْنَ﴾.

٣. دون ما مر بك اليوم من أنواع تسخير الله تعالى للناس بعضهم لبعض، ﴿لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُلٰكًا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾.

## ● التوجيهات

١. الترف من اسباب التكبر والبعد عن الحق فاحذره، ﴿وَكَذٰلِكَ مَا اَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيْرٍ اِلَّا قَالُ مَرُفُوْهُمَآ اِنَّا وَجَدْنَا عَلٰى اَبَآئِكُمْ اٰثِمَةً وَاِنَّا عَلٰى اٰثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾.

٢. اعلم أن القائم بالدعوة معرض للسخرية والاستهزاء، فلا يضرك هذا فهي سنة ماضية، ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوْا هٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كٰفِرُونَ﴾.

٣. من رحمة الله بعباده تسخير بعضهم لبعض، وجعل الفقير يحتاج إلى الغني، والغني يحتاج إلى الفقير، ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُلٰكًا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾.

رجل عظيم كبير في أعينهم من القريتين؟! يعنون مكة والطائف. قاله ابن عباس وعكرمة ومحمد بن كعب القرظي وقادة.

وقد ذكر غير واحد -منهم قتادة-: أنهم أرادوا بذلك الوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي. وقال زيد بن أسلم والضحاك والسدي: يعنون الوليد بن المغيرة ومسعود بن عمرو الثقفي. وعن مجاهد: عمير بن عمرو بن مسعود الثقفي. وعنه أيضاً: أنهم يعنون الوليد بن المغيرة وحبيب بن عمرو بن عمير الثقفي. وعن مجاهد: يعنون عتبة بن ربيعة بمكة وابن عبد ليال بالطائف. وقال السدي: عنوا الوليد بن المغيرة، وكنانة بن عمرو بن عمير الثقفي.

والظاهر: أن مرادهم رجل كبير من أي البلدين كان.

قال الله تعالى راداً عليهم في هذا الاعتراض: ﴿أَهْرَاقِيْمُونَ رَحِمَتَ رَبِّكَ؟﴾ أي: ليس الأمر مردوداً إليهم، بل إلى الله ﷻ، والله أعلم حيث يجعل رسالته؛ فإنه لا يُنزِّلُها إلا على أركى الخلق قلباً ونفساً، وأشرفهم بيتاً، وأطهرهم أصلاً.

ثم قال تعالى مبيناً أنه قد فاتت بين خلقه فيها أعطاهم من الأموال والأرزاق والعقول والفهوم، وغير ذلك من القوى الظاهرة والباطنة، فقال: ﴿كُنْ قَسَمًا يَنْهَمُ مَعِيشتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعَنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾.

وقوله: ﴿لِيَسْتَجِدَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُرْحَانًا﴾ قيل: معناه: لِيُسْحَرَ بعضهم بعضاً في الأعمال، لاحتياج هذا إلى هذا، وهذا إلى هذا، قاله السدي وغيره. وقال قتادة، والضحاك: لِيُمْلِكَ بعضهم بعضاً. وهو راجع إلى الأول.

ثم قال: ﴿وَرَحِمَتَ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ أي: رحمة الله بخلقه خير لهم مما بأيديهم من الأموال ومتاع الحياة الدنيا.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَوْ لَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أي: لولا أن يعتقد كثير من الناس الجهلة أن إعطائنا المال دليل على محبتنا لمن أعطيناه، فيجتمعوا على الكفر لأجل المال؛ هذا معنى قول ابن عباس والحسن وقادة والسدي وغيرهم.

﴿لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُوشِيَهُمْ سُفْهًا مِّنْ فَضْلِهِ وَمَعَارِجَ﴾ أي: سلام ودرجاً من فضله، قاله ابن عباس ومجاهد وقادة وغيرهم. ﴿عَلَيْهَا يَطْمُرُونَ﴾ أي: يصعدون.

الآية (٢٣-٢٥): ثم بَيَّنَّ تعالى أن مقالة هؤلاء قد سَبَقَهُم إليها أشباههم ونظر أَوْهَم من الأمم السالفة المكذبة للرُّسُل، تشابهت قلوبهم، فقالوا مثل مقالته: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رُّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سُلُوفٌ أُوْحِيُونَ﴾ ﴿٢٤﴾ أَتَوَسَّوْا بِهِمْ وَلَمِ يَمُوتْ طَاغُوتٌ﴾ [الذاريات: ٥٢-٥٣]. وهكذا قال ههنا: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ عِتَاقٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾.

ثم قال تعالى: ﴿قُلْ﴾ <sup>(١)</sup> أي: يا محمد هؤلاء المشركين: ﴿أَوَلَمْ يَحْشُرْكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آيَاتُهَا قَالُوا إِنَّمَا إِلَهُكُمُ الرَّحْمَنُ فَكُفُّوا عَنِّي﴾ أي: ولو عَلِمُوا وَتَبَيَّنُوا صحة ما جِئْتَهُم بِهِ، لَسَا انتقادوا لذلك بسوء قصدهم ومكابرتهم للحق وأهله.

قال الله تعالى: ﴿فَأَنفَعَمَا يَمُنُّم﴾ أي: من الأمم المكذبة بأنواع العذاب، كما فَصَّلَهُ تعالى في قصصهم.

﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ أي: كيف بادوا وهلكوا، وكيف نَحَى الله المؤمنين؟!.

الآية (٢٦-٢٣): يقول تعالى مُخْبِرًا عن عبده ورسوله وخليله إمام الخفاء، ووالد من بُيُت بعده من الأنبياء، الذي تَنَسَّبَ إليه قريش في نسبها ومذهبها: أنه تَبَرَّأ من أبيه وقومه في عبادتهم الأوثان، فقال: ﴿إِنِّي بَرَأةٌ مِّمَّا يَشْعُبُونَ﴾ ﴿٢٦﴾ إِلَّا إِلَىٰ فِطْرَتِي فَإِنَّهُ سَبْحٌ مِّن سُبْحَانَ رَبِّيَ عَزَّ وَجَلَّ كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِيهِ. لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي: هذه الكلمة، وهي عبادة الله تعالى وحده لا شريك له، وتخلع ما سواه من الأوثان، وهي «لا إله إلا الله»، أي: جعلها دائمة في دُرَّتِهِ يَتَقَدَّرُ به فيها من هداة الله من ذرية إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَام.

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي: إليها. وقال عكرمة ومجاهد وقادة، وغيرهم في قوله ﷻ: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِيهِ﴾. يعني: لا إله إلا الله، لا يزال في دُرَّتِهِ من يقوِّها. وروى نحوه عن ابن عباس. وقال ابن زيد: كلمة الإسلام. وهو يرجع إلى ما قاله الجاهلية.

ثم قال تعالى: ﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءَ﴾. يعني: المشركين، ﴿وَأَبَاءَهُمْ﴾ أي: فَتَطَاوَلَ عليهم العمر في ضلالهم.

﴿حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولُهُ مُبِينٌ﴾ أي: بَيَّنَّ الرسالة والندارة. ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ﴾ أي: كابروه وعاندوه ودفعوا بِالضُّدِّ وَالرَّاحِ <sup>(٢)</sup> كَفَرًا وَحَسَدًا وَبَغْيًا؛ وَقَالُوا ﴿-أي: كالمعترضين على الذي أنزله تعالى وقُدَّسَ-: «لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْفَرِيقَيْنِ عَظِيمٍ﴾ أي: هَلَّا كَانَ أَنْزَالُ هَذَا الْقُرْآنِ عَلَى

(١) اعتمد ابن كثير في تفسيره القراءة بصيغة الأمر: ﴿قُلْ﴾؛ وهي قراءة الجميع عدا ابن عامر وحفص اللذين قرأها: ﴿قُلْ﴾ على الماضي. [ينظر: فريدة الدهر في تاصيل وجع القراءات، ٤/ ٣٦٩].

(٢) الراح: جمع راحة الكف؛ وهي باطن الكف [ينظر: تاج العروس، مادة (روح)]. وقول ابن كثير: «ودفعوا بالصدر والراح» يقصد به: رفضته قلوبهم، ودفعوا بأيديهم في وجه قاتل الحق.

الآية (٣٤-٣٥): ﴿وَلِيُثَبِّتَ أَفْئِدَةً عَلَىٰ أَبْوَابِهِمْ. وَسُورًا عَلَيْهَا يُتَنَكَّرُ﴾ أي: جميع ذلك يكون فضة.

﴿وَزُخْرًا﴾ أي: وذخراً قاله ابن عباس وقناة والسدي وابن زيد. ثم قال تعالى: ﴿وَأَنَّ كُلَّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ أي: إننا ذلك من الدنيا الفانية الزائلة الحاضرة عند الله تعالى؛ أي: يَجْعَلُ لهم بحسناتهم التي يعملونها في الدنيا مآكل ومشارب، ليؤاَفُوا الآخرة وليس لهم عند الله حسنة يَجْزِيهم بها، كما ورد به الحديث الصحيح<sup>(١)</sup>. ثم قال سبحانه: ﴿وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي: هي لهم خاصة لا يشاركهم فيها أحد غيرهم. وفي الصحيحين وغيرهما: أن رسول الله ﷺ قال: «لا تشربوا في آنية الذهب والفضة، ولا تأكلوا في صحافها، فإنها لهم في الدنيا ولنا في الآخرة». وإنما خوَّهم الله تعالى في الدنيا لحقارها؛ عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «لو كانت الدنيا تَرَنُّ عند الله جناح بعوضة، ما سقى منها كافراً شربة ماء أبداً» [رواه الترمذي وابن ماجه، وصححه الألباني].

الآية (٣٦-٤٥): يقول تعالى: ﴿وَمَنْ يَشْرُ﴾ أي: يتعمى ويتعافل ويُعرض، «عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ» والعشأ في العين: ضَعَف بصرها. والمراد هنا: عَشَا البصيرة. «فَنَقِصَ لَهُ شِطْرًا فَهُوَ لَرَقِينٌ» كقوله: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ التَّوْحِيدِ نُؤْتِهِ مَا يَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]، وكقوله: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥٠]، وكقوله: ﴿وَفُوضْنَا مَقَرَّنَا فَزَحُوا لَهَا بِأَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمُورٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْإِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِيرِينَ﴾ [نمل: ٢٥]. ولهذا قال هنا: ﴿وَأَنَّهُمْ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾.

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا﴾ أي: هذا الذي تغافل عن الهدى تُقْصِص له من الشياطين من يُضِلُّه، ويهديه إلى صراط الجحيم، فإذا وافى الله يوم القيامة يَتَرَمَّ بالشيطان الذي وكَّل به: ﴿قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ التَّسْوِيقِ قِيَسَ الْقَرْيُنَ﴾ أي: فبشس القرنين كنت في لي الدنيا. وقرأ بعضهم: «حتى إذا جاءنا» يعني: القرنين والمُقَارِن. والمراد بالمشركين هنا هو ما بين المشرق والمغرب. وإنما استعمل هنا تعليلاً، كما يُقال: القمران، والعمران، والأبوان. قاله ابن جرير وغيره.

ثم قال تعالى: ﴿وَكَلَّ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ أي: لا يُغْنِي عنكم اجتماعكم في النار واشتراكم في العذاب الأليم. وقوله: ﴿أَفَأَنْتُمْ شُيْعُ الْأَصْرَ أَوْ تَهْدُوا أَلْعَمَىٰ وَمَنْ كَانَ فِي صَلَاتٍ غِيبَتٍ﴾ أي: ليس ذلك إليك، إنما عليك البلاغ، وليس عليك هداهم، ولكن الله يهدي من يشاء، ويضِلُّ من يشاء،

(١) قال ﷺ: «إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة يعطى بها في الدنيا، ويجزى بها في الآخرة، وأما الكافر فيظلم بحسنت ما عمل به في الدنيا، حتى إذا أنفض إلى الآخرة لم تكن له حسنة يجزى بها» [مسلم، ح ٢٨٠٨].

وهو الحكم العَدْل في ذلك. ثم قال: ﴿فَلَمَّا نَذَهَبَ بِكَ فَأَنَّا مِنُهم مُنْقَلَبُونَ﴾ أي: لا بد أن ننتقم منهم ونُعاقِبهم، ولو ذَهَبَتْ أنت، ﴿أَوْ رُبَّمَا كَذَّبَتْ بِلِقَاءِ رَبِّكَ الَّذِي وَعَدْتَهُمْ فَأَنَّا عَلَيَّهِمْ مُتَقَدِّرُونَ﴾ أي: نحن قادرون على هذا وعلى هذا. ولم يَقْبِضِ الله رسوله حتى أَقْر عينه من أعدائه، وحكَّمه في نواصبيهم، وعَلَّمَهُ ما تَضَمَّنَتْهُ صَبَابِيهم. هذا معنى قول السدي، واختاره ابن جرير. وتلا قناة: ﴿فَلَمَّا نَذَهَبَ بِكَ فَأَنَّا مِنُهم مُنْقَلَبُونَ﴾ فقال: ذهب النبي ﷺ وبقيت النعمة.

ثم قال تعالى: ﴿فَاسْتَسْيِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ أي: خُذْ بِالْقُرْآنِ الْمُتَنَزَّلِ على قلبك؛ فإنه هو الحق، وما يهدي إليه هو الحق المُفْضِي إلى صراط الله المستقيم، المُوَصِّل إلى جَنَّاتِ النعيم، والخير الدائم المُقِيم.

ثم قال جلَّ جلاله: ﴿وَأَنَّهُ لَذِكْرُكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ قيل: معناه: لَشَرَفٍ لك ولقومك؛ قاله ابن عباس ومجاهد وقناة والسدي وابن زيد. واختاره ابن جرير، ولم يَحْكُ سواه. وعن معاوية قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إن هذا الأمر في قرشي لا يَبْزُغُهُمْ فيه أحدٌ إلا أَكَبَّهُ الله على وجهه ما أقاموا الدين» [رواه البخاري]. وقيل: معناه: أنه شَرَفَ لهم من حيث إنه أُنْزِلَ بَلَّتْهم، فهم أَفْهم الناس له، فينبغي أن يكونوا أَقَوَمَ الناس به وأَعْمَلَهُم بمقتضاه، وهكذا كان خيارهم وصفوهم من الخُلَصَّاء من المهاجرين السابقين الأولين، ومن شابههم وتابهم.

وقيل: معناه: ﴿وَأَنَّهُ لَذِكْرُكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ أي: لتذكير لك ولقومك، وتخصيصهم بالذكر لا ينفي من سواهم؛ كقوله: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠]، وكقوله: ﴿وَأَنذَرْتُ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤].

﴿وَسَوْفَ تَسْأَلُونَ﴾ أي: عن هذا القرآن وكيف كنتم في العمل به والاستجابة له. وقوله: ﴿وَسَتَلَّ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾! أي: جميع الرُّسل دعوا إلى ما دعوت الناس إليه من عبادة الله وحده لا شريك له، ونهوا عن عبادة الأصنام والأنداد؛ كقوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الصُّلُوعَ﴾ [النحل: ٣٦].

الآية (٤٦-٤٧): يقول تعالى مُخْبِراً عن عبده ورسوله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ ابْتِغَتْهُ لِرُفْعِهِ وَمَلَكُهُ مِنَ الْأُمَرَاءِ وَالْوُزَرَاءِ وَالْقَادَةِ وَالْأَنْبِيَاءِ وَالرَّعَايَا، مِنَ الْبَطْنِ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ، يَدْعُوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وينهاهم عن عبادة ما سواه، وأنه بَعَثَ معه آيات عظيمة، كَبِيدِهِ وَعَصَاهُ، وما أَرْسَلَ معه من الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، ومن نَقَصَ الزُّرُوعَ وَالْأَنْفُسَ وَالثَّمَرَاتِ، ومع هذا كُلُّهُ اسْتَكْبَرُوا عن اتباعها والانقياد لها، وكَذَّبُوهَا وَسَخَرُوهَا منها، وَصَحَّحُوا مَنْ جَاءَهُمْ بها.



## الوقفات التدريبية

﴿وَلْيُؤْمِنُوا بَيْنَ يَدَيْهِمْ رَبَّهُمْ وَلْيَرْجُوا يَوْمَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٦﴾ وَرُحْرُقًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٧﴾ وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِيضَ لَهُمُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُمْ لَيَصَدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿١٩﴾ حَقَّ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَكَلِّتُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَتَّخِذُ الْفَرِيقَ ﴿٢٠﴾ وَلَنْ يَنْفَعَكَ الْيَتِيمَ إِذْ ظَلَمْتَهُ أَتَكْفُرُ بِالْعَذَابِ مُشْرِكُونَ ﴿٢١﴾ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْأَعْمَى وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢٢﴾ قِيَامًا نَذِيرًا إِنَّكَ إِنَّا مَعَهُمْ مُنْصِفُونَ ﴿٢٣﴾ أَوْ تُرِيَّتُكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَاسْتَمِيعْ بِالْأُذُنِ أَوْحَى إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿٢٦﴾ وَسَقَلَ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ ﴿٢٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾

أي: لنزخرف لهم دنياهم بأنواع الزخارف، وأعطاهم ما يشتهون، ولكن منعه من ذلك رحمته بعباده، خوفاً عليهم من التسارع في الكفر وكثرة المعاصي بسبب حب الدنيا، ففي هذا دليل على أنه يمنع العباد بعض أمور الدنيا منعاً عاماً أو خاصاً لمصالحهم. السعدي: ٧٦٥.

السؤال: في الآية دليل على أن من رحمته سبحانه أن يمنع عباده أحياناً من بعض زخارف الدنيا، وضح ذلك.

﴿وَمَنْ يَعْشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِيضَ لَهُمُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿١٦﴾ وَلْيَتَمَتَّعْ لِيَصُدُّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾

لأن من وسَّع عليه في دنياه اشتغل في الأغلب عن ذكر الله، فنفرت منه الملائكة ولزمته الشياطين، فساقه ذلك إلى كل سوء، ومن يتق الله فيديم ذكره يؤيده بملك فهو له معين. الباقى: ٢٧/٧.

السؤال: اذكر شيئاً من أضرار الغفلة عن ذكر الله تعالى.

﴿وَلْيَتَمَتَّعْ لِيَصُدُّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾

فإن قيل: فهل لهذا من عذر، من حيث إنه ظن أنه مهتد وليس كذلك؟ قيل: لا عذر لهذا وأمثاله؛ الذين مصدر جهلهم الإعراض عن ذكر الله، مع تمكنهم على الاهتداء، فزهوا في الهدى مع القدرة عليه، ورغبوا في الباطل، فالتذبذب ذنبهم، والجزم جرهم. السعدي: ٧٦٦.

السؤال: هل للضالين من عذر، من حيث إنهم ظنوا أنهم مهتدون وليسوا كذلك؟

﴿وَلَنْ يَنْفَعَكَ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتَ أَتَاكَ فِي الْعَذَابِ مُشْرِكُونَ﴾

هذا كلام يقال للكفار في الآخرة، ومعناه أنهم لا يفهموا اشتراكهم في العذاب، ولا يجدون راحة التماسي التي يجدها المكروب في الدنيا إذا رأى غيره قد أصابه مثل الذي أصابه. ابن جزي: ٣١٤/٢.

السؤال: بين العذاب النفسي الذي يجده الغافل عن ذكر الله في الآخرة.

﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْأَعْمَى وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ فالهتدى: ليس شيء من ذلك إليك، بل هو إلى الله القادر على كل شيء، وأما أنت فليس عليك إلا البلاغ. الباقى: ٣٠/٧.

السؤال: ما المهمة الأساس للدعاة إلى الله تعالى؟

﴿وَأَنَّهُمْ لَذِكْرُكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾

الضمير في (وأنه) للقرآن أو للإسلام، والذكر هنا بمعنى الشرف، وقوم النبي ﷺ هم قريش وسائر العرب؛ فإنهم كانوا بالإسلام شرف الدنيا والآخرة، ويكفيك أن فتحوا مشارق الأرض ومغاربها. ابن جزي: ٣١٤/٢.

السؤال: ما الشرف الذي ذاله العرب بالتمسك بالإسلام؟

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ولما كان المتروكون مولعين بأن يزدروا من جاءهم ... بنوع من الازدراء ...

ولا يزالون ليوردون! هذا وأمثاله من الضلال حتى يقهرهم ذو الجلال بما اتهم به رسله: إما بإهلاكهم، أو غيرهم، وإن كانوا في غاية القوة، أورد سبحانه قصة موسى عليه الصلاة والسلام شاهدة على ذلك بما قال فرعون لموسى عليه الصلاة والسلام من نحو ذلك، ومن إهلاكه على قوته، وإنجاه بني إسرائيل على ضعفهم. الباقى: ٣٣/٧.

السؤال: ما موقف الترفين من الناصحين؟ وما سنة الله سبحانه في خاتمة الفريقين؟

وَيُؤْمِنُهَا أَتَوَّابًا وَسُرُورًا عَلَيْهَا يُتَكَلَّمُونَ ﴿١٦﴾ وَرُحْرُقًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٧﴾ وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِيضَ لَهُمُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُمْ لَيَصَدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿١٩﴾ حَقَّ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَكَلِّتُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَتَّخِذُ الْفَرِيقَ ﴿٢٠﴾ وَلَنْ يَنْفَعَكَ الْيَتِيمَ إِذْ ظَلَمْتَهُ أَتَكْفُرُ بِالْعَذَابِ مُشْرِكُونَ ﴿٢١﴾ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْأَعْمَى وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢٢﴾ قِيَامًا نَذِيرًا إِنَّكَ إِنَّا مَعَهُمْ مُنْصِفُونَ ﴿٢٣﴾ أَوْ تُرِيَّتُكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَاسْتَمِيعْ بِالْأُذُنِ أَوْحَى إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿٢٦﴾ وَسَقَلَ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ ﴿٢٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾

## معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
وَرُحْرُقًا	ذَهَبًا.
وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا	مَا كُلُّ ذَلِكَ إِلَّا.
يَعِشْ	يُعْرِضُ.
نَقِيضَ	نُهَيْئٌ، وَنُيُسِرْ.
قَرِينٌ	مُلازِمٌ، وَمُصَاحِبٌ.
بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ	مِثْلَ تَبَاعُدِ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ.

## العمل بالآيات

١. قل: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم مائة مرة، ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِيضَ لَهُمُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾.
٢. تعرف على سنة مهجورة وحاول تطبيقها متمسكاً بها، ﴿فَاسْتَمِيعْ بِالْأُذُنِ أَوْحَى إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.
٣. تذكر لحظات طويلة مرت عليك لم تذكر الله فيها ثم تذكر أن الشيطان كان قريباً منها، ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِيضَ لَهُمُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾.

## التوجيهات

١. احذر أن تعمل عملاً تظن أنك مهتد فيه وأنت على ضلال، وعلاج ذلك العلم بالدليل الصحيح، ﴿وَلْيَتَمَتَّعْ لِيَصُدُّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾.
٢. التمسك بالكتاب والسنة فيها العصمة والنجاة في الدنيا والآخرة، ﴿فَاسْتَمِيعْ بِالْأُذُنِ أَوْحَى إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.
٣. السخرية من الدين وأهله من صفات الكفار والمنافقين، ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿ وَمَا يُرِيدُ مِنَ آيَةِ إِلَّا أَنْ يُكَبَّرَ مِنْ أَخِيهَا وَأَخَذَتْهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾

بين سبحانه ان العلة في اخذه لهم بالعذاب هو رجاء رجوعهم .  
الشوكاني: ٥٥٩/٤.

السؤال: تظهر رحمة الله تعالى بخلقه حتى في عذابهم الدنيوي، بين ذلك من خلال الآية الكريمة.

﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْذُونَ ﴾  
(يا ايها الساحر) يعنون: موسى عليه السلام، وهذا إما من باب التهكم به، وإما ان يكون الخطاب عندهم مدحاً، فترضعوا إليه بان خاطبوه بما يخاطبون به من يزعمون انهم علماءهم وهم السحرة. السعدي: ٧٦٧.

السؤال: لا غنى للمجتمع عن العلماء والعباد، بين هذا من خلال الآية.  
﴿ وَتَأْدَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَنْتَوِي السَّاحِرُ إِلَى مَلِكِهِ وَمَنْ يُؤْمَرُ الْآخَرُونَ لَعَلَّاهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾

وهذا من جهله البليغ؛ حيث افتخر بأمر خارج عن ذاته، ولم يفخر بأوصاف حميدة، ولا أفعال سديدة. السعدي: ٧٦٧.

السؤال: في مدح فرعون نفسه جهلاً عظيماً، بين ذلك.  
﴿ فَلَوْلَا أَلْقَى عَلَيْهِ آسُورَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جِلَّةٌ مِمَّا يَخْلُقُ الْمُتَنَزِّلِينَ ﴾  
نظر إلى الشكل الظاهر، ولم يفهم السر المعنوي الذي هو اظهر مما نظر إليه لو كان يفهم. ابن كثير: ١٣٧/٤.

السؤال: لم تكن نظرة فرعون إلى موسى نظرة سليمة، بين ذلك.  
﴿ فَاسْتَحَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾

أي استخف فرعون قومه القبط؛ أي: وجدهم جهالاً. وقيل: حملهم على الخفة والجهل. البغوي: ١٠٣/٤.

السؤال: من أسباب انتشار البدع والضلال في المجتمع الجهل، وضع ذلك.  
﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾

قال عمر بن ذر: «يا أهل معاصي الله، لا تغتروا بطول حلم الله عنكم، واحذروا أسفه؛ فإنه قال: (هلمنا أسفونا انتقمنا منهم)». القرطبي: ٦٤/١٩.

السؤال: بين خطورة الاغترار والتماهي بالمعاصي في ضوء الآية.  
﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴾

فيكون حالهم عظة لناس وإضلالاً لآخرين؛ فمن قضى ان يكون على مثل حالهم عمل مثل أعمالهم، ومن أراد النجاة مما نالهم تجنب أفعالهم.

البقاعي: ٣٩٩/٧.

السؤال: كيف جعل الله أحوال الأمم السابقة عظة لناس وإضلالاً لآخرين؟

وَمَا يُرِيدُ مِنَ آيَةِ إِلَّا أَنْ يُكَبَّرَ مِنْ أَخِيهَا وَأَخَذَتْهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١﴾ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْذُونَ ﴿٢﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ ﴿٣﴾ وَتَأْدَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَنْتَوِي السَّاحِرُ إِلَى مَلِكِهِ وَمَنْ يُؤْمَرُ الْآخَرُونَ لَعَلَّاهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤﴾ أَمْ أَرَأَيْتُمْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مِمِّهِنَّ لَأَ يَكُادُ يَبْرِئُهُ ﴿٥﴾ فَلَوْلَا أَلْقَى عَلَيْهِ آسُورَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جِلَّةٌ مِمَّا يَخْلُقُ الْمُتَنَزِّلِينَ ﴿٦﴾ فَاسْتَحَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴿٩﴾ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿١٠﴾ وَقَالُوا لَٰهِيَ خَيْرٌ أَمِّ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿١١﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُمْ مِثْلَ بِلْقِيسَ فِي الْأَرْضِ يَحْتَفُونَ ﴿١٣﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
يَنْكُتُونَ	يُعِدُّونَ، وَيُصِرُّونَ عَلَى الْكَفْرِ.
مِمِّهِنَّ	ضَعِيفٌ لَا جَرَّ لَهُ.
مُقْتَرِنِينَ	مَقْرُونِينَ مَعَهُ يُصَدِّقُونَهُ.
آسَفُونَا	أَغْضَبُونَا.

## ● العمل بالآيات

١. تذكر مصيبة أصابتك، ثم تذكر دنيا فعلتها قبلها واستغفر الله منه؛ فربما أصبت بالمصيبة لكي ترجع إلى ربك، ﴿ وَأَخَذَتْهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾.
٢. تأمل تسلسل المصائب على الأمة من الصغرى إلى الكبرى ثم قل: «اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك»، ﴿ وَمَا يُرِيدُ مِنَ آيَةِ إِلَّا أَنْ يُكَبَّرَ مِنْ أَخِيهَا وَأَخَذَتْهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾.
٣. تصدق؛ فإن الصدقة تطفى غضب الرب، ﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾.

## ● التوجيهات

١. المصائب التي تحل بالعباد تكون إنذاراً من الله لهم ليتوبوا ويرجعوا، ﴿ وَمَا يُرِيدُ مِنَ آيَةِ إِلَّا أَنْ يُكَبَّرَ مِنْ أَخِيهَا وَأَخَذَتْهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾.
٢. ابتعد عن معاصي الله ومخالفة أمر نبيه محمد عليه الصلاة والسلام تسلم من غضب الله وعقابه، ﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾.
٣. احذر من الطفیان بالقول والفعل؛ فإن مآل ذلك الذلة في الدنيا والآخرة؛ فهاهم قوم فرعون لما طفوا أنزل الله فيهم عقوبته، ﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴾.

الذي هو أَظْهَرُ مِمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ، لو كان يعلم؛ ولهذا قال تعالى: ﴿فَاسْتَحَفَّ قَوْمُهُ فَأَطَاعُوهُ﴾ أي: استخفَّ عقولهم، فدعاهم إلى الضلالة فاستجابوا له، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾. قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا ءَاسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ قال ابن عباس: ﴿ءَاسَفُونَا﴾: أسخطونا. وقال الضحاك عنه: أغضبونا. وهكذا قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وغيرهم. عن عتبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قال: «إذا رأيت الله ﷻ يُعْطِي العبد ما شاء، وهو مُؤْمِنٌ على معاصيه، فإنما ذلك استلراج منه له»، ثم تلا: ﴿فَلَمَّا ءَاسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿إِذْ رَأَاهُ أَحَدٌ، وَصَحَّهِ الْإِبَابُ﴾. وقال عمر بن عبد العزيز: وجدتُ النِّقْمَةَ مع الغفلة. وقوله: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ﴾ قال أبو ميخايل: ﴿سَلَفًا﴾: لِمَثَلٍ مِّنْ عَمَلٍ بِمَعْلُومٍ. وقال هو ومجاهد: ﴿وَمَثَلًا﴾ أي: عبرة لمن بعدهم.

الآية (٥٧-٦٠) يقول تعالى مُخْبِرًا عَنْ تَعَتُّبِ قُرَيْشٍ فِي كُفْرِهِمْ وَتَعَمُّدِهِمُ الْمُنَادِ وَالْجَدَلَ: ﴿وَلَمَّا شَرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ قال ابن عباس ومجاهد: يضحكون، أي: أعجبوا بذلك. وقال قتادة: يَجُرُّونَ ويضحكون. وقال إبراهيم النخعي: يُعْرِضُونَ.

[سبب النزول]: قال ابن عباس: إن رسول الله ﷺ قال لقريش: «يا معشر قريش، إنه ليس أحد يُعْتَدُ من دون الله فيه خير»، وقد عَلِمْتُ قريش أن النصارى تَعْبُدُ عيسى ابن مريم... فقالوا: يا محمد، أَلَسْتَ نَزَعُ أن عيسى كان نَبِيًّا وَعَبْدًا من عباد الله صَالِحًا؟! فإن كنت صادقًا كان أَلَهْمُ كما تقولون. قال: فَأَنْزَلَ الله: ﴿وَلَمَّا شَرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ ﴿إِذْ رَأَاهُ أَحَدٌ، وَصَحَّهِ إِسْنَاهُ أَحَدٌ شَاوِرًا﴾. وقال مجاهد: قالت قريش: إنما يُريدُ محمد أن نَعْبُدَ كما عَبَدَ قوم عيسى عيسى. ونحو هذا قال قتادة.

وقوله: ﴿وَقَالُوا أَلَيْسَ خَيْرًا أَنَّا نَحْمِلُ﴾ قال قتادة: يقولون: أَلَهْتْنَا خير منه. يعنون محمدًا ﷺ. وقوله: ﴿مَا صَرَّوْهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾ أي: مِرَاءً، وهم يعلمون أنه ليس بوارد على الآية؛ لأنها إما لا يعقل، وهي قوله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]. ثم هي خطاب لقريش، وهم إنما كانوا يعبدون الأصنام والأنداد، ولم يكونوا يعبدون المسيح حتى يُوردوه، فتَعَيَّنَ أن مقاتلتهم إنما كانت جَدَلًا بينهم، ليسوا يعتقدون صحتها. وقال رسول الله ﷺ: «مَا ضَلَّ قوم بعد هُدًى كانوا عليه، إِلَّا أَوْرَثُوا الْجَدَلَ»، ثم تلا هذه الآية: ﴿مَا صَرَّوْهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَبِيرُونَ﴾ ﴿إِذْ رَأَاهُ التَّمِزِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ، وَصَحَّهِ الْإِبَابُ﴾. وقوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ يعني: عيسى عليه السلام ما هو إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمَ الله عليه بالنبوة والرسالة، ﴿وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ أي: دلالة وحجة وبرهانًا على قدرتنا على ما نشاء. وقوله: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ نَكَارًا﴾ أي: بَدَلَكُم مَّا لَكُمْ فِي الْأَرْضِ يَجْلُفُونَ ﴿قال السُّدِّيُّ: يخلعونكم فيها. وقال ابن عباس وقتادة: يَخْلُفُ بعضهم بعضًا، كما يخلف بعضهم بعضًا. وهذا القول يستلزم الأول. وقال مجاهد: يعمرن الأرض بَدَلَكُم.

الآية (٤٨-٥٠): ﴿وَمَا يُرِيدُهُنَّ آيَةَ الْآخِرِ مِن أَخِيهَا﴾ ومع هذا ما رَجَعُوا عَنْ عَيْبِهِمْ وضلالهم، وجهلهم وخباياهم. وكلما جاءهم آية من هذه الآيات يضرعون إلى موسى عليه السلام، وَيَتَلَطَّفُونَ له في العبارة بقولهم: ﴿يَتَأَيَّ السَّاحِرُ﴾ أي: العالم، قاله ابن جرير. وكان علماء زمانهم هم السَّحَرَةُ. ولم يكن السَّحَرُ عندهم في زمانهم مذمومًا، فليس هذا منهم على سبيل الانتقاص منهم؛ لأن الحال حال ضرورة منهم إليه لا تَنَاسِبُ ذلك، وإنما هو تعظيم في رَعْمِهِمْ، ففي كل مرة يَعْبُدُونَ موسى عليه السلام إِنْ كَشَفَ عَنْهُمْ هذا أَنْ يُؤْمِنُوا وَيُؤْمِنُوا معه بني إسرائيل، وفي كل مرة يَتَكُونُونَ ما عاهدوا عليه.

الآية (٥١-٥٦): يقول تعالى مُخْبِرًا عَنْ فِرْعَوْنَ وَتَعَمُّدِهِ وَغَوَّهَ وكفره وعناده: أَنَّهُ جَمَعَ قومه، فنادى فيهم مُتَبَجِّحًا مُتَفَخِّرًا بِمُلْكِهِ ومصرَ وَتَصَرُّفِهِ فيها: ﴿أَلَيْسَ لِي مَلِكٌ وَمَعْرِ هَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي؟﴾ قال قتادة: قد كانت لهم جنان وأنهار ماء، ﴿أَفَلَا يَتَّبِعُونَ؟﴾ أي: أفلا ترون ما أنا فيه من العظمة والملوك، يعني: وموسى وأتباعه فقراء ضعفاء. وقوله: ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ﴾ يعني: فرعون -عليه اللعنة- أنه خير من موسى عليه السلام. وقد كَذَّبَ في قوله هذا كَذْبًا بَيِّنًا وَاضِحًا، فعليه لعائن الله الْمُتَابِعَةُ إلى يوم القيامة. ويعني بقوله: ﴿مَهِينٌ﴾ كما قال سفيان: حقير. وقال قتادة والسُّدِّيُّ: يعني: ضعيف. وقال ابن جرير: يعني: لا مُلْكَ له ولا سلطان ولا مال. ﴿وَلَا يَكْذِبُ بَيِّنٌ﴾ يعني: لا يكاد يُفَصِّحُ عن كلامه، فهو عَيِّيٌّ حَصِرَ. قال السُّدِّيُّ: أي: لا يكاد يُفْهِمُ. وقال قتادة والسُّدِّيُّ وابن جرير: يعني: عَيِّيُّ اللسان. وقال سفيان: يعني في لسانه شيء من الجُمُرَةِ حين وَصَمَهَا في فيه وهو صغير. وهذا الذي قاله فرعون -لعنة الله- كَذِبٌ واختلاق، وإنما حَمَلَهُ على هذا الكفر والعناد، وهو ينظر إلى موسى عليه السلام بعين كافرة شَقِيَّةٍ، وقد كان موسى عليه السلام من الجلالة والعظمة والبهاء في صورة يُبْهِرُ أَبْصَارَ ذَوِي الْأَلْبَابِ.

وقوله: ﴿مَهِينٌ﴾ كَذِبٌ، بل هو المهين الحقيق خَلْقُهُ وَخُلُقُهُ وَدِينًا. وموسى عليه السلام هو الشريف الرئيس الصادق البار الراشد. وقوله: ﴿وَلَا يَكْذِبُ بَيِّنٌ﴾ افتراء أيضًا؛ فإنه وإن كان قد أصاب لسانه في حال صَغَرِهِ شيء من جهة تلك الجمرة، فقد سأل الله ﷻ أن يَجْلَّ عُقْدَةً من لسانه لِيَقْقُوهَا قوله، وقد استجاب الله له في قوله: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يٰمُوسَى﴾ [طه: ٣٦]، ويتقدير أن يكون قد بقي شيء لم يُسَأَلْ إزالته، كما قاله الحسن البصري، وإنما سأل زوال ما يحصل معه الإرباغ والإفهام، فالأشياء الخَلْقِيَّةُ التي ليست من فِعْلِ العبد لا يُعَاتَبُ بها ولا يُدَمَّرُ عليها، وفرعون إن كان يَفْهَمُ وله عقل فهو يدري هذا، وإنما أراد الترويع على رعيته؛ فإنهم كانوا جَهْلَةً أغبياء، وهكذا قوله: ﴿فَلَوْلَا أَلْقَىٰ عَلَيْهِ آسُورَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ﴾ أي: وهي ما يُجْعَلُ في الأيدي من الحُلِيِّ، قاله ابن عباس وقتادة وغير واحد. ﴿أَوَّلَ مَا مَعَهُ الْمَلَكُ كَمَا مَفْتَرِيَتٌ﴾ أي: يكتفونهم خدمة له ويشهدون بتصديقه، نَظَرَ إلى الشُّكْلِ الظاهر، ولم يَفْهَمُ السِّرَّ المعنوي



الآية (٦١-٦٥): ﴿وَإِنَّهُ لَوَعْدٌ لِّسَاعَةٍ﴾ الضمير في ﴿وَإِنَّهُ﴾ على الصحيح أنه عائد على عيسى عليه السلام؛ فإن السياق في ذكره، ثم المراد بذلك نزوله قبل يوم القيامة؛ كما قال تبارك وتعالى: ﴿وَلَن يَن أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ أي: قبل موت عيسى عليه الصلاة والسلام، ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ نَبِيًّا﴾ [النساء: ١٥٩]، ويؤكد هذا المعنى القراءة الأخرى: ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَّمُ لِلسَّاعَةِ﴾ أي: أمانة ودليل على وقوع الساعة، قال مجاهد: ﴿وَإِنَّهُ لَوَعْدٌ لِّسَاعَةٍ﴾ أي: آية للساعة خروج عيسى ابن مريم قبل يوم القيامة.

وهكذا روي عن أبي هريرة وابن عباس والحسن وقتادة وغيرهم. وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ أنه أخبر بنزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة إماماً عادلاً، وحكماً مقسطاً.

وقوله: ﴿فَلَا تَمْتَرْتُمْ بِهَا﴾ أي: لا تشكوا فيها، إنها واقعة وكائنة لا محالة، ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾ أي: فيما أخبركم به ﴿هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ (١١) وَلَا يَصُدُّكُمْ النَّاسُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: عن اتباع الحق، ﴿إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (١٢) وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحَقِّ﴾ أي: بالنبوة، ﴿وَالَّذِينَ لَكُمْ بَعْضٌ أَلَدَى خَلْقِهِمْ فِيهِ﴾ قال ابن جرير: يعني من الأمور الدينية لا الدنيوية. وهذا الذي قاله حسن جيد، ثم رد قول من زعم أن «بعض» ههنا بمعنى «كل».

وقوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أي: فيما أمركم به، ﴿وَالَّذِينَ جِئْتُمْ بِهِ، إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاقْبَلُوا هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ أي: أنا وأنتم عبيد له، فقراء إليه، مشتركون في عبادته وحده لا شريك له.

﴿هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ أي: هذا الذي جئتمكم به هو الصراط المستقيم، وهو عبادة الرب ﷻ وحده.

وقوله: ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ أي: اختلفت الفرق وصاروا شيعاً فيه، منهم من يُقِرُّ بأنه عبد الله ورسوله - وهو الحق - ومنهم من يدعي أنه ولد الله، ومنهم من يقول: إنه الله. تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

ولهذا قال: ﴿قَوْلِيلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ إِلَهِمْ﴾.

الآية (٦٦-٧٣): يقول تعالى: هل ينتظر هؤلاء المشركون المكذِّبون للرُّسُل ﴿إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ١؟ أي: فإنها كائنة لا محالة وواقعة، وهؤلاء غافلون عنها غير مستعدين، فإذا جاءت إنما تحييهم وهم لا يشعرون بها، فحينئذٍ يندمون كل الندم، حيث لا ينفعهم ولا يدفع عنهم.

وقوله: ﴿الْأَخْلَاءَ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ أي: كل صداقة وصحابة لغير الله فإنها تنقلب يوم القيامة عداوة إلا ما كان لله ﷻ، فإنه دائم بدوامه. وهذا كما قال إبراهيم عليه السلام لقومه: ﴿إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ يَتَذَكَّرُ فِي نَفْسِكُمْ بَعْضٌ مِمَّا كُنْتُمْ تَفْتَحُونَ﴾

وَمَا وَنَكُمْ النَّارَ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَصِيرَةٍ﴾ [التكوير: ٢٥].

وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة: صارت كل خُلَّةٍ عداوة يوم القيامة إلا الْمُتَّقِينَ.

وقوله: ﴿يَعْبَادُ لَا خَوْفَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ ثم بشرهم فقال: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ أي: آمنت قلوبهم وبواطنهم، وانقادت لشرع الله جوارحهم وظواهرهم.

قال المعتمر بن سليمان، عن أبيه: إذا كان يوم القيامة فإن الناس حين يُنْعَثُونَ لا يبقى أحد منهم إلا فرح، فينادي مناد: ﴿يَعْبَادُ لَا خَوْفَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ فترجوها الناس كلهم، قال: فيُبْعِثُهَا: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ قال: فيتأس الناس منها غير المؤمنين. ﴿أَدْخَلُوا الْجَنَّةَ﴾ أي: يُقال لهم: ادخلوا الجنة.

﴿أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ﴾ أي: نظراؤكم.

﴿تُحَبَّرُونَ﴾ أي: تنعمون وتسعدون.

﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِصَاتٍ مِنْ دَهَبٍ﴾ أي: زبائدي آنية الطعام، ﴿وَأَكْوَابٍ﴾ وهي: آنية الشراب، أي: من ذهب لا خراطيم لها ولا عُرَى، ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ﴾ أي: طيب الطعم والريح.

﴿وَنَزَّلَ الْأَعْيُنُ﴾ وحسن المنظر.

﴿وَأَنْتُمْ فِيهَا﴾ أي: في الجنة.

﴿خَالِدُونَ﴾ أي: لا تخرجون منها ولا تبغون عنها جواً.

ثم قيل لهم على وجه التفضُّل والامتنان: ﴿وَبَيْنَكَ الْجَنَّةُ النَّارُ أَوْفَتْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: أعمالكم الصالحة كانت سبباً لشمول رحمة الله إليكم؛ فإنه لا يُدْخِلُ أحداً عمله الجنة، ولكن بفضل من الله ورحمته. وإنما الدرجات تفاوتها بحسب عمل الصالحات.

وقوله: ﴿لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ﴾ أي: من جميع الأنواع، ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ أي: منها اخترتم وأردتم. ولما ذكر الله تعالى الطعام والشراب، ذكر بعده الفاكهة لِتَبَيِّنِ النعمة والغنيطة.



## ● الوقفات التدريبية

﴿ وَإِنَّهُ لَكُلُّهُ لِّلْسَاعَةِ فَلَا تَمْتَرَنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾

ومعنى قوله: (تعلم للساعة) على القول الحق الصحيح الذي يشهد له القرآن العظيم والسنة المتواترة: هو أن نزول عيسى في آخر الزمان حيا علم للساعة أي علامة تقرب مجيئها لأنه من أشرافها الدالة على قربها. الشنقيطي: ١٢٨/٧.

السؤال: ما المراد بقوله: (تعلم للساعة)؟

﴿ وَلَا يَصْدَقُكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكَوَّعِدُو مِينٌ ﴾

أي: واضح العداوة في نفسه، مناد بها؛ وذلك بإبلاغه في عداوة أبيكم حتى أنزلكم بإنزاله عن محل الراحة إلى موضع النصب، عداوة ناشئة عن الحسد؛ فهي لا تنفك أبدا. البقاعي: ٤٣/٧.

السؤال: ما منشأ عداوة الشيطان لنا؟ ومتى تنتهي؟

﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوا هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾

وتقديم نفسه على قومه في قوله: (ربي وربكم) قصد سد ذرائع الغلو في تقديس عيسى، وذلك من معجزاته؛ لأن الله علم أنه ستغلو فيه ففرق من أتباعه فيزعمون بنوته من الله على الحقيقة. ابن عاشور: ٢٤٨/٢٥.

السؤال: لماذا قدم عيسى عليه السلام نفسه على قومه في قوله:

(ربي وربكم)؟

﴿ الْأَخْلَاقُ يَوْمَئِذٍ بِغُضْبٍ لِّعِصِّ عَدُوِّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾

أي: كل صداقة وصحابة لغير الله فإنها تنقلب يوم القيامة عداوة، إلا ما كان لله عز وجل؛ فإنه دائم بدوامه. ابن كثير: ١٣٥/٤.

السؤال: ما سبب دوام الصداقة يوم القيامة؟

﴿ يَبْعَادُ لَا حَوْلَ عَلَيْهِمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْشَرُ عَزَّزْتُ ﴾

أي: لا خوف يلحقكم فيما تستقبلونه من الأمور، ولا حزن يصيبكم فيما مضى منها، وإذا انتفى المكروه من كل وجه ثبت الحبيب المطلوب. السعدي: ٦٦٩.

السؤال: إذا ثبت انتفاء الخوف والحزن عن أهل الجنة فما الذي يثبت لهم؟

﴿ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا شَتَّهِ الْأَنْفُسُ وَكَذَلِكَ يُبْعَادُ لَا حَوْلَ عَلَيْهِمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْشَرُ عَزَّزْتُ ﴾

لما ذكر الطعام والشراب ذكر بعده الفاكهة لتتم النعمة والغبطة. ابن كثير: ١٣٧/٤.

السؤال: لماذا ذكر الفاكهة بعد ذكر الطعام والشراب؟

﴿ وَكَذَلِكَ لَكُنَّ أَلْفَى أَوْفَتْهُمَا بِمَا كُنَّ تَعْمَلُونَ ﴾

يقال لهم يوم القيامة هذه المقالة: أي: صارت إليكم كما يصير الميراث إلى الوارث بما كنتم تعملونه في الدنيا من الأعمال الصالحة.

الشوكاني: ٥٦٤/٤.

السؤال: ما أهمية العمل الصالح من خلال الآية الكريمة؟

وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلْسَاعَةِ فَلَا تَمْتَرَنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿١﴾ وَلَا يَصْدَقُكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكَوَّعِدُو مِينٌ ﴿٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلَآئِينَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤﴾ فَاخْتَلَفَ الْأَخْرَابُ مِنْ بَيْنَهُمْ قَوْلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ آيَةٍ ﴿٥﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦﴾ الْأَخْلَاقُ يَوْمَئِذٍ بِغُضْبٍ لِّعِصِّ عَدُوِّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ يَبْعَادُ لَا حَوْلَ عَلَيْهِمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْشَرُ عَزَّزْتُ ﴿٨﴾ أَمْ أَمَّا أَيْبَا بَيْنَنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٩﴾ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْشَرُ وَأَزْجُرُكُمْ تُخْبَرُونَ ﴿١٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا شَتَّهِ الْأَنْفُسُ وَكَذَلِكَ الْأَعْيُنُ وَأَنْشَرُ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ وَكَذَلِكَ الْجَنَّةُ أَلْفَى أَوْفَتْهُمَا بِمَا كُنَّ تَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٣﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
تَعْلَمُ لِلْسَاعَةِ	إِنْ نَزُولُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَدَبِيلٍ عَلَى قُرْبِ وَقُوعِ السَّاعَةِ.
صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ	طَرِيقٌ قَوِيمٌ إِلَى الْجَنَّةِ لَا عِوَجَ فِيهِ.
بِالْحِكْمَةِ	بِالنَّبُوءِ.
بَغْتَةً	فَجْأَةً.
الْأَخْلَاقُ	الْأَصْدِقَاءُ، وَالْأَحْبَابُ.
تُخْبَرُونَ	تُنَعَّمُونَ، وَتُسَرُّونَ.
بِصِحَافٍ	بِأَوَانٍ.

## ● العسل بالآيات

١. تواصل أنت وأحد زملائك على الصلاة في الصف الأول وقراءة القرآن، ﴿ الْأَخْلَاقُ يَوْمَئِذٍ بِغُضْبٍ لِّعِصِّ عَدُوِّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾.
٢. زُرْ أَخَا لَكَ فِي اللَّهِ لَا تَسْتَهْدِفُ مِنْ هَذِهِ الزِّيَارَةِ إِلَّا اسْتِشْعَارَ الْحُبَّةِ فِي اللَّهِ، ﴿ الْأَخْلَاقُ يَوْمَئِذٍ بِغُضْبٍ لِّعِصِّ عَدُوِّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾.
٣. قل: «ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما»، ﴿ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْشَرُ وَأَزْجُرُكُمْ تُخْبَرُونَ ﴾.

## ● التوجيهات

١. الحذر من الاختلاف في الدين، ﴿ فَاخْتَلَفَ الْأَخْرَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ قَوْلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ آيَةٍ ﴾.
٢. اتبع صراط الله في أمور كلها ولا تجد عنه، ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾.
٣. الصداقات التي تقوم على المصالح والمجاملات تنقلب إلى عداوات يوم القيامة، ﴿ الْأَخْلَاقُ يَوْمَئِذٍ بِغُضْبٍ لِّعِصِّ عَدُوِّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾.



## ● الوقفات التدبيرية

﴿ لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴾

والمبلس في هذا الموضع هو: الأيس من النجاة، الذي قد قنط فاستسلم للعذاب والبلاء الطبري: ٦٤٣/٢١.

**السؤال: ما المراد بإبلاس الكفار في النار؟**

﴿ لَا يَفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴾

أي: حزينون من شدة اليأس، قال الراغب: «الإيلاس: الحزن المعترض من شدة اليأس، ومنه اشتق إبليس فيما قيل. ولما كان المجلس كثيراً ما يلزم السكوت وينسى ما بعينه، قيل: إبليس فلان إذا سكت وانقطعت حجته» انتهى. وقد فسر الإيلاس هنا بالسكوت وانقطاع الحجة. الأنوسي: ١٤١/٢٥.

السؤال: ما معنى (مبلسون)؟

﴿قَالَ لَكُمْ نَجُوتُ﴾ ﴿٣٧﴾ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَنتُمْ لَمَنِ كَرِهُوا ﴿٣٨﴾ فلما سألوا أن يموتوا أجابه مالك: ﴿قَالَ إِنَّكُمْ مَأْكُونُونَ﴾، ثم ذكر سبب شقوتهم، وهو مخالفتهم للحق ومعاندتهم له، فقال: ﴿لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَنتُمْ لَمَنِ كَرِهُوا﴾. ابن كثير ٤/١٣٧.

السؤال: ما فائدة قوله: (لقد جئناكم بالحق) بعد قوله: (قال إنكم ماكثون)؟

﴿لَقَدْ جِئْتَكُمْ بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَذِبُونَ﴾

لقد جئناكم في الدنيا بالحق؛ وهو التوحيد وسائر ما يجب الإيمان به؛ وذلك بإرسال الرسل وإنزال الكتب. ولكن أكثركم للحق -أي حقّ- كان- كارهون لا يقبلونه وينفرون منه. الأئوسى ١٤٢/٢٥.

**السؤال: ما المراد بالحق الوارد في الآية؟**

﴿ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِ ﴾

فأنا أول العابدين) لذلك الولد؛ لأنه جزء من والده، وأنا أولى الخلق انقياداً للأمور المحبوبة لله، ولكني أول المنكرين لذلك وأشهدهم له نقيضاً، فعلم بذلك بطلانه. فهذا احتجاج عظيم عند من عرف أحوال الرسل السعدي: ٧٧.

السؤال: يستفاد من هذه الآية أن الرسل أسبق الناس للكمالات وأبعدهم عن الشرور والنقائص، بين وجه هذه الفائدة من الآية.

﴿ سُبْحَنَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾

وقصد بذكر السماء والأرض الإحاطة بعوالم التدبير والخلق؛ لأن  
المشركين جعلوا لله شركاء في الأرض، وهم أصنامهم المنصوبة،  
وجعلوا له شركاء في السماء، وهم الملائكة؛ إذ جعلهم بنات لله تعالى.  
ابن عاشور: ٢٦٧/٢٥.

**السؤال: لماذا خصت الآيات السماوات والأرض برؤية الله تعالى لهما؟**

﴿ فَأَصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾

فليس ذلك أمراً بالسلام عليهم والتحية، وإنما هو أمر بالمشاركة وحاصله إذا أنتم القبول فأمرى السَّلَامَ مِنْكُمْ. الأنوسي: ١٥١/٢٥.

السؤال: أُمِرْنَا بالرفق والحكمة عند عناد المدعوين ورفضهم، بين ذلك من خلال الآتي.

إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٣٥﴾ لَا يَصُدُّ عَنْهُمْ وُجُوهُهُمْ  
فِيهِمْ مَبْلُغُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا ظَنَنْتُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَهْلَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٧﴾  
وَقَادُوا إِلَىٰ مِلْكِكُمْ لَيْقُضَ عَلَيْكَ بَرِّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكِيدُونَ ﴿٣٨﴾ لَقَدْ  
جِئْتُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا  
فَأَنَّا مَبْرُمُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ حَسِبُوا أَنَّ لَتَنِيعَ سِرِّهِمْ وَخَوْنَهُمْ يَكِلِ  
وَسْئَلَنَا لَهُمْ مَكِيدُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ  
الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾ سُبْحَنَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ  
عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرُهُمْ خُصُوفًا وَيَلْبَعُوهَا حَتَّى يَلْفُحُوا بِأَنفُسِهِمْ  
الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ  
إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٤٥﴾ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٦﴾  
وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَعَةَ إِلَّا  
مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ  
لَيَقُولَنَّ اللَّهُ فَعَلَىٰ ذُنُوبِكُمْ ﴿٤٨﴾ وَقِيلَ لِرَبِّ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْمٌ  
لَّا يَمْنُونُ ﴿٤٩﴾ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٥٠﴾

## معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ	لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ.
مُبْلِسُونَ	أَيْسُونَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ.
أَمْ أَيْرُومَا أَمْرَا	أَحْكَمُوا أَمْرًا فِي كَيْدِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
يَخَوْضُوا	يَتَكَلَّمُوا بِبَيِّنَاتٍ لَهُمْ.
هَآئِي يُؤْفَكُونَ	كَيْفَ يَنْصَرِفُونَ عَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ؟
وَقِيلِهِ	وَقَوْلِ مُحَمَّدٍ فِي شَكْوَاهُ.
فَاصْصَحْ	أَعْرِضْ عَنْ أَذَاهُمْ.

## العمل بالآيات

١٠. سَبِّحِ اللَّهَ تَعَالَى الْقُدَّاءَ بِالْأَيَةِ الْكَرِيمَةِ ﴿سُبْحَنَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ  
الْعَرْشِ عَمَّا يَعْبُودُونَ﴾.  
١١. ادْعُ اللَّهَ أَنْ تَنَالِكَ شَفَاعَةَ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ ﷺ ﴿وَلَا يَمْلِكُ الْوَيْلُ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ  
لِشَفَاعَةٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ الْبَاقِي وَهُمْ يَكْفُرُونَ﴾.  
١٢. اصْغِرِ الْيَوْمَ عَمَّنْ ظَلَمْتَهُ ﴿فَاصْغِرْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾.

## ● التوجيهات

١. احاطة الله تعالى وسعته علمه تدعو العبد إلى مراقبته وتقواه، ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَا لَنَسْمَعَهُمْ﴾ ويخبرهم بأن رؤسنا لديهم يكتبون. ﴿تَنْزِيهِ اللَّهِ تَعَالَى﴾ مما افتراه عليه الكفار من نسبة الولد إليه، ﴿قَدْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ فَالْتِمَاتُ أَوَّلُ الْعَرِيدِينَ﴾ (٨١) سُبْحَانَ رَبِّكَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَشْفُونَ. ٢. امر الله نبيه بالصفح عن الكافرين، فما احرانا بالصفح عن اذنانا، ﴿فَاصْفَعْ عَنْهُمْ قُلُوبَهُمْ يَلْعَنُونَ﴾.

وقوله: ﴿فَدَرَجَهُم بِمَوَاقِفٍ أُولَىٰ فِي جَهَنَّمَ وَضَلَّاهُمْ﴾ ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِيهِمُ الرَّسُولَ﴾ ﴿وَهُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي: فسوف يعلمون كيف يكون مصيرهم ومآلهم وحالهم في ذلك اليوم.

وقوله: ﴿وَمَوْءَاظٍ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْأَرْضِ﴾ ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِيهِمُ الرَّسُولَ﴾ ﴿وَهُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي: هو إله من في السماء، وإله من في الأرض، يعبداه أهلها، وكلهم خاضعون له، أذلاء بين يديه ﴿وَهُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾. وهذه الآية كقوله: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾ [الأنعام: ٣٠] أي: هو المدعو الله في السموات والأرض. ﴿وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مَلَكُوتُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أي: هو خالقهما ومالكهما والمُتَصَرِّفُ فيها، بلا مُدَاَفَعَةٍ ولا مُتَمَتِّعَةٍ، فسيحانه وتعالى عن الولد. ﴿وَتَبَارَكَ﴾: أي استقر له السلامة من العيوب والنقائص؛ لأنه الرَّبُّ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ، المالك للأشياء، الذي بيده أَرْزَمَةُ الْأُمُورِ نَقْضًا وَإِبْرَامًا، ﴿وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ أي: لا يجلبها لوقتها إلا هو، ﴿وَرَأَيْتُمُ الْمُجْرِمِينَ﴾ أي: فيجازي كلًا بعمله، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر.

﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ﴾ أي: من الأصنام والأوثان ﴿الشَّفَعَةَ﴾ أي: لا يقدرُونَ على الشفاعة لهم، ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أي: لكن من شَهِدَ بِالْحَقِّ على بصيرة وعلم، فإنه تنفع شفاعته عنده بإذنه له. ثم قال: ﴿وَلَكِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ يَقُولُ اللَّهُ﴾ أي: ولئن سألت هؤلاء المشركين بالله العابدين معه غيره: ﴿مَّنْ خَلَقَهُمْ يَقُولُ اللَّهُ﴾ أي: هم يعترفون أنه الخالق للأشياء جميعها، وحده لا شريك له في ذلك، ومع هذا يعبدون معه غيره، ممَّن لا يملك شيئًا ولا يَقْدِرُ على شيء، فهم في ذلك في غاية الجهل والسفاهة وسَخَافَةٍ العقل؛ ولهذا قال: ﴿فَأَن يَدْعُوا﴾.

وقوله: ﴿وَنَبِيٍّ﴾ أي: وقال محمد قِيلَهُ: أي: شكًا إلى ربه شكواه من قومه الذين كَذَّبُوهُ، فقال: ﴿يَرْبِّ إِنَّا هَتَوَلَّاهُ قَوْمٌ لَا يَهْتَدُونَ﴾؛ كما أخبر تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَرْبِّ إِنِّي قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠]، وهذا الذي قلناه هو قول ابن مسعود ومجاهد وقادة، وعليه فسر ابن جرير. قال البخاري: وقرأ ابن مسعود: (وقال الرسول يا رب). وقال مجاهد في قوله: ﴿يَرْبِّ إِنَّا هَتَوَلَّاهُ قَوْمٌ لَا يَهْتَدُونَ﴾ قال: قَاتَرَ اللَّهُ قول محمد. وقال قتادة: هو قول نبيكم ﷺ، يشكو قومه إلى ربه ﷻ. وقوله: ﴿وَنَبِيٍّ﴾ أي: المشركين، ﴿وَقَدْ سَلَّمَ﴾ أي: لا يجاوبهم بمثل ما يُجَاوِبُونَكَ به من الكلام السيئ، ولكن تألفهم واصفح عنهم فعلاً وقولاً.

﴿فَسَوْفَ يَسْأَلُونَكَ﴾ هذا تهديد منه تعالى لهم، ولهذا أحلَّ بهم بأسه الذي لا يردُّ، وأحلَّ دينه وكلمته، وشرَّع بعد ذلك الجهاد والجَلَادَ، حتى دَخَلَ النَّاسُ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا، وانتشر الإسلام في المشارق والمغارب.

الآية (٧٤-٨٠): لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى حَالِ السَّعْدَاءِ، ثَمَّ بَدَأَ الْأَشْقِيَاءَ، فَقَالَ: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ ﴿لَا يَغُفَّرُ عَنْهُمْ﴾ أي: ساعة واحدة، ﴿وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ أي: آيسون من كُلِّ خَيْرٍ، وَمَا ظَنَّنَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ أي: بأعمالهم السيئة بعد قيام الحجج عليهم وإرسال الرسل إليهم، فَكَذَّبُوا وَعَصَوْا، فَجُوزُوا بِذَلِكَ جَزَاءً وَفَاقًا، وَمَا رَيْكَ بِظُلَامٍ لِلْمَبِيدِ. ﴿وَنَادَاؤُكَ يَنْتَكِيكَ﴾ وهو: خازن النار. روى البخاري عن صفوان بن يعلى، عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقرأ على المنبر: ﴿وَنَادَاؤُكَ يَنْتَكِيكَ يَقْضِي عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ أي: لِيَقْبِضَ أَرْوَاحَنَا فَرِحْنَا مِمَّا نَحْنُ فِيهِ، فَإِنَّمَا كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يَقْضِي عَلَيْهِمْ فِيمَوْثُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِنَا﴾ [فاطر: ٣٦].

فلَمَّا سَأَلُوا أَنْ يَمُوتُوا أَجَابَهُمُ الْمَلِكُ: ﴿إِنَّكُمْ تَكْفُرُونَ﴾ قال ابن عباس: مَكَثَ أَلْفَ سَنَةٍ، ثُمَّ قَالَ: ﴿إِنَّكُمْ تَكْفُرُونَ﴾ أي: لا خروج لكم منها ولا يجِدُ لكم عنها. ثم ذَكَرَ سَبَبَ شِقْوَتِهِمْ؛ وهو مخالفتهم للحق ومعاندتهم له، فقال: ﴿لَقَدْ جِئْتَكُمْ بِالْحَقِّ﴾ أي: بَيِّنَةٍ لَكُمْ وَوَضَّحْنَا وَقَسَرْنَا. ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرَكُمْ لَمَعَنَ كِرْهُونَ﴾ أي: ولكن كانت سجاياكم لا تَقْبَلُهُ وَلَا تَقْبَلُ عَلَيْهِ، وَإِنَّا نَتَّقَاهُ بِالْبَاطِلِ وَتُعْطِيهِ، وَتَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ وَتَتَابَاهُ، وَتَقْبِضُ أَهْلَهُ، فَجُوزُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ بِاللَّامَةِ، وَانْدَمُوا حَيْثُ لَا تَنْفَعُكَ النَّدَامَةُ. ثم قال تعالى: ﴿أَمْ أَرَبْتُمْ أَنَّا كُنَّا قَوْمًا مُّزْمِرِينَ﴾ قال مجاهد: أرادوا كَيْدَ شَرٍّ فَكَيْدُنَاهُمْ. وهذا الذي قاله مجاهد كما قال تعالى: ﴿وَمَكُرُوا مَكْرًا وَمَكْرًا مَكْرًا﴾ [الصل: ٥٠]؛ وذلك لأنَّ الْمَشْرِكِينَ كَانُوا يَتَحِيلُونَ فِي رَدِّ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ بِحِيلٍ وَمَكْرٍ يَسْلُكُونَهُ، فَكَادَهُمُ اللَّهُ، وَرَدَّ وَيَاكَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ؛ ولهذا قال: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾ أي: يَرَاهُمْ وَعِلَاتِيهِمْ، ﴿بَلْ وَرُسُلًا لَدَيْهِمْ يَكْفُرُونَ﴾ أي: نحن نعلم ما هم عليه، والملائكة أيضًا يكتبون أعمالهم؛ صغيرها وكبيرها.

الآية (٨١-٨٩): يقول تعالى: ﴿قُلْ يَا مُحَمَّد: ﴿إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِ﴾﴾ أي: لو فُرِضَ هذا لَعَبْدَتُهُ عَلَى ذَلِكَ؛ لِأَنِّي عَبْدٌ مِنْ عِبِيدِهِ، مُطِيعٌ لِّجَمِيعٍ مَا يَأْمُرُنِي بِهِ، لَيْسَ عِنْدِي اسْتِكْبَارٌ وَلَا إِبَاءٌ عَنْ عِبَادَتِهِ، فَلَوْ فُرِضَ كَانَ هَذَا، وَلَكِنْ هَذَا مُسْتَنَبِعٌ فِي حَقِّهِ تَعَالَى، وَالشَّرْطُ لَا يُلْزِمُ مِنْهُ الْوُقُوعُ وَلَا الْجَوَازُ أَيْضًا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَخْلُقَ وَلَدًا لَأَمْلَأَنَّ سَمَاءًا بِمَا يَكُونُ﴾ ﴿هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الزمر: ٤]. وقال بعض المفسرين في قوله: ﴿أَوَّلُ الْعَبِيدِ﴾ أي: الاتيين. ومنهم سفيان الثوري، والبخاري حكاية فقال: وَيُقَالُ: ﴿أَوَّلُ الْعَبِيدِ﴾: المخاحدين، مِنْ عِبْدٍ يُعْبَدُ. وقال قتادة: هي كلمة من كلام العرب، ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِ﴾ أي: إن ذلك لم يكن فلا ينبغي. وقال مجاهد: ﴿فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِ﴾ أي: أَوَّلُ مَنْ عَبَدَهُ وَوَحَّدَهُ وَكَذَّبَهُمْ. وقال البخاري: ﴿فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِ﴾: الاتيين. وهما لغتان، رجل عَابَدَ وَعَبَدَ. والأَوَّلُ أَقْرَبُ عَلَى أَنَّهُ شَرْطُ وَجْزَاءٍ، وَلَكِنْ هُوَ مُسْتَنَبِعٌ؛ ولهذا قال: ﴿سُبْحَنَ رَبِّيَ الْأَعْلَى وَالْأَرْضُ رَبِّ الْمَرْشِيِّ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ أي: تعالى وتقدس وتَزَهَّدَ خَالِقُ الْأَشْيَاءِ عَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ؛ فَإِنَّهُ فَرَّدَ أَحَدَ صَمَدٍ، لَا نَظِيرَ لَهُ وَلَا كُفَّةَ لَهُ، وَلَا وَلَدَ لَهُ.

تفسير سورة الدخان

وهي مكية [وعدد آياتها (٥٩) آية].

الآية (١-٨): يقول تعالى مخبراً عن القرآن العظيم: **أَنَّهُ أُنْزِلَ فِي لَيْلَةِ الْمَبْرُكَةِ، وَهِيَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ؛ كَمَا قَالَ ﷺ: ﴿إِنَّمَا أُنْزِلَتْ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾** [القدر: ١] وكان ذلك في شهر رمضان؛ كما قال تعالى: **﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾** [البقرة: ١٨٥]، ومن قال: إنها ليلة النصف من شعبان - كما روي عن عكرمة - فقد أَبَدَ النُّجْمَةَ؛ فَإِنَّ نَصَّ الْقُرْآنِ أَنَهَا فِي رَمَضَانَ. وقوله: **﴿إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾** أي: معلمين الناس ما ينفعهم ويضرُّهم شرعاً، لتقوم حجة الله على عباده. وقوله: **﴿يَبَا يُرْقِئُ كُلَّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾** أي: في ليلة القدر يُفْصَلُ مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ إِلَى الْكِتَابِ أَمْرُ السَّنَةِ، وما يكون فيها من الأجل والأرزاق، وما يكون فيها من آخرها. وهكذا روي عن ابن عمر ومجاهد وغير واحد من السلف. وقوله: **﴿حَكِيمٍ﴾** أي: مُحْكَمٍ، لَا يُبَدَّلُ وَلَا يُغَيَّرُ؛ ولهذا قال: **﴿أَمْرًا بَيْنَ عَيْنَيْنَا﴾** أي: جميع ما يكون ويُقَدَّرُهُ اللهُ تعالى وما يُوجِبُهُ فَيَأْمُرُهُ وَإِذْنُهُ وَعِلْمُهُ، **﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾** أي: إلى الناس رسولاً يَنْتَلُو عَلَيْهِم آيَاتِ اللهِ مُبَيِّنَاتٍ، فَإِنَّ الْحَاجَةَ كَانَتْ مَاسَّةً إِلَيْهِ؛ ولهذا قال: **﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾** ١ **﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾** أي: الذي أُنْزِلَ فِي هَذَا الْقُرْآنِ هُوَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخَالِقُهَا وَمَالِكُهَا وَمَا فِيهَا، **﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ﴾** أي: إِنْ كُنْتُمْ مُتَحَقِّقِينَ. ثم قال: **﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ رَبُّ آبَائِكُمْ الْأَوَّلِينَ﴾** وهذه الآية كقولهِ: **﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾** الآية [الأعراف: ١٥٨].

الآية (٩-١٦): يقول تعالى: بل هؤلاء المشركون في شكٍّ يلعبون؛ أي: قد جاءهم اليقين، وهم يشكُّون فيه ويَمْتَرُونَ، ولا يَصْدُقُون به، ثم قال مُتَوَعِّدًا لهم ومُهِدِّدًا: ﴿فَأَرْزَقْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُحَانٍ مُبِينٍ﴾ قال ابن مسعود: إن قريشًا لَكَا أَبْطَأَتْ عن الإسلام واستعصت على رسول الله ﷺ، دعا عليهم بسنين كَسَنِي يوسف، فأصابهم من الجُهد والجوع حتى أكلوا العظام والمَيْتَةَ، وجَعَلُوا يرفعون أبصارهم إلى السماء فلا يرون إلا الدخان -وفي رواية: فجعل الرجل ينظر إلى السماء، فبَرَى ما بينه وبينها كهنية الدخان من الجهد- قال تعالى: ﴿فَأَرْزَقْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُحَانٍ مُبِينٍ﴾ (١٠) يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿فَاتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اسْتَسْقِ لِمُضَرٍّ فَإِنَّا قَدْ هَلَكْتَ. فاستسقى لهم فَسَقُوا، فأنزل الله: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابَ قَلِيلًا إِنَّكَ عَائِدُنَا لَهُمْ فَلَمَّا أَصَابَهُمُ الرَّفَاقَةُ عَادُوا إِلَى حَالِهِمْ، فَأَنزَلَ اللَّهُ: ﴿يَوْمَ تَبْطِشُ الطُّسَّةُ الْكُبْرَى تَأْتِسِقُونَ﴾ يعني يوم بدر.

قال ابن مسعود: فقد مضى خمسة: الدخان، والروم، والقمر، والبطشة، والزَّمام [مفق عليه]. وقد وافق ابن مسعود - على تفسير الآية بهذا - وأن الدخان مضى - جماعة من السلف كعجاض وأبي العالية وإبراهيم النخعي والضحاك وعطية العوفي، وهو اختيار ابن جرير. وقال آخرون: لم يبيض الدخان بعد، بل هو من أمارات الساعة؛ كما

قال ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تَرَوْا عشر آيات: طلوع الشمس من مغربها، والدخان، والدابة، وخروج يأجوج ومأجوج، وخروج عيسى ابن مريم، والدجال، وثلاثة خسوف: خَسَفٌ بالشرق، وخَسَفٌ بالمغرب، وخَسَفٌ بجزيرة العرب، ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس -أو: تَحْتَرُّ الناس- تَبَيَّتْ معهم حيث باتوا، وَثَقِيلَ معهم حيث قالوا» تفرد بإخراجه مسلم.

قال الله تعالى: ﴿فَارْقَبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ دُخَانًا مَّيِّنًا﴾ أي: أيّ واضح يراه كلُّ أحد -وعلى ما فُسر به ابن مسعود: إنها هو خيال راوه في أعينهم من شدة الجوع والجهد- وهكذا قوله: ﴿يَغْشَى النَّاسَ﴾ أي: يتغشاهم ويضمّهم. ولو كان أمرًا خياليًا يُخَصُّ أهل مكة المشركين لَمَّا قيل فيه: ﴿يَغْشَى النَّاسَ﴾. وقوله: ﴿هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: يُقال لهم ذلك تقريبًا وتوبيخًا، أو يقول بعضهم لبعض ذلك. وقوله: ﴿رَبَّنَا كَيْفَ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ أي: يقول الكافرون إذا عابوا عذاب الله وعقابه سائلين رفعه وكشفه عنهم؛ كقوله: ﴿وَلَوْ رَزَقْنَاهُ إِذْ قُتِلُوا عَلَى الْأَرْضِ فَقَالُوا لَيَبُنَّا ثَرْدُ وَلَا نَكُذِّبُ بِحَاثِي رَبَّنَا وَكَانُوا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأنعام: ٩٧). ﴿أَنَّهُمْ الذِّكْرُ﴾ وقد جَعَلَهُمْ رَسُولٌ مَّيِّنٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّوْا مَجْجُونٌ﴾ يقول: كيف لهم بالتذكر، وقد أرسلنا إليهم رسولًا بين الرسالة والنذارة، ومع هذا تَوَلَّوْا عنه وما وافقوه، بل كَذَّبُوهُ، وَقَالُوا مُعَلَّوْا مَجْجُونٌ﴾. وقوله: ﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ يَحْتَمِلُ معنيين: أحدهما: أنه يقول تعالى: ولو كُشِفْنَا عنكم العذاب ورجعناكم إلى الدار الدنيا، لعدتم إلى ما كنتم فيه من الكفر والتكذيب؛ كقوله جلّت عظمتُه: ﴿وَلَوْ رُدُّوْا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (الأنعام: ٢٨). والثاني: أن يكون المراد: إِنَّا مُؤَخِّرُو الْعَذَابِ عَنْكُمْ قَلِيلًا بعد انعقاد سَبَبِهِ ووصوله إليكم، وأنتم مستمرّون فيها أنتم فيه من الطغيان والضلال، ولا يلزم من الكشف عنهم أن يكون بأشْرهم؛ كقوله تعالى: ﴿لَا قَوْمَ يُؤَسُّوْا لِمَا أَمْسُوا كُشِفْنَا عَنْهُمْ عَذَابُ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يونس: ٩٨]، ولم يكن العذاب بأشْرهم واتَّصل بهم، بل كان قد انعقد سببه عليهم، ولا يلزم أيضًا أن يكونوا قد أَلْقَوْا عن كفرهم، ثُمَّ عادوا إليه. وقال قتادة: ﴿إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ إلى عذاب الله. وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْشُرُ الْبَطْشَةُ الْكَاذِبِينَ إِنَّا مُنْذِرُونَ﴾ فَسَّرَ ذلك ابن مسعود بيوم بدر. وروي أيضًا عن ابن عباس من رواية العوفي عنه، وعن أبي بن كعب وجماعة، وهو محتمل. والظاهر أن ذلك يوم القيامة، وإن كان يوم بدر يوم بطشة أيضًا. وقال ابن عباس: قال ابن مسعود: الْبَطْشَةُ الْكَبْرَى: يوم بدر، وأنا أقول: هي يوم القيامة. وهذا إسناد صحيح عنه. وبه يقول الحسن البصري، وعكرمة في أصحاب الروايتين عنه.

الآية (١٧-١٨): يقول تعالى: ولقد اخترنا قبل هؤلاء المرشحين فرعون، وهم قبظ مصر ﴿رَجَاءَ ثُمَّ رَسُولَ كَرِيمٍ﴾ يعني: موسى كليمه عَلَيْهِ السَّلَام ﴿أَنْ أَدْعَا إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ﴾ كقولهِ: ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بِنَا يُسْرًا يَدْعَا إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ﴾ ﴿وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِبَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّكَ﴾ [طه: ٤٧].. وقولهِ: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ أي: مأمون على ما أبلغكمهُ.



## ● الوقفات التدريبية

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُنْذِرٍ ﴾

(في لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ) أي: كثيرة الخير والبركة، وهي ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر؛ فأنزل أفضل الكلام بأفضل الليالي والأيام على أفضل الأنام، بلغة العرب. السعدي: ٧٧٣.

السؤال: ما المراد بالليلة المباركة؟ ولماذا وصفت بالمباركة؟

﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾

معنى (يفرق): يفصل ويخلص، والأمر الحكيم: أرزاق العباد وأجالهم، وجميع أمورهم في ذلك العام؛ نسخ من اللوح المحفوظ في ليلة القدر ليمثل الملائكة ذلك بطول السنة القابلة. ابن جزي: ٣٢١/٢.

السؤال: ما الأمر الحكيم الذي يفرق في ليلة القدر؟

﴿ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴾

إن إقرارهم غير صادر عن علم ويقين ثابت، بل هو كالفهم؛ لأنهم خلطوه بالشك واللعب فأرتفعت عنه حاضيتهم اليقين والإقرار التي هي الجري على موجب العلم؛ فإن العلم إذا لم يجز صاحبه على العمل به وتجديد ملاحظته تطرق إليه الذهول ثم النسيان، فضعف حتى صار شكاً. ابن عاشور: ٢٨٤/٢٥-٢٨٥.

السؤال: بين خطورة عدم العمل بالعلم من الآية الكريمة.

﴿ فَأَرْسَلْنَا بِرَبِّكَ آتَى السَّمَاءِ بِسَحَابٍ مُمِيزٍ ﴾

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: (بادروا بالأعمال ستاً: النجال، والدخان، ودابة الأرض، وطلوع الشمس من مغربها، وأمر العامة، وخويصة أحدكم). البقاعي: ٦٨/٧.

السؤال: ما مساوئ التسويف وتأخير العمل الصالح عن وقته؟

﴿ رَبَّنَا أَكْفَيْتْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴾

وعليه فجملة (إننا مؤمنون) تحليل لطلب دفع العذاب عنهم؛ أي إذا متمسكون بما يدفع عنا عذاب الكافرين، وفي تلقينهم بذلك تنويه بشرف الإيمان. ابن عاشور: ٢٩/٢٥.

السؤال: كيف أظهرت الآية الكريمة شرف الإيمان؟

﴿ وَلَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى النَّاسِ إِذْ أَنْزَلَ فِي لَيْلَةِ مُنْذِرٍ ﴾

عن قتادة، في قوله: (رسول كريم) قال: موسى عليه السلام، ووصفه جل ثناؤه بالكرم لأنه كان كريماً عليه، رفيقاً عنده مكانه، وقد يجوز أن يكون وصفه بذلك لأنه كان في قومه شريفاً وسيطاً. الطبري: ٢٤/٢٢.

السؤال: ما وجه وصف نبي الله موسى عليه الصلاة والسلام بالكريم؟

﴿ إِنِّي لَكُرْسُومٌ أَمِينٌ ﴾

أي: رسول من رب العالمين، أمين على ما أرسلي به، ولا أكتصم منه شيئاً، ولا أزيد فيه ولا أنقص، وهذا يوجب تمام الانقياد له. السعدي: ٧٧٣.

السؤال: في الآية ذم للبدعة والابتداع بينه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ۝ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُنْذِرٍ ۝ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ۝ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝ أَمَّا مِنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ۝ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۝ إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ۝ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ۝ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ۝ فَأَرْسَلْنَا بِرَبِّكَ آتَى السَّمَاءِ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ۝ يَغْشَى النَّاسَ ۝ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ۝ أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ۝ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّ مَجْزُونٌ ۝ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا ۝ إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ۝ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ ۝ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ۝ أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۝

## ● معاني الكلمات

المعنى	الكلمة
هِيَ: لَيْلَةُ الْقَدْرِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ.	لَيْلَةُ مُبَارَكَةٍ
يُفْرَقُ: يُفَضَّلُ وَيُفَصَّلُ مِنَ الْوَلُوحِ الْمَحْفُوظِ إِلَى الْكِتَابِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ.	يُفْرَقُ
أَمْرٌ مُحْكَمٌ: مِنَ الْأَجَالِ، وَالْأَرْزَاقِ، فِي تِلْكَ السَّنَةِ.	أَمْرٍ حَكِيمٍ
انْتَظِرْ بِهَوْلَاءِ الْمَشْرِكِينَ.	فَارْتَقِبْ
الْعَذَابُ الْأَكْبَرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.	الْبَطْشَةُ الْكُبْرَى
سَلِّمُوا لِي عِبَادَ اللَّهِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ.	أَدُّوا إِلَيَّ

## ● العمل بالآيات

- إذا استيقظت من الصباح فقل: «الحمد لله الذي أحياني بعد ما أماتني وإليه النشور، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ رَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ».
- ادع الله تعالى أن يرفع البلاء عن المبتلين، ﴿ رَبَّنَا أَكْفَيْتْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴾.
- صل على النبي ﷺ تعظيماً له، ﴿ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّ مَجْزُونٌ ﴾.

## ● التوجيهات

- من فضائل ليلة القدر: نزول القرآن، وتقسيم الأرزاق؛ فاحرص على اغتنامها وإحيائها بالقيام والذكر والدعاء وتلاوة القرآن، ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُنْذِرٍ ﴾.
- إذا جاءك التذكير بربك فتذكر ولا تنس حتى لا يطمس الله على بصيرتك، ﴿ أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ﴾.
- الله عز وجل يهمل ولا يهمل، ﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴾.



## ● الوقفات التدبيرية

﴿ وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا بِالْغَاثِ وَالْفَافِقِ ۖ فَعَرَيْتُمْ أَنْ تَهْزُلُوا قَوْمًا مُّجْرِمُونَ ﴾ ﴿٦﴾

(وإن لم تؤمنوا لي فاستحلون) أي: فلا تتعرضوا لي، دعوا الأمر بيني وبينكم مسألة إلى أن يقضي الله بيننا، فلما طال مقامه بين أطهرهم، وأقام حجج الله تعالى عليهم، كل ذلك وما زادهم ذلك إلا كضراً وعناداً، دعاربه عليهم دعوة نفضت فيهم. ابن كثير: ١٤/٤.

السؤال: ما الذي جعل موسى يتحول من حال دعوتهم إلى حال الدعاء عليهم؟ ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾

أَيُّ: لم تكن لهم أعمال صالحة تصعد في أبواب السماء فتبكي على فقدانهم، ولا لهم في الأرض بقاع عبدوا الله فيها فقدتهم؛ فلماذا استحقوا أن لا يُنظروا ولا يُؤخروا لكفرهم وأجرامهم وعتوتهم وعنادهم. ابن كثير: ١٤٤/٤.

السؤال: ما السبب الذي يجعل السماء والأرض تبكي على العباد؟

﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانَا مُنْظَرِينَ﴾

هذا بيان لعدم الاكتراث بهلاكهم؛ قال المفسرون: أي إنهم لم يكونوا يعملون على الأرض عملاً صالحاً تبكي عليهم به، ولم يصعد لهم إلى السماء عمل طيب يبكي عليهم به؛ والمعنى أنه لم يصب بقدرهم وهلاكهم أحد من أهل السماء ولا من أهل الأرض. الشوكاني: ٥٧٥/٤.

السؤال: بين مهانة المشركين من خلال الآية الكريمة.

﴿ وَلَقَدْ اخْتَرْتَهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (٣) وَهَآئِهِمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَكٌ مُّبِينٌ ﴿

ولما كانت قريش تفتخر بظواهر الأمور من الزينة والغرور، ويعيدونه تعظيماً من الله، ويعيدون ضعف الحال في الدنيا شقاء وبعداً من الله، ردّ عليهم قولهم بما أتى بني إسرائيل، على ما كانوا فيه من الضعف وسوء الحال، بعد إهلاك آل فرعون بعذاب الاستئصال. البقاعي: ٧/٦٦.

**السؤال: هل الغنى في الدنيا دليل على محبة الله تعالى ورضاه عن العبد الغني؟ والفقر دليل على بغض الله وسخطه على الفقير؟**

﴿ اَمْ هُمْ خَيْرٌ مَّا قَوْمُ تَبِعَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ اَهْلَكْنَاهُمْ اِنَّهُمْ كَانُوا يُعْمِرُونَ ﴾  
 فبعد ان ضرب لهم المثل بهلك قوم فرعون زادهم مثلاً آخر هو اقرب الى  
 اعتبارهم به: وهو مَهْلُكُ قَوْمِ اقْرَبَ الى بلادهم من قوم فرعون، واولئك  
 قوم تَبِعَ، فإِن العرب يتسامعون بعظمة مَهْلُكُ تَبِعَ وقومه اهل اليمن،  
 وكثير من العرب شاهدوا آثار قوتهم وعظمتهم في مراحل أسفارهم،  
 وتحدثوا بما أصابهم من الهلك بسيل العرم. ابن عاشور: ٣٠٨/ ٢٥.

**السؤال: ما فائدة ضرب المثل بقوم تبع؟**

﴿أَمْ حَرَّمَ أَمْ قَوْمٌ تَبِعَ وَالَّذِينَ مِنْ بَيْنِهِمْ أَهْلُكُمْ وَأَنْتُمْ كَاذِبِينَ﴾<sup>١</sup>  
ومعنى الآية: أقرئش أشد وأهوى، أم قوم تبع والذين من قبلهم من الكفار؟ وقد أهلكنا قوم تبع وغيرهم لما كفروا، فكنلك نهلك هؤلاء،  
فمقصود الكلام تهديد ابن جزى ٢/٣٢٤.

السؤال: اشرح التهديد الوارد في هذه الآية:

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعِبَادٍ ۖ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَٰكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝﴾

فهم لأجل ذلك يجترئون على المعاصي ويفسدون في الأرض؛ لا يرجون ثواباً ولا يخافون عقاباً. البقاعى: ٧٩/٧.

السؤال: ما الذي يُجرِّئ العبد على المعاصي والفساد؟ وما الذي يحمل الإنسان على الاستقامة والصلاح؟

وَأَن لَّا تَعْبُوا عَلَى الْفُلِ إِنِّيَ إِنِّي كُمْ سِلَاطِينَ مُبِينٍ ٥٣ وَلَئِن عَذَّبْتُ  
بِرَبِّي وَرَيْكَ أَن تَرْجُمُون ٥٤ فَإِن لَّمْ تَوَسُّوْا لِي فَاعْتَرِبُون ٥٥  
فَدَعَا رَبَّهُ وَأَنَّ هَذِهِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ٥٦ فَأَسْرِ بِمَا لِلَّيْلِ بِأَن لَّا يَكُنْ  
مُتَّبَعُونَ ٥٧ وَأَنذِرْكَ الْبَحْرَ رَهْمًا إِنَّهُمْ مُّكْشَرُونَ ٥٨ كَمْ  
تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ٥٩ زُرُّوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ٦٠ وَتَقَمُّوْهُ  
كَأَنَّهُمْ فِيهَا مُّكْبَهُينَ ٦١ كَذَلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ٦٢ فَمَا  
بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ٦٣ وَلَقَدْ  
خَيَّبْنَا نَاصِيَ إِسْرَءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ٦٤ مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ  
كَانَ عَالِيًا مِنَ الْمُسْرِفِينَ ٦٥ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى  
الْعَالَمِينَ ٦٦ وَآتَيْنَاهُمْ مِنَ الْأَلْبَتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ ٦٧  
إِنَّ هَذِهِ لَآيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُفَكِّرُونَ ٦٨ إِن هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ  
بِمُنشَرِينَ ٦٩ فَأَنَّا إِنَّا بَابًا أَنَّ كُنْزَهُ صَدَقِينَ ٧٠ أَهْمُ  
خَيْرًا قَوْمٌ شَبَّعَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا  
مُجْرِمِينَ ٧١ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِلْعَيْنِ  
مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٧٢

## معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
وَأَنْ لَا تَعْلُوا	أَلَّا تَتَكَبَّرُوا.
بِسُلْطَانٍ	بِبُرْهَانٍ، وَحُجَّةٍ.
عُدْتُ	اسْتَجَرْتُ.
أَنْ تَرْجُمُونِ	أَنْ تَقْتُلُونِي رَجْمًا بِالْحِجَارَةِ.
رَهْوَ	سَاحِكًا غَيْرَ مُضْطَرِّبٍ.
مُنْظَرِينَ	مُؤَخَّرِينَ عَنِ الْعُقُوبَةِ.
اخْتَرْنَاَهُم	اصْطَفَيْنَاهُمْ.
بِمُنْشَرِينَ	بِمَعْلُومِينَ.

## العمل بالآيات

١. تَعُوْذُ بِاللّٰهِ مِمَّنْ تَخَافُهُ مِنْ عَدُوٍّ، اَوْ اَذَى، اَوْ نَحْوِ ذٰلِكَ، ﴿وَلِيَّ عُدَّتْ يَرْقِيَّ وَرِيْكَرُ﴾  
 اَنْ يَّرْجُوْنِ ﴿﴾.

٢. تَذَكَّرْ كَافِرًا بَالِغًا فِي إِجْرَامِهِ وَأَذِيَّتِهِ لِلْمُؤْمِنِينَ وَادْعِ اللَّهَ عَلَيْهِ، ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ تُجْرِمُونَ﴾.

۳. صل رکعتین فی مکان لم تصل فیہ من قبل حتی یشہد لک، ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾.

## التوجيهات

١. المؤمن تبكي عليه السماء والأرض لعمله الصالح بعد موته، فاعمل صالحاً لتكون كذلك، ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾.

٧. قدرة الله على إهلاك الظالمين، ﴿أَمْ خَيْرٌ لَّهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبْعَثُ فِيهِمْ آفَافٌ مِنْهُمَا فَيُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَيُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ أُولِي أَبْصَارٍ﴾<sup>١</sup>

٣. الحذر من اسباب هلاك الأمم، ﴿أَمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبْعَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَفْلَكَنْتُمْ بِهِمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾.

الحواصل الفرعونية والممالك القبطية بنو إسرائيل، كما قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [الشعراء: ٥٩]. وقال ههنا: ﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ وهم بنو إسرائيل، كما تقدم.

وقوله: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ أي: لم تكن لهم أعمال صالحة تصعد في أبواب السماء فتبكي على فقدهم، ولا هم في الأرض يباع عبداً الله فيها فقدتهم؛ فلهمذا استحقوا ألا ينظروا ولا يؤخروا لكفرهم وإجرامهم، وغوثهم وعنادهم.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ أَلْهِيهِمْ﴾ يَنْتُنْ عليهم تعالى بذلك؛ حيث أنقذهم عما كانوا فيه من إهانة فرعون وإذلاله لهم، وتسخيره إياهم في الأعمال المهيئة الشاقة.

﴿مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا﴾ أي: مستكبراً جباراً عنيداً.

﴿مِنْ أَلْسِفِينَ﴾ أي: مُسْرِفٍ في أمره، سخيף الرأي على نفسه.

﴿وَلَقَدْ آخَرْتَهُمْ عَلَىٰ عِلَاقٍ عَلَى الْمَلَكِيِّينَ﴾ قال مجاهد: على من هم بين ظهرئيه. وقال قتادة: اخبروا على أهل زمانهم ذلك. وكان يقال: إن لكل زمان عالماً. وهذه كقوله تعالى: ﴿قَالَ يَتْلُو صُورًا إِلَىٰ أَصْطَفَيْتَكَ عَلَى الْأَثَرِ﴾ [الأعراف: ١٤٤] أي: أهل زمانه.

وقوله: ﴿وَمَا يَنْبَغُ مِنَ الْأَدَبِ﴾ أي: المحجج والبراهين وخوارق العادات ﴿مَا فِيهِ بَلَدٌ لَا يُبَيِّنُ﴾ أي: اختيار ظاهر حلي لم يأتى به.

الآية (٣٧-٣٤): يقول تعالى منكراً على المشركين في إنكارهم البعث والمعاد، وأنه ما تم إلا هذه الحياة الدنيا، ولا حياة بعد المات، ولا بعث ولا نشور. ويحتجون بأنهم الماضين الذين ذهبوا فلم يرجعوا، فإن كان البعث حقاً ﴿فَأَنزِلْنَا بِكُلِّ بَلَدٍ كُتُوبًا﴾ وهذه حجة باطلة وشبهة فاسدة، فإن المعاد إنما هو يوم القيامة لا في هذه الدار، بل بعد انتقضائها وذهابها وفراغها يُعيد الله العالين خلقاً جديداً، ويجعل الظالمين لنار جهنم وقوداً، يوم تكونون شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً.

ثم قال تعالى مُنْهَدِّداً لهم، وَمُنْوَعِّداً ومنذراً لهم بأسه الذي لا يُرَدُّ، كما حلّ بأشباحهم ونظرائهم من المشركين والمنكرين للبعث، وكقوم تبع -وهم سبأ- حيث أهلكهم الله وخرب بلادهم، وشردهم في البلاد، وفرقهم شذراً مذبذباً، وقد كانت حمير -وهم سبأ- كلها ملك فيهم رجل سبؤه بُتَمًا، كما يقال: كسرى لمن ملك الفرس، وقبصر لمن ملك الروم، وفرعون لمن ملك مصر كافرًا، والنجاشي لمن ملك الحبشة، وغير ذلك من أعلام الأجناس.

قال قتادة: ذُكر لنا أن كعباً كان يقول في تبع: بُعِثْتُ الرجل الصالح، دَمَّ الله تعالى قومه ولم يُلْهَمْ، قال: وكانت عائشة تقول: لا تَسُبُّوا بُتَمًا؛ فإنه قد كان رجلاً صالحاً.

الآية (٣٨-٣٩): يقول تعالى مُخْبِراً عن عدله وتنزيهه نفسه عن اللعب والعَبَثِ والباطل، كقوله: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَوْبَرِ﴾ [المؤمنون: ١١٥-١١٦].

الآية (١٩-٣٣): ﴿وَأَن لَّا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ﴾ أي: لا تستكبروا عن اتباع آياته، والانقياد لحُجُجِهِ والإيمان ببراهينه؛ كقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

﴿إِنِّي أَنَا إِلَهُكُمْ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ أي: بحُجَّةٍ ظاهرة واضحة، وهي ما أرسله الله به من الآيات والنبات والأدلة القاطعة.

﴿وَلَئِي عَذَّبْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونَ﴾ قال ابن عباس: هو الرجم باللسان وهو الشتم. وقال قتادة: الرجم بالحجارة. أي: أعوذ بالله الذي خلقني وخلقكم من أن تصلوا إلي بسوء من قول أو فعل.

﴿وَأَن لَّيُؤْتِيَنَا فِي قَافِرَاتِنَا﴾ أي: فلا تتعزَّضُوا لي، ودعوا الأمر بيني وبينكم مُسَالَمَةً إلى أن يقضي الله بيننا. فلما طال مقامه بين أظهرهم، وأقام حجج الله عليهم، كل ذلك وما زادهم ذلك إلا كفرًا وعنادًا، دعا ربه عليهم دعوة نفذت فيهم؛ كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوهُنَّ عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقْبِمَا [يونس: ٨٨، ٨٩].

وهكذا قال ههنا: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِ مَثَلُهُ قَوْمٌ يَمُوتُونَ﴾ فعند ذلك أمره الله تعالى أن يخرج بني إسرائيل من بين أظهرهم من غير أمر فرعون ومشاورته واستدعائه؛ ولهذا قال: ﴿تَأْتِي عِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ تُشْعَبُونَ﴾ كما قال: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَن أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ سَبِيلًا لَا تَخَفْ دَرَكًا وَلَا تَحْشَى﴾ [طه: ٧٧].

وقوله ههنا: ﴿وَأَنزِلْنَا الْبَحْرَ رَهَوًا يُهْتَمُّ بِهِمْ جُنْدٌ مُّزْفَرُونَ﴾ وذلك أن موسى عليه السلام لما جاوز هو وبنو إسرائيل البحر، أراد موسى أن يضربه بعضاه حتى يعود كما كان، ليصير حائلًا بينهم وبين فرعون، فلا يصل إليهم. فأمره الله أن يتركه على حاله ساكنًا، ويشره بأنهم ﴿جُنْدٌ مُّزْفَرُونَ﴾ فيه، وأنه لا يخاف دَرَكًا ولا يحشى. قال ابن عباس: ﴿وَأَنزِلْنَا الْبَحْرَ رَهَوًا﴾: كهيئته وامضة. وقال مجاهد: ﴿رَهَوًا﴾: طريقًا يَسْبَا كهيئته، يقول: لا تأمره يرجع، اتركه حتى يرجع آخرهم. وكذا قال عكرمة وقاتدة وغير واحد.

ثم قال تعالى: ﴿كَذَرَكُوا مِنْ جَنَّتٍ﴾ وهي البساتين ﴿وَعُيُونٍ﴾ ﴿وَزُرُوعٍ﴾ والمراد بها الأنهار والآبار، ﴿وَمَقَارٍ كَرِيمٍ﴾ وهي المساكن الكريمة الأنيقة والأماكن الحسنة. وقال مجاهد وسعيد بن جبیر: ﴿وَمَقَارٍ كَرِيمٍ﴾: المنابر. وقال عبد الله بن عمرو في قوله تعالى: ﴿كَذَرَكُوا مِنْ جَنَّتٍ وَعُيُونٍ﴾ ﴿وَزُرُوعٍ وَمَقَارٍ كَرِيمٍ﴾ ﴿وَصَمَوُ كَانُوا فِيهَا فَنَكِبْنَاهُمْ﴾ قال: كانت الجنان بحافتي هذا النيل من أوله إلى آخره في الشقين جميعًا، ما بين أسوان إلى رشيد، مُتَّصِلَةٌ لا ينقطع منها شيء عن شيء، وزروع ما بين الجبلين كله من أول مصر إلى آخر ما يبلغه الماء، وكانت جميع أرض مصر تُزَوَّى من ستة عشر ذراعًا، لما قَدَرُوا وَدَبَّرُوا من قناطرها وجسورها وحُلُجِهَا.

﴿وَصَمَوُ كَانُوا فِيهَا فَنَكِبْنَاهُمْ﴾ أي: عيشة كانوا يتفكّهون فيها فيأكلون ما شاؤوا، ويلبسون ما أحبوا مع الأموال والجاهات والحكم في البلاد، فثلبوا ذلك جميعه في صبيحة واحدة، وفارقوا الدنيا وصاروا إلى جهنم وبئس المصير، واستولى على البلاد المصرية، وتلك



كالقمصان ونحوها، ﴿وَلَيْسَتْ بِقِيٍّ﴾ وهو ما فيه بريق ولمعان، وذلك كالرَّيشِ وما يُلبَسُ على أعالي القماش، ﴿تُفْتَلِلُ﴾ أي: على السرِّ، لا يجلس أحد منهم وظهره إلى غيره.  
وقوله: ﴿كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ أي: هذا العطاء مع ما قد منَّخْتَاهُم من الزَّوجَاتِ الحُورِ العِينِ الحَسَنَاتِ اللَّاتِي ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٥٨].

وقوله: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ غَايِبَةٍ﴾ أي: مها طلبوا من أنواع الثمار أخضِرَ لهم، وهم آمنون من انقطاعه وامتناعه، بل يُخَضَّرُ إليهم كلُّ ما أرادوا.

﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾ لا يذوقون فيها الموت أبداً، كما بُثِّت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «يُؤْتَى بِالْمَوْتِ فِي صُورَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ، فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ثُمَّ يُذْنِبُ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، خُلُودُ فُلَانٍ مَوْتٌ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ، خُلُودُ فُلَانٍ مَوْتٌ».  
وعن أبي سعيد وأبي هريرة، قالَا: قال رسول الله ﷺ: «يُقَالُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: إِنْ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقُمُوا أَبَدًا، وَإِنْ لَكُمْ أَنْ تَمِيشُوا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنْ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبْسُؤُوا أَبَدًا، وَإِنْ لَكُمْ أَنْ تَسْبُحُوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا» [رواه مسلم].

وقوله: ﴿وَوَقَّهْتَ غَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ أي: مع هذا النعيم العظيم المُقِيمُ قد وقاهم وسَلَّمْتَهُمْ وَنَجَّاهُمْ وَزَخَّرْتَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ فِي دَرَكَاتِ الْجَحِيمِ، فَحَصَلَ لَهُمُ الْمَطْلُوبُ، وَنَجَّاهُمْ مِنَ الْمَرْهُوبِ؛ ولهذا قال: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ أي: إِنْ كَانَ هَذَا بِفَضْلِهِ عَلَيْهِمْ وَإِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ، كَمَا بُثِّتَ فِي الصَّحِيحِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «اعْمَلُوا وَسَدُّوا وَقَارِبُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ أَحَدًا لَنْ يُدْخِلَهُ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ».  
قالوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَقَضَلَ» [متفق عليه].

وقوله: ﴿فَإِنَّمَا يَسْتَرْزِقُهُ بِإِسْلَافِكُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْذَكَّرُونَ﴾ أي: إِنْمَا يَسَّرْنَا هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ سَهْلًا وَاضِحًا بَيِّنًا جَلِيًّا لِبِسَانِكَ الَّذِي هُوَ أَفْضَحُ اللَّغَاتِ وَأَجْلَاهَا وَأَخْلَاهَا وَأَعْلَاهَا. ﴿لَعَلَّهُمْ يَنْذَكَّرُونَ﴾ أي: يتفهمون ويعملون. ثُمَّ لَمَّا كَانَ مَعَ هَذَا الْبَيَانِ وَالْوُضُوحِ مِنَ النَّاسِ مَنْ كَفَرَ وَخَالَفَ وَعَانَدَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ مُسْلِمًا لَهُ وَوَعَادًا لَهُ بِالنَّصْرِ، وَمُتَوَعَّدًا لِمَنْ كَذَّبَهُ بِالْعَطَبِ وَالْهَلَكَ: ﴿فَازْتَبَيَّبْ﴾ أي: انتظر، ﴿إِنَّهُمْ مُرْتَدِّبُونَ﴾ أي: فسيعلمون لِمَنْ يَكُونُ النَّصْرُ وَالظَّفَرُ وَعُلُوُّ الْكَلِمَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَإِنَّمَا لَكَ يَا عَمْدُ وَإِخْوَانُكَ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ وَمَنْ أَتَّبَعْتُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَحْمَدَ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّكَ اللَّهُ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: ٢١].

وقال تَعَالَى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ﴾ ﴿٥٥﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذَرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ [غافر: ٥١-٥٢].

الآية (٤٠-٤٢): ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ﴾ وهو يوم القيامة، يُفَصِّلُ الله فيه بَيْنَ الْخَلَائِقِ، فَيُعَذِّبُ الْكَافِرِينَ وَيُثَبِّتُ الْمُؤْمِنِينَ.

وقوله: ﴿وَيَقْتُلُهُمْ جَمْعٌ﴾ أي: يجمعهم كلهم؛ أَوْهُمْ وَآخَرُهُمْ، ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا﴾ أي: لَا يَنْفَعُ قَرِيبٌ قَرِيبًا، كَقَوْلِهِ: ﴿وَلَا يَنْتَقِلُ جَيْدٌ جَيْمًا﴾ ﴿يَصْرُوتُهُمْ﴾ [المارج: ١٠-١١] أي: لَا يَسْأَلُ أَحَدُهُ عَنْ حَالِهِ وَهُوَ يَرَاهُ عَيَانًا.

وقوله: ﴿وَلَا هُمْ يُصْرُوتُونَ﴾ أي: لَا يُنْصَرُ الْقَرِيبُ قَرِيبَهُ، وَلَا يَأْتِي نَصْرُهُ مِنْ خَارِجٍ. ثُمَّ قَالَ: ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ﴾ أي: لَا يَنْفَعُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا رَحْمَةُ اللَّهِ ﷻ بِخَلْقِهِ.

﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ أي: هو عزيز ذو رحمة واسعة.  
الآية (٤٣-٥٠): يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَمَّا يُعَذِّبُ بِهِ الْكَافِرِينَ الْجَاهِلِينَ لِلْقَائِلَةِ: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُوفِ﴾ ﴿طَعَامُ الْأَثِيمِ﴾ وَالْأَثِيمِ: أَيِ فِي قَوْلِهِ وَفَعْلُهُ، وَهُوَ الْكَافِرُ. وَذَكَرَ غَيْرَ وَاحِدٍ أَنَّهُ أَبُو جَهْلٍ، وَلَا شَكَّ فِي دُخُولِهِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، وَلَكِنْ لَيْسَتْ خَاصَّةً بِهِ.

وقوله: ﴿كَأَنَّهُمْ﴾ قالوا: كَمَكَرَ الزُّيْتِ، ﴿يَقِفِي فِي الْبُطُونِ﴾ ﴿كَلَمِي الْحَمِيرِ﴾ أي: من حرارتها ورداءتها.

وقوله: ﴿حُدُودُ﴾ أي: الكافر، وَقَدْ وَرَدَ أَنَّهُ تَعَالَى إِذَا قَالَ لِلزَّبَانِيَةِ: ﴿حُدُودُ﴾ ابْتَدَرَهُ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنْهُمْ، ﴿فَأَغْنِيْلُوهُ﴾ أي: سُوْقُوهُ سَخِيًا وَدَفْعًا فِي ظَهْرِهِ. قَالَ جَاهِدُ: ﴿حُدُودُ﴾ فَاغْنِيْلُوهُ أَي: خُدُّوهُ فَادْفَعُوهُ. ﴿إِنَّ سَوَاءَ الْجَحِيمِ﴾ أَي: وَسَطُهَا، ﴿ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ﴾ كَقَوْلِهِ: ﴿يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ ﴿يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾ [الحج: ١٩-٢٠].

وقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ الْمَلَكَ يُضْرِبُهُ بِمِفْطَحَةٍ مِنْ حَدِيدٍ، تَنْفُثُ دُمَاغَهُ، ثُمَّ يُصَبُّ الْحَمِيمُ عَلَى رَأْسِهِ فَيَسْرُوْا فِي بَدَنِهِ، فَيَسْلُثُ مَا فِي بَطْنِهِ مِنْ أَمْعَائِهِ، حَتَّى تَمْرُقَ مِنْ كَمْبِيهِ. أَعَادَنَا اللَّهُ تَعَالَى مِنْ ذَلِكَ.

وقوله: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ أي: قُولُوا لَهُ ذَلِكَ عَلَى وَجْهِ التَّهَكُّمِ وَالتَّوْبِيخِ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَيِ لَسْتُ بِعَزِيزٍ وَلَا كَرِيمٍ. وقوله: ﴿إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تُنْتَرُونَ﴾ كَقَوْلِهِ: ﴿يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَا﴾ ﴿٥٣﴾ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٥٤﴾ أَفَيَسْحَرُ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ [الطور: ١٣-١٥].

ولهذا قال ههنا: ﴿إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تُنْتَرُونَ﴾.

الآية (٥١-٥٩): لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى حَالَ الْأَشْقِيَاءِ عَطَفَ بِذِكْرِ السَّعْدَاءِ - وَهَذَا سُمِّيَ الْقُرْآنَ مَثَانِي - فَقَالَ: ﴿إِنَّ الْأَنْفِيقِينَ﴾ أَيِ: اللَّهُ فِي الدُّنْيَا ﴿فِي مَقَارِ أَيْمٍ﴾ أَيِ: فِي الْآخِرَةِ - وَهُوَ الْجَنَّةُ - قَدْ آمَنُوا فِيهَا مِنَ الْمَوْتِ وَالْخُرُوجِ، وَمِنْ كُلِّ هَمٍّ وَحُزْنٍ وَجَزَعٍ وَتَعَبٍ وَنَصَبٍ، وَمِنْ الشَّيْطَانِ وَكَيْدِهِ، وَسَائِرِ الْأَفَاتِ وَالْمَصَائِبِ ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾. وَهَذَا فِي مِقَابِلَةِ مَا أَوْلَكَ فِيهِ مِنْ شَجَرِ الزَّقُومِ، وَشَرِبَ الْحَمِيمِ.  
وقوله تَعَالَى: ﴿يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ﴾ وهو: رفيع الحرير،



## ● الوقفات التدريبية

❶ ﴿لَا مَنْ رَجِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾

أي أن الله (عزيز) لا يكره أحد على العدول عن مراده؛ فهو يرحم من يرحمه بمحض مشيئته، وهو (رحيم)؛ أي واسع الرحمة لمن يشاء من عباده على وفق ما جرى به علمه وحكمته ووعده. وفي الحديث: (ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء). ابن عاشور: ٣١/٢٥.

السؤال: بين مناسبة ختام الآية الكريمة بالاسمين (العزيز الرحيم).

❷ ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾

يقال هذا للكافر على وجه التوبيخ والتهمك به؛ أي كنت العزيز الكريم عند نفسك. وروي أن أبا جهل قال: ما بين جليلها أعز مني ولا أكرم. فنزلت الآية ابن جزى: ٣٢٤/٢.

السؤال: كيف يوصف الكافر يوم القيامة بالعزيز والكريم، وهو في حال عذاب؟

❸ ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾

والأمن أكبر شروط حسن المكان؛ لأن الساكن أول ما يتطلب الأمن -وهو السلامة من المكاره والخواف- فإذا كان آمناً في منزله كان مطمئن البال شاعراً بالنعيم الذي يناله. ابن عاشور: ٣١٧/٢٥.

السؤال: بين عظيم الامتنان بنعمة الأمن في الآية الكريمة.

❹ ﴿يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَلِّبِينَ﴾

لا يجلس أحد منهم وظهروه إلى غيره. ابن كثير: ١٤٨/٤.

السؤال: ليس في الجنة أدنى نوع من أنواع الإهانات، بين ذلك من خلال الآية.

❺ ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ﴾

يقول: ليست تلك الفاكهة هنالك كفاكة الدنيا التي ذاكها، وهم يخافون مكروه عاقبتها، وغب أذاها، مع نفاذها من عندهم، وعدمها في

بعض الأزمنة والأوقات. الطبري: ٥٣/٢٢.

السؤال: ما المناسبة في ذكر الفاكهة مقرونة بالأمن في الآية؟

❻ ﴿فَلَنَمَّا يَنْزَلَنَاهُ إِنْزَالًا سَهْلًا وَاضِحًا بَيْنًا جَلِيًّا بِلِسَانِكَ﴾

أي: إنما يسرنا هذا القرآن الذي أنزلناه سهلاً واضحاً بيناً جلياً بلسانك الذي هو أفصح اللغات وأجلاها وأحلاها وأعلاها. ابن كثير: ١٤٩/٤.

السؤال: تكلم عن فضل اللغة العربية على سائر اللغات من خلال الآية.

❼ ﴿فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ﴾

أي ارتقب نصرنا لك وإهلاكهم؛ فإنهم مرتقبون ضد ذلك، ففيه وعد له ووعيد لهم. ابن جزى: ٣٢٥/٢.

السؤال: اشرح كيف جمعت الآية بين الوعد والوعيد.

إِنْ يَوْمَ الْفَصْلِ يَمِصُّهُمْ أَمْجِيعَ ۝ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَهُمْ يُنْصَرُونَ ۝ إِلَّا مَنْ رَجَعَ إِلَىٰ رَبِّهِ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝ إِنَّ شَجَرَتَ الزُّرْقَمِ ۝ طَعَامُ الْأَثِيمِ ۝ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ۝ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ۝ خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْحَمِيرِ ۝ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ۝ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ۝ إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ۝ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ۝ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۝ يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَلِّبِينَ ۝ كَذَلِكَ وَرَوَّجْتُهُمْ بِيحورَيْنِ ۝ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ ۝ لَا يَذُقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَّعَهُمْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ۝ فَضَلَّاهُمْ رَبُّكَ ذَٰلِكَ هُوَ الْغَوْرُ الْعَظِيمُ ۝ فَانْمَا يَنْزَلُهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝ فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ ۝

سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣٧﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
الْأَثِيم	صَاحِبِ الْأَثَامِ الْكَبِيرَةِ.
كَالْمُهْلِ	كَالْمَعْدِنِ الْمَذَابِ.
فَاعْتِلُوهُ	جُرُّوهُ وَسَوْفُوهُ بِغَنَفٍ.
سُنْدُسٍ	هُوَ الرَّفِيقُ مِنَ الدِّيَانِ.
وَإِسْتَبْرَقٍ	هُوَ الْغَلِيظُ مِنَ الدِّيَانِ.
الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ	الَّتِي دَافَوْهَا فِي الدُّنْيَا.
فَارْتَقِبْ	انْتَظِرْ نَصْرَكَ، وَهَلَاكَهُمْ.

## ● العمل بالآيات

- ادع الله أن يرحمك يوم الفصل، ﴿إِنْ يَوْمَ الْفَصْلِ يَمِصُّهُمْ أَمْجِيعَ﴾.
- قل: اللهم إني أصوب بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل، ﴿إِنَّكَ شَجَرَتِ الزُّرْقَمِ طَعَامُ الْأَثِيمِ﴾.
- سل الله تعالى أن تكون من أهل المقام الأمين في الجنات والعيون، ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾.

## ● التوجيهات

- شدة ما يلاقيه الكفار يوم القيامة من العذاب والمهانة والتبكيك، ﴿خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْحَمِيرِ﴾ ثم صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٥﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾.
- كل ما يعطاه المؤمن من نعيم هو محض منة الله تعالى عليه، ﴿فَضَلَّاهُمْ رَبُّكَ ذَٰلِكَ هُوَ الْغَوْرُ الْعَظِيمُ﴾.
- من مقاصد نزول القرآن: التذكير والاتعاظ ﴿فَلَنَمَّا يَنْزَلُهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

١ ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنْ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾

إيتار وصفي (العزیز الحکیم) بالذكر دون غيرهما من الأسماء الحسنى لإشعار وصف العزیز بأن ما نزل منه مناسب لعزته؛ فهو كتاب عزيز كما وصفه تعالى بقوله: (وإنه لكتاب عزيز) انفصلت: ٤١؛ أي هو غالب لمعانيه؛ وذلك لأنه أعجزهم عن معارضته، وإشعار وصف (الحكيم) بأن ما نزل من عنده مناسب لحكمته. ابن عاشور: ٣٢٥/٢٥.

السؤال: لم ذكر اسما (العزیز الحکیم) دون غيرهما من الأسماء الحسنى؟

٢ ﴿لَا يَنْتَظِرُ الْمَوْتِينَ﴾، ﴿مَأْتٍ لِّقَوْمٍ يُفَوِّتُونَ﴾، ﴿مَأْتٍ لِّقَوْمٍ يُفَوِّتُونَ﴾ قال اولاً: (آيات للمؤمنين)، ثم (يوقنون)، ثم (يعقلون)؛ وهو ترقى من حال شريف إلى ما هو أشرف منه وأعلى. ابن كثير: ١٥٠/٤.

السؤال: بين سبب تقديم الإيمان، ثم اليقين، ثم العقل في وصف المؤمنين؟

٣ ﴿إِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَأَيَاتٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ وفي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُتُّ مِنْ دَابِّهِ مَأْتٍ لِّقَوْمٍ يُفَوِّتُونَ ١﴾ واختلف اليل والنهار وما أنزل الله من السكوة يذوق فلحاً به الأرض بعد موتها وتصريف ألهم مَأْتٍ لِّقَوْمٍ يُفَوِّتُونَ ﴿

سبب براهين من براهين التوحيد الدالة على عظمته وجلاله، وكمال قدرته، وإنه المستحق للعبادة وحده تعالى؛ الأول منها: خلقه السماوات والأرض، الثاني: خلقه الناس، الثالث: خلقه الدواب، الرابع: اختلاف الليل والنهار، الخامس: أنزال الماء من السماء وإحياء الأرض به، السادس: تصريف الرياح. الشنقيطي: ١٧٩/٧.

السؤال: ذكر الله في هذه الآيات سبب براهين دالة على عظمته وجلاله، فما هي؟

٤ ﴿وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَحَاجَّ بِهِ الْأَرْضُ بِدَمَرِهَا﴾ وما أنزل الله تبارك وتعالى من السحاب من المطر في وقت الحاجة إليه، وسماه رزقاً لأن به يحصل الرزق. ابن كثير: ١٥٠/٤.

السؤال: لماذا سمي الله المطر رزقاً؟

٥ ﴿وَلِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ يَسْعَ مَا يَنْتَظِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُمْرُ مُسْتَكْبِرًا كَانَ كَرِّ يَسْمَعُهَا فَيَتَرَمَّزُ بِعَذَابِ أَلِيمٍ ﴿

وقد علم بهذا الوصف أن كل من لم تردّه آيات الله تعالى كان مبالغاً في الإثم والإفك، فكان له الويل. البقاعي: ٩٣/٧.

السؤال: ما مصير من لا يستجيب لهدايات القرآن؟

٦ ﴿مِنْ رِزْقِهِمْ جَهَنَّمَ وَلَا يَخْفَى عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا أَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أُولَئِكَ﴾ وعبر بالوراء عن القدام كقوله (من ورائهم جهنم)... باعتبار إعراضهم عنها؛ كأنها خلفهم. الشوكاني: ٥/٥.

السؤال: لماذا عبرت الآية الكريمة بالوراء عن القدام؟

٧ ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ وأوثر التفكير بالذكر في آخر صفات المستدلين بالآيات؛ لأن الفكر هو منبع الإيمان، والإيقان، والعلم، المتقدمة في قوله: (آيات للمؤمنين)، (آيات لقوم يوقنون)، (آيات لقوم يعقلون). ابن عاشور: ٣٣٨/٢٥.

السؤال: بين فائدة التفكير.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنْ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ١ ﴿إِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَأَيَاتٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ٢ ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُتُّ مِنْ دَابِّهِ أَيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُفَوِّتُونَ﴾ ٣ ﴿وَخَلْقِ الْآيِلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَخْبَاهِ الْأَرْضُ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ أَيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ٤ ﴿بَلْكَ أَيْتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يَفُوتُونَ﴾ ٥ ﴿وَلِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ ٦ ﴿يَسْمَعُ مَا يَنْتَظِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُمْرُ مُسْتَكْبِرًا كَانَ كَرِّ يَسْمَعُهَا فَيَتَرَمَّزُ بِعَذَابِ أَلِيمٍ﴾ ٧ ﴿وَإِذَا عَزَلْتَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا أَخَذْنَا هُزُوءَ أُولَئِكَ لَهْمُ عَذَابٍ مُهِينٍ﴾ ٨ ﴿مِنْ رِزْقِهِمْ جَهَنَّمَ وَلَا يَخْفَى عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا أَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أُولَئِكَ لَهْمُ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ ٩ ﴿هَذَا هُدًى وَلَذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهْمُ عَذَابٍ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٍ﴾ ١٠ ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَتَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ١١ ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِمَّا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ١٢

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
يُنْتِشِرُ	يَنْشُرُ، وَيُفَرِّقُ.
وَيْلٌ	هَلَاكٌ، وَدَمَارٌ.
أَفَّاكٍ	كُذَّابٍ.
أَثِيمٍ	كَثِيرِ الْإِثْمِ.
هُزُوءًا	سُخْرِيَةً.

## ● العمل بالآيات

١. تأمل طريقة مشي الإنسان والبعير والحية، واكتب الفرق بينها، وعلى ماذا يدل هذا الاختلاف، ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُتُّ مِنْ دَابِّهِ أَيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُفَوِّتُونَ﴾.
٢. اكتب ثلاث فوائد ومنافع من تعاقب الليل والنهار، ﴿وَخَلْقِ الْآيِلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَخْبَاهِ الْأَرْضُ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ أَيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.
٣. تذكر معصية فعلتها، ثم تذكر آية تنهى عنها، ثم استغفر الله سبحانه، ﴿وَلِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ يَسْعَ مَا يَنْتَظِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُمْرُ مُسْتَكْبِرًا كَانَ كَرِّ يَسْمَعُهَا فَيَتَرَمَّزُ بِعَذَابِ أَلِيمٍ ﴿.

## ● التوجيهات

١. إذا جاءك العلم من الله ومن رسوله ﷺ فحسبك به ولا تتبع أهواء الرجال، ﴿بَلْكَ أَيْتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يَفُوتُونَ﴾.
٢. إياك أن تستهزئ بشيء له صلة بالدين، فإن ذلك عظيم، ﴿وَإِذَا عَزَلْتَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا أَخَذْنَا هُزُوءَ أُولَئِكَ لَهْمُ عَذَابٍ مُهِينٍ﴾.
٣. التفكر في مخلوقات الله من أنفع ما يعين العبد على شكر الله وتوحيده، ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِمَّا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

## تفسير سورة الجاثية

وهي مكية، [وعدد آياتها (٣٧) آية].

الآية (١-٥): يُرشد تعالى خَلْقَهُ إلى التَّكْوُنِ في آلائه ونعمه، وقدرته العظيمة التي خَلَقَ بها السموات والأرض، وما فيها من المخلوقات المختلفة الأجناس والأنواع، من الملائكة والجن والإنس، والدواب والطيور والوحوش والسباع والحشرات، وما في البحر من الأصناف المتنوعة، واختلاف الليل والنهار، في تعاقبها دائن لا يفران، هذا بظلامه وهذا بضائه، وما أنزل الله تعالى من السحاب من المطر في وقت الحاجة إليه، وَسَمَاءَ رِزْقًا؛ لأن به يَحْضِلُ الرزق.

﴿فَأَنجَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ بعدما كانت هامةً لانبثاقها ولا شيء. وقوله: ﴿وَنَصْرَفَ الْأُرَاقِيزَ﴾ أي: جنوبًا وشمالًا، ودبورًا وصَبًا، بحرية وبرية، ليلية ونهارية. ومنها ما هو للمطر، ومنها ما هو للقاح، ومنها ما هو غذاء للأرواح، ومنها ما هو عقيم لا يتنج. وقال أولًا: ﴿لَا يَذَرُ الْقُرُونِ﴾، ثم ﴿يُوقِظُ﴾، ثم ﴿يَقُولُونَ﴾ وهو تَرَقُّ من حال شريف إلى ما هو أشرف منه وأعلى.

وهذه الآيات شبيهة بآية «البقرة» وهي قوله: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَلَّا يَسْمَعَ النَّاسُ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَنجَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَنَّا فِيهَا مِنْ كُلِّ ذَكَاةٍ وَنَصْرَفَ الْأُرَاقِيزَ وَالْمُسْحِرِينَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ لَا يَذَرُ لِقَوْمٍ يَقُولُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤].

الآية (٦-١١): يقول تعالى: ﴿يَلَاكُمُ الْمَوْتُ﴾ يعني القرآن بما فيه من الحجج والبيانات.

﴿تَتْلُو مَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾ أي: مُتَّصِنَةً الْحَقِّ من الحق، فإذا كانوا لا يؤمنون بها ولا يَتَّقِدُونَهَا، ﴿فَإِنِّي حَاشِدٌ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِي مَوْجُودَةٌ﴾ ١٩ ثم قال: ﴿وَلِكُلِّ أَفَّاكٍ﴾ أي: أَفَّاكٍ في قوله كَذَابَ حَلَّافٍ مَّهِينٍ، ﴿أَنبِيرٍ﴾ في فعله وقيله، كافر بآيات الله.

ولهذا قال: ﴿يَسْمَعُ مَا يَنْتَنِلُ عَلَيَّ﴾ أي: تُفَرِّقُ عَلَيَّ.

﴿ثُمَّ يُبَيِّرُ﴾ أي: على كفره وجحوده استكبارًا وعنادًا.

﴿كَأَن لَّرِيسَمَهَا﴾ أي: كأنه ما سمعها. ﴿فَيُزِيلُ كَذَابَ آلِيمٍ﴾ أي: فأخبره أن له عند الله يوم القيامة عذابًا أليمًا موجعًا.

﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا أَخَذَهَا مَرْوًا﴾ أي: إذا خَفِظَ شَيْئًا من القرآن كَفَّرَ به وَاتَّخَذَهُ سِخْرِيًّا وَهَرُؤًا.

﴿أَوَلَيْكَ لَمَمٌ عَنَّا مَعْيِينٍ﴾ أي: في مقابلة ما استهان بالقرآن واستهزأ به. ولهذا روي عن ابن عمر قال: نهى رسول الله ﷺ أن يُسَافَرَ بالقرآن إلى أرض العدو تخافة أن يتأله العدو [رواه مسلم].

ثم فَسَّرَ العذاب الحاصل له يوم مَعَادِهِ فقال: ﴿وَيَوْمَ يَأْتِيهِمْ جَهَنَّمُ﴾ أي: كُلُّ مَنْ أَنْصَفَ بذلك سيصبرون إلى جهنم يوم القيامة. ﴿وَلَا يَتْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا﴾ أي: لا تنفعهم أموالهم ولا

أولادهم، ﴿وَلَا مَا أَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أُولِيَاءَ﴾ أي: ولا تُنْفِي عنهم الآلهة التي عبدوها من دون الله شيئًا، ﴿وَلَمَّ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

ثم قال تعالى: ﴿هَذَا هَدًى﴾ يعني القرآن. ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَكَايِدُ بَيْنَهُمْ لَمَمٌ عَنَّا مِنْ رِجْزِ آلِيمٍ﴾ وهو المؤلم المُوْجِع.

الآية (١٢-١٣): يَذْكُرُ تعالى نِعْمَتَهُ على عبده فيما سَخَّرَ لهم من البحر ﴿يَجْرِي الْفَلَكَ﴾ وهي السُّفُنُ ﴿فِيهِ بَأْرُهُ﴾ تعالى؛ فإنه هو الذي أَمَرَ البحر أن يجعلها.

﴿وَلِيَسْتَوِيَنَّ فِيهِ الْتَاجِرُ وَالْمَكَّاسِبُ﴾.

﴿وَلَقَدْ لَكُمُ التَّكْوِينُ﴾ أي: على حصول المنافع المَحْجُودَةِ إليكم من الأقاليم النائية والآفاق القاصية.

ثم قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: من الكواكب والجبال والبحار والأنهار، وجميع ما تستفون به، أي: الجميع من فضله وإحسانه وامتنانه.

ولهذا قال: ﴿جِيئًا مِّنْهُ﴾ أي: من عنده وحده لا شريك له في ذلك؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَكُم مِّنْ فَعْمَةٍ فَعِمَ اللَّهُ إِذَا مَنَّكُمْ الْفُتْرُ فَلْيَتَنَبَّهُوا﴾ [النحل: ٥٣].

الآية (٢١-٢٢): يقول تعالى: لَا يَسْتَوِي الَّذِينَ آمَنُوا بِالْكَافِرِينَ، كَمَا قَالَ عِيسَى: ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ الْفَائِزُونَ﴾ [المائدة: ٢٠]، وقال مهنا: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾ أي: عملوها وكسبوها ﴿أَنْ يَجْعَلَهُمُ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً نَحْنُهُمْ وَمَنْهُمْ﴾ أي: نساوهم بهم في الدنيا



## ● الوقفات التدريبية

- ١ ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكَ تُرْجَعُونَ﴾  
من عمل من عباد الله بطاعته فانتفى إلى امره، وانزجر لنهي، فلنفسه  
عمل ذلك الصالح من العمل، وطلب خلاصها من عذاب الله، اطاع ربه  
لا غير ذلك؛ لأنه لا ينفع ذلك غيره، والله عن عمل كل عامل غني.  
(ومن أساء فعليها)؛ يقول: ومن أساء عمله في الدنيا بمعصيته فيها ربه،  
وخلافه فيها امره ونهي، فعلى نفسه جنى؛ لأنه أوبقها بذلك، واكسبها  
به سخطه، ولم يضر أحدا سوى نفسه. الطبري: ٢٢/٦٨.

السؤال: لماذا قيد الله تعالى العمل الصالح والسيء بصاحبه؟

- ٢ ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَزَكَّيْنَهُمْ مِنَ الَّذِينَ وَصَّلْنَاهُمْ  
عَلَى الْعَالَمِينَ ۝ وَأَتَيْنَاهُمْ يُونُسَ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا أَتَخَلَّفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ  
الْعِلْمُ بِنَبَأِ يَنْهَهُمْ عَنْ رَيْبِ يَوْمِ الْقِيَمَةِ فَمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾  
وهنا فيه تحذير لهذه الأمة أن تسلك مسلكهم، وأن تقصد منهجهم. ابن كثير: ١٥٢/٤.
- السؤال: هاتان الآيتان في بني إسرائيل، فما الذي نفيد من آية الإسلام من هاتين الآيتين؟
- ٣ ﴿وَصَلَّيْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾

كل ما جاء في القرآن من تفضيل بني إسرائيل إنما يرد به ذكر أحوال  
سابقة؛ لأنهم في وقت نزول القرآن كفروا به وكتبوا؛ كما قال تعالى:  
(فلما جاهدوا ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين) (البقرة: ١٨٩).  
ومعلوم أن الله لم يذكر لهم في القرآن فضلا إلا ما يرد به أنه كان في  
زمنهم السابق، لا في وقت نزول القرآن. الشنيطي: ١٩٨-١٩٩/٧.

السؤال: وضع معنى تفضيل بني إسرائيل على العالمين.

- ٤ ﴿فَمَا أَتَخَلَّفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بِنَبَأِ يَنْهَهُمْ﴾  
أي حسدا على النبي ﷺ؛ قيل: معنى (بغيا) أي: بغى بعضهم على  
بعض؛ يطلب الفضل والرياسة، وقتلوا الأنبياء؛ فكذا مشركوا عصره  
يا محمد، قد جاءتهم البينات ولكن أعرضوا عنها للمنافسة في الرياسة.  
القرطبي: ١٥٣/١٩.

السؤال: ما البغي الذي وقع منهم؟

- ٥ ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا﴾  
ولما كان معنى هذا أنه سبحانه وتعالى جعل بني إسرائيل على شريعة  
وهدهم على الخلاف فيها، فكان تهديدهم تهديدا لنا، قال مصححا بما  
اقتضاه سوق الكلام وغيره من تهديدهم، منها على علو شريعتنا: (ثم  
جعلناك على شريعة من الأمر) الآية. البقاعي: ١٠٧/٧.
- السؤال: ما مناسبة الآية: (ثم جعلناك على شريعة من الأمر) لما قبلها من الآيات؟
- ٦ ﴿هَذَا بَصِيرَتُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾  
وخص جل ثاؤه الموقنين بأنه لهم بصائر وهدى ورحمة لأنهم الذين انتفعوا  
به دون من كذب به من أهل الكفر، فكان عليه عى وله حزنا. الطبري: ٢٢/٧٢.

السؤال: لماذا خص الله الموقنين بأن القرآن لهم بصائر وهدى ورحمة؟

- ٧ ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا  
الصَّالِحَاتِ سَوَاءً نَحْنُهُمْ وَمَا كُنَّا بِأَعْيُنِنَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾  
قال إبراهيم بن الأشعث: كثيرا ما رايت الفضيل بن عياض يردد من أول  
الليل إلى آخره هذه الآية ونظيرها، ثم يقول: ليت، شعري: من أي الفريقين  
أنت؟ وكانت هذه الآية تسمى ميكة العابدين. القرطبي: ١٥٧/١٩.
- السؤال: كيف كان حال السلف مع هذه الآية؟

قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا وَلِلَّذِينَ لَا يُرْجُونَ ءَاثِمَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ  
قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ  
وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكَ تُرْجَعُونَ ۝ وَلَقَدْ آتَيْنَا  
بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَزَكَّيْنَهُمْ مِنَ الَّذِينَ  
وَصَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ۝ وَءَاتَيْنَاهُمْ يُونُسَ مِنَ الْأَمْرِ  
فَمَا أَتَخَلَّفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بِنَبَأِ يَنْهَهُمْ عَنْ رَيْبِ  
يَوْمِ الْقِيَمَةِ فَمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۖ يَقْضَىٰ بَيْنَهُمْ يَوْمَ  
الْقِيَمَةِ فَمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِنَ  
الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ  
أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝ إِنَّهُمْ كَنْ يَغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ  
شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ۝  
هَذَا بَصِيرَتُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝  
أَرْحَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ  
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ  
مَا يَحْكُمُونَ ۝ وَخَلَقَ أَنَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ  
وَلِيُخْرِجَ كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
لَا يَرْجُونَ ءَاثِمَ اللَّهِ	لَا يَتَوَقَّعُونَ وَقَائِعَهُ وَعَذَابَهُ بِأَعْدَائِهِ.
وَالْحُكْمَ	تَحْكِيمَهُمَا.
لَنْ يَغْنُوا عَنْكَ	لَنْ يَفْعَلُوا عَنْكَ.
بَصَائِرُ	يُبَصِّرُ بِهِ النَّاسَ الْحَقَّ.

## ● الفصل بالآيات

١. ادع الله سبحانه وتعالى أن يجعل العلم سببا لهدايك وصلحك، ولا يجعله  
سببا لضلالك وانحرافك، ﴿وَأَتَيْنَاهُمْ يُونُسَ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا أَتَخَلَّفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا  
جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بِنَبَأِ يَنْهَهُمْ﴾.
٢. طبق الواجبات والسنن، ولو خالفت هواك، مستحضرا ذمة اتباع الشريعة،  
﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.
٣. اكتب مقالا أو رسالة تؤكد فيه على أهمية التمسك بشريعة الإسلام  
منهجاً كاملاً للحياة، ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ  
الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

## ● التوجيهات

١. تفقد قلبك فإن كان فيه حسد لأحد فادع له بالخير واستغفر له، ﴿وَأَتَيْنَاهُمْ  
يُونُسَ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا أَتَخَلَّفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بِنَبَأِ يَنْهَهُمْ﴾.
٢. أي قول يخالف الكتاب والسنة فهو من الهوى الذي نهى الله عن اتباعه،  
﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.
٣. ربط الله بين الهوى وعدم العلم؛ فمن كان جاهلا كان أقرب إلى اتباع الهوى،  
﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوْنَهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾  
(اتخذ إلهه هواه) أي: اطاعه حتى صار له كالإله. ابن جزي: ٣٢٨/٢.

السؤال: كيف يكون الهوى معبوداً من دون الله؟

﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوْنَهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾

وفيها من ذم اتباع هوى النفس ما فيها، وعن ابن عباس: ما ذكر الله تعالى هوى إلا ذمه. وقال وهب: إذا شككت في خير امرين فانظر أبعدهما من هোক فاته، وقال سهل التستري: هোক دأوك، فإن خالفته فدأوك. الألوسي: ٢٥٩/٢٥.

السؤال: كيف يتعامل العاقل مع ما تهواه نفسه وتشتهي من المعاصي والمنكرات؟  
﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوْنَهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾

وهذه الآية أصل في التحذير من أن يكون الهوى الباعث للمؤمنين على أعمالهم، ويتركوا اتباع أدلة الحق، فإذا كان الحق محبوباً لأحد فذلك من التخلُّق بمحبة الحق تبعاً للدليل؛ مثل ما يهوى المؤمن الصلاة والجماعة وقيام رمضان وقراءة القرآن. وفي الحديث: (أرحنا بها يا بلال) يعني الإقامة للصلاة... وأما اتباع الأمر المحبوب لإرضاء النفس دون نظر في صلاحه أو فساد فذلك سبب الضلال وسوء السيرة. ابن عاشور: ٣٥٩/٢٥.

السؤال: قررت الآية الكريمة أصلاً مهماً في اتباع هوى النفس، ما هو؟

﴿ وَلَئِنْ تَلَقَّ عَنِيتُمْ عَلَيْكُمْ مَا لَكُنَا بِبِئْتِ مَا كَانُوا أَفَلَا تَتَوَّابُونَ ﴾  
كثرت صدقون

لم يجبههم إلى إحياء آباءهم إكراماً لهذه الأمة؛ لشرف نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام؛ لأن سنته الإلهية جرت بأن من لم يؤمن بعد كشف الأمر بإيجاد الآيات المقترحات أهلكه، كما فعل بالأمم الماضية البقاعي: ١٠٦/١.

السؤال: من إكرام هذه الأمة عدم الاستجابة لمقترحات المشركين من إحياء آباءهم، وضع ذلك.

﴿ وَلَئِنْ تَلَقَّ عَنِيتُمْ عَلَيْكُمْ مَا لَكُنَا بِبِئْتِ مَا كَانُوا أَفَلَا تَتَوَّابُونَ ﴾  
كثرت صدقون

قال الزمخشري: فإن قلت لم سمي قولهم حجة وليس بحجة؟ قلت: لأنهم أدلوا به كما يدل الحق بحجته، وساقوه مساقوه، فسميت حجة على سبيل الحكم. أو لأنه في حساباتهم وتقديرهم حجة... وكأنه قيل: ما كان حجتهم إلا ما ليس بحجة، والمراد نفي أن تكون لهم حجة البتة. القرطبي: ١٦٧/١٩.

السؤال: لم سمي الله تعالى قولهم حجة؟

﴿ وَرَبِّي كُلُّ أَتَمَّ جَانِيَةً ﴾  
على ركبها خوفاً وذعراً، وانتظاراً لحكم الملك الرحمن. السعدي: ٧٧٨.

السؤال: ما سبب جنو الأمم يوم القيامة؟

﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴾

وابتدى في التفصيل بوصف حال المؤمنين مع أن المقام للحديث عن المبطلين في قوله: (يومئذ يخسر المبطلون) تنويعاً بالمؤمنين، وتعجيلاً لمسيرتهم، وتعجيلاً لساعة المبطلين. ابن عاشور: ٣٧١/٢٥.

السؤال: مظاهر إكرام الله تعالى للمؤمنين متعددة، بين أحدها من خلال الآية الكريمة.

أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوْنَهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢﴾ وَإِذْ أَنْتَلَى عَلَيْهِ هَذِهِ آيَاتُنَا بِبَيِّنَاتٍ مَّا كَانُوا حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتَنُوءُ بَعَاثَاتٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣﴾ قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ وَمِنْ ذُكُرِ النَّبِطِلُونَ ﴿٥﴾ وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَانِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُحْزَنُونَ ﴿٦﴾ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ هَذَا كِتَابُنَا يَطُوعٌ عَلَيْكُمْ بِأَلْحَقٍ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ ءَاتِي تَتْلُو عَلَيْهِمْ كُتُبَكُمْ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانَتْ قُلُوبُهُمْ مُجْرِمِينَ ﴿١٠﴾ وَإِذْ قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا فَلْتُم مَّا نَذِرُوا مَّا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا لِأَعْطَا وَمَا نَحْنُ بِمُتَسْقِينَ ﴿١١﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
وَحَتَمَ	طَبَعَ.
غِشَاوَةٌ	غِطَاءٌ.
لَا رَيْبَ فِيهِ	لَا شَكَّ فِيهِ.
إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا	مَا نَتَوَقَّعُ وَفُوعَهَا إِلَّا تَوْهُمًا.

## ● العمل بالآيات

١. حاول تعداد أخطائك ومعاصيك التي فعلتها أو نطقت بها الأسبوع الماضي فقط، ﴿ هَذَا كِتَابُنَا يَطُوعٌ عَلَيْكُمْ بِأَلْحَقٍ ﴾.

٢. قل: «اللهم اجعل في قلبي نورا وفي سمعي نورا وفي بصري نورا»، ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوْنَهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾.

٣. قل: «اللهم اهديني فيمن هديت، وعافني فيمن عافيت، وتولني فيمن توليت»، ﴿ فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾.

## ● التوجيهات

١. اعلم أن أعظم الخذلان أن يضللك الله تعالى وانت على علم، ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوْنَهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ ﴾.

٢. هدايتك وسعادتك ونجاحك بيد الله وحده فاطلبها منه، ﴿ فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾.

٣. حاسب نفسك قبل أن تحاسب، ﴿ هَذَا كِتَابُنَا يَطُوعٌ عَلَيْكُمْ بِأَلْحَقٍ ﴾.

أي: فلهذا ينكرون المَعَادَ، ويستبعدون قيام الأجساد.

الآية (٢٧-٢٩): يُجَبِّرُ تَعَالَى أَنَّهُ مَالِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالْحَاكِمُ فِيهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ وَلِهَذَا قَالَ ﷻ: ﴿وَيَوْمَ نَقُومُ السَّاعَةَ﴾ أي: يوم القيامة ﴿نَخْسِرُ النَّاسَ كُلَّ يَوْمٍ﴾ وهم الكافرون بالله الجاحدون ما أَنزَلَهُ عَلَى رُسُلِهِ مِنَ الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ وَالْدَّلَائِلِ الْوَاضِحَاتِ. ثُمَّ قَالَ: ﴿وَنَزَّلُ كُلَّ أَفْئَةٍ جَانِيَةٍ﴾ أي: على رُكْبَتَيْهَا مِنَ الشَّدَةِ وَالْعَظَمَةِ، وَيُقَالُ: إِنَّ هَذَا إِذَا جِيءَ بِجَهَنَّمَ فَفَاجَأَ تَزْفُرُ زَفْرَةً لَا يَبْقَى أَحَدٌ إِلَّا جَنًّا لِرُكْبَتَيْهِ، حَتَّى إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ، وَيَقُولُ: نَفْسِي، نَفْسِي، نَفْسِي، لَا أَسْأَلُكَ الْيَوْمَ إِلَّا نَفْسِي، وَحَتَّى إِنْ عَيْسَى لَيَقُولُ: لَا أَسْأَلُكَ الْيَوْمَ إِلَّا نَفْسِي، لَا أَسْأَلُكَ مَرْيَمَ الَّتِي وَلَدْتَنِي. قَالَ مُجَاهِدٌ وَكُتِبَ الْأَحْيَارُ وَالْحَسَنُ: ﴿كُلُّ أَفْئَةٍ جَانِيَةٍ﴾ أي: على الرُّكْبِ. وَقَالَ عِكْرِمَةُ: ﴿جَانِيَةٍ﴾: مُتَمَرِّزَةٌ عَلَى نَاحِيَتِهَا، وَلَيْسَ عَلَى الرُّكْبِ. وَالْأَوَّلُ أَوْلَى. وَقَوْلُهُ: ﴿كُلُّ أَفْئَةٍ تَدْعِي إِلَى كَيْفِيَّهَا﴾ يَعْنِي: كِتَابُ أَعْمَالِهَا؛ كَقَوْلِهِ: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجَاءَتْ بِالْبَيِّنَاتِ وَالشَّهَادَاتِ﴾ [الزمر: ٦٩]؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿لَيَوْمٍ تُجْرَزُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: تُحَازَرُونَ بِأَعْمَالِكُمْ خَيْرُهَا وَشَرُّهَا. ثُمَّ قَالَ: ﴿هَذَا كَيْفَتُنَا يَبْطِئُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾ أي: يَسْتَحْضِرُ جَمِيعَ أَعْمَالِكُمْ مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ وَلَا نَقْصٍ؛ كَقَوْلِهِ: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَزَيَّرَ الْمُنَافِقِينَ مُشْفِقِينَ وَمَا فِيهِ يَقُولُونَ بِكُفْلَانَا مَا لَمْ يَكُنْ لَكُنْ لَا يَفَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاسِرًا وَلَا يَنْظُرُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]. وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: إِنَّا كُنَّا نَأْمُرُ الْحَفَظَةَ أَنْ تَكْتُبَ أَعْمَالَكُمْ عَلَيْكُمْ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ: تَكْتُبُ الْمَلَائِكَةُ أَعْمَالَ الْعِبَادِ، ثُمَّ تَضَعُهَا إِلَى السَّاءِ، فَيَقْبَلُونَ الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ فِي دِيوانِ الْأَعْمَالِ عَلَى مَا بَأْيَدِهِمْ عَمَّا قَدْ أَبْرَزَ لَهُمْ مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ قَدَرٌ، مِمَّا كَتَبَ اللَّهُ فِي الْقَدَمِ عَلَى الْعِبَادِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ، فَلَا يَزِيدُ حَرْفًا وَلَا يَنْقُصُ حَرْفًا، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

الآية (٣٠-٣٢): يُجَبِّرُ تَعَالَى عَنْ حُكْمِهِ فِي خَلْقِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَقَالَ: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَلَّمُوا الصَّالِحِينَ﴾ أي: آمَنَتْ قُلُوبُهُمْ وَعَمِلَتْ جَوَارِحُهُمُ الْأَعْمَالُ الصَّالِحَةَ، وَهِيَ الْخَالِصَةُ الْمَوَافِقَةُ لِلشَّرْعِ ﴿فَيَدْخُلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ﴾ وهي الجنة، كَمَا بَيَّنَّ أَنَّ اللَّهَ قَالَ لِلْجَنَّةِ: «أَنْتِ رَحْمَتِي، أَرْحَمُ بِكَ مِنْ أَشَاءِ» [متفق عليه].

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: الْبَئِشُ الْوَاضِحُ.

ثُمَّ قَالَ: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَفَرُوا أَفْئَةً تَكْفَرُ أَتَيْنِي تَكْلُفٌ عَلَيْكَ فَاسْتَكْبَرْتُمْ؟﴾ أي: يُقَالُ لَهُمْ ذَلِكَ تَقَرُّبًا وَتَوْبِيخًا؛ أَمَّا قُرُوتُ عَلَيْكُمْ آيَاتِ الرَّحْمَنِ فَاسْتَكْبَرْتُمْ عَنْ اتِّبَاعِهَا، وَأَعْرَضْتُمْ عَنْ سَبَاحِهَا.

﴿وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾ فِي أَعْمَالِكُمْ، مَعَ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ قُلُوبُكُمْ مِنَ التَّكْذِيبِ؟ ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ أي: إِذَا قَالَ لَكُمْ الْمُؤْمِنُونَ ذَلِكَ ﴿فَلَقُلْ مَا تَدْرِي مَا السَّاعَةُ﴾ أي: لَا نَعْرِفُهَا، «إِنْ نَفَعُ لَكُمْ إِلَّا ظَنُّنَا» أي: إِنْ تَوَقَّعْتُمْ وَقُوعَهَا إِلَّا تَوَقَّعْنَا، أَيْ مَرْجُوحًا؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُتَحَقِّقِينَ﴾ أي: بِمُتَحَقِّقِينَ.

الآية (٢٣): قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوًى﴾ أي: إِنَّمَا يَتَّخِذُ هَوَاهُ، فَمِنْهَا رَأَى حَسَنًا فَعَلَهُ، وَمِنْهَا رَأَى قَبِيحًا تَرَكَهُ، وَعَنْ مَالِكٍ: لَا يَهْوِي شَيْئًا إِلَّا عِبْدَهُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَسْأَلُ اللَّهَ عَلَى عِلْمِهِ﴾ بِحِمْلٍ قَوْلَيْنِ: أَحَدُهُمَا: وَأَسْأَلُ اللَّهَ لِعِلْمِهِ أَنَّهُ يَسْتَحِقُّ ذَلِكَ. وَالْآخَرُ: وَأَسْأَلُ اللَّهَ بَعْدَ بُلُوغِ الْعِلْمِ إِلَيْهِ، وَقِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ. وَالثَّانِي يَسْتَلْزِمُ الْأَوَّلَ، وَلَا يَنْعَكُسُ.

﴿وَرَحِمَ عَلَى سَيِّئِهِمْ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشًّا﴾ أي: فَلَا يَسْمَعُ مَا يَنْفَعُهُ، وَلَا يَعِي شَيْئًا يَنْتَدِي بِهِ، وَلَا يَرَى حُجَّةً يَسْتَفِيءُ بِهَا؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿فَمَنْ يَهْدِيهِمْ يَتَّبِعْهُ أَفَلَا يَذْكُرُونَ﴾ كَقَوْلِهِ: ﴿مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَكَأَيُّ هَادٍ لَهُ، وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٦].

الآية (٢٤-٢٦): يُجَبِّرُ تَعَالَى عَنْ قَوْلِ الدَّهْرِيَّةِ مِنَ الْكُفَّارِ، وَمَنْ وَافَقَهُمْ مِنْ مُشْرِكِي الْعَرَبِ فِي انْكَارِ الْمَعَادِ: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ أي: مَوْتٌ ثُمَّ أَحْيَاءٌ إِلَّا هَذِهِ الدَّارُ، يَمُوتُ قَوْمٌ وَيَعِيشُ آخَرُونَ، وَمَا نَمُّ مَعَادٌ وَلَا قِيَامَةٌ. وَهَذَا يَقُولُهُ مُشْرِكُو الْعَرَبِ الْمُنْكَرُونَ لِلْمَعَادِ، وَيَقُولُهُ الْفَلَسَافَةُ الْإِلَهِيُونَ مِنْهُمْ، وَهُمْ يَنْكُرُونَ الْبِدَاءَ وَالرَّجْعَةَ، وَتَقُولُهُ الْفَلَسَافَةُ الدَّهْرِيَّةُ الدَّوْرِيَّةُ الْمُنْكَرُونَ لِلصَّانِعِ، فَكَابَرُوا الْمَعْقُولَ وَكَلَّبُوا الْمُنْقُولَ، وَلِهَذَا قَالُوا: ﴿وَمَا يَهْدِيكُمْ إِلَّا الدَّهْرُ﴾، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ أي: يَتَوَقَّعُونَ وَيَحْتَسِبُونَ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: يُؤْذِنُنِي ابْنُ آدَمَ؛ يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ، يَبْدِي الْأَمْرَ، أَقْلُبُ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ» [متفق عليه]. وَفِي رِوَايَةٍ: «لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ، فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ» [رواه مسلم]، قَالَ الشَّافِعِيُّ وَأَبُو عُبَيْدَةَ: كَانَتْ الْعَرَبُ فِي جَاهِلِيَّتِهَا إِذَا أَصَابَهُمْ شِدَّةٌ أَوْ بَلَاءٌ أَوْ نَكْبَةٌ، قَالُوا: يَا خِيَّةَ الدَّهْرِ. فَيُسْتَدُونَ تِلْكَ الْأَفْعَالَ إِلَى الدَّهْرِ وَيُسَبُّونَهُ، وَإِنَّمَا فَاعِلُهَا هُوَ اللَّهُ ﷻ، فَكَأَنَّهُمْ إِنَّمَا سَبُّوا اللَّهَ ﷻ؛ لِأَنَّهُ فَاعِلُ ذَلِكَ فِي الْحَقِيقَةِ، فَلهَذَا نُهِيَ عَنْ سَبِّ الدَّهْرِ هَذَا الْإِعْتِبَارَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ الَّذِي يَعْنُونَهُ، وَيُسْتَدُونَ إِلَيْهِ تِلْكَ الْأَفْعَالَ. هَذَا أَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي تَفْسِيرِهِ، وَهُوَ الْمَرَادُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَقَدْ غَلَطَ ابْنُ حَزَمٍ وَمَنْ نَحَا نَحْوَهُ فِي الظَّاهِرَةِ فِي عَدِّهِ الدَّهْرَ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْحَسَنَى أَخَذًا مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ.

﴿وَإِذَا تَنَافَسَ عَلَيْهِمْ فَلَمَّا أَنَا بِمِيتَةٍ أَسْأَلُ عَنْهُمْ﴾ أي: إِذَا اسْتَدْبَلَ عَلَيْهِمْ وَيَتَنَافَسُ الْحَقُّ، وَأَنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى إِعَادَةِ الْأَبْدَانِ بَعْدَ فَنَائِهَا وَتَفَرُّقِهَا ﴿وَمَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّخَذُوا آلِهَاتِنَا إِن كُنْتَ صَادِقِينَ﴾ أي: أَخْبَرُوهُمْ إِنْ كَانَ مَا تَقُولُونَهُ حَقًّا. قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلِ اللَّهُ يُجَبِّدُكُمْ﴾ أي: كَمَا تَشَاهَدُونَ ذَلِكَ، يَجْرِجُكُمْ مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُودِ، كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ مِيتَكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨]؛ أي: الَّذِي قَدَّرَ عَلَى الْبِدَاءِ قَادِرٌ عَلَى الْإِعَادَةِ بِطَرِيقِ الْأَوَّلِ وَالْآخَرِ، ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]، ﴿ثُمَّ يَمُوتُكُمْ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي: إِنَّمَا يَجْمَعُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُعِيدُكُمْ فِي الدُّنْيَا، ﴿لَا رَبَّ فِيهِ﴾ أي: لَا شَكَّ فِيهِ، ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾



الآية (٣٣-٣٧): قال الله تعالى: ﴿وَدَاكُم مِّنَ سَيِّئَاتِكُمْ مَّاعِلًا﴾ أي: وظاهر لهم عقوبة أعمالهم السيئة، ﴿وَمَاعِلًا بِهِمْ﴾ أي: أحاط بهم ﴿مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ أي: من العذاب والنكال، ﴿وَقِيلَ الَّذِينَ نَسُوا﴾ أي: تعاملكم معاملة الناسي لكم في نار جهنم، ﴿كَمَا يَسْتَهْزِئُونَ بِكُمْ هَذَا﴾ أي: فلم تعملوا له؛ لأنكم لم تصدقوا به ﴿وَمَأْوَاكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّصِيرٍ﴾ وقد ثبت في الصحيح أن الله تعالى يقول لبعض العبيد يوم القيامة: ﴿أَلَمْ أَرْزُقْكَ؟ أَلَمْ أَكْرِمْكَ؟ أَلَمْ أُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ، وَأَذْرَكَ تَرَأْسَ وَتَرْجِعَ؟﴾ يقول: بلى يا رب. فيقول: أَفَطَنْتَ أَنْكَ مُلَاقِي؟ فيقول: لا. فيقول الله تعالى: فاليوم أنساك كما نسيتي [رواه مسلم].

قال الله تعالى: ﴿ذِكْرُ يَاسِينَ إِذْ أَخَذْتُم بِأَيْدِي اللَّهِ هُرُوجًا﴾ أي: إنا جازيناكم هذا الجزاء لأنكم اتخذتم حُجَجَ الله عليكم سخرًا، تسخرون وتستهنئون بها. ﴿وَعَزَّزْنَا لَئِيْلَةَ الدِّيَارِ﴾ أي: خدعناكم فاطمأنتم إليها، فأصبحتم من الحاسرين.

ولهذا قال: ﴿قَالِيزٌ لَّا يَخْرُجُونَ مِنَّا﴾ أي: من النار. ﴿وَلَا هُمْ يُنْقِصُونَ﴾ أي: لا يطلُب منهم العُتْبَى، بل يُعَذِّبُونَ بغير حساب ولا عتاب، كما تدخل طائفة من المؤمنين الجنة بغير عذاب ولا حساب.

ثم لما ذكر حكمه في المؤمنين والكافرين قال: ﴿قِيلَ لِّلْمُتَدَبِّرِينَ السَّعِيرِينَ وَبِئَ الْآزِفِينَ﴾ أي: المالك لهما وما فيها. ولهذا قال: ﴿زَيْتُ الْكَافِرِينَ﴾.

ثم قال: ﴿وَلَهُ الْكَرِيمَاتُ فِي السَّعِيرَاتِ وَالْآزِفِينَ﴾ قال مجاهد: يعني السلطان؛ أي: هو العظيم المُتَّجِد، الذي كل شيء خاضع لديه فقير إليه.

وقد ورد في الحديث الصحيح: «يقول الله تعالى: العظمة إزارى، والكبرياء رداي، فمن نازعني واحدًا منها أسكتته ناري» [رواه مسلم]. وقوله: ﴿وَهُوَ الْمَسِيرُ﴾ أي: الذي لا يُغَالَب ولا يُبَالَع.

﴿الْحَكِيمُ﴾ في أقواله وأفعاله، وشرعه وقدره تعالى وتقدس لا إله إلا هو.

### تفسير سورة الأحقاف

وهي مكية، [وعدد آياتها (٣٥) آية].

الآية (١-٥): يُخَبِّرُ تعالى أنه نَزَّلَ الكتاب على عبده ورسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين، وَوَصَفَ نفسه بالعبزة التي لا تُرَام، والحكمة في الأقوال والأفعال.

ثم قال تعالى: ﴿مَّا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ أي: لا على وجه العبث والباطل.

﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ أي: إلى مدة معينة مضرورية لا تزيد ولا تنقص. قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾ أي: لاهون عما يُرَاد بهم، وقد أنزل الله تعالى إليهم كتاباً، وأرسل إليهم رسولاً، وهم

معرضون عن ذلك كله، أي: وسيعلمون عِبَّ ذلك. ثم قال: ﴿قُلْ﴾ أي: هؤلاء المشركين العابدين مع الله غيره: ﴿أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾ أي: أرشدوني إلى المكان الذي اشتغلوا بخلقها من الأرض.

﴿أَلَمْ تَكُن مِّن دُونِ اللَّهِ فِي السَّمَوَاتِ﴾ أي: ولا شريك لهم في السموات ولا في الأرض، وما يملكون من قطمير، إِنْ السُّلُكُ وَالنَّصْرُفُ كُلُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، فكيف تعبدون معه غيره، وتُسْرِكُون به؟ من أَرْشَدَكُمْ إلى هذا؟ من دعاكم إليه؟ أهو أَمَرَكُمْ به؟ أم هو شيء أَفْتَرَحْتُمُوهُ من عند أنفسكم؟ ولهذا قال: ﴿أَنذَرْتُ بِكِتَابٍ مِن قَبْلِ هَذَا﴾ أي: هاتوا كتاباً من كُتُبِ الله المُنَزَّلَةِ على الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - يأمركم بعبادة هذه الأصنام.

﴿أَوِ انذَرْتُمَنَّا عَلِيًّا﴾ أي: دليل بين على هذا المَسْلِكِ الذي سَلَكَتُمُوهُ ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أي: لا دليل لكم تَقْلِيًّا ولا عَقْلِيًّا على ذلك؛ ولهذا قرأ آخرون: «أو أنذروا من علم» أي: أو علم صحيح يَأْتِرُونَهُ عن أحد عَمَّن قبلهم.

كما قال مجاهد في قوله: ﴿أَوِ انذَرْتُمَنَّا عَلِيًّا﴾: أو أحد يَأْتِرُ عَلِيًّا. قال ابن عباس: أو بَيِّنَةٌ من الأمر. وقال أبو بكر بن عباس: أو بقية من علم. وقال الحسن البصري: ﴿أَوِ انذَرْتُمَنَّا﴾ شيء يستخرجه قِيَرُهُ. وقال ابن عباس ومجاهد وأبو بكر بن عباس أيضاً: ﴿أَوِ انذَرْتُمَنَّا عَلِيًّا﴾ يعني الخط. وقال قتادة: ﴿أَوِ انذَرْتُمَنَّا عَلِيًّا﴾: خاصة من علم. وكل هذه الأقوال متقاربة، وهي راجعة إلى ما قلناه، وهو اختيار ابن جرير.

وقوله: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾ أي: لا أَضَلُّ مِمَّن يدعوا أصناماً، ويطلُب منها ما لا تستطيحه إلى يوم القيامة، وهي غافلة عما يقول، لا تَسْمَع ولا تُبْصِر ولا تُبْطِش؛ لأنها جاد حجارة صُم.



## ● الوقفات التدريبية

### ❶ ﴿وَعَزَّزْنَا لَئِيَّوَهُ الدُّنْيَا﴾

خدعتكم باباطيلها وزخارفها، فظننتم ان ليس ثم غيرها وان لا بعث.  
القرطبي: ١٧٣/١٩.

السؤال: كيف غرهم الدين؟

### ❷ ﴿فَلِلَّهِ الْمُنَدُّ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْمَلَكِينَ﴾

اعاد ذكر الرب تنبيهاً على ان حفظه للخلق وتربيته لهم ذو ألوان بحسب  
شؤون الخلق: فحفظه لهذا الجزء على وجه يفاير حفظه لجزء آخر،  
وحفظه لكل من حيث هو كل على وجه يفاير حفظه لكل جزء على  
حده، مع ان الكل بالنسبة إلى تمام القدرة على حد سواء. البقاعي: ١١٦/١٨.

السؤال: لماذا اعاد ذكر الرب؟

### ❸ ﴿فَلِلَّهِ الْمُنَدُّ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْمَلَكِينَ﴾ ❸ ﴿وَلَهُ الْكِبَرِيَّةُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

والعبادة مبنية على ركنين: محبة الله، والذل له، وهما ناشئان عن  
العلم بمحامد الله وجلاله وكبريائه. السعدي: ٧٧٩.

السؤال: ما اركان العبادة وممّ تنشأ؟

### ❹ ﴿وَلَهُ الْكِبَرِيَّةُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ أَعْلَمُ الْغُيُوبِ﴾

عن ابي هريرة رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: ( يقول الله تبارك  
وتعالى: الكبرياء ردائي والعظمة اِزاري، فمن نازعني واحدا منهما عقبت  
في النار ). الشوكاني: ١٢/٥.

السؤال: بين اختصاص الله سبحانه بالكبرياء من السنة النبوية.

### ❺ ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ ❻ ﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾

لما بين إنزال كتابه المتضمن للأمر والنهي ذكر خلقه السماوات والأرض،  
فجمع بين الخلق والأمر: (له الخلق والأمر) للأعراف: ٥٤. السعدي: ٧٧٩.

السؤال: لماذا ذكر خلق السموات والأرض وما بينهما بعد ذكر تنزيل الكتاب؟

### ❻ ﴿وَمَنْ أَسْأَلْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَهٌ إِلَّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَفُولُونَ﴾

معناها: لا احد اضل ممن يدعو لها لا يستجيب له؛ وهي الأصنام؛ فإنها لا تسمع  
ولا تعقل، ولذلك وصفها بالغفلة عن دعائهم لأنها لا تسمعه. ابن جزي: ٣٣٦/٢.

السؤال: دعاء من لا يسمع نوع من الجهل والضلال، وضع ذلك من الآية.

### ❿ ﴿وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَفُولُونَ﴾

وانما عنى بوصفها بالغفلة: تمثيلها بالإنسان الساهي عما يقال له؛ إذ  
كانت لا تفهم مما يقال لها شيئا كما لا يفهم الغافل عن الشيء ما  
غفل عنه. وانما هذا توبيخ من الله لهؤلاء المشركين لسوء رايهم، وقبح  
اختيارهم في عبادتهم من لا يعقل شيئا ولا يفهم. الطبري: ٩٥/٢٢.

السؤال: ما وجه وصف الآلهة التي يدعوها المشركون بالغفلة؟ وما المراد منه؟

وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتٍ مَا عَمِلُوا وَصَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ  
❶ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسِفُكُمْ كَمَا نَسِفْنَا لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمْ النَّارُ  
وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ❷ ذَلِكَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ❸ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا  
وَعَزَّزْنَا لَئِيَّوَهُ الدُّنْيَا فَاَلْقَيْنَا لَئِيَّوَهُمْ مَتَاعًا لَّهِمْ يُسْتَعْتَبُونَ  
❹ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ❺  
وَلَهُ الْكِبَرِيَّةُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ❻

سُورَةُ الْأَحْقَابِ ١٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

❶ حَمْدُ تَنْزِيلِ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ❷ مَا خَلَقْنَا  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ  
كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُّعْرِضُونَ ❸ قُلْ آتَاكُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ  
دُونِ اللَّهِ أَوْ زُيِّنَ لَكُمْ مَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي  
السَّمَوَاتِ أَتَقُولُونَ بِكُتُبٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ  
صَادِقِينَ ❹ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ  
لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِلَهٌ إِلَّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَفُولُونَ ❺

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
وَصَاقَ بِهِمْ	نَزَلَ بِهِمْ.
نَنْسِفُكُمْ	نَتْرُكُكُمْ فِي الْعَذَابِ.
وَمَاوَاكُمْ	مَنْزَلُكُمْ وَمَقَرُّكُمْ.
وَعَزَّزْنَا	خَدَعْنَاكُمْ.
وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ	لَا يُطْلَبُ مِنْهُمْ أَنْ يُرْضُوا رَبَّهُمْ بِالتَّوْبَةِ وَالطَّاعَةِ.
لَهُمْ شِرْكٌ	شِرْكَةٌ وَنَصِيبٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ

## ● العمل بالآيات

١. قل: اللهم اعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسِفُكُمْ كَمَا نَسِفْنَا لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾.
٢. قل عندما تصبح: «سبحان الله وبحمده» مائة مرة، وكذلك عندما تُمسي، ﴿فَلِلَّهِ الْمُنَدُّ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْمَلَكِينَ﴾.
٣. اركع في صلاتك اليوم ركوعا طويلا مسجحا الله بما له من صفات التعظيم، ﴿وَلَهُ الْكِبَرِيَّةُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ أَعْلَمُ الْغُيُوبِ﴾.

## ● التوجيهات

١. طول الأمل والاعتراض بالدنيا من اسباب حلول العقاب، ﴿وَعَزَّزْنَا لَئِيَّوَهُ الدُّنْيَا﴾.
٢. تذكر ان كل ما اخفيته يتبدى ويظهر يوم القيامة، ﴿وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتٍ مَا عَمِلُوا﴾.
٣. ابتعد عن خلق الاستهزاء والسخرية خاصة بشعائر الدين فعواقبها وخيمة، ﴿وَصَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿ كُنْ يَوْمَ تُنْفَخُ الْبُيُوتُ مِنَ الْأَرْضِ رَاسًا لَا يَسْتَوِي ۚ وَهُوَ الْمُغْفُورُ الرَّحِيمُ ۝ ﴾

ففي هذا الختام ترغيب للنبي في الصفح عنهم فيما نسبوه إليه في افتتاحها من الافتراء، ونذب إلى الإحسان إليهم، وترغيب لهم في التوبة البقاعي: ١٣٢/١٨.

السؤال: ما دلالة ختم الآية بصفتي الغفور والرحيم له سبحانه؟

﴿ كُنْ يَوْمَ تُنْفَخُ الْبُيُوتُ مِنَ الْأَرْضِ رَاسًا لَا يَسْتَوِي ۚ وَهُوَ الْمُغْفُورُ الرَّحِيمُ ۝ ﴾

هذا تهديد لهم ووعيد أكيد، وترهيب شديد، وقوله جل وعلا: (وهو الغفور الرحيم) ترغيب لهم إلى التوبة والإنابة؛ أي: ومع هذا كله إن رجعتم وتبتم تاب عليكم وعفا عنكم وغفر ورحم. ابن كثير: ١٥٧/٤.

السؤال: دائماً ما يقرن الله بين الترغيب والترهيب في كتابه، بين ذلك من خلال هذه الآية.

﴿ قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ ۚ ﴾

(من) ابتدائية: أي ما كنت أتياً منهم بديعاً غير مماثل لهم؛ فكما سمعتم بالرسول الأولين أخبروا عن رسالة الله إليهم فكذا أنا، فلماذا يعجبون من دعوتي. وهذه الآية صالحة للرد على نصارى زماننا الذين طعنوا في نبوته بمطاعن لا منشأ لها إلا تضليل وتمويه على عامتهم؛ لأن الطاعنين ليسوا من الغباوة بالذين يخفى عليهم بهتانهم. ابن عاشور: ٢٦/١٧.

السؤال: كيف ترد بهذه الآية الكريمة على النصارى؟

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ ۚ ﴾

وأما أهل السنة والجماعة فيقولون في كل فعل وقول لم يثبت عن الصحابة - رضي الله عنهم - هو بدعة؛ لأنه لو كان خيراً لسبقونا إليه؛ لأنهم لم يتركوا خصلة من خصال الخير إلا وقد بادروا إليها. ابن كثير: ١٥٩/٤.

السؤال: ما الفرق بين قول المشركين وقول أهل السنة والجماعة في الصحابة؟

﴿ إِنَّا الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمْنَا فَالْخَوْفُ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ ﴾

الذين جمعوا بين التوحيد الذي هو خلاصة العلم، والاستقامة في الدين التي هي منتهى العمل. الألوسي: ٢٥٠/٢٤٠.

السؤال: ما المقصود بقوله تعالى: (قالوا ربنا الله ثم استقاموا)؟

﴿ إِنَّا الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمْنَا فَالْخَوْفُ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ ﴾

إشارة إلى أن هيبته بالنظر إلى جلاله وقهره وجبروته وكبره وكماله لا تنتفي، ويحصل للإنسان باستحضارها إكبات وطمانينة ووقار وسكينة يزيد في نفسه جلالاً ورفعةً وكمالاً، فالنفسى خوف يلقى

النفس. البقاعي: ١٤٤/١٨.

السؤال: ما نوع الخوف المنفي هنا؟

﴿ أُولَئِكَ أَحَبُّ إِلَٰهِنَا حَلِيلِينَ فِيهَا جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ ﴾

العباد لا يزالون مقصرين محتاجين إلى عفو ومغفرته؛ فلن يدخل أحد الجنة بعمله، وما من أحد إلا وله سيئات يحتاج فيها إلى مغفرة الله

لها؛ (ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة) [فاطر: ١٤٥]. وقوله ﷺ: (لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله) لا يناقض قوله تعالى: (جزاء بما كانوا يعملون) ... فالعمل لا يقابل الجزاء وإن كان

سبباً للجزاء، ولهذا من ظن أنه قام بما يجب عليه، وأنه لا يحتاج إلى

مغفرة الرب تعالى وعفو فهو ضال. ابن تيمية: ٥٩٤/٥.

السؤال: كيف تجمع بين قوله ﷺ: (لن يدخل الجنة أحد بعمله) وقوله تعالى: (جزاء بما كانوا يعملون)؟

وَلَا تُحْشِرْ النَّاسَ كَالْحُوشِ أَعْدَاءَهُمْ ۚ وَكَأَنَّهُمْ بَعِيدُونَ ۝ وَلَٰذَا نُنْشِئُ عَلَيْهِمُ آيَاتًا لِّيَنْتَبِهُوا ۚ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُؤْتَمِنٌ ۝ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفْعِلُونَ ۚ فِيهِ كُنْ يَوْمَ تُنْفَخُ الْبُيُوتُ مِنَ الْأَرْضِ رَاسًا لَا يَسْتَوِي ۚ وَهُوَ الْمُغْفُورُ الرَّحِيمُ ۝ قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ ۚ وَمَا أَدْرِي مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنَّا جَاءَ الْإِنشَاءَ إِلَّا مَا يَوْحِيَ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ۝ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى نَفْسِهِ فَأَمَنَ وَأَسْتَكْبَرُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِمْ فَسَيَقُولُونَ هَذَا أَفْكٌ قَدِيمٌ ۝ وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبْتُ مُوتَ حَتَّىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِمَا نَزَّلْنَا لِنُذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا ۚ أَوَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ حُسْنُ الذِّكْرِ ۝ إِنَّا الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمْنَا فَالْخَوْفُ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ أُولَئِكَ أَحَبُّ إِلَٰهِنَا حَلِيلِينَ فِيهَا جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
افْتَرَاهُ	اخْتَلَقَهُ.
تُفْعِلُونَ فِيهِ	تَقُولُونَ فِي الْقُرْآنِ.
بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ	أَوَّلُ رُسُلِ اللَّهِ إِلَى خَلْقِهِ.
أَرَأَيْتُمْ	أَخْبِرُونِي.
وَشَهِدَ شَاهِدٌ	كَعَبِدَ اللَّهُ بِنِ سَلَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
إِفْكٌ قَدِيمٌ	كَذِبٌ مَأْثُورٌ عَنِ النَّاسِ الْأَقْدَمِينَ.
اسْتَقَامُوا	قَبِلُوا عَلَى الْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ.

## ● العمل بالآيات

١. ابحث عن بدعة موجودة بين الناس وانصح بعض من حولك بتركها،

﴿ إِنَّا أَنشَأْنَاهُ إِلَّا مَا يَوْحِيَ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ۝ ﴾

٢. ابحث عن خير واسبق غيرك إلى فعله هذا اليوم، ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ ۚ ﴾

٣. قل: ربى الله، ثم اجتهد في تطبيق جميع العبادات في ذلك اليوم على أتم وجه، ﴿ إِنَّا الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمْنَا فَالْخَوْفُ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ ﴾

## ● التوجيهات

١. الرسول ليس له إلا أن يتبع ما يوحى إليه، فنحن من باب أولى، ﴿ إِنَّا أَنشَأْنَاهُ إِلَّا مَا يَوْحِيَ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ۝ ﴾

٢. الإحصاب بالنفس سبب من أسباب البعد عن الهداية، ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ ۚ ﴾

٣. فضل الاستقامة على الدين وأهميتها، ﴿ إِنَّا الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمْنَا فَالْخَوْفُ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ ﴾

أَحَدًا بَعْدَهُ أَبَدًا. وَأَحْزَنَنِي ذَلِكَ، فَنَمَتُ فَرَأَيْتُ لِعُثْمَانَ عَيْنًا نَجْرِي، فَجِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ بِذَلِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ذَلِكَ عَمَلُهُ». انْفَرَدَ بِإِخْرَاجِهِ الْبَخَارِي. وَفِي هَذَا وَأَمْثَالِهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُ لَا يَقْطَعُ لِمَعْنَى بِالْجَنَةِ إِلَّا الَّذِي نَصَّ الشَّارِعُ عَلَى تَعْيِينِهِمْ؛ كَالْعَمْرَةِ، وَابْنِ سَلَامٍ، وَالْمُغْصَاءِ، وَبِلَالٍ، وَشُرَاقَةَ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ حَرَامٍ، وَالِدَ جَابِرٍ، وَالْقُرَّاءَ السَّبْعِينَ الَّذِينَ قُتِلُوا بِبَيْتِ مَعُونَةَ، وَزَيْدَ بْنِ حَارِثَةَ، وَجَعْفَرَ، وَابْنَ رَوَاحَةَ وَمَا أَشْبَهَ هَؤُلَاءِ ﷺ. وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّا أَنْتُمْ إِلَّا بِالْأَمْرِ إِلَىٰ إِلَهِكُمْ﴾ أَي: إِنَّمَا أَنْتُمْ مَا يَنْزِلُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنَ الْوَحْيِ، «وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ» أَي: بَيْنَ النَّذَارَةِ، وَأَمْرِي ظَاهِرٌ لِكُلِّ ذِي لُبٍّ وَعَقْلٍ.

الآية (١٠-١٤): يقول تعالى: ﴿قُلْ﴾ يا محمد هؤلاء المشركين الكافرين بالقرآن: ﴿أَوَلَمْ يَسْمِعُوا كَلَامَ﴾ هذا القرآن ﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرُوا بِهِ؟﴾ أي: ما ظنكم أن الله صانع بكم إن كان هذا الكتاب الذي جئتكم به قد أنزله علي لأبلغكموه وقد كفرت به وكذبتموه؟! ﴿قُلْ﴾

﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَقَامُنَ﴾ أي: هذا الذي شَهِدَ

بِصَدَقِهِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لِمَعْرِفَتِهِ بِحَقِّيَّتِهِ، ﴿وَاسْتَغْبِرْهُمْ﴾ أَنْتُمْ عَنْ اتِّبَاعِهِ. وَقَالَ مَسْرُوقٌ: فَأَمَّنْ هَذَا الشَّاهِدَ بَنِيَّهِ وَكَتَابَهُ، وَكَفَرْتُمْ أَنْتُمْ بَنِيَّكُمْ

وكتابكم. ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾. وهذا الشاهد اسم جنس  
يَعْنِي عبد الله بن سلام وغيره؛ فإن هذه الآية مكية نزلت قبل إسلام عبد الله

بن سلام. واختاره ابن جرير. وعن عامر بن سعد، عن أبيه قال: ما سمعت رسول الله ﷺ يقول لأحد يمشي على وجه الأرض: «إنه من أهل الجنة»،

الإلعبد الله بن سلام، قال: وفيه نزلت: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ﴾ [مضى عليه]. وكذا قال ابن عباس ومجاهد والضحاك وقتادة وعكرمة

ويوسف بن عبد الله بن سلام وهلال بن يساف والسُّدِّي والثوري ومالك ابن أنس وابن زيد؛ أنهم كلهم قالوا: إنه عبد الله بن سلام. وقوله: ﴿وَقَالَ

كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ ۖ أَيْ: قَالُوا عَنِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْقُرْآنِ: لَوْ كَانَ الْقُرْآنُ خَيْرًا مَّا سَبَقْنَا هَؤُلَاءِ إِلَيْهِ. يَعْنُونَ بِلَاأَلَا

وَعَمَّا رَأَوْهُمُ خَجَلًا وَأَشْبَاهُهمُ وَأَقْرَانَهُمُ مِنَ الْمُسْتَضْعِفِينَ وَالْعَبِيدِ  
وَالْإِمَاءِ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِأَنَّهُمْ عِنْدَ أَنْفُسِهِمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَجَاهَةً

وله بهم عناية. وقد غَلِطُوا في ذلك غَلَطًا فَاحِشًا، وأَخْطَوْا خَطَأً بَيِّنًا. وأهل السنة والجماعة يقولون في كل فعل وقول لم يثبت عن الصحابة: هو

بدعة؛ لأنه لو كان خيراً لسبقونا إليه؛ لأنهم لم يتزكوا خصلةً من خصال الخير إلا وقد بادروا إليها. وقوله: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ﴾ أي: بالقرآن

﴿فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِنْكَ﴾ أي: كَذِبٌ ﴿قَدِيمٌ﴾ أي: ماثور عن الأقدمين، فيستقصون القرآن وأمله، وهذا هو الكبير الذي قال رسول الله ﷺ: ﴿بَطَرُ

الحق، وغمط الناس» (رواه مسلم).

﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبْتُ مُوسَى﴾ وهو التوراة ﴿إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا

﴿ كَتَبَ ﴾ يعني: القرآن ﴿ مُصَدِّق ﴾ أي: لما قبله من الكتب ﴿ إِنْسَانًا عَرَبِيًّا ﴾ أي: فصيحًا بَيِّنًا واضحًا، ﴿ يُنذِرُ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ وَيُشْرِي

﴿لِلْمُحْسِنِينَ﴾ أي: مشتمل على النذارة للكافرين والبشارة للمؤمنين.  
﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَوْا﴾ تقدم تفسيرها في سورة

«حم، السجدة». ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ أي: فيما يَسْتَقِيلُونَ، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على ما خَلَّفُوا، ﴿أَوَلَيْكَ الْجَنَّةُ خَالِدِينَ فِيهَا جِزَاءَ مَا

كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٠﴾ أَي: الْأَعْمَالِ سَبَبَ لِنَيْلِ الرَّحْمَةِ لَهُمْ وَتُبُوغِهَا عَلَيْهِمْ.

الآية (٦): قوله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ ﴿٦﴾ قوله تعالى: ﴿وَلْتَحَذِّرُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّ إِلَهًا يَكُونُ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿٧﴾ كَلَّا سَيَكُونُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَكَوْنُوا عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ ﴿٨﴾ (مریم: ٨١، ٨٢)  
أَي: سَيَحُونُوهُمْ أَوْجَحَ مَا يَكُونُونَ إِلَيْهِمْ، وَقَالَ الْخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنَّمَا تَحَذَّرُونَ دُونَ اللَّهِ أَوْلَىٰ مَرَدَّةً يَتَّبِعُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْمِزُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَمَا كُنْتُمْ تَصِيرُونَ﴾ ﴿٩﴾ (العنكبوت: ٢٥).

الآية (٧-٩): يقول ﷺ مُخْرَجًا عن المشركين في كُفْرهم وعنادهم: أنهم إذا تَمَتَّل عليهم آيات الله بيناتٍ؛ أي: في حال بينائها ووضوحها وجلالتها، يقولون: «هَذَا سِحْرٌ قَدِيمٌ» أي: سِحْرٌ واضح، وقد كَلَبُوا واقتروا وَصَلُّوا وكفروا، «أَمْ يَقُولُونَ أَفَنَمَلٌ يَعْنُونَ: محمدًا ﷺ قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ أَفْتَرَيْتُمْ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ أي: لو كَذَّبْتُ عليه وَرَعَمْتُ أَنَّهُ أُرْسِلَنِي -وليس كذلك- لعاقبتي أَشَدَّ العقوبة، ولم يَقْتُلْ أحد من أهل الأرض، لا أنتم ولا غيركم، أن يُخْرِجَنِي منه؛ ولهذا قال هنا: ﴿قُلْ إِنْ أَفْتَرَيْتُمْ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَشَدُّ بِمَانِئُصُونٍ بِرَبِّكَ إِنَّكَ مِنْكُمْ وَرَبُّكَ﴾ هذا تهليل لهم، ووعد أكيد وترهيب شديد.

وقوله: ﴿وَمَا أَتَفْقَرُونَ الرَّحِيمَ﴾: ترغيب لهم إلى التوبة والإنابة؛ أي: ومع هذا كله إن رجعتُمْ ونبُتُمْ، تاب عليكم وعفا عنكم، وعَفَّرَ لَكُمْ وَرَحِمَ. وقوله: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَايِنِ الرَّسُلِ﴾: أي: لست بأول رسول طَرَقَ العالم، بل قد جاءت الرُّسُل من قبلي، فإنا أنا بالأمر الذي لا نظير له حتى تستكروني وَتَسْتَعْمِلُوا بَعْضِي اليكُم؛ فإنه قد أُرْسِلَ الله قبلي جميع الأنبياء إلى الأمم. قال ابن عباس ومجاهد وقفاة: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَايِنِ الرَّسُلِ﴾: ما أنا بأول رسول. ولم يَحْكُ ابن جرير ولا ابن أبي حاتم غير ذلك.

﴿وَمَا أَدْرِ مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ قال ابن عباس في هذه الآية: نَزَلَ بعدها: ﴿لِيُغَيِّرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢٧]. وهكذا

قال عكرمة والحسن وقتادة: إنها منسوخة بقوله: ﴿يَغْفِرْ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢]. وقال الضحاك: ﴿وَمَا أَذْرَى مَا

يُفْعَلُ بِي وَلَا يَكْرَهُ: ما أدري بماذا أُؤْمَرُ، وبماذا أُنْهَى بعد هذا؟! وقال الحسن البصري: أما في الآخرة فَمَعَاذَ اللَّهِ: قد عَلِمَ أنه في الجنة، ولكن

قال: لا أدري ما يُفعلُ بي ولا بكم في الدنيا، أُخْرِجُ كما أُخْرِجَتِ الأنبياء من قبلي؟! أم أَقْتُلُ كما قُتِلَتِ الأنبياء من قبلي؟! ولا أدري

أَيُخَسِّفُ بِكُمْ أَوْ تُرْمَوْنَ بِالْحِجَارَةِ؟! وهذا القول هو الذي عَوَّلَ عليه ابن جرير، وأنه لا يجوز غيره، ولا شك أن هذا هو اللائق به صلوات

الله وسلامه عليه؛ فإنه بالنسبة إلى الآخرة جازم أنه يصير إلى الجنة هو ومن اتبعه، وأما في الدنيا فلم يَدْر ما كان يُؤَوِّل إليه أمره وأمر مشركي

قريش إلى ماذا: أيؤمنون أم يكفرون، فَيُعَذَّبُونَ فَيُتَصَلَّوْنَ  
بكفرهم؟! عن أم العلاء -وكانت بايعت رسول الله ﷺ- قالت:

طار لهم في السكنى حين اقترعت الأنصار على سكنى المهاجرين عثمان بن مظعون. فاشتكى عثمان عندنا فمَرَضْنَاهُ، حتى إذا توفي

أدرجناه في أثوابه، فدخل علينا رسول الله فقلت: رحمة الله عليك أبا السائب، شهادتي عليك، لقد أكرمك الله. فقال رسول الله ﷺ: «وما

يَدْرِيكَ أَنْ اللَّهَ أَكْرَمُهُ؟!» فَقُلْتُ: لَا أَدْرِي بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَّا هُوَ فَقَدْ جَاءَهُ الْيَقِينُ مِنْ رَبِّهِ، وَإِنِّي لِأَرْجُو لَهُ الْخَيْرَ،

والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي! قال: فقلت: والله لا أركي

والإنا هذا عالمٌ في كل من عَقِّ والديه وكَذَّبَ بالحقِّ، فقال لوالديه: ﴿أَبِ لَكُمَا عَقُّهَا﴾.

وعن يوسف بن ماهك قال: كان مزوان على الحجاز، استعمله معاوية بن أبي سفيان، فحَطَّبَ وجَمَلَ يَزِيدُ بن معاوية لكي يُبَاعَ له بعد أبيه، فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر شيئاً، فقال: خُذْوه. فدخل بيت عائشة، فلم يقدروا عليه، فقال مروان: إن هذا الذي أنزل فيه: ﴿وَالَّذِي قَالَ لَوْلَايَ أُبَيُّ لَكُمَا أُخَذَتَانِي أَنْ أُنَجِّجَ وَفَدَّ حَلَّتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي﴾ فقالت عائشة من وراء الحجاب: ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن، إلا أن الله أنزل عُذْرِي [رواه البخاري].

وقوله: ﴿أَعِدَّتَنِي أَنْ أُنَجِّجَ﴾ أي: أُبْعَثَ، ﴿وَفَدَّ حَلَّتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي﴾ أي: قد مضى الناس فلم يرجع منهم مُخَرِّ، ﴿وَهُمَا يَسْتَنْبِئَانِ اللَّهَ﴾ أي: يسألان الله فيه أن يهديه ويقولان لولدهما: ﴿وَبِكَأَمِينٍ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ قال الله: ﴿أَوَلَيْكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أَمْرٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْآيَاتِ وَالَّذِينَ كَانُوا حَاسِرِينَ﴾ أي: دخلوا في زُمرَةِ أشباههم وأضرابهم من الكافرين الخاسرين أنفسهم وأولادهم يوم القيامة.

وقوله: ﴿أَوَلَيْكَ﴾ بعد قوله: ﴿وَالَّذِي قَالَ﴾ دليل على ما ذكرناه من أنه جُنُسٌ يُعْمُ كل من كان كذلك. وقال الحسن وقناة: هو الكافر الفاجر العاق لوالديه، المُكذِّبُ بالبعث.

وقوله: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مَّعَالِمٌ﴾ أي: لكل عذاب بحسب عمله، ﴿وَلِكُلِّ قَبْرٍ مَّعَالِمٌ﴾ أي: لا يظلمهم مثقال ذرة فما دونها. قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: درجات النار تذهب سِفَلاً، ودرجات الجنة تذهب عُلُوًّا.

وقوله: ﴿وَيَوْمَ يَرْضَى الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَدْبَتُمْ لِيُنَبِّئُكُمُ حَيَاتُكُمْ الدُّنْيَا وَأَسْتَنْتَمْتُمْ بِهَا﴾ أي: يقال لهم ذلك تَقْرِيعاً وتوبيخاً. وقد تَوَرَّعَ عمر ابن الخطاب عن كثير من طَيِّبَاتِ المأكَلِ والمشاربِ، وتَنَزَّهَ عنها، ويقول: إني أخاف أن أكون كالذين قال الله تعالى لهم وقرعهم: ﴿أَدْبَتُمْ لِيُنَبِّئُكُمُ حَيَاتُكُمْ الدُّنْيَا وَأَسْتَنْتَمْتُمْ بِهَا﴾.

وقال أبو جَلْزَل: لِيَقْتَدَنَّ أَقْوَامٌ حَسَنَاتٍ كَانَتْ لَهُم فِي الدُّنْيَا، فَيَقَالَ لَهُم: ﴿أَدْبَتُمْ لِيُنَبِّئُكُمُ حَيَاتُكُمْ الدُّنْيَا﴾.

وقوله: ﴿فَالْيَوْمَ يَجْزُونَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْتَحُونَ﴾ فجوزوا من جنس عملهم، فكما نَعَمُوا أنفسهم واستكبروا عن اتباع الحقِّ، وتَعَاظَمُوا الفِسْقَ والمعاصي، جازاهم الله بعذاب السُّهُونِ، وهو الإهانة والجِزْيُ والآلام المَوْجِعة، والمحسرات المتتابعة، والمنازل في الدَّرَجَاتِ المَظْلُعة، أجارنا الله من ذلك كله.

الآية (١٥-١٦): لَمَّا ذَكَرَ تعالى في الآية الأولى التوحيد له وإخلاص العبادة والاستقامة إليه، عَطَفَ بالوصية بالوالدين، كما هو مقرون في غير ما آية من القرآن؛ كقوله: ﴿وَوَقَّعْنِي زَيْدٌ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَإِلَّا لِلَّذِينَ احْسَنَّا﴾ [الإسراء: ٢٣] وقال: ﴿أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْلَايَكَ إِلَى الْمَصِيرِ﴾ [لقمان: ١٤]، إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة. وقال ههنا: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ احْسَنًا﴾ أي: أَمَرْنَاهُ بالإحسان إليهما والخُتُّ عليهما. عن سعد [بن أبي وقاص] قال: قالت أم سعد لسعد: اليس قد أَمَرَ الله بطاعة الوالدين، فلا أكل طعاماً، ولا أَشْرَبَ شراباً حتى تكفر بالله. فامتنت من الطعام والشراب، حتى جَعَلُوا يفتحون فاهما بالعصا، ونَزَلَتْ هذه الآية: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ احْسَنًا﴾ الآية [المنكوت: ٨] [رواه مسلم].

﴿حَمَلَتْهُ أُمُّ كُرْهًا﴾ أي: قَاسَتْ بسببه في حال حملهِ مَشَقَّةً وَتَعَبًا، من وَحَامٍ وغشيانٍ وثِقَلٍ إلى غير ذلك مما تَنَالَ الحوامل من التَّعَبِ والمَشَقَّةِ، ﴿وَوَصَّيْنَاهُ كُرْهًا﴾ أي: بِمَشَقَّةٍ أَيْضًا من الطَّلُقِ وشِدَّتِهِ، ﴿وَحَمَلُهُ وَفَصَلَّهُ، نَلْتَشُونَ شَرًّا﴾ وقد استدلت عَلَيَّ هذه الآية مع التي في لقمان: ﴿وَفَصَلَّهُ فِي عَمَامَةٍ﴾ [لقمان: ١٤]، وقوله: ﴿وَالْوَالِدَتُ يُرِضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنْفِقَ رِزْقًا﴾ [البقرة: ٢٣٣]، على أن أقل مدة الحمل سنة أشهر، وهو استنباط قوي صحيح. ووافقه عليه عثمان وجماعة من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ أي: قَوِيَّ وَشَبَّ وَارْتَجَلَ ﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ أي: تَنَاهَى عَقْلُهُ وَكَمَلَ فَهْمُهُ وَحِلْمُهُ. ويُقال: إنه لا يَتَغَيَّرُ غالباً عَمَّا يَكُونُ عليه ابن الأربعين. ﴿قَالَ رَبِّ ارْزُقْنِي﴾ أي: أَهْمْنِي ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَلَدِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾ أي: في المستقبل، ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾ أي: نَسْلِي وَعَقْبِي، ﴿إِنِّي نَبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ وهذا فيه إرشاد لمن بَلَغَ الأربعين أن يُجَدِّدَ التَّوْبَةَ والإنابة إلى الله تَعَالَى وَيَغْزِمَ عليها.

قال الله تعالى: ﴿أَوَلَيْكَ الَّذِينَ تَقْبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَتَتَجَاوَرُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ أي: هؤلاء الْمُتَصَفُّونَ بِمَا ذَكَّرْنَا، النَّاثِبُونَ إلى الله المُنِيبُونَ إِلَيْهِ، المُسْتَدْرِكُونَ مَا فَاتَ بالتَّوْبَةِ والاستغفار، هم الذين يَتَقَبَّلُ عنهم أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا، وَتَتَجَاوَرُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ، فَيَغْفِرُ لَهُمُ الْكثيرَ من الرِّزْلِ، وَيَتَقَبَّلُ منهم اليسيرَ من العمل، ﴿فِي أَحْصَى الْجَنَّةَ﴾ أي: هم في جملة أصحاب الجنة، وهذا حكمهم عند الله كما وَعَدَ الله من تاب إليه وأُتَابَ، ولهذا قال: ﴿وَعَدَ الْوَصْدِيُّ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾.

الآية (١٧-٢٠): لَمَّا ذَكَرَ تعالى حال الدَّاعِينَ للوالدين البارين بهما وما لهم عنده من الفوز والنجاة، عَطَفَ بحال الأشقياء العاقِبِينَ للوالدين فقال: ﴿وَالَّذِي قَالَ لَوْلَايَ أُبَيُّ لَكُمَا﴾ وهذا عالمٌ في كُلِّ من قال هذا، ومن رَعِمَ أنها نَزَلَتْ في عبد الرحمن بن أبي بكر فقوله ضعيف؛ لأن عبد الرحمن بن أبي بكر أسلم بعد ذلك وَحَسُنَ إسلامه، وكان من خيار أهل زمانه.



## ● الوقفات التذيرية

﴿ وَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كَرَمًا وَوَضَعَتْهُ كَرَمًا وَنَحَلَهُ وَصَلَهُ وَنَلَّوْنُ شَهْرًا ﴾

إشارة إلى أن حق الأم أكد من حق الأب؛ لأنها حملته بمشقة، ووضعتة بمشقة، وارضعته هذه المدة بتعب ونصب، ولم يشار كرها الأب في شيء من ذلك الشوكاني: ١٨/٥.

السؤال: هورت الآية بر الوالدين جميعاً، ولكنها اشارت إلى أن حق الأم أكد بين ذلك.

﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَنَسَّ أُمُّهُ بِلَاحٍ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي بُنِيتُ إِلَيْكَ وَلَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾

فيه إرشاد لمن بلغ الأربعين أن يجدد التوبة والإنابة إلى الله عز وجل ويعزم عليها. ابن كثير: ١٦/٤.

السؤال: ما الإرشاد الذي تدل عليه الآية لمن بلغ أربعين سنة؟

﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَنَسَّ أُمُّهُ بِلَاحٍ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي بُنِيتُ إِلَيْكَ وَلَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾

وإنما خص زمان بلوغه الأشد لأنه زمن يكثر فيه الكلف بالسعي للرزق؛ إذ يكون له فيه زوجة وأبناء، وتكثر تكاليف المرأة؛ فيكون لها فيه زوج وبيت وأبناء، فيكونان مظنة أن تشغلها التكاليف عن تعهد والديهما والإحسان إليهما، فنبها بأن لا يضترأ عن الإحسان إلى الوالدين. ابن عاشور: ٣٢/٢٦.

السؤال: لماذا خص زمان بلوغ الأشد في الآية الكريمة؟

﴿ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ ﴾

والنعم على الوالدين نعم على أولادهم وذريتهم؛ لأنهم لا بد أن ينالهم منها ومن أسبابها وآثارها، خصوصاً نعم الدين؛ فإن صلاح الوالدين بالعلم والعمل من أعظم الأسباب لصلاح أولادهم. السعدي: ٧٨١.

السؤال: لماذا يشكر الإنسان النعم التي أنعمها الله على والديه؟

﴿ وَيَوْمَ يَرْسُلُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبَتْ مُبَيِّنَاتُ حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَنْتَمْتُمْ بِهَا فَالْمُؤْمِنُ لَا يَنْهَبُ طَبِيبَانَهُ فِي الدُّنْيَا، بَلْ إِنَّهُ يَتْرِكُ بَعْضَ طَبِيبَانِهِ لِلْآخِرَةِ. وَأَمَّا الْكَافِرُ فَإِنَّهُ لَا يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ، فَهُوَ حَرِيسٌ عَلَى تَنَاوُلِ حَظْوْظِهِ كُلِّهَا فِي الدُّنْيَا. ابن القيم: ٤٥/٢.

السؤال: ما الفرق بين موقف المؤمن وموقف الكافر من ملذات الحياة الدنيا؟

﴿ وَيَوْمَ يَرْسُلُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبَتْ مُبَيِّنَاتُ حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَنْتَمْتُمْ بِهَا ﴾ والآية في الكفار بدليل قوله: (يعرض الذين كفروا على النار)، وهي مع ذلك واعظت لأهل التقوى من المؤمنين؛ ولذلك قال عمر لجابر بن عبد الله وقد رآه اشترى لحماً: أما تخشى أن تكون من أهل هذه الآية؟ ابن جزى: ٣٣٥/٢.

السؤال: هل يتعظ المسلم بالآيات التي نزلت في الكفار؟ وكيف؟

﴿ فَأَلْبِسْ جَزُونَ عَذَابِ الْهَوْنِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ ﴾

أريد بالاستكبار الترفع عن الإيمان، وبالفسق معاصي الجوارح، وقدم ذنب القلب

على ذنب الجوارح؛ إذ أعمال الجوارح ناشئة من مراد القلب. الأنوسي: ٢٥/٢٥.

السؤال: في الآية تقديم ذنب القلب على ذنب الجوارح، وضع ذلك، وإيهما أخطر؟

وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كَرَمًا وَوَضَعَتْهُ كَرَمًا وَنَحَلَهُ وَصَلَهُ وَنَلَّوْنُ شَهْرًا إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَوَصَّيْنَا أَنْعَمْتَ عَلَىٰ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي بُنِيتُ إِلَيْكَ وَلَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ٥٥ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ تَتَّقِلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَتَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْحَنَةِ وَعَدَ الصَّادِقُ الَّذِي كَانَ أَوْعَدُونَ ٥٦ وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِي أَنْ أَخْرُجَ وَقَدْ حَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَعْجِلَانِ اللَّهَ وَيَلَاؤُنِ اللَّهَ إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَتَّىٰ يَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ٥٧ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْإِنْسَانِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ٥٨ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ ٥٩ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلْهَبَتْ مُبَيِّنَاتُ حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَنْتَمْتُمْ بِهَا فَأَلْبِسْ جَزُونَ عَذَابِ الْهَوْنِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ ٦٠

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
وَفَضَّلَهُ	فَضَّلَهُ.
أَوْزِعْنِي	أَهْمِنِي.
أَفٍّ لَكُمَا	فُجَحًا لَكُمَا.
عَذَابِ الْهَوْنِ	عَذَابِ الْخِزْيِ وَالْهَوَانِ.

## ● العمل بالآيات

١. خصص اليوم وقتاً لوالديك لتدخل السرور والأنس عليهما، وقدم هدية لهما ولو بسيطة، ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ﴾.
٢. تخيل اليوم أنك حملت شيئاً وزنه خمسة كيلو جرامات لمدة يوم كامل، ثم تصور مقدار معاناة أمك بحملك، ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كَرَمًا وَوَضَعَتْهُ كَرَمًا ﴾.
٣. ادع اليوم في سجودك بهذا الدعاء: ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي بُنِيتُ إِلَيْكَ وَلَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾.

## ● التوجيهات

١. تقلبت أمك في تربيتك بين معاناة الحمل والولادة والرضاع والإطعام والنظافة والمرض والهذابة، فهل تستطيع أن توفيها حقها؟ ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كَرَمًا وَوَضَعَتْهُ كَرَمًا وَنَحَلَهُ وَصَلَهُ وَنَلَّوْنُ شَهْرًا ﴾.
٢. من عاق والديه بادن درجات الإيذاء فيخشى دخوله في وعيد قوله تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْإِنْسَانِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴾.
٣. كثرة الترف تورث الكبر والفعلية، ﴿ أَذْهَبَتْ مُبَيِّنَاتُ حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَنْتَمْتُمْ بِهَا فَأَلْبِسْ جَزُونَ عَذَابِ الْهَوْنِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿وَأَذْكُرْ لَمَّا عَلُوْا إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّى الْأَنْدُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَفِي خَلْفِهِ﴾  
بضرب الأمثال وقصص من تقدم يُعرف قبح الشيء وحسنه، فقال سبحانه لرسوله صلى الله عليه وسلم: (واذكر أخا عاد). الأنوسي: ٢٥/٢٥١.

السؤال: ما فائدة التذكير بقصة عاد؟

﴿قَالَ إِنَّمَا إِلَهُمُ الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ مَا أُنْزِلَتْ بِهِ. وَلَكِنْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّجْهَلُونَ﴾  
وانما زيد (قوماً) ولم يقتصر على (تجاهلون) للدلالة على تمكن الجاهلية منهم حتى صارت من مقومات قوميتهم، وللدلالة على انها صمت جميع القبيلة كما قال لوط لقومه: (اليس منكم رجل رشيد) لهود: ٧٨. ابن عاشور: ٤٨/٢٦.

السؤال: ما دلالة كلمة (قوماً) في الآية الكريمة؟

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّطِيرٌ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾  
أخرج مسلم عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - قالت: «كان رسول الله إذا عصفت الريح قال: (اللهم إني أسألك خيرا، وخير ما فيها، وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها، وشر ما فيها، وشر ما أرسلت به). فإذا أخيلت السماء تغير لونه وخرج ودخل، وأقبل وأدبر، فإذا مطرت سُري عنه». فسأته. فقال عليه الصلاة والسلام: (لا أدري لعله كما قال قوم عاد: (هذا عارض ممطرنا). الأنوسي: ٢٥/٢٥٦.

السؤال: ما الدعاء المستحب عند رؤية الريح أو السحاب مقبلة؟

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّهُمْ فِيهَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ﴾

أي: ولقد مكنا عاداً كما مكناكم يا هؤلاء المخاطبون: أي: فلا تحسبوا أن ما مكناكم فيه مختص بكم، وأنه سيدفع عنكم من عذاب الله شيئاً، بل غيركم اعظم منكم تمكينا، فلم تغن عنهم أموالهم ولا أولادهم ولا جنودهم من الله شيئاً. السعدي: ٧٨٣.

السؤال: القوة المادية لا تنفع شيئا إذا أراد الله العقوبة لأهلها، وضع ذلك.

﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمَآ وَابْصَرَ وَأَفْئِدَةً﴾

وفائدة قوله: (وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة) أنهم لم ينقصهم شيء من شأنه يخل بإدراكهم الحق لولا العناد، وهذا تعريض بمشركي قريش: أي انكم حرمت أنفسكم الانتفاع بسمعكم وأبصاركم وعقولكم كما حرّموا. ابن عاشور: ٥٣/٢٦.

السؤال: ما فائدة قوله تعالى: (وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة)؟

﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمَآ وَابْصَرَ وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ قُوَّةِ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾  
وهذه الآية وأمثالها تدل على أن السمع والأبصار والأفئدة لا تنفع صاحبها مع جحده بآيات الله، فتبين أن العقل الذي هو مناط التكليف لا يحصل بمجرد الإيمان النافع والعرفّة النجيبة من عذاب الله. ابن تيمية: ٥٥٠/٥.

السؤال: الهداية ليست مجرد ثمرة للعقل، ولكنها منّة من الله سبحانه، وضع ذلك.

﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ﴾  
أي فهلا نصرهم الالهتهم التي تقربوا بها بزعمهم إلى الله لتنفع لهم -حيث قالوا: هؤلاء شفعاؤنا عند الله- ومنعتهم من الهلاك الواقع بهم. الشوكاني: ٢٤/٥.

السؤال: التقرب إليهم بضعفاء في الدنيا والآخرة، بين الإجابة من خلال الآية.

﴿وَأَذْكُرْ لَمَّا عَلُوْا إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّى الْأَنْدُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَفِي خَلْفِهِ﴾  
عَذَابٌ يَوْمَ عَظِيمٍ ﴿٥١﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَأْكُلَ مِنْ عِلْمِنَا فَأِنَّا بِمَا نَعْبُدُكَ أَنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ ﴿٥٢﴾ قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ مَا أُنْزِلَتْ بِهِ. وَلَكِنْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّجْهَلُونَ ﴿٥٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّطِيرٌ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ تَدْمِغُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي مَا آتَيْنَاكُمْ مِنْهُ لِيُثَبِّتُوا لَكُمْ أَلْفَاظَ مَا تَقُولُونَ ﴿٥٦﴾ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمَآ وَابْصَرَ وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا خَلَقْنَا مِنْ الْقُرْآنِ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٥٩﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
بِالْأَحْقَافِ	اسم موقعهم؛ وهو في جنوب جزيرة العرب.
بِتَأْفِكِنَا	لنصرفنا.
عَارِضًا	سحاباً عارضاً في أفق السماء.
مَكَّنَاهُمْ	أقدرناهم، وبسطنا لهم.
وَحَاقَ	نزل.
قُرْبَانًا	يَقْرَبُونَ بِهَا إِلَىٰ رَبِّهِمْ.

## ● العمل بالآيات

- احفظ دعاء الريح والمطر الثامن: «اللهم إني أسألك خيرا، وخير ما فيها، وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها، وشر ما فيها، وشر ما أرسلت به»، واقرأه عند رؤيتهم، ﴿قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّطِيرٌ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.
- اعمل ثلاث طاعات: الأولى متعلقة بالسمع، والثانية بالبصر، والثالثة بالذوق، ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ قُوَّةِ﴾.
- شاهد صوراً عن الآثار للتبعية من الأمم الماضية، وسجل العبر التي تأثرت بها، ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا خَلَقْنَا مِنْ الْقُرْآنِ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

## ● التوجيهات

- قصص الأنبياء تسلية للنبي، ولأن سار على نهجه، ﴿وَأَذْكُرْ لَمَّا عَلُوْا إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّى الْأَنْدُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَفِي خَلْفِهِ﴾.
- قوم عاد لجهلهم وكبرهم استنشروا بالسحاب الذي كان فيه هلاكهم، ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّطِيرٌ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.
- لا ينفذ التطور العلمي والحضاري والعمراني إذا نزل عقاب الله تعالى، ﴿تَدْمِغُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَكِنُهُمْ﴾.

الآية (٢١-٢٥): يقول تعالى مُسْلِمًا لِنَبِيِّهِ فِي تَكْذِيبِ مَنْ كَذَّبَهُ مِنْ قَوْمِهِ: ﴿وَأَذْكُرْنَا عَادَ﴾ وهو هود عليه السلام بعثه الله إلى عاد الأولى، وكانوا يسكنون الأحقاف - جمع جحف وهو: الجبل من الرَّمْل - قاله ابن زيد. وقال عكرمة: الأحقاف: الجبل والغار. وقال علي بن أبي طالب: الأحقاف: وادٍ بحضرموت، يُدعى بُرْهُوت، تُلقَى فيه أرواح الكفار. وقال قتادة: ذُكر لنا أن عادًا كانوا حَيًّا باليمن أهل رَمْلٍ مشرفين على البحر بأرض يُقال لها: الشُّخْر.

وقوله: ﴿وَقَدْ خَلَّى الْأَرْضَ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ يعني: وقد أرسل الله إلى من حول بلادهم من القرى مرسلين ومُنِيرين؛ كقوله: ﴿يَجْعَلْنَهَا كَنُكَلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ [البقرة: ٦٦]، وكقوله: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صِغَةً مِّثْلَ صِغَةِ عَادٍ وَتَمُودَ ﴿٥٠﴾ إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَتَّبِعُوا إِلَّا مَا قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَكْرَمَ الْمَلِئِكَةَ فَإِنَّمَا أَزْمِلُ بِكُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الصافات: ١٣-١٤] أي: قال لهم هود ذلك <sup>(١)</sup>، فأجابه قومه قائلين: ﴿أَجِئْنَا بِتِلْكَ﴾ أي: لِتَصُدُّنَا ﴿عَنِ الْمَوْتِ فَإِنَّمَا يَمُوتُ تِلْكَ إِن كُنْتُمْ الصَّادِقِينَ﴾ استمعوا عذاب الله وعقوبته، استبعادًا منهم وقوعه؛ كقوله: ﴿يَسْتَعِجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾ [الشورى: ١٨]. ﴿قَالَ إِنَّمَا أَتِيْتُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي: الله أعلم بكم إن كنتم مستحقين لتعجيل العذاب فيَقْعَلْ ذلك بكم، وأما أنا فمِن شَأْنِي أَنِي أُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ، ﴿وَلَكِنَّكُمْ أَتَيْتُكُمْ بِمُجَاهِلَاتٍ﴾ أي: لا تعلمون ولا تفهمون.

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ﴾ أي: لَمَّا رَأَوْا العذاب مستقبلهم، اعتقدوا أنه عارض مُظْطَر، ففرحوا واستبشروا به، وقد كانوا مُتَحِيلِينَ محتاجين إلى المطر، قال الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: هو العذاب الذي قُلْتُمْ: ﴿فَإِنَّمَا يَمُوتُ تِلْكَ إِن كُنْتُمْ الصَّادِقِينَ﴾.

﴿تَذَكَّرَ﴾ أي: تَحَرَّبَ ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ من بلادهم، عمًّا من شأنه الخراب ﴿بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ أي: بإذن الله لها في ذلك؛ كقوله: ﴿مَا نَذُرِينَ شَيْءًا أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَارِهِيًّا﴾ [الذاريات: ٤٧] أي: كاشيء البالي. ولهذا قال: ﴿فَأَسْبَحُوا لَا يَزِيْجُ إِلَّا سَكَبَكُمُ﴾ أي: قد بادوا كلهم عن آخرهم ولم يَبْقَ لهم باقية، ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ أي: هذا حُكْمنا فيمن كَذَّبَ رسلنا، وخالف أمرنا.

عن الحارث البكري قال: أعوذ بالله ورسوله أن أكون كواحد عاد. قال [عليه السلام]: «هَيْه، وما وافد عاد؟» - وهو أعلم بالحديث منه، ولكن يستطعمه - قلت: إن عادًا قُحِطُوا قَبِئُوا وافدًا لهم يُقال له: قَبِيل، فَمَرَّ بمعاوية بن بكر، فأقام عنده شهرًا يسقيه الخمر وتُعْبِئُه جاريان يُقال لهما: «الجردانان»، فلَمَّا مَضَى الشهر خَرَجَ إلى جبال مَهْرَة فقال: اللهم، إنك تعلم أني لم أَجِئْ إلى مريض فأدويه، ولا إلى أسير

فأدويه، اللهم اسقِ عادًا ما كُنْتَ تَسْقِيهِ. فَمَرَّتْ به سحابات سُود، فَنُوْدِي منها: «اختر»، فأومأ إلى سحابة منها سوداء، فَنُوْدِي منها: «خُذْهَا رَمَادًا وَمِنْهَا، لَا يُبْقِي مِنْ عَادِ أَحَدًا». قال: فَمَا بَلَغَنِي أَنَّهُ أُزِيلَ عليهم من الريح إلا كَقَفَرٍ ما يجري في خاتمي هذا، حتى هَلَكُوا - قال أبو وائل: وَصَدَقَ - وكانت المرأة والرجل إذا بَعُثُوا وافدًا لهم قالوا: «لا تكن كوافد عاد» [رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه، وحسنه الألباني].

وعن عائشة أنها قالت: ما رأيت رسول الله ﷺ مستجمعًا ضاحكًا حتى أرى منه لهوًا، إنها كان يَسْتَسِم. قالت: وكان إذا رأى غيبًا - أو رِيحًا - عَرِفَ ذلك في وجهه، قالت: يا رسول الله، الناس إذا رأوا الغيب فَرَحُوا رجاء أن يكون فيه المطر، وأراك إذا رأيته عَرَفْتَ في وجهك الكراهية؟ فقال: «يا عائشة، ما يُؤْمِنُنِي أن يكون فيه عذاب، قد عَذَّب قوم بالريح، وقد رأى قوم العذاب فقالوا: هذا عارض مُظْطَرُنا» [متفق عليه].

وعن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا عَصَفَتِ الريح قال: «اللهم، إني أسألك خيرها، وخير ما فيها، وخير ما أُرْسِلْتُ به، وأعوذ بك من شرها، وشر ما فيها، وشر ما أُرْسِلْتُ به». قالت: وإذا تَحَيَّلَتِ السَّاءُ تَغَيَّرَ لونه، وَخَرَجَ وَدَخَلَ، وَأَقْبَلَ وَأَبْرَأَ، فإذا مَطَرَتْ شَرِي عنه، فَفَرَّقَتْ ذلك عائشة، فسأله، فقال: «لعله يا عائشة كما قال قوم عاد: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّظْطَرٌ﴾» [رواه مسلم].

الآية (٢٦-٢٨): يقول تعالى: ولقد مَكَّنَّا الأُمَمَ السالفة في الدنيا من الأموال والأولاد، وأعطيناهم منها ما لم تُحِطُوا بمثله ولا قريبا منه، ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمًا وَابْرَأَ أَفِيدَةً فَمَّا أَتَيْنَهُمْ مَّتَعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُ لَهُمْ وَلَا أَفِيدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يُجَاهِدُونَ بَيْنَ يَدَيْهِمْ وَمَا كَانُوا بِه يَسْتَبْشِرُونَ﴾ أي: وأحاط بهم العذاب والنكال الذي كانوا يكذبون به ويستبعدون وقوعه، أي: فاحذروا أيها المخاطبون أن تكونوا مثلهم، فيصيبكم مثل ما أصابهم من العذاب في الدنيا والآخرة.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا وَكَّلَكُمُ مِنَ الْقَرْيَةِ﴾ يعني: أهل مكة، قد أَهْلَكَ الله الأُمَمَ المكتوبة بالرسول ممَّا حولها؛ كعاد، وكانوا بالأحقاف بحضرموت عند اليمن، وتمود وكانت منازلهم بينهم وبين الشام، وكذلك سبأ وهم أهل اليمن، ومَذْيَن وكانت في طريقهم وسَمَرَم إلى غَرْفَة، وكذلك بحيرة قوم لوط، كانوا يَمْرُون بها أيضًا.

﴿وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ﴾ أي: بَيَّنَّاها وَوَضَحْنَاهَا؛ ﴿لَهُمْ رِجْحُونَ﴾. ﴿فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً﴾ أي: فَهَلَّا نَصَرُوهم عند احتياجهم إليهم، ﴿بَلْ سَلَّوْا عَنْهُمْ﴾ أي: بل ذَهَبُوا عنهم أَخْرَجَ ما كانوا إليهم، ﴿وَذَلِكَ لِنُكْهَمُ﴾ أي: كَذِبُهُمْ، ﴿وَمَا كَانُوا بِفَعْلَةٍ﴾ أي: وافترائهم في اتخاذهم إلهام الله، وقد خابوا وخسروا في عبادتهم لها، واعتادهم عليها.

(١) يقصد بذلك إنذار هود لقومه؛ وهو قوله تعالى: ﴿إِذْ أَنْذَرْتَنِي﴾.



الآية (٢٩-٣٢): ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾  
عن عبد الله بن مسعود قال: هبطوا على النبي ﷺ وهو يقرأ القرآن يبطن نخلة، فلما سمعوه قالوا: ﴿أَنصِتُوا﴾ قالوا: صَبِّ، وكانوا تسمع، أحدهم زُوَيْبَةَ، فَأَنزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُّذَرِّينَ﴾ إلى قوله: ﴿ضَلَّكُم بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [رواه الحاكم وصححه، ووافقه الذهبي، والوادعي في أسباب النزول]. ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ﴾ أي: طائفة من الجن، ﴿يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا﴾ أي: استمعوا، وهذا أدب منهم. وقوله: ﴿فَلَمَّا قُضِيَ﴾ أي: فرغ، كقوله: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ﴾ [الجمعة: ١٠] ﴿وَلَوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُّذَرِّينَ﴾ أي: رَجَعُوا إلى قومهم فأنذروهم ما سمعوه من رسول الله ﷺ، كقوله: ﴿لَيَقْفَعْنَاهُ فِي أَلْيَيْنَ لَّيْلٍ يُدْرِكُهُ يَوْمَهُمْ إِذَا جِئُوا إِلَيْهِ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ لَحْزَؤٌ فِى الدُّنْيَا﴾ [النوبة: ١٢٢]. وقد استدل بهذه الآية على أنه في الجن نذُر، وليس فيهم رُسل: ولا شك أن الجن لم يبعث الله منهم رسولاً؛ لقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ مِّنْ أَهْلِ الْقُرْآنِ﴾ [يوسف: ١٠٩]. فكل نبي بعثه الله بعد إبراهيم فمن ذريته وسلالته، فأما قوله تعالى في الأنعام: ﴿يَتَّبِعْتُمُ الرِّجَالَ وَتَقَاطِبُونَ مَعَ رُسُلِهِم مَّا يَكُنُ لَكُم مِّنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٣٠]، فالمراد من مجموع الجنسين، فيصدق على أحدهما وهو الإنس.

ثم إنه تعالى فَرَسَ إنذار الجن لقومهم فقال خبراً عنهم: ﴿قَالُوا يَنْفَعُ مَنَا إِنَّا سَاحِقُونَ﴾ [النور: ٢٤] ﴿أَنزَلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ﴾ ولم يذكروا عيسى؛ لأن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أُنزِلَ عليه الإنجيل فيه مواعظ وتزقيقات وقليل من التحليل والتعريم، وهو في الحقيقة كالسُنَّمِ لشريعة التوراة، فالعمدة هو التوراة؛ فلماذا قالوا: ﴿أَنزَلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ﴾. وهكذا قال وَرَقَ بن نوفل حين أَخْبَرَهُ النبي ﷺ بقصة نزول جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ عليه أَوَّلَ مَرَّةٍ، فقال: بَعَثَ بَعْثُ هذا الناموس الذي كان يأتي موسى، يا ليتني أكون فيها جَدَّحًا [رواه البخاري]. ﴿مُضْطَرِّفًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي: من الكتب المُتَنَزَّلَةِ قبله على الأنبياء. وقولهم: ﴿يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾ أي: في الاعتقاد والإخبار، ﴿وَلِكُلِّ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٌ﴾: في الأعمال؛ فإن القرآن يشتمل على شيئين خبر وطلب، فخره صدق، وطلبه عدل.

﴿يَنْفَعُ مَنَا إِنَّا سَاحِقُونَ﴾ [النور: ٢٤] فيه دلالة على أنه تعالى أرسل محمداً ﷺ إلى الثقلين الإنس والجن حيث دعاهم إلى الله، وقرأ عليهم السورة التي فيها خطاب الفريقين، وتكليفهم ووَعْدُهُمْ ووَعِيدُهُمْ، وهي سورة الرحمن؛ ولهذا قال ﴿يَجِئُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ﴾ [النور: ٢٤]. وقوله: ﴿يَقُولُ لَكُمْ مِّنْ دُونِكُمْ﴾: قيل: إن «من» ههنا زائدة، وفيه نظر؛ لأن زيادتها في الإثبات قليل. وقيل: إنها على بابها للتبعض، ﴿وَيُخَوِّذُكُمْ مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ أي: ويقيكم من عذابه الأليم.

وقد استدلل بهذه الآية من دَعَبَ من العلماء إلى أن الجن المؤمنين لا يدخلون الجنة، وإنما جزء صالحهم أن يُجَارُوا من عذاب النار يوم القيامة؛ ولهذا قالوا هذا في هذا المقام، وهو مقام تَبَجُّحٍ <sup>(١)</sup> ومبالغة، فلو كان لهم جزء على الإيمان أعلى من هذا لأوشك أن يذكره. عن ابن

(١) أي: قَرَحَ؛ يقال: تَجَحَّجَ بالشيء: إذا قَرَحَ به. [معجم مقاييس اللغة، مادة (بجح)].

عباس قال: لا يدخل مؤمنو الجن الجنة؛ لأنهم من ذرية إبليس، ولا تدخل ذرية إبليس الجنة. والحق أن مؤمنهم كمؤمني الإنس يدخلون الجنة، كما هو مذهب جماعة من السلف؛ وقد استدلل بعضهم لهذا بقوله عز وجل ﴿لَوْ يَتَّبِعُونَ إِتْسَاقَهُمْ وَلَا جَانَّ﴾ [الرحمن: ٧٤] وفي هذا الاستدلال نظر، وأحسن منه قوله جل وعلا: ﴿وَلَمَّا خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ ﴿فَأَنبَأَ آلَؤُوهَ رَبُّكَ أَنَّكَ كَذِبَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦-٤٧]، فقد امتن تعالى على الثقلين بأن جعل جزاء مُخْلِصِيهِمُ الجنة، وقد قابلت الجن هذه الآية بالشكر القوي أَبْلَغَ من الإنس، فقالوا: «ولا يَبْنِيءُ من الأثك ربنا تكذب، فلك الحمد» [رواه الترمذي، وحسنه الألباني]. فلم يكن تعالى ليمتن عليهم بجزء لا يحصل لهم، وأيضاً فإنه إذا كان يُجَارِي كافرهم بالنار -وهو مقام عدل- فَلَا بُدَّ يُجَارِي مؤمنهم بالجنة -وهو مقام فضل- بطريق الأولى والأحرى.

ثم قال مُخْبِرًا عنهم: ﴿وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: بل قُدْرَةُ اللَّهِ شاملة له ومحيطه به، ﴿وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ﴾ أي: لا يُجِيرُهُم منه أحد. ﴿أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ وهذا مقام تهديد وترهيب، فَدَعَوْا قَوْمَهُم بِالترغيب والترهيب؛ ولهذا نَجَعَ في كثير منهم، وجاؤوا إلى رسول الله ﷺ وفوداً وفوداً.

الآية (٣٣-٣٥): ﴿أُولَئِكَ يَرْوُونَ﴾ أي: هؤلاء المنكرون للبعث يوم القيامة، المستبعدون لقيام الأجساد يوم المعاد ﴿أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ وَلَمْ يَمُتْ يَمُتْ خَلْقُهُمْ﴾ أي: ولم يُكْرَهُ خَلْقُهُمْ، بل قال لها: «كوني» فكانت، بلا تُمَانَعَةٍ ولا مُحَالَفَةٍ، بل طائفة محبة خائفة ورجلة، أفليس ذلك بقادر على أن يُنْجِي الموتى؟! كما قال في الآية الأخرى: ﴿لَخَلْقُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ أَكْبَرُ مِن خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: ٥٧]، ولهذا قال: ﴿وَلَمْ يَمُتْ يَمُتْ خَلْقُهُمْ﴾. ثم قال مُتَهَدِّدًا وَمُتَوَعِّدًا لِمَنْ كَفَرَ به: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا الَّذِي قَالُوا أَنَّهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ؟﴾ [الأنعام: ١٠٥] ﴿قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾ أي: لا يَسْمَعُهم إلا الاعتراف، ﴿قَالَ كَذَبُوا الْعَذَابَ يَمَّا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ ثم قال تعالى آمراً رسوله ﷺ بالصبر على تكذيب من كذبه من قومه: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ أي: على تكذيب قومهم لهم.

وقد اختلفوا في تعدد أولي العزم على أقوال، وأشهرها أنهم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وخاتم الأنبياء كلهم محمد ﷺ. قد نصَّ الله على أسمائهم من بين الأنبياء في آيتين من سُورَتَي «الأحزاب» و«الشورى»، وقد يحتمل أن يكون المراد بأولي العزم جميع الرُّسُل، وتكون «مِن» في قوله: ﴿مِنَ الرُّسُلِ﴾ لبيان الجنس، والله أعلم.

﴿وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾ أي: لا تستعجل لهم حلول العقوبة بهم. ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبِسُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ﴾ كقوله: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبِسُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحًى﴾ [التازعات: ٤٦].

﴿بَلَعُ﴾ قال ابن جرير: يحتمل معنيين: أحدهما: أن يكون تقديره: وَذَلِكَ بُتُّ بِلَاغٍ. والآخر: أن يكون تقديره: هذا القرآن بلاغ. ﴿فَهَلْ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ أي: لا يهلك على الله إلا هالك، وهذا من عدله تعالى أنه لا يُعَذَّبُ إِلَّا مَنْ يَسْتَحِقُّ الْعَذَابَ.



## ● الوقفات التدريبية

﴿وَأَذْصَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾

أي: استمعوا، وهذا ادب منهم... (ولوا إلى قومهم منذرين) أي: رجعوا إلى قومهم فأنذروهم ما سمعوه من رسول الله ﷺ، كقولهم: (ليتفقهوا) في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون) التوبة: ١٧٢. وقد استدلت بهذه الآية على أنه في الجن نذر، وليس فيهم رسل، ولا شك أن الجن لم يبعث الله تعالى منهم رسولا. ابن كثير: ١٧٢/٤.

السؤال: ما الأدب الذي فعله الجن عند استماعهم للقرآن؟ وهل من الجن رسل؟  
﴿قَالُوا إِنَّمَا سَمِعْنَا أَنشَاءً يُنَادُونَ أَنِ انْزِلْ مِنَّا قُرْآنًا يَنْزِلُ فِي يَدَيْهِ﴾  
ولم يذكر عيسى لأن عيسى - عليه السلام - أنزل عليه الإنجيل فيه مواضع وترقيقات وقليل من التحليل والتحريم، وهو في الحقيقة كالتتميم لشريعة التوراة، فالعمدة هو التوراة، فلماذا قالوا: أنزل من بعد موسى)، وهكذا قال ورقة بن نوفل حين أخبره النبي ﷺ بقصة نزول جبريل عليه الصلاة والسلام أول مرة؛ فقال: بخ، هذا الناموس الذي كان يأتي موسى. ابن كثير: ١٧٣/٤.

السؤال: لماذا قالت الجن: (أنزل من بعد موسى)، ولم يقولوا: أنزل من بعد عيسى؟  
﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾  
﴿يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ وَلَكِن لَّا يُفْقَهُونَ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ﴾

لما مدحوا القرآن وبيّنوا محله ومرتبته دعوه إلى الإيمان به. السعدي: ٧٨٣.  
السؤال: في ترتيب كلام الجن فائدة دعوية مهمة، وضحها.  
﴿قَالُوا كَمَا صَبَرْنَا عَلَى الْعَذَابِ وَنَاوَلْنَا الْأَعْرَافَ وَلَا نَتَمَجَّجُ فِيهِمْ يَوْمَ نُحْشَرُونَ﴾  
﴿يُوعَدُونَ لَكُم بِالنَّارِ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَّغَ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾  
العزم المحمود في الدين: العزم على ما فيه تركيبة النفس وصلاح الأمت، وقوامه الصبر على المكروه، وباعثه التقوى، وقوته شدة المراقبة بأن لا يتهاون المؤمن من محاسبته نفسه؛ قال تعالى: (وإن تصبروا وتنفقوا فإن ذلك من عزم الأمور) آل عمران: ١٨٦. ابن عاشور: ٦٧/٢٣.

السؤال: ما مقومات العزم المحمود؟  
﴿قَالُوا كَمَا صَبَرْنَا عَلَى الْعَذَابِ وَنَاوَلْنَا الْأَعْرَافَ وَلَا نَتَمَجَّجُ فِيهِمْ﴾  
(أولو العزم من الرسل) هم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد -عليهم الصلاة والسلام- وعلى هذا القول فالرسل الذين أمر رسول الله أن يصبر كما صبروا أربعة، فصار هو خامسهم. الشنقيطي: ٢٤١/٧.  
السؤال: من أولو العزم من الرسل عليهم الصلاة والسلام؟  
﴿قَالُوا كَمَا صَبَرْنَا عَلَى الْعَذَابِ وَنَاوَلْنَا الْأَعْرَافَ وَلَا نَتَمَجَّجُ فِيهِمْ﴾  
لما أمره بالصبر الذي من أعلى الفضائل، نهاه عن المججلة التي هي من أمهات الرذائل، ليصحب التحلي بفضيلة التصبر الضامنة للفظ والنصر، فقال: (ولا تستعجل لهم) أي: تطلب العجلة وتوجدتها بأن تفعل شيئا مما يسوهم في غير حينه. البقاعي: ١٨١/١٨.

السؤال: بينت الآية أن كمال الداعية يحصل بصفتين، ما هما؟  
﴿قَالُوا كَمَا صَبَرْنَا عَلَى الْعَذَابِ وَنَاوَلْنَا الْأَعْرَافَ وَلَا نَتَمَجَّجُ فِيهِمْ﴾  
لأنه ينسبهم شدة ما ينزل بهم من عذابه قدر ما كانوا في الدنيا لبثوا، ومبلغ ما فيها مكثوا من السنين والشهور؛ كما قال جل ثناؤه: (قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين ٣٣) قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم فاسأل العادين) المؤمنون: ١١٢-١١٣. الطبري: ١٤٦/٢٢.  
السؤال: ما الذي جعل الكفار يعتقدون قصر مكثهم في الدنيا؟

وَأَذْصَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ  
﴿قَالُوا إِنَّمَا سَمِعْنَا أَنشَاءً يُنَادُونَ أَنِ انْزِلْ مِنَّا قُرْآنًا يَنْزِلُ فِي يَدَيْهِ﴾  
﴿يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ وَلَكِن لَّا يُفْقَهُونَ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ﴾  
﴿يُوعَدُونَ لَكُم بِالنَّارِ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَّغَ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾

سورة الأحقاب ١٧٢

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
صَرَفْنَا	بَعَثْنَا وَوَجَّهْنَا نَحْوَك.
قُضِيَ	فَرَغَ رُسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ تِلَاوَتِهِ.
مُنْذِرِينَ	مُحَذِّرِينَ مِنْ بَاسِ اللَّهِ.
وَيُجْرِكُمْ	يُثَبِّتُكُمْ.
يَعِي بِخَلْقِهِنَّ	لَمْ يَعْجِزْ عَنْ خَلْقِهِنَّ، وَلَمْ يَتَعَبَ بِهِ.
بَلَّغَ	هَذَا تَبْلِيغٌ مِنَ اللَّهِ لَهُمْ.

## ● العمل بالآيات

١. تذكر عبادة أمرك بها داعية أو ناصح لك وقم بتنفيذها، ﴿وَمَنْ لَا يُجِيبِ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءٌ﴾.
٢. اقرأ القرآن وحدك وارفع به صوتك؛ فربما استمع إليك ملائكة أو جن فيزيد أجرك، ﴿وَأَذْصَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا﴾.
٣. استمع إلى آية من كتاب الله ثم عمل بها لعلك تكون من أهل القرآن، ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾.

## ● التوجيهات

١. المؤمن يحمل هم تعليم الغير ونفعهم، ﴿فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾.
٢. من خلق السماوات والأرض فهو قادر على إعادة الإنسان بعد موته، ﴿أَكْرَبُ بِرَبِّكَ أَنَّ اللَّهَ وَلِيُّ النَّفْسِ أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْفُتُورُ﴾.
٣. الصبر من خلق الأنبياء والمرسلين، وهو من أسباب الفلاح في الدنيا والآخرة، ﴿قَالُوا كَمَا صَبَرْنَا عَلَى الْعَذَابِ وَنَاوَلْنَا الْأَعْرَافَ وَلَا نَتَمَجَّجُ فِيهِمْ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

- ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنفَرُوا مِنْهُمْ وَلَكِنْ لَيْسَ بِكُمْ بَعْضٌ﴾  
فإنه تعالى على كل شيء قدير، وقادر على أن لا ينصر الكفار في موضع واحد أبداً، حتى يبید المسلمون خضارهم. (ولكن لئلا يبعثكم ببعض) ليقوم سوق الجهاد، ويتبين بذلك أحوال العباد: الصادق من الكاذب، وليؤمن من آمن إيماناً صحيحاً عن بصيرة، لا إيماناً مبنياً على متابعة أهل القلبية؛ فإنه إيمان ضعيف جداً لا يستمر لصاحبه عند المحن والبلايا. السعدي: ٧٨٥.
- السؤال: ما الابتلاء الذي يبنى على انتصار المشركين على المسلمين في بعض المواقع؟  
﴿وَالَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالُوا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاتَّبَعُوا لِمَا قَالُوا﴾  
(ويصلح بالهم) أي: موضع فكرهم؛ فيجعله مهياً لكل خير، بعيداً عن كل شر، أماناً من المخاوف، مطمئناً بالإيمان بما فيه من السكينة، فإذا قتل أحد في سبيله تولى سبحانه وتعالى ورثته بأحسن من تولى المقتول لو كان حياً. البقاعي: ١٥٣/٧.
- السؤال: مامعنى (ويصلح بالهم)؟  
﴿وَيَدْخُلُهُمُ الْجَنَّةُ عَرَفَهَا كَيْفَ﴾  
أي يبين لهم منازلهم في الجنة حتى يهتدوا إلى مساكنهم لا يخطئون ولا يستدلون عليها أحداً؛ كأنهم سكانها منذ خلقوا، فيكون المؤمن اهتدى إلى درجته وزوجته وخدمه منه إلى منزله وأهله في الدنيا، هذا قول أكثر المفسرين. البغوي: ١٥٤/٤.
- السؤال: كيف عرف الله تعالى الجنة لأهلها؟  
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَصُومُوا فَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ هُمْ يَحْكُمُونَ﴾  
فالذين يرتكبون جميع المعاصي ممن يتسمون باسم المسلمين، ثم يقولون: إن الله سينصرنا مغفرون لأنهم ليسوا من حزب الله الموعودين بنصره كما لا يخفى. ومعنى نصر المؤمنين لله: نصرهم لدينه ولكتابه، وسعيهم وجهادهم في أن تكون كلمته هي العليا، وأن تقام حدوده في أرضه، وتمتثل أوامره، وتجتنب نواهيه. الشنقيطي: ٢٥٢/٧.
- السؤال: ما معنى نصر المؤمنين لله تعالى؟ وهل الذين يرتكبون المعاصي جديرون بنصرة الله لهم؟  
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَصُومُوا فَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ هُمْ يَحْكُمُونَ﴾  
وهذا وعيد للامة بأنها إن تخلت عن نصر الله والجهاد في سبيله، والأمير بالمعروف والنهي عن المنكر وكلها سبحانه إلى نفسها، وتخلت عن نصرها، وسلط عليها عدوها. ولقد وجد بعض ذلك من تسلط الفسقة لما وجد التهاون في بعض ذلك والتواكل فيه. البقاعي: ١٥٥/٧.
- السؤال: ما عقوبة الإعراض عن أوامر الله تعالى، وكراهيتها؟  
﴿أَفَلَا يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾  
كل موضع أمر الله سبحانه فيه بالسير في الأرض، سواء كان السير الحسي على الأقدام والدواب، أو السير المعنوي بالتفكير والاعتبار، أو كان اللفظ يعمهما... فإنه يدل على الاعتبار والحدز أن يحل بالمخاطبين ما حل بأولئك. ابن القيم: ٤٥٤/٢.
- السؤال: ما الحكمة من أمر الله عباده أن يسيروا في الأرض؟  
﴿وَأَن الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾  
(لا مولى لهم): يهديهم إلى سبل السلام، ولا ينجيهم من عذاب الله وعقابه، بل أولياؤهم الطاغوت؛ يخرجونهم من النور إلى الظلمات. السعدي: ٧٨٦.
- السؤال: إذا كان الكفار أولياؤهم الطاغوت فما المقصود بأنه لا مولى لهم؟

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَصْلَ أَعْمَلُهُمْ ۖ وَالَّذِينَ  
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ  
رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ۖ ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا  
اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ  
اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ۖ فَإِذَا قُيِّرُوا الَّذِينَ كَفَرُوا فَضْرَبَ الرِّقَابَ حَتَّى  
إِذَا أَخْنَشْتُمُوهُمُ قَتَلْتُمُوهُمُ وَأَوْثَاقَ فَمَا مَتَّعَهُ وَمَا أَفَادَهُ حَتَّى يَضَعَ الْخَرْبُ  
أَوَارِهَا ذَلِكَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنفَرُوا مِنْهُمْ وَلَكِنْ لَيْسَ بِكُمْ بَعْضٌ  
يَبْعِثُ ۖ وَالَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالُوا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ  
وَاتَّبَعُوا لِمَا قَالُوا ۖ وَيَدْخُلُهُمُ الْجَنَّةُ عَرَفَهَا كَيْفَ ۖ بِأَيُّهَا الَّذِينَ  
آمَنُوا إِن تَصُومُوا فَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ هُمْ يَحْكُمُونَ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا  
فَتَعَسَىٰ لَهُمُ الْآثَرُ أَصْلَ أَعْمَلُهُمْ ۖ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِمَا نَزَّلَ اللَّهُ  
فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ ۖ ۞ أَفَلَا يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ  
عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهُمْ ۖ ذَلِكَ  
بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ۖ

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
فَضْرَبَ الرِّقَابَ	أَضْرَبُوا مِنْهُمْ الْأَعْنَاقَ.
أَخْنَشْتُمُوهُمُ	أَضَعْتُمُوهُمْ بِكَثْرَةِ الْقِتَالِ، وَكَسَرْتُمْ شَوْكَتَهُمْ.
فَشُدُّوا الْوَتَاقَ	أَحْكُمُوا قَيْدَ الْأَسْرَى.
مَنَا	تَمَنَّوْنَ عَلَيْهِمْ بِإِطْلَاقِ الْأَسْرَى مِنْ غَيْرِ عَوْضٍ.

## ● العمل بالآيات

١. سأل الله تعالى أن يصلح لك عملك وإن يتقبله منك، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾.
٢. اقرأ قصة غزوة بدر الكبرى وتأمل كيف ضحى الصحابة لنصرة دين الله، وكيف أيدهم الله، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَصُومُوا فَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ هُمْ يَحْكُمُونَ﴾.
٣. انصر الله في موطن من المواطن، بأن تدافع عن شخص يفتابه آخر، أو تُدَكِّرْ منبأ بالله عز وجل، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَصُومُوا فَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ هُمْ يَحْكُمُونَ﴾.

## ● التوجيهات

١. الإيمان والعمل الصالح يثمران تكفير السيئات وصلاح القلوب، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾.
٢. التمسك بالدين في وقت الفتنة وغلبة الشهوات والشبهات والدفاع عنه من وسائل نصرته الله ورسوله، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَصُومُوا فَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ هُمْ يَحْكُمُونَ﴾.
٣. نصرته الإسلام تقتضي العمل بأوامر الشرع واجتناب نواهيه، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَصُومُوا فَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ هُمْ يَحْكُمُونَ﴾.

## تفسير سورة القتال

وهي مدنية، [وعدد آياتها (٣٨) آية].

الآية (١-٣): ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: بآيات الله، ﴿وَصَدُّوا﴾ غيرهم عن سبيل الله أَصْلَ أَصْلَهُمْ؟ أي: أَبْطَلَهَا وَأَذْهَبَهَا، ولم يجعل لها جزاء ولا نواباً، كقوله: ﴿وَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى النَّاسِ إِذْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَجْمَعِينَ﴾ [الفرقان: ٢٣]. ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أي: آمنت قلوبهم وسائرهم، وانقادت لشرع الله جوارحهم وبواطنهم وظواهرهم، ﴿وَأَمَّا بِنَايَا نَزَّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ﴾ عَظُمَ خَاصٌّ عَلَى عَامٍ، وهو دليل على أنه شَرُطٌ فِي صَحَّةِ الْإِيمَانِ بَعْدَ بَيْعَتِهِ ﷺ. ﴿وَهُوَ لَكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ جملة معترضة حسنة، ولهذا قال: ﴿كَفَرْتُمْ عَنْ سِيْرَتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَكُمْ﴾ قال ابن عباس: أي أَمَرْتُمْ. وقال مجاهد: شَأْنُهُمْ. وقال قتادة وابن زيد: حالهم. والكل متقارب. وقد جاء في حديث تسميت العاطس: «يهديكم الله، ويُصلِّحَ بالكُم» [رواه البخاري].

ثم قال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ﴾ أي: إِنَّمَا أَبْطَلْنَا أَعْمَالَ الْكَافِرِ، وَتَجَاوَزْنَا عَنْ سَيِّئَاتِ الْأَبْرَارِ، وَأَصْلَحْنَا شُؤْنَهُمْ؛ لِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ، أي: اخْتَارُوا الْبَاطِلَ عَلَى الْحَقِّ، ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ﴾ أي: يُبَيِّنُ لَهُمْ مَالِ أَعْمَالِهِمْ، وَمَا يَصِيرُونَ إِلَيْهِ فِي مَعَادِهِمْ.

الآية (٤-٩): يقول تعالى مُرْشِداً لِلْمُؤْمِنِينَ إِلَى مَا يَعْتَمِدُونَهُ فِي حُرُوبِهِمْ مَعَ الْمُشْرِكِينَ: ﴿فَإِذَا لَيْسَ لَكُم مِّنْ أَهْلِ الْبَلَدِ وَفَرَّجَ الْأَمْرُ﴾ أي: إِذَا وَاجَهْتُمُوهُمْ فَاحْضُدُوهُمْ حَضْداً بِالسُّيُوفِ، ﴿حَتَّى إِذَا أَتَمْتُمُوهُمُ﴾ أي: أَهْلَكْتُمُوهُمْ قَتْلًا ﴿وَقَدْ أَتَمْتُمُوهُمُ﴾ وَقَاتَى الْأَسَارَى الَّذِينَ تَأْسِرُونَهُمْ، ثُمَّ أَنْتُمْ بَعْدَ انْقِضَاءِ الْحَرْبِ وَانْفِصَالِ الْمَعْرَكَةِ تُخَيَّرُونَ فِي أَمْرِهِمْ: إِنْ شِئْتُمْ مَنَنْتُمْ عَلَيْهِمْ فَاطْلُقْتُمْ أَسَارَهُمْ مَجَانًّا، وَإِنْ شِئْتُمْ فَادَيْتُمُوهُمْ بِمَالٍ تَأْخُذُونَهُ مِنْهُمْ وَتَشَارِطُونَهُمْ عَلَيْهِ. وَالظَّاهِرُ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ بَعْدَ وَقْعَةِ بدرٍ؛ فَإِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ عَاتَبَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْاسْتِكْثَارِ مِنَ الْأَسَارَى يَوْمَئِذٍ لِأَخْذِهَا مِنْهُمْ الْفِدَاءَ، وَالتَّقْلِيلِ مِنَ الْقَتْلِ يَوْمَئِذٍ.

ثم ادعى بعض العلماء أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ مَنْسُوخَةٌ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا أَسْلَخَ الْفُتُوهُمُ الْكُفْرَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ الآية [التوبة: ٥]، رواه العوفي عن ابن عباس. وقاله قتادة والضحاك والسدي وابن جرير. وقال الآخرون: ليست بمنسوخة. ثم قال بعضهم: إِنَّمَا الْإِمَامُ يُخَيَّرُ بَيْنَ السَّخْرِ عَلَى الْأَسِيرِ وَمَفَادَاتِهِ فَقَطْ، وَلَا يَجُوزُ لَهُ قَتْلُهُ. وَقَالَ آخَرُونَ مِنْهُمْ: بَلْ لَوْ أَنَّ يَتْلُوهُ إِنْ شَاءَ؛ لَحْدِثَ قَتْلُ النَّبِيِّ ﷺ النَّفْرَ مِنَ الْحَارِثِ وَعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ مِنْ أَسَارَى بدر<sup>(١)</sup>، وَقَالَ ثُمَامَةُ بْنُ اثَّالٍ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ قَالَ لَهُ: «مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟» فَقَالَ: «إِنَّ قَتْلَ تَقْتُلَ ذَا دَمٍ، وَإِنْ تَمَنَّيْتَ تَمَنَّيْتَ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ كُنْتَ تَرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تَعَطَّ مِنْهُ مَا شِئْتَ» [رواه البخاري].

وقوله: ﴿حَتَّى تَخْرُجَ الْكُفْرُ أَوْزَارًا﴾ قال مجاهد: حَتَّى يَنْزِلَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَكَأَنَّهُ أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِهِ ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي

ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ حَتَّى يُقَاتَلَ آخِرُهُمُ الدِّجَالُ» [رواه أبو داود، وصححه الألباني]. وَقَالَ قَتَادَةُ: حَتَّى لَا يَبْقَى شَرِكٌ. ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ: أَي: أَوْزَارُ الْمُحَارِبِينَ، وَهُمْ الْمُشْرِكُونَ، بِأَنْ يَتَوَبَّوْا إِلَى اللَّهِ ﷻ. وَقِيلَ: أَوْزَارُ أَهْلِهَا بِأَنْ يَبْذُلُوا الْوَسْعَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ ﷻ.

وقوله: ﴿ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَآنْتُمْ أَنْتُمْ﴾ أي: هَذَا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَانْتَقَمَ مِنَ الْكَافِرِينَ بِعُقُوبَةٍ وَتَكَالَمَ مِنْ عِنْدِهِ، ﴿وَلَكِنْ يَبْتَغِي بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ﴾ أي: وَلَكِنْ شَرَعَ لَكُمْ الْجِهَادَ وَقَتَالَ الْأَعْدَاءَ لِتُخَيَّرَكُمْ، وَيَبْتَغِي أَخْبَارَكُمْ. كَمَا ذَكَرَ حَكَمَتُهُ فِي شَرِيعَةِ الْجِهَادِ فِي سُورَةِ «آلِ عِمْرَانَ» وَ«بَرَاءة» فِي قَوْلِهِ: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَسْعَوْا إِلَيْهِ الْكَافِرِينَ جَهَنَّمَ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٤٢]. وَقَالَ فِي سُورَةِ بَرَاءة: ﴿فَقَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَتُخَيَّرُوهُمْ وَنَضَرْتُمْ عَلَيْهِمْ وَيَنْصِفُ صُدُورَ قَوِيٍّ ثَوِيٍّ﴾ (١١) وَيَذْهَبُ غَيْظُ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ [التوبة: ١٤-١٥].

ثُمَّ لَمَّا كَانَ مِنْ شَأْنِ الْقِتَالِ أَنَّ يُقْتَلَ كَثِيرٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ: ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُغْفِرَ عَنْهُمْ﴾ أي: لَنْ يُعْطِيَهُمْ بَلْ يُكْتَرَهَا وَيُنْمِيهَا وَيُضَاعِفُهَا. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، وَأَبِي قَتَادَةَ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يُغْفَرُ لِلشَّهِيدِ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا الدِّنَّ» [رواه مسلم]. «وَيُسْفَعُ الشَّهِيدُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ» [رواه أبو داود، وصححه الألباني]. وَالْأَحَادِيثُ فِي فَضْلِ الشَّهِيدِ كَثِيرَةٌ جَدًّا.

وقوله: ﴿سَيَّرْتُمْ﴾ أي: إِلَى الْجَنَّةِ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَجْعَلُهُمْ رَبُّهُمْ يَرْحَمُهُمْ بِإِسْمِهِمْ تَجَرُّوهُم مِّنْ تَحَنُّنٍمُ الْآلِهَتُمْ فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ» [يونس: ٩]. وَقَوْلُهُ: ﴿وَيُصْلِحَ بَالَكُمْ﴾ أي: أَمْرُهُمْ وَحَالَهُمْ، ﴿وَيُخَيِّلُهُمُ الْبَلَاءَ عَرَفَهُمْ لَمْ﴾ أي: عَرَفَهُمْ بِهَا وَهَدَاهُمْ إِلَيْهَا. وَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنْ أَحْدَهُمْ بِمَنْزِلِهِ فِي الْجَنَّةِ أَهْدَى مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ الَّذِي كَانَ فِي الدُّنْيَا». ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ نَصَرُوا اللَّهَ يُصَرِّكُمْ﴾؛ كَقَوْلِهِ: ﴿وَيَصْرُفُكُمْ اللَّهُ مَن يَصْرِفُهُ﴾ [الحج: ٤٠]، فَإِنَّ الْجَزَاءَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَيُثَبِّتُ أَفْئَادَكُمْ﴾.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَسَاءَلُمْ﴾ عَكْسَ تَثْبِيتِ الْأَقْدَامِ لِلْمُؤْمِنِينَ النَّاصِرِينَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ ﷺ. وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَسْلَمَ أَهْلُهُمْ﴾ أي: أَحْبَبَهَا وَأَبْطَلَهَا؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ أي: لَا يَرْضَوْنَ وَلَا يُحِبُّونَهُ، فَاجْتَبَاهُ أَهْلُهُمْ.

الآية (١٠-١١): ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا﴾ يعني: الْمُشْرِكِينَ بِاللَّهِ الْمُكَذِّبِينَ لِرَسُولِهِ ﴿فِي الْأَرْضِ قَبْلَهُمْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ أي: عَاقِبُهُمْ بِتَكْذِيبِهِمْ وَكُفْرِهِمْ، أي: وَنَجَّى الْمُؤْمِنِينَ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِهِمْ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَلِلْكَافِرِينَ أَهْلُكُمُ﴾.

ثُمَّ قَالَ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾، قَالَ أَبُو سَفْيَانَ يَوْمَ غَزْوَةِ أُحُدٍ: لَنَا الْعَزَى، وَلَا عَزَى لَكُمْ. فَقَالَ ﷺ: «أَلَا نَحْيِيهِمْ؟!» قَالُوا: وَمَا نَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «قُولُوا: اللَّهُ مَوْلَانَا، وَلَا مَوْلَى لَكُمْ» [رواه البخاري].

(١) ضَعَفَهُ الْأَلْبَانِيُّ، لَكِنْ جُودَ إِسْنَادُ مَا يُفِيدُ قَتْلَ النَّبِيِّ ﷺ عَقِبَهُ خَاصَّةً، وَقَالَ: أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ أَبِي عَرَبَةَ. [رواه الغليل ١٢١٤].

وقوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ أي: يعلم تصرفكم في دنياكم ومثواكم في الآخرة. كقوله: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا أَعَلَّ اللَّهُ وَلِيُّهَا وَإِلَهُهَا مُتَنَزِّهًا وَمُسْتَوْدَعًا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [مائدة: ١٧]. وهذا القول ذهب إليه ابن جريج، وهو اختيار ابن جرير. وعن ابن عباس: مُتَقَلَّبَكُمْ في الدنيا، ومثواكم في الآخرة. والأول أولى وأظهر، والله أعلم.



## ● الوقفات التدريبية

❶ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا رَحِمًا رَحِيمًا وَالصَّالِحِينَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَسْتَمِعُونَ وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ۚ وَكَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ شَرٌّ وَأَلْوَنُ ۚ وَأَخْرَجَتَكَ أَهْلُكُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ۚ أَفَنُكَانَ عَلَىٰ بَيْتِهِمْ مِنَ زَيْدٍ كَمَنْ زَيْنَ لَهُ سَوْءُ عَمَلِهِ ۚ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۚ تَتْلُو الْفِتْنَةَ إِلَىٰ وَعْدِ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ ۚ كَمَنْ هُوَ خَلَدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءُهُمْ ۚ وَمَنْهُمْ مَنْ يَسْمَعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ أَفَبَا أَوْلِيَاكَ الَّذِينَ طَعَنَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًىٰ وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ۚ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ ذِكْرُهُمْ ۚ فَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرُوا لِذَنبِكُمْ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ۚ﴾

السؤال: ما اثر دخول المؤمنين الجنة؟

❷ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَسْتَمِعُونَ وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ۚ وَكَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ شَرٌّ وَأَلْوَنُ ۚ وَأَخْرَجَتَكَ أَهْلُكُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ۚ أَفَنُكَانَ عَلَىٰ بَيْتِهِمْ مِنَ زَيْدٍ كَمَنْ زَيْنَ لَهُ سَوْءُ عَمَلِهِ ۚ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۚ تَتْلُو الْفِتْنَةَ إِلَىٰ وَعْدِ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ ۚ كَمَنْ هُوَ خَلَدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءُهُمْ ۚ وَمَنْهُمْ مَنْ يَسْمَعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ أَفَبَا أَوْلِيَاكَ الَّذِينَ طَعَنَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًىٰ وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ۚ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ ذِكْرُهُمْ ۚ فَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرُوا لِذَنبِكُمْ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ۚ﴾

السؤال: ما أكبرهم للكار في الدنيا؟ وما الفرق بين ممة كل من المؤمن والكافر والمنافق؟

❸ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَسْتَمِعُونَ وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ۚ وَكَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ شَرٌّ وَأَلْوَنُ ۚ وَأَخْرَجَتَكَ أَهْلُكُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ۚ أَفَنُكَانَ عَلَىٰ بَيْتِهِمْ مِنَ زَيْدٍ كَمَنْ زَيْنَ لَهُ سَوْءُ عَمَلِهِ ۚ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۚ تَتْلُو الْفِتْنَةَ إِلَىٰ وَعْدِ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ ۚ كَمَنْ هُوَ خَلَدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءُهُمْ ۚ وَمَنْهُمْ مَنْ يَسْمَعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ أَفَبَا أَوْلِيَاكَ الَّذِينَ طَعَنَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًىٰ وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ۚ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ ذِكْرُهُمْ ۚ فَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرُوا لِذَنبِكُمْ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ۚ﴾

السؤال: ما وجه الشبه بين الكفار والبهائم في هذه الدنيا؟

❹ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَسْتَمِعُونَ وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ۚ وَكَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ شَرٌّ وَأَلْوَنُ ۚ وَأَخْرَجَتَكَ أَهْلُكُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ۚ أَفَنُكَانَ عَلَىٰ بَيْتِهِمْ مِنَ زَيْدٍ كَمَنْ زَيْنَ لَهُ سَوْءُ عَمَلِهِ ۚ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۚ تَتْلُو الْفِتْنَةَ إِلَىٰ وَعْدِ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ ۚ كَمَنْ هُوَ خَلَدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءُهُمْ ۚ وَمَنْهُمْ مَنْ يَسْمَعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ أَفَبَا أَوْلِيَاكَ الَّذِينَ طَعَنَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًىٰ وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ۚ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ ذِكْرُهُمْ ۚ فَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرُوا لِذَنبِكُمْ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ۚ﴾

السؤال: ما دلالة إعطاء الإنسان نعيم الدنيا وحرمانه العبادات؟

❺ ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۚ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَوَلِّيَّكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ۚ﴾

السؤال: اذكر مثالا على تدبر النبي ﷺ للقرآن وعمله به.

❻ ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۚ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَوَلِّيَّكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ۚ﴾

السؤال: بين كيف دلت الآية على فضل العمل بعد العلم.

❼ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَسْتَمِعُونَ وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ۚ وَكَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ شَرٌّ وَأَلْوَنُ ۚ وَأَخْرَجَتَكَ أَهْلُكُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ۚ أَفَنُكَانَ عَلَىٰ بَيْتِهِمْ مِنَ زَيْدٍ كَمَنْ زَيْنَ لَهُ سَوْءُ عَمَلِهِ ۚ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۚ تَتْلُو الْفِتْنَةَ إِلَىٰ وَعْدِ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ ۚ كَمَنْ هُوَ خَلَدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءُهُمْ ۚ وَمَنْهُمْ مَنْ يَسْمَعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ أَفَبَا أَوْلِيَاكَ الَّذِينَ طَعَنَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًىٰ وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ۚ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ ذِكْرُهُمْ ۚ فَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرُوا لِذَنبِكُمْ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ۚ﴾

السؤال: ما لوازم الاستغفار لهم المتضمن لإزالة الذنوب وعقوباتها عنهم، فإن من لوازم ذلك النصيح لهم، وأن يجب لهم من الخير ما يجب لنفسه، ويكره لهم من الشر ما يكره لنفسه، ويأمرهم بما فيه الخير لهم، وينهاهم عما فيه ضررهم، ويعفو عن مساوئهم ومعاصيهم، ويحرص على اجتماعهم اجتماعاً تتألف به قلوبهم، ويزول ما بينهم من الأحقاد المضنية للمعادة والشقاق الذي به تكثر ذنوبهم ومعاصيهم. السعدي: ٧٨٧-٧٨٨.

السؤال: ما لوازم الاستغفار للمؤمنين والمؤمنات؟

إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا رَحِمًا رَحِيمًا وَالصَّالِحِينَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَسْتَمِعُونَ وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ۚ وَكَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ شَرٌّ وَأَلْوَنُ ۚ وَأَخْرَجَتَكَ أَهْلُكُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ۚ أَفَنُكَانَ عَلَىٰ بَيْتِهِمْ مِنَ زَيْدٍ كَمَنْ زَيْنَ لَهُ سَوْءُ عَمَلِهِ ۚ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۚ تَتْلُو الْفِتْنَةَ إِلَىٰ وَعْدِ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ ۚ كَمَنْ هُوَ خَلَدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءُهُمْ ۚ وَمَنْهُمْ مَنْ يَسْمَعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ أَفَبَا أَوْلِيَاكَ الَّذِينَ طَعَنَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًىٰ وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ۚ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ ذِكْرُهُمْ ۚ فَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرُوا لِذَنبِكُمْ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ۚ

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
مَثْوًى	ماوى، ومسكر.
غَيْرِ آسِنٍ	غير متغير، ولا منته.
أَنفًا	الأن.
جَاءَ أَشْرَاطُهَا	ظهرت علاماتها.
فَأَنَّىٰ	من أين لهم؟
مُتَقَلَّبَكُمْ	تصرفكم في يظفكم نهارًا.
وَمَثْوَاكُمْ	مستقركم في نومكم نيلًا.

## ● العمل بالآيات

١. سم الله عند الأكل، واحمده في آخره، ولا تأكل كما تأكل الأنعام بدون التسمية: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَسْتَمِعُونَ وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾.
٢. اقرأ كتاباً في صفة وضوء النبي وصلاته حتى تعبد الله على بينة: ﴿أَفَنُكَانَ عَلَىٰ بَيْتِهِمْ مِنَ زَيْدٍ كَمَنْ زَيْنَ لَهُ سَوْءُ عَمَلِهِ ۚ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾.
٣. استغفر الله من ذنوبك، ثم سل الله أن يغفر للمؤمنين والمؤمنات ذنوبهم: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾.

## ● التوجيهات

١. انظر واعتبر في إهلاك الله تعالى للمرى الظالمية: ﴿وَكَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ شَرٌّ وَأَلْوَنُ ۚ وَأَخْرَجَتَكَ أَهْلُكُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾.
٢. استعد ليوم القيامة بالعمل الصالح: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ ذِكْرُهُمْ﴾.
٣. أهمية العلم فهو الذي يجعلك تعمل على بصيرة وهدى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ ١  
أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ ﴿

وقد علم من هذا أن من أمر بالمعروف، وجاهد أهل المنكر أمن الإفساد في الأرض وقطيعة الرحم، ومن تركه وقع فيهم. البقاعي: ١٦٩/٧.  
السؤال: ما عاقبة ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وترك الجهاد في سبيل الله على المجتمع المسلم؟

﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾  
الرحم على وجهين: عامة وخاصة فالعامة: رحم الدين، ويجب مواصلة بها بملزمة الإيمان والمحبة لأهله، ونصرتهم، والنصيحة، وترك مضاررتهم، والعدل بينهم، والنصفة في معاملتهم، والقيام بحقوقهم الواجبة: كتمريض المرضى، وحقوق المولى من: غسلهم والصلاة عليهم ودفنهم، وغير ذلك من الحقوق المترتبة لهم. وأما الرحم الخاصة - وهي رحم القرابة من طرية الرجل أبيه وأمه - فتجب لهم الحقوق الخاصة: وزيادة، كالتنفقة، وتقصد أحوالهم، وترك التغافل عن تعاضدهم في أوقات ضرورتهم، وتؤكد في حقهم حقوق الرحم العامة، حتى إذا تراخمت الحقوق بدئ بالأقرب فالأقرب. القرطبي: ٢٧٧/١٩.

السؤال: ما المراد بالرحم؟ وما حقوقهم؟

﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾  
أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ ﴿

قوله: (أولئك الذين لعنهم الله)، يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين يفعلون هذا؛ يعني الذين يفسدون ويقطعون الأرحام الذين لعنهم الله، فأبعدهم من رحمته. (فأصمهم)، يقول: فسلبهم فهم ما يسمعون بأذانهم من مواضع الله في تنزيله. (وأعمى أبصارهم)، يقول: وسلبهم عقولهم، فلا يتبينون حجج الله، ولا يتذكرون ما يرون من عبره وأدلته. الطبري: ١٧٨/٢٢.

السؤال: من الذين لعنهم في هذه الآية؟ وما نتيجة العمى الذي أصاب أبصارهم؟

﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرَاتِ أَرَعَلْ قُلُوبُ أَفْأَلَهَا ﴾  
وكان القلب بمنزلة الباب المرتج، الذي قد ضرب عليه قفل؛ فإنه ما لم يُفتح القفل لا يمكن فتح الباب والوصول إلى ما وراءه، وكذلك ما لم يرفع الختم والقفل عن القلب لم يدخل الإيمان والقرآن. ابن القيم: ٤٥٤/٢.

السؤال: بينت الآية الطريق لفتح قلب الإنسان ودخول الإيمان فيه، وضع ذلك.

﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرَاتِ أَرَعَلْ قُلُوبُ أَفْأَلَهَا ﴾

والعنى: أفلا يتفهمونه، فيعملون بما اشتمل عليه من الموعظ الزاجرة والحجج الظاهرة والبراهين القاطعة، التي تكفي من له فهم وعقل وتزجره عن الكفر بالله والإشراك به والعمل بمعاصيه؟ الشوكاني: ٣٨/٥.

السؤال: ما علامة حصول التدبر من القارئ للقرآن الكريم؟

﴿ إِذْ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَيْنِ لَهُمْ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَّ لَهُمْ ﴾

يخبر تعالى عن حالة المرتدين عن الهدى والإيمان على أعقابهم إلى الضلال والكفران؛ ذلك لا عن دليل دلهم ولا برهان، وإنما هو تسويل من عدوهم الشيطان وتزيين لهم، وإملاء منه لهم. السعدي: ٧٨٩.

السؤال: ما سبب ارتداد بعض المنتسبين للإسلام إلى الكفر؟

﴿ نَكَفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ بِصُرُوفٍ وَهُمْ لَا يَسْتَفِيدُونَ ﴾ ٢  
يَأْتِيهِمْ أَتْبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَخَبَّطَ أَعْمَلَهُمْ ﴿

الجمع بين الإخبار عنهم باتباعهم ما أسخط الله وكرهاتهم رضوانه، مع إمكان الاجتزاء بأحدهما عن الآخر للإيماء إلى أن ضرب للملائكة وجوه هؤلاء مناسب لإخبارهم على ما أسخط الله، وأن ضربهم أدبارهم مناسب لكرهاتهم رضوانه، لأن الكراهة تستلزم الإعراض والإدبار. ابن عاشور: ١١٩/٢٦.

السؤال: ما مناسبة الجمع بين الإخبار عن المشركين باتباعهم ما أسخط الله وكرههم رضوانه من جهة، وضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم من جهة أخرى؟

وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِّرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُنْظَرُونَ إِلَيْكَ فَظَلُّوا لَمَعَشِي عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَئِكَ لَهُمْ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ ١  
أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ ٢  
أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرَاتِ أَرَعَلْ قُلُوبُ أَفْأَلَهَا ٣  
إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَيْنِ لَهُمْ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَّ لَهُمْ ٤  
ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ٥  
فَكَيفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ بِصُرُوفٍ وَهُمْ لَا يَسْتَفِيدُونَ ٦  
وَأَذِّنْهُمْ ٧  
ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ أَتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَخَبَّطَ أَعْمَلَهُمْ ٨  
أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَصْفَانَهُمْ ٩

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
مَرَضٌ	شَكٌّ، وَفَاقٌ.
الْمَعَشِي عَلَيْهِ	الْمَعَصِي عَلَيْهِ مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ.
عَزَمَ الْأَمْرُ	وَجَبَ الْقِتَالُ.
فَهَلْ عَسَيْتُمْ	لَعَلَّكُمْ.
تَوَلَّيْتُمْ	أَعْرَضْتُمْ عَنِ الْإِيمَانِ.
ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ	رَجَعُوا كَفْرًا.
سَوَّلَ لَهُمْ	زَيَّنَ لَهُمْ خَطَايَاهُمْ.
إِسْرَارَهُمْ	مَا يَخْفَوْنَهُ، وَيُسِيرُونَهُ.
أَصْفَانَهُمْ	أَحْقَادَهُمْ.

## ● العمل بالآيات

١. أراد أحد أقاربك أو اقرب به حتى تحافظ على صلة الرحم، ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾.
٢. اقرأ هذا الوجه من القرآن بتدبر ثم استخرج منه ثلاث فوائد غير ما ذكر، ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرَاتِ أَرَعَلْ قُلُوبُ أَفْأَلَهَا ﴾.
٣. ادع الله أن يجعل قلبك سليماً ويطهره من النفاق والرياء والعجب، ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَصْفَانَهُمْ ﴾.

## ● التوجيهات

١. سكن من الصادقين مع الله، ﴿ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾.
٢. خطورة قطيعة الأرحام، ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾.
٣. ما أسرع سريرة إلا الله قادر على إظهارها سبحانه، ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَصْفَانَهُمْ ﴾.

فَقُصِّلَ مِنْ وَصْلَهَا، وَتَقَطَّعَ مِنْ قَطْعِهَا» [رواه أحمد، وصححه إسناده أحمد شاكر].  
وعن عبد الله بن عمرو -يُنْبَغُ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ- قال: «الراحون  
يرحمهم الرحمن، ارحوا أهل الأرض يرحمكم أهل السماء، والرحم  
شُجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ، مَنْ وَصَلَهَا وَصَلَتْهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَّتَهُ» [رواه أحمد وأبو  
داود والترمذي، وصححه إسناده أحمد شاكر].

الآية (٢٤-٢٨): يقول تعالى آمراً بتبشير القرآن وتفهيمه، وناهياً عن  
الإعراض عنه، فقال: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفَرِيقَاتِ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾  
أي: بل على قلوب أقفالها، فهي مُطْبَقَةٌ لَا تَخْلُصُ إِلَيْهَا شَيْءٌ مِنْ مَعَانِيهِ.  
ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ﴾ أي: فارقوا الإيمان  
ورجعوا إلى الكفر، ﴿يَوْمَ بَدَأْنا بَيْنَهُمُ الْهَيْدَى الَّذِينَ سَوَّلَ لَهُمْ﴾  
أي: زَيْنَ لَهُمْ ذَلِكَ وَحَسَنَهُ. ﴿وَأَمَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِبُوا عَنْهُمُ غُرْمَهُمْ تَخِذْهُمْ﴾

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سُلَيْمٌ مَكْتُمٌ﴾  
في بعض الأثر: أي: مألوفهم وناصرهم في الباطن على الباطل،  
وهذا شأن المنافقين: يظهرون خلاف ما يُبْطِنُونَ؛ ولهذا قال الله ﷻ:  
﴿وَاللَّهُ يَسْتَكْرِهُهُمْ﴾ أي: ما يُبْغِضُهُمْ وَمَا يُبْغِضُونَ، اللَّهُ مُطَّلِعٌ عَلَيْهِ وَعَالِمٌ  
بِهِ، كقوله: ﴿وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبْغِضُونَ﴾ [النساء: ٨١].

ثم قال: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ بِصَرِيحٍ وَأُجْمَعَتْهُمُ  
وَأُذْكِرْتُمْ﴾ أي: كيف حالهم إذا جاءتهم الملائكة لقبض أرواحهم  
وتعصت الأرواح في أجسادهم، واستخرجنها الملائكة بالعنف  
والقهر والضرب؛ كما قال: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا  
الْمَلَائِكَةُ بِصَرِيحٍ وَأُجْمَعَتْهُمُ وَأُذْكِرْتُمْ﴾ الآية [الأفلاك: ٥٠]، وقال: ﴿وَلَوْ  
تَرَى إِذْ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ﴾ أي:  
بالضرب ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ  
تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣]؛ ولهذا  
قال ههنا: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ أَتَّبَعُوا مَا اسْتَحْطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ  
فَأَحْطَ أَعْمَلُهُمْ﴾.

الآية (٢٩): يقول تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ  
لَنْ يُخَيِّجَ اللَّهُ أَصْفَانَهُمْ﴾؟ أي: أيعتقد المنافقون أن الله لا يُخَيِّفُ  
أمرهم لعباده المؤمنين؟! بل سيُوضَّح أمرهم ويُجْلِبُهُ حَتَّى يَفْهَمَهُمْ  
ذوو البصائر، وقد أنزل تعالى في ذلك سورة «براءة»، فيبين فيها  
فضائلتهم وما يعتمدونه من الأفعال الدالة على نفاقهم؛ ولهذا إنما  
كانت تُسَمَّى الفاضحة. والأصغار: جمع ضِعْفٍ، وهو ما في النفوس  
من الحسد والحقد للإسلام وأهله والقائمين بنصره.

الآية (٢٠-٢٣): يقول تعالى مُخْبِراً عن المؤمنين أنهم سَمَنُوا  
شرعية الجهاد، فَلَمَّا قَرَضَهُ اللَّهُ ﷻ، وَأَمَرَ بِهِ نَكَلَ عَنْهُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ؛  
كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا  
الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ  
خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كُتِبَ عَلَيْنَا الْقِتَالُ لَوْ أَنَّا رَأَيْنَا إِلَـهَ أَجَلٍ قَرِيبٍ لَقَدْ مَنَعُ  
الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ الْغَنَى وَلَا يُظْلَمُونَ قَلِيلًا﴾ [النساء: ٧٧].

وقال ﷻ ههنا: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نَزَّلَتْ سُورَةٌ﴾ أي:  
مشمتملة على حُكْمِ الْقِتَالِ؛ ولهذا قال: ﴿فَإِذَا نَزَّلَتْ سُورَةٌ تُحْكَمُ  
وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَنْظُرَ  
الْمُنِيفِ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ أي: مِنْ فَرَجِهِمْ وَرُغْبِهِمْ وَجُبْنِهِمْ مِنْ لِقَاءِ  
الْأَعْدَاءِ. ثم قال مُشْجَعاً لَهُمْ: ﴿فَأَوَّكُوا لَهُمْ ۖ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾  
أي: وكان الأولى بهم أَنْ يَسْمَعُوا وَيُطِيعُوا، أي: في الحالة الراهنة،  
﴿وَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ﴾ أي: جَدَّ الْحَالُ، وَخَضَرَ الْقِتَالُ ﴿فَلْيُصَدِّقُوا اللَّهَ﴾  
أي: اخْلُصُوا لَهُ النِّيَّةَ، ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾.

وقوله: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أي: عَنْ الْجِهَادِ وَنَكَلْتُمْ عَنْهُ،  
﴿أَنْ تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْصَامَكُمْ﴾ أي: تَعُودُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ فِيهِ  
مِنَ الْجَاهِلِيَّةِ الْجَهْلَاءِ، تَسْفِكُونَ الدَّمَاءَ، وَتَقَطَّعُونَ الْأَرْحَامَ؛ ولهذا  
قال: ﴿أَوَلَيْكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَاصْعَقَ وَاصْعَقَ أَبْصَرْتُمْ﴾، وهذا نهي  
عَنِ الْإِنْسَادِ فِي الْأَرْضِ عَمُومًا، وَعَنْ قَطْعِ الْأَرْحَامِ خُصُوصًا، بَلْ قَدْ  
أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِالْإِصْلَاحِ فِي الْأَرْضِ وَصِلَةِ الْأَرْحَامِ، وَهُوَ الْإِحْسَانُ إِلَى  
الْأَقَارِبِ فِي الْمَقَالِ وَالْأَفْعَالِ وَبِذَلِ الْأَمْوَالِ. وَقَدْ وَدَّتِ الْأَحَادِيثُ  
الصَّحَاحَ وَالْحَسَانَ بِذَلِكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، مِنْ طُرُقٍ عَدِيدَةٍ،  
وَوُجُوهٍ كَثِيرَةٍ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ،  
فَلَمَّا قَرِغَ مِنْهُ قَامَتِ الرَّجْمُ فَأَخَذَتْ بِحَقْوِ الرَّحْمَنِ ﷻ، فَقَالَ: مَهْ!  
فَقَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ. فَقَالَ: لَا تَرْضَيْنَ أَنْ أُصِلَ  
مَنْ وَصَلَكَ وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكَ؟ قَالَتْ: بَلَى. فَذَكَ. قَالَ أَبُو  
هُرَيْرَةَ: أَقْرَأُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ  
وَتَقَطَّعُوا أَرْصَامَكُمْ﴾ [متفق عليه].

وعن أبي بكره قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ ذَنْبٍ أَخْرَى أَنْ  
يُجْعَلَ اللَّهُ عَقُوبَتَهُ فِي الدُّنْيَا، مَعَ مَا يُدْخِرُ لِصَاحِبِهِ فِي الْآخِرَةِ، مِنَ الْبُغْيِ  
وَقَطِيعَةِ الرَّجْمِ» [رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه، وصححه الألباني].  
وعن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الرَّجْمَ  
مُعَلَّقٌ بِالْعَرْشِ، وَلَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِي، وَلَكِنْ الْوَاصِلُ الَّذِي إِذَا  
قُطِعَتْ رَجْمُهُ وَصَلَهَا» [رواه البخاري].

وعن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «تُوضَعُ الرَّجْمُ  
يَوْمَ الْقِيَامَةِ هَا حُجْنَةً كَحُجْنَةِ الْوُفُولِ»<sup>(١)</sup>، تَتَكَلَّمُ بِلِسَانٍ طَلِقٍ ذَلِيقٍ؛

(١) حجنة الوفول: الصنارة؛ وهي الحديدة المعقاة التي يعلق بها الخيط ثم يفتل  
المفزل وكل شيء انمعتف فهو أحجن. [غريب الحديث لابن تينة: ١/٣٣٤].







## ● الوقفات التدريبية

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَمَرْنَاكُمُ بِمَا تَكُونُونَ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكُمْ مَّا تَكُونُونَ﴾

ولو نشاء يا محمد لأمرناك أشخاصهم ففرقتهم عياناً، ولكن لم يفعل تعالى ذلك في جميع المنافقين سترأ منه على خلقه، وحملاً للأمور على ظاهر السلامة، ورداً للسرائر إلى عالمها. ابن كثير: ١٨٣/٤.

السؤال: لماذا لم يبين الله تعالى للمسلمين جميع المنافقين؟

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تَبْغُوا أَعْمَالَكُمْ﴾

(ولا تبطلوا أعمالكم): يحتمل أربعة معان: أحدها: لا تبطلوا أعمالكم بالكفر بعد الإيمان، والثاني: لا تبطلوا حسناتكم بفعل السيئات، والثالث: لا تبطلوا أعمالكم بالرياء والعجب، والرابع: لا تبطلوا أعمالكم بأن تقتطعوا قبل تمامها. ابن جزي: ٣٤٣/٢.

السؤال: بين مبطلات الأعمال من خلال هذه الآية.

﴿فَلَا تَهْجُوا دِينَكُمْ إِلَى الْكُفْرِ وَتَكُونُوا مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾

(والله معكم): فيه بشارة عظيمة بالنصر والظفر على الأعداء. ابن كثير: ١٨٤/٤.

السؤال: ماذا يترتب على معية الله للمسلمين؟

﴿فَلَا تَهْجُوا دِينَكُمْ إِلَى الْكُفْرِ وَتَكُونُوا مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾

(فلا تهجوا أي: لا تضعفوا عن الأعداء. وتعدوا إلى السلم) أي: المهادنة والسلامة ووضع القتال بينكم وبين الكفار في حال قوتكم وكثرة عدوكم وغدوكم. وانتم العلون أي: في حال علوكم على عدوكم، فاما إذا كان الكفار فيهم قوة وكثرة بالنسبة إلى جميع المسلمين، ورأى الإمام في المهادنة والمعاهدة مصلحة فله أن يفعل ذلك. ابن كثير: ١٨٤/٤.

السؤال: بينت الآية موقف المسلمين من عدوهم في حال قوتهم، فما موقفهم في حال ضعفهم؟

﴿إِنَّمَا لِلدِّينِ أَلْفَاظٌ لِّمَنْ يَّهْتَدِ وَلَهُمْ أَلْفَاظٌ لِّمَنْ يَّضِلُّ﴾

الأشبه أن هذا عطف على قوله: (فلا تهجوا) وتعدوا إلى السلم) تنكيراً بأن امتثال هذا النهي هو التقوى المحمودة، ولأن الدعاء إلى السلم قد يكون الباعث عليه حب إبقاء المال الذي ينفق في الغزو، فذكروا هنا بالإيمان والتقوى ليخلصوا عن أنفسهم الوهن: لأنهم نهوا عنه وعن الدعاء إلى السلم، فكان الكف عن ذلك من التقوى. ابن عاشور: ١٣٣/٢٦.

السؤال: ما علاج الوهن الذي أصاب الأمة من خلال الآية الكريمة؟

﴿وَلَنْ تَقْوُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجْرَكُمْ وَلَا يَسْتَلْكُمْ أَمْوَالُكُمْ﴾

(ولا يسالكم) ريكتم (اموالكم) لإيتاء الأجر، بل يامرهم بالإيمان والطاعة ليثيبكم عليها الجنة، نظيره قوله: (ما أريد منهم من رزق) [الذاريات: ٥٧]، وقيل: لا يسالكم محمد أموالكم؛ نظيره: (هل ما أسالكم عليه من أجر) [ص: ٨٦]، وقيل: معنى الآية: لا يسالكم الله ورسوله أموالكم كلها في الصدقات، إنما يسالكم غرضاً من فيض -رب العشر- فطبيوا بها نفوساً. القرطبي: ١٦٣/٤.

السؤال: من علامات صدق العالم عدم سؤال الناس أموالهم، كيف عرفت هذا من الآية؟

﴿هَآأَنَّهُ هَآأَنَّهُ تَدْعُونَ لِيُفْقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُكَلِّمُ مَن يَّهْتَدِ وَمَن يَّضِلُّ فَلَا يَسْأَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنَّهُ الْفَقْرَاءُ وَلَئِن تَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ فَوْمًا غَيْرَكُمْ لَئِنْ يَكُونُوا أُمَّةً مِّنْكُمْ﴾

(ومن يضل فإنما يضل عن نفسه) أي: إنما ضرر بخله على نفسه؛ فكانه بخل على نفسه بالشواب الذي يستحقه بالإنفاق. (وإن تتولوا يستبدل فوماً غيركم) أي: يات يقوم على خلاف صفتكم، بل راغبين في الإنفاق في سبيل الله. ابن جزي: ٣٤٤/٢.

السؤال: نستفيد من هذه الآية أن الجزء من جنس العمل، بين ذلك.

وَلَوْ نَشَاءُ لَأَمَرْنَاكُمُ بِمَا تَكُونُونَ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكُمْ مَّا تَكُونُونَ لَحَنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٥٠﴾ وَلَتَبْلُوُنَّكُمْ حَتَّى تَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَتَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ ﴿٥١﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُوا الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَنَ يُصْرُوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَحْطِ أَعْمَالُهُمْ ﴿٥٢﴾ يَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تَبْغُوا أَعْمَالَكُمْ ﴿٥٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴿٥٤﴾ فَلَا يَهْتَدُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنَّهُمُ الْآخِلُونَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَسْتَرْكِبُوا أَعْمَالَكُمْ ﴿٥٥﴾ إِنَّمَا لِلدِّينِ أَلْفَاظٌ لِّمَنْ يَّهْتَدِ وَلَهُمْ أَلْفَاظٌ لِّمَنْ يَّضِلُّ وَلَا يَسْأَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنَّهُ الْفَقْرَاءُ وَلَئِن تَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ فَوْمًا غَيْرَكُمْ لَئِنْ يَكُونُوا أُمَّةً مِّنْكُمْ ﴿٥٦﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
بِسِيْمَاهُمْ	عَلَامَاتِهِمُ الظَّاهِرَةَ.
لَحَنِ الْقَوْلِ	مَا يَنبُذُ مِنْ كَلَامِهِمُ الَّذِي يُدَلُّ عَلَى مَقَاصِدِهِمْ.
وَتَبْلُوُنَّكُمْ	لَتَحْتَبِرَنَّكُمْ.
وَشَاقُوا	خَافُوا، وَخَارِبُوا.
يَتَرَكُمُ أَعْمَالَكُمْ	يَنْفَضُّكُمْ ثَوَابَ أَعْمَالِكُمْ.
فَيُحِفُّكُمْ	يُلْغِي عَلَيْكُمْ، وَيُجْهِدُكُمْ.
أَضْغَانَكُمْ	أَحْقَادَكُمْ.

## ● العمل بالآيات

١. اذكر ثلاثاً من صفات المنافقين جاءت في القرآن الكريم، ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحَنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾.
٢. ادع الله أن يجعلك من الصابرين، ﴿وَلَتَبْلُوُنَّكُمْ حَتَّى تَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَتَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ﴾.
٣. انضق اليوم جزءاً من مصروفك في سبيل الله ولا تبخل به، ﴿هَآأَنَّهُ هَآأَنَّهُ تَدْعُونَ لِيُفْقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُكَلِّمُ مَن يَّهْتَدِ وَمَن يَّضِلُّ فَلَا يَسْأَلُ عَن نَّفْسِهِ﴾.

## ● التوجيهات

١. إيمانك بالقضاء والقدر يقتضي الصبر على البلاء والمصيبة، ﴿وَلَتَبْلُوُنَّكُمْ حَتَّى تَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَتَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ﴾.
٢. اجعل أعمالك كلها لله وحده ولا تقصد رضى الناس أو مدحهم، ﴿وَلَا تَبْغُوا أَعْمَالَكُمْ﴾.
٣. المؤمن عزيز بإيمانه فلا يجبن ولا يضعف، ﴿فَلَا تَهْجُوا دِينَكُمْ إِلَى الْكُفْرِ وَتَكُونُوا مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾.



## ● الوقفات التدبيرية

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾

قال الزهري: لم يكن فتح اعظم من صلح الحديبية؛ وذلك ان المشركين اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامهم فتكثرت الاسلام في قلوبهم؛ اسلم في ثلاث سنين خلق كثير، وكثر بهم سواد الاسلام. البغوي: ١٦٠/٤.

السؤال: كيف كان صلح الحديبية فتحاً ونصراً؟

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿١٠﴾ لَقَدْ لَقِيَكَ اللَّهُ قَبْلَ هَذَا مَرَّةً مِنْ ذِيكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴿١١﴾ رَبُّكَ اللَّهُ عَلَى هَذَا الْفَتْحِ عَدَّةَ أَمْوَالٍ، فَقَالَ: (يُغْفِرُ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ)، وذلك والله أعلم بسبب ما حصل بسببه من الطاعات الكثيرة، والدخول في الدين بكثرة، وبما تحمّل من تلك الشروط التي لا يصبر عليها إلا أولو العزم من المرسلين. السعدي: ٧٩١.

**السؤال: لماذا رتب الله على الفتح مغفرة ما تقدم وما تأخر من النبي ﷺ؟**

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿١﴾ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴾

وجمع سبحانه له بين الهدى والنصر: لأن هذين الأصلين هما كمال السعادة والفلاح: فإن الهدى هو العلم بالله ودينه، والعمل بمرصاته وطاعته، فهو العلم النافع والعمل الصالح. والنصر: القدرة التامة على تنفيذ دينه بالحجة والبيان والسيف والسنان: فهو النصر بالحجة واليد، وقهر قلوب المخالفين له بالحجة، وقهر أبدانهم باليد، وهو سبحانه كثيراً ما يجمع بين هذين الأصلين: إذ هما تمام الدعوة وظهور دينه على الدين كله. ابن القيم: ٥٦/٢.

السؤال: لماذا جُمع الله سبحانه وتعالى للرسول بين الهدى والنصر في هذه الآيات؟

﴿لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ  
صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾

عن المغيرة بن شعبه قال: كان النبي يصلي حتى تَرَمَّ قدامه، فقيل له: أليس قد غُضِرَ الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أكون عبدا شكورا. الشوكاني: ٤٦/٥.

السؤال: لماذا كان النبي يصلي حتى تَرِمَ قدماه مع أنه غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟

﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلَهُ جُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾

قال الرازي: والسكينة الثقة بوعد الله، والصبر على حكم الله، بل السكينة ههنا معين يجمع فوزاً وقوة وروحاً، يسكن إليه الخائف ويتسلى به الحزين، وأثر هذه السكينة الوفاق والخشوع وظهور الحزم في الأمور. البقاعي: ١٨/٢٨٤.

**السؤال: ما أثر السكينة على المؤمن؟**

﴿الْعَزَّوَالْعَلَّ﴾

والحق الذي لا شك فيه أن الإيمان يزيد وينقص، كما عليه أهل السنة والجماعة، وقد دل عليه الوحي من الكتاب والسنة. الشنقيطي: ٣٩٤/٧.

السؤال: هذه الآية تقرّر أمرًا من عقيدة أهل السنة والجماعة فما هو؟

﴿لَتَقْبِلُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَنَعْبُدُهُ وَتُقَرَّبُ﴾  
ومعنى التعزير في هذا الموضع: التقوية بالنصرة والعونة، ولا يكون ذلك إلا بالطاعة والتعظيم والإجلال... فاما التوفير: فهو التعظيم والإجلال والتفخيم. الطبري: ٢٢ / ٢٠٨.

**السؤال: ما المراد بالتعزير والتوقيف في الآية؟ وكيف يكون ذلك؟**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿١﴾ لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ  
وَمَا تَأَخَّرَ وَبَشِّرْ نِعْمَةً عَلَىكَ وَهُدًى صَرَطًا مَشْتَقِيمًا ﴿٢﴾  
وَنَضْرِبُكَ اللَّهُ قَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ  
الْمُؤْمِنِينَ لِيُذَكِّرُوا وَأَيَّمَانًا يُغْنِي عَنْهُمْ وَاللَّهُ جُودٌ سَمِيرٌ ﴿٤﴾  
وَالْأَرْضُ كَانَ اللَّهُ عَلَيْهَا حَكِيمًا ﴿٥﴾ لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ  
جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَلا يَغْيُرُ عَنْهُمْ  
سَيْفَتُهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ قُرْآنًا عَظِيمًا ﴿٦﴾ وَيَعْدُبُ  
الْمُتَفَقِّهِينَ وَالْمُنْفِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ  
بِاللَّهِ ظَلَمَ النَّسْوَةُ عَلَيْهِنَ دَابَّةُ السَّوءِ وَعَذِيبُ اللَّهِ عَلَيْهِمُ  
وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٧﴾ وَلِلَّهِ جُودٌ  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَيْرَ بِحَكِيمًا ﴿٨﴾ إِنَّا  
أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٩﴾ لِتُقَرَّبُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ  
وَتُعَزَّوهُ وَتَوْفُّوهُ وَتَسْبِيحُوهُ بُعْدَ الْوَصِيلَا ﴿١٠﴾

## معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
فَتَحَا مُبِينًا	هُوَ: صُلِحَ الْحُدَيْبِيَّةَ عَامَ سِتٍّ مِنَ الْهَجْرَةِ.
السَّكِينَةَ	الطَّمَأِينَةَ، وَالثَّبَاتَ.
ظَنَّ السُّوءَ	الظَّنُّ السَّيِّئُ: وَهُوَ: الظَّنُّ بِأَن لَّنْ يَنْصُرَ اللَّهُ دِينَهُ.
عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوءِ	دُعَاءٌ عَلَيْهِمْ بِأَن تَدُورَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ الْعَذَابِ، وَكُلُّ مَا يَسُوءُ.
وَتُعْزَرُوهُ	تَنْصُرُوهُ اللَّهُ.
وَتُوقَرُوهُ	تُعْظَمُوا اللَّهُ.

## ● العمل بالآيات

١٠. صل على النبي محمد ﷺ فإن ذلك من تعزيرك وتوفيقك له، ﴿لَتَرْمِئْنَآ بِأَلْفِهِم مِّنْ عَشِيرَتِهِمْ﴾ وَتَعَزِّزُهُمْ وَتُؤَيِّدُهُمْ وَتُسَبِّحُهُمْ بُكْرَةً وَأَمْسًا ۖ

٢٠. طبق سنة من السنن - كالسؤال مثلاً - مستحضراً تعظيم هدي النبي ﷺ **إِتْرَمُوا بِأَلَّهِ رُسُلِهِ، وَتَعَزَّزُوا وَتَوَقَّروا وَتَسَبَّحُوا بِكُورِهِ وَأَصْلِهِ** .

٣. اجعل لك ورداً من التسبيح والأذكار في الصباح والمساء، ﴿وَسَبِّحْهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾.

## ● التوجيهات

١. اِثْمَانُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْمُسْلِمِينَ بِصَلْحِ الْحَدِيدِيَّةِ، ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾.  
 ٢. احْسَنُ الظَّنِّ بِاللَّهِ: فَإِنَّهُ تَعَالَى عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِهِ بِهِ، ﴿وَيَذُوبُ السَّيِّئَاتِ﴾  
 وَالشَّقَوَاتِ وَالشَّرِكَاتِ وَالظَّالِمَاتِ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾.  
 ٣. تَعْظِيمُ النَّبِيِّ ذَكَرَ شِمَالَهُ وَالصَّلَاةَ عَلَيْهِ وَاتِّبَاعَ سُنَّتِهِ، ﴿لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾  
 وَتُحِبُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَتُخَوِّفُوا بَعْدَ ذَلِكَ أَعْيُنًا﴾.

## تفسير سورة الفتح

به حُرِّمَاتِ اللَّهِ إِلَّا أَجْنَبَهُمُ إِلَيْهَا» [رواه البخاري].

فَلَا أُطَاعُ اللَّهَ فِي ذَلِكَ وَأَجَابَ إِلَى الصَّلْحِ، قَالَ اللَّهُ لَهُ: ﴿إِنَّا نَحْنُ لَكَ قَتَاثِينَا﴾ ① لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُزِيلَ عَنْكَ أَيُّ: فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، ﴿وَيَذِيرُكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ أَيُّ: بِمَا يَشْرَعُ لَكَ مِنَ الشَّرْعِ الْعَظِيمِ وَالِدِينِ الْقَوِيمِ، ﴿وَيُزَكِّرُكَ اللَّهُ تَعَمُّرًا غَيْرًا﴾ أَيُّ: بِسَبَبِ خُضُوعِكَ لِأَمْرِ اللَّهِ يَرْفَعُكَ اللَّهُ وَيُزَكِّرُكَ عَلَى أَعْدَانِكَ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدُ اللَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ» [رواه مسلم]. وعن عمر بن الخطاب أَنَّهُ قَالَ: مَا عَاقَبْتُ -أَيُّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ- أَحَدًا عَصَى اللَّهَ تَعَالَى فِيكَ بِمَثَلِ أَنْ تُطِيعَ اللَّهَ فِيهِ.

الآية (٤-٧): ﴿هُوَ الَّذِي أُنْزِلَ السَّكِينَةُ﴾ أَيُّ: جَعَلَ الطَّمَانِينَ ﴿فِي قُلُوبِ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ وَهُمْ الصَّحَابَةُ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ، الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ، وَانْقَادُوا لِحُكْمِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَلَمَّا اطْمَأَنَّ قُلُوبُهُمْ لِلذَّكَاءِ، وَاسْتَقَرَّتْ رَأْسُهُمْ إِيْمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ. وَقَدْ اسْتَدَلَّ بِهَا الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ مِنَ الْأُئِمَّةِ عَلَى تَفَاضُلِ الْإِيْمَانِ فِي الْقُلُوبِ.

ثُمَّ ذَكَرَ تَعَالَى أَنَّهُ لَوْ شَاءَ لَانْتَصَرَ مِنَ الْكَافِرِينَ، فَقَالَ: ﴿وَلَوْلَا جُنُودُ الْمُسْلِمِينَ وَالْأَرْضُ﴾ أَيُّ: وَلَوْ أُرْسِلَ عَلَيْهِمْ مَلَكًا وَاحِدًا لَأَبَادَ خَضِرَاءَهُمْ، وَلَكِنَّهُ تَعَالَى شَرَعَ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ الْجِهَادَ وَالْقِتَالَ، لِئَلَّا لَهُ فِي ذَلِكَ مِنَ الْحِكْمَةِ الْبَالِغَةِ وَالْحِجَةِ الْقَاطِعَةِ، وَالْبَرَاهِينِ الدَّامِغَةِ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿لِيُخْلِصَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ تَحْتِهَا الْأَكْثَرُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أَيُّ: مَا كُنْتَ فِيهَا أَبَدًا، ﴿وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ أَيُّ: خَطَايَاهُمْ وَذُنُوبَهُمْ، فَلَا يَعْقِبُهُمْ عَلَيْهَا، بَلْ يَغْفُو وَيُصْفَحُ وَيَغْفِرُ، وَيَسْتَرْ وَيَرْحَمُ وَيَشْكُرُ، ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ قُرْآنًا عَظِيمًا﴾؛ كَقَوْلِهِ: ﴿فَمَنْ ذُخِّرَ عَنِ الْكَافِرِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُتُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَيُذَوِّبُ الْمُتَّقِينَ وَالْمُتَّقِنَاتِ وَالْمُتَّكِرِينَ وَالْمُتَّكِرَاتِ أَلْفَاظًا يَحْكُمُ بِهَا اللَّهُ تَعَالَى﴾ أَيُّ: يَهْتَمُّونَ بِاللَّهِ فِي حُكْمِهِ، وَيَطِيعُونَ بِالرُّسُولِ وَأَصْحَابِهِ أَنْ يُقَاتِلُوا وَيُذْهِبُوا بِالْكَلْبَةِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿عَلَيْهِمْ ذَابِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ﴾ أَيُّ: أَبْعَدَهُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ، ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾. ثُمَّ قَالَ مُؤَكِّدًا لِقُدْرَتِهِ عَلَى الْإِنْتِقَامِ مِنَ الْأَعْدَاءِ -أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ مِنَ الْكُفْرَةِ وَالْمُنَافِقِينَ-: ﴿وَلَوْلَا جُنُودُ الْمُسْلِمِينَ وَالْأَرْضُ وَكَانَ اللَّهُ غَيْرَ غَرِيبًا حَكِيمًا﴾.

الآية (٨-٩): يَقُولُ تَعَالَى لِنَبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا﴾ أَيُّ: عَلَى الْخَلْقِ، ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ أَيُّ: لِلْمُؤْمِنِينَ، ﴿وَنَذِيرًا﴾ أَيُّ: لِلْكَافِرِينَ. وَقَدْ تَقَدَّمَ تَفْسِيرُهَا فِي سُورَةِ «الْأَحْزَابِ» ①.

﴿يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَنُفِذُوا﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُ وَاحِدٍ: يُعْظَمُوهُ، ﴿وَيُؤْمِنُوا بِهِ﴾ مِنَ التَّوْقِيرِ وَهُوَ الْاحْتِرَامُ وَالْإِجْلَالُ وَالْإِعْظَامُ، ﴿وَيُسَبِّحُوهُ﴾ أَيُّ: يَسْبَحُونَ اللَّهَ، ﴿بِكُفْرَةٍ وَأَوْسِيَاءَ﴾ أَيُّ: أَوَّلِ النَّهَارِ وَآخِرِهِ.

وَهِيَ مَدْنِيَّةٌ، [وَعَدَدَ آيَاتِهَا (٢٩) آيَةً].

[ذَكَرَ مَا وَرَدَ فِي فَضْلِهَا: عَنْ عُمَرَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «نَزَلَتْ عَلَيَّ الْبَارِحَةُ سُورَةُ هِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا: ﴿إِنَّا نَحْنُ لَكَ قَتَاثِينَا﴾ ①»] [رواه البخاري]. وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: نَزَلَتْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ: ﴿لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ مَرَجَعُهُ مِنَ الْحُدَيْبِيَّةِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آيَةُ أَحَبُّ إِلَيَّ عَمَّا عَلَى الْأَرْضِ» ثُمَّ قَرَأَهَا عَلَيْهِمُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالُوا: هَيْبَتًا مَرِيئًا يَا نَبِيَّ اللَّهِ، لَقَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ ﷻ مَاذَا يَفْعَلُ بِكَ، فَاذًا يَفْعَلُ بِنَا؟ فَزَكَّيْتُ عَلَيْهِ: ﴿لِيُخْلِصَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ﴾ حَتَّى يَلْغَ: ﴿قُرْآنًا عَظِيمًا﴾ [متفق عليه].

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَغْفَلٍ قَالَ: قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَامَ الْفَتْحِ فِي مَسِيرِهِ سُورَةَ الْفَتْحِ عَلَى رَاحِلَتِهِ فَرَجَّعَ فِيهَا. قَالَ معاوية: لَوْلَا أَنِّي أَكْثَرُهُ أَنْ يَجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَيْنَا لَحَكَيْتُ لَكُمْ قِرَاءَتَهُ [متفق عليه].

الآية (١-٣): نَزَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ الْكَرِيمَةُ لَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْحُدَيْبِيَّةِ فِي ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ سَنَةِ سِتٍّ مِنَ الْمُهْجَرَةِ، حِينَ صَدَّهُ الْمُشْرِكُونَ عَنِ الْوُصُولِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ لِيُخْرِجَ عِمْرَتَهُ فِيهِ، وَحَالُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ ذَلِكَ، ثُمَّ مَالُوا إِلَى الْمَصَالِحَةِ وَالْمُهَادَنَةِ، وَأَنْ يَرْجِعَ عَائَتَهُ هَذَا ثُمَّ يَأْتِيَ مِنْ قَابِلٍ، فَأَجَابَهُمْ إِلَى ذَلِكَ عَلَى تَكْرُرِهِ مِنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، مِنْهُمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ. فَلَمَّا نَحَرَ هَذِهِ -حَيْثُ أَخْصِرَ- وَرَجَعَ، أُنْزِلَ اللَّهُ ﷻ هَذِهِ السُّورَةَ فِيمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ وَأَمْرِهِمْ، وَجَعَلَ ذَلِكَ الصَّلْحَ قِتْعًا بِاعْتِبَارِ مَا فِيهِ مِنَ الْمَصْلَحَةِ، وَمَا آلَ الْأَمْرِ إِلَيْهِ؛ كَمَا رَوَى عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَغَيْرِهِ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّكُمْ تَعْدُونَ الْفَتْحَ فَتَحَ مَكَّةَ، وَنَحْنُ نَعُدُّ الْفَتْحَ صَلْحَ الْحُدَيْبِيَّةِ. وَقَالَ جَابِرٌ: مَا كُنَّا نَعُدُّ الْفَتْحَ إِلَّا يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ. وَعَنْ الْبَرَاءِ قَالَ: تَعْدُونَ أَنْتُمْ الْفَتْحَ فَتَحَ مَكَّةَ، وَقَدْ كَانَ فَتَحَ مَكَّةَ فَتَحًا، وَنَحْنُ نَعُدُّ الْفَتْحَ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ [رواه البخاري].

وَعَنْ الْمَغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَصِلِي حَتَّى تَرْمَ قَدَمَاهُ، فَقِيلَ لَهُ: أَلَيْسَ قَدْ غَفَرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ فَقَالَ: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا» [متفق عليه].

﴿إِنَّا نَحْنُ لَكَ قَتَاثِينَا﴾ أَيُّ: بَيْنًا ظَاهِرًا، وَالْمُرَادُ بِهِ صَلْحُ الْحُدَيْبِيَّةِ؛ فَإِنَّهُ خَصَلَ بِسَبَبِهِ خَيْرٌ جَزِيلٍ، وَأَمَّنَ النَّاسَ وَاجْتَمَعَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ، وَتَكَلَّمَ الْمُؤْمِنُ مَعَ الْكَافِرِ، وَانْتَشَرَ الْعِلْمُ النَّافِعُ وَالْإِيْمَانُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ هَذَا مِنْ خُصَائِصِهِ ﷺ الَّتِي لَا يَشَارِكُهُ فِيهَا غَيْرُهُ.

وَلَيْسَ فِي حَدِيثٍ صَحِيحٍ فِي ثَوَابِ الْأَعْمَالِ لَغَيْرِهِ (غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ). وَهَذَا فِيهِ تَشْرِيفٌ عَظِيمٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ ﷺ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ عَلَى الطَّاعَةِ وَالْبِرِّ وَالِاسْتِقَامَةِ الَّتِي لَمْ يَنْلُهَا بَشَرٌ سِوَاهُ، لَا مِنَ الْأَوَّلِينَ وَلَا مِنَ الْآخِرِينَ، وَهُوَ ﷺ أَكْمَلَ الْبَشَرِ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَسَيِّدُهُمُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَلَمَّا كَانَ أَوْطَعُ خَلْقٍ خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى، وَأَشَدُّهُمْ تَعْظِيمًا لِأَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ، قَالَ حِينَ بَرَكْتَ بِهِ النَّاقَةُ: «حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ»، ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَسْأَلُونِي الْيَوْمَ شَيْئًا يَعْظُمُونَ

الآية (١٠): قال تعالى لرسوله ﷺ تشريعاً له وتعظيماً وتكريماً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ كقوله: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، ﴿يُدِّ اللَّهُ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: هو حاضر معهم يسمع أقوالهم ويرى مكانهم، ويعلم ضائرتهم وظواهرهم، فهو تعالى هو المبايع بواسطة رسوله ﷺ، كقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُغْنِيهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْبَلُونَ وَيُغْنَوْنَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنْ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١]، ولهذا قال ههنا: ﴿مَنْ نَكَتَ فَإِنَّمَا يَنْتَكُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ أي: إنما يعود وبئال ذلك على الناكث، والله غني عنه، ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ سَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ أي: ثواباً جزيلاً. وهذه البيعة هي بيعة الرضوان، وكانت تحت شجرة سمر بالحديبية، وكان الصحابة الذين بايعوا رسول الله ﷺ يومئذ ألفاً وثلاثمائة. وقيل: وأربعمائة. وقيل: وخمسمائة. والأوسط أصح. وكذلك هو في رواية سلمة بن الأكوع، ومعمل بن يسار، والبراء بن عازب. وبه يقول غير واحد من أصحاب المغازي والسير. وعن جابر قال: كُنَّا يَوْمَ الْحَدِيبَةِ أَلْفًا وَأَرْبَعَمِائَةَ [متفق عليه].

وعنه قال: كُنَّا يَوْمَئِذٍ أَلْفًا وَأَرْبَعَمِائَةَ، ووضع يده في ذلك الماء، فَتَبَعَ الماء من بين أصابعه، حتى رَوَا كلهم [متفق عليه]. وهذا مختصر من سياق آخر حين ذُكر قصة عطيهم يوم الحديبية، وأن رسول الله ﷺ أعطاهم سهماً من كنانته، فَوَضَعُوهُ بِشَرِّ الْحَدِيبَةِ، فَجَاسَتْ بِالْمَاءِ، حَتَّى كَفَّهَتْهُمْ، فَيُقِيلُ لَجَابِرٍ: كم كنتم يومئذ؟ قال: كُنَّا أَلْفًا وَأَرْبَعَمِائَةَ، ولو كُنَّا مائة ألف لكفَّنا [رواه البخاري]. وفي رواية عن جابر: أنهم كانوا خمس عشرة مائة [متفق عليه].

ذكر سبب هذه البيعة العظيمة: قال ابن إسحاق: حدثني عبد الله ابن أبي بكر: أن رسول الله ﷺ قال حين بلغه أن عثمان قد قُتل: «لا تَبْرَحْ حَتَّى تَنَاجِرَ الْقَوْمَ». ودعا رسول الله ﷺ الناس إلى البيعة. فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة، فكان الناس يقولون: بايعهم رسول الله ﷺ على الموت. وكان جابر بن عبد الله يقول: إن رسول الله ﷺ لم يبايعهم على الموت، ولكن بايعنا على ألا نَفَرَّ. فبايع الناس، ولم يَتَخَلَّفْ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ حَضَرَهَا إِلَّا الْجَدُّ بْنُ قَيْسٍ أَخُو بَنِي سَلَمَةَ، فَكَانَ جَابِرٌ يَقُولُ: وَالله لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ لَأَصْقَأَ بِلِطِ نَافَتِهِ، قَدْ صَبَّأَ<sup>(١)</sup> إِلَيْهَا يَسْتَرِّبُهَا مِنَ النَّاسِ، ثُمَّ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنَّ الَّذِي كَانَ مِنْ أَمْرِ عُثْمَانَ بَاطِلٌ. وَعَنْ أُمِّ مُبَيَّرٍ أَنَهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ عِنْدَ حَفْصَةَ: «لَا يَدْخُلُ النَّارَ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ الَّذِينَ بَايَعُوا بِأَمْرِهَا أَحَدٌ» [رواه مسلم].

وعن جابر أن عبداً لحاطب بن أبي بلتعة جاء يشكو حاطباً، فقال: يا رسول الله، لَيْدُخُلُ حَاطِبٍ النَّارِ، فقال رسول الله ﷺ: «كَذَبْتَ، لَا يَدْخُلُهَا، فَإِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْراً وَالْحَدِيبَةَ» [رواه مسلم].

ولهذا قال تعالى في النشاء عليهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ مَنِ نَكَتَ فَإِنَّمَا يَنْتَكُ عَلَى نَفْسِهِ. وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَيُتَّقِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ كما قال في الآية الأخرى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨].

الآية (١١-١٤): يقول تعالى تَحْرِيراً لرسوله ﷺ بما يَتَخَذَرُ به المخلفون من الأعراب الذين اختاروا المقام في أهلهم وشغلهم، وتركوا المسير مع رسول الله ﷺ، فاعتذروا بشغلهم بذلك، وسألوا أن يستغفر لهم الرسول ﷺ، وذلك قول منهم لا على سبيل الاعتقاد، بل على وجه التقية والمصانعة، ولهذا قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ يَا نَسْرَتَهُمَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ شَيْءٌ فَكُنْ بِتَوَكُّلِكَ لَكُمْ مِنْهُ نَشِئًا إِنَّ أَوَّلَ مَا أَرَادَ بِكُمْ نَعْمًا﴾ أي: لا يقدر أحد أن يَرُدَّ ما أَرَادَهُ فَيَكُمُ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ، وَهُوَ الْعَلِيمُ بِسِرِّكُمْ وَضَائِرِكُمْ، وَإِنْ صَانَعْتُمُونَا وَتَابَعْتُمُونَا؛ وَهَذَا قَالَ: ﴿بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾.

ثم قال: ﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا﴾ أي: لم يكن تخلفكم تخلف معذور ولا عاصي، بل تخلف نفاق. ﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا﴾ أي: اعتقدتم أنهم يَفُتِلُونَ وَتُسْتَأْصَلُ شَأْنُهُمْ، وَتُسْتَبَادُ خَضَارُهُمْ، وَلَا يَرْجِعُ مِنْهُمْ نَجْرٌ، ﴿وَلَكِنْ لَنْتَرَكَنَّهُمْ عَلَى الْأَنْوَى وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ أي: هَلَكَى. قاله ابن عباس ومجاهد وغير واحد. وقال قتادة: فاسدين.

ثم قال: ﴿وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أي: من لم يُخْلِصِ الْعَمَلَ فِي الظاهر والباطن لله، فإن الله تعالى سَيُذَنِّبُهُ فِي السَّعِيرِ، وَإِنْ أَظْهَرَ لِلنَّاسِ مَا يَتَعَدُّونَ خِلَافَ مَا هُوَ عَلَيْهِ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ.

ثم بيّن تعالى أنه الحاكم المالك المنصرف في أهل السموات والأرض: ﴿يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا ذَكِيًّا﴾ أي: لمن تاب إليه وأناب، وخضع لديه.

الآية (١٥): يقول تعالى مخبراً عن الأعراب الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ في عمرة الحديبية، إذ ذهب النبي ﷺ وأصحابه إلى خيبر يفتحونها: أنهم يسألون أن يخرجوا معهم إلى المنعم، وقد تخلفوا عن وقت محاربة الأعداء ومجالدتهم ومصابرتهم، فأمر الله رسوله ﷺ ألا يَأْخُذَ لَهُمْ فِي ذَلِكَ، مَعَاقِبَةً لَهُمْ مِنْ جِنْسِ ذَنْبِهِمْ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ وَعَدَ أَهْلَ الْحَدِيبَةِ بِمَغَانِمٍ خَيْرٍ وَخَدَمَ لَا يَشْرِكُهُمْ فِيهَا غَيْرُهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ السَّخَّافِينَ، فَلَا يَقَعُ غَيْرُ ذَلِكَ شَرْعًا وَقَدَرًا؛ وَهَذَا قَالَ: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾ قال مجاهد وقاتدة: وهو الْوَعْدُ الَّذِي وَعَدَ بِهِ أَهْلَ الْحَدِيبَةِ. واختاره ابن جرير. وقال ابن جريج: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾ يعني: بِتَضْيِطِهِمُ الْمُسْلِمِينَ عَنِ الْجِهَادِ. ﴿قُلْ لَنْ تَتِمَّ مَوْثِقُكُمْ كَذَلِكَ﴾ قاله الله ﷻ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَهْلَ الْحَدِيبَةِ قَبْلَ سَوَالِكُمُ الْخُرُوجِ مَعَهُمْ، ﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾ أي: أن نشركم في المغانم، ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: ليس الأمر كما زعموا، ولكن لا فقه لهم.



## ● الوقفات التدريبية

﴿ قَمَنَ نَكَتٌ فَإِنَّمَا يَنْتَكُ عَلَى نَقِيصٍ ﴾

لأنه فعله ذلك يخرج ممن وعده الله الجنة بوفائه بالبيعة، فلم يضر بنكته غير نفسه، ولم ينكث إلا عليها، فاما رسول الله فإن الله تبارك وتعالى ناصره على أعدائه، نكت الناصت منهم، أو وفي ببيعته، الطبري: ٢١/٢٢.

السؤال: من المتضرر من خذلان الإنسان لدينه؟

﴿ يَقُولُونَ يَا لَيْسَ نَحْمُكُم بِمَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾

لما كان طلب الاستغفار منهم ليس عن اعتقاد، بل على طريقة الاستهزاء، وكانت بواطنهم مخالفة لظواهرهم فضحهم الله سبحانه بقوله: (يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم)، وهذا هو صنيع المنافقين. الشوكاني: ٤٨/٥.

السؤال: ما مقصود أهل النفاق من طلب الاستغفار من النبي ﷺ؟

﴿ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾

لا أحد يدفع ضرره ولا نفعه تعالى؛ فليس الشغل بالأهل والمال عذراً؛ فلا ذاك يدفع الضر إن اراده عز وجل، ولا مفاصلة العدو تمنع النفع إن اراد بكم نفعاً. الألويسي: ٢٥٣/١٣.

السؤال: هل الانفعال بالأموال والأهل عن نصرة الدين عذر مقبول عند الله سبحانه؟

﴿ بَلْ طَلَبْتُمْ أَنْ كُنْ يَنْقَلِبَ الرُّسُولُ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَذُوتَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّهُمْ طَرَفَ الشَّيْءِ وَكَشَرُوا قَوْمًا بُورًا ﴾

وإنما جعل ذلك الظن مزيئاً في اعتقادهم لأنهم لم يفرضوا غيره من الاحتمال؛ وهو أن يرجع الرسول سالماً. وهكذا شأن العقول الواهية والنفوس الهಾಯية أن لا تأخذ من الصور التي تتصور بها الحوادث إلا الصورة التي تلوح لها في بادية الرأي. ابن عاشور: ١٦٤/٢٦.

السؤال: من استدراج الله سبحانه للمنافقين أن يزين في قلوبهم الظن الخاطي بالمؤمنين، وضع هذا من خلال الآية.

﴿ يَقُولُونَ لِمَنْ يَنْصُرُ لِمَنْ يَنْصُرُ مَنْ يَنْصُرُ وَكَانَ اللَّهُ عَزُورًا رَحِيمًا ﴾  
وقدمت المغفرة هنا بقوله: (يفسر لمن يشاء ويعذب من يشاء) ليتقرر معنى الإطماع في نفوسهم، فيبتدروا إلى استدراك ما فاتهم. وهذا تهديد لوعدهم الآتي في قوله: (قل للمخلفين من الأعراب) إلى قوله: (فإن طغيبوا يؤتكم الله أجراً حسناً). ابن عاشور: ١٦٦/٢٦.

السؤال: لماذا قدمت المغفرة على العذاب في الآية الكريمة؟

﴿ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَدَائِنِ لِنَأْخُذْهَا دَرُوكًا نَنُصِّرُكُمْ مِثْلَ دُرُوكِكُمْ أَوْ يُبْدِلُوا كَلِمَ اللَّهِ ﴾  
أي يريدون أن يبدلوا وعد الله لأهل الحديبية؛ وذلك أن الله وعدهم أن يعوضهم من غنيمته مئة غنيمته خيبر وفتحها، وأن يكون ذلك مختصاً بهم دون غيرهم، وأراد المخلفون أن يشاركوهم في ذلك، فهذا هو ما أرادوا من التبديل. ابن جزى: ٣٤٩/٢.

السؤال: المخلفون والمنافقون تدور همتهم حول الغنائم فقط، وضع هذا من الآية.

﴿ سَيَقُولُونَ بَلْ نَحْنُ مُدْرِكُوكُمْ بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾  
(بل تحسدونا) على الغنائم، وهذا منتهى علمهم في هذا الوضع، ولو فهموا رشدهم لعلموا أن حرمانهم بسبب عصيانهم، وأن المعاصي لها عقوبات دينية ودينية؛ ولهذا قال: (بل كانوا لا يفقهون إلا قليلاً). السعدي: ٧٩٣.  
السؤال: ما السبب الحقيقي في حرمان المنافقين من غنائم خيبر؟

إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَكَ اللَّهُ يَذَّ اللَّهُ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَتَ فَإِنَّمَا يَنْتَكُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَنْ يَنْصُرُهُ أُجْرًا عَظِيمًا ﴿١﴾ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِآيَاتِنَا أَفَلَا يَافِقُونَ ﴿٢﴾ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٣﴾ بَلْ طَلَبْتُمْ أَنْ كُنْ يَنْقَلِبَ الرُّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِهِمْ أَبَدًا وَذُوتَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَطَلَبْتُمْ ظَنَ الشَّيْءِ وَكَشَرُوا قَوْمًا بُورًا ﴿٤﴾ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿٥﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَقُولُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَعُذُّ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ عَزُورًا رَحِيمًا ﴿٦﴾ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَدَائِنِ لِنَأْخُذْهَا دَرُوكًا نَنُصِّرُكُمْ مِثْلَ دُرُوكِكُمْ أَوْ يُبْدِلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَنصُرُونَا كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ نَحْنُ مُدْرِكُوكُمْ بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
نَكَتَ	نَقَضَ بَيْعَتَهُ.
الْمُخَلَّفُونَ	الَّذِينَ تَخَلَّفُوا عَنِ الْخُرُوجِ مَعَكَ إِلَى مَكَّةَ.
الْأَعْرَابُ	الْبَدْوِ.
لَنْ يَنْقَلِبَ	لَنْ يَرْجِعَ.
ظَنَ الشَّيْءِ	الظَّنَّ السَّيِّئَ؛ وَهُوَ: أَلَّا يَنْصُرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
بُورًا	هَلَكِي لَا خَيْرَ فِيهِمْ.
أَعْتَدْنَا	أَعْدَدْنَا.

## ● العمل بالآيات

١. حافظ على الصلاة؛ فهي من العهد الذي يجب الوفاء به، ﴿ قَمَنَ نَكَتٌ فَإِنَّمَا يَنْتَكُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَنْ يَنْصُرُهُ أُجْرًا عَظِيمًا ﴾.
٢. تصدق بصدقة ولو قليلة، ﴿ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا ﴾.
٣. تعاون أنت وبعض اهلك على عبادة من العبادات، ﴿ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا ﴾.

## ● التوجيهات

١. تذكر مواثيقك وعهودك التي عقدتها مع الله سبحانه أو مع الناس، واعمل على الوفاء بها، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَكَ اللَّهُ يَذَّ اللَّهُ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَتَ فَإِنَّمَا يَنْتَكُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾.
٢. أحسن الظن بربك في كل شيء؛ لأن سوء الظن بالله من صفات المنافقين، ﴿ وَكَشَرُوا قَوْمًا بُورًا ﴾.
٣. من شروط لا إله إلا الله اليقين بما عند الله، ﴿ بَلْ طَلَبْتُمْ أَنْ كُنْ يَنْقَلِبَ الرُّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِهِمْ أَبَدًا وَذُوتَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ ﴾

ذكر تعالى الأعداء في ترك الجهاد: فمنها لازم كالعمى والعرج المستمر، وعارض كالمرض الذي يطرأ أياماً ثم يزول، فهو في حال مرضه ملحق بنوي الأعداء اللازمة حتى يبرأ. ابن كثير: ١٩٣/٤.

السؤال: إذا كان الجهاد واجباً فما الأعداء المبيحة لتركه من خلال الآية؟

﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّ عَدَاًباً أَلِيماً ﴾

في الدنيا بالذلة، وفي الآخرة بالنار. ابن كثير: ١٩٣/٤.

السؤال: هل العذاب الأليم مقتصر على العذاب الأخروي؟

﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾

قال رسول الله: (لا يدخل النار إن شاء الله أحد من أهل الشجرة الذين بايعوا تحتها) ... (فعلهم ما في قلوبهم) يعني من صدق الإيمان وصدق العزم على ما بايعوا عليه ... (وإنا بهم فتحاً قريباً) يعني: فتح خبير، وقيل: فتح مكة والأول أشهر؛ أي جعل الله ذلك ثواباً لهم على بيعته الرضوان، زيادة على ثواب الآخرة. ابن جزي: ٣٤٩/٢.

السؤال: كيف ترد على من يمتدح كفر الصحابة باستثناء سبعة منهم

من هذه الآية؟

﴿ وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا ﴾

في هذا التدبير الذي يدره لكم من أنه لطيف يوصل إلى الأشياء العظيمة بأضداد أسبابها فيما يرى الناس: فلا يرتاع مؤمن لكثرة المخالفين وقوة المناهذين أبداً؛ فإن سبب كون الله مع العبد هو الاتباع بالإحسان الذي عماده الرسوخ في الإيمان الذي علق الحكم به، فحيث ما وجد المعلق عليه وجد المعلق؛ وهو النصر بأسباب جليلة أو خفية البقاعي: ٣١٨/١٨.

السؤال: ما يقدره الله للمؤمن خير مما يقدره المؤمن لنفسه، وضع ذلك من الآية.

﴿ وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَلَ لَكُمْ هُدًى ﴾

في هذا وعد منه سبحانه لغباده المؤمنين بما سيفتحه عليهم من الفنائم إلى يوم القيامة؛ يأخذونها في أوقاتها التي قدر وقوعها فيها. الشوكاني: ٥١/٥.

السؤال: بين إكرام الله تعالى للمؤمنين من هذه الأمة.

﴿ وَكَفَّ أَيْدِي النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾

(وكف أيدي الناس عنكم، وذلك أن النبي ﷺ لما قصد خيبر، وحاصر أهلها، همت قبائل من بني أسد وغطفان أن يغيروا على عيال المسلمين وذرائعهم بالمدينة، فكف الله أيديهم بإبقاء الرعب في قلوبهم، البغوي: ١٧٥/٤).

السؤال: ما المراد بكف أيدي الناس؟

﴿ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾

ولما وصف تلك السنة بأنها راسخة فيما مضى، أعقب ذلك بوصفها بالتحقق في المستقبل تعميماً للأزمنة بقوله: (ولن تجد لسنة الله تبديلاً)؛ لأن اطراد ذلك النصر في مختلف الأمم والعصور، وإخبار الله تعالى به على لسان رسله وأنبيائه، يدل على أن الله أراد تأييد أحزابه، فيعلم أنه لا يستطيع كائناً أن يحول دون إرادة الله تعالى. ابن عاشور: ١٨٣/٣٦.

السؤال: ما فائدة التأكيد بقول الله تعالى: (ولن تجد لسنة الله تبديلاً)؟

قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُنَّةٌ مَعَكُمْ إِلَى قَوْمِ أُولَىٰ بِأَسْ شَدِيدِ  
تَقَاتُلُوهُمْ أَوْ يُسَلِّمُوا فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤَيِّدْكُمْ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا  
وَلَا تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ١  
عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ  
وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَدْخُلْهُ جَنَّاتُ جَنَّتِ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا  
الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ٢ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ  
عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي  
قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ٣  
وَمَعَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ٤ وَعَدَّ اللَّهُ  
مُتَسِقِينَ ٥ وَأُخْرَىٰ لَوْ تَقَدَّرُ وَاُثَابُهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا  
وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ٦ وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ  
كَفَرُوا لَوْلَا الْأَدْبَارُ لَمْ يَلْبُدُوا وَلَئِنْ لَا تُصْبِرُوا لَكُنْتُمْ  
لِللَّهِ آلِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ٧

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
حَرَجٌ	إثم في ترك الجهاد.
يُبَايِعُونَكَ	بيعة الرضوان بالحُدُويَّة.
السَّكِينَةُ	الطمأنينة، والثبات.
فَتْحًا قَرِيبًا	فتح خبير.
أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا	قادر عليها قد وعدكم بها، وسينجز وعده.
لَوْلَا الْأَدْبَارُ	لأنهم لم يلبدوا، ولأنهم لم يلبدوا.
سُنَّةَ اللَّهِ	طريقته بنصر جنده، وهزيمة أعدائه.

## ● العمل بالآيات

١. قل: اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، ﴿ وَلَنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾.
٢. اكتب سيرة صحابي وارسلها برسالة لتبين فضلهم، ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾.
٣. قل: اللهم أصلح لي قلبي، ﴿ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾.

## ● التوجيهات

١. امتثل أمر الله بسر له أمور معاشه ودينه، ﴿ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤَيِّدْكُمْ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَلَنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾.
٢. تدبر في تفسير الله ورحمته بعباده، ﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ ﴾.
٣. فضل الصحابة وأهل بيعة الرضوان: فقد رضي الله عنهم وظهر قلوبهم، فمن سبهم أو لعنهم فهو مكذب للقرآن، ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ ﴾.

أعدائهم، وما حصل بذلك من الخير العام المستمر المُتَّصِل بفتح  
خير وفتح مكة، ثم فتح سائر البلاد والأقاليم عليهم، وما حصل لهم  
من العِزِّ والنَّصْر والرُّفْعَة في الدنيا والآخرة؛ ولهذا قال: ﴿وَمَعَانِدَ  
كَبِيرَةٍ يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.

الآية (٢٠-٢٣): قال مجاهد في قوله: ﴿وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَعَانِدَ  
كَبِيرَةٍ تَأْخُذُونَهَا﴾: هي جميع المغام إلى اليوم، ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ﴾  
يعني: فتح خير. وعن ابن عباس: ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ﴾ يعني: صلح  
الحديبية، ﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ﴾ أي: لم يَمْلِكُوا شَوْءَ مَا كَانَ أَعْدَاؤُكُمْ  
أَضْمُرُوهُ لَكُمْ من المحاربة والقتال. وكذلك كَفَّ أَيْدِي النَّاسِ عَنْكُمْ  
الذين خَلَفْتُمُوهُمْ وراءَ أَظْهَرَكُمْ، عن عيالكم وحرَمِكُمْ، ﴿وَلَيْتَكُنَّ  
مَائَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: يعتبرون بذلك؛ فإن الله حافظهم وناصرهم على  
سائر الأعداء، مع قلة عَدَدِهِمْ، وَلِيَتْلَمَوْا بصنيع الله هذا بهم أنه  
العليم بعواقب الأمور، وأن الخَيْرَةَ فيها يختاره لعباده المؤمنين، وإن  
كَرِهَوه في الظاهر؛ كما قال: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَنَحْنُ نَعْلَمُ  
الْبُخْرَى: ٢١٦﴾. ﴿وَيَهْدِيكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ أي: بسبب اتقيادكم  
لأمره واتباعكم طاعته، وموافقتكم رسوله ﷺ.

وقوله: ﴿وَأُخْرَى لَّزَنَاقُوا عَلَيَّا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَيَّ  
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ أي: وغنيمة أخرى وفتحاً آخر مُعَيَّنًا لم تكونوا  
تقدرون عليها، قد بَسَّرَهَا الله عليكم، وأحاط بها لكم، فإنه تعالى  
يرزق عباده المتقين له من حيث لا يحتسبون.

وقد اختلف المفسرون في هذه الغنيمة، ما المراد بها، فقال ابن  
عباس: هي خير. وهذا على قوله -في قوله تعالى: ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ  
هَذِهِ﴾- إنها ضَلُح الحديبية. وقاله الضحاك وابن إسحاق وعبد  
الرحمن بن زيد بن أسلم. وقال قتادة: هي مكة. واختاره ابن جرير.  
وقال ابن أبي ليلى والحسن البصري: هي فارس والروم. وقال مجاهد:  
هي كل فتح وغنيمة إلى يوم القيامة.

﴿وَلَوْ قَتَلْتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُوكَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾  
يقول تعالى مُبَشِّرًا لعباده المؤمنين: بأنه لو نَاجَزَهُم المشركون لَنَصَرَ الله  
رسوله وعباده المؤمنين عليهم، ولا يهزم جيش الكفار فارًّا مُذْبِرًا لا  
يجدون وَلِيًّا ولا نَصِيرًا؛ لأنهم محاربون لله ولرسوله ولجزبه المؤمنين.  
﴿سُنَّةَ آدَمَ الَّذِي قَدْ خَلَقْتَنِي مِنْ قَبْلُ وَلَنُحْيِيَنَّكَ اللَّهُ تَبْدِيلًا﴾ أي:  
هذه سنة الله وعادته في خلقه، ما تقابل الكفر والإيمان في موطن إلا  
نَصَرَ الله الإيمان على الكفر، فَرَفَعَ الْحَقَّ وَوَضَعَ الْبَاطِلَ، كما فَعَلَ تعالى  
يوم بَدَّرَ بأوليائه المؤمنين نَصَرَهم على أعدائهم من المشركين، مع قلة  
عَدَدِ المسلمين وَعُدَدِهِمْ، وكثرة المشركين وَعُدَدِهِمْ.

الآية (١٦-١٧): ﴿قُلْ لِّلْمُحَلِّصِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُنُدُونَ إِلَيَّ يَوْمَ أُورِثُ  
بِأَسْرِ شَدِيدٍ﴾ اختلف المفسرون في هؤلاء القوم الذين يُذْعَوْنَ إليهم،  
الذين هم أولو بأس شديد، على أقوال: أحدها: أنهم هوازن؛ عن  
سعيد بن جبير أو عكرمة أو جميعاً، وبه يقول قتادة في رواية عنه.  
الثاني: ثقيف، قاله الضحاك. الثالث: بنو حنيفة، قاله جوير والزهرى.  
الرابع: هم أهل فارس؛ عن ابن عباس. وبه يقول عطاء ومجاهد  
وعكرمة. وعن ابن أبي ليلى وعطاء والحسن وقاتدة: هم فارس والروم.  
وعن مجاهد: هم أهل الأوثان. وعنه أيضاً: هم رجال أولو بأس شديد،  
ولم يُعَيَّن فرقة. وبه يقول ابن جريج. وهو اختيار ابن جرير.

قوله: ﴿فَتَقَبَّلُونَهُمْ أَوْ يُرْسِلُون﴾ يعني: يُفْرِغْ لَكُمْ جهادهم وقتلهم،  
فلا يزال ذلك مستمراً عليهم، ولكم النصر عليهم، أو يُرْسِلُون  
فيدخلون في دينكم بلا قتال بل باختيار.

﴿فَإِنْ تُبْطِئُوا﴾ أي: تستجيبوا وتنفروا في الجهاد، وتؤدُّوا الذي  
عليكم فيه ﴿يُؤْتِيَكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ﴾ يعني:  
زمن الحديبية، حيث دُعِيتُمْ فَتَخَلَّفْتُمْ ﴿يُعَذِّبُكُمُ اللَّهُ أَلَيْسَا﴾.

ثم ذَكَرَ الأعداء في ترك الجهاد، فمنها لازم كالعَمَى والعَرَج  
المستمر، وعارض كالمرض الذي يَطْرَأُ أَيْمَانًا، ثم يزول، فهو في حال  
مرضه مُلْحَقٌ بذوي الأعداء اللازمة حتى يَبْرَأَ.

ثم قال تعالى مُرْتَبِّيًا في الجهاد وطاعة الله ورسوله: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ  
وَرَسُولَهُ يَدْخُلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ﴾ أي: يَنْكُلْ عن  
الجهاد، ويُقْبِلْ على المَآشِ ﴿يُعَذِّبُهُ اللَّهُ أَلَيْسَا﴾ في الدنيا بِالسَّذَلَّةِ، وفي  
الآخرة بالنار.

الآية (١٨-١٩): ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ  
تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا  
وَمَعَانِدَ كَبِيرَةٍ يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ يُجِبُّ تعالى عن  
رضاه عن المؤمنين الذين بايعوا رسول الله ﷺ تحت الشجرة، وقد  
تَقَدَّمَ ذِكْرُ عَدَّتِهِمْ، وأنهم كانوا ألفاً وأربعمائة، وأن الشجرة كانت  
سَهْرَةً بأرض الحديبية.

روى البخاري عن طارق بن عبد الرحمن قال: انطلقتُ حاجًّا  
فَمَزَّزْتُ بقوم يصلون، فقلت ما هذا المسجد؟ قالوا: هذه الشجرة،  
حيث بايع رسول الله ﷺ بيعة الرضوان. فأتيتُ سعيد بن المسيب  
فأخبرته، فقال سعيد: حدثني أبي أنه كان فيمن بايع رسول الله ﷺ  
تحت الشجرة. قال: فَمَا خَرَجْنَا من العام المقبل نسيانها فلم نقدر  
عليها، فقال سعيد: إن أصحاب محمد ﷺ لم يعلموها وعلمتموها  
أنتم، فأنتم أعلم!

وقوله: ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ أي: من الصدق والوفاء، والسمع  
والطاعة، ﴿فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ﴾ وهي الطمأنينة، ﴿عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا  
قَرِيبًا﴾ وهو ما أَجْرَى الله على أيديهم من الصُّلْحِ بينهم وبين



(١) بفتح الحاء وسكون الباء بمعنى: الأفضل، بخلاف (خَيْرَة) بكسر الحاء وفتح الباء بمعنى الاختيار؛ كما في قوله تعالى: ﴿تَاكَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ﴾ [القصص: ٦٨].



## ● الوقفات التدريبية

❶ ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّارْتَدُّوا عَنْكُمْ قُلُوبُهُمْ فَفَرَّقَ بَيْنَهُمْ فَمَا يَسْمَعُوا قَوْلَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ حَتَّى يُفْعَلَ بِهِمْ فَمَا يَكُونُ لَهُمْ حِجَابٌ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَاُولَٰئِكَ حَمَلَ اللَّهُ عَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ وَعَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ هَٰذَا آيَاتُ الْقُرْآنِ وَلَقَدْ أَنزَلَهُ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۚ وَكَانَ الْقُرْآنُ مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۚ﴾

فربما عُسِّرَ عليه أمرًا يظهر له أن السعادة كانت فيه وفي باطنه سم قاتل، فيكون منع الله له منه رحمة في الباطن، وإن كان نعمة في الظاهر، فالزم التسليم مع الاجتهاد في الخير والحرص عليه، والندم على قوته، وإياك والاعتراض. وفي الآية أيضاً أن الله تعالى قد يدفع عن الكافر لأجل المؤمنين. البقاعي: ٣٢٩/١٨.

السؤال: قدر الله مرتبط بحكمته ورحمته سبحانه وضع ذلك من الآية.

❷ ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حِمَّةَ لِّلْجَاهِلِيَّةِ﴾

إضافة الحمية إلى الجاهلية لقصد تحقيرها وتشنيها؛ فإنها من خلق أهل الجاهلية؛ فإن ذلك انتساب ذم في اصطلاح القرآن كقوله: (يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية) لآل عمران: ١٥٤، وقوله: (أفحكم الجاهلية يبغون) للمائدة: ٥٠. ابن عاشور: ١٩٤/٢٦.

السؤال: ما فائدة إضافة الحمية إلى الجاهلية؟

❸ ﴿فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ﴾

وثمره هذه السكينة الطمأنينة للخبر تصديقاً وإيقاناً، ولأمر تسليمياً وإذاعاً؛ فلا تدخ شبهة تعارض الخبر، ولا إرادة تعارض الأمر، فلا تمر معارضة السوء بالظلم إلا وهي مجتازة من مرور الوسواس الشيطانية التي يتلى بها العبد؛ ليقوى إيمانه، ويعلو عند الله ميزانه بمداومتها وردا وعدم السكن إليها، فلا يظن المؤمن أنها تنقص درجته عند الله. ابن القيم: ٤٥٩/٢.

السؤال: ما ثمره إنزال السكينة في قلوب المؤمنين؟

❹ ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حِمَّةَ لِّلْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ وَكَانَ الْقُرْآنُ مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۚ﴾

لما كانت خبيثة الجاهلية توجب من الأقوال والأعمال ما يناسبها، جعل الله في قلوب أوليائه السكينة تقابل حمية الجاهلية، وفي السننهم كلمة التقوى مقابلة لما توجب حمية الجاهلية من كلمة الفجور. ابن القيم: ٤٥٨/٢-٤٥٩.

السؤال: ما سبب إنعام الله سبحانه على المؤمنين بالسكينة وكلمة التقوى؟

❺ ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ﴾

هي لا إله إلا الله، وأضيفت إلى التقوى لأنها بها يتقوى الشرك؛ فهي رأس كل تقوى. الألوسي: ٢٧١/١٣.

السؤال: ما المقصود بكلمة التقوى؟ ولماذا يلزم بها المؤمن دائماً؟

❻ ﴿لَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الْوَحْيَ بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ السَّجْدَ إِذَا سَجَدَ أَلْحَمًا لِّإِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾

فيه تعريض بأن وقوع الدخول من مشيئته تعالى لا من جلالته وتديبرهم. الألوسي: ٢٧٢/١٣.

السؤال: ما دلالة التقييد بالمشيئة في الآية؟

❼ ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ﴾

ذكر القرآن صلاح القوة النظرية العلمية، والقوة الإدارية العملية في غير موضع، كقوله: (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله)، فالهدى كمال العلم ودين الحق كمال العمل؛ كقوله: (أولي الأيدي والأبصار) (ص: ٤٥). ابن تيمية: ٣٨/٦.

السؤال: يحتاج المسلم إلى نوعين من القوة، ما هما؟

وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِطَبْعٍ مِّمَّا بَيْنَ يَدَيْهِمْ وَأَنزَلَ الْوَحْيَ فِيهِمْ وَقَالَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ ۚ بَصِيرًا ۝ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدَىٰ مَعَكُم مَّا يُبَلِّغُ مِنْ حَجَّتِهِمْ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّارْتَدُّوا عَنْكُمْ قُلُوبُهُمْ فَفَرَّقَ بَيْنَهُمْ فَمَا يَسْمَعُوا قَوْلَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ حَتَّى يُفْعَلَ بِهِمْ فَمَا يَكُونُ لَهُمْ حِجَابٌ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَاُولَٰئِكَ حَمَلَ اللَّهُ عَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ وَعَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ هَٰذَا آيَاتُ الْقُرْآنِ وَلَقَدْ أَنزَلَهُ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۚ وَكَانَ الْقُرْآنُ مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۚ ۝ لَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الْوَحْيَ بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ السَّجْدَ إِذَا سَجَدَ أَلْحَمًا لِّإِنْ شَاءَ اللَّهُ ۚ وَكَانَ الْقُرْآنُ مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۚ ۝ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَابْشِرِ الْمُؤْمِنِينَ ۚ﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
بِطَبْعٍ مِّمَّا	بِالْحُدُودِ قُرْبَ مَكَّةَ
أَنزَلَ الْوَحْيَ فِيهِمْ	أَقْدَرَكُمْ عَلَيْهِمْ؛ فَأَمْسَكْتُمْ بِهِمْ، وَكَانُوا ثَمَانِينَ رَجُلًا.
مَعَكُم مَّا يُبَلِّغُ مِنْ حَجَّتِهِمْ	مَحْبُوسًا.
لَتَدْخُلَنَّ السَّجْدَ إِذَا سَجَدَ أَلْحَمًا	الْمَكَانَ الَّذِي يَحِلُّ فِيهِ نَحْرُهُ، وَهُوَ الْحَرَمُ.
وَنَذِيرًا	إِثْمٌ، وَعَيْبٌ، وَغَرَامَةٌ.
الْحَمِيَّةَ	تَمَيِّزٌ هَؤُلَاءِ الْمُسْتَضْعَفُونَ عَنِ الْكُفَّارِ.
الْأَفْئِدَةَ	الْأَفْئِدَةَ.

## ● العمل بالآيات

١. قل: اللهم أنزل السكينة على قلبي، ﴿فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ﴾.
٢. ساعد أخاك في الله ليس بينك وبينه نسب أو رابطة إلا أخوة الدين، ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حِمَّةَ لِّلْجَاهِلِيَّةِ﴾.
٣. الزم قول: «إن شاء الله تعالى» فيما تخبر به للمستقبل، ﴿لَتَدْخُلَنَّ السَّجْدَ إِذَا سَجَدَ أَلْحَمًا لِّإِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾.

## ● التوجيهات

١. عظم حرمة دم المؤمن عند الله؛ فقد منع الله عذاب أهل مكة لوجود مؤمنين بينهم، ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّارْتَدُّوا عَنْكُمْ قُلُوبُهُمْ فَفَرَّقَ بَيْنَهُمْ فَمَا يَسْمَعُوا قَوْلَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ حَتَّى يُفْعَلَ بِهِمْ فَمَا يَكُونُ لَهُمْ حِجَابٌ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَاُولَٰئِكَ حَمَلَ اللَّهُ عَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ وَعَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ هَٰذَا آيَاتُ الْقُرْآنِ وَلَقَدْ أَنزَلَهُ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۚ وَكَانَ الْقُرْآنُ مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۚ﴾.
٢. حكمة الله البالغة في تأخير بعض الخير كما في فتح مكة، ﴿فَلَمَّا تَمَلَّكُوا مَجْعَلٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ فَتَحًا قَرِيبًا﴾.
٣. تكريم الله سبحانه للصحابية رضي الله عنهم، فكن موقراً لهم، معادياً من عاداهم من الرافضة وأشباههم، ﴿فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ﴾

في الجمع لهم بين هاتين الخليقتين المتضادتين - الشدة والرحمة - إيماء إلى أصالة أرائهم وحكمة عقولهم، وأنهم يتصرفون في اخلاقيهم وأعمالهم تصرف الحكمة والرشد؛ فلا تغلب على نفوسهم محمدة دون أخرى، ولا يندفعون إلى العمل بالجليلة وعدم الرؤية. ابن عاشور: ٢٥/٢٦.

السؤال: ما فائدة الجمع بين وصفي الشدة والرحمة في المؤمنين؟

﴿ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا ﴾

(أشداء على الكفار) أي: جادون ومجتهدون في عداوتهم، وساعون في ذلك بغاية جهدهم ... (رحماء بينهم) أي: متحابون متراحمون متعاطفون كالجسد الواحد؛ يحب أحدهم لأخيه ما يحبه لنفسه، هذه معاملتهم مع الخلق، وأما معاملتهم مع الخالق فإنك (تراهم ركعاً وسجداً). السعدي: ٧٩٥.

السؤال: لماذا عقب بذكر صلاتهم بعد ذكر شدتهم على الكفار ورحمتهم للمؤمنين؟

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَقْرَبُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

وإذا كان سبحانه قد نهاهم أن يرفعوا أصواتهم فوق صوته، فكيف برفع معقولاتهم فوق كلامه وما جاء به؟ ابن القيم: ٥/٣.

السؤال: دلت الآية على أن العقل السليم لا بد أن يتبع النقل الصحيح، وضح ذلك.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَقْرَبُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

وفي هذا النهي الشديد عن تقديم قول غير الرسول على قوله؛ فإنه متى استبانت سنة رسول الله وجب اتباعها وتقديمها على غيرها كأننا ما كان. السعدي: ٧٩٩.

السؤال: ما حكم اتباع أقوال غير الرسول مع استبانة قول الرسول وظهوره؟

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ ﴾

وقد كره بعض العلماء رفع الصوت عند قبره عليه السلام. وكره بعض العلماء رفع الصوت في مجالس العلماء تشريفاً لهم؛ إذ هم ورثة الأنبياء. القرطبي: ٣٦١/١٩.

السؤال: ما التطبيق العملي للآية؟

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ ﴾

وظاهر هذه الآية الكريمة أن الإنسان قد يحبط عمله وهو لا يشعر. الشنقيطي: ٤٠٣/٧.

السؤال: هل تفهم من هذه الآية أن عمل الإنسان قد يحبط وهو لا يشعر؟

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

ذمهم الله بعدم العقل؛ حيث لم يفكروا عن الله الأدب مع رسوله واحترامه، كما أن من العقل وعلامته استعمال الأدب؛ فادب العبد عنوان عقله وإن الله مريد به الخير. السعدي: ٧٩٩.

السؤال: ما العلاقة بين الأدب والعقل من خلال هذه الآية؟

مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْبَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِخْلِيلِ كَزَيْجَرٍ أَخْرَجَ سَطْرَهُ فَفَازَهُ، فَاسْتَعْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ٥١

سُورَةُ الْمُحْجَرَاتِ ٥١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَقْرَبُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٥١ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ٥٢ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَقْرَبُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٥٣ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ٥٤

٥١

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
سِيمَاهُمْ	عَلَامَتُهُمْ.
سَطْرَهُ	سَاقَهُ، وَفَرْعُهُ.
فَازَرَهُ	فَازَرَهُ ذَلِكَ الشَّطْرُ الزُّرْعَ.
فَاسْتَعْلَظَ	صَارَ غَلِيظًا.
فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ	قَوِيَ، وَاسْتَوَى قَائِمًا عَلَى سِيَاقِهِ.
لَا تَقْدُمُوا	لَا تَقْدُمُوا بِقَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ، وَلَا تَقْضُوا أَمْرًا دُونَ أَمْرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ؛ فَتَبْتَدِعُوا.

## ● العمل بالآيات

١. ابستم لزملائك وإخوانك والى السلام عليهم؛ فهذا من التراحم،

﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾.

٢. اطل اليوم في الركوع والسجود، ﴿ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾.

٣. قل: «اللهم اهدني لأحسن الأقوال والأعمال والأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، وجنبي سيئها لا يجنبي سيئها إلا أنت»، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.

## ● التوجيهات

١. اتباع الرسول ﷺ أشداء على الكفار رحماء بينهم، ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾.

٢. للنبي ﷺ منزلة عظيمة، فيجب على المسلم أن يتأدب حين يذكر اسمه، فيصلي عليه، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ ﴾.

٣. العقل قرين الأدب، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.

فضائل الصحابة والنهي عن التّعريض لهم بمساءة كثيرة، ويكفيهم ثناء الله عليهم، ورضاه عنهم. ثم قال: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَرَحِلُوا الصَّالِحِينَ مِنْهُمْ﴾ «من» هذه لبيان الجنس، «مَغْفِرَةً» أي: لنوبهم، «وَأَجْرًا عَظِيمًا» أي: ثوابًا جزيلًا ورزقًا كريمًا، «وَعَدَ اللَّهُ حَقَّ وَصْدَقٍ، لَا يَخْلُفُ وَلَا يُدْكَ، وكل من اقتضى أثر الصحابة فهو في حكمهم، ولهم الفضل والسبق والكمال الذي لا يلحقهم فيه أحد من هذه الأمة رضي الله عنهم وأرضاهم، وجعل جنات الفردوس مأواهم، وقد قل.

### تفسير سورة الحجرات

وهي مدنية، (وعدد آياتها (١٨) آية).

الآية (١-٣): هذه آداب، أدب الله بها عباده المؤمنين فيها يعاملون به الرسول ﷺ من التوقير والاحترام والتبجيل والإعظام، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا عَلَى اللَّهِ يَوْمَ يُدْعَى اللَّهُ وَرُسُلُهُ﴾، أي: لا تسرعوا في الأشياء بين يديه، أي: قبله، بل كونوا تبعًا له في جميع الأمور.

قال ابن عباس: ﴿لَا تَقْدُمُوا عَلَى اللَّهِ يَوْمَ يُدْعَى اللَّهُ وَرُسُلُهُ﴾: لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة. وقال الضحاك: لا تقضوا أمرًا دون الله ورسوله من شرائع دينكم. ﴿وَأَقُوا اللَّهَ﴾ أي: فيها أمركم به، ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ أي: لأقوالكم «عَلِمَ» بنيانكم.

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ هذا أدب ثانٍ أدب الله به المؤمنين: ألا يرفعوا أصواتهم بين يدي النبي ﷺ فوق صوته. [سبب النزول]: روى البخاري عن ابن أبي مليكة قال: كاد الحَبْرَانُ أن يُلَيِّكَا - أبو بكر وعمر - رَفْعًا أصواتهما عند النبي ﷺ حين قَدِمَ عليه رَكِبَ بني تميم، فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس أخي بني مجاشع، وأشار الآخر برجل آخر فقال أبو بكر لعمر: ما أردت إلا خلافي. قال: ما أردت خلافك. فارتفعت أصواتهما في ذلك، فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ الآية. وروى البخاري عن أنس أن النبي ﷺ افتقد ثابت بن قيس، فقال رجل: يا رسول الله، أنا أعلم لك علمته. فأتاه فوجدته في بيته مُسَكَّنًا رأسه، فقال له: ما شألك؟ فقال: شَرٌّ؛ كان يرفع صوته فوق صوت النبي ﷺ، فقد خبط عمله، فهو من أهل النار. فأتى الرجل النبي ﷺ فأخبره أنه قال كذا وكذا، فقال: «أذهب إليه فقل له: إنك لست من أهل النار، ولكنك من أهل الجنة». وقد نهى الله ﷻ عن رفع الأصوات بحضرة رسول الله ﷺ.

ثم نهى عن الجهر بالقول كما يجهر الرجل لمخاطبه ممن عده، بل يخاطب بسكينة ووقار وتعظيم؛ ولهذا قال: ﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ كما قال: ﴿لَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ الآية. [النور: ٦٣]. وقوله ﷻ: ﴿أَنْ تَحِطُّ أَصْوَاتُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ أي: إننا نبيناكم عن رفع الصوت عنده خشية أن يغضب من ذلك، فيغضب الله لغضبه، فيخط الله عَمَل من أغضبه وهو لا يدري. ثم نذَّب الله ﷻ إلى خفض الصوت عنده، وحث على ذلك، وأرشد إليه، ورغب فيه، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُضَوِّرُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ فَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ أي: أخلصها لها وجعلها أملاً وحلاً «لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ».

الآية (٤): ذم الذين ينادونهم من وراء الحجرات، وهي بيوت نساءه، كما يصنع أجلاف الأعراب، فقال: ﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

الآية (٢٩): يُخَيَّرُ تعالى عن محمد ﷺ أنه رسوله حقًا بلا شك ولا ريب، فقال: ﴿يُخَيَّرُ رَسُولَ اللَّهِ﴾. وهذا مبتدأ وخبر، وهو مشتمل على كل وصف جميل، ثم ثنى بالثناء على أصحابه فقال: ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾. وهذه صفة المؤمنين أن يكون أحدهم شديدًا عتيقًا على الكفار، رحيماً بآلافهم، غضوباً عبوساً في وجه الكافر، ضحوكاً بشوشاً في وجه أخيه المؤمن؛ كما قال تعالى: ﴿يَتَّخِذُهَا الذِّبْنَ آمَنًا فَيَقُولُ لَا إِلَهَ بِلَا كُفَّارٍ وَلَا يُجَادِلُ فِي كُفْرِهِمْ غَلَطَةً﴾ [التوبة: ١١٣] وقال النبي ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر». وقال ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً». وشبك ﷺ بين أصابعه، كلا الخديين في الصحيح.

وقوله: ﴿تَرَاهُمْ رُكَّامًا سَخِرَ بَيْنَهُمْ فَعَسَىٰ ذُنُوبُهُمْ أَلَّا يَعْلَمُوا مَا حَالَ صَعِيدِهِمْ﴾ بكثرة العمل وكثرة الصلاة، وهي خير الأعمال، ووصفهم بالإخلاص فيها لله ﷻ، والاحتساب عند الله جزيل الثواب، وهو الجنة المشتملة على فضل الله، وهو سعة الرزق عليهم، ورضاه تعالى عنهم وهو أكبر من الأول؛ كما قال: ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢].

وقوله: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وَجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ الْجَاهِدِ﴾ قال ابن عباس: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وَجُوهِهِمْ﴾ يعني: السمت الحسن. وقال مجاهد وغير واحد: يعني: الخشوع والتواضع. وقال السدي: الصلاة تحسن وجوههم. وقال بعض السلف: من كثرت صلواته بالليل حسن وجهه بالنهار. وقال بعضهم: إن للحسنة نوراً في القلب، وضياء في الوجه، وسعة في الرزق، وعجبة في قلوب الناس. وقال أمير المؤمنين عثمان: ما أشرف أحد سريرة إلا أبداه الله على صفحات وجهه، وفلتات لسانه. والغرض أن الشيء الكامن في النفس يظهر على صفحات الوجه؛ فالؤمن إذا كانت سريرته صحيحة مع الله أصلح الله ظاهره للناس، كما روي عن عمر بن الخطاب، أنه قال: من أصلح سريرته أصلح الله علانيته. وعن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: «إن الهدى الصالح، والسمت الصالح، والاقتصاد جزء من خمسة وعشرين جزءاً من النبوة» [رواه أحمد وصححه إسناده أحمد شاكر]. فالصحابه ﷺ خَلَصَتْ نِيَاهُمْ وَحَسُنَتْ أَعْمَالُهُمْ، فكل من نظر إليهم أعجبه في سمتهم وهديهم. وقال مالك ﷻ: بلغني أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة ﷺ الذين فتحوا الشام يقولون: والله هؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا، وصدقوا في ذلك؛ فإن هذه الأمة معظمة في الكتب المُتَكَلِّمَةِ، وَأَعْظَمُهَا وَأَفْضَلُهَا أصحاب رسول الله ﷺ، وقد نوه الله بذكرهم في الكتب المُتَكَلِّمَةِ والأخبار المُتَكَلِّمَةِ؛ ولهذا قال ههنا: ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي تَرَكِبِهِ﴾، ثم قال: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ كَرِيمٍ فَطَقَّ لَهُمْ﴾ أي: فراخه، «فَتَأَزَّزَهُ» أي: شلَّه «فَانْتَفَلَظَ» أي: شَبَّ وطال، «فَانْتَفَلَظَ عَلَى سُوقِهِ» يُصِيبُ الزَّرَّاعَ أي: كذلك أصحاب محمد ﷺ أزروه وأبْلَوْهُ وَتَصَرَّوْهُ قَهْمٌ مَعَهُ كَالشَّطْرِ مَعَ الزَّرْعِ، «لِيَنْظُرَ بِهِمُ الْكُفَّارُ». ومن هذه الآية انتزع الإمام مالك - في رواية عنه - [القول] بتكفير الروافض الذين يغيضون الصحابة؛ قال: لأنهم يغيظونهم، ومن [مُغَاظِلِ] الصحابة فهو كافر؛ هذه الآية. ووافقه طائفة من العلماء على ذلك. والأحاديث في

(١) هذا في مقابلة الكافر العدو، أما مع غيره فالحال مختلف؛ قال تعالى: ﴿لَا يَتَذَكَّرُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَا يُقِيمُونَ كَيْدَهُمْ﴾ [النور: ٢١] «وَلَا يَتَذَكَّرُ اللَّهُ عَنِ الْمُفْسِدِينَ» [المنحة: ٨].

﴿وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ أي: لا تدعوا بالألقاب، وهي التي يسوء الشخص سماعها. [سبب النزول]: عن أبي جبريرة بن الضحاك قال: فبينا نَزَلَتْ في بني سُلَيْمَةَ: ﴿وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ قال: قديم رسول الله ﷺ المدينة، وليس فيها رجل إلا وله اسمان أو ثلاثة، فكان إذا دُعِيَ أحدُهم باسم من تلك الأسماء قالوا: يا رسول الله، إنه يغضب من هذا. [رواه أحمد وأبو داود، وصححه الألباني]. وقوله: ﴿وَيْسُ لَيْتَمُ الْكُفْرُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ أي: بئس الصفة والاسم «الفسوق»، وهو: التنازع بالألقاب، كما كان أهل الجاهلية يتنازعون، بعدما دخلتم في الإسلام وعقلتموه. ﴿وَكَنْ لَمْ يَنْبُ﴾ أي: من هذا ﴿قَالَ لَيْتَمُ الْكُفْرُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾.

السؤال: لم عبر في الآية بقوله أنفسكم؟ وهل يعيب الإنسان نفسه؟

017

١. تحبيب الإيمان والعمل الصالح وكراهة الكفر والفسوق منه يهبها الله لنبيه  
من عباده، هادئ الله بذلك ﴿ وَلَئِنَّ اللَّهَ حَبِّ إِيكُمْ إِلَيْمِنَ وَرَزَقْنَا قُلُوبَكُمْ وَكَرِهَ إِلَيْكُمْ  
الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْإِيسْيَانَ ﴾.

٢. عليك العدل والقسط في جميع شؤونك، وأقسط إن الله يحب المتقسطين ﴿.

٣. لزوم التوبة والإنابة إلى الله، ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون ﴿.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا﴾<sup>١</sup>  
وذلك أنه قد يقع له خاطر التهمة ابتداء ويريد أن يتجسس خبر ذلك  
ويبحث عنه، ويتبصر ويستمع لتحقيق ما وقع له من تلك التهمة، فهني  
النبي عن ذلك، وإن شئت قلت: والذي يميز الظنون التي يجب اجتنبها  
عما سواها أن كل ما لم تعرف له أمانة صحيحة وسبب ظاهر كان  
حراما واجب الاجتناب. القرطبي: ٣٩٦/١٩.

السؤال: ما الظن المنهي عنه شرعا؟

﴿وَلَا يَنْتَبِ بِكُمْ بَعْضًا أَيُّبُ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾<sup>٢</sup>  
قال أبو قلابة الرقاشي: سمعت أبا عاصم يقول: ما اغتبت أحدا منذ عرفت  
ما في الغيبة. وكان ميمون لا يفتاب أحدا، ولا يدع أحدا يفتاب أحدا عنده؛  
ينهاه فإن انتهى ولا قام. القرطبي: ٤٠٤/١٩.

السؤال: اذكر آخرين من السلف في التحذير من الغيبة.

﴿وَلَا يَنْتَبِ بِكُمْ بَعْضًا أَيُّبُ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾<sup>٣</sup>  
مثل الله الغيبة بأكل الميت لأن الميت لا يعلم بأكل لحمه كما أن الحي  
لا يعلم بغيبة من اغتابه. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إنما ضرب الله  
هذا المثل للغيبة لأن أكل لحم الميت حرام مستقذر، وكذا الغيبة حرام  
في الدين وقبيح في النفوس. وقال قتادة: كما يمتنع أحداكم أن يأكل  
لحم أخيه ميتا كذلك يجب أن يمتنع من غيبته حيا. القرطبي: ٤٠٣/١٩.

السؤال: ما وجه التمثيل في النهي عن الغيبة بأكل لحم الإنسان ميتا؟  
﴿وَلَا يَنْتَبِ بِكُمْ بَعْضًا أَيُّبُ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾<sup>٤</sup>  
قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إياكم وذكر الناس فإنه داء،  
وعليكم بذكر الله فإنه شفاء. وسمع علي بن الحسين رضي الله عنهما  
رجلا يفتاب آخر، فقال: إياك والغيبة، فإنها إدام كلاب الناس. وقيل  
لعمرو بن عبيد: لقد وقع فيك فلان حتى رحمتك، قال: إياه فارحموا.  
وقال رجل للحسن: بلغني أنك تفتابني؛ فقال: لم يبلغ قدرك عندي أن  
أحكمك في حسناتي. القرطبي: ٤٠٤/١٩.

السؤال: اذكر قول أحد السلف في ذم الغيبة.

﴿وَلَا يَنْتَبِ بِكُمْ بَعْضًا أَيُّبُ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾<sup>٥</sup>  
فجعل جهة التحريم كونه أبا أخوة الإيمان، ولذلك تفلظت الغيبة بحسب  
حال المؤمن؛ فكلما كان أعظم إيمانا كان اغتابه أشد. ابن تيمية: ٦٢/٦.

السؤال: هل غيبة المؤمنين على درجة واحدة؟ وضع ذلك من خلال الآية.

﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾<sup>٦</sup>  
بين تعالى أنه جعلهم شعوبا وقبائل لأجل أن يتعارفوا؛ أي يعرف بعضهم  
بعضا ويميز بعضهم عن بعض، لا لأجل أن يفتخر بعضهم على بعض  
ويتطاول عليه. وذلك يدل على أن كون بعضهم أفضل من بعض وأكرم  
منه إنما يكون بسبب آخر غير الأنساب. وقد بين الله ذلك هنا بقوله:  
(إن أكرمكم عند الله أتقاكم)، فاتضح من هذا أن الفضل والكرم إنما  
هو بتقوى الله لا بغيره من الانتساب إلى القبائل. الشافعي: ٤١٧/٧.

السؤال: أوضحت هذه الآية وصحت ميزان التفاضل، بين ذلك.

﴿إِنَّا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا  
بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾<sup>٧</sup>

(إنما المؤمنون) على الحقيقة: الذين جمعوا بين الإيمان والجهاد في  
سبيله؛ فإن من جاهد الكفار دل ذلك على الإيمان التام في القلب؛ لأن من  
جاهد غيره على الإسلام والقيام بشرائعه فجهاده لنفسه على ذلك من  
باب أولى وأحرى. السعدي: ٨٠٢.

السؤال: لماذا جمع الله في هذه الآية بين الإيمان والجهاد للمؤمن الحقيقي؟

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ  
إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُّبُ أَحَدُكُمْ أَن  
يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ  
تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ  
شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ  
عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٢﴾ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ  
قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِسْلَامُ فِي قُلُوبِكُمْ قُلْ إِنَّكُمْ تُطِيعُونَ اللَّهَ  
وَرَسُولَهُ لَا يَلَيْكُمْ مِّنْ عَمَلِكُمْ شَيْءٌ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾  
إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا  
وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ  
الصَّادِقُونَ ﴿٤﴾ قُلْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَدِينُكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي  
السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ يَكُنِّي عَنْهُ عِلْمُهُ ﴿٥﴾ يَمُنُّونَ  
عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ  
عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ صَادِقِينَ ﴿٦﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ  
غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ	هُوَ ظَنُّ الشُّبُهَةِ بِالْمُؤْمِنِينَ.
وَلَا تَجَسَّسُوا	لَا تَفْتَشُّوا عَنْ عَوْرَاتِ الْمُسْلِمِينَ.
وَلَا يَغْتَبِ	لَا يَقُولُ أَحَدُكُمْ فِي أَخِيهِ الْغَائِبِ مَا يَكْرَهُ.
وَقَبَائِلَ	الْقَبِيلَةُ: الْجَمَاعَةُ دُونَ الشَّعْبِ.
الْأَعْرَابُ	الْبُدُو.
لَا يَلَيْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ	لَا يَنْقُصُكُمْ مِّنْ ثَوَابِ أَعْمَالِكُمْ.

## ● العمل بالآيات

١. تذكر شخصاً أسأت به الظن وابحث له عن عذر، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾.
٢. تذكر رجلاً اغتابه واستغفر الله له وادع له، ﴿وَلَا يَنْتَبِ بِكُمْ بَعْضًا أَيُّبُ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾.
٣. جاهد بمالك في سبيل الله؛ وذلك بإنفاق جزء منه على وجه من وجوه الخير، ﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾.

## ● التوجيهات

١. تنوع الشعوب والقبائل إنما هو للتعرف والمحبة لا لبيت الفرقة والاختلاف وإثارة النعرات، ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾.
٢. من الجهل والغفلة أن تظن أن التفاضل بين الناس مبني على غير التقوى، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾.
٣. إذا وفقك الله لعمل خير فاحمد الله على التوفيق ولا تمن به؛ فهو قادر أن يحرملك، ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ صَادِقِينَ﴾.

سوى الدين؛ لقوله: ﴿إِنْ أَكْرَمَكَ عِنْدَ اللَّهِ أَقْنَكُمْ﴾.

الآية (١٤-١٨): يُنكر تعالى على الأعراب الذين أوّل ما دخلوا في الإسلام ادّعوا لأنفسهم مقام الإيمان، ولم يَتَمَكَّنْ الإيمان في قلوبهم بعد. وقد استُفيد من هذه الآية الكريمة: أن الإيمان أَخْصَ من الإسلام؛ كما هو مذهب أهل السنة والجماعة، ويَدُلُّ عليه حديث جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ حين سأل عن الإسلام، ثم عن الإيمان، ثم عن الإحسان<sup>(١)</sup>، فَرَفَعَنِي مِنَ الْأَعْمَى إِلَى الْأَخْصَى، ثم لِلْأَخْصَى منه. وهؤلاء الأعراب المذكورون في هذه الآية ليسوا بمنافقين، وإنما هم مسلمون لم يَسْتَخْجِمِ الإيمان في قلوبهم، فادّعوا لأنفسهم مقاماً أعلى ممّا وصلوا إليه، فأدّبوا في ذلك. وهذا معنى قول ابن عباس وإبراهيم النخعي وقتادة، واختاره ابن جرير.

وإنما قلنا هذا لأن البخاري -رحمه الله- ذهب إلى أن هؤلاء كانوا منافقين يظهرن الإيمان، وليسوا كذلك، ولو كانوا منافقين لَمَتَّقُوا وَفُضِّحُوا. وإنما قيل هؤلاء تاديباً: ﴿قُلْ لَمْ تُوَفِّسُوا وَلَكِنْ قَوْلُوا اسْلَمْنَا وَكَلَّمَا يَدْخُلُ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ أي: لم تصلوا إلى حقيقة الإيمان بعد. ﴿وَلَنْ نُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَنفَكُ مِنْ أَعْمَلِكُمْ شَيْئاً﴾ أي: لا يُنْقِصُكُمْ من أجوركم شَيْئاً. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ ذَرِيمٌ﴾ أي: لمن تاب إليه وأتاب. ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ كُنُفٌ﴾ أي: إنما المؤمنون الكُفْلُ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ أي: لم يَشْكُوا ولا تَرَلَزَلُوا، بل كَبُتُوا على حال واحدة، وهي التصديق المَخْمُض.

﴿وَحَدَّثُوا بِأَمْرِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: وَبَدَّلُوا مَهْجَهُمْ ونفائس أموالهم في طاعة الله ورضوانه، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ أي: في قولهم إذا قالوا: «إنهم مؤمنون»، لا كِبَاضِ الأعراب الذين ليس معهم من الدين إلا الكلمة الظاهرة.

﴿قُلْ أَتَمَلِكُمُ اللَّهُ بِدِينِكُمْ﴾ أي: أَخْبِرُونِي بِمَا فِي صَبَائِكُمْ، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: لا يَخْفَى عليه مثقال ذَرَّةٍ في الأرض ولا في السماء، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، ﴿وَاللَّهُ يَكِلِي شَيْئاً عَلَيْهِ﴾. ثم قال: ﴿يَتَّبِعُونَ عَلَيْكَ أَنْ اسْلَمُوا﴾ يعني: الأعراب الذين يَتَّبِعُونَ بِإِسْلَامِهِمْ ومتابعتهم ونصرتهم على الرسول، يقول الله رداً عليهم: ﴿قُلْ لَا تَسْتَوُوا عَلَى اسْلَمَتِكُمْ﴾؛ فَإِنَّ نَفْعَ ذَلِكَ إِنَّمَا يَعُودُ عَلَيْكُمْ، والله السَّيِّئَةُ عَلَيْكُمْ فيه، ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكَ أَنْ هَدَاكَ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتَ صَادِقِينَ﴾ أي: في دعواكم ذلك كما قال النبي ﷺ لِلْأَنْصَارِ يوم حنين: «يا معشر الأنصار، ألم أجِدْكُمْ ضاللاً فهداكم الله بي؟» وكنتم متفرقين فالفكم الله بي؟ وعالة فأغناكم الله بي؟» كلها قال شيئاً قالوا: الله ورسوله آمَنُ. [رواه البخاري]، ثم كَرَّرَ الإخبار بعلمه بجميع الكائنات، وَبَصَّرَهُ بِأَعْمَالِ المخلوقات فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

الآية (١٢): ينهي تعالى عن كثير من الظَّنِّ، وهو التهمة والتخوُّن للأهل والأقارب والناس في غير محلِّه؛ لأن بعض ذلك يكون إثمًا محضًا، فَلْيَجْتَنِّبْ كثير منه احتياطًا، وعن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «إياكم والظن؛ فإن الظن أكْذَبُ الحديث» [متفق عليه]. ﴿وَلَا يَجَسَّسُوا﴾ أي: على بعضكم بعضًا. والتجسس غالبًا يُطْلَقُ في الشَّرِّ، ومنه الجاسوس. وأما التجسس فيكون غالبًا في الخير؛ كما قال تعالى إخبارًا عن يعقوب أنه قال: ﴿فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ [يوسف: ٨٧]، وقد يُسْتَعْمَلُ كُلُّ منهما في الشَّرِّ، كما في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «لَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَحَسُّسُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا» [متفق عليه].

﴿وَلَا يَغْتَبِ بَئْشُكُمْ بَعْشًا﴾ فيه نهي عن الغيبة، وقد فَسَّرَهَا الشارح كما جاء في الحديث عن أبي هريرة قال: قيل: يا رسول الله، ما الغيبة؟ قال: «دُكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ». قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «إن كان فيه ما تقول فقد اغْتَبَيْتَهُ، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بَغَيْتَهُ» [رواه أبو داود والترمذي، وصححه الألباني]. والغيبة محرمة بالإجماع، ولا يُسْتَنَى من ذلك إلا ما رَجَحَتْ مصلحته؛ كما في الجرح والتعديل، والنصيحة، وما جرى عَجَرَى ذلك. ثم بقيت على التحريم الشديد، وقد وَرَدَ فيها الزَّجْرُ الأكيد؛ ولهذا شَبَّهَهَا تعالى بِأَكْلِ اللحم من الإنسان الميت؛ كما قال: «أَحِبُّ أَعْدَكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ؟» أي: كما تكرهون هذا طبعًا، فاكروهوا ذاك شرعًا؛ فإن عقوبته أَشَدُّ من هذا، وهذا من التنفير عنها والتحذير منها.

﴿وَالْقَوْلُ اللَّهِ﴾ أي: فيما أَمَرَكم به ونهاكم عنه، فراقبوه في ذلك واخشوا منه، ﴿إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ﴾ أي: على من تاب إليه، ﴿ذَرِيمٌ﴾ بمن رَجَعَ إليه، واعتمد عليه. قال جمهور العلماء: طريق المغتاب للناس في توبته أن يُقْلَعَ عن ذلك، ويعزم على ألا يعود، وأن يتحلل من الذي يغتابه. وقال آخرون: لا يُشْرَطُ أَنْ يَتَحَلَّلَ؛ فإنه إذا أَعْلَمَهُ بذلك رَبُّهُ تَأَنَّى أَشَدَّ ممّا إذا لم يَعْلَمْ بما كان منه، فطريقه إذا أن يُنْفِي عليه بما فيه في المجالس التي كان يَدَّعِي فيها، وأن يَرُدَّ عنه الغيبة بِحَسَنَةٍ وطاقتة، فتكون تلك بتلك.

الآية (١٣): يقول تعالى خبرًا للناس أنه خلقهم من نفس واحدة، وجعل منها زوجها، وهما آدم وحواء، وجعلهم ﴿شُعُوبًا﴾، وهي أَعَمُّ من القبائل. وقيل: المراد بالشعوب بطون العجم، وبالقبائل بطون العرب. فجميع الناس في الشَّرَفِ بالنسبة الطينية إلى آدم وحواء سواء، وإنما يتفاضلون بالأمر الدينية، وهي طاعة الله ومتابعة رسوله ﷺ.

﴿وَتَعَارَفُوا﴾ أي: لِيَحْضُلَ التعارف بينهم، كُلٌّ يَرْجِعُ إِلَى قَبِيلَتِهِ. ﴿إِنْ أَكْرَمَكَ عِنْدَ اللَّهِ أَقْنَكُمْ﴾ أي: إنما تتفاضلون عند الله بالنقوى لا بالأحساب. عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنْ اللَّهُ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ» [رواه مسلم]. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بكم ﴿خَبِيرٌ﴾ بأموركم، فيهدي من يشاء، وَيُضِلُّ من يشاء، وَيَرْحِمُ من يشاء، وَيُعَذِّبُ من يشاء، وَيُقْضِلُ من يشاء على من يشاء، وهو الحكيم العليم الخبير في ذلك كله. وقد استدل بهذه الآية الكريمة وهذه الأحاديث الشريفة مَنْ ذَهَبَ من العلماء إلى أن الكفاة في النكاح لا تُشْرَطُ، ولا يُشْرَطُ

(١) يشير إلى الحديث الأول في كتاب الإيمان من صحيح مسلم، الذي فيه بيان أركان الإسلام وأركان الإيمان.



وهي مكية، [وعدد آياتها (٤٥) آية].

هذه السورة هي أول الحزب المفصل على الصحيح.

[فضل السورة]: عن عبيد الله بن عبد الله أن عمر بن الخطاب سأل أبا واقد الليثي: ما كان رسول الله ﷺ يقرأ في العيّد؟ قال: بِرَقَّةٍ، وَاقْتَرَبَتْ [سورة القمر] [رواه مسلم]. وعن أم هشام بنت حارثة قالت: ما أخذْتُ رَقَّةً وَاقْتَرَبَتْ إِلَّا عَلَى لِسَانِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، كَانَ يَقْرُؤُهَا كُلَّ يَوْمٍ جُمُعَةٍ عَلَى الْمِنْبَرِ إِذَا خَطَبَ النَّاسَ [رواه مسلم].

والقصد: أن رسول الله ﷺ كان يقرأ هذه السورة في المجالس الكبار؛ كالعيد والجمعة، لاشتغالها على ابتداء الخلق والبعث والنشور، والمعاد والقيام، والحساب، والجنة والنار، والثواب والعقاب، والترغيب والترهيب. والله أعلم.

الآية (١-٥): ﴿ت﴾ حروف الهجاء في أوائل السور أسلفنا الكلام عليها. وقوله: ﴿وَالْقُرْآنَ الْجِيدَ﴾ أي: الكريم العظيم الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْغُيْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ، نَزَّلَ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]. واختلفوا في جواب القسم ما هو. فحكى ابن جرير عن بعض النحاة أنه: قوله: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنا كُتُبٌ حَافِظَةٌ﴾. وفي هذا نظر، بل الجواب هو مضمون الكلام بعد القسم، وهو إثبات النبوة، وإثبات المعاد، وتقريره وتحقيقه، وإن لم يكن القسم مُتَلَقًى لفظاً، وهذا كثير في أسما القرآن كما تقدم في قوله: ﴿تس وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ﴾ ﴿بِالَّذِينَ نُنْذِرُوا فِي عَذْرٍ وَقِافٍ﴾ [ص: ١-٢]، وهكذا قال ههنا: ﴿ت وَالْقُرْآنَ الْجِيدَ﴾ ﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَاذِبُونَ هَذَا نَقْلٌ عَجَبٌ﴾ أي: تعجبوا من إرسال رسول إليهم من البشر؛ كقوله: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ﴾ [يونس: ٢]. وليس هذا بمعجب؛ فإن الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس.

ثم قال **تَغَيَّرُوا عَنْهُمْ فِي عَجَبِهِمْ** أَيضًا مِنَ الْمَادِّ وَاسْتِعَادَهُمْ لَوْقُوهُ: ﴿وَإِنَّا مِنَّا وَكَأَنَّا لَمِنَّا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ أَي: يَقُولُونَ: إِنَّمَا مِنَّا وَبَلِينَا، وَتَقَطَّعَتِ الْأَوْسَالُ مِنَّا، وَصَرْنَا تَرَابًا، كَيْفَ يُمَكِّنُ الرَّجُوعَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى هَذِهِ الْبَنَةِ وَالتَّرَكِبِ؟!

﴿ذَلِكَ رَحْمٌ بَيْدٌ﴾ أي: بعيد الوقوع، ومعنى هذا: أنهم يعتقدون استحالة وعدم إمكانه. قال الله تعالى رَأَوْا عَلَيْهِمْ: ﴿قَدْ عَلَيْنَا مَا نَقْصُ الْأَرْضِ مِنْهُمْ﴾ أي: ما تأكل من أجسادهم في البلى؛ تعلم ذلك ولا يخفى علينا أين تَفَرَّقَتِ الأبدان، وأين ذَهَبَتْ، وإلى أين صَارَتْ، ﴿وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾ أي: حافظ لذلك، فالعلم شامل، والكتاب أيضًا فيه كل الأشياء مضبوطة.

ثم يَنْتَهِى تعالى سَبَبَ كُفْرِهِمْ وعنادِهِمْ واستبعادِهِمْ ما ليس ببعيد فقال: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ نَهَضُ فِي أَمْرِ مَرْيَمَ﴾ أي: وهذا حال كل من خَرَجَ عن الحقِّ، مهملها قال بعد ذلك فهو باطل.

والمَرِيحُ: المختلف المضطرب المُتَلَيِّس المُتَكَرِّرُ خِلالَهُ؛ كَقَوْلِهِ: ﴿إِذْ كُنَّا فِي قَرْيَةٍ خَلَّتْ بِخَبَرِكُنَا بِرُؤُوسِكُمْ مَزْفُورَةً عَلَى الشَّجَرِ﴾ [الزَّاتِرَاتِ: ٨، ٩].

الآية (٦-١١): يقول تعالى مِنْهَا لِلْعِبَادِ عَلَى قَدْرَتِهِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي أَظْهَرَ بِهَا مَا هُوَ أَعْظَمُ مِمَّا تَعَجَّبُوا مُسْتَعِدِينَ لِقَوْعِهِ: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى

الَسْمَاءُ قَوْفَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَرَزَقْنَاهَا ؟! أي: بالمصاييح، ﴿وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ قال مجاهد: يعني من شقوق. وقال غيره: ثُقُوق. وقال غيره: من صلوع. والمعنى متقارب؛ كقوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَوَكِينٍ طِبَاقًا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاقُحٍ الْبَصَرِ هَلْ تَرَىٰ مِنْ فُطُورٍ﴾ ثَوْرٌ أَجْعَلُ الْبَصَرَ كَرِيحٍ يَنْبَلِغُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ حَالِيسًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿الملك: ٤٣، ٤٤﴾. وقوله: ﴿وَالْأَرْضُ مَدَدْنَاهَا﴾ أي: وسطحناها وفرشناها، ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ وهي: الجبال؛ لتلايمد بأهلها وتضطرب؛ ﴿وَأَلْبَسْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ أي: من جميع الزروع والشار والنبات والأنواع، ﴿وَمِنْ كُلِّ ثَمَرٍ حَلَقًا مَدَدْنَاهُ رَوَاسِيَ لَهَا لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النار: ٤٩]؛ وقوله: ﴿بَهِيجٍ﴾ أي: حَسَنٌ نَضِرُ (بَصِيرَةٌ) أي: ومشاهدة خلق السموات والأرض وما جعل فيها من الآيات العظيمة بصره ودلالة ﴿وَرَدَدْنَاهُ لِرَبِّ عَبْدٍ شَقِيبٍ﴾ أي: خاضع خائف وجل رَجَعَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى. وقوله: ﴿وَرَزَقْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا﴾ أي: نافعًا، ﴿فَأَلْبَسْنَا بِهِ جَنَّاتٍ﴾ أي: حديق من بساتين ونحوها، ﴿وَحَبَّ الْعَصِيدِ﴾ وهو: الزَّرْع الذي يُرَاد لِجَنَّةٍ وَأَحْوَارِهِ.

﴿وَالنَّحْلَ بَاسِقَاتٍ﴾ أي: طَوَالَ شَاهَقَات. قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة والحسن وقادة والسُّدِّي وغيرهم: الباسقات الطُّوال. ﴿فَمَا طَلَعُ نَاصِيِدٍ﴾ أي: مَنْضُود. ﴿رَزَقًا لِّيَبَادٍ﴾ أي: لِلْحَلْقِ، ﴿وَأَمِينًا بِهِ بِلَدَةٍ مِّنَ﴾ وهي: الأرض التي كانت هامة، فلَمَّا نَزَلَ عَلَيْهَا الْمَاءُ اهْتَزَّتْ وَرِثَتْ وَأَبْنَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ، مِنْ أَزْهَابٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ، مِمَّا يَجَارِ الطَّرْفُ فِي خُسْنِهَا، وَذَلِكَ بَعْدَ مَا كَانَتْ لَا تَبَاتُ بِهَا، فَاصْبَحَتْ تَهْتَزُّ خُضْرَاءَ، فَهَذَا مِثَالٌ لِلْبَيْتِ بَعْدَ الْمَوْتِ وَهَلَاكِ، كَذَلِكَ يُجَنَّبِي اللَّهُ الْمَوْتَ. وَهَذَا الْمَشَاهِدُ مِنْ عَظِيمِ قُدْرَتِهِ بِالْحَسَنِ أَعْظَمَ مِمَّا أَكْبَرَهُ الْجَاهِدُونَ لِلْبَيْتِ.

الآية (١٢-١٥): يقول تعالى مُتَّهِدًا لِكْفَارِ قُرَيْشٍ بآ آخِلَةٍ  
بأشباهم ونظرائهم وأمثالهم من المكذِّبين قَبْلَهُمْ، من النَّفَّاثَاتِ  
وَالْعَذَابِ الْآلِيمِ فِي الدُّنْيَا؛ كَقَوْمِ نُوحٍ وَمَا عَذَّبَهُمُ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْفِرَاقِ  
الْعَامِ لَجَمِيعِ أَهْلِ الْأَرْضِ، وَأَصْحَابِ الرَّسِّ، وَقَدْ تَقَدَّمَ قَضَايُهُمْ فِي  
سُورَةِ «الْفُرْقَانِ». ﴿وَتَمُوتُ﴾ (١٢) ﴿وَعَادٌ وَرَعْرَعٌ وَإِسْرَافُوطُ﴾ وهم أمته  
الَّذِينَ بُعِثَ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ سُدُومَ وَمَعَالِمَتَا مِنَ الْغُورِ، وَكَيْفَ  
خَسَفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ، وَأَحَالَ أَرْضَهُمْ بَيْعَرَةً مَبْنِيَّةً خَبِيثَةً؛ يَكْفُرُهُمْ  
وَطُغْيَانُهُمْ وَمَخَالَفَتُهُمُ الْحَقَّ، ﴿وَأَحْصَى الْأَنبِيَاءَ﴾ وهم قَوْمُ شُعَيْبٍ  
عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، ﴿وَقَوْمَ نِجٍّ﴾ وهو الْيَمَانِيُّ. ﴿كُلٌّ كَذَّبَ الرِّسْلَ﴾ أي: كُلٌّ مِنْ هَذِهِ  
الْأُمَمِ وَهَؤُلَاءِ الْقُرُونِ كَذَّبَ رَسُولَهُ، وَمَنْ كَذَّبَ رَسُولًا فَكَأَنَّمَا كَذَّبَ  
جَمِيعَ الرِّسْلِ؛ كَقَوْلِهِ: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ تُجِّ الْعُرُسُلَيْنِ﴾ [الشعراء: ١٠٥]، وَإِنَّمَا  
جَاءَهُمْ رَسُولٌ وَاحِدٌ، فَفَهُمْ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ لَوْ جَاءَهُمْ جَمِيعُ الرِّسْلِ  
كَذَّبُوهُمْ. ﴿فَخَرَّ وَرِيدٌ﴾ أي: فَخَرَّ عَلَيْهِمْ مَا أَوْعَدَهُمُ اللَّهُ عَلَى التَّكْذِيبِ  
مِنَ الْعَذَابِ وَالنَّكَالِ، فَلْيَخْذَرِ الْمَخَاطِبُونَ أَنْ يُصِيبَهُمْ مَا أَصَابَهُمْ؛  
فَانْهَمُوا قَدْ كَذَّبُوا رَسُولَهُمْ كَمَا كَذَّبَ أَوَّلُكُ.

وقوله: ﴿أَفَعَبِيدًا بِالسَّلَاقِ الْأَذَلِّ﴾ أي: أَفَأَعَزَّزْنَا ابتداءَ السَّلَقِ حتى هم في شَكٍّ من الإِعادة؟ ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِن لِّسَانِي جَدِيدٍ﴾ والمعنى: أن ابتداءَ السَّلَقِ لم يُعْزِزْنَا، والإِعادة أَسهَلُ منه؛ كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ (الروم: ٢٧)، وفي الصحيح: «يقول الله تعالى: يؤذني ابن آدم، يقول: لن يعيدني كما بداني، وليس أولُ الخلق بأهونَ عليَّ من إعادته» [رواه البخاري].



## ● الوقفات التدبيرية

● سورة ق

وهذه السورة قد تضمنت من أصول الإيمان ما أوجب أن النبي ﷺ كان يقرأ بها في الجامع العظام؛ فيقرأ بها في خطبة الجمعة، وفي صلاة العيد، وكان من كثرة قراءته لها يقرأ بها في صلاة الصبح. ابن تيمية: ٨٣.

**السؤال:** لماذا كان النبي ﷺ يكثر من قراءة هذه السورة في مجامع الناس؟

﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ ٢

(المجيد): سعة الأوصاف وعظمتها، وأحق كلام يوصف بهذا هذا القرآن... وهذا موجب لكمال اتباعه، وسرعة الانقياد له، وشكر الله على المنّة به. السعدي: ٨٠٣.

**السؤال: وصف القرآن بالمجيد، فما الذي يوجب هذا الوصف؟**

﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴾

وقال قتادة في هذه الآية: مَنْ تَرَكَ الْحَقَّ مَرَجَ عَلَيْهِ أَمْرُهُ وَالتَّبَسُّ عَلَيْهِ دِينُهُ. وقال الحسن: مَا تَرَكَ قَوْمَ الْحَقِّ إِلَّا مَرَجَ أَمْرُهُمُ. القرطبي: ٣١٦/٢١.

**السؤال: ما سبب التباس الأمور على بعض الناس؟**

﴿ أَفَلَا يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴾

أي: لا يحتاج ذلك النظر إلى كلفةٍ وشد رحل، بل هو في غاية السهولة، فيظنّون (كَيْفَ بَيْنَاهَا) قبةً مستوية الأرجاء، ثابتة البناء، مزينة بالنجوم الخنفس، والجوار الكنس، التي ضربت من الأفق إلى الأفق في غاية الحسن والملاححة، لا ترى فيها عيباً، ولا فروجاً، ولا خلالاً ولا إخلالاً. قد جعلها الله سقفاً لأهل الأرض، وأودع فيها من مصالحهم الضرورية ما أودع السعدي: ٨٤.

**السؤال:** لماذا وصف الله السماء بأنها فوقهم، مع معرفة الجميع بأن السماء فوقهم؟

﴿ تَبَصَّرَةٌ وَذُكِّرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّثِيبٍ ﴾

خُصَّ العبد المنيب بالتبصرة والذكرى وإن كان فيما ذكر من أحوال الأرض إفاضة التبصرة والذكرى لكل أحد لأن العبد المنيب هو الذي ينتفع بذلك؛ فكانه هو المقصود من حكمته تلك الأفعال. وهذا تشريف للمؤمنين وتعريض ياهمال الكافرين التبصر والتذكر. ابن عاشور: ٢٦/٢٩١.

**السؤال: لماذا خص العبد المنيب بالتبصرة والذكرى؟**

[illegible]

**السؤال: ما الاستفادة الأهم للمؤمن من نزول المطر؟**

﴿كَذَّبَ قَبْلَهُمْ نُوحٌ وَأَصْحَبُ الرَّيْسِ وَشُودُّ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَهَارُونَ وَإِخْوَنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَبُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ ثِيَمٍ كُلُّ كَذَّابٍ أُرْسِلَ هَافٍ وَبَعِيدٌ﴾

في هذا تسلية لرسول الله ﷺ، كانه قيل له: لا تحزن ولا تكثر غمك لتكذيب هؤلاء لك، فهذا شأن من تقدمك من الأنبياء؛ فإن قومهم كذبوهم ولم يصدقهم إلا القليل منهم. الشوكاني: ٥/٧٣.

**السؤال: ماذا يستفيد الدعاة والأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر من الآية؟**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكُفْرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَوَلَمْ نَأْتِ الْبَنَاتِ الْأَكْثَرَ زُجْجًا عَجِيبٌ ﴿٣﴾ فَدَعَلْنَاهُنَّ مُتَنَفِّضَاتٍ الْأَرْضُ مِنْهُنَّ وَعَصَدَ تَاكُفٌ حَافِظٌ ﴿٤﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ ﴿٥﴾ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى السَّمَاءِ وَفَوْقَهَا كُفَّ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضُ مَدَدَتْهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رِجْسًا وَابْتَسْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ بَتَّصَرَّ وَذَكَرَ لِلْاِغْوَاءِ كُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا فِيهِ جَنَّتٍ وَحَتَّ الْحَبِيبَ ﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَعْنَ لُصِيدٌ ﴿١٠﴾ رِذْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادُ وَفِرْعَوْنُ ذَا حُورٍ لُوطُ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَابُ الْأَنْكَبِ وَقَوْمُ نِجْلٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَبَّ عَنْهُمْ فَأَعْيَيْنَا بِالْحَقِّ الْأَوَّلُ ﴿١٤﴾ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
مَرِيحٍ	مُضْطَرِبٌ، مُخْتَلِطٌ، لَا يَثْبُتُونَ عَلَى شَيْءٍ.
فُرُوجٍ	فُتُوقٌ، وَشُقُوقٌ.
زَوْجٍ يَهِيحُ	نَوْعٌ حَسَنُ الْمَنْظَرِ.
وَحَبِّ الْحَصِيدِ	حَبِّ الزَّرْعِ الَّذِي يُحْصَدُ.
بِاسِقَاتٍ	طُلُوفٍ.
طَلَعٍ تَضِيدٍ	تَمَرٌ مُتَرَاكِبٌ بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ.
الرَّسِّ	البُتْرِ.
أَفْعَيْنَا	أَفْعَجَرْنَا، وَصَعَفَتْ قُدْرَتَانَا؟

## ● العمل بالآيات

١. وجه نصيحة لفظية او مكتوبة إلى مسلم غافل، ﴿يَا عِمْرَانُ أَتَىٰ جَدُّهُمْ سُبُوْرٌ مِنْهُمْ﴾.
٢. انظر إلى السفوح والبحار واكتب فائدتين مما يوحيه لك خاطرك من مظاهر قدرة الله عز وجل، ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَلْبَسْنَا بِهَا مِنْ كُلِّ دَفْعٍ بَرِّيْعًا﴾.
٣. تأمل شجرة ميتة ثم تذكر المراحل التي مرت بها وقارنها بالمراحل التي ستمر بها في عمرك، ﴿بَيْمَاتُ وَزَكْرَتُ لِكُلِّ عَبْدٍ شَيْبٌ﴾.

## ● التوجيهات

١. شرف القرآن الكريم وشرف العاملين به، ﴿وَالْقُرْآنَ الْجَدِيدَ﴾.  
 ٢. الاستدلال بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية، ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى السَّمَاءِ مَوْجُهُمْ كَيْفَ بَيْنَنَّا وَرَبَّنَا وَمَا لَنَا مِنْ رُوحٍ﴾.  
 ٣. القادر على بدء الخلق من عدم هو اقدر على إعادته بعد الموت، ﴿أَفَمِنَّا بِالْأَوَّلِ قَلِيلٌ لَمْ يَكُنْ لَنَا بِلَايِسَ مِنْ تَحْتِ بَازِيٍّ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

● ﴿وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَيَّ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾

يخبر تعالى ... أنه أقرب إليه من حبل الوريد، الذي هو أقرب شيء إلى الإنسان، وهو العرق المكتنف لثغرة النحر، وهذا مما يدعو الإنسان إلى مراقبته خالقه المطلع على ضميره وباطنه، القريب منه في جميع أحواله، فيستحي منه أن يراه حيث نهاه، أو يفقده حيث أمره. السعدي: ٨٥.

السؤال: ما الحكمة من خص حبل الوريد بالذكر؟ وماذا نستفيد من ذلك؟  
● ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تَوَسَّوْنَ بِهِ نَفْسَهُ وَمَنْ أَأَقْرَبُ إِلَيْنَا مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾

والمراد أن الذي خلق الإنسان ويعلم ما توسوس به نفسه، وهو أقرب إليه من حبل الوريد في وقت كتابة الحفظة أعماله لا حاجة له لكتب الأعمال؛ لأنه عالم بها، لا يخفى عليه منها شيء، وإنما أمر بكتابة الحفظة للأعمال لحكم أخرى: كإقامة الحجة على العبد يوم القيامة الشنقيطي: ٤٦/٧.

السؤال: ما الفائدة من كتابة أعمال العبد مع أن الله عالم بها، لا يخفى عليه منها شيء؟  
● ﴿وَجَعَلَتْ سَكْرَةَ الْمَوْتِ يَلْقَى ذَلِكَ مَا كُنْتَ مَعَهُ حَيًّا﴾

وإنما قال: جاءت بالماضي لتحقق الأمر وقربه. ابن جزى: ٣٦٥/٢.

السؤال: في التعبير بالماضي في هذه الآية وجه بليغ، فما هو؟

● ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَنَقُولُ هَلْ مِنْ زُرَّارٍ﴾

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تحتاج الجنة والنار، فقلت النار: أوشرت بالمكبرين والمتجبرين. وقالت الجنة: ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم. فقال الله تعالى للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي. وقال للنار: إنما أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي، ولكل واحدة منكما ملؤها، فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع رجله فتقول قط قط، فهناك تمتلئ ويوزي بعضها إلى بعض، ولا يظلم الله من خلقه أحدا، وأما الجنة فإن الله تعالى ينشئ لها خلقا). الألويسي: ٤٧/٣٦.

السؤال: بين أبرز صفات أهل الجنة وأهل النار.

● ﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيزٍ﴾

(أواب) أي: رجع إلى الله عن المعاصي؛ يذنب ثم يرجع، هكذا قاله الضحاك وغيره. وقال ابن عباس وعطاء: الأبواب المسبح؛ من قوله: (يا جبال أو بي معه والطير) أسبأ: ١٠، وقال الحكم بن عتيبة: هو الذائر لله تعالى في الخلوة. وقال الشعبي ومجاهد: هو الذي يذكر ذنوبه في الخلوة فيستغفر الله منها. وهو قول ابن مسعود. وقال عبيد بن عمير: هو الذي لا يجلس مجلسا حتى يستغفر الله تعالى فيه. وعنه قال: كنا نحدث أن الأبواب: الحفيظ الذي إذا قام من مجلسه قال سبحان الله ويحمده، اللهم إني استغفرك مما أصبت في مجلسي هذا. البغوي: ٥٤/١٩.

السؤال: اذكر ثلاثا من صفات الأوابين.

● ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنََ الْعَلِيمَ وَمَا يَلْبَسُ مُنِيبٌ﴾

وايثار اسمه (الرحمن) في قوله: (من خشي الرحمن بالغيب) دون اسم الجلالة للإشارة إلى أن هذا المتقي يخشى الله وهو يعلم أنه رحمن، ولتقصد التعريض بالمشركيين الذين انكروا اسمه الرحمن؛ (وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن) (الفرقان: ٦٠). ابن عاشور: ٣٢٠/٢٦.

السؤال: ما فائدة إيثار اسم الله الرحمن في الآية الكريمة؟

● ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنََ الْعَلِيمَ﴾

أي: مغيبه عن أعين الناس، وهذه هي الخشية الحقيقية، وأما خشيته في حال نظر الناس وحضورهم فقد تكون رياء وسمعة، فلا تدل على الخشية، وإنما الخشية النافعة خشية الله في الغيب والشهادة. السعدي: ٨٠٦-٨٠٧.

السؤال: لماذا خص ذكر الخشية بالغيب؟

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تَوَسَّوْنَ بِهِ نَفْسَهُ وَمَنْ أَأَقْرَبُ إِلَيْنَا مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ۚ ﴿١﴾ وَإِذْ يَتَلَفَّى الصَّافِقَاتُ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ۚ ﴿٢﴾ مَا يَلْفُظْنَ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۚ ﴿٣﴾ وَجَعَلَتْ سَكْرَةَ الْمَوْتِ يَلْقَى ذَلِكَ مَا كُنْتَ مَعَهُ حَيًّا ۚ ﴿٤﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمَ الْوَعْدِ ۚ ﴿٥﴾ وَجَعَلَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ۚ ﴿٦﴾ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكُشِفْنَا عَنْكَ غِطَاءً فَكَفَبَرُكَ الْيَوْمَ حَرِيدٌ ۚ ﴿٧﴾ وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَىٰ عَيْنِي ۚ ﴿٨﴾ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ كُلُّ كَفَّارٍ عَيْنِي ۚ ﴿٩﴾ مَتَاعَ الْآخِرِ مُعْتَدٍ مَّزِيدٌ ۚ ﴿١٠﴾ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْفِيَا فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ۚ ﴿١١﴾ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْعَمْتَهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ۚ ﴿١٢﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيْهِ وَقَدْ فُتِنْتُمْ إِلَيْكُمْ بِالْوَعْدِ ۚ ﴿١٣﴾ مَا يَذَّلُ الْقَوْلُ لَدَىٰ وَمَا أَتَىٰ ظِلُّهُ لِلْعَبِيدِ ۚ ﴿١٤﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَنَقُولُ هَلْ مِنْ زُرَّادٍ ۚ ﴿١٥﴾ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ۚ ﴿١٦﴾ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيزٍ ۚ ﴿١٧﴾ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنََ الْعَلِيمَ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ۚ ﴿١٨﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ۚ ﴿١٩﴾ يَوْمَ الْخُلُودِ ۚ ﴿٢٠﴾ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ۚ ﴿٢١﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
حَبْلِ الْوَرِيدِ	عرق في العنق، مُتَّصِلٌ بِالْقَلْبِ.
رَقِيبٌ عَتِيدٌ	مَلَكٌ يَرْقُبُ قَوْلَهُ وَيَكْتُبُهُ، حَاضِرٌ مُّعَدٌ لِّذَلِكَ.
تَجِيدٌ	تَهَرَّبٌ، وَتَوَرُّعٌ.
قَرِينُهُ	الْمَلَكُ الْكَاتِبُ الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيْهِ.
مُعْتَدٍ	ظَالِمٌ مُّتَجَاوِزٌ لِلْحَدِّ.
مُرِيبٌ	شَاكٌ فِي وَعْدِ اللَّهِ وَوَعِيدِهِ.
مَا أَطْعَمْتُهُ	مَا أَضْلَلْتُهُ.
وَأُزْلِفَتْ	قُرِبَتْ.
مُنِيبٌ	تَائِبٌ، مُّقْبِلٌ عَلَى الطَّاعَةِ.

## ● العمل بالآيات

١. قل: «اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه»، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تَوَسَّوْنَ بِهِ نَفْسَهُ وَمَنْ أَأَقْرَبُ إِلَيْنَا مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾.
٢. قل سبحان الله ويحمده سبحان الله العظيم حتى تجدها في صحيفتك، ﴿مَا يَلْفُظْنَ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾.
٣. زر المقبرة واستعد بالله من الغفلة، ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا﴾.

## ● التوجيهات

١. كتابة الأعمال من قبل الحفظة ينمي جانب المراقبة لدى العبد، ﴿مَا يَلْفُظْنَ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾.
٢. احذر الغفلة عن الله تعالى، ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا﴾.
٣. البخل طريق إلى النار، ﴿مَتَاعَ الْآخِرِ مُعْتَدٍ مَّزِيدٌ﴾.

اليوم ﴿كَتَفْنَا عَنْكَ غَمَلَهُ فَصَرَّكَ يَوْمَ الْيَوْمِ حَتِيدٌ﴾ أي: قوي؛ لأن كل واحد يوم القيامة يكون مستبصرًا، حتى الكفار في الدنيا يكونون يوم القيامة على الاستقامة، لكن لا ينفعهم ذلك.

الآية (٢٣-٢٩): يقول تعالى مخبرًا عن الملك الموكل بعمل ابن آدم: إنه يشهد عليه يوم القيامة بما فعل ويقول: ﴿هَذَا مَا لَدَىٰ عَيْدٍ﴾ أي: مُنْتَدٍ مُحَضَّرٌ بلا زيادة ولا نقصان. وقال مجاهد: هذا كلام الملك السائق يقول: هذا ابن آدم الذي وكلتني به، قد أخضرت به. وقد اختار ابن جرير أن يعم السائق والشهيد، وله اتجاه قوة. فعند ذلك يحكم الله في الخليقة بالعدل فيقول: ﴿الْيَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا كَسَّافٌ عَلَيْكُمُ الظَّاهِرُ﴾ أي: الظاهر أنها خاطبة مع السائق والشهيد، فالسائق أحضره إلى عرصة الحساب، فلما أدى الشهيد عليه، أمرهما الله تعالى بإلقائه في نار جهنم. ﴿كُلُّ كَافِرٍ﴾ كثير الكفر والتكذيب بالحق، ﴿عَيْنِدٍ﴾ معاند للحق، معارض له بالباطل مع علمه بذلك، ﴿تَمَّاعٌ لِلْعَمْرِ﴾ لا يؤدِّي ما عليه من الحقوق، ولا يبرِّ فيه ولا صلة ولا صدقة، ﴿مُتَمَرِّدٌ﴾ فيأبى بغيه ويصرفه، يتجاوز فيه الحد. ﴿مُتْرِبٌ﴾ أي: شاك في أمره، مريب لمن نظَّر في أمره. ﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ أشرك بالله عبيد معه غيره، ﴿فَالْيَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

﴿قَالَ رَبُّنَا﴾ قال ابن عباس ومجاهد وقادة وغيرهم: هو الشيطان الذي وكل به. أي: يقول عن الإنسان الذي قد وافى القيامة كافرًا، يترأى منه شيطانه: ﴿رَبَّنَا مَا أَصْلَبَ﴾ أي: ما أصلبته، ﴿وَلَكِنْ كَانَ فِي حَلَكٍ يَبِيرُ﴾ أي: بل كان هو في نفسه ضالًا قابلاً للباطل معاندًا للحق. ﴿قَالَ لَا تَخْصِمُوا لَدَيَّْ﴾ يقول الرب ﷻ للإسي وقرينه من الجن، وذلك أنها مختصمان بين يدي الحق ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكَ بِالْوَعْدِ﴾ أي: قد أعذرت إليكم على السنة الرُّسُل، وأنزلت الكتب، وقامت عليكم الحجج والبيانات والبراهين. ﴿مَا يَبْدُلُ أَفْعُولُ لَدَيَّْ﴾ قال مجاهد: يعني قد قضيت ما أنا قاض، ﴿وَبِمَا نَاظَرْتَنِي لِيُعَذِّبُنِي﴾ لست أعذب أحدًا بذنب أحد، ولكن لا أعذب أحدًا إلا بذنبه، بعد قيام الحجة عليه.

الآية (٣٠-٣٥): يخبر تعالى أنه يقول لجهنم يوم القيامة: ﴿هَلِ انْتَدَلَتْ؟﴾ وذلك أنه وعدها أن سيملوها من الجنة والناس أجمعين، فهو سبحانه يأمر بمن يأمر به إليها، ويلقى وهي تقول: ﴿هَلْ مِنْ مَّرْبُورٍ﴾ أي: هل بقي شيء تزيدوني؟ هذا هو ظاهر سياق الآية، وعن أنس [مرفوعًا]: ﴿يُلْقَى فِي النَّارِ، وتقول: هل من مزيد، حتى يضع قدمه فيها، فتقول قَطُّ قَطُّ﴾ [رواه البخاري]. ﴿وَأَزَلَيْتَ الْجَنَّةَ لِلشَّقِيَّةِينَ﴾ قال قتادة وأبو مالك والشَّدي: أذيت وأقربت من المتقين. ﴿عَرَبِيدٌ﴾ وذلك يوم القيامة، وليس بعبيد؛ لأنه واقع لا محالة، وكل ما هو آت قريب.

﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ﴾ أي: رجاع تائب مُقْبِل، ﴿حَافِظٍ﴾ أي: يحفظ العهد فلا ينقضه ولا يتركه. ﴿تَنْجِيحُ الرَّحْمَنِ الْقَلْبِ﴾ أي: من خاف الله في سرِّه حيث لا يراه أحد إلا الله، كقوله ﷻ: ﴿وَرَجُلٌ ذَكَرَ خَالِيًا، فضاقت عيناه﴾ [متفق عليه]. ﴿وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾ ولقي الله يوم القيامة بقلب سليم منيب إليه خاضع لديه. ﴿أَدْعَلُّوهُمَا﴾ أي: الجنة ﴿سَلَامٌ﴾ قال قتادة: سلِّموا من عذاب الله، وسلِّم عليهم ملائكة الله. ﴿ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾ أي: يخلدون في الجنة فلا يموتون أبدًا، ولا يظعنون أبدًا، ولا ينعون عنها جولا. وقوله: ﴿لَهُمْ نَائِكَاتٌ رِيَّا﴾ أي: مها اختاروا وجلا من أي أصناف الملائكة طلبوا أخضر لهم. وقوله: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ كقوله: ﴿لَدَيْنَا مَسْجُودٌ لِلْمُسْتَقِيِّ وَرِيَادَةٌ﴾ [يونس: ١٢٦]. وعن صهيب: أنها النظر إلى وجه الله الكريم [رواه مسلم].

الآية (١٦-٢٢): تجرُّبُ تعالى عن قدرته على الإنسان بأنه خالقه، وعلمه محيط بجميع أموره، حتى إنه تعالى يعلم ما تؤسوس به نفوس بني آدم من الخير والشر. ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ يعني: ملائكته تعالى أقرب إلى الإنسان من حبل وريده إليه. ومن تأوله على العلم فإنما قرئ لئلا يلزم خلل أو اتحاد، وهما متفريان بالإجماع - تعالى الله وتقدس - ولكن اللفظ لا يقتضيه، فإنه لم يقل: وأنا أقرب إليه من حبل الوريد، وإنما قال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾؛ كما قال في المحتضر: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْشِرُونَ﴾ [الرواق: ٨٥]؛ يعني ملائكته. وكذلك الملائكة أقرب إلى الإنسان من حل وريده إليه بإقدار الله لهم على ذلك؛ فللملك لمة في الإنسان كما أن للشيطان لمة؛ ولهذا قال ههنا: ﴿إِذْ يُلْقَى الْمُتَلَكِّينَ﴾ يعني: للمكين اللذين يكتبان عمل الإنسان ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِذُّهُ﴾ أي: مُرَصَّدٌ، ﴿عَاكِفٌ﴾ أي: ابن آدم ﴿مِنْ قَوْلٍ﴾ أي: ما يتكلم بكلمة ﴿الْأَلَدِيِّ رَبِّ عَيْدٍ﴾ أي: إلا ولما من يراقبها مُعَدٌّ لذلك يكتبها، لا يترك كلمة ولا حركة؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَا عَلَيْكَ حَافِظِينَ﴾ ﴿كَرَامًا كَثِيرِينَ﴾ ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفَعَّلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠-١٢].

وقد اختلف العلماء: هل يكتب الملك كل شيء من الكلام، وهو قول الحسن وقادة، أو إنما يكتب ما فيه ثواب وعقاب كما هو قول ابن عباس، وظاهر الآية الأول؛ لعموم قوله: ﴿عَاكِفٌ مِنْ قَوْلٍ﴾ لا لَدِي رَبِّ عَيْدٍ. قوله: ﴿وَبَعَثَ﴾ أي: أبعث الإنسان ﴿سَكْرَةَ الْمَوْتِ يَلْحَقُ﴾ أي: كَشَفَتْ لك عن اليقين الذي كُنْتَ تَمْتَرِي فيه، ﴿ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ أي: هذا هو الذي كُنْتَ تَقَرُّ منه قد جاءك، فلا عيِّد ولا مناص، ولا فكاك ولا خلاص. وقد اختلف المفسرون في المخاطب بقوله: ﴿كُنْتَ﴾، فالصحيح أن المخاطب بذلك الإنسان من حيث هو. وقيل: الكافر، وقيل: غير ذلك. وعن النبي ﷺ: لَمَّا تَعَشَّاهُ الموت جَعَلَ يُمْسَحُ الْعَرَقَ عَنْ وَجْهِهِ ويقول: «سبحان الله! إن للموت لسكرات» [رواه البخاري]. وفي قوله: ﴿ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ قولان: أحدهما: أن «ما» ههنا موصولة، أي: الذي كُنْتَ منه تحيد - بمعنى: تتعبد وتنتأ وتقر - قد حل بك وتزل بساحتك. والثاني: أن «ما» نافية بمعنى: ذلك ما كُنْتَ تَقْدِرُ على الفرار منه ولا الحيد عنه. ﴿وَيُفَعِّ فِي الْأَصُورِ ذَلِكَ يَوْمَ الْوَعِيدِ﴾ النفخ في الصور للفرع والصعق والبعث. ﴿وَبَعَثَ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَنَجِيدٌ﴾ أي: ملك يسوقه إلى المحشر، وملك يشهد عليه بأعماله. هذا هو الظاهر من الآية الكريمة. وهو اختيار ابن جرير، وعن أبي هريرة: السائق: الملك، والشهيد: العمل. وكذا قال الضحاك والشَّدي. وقال ابن عباس: السائق من الملائكة، والشهيد: الإنسان نفسه؛ يشهد على نفسه. وحكى ابن جرير ثلاثة أقوال في المراد بهذا الخطاب في قوله: ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي عَقْلٍ مِنْ هَذَا فَكُنْفَانَا عَنْكَ غَمَلَهُ فَصَرَّكَ يَوْمَ الْيَوْمِ حَتِيدٌ﴾: أحدها: أن المراد بذلك الكافر. رواه علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس. والثاني: أن المراد بذلك كل أحد من بر وفاجر؛ لأن الآخرة بالنسبة إلى الدنيا كاليقظة، والدنيا كالنام. وهذا اختيار ابن جرير. والثالث: أن المخاطب بذلك النبي ﷺ. وبه يقول زيد بن أسلم، وابنه. والمعنى على قولها: لقد كنت في غفلة من هذا الشأن قبل أن يوحى إليك، فكشفنا عنك غطاءك بإذن الله إليك، فبصرك اليوم حديد. والظاهر من السياق خلاف هذا، بل الخطاب مع الإنسان من حيث هو، والمراد بقوله: ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي عَقْلٍ مِنْ هَذَا﴾ يعني: من هذا

يمترونها. ﴿ذَلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ﴾ أي: من الأجداد ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ﴾ أي: ﴿وَمَوَدَّىٰ يَبْدَأُ الْخَلْقَ تَرْجِيدهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]، وإليه مصير الخلائق كلها، فيجازي كلًّا بعمله، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر. ﴿يَوْمَ نَسْفَعُ الْأَرْضَ غَنَمًا بِرَأْسِنَا﴾ ذلك أن الله تعالى ينزل مطرًا من السماء تنبت به أجساد الخلائق في قبورها، كما ينبت الحب في الثرى بالماء، فإذا تكاملت الأجساد أمر الله إسرائيل فينفضح في الصور، وقد أودعت الأرواح في ثقب في الصور، فإذا نفع إسرائيل فيه خرجت الأرواح تتوحد بين السماء والأرض، فيقول الله ﷻ: وعزني وجلالي، لترجع كل روح إلى الجسد الذي كانت تمطره، فترجع كل رُوح إلى جسدها، فتدب فيه كما تدب الشَّم في اللدنيغ وتنشئ الأرض عنهم، فيقومون إلى موقف الحساب سرًا، مبادرين إلى أمر الله ﷻ، ﴿مُهَيَّيَاتٍ إِلَىٰ الْبَلَاءِ يَوْمَ الْكَافِرِينَ هَذَا يَوْمُ حِسْرَةٍ﴾ [الفرع: ٨]، وقال: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِمَحْمُودٍ وَتَقُولُونَ إِنَّا لَنَبْتَغِي إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٥٢]. وقوله: ﴿ذَلِكَ حَسْرَتٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ أي: تلك إعادة سهلة علينا، يسيرة لدينا؛ كما قال: ﴿وَمَا أَمْرًا إِلَّا وَجِدَةً كَلَجَ يَالْأَبْصِرُ﴾ [الفرع: ٥٠]. وقوله: ﴿نَحْنُ أَكْثَرُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ أي: نحن علمنا محيط بما يقول لك المشركون من التكذيب فلا يبيدك ذلك. ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾ أي: ولست بالذي تجبر هؤلاء على الهدى، وليس ذلك ما كُلفت به. ثم قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعَبِيدَ﴾ أي: بلغ أنت رسالة ربك، فإنها يذكرك من يخاف الله ووعيده ويرجو وعده. وكان قتادة يقول: اللهم، اجعلنا ممن يخاف وعيدك، ويرجو موعودك، يا بَارِ يا رحيم.

#### تفسير سورة الذاريات

وهي مكية، [وعدد آياتها (٦٠) آية].

الآية (١-٦): بَيَّنَّتْ من غير وجه عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: أنه صعد منبر الكوفة فقال: لا تسألوني عن آية في كتاب الله، ولا عن سنة عن رسول الله، إلا أنبأكم بذلك. فقام إليه ابن الكواء فقال: يا أمير المؤمنين، ما معنى قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَدَّبَرُوا﴾؟ قال: الريح قال: ﴿فَالَّذِينَ يَدَّبَرُوا﴾؟ قال: السحاب قال: ﴿فَالَّذِينَ يَدَّبَرُوا﴾؟ قال: السُّفُن. قال: ﴿فَالَّذِينَ يَدَّبَرُوا﴾؟ قال: الملائكة. وهكذا فسرها ابن عباس وابن عمر ومجاهد والحسن وقاتدة والسدي وغير واحد. ولم يجزك ابن جرير وابن أبي حاتم غير ذلك. والحاصلات وقرا: السحاب؛ لأنها تحمل الماء. فأما الجاريات يسرا، فالشهور عن الجمهور: أنها السفن؛ تجري ميسرة في الماء جزيا سهلا. وقال بعضهم: هي النجوم تجري يسرا في أفلاكها، ليكون ذلك ترقيا من الأدنى إلى الأعلى، إلى ما هو أعلى منه، فالرياح فوقها السحاب، والنجوم فوق ذلك، والمقسات أمرا الملائكة فوق ذلك، تنزل بأوامر الله الشرعية والكونية. وهذا قسم من الله ﷻ على وقوع المعاد؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّمَا وَعْدٌ لِّسَادِقٍ﴾ أي: لخبير صادق، ﴿وَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ الحساب ﴿وَنُوحٍ﴾ أي: لكانن لا عالة.

الآية (٣٦-٤٠): يقول تعالى: وكم أهلكنا قبل هؤلاء المكذبين ﴿بَيْنَ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا﴾ كانوا أكثر منهم وأشد قوة، ﴿وَأَكْثَرُ الْأَرْضِ وَاعْتَمِرُوهَا أَعْتَمِرَوا عَمَرُوهَا﴾ [الروم: ٩]؛ ولهذا قال: ﴿فَتَعَبُوا فِي الْبَلَدِ﴾ قال ابن عباس: أثروا فيها. وقال مجاهد: ضربوا في الأرض. وقال قتادة: فساروا في البلاد، أي ساروا فيها يبتغون الأرزاق والمتاجر والمكاسب أكثر مما طُفِّمْتُمْ أنتم فيها. ﴿هَلْ مِنْ مَّجِيصٍ﴾ أي: هل من مفر كان لهم من قضاء الله وقدره؟! وهل نفهمهم ما جمعوهم وردد عنهم عذاب الله إذ جاءهم لئلا يكذبوا الرُّسل؟! فانهم أيضا لا مفر لكم ولا تحيد ولا مئاص ولا محيص. وقوله: ﴿إِنَّا فِي ذَلِكَ لَذِكْرٌ﴾ أي: لعبرة ﴿لِّمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ أي: لب يعي به. وقال مجاهد: عقل. ﴿أَوْ أَلْقَى السَّعَةَ وَهُوَ سَهِيدٌ﴾ أي: استمع الكلام فوعاه، وتعلقه بقلبه وتفهمه بلبه. وقال مجاهد: يعني: لا يحدث نفسه في هذا بغيره ﴿وَهُوَ سَهِيدٌ﴾ وَقَالَ: شَاهِدٌ بِالْقَلْبِ. وقال الضحاك: العرب تقول: ألقى فلان سمعه إذا استمع بأذنيه وهو شاهد بقلب غير غائب. وهكذا قال الثوري وغير واحد. ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَاكِنَ لِلْغُيُوبِ﴾ فيه تقرير المعاد؛ لأن من قدر على خلق السموات والأرض -﴿وَلَقَدْ يَتَّبِعُهُنَّ﴾ [الأحقاف: ٣٣]- قادر على أن يجزي الموتى بطريق الأولى والأخرى. [سبب النزول]: قال قتادة: قالت اليهود -عليهم لعائن الله-: خلق الله السموات والأرض في ستة أيام، ثم استراح في اليوم السابع، وهو يوم السبت، وهم يسمونه يوم الراحة، فأنزل الله تكذيبهم: ﴿وَمَا مَسَاكِنَ لِلْغُيُوبِ﴾ أي: من إعياء ولا نصب ولا تعب. ﴿فَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ أي: المكذبين، اصبر عليهم ﴿وَأَعِزِّهِمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ [الزمل: ١٠]، ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَلِيلًا طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ وكانت الصلاة المفروضة قبل الإسراء اثنتين قبل طلوع الشمس في وقت الفجر، وقبل الغروب في وقت العصر، وقيام الليل كان واجبا على النبي ﷺ وعلى أمته حولا، ثم نُسِخَ في حق الأمة وجوبه. ثم بعد ذلك نَسَخَ الله ذلك كله ليلة الإسراء بخمس صلوات، ولكن منهن صلاة الصبح والعصر، فهما قبل طلوع الشمس وقبل الغروب. ﴿وَبَيْنَ الْأَيْلِ فَسِيحَةٍ﴾ أي: فَصْلٌ لَهُ ﴿وَأَذِّنْ لِلشُّجُودِ﴾ قال ابن عباس: هو التسبيح بعد الصلاة. والقول الثاني: أن المراد بقوله: ﴿وَأَذِّنْ لِلشُّجُودِ﴾ هما الركعتان بعد المغرب، رُوي ذلك عن عمر وعلي وابنه الحسن وابن عباس وأبي هريرة وأبي أمامة، وبه يقول مجاهد وعكرمة والشعبي والتخفي والحسن وقاتدة وغيرهم.

الآية (٤١-٤٥): ﴿وَأَسْمِعْ﴾ يا محمد ﴿يَوْمَ يَبْدَأُ الْخَلْقَ مَن كَانَ يَرْيَى﴾ قال قتادة: قال كعب الأحبار: يأمر الله تعالى ملكا أن ينادي على صخرة بيت المقدس: أيتها العظام البالية، والأوصال المتقطعة، إن الله يأمرُكُنَّ أن تجتمعن لفصل القضاء. ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ﴾ يعني: النفخة في الصور التي تأتي بالحق الذي كان أكثرهم فيه



## ● الوقفات التدريبية

❶ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾  
من ألقى سمعه إلى آيات الله، واستمعها استماعاً يسترشد به، وقلبه شهيد، أي: حاضر، فهذا له أيضاً ذكرى وموعظة، وشفاء وهدى، وأما المعرض الذي لم يلق سمعه إلى الآيات، فهذا لا تفيدته شيئاً؛ لأنه لا قبول عنده، ولا تقتضي حكمة الله هدايته من هذا وصفه ونفعه. السعدي: ٨٠٧.

السؤال: ما الذي يفيد من القرآن من لا يسمعه بقلبه ويعبره سمعه وانتباهه؟  
❷ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾  
سر الإتيان بأو دون الواو: لأن المتفعل بالآيات من الناس نوعان:

أحدهما ذو القلب الواعي الذكي الذي يكتفي بهدياته بأدنى تنبيه، ولا يحتاج إلى أن يستجلب قلبه ويحضره ويجمعه من مواضع شتاته، بل قلبه واع زكي قابل للهدى غير معرض عنه، فهذا لا يحتاج إلا إلى وصول الهدى إليه فقط؛ لكمال استعداد... والنوع الثاني: من ليس له هذا الاستعداد والقبول، فإذا ورد عليه الهدى أضفى إليه بسمعه وأحضر قلبه، وجمع فكرته عليه، وعلم صحته وحسنه بنظره واستدلّ به. ابن القيم: ١٦/٣.

السؤال: ما الحكمة في التعبير (أو) دون الواو في الآية؟

❸ ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾  
أمره بما يستعين به على الصبر؛ وهو التسبيح بحمد ربه قبل طلوع الشمس وقبل غروبها، وبالليل وأدبار السجود. ابن القيم: ٣٦/٣.

السؤال: ما الأمور المعينة على الصبر؟

❹ ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾  
ألفظ (وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَرَ الشُّجُورِ)

(فاصبر على ما يقولون) من الذم لك، والتكذيب بما جئت به، واشتغل عنهم واله بطاعة ربك وتسبيحه أول النهار وآخره، وفي أوقات الليل، وأدبار الصلوات؛ فإن ذكر الله تعالى مُسَلِّ للنفوس، مؤنس لها، مُهَوِّن للصبر. السعدي: ٨٠٧.

السؤال: ما الحكمة من الأمر بالتسبيح بعد الأمر بالصبر؟

❺ ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾  
قال الرازي: واعلم أن شواذ الكلمات بقدره صدورها عن جنان المعرفة والحكمة، وأن تكون عين قلبه تدور دوران لسانه، ويلاحظ حقائقها ومعانيها؛ فالتسبيح تنزيه من كل ما يتصور في الوهم أو يرتسم في الخيال أو ينطبق في الحواس أو يدور في الهواجر، والحمد يكشف عن المنتهى وصنع الصنائع وأنه المتفرد بالنعمة. البقاعي: ٣٩/١٨.

السؤال: ما المقصود بالتسبيح؟

❻ ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾  
قوله: (وما أنت عليهم جبّار) أي: ولست بالذي تجبر هؤلاء على الهدى، وليس ذلك ما كلف به.... وما أنت بمجبرهم على الإيمان، إنما أنت مبلغ. ابن كثير: ١٢/٧.

السؤال: ما وظيفة الداعية بالتحديد؟

❼ ﴿وَالَّذِينَ ذَرَوْا قُلُوبَهُمْ وَفَرَّوْا قَالِجَرَيْتَ سِرًّا﴾  
أمرًا (إِنَّمَا نَعِدُّكَ لَصَادِقٌ) (وَلَا الَّذِينَ يُرِيقُونَ)

ووجه تخصيص هذه الأمور بالإقسام بها كونها أموراً بديعة مخالفة لمقتضى العادة، فمن قدر عليها فهو قادر على البعث الموعد به. الشوكاني: ٨٣/٥.

السؤال: ما وجه تخصيص هذه الأمور بالإقسام بها؟

وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ٥٠٠ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ٥٠١ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ٥٠٢ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ٥٠٣ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَرَ الشُّجُورِ ٥٠٤ وَأَسْمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادُ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ٥٠٥ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ ٥٠٦ إِنَّا نَخْنَعُ غِيًّا وَيُخَيِّتُ وَإِنَّا الْمَصِيرُ ٥٠٧ يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرُ ٥٠٨ نَخْنَعُ أَعْلَاهُمْ يَقُولُونَ ٥٠٩ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكَرَ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدَ ٥١٠

سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ ذِي الْمَلَكُوتِ الْمَلِكُ الْيَوْمَ وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ  
يَسْمِعُ اللَّهُ الْمُعْذِرَ الرَّجِيمَ  
وَالَّذِينَ ذَرَوْا قُلُوبَهُمْ وَفَرَّوْا قَالِجَرَيْتَ سِرًّا ٥٠١  
قَالْمَقْسَمَتِ أَمْرًا ٥٠٢ إِنَّمَا نَعِدُّكَ لَصَادِقًا ٥٠٣ وَلَا الَّذِينَ يُرِيقُونَ ٥٠٤

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
بَطْشًا	قُوَّةً، وَسَطُوةً.
فَنَقَّبُوا	طَوَّفُوا.
مَحِيصٍ	مَهْرَبٍ.
لُغُوبٍ	تَعَبٍ، وَنَصَبٍ.
سِرَاعًا	يَخْرُجُونَ مُسْرِعِينَ.
وَالذَّارِيَاتِ	قَسَمَ بِالرِّيَّاحِ، الْمُثِيرَاتِ لِلْغُرَابِ.
فَالْحَامِلَاتِ وَهَرَا	فَالسُّحُبِ الْحَامِلَاتِ ثِقْلًا عَظِيمًا مِنَ الْمَاءِ.
فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا	فَالسُّفُنَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحَارِ بِسُرٍ.

## ● العمل بالآيات

١. حافظ على الصلوات الخمس في المسجد جماعة، ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾.
٢. اجلس بعد اذانك لصلاة الفجر مسبحاً حتى تطلع الشمس، ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾.
٣. اذهب إلى المسجد قبل اذان المغرب بمدة واجلس وسبح حتى تغرب الشمس، ﴿وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾.

## ● التوجيهات

١. العاقل من اتعظ بغيره، ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾.
٢. الحرص على سلامة القلب من الأمراض التي تغشاه حتى يكون من المتعظين، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾.
٣. الصبر والتسبيح قرينان فأحرص على الاتصاف بهما، ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿إِنَّكَ لَن تَجِدَ قَوْلًا مِّنْ أَفْكٍ﴾

فالقول المختلف: أقوالهم في القرآن وفي النبي؛ وهو خرس كله؛ فإنهم لما كذبوا بالحق اختلفت مذاهبهم وأراؤهم وطرائقهم وأقوالهم؛ فإن الحق شيء واحد وطريق مستقيم؛ فمن خالفه اختلفت به الطرق والمذاهب؛ كما قال تعالى (بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريج) لق: ١٥؛ أي: مختلط ملتبس. ابن القيم: ٣٢/٣-٣٣.

السؤال: من أهم أسباب جمع الكلمة الالتزام بالوحي، وضع ذلك من الآية.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾

لا يخفى على من عنده علم بأصول الفقه أن هذه الآية الكريمة فيها الدلالة المعروفة عند أهل الأصول بدلالة الإيحاء والتنبيه على أن سبب نيل هذه الجنات والعيون هو تقوى الله، والسبب الشرعي هو العلة الشرعية على الأصح. الشنقيطي: ٤٣٩/٧.

السؤال: في خبر الله تعالى عن المتقين دلالة على سبب دخولهم الجنة، بين ذلك.

﴿مَنْ يَمُنْ بِمَا نَزَّلْنَا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِمْ رُحْمَةً يُقَرَّبُ قَلْبُكَ لِلْكَافِرِينَ﴾

(أخذين ما آتاهن ربهم)، يحتمل أن المعنى أن أهل الجنة قد أعطاهم مولاهم جميع مناهم؛ من جميع أصناف النعيم، فأخذوا ذلك راضين به، قد قرت به أعينهم، وفرحت به نفوسهم، ولم يطلبوا منه بدلا، ولا يغيون عنه حولا... ويحتمل أن هذا وصف المتقين في الدنيا، وأنهم أخذون ما آتاهم الله من الأوامر والنواهي، أي: قد تلقوها بالرحب، وإشراح الصدر. السعدي: ٨٨.

السؤال: ما علامة المتقين في الدنيا؟

﴿كُلُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجُونَ﴾

والفرض من الآية أنهم يكابدون العبادة في أوقات الراحة وسكون النفس ولا يستريحون من مشاق النهار إلا قليلا. قال الحسن: كابدوا قيام الليل لا ينامون منه إلا قليلا. وعن عبد الله بن رباح: جمعوا قليلا ثم قاموا. الألوسي: ١٤/٢٧.

السؤال: ما عمل المتقين في أوقات النوم والراحة والسكون الذي استحقوا به دخول الجنات والنعيم؟

﴿وَالَّذِينَ هُمْ يَسْتَفِرُّونَ﴾

وخص هذا الوقت لكونه يكثر فيه أن يغلب النوم على الإنسان فيه فصلاتهم واستغفارهم فيه أعجب من صلاتهم في أجزاء الليل الأخرى. وجمع الأسحار باعتبار تكرار قيامهم في كل سحر. ابن عاشور: ٣٥٠/٢٦.

السؤال: لماذا خص وقت الأسحار بالذكر؟

﴿وَقَدْ نَزَّلَ الرَّحْمَنُ مَا يُغْفَرُ بِهِ﴾ (١١) ﴿قُرْبَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَبْقَوْنَ﴾

قال بعض الحكماء: يعني: كما أن كل إنسان ينطق بلسان نفسه لا يمكنه أن ينطق بلسان غيره، هكذا كل إنسان يأكل رزق نفسه الذي قسم له، ولا يقدر أن يأكل رزق غيره البغوي: ٢٣١/١٩.

السؤال: ما وجه تشبيه الرزق بالنطق؟

﴿فَرَأَىٰ إِلَهُهُ﴾

الروغان هو الذهاب في اختفاء بحيث لا يكاد يشعر به. وهذا من كرم رب المنزل المضيف: أن يذهب في اختفاء بحيث لا يكاد يشعر به الضيف فيشقى عليه ويستحي، فلا يشعر به إلا وقد جاءه بالطعام، بخلاف من يسمع ضيفه ويقول له أولن حضر: مكانكم حتى آتيكم بالطعام، ونحو ذلك مما يوجب حياة الضيف واحتشامه. ابن القيم: ٥٠/٣.

السؤال: بين علامة من علامات كرم الأنبياء عليهم السلام وحسن أخلاقهم.

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْكُرْسِيِّ ﴿١٠﴾ إِنَّكَ لَن تَجِدَ قَوْلًا مِّنْ أَفْكٍ مِّنْ أَفْكٍ ﴿١١﴾ قُلِ الْخَرَصُونَ ﴿١٢﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١٣﴾ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٤﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُعْذَرُونَ ﴿١٥﴾ ذُوقُوا فَتَنَاتِكُمْ هَذَا الَّذِي كُتِبَ بِهِ سَعَتُكُمْ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٦﴾ عَاجِزِينَ مَاءٍ تَنْهَرُ رُهُمْ أَتَاهُمْ كَانُوا أَقْبَلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٧﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجُونَ ﴿١٨﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٩﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٠﴾ وَفِي الْأَرْضِ ذِكْرٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٢١﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢٢﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٣﴾ قُرْبَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ ﴿٢٤﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٥﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنْكَرُونَ ﴿٢٦﴾ فَرَأَىٰ إِلَهُهُ أَهْلِيهِمْ فَكَأَنَّهُ بِعِجْلِ سَمِينٍ ﴿٢٧﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْتَكُونُ ﴿٢٨﴾ فَأَوْحَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَحْزَنْ وَبَشِّرْهُ بِبَعْلٍ عَلِيمٍ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ امْرَأَتَهُ فِي صَرَقٍ فَصَبَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٣٠﴾ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْكَاذِبُ الْعَلِيمُ ﴿٣١﴾

## ● معاني الكلمات

المعنى	الكلمة
ذَاتِ الْخَلْقِ الْحَسَنِ، وَذَاتِ الطَّرِيقِ الَّتِي تَسِيرُ فِيهَا الْكَوَاكِبُ.	ذَاتِ الْحِكْمِ
يُصْرَفُ عَنِ الْقُرْآنِ وَالرُّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.	يُؤْفَكُ عَنْهُ
قَتَلَ الْخَرَاصُونَ، قَتَلَ، وَلَيْسَ الْكُذَّابُونَ، الظَّانُونَ غَيْرَ الْحَقِّ.	قَتَلَ الْخَرَاصُونَ
يَنَامُونَ.	يَهْجُونَ
غُرْبَاءُ لَا تَعْرِفُونَ.	مُنْكَرُونَ
مَالٌ، وَعَدَلٌ بِخَفِيَةٍ.	فَرَأَىٰ
أَحْسَنَ فِي نَفْسِهِ مِنْهُمْ.	فَأَوْحَسَ مِنْهُمْ

## ● العمل بالآيات

- أضبط منبه إيقاظك على وقت السحر، وقم واستغفر الله من ذنوبك، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾.
- حدد مقدارا ثابتا -ولو يسيرا- من دخلك للسائل والمحروم، ﴿وَقَدْ نَزَّلَ الرَّحْمَنُ مَا يُغْفَرُ بِهِ﴾.
- ادع أحد زملائك إلى المنزل واكممه، ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾.

## ● التوجيهات

- تذكر أحوال الصالحين معين على الاتصاف بصفاتهم، ﴿إِنَّ السَّيِّئِينَ فِي جَهَنَّمَ وَثُورٌ﴾.
- اعلم أن الله سبحانه وتعالى قد تكفل برزقك، ﴿وَقَدْ نَزَّلَ الرَّحْمَنُ مَا يُغْفَرُ بِهِ﴾.
- عظم قصة إبراهيم عليه السلام وما فيها من العبر، ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾.

المحارَف الذي لا يكاد يتيسر له مكسبه. وقال قتادة والزهري: المحروم: الذي لا يسأل الناس شيئاً، قال الزهري: وقد قال رسول الله ﷺ: «ليس المسكين بالطواف الذي تَرُدُّه اللقمة واللقمتان، والتمره والتمران، ولكن المسكين الذي لا يُجِدُ غُنى يُغنيه، ولا يُقْطِنُ له فيَصْصِقُ عليه» (اتفق عليه من حيث أبي مريرة بنحوه). واختار ابن جرير أن المحروم: هو الذي لا مال له بأي سبب كان، قد دَقَبَ ماله، سواء كان لا يقدر على الكسب، أو قد هَلَكَ ماله أو نحوه بأفة أو نحوها. وقوله: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: فيها من الآيات الدالة على عظمة خالقها وقدرته الباهرة، مما قد ذَرَأَ؛ ولهذا قال: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ قال قتادة: من تفكر في خلق نفسه عَرَفَ أنه إنما خَلَقَ وبيَّنت مفاصله للعبادة. ثم قال: ﴿وَفِي آسَمَاءٍ ذِكْرٌ﴾ يعني: المطر ﴿وَمَا تَرَوْعَدُونَ﴾ يعني: الجنة. قاله ابن عباس ومجاهد وغير واحد. وقوله: ﴿وَفِي آسَمَاءٍ وَالْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْحَكِيمِ﴾ ما أَفْكَمَ طَيْفُونُ؟ يُعْهِسُ تعالى بنفسه الكريمة أن ما وَعَدَهُم به من أمر القيامة والبعث والجزاء، كائن لا محالة، وهو حق لا مرية فيه، فلا تُشْكُوا فيه كما لا تُشْكُونَ [في تطعيمكم حين تنطقون].

الآية (٢٤-٣٠): ﴿هَلْ أَنْتَ حَدِيثٌ مِمَّا فُرِغَ مِنَ الْكُرِيِّ﴾ أي: الذين أَرْصَدَ لهم الكرامة. وقد ذَهَبَ الإمام أحمد وطائفة من العلماء إلى وجوب الضيافة للزئيل، وقد وَرَدَت السنة بذلك كما هو ظاهر التنزيل. وقوله: ﴿فَقَالُوا سَلَكْنَا قَالاً سَلَمٌ﴾: الرفع أقوى وأثبت من النصب، فَرَدَّه أفضل من التسليم، فالخليل اختار الأفضل. وقوله: ﴿قَوْمٌ شُكِّرُونَ﴾ وذلك أن الملائكة وهم جبريل وإسرافيل وميكائيل قَدِمُوا عليه في صور شُبَّانٍ حَسَنانٍ عليهم مَهَابَةٌ عظيمة؛ ولهذا قال: ﴿قَوْمٌ شُكِّرُونَ﴾.

﴿فَرَأَى إِلَهُ الْآلَمِينَ﴾ أي: أَسْمَلَ خُفِيَةً في سرعة ﴿فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ أي: من خِيَارِ ماله. وفي الآية الأخرى: ﴿فَقَالَتْ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَئِينٍ﴾ (أمود: ٦٩) أي: مشوي على الرَّصْف، ﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ﴾ أي: أَدْنَاهُ منهم، ﴿قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾: تَلَطَّفَ في العبارة وعَرَضَ حَسَنَ. وهذه الآية انتظمت آداب الضيافة، فإنه جاء بطعامه من حيث لا يشعرون بسرعة، ولم يمتن عليهم أولاً فقال: «نأتيكم بطعام؟» بل جاء به بسرعة وخفاء، وأتى بأفضل ما وجد من ماله، وهو عجل فني سمين مشوي، فقربه إليهم، لم يضعه، وقال: اقربوا، بل وضعه بين أيديهم، ولم يأمرهم أمراً يشق على سامعه بصيغة الجزم، بل قال: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ على سبيل العرض والتلطف، كما يقول القائل اليوم: إن رأيت أن تفضل وتحسن وتصلق، فافعل.

﴿فَأَرْجَسَ مِنْهُمْ خُفْيَةً﴾ هذا محال (٢) على ما في السورة الأخرى: ﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَ مِنْهُمْ وَأَرْجَسَ مِنْهُمْ خُفْيَةً﴾ (أمود: ١٧٠). ﴿وَتَذَكَّرُوا فِيهَا بَعْدَ ذَلِكَ﴾ البشارة له هي بشارة [الامرأته]؛ لأن الولد منها، فكل منها بُشِّرَ به. ﴿فَأَمَّا أَمْرَأَتُهُ فِي صَرْفٍ﴾ أي: في صَرْخَةٍ عظيمة وَزَنَةٍ، قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة؛ وهي قولها: ﴿يَوَيْلٌ﴾ (أمود: ١٧٠). ﴿فَصَنَعَتْ وَجْهَهَا﴾ أي: صَرَبَتْ بيدها على جبينها، قاله مجاهد وابن سابط. وقال ابن عباس: لَطَمَتْ، أي تعجبت كما تَتَعَجَّبُ النساء من الأمر الغريب، ﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ أي: كيف أَلِدُ وأنا عجوز، وقد كُنْتُ في حال الصبا عقيلاً لا أَحْبِلُ؟! ﴿قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ أي: علم بما تستحقون من الكرامة، حكيم في أقواله وأفعاله.

الآية (٧-١٤): ﴿وَأَسْمَاءُ ذَاتُ الْحَيْكِلِ﴾ قال ابن عباس: ذات البهائم والجمال والحسن والاستواء. وكذا قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبيرة. وقال الحسن: حُبِكَتْ بالنجوم. وكل هذه الأقوال ترجع إلى شيء واحد، وهو الحسن والبهائم، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما؛ فإنها من حُسْنِها مرتفعة شفاقة صفيقة، شديدة البناء، متسعة الأرجاء، أنيقة البهائم، مُكَلَّلَةٌ بالنجوم، موشحة بالشمس والقمر والكواكب الزاهرات. وقوله: ﴿إِنَّا كُنَّا نَقُولُ قَوْلَ غُلِيلٍ﴾ أي: إنكم أيها المشركون المكذوبون للرسول لفي قول مختلف مضطرب، لا يلبس ولا يجتمع. وقال قتادة: ما بين مصدق بالقرآن ومكذب به. ﴿يُؤَفِّكُ عَنْهُ مِنَ الْوَيْلِ﴾ أي: إنما يروج على من هو ضال في نفسه؛ لأنه قول باطل إنما يتفاد له ويضلل بسببه ويؤفِّكُ عنه من هو مَأْفُوكٌ ضال غفَر، لا فَهَمَ له. قال ابن عباس والسدي: يُضِلُّ عنه من ضَلَّ. وقال مجاهد: يُؤَفِّكُ عنه من أَفَنَ. وقال الحسن: يُضَرِّفُ عن هذا القرآن من كَذَبَ به. ﴿قِيلَ لِمَ تَرْتَضُونَ﴾ قال مجاهد: الكذابون، والخراصون الذين يقولون لا بُدَّ ولا يُوقِنُونَ. وقال ابن عباس: أي: لِمَنِ السُّرَاتَابُونَ. وهكذا كان معاذ يقول في خُطْبَةٍ: هَلَكَ المرتابون. وقال قتادة: الخراصون: أهل الغرّة والظنون.

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي غَيْرِ سَاحَاتٍ﴾ قال ابن عباس وغير واحد: في الكفر والشك غافلون لا همون. ﴿يَسْتَلُونَ أَفَآبَ يَوْمِ الْبَازِغِ﴾ وإنما يقولون هذا تكديباً وعناداً وشكاً واستبعاداً. قال تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُقَنَّتُونَ﴾ قال ابن عباس ومجاهد والحسن وغير واحد: ﴿يُقَنَّتُونَ﴾: يُعَذِّبُونَ، كما يُقَنَّتِ الذُّبَابُ على النار. وقال آخرون كمجاهد أيضاً وعكرمة والتخمي: يُجَرِّقُونَ. ﴿ذُقُوا نَسِجَكُمْ﴾ قال مجاهد: حَرِيقَكُمْ. وقال غيره: عذابكم. ﴿هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعِجُونَ﴾ أي: يُقَالُ لهم ذلك تريقاً وتوبيخاً وتحقيراً وتصغيراً.

الآية (١٥-٢٣): يقول تعالى تحزُّراً عن المتقين لله ﷻ: إنهم يوم معادهم يكونون في جنات وعيون، بخلاف ما أولئك الأشقياء فيه من العذاب والنكال، والحريق والأغلال. ﴿يَوْمَ كَانُوا كَالْأَشْيَارِ﴾ أي: في الدار الدنيا «مُحْسِنِينَ» ثم يَبَيِّنُ إحسانهم في العمل فقال: ﴿كَانُوا كَالْأَشْيَارِ لَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ اختلف في ذلك على قولين: أحدهما: أن «ما» نافية، تقليره: كانوا قليلاً من الليل لا يبعثونه. قال ابن عباس: لم تكن تخفي عليهم ليلة إلا يأخذون منها ولو شيئاً. وقال مجاهد: قُلْ ما يرقنون ليلة حتى الصباح لا يتهجدون. وكذا قال قتادة. والثاني: أن «ما» مصدرية، تقليره: كانوا قليلاً من الليل مجموعهم ونومهم. واختاره ابن جرير. وقوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ يَسْتَفْزِرُونَ﴾ قال مجاهد وغير واحد: يصلون. وقال آخرون: قاموا الليل، وَأَخْرَجُوا الاستغفار إلى الأسفار. كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ يَسْتَفْزِرُونَ﴾ (إلى عمران: ١٧٠)، فإن كان الاستغفار في صلاة فهو أحسن. وقوله: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَرْغُومِ﴾ لِمَا وَصَّيَهُم بالصلاة تَتَى بوضفهم بالزكاة والبر والصلة، فقال: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ﴾ أي: جزء مقسوم قد أفرزوه ﴿لِّلسَّائِلِ وَالْمَرْغُومِ﴾ أما السائل: فمعروف، وهو الذي يتدنى بالسؤال، وله حق. وأما المحروم: فقال ابن عباس ومجاهد: هو المحارَف (١) الذي ليس له في الإسلام مهم. يعني: لا مهم له في بيت المال، ولا كسب له، ولا حِرْزَةٌ يَتَّقُونَ منها. وقالت أم المؤمنين عائشة: هو

(٢) من الإحالة على شيء آخر، وليست بمعنى تمتع؛ ويقصد أن آية سورة هود المحال عليها تبين سبب التوجس.

(١) المحارَف: الَّذِي لَا يَصْبِيحُ خَبْزاً مِنْ وَجْهِ تَوَجُّهٍ لَهُ، وَالْمُسَدِّرُ الجراف، وَيُقَالُ لِلْمَحْرُومِ الَّذِي قُتِرَ عَلَيْهِ رَزَقُهُ: مُحَارَفٌ. [لسان العرب، مادة (حرف)].



وقد بُتَّ عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «نُصِرْتُ بالصَّبا، وأُهلِكْتُ عاد بالدُّبور»<sup>(١)</sup> [متفق عليه].

﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ جِيئَ﴾ قال ابن جرير: يعني إلى وقت فناء أجالكم. والظاهر أن هذه كقوله: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْكَفَىٰ فَأَخَذَتْهُمُ صَیْقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ﴾ [نصلت: ١٧].

وهكذا قال ههنا: ﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ جِيئَ﴾<sup>(٢)</sup> تَمَتَّعُوا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ، وذلك أنهم انتظروا العذاب ثلاثة أيام وجاءهم في صبيحة اليوم الرابع بكرة النهار.

﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ يَمَارٍ﴾ أي: من هَرَبٍ ولا هُبُوض، ﴿وَمَا كَانُوا مُنْصَرِفِينَ﴾ أي: ولا يقدرُونَ على أن ينتصروا مما هم فيه.

وقوله ﷻ: ﴿وَقَوْمٌ نُّوحٌ بَيْنَ قَبْلٍ﴾ أي: وأهلكتنا قوم نوح من قبل هؤلاء، ﴿وَأَنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ وكل هذه القصص قد تقدَّمت في أماكن كثيرة، من سور متعدِّدة.

الآية (٤٧-٥١): يقول تعالى مُنَبِّهًا على خَلْقِ الْعَالَمِ الْعُلُويِّ وَالسُّفْلِيِّ: ﴿وَاللَّهُ يَنْتَهِا﴾ أي: جعلناها سقفا محفوظا رفيعا ﴿وَبِأَيُّوبَ﴾ أي: بقوة؛ قاله ابن عباس ومجاهد وقناة والثوري وغير واحد، ﴿وَأَنَّا لَمُوسَىٰ﴾ أي: قد وَسَّعْنَا أَرْجَاءَهَا وَرَفَعْنَا بِغَيْرِ عَمَدٍ، حَتَّى اسْتَقَلَّتْ كَمَا هِيَ. ﴿وَالْأَرْضَ قَرَشْنَاهَا﴾ أي: جعلناها فراشا للمخلوقات، ﴿فَنِعَمَ الْمَسْهُودُونَ﴾ أي: وجعلناها مهذا لأهلها.

﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ أي: جميع المخلوقات أزواج: سماء وأرض، وليل ونهار، وشمس وقمر، وبرّ وبحر، وضياء وظلام، وإيمان وكفر، وموت وحياة، وشقاء وسعادة، وجنة ونار، حتى الحيوانات والنباتات، ولهذا قال: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أي: لتعلموا أن الخالق واحد لا شريك له.

﴿يَقْرَأُوا إِلَى اللَّهِ﴾ أي: الجؤوا إليه، واعتمدوا في أموركم عليه ﴿إِنِّي لَكُرْسِيُّهَ يَذِيرُ الْمُشْرِكِينَ﴾.

﴿وَلَا يَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ أي: لا تُشْرِكُوا به شيئا، ﴿إِنِّي لَكُرْسِيُّهَ يَذِيرُ الْمُشْرِكِينَ﴾.

الآية (٣١-٣٧): قال الله تَحْذِيرًا عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجْدِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾<sup>(٣)</sup> ﴿إِنَّا إِبْرَاهِيمَ لَكَلِيمٌ أَوْهَ مُبْتَلًى﴾<sup>(٤)</sup> يُكَلِّمُهُمْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَهُ أَمْرٌ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ بِإِنْتِهَامٍ عَذَابٍ غَيْرَ مُرْدُورٍ [هود: ٧٤-٧٦]. وقال ههنا: ﴿قَالَ قَمَا خَطَبْتُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ أي: ما شأنكم؟ وفيهم جستم؟ ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ يعنون: قوم لوط ﴿لَنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ جِبَارَةً مِنْ طِينٍ﴾<sup>(٥)</sup> مُسَوَّمَةً أَي: مُعَلَّمَةً ﴿عَذَابُ رَبِّكَ لِلشَّارِقِينَ﴾ أي: مُكْتَسَبَةٌ عنده بأسانهم، كُلُّ حَجَرٍ عَلَيْهِ اسْمُ صَاحِبِهِ، فَقَالَ فِي سُورَةِ الْعَنَكِبُوتِ: ﴿قَالَ إِنَّكَ فِيهَا لُوطٌ قَالُوا تَحْتَ أَعْلَمَ بِمَنْ فِيهَا لَنَنْجِيَنَّهٗ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرًا تَكُنْ كَانَتْ مِنَ الْغَدِيرِ﴾ [العنكبوت: ٣٢].

وقال ههنا: ﴿فَأَنزَجْنَا مِنْهُمُ الذُّمُورَ﴾ وهم لوط وأهل بيته إلا امرأته، ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيِّنٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ احتجَّ بهذه من ذهب إلى رأي المعتزلة، مَن لا يَفْرُقُ بَيْنَ مُسَمًّى الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ؛ لِأَنَّهُ أَطْلُقَ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ.

وهذا الاستدلال ضعيف؛ لَأَن هَؤُلَاءِ كَانُوا قَوْمًا مُؤْمِنِينَ، وَعِنْدَنَا أَنَّ كُلَّ مُؤْمِنٍ مُسْلِمٌ وَلَا يَنْعَكُسُ، فَاتَّفَقَ الْإِسْمَانِ هَهُنَا لَخُصُوصِيَّةِ الْحَالِ، وَلَا يَلْزَمُ ذَلِكَ فِي كُلِّ حَالٍ.

وقوله: ﴿وَرَكَّابًا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ أي: جعلناها عبرة، لِيَأْذُنَّا بِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ وَالنَّكَالِ وَجِبَارَةِ السَّجِيلِ، وَجَعَلْنَا تَحْلُتَهُمْ بَحِيرَةً مُّتَنَّةً خَبِيثَةً، فَفِي ذَلِكَ عِبْرَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ ﴿يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾.

الآية (٣٨-٤٦): يقول تعالى: ﴿وَفِي مُوسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ أي: بدليل باهر وحجة قاطعة.

﴿فَنُوحِيَ إِلَيْهِ﴾ أي: فأعرض فرعون عما جاءه به موسى من الحقِّ المبين، استكبارًا وعنادًا. وقال مجاهد: تَعَزَّزَ بِأَصْحَابِهِ. وقال قناة: غَلَبَ عَدُوُّ اللَّهِ عَلَى قَوْمِهِ. وقال ابن زيد: ﴿فَنُوحِيَ إِلَيْهِ﴾ أي: بِجُمُوعِهِ الَّتِي مَعَهُ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنَّا بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آيَةٌ إِلَىٰ رَبِّكَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [هود: ٨٠]. والمعنى الأول قوي؛ كقوله: ﴿قَاتِلْ عِطْفِيهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الحج: ٩] أي: مُعْرِضٍ عَنِ الْحَقِّ مُسْتَكْبِرٍ.

﴿وَقَالَ سِحْرٌ أَوْ جِنُونٌ﴾ أي: لا يَجْلُو أَمْرُكَ فِيمَا جِئْتَنِي بِهِ مِنْ أَنَّ تَكُونُ سَاحِرًا أَوْ جَنُونًا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ فَنَبَذْنَاهُ﴾ أي: أَلْقَيْنَاهُمْ ﴿فِي الْيَمِّ﴾ وَهُوَ الْبَحْرُ، وَهُوَ مُؤْمِنٌ أَي: وَهُوَ عَلِيمٌ وَهُوَ مُلُومٌ كَافِرٌ جَاحِدٌ فَاجِرٌ مُعَانِدٌ.

ثم قال: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ أي: السَّفْسِيفَةَ الَّتِي لَا تَنْتُجُ شَيْئًا. قَالَ الضَّحَّاكُ وَقَتَادَةُ وَغَيْرُهُمَا.

ولهذا قال: ﴿مَا نَذَرَيْنِ شَيْءَ أَنْتَ عَلَيْهِ﴾ أي: مِمَّا تُفْسِدُهُ الرِّيحُ ﴿إِلَّا حَمَلَةً كَالرَّيْمِ﴾ أي: كَالشَّيْءِ الْهَالِكِ الْبَالِي. قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمَسْبُوبِ وَغَيْرُهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ قَالُوا: هِيَ الْجَنُوبُ.



## ● الوقفات التدريبية

❶ ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴾

وإنما سألهم بعد أن قرأهم جرياً على سنة الضيافة: إن لا يسأل الضيف عن الغرض الذي أوردته ذلك المنزل إلا بعد استعداده للرحيل؛ كيلا يتوهم سامةً مضيئةً من نزوله به، وليعينه على أمره إن كان مستطعاً.

ابن عاشور: ٥/٢٧.

السؤال: لماذا أصر إبراهيم عليه السلام سؤال الملائكة عن الشأن الذي أرسلوا لأجله؟

❷ ﴿ فَأَمَّا جَدْنَا فِيهَا غَيْرَبَيْنِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾

عن قتادة، قوله: (فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين) قال: لو كان فيها أكثر من ذلك لأنجاهم الله؛ ليعلموا أن الإيمان عند الله محفوظ لا ضيعة على أهله. الطبري: ٤٠/٢٢.

السؤال: بين قيمة الإيمان في البيوت المؤمنة.

❸ ﴿ وَرَكَّابًا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ يُخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾

فيه دليل على أن آيات الله سبحانه وعجائبه التي فعلها في هذا العالم وأبقى آثارها دالةً عليه وعلى صدق رسله، إنما ينتفع بها من يؤمن بالبعد، ويخشى عذاب الله تعالى... فإن من لا يؤمن بالآخرة غايته أن يقول: هؤلاء قوم أصابهم الدهر كما أصاب غيرهم، ولا يزال الدهر فيه الشقاوة والسعادة. وأما من آمن بالآخرة واشفق منها فهو الذي ينتفع بالآيات والمواعظ. ابن القيم: ٤٩/٣ - ٥٠.

السؤال: من الذي ينتفع بقصص القرآن ومواعظه؟

❹ ﴿ فَأَمَّا أَسْطُفَاؤُنِ يَنْ يَأْرَ وَمَا كَانُوا مُنْصَرِّينَ ﴾

فما قاموا بعد نزول العذاب بهم، ولا قدروا على نهوض. قال قتادة: لم ينهضوا من تلك الصرعة. (وما كانوا منتصرين؛ متمتعين بمنأى قال قتادة: ما كانت عندهم قوة يمتنعون بها من الله. البغوي: ٢٣٣/٤).

السؤال: كيف تفهم حديث (إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته) من خلال هذه الآية؟

❺ ﴿ وَبَيْنَ كُلِّ نَفْسٍ خَلْفًا زَجْجِي لَمَّا كُنْتُمْ تَذْكُرُونَ ﴾

المراد التذكير بجميع ما ذكر لأمر الحشر والنشر؛ لأن من قدر على إيجاد ذلك فهو قادر على إعادة الأموات يوم القيامة. الألوسي: ٢٧/٢٧.

السؤال: ما دلالة الآية على قدرة الله على الحشر؟

❻ ﴿ فَيُرَوِّا إِلَى اللَّهِ إِيَّائِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّيِّنٌ ﴾

ففرار العامة من الجهل إلى العلم عقداً وسعيًا، ومن الكسل إلى التشمير حذراً وحزماً، ومن الضيق إلى السعة ثقةً ورجاءً. البقاعي: ٤٤٧/١٨.

السؤال: كيف يكون الفرار إلى الله؟

❼ ﴿ فَيُرَوِّا إِلَى اللَّهِ إِيَّائِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّيِّنٌ ﴾

سمى الله الرجوع إليه فراراً لأن في الرجوع لغيره أنواع المخاوف والمكاره، وفي الرجوع إليه أنواع المخاب والأمن والسرور والسعادة والوفور، فيفر العبد من فضله وقدره إلى فضله وقدره. السعدي: ٨١٢.

السؤال: لماذا سمي الرجوع إلى الله فراراً؟

❶ ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴾ ﴿ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴾ ﴿ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ جَحَاشَةً مِّنْ طِينٍ ﴾ ﴿ مَسْؤَمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ بِالسُّرْفَةِ ﴾ ﴿ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ ﴿ وَرَكَّابًا فِيهَا آيَةٌ لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ ﴿ وَفِي مَوْسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّيِّنٍ ﴾ ﴿ فَقَالَ بِرَبِّكُمْ وَقَالَ سِحْرٌ أَوْ يَجْنُونَ ﴾ ﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ فَنَبَذْنَاهُ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾ ﴿ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴾ ﴿ مَا تَذَكَّرِينَ شَيْءٌ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرَّيْمِ ﴾ ﴿ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ ﴿ فَمَتَّعُوا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْقَةُ وَهُمْ يَمْطُرُونَ ﴾ ﴿ فَمَا أَصْبَرُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مِنْصَرِفِينَ ﴾ ﴿ وَقَوْمٌ نُّوحٌ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا أَقْوَمَ قَاسِقِينَ ﴾ ﴿ وَالنَّمَاةَ يَنْتَنُّهَا بِأَنْبَرٍ وَإِنَّا لَمُرْسَلُونَ ﴾ ﴿ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمُهَيَّدُونَ ﴾ ﴿ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ ﴿ فَيُرَوِّا إِلَى اللَّهِ إِيَّائِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّيِّنٌ ﴾ ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّيِّنٌ ﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
مَسْؤَمَةٌ	مُعَلَّمَةٌ بِأَنَّهَا لِعَذَابِ الْمُسْرِفِينَ.
فَتَوَلَّىٰ بَرَكْنَهُ	أَعْرَضَ فِرْعَوْنُ؛ مُفْتَرًا بِقُوَّتِهِ وَجَانِبِهِ.
فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ	طَرَحْنَاهُمْ فِي الْبَحْرِ.
مُلِيمٌ	آبَ بِمَا يَلَامُ عَلَيْهِ.
الْعَقِيمَ	الَّتِي لَا بَرَكَةَ فِيهَا، وَلَا تَأْتِي بِخَيْرٍ.
مَا تَذَكَّرُ	مَا تَفْخُ.
كَالرَّيْمِ	كَالشَّيْءِ الْبَالِي.
فَعَتُوا	تَكَبَّرُوا، وَعَصَوْا.

## ● العمل بالآيات

- إذا هبَّت الريح فاسأل الله خيرها وتعوذ به من شرها، ﴿ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴾.
- قل اللهم إني استغفرك وأتوب إليك مائة مرة، ﴿ فَيُرَوِّا إِلَى اللَّهِ إِيَّائِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّيِّنٌ ﴾.
- قل عند النوم: «اللهم أسلمت نفسي إليك، وفوضت أمري إليك، ووجهت وجهي إليك، والجات ظهري إليك؛ رغبةً ورهبةً إليك، لا ملجأ، ولا منجأ منك إلا إليك، آمنت بكتابتك الذي أنزلت، وبنيك الذي أرسلت»، ﴿ فَيُرَوِّا إِلَى اللَّهِ إِيَّائِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّيِّنٌ ﴾.

## ● التوجيهات

- لا تغتر بقوتك أو بمالك فتحرم الهداية، ﴿ فَقَالَ بِرَبِّكُمْ وَقَالَ سِحْرٌ أَوْ يَجْنُونَ ﴾.
- النظر في أسباب هلاك الأمم السابقة، ﴿ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ ﴿ فَمَتَّعُوا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْقَةُ وَهُمْ يَمْطُرُونَ ﴾.
- الرجوع إلى الله تعالى في كل شيء، ﴿ فَيُرَوِّا إِلَى اللَّهِ إِيَّائِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّيِّنٌ ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿ قَوْلُهُمْ مَّا أَتَى بِمَلَكٍ ﴾ (١) وَذَكَرَ فَإِنَّ الذِّكْرَ نَفْعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿ ثم لما أمره بالإعراض عنهم أمره بأن لا يترك التذكير والموعظة، بالتالي هي أحسن. الشوكاني: ٩٢/٥.

السؤال: في الأمر بالتذكير بعد الأمر بالتولي فائدة في فقه الدعوة، بينها.

﴿ قَوْلُهُ فَإِنَّ الذِّكْرَ نَفْعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

واقصر في تحليل الأمر بالتذكير على علتها واحدة وهي انتفاع المؤمنين بالتذكير لأن فائدة ذلك محققة، وإظهار العناية بالمؤمنين في المقام الذي أظهرت فيه قلة الاكثارات بالكافرين: قال تعالى: (فذكر إن نفعك الذكري) (١) سينكر من يخشى (٢) ويتجنبها الأشقي (الأعلى: ٩ - ١١). ابن عاشور: ٢٤/٢٧.

السؤال: لماذا اقصر في تحليل الأمر بالتذكير على انتفاع المؤمنين؟

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾

وتقديم الجن في الذكر في قوله: (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) للاهتمام بهذا الخبر الغريب عند المشركين الذين كانوا يعبدون الجن؛ ليعلموا أن الجن عباد لله تعالى. ابن عاشور: ٢٨/٢٧.

السؤال: لماذا قدم الجن على الإنسان في الآية الكريمة؟

﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْتَّيِّنِ ﴾

من قوته أنه أوصل رزقه إلى جميع العالم. السعدي: ٨١٣.

السؤال: ما مناسبة ذكر صفة القوة بعد صفة الرزق؟

﴿ وَالطُّورِ ١ وَكَتَبَ مَسْطُورٍ ٢ فِي رَقٍّ مَنشُورٍ ٣ وَأَلْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ٤ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ٥ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ٦ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ٧ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ٨ ﴾

خرج عمر يعس المدينة ذات ليلة، فمر بدار رجل من المسلمين، فوافقه قائماً يصلي، فوقف يستمع قراءته، فقرأ: (والطور) حتى بلغ (إن عذاب ربك لواقع) (٧) ما له من دافع) قال: «قسم ورب الكعبة حق». فنزل عن حماره، واستند إلى حائط، فمكث ملياً، ثم رجع إلى منزله، فمكث شهراً يعود الناس لا يدرون ما مرضه رضي الله عنه. ابن كثير: ٢٤٢/٤.

السؤال: هل يمكن التدبر عن طريق الاستماع؟ بين ذلك.

﴿ وَأَلْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴾

عن أنس بن مالك، عن مالك بن عصفية، رجل من قومه، قال: قال نبي الله ﷺ: (رفع إلي البيت المعمور، فقلت: يا جبريل ما هذا؟ قال: البيت المعمور: يدخله كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا منه لم يعودوا آخر ما عليهم). الطبري: ٢٢/٤٥٥.

السؤال: البيت المعمور شأنه عظيم فما الدليل على ذلك؟

﴿ قَوْلُ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ٧ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴾

ذكر أعمالهم وعلومهم التي كانوا عليها؛ وهي: الخوض - الذي هو كلام باطل - واللعب - الذي هو سعي ضائع - فلا علم نافع، ولا عمل صالح، بل علومهم خوض بالباطل، وأعمالهم لعب. ابن القيم: ٥٥/٣.

السؤال: ما أبرز صفات المكذبين المذكورة في الآية؟

كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجُنٌّ ﴿١٥﴾ أَوَّاهٌ أَوْ بَهِيمٌ ۖ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَآغُوتٌ ﴿١٦﴾ قَوْلَ عَنَّهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٌ ﴿١٧﴾ وَذَكَرَ فَإِنَّ الذِّكْرَ نَفْعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٨﴾ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿١٩﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ﴿٢٠﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٢١﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَوْلَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٢٣﴾

الْبَابُ

شُرُوءُ الدُّرَرَاتِ

الْبَابُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالطُّورِ ١ وَكَتَبَ مَسْطُورٍ ٢ فِي رَقٍّ مَنشُورٍ ٣ وَأَلْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ٤ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ٥ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ٦ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ٧ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ٨ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ٩ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سِيرًا ١٠ قَوْلَ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ١١ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ١٢ يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى تَارٍ جَهَنَّمَ دَعَاً ١٣ هَذِهِ التَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ يَهَاكُزُونَ ١٤

٥٢٣

## ● معاني الكلمات

المعنى	الكلمة
هَلْ وَصَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِالذَّنْبِ؟	أَوْأَصَوْا بِهِ
مُتَجَاوِزُونَ الْحَدَّ فِي الْكُفْرِ.	طَآغُوتٌ
نَصِيبًا مِنَ الْعَذَابِ سَيَنْزِلُ بِهِمْ.	ذُنُوبًا
قَسَمَ بِالْجِبِلِّ الَّذِي كَلَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام.	وَالطُّورِ
فِي رَقٍّ مَنشُورٍ	فِي صُحُفٍ مَنشُورَةٍ، مَبْسُوطَةٍ.
الْمَعْمُورِ	الْمَمْلُوءُ بِالْمَاءِ.
تَمُورُ	تَتَحَرَّكُ، وَتَضْطَرِبُ.
يُدْعَوْنَ	يُدْفَعُونَ بِغَضَبٍ وَشِدَّةٍ.

## ● العمل بالآيات

١. انصح أحد المسلمين وذكره بأسلوب حسن وجميل، ﴿ وَذَكَرَ فَإِنَّ الذِّكْرَ نَفْعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾.
٢. ادع الله أن يعينك في عمل اليوم، ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْتَّيِّنِ ﴾.
٣. تذكر حاجة من حاجاتك الدنيوية وإسأل الله إياها، ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْتَّيِّنِ ﴾.

## ● التوجيهات

١. خلقتنا الله لعبادته فهل قمنا بذلك؟ ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾.
٢. أعلم أن الله تعالى تكفل بالأرزاق وهو غني عنه، ﴿ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ﴾.
٣. لا تستعجل هلاك الكافرين فإن الله يمهل ولا يهمل، ﴿ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴾.

الآية (٥٢-٦٠): يقول تعالى مُسَلِّيًا نبيه ﷺ: وَكَمَا قَالَ لَكَ هَؤُلَاءِ الْمَشْرُكُونَ، قَالَ الْمَكْذِبُونَ الْأَوَّلُونَ لِرَسُولِهِمْ: ﴿كَذَّكَ مَا أَقَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجُنَّ﴾! قَالَ تعالى: ﴿أَتَوَصَّوْا بِهِ؟﴾ أَي: أَوْصَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِهَذِهِ الْقَالَةِ؟! ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ أَي: لَكِنْ هُمْ قَوْمٌ طَغَا، تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ، فَقَالَ تَأَخَّرَهُمْ كَمَا قَالَ مُتَقَدِّمُهُمْ.

﴿فَوَلَّوْا عَنْهُمْ﴾ أَي: فَاعْرِضْ عَنْهُمْ يَا مُحَمَّد ﴿فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾ يَعْنِي: فَمَا نَلُومُكَ عَلَى ذَلِكَ، ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ يُنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أَي: إِنَّمَا تَنْفَعُ بِهَا الْقُلُوبَ الْمُؤْمِنَةَ. ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ أَي: إِنَّمَا خَلَقْتُهُمْ لِأَمْرِهِمْ بِعِبَادَتِي، لَا لِاحْتِيَاجِي إِلَيْهِمْ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِلَّا لِيَعْرِفُوا بِعِبَادَتِي طَوْعًا أَوْ كَرْهًا. وَهَذَا اخْتِيَارُ ابْنِ جَرِيرٍ. وَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: إِلَّا لِيَعْرِفُونِ. وَقَالَ الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ: أَي: إِلَّا لِيُعْبَادَ. وَقَالَ الضَّحَّاكُ: الْمُرَادُ بِذَلِكَ الْمُؤْمِنُونَ.

﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُنْعِمُوا﴾ (٥٢) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُدْرَةِ الْتَّيِّنُ، مَعْنَى الْآيَةِ: أَنَّهُ تَعَالَى خَلَقَ الْعِبَادَ لِيُعْبُدُوهُ وَخَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَمَنْ أَطَاعَهُ جَازَاهُ أَتَمَّ الْجَزَاءِ، وَمَنْ عَصَاهُ عَذَّبَهُ أَشَدَّ الْعَذَابِ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ غَيْرُ مُحْتَاجٍ إِلَيْهِمْ، بَلْ هُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَيْهِ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِمْ؛ فَهُوَ خَالِقُهُمْ وَرَازِقُهُمْ. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: قَالَ اللَّهُ: «يَا ابْنَ آدَمَ، تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمَلًا صَدْرَكَ غَنَى، وَأَسَدُ فَرْكَ، وَلَا تَقْضِلْ مَلَكَتْ صَدْرَكَ شُغْلًا وَلَمْ أَسَدُ فَرْكَ» [رواه أحمد والترمذي وابن ماجه، وصححه إسناده أحمد شاكر].

﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا﴾ أَي: نَصِيبًا مِنَ الْعَذَابِ، ﴿وَمِثْلَ ذُنُوبٍ أَصْحَبِهِمْ فَلَا يَسْتَعِجِلُونَ﴾ أَي: فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ ذَلِكَ، فَإِنَّهُ وَاقِعٌ لَا حَالَةَ. ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ أَي: يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

### تفسير سورة الطور

وهي مكية، [وعدد آياتها (٤٩) آية].

[فضل السورة]: عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعَمٍ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ فِي التَّغْرِيبِ بِالطُّورِ، فَمَا سَمِعْتُ أَحَدًا أَحْسَنَ صَوْتًا - أَوْ قِرَاءَةً - مِنْهُ [مَنْعَ عَلَيْهِ]. وَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: شَكَّوتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنِّي أَشْتَكِي، فَقَالَ: «طُوفِي فِي وَرَاءِ النَّاسِ وَأَنْتِ رَاكِبَةٌ»، فَطَفْتُ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي إِلَى جَنْبِ الْبَيْتِ يَقْرَأُ بِالطُّورِ وَكِتَابَ مَسْطُورٍ [رواه البخاري].

الآية (١-١٤): يُقِيمُ تَعَالَى بِمَخْلُوقَاتِهِ الدَّلَالَةَ عَلَى قُدْرَتِهِ الْعَظِيمَةِ: أَنَّ عَذَابَهُ وَاقِعٌ بَعْدَ عَذَابِهِ، وَأَنَّهُ لَا دَافِعَ لَهُ عَنْهُمْ. فَالطُّورُ هُوَ: السَّجَلُ الَّذِي يَكُونُ فِيهِ أَشْجَارٌ، مِثْلُ الَّذِي كَلَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ مُوسَى، وَأُرْسِلَ مِنْهُ عِيسَى، وَمَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شَجَرٌ لَا يُسَمَّى طُورًا، إِنَّمَا يُقَالُ لَهُ: جَبَلٌ. ﴿وَكُتِّبَ مَسْطُورٌ﴾ قِيلَ: هُوَ اللُّوحُ الْمَحْفُوظُ. وَقِيلَ: الْكُتُبُ الْمُتَنَزِّلَةُ الْمَكْتُوبَةُ الَّتِي تُقْرَأُ عَلَى النَّاسِ جَهَارًا؛ وَهَذَا قَالَ: ﴿فِي رَقٍّ مَنُشَرٍّ﴾.

﴿وَأَنْبِئَتِ الْمَعْتَمِرِينَ﴾ فِي حَدِيثِ الْإِسْرَاءِ: «ثُمَّ رُفِعَ بِي<sup>(١)</sup> إِلَى الْبَيْتِ

(١) الَّذِي فِي الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ: «ثُمَّ رُفِعَ بِي إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ...» [البخاري: (٣٢٠٧)،

المعمور، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفًا لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ آخَرَ مَا عَلَيْهِمْ» [مَنْعَ عَلَيْهِ] يَعْنِي: يَتَعَبَّدُونَ فِيهِ وَيَطُوفُونَ، كَمَا يَطُوفُ أَهْلُ الْأَرْضِ بِكِعْبَتِهِمْ كَذَلِكَ ذَاكَ الْبَيْتِ، هُوَ كِعْبَةُ أَهْلِ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ؛ وَهَذَا وَجَدَ إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ مُسْنِدًا ظَهَرَ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ؛ لِأَنَّهُ بَانِي الْكِعْبَةِ الْأَرْضِيَّةِ، وَالْجِزَاءُ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ، وَهُوَ بِحِيَالِ الْكِعْبَةِ، وَفِي كُلِّ سَاءٍ بَيْتٌ يَتَعَبَّدُ فِيهِ أَهْلُهَا، وَيَصَلُّونَ إِلَيْهِ، وَالَّذِي فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا يُقَالُ لَهُ: بَيْتُ الْعِزَّةِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

﴿وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ﴾ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: يَعْنِي: السَّمَاءَ، ثُمَّ ثَلَا: ﴿وَحَعَلْنَا السَّمَاءَ سَفْعًا مَحْمُوطًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِنَا مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٢]. وَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ وَالسُّدِّيُّ وَابْنُ جُرَيْجٍ وَابْنُ زَيْدٍ، وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ. وَقَالَ الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ: هُوَ الْعَرْشُ، يَعْنِي: أَنَّهُ سَفَفٌ لَجَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ، وَلَهُ انْجِمَاءٌ، وَهُوَ يُرَادُ مِنْ غَيْرِهِ كَمَا قَالَ الْجُمْهُورُ.

﴿وَالْبَحْرِ الْأَسْفَلِ﴾ قَالَ الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ: هُوَ الْمَاءُ الَّذِي تَحْتَ الْعَرْشِ، الَّذِي يَنْزِلُ اللَّهُ مِنْهُ الْمَطَرُ الَّذِي يُحْيِي بِهِ الْأَجْسَادَ فِي قُبُورِهَا يَوْمَ مَعَادِهَا. وَقَالَ الْجُمْهُورُ: هُوَ هَذَا الْبَحْرُ. وَاخْتَلَفَ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿الْأَسْفَلِ﴾ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: الْمُرَادُ أَنَّهُ يُؤَقَّدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَارًا؛ كَقَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا أَلْبَاثٌ شُجِرَتْ﴾ [التكوير: ٦] أَي: أَضْهِرَتْ فَتَصْبِرُ نَارًا تَتَأَجَّجُ، عِيطَةٌ بِأَهْلِ الْمَوْقِفِ. رَوَاهُ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَبِّحِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَرَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ. وَبِهِ يَقُولُ سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ وَمُجَاهِدٌ وَغَيْرُهُمْ. وَقَالَ قَتَادَةُ: ﴿الْأَسْفَلِ﴾: الْمَلُوءُ. وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ وَوَجَّهَهُ بِأَنَّهُ لَيْسَ مُوقَدًا الْيَوْمَ فَهُوَ مَلُوءٌ. وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: الْفَارِغُ. وَقِيلَ: الْمُنْعُوعُ الْمَكْفُوفُ عَنِ الْأَرْضِ؛ لِثَلَا يَغْمَرُهَا فَيَغْرِقُ أَهْلُهَا. قَالَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَبِهِ يَقُولُ السُّدِّيُّ وَغَيْرُهُ.

﴿إِنَّ عَذَابَ ذِيكَ لَرَوِيعٌ﴾ هَذَا هُوَ الْمُسْفَسُّ عَلَيْهِ، أَي: لَوَاقِعٌ بِالْكَافِرِينَ؛ كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْآخِرَى: ﴿مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ﴾ أَي: لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ يَدْفَعُهُ عَنْهُمْ إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهِمْ ذَلِكَ.

﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةُ: تَتَحَرَّكُ تَحْرِيكًا. وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: هُوَ تَشَقُّقُهَا، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: تَدُورُ دَوْرًا. وَقَالَ الضَّحَّاكُ: اسْتِزَارَتُهَا وَتَحَرَّكُهَا لِأَمْرِ اللَّهِ، وَمَوْجٌ بِبَعْضِهَا فِي بَعْضٍ. وَهَذَا اخْتِيَارُ ابْنِ جَرِيرٍ أَنَّهُ التَّحَرُّكُ فِي اسْتِدَارَةٍ.

﴿وَنَسِيتُ الْجِبَالُ سَبْرًا﴾ أَي: تَذْهَبُ فَتَصْبِرُ هَبَاءً مُبْتَلًا، وَتُنْسَفُ نَسْفًا، ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ لِلَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ أَي: وَبِئْسَ مَا فِيهِمْ، وَعِيقَابُهُمْ، هُمْ: الَّذِينَ هُمْ فِي حَوَاضٍ يَلْمَسُونَ. أَي: هُمْ فِي الدُّنْيَا يَخُوضُونَ فِي الْبَاطِلِ، وَيَتَخَلَّدُونَ دِينَهُمْ هُزُورًا وَلَعِبًا، ﴿يَوْمَ يُدْعَوْنَ﴾ أَي: يُدْفَعُونَ وَيُسَاقُونَ ﴿إِلَى نَارٍ جَهَنَّمَ دَعَا﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ وَالشَّعْبِيُّ وَالسُّدِّيُّ وَغَيْرُهُمْ: يُدْفَعُونَ فِيهَا دَفْعًا ﴿هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ يَهَايَا كُذِّبْتُمْ﴾ أَي: يَقُولُ لَهُمُ الزَّبَانِيَةُ ذَلِكَ تَقْرِيعًا وَتَوْبِيخًا.

الناس، سواء كان آبا أو ابناً؛ كما قال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَوِيَتْ﴾ ﴿١٥﴾. **أَصْحَابُ الْيَمِينِ** ﴿١٦﴾ في جَنَّتِ بِسَبَّةٍ لَّوْنٍ ﴿١٧﴾ عَنِ الْمَغْرِبِينَ ﴿١٨﴾ [المدر: ٣٨-٤١]. وقوله: ﴿وَأَمَّا دَذَنُهُمْ فَتَلَبَّسُوا بِكَلَامِ الْغَوَاةِ﴾ أي: والحفانهم بفواكه ولحوم من أنواع شتى، مما يُسْتَطَابُ ويُسْتَهَى.

وقوله: ﴿يَسْتَوُونَ فِيهَا كَأْسًا﴾ أي: يتعاطون فيها كأساً، أي: من الخمر. قاله الضحاك. ﴿لَا لَعْنُ فِيهَا وَلَا تَأْنِيَةٌ﴾ أي: لا يتكلمون عنها بكلام لاغ، أي: هذيان، ولا إثم، أي: فحش؛ كما تتكلم به الشررة من أهل الدنيا. وقال ابن عباس: اللغو: الباطل. والتأنيب: الكذب. وقال مجاهد: لا يستنون ولا يؤثمون. وقال قتادة: كان ذلك في الدنيا مع الشيطان. فتره الله حرّ الآخرة عن قافورات حرّ الدنيا وأذاها، فنقى عنها - كما تقدم - صداع الرأس، ووجع البطن، وإزالة العقل بالكلية، وأخبر أنها لا تحمّلهم على الكلام السيئ الفارغ عن الفائدة المُضَمِّنِ هَذَيَانًا وفُحْشًا، وأخبر بحُسن منظرها، وطيب طعمها وعُذْرُهَا فقال: ﴿يَتَنَبَّهَاتُ لَذَّةُ الْمُنَافِقِينَ﴾ ﴿١٩﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ﴿٢٠﴾ [الصافات: ٤٦-٤٧]. وقال: ﴿لَا يَصْذَعُونَ عَلَيْهَا وَلَا يَرْوُونَ﴾ [الواقعة: ١٩]، وقال ههنا: ﴿يَسْتَوُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَعْنُ فِيهَا وَلَا تَأْنِيَةٌ﴾.

وقوله: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُزُلُوْا مَكْنُونٌ﴾ إخبار عن خديهم وحشيمهم في الجنة كأنهم اللؤلؤ الرطب، المكنون في حشيمهم وبهائمهم ونظافتهم وحُسن ملابسهم، كما قال: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ ﴿٢١﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَلْبَانٍ وَعُكَيْنٍ مِّن مَّيْمِينٍ ﴿٢٢﴾ [الواقعة: ١٧-١٨].

وقوله: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ أي: أقبلوا يتخادثون ويتساءلون عن أعمالهم وأحوالهم في الدنيا، وهذا كما يتخادث أهل الشراب على شراهم إذا أخذَ فيهم الشراب بما كان من أمرهم. ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا بَدَلًا مِن أَوْلَآئِكُمْ﴾ أي: قد كُنَّا في الدار الدنيا ونحن بين أهلنا خائفين من ربنا مشفقين من عذابه وعقابه. ﴿فَرَحَّ اللَّهُ عَلَيْهِمَا وَفُتِحَتْ بَابُ الرَّحْمَةِ﴾ أي: فتصدَّق علينا وأجارنا مما نخاف. ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ﴾ أي: تنصَّرعُ إليه، فاستجاب لنا وأعطانا سُؤْلَنَا، إِنَّهُ هُوَ الْغَرَّ الرَّحِيمُ.

الآية (٢٩-٣١): يقول تعالى أمراً رسوله ﷺ بأن يُبَلِّغَ رسالته إلى عباده، وأن يذكِّرهم بما أنزل الله عليه. ثم تَقَى عنه ما يرويه به أهل البهتان والفجور فقال: ﴿فَذَكِّرْ فَإِنَّكَ بِرَأْسِهِ يَنْصَرِتُ إِلَيْكَ﴾ أي: انتظروا فإنني منتظر معكم، وستعلمون أن تكون العاقبة والنصرة في الدنيا والآخرة.

ثم قال تعالى منكرًا عليهم في قومهم في الرسول ﷺ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّبَّيْنَاهُ بِرَبِّهِ الْأَنْثَوْنَ﴾ أي: قوارع الدهر. والمنون: الموت؛ يقولون: نُنْظِرُهُ ونُصَرِّحُ عليه حتى يأتيه الموت فنُصَرِّحُ منه ومن شأنه، قال تعالى: ﴿قُلْ رَحْمَةُ رَبِّي بَيْنَ أَيْدِيَّكُمْ﴾ أي: انتظروا فإنني منتظر معكم، وستعلمون أن تكون العاقبة والنصرة في الدنيا والآخرة.

الآية (١٥-١٦): ﴿أَفَيْصَرَ هَذَا أَمْ أَشْتَرُ لَا تُصِرُّوْا﴾ ﴿١٥﴾ أَصْلَوْهَا أي: ادخلوها دخول من تَعْمُرُهُ من جميع جهاته. ﴿فَأَصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ﴾ أي: سواء صبرتم على عذابها ونكأها أم لم تصبروا، لا يحيد لكم عنها ولا خلاص لكم منها.

﴿إِنَّمَا تُحْزَنُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: ولا يظلم الله أحداً، بل يُجَازِي كُلًّا بعمله.

الآية (١٧-٢٠): أَخْبَرَ الله تعالى عن حال السعداء فقال: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ﴾ وذلك بِضِدِّ ما أولئك فيه من العذاب والنكال، ﴿فَنِكَاهٍ يُحِبُّونَ وَأَنَّهُمْ رَئِيْفٌ﴾ أي: يتفكّهون بما آتاهم الله من النعيم، من أصناف الملاذ، من مأكَل ومشارب وملابس ومسكن ومراكب وغير ذلك. ﴿وَوَقَّهَتْ رَبُّهُمُ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ أي: وقد نجّاهم من عذاب النار، وتلك نعمة مستقلة بذاتها على جدتها مع ما أُضِيفَ إليها من دخول الجنة، التي فيها من السرور ما لا عين رأت، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ، ولا خَطَرَ على قلب بشر. وقوله: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا وَهَبُوا بَسَاطَةً يَوْمَئِذٍ﴾ أي هذا بذاك، تفضلاً منه وإحساناً.

وقوله: ﴿مُتَجَنِّبِينَ عَلَىٰ شُرُفٍ مُّصَوِّفَةٍ﴾ قال ابن عباس: الشُّرُفُ في الحِجَال. ومعنى ﴿مُصَوِّفَةٍ﴾ أي: وجه بعضهم إلى بعض؛ كقوله: ﴿عَلَىٰ شُرُفٍ مُّتَنَبِّلِينَ﴾ [الصافات: ٤٤]. ﴿وَوَزَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾ أي: وجعلنا لهم قُرَيِّنَاتٍ صالحات، وزوجات حساناً من الحور العين. وقال مجاهد: ﴿وَوَزَّجْنَاهُمْ﴾: أنكحناهم بِحُورٍ عِينٍ، وقد تقدَّم وَضْعُهُنَّ في غير موضع بما أَغْنَى عن إعادته.

الآية (٢١-٢٨): يُخْبِرُ تعالى عن فَضْله وكرمه، وامتنانه وُطْفِئِهِ بخَلْفِهِ وإحسانه: أن المؤمنين إذا أَتَيْتَهُمْ ذُرِّيَّتُهُم في الإيمان يُلْحِقُهُم بِآبَائِهِم في السَّنَةِ، وإن لم يُلْهَوْا عَمَلَهُمْ، يُنْقَرُ أَغْنَى الآباء بالآباء عندهم في منازلهم، فيُجْمَعُ بينهم على أحسن الوجوه، بأن يرفع الناقص العمل بكامل العمل، ولا ينقص ذلك من عمله ومزنته، للتساوي بينه وبين ذاك؛ ولهذا قال: ﴿أَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الذُّرِّيَّتَ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَالِهِمْ يَنصَرُّونَ﴾. وعن ابن عباس قال: إن الله ليرفع ذرية المؤمن في درجته، وإن كانوا دونه في العمل، لِيَقَرَّ بهم عينه، ثم قرأ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الذُّرِّيَّتَ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَالِهِمْ يَنصَرُّونَ﴾. وهكذا يقول الشعبي وسعيد بن جبير وإبراهيم وقتادة. وهو اختيار ابن جرير.

هذا فضله تعالى على الأبناء بركة عمل الآباء، وأما فضله على الآباء بركة دعاء الأبناء؛ فعن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو عِلْمٌ يُنْتَفَعُ به، أو وَلَدٌ صالح يدعو له» [رواه مسلم].

وقوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَوِيَتْ﴾ لَمَّا أَخْبَرَ عن مقام الفضل، وهو رَفَعُ درجة الذُّرِّيَّةِ إلى منزلة الآباء من غير عَمَلٍ يقتضي ذلك، أَخْبَرَ عن مقام العَدَلِ، وهو أنه لا يُؤَاخِذُ أَحَدًا بِذَنْبِ أَحَدٍ، بل ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَوِيَتْ﴾ أي: مُزَجَّجٌ بعمله، لا يُجْمَلُ عليه ذَنْبٌ غيره من



## الوقفات التدريبية

- ١ ﴿ اَسْلَوْهَا فَاَمْرًا اَوْ لَا صَبْرًا سَرَّكَ عَلَيَّكَ إِنَّمَا نَحْنُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾  
إِنَّ السُّقُونَ فِي جَنَّتٍ وَنَبِيرٍ

لما ذكر تعالى عقوبة المكذبين، ذكر نعيم المتقين؛ ليجمع بين الترغيب والترهيب، فتكون القلوب بين الخوف والرجاء السعدي: ٨١٤.

السؤال: لماذا ذكر عاقبة المتقين بعد ذكر عاقبة المكذبين؟

- ٢ ﴿ إِنَّ السُّقُونَ فِي جَنَّتٍ وَنَبِيرٍ ﴾ فَكَيْفَ يَمَاءُ اتْلَهُمْ رَهْمَهُمْ  
رَهْمَهُمْ عَذَابُ الْجَحِيمِ

وفيه أيضاً أن وقايتهم عذاب الجحيم عدل؛ لأنهم لم يقرءوا ما يوجب العقاب. وأما ما أعطوه من النعيم فذلك فضل من الله وإكرام منه لهم.

ابن عاشور: ٤٦/٢٧.

السؤال: بين كيف جمع الله تعالى للمتقين بين العدل والفضل في الآية الكريمة.

- ٣ ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ﴾

ووصف الله السرر بأنها مصفوفة ليدل ذلك على كثرتها، وحسن تنظيمها، واجتماع أهلها وسرورهم بحسن معاشرتهم، ولطف كلامهم بعضهم لبعض. السعدي: ٨١٥.

السؤال: في وصف السرر بـ (مصفوفة) دلالة على أمور، بينها.

- ٤ ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ قُلُوبُهُمْ مُطْمَئِنِّينَ وَمَا لَهُمْ مِنْ شَيْءٍ مِنْهُمْ مِنْ شَيْءٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ قُلُوبُهُمْ مُطْمَئِنِّينَ وَمَا لَهُمْ مِنْ شَيْءٍ مِنْهُمْ مِنْ شَيْءٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ قُلُوبُهُمْ مُطْمَئِنِّينَ وَمَا لَهُمْ مِنْ شَيْءٍ مِنْهُمْ مِنْ شَيْءٍ

(والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم): معنى الآية ما ورد في الحديث الشريف أن رسول الله ﷺ قال: (إن الله يرفع درجة المؤمن في درجته في الجنة، وإن كانوا دونه في العمل، تنقر بهم عينه) فذلك كرامة للأبناء بسبب الآباء... فإن قيل: لم قال بإيمان بالتكثير؟ فالجواب: أن المعنى بشيء من الإيمان لم يكونوا به أهلاً لدرجة آبائهم، ولكنهم لحقوا بهم كرامة للأبناء، فالراد تقليل إيمان الذرية، ولكنه رفع درجاتهم، فكيف إذا كان إيماناً عظيماً؟ (وما انتاهم من عملهم من شيء) أي: ما نقصناهم من ثواب أفعالهم، بل وفينا لهم أجورهم. ابن جزي: ٣٧٦/٢.

السؤال: في الآية بيان اكتمال انس أهل الجنة، بين ذلك.

- ٥ ﴿ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلَ فِي أَهْلِكَ مُتَّقِينَ ﴾ قَسَمَ اللَّهُ عَلَيْنَا عَذَابَ الْآتُونِ  
ما تضمنته هذه الآية الكريمة من الإنشاق -الذي هو الخوف الشديد من عذاب الله في دار الدنيا- سبب للسلاسة منه في الآخرة فيهم من دليل خطابه -اعني مفهوم مخالفتهم- أن من لم يخف من عذاب الله في الدنيا

لم ينح منه في الآخرة. الشنقيطي: ٤٥٧/٧.

السؤال: اذكر علّة النجاة من عذاب الآخرة، وماذا يفهم من الآية.

- ٦ ﴿ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلَ فِي أَهْلِكَ مُتَّقِينَ ﴾

أي: خائفين وجلين، فتركنا من خوفه الذنوب، وأصلحنا لذلك العيوب. السعدي: ٨١٥.

السؤال: متى يكون الخوف من الله والدار الآخرة مفيداً للإنسان؟

- ٧ ﴿ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلَ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴾

إن الله سبحانه يسأل من في السموات ومن في الأرض، والفوز والنجاة إنما هي بإخلاص العباداة لا بمجرد السؤال والطلب. ابن القيم: ٦٢/٣.

السؤال: جميع الخلق يدعون الله سبحانه وتعالى، فمن الذي ينجو ويوقى عذاب السموم؟

أَفَسِحْرُهُذَا أَمْ أُنْشِرَ لَا تَصْبِرُونَ ﴿١﴾ أَصْلَوْهَا فَاَصْبِرُوا  
أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢﴾  
إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّتٍ وَنَبِيرٍ ﴿٣﴾ فَكَيْفَ يَمَاءُ اتْلَهُمْ رَهْمَهُمْ  
وَقَدْ نَهَرُ رَهْمَهُمْ عَذَابُ الْجَحِيمِ ﴿٤﴾ كَلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا يَمَاءُ  
كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ  
بِحُورٍ عِينٍ ﴿٦﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ قُلُوبُهُمْ  
مُطْمَئِنِّينَ وَمَا لَهُمْ مِنْ شَيْءٍ مِنْهُمْ مِنْ شَيْءٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ  
ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ قُلُوبُهُمْ مُطْمَئِنِّينَ وَمَا لَهُمْ مِنْ شَيْءٍ مِنْهُمْ مِنْ شَيْءٍ  
كَسَبَ رَهِيْنٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا ذُنُوبُهُمْ فَبِكُفْرِهِمْ وَمَا يُسْتَهْزِئُونَ ﴿٨﴾  
يَنْتَنَزِعُونَ مِنْهَا كَأَنَّهُمْ كَالْقُرُونِ وَلَا تَأْتِيهِمْ ﴿٩﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ  
غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ كَالْوَلَدِ مَكْنُونٍ ﴿١٠﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى  
بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١١﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلَ فِي أَهْلِكَ مُتَّقِينَ  
﴿١٢﴾ قَسَمَ اللَّهُ عَلَيْنَا عَذَابَ الْآتُونِ ﴿١٣﴾ إِنَّا كُنَّا  
مِنْ قَبْلَ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿١٤﴾ فَذَكِّرْهُمْ أَنَّهُمْ  
رَبُّكَ يَكْفُرُونَ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿١٥﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرْنَاهُ رِيبَ رِيبَ  
الْمُنُونِ ﴿١٦﴾ قُلْ تَرَى نَصُورًا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْزِلِينَ ﴿١٧﴾

## معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
اصْلَوْهَا	ادخلوها وذوقوا حرها.
مَصْفُوفَةٍ	مُتَقَابِلَةٍ، وَبَعْضُهَا إِلَى جَنْبِ بَعْضٍ.
بِحُورٍ	بِإِسَاءٍ بِيضٍ.
رَهِيْنٍ	مَرْهُونٍ بِعَمَلِهِ، لَا يَحْمِلُ ذَنْبَ غَيْرِهِ.
يَنْتَنَزِعُونَ	يَتَخَاطَبُونَ بَيْنَهُمْ، وَيَتَنَاوَلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا.
لَا تَقُوفِيهَا	لَا كَلَامَ سَاقِطٍ أَثْنَاءَ شَرْبِهَا.
وَلَا تَأْتِيهِمْ	وَلَا يَقَعُ بِسَبَبِهَا إِثْمٌ فِي قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ.
مَكْنُونٍ	مُصُونٍ، مَسْتَوْرٍ فِي أَصْدَافِهِ.
عَذَابُ السَّمُومِ	عَذَابُ النَّارِ الَّتِي تَنْفُذُ فِي السَّمَاءِ.

## العمل بالآيات

١. قل: «اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى»، ﴿ إِنَّ السُّقُونَ فِي جَنَّتٍ وَنَبِيرٍ وَنَبِيرٍ ﴾.
٢. صم يوماً في سبيل الله، ﴿ كَلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾.
٣. تصق على مسكين بفاكهة أو لحم، ﴿ وَأَمَّا ذُنُوبُهُمْ فَبِكُفْرِهِمْ وَلَمْ يَنُوحُوا بِمَنِيَّتِهِمْ ﴾.

## التوجيهات

١. احرص على تقوى الله تعالى تسعد بجنته، ﴿ إِنَّ السُّقُونَ فِي جَنَّتٍ وَنَبِيرٍ ﴾.
٢. كن كثير الشفقة والخوف من الله تعالى كما أخبر سبحانه عن وصف أهل الجنة لحالهم في الدنيا، ﴿ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلَ فِي أَهْلِكَ مُتَّقِينَ ﴾.
٣. أعن والدك على الصلاة؛ فإنك ستلتحق بهما في منزلتهما، ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ قُلُوبُهُمْ مُطْمَئِنِّينَ وَمَا لَهُمْ مِنْ شَيْءٍ مِنْهُمْ مِنْ شَيْءٍ ﴾.



## ● الوقفات التدبيرية

﴿أَمْ نَأْمُرُهُمْ بِالْإِيمَانِ هَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾

الحلم: العقل ... ومعنى إنكار أن تأمرهم أحلامهم بهذا: أن الأحلام الراجحة لا تأمر بمنتهى، وفيه ترميز بأنهم أضاعوا أحلامهم حين قالوا ذلك؛ لأن الأحلام لا تأمر بمنتهى، فهم كمن لا أحلام لهم، وهذا تأويل ما روي أن الكافر لا عقل له. ابن عاشور: ٢٧/٦٤.

**السؤال: كيف تفسر مقولة أن الكافر لا عقل له؟**

﴿ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلَعُوا مِنْ بَدَنِهِمْ ۖ إِنَّهُمْ لَهُم مَّقَامُونَ ﴾

أي: بل أتأمّرهم عقولهم بهذا الكلام المتناقض؛ إن الكاهن هو المضّر في  
الفطنة والذكاء، والمجنون هو ذاهب العقل فضلا عن أن يكون له فطنة  
وذكاء. الشوكاني: ٩٩/٥.

**السؤال: بين كيف تناقض المشركون في اتهامه ﷺ.**

﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴾

وقوله: (إن كانوا صادقين) أي: في زعمهم أنه تقوله: أي: فإن لم يأتوا بكلام مثله فهم كاذبون. وهذا الهباب لعزيمتهم يأتوا بكلام مثل القرآن؛ ليكون عدم إتيانهم بمثله حجة على كذبهم. ابن عاشور: ٢٧/ ٦٧.

**السؤال: ما فائدة قوله تعالى: (إن كانوا صادقين) في الآية الكريمة؟**

● ﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ ۖ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴾

العادة تحيل أن يأتي واحد من قوم وهو مساو لهم بما لا يقدرון كلامه على مثله، والعاقِل لا يجزم بشيء إلا وهو عالم به، ويلزم من علمهم بذلك قدرتهم على مثل ما يأتي به، فإنه ﷺ مثْلهم في الفصاحة والبلد والنسب، وبعضهم يزيد عليه بالكتابة وقول الشعر ومخالطة العلماء، ومزاولة الخطب والرسائل وغير ذلك، فلا يقدر على ما يعجزون عنه إلا بتأييد الهي، وهو المُرَاد من تكذيبهم. البقاعي: ٢٦/١٩.

**السؤال: في الآية دليل واضح على صدق رسالته ﷺ، وضح ذلك.**

﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾

أي: لا قليلاً ولا كثيراً، وإن كان في الدنيا قد يوجد منهم كيد يعيشون به زمناً قليلاً، فيوم القيامة يضمحل كيدهم، وتبطل مساعيهم.

السعدي: ٨١٨.

**السؤال: ما الفرق بين كيد الكفار في الدنيا وكيدهم في الآخرة؟**

﴿ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَٰكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

قيل: قبل موتهم، ابن زيد: مصائب الدنيا من الأوجاع والأسقام والبلايا  
وذهاب الأموال والأولاد. القرطبي: ٥٤١/١٩.

السؤال: عذاب الله تعالى للمخالف لا يقتصر على العذاب الأخروي،  
وضح ذلك.

﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ النُّجُومِ ﴾

وذلك بصلاة الفجر سنة وفرضاً؛ لأنه وقت إدبارها حقيقة، فمصار  
عبادة الصبح محنوثاً عليها مرتين تشريفاً لها وتعظيماً لقدرها؛ فإن ذلك  
ينجي من العذاب الواقع، وينصر على العدو الدارع: من المجاهر المدافع،  
والتنافق المخادم. الباقى: ٣٩/١٩.

**السؤال: لماذا خص وقت إدبار النجوم بالصلاة والتسبيح؟**

١٨ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلَعُوا مِنْهُ بَهْدَ أَمْرِهِمْ قَوْمٌ طَاعُونَ ١٩ أَمْ يَقُولُونَ نَتَقَلَّلُ  
 ٢٠ بَلْ لَأُؤْفِكُونَّ ٢١ فَلْيَأْتُوا بِحُجَّتِهِمْ وَلَمْ لَهُمْ كَاوُؤٌ بِصَدَقَاتِ  
 ٢٢ أَمْ أُخْلَقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ٢٣ أَمْ حَقُّوا  
 ٢٤ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَأُؤْفِكُونَ ٢٥ أَمْ عِنْدَهُ خِزَائِنُ رِزْقِ  
 ٢٦ أَهْلِهِ الْمُصْطَبِرُونَ ٢٧ أَمْ لَهُمْ سُلُوكٌ يَسْمَعُونَ فِيهِ قَلِيَّاتُ  
 ٢٨ مُسْتَعْمِرِينَ سُلْطَانٍ مُبِينٍ ٢٩ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ٣٠  
 ٣١ أَمْ نَسَخْنَاهُمْ أَجْرَهُمْ مِنْ مَقَرٍّ مَقْفُورٍ ٣٢ أَمْ عِنْدَهُ الْغَيْبُ  
 ٣٣ فَهُمْ يَكْمُونُ ٣٤ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ٣٥  
 ٣٦ أَمْ لَهُمْ آلَاءُ اللَّهِ غَيْرَ اللَّهِ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ٣٧ وَإِنْ يَوَلَّوْا كَسَفًا  
 ٣٨ مِنَ السَّمَاءِ سَافِقًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ ٣٩ فَذَرْنَهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا  
 ٤٠ يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ٤١ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا  
 ٤٢ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ٤٣ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنْ  
 ٤٤ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٤٥ وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ  
 ٤٦ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ٤٧ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ٤٨

آیات  
۶۴

سُورَةُ النَّجْمِ

۵۲

050

## معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
أَحْلَامُهُمْ	عُقُولُهُمْ.
طَاغُونَ	مُتَجَاوِزُونَ الْحَدَّ فِي الْعِصْيَانِ.
تَقْوَلُهُ	اِخْتَلَقَ الْقُرْآنُ مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ.
مِنْ مَغْرَمٍ	مِنْ التَّيَازُمِ غَرَامَتٍ تَطْلُبُهَا مِنْهُمْ.
كَيْدًا	مَكْرًا.
كِسْفًا	قِطْعًا.
مَرَكُومٌ	مُتَرَاكِمٌ بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ.
يُصْعَقُونَ	يُهْلِكُونَ.
وَادِبَارِ النُّجُومِ	نَظْمُهُ، وَصَلَ لَهُ صَلَاةُ الصُّبْحِ وَقَتَ غَيْبَةِ النُّجُومِ.

## ● العمل بالآيات

١. تأمل كيداً من كيد أعداء الدين واسأل الله أن يردّه في نحورهم، ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾.

٢. احرص على صلاة الفجر، ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ النُّجُومِ﴾.

٣. حافظ على اذكار الصباح والمساء، ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُوَ ذِكْرَ النُّجُومِ﴾

## ● التوجيهات

١. الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا يأخذون على دعوتهم عوضاً، ﴿أَمْ تَتَكَلَّمُونَ﴾  
﴿بِرَّأ فَهُمْ مِنْ مَّعْرُومٍ مُنْقَلُونَ﴾.

١٠. من طمس الله على قلبه لا ينتفع بالإنذارات، ﴿وَلَنْ يَرْوَوْا كَسَفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ﴾.

٣. أهمية التسبيح والعبادة في تهيئة الطمانينة النفسية للمسلم، ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾  
﴿إِنَّا نَأْتِيكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾.

﴿أَمْ لَمْ يَلَمْ إِلَهُ عِبْرَ اللَّهِ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ١٩: وهذا إنكار شديد على المشركين في عبادتهم الأصنام والأنداد مع الله.  
ثم نَزَّهَ نفسه الكريمة عما يقولون ويفترون ويشركون، فقال:  
﴿سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

الآية (٤٤-٤٩): يقول تعالى مخبراً عن المشركين بالعناد والمكابرة للمحسوس: ﴿وَلَنْ يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا﴾ أي: عليهم، يُعَذِّبُونَ به، لَمَّا صَدَّقُوا وَلَمَّا أَتَقُوا، بل يقولون: هذا ﴿سَمَكٌ مَّرْكُومٌ﴾ أي: متراكم. ﴿فَذَرَهُمْ﴾ أي: دَعَاهُمْ يا محمد ﴿حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ وذلك يوم القيامة ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ أي: لا ينفعهم كيدهم ومكرهم الذي استعملوه في الدنيا، لا يُجِدِي عنهم يوم القيامة شيئاً، ﴿وَلَا لَهُمْ يُصْرُونَ﴾.

ثم قال: ﴿وَلَا يَلْبِثُونَ ظُلُمًا عَدَاً ذُوَ ذَلِكَ﴾ أي: قبل ذلك في الدار الدنيا؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَذِيقُهُمْ مِنَ الْعَذَابِ إِلَّا ذُلًّا وَلَهُمْ فِي الْعَذَابِ أَكْثَرُ﴾ [السجدة: ٢١]، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: مُعَذِّبُهُم في الدنيا، وَتَبْلِيهِم فيها بالمصائب، لعلهم يرجعون وَيُتَبَوِّسُونَ، فلا يفهمون ما يُرَادُّ بِهِمْ، بل إذا جُلِّيَ عنهم عما كانوا فيه، عادوا إلى أسوأ ما كانوا عليه.

﴿وَأَصْبَرَ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ أي: اصبر على أذاهم ولا تُبَالِهْهُمْ، فَإِنَّكَ بِمَرْأَى مِنَّا وَتَحْتَ كَلَامِنَا، والله يصيحك من الناس ﴿وَسَجَّحَ بِحُكْمِ رَبِّكَ حِينَ نَقُوءُ﴾ قال الضحاك: أي إلى الصلاة: «سبحانك اللهم وبحميدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك». وقد روي مثله عن الربيع بن أنس وابن أسلم وغيرهما. وروى مسلم عن عمر: أنه كان يقول هذا في ابتداء الصلاة. وقال أبو الجوزاء: ﴿حِينَ نَقُوءُ﴾ أي: من نومك من فراشك. واختاره ابن جرير، ويتأكد هذا القول بما رُوِيَ عن عباد بن الصامت عن رسول الله ﷺ قال: «من نَعَاَزَ من الليل فقال: لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير. سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: رب اغفر لي - أو قال: ثم دعا - استجيب له، فإن عَزَمَ فتوضأ، ثم صلى تُقْبِلَتْ صلاته» [رواه البخاري]. وعن مجاهد: ﴿حِينَ نَقُوءُ﴾ من كل مجلس. وقال أبو الأحوص: إذا أراد الرجل أن يقوم من مجلسه قال: سبحانك اللهم وبحميدك. وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «من جَلَسَ في مجلس فكَثُرَ فيه لَفْظُهُ، فقال قبل أن يقوم من مجلسه: سبحانك اللهم وبحميدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، لا غَفَرَ له ما كان في مجلسه ذلك» [رواه الترمذي، وصححه الألباني].

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ أي: اذكره واعبده بالتلاوة والصلاة في الليل، ﴿وَادْبِرْ لِّلشَّجَرِ﴾ عن ابن عباس أنها الركعتان اللتان قبل صلاة الفجر. وفي الصحيحين عن عائشة قالت: لم يكن رسول الله ﷺ على شيء من النوافل أشدَّ تعاهداً منه على ركعتي الفجر. وفي لفظ لمسلم: «ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها».

الآية (٣٢-٣٤): ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ غُلَامٌ بِذِكْرِ آيِ عَقولِهِمْ تأمرهم بهذا الذي يقولونه فيك من الأقوال الباطلة التي يعلمون في أنفسهم أنها كَذِبٌ وَزُورٌ؟!﴾ ﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ أي: ولكن هم قوم ضَلَالٌ معاندون، فهذا هو الذي يُحْمِلُهُمْ على ما قالوه فيك. ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَعْرِزُكَ﴾ أي: اختلقناه وافتراه من عند نفسه، يعنون القرآن، قال الله: ﴿بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: كفرهم هو الذي يُحْمِلُهُمْ على هذه المقالة ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ أي: إن كانوا صادقين في قولهم: «تَقُولُهُ وافتراه» فلْيَأْتُوا بمثل ما جاء به محمد ﷺ من هذا القرآن؛ فإنهم لو اجتمعوا هم وجميع أهل الأرض من الجن والإنس، ما جَاؤُوا بمثله، ولا يَبَشِّرُ سُوْر من مثله، ولا بِسُوْرَةٍ من مثله!

الآية (٣٥-٤٣): هذا المقام في إثبات الربوبية وتوحيد الألوهية، فقال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِن غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ أي: أَوْجَدُوا من غير مُوجِدٍ؟ أم هم أَوْجَدُوا أنفسهم؟! أي: لا هذا ولا هذا، بل الله هو الذي خَلَقَهُمْ وَأَنْشَأَهُمْ بعد أن لم يكونوا شيئاً مذكوراً. عن جبير ابن مطعم، قال: سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فلَمَّا بَلَغَ هذه الآية: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِن غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصْطَفُونَ﴾ كاد قلبي أن يطير [متفق عليه]. وجبير بن مطعم كان قد قَدِمَ على النبي ﷺ بعد وقعة بدر في فداء الأسارى، وكان إذ ذاك مشركاً، وكان سَاعَةً هذه الآية من هذه السورة من جملة ما حَمَلَهُ على الدخول في الإسلام بعد ذلك.

﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ﴾ أي: أهم خلقوا السموات والأرض؟! وهذا إنكار عليهم في شركهم بالله، وهم يعلمون أنه الخالق وحده، لا شريك له. ولكن عدم إيقانهم هو الذي يحمله على ذلك، ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصْطَفُونَ﴾ أي: أهم يَصْطَرِّفُونَ في المُلْكِ وَيَبْدِيهِمْ مَفَاتِيحَ الْخَازِنِ؟!

﴿أَمْ هُمُ الْمُصْطَفُونَ﴾ المحاسبون للخلاق؟! ليس الأمر كذلك، بل الله هو الملك الْمُصْطَرِّفُ الْقَوَالِ لِمَا يريد. وقوله: ﴿أَمْ هُمُ سَائِرُ يَسْتَمِيعُونَ فِيهِ﴾ أي: مِرْقَاةٌ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى ﴿فَلْيَأْتِ سَمْعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ أي: فليأت الذي يستمع لهم بحجة ظاهرة على صحة ما هم فيه من القِصَالِ والمَقَالِ، أي: ليس لهم سبيل إلى ذلك، فليسوا على شيء، ولا لهم دليل. ثم قال مَكْرَهاً عليهم فيما نسبوه إليه من البنات، وجعلهم الملائكة إِنَاءً، واختيارهم لأنفسهم الذكور على الإناث، وعبدوهم مع الله، فقال: ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ الْبَنُونَ﴾؟! وهذا عديد شديد ووعيد أكيد، ﴿أَمْ تَسْتَأْذِنُ آتِئًا﴾ أي: أَجْرَةً على إيلாக إياهم رسالة الله؟! أي: لست تسألهم على ذلك شيئاً، ﴿فَهُمْ يَنْتَقِرُونَ تَقْلُوقًا﴾ أي: فهم من أدنى شيء يَتَرَمَّضُونَ، وَيُقْلِقُهُمْ وَيَشُقُّ عَلَيْهِمْ.

﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَعُمْ يَكْتُمُونَ﴾ أي: ليس الأمر كذلك؛ فإنه لا يعلم أحد من أهل السموات والأرض الغيب إلا الله. ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾ يقول تعالى: أم يريد هؤلاء بقولهم هذا في الرسول وفي الدين غرور الناس وكيد الرسول وأصحابه، فكَيْدُهُمْ إِنَّمَا يَرْجِعُ وَيَبَالُهِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾.



وهي مكية، [وعدد آياتها (٦٢) آية].

[فضل السورة]: عن عبد الله [بن مسعود] قال: **أَوَّلُ سُورَةٍ أُنزِلَتْ فِيهَا سُجْدَةٌ: ﴿وَالنَّجْمِ﴾**، قال: فسجد رسول الله ﷺ وسجد من خلقه، إلا رجلاً رأيته أخذ كُفًّا من ثراب فسجد عليه، فرأيتُه بعد ذلك قُتِلَ كافراً [منقول عليه].

الآية (٤-١): قال الشعبي: الخالق يقسم بما شاء من خلقه، والمخلوق لا ينبغي له أن يقسم إلا بالخالق. **﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾** قال مجاهد: يعني الثرى إذا سقطت مع الفجر. واختاره ابن جرير. **﴿وَإِذَا هَوَى﴾** قال الضحاك: إذا رُمي به الشياطين. وعن مجاهد: القرآن إذا نَزَلَ. **﴿مَا سَلَ صَاحِبِكُمْ﴾** هذا هو المقسم عليه، وهو الشهادة للرسول ﷺ بأنه بَارٌّ راشد تابع للحق، ليس بضال، وهو: الجاهل الذي يَسْلُكُ على غير طريق بغير علم **﴿وَمَا عَوَى﴾** الغاوي: هو العالم بالحق العادل عنه قَصْداً إلى غيره، فنَزَّه الله رسوله وَنَزَّعَهُ عن مشابهة أهل الضلال كالنصارى وطرائق اليهود. **﴿وَمَا يَطِئُ عَنِ الْهَوَى﴾** أي: ما يقول قولاً عن هوى وعَرَضٍ **﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا رَحْمَةٌ يُوْحَى﴾** إنها يقول ما أمر به، يُبَلِّغُهُ إلى الناس كاملاً مَوْفِراً من غير زيادة ولا نقصان.

الآية (٥-١٨): يقول تعالى: محمد ﷺ **﴿عَلَيْهِ﴾** الذي جاء به إلى الناس **﴿سَيِّدِ الْقَوْمِ﴾** وهو جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ كما قال: **﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾** **﴿وَيُؤَيِّدُ بِنُورِهِ الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾** [طه: ١٩-٢١].

**﴿ذُو مِرَّةٍ﴾** ذو قوة. قاله مجاهد والحسن وابن زيد. وقال ابن عباس: ذو منظر حسن. ولا منافاة بين القولين؛ فإنه -عليه السلام- ذو منظر حسن، وقوة شديدة. وقد ورد في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: **﴿لَا تَحُلْ الصَّدَقَةَ لَغْنِي، وَلَا لِدِي مَرَّةً سَوِي﴾** [رواه أحمد وصححه إسناده أحمد شاكر]. **﴿فَأَنصَتَ﴾** يعني: جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ. قاله مجاهد والحسن وقناة والربيع بن أنس. **﴿وَهُوَ الْأَنْفَى الْأَعْلَى﴾** يعني: جبريل، استوى في الأفق الأعلى. قاله عكرمة وغير واحد. قال عكرمة: والأفق الأعلى: الذي يأتي منه الصبح. **﴿ذَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾** أي: فاقترَب جبريل إلى محمد لَمَّا هَبَطَ عليه إلى الأرض، حتى كان بينه وبين محمد ﷺ **﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾** أي: بقدرهما إذا مُدَّا. قاله مجاهد وقناة. **﴿أَوْ أَدْنَى﴾** هذه الصيغة تستعمل في اللغة لإثبات المُخْبَرِ عنه ونفي ما زاد عليه؛ كقوله: **﴿فَرَفَعْتَ فُؤُوكَ بِرُكْنٍ مِّمَّا بَدَدَ ذَكَانَ فِجْءٍ كَالْجَارَةِ أَوْ أَشَدَّ قَسْوَةً﴾** [البقرة: ١٧٤]، أي: ما هي بألين من الحجارة، بل هي مثلها أو تزيد عليها في الشدة والقسوة.. فهذا تحقيق للمُخْبَرِ به لا شك ولا تردُّد. والذي قلناه -من أن هذا المُخْبَرُ بالداني الذي صار بينه وبين محمد ﷺ إنما هو جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ- هو قول أم المؤمنين عائشة وابن مسعود وأبي ذر وأبي هريرة. فعلى ما ذكرناه يكون قوله: **﴿فَأَرْحَى إِلَى عِبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾** معناه: فأوحى جبريل إلى عبد الله محمد ما أوحى. أو: فأوحى الله إلى عبده محمد ما أوحى بواسطة جبريل، وكلا المعنيين صحيح.

**﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾** **﴿أَفَتَرَبُّونَهُ عَلَى مَرَاتٍ﴾** روى مسلم عن ابن عباس: رآه بفؤاده مرتين وكذا قال أبو صالح والشَّاذلي وغيرهما، وقد خالفه ابن مسعود وغيره، وفي رواية عنه أنه أطلق الرؤية، وهي محمولة على المقيدة بالفؤاد. ومن رَوَى عنه بالبرص فقد أَغْرَبَ، فإنه لا يصح في ذلك شيء عن الصحابة. وعن أبي ذر: سألت رسول الله ﷺ: هل رأيت ربك؟

فقال: **﴿نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ﴾**. وفي رواية: **﴿رَأَيْتُ نُورًا﴾** [رواه مسلم]. **﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾** **﴿عِنْدَ رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾** **﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾** هذه هي المرة الثانية التي رأى رسول الله ﷺ فيها جبريل على صورته التي خلقه الله عليها، وكانت ليلة الإسراء، **﴿وَإِذْ يَقْنُتُ الشَّيْطَانُ مَا يَشْنُ﴾** عن ابن مسعود قال: قرأ من ذهب. انفرده به مسلم. **﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا كُنَى﴾** قال ابن عباس: ما ذهب يميناً ولا شمالاً، **﴿وَمَا كُنَى﴾** ما جاوز ما أمر به. وهذه صفة عظيمة في الثبات والطاعة؛ فإنه ما فعل إلا ما أمر به، ولا سأل فوق ما أُعْطِيَ. **﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾** كقوله: **﴿لِيُرِيَنَّكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى﴾** [طه: ٢٣] أي: الدالة على قدرتنا وعظمتنا. وبهاتين الآيتين استدل من ذهب من أهل السنة أن الرؤية تلك الليلة لم تقع؛ لأنه قال: **﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾** ولو كان رأى ربه لأخبر بذلك ولقال ذلك للناس.

الآية (١٩-٢٦): يقول تعالى مُثَقِّراً للمشرِكين في عبادتهم الأصنام والأنداد والأوثان: **﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ﴾**؟! وكانت «اللآت» صخرة بيضاء منقوشة، وعليها بيت بالطائف له أستار وسدنة، وحوله فناء مُعَظَّم عند أهل الطائف، وهم ثقيف ومن تابعها.

قال ابن جرير: وكانوا قد اشتقوا اسمها من اسم الله، فقالوا: اللآت، يعنون مؤنثة منه تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً. وَحُكِيَ عن ابن عباس ومجاهد والربيع بن أنس: أنهم قرؤوا «اللآت» بتشديد التاء، وقسروها بأنه كان رجلاً يَلْتُمُ للحجيج في الجاهلية السويق، فلَمَّا مات عَكَفُوا على قبره فعَبَدُوهُ. قال ابن جرير: وكذا العزرى من العزير. وكانت شجرة عليها بناء وأستار بنخله، وهي بين مكة والطائف. وأما «مناة» فكانت بالمشلل -عند قُتَيْد، بين مكة والمدينة- وكانت خزاعة والأوس والخزرج في جاهليتها يعظمونها. وقد كانت بجزيرة العرب وغيرها طواغيت أخر غير هذه الثلاثة التي نَصَّ عليها في كتابه العزيز، وإنما أقرَّد هذه بالذكر لأنها أشهر من غيرها.

**﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ الْأُنْثَى﴾**؟! أي: أجمعون له ولذَكَاء، وتعملون ولده أنثى، وتختارون لأنفسكم الذكور، فلو انقسمتم أنتم وخلقوا مثلكم هذه القسمة لكانت قسمة **﴿ضَيْرَةٍ﴾** أي: جَوْراً باطلة، فكيف تقاسمون ربكم هذه القسمة التي لو كانت بين خلقين كانت جَوْراً وسَفْهاً. ثم قال: **﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَتْهُمَا أُتْمٌ وَأَبَاؤُكُمْ﴾** من تلقاء أنفسكم **﴿مَا أُنْزِلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾** أي: من حجة، **﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾** ليس لهم مستند إلا حُسن ظَنِّهم بأبائهم الذين سَلَكُوا هذا السَمْلَكَ الباطل قبلهم، وإلا حَظَّ نفوسهم في رِاستهم وتعظيم آبائهم الأقدمين، **﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾** أي: ولقد أُرْسِلَ الله إليهم الرسل بالحق المنير والحجة القاطعة، ومع هذا ما اتبعوا ما جاؤوهم به، ولا اتقادوا له.

**﴿أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَنَى﴾** ليس كل من غنى خيراً حَصَلَ له، ما كل من رَعِمَ أنه مهتد يكون كما قال، ولا كل من وَدَّ شيئاً يَحْصُلَ له؛ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **﴿إِذَا تَمَنَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَنْظُرْ مَا يَتَمَنَّى؛ فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي مَا يَكْتُبُ لَهُ مِنْ أَمْنِيَّتِهِ﴾**. تفرد به أحمد [وصححه إسناده أحمد شاكر].

**﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى﴾** إنما الأمر كُلُّهُ لله، مالك الدنيا والآخرة **﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُفْنِي سَفَعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَقُ﴾** كقوله: **﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾** [البقرة: ٢٥٥] فإذا كان هذا في حق الملائكة المقربين، فكيف ترجون أيها الجاهلون شفاعة هذه الأصنام والأنداد عند الله؟!



## ● الوقفات التدريبية

### ❶ ﴿وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَآ سَلَ سَاجِدُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾

أقسم بالنجوم على صحة ما جاء به الرسول من الوحي الإلهي، لأن في ذلك مناسبة عجيبة، فإن الله تعالى جعل النجوم زينة للسماء، فكان لك الوحي وآثاره زينة للأرض، فلو لا العلم الموروث عن الأنبياء لكان الناس في ظلمة أشد من الليل البهيم. السعدي: ٨١٨.

السؤال: ما المناسبة بين النجوم ونبوة النبي ﷺ؟

### ❷ ﴿مَآ سَلَ سَاجِدُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾

هذا جواب القسم، والخطاب لقريش، وصاحبكم هو النبي، فنفي عنه الضلال والغف، والفرق بينهما: أن الضلال بغير قصد، والغف بقصد وتكسب. ابن جزري: ٣٨٠/٢.

السؤال: ما الفرق بين الضلال والغف؟

❶ ﴿مَآ سَلَ سَاجِدُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ ❷ ﴿وَمَا يَلُوحُ عَنْ الْمَوْتِ﴾ ❸ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجَاءُ يُحَىٰ﴾  
فنفي عنه الضلال والغف، ووصفه بأنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، فنفي الهوى، وأثبت العلم الكامل وهو الوحي، فهذا كمال العلم، وذلك كمال القصد. ووصف أعداءه بضد هذين: فالكمال المطلق للإنسان هو تكميل العبودية لله علماً وقصداً. ابن تيمية: ١٢٨/٦.

السؤال: هذه الآيات أثبتت كمال النبي ﷺ، ونقص المشركين، وضح ذلك.

### ❸ ﴿وَمَا يَلُوحُ عَنْ الْمَوْتِ﴾ ❹ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجَاءُ يُحَىٰ﴾

ودل هذا على أن السنة وحي من الله تعالى لرسوله ﷺ. السعدي: ٨١٨.

السؤال: بين كيف وضحت هذه الآية منزلة السنة.

### ❹ ﴿مَآ رَآعَ الْبَصَرُ وَمَا طَفَىٰ﴾

فنفي عن نبيه ما يعرض للرأي الذي لا أدب له بين يدي الملوك والعظماء، من التفاته يميناً وشمالاً، ومجازة بصره لما بين يديه، وأخبر عنه بكمال الأدب في ذلك المقام وفي تلك الحاضرة: إذ لم يلتفت جانباً، ولم يمد بصره إلى غير ما رأى من الآيات وما هنالك من العجائب، بل قام مقام العبد الذي أوجب أدبه وإطراره وأقباله على ما أرى، دون التفاته إلى غيره، ودون تطلعه إلى ما لم يره، مع ما في ذلك من ثبات الجأش، وسكون القلب، وطمأنينته، وهذا غاية الكمال. ابن القيم: ٧٦/٣.

السؤال: دلت الآية على كمال أدب النبي ﷺ في الإسراء والمعراج، وضح ذلك.

### ❺ ﴿إِنْ يَلْبِغُونَ إِلَّا الظَّلَمَ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾

أي: والذي تشتهيهم أنفسهم الأمارة بالسوء. والنفس من حيث هي إنما تهوى غير الأفضل لأنها مجبولة على حب الملاذ، وإنما يسوقها إلى حسن العاقبة العقل. الألوسي: ٥٨/١٤.

السؤال: كيف يربي الإنسان نفسه من خلال هذه الآية؟

### ❻ ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَىٰ﴾

والرأي يقتضي أن من رأى الهدى تبعه ولو أتاه به عدوه، فكيف إذا أتاه به من هو أفضل منه من عند من إحسانه لم ينقطع عنه قط. البقاعي: ٦١/١٩.

السؤال: ما دلالة إخبار الله بقوله: (ولقد جاءهم من ربهم الهدى)؟

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَآ سَلَ سَاجِدُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَلُوحُ عَنْ الْمَوْتِ ۝٣ إِن هُوَ إِلَّا رَجَاءُ يُحَىٰ ۝٤ عَمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۝١١ أَفَتَكْفُرُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ۝١٤ عِنْدَ حَاجَةِ الْمَآوَىٰ ۝١٥ إِذْ يَخْفَىٰ السِّيْدَةُ مَا يَخْفَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ۝١٨ أَفَرَىٰ يَوْمَ اللَّهِ وَالْعُرَىٰ ۝١٩ وَمَنْزُورَةُ الْقَائِلَةِ الْآخِرَىٰ ۝٢٠ الْكَلِمَ الذِّكْرُ وَلَهُ الْأُنْثَىٰ ۝٢١ تِلْكَ إِذَا قُسِمَةُ ضَيْبِي ۝٢٢ إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمِعْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَىٰ ۝٢٣ أَمْ لَا يَنْسَنَ مَا تَعْمَىٰ ۝٢٤ قَلِيلَهُ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ ۝٢٥ وَكَمْ مِنْ مَلَكَ فِي السَّمَوَاتِ لَا تَعْلَمُ سَفْعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ ۝٢٦

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ	قَسَمَ بِالْثَرَيَّا إِذَا غَابَتْ.
وَمَا غَوَىٰ	مَا اعْتَقَدَ بِاطِلَالٍ قَطُّ.
ذُو مِرَّةٍ	صَاحِبُ قُوَّةٍ، وَمَنْظَرٍ حَسَنٍ.
فَتَدَلَّىٰ	زَادَ فِي الْقُرْبِ.
أَفَتَكْفُرُونَهُ	أَتَكْذِبُونَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَتُجَادِلُونَهُ؟
سِدْرَةُ الْمُنْتَهَىٰ	شَجَرَةٌ نَبَقَ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، يَنْتَهِي إِلَيْهَا مَا يُعْرَجُ بِهِ مِنَ الْأَرْضِ، وَيَنْتَهِي إِلَيْهَا مَا يُهْبَطُ بِهِ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ.

## ● العمل بالآيات

- اقرأ ما حدث في الإسراء والمعراج كما أخبر بذلك رسول الله، ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾.
- سأل الله الهدى والعفاف والغنى، ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَىٰ﴾.
- قل بعد الأذان: (اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته) حتى يشفع لك بها نبينا محمد ﷺ، ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكَ فِي السَّمَوَاتِ لَا تَعْلَمُ سَفْعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ﴾.

## ● التوجيهات

- رفع مقام نبينا ﷺ، ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾.
- الإيمان بجبريل عليه السلام ومحبه، واعتقاد أنه هو الذي بلغ الوحي إلى النبي ﷺ، ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾.
- عدم توقيف الكفار لله تعالى، ﴿الْكَلِمَ الذِّكْرُ وَلَهُ الْأُنْثَىٰ﴾.



## ● الوقفات التحديرية

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُوكَ الْمَلَائِكَةَ تَسْبِيَةً الْأَنْفَى﴾

بسبب عدم إيمانهم بالآخرة تجرؤوا على ما تجرؤوا عليه من الأقوال والأفعال المحادة لله ولرسوله، من قولهم: الملائكة بنات الله السعدي: ٨٢٠. السؤال: ما السبب الذي جاز المشركين على محادة الله ورسوله والكلام على الملائكة بالباطل؟

﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَتَرْتَدُّ إِلَّا الْحَيَةَ الدُّنْيَا﴾

بعد أن وصف مداركهم الباطلة وضلالهم فَرَّعَ عليه أمر نبيه بالإعراض عنهم؛ ذلك لأن ما تقدم من وصف ضلالهم كان نتيجة إعراضهم عن ذكر الله -وهو التوَلَّى عن الذكر- فحق أن يكون جزاؤهم عن ذلك الإعراض إعراضاً عنهم. ابن عاشور: ٢٧/ ١١٦- ١١٧.

السؤال: كيف نستفيد من هذه الآية أن الجزء من جنس العمل؟

﴿وَلَا تُرِيدُ إِلَّا الْآخِرَةَ الدُّنْيَا﴾ ﴿ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْإِلَهِ﴾

أي: هذا منتهى علمهم وغايته، وأما المؤمنون بالآخرة المصدقون بها أو لو الألباب والعقول فهمتهم وإرادتهم للدار الآخرة، وعلومهم أفضل العلوم وأجلها، وهو العلم المأخوذ من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ السعدي: ٨٢٠.

السؤال: كيف دلت هذه الآية على فضل العلم الشرعي؟

﴿ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْإِلَهِ﴾

أي إنما يصيرون أمر دنياهم ويجهلون أمر دينهم. قال الضراء: صغرم وازدري بهم؛ أي ذلك قدر عقولهم ونهاية علمهم أن آثروا الدنيا على الآخرة. القرطبي: ٤١/ ٢٠.

السؤال: يسمى هذا الأسلوب أسلوب تحقير وتصغير، فبأي شيء صغّر الله قدرهم؟

﴿وَلَا أَنْتَرُ أَجَنَّةً فِي بَطُونِ أَمَهَاتِكُمْ﴾

قال مكحول: كنا أجنت في بطون أمهاتنا فسقط منا من سقط وكنا فيمن بقي، ثم صرنا رضاء فهلك منا من هلك وكنا فيمن بقي، ثم صرنا بضعاً فهلك منا من هلك وكنا فيمن بقي، ثم صرنا شباباً فهلك منا من هلك وكنا فيمن بقي، ثم صرنا شيوخاً -لا أبالل- فما بعد هذا نتنظر؟ البغوي: ٤/ ٦٦١.

السؤال: يفهم من هذه الآية امتنان الله علينا بأمر ما، فما هو؟ ولأي شيء يدعوننا؟

﴿فَلَا تَرْكُزُوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾

قال الكلبي ومقاتل: كان الناس يعملون أعمالاً حسنة ثم يقولون: صلاتنا وصيامنا وحجنا وجهادنا، فأنزل الله تعالى هذه الآية: (هو أعلم بمن اتقى) أي: بر وأطاع وأخلص العمل لله تعالى. البغوي: ٤/ ٣١٢.

السؤال: ما سبب نزول قوله تعالى: (فلا تركزوا أنفسكم)؟

﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾

الأنبياء تبعوا الآباء في الآخرة كما كانوا تبعاً لهم في الدنيا، وهذه التبعية هي من كرامة الآباء وثوابهم الذي ذلوه بسعيهم، وأما كون الأنبياء لاحقاً بهم في الدرجة بلا سعي منهم، فهذا ليس هو لهم، وإنما هو للآباء؛ أقر الله أعيانهم بإلحاق ذريتهم بهم في الجنة ابن القيم: ٣/ ٨٢.

السؤال: كيف تجمع بين قوله تعالى: (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى)، وقوله: (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان أحقنا بهم ذريتهم) (الطور: ٢١)؟

إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُوكَ الْمَلَائِكَةَ تَسْبِيَةً الْأَنْفَى  
وَمَا لَهُمْ بِهِمْ مِنْ عِلْمٍ يُتَّبَعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يَنْفَعِي مِنَ  
الْحَقِّ شَيْئاً ﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَوْ يُرِيدُ إِلَّا الْحَيَةَ  
الدُّنْيَا﴾ ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ  
سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي  
الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بَيْنَ أَعْمَالِهِمْ وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا  
بِالْحُسْنَى﴾ الَّذِينَ يَجْحَدُونَ بِكَيْدِ الْإِنْسِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّمَمَ  
إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذَا أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ  
وَإِذَا أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بَطُونِ أَمَهَاتِكُمْ فَلَا تُرْكَزُوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ  
بِمَنْ أَتَقَى ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى﴾ وَأَعْطَى قَلِيلاً وَكَفَى ﴿أَعِنْدَهُ  
عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى﴾ أَمْ لَمْ يُبَيِّنْ بَيِّنَاتٍ فِي صُحُفٍ  
مُوسَى ﴿وَاتَّخَذَ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَةُ وَزَرَ وَارِدَةً وَزَرَ أُخْرَى  
وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ وَأَنْ سَعْيُهُ سَوْفَ يُرَى ﴿ثُمَّ يَجْزِيهِ  
الْجَزَاءَ الْآخِرَ﴾ وَأَنْ إِلَى رَبِّكَ الْمُسْتَقَى ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَصْحَابُكَ  
وَأَبْنَى﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتٌ وَأَحْيَا ﴿٥٢٧﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
بِالْحُسْنَى	بِالْجَنَّةِ
وَالْفَوَاحِشِ	مَا عَظُمَ قُبْحُهُ مِنَ الْكَبَائِرِ
اللَّمَمَ	الدُّنُوبُ الصَّغِيرَاتُ الَّتِي لَا يُصِرُّ صَاحِبُهَا عَلَيْهَا، أَوْ يُلِمْ بِهَا الْعَبْدُ عَلَى وَجْهِ النَّدْرَةِ
وَأَكْدَى	تَوَقَّفَ عَنِ الْعَمَلِ، وَقَطَعَ مَعْرُوفَهُ بَخْلاً
الْأَتَرُ وَارِدَةً	أَنَّهُ لَا تَحْمِلُ نَفْسٌ أَمَتاً
وَزَرَ أُخْرَى	إِثْمٌ نَفْسٍ أُخْرَى
الْمُنْتَهَى	انْتِهَاءُ جَمِيعِ خَلْقِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

## ● العمل بالآيات

١. ابحث عن خلقه قرآن أو حلقة علم واجلس فيها ولو قليلاً، ﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَتَرْتَدُّ إِلَّا الْحَيَةَ الدُّنْيَا﴾
٢. قل: «اللهم حبب إلي الإيمان وزينه في قلبي وكره إلي الكفر والفسوق والعصيان» ﴿الَّذِينَ يَجْحَدُونَ بِكَيْدِ الْإِنْسِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّمَمَ﴾
٣. ابحث عن كبيرة من الكبائر موجودة في بلدك وحذر بعض من تعرف منها، ﴿الَّذِينَ يَجْحَدُونَ بِكَيْدِ الْإِنْسِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّمَمَ﴾

## ● التوجيهات

١. تذكر أن الله تعالى هو العليم بكل من ضل أو اهتدى، ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى﴾
٢. تعرف على سعة مغفرة الله ورحمته من هذه السورة: ﴿إِنَّ رَبَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾
٣. سيجازي الإنسان على عمله إن خيراً أو شراً، ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾

وتشكروها وتؤمنوا بأعمالكم ﴿هُوَ أَتَقَرُّ يَزِيدُ﴾. وروى مسلم عن زينب بنت أبي سلمة: قال رسول الله ﷺ: «لا تزكوا أنفسكم؛ إن الله أعلم بأهل البر منكم». وعن أبي بكره قال: قال ﷺ: «إذا كان أحدكم مادحاً صاحبه لا محالة فليقل: أحسب فلاناً والله حسيبه، ولا أرتقي على الله أحداً» [متفق عليه].

الآية (٣٣-٤١): يقول<sup>(١)</sup> تعالى ذاماً لمن تولى عن طاعة الله ﴿فَلَا صَدَقَ وَاَصْلَى﴾ ولكن كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿الْقِيَامَةُ: ٣٢، ٣١﴾ وَأَعْطَى قَلِيلاً وَكَثِيراً ﴿قال ابن عباس: [أعطى]<sup>(٢)</sup> قليلاً ثم قطعته. وكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة وقناة وغير واحد. قال عكرمة وسعيد: كمثل القوم إذا كانوا ينفرون بئراً، فيجدون في أثناء الحفر صخرة تمنعهم من تمام العمل، فيقولون: «أكذبنا»، ويتروكون العمل. وقوله: ﴿أَعْدَهُ﴾ أي: أعد هذا الذي قد أمسك يده خشية الإنفاق، وقطع معروفه ﴿عِلْوُ الْقَيْبِ﴾ أنه سينفذ ما في يده، حتى قد أمسك عن معروفه ﴿فَهُوَ بَرٌّ﴾ ذلك عياناً؟! ليس الأمر كذلك، وإنما أمسك عن الصدقة والمعروف والبر والصلة بخلاً وشحاً وعلماً. وقوله: ﴿وَابْتَرَاهِ الْإِنْسَانُ وَقَفَّ﴾ قال سعيد بن جبير والنوري: أي بلغ جميع ما أمر به. وقال ابن عباس: ﴿وَقَفَّ﴾ لله بالبالغ. وقال قناة: ﴿وَقَفَّ﴾ طاعة الله، وأدى رسالته إلى خلقه. وهذا القول هو اختيار ابن جرير، وهو يشمل الذي قبله. فقام عَدَاهُ التَّكَلُّمَ بجميع الأوامر، وترك جميع النواهي، وبلغ الرسالة على التمام والكمال، فاستحق بهذا أن يكون للناس إماماً يقتدى به.

ثم شرع تعالى يبين ما كان أوحاه في صحف إبراهيم وموسى فقال: ﴿الْأَنْزِلَ وَأَنْزِلَ وَأَنْزِلَ وَأَنْزِلَ﴾ أي: كل نفس ظلمت نفسها بكفر أو شيء من الذنوب فأنا عليها وزرها، لا يجعله عنها أحد، ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَأَى﴾ أي: كما لا يحتمل عليه وزر غيره، كذلك لا يحصل من الأجر إلا ما كسب هو لنفسه. ومن هذه الآية الكريمة استنبط الشافعي ومن أتبعه أن القراءة لا يصل إهداء ثوابها إلى الموتى؛ لأنه ليس من عملهم ولا كسبهم؛ ولهذا لم يندب إليه رسول الله ﷺ أنه ولا حثهم عليه، ولا أرشدهم إليه بنص ولا إيهام، ولم يُنقل ذلك عن أحد من الصحابة، وباب القُرْآن يقتصر فيه على النصوص، ولا يُصَرَّفُ فيه بأنواع الأقيسة والآراء، فأما الدعاء والصدقة فذاك مجتمَع على وصولها، ومنصوص من الشارع عليها. وأما ما روي عن أبي هريرة [مرفوعاً]: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث...» الحديث [رواه مسلم]؛ فهذه في الحقيقة هي من سعيه وعمله. ﴿وَأَنْ سَعَى سَوْفَ يَرَى﴾ أي: يوم القيامة، ﴿فَمَنْ يُجْزَى الْجَزَاءَ الْأَوَّلَى﴾ أي: الأوَّلُ. الآية (٤٢-٤٤): ﴿وَأَنْ لَّيْكَ زَكَاةُ الَّذِينَ﴾ أي: المعاد يوم القيامة. ﴿وَأَنْتَ هُوَ أَصْحَابُكَ وَأَبَى﴾ أي: خلق في عباده الضحك والكاء وسيبها، وهما مغلغلان، ﴿وَأَنْتَ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾؛ كقوله: ﴿الَّذِي خَلَقَ أَلَمَوتَ وَلَمْ يَمُوتْ﴾ [الملك: ٢].

الآية (٢٧-٣٠): يقول تعالى منكراً على المشركين في تسميتهم الملائكة تسمية الأنثى كما قال: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْتَأْذَنُ﴾ [الرحف: ١٩] ولهذا قال: ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾ أي: ليس لهم علم صحيح يُصدِّق ما قالوه، بل هو كذب وزور وافتراء، وكفر شنيع، ﴿إِنْ يَدْعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يَصِفِي مِنَ الْخَلْقِ شَيْئاً﴾ أي: لا يجدي شيئاً، ولا يقوم أبداً مقام الحق. ورسول الله ﷺ قال: «إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث» [متفق عليه].

﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا﴾ أي: أعرض عن الذي أعرض عن الحق وجهجه، ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ أكثر همه وتبلغ علمه الدنيا، فذاك هو غاية ما لا خير فيه. ﴿ذَلِكَ مَبْلَهٌ مِنَ الْغَايَةِ﴾ أي: طلب الدنيا والسعي لها هو غاية ما وصلوا إليه. وفي الدعاء المأثور: «اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا» [رواه الترمذي، وصححه الألباني]. ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تَصْلَوْنَ سُبُلَهُ﴾ وهو أعلم بمن اهتدى في طريقه هو الخالق لجميع المخلوقات، والعالم بمصالح عباده، وهو الذي يهدي من يشاء، ويضل من يشاء، وذلك كله عن قدرته وعلمه وحكمته، وهو العادل الذي لا يجوز أبداً.

الآية (٣١-٣٢): تجزئ تعالى أنه مالك السموات والأرض، وأنه الغني عما سواه، الحاكم في خلقه بالعدل، وخالق المخلوق بالحق، ﴿يَجْزِي الَّذِينَ آمَنُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِي الَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمَسْئَلَتِهِ﴾ أي: يجازي كل بعمله، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر. ثم فسر المحسنين بأنهم ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ﴾، أي: لا يتعاطون المحرمات والكبائر، وإن وقع منهم بعض الصغائر فإنه يغفر لهم ويسر عليهم، كما قال: ﴿إِنْ يَجْتَنِبُوا كَبِيرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ تُكْفِرْ عَنْكُمْ صَغَائِرَهُمْ وَتَدْعِلْهُمْ مَتَدَحِّلًا رِيباً﴾ [النساء: ٣١].

﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ هذا استثناء منقطع؛ لأن اللهم من صفات الذنوب ومحقرات الأعمال. عن ابن مسعود قال: زنا العينين النظر، وزنا الشفتين التقبيل، وزنا اليدين البطش، وزنا الرجلين المشي، ويصدق ذلك الفرج أو يكذب، فإن تقدم بفرجه كان زانياً، وإلا فهو اللثم. وكذا قال مسروق والشعبي. وقال أبو هريرة: ﴿اللَّهُ﴾: القبلة والغمرة والنظرة والمباشرة، فإذا مس الختان الختان فهو الزنا. وقال ابن عباس: ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾: إلا ما سلف. وكذا قال زيد بن أسلم. وقال مجاهد: الذي يُلِمُّ بالذنوب ثم يدعه. وعن ابن عباس: هو الرجل يُلِمُّ بالفاحشة ثم يتوب. وعن الحسن قال: اللهم من الزنا أو السرقة أو شرب الخمر، ثم لا يعود. وقال ابن عباس: كل شيء بين الحالتين: حد الدنيا وحد الآخرة، تُكْفَرُ الصلوات، وهو اللهم، وهو دون كل موجب، فأما حد الدنيا فكل حد فرض الله عقوبته في الدنيا، وأما حد الآخرة فكل شيء ختمه الله بالنار، وأخر عقوبته إلى الآخرة. وكذا قال عكرمة وقناة والضحاك. ﴿إِنَّ رَبَّكَ رَسِيمٌ أَلَمْفَرَّ﴾ رحمته وسعت كل شيء، ومغفرته تسع الذنوب كلها لمن تاب منها. ﴿هُوَ أَتَقَرُّ يَكُو إِذْ أَنْشَأَ رَبَّكَ الْأَرْضِ﴾ يصير بكم، عليم بأحوالكم وأفعالكم وأقوالكم التي تَصُدُّ عَنْكُمْ وَتَقَعُ مِنْكُمْ، حين أنشأ إياكم آدم من الأرض، ﴿رَبِّدْ أَنْشَأَ أَيْدِيَّ فِي بَطْنِ أُمِّهِكُمْ﴾ قد كتب الملك الذي يوكل به رزقه وأجله وعمله، وشقي أم سعيد. وقوله: ﴿فَلَا تَزْكُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ أي: تمدحوها

(١) هذا الاستعمال عند ابن كثير يومه وجود قوله، ومقولته محذوف، أو أن هناك سقطاً. وكان مراده هنا: «يذم تعالى من تولى...».

(٢) في جميع النسخ: (أطاع). وهو تصحيف، والتصويب من تفسير الطبري.

وَأَخْلَصُوا وَوَحَّدُوا. روى البخاري عن ابن عباس قال: سَجَدَ النبي ﷺ بالنجم، وسَجَدَ معه المسلمون والمشركون والجن والإنس.

### تفسير سورة القمر

وهي مكية، [وعدد آياتها (٥٥) آية].

[فضل السورة:] عن أبي واقد: كان رسول الله ﷺ يقرأ في العيد بـ ﴿ق﴾، و﴿اقْرَبِ السَّاعَةَ﴾ [رواه مسلم]. وكان يقرأ بها في المحافل الكبار، لاشتغالها على ذِكْرِ الوَعْدِ والوَعِيدِ، وبِدَةِ الْخَلْقِ وإِعَادَتِهِ، والتوحيد وإثبات النبوات، وغير ذلك من المقاصد العظيمة.

الآية (١-٥): ﴿يُخْرِجُ تَعَالَى عَنْ اقْتِرَابِ السَّاعَةِ وَفَرَاغِ الدُّنْيَا وَانْقِضَانِهَا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ أَمْرَ اللَّهِ لَا يَسْتَعِجِلُونَهُ﴾ [النحل: ١]، وقال: ﴿اقْرَبِ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ١]، وقد وَرَدَتْ الأحاديث بذلك؛ عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «بُعِثْتُ وَالسَّاعَةُ هَكَذَا» وأشار بإصبعيه: السبابة والوسطى [منفرد عليه]. وقوله: «وَأَسْنَقُ الْقَسْرَ» قد كان هذا في زمان رسول الله ﷺ، كما ثَبَتَ ذلك في الأحاديث المتواترة بالأسانيد الصحيحة. روى البخاري عن أنس: أن أهل مكة سألو رسول الله ﷺ أن يرهم آية، فَأَرَاهُمْ الْقَمَرَ شَيْئَيْنِ، حَتَّى رَأَوْا جِزَاءَ بَيْنَهُمَا.

وقوله: ﴿وَلَا يَرَوْنَ آيَةً﴾ أي: دليلاً وحجة وبرهاناً ﴿يُرْشَرُ﴾ أي: لا يتقادون له، بل يُعْرِضُونَ عنه وَيَتْرَكُونَهُ وراء ظهورهم، «يَقُولُوا سِحْرٌ مُتَسْتَفِرٌّ» أي: ويقولون: هذا الذي شاهدناه من الحجج سِحْرٌ سُحْرٌ جَاهِلٌ به. ومعنى «مُتَسْتَفِرٌّ» أي: ذاهب. قاله مجاهد وقَتَادَةُ وغيرهما، أي: باطل مُضْطَجِعٌ، لا دوام له.

﴿وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ أي: كَذَّبُوا بِالْحَقِّ إِذْ جَاءَهُمْ، وَاتَّبَعُوا مَا أَفْرَضَهُمْ بِهِ أَرَاؤُهُمْ وَأَهْوَاؤُهُمْ مِنْ جَهْلِهِمْ وَسَخَافَةِ عَقُولِهِمْ. وقوله: «وَكُلُّ أَمْرٍ مُتَسَفِّرٌ» قال قتادة: معناه: أن الخير واقع بأهل الخير، والشر واقع بأهل الشر. وقال ابن جريج: مستقر بأهله. وقال مجاهد: «وَكُلُّ أَمْرٍ مُتَسَفِّرٌ» أي: يوم القيامة. وقال السُّدِّيُّ: «مُتَسَفِّرٌ» أي: واقع.

وقوله: «وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ» أي: من الأخبار عن قَصَصِ الْأُمَمِ الْمَكْتُوبَةِ بِالرُّسُلِ، وَمَا خَلَّ بِهِمْ مِنَ الْعِقَابِ وَالنَّكَالِ وَالْعَذَابِ، مَا يُبْقَى عَلَيْهِمْ فِي هَذَا الْقَرْنِ، «فَمَا بَيَّ مُرْدَجَرٌ» أي: ما فيه واعظ لهم عن الشرك والتهادي على التكذيب.

﴿حَسْبَكُمُ بَلِيلَةٌ﴾ أي: في هدايته تعالى لمن هداه وإضلاله لمن أَضَلَّهُ «فَمَا تَنْزِيلُ النَّذْرِ» يعني: أي شيء تُغْنِي النَّذْرَ عَنْ كِتَابِ اللَّهِ عَلَيْهِ الشَّقَاوَةُ، وَخَتَمَ عَلَى قَلْبِهِ؟ فَمَنْ الَّذِي يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ؟ وهذه الآية كقولها تعالى: «وَمَا تَنْزِيلُ الْآيَاتِ وَالنَّذْرُ نَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ» [يونس: ١٠١].

الآية (٦): يقول تعالى: فَتَوَلَّى بِمُحَمَّدٍ عَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ إِذَا رَأَوْا آيَةً يَعْزُضُونَ وَيَقُولُونَ: هَذَا سِحْرٌ مُتَسَفِّرٌ؛ أَفَرَضَ عَنْهُمْ وَانْتَظَرَهُمْ «يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعُ إِلَى ثِيءٍ تُكَفِّرُ» أي: إلى شيء مُنْكَرٍ قَطِيعٍ، وَهُوَ مَوْقِفُ الْحِسَابِ، وَمَا فِيهِ مِنَ الْبَلَاءِ، بَلْ وَالزَّلَازِلِ وَالْأَهْوَالِ.

الآية (٤٥-٥٥): ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ مِنْ لُفْظَةِ إِذَا تُنْقِىَ كَقَوْلِهِ: ﴿يَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ أَيْ تَرْكُ لُفْظَةٍ مِنْ مَتْنٍ يُنْقِىَ ﴿تُرْكَانَ عِلْقَةً فَخَلَقَ سَمَوَيْنِ﴾ فَيَجْعَلُ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَن يَخْلُقَ الْوَلَدَ﴾ [القيامة: ٣٦-٤٠]. وقوله: ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى﴾ أي: كَمَا خَلَقَ الْبَدَاءَةَ هُوَ قَادِرٌ عَلَى الْإِعَادَةِ، وَهِيَ النَّشْأَةُ الْآخِرَةُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. «وَأَنَّهُ هَوَاعِثُ رَأْفَةٍ» أي: مَلَكٌ عِبَادَهُ لِلْمَالِ، وَجَعَلَهُ لَهُمْ قُنْيَةً مُقْبِيًا عَنْهُمْ، لَا يَحْتَاجُونَ إِلَى بَيْعِهِ، فَهَذَا نَامُ النِّعْمَةِ عَلَيْهِمْ. وَعَلَى هَذَا يَدُورُ كَلَامُ كَثِيرٍ مِنَ الْمَفْسِّرِينَ، مِنْهُمْ أَبُو صَالِحٍ وَابْنُ جَرِيرٍ وَغَيْرُهُمَا. وَعَنْ مُجَاهِدٍ: «أَفْعَى»: مَوَلٌ، «وَأَفْعَى»: أَخْلَصَ. وَكَذَا قَالَ قَتَادَةُ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ: «أَفْعَى»: أَفْطَى، «وَأَفْعَى»: رَضَى.

وقوله: «وَأَنَّهُ هَوَاعِثُ الْيَقِينِ» قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ، وَابْنُ زَيْدٍ وَغَيْرُهُمْ: هُوَ هَذَا النِّجْمُ الْوَقَادُ الَّذِي يُقَالُ لَهُ: «مِرْزَمُ الْجُوزَاءِ»؛ كَانَتْ طَائِفَةٌ مِنَ الْعَرَبِ يَعْبُدُونَهُ. «وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى» وَهُمْ: قَوْمُ هُودٍ. وَيُقَالُ لَهُمْ: عَادُ بْنُ إِزْمَ بْنِ سَامَ بْنِ نُوحٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلْنَا بِعَادٍ﴾ [إِذْ هَاتِ الْيَمَادُ] ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾ [الفجر: ٦-٨]، فَكَانُوا مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ أَقْوَامًا وَأَعْتَاهُمْ، فَأَهْلَكَهُمُ اللَّهُ «بِرِيحٍ مَسْرُورٍ عَالِيَةٍ» سَحَرَهَا عَلَيْهِمْ سَحَابٌ يَأْتِي وَيَنْفِيهِ أَيَّامٌ حُسُومًا [الحاقة: ٦-٧].

وقوله: «وَنُودًا قَاتِلِينَ» أي: دَعَرْتُهُمْ فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ، «وَقَرَمٌ نُوحٌ يَنْ قَبْلَ» أي: مِنْ قَبْلِ هَؤُلَاءِ، «إِنَّمَا كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَالْقَوْمُ» أي: أَشَدُّ تَعَرُّدًا مِنَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ، «وَالزَّوْجَيْنِكَ آمُونِ» يعني: مدائن لوط، قَلْبَهَا عَلَيْهِمْ فَيَجْعَلُ عَلَيْهَا سَافِلَهَا، وَأَمْطَرَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سَجِيلٍ مَنْصُودٍ؛ وَهَذَا قَالَ: «فَنَشَأَ مَا عَاشُوا» يعني: مِنَ الْحِجَارَةِ الَّتِي أُرْسِلَتْ عَلَيْهِمْ «وَأَطْرَافًا عَظِيمًا مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُتَنَذِرِينَ» [الشعراء: ١٧٣]. «فَيَأْتِي مَالَهُ رَيْكَ تَنَكَّرَ» أي: قَبِي أَيِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ تَمَرِّي؟ قَالَ قَتَادَةُ. وَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: «فَيَأْتِي مَالَهُ رَيْكَ تَنَكَّرَ» يَا مُحَمَّدُ وَالْأَوَّلُ أُولَى، وَهُوَ اخْتِيارُ ابْنِ جَرِيرٍ.

الآية (٥٦-٦٢): ﴿هَذَا نَذِيرٌ﴾ يعني: مُحَمَّدًا ﷺ، «مِنْ الْأَنْذَرِ الْأُولَى» أي: مِنْ جَنْسِهِمْ، أُزِيلَ كَمَا أُزِيلُوا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدَاعٍ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الحافات: ٩]. «أُرِفَتْ الْأَرِيفَةُ» أي: اقْتَرَبَتِ الْقَرِيبَةُ، وَهِيَ الْقِيَامَةُ «إِنْسَانٌ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَافِيَةٌ» أي: لَا يَدْفَعُهَا إِذَا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَحَدٌ، وَلَا يَطْلُعُ عَلَى عِلْمِهَا سِوَاهُ. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مُتَنَكِّرًا عَلَى الْمُشْرِكِينَ فِي اسْتِنَاعِهِمُ الْقُرْآنَ وَإِعْرَاضِهِمْ عَنْهُ وَتَكْلِيمِهِمْ: «تَعَجَّبُونَ» مِنْ أَن يَكُونَ صَحِيحًا؟ «وَتَضَعُكُونَ» مِنْهُ اسْتِهْزَاءً وَسَخَرِيَةً؟ «وَلَا تَكُونُونَ»؟ أي: كَمَا يَفْعَلُ الْمُؤَقِنُونَ بِهِ، كَمَا أَخْبَرَ عَنْهُمْ: «وَيَحْزِرُونَ لِإِلْدَاقِ الْيَكُونِ وَزَيْدُهُمْ حُسُومًا» [الإسراء: ١٠٩]. وقوله: «وَأَنْتُمْ سَيِّدُونَ»؟ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الْغَنَاءُ، هِيَ بَيَانِيَّةٌ، اسْمُذُنَا: عَنَّا لَنَا. وَكَذَا قَالَ عِكْرَمَةُ. وَفِي رِوَايَةٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: «سَيِّدُونَ»: مُعْرِضُونَ. وَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ وَعِكْرَمَةُ. وَقَالَ الْحَسَنُ: غَافِلُونَ. وَهُوَ رِوَايَةٌ عَنْ عَلِيٍّ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ. وَفِي رِوَايَةٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: تَسْتَكْبِرُونَ. وَبِهِ يَقُولُ السُّدِّيُّ. ثُمَّ قَالَ أَمْرًا لِعِبَادِهِ بِالسُّجُودِ لَهُ وَالْعِبَادَةِ الْمَاتِبَةِ لِرَسُولِهِ ﷺ وَالتَّوْحِيدِ وَالْإِخْلَاصِ: «فَاتَّخِذُوا إِلَهًا وَاعْبُدُوا» أي: فَاخْضَعُوا لَهُ



## ● الوقفات التدريبية

﴿وَمَنْ يُجِبْ يَنْبَلْ يَنْبَلْ كَأَوْثَمِ أَقْلَمٍ وَأَمَلَى﴾

ومن اعظم الأدلة على ذلك قوله تعالى: (فلتب فيه ألف سنة إلا خمسين عاما) (العنكبوت: ١٤)، لأن قوما لم يتاثروا بدعوة نبي كريم ناصح في هذا الزمن الطويل لا شك أنهم اظلم الناس واطفاهم. الطبري: ٥٧٣/٢٢.

السؤال: لماذا وصف الله قوم نوح بأنهم اشد ظلما وطغيانا؟

● ﴿وَأَنْتُمْ سَوْدُونَ﴾

السمود: الغناء ... وهذا لا يناقض ما قيل في هذه الآية من أن السمود: الغفلة والسهو عن الشيء... فالغناء يجمع هذا كله ويوجبه.

ابن القيم: ٨٥/٣-٨٦.

السؤال: ورد عن بعض السلف أن السمود: الغناء، وورد عن بعضهم أنه الغفلة واللهو، كيف تجمع بين هذه الأقوال؟

● ﴿فَأَسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾

الأمر بالسجود لله خصوصاً أيذل ذلك على فضله، وأنه سر العبادة وليها؛ فإن لبها الخشوع لله والخضوع له، والسجود هو اعظم حالة يخضع بها العبد؛ فإنه يخضع قلبه وبدنه، ويجعل أشرف أعضائه على الأرض المهينة موضع وطء الأقدام. السعدي: ٨٢٣.

السؤال: كيف تفهم من خلال هذه الآية منزلة السجود من بين العبادات؟

● ﴿أَقْرَبَ السَّاعَةِ وَأَشْنَقُ الْقَمَرِ﴾

جعلت تلك المعجزة وسيلة للتذكير باقتراب الساعة على طريقة الإدماج؛ بمناسبة أن القمر كائن من الكائنات السماوية ذات النظام المسير لنظام الجو الأرضي، فلما حدث تغير في نظامه لم يكن مألوفاً ناسب تنبيه الناس للاعتبار بإمكان اضمحلال هذا العالم، وكان فعل الماضي مستعملاً في حقيقته. ابن عاشور: ١٦٨/٢٧.

السؤال: ما المناسبة بين قوله تعالى: (أقربت الساعة) وقوله سبحانه بعده: (وانشق القمر)؟

● ﴿أَقْرَبَ السَّاعَةِ﴾

يعني تعالى ذكره بقوله: (أقربت الساعة)، دنت الساعة التي تقوم فيها القيامة، وقوله: (أقربت)، اهتمت؛ من القرب، وهذا من الله تعالى ذكره إنذار لعباده بدنو القيامة، وقرب فناء الدنيا، وأمر لهم بالاستعداد لأحوال القيامة قبل هجومها عليهم، وهم عنها في غفلة ساهون. الطبري: ٥٦٥/٢٢.

السؤال: ما الفائدة من إخبار الله تعالى عباده بقراب الساعة؟

● ﴿وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ﴾

قال القرطبي: إذا حصل اتباع الهوى فمن شؤمه يحصل التكذيب؛ لأن الله سبحانه وتعالى يلبس على قلب صاحبه حتى لا يستبصر الرش، واتباع الرضى مقرون بالتصديق؛ لأن الله تعالى ببركات الاتباع للحق يفتح عين البصيرة فيأتي بالتصديق. البقاعي: ٩٧/١٩.

السؤال: ما نعمة اتباع الهوى؟

● ﴿وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ﴾

أي يستقر بكل عامل عمله؛ فالخير مستقر بأهله في الجنة، والشر مستقر بأهله في النار. القرطبي: ٧٥/٢٠.

السؤال: ما المراد بقوله: (وكل أمر مستقر)؟

وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۚ مِن تَطْفِئَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ۚ وَأَن عَلِيهِ الشَّهَادَةُ الْأُخْرَىٰ ۚ وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ۚ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَىٰ ۚ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ ۚ وَشَمَرًا فَمَا أَبْنَىٰ ۚ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِذْهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطَىٰ ۚ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ۚ فَغَشَّيْنَاهَا مَا غَشَّىٰ ۚ فِئَايَءَ الْآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ۚ هَذَا الَّذِي بَرَأَ الْإِنسَانَ ۚ أَزِفَتِ الْآزِفَةُ ۚ لَيْسَ لَهَا مِثْلٌ دُونَ اللَّهِ كَاشِفُهَا ۚ أَفَمِنَ هَذَا الْحَدِيثِ فَعَجَبُونَ ۚ وَتَضَعُ حُكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ۚ وَأَنْتُمْ سَلْمُودُونَ ۚ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ۚ

سورة

باب

سورة التخيير

سورة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْرَبَ السَّاعَةِ وَأَشْنَقُ الْقَمَرِ ۚ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيُقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمَرٌّ ۚ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ ۚ وَلَقَدْ جَاءَ هَرَمِينَ الْأَنْبِيَاءُ مَا فِيهِ مَرْدَجٌ ۚ حِكْمَةً بَلِغَةً فَمَاتَنَ الذُّرُّ ۚ فَقَوْلَ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعُ إِلَىٰ شَيْءٍ نُكْرٍ ۚ

٥٨

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
أَغْنَى وَأَقْنَى	مَلِكُهُمُ الْأَمْوَالُ، وَأَرْضَاهُمْ بِمَا أَعْطَاهُمْ.
الشَّعْرَى	نَجْمٌ مُّضِيءٌ كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَعْبُدُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ.
وَالْمُؤْتَفِكَةَ	مَدَائِنَ قَوْمِ لُؤْلُؤٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّ اللَّهَ قَلَبَهَا عَلَىٰ أَهْلِهَا.
أَهْوَى	أَسْقَطَهَا إِلَى الْأَرْضِ بَعْدَ رَفْعِهَا.
فَغَشَّاهَا	فَالْبَسَهَا مِنَ الْحِجَابَةِ.
تَتَمَارَى	تَتَشَكَّكُ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ الْمُكَذِّبُ.

## ● العمل بالآيات

- انصت بشوق لآيات تنلى، ﴿أَنْ هَذَا الَّذِي بَرَأَ النَّجْمُونَ﴾ ﴿٨﴾ وَتَضَعُ حُكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٩﴾.
- اسجد سجود التلاوة عند قراءة تلك الآية سورة النجم، ﴿فَأَسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾.
- حدث بعض من تعرف عن قصة انشقاق القمر، ﴿أَقْرَبَ السَّاعَةِ وَأَشْنَقُ الْقَمَرِ﴾.

## ● التوجيهات

- تذكر ضعفك يا ابن آدم فانت محتاج إلى غيرك، ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾.
- الإيمان بقراب الساعة يورث عند صاحبه العمل الصالح، ﴿أَقْرَبَ السَّاعَةِ وَأَشْنَقُ الْقَمَرِ﴾.
- اتباع الهوى يحمل الإنسان على الكذب، ﴿وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿ حُشْعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ ﴾

الخشوع في البصر: الخضوع والذلّة، واضاف الخشوع إلى الأبصار لأن أثر العز والذل يتبين في ناظر الإنسان؛ قال الله تعالى: (أبصارها خاشعة) [النازعات: ٩]، وقال تعالى: (خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي) [الشورى: ٤٥]. القرطبي: ٧٨/٢.

السؤال: لماذا اضاف الخشوع إلى الأبصار؟

﴿ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمَ عَرٍ ﴾

مفهوم ذلك أنه يسير سهل على المؤمنين. السعدي: ٨٢٥.

السؤال: ماذا نقصد من الإخبار بأن ذلك اليوم عسير على الكافرين؟

﴿ فَعَدَا رَبُّهُ أَيُّ مَقْلُوبٍ فَأَنصَبَ ﴾

أي: إنني ضعيف عن هؤلاء وعن مقاومتهم، فانتصر انت لديك. ابن كثير: ٢٦٥/٤.

السؤال: في هذه الآية إشارة لأهمية الدعاء في الدعوة إلى الله تعالى. وضح ذلك.

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّذَكِّرٍ ﴾

قال القرطبي: يسر قراءته على السنة قوم، وعلمه على قلوب قوم، وفهمه على قلوب قوم، وحفظه على قلوب قوم، وكلهم أهل القرآن، وكلهم أهل الله وخاصته. البقاعي: ١٩/١٠٨.

السؤال: بين أوجه التيسير في القرآن الكريم.

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّذَكِّرٍ ﴾

أي يسرناه للحفظ، وهذا معلوم بالمشاهدة؛ فإنه يحفظه الأطفال الأصاغر وغيرهم حفظاً بالغاً، بخلاف غيره من الكتب، وقد روي أنه لم يُحفظ شيء من كتب الله عن ظهر قلب إلا القرآن. وقيل: معنى الآية: سهلناه للفهم والاتعاظ به لما تضمن من البراهين والحكم البليغة. ابن جزي: ٣٨٩/٢.

السؤال: كيف يسر الله عز وجل القرآن للذكر؟

﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَدَابِي وَنَذِيرٍ ﴾

وإنما كرر هذه الآية البليغة وقوله: (هذوقوا عذابي ونذر) لينبه السامع عند كل قصة، فيعتبر بها؛ إذ كل قصة من القصص التي ذكرت عبرة وموعظة، فختتم كل واحدة بما يوقظ السامع من الوعيد. ابن جزي: ٣٨٩/٢.

السؤال: لم كرر الله قوله تعالى: (فكيف كان عذابي ونذر) بعد كل قصة؟

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّذَكِّرٍ ﴾

أيسر شيء بحمد الله تعالى على النفوس تحصيله وحفظه وفهمه هو كتاب الله الذي يسره للذكر ... وإنما الذي هو في غاية الصعوبة والمشقة مقدرات الأذهان، وأغلوطن المسائل، والفروع والأصول التي ما أنزل الله بها من سلطان. ابن القيم: ٨٧/٣.

السؤال: ما أيسر مصدر للعلم والعمل؟

حُشْعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ ﴿١٠﴾ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْذُوبٌ زَائِدٌ ﴿١٢﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْصِرْ ﴿١٣﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّثَمَرٍ ﴿١٤﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٥﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٦﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كَفِرٌ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهُ آيَةً فَهَلْ مِن مُّذَكِّرٍ ﴿١٨﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَدَابِي وَنَذِيرٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّذَكِّرٍ ﴿٢٠﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَدَابِي وَنَذِيرٍ ﴿٢١﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿٢٢﴾ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَاقُ نَخْلٍ مُّنْقَعِرٍ ﴿٢٣﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَدَابِي وَنَذِيرٍ ﴿٢٤﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّذَكِّرٍ ﴿٢٥﴾ فَقَالُوا أَسْمَارًا مِّثْلَ وَحْدِ الْبَنَةِ إِنَّا إِذَا لَقِيَ صَلَاحٌ وَمُشْعِرٌ ﴿٢٦﴾ أَهْلَقِيَ الذِّكْرَ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ ﴿٢٧﴾ سَيَعْلَمُونَ عَدَابَ مَنِ الْكَذَّابِ الْأَشِرِّ ﴿٢٨﴾ إِنَّا مُرْسِلُوا النَّافَةِ فَتَنَةً لَهُمْ فَارْتَفِبْهُمْ وَأَصْطَبِرْ ﴿٢٩﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
حُشْعًا	ذليلاً من شدة الهول.
الأجداث	القبور.
مهطعين	مُسرعين.
وازجر	زجر، ونهر عن تبليغ الدعوة.
مُثَمَرٍ	مُتَدَفِّقٍ.
قُدِرَ	قُدِرَ الله في الأزل، وهو إهلاككم بالطوفان.
على ذات ألواح ودُسُرٍ	سفينتين ذات ألواح، ومسامير شدت بها.
مُذَكِّرٍ	مُعْتَبِرٍ، وَمُتَعَذِّدٍ.
يَوْمِ نَحْسٍ	يَوْمِ شُومٍ.

## ● العمل بالآيات

- ادع الله أن يفرج كربتك، ﴿ فَعَدَا رَبُّهُ أَيُّ مَقْلُوبٍ فَأَنصَبَ ﴾.
- حدد آية أو آيات وتأمل ما فيها من عظات ومن مقاصد، ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّذَكِّرٍ ﴾.
- قل: اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك، ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَدَابِي وَنَذِيرٍ ﴾.

## ● التوجيهات

- عناية الله ورعايته لنوح عليه السلام، ﴿ فَعَدَا رَبُّهُ أَيُّ مَقْلُوبٍ فَأَنصَبَ ﴾.
- نزول عقوبة الله تعالى بمن عصا وتجب، ﴿ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهُ آيَةً فَهَلْ مِن مُّذَكِّرٍ ﴾.
- من سنن الله تعالى ابتلاء الأنبياء وأتباعهم، ﴿ فَقَالُوا أَسْمَارًا مِّثْلَ وَحْدِ الْبَنَةِ إِنَّا إِذَا لَقِيَ صَلَاحٌ وَمُشْعِرٌ ﴾.

وَأَخَذْتُ هُم بِالْأُتْرَاقِ.

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ أي: سهّلنا لفظه، ويسّرنا معناه لمن أراد، ليتذكّر الناس؛ كما قال: ﴿كَتَبَ أَنْزَلَهُ إِلَيْكَ مُبْدِكَ لِيَذَّبُوا عَابَتِهِ وَيَتَذَكَّرُوا أَوَّلًا الْآلِثِي﴾ [ص: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿فَالِئِمَّا يَسِرَّنَّهٗ يَلِيسَا لَكَ لِيُخَيِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُذِيرَ بِهِ قَوْمًا لَدُنَّا﴾ [مریم: ٩٧]. قال مجاهد: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ يعني: هوّنّا قراءته. وقال السّديّ: يَسَّرْنَا تلاوته على اللّسن. وقال ابن عباس: لولا أن الله يَسَّرَه على لسان الادميين، ما استطاع أحد من الخلق أن يتكلّم بكلام الله ﷻ. قلت: ومن ييسره تعالى على الناس تلاوة القرآن ما تقدم<sup>(١)</sup> عن النبي ﷺ أنه قال: «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف» [متفق عليه]. وقوله: ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ أي: فهل من مُتَذَكِّرٍ بهذا القرآن الذي قد يَسَّرَ الله حفظه ومعناه؟! وقال محمد بن كعب القرظي: فهل من مُتَذَكِّرٍ عن المعاصي؟! وعن مطر الوراق في قوله تعالى: ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾: هل من طالب علم يَتِمَّان عليه؟! وروي عن قتادة مثله.

الآية (١٨-٢٢): يقول تعالى مخبراً عن عاد قوم هود: إنهم كذبوا رسولهم أيضاً، كما صنع قوم نوح، وأنه تعالى أرسل ﴿عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرَصَرًا﴾ وهي الباردة الشديدة البرد، ﴿فِي يَوْمٍ غَيْرٍ﴾ أي: عليهم. قاله الضحّاك وقاتدة والسّديّ. ﴿مُسْتَسْمِرًا﴾ عليهم نَحْسُهُ ودماره؛ لأنه يوم أَفْصَلَ فيه عذابهم الدنيوي بالأخروي.

وقوله: ﴿نَزَجَ أَسَافًا فَأَنَّهُمْ أَصَابُهَا نَحْلٌ شَقِيرٌ﴾ وذلك أن الريح كانت تأتي أحدهم فترغمه حتى تُغَيِّبَهُ عن الأبصار، ثم تُنَكِّسُهُ على أُمِّ رَأْسِهِ، فيسقط إلى الأرض، فتتلخّ رأسه فيبقى جُثَّةً بلا رأس؛ ولهذا قال: ﴿فَأَنَّهُمْ أَصَابُهَا نَحْلٌ شَقِيرٌ﴾ ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾.

الآية (٢٣-٢٧): وهذا إخبار عن ثمود أنهم كذبوا رسولهم صالحاً ﴿فَقَالُوا أَأَتَيْنَا بَشَرًا مِثْلَ نَبِيِّنَا إِذَا لَفِئَتٌ مِّنْ سُلَيْمٍ رَّسْمُهُ﴾ يقولون: لقد جئنا وخبرنا إن سلّمنا كلّنا قيادنا لواحد مثلاً ثم تعجّبوا من إلقاء الوحي عليه خاصّة من دونهم، ثم رمّوه بالكذب فقالوا: ﴿بَلْ هُوَ كَذَابٌ أَوَّيَّرَ﴾ أي: مُتَجَاوِزٌ في حدّ الكذب. ﴿سَمِعَ لَوْ عَدَا مِّنْ آلِكَذَّابِ الْأَوَّيَّرِ﴾ وهذا تهديد لهم شديد ووعيد أكيد. ثم قال: ﴿إِنَّا مُرْسِلُونَ أُنَاقَةَ يَنْتَنُ لَهَا نَمٌّ﴾ أي: اختبأوا لهم؛ أخرج الله لهم ناقة عظيمة عُشْرَاء من صخرة صماء طَبَقَ ما سألوها، لتكون حجة الله عليهم في تصديق صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ فيها جاءهم به.

ثم قال تعالى أمراً لبعده ورسوله صالح: ﴿فَارْتَبِعْهُمْ وَأَسْطِرْ﴾ أي: انتظر ما يؤوّل إليه أمرهم، واصبر عليهم؛ فإن العاقبة لك والنصر لك في الدنيا والآخرة.

(١) في مقدمة تفسيره، فليرجع إليه من شاء.

الآية (٧-٨): ﴿خُشَعًا أَبْصَرُهُمْ﴾ أي: ذليلة أبصارهم ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَنْبِثَاتِ﴾ وهي: القبور ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّذِيرٌ﴾ أي: كأنهم في انتشارهم وسرعة سيرهم إلى موقف الحساب إجابة للداعي ﴿جَرَادٌ مُّذِيرٌ﴾ في الآفاق؛ ولهذا قال: ﴿مُهْطِعِينَ﴾ أي: مُسرّعين ﴿إِلَى الدَّاعِ﴾ لا يُخَالِفُونَ ولا يَتَأَخَّرُونَ.

﴿يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَرِيرٌ﴾ أي: يوم شديد الهول عُبُوس قَمَطِير ﴿فَذَلِكَ يَوْمٌ يَوْمٌ عَرِيرٌ﴾ ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ عَرِيرٌ﴾ [الذّٰر: ٩-١٠]. الآية (٩-١٧): يقول تعالى: ﴿كَذَّبْتَ﴾ قبل قومك يا محمد ﴿قَوْمٌ مُّجْرِمٌ كَذَّبُوا عِبَادَنَا﴾ أي: صرّحوا له بالكذب واتّهموه بالجنون، وقالوا ﴿جَنُونَ وَآذِنُجِرْ﴾ قال مجاهد: ﴿وَآذِنُجِرْ﴾ أي: اسْتَطِيرَ جُنُونًا. وقيل: أي: انتهموه ورجّزوه وأوعدهوه: ﴿لَئِنْ لَرْتَنَّهُ يَنْفُخَ لَنُكَفِّرَنَّ مِنَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الشعراء: ١١٦]. قاله ابن زيد، وهذا مُؤَيِّدٌ حَسَنٌ.

﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَلْفُوفٌ فَافْتَحِرْ﴾ أي: إني ضعيف عن هؤلاء وعن مقاومتهم ﴿فَانْتَحِرْ﴾ أنت لدينك.

قال الله تعالى: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَا تُمْثَرُونَ﴾ قال السّديّ: هو الكثير ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا﴾ أي: بَعَثَ جميع أرجاء الأرض، حتى التناير التي هي محال النيران تَبَعَتْ عيوناً ﴿فَاتَلَقَّى آدَمُ﴾ أي: من السماء والأرض ﴿عَلَى أَمْرٍ قَدِيرٍ﴾ أي: أمر مُقَدَّر. قال ابن عباس: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَا تُمْثَرُونَ﴾ كثير، لم تُطَيَّر السماء قبل ذلك اليوم ولا بعده، إلا من السحاب؛ فَبَحَثَ أبواب السماء بالماء من غير سحاب ذلك اليوم، فالتقى الماءان ﴿عَلَى أَمْرٍ قَدِيرٍ﴾. ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾ قال ابن عباس وسعيد بن جبير والقرظي وقاتدة وابن زيد: هي المسامير، واختاره ابن جرير، قال: وواحدها دُسر، ويُقال: دُسير، وقال مجاهد: الدُّسر: أضلاع السفينة. وقال عكرمة والحسن: هو صَدْرُها الذي يُضْرَب به الموج. وقال الضحّاك: الدُّسر: طَرَفُها وأصلها. وقال العوفي، عن ابن عباس: هو كَلْكُلُها. وقوله: ﴿يَخْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ أي: بأمرنا بمرأى مِنَّا وتحت حفظنا وكلاءتنا ﴿جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرًا﴾ أي: جزاء لهم على كُفْرهم بالله وانتصاراً لنوح عَلَيْهِ السَّلَام. وقوله: ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهُ آيَةً﴾ قال قتادة: أَبَقِيَ الله سفينة نوح حتى أَدْرَكَهَا أَوَّلُ هذه الأمة. والظاهر أن المراد من ذلك جنس السفن؛ كقوله تعالى: ﴿وَأَيُّ لَمَمٍ أَنَا حَلَمًا ذُرِّيَّتُهُمْ فِي أَلْفَالِكِ الْمَشْحُونِ﴾ ﴿وَسَلَقْنَاكُمْ مِنْ غُلَامٍ مَّأْرُكِيُونٍ﴾ [يس: ٤١-٤٢]، وقال: ﴿إِنَّا لَنَاطِقَاتُ الْمَاءِ حَمَلُوكُمْ فِي الْوَابِيَةِ﴾ ﴿لَنُتَلَقَّاهَا لَكِنْ نَذَرْنَا وَعِيبَهَا أَذْنٌ رَّيِيَّةٌ﴾ [الحاقة: ١١-١٢]؛

ولهذا قال ههنا: ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ أي: فهل من يَتَذَكَّرُ وَيَتَعِظُ؟!

عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قرأت على النبي ﷺ: ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ فقال النبي ﷺ: ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [رواه البخاري].

وقوله: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ أي: كيف كان عذابي لمن كَفَرَ بي وكَذَّبَ رُسلي ولم يَتَعِظْ بما جاء به نُذْري، وكيف انتصرت لهم،



الآية (٢٨-٣٢): ﴿وَيَذَرْنَهُمْ إِنْ اللَّهَ فِئْتَةً يَبْتَهِمْ﴾ أي: يوم لهم ويوم للناقة؛ كقوله: ﴿قَالَ هَذِهِ نَاقَةُ لَهَا شَرْبٌ وَلَكُزْ شَرْبٌ يَوْمَ تَمْلُؤُكُمْ﴾ [الشعراء: ١٥٥]. وقوله: ﴿كُلُّ شَرْبٍ تَحْضَرُ﴾ قال مجاهد: إذا غابت حضروا الماء، وإذا جاءت حضروا اللبن.

ثم قال تعالى: ﴿فَادَاوَسَاحِمٌ مَقَامًا يَصْفَرُ﴾ قال المفسرون: هو عاقر الناقة، واسمه قدار بن سالف، وكان أشقى قومه، ﴿فَقَامَ فِي أَيِّ جَسَرٍ مَقَرٍّ﴾ (٩) كيف كان عذاب ونذر. أي: فعاقبتهم، كيف كان عقابي لهم على كفرهم بي وتكذيبهم رسولي؟ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا أَصَحَّحْتُمْ وَجَدْتُمْ فَكَاوًا كَهَيْبَةِ الْمُخْطَرِ﴾ أي: فبادوا عن آخرهم لم يَبْقَ منهم باقية، وتحذوا وهتدوا كما يَهْتَدِي بَيْسُ الزرع والنبات. قاله غير واحد من المفسرين. والمُخْطَرُ: قال السُّدِّيُّ: هو المَرْغَى بالصحرَاء حين يَبْسُ ويحترق وتُسْفِيهِ الرِّيح. وقال ابن زيد: كانت العرب يعملون حِطًّا على الإبل والمواشي من بَيْسِ الشُّوك، فهو المراد من قوله: ﴿كَهَيْبَةِ الْمُخْطَرِ﴾.

الآية (٣٣-٤٠): يقول تعالى مُخْبِرًا عن قوم لوط كيف كذبوا رسولهم وخالفوه، وارتكبوا المكروه من إتيان الذكور، وهي الفاحشة التي لم يسبقهم بها أحد من العالمين؛ ولهذا أهلكهم الله هلاكًا لم يهلك أمة من الأمم؛ فإنه تعالى أمر جبريل عليه السلام فحمل مداتهم حتى وصل بها إلى عَنَانِ السماء، ثم قلبها عليهم وأرسلها، وأُبْعِثَ بحجارة من سجيل منضودة؛ ولهذا قال ههنا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا أَصَحَّحْتُمْ وَجَدْتُمْ فَكَاوًا﴾ (١٠) لوط يَحْيِيهِمْ بِسَحْرِ. أي: خَرَجُوا من آخر الليل فَنَجَّوْا نَمًا أَصَابَ قَوْمَهُمْ، ولم يُؤْمِنْ بلوط من قومه أحد ولا رجل واحد حتى ولا امرأته، أصابها ما أصاب قومها، وخرَجَ نبي الله لوط وبناته له من بين أظهرهم ساليما لم يَمْسَسْهُ سُوءٌ؛ ولهذا قال: ﴿كَذَلِكَ جَزَىٰ مَنْ شَكَرَ﴾ (١١) وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا. أي: ولقد كان قبل حلول العذاب بهم قد أَنْذَرَهُمْ بِأَسْ اللَّهِ وعذابه، فما التفتوا إلى ذلك، ولا أَصْغَوْا إليه، بل شَكُّوا فيه وغاروا به.

﴿وَلَقَدْ رَوَدُوهُ عَنْ حَيْفِهِ﴾. وذلك ليلة ورد عليه الملائكة: جبريل وميكائيل وإسرافيل في صورة شباب مُرَدِّ حَسَنٍ مِخْتَنٍ من الله بهم، فأضافهم لوط عليه السلام، وَبَعَثَ امرأته العجوز السَّوْءَ إلى قومها فأعلمتهم بأضياف لوط، فأقبلوا يَهْرَعُونَ إليه من كل مكان، فأغلق لوط دونهم الباب، فنجعلوا يَجْأَلُونَ كسر الباب وذلك عشيَّة، ولوط عليه السلام يُدْفِعُهُمْ وَيُتَمِّمُهُمْ دون أضيافه، ويقول لهم: ﴿هَذُلَا بَنَاتِي﴾ يعني: نساءهم ﴿إِنْ كُنْتُمْ فَعِلَايَ﴾ [الحجر: ٧١] ﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾ أي: ليس لنا فيهن أرب، ﴿وَلَيْكَ لَعْنَتُنَا مَارِدٌ﴾ [هود: ٧٩] فَلَمَّا اشْتَدَّ الحال وأبوا إلا الدخول؛ خَرَجَ عليهم جبريل عليه السلام فَضَرَبَ أعينهم بِطَرَفِ جناحه، فانطسَّت أعينهم. يُقَالُ: إِنَّمَا غَارَتْ مِنْ وَجْهِهِمْ. وقيل: إنه لم يَبْقَ لهم عيون بالكلية، فَجَعَلُوا على أدبارهم يَتَحَسَّسُونَ بالحيطان، وَيَتَوَعَّدُونَ لوطًا عليه السلام إلى الصباح. قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقَرٌّ﴾ أي: لا يَحِيدُ لهم عنه، ولا انفكاك لهم منه، ﴿فَهُوَ قَدْ عَذَابٌ يُذَمَّرُ﴾ (١٢) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلَّذِينَ هُمْ عَنْهُ مُتَذَكِّرٌ.

الآية (٤١-٤٦): يقول تعالى مُخْبِرًا عن فرعون وقومه: إنهم جاءهم رسول الله موسى وأخوه هارون بالبشارة إن آمنوا، والنذارة إن كفروا،

وَأَذِنَّا بِمَعْجَزَاتٍ عَظِيمَةٍ وَأَيَّاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ، فَكَذَّبُوا بِهَا كُلَّهَا، فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ ﴿أَخَذَ عَزِيزٌ مُقْتَدِرٌ﴾، أي: فأبادهم الله ولم يُبقَ منهم مُخْبِرًا ولا عِيَنًا ولا أثرًا. ثم قال: ﴿أَكْفَارُكَ﴾ أي: أيها المشركون من كفار قريش ﴿يَعْرِينَ أُولَئِكَ﴾ يعني: من الذين تقدّم ذكرهم عن أهلِكَوا بسبب تكذيبهم الرُّسُلَ، وكُفِّرَهُمُ بالكتب: أَلَتُمْ خَيْرَ أُمِّ أَوْلَادِكُمْ؟ ﴿أَلَمْ تَكُنْ بِرَأْفَةٍ فِي الْأَنْزِلِ﴾ أي: أَمْ تَمَكَّمُ مِنْ الله بَرَاءَةً إِلَى أَيْلَاكُم عَذَابَ وَلَا نِكَالَ؟ ثم قال تعالى مُخْبِرًا عنهم: ﴿أَمْ يَقُولُونَ غُرٌّ جَبَّحٌ مُنْصَرٌّ﴾ أي: يعتقدون أنهم مناصرون بعضهم بعضًا، وأن جميعهم يُغْنِي عنهم من أُرَادَهُمْ بِسُوءٍ، قال الله تعالى: ﴿سَيَبْرَزُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الْأَذْبَرَ﴾ أي: سيفترق شملهم ويُغْلَبُونَ. عن ابن عباس: أن النبي ﷺ قال -وهو في قبّه له يوم بدر-: «أَنْشُدْكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ، اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ لَمْ تُعِدْ بَعْدَ الْيَوْمِ فِي الْأَرْضِ أَبَدًا». فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ يديه، وقال: حَسْبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَلْحَضَتْ عَلَى رِيكِ. فَخَرَجَ وَهُوَ يَتَبُّ فِي الدَّنْعِ وهو يقول: ﴿سَيَبْرَزُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الْأَذْبَرَ﴾ (١٣) بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذَى وَأَمْرٌ ﴿[رواه البخاري].

الآية (٤٧-٤٩): يُخْبِرُ تعالى عن ﴿الْمُجْرِمِينَ﴾ أنهم ﴿فِي ضَلَالٍ عَنِ الْحَقِّ﴾ (١٤) ﴿وَسُحْرٍ﴾ نَمَّا هم فيه من الشكوك والاضطراب في الآراء (١٥)، وهذا يُشْمَلُ كُلُّ مَنْ أَصَفَ بِذَلِكَ من كافر ومتبذع من سائر الفرق. ثم قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِِهِمْ﴾ أي: كما كانوا في سُحْرٍ وَشَكٍّ وَتَرَدُّدٍ أَوْرَثَهُمْ ذلك النار، وكما كانوا ضَلَالًا، يُسْحَبُونَ فيها على وجوههم، لا يَذَرُونَ أَبْنَ يَذْهَبُونَ، وَيُقَالُ لهم تَقْرِيمًا وَتَوْبِيخًا: ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾.

وقوله: ﴿يَا أَكُلُ شَيْءٍ خَلَقْتَهُ يَدْرِي﴾ كقوله: ﴿وَعَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدْرٌ﴾ [نفاثات: ٢٠] وكقوله: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ (١٦) الَّذِي خَلَقَ سُبْحَانَ (١٧) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى [الأعلى: ١-٣] أي: قَدَّرَ قَدْرًا، وَهَدَى الْخَلَائِقَ إِلَيْهِ؛ ولهذا يَسْتَدِلُّ بهذه الآية الكريمة أئمة السنة على إثبات قدر الله السابق لِخَلْقِهِ، وهو عِلْمُهُ الْأَشْيَاءَ قَبْلَ كَوْنِهَا وَكِتَابَتِهَا قَبْلَ بَرْئِهَا، وَرَدُّوا بهذه الآية وبها شاكِلَهُم من الآيات، وما وَرَدَ في معناها من الأحاديث الثابتات على الْفِرْقَةِ الْقَدَرِيَّةِ الَّذِينَ تَبَنَوْا (١٨) في أواخر عصر الصحابة. [سبب النزول]: عن أبي هُرَيْرَةَ قال: جاء مُشْرِكُو قريش إلى النبي ﷺ يُخَاصِمُونَهُ فِي الْقَدَرِ، فَزَلَّتْ: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ (١٩) يَا أَكُلُ شَيْءٍ خَلَقْتَهُ يَدْرِي ﴿[رواه مسلم].

وفي الحديث الصحيح: «استعن بالله ولا تعجز، فإن أصابك أمر فقل: قدر الله وما شاء فعل، ولا تقل: لو أني فعلت لكان كذا، فإن لو تفتح عمل الشيطان» [رواه مسلم]، وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة».

(١) على هذا التفسير تكون (سُحْرٌ) بمعنى جنون؛ وهو من معانيها كما في المعاجم. وفسرهما السعدي بالنار المستعرة الملقدة؛ أي هم ضلّال في الدنيا وفي النار المستعرة يوم القيامة. ويشهد لذلك قوله تعالى بعدها: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِِهِمْ﴾ (٢) أي: خرجوا وظهروا. [ينظر القاموس المحيط، مادة (نبح)].



## ● الوقفات التدريبية

❶ ﴿ فَأَدَا صَاحِبُهُمْ مَقْعَرُ ﴾

وعبر عنه بصاحبهم للإشارة إلى أنهم راضون بفعله؛ إذ هم مصاحبون له ومماليئون. ابن عاشور: ٢٧/٢٠١.

السؤال: كانت ثمود مقررة لعاهر الناقة على فعله، ما الدليل على ذلك؟

❷ ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ نَسْرًا ۚ ثُمَّ يَوْمَ عَنْدَانَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ۚ وَلَقَدْ أَتَدْرَكُهُمْ بَطْشَتَانَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ۚ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ صَافِيَةٍ فَلَمَّسَهَا أَعْيَنَهُمْ فذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِي ۚ وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقَرٌّ ۚ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِي ۚ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ۚ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ۚ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا خَبِيرِينَ ۚ وَلَوْ كُنْهُمْ أَمْرًا لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ۚ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ ۚ سَيَوْمَ نَجْمَعُ الْوَبُؤَانَ الذُّبُرِ ۚ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذَى وَأَمْرٌ ۚ إِنَّ الْمَاجِرِينَ فِي صَلَافٍ وَسُعْرٍ ۚ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ۚ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ۚ

قال القرطبي: والشكر على نعم الدفع أتم من الشكر على نعم النفع، ولا يعرف ذلك إلا كل موفق كيس. البقاعي: ١٩/١٢٥.

السؤال: ما أنواع النعم؟ وأيها أكثر استحقاقاً للشكر؟

❸ ﴿ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَانَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ﴾

(بطشتنا) أي: أخذتنا لهم المرونّة بشدة ما لنا من العظمت، ووجد إشارة إلى أنه لا يستهان بشيء من عذابه سبحانه، بل الأخذة الواحدة كافية لما لنا من العظمت، فهي غير محتاجة إلى التثنية. البقاعي: ١٩/١٢٥.

السؤال: لماذا وحده (بطشتنا)؟

❹ ﴿ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِي ﴾

خُصُوا بالأمر بالدوق لما في فاحشتهم الخبيثة ما يستلذونه. البقاعي: ١٩/١١٣.

السؤال: لماذا خصت قصّة قوم لوط بالتعقيب بقوله تعالى: (فذوقوا عذابي ونذر)؟

❺ ﴿ إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي صَلَافٍ وَسُعْرٍ ﴾

(إن المجرمين) أي: الذين أكثروا من فعل الجرائم؛ وهي الذنوب العظيمة من الشرك وغيره، من المعاصي. (في ضلال وسعر) أي: هم ضالون في الدنيا؛ ضلال عن العلم، وضلال عن العمل، الذي ينجيهم من العذاب. ويوم القيامة في العذاب الأليم. السعدي: ٨٧٧.

السؤال: بين صورتين من صور ضلال المجرمين في الدنيا.

❻ ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ﴾

التي هي أشرف ما بهم من الأعضاء، وألمها أشد من ألم غيرها؛ فيها نون بذلك ويخزون. السعدي: ٨٧٨.

السؤال: في عقوبة الله للمجرمين بهذه الطريقة ألم جسدي وألم نفسي، بين ذلك من خلال فهمك للآية.

❼ ﴿ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَجِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴾

(وما أمرنا إلا واحدة) أي: إلا مرة واحدة. (كلمح بالبر) أي: قضائي في خلقي أسرع من لمح البصر. واللمح النظر بالعجلة. البغوي: ٢٠/١٠٧.

السؤال: من خلال قراءتك لهذه السورة مثل لسرعة قضاء الله في الأمم المكذبة بمثال.

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَاءِ الْمَمْنَةِ بَدِيَ كُلُّ شَرِبٍ مُخْتَصَرٍ ۚ فَادَّارَ صَاحِبُهُمْ مَقْعَرُ ۚ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ ۚ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِي ۚ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَبِيحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُخْتَطِرِ ۚ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ۚ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ ۚ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ نَسْرًا ۚ ثُمَّ يَوْمَ عَنْدَانَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ۚ وَلَقَدْ أَتَدْرَكُهُمْ بَطْشَتَانَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ۚ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ صَافِيَةٍ فَلَمَّسَهَا أَعْيَنَهُمْ فذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِي ۚ وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقَرٌّ ۚ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِي ۚ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ۚ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ۚ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا خَبِيرِينَ ۚ وَلَوْ كُنْهُمْ أَمْرًا لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ۚ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ ۚ سَيَوْمَ نَجْمَعُ الْوَبُؤَانَ الذُّبُرِ ۚ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذَى وَأَمْرٌ ۚ إِنَّ الْمَاجِرِينَ فِي صَلَافٍ وَسُعْرٍ ۚ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ۚ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ۚ

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
شَرِبَ	نَصِيبٌ مِنَ الْمَاءِ
فَتَعَاطَى	تَنَاولَ النَّاقَةَ بِيَدِهِ.
فَعَقَرَ	نَحَرَ.
كَهَشِيمِ الْمُخْتَطِرِ	كَالزَّرْعِ الْيَابِسِ الَّذِي دَاسَتْهُ الْبَهَائِمُ فَتَهَشَّمَتْ.
حَاصِبًا	جَجَازَةً.
فَتَمَارَوْا	شَكَّوْا، وَكَذَّبُوا.
أَذَى وَأَمْرٌ	أَعْظَمُ وَأَشَدُّ مَرَارَةً مِمَّا لَحِقَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ فِي بَدَنِ.
وَسُعْرٍ	عَذَابٍ.

## ● العمل بالآيات

١. اشكر الله على نعمه عليك بلسانك، واشكره بعملك بالتقرب إليه بطاعة من الطاعات، ﴿يَمَنَّهُ يَنْ عَيْنِدَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ﴾.
٢. استخرج هاديتين من خلال قراءتك للآيات في هذه الصفحة، ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾.
٣. حدث شخصاً عن أهوال جهنم، أو اكتب مقالاً عن ذلك، ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾.

## ● التوجيهات

١. الحذر من نزول عقوبة الله تعالى بمن كذب وعصى، ﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَانَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ﴾.
٢. كن واقعياً بوعد الله ونصره، ﴿سَيَوْمَ نَجْمَعُ الْوَبُؤَانَ الذُّبُرِ﴾.
٣. الإيمان بالقضاء والقدر، ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾.



## ● الوقفات التدريبية

﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾

(ولقد أهلكنا أشياءكم)؛ من الأمم السابقين الذين عملوا كما عملتم، وكذبوا كما كذبتُم. (فهل من مُدَكِّرٍ أي: متذكر يعلم أن سنته الله في الأولين والآخرين واحدة، وإن حكمته كما اقتضت إهلاك أولئك الأشرار؛ فإن هؤلاء مثلهم، ولا فرق بين الفريقين. السعدي: ٨٢٨.

السؤال: لماذا قص الله علينا قصص هلاك الأمم السابقة؟

﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقِي عِنْدَ مَلِيكٍ مُنْقَلِبٍ ﴾

(مقتدر أي: شامل القدرة بالفها إلى حد لا يمكن إدراكه لغيره سبحانه كما تقدم قريباً؛ فهو يوصلهم إلى كل خير ويدفع عنهم كل ضير... ولهذا الاسم الشريف سر في الانتصار على الطالمين. البقاعي: ١٣٧/١٩.

السؤال: ما دلالة وصف الله تعالى بالمقتدر؟

﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقِي عِنْدَ مَلِيكٍ مُنْقَلِبٍ ﴾

قال الصادق: مدح الله المكان الصدق فلا يقعد فيه إلا أهل الصدق. القرطبي: ١٠٩/٢٠.

السؤال: كيف دلت الآية على منزلة الصدق؟

﴿ الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝ ﴾  
اتبع سبحانه نعمة تعليم القرآن بخلق الإنسان؛ فقال تعالى: (خلق الإنسان)؛ لأن أصل النعم عليه، وإنما قدم ما قدم منها لأنه أعظمها. الألوسي: ٩٩/١٤.

السؤال: لماذا قدم نعمة تعليم القرآن على غيرها من النعم؟

﴿ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝ ﴾

ولما كانت هذه السورة لتعداد نعمه التي أنعم بها على عباده قدم النعمة التي هي أجلها قدراً، وأكثرها نفعاً، وأتمها فائدة، وأعظمها عائدة؛ وهي نعمة تعليم القرآن؛ فإنها مدار سعادة الدارين، وقطب رضى الخيرين، وعماد الأمورين. الشوكاني: ١٣١/٥.

السؤال: لماذا بدأت سورة الرحمن ببيان تعليم القرآن؟

﴿ وَأَيُّمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ۝ ﴾

قال قتادة في هذه الآية: «أعدل يا ابن آدم كما تحب أن يعدل عليك، وأوف كما تحب أن يوفي لك؛ فإن بالعدل صلاح الناس». القرطبي: ١١٨/٢٠.

السؤال: ما التوجيه الذي تضمنته هذه الآية؟

﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ ۝ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِّن نَّارٍ ۝ ﴾

وهذا يدل على شرف عنصر الآدمي المخلوق من الطين والتراب، الذي هو محل الرزاق والثلث والمنافع، بخلاف عنصر الجان وهو النار، التي هي محل الخفة والطيش والشر والفساد. السعدي: ٨٢٩.

السؤال: دلت الآيات على عظم الإنسان وفضله على الجان، فما وجه ذلك؟

وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ۝ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا  
أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ۝ وَكُلُّ شَيْءٍ عَعْلُوهُ فِي الزَّيْرِ  
۝ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ ۝ إِنَّ الْمُتَّقِينَ  
فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ۝ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُنْقَلِبٍ ۝

سُورَةُ الرَّحْمَنِ ۝ الرَّحْمَنُ ۝

يَسْمِعُ اللَّهُ النَّدَى الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝  
الْشَّمْسُ وَالْقَمَرُ مُسْبَاتَانِ ۝ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝  
وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۝ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ۝  
وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ۝ وَالْأَرْضَ  
وَضَعَهَا لِلْأَنْعَامِ ۝ فِيهَا فَكْهَمَةٌ وَاللَّخْلَخُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ۝  
وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ۝ فَيَأْتِي الْآءَ رَبُّكُمَا تُكْذِبَانِ ۝  
۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ ۝ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ  
مَارِجٍ مِّن نَّارٍ ۝ فَيَأْتِي الْآءَ رَبُّكُمَا تُكْذِبَانِ ۝ رَبُّ  
الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ۝ فَيَأْتِي الْآءَ رَبُّكُمَا تُكْذِبَانِ ۝

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
إِلَّا وَاحِدَةٌ	إِلَّا قَوْلَةً وَاحِدَةً، وَهِيَ: «كُن».
مُسْتَطَرٌ	مُسْتَوْطَرٌ مَكْتُوبٌ فِي صَحَائِفِ أَعْمَالِهِمْ.
مَقْعَدٍ صِدْقٍ	مَجْلِسٍ حَقٍّ؛ لَا لُغُوفٍ فِيهِ، وَلَا تَأْتِيهِمْ.
بِحُسْبَانٍ	بِحِرَابٍ مُتَقَابِلِينَ، بِحِسَابٍ مُتَقَنٍ لَا يَضْطَرُّ.
وَضَعَهَا لِلْأَنْعَامِ	مَهْدَهَا؛ لِيَسْتَقَرَّ عَلَيْهَا الْخَلْقُ.
الْأَكْمَامِ	الْأَوْعِيَةِ الَّتِي يَكُونُ مِنْهَا التَّمَرُ.
وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ	وَفِيهَا الْحَبُّ ذُو الْقَشْرِ وَالْتَبْنُ؛ رِزْقًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ.
صَلْصَلٍ	طِينٍ يَابِسٍ يَسْمَعُ لَهُ صَلْصَلَةٌ.
كَالْفَخَّارِ	هُوَ الطِّينُ الَّذِي يُطْبِخُ لِيُصْنَعَ.

## ● العمل بالآيات

١. قل: «اللهم إنني أسألك الجنة ونعيمها وما قرب إليها من قول وعمل».
٢. ﴿ إِنَّ لِلَّذِينَ فِي جَنَّتٍ وَنَهَرٍ ﴾.
٣. تذكروا نعمة عظيمة خصك الله بها ثم احمد الله عليها، ﴿ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾.

## ● التوجيهات

١. تعلم القرآن الكريم طريق للفصحاة وحسن البيان، ﴿ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾.
٢. بالعدل قامت السموات والأرض، والميزان أحد وسائله، ﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴾.
٣. شكر نعم الله تعالى التعمدة، ﴿ فَيَأْتِي الْآءَ رَبُّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴾.

وَالْقَوَاعِدُ وَكَيْفَ مِنَ النَّاسِ ﴿آية الحج: ١٨﴾.

﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْبِيزَانَ﴾ يعني: العدل ﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْبِيزَانِ﴾ أي: خلق السموات والأرض بالحق والعدل، لتكون الأشياء كلها بالحق والعدل؛ ولهذا قال: ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْبِيزَانَ﴾ أي: لا تبخسوا الوزن، بل وزنوا بالحق والقسط. وقوله: ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنْبَاءِ﴾ أي: كما رفع السماء وضع الأرض ومهدّها، وأرسلها بالجلال الراسيات الشاخات، لتستقر لينا على وجهها من الأنعام، وهم: الخلق المختلفة أنواعهم وأشكالهم والوانهم والستهم، في سائر أقطارها وأرجائها. قال ابن عباس ومجاهد وقادة وابن زيد: الأنعام: الخلق.

﴿فِيهَا فُجُكَةٌ﴾ أي: مختلفة الألوان والطعوم والروائح، ﴿وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾ أقرّه بالذکر لفرقه ونفقه رطباً وبأساً. والأكمام: ابن عباس: هي أوعية الطلع. وهكذا قال غير واحد من المفسرين، وهو الذي يطلع فيه القنوط ثم ينشق عن العنقود، فيكون بُسْراً ثم رطباً، ثم ينضج وينتهي بثمره واستواؤه. وقيل: الأكمام: رفاها، وهو: اللب الذي على غصن النخلة. وهو قول الحسن وقادة.

﴿وَالصَّبْ ذُو الْغَضَبِ وَالرَّيْحَانُ﴾ عن ابن عباس: ﴿الغضب﴾: التبن. وعنه: وَرَقُ الزَّرْعِ الأخضر الذي قطع رؤوسه، فهو يُسَمَّى الغَضَبُ إذا يَبَسَ. وكذا قال قتادة والضحاك وأبو مالك: غَضَفُهُ: يَبَسَ. وقال ابن عباس ومجاهد وغير واحد: ﴿وَالرَّيْحَانُ﴾ يعني: الورد. وقال الحسن: هو ريحانكم هذا. وعن ابن عباس: خضرة الزرع. ومعنى هذا - والله أعلم - أن الحب كالقمح والشعير ونحوهما له في حال نباته غَضَفٌ - وهو: ما على السنبلة - وريحان - وهو: الورق الملتف على ساقها. وقيل: الغَضَفُ: الوردُ أَوَّلُ ما ينبت الزرع بَقْلًا. والريحان: الورق، يعني: إذا أَذْبَجَ وانعقد فيه الحب. وقوله: ﴿فَيَأْتِي مَاءً رَيْكًا﴾ أي: فبأي الآلاء - يا معشر الثقلين، من الإنس والجن - ﴿تَكْذِبَانِ﴾؟! قاله مجاهد وغير واحد. ويدل عليه السياق بعده، أي: التَّمْ ظاهراً عليكم وأنتم تَغْمُورُونَ بها، لا تستطيعون إنكارها ولا جحودها، فنحن نقول كما قالت الجن المؤمنون: «اللهم، ولا بشيء من آلناك - ربنا - نكذب، فلك الحمد». الآية (١٤-١٦): يذكر تعالى خلقه الإنسان من صلصال كالفخار، وخلق الجن من نار، وهو: طرف لهما. قاله الضحاك عن ابن عباس. وبه يقول عكرمة ومجاهد والحسن وابن زيد. وقال ابن عباس: ﴿مِنْ مَّارِجٍ مِّنْ نَّارٍ﴾: من لب النار، من أجسدها. وقال: من خالص النار. وكذا قال عكرمة ومجاهد والضحاك وغيرهم. وعن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُّورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَّارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِثْلًا وَصِفَ لَكُمْ» (رواه مسلم).

الآية (١٧-١٨): ﴿رَبِّ الْمُرْتَضَيْنِ رَبِّ الْمُرْتَضَيْنِ﴾ يعني: مشرق الصيف والشتاء، ومغرب الصيف والشتاء. وقال: ﴿فَلَا أَقِيمُ رَبِّ الْمُرْتَضَيْنِ وَالْمُرْتَضَيْنِ﴾ (البرق: ٤٠)، وذلك باختلاف مطالع الشمس وتقلها في كل يوم، وبروزها منه إلى الناس. ولما كان في اختلاف هذه المشرق والمغرب مصالح للخلق من الجن والإنس قال: ﴿فَيَأْتِي مَاءً رَيْكًا تَكْذِبَانِ﴾؟!

الآية (٥٠-٥٥): [أخبر تعالى عن نفوذ مشيئته في خلقه كما أخبر بنفوذ قدره فيهم، فقال: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَجِدَةٌ﴾ أي: إننا نأمر بالشئ مرة واحدة، لا نحتاج إلى تأكيد بثانية، فيكون ذلك الذي تأمر به حاصلاً موجوداً كلَّشج البصر، لا يتأخّر طرفة عين. وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ﴾ أمثالكم وسلفكم من الأمم السابقة المكبّين بالثرشل، ﴿فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ أي: فهل من مُنْعِظٍ بما أخزى الله أولئك، وقدر لهم من العذاب. وقوله: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾ أي: مكتوب عليهم في الكتب التي بأيدي الملائكة عَلَيْهِ السَّلَام. ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ كَبِيرٍ﴾ أي: من أعمالهم ﴿مُسْتَظَرٌّ﴾ أي: مجموع عليهم، ومُسَطَّرٌ في صحافهم، ﴿لَا يَخْدَرُ صَوِيرٌ وَلَا كِبِيرٌ إِلَّا أَخَصَّنَاهَا﴾ (الكهف: ٤٩). وعن عائشة أن رسول الله ﷺ كان يقول: «يَا عائشة، إياك ومُخَرَّاتِ الذنوب، فإن لها من الله طلباً» (رواه أحمد والنسائي وابن ماجه، وصححه الألباني). وقوله: ﴿إِنَّ اللَّيْلَيْنِ فِي حَتَبٍ وَنَبَرٍ﴾ أي: بعكس ما الأشقياء فيه من الضلال والسرور، والسُّخْبُ في النار على وجوههم، مع التوبيخ والتفريع والتهديد. وقوله: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ أي: في دار كرامة الله ورضوانه وفضله، وامتنانه وجوده وإحسانه ﴿عِنْدَ لَيْكٍ مُّقْنَدٍ﴾ أي: عند الملك العظيم، الخالق للأشياء كلها ومقدرها، وهو مُقْتَدِرٌ على ما يشاء، ممّا يطلبون ويريدون. عن عبد الله ابن عمرو - يبلغ به النبي ﷺ - قال: «المسْطُون عند الله يوم القيامة على منابر من نور، عن عيّن الرحمن، وكلتا يديه يمين: الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا» انفرد بإخراجه مسلم.

### تفسير سورة الرحمن

وهي مكية، [وعدد آياتها (٧٨) آية].

[فضل السورة]: عن جابر قال: خرج ﷺ على أصحابه فقرأ عليهم سورة «الرحمن» من أوّلها إلى آخرها، فسكتوا فقال: «لقد قرأتموها على الجن ليلة الجن، فكانوا أحسن مردوداً منكم؛ كنت كلما أتيت على قوله: ﴿فَيَأْتِي مَاءً رَيْكًا تَكْذِبَانِ﴾ قالوا: لا شيء من نعمك - ربنا - نكذب، فلك الحمد» (رواه الترمذي، وحسنه الألباني).

الآية (١-١٣): ﴿تَجْرِى تَعَالَى عَنْ فَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ بِخَلْقِهِ: أَنَّهُ أَنْزَلَ عَلَى عِبَادِهِ الْقُرْآنَ، وَيَسَّرَ حِفْظَهُ وَفَهَمَهُ، فَقَالَ: ﴿الزَّحْنَ﴾ ① عِلْمُ الْقُرْآنِ ② خَلَقَ الْإِنْسَانَ ③ عِلْمُ الْبَيَانِ﴾ قال الحسن: يعني: النطق. وقال الضحاك: الخبر والشر. وقول الحسن أحسن وأقوى؛ لأن السياق في تعليمه تعالى القرآن، وهو أداء تلاوته، وإنما يكون ذلك بتيسير النطق وتسهيل خروج الحروف من مواضعها، على اختلاف خارجها وأنواعها. ﴿الْشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ أي: يجريان متتابعين بحساب مُقَنَّ لا يختلف ولا يضطرب. وقوله: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ قال ابن جرير: اختلف المفسرون في معنى قوله: ﴿وَالنَّجْمُ﴾ بعد إجماعهم على أن الشجر ما قام على ساق، فمن ابن عباس قال: النجم ما انبسط على وجه الأرض من النبات. وكذا قال سعيد بن جبير والشَّيْءُ وسفیان الثوري. وقد اختاره ابن جرير وقال مجاهد: النجم: الذي في السماء. وكذا قال الحسن وقادة. وهذا القول هو الأظهر والله أعلم؛ لقوله تعالى: ﴿الزَّهْرَانِ اللَّهُ يَسْجُدُ لَهُمْ فِي السَّمَوَاتِ وَمِنَ الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ

الْفَلَّانَ ﴿١٩﴾ وعيد من الله للعباد، وليس بالله سُخْلٌ. وقال البخاري: سَخَّابِكُمْ، لَا يَسْغُلُهُ شَيْءٌ عَن شَيْءٍ، وهو معروف في كلام العرب، يُقَالُ: «لَأَتَقَرَّعَنَّ لَكَ» وما به سُخْلٌ. ﴿أَيُّهُ الْفَلَّانُ﴾ الثقلان: الإنسان والجن ﴿فَيَأْتِي أَلَا رَيْبُكَمَا تَذَكَّرَانِ﴾.

ثم قال: ﴿يَتَمَتَّعْنَ الْيَمِينَ وَالْإِيسَى إِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْتُدُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْتُدُوا لَا تَنْفُذُوا إِلَّا بِسُلْطَانِي﴾ أي: لا تستطيعون هَرَبًا من أمر الله وقدره، بل هو محيط بكم، لا تقدرون على التخلُّص من حكمه، ولا النفوذ عن حكمه فيكم، أبنا ذَهَبْتُمْ أَحْيَطُ بكم، وهذا في مقام المحشر: الملائكة تحفدة بالخلات، فلا يقدر أحد على الذهاب ﴿إِلَّا بِسُلْطَانِي﴾ أي: إلا بأمر الله. ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوَاظٌ مِنَ نَارٍ﴾ قال ابن عباس: هو هوب النار، ﴿وَنُحَاسٌ﴾ قال ابن عباس: دخان النار. وقال مجاهد: النحاس: السُّفَرُ، يُذَابُ فَيَصُبُّ عَلَى رُؤُوسِهِمْ. وكذا قال قتادة. وقال الضحاك: سيل من نحاس. والمعنى على كل قول: لو ذَهَبْتُمْ هَارِبِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَرَدَّكُمْ الْمَلَائِكَةُ وَالزَّبَانِيَةُ بِإِرسَالِ اللَّهَبِ مِنَ النَّارِ وَالنَّحَاسِ السُّدَّابِ عَلَيْكُمْ لِيَرْجِعُوا؛ ولهذا قال: ﴿فَلَا تَنْصَرِكُنَّ﴾ ﴿٢٠﴾ فَيَأْتِي أَلَا رَيْبُكَمَا تَذَكَّرَانِ ۚ؟

الآية (٢٧-٤٢): ﴿فَلَمَّا أَنْشَأَتِ السَّمَاءُ﴾ يوم القيامة، كقوله: ﴿وَأَنْشَأَتِ السَّمَاءَ فَبَنِيَّ وَوَجِئَةً﴾ [الحاقة: ١٧]. وقوله: ﴿تَكَانَتِ رَوْدَةٌ كَالِذَهَابِ﴾ أي: تذوب كما تذوب الذرذرة (١) والفضة في السَّبَكِ، وتتلون كما تتلون الأصباغ التي يذعن بها، حمراء وصفراء وزرقاء وخضراء، وذلك من شدة الأمر وهول يوم القيامة العظيم.

عن ابن عباس في قوله: ﴿رَوْدَةٌ كَالِذَهَابِ﴾: هو الأديم الأحمر. وقال مجاهد: ﴿كَالِذَهَابِ﴾: كالوان الدهان. وقوله: ﴿فَيَوْمِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾، وهذه كقوله: ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ﴾ (٢) وَلَا يُوَدِّدُونَ لَمْ يَمْتَنِدُوا (٣) [السلات: ٣٥-٣٦]، فهذا في حال، وثم حال يُسْأَلُ الخلاق فيها عن جميع أعمالهم؛ قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِكَاتِبَتِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٤) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ [الحجر: ٩٢-٩٣]؛ ولهذا قال قتادة: قد كانت مسألة، ثُمَّ حُتِمَ عَلَى أَفْوَاهِ الْقَوْمِ، وَتَكَلَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. قال ابن عباس: لا يسألهم: هل عملتم كذا وكذا؟ لأنه أعلم بذلك منهم، ولكن يقول: لِمَ عملتم كذا وكذا؟ فهو قول ثان. وقال مجاهد في هذه الآية: لا يُسْأَلُ الْمَلَائِكَةُ عَنِ الْمَجْرَمِ، يُعْرَفُونَ بِسَيِّئِهِمْ. وهذا قول ثالث. وكان هذا بعد ما يُؤْمَرُ بِهِمْ إِلَى النَّارِ؛ فذلك الوقت لا يُسْأَلُونَ عَنْ ذُنُوبِهِمْ، بل يُقَادُّونَ إِلَيْهَا وَيُلْقَوْنَ فِيهَا؛ كما قال تعالى: ﴿عَرَفَ الْمُجْرِمُونَ بِسَيِّئِهِمْ﴾ أي: بعلامات تظهر عليهم. وقال الحسن وقاتادة: يعرفونهم بأسوداد الوجوه وزرقة العيون. قلت: وهذا كما يُعرف المؤمنون بالقرعة والتجليل من آثار الوضوء. وقوله: ﴿فَيَوْمِذٍ بِالنَّارِ وَالْأَقْطَارِ﴾ أي: تجتمع الزبانية ناصيته مع قدميه، ويُلقونه في النار كذلك. وقال ابن عباس: يُؤْخَذُ بِنَاصِيَتِهِ وَقَدَمِهِ، فَيُكْسَرُ كَمَا يُكْسَرُ الْحَطَبُ فِي النَّوْرِ. وقال الضحاك: يُجْمَعُ بَيْنَ نَاصِيَتِهِ وَقَدَمَيْهِ فِي سِلْسِلَةٍ مِنْ وَرَاءَ ظَهْرِهِ، ﴿فَيَأْتِي أَلَا رَيْبُكَمَا تَذَكَّرَانِ﴾.

الآية (١٩-٢٥): ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَمِيحًا﴾ قال ابن عباس: أي أرسلهما. ﴿يَلْتَمِيحًا﴾: قال ابن زيد: أي: منهما أن يلتقي، بما جعل بينهما من البرزخ الحاجز الفاصل بينهما.

﴿الْبَحْرَيْنِ﴾: الملح والحلو، فالحلو هذه الأنهار السارحة بين الناس، وقد اختار ابن جرير أن المراد: بحر السماء وبحر الأرض، وهو مروي عن مجاهد وابن جبير وعطية وابن أبيزى. قال ابن جرير: لأن اللؤلؤ يتوكد من ماء السماء، وأصداف بحر الأرض. وهذا، وإن كان هكذا، لكن ليس المراد بذلك ما ذهب إليه؛ فإنه لا يُساعد اللفظ؛ فإنه تعالى قد قال: ﴿يَنْتَهَا بِرَجْحٍ لَا يَبْتِغِي﴾ أي: ويحصل بينهما برزخا، وهو: الحاجز من الأرض، لتلائيغي هذا على هذا، وهذا على هذا، فيفسد كل واحد منهما الآخر، ويُزيله عن صفته التي هي مقصودة منه. وما بين السماء والأرض لا يُسمى ﴿بِرَجْحٍ وَحِجْرٍ مَحْجُورٍ﴾ [الفرقان: ٥٣].

﴿يَخْرُجُ مِنْهَا اللَّوْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ أي: من مجموعها، فإذا وُجد ذلك لأحدهما كفي؛ كما قال تعالى: ﴿يَتَمَتَّعْنَ الْيَمِينَ وَالْإِيسَى أَلَّا يَنَالِكُمُ رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٠]، والرسل إنما كانوا في الإنسان خاصة دون الجن، وقد صحَّ هذا الإطلاق. واللؤلؤ معروف، وأما المرجان فقليل: هو صغار اللؤلؤ. وقيل: هو نوع من الجواهر أحر اللون. وعن ابن مسعود قال: السَّحَرُ الأحمر. ولَمَّا كان اتحاد هذه الحلية نعمة على أهل الأرض، امتنَّ بها عليهم فقال: ﴿فَيَأْتِي أَلَا رَيْبُكَمَا تَذَكَّرَانِ﴾.

﴿وَلَهُ الْخَازِنَتَانِ فِي الْبَحْرِ﴾ يعني: السفن التي تجري في البحر، قال مجاهد: ما رَفَعَ قَلْعُهُ (١) من السفن فهي مُنْشَأَةٌ، وما لم يَرْفَعْ قَلْعُهُ فليس بِمُنْشَأَةٍ، وقال قتادة: يعني المخلوقات. ﴿كَالْجِبَالِ﴾ أي: كالجبال في كبرها، وما فيها من المتاجر والمكاسب المنقولة من قُطْرٍ إِلَى قُطْرٍ، وإقليم إلى إقليم، ممَّا فيه من صلاح للناس في جلب ما يحتاجون إليه من سائر أنواع البضائع؛ ولهذا قال تعالى ﴿فَيَأْتِي أَلَا رَيْبُكَمَا تَذَكَّرَانِ﴾.

الآية (٢٦-٣٠): ﴿يُخْرِجُ تَعَالَى أَنْ جَمِيعَ أَهْلِ الْأَرْضِ سَيَلِمُونَ وَيَمُوتُونَ أَجْمَعُونَ، وكذلك أهل السموات، إلا من شاء الله، ولا يبقى أحد سوى وجهه الكريم؛ فإن الرب -تعالى- وتقدس- لا يموت، بل هو الحي الذي لا يموت أبداً. وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [الصمر: ٢٨٨]. وقد نَعَتَ تَعَالَى وَجْهَهُ الْكَرِيمَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ بِأَنَّهُ ﴿ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ أي: هو أهل أن يُجَلَّ فلا يُغْفَى، وأن يُطَاعَ فلا يُخَالَفَ. قال ابن عباس: ﴿ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾: ذو العظمة والكبرياء.

ولَمَّا أخبر عن تساوي أهل الأرض كلهم في الوفاة، وأنهم سيصيرون إلى الدار الآخرة، فيحكم فيهم ذو الجلال والإكرام بحكمه العدل قال: ﴿فَيَأْتِي أَلَا رَيْبُكَمَا تَذَكَّرَانِ﴾.

﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ هذا إخبار عن غناه عمَّا سواه، واقتدار الخلاق إلى جميع الآفات، وأنهم يسألونه بلسان حالهم وقالمهم، وأنه كل يوم هو في شأن. وقال مجاهد: كل يوم هو يُجِيبُ دَعَايَا، وَيُخَشِّفُ كَرْبًا، وَيُجِيبُ مُضْطَرًّا، وَيَغْفِرُ ذَنْبًا.

الآية (٣١-٣٦): قال ابن عباس في قوله: ﴿سَتَرُغْ لَكُمْ آيَةٌ



## ● الوقفات التدريبية

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا كَانَ﴾

لما كان قوله: (وله الجوار المنشأت في البحر كالأعلام) مؤذناً بنعمة إيجاد أسباب النجاة من الهلاك، وأسباب السعي لتحقيق ما به إقامة العيش؛ إذ يُسر للناس السفن عوناً للناس على الأسفار وقضاء الأوطار مع السلامة من طغيان ماء البحار، وكان وصف السفن بأنها كالأعلام توسعة في هذه النعمة، أتبعه بالموعظة بأن هذا لا يحول بين الناس وبين ما قدره الله لهم من الفناء، على عادة القرآن في الفرص للموعظة والتذكير. ابن عاشور: ٢٧/ ٢٩٢.

السؤال: ما مناسبة الآية الكريمة لما قبلها؟

﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ يَوْمٌ شَأْنٍ﴾

روى أبو الدرداء عن النبي: (من شأنه أن يغفر ذنباً، ويفرج كرباً، ويرفع أقواماً، ويضع آخرين) وإسناده حسن. القرطبي: ١٣٤/ ٢٠.

السؤال: ما المراد بقوله: (كل يوم هو يوم شأني)؟

﴿سَنَفَعُ لَكُمْ أَيُّهُ الثَّقَلَانِ﴾

ليس المراد منه الضراع عن شغل؛ لأن الله تعالى لا يشغله شأن من شأن، ولكنه وعيد من الله تعالى للخلق بالحاسية البغوي: ٩١/ ٤.

السؤال: ما المراد بقوله تعالى: (سنفَعُ لَكُمْ أَيُّهُ الثَّقَلَانِ)؟

﴿سَنَفَعُ لَكُمْ أَيُّهُ الثَّقَلَانِ﴾

وسمى الجن والإنس ثقلين لعظم شأنهما بالنسبة إلى غيرهما من حيوانات الأرض، وقيل: سموا بذلك لأنهم ثقل على الأرض أحياء وأمواتاً؛ كما في قوله: (وأخرجت الأرض أثقالها) [الزلزلة: ٢]، وقال جعفر الصادق: سميا ثقلين لأنهما مثقلان بالذنوب. الشوكاني: ١٣٧ / ٥.

السؤال: لماذا سمي الجن والإنس بالثقلين؟

﴿يُرْسَلُ عَلَيْكَ شَوَاطِيرُ نَارٍ وَنَحَاسٌ فَلَا تَنْصِيرَانِ﴾ (٧١) ﴿يَأْتِي ءَالَآءُ رَبِّكَ تَذَكُّرًا لِّكَ﴾

أي: يرسل عليكما لهب صاف من النار، ونحاس. والمعنى: أن هذين الأمرين التظيمين يرسلان عليكما يا مشعر الجن والإنس، ويحيطان بكما فلا تنتصران؛ لا بناصر من أنفسكم، ولا بأحد ينصركم من دون الله. ولما كان تخوفه لعباده نعمةً منه عليهم، وسوطاً يسوقهم به إلى أعلى المطالب وأشرف اللوالب، امتن عليهم فقال: (فبأي آلاء ربكما تكذبان). السعدي: ٨٣١.

السؤال: كيف يكون ذكر النار نعمةً للمؤمنين؟

﴿إِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾

والدهان جمع دهن؛ كالزيت وشبهه؛ شبه السماء يوم القيامة به لأنها تذاب من شدة الهول، وقيل: يشبه لمعانها بلمعان الدهن، وقيل: إن الدهان هو الجلد الأحمر. ابن جزي: ٢ / ٣٩٠.

السؤال: في تشبيه السماء بالدهان وجه بليغ، بين وجه التشبيه.

﴿يَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ إِشْسٌ وَلَا جَنَآءٌ﴾

والجمع بين هذه الآية و مثل قوله: (فوربك لننسأنهم أجمعين) [الحجر: ٩٢] أن ما هنا يكون في موقف والسؤال في موقف آخر من مواقف القيامة. وقيل: إنهم لا يسألون هنا سؤال استفهام عن ذنوبهم؛ لأن الله سبحانه قد أحصى الأعمال وحفظها على العباد، ولكن يسألون سؤال توبيخ وتقرع. الشوكاني: ١٣٨/ ٥.

السؤال: كيف نجم بين هذه الآية وقوله تعالى: (فوربك لننسأنهم أجمعين)؟

مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَمِجَانِ ﴿١٥﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴿١٦﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءُ رَبِّكَ تَذَكُّرًا لِّكَ ﴿١٧﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْءُ وَالْمَرْجَانُ ﴿١٨﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءُ رَبِّكَ تَذَكُّرًا لِّكَ ﴿١٩﴾ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٢٠﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءُ رَبِّكَ تَذَكُّرًا لِّكَ ﴿٢١﴾ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَإِنَّ ﴿٢٢﴾ وَيَقَعُ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٣﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءُ رَبِّكَ تَذَكُّرًا لِّكَ ﴿٢٤﴾ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٥﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءُ رَبِّكَ تَذَكُّرًا لِّكَ ﴿٢٦﴾ سَنَفَعُ لَكَ أَيُّهُ الثَّقَلَانِ ﴿٢٧﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءُ رَبِّكَ تَذَكُّرًا لِّكَ ﴿٢٨﴾ يَنْصَعِرُ الْجِنُّ وَالْإِنْسُ إِنِ اسْتِظْفَعُوا أَن تَنْفَعُوا وَمِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفَعُوا لَا تَفْخَدُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴿٣٠﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءُ رَبِّكَ تَذَكُّرًا لِّكَ ﴿٣١﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكَ شَوَاطِيرُ نَارٍ وَنَحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ ﴿٣٢﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءُ رَبِّكَ تَذَكُّرًا لِّكَ ﴿٣٣﴾ فَإِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴿٣٤﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءُ رَبِّكَ تَذَكُّرًا لِّكَ ﴿٣٥﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْعَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِشْسٌ وَلَا جَنَآءٌ ﴿٣٦﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءُ رَبِّكَ تَذَكُّرًا لِّكَ ﴿٣٧﴾ يَعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنُّوَصِي وَالْأَقْدَامِ ﴿٣٨﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ	خَلَطَ مَاءَ الْبَحْرَيْنِ: الْعَذْبَ، وَالْمَالِحَ.
بَرْزَخٌ	حَاجِزٌ.
الْجَوَارِ	السُّفُنُ الْجَارِيَةُ الضَّخْمَةُ.
فَإِنَّ	هَالِكٌ.
فِي شَأْنٍ	أَي: أَمْرٌ فَيُعْزَ وَيُذِلُّ، وَيُعْطِي وَيَمْنَعُ، وَيُحْيِي وَيُمِيتُ.
تَنْفَعُوا	تَجِدُونَ مَنْفَعَةً تَهْرُبُونَ مِنْهُ.
شَوَاطِيرُ	لَهَبٌ خَالِصٌ.
كَالدِّهَانِ	كَالزَّيْتِ الْغُلِيِّ، أَوْ كَالْجِلْدِ الْأَحْمَرِ.
بِسِيمَاهُمْ	بِعَلَامَاتِهِمْ.

## ● العمل بالآيات

١. تذكر آخر خمسة من أقاربك موتاً وادع لهم بالرحمة، ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا كَانَ﴾.
٢. تعرف على عظمة الله تعالى بقراءتك في معنى، ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ يَوْمٌ شَأْنٍ﴾.
٣. تذكر ذنباً فعلته ثم تصدق بصدقه عسى الله أن يكفرك به، ﴿يَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ إِشْسٌ وَلَا جَنَآءٌ﴾.

## ● التوجيهات

١. افتتار الخلق كلهم إلى الله تعالى، ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾.
٢. أهمية الخشية والخوف من الله سبحانه وتعالى، ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ يَوْمٌ شَأْنٍ﴾.
٣. ذكر نفسك بأحوال يوم القيامة، ﴿إِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾.

﴿ هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٤٢﴾ يَطُوفُونَ فِيهَا خَالِدِينَ ۚ وَبَيْنَ حَمِيمٍ ؕ ۝٤٣﴾

السؤال: ذكر الله عذاب المجرمين في جهنم، ثم امتن عليهم بقوله: (فبأي آلاء ربكما تكذبان)، فكيف يمتن على عباده بعذاب المجرمين؟

قال الراغب: والخوف من الله تعالى لا يراد به ما يخطر بالبال من الرعب؛ كاستشعار الخوف من الأسد، بل إنما يراد به الكف عن المعاصي والتحرر الطاعات، ولذلك قيل: لا يعد خائفاً من لم يكن للذنوب تاركا. الألويسي: ١١٥/٤.

● ﴿مُشْكِبِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾

وتلك الفرش لا يعلم وصفها وحسنها إلا الله عز وجل، حتى إن بطائنها التي تلي الأرض منها من استبقر، وهو أحسن الحرير وأفخره، فكيف بظواهرها التي تلي بشرتهم؟! السعدي: ٨٣١.

**السؤال: على ماذا يدل جمال بطائن الفرش؟**

﴿ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴾

الجنة هو ما يجتني من الثمار، ودان: قريب، وروي أن الإنسان يجتني الفاكهة في الجنة على أي حال كان؛ من قيام أو قعود أو اضطجاع؛ لأنها تتدلى له إذا أرادها. ابن جزي: ٣٩٦/٢.

**السؤال: وضع دنو ثمار الجنة للعبد.**

﴿ كَانَهُنَّ أَلْيَافُوتٌ وَالْمَرْجَانُ ﴾

ووجه الشبه بالياقوت والمرجان في لون الحمرة المحمودة، أي حمرة الحدود، كما يشبه الخد بالورد، ويعطى الأحمر على الأبيض؛ فمنه حديث: (بعثتُ إلى الأحمر والأسود). ابن عاشور: ٢٧٠/٢.

**السؤال: ما وجه تشبيه نساء الجنة بالياقوت والمرجان؟**

﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴾

المعنى أن جزاء من أحسن بطاعة الله أن يحسن

أن يكون الإحسان هنا هو الذي سأل عنه جبريل رسول الله ﷺ فقال له: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» - وذلك هو مقام المراقبة والمشاهدة - فجعل جزاء ذلك الإحسان بهاتين الجنة؛ ويقوي هذا أنه جعل هاتين الجنة الموصوفتين هنا لأهل المقام العلي، وجعل جنتين لدونهما لمن كان دون ذلك. ابن جزى ٣٩٦/٢.

**السؤال: ما المراد بالإحسان في الموضوعين؟**

﴿ مَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴾

قال في الجنتين الأوليين: (هل جزء الإحسان إلا الإحسان) فهل ذلك أن الأوليين جزء المحسنين، ولم يقل ذلك في الأخيرتين... فهذه الأوجه يعرف فضل الأوليين على الآخرين، وأنهما معدتان للمقربين من الأنبياء والصديقين وخواص عباد الله الصالحين، وإن الآخرين معدتان لعموم المؤمنين. السعدي: ٨٣٧.

السؤال: ما دلالة قول الله تعالى في الجنة الأوليين: (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) ولم يذكرها في الآخرين؟

فَإَيُّ ءَآلَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١١﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا  
الْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ يَنْظُرُونَ بِخَبَإٍ مُّسْتَوٍ وَفِيهَا جَحِيمٌ ﴿١٣﴾ فَإَيُّ ءَآلَ  
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٤﴾ وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴿١٥﴾ فَإَيُّ  
ءَآلَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ ذُورَاتُ أَفْسَانٍ ﴿١٧﴾ فَإَيُّ ءَآلَ رَبِّكُمَا  
تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ فِيهِمَا عَيْنَتَانِ مُخْتَرَتَانِ ﴿١٩﴾ فَإَيُّ ءَآلَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ  
﴿٢٠﴾ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ زَوْجَانِ ﴿٢١﴾ فَإَيُّ ءَآلَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ  
﴿٢٢﴾ مُتَجَكِّبِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَفِي الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ  
﴿٢٣﴾ فَإَيُّ ءَآلَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٤﴾ فِيهِنَّ قَصِيرَاتُ الْغُلْفِ  
﴿٢٥﴾ لَمْ يُطْعَمُنَّ مِنْهُنَّ رِيسٌ قَبْلُهَا وَلَا جَأَنٌ ﴿٢٦﴾ فَإَيُّ ءَآلَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ  
﴿٢٧﴾ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٢٨﴾ فَإَيُّ ءَآلَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ  
﴿٢٩﴾ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴿٣٠﴾ فَإَيُّ ءَآلَ رَبِّكُمَا  
تُكَذِّبَانِ ﴿٣١﴾ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٣٢﴾ فَإَيُّ ءَآلَ رَبِّكُمَا  
تُكَذِّبَانِ ﴿٣٣﴾ مُدْهَمَمَتَانِ ﴿٣٤﴾ فَإَيُّ ءَآلَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ  
﴿٣٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَتَانِ تَصَاحَتَانِ ﴿٣٦﴾ فَإَيُّ ءَآلَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٧﴾  
فِيهِمَا فِرْقَتُهُمَا وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٣٨﴾ فَإَيُّ ءَآلَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٩﴾

## معاني الكلمات

المعنى	الكلمة
مَاءٌ حَارٌّ قَدْ بَلَغَ الْغَايَةَ فِي الْحَرَارَةِ.	حَمِيمٌ أَنْ
بَطَانَتُهَا.	بَطَائِنُهَا
غَلِيظُ الدِّيْبَاجِ.	إِسْتَبْرَقٍ
قَرِيبُ الْقِصَافِ.	دَانٍ
قَصَرْنَ أَبْصَارَهُنَّ عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ؛ فَلَا يَنْظُرْنَ إِلَى غَيْرِهِمْ.	قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ
يَطَاهُنَّ.	يَطْمِئُنُّنَّ
خَضِرَاوَانٍ قَدْ اشْتَدَّتْ خُضْرَتُهُمَا حَتَّى مَالَتْ إِلَى السَّوَادِ.	مُدْهَامَتَانِ
فَوَارَتَانِ بِالمَاءِ، لَا تَنْقَطِعَانِ.	نَضَاحَتَانِ

## العمل بالآيات

١. اعمل عملاً يدل على خوفك من الله سبحانه وتعالى ﴿وَلَمَّا نَفَسْمْ بِرُوحِنَا﴾.  
٢. تحدث مع أحد معارفك عن النار، أو اكتب مقالاً تبين فيه أهوالها وتصديقك بها، ﴿هَؤُلَاءِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُكْرِمُونَ﴾.  
٣. تذكر أحداً أحسن إليك ثم قل له: «جزاك الله خيراً»، وإذا استطعت أن تهديه هديةً فذلك خير، ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾.

## التوجيهات

١. الاستعادة بالله من عذاب جهنم، ﴿ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُهَا الْمُتَكِبُونَ ﴾  
 ٢. أهمية الخوف من الله تعالى، ﴿ وَلَمْ يَخَفْ مَقَامَ رَبِّهِ جَبَّارًا ﴾  
 ٣. فضل الله وكرمه ورحمته بعباده، ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِنْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾ (٦) يَا أَيُّهَا  
 الْإِنَّمَانُ إِنَّكَ كَذَّابٌ

الظَّهَارَةِ بِشَرَفِ الْبَطَانَةِ. وهذا من التنبيه بالأدنى على الأعلى. وعن ابن مسعود قال: هذه البطائن فكيف لو رأيتم الظواهر؟! **﴿وَيَحْيَى الْبَنَيْنِ دَاوُدَ﴾** أي: نمرها قريب إليهم، متى شاؤوا تناولوه،

على أي صفة كانوا؛ كما قال: **﴿وَدَاوُدَ عَلَيْهِ سَلَامٌ﴾** وَلَوْلَا قَوْلُهُمْ لَدَلِيلًا **﴿الْإِنْسَانِ ١٤﴾** أي: لا تمتنع ممن تناولها، بل تتخطأ إليه من أغصانها، **﴿يَا أَيُّهَا آلَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾**.

ولمَّا ذَكَرَ الْفُرُشَ وَعَظَمَتْهَا قَالَ بعد ذلك: **﴿فِيهِ﴾** أي: في الْفُرُشِ **﴿فَقَصِرَتْ الْفُرُشُ﴾** أي غَضِضَتْ عن غير أزواجهن، فلا يَرَيْنَ شيئاً أحسن في الجنة من أزواجهن. قاله ابن عباس وقتادة وعطاء الخراساني وابن زيد. **﴿لَمْ يَطْفُرْهُنَّ إِشْرَ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانَّ﴾** أي: بل هُنَّ أَكْبَارُ عُرُبٍ أَقْرَبُ، لم يَطْفُرْهُنَّ أحد قبل أزواجهن من الإنس والجن. وهذه أيضاً من الأدلة على دخول مؤمني الجن الجنة. سئل ضَمْرَةُ بن حبيب: هل يدخل الجن الجنة؟ قال: نعم، وَيَتَكَبَّحُونَ، لِلْجَنِّ حُشِيَّاتٌ، وللانس إنسياتٌ؛ وذلك قوله: **﴿لَمْ يَطْفُرْهُنَّ إِشْرَ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانَّ﴾** **﴿يَا أَيُّهَا آلَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾**.

ثم قال يُعْتَمَنُ لِلْحُطَّابِ: **﴿كَانَتْ أَلْيَاوُثُ وَالزَّرَجَانُ﴾** قال مجاهد والحسن وابن زيد وغيرهم: في صفاء الباقوت وبياض الزَّرَجَانِ. فجَعَلُوا المرجان ههنا اللؤلؤ.

وقوله: **﴿مَلَّ جَرَءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾** أي: ما لمن أحسن في الدنيا العمل إلا الإحسان إليه في الدار الآخرة؛ كما قال تعالى: **﴿وَالَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمَتَّيٍّ زُيَادَةً﴾** [يونس: ٢٦]. ولمَّا كان في الذي ذُكِرَ نِعَمٌ عظيمة لا يَقَاوِمُهَا عَمَلٌ، بل مُجَرَّدُ تَقْضُلٍ وامتنان؛ قال بعد ذلك كله: **﴿يَا أَيُّهَا آلَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾**.

الآية (٦٢-٦٩): هاتان الجنةان دون اللتين قبلهما في المرتبة والفضيلة والمنزلة بنص القرآن: **﴿وَمَنْ دُونَهُمَا جَنَّاتٌ﴾** فالأُولَيَاتَانِ لِلْمُقَرَّبَيْنِ، والأُخْرَيَاتَانِ لأصحاب اليمين. قال ابن زيد: ومن دونهما في الفضل، والدليل على شرف الأولين على الآخرين وجوه: أحدها: أنه نعت الأولين قبل هاتين، والتقديم يدل على الاعتناء ثم قال: **﴿وَمَنْ دُونَهُمَا جَنَّاتٍ﴾**. وهذا ظاهر في شرف التقديم وعلوه على الثاني.

وقال هناك: **﴿ذُرَّاتُ أَفْنَانٍ﴾**: وهي الأغصان أو الفنون في الملاذ، وقال ههنا: **﴿مُدَّاهَاتَانِ﴾** أي: سوداوان من شِدَّةِ الرِّطْبِ من الماء. قال ابن عباس: قد اسودتا من الخضرة، من شِدَّةِ الرِّطْبِ من الماء. ولا شك في نضارة الأغصان على الأشجار المُسْبِكَةِ بعضها في بعض.

وقال هناك: **﴿فِيهَا عَيْنَانِ جَرِيَّانِ﴾**، وقال ههنا: **﴿فَضْلَتَانِ﴾** قال ابن عباس: أي قِيَاسَتَانِ، والجري أقوى من النضخ. وقال الضحاک: مثلتان لا تنقطعان.

وقال هناك: **﴿فِيهَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ دُونََ﴾**، وقال ههنا: **﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ وَخَلٌّ وَرَبَّانٌ﴾** ولا شك أن الأولى أَعَمُّ وأكثر في الأفراد والتنوع على: **﴿فَاكِهَةٌ﴾**، وهي نكرة في سياق الإثبات لا تَعْمُ؛ ولهذا فَسَّرَ قوله: **﴿وَوَخْلٌ وَرَبَّانٌ﴾** من باب عطف الخاص على العام، كما قرَّره البخاري وغيره، وإنَّهَا أَقْرَدُ النَّخْلُ والرَّيَّانُ بالذَّكْرِ لشرفها على غيرها.

الآية (٤٣-٤٥): **﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُكْرِبُونَ﴾** أي: هذه النار التي كنتم تكذبون بوجودها ها هي حاضرة تشاهدونها عياناً، يُقَالُ لهم ذلك تَقْرِيباً وتَوْبِيخاً وتصغيراً وتحقيراً.

**﴿يَطْرُقُونَ بِهَا مَتْنًا وَبَيْنَ جَبَرَيْنِ﴾** أي: تارة يُعَذِّبُونَ في الجحيم، وتارة يُسْقَوْنَ من الحميم، وهو شراب كالتحاس المَذَابِ، يُقَطِّعُ الأَمْعَاءَ والأَحْشَاءَ. وقوله: **﴿إِنَّ﴾** أي: حَارَ وقد بَلَغَ الغاية في الحرارة، لا يُسْتَطَاعُ من شدة ذلك. قال ابن عباس: قد انتهى عَلَيْهِ، واشتدَّ حَرُّهُ. وكذا قال مجاهد وسعيد بن جبیر والضحاك والحسن والثوري والسُّدِّي، وهي كالتي يقول الله تعالى: **﴿فِي الْأَحْيِيرِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾** [غافر: ٧٢]. ولمَّا كان معاقبة العصاة المجرمين وتنعيم المتقين من فضله ورحمته وعدله ولطفه بخلقه، وكان إنذاره لهم عذابه وبأسه عَمَّا يُزْجَرُهم عَمَّا هم فيه من الشُّرْكِ والمعاصي وغير ذلك، قال مُشْتَبِّهاً بذلك على بَرِيَّتِهِ: **﴿يَا أَيُّهَا آلَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾**.

الآية (٤٦-٥٣): **﴿وَلَمَّا خَفَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾** قال ابن سُودُب وعطاء الخراساني: نَزَلَتْ في أبي بكر الصديق. والصحيح أن هذه الآية عامة كما قاله ابن عباس وغيره؛ يقول تعالى: ولمن خاف مقامه بين يدي الله يوم القيامة، **﴿وَبَنَى أَنْفُسَ عَنِ الْقَوْلِ﴾** [الزَّاعِمَاتِ: ٤٠]، ولم يَطْعُ، ولا أَثَرَ الدنيا، وعَلِمَ أن الآخرة خير وأبقى، فآذَى فرائض الله، واجتنب محارمه؛ فله يوم القيامة عند ربه جنتان، كما روي عن عبد الله ابن قيس أن رسول الله ﷺ قال: «جنتان من فضة، آتيتهما وما فيها، وجنتان من ذهب آتيتهما وما فيها، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم ﷻ إلا رداءُ الكبرياء على وجهه في جنة عدن» [متفق عليه]. وهذه الآية عامة في الإنس والجن، فهي من أدل دليل على أن الْجَنَّةَ يدخلون الجنة إذا آمنوا وأتقوا؛ ولهذا امتنَّ الله تعالى على الثقلين بهذا الجزاء فقال: **﴿وَلَمَّا خَفَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾** **﴿يَا أَيُّهَا آلَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾**. ثم نَسَتْ هَاتَيْنِ الْجَنَّتَيْنِ فقال: **﴿ذُرَّاتُ أَفْنَانٍ﴾** أي: أغصان نَضِرَةٍ حَسَنَةٍ، تحمِلُ من كل ثمرة نَضِيجَةً فائقة، **﴿يَا أَيُّهَا آلَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾**. هكذا قال عطاء الخراساني وجاعة. وعن ابن عباس: ذواتا ألوان. ومعنى هذا القول أن فيها فنوناً من الملاذ، واختاره ابن جرير. وقال عطاء: كل غُصْنٍ يجمع فنوناً من الفاكهة، وقال الربيع بن أنس: واسعتا الفناء. وكل هذه الأقوال صحيحة، ولا منافاة بينها، والله أعلم. **﴿فِيهَا عَيْنَانِ جَرِيَّانِ﴾** أي: تَسْرَحَانِ لسقي تلك الأشجار والأغصان فتُثْمِرُ من جميع الألوان، **﴿يَا أَيُّهَا آلَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾**.

ولهذا قال بعد هذا: **﴿فِيهَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ دُونََ﴾** أي: من جميع أنواع الثمار مما يعلمون وخيراً مما يعلمون، ومما لا عين رأت، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ، ولا خَطَرَ على قلب بشر، **﴿يَا أَيُّهَا آلَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾** ١٩

قال ابن عباس: ليس في الدنيا مما في الآخرة إلا الأساء؛ يعني: أن بين ذلك بوناً عظيماً، وفرقاً بيناً في التفاضل.

الآية (٥٤-٦١): **﴿مُتَّكِئِينَ﴾** يعني: أهل الجنة. والمراد بالاتكاء ههنا: الاضطجاع. ويُقَالُ: الجلوس على صفة التَّوْبَعِ. **﴿عَلَى فُرُشٍ بَطَانًا مِنْ سِتْرَيْنِ﴾** وهو: ما غُلِّط من الديباج. قاله عكرمة والضحاك وقتادة. وقال الجوزي: هو الديباج المُزَيَّنُ باللَّدَبِ. فَبَنَى على شَرَفِ



وإن كانوا في الدنيا أعزّاء، وترفع آخرين إلى أعلى علّتين إلى النعيم المقيم، وإن كانوا في الدنيا وُصّماء. وهكذا قال الحسن وقادة وغيرهما. ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا﴾ أي: حُرِّكَتْ تحريكًا فاهتزّت واضطربت بطولها وعرضها. ولهذا قال ابن عباس ومجاهد وقادة وغير واحد: زُلْزَلَتْ زلزَالًا كقوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة: ١٦]. ﴿وُسِّتَ الْجِبَالُ وُسًا﴾ أي: قُتِّتْ قُتًا. قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقادة وغيرهم. وقال ابن زيد: صارت الجبال كما قال تعالى: ﴿كَيْبًا مَّعِيلًا﴾ [الزلزل: ١٤].

﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا﴾ قال علي رضي الله عنه: كَرِهَجَ الغبار يُسْطَعُ ثم يَذْعَبُ، فلا يبقى منه شيء. وقال عكرمة: السُّبُثُ: الذي دَثَرَهُ الريح ويَثَرُهُ. وهذه الآية كأخواتها الدّالة على زوال الجبال عن أماكنها يوم القيامة، وذهابها وتسييرها ونُسُفُها -أي قَلْعُها- وصَبْرُورها ﴿كَالْفِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ [الفارقة: ٥]. وقوله: ﴿وَكُنْتُ أَرْوَجَا لَنَلْنَهُ﴾ أي: ينقسم الناس يوم القيامة إلى ثلاثة أصناف: قوم عن يمين العرش، وهم الذين خرجوا من شق آدم الأيمن ويؤتَوْنَ كتبهم بأيامهم، ويؤخَّذُ بهم ذات اليمين. قال السدي: وهم جمهور أهل الجنة. وآخرون عن يسار العرش، وهم الذين خرجوا من شق آدم الأيسر ويؤتَوْنَ كتبهم بشمالهم، ويؤخَّذُ بهم ذات الشمال، وهم عامة أهل النار -عبيدًا بالله من صنيعهم- وطائفة سابقون بين يديه ﷻ، وهم أَخْصَى وَأَخْطَى وأقرب من أصحاب اليمين، فيهم الرسل والأنبياء والصّديقون والشهداء، وهم أقل عددًا من أصحاب اليمين، وهكذا قَسَمَهُمُ إلى هذه الأنواع الثلاثة في آخر السورة وفت احتضارهم، قال مجاهد: ﴿أَرْوَجَا لَنَلْنَهُ﴾: فَرَقًا ثلاثة. وقال عثمان بن سراقه: اثنان في الجنة، وواحد في النار. وقوله: ﴿وَالسَّيِّئُونَ الْآفَتُونَ﴾ قال محمد بن كعب: هم الأنبياء، عليهم السلام. وقال السدي: هم أهل عليين. وعن ابن سيرين: ﴿وَالسَّيِّئُونَ الْآفَتُونَ﴾ الذين صلوا للقبليتين. وهذه الأقوال كلها صحيحة؛ فإن المراد بالسابقين هم المبادرون إلى فعل الخيرات كما أُبْرُوا، فَمَنْ سابق في هذه الدنيا وسَبَقَ إلى الخير كان في الآخرة من السابقين إلى الكرامة؛ فإن الجزء من جنس العمل، وكما تَدِينُ تُدَانُ، ولهذا قال: ﴿أُولَئِكَ الْمَفْزُوعُونَ﴾ ﴿١٥﴾ فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ.

الآية (١٣-١٦): ﴿ثَلَّةٌ﴾ أي: جماعة ﴿مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿١٧﴾ وَكَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ. قيل: المراد بالأولين: الأمم الماضية، والآخرين: هذه الأمة. وهو اختيار ابن جرير، وفيه نظر، بل هو قول ضعيف؛ لأن هذه الأمة هي خير الأمم بنص القرآن، فيبعد أن يكون المقربون في غيرها أكثر منها، اللهم إلا أن يُقَابَلَ مجموع الأمم بهذه الأمة. والظاهر أن المقربين من هؤلاء أكثر من سائر الأمم، والله أعلم. فالقول الثاني في هذا المقام هو الراجح، وهو أن يكون المراد بقوله: ﴿الْأَوَّلِينَ﴾ أي: من صدر هذه الأمة، و﴿الْآخِرِينَ﴾ أي: من هذه الأمة. وهذا قول الحسن وابن سيرين. ولا شك أن أَوَّلَ كُلِّ أمة خير من آخرها، فيُحْتَمَلُ أن يُعَمَّ الأمر جميع الأمم، كل أمة بحسبها.

﴿عَلَى سُرُرٍ مَوْصِيَةٍ﴾ قال ابن عباس: أي مَرْمُولة بالذهب، يعني: مَنْشُوجَةٌ به. وقال ابن جرير: السُّرُرُ في الجنة مَضْفُورة بالذهب واللاكلي. ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَدِّمِينَ﴾ أي: وجوه بعضهم إلى بعض، ليس أحد وراء أحد.

الآية (٧٠-٧٨): ﴿فِيهِنَّ حَبْرَتٌ جَنَانٌ﴾ قيل: المراد حَبْرَتٌ كثيرة حسنة في الجنة، قاله قتادة. وقيل: حَبْرَتٌ جمع حَبْرَةٍ، وهي المرأة الصالحة الحسنة الخلق الحسنة الوجه، قاله الجمهور. ولهذا قرأ بعضهم: «فيهن حَبْرَات»، بالتشديد. ﴿وَيَأْتِي مَالًا زَيْنًا تَكْدِبَانِ﴾. ثم قال: ﴿حَوْرٌ مَقْصُورَتٌ فِي الْخِيَارِ﴾، وقال هناك: ﴿فِيهِنَّ قَصِيرَتُ الْأَطْرَفِ﴾ [الرحمن: ٥٦]، ولا شك أن التي قد قَصُرَتْ طَرَفُها بنفسها أَفْضَلُ مِمَّنْ قَصُرَتْ، وإن كان الجميع مُخَدَّرَاتٍ. وقوله: ﴿فِي الْخِيَارِ﴾: عن عبد الله بن قيس أن رسول الله ﷺ قال: «إن للمؤمن في الجنة لَحَيْمَةً من لؤلؤة واحدة جُورَقٌ، طولها ستون ميلًا، للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن، فلا يرى بعضهم بعضًا» [رواه مسلم]. وقوله: ﴿لَمْ يَطْمِئِنَّ إِلَهٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ تقدم. وقوله: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفَرٍ خَضِرٍ﴾ قال ابن عباس: الرَّفَرُ: السَّحَابِيسُ <sup>(١)</sup> وكذا قال مجاهد وعكرمة والحسن وقادة والضحاك وغيرهما. وقال الجحدري: يعني: الوسائد. وهو قول الحسن في رواية عنه. وقوله: ﴿وَعَبْرَتِي جَنَانٌ﴾ قال ابن عباس وقادة والضحاك والسدي: الْعَبْرَتِي: الرَّزَائِي. وقال سعيد بن جبير: هي عتاق الرزائي، يعني: جياها. وقال مجاهد: الدُّبَايج. وعن الحسن -في رواية- أنها المرافق. وعلى كل تقدير فصفة مرافق أهل الجنتين الأولىين أَرْفَعُ وأعلى من هذه الصفة؛ فإنه قد قال هناك: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفَرٍ يَطْلِيهَا مِنْ مِشْرِيقٍ﴾ [الرحمن: ٥٤] فَتَمَّتْ بطائنت قرُشهم وسَكَتَ عن طَهارِثها، اكتفاء بما مَدَحَ به البطائن بطريق الأولى والأخرى. وقام الخاتمة أنه قال بعد الصفات المقدمة: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: ٦٠] فَوَصَفَ أهلها بالإحسان، وهو أعلى المراتب والنّهائيات، كما في حديث جبريل لَمَّا سأل عن الإسلام، ثم الإيمان، ثم الإحسان [رواه مسلم]. فهذه وجوه عديدة في تفضيل الجنتين الأولىين على هاتين الأخيرتين ونسأل الله الكريم الوهاب أن يجعلنا من أهل الأولىين.

﴿بَرَكَةً أَسْمَرَكَ ذِي لُحُلٍّ وَالْإِكْرَامَ﴾ أي: هو أَكْلُ أَنْ يَجِلَّ فلا يُعْصَى، وأن يُخْرَمَ فَيُتَبَدَّ، وَيُشْكَرْ فلا يُخْفَرُ، وأن يُذْكَرَ فلا يُنْسَى. وقال ابن عباس: ﴿ذِي لُحُلٍّ وَالْإِكْرَامَ﴾ ذي العظمة والكبرياء، وفي صحيح مسلم والسنن الأربعة عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا سلم لا يقعد -يعني بعد الصلاة- إلا بقدر ما يقول: «اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام».

### تفسير سورة الواقعة

وهي مكية، [وعدد آياتها (٩٦) آية].  
[فضل السورة]: قال ابن عباس: قال أبو بكر: يا رسول الله، قد شِئْتُ؟ قال: «شِئْتَنِي مُودًا، والواقعة، والمرسلات، و﴿عَمَّ يَسْتَلُونَ﴾، و﴿إِذَا أَنشَأْتَ عَصَافَةً﴾» [رواه الترمذي، وصححه الألباني].  
الآية (١-١٢): ﴿الْوَقِئَةُ﴾ من أساء يوم القيامة، سُمِّيتَ بذلك لِتَحَقُّقِ كونها وجودها. ﴿لَيْسَ لَوْعِنَا كَذِبَةٌ﴾ أي: ليس لوقوعها -إذا أراد الله كونها- صارف يَصْرِفُها، ولا دافع يَدْفَعُها.  
﴿خَافِضَةً رَأْفَةً﴾ أي: تخفض أقدامًا إلى أسفل سافلين إلى الجحيم،

(١) جمع عجيب بكر الميم: ثوب يُطْرَحُ على ظهر الفرائش للنوم عليه. [ينظر: جمهرة اللغة، مادة (حبس)].



## ● الوقفات التدريبية

### ● ﴿حُرِّمَتْ مَقْصُورَاتُ فِي الْخِيَارِ﴾

الحور: جمع الحوراء، والمقصورات: المحجوبات؛ لأن النساء يمدحن بملازمة البيوت، ويذممن بكثرة الخروج. ابن جزي: ٣٩٧/٢.

السؤال: بين كيف دلت هذه الآية على حث النساء على القرار في البيت.

### ● ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾

وسميت واقعة لأنها كانت لا محالة، أو لقرب وقوعها، أو لكثرة ما يقع فيها من الشدائد. الشوكاني: ١٤٧/٥.

السؤال: لماذا سميت الواقعة بهذا الاسم؟

### ● ﴿حَافِضَةُ رَأْفَةٍ﴾

تخفض أقواما إلى النار وترفع آخرين إلى الجنة، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: تخفض أقواما كانوا في الدنيا مرتفعين، وترفع أقواما كانوا في الدنيا مستضعفين. البغوي: ٣٠١/٤.

السؤال: كيف يكون الخفض والرفع يوم القيامة؟

### ● ﴿وَالسَّيِّئُونَ السَّيِّئُونَ﴾

من سابق في الدنيا وسبق إلى فعل الخير كان في الآخرة من السابقين إلى الكرامة؛ فإن الجزء من جنس العمل، وكما تدين تदान. ابن كثير: ٢٨٥/٤.

السؤال: لماذا كان هؤلاء هم السابقين في الآخرة؟

### ● ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ (١٣) ﴿وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾

(ثلاثة من الأولين أي: جماعة كثيرون من المتقدمين من هذه الأمة وغيرهم. (وقليل من الآخرين): وهذا يدل على فضل صدر هذه الأمة في الجملة على متاخرها؛ لكون المقربين من الأولين أكثر من المتأخرين، والمقربون هم خواص الخلق. السعدي: ٨٣٣.

السؤال: تدل هاتان الآيتان على فضل القرون المفضلة على غيرهم، بين وجه هذه الدلالة.

### ● ﴿عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ﴾ (١٥) ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ﴾

ولما كان الجمع إذا كان ظهور بعض أهل إلى بعض، أعلم أن جموع أهل الجنة على غير ذلك فقال: (متقابلين)؛ فلا بعد ولا مداورة؛ لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض، ولا يكره بعضهم بعضا. البقاعي: ٢٠٣/١٩.

السؤال: ما دلالة قوله: (متقابلين)؟

### ● ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ﴾

وجه كل منهم إلى وجه صاحبه؛ من صفاء قلوبهم، وحسن أدبهم، وتقابل قلوبهم. السعدي: ٨٣٣.

السؤال: هذه الآية تدل على صفاء قلوب أهل الجنة ونزع البغضاء والشحناء من قلوبهم، فبين ذلك.

فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ۝ فَيَأْتِي آلَآءُ رَبِّكَ مَا تُكِيدُ بَانَ ۝ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَارِ ۝ فَيَأْتِي آلَآءُ رَبِّكَ مَا تُكِيدُ بَانَ ۝ لَمْ يَطْمِئْهُمْ إِسْسُ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ ۝ فَيَأْتِي آلَآءُ رَبِّكَ مَا تُكِيدُ بَانَ ۝ مَتَّكِئِينَ عَلَى رَفَافٍ خُضِرَ ۝ وَغَبَقَرِي حِسَانٍ ۝ فَيَأْتِي آلَآءُ رَبِّكَ مَا تُكِيدُ بَانَ ۝ تَبَرَّكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ۝

سُورَةُ الْوَاقِعَةِ ۝ ١٣ ۝

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۝ لَيْسَ لَوْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝ خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ۝ إِذَا رَجَعْتَ الْأَرْضِ رَجَا ۝ وَنَسِيتَ الْجِبَالَ نَسَا ۝ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثَا ۝ وَكُنْهُ أَرْوَاجًا نَالَةً ۝ فَأَصْحَبُ الْيَمِينِ مِمَّا أَصْحَبُ الْيَمِينِ ۝ وَأَصْحَبُ الْشِّمَالِ مِمَّا أَصْحَبُ الْشِّمَالِ ۝ وَالسَّيِّئُونَ السَّيِّئُونَ ۝ أُولَئِكَ الْمَقَرُّونَ ۝ فِي جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ۝ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ۝ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ۝ عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ۝ مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ۝

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
خَيْرَاتٌ	زُوجَاتٌ طَيِّبَاتُ الْأَخْلَاقِ.
حُورٌ	نِسَاءٌ بِيضٌ حِسَانٌ.
مَقْصُورَاتٌ	مَسْتُورَاتٌ مَضُوعَاتٌ.
يَطْمِئْنَهُنَّ	يُطَاهُنَّ.
رَفَافٍ خُضِرَ	وَسَائِدُ ذَوَاتِ أَغْطِيَةٍ خُضِرَ.
وَعَبَقَرِي	فُرُشٌ، وَبُسْجَةٌ.
رُجَّتِ	خُرِّكَتِ.
وُنِسَتْ	فُتَّتَتْ.
ثَلَاثَةٌ	جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ.
مَوْضُونَةٍ	مَنْسُوجَةٍ بِالذَّهَبِ.

## ● العمل بالآيات

١. سل الله علو درجتك في الآخرة، ﴿حَافِضَةُ رَأْفَةٍ﴾.
٢. كن أول من يدخل المسجد لإحدى الصلوات الخمس لهذا اليوم، ﴿وَالسَّيِّئُونَ السَّيِّئُونَ﴾.
٣. كن أول إخوانك تقبلاً لرأس والديك لهذا اليوم، ﴿وَالسَّيِّئُونَ السَّيِّئُونَ﴾.

## ● التوجيهات

١. عظم أهوال يوم القيامة، ﴿حَافِضَةُ رَأْفَةٍ﴾.
٢. فضيلة المسابقة لفعل الخير، ﴿وَالسَّيِّئُونَ السَّيِّئُونَ﴾.
٣. الجزء من جنس العمل، ﴿وَالسَّيِّئُونَ السَّيِّئُونَ﴾ (١١) ﴿أُولَئِكَ الْمَقَرُّونَ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿ وَفَكَهَرُ مَنَا يَنْتَحِرُونَ ﴾ (١) وَلَمْ يَكُنْ مَنَا يَنْتَحِرُونَ ﴿

تقديم الفاكهة في الأكل وهو طيباً مستحسن؛ لأنها لطف وأسرع انحداراً، وأقل احتياجاً إلى المكث في المعدة للهم، وقد ذكروا أن أحد أسباب الهيصمة إدخال اللطيف من الطعام على الكثيف منه. الأئوسى: ١٤/ ١٣٧.

السؤال: لماذا قدم الفاكهة على اللحم؟

﴿ وَخُرُوعِينَ ﴾ (٢) كَأَمَثَلِ الْوَلُولِ الْمَكُونِ ﴿

شبههم بالؤلؤل في البياض، ووصفه بالمكنون لأنه أبعد عن تغيير حسنه. ابن جزى: ٢/ ٤٠٠.

السؤال: ما وجه تشبيه الحور بالؤلؤل المكنون؟

﴿ وَظِلِّ مَمْدُودٍ ﴾

أي منبسط لا يزول؛ لأنه لا تنسخه الشمس، وقال رسول الله: «إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها؛ إقرؤوا إن شئتم: (وظل ممدود)». ابن جزى: ٢/ ٤٠١.

السؤال: من خلال التفسير النبوي هات مثالاً يبين الظل الممدود يوم القيامة.

﴿ لَا مَقْطُوعَةً وَلَا مَمْنُوعَةً ﴾

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «لا تنقطع إذا جنيت، ولا تمنع من أحد أراد أخذها»، وقال بعضهم: «لا مقطوعة بالأزمان، ولا ممنوعة بالأشمان؛ كما ينقطع أكثر ثمار الدنيا إذا جاء الشتاء، ولا يتوصل إليها إلا بالثمن». البغوي: ٤/ ٣٠٦.

السؤال: ما المراد بقوله: (لا مقطوعة ولا ممنوعة)؟

﴿ عُرْبَا أَرْبَابًا ﴾

العرب: جمع عرب؛ وهي المتحبيبة إلى زوجها، قال المبرد: هي العاشقة لزوجها. الشوكاني: ٥/ ١٥٣.

السؤال: ما معنى (عرباً) في الآية الكريمة؟

﴿ وَظِلِّ مِّنْ يَّسْجُورٍ ﴾ (٣) لَا بَارِدَ وَلَا كَرِيمٍ ﴿

أي: لا بارد فيه ولا كرم، والمقصود أن هناك الهم والغم، والحزن والشر، الذي لا خير فيه؛ لأن نفي الضد إثبات لضده. السعدي: ٨٣٤.

السؤال: ما المقصود من نفي البرد والكرم عن ظل النار؟

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴾

وإنما جعل أهل الشمال مترفين لأنهم لا يخلو واحد منهم عن ترف ولو في بعض أحواله وأزمانه من نعم الأكل والشرب والنساء..... أو لأنهم لما قصرُوا أنظارهم على التفكير في العيشة العاجلة صرفهم ذلك عن النظر والاستدلال على صحة ما يدعوههم إليه الرسول ﷺ، فهذا وجه جعل الترف في الدنيا من أسباب جزأهم الجزء المذكور. ابن عاشور: ٢٧/ ٣٠٦. السؤال: بين خطورة الترف وعاقبته في الآخرة.

يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وَلَدَانُ مُخَذَّذُونَ ﴿١﴾ بِأَكْرَابٍ وَأَبَارِقٍ وَكَأْسٍ مِّنْ مَّعِينٍ ﴿٢﴾ لَا يَصُدُّونَ عَنْهَا وَلَا يَنْزِفُونَ ﴿٣﴾ وَفَكَهَرُ مَنَا يَنْتَحِرُونَ ﴿٤﴾ وَلَحْمٍ طَيْرٍ مَّا يَنْتَحِرُونَ ﴿٥﴾ وَخُرُوعِينَ ﴿٦﴾ كَأَمَثَلِ الْوَلُولِ الْمَكُونِ ﴿٧﴾ جَزَاءً يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا الْقَوَا وَلَا تَأْتِيهَا ﴿٩﴾ إِلَّا قِلَادًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿١٠﴾ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿١١﴾ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿١٢﴾ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ﴿١٣﴾ وَظِلِّ مَمْدُودٍ ﴿١٤﴾ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿١٥﴾ وَفَكَهَرُ كَبِيرَةٍ ﴿١٦﴾ لَا مَقْطُوعَةً وَلَا مَمْنُوعَةً ﴿١٧﴾ وَفُورٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿١٨﴾ إِنَّا أَشْنَأْنُهُنَّ إِنْشَاءً ﴿١٩﴾ جَعَلْنَهُنَّ أَكْبَارًا ﴿٢٠﴾ عُرْبَا أَرْبَابًا ﴿٢١﴾ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٢٢﴾ ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٣﴾ وَكَذَلِكَ مِّنَ الْأَخِيرِينَ ﴿٢٤﴾ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٢٥﴾ فِي سُجُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَظِلِّ مِّنْ يَّخْجُومٍ ﴿٢٧﴾ لَا بَارِدَ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٢٨﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٢٩﴾ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴿٣٠﴾ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِذَا نَلْعَبُورُونَ ﴿٣١﴾ أَوَّاهَا وَنَا الْأَوَّلُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٣٣﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٤﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
لَا يَصُدُّونَ عَنْهَا	لَا تُصَدِّعُ مِنْهَا رُؤُوسُهُمْ.
وَلَا يَنْزِفُونَ	لَا تَنْهَبُ بِقُوْلِهِمْ.
الْمَكُونِ	الْمُضَوَّنِ فِي أَصْدَافِهِ مِنْ صَفَائِهِمْ، وَجَمَالِهِمْ.
سِدْرٍ مَّخْضُودٍ	شَجَرِ النَّبْقِ لَا شَوْكَ فِيهِ.
وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ	مَوْزٌ مُّتْرَاكِبٌ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ، أَوْ هُوَ شَجَرُ الطَّلْحِ الْمَعْرُوفِ، وَهُوَ أَعْظَمُ أَشْجَارِ الْعَرَبِ.
عُرْبَا	مُتَحَبِّبَاتٍ لِأَزْوَاجِهِنَّ.
أَرْبَابًا	فِي سِنٍّ وَاحِدَةٍ.

## ● العمل بالآيات

١. سأل الله أن تكون من أصحاب اليمين، ﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴾.
٢. تصدق على فقير بفاكهة أو لحم لتنال فاكهة الجنة ولحمها، ﴿ وَفَكَهَرُ مَنَا يَنْتَحِرُونَ ﴾ (١) وَلَمْ يَكُنْ مَنَا يَنْتَحِرُونَ ﴿.
٣. اصبر عن نوع من أنواع الترف في حياتك لهذا اليوم، ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴾.

## ● التوجيهات

١. من أسباب الاستقرار الأسري تودد الزوجة لزوجها، ﴿ عُرْبَا أَرْبَابًا ﴾.
٢. عظم ما الله لاهل طاعته إكراماً لهم، جزاء صبرهم وعملهم في الدنيا، ﴿ وَفَكَهَرُ مَنَا يَنْتَحِرُونَ ﴾ (١) وَلَمْ يَكُنْ مَنَا يَنْتَحِرُونَ ﴿.
٣. البعد عن صفات أهل الشمال، والاستعاذة بالله منها، ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴾.

مهما طلبوا وَجَدُوا، لا يمتنع عليهم شيء. قال قتادة: لا يمنعونهم من تناولها عود ولا شوك ولا بُعْد. ﴿وَرُبِّي مُرْفَعَةٌ﴾ أي: عالية وطينة ناعمة. ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنثَاءً﴾ جرى الضمير على غير مذكور، لكن لَمَّا دَلَّ السياق - وهو ذِكْرُ الفُرْشِ - على النساء اللاتي يُضَاجَعْنَ فيها، اكتفى بذلك عن ذِكْرهن، وعاد الضمير عليهن.

﴿أَنشَأْنَهُنَّ﴾ أي: أعدناهن في النشأة الآخرة بعدما كُنَّ عجائز مُمَضًّا، صِرْنَ أَبْكَارًا غُرَبَاءُ أي: بعد الثبوتية عُدْنَ أَبْكَارًا.

﴿غُرَبَاءُ﴾ أي: مُتَحَبِّبَاتٌ إلى أزواجهن بالحلاوة والظرفاة والسلاحة. وقال بعضهم: غَنِيَّات. وعن ابن عباس: يعني مُتَحَبِّبَاتٌ إلى أزواجهن. وقال زيد بن أسلم وابنه: الغُرب: حسانت الكلام.

وقوله: ﴿أَتَرَكَا﴾ قال ابن عباس يعني: في سن واحدة ثلاث وثلاثين سنة. وقال مجاهد: الأتراب: المستويات. وفي رواية عنه: الأمثال. وقال السُّدِّي: في الأخلاق مُتَوَاحِيَاتٌ بينهن، ليس بينهن تَبَاطُؤٌ ولا تَحَاشُدٌ، يعني: لا كما كُنَّ في الدنيا ضارر مُتَعَادِيَات.

وقوله: ﴿لَا تَصْحَبُ الْيَمِينُ﴾ أي: تخلفن، أو: أدخرن، أو: رُوِّجْنَ لأصحاب اليمين. والأظهر أن تقديره: أَنشَأْنَهُنَّ لأصحاب اليمين. وهذا توجيه ابن جرير. قلت: ويُحتمل أن يكون متعلقًا بما قبله، وهو قوله: ﴿أَتَرَكَا﴾ ﴿لَا تَصْحَبُ الْيَمِينُ﴾ أي: في أسنانهم.

وقوله: ﴿ثَلَاثَةَ يَوْمٍ الْأَوَّلِينَ وَثَلَاثَةَ يَوْمٍ الْآخِرِينَ﴾ أي: جماعة من الأولين، وجماعة من الآخرين.

الآية (٤١-٥٠): ﴿وَأَصْحَبُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَبُ الشِّمَالِ﴾ أي: أي شيء هم أصحاب الشمال؟ ثم قَسَرَ ذلك فقال: ﴿فِي سَبْعٍ﴾ وهو: الهواء الحار، و﴿سَبْعٍ﴾ وهو: للماء الحار، ﴿وَيَطْلُبُ يَمِينُورُ﴾ هو الدخان الأسود، قال ابن عباس: ظل الدخان، وهذه كقوله تعالى: ﴿أَطْلُقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكْفِرُونَ﴾ ﴿أَطْلُقُوا إِلَى ذَلِكَ شَيْءٍ﴾ لأَطْلُقُ لِأَيِّ شَيْءٍ مِنَ اللَّهِ ﴿إِنَّمَا تَرْضَى بِشَرِّهِ كَالْفَصْرِ﴾ كَأَنَّهُ رَجَلَتْ صَفْرُ ﴿وَلَوْ رَمَيْتُ لِلْكَافِرِينَ﴾ [المرسلات: ٢٩-٣٤].

﴿لَا يَأْبُو وَلَا كَبِيرُ﴾ أي: ليس طيب الميول ولا حَسَنَ المَنْظَرِ، كما قال الحسن وقتادة. ثم ذَكَرَ تعالى استحقاقهم لذلك، فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرُوكِينَ﴾ أي: كانوا في الدار الدنيا مُتَعَمِّينَ مُقْبِلِينَ على لَذَاتِ أَنْفُسِهِمْ، لا يَلْتَوُونَ على ما جاءهم به الرسل.

﴿وَكَاؤُا يُسْرُونَ﴾ أي: يُصَمِّمُونَ ولا ينوون توبة. ﴿عَلَى لَيْثٍ الْعَظِيمِ﴾ وهو الكفر بالله، ويجلُّ الأوثان والأنداد أربابًا من دون الله. قال ابن عباس وغيره: الشُّرك. وقال الشعبي: هو اليمين الغموس. ﴿وَكَاؤُا يُقُولُونَ أَيْدَا يَمَنًا وَكُنَّا شُرَكَاءَ وَعَظَمْنَا إِنَّمَا تَمَجُّوْنَ﴾ ﴿أَوَّابًا وَأَوَّابًا﴾ ﴿أَلَاؤُونَ﴾؟ أي: يهيمون بذلك مُكْبِدِينَ به مُسْتَبِيلِينَ لوقوعه، قال الله تعالى: ﴿فَذَلِكِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ﴾ ﴿لَمَجْمُوعُونَ﴾ أي: اخبرهم

يا محمد أن الأولين والآخرين من بني آدم سيُجْمَعُونَ إلى عَرَصَاتِ القيامة، لا تُغَادِرُ عنهم أحدًا، كما قال: ﴿ذَلِكَ يَوْمُ مَجْمُوعٍ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمُ مَشْهُودٍ﴾ ﴿وَمَا يُخْزِرُهُ إِلَّا لِأَجْلِ مَعْدُودٍ﴾ [هود: ١٠٣-١٠٤]. ولهذا قال ههنا: ﴿إِنَّ يَمِينَتِي يَوْمَ تَمُوتُ﴾ أي: هو مُوقَّتٌ بوقت محدد، لا يَتَقَدَّمُ ولا يَتَأَخَّرُ، ولا يزيد ولا ينقص.

الآية (١٧-٢٦): ﴿يَتْلُوهُ عَلَيْهِمْ وَلَدُنْهُمْ عَزَّوَجَلَّ﴾ أي: يخلدون على صفة واحدة، لا يَكْتُمُونَ عنها ولا يَتَشَبَّهُونَ ولا يَتَغَيَّرُونَ.

﴿يَاكُوتَابُ وَالْأَرِيقُ وَكَأْسٌ مِّنْ مَّعِينٍ﴾ أما الكُوتَابُ، فهي: الكيزان التي لا حَرَاطِيمَ لها ولا أَذَان. والأباريق: التي جُمِعَت الوصفين. والكُؤوس: السِّهَابَاتُ، والجميع من خَرَّ من عين جارية مَعِينٍ، ليس من أوعية تنقطع وتفرغ، بل من عيون سارحة.

وقوله: ﴿لَا يَصْغُرُونَ عَيْنًا وَلَا يَبُورُونَ﴾ أي: لا تَصْغُرُ رؤوسهم ولا تُنْزَفُ عقولهم، بل هي ثابتة مع الشدة المُطَرِّبة واللذة الحاصلة.

وقوله: ﴿وَوَكَيْهَهُمْ مِّمَّا يَخْتَفِرُونَ﴾ أي: يطفون عليهم بما يَخْتَفِرُونَ من الشار وهذه الآية دليل على جواز أكل الفاكهة على صفة التخير لها. ﴿وَيَلْبِسُ بَعْضُهُمُ الْبَعْضَ﴾ عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن طير الجنة كأمثال البُحْتِ، تَرَعَى في شَجَرِ الجنة». فقال أبو بكر: يا رسول الله، إن هذه لَطَبْرٌ ناعمة! فقال: «أَكَلْتُهَا أَنْعَمَ مِنْهَا» [رواه أحمد، وصححه الألباني].

﴿وَسُورٌ عَيْنٌ﴾ أي: وهم فيها حور عين. ﴿كَأَنَّ شِدْلَ اللَّوْلُؤِ الْمَكُونِ﴾ أي: كأنهم اللؤلؤ الرطب في بياضه وصفائه، ولهذا قال: ﴿حَرَّةٌ يَمَّا كَاؤًا يَسْلُونَ﴾ أي: هذا الذي أحفناهم به مجازة لهم على ما أحسنوا من العمل. ثم قال: ﴿لَا تَسْمَعُونَ فِيهَا لَقَا وَلَا تَأْتِيَا﴾ ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَكْنَا سَلَكًا﴾ أي: لا يسمعون في الجنة كلامًا لاغيًا، أي: غثًا خاليًا عن المعنى، أو مشتملًا على معنى حقير أو ضعيف؛ كما قال: ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَقِيَةً﴾ [الغاشية: ١١]. ﴿وَلَا تَأْتِيَا﴾ أي: ولا كلامًا فيه قُبْحٌ. ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَكْنَا سَلَكًا﴾ أي: إلا التسليم منهم بعضهم على بعض؛ كما قال: ﴿يَحْيِيْنَهُمْ فِيهَا سَلَكٌ﴾ [إبراهيم: ٢٣]. وكلامهم أيضًا سالم من اللغو والإثم.

الآية (٢٧-٤٠): قال ميمون بن مهران: أصحاب اليمين منزلة دون المقرين. ﴿وَأَصْحَبُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَبُ الْيَمِينِ﴾ أي: أي شيء أصحاب اليمين؟! وما حالهم؟! وكيف ما لهم؟! ثم قَسَرَ ذلك فقال: ﴿فِي سَبْعٍ تَحْشُرُونَ﴾ يسر الدنيا كثير الشوك قليل الثمر، وفي الآخرة على عكس من هذا، لا شوك فيه، وفيه الثمر الكثير الذي قد أَثْقَلَ أصله.

﴿وَيَطْلُبُ مَضُورُ﴾ الطلح: شَجَرٌ عَظَامٌ يكون بأرض الحجاز، من شجر المضاء، واحدته طلحة، وهو شَجَرٌ كثير الشوك، وقال مجاهد: ﴿مَضُورُ﴾ أي: متراكم الثمر. وقال السُّدِّي: مصفوف. قال ابن عباس: يشبه طلح الدنيا، ولكن له ثمر أحل من العسل. وعن أبي سعيد: ﴿وَيَطْلُبُ﴾ قال: الموز. وروي عن ابن عباس وأبي هريرة والحسن وعكرمة ومجاهد وقتادة مثل ذلك، وبه قال ابن زيد، وزاد: أهل اليمن يُسْمُونَ الموز الطلح. ولم يَحْكُ ابن جرير غير هذا القول. وقوله: ﴿وَيَطْلُبُ مَضُورُ﴾ عن أبي هريرة - يبلغ به النبي ﷺ - قال: «إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها واقروا إن شِئْتُمْ: ﴿وَيَطْلُبُ مَضُورُ﴾» [متفق عليه، وقال الضحاك: ﴿وَيَطْلُبُ مَضُورُ﴾: لا ينقطع، ليس فيها شمس ولا حر؛ مثل قبل طلوع الفجر. وقد تقدمت الآيات كقوله تعالى: ﴿أَكَلْهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد: ٣٥].

﴿وَمَا وَتَشْكُرُ﴾ قال الثوري: يجري في غير أ حدود. ﴿وَوَكَيْهَهُمْ كَبِيرَةً﴾ أي: وعندهم من الفواكه الكثيرة المتنوعة في الألوان ما لا عين رَأَتْ، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ، ولا خَطَرَ على قلب بشر. ﴿لَا مَقْطُوعٌ وَلَا مَمْتُوعٌ﴾ أي: لا تنقطع، بل أَكَلُهَا دائم مستمر أبدًا،

(١) ماء زُعاق، أى: مالح [ينظر معجم مقاييس اللغة، مادة (زُعق)].



## ● الوقفات التدريبية

١ ﴿عَنْ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُورِينَ﴾

أي أوجبناه على مقدار معلوم لكل أحد لا يتعداه؛ فقصرتنا عمر هذا، وربما كان في الأوج من قوة البدن وصحة المزاج، وأطلنا عمر هذا، وقد يكون في الحضيض من ضعف البدن واضطراب المزاج، وأنتم معترفون بأنه سبحانه رتب أفعاله على مقتضى الكمال والقدرة والحكمة البالغة، الباقى: ٢٢١/١٩.

السؤال: ما معنى قوله تعالى: (نحن قدرنا بينكم الموت)؟

٢ ﴿وَلَقَدْ عَشَرْنَا النِّشَاءَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا نَذْرُكَ﴾

قوله: (فلولا تذكرون) يقول تعالى ذكره: فهلا تذكرون أيها الناس، فتعلموا أن الذي أنشاكم النشأة الأولى، ولم تكونوا شيئاً، لا يتعذر عليه أن يعيدكم من بعد مماتكم وفنائكم أحياء الطبري: ١٣٨/٢٣.

السؤال: لماذا قرن الله تعالى بين النشأة الأولى والتذكر؟

٣ ﴿أَنشُرْ زَرْعُوهٖ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾

وتضمن هذه الآية أمرين: أحدهما: الامتنان عليهم بأن أنبت زرعهم حتى عاشوا به؛ ليشكروه على نعمته عليهم، الثاني: البرهان الموجب للاعتبار بأنه لما أنبت زرعهم بعد تلاشي بذره، وانتقاله إلى استواء حاله من العفن والتتريب حتى صار زرعاً أخضر، ثم جعله قوياً مستنداً أضعاف ما كان عليه؛ فهو بإعادة من أمات أخف عليه وأقدر. وفي هذا برهان مقنع لذوي الفطر السليمة، القرطبي: ٢١١/٢٠.

السؤال: اذكر من الله على خلقه بالزرع باختصار.

٤ ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾

واقصر سبحانه على ذكر الشرب -مع كثرة فوائد الماء ومنافعه- لأنه أعظم فوائده وأجل منافعه، الشوكاني: ١٥٨/٥.

السؤال: لماذا اقصر الآية الكريمة على ذكر الشرب مع أن للماء منافع كثيرة؟

٥ ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: (أنتم أنزلتموه من المزن) يدل على أن جميع الماء الساكن في الأرض، النافع من العيون والآبار ونحو ذلك، أن أصله كله نازل من المزن، وأن الله أسكنه في الأرض وخزنه فيها لخلقها، الشنيطي: ٥٣٤/٧.

السؤال: ما أصل جميع الماء الساكن في الأرض من العيون والآبار ونحو ذلك؟

٦ ﴿عَنْ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْبِينَ﴾

(المقوين): المسافرين، وخص الله المسافرين لأن نفع المسافرين بذلك أعظم من غيره، ولعل السبب في ذلك لأن الدنيا كلها دار سفر، والعبد من حين ولد فهو مسافر إلى ربه، السعدي: ٨٣٦/٨٣٥.

السؤال: لماذا خص المسافر بالذكر في الانتفاع بهذه النار؟

٧ ﴿سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾

تنزيهه تعالى وتعظيمه جل وعلا بعد ذكر نعمه سبحانه مدح عليه؛ فهو شكر للمنع في الحقيقة، الألوسي: ١٥٠/١٤.

السؤال: ما دلالة الأمر بالتسبيح بعد ذكر النعم في الآية؟

ثُمَّ أَكْرَمُهَا الصَّالُونَ الْمَكْتُبُونَ ٥ لَا يَكُونُ مِنْ سَجَرٍ مِنْ رَعْمٍ ٥  
فَالْيَوْمَ مِنْهَا الْبُطُونَ ٥ فَشَرِبُوا مِنْهُ ٥ فَشَرِبُوا ٥ فَشَرِبُوا ٥  
شَرِبَ إِلَيْهِمْ ٥ هَذَا أَنْزَلْنَاهُ يَوْمَ الْيَوْمِ ٥ نَحْنُ خَلَقْنَاهُ فَلَوْلَا  
نُصْرَتُنَا ٥ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ٥ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ  
الْمَخْلُقُونَ ٥ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُورِينَ ٥  
عَلَىٰ أَنْ يُبْدَلَ أَمْثَلَكُمْ وَنُنْشِئُكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ٥ وَلَقَدْ  
عَلَّمْنَاهُ النِّشَاءَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ٥ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ٥  
أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ٥ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ  
حُطَلَاءَ فَظَلَمْتُمْ تَفَكَّهُوتَ ٥ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ٥ بَلْ نَحْنُ  
مَخْرُومُونَ ٥ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ٥ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ  
مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ٥ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ جُمَلًا فَلَوْلَا  
تَشْكُرُونَ ٥ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ٥ أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ  
شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ٥ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا  
لِلْمُقْبِينَ ٥ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ٥ \* فَلَا أَفْسَــ  
يَمَوْفِقَ الْجُجُومِ ٥ وَآيَاتُهُ لَفُتْسَةٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ٥

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
رَعْمٍ	الرَّعْمُ: أَقْبَحُ الشَّجَرِ فِي النَّارِ.
شَرِبَ إِلَيْهِمْ	كَشَرِبَ الْإِبِلَ الْعِطَاشَ الَّتِي لَا تَرَوِي لِبَاءِ يُصِيبُهَا.
بِمَسْبُورِينَ	بِعَاجِزِينَ.
تَفَكَّهُونَ	تَتَعَجَّبُونَ مِمَّا نَزَلَ بِزَرْعِكُمْ.
إِنَّا لَمُغْرَمُونَ	تَقُولُونَ: إِنَّا لَخَاسِرُونَ مُعَذِّبُونَ.
الْمُزْنِ	السَّحَابِ.
أَجَا	شَدِيدَ اللَّوْحَةِ لَا يُنْتَفَعُ بِهِ فِي شَرْبٍ، وَلَا زَرْعٍ.
تُورُونَ	تُوقِدُونَ، وَتَقْدَحُونَ الزُّنَادَ لِاسْتِخْرَاجِهَا.

## ● العسل بالآيات

- إذا أكلت طعاماً فعدد المراحل التي انتقل إليها الطعام حتى أصبح مهياً للأكل ثم الحمد لله على ذلك ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾.
- الحمد لله كلما شربت، ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾.
- قل في ركوعك: (سبحان ربي العظيم) متاولاً هذه الآية: ﴿سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾.

## ● التوجيهات

- شدة نار جهنم وما فيها من العذاب البدني والنفسي، ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ﴾.
- الاعتراف بالعبودية لله على ما أنعم وتفضل علينا من الخلق والرزق والتدبير، ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُ فَلَوْلَا نَصْرَتُنَا﴾.
- كما أن في نار الدنيا نفعاً للعباد ففيها تذكير لهم بنار الآخرة، ﴿عَنْ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْبِينَ﴾.



## ● الوقفات التدريبية

١ ﴿ إِنَّهُ لَقَرَّاءٌ كَرِيمٌ ﴾

أي كَرَّمَهُ الله وعزَّه ورفع قدره على جميع الكتب، وكَرَّمَهُ عن أن يكون سحراً أو كهانة أو كذباً، وقيل: إنه كريم لما فيه من كرم الأخلاق ومعالي الأمور، وقيل: لأنه يكرم حافظه ويعظم قارنه، وحكى الواحدي عن أهل المعاني: أن وصف القرآن بالكريم لأن من شأنه أن يعطي الخير الكثير بالدلائل التي تؤدي إلى الحق في الدين، قال الأزهري: الكريم اسم جامع لما يحمده، والقرآن الكريم يحمده لما فيه من الهدى والبيان والعلم والحكمة. الشوكاني: ١٦٠/٥.

السؤال: اذكر بعض أوجه كرم القرآن.

١ ﴿ إِنَّهُ لَقَرَّاءٌ كَرِيمٌ ﴾ في كِتَابٍ مَّكُونٍ ﴿٣٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٣٩﴾ ودلت الآية بإشارتها وإيمائها على أنه لا يدرك معانيه ولا يفهمه إلا القلوب الطاهرة، وحرام على القلب التلوث بنجاسة البدع والمخالفات أن ينال معانيه، وأن يفهمه كما ينبغي. ابن القيم: ١٢٠/٣.

السؤال: من أراد أن يفهم القرآن فليطهر قلبه، وضع ذلك من الآيات.

١ ﴿ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْمَالِكِينَ ﴾

وذكر التنزيل مضاعفاً إلى ربوبيته للعالمين، المستلزمة تملكه لهم، وتصرفه فيهم، وحكمه عليهم، وأن من هذا شأنه مع الخلق كيف يليق به مع ربوبيته التامة أن يتركهم سدى، ويدعهم هملأ، ويخلقهم عبثاً، لا يامرهم ولا ينههم، ولا يثيبهم ولا يعاقبهم. ابن القيم: ١٢١/٣.

السؤال: لماذا أضيف التنزيل إلى وصف الربوبية لله سبحانه وتعالى؟

١ ﴿ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْمَالِكِينَ ﴾

أي: إن هذا القرآن الموصوف بتلك الصفات الجليلة هو تنزيل رب العالمين، الذي يربي عباده بنعمه الدينية والدنيوية، ومن أجل تربيتة ربي بها عباده أنزله هذا القرآن الذي قد اشتمل على مصالح الدارين. السعدي: ٨٣٦.

السؤال: لماذا وصف الله نفسه بأنه رب العالمين بعد ذكر تنزيل القرآن الكريم؟

١ ﴿ أَفَهِذَا لُكُوبٌ أَنْتُمْ مَدَّهُونَ ﴾

أهبطوا القرآن الذي أنبأكم خبره، وقصص عليكم أمره أبها الناس أنتم تلينون القول للمكذبين به، مملأة منكم لهم على التكذيب به والكفر. الطبري: ١٥٢/٢٣.

السؤال: ما المراد بقوله تعالى: (مدنون)؟

١ ﴿ وَتَجْمَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكْذِبُونَ ﴾

قال ابن عطية: أجمع المفسرون على أن الآية توبيخ للضالين في المطر: إنه نزل بنوء وكذا وكذا. والمعنى: تجعلون شكر رزقكم التكذيب. ابن جزي: ٤٠٦/٢.

السؤال: ما المراد في هذه الآية بـ (الرزق) و (التكذيب)؟

١ ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾

يعني: هو (الأول) قبل كل شيء بلا ابتداء، كان هو ولم يكن شيء موجوداً، (والآخر) بعد فناء كل شيء، بلا انتهاء؛ تغنى الأشياء ويبقى هو، (الظاهر) الغالب العالي على كل شيء، (والباطن) العالم بكل شيء، هذا معنى قول ابن عباس. البغوي: ٣٢٢/٤.

السؤال: بين معاني هذه الأسماء الحسنى.

إِنَّهُ لَقَرَّاءٌ كَرِيمٌ ﴿٣٨﴾ فِي كِتَابٍ مَّكُونٍ ﴿٣٩﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٤٠﴾ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤١﴾ أَفَهِذَا لُكُوبٌ أَنْتُمْ مَدَّهُونَ ﴿٤٢﴾ قَوْلًا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٤٣﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٌ نُنْظَرُونَ ﴿٤٤﴾ وَتَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿٤٥﴾ قَوْلًا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٤٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٧﴾ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ بُعِيرٌ ﴿٤٩﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٥٠﴾ فَسُلَّةٌ مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٥١﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٥٢﴾ فَتُزَلُّ مِنْ حِمْيَرٍ ﴿٥٣﴾ وَتَصْلِيَةٌ جَهِيمٍ ﴿٥٤﴾ إِنَّ هَذَا لَهَوٌّ حَقِيقٌ ﴿٥٥﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥٦﴾

سُورَةُ الْوَاحِدَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ نُجًى وَيُؤْتِي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
مَكُونٌ	مُسْتَوْرٍ مَضُونٍ.
مُدَّهُونَ	مُكْذِبُونَ.
غَيْرَ مَدِينِينَ	غَيْرَ مَجْزِيَّينَ، وَمُحَاسِبِينَ.
فَرْوَحٌ	رَحْمَةٌ، وَسَعْفَةٌ، وَاسْتِرَاحَةٌ، وَفَرْحٌ.
فَنَزُلُ	ضِيَاقَةٌ.
الْأَوَّلُ	الَّذِي لَيْسَ قَبْلَهُ شَيْءٌ.
وَالْآخِرُ	الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ شَيْءٌ.
وَالظَّاهِرُ	الَّذِي لَيْسَ فَوْقَهُ شَيْءٌ.
وَالْبَاطِنُ	الَّذِي لَيْسَ دُونَهُ شَيْءٌ.

## ● العمل بالآيات

- أكرم كتاب الله تعالى واجله بترتيبه في رفوف مسجدهم وإزالة الغبار عنه. ﴿ إِنَّهُ لَقَرَّاءٌ كَرِيمٌ ﴾.
- مرريضاً ومفسلة موتى أو مقبرة، ﴿ قَوْلًا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴾ (٤٣) وَأَنْتُمْ حِينِيذٌ نُنْظَرُونَ ﴿٤٤﴾.
- توضا قبل أن تقرأ القرآن، ﴿ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾.

## ● التوجيحات

- ملأينة أعداء الله على كضهرهم البواح وتكذيبهم للوحي نوع من التكذيب، ﴿ أَفَهِذَا لُكُوبٌ أَنْتُمْ مَدَّهُونَ ﴾.
- عظم جزاء القربين، ﴿ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ (٤٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ بُعِيرٌ ﴿٤٩﴾.
- الحرص على تعلم أسماء الله الحسنى والتعبد بها، ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾.

وريجان، وتُبَشِّرُهُم الملائكة بذلك عند الموت. قال ابن عباس: ﴿رَوْحٌ﴾: راحة ﴿وَرِيحَانٌ﴾: مسراحة. وقال مجاهد: الرُّوح: الاستراحة. وقال ابن جبير والسُّدِّي: الرُّوح: الفرح. وعن مجاهد: ﴿رَوْحٌ وَرِيحَانٌ﴾: جنة ورخاء. وقال قتادة: ﴿رَوْحٌ﴾: فرحة. وقال ابن عباس ومجاهد وابن جبير: ﴿وَرِيحَانٌ﴾: وورق. وكل هذه الأقوال متقاربة صحيحة؛ فإن من مات مُقَرَّبًا حَصَلَ له جميع ذلك من الرحمة والراحة والاستراحة، والفرح والسرور والرزق الحسن ﴿وَحَثَّ نَبِيْرٌ﴾.

وقوله: ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَعْصَابِ الْيَتِيْمِ﴾ أي: وأما إن كان المحتضر من أصحاب اليمين ﴿فَسَلَّمَ لَكَ مِنْ أَعْصَابِ الْيَتِيْمِ﴾ أي: بُشِّرُهُم الملائكة بذلك؛ تقول لأحدهم: سلامٌ لك، أي: لا بأس عليك، أنت إلى سلامة، أنت من أصحاب اليمين. وقال قتادة وابن زيد: سَلِمَ من عذاب الله، وسَلِّمَتْ عليه ملائكة الله. كما قال عكرمة تسلم عليه الملائكة، ونخبره أنه من أصحاب اليمين. وهذا معنى حسن. وقال البخاري: ﴿فَسَلَّمَ لَكَ﴾ أي: مُسَلِّمٌ لك أنك من أصحاب اليمين. وأُفْغِيتَ «أَنْ» وبقي معناها.

﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكْفِرِيْنَ الصَّالِحِيْنَ﴾ ﴿٣٧﴾ نَزَلَ مِنْ جَبْرِ ﴿٣٨﴾ وَصَلِيَّةٌ جَبْرِ﴾ أي: وأما إن كان المحتضر من المكلفين بالحق، الصَّالِحِينَ عن الهدى، ﴿فَنَزَلَ﴾ أي: فضيافة ﴿مِنْ جَبْرِ﴾ وهو السُّدَّاب الذي يُصْهِر به ما في بطونهم والجلود. ﴿وَصَلِيَّةٌ جَبْرِ﴾ أي: وتقديره في النار التي تُغْفَره من جميع جهاته. ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ مَحَرِّقَ الْيَتِيْمِ﴾ أي: إن هذا الخبر هو الحق اليقين الذي لا مِرَّةَ فيه، ولا عِجْدَ لأحد عنه.

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الْعَظِيْمِ﴾ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «كلماتان خفيفتان على اللسان، ثَقِيْلَتان في الميزان، حَبِيْبَتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم» [متفق عليه].

### تفسير سورة الحديد

وهي مدنية، [وعدد آياتها (٢٩) آية].

الآية (١-٣): نُجَبِّرُ تعالى أنه يسبح له ما في السموات والأرض، أي: من الحيوانات والنباتات؛ كما قال في الآية الأخرى: ﴿سُبْحَانَكَ أَنْتَ إِلَهٌ لَّنَا وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْجُدُ لَكَ وَلَكِنْ لَّا تُفْقَهُوْنَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ خَلِيقًا عَظِيمًا﴾ [الإسراء: ٤٤]. وقوله: ﴿وَهُوَ الْعَزِيْزُ﴾ أي: الذي قد خَضَعَ له كل شيء، ﴿لِلْعَلَمِ﴾ في خَلْقِهِ وأَمْرِهِ وَشَرْعِهِ، ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ يُعِيْثُ﴾ أي: هو المالك الْمُتَصَرِّف في خلقه فَيُحْيِي وَيُمِيت، وَيُعْطِي من يشاء ما يشاء، ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ﴾ أي: ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ قال ابن عباس: إذا وَجَدْتَ في نفسك شيئاً <sup>(١)</sup> قل: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ يَكِلُ شَيْءٌ عَلِيْمٌ﴾ [رواه أبو داود، وصححه الألباني].

وقد اختلفت عبارات المفسرين في هذه الآية. وقال البخاري: قال يحيى: الظاهر على كل شيء علماً، والباطن على كل شيء علماً. وعن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ كان يدعو عند النوم: «اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء» [رواه مسلم].

(١) أي: شيئاً من الشك؛ كما يوضحه أصل الرواية المطولة.

الآية (٧٧-٨٢): ﴿إِنَّهُ لَقَرَّاءٌ كَرِيْمٌ﴾ أي: إن هذا القرآن الذي نَزَلَ على محمد لكتاب عظيم ﴿فِي كِتَابٍ مَّكْنُوْنٍ﴾ أي: في كتاب مُعْظَم محفوظ مُؤَقَّر.

عن ابن عباس: ﴿لَا يَمَسُّهُ﴾ قال: الكتاب الذي في السماء ﴿وَلَا الْمَظْهَرُونَ﴾ يعني: الملائكة. وكذا قال أنس ومجاهد وعكرمة وابن جبير وغيرهم. وقال قتادة: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمَظْهَرُونَ﴾ قال: لا يمسّه عند الله إلا المظهرون، فأما في الدنيا فإنه يَمَسُّهُ المجوسي النجس، والمنافق الرجس. وقال ابن زيد: رَعِمَتْ كفار قريش أن هذا القرآن تَنَزَّلَتْ به الشياطين، فأخبر الله تعالى أنه لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمَظْهَرُونَ كما قال: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِالشَّاطِطِيْنَ﴾ ﴿٧٧﴾ وَمَا يَنْبَغِيْ لَهُمْ وَمَا يَسْتَلِيْعُونَ ﴿٧٨﴾ لَهْجَرِيْ النَّسْجِ لَمَزُوْلُوْنَ﴾ [النجم: ٢١٠-٢١٢]. وهذا القول قول جيد، وهو لا يخرج عن الأقوال التي قبله. وقال آخرون: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمَظْهَرُونَ﴾ أي: من الجنابة والحدث. قالوا: ولفظ الآية خبر ومعناها الطلب، قالوا: والمراد بالقرآن ههنا المصحف، روى مسلم عن ابن عمر قال: نهي رسول الله ﷺ أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو مخافة أن يناله العدو. قوله تعالى: ﴿تَنْزِيْلٌ مِنْ رَّبِّ السَّمٰوٰتِ﴾ أي: هذا القرآن منزل من الله رب العالمين، وليس هو كما يقولون: إنه يسخر أو كهانة أو شعر، بل هو الحق الذي لا مِرَّةَ فيه، وليس وراءه حق نافع.

﴿أَفَيْدًا لِّلْكَوْبِ أَنْتُمْ مُدْهُوْنَ﴾ قال ابن عباس: أي مكذبون غير مصدقين. وكذا قال الضحاك والسُّدِّي. ﴿وَيَعْمَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكْذِبُونَ﴾ قال بعضهم: يعني: وتجعلون رِزْقكم بمعنى شُكْركم أنكم تكذبون، أي: تكذبون بَدَل الشكر. ومن لغة أزد شنوءة: (ما رَزَقَ فلان) بمعنى: (ما شُكِرَ فلان). وعن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما أنزل الله من السماء من بركة إلا أصبح فريق من الناس بها كافرين؛ ينزل الغيث فيقولون: بكوكب كذا وكذا». تفرد به مسلم. وقال مجاهد: ﴿وَيَعْمَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكْذِبُونَ﴾ قال: قولهم في الأنواء: مطرنا بئس كذا، وبئس كذا؛ يقول: قولوا: هو من عند الله، وهو رزقه. وهكذا قال الضحاك وغير واحد. أما الحسن فكان يقول: بئس ما أخذ قوم لأنفسهم؛ لم يرزقوا من كتاب الله إلا التكذيب. فمعنى قول الحسن هذا: وتجعلون حطكم من كتاب الله أنكم تكذبون به؛ ولهذا قال قبله: ﴿أَفَيْدًا لِّلْكَوْبِ أَنْتُمْ مُدْهُوْنَ﴾.

الآية (٨٣-٨٧): ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ﴾ أي: الروح ﴿لِلْمَلْعَمِ﴾ أي: السحلق، وذلك حين الاحتضار، ﴿وَأَنْتُمْ جِنْدٌ تَنْظُرُونَ﴾ أي: إلى المُحْضَر وما يُكَايِده من سكرات الموت. ﴿وَحَثَّ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ﴾ أي: بملأكتنا ﴿وَلَكِنْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ أي: ولكن لا نروهم.

﴿فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِيْنَ﴾ ﴿٨٣﴾ تَرْجِعُوْنَهَا﴾ معناه: فهل ترجعون هذه النفس التي قد بَلَغَتْ الحلقوم إلى مكانها الأول، ومقرها في الجسد ﴿إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِيْنَ﴾ قال ابن عباس وغيره: يعني محاسبين. وقال ابن جبير والحسن: ﴿غَيْرَ مَدِينِيْنَ﴾: غير مُصَدِّقِينَ أنكم تُدْأَوْنَ وتُحْشَرُونَ وتُجَزَّوْنَ، فَرُدُّوا هذه النفس. وعن مجاهد: ﴿غَيْرَ مَدِينِيْنَ﴾: غير مُؤَقِّتِينَ.

الآية (٨٨-٩٦): هذه الأحوال الثلاثة هي أحوال الناس عند احتضارهم: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ﴾ أي: المحتضر ﴿مِنَ الْمُتَّقِيْنَ﴾ وهم الذين فعلوا الواجبات والمستحبات، وتركوا المحرمات والمكروهات وبعض المباحات؛ ﴿فَرَوْحٌ وَرِيحَانٌ وَحَثَّ نَبِيْرٌ﴾ أي: فلهم رَوْح



(١) صفحة ١٥٧.



## ● الوقفات التدريبية

● ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾

وهذه المعية معية العلم والاطلاع، ولهذا توعد ووعد على المجازاة بالأعمال بقوله:

(والله بما تعملون بصير). السعدي: ٨٣٨.

السؤال: ما نوع المعية في هذه الآية؟

● ﴿ مَا مَثْوَاهُ إِلَّا فِي رِزْقِهِ وَأَنْقُضُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْقَضُوا لَهُمْ مَا أَجْرُهُمْ ﴾

وقوله: (مستخلفين فيه) يعني: أن الأموال التي بأيديكم إنما هي أموال الله، لأنه خلقها، ولكنه منكم بها وجعلكم خلفاء بالتصرف فيها، فأنتم فيها بمنزلة الوكلاء، فلا تمنعوها من الإنفاق فيما امركم مالكمها أن تنفقوها فيه. ابن جزي: ٤١٠/٢.

السؤال: دل قوله: (مستخلفين فيه) على حقيقة مهمة، فما هي؟

● ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ يَمُوتُ الْأَرْضُ ﴾

أي: أنفقوا ولا تخشوا فقراً وإقلالاً، فإن الذي أنفقتم في سبيله هو مالك السموات والأرض، ويبيده مقاليدهما، وعنده خزائنها. ابن كثير: ٣٠٧/٤.

السؤال: ما الحكمة من ذكر قوله تعالى: (ولله ميراث السماوات والأرض) بعد ذكر الأمر بالإنفاق؟

● ﴿ لَا يَسْأَلُ مِنْكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ ﴾

وإنما كانت النفقة قبل الفتح أعظم لأن حاجة الناس كانت أكثر؛ لضعف الإسلام، وفعل ذلك كان على المنفقين حينئذ أشق، والأجر على قدر النصب. القرطبي: ٢٤٠/٢.

السؤال: لماذا كانت النفقة قبل الفتح أعظم؟

● ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَرْفُضُ اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾

وحيث جاء هذا القرض في القرآن قِيْدَهُ بكونه حسناً؛ وذلك يجمع أموراً ثلاثة: أحدها: أن يكون من طيب ماله، لا من رديئه وخبيثه. الثاني: أن يخرج به طيبه بنفسه، ثابتة عند بذله ابتغاء مرضاة الله. الثالث: أن لا يمن به ولا يؤذي. فالأول يتعلق بالمال، والثاني يتعلق بالمنفق وبينه وبين الله، والثالث بينه وبين الأخذ. ابن القيم: ١٢٨/٣.

السؤال: متى توصف الصدقة بالقرض الحسن؟

● ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَرْفُضُ اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾

وسمي ذلك الإنفاق قرضاً حسناً حتى للنفوس، وبعثاً لها على البذل، لأن الباذل متى علم أن المستقرض ملىء وفيه محسن كان ابغى في طيب قلبه وسماحة نفسه. ابن القيم: ١٢٨/٣.

السؤال: لماذا سُمِّيَ الإنفاق في سبيل الله قرضاً حسناً؟

● ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَرْفُضُ اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾

قال القرطبي: والقرض الحسن: أن يكون المتصدق صادق النية، طيب النفس، يبتغي به وجه الله دون الرياء والسمعة، وأن يكون من الحلال. القرطبي: ٢٤٤/٢.

السؤال: ما القرض الحسن؟

هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَاسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَزِلُّ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَرْجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ٥ ۝ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ٦ ۝ يُؤْتِي الْبَلَّ فِي النَّهَارِ وَيُؤْتِي اللَّيْلَ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا يَكُونُ ٧ ۝ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَبْلَ الْفَتْحِ ٨ ۝ وَأَنْقَضُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْقَضُوا لَهُمْ مَا أَجْرُهُمْ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِمَا كُنْتُمْ تُبْذَرُونَ ٩ ۝ أَخَذَ مِيثَاقَهُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ١٠ ۝ هُوَ الَّذِي يُزِيلُ عَلَى عَبْدِهِ ۝ أَلَيْسَ لِنَبِيِّنَا لِحَرْبٍ كَرَمٌ مِنَ الظَّالِمِينَ إِلَى التَّوْبَةِ وَإِنَّ اللَّهَ يَكُونُ لَكُمْ رَعُوفٌ رَحِيمٌ ١١ ۝ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ يَمُوتُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضُ لَا يَسْأَلُ مِنْكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيَاءِكُمْ أَغْطَاهُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْقَضُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلِهِمْ وَكَذَلِكَ وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَى ۝ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ١٢ ۝ مَنْ ذَا الَّذِي يَرْفُضُ اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفُهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ١٣ ۝

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
مَا يَلِجُ	مَا يَدْخُلُ مِنْ مَطَرٍ، وَغَيْرِهِ.
وَمَا يَخْرُجُ فِيهَا	مَا يَخْرُجُ مِنْهَا مِنَ الْمَلَأِكَةِ، وَالْأَعْمَالِ.
يُؤْتِي	يُدْخِلُ.
مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ	مِنْ الْمَالِ الَّذِي جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ فِي التَّصَرُّفِ فِيهِ.
الْفَتْحِ	فَتْحَ مَكَّةَ.
الْحَسَنَى	الْجَنَّةَ.
قَرْضًا حَسَنًا	مُحْتَسِبًا فِي نَفَقَتِهِ بِلَا مَنٍّ، وَلَا أَدَى.

## ● العمل بالآيات

- استخرج فائدتين من قوله: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾.
- انفق جزءاً من مالك مستشعراً أنك وكييل قد استخلفك الله على هذا المال، ﴿ وَأَنْقَضُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾.
- أضح آية لمسلم يحتاج إليها، ﴿ هُوَ الَّذِي يُزِيلُ عَلَى عَبْدِهِ ۝ أَلَيْسَ لِنَبِيِّنَا لِحَرْبٍ كَرَمٌ مِنَ الظَّالِمِينَ إِلَى التَّوْبَةِ وَإِنَّ اللَّهَ يَكُونُ لَكُمْ رَعُوفٌ رَحِيمٌ ﴾.

## ● التوجيهات

- التذكير بعظمة الله تعالى، ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَزِلُّ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَرْجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾.
- لا يفضل المؤمن من معية العامة التي يطلع بها عليه ويعلم حاله، ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾.
- تذكر عظيم الثواب والأجر الذي يناله من تصدق وانفق ماله في سبيل الله تعالى، ﴿ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْقَضُوا لَهُمْ مَا أَجْرُهُمْ ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «يؤتون نورهم على قدر أعمالهم؛ فمنهم من يؤتى نوره كالنخلة، ومنهم من يؤتى نوره كالرجل القائم، وأدناهم نوراً من نورهم من أعلى إبهامه؛ فيطأ مرة ويقد مرة». البغوي: ٣٢٤/٤. السؤال: هل يختلف نور المؤمنين يوم القيامة؟ وعلى أي أساس يختلف هذا النور؟

﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُتَّقُونَ وَالْمُتَّقَاتُ لَيْزَتِ أَمْئُونَا أَنْظَرُونَا نَقِشَ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾

وهذا أشد ما يكون من الحسرة والبلاء؛ أن يفتح للعبد طريق النجاة والصلاح، حتى إذا ظن أنه ناج، ورأى منازل السعداء، اقتطع عنهم، وضربت عليه الشقوق، ونعوذ بالله من غضبه وعقابه. ابن القيم: ١٢٩/٣.

السؤال: بين من خلال الآية العذاب النفسي الذي يقع على المنافقين يوم القيامة. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَؤُلَاءِ فَتَهْتَكُوا فُتُوحَ رَبِّكُمْ وَتَرْفَعُوا رُءُوسَكُمْ وَأَسْمَأُكُمْ وَأَسَمِئَكُمْ وَتَوَلُّوهُمْ وَغُرَّتْكُمْ الْاَمَانُ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغُرَّتْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾

وذكروا لهم أربعة أصول هي أسباب الخسران؛ وهي: فتنة أنفسهم، والترصيص بالمؤمنين، والارتياح في صدق الرسول ﷺ، والاعتراض بما حموه إليهم أنفسهم. ابن عاشور: ٣٨٥/٢٧.

السؤال: اذكر أسباب الخسران الأربعة الواردة في الآية الكريمة.

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾

(أن تخشع) أي: أن يكون لهم رتبة عالية في الإيمان؛ بأن تلتين وتسكن وتخضع وتذل وتطمئن، فتخبت، فتعرض عن الفاني وتقبل على الباقي. (قلوبهم لذكر الله) أي: الملك الأعظم الذي لا خير إلا منه، فيصدق في إيمانه من كان كاذباً، ويقوى في الدين من كان ضعيفاً، فلا يطلب لذلك دينه دواء، ولا لمرض قلبه شفاء في غير القرآن؛ فإن ذكر الله يجلو أصداء القلوب ويصقل مراتبها. البقاعي: ٢٧٩/١٩.

السؤال: ما أنجح دواء للقلب القاسي؟

﴿وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلَ طَالَّ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾

(فقسّت) أي: بسبب الطول (قلوبهم) أي: صلبت وأعوجت حتى كانت بحيث لا تتفعل للطاعات والخير؛ قال القشيري: وقسوة القلب إنما تحصل من اتباع الشهوة، وإن الشهوة والصفوة لا تجتمعان. البقاعي: ٢٨٠/١٩.

السؤال: ما معنى قسوة القلب؟

﴿وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلَ طَالَّ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ فقسّت قلوبهم: القسوة مبدأ الشرور، وتنشأ من طول الغفلة عن الله تعالى. الألوسي: ١٨١/١٤.

السؤال: ما خطورة قسوة القلب على الإنسان؟

﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ بَيْنَكُمْ لَكُمْ آيَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أريد به تمثيل حال احتياج القلوب المؤمنة إلى ذكر الله بحال الأرض الميتة في الحاجة إلى المطر، وحال الذكر في تزكية النفوس واستنارتها بحال الفيت في إحياء الأرض الجديدة. ابن عاشور: ٣٩٣/٢٧.

السؤال: ما فائدة الإخبار بأن الله يحيي الأرض بعد موتها؟

يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَنْشَرُ لَكُمْ يَوْمَ تَجُوزُ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١﴾ يَوْمَ يَقُولُ الْمُتَّقُونَ وَالْمُتَّقَاتُ لَيْزَتِ لِّلَّذِينَ آمَنُوا أَنْظَرُونَا نَقِشَ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بِتَاجِهِمْ بُسْرُوهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿٢﴾ يَتَادَوْهُمْ أَلَمْ تَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَفْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانُ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغُرَّتْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٣﴾ قَالُوا لِمَ لَا نُجِزُ مِنْكُمْ فِدْيَةً وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَا تَأْتِكُمْ الْقَارِعَةُ فَذُكِّرْتُمْ وَلَكِنْ يَنْصَرِفُ عَنْكُمْ وَرَأَيْتُمْ الْغُرُورَ ﴿٤﴾ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلَ طَالَّ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٥﴾ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦﴾ إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لِيُضَاعَفَ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿٧﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
نَقِشَ	نأخذ، ونُصِب.
وَرَفِصْتُمْ	تَرَفْتُمْ خُصُولُ النَّوَائِبِ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالْمُؤْمِنِينَ مَعَهُ.
وَعَرَّتْكُمْ الْأَمَانِي	خَدَعَتْكُمْ الْأَبَاطِيلُ.
فِدْيَةً	عَوَضٌ لِيُفْتَدَى بِهِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ.
مَا وَكُفُّمُ	مَصِيرُكُمْ.
أَلَمْ يَأْنِ	أَلَمْ يَحِنْ وَيَجِبِ الْوَقْتُ؟

## ● العمل بالآيات

١. قل: اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، ﴿وَلِكُلِّكُمْ فَتْنَةٌ أُنْفُسُكُمْ تَرْتَبْتُمْ وَأَرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانُ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغُرَّتْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾.
٢. اقرأ وجهاً من القرآن الكريم بتدبر، واستخرج فائدتين، ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾.
٣. تصدق بصدقة ترجو مضاعفتها يوم القيامة، ﴿وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لِيُضَاعَفَ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾.

## ● التوجيهات

١. يعطى العبد من النور يوم القيامة بحسب عمله، ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾.
٢. احذر من الريب والشك في الدين؛ فهو من علامات النفاق، ﴿وَلِكُلِّكُمْ فَتْنَةٌ أُنْفُسُكُمْ تَرْتَبْتُمْ وَأَرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانُ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغُرَّتْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾.
٣. ابتعد عن الأمانى؛ فهي راس مال الفاليس، ﴿وَعَرَّتْكُمُ الْأَمَانُ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغُرَّتْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾.

بعد الموت، ﴿وَعَزَّزْتُكُمُ الْأَمَانَةَ﴾ أي: قلتم: سيُعَقَّرُ لنا. وقيل: عزَّزْتُكم الدنيا ﴿حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ أي: ما زلتم في هذا حتى جاء الموت ﴿وَعَزَّزَكُمْ بِاللَّهِ الْمَرْوُورُ﴾ أي: الشيطان. قال قتادة: كانوا على خُذعة من الشيطان، والله ما زالوا عليها حتى قَدَفَهُمُ الله في النار. ومعنى هذا الكلام من المؤمنين للمنافقين: إنكم كنتم معنا بأبدان لا نية لها ولا قلوب معها، وإنا كنتم في حيرة وشك، فكنتم تُرَاوِنُونِ الناس ولا تذكرون الله إلا قليلاً. قال مجاهد: كان المنافقون مع المؤمنين أحياء يُنَاقِشُونَهُمْ ويغشونهم ويعاشرهم، وكانوا معهم أموالاً، ويُطْعَمُونَ النور جميعاً يوم القيامة، ويُطْعَمُ النور من المنافقين إذا بَلَغُوا الشَّوْرَ، ويُتَازَرُ بينهم حينئذ. وقوله: ﴿فَالْيَوْمَ لَا يَخُونُ إِحَدُكُمْ فِتْنَةً وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: لو جاء أحدكم اليوم بجلء الأرض دُفْعًا ومثله معه ليقفدي به من عذاب الله، ما قُبِلَ منه. ﴿وَأَمَّا تِلْكَ الْأَمْثَالُ﴾ أي: هي مصيركم وإليها مُنْقَلِبُكُمْ، ﴿فِي مَوَازِينٍ﴾ أي: هي أولى بكم من كل منزل على كفركم وارتيابكم ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾.

الآية (١٦-١٧): يقول تعالى: أما أن للمؤمنين أن تخشع قلوبهم لذكر الله، أي: تلين عند الذكر والموعظة وسماع القرآن، تفهمه وتنفذ له وتسبح له وتطيعه. عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية إلا أربع سنين (رواه مسلم).

﴿وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلَ ظَلَامَ عَلَيْهِمُ الْأَمَلُ فَكَفَرُوا﴾ أي: الله المؤمنين أن يشبهوا بالذين حملوا الكتاب قبلهم من اليهود والنصارى، لئلا تطاول عليهم الأمد بلذلوا كتاب الله الذي بأيديهم، واشتروا به ثمنًا قليلاً، ويبدؤوا وراء ظهورهم، وأقبلوا على الآراء المختلفة والأقوال المتناقضة، ولقدلوا الرجال في دين الله، واتخذوا أجيالهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، فعند ذلك قسست قلوبهم، فلا يتكلمون موعظة، ولا تليين قلوبهم بوعيد ولا وعيد.

﴿وَكثيرٌ منهم يسئرون﴾ أي: في الأعمال قلوبهم فاسدة، وأعمالهم باطلة، كما قال: ﴿فِيمَا نَقُصُّهُمْ مِنْ أَفْئِدَةٍ لَمَنَتْهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ (البقرة: ١٧٣).

وقوله: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهِمْ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ فيه إشارة إلى أنه تعالى يُلَيِّنُ القلوب بعد قسوتها، ويهدي الحياترى بعد ضلالتها، ويفرج الكروب بعد شدتها، فكما يحيي الأرض الميتة المُجْلِبة الهامة بالغيث المُنَّان الوابل، كذلك يهدي القلوب القاسية براهين القرآن والدلائل، ويولج إليها النور بعد ما كانت مُقْفَلَةً لا يوصل إليها الواصل، فسيحان الهادي لمن يشاء بعد الإضلال، والمُضِلُّ لمن أراد بعد الكمال، الذي هو لئما يشاء فَعَالٌ، وهو الحكم العدل في جميع أفعاله، اللطيف الخبير الكبير المُتَعَال.

الآية (١٨): ﴿يُخَيِّرُ تَعَالَىٰ عَمَّا يُرِيدُ بِهِ الْمُصْذِقِينَ وَالْمُصْذِقَاتِ بِأَمْرِهِمْ عَلَىٰ أَهْلِ الْحَاجَةِ وَالْفَقْرِ وَالْمَسْكَنَةِ، ﴿وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ أي: دَفَعُوا بِنَيْ خَالِصَةٍ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ، لا يُريدون جزاءً مِمَّنْ أَعْطَوْهُ وَلَا شُكُورًا. ﴿يُضَاعَفُ لَهُمْ﴾ أي: يُقَابَلُ لَهُمُ الْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، وَيَزْدَادُ عَلَىٰ ذَلِكَ إِلَىٰ سَبْعِينَ مِائَةً وَفَوْقَ ذَلِكَ، ﴿وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ أي: ثواب جليل حسن، ومرجع صالح، ومآب حسن.

الآية (١٢-١٥): يقول تعالى مُخَيِّرًا عن المؤمنين الْمُتَصَدِّقِينَ: أنهم يوم القيامة يَسْمَىٰ نُورُهُمْ بين أيديهم في عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ بِحَسَبِ أَعْمَالِهِمْ، كما قال ابن مسعود: على قَرْنٍ أَعْمَالُهُمْ يَمْرُونَ عَلَى الصِّرَاطِ: منهم مَنْ نُورُهُ مثل الجبل، ومنهم مَنْ نُورُهُ مثل النخلة، ومنهم مَنْ نُورُهُ مثل الرجل القائم، وأدناهم نُورًا مَنْ نُورُهُ في إبهامه يَبْقَدُ مَرَّةً وَيُطْفَأُ مَرَّةً. وقال الضحَّاك: ليس أحد إلا يُعْطَىٰ نُورًا يوم القيامة، فإذا انتهوا إلى الصِرَاطِ طُفِيَ نُورُ الْمُنَافِقِينَ، فَلَمَّا رَأَىٰ ذَلِكَ الْمُؤْمِنُونَ أَشْفَقُوا أَنْ يُطْفَأَ نُورُهُمْ كَمَا طُفِيَ نُورُ الْمُنَافِقِينَ، فَقَالُوا: ﴿رَبَّنَا آتِنَا نُورًا لَنَا نُورًا﴾ [التحريم: ٨]. وقال الحسن البصري في قوله: ﴿يَسْمَىٰ نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ يعني: على الصِرَاطِ. وقوله: ﴿وَيُزَيِّنُ﴾ قال الضحَّاك: أي وبأبوابهم كُتِبَ، كما قال: ﴿فَمَنْ أَوْفَىٰ كِتَابَهُ، يَزَيِّنُ﴾ [الإسراء: ٧١].

وقوله: ﴿يُنَزِّلُكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي: يُنَزِّلُكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ، ﴿يُزَيِّنُ﴾ أي: ما كُنْتُمْ فِيهَا أَبَدًا ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾. ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُسْلِمُونَ وَالْمُسْلِمَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُوا نَفْسِنَا مِنْ نُورِكُمْ﴾ وهذا إخبار منه تعالى عما يقع يوم القيامة في المَرَصَاتِ من الأحوال المزعجة، والزلازل العظيمة، والأمور الفظيعة، وأنه لا ينجو يومئذٍ إلا من آمن بالله ورسوله، وعجل بما أمر الله، وترك ما عنه زَجَرَ. قال أبو أمامة: تنتقلون منه (أي القبر) إلى مواطن يوم القيامة، فإنكم في بعض تلك المواطن حتى يغشى الناس أمر من الله، فيبيض وجهه وتسود وجوه، ثم تنتقلون منه إلى منزل آخر تغشى الناس ظلمة شديدة، ثم يقسم النور فيعطى المؤمن نورًا ويترك الكافر والمنافق فلا يعطيان شيئًا.

قال ابن عباس: بينا الناس في ظلمة إذ بعث الله نورًا، فلما رأى المؤمنون النور تَوَجَّهُوا نحوه، وكان النور دليلًا من الله إلى الجنة، فلما رأى المنافقون المؤمنون قد انطلقوا اتَّبَعُوهُمْ، فَأظْلَمَ الله على المنافقين، فقالوا حينئذٍ: ﴿انظُرُوا نَفْسِنَا مِنْ نُورِكُمْ﴾ فإنا كنا معكم في الدنيا. قال المؤمنون: ﴿أَرَجِعُوا﴾ من حيث جئتم من الظلمة، فالتمسوا هنالك النور. ﴿فَضَرَبَ بَيْنَهُمْ سُبُلًا مُمَارِجًا﴾ قال الحسن وقاتدة: هو حائط بين الجنة والنار. وهكذا رُوِيَ عن مجاهد وغير واحد، وهو الصحيح. ﴿بِإِذْنِهِ فِيهِ الرَّحْمَةُ﴾ أي: الجنة وما فيها، ﴿وَلِكُلٍّ مِنْكُمْ سَبِيلٌ الْعَذَابِ﴾ أي: النار. قاله قتادة وابن زيد وغيرهما. والمراد بذلك: سورٌ يُضَرَّبُ يوم القيامة ليحجز بين المؤمنين والمنافقين، فإذا انتهى إليه المؤمنون دخلوه من باب، فإذا استكملوا دُخُلَهُمْ أَغْلِقَ الباب وبقي المنافقون من ورائه في الحيرة والظلمة والعذاب، كما كانوا في الدار الدنيا في كفر وجهل وشك وحيرة، ﴿يُأْذِنُهُمْ أَنْ تَكُونَ مَعَكُمْ﴾ أي: يُنَادِي الْمُنَافِقُونَ الْمُؤْمِنِينَ: أما كنا معكم في الدار الدنيا، نشهد معكم الجُمُعَاتِ، ونُصَلِّيُ معكم الجُمُعَاتِ، وَنَقِفُ معكم بِمَرَقَاتِ، وَنُخَضِّرُ معكم الْفَرَوَاتِ، وَنُؤَدِّي معكم سائر الواجبات؟! ﴿قَالُوا﴾ أي: فأجاب المؤمنون: ﴿بَلَىٰ﴾ قد كنتم معنا ﴿وَلَكِنَّكُمْ فَتَنَّا أَنْفُسَكُمْ وَفَرَّقْنَاهُمْ وَزَلَّيْنَاهُمْ وَعَزَّزْنَاكُمْ الْآمَنَاتِ﴾ قال بعض السلف: أي فَتَنَّاكُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاللَّذَاتِ والمعاصي والشهوات.

﴿وَزَيَّنَّاكُمْ﴾ أي: أَخْرَجْنَاكُمْ مِنَ التَّوْبَةِ مِنْ وَقْتٍ إِلَىٰ وَقْتٍ. وقال قتادة: ﴿وَزَيَّنَّاكُمْ﴾ بالحق وأهله ﴿وَأَزَيَّنَّاكُمْ﴾ أي: بالبعث

وَلَمَّا كَانَ هَذَا المثل دَالًا عَلَى زوال الدنيا وانقضائها وفراغها لا عالة، وأن الآخرة كائنة لا عالة؛ حُدِّرَ من أمرها ورعِبَ فيها فيها من الخير، فقال: ﴿وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتْنَعٌ الْغُرُورِ﴾ ﴿٢٤﴾ أي: وليس في الآخرة الآتية القريبة إلا إما هذا وإما هذا: إما عذاب شديد، وإما مغفرة من الله ورضوان.

وقوله: ﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتْنَعٌ الْغُرُورِ﴾ ﴿٢٤﴾ أي: هي متاع فان غارَ لمن ركنَ إليه، فإنه يَغْتَرُّ بها وتُغْوِيهِ حتى يَتَقَدَّرَ أنه لا دار سِوَاهَا ولا مَعَاد وراءها، وهي حقيرة قليلة بالنسبة إلى الدار الآخرة.

﴿سَابِقًا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ والمراد جنس السماء والأرض؛ كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَسَارِعًا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكَمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿٢١﴾ [آل عمران: ١٣٣]. ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ ﴿٢٢﴾ أي: هذا الذي أَهْلَهُم الله له هو من فَضْلِهِ وَمَتْنَعُهُ عَلَيْهِم وإحسانه إليهم.

الآية (٢٢-٢٤): يُخَيِّرُ تعالى عن قَدَرِهِ السَّابِقِ في خَلْقِهِ قَبْلَ أَنْ يَبْزَأَ الرِّبَّةَ، فقال: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ ﴿٢٢﴾ أي: في الأفاق وفي نفوسكم ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَ﴾ ﴿٢٣﴾ أي: من قبل أَنْ نَخْلُقَ الخليفة وَبَرَأَ السَّمَةَ. وقال بعضهم: ﴿مِن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَ﴾ عائد على النفوس. وقيل: عائد على المصيبة. والأحسن عَوْدُهُ على الخليفة والبرية؛ لدلالة الكلام عليها، وقال قتادة: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ﴾ قال: هي الشئون، يعني: الحُزْبُ، ﴿وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ يقول: الأوجاع والأمراض. قال: وَيَلْتَمَسُ أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يُصِيبُهُ خَدَشٌ غُودٌ وَلَا نَكْبَةٌ قَدَمٌ، وَلَا خَلْجَانٌ عِرْقٌ إِلَّا بَذَنِبَ، وما يعفو الله عنه أكثر. وهذه الآية الكريمة من أدلِّ دليل على القُدْرَةِ ثَقَاةِ الْعِلْمِ السَّابِقِ، قَبَّحَهُم الله. وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿قَدَّرَ اللهُ المقادير قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [رواه مسلم].

وقوله: ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ ﴿٢٤﴾ أي: إن عَلِمْتَهُ تعالى الأشياء قبل كونها، وكتابتها لها طَبَقٌ ما يُوجَدُ في حينها سهل على الله ﷻ؛ لأنه يعلم ما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون.

وقوله: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ ﴿٢٥﴾ أي: أعلمناكم بِتَقَدُّمِ عِلْمِنَا وَسَبْقِ كِتَابَتِنَا للأشياء قبل كونها، وتقديرنا الكائنات قبل وجودها، لتَعْلَمُوا أن ما أصابكم لم يكن ليُخْطِئَكُمْ، وما أخطاكم لم يكن ليُصِيبَكُمْ، فلا تَأْسَوْا على ما فاتكم؛ لأنه لو قَدَّرَ شيء لكان، ﴿وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ ﴿٢٥﴾ أي: أعطاكم. ويُقَرَّرُ: «اتاكم» أي: جاءكم، وكلاهما متلازمان، أي: لا تَفْرَحُوا على الناس بما آتَمَ الله به عليكم، فإن ذلك ليس بسعيكم ولا كدكم، وإنما هو عن قَدَرِ الله ورزقه لكم، فلا تَتَّخِذُوا نِعْمَ الله أَشْرًا وَبَطْرًا، تَفْخَرُونَ بها على الناس؛ ولهذا قال: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ ﴿٢٦﴾ أي: مختال في نفسه مُتَكَبِّرٌ، فخور، أي: على غيره.

وقال عكرمة: ليس أحد إلا وهو يفرح ويحزن، ولكن اجعلوا الفرح شُكْرًا والحزن صَبْرًا.

ثم قال: ﴿الَّذِينَ يَتَخَلَّفُونَ وَبَايَعُوا النَّاسَ بِالْحَبْلِ﴾ ﴿٢٧﴾ أي: يفعلون المنكر ويَحْضُونُ الناس عليه، ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ ﴿٢٨﴾ أي: عن أمر الله وطاعته ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ ﴿٢٩﴾

الآية (١٩): هذا تمام جملة وَصَفِ الْمُؤْمِنِينَ بالله ورسوله بأنهم صَالِحُونَ. قال ابن عباس: قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ هذه مفصلة ﴿وَالشَّهَادَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾. وقال أبو الضحى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ ثم استأنف الكلام فقال:

﴿وَالشَّهَادَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾. وهكذا قال مسروق والضحاك ومقاتل بن حيان وغيرهم. وعن عبد الله <sup>(١)</sup> في قوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَادَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ قال: هم ثلاثة أصناف: يعني الْمُصَدِّقِينَ، وَالصَّادِقِينَ، والشهداء؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشَّاهِدِينَ وَالصَّالِحِينَ﴾ [النساء: ٦٩]. فَفَرَّقَ بين الصَّادِقِينَ والشهداء، فَدَلَّ على أنها صفتان. ولا شك أن الصَّادِقِينَ أَهْلُ مقامات من الشهيد.

وقال آخرون: بل المراد من قوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَادَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ فأخبر عن المؤمنين بالله ورسوله، بأنهم صديقون وشهداء. حكاه ابن جرير عن مجاهد. وقال عمرو بن ميمون في قوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَادَةُ﴾ قال: يجيئون يوم القيامة معًا كالإصبعين.

وقوله: ﴿وَالشَّهَادَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ ﴿٢٧﴾ أي: في جنات النعيم؛ كما جاء في الصحيحين: «إن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت، ثم تأتي إلى تلك القناديل، فاطلع عليهم ربك اطلاعًا فقال: ماذا تريدون؟ فقالوا: نحب أن تردنا إلى الدار الدنيا فنقاتل فيك فنقتل كما قتلنا أول مرة. فقال إني قضيت أنهم إليها لا يرجعون».

وقوله: ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ ﴿٢٨﴾ أي: لهم عند ربهم أجر جزيل ونور عظيم يسمى بين أيديهم، وهم في ذلك يتفاوتون بحسب ما كانوا في الدار الدنيا من الأعمال.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْحَرِيرِ﴾ ﴿٢٩﴾ لَمَّا ذَكَرَ السَّعْدَاءُ وَمَأْلَمَهُمْ عَطَفَ بِذِكْرِ الْأَشْقِيَاءِ وَبَيَّنَّ حَالَهُمْ.

الآية (٢٠-٢١): يقول تعالى مُوهِنًا أَمْرَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمُخَفِّرًا لَهَا: ﴿أَنَّا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا لَبِثٌ وَكُوْهُ وَزِينَةٌ وَتَفْخَرُ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرُ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ ﴿٢٠﴾ أي: إنما حَاصِلُ أَمْرِهَا عند أهلها هذا؛ كما قال: ﴿زَيْنٌ لِلنَّاسِ مِثْلُ الشَّهَوَاتِ مِثْلِ النَّسَوِ وَالْبَيْنِ وَالْفَتَنِ وَالْمَقْطُوعِ مِثْلِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْحَبْلِ الْمُسَوِّمِ وَالْأَنْفَكِ وَالْحَرِثِ ذَلِكَ مَتْنَعُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْبُ الْمَنَاقِبِ﴾ [آل عمران: ١٤].

ثم ضَرَبَ تعالى مثل الحياة الدنيا في أنها زهرة فانية ونعمة زائلة فقال: ﴿كَثَلٌ غَيْبٌ﴾ وهو: المطر الذي يأتي بعد قنوط الناس، ﴿عَجَبٌ الْكَفَّارِ بَالَهُ﴾ أي: يُعْجِبُ الزُّرَّاعُ نَبْثَ ذَلِكَ الزَّرْعِ الذي نَبَتْ بالغيب؛ وكما يُعْجِبُ الزُّرَّاعُ ذَلِكَ، كذلك تُعْجِبُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا الْكَفَّارَ، فإنهم أَخْرَضُ شيء عليها، وَأَمِيلُ النَّاسَ إِلَيْهَا، ﴿ثُمَّ يَجِيءُ فَرْدُهُ مُضْغَرًا ثُمَّ يَكُونُ حَطْلًا﴾ ﴿٢١﴾ أي: يبيح ذلك الزرع فتراه مُضْغَرًا بعدما كان حَضْرًا بَقْرًا، ثم يكون بعد ذلك كله حَطْلًا، أي: يصير يَبَسًا مَحْطَطًا، هكذا الحياة الدنيا: تكون أولًا شَابَةً، ثم تَكْتَهِلُ، ثم تكون عَجُورًا شَوْهَاءَ، والإنسان كذلك في أول عمره وغُفُوفَانٍ شَبَابِهِ غَضًّا طَرِيًّا لِكِنَّ الْأَعْطَافِ، بَهِيٍّ النَّظَرِ، ثم إنه يَنْشَرُ في الكهولة فَتَنْتَبَرُ طِيَاعُهُ وَيَفْقِدُ بعض قواه، ثم يَكْبُرُ فيصير شيخًا كبيرًا، ضعيف القوى، قليل الحركة، يُعْجِزُهُ الشَّيْءُ البَسِيرُ.



## ● الوقفات التدريبية

﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا لُبٌّ وَهَوٌّ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾

وهذا مصداقه ما هو موجود واقع من أبناء الدنيا ... بخلاف من عرف الدنيا وحقيقتها، فجعلها مبراً ولم يجعلها مستقراً، فنافس فيما يقربه إلى الله، واتخذ الوسائل التي توصله إلى الله. السعدي: ٨٤١.

السؤال: إذا عرفت حال الدنيا فكيف ينبغي أن يكون موقفك منها؟

﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا لُبٌّ وَهَوٌّ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾

أصول أطوار أحاد الناس في تطور كل واحد منهم؛ فإن اللعب طور سنّ الطفولة والصبا، واللهو طور الشباب، والزينة طور الفتوة، والتفاخر طور الكهولة، والتكاثر طور الشيخوخة. ابن عاشور: ٤١/٢٧.

السؤال: اشتملت الآية على أطوار الناس، بين ذلك.

﴿وَالْآخِرَةُ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ﴾

أي حال الآخرة ما يخلو من هذين الأمرين: إما العذاب الشديد في نار جهنم ... وإما مغفرة من الله للسينات وإزالة للعقوبات، ورضوان من الله يحل من أحله به دار الرضوان ... فهذا كله مما يدعو إلى الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة. السعدي: ٨٤١.

السؤال: إذا عرفت أن الآخرة إما عذاب وإما مغفرة، فكيف يكون موقفك من هذه الدنيا؟

﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾

قال سعيد بن جبیر: «متاع الغرور لمن لم يشتغل فيها بطلب الآخرة، ومن اشتغل بطلبها فله متاع بلاغ إلى ما هو خير منه». البغوي: ٣٢٨/٤.

السؤال: هل الدنيا متاع الغرور لجميع الخلق؟

﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾

أي بينا لكم أن الأشياء مقدره مكتوبة قبل وجود الخلق، وأن ما كتب واقع لا محالة؛ لأجل ألا تحزنوا على شيء فاتكم؛ لأن فواته لكم مقدر، وما لا طمع فيه قل الأسى عليه، ولا تفرحوا بما آتاكم؛ لأنكم إذا علمتم أن ما كتب لكم من الرزق والخير لا بد أن يأتيكم قل فرحكم به الشنقيطي: ٥٩/٧.

السؤال: وضع الفائدة الترتيبية على علمنا بأن الأشياء مكتوبة قبل وجود الخلق.

﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾

فإن قيل: إن الإنسان لا يملك نفسه أن يفرح بالخير ويحزن للشر كما قال أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- لما أتى بمال كثير: «اللهم إنا لا نستطيع إلا أن نفرح بما زينت لنا»، فالجواب: أن النهي عن الفرح إنما هو عن الذي يقود إلى الكبر والطفیان، وعن الحزن الذي يخرج عن الصبر والتسليم. ابن جزى: ٤١٥/٢.

السؤال: نهى الله تعالى في الآية عن الحزن على ما فات والفرح بما أتى، فما المقصود من هذا النهي؟

﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (٣٣) الَّذِينَ يَبْتَخُلُونَ بِالْبُخْلِ

يعم البخل كل ما ينفع في الدين والدنيا: من مال، وعلم، وغير ذلك؛ فالبخيل بالعلم، الذي يمتعه، والمختال إما يختال فلا يطلبه، وإما يختال على بعض الناس فلا يبدله، وهذا كثيراً ما يقع، وضده التواضع في طلبه، والكرم ببذله. ابن تيمية: ٢١٧/٦.

السؤال: يقع كثير من الناس في البخل من حيث لا يشعر، وضع ذلك.

وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَوَرُودُهُمُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٣٤﴾ أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا لُبٌّ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أُنْحِيَ الْكُفَّارُ نِبَاتُهُ ثُمَّ يَهْبِمْ فَتَرْتَهُ مُضْغَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٣٥﴾ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٣٦﴾ مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلُ أَن نَّبْرِأَهَا إِن ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٣٧﴾ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٣٨﴾ الَّذِينَ يَبْتَخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٣٩﴾

٥٤٠

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
الصَّادِقُونَ	المُبَالِغُونَ فِي التَّصْدِيقِ.
وَالشَّهَدَاءُ	الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ.
الْكُفَّارُ	الزَّوْاعِ، سُمُّوا بِذَٰلِكَ، لِأَنَّهُمْ يَسْتُرُونَ الْحَبَّ فِي التُّرَابِ.
يَهْبِمْ	يَبْيَسُ.
حُطَمًا	فُتَاتًا مَّتَشَمًّا.
نَبْرِأَهَا	نَخَلَقَ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ.
تَأْسَاوَا	تَحْزَنُوا.

## ● العمل بالآيات

١. تذكر آخر خمسة من أقاربك موتا وادع لهم بالرحمة، ﴿كُلٌّ مِّنْ عَلِيٍّ قَانٍ﴾.
٢. تعرف على عظمت الله تعالى ببراءتك في معنى، ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ يَوْمٌ نَّأْنِ﴾.
٣. تذكر ذنبا فعلته ثم تصدق بصدقه عسى الله أن يكفره بها، ﴿فَيُؤْتِيهِمْ لَيْسَ عَنْ ذُنُوبِهِمْ لِسٌّ وَلَا جُنَازَ﴾.

## ● التوجيهات

١. اعلم أن الجنة فضل من الله تعالى يؤتيه من يشاء من عباده، ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.
٢. كن متواضعا قريبا سهلا؛ فالله تعالى لا يحب المتكبر الفخور، ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾.
٣. اعلم أن الله غني عن عباده، حميد لا يحتاج لمن يحمده، ﴿وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾.



## ● الوقفات التدبرية

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾  
إقامة دين الإسلام تنبني على امرين: أحدهما هو ما ذكره بقوله: (وأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ)؛ لأن في ذلك إقامة البراهين على الحق، وبيان الحجة، وإيضاح الأمر والنهي والثواب والعقاب. فإذا أصر الكفار على الكفر وتكذيب الرسل مع ذلك البيان والإيضاح، فإن الله تبارك وتعالى أنزل الحديد: أي: خلقه لبني آدم ليرد به المؤمنون الكافرين المعاندين؛ وهو قتلهم إياهم بالسيف والرمح والسهام. الشنقيطي: ٥٤٩/٧.  
السؤال: إقامة دين الإسلام تنبني على امرين فما هما؟

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾  
أي: وجعلنا الحديد رادعاً لمن أبى الحق وعانده بعد قيام الحجة عليه، ولهذا أقام رسول الله ﷺ بمكة بعد النبوة ثلاث عشرة سنة توحى إليه السور المكية، وكلها جدال مع المشركين وبيان وإيضاح للتوحيد وبيانات ودلالات، فلما قامت الحجة على من خالف شرع الله أمرهم بالهجرة، وأمرهم بالقتال بالسيف وضرب الرقاب والهام لمن خالف القرآن وكذب به وعانده. ابن كثير: ٣١٥/٤.

السؤال: لماذا قدم ذكر أنزال الكتب على إنزال الحديد؟

﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾  
ونصر الناس الله هو نصرهم دينه، وأما الله ففني عن النصر، وعطف (ورسله) أي: من ينصر القائمين بدينه، ويدخل فيه نصر شرائع الرسول بعده. ابن عاشور: ٤١٨/٢٧.  
السؤال: ما المقصود بنصر الله ورسله في الآية الكريمة؟  
﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾  
كان النصارى الذين من غيرهم قلوباً حين كانوا على شريعة عيسى عليه السلام. السعدي: ٨٤٣.

السؤال: متى كان النصارى الذين قلوباً تجاه المؤمنين؟

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّفُوا اللَّهَ وَآمَنُوا بِرُسُلِهِ فَوُتِّكُمُ كَذِبًا مِن رَّحْمَتِهِ﴾  
أي خافوا عقابه، فاجعلوا بينكم وبين سخطه -لأنه الملك الأعظم- وقاية بحفظ الأدب معه، ولا تأمنوا مكره، فكونوا على حذر من أن يسلبكم ما وهبكم، فاتبعوا الرسول تسلموا، وحافظوا على اتباعه لئلا تهلكوا. البقاعي: ٣٢٤/١٩.

السؤال: ما عقوبة من تجرد من التقوى والخوف من الله؟

﴿وَجَمَلُكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾

أي: بيانا وهدي. وقال ابن عباس: هو القرآن. وقيل: ضياء تمشون به في الآخرة على الصراط، وقيل: تمشون به في الناس تدعونهم إلى الإسلام فتكونوا رؤساء في دين الإسلام، لا تزول عنكم رياسته كنتم فيها؛ وذلك أنهم خافوا أن تزول رياستهم لو آمنوا بمحمد عليه السلام. القرطبي: ٢٧٨/٢٠.

السؤال: ما النور الذي يجعله الله تعالى لهؤلاء؟

﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾

أي ما ملكه ملكاً لا ينفك عنه، ولا ملك لأحد فيه معه، ولا تصرف بوجه أصلاً؛ لذلك يخص من يشاء بما يشاء، فلا يقدر أحد على اعتراض بوجه. البقاعي: ٣٣٠/١٩.

السؤال: ما دلالة وصف الله تعالى بأنه صاحب الفضل العظيم؟

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النَّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِئْتُهُمْ مِّمَّنَّ دَعَوْهُمْ فَكَيْفَ يُقَرَّرُونَ ﴿٢﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٣﴾ يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّفُوا اللَّهَ وَآمَنُوا بِرُسُلِهِ فَوُتِّكُمُ كَذِبًا مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَلُ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤﴾ إِنَّا لَنَنظِرُ الْأَهْلَ الْكَتَبِ الْأَيُّقُنُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٥﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
بِالْبَيِّنَاتِ	بِالْحُجُجِ الْوَاضِحَاتِ.
وَالْمِيزَانَ	الْعَدْلَ فِي الْأَقْوَالِ، وَالْأَفْعَالِ.
بَأْسٌ	قُوَّةٌ.
عَزِيزٌ	غَالِبٌ لَا يُغْلَبُ.
قَفَّيْنَا عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ	اتَّبَعْنَاهُمْ، وَبَعَثْنَا بَعْدَهُمْ.
وَرَهَابِيَّةً	غُلُوبًا فِي التَّعَبِ.
مَا كَتَبْنَاهَا	مَا فَرَضْنَاهَا.
فَمَا رَعَوْهَا	مَا قَامُوا بِهَا حَقَّ الْقِيَامِ، بَلْ بَدَّلُوا وَخَالَفُوا.
كَفَلِينَ	ضَعْفِينَ.

## ● العمل بالآيات

- عدد ثلاثة من مظاهر قوة الله تبارك وتعالى فيما تراه وتشاهده من حولك، ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.
- ادعُ الله أن ينصر هذا الدين، ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْقِيَمَةِ﴾.
- تبرع لعمل خيري لنصرة هذا الدين، ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْقِيَمَةِ﴾.

## ● التوجيهات

- بالعدل قامت السماوات والأرض، فاحرص على العدل في جميع شؤونك، ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾.
- ما من كلمة أو فعلية تنصر بها دين الله (لا وهي محسوبية لك، ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْقِيَمَةِ﴾).
- الفضل والخير خزائنه بيد الله تعالى وحده، ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾ أي: ابتدعها أمة النصارى. ﴿مَا كُنْتُمْ عَلَيْهَا﴾ أي: ما شَرَعْنَاهَا لهم، وإِنَّمَا هم التزموها من تلقاء أنفسهم. وقوله: ﴿وَالْأَبْيَاسَةَ رَضَوْنَ اللَّهُ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنهم قَصَدُوا بذلك رضوان الله، قاله سعيد بن جبير وقتادة. والآخر: ما كَتَبْنَا عليهم ذلك، إِنَّمَا كَتَبْنَا عليهم ابتغاء رضوان الله. وقوله: ﴿فَمَارَعَوْهَا حَقًّا رِعَايَتَهَا﴾ أي: فما قاموا بما التزموه حَقَّ القيام. وهذا ذَمٌّ لهم من وجهين: أحدهما: في الابتداء في دين الله ما لم يأمر به الله. والثاني: في عدم قيامهم بما التزموه سِرًّا رَعَمُوا أَنَّهُ قُرْبَةٌ يُقَرِّبُهُمْ إِلَى اللَّهِ ﷻ.

الآية (٢٨-٢٩): عن ابن عباس: أَنَّهُ حَلَّ هَذِهِ الْآيَةَ عَلَى مُؤْمِنِي أَهْلِ الْكِتَابِ، وَأَنَّهُمْ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ كَمَا فِي الْآيَةِ الَّتِي فِي الْقَصَصِ (٢)، وَكَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي مُوسَى قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلَاثَةٌ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنَ بِنَبِيِّهِ وَآمَنَ بِهِ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَعَبْدٌ مَلَوكَ أَدَّى حَقَّ اللَّهِ وَحَقَّ مَوْلَاهُ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَرَجُلٌ أَدَبَ أُمَّتَهُ فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا، ثُمَّ أَغْنَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا فَلَهُ أَجْرَانِ» [متفق عليه]، ووافق ابن عباس على هذا التفسير الضحاك وعُتْبَةُ بْنُ أَبِي حَكِيمٍ وَغَيْرُهُمَا، وَهُوَ اخْتِيارُ ابْنِ جُرَيْرٍ. وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ: لَمَّا افْتَخَرِ أَهْلُ الْكِتَابِ بِأَنَّهُمْ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ، أَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ فِي حَقِّ هَذِهِ الْأُمَّةِ: ﴿يَأْتِيَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفَعُوا اللَّهَ وَأَمَانًا بِرَسُولِهِ يُؤْتِيَكُمْ كَفَالَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ أي: ضِعْفَيْن، وَزَادَهُمْ: ﴿وَيَجْعَلُ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ يعني: هُدًى يُبْصِرُ بِهِ مِنَ الْعَمَى وَالْجَهْلَةِ، ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ فَضْلَهُمُ بِالنُّورِ وَالْمَغْفِرَةِ. وَهَذِهِ الْآيَةُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفَعُوا اللَّهَ تَنْفَعُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ قُرْبَانًا وَيَكْثِرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الأنفال: ٢٩]. وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: سَأَلَ عُمَرَ بْنُ الْخَطَّابِ خَبْرًا مِنْ أَحْبَابِ يَهُودٍ: كَمْ أَفْضَلُ مَا ضَعُفَتْ لَكُمْ حَسَنَةٌ؟ قَالَ: كِفْلٌ ثَلَاثِينَ وَخَمْسُونَ حَسَنَةً. قَالَ: فَحَمِدَ اللَّهَ عُمَرُ عَلَى أَنَّهُ أَعْطَانَا كِفْلَيْنِ. رَوَاهُ ابْنُ جُرَيْرٍ. وَمَا يُؤَيِّدُ هَذَا الْقَوْلَ مَا رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَثَلُكُمْ وَمَثَلُ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَعْمَلَ عَمَلًا، فَقَالَ: مَنْ يَمُكِّلُ لِي مِنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِرَاطٍ قِرَاطٍ؟ أَلَا فَعَمِلْتُ الْيَهُودَ. ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَمُكِّلُ لِي مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ إِلَى صَلَاةِ الْعَصْرِ عَلَى قِرَاطٍ قِرَاطٍ؟ أَلَا فَعَمِلْتُ النَّصَارَى. ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَمُكِّلُ لِي مِنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ عَلَى قِرَاطَيْنِ قِرَاطَيْنِ؟ أَلَا فَأَنْتُمْ الَّذِي عَمِلْتُمْ. فَغَضِبَتِ النَّصَارَى وَالْيَهُودُ، وَقَالُوا: نَحْنُ أَكْثَرُ عَمَلًا وَأَقْلَ عَطَاءً. قَالَ: هَلْ ظَلَمْتُكُمْ مِنْ أَجْرِكُمْ شَيْئًا؟ قَالُوا: لَا. قَالَ: فَإِنَّمَا هُوَ فَضْلِي أُوتِيهِ مِنْ أَشَاءَ» [رواه البخاري].

ولهذا قال: ﴿لِيَلْمَعَنَّ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى حَقِّهِمْ وَقَدْ قَبِلَ اللَّهُ﴾ أي: لِيَتَحَقَّقُوا أَنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى رَدِّ مَا أَعْطَاهُ اللَّهُ، وَلَا إِعْطَاءَ مَا مَنَعَ اللَّهُ، ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مِنْ شَاءَ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

الآية (٢٥): يقول تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي: بالمعجزات، والشُّجُجِ الْبَاهِرَاتِ، والدلائل القاطعات، ﴿وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ وهو: النَّقْلُ الْمَصْدُقُ، ﴿وَالْيَزَارَاتِ﴾ وهو: الْمَدَلُّ. قَالَه مجاهد وقتادة وغيرهما. وهو الحق الذي تشهد به العقول الصحيحة المستقيمة المخالفة للآراء السقيمة؛ كما قال: ﴿أَفَنُكَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِمْ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾ [هود: ١٧]، وقال: ﴿فَطَرَتْ اللَّهُ آلَتِي فَطَرَا النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠]، وقال: ﴿وَالنَّسَمَةَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْيَمِينَاتِ﴾ [الرحمن: ٧]، ولهذا قال في هذه الآية: ﴿لَيَقَوْمٌ أَلَسْنَا بِالْقَسِطِ﴾ أي: بالحق والعدل وهو: اتباع الرُّسُلِ فِيهَا أَخْبَرُوا بِهِ، وَطَاعَتُهُمْ فِيهَا أَمَرُوا بِهِ؛ فَإِنَّ الَّذِي جَاؤُوا بِهِ هُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَيْسَ رِوَاةُ حَقٍّ، كَمَا قَالَ: ﴿وَتَمَتَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥] أي: صِدْقًا فِي الْإِخْبَارِ، وَعَدْلًا فِي الْأَوَامِرِ وَالنَّوَاحِي. وَهَذَا يَقُولُ الْمُؤْمِنُونَ إِذَا تَبَوَّأُوا غُرُفَ الْجَنَّاتِ، وَالْمَنَازِلَ الْعَالِيَاتِ، وَالشُّرُفَ الْمُصْغُوفَاتِ: ﴿لَتَحْمَدَنَّ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَذَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلًا بَيِّنَاتٍ﴾ [الأنعام: ٤٣].

وقوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ أي: وجعلنا الحديد رادعًا لمن أبى الحقَّ وعانده بعد قيام الحجة عليه، ولهذا أقام رسول الله ﷺ بمكة بعد النبوة ثلاث عشرة سنة نُوْحِيَ إِلَيْهِ السُّورُ الْمَكِّيَّةُ، وَكُلُّهَا جِدَالٌ مَعَ الْمُشْرِكِينَ، وَبَيَانٌ وَإِبْصَاحٌ لِلتَّوْحِيدِ، وَتَبْيَانٌ وَدَلَالٌ، فَلَمَّا قَامَتِ الْحُجَّةُ عَلَى مَنْ خَالَفَ شَرَعَ اللَّهُ الْمَجْرَةَ، وَأَمَرَهُمُ بِالْقِتَالِ بِالسُّيُوفِ، وَضَرَبَ الرُّقَابَ وَالْهَامَ لِمَنْ خَالَفَ الْقُرْآنَ وَكَذَّبَ بِهِ وَعَانَدَهُ. ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ يعني: السلاح كالسُّيُوفِ وَالْجِرَابِ وَالسَّيِّفِ وَالنَّصَالِ وَالِدُرُوعِ وَنَحْوِهَا، ﴿وَمِنْ مَنَافِعِ لِلنَّاسِ﴾ أي: فِي مَعَايِشِهِمْ كَالسَّكَّةِ (١) وَالْفَأْسِ وَالْقُدُومِ وَالسِّنَّارِ وَالْإِزْمِيلِ وَالسَّيْجَرَةِ، وَالْأَلَاتِ الَّتِي يُسْتَعْمَلُ بِهَا فِي الْحِرَاةِ وَالْحَيَاكَةِ وَالطَّبِيخِ وَالخَبْرِ، وَمَا لَا قِوَامَ لِلنَّاسِ بِلَدُونِهِ. وَغَيْرَ ذَلِكَ. وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْقَبِيِّبِ﴾ أي: مَنْ يَنْتِهِ فِي حُلِّ السِّلَاحِ نَصْرَةَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ أي: هُوَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ، يَنْصُرُ مَنْ نَصَرَهُ مِنْ غَيْرِ احتِجَاجٍ مِنْهُ إِلَى النَّاسِ، وَإِنَّمَا شَرَعَ الْجِهَادَ لِيُؤَيِّدَ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ. الْآيَةُ (٢٦-٢٧): يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُ مَنْذُ بَعَثَ نُوْحًا عَلَيْهِ السَّلَامَ لَمْ يُرْسِلْ بَعْدَهُ رَسُولًا وَلَا نَبِيًّا إِلَّا مِنْ ذُرِّيَّتِهِ، وَكَذَلِكَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ، لَمْ يُنْزَلْ مِنَ السَّمَاءِ كِتَابًا وَلَا أُرْسِلَ رَسُولًا، وَلَا أُوحِيَ إِلَى بَشَرٍ مِنْ بَعْدِهِ، إِلَّا وَهُوَ مِنْ سُلَالَتِهِ.

﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا الْأَنْبِيَاءَ وَالْكِتَابَ﴾ حَتَّى كَانَ آخِرُ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ الَّذِي بَشَّرَ مِنْ بَعْدِهِ بِمُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمَا؛ وَهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آدَمَ مِنْ بَنِيهِمْ بِمُوسَى وَهَارُونَ﴾ [الأنعام: ٨٤]، وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهُمْ الْحَوَارِيُّونَ ﴿رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ أي: رَأْفَةً وَهِيَ الْخَشْيَةُ، وَرَحْمَةً بِالْخَلْقِ. وَقَوْلُهُ:

(٢) وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَمَرُوا بِالْجَنَّةِ وَهُمْ لَا يَتَخَفَتَهَا﴾ [البقرة: ٤٥].

(١) يعني: النقود والدراهم؛ والسكة في الأصل: حديدة منقوشة يضرب عليها الدراهم. [القاموس المحيط، مادة (سكك)].



تفسير سورة المجادلة

وهي مدنية، [وعدد آياتها (٢٢) آية].

الآية (١-٢): [سبب النزول]: عن عائشة قالت: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة إلى النبي ﷺ تكلمه وأنا في ناحية البيت، ما أسمع ما تقول، فأنزل الله ﷻ: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ إلى آخر الآية [رواه البخاري]. وفي رواية: أنها قالت: تبارك الذي أوعى سمعه كل شيء، إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة، ويخفى عليّ بعضه، وهي تشكي زوجها إلى رسول الله ﷺ، وهي تقول: يا رسول الله، أكل شباي، وتكرت له بطني، حتى إذا تكبرت سيئي، وانقطع ولدي، ظاهر سيئي، اللهم إني أشكو إليك. قالت: فما برحت حتى نزل جبريل بهذه الآية: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ [رواه ابن ماجه، وصححه الألباني].

وعن خولة بنت ثعلبة قالت: في - والله - وفي أوس بن الصامت أنزل الله صَـلَّى سُوْرَةَ «المجادلة». قالت: كنت عنده وكان شيخاً كبيراً قد ساء خلقه، قالت: فدخل عليّ يوماً فراجعت به شيء فغضب فقال: أنت عليّ كظهر أمي... قالت: ثم خرجت حتى جئت رسول الله ﷺ، فجلست بين يديه، فذكرت له ما لقيت منه... فوالله ما برحت حتى نزل في القرآن، فتغشى رسول الله ﷺ ما كان يغشاه، ثم سُـرِّي عنه، فقال لي: يا خويلة، قد أنزل الله فيك وفي صاحبك. ثم قرأ عليّ: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَيَّ اللَّهُ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ إلى قوله: ﴿وَاللَّكَفِيرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ قالت: فقال لي رسول الله ﷺ: «مُر به فليعتق رقية». قالت: فقلت يا رسول الله، ما عنده ما يعتق. قال: «فليصم شهرين متتابعين». قالت: فقلت: والله إنه شيخ كبير، ما به من صيام. قال: «فليطعم ستين مسكيناً وسقاً من تمر». قالت: فقلت: يا رسول الله، ما ذلك عنده. قالت: فقال رسول الله ﷺ: «فإننا سنعيه بعرق من تمر». قالت: فقلت: يا رسول الله، وأنا سأعيه بعرق آخر، قال: «فقد أصبت وأحسنست، فاذمهي فتصديقي به عنه، ثم استوصي بابن عمك خيرًا». قالت: ففعلت.

[رواه أحد وأبو داود وحسنه الألباني]. هذا هو الصحيح في سبب نزول صدر هذه السورة، فأما حديث سلمة بن صخر فليس فيه أنه كان سبب النزول، ولكن أمر بما أنزل الله في هذه السورة، من العتق أو الصيام، أو الإطعام.

قوله: ﴿الَّذِينَ يَظْهَرُونَ مِنكُم مِّن سَيِّئِهِمْ﴾ أصل الظهار مشتق من الظهر، وذلك أن الجاهلية كانوا إذا تظاهر أحد من امرأته قال لها: أنت عليّ كظهر أمي، ثم في الشرع كان الظهار في سائر الأعضاء قياساً على الظهر، وكان الظهار عند الجاهلية طلاقاً، فأرخص الله هذه الأمة وجعل فيه كفارة، ولم يجعله طلاقاً كما كانوا يعتمدونه في جاهليتهم. هكذا قال غير واحد من السلف. قوله: ﴿تَمَّا هُـرِّبَ أَهْمَتُهُمْ إِنَّا أَهْمَتُهُمْ إِلَّا إِلَيْنَا وَلَدْنَهُمْ﴾ أي: لا تصير المرأة بقول الرجل: «أنت عليّ كأمي» أو «مثل أمي» أو «كظهر أمي»، وما أشبه ذلك، لا تصير أمه بذلك، إنما أمه التي ولدته؛ ولهذا قال: ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ سُكْرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَرُؤُسًا﴾ أي: كلاماً فاحشاً باطلاً، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُؤٌ غَفُورٌ﴾ أي: عما كان منكم في حال الجاهلية. وهكذا أيضاً عما خرج من سبق اللسان، ولم يقصد إليه المتكلم.

الآية (٣): ﴿وَالَّذِينَ يَظْهَرُونَ مِن سَيِّئِهِمْ ثُمَّ يَمُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾ اختلف السلف والأئمة في المراد بقوله: ﴿ثُمَّ يَمُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾ فقال بعض الناس: العود هو أن يعود إلى لفظ الظهار فيكرره. وهذا القول باطل، وهو اختيار ابن حزم. وقال الشافعي: هو أن يمسكها بعد الظهار زماناً يمكنه أن يطلق فيه فلا يطلق. وقال أحمد بن حنبل: هو أن يعود إلى الجماع أو يعزم عليه فلا يحل له حتى يكفر بهذه الكفارة. وقد حكى عن مالك: أنه العزم على الجماع والإمساك. وعنه أنه الجماع. وقال أبو حنيفة: هو أن يعود إلى الظهار بعد تحريمه ورفع ما كان عليه أمر الجاهلية، فمضى تظاهر الرجل من امرأته فقد حرّمها تحريمًا لا يرفعه إلا الكفارة. عن سعيد بن جبير: يعني: يريدون أن يعودوا في الجماع الذي حرّموه على أنفسهم. وقال الحسن البصري: يعني: الغشيان في الفرج. وكان لا يرى بأساً أن يغشى فيها دون الفرج قبل أن يكفر. وقال ابن عباس: ﴿مِن بَيْلِ أَن يَمَاسَا﴾ المس: التكاثر. وكذا قال عطاء والزهرى وقائدة. وقال الزهرى: ليس له أن يقبلها ولا يمسه حتى يكفر. قوله: ﴿فَتَجَرَّ رَقَبَهُ﴾ أي: فإعتاق رقية كاملة من قبل أن يتأسا، فهنا الرقية مطلقة غير مقيدة بالإيمان، وفي كفارة القتل مقيدة بالإيمان، فحمل الشافعي ما أطلق هنا على ما قيد هناك لانحاد الموجب، وهو عتق الرقية، واعتضد في ذلك بما رواه عن مالك بسنده عن معاوية بن الحكم السلمي، في قصة الجارية السوداء، وأن رسول الله ﷺ قال: «أعتقها فلها مؤمنة» [رواه مسلم]. وقوله: ﴿ذَلِكُمْ تَوْعَظُونَ بِهِ﴾ أي: تُرْجَوْنَ بِهِ ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ أي: خير بما يصلحكم، عليم بأحوالكم.

الآية (٤): ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ صِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَمَاسَا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَلَطَمًا مِّائَتِينَ يَسْكُنَ﴾ تقدمت الأحاديث <sup>(١)</sup> الأمرة بهذا على الترتيب، كما ثبت في الصحيحين في قصة الذي جامع امرأته في رمضان. ﴿ذَلِكَ لِيُؤْذِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أي: شرعنا هذا لهذا. قوله: ﴿وَيَذَلِكْ حُدُودُ اللَّهِ﴾ أي: محارمه فلا تنتهكوها، ﴿وَاللَّكَفِيرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: الذين لم يؤمنوا ولا التزاموا بأحكام هذه الشريعة، لا تعتقدوا أنهم ناجون من البلاء، كلا، ليس الأمر كما زعموا، بل لهم عذاب أليم، أي: في الدنيا والآخرة.

الآية (٥): ﴿يَجْر تَعَالَى عَمَن شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَعَانَدُوا شَرْعَهُ﴾ ﴿كَيْتَا كَمَا كَيْتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي: أهينوا ولعنوا وأخزوا، كما فعل بمن أشبههم ممن قبلهم، ﴿وَقَدْ أَرْسَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ أي: واضحات لا يخالفها ويعاندها إلا كافر فاجر مكابر.

﴿وَاللَّكَفِيرِينَ عَذَابٌ ثَمِينٌ﴾ أي: في مقابلة ما استكبروا عن اتباع شرع الله، والالتقاده، والخضوع لديه.

الآية (٦): ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ وذلك يوم القيامة، يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد ﴿فَيُنْشِئُهُم بِمَا عَمِلُوا﴾ أي: يخبرهم بالذي صنعوا من خير وشر، ﴿أَخْصَسَهُ اللَّهُ رَسُولَهُ﴾ أي: ضبطه الله وحفظه عليهم، وهم قد نسوا ما كانوا عليه، ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ أي: لا يغيب عنه شيء، ولا يخفى، ولا ينسى شيئاً.

(١) يشير إلى الأحاديث التي أوردها في الأصل عند تفسير الآيتين الأولين من هذه السورة، والتي منها الحديث المذكور في هذه الصفحة في العمود المقابل.



## ● الوقفات التدريبية

﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾

وهذا إخبار عن كمال سمعه وبصره، وإحاطتهما بالأمر الدقيق والجليل، وفي ضمن ذلك الإشارة بأن الله تعالى سيزيل شكواها، ويرفع بلواها. السعدي: ٨٤٤.

السؤال: لماذا اختتمت الآية بهذين الاسمين الكريمين؟

﴿الَّذِينَ يَظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ سَائِرِهِمْ مَا هُمْ بِأُمَّهَاتِهِمْ إِلَّا إِلَى اللَّهِ يَرْجِعُ الْكَلِمَ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾  
ولذلك هم منكم من سائرهم، لأن فيه إلهاماً على حالة حكم الله تعالى وتبديله بدون إذنه، وهذا أخطر من كثير من الكبائر. الألوسي: ٢٠/١٤.

السؤال: ما دلالة وصف الظاهر بالمنكر والزور؟

﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ سُكْرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا﴾

والفرق بين جهة كونه منكرًا وجهية كونه زورًا، أن قوله: «أنت علي كظهر أمي» يتضمن إخباره عنها بذلك، وإنشاء تحريمها؛ فهو يتضمن إخباراً وإنشاءً، فهو خبر زور وإنشاء منكر؛ فإن الزور هو الباطل خلاف الحق الثابت، والمنكر خلاف المعروف. ابن القيم: ١٣٩/٣.

السؤال: لماذا وُصف الظاهر بأنه منكر وبأنه زور؟

﴿ذَلِكَ لِيُثَبِّرُوا بِاللَّهِ رُسُلَهُ﴾

ذلك الحكم الذي يبين لكم ووضوحه لكم لتؤمنوا بالله ورسوله؛ وذلك بالتزام هذا الحكم وغيره من الأحكام والعمل به؛ فإن التزام أحكام الله والعمل بها من الإيمان، بل هي المقصودة ومما يزيد به الإيمان ويكمل وينمو. السعدي: ٨٤٤.

السؤال: بين العلاقة بين العمل الصالح والإيمان من خلال الآية.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُنُوا كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾

أي اهلكوا، وقال قتادة: اخزوا كما اخزي الذين من قبلهم، وقيل: عذبوا، وقيل: غيظوا يوم الخندق، وقيل: أي: سيكتون، وهو بشارة من الله تعالى للمؤمنين بالنصر. القرطبي: ٣٠٥/٢٠.

السؤال: ما المراد بقوله (كتبوا)؟ وما البشارة من هذه الآية؟

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُنُوا كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانَ فِي قُلُوبِهِم مَأْكِنٌ يَوْمَ يُنْفَخُ الْكُفْرُ وَالْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾

فَبِتَّ أن المحاد مكبوت مخزى، ممتلئ غيظاً وحزناً هالك، وهذا إنما يَتِمُّ إذا خاف أن اظهر المحادة أن يُقتل، وإلا فمن أمكنه اظهار المحادة وهو آمن على دمه وماله فليس بمكبوت، بل مسرور جذلان، ولأنه قال: (كتبوا) كما كتب الذين من قبلهم، والذين من قبلهم ممن حاد الرسل، وحاد رسول الله إنما كبتهم الله بأن اهلكه بعداد من عنده أو بأيدي المؤمنين. ابن تيمية: ٢٤٠/٦.

السؤال: محادة الله ورسوله تورث أمراض القلب في الدنيا وعذاب الله في الآخرة، وضع ذلك.

﴿يَوْمَ يَمُنُّهُمْ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَنْتَهُرُ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾  
وجملة: (أحصاه الله ونسوه) مستانفة جواب سؤال مقدر: كانه قيل: كيف ينبتهم بذلك على كفرته واختلاف أنواعه؟ فقيل: أحصاه الله جميعاً ولم يفته منه شيء، والحال أنهم قد نسوه ولم يحفظوه، بل وجده حاضراً مكتوباً في صحائفهم. الشوكاني: ١٨٦/٥.

السؤال: هناك سؤال مقدر جوابه جملة (أحصاه الله ونسوه) ما هو؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ الَّذِينَ يَظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ سَائِرِهِمْ مَا هُمْ بِأُمَّهَاتِهِمْ إِلَّا إِلَى اللَّهِ يَرْجِعُ الْكَلِمَ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ وَلَذُنْهُمُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ۝ وَالَّذِينَ يَظَاهِرُونَ مِنْ سَائِرِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكَ كُفْرًا وَعُظُونَ بِهِ ۝ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَاِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِيًا ذَلِكَ لِيُثَبِّرُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۝ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُنُوا كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانَ فِي قُلُوبِهِم مَأْكِنٌ يَوْمَ يُنْفَخُ الْكُفْرُ وَالْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ۝ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
تُجَادِلُكَ	تُراجِفُكَ، وَهِيَ: حَوْلَةٌ بِنْتُ ثَعْلَبَةٍ.
زَوْجِهَا	أَوْسُ بْنُ الصَّامِتِ.
وَزُورًا	كَذِبًا.
فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ	عَتَقُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ، عَبْدٍ، أَوْ أَمَةٍ.
يَتَمَاسَا	يَسْتَمْتِعَا بِالْجَمَاعِ.
يُحَادُونَ	يُشَاقِقُونَ وَيُخَالِفُونَ.
كُنُوا	خُذِنُوا، وَأُهِينُوا.

## ● العمل بالآيات

١. تضرع إلى الله بقوله: (اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس)، ثم ادع الله بما أمكن، ﴿وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾.
٢. تصدق أو ساعد امرأة ضعيفة أو مسكينة أو مظلومة، ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.
٣. تذكر ذنباً فعلته واستغفر الله منه، ﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾.

## ● التوجيهات

١. سمع علم الله وإحاطته وسمعه للأصوات، ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.
٢. احذر أن تتعدى حدود الله، ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.
٣. احذر من كل عمل يسوءك في يوم القيامة فإن كل عمل محض عليك خيراً كان أو شراً، ﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْأَلُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكْشُرُ مِنْ تَجَوُّرٍ فَلَنَسْأَلَهُ إِلَّا هُوَ رَاحِمُهُمْ وَلَا تَحْسَبُ إِلَّا هُوَ سَادِمُهُمْ وَلَا أَتَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَنْ مَا كَانُوا يَلْبِسُهُمْ بِنَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾

افتتح الكلام بالعلم، وختمه بالعلم؛ ولهذا قال ابن عباس والضحاك وسفيان الثوري وأحمد بن حنبل: «هو معهم بعلمه». ابن تيمية: ٢٤١/٦.

السؤال: كيف تستدل بالآية على أن الحياة في قوله: (وهو معهم) هي بالعلم وليست بذات الله تعالى؟

﴿ وَإِذَا جَاءَكَ حَيْوَتُكَ بِمَا لَمْ يَحْكَمْ بِهِ اللَّهُ ﴾

كانوا إذا دخلوا على النبي ﷺ يخفون لفظ (السلام عليكم)؛ لأنه شعار الإسلام، ولما فيه من جمع معنى السلامة، يدلون عن ذلك ويقولون: (أنعم صباحاً). وهي تحية العرب في الجاهلية؛ لأنهم لا يحبون أن يتركوا عوائد الجاهلية. ابن عاشور: ٣٧/٢٨.

السؤال: ما رايك في أنواع التحية المنتشرة بين بعض الشباب اليوم؟ وما افضل تحية؟

﴿ يَأْتِيَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ تَسَحَّروا فِي الْحَجَلِيسِ فَأَسْحُوا بِسَجِّهِ اللَّهِ لَكُمْ ﴾  
والفسح المأمور به هو التوسع دون القيام؛ ولذلك قال رسول الله ﷺ: (لا يقم أحد من مجلسه ثم يجلس الرجل فيه، ولكن تقسحوا وتوسعوا). ابن جزي: ٤٢٢/٢.

السؤال: بين الأدب الشرعي الذي أمرت به هذه الآية.

﴿ يَأْتِيَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ تَسَحَّروا فِي الْحَجَلِيسِ فَأَسْحُوا بِسَجِّهِ اللَّهِ لَكُمْ ﴾  
(يفسح الله لكم) أي: في قبوركم، وقيل: في قلوبكم، وقيل: يوسع عليكم في الدنيا والآخرة. القرطبي: ٣١٨/٢٠.

السؤال: ما المراد بفسح الله تعالى للعبد؟  
﴿ يَأْتِيَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ تَسَحَّروا فِي الْحَجَلِيسِ فَأَسْحُوا بِسَجِّهِ اللَّهِ لَكُمْ ﴾  
والجزاء من جنس العمل؛ فإن من فسح فسح الله له، ومن وسع أخيه وسع الله عليه. السعدي: ٨٤٦.

السؤال: تحدث عن قاعدة (الجزاء من جنس العمل) من خلال الآية.

﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْوَلَدَ دَرَجَاتٍ ﴾  
أي: لا تعتقدوا أنه إذا أفسح أحد منكم لأخيه إذا أقبل، أو إذا أمر بالخروج فخرج، أن يكون ذلك نقصاً في حقه، بل هو رفعة وترتبة عند الله تعالى. ابن كثير: ٣٣٦/٤.

السؤال: هل إفساحك لأخيك في المجلس نقص في حقه؟

﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْوَلَدَ دَرَجَاتٍ ﴾  
اللام في (العلم) ليست للاستعراق، وإنما هي للبعد؛ أي: العلم الذي بعث الله به نبيه ﷺ، وإذا كانوا قد أوتوا هذا العلم كان اتباعهم واجباً. ابن القيم: ١٤٣/٣.

السؤال: كيف دلت الآية على أهمية اتباع العلماء؟

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ  
تَجَوُّرٍ فَلَنَسْأَلَهُ إِلَّا هُوَ رَاحِمُهُمْ وَلَا تَحْسَبُ إِلَّا هُوَ سَادِمُهُمْ وَلَا أَتَى  
مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَنْ مَا كَانُوا يَلْبِسُهُمْ بِنَا عَمِلُوا  
يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ  
نُهِوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا هُمْ أَذْنُوعُهُ وَيَنْتَحِبُونَ بِالْإِثْمِ  
وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءَكَ حَيْوَتُكَ بِمَا لَمْ يَحْكَمْ  
بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَعْمَلُ حَتَّى نَحْمِلَ  
جَهَنَّمَ بِصَلواتِهَا فَيُفْسِدَ الْمَصِيرُ ﴿٥١﴾ يَأْتِيَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا  
تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَنَجَّوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ  
وَتَنَجَّوْا بِالْبَرِّ وَالْتَّقْوَى وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٥٢﴾ إِنَّمَا  
النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزَنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِصَاحِبِهِمْ  
شَيْئًا إِلَّا لِيُذَكِّرَ اللَّهُ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥٣﴾ يَأْتِيَنَّ  
الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ تَسَحَّروا فِي الْحَجَلِيسِ فَأَسْحُوا بِسَجِّهِ  
اللَّهُ لَكُمْ وَلَا قِيلَ أَنْشُرُوا فَأَنْشُرُوا رَفَعَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ  
وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٥٤﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
بِمَا لَمْ يَحْكَمْ بِهِ اللَّهُ	قَالُوا لَكَ: السَّأَلُ عَلَيْكُمْ، أَيْ: الْمَوْتُ لَكَ.
لَوْلَا	هَلَا.
حَسِبُهُمْ	كَافَيْتُهُمْ.
الْمَصِيرُ	الْمَرْجِعُ، وَالْمَالُ.
إِنَّمَا النَّجْوَى	التَّحَدُّثُ بِخَفِيَّةٍ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ.
تَسَحَّوْا	لِيُوسِعَ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ فِي الْمَجَالِسِ.
أَنْشُرُوا	قُومُوا مِنَ الْمَجَالِسِ بِأَمْرِ فِيهِ خَيْرٌ لَكُمْ.

## ● العمل بالآيات

١. اجلس مع مسلم وتكلم في موضوع يزيد من إيمانك، وتناجوا بالبر والتقوى، ﴿ يَأْتِيَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ تَسَحَّروا فِي الْحَجَلِيسِ فَأَسْحُوا بِسَجِّهِ اللَّهِ لَكُمْ ﴾  
بِالْبَرِّ وَالتَّقْوَى وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٥٢﴾.
٢. أحسن الظن بالمؤمنين؛ فإن النجوى لا تكون إلا عن سوء ظن، ﴿ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزَنَ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾.
٣. أفسح لأخيك في الحلقة والمجلس والدرس وفسح الله لك، ﴿ يَأْتِيَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ تَسَحَّروا فِي الْحَجَلِيسِ فَأَسْحُوا بِسَجِّهِ اللَّهِ لَكُمْ ﴾.

## ● التوجيهات

١. تذكر سعة علم الله تعالى وأنه لا تخفى عليه خافية، ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْأَلُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾.
٢. إذا أتاك الحزن فاعلم أن مصدره الشيطان؛ فهو يقصد إدخال الحزن على قلبك، ﴿ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزَنَ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾.
٣. من علاجات الحزن التوكل على الله، ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾.

الآية (٧): قال تعالى مخبراً عن إحاطة علمه بخلقه وإطلاعه عليهم، وسماعه كلامهم، ورؤيته مكانهم حيث كانوا وأين كانوا: ﴿وَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي الْبُحُورِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ شَيْءٍ لَّا يَعْلَمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ إِلَّا هُوَ سَادُّهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مُهَيِّئُ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ أي: يطالع عليهم ويسمع كلامهم وسرهم ونجواهم، ورسله أيضاً مع ذلك كتب ما يتناجون به، مع علم الله به وسمعه لهم؛ كما قال: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [التوبة: ٥٤] ولهذا حكى غير واحد الإجماع على أن المراد بهذه الآية معية علم الله تعالى، ولا شك في إرادة ذلك، ولكن سمعه أيضاً مع علمه محيط بهم، وبصره نافذ فيهم، فهو سبحانه مطلع على خلقه، لا يغيب عنه من أمورهم شيء. ﴿ثُمَّ يَنْتَهِرُ بِمَا عَمِلُوا وَيَوْمَ الْيُسُوفِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ قال الإمام أحمد: افتتح الآية بالعلم، واختتمها بالعلم.

الآية (٨): قال مجاهد: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ هَوَّأَ عَنْ الْجَبْرِ﴾ اليهود [سبب النزول]: قال مقاتل بن حيان: كان بين النبي ﷺ وبين اليهود مودة، وكانوا إذا مر بهم رجل من أصحاب النبي ﷺ جلسوا ينتاجون بينهم، حتى يظن المؤمن أنهم ينتاجون بقتله - أو بما يكره المؤمن - فإذا رأى المؤمن ذلك خشيم، فترك طريقه عليهم. فنهاهم النبي ﷺ عن الجحوى، فلم ينتهوا وعادوا إلى الجحوى، فانزل الله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ هَوَّأَ عَنْ الْجَبْرِ ثُمَّ يُوَدُّونَ إِذَا يُرَاغِبُ عَنْهُ﴾. قوله: ﴿وَيَتَّبِعُونَكَ بِالْإِثْمِ وَالْأَسْوَى وَالْكَذِبِ وَمَا يَخْتَصِمُ بِهِمْ﴾: أي: يتحدثون فيما بينهم بالإثم، وهو ما يختص بهم، والعدوان، وهو ما يتعلق بغيرهم، ومنه معصية الرسول ومخالفته، يُصرون عليها ويتواصون بها. ﴿وَإِذَا جَاءَكَ جَحْيَكَ بِمَا تَرَى يُجَادِلُكَ بِهِ اللَّهُ﴾ [سبب النزول]: عن عائشة قالت: دخل على رسول الله ﷺ يهود فقالوا: السام عليك يا أبا القاسم. فقالت عائشة: وعليكم السام. قالت: فقال رسول الله ﷺ: «يا عائشة، إن الله لا يحب الفحش ولا الضحش». قلت: ألا تسمعهم يقولون: السام عليك؟! فقال رسول الله ﷺ: «أوما سمعت أقول: وعليكم؟». فانزل الله: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ جَحْيَكَ بِمَا تَرَى يُجَادِلُكَ بِهِ اللَّهُ﴾. رواه سلم. وقوله: ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾: أي: يفعلون هذا، ويقولون ما يحرفون من الكلام وإيهام السلام، وإنما هو شتم في الباطن، ومع هذا يقولون في أنفسهم: لو كان هذا نبيًّا لعذبنا الله بما نقول له في الباطن؛ لأن الله يعلم ما نُسِّرُه، فلو كان هذا نبيًّا حقًّا لأوشك أن يعاجلنا الله بالعقوبة في الدنيا، فقال تعالى: ﴿حَسْبُكُمْ جَهَنَّمُ﴾: أي: جهنم كفایتهم في الدار الآخرة ﴿بِسَلْوَتٍ فِئْتَنَ الْكَبِيرِ﴾. وعن عبد الله بن عمرو؛ أن اليهود كانوا يقولون لرسول الله ﷺ: سام عليك، ثم يقولون في أنفسهم: ﴿لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ فنزلت هذه الآية. ﴿وَإِذَا جَاءَكَ جَحْيَكَ بِمَا تَرَى يُجَادِلُكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُكُمْ جَهَنَّمُ بِلِسَانِكُمْ﴾ [سبب النزول]: إنسان حسن ولم يخرجوه [رواه أحمد، وصححه إسناده أحمد شاكر].

الآية (٩): ثم قال الله مُؤْتَبَاً عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ أَلَا يَكُونُوا مِثْلَ الْكَافِرَةِ  
وَالْمُنَافِقِينَ ﴿ تَأْتِيهِمُ الْبُيُوتُ مَأْمُونَةً إِذْ لَا يَخْشَوْنَ غِلًّا إِذْ ذُقُوا إِثْمَهُمْ إِنَّ الَّذِينَ  
يَأْكُلُونَ ثَمَرَهُمْ مُتَعَبُونَ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَكَبِّرُونَ ﴾ أي: كما يتنجس به الجمله من كفره أهل الكتاب  
ومن مآلهم على ضلالتهم من المنافقين. ﴿ وَتَسْمَعُونَ لَأَلْفِ نَفْسٍ وَتَقَاطَعُ أَلْسِنُهُمْ فِيهَا أُولَئِكَ  
أَشَدُّ مَلَكُوتًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ أي: فيخرجكم بجميع أعمالكم وأقوالكم التي قد

أحصاهما عليكم، وسيجزىكم بها. عن صفوان بن محرز قال: كنت أخذت بيد ابن عمر، إذ عرض له رجل فقال: كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى يوم القيامة؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله يبدى المؤمن فيضع عليه كتفه ويستره من الناس، ويقرره بذنوبه، ويقول له: أتُرف ذنب كذا؟ أتُرف ذنب كذا؟ أتُرف ذنب كذا؟» حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أن قد هلك، قال: فإني قد سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، ثم يعطى كتاب حسنته. وأما الكفار والمنافقون فله يقول ألاشهد هؤلاء الذين كتبوا على رُؤسهم ألا تفتأ الله على الظالمين ﴿[مودة: ٤١]﴾. أخرجه في الصحيحين.

الآية (١٠): ﴿إِنَّمَا النَّسَفَۃُ﴾ وهي المسافة حيث يتوهم مؤمن بها سوءاً ﴿مِنَ النَّسَفَۃِ﴾ يعني: إنما يصدر هذا من المتأجدين عن تسويل الشيطان وتزيينه، ﴿يَحْزَنُ الَّذِينَ ءَاسَفُوا﴾ أي: ليسوءهم، ﴿وَلَيْسَ بِصَافِرِهِمْ شَيْئًا إِلَّا يَذُنُ اللهَ﴾ ومن أحسن من ذلك شيئاً فليستعد بالله وليتوكل على الله؛ فإنه لا يضره شيء إلاذن الله. وقد وردت السنة بالنهي عن التأجدي حيث يكون في ذلك تأذ على مؤمن، كما روى ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنين دون صاحبهما، فإن ذلك يحزنه» [متفق عليه].

الآية (١١): يقول تعالى مؤدباً عباده المؤمنين، وامراً لهم أن يحسن بعضهم إلى بعض في المجالس: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ﴾، وذلك أن الجزء من جنس العمل، كما في الحديث: «من بنى لله مسجداً بنى الله له بيتاً في الجنة» (رواه مسلم)، وفي الحديث الآخر: «ومن يسر على مغير يسر الله عليه في الدنيا والآخرة» (رواه مسلم). قال قتادة: نزلت هذه الآية في مجالس الذكر، وذلك أنهم كانوا إذا رأوا أحدهم مقبلاً ضُتُّوا بمجالسهم عند رسول الله ﷺ، فأمرهم الله أن يفسح بعضهم لبعض. وقد روى ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «لا يقيم الرجلُ الرجلُ من مجلسه فيجلس فيه، ولكن تَفَسَّحُوا وَتَوَسَّعُوا» (متفق عليه). وقد اختلف الفقهاء في جواز القيام للوارد إذا جاء، على أقوال: فمنهم من رخص في ذلك محتجاً بحديث: «قوموا إلى سيدكم» (متفق عليه). ومنهم من منع من ذلك محتجاً بحديث: «من أحبَّ أن يَمَثَلَ له الرجال قياماً، فَلْيَبْئُثْ مَقْعَدَهُ من النار» (رواه أبو داود والترمذي، وصححه الألباني). ومنهم من فَصَّلَ فقال: يجوز عند القلوم من سفر، وللحاكم في محل ولايته، كما دل عليه قصة سعد بن معاذ؛ فإنه لما استقبله النبي ﷺ حاكماً في بني قريظة فرأه مقبلاً قال للمسلمين: «قوموا إلى سيدكم». وما ذاك إلا ليكون أفندَ لحكمه. فأما اتخاذ ديدناً فإنه من شعار العجم. وقد جاء أنه لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله ﷺ، وكان إذا جاء لا يقومون له، ما يعلمون من كراهته لذلك (رواه أحمد والترمذي، وصححه الألباني). ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ دَرَجَاتٍ﴾ أي: لا تعتقدوا أنه إذا فَسَّحَ أحدُ منكم لأخيه إذا أقبل، أو إذا أُمِرَ بالخروج فخرج، أن يكون ذلك نقصاً في حقه، بل هو رفعة ومزية عند الله، والله تعالى لا يُفْضِحُ ذلك له، بل يميزه بها في الدنيا والآخرة؛ فإن من تواضع لأمر الله رَفَعَ الله قدره، ونَشَرَ ذكروه. ﴿وَالَّذِينَ يَسْتَمْتَلُونَ حَيْدًا﴾ أي: خبير بمن يستحق ذلك ويمن لا يستحقه. قال عمر رضي الله عنه: أما إن نبيكم ﷺ قد قال: «إن الله يرفع بهذا الكتاب قوماً ويضع به آخرين» (رواه مسلم).

بہذا الكتاب قوما ويضع به آخرين» [رواه مسلم].

الآية (٢٠-٢١): يقول تعالى مخبراً عن الكفار المعاندين المحادين لله ورسوله، يعني: الذين هم في حُدِّ والشرع في حُدِّ، أي: مجانبون للحق مشاقون له؛ هم في ناحية والهدى في ناحية، ﴿أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾ أي: في الأشقياء المبعدين المطرودين عن الصواب، الأذلين في الدنيا والآخرة. ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَىٰ لَنَا رُسُلٌ﴾ أي: قد حكم وكتب في كتابه الأول وقدره الذي لا يُجَالَف ولا يُنَازَع، ولا يدلل بأن النصرة له وكتبابه ورسله وعباده المؤمنين في الدنيا والآخرة، وأن العاقبة للمتقين؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ﴾ (عاف: ٥١). وقال ههنا: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَىٰ لَنَا رُسُلٌ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ أي: كتب القوي العزيز أنه الغالب لأعدائه. وهذا قدر حكم وأمر مريم: أن العاقبة والنصرة للمؤمنين في الدنيا والآخرة.



## ● الوقفات التدريبية

﴿قَدْ تَرْتَعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾

عدل عن فصلوا إلى فأقيموا الصلاة ليكون المراد المتابعة على توفية حقوق الصلاة ورعاية ما فيه كمالها، لا على أصل فعلها فقط، الأنوسي: ٢٢٥/١٤.

السؤال: لماذا عدل عن «فصلوا» إلى «فأقيموا الصلاة»؟

﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾

هاتان العبادتان هما أم العبادات البدنية والمالية، فمن قام بهما على الوجه الشرعي فقد قام بحقوق الله وحقوق عباده، السعدي: ٨٤٧.

السؤال: لماذا خصت هاتان العبادتان بالذكر دون غيرهما؟

﴿وَأَقِيمُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾

(واطيعوا الله ورسوله)... والعبرة في ذلك على الإخلاص والإحسان؛ ولهذا قال تعالى: (والله خبير بما تعملون) فيعلم تعالى أعمالهم، وعلى أي وجه صدرت، فيجازيهم على حسب علمه بما في صدورهم، السعدي: ٨٤٧.

السؤال: لماذا عقب الطاعة بوصفه بأنه خير بما نعمل؟

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ﴾

قال القرطبي: من وافق مفضوياً عليه أشرك نفسه في استحقاق غضب من هو غضبان عليه؛ فمن تولى مفضوياً عليه من قبل الله استوجب غضب الله، وكفى بذلك هواناً وحزناً وحرماناً، البقاعي: ٣٨٧/١٩.

السؤال: ما خطورة تولي من غضب الله عليه؟

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكَ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ قَوْلِ آلِهِمْ هُمْ الْكَافِرُونَ﴾

من عاش على شيء مات عليه؛ فكما أن المنافقين في الدنيا يمهون على المؤمنين، ويحلفون لهم أنهم مؤمنون، فإذا كان يوم القيامة وبعثهم الله جميعاً، حلفوا لله كما حلفوا للمؤمنين، ويحسبون في حلفهم هذا أنهم على شيء؛ لأن كفرهم ونفاقهم وعقائدهم الباطلة لم تزل ترسخ في أذهانهم شيئاً فشيئاً، حتى غرتهم، وظنوا أنهم على شيء يعتد به، ويعلق عليه الثواب، السعدي: ٨٤٨.

السؤال: كيف تتشابه حال المنافقين في الآخرة والدنيا؟

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَأُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾

ولما كانوا لا يفعلون ذلك إلا لكثرة أعوانهم وأتباعهم، فيظن من رآهم أنهم الأعداء الذين لا أحد أعز منهم، قال تعالى نفيًا لهذا الغرور الظاهر: (أولئك) أي: الأبعاد الأسافل (في الأذلين) أي: الذين يعرفون أنهم أذل الخلق... قال الحسن: إن للمعصية في قلوبهم لذلًا، وإن طمطقت بهم اللجم، البقاعي: ٣٩٥/١٩.

السؤال: ما أثر المعصية في القلوب من خلال الآية؟

﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَيْنَا أَنَا وَرُسُلُكَ إِنَّكَ اللَّهُ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾

قال الزجاج: غلبة الرسل على نوعين: من بعث منهم بالحرب فهو غالب بالحرب، ومن لم يؤمر بالحرب فهو غالب بالحجة، البغوي: ٣٤٩/٤.

السؤال: كيف تغلب رسل الله مكذبيهم ومن الرسل من قتله قومه؟

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرُّسُولَ فَقَدْ مُوَابِنَ يَدَيَّ جُنُودِكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْعَمٌ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَقُورٌ رَّحِيمٌ ؕ ءَأَشْفَقْتُمْ أَنَّ تُفْدُوا مَوَابِنَ يَدَيَّ جُنُودِكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ؕ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ؕ ﴿١٥﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ؕ ﴿١٦﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ؕ ﴿١٧﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ؕ ﴿١٨﴾ لَنْ تَغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ؕ ﴿١٩﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ قَوْلِ آلِهِمْ هُمْ الْكَافِرُونَ ؕ ﴿٢٠﴾ اسْتَخَوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ إِلَّا لَئِنْ حِزْبُ الشَّيْطَانِ هُمْ الْفَاسِقُونَ ؕ ﴿٢١﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَأُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ؕ ﴿٢٢﴾ كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَيْنَا أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ؕ ﴿٢٣﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا	الْمُنَافِقِينَ اتَّخَذُوا الْيَهُودَ أَصْدِقَاءَ وَوَالِهِم.
جُنَّةً	وَقَايَةً لَهُمْ مِنَ الْقَتْلِ.
وَيَحْسَبُونَ	يَعْتَقِدُونَ.
اسْتَخَوَذَ	غَلَبَ، وَاسْتَوْلَى.
يُحَادُّونَ	يُحَالِفُونَ، وَيُشَاقِقُونَ.
الْأَذَلِّينَ	الْأَذَلَاءِ الْمَغْلُوبِينَ الْمُهَانِينَ.
لَأَعْلَيْنَ	لَأَنْتَصِرَنَّ.

## ● العمل بالآيات

- ادع لأستاذك أو لشيخك لصبره على تعليمك، ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرُّسُولَ فَقَدْ مُوَابِنَ يَدَيَّ جُنُودِكُمْ صَدَقَةٌ﴾.
- أحرص على ذكر الله قبل الأكل وبعده وقبل النوم وبعده، ﴿اسْتَخَوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾.
- أحرص على الصلوات الخمس مع الجماعة خاصة الفجر والعصر، ﴿اسْتَخَوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾.

## ● التوجيهات

- أحرص على اتباع سنة النبي ﷺ، ﴿وَأَقِيمُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.
- المنافقون من حزب الشيطان فاحذرهم واحذر صفاتهم، ﴿اسْتَخَوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ إِلَّا لَئِنْ حِزْبُ الشَّيْطَانِ هُمْ الْفَاسِقُونَ﴾.
- من صفات حزب الشيطان: الكذب والنفاق وبغض الصحابة، ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ إِلَّا لَئِنْ حِزْبُ الشَّيْطَانِ هُمْ الْفَاسِقُونَ﴾.



الطبعة  
الاصيلة

## ● الوقفات التحذيرية

﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾  
أي: لا يجتمع هذا وهذا؛ فلا يكون العبد مؤمناً بالله واليوم الآخر حقيقة إلا كان عاملاً على مقتضى الإيمان ولوازمه: من محبة من قام بالإيمان وموالاة، وبغض من لم يحم به ومعاداته. السعدي: ٨٤٨.

السؤال: ما العلاقة بين الإيمان بالله واليوم الآخر وبغض من حاد الله ورسوله؟

﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾  
أخبر أنك لا تجد مؤمناً يواد المحادين لله ورسوله؛ فإن نفس الإيمان ينلج موادته كما ينفي أحد الضدين الآخر؛ فإذا وجد الإيمان انتفى ضده، وهو موالاته أعداء الله، فإذا كان الرجل يوالي أعداء الله بقلبه كان ذلك دليلاً على أن قلبه ليس فيه الإيمان الواجب. ابن تيمية: ٢٥٧/٦.

السؤال: لماذا وصفهم الله بالإيمان حينما نفى عنهم مادة من حاد الله ورسوله؟

﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾  
وفي قوله: (رضي الله عنهم ورضوا عنه) سر بديع؛ وهو أنه لما سخطوا على القرائب والعشائر في الله تعالى، عوضهم الله بالرضا عنهم، وأرضاهم عنه بما أعطاهم من النعيم المقيم والفضل العميم. ابن كثير: ٣٢/٤.

السؤال: وضع سبب رضا الله عن المؤمنين ورضاهم عنه من خلال الآيات.

﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾  
(أولئك) أي: الذين هم في الدرجة العليا من العظمة؛ لكونهم قصروا ودهم على الله علماً منهم بأنه ليس النفع والضرر إلا بيده. البقاعي: ٤٠٠/١٩.

﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾  
لا تمتدوا على غير الله كما اعتمد هؤلاء على المنافقين؛ فإن من اعتمد على مخلوق أسلمه ذلك إلى صفاره ومذلتة. البقاعي: ٤١١/١٩.

السؤال: ما جزء من يعدل عن الاعتماد على الله تعالى إلى الاعتماد على مخلوق؟

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ كَانُوا يَفْقَهُونَ ذَلِكَ لَسَخَطْنَا مَنِ اسْتَكْبَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لَمْ يَفْقَهُوا ذَلِكَ وَنَبَّيْنَاهُمْ عَلَىٰ مَا ظَنُّوا إِنَّهُمْ كَانُوا خَالِفِينَ﴾  
فأعجبوا بها وغرتهم؛ وحسبوا أنهم لا يناولون بها؛ ولا يقدر عليها أحد... واطمأننت نفوسهم إليها، ومن وثق بغير الله فهو مخدول، ومن ركن إلى غير الله فهو عليه وبال. السعدي: ٨٤٩.

السؤال: في الآية حث على التوكل على الله سبحانه وتعالى وعدم الركون إلى الأسباب، بين ذلك.

﴿يَحْزَنُونَ بِيَوْمِهِمْ الَّذِي بَاءَ بِأَيِّدِيهِمْ وَأَيُّدِيَ الْمُؤْمِنِينَ فَاَعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾  
أي: تفكروا في عاقبة من خالف أمر الله، وخالف رسوله، وكذب كتابه؛ كيف يحل به من بأسه المخزي له في الدنيا مع ما يدخره له في الآخرة من العذاب الأليم. ابن كثير: ٣٣١/٤.

السؤال: ما العبرة المستفادة من قصة بني النضير؟

لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٣٣﴾

سُورَةُ التَّوْبَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ  
﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَتْهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُجْرَوْنَ يَدِيَهُمْ بَآيَدِيهِمْ وَآيَدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاَعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴿٣٣﴾ وَلَوْ لَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبُهمُ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٣٤﴾

## ● معاني الكلمات

المعنى	الكلمة
يُؤَادُّونَ	يُحِبُّونَ.
حَادَّ	عَادَى.
عَشِيرَتُهُمْ	أَقْرَبَاءُهُمْ.
وَأَيَّدَهُمْ	قَوَّاهُمْ.
بِرُوحٍ مِنْهُ	بِنَفْسٍ، وَتَأْيِيدٍ.
لَمْ يَحْتَسِبُوا	لَمْ يَخْطُرْ لَهُمْ بَيَالٍ.
وَقَذَفَ	أَنقَضَى.

## ● العمل بالآيات

١. قل اللهم إني أسألك رضاك والجنة، ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾.
٢. سأل الله الهداية لك ولوالديك ولإخوانك وعشيرتك، ﴿وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾.
٣. قل: «اللهم إني أعوذ بك من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وشماتة الأعداء، وسوء القضاء»، ﴿يَحْزَنُونَ بِيَوْمِهِمْ الَّذِي بَاءَ بِأَيِّدِيهِمْ وَأَيُّدِيَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

## ● التوجيهات

١. احرص على أن تكون أخوتك ومحبتك لله لا لمصالح دنيوية، ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾.
٢. معاداة من حاد الله ورسوله ولو كان أقرب قريب، ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾.
٣. لا يستطيع أحد مهما كانت قوته أن يغلب أمر الله تعالى، ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

[سبب النزول]: عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: سورة الحشر؟ قال: أنزلت في بني النضير (متفق عليه).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الآية (١): تجرئ تعالى أن جميع ما في السموات وما في الأرض من شيء يسبح له ويمجده ويقده، ويصلي له ويوحده؛ كقوله تعالى: ﴿سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ السَّمْعُ وَالْأَبْصَارُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَلَنْ يَنْفَعَهُمْ إِلَّا مَا سَبَّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَنْفَعُهُمْ تَسْبِيحُهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤]. «وهو العزيز» أي: منبع الجناب «الملك» في قدره وشرعه.

الآية (٢): «هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ» يعني: يهود بني النضير. قاله ابن عباس ومجاهد: كان رسول الله ﷺ لما قدم المدينة هادئهم وأعطاهم عهداً ودية، على ألا يقتلهم ولا يقتلوه، فنقضوا العهد الذي كان بينهم وبينه، فأحل الله بهم بأسه الذي لا يرد، وأنزل عليهم قضاءه الذي لا يُصَدَّقُ، فأجلاهم النبي ﷺ، وأخرجهم من حصونهم الحصينة التي ما طمع فيها المسلمون، وظنوا هم أنها مانعهم من بأس الله، فما أغنى عنهم من الله شيئاً، وجاءهم ما لم يكن بياهم، وسبهم رسول الله وأجلاهم من المدينة، فكان منهم طائفة ذهبوا إلى أذرعات من أعالي الشام، وهي أرض المحشر والمنشر، ومنهم طائفة ذهبوا إلى خيبر. وكان قد أنزلهم منها على أن لهم ما حملت إبلهم، فكانوا يجربون ما في بيوتهم من المنقولات التي يمكن أن تحمل معهم؛ ولهذا قال: ﴿يَجْرُونَ بِيُوتِهِمْ وَأَيْدِيهِمْ وَالْمُؤْمِنِينَ قَاتِلُوا يَتَأُولَى الْأَنْصَارِ» أي: تفكروا في عاقبة من خالف أمر الله وخالف رسوله، وكذب كتابه، كيف يحل به من بأسه المخزي له في الدنيا، مع ما يدخره له في الآخرة من العذاب الأليم.

﴿مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا﴾ أي: في مدة حصاركم لهم وقصرها، وكانت ستة أيام، مع شدة حصونهم ومنعتها. ﴿وَلَقَدْ أَتَوْهَا مَا تَمْتَثِلَةٌ خُصُوفُهُمْ مِنْ اللَّهِ فَادَّبَهُمْ اللَّهُ مِنْ جِثِّ لَرَّ يَحْتَسِبُوا﴾ أي: جاءهم من أمر الله ما لم يكن لهم في بال: ﴿وَقَفَّ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبُ﴾ أي: الخوف والهلع والجزع، وكيف لا يحصل لهم ذلك وقد حاصرهم الذي نُصِرَ بالربح مسيرة شهر. ﴿يَجْرُونَ بِيُوتِهِمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ هو نقض ما استحسوه من سوفهم وأبوابهم، وتعملها على الإبل.

الآية (٣): ﴿وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَمَذَّيْبُهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾ أي: لولا أن كتب الله عليهم هذا الجلاء، وهو النفي من ديارهم وأموالهم، لكان لهم عند الله عذاب آخر من القتل والسبي، ونحو ذلك. قاله الزهري عن عروة والشَّدي: لأن الله قد كتب عليهم أنه سيعذبهم في الدار الدنيا مع ما أعد لهم في الآخرة من العذاب في نار جهنم. وقال عكرمة: الجلاء: القتل. وفي رواية عنه: الفناء. وقال قتادة: الجلاء: خروج الناس من البلد إلى البلد. وقال الضحاك: أجلاهم إلى الشام، وأعطى كل ثلاثة بعيراً وسقاء، فهذا الجلاء. ﴿وَفِيهِمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ﴾ أي: حتم لازم لا بد لهم منه.

الآية (٢٢): ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ أي: لا يوادون المحادين ولو كانوا من الأقربين؛ كما قال تعالى: ﴿لَا يَتَّبِعُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أُولَئِكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَتَّبِعْ أَتْلَفَ قَلْبٍ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّبِعُوا نَفْسَهُ وَيَعْرِضْكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ الآية [آل عمران: ٢٨]. [سبب النزول]: قال سعيد بن عبد العزيز: أنزلت هذه الآية في أبي عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح، حين قتل أباه يوم بدر.

وقيل في قوله: ﴿وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ﴾: نزلت في أبي عبيدة قتل أباه يوم بدر، «أو أبناؤهم» في الصديق، هم يومئذ يقتل ابنه عبد الرحمن، «أو إخوانهم» في مصعب بن عمير، قتل أخاه عبيد بن عمير يومئذ، «أو عشيرهم» في عمر، قتل قريباً له يومئذ أيضاً، وفي حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث، قتلوا عتبة وشيبة والوليد بن عتبة يومئذ، والله أعلم. قلت: ومن هذا القبيل حين استشار رسول الله ﷺ المسلمين في أسارى بدر، فأشار الصديق بأن يُهادوا، فيكون ما يؤخذ منهم قوة للمسلمين، وهم بنو النعم والعشيرة، ولعل الله أن يهديهم. وقال عمر: لا أرى ما رأى يا رسول الله، هل تمكثي من فلان - قريب لعمر - فأقتله، وتمكن علياً من عقيل، وتمكن فلاناً من فلان، ليعلم الله أنه ليست في قلوبنا هودة للمشركين... القصة بكاملها.

قوله: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ أي: من اتصف بأنه لا يواد من حاد الله ورسوله ولو كان أباه أو أخاه، فهذا ممن كتب الله في قلبه الإيمان؛ أي: كتب له السعادة وقررها في قلبه وزين الإيمان في بصيرته. وقال الشَّدي: ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ جعل في قلوبهم الإيمان. وقال ابن عباس: ﴿وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ أي: قُوَاهِم.

قوله: ﴿وَيُؤَيِّدُ بَعْضُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ كل هذا تقدم تفسيره غير مرة. وفي قوله: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ سر بديع؛ وهو أنه لما سخطوا على القرائب والعشائر في الله عَوْضَهُمُ الله بالرضا عنهم، وأرضاهم عنه بما أعطاهم من النعيم المقيم، والفوز العظيم، والفضل العميم. ﴿أُولَئِكَ جَزَبَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ أي: هؤلاء عباد الله وأهل كرامته. ﴿إِلَّا أَنْ جَزَبَ اللَّهُ هُمْ مَقَالِيخَهُمْ﴾ تنويه بفلاحهم وسعادتهم ونصرهم في الدنيا والآخرة، في مقابلة ما أخبر عن أولئك بأنهم حزب الشيطان.

تفسير سورة الحشر

وهي مدنية، [وعدد آياتها (٢٤) آية].  
[فضل السورة: عن عبد الله بن عمرو قال: أتى رجل رسول الله ﷺ، فقال: أقرني يا رسول الله، فقال: «اقرأ ثلاثاً من ذوات الر». فقال: كبرت سني، واشتد قلبي، وغلظ لساني. قال: «فاقرأ ثلاثاً من ذوات حاميم». فقال مثل مقالته، فقال: «اقرأ ثلاثاً من المسبحات» [رواه أحمد وأبو داود، وصححه إسناده أحمد شاكر].



(١) البُوَيْرَة: موضع بالمدينة كان به نخل بنى النضير. [القاموس المحيط، مادة (بور)].



## ● الوقفات التدريبية

١ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ. وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾  
(ومن يشاق الله فإن الله شديد العقاب) اقتصر ها هنا على مشاقته الله لأن مشاقته مشاقته لرسوله. الشوكاني: ١٩٦/٥.

السؤال: لماذا اقتصر على الآية الكريمة على ذكر مشاقته لله تعالى، ولم يذكر مشاقته للرسول ﷺ كما ذكرها قبل ذلك؟

٢ ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ بَيْنَكُمْ﴾  
لكيلا يكون الشيء دولة... بين الرؤساء والأقوياء فيقبلوا عليه الفقراء والضعفاء؛ وذلك أن أهل الجاهلية كانوا إذا اغتموا غنيمة أخذ الرئيس ربعها لنفسه؛ وهو الربيع... فجعله الله لرسوله ﷺ يقسمه فيما أمر به. البغوي: ٣٥٧/٤.

السؤال: ما المراد بقوله (كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم)؟

٣ ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾  
والقصد من هذا التنزيل إزالة ما في نفوس بعض الجيش من حزازة حرمانهم مما أفاء الله على رسوله ﷺ من أرض النصير. ابن عاشور: ٨٦/٢٨.

السؤال: ما القصد من ختم أحكام الشيء بهذه الخاصة الكريمة؟

٤ ﴿وَلَا يَحْذَرُونَ فِي مُدَرِّجِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾  
فأخبر عنهم بأنهم يبدلون ما عندهم من الخير مع الحاجة، وأنهم لا يكرهون ما انعم به على إخوانهم. وضد الأول البخل، وضد الثاني الحسد. ولهذا كان البخل والحسد من نوع واحد؛ فإن الحاسد يكره عطاء غيره، والباخل لا يحب عطاء نفسه. ابن تيمية: ٢٧٢/٦.

السؤال: ذكرت الآية للمؤمنين صفتين عظيمتين، فما هما؟

٥ ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾  
وهذا إنما هو في فضول الدنيا، لا الأوقات المصروفة في الطاعات؛ فإن الفلاح كل الفلاح في الشج بها؛ فمن لم يكن شحيحاً بوقت تركه الناس على الأرض عياناً مفلساً، فالشج بالوقت هو عمارة القلب وحفظ رأس ماله. ومما يدل على هذا: أنه سبحانه أمر بالمسابقة في أعمال البر، والتنافس فيها، والمبادرة إليها، وهذا ضد الإيثار بها. ابن القيم: ١٤٦/٣.

السؤال: متى يكون الإيثار محموداً؟ ومتى يكون الشج محموداً؟

٦ ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾  
هذا المقام أعلى من حال الذين وصف الله بقوله تعالى: (ويطعمون الطعام على حبه) للإنسان: ٨، (وأتى المال على حبه) بالبقرة: ١٧٧؛ فإن هؤلاء تصدقوا وهم يحبون ما تصدقوا به، وقد لا يكون لهم حاجة إليه ولا ضرورة به، وهؤلاء أثروا على أنفسهم مع خصاصتهم إلى ما انفقوه. ابن كثير: ٣٣٨/٤.

السؤال: أيهما أفضل: المؤثر على نفسه، أم مؤثر المال على حبه؟

٧ ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾  
فإنه إذا وقى العبد شُحَّ نفسه سمحت نفسه بأوامر الله ورسوله، ففعلها طائعاً منقاداً، منشراحاً بصدرة، وسمحت نفسه بتركها ما نهى الله عنه وإن كان محبوباً للنفس تدعو إليه وتطلع إليه، وسمحت نفسه ببذل الأموال في سبيل الله وابتغاء مرضاته، وبذلك يحصل الفلاح والفوز. السعدي: ٨٥١.

السؤال: كيف تكون الوقاية من شح النفس سبباً للفلاح؟

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ. وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ١ مَا قَطَعْتُمْ نِيسَةَ أَوْتَرَكْتُمْ مَا حَاجَةً عَلَى أُمُورِهَا فَإِذَا لِلَّهِ وَلِيٌّ خَيْرٌ مِنَ الْفَاسِقِينَ ٢ وَمَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٣ وَمَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَآلِ النَّسَبِ كُلٌّ لِّمَا يَكُونُ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ٤ لِلْفَقْرَةِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ٥ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ٦

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
لَيْسَتْ	تَحْلَتْ، أَوْ نَوْعٌ مِنَ النَّخْلِ.
وَمَا آفَاءَ اللَّهِ	وَمَا رَزَاهُ اللَّهُ مِنْ أَمْوَالِ بَنِي النَّضِيرِ، وَالْقِسْمِ؛ مَا أَخَذَ مِنْ أَمْوَالِ الْكُفَّارِ بِحَقٍّ، مِنْ غَيْرِ قِتَالٍ، وَالْغَنِيمَةِ؛ مَا أَخَذَ بِقِتَالٍ.
فَمَا أَوْجَفْتُمْ	فَلَمْ تَرْكَبُوا لِتَحْصِيلِهِ.
رِكَابٍ	مَا يَرْكَبُ مِنَ الْإِبِلِ.
دُولَةً	مُلْكًا مَتَدَوِّلًا.
تَبَوَّءُوا الدَّارَ	اسْتَوْطَنُوا الْمَدِينَةَ.

## ● العمل بالآيات

١. قدم هدية لاسلم جديد او طالب علم تغرب عن وطنه، ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾.
٢. أعط أحد الفقراء حصتك من الإفطار لهذا اليوم إيثاراً لما عند الله، ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾.
٣. قل: اللهم فني شح نفسي، ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

## ● التوجيهات

١. الأخذ بما أمرت به السنة النبوية وما نهت عنه، ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾.
٢. ربما احتاج الصلح إلى توضيح، ﴿لِلْفَقْرَةِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾.
٣. من نجا من شح نفسه كان من الفلاحين، ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾  
 قيل: يعني من جاء بعد الصحابة: وهم التابعون ومن تبعهم إلى يوم القيامة، وعلى هذا حملها مالك فقال: إن من قال في أحد الصحابة قول سوء فلا حظ له في الغنيمة والفيء: لأن الله وصف الذين جاؤوا بعد الصحابة بأنهم: (يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان)، فمن قال ضد ذلك فقد خرج عن الذين وصفهم الله ابن جزي: ٤٣٠/٢.  
 السؤال: كيف استنبط الإمام مالك من هذه الآية أن من تكلم في الصحابة بسوء لا حظ له في الفيء؟

﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾  
 وهذا من فضائل الإيمان: أن المؤمنين ينتفع بعضهم ببعض، ويدعو بعضهم لبعض: بسبب المشاركة في الإيمان المقتضي لعقد الأخوة بين المؤمنين، التي من فروعها أن يدعو بعضهم لبعض: السعدي: ٨٥٢.

السؤال: اذكر فضيلة من فضائل الإيمان دلت عليها هذه الآية.  
 ﴿لَا تَنْتَرِ شُدَّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنْ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾  
 وإنما الفقه كل الفقه: أن يكون خوف الخالق ورجاؤه ومحبه مقدمته على غيرها، وغيرها تبعاً لها. السعدي: ٨٥٢.

السؤال: ما علامة فقه العبد؟  
 ﴿لَا تَنْتَرِ شُدَّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنْ اللَّهِ﴾  
 وجه وصف الرهبة بأنها في صدورهم: الإشارة إلى أنها رهبة جد خفية، أي: أنهم يتظاهرون بالاستعداد لحرب المسلمين، ويتطاولون بالشجاعة، ليرهبهم المسلمون، وما هم بتلك المثابة، فاطلع الله رسوله ﷺ على دخلتهم. ابن عاشور: ١٠٣/٢٨.

السؤال: لماذا وصفت الرهبة بأنها في صدورهم؟ وما الذي يفيد المسلمون من هذا الوصف؟

﴿بِأَسْهُمٍ بَيْنَهُمْ شَرِبِدٌ ثَمَّسَهُمْ جِيحًا وَقُلُوبُهُمْ شَقٌّ﴾  
 قال القشيري: اجتماع النفوس مع تناثر القلوب واختلافها أصل كل فساد، وموجب كل تخاذل، ومقتض لتجاسر العدو، واتفاق القلوب والاشتراك في الهمة والتساي في القصد يوجب كل ظفر وكل سعادة. البقاعي: ٥٢/١٩.

السؤال: ما خطورة تناثر القلوب؟  
 ﴿بِأَسْهُمٍ بَيْنَهُمْ شَرِبِدٌ ثَمَّسَهُمْ جِيحًا وَقُلُوبُهُمْ شَقٌّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾  
 لا دين لهم يجمعهم لتعلمهم أنهم على الباطل: فهم أسرى الأهوية، والأهوية في غاية الاختلاف، فالعقل مدار الاجتماع كما أن الهوى مدار الاختلاف. البقاعي: ٥٣/١٩.

السؤال: ما دلالة وصف اليهود بعدم العقل؟  
 ﴿بِأَسْهُمٍ بَيْنَهُمْ شَرِبِدٌ ثَمَّسَهُمْ جِيحًا وَقُلُوبُهُمْ شَقٌّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾  
 وفي الآية تربية للمسلمين ليحذروا من التخالف والتدابير، ويعلموا أن الأمة لا تكون ذات بأس على أعدائها إلا إذا كانت متفقة الضمائر. ابن عاشور: ١٠٦/٢٨.  
 السؤال: في الآية إشارة لأهمية الوحدة وعدم التفرق في مواجهة العدو، وضع ذلك

وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٥٣﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَخُرُوجٌ مَعَكُمْ وَلَا تَظُنُّوا فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَلَئِنْ فُتِنْتُمْ لَتَنْصَرَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٥٤﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَيَخْرُجُنَّ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَيَنْصُرُوهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيَبْزُتُنَّ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّهُمْ لَيَصْرونَ ﴿٥٥﴾ لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٥٦﴾ لَا يَغْنِيْلُوكُمْ جِيحًا وَلَا فِي قُلُوبِهِمْ تَحَسُّبٌ أَزْمَنَ جِيحًا وَأَمِنْ زَلَلَةٍ جَدِيدٍ بِأَسْهُمٍ بَيْنَهُمْ شَرِبِدٌ ثَمَّسَهُمْ جِيحًا وَقُلُوبُهُمْ شَقٌّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٥٧﴾ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَفَأُوا وَإِلَآ أَمْرُهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥٨﴾ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٩﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
غِلًا	حَسَدًا، وَحَقْدًا.
لِإِخْوَانِهِمْ	يَهُودَ بَنِي النَّضِيرِ.
جُدُرٍ	جِيحًا.
بِأَسْهُمٍ بَيْنَهُمْ	عَدَاوَتُهُمْ فِيمَا بَيْنَهُمْ.
شَقٌّ	مُتَفَرِّقَةٌ.
وَإِلَآ أَمْرُهُمْ	سُوءَ عَاقِبَةٍ كُضِرَ بِهِم.
كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ	مِثْلُ الْمُنَافِقِينَ فِي وَعْدِهِمُ الْيَهُودَ بِالنَّصْرِ وَخِذْلَانِهِمْ تَهْمُ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ.

## ● العمل بالآيات

١. ادع بهذا الدعاء: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.
٢. تعوذ بالله من الشيطان الرجيم ووساوسه، ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾.
٣. استخراج من هذه الآيات ثلاثاً من صفات المنافقين.

## ● التوجيهات

١. الحرص على تنقية القلب من الغل والحقد على أهل الإيمان، ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.
٢. الخوف والحيين صفة ملازمة لليهود، ﴿لَا يَغْنِيْلُوكُمْ جِيحًا وَلَا فِي قُلُوبِهِمْ تَحَسُّبٌ أَوْ مِنْ زَلَلَةٍ جَدِيدٍ﴾.
٣. الخوف من الخلق أكثر من الخائف علامة عدم الفهم، ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾.

قال: ﴿وَلِيْنٌ بَعَثُوا بِسْمِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ٦٥].

ولهذا قال: ﴿عَسَىٰ لَهُمْ جِيْعًا وَقُلُوْبُهُمْ شَقًى﴾ أي: تراهم مجتمعين فتحسبهم مؤتلفين، وهم مختلفون غاية الاختلاف.

قال إبراهيم النخعي: يعني: أهل الكتاب والمنافقين؛ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُوْنَ﴾.

الآية (١٥): قال: ﴿كَتَلَّ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قُرْبًا دَاخًا وَيَاْلَ أَمْرِهِمْ وَلَمْ يَعْدَابْ أَلَيْمٌ﴾ قال مجاهد والسدي ومقاتل بن حيان: يعني: كمثل ما أصاب كفار قريش يوم بدر.

وقال ابن عباس: ﴿كَتَلَّ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ يعني: يهود بني قينقاع. وكذا قال قتادة وابن إسحاق. وهذا القول أشبه بالصواب؛ فإن يهود بني قينقاع كان رسول الله ﷺ قد أجلاهم قبل هذا.

الآية (١٦): قوله: ﴿كَتَلَّ النَّاسُ الَّذِينَ إِذْ قَالَ لِلْأَسْنِ أَكْفَرُ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنْ بَرِئْتُ مِنْكَ﴾ يعني: مثل هؤلاء اليهود في اغترارهم بالذين وعدوهم النصر من المنافقين، وقول المنافقين لهم: ﴿وَلَنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ﴾، ثم لما حقت الحقائق وجدَّ بهم الحصار والقتال، تخلوا عنهم وأسلموهم للهلكة، مثالمهم في هذا كمثل الشيطان إذ سؤل للإنسان - والعياذ بالله - الكفر، فإذا دخل فيها سوله تبرأ منه وتنصل، وقال: ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْمَلَكَيْنِ﴾.

الآية (١٠): قوله: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ هؤلاء هم القسم الثالث من يستحق ففراؤهم من مال الفيء، وهم المهاجرون ثم الأنصار، ثم التابعون بإحسان، كما قال في آية براءة: ﴿وَالسَّيْفُونَ الْأَكْثَرُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]. فالتابعون لهم بإحسان هم: التابعون لأنصارهم الحسنة وأوصافهم الجميلة، الداعون لهم في السر والعلانية؛ ولهذا قال في هذه الآية الكريمة: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ﴾ أي: قائلين: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا﴾ أي: بغضا وحسداً. ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

وما أحسن ما استنبط الإمام مالك من هذه الآية الكريمة: أن الرافضي الذي يسب الصحابة ليس له في مال الفيء نصيب؛ لعدم انصافه بما مدح الله به هؤلاء في قولهم: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾. عن عائشة قالت: أمرت بالاستغفار لأصحاب محمد ﷺ، فسيبتموهم. سمعت نبيكم ﷺ يقول: «لا تذهب هذه الأمة حتى يلعن آخرها أولها». رواه البغوي<sup>(١)</sup>.

الآية (١١-١٢): يجبر تعالى عن المنافقين - كمبد الله بن أبي وأضرابه - حين يبعثوا إلى يهود بني النضير يمدونهم النصر من أنفسهم، فقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ﴾.

قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ أي: لكاذبون فيما وعدوهم به؛ إما لأنهم قالوا لهم قولاً ومن نيتهم ألا يفوا لهم به، وإما لأنهم لا يقع منهم الذي قالوه؛ ولهذا قال: ﴿وَلَكِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُوهُمْ﴾ أي: لا يقاتلون معهم، ﴿وَلَكِنْ نَصَرُوهُمْ﴾ أي: قاتلوا معهم ﴿يَكُولُ بَعْضُ الْأُخْرَىٰ لَئِنْ لَا يُجْزَوْنَ﴾ وهذه بشارة مستقلة بنفسها.

الآية (١٣): قال تعالى: ﴿لَأَنسُرَنَّكَ رَبِّي فِي صُدُورِهِمْ مِنَّا﴾ أي: يخافون منكم أكثر من خوفهم من الله؛ كقوله: ﴿إِذَا قُوتِلْتُمْ يَنُصِّرَنَّكُمْ النَّاسُ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ [النساء: ٧٧]؛ ولهذا قال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُوْنَ﴾.

الآية (١٤): ثم قال تعالى: ﴿لَا يَقْتُلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَىٰ مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾ يعني: أنهم من جبنهم وقلتهم لا يقتلون على مواجهة جيش الإسلام بالمبارزة والمقاتلة، بل إما في حصون أو من وراء جدر محاصرين، فيقاتلون للدفع عنهم ضرورة.

ثم قال: ﴿بِأَسْهُمٍ يَنْتَهَرُ سَدِيدٌ﴾ أي: عداوتهم بينهم شديدة، كما

(١) وروى مسلم شرطه الموقوف بلفظ: «أمرنا أن يستغفروا لأصحاب النبي ﷺ فسيبهم».





## ● الوقفات التدريبية

### ١ ﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾

مجيء (قُدِّمَتْ) بصيغة الماضي حث على الإسراع في العمل وعدم التأخير؛ لأنه لم يملك إلا ما قدم في الماضي، والمستقبل ليس بيده، ولا يدري ما يكون فيه: (وما تدري نفس ماذا تكسب غداً) [القمان: ٣٤]. الشنقيطي: ٥٤/٨.

السؤال: ما وجه مجيء (قُدِّمَتْ) بصيغة الماضي؟

### ١ ﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾

هذه الآية الكريمة أصل في محاسبة العبد نفسه، وأنه ينبغي له أن يتفحصها؛ فإن رأى زللاً تداركه بالإفلاق عنه والتوبة النصوح والإعراض عن الأسباب الموصلة إليه، وإن رأى نفسه مقصراً في أمر من أوامر الله بذل جهده واستعان بربه في تكميله وتتميمه وإتقانه، ويقايس بين ممن الله عليه وإحسانه وبين تقصيره، فإن ذلك يوجب له الحياة بلا محالة. السعدي: ٨٥٣.

السؤال: تحدث عن محاسبة النفس في ضوء هذه الآية.

### ١ ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾

وأما إنساؤه نفسه، فهو إنساؤه لحظوظها العالوية، وأسباب سعادتها وفلاحها وصلاحتها، وما تكمل به؛ ينسيه ذلك جميعه فلا يخطر بباله، ولا يجعله على ذكره، ولا يصرف إليه همهته فيرغب فيه؛ فإنه لا يمر بباله حتى يقصده ويؤثره، وأيضاً فينسيه عيوب نفسه ونقصها وأفاتها فلا يخطر بباله إزالتها. ابن القيم: ١٤٧/٣.

السؤال: كيف ينسى العبد نفسه؟

### ١ ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسُهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾

(فأنساهم أنفسهم) كان السامع سأل: ماذا كان أثر إنساء الله إياهم أنفسهم؟ فأجيب بأنهم بلغوا بسبب ذلك منتهى الفسق في الأعمال السيئة حتى حق عليهم أن يقال: إنه لا فسق بعد فسقهم. ابن عاشور: ١١٤/٢٨.

السؤال: ما أثر إنساء الله إياهم أنفسهم؟

### ١ ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاَهُ خَشِيماً مُّتَصِّدَعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾

حث على تأمل مواضع القرآن، وبين أنه لا عذر في ترك التدبر؛ فإنه لو خوطب بهذا القرآن الجبال مع تركيب العقل فيها لانقادت لمواظمتها، ولرايتها على صلابتها ووزانتها خاضعة متصدعة - أي متشققة - من خشية الله. القرطبي: ٣٨٨/٢٠.

السؤال: هل لأحد عذر في ترك تدبر القرآن بعد هذا البيان؟

### ● ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ الْغَيْبُ وَالشَّهَادَةُ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾

ثم أعقبه بالدليل على إفراده تعالى بالالوهية بما لا يشاركه غيره فيه بقوله تعالى: (عالم الغيب والشهادة)، وهذا الدليل نص عليه على أنه دليل لوحدة الله تعالى في مواضع أخرى. الشنقيطي: ٦٨/٨.

السؤال: ما الدليل على إفراد الله تعالى بالالوهية؟

### ● ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَلَيْكَ الْغَدُورُ أَلَمْ تَكُنْ مِنَ الْمُؤْمِنِ﴾

وذكر وصف (المؤمن) عقب الأوصاف التي قبله إتمام للاحتراس من توهم وصفه تعالى بذلك (أنه كالملوك المعروفين بالنقصان، فأفيد أولاً نزاهته ذاته بوصف (القدوس)، ونزاهته تصرفاته الغيبية عن الغدر والكذب بوصف (المؤمن)، ونزاهته تصرفاته الظاهرة عن الجور والظلم بوصف (السلام). ابن عاشور: ١٢١/٢٨.

السؤال: لماذا جاءت الأسماء الحسنى (القدوس السلام المؤمن) بعد اسم الله تعالى (الملك)؟

فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاُ الظَّالِمِينَ ﴿٥٥﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٦﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسُهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٧﴾ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ الْفَائِزُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّا هَٰذَا أَلْفُ عَرَبٍ أَوْ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاَهُ خَشِيماً مُّتَصِّدَعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٩﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ الْغَيْبُ وَالشَّهَادَةُ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٦٠﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦١﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
وَلْتَنْظُرْ	وَلْتَنْظُرْ.
فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ	بَحَيْثُ غَفَلُوا عَنْ حُظُوظِ أَنْفُسِهِمْ فِي الْآخِرَةِ.
مُتَصِّدَعًا	مُتَشَقِّقًا.
وَالشَّهَادَةُ	وَعَالِمٌ كُلُّ مُعْلَنٍ، وَخَاضِعٍ.
الْمُؤْمِنُ	الْمُصَدِّقُ رُسُلَهُ بِالْمُعْجَزَاتِ، وَالْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ.

## ● العمل بالآيات

١. تأمل أعمالك في الأسبوع الماضي، واستخرج ثلاث عبادات عملتها، وأحمد الله عليها، ثم استخرج ثلاثة أخطاء، واستغفر الله منها، ﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾.
٢. احرص هذا اليوم على أدعية الدخول والخروج من المنزل، وأذكار الصباح والمساء، ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسُهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.
٣. ادع الله تعالى بأسمائه الحسنى الواردة في هذه السورة: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَلَيْكَ الْغَدُورُ أَلَمْ تَكُنْ مِنَ الْمُؤْمِنِ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

## ● التوجيهات

١. تذكر دائماً يوم القيامة واجعله نصب عينيك، ﴿يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾.
٢. موجبات التقوى كثيرة، فمنها تذكر الآخرة، ومنها استشعار عظمة الله، ﴿يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾.
٣. احرص على الخشوع عند قراءة القرآن، ﴿لَوْ أَنَّا هَٰذَا أَلْفُ عَرَبٍ أَوْ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاَهُ خَشِيماً مُّتَصِّدَعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا عَدُوَّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تَلْقَوُا إِلَيْهِم بِالْمُودَةِ﴾  
فإن المودة إذا حصلت تبعتها النصره والموااة، فخرج العبد من الإيمان،  
وصار من جملة أهل الكفران، وانفصل عن أهل الإيمان. السعدي: ٨٥٥.

السؤال: لماذا النهي عن مودة الكفار؟

﴿وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَنْتُمْ وَمَا أَعْلَمْتُمْ﴾

فأى فائدة لإسراكم إن كنتم تعلمون أنى عالم به. وإن كنتم  
تؤمنون أنى لا أعلمه فهي القاصمة. البقاعي: ٤٨٨/١٩.

السؤال: ما فائدة الإخبار بعلم الله بالإسراء والإعلان؟

﴿إِنْ يَتَفَقَّهُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَسْطُرُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتُهُم بِالشُّو  
وَوَدُّوا أَنْ يَكْفُرُوا﴾

الدين أعز على المؤمنين من أرواحهم لأنهم ياذلون لها دونه، وأهم شيء  
عند العدو أن يقصد أهم شيء عند صاحبه. الألوسي: ٢٦٣/١٤.

السؤال: ما عز شيء عند المؤمنين؟ وما أهم شيء عند الكفار؟

﴿لَنْ تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَقُولُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾

لما اعتذر حاطب بأن له أولاداً وأرحاماً فيما بينهم، بين الرب عز وجل  
أن الأهل والأولاد لا ينفعون شيئاً يوم القيامة إن عصي من أجل ذلك.  
القرطبي: ٤٠٧/٢٠.

السؤال: هل يعذر المسلم بالتجسس على المسلمين خوفاً على نفسه أو  
أولاده وأمواله؟

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُكُمْ  
وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كُفْرًا بِكُمْ وَبِدِينِنَا وَبَيْنَكُمْ أَلْسِنَةٌ  
أَبْدًا حَتَّى تَقُولُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾

الحب في الله تعالى والبغض فيه سبحانه من أوثق عرى الإيمان، فلا  
ينبغي أن يفضل عنهما. الألوسي: ٢٦٣/١٤.

السؤال: ما أوثق عرى الإيمان؟

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾

أي أن يكون المسلمون تابعين لرضى رسولهم ﷺ كما كان الذين مع  
إبراهيم عليه السلام. ابن عاشور: ١٤٣/٢٨.

السؤال: ما دلالة الأمر بالاقتداء بإبراهيم -عليه السلام- والذين معه؟

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾

أي: لا تسلطهم علينا بذنوبنا فيفتنونا ... ويفتنون أيضاً أنفسهم، فإنهم  
إذا راوا لهم الغلبة ظنوا أنهم على الحق وأنا على الباطل، فازدادوا كضراً  
وطغياناً. السعدي: ٨٥٦.

السؤال: كيف يكون المسلم فتنة للكفار؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوَّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ  
إِلَيْهِم بِالْمُودَةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ  
وَلْيَاكُفْرُ أَنْ تَقُولُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ جِهَدًا فِي سَبِيلِ  
وَأَتِيقَافَ مَرْضَاتِي شُرُوكَ إِلَيْهِم بِالْمُودَةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ  
وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَقْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ۝ إِنْ  
يَتَفَقَّهُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَسْطُرُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ  
بِالشُّو وَوَدُّوا أَنْ يَكْفُرُوا ۝ لَنْ تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ  
يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَقُولُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ قَدْ كَانَتْ  
لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا  
بُرَءُكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كُفْرًا بِكُمْ وَبِدِينِنَا وَبَيْنَكُمْ  
وَالْعَدُوَّةُ وَالْقِتَّةُ أَبَدًا حَتَّى تَقُولُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ۝ لَاقُولُ  
إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَا تُشْفِقْ لَكَ وَمَا أَمْرُكَ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ  
رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْتَابْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۝ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا  
فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَآغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
أَوْلِيَاءَ	خُلَصَاءَ وَأَحِبَّاءَ
تُلْقُونَ	تَقْضُونَ
يَتَفَقَّهُكُمْ	يُظْفَرُوا بِكُمْ
وَيَسْطُرُوا	يَمْدُوا
يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ	يُفَرِّقُ بَيْنَ الْمُطِيعِينَ، وَالْعَاصِينَ
أُسْوَةٌ	قُدْوَةٌ
أَنْتَابْنَا	رَجَعْنَا بِالتَّوْبَةِ، وَالتَّطَاعَةِ
الْمَصِيرُ	الْمَرْجِعُ

## ● العمل بالآيات

١. قل: «ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً»  
﴿لَنْ تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَقُولُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.
٢. قل: ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْتَابْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾.
٣. ادع بهذا الدعاء: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَآغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ  
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

## ● التوجيهات

١. الحذر من كيد الكفار وأساليبهم التي يريدون بها إضعاف انتماء المسلمين  
للإسلام، ﴿إِنْ يَتَفَقَّهُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَسْطُرُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ بِالشُّو وَوَدُّوا  
لَنْ يَكْفُرُوا﴾.
٢. أولادك وأرحامك لن ينفعوك شيئاً إذا تركت أمر الله لأجلهم، ﴿لَنْ تَنفَعَكُمْ  
أَرْحَامُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَقُولُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.
٣. التوكل على الله وتفويض الأمر إليه، ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْتَابْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾.

## تفسير سورة الممتحنة

وهي مدنية، [وعدد آياتها (١٣) آية].

الآية (١): [سبب النزول]: عن علي قال: بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد، فقال: «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ؛ فإن بها ظمينة معها كتاب، فخذوه منها». فانطلقنا نعدى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة، فإذا نحن بالظمينة، قلنا: أخرجي الكتاب. قالت: ما معي كتاب. قلنا: لتخرجي الكتاب أو نلقين الثياب. قال: فأخرجت الكتاب من عقاصها، فأخذنا الكتاب فأتينا به رسول الله ﷺ، فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس من المشركين بمكة، يجربهم ببعض أمر رسول الله ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: «يا حاطب، ما هذا؟». قال: لا تعجل علي، إني كنت امرأ مخلصاً في قريش، ولم أكن من أنفسهم، وكان من كان معك من المهاجرين لهم قرابات يجمعون أهلهم بمكة، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتحذ فيهم يداً يجمعون بها قرابتي، وما فعلت ذلك كفراً ولا ارتداداً عن ديني ولا رضى بالكفر بعد الإسلام. فقال رسول الله ﷺ: «إنه صدقكم». فقال عمر: دعني أضرب عنق هذا المنافق. فقال: «إنه قد شهد بدراً، ما يدريك لعل الله اطلع إلى أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» [متفق عليه]. وزاد البخاري في كتاب المغازي: فأنزل الله السورة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تَلْقَوْنَ فِيهِم بِالْمُؤَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَهُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾ يعني: المشركين والكفار الذين هم محاربون لله ولرسوله وللمؤمنين، الذين شرع الله عداوتهم ومصارمتهم، ونهى أن يتخذوا أولياء وأصدقاء وأحباء؛ كما قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ يَتَوَلَّاهُمْ وَلَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَهُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٥١]. وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد؛ وقال تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاتُوا﴾ [آل عمران: ٢٨] ولهذا قيل رسول الله ﷺ غُتِرَ حاطب لما ذكر أنه إنما فعل ذلك مصادمة لقريش، لأجل ما كان له عندهم من الأموال والأولاد. ﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِنَّا لَهُم مَّا قَبْلَهُ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ التَّهْيِيجِ عَلَى عداوتهم وعدم موالاتهم؛ لأنهم أخرجوا الرسول وأصحابه من بين أظهرهم، كراهة لما هم عليه من التوحيد وإخلاص العبادة لله وحده. ﴿أَنْ تَوَلَّوْا بِاللَّهِ رَيْبَكُمْ﴾ أي: لم يكن لكم عندهم ذنب إلا إيمانكم بالله رب العالمين؛ كقوله: ﴿وَمَا تَقْصُرُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُقَالُوا بِاللَّهِ الْغَيْبُ الْحَمِيدُ﴾ [الدروج: ٨]. ﴿وَأَنْ تَكُنَّ رَحْمَتُهُ جِهْدًا فِي سَبِيلِي وَإِيغَاةَ مَرْضَاتِي﴾ أي: إن كنتم كذلك فلا تتخذوهم أولياء، إن كنتم خرجتم مجاهدين في سبيلي باغين لمرضاتي عنكم فلا توالوا أعدائي وأعداءكم، وقد أخرجوكم من دياركم وأموالكم حقاً عليكم ووسطاً لدينكم.

﴿يُشِيرُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُؤَدَّةِ وَأَنَا أَغْلِبُ مَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ﴾ أي: تفعلون ذلك وأنا أعلم العالم بالسرائر والظواهر، ﴿وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾.

الآية (٢): ﴿إِنْ يَتَّقَوْكُمْ يُكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءَ وَيَسْطَرُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ بِالسُّوَى﴾ أي: لو قدروا عليكم لما أبوا فيكم من أذى ينالونكم به بالمقال والفعال. ﴿وَرُودُوا تَوَكَّفَرُونَ﴾ أي: ويمرصون على ألا تنالوا

خيراً، فهم عداوتهم لكم كامنة وظاهرة، فكيف توالون مثل هؤلاء؟! وهذا تهيج على عداوتهم أيضاً.

الآية (٣): ﴿أَنْ تَتَّعَبَكُمْ أَسَامِكُمْ وَلَا أَوْلَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ أي: قراباتكم لا تنفعكم عند الله إذا أراد الله بكم سوءاً، ونفهمهم لا يصل إليكم إذا أرضيهم بما يسخط الله، ومن وافق أهله على الكفر لرضيهم فقد خاب وخسر وصل عمله، ولا ينفعه عند الله قرابته من أحد، ولو كان قريباً إلى نبي من الأنبياء؛ عن أنس أن رجلاً قال: يا رسول الله: أين أبي؟ قال: «في النار» فلما قُفِيَ دعاه فقال: إن أبي وأباك في النار» رواه مسلم.

الآية (٤): ﴿يَقُولُ تَعَالَى لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ إِمْرَهُمْ بِمَصَارِمَةِ الْكَافِرِينَ وَعداوتهم ومجانبتهم والتبري منهم: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: وأتباعه الذين آمنوا معه ﴿وَإِذْ قَالُوا لِيُؤْتِنَا مِنْ بَرِّهِمْ أَشْءًا مِنْكُمْ﴾ أي: نبرأنا منكم ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كُفْرًا يَكُرُّ﴾ أي: بدينكم وطريقكم. ﴿وَبِذَلِكَ يَبْنِي الْعَدَاةَ وَالْبَغْضَاءَ أَبَدًا﴾ يعني: وقد شرعت العداوة والبغضاء من الآن بيننا وبينكم، ما دمتم على كفركم فنحن أبداً نبرأ منكم ونبغضكم ﴿حَتَّى تَوَدُّوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ أي: إلى أن توحّدوا الله فتعبدوه وحده لا شريك له، وتحملوا ما تعبدون معه من الانداد والأوثان. ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَ لَكَ﴾ أي: لكم في إبراهيم وقومه أسوة حسنة تتأسون بها، إلا في استغفار إبراهيم لأبيه؛ فإنه إنما كان ﴿عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ [التوبة: ١١٤]. وذلك أن بعض المؤمنين كانوا يدعون لأبائهم الذين ماتوا على الشرك ويستغفرون لهم، ويقولون: إن إبراهيم كان يستغفر لأبيه، فأنزل الله ﷻ: ﴿مَا كَانَتْ لِلنَّبِيِّ أُولَئِكَ أَمْوَانًا يَسْتَغْفِرُونَ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَى قُرْبَى مِنْ بَدُو مَا يُنْهَى عَنْهُمْ أَنْ يَتَّخِذُوا الصَّحَابَةَ لِلْجَحِيمِ﴾ [٣٣] وما كَانَتْ أَسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ لَئِنْ إِبْرَاهِيمَ لَآذَنُ خَلِيلٌ﴾ [التوبة: ١١٣-١١٤]. وقال تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ إلى قوله: ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَ لَكَ وَمَا أَمَّاكَ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي: ليس لكم في ذلك أسوة، أي: في الاستغفار للمشركين، هكذا قال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، ومقاتل، والضحاك وغير واحد. ثم قال تعالى مخبراً عن قول إبراهيم والذين معه، حين فارقوا قومهم وتبرؤوا منهم، فلجؤوا إلى الله وتضرعوا إليه فقالوا: ﴿وَرَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا، أَيْ: توكلنا عليك في جميع الأمور، وسلمنا أمورنا إليك، وفوضناها إليك ﴿وَالِلَّهِ الْمَصِيرُ﴾ أي: المعاد في الدار الآخرة.

الآية (٥): ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قال مجاهد: معناه: لا تعذبنا بأيديهم ولا بعذاب من عندك، فيقولوا: لو كان هؤلاء على حق ما أصابهم هذا. وكذا قال الضحاك. وقال قتادة: لا تظهرهم علينا فيفتنوا بذلك؛ يرون أنهم إنما ظهروا علينا لحقهم عليه. واختاره ابن جرير. وقال ابن عباس: لا تسلطهم علينا فيفتنونا. ﴿وَأَغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا﴾ أي: واستر ذنوبنا عن غيرك، واقف عنها فيما بيننا وبينك. ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ﴾ أي: الذي لا يُضَام من لاذ بجناحك، ﴿الْكَلِيمُ﴾ في أقوالك وأفعالك وشرعك وقدرك.



(١) صفحة ٥١١.



## ● الوقفات التدبرية

❶ ﴿وَمَنْ يَتُوبْ إِلَى اللَّهِ حَسَنَةً لَّنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾

(ومن يتوب إلى الله عن الإسلام وقبول هذه المواضع، فإن الله هو الغني أي: لم يتعبدكم لحاجته إليهم، (الحمد) في نفسه وصفاته، القرطبي: ٤٠٥/٢٠.

السؤال: ما مناسبة ختم الآية بهذين الاسمين لله تعالى؟

❷ ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ لَكُمْ مَخْرَجًا﴾

لما أمر الله المسلمين بعبادة الكفار ومقاطعتهم فامتثلوا ذلك على ما كان بينهم وبين الكفار من القرابة، فعلم الله صدقهم فأنسهم بهذه الآية ووعدهم بأن يجعل بينهم مودة، وهذه المودة كملت في فتح مكة، فإنه أسلم حينئذ سائر قريش. ابن جزي: ٤٣٦/٢.

السؤال: ما مناسبة هذه الآية بعد الحديث عن التبرؤ من الكافرين؟

❸ ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ لَكُمْ مَخْرَجًا﴾

(عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتهم منهم مودة) سببها رجوعهم إلى الإيمان، (والله قدير) على كل شيء، ومن ذلك هداية القلوب، وتقليبها من حال إلى حال. السعدي: ٨٥٦.

السؤال: لماذا ذكر الله قدرته بعد أن ذكر أنه بالإمكان انتقال عبادة المشركين إلى المودة؟

❹ ﴿لَا يَنْتَظِرُ اللَّهُ عَنْ الْكُفَّينَ لَمْ يُنْزِلُوا فِي الْبَيْنِ لَمْ يُخْرِجُوا مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَقْسِبُوا إِيَّاهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِبِينَ﴾

لما ذكر سبحانه ما ينبغي للمؤمنين من معاداة الكفار وترك موادتهم فصل القول فيمن يجوز بره منهم ومن لا يجوز فقال: (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين، الشوكاني: ٢١٣/٥).

السؤال: ما مناسبة الآية لما قبلها؟

❺ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾

قال القرطبي: وفي الجملة الامتحان طريق إلى معرفته، وجواهر النفس تتبين بالتجربة، ومن أقدم على شيء من غير تجربة يجني كاس الندم. البقاعي: ٥١٤/١٩.

السؤال: ما أهمية امتحان النفوس؟

❻ ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾

فيه دلالة على أن الإيمان يمكن الاطلاع عليه يقيناً. ابن كثير: ٣٥١/٤.

السؤال: هل يمكن الاطلاع اليقيني على إيمان بعض الناس؟

❼ ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهَا وَتَأْوَهُمْ مَا أَنفَقُوا﴾

أمر الله تعالى إذا أمسكت المرأة المسلمة أن يرُدَّ على زوجها ما انفق، وذلك من الوفاء بالعهد؛ لأنه لما منع من أهله بحرمة الإسلام أمر برد المال حتى لا يقع عليهم خسران من الوجهين: الزوجة والمال. القرطبي: ٤١٤/٢٠.

السؤال: اذكر صورة من صور الوفاء بالعهد في الآية.

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ  
وَمَنْ يَتُوبْ إِلَى اللَّهِ حَسَنَةً ۚ عَسَىٰ أَنْ يَجْعَلَ لَكُمْ مَخْرَجًا ۚ  
وَيَبِّدَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَةَ وَاللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ  
لَا يَنْتَظِرُ اللَّهُ عَنْ الَّذِينَ لَمْ يُنْزِلُوا فِي الْبَيْنِ لَمْ يُخْرِجُوا مِنْ دِينِكُمْ  
أَنْ تَبَرُّوا وَتَقْسِبُوا إِيَّاهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِبِينَ  
إِنَّمَا يَنْتَظِرُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي الْبَيْنِ وَأَخْرَجُوا مِنْ دِينِكُمْ  
وَوَلَّاهُمْ وَلَعَلَّ خَلْقًا مِنْهُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَاُولَٰئِكَ  
هُمُ الظَّالِمُونَ ۚ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ  
فَامْتَحِنُوهُنَّ ۚ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ ۚ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا  
تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَأَهُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهَا ۚ وَهُنَّ  
مَّا أَنفَقُوا وَلَاجِنَاحَ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتَخَوَّهُنَّ إِذَا عَاتَيْنَهُنَّ أَجْرَهُنَّ  
وَلَا تُمْسِكُوا بِعَصَمِ الْكَافِرِ ۚ وَمَا أَنفَقُوا ۚ وَلَيْسَ لَهُنَّ مِمَّا أَنفَقُوا  
شَيْءٌ ۚ وَمَنْ أَزْوَاجُكُمْ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۚ وَإِنْ فَاتَكُمْ  
شَيْءٌ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاتِبُوا ۚ فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ  
أَرْوَاحُهُمْ ۚ وَمَا أَنفَقُوا ۚ وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهٖ مُؤْمِنُونَ ۚ

## ● معاني الكلمات

المعنى	الكلمة
يُطَمِّعُ فِي الْخَيْرِ مِنَ اللَّهِ	يَرْجُوا اللَّهَ
يُعْرِضُ عَنِ الْإِقْدَادِ بِالْأَنْبِيَاءِ، وَيُؤَالِ أَعْدَاءَ اللَّهِ	يَتُوبُ
الْمَحْمُودُ فِي ذَاتِهِ، وَصِفَاتِهِ، وَأَفْعَالِهِ	الْحَمِيدُ
تَعَدَّلُوا فِيهِمْ	وَتَقْسِبُوا
عَاوَنُوا	وَوَلَّاهُمْ
أَنْ تَتَصَرَّوهُمْ، وَتَتَوَدَّوَهُمْ	أَنْ تَوَلَّوَهُمْ
فَاخْتَبِرُوهُنَّ؛ لَتَعْلَمُوا صِدْقَ إِيْمَانِهِنَّ	فَامْتَحِنُوهُنَّ

## ● العمل بالآيات

- أدع الله تعالى أن يهدي أهل الضلال والكفر، ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ لَكُمْ مَخْرَجًا﴾
- أهد هدية لكاهن تانيفاً لقلبه، ﴿لَا يَنْتَظِرُ اللَّهُ عَنْ الَّذِينَ لَمْ يُنْزِلُوا فِي الْبَيْنِ لَمْ يُخْرِجُوا مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَقْسِبُوا إِيَّاهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِبِينَ﴾
- تذكر مسلماً أخطأت عليه ثم اعتذر منه أو ادع الله له، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِبِينَ﴾

## ● التوجيهات

- أهمية القدوة في حياة المسلم، ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾
- جواز معاملته الكافر غير الحربي، والإحسان إليه، ﴿لَا يَنْتَظِرُ اللَّهُ عَنْ الَّذِينَ لَمْ يُنْزِلُوا فِي الْبَيْنِ لَمْ يُخْرِجُوا مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَقْسِبُوا إِيَّاهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِبِينَ﴾
- القسط والعدل مع الموالف والمخالف، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِبِينَ﴾



## ● الوقفات التحذيرية

### ● ﴿وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾

ومعصيته لا تكون إلا في معروف؛ فإنه لا يأمر بمنكر، لكن هذا قيل: فيه دلالة على أن طاعة أولي الأمر إنما تلتزم في المعروف. ابن تيمية: ٢٩٥/٦.

السؤال: النبي ﷺ لا يأمر إلا بالمعروف، فلماذا قيد النهي عن معصيته بالمعروف؟

### ● ﴿وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾

أي فيما تأمرهن به من معروف وتنهاهن عنه من منكر، والتقييد بالمعروف مع أن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لا يأمر إلا به للتنبية على أنه لا يجوز طاعة مخلوق في معصية الخالق. الألويسي: ٢٧٤/١٤.

السؤال: ما الفائدة التقييد بالمعروف مع أن الرسول ﷺ لا يأمر إلا به؟

### ● ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾

قال النخعي: ثلاث آيات معنيت أن أقص على الناس: (اتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وانتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون) البقرة: ٤٤، (وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه) أهود: ٨٨، (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون). القرطبي: ٤٣٦/٢٠.

السؤال: اذكر ما بلغ إليه حال السلف من الخوف من هذه الآية.

### ● ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾

ينبغي للأمر بالخير أن يكون أول الناس إليه مبادرة، وللناهي عن الشر أن يكون أبعد الناس منه. السعدي: ٨٥٨.

السؤال: ما الذي يفيد المؤمن الداعية من هذه الآية؟

● ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقِيمُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنِينَ مَرْصُومٍ﴾  
وتكون صفوفهم على نظام وترتيب به تحصل المساواة بين المجاهدين، والتعاضد، وإرهاب العدو، وتشطيت بعضهم بعضاً. السعدي: ٨٥٨.

السؤال: ما الحكمة من التراص وقت القتال صفًّا كالبنين المرصوص؟

### ● ﴿كَأَنَّهُمْ بُنِينَ مَرْصُومٍ﴾

قال قتادة: ألم تر إلى صاحب البنين كيف لا يحب أن يختلف بنيانه؟ فكذلك الله عز وجل لا يحب أن يختلف أمره، وإن الله صف المؤمنين في قتالهم، وصفهم في صلاتهم، فعليكم بأمر الله؛ فإنه عصمة لمن أخذ به. ابن كثير: ٣٥٩/٤.

السؤال: أمر الله المؤمنين بحسن التنظيم والترتيب في موضعين، ما هما؟

### ● ﴿فَلَمَّا رَاغُوا أَزَاعَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾

وهذه الآية الكريمة تقيد أن إضلال الله لعباده ليس ظلماً منه، ولا حجة لهم عليه، وإنما ذلك بسبب منهم؛ فإنهم الذين أغلقوا على أنفسهم باب الهدى بعد ما عرفوه، فيجازيهم بعد ذلك بالإضلال والزيف الذي لا حيلة لهم في دفعه. السعدي: ٨٥٩.

السؤال: في الآية رد على من يحتج بانحرافه بالقدر، وضع ذلك.

يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايَعُكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِهَتَمَتَيْنِ يَفْتَرِيَهُ، بَيْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعَصِبَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَيَايَعُهُنَّ وَأَسْتَغْفِرَ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ  
يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقِيمُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنِينَ مَرْصُومٍ ۖ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُومُ لِمَ تَقُولُونَ وَأَنْتُمْ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۚ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْغَاوِينَ ۚ وَلَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَنَكْفُرَنَّ عَنْكَ وَلَنَجْعَلَ مِنَكَ لِلْعَالَمِينَ آيَةً ۚ فَانْقَضَتْ آيَاتُكَ فَاسْتَقْبَلَ الْغَمَّ ۚ

سُورَةُ الصَّفَاتِ ١١  
سُورَةُ الصَّفَاتِ ١٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ  
يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۚ  
كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقِيمُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنِينَ مَرْصُومٍ ۖ  
وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُومُ لِمَ تَقُولُونَ وَأَنْتُمْ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۚ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْغَاوِينَ ۚ وَلَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَنَكْفُرَنَّ عَنْكَ وَلَنَجْعَلَ مِنَكَ لِلْعَالَمِينَ آيَةً ۚ فَانْقَضَتْ آيَاتُكَ فَاسْتَقْبَلَ الْغَمَّ ۚ

## ● معاني الكلمات

المعنى	الكلمة
يَعَاهِدَنَّكَ	يَبَايَعُكَ
بِأَنَّهُنَّ يَفْتَرِيَنَّهُ	بِأَنَّهُنَّ يَصْنَعْنَ لَهُنَّ
لَا تَقُولُوا	لَا تَجْعَلُوهُنَّ أَوْلِيَاءَ وَأَخْلَاءَ
كَبُرَ مَقْتًا	عَظُمَ بُغْضًا
مَرْصُومٌ	مُتَرَاصٌّ مُحْكَمٌ لَا فُرْجَةَ فِيهِ، وَلَا يَنْقُضُ فِيهِ الْعَدُوُّ
رَاغُوا	عَدَلُوا عَنِ الْحَقِّ، مَعَ عِلْمِهِمْ بِهِ

## ● العمل بالآيات

١. سبح الله تعالى مائة مرة، ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ﴾.
٢. حدد عملاً صالحاً وطيباً، ثم ارسل رسالة لزم لملكك تحتمل على هذا العمل حتى تكون من العاملين بما تقول، ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾.
٣. تذكر عالماً أو داعية تعرض للإساءة والذكر محاسنه لأصحابك، ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُومُ لِمَ تَقُولُونَ وَأَنْتُمْ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾.

## ● التوجيهات

١. لتكن حياتك منظمة؛ فالله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً، ويحب الذين يصفون في الصلاة، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقِيمُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنِينَ مَرْصُومٍ﴾.
٢. صبر الأنبياء على الأذى، وهم القدوة للدعاة، ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُومُ لِمَ تَقُولُونَ وَأَنْتُمْ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾.
٣. الحذر من الزيف عن طاعة الله تعالى؛ فهو سبب لزيغ القلب، ﴿فَلَمَّا رَاغُوا أَزَاعَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

وهي مدنية، [وعدد آياتها (١٤) آية].

[سبب النزول]: عن عبد الله بن سلام أن أناساً من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا لو أرسلنا إلى رسول الله نسأله عن أحب الأعمال إلى الله ﷻ فلم يذهب إليه أحد منا وهبنا أن نسأله عن ذلك، قال فعدوا رسول الله ﷺ أولئك نفر رجلاً رجلاً حتى جمعهم، ونزلت فيهم هذه السورة: سبح لله [الصف] قال عبد الله بن سلام: فقرأها علينا رسول الله ﷺ كلها [رواه ابن أبي حاتم، وهو عند أحمد بنحوه، وصححه إسناده الأثرناوط].

الآية (١): تقدم الكلام على قوله: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ غير مرة، بما أغنى عن إعادته.

الآية (٢-٣): قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ إنكار على من يعد وعداً، أو يقول قولاً لا يفعله، ولهذا استدل بهذه الآية الكريمة من ذهب من علماء السلف إلى أنه يجب الوفاء بالوعد مطلقاً، سواء ترتب عليه غم للموعد أم لا. واحتجوا أيضاً بما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان». ولهذا أكد تعالى هذا الإنكار عليهم بقوله: ﴿كَثِيرٌ مِمَّنْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾. عن ابن عباس قال: كان ناس من المؤمنين قبل أن يفرض الجهاد يقولون: لو ودعنا أن الله ﷻ دنا على أحب الأعمال إليه، فنفعل به. فأخبر الله نبيه أن أحب الأعمال إيماناً به لا شك فيه، وجهاد أهل معصيته الذين خالفوا الإيمان ولم يقرأوا به. فلما نزل الجهاد كره ذلك أناس من المؤمنين، وشق عليهم أمره، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾! وهذا اختيار ابن جرير.

الآية (٤): ﴿إِنَّا اللَّهُ يُحِثُّ الْذَّيْقَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَهُمْ بَيْنَ مَرْصُوسٍ﴾ هذا إخبار من الله بمحبة عباده المؤمنين إذا اصطفوا مواجهن لأعداء الله في حومة الوعى؛ يقاتلون في سبيل الله من كفر بالله، لتكون كلمة الله هي العليا، ودينه هو الظاهر العالى على سائر الأديان. قال سعيد بن جبير: قوله: ﴿كَانَهُمْ بَيْنَ مَرْصُوسٍ﴾ ملتصق بعضه في بعض، من الصف في القتال. وقال ابن عباس: مُتَّبِعٌ لا يزول، ملتصق بعضه بعض.

الآية (٥): يقول تعالى مخبراً عن عبده ورسوله وكليمه موسى بن عمران عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ لِقَوْمِهِ: ﴿لَمْ تَوْذَرْنِي وَكَلَّمْتُمُونَنِي فَأَنَّى يَسْمَأُ إِلَهُكُمُ الْإِلَهُ الْيَكْبَرُ﴾ أي: لم تؤذروني والذى إلي وأنتم تعلمون صدقي فيما جئتكم به من الرسالة؟! وفي هذا تسلية لرسول الله ﷺ فيما أصابه من الكفار من قومه وغيرهم، وأمر له بالصبر؛ ولهذا قال: «رحمة الله على موسى: لقد أودى بأكثر من هذا فصبر» [متفق عليه]. ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ أي: فلما عدلوا عن اتباع الحق مع علمهم به، أزاع الله قلوبهم عن الهدى، وأسكنها الشك والحيرة والخذلان؛ كما قال تعالى: ﴿وَنَقَلْنَا الْأَيُّدَ عَنْهُمْ وَابْصَرَهُمْ كَمَا لَوْ رَأَوْهُمُ آبَاءَهُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَنَزَّهْتُمْ فِي ظُلُمَاتِهِمْ يَتَمَحَوْنَ﴾ [الأنعام: ١١٠]، ولهذا قال الله تعالى في هذه الآية: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

الآية (١٢): [عن] عروة أن عائشة زوج النبي ﷺ أخبرته: أن رسول الله ﷺ كان يمتحن من هاجر إليه من المومنات بهذه الآية: **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبِيْعُكَ** إلى قوله: **عَمَوْ رَحِمَ**. فعين أقر بهذا الشرط من المومنات قال لها رسول الله ﷺ: **قد بايعتك** كلامًا، ولا والله ما مست يده يد امرأة قط في المبايعه. [رواه البخاري]. وعن أميمة بنت رقيقة قالت: أثبت رسول الله ﷺ في نساء لبنابعه، فأخذ علينا ما في القرآن: **أَنْ لَا يُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا** الآية، وقال: **فيا** استطعن وأطقن، قلنا: الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا، قلنا: يا رسول الله، ألا تصافحنا؟ قال **إني لا أصافح النساء**، إنما قولي لامرأة واحدة كقولي لمائة امرأة» هذا إسناده صحيح [رواه أحمد وأصحاب السنن]. **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبِيْعُكَ** أي: من جاءك منهن يبيع على هذه الشروط، فبايعها **عَنْ أَنْ لَا يُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّبِعُ** أي: أموال الناس الأجانب، فاما إذا كان الزوج مقصرًا في نفقتها، فلها أن تأكل من ماله بالمعروف، ما جرت به عادة أمثالها، وإن كان بغير علمه، عملًا بحديث هند بنت عتبة: «خذي من ماله بالمعروف ما يكفيك ويكفي بنيك» [متفق عليه]. وقوله: **وَلَا يَزِينَنَّ** كقوله: **وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَةَ**، **كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا** [الإسراء: ٣٢]. عن عائشة قالت: جاءت فاطمة بنت عتبة تباع النبي ﷺ فأخذ عليها: **أَنْ لَا يُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّبِعُ وَلَا يَزِينَنَّ** الآية، قالت: فوضعت يدها على رأسها حياء، فأعجبه ما رأى منها، فقالت عائشة: **أَقْرَبِي أَبْنَاءَ الْمَرْأَةِ** فوالله ما بايعنا إلا على هذا. قالت: فنعم إذا. فبايعها بالآية [رواه أحمد وصححه الأرئوث]. **وَلَا يَقْتُلَنَّ أَوْلَادَهُنَّ** هذا يشمل قتله بعد وجوده، كما كان أهل الجاهلية يقتلون أولادهم خشية الإملاق، ويعم قتله وهو جنين، كما قد يفعله بعض الجهلة من النساء. **وَلَا يَأْتِينَ زَهْنَتَيْنِ بَعْدَ زَهْنَةٍ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلَيْهِنَّ** قال ابن عباس: يعني: لا يلحقن بأزواجهن غير أولادهم. قوله: **وَلَا يَتَّبِعَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ** يعني: فيا أمرتهن به من معروف، وتبتهن عنه من منكر. عن ابن عباس قال: **إنما هو شرط شرطه الله للنساء** [رواه البخاري]. وقد قال ابن عباس وأنس: نهاهن يومئذ عن النوح. وعن أم عطية قالت: كان فيها اشترط علينا من المعروف حين بايعنا: **الأنوح** [رواه البخاري].

الآية (١٣): يَهْدِي تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنْ مَوَالِدِ الْكَافِرِينَ فِي آخِرِ هَذِهِ السُّورَةِ كَمَا نَهَى عَنْهَا فِي أَوَّلِهَا فَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ يعني: اليهود والنصارى وسائر الكفار، ممن غضب الله عليه ولعنه واستحق من الله الطرد والإبعاد، فكيف توالونهم وتتخذونهم أصدقاء وأخلاء وقد يشبوا من الآخرة، أي: من ثواب الآخرة ونعيمها في حكم الله ﷻ. قوله: ﴿كَمَا يَبْسُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ فيه قولان: أحدهما: كما يبس الكفار الأحياء من قربائهم الذين في القبور أن يجتمعوا بهم بعد ذلك؛ لأنهم لا يمتقدون بعتاً ولا نشوراً، فقد انقطع رجاؤهم منهم فيما يمتقدونه. قال ابن عباس: يعني: من مات من الذين كفروا فقد يبس الأحياء من الذين كفروا أن يرجعوا إليهم أو يبعثهم الله ﷻ. والقول الثاني: كما يبس الكفار الذين هم في القبور من كل خير. قال ابن مسعود: كما يبس هذا الكافر إذا مات وعاین ثوابه واطلم عليه. وهو اختيار ابن جرير.

الآية (١٢-١٣): ﴿يَقُولُ لَكَ دُؤُنُكَ﴾ أي: إن فعلتم ما أمرتكم به  
ودلتكم عليه، غفرت لكم الزلاّت، وأدخلتكم الجنّات، والمسكن  
الطيبات، والدرجات العاليات؛ ولهذا قال: ﴿وَيَذَلُّكُمْ حَتَّىٰ تَخْرُجُوا  
مِنْهَا أَنتُمْ وَأَسْكُنُ فِيهَا فِي حِجَّتٍ عِندَ ذَلِكَ الْغُرُورِ الْعَظِيمِ﴾ ﴿أَمْ لَمْ يَحْشُرُوا﴾

(١) صفحة ١٩٢.

١. الحذر من افتراء الكذب على الله عز وجل، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَعَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَمُوْ يَدْعِي إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.
٢. عليك بالتجارة الراجعة، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَهْلَ الذِّكْرِ عَلَى غَيْرِ تَنْبِيْهِكُمْ مِنْ عِلَاقِ إِلَهٍ ﴿١٠﴾ قَوْمُونَ بِاللَّهِ رَوِّفُهُمْ يُحِبُّهُمْ رَبِّي سَبِّحْ إِلَهَ بِأَمْثَلِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾.
٣. التنبيه بالأمر السابقة في الخير، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَصْأَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِّلصَّارِفِينَ مَنْ أَصْأَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ لِّلصَّارِفِينَ خُفِّنْ أَصْأَارَ اللَّهِ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿يَسِخَّرْ لِي مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ أَتَمَّ لِلْكَافِرِ﴾  
هذه السورة جاء فيها فعل التسبيح مضارعاً، وجاء به في سواها ماضياً؛  
لمناسبة فيها وهي: أن الغرض منها التنويه بصلاة الجمعة والتتديد على  
نظر قطعوا عن صلاتهم وخرجوا لتجارة أو لهو، فمناسب أن يحكى تسبيح  
أهل السماوات والأرض بما فيه دلالة على استمرار تسبيحهم وتجده  
تعريضاً بالذين لم يتموا صلاة الجمعة. ابن عاشور: ٢٨/٢٠٦.  
السؤال: لماذا جاء فعل التسبيح: (يسبح) في سورة الجمعة مضارعاً، وجاء  
ماضياً في سواها؟

﴿يَسِخَّرْ لِي مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾

يخبر تعالى أنه يسبح له ما في السماوات وما في الأرض، أي: من جميع  
المخلوقات، ناطقها وجامدها. ابن كثير: ٤/٣٦٣.

السؤال: هل تسبيح المخلوقات لله مقتصر على الناطق منها؟

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَزَكِّيهِمْ  
وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾

وابتدئ بالتلاوة لأن أول تبليغ الدعوة بإبلاغ الوحي، وثنى بالتزكية  
لأن ابتداء الدعوة بالتطهير من الرجس المعنوي وهو الشرك وما يعلق به  
من مساوئ الأعمال والطبائع. وعقب بذكر تعليمهم الكتاب لأن الكتاب  
بعد إبلاغه إليهم تبين لهم مقاصده ومعانيه. ابن عاشور: ٢٨/٢٠٩.

السؤال: لماذا ابتدأت الجملة بالتلاوة ثم بالتزكية ثم تعليم الكتاب والحكمة؟

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَزَكِّيهِمْ  
وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾

غاية الكتاب في قوة فهمه والعمل به؛ فهي العلم الزين بالعمل، والعمل المتقن  
بالعلم؛ معقوله ومتقوله؛ ليضعوا كل شيء منه في أحكم مواضعه، فلا يزيغوا  
عن الكتاب كما زاغ بنو إسرائيل، فيكون مثلهم كمثل الحمار يحمل أسفاراً.  
ولو لم يكن له صلى الله عليه وسلم معجزة إلا هذه لكانت غاية البقاعي: ٢٠/٥١.

السؤال: متى يفيد السلم الإفادة التامة من القرآن الكريم؟

﴿مَثَلُ الَّذِينَ خُلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا  
يَتَسَاءَلُونَ الْقَوْمَ الْيَهُودَ الْيَتَابَتِ اللَّهُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾

يقول تعالى ذاماً لليهود الذين أصطوا التوراة وحملوها للعلم بها ثم لم  
يعملوا بها، مثلهم في ذلك (كمثل الحمار يحمل أسفاراً) أي: كمثل  
الحمار إذا حمل كتباً لا يدري ما فيها، فهو يحملها حملاً حسياً ولا يدري  
ما عليه، وكذلك هؤلاء في حملهم الكتاب الذي أوتوه: حفظوه لفظاً، ولم  
يتفهموه، ولا عملوا بمقتضاه. ابن كثير: ٤/٣٦٤.

السؤال: هل حافظ القرآن الذي لا يفهمه ولا يتدبره ولا يعمل به يعتبر  
من أهل القرآن؟

﴿مَثَلُ الَّذِينَ خُلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾  
فهذا المثل وإن كان قد ضرب لليهود فهو متناول من حيث المعنى لمن حمل  
القرآن فترك العمل به، ولم يؤدِّ حقّه، ولم يراعِ حق رعايته. القاسمي: ٩/٢٢٩.

السؤال: هل هذا المثل خاص بأهل التوراة؟

﴿مَثَلُ الَّذِينَ خُلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾  
قال ميمون بن مهران: الحمار لا يدري أسفر على ظهره أم زبل؛ فهكذا

اليهود. الشوكاني: ٥/٢٢٥.

السؤال: من خلال قول ميمون، بين وجه تشبيه اليهود بالحميز.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَسِخَّرْ لِي مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ  
الْحَكِيمِ ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ  
آيَاتِهِ وَزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا  
مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ ﴿وَأَخْرَجَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ  
وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ  
ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ ﴿مَثَلُ الَّذِينَ خُلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ  
يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا يَتَسَاءَلُونَ الْقَوْمَ  
الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿قُلْ  
يَتَّبِعُوا آلَ الْيَتِيمِ هَادُوا إِنْ رَعَمْتُمْ أَكْثَرًا وَاِلسَاءَ لِيَوْمِ  
دُونِ النَّاسِ فَتَمَتَّعُوا بِالْعَمَلِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿وَلَا تَسْمُرْتُهُ  
أَبْدَانًا قَدَمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ ﴿قُلْ  
إِنَّ الْعَمَلِ الَّذِي يُفْعَلُ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلْكِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ  
إِلَى عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

## ● معاني الكلمات

المعنى	الكلمة
يُسَخِّرْ	يُسَخِّرْ لِي مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
الْقُدُّوسِ	الْمُنَزَّهَ عَنْ كُلِّ نَقْصٍ
الْعَزِيزِ	الْقَوِي الْغَالِبِ الَّذِي لَا يُغَالَبُ
الْأُمِّيِّينَ	الْعَرَبِ الَّذِينَ لَا يَقْرَأُونَ، وَلَا كِتَابَ عَنْدهُمْ
لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ	لَمَّا يَجِئُوا بِهِمْ، وَسَيَجِئُونَ
أَسْفَارًا	كُتُبًا
يَتَسَاءَلُونَ	يَتَسَاءَلُونَ

## ● العمل بالآيات

١. ادع الله بأسمائه: القدوس، العزيز، الحكيم، وتعلم ما لها من آثار إيمانية  
عليك، ﴿يَسِخَّرْ لِي مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ أَتَمَّ لِلْكَافِرِ﴾.

٢. اعمل عملاً بالسر لا يطلع عليه غيرك، ﴿تُرَدُّونَ إِلَى عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ  
فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

٣. سأل الله حسن الخاتمة، ﴿قُلْ إِنْ الْعَمَلِ الَّذِي يُفْعَلُ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلْكِيكُمْ  
ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

## ● التوجيهات

١. مهمة الداعية تربية الناس علماء وعملاً بالكتاب والسنة، ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ  
آيَاتِهِ وَزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾.

٢. العناية بتزكية النفس، ﴿وَزَكِّيهِمْ﴾.

٣. سوء مثال من لم يعمل بعلمه، ﴿مَثَلُ الَّذِينَ خُلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا  
كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾.

## تفسير سورة الجمعة

وهي مدنية، [وعدد آياتها (١١) آية].

[فضل السورة]: عن ابن عباس وأبي هريرة: أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الجمعة بسورة الجمعة والمنافقين [رواه مسلم].

الآية (١): يَجْعَلُ تَعَالَى أَنَّهُ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، أَي: من جميع المخلوقات ناطقها وجامدها؛ كما قال: ﴿وَأَن يَنْشِئَ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤]. ﴿أَلَيْكَ الْغَدُوسُ أَي: هو مالك السماوات والأرض المتصرف فيها بحكمه، وهو المقدس، أي: المنزه عن النقائص، الموصوف بصفات الكمال. ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ تقدم تفسيره غير مرة.

الآية (٢): ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ الأميون هم: العرب؛ كما قال تعالى: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُمْ فَإِنِ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنِ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ وَاللَّهُ يَصِيرُ بِالْإِنْسَانِ﴾ [آل عمران: ٢٠]. وتخصيص الأميين بالذكر لا ينفي من عداهم، ولكن المنة عليهم أبلغ وأكد، كما في قوله: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوِيكَ﴾ [الزخرف: ٤٤]، وهو ذكر لغيرهم يتذكرون به. وكذا قوله: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] وهذا وأمثاله لا ينافي قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقوله: ﴿لَا تُذَكِّرُكُمْ بِهِ وَمَنْ يَلُغْ﴾ [الأنعام: ١٩] إلى غير ذلك من الآيات الدالة على عموم بعثته ﷺ إلى جميع الخلق، أحرهم وأسودهم. وهذه الآية هي مصداق إجابة الله لخليله إبراهيم، حين دعا لأهل مكة أن يبعث الله فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة. فبعث الله سبحانه وتعالى على حين فترة من الرسل، وطُمُوس من السبل، وقد اشتدت الحاجة إليه، وقد مقت الله أهل الأرض عربهم وعجمهم، إلا بقايا من أهل الكتاب -أي: نزرا

يسيرا- ممن تمسك بما بعث الله به عيسى ابن مريم عليه السلام؛ ولهذا قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾. وذلك أن العرب كانوا قديماً متمسكين بدين إبراهيم الخليل عليه السلام فبدلوه وغيروه، وقلوبه وخالفوه، واستبدلوا بالتوحيد شركاً، وباليقين شكاً، وابتدعوا أشياء لم يأنز بها الله، وكذلك أهل الكتابين قد بدلوا كتبهم وحرفوها وغيروها وأولوها، فبعث الله محمداً صلوات الله وسلامه عليه بشرع عظيم كامل شامل لجميع الخلق، فيه هدايتهم، والبيان لجميع ما يحتاجون إليه من أمر معاشهم ومعادهم، والدعوة لهم إلى ما يقرهم إلى الجنة، ورضا الله عنهم، والنهي عما يقرهم إلى النار وسخط الله، حاكم فاصل لجميع الشبهات والشكوك والريب في الأصول والفروع. وجعل له تعالى جميع المحاسن من كان قبله، وأعطاه ما لم يعط أحداً من الأولين، ولا يعطيه أحداً من الآخرين، فصلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين.

الآية (٣-٤): ﴿وَالْآخِرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ عن

أبي هريرة قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ فأنزلت عليه سورة الجمعة: ﴿وَالْآخِرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾، قالوا: من هم يا رسول الله؟ فلم يراجعهم حتى سئل ثلاثاً، وفيها سليمان الفارسي، فوضع رسول الله ﷺ يده على سليمان ثم قال: «لو كان الإيمان عند الثريا لنالته رجال -أو: رجل- من هؤلاء» [متفق عليه]. ففي هذا الحديث دليل على أن هذه السورة مدنية، وعلى عموم بعثته ﷺ إلى جميع الناس؛ لأنه فسر قوله: ﴿وَالْآخِرِينَ مِنْهُمْ﴾ بفارس؛ ولهذا كتب كتبه إلى فارس والروم وغيرهم من الأمم، يدعوهم إلى الله ﷻ، وإلى اتباع ما جاء به؛ ولهذا قال مجاهد في قوله: ﴿وَالْآخِرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ قال: هم الأعاجم، وكل من صدق النبي ﷺ من غير العرب. وعن سهل بن سعد الساعدي قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ فِي أَصْلَابِ أَصْلَابِ رِجَالٍ [من أصحابي رجالاً]»<sup>(١)</sup> ونساء من أمي يدخلون الجنة بغير حساب، ثم قرأ: ﴿وَالْآخِرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾. يعني: بقية من بقي من أمة محمد ﷺ [رواه الطبراني في الكبير، وصححه الألباني]. ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ أي: ذو العزة والحكمة في شرعه وقدره. ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ يعني: ما أعطاه الله محمداً ﷺ من النبوة العظيمة، وما خص به أمته من بعثته ﷺ.

الآية (٥): يقول تعالى دائماً لليهود الذين أعطوا التوراة وحملوها للعمل بها، ثم لم يعملوا بها، مثلهم في ذلك كمثل الحمار يحمل أسفارا، أي: كمثل الحمار إذا حمل كتاباً لا يدري ما فيها، فهو يحملها حملاً حسياً ولا يدري ما عليه. وكذلك هؤلاء في حملهم الكتاب الذي أوتوه، حفظوه لفظاً ولم يتفهموه، ولا عملوا بمقتضاه، بل أولوه وحرّفوه وبدّلوه، فهم أسوأ حالاً من الحمار؛ لأن الحمار لا فهم له، وهؤلاء لم يفهم لم يستعملوها؛ ولهذا قال في الآية الأخرى: ﴿أَوَلَيْكَ كَالَّذِينَ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩]، وقال ههنا: ﴿يَسْأَلُ مَثَلُ الَّذِينَ كَذَبُوا بَيِّنَاتٍ مِنَ اللَّهِ وَأَنَّهُ لِيَهْدِيَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

الآية (٦-٨): ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا إِنِّي بَيِّنَاتٍ مِنَ اللَّهِ وَأَنَّهُ لِيَهْدِيَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾. يعني: إن كنتم تزعمون أنكم على هدى، وأن محمداً وأصحابه على ضلالة، فادعوا بالموت على الضال من الفتنين «إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» فيما تزعمونه. ﴿وَلَا يَسْتَوُونَ أَيْدِيَهُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ أي: بما يعملون من الكفر والظلم والفجور، ﴿وَأَنَّهُ عِلْمٌ بِالْظَّالِمِينَ﴾. عن ابن عباس قال: قال أبو جهل: إن رأيت محمداً عند الكعبة لأتيته حتى أطأ على عثقه. فقال رسول الله ﷺ: «لو فعل لأخذته الملائكة عياناً، ولو أن اليهود تمّتوا الموت لماتوا ورأوا مقاعدهم من النار، ولو خرج الذين يباهلون رسول الله ﷺ لرجعوا لا يجدون مالا ولا أهلاً» [رواه البخاري]. قوله: ﴿قُلْ إِنِّي الْمَوْتُ الَّذِي يُفْرِطُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مَلْفِيكُمْ ثُمَّ رُدُّونَ إِلَيَّ عَلَيَّ الْقَتْلِ وَالشَّهَادَةِ فَيُخَيِّدُكُمْ بِأَكْتَمْتُمْ تَعْلُونَ﴾ كقوله: ﴿أَيُّنَا كُنَّا نَدْرِكُكُمْ الْمَوْتَ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي رُوحٍ مُّسْتَدِيرِينَ﴾ [النساء: ٧٨].

(١) ما بين معقوفين مثبت من معجم الطبراني، ولا يستقيم المعنى إلا به.



بينهما، يقرأ القرآن ويذكر الناس [رواه مسلم]. ﴿فَلَمَّا عَزَا إِلَهُ آيُ: الذي عند الله من الثواب في الدار الآخرة ﴿خَيْرٌ مِنَ اللَّهِو وَمِنَ الْخَيْرِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّزِقِينَ﴾ آي: لمن توكل عليه، وطلب الرزق في وقته.

### ﴿تفسير سورة المنافقين﴾

وهي مدنية، [وعدد آياتها (١١) آية].

[فضل السورة: عن ابن عباس وأبي هريرة: أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الجمعة بسورة الجمعة والمنافقين [رواه مسلم].

الآية (١-٢): يقول تعالى خبراً عن المنافقين: إنهم إنما يتفوهون بالإسلام إذا جاؤوا النبي ﷺ، فأما في باطن الأمر فليسوا كذلك، بل على الضد من ذلك؛ ولهذا قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ﷻ﴾ آي: إذا حضروا عندك واجهوك بذلك، وأظهروا لك ذلك، وليس كما يقولون، ولهذا اعترض بجملة مخبرة أنه رسول الله، فقال: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ ﷻ﴾. ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ آي: فيما أخبروا به، وإن كان مطابقاً للخارج؛ لأنهم لم يكونوا يعتقدون صحة ما يقولون ولا صدقه؛ ولهذا كذبهم بالنسبة إلى اعتقادهم. ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﷻ﴾ آي: اتقوا الناس بالأيمان الكاذبة والحلفات الائمة، ليصدقوا فيما يقولون، فاعتز بهم من لا يعرف جليّة أمرهم، فاعتقد أنهم مسلمون، فربما اقتدى بهم فيما يفعلون، وصدقهم فيما يقولون، وهم من شائهم أنهم كانوا في الباطن لا يألون الإسلام وأهله خيالاً، فحصل بهذا القدر ضرر كبير على كثير من الناس، ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

الآية (٣-٤): ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا﴾ آي: إنما قدر عليهم النفاق لرجوعهم عن الإيمان إلى الكفران، واستبدالهم الضلالة بالهدى ﴿فَطُغِيَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ آي: فلا يصل إلى قلوبهم هدى، ولا يخلص إليها خير، فلا تعي ولا تهتدي. ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ﴾ آي: كانوا أشكلاً حسنة وذوي فصاحة والسنة، إذا سمعهم السامع يصغي إلى قلوبهم لبلابغتهم، وهم مع ذلك في غاية الضعف والخور والملع والجزع والجبن. ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ آي: كلما وقع أمر أو كائنة أو خوف يعتقدون لجبنهم أنه نازل بهم؛ كما قال تعالى: ﴿أَشِيعَةً عَلَيْهِمْ قَالًا جَاءَهُ لَقُوفٌ رَأَيْتُهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْتَنَبُ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ لَاقُوفٌ سَلَكُوا سَبِيلَهُمْ بِالْأَيْتَةِ جِدَادٍ أَشِيعَةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَرُؤُوسُهُمْ فَإِذَا كُنُوا فِي الْمَكِيدَةِ كَانُوا فِيهَا﴾ ﴿يَسِيرُوا﴾ [الأحزاب: ١٩]، فهم جهامات<sup>(١)</sup> وصور بلا [معاني]. قال: ﴿هُرُ أَلَمَدُ فَأَعْدَرَهُمْ فَلَمَّا هَمَّ اللَّهُ أَنْ يُنْزِلَهُمْ﴾ آي: كيف يُصْرَفُونَ عن الهدى إلى الضلال، عن أبي هريرة، ؓ، عن النبي ﷺ قال: [إن للمنافقين علامات يعرفون بها: تحبهم لمنة، وطعامهم نبهة، وغنيمتهم غلول، ولا يقربون المساجد إلا هجراً ولا يأتون الصلاة إلا دبراً، مستكبرين لا يألفون ولا يؤلفون، خشب بالليل، صخب بالنهار] [رواه أحمد، وحسن إسناده أحمد شاكر].

(١) الجهام: السحاب لا ماء فيه. [القاموس المحيط، مادة (جهم)].

الآية (٩): إنما سميت الجمعة جمعة؛ لأنها مشتقة من الجمع؛ فإن أهل الإسلام يجتمعون فيه في كل أسبوع مرة. عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا. ثم هذا يومهم الذي قرأ الله عليهم، فاختلفوا فيه، فهدانا الله له، فالتاس لنا فيه تبع، اليهود غداً، والنصارى بعد غدا» [متفق عليه]. وقد أمر الله المؤمنين بالاجتماع لعبادته يوم الجمعة فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﷻ﴾ آي: اقصدا واعدوا واهتموا في تسيركم إليها، وليس المراد بالسعي ههنا المشي السريع، وإنما هو الاهتمام بها؛ كقوله: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ [الإسراء: ١٩]. وكان عمر وابن مسعود يقرأنها: «فامضوا إلى ذكر الله». فأما المشي السريع إلى الصلاة فقد نهي عنه؛ عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة، وعليكم السكينة والوقار، ولا تسرعوا، فما أدركتم فصلوا، وما فاتكم فاتوا» [متفق عليه]. قال الحسن: أما والله ما هو بالسعي على الأقدام، ولقد ثبت أن يأتوا الصلاة إلا وعليهم السكينة والوقار، ولكن بالقلوب والنية والخشوع.

﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ﴾ المراد بهذا النداء هو النداء الثاني الذي كان يُفعل بين يدي رسول الله ﷺ إذا خرج فجلس على المنبر؛ فإنه كان حينئذ يؤذن بين يديه، أما النداء الأول الذي زاده أمير المؤمنين عثمان ابن عفان، فإنما كان هذا لكثرة الناس. ﴿وَذُرُّوا الْبَيْعَ﴾ آي: اسعوا إلى ذكر الله واتركوا البيع إذا نودي للصلاة، ولهذا اتفق العلماء على تحريم البيع بعد النداء الثاني. واختلفوا: هل يصح إذا تعاطاه متعاط أم لا؟! على قولين، وظاهر الآية عدم الصحة. ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ آي: ترككم البيع وإقبالكم إلى ذكر الله وإلى الصلاة خير لكم، آي: في الدنيا والآخرة إن كنتم تعلمون.

الآية (١٠): ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ﴾ آي: فرغ منها، ﴿فَانْتَشَرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ لَمَّا حَجَرَ عليهم في التصرف بعد النداء وأمرهم بالاجتماع آن لم بعد الفراغ في الانتشار في الأرض والابتغاء من فضل الله. ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَبِيرًا كَبِيرًا تَذَكَّرُونَ﴾ آي: في حال بيعكم وشرائكم، وأخذكم وعطائكم، اذكروا الله ذكراً كثيراً، ولا تشغلكم الدنيا عن الذي يتفككم في الدار الآخرة.

الآية (١١): يعاتب تبارك وتعالى على ما كان وقع من الانصراف عن الخطبة يوم الجمعة إلى التجارة التي قدمت المدينة يومئذ، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِلًا﴾ آي: على المنبر تخطف. هكذا ذكره غير واحد من التابعين.

[سبب النزول]: زعم مقاتل بن حيان: أن التجارة كانت لدحية ابن خليفة قبل أن يسلم، وكان معها طبل، فانصرفوا إليها وتركوا رسول الله ﷺ قائماً على المنبر إلا القليل منهم. عن جابر قال: قدمت عبر المدينة، ورسول الله ﷺ يخطف، فخرج الناس وبقي اثنا عشر رجلاً، فنزلت: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾ [متفق عليه].

وفي قوله: ﴿وَتَرَكُوكَ قَائِلًا﴾ دليل على أن الإمام يخطف يوم الجمعة قائماً. وعن جابر بن سُرَّة قال: كانت للنبي ﷺ خطبتان يجلس



## ● الوقفات التحذيرية

﴿ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

قلت: وإيشار (ذكر الله) هنا دون أن يقول: إلى الصلاة، كما قال: (هنا) قضيت الصلاة) لتأتى إرادة الأمرين: الخطبة والصلاة. ابن عاشور: ٢٢٥/٢٨.

السؤال: ما المقصود بذكر الله هنا؟

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ ﴾

كان عراق بن مالك رضي الله عنه إذا صلى الجمعة انصرف، فوقف على باب المسجد فقال: «اللهم إني أجيت دعوتك، وصليت فريضتك، وانتشرت كما امرتني، فارزني من فضلك وأنت خير الرازقين» ابن كثير: ٣٦٧/٤.

السؤال: كيف امتثل عراق بن مالك -رضي الله عنه- هذه الآية؟

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَادْكُرُوا اللَّهَ كَبِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

لما كان الاشتغال في التجارة مظنة الغفلة عن ذكر الله، أمر الله بالإكثار من ذكره. السعدي: ٨١٣.

السؤال: لماذا ختمت هذه الآية بالأمر بذكر الله بعد الأمر بالانتشار في

الأرض وطلب الرزق؟

﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ الْلَهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾

ليس الصبر على طاعة الله موقوفاً للرزق؛ فإن الله خير الرازقين، فمن اتقى الله رزقه من حيث لا يحتسب. السعدي: ٨١٣.

السؤال: في الآية إشارة إلى أن تقوى الله من أسباب الرزق، وضع ذلك.

﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُتَنَفِّقُونَ قَالُوا أَنشَيْدُكَ لِرَسُولِ اللَّهِ وَآلِهِ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُتَنَفِّقِينَ لَكَذِبُونَ ﴾

وإنما شهد عليهم بالكذب مع أن ظاهر قولهم حق، لأن بواطنهم تكذب ظواهرهم، لأن الأعمال بالنيات. الشنقيطي: ١٨٨/٨.

السؤال: ثم شهد الله تعالى على هؤلاء المنافقين بالكذب؟

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ خُشِبٌ مُّسْتَنَدٌ مِّمَّنْهُمْ خُشِبٌ مُّسْتَنَدٌ لِّقَوْلِهِمْ خُشِبٌ مُّسْتَنَدٌ عَلَى خَائِطٍ ﴾

كانوا رجالاً أجمل شيء، كانهم خشب مسند، شبههم بخشب مسند إلى الحائط لا يسمعون ولا يعقلون، أشباح بلا أرواح، وأجسام بلا أحلام، وقيل: شبههم بالخشب التي قد تأكلت؛ فهي مسندة بغيرها لا يعلم ما في بطنها. القرطبي: ٥٠/٢٠.

السؤال: ما وجه تشبيههم بالخشب المسند؟

﴿ هُمُ الْمَكْدُورُ ﴾

فهؤلاء هم العدو على الحقيقة؛ لأن العدو البارز المتميز أهون من العدو الذي لا يشعر به، وهو مخادع مأكبر، يزعم أنه ولي، وهو العدو البين. السعدي: ٨٦٤.

السؤال: لماذا وصف الله المنافقين بأنهم الأعداء حقيقة؟

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَادْكُرُوا اللَّهَ كَبِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ الْلَهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣﴾

الْمُنَةُ

سُورَةُ التَّائِيِبَاتِ

الْمُنَةُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَكَ الْمُتَنَفِّقُونَ قَالُوا أَنشَيْدُكَ لِرَسُولِ اللَّهِ وَآلِهِ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُتَنَفِّقِينَ لَكَذِبُونَ ﴿١﴾ أَتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَلِكُمْ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ خُشِبٌ مُّسْتَنَدٌ مِّمَّنْهُمْ خُشِبٌ مُّسْتَنَدٌ عَلَى خَائِطٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَادُو فَآخِذْهُمْ قَتْلُهُمْ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
وَذَرُوا	اتْرَكُوا.
انْفَضُّوا إِلَيْهَا	تَفَرَّقُوا عَنْكَ قَاصِدِينَ إِلَيْهَا.
فَطُبِعَ	خُيِّمَ.
كَانَهُمْ خُشْبٌ مُّسْتَنَدٌ	كَانَهُمْ يَخْلُقُ قُلُوبِهِمْ مِنَ الْإِيمَانِ، وَعُقُولِهِمْ مِنَ الْفَهْمِ؛ أَخْشَابٌ مُّطْلَقَةٌ عَلَى خَائِطٍ.
كُلٌّ صَيِّحَةٌ عَلَيْهِمْ	كُلٌّ صَوْتٌ عَالٍ وَإِقَامٌ عَلَيْهِمْ؛ لِيَعْلَمَهُمْ بِحَقِيقَتِ خَائِبِهِمْ، وَيُخَوِّفَهُمْ.

## ● العمل بالآيات

- أكثر من ذكر الله تعالى وتسبيحه وتهليله، ﴿ وَادْكُرُوا اللَّهَ كَبِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾.
- إذا أذن المؤذن فاترك ما في يديك واتجه للمسجد مباشرة، ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ الْلَهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ ﴾.
- بين أهلك أو لأصحابك خطر المنافقين وأنهم أعداء للدين، ﴿ هُمُ الْمَكْدُورُ فَآخِذْهُمْ قَتْلُهُمْ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾.

## ● التوجيهات

- كثرة ذكر الله تعالى سبيل الفلاح، ﴿ وَادْكُرُوا اللَّهَ كَبِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾.
- من سمات المنافقين الكذب، ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُتَنَفِّقُونَ قَالُوا أَنشَيْدُكَ لِرَسُولِ اللَّهِ وَآلِهِ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُتَنَفِّقِينَ لَكَذِبُونَ ﴾.
- عدم الاعتراض بالصور والأشكال، فالعبادة بالحقائق، ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ خُشِبٌ مُّسْتَنَدٌ ﴾.



الفا  
الصوتي

## ● الوقفات التحذيرية

- ١ ﴿وَلَوْ خَزَّائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾  
استدراك قوله: (ولكن المنافقين لا يفقهون) لرفع ما يتوهم من أنهم حين قالوا: (لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا) كانوا قالوه عن بصيرة ويقين بأن انقطاع إنفاقهم على الذين يلذون برسول الله ﷺ يقطع رزقهم، فينفضون عنه بناء على أن القصرة على الإنفاق منحصرة فيهم لأنهم أهل الأموال، وقد غفلوا عن تعدد أسباب الغنى وأسباب الفقر. ابن عاشور: ٢٤٨/ ٢٨.
- السؤال: ما فائدة الاستدراك بـ (ولكن المنافقين لا يفقهون)؟
- ٢ ﴿وَلِلَّهِ الْمِرَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلَكِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾  
الناس يطلبون العز بابواب الملوك، ولا يجدونه إلا في طاعة الله. كان الحسن البصري يقول: وإن هملجت بهم البراديين، وطمطقت بهم البغال، فإن ذل العصية في رقابهم، أبى الله إلا أن يذل من عصاه. ابن تيمية: ٣١٢/ ٦.
- السؤال: أين تطلب العزة الحقيقية؟
- ٣ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾  
لما ذكر سبحانه قبائح المنافقين رجع إلى خطاب المؤمنين مرغبا لهم في ذكره فقال: (يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله) فحذرهم عن أخلاق المنافقين الذين اهتمم أموالهم وأولادهم عن ذكر الله. الشوكاني: ٢٣٣/ ٥.

السؤال: ما مناسبة الآية لما قبلها؟

- ١ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾  
وخص الأموال والأولاد بتوجه النهي عن الاشتغال بها اشتغالا يليه عن ذكر الله لأن الأموال مما يكثر إقبال الناس على إيمانها والتفكير في اكتسابها بحيث تكون أوقات الشغل بها أكثر من أوقات الشغل بالأولاد، ولأنها كما تشغل عن ذكر الله بصرف الوقت في كسبها ونمائها تشغل عن ذكره أيضا بالتذكير لكنزها بحيث ينسى ذكر ما دعا الله إليه من إنفاقها. ابن عاشور: ٢٥١/ ٢٨.

السؤال: لماذا خص الأموال والأولاد بالنيهي عن الاشتغال بها؟

- ١ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾  
دوام الذكر سبب لدوام الحب: فالذكر للقلب كالماء للزرع ... لا حياة له إلا به. وهو أنواع: ذكره بأسمائه وصفاته، والثناء عليه به. الثاني: تسبيحه وتحميده، وتكبيره وتهليله، وتمجيد، وهو الغالب من استعمال لفظ الذكر عند المتأخرين. الثالث: ذكره بأحكامه وأوامره ونواهيه؛ وهو ذكر أهل العلم ... ومن أفضل ذكره: ذكره بكلامه ... ومن ذكره سبحانه: دعاؤه واستغفاره والتضرع إليه. فهذه خمسة أنواع من الذكر. ابن القيم: ١٥٧-١٥٨.
- السؤال: بين أهمية الذكر، وذكر أنواعه.
- ٢ ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾  
يدل ذلك على أنه تعالى لم يكلف العباد من النفقة ما يعنتهم ويشق عليهم، بل أمرهم بإخراج جزء مما رزقهم الله الذي يسره لهم ويسر لهم أسبابه. السعدي: ٨٦٥.

- السؤال: ما الفائدة من حرف الجر (من) الدال على التبعية في هذه الآية؟
- ١ ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ يَقُولُ رَبِّ لَوْلَا أَلْتَرْتَنِي إِلَ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصْدَقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾  
فكل مفرط يندم عند الاحتضار، ويسأل طول المدة -ولو شيئا يسيرا- ليستمتع ويستدرك ما فاتته. ابن كثير: ٣٧٣/ ٤.
- السؤال: هل الندم عند الاحتضار خاص بالكفار؟ وما الذي تستفيد من ذلك؟

سورة التافقون

المزلة القاتن والمؤمن

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّازُ وَهُمْ  
وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿١﴾ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ  
أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ  
إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢﴾ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ  
لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَيَلَهُ  
خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ  
﴿٣﴾ يَقُولُونَ لَنْ رَجَعَنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَنُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ  
مِنْهَا الْإِدْلَ وَيَلَهُ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ  
الْمُنْفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ  
أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ  
ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٥﴾ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ  
مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ يَقُولُ رَبِّ لَوْلَا أَلْتَرْتَنِي  
إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصْدَقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٦﴾ وَلَنْ  
يُخْرِجَ اللَّهُ تَبْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾

سورة التافقون

سورة المزلة القاتن

٥٥٥

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
لَوَّازُ رُؤُوسَهُمْ	عَطَفُوهَا إِعْرَاضًا، وَاسْتِهْزَاءً.
يَصُدُّونَ	يُعْرِضُونَ.
يَنْفَضُّوا	يَنْقَرُّوهُ عَنْهُ.
رَجَعْنَا	مِنْ غَزْوَةِ بَنِي الْمُصَلِّقِ.
لَا تُلْهِكُمْ	لَا تَشْغَلْكُمْ.
لَوْلَا أَخَّرْتَنِي	هَلَّا أَمَهَلْتَنِي، وَأَخَّرْتَ أَجَلِي.
أَجَلُهَا	وَقْتُ مَوْتِهَا.

## ● العمل بالآيات

١. احضر درسا أو محاضرة شرعية، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّازُ وَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾.
٢. استغفر لنفسك وللمؤمنين والمؤمنات، ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾.
٣. تبرع في إحدى الجهات الخيرية لكفالة داعية أو طالب علم لتبتعد عن صفات المنافقين، ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا﴾.

## ● التوجيهات

١. العزة لا تكون إلا بالله، فمن ارادها فليطلبها من مالها، ﴿وَلِلَّهِ الْمِرَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.
٢. الأموال والأولاد قد تسبب البعد عن الله تعالى، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾.
٣. احرص على الخاتمة الحسنة، ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾.



وهي مدنية، وقيل: مكية. [وعدد آياتها (١٨) آية].

[فضل السورة: عن عبد الله بن عمرو قال: أتى رجل رسول الله ﷺ، فقال: أقرني يا رسول الله، فقال: «اقرأ ثلاثاً من ذوات الر». فقال: كبرت سني، واشتد قلبي، وعَلَّظ لساني. قال: «اقرأ ثلاثاً من ذوات حاميم». فقال مثل مقالته، فقال: «اقرأ ثلاثاً من المسبحات» [رواه أحد وأبو داود، وصححه إسناداً أحمد شاكر].

الآية (١): هذه السورة هي آخر المسبحات، وقد تقدم الكلام على تسييح المخلوقات لبارئها ومالكها؛ ولهذا قال: ﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَدُّ﴾ أي: هو المتصرف في جميع الكائنات، المحمود على جميع ما يخلق ويفقد. وقوله: ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: مهما أراد كان بلا مانع ولا مدافع، وما لم يشأ لم يكن.

الآية (٢): ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ أَنْفُسَكُمْ وَأَفْزَلُ مِنْكُمْ مَوَدَّةً﴾ أي: هو الخالق لكم على هذه الصفة، وأراد منكم ذلك، فلا بد من وجود مؤمن وكافر، وهو البصير بمن يستحق الهداية بمن يستحق الضلال، وهو شهيد على أعمال عباده، وسيجزئهم بها أتم الأجزاء؛ ولهذا قال: ﴿وَاللَّهُ يَمْتَعِلُونَ بِصِيرٍ﴾.

الآية (٣): قال تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ أي: بالعدل والحكمة، ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ أي: أحسن أشكالكم؛ كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّبَكَ بِبَيْتِكَ الْكَبِيرِ﴾ ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾ ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [الأنفطار: ٦-٨]، وكقوله: ﴿أَنَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ [الأنعام: ٦٤]. وقوله: ﴿وَالْيَوْمِ الْمَعِيرِ﴾ أي: المرجع والمآب.

الآية (٤): أخبر تعالى عن علمه بجميع الكائنات السائية والأرضية والنفسية، فقال: ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَعْلَمُ مَا تُبْشِرُونَ وَمَا تُنْذِرُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.

الآية (٥): يقول تعالى مخبراً عن الأمم الماضية، وما حلَّ بهم من العذاب والنعكاس في مخالفة الرسل والتكذيب بالحق، فقال: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ﴾ أي: خبرهم وما كان من أمرهم. ﴿فَذَاقُوا وَبَالَ أَعْمِهِمْ﴾ أي: وخيم تكذيبهم وردية أفعالهم، وهو ما حلَّ بهم في الدنيا من العقوبة والخزي. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: في الدار الآخرة مضاف إلى هذا الدنيوي.

الآية (٦): ثم علَّل ذلك فقال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي: بالحجج والدلائل والبراهين ﴿فَقَالُوا أَبَشْرٌ مِثْلُكُمْ؟﴾ أي: استبعدوا أن تكون الرسالة في البشر، وأن يكون هُدهم على يدي بشر مثليهم. ﴿فَكَفَرُوا وَقَالُوا﴾ أي: كذبوا بالحق ونكلوا عن العمل. ﴿وَأَسْمَعُ أَتَى اللَّهُ﴾ أي: عنهم، ﴿وَاللَّهُ عَفِيفٌ حَبِيدٌ﴾.

الآية (٧): يقول تعالى مخبراً عن المشركين والكفار والملحدن أنهم يزعمون أنهم لا يبعثون: ﴿قُلْ بَلَى وَرَبِّيَ الْبَاقِعُونَ ثُمَّ لَنُنَبِّئَنَّهُمْ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾ أي: لنُخَبِّرَنَّهُمْ بجميع أعمالكم، جليلها وحقيقها، صغيرها وكبيرها. ﴿وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ أي: بكم ومجازاتكم.

وهذه هي الآية الثالثة التي أمر الله رسوله ﷺ أن يقسم بربه ﷻ على وقوع المعاد ووجوده، فالأولى في سورة يونس: ﴿وَيَسْتَعْثِقُونَكَ أَنتَ أَقْبَلُ إِلَىٰ وَرَبِّيَ إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَشَدُّ بِمُعْجِزَةٍ﴾ [يونس: ٥٣]، والثانية في سورة سبأ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّيَ لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ [الأنعام: ٣٠]، والثالثة هي هذه: ﴿رَعِمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنُيَبِّئَنَّ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّيَ الْبَاقِعُونَ ثُمَّ لَنُنَبِّئَنَّهُمْ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

الآية (٨): ﴿فَاتَّبِعُوا بِاللَّهِ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ يعني: القرآن، ﴿وَاللَّهُ يَمْتَعِلُونَ خَيْرٌ﴾ أي: فلا نخشى عليه من أعمالكم خافية.

الآية (٩): قوله: ﴿يَوْمَ تَحْشُرُهُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْخَلْعِ﴾ وهو يوم القيامة، سمي بذلك لأنه يجمع فيه الأولون والآخرين في صعيد واحد، يُسمَّهم الداعي ويُفْضَمهم البصر؛ كما قال تعالى: ﴿ذَلِكَ يَوْمَ تَجْمَعُ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمَ تُنْفَضُّ سُهُودُهُمْ﴾ [هود: ١٠٣]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿١١﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِقْدَاتٍ يَوْمَ تَعْلَمُونَ﴾ [الواقعة: ٤٩-٥٠].

قوله: ﴿ذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ قال ابن عباس: هو اسم من أسماء يوم القيامة؛ وذلك أن أهل الجنة يغيثون أهل النار. وكذا قال قتادة ومجاهد. وقال مقاتل بن حيان: لا عُثْبَ أعظم من أن يدخل هؤلاء إلى الجنة، ويُذَهَب بأولئك إلى النار.

قلت: وقد فسر ذلك بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَجْعَلْ صَلَاحًا يُكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ. وَيَذِلُّهُ جَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَلِيلِيكَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَلِيلِيكَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾.





## ● الوقفات التحذيرية

﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَجْعَلْهُ ﴾

وهذا عام لجميع المصائب ... جميع ما أصاب العباد فيقضاء الله وقدره ... والشأن كل الشأن هل يقوم العبد بالوظيفة التي عليه في هذا المقام أم لا يقوم بها؟ فإن قام بها فله الثواب الجزيل والأجر الجميل في الدنيا والآخرة، فإذا آمن أنها من عند الله فرضي بذلك وسلم لأمره هدى الله قلبه، فاطمأن ولم ينزعج عند المصائب. السعدي: ٨٦٧.

السؤال: إذا عرفت أن المصائب من عند الله، فما الأثر المترتب على ذلك؟

﴿ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَجْعَلْهُ وَاللَّهُ يَكْفِي شَيْءَ عِلْمِهِ ﴾

عن ابن عباس قوله: (ومن يؤمن بالله يهد قلبه) يعني: يهد قلبه لليقين، فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطاه لم يكن ليصيبه. الطبري: ٤٢/٢٣.

السؤال: ما المراد بهداية قلب المؤمن بالله تعالى في الآية؟

﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾

فذكر اسم الإيمان هاهنا دون سائر أسمائهم دليل على استدعاء الإيمان للتوكل، وأن قوة التوكل وضعفه بحسب قوة الإيمان وضعفه، وكلما قوي إيمان العبد كان توكله أقوى، وإذا ضعف الإيمان ضعف التوكل، وإذا كان التوكل ضعيفاً فهو دليل على ضعف الإيمان ولا بد. ابن القيم: ١٥٩/٣.

السؤال: لماذا خاطب الله المؤمنين باسم الإيمان بعد أن أمرهم بالتوكل؟

﴿ يَأْتِيهَا الذِّكْرُ أَمْثَلُ إِنْ مِنْ أَرْوَحِكُمْ وَأُولَدِكُمْ عَذْرَا لَكُمْ فَأَعْدَوْهُمْ ﴾

قال القاضي أبو بكر ابن العربي: «هذا يبين وجه العداوة: فإن العدو لم يكن عدواً لذاته وإنما كان عدواً بفعله، فإذا فعل الزوج والولد فعل العدو كان عدواً، ولا فعل أقبح من الحيلولة بين العبد وبين الطاعة. القرطبي: ١٧/٥٢١.

السؤال: ما وجه كون الزوج والولد عدواً للرجل؟

﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فَتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾

قال ابن مسعود: «لا يقولن أحدكم: اللهم إني أعوذ بك من الفتنة، فإنه ليس منكم أحد إلا وهو مشتمل على فتنة: لأن الله تعالى يقول: (إنما أموالكم وأولادكم فتنة)، فأيكم استعاذ فليستعذ بالله من مُضِلَّاتِ الفتن». ابن القيم: ١٦٠/٣.

السؤال: ما الدعاء الذي ينبغي أن يدعوه الإنسان في الفتن؟

﴿ فَأَتَقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾

يأمر تعالى بتقواه التي هي امتثال أوامره واجتناب نواهيه، ويقيد ذلك بالاستطاعة والقدرة، فهذه الآية تدل على أن كل واجب عجز عنه العبد أنه يسقط عنه، وأنه إذا قدر على بعض المأمور وعجز عن بعضه فإنه يأتي بما يقدر عليه، ويسقط عنه ما يعجز عنه. السعدي: ٨٦٨.

السؤال: ما الذي تستفيد من تخصيص التقوى بالاستطاعة؟

﴿ فَأَتَقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لَأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقْ شَيْءَ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ﴿ إِن تَقْرَضُوا آلَ اللَّهِ قَرْضًا حَسَنًا يُمْضَوْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴾

والقصود: الاعتناء بفضل الإنفاق المأمور به اهتماماً مكرراً، فبعد أن جعل خيراً، جعل سبب الفلاح، وعرف بأنه قرض من العبد لربه، وكفى بهذا ترغيباً وتلطفاً في الطلب إذ جعل المنفق كأنه يعطي الله تعالى ما لا وذلك

من معنى الإحسان في معاملته العبد ربه. ابن عاشور: ٢٨/٢٩٠.

السؤال: اذكر مرغبات الإنفاق الواردة في الآيات الكريمة.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ  
خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ الْمَصِيرُ ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ  
إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ  
شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ  
تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴿ وَاللَّهُ لَا إِلَهَ  
إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿ يَأْتِيهَا  
الذِّكْرُ أَمْثَلُ إِنْ مِنْ أَرْوَحِكُمْ وَأُولَدِكُمْ عَذْرَا  
لَكُمْ فَأَعْدَوْهُمْ وَلَنْ تَعْفُوا وَتَصَفَحُوا وَتَغْفِرُوا  
فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ  
فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَ أَجْرٍ عَظِيمٍ ﴿ فَأَتَقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ  
وَأَسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لَأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ  
شَيْءَ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿ إِن تَقْرَضُوا  
آلَ اللَّهِ قَرْضًا حَسَنًا يُمْضَوْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ  
حَلِيمٌ ﴿ عَلَيْهِ الْعَقِيبُ وَالشَّهَادَةُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿

٣٣

شُورَةُ الطَّلَاقِ

٥٥٧

## ● معاني الكلمات

المعنى	الكلمة
بِقَضَائِهِ، وَقَدَرِهِ.	يُأْذِنُ اللَّهُ
يُؤَفِّقُهُ لِلتَّسْلِيمِ بِالْقَضَاءِ، وَالصَّبْرِ عَلَى الْمَقْدُورِ.	يَهْدِي قَلْبَهُ
أَعْرَضْتُمْ عَنْ طَاعَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.	تَوَلَّيْتُمْ
فَلْيَعْتَمِدْ، وَلْيَفُوضْ.	فَلْيَتَوَكَّلْ
تَتَجَاوَزُوا عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ.	تَعَفَّوْا
تَعَرَّضُوا عَنْهَا.	وَتَصَفَّحُوا

## ● العمل بالآيات

١. اجمع زوجتك وأولادك أو بعض إخوانك وتدارسوا آية من كتاب الله، ﴿ إِنْ مِنْ أَرْوَحِكُمْ وَأَوْلَدِكُمْ عَذْرَا لَكُمْ فَأَعْدَوْهُمْ ﴾.
٢. اعف عن مسلم أخطأ عليك لعل الله أن يفر لك، ﴿ وَلَنْ تَعْفُوا وَتَصَفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾.
٣. تصدق بمال - ولو قليل - لتتقي فتنة المال، ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فَتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾.

## ● التوجيهات

١. الرضا بالقضاء والقدر، ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَجْعَلْهُ ﴾.
٢. الإيمان يثبت القلب عند وقوع المصيبة، ﴿ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾.
٣. من اتقى الشح افلح وهاز، ﴿ وَمَنْ يُوقِ شَيْءَ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾.





وهي مدنية، [وعدد آياتها (١٢) آية].

الآية (١): **خُوطِبَ النَّبِيُّ ﷺ أَوَّلًا تَشْرِيفًا وَتَكْرِيمًا، ثُمَّ خَاطَبَ الْأُمَّةَ نَبِيًّا** فقال: **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنْ كَلَفْتُمْ النِّسَاءَ فطَلَقُوهُنَّ لِيَذْرِبَ** روى مسلم عن أبي الزبير: أنه سمع عبد الرحمن بن أيمن مولى عزة يسأل ابن عمر، وأبو الزبير يسمع ذلك: كيف ترى في رجل طلق امرأته حائضًا؟ فقال: طلق ابن عمر امرأته حائضًا على عهد رسول الله ﷺ، فسأل عمر رسول الله ﷺ فقال: إن عبد الله بن عمر طلق امرأته وهي حائض، فقال رسول الله ﷺ: **«ليراجعها»** فَرَمَعَا، وقال: **«إِذَا طَهَرَتْ فَلْيُطْلَقْ أَوْ يَمْسُكْ»**. قال ابن عمر: **«وَقَرَأَ النَّبِيُّ ﷺ: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنْ كَلَفْتُمْ النِّسَاءَ فطَلَقُوهُنَّ لِيَذْرِبَ»** وقال عبد الله بن مسعود في قوله: **«فَطَلَقُوهُنَّ لِيَذْرِبَ»**: الطهر من غير جماع. وقال ابن عباس: لا يطلقها وهي حائض ولا في طهر قد جامعها فيه، ولكن تتركها حتى إذا حاضت وطهرت طلقها تطليقة. **«وَأَحْصُوا أَلْيَدَ»** أي: احفظوها واعرّفوا ابتداءها وانتهاءها؛ لئلا تطول العدة على المرأة فتنتع من الأزواج **«وَأَنْتُمْ أَتَى اللَّهُ رِبَكُمُ»** أي: في ذلك. قوله: **«لَا تَخْرُجُوهُنَّ مِنْ بَيْوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ»** أي: في مدة العدة لها حق السكنى على الزوج ما دامت معتدة منه، فليس للرجل أن يخرجها، ولا يجوز لها أيضًا الخروج؛ لأنها معتقلة لحق الزوج أيضًا. قوله: **«إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحْشَةٍ مُبَيَّنَةٍ»** أي: لا يخرج من بيوتهن إلا أن ترتكب المرأة فاحشة مبينة، فتخرج من المنزل. والفاحشة المبينة: تشمل الزنا، كما قال ابن مسعود وابن عباس. وتشمل ما إذا نشزت المرأة أو بدّت على أهل الرجل وأدّتهم في الكلام والفعال؛ كما قاله أبي بن كعب وابن عباس. **«وَبَرِّكَ خُدُودَ اللَّهِ»** أي: شرائعه ومحارمه **«وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ»** أي: يخرج عنها ويتجاوزها إلى غيرها ولا ياتمر بها **«فَعَذَّ طَلَمَ نَفْسَهُ»** أي: بفعل ذلك. **«لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا»** أي: إنا أبقينا المطلقة في منزل الزوج في مدة العدة، لعل الزوج يندم على طلاقها ويخلق الله في قلبه رجعتها، فيكون ذلك أيسر وأسهل. عن فاطمة بنت قيس قالت: هي الرجعة. ومن هنا ذهب من ذهب من السلف ومن تابعهم، كالإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله- إلى أنه لا تجب السكنى للمبتوتة، وكذا التوفى عنها زوجها.

الآية (٢-٣): يقول تعالى: فإذا بلغت المعتدات أجلهن، أي: شارفن على انقضاء العدة وقاربن ذلك، ولكن لا تفرغ العدة بالكلية، فحينئذ إما أن يعزم الزوج على إمساكها، وهو رجعتها إلى عصمة نكاحه والاستمرار بها على ما كانت عليه عنده **«بِمَقْرُوفٍ»** أي: محسنًا إليها في صحبتها، وإما أن يعزم على مفارقتها **«بِمَقْرُوفٍ»** أي: من غير مقايحة ولا مشاقة ولا تعنيف، بل يطلقها على وجه جميل وسبيل حسن. **«وَأَشْهَدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِّنكُمْ»** أي: على الرجعة إذا عزمتم عليها. **«ذَلِكَ كُمْ يُوعَظُ بِهِ»** من كان يؤمن بالله واليوم الآخر **«الْآخِرُ»** أي: هذا الذي أمرناكم به من الإشهاد وإقامة الشهادة، إنما ياتر به من يؤمن بالله وأنه شرع هذا، ويخاف عقاب الله في الدار الآخرة.

ومن هنا ذهب الشافعي -في أحد أقواله- إلى وجوب الإشهاد في الرجعة، كما يجب عنده في ابتداء النكاح. وقد قال بهذا طائفة من العلماء، ومن قال بهذا يقول: إن الرجعة لا تصح إلا بالقول ليقع

الإشهاد عليها. قوله: **«وَمَنْ بَقِيَ اللَّهُ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا»** **«وَرِزْقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ»** أي: ومن يبق الله فيها أمره به، وترك ما ناه عنه، يجعل له من أمره مخرجًا، ويرزقه من حيث لا يحتسب، أي: من جهة لا تخطر بباله. قال ابن عباس: **«وَمَنْ بَقِيَ اللَّهُ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا»** ينجيه من كل كرب في الدنيا والآخرة، **«وَرِزْقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ»**. وقال عكرمة: من طلق كما أمره الله يجعل له مخرجًا. وقال ابن مسعود: **«وَمَنْ بَقِيَ اللَّهُ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا»** يعلم أن الله إن شاء منع، وإن شاء أعطى. **«مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ»** أي: من حيث لا يدري. وقال قتادة: **«وَمَنْ بَقِيَ اللَّهُ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا»** أي: من شبهات الأمور والكرب عند الموت، **«وَرِزْقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ»** ومن حيث لا يرجو أو لا يأمل. قوله: **«وَمَنْ يُؤْكَلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ»** عن عبد الله بن عباس: أنه ركب خلف رسول الله ﷺ يومًا، فقال له رسول الله ﷺ: يا غلام، إني معلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، **«رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ، وَجُفَتِ الصُّحُفُ»** إرواه أحد والترمذي وصححه إسناده أحد شاكراً. **«إِنَّ اللَّهَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ»** أي: يُنْفِذُ قَضَائِهِ وَأحكامه في خلقه بما يريد، ويشاءه **«فَدَجَّلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا»** كقوله: **«وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ»** [الرعد: ٨].

الآية (٤-٥): يقول تعالى مبيّنًا لعدة الآية وهي التي قد انقطع عنها الحيض لكبرها: أنها ثلاثة أشهر، عوضًا عن الثلاثة قروء في حق من تحيض، كما دلت على ذلك آية «البقرة»، وكذا الصغار اللاتي لم يبلغن سن الحيض أن عدتهن كمدة الآية ثلاثة أشهر؛ ولهذا قال: **«وَأَلْتَمِسْ لِرَبِّكِ حُجْرًا»**. قوله: **«إِنْ أَرَبْتُمْ»** فيه قولان: أحدهما -وهو قول طائفة من السلف كمجاهد والزهري-: أي: إن رأيت دماءً وشككتكم في كونه حيضًا أو استحاضة، واربتهم فيه. والقول الثاني: إن اربتكم في حكم عدتهن، ولم تعرفوه فهو ثلاثة أشهر. وهذا مروي عن سعيد بن جبير، وهو اختيار ابن جرير. قوله: **«وَأُولَئِكَ الْأَحْجَالُ أَجْلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ»** يقول تعالى: ومن كانت حاملًا فعدتها بوضعها، ولو كان بعد الطلاق أو الموت بفؤاق ناقة، في قول جمهور العلماء من السلف والخلف، كما هو نص هذه الآية الكريمة، وكما وردت به السنة النبوية.

عن المسور بن خمره أن سبيعة الأسلمية توفي عنها زوجها وهي حامل، فلم تمكث إلا لبالي حتى وضعت، فلما تملت من نفاسها خطبت، فاستأذنت رسول الله ﷺ في النكاح، فأذن لها أن تنكح فنكحت [رواه البخاري] وعن علقمة بن قيس أن عبد الله بن مسعود قال: من شاء لاعتته؛ ما نزلت: **«وَأُولَئِكَ الْأَحْجَالُ أَجْلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ»** إلا بعد آية المتوفى عنها زوجها. قال: وإذا وضعت المتوفى عنها زوجها فقد حلت. **«وَمَنْ بَقِيَ اللَّهُ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا»** أي: يسهل له أمره، ويسره عليه، ويجعل له فرجًا قريبًا ومخرجًا عاجلاً. **«ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ لِيُكْذِرَ»** أي: حكمه وشرعه أنزله إليكم بواسطة رسوله ﷺ. **«وَمَنْ بَقِيَ اللَّهُ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ»** ويعظم الله أجركم **«أي: يذهب عنه المحذور، ويجوز له الثواب على العمل اليسير»**.



## ● الوقفات الأدبية

❶ ﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُمْ مِنْ بَيْتِهِمْ وَلَا تَخْرُجُوا مِنْ بَيْتِهِمْ وَلَا تَبْنُوا عَلَيْهِمْ بُيُوتًا وَلَا تَقْرَبُوا أَمْوَالَهُمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾

قوله: (واتقوا الله ربكم) تحذير من التساهل في أحكام الطلاق والعدة؛ ذلك أن أهل الجاهلية لم يكونوا يقيمون للنساء وزناً، وكان قرابة المطلقات قلما يدافعن عنهن، فتناسى الناس تلك الحقوق وغمصوها، فذلك كانت هذه الآيات شديدة اللمحة في التحذير، وعبر عن تلك الحقوق بالتقوى وبحدود الله، ولزيادة الحرص على التقوى اتبع اسم الجلالة بوصف (ربكم) للتذكير بأنه حقيق بأن يتقى غضبه. ابن عاشور: ٢٩٨-٢٩٩.

السؤال: ما فائدة ذكر التقوى بين أحكام الطلاق؟

❷ ﴿ذَلِكَ لَكُمْ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾

وخص المؤمن بالله واليوم الآخر لأنه المنتفع بذلك دون غيره. الشوكاني: ٢٤١/٥.

السؤال: لماذا خص المؤمن بالموعظة دون غيره؟

❸ ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾

فمن لم يتق الله وقع في الشدائد والأصار والأغلال التي لا يقدر على التخلص منها والخروج من تبعاتها، واعتبر ذلك بالطلاق؛ فإن العبد إذا لم يتق الله فيه بل أوقعه على الوجه المحرم - كالثلاث ونحوها - فإنه لا بد أن يندم نداماً لا يمكن استدراكها ولا الخروج منها. السعدي: ٨٧٠.

السؤال: من لم يتق الله كيف تكون أحواله في الأزمات والضوائق؟

❹ ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾

عن ابن عباس: (يجعل له مخرجاً)، ينجيه من كل كرب في الدنيا والآخرة، وقيل: المخرج هو أن يقنعه الله بما رزقه ... وقال الكلبي: ... يجعل له مخرجاً من النار إلى الجنة ... لوقال الربيع بن خثيم: ... من كل شيء ضاق على الناس. القرطبي: ٤٢-٤٣.

السؤال: بين المراد بالمخرج في الآية.

❺ ﴿وَرِزْقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾

قال بعض العلماء: الرزق على نوعين؛ رزق مضمون لكل حي طول عمره؛ وهو الغذاء الذي تقوم به الحياة، واليه الإشارة بقوله: (وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها) (هود: ٦)، ورزق موعود للمؤمنين خاصة، وهو المذكور في هذه الآية. ابن جزي: ٥٦/٢.

السؤال: يستفاد من هذه الآية أن الرزق نوعان، فما هما؟

❻ ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾

فلما ذكر كفايته للمتوكل عليه، فربما أوهم ذلك تعجل الكفاية وقت التوكل، فعقبه بقوله: (قد جعل الله لكل شيء قدراً) أي: وقتاً لا يتعداه؛ فهو يسوقه إلى وقته الذي قدره له، فلا يستعجل التوكل ويقول: قد توكلت ودعوت فلم أر شيئاً، ولم تحصل لي الكفاية، فإله باله أمره في وقته الذي قدر له. ابن القيم: ١٦٥/٣.

السؤال: لماذا ختمت الآية بقوله تعالى: (قد جعل الله لكل شيء قدراً)؟

❼ ﴿ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْنَا وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾

(ويعظم له أجراً) يقول: ويجزل له الثواب على عمله ذلك وتقواه، ومن إعظامه له الأجر عليه أن يدخله جنته، فيخلده فيها. الطبري: ٤٥٦/٢٣.

السؤال: بين كيف يعظم الله تعالى الأجر لمن اتقا.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تَخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِغِلْظَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَفَإِنْ حُدِثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ حُدُودِ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ❶  
فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذُوَى عَدْلِ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ يُوَظَّطُّ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ❷ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ❸ وَإِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ❹ وَالَّذِي يَتَّبِعُ مِنْ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَا تَحِضُّنَّ وَأُولَئِكَ الْأَحْمَالُ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ❺ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْنَا وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ❻

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ	مُسْتَقْبَلَاتٍ لِعَدَّتِهِنَّ، أي: في طهر لم يقع فيه جماع.
وَأَقِيمُوا	أدوا.
بَالِغُ أَمْرِهِ	مُنْفَذُ حُكْمِهِ؛ لَا يَقُوتُهُ شَيْءٌ، وَلَا يُعْجِزُهُ مَطْلُوبٌ.
قَدْرًا	أَجَلًا يَنْتَهِي إِلَيْهِ.
يَتَّبِعْنَ	اتَّقَطْنَ رِجَالَهُنَّ؛ لِكِبْرِهِنَّ.
ارْتَبْتُمْ	شَكَكْتُمْ؛ فَلَمْ تَدْرُوا مَا الْحُكْمُ فِيهِنَّ.

## ● العمل بالآيات

- حذر مسلماً من التعدي على شرع الله، ﴿وَفَإِنْ حُدِثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ حُدُودِ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾.
- أحرص على اذكار الصباح والمساء لأنها من أسباب التوكل على الله، ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾.
- بين لأحد زملائك أن تقوى الله سبب الرزق وتكفير الذنوب ورفعة الدرجات متذكراً قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾.

## ● التوجيهات

- التأمل في المقاصد والمصالح الشرعية المترتبة على أحكام الطلاق، ﴿وَفَإِنْ حُدِثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ حُدُودِ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾.
- أهمية التعامل بالمعروف في جميع الأحوال؛ وخصوصاً مع الضعفاء، ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾.
- تقوى الله مخرج من كل ضائقة، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾.



## ● الوقفات التدريبية

١ ﴿ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَارْتُحْنُوا أَرْضَهُنَّ وَأَتَرُوا بِتَنُكِّمْ مِمَّا رُفِعَ عَنْكُمْ فِي الْأَرْوَاحِ ﴾

(بمعروف) ونكره سبحانه تحقيقاً على الأمة بالرضى بالمستطاع، وهو يكون مع الخلق بالإلصاف، ومع النفس بالخلاف، ومع الحق بالاعتراف.

البقاعي: ١٦١/٢٠.

السؤال: لماذا نكر المعروف في الآية؟

٢ ﴿ وَأَتَرُوا بِتَنُكِّكُمْ مِمَّا رُفِعَ عَنْكُمْ فِي الْأَرْوَاحِ ﴾

والإلتصاف بمعروف يشعر بان للعرف دخلا في ذلك، كما هو تنبيه صريح بان لا يضار أحد الوالدين بولده، وان تكون المفاهمة بين الزوجين بعد الفراق في جميع الأمور -سواء في خصوص الرضاع أو غيره- مبنية على المعروف والتسامح والإحسان، وفاء لحق العشرة السابقة، ولا تنسوا الفضل بينكم. الشنقيطي: ٢١٦/٨.

السؤال: للإسلام أدب بعد الطلاق فما هو؟

٣ ﴿ لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعِيَّتِهِ وَفِي ذِي ذَرْعٍ مِّمَّا أَتَتْهُ اللَّهُ لَا يَكُفُّ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً أَتَاهَا سَيَّجَعُ اللَّهُ بَعْدَ عَشْرٍ مُّشْكًا ﴾

(لينفق ذو سعة من سعته) امر بان ينفق كل واحد على مقدار حاله، ولا يكلف الروح ما لا يطيق، ولا تضيق الزوجية، بل يكون الحال معتدلاً. وفي الآية دليل على أن النفقة تختلف باختلاف أحوال الناس. ابن جزي: ٤٥٩/٢.

السؤال: في هذه الآية مظهر من مظاهر التيسير ورفع الحرج، بيته.

٤ ﴿ وَكَانَ مِنْ قَرِيْبٍ عَنَّتْ عَنْ أَمْرِ رِيْهَا وَرُسُلِهِ فَمَاسَبَّتْهَا حِسَابًا شَدِيْدًا وَعَذَّبَهَا عَذَابًا تُكْرَأُ ۝ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عِقَبُهَا أَمْرًا خُسْرًا ﴾

فان من زرع الشوك لا يجني الورد، ومن اضاع حق الله لا يطالع في حظ نفسه، ومن احترق بمخالفة امر الله تعالى فليصبر على مقاساة عقوبة الله تعالى. البقاعي: ١٦٧/٢٠.

السؤال: ما عقاب القرية أو المجتمع إذا عتى عن امر ربه؟

٥ ﴿ وَكَانَ مِنْ قَرِيْبٍ عَنَّتْ عَنْ أَمْرِ رِيْهَا وَرُسُلِهِ فَمَاسَبَّتْهَا حِسَابًا شَدِيْدًا وَعَذَّبَهَا عَذَابًا تُكْرَأُ ۝ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عِقَبُهَا أَمْرًا خُسْرًا ﴾

أي حاسبنا أهلها قيل: يعني الحساب في الآخرة، وكذلك العذاب المذكور بعده، وقيل: يعني في الدنيا. وهذا أرجح؛ لأنه ذكر عذاب الآخرة بعد ذلك في قوله: (أعد الله لهم عذاباً شديداً)، أو لان قوله: (فحاسبناها)، (وعذبناها) بلفظ الماضي...، فمعنى حاسبناها: أي أخذناهم بذنوبهم ولم يغفر لهم شيء من صفاتها، و«العذاب» هو عقابهم في الدنيا، و«النكر» هو الشديد

الذي لم يعهد مثله. ابن جزي: ٥٩٩/٢.

السؤال: متى يكون عذاب القرى العاصية؟

٦ ﴿ فَأَتَوْا اللَّهَ يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾

أي: يا ذوي العقول التي تفهم عن الله آياته وعبره، وان الذي اهلك القرون الماضية بتكذيبهم؛ ان من بعدهم مثلهم، لا فرق بين الطالفتين. السعدي: ٨٧٢.

السؤال: ما وجه ذكر التقوى بعد ذكر قصة القرية التي عذبت؟

٧ ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ مَرَاتٍ وَبَنَ الْأَرْضَ وَمَنْ فِيهَا يَنْزِلُ الْأَمْرُ بِهِنَّ ﴾

قال اهل المعاني: هو ما يدبر فيهم من عجب تدبيره، فينزل المطر ويخرج النبات، ويأتي بالليل والنهار والصيف والشتاء ويخلق الحيوان على اختلاف هياكلها وينقلها من حال إلى حال. البغوي: ٤٢٢/٤.

السؤال: ما المراد بقوله: (ينزل الأمر بهنهن)؟

أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تَضَارُّوهُنَّ لِنَفْسِنَ قَوْلًا عَلَيْهِنَّ وَلَنْ تَكُنْ أُولَئِكَ حَمَلٌ فَانْفَعُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَرْضَعْنَ حَمَلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَارْتُحْنُوا أَرْضَهُنَّ وَأَتَرُوا بِتَنُكِّكُمْ مِمَّا رُفِعَ عَنْكُمْ فِي الْأَرْوَاحِ تَمَاسَرْتُمْ فَسَرَّضْ لَهُمْ آخَرَى ۝ لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعِيَّتِهِ وَفِي ذِي ذَرْعٍ مِّمَّا أَتَتْهُ اللَّهُ لَا يَكُفُّ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً أَتَاهَا سَيَّجَعُ اللَّهُ بَعْدَ عَشْرٍ مُّشْكًا ۝ وَكَانَ مِنْ قَرِيْبٍ عَنَّتْ عَنْ أَمْرِ رِيْهَا وَرُسُلِهِ فَمَاسَبَّتْهَا حِسَابًا شَدِيْدًا وَعَذَّبَهَا عَذَابًا تُكْرَأُ ۝ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عِقَبُهَا أَمْرًا خُسْرًا ۝ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيْدًا فَأَتَوْا اللَّهَ يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا أَفَذَرُ اللَّهُ الَّذِينَ إِذْ كُذِّرُوا ۝ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِ اللَّهِ مُصَدِّقَاتٍ لِّمَا فِي الْكِتَابِ مِنَ الْآيَاتِ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظَّالِمَاتِ إِلَى النَّورِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا ذَلَّخْ لَهُ جَنَّتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ۝ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بِهِنَّ لِيَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ۝

## ● معاني الكلمات

المعنى	الكلمة
عَلَى قَدَرٍ وَسِعْتُمْ، وَطَاقَتْكُمْ.	مِنْ وَجْدِكُمْ
ذَوَاتٍ.	أُولَئِكَ
وَلِيَأْمُرَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا.	وَاتَّبَعُوا
بِمَا عَرِفَ مِنْ سَمَاحَةٍ، وَطِيبَ نَفْسٍ.	بِمَعْرُوفٍ
تَشَاحَتْهُمْ فِي الرِّضَاعِ فَامْتَنَعَ الْأَبُ مِنَ الْأُجْرَةِ، وَالْأُمُّ مِنَ الرِّضَاعِ.	تَمَاسَرْتُمْ
ضَيِّقٌ.	قُدِيرٌ
عَصَتْ، وَتَجَبَّرَتْ.	عَنَّتْ
سُوءَ عَاقِبَةٍ عَنُوهُمْ، وَكُفِّرَهُمْ.	وَبَالَ أَمْرِهَا

## ● العمل بالآيات

١. انه اليوم عن منكر، ﴿ وَكَانَ مِنْ قَرِيْبٍ عَنَّتْ عَنْ أَمْرِ رِيْهَا وَرُسُلِهِ فَمَاسَبَّتْهَا حِسَابًا شَدِيْدًا وَعَذَّبَهَا عَذَابًا تُكْرَأُ ﴾.
٢. سَلِ اللَّهَ الْهَدْيَ وَالتَّقَى، ﴿ فَأَتَوْا اللَّهَ يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ ﴾.
٣. اتل على بعض إخوانك وأقاربك شيئاً من القرآن الكريم، ﴿ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِ اللَّهِ مُصَدِّقَاتٍ لِّمَا فِي الْكِتَابِ مِنَ الْآيَاتِ ﴾.

## ● التوجيهات

١. النهي عن المضارة والأذية، ﴿ وَلَا تَضَارُّوهُنَّ لِنَفْسِنَ قَوْلًا عَلَيْهِنَّ ﴾.
٢. التامل في نزول العقوبات بمن طفى وتكبر، ﴿ وَكَانَ مِنْ قَرِيْبٍ عَنَّتْ عَنْ أَمْرِ رِيْهَا وَرُسُلِهِ فَمَاسَبَّتْهَا حِسَابًا شَدِيْدًا وَعَذَّبَهَا عَذَابًا تُكْرَأُ ﴾.
٣. لا تعمل من الأعمال إلا ما تطيقه، ﴿ لَا يَكُفُّ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً أَتَاهَا ﴾.

الآية (١٠): ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ أي: في الدار الآخرة، مع ما عَجَّلَ لهم في الدنيا. ثم قال بعد ما قَصَّ من خبر هؤلاء: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَأْتِيَنَّكَ أَلَّامَاتٌ﴾ أي: الألفام المستقيمة، لا تكونوا مثلهم، فيصيبكم ما أصابهم يا أولي الألباب. ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: صدقوا بالله ورسله، ﴿فَدَازِلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ دَكْرًا﴾ يعني: القرآن؛ كقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ زَكَاةُ الْدُّكْرِ وَإِنَّا لَمُخَفِّطُونَ﴾ [الحجر: ٩].

الآية (١١): قوله: ﴿رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ﴾ قال بعضهم: ﴿رَسُولًا﴾ منصوب على أنه بدل اشتغال وملابسة؛ لأن الرسول هو الذي بلغ الذكر. وقال ابن جرير: الصواب أن الرسول ترجمة عن الذكر، يعني: تفسيرا له؛ ولهذا قال: ﴿رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ﴾ أي: في حال كونها بينة واضحة جلية ﴿يُخْرِجُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ كقوله: ﴿كَتَبْنَا نَزْلَهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [إبراهيم: ١]، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، أي: من ظلمات الكفر والجهل إلى نور الإيمان والعلم.

وقد سمي الله تعالى الوحي الذي أنزله نورًا؛ لما يحصل به من الهدى، كما ساءه روحًا؛ لما يحصل به من حياة القلوب، فقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرٍ مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنَّ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِّنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].

قوله: ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَمْعَلْ سَلَامًا يَدْعُهُ جَنَّتْ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لِرَبِّكَ﴾ قد تقدم تفسير مثل هذا غير مرة، بما أغنى عن إعادته.

الآية (١٢): يقول تعالى خبرًا عن قدرته التامة وسلطانه العظيم، ليكون ذلك باعثًا على تعظيم ما شرع من الدين القويم: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ كقوله إخبارًا عن نوح أنه قال لقومه: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ يَبَاقًا﴾ [نوح: ١٥]، وقال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ الْأَسْفَلُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ [الإسراء: ٤٤].

قوله: ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ أي: سعيًا أيضًا، كما ثبت في الصحيحين: «من ظلم قيد شبر من الأرض طوفه من سبع أرضين». وفي صحيح البخاري: «خُسِفَ به إلى سبع أرضين».

الآية (٦): يقول تعالى أمرًا عباده إذا طَلَّقَ أحدهم المرأة أن يُسْكِنَهَا في منزل حتى تنقضي عدتها، فقال: ﴿أَتَكُونَنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ﴾ أي: عندكم، ﴿بَيْنَ يَدَيْكُمْ﴾ قال ابن عباس ومجاهد: يعني سَكَنْتُمْ. حتى قال قتادة: وإن لم تجد إلا جنب بيتك فأسكنها فيه.

قوله: ﴿وَلَا تَضَارَّوهُنَّ لِضَيْفِهِنَّ عَلَيْهِنَّ﴾ قال مقاتل بن حيان: يعني: يضاجرها لتفتدي منه بهاها أو تخرج من مسكنه. وقال أبو الضحى: يطلقها، فإذا بقي يومان راجعها.

قوله: ﴿وَلَوْ كُنَّ أُولَاتٍ حَلَمٍ فَلَا تَقْفُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ قال كثير من العلماء منهم ابن عباس: هذه في البائن، إن كانت حاملاً أنفق عليها حتى تضع حملها، قالوا: بدليل أن الرجعية تجب نفقتها، سواء كانت حاملاً أو حائلاً. وقال آخرون: بل السياق كله في الرجعيات، وإنما نص على الإنفاق على الحامل وإن كانت رجعية؛ لأن الحمل تطول مدته غالبًا، فاحتيج إلى النص على وجوب الإنفاق إلى الوضع؛ لئلا يتوهم أنه إنما تجب النفقة بمقدار مدة العدة.

قوله: ﴿وَإِن أَرْضَعْنَ لَكُمْ﴾ أي: إذا وضعن حملهن وهن طوالق، فقد يَبْنَ بِنَاقِضَاءِ عَدَّتِهِنَّ، ولها حيثن أن ترضع الولد، ولها أن تمتنع منه، ولكن بعد أن تغذيه باللبأ، وهو باكورة اللبن الذي لا قوام للولد غالبًا إلا به، فإن أرضعت استحققت أجره مثلها، ولها أن تعاقد أباه أو وليه على ما يتفقان عليه من أجر؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِن أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾. قوله: ﴿وَأَمِيرُوا بَيْنَكُمْ بِمَرْوَفٍ﴾ أي: ولكن أموركم فيما بينكم بالمعروف، من غير إضرار ولا مضارة؛ كما قال تعالى في سورة «البقرة»: ﴿لَا تَضَارَّوْا زَوَاجَكُمْ وَلَا مَوْلَاكُمْ لَهُ بِكُلُوهُ﴾ [البقرة: ٢٣٣]. قوله: ﴿وَإِن تَكَرَّرْتُمُ فَرَضُكُمْ لَكُمْ أُخْرَى﴾ أي: وإن اختلف الرجل والمرأة، فطلبت المرأة أجره الرضاع كثيرًا ولم يجبها الرجل إلى ذلك، أو بذل الرجل قليلاً ولم توافقه عليه، فليسترضع له غيرها. فلو رضيت الأم بما استؤجرت عليه الأجنبية فهي أحق بولدها.

الآية (٧): ﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾ أي: لينفق على المولود والده، أو وليه، بحسب قدرته. ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

قوله: ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرِكُمْ إِيسَارًا﴾ وعُدَّ منه تعالى، ووعدته حق، وهو لا يخلفه، وهذه كقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن مَّسْكِينٍ﴾ [إِن مِّن مَّسْكِينٍ] [النحر: ٦-٥].

الآية (٨-٩): يقول تعالى متوعدًا لمن خالف أمره، وكذب رسله، وسلك غير ما شرعه، وغبرًا عما حلَّ بالأُمم السالفة بسبب ذلك، فقال: ﴿وَكَلَّيْنِ مِّن قَرْبَةٍ عَنَّا عَنِ أَمْرِ رَبِّكَ وَرَسُولِهِ﴾ أي: عتردت وطغيت واستكبرت عن اتباع أمر الله ومتابعة رسله، ﴿فَمَا سَبَّحْنَاهَا بِحَسَابٍ شَدِيدٍ وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا ثَقِيرًا﴾ أي: منكرًا فظيماً ﴿فَدَاقَتْ رِبَاكَ أَمْرَهَا﴾ أي: غبت خالفته، وندموا حيث لا ينفع الندم، ﴿وَكَانَ عَقِبُهَا أُخْرَى خُسْرًا﴾.

## تفسير سورة التحريم

وهي مدنية، [وعدد آياتها (١٢) آية].

الآية (٥-١): اختلف في سبب نزول صدر هذه السورة، والصحيح أن ذلك كان في تحريمه العسل. عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يحب الحلوى والعسل، وكان إذا انصرف من العصر دخل على نسائه، فيدنو من إحداهن. فدخل على حفصة فاحتبس أكثر ما كان يحتبس، فغزت فسألت عن ذلك، فقيل لي: أهدت لها امرأة من قومها عكة عسل، فسقت النبي ﷺ منه شربة، فقلت: أما والله لاحتالن له. فقلت لسودة بنت زمعة: إنه سيدنو منك، فإذا دنا منك فقلولي: أكلت مغافير<sup>(١)</sup>؟! فإنه سيقول لك: لا. فقلولي له: ما هذه الريح التي أجد؟ فإنه سيقول لك: سقتني حفصة شربة عسل. فقلولي: جَرَسَتْ نَحْلُهُ الْعُرْفُطُ<sup>(٢)</sup>. وسأقول ذلك، وقولي أنت له يا صفية ذلك. قالت -تقول سودة-: والله ما هو إلا أن قام على الباب، فأردت أن أناديه بما أمرتني قَرَأًا منك، فلما دنا منها قالت له سودة: يا رسول الله، أكلت مغافير؟! قال: «لا». قالت: فما هذه الريح التي أجد منك؟! قال: «سقتني حفصة شربة عسل». قالت: جَرَسَتْ نَحْلُهُ الْعُرْفُطُ. فلما دار إلي قلت نحو ذلك، فلما دار إلى صفية قالت له مثل ذلك، فلما دار إلى حفصة قالت له: يا رسول الله، ألا أسقيك منه؟ قال: «لا حاجة لي فيه». قالت -تقول سودة-: والله لقد حَرَمْتَاهُ. قلت لها: اسكتي [متنق عليه]. والغرض أن هذا السياق فيه أن حفصة هي الساقية للعسل، وفي طريق [آخر] عن عائشة أن زينب بنت جحش هي التي سقت العسل، وأن عائشة وحفصة توطأان وتظاهرتا عليه، فالله أعلم. وقد يقال: إنها واقعتان، ولا بُدَّ في ذلك، إلا أن كونها سببا لنزول هذه الآية فيه نظر، والله أعلم. وما يدل على أن عائشة وحفصة هما المتظاهرتان: الحديث الذي رواه ابن عباس قال: لم أزل حريصاً على أن أسأل عمر عن المراتين من أزواج النبي ﷺ اللتين قال الله تعالى: ﴿إِنْ نُنَبِّئُكَ إِلَى اللَّهِ فَقَدِ صَفَتْ قُلُوبُكُمَا﴾، حتى حج عمر وحججت معه، فلما كان ببعض الطريق عدل عمر وعدلت معه بالإداوة. فبرز ثم أتاني، فسكبت على يديه فتوضأ، فقلت: يا أمير المؤمنين، من المراتين من أزواج النبي ﷺ اللتان قال الله تعالى: ﴿إِنْ نُنَبِّئُكَ إِلَى اللَّهِ فَقَدِ صَفَتْ قُلُوبُكُمَا﴾؟ فقال عمر: وأعجباً لك يا ابن عباس، قال الزهري: كره الله ما سأل عنه ولم يكتمه، قال: هي حفصة وعائشة [متنق عليه]. وعن عمر قال: لما اعتزل نبي الله ﷺ نساءه، دخلت المسجد، فإذا الناس يَنْكُتُونَ بالخصي، ويقولون: طلق رسول الله ﷺ نساءه! وذلك قبل أن يُؤْمَرَ بالحجاب. فقلت: لأعلمن ذلك اليوم... إلى أن قال: فدخلت، فإذا أنا برباح غلام رسول الله ﷺ على أسكفة المشربة، فنادتني فقلت: يا رباح، استأذن لي على رسول الله ﷺ فذكر نحو ما تقدم، إلى أن قال: فقلت: يا رسول الله، ما شَقَّ عليك من أمر النساء، فإن كنت طلقتهن فإن الله معك وملائكته وجبريل وميكائيل،

(١) المغافير: صمغ يسيل من شجر العرفط لحلو، غير أن زائحته ليست بطيبة. [تهذيب اللغة، باب العين والطاء (عرفط)].

(٢) جَرَسَتْ نَحْلُهُ الْعُرْفُطُ أي: أكلت وورعت. [غريب الحديث لابن الجوزي، باب الجيم مع الراء]. والعُرْفُطُ بالضم: شجر الطلع، وله صمغ كرهه الراثة، فإذا أكلته النحل حصل في عسلها من رجمه. [النهاية في غريب الحديث والأثر، باب (عرفط)].

وأنا وأبو بكر والمؤمنون معك، وقلنا تكلمت -وأحمد الله- بكلام إلا رجوت أن يكون الله يصدق قولي، ونزلت هذه الآية، آية التخير: ﴿عَسَى رَبُّهُ أَنْ يُلَاقَكَ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَرْزَاقًا خَيْرًا مِنْكَ﴾، ﴿وَإِنْ تَقَلَّظْنَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِّحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَكُ بَعْدَ ذَلِكَ ظُهُيرٌ﴾. فقلت: أطلقتهن؟ قال: «لا». فقممت على باب المسجد فنادت بأعلى صوتي: لم يطلق نساءه، ونزلت هذه الآية: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٥٨]، فكنت أنا استنبطت ذلك الأمر [رواه مسلم]. وكذا قال سعيد بن جبير وعكرمة ومقاتل بن حيان والضحاك: ﴿وَصَلِّحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أبو بكر وعمر. زاد الحسن البصري: عثمان. وقال مجاهد: ﴿وَصَلِّحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ علي بن أبي طالب. [سبب النزول]: عن أنس قال: قال عمر: اجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة عليه، فقلت لهن: ﴿عَسَى رَبُّهُ أَنْ يُلَاقَكَ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَرْزَاقًا خَيْرًا مِنْكَ﴾ فنزلت هذه الآية [رواه البخاري]. ومعنى قوله: ﴿مُسَلِّمِينَ تَوَكَّلْ عَلَيْهِمْ يَنْفِكْ عَنْ عِدَّتِ ظَاهِرٌ﴾. ﴿سَجَّحْتُ﴾ أي: صاغت. قاله أبو هريرة وعائشة وابن عباس وعكرمة ومجاهد وسعيد بن جبير. وقال زيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن: أي: مهاجرات. وتلا عبد الرحمن: ﴿لَتَكْفِيَنَّ﴾ [التوبة: ١١٢] أي: المهاجرون. والقول الأول أولى. ﴿يَنْفِكْ وَأَنْكَارًا﴾ أي: منهن ثنيات، ومنهن إكبار، ليكون ذلك أشهى إلى النفس؛ فإن التنوع يسهل النفس.

الآية (٦): عن علي في قوله: ﴿قَوَّ أَنْفُسَكُمْ وَأَتْلِكُمْ نَارًا﴾ يقول: آبؤهم، وعلموهم. وقال ابن عباس: اعملوا بطاعة الله، واتقوا معاصي الله، ومروا أهليكم بالذكر، ينجم الله من النار. وقال قتادة: يأمرهم بطاعة الله، وينهاهم عن معصية الله، وأن يقوم عليهم بأمر الله، ويأمرهم به ويساعدهم عليه، فإذا رأيت الله معصية، قَدَعْتَهُمْ<sup>(٣)</sup> عنها وزجرتهم عنها. وهكذا قال الضحاك ومقاتل: حق على المسلم أن يعلم أهله، من قرابته وإمائه وعبيده، ما فرض الله عليهم، وما نهاهم الله عنه. وفي معنى هذه الآية الحديث: «مروا الصبي بالصلاة إذا بلغ سبع سنين، فإذا بلغ عشر سنين فاضربوه عليها» [رواه أحمد وأبو داود والترمذي، وصححه الألباني]. قال الفقهاء: وهكذا في الصوم؛ ليكون ذلك تمريناً له على العبادة، لكي يبلغ وهو مستمر على العبادة والطاعة ومجانبة المعصية وترك المنكر. ﴿وَوَدَّعَا النَّاسَ﴾ أي: حطها الذي يلقي فيها جثث بني آدم، ﴿وَالْجِمَارَةَ﴾ قيل: المراد بذلك الأصنام التي كانت تُعْبَدُ، لقوله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]. ﴿عَلَيْهَا مَلَكُوتُ غِلَظٍ شِدَادٍ﴾ أي: طباعهم غليظة، قد نَزَعَتْ من قلوبهم الرحمة بالكافرين بالله، ﴿شِدَادٌ﴾ أي: تركيهم في غاية الشدة والكثافة والنظر المزعج. ﴿لَا يَتَّصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ أي: مها أمرهم به تعالى يبادروا إليه، لا يتأخرون عنه طرفة عين، وهم قادرون على فعله ليس بهم عجز عنه. وهؤلاء هم الزبانية عباداً بالله منهم.

الآية (٧): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَدُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا جُزْءُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: يقال للكفرة يوم القيامة: لا تعتدوا فإنه لا يقبل منكم، وإنما تجزون اليوم بأعمالكم.

(٣) قَدَعْتَهُمْ: كَفَعْتَهُمْ [ينظر: القاموس المحيط، مادة (قدع)].



## ● الوقفات التدريبية

﴿ قَدْ فَضَّ اللَّهُ لَكُمْ نُحْلَةَ أَيْمَانِكُمْ وَأَلَّهَ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ لَكُمْ ﴾

(العليم) فيعلم ما يصلحكم، فيشرعه سبحانه لكم، (الحكيم) المتقن أفعاله وأحكامه، فلا يامركم ولا ينهاكم إلا حسبما تقتضيه الحكمة. الألوسي: ٣٤٥/١٤.

السؤال: ما دلالة اسم الله (العليم) واسمه (الحكيم) في ختام الآية؟

﴿ وَإِذْ أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا ﴾

واستدل بالآية على أنه لا بأس بإسرار الحديث إلى من يركن إليه من زوجة أو صديق، وأنه يلزمه كتمه. الألوسي: ٣٤٦/١٤.

السؤال: ما حكم الإسرار ببعض الحديث إذا كان في معروف؟

﴿ وَإِذْ أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ ﴾

﴿ عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ ﴾

الكف عن بعض العتب أبعث على حياة المعتبر، وأعون على توبته وعدم عودته إلى فعل مثله، (وأعرض عن بعض) وهو أمر السرية والعسل، تكرما منه أن يستقصي في العتاب، وحياء وحسن عشرة، قال الحسن: ما استقصى كريم قط، وقال سفيان الثوري: ما زال التغافل من فعل الكبراء. البقاعي: ١٨٦/٢٠.

السؤال: ما الفائدة المستنبطة من قوله تعالى: (عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ)؟

﴿ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ ﴾

وأعرض الرسول ﷺ عن تعريف زوجه ببعض الحديث الذي أفشته من كرم خلقه، قال سفيان: ما زال التغافل من فعل الكرام، وقال الحسن: ما استقصى كريم قط، وما زاد على المقصود يقلب العتاب من عتاب إلى تقريع. ابن عاشور: ٣٥٢/٢٨.

السؤال: التغافل أحيانا من صفات الكرام، بين ذلك من قوله تعالى: (وأعرض عن بعض).

﴿ يَتْلُوهَا الَّذِينَ آمَنُوا فَأَنفَسُوا لَهُ أَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾

عن ابن عباس رضي الله عنهما: أي بالانتهاء عما نهاكم الله تعالى عنه، والعمل بطاعته ... يعني: مروهم بالخير، وانهمومهم عن الشر وعلومهم وأدبهم. البغوي: ٤٣٠/٤.

السؤال: كيف تكون وقاية النفس والأهل من نار جهنم؟

﴿ نَارًا وَفُودَهَا النَّاسُ وَالْجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾

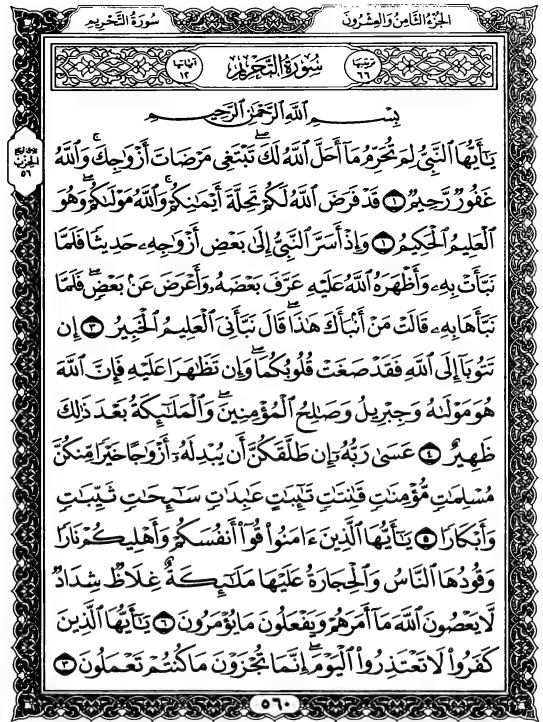
وصف الله النار بهذه الأوصاف ليزجر عباده عن التهاون بأمره. السعدي: ٨٧٤.

السؤال: لماذا وصف الله النار بهذه الأوصاف؟

﴿ يَتْلُوهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْدِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْرُونَ مَا كُنتُمْ تَسْلُونَ ﴾

ولما كان النبي ﷺ أعظم من أريد بأمر الأمة بالتأديب معه، فكان تعمد الإخلال بالأدب معه كضرا، علم أن هذه النار لا أولئك، فعلم أن التقدير: يقولون: (يا أيها الذين كفروا) أي بالإخلال بالأدب في النبي ﷺ، فاداهم ذلك إلى الإخلال بالأدب مع الله وبالأدب مع سائر خلقه. البقاعي: ١٩٩/٢٠.

السؤال: ما حكم سوء الأدب مع رسول الله ﷺ؟



## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
نُحْلَةُ أَيْمَانِكُمْ	تَحْلِيلُ أَيْمَانِكُمْ بِإِذْنِ الْكَفَّارَةِ عَنْهَا.
مَوْلَاكُمْ	نَاصِرُكُمْ، وَمُتَوَلِّي أُمُورِكُمْ.
بَعْضُ أَزْوَاجِهِ	هِيَ: حَفْصَةُ بِنْتُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
وَأَظْهَرَهُ	أُطْلَعَهُ.
عَرَفَ بَعْضَهُ	أَعْلَمَ حَفْصَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بِبَعْضِ مَا أَخْبَرَتْ بِهِ.
صَفَّتْ قُلُوبُكُمْ	مَالَتْ إِلَى مَحَبَّتِهِ مَا كَرِهَهُ الرُّسُلُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ إِفْشَاءِ سِرِّهِ.
سَائِحَاتٍ	صَالِحَاتٍ.

## ● العمل بالآيات

١. اكتب مقالا أو رسالة تبين فيها أن المعاصي هي سبب المشكلات الأسرية، ﴿ عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنْ أَنْ يَبْدُلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ مُسَلِّمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ ﴾.
٢. صم يوما في سبيل الله، ﴿ سَيَجْعَلُ ﴾.
٣. قدم نصيحة لأهلك برسالة تنبغي بها وقايتهم من عذاب جهنم، ﴿ يَتْلُوهَا الَّذِينَ آمَنُوا فَأَنفَسُوا لَهُ أَهْلِيكُمْ نَارًا وَفُودَهَا النَّاسُ وَالْجَارَةُ ﴾.

## ● التوجيهات

١. إذا عاقبت أحدا فلا تواجهه بكل ما اقترفت حتى لا توقعه في اليأس، ﴿ عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ ﴾.
٢. تكريم النبي ﷺ وتشريفه ورعايته الله له، ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلَّى الْمُرُوسِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَدْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴾.
٣. التغافل عن بعض زلات إخوانك دليل على كبريم طبعك، ﴿ فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُبُورًا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾

قال القرطبي: يجمعها أربعة أشياء: الاستغفار باللسان، والإفلاع بالأبدان، وازممار ترك العود بالجنان، ومهاجرة سيء الإخوان. البغوي: ٤٣٠/٤-٤٣١.

السؤال: ما التوبة النصوح؟

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ جَاهِدَ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ﴾

فإن الغلظة عليهم من اللين لله، كما أن اللين لأهل الله من خشية الله، وقد امره سبحانه باللين لهم في أول الأمر لإزالة أعدائهم وبيان إصرارهم، فلما بلغ الرفق أقصى مداه جازاه إلى الغلظة وتعداه. البقاعي: ٢٠/٢٠٦.

السؤال: متى يؤمر المرء بالغلظة على الكفار والمنافقين؟

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ جَاهِدَ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾

ومعلوم أن المنافقين كافرون، فكان جهاده ﷺ للكفار بالسيف، ومع المنافقين بالقرآن، كما جاء عنه ﷺ في عدم قتلهم: (لئلا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه)، ولكن كان جهادهم بالقرآن لا يقل شدة عليهم من السيف: لأنهم أصبحوا في خوف وذعر؛ يحسبون كل صيحة عليهم، وأصبحت قلوبهم خاوية كأنهم شخج مستندة، وهذا أشد عليهم

من الملاقاة بالسيف، والعلم عند الله تعالى. الشنقيطي: ٢٢٣/٨.

السؤال: بين الفرق بين جهاد الكفار، وجهاد المنافقين.

﴿صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتٌ نُّوحٌ وَامْرَأَتٌ لُوطٌ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِ عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاسِيَيْنِ﴾

ضرب هذا المثل تنبيهاً على أنه لا يفني أحد في الآخرة عن قريب ولا نسيب إذا فرق بينهما الدين. القرطبي: ١٠٢/٢١.

السؤال: ما المقصد من ضرب هذا المثل؟

﴿وَمَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتٌ فِرْعَوْنُ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَبِئْسَ مِنَ الْوَعْدِ وَعَمِلِمْ وَبِئْسَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾

وجه المثل، أن اتصال المؤمن بالكافر لا يضره شيئاً إذا فارقه في كفره وعمله، فمعصية الغير لا تضر المؤمن الطيع شيئاً في الآخرة، وإن تضرر بها في الدنيا بسبب العقوبة التي تحل بأهل الأرض إذا أضاعوا أمر الله، فتأتي عامته، فلم يضر امرأة فرعون اتصالها به وهو من أضعف الكافرين.

ابن القيم: ١٧٠/٣.

السؤال: ماذا يجب على المؤمن إذا ابتلي بعلاقة مع كافر؟

﴿وَمَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتٌ فِرْعَوْنُ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾

قال العلماء: اختارت الجار قبل الدار. ابن كثير: ٣٩٤/٤.

السؤال: لماذا قدمت امرأة فرعون (عندك) على (بيتاً)؟

﴿وَبِئْسَ مِنَ الْوَعْدِ وَعَمِلِمْ وَبِئْسَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾

في الآية دليل على أن الاستعاذة بالله تعالى، والاتجاء إليه عز وجل، ومسانة الخلاص منه تعالى عند المحن والنوازل من سير الصالحين وسنن الأنبياء، وهو في القرآن كثير. الألوسي: ٣٥٨/٤.

السؤال: في الآية صفة من صفات الصالحين فما هي؟

يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُبُورًا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ  
أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمُ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي  
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا  
مَعَهُ يَوْمَ تُنْفَخُ الْأَشْجَارُ وَيَبْقَىٰ بُرْتُ أَيْدِيهِمْ وَأُولَٰئِكَ يَفْعَلُونَ رَبَّنَا  
آتِنَا مَا نَدْعُكَ وَأَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَفَدِّرْ  
يَتَأْتِيَ الَّذِينَ جَاهِدَ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ  
وَمَا أَوْفَوْهُم جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٥﴾ صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا  
لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتٌ نُّوحٌ وَامْرَأَتٌ لُوطٌ كَانَتَا تَحْتَ  
عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِ عَنْهُمَا  
مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاسِيَيْنِ ﴿٦﴾  
وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتٌ فِرْعَوْنُ إِذْ  
قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَبِئْسَ مِنَ الْوَعْدِ  
وَعَمِلِمْ وَبِئْسَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ وَمَرِيَمَ ابْنَتَ  
عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا  
وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا مِنَ الْقَنِينَ ﴿٨﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
تَوْبَةً نَّصُوحًا	صَادِقَةً لَا يَفُودُ صَاحِبُهَا إِلَى الدُّنْيَا، وَلَا يُرِيدُ الْعُودَ إِلَيْهِ.
لَا يُخْزِي	لَا يُذِلُّ، وَلَا يُعَذِّبُ.
وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ	اسْتَعْمَلَ الْخُسُوفَةَ، وَالشَّدَّةَ فِي جَهَادِهِمْ.
فَخَانَتَاهُمَا	بِالْخُفْرِ، وَالْمُخَالَفَةِ فِي الدِّينِ.
أَحْصَنَتْ	حَفِظَتْ وَصَانَتْ عَنِ الزُّنَى.
الْقَانِينَ	الْمُطِيعِينَ لِزَوْجِهِمْ.

## ● العمل بالآيات

١. سَلِّ اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكَ تَوْبَةً نَّصُوحًا، ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُبُورًا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾.

٢. ادْعِ اللَّهَ أَنْ يجعلَ في قلبك نوراً ويفسرَ لك، ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا أَنْتُمْ أَنْتُمْ ثُبُورًا﴾.

٣. صَلِّ رَكْعَتَيْنِ نَافِلَتَيْنِ وَأَطِلْ فِيهِمَا، ﴿وَكُنْتَ مِنَ الْقَانِينَ﴾.

## ● التوجيهات

١. بذل الجهد في جهاد الكفار والمنافقين والإغلاظ عليهم كما أمر الله تعالى، ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ جَاهِدَ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ﴾.

٢. لا يفني عن العبد قربة من الصالحين حتى يكون صالحاً في نفسه، ﴿صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتٌ نُّوحٌ وَامْرَأَتٌ لُوطٌ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِ عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾.

٣. الحرص على الدعاء عند نزول البلاء، ﴿إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَبِئْسَ مِنَ الْوَعْدِ وَعَمِلِمْ وَبِئْسَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

ثم ذكر المثل فقال: ﴿أَمَرَاتُ نُوحٍ وَأَمَرَاتُ لُوطٍ كَأَنَّ نَحْتَ عِدَّتَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا سَكِينَتَيْنِ﴾ أي: نبين رسولين عندهما في صحبتها ليلًا ونهارًا، يؤاكلتهما ويضاجعانهما ويعاشرانهما أشد العشرة والاختلاط، ﴿فَعَنَاتَاهُمَا﴾ أي: في الإيمان، لم يوافقاهما على الإيمان، ولا صدقاهما في الرسالة، فلم يُجِدْ ذلك كله شيئًا، ولا دفع عنها محذورًا؛ ولهذا قال: ﴿فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ لكفرهما، ﴿وَقِيلَ﴾ أي: للمراتين: ﴿أَدْخُلَا النَّارَ مَعَ الْكَاذِبِينَ﴾.

وليس المراد: ﴿فَعَنَاتَاهُمَا﴾ في فاحشة، بل في الدين؛ فإن نساء الأنبياء معصومات عن الوقوع في الفاحشة؛ لحزمة الأنبياء.

قال ابن عباس في هذه الآية: ﴿فَعَنَاتَاهُمَا﴾ قال: ما زنتا، أما امرأة نوح فكانت تخبر أنه مجنون، وأما خيانة امرأة لوط فكانت تدل قومها على أضيافه.

الآية (١١): هذا مَثَلٌ ضربه الله للمؤمنين أنهم لا تضرهم مخالطة الكافرين إذا كانوا محتاجين إليهم؛ كما قال تعالى: ﴿لَا يَنفِذُ الْمُؤْمِنُونَ أَلْكَافِرِينَ أَوْلِيَّةَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ لَمَّا لَانَ كَثَرُوا وَنَهَتْ نَفْسُهُ ﴿[ال عمران: ٢٨].

قال قتادة: كان فرعون أعنى أهل الأرض وأبعده، فوالله ما ضار امرأته كُفْرُ زوجها حين أطاعت ربهما لتعلموا أن الله حَكَمَ عدل، لا يؤاخذ أحدًا إلا بذنبه. فقولها: ﴿رَبِّ أَتَنِي لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ قال العلماء: اختارت الجار قبل الدار، ﴿وَيَحْيَى مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ﴾ أي: خلّصني منه؛ فإني أبرأ إليك من عمله، ﴿وَيَحْيَى مِنَ الْفُورِ الظَّالِمِينَ﴾. وهذه المرأة هي آسية بنت مزاحم.

الآية (١٢): قوله: ﴿وَمَرْيَمُ ابْنَتْ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ أي: حفظته وصانته. والإحصان هو: العفاف والحرية، ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾ أي: بواسطة الملك، وهو جبريل؛ فإن الله بعثه إليها فتمثل لها في صورة بشر سوي، وأمره الله تعالى أن ينفخ فيه في جيب درعها، فنزلت النطفة فولجت في فرجها، فكان منه الحمل بعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ. قال: ﴿وَصَدَقَتْ بِكَلِمَتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ﴾ أي: بقدره وشرعه ﴿وَكُنْتُ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾.

عن ابن عباس قال: خط رسول الله ﷺ في الأرض أربعة خطوط، وقال: «أتدرون ما هذا؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، فقال رسول الله ﷺ: «أفضل نساء أهل الجنة: خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، ومريم ابنة عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون» [رواه أحمد، وصححه إسناده أحمد شاكر]. وثبت في الصحيحين عن أبي موسى الأشعري، عن النبي ﷺ أنه قال: «كُمُلُ من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام».

الآية (٨): قال تعالى: ﴿وَأَنبَأْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُبُورًا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ أي: توبة صادقة جازمة، تمحو ما قبلها من السيئات، وتلم شعث النائب وتجمعه، وتكفه عما كان يتعاطاه من الدنئات. قال عمر بن الخطاب: ﴿وَأَنبَأْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُبُورًا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ قال: يذنب الذنب ثم لا يرجع فيه. وقال: التوبة النصوح: أن يتوب من الذنب ثم لا يعود فيه.

وعن النعمان: سُئِلَ عمر عن التوبة النصوح، فقال: أن يتوب الرجل من العمل السيئ، ثم لا يعود إليه أبدًا. وعن عبد الله بن مسعود: ﴿تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ قال: يتوب ثم لا يعود. ولهذا قال العلماء: التوبة النصوح هو أن يُقْلَعَ عن الذنب في الحاضر، ويندم على ما سلف منه في الماضي، ويعزم على ألا يفعل في المستقبل. ثم إن كان الحق لأدمي ردّه إليه بطريقه. عن عبد الله بن مَعْقِل قال: دخلت مع أبي على عبد الله بن مسعود فقال: أنت سمعت النبي ﷺ يقول: «الندم توبة؟» قال: نعم. وقال مرة: نعم سمعته يقول: «الندم توبة» [رواه أحمد وابن ماجه، وصححه إسناده أحمد شاكر]. فأما إذا جزم بالتوبة وصمّ عليها فإنها تُجِبُّ ما قبلها من الخطيئات، كما ثبت في الصحيح: «الإسلام يُجِبُّ ما قبله، والتوبة تجب ما قبلها» [رواه مسلم].

وهل من شرط التوبة النصوح الاستمرارُ على ذلك إلى الممات؟ أو يكفي العزم على ألا يعود في تكفير الماضي؛ بحيث لو وقع منه ذلك الذنب بعد ذلك لا يكون ذلك ضارًا في تكفير ما تقدم؟ وللأول أن يحتج بها ثبت في الصحيح أيضًا: «مَنْ أَحْسَنَ في الإسلام لم يُؤَاخَذْ بما عمل في الجاهلية، ومن أساء في الإسلام أخذ بالأول والآخر» [رواه البخاري ومسلم]. فإذا كان هذا في الإسلام الذي هو أقوى من التوبة، فالنوبة بطريق الأولى، والله أعلم.

وقوله: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَكْفُرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَدْخُلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ و«عَسَىٰ» من الله موجبة، ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ﴾ أي: ولا يهزيمهم معه، يعني: يوم القيامة، ﴿وَهُمْ فِيهَا يَتَسَبَّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَأَيُّهُمْ يُكَلِّمُهُمْ﴾ كما تقدم في سورة الحديد (١) ﴿وَيَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَافْعَلْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ قال مجاهد والضحاك والحسن البصري وغيرهم: هذا بقوله المؤمنون حين يَرَوْنَ يوم القيامة نور المنافقين قد طُفِيَ.

الآية (٩): يقول تعالى آمَرَ رسول الله ﷺ بجهاد الكفار والمنافقين، هؤلاء بالسلاح والقتال، وهؤلاء بإقامة الحدود عليهم، ﴿وَأَغْلَظْ عَلَيْهِمْ﴾ أي: في الدنيا. ﴿وَمَا وَهَنَهُمْ جَهَنَّمُ وَبَشَّ الْكَافِرُ﴾ أي: في الآخرة.

الآية (١٠): قال تعالى: ﴿حَرَبَكُمُ اللَّهُ تَكْرًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: في مخالطتهم المسلمين ومعاشرتهم لهم، أن ذلك لا يجدي عنهم شيئًا، ولا ينفعهم عند الله، إن لم يكن الإيمان حاصلًا في قلوبهم.



## تفسير سورة الملك

وهي مكية، [وعدد آياتها (٣٠) آية].

[فضل السورة]: عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «إن سورة في القرآن ثلاثين آية شفعت ل صاحبها حتى غفر له: ﴿بَنَزَكَ الَّذِي يَدْرِىَ أَلَمُكَ﴾» [رواه أحمد وأصحاب السنن، وصححه الألباني]. وعن جابر: أن رسول الله ﷺ كان لا ينام حتى يقرأ «الم تنزيل»، و﴿بَنَزَكَ الَّذِي يَدْرِىَ أَلَمُكَ﴾. [رواه أحمد والترمذي، وصححه الألباني].

الآية (١): ﴿بَنَزَكَ الَّذِي يَدْرِىَ أَلَمُكَ﴾ يمجّد تعالى نفسه الكريمة، ويخبر أنه بيده الملك؛ أي: هو المتصرف في جميع المخلوقات بما يشاء، لا معقب لحكمه، ولا يسأل عما يفعل لقهره وحكمته وعدله. ولهذا قال: ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

الآية (٢): ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ معنى الآية: أنه أوجد الخلاق من العدم، ليبلوهم ويختبرهم أيمهم أحسن عملاً؛ كما قال: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨]. فسمى الحال الأول -وهو العدم- موتاً، وسمى هذه النشأة حياة. ولهذا قال: ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨]. ﴿يَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أي: خير عملاً؛ كما قال محمد بن عجلان: ولم يقل أكثر عملاً. ﴿وَهُوَ أَلَمُّ الْفُتُورِ﴾ أي: هو العزيز العظيم المنيع الجناب، وهو مع ذلك غفور لمن تاب إليه وأناب، بعدما عصاه وخالف أمره، وإن كان تعالى عزيزاً، هو مع ذلك يغفر ويرحم ويصفح ويتجاوز.

الآية (٣): ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَوَاتِرٍ مِّمَّا فُكِّهُ﴾ أي: طبقة بعد طبقة، وهل من متواصلات بمعنى أنهن علويات بعضهن على بعض، أو متواصلات بينهن خلاء؛ فيه قولان، أصحهما الثاني؛ كما دل على ذلك حديث الإسراء وغيره. قوله: ﴿ثُمَّ تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوُّتٍ﴾ أي: بل هو مصطبح مستو، ليس فيه اختلاف ولا تنافر ولا مخالفة، ولا نقص ولا عيب ولا خلل؛ ولهذا قال: ﴿فَاتَّخِذِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ أي: انظر إلى السماء فتأملها، هل ترى فيها عيباً أو نقصاً أو خللاً أو فطوراً؟! قال ابن عباس ومجاهد والضحاك في قوله: ﴿فَاتَّخِذِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ أي: شقوق. وقال السدي: أي: من خروق. وقال قتادة: أي: هل ترى خللاً يا ابن آدم؟!

الآية (٤): ﴿ثُمَّ اتَّخِذِ الْبَصَرَ كَرِيحٍ﴾ قال: مرتين ﴿وَيَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ حَاسِياً﴾ قال ابن عباس: ذليلاً. وقال مجاهد وقاتدة: صاغراً. ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ قال ابن عباس: يعني: وهو كليل. وقال مجاهد وقاتدة والسدي: الحسير: المنقطع من الإعياء. ومعنى الآية: إنك لو كررت البصر، مهما كررت، لانتقلب إليك، أي: لرجع إليك البصر، ﴿حَاسِياً﴾ عن أن يرى عيباً أو خللاً، ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ أي: كليل، وقد انقطع من الإعياء من كثرة التكرار، ولا يرى نقصاً.

الآية (٥): ﴿وَلَا نَفَىٰ عَنْهَا فِي خَلْقِهَا النِّقْصَ بَيِّنٌ كَمَا هَا وَزَيْتُهَا فَقَالَ: ﴿وَلَقَدْ رَزَقْنَاهُ الذَّنْبَ بِصَيِّحٍ﴾ وهي الكواكب التي وضعت

فيها من السيارات والثواب. قوله: ﴿وَجَعَلْنَاهُ نُجُومًا لِّلْشَّاطِينِ﴾ عاد الضمير في قوله: ﴿وَجَعَلْنَاهُ﴾ على جنس المصباح لا على عينها؛ لأنه لا يُرمى بالكواكب التي في السماء، بل بشهب من دونها، وقد تكون مستمدة منها، والله أعلم. ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ الْغَوَّاصِينَ﴾ أي: جعلنا للشياطين هذا الخزي في الدنيا، وأعتدنا لهم عذاب السعير في الآخرة؛ كما قال في أول الصافات: ﴿إِنَّا رَزَقْنَاهُ أَلْمُذْنَبَ رِزْقَهُ الذَّلَالَةَ﴾ ﴿وَجَعَلْنَا فِي كُلِّ شَيْطَانٍ مَّادِيَةً﴾ ﴿لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الذَّلَالَةِ الْأَعْلَىٰ وَهُمْ يَقْدُرُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ﴾ ﴿ثُخْرًا وَهُمْ عَذَابٌ وَأَصِيبٌ﴾ ﴿إِلَّا مَن خَلِفَ لَلْفُطْفَةِ فَلْيَبْعُدْ﴾ ﴿شَهَابٌ فَأَوْبَىٰ﴾ [الصافات: ٦-١٠]. قال قتادة: إنما خلقت هذه النجوم لثلاث خصال: خلقها زينة للساء، ورجوماً للشياطين، وعلامات يُهتدى بها، فمن تأول فيها غير ذلك فقد قال براهيه وأخطأ حظه، وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به.

الآية (٦-٨): يقول: وأعتدنا للذين كفروا ببرهم عذاب جهنم ﴿وَنَسِىَ الْغَوْصِ﴾ أي: نسي المال والمنقلب. ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي سَجْعٍ مَّاءٍ شَيْبًا﴾ قال ابن جرير: يعني الصباح. ﴿وَهُوَ تَقْوَرٌ﴾ قال النوري: تغلي بهم كما يغلي الحب القليل في الماء الكثير. ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْقَيْظِ﴾ أي: يكاد ينفصل بعضها من بعض، من شدة غيظها عليهم وحقها بهم، ﴿كَلَّمَ النَّاسِ فِيهَا فَوْجٌ سَلَّمَ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَكُنْ لَّهَا دَرِيٌّ﴾ ؟

الآية (٩-١١): ﴿قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَشْتَدَّ إِلَّا فِي صُلْبِكُمْ﴾ يذكر تعالى عدله في خلقه، وأنه لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه وإرسال الرسول إليه؛ كما قال: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]. وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمَا فَتُحِثُّ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الزمر: ١٧]. وهكذا عادوا على أنفسهم باللامه، وندموا حيث لا تنفعهم الندامة، ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ أي: لو كانت لنا عقول نتفقد بها أو نسمع ما أنزله الله من الحق، لما كنا على ما كنا عليه من الكفر بالله والافتراء به، ولكن لم يكن لنا فهم نعي به ما جاءت به الرسل، ولا كان لنا عقل يرشدنا إلى اتباعهم، قال الله تعالى: ﴿فَاعْرِضْهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَحَقْنَا أَصْحَابَ السَّعِيرِ﴾ عن أبي البختر الطائي قال: أخبرني من سمعه من رسول الله ﷺ أنه قال: «لن يهلك الناس حتى يُعْلِمُوا من أنفسهم» [رواه أحمد وأبو داود، وصححه الألباني].

الآية (١٢): ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ يقول تعالى خبراً عن مخاف مقام ربه فيما بينه وبينه إذا كان غائباً عن الناس، فينكف عن المعاصي ويقوم بالطاعات، حيث لا يراه أحد إلا الله، بأنه له مغفرة وأجر كبير، أي: تكفر عنه ذنوبه، ويُجازى بالثواب الجزيل، كما ثبت في الصحيحين: «سبعة يظلهم الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله» منهم: «رجل دعه امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها، حتى لا تعلم شاله ما تنفق يمينه».



## ● الوقفات التدريبية

● ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

إليه كل تدبير، وبقدرته إظهار ما يريد، لا مانع له من شيء، ولا كُفْر

له بوجهه. البقاعي: ٢١٧/٢٠

السؤال: لماذا تطمئن القلوب بالاتكال على الله؟

● ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾

قال فضيل بن عياض: أخلصه وأصوبه ... والعمل لا يقبل حتى يكون

خالصاً صواباً. البغوي: ٤/٣٥.

السؤال: ما المراد بحسن العمل؟

● ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْمَرَّةَ كَرِّينَ يَقْبَلْ إِلَيْكَ الْعَمْرُ حَايَةً وَهُوَ خَيْرٌ﴾

وإنما أمر بالنظر مرتين لأن الإنسان إذا نظر في الشيء مرة لا يرى عيبه

ما لم ينظر إليه مرة أخرى. القرطبي: ٢١/١١٦.

السؤال: لماذا أمر بإعادة النظر في السماوات؟

● ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ

عَذَابَ السَّعِيرِ﴾

قال قتادة: خلق الله النجوم لثلاثة أشياء: زينته السماء، ورجوم الشياطين،

ويُهتدى بها في ظلمات البر والبحر. ابن جزي: ٢/٤٩٤.

السؤال: عدد فوائد النجوم.

● ﴿كَذَٰلِكَ نَمُزِّقُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُخْرِجُ مِنْهَا نَاحِلَاتٍ مِّنَ الْأَنْهَارِ يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا

هذه الآية تدل على أن الله تعالى لا يعذب بالنار أحداً إلا بعد أن ينذره في

الدنيا. الشنقيطي: ٨/٢٣٣.

السؤال: ما الذي يدل عليه سؤال خزنة النار لأهواج جهنم: (إلم ياتكم

نذير)؟

● ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾

ووجه تقديم السمع على العقل ... لأن سمع دعوة النذير هو أول ما

يتلقاه المندرون، ثم يعملون عقولهم في التدبر فيها. ابن عاشور: ٢٩/٢٨.

السؤال: لماذا قدم السمع على العقل؟

● ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾

وقدم المغفرة تطميناً لقلوبهم؛ لأنهم يخشون المواجهة على ما فرط

منهم من الكفر قبل الإسلام، ومن اللوم ونحوه، ثم أعقبت بالبشارة

بالأجر العظيم، فكان الكلام جارياً على قانون تقديم التخليّة على

التحليّة. ابن عاشور: ٢٩/٢٩.

السؤال: لماذا قدمت المغفرة على الأجر الكبير في الآية؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ۝ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوُّتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ حَايَةً وَهُوَ الْحَسِيدُ ۝ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ۝ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَيُسَمُّونَ الْمَصِيرَ ۝ إِذَا السَّمَاءُ فَتَتْهَا فَسَبَّحُوا بُحْبُوحًا وَأَمَّا يَوْمَ تَفُوتُ ۝ نَكَادُ نَمُزُّ مِنَ الْعِطْرِ كُلِّمَا آتَيْنِ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِن أَنشَأَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ۝ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝ فَأَعْرَضُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
طِبَاقًا	بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ، مِنْ غَيْرِ مُمَاسَّةٍ.
فُطُورٍ	شُقُوقٍ، وَصُدُوعٍ.
حَايَةً	ذَلِيلًا صَاحِرًا.
حَسِيدٌ	مُتَعَبٌ، كَافٍ.
رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ	شُهُبًا مُحَرِّقَةً يُسْرَقِي السَّمْعَ مِنَ الشَّيَاطِينِ.
شَهِيْقًا	صَوْتًا مُنْكَرًا.

## ● العمل بالآيات

١. قل: اللهم اجعل عملي خالصاً صواباً، ثم تحرر السنة في كل ما تعمله،

﴿يَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾.

٢. تأمل في خلق النجوم ثم احمده على أن منع الشياطين من استراق السمع

لثلاثي يفتنوا الخلق، ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾.

٣. قل: اللهم إني أسألك خشيتك في الغيب والشهادة، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ

بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾.

## ● التوجيهات

١. الحث على قراءة سورة الملك كل ليلة، ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

٢. تعظيم الله جل وعلا في كل أمر من الأمور، ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوُّتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾.

٣. عقوبة مخالفة الأنبياء وما أهد الله لمخالفهم من العذاب والتوبيخ،

﴿قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِن أَنشَأَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿وَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾ ﴿وَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾ ﴿وَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾

أي: بما فيها من النيات والإرادات، فكيف بالأقوال والأفعال التي تسمع وترى؟ السعدي: ٨٧٦.

السؤال: ما وجه اختتام الآية بوصف الله بأنه عليم بذات الصدور؟

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾

ثم ختم الحجة باسمين مقتضيين لثبوتها، وهما: اللطيف؛ الذي لطف صنعه وحكمته وذك، حتى عجزت عنه الأفهام. والخبير؛ الذي انتهى علمه إلى الإحاطة ببواطن الأشياء وخفاياها كما أحاط بظواهرها. فكيف تخفى على اللطيف الخبير ما تحويه الضمائر وتخفيه الصدور. ابن القيم: ١٧٣/٣.

السؤال: لماذا ختمت الآية باسمي (اللطيف) و(الخبير) لله عز وجل؟

﴿هُوَ الَّذِي جَمَعَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَاقْشَوْا فِي مَنَازِكِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ الْأَنْشُورُ﴾

واعلموا أن سعيكم لا يجدي عليكم شيئاً إلا أن ييسره الله لكم؛ ولهذا قال تعالى: (وكلوا من رزقه)، فالسعي لا ينال التوكل. ابن كثير: ٣٩٨/٤.

السؤال: ما الذي تدل عليه إضافة الرزق إلى الضمير العائد إلى الله سبحانه وتعالى؟

﴿هُوَ الَّذِي جَمَعَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَاقْشَوْا فِي مَنَازِكِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ الْأَنْشُورُ﴾

ثم نبه بقوله: (وإليه النشور) على أننا في هذا المسكن غير مستوطنين ولا مقيمين، بل دخلناه عابري سبيل، فلا يحسن أن نتخذة وطناً ومستقراً، وإنما دخلناه لننزود منه إلى دار القرار؛ فهو منزل عبور لا مستقر حبور، ومعبور وممر لا وطن ومستقر. ابن القيم: ١٧٤/٣.

السؤال: أمرتنا الآية بالاستفادة مما في هذه الأرض ثم ختمت بذكر النشور فلماذا؟

﴿وَأَمَّا مَنْ مَنَعَ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخِفَّ بِكُمْ الْأَرْضُ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾

وقدم التهديد بالخسف على التهديد بالحاصب لأن الخسف من أحوال الأرض، والكلام على أحوالها أقرب هنا، فشكل شبه طريق النشر المعكوس، ولأن إرسال الحاصب عليهم جزء على كفرهم بنعمة الله التي منها رزقهم في الأرض المشار إليه بقوله: (وكلوا من رزقه)؛ فإن منشأ الأرزاق الأرضية من غيوب السماء؛ قال تعالى: (وبه السماء رزقكم) (الناريات: ٢٢). ابن عاشور: ٣٦/٢٩.

السؤال: لماذا قدم التهديد بالخسف على التهديد بالحاصب؟

﴿أَمَّا مَنْ يَبْشَىٰ مُرْكَبًا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَبْشَىٰ سَوِيًّا عَلَىٰ جِرْطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾

ضرب الله مثلاً للمؤمن والكافر: (مركباً) أي: منكساً راسه؛ لا ينظر أمامه ولا يمينه ولا شماله؛ فهو لا يأمن من العثور والانكباب على وجهه، كمن (يمشي سويّاً) معتدلاً ناظراً ما بين يديه وعن يمينه وعن شماله. القرطبي: ١٢٩/٢١.

السؤال: لمن ضرب الله هذا المثل؟

﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ رَجُلًا لَّكُمْ السَّمْعُ وَالْأَبْصَارُ وَالْأَفْئِدَةُ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾

(قليلاً ما تشكرون) أي: قلما تستعملون هذه القوى التي أنعم الله بها عليكم في طاعته وامتنال أوامره. ابن كثير: ٣٩٩/٤.

السؤال: ما الذي يدل عليه ختم الآية بقوله: (قليلاً ما تشكرون)؟

وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ٥  
يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ٦  
ذُلُولًا فَاقْشَوْا فِي مَنَازِكِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ٧  
أَمَّا مَنْ مَنَعَ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخِفَّ بِكُمْ الْأَرْضُ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ٨  
أَمَّا مَنْ مَنَعَ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ ٩  
كَيْفَ نَذِيرٍ ١٠  
وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ١١  
أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ قَوْعَهُمْ صَفَقَاتُ وَيَقْبِضْنَ مَا يُنَبِّئُكُمَنَ إِلَّا  
الْحَقْلَ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ١٢  
أَمَّا هَذَا الَّذِي هُوَ جَنَدُكَ  
يَبْشُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنَّ الْكُفْرَ الْإِلَافُ فِي عُتُوٍّ ١٣  
الَّذِي يَزُفُّكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ١٤  
يَبْشَىٰ مُرْكَبًا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَبْشَىٰ سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ  
مُّسْتَقِيمٍ ١٥  
قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ رَجُلًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ  
وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ١٦  
قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي  
الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ١٧  
وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ  
صَادِقِينَ ١٨  
قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ١٩

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
ذُلُولًا	سَهْلَةً، مُهَيَّئَةً تَسْتَقِرُّونَ عَلَيْهَا.
مَنَازِكِهَا	نَوَاجِيزِهَا، وَجَوَابِيزِهَا.
تَمُورُ	تَضْطَرُّ بِكُمْ حَتَّى تَهْلِكُوا.
حَاصِبًا	رِيحًا تَرْجُمُكُمْ بِالْحِجَارَةِ الصَّغِيرَةِ.
لَجُوا	اسْتَمَرُّوا، وَتَمَادَوْا.
وَنُفُورٍ	شُرُودٍ وَتَبَاعُدٍ عَنِ الْحَقِّ.

## ● العمل بالآيات

١. تأمل كيف جعل الله هذه الأرض مذلتة تشيى عليها، ثم اشكر الله تعالى على هذه النعم، ﴿هُوَ الَّذِي جَمَعَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَاقْشَوْا فِي مَنَازِكِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾.

٢. تعرف على قدرة الله بالتأمل في الطيور وعدم سقوطها، قل: سبحان من أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ قَوْعَهُمْ صَفَقَاتُ وَيَقْبِضْنَ مَا يُنَبِّئُكُمَنَ إِلَّا الْحَقْلَ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾.

٣. قل: (اللهم متعنا بإسماعنا وإبصارنا وقواتنا)، واشكر الله عليها، ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ رَجُلًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾.

## ● التوجيهات

١. لا يستوي طريق الحق وطريق الباطل، ﴿أَمَّا مَنْ يَبْشَىٰ مُرْكَبًا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَبْشَىٰ سَوِيًّا عَلَىٰ جِرْطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

٢. المؤمن ليس مسؤولاً عن وقت يوم القيامة، وإنما عن الاستعداد له، ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

٣. تفويض العلم إلى الله، ﴿قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾.

الآية (٢٠-٢١): يقول تعالى للمشركين الذين عبدوا غيره،  
يبتغون عندهم نصراً ورزقاً، مُتَكِبِينَ عَلَيْهِمْ فِيمَا اعْتَقَدُوا، وَخُبْرًا لَهُمْ أَنَّهُ  
لَا يَحْصِلُ لَهُمْ مَا أَمَلُوا، فقال: ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَّكَ يَصْرِفُكَ مِنْ دُونِ  
الْأَرْحَنِ﴾ أي: ليس لكم من دونه من ولي ولا وافي، ولا ناصر لكم  
غيره؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾. ثم قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هَذَا  
الَّذِي يَرْفَعُ رِنًا أَمْسَكَ زَيْفَهُ؟﴾ أي: من هذا الذي إذا قطع الله رزقه  
عنكم يرفعكم بعده؟ أي: لا أحد يعطي ويمنع ويخلق ويرزق،  
وينصر إلا الله ﷻ وحده لا شريك له، أي: وهم يعلمون ذلك، ومع  
هذا يعبدون غيره؛ ولهذا قال: ﴿بَلْ لَّجَأُوا﴾ أي: استمروا في طغيانهم  
وإفكهم وضلالهم ﴿فِي غَوًى وَتَفَرُّرٍ﴾ أي: في معاندة واستكبار ونفور  
على أدبارهم عن الحق، لا يسمعون له ولا يسمعون.

الآية (٢٢-٢٤): ﴿أَمَّنْ يَبْشَىٰ مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَبْشَىٰ سَوِيًّا عَلَىٰ  
صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر؛ فالكافر مثله فيها  
هو فيه كمثل من يمشي مُكِبًّا على وجهه، أي: يمشي منحنيًا لا مستويًا  
على وجهه، أي: لا يدري أين يسلك ولا كيف يذهب. بل تائه حائر  
ضال، اهَذَا أَهْدَىٰ ﴿أَمَّنْ يَبْشَىٰ سَوِيًّا﴾ أي: منتصب القامة ﴿عَلَىٰ صِرَاطٍ  
مُسْتَقِيمٍ﴾؟ أي: على طريق واضح بين، وهو في نفسه مستقيم،  
وطريقه مستقيمة. هذا مثلهم في الدنيا، وكذلك يكونون في الآخرة.  
فالمؤمن يُبْشَرُ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، مُفْضًى بِهِ إِلَى الْخَيْرِ  
الْفَيْحَاءِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَإِنَّهُ يَمْشِي يَمْشِي عَلَىٰ وَجْهِهِ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ،  
﴿أَنْتُمْ شَرُّ الْبَرِّ خَلْقًا وَأَزْوَجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ (٢٢) مِنْ دُونِ اللَّهِ فَأَهْدُوهُمْ إِلَىٰ  
صِرَاطِ الْحَقِّ ﴿[الصافات: ٢٢-٢٣]﴾. عن أنس قال: قيل: يا رسول الله،  
كيف يبشر الناس على وجوههم؟ فقال: «اليس الذي أمشاهم على  
أرجلهم قادرًا على أن يمشيهم على وجوههم» [نقل عنه]. ﴿قُلْ هُوَ  
الَّذِي أَنْشَأَكُمْ﴾ أي: ابتداء خلقكم بعد أن لم تكونوا شيئًا مذكورًا،  
﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ أي: العقول والإدراك، ﴿فَلَيْلًا  
تَشْكُرُونَ﴾ أي: قلما تستعملون هذه القوى التي أنعم الله بها عليكم في  
طاعته وامتنان أوامره وترك زواجره. ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي:  
بتكم ونشركم في أقطار الأرض وأرجائها، مع اختلاف الاستكم في  
لغاتكم والوانكم وحلاكم<sup>(١)</sup> وأشكالكم وصوركم. ﴿وَالَّذِي يُخْرِجُ  
أَي: تَجْمَعُونَ بعد هذا التفرق والشتات؛ يجمعكم كما فرقكم،  
ويعيدكم كما بداكم.

الآية (٢٥-٢٦): ﴿ثُمَّ قَالَ خَبْرًا عَنِ الْكُفَّارِ الْمُنْكَرِينَ لِلْمَعَادِ  
الْمُسْتَعْبِدِينَ وَقَوْعِهِ﴾: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ أي: متى  
يقع هذا الذي نخبرنا بكونه من الاجتماع بعد هذا التفرق؟! ﴿قُلْ إِنَّمَا  
أَعْلَمُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: لا يعلم وقت ذلك على التعيين إلا الله ﷻ، ولكنه  
أمرني أن أخبركم أن هذا كائن وواقع لا محالة فاحذروا، ﴿وَأَنَّا  
نَذِيرُكُمْ﴾ وإنما عليّ البلاغ، وقد أذيتكم إليكم.

الآية (١٣-١٤): قال تعالى منها على أنه مطلع على الضمائر  
والسرائر: ﴿وَأَيُّرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أي: بما  
خطر في القلوب. ﴿أَلَا يَتْلُمَنَّ مِنْ خَلْقٍ؟﴾ أي: ألا يعلم الخالق؟! وقيل:  
معناه: ألا يعلم الله مخلوقه؟! والأول أولى لقوله: ﴿هُوَ اللَّطِيفُ  
الْخَبِيرُ﴾.

الآية (١٥-١٦): ثم ذكر نعمته على خلقه في تسخيرهم لهم الأرض  
وتذليله إياها لهم، بأن جعلها قارة ساكنة لا تغيد ولا تضطرب؛ بما  
جعل فيها من الجبال، وأنبع فيها من العيون، وسلك فيها من السبل،  
وهيا فيها من المنافع ومواضع الزروع والثمار، فقال: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ  
لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَاقْشَوْا فِي مَنَازِكِهَا﴾ أي: فسافروا حيث شئتم من  
أقطارها، وترددوا في أقاليمها وأرجائها في أنواع المكاسب  
والتجارات، واعلموا أن سعيكم لا يجدي عليكم شيئًا، إلا أن يُيسره  
الله لكم؛ ولهذا قال: ﴿وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ فالسعي في السبب لا ينافي  
التوكل، كما روى عمر بن الخطاب قال إنه سمع رسول الله ﷺ  
يقول: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله، لرزقكم كما يرزق  
الطير؛ تَغْدُو جَمَاحًا وَتَرُوحُ بِطَانًا» [رواه أحمد والترمذي وابن ماجه، وصح  
إسناده أحمد شاكر]. فأثبت لها رواحًا وغدوًا لطلب الرزق، مع توكلها  
على الله ﷻ، وهو المستخر المسير المسبب. ﴿وَالَّذِي أَنْشَأَكُمْ﴾ أي: المرجع  
يوم القيامة. قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي: ﴿مَنَازِكِهَا﴾  
أطرافها وفجاجها ونواحيها. وقال ابن عباس وقتادة: ﴿مَنَازِكِهَا﴾  
الجبال. وقال أبو الدرداء: هي الجبال.

﴿أَيُّنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخِفَّ بِكُمْ الْأَرْضُ فَإِذَا هِيَ تَنُورُ﴾ هذا  
أيضًا من لطفه ورحمته بخلقه أنه قادر على تعذيبهم بسبب كفر  
بعضهم به وعبادتهم معه غيره، وهو مع هذا يحلم ويصفح، ويؤجل  
ولا يعجل؛ كما قال: ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَنَأْتَسَّ بِمَا كُفِّرُوا مَا  
تَرَكْنَا عَلَىٰ ظَهْرِهِمَا مِنْ دَابِكٍ وَلَكِنْ يُوَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا  
جَاءَ أَجَلُهُمْ فَأُولَٰئِكَ اللَّهُ كَانَ يُعْصِدُ بِهِمْ بِصَبْرٍ﴾ [فاطر: ٤٥].  
﴿فَإِذَا هِيَ تَنُورُ﴾ أي: تذهب ونجيء وتضطرب.

الآية (١٧-١٩): ﴿أَمْ أَيْنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾  
أي: ربما فيها حصاء تدمغكم؛ كما قال: ﴿أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخِفَّ بِكُمْ جَانِبَ  
الْعِزِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا يَجِدُوا لَكُمْ وُكَيْلًا﴾ [الإسراء: ٦٨].  
وهكذا توعدهم ههنا بقوله: ﴿فَسَتَقْنُونَ كَيْفَ تَذِيرُ﴾ أي: كيف يكون  
إنذارى وعاقبة من تخلف عنه وكذب به. ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾  
أي: من الأمم السابقة والقرون الحالية، ﴿فَكَفَّكَ كَانَ نَكِيرٍ﴾ أي: فكيف  
كان إنكارى عليهم ومعاقبتى لهم؟! أي: عظيمًا شديدًا البأس. ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا  
إِلَى الْفَلْكِ فَوْقَهُمْ صَفَيَاتٍ وَيَقْبِضْنَ﴾ أي: تارة يصفقن أجنتهن في الهواء،  
وتارة تجمع جناحًا وتنشر جناحًا، ﴿مَا يُمَسِّكُهُنَّ﴾ أي: في الجو ﴿إِلَّا  
الرَّحْمَنُ﴾ أي: بما سخرهن من الهواء، من رحمته ولطفه، ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ  
بَصِيرٌ﴾ أي: بما يصلح كل شيء من مخلوقاته. وهذه بقوله: ﴿أَلَمْ يَرَوْا  
إِلَى الْفَلْكِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْاءِ السَّمَاءِ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ  
لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [النحل: ٧٩].

الآية (٢٧-٣٠): ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: لما قامت القيامة وشاهدها الكفار، ورأوا أن الأمر كان قريباً؛ لأن كل ما هو آتٍ آتٍ وإن طال زمنه، فلما وقع ما كذبوا به ساءهم ذلك؛ لما يعلمون ما هم هناك من الشر، أي: فأحاط بهم ذلك، وجاءهم من أمر الله ما لم يكن لهم في بال ولا حساب، ﴿وَبَكَاهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الزمر: ٤٨]؛ ولهذا يقال لهم على وجه التقرير والتوبيخ: ﴿هَذَا الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تَدْعُونَ﴾ أي: تستمعلون. ﴿قُلْ يَا عَمَلُوا هَؤُلَاءِ الشُّرَكَاءُ بِاللَّهِ الْجَاهِلِينَ لَنَعْمَ﴾ [آز: ٢٢] ﴿أَهْلَكُنَّ اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْرَحُّنَا فَمَنْ يُجِزِ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ أي: خَلَّصُوا أَنْفُسَكُمْ؛ فإنه لا منقذ لكم من الله إلا التوبة والإنابة، والرجوع إلى دينه، ولا ينفعكم وقوع ما تتمنون لنا من العذاب والنكال، فسواء عذبنا الله أو رحمنا، فلا مناص لكم من نكاله وعذابه الأليم الواقع بكم. ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ أي: آمنا برب العالمين الرحمن الرحيم، وعليه توكلنا في جميع أمورنا؛ كما قال: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣]. ولهذا قال: ﴿تَسْتَغِيثُونَ مِنْهُ فِي صَلَاتِ بَيْنِ﴾ أي: منا ومنكم، ولن تكون العاقبة في الدنيا والآخرة. ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْحَبَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾ أي: ذاهباً في الأرض إلى أسفل، فلا يثقال بالفؤوس الحديد، ولا السواعد الشداد. والفائز عكس النافع؛ ولهذا قال: ﴿فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾؟! أي: نابع سائح جار على وجه الأرض، لا يقدر على ذلك إلا الله ﷻ، فمن فضله وكرمه أن أتبع لكم المياه وأجرها في سائر أقطار الأرض، بحسب ما يحتاج العباد إليه من القلة والكثرة، فله الحمد والمنة.

#### تفسير سورة «ن»

وهي مكية، [وعدد آياتها (٥٢) آية].

الآية (١-٤): تقدم الكلام في أول «سورة البقرة» [على الحروف المقطعة في أوائل السور. «وَالْفَلَقِ» الظاهر أنه جنس القلم الذي يكتب به؛ كقوله: ﴿أَقْرَأْ بِرَبِّكَ الْأَكْثَرِ﴾ [الزمر: ١٧] «الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ» [العلق: ٣-٤]. فهو قسم منه تعالى، وتبيين خلقه على ما أنعم به عليهم من تعليم الكتابة التي بها تنال العلوم. «وَمَا يَسْطُرُونَ» قال ابن عباس: يعني: وما يكتبون. وقال الشدي: يعني: الملائكة وما تكتب من أعمال العباد. وقال آخرون: بل المراد ههنا بالقلم الذي أجراه الله بالقدر حين كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرضين بخمسين ألف عام.

﴿مَآئَاتٍ يَبْعَثُ رَبُّكَ بِمَجْرُورٍ﴾ أي: لست - والله الحمد - بمجنون، كما قد يقوله الجاهل من قومك، المكذبون بما جنتهم به من الهدى والحق المبين، فنسبوك فيه إلى الجنون. «وَلَيْكَ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ أي: بل لك الأجر العظيم، والثواب الجزيل الذي لا ينقطع ولا يبيد على إبلاغك رسالة ربك إلى الخلق، وصبرك على أذاهم. ومعنى «غَيْرَ مَمْنُونٍ» أي: غير مقطوع؛ كقوله: ﴿فَلَمَّا أَجْرُ غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ [النبي: ٦] أي: غير مقطوع عنهم. وقال مجاهد: أي: غير محسوب، وهو يرجع إلى ما قلناه. ﴿وَأَنَّكَ لَمِنَ خَلْقِي عَظِيمٍ﴾ قال ابن عباس: أي: وإنك لعل دين عظيم، وهو الإسلام. وعن عائشة قالت: كان خلقه القرآن [رواه مسلم]. ومعنى هذا: أنه ﷺ صار أمثال القرآن، أمراً ونهياً، سجية له، وتخلقاً بطبعه، وترك طبعه الجليل، فمهما أمره القرآن فعمله، ومهما نهاه عنه تركه. هذا مع ما جبَّله الله عليه من الخلق العظيم، من الحياة

والكرم والشجاعة، والصنع والحلم، وكل خلق جميل. الآية (٥-٧): ﴿فَسَتِيرُوا وَيُصِيرُونَ﴾ [يُصِيرُونَ] بِأَيْكُمْ الْمَقْتُولُونَ؛ أي: فستعلم يا محمد، وسيعلم مخالفوك ومكذبوك من الفتون الضال منك ومنهم، قال ابن عباس: ستعلم ويعلمون يوم القيامة. وعن ابن عباس: ﴿يَأْتِيَكُمْ الْمَقْتُولُونَ﴾ أي: المجنون. وقال قتادة: أي: أولى بالشیطان. ومعنى الفتون: الذي قد افتتن عن الحق وضل عنه. وإنما دخلت الباء في قوله: ﴿يَأْتِيَكُمْ الْمَقْتُولُونَ﴾ لتدل على تضمين الفعل في قوله: ﴿فَسَتِيرُوا وَيُصِيرُونَ﴾ وتقديره: فستعلم ويعلمون، أو: فسيتخبر ويخبرون بأبيكم الفتون. والله أعلم ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تَصْلَوْنَ سَبِيلَهُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُنْهَكِينَ﴾ أي: هو يعلم تعالى أي الفريقين منكم ومنهم هو المهتدي، ويعلم الحزب الصالح عن الحق.

الآية (٨-١٣): يقول تعالى: كما أنعمنا عليك وأعطيناك الشرع المستقيم والخلق العظيم ﴿فَلَا تَطْعَمُ الْكَذِبِينَ﴾. «وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ» قال ابن عباس: لو تَرَحَّصَ لهم فَيَرَحَّصُونَ. وقال مجاهد: ودوا لو تَرَكَّنَ إلى ألفتهم وترك ما أنت عليه من الحق. «وَلَا تَطْعَمُ كُلَّ سَلَابٍ مَهِينٍ» ذلك أن الكاذب لضعفه ومهانته إنها يفتي بأبائانه الكاذبة التي يجترأ بها على أسماء الله تعالى، واستعمالها في كل وقت في غير محلها. قال ابن عباس: المهين: الكاذب. وقال مجاهد: هو الضعيف القلب. وقال الحسن: كل حلاف مكابر مهين ضعيف. «هَآرَ» قال ابن عباس وقتادة: يعني: الاغتيال. «مُسْلِمًا يَصِيرُ» يعني: الذي يمشی بين الناس، ويحش بينهم، وينقل الحديث لفساد ذات البين؛ وهي الخالقة. «مَنَاجٍ لِلْمُغْرِبِ» أي: يمنع ما عليه وما لديه من الخير، «مَمْنُونٍ» في تناول ما أحل الله له، يتجاوز فيها الحد المشروع، «أَنِيرُ» أي: يتناول المحرمات. «عُلِّيَ بَعْدَ ذَلِكَ زَنْبِيرٌ» أما العُلِّيُّ: فهو اللفظ الغليظ الصحيح، الجَنُوعُ المَنُوعُ. وأما الزنيم فروى البخاري عن ابن عباس قال: رجل من قريش له زئمة مثل زئمة الشاة.

وإنما الزنيم في لغة العرب: هو الدَّعِيُّ في القوم. قاله ابن جرير وغير واحد من الأئمة. وقال سعيد ابن المسيب: هو المصنق في القوم، ليس منهم. والزَّئِمَاءُ من الشياه: التي في عُنُقِهَا هَتَاتَانِ معلقتان في حلقها. وعن سعيد بن جبير قال: الزنيم: الذي يعرف بالشر كما تعرف الشاة بزئمتها. والأقوال في هذا كثيرة، وترجع إلى أن الزنيم هو: المشهور بالشر، الذي يُعرف به من بين الناس.

الآية (١٤-١٥): ﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ [١٤] إِذَا تَنَلَّى عَلَيْهِ مَا يَشَاءُ قَالَهُ أَطْلُفُ الْأَوْلَادِ. هذا مقابلة ما أنعم الله عليه من المال والبنين، كفر بآيات الله وأعرض عنها، وزعم أنها كذب مأخوذ من أساطير الأولين.

الآية (١٦): ﴿سَيَسْأَلُهُ عَنِ الْخُرُوفِ﴾ قال ابن جرير: سنين أمره بياناً واضحاً، حتى يعرفوه ولا يخفى عليهم، كما لا تخفى السمة على الخراطيم. قال قتادة: شين لا يفارقه آخر ما عليه. وقال ابن عباس: يقاتل يوم بدر، فيحطم بالسيف في القتال. وقال آخرون: ﴿سَيَسْأَلُهُ﴾ سمة أهل النار، يعني: نسود وجهه يوم القيامة، وعبر عن الوجه بالخرطوم. وحكى ذلك كله ابن جرير، ومال إلى أنه لا مانع من اجتماع الجميع عليه في الدنيا والآخرة، وهو مُتَّجِه.



## ● الوقفات التدريبية

﴿ ١ ﴾ أَمَّا بِيَوْمِ نَوْمِكَ ۖ

الإيمان يشمل التصديق الباطن، والأعمال الباطنة والظاهرة، ولما كانت الأعمال وجودها وكماها متوقفة على التوكل، خص الله التوكل من بين سائر الأعمال، وإلا فهو داخل في الإيمان ومن جملة لوازمه. السعدي: ٨٧٨.

السؤال: التوكل داخل في الإيمان، فلماذا خصه الله بالذكر من بين سائر الأعمال؟

﴿ ٢ ﴾ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَّا بِيَوْمِ نَوْمِكَ ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (وعليه) أي: وحده. (توكلنا): لأنه لا شيء في يد غيره، وإلا لرحم من يريد عذابه أو عذب من يريد رحمته؛ فكل ما جرى على أيدي خلقه من رحمة أو نقمة فهو الذي أجراه. البقاعي: ٢٧٠/٢.

السؤال: لماذا نتوكل على الله وحده دون غيره؟

﴿ ٣ ﴾ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَمَا يُغْنِي عَنْكَ الْغَنَىٰ وَالْغَنَىٰ

القسم بالقلم لشرفه بأنه يُكتب به القرآن، وكتبت به الكتب المقدسة، وتكتب به كتب التربية ومكارم الأخلاق، والعلوم؛ وكل ذلك مما له حظ شرف عند الله تعالى. ابن عاشور: ٦٠/٢٩.

السؤال: لماذا أقسم الله تعالى بالقلم؟

﴿ ٤ ﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ۖ

هذا فيه تهديد للمضالين، ووعد للمهتدين. السعدي: ٨٧٩.

السؤال: ماذا يفيد ذكر علمه سبحانه بالضالين والمهتدين؟

﴿ ٥ ﴾ فَلَا تَطْلُعُ الْمَكْذِبِينَ ۖ

النهى عن طاعة المرء نهى عن التشبه به بالأولى؛ فلا يطاع المكذب والحلاف، ولا يعمل بمثل عملهما. ابن تيمية: ٣٧٠/٦.

السؤال: دللت الآية على النهي عن التشبه بأهل الفسق والفجور، وضح ذلك.

﴿ ٦ ﴾ فَلَا تَطْلُعُ الْمَكْذِبِينَ (أ) وَدُّوْا تَوَدُّهُمْ فَيَكْذِبُونَ (ب) وَلَا تَطْلُعُ كُلَّ حَلَّافٍ مُّهِينٍ (ج) هَمَّا زَسَلَمَ يَنْبِيسُ (د) مَنَّاغَ لِلْمَنْرِ مُعْتَدٍ أَيْبِ (هـ) عُنْثِلُ بَعْدَ ذَلِكَ زَنْبِيرٍ

الأخلاق مكتسبة بالمعاينة، ففيه تحذير عن اكتساب شيء من أخلاقهم بالمخالطة لهم؛ فليأخذ حذره؛ فإنه محتاج إلى مخالطتهم لأجل دعوتهم إلى الله تعالى. ابن تيمية: ٣٧٠/٦.

السؤال: يترتب على دعوة أهل المعاصي الانتباه إلى محذور فما هو؟

﴿ ٧ ﴾ وَلَا تَطْلُعُ كُلَّ حَلَّافٍ مُّهِينٍ ۖ

وذلك أن الكاذب -لضعفه ومهانته- إنما يتقي بإيمانه الكاذبة التي يجترئ بها على أسماء الله تعالى، واستعمالها في كل وقت في غير محلها.

ابن كثير: ٤٠٤/٤.

السؤال: لماذا نهينا عن اتباع الذي يكثر من الحلف؟

فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّمَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ ﴿١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ إِلَهِهِ ﴿٢﴾ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ عَمَّا تَدْعُونَ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴿٤﴾

سُورَةُ الْقَلَمِ (١٨) (٢٩)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَمَا يُغْنِي عَنْكَ الْغَنَىٰ وَالْغَنَىٰ ﴿١﴾ قُلْ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ وَلَئِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَمْرِي وَلَا تَعْصُوا أَمْرًا مِّنْ دُونِي ﴿٣﴾ وَلَئِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَمْرِي وَلَا تَعْصُوا أَمْرًا مِّنْ دُونِي ﴿٤﴾ وَلَئِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَمْرِي وَلَا تَعْصُوا أَمْرًا مِّنْ دُونِي ﴿٥﴾ وَلَئِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَمْرِي وَلَا تَعْصُوا أَمْرًا مِّنْ دُونِي ﴿٦﴾ وَلَئِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَمْرِي وَلَا تَعْصُوا أَمْرًا مِّنْ دُونِي ﴿٧﴾ وَلَئِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَمْرِي وَلَا تَعْصُوا أَمْرًا مِّنْ دُونِي ﴿٨﴾ وَلَئِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَمْرِي وَلَا تَعْصُوا أَمْرًا مِّنْ دُونِي ﴿٩﴾ وَلَئِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَمْرِي وَلَا تَعْصُوا أَمْرًا مِّنْ دُونِي ﴿١٠﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
رَأَوْهُ زُلْفَةً	رَأَوْا عَذَابَ اللَّهِ قَرِيبًا.
تَدْعُونَ	تَطْلُبُونَ أَنْ يُعْجَلَ لَكُمْ مِنَ الْعَذَابِ اسْتِهْزَاءً.
يُجِيرُ	يُحْمِي.
غَوْرًا	ذَاهِبًا فِي الْأَرْضِ لَا تَصِلُونَ إِلَيْهِ بِوَسِيلَةٍ.
مَمْنُونٌ	مَنْقُوصٌ، وَلَا مُنْقَطِعٌ.
تُدْهِنُ	تُلَايِنُ، وَتَصَانِعُ.
هَمَّا ز	مُفْتَابٌ لِلنَّاسِ.
عُنْثِلٌ	فَاحِشٌ، لَفِيمٌ، غَلِيظٌ فِي كُفْرِهِ.
زَنْبِيرٌ	مَنْسُوبٌ لِغَيْرِ أَبِيهِ.

## ● العمل بالآيات

١. سَلِّ اللَّهُ أَنْ يَنْزِلَ الْغَيْثُ، ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴾.
٢. احمَد الله على ثلاث نعم انعم بها عليك، ﴿ مَا أَتَى نِعْمَةَ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾.
٣. قل: «اللهم اهدني لأحسن الأخلاق»، ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَّ خُلُقِي عَظِيمٌ ﴾.

## ● التوجيهات

١. الحث على مكارم الأخلاق، ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَّ خُلُقِي عَظِيمٌ ﴾.
٢. التوعيد لكل مكذب معرض مستهزئ، ﴿ فَلَا تَطْلُعُ الْمَكْذِبِينَ ﴾.
٣. التحذير من المداينة في دين الله تعالى، ﴿ وَدُّوْا تَوَدُّهُمْ فَيَكْذِبُونَ ﴾.



## ● الوقفات التدريبية

﴿ إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ ﴾

إنا بلونا هؤلاء المكذبين بالخير، وأمهلناهم، وأمددناهم بما شئنا من مال وولد وطول عمر، ونحو ذلك مما يوافق أهواءهم، لا لكرامتهم علينا، بل ربما يكون استدراجاً لهم من حيث لا يشعرون. السعدي: ٨٨٠.

السؤال: هل الفنى والفقر دليل على حب الله للعبد الفنى وبغضه للعبد الفقير؟

﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَاهِيُونَ ﴾

وعُجل العقاب لهم قبل التلبس بمنع الصدقة لأن عزمهم على المنع وتقاسمهم عليه حقق أنهم مانعون صدقاتهم فكانوا مانعين. ويؤخذ من الآية موعظة للذين لا يواسون بأموالهم. ابن عاشور: ٨٢/٢٩.

السؤال: لماذا عجل عقاب أصحاب الجنة بمجرد عزمهم وقبل التلبس بمنع الصدقة؟

﴿ وَغَدَا عَلَىٰ حَرِّ ذَرِيرٍ ﴾

عزموا على منع المساكين، وطلبوا حرمانهم ونكدهم وهم قادرون على نفهم، ففدوا بحال لا يقدرون فيها إلا على المنع والحرمان. الألوسي: ٣٦/١٥.

السؤال: ما الذي عجل بحرمان أهل الجنة المذكورة في الآية من جنتهم؟

﴿ بَلْ لَّعَنُوا حَمُولُونَ ﴾

حرمانا خيرها ونفعها بمنعها المساكين وتركنا الاستثناء. البغوي: ٤٥١/٤.

السؤال: ما سبب حرمانهم من هذا الخير؟

﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَّا أَقُلْ لَّكَوَلَا تُسَيِّحُوا ﴾

(أوسطهم): أفضلهم وأقربهم إلى الخير؛ وهو أحد الإخوة الثلاثة. والوسط يطلق على الأخير الأفضل؛ قال تعالى: (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً) [البقرة: ١٤٣]؛ وقال: (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى) [البقرة: ٢٣٨]. ابن عاشور: ٨٦/٢٩.

السؤال: لماذا خص أوسطهم بالذكر؟

﴿ إِنَّ لِّلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾

تقريبهم دل على رضا سبحانه، ورضا صاحب الدار مطلوب قبل نظر الدار. البقاعي: ٣١٧/٢٠.

السؤال: ما دلالة قوله: (عند ربهم)؟

﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقِي وَيَذْعَبُونَ عَلَىٰ الْأَشْجُرِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾

عوقبوا بنقيض ما كانوا عليه؛ لما دُعوا إلى السجود في الدنيا وامتنعوا منه مع صحتهم وسلامتهم، كذلك عوقبوا بعدم قدرتهم عليه في الآخرة إذا تجلى الرب عز وجل، فيسجد له المؤمنون، ولا يستطيع أحد من الكافرين ولا المنافقين أن يسجد، بل يعود ظهر أحدهم طيقاً واحداً. ابن كثير: ٤٠٧/٤.

السؤال: لماذا منعوا من السجود في ذلك اليوم؟

إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذَا أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١﴾ وَلَا يَسْتَنْتَرُونَ ﴿٢﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَاهِيُونَ ﴿٣﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٤﴾ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿٥﴾ أَنِ اعْبُدُوا عَلٰى حَرْوٍ كُنَّا صُرَٰمِينَ ﴿٦﴾ فَأَنطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ ﴿٧﴾ أَن لَّا يَدْخُلَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ﴿٨﴾ وَغَدَا عَلَىٰ حَرٍّ ذَرِيرٍ ﴿٩﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَبَالُونَ ﴿١٠﴾ بَلْ لَّخُنٌّ مَّخْرُومُونَ ﴿١١﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَّا أَقُلْ لَّكَوَلَا تُسَيِّحُونَ ﴿١٢﴾ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٣﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَوْنَهُمْ ﴿١٤﴾ قَالُوا يَدْعُونَ لَكُمَا يَكُونُ لَكُمَا عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٥﴾ عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبَدِّلَنَا حَرْوًا فَيَنْهِيَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْغُرُوبِ ﴿١٦﴾ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴿١٨﴾ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿١٩﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٢٢﴾ أَمْ لَكُمْ أَعْمَلٌ عَلَيْتَا بَلِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْآزِمَةِ إِن لَّكُمْ لَمَّا تَحْكُمُونَ ﴿٢٣﴾ سَأَلَهُمْ أَنَّهُمْ يَدْلِكُ زَعِيمٌ ﴿٢٤﴾ أَمْ لَهُمْ شِرْكَاءُ فليأْتُوا شُرَكَاءَهُمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقِي وَيُذْعَبُونَ إِلَى الْأَشْجُرِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢٦﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
بَلَوْنَاهُمْ	اخْتَبَرْنَاهُمْ.
لَيَصْرِمُنَّهَا	لَيَقْطَعُنَّ شِمَارَ حَدِيدِهَا.
فَطَافَ عَلَيْهَا	أَحَادَ نَازِلًا عَلَيْهَا.
طَائِفٌ	نَازِلٌ أَحْرَقَهَا.
كَالصَّرِيمِ	كَالْثَلِيلِ الْمُظْلِمِ.
صَارِمِينَ	مُصْرِمِينَ عَلَى قَطْعِ الثَّمَارِ.
عَلَى حَرِّ	عَلَى قَصْبِهِمُ الشَّيْءِ فِي مَنَعِ الْمَسَاكِينِ.
رَاجِعُونَ	طَالِبُونَ الْخَيْرِ.
تَخَيَّرُونَ	تَشْتَهُونَ.
زَعِيمٌ	كَفِيلٌ وَضَامِنٌ بِأَن يَكُونَ لَهُمْ ذَلِكَ.

## ● العمل بالآيات

١. تصديق على أحد المساكين، ﴿ أَن لَّا يَدْخُلَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ﴾.
٢. قل: «لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين»، ﴿ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾.
٣. صل ركعتين وأطل فيها السجود، وادع الله أن يحسن وقوفه بين يديه، ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقِي وَيُذْعَبُونَ إِلَى الْأَشْجُرِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾.

## ● التوجيهات

١. الدنيا دار ابتلاء وامتحان، ﴿ إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ ﴾.
٢. الاعتراف بالذنوب أول طريق النجاة، ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَوْنَهُمْ ﴾.
٣. استشعار عظيم العذاب للمكذبين وعظيم النعيم للمتقين، ﴿ كَذَلِكَ الْمَثَلُ لِمَنْ لَّا يَخْشَى الْآخِرَةَ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾.

وقيل: كانوا من أهل الحيشة، وكان أبوهم قد خلف لهم هذه الجنة، وكانوا من أهل الكتاب، وقد كان أبوهم يسير فيها سيرة حسنة، فكان ما استغله<sup>(١)</sup> منها يرد فيها ما تحتاج إليه، ويدخر لعياله قوت ستهم، ويتصدق بالفاضل. فلما مات ورثه بنوه، قالوا: لقد كان أبونا أحمق إذ كان يصرف من هذه شيئاً للفقراء، ولو أننا منعناهم لتوفر ذلك علينا. فلما عزموا على ذلك غُويوا بقبض قصدهم، فأذهب الله ما بأيديهم بالكلية؛ رأس المال والريح والصدقة، فلم يبق لهم شيء.

﴿كَذَلِكَ الْعَذَابُ﴾ أي: هكذا عذاب من خالف أمر الله، ويخل بما آتاه الله وأنعم به عليه، ومنع حق المسكين والفقير وذوي الحاجات، ويدل نعمة الله كفرًا، ﴿وَلَوْلَئِكَ الْآخِرَةُ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أي: هذه عقوبة الدنيا كما سمعتم، وعذاب الآخرة أشق.

الآية (٣٤-٤١): لما ذكر تعالى حال أهل الجنة الدنيوية، وما أصابهم فيها من النعمة حين عصوا الله ﷻ، وخالفوا أمره، بين أن لمن اتقاه وأطاعه في الدار الآخرة جنات النعيم التي لا تبعد ولا تفرغ ولا ينقضي نعيمها. ﴿أَتَنْتَعِلُ الْتَّيْبِينَ الْكَاذِبِينَ؟﴾ أي: أنساي بين هؤلاء وهؤلاء في الجزاء؟! كلا ورب الأرض والسماء؛ ولهذا قال: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ؟﴾ أي: كيف تظنون ذلك؟! قال: ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ؟﴾ ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهَا لَأَنْبَاءً لَكُمْ تَعَزَّلُونَ﴾ يقول: أبايديكم كتاب منزل من السماء تدرسونه وتحفظونه وتتداولونه بنقل الخلف عن السلف، مُتَضَمِّنٌ حكماً مؤكداً كما تدعون؟ إن لكم فيه ما تخبرون! ﴿أَمْ لَكُمْ آيَاتُنَا عَيْنًا يَلْقَاهُ الْبَصِيرُ الْيَقِينُ؟﴾ أي: أمعكم عهود منا ومواثيق مؤكدة، ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهَا لَأَنْبَاءً لَكُمْ تَعَزَّلُونَ﴾ أي: إنه سيحصل لكم ما تريدون وتشتنون، ﴿سَلَامٌ أَتَاهُمْ بِذَلِكَ رَحِيمٌ؟﴾ أي: قل لهم: من هو المتضمن المتكفل بهذا؟ ﴿أَمْ لَمْ شُرَكَاءُ﴾ أي: من الأصنام والأنداد، ﴿يَقِيَانُوا يَشْرِكُوا بِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾.

الآية (٤٢): لما ذكر تعالى أن للمؤمنين عند ربهم جنات النعيم، بين متى ذلك كائن وواقع، فقال: ﴿يَوْمَ يَكْتَفَى عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى الشُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ يعني: يوم القيامة وما يكون فيه من الأحوال والزلازل والبلاء والامتحان والأمور العظام. وعن أبي سعيد الخدري قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «يكشف ربنا عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة، فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً». وهذا الحديث خرج في الصحيحين وفي غيرهما من طرق، وله ألفاظ، وهو حديث طويل مشهور. وعن ابن عباس قال: هو يوم كرب وشدة. وقال مجاهد: شدة الأمر. وقال علي بن أبي طلحة: عن ابن عباس: هو الأمر الشديد المقطع من الهول يوم القيامة.

الآية (١٧-٣٣): هذا مثل صَرَّبه الله تعالى لكفار قريش فيما أهدى إليهم من الرحمة العظيمة، وأعطاهم من النعم الجسيمة، وهو بعثة محمد ﷺ إليهم، فقابلوه بالكذب والرد والمحاربة؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّا لَنَنْبِتُهُمْ﴾ أي: اخترناهم، ﴿كَمَا نَبَاتْنَا أَنْصَبَ الْجَنَّةِ﴾ وهي البستان المشتمل على أنواع الثمار والفواكه ﴿إِذْ أَقْتَمُوا بِعِزِّهَا مُصِيبِينَ﴾ أي: حلفوا فيها بينهم ليحذرن ثمرها ليلًا؛ لئلا يعلم بهم فقير ولا سائل، ليتوفر ثمرها عليهم ولا يتصدقوا منه بشيء، ﴿وَلَا تَسْتَوُونَ﴾ أي: فيها حلفوا به. ولهذا حَثَّهم الله في آياتهم فقال: ﴿فَلَا تَعْلَمُ أَطَافُتُ مِنْ رَبِّكَ وَهَرُ تَأْتِيهِمْ﴾ أي: أصابتها آفة ساوية، ﴿فَأَسْبَحَتِ الْكَافِرِينَ﴾ قال ابن عباس: أي: كالليل الأسود. وقال الثوري والسدي: مثل الزرع إذا حُصِد، أي: هشيأ ييسأ. ﴿فَتَنَادُوا مُصِيبِينَ﴾ أي: لما كان وقت الصبح نادى بعضهم بعضاً ليهبوا إلى الجذاد، أي: القطع ﴿أَوِ اتَّقُوا عَلَى تَرْكِكُمْ كُنْتُمْ سَرِيمِينَ﴾ أي: تريدون الصرام. ﴿فَأَطْلَقُوا وَهَرُ يَنْتَفُونَ﴾ أي: يتناجون فيما بينهم بحيث لا يُسمعون أحداً كلامهم. ثم فسر الله عالم السر والنحو ما كانوا يخافون به، فقال: ﴿فَأَطْلَقُوا وَهَرُ يَنْتَفُونَ﴾ ﴿أَنْ لَا يَدْخُلَهَا الْيَوْمَ عَيْتُكَ تَسْكِينٌ﴾ أي: يقول بعضهم لبعض: لا تمكنا اليوم فقيراً يدخلها عليكم! قال تعالى: ﴿وَعَذَابُ عَذَابٍ﴾ أي: قوة وشدة. وقال مجاهد: أي: جد. وقال عكرمة: غيظ. وقال الشعبي: على المساكين. ﴿قَدِيرِينَ﴾ أي: عليها فيما يزعمون ويرومون. ﴿فَقَارَأُوا مَا نَالُوا إِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ أي: فلما وصلوا إليها وأشرفوا عليها، وهي على الحالة التي قال الله ﷻ، قد استحالت عن تلك النظارة والزهرة وكثرة الثمار إلى أن صارت سوداء مُدْفِئَةً، لا يتفع بشيء منها، فاعتقدوا أنهم قد أخطوا الطريق؛ ولهذا قالوا: ﴿إِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ أي: قد سلطنا إليها غير الطريق فنهنا عنها. قاله ابن عباس: ثم رجعوا عما كانوا فيه، ويتقنوا أنها هي فقالوا: ﴿بَلْ نَحْنُ غَرُومُونَ﴾ أي: بل هذه هي، ولكن نحن لا حَظَّ لنا ولا نصيب. ﴿قَالَ أَوْسَطُ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير: أي: أعدلهم وخيرهم. ﴿أَوَّلَ لَكْرٍ وَلَا تَسْتَوُونَ﴾ أي: قال مجاهد والسدي: ﴿وَلَا تَسْتَوُونَ﴾ أي: لولا تستنون. قال السدي: وكان استنناؤهم في ذلك الزمان تسبيحاً. وقال ابن جريج: هو قول القاتل: إن شاء الله. وقيل: معناه: أي: هلاً تسبحون الله وتشكرونه على ما أعطاكم وأنعم به عليكم.

﴿قَالُوا سُبْحَنَ رَبَّنَا إِنَّا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ أي: اتوا بالطاعة حيث لا تنفع، وندموا واعترفوا حيث لا ينفع؛ ولهذا قالوا: ﴿إِنَّا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾. ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتْلُونَ﴾ أي: يلوم بعضهم بعضاً على ما كانوا أصروا عليه من منع المساكين من حق الجذاد، فلما كان جواب بعضهم لبعض إلا الاعتراف بالخطيئة والذنب، ﴿قَالُوا يَوَيْلَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ أي: اعتدنا وبغينا وطغنا وجاوزنا الحد حتى أصابنا ما أصابنا، ﴿عَنْ رَبِّنَا أَنْ يَبْدُلَ عَذَابَكُنَا بِمَا إِنَّا كُنَّا نَبَارِعُوهُ﴾ قيل: رغبوا في بدلها لهم في الدنيا. وقيل: احتسبوا ثوابها في الدار الآخرة.

ثم قد ذكر بعض السلف أن هؤلاء قد كانوا من أهل اليمن.

(١) استغله: من الغلَّة؛ وهي: الدخل من فائدة أرض. [ينظر: القاموس المحيط، مادة (غلل)]. فمعنى (ما استغله) أي: ما جمع غلته.



قال ابن عباس ومجاهد: لَيْتُشُونُكَ بأبصارهم، أي: يعينونك بأبصارهم، بمعنى: بمحسبك لبغضهم إياك، لولا وقاية الله لك وحايته إياك منهم. وفي هذه الآية دليل على أن العين إصابته وتأثيرها حق، بأمر الله ﷻ؛ كما وردت بذلك الأحاديث المروية من طرق متعددة كثيرة: عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «العين حق، ولو كان شيء سابق القدر سبقَت العين، وإذا استغسلتم فاغسلوا» [رواه مسلم]. وعن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يُعَوِّذُ الحسن والحسين، يقول: «أعذكما بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لائمة» [رواه البخاري]. وعن أبي سعيد: أن جبريل أتى رسول الله ﷺ فقال: اشتكت يا محمد؟ قال: «نعم». قال: باسم الله أريقك، من كل شيء يؤذيك، من شر كل نفس وعين، يشفيك، باسم الله أريقك [رواه مسلم وأحمد واللفظ له]. «وَيُؤْثِرُونَ أَنفُسَهُمْ لِيَكُونَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» [سورة النور: ٢٤]، أي: يذرونه بأسعينهم ويؤذونه بالستهم، ويقولون: «إِنَّهُ لَيَكُونُ» أي: لمجسه بالقرآن، قال الله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾.

### تفسير سورة الحاقه

وهي مكية، [وعدد آياتها (٥٢) آية].

الآية (١-٤): الحاقه من أساء يوم القيامة؛ لأن فيها يتحقق الوعد والوعيد؛ ولهذا عظم تعالى أمرها فقال: ﴿وَمَا آذَنُكَ مَا الْحَاقَّةُ؟﴾ الآية (٥): ذكر تعالى إهلاكه الأمم المكذبين بها فقال: ﴿فَأَنَّا نَسُودُ فَأُفِيكُرًا بِالطَّاغِيَةِ﴾ وهي الصيحة التي أسكتهم، والزلزلة التي أسكتهم. هكذا قال قتادة. وهو اختيار ابن جرير. وقال مجاهد: الطاغية: الذنوب. وكذا قال الربيع بن أنس: إنها الطغيان. وقال السدي: ﴿فَأُفِيكُرًا بِالطَّاغِيَةِ﴾ يعني: عاقر الناقة.

الآية (٦-٧): ﴿وَأَنَّا عَادًا فَأُفِيكُرًا بِرِيحٍ سَرَّارٍ﴾ أي: باردة. قال قتادة والسدي: ﴿عَائِيَةٍ﴾ أي: شديدة الهبوب. قال قتادة: عت عليهم حتى نَقَبَتْ عن أثدتهم. وقال الضحاك: ﴿سَرَّارٍ﴾ باردة ﴿عَائِيَةٍ﴾ عت عليهم بغير رحمة ولا بركة. وقال علي: عت على الخزنة فخرجت بغير حساب. ﴿سَرَّارًا عَلَيْهِمْ﴾ أي: سلطها عليهم ﴿سَرَّحَ لِيَالٍ وَكُنِينَةَ آيَاتٍ حُسُومًا﴾ أي: كوامل متابعات مشائيم. قال ابن مسعود وابن عباس: ﴿حُسُومًا﴾ متابعات. ويقال: إنها التي تسميها الناس الأعجاز؛ كأن الناس أخذوا ذلك من قوله: ﴿فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى أَهْلَهُمْ عِجَابًا تُحَالِي حَاوِيَةٍ﴾. وقيل: لأنها تكون في عجز الشتاء. قال ابن عباس: ﴿حَاوِيَةٍ﴾ خربة. وقال غيره: بالية، أي: جعلت الريح تضرب بأحدهم الأرض فيخرب ميتاً على أم رأسه، فينشدخ رأسه وتبقى جثته هامة كأنها قائمة النخلة إذا خَرَّتْ بلا أغصان. وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «نُصِرْتُ بِالصَّبَا، وأهلك عَادٌ بِالْذَّبُورِ» [متفق عليه].

الآية (٨): ﴿فَهَلْ رَأَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ؟﴾ أي: هل تحس منهم من أحد من بقاياهم أو ممن يتسبب إليهم؟! بل بادوا عن آخرهم ولم يجعل الله لهم خلفاً.

الآية (٤٣-٤٥): ﴿خَبِيرَةً أَنذَرْنَاهُمْ رَبُّهُمْ ذَلَّةٌ وَكُنُوزٌ لَا يَدْعُونَ إِلَى الشُّجْرِ وَهُمْ سَلِيلُونَ﴾ أي: في الدار الآخرة بإجرامهم وتكبرهم في الدنيا، فعوقبوا بنقيض ما كانوا عليه. ولما دُعُوا إلى السجود في الدنيا فامتنعوا منه مع صحتهم وسلامتهم، كذلك عوقبوا بعدم قدرتهم عليه في الآخرة إذا تجلَّى الرب ﷻ فسجد له المؤمنون، لا يستطيع أحد من الكافرين ولا المنافقين أن يسجد، بل يعود ظهر أحدهم طبقاً واحداً، كلما أراد أحدهم أن يسجد خَرَّ لِقَفَاهُ، عكس السجود، كما كانوا في الدنيا، بخلاف ما عليه المؤمنون.

﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبْ يَدْعَا إِلَى الْخَبَرِ﴾ يعني: القرآن. وهذا تهديد شديد، أي: دعني وإياه مني ومنه، أنا أعلم به كيف أستدرجه، وأثمه في غيِّه وأنظره ثم أخذه أخذ عزيز مقتدر؛ ولهذا قال: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: وهم لا يشعرون، بل يعتقدون أن ذلك من الله كرامة، وهو في نفس الأمر إهانة؛ كما قال: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّنَا نُنِذِرُهُمْ بِدِينِ مَالٍ وَبَيْنَ ۖ شَآئِخٍ لَّهُمْ فِي الْكَيْدِ بَلَّ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٥-٥٦]، وقال: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ مَحْجَىٰ إِذَا فِرَاحًا يَمَآ أَوْفَا ۚ أَخَذْنَاهُمْ مِّنْهُم مَّثَلُومِينَ﴾ [الأنعام: ٤٤]. ولهذا قال ههنا: ﴿وَأَنَّا لَكَاذِبِينَ﴾ أي: وأوخرهم وأنظرهم وأمددهم، وذلك من كيدي ومكري بهم؛ ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدِي مِتْنٌ﴾ أي: عظيم لمن خالف أمري، وكذب رسلي، واجترأ على مصيبي. وفي الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الله ليُمْلِي للظالم، حتى إذا أخذه لم يفلته». ثم قرأ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخَذَ رَبُّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرْآنَ وَهِيَ ظُلُمَةٌ إِنَّ أَصْحَابَهُ لَشَرِيدُونَ﴾ [مجاد: ١٠٢].

الآية (٤٦-٤٧): ﴿أَمْ سَتُلْمَسُهُمْ أَخْرَفَهُمْ مِنْ قَمَرٍ مُّثْقَلُونَ﴾ ① أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكِيدُونَ؟ تقدم تفسيرهما في سورة «الطور» ①. والمعنى في ذلك: أنك يا محمد تدعوهم إلى الله ﷻ، بلا أجر تأخذه منهم، بل ترجو ثواب ذلك عند الله ﷻ، وهم يكذبون بما جنتهم به، بمجرد الجهل والكفر والعناد.

الآية (٤٨-٥٠): يقول: ﴿فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ يا محمد على أذى قومك لك وتكذيبهم؛ فإن الله سيحكم لك عليهم، ويجعل العقاب لك ولاخباك في الدنيا والآخرة، ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْأُتُورِ﴾ يعني: ذا النون، وهو يونس بن متى عليه السلام، حين ذهب مُغَاصِبًا على قومه، فكان من أمره ما كان من ركوبه في البحر والتقام الحوت له، وشرود الحوت به في البحار وظلمات غمرات اليم، وساعاه تسيب البحر بما فيه للعلل القدير، الذي لا يَرُدُّ ما أُنْفِلَهُ من التقدير، فيجئته نادى في الظلمات: ﴿أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ۚ فَاعْبُدْنِي﴾ [سورة الأنبياء: ٨٧]. ﴿إِذْ نَادَىٰ وَمَوْمَكُظْمٌ﴾ قال ابن عباس ومجاهد والسدي: وهو مغموم. وقال عطاء الخراساني: مكروب. وعن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «لا ينبغي لأحد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى» [رواه البخاري].

الآية (٥١-٥٢): ﴿وَأَن يَكْذِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيَرْفُؤَنَّكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَجَعُوا لِذِكْرِكَ﴾





القاموس  
القرآني

## ● الوقفات التحذيرية

﴿وَيَبَيِّنُ أَذُنَ رَجُلٍ﴾

فالوعي توصف به الأذن كما يوصف به القلب: يقال: قلب واع، وأذن واعية: يما بين الأذن والقلب من الارتباط: فالعلم يدخل من الأذن إلى القلب، فهي بابها والرسول والموصل إليه العلم، كما أن اللسان رسوله المؤدي عنه. ومن عرف ارتباط الجوارح بالقلب علم أن الأذن أحقها أن توصف بالوعي، وأنها إذا وعيت وعى القلب. ابن القيم: ١٨٩/٣.

السؤال: ما سبب وصف الأذن بالواعية؟

﴿يَسْمَعُ لَكُمْ تَكْوِينَ وَبَيِّنُ أَذُنَ رَجُلٍ﴾

والوعي: العلم بالمسموعات، أي: وتعلم خبرها أذن موصوفة بالوعي، أي: من شأنها أن تعي. وهذا تعريض بالمشركون: إذ لم يتعلموا خبر الطوفان والسفينة التي نجا بها المؤمنون، فلتقوه كما يتلقون القصص الفكاهية. ابن عاشور: ١٢٣/٢٩.

السؤال: في الآية تعريض بالمشركون، وضح.

﴿إِنِّي كُنْتُ أَنَّى مَلَكِي حَسْبِي﴾

كلما كان الإنسان أعلى كان الاستشعار والنقص من نفسه أكثر ... يكفي العاقل في الخوف الحامل له على العمل. البقاعي: ٣٦٢/٢٠.

السؤال: ما علامة كمال العقل عند الانسان؟

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْفَالِغَةِ﴾

وثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: (من يدخل الجنة أحد بعمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمته منه وفضل). ابن تيمية: ٣٨٨/٦.

السؤال: متى ينفع العمل الصالح صاحبه؟

﴿تَرَفِّي سَلِيلَهُ دَرَعًا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ (٣٢) ﴿إِنَّمَا كَانَ لَبِؤُسًا بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾ (٣٣) وَلَا يَحْصُرُ عَلَى طَعَامِ الْيَتَامَى

كان أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه يحضر امراته على تكثير المرق لأجل المساكين، ويقول: خلعتنا نصف السلسلة بالإيمان أفلا نخلع نصفها. اقتبس ذلك من الآية. الألوسي: ٥٧/١٥.

السؤال: ما جزاء الإيمان والنفقة على المساكين إذا اجتمعا في المؤمن؟

﴿وَلَا يَحْصُرُ عَلَى طَعَامِ الْيَتَامَى﴾

ووصفه بأنه (لا يحصر على طعام المسكين) يدل على أنه لا يطعمه من باب أولى، وهذه الآية تدل على عظم الصدقة وفضلها: لأنه قرن منع طعام المسكين بالكفر بالله. ابن جزي: ٤٩٤/٢.

السؤال: كيف دلت الآية على عظم الصدقة؟

﴿إِنَّمَا كَانَ لَبِؤُسًا بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾ (٣٣) وَلَا يَحْصُرُ عَلَى طَعَامِ الْيَتَامَى

لأن مدار السعادة ومادتها امران: الإخلاص لله، الذي أصله الإيمان بالله، والإحسان إلى الخلق بوجوه الإحسان، الذي من أعظمها دفع ضرورة المحتاجين بإطعامهم ما يتقوتون به، وهؤلاء لا إخلاص ولا إحسان، فلذلك استحقوا ما استحقوا. السعدي: ٨٨٤.

السؤال: لماذا وُصِفَ أهل الشقاء بأنهم لا يؤمنون بالله العظيم ولا يحضون على طعام المسكين؟

سورة النازعات

الجزء التاسع والعشرون

وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ ﴿١﴾ فَعَصُوا أَمْرًا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَاغْرَقْنَاهُمْ كَذِبًا ﴿٢﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلَتُ كُرْسِيُّ الْخَارِجَةِ ﴿٣﴾ لِنَجْعَلَهَا لُكُورًا ذِكْرًا وَنَعْبَهَا أَذُنًا وَعِيَةً ﴿٤﴾ وَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿٥﴾ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴿٦﴾ فَيَوْمَ يَذَرُوعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿٧﴾ وَاسْتَقْبَتِ السَّمَاءُ فِيهِ يُومِيزُ وَاهِيَةً ﴿٨﴾ وَالْمَلَائِكَةُ عَلَى أَجْنَابِهَا هُمُومٌ عَلَى عَرْشِ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمِيزُ تَمَنِيَةً ﴿٩﴾ يُومِيزُ نَعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٠﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوْفِيَ كِتَابَهُ بِرِسْمٍ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُ وَالْكَذِيبَةُ ﴿١١﴾ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْكٌ حَسْبَاسِيَّةٌ ﴿١٢﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿١٣﴾ فِي حَظِّهِ عَالِيَةٌ ﴿١٤﴾ فَطُورُهَا دَانِيَةٌ ﴿١٥﴾ كُلُّوا وَاشْرَبُوا وَهَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوْفِيَ كِتَابَهُ بِرِسْمٍ فَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَأَرْوُتَ كَذِيبَةً ﴿١٧﴾ وَلَوْلَا ذِمَّةُ حَسْبَاسِيَّةٍ ﴿١٨﴾ يَلَيْتَنِي مَا كُنْتُ الْفَاسِيَّةِ ﴿١٩﴾ مَا أَتَى عَلَى مَالِيَةٍ ﴿٢٠﴾ هَاكِ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ ﴿٢١﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٢٣﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٢٤﴾ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٢٥﴾ وَلَا يَحْصُرُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿٢٦﴾ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ﴿٢٧﴾

٥٦٧

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
وَالْمُؤْتَفِكَاتُ	أهل قرى قوم لوط الذين انقلبَت بهم ديارهم.
بِالْخَاطِئَةِ	بِالْفَعْلَاتِ ذَاتِ الْخَطِئِ الْجَسِيمِ.
رَاضِيَةً	بِالْفَعْلِ فِي الشُّدَّةِ.
وَاهِيَةً	ضَعِيفَةً، مُسْتَرْخِيَةً.
هَؤُلَاءِ	هَؤُلَاءِ.
فَقُلُّوهُ	اجْعَمُوا يَدَيْهِ إِلَى عُنُقِهِ بِالْأَغْلَالِ.
صَلُّوهُ	أَدْخِلُوهُ، وَأَحْرِقُوهُ بِهَا.
ذَرْعُهَا	طُولُهَا بِذِرَاعِ الْمَلِكِ.

## ● العمل بالآيات

- ادع الله أن تأخذ كتابك باليمين يوم القيامة، ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْفِيَ كِتَابَهُ بِرِسْمٍ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُ وَالْكَذِيبَةُ﴾.
- لصدق بصدقة، ﴿مَا أَتَى عَلَى مَالِيَةٍ﴾.
- أطعم مسكيناً، ﴿وَلَا يَحْصُرُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾.

## ● التوجيهات

- ترك معاصي الخلوات فالله لا تخفى عليه خافية، ﴿إِنِّي كُنْتُ أَنَّى مَلَكِي حَسْبِي﴾.
- التذكير بشدة أهوال يوم القيامة، ﴿وَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾.
- المال والسلطان لا يغنيان عن العبد شيئاً إذا نزل به عذاب الله تعالى، ﴿مَا أَتَى عَلَى مَالِيَةٍ﴾ (١٨) هَاكِ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ (٢٠) خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٢١).

الآية (١٨): ﴿يَوْمَئِذٍ تُمْرُسُونَ لَا تَخَفُ سَكْرَ خَافَةٍ﴾ أي: تعرضون على عالم السر والتجوى الذي لا يخفى عليه شيء من أموركم، بل هو عالم بالظواهر والسرائر والضمائر.

الآية (١٩-٢٤): يخبر تعالى عن سعادة من أوتي كتابه يوم القيامة بيمينه، وفرحه بذلك، وأنه من شدة فرحه يقول لكل من لقيه: ﴿هَؤُومٌ أَقْرَبُوا كِتَابِي﴾ أي: خذوا اقْرؤوا كتابي؛ لأنه يعلم أن الذي فيه خير وحسنات حمضة؛ لأنه ممن بَدَّلَ الله سيئاته حسنات. ﴿إِنِّي كُنْتُ مِنَ الْمُنْتَفِينَ﴾ أي: قد كنت موقناً في الدنيا أن هذا اليوم كائن لا محالة؛ كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتْلُونَ آيَاتِهِمْ مُّلتَقُوا رَبَّهُمْ﴾ [البقرة: ٤٦]. ﴿فَبِمَا يَشَاءُ رَبِّهِمْ﴾ أي: مرضية، ﴿فِي حُكْمٍ عَالِيكَ﴾ أي: رفيعة قصورها، حسان حورها، نعمة دورها، دائم جهورها. وقد ثبت في الصحيح: «إن الجنة مائة درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض» [متفق عليه]. ﴿فَقُورُهَا دَائِيَّةٌ﴾ قال البراء بن عازب: أي: قرية، يتناولها أحدهم وهو نائم على سريره. ﴿كُورٌ وَأَنْتَرُوا هَيْتًا يَمَّا اسْتَلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْأُولَى﴾ أي: يقال لهم ذلك؛ تفضلاً عليهم، وامتناناً وإنعاماً وإحساناً. وإلا فقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «اعملوا وَاَسْتَدُوا وَقَارِبُوا واعلموا أن أحداً منكم لن يَدْخُلَ عمله الجنة». قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟! قال: «ولا أنا، إلا أن يتخمدني الله برحمة منه وفضل» [متفق عليه].

الآية (٢٥-٣٤): هذا إخبار عن حال الأشقياء إذا أُعْطِيَ أحدهم كتابه في العَرَصات بشأله، فحينئذ يندم غاية الندم: ﴿يَقُولُ يَتَنَبَّأُ لِرَأْسِ كِتَابِي﴾ ﴿وَلَا أَدْرِي مَا كِتَابِي﴾ ﴿يَتَنَبَّأُ كَأَنَّهُ الْقَائِيَّةُ﴾. قال الضحاك: يعني موته لا حياة بعدها. وقال قتادة: غنى الموت، ولم يكن شيء في الدنيا أكره إليه منه. ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِي﴾ ﴿هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِي﴾ أي: لم يدفع عني مالي ولا جاهي عذاب الله وبأسه، بل خَلَصَ الأمر إليّ وحدي، فلا معين لي ولا مجير. فعندها يقول الله ﷻ: ﴿عَذُّوْهُمُ قُلُوبُهُمْ رُكْلَاصٌ لَهُمْ﴾ أي: يأمر الزبانية أن تأخذه عُنُقًا من المحشر، فَتَقْلَهُ، أي: تضع الأغلال في عنقه، ثم تُورده إلى جهنم فتصلبه إياها، أي: تغمره فيها. ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوْهُ﴾ عن ابن عباس وابن جريج: بذراع الملك. وقال ابن عباس: ﴿فَاسْلُكُوْهُ﴾ تدخل في استه ثم تخرج من فيه، ثم ينظّمون فيها كما ينظّم الجراد في العود حين يشوي، عن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أن رَصَاصَةً مثل هذه - وأشار إلى مثل مُجْجَمَةٍ - أُرْسِلَتْ مِنَ السَّاءِ إِلَى الْأَرْضِ، وهي مسيرة خمسمائة سنة، لَكَلَّفْتُ الْأَرْضَ قَبْلَ اللَّيْلِ، ولو أنها أُرْسِلَتْ من رأس السِّلْسِلَةِ، لَسَارَتْ أَرْبَعِينَ خَرِيفًا، اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، قَبْلَ أَنْ تَبْلُغَ أَصْلَهَا، أَوْ قَعْرَهَا» [رواه أحمد وصححه إسناداً أحمد شاكر]. ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾ ﴿وَلَا يَحْضُرُ عَلَى طَعَامِ الْيَتَامَى﴾ أي: لا يقوم بحق الله عليه من طاعته وعبادته، ولا ينفع خلقه ويؤذي حقهم؛ فإن الله على العباد أن يوحدوه ولا يشركوا به شيئاً، وللعباد بعضهم على بعض الإحسان والمعاونة على البر والتقوى؛ ولهذا أمر الله بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وقَبُضَ النبي ﷺ وهو يقول: «الصلاة، وما ملكت أيمانكم» [رواه أحمد وأبو داود، وصححه إسناداً أحمد شاكر].

الآية (٣٥): ﴿فَلْيَنْتَهِ لَأَيَّامٍ هُنَّ كَثِيرٌ﴾ أي: ليس له اليوم من ينقذه من عذاب الله، لا حميم - وهو القريب - ولا شفيع يطاع.

الآية (٩-١٠): ﴿وَجَاءَ زَعْوَنٌ وَمَنْ قَبْلَهُ﴾ قُرئ بكسر القاف، أي: ومن عنده في زمانه من أتباعه من كفار القبط. وقرأ آخرون بفتحها، أي: ومن قبله من الأمم المشبهين له. ﴿وَالْتَوَيْتُكَتْ﴾ وهم المكذِبون بالرسول ﴿فَالْخَاطِئَةُ﴾ أي: بالفعللة الخاطئة، وهي التكذيب بما أنزل الله. قال الربيع: ﴿فَالْخَاطِئَةُ﴾ أي: بالمعصية. وقال مجاهد: بالخطايا. ولهذا قال: ﴿نَعَصَرًا رَّسُولَ رَبِّهِمْ﴾ وهذا جنس، أي: كُلُّ كَذَبٍ رسول الله إليهم؛ كما قال: ﴿كُلُّ كَذَبٍ الرَّسُولُ هُوَ وَبَدِ﴾ [آ: ١٤]. ومن كَذَبَ رسول الله فقد كَذَبَ بالجميع؛ كما قال: ﴿كَذَبَتْ قَوْمٌ نُّوحَ الرَّسُولِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٥]. ﴿كَذَبَتْ عَادُ الرَّسُولِينَ﴾ [الشعراء: ١٢٣]. ﴿كَذَبَتْ ثَمُودُ النَّارِثِينَ﴾ [الشعراء: ١٤١]. وإنا جاء إلى كل أمة رسول واحد. ﴿نَعَصَرًا رَّسُولَ رَبِّهِمْ فَأَعْدَهُمْ أَخَذَهُ رَأْيَهُ﴾ أي: عظيمة شديدة اليمّة. قال مجاهد: شديدة. وقال السُّدِّي: مهلكة.

الآية (١١-١٢): ﴿إِنَّا لَنَّا كَلَمًا لَّمَّا﴾ أي: زاد على الحد بإذن الله وارتفع على الوجود. قال ابن عباس: ﴿كَلَمًا لَّمَّا﴾ كثر؛ وذلك بسبب دعوة نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ على قومه حين كذبوه وخالفوه، فعبدوا غير الله فاستجاب الله له، وعَمَّ أهل الأرض بالطوفان إلا من كان مع نوح في السفينة، فالتاس كلهم من سلالة نوح وذريته. ولهذا قال مُتَمَّا على الناس: ﴿إِنَّا لَنَّا كَلَمًا لَّمَّا حَمَلْنَاكَ فِي بَلَابِيَّةٍ﴾ وهي السفينة الجارية على وجه الماء. ﴿وَلِنَجِّنَا لَكَ نَذْرُكَ﴾ أي: وأبقينا لكم من جنسنا ما تركبون على تيار الماء في البحار، وقال قتادة: أبقى الله السفينة حتى أدرَكها أوائل هذه الأمة. والأول أظهر؛ ولهذا قال: ﴿وَنَبِيَّهَا أَذْنُ رِجَةٍ﴾ أي: وتفهم هذه النعمة، وتذكرها أذن واعية. قال ابن عباس: حافظة سامعة. وقال قتادة: عقلت عن الله فانفتحت بما سمعت من كتاب الله. وقال الضحاك: سمعتها أذن ووعت. أي: من له سمع صحيح وعقل رجيح. وهذا عام فيمن فهم ووعى.

الآية (١٣-١٧): يقول تعالى مخبراً عن أهوال يوم القيامة، وأول ذلك نفخة الفزع، ثم يعقبها نفخة الصعق حين يصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله، ثم بعدها نفخة القيام لرب العالمين والبعث والنشور، وهي هذه النفخة. وقد أَعْدَهَا ههنا بأنها واحدة؛ لأن أمر الله لا يُخَالَفُ ولا يُتَأَنَّى، ولا يحتاج إلى تكرار وتأكيده؛ ولهذا قال ههنا: ﴿وَنُفِثَ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ ذُرَاكَاتٍ كَذِبَةٍ﴾ أي: فمُلَّتْ نَدَى الْأَدِيمِ الْمُكَاطِي، وَتَبَدَّلَتِ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ، ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ أي: قامت القيامة. ﴿وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ قال ابن جريج: هي كقولها: ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ [التأني: ١٩]. وقال ابن عباس: منخرقة، والعرش بحذائنها. ﴿وَالسَّكَّابُ عَلَى أَرْجَائِهَا﴾ الملك: اسم جنس، أي: الملكة على أرجاء السماء. قال ابن عباس: على حافها. وقال الضحاك: أطرافها. وقال الحسن البصري: أبوابها. ﴿وَنُجِّلَ عَرْشُ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ نَّيْبَةً﴾ أي: يوم القيامة يحمل العرش ثمانية من الملكة. ويحتمل أن يكون المراد بهذا العرش العرش العظيم، أو: العرش الذي يوضع في الأرض يوم القيامة لفصل القضاء، والله أعلم بالصواب. وعن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «أَنْزَلْتُ لِي أَنْ أَحْدِثَكُمْ عَنْ مَلِكٍ مِنْ حَتَلَةِ الْعَرْشِ: يُعَدُّ مَا بَيْنَ شُحْمَةِ أَذْنِهِ وَعَقْفِهِ حَقَّقَ الطَّيْرُ سَبْعِمِائَةَ عَامٍ» وهذا إسناد جيد رجاله كلهم ثقات، وقد رواه أبو داود. [صححه الألباني].

(١) هذا الاستعمال عند ابن كثير يومهم وجود قول، ومقولته محذوف، أو أن هناك سقطاً. وكان مراده هنا: «يخبر تعالى عن أهوال يوم القيامة».

ابن الحارث بن كلدة. وقال العوفي: عن ابن عباس قال: ذلك سؤال الكفار عن عذاب الله وهو واقع. وقال مجاهد: دعا داع بعذاب واقع يقع في الآخرة. قال: وهو قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ أَلْحَقٌ مِنْ عَذَابِكَ فَأُمِئِرْ عَلَيْنَا جِسَارًا مِنْ النَّسْكِ أَوْ أَثْقِلْنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنعام: ٣٢]. وواقع ﴿لَا تُكْذِبِينَ﴾ أي: مُرْصِدٌ مُعَدٌّ للكافرين. وقال ابن عباس: وواقع جاء ﴿وَلَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾ أي: لا دافع له إذا أراد الله كونه. ﴿يَنْزِلُ اللَّهُ ذِي الْمَنَّانِ﴾ قال ابن عباس: ذو الدرجات. وقال: يعني: العلو والفاضل. وقال مجاهد: معارج السماء. وقال قتادة: ذي الفواضل والنعيم.

الآية (٤-٧): ﴿تَنْجُو أَلْمَلَكَةَ وَالرُّوحَ إِلَى﴾ قال قتادة: ﴿تَنْجُو﴾ تصعد. وأما الروح فقال أبو صالح: هم خلق من خلق الله يشبهون الناس، وليسوا ناسًا. قلت: ويحتمل أن يكون المراد به جبريل، ويكون من باب عطف الخاص على العام. ويحتمل أن يكون اسم جنس لأرواح بني آدم، فإنها إذا قُبِضَتْ يُصْعَدُ بها إلى السماء. قوله: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أن المراد بذلك مسافة ما بين العرش العظيم إلى أسفل السافلين، وهو قرار الأرض السابعة. القول الثاني: أن المراد بذلك مدة بقاء الدنيا منذ خلق الله هذا العالم إلى قيام الساعة. القول الثالث: أنه اليوم الفاصل بين الدنيا والآخرة، وهو قول غريب جدًا. القول الرابع: أن المراد بذلك يوم القيامة؛ عن أبي هريرة قال: قال ﷺ: «ما من صاحب كنز لا يؤدي حقه إلا جعل صفائح يحمى عليها في نار جهنم، فتكوى بها جبهته وجنبه وظهره، حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون» [رواه مسلم]. «فَأَصْبَرَ صَبْرًا حَسْبًا» أي: اصبر يا محمد على تكذيب قومك لك، واستعجالهم العذاب استبعادًا لوقوعه؛ كقوله: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ﴾ [السورة: ١٨]. «إِنَّهُمْ يَرْتَدُّوا مُعِيذًا» أي: وقوع العذاب وقيام الساعة يراه الكفرة بعيد الوقوع، بمعنى مستحيل الوقوع، «وَرَبُّهُ قَرِيبٌ» أي: المؤمنون يعتقدون كونه قريبًا، وإن كان له أمد لا يعلمه إلا الله ﷻ، لكن كل ما هو آت فهو قريب وواقع لا محالة.

الآية (٨-١٠): يقول تعالى: العذاب واقع بالكافرين ﴿يَوْمَ تَكُونُ الْأَنْسَاءُ كَالْهَيْلِ﴾ قال ابن عباس: ككُرْدِي الزيت. ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ أي: كالصوف المنفوش، قاله مجاهد كقوله تعالى: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ [الفارعة: ٥]. ﴿وَلَا يَنْتَلِ حِمْدٌ حَيْسًا ۝١٠﴾ بِصُرُوتِهِمْ. أي: لا يسأل القريب قريبه عن حاله، وهو يراه في أسوأ الأحوال، فتشغله نفسه عن غيره. قال ابن عباس: يعرف بعضهم بعضًا، ويتعارفون بينهم، ثم يفر بعضهم من بعض بعد ذلك، يقول: ﴿لِكُلِّ أَرَبٍ رَيْبٌ مِنْهُمْ بِمَنْزِلِ شَأْنِ يُونُسَ﴾ [عبس: ٣٧]. وهذه الآية الكريمة كقوله: ﴿فَلَا تَفْخِ فِي الْأُمُورِ فَلَا تُسَبِّحُ بِحَمْدِ يَوْمِئِذٍ وَلَا تَبْتَغِ عَنْهَا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [المؤمنون: ١٠١]

الآية (٣٦-٣٧): ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسَلِينَ﴾ ﴿لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾ لا طعام له هنا إلا من غسلين. قال قتادة: هو شر طعام أهل النار. وقال الربيع والضحاك: هو شجرة في جهنم. وقال ابن عباس: ما أدري ما الغسلين، ولكني أظنه الزقوم. وقال: الغسلين: الدم والماء يسيل من لحومهم. وعنه: الغسلين: صديد أهل النار.

الآية (٣٨-٥٢): يقول تعالى مُقْسِمًا خلقه بها يشاهدونه من آياته في مخلوقاته الدالة على كبراله في أسائه وصفاته، وما غاب عنهم مما لا يشاهدونه من الغيبات عنهم: إن القرآن كلامه ووحيه وتنزيله على عبده ورسوله، الذي اصطفاه لتبليغ الرسالة وأداء الأمانة، فقال: ﴿فَلَا أَقِيمُ يَوْمَ تَصِيرُونَ ۝٣٨﴾ وَمَا لَا تُصِيرُونَ ۝٣٩﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿يعني: محمدًا ﷺ أضافه إليه على معنى التبليغ؛ لأن الرسول من شأنه أن يبلغ عن المرسل؛ ولهذا أضافه في سورة التكوين إلى الرسول الملكي: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠﴾ مُطَاعٌ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿[التكوين: ١٩-٢١] وهذا جبريل عليه السلام. ﴿وَمَا هُوَ يَقُولُ سَيُكَلِّمُنِي رَجِيمٌ﴾ [التكوين: ٢٥]. وهكذا قال ههنا: ﴿وَمَا هُوَ يَقُولُ شَاعِرٌ قِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ ۝٢١﴾ وَلَا يَقُولُ كَافٍ قِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ فأضافه تارة إلى قوله الرسول الملكي، وتارة إلى الرسول البشري؛ لأن كلا منهما مبلغ عن الله ما استأمنه عليه من وحيه وكلامه؛ ولهذا قال: ﴿يُنْزِلُ مِنْ رَبِّكَ الْقُرْآنَ﴾.

﴿وَلَوْ نَفَعْنَا﴾ أي: محمد ﷺ لو كان كما يزعمون مفترًا علينا، فزاد في الرسالة أو نقص منها، أو قال شيئًا من عنده فنسبه إلينا -وليس كذلك- لعاجلناه بالعقوبة. ﴿لَاخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ قيل: معناه: لا نتقنما منه باليمين؛ لأنها أشد في البطش، وقيل: لأخذنا منه بيمينه. ﴿ثُمَّ لَقَطْنَا مِنْهُ الْفَوَاقِشَ﴾ قال ابن عباس: وهو نياط القلب، وهو العِرْقُ الذي القلب معلق فيه. ﴿فَنَسَخْنَاهُ مِنْهُ خَيْرَ حَسْرَةٍ﴾ أي: فما يقدر أحد منكم على أن يحجز بيننا وبينه إذا أردنا به شيئًا من ذلك. والمعنى في هذا: بل هو صادق بار راشد؛ لأن الله ﷻ مقرر له ما يبلغه عنه، مؤيد له بالمعجزات الباهرات والدلالات القاطعات. ﴿وَلَوْ أَنَّهُ لَذَكَوَّ لِلْعَيْنِينَ﴾ يعني: القرآن؛ كما قال: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَبُشْرَى وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ [الصافات: ٤٤]. ﴿وَأَنَّا لَعَلَّوْا أَن يَكُنْ تُكْذِبِينَ﴾ أي: مع هذا البيان والوضوح سيوجد منكم من يكذب بالقرآن. ﴿وَلَوْ أَنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ قال ابن جرير: وإن التكذيب لحسرة على الكافرين يوم القيامة. وعن أبي مالك: ﴿وَلَوْ أَنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ يقول: لندامة. ويحتمل عود الضمير على القرآن، أي: وإن القرآن والإيمان به لحسرة في نفس الأمر على الكافرين؛ كما قال: ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُتَجَرِّبِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ [الشعراء: ٢٠٠، ٢٠١]. ﴿وَلَوْ أَنَّهُ لَحَقَّ آلِيَّيْنٍ﴾ أي: الخبر الصدق الحق الذي لا مرة فيه، ولا شك ولا ريب. ﴿فَنَسَخَ بِأَمْرِ رَبِّكَ الْقُرْآنَ﴾ أي: الذي أنزل هذا القرآن العظيم.

... تفسير سورة سأل سائل ...

وهي مكية، [وعدد آياتها (٤٤) آية].  
الآية (١-٣): ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ فيه تضمين دل عليه حرف «الباء»، كأنه مُقَدَّر: يستعجل سائل بعذاب واقع؛ كقوله: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ [الحج: ٤٧]؛ أي: وعذابه واقع لا محالة. عن ابن عباس: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾



## ● الوقفات التدريبية

### ❶ ﴿ نَزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

ما تضمنه قوله: (تنزيل من رب العالمين) أن ربوبيته الكاملة لخلقه تابى أن يتركهم سدى: لا يامرهم، ولا ينههم، ولا يرشدهم إلى ما ينفعهم، ويحذرهم ما يضرهم، بل يتركهم هملاً بمنزلة الأنعام السائمة: فمن زعم ذلك لم يقدر رب العالمين قدره، ونسبه إلى ما لا يليق به تعالى. ابن القيم: ١٩١/٣.

السؤال: ما علامة ربوبيته الكاملة سبحانه وتعالى؟

### ❷ ﴿ وَإِنَّهُ لَنَذِيرٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴾

أي من العالمين: لأنهم المنتقمون به لإقبالهم عليه إقبال مستفيد. البقاعي: ٣٨٣/٢٠.

السؤال: لماذا خص التذكرة بالمتقين؟

### ❸ ﴿ فَأَصْبَرَ صَبْرًا جَبِيلًا ﴾

(فاصبر أي: على أذاهم. ولا ينفك ذلك عن تبليغهم؛ فإنك شارفت وقت الانتقام منهم أيها الفاتح الخاتم الذي لم يبين لأحد ما بينت على لسانه. والصبر: حبس النفس على المكروه. البقاعي: ٣٩٢/٢٠).

السؤال: هل يقتضي الصبر على الناس ترك دعوتهم؟ وضح ذلك.

### ❹ ﴿ فَأَصْبَرَ صَبْرًا جَبِيلًا ﴾

يعني: صبراً لا جزع فيه. الطبري: ٦٠٣/٢٣.

السؤال: ما معنى الصبر الجميل؟

### ❺ ﴿ إِنَّمَا يَرُوءَهُ بَرٌّ بَرًّا ۖ وَزَيْنٌ قَرِيبًا ﴾

والله يراه قريباً؛ لأنه رفيق حليم لا يعجل، ويعلم أنه لا بد أن يكون، وكل ما هوات فهو قريب السعدي: ٨٨٦.

السؤال: إنه مضى على نزول هذه الآية أكثر من ١٤٠٠ سنة فكيف يوصف

يوم القيامة بأنه قريب مع طول هذه المدة؟

### ❻ ﴿ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَلْ ۖ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴾

فإذا كان هذا القلق والانزعاج لهذه الأجرام الكبيرة الشديدة، فما ظنك بالعبء الضعيف الذي قد انقل ظهرك بالذنوب والأوزار. السعدي: ٨٨٦.

السؤال: ما فائدة ذكر تغير السماء والجبال؟

### ❼ ﴿ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴾

العهن هو الصوف، شبه الجبال به في انتفاشه وتخلخل أجزائه. ابن جزي: ٤٩٥/٢.

السؤال: بين وجه الشبه بين العهن والجبال يوم القيامة.

وَلَا طَعَامَ إِلَّا مِنْ غَسِيلِينَ ۚ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِطُونَ ۚ فَلَا أُفْسِرُ بِمَا يُفْسِرُونَ ۚ وَمَا أَكْثُرُونَ ۚ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۚ يَقُولُ شَاعِرٌ قَلِيلًا مَّا تَوْفُونُ ۚ وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ ۚ نَزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۚ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ۚ لَأَخَذْنَا مِمَّنْ بِلَاسٍ ۚ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ۚ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَكِيمِينَ ۚ وَإِنَّهُ لَتَذْكُرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ۚ وَلَنَنْتَعِلَنَّ أَنْ مِمَّنْ مُكْذِبِينَ ۚ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ۚ وَإِنَّهُ لَكَلِمٌ أَلِيمٌ ۚ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ۚ

سورة الحاقة: الفاتحة والعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۚ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ۚ مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ۚ تَعْرَجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۚ فَأَصْبَرَ صَبْرًا جَبِيلًا ۚ إِنَّهُمْ يَرُوءَهُ بَرًّا ۖ وَيَرْزُقُهُ قَرِيبًا ۚ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَلْ ۖ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ۚ وَلَا يَسْأَلُ حِمِيمٌ مِمَّا ۚ

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
غَسِيلِينَ	صديدي أهل النار.
تَقَوَّلَ	اختلق، واهترى علينا.
الْوَتِينَ	نياط القلب، وهو: عرق متصل به إذا قطع مات صاحبه.
ذِي الْمَعَارِجِ	صاحب الغلو والجلال.
كَالْهَلْ	مثل خاتمة الزيت.
كَالْعِهْنِ	كالصوف المصبوغ المنفوش الذي ذرته الريح.

## ● العمل بالآيات

١. قل: اللهم إني أعوذ بك أن أقول زوراً أو أغشى فجوراً، ﴿ وَكَوْنُكَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ﴾.

٢. قل: «سبحان الله ويحمده سبحانه الله العظيم» ١٠٠ مرة، ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾.

٣. قل: «اللهم اهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت»، ﴿ فَأَصْبِرْ صَبْرًا جَبِيلًا ﴾.

## ● التوجيهات

١. إذا كان النبي ﷺ يخطب بالتهديد إذا تقول على الله فكيف بمن يفتي عن الله بغير علم؟ ﴿ وَكَوْنُكَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ﴾ ﴿ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴾ ﴿ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴾.

٢. سوء خاتمة مدعي النبوة، ﴿ وَكَوْنُكَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ﴾ ﴿ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴾ ﴿ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴾.

٣. اليقين باليوم الآخر وشدة قرب يدعو أهل الإيمان للعمل، ﴿ إِنَّمَا يَرُوءَهُ بَرٌّ ۖ وَيَرْزُقُهُ قَرِيبًا ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿يَصْرُوفُهُمْ يُودَّ الْمُنَافِقُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِهِمْ بِهِ﴾ ١ ﴿وَصَحِيحِيهِ وَأَجْبِيهِ﴾ ٢ ﴿وَقَصِيلِيهِ إِلَى ثَوْبِهِ﴾ ٣ ﴿وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ نَبْجِيهِ﴾ ٤

وبدا جل ثناؤه بذكر البنين، ثم الصحابة، ثم الأخ، إعلاماً منه عباده أن الكافر من عظيم ما ينزل به يومئذ من البلاء يفتدي نفسه، لو وجد إلى ذلك سبيلاً بأحب الناس إليه كان في الدنيا، وأقربهم إليه نسباً. الطبري: ٦٠٦/٢٣.

السؤال: لم رتب الله أقارب الإنسان بهذا الترتيب في هذه الآية؟

﴿إِذَا الْإِنْسَانُ حَلَلَّ هَلْوَعًا﴾ ١ ﴿إِذَا مَسَّهُ الضَّرِيكُ﴾ ٢ ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ ٣ ﴿إِلَّا الْمُسْلِمِينَ﴾ ٤

فالنفس لا تكون إلا مريدة عاملة، فإن لم توفق للإرادة الصالحة ولا وقعت في الإرادة الفاسدة والعمل الضار؛ وقد قال تعالى: (إن الإنسان خلق هلوعاً) ١ إذا مسه الشر جزوعاً ٢ وإذا مسه الخير منوعاً ٣ إلا المسلمين ٤ فأخبر تعالى أن الإنسان خلق على هذه الصفة، وإن من كان على غيرها فلأجل ما زكاه الله به من فضله وإحسانه. ابن القيم: ١٩٦/٣.

السؤال: إذا علمت أن لكل إنسان إرادة فما واجبك؟

﴿إِذَا الْإِنْسَانُ حَلَلَّ هَلْوَعًا﴾ ١ ﴿إِذَا مَسَّهُ الضَّرِيكُ﴾ ٢ ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ ٣ ﴿إِلَّا الْمُسْلِمِينَ﴾ ٤

وذكره الله على وجه الذم لهذه الخلاق؛ ولذلك استثنى منه المسلمين؛ لأن صلاتهم تحملهم على قلة الاكترات بالدين، فلا يجزعون من شرها، ولا ييخلون بخيرها. ابن جزي: ٤٩٥/٢.

السؤال: لماذا استثنى الله المسلمين من الاتصاف بصفة الهلع؟

﴿وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ يُشْفِقُونَ﴾ ١

خائفون على أنفسهم مع ما لهم من الأعمال الفاضلة؛ استقصاراً لها، واستعظاماً لجنبها عز وجل؛ كقوله تعالى: (والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلت أنهم إلى ربهم راجعون) للؤمنون: ٦٠. الألوسي: ٧١/١٥.

السؤال: كلما زادت خشية العبد من ربه زاد عمله الصالح، وضع ذلك من الآية.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ يَشْهَدُونَ قَائِمُونَ﴾ ١

لا يُعْبَدُ إِلَّا إِيَّاهُ بِجَمِيعِ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ، فَبِذَا هُوَ تَحْقِيقُ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلِهَذَا حُرِّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ حَقِيقَةَ الشَّهَادَةِ، وَمَحَالٌ أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ مَنْ تَحَقَّقَ بِحَقِيقَةِ هَذِهِ الشَّهَادَةِ وَقَامَ بِهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: (وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ) فَيَكُونُ قَائِمًا بِشَهَادَتِهِ فِي ظَاهِرِهِ وَبِاطْنِهِ، فِي قَلْبِهِ وَقَائِلِهِ، فَإِنْ مِنَ النَّاسِ مَنْ تَكُونُ شَهَادَتُهُ مِيتَةً، وَمِنْهُمْ مَنْ تَكُونُ نَائِمَةً، إِذَا نَبِهَتْ انْتَبَهَتْ. ابن القيم: ١٩٧/٣.

السؤال: كيف تتحقق شهادة أن لا إله إلا الله؟

﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ ١ ﴿وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يَحَاطَرُونَ﴾ ٢

وكرر ذكر الصلاة لاختلاف ما وصفهم به أولاً وما وصفهم به ثانياً؛ فإن معنى الدوام هو أن لا يشتغل عنها بشيء من الشواغل -كما سلف- ومعنى المحافظة أن يراعى الأمور التي لا تكون صلاة بدونها. الشوكاني: ٢٩٣/٥.

السؤال: لماذا كرر ذكر الصلاة في السورة؟

﴿كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ﴾ ١

وفي المقصود بهذا الكلام ثلاثة أوجه؛ أحدها: تحقير الإنسان والرد على المتكبرين. الثاني: الرد على الكفار في طمعهم أن يدخلوا الجنة، كأنه يقول: (إننا خلقناكم مما خلقنا منه الناس، فلا يدخل أحد الجنة إلا بالعمل الصالح؛ لأنكم سواء في الخلقة. الثالث: الاحتجاج على البعث بأن الله خلقهم من ماء مهين، فهو قادر على أن يعيدهم؛ كقوله: (الم يك نطفة من مني يمن) (القيامة: ١٣٧. ابن جزي: ٤٩٥/٢).

السؤال: جمعت هذه الآية ثلاثة معانٍ، ما هي؟

يَصْرُوفُهُمْ يُودَّ الْمُنَافِقُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِهِمْ بِهِ ١ وَصَحِيحِيهِ ٢ وَأَجْبِيهِ ٣ وَقَصِيلِيهِ إِلَى ثَوْبِهِ ٤ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ نَبْجِيهِ ٥ كَلَّا إِنَّمَا لَطْفٌ ٦ نَزَاعَةٌ لِلشَّوَى ٧ نَزَاعَةً أَدْرَ ٨ وَتَوَلَّى ٩ وَجَمْعٌ فَأَوْعَى ١٠ إِنَّ الْإِنْسَانَ خَلَقٌ هَلُوعًا ١١ إِذَا مَسَّهُ الضَّرِيكُ ١٢ جَزُوعًا ١٣ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ١٤ إِلَّا الْمُسْلِمِينَ ١٥ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ١٦ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ١٧ لِّلسَّائِلِ ١٨ وَالْمَحْرُومِ ١٩ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ يَوْمَ الْيَوْمِ ٢٠ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ يُشْفِقُونَ ٢١ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَا تُومِنُونَ ٢٢ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ٢٣ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ٢٤ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ٢٥ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ٢٦ وَالَّذِينَ هُمْ لَا يُنْفِقُونَ ٢٧ وَهُمْ يَحْفَظُونَ ٢٨ وَالَّذِينَ هُمْ يَشْهَدُونَ قَائِمُونَ ٢٩ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ٣٠ أُولَٰئِكَ فِي حَقِّهِ مُكْرَمُونَ ٣١ هَالِ الْيَوْمِ كَذَرُوا فَيْكَلَهُمْ طُعِينٌ ٣٢ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ ٣٣ عِزِينَ ٣٤ أَنْطَمَعَ كُلُّ أَمْرٍ يُشْتَمُّ أَنْ يَدْخُلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ٣٥ كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ ٣٦ فَلَا أُنْفِيسَ بِرَبِّ الْمُسْرِفِ وَالْمُغْرِبِ ٣٧ إِنَّا لَقَادِرُونَ ٣٨

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
وَفَصِيلَتِهِ	عَصِيرَتِهِ.
لَطْفٌ	جَهَنَّمُ تَلَهَّبُ نَارُهَا، وَتَتَلَطَّى.
نَزَاعَةٌ لِلشَّوَى	تَدْرُعُ بِشِدَّةٍ حَرَّهَا جِلْدَةُ الرُّأْسِ، وَسَائِرِ أَطْرَافِ الْبَدَنِ.
فَاوَعَى	أَمْسَكَ مَالَهُ فِي وَعَاءٍ، وَلَمْ يُؤَدِّ حَقَّ اللَّهِ فِيهِ.
هَلُوعًا	يَجْزَعُ عِنْدَ الْمُسِيبَةِ، وَيَمْنَعُ إِذَا أَصَابَهُ الْخَيْرُ، وَتَفْسِيرُ الْهَلُوعِ جَاءَ فِي الْآيَتَيْنِ بَعْدَهَا.
جَزُوعًا	كَثِيرِ الْأَسَى وَالْحُزَنِ.

## ● العمل بالآيات

١. حافظ على الصلوات جماعة في المسجد، ﴿إِلَّا الْمُسْلِمِينَ﴾ ١٥ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ١٦.
٢. تصدق بصدقة، ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ﴾ ١٧.
٣. تذكر أمانة أو عهداً عليك لأحد وأوف به، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لَا يُنْفِقُونَ وَهُمْ يَحْفَظُونَ﴾ ٢٨.

## ● التوجيهات

١. الصلاة الخاشعة تقي من الجزع والياس، ﴿إِلَّا الْمُسْلِمِينَ﴾ ١٥ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ١٦.
٢. الوفاء بالعهد وعدم خيانة الأمانة، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لَا يُنْفِقُونَ وَهُمْ يَحْفَظُونَ﴾ ٢٨.
٣. حفظ النفس عن الشهوات المحرمة، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ يَحْفَظُونَ﴾ ٢٨. إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ غَيْرُ مُلُومِينَ ٢٤ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ٢٦.

﴿وَالْعَادُونَ﴾. وقد تقدم تفسير ذلك في أول سورة ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾  
بأعنى عن إعادته هنا<sup>(١)</sup>.

الآية (٣٥-٣٢): ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَنَسِهِمْ فِيكُمْ هُمْ يَتَخَوْنَ﴾ أي: إذا أؤتمنوا  
لم يخشوا، وإذا عاهدوا لم يندروا. وهذه صفات المؤمنين، وضدها  
صفات المنافقين؛ كما ورد في الحديث الصحيح: «آية المنافق ثلاث: إذا  
حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان» [رواه البخاري ومسلم].  
﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَنَسِهِمْ فِيكُمْ﴾ أي: يحفظون عليها لا يزيدون فيها، ولا  
ينقصون منها، ولا يكتُمونها، ﴿وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ مَاءٌ مُّقْتَدِرٌ﴾  
[البقرة: ٢٨٣]. ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ أي: على مواقيتها وأركانها  
وواجباتها ومستحباتها، فافتتح الكلام بذكر الصلاة واختتمه بذكرها،  
فدل على الاعتناء بها والتنويه بشرفها، كما تقدم في أول سورة: ﴿قَدْ  
أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ سواء؛ لهذا قال: ﴿أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَّمُونَ﴾ أي:  
مكرمون بأنواع الملاء والمساواة.

الآية (٣٦-٣٩): يقول تعالى متكرراً على الكفار الذين كانوا في  
زمن النبي ﷺ وهم مشاهدون له، ولما أرسله الله به من الهدى وما  
أبده الله به من المعجزات الباهرات، ثم هم مع هذا كله فارون منه،  
متفرون عنه، شاردون بعيداً وشيئاً، قرئاً قرأاً، وشيئاً شيئاً: ﴿قَالَ  
الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُ الْمُطْهَرُونَ﴾ أي: فما هؤلاء الكفار الذين عندك يا محمد  
﴿مُطْهَرِينَ﴾ أي: مسرعين نافرين منك، كما قال الحسن البصري:  
﴿مُطْهَرِينَ﴾ أي: منطلقين. ﴿عَنِ النَّبِيِّ وَعَنِ النَّبِائِ عَيْنٍ﴾ واحداً عِزَّةً،  
أي: متفرقين. وهو حال من مهطعين، أي: في حال تفرقهم  
واختلافهم. وقال ابن عباس: ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُ الْمُطْهَرُونَ﴾ قبلك  
ينظرون، ﴿عَنِ النَّبِيِّ وَعَنِ النَّبِائِ عَيْنٍ﴾ العزيم: العصب من الناس، عن  
يمين وشمال معرضين يستهزئون به. وقال الحسن: متفرقين، يأخذون  
يميناً وشيئاً يقولون: ما قال هذا الرجل؟ وقال قتادة: ﴿مُطْهَرِينَ﴾  
عامدين، ﴿عَنِ النَّبِيِّ وَعَنِ النَّبِائِ عَيْنٍ﴾ أي: فرَّقوا حول النبي ﷺ لا  
يرغبون في كتاب الله، ولا في نبيه ﷺ. عن جابر بن سمرة أن  
رسول الله ﷺ خرج عليهم وهم جُلُوعٌ فقال: «ما لي أراكم عزين؟!»  
[رواه مسلم]. ﴿يَطْعَمُ كُلُّ فَرْقٍ أَتْرَبِيٍّ أَنَّهُمْ أَن يَدْخُلَ جَنَّةٌ يَسِيرُ﴾ أي: يطعم  
هؤلاء -والخالة هذه من فرارهم عن الرسول ﷺ ونفارهم عن الحق-  
أن يدخلوا جنتنا النعيم؟! بل ما أوهام الجحيم. ثم قال مقررًا لوقوع  
المعاد والعذاب بهم الذي أنكروا كونه، واستبعدوا وجوده، مستدلاً  
عليهم بالبداة التي الإعادة أهون منها وهم معترفون بها، فقال: ﴿وَلَا  
خَلْقَهُمْ سَوَاءً يَلْعَبُونَ﴾ أي: من المني الضعيف كما قال: ﴿وَالْخَلْقُ كُلُّهُمْ  
مَلْؤَةٌ حِينٍ﴾ [المرسلات: ٢٠].

الآية (٤٠): ﴿ثُمَّ أَنتُمْ رَبَّ الْمَسْجِدِ وَالْمَسْجِدِ﴾ أي: الذي خلق  
السماوات والأرض، وجعل مشرقاً ومغرباً، وسخر الكواكب تبدو  
من مشارقها وتغيب في مغاربها. وتقدير الكلام: ليس الأمر كما  
تزعمون أن لا معاد ولا حساب، ولا بعث ولا نشور، بل كل ذلك  
واقع وكائن لا محالة. ولهذا أتى بـ «ولا» في ابتداء القسم ليدل على أن  
المقسم عليه نفي.

الآية (١١-١٨): ﴿يَوْمَ الْمُنْجَمِ لَوْ يَمْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ يَوْمٍ يَنْبِئُهُ﴾  
وَصَحْبِيَّةٍ. وَأَجِبُهُ ﴿وَصَحْبِيَّةٍ﴾ وَتَوْبِهِ ﴿وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾  
﴿كَلَّا﴾ أي: لا يقبل منه فداء ولو جاء بأهل الأرض، وبأعز ما  
يجده من المال، ولو بملء الأرض ذهباً، أو من ولده الذي كان في  
الدنيا حُشاشة كبده، يود يوم القيامة إذا رأى الأهوال أن يفتدي من  
عذاب الله به، ولا يُقبل منه. قال مجاهد والسدي: ﴿وَصَحْبِيَّةٍ﴾ قبيلته  
وعشيرته. وقال عكرمة: فخذته الذي هو منهم. وقال مالك: أمه.  
قوله: ﴿وَهَذَا لَطْفٌ﴾ يصف النار وشدة حرها. ﴿نَزَاعَةً لِلنَّوَى﴾ قال ابن  
عباس: جلدة الرأس. وقال مجاهد: ما دون العظم من اللحم. وقال  
سميد بن جبير: العصب. وقال أبو صالح: يعني: أطراف اليدين  
والرجلين. وقال الحسن البصري: أي: مكارم وجهه. وقال قتادة:  
أي: نزاعة لاهوته ومكارم وجهه وخلفه وأطرافه. فقوله: ﴿نَزَاعَةً﴾  
قال: تقطع عظامهم، ثم يُجَدُّ خلقهم وتبدل جلودهم. ﴿تَدْعُو مَنْ أَذْبَرَ  
دَبْرَهُ﴾ أي: تدعو النار إليها أبناءها الذين خلقهم الله لها، وقدر لهم  
أنهم في الدار الدنيا يعملون عملها، فتدعوهم يوم القيامة بلسان طلق  
ذلق، ثم تلتقطهم من بين أهل المحشر كما يلتقط الطير الحب. وذلك  
أنهم -كما قال الله ﷻ- كانوا من ﴿أَذْبَرَ دَبْرَهُ﴾ أي: كذب بقلبه،  
وترك العمل بحوارجه، ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَى﴾ أي: جمع المال بعضه على  
بعض فأوعاه، أي: أوكاه ومنع حق الله منه من الواجب عليه في  
التفقات ومن إخراج الزكاة.

الآية (١٩-٢٣): يقول تعالى مخبراً عن الإنسان وما هو مجبول  
عليه من الأخلاق الدنيئة: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَاؤَمٌ﴾. ثم فسره بقوله:  
﴿إِذَا سَأَلَكَ الشُّرُوعُ﴾ أي: إذا أصابه الضر فزع وجزع وانخلع قلبه من  
شدة الرعب، وأيس أن يحصل له بعد ذلك خير، ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ الْخَيْرُ  
مُرَّعًا﴾ أي: إذا حصلت له نعمة من الله بخل بها على غيره، ومنع  
حق الله فيها. ثم قال: ﴿وَلَا الْفَصْلَيْنِ﴾ أي: الإنسان من حيث هو  
متصف بصفات الذم إلا من عصمه الله ووقفه، وهداه إلى الخير ويسر  
له أسبابه، وهم المصلون ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ قيل: معناه:  
يحافظون على أوقاتهم وواجباتهم. وقيل: المراد بالدوام ههنا السكون  
والخشوع، وهذا يدل على وجوب الطمأنينة في الصلاة؛ فإن الذي لا  
يطمئن في ركوعه وسجوده ليس بدائم على صلاته؛ لأنه لم يسكن فيها  
ولم يدم، بل ينقرا نقر الغراب فلا يفلح في صلاته. وقيل: المراد  
بذلك الذين إذا عملوا عملاً داوموا عليه وأثبتوه؛ كما جاء عن عائشة  
قالت: وكان رسول الله ﷺ إذا عمل عملاً داوم عليه [رواه مسلم].

الآية (٢٤-٣١): ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾ لِسَائِلِ  
وَالْمَسْكِينِ ﴿أَي: في أموالهم نصيب مقرر لذوي الحاجات. ﴿وَالَّذِينَ  
يَصُدُّونَ بِيَرَةِ اللَّهِ﴾ أي: يوفون بالمعاد والحساب والجزاء، فهم يعملون  
عمل من يرجو الثواب ويخاف العقاب؛ ولهذا قال: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ  
عَذَابِ رَبِّهِمْ مُتَّقُونَ﴾ أي: خائفون وجلون، ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾  
أي: لا يأمنه أحد ممن عقل عن الله أمره إلا بأمان من الله تبارك وتعالى.  
﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَرْوَاحِهِمْ حَفِظُونَ﴾ أي: يحفظونها عن الحرام ويمنعونها أن  
توضع في غير ما أذن الله فيه. ولهذا قال: ﴿إِلَّا عَلَى أَرْوَاحِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ  
أَيْمَانُهُمْ﴾ أي: من الإماء، ﴿فَلَهُمْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ فَرِيقَيْنِ وَرَبُّ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ



قَالَ يَقُولُ إِنِّي لَكُؤْمٌ زَيْدٌ شَيْئٌ ﴿٤١﴾: أي: بين التذارة، ظاهر الأمر واضح، ﴿أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ﴾: أي: اتركوا محارمه واجتنبوا مآلحه ﴿وَأَطِيعُوا﴾: فيها أمركم به وأنهاكم عنه.

الآية (٤): ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾: أي: إذا فعلتم ما أمرتكم به وصدقتم ما أرسلت به إليكم، غفر الله لكم ذنوبكم. و"من" ههنا قيل: إنها بمعنى "عن"؛ تقديره: يصفح لكم عن ذنوبكم. واختاره ابن جرير. وقيل: إنها للتبعض، أي: يغفر لكم الذنوب العظام التي وعدمكم على ارتكابكم إياها الانتقام.

﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: أي: يمد في أعماركم ويدرا عنكم العذاب الذي إن لم تنزجروا عما نهاكم عنه أوقعه بكم، وقد يستدل بهذه الآية من يقول: إن الطاعة والبر وصلة الرحم، يزداد بها في العمر حقيقة. ﴿إِنْ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: أي: بادروا بالطاعة قبل حلول النعمة؛ فإنه إذا أمر تعالى بكون ذلك لا يُرد ولا يمانع؛ فإنه العظيم الذي قهر كل شيء، العزيز الذي دانت لعزته جميع المخلوقات.

الآية (٥-٦): ﴿يَجْزِيكَ تَعَالَىٰ عَنْ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ نُوْحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ اشْتَكَىٰ إِلَىٰ رَبِّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا لَقِيَ مِنْ قَوْمِهِ، وَمَا صَبَرَ عَلَيْهِمْ فِي تِلْكَ الْمُدَّةِ الطَّوِيلَةِ الَّتِي هِيَ أَلْفُ سَنَةٍ إِلَّا خَسِنَ عَامًا، وَمَا بَيَّنَّ لِقَوْمِهِ وَوَضَّحَ لَهُمْ وَدَعَاهُمْ إِلَىٰ الرُّشْدِ وَالسَّبِيلِ الْأَقْوَمِ، فَقَالَ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾: أي: لم أترك دعاءهم في ليل ولا نهار، امتثالاً لأمرك وابتغاء لطاعتك، ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا﴾: أي: كلما دعوتهم ليقربوا من الحق قُروا منه وحاذوا عنه.

الآية (٧): ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أُصْغِيَةً فِي مَادَانِيهِمْ﴾: أي: سدوا آذانهم لئلا يسمعوها ما أدعوههم إليه؛ كما أخبر تعالى عن كفار قريش: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [نصفت: ٢٦].

﴿وَأَسْتَفْهَمُوا فِيهَا﴾: قال ابن عباس: تنكروا له لئلا يعرفهم. وقال سعيد بن جبير والسدي: غطوا رؤوسهم لئلا يسمعوها ما يقول. ﴿وَأَصْرُوا﴾: أي: استمروا على ما هم فيه من الشرك والكفر العظيم الفظيع، ﴿وَأَسْتَكْبَرُوا أَتَجَارَا﴾: أي: واستكفوا عن اتباع الحق والانقياد له.

الآية (٨-١٠): ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا﴾: أي: جهرًا بين الناس ﴿ثُمَّ إِنِّي أَصْلَحْتُ لَهُمْ﴾: أي: كلامًا ظاهرًا بصوت عال، ﴿وَأَنْزَلَتْ لَهُمْ إِبْرَارًا﴾: أي: فيما بيني وبينهم، فنوع عليهم الدعوة لتكون أنجع فيهم ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾: أي: ارجعوا إليه وارجعوا عما أنتم فيه وتوبوا إليه من قريب؛ فإنه من تاب إليه تاب عليه، ولو كانت ذنوبه معها كانت في الكفر والشرك؛ ولهذا قال: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾.

الآية (٤١): مضمون الكلام الرد على زعمهم الفاسد في نفي يوم القيامة، وقد شاهدوا من عظيم قدرة الله تعالى ما هو أبلغ من إقامة القيامة، وهو خلق السموات والأرض، وتسخير ما فيها من المخلوقات من الحيوانات والجمادات، وسائر صنوف الموجودات؛ ولهذا قال تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَتَّخِذْ لَهُنَّ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَهًا عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [احقاف: ٣٣]، وقال تعالى في الآية الأخرى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِنْ حَلَقٍ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿٨١﴾ ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨١-٨٢]. ﴿إِنَّا لَقَدِيرُونَ﴾ ﴿٨٢﴾ ﴿عَلَىٰ أَنْ تُبَدِّلَ عَذَابَكُمْ﴾: أي: يوم القيامة نعيدهم بأبدان خير من هذه؛ فإن قدرته صالحة لذلك، ﴿وَمَا عَنْ يَسْتَوِينَ﴾: أي: يعاجزين؛ كما قال تعالى: ﴿أَحْسِبِ الْإِنْسَانَ أَنَّهُ لَمَّا جُمِعَ عِظَامُهُ﴾ ﴿٩٠﴾ ﴿بَلَىٰ قَدِيرٌ عَلَىٰ أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانًا﴾ [القيامة: ٣-٤].

واختار ابن جرير ﴿عَلَىٰ أَنْ تُبَدِّلَ عَذَابَكُمْ﴾: أي: أمة تطيعنا ولا تعصينا، وجعلها كقوله: ﴿وَلَيْتَ تَوَلَّوْا بِسَبِيلٍ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨]. والمعنى الأول أظهر لدلالة الآيات الآخر عليه، والله أعلم.

الآية (٤٢): ﴿مَذْمُومٌ﴾: أي: يا محمد ﴿يُحْشَرُونَ وَلَيُبَاقُونَ﴾: أي: دعهم في تكذيبهم وكفرهم وعنادهم، ﴿حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يَوعَدُونَ﴾: أي: فيسليمون غيب ذلك ويدوقون وباله.

الآية (٤٣): ﴿يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَحْجَادِ سِرَاجَاتٍ إِلَىٰ نَافِثِ بُيُوتٍ﴾: أي: يقومون من القبور إذا دعاهم الرب تبارك وتعالى لموقف الحساب، ينهضون سراعًا ﴿يُخْرِجُونَ إِلَىٰ نَافِثِ بُيُوتٍ﴾: قال ابن عباس ومجاهد والضحاك: إلى علم يسمون. وقال أبو العالية: إلى غاية يسمون إليها. وقد قرأ الجمهور: ﴿نُصَبَ﴾ بفتح النون وإسكان الصاد، وهو مصدر بمعنى المنسوب. وقرأ الحسن البصري: ﴿نُصِبَ﴾ بضم النون والصاد<sup>(١)</sup>، وهو الصنم، أي: كأنهم في إسرارهم إلى الموقف كما كانوا في الدنيا يهرولون إلى النصب إذا عابوه، ﴿يُؤْفَسُونَ﴾: يتبدلون أيم يستلمه أول. وهذا مروى عن مجاهد وقادة والضحاك.

الآية (٤٤): ﴿خَنِيعَةً أَصْرُهُمْ﴾: أي: خاضعة ترهقهم ذلة ﴿أَي: فِي مِقَابَلَةٍ مَا اسْتَكْبَرُوا فِي الدُّنْيَا عَنِ الطَّاعَةِ، ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾.

### تفسير سورة نوح

وهي مكية، [وعدد آياتها (٢٨) آية].

الآية (١-٣): يقول تعالى مخبرًا عن نوح عليه السلام إنه أرسله إلى قومه أمرًا له أن يندزم بأس الله قبل حلوله بهم، فإن تابوا وأنبأوا رفع عنهم؛ ولهذا قال: ﴿أَنْ أُنذِرَ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

(١) وهي قراءة ابن عامر وحفص عن عاصم. [الكنز في القراءات العشر (٢/ ٦٩٣)].



## الوقفات التدريبية

﴿ قَدْ رُفِعُوا بِأَنفُسِهِمْ إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ الْأَعْلَىٰ ﴾

الخوض في الباطل ضد التكلم بالحق، واللعب ضد السعي الذي يعود نفعه على ساعيه؛ فالأول ضد العلم النافع، والثاني ضد العمل الصالح، فلا تكلم بالحق، ولا عمل بالصواب؛ وهذا شأن كل من اعرض عما جاء به الرسول؛ لا بُدَّ له من هذين الأمرين. ابن القيم: ٢٠١/٣.

السؤال: ما علامة من اعرض عما جاء به الرسول ﷺ؟

﴿ خَشِيعَةُ أَصْبُرُهُمْ رَهَقَهُمْ وَلَهُ ذَاكَ الْيَوْمِ الْكَافِرُونَ ﴾

وفي ختام السورة الكريمة لهذا الوصف والوعيد الشديد تأييد للقول بأن سؤالهم في أولها: «بعذاب واقع» إنما هو استخفاف واستبعاد. فبين لهم تعالى بعد عرض السورة نهاية ما يستقبلون به ليأخذوا حذرهم ويرجعوا إلى ربهم. فارتبط آخر السورة بأولها. الشنقيطي: ٣٠٥/٨.

السؤال: ما وجه المناسبة بين أول السورة وآخرها؟

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

وغدل عن أن يقال له: «أنذر الناس» إلى قوله: (أن أنذر قومك) إلهاباً لنفس نوح؛ ليكون شديد الحرص على ما فيه نجاتهم من العذاب؛ فإن فيهم ابنائه وقرابته وأحبته. ابن عاشور: ١٨٧/٢٩.

السؤال: لماذا عدل عن أن يقال: «أنذر الناس» إلى قوله: (أنذر قومك)؟

﴿ قَالَ يَتَّبِعُونَ آلِيَّ لِكُلِّ ذَنْبٍ مُّسِيئٍ ﴾

افتتاح دعوته قومه بالبنداء لطلب إقبال أذهانهم. وندأهم بعنوان: أنهم قومه تمهيداً لقبول نصحه؛ إذ لا يريد الرجل لقومه إلا ما يريد لنفسه. وتصدير دعوته بحرف التوكيد لأن المخاطبين يترددون في الخبر. ابن عاشور: ١٨٨/٢٩.

السؤال: ما فائدة افتتاح نوح عليه السلام دعوته لقومه بوصفهم بـ(يا قوم)؟

﴿ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ ﴾

فجعل العبادة والتقوى لله وحده، وجعل الطاعة للرسول؛ فإنه من طيع الرسول فقد أطاع الله. ابن تيمية: ٣٩٨/٦.

السؤال: لماذا أمرهم نوح عليه السلام بعبادة الله وتقواه، ثم أمرهم بطاعته هو عليه السلام؟

﴿ وَإِنِّي كَلَّمْتُ صَوْمِلَهُمْ لِيُفَرِّقَهُمْ عَنْ قَوْمِهِمْ ﴾

أي دعوتهم ليؤمنوا بغيرهم لهم؛ فذكر المغفرة التي هي سبب عن الإيمان ليظهر قبح إعراضهم عنه؛ فإنهم اعرضوا عن سعادتهم. ابن جزي: ٤٩٤/٢.

السؤال: لم ذكر الله المغفرة ولم يذكر سببها وهو الإيمان؟

﴿ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا ﴾

ذكر أولاً أنه دعاهم بالليل والنهار، ثم ذكر أنه دعاهم جهاراً، ثم ذكر أنه جمع بين الجهر والإسرار، وهذه غاية الجد في النصيحة وتبليغ الرسالة صلى الله تعالى عليه وآله وسلم. ابن جزي: ٤٩٥/٢.

السؤال: على ما ذا يدل تنوع طرق الدعوة من نوح عليه السلام لقومه؟

عَلَىٰ أَنْ يُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوبِينَ ﴿١﴾ فَذَرَهُمْ مَحْضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يَوْمَعُدُونَ ﴿٢﴾ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاجًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٣﴾ خَشِيعَةُ أَصْبُرُهُمْ رَهَقَهُمْ وَلَهُ ذَاكَ الْيَوْمِ الْكَافِرُونَ ﴿٤﴾

سورة نوح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَتَّبِعُونَ آلِيَّ لِكُلِّ ذَنْبٍ مُّسِيئٍ ﴿٢﴾ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُمْ ﴿٣﴾ يَقِفُونَ كُلُّ مَنْ دُونِيكُمْ وَيُخْرِجُونَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَابَهُمْ بِتُرُفٍّ إِذَا دُعِيَ لَهُمْ فَاسْتَنْصَفُوا أَنِيًّا يُهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكَفَرُوا آسَافًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾

## معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
بِمَسْبُوبِينَ	لَا أَحَدٌ يُفُوتُنَا وَيُعْجِزُنَا إِذَا أَرَدْنَا.
الْأَجْدَاثِ	الْقُبُورِ.
نُصُبٍ	أَحْجَارٍ تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ.
يُوفِضُونَ	يُهْرَوِلُونَ، وَيُسْرِعُونَ.
تَغْفَاهُمْ	تَغْفِيهِمْ.
وَاسْتَغْفُوا أَنِيًّا	تَغْفُوا بِهَا؛ مُبَالَغَةً فِي كَرَاهِيَتِي.
وَأَصْرُوا	أَقَامُوا عَلَىٰ كُفْرِهِمْ.

## العمل بالآيات

١. قل: «اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبِعفوك من عقوبتك، وبك منك؛ لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك»، ﴿ عَلَىٰ أَنْ يُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوبِينَ ﴾.
٢. قل: «اللهم إني أعوذ بك من تحول عافيتك وفجاءة نعمتك وجميع سخطك»، ﴿ عَلَىٰ أَنْ يُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوبِينَ ﴾.
٣. أد عملاً دعويًا من إرسال رسالة، أو تسجيل صوتي أو مرثي، أو تقديم نصيحة، أو أي وسيلة أخرى مناسبة، ﴿ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا ﴾ ﴿ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴾.

## التوجيهات

١. عظيم قدرة الله تعالى، ﴿ فَلَا أَتَمِيزُ بَيْنَ الشَّرِّ وَالْغَيْرِ إِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴾ ﴿ عَلَىٰ أَنْ يُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوبِينَ ﴾.
٢. التذكير بحال الخروج من القبور في ذلة وسرعة، ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاجًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴾ ﴿ خَشِيعَةُ أَصْبُرُهُمْ رَهَقَهُمْ وَلَهُ ذَاكَ الْيَوْمِ الْكَافِرُونَ ﴾.
٣. الصبر ركن أساس في دعوة كل داعية، ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿ نَفَلْتُ اسْتَعْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَتْ عَفَاً ﴾ ﴿١﴾ يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿٢﴾

في الآية دليل على أن الاستغفار يوجب نزول الأمطار، ولذلك خرج عمر بن الخطاب إلى الاستسقاء فلم يزد على أن استغفر ثم انصرف، فقيل له: ما رايناك استسقيت؟ فقال: والله لقد استسقيت ابلغ الاستسقاء.

ابن جزى: ٤٩٥/٢.

السؤال: بين مكانة الاستغفار في الاستسقاء.

﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾

أي: ما لكم لا تخافون لله عظمتة وقدرته على أحدكم بالعقوبة، أي: أي عذر لكم في ترك الخوف من الله. القرطبي: ٢٥٥/٢١.

السؤال: ما المراد بقوله (لا ترجون) في الآية؟

﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾

لوعظموا الله وعرفوا حق عظمتة وخدوه وأطاعوه وشكروه؛ فطاعته سبحانه واجتناب معاصيه والحياء منه بحسب وقاره في القلب.

ابن القيم: ٢٠٣/٣.

السؤال: ما علامة توقير القلب لله سبحانه؟

﴿ قَالَ نُوحُ رَبِّ إِنِّي نَادَيْتُكَ عَبْدًا وَغَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴾

فإن البسط لهم في الدنيا كان سبباً لطغيانهم وبطرحهم، واتباعهم لأهوائهم حتى كفروا واستغفروا غيرهم، فغلبوا عليهم، فكانوا سبباً في شقائهم وخسارتهم بخسارتهم. البقاعي: ٤٤٧/٢٠.

السؤال: وضع شؤم اتباع أهل الأموال والأهواء وترك اتباع أهل الصلاح.

﴿ إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ مُّضِلًّا لِّعِبَادِكَ وَلَا تَلَدُّ لَهَا فَجْرًا كَذَبًا ﴾

أي: بقاؤهم مفسدة محضّة لهم ولغيرهم، وإنما قال نوح عليه السلام ذلك لأنه مع كثرة مخالطته إياهم، ومزاوته أخلاقهم، علم بذلك نتيجة أعمالهم؛ لا جرم أن الله استجاب دعوته فأغرقهم اجمعيين، ونجى نوحاً ومن معه من المؤمنين. السعدي: ٨٨٩.

السؤال: لماذا دعا نوح على قومه؟

﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾

يؤخذ من هذا أن سنة الدعاء أن يقدم الإنسان الدعاء لنفسه على الدعاء لغيره. ابن جزى: ٤٩٥/٢.

السؤال: ما الذي يستفاد من دعاء نوح عليه السلام؟

﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾

خص المذكورين لتأكد حقهم، وتقديم برهم، ثم عمم الدعاء السعدي: ٨٩٠.

السؤال: لماذا خص الوالدين قبل المؤمنين بالدعاء؟

يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبْنِ وَجَعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَجَعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿٢﴾ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَمْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ﴿٦﴾ وَاللَّهُ أَنْتَبِهُكُمْ مِنَ الْأَرْضِ تَبَاتًا ﴿٧﴾ تُرْفِعُكُمْ فِيهَا وَتُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿٩﴾ لَتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿١٠﴾ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنِّي نَادَيْتُكَ عَبْدًا وَغَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١١﴾ وَجَعَلَ الْكُفْرَ بَيْنَ الْأَعْمَلِ وَلَا تَذَرُهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَجْرًا كَذَبًا ﴿١٢﴾ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿١٣﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
مِدْرَارًا	مُتَتَابِعًا، غَزِيرًا.
أَطْوَارًا	عَلَى مَرَاجِلَ مُخْتَلِفَةٍ، نَظْفَةٍ، ثُمَّ عَاقِبَةٍ، وَهَكَذَا.
فِجَاجًا	وَاسِعَةً.
لَا تَذَرُهُمْ	لَا تَتْرُكُهُمْ.
دِيَارًا	أَحَدًا حَيًّا عَلَى الْأَرْضِ يَدُورُ، وَيَتَحَرَّكُ.
تَبَارًا	هَالِكًا، وَخُسْرَانًا.

## ● العمل بالآيات

١. تأمل في خلق السموات والأرض واستخرج فائدتين، ﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَمْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴾ ﴿٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ﴿٦﴾.
٢. قل: اللهم إنا نندرك بك في نحور الأعداء ونعوذ بك من شرورهم، ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دِيَارًا ﴾.
٣. قل: ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴾.

## ● التوجيهات

١. كثرة الاستغفار جالبة للمطر، ودافعة للفقر، وعلاج للعقم، ﴿ نَفَلْتُ اسْتَعْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَتْ عَفَاً ﴾ ﴿١﴾ يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿٢﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبْنِ وَجَعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَجَعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿٣﴾ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿٤﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿٥﴾
٢. في كل مجتمع دعاة خير ودعاة شر، ﴿ نَفَلْتُ اسْتَعْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَتْ عَفَاً ﴾.
٣. وجوب توقير الله وتعظيمه بتوحيده وعدم الإشراك به، ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾.

وَالنَّهَارِ إِذَا تَمَرُّوْنَ أَنَّ كُفْرَ بَالِهِ وَجَعَلَ لَهُ أَدْنَاكَ ﴿سبأ: ١٣٣﴾. وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿هذه أسماء أصنامهم التي كانوا يعبدونها من دون الله. عن ابن عباس: صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد: أما ود: فكانت لكلب بدومة الجندل؛ وأما سواع: فكانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمراد، ثم لبني عطف بالحرث عند سبأ، وأما يعوق فكانت لهمدان، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي كلاع، وهي أسماء رجال صالحين من قوم نوح عَلَيْهِ السَّلَام، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابًا وسموها بأسمائهم. ففعلوا، فلم تُعبد، حتى إذا هلك أولئك وَتَنَسَّحَ الْعِلْمُ عُجِدَتْ [رواه البخاري].

الآية (٢٤-٢٥): ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ يعني: الأصنام التي اتخذوها أضلوا بها خلقًا كثيرًا؛ فإنه استمرت عبادتها في القرون إلى زماننا هذا في العرب والعجم وسائر صنوف بني آدم. وقد قال الخليل عَلَيْهِ السَّلَام في دعائه: ﴿وَاجْتَنِبْ وَيَتَى أَنْ تَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٢٥﴾ رَبِّ إِنِّي أَسْأَلُكَ كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٥-٣٦]. ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾ دعاء منه على قومه لتمردهم وكفرهم وعنادهم، كما دعا موسى على فرعون وملئه في قوله: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا مِائِدَكَ وَاصْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِرُوا بِحَقِّ رِوَا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ﴾ [يونس: ٨٨]. وقد استجاب الله لكل من النبيين في قومه، وأغرق أمته بتكذيبهم لما جاءهم به. ﴿يَسَاءَ حَظَّيْنِهِمْ أَفْرَقُوا﴾ أي: من كثرة ذنوبهم وعُتُوبهم وإصرارهم على كفرهم ومخالفتهم رسولهم ﴿أَفْرَقُوا فَأَذِلُّوا نَارًا﴾ أي: نفلوا من تيار البحار إلى حرارة النار، ﴿فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَصْنَارًا﴾ أي: لم يكن لهم معين ولا مُغيث ولا مُجبر ينقذهم من عذاب الله.

الآية (٢٦-٢٧): ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ أي: لا تترك على وجه الأرض منهم أحدًا. وهذه من صيغ تأكيد النفي. قال الضحاك: ﴿دَيَّارًا﴾ واحدًا. وقال السدي: الديار: الذي يسكن الدار. فاستجاب الله له، فأهلك جميع من على وجه الأرض من الكافرين حتى ولد نوح لصلبه الذي اعتزل عن أبيه، وقال: ﴿سَوَّيْتُ إِلَى جَبَلٍ يَعْصِيهِ رَبِّي أَلَمَّا قَالَ لَا عَاجِدَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَجَعَهُ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ [مود: ٤٣]. ﴿إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ﴾ أي: إنك إن أبيت منهم أحدًا أضلوا عبادك؛ أي: الذين تخلفهم بعدهم، ﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاكِرًا كَفَّارًا﴾ أي: فاجرا في الأهوال كافر القلب. وذلك لخبرته بهم ومكته بين أظهرهم ألف سنة إلا خمسين عامًا.

الآية (٢٨): ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدِي وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا﴾ قال الضحاك: يعني: مسجدي، ولا مانع من حمل الآية على ظاهرها، وهو أنه دعا لكل من دخل منزله وهو مؤمن. ﴿وَاللَّامُومِينَ وَالْأُمُومِينَ﴾ دعاء لجميع المؤمنين والمؤمنات، وذلك يُمِّمُ الْأَحْيَاءَ مِنْهُمُ وَالْأَمْوَاتَ؛ ولهذا يستحب مثل هذا الدعاء اقتداء بنوح عَلَيْهِ السَّلَام، وبما جاء في الآثار والأدعية المشروعة. ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا بَارًا﴾ قال السدي: إلا هلاكًا. وقال مجاهد: إلا خسارًا، أي: في الدنيا والآخرة.

الآية (١١-٢٠): ﴿وَرُسُلِ السَّمَاءِ عَلَيْكَ يَذَرَاكَ﴾ أي: متواصلة الأمطار. رُوي عن عمر أنه صعد المنبر ليستسقي، فلم يزد على الاستغفار، وقرأ الآيات في الاستغفار. ومنها هذه الآية: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١١﴾ يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكَ يَذَرَاكَ﴾ ثم قال: لقد طلبت الغيث بمجاديع السماء التي يُسْتَنْزَلُ بها المطر. وقال ابن عباس: يتبع بعضه بعضًا. ﴿وَيُذِذُكَ بِأَمْوَالٍ يُغْنِي وَجْهَكَ لَكُجَشَّتْ وَجْهَكَ لَكَ أَتُّبِّرَا﴾ أي: إذا تبسم إلى الله واستغفروه وأطعموه كثر الرزق عليكم، وأسقاكم من بركات السماء، وأتيت لكم من بركات الأرض، وأتيت لكم الزرع، وأتت لكم الفُرع، وأمدكم بأموال وبني، أي: أعطاكم الأموال والأولاد، وجعل لكم جنات فيها أنواع الثمار، وخلَّلها بالأنهار الجارية بينها. هذا مقام الدعوة بالترغيب. ثم عدل بهم إلى دعوتهم بالترهيب فقال: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ أي: عظمة. قاله ابن عباس ومجاهد. وقال ابن عباس: لا تعظمون الله حق عظمته، أي: لا تخافون من بأسه ونقمته، ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ قيل: معناه: من نقطة، ثم من علقه، ثم من مضغه. ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَوَاتِبٍ طِبَاقًا؟﴾ أي: واحدة فوق واحدة ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِي سُدْرٍ وَأَجَلَ الشَّمْسُ يَرَكَهَا﴾ أي: فاوت بينهما في الاستنارة، فجعل كلا منهما أنموذجًا على حدة، ليُعرف الليل والنهار بمطلع الشمس ومغيبها، وقدر القمر منازل وبروجا، وفاوت نوره، فتارة يزداد حتى ينتهي ثم يشرع في النقص حتى يستمر، ليدل على مُضَيِّقِ الشهور والأعوام؛ كما قال: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا لِیَحْكُمَ الْبَاقِي لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٥]. ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا﴾ أي: إذا مُمَّ ﴿وَيُخْرِجُكُمْ مِنْهَا﴾ أي: يوم القيامة يعيدكم كما بدأكم أول مرة ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾ أي: بسطها ومهدها وقررها وبثتها بالجبال الراسيات الشُّمَّ الشَّامِخَاتِ ﴿لِتَسْكُنُوا مِنْهَا شُبُلًا وَفِجَاجًا﴾ أي: خلقها لكم لتستقروا عليها وتسلكوا فيها أين شئتم، من نواحيها وأرجائها وأقطارها، وكل هذا مما ينبههم به نوح عَلَيْهِ السَّلَام على قدرة الله وعظمته في خلق السموات والأرض، ونعمه عليهم فيما جعل لهم من المنافع السواوية والأرضية؛ فهو الخالق الرزاق، جعل السماء بناء، والأرض مهادًا، وأوسع على خلقه من رزقه، فهو الذي يجب أن يُعبد ويُؤخَد ولا يشرك به أحد؛ لأنه لا نظير له ولا عدل له، ولا ند ولا كفاء، ولا صاحبة ولا ولد، ولا وزير ولا مشير، بل هو العلي الكبير.

الآية (٢١-٢٣): يقول تعالى مخبرًا عن نوح عَلَيْهِ السَّلَام أنه أنهى إليه، وهو العليم الذي لا يعزب عنه شيء، أنه مع البيان المتقدم ذكره، والدعوة المتنوعة المشتعلة على الترغيب تارة والترهيب أخرى: أنهم عصوه وكذبوه وخالفوه، واتبعوا أبناء الدنيا ممن عَفَلَ عن أمر الله، ومُتَّع بهال وأولاد، وهي في نفس الأمر استدراج وإنظار لا إكرام؛ ولهذا قال: ﴿وَأَنْتَبَهُوا مِنْ نَرِّ زُرَّةٍ مَالَهُ، وَوَلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا﴾. ﴿وَمَكْرُؤًا مَكَرًا كَبِيرًا﴾ قال مجاهد: ﴿كَبِيرًا﴾ أي: عظيمًا. وقال ابن زيد: أي: كبيرًا. والمعنى: ﴿وَمَكْرُؤًا مَكَرًا كَبِيرًا﴾ أي: بأنابهم في تسويلهم لهم بأنهم على الحق والهدى؛ كما يقولون لهم يوم القيامة: ﴿بَلْ مَكْرٌ أَتِيلُ

## تفسير سورة الجن

وهي مكية، [وعدد آياتها (٢٨) آية].

[سبب النزول: عن ابن عباس قال: انطلق النبي ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا: ما لكم؟ فقالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب. قالوا: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، فانظروا ما هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء؟! فانصرف أولئك الذين توجهوا نحو نعامه إلى النبي ﷺ وهو بنخلة عامدين إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له فقالوا: هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء. فهناك حين رجعوا إلى قومهم وقالوا: يا قومنا ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ ١ ﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ، وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ ٢ ﴿وَأَنَّهُ تَكَلَّمَ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَهُ وَلَا وَلَدًا﴾ ٣ فانزل الله على نبيه ﷺ: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ وإني أوحى إليه قول الجن [متفق عليه].]

الآية (١-٧): يقول تعالى أمراً رسوله ﷺ أن يخبر قومه: أن الجن استمعوا القرآن فآمنوا به وصدقوه وانقادوا له، فقال تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ ١ ﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾ أي: إلى السداد والنجاح، ﴿فَآمَنَّا بِهِ، وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ ٢ ﴿وَأَنَّهُ تَكَلَّمَ جَدُّ رَبِّنَا﴾ قال ابن عباس: ﴿جَدُّ رَبِّنَا﴾ أي: فعله وأمره وقدرته. وقال: جد الله: آلاؤه وقدرته ونعمته على خلقه. وعن مجاهد: جلال ربنا. وقال قتادة: تعالى جلاله وعظمته وأمره. وقال السدي: تعالى أمر ربنا. وعن أبي الدرداء: تعالى ذكره. وقال سعيد بن جبير: أي: تعالى ربنا. ﴿مَا اتَّخَذَ صَاحِبَهُ وَلَا وَلَدًا﴾ ٣ أي: تعالى عن اتخاذ صاحبة والأولاد، أي: قالت الجن: تنزه الرب تعالى جلاله، حين أسلموا وآمنوا بالقرآن، عن اتخاذ صاحبة والولد. ﴿وَأَنَّهُ كَآتٍ يَقُولُ سُبْحَانَكَ عَلَى اللَّهِ سَطَطًا﴾ قال مجاهد وقتادة والسدي: ﴿سُبْحَانَكَ﴾ يعنون: إبليس، ﴿سَطَطًا﴾ قال أبو مالك: أي: جوراً. وقال ابن زيد: ظلتا كبيراً. ويحتمل أن يكون المراد بقولهم: ﴿سُبْحَانَكَ﴾ اسم جنس لكل من زعم أن الله صاحبة أو ولداً. ولهذا قالوا: ﴿وَأَنَّهُ كَآتٍ يَقُولُ سُبْحَانَكَ﴾ أي: قبل إسلامه ﴿عَلَى اللَّهِ سَطَطًا﴾ أي: باطلاً وزوراً. ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نَقُولَ الْإِنسَ وَالْجِنِّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ أي: ما حسبنا أن الإنس والجن يتألفون على الكذب على الله في نسبة صاحبة والولد إليه. فلما سمعنا هذا القرآن وآمننا به، علمنا أنهم كانوا يكذبون على الله في ذلك. ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَقُولُونَ بِبِزَالٍ مِّنَ الْإِنِّ فَرَأَوْنَهُمْ رَهَقًا﴾ أي: كنا نرى أن لنا فضلاً على الإنس؛ لأنهم كانوا يعوذون بنا، أي: إذا نزلوا وادبوا أو مكاناً موحشاً من البراري وغيرها كما كان عادة العرب في جاهليتها، يعوذون بعظيم ذلك المكان من الجن، أن يصيبهم شيء يسوؤهم، كما كان أحدهم يدخل بلاد أعدائه في جوار رجل كبير وذمامه وخفارته، فلما رأت الجن أن الإنس يعوذون بهم من خوفهم منهم زادوهم رهقاً، أي: خوفاً وإرهاباً وذعراً، حتى بقوا أشد منهم مخافة وأكثر تعوداً بهم، كما قال قتادة: ﴿فَرَأَوْنَهُمْ رَهَقًا﴾ أي: إثمًا، وزادت الجن عليهم

بذلك جراءة. وقال السدي: كان الرجل يخرج بأهله فيأتي الأرض فينزها فيقول: أعوذ بسيد هذا الوادي من الجن أن أضرب أنا فيه أو مالي أو ولدي أو ماشيتي، فإذا عاذ بهم من دون الله، رَهَقَتْهم الجن الأذى عند ذلك. وقال مجاهد: زاد الكفار طغياناً.

﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾ أي: لن يبعث الله بعد هذه المدة رسولاً. قاله الكلبي وابن جرير.

الآية (٨-١٠): يخبر تعالى عن الجن حين بعث الله رسوله محمداً ﷺ وأنزل عليه القرآن، وكان من حفظه له أن السماء ملئت حرشاً شديداً، وحفظت من سائر أرجائها، وطردت الشياطين عن مقاعدها التي كانت تقعد فيها قبل ذلك؛ لئلا يسترقوا شيئاً من القرآن، فيلقوه على ألسنة الكهنة، فيلبس الأمر ويختلط ولا يُدرى من الصادق. وهذا من لطف الله بخلقه، ورحمته بعباده، وحفظه لكتابه العزيز، ولهذا قالت الجن: ﴿وَأَنَّا لَسَمَّا لَاسْمًا فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَثَمَتًا حَرَشًا شَدِيدًا﴾ ٤ ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدًا لِّلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعُ آلَانْ يَحْدِثْ لَّهُ شَهَابًا﴾ ٥ ﴿رَسَدًا﴾ أي: من يروم أن يسترق السمع اليوم يجد له شهاباً مُرْصِداً له، لا يتخطاه ولا يتعده، بل يحمقه ويهلكه، ﴿وَأَنَّا لَا تَدْرِي أَشَرُّ أَوِيدٌ يَمُنُّ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ ٦ أي: ما ندرى هذا الأمر الذي قد حدث في السماء، لا ندرى أشر أريد بمن في الأرض، أم أراد بهم رهم رشداً؟ وهذا من أدبهم في العبارة؛ حيث أسندوا الشر إلى غير فاعل، والخير أضافوه إلى الله ﷻ. وقد ورد في الصحيح: «والشر ليس إليك» [رواه مسلم]. وقد كانت الكواكب يرمى بها قبل ذلك، ولكن ليس بكثير بل في الأحيان بعد الأحيان، كما في حديث ابن عباس: «بينما نحن جلوس مع رسول الله ﷺ إذ رُمي بنجم فاستنار، فقال: «ما كنتم تقولون [في الجاهلية] في هذا؟» فقلنا: كنا نقول: يولد عظيم، يموت عظيم. فقال: «ليس كذلك، ولكن الله إذا قضى الأمر في السماء...» [رواه مسلم]. وهذا هو السبب الذي تحلهم على تطلب السبب في ذلك، فأخذوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها، فوجدوا رسول الله ﷺ يقرأ بأصحابه في الصلاة، فعرفوا أن هذا هو الذي حُفِظت من أجله السماء، فأمن من آمن منهم، وتمرد في طغيانه من بقي. ولا شك أنه لما حدث هذا الأمر -وهو كثرة الشهب في السماء والرمي بها- هال ذلك الإنس والجن وانزعجوا له وارتاعوا لذلك، وظنوا أن ذلك لخراب العالم.

الآية (١١-١٣): يقول مخبراً عن الجن: إنهم قالوا لخبرين عن أنفسهم: ﴿وَأَنَّا إِنَّا الْفَاصِلُونَ رِجَالًا وَمِنَ الْجِنِّ قَوْمًا﴾ ٧ أي: غير ذلك، ﴿كَمَا طَرَفَ الْفَرَسِ﴾ ٨ أي: طرائق متعددة مختلفة وآراء متفرقة. قال ابن عباس: أي: منا المؤمن، ومنا الكافر. ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نَعُجِرَ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ وَلَن نَّعْجِزَهُ هَرَبًا﴾ ٩ أي: تعلم أن قدرة الله حاكمه علينا، وأنا لا نعجزه في الأرض، ولو أمتنا في الحرب، فإنه علينا قادر، لا يعجزه أحد منا. ﴿وَأَنَّا لَسَمِعْنَا أُنشَادًا مِّنَ بَنِي إِدْرِيسَ﴾ ١٠ فيفتخرون بذلك، وهو مفخر لهم، وشرف رفيع، وصفة حسنة. ﴿فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَحْأَفُ بِحَسَا وَلَا رَهَقًا﴾ ١١ قال ابن عباس: فلا يخاف أن يُنقص من حسناته أو يحمل عليه غير سيئاته، كما قال: ﴿فَلَا يَحْأَفُ ظُلُمًا وَلَا مَضْجًا﴾ [طه: ١١٢].



## ● الوقفات التدبيرية

﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾

في هذا توبيخ للكفار من بني آدم؛ حيث أمنت الجن بسماع القرآن مرة واحدة، وانتفعوا بسماع آيات يسيرة منه، وأدركوا بعقولهم أنه كلام الله وأمنوا به، ولم ينتفع كفار الإنس. الشوكاني: ٣٠٣/٥-٣٠٤.

**السؤال: ماذا أفاد إيمان الجن فور سماعهم القرآن الكريم؟**

﴿ وَأَنَا ظَنَنْتُ أَنَّ لِي نَفْوَ إِلَىٰ آلِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ ﴿١٠﴾

هذا مرشد إلى أنه لا ينبغي التقليد في شيء؛ لأن الثقة بكل أحد عجز،  
وانما ينكشف ذلك بالتجربة، والتقليد قد يجر إلى الكفر المهلك هلاكاً  
أبدياً، وأليه أرشد النبي ﷺ فيما أخرجه الشيخان عن النعمان بن بشير  
رضي الله عنه بأن: (من اتقى الشبهات استبرا لدينه وعرضه)، وفي ذلك  
غاية الحث على أن الإنسان لا يقدم ولا يحجم في أصول الدين إلا  
بما ظاهمه. (المبايع: ٤٧١/٢٠).

**السؤال: متى يستحسن التقليد؟ ومتى يذم؟**

﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾

والمعنى: أن الجن زادوا الإنس ضللاً وإثماً لما عاذا بهم، أو زادهم تخويماً لما راوا ضعف عقولهم. وقيل: ضمير الفاعل للإنس، وضمير المفعول للجن؛ والمعنى إن الإنسان زادوا الجن تكبراً وطمعاً لما عاذا بهم، حتى كان الجن يقول: أنا سيد الجن والإنس. ابن جزي ٢/٤٩٥.

السؤال: بين ضرر لجوء بعض الناس إلى السحرة والمشعوذين والشياطين.

﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أُرِيدَ بِمَنٍ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾

وأَسَدَ فَعَلَ إِرَادَةَ الشَّرِّ إِلَى الْمَجْهُولِ، وَلَمْ يَسْنِدْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مَعَ أَنْ مُقَابِلَهُ أَسَدَ إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ: (أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَهْمًا) جَرِيئاً عَلَى وَاجِبِ الْأَدَبِ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى فِي تَحَاشِي إِسْنَادِ الشَّرِّ إِلَيْهِ. ابن عاشور: ٢٩/٢٣١.

**السؤال:** لماذا لم يُسندوا إرادة الشر إلى الله تعالى بينما أسندوا إرادة الخير إليه، مع أن الله هو المقدر الفاعل؟

﴿وَأَنَا مِنَ الصَّالِحِينَ وَمِمَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرِيقَ قَدَدَا﴾

فلما قاموا مقام دعوة إخوانهم إلى اتباع طريق الخير لم يصارحهم بنسبتهم إلى الإفساد، بل الهمو وقالوا: (منا الصالحون)، ثم تطفؤا فقالوا: (ومنا دون ذلك). ابن عاشور: ٢٩/٢٣٢.

**السؤال: ما الأدب الذي يخرج به الداعية من هذه الآية؟**

﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْمَدَىٰ أَمَّا يَوْمٌ مِّن يَّوْمٍ بُرِيدٍ ۖ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾  
 فلا يخاف بخرساً ولا رهقاً لأنه لم يبخس أحداً حقاً، ولا رَهَقَهُ ظُلماً؛ فلا  
 يخاف من إهمال الأُلهة: ١٠٠/١٥

**السؤال: الحزاء من جنس العمل، وضح ذلك من الآتي.**

﴿فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾

يقال ابن عباس رضي الله عنهما: «لا يخاف أن ينقص من حسناته ولا أن يزداد في سيئاته؛ لأن البخس النقصان، والرهق العدوان». القرطبي: ٢٩٢/٢١.

### وحه الظلم له؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْإِنسِ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قَوْمَنَا  
عِجْبًا ۖ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَنْ نُشْرَكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۝  
وَأَنَّهُ عَلَّمَنَا جَدْرَيْنَا مَا افْتَحَدَ صَحْبُهُ وَلَا وَلَدُكَ ۖ وَأَنَّهُ كَانَ  
يَقُولُ سَفِيهًا عَلَى اللَّهِ سَطَطًا ۖ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نَقُولَ الْإِنْسِ  
وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۖ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالِ  
مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوا هَرَقًا ۖ وَأَنَّهُمْ ظَلَمُوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ  
اللَّهُ أَحَدًا ۖ وَأَنَّا لَنَسِنَا السَّمَاءَ فَوَحْدَ نَهَا مِلَيْتَ حَرَسَا  
شَدِيدًا وَشُهْبًا ۖ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدًا لِّلشَّمْعِ ۖ فَمَنْ  
يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ رِشَابًا رَّصَدًا ۖ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدَ  
مِنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۖ وَأَنَّا مِمَّا الْفَالِغُونَ  
وَمَا دُونَ ذَلِكَ كَاظِمِينَ فَذَكَرَ ۖ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ  
اللَّهُ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ وَهَرَقًا ۖ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الِهْدَى  
عَامِنًا بِهِ ۖ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِهِ ۖ وَلَا يَخَافُ يَحْصَا وَلَا رَهَقًا ۖ

595

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
جَدُّ رَبَّنَا	عَظَمَةُ رَبَّنَا، وَجَلَالُهُ، وَغِنَاهُ.
سَفِيهَتُنَا	إِبْلِيسُ.
رَهَقًا	طُغْيَانًا، وَسَفَهًا.
مَقَاعِدُ لِلسَّمْعِ	مَوَاضِعُ؛ لِنَسْتَمِعَ إِلَى أَخْبَارِهَا.
رَصْدًا	أُرْصِدْ لَهُ؛ لِيُزِمَى بِهِ.
طَرِائِقُ هَذَا	فِرَاقًا وَمَذَاهِبَ مُخْتَلِفَةً.

## ● العمل بالآيات

١. اقرأ آيات من كتاب الله مستحضراً استماع الملائكة والجن لقراءتك، لعله يكتب لك اجر استماعهم، ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾.

١٧. ادع قبل النوم بهذا الدعاء: (اللهم أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وأجأت ظهري إليك، ورغبةً ورهبةً إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، آمنت بكتابتك الذي أنزلت، وبنيك الذي أرسلت)، ﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرَكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾.

٣. استعذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق في الصباح والمساء، ﴿وَأَنْتَ كَانَ  
لِرَجُلٍ مِّنَ الْإِنسِ عَوْدُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْإِنِ فَرَادُوهُمْ رَهَقًا﴾.

● التوجيهات

١. من عقيدة المؤمن الإيمان بالجن، ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾.

٢. تعظيم الله تبارك وتعالى، ﴿وَأَنَّهُ تَعَلَّى جُرْجُرًا مَّا أَخَذَتْ سَجَّةً وَلَا وَلَدًا﴾.  
 ٣. الشرك لا يزيد العبد إلا ضعفاً، والتوحيد يزيد العبد قوة وعزاً،  
 ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِيسَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يُؤَدُّونَ رِيسَالِي مِّنَ الْغِيَةِ فَرَأَوْهُمْ رِهَقًا﴾.



وَأَنَامُوا نَسِيمًا وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَمِعُوا أَنَّهُمْ يُرْفَعُونَ فَأُولَٰئِكَ  
تَحَرَّوْا رِشْدًا ۝ وَأَمَّا الْفَاسِقُونَ فَكَانُوا أَلْجَاءَ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ۝  
وَأَلَّوْا اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ غَدَقًا ۝ لَنَقْبِتَنَّهُمْ  
فِيهِ وَمَنْ يَعْزِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ۝ وَأَنَّ  
الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ۝ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ  
يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ۝ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ  
بِهِ أَحَدًا ۝ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رِشْدًا ۝ قُلْ إِنِّي  
لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ۝ إِلَّا بَلَغَا  
مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ قَانَ لَهُ وَتَارَاجَهُنَّ  
خَلِيدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۝ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَأْوَهُدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ  
مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَا ۝ قُلْ إِن أَدْرِي أَقْوِيثُ مَأْوُهُدُونَ  
أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا ۝ عَلَيْهِمُ الْقَيْبُ فَلَا يَظْهَرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ  
أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنْ أَرَادَ مِنْ رُسُولِي أَن يَكُونَ رِشْدًا ۝ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ  
يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ۝ لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِي  
رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ۝

٥٧٣

## معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
وَأَلَّوْا اسْتَقَامُوا	وَأَنَّهُ لَوْ اسْتَقَامَ الْكُفَّارُ.
الطَّرِيقَةِ	دِينِ الْإِسْلَامِ.
غَدَقًا	كَثِيرًا.
صَعَدًا	شَدِيدًا شَأْقًا.
لِبَدًا	جَمَاعَاتٍ مَتَرًا كَبِيرَةً بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ، مِنْ شِدَّةِ أَرْحَامِهِمْ لِسَمَاعِ الْقُرْآنِ مِنْهُ.
يُجِيرَنِي	يُنْقِذَنِي.

## العمل بالآيات

١. قل: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير) عشر مرات، ﴿لَنَقْبِتَنَّهُمْ فِيهِ وَمَنْ يَعْزِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾.
٢. ادع الله في المسجد وبين الأذان والإقامة أن يحقق حاجة من حاجتك، ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾.
٣. ادع الله بهذا الدعاء: (اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبغفوك من عقوبتك)، ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَجِدُ مِنْ دُونِهِ مَلْتَحَدًا﴾.

## التوجيهات

١. النفع والضرر بيد الله فلا يتعلق قلبك بغير الله، ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رِشْدًا﴾.
٢. اختصاص الله تعالى بعلم الغيب، ﴿عَلَيْهِمُ الْقَيْبُ فَلَا يَظْهَرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾.
٣. عظمت الله وأنه محيط بكل شيء سبحانه وتعالى، ﴿لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِي رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾.

## الوقفات التحذيرية

١. ﴿وَأَلَّوْا اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ غَدَقًا﴾

والطريقة هي طريقة الإسلام وطاعة الله، فالعنى: لو استقاموا على ذلك لوسع الله أرزاقهم؛ فهو كقولهم: (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض) [الأعراف: ٩٦].  
ابن جزي: ٤٩٧/٢.

السؤال: بين ثمرة استقامة الناس في الدنيا من خلال هذه الآية؟

١. ﴿وَأَلَّوْا اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ غَدَقًا﴾

قال عمر رضي الله عنه: «أينما كان الماء كان المال، وأينما كان المال كانت الفتنة، وضرب الماء الغدق الكثير لذلك مثلاً لأن الخير والرزق كله بالمطر يكون، فأقيم مقامه»، القرطبي: ٢٩٥/٢١.

السؤال: لماذا ذكر الماء في الآية؟

١. ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾

قيل المعنى أفردوا المساجد لذكر الله ولا تتخذوها هزوا ومتجراً ومجلساً ولا طرقاً ولا تجعلوا لغير الله فيها نصيباً. القرطبي: ٣٠٠/٢١.

السؤال: بماذا خص الله سبحانه وتعالى المساجد؟

١. ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رِشْدًا﴾

فيه تهديد عظيم وتوكيل إلى الله جل وعلا وأنه سبحانه هو الذي يجزيه بحسن صنيعه وسوء صنيعهم. الألوسي: ١٠٥/١٥.

السؤال: ما دلالة نفي النفع والضرر عن النبي ﷺ؟

١. ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَجِدُ مِنْ دُونِهِ مَلْتَحَدًا﴾

أي: لا أحد أستجير به ينقذني من عذاب الله، وإذا كان الرسول الذي هو أكمل الخلق لا يملك ضراً ولا رشداً، ولا يمنع نفسه من الله شيئاً إن أراد بسوء، فغيره من الخلق من باب أولى وأحرى. السعدي: ٨٩١.

السؤال: دلت الآية على ضلال من تعلق قلوبهم بالأولياء والصالحين، بين ذلك.

١. ﴿عَلَيْهِمُ الْقَيْبُ فَلَا يَظْهَرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنْ أَرَادَ مِنْ رُسُولِي أَن يَكُونَ رِشْدًا ۝ هَذَا يَمَعُ الرُّسُولِ الْمَلَكِي وَالْبَشَرِي. ابن كثير: ٤٣٣/٤.

السؤال: هل الاطلاع على بعض الغيب يختص بالرسول البشريين؟ وهل الملائكة يعلمون الغيب؟

١. ﴿لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِي رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾  
والعنى: أن علمه سبحانه بالأشياء ليس على وجه الإجمال، بل على وجه التفصيل؛ أي: أحصى كل فرد من مخلوقاته على حدة.  
الشوكاني: ٣١٣/٥.

السؤال: هل علم الله بالأشياء على وجه الإجمال أم على وجه التفصيل؟

شيء في هدايتكم ولا غوايتكم، بل المرجع في ذلك كله إلى الله.

الآية (٢٢-٢٤): ثم أخبر عن نفسه أيضاً أنه لا يحجره من الله أحد، أي: لو عصيته؛ فإنه لا يقدر أحد على إنقاضي من عذابه، ﴿وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحِداً﴾ قال مجاهد والسدي: لا ملجأ. وقال قتادة: أي: لا نصير ولا ملجأ. وفي رواية: لا ولي ولا موئل. ﴿إِلَّا بَلَقًا مِنْ اللَّهِ وَرِسَالَتِهِ﴾ قال بعضهم: هو مستثنى من قوله: ﴿لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ ﴿وَالْبَلَقُ﴾ ويحتمل أن يكون استثناء من قوله: ﴿لَنْ يُخْرِجَ مِنْ أَنْوَادِهِمْ﴾ أي: لا يخرجني منه ويخلصني إلا بإلاحي الرسالة التي أوجب أداءها علي؛ كما قال تعالى: ﴿يَأْتِيَاكَ الرَّسُولُ بَلَقًا مِمَّا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَهْدِيكَ مِنْ أَمْرَيْنِ﴾ [البقرة: ٦٧]. ﴿وَمَنْ يَصِرْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِيدًا فِيهَا أَبَدًا﴾ أي: إنها أبلغكم رسالة الله، فمن يصص بعد ذلك فله جزاء على ذلك نار جهنم خالدين فيها أبداً، أي: لا عيذ لهم عنها، ولا خروج لهم منها. ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضَعَفَ نَاصِرًا وَأَقَلَّ عَدَدًا﴾ أي: حتى إذا رأى هؤلاء المشركون من الجن والإنس ما يوعدون يوم القيامة ﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾ يومئذ ﴿مَنْ أَضَعَفَ نَاصِرًا وَأَقَلَّ عَدَدًا﴾، هم أم المؤمنون الموحدون لله عز وجل.

الآية (٢٥-٢٨): يقول تعالى أمراً رسوله ﷺ أن يقول للناس: إنه لا علم له بوقت الساعة، ولا يدري أقرب وقتها أم بعيد ﴿قُلْ إِنْ أَدْرَيْتُ أَقْرَبَ مَا نُوْعَدُونَ أَدْرِيحَلُّهُ رَبِّي أَمَدًا﴾ أي: مدة طويلة. وقد كان ﷺ يُسأل عن وقت الساعة فلا يجيب عنها، ولما تبدى له جبريل في صورة أعرابي كان فيها سألته أن قال: يا محمد، فأخبرني عن الساعة. قال: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل» [متفق عليه]. ﴿عَلَيْمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَمَدًا﴾ ﴿إِلَّا مَنْ أَرْزَقَ مِنْ رُسُولِي﴾ هذه كقولته: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وهكذا قال ههنا: إنه يعلم الغيب والشهادة، وأنه لا يطلع أحد من خلقه على شيء من علمه إلا بما أطلعه تعالى عليه؛ ولهذا قال: ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَمَدًا﴾ ﴿إِلَّا مَنْ أَرْزَقَ مِنْ رُسُولِي﴾، وهذا يعم الرسول الملكي والبشري. ﴿فَإِنَّهُ نَسَأَكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ أي: يختص بمزيد معقبات من الملائكة يحفظونه من أمر الله، ويساقون على ما معه من وحي الله. ﴿فَلْيَحْذَرُوا أَفَّا بَلَّغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ﴾ اختلّف في الضمير الذي في قوله: ﴿فَلْيَحْذَرُوا﴾، فقيل: إنه عائد إلى النبي ﷺ، عن قتادة قال: ليعلم نبي الله أن الرسل قد بلغت عن الله، وأن الملائكة حفظتها ودفعها عنها. واختاره ابن جرير. ويحتمل أن يكون الضمير عائداً إلى الله عز وجل، ويكون المعنى في ذلك: أنه يحفظ رسله بملائكته ليتمكنوا من أداء رسالاته، ويحفظ ما ينزله إليهم من الوحي؛ ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم؛ كقولته: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنَّا عَلَيْهَا إِلَّا لِنُعْلَمَ مِنْ يَسْجِدَ الَّذِينَ يَأْتُونَكَ بِمَنْ تَقَبَّلُ عَلَىٰ عِصْيَانِهِ﴾ [البقرة: ١٤٣]، مع العلم بأنه تعالى يعلم الأشياء قبل كونها قطعاً؛ ولهذا قال بعد هذا: ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾.

الآية (١٤-١٧): ﴿وَأَنَّا مِمَّا التَّاسِطُونَ وَمِمَّا الْقَاسِطُونَ﴾ أي: منا المسلم ومنه القاسط، وهو: الجائر عن الحق الناكب عنه، بخلاف المقيط فإنه العادل، ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾ أي: طلبوا لأنفسهم النجاة، ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ أي: وقوداً تُسعر بهم. ﴿وَأَلَوْ اسْتَقَمُوا عَلَىٰ الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً عَذًّا ﴿١٥﴾ لِنَقِمَ بِهِمْ﴾ اختلف المفسرون في معنى هذا على قولين: أحدهما: وأن لو استقام القاسطون على طريقة الإسلام وعدلوا إليها واستمروا عليها ﴿لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً عَذًّا﴾ أي: كثيراً. والمراد بذلك سعة الرزق؛ كقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ عَاشُوا وَأَنفَقُوا لَنَخُنَّ عَلَيْهِمْ بِرَبِّكَ مِنْ أَتَشْكُرُ وَالْأَرْضُ لِلَّهِ﴾ [الأعراف: ٩٦]، وكقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْبَةَ وَالْإِحْسَانَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ مِنَ رِزْقٍ لَآكُلُوا مِنْ قُوَّتِهِ وَمِنْ حَتَّىٰ أَتِجَاهِهِمْ﴾ [البقرة: ١٦٦]. وعلى هذا يكون معنى ﴿لِنَقِمَ بِهِمْ﴾ كما قال زيد بن أسلم: لنبتليهم، من يستمر على الهداية ممن يرد إلى الغواية. قال ابن عباس: ﴿وَأَلَوْ اسْتَقَمُوا عَلَىٰ الطَّرِيقَةِ﴾ يعني بالاستقامة: الطاعة. وقال مجاهد: الإسلام. وقال قتادة: لو آمنوا كلهم لأوسعنا عليهم من الدنيا. وقال مجاهد: أي: طريقة الحق. والقول الثاني: ﴿وَأَلَوْ اسْتَقَمُوا عَلَىٰ الطَّرِيقَةِ﴾ الضلالة ﴿لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً عَذًّا﴾ أي: لأوسعنا عليهم الرزق استدراجاً؛ كما قال: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فُجِّجَ سَائِرُهُمْ فَاتَتْهُمْ يَوْمَئِذٍ أَبْوَابُ أُولَٰئِكَ الَّتِي كَانُوا يَمُوتُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤]. وهذا قول أبي جازل. وله اتجاه، ويتأيد بقوله: ﴿لِنَقِمَ بِهِمْ﴾. ﴿وَمَنْ يَعْزِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّيَ وَسِّلْكُهُ عَذَابًا عَدِيدًا﴾ أي: عذاباً شاقاً شديداً موجعاً مؤلماً.

قال ابن عباس: ﴿عَذَابًا صَعَدًا﴾ أي: مشقة لا راحة معها.

الآية (١٨-٢١): يقول تعالى أمراً عباده أن يؤخّروه في مجال عبادته، ولا يُدعى معه أحد ولا يشرك به. قال قتادة: ﴿وَأَنَّا التَّاسِجِدُ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعتهم، أشركوا بالله، فأمر الله نبيه ﷺ أن يؤخّره وحده. وعن ابن عباس: لم يكن يوم نزلت هذه الآية في الأرض مسجد إلا المسجد الحرام، ومسجد إيليا: بيت المقدس. وقال عكرمة: نزلت في المساجد كلها. ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِيَدًا﴾ قال ابن عباس يقول: لما سمعوا النبي ﷺ يتلو القرآن كادوا يركبونه من الحرص، لما سمعوه يتلو القرآن، ودنوا منه، فلم يعلم بهم حتى أتاه الرسول فجعل يقرئه: ﴿قُلْ أَوْحَىٰ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْمَعُ نَفَرَيْنِ الْخَبِيرِ﴾ يستمعون القرآن. هذا قول. وعن ابن عباس قال: لما رآه يصلي وأصحابه يركعون بركوعه ويسجدون بسجوده، قال: عجبا من طوعة أصحابه له، فقالوا للقومهم: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِيَدًا﴾. وهذا قول ثان. وقال قتادة: تلبّدت الإنس والجن على هذا الأمر ليطفنوه، فأبى الله إلا أن ينصره ويظهره على من ناواه. وهذا قول ثالث، وهو اختيار ابن جرير، وهو الأظهر لقوله بعده: ﴿إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أَشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾ أي: قال لهم الرسول لما أدّوه وكذبوه واجتمعوا على عداوته: ﴿إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي﴾ أي: إنا أعبد ربي وحده لا شريك له، واستجير به وأتوكل عليه، ﴿وَلَا أَشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾. ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ أي: إنا أنا بشر مثلكم يؤخّى إلي، وعبد من عباد الله ليس إلي من الأمر



وهي مكية، [وعدد آياتها (٢٠) آية].

الآية (٩-١): يأمر تعالى رسوله ﷺ أن يترك التزمل -وهو: التغطي في الليل- وينهض إلى القيام لربه ﷻ، كما قال تعالى: ﴿تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [السجدة: ١٦]. وكذلك كان رسول الله ﷺ مثلًا ما أمره الله تعالى به من قيام الليل، وقد كان واجبًا عليه وحده، كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَاجِدْ رَبِّكَ خَفًا لَّكَ سَعَىٰ لَئِكَ يَبْعَثَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٩٦]. وههنا بين له مقدار ما يقوم، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُزْمَلُ ۖ هُوَ مُزْمَلٌ بِقُطَيْفَةٍ قَوْلِهِ: ﴿يُسْمِعُ﴾ بدل من الليل، ﴿أَوْ تَتْلُو آيَةً أَوْ يَنْتَظِرُ﴾ أي: أمرنا أن نقوم نصف الليل بزيادة قليلة أو نقصان قليل، لا حرج عليك في ذلك. قوله: ﴿وَرَبِّكَ أَفْزَعًا ۚ نَبِيًّا﴾ أي: أقره على عمل؛ فإنه يكون عونًا على فهم القرآن وتدبره. وكذلك كان يقرأ صلوات الله وسلامه عليه. في صحيح البخاري عن أنس أنه سئل عن قراءة رسول الله ﷺ، فقال: كانت مدًا، ثم قرأ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ يمد بسم الله، ويمد الرحمن، ويمد الرحيم. ﴿يَا سَتْلَىٰ عَلَيْكَ قَوْلًا قَلِيلًا﴾ قال الحسن وقتادة: أي العمل به. وقيل: ثقیل وقت نزوله؛ من عظمت. واختار ابن جرير أنه ثقیل من الوجهين معًا. كما قال عبد الرحمن بن زيد: كما ثقل في الدنيا ثقل يوم القيامة في الموازين. ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَوْمٌ قَلِيلًا﴾ عن ابن عباس: نشأ: قام، بالحيشة. وقال عمر وابن عباس: الليل كله ناشئة. والغرض: أن ناشئة الليل هي: ساعاته وأوقاته، وكل ساعة منه تسمى ناشئة، وهي الآتات. والمقصود أن قيام الليل هو أشد مواطاة بين القلب واللسان، وأجمع على التلاوة؛ ولهذا قال: ﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَوْمٌ قَلِيلًا﴾ أي: أجمع للخطا في أداء القراءة وتفهيمها من قيام النهار؛ لأنه وقت انتشار الناس ولغط الأصوات وأوقات المعاش. ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْعًا طَوِيلًا﴾ قال ابن عباس وعكرمة: الفراغ والنوم. وقال أبو العالية: فراغًا طويلاً. وقال قتادة: فراغًا وثمينةً ومُنْقَلَبًا. وقال السدي: ﴿سَبْعًا طَوِيلًا﴾ تطوعًا كثيرًا. وقال عبد الرحمن بن زيد في قوله: ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْعًا طَوِيلًا﴾ قال: لحوائجك، فأفرغ ليدنك الليل. ﴿وَأَذْكُرْ أَتَمَّ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ أي: أكثر من ذكره، وانقطع إليه، وتفرغ لعبادته إذا فرغت من أشغالك، وما تحتاج إليه من أمور دنياك؛ كما قال: ﴿إِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ [الشرح: ٧]: أي: إذا فرغت من مهامك فانصب في طاعته وعبادته، لتكون فارغ البال. قال ابن عباس: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ أي: أخلص له العبادة. وقال الحسن: اجتهد وتبتل إليه نفسك. وقال ابن جرير: يقال للعابد: متبتل، ومنه الحديث المروي: أنه نبى عن التبتل [رواه أحمد وأصحاب السنن، وصححه الألباني، يعني: الانقطاع إلى العبادة وترك الزواج. ﴿رَبُّ الشَّرْقِ وَالْمَغْرِبِ﴾

لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَانذَرْنَاهُ ﴿وَكَيْلًا﴾ أي: هو المالك المتصرف في المشار والمغارب الذي لا إله إلا هو، وكما أفردته بالعبادة فأفرد به التوكل، ﴿فَانذَرْنَاهُ ﴿وَكَيْلًا﴾ كما قال في الآية الأخرى: ﴿فَانذَرْنَاهُ وَوَكَّلَ عَلَيْهِ﴾ [مود: ١٢٣] وآيات كثيرة في هذا المعنى فيها الأمر بإفراد العبادة والطاعة لله، وتخصيصه بالتوكل عليه.

الآية (١٠-١٩): يقول تعالى أمرًا رسوله ﷺ بالصبر على ما يقوله من كذبه من سفهاء قومه، وأن يجرهم هجرًا جميلًا؛ وهو الذي لا عتاب معه. ثم قال له متوعداً لكفار قومه ومتهدداً -وهو العظيم الذي لا يقوم لغضبه شيء-: ﴿وَذَرَىٰ الْمَكِيدِينَ أُولَىٰ السَّعْيَةِ﴾ أي: دعني والمكيدين المترفين أصحاب الأموال؛ فإنهم على الطاعة أقدر من غيرهم وهم يطلبون من الحقوق بما ليس عند غيرهم، ﴿وَمَهْلِكُ قَلِيلًا﴾ أي: رويدًا؛ كما قال: ﴿تَتِمُّهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [لقمان: ٢٤]؛ ولهذا قال ههنا: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَكَالًا﴾ وهي: القيود. قاله ابن عباس، ﴿وَحَيًّا﴾ وهي السعير المضطربة ﴿وَوَلَمَّا ذَا غَضَبَةٍ﴾ قال ابن عباس: ينشب في الحلق فلا يدخل ولا يخرج، ﴿وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾. ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾ أي: تزلزل، ﴿وَكُنْتَ لِلْجِبَالِ كِغْيًا مِهْلًا﴾ أي: تصير ككثبان الرمل بعد ما كانت حجارة صماء، ثم إنها تنسف نسفاً فلا يبقى منها شيء إلا ذهب، حتى تصير الأرض ﴿قَانًا صَفْصَفًا﴾ لَأَتَرَىٰ فِيهَا عِزًّا﴾ أي: وادياً، ﴿وَلَا أُنَافُ﴾ [طه: ١٠٦-١٠٧] أي: رابية، ومعناه: لا شيء ينخفض ولا شيء يرتفع. ثم قال خاطباً لكفار قريش، والمراد سائر الناس: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكَ﴾ أي: بأعمالكم، ﴿فَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ رِجْوَةٍ رَسُولًا﴾ فَعَصَىٰ رِجْوَتُ الرَّسُولِ فَأَعَذَّتْهُ أُنْذَارًا وَيْلًا﴾ قال ابن عباس وقتادة: ﴿أُنْذَارًا وَيْلًا﴾ أي: شديداً؛ أي: فاحذروا أنتم أن تكذبوا هذا الرسول، فيصيبكم ما أصاب فرعون، حيث أخذه الله أخذ عزيز مقتدر؛ كما قال تعالى: ﴿فَأَنذَرْتُهُ نَارَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ﴾ [النازعات: ٢٥]، وأنتم أولى بالهلاك والدمار إن كذبتم؛ لأن رسولكم أشرف وأعظم من موسى بن عمران. ﴿كَذَكَفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ يحتمل أن يكون ﴿يَوْمًا﴾ معمولاً بـ ﴿تَتَّقُونَ﴾، كما حكاه ابن جرير عن قراءة ابن مسعود: «كفيف تخافون أيها الناس يوماً يجعل الولدان شيباً إن كفرتم بالله ولم تصدقوا به؟! ويحتمل أن يكون معمولاً بـ ﴿كَفَرْتُمْ﴾، فعلى الأول: كيف يحصل لكم أمان من يوم هذا الفزع العظيم إن كفرتم؟! وعلى الثاني: كيف يحصل لكم تقوى إن كفرتم يوم القيامة وجحدتموه؟! وكلاهما معنى حسن، ولكن الأول أولى. ومعنى قوله: ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ أي: من شدة أهواله وزلازله وبلاياه؛ وذلك حين يقول الله لأدم: ابعث بعث النار. فيقول من كم؟ فيقول: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار، وواحد إلى الجنة [متفق عليه]. ﴿السَّاعَةُ مُنْقَطِرَةٌ﴾ قال الحسن وقتادة: أي: بسببه من شدته وهوله، ﴿كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا﴾ أي: كان وعد هذا اليوم مفعولاً؛ أي: واقعاً لا محالة، وكائن لا محيد عنه. ﴿هَٰذَا هَذِهِ﴾ أي: السورة ﴿تَنصَرُّهُ﴾ أي: يتذكر بها أولو الألباب. ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ أي: فمن شاء الله هديته، كما قيده في السورة الأخرى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: ٣٠].



## ● الوقفات التدبيرية

﴿يَا أَيُّهَا الْمَرْمِلُ﴾

وفي خطابه بهذا الاسم فائدتان :

إحداهما: الملائقة؛ فإن العرب إذا قصدت ملاطفة المخاطب وترك  
المعاتبة سموه باسم مشتق من حالته التي هو عليها ...

**والفائدة الثانية: التنبيه لكل متزمل راقد ليله ليتنبه إلى قيام الليل**

وذكر الله تعالى فيه. القرطبي: ٣١٦/٢١.

**السؤال: ما سر الخطاب بقوله: (المزمل)؟**

﴿ نِصْفَهُ ۖ أَوْ أَنْقِصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۖ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ ۖ ﴾

إن قيل: لم قيد النقص من النصف بالقلة فقال: (أو انقص منه قليلاً)، وأطلق في الزيادة فقال: (أو زد عليه)، ولم يقل: «قليلاً»؛ فالجواب: أن الزيادة تحسن فيها الكثرة لذلك لم يقيد بها بالقلة بخلاف النقص؛ فإنه لو أطلقه لاحتمل أن ينقص من النصف كثيراً. ابن جزي: ٥١/٢.

**السؤال: لماذا قيد النقصان بالقلّة ولم يقيد بذلك في الزيادة؟**

﴿ وَرَقِلَ الْقُرْءَانُ تَرْبِيْلًا ﴾

الترتيل هو التمهّل والمد وإشباع الحركات وبيان الحروف، وذلك مُعْتَبَرٌ على التفكير في معاني القرآن، بخلاف [الهند] الذي لا يفقه صاحبه ما يقول، وكان رسول الله ﷺ يقطع قراءته حرفاً حرفاً، ولا يُمِرُّ بآية رحمةً إلا وقف وسأل، ولا يُمِرُّ بآية عذاب إلا وقف وتعوّذ. ابن جزي: ٥١/٢.

**السؤال: ما فائدة الترتيل؟**

﴿ إِنَّ نَافِثَةَ الْيَلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْكَ وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴾

أي: أجمع للخاطر في أداء القراءة وتفهمها من قيام النهار؛ لأنه وقت انتشار الناس، ولغط الأصوات، وأوقات المعاش. ابن كثير: ٤/٣٦.

**السؤال: ما الذي يميز قراءة الليل عن قراءة النهار؟**

﴿وَإِذْ كُنَّا نَمُرُّ بِكَ وَبَيْنَكَ وَمَا نَمُرُّ بِكَ إِلَّا فِي سَبِيلٍ﴾

جاء على التفعيل لسرّ لطيف: فإن في هذا الفعل إيداناً بالتدريج،  
والتكلف، والعمل، والتكثر، والمالفة ابن القيم: ٢١٢/٣.

**السؤال:** ماذا نستفيد من التعبير في قوله تعالى: (وتبتل إليه تبتلاً)؟

## ﴿ وَذُرِّيَّ الْمُنَافِقِينَ أَزَلَى النَّعْمَةِ وَمَهْلَكًا قَلِيلًا ﴾ ﴿١﴾

ووصفهم بـ (أولي النعمة) توبيخاً لهم بأنهم كذبوا لغرورهم وبطهرهم بسبعة حالهم، وتهديداً لهم بأن الذي قال: (ذرتي والمكذبين) سيزيل عنهم ذلك التعمع. ابن عاشور: ٢٩/٢٩٦.

**السؤال: ما فائدة وصف الله تعالى المكذبين بأنهم (أولى النعمة)؟**

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ۖ ﴾

واختير لهم (أي كفار مكة) ضرب المثل بفرعون مع موسى عليه السلام لأن الجامع بين حال أهل مكة وحال أهل مصر في سبب الإعراض عن دعوة الرسول هو مجموع ما هم عليه من عبادة غير الله، وما يملأ نفوسهم من التكبر والتعاضد على الرسول المبعوث إليهم. ابن عاشور: ٢٩/٢٧٣.

**السؤال: لماذا اختير ضرب المثل بفرعون مع موسى؟**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَأْتِيهَا الرِّزْقُ ۖ فُرَاتِلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ نَصْفَهُ وَأَوَّلُ نَصْفِهِ قَلِيلًا ۝  
 ٥ أَوْزِدْ عَلَيْهِ وَرِزْقُ الْفَرَسِ تَرْبِيلًا ۝ إِنَّا سَأَلْنَا عَلَيْهِ قَوْلًا  
 نَقِيلًا ۝ إِنَّ تَأْسِثَةَ الْبَلِّ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝ إِنَّ الْكَافِ  
 النَّهَارَ سَبْحًا طَوِيلًا ۝ وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبْتَئِلْ إِلَيْهِ تَتَّبِعِلَا ۝  
 رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝ وَأَصْبِرْ  
 عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرَ جَبِيلًا ۝ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ  
 أُولَى النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ۝ إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَارًا وَجَجِيمًا ۝  
 وَطَعَامًا ذَا غَصَصٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ۝ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ  
 وَكَانَتْ الْجِبَالُ كَيْبًا مَعِيمًا ۝ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ رَسُولًا شَاهِدًا  
 عَلَيْكَ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ۝ فَصَّىٰ فِرْعَوْنَ الرَّسُولَ  
 فَأَخَذْتَهُ لَخْدًا وَبِيلًا ۝ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ رُبُّوَمَا  
 يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ۝ السَّمَاءُ مِنْقُطِرٌ يُدْرِكُكَ وَهِيَ مُغْشَوَةٌ  
 ۝ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ۝

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
الْمُرْمَلُ	أَصْلُهَا: الْمُرْمَلُ، أَي: الْمُتَلَفُّ بِشَيْءِهِ.
وَزَقَلْ	اقْرَأْ بِتَوَدِّهِ وَتَمَهَّلْ، مُبَيَّنًا الْحُرُوفَ وَالْوُقُوفَ.
وَتَبَثْل	انْقَطَعَ لِعِبَادَتِهِ.
أُولَى النِّعَمَةِ	أَصْحَابُ النِّعَمِ وَالتَّرَفِ.
أَنكَالًا	فَقِيودًا قَصِيْلَةً.
ذَا غَصْبَةٍ	يَنْشَبُ فِي الْحُلُوقِ، لَا يُسْتَسَاغُ؛ لِكُرَاهَتِهِ.
تَرْجُفُ	تَضْطَرِبُ.
كَثِيْبًا	زَمَلًا مُجْتَمِعًا.
مَهِيْلًا	سَائِلًا مُتَنَازِلًا.
وَبِيْلًا	شَدِيْدًا.

## ● العمل بالآيات

١. احرص على قيام هذه الليلة بإحدى عشرة ركعة، ﴿وَرُئِلَ إِلَاقِيلًا﴾ (٢) نَصَّهُ، أَوْ أَقْصَ مِنْهُ قِيلًا (٣) أَوْ زِدَ عَلَيْهِ.

٢. رُتِلَ عشر آيات لهذا اليوم وذلك بإتقان التجويد وتعلم مواطن الوقوف فيها،  
﴿وَرَزَّلْنَا الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾

٣. قل: حسبى الله ونعم الوكيل، ﴿فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾.

## ● التوجيهات

١. الحرص على الصلوة بالله في كل وقت، ﴿قُرْآنًا لِّئَلَّا يَقِيلَا﴾ (٢) يَضَعُهُ أَوْ أَتَقُصَّ مِنْهُ قَلِيلًا (٣) أَوْ رَدَّ عَلَيْهِ.

٢. الصبر على الأذى، وَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَأَهْجِرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا.

٣. هول يوم القيامة، ﴿تَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَيْيَاً مَهِيلاً﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿إِنْ رَبَّكَ يَمْلُكَ أَنْتَ تَعْلَمُ أَدْنَىٰ مِنْ لُغَىٰ اللَّيْلِ وَبُضْعُهُ وَنُكْلُهُ مِنْ اللَّيْلِ مَكَ﴾  
وافتح الكلام بل (إن ربك يعلم أنك تقوم) يشعر بالثناء عليه لوفائه بحق القيام الذي أمر به، وأنه كان يسهل إليه ويهتّم به، ثم يقتصر على القدر المعين فيه النصف أو انقص منه قليلا أو زائد عليه، بل اخذ بالأقصى - وذلك ما يقرب من ثلثي الليل - كما هو شأن أولي العزم. ابن عاشور: ٢٩/٢٨٠.

السؤال: ما مناسبة افتتاح الآية الكريمة بقوله تعالى: (إن ربك يعلم أنك تقوم)؟  
﴿عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْجُؤٌ وَمَأْوَاهُ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَمَّا الْآخَرُونَ فَيَقْبَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾

ذكر سبحانه عذرهم فقال: (علم أن سيكون منكم مرضى) فلا يطيقون قيام الليل، (وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله) أي: يسافرون فيها للتجارة والأرباح؛ يطلبون من رزق الله ما يحتاجون إليه في معاشهم، فلا يطيقون قيام الليل، (وآخرون يقابلون في سبيل الله) يعني: الجاهدين؛ فلا يطيقون قيام الليل. ذكر سبحانه ها هنا ثلاثة أسباب مقتضية للترخيص ورفع وجوب قيام الليل، فرفعه عن جميع الأمة لأجل هذه الأعذار التي تنوب بعضهم. الشوكاني: ٣٢٢/٥.

السؤال: ما عذار ترك قيام الليل المذكورة في الآية الكريمة؟

﴿وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

وجملة (إن الله غفور رحيم) (تعليل للأمر بالاستغفار؛ أي: لأن الله كثير المغفرة شديد الرحمة. والمقصود من هذا التعليل الترغيب والتحريض على الاستغفار بأنه مرجو الإجابة. وفي الإتيان بالوصفين الدالين على المبالغة في الصفة إيماء إلى الوعد بالإجابة. ابن عاشور: ٢٩/٢٩٠.

السؤال: ما فائدة ختام الآية الكريمة بقوله تعالى: (إن الله غفور رحيم)؟  
﴿وَيَا بَاكَ فَطْلَعُ﴾

ويحتمل أن المراد بـثيابه الثياب المعروفة، وأنه مأمور بتطهيرها عن جميع النجاسات في جميع الأوقات، خصوصاً عند الدخول في الصلوات. وإذا كان مأموراً بتطهير الظاهر فإن طهارة الظاهر من تمام طهارة الباطن. السعدي: ٨٩٥.

السؤال: كيف يدل الأمر بتطهير الثياب على تطهير القلوب من أمراضها؟  
﴿وَيَا بَاكَ فَطْلَعُ﴾

عن محمد بن سيرين: (وثيابك فطهر) قال: اغسلها بالماء حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: (وثيابك فطهر) قال: كان المشركون لا يتطهرون، فأمره أن يتطهر ويظهر ثيابه. الطبري: ١٢/٢٣.

السؤال: ما المقصود بتطهير الثياب في الآية؟

﴿فَلَا تَكُنْ مِنَ الْكَافِرِينَ عَسِيرٌ﴾

قال الزمخشري: (إن (غير يسير) كان يكفي عنها (يوم عسير)، إلا أنه ليبين لهم أن عسره لا يرجى تيسيره كعسر الدنيا، وأن فيه زيادة وعيد للكافرين، ونوع بشارة للمؤمنين لسهولته عليهم. ولعل المعنيين مستقلان، وإن قوله تعالى: (يوم عسير) هذا كلام مستقل وصف لهذا اليوم، وبيان للجميع شدة هول. الشنقيطي: ٣٦٨/٨.

السؤال: ما وجه المقابل بين (عسير) و(يسير) في الآيتين؟

﴿وَيَنْبَغِي شُكْرًا﴾

لا يغيبون، أي: حضروا عنده لا يسافرون بالتجارات، بل مواليتهم وأجراؤهم يتوكلون ذلك عنهم، وهم قعود عند أبيهم يتمتع بهم ويتملى بهم، ... وهذا أبلى في النعمة، وهو إقامتهم عنده. ابن كثير: ٤٤٢/٤.

السؤال: ما النعمة في كون أبناء الرجل شهداء عنده؟

﴿إِنْ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ لُغَىٰ اللَّيْلِ وَبُضْعُهُ وَنُكْلُهُ مِنْ اللَّيْلِ مَكَ﴾  
مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يَقْدَرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عِلْمًا لَّنْ تَحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكَ فَاقْرَأْ وَامَّا تَسْتَسْرِرُونَ الْقُرْآنَ إِنَّا عَلِمْنَا أَنَّ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَىٰ  
وَأَمَّا الْآخَرُونَ فَيَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ  
يُقْبَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَأْ وَامَّا تَسْتَسْرِرُونَ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَأَوْفُوا  
الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقْرِضُوا لَنَا نَفْسًا مِنْ خَيْرِ مَا جَدُّهُ  
عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا وَأَسْتَعْفِرُ وَاللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

سُورَةُ النَّحْلِ  
٥٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَيَا بَاكَ فَطْلَعُ ﴿٤﴾  
وَالْأَجْرُ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمَنَّا تَسْتَكْبِرُ ﴿٦﴾ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْكَافِرِينَ عَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَإِنَّا نَقْرُ  
فِي النَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾  
ذُرِّي وَمَنْ خَلَقْتَ رَحِيمًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتَ لَهُ مَا لَا مَمْدُودَ ﴿١٢﴾ وَيَبْدُنْ  
شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدْتَ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ فَتَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّا إِنَّهُ  
كَانَ لَا يَكْتَنِبُ غَيْدًا ﴿١٦﴾ سَأَرَهُنَّ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
لَنْ يُعْمِدَ عَلَيْكُمْ قِيَامُ اللَّيْلِ كُلِّهِ.	لَنْ تَحْصُوهُ
أَصْلُهُ: التَّدْبِيرُ، وَهُوَ التَّمْطِطُ بِثِيَابِهِ.	الْمُدَّثِّرُ
الْأَصْنَافُ، وَأَعْمَالُ الشَّرِكِ.	وَالرُّجَزُ
لَا تُعْمِدُ الْعَطِيَّةُ، كَيْ تَلْتَمِسَ أَكْثَرَ مِنْهَا.	وَلَا تَمَنَّا تَسْتَكْبِرُ
نُفَخَ فِي الصُّورِ نَفْخَ الْبَعْثِ.	نُقِرَ فِي النَّاقُورِ
سَأَرَهُنَّ صَعُودًا	سَأَكْلَفُهُ عَذَابًا شَاقًّا لَا رَاحَةَ لَهُ فِيهِ.
وَقَدَّرَ	هَيَّأَ مَا يَقُولُهُ فِي الطَّعْنِ فِي الشَّرَانِ، وَمَنْ جَاءَ بِهِ.

## ● العمل بالآيات

- أحرص الليلة على قيام الليل ولو بثلاث ركعات، ﴿إِنْ رَبَّكَ يَمْلُكَ أَنْتَ تَعْلَمُ أَدْنَىٰ مِنْ لُغَىٰ اللَّيْلِ﴾.
- صل الصلوات الخمس مع الجماعة، ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾.
- أخبر مسلماً أن من التطهير الذي يحبه الله تطهير الثياب، ﴿وَيَا بَاكَ فَطْلَعُ﴾ (١) وَالْأَجْرُ فَاهْجُرْ (٢).

## ● التوجيهات

- تيسير الله على عباده ورحمته بالأمة، ﴿عَلِمْنَا أَنَّ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَىٰ﴾.
- الدعوة إلى الله تنال الكسل، ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢).
- تذكر اليوم الآخر وأنه عسير، ﴿فَلَا تَكُنْ مِنَ الْكَافِرِينَ عَسِيرٌ﴾.

الآية (٢٠): ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنُصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطُلُوعًا مِّنَ اللَّيْلِ مِمَّا تَتَّبِعُهُ أَفْعَالُكَ وَيَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ بِكَ بِمُؤْمِنٍ وَلَا مِحْرَجٍ﴾. أي: تارة هكذا، وتارة هكذا، وذلك كله من غير قصد منكم، ولكن لا تقدرُونَ على المواظبة على ما أمركم به من قيام الليل؛ لأنه يشق عليكم؛ ولهذا قال: ﴿وَأَنَّهُ يُغَيِّرُ أَمْرًا وَيَأْتِي﴾. أي: تارة يعتدلان، وتارة يأخذ هذا من هذا، وهذا من هذا. ﴿وَعَلَّامٌ لِّمَا تُخْفُونَ﴾. أي: الغرض الذي أوجبه عليكم ﴿فَأَقْرَهُوْا مَا يُخْفَىٰ مِنَ الْفُرْقَانِ﴾. أي: من غير تحديد بوقت، أي: ولكن قوموا من الليل ما تيسر. وعبر عن الصلاة بالقرعة، كما قال في سورة سبحان: ﴿وَلَا تَجْهَرُوا بِالصَّلَاةِ﴾. أي: بقراءتك، ﴿وَلَا تَخَافُهَا﴾. [الإسراء: ١١٠]. وقد استدلل أصحاب أبي حنيفة بهذه الآية على أنه لا يتعين قراءة الفاتحة في الصلاة، بل لو قرأ بها أو بغيرها من القرآن، ولو بآية، أجزأه؛ واعتضدوا بحديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي في الصحيحين: «ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن». وقد أجابهم الجمهور بحديث عبادة بن الصامت في الصحيحين: أن رسول الله ﷺ قال: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب». ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مِّن ذُرِّيَّتٍ مُّسْلِمِينَ وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ النُّجُومِ يَذَّكَّرُونَ﴾. أي: علم أن سيكُون مِن قِبَلِ اللَّهِ وَأَخْرُوجُوا يُقَالُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾. أي: علم أن سيكُون من هذه الأمة ذوو أَعْدَارٍ في ترك قيام الليل، من مرضى لا يستطيعون ذلك، ومسافرين في الأرض يبتغون من فضل الله في المكاسب والتجار، وآخرين مشغولين بما هو الأهم في حقهم من الغزو في سبيل الله. وهذه الآية سبل السورة كلها- مكية، ولم يكن القتال شرع بعد، فهي من أكبر دلائل النبوة؛ لأنه من باب الإخبار بالغيبيات المستقبلية. ولهذا قال: ﴿فَأَقْرَهُوْا مَا يُخْفَىٰ مِنَهُ﴾. أي: قوموا بما تيسر عليكم منه. ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسْتَعِينُونَ﴾. أي: اقيموا صلاتكم الواجبة عليكم، وآتوا الزكاة المفروضة. وقد قال ابن عباس وعكرمة وقناة وغير واحد من السلف: إن هذه الآية نَسَخَتْ الذي كان الله قد أوجبه على المسلمين أولًا من قيام الليل. ﴿وَأَقْرَشُوا اللَّهَ مَرَاتًا حَسَنًا﴾. يعني: من الصدقات؛ فإن الله يجازي على ذلك أحسن الجزاء وأوفره.

﴿وَمَا تَقْرَهُوْا لِأَنكُم مِّنْهُ تَخِذُوْهُ عِدَّةَ نَارٍ وَكُفْرًا وَاعْلَمُوا أَنَّهُ أَقْبَمُ مَا أَقْبَمُوهُ﴾. أي: بين أيديكم فهو لكم حاصل، وهو خير مما أبقتموه لأنفسكم في الدنيا. قال: ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. أي: أكثرُوا من ذكره واستغفاره في أموركم كلها؛ فإنه غفور رحيم لمن استغفره.

### تفسير سورة المذثر

وهي مكية، [وعند آياتها (٥٦) آية].

الآية (١): عن أبي سلمة قال: أخبرني جابر: أنه سمع النبي ﷺ يحدث عن فترة الوحي<sup>(١)</sup>: «فبينما أنا أمشي إذ سمعت صوتًا من السماء، فرفعت بصري قبل السماء، فإذا الملك الذي جاءني بحراء قاعد على كرسي بين السماء والأرض، فحِثَّتْ<sup>(٢)</sup> منه حتى هَوَيْتُ إلى الأرض، فحيث إلى أهلي، فقلت: زملوني زملوني. فزملوني، فزملوني، فأتاني المنزِّلُ<sup>(٣)</sup> فزملني إلى: ﴿وَأَنزِلْهُنَا فَهَبْهُنَّ عَلَيْنَا﴾. وهذا السياق يقتضي أنه قد نزل الوحي قبل هذا، لقوله: «فإذا الملك الذي جاءني بحراء»، وهو جبريل حين أتاه بقوله: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ

الَّذِي خَلَقَ﴾. خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾. الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾. عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾. [العلق: ٥-١٠]. ثم إنه حصل فترة ثم نزل الملك بعد هذا.

الآية (٢-١٠): ﴿قُرْآنًا فَذُكِّرْ﴾. أي: شمر عن ساق العزم، وأُنْذِر الناس. وبهذا حصل الإرسال، كما حصل بالأول النبوة. ﴿وَرَبُّكَ فَكَرِّرْ﴾. أي: عظم. ﴿وَرَبُّكَ فَطَفِّرْ﴾. عن ابن عباس: أنه أتاه رجل فسأله عن هذه الآية قال: لا تلبسها على معصية ولا على غَدْرَةٍ. وقال ابن جريج عن ابن عباس قال: في كلام العرب: نَقِيَ الثياب. وقال مجاهد: ﴿وَرَبُّكَ فَطَفِّرْ﴾. قال: نفسك، ليس ثيابه. وفي رواية عنه: عملك فأصلح. وقال قتادة: أي: طهرها من المعاصي. وقال الموفي عن ابن عباس: يعني: لا تك ثيابك التي تلبس من مكسب غير طائب، ويقال: لا تلبس ثيابك على معصية. وقال محمد بن سيرين: أي: اغسلها بالماء. وقال ابن زيد: كان المشركون لا ينظرون، فأمره الله أن ينظر، وأن يظهر ثيابه. وهذا القول اختاره ابن جرير، وقد تشمل الآية جميع ذلك مع طهارة القلب؛ فإن العرب تطلق الثياب عليه. ﴿وَأَنزِلْهُنَا فَهَبْهُنَّ عَلَيْنَا﴾. قال ابن عباس: وهو الأصنام، فاهجر. وقال إبراهيم: أي: اترك المعصية. وعلى كل تقدير فلا يلزم تلبسه بشيء من ذلك. ﴿وَلَا تَنْتَنُ تَنْتَكِرْ﴾. قال ابن عباس: لا تعط العطية لتلمس أكثر منها. وقال الحسن البصري: لا تمنن بعملك على ربك تستكره. واختاره ابن جرير. وقال مجاهد: لا تضعف أن تستكثر من الخير. وقال ابن زيد: لا تمنن بالنبوة على الناس، تستكرهم بها، تأخذ عليه عوضًا من الدنيا. فهذه أربعة أقوال، والأظهر القول الأول. ﴿وَلَرَبُّكَ فَأَسْرِ﴾. أي: اجعل صبرك على أذاهم لوجه ربك ﷻ، قاله مجاهد. وقال إبراهيم النخعي: اصبر على عطيتك لله تعالى. ﴿وَإِذَا نَزَلَ الْقُرْآنُ فَاسْمِعْ﴾. قال ابن عباس ومجاهد: ﴿الْقُرْآنُ﴾. قال مجاهد: وهو كهنة القرن. ﴿فَنَذَلَ يَوْمَئِذٍ عِيسَى﴾. أي: شديد، ﴿عَلَى الْكُفْرَيْنِ عِيسَى﴾. أي: غير سهل عليهم.

الآية (١١-١٧): يقول تعالى متوعداً لهذا الخبيث الذي أنعم الله عليه بنعم الدنيا، فكفر بأنعم الله، وبدلها كفرًا، وقابلها بالبحود بآيات الله والاقتراء عليها، وجعلها من قول البشر. وقد عَدَّ الله عليه نِمَمَهُ حيث قال: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾. أي: خرج من بطن أمه وحده لا مال له ولا ولد، ثم رزقه الله ﴿مَالًا مَّزْدُودًا﴾. أي: واسمًا كثيرًا. وجعل له بنين شهودًا. قال مجاهد: لا يغيثون، أي: حضورًا عنده لا يسافرون بالتجارات، بل أموالهم وأجراؤهم يتولون ذلك عنهم وهم قعود عند أبيهم، يتمتع بهم ويتكلى بهم. وهذا أبلغ في النعمة وهو إقامتهم عنده. ﴿وَوَعَدْتُ لَهُنَّ نِسَاءً﴾. أي: مكته من صنوف المال والأثاث وغير ذلك. ﴿ثُمَّ يَكْفُرُ أَن يَدْعُو﴾. كَلَّا إِنَّكَ كَانْتَ لَآيِنًا يَنصِبًا﴾. أي: معاندًا، وهو الكفر على نعمه بعد العلم. قال الله: ﴿سَاءَ أَهْلُكَ صَعُودًا﴾. قال ابن عباس: صُعُود: صخرة في جهنم عظيمة يُسحب عليها الكافر على وجهه. وقال السدي: صُعُودًا: صخرة لمساء في جهنم، يكلف أن يصعد بها. وقال مجاهد: أي: مشقة من العذاب. وقال قتادة: عذابًا لا راحة فيه. واختاره ابن جرير.

الآية (١٨): ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾. أي: إنما أرهقناه صُعُودًا، أي: قربناه من العذاب الشاق؛ لبعده عن الإيمان، لأنه فكر وقدر، أي: تَرَوَى ماذا يقول في القرآن حين سُئِلَ عن القرآن، ففكر ماذا يخلق من المقال، ﴿وَقَدَّرَ﴾. أي: تَرَوَى.

(١) فنور الوحي: تأخره مدة من الزمان؛ وكان ذلك لذهاب ما كان ﷺ وجده من الروح، ولتحصل له التنشؤ إلى العود. [فتح الباري: ١/ ٢٧].

(٢) دُحِثَتْ وَأَفْرِغَتْ. [ينظر: تهذيب اللغة (جوت)، ومقاييس اللغة (جأت)].

أَلَايَةُ (١٩-٢٢): ﴿تَقِيلُ كَيْفَ مَذْرُوءٌ﴾ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ مَذْرُوءٌ دَعَاءٌ عَلَيْهِ، ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ أَي: أَعَادَ النَّظَرَ وَالتَّرَوِيَّ، ﴿ثُمَّ عَسَّ﴾ أَي: قَبِضَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَقَطَّبَ، ﴿وَبَسَّرَ﴾ أَي: كَلَحَ وَكَرِهَ.

أَلَايَةُ (٢٣-٢٥): ﴿ثُمَّ أَذْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ﴾ أَي: صُرِفَ عَنِ الْحَقِّ، وَرَجَعَ الْقَهْقَرَى مُسْتَكْبِرًا عَنِ الْإِنْقِيَادِ لِلْقُرْآنِ، ﴿فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا بَحْرٌ يُؤْتِرُ﴾ أَي: هَذَا سِحْرٌ يَنْقُلُهُ مُحَمَّدٌ عَنْ غَيْرِهِ عَمَّنْ قَبْلَهُ وَيُحْكِيهِ عَنْهُمْ؛ وَهَذَا قَالَ: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ أَي: لَيْسَ بِكَلَامِ اللَّهِ.

[سبب النزول]: هذا المذكور في هذا السياق هو: الوليد بن المغيرة المخزومي، أحد رؤساء قريش، وكان من خبره في هذا ما رواه ابن عباس قال: دخل الوليد بن المغيرة على أبي بكر بن أبي قحافة فسأله عن القرآن، فلما أخبره خرج على قريش فقال: يا عجباً لما يقول ابن أبي كبشة! فوالله ما هو بشعر ولا بسحر ولا بهذي من الجنون، وإن قوله لمن كلام الله. فلما سمع بذلك النفر من قريش اهتمروا فقالوا: والله لئن صبا الوليد [لنصبا] <sup>(١)</sup> قريش. فلما سمع بذلك أبو جهل بن هشام قال: أنا والله أكثيكم شأنه. فانطلق حتى دخل عليه بيته فقال للوليد: ألم تر قومك قد جمعوا لك الصدقة؟! فقال: أليس أكثرهم مالا وولداً. فقال له أبو جهل: يتحدثون أنك إنما تدخل على ابن أبي قحافة لتصيب من طعامه. فقال الوليد: أقد تحدث به عشتري؟! فلا والله لا أقرب ابن أبي قحافة، ولا عمر، ولا ابن أبي كبشة، وما قوله إلا سحر يؤثر. فانزل الله على رسوله ﷺ: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿لَا تَنبِي وَلَا تَنْذَرُ﴾.

وقال قتادة: زعموا أنه قال: والله لقد نظرت فيما قال الرجل فإذا هو ليس بشعر، وإن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لميلو وما يُعْلَى، وما أشك أنه سحر. فانزل الله: ﴿تَقِيلُ كَيْفَ مَذْرُوءٌ﴾ أَلَايَةُ، ﴿ثُمَّ عَسَّ وَبَسَّرَ﴾ قَبِضَ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَكَلَحَ. وقد زعم الشدي أنهم لما اجتمعوا في دار الندوة ليجتمعوا رأيهم على قول يقولونه فيه، قبل أن يقدم عليهم وفود العرب للحج ليصدوهم عنه، فقال قائلون: شاعر. وقال آخرون: ساحر. وقال آخرون: كاهن. وقال آخرون: مجنون. كما قال تعالى: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ صَرَفُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً﴾ [الإسراء: ٤٨] كل هذا والوليد يفكر فيما يقوله فيه، ففكر وقدر، ونظر وعبس وبسر، فقال: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا بَحْرٌ يُؤْتِرُ﴾ <sup>(٢)</sup> إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ.

أَلَايَةُ (٢٦-٣٠): قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿سَأُخْلِيهِ سَقَرًا﴾ أَي: سَأُعْمَرُهُ فِيهَا مِنْ جَمِيعِ جَهَنَّمَ.

﴿وَمَا أَذْرِيكَ مَا سَقَرٌ﴾ هذا تهويل لأمرها وتضخيم. ثم فسر ذلك بقوله: ﴿لَا تَنبِي وَلَا تَنْذَرُ﴾ أَي: تَأْكُلُ لَحُومَهُمْ وَعُرُوقَهُمْ وَعَصَبَهُمْ وَجُلُودَهُمْ، ثُمَّ تَبْدِلُ غَيْرَ ذَلِكَ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ لَا يَمُوتُونَ وَلَا يَحْيُونَ.

﴿لَوَاسَةٌ لِلْبَشَرِ﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ: لِلْجِلْدِ. وَقَالَ أَبُو زُرَيْنٍ: تَلْفَحُ الْجِلْدَ لَفْحَةً فَتَدْعُو أَسْوَدَ مِنَ اللَّيْلِ. وَقَالَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ: تَلُوحُ أَجْسَادُهُمْ عَلَيْهَا. وَقَالَ قَتَادَةُ: ﴿لَوَاسَةٌ لِلْبَشَرِ﴾ أَي: حَرَاةٌ لِلْجِلْدِ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ:

تَحْرِقُ بَشَرَةَ الْإِنْسَانِ. ﴿عَلَيْهَا سِتْعَةُ عَشْرَ﴾ أَي: مِنْ مُقَدَّمِي الزِّيَانَةِ، عَظِيمُ خَلْفِهِمْ، غَلِيظُ خُلْفِهِمْ.

أَلَايَةُ (٣١): ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ﴾ أَي: خِزَانَهَا، ﴿إِلَّا مَلَكِيَّةً﴾ أَي: زِيَانَةً غَلَاظًا شَدَادًا؛ وَذَلِكَ رَدٌّ عَلَى مُشْرِكِي قُرَيْشٍ حِينَ ذَكَرَ عِدَّةَ الْخِزْنَةِ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، أَمَا يَسْتَطِيعُ كُلُّ عَشْرَةٍ مِنْكُمْ لَوَاحِدٍ مِنْهُمْ فَتَغْلِبُوهُمْ؟! فَقَالَ اللَّهُ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَكِيَّةً﴾ أَي: شَدِيدِي الْخَلْقِ لَا يَتَقَاوَمُونَ وَلَا يَغَالِبُونَ.

﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أَي: إِنَّا ذَكَرْنَا عِدَّتَهُمْ أَنَّهُمْ تِسْعَةُ عَشْرٍ اخْتِبَارًا مَثَلًا لِلنَّاسِ، ﴿لِيَسْتَعِيبَ الَّذِينَ أَوْفُوا بِالْكَتَابِ﴾ أَي: [ليعلموا] أَنَّ هَذَا الرُّسُولَ حَقٌّ؛ فَإِنَّهُ نَطَقَ بِمُطَابَقَةٍ مَا بِأَيْدِيهِمْ مِنَ الْكُتُبِ السَّائِيَةِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَهُ. ﴿وَيَرْزُقْنَا الَّذِينَ آمَنُوا إِلَّا بَضًّا﴾ أَي: إِلَى إِيَابِهِمْ. بِمَا يَشْهَدُونَ مِنْ صِدْقِ إِخْبَارِ نَبِيِّهِمْ مُحَمَّدٍ ﷺ، ﴿وَلَا يَرْزُقْنَا الَّذِينَ أَوْفُوا بِالْكَتَابِ وَالَّذِينَ لَا يُقِرُّونَ بِالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ أَي: مِنَ الْمُنَافِقِينَ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا مَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾ أَي: يَقُولُونَ: مَا الْحِكْمَةُ فِي ذِكْرِ هَذَا ههنا؟! قَالَ: ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ أَي: مِنْ مِثْلِ هَذَا وَأَشْبَاهِهِ يَتَأَكَّدُ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِ أَقْوَامٍ، وَيَتَزَلْزَلُ عِنْدَ آخَرِينَ، وَلَهُ الْحِكْمَةُ الْبَالِغَةُ، وَالْحُجَّةُ الدَّامِغَةُ.

﴿وَمَا يَمْشُرُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ أَي: مَا يَعْلَمُ عِدَّتَهُمْ وَكَثْرَتَهُمْ إِلَّا هُوَ تَعَالَى. وَقَدْ ثَبِتَ فِي حَدِيثِ الْإِسْرَاءِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ فِي صِفَةِ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ الَّذِي فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ: «فَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ، آخَرُ مَا عَلَيْهِمْ [مَغْفِرَةٌ عَلَيْهِ]. وَمَا مِنْهُ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ» قَالَ مُجَاهِدٌ وَغَيْرُ وَاحِدٍ: ﴿وَمَا يَمُوتُ﴾ أَي: النَّارُ الَّتِي وَصَفْتُ، ﴿إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ﴾.

أَلَايَةُ (٣٢-٣٧): قَالَ: ﴿كَلَّا وَالْقَمَرِ﴾ <sup>(٣)</sup> وَاللَّيْلِ إِذَا أَذْبَرَ أَي: وَلِي، ﴿وَالْفُجْرِ إِذَا أَشْرَقَ﴾ أَي: أَشْرَقَ، ﴿إِنِّي أَخَذْتُ الْكُرْسِيَّ﴾ أَي: الْعِظَامَتِ، يَعْنِي: النَّارَ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ وَالضَّحَّاكُ وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ: ﴿تَذِيرًا لِلْبَشَرِ﴾ <sup>(٤)</sup> لِمَنْ شَاءَ يَسْكُرُ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ أَي: لِمَنْ شَاءَ أَنْ يَقْبَلَ التَّذِيرَةَ وَيَهْتَدِيَ لِلْحَقِّ، أَوْ يَتَأَخَّرَ عَنْهَا وَيُؤَلِّقَ وَيُرَدِّدَهَا.

أَلَايَةُ (٣٨-٤٧): يَقُولُ تَعَالَى خَبِيرًا أَنْ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ يَنْكَبِتُ رُجُوتَ﴾ أَي: مُعْتَقِلَةً بِعَمَلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ: ﴿إِلَّا أَصْحَابَ الَّذِينَ﴾ فَإِنَّهُمْ: ﴿فِي جَنَّاتٍ يَنفَعُونَ﴾ <sup>(٥)</sup> عَنِ الْمُتَعَبِّينَ أَي: يَسْأَلُونَ الْمُجْرِمِينَ وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ وَأُولَئِكَ فِي الدَّرَكَاتِ قَائِلِينَ لَهُمْ: ﴿يَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ فِي سَعَاتٍ﴾ <sup>(٦)</sup> قَالُوا لَوْ لَكَ مِنَ النَّصْلَيْنِ <sup>(٧)</sup> وَلَوْ لَكَ نُفُوسُ الْمُسْكِينِ أَي: مَا عَبَدْنَا رَبَّنَا وَلَا أَحْسَنَّا إِلَى خَلْقِهِ مِنْ جِنْسِنَا، ﴿رَكْعَتًا تَخْرُشُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾ أَي:

نَتَكَلَّمُ فِيهَا لَا نَعْلَمُ. وَقَالَ قَتَادَةُ: كَلِمَا غَوِي غَاوِيَا مَعَهُ، وَكَذَلِكَ يُؤَيِّدُ الَّذِينَ <sup>(٨)</sup> حَتَّى أَتَيْنَا الَّذِينَ يَعْنِي: الْمَوْتَ؛ كَقَوْلِهِ: ﴿وَأَعْبَدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩] وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَّا هُوَ - يَعْنِي عِثَانُ بْنُ مَظْعُونٍ - فَقَدْ جَاءَهُ الْيَقِينُ مِنْ رَبِّهِ» [رواه البخاري].



٣. الجنة جزاء أصحاب اليمين، ﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ (٣٦) فِي جَنَّتِ يَسَاءَلُونَ ﴿٣٧﴾



## ● الوقفات التحذيرية

﴿ مَا نَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾

إيماء إلى ثبوت الشفاعة لغيرهم يوم القيامة على الجملة، وتفصيلها في صحاح الأخبار. ابن عاشور: ٣٢٨/٢٩.

السؤال: ما إيماء الآية الكريمة (فما تنفعهم شفاعة الشافعين)؟

﴿ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْغَفْوَةِ ﴾

هو أهل أن يخاف منه، وهو أهل أن يغفر ذنب من تاب إليه وأتاب. ابن كثير: ٤٤٧/٤.

السؤال: إذا علمت أن الله أهل أن يغفر الذنوب فما موقفك العملي من هذا؟

﴿ وَلَا أَقِيمُ بِالنَّفْسِ الزَّوَامَةَ ﴾

هي التي تلوم نفسها على فعل الذنوب، أو التقصير في الطاعات؛ فإن النفوس على ثلاثة أنواع: فخيرها النفس الطمئنة، وشرها النفس الأمارة بالسوء، وبينهما النفس اللوامة. ابن جزي: ٥١٣/٢.

السؤال: النفوس أنواع، فما الفرق بين النفس الأمارة والنفس اللوامة؟

﴿ وَلَا أَقِيمُ بِالنَّفْسِ الزَّوَامَةَ ﴾

وَبَنَيْه سبحانه بكونها لوامة على شدة حاجتها وفاققتها وضرورتها إلى من يُعْرِفُهَا الخير والشر، ويدلها عليه، ويرشدها إليه، ويلهمها إياه؛ فيجعلها مريدة للخير، مرشدة له، كارهة للشر، مجالبة له؛ لتخلص من اللوم، ومن شر ما تلوم عليه، ولأنها متلومة مترددة لا تثبت على حال واحدة، فهي محتاجة إلى من يُعْرِفُهَا ما هو أنفع لها في معاشها ومعادها فتؤثره وتلوم نفسها عليه إذا فاتها. ابن القيم: ٢٢٥/٣.

السؤال: ما المقصود بالنفس اللوامة؟

﴿ لَا تَحْرُكَ بِهِ لِسَانَكَ لِتَجَلَّ بِهِ ﴾

تضمنت الثاني والتثبت في تلقي العلم، وأن لا يحمل السامع شدة محبته وحرصه وطلبه عن مبادرة المعلم بالأخذ قبل فراغه من كلامه ... فهكذا ينبغي لطالب العلم ولسامعه أن يصبر على معلمه حتى يقضي كلامه، ثم يعيده عليه، أو يسأل عما أشكل عليه منه، ولا يبادر قبل فراغه. ابن القيم: ٢٣٠/٣.

السؤال: تضمنت الآية أدباً يجب على طلاب العلم أن يتحلوا به، فما هو؟

﴿ لَا تَحْرُكَ بِهِ لِسَانَكَ لِتَجَلَّ بِهِ ﴾ (١) ﴿ إِنَّا عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾ (٢) ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾ (٣) ﴿ ثُمَّ إِنَّا عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾

في هذه الآية أدب لأخذ العلم: أن لا يبادر المتعلم المعلم قبل أن يفرغ من المسألة التي شرع فيها، فإذا فرغ منها سأل عما أشكل عليه، وكذلك إذا كان في أول الكلام ما يوجب الرد أو الاستحسان أن لا يبادر برده أو قبوله، حتى يفرغ من ذلك الكلام، ليتبين ما فيه من حق أو باطل، وليفهظه فهماً يتمكن به من الكلام عليه. السعدي: ٨٩٩.

السؤال: ما هو أدب طالب العلم المستفاد من الآية؟

﴿ إِنَّا عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾

قوله تعالى: (إن علينا جمعه وقرآنه) فيه إشارة إلى أنه نزل مفرقاً، وإشارة إلى أن جمعه على هذا النحو الموجود برعاية وعناية من الله تعالى، وتحقيقاً لقوله تعالى: (إن علينا جمعه وقرآنه)، ويشهد لذلك أن هذا الجمع الموجود من وسائل حفظه، كما تعهد تعالى بذلك، والله تعالى أعلم. الشنقيطي: ٣٧٤/٨.

السؤال: في هذه الآية إشارة إلى أن القرآن نزل مفرقاً، وأن جمعه على هذا النحو الموجود برعاية وعناية من الله تعالى، وضح ذلك.

فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿١﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٢﴾ كَانَتْهُمْ حُجُورٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ مِّنْ قَسْوَرَةٍ ﴿٤﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُّؤْتَى صُحُفًا مُّثَنَّرَةً ﴿٥﴾ كَلَّا بَلْ لَا يَمْلِكُونَ الْآخِرَةَ ﴿٦﴾ كَلَّا إِنَّهُ تَذَكَّرٌ ﴿٧﴾ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ﴿٨﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَعْرِفَةِ ﴿٩﴾

الْبَابُ

سُورَةُ الْقِيَامَةِ

الْبَابُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أَقِيمُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴿١﴾ وَلَا أَقِيمُ بِالنَّفْسِ الزَّوَامَةَ ﴿٢﴾ ائْتِ الْإِنْسَانَ لَأَن يُجْعَلَ عَظَامُهُ ﴿٣﴾ بَلْ قَدْ رَدِينَا عَنْ سُؤْيِ بَنَانِهِ ﴿٤﴾ بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ﴿٥﴾ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرَأَ أَبْصَرَ ﴿٧﴾ وَحَسِبَ الْقَمَرُ أَن يَرْجِعَ النَّفْسَ وَالْقَمَرَ ﴿٨﴾ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ إِنَّ الْمَقَرَّ ﴿٩﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١٠﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴿١١﴾ يَبْتَوَلُوهُ ﴿١٢﴾ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ جَاهِلٌ وَأَعْرَضٌ ﴿١٣﴾ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ ﴿١٥﴾ لَا تَحْرُكَ بِهِ لِسَانَكَ لِتَجَلَّ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنَّا عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّا عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
حُمْرٌ	حُمْرٌ وَحَشِيئَةٌ شَدِيدَةُ النَّفَارِ.
قَسْوَرَةٌ	أَسَدٌ كَاسِبٌ.
الزَّوَامَةُ	النَّفْسُ الَّتِي تَلُومُ صَاحِبَهَا.
نُسُوءٌ بَنَانُهُ	تَجْعَلُ أَصَابِعَ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ شَيْئًا مُّسْتَوِيًّا؛ كَحُفِّ الْبَيْعِ، أَوْ تُعِيدُ خَلْقَهَا كَمَا كَانَتْ.
أَيَّانَ	مَتَى؟
بَرَأَ أَبْصَرَ	تَحَيَّرَ الْبَصَرُ وَدُهَشَ لِأَهْوَالِ الْقِيَامَةِ.
لَا وَزَرَ	لَا مُلْجَأَ وَلَا مَنَاجَى لَهُ مِنَ اللَّهِ.
الْمُسْتَقَرُّ	الْمَرْجِعُ، وَالْمَصِيرُ.
وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ	لَوْ جَاءَ بِكُلِّ مَعْذِرَةٍ يَسْتَعِذُّ بِهَا، مَا قُبِلَتْ.

## ● العمل بالآيات

١. سَلِ اللَّهَ أَنْ تَنَالِ شَفَاعَةَ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَاسْتَعِنِ عَلَى ذَلِكَ بِصَالِحِ الْأَعْمَالِ، ﴿ مَا نَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾.
٢. عَابَتْ نَفْسُكَ قَبْلَ أَنْ تَتَدَمَّ عَلَى أَعْمَالِكَ، ﴿ وَلَا أَقِيمُ بِالنَّفْسِ الزَّوَامَةَ ﴾.
٣. قُلْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدِمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، ﴿ يَبْتَوَلُوهُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ مَّا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴾.

## ● التوجيهات

١. اقْبَلِ عَلَى الدُّرُوسِ وَالْمَوَاضِعِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُعْرِضِينَ عَنِ التَّذْكَرَةِ، ﴿ مَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَعْرِفَةِ ﴾.
٢. اللَّهُ سَبْحَانَهُ هُوَ الَّذِي يُتَّقَى عَذَابُهُ، وَاسْتَغْفَرْ مِنَ الذُّنُوبِ، ﴿ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَعْرِفَةِ ﴾.
٣. أَهْمِيَّةُ مُحَاسَبَةِ النَّفْسِ، ﴿ وَلَا أَقِيمُ بِالنَّفْسِ الزَّوَامَةَ ﴾.





الآية (٢٥-٢٠): ﴿كَذَّابٌ يُحْسِنُ الْعَاجِلَةَ ۖ وَيَذُورُ الْآخِرَةَ﴾ أي: إنما يحلمهم على التكذيب يوم القيامة ومخالفة ما أنزل الله ﷻ على رسوله ﷺ من الوحي الحق والقرآن العظيم: أنهم إنما هتتهم إلى الدار الدنيا العاجلة، وهم لا هون متشاكلون عن الآخرة. قال: ﴿وَيُذَوِّرُ وَيُذِيرُ نَاصِرَةً﴾ من النضارة، أي: حسنة بنية مشرقة مسرورة، ﴿إِنَّ رَيْبًا نَاطِرَةً﴾ أي: تراه عياناً، كما رواه البخاري: «إنكم سترون ربكم عياناً». وقد ثبت رؤية المؤمنين لله ﷻ في الدار الآخرة في الأحاديث الصحاح من طرق متواترة عند أئمة الحديث، لا يمكن دفعها ولا منعه؛ لحديث أبي سعيد وأبي هريرة: أن ناساً قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال: «هل تَصْأَرُونَ في رؤية الشمس والقمر ليس دونها سَحَابٌ؟» قالوا: لا. قال: «فإنكم تَرَوْنَ ربكم كذلك» [متفق عليه]. ففي هذه الأحاديث أن المؤمنين ينظرون إلى ربهم ﷻ في العرصات، وفي روضات الجنات. وهذا بحمد الله يجمع عليه بين الصحابة والتابعين وسلف هذه الأمة، كما هو متفق عليه بين أئمة الإسلام وهذه الأنام. ﴿وَيُذَوِّرُ وَيُذِيرُ بَاسِرَةً ۖ نَظَرٌ أَنْ يَمْلِكَ بِهَا قَافِرٌ﴾ هذه وجوه الفجار تكون يوم القيامة بأسرة. قال قتادة: كالحية. وقال السدي: تغير ألوانها. وقال ابن زيد: «بَاسِرَةً» أي: عابسة. «نَظَرٌ» أي: تستيقظ. «أَنْ يَمْلِكَ بِهَا قَافِرٌ» قال مجاهد: داهية. وقال قتادة: شر. وقال السدي: تستيقظ أنها هالكة. وقال ابن زيد: نظن أن ستدخل النار.

الآية (٢٦-٤٠): يخبر تعالى عن حالة الاحتضار وما عنده من الأحوال فقال: ﴿كَذَّابٌ إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِي ۖ إِنَّ جَعَلْنَا رَادَّةً فَمَعْنَاهَا: لست يا ابن آدم تكذب هناك بما أُخْبِرْتُ به، بل صار ذلك عندك عياناً. وَإِنْ جَعَلْنَاهَا بِمَعْنَى (حَقًّا) فظاهر، أي: حقا إذا بلغت التراقي، أي: انتزعت روحك من جسدك وبلغت ترايقك. والتراقي: هي العظام التي بين ثغرة النحر والعاتق. ﴿وَيَوْمَئِذٍ مَرَّآتِي﴾ قال ابن عباس: أي من راق يرقى؟ قال أبو قلابة: أي: من طيب شاف؟ وعن ابن عباس [أيضاً]: قيل: من يرقى بروحه؟ ملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب؟ فعلى هذا يكون من كلام الملائكة.

وعن ابن عباس: «وَالْقَلْبُ النَّاسُ بِالنَّاسِ» قال: ألقت عليه الدنيا والآخرة. وكذا قال: آخر يوم في الدنيا، وأول يوم من أيام الآخرة، فتلقي الشدة بالشفة إلا من رحم الله. وقال عكرمة: «وَالْقَلْبُ النَّاسُ بِالنَّاسِ» الأمر العظيم بالأمر العظيم. وقال مجاهد: بلاء بلاء. وقال الحسن البصري: هما ساقاك إذا التفأ. ﴿إِنَّ رَيْبًا نَاطِرَةً﴾ أي: المرجع والمآب؛ وذلك أن الروح تُرْفَعُ إلى السموات، فيقول الله ﷻ: رُدُّوا عبيدي إلى الأرض؛ فإنني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى. ﴿فَكَذَّبَ وَكَذَّبَ وَكَذَّبَ﴾ لَكَ كَذَّبَ وَكَذَّبَ هذا إخبار عن الكافر الذي كان في الدار الدنيا مكذبا للحق بقلبه، متوليا عن العمل بقلبه، فلا خير فيه باطنا ولا ظاهرا. «ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى آخِرِهِ يَنْتَظِرُ» أي: جَذَلَانِ أَشْرًا يَطْرَأُ كَسْلَانِ لاهمة له ولا عمل؛ كما قال: «لَهُ كَانَ فِي آخِرِهِ سَمُورٌ» ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾ أي: يرجع ﴿يَقُولُ إِنَّ رَبِّي كَانَ بِرَيْبِهِ صَبِيرًا﴾ [الاستغفار: ١٣-١٥]. وقال ابن عباس: «ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى آخِرِهِ يَنْتَظِرُ» أي: يمتثل. وقال قتادة: ينتخر. «أَوَّلَ لَكَ فَأَوَّلَ» ثُمَّ أَوَّلَ لَكَ فَأَوَّلَ هذا عهد وعيد أكيد من الله تعالى للكافر به المتبخثر في مشيه، أي: يحق لك أن تمشي هكذا وقد كفرت بخالقك وبارئك، كما يقال في مثل هذا على سبيل التهكم والتهديد؛ كقوله: «دَقُّ إِنْكَ أَنْتَ

الْمَصِيرُ الْكَرِيمُ» [الدخان: ٤٩]. «إِنْ حَسِبَ الْإِنْسَانُ أَنْ يَتْرَكَ سُوءَهُ» قال السدي: يعني: لا يُعِث. وقال مجاهد: يعني لا يؤمر ولا ينهى. والظاهر أن الآية تعمُ الحالين؛ أي: ليس يُترك في هذه الدنيا مهملا لا يؤمر ولا يُنهي، ولا يُترك في قبره سدى لا يُعِث، بل هو مأمور منه في الدنيا، محشور إلى الله في الدار الآخرة. والمقصود هنا إثبات المعاد، والرد على من أنكروه من أهل الزيف والجهل والعناد، ولهذا قال مستدلاً على الإعادة بالبداة: «أَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ بَدَأَةُ الْإِنْسَانِ نُفُوسًا؟» أي: أما كان الإنسان نقطة ضعيفة من ماء مهين؟! «ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى الْأَصْلَابِ مِنَ الْأَرْحَامِ» «ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ كُلِّ شَيْءٍ مُسَوِّدٌ» أي: فصار علقه، ثم مضغه، ثم شُكِّلَ وَنُفِثَ فيه الروح، فصار خلقاً آخر سوياً سليم الأعضاء، ذكرًا أو أنثى بإذن الله وتقديره؛ ولهذا قال: «يَحْكُمُ بَيْنَهُمُ الْيَوْمَ بِأَلْوَانِهِمْ» «أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَيْنَا يَحْكُمُ الْيَوْمَ؟» أي: أما هذا الذي أنشأ هذا الخلق السوي من هذه النطقة الضعيفة بقادر على أن يعيده كما بدأه؟! وتناول القدرة للإعادة إما بطريق الأولى بالنسبة إلى البداوة، وإما مساوية على القولين في قوله: «وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ» [الروم: ٢٧]. والأول أشهر.

### تفسير سورة الإنسان

وهي مكية، [وعدد آياتها (٣١) آية].

[فضل السورة]: عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة «التر» ﴿تَبٰرَكَ الَّذِي يَخْلُقُ السَّجْدَةَ﴾ و﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ﴾ [رواه مسلم].

الآية (١-٣): يقول تعالى مخبراً عن الإنسان أنه أوجده بعد أن لم يكن شيئاً مذكوراً، لحقارته وضعفه، فقال: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنْ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُورًا؟ ۚ ثُمَّ بَيْنَ ذَلِكَ فَعَالٍ: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَشْجَاءٍ﴾ أي: أخلاط. والمشح والمشيح: الشيء المختلط بضعفه في بعض. قال ابن عباس: «بَيْنَ نُطْفَةٍ أَشْجَاءٍ» يعني: ماء الرجل وماء المرأة إذا اجتماعا واختلط، ثم ينتقل بعد من طُور إلى طور، وحال إلى حال. «بَنَيْنَاهُ» أي: بنختره؛ كقوله: ﴿يَبْلُوكُمْ أَنْكُرًا مَسْنُونًا﴾ [الملك: ٢٧]. «فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا» أي: جعلنا له سمعاً وبصراً يتمكن بهما من الطاعة والمعصية. «إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ» أي: بينا له ووضناه وبصرناه به؛ كقوله: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البدر: ١٠]. أي: بينا له طريق الخير وطريق الشر. وهذا قول الجمهور. «إِنَّا شَاكِرًا وَإِنَّا كَفُورًا» منصوب على الحال من «الهاء» في قوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ» تقديره: فهو في ذلك إما شقي وإما سعيد؛ كما في الحديث الذي رواه مسلم، قال رسول الله ﷺ: «كل الناس يفتدو، فبائع نفسه فموبقها، أو معتقها» (١).

الآية (٤-٥): يخبر تعالى عما أُرْصده للكافرين من خلقه به من السلاسل والأغلال والسعير، وهو الهيب والحريق في نار جهنم، كما قال: ﴿إِذْ الْأَعْنَافُ وَالشَّالِبَةُ وَالنَّاسِ كَانُوا بِآيَاتِهِ لَا يَنصُرُونَ﴾ [الأنبياء: ٧١-٧٢]. ولما ذكر ما أعده لهؤلاء الأشقياء من السعير قال بعده: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَوْنَ مِنْ كَأْسٍ كَانَتْ مِرْجَاهُ كَأُفُورًا﴾ وقد غُلم ما في الكافور من التبريد والرائحة الطيبة، مع ما يضاف إلى ذلك من اللذذة في الجنة.

(١) الذي في مسلم وجُلُّ كتب الحديث: «فمعتقها أو موبقها»، أما تقديم (موبقها) على (معتقها) كما ورد هنا فهو رواية عند أحمد.



## الوقفات التدريبية

﴿كَلَّا بَلْ يُرِيتُكَ الْمَلِئِكَةَ﴾ ﴿١٠﴾ وَتَذَرُكَ الْآخِرَةَ ﴿١١﴾

لأن الدنيا نعيمها ولذاتها عاجلة، والإنسان مولع بحب العاجل، والآخره متأخر ما فيها من النعيم المقيم؛ فلهذا غفلتم عنها وتركتوها كأنكم لم تخلقوا لها، وكان هذه الدار هي دار القرار التي تبدل فيها نفائس الأعمار، ويسعى لها آتاء الليل والنهار، وبهذا انقلبت عليكم الحقيقة، وحصل من الخسار ما حصل. السعدي: ٩٠.

السؤال: ما سبب حب الإنسان للحياة العاجلة وتركه لنعيم الآخرة؟

﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾

أي: من يراقه - من الرقيته - لأنهم انقطعت آمالهم من الأسباب العادية، فلم يبق لهم إلا الأسباب الإلهية. السعدي: ٩٠.

السؤال: ما وجه بحثهم عن الرافي لعلاج المحتضر؟ ولماذا لم يبحثوا عن الأطباء المعالجين؟

﴿ثُمَّ دَعَىٰ إِلَىٰ أَهْلِهِ بِتَكْوِينٍ﴾

أي يتبخر افتخاراً بذلك ... وقيل: أصله يتمطط؛ وهو: التمدد من التكسل والتناقل؛ فهو يتناقل عن الداعي إلى الحق. القرطبي: ٤٣٧/٢١.

السؤال: ما التمثلي المذموم في الآية؟

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾

تعريف الإنسان بحاله وابتداء أمره؛ ليعلم أن لا طريق له للكبر واعتقاد السيادة لنفسه، وأن لا يغلطه ما اكتنفته من اللطاف الربانية، والاعتناء الإلهي، والتكرمة فيعتقد أنه يستوجب ذلك ويستحقه؛ (وما يكمن من نعمته فمن الله) لا التحل: ٥٣. البقاعي: ١٢٣/٢١.

السؤال: ما الذي يدفع الإنسان الجاهل إلى الكبر؟

﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَيِّئًا بَصِيرًا﴾

(من نطفة أمشاج) أي: ماء مهين مستقذر؛ (نبتليه) بذلك؛ لنعلم هل يرى حاله الأولى ويتفطن لها، أم ينساها وتقره نفسه. السعدي: ٩٠.

السؤال: بينت هذه الآية كيف يتخلص الإنسان من الغرور، وضح ذلك.

﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَيِّئًا بَصِيرًا﴾

﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾

أي: جعلنا له سماعاً وبصراً يتمكن بهما من الطاعة والمعصية. ابن كثير: ٤٥٣/٤. السؤال: لماذا ذكر الله حاستي السمع والبصر قبل قوله: (إنا هديناه السبيل إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا)؟

﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾

وجمع بين الشاكر والكفور، ولم يجمع بين الشكور والكفور - مع اجتماعهما في معنى المبالغة - نفيًا للمبالغة في الشكر وإثباتاً لها في الكفر؛ لأن شكر الله تعالى لا يؤدي فائتفت عنه المبالغة، ولم تنتف عن الكفر المبالغة، فقل شكره لكثرة النعم عليه وكثر كفره - وإن قل - مع الإحسان إليه. القرطبي: ٤٥٠/٢١.

السؤال: لماذا جاءت صيغة المبالغة في لفظة الكفر دون لفظة الشكر؟

كَلَّا بَلْ يُحِثُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿١٠﴾ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿١١﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿١٢﴾ إِلَىٰ ذَٰلِكَ نَظِيرَةٌ ﴿١٣﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿١٤﴾ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقَةٌ ﴿١٥﴾ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴿١٦﴾ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿١٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿١٨﴾ وَالْتَقَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴿١٩﴾ إِلَىٰ ذِكِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقِ ﴿٢٠﴾ فَلَا صَدَقَ وَلَا وُصِّلَ ﴿٢١﴾ وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٢٢﴾ فَزُذِّبَتْ إِلَىٰ أَهْلِهَا يَمَظَلٌ ﴿٢٣﴾ أَوَّلَىٰ لَكَ فَأَوَّلَىٰ ﴿٢٤﴾ ثُمَّ أَوَّلَىٰ لَكَ فَأَوَّلَىٰ ﴿٢٥﴾ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴿٢٦﴾ أَلَمْ يَكُنْ لَكَ نُفْعَةٌ مِّن مَّغْيِ يَحْمِي ﴿٢٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ فَخَاقٍ مَّوْئَىٰ ﴿٢٨﴾ فَجَعَلَ مِثْلَهُ الْقَوْمُ يَتَذَكَّرُ ﴿٢٩﴾ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣٠﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يَنْجِي الْمَوْتُ ﴿٣١﴾

سُورَةُ الْإِنشَاءِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَيِّئًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ إِنَّا أَعَدَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلِيلًا ﴿٤﴾ وَأَعْلَلْنَا سَعِيرًا ﴿٥﴾ إِنَّ الْأَجْرَ يُشْرُونَ مَن كَانَ مِرَاجِحًا كَاكُورًا ﴿٦﴾

## معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
نَاصِرَةٌ	مُشْرِقَةٌ، حَسَنَةٌ.
بَاسِرَةٌ	عَابِسَةٌ، كَالِحَةٌ.
فَاقَةٌ	مُصِيبَةٌ عَظِيمَةٌ تَقْصِمُ فَقَارَ الظُّهْرِ.
بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ	وَصَلَتْ الرُّوحُ إِلَىٰ أَعَالِي الصُّدْرِ.
مَنْ رَاقٍ	هَلْ مِّنْ رَّاقٍ يَرِيقُهُ، وَيُشْفِيهِ؟
يَمَظَلٌ	يَتَبَخَّرُ فِي مَشْيِهِ مَحْتَلًا.
سُدًى	هَمَلًا لَا يُؤْمَرُ، وَلَا يُحَاسَبُ.
عَاقِبَةُ	قِطْعَةٌ مِّنْ دَمٍ جَامِدٍ.
أَمْشَاجٍ	مُخْتَلِطَةٍ مِّنْ مَّاءِ الرَّجُلِ وَمَاءِ الْمَرَأَةِ.

## العمل بالآيات

- ادع الله: (اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همي ولا مبلغ علمي)، ﴿كَلَّا بَلْ يُرِيتُكَ الْمَلِئِكَةَ﴾ ﴿١٠﴾ وَتَذَرُكَ الْآخِرَةَ ﴿١١﴾.
- سَلِ الله حسن الختام، ﴿وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ﴾.
- سَلِ الله الهداية، ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾.

## التوجيهات

- الحرص على الأعمال التي تجعل المؤمن في زمرة من ينظر إلى الله عز وجل يوم القيامة، ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ﴾ ﴿١٢﴾ إِلَىٰ ذَٰلِكَ نَظِيرَةٌ ﴿١٣﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿١٤﴾ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقَةٌ ﴿١٥﴾.
- التفكير في خلق الإنسان، ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَيِّئًا بَصِيرًا﴾.
- قراءة سورة السجدة في الركعة الأولى، وسورة الإنسان في الركعة الثانية، في صلاة الفجر يوم الجمعة.



## ● الوقفات التدريبية

١ ﴿يُؤْنِ بِالْأَنْزَرِ وَيَعَاوَنَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾

أي: بما الزموا به أنفسهم لله من النذور والمعاهدات، وإذا كانوا يوفون بالنذر وهو لم يجب عليهم إلا بإيجابهم على أنفسهم، كان فعلهم وقيامهم بالفروض الأصلية من باب أولى وأحرى. السعدي: ٩١.

السؤال: على أي شيء يدل امتداد الله للأبرار بالوفاة بالنذر؟

٢ ﴿وَيُطْعَمُونَ الْطَّعَامَ عَلَى حَيْدٍ مِثْلِكَا وَيَتَمَنَّى وَيَأْتِيهِ اللَّهُ لَا يُدْمِكُ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾

ومن طلب من الفقراء الدعاء أو الشفاء خرج من هذه الآية ابن تيمية: ٤٤١/٦.

السؤال: متى يكون الإطعام لوجه الله تاماً؟

٣ ﴿وَيَرْزُقُهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾

أي يصبرهم على الجوع وإيثار غيرهم على أنفسهم. ابن جزي: ٥١٩/٢.

السؤال: ما الصفة التي بسببها تحصل الأبرار على الجنة في هذه الآية؟

٤ ﴿وَيَرْزُقُهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ ١٢ ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَيْئًا وَلَا زُمُورًا﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
يُضْرَبُ بِهَا	يُشْرَبُونَ مُتَلَذِّذِينَ بِهَا.
مُسْتَطِيرًا	فَاشِيًا مُنْتَشِرًا عَلَى النَّاسِ.
قَمَطَرِيرًا	شَدِيدَ الْعُبُوسِ.
الْأَرَائِكُ	الْأَسِرَةُ الْمُرْنِيَّةُ بِفَاحِرِ الثِّيَابِ، وَالسُّتُورِ.
زَمِيرًا	شِدَّةَ بَرْدٍ.
وَدَانِيَةً	قَرِيبَةً أَشْجَارَهَا.
وَذَلَّتْ قُطُوفُهَا	سَهَّلَ لَهُمْ اخْذَ ثِمَارِهَا.
قَوَارِيرًا	مِنَ الزَّجَاجِ.
تُسَمَّى سُلْسِيلًا	سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِإِسْلَاسَةِ شُرْبِهَا، وَسَهُولَةِ مَسَاجِئِهَا.

## ● العمل بالآيات

- أوف بندرك إذا نذرت، ﴿يُؤْنِ بِالْأَنْزَرِ وَيَعَاوَنَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾.
- اعط مسلماً طعاماً تحبه من باب الإيثار على نفسك، ﴿وَيُطْعَمُونَ الْطَّعَامَ عَلَى حَيْدٍ مِثْلِكَا وَيَتَمَنَّى وَيَأْتِيهِ اللَّهُ لَا يُدْمِكُ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾.
- قل أذكاء الصباح قبل الذهاب للمدرسة أو العمل، وقل أذكاء المساء قبل الغروب، ﴿وَأَذْكُرْ أَسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾.

## ● التوجيهات

- إخلاص الأعمال لله تعالى، ﴿إِنَّمَا تُطْعَمُونَ لِرَبِّهِمْ أَفَلَا يُدْمِكُ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾.
- التفكير في نعيم أهل الجنة، ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُم جَزَاءً وَكَانَ سَعِيرًا فَتَبَيَّنُوا﴾.
- الصبر من علامات الرضى بالقضاء والقدر، ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَطِعْ نِفْسَكَ﴾.

الآية (٦-١٢): ﴿عَبَادُ اللَّهِ يَتَرَبَّعُونَ عِبَادَ اللَّهِ بِعُرُوقِهِمْ تَصِيرًا﴾: أي: الذي مُرَّج لهؤلاء الأبرار من الكافور هو عين يشرب بها المقربون من عباد الله صِرَافًا بلا مزج ويزوون بها. ﴿يَصْرُوفُنَا تَصِيرًا﴾: أي: يتصرفون فيها حيث شاؤوا وأين شاؤوا، من قصورهم ودورهم ومجالسهم ومعالهم. قال مجاهد: يقودونها حيث شاؤوا. وقال الثوري: يصرفونها حيث شاؤوا. ﴿يُؤْتُونَكَ النَّذْرَ وَيَتَوَكَّلُونَ عَلَيْكَ كَمَا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾: أي: يتبعدون الله فيما أوجبه عليهم من فعل الطاعات الواجبة بأصل الشرع، وما أوجبه على أنفسهم بطريق النذر. عن عائشة، رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ قال: «من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه»، رواه البخاري. ويتركون المحرمات التي نهاهم عنها خيفة من سوء الحساب يوم المعاد، وهو اليوم الذي شره مستطير، أي: منتشر عام على الناس إلا من رحم الله. قال ابن عباس: فاشيًا. وقال قتادة: استطار -والله- شر ذلك اليوم حتى مَلَأَ السموات والأرض. ﴿وَيُطِيعُونَ أَمْرًا عَلَى حَيْدٍ﴾: الأظهر أن الضمير عائد على الطعام، أي: ويطعمون الطعام في حال حبهم وشهوهم له، قاله مجاهد، واختاره ابن جرير. ﴿يُنْكِيكَ يَتْيَا وَيَسِيرًا﴾: أما المسكين واليتيم فقد تقدم بيانها وصفتها. وأما الأسير، فقال سعيد بن جبير والحسن والضحاك: الأسير: من أهل القبله. وقال ابن عباس: كان أسراؤهم يومئذ مشركين. وقال عكرمة: هم العبيد -واختاره ابن جرير- لعموم الآية للمسلم والمشرک. ﴿إِنَّمَا تُطْعَمُونَ لِرَبِّكَ اللَّهُ﴾: أي: رجاء ثواب الله ورضاه، ﴿لَا تَبْذُرُونَ كِبْرًا وَلَا ذَكْرًا﴾: أي: لا تطلب منكم مجازاة تكافؤنا بها ولا أن تشكرونا عند الناس. ﴿إِنَّمَا تُحَنِّنُ بِرَبِّكَ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ أَعْيُنًا تُطْفَرُ﴾: أي: إنما تفعل هذا لعل الله أن يرحمنا ويتلقانا بلطفه، في اليوم المبوس القمطير. قال ابن عباس ﴿عَبُوسًا﴾ ضيقًا ﴿قَطِيرًا﴾ طويلاً. وقال عكرمة: أي: يعبس الكافر يومئذ حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران. وقال سعيد ابن جبير: تعبس فيه الوجوه من الهول، ﴿قَطِيرًا﴾ تقليص الجبين وما بين العينين من الهول. وأوضح العبارات وأجلاها وأولاها قول ابن عباس. ﴿قَوْلُهُمْ رَبُّكَ ذَلِكَ الْيَوْمُ﴾: أي: أنهم بما خافوا منه، ﴿وَلَقَدْهُمْ نَعْرًا﴾: أي: في وجوههم، ﴿وَسُرُورًا﴾: أي: في قلوبهم. قاله الحسن البصري: وذلك أن القلب إذا سُرَّ استنار الوجه. قال كعب بن مالك: وكان رسول الله ﷺ إذا سُرَّ استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر [متن عليه]. ﴿وَيَعْرِضُ مَا صَبَرًا﴾: أي: بسبب صبرهم أعطاهم وتوهم ويؤاهم ﴿حَنَّةً وَسُرُورًا﴾: أي: منزلًا رحبًا، وعيشًا رغدًا، ولباسًا حسنًا.

الآية (١٣-٢٢): يخبر تعالى عن أهل الجنة وما هم فيه من النعيم المقيم، وما أسبغ عليهم من الفضل العظيم فقال: ﴿ثُمَّ كُنَّ فِيهَا عَلَى الْأَرْزَاقِ﴾ تقدم الكلام على ذلك في سورة «الصفات»<sup>(١)</sup>، وذكر الخلاف في الانكاء: هل هو الاضطجاع، أو الترفق، أو التربع أو التمكن في الجلوس؟ وأن الأرائك هي الشرر تحت الحجال. ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ أي: ليس عندهم حرٌّ مزعج، ولا برد مؤلم، بل هي مزاج واحد دائم سَوْدِيٍّ، ﴿لَا يَبْغَوْنَ عَنْهَا جَلًّا﴾ [الكهف: ١٨] ﴿وَرِثَافَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا﴾ أي: قربة إليهم أغصانها، ﴿وَوُكِّلَتْ لَهُمْ فِيهَا أَنْدَادٌ﴾ أي: متى تعاطاه دنا القطفُ إليه وتدل من أعلى غصنه، كأنه سامع

طائع. ﴿رَبَّنَا عَلِّمْنَا لِنَا إِلَهَكَ مِن فَضْلِكَ وَأَكْرِمْنَا﴾ أي: يطوف عليهم الخدم بأواني الطعام، وهي من فضة، وأكواب الشراب، وهي الكيزان التي لا عَرَى لها ولا خراطيم. ﴿كَانَتْ قَوَارِيرًا ۖ قَوَارِيرًا مِّن فِضَّةٍ﴾ قال ابن عباس ومجاهد والحسن: بياض الفضة في صفاء الزجاج، والقوارير لا تكون إلا من زجاج. فهذه الأكواب هي من فضة، وهي مع هذا شفاقة يرى ما في باطنها من ظاهرها، وهذا عما لا نظير له في الدنيا. ﴿مَذْرُوءًا بِقَدَرٍ﴾ أي: على قدر رَيْمِهِم، لا تزيد عنه ولا تنقص، بل هي مَعْدَةٌ لذلك، مقدرة بحسب رِيّ صاحبها. هذا معنى قول ابن عباس، وقاله ابن جرير. وهذا أبلغ في الاعتناء والشرف والكرامة. وقال ابن عباس: ﴿مَذْرُوءًا بِقَدَرٍ﴾ قُدِّرَتْ للكف. وقال الصحاك: على قدر أَكْفُ الحُذَم. وهذا لا ينافي القول الأول؛ فإنها مقدرة في القَدْر والزِّي. ﴿وَيُسَوِّدْنَ بَيَاضَ﴾ أي: ويسقون -يعني الأبرار أيضًا- في هذه الأكواب ﴿كَأْسًا﴾ أي: خمرًا، ﴿كَأَنَّ مِرْآةً يَسْجُلُ﴾ فتارة يُمِرِّجُ لهم الشراب بالكافور وهو بارد، وتارة بالزنجبيل وهو حار، ليعتدل الأمر، وموَلَاءُ يُمِرِّجُ لهم من هذا تارة ومن هذا تارة. ﴿بَيَاضًا﴾ أي: الزنجبيل عين في الجنة ﴿شَسْرًا سَلِيلًا﴾ قال عكرمة: اسم عين في الجنة. وقال مجاهد: سميت بذلك لسلاسة سيلها وجدة جريها. وحكى ابن جرير عن بعضهم أنها سميت بذلك لسلاستها في الحلق. واختار هو أنها تَمُتُّ ذلك كله، وهو كما قال. ﴿يَسْجُلْنَ عَلَيْهِم مِّثْلَ خَلْدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ فِي نَوْمِهِمْ لَوْذَا تَوَهَّدَ﴾ أي: يطوف على أهل الجنة للخدمة ولدان من ولدان الجنة ﴿خَلْدُونَ﴾ أي: على حالة واحدة يخلدون عليها، لا يتغيرون عنها، لا تزيد أعمارهم عن تلك السن. ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ فِي نَوْمِهِمْ لَوْذَا تَوَهَّدَ﴾ أي: إذا رأيتهم في انتشارهم في قضاء حوائج السادة، وكثرتهم، وصباحة وجوههم، وحسن ألوانهم وثيابهم وحليهم، حسبتهم لولؤًا متورًا. ولا يكون في التشبيه أحسن من هذا، ولا في المنظر أحسن من اللؤلؤ المتور على المكان الحسن. ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ﴾ أي: وإذا رأيت يا محمد، ﴿عِثْمًا﴾ أي: هناك، يعني في الجنة ونعيمها وسَعَتِهَا وارتفاعها وما فيها من الحَبْرَةِ والسُرور، ﴿رَأَيْتَ نَيْمًا وَمَلَكَ يَكْبَرُ﴾ أي: مملكة لله هناك عظيمة وسلطانًا باهرًا. ﴿عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ مِّن سُندُسٍ خُضْرٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ أي: لباس أهل الجنة فيها الحرير، ومنه سندس، وهو رفيع الحرير كالقمصان ونحوها مما يلي أبدانهم، والإستبرق منه ما فيه بريق ولمعان، وهو مما يلي الظاهر، كما هو اليهود في اللباس. ﴿وَعَلَوَ آسَافُورُ مِّن فِضَّةٍ﴾ هذه صفة الأبرار. ولما ذكر تعالى زينة الظاهر بالحرير والحلي قال بعده: ﴿وَسَمَّيْتُم مِّمَّ سَرَابًا مَّهِمًّا﴾ أي: طهر بواطنهم من الحسد والحقد والغل والأذى وسائر الأخلاق الرديئة. ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُنَّ جَزَاءً وَكَانَ سَعِيرًا مِّنْ مَّشْكُورًا﴾ أي: يقال لهم ذلك تكريماً لهم وإحساناً إليهم. ﴿وَكَانَ سَعِيرًا مِّنْ مَّشْكُورًا﴾ أي: جزاكم الله على القليل بالكثير.

الآية (٢٣-٢٥): يقول تعالى ممتناً على رسوله ﷺ بما نَزَّلَهُ عليه من القرآن العظيم تنزيلاً: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ أي: كما أكرمك بما أنزل عليك، فاصبر على قضائه وقدره، واعلم أنه سَيُبَدِّلُكَ بحسن تدبيره، وَلَا تُطِيعْ مِنْهُمْ إِثِمًا أَذْكُرُكُمْ؟ أي: لا تطع الكافرين والمنافقين إن أرادوا صَدَقَ ما أنزل إليك، بل بلغ ما أنزل إليك من ربك، وتوكل على الله؛ فإن الله يعصمك من الناس. فالآن هو الفاجر في أفعاله، والكفور هو الكافر بقلبه. ﴿وَإِذْ كُنْتُمْ أَشِدَّاءُ بِحَبْلِكَ وَأَحْسِلُوا﴾ أي: أول النهار وآخره.

قال: **الريح**. وكذا قال في **العاصفات عَصْفًا** ﴿وَالنَّشِيرَاتِ تَشْكُرًا﴾. وكذا قال ابن عباس ومجاهد وقناة وأبو صالح في رواية عنه. وعن أبي صالح: أن **النَّشِيرَاتِ تَشْكُرًا**: **المطر**. والأظهر أن المرسلات هي الرياح؛ كما قال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوْفٍ﴾ [الحجر: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا يَتَذَكَّرُ فِيهَا مَنَاجِدَهِ﴾ [الأعراف: ٥٧]، وهكذا العاصفات هي: الرياح، يقال: عصف الرياح إذا هبَّتْ بتصويت. وكذا الناشرات هي: الرياح التي تنشر السحاب في آفاق السماء كما يشاء الرب عز وجل.

الآية (٤-٧): ﴿تَالْفَرْقَيْنِ فَرَقًا﴾ ① ﴿فَالْمُفَيِّنِ ذِكْرًا﴾ ② ﴿عَذْرًا أَوْ تَنْذَرًا﴾  
يعني: الملائكة. قاله ابن مسعود وابن عباس ومسروق ومجاهد. ولا  
خلاف هنا؛ فإنها تنزل بأمر الله على الرسل، تفرق بين الحق والباطل،  
والهدى والغى، والحلال والحرام، وتلقي إلى الرسل وحيا فيه إعداز  
إلى الخلق، وإنذار لهم عقاب الله إن خالفوا أمره. ﴿إِنَّمَا تُعَدِّثُونَ آلَ آدَمَ﴾  
هذا هو المقسم عليه بهذه الأقسام، أي: ما وعدتم به من قيام الساعة،  
والنفع في الصور، وبعث الأجساد وجمع الأولين والآخرين في صعيد  
واحد، ومجازاة كل عامل بعمله، إن خيرا فخير وإن شرا فشر، إن هذا  
كله ﴿لَوْعَ﴾ أي: لكائن لا محالة.

الآية (٨-١١): ﴿وَإِذَا الشُّجُمُ كُتِبَتْ﴾ أي: ذهب ضوؤها؛ كقولها: ﴿وَإِذَا الشُّجُمُ أَتَكِدَّتْ﴾ [التكوير: ٢]، وكقولها: ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَبَرَتْ﴾ [الانفطار: ٢]. ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾ أي: انفتحت وانشقت، وتدلَّت أرجاؤها، ووهت أطرافها.

﴿وَإِذَا الْحَيَاتُ نِفَتْ﴾ أي: دُجِب بها، فلا يبقى لها عين ولا أثر؛ كقوله: ﴿وَسَتُؤْتِيكَ مِنَ الْغُلَامِ فَعَلَّ يَتِيمُهَا رَبِّي سَغَفَا﴾ ﴿١٥﴾ يَمْدَحُهَا قَائِمًا صَفِيحًا ﴿١٦﴾ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ [طه: ١٥-١٦]. ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أَقْبَتْ﴾ قال ابن عباس: مُجِعَتْ. وقال ابن زيد: وهذه كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ﴾ [المائدة: ١٠٩]. وقال مجاهد: ﴿أَقْبَتْ﴾ أَجْلَتْ.

الآية (١٢-١٩): ﴿لَا يَبْرَأُ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ مِنْ ذُنُوبِهِمْ وَلَا يَأْتِيهِمْ أَجَلٌ مُّددًا لَهُمْ﴾ (١٢) ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (١٣) ﴿وَمَا أَزِيدُهُمْ﴾ (١٤) ﴿وَمَا أَزِيدُهُمْ﴾ (١٥) ﴿وَمَا أَزِيدُهُمْ﴾ (١٦) ﴿وَمَا أَزِيدُهُمْ﴾ (١٧) ﴿وَمَا أَزِيدُهُمْ﴾ (١٨) ﴿وَمَا أَزِيدُهُمْ﴾ (١٩)

[illegible]

الآية (٢٧-٢٨): ثم قال منكراً على الكفار ومن أشبههم في حُب الدنيا والإقبال عليها والانصباب إليها، وترك الدار الآخرة وراء ظهورهم: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَالَمَةَ وَدُّرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا نَبِيلًا﴾ يعني: يوم القيامة. ﴿وَنَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ﴾ قال ابن عباس ومجاهد: يعني خلقهم. ﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَتْلَهُمْ بُدِيلًا﴾ أي: وإذا شئنا بئناهم يوم القيامة، وبدلناهم فأعدناهم خلقاً جديداً. وهذا استدلال بالبداة على الرجعة. وقال ابن زيد وابن جرير: ﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَتْلَهُمْ بُدِيلًا﴾ أي: وإذا شئنا أتينا بقوم آخرين غيرهم؛ كقوله: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا﴾ [النساء: ١٣٣].

الآية (٢٩-٣١): قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ﴾ يعني: هذه السورة ﴿تَذَكُّرَةٌ مِّنْ شَأْنٍ أَتَّخَذْتُ إِلَىٰ رَبِّيهِ سَبِيلًا﴾ أي: طريقًا ومسلكًا، أي: من شاء اهتدى بالقرآن؛ كقوله: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٣٩]. ثم قال: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ أي: لا يقدر أحد أن يهدي نفسه، ولا يدخل في الإيمان ولا يخرج لنفسه نفعًا ﴿إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ أي: عليم بمن يستحق الهداية فيسيرها له، ويقيض له أسبابها، ومن يستحق الغواية فيصرفه عن الهدى، وله الحكمة البالغة، والحجة الدامغة؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ ثم قال: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ أي: يهدي من يشاء ويضل من يشاء، فمن يهده فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له.

تفسير سورة المرسلات

وهي مكية، [وعدد آياتها (٥٠) آية].

[فضل السورة]: عن عبد الله - هو ابن مسعود - قال: بينما نحن مع النبي ﷺ في غار بمني، إذ نزلت عليه: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فإنه ليتلوها وإني لأتلقاها من فيه، وإن فاه لرطب بها، إذ وكبت علينا حية، فقال النبي ﷺ: «اقلوها». فابتدرناها فذهبت، فقال النبي ﷺ: «وَقِيَّتْ شَرَكُم كَمَا وَقِيَّتْ شَرَاهُ» [متفق عليه]. وعن ابن عباس: أن أم الفضل سمعته يقرأ: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾، فقالت: يا بني، ذكرتني بقرآنك هذه السورة، إنها لآخر ما سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقرأُ بها في المغرب [متفق عليه].

الآية (١-٣): عن أبي هريرة: «**أَتَرَسَكَ عَزَّ**» قال: الملائكة. وروى عن مسروق ومجاهد - في إحدى الروايات - والسدي والريعي بن أنس مثل ذلك. وروى عن أبي صالح أنه قال: هي الرسل. وفي رواية عنه: هي الملائكة. وهكذا قال أبو صالح في العاصفات والناشرات والفارقات والمليقات أنها الملائكة. قال ابن مسعود عن «**الْمُسَلَّاتِ عَزَّ**»





## ● الوقفات التحذيرية

﴿ أَرْتَجِلِ الْأَرْضَ كَيْفَا ﴾ ١

تضم الأحياء على ظهرها، والأموات في بطنها. وهذا يدل على وجوب مواراة الميت ودفنه، ودفن شعره وسائر ما يزيله عنه. القرطبي: ٥٥/٢١.

السؤال: ما الحكم الشرعي المستفاد من هذه الآية؟

﴿ إِنَّمَا تَرَى بِشَرِّ كَالْقَصْرِ ٢٣ ۖ كَأَنَّهُ جَمَلٌ صَفَرٌ ﴾ ١

(جَمَلٌ صَفَرٌ) وهي: السود التي تضرب إلى لون فيه صفرة، وهذا يدل على أن النار مظلمة؛ ليهيأ وجمرها وشررها، وإنها سوداء، كرهية المرأى، شديدة الحرارة، نسال الله العافية منها. السعدي: ٩٥.

السؤال: من خلال تدبرك للآية وفهمك للمعنى، ما لون النار؟ وهل هي مظلمة أم فيها شيء من النور؟

﴿ فَإِنْ كَانَ لُكُودٌ فِكُودٌ ﴾ ١

تمجيز لهم، وتعريض بكيدهم في الدنيا، وتقريع عليه. ابن جزي: ٥٢٥/٢.

السؤال: إذا كان الكفار يوم القيامة عاجزين ولا ينطقون، فكيف يحصل منهم الكيد؟

﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ١

فيه النص على أن عملهم في الدنيا سبب في تمتعهم بنعيم الجنة في الآخرة، وجاء في الحديث: (لن يدخل أحدكم الجنة بعمله)، ولا معارضة بين النصين؛ إذ الدخول بفضل من الله، وبعد الدخول يكون التوارث، وتكون الدرجات، ويكون التمتع بسبب الأعمال. فكلهم يشتركون في التقصّل من الله عليهم بدخول الجنة، ولكنهم بعد الدخول يتفاوتون في الدرجات بسبب الأعمال. الشنقيطي: ٤٤/٨.

السؤال: ما العلاقة بين الأعمال ودخول الجنة؟ وضع ذلك.

﴿ كُلُوا وَشَرِبُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ تَجْزَوْنَ ﴾ ١

فيه دلالة على أن كل مجرم نهايته تمتع أيام قليلة، ثم يبقى في عذاب وهلاك أبداً. الألوسي: ١٩٧/١٥.

السؤال: على ماذا يدل الأمر بالتمتع والأكل للمجرمين في الدنيا؟

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا اللَّهَ لَا تَزْكُمُوا ١٥ ۖ تَزْكُمُونَ ﴾ ١

أي أطيعوا الله تعالى وأخشعوا وتواضعوا له عز وجل بقبول وحبه تعالى واتباع دينه سبحانه، وارفضوا هذا الاستكبار والنخوة. (لا يركعون) لا يخشعون ولا يقبلون ذلك ويصرون على ما هم عليه من الاستكبار. الألوسي: ١٩٧/١٥.

السؤال: ما دلالة الأمر بالركوع ورفض المشرّكين ذلك؟

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا اللَّهَ لَا تَزْكُمُوا ١٥ ۖ وَيَوْمَ يُنَادِي لِلْمُكَذِبِينَ ﴾ ١

ومن إجرامهم أنهم إذا أمروا بالصلاة التي هي أشرف العبادات، وقيل لهم: (اركعوا) امتنعوا من ذلك. فأى إجرام فوق هذا؟ وأي تكذيب فوق هذا؟ السعدي: ٩٥.

السؤال: تكلم عن منزلة الصلاة من خلال تدبرك للآية.

أَرْتَجِلُكُمْ مِنْ مَاءٍ مَيِّينَ ٥ ۖ جَعَلْتَنِي فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ٦ ۖ إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ ٧ ۖ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَدَرُونَ ٨ ۖ وَقُلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِبِينَ ٩  
أَرْتَجِلِ الْأَرْضَ كَهَاتَا ١٠ ۖ أَحْيَاءُ وَأَمْوَاتُ ١١ ۖ وَجَعَلْتَنِي فِيهَا رُوسًا شَمِخَاتٍ وَأَسْقَيْتُكُمْ مَاءً فُرَاتًا ١٢ ۖ وَقُلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِبِينَ ١٣  
أَنْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ١٤ ۖ أَنْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ١٥ ۖ لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهِ ١٦ ۖ إِنَّمَا تَرَى بِشَرِّ كَالْقَصْرِ ٢٣ ۖ كَأَنَّهُ جَمَلٌ صَفَرٌ ٢٤ ۖ وَقُلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِبِينَ ٢٥  
هَذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ ٢٦ ۖ وَلَا يُؤْذِنُ لَهُمْ قَعْدَرُونَ ٢٧ ۖ وَقُلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِبِينَ ٢٨ ۖ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْتَكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ٢٩ ۖ فَإِنْ كَانَ لُكُودٌ فِكُودٌ ٣٠ ۖ وَقُلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِبِينَ ٣١ ۖ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَغُيُوثٍ ٣٢ ۖ وَفَوَكَهَهُمْ مَنَاسِكُهُنَّ ٣٣ ۖ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ٣٤ ۖ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ٣٥ ۖ وَقُلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِبِينَ ٣٦ ۖ كُلُوا وَشَرِبُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ تَجْزَوْنَ ٣٧ ۖ وَقُلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِبِينَ ٣٨ ۖ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا اللَّهَ لَا تَزْكُمُوا ٣٩ ۖ وَقُلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِبِينَ ٤٠ ۖ فَإِنِّي حَدِيثٌ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ٤١

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
مَاءٍ مَيِّينَ	ضَعِيفٌ حَقِيقٌ، وَهُوَ النُّطْفَةُ.
قَرَارٍ مَكِينٍ	مَكَانٌ حَصِينٌ مُتَمَكِّنٌ.
قَدَرٍ	وَقْتٍ.
كَهَاتَا	وَعَاءٌ تَضُمُّ الْأَحْيَاءَ وَالْأَمْوَاتَ.
رُوسًا شَمِخَاتٍ	جِبَالًا ثَوَابِتَ، مُرْتَفَعَاتٍ.
فُرَاتًا	عَذْبًا، سَالِقًا.
ظِلٌّ	هُوَ دُخَانٌ جَهَنَّمِ.
ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ	يَتَفَرَّقُ مِنْهُ ثَلَاثُ قِطْعٍ.
لَا ظَلِيلٍ	لَا يُظِلُّ مِنْ حَرِّ ذَلِكَ الْيَوْمِ.
كَالْقَصْرِ	كَالْبِنَاءِ الْمُشِيدِ فِي الْعِظَمِ وَالْإِرْتِفَاعِ.
جَمَالَةً صَفْرًا	كَأَنَّ الشَّرَّارَ إِذَا سُوِدَ يَمِيلُ لَوْنُهَا إِلَى الصُّفْرِ.

## ● العمل بالآيات

١. زُر المقابر واتعظ بتلك الزيارة، ﴿ أَرْتَجِلُكُمْ مِنْ مَاءٍ مَيِّينَ ٥ ۖ جَعَلْتَنِي فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ٦ ۖ إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ ٧ ۖ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَدَرُونَ ٨ ۖ ﴾.
٢. اطلب من الله أن يسقيكم وينزل الغيث، ﴿ وَأَسْقَيْتُكُمْ مَاءً فُرَاتًا ١٢ ۖ ﴾.
٣. استعد بالله من عذاب جهنم ثلاثاً، ﴿ إِنَّمَا تَرَى بِشَرِّ كَالْقَصْرِ ٢٣ ۖ كَأَنَّهُ جَمَلٌ صَفَرٌ ٢٤ ۖ ﴾.

## ● التوجيهات

١. التفكير في خلق الإنسان، ودلالة الخلق على البعث، ﴿ أَرْتَجِلُكُمْ مِنْ مَاءٍ مَيِّينَ ٥ ۖ جَعَلْتَنِي فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ٦ ۖ إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ ٧ ۖ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَدَرُونَ ٨ ۖ ﴾.
٢. التفكير في ظل الكفار: ﴿ أَنْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ١٥ ۖ لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهِ ١٦ ۖ ﴾.
٣. فضل عاقبة المؤمنين يوم القيامة، ﴿ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ٣٥ ۖ ﴾.





وهي مكية، [وعدد آياتها (٤٠) آية].

الآية (١-١٦): يقول تعالى مُنْكَرًا على المشركين في تساؤلهم عن يوم القيامة إنكارًا لوقوعها: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ أي: عن أي شيء يتساءلون من أمر القيامة؟! ﴿عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ﴾: الخبر الهائل المُفْطِعِ الباهر. قال قتادة وابن زيد: النبا العظيم: البعث بعد الموت. وقال مجاهد: هو القرآن. والأظهر الأول؛ لقوله: ﴿الَّذِي هُوَ يُخَوِّلُكُمْ﴾ يعني: الناس فيه على قولين: مؤمن به وكافر. ثم قال مُتَوَعِّدًا للمركي القيامة: ﴿لَا سَعْيَ لَكُمْ فِيهِ﴾ وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد.

ثم شرع تعالى يبين قدرته العظيمة على خلق الأشياء الغريبة والأمور العجيبة، الدالة على قدرته على ما يشاء من أمر المعاد وغيره، فقال: ﴿أَنزَلَ الْجِبَالَ أَرْضًا يَهْدًا﴾؟! أي: همة للخلاق ذُلُّوا لهم، فآزدة ساكنة ثابتة، ﴿وَالْجِبَالُ أَوْدَادًا﴾ أي: جعلها لها أودادًا أرساها بها وثبتها وقَرَّرها حتى سكنت ولم تضطرب بمن عليها. ثم قال: ﴿وَجَعَلْنَا زُجُجًا﴾ يعني: ذكرًا وأنثى، يستمتع كل منها بالآخر، ويحصل التناسل بذلك؛ كقوله: ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَن يَخْلُقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١]. وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَكُم سُلَالًا﴾ أي: قطعًا للحركة لتحصل الراحة من كثرة الترداد والسعي في المعاش في غرض النهار.

﴿وَجَعَلْنَا لِكُلِّ لِسَانٍ﴾ أي: يغشى الناس ظلامه وسواده؛ كما قال: ﴿وَأَنزَلْنَا لِكُلِّ لِسَانٍ قُرْآنًا﴾ [النس: ٤]، وقال قتادة: سكتًا. وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا لِكُلِّ لِسَانٍ حِسَابًا﴾ أي: جعلناه مُشْرِقًا مُّضِيًّا، لِيَمْتَكِنَ النَّاسُ مِنَ التَّصَرُّفِ فِيهِ وَالنَّهَابِ وَالْمَحْيِ لِلْمَعَاشِ وَالتَّكْسِبِ وَالتَّجَارَاتِ، وغير ذلك. وقوله: ﴿وَنَبِّئَنَّا قَوْمَكُم مِّمَّا شِئْنَا﴾ يعني: السموات السبع، في اتساعها وارتفاعها وإحكامها وإتقانها، وتزيينها بالكواكب الثوابت والسيارات؛ ولهذا قال: ﴿وَجَعَلْنَا بَرَكًا وَفَاسًا﴾ يعني: الشمس المنيرة على جميع العالم التي يتوهج ضوءها لأهل الأرض كلهم. ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾ قال ابن عباس: الرياح. وكذا قال عكرمة ومجاهد وقاتدة: إنها الرياح. ومعنى هذا القول أنها تستثير المطر من السحاب. وعن ابن عباس: ﴿وَمِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾ أي: من السحاب. وكذا قال عكرمة وأبو العالية والضحاك والحسن. واختاره ابن جرير. والأظهر أن المراد: السحاب كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَيُرِي الْقُدُوقَ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ [الروم: ٤٨]. ﴿مَاءً نَّجِيًّا﴾ قال مجاهد وقاتدة والريبع بن أنس: مُنْضًى. وقال الثوري: مُتَابِعًا. وقال ابن جرير: السَّحَابُ الْمُنْتَابِعُ. والله أعلم.

﴿لَنُخْرِجَنَّ مِنْهَا مَاءً وَنَأْتِيَنَّكُمْ أَمْثَالُهَا﴾ أي: لنخرج هذا الماء الكثير الطيب النافع المُبَارَك ﴿جَا﴾ يُدْخِرُ لِلنَّاسِ وَالْأَنْعَامِ، ﴿وَنَأْتِيَنَّكُمْ﴾ أي: خَضِرًا يُؤْكَلُ رَطْبًا، ﴿وَجَنَّتْ﴾ أي: بساتين وحدائق من ثمرات متنوعة، والأوان مختلفة، وطعوم وروائح متفاوتة، وإن كان ذلك في بقعة واحدة من الأرض مجتمعًا؛ ولهذا قال: ﴿وَجَنَّتْ أَلْفَاكًا﴾ قال ابن عباس، وغيره: ﴿أَلْفَاكًا﴾: مجتمعة؛ كقوله تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مِّنْجَبُورَاتٍ وَجَنَّتْ مِّنْ أَعْنَبٍ وَزَيْتُونٍ وَنَحِيلٍ وَصُنَّوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَجَدٍ وَنُقْبَلٍ يَصْفَحُهُ عَظَىٰ بَعْضٌ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ الآية [الرعد: ٤].

الآية (١٧-٣٠): يخبر تعالى عن يوم الفصل، وهو يوم القيامة؛ أنه مؤقت بأجل معدود، لا يزداد عليه ولا ينقص منه، ولا يعلم وقته على التمعين إلا الله عز وجل؛ كما قال: ﴿وَمَا تُحِزُّهُ إِلَّا إِلَاجُ لِّأَجَلٍ مُّعَدَّدٍ﴾ [هود: ١٠٤]. ﴿يَوْمَ يَنفَعُ فِي الصُّورِ قَائِنُ أَوْكَا﴾ قال مجاهد: زُمَرًا زُمَرًا. قال ابن جرير: يعني تأتي كل أمة مع رسولها؛ كقوله: ﴿يَوْمَ تَدْعُوا كُلَّ أُنثَىٰ بِمَا صَنَعَتْ﴾ [الاسراء: ٧١]. ﴿وَفُحِّتِ السَّمَاءُ كَاسَمَاقٍ﴾ أي: طَرَفًا ومسالك لنزول الملائكة. ﴿وَشَرِبَتِ الْجِبَالُ﴾؛ كقوله: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَاوِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ [النمل: ٨٨]. وقوله: ﴿فَكَانَتْ سَرَّابًا﴾ أي: يُحِيلُ إلى الناظر أنها شيء، وليست بشيء، بعد هذا تذهب بالكلية، فلا عين ولا أثر؛ كما قال: ﴿وَكَمْ سَاحِلٍ لِّجِبَالٍ تَمُوتُ الْأَرْضَ بَارِدًا﴾ [الكهف: ٤٧].

﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ أي: مُرْصَدَةً مُّعَدَّةً، ﴿لِّلظَّالِمِينَ﴾ وهم: السمردة العُصاة المخالفون للرسل، ﴿وَنَابًا﴾ أي: مُرْجِعًا وَمُتَقَلِّبًا ومصيرًا ونزلاً. وقوله: ﴿لَّيْسَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ أي: ما تكتن فيها أحقابًا، وهي جمع «حُقب»، وهو: المدة من الزمان. وقد اختلفوا في مقداره. [ف قيل: ثمانون سنة، كل ستة اثنا عشر شهرًا، كل شهر ثلاثون يومًا، كل يوم ألف سنة. وهكذا روي عن أبي هريرة وعبد الله بن عمرو وابن عباس. وقال خالد بن معدان: هذه الآية وقوله: ﴿لَا مَأْسَاءَ رَبِّكَ﴾ [هود: ١٠٧] في أهل التوحيد. [رواه] ابن جرير، ثم قال: يُحْتَمَلُ أن يكون قوله: ﴿لَّيْسَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ مُتَعَلِّقًا بقوله: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾، ثم يُجَدِّدُ اللهُ لهم بعد ذلك عذابًا من سُكُلٍ آخر ونوع آخر. ثم قال: والصحيح أنها لا انقضاء لها كما قال قتادة والريبع بن أنس؛ عن قتادة: هو ما لا انقطاع له وكلما مضى حقب جاء حقب بعده، وقال الريبع بن أنس: لا يعلم عدة هذه الأحقاب إلا الله ﷻ.

﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ أي: لا يبردون في جهنم باردًا لقلوبهم، ولا شرابًا طيبًا يَتَذُوقُونَ به. ﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾ قال أبو العالية: استثنى من البرد الحميم، ومن الشراب الغساق. وكذا قال الريبع بن أنس. فأما الحميم: فهو الحار الذي قد انتهى حره وحموه. والغساق: هو ما اجتمع من صديد أهل النار وعرقهم ودثوعهم وجروحهم، فهو بارد لا يُسْتَطَاعُ مِنْ بَرْدِهِ، ولا يُؤَاجِهُ مِنْ نَّهْيِهِ أَجَارَتَا الله من ذلك، بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ. قال ابن جرير: وقيل: المراد بقوله: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا﴾ يعني: النوم.

﴿جَزَاءً وَثَاقًا﴾ أي: هذا الذي صاروا إليه من هذه العقوبة وفق أعمالهم الفاسدة التي كانوا يعملونها في الدنيا. قاله مجاهد وقاتدة وغير واحد. ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ أي: لم يكونوا يعتقدون أن تم دارًا يُجَارُونَ فيها ويَحْسَبُونَ، ﴿وَكَذُوبُوا بِآيَاتِنَا كَذِبًا﴾ أي: وكانوا يكذبون بحُجَجِ الله ودلائله على خلقه التي أنزلها على رسله، فيقابلونها بالتكذيب والمعاندة. وقوله: ﴿كَذِبًا﴾ أي: تكذيبًا.

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾ أي: وقد عَلِمْنَا أَعْمَالَ الْعِبَاد كُلِّهِمْ، وَكُتِبَتْهَا عَلَيْهِمْ، وَسَنَجْزِيهِمْ عَلَى ذَلِكَ، إِنَّ خَيْرًا فَعِير، وَإِنْ شَرًّا فَشَر. ﴿فَذُوقُوا﴾ يُقَالُ لِأَهْلِ النَّارِ: ذُوقُوا مَا أَنْتُمْ فِيهِ، ﴿فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ من جنسه، ﴿وَالْآخَرِينَ شَكْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [ص: ٥٨]. وعن ابن عمرو قال: لم ينزل على أهل النار آية أشد من هذه: ﴿فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ قال: فهم في مزيد من العذاب أبدًا.



## الوقفات التدريبية

١ ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ١﴾ عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ ١ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ٥

ذكر سبحانه تساؤلهم عن ماذا، ويُنَبِّه فقال: (عن النبا العظيم). فأورده سبحانه أولاً على طريقة الاستفهام مبهماً لتتوجه إليه أذهانهم، وتلفتت إليه أفعالهم، ثم يُنَبِّه بما يفيد تعظيمه وتضخيمه؛ كأنه قيل: عن أي شيء يتساءلون؟ هل أخبركم به؟ ثم قيل بطريق الجواب: (عن النبا العظيم). الشوكاني: ٣٦٣/٥.

السؤال: لماذا جاء الاستفهام في بداية السورة؟

٢ ﴿الَّذِي هُوَ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ٥

وجيء بالجملة الاسمية في صلة الموصول دون أن يقول: «الذي يَخْتَلِفُونَ فيه»، أو نحو ذلك؛ لتفيد الجملة الاسمية أن الاختلاف في أمر هذا النبا متمكن منهم ودائم فيهم؛ لدلالة الجملة الاسمية على الدوام والثبات. ابن عاشور: ١١/٣٠.

السؤال: ما فائدة وقوع صلة الموصول جملة اسمية، وليس جملة فعلية؟

٣ ﴿أَرَأَيْتَ الْأَرْضَ يَهْدَا ١ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ٥ وَعَلَقْتَكَ أَرْوَاجًا ١٠ وَجَعَلْنَا نَوْمَكَ سُبَاتًا ١٠ وَجَعَلْنَا أَيْلَ لِيَا ١٠ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ١٥ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ١٥ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ١٥ وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ١٥ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ١٥ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ١٥ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ١٥ يَوْمَ يُفْعَلُ فِي الصُّورِ قَنَاقٌ ١٥ وَأُرْجَا ١٥ وَفُجِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ١٥ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ١٥ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ١٥ لِلظَّالِمِينَ مَعَابًا ١٥ لِيُثَبِّتَ فِيهَا أَحْقَابًا ١٥ لَا يَدْخُلُ فِيهَا بَرٌّ وَلَا شَرٌّ لَّهَا ١٥ إِلَّا أَجْمَمٌ وَعَسَاقًا ١٥ جَزَاءً وَفَاقًا ١٥ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ١٥ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ١٥ وَكُلُّ شَيْءٍ أَخْصَيْنَاهُ كِتَابًا ١٥ فَذُرُّوهُمْ أَفَلَنْ تَزِيدَهُمُ إِلَّا عَذَابًا ١٥

الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ١٥

وإنما ذكر الله تعالى هنا هذه المخلوقات على جهة التوقيف ليقيم الحجة على الكفار فيما أنكروه من البعث؛ كأنه يقول: إن الإله الذي قدر على خلقه هذه المخلوقات العظام قادر على إحياء الناس بعد موتهم. ابن جزي: ٢٥٤١/١.

السؤال: ذكر الله المخلوقات في هذه الآيات لعلنا، أذكرها.

٤ ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ١٠

أي راحة لكم، وقطعاً لأشغالكم، التي متى تبادت بكم أضرت بإبدانكم، فجعل الله الليل والنوم يغشى الناس لتتقطع حركاتهم المضارة، وتحصل راحتهم النافعة. السعدي: ٩٠٦.

السؤال: ما وجه كون النوم نعمة يمتن الله بها على عباده؟

٥ ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ١٥

يعني: أنه لا يدخل أحد الجنة حتى يجتاز بالنار، فإن كان معه جواز نجا، ولا احتيس. ابن كثير: ٤/٤٦٤.

السؤال: ما الذي يفهم من كون جهنم مرصداً؟

٦ ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَخْصَيْنَاهُ كِتَابًا ١٥

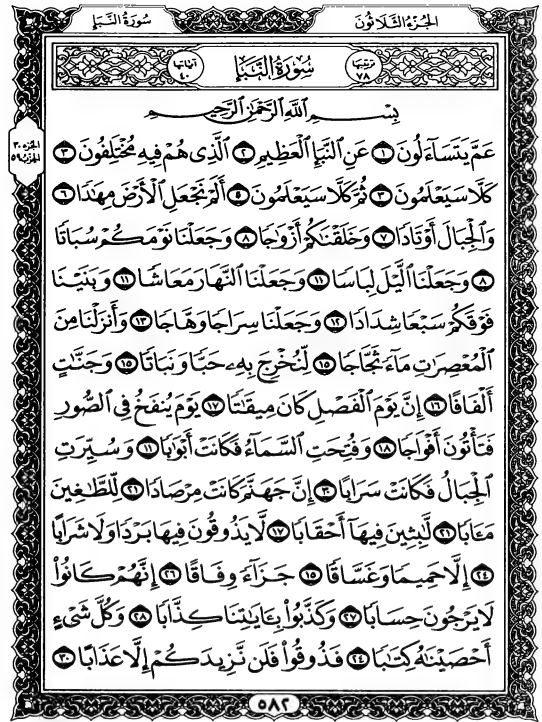
كل شيء من قليل وكثير (أحصيناه كتاباً) أي: كتبناه في اللوح المحفوظ فلا يخشى الجرمون أننا نذهبهم بذنوب لا يعملونها، ولا يحسبوا أنه يضيع من أعمالهم شيء، أو ينسى منها مثقال ذرة. السعدي: ٩٠٧.

السؤال: ما الحكمة من كتابة أعمال العباد؟

٧ ﴿فَذُرُّوهُمْ أَفَلَنْ تَزِيدَهُمُ إِلَّا عَذَابًا ١٥

عن عبد الله بن عمرو، قال: لم تنزل على أهل النار آية أشد من هذه: (فذوقوا) فلن تزيدكم إلا عذاباً، قال: فهم في مزيد من العذاب أبداً. الطبري: ١٦٩/٢٤.

السؤال: ما أشد آية في القرآن على أهل النار؟ ولماذا؟



## معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
سُبَاتًا	رَاحَةً لِإِبْدَانِكُمْ، وَقَطْعًا لِأَعْمَالِكُمْ.
سِرَاجًا وَهَّاجًا	مُصْبِحًا وَقَادًا، مُضِيًّا.
الْمُعْصِرَاتِ	السُّحُبُ الْمُطِيرَةُ.
ثَجَّاجًا	مُنْصَبًا بِكَثْرَةٍ.
وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا	بَسَاتِينَ مُلْتَمَّةٌ أَضْجَارُهَا.
مِيقَاتًا	وَقْتًا، وَمِيعَادًا لِلْفَصْلِ بَيْنَ الْخَلْقِ.
مِرْصَادًا	تَرَصُّدَ أَهْلِهَا، وَتَرْقُبُهُمْ.
أَحْقَابًا	دُهُورًا لَا تَنْقَطِعُ.
وَعَسَاقًا	صَدِيدَ أَهْلِ النَّارِ.
وَفَاقًا	عَادِلًا، مُوَافِقًا لِأَعْمَالِهِمْ.

## العمل بالآيات

١. نم الليلة مبكراً ثم اذكر فالتدبیر وجدتهما من التبكير بالنوم، ﴿وَجَعَلْنَا أَيْلَ لِيَا ١٠ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ١٥﴾.
٢. استعد بالله من عذاب جهنم ثلاثاً، ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ١٥﴾.
٣. تذكر ذنباً عملته ثم استغفر الله، ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَخْصَيْنَاهُ كِتَابًا ١٥﴾.

## التوجيهات

١. له تعالى على خلقه نعم كثيرة موجبة مزيد شكره، ﴿أَرَأَيْتَ الْأَرْضَ يَهْدَا ١ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ٥﴾.
٢. لا يزال عند أهل النار أمل أن يصلهم شيء من برد الجنة وشرابها حتى يسمعوا قوله تعالى: ﴿لِيُثَبِّتَ فِيهَا أَحْقَابًا ١٥ لَا يَدْخُلُ فِيهَا بَرٌّ وَلَا شَرٌّ لَّهَا ١٥﴾.
٣. عدم الإيمان بالحساب أو الغفلة عنه سبب لتكاثر السيئات، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ١٥ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ١٥﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ أَخْصَيْنَاهُ كِتَابًا ١٥.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لُعَاؤًا وَلَا كِدَابًا﴾

قوله: (لا يسمعون فيها لعوا ولا كذابا) كقوله: (لا لعوا فيها ولا تأنيم) للطور: ٢٣؛ أي: ليس فيها كلام لاغ عار عن الفائدة، ولا (ثم كذاب، بل هي دار السلام، وكل ما فيها سالم من النقص. ابن كثير: ٤/٤٦٥.

السؤال: ذكرت الآية نوعاً من النعيم المعنوي في الجنة، وضح.

﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لُعَاؤًا وَلَا كِدَابًا﴾

فلما أحاط بأهل جهنم أشد الأذى بجميع حواسهم؛ من جراء حرق النار وسقيهم الحميم والغساق؛ لينال العذاب بواطنهم كما نال ظاهر أجسادهم، كذلك نفى عن أهل الجنة أقل الأذى؛ وهو أذى سماع ما يكرهه الناس؛ فإن ذلك أقل الأذى. ابن عاشور: ٣٠/٤٦٩.

السؤال: ما مناسبة نفي سماع اللغو والكذاب عن أهل الجنة لما قبلها من آيات السورة الكريمة؟

﴿إِنَّا أَنْذَرْنَكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾

الكافر يقول ذلك يوم القيامة؛ حين لا تقبل توبته، ولا تنفع حسنة. وما من يقول ذلك في الدنيا فهذا يقول في دار العمل على وجه الخشية لله،

فيثاب على خوفه من الله؛ وقد قالت مريم: (يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً) ولم يكن هذا كتمني الموت يوم القيامة. ابن تيمية: ٦/٥٦٩.

السؤال: ما الفرق بين الندم على المعصية في الدنيا والندم عليها في الآخرة؟

﴿إِنَّا أَنْذَرْنَكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾

عن أبي هريرة وابن عمر رضي الله عنهم أن الله تعالى يقتض يوم البعث للبهائم؛ بعضها من بعض، ثم يقول لها: كوني تراباً، فتكون، فيتمنى الكافر مثل ذلك، فقد علم أن ذلك اليوم في غاية العظمة، وأنه لا بد من كونه. البقاعي: ٢١/٢١٦.

السؤال: متى يتمنى الكافر أن يكون تراباً؟ ولماذا يتمنى ذلك؟

﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾

قال بعض السلف: إن اللانكته يسلمون أرواح المؤمنين سلاً رقيقاً، ثم يتركونها حتى تستريح وريداً ثم يستخرجونها برقف ولطف؛ كالذي يسبح في الماء فإنه يتحرك برقف لثلاث يفرق، فهم يرفقون في ذلك الاستخراج لثلاث يصل إلى المؤمن ألم وشدة. الألوسي: ٣٠/٢٣.

السؤال: بين كيف تقبض اللانكته أرواح المؤمنين، ولماذا؟

﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ أَصْبَرُوا خِيعَةً﴾

(أبصارها خاشعة)؛ كناية عن الدال والخوف. ابن جزي: ١/٢٥٤٥.

السؤال: على ماذا يدل وصف الأبصار بالخشوع في هذه الآية؟

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾

وهذا تسليية للنبى؛ أي: إن فرعون كان أقوى من كفار عصره ثم أخذناه، وكذلك هؤلاء القرطبي: ٢٢/٥٣.

السؤال: لماذا قص الله على نبيه قصة موسى -عليه السلام- مع فرعون؟

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ۖ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ۖ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ۖ وَكَاسَا دِهَاقًا ۖ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لُعَاؤًا وَلَا كِدَابًا ۖ جَزَاءً مِمَّنْ رَبُّكَ عَطَاءً حِسَابًا ۖ رَبِّ السَّعِيرَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ۖ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ۖ ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ ۖ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَتَابًا ۖ إِنَّا نَذَرْنَكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ۖ

سُورَةُ النَّازِعَاتِ ٥٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
وَالنَّازِعَاتِ غَرْاقًا ۖ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ۖ وَالسَّيِّحاتِ سَهَابًا ۖ فَالسَّيِّحاتِ سَهَابًا ۖ فَالْمُزَيَّرَاتِ أَتْرَابًا ۖ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاحِفَةُ ۖ تَتَّبِعُنَّهَا الرَّادِفَةُ ۖ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۖ أَصْبَرُوا خِيعَةً ۖ يَقُولُونَ لَهَ الْكُفْرُ وَدُونُ فِي الْخَافِرَةِ ۖ لَهُ ذَاكَ عَظَمَانِخَرَةٌ ۖ قَالُوا يَا لَيْلَ لَنَّا كَرِهْنَا خَاسِرَةً ۖ فَانْمَاسَهَا رَجْوَةً وَاحِدَةً ۖ فَذَاقَهُمُ النَّارُ هَوًّا ۖ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ۖ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّرِ طَرَفًا ۖ

## ● معاني الكلمات

المعنى	الكلمة
فَوْزًا بِدُخُولِهِمُ الْجَنَّةَ، أَوْ مَكَانًا يَفُوزُونَ بِهِ؛ وَهُوَ الْجَنَّةُ.	مَفَازًا
حَدِيثَاتِ السَّنِّ، نَوَاحِدَ.	وَكَوَاعِبَ
مَمْلُوءَةٌ خَمْرًا.	دِهَاقًا
مَرَجَعًا بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ.	مَابًا
قَسَمٌ بِالْمَلَائِكَةِ تَسْلُ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ بِرَفَقٍ.	وَالنَّاشِطَاتِ
قَسَمٌ بِالْمَلَائِكَةِ الَّتِي تَسْبِخُ فِي نَزْوِلِهَا مِنَ السَّمَاءِ، وَصُغُودِهَا إِلَيْهَا.	وَالسَّاهِجَاتِ
قَسَمٌ بِالْمَلَائِكَةِ الَّتِي تَسْبِغُ الشَّيَاطِينَ بِالْوَحْيِ إِلَى الْأَنْبِيَاءِ؛ لِفَلَا تَسْتَرْفِعْ.	فَالسَّابِقَاتِ
تَلْبِيهَا نَفْخَةً أُخْرَى لِلْبُعْثِ.	تَتَّبِعُنَّهَا الرَّادِفَةَ

## ● العمل بالآيات

١. في يومك اعمل ثلاثة أعمال تدل على التقوى؛ كالصوم، ترك المعصية خوف عقاب الله تعالى واستحياء منه، الصدقة، الإحسان إلى الناس، ادخال السرور على قلب مسلم، ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾.
٢. استعد بالله من سوء الخاتمة ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْاقًا﴾.
٣. سل الله تعالى حسن الخاتمة عند الموت، وتذكر، ﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾.

## ● التوجيهات

١. فضيلة التقوى وعظم ما أعد الله لأهلها، ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾.
٢. تعظيم الله تعالى حق تعظيمه، ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾.
٣. قرب يوم القيامة؛ فكل ما هو آت قريب، ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾.

الآية (٣١-٣٦): يقول تعالى خبراً عن السعداء وما أعد لهم تعالى من الكرامة والنعيم المقيم، فقال: ﴿إِنَّ لِلَّذِينَ هُمْ عَنْهُ يُكَفِّرُونَ عَنْهُمْ أَسْفَافًا﴾ قال ابن عباس والضحاك: مُتَّبِعًا. وقال مجاهد وقتادة: فازوا، فنجوا من النار. والأظهر قول ابن عباس؛ لأنه قال بعده: ﴿حَتَّىٰ أَتَىٰ﴾ وهي البساتين من النخيل وغيرها. ﴿وَكِرَاعًا﴾ أي: وحورا كواعب. قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد: أي: نواهد، يعنون أن ثديين نواهد لم يتدلى؛ لأنهن أبكار غُرب، ﴿أَرْبَابًا﴾ أي: في سن واحدة. وقوله: ﴿وَكُنَّ إِهْوَاقًا﴾ قال ابن عباس: غلوة متتابعة. وقال عكرمة صافية. وقوله: ﴿لَا يَسْمَعُونَ هَاقًا وَلَا كَذًا﴾ كقوله: ﴿لَا يَفْقَهُنَّ وَلَا تَأْتِيَهُنَّ﴾ [الطور: ٢٣] أي: ليس فيها كلام لا غار عن الفائدة، ولا إثم كذب، بل هي دار السلام، وكل كلام فيها سالم من النقص. ﴿جَزَاءً يَنْزِيلُكَ﴾ هذا الذي ذكرناه جازاهم الله به وأعطاهم به فضله ومثله وإحسانه ورحمته؛ ﴿عَطَاءً حِسَابًا﴾ أي: كافيا وافرا سلاما كثيرا.

الآية (٣٧-٤٠): يُجَبِّرُ تعالى عن عظمتهم وجلاله، وأنه ربُّ السموات والأرض وما فيها وما بينها، وأنه الرحمن الذي شملت رحمته كل شيء. ﴿لَا يَلْبِثُونَ فِيهِ إِلَّا أَيَّامًا مِّنْ أَيَّامٍ﴾ أي: لا يقدر أحد على ابتداء خطابه إلا بإذنه؛ كقوله: ﴿يَوْمَ يَأْتِي السَّمَاءُ دُخَانًا وَسُيَّرَ السَّمَاءُ سَافَاً﴾ [المود: ١٠٥].

﴿يَوْمَ يَنفُخُ فِي الصُّورِ﴾ والملائكة صفا لا يتكلمون؛ اختلف المفسرون في المراد بالروح ههنا، ما هو؟ على أقوال: أحدها: عن ابن عباس: أنهم أرواح بني آدم. والثاني: هم بنو آدم. الثالث: أنهم خلق من خلق الله على صور بني آدم وليسوا بملائكة ولا بشر؛ قاله ابن عباس ومجاهد. الرابع: هو جبريل؛ قاله الشعبي وسعيد بن جبير والضحاك، ويستشهد لهذا القول بقوله ﷺ: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [النساء: ١٨٣]، وتوقف ابن جرير فلم يقطع بواحد من هذه الأقوال كلها، والأشبه والله أعلم أنهم بنو آدم. ﴿وَلَا مَنَ لَهُ الْوَعْدُ﴾ كقوله: ﴿لَا تَكُنْ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [مود: ١٠٥]. وكما ثبت في الصحيح: ﴿وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ﴾ [متفق عليه]. وقوله: ﴿وَقَالَ صَوَابًا﴾ أي: حقا، ومن الحق: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾؛ كما قاله أبو صالح وعكرمة. وقوله: ﴿ذَلِكَ الْيَوْمَ الْحَقُّ﴾ أي: الكائن لا محالة، ﴿فَمَنْ شَاءَ اخْذِ إِلَىٰ رَبِّهِ مَنَابًا﴾ أي: مرجعا وطريقا يتهدي إليه، ومنهجا يُمِرُّ به عليه. وقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا قَرِيبًا﴾ يعني: يوم القيامة؛ لِتَأْكِيدِ وقوعه صار قريبا؛ لأن كل ما هو آتٍ آتٍ.

﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَلَّمَتْ يَدَاهُ﴾ أي: يُمَرِّضُ عليه جميع أعماله، خَيْرُهَا وَشَرُّهَا، قديمها وحديثها. ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ ثَرِيًّا﴾ أي: يودُّ الكافر يَوْمَئِذٍ أنه كان في الدار الدنيا ثريا، ولم يكن خُلِقَ، ولا خَرَجَ إلى الوجود. وذلك حين عاين عذاب الله، ونظر إلى أعماله الفاسدة قد سُطِّرَتْ عليه. وقيل: حين يُحْكَمُ الله بين الحيوانات، فإذا قَرَعَ من الحكم بينها قال لها: كوني ثريا. فعند ذلك ﴿يَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ ثَرِيًّا﴾ أي: ياليتني كنت حيوانا فأرجع إلى التراب.

#### تفسير سورة النازعات

وهي مكية، [وعدد آياتها (٤٦) آية].

الآية (١-١٤): ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْاقًا﴾ قال ابن مسعود وابن عباس ومسروق وسعيد بن جبير: الملائكة؛ يعنون حين تَنزِعُ أرواح بني آدم، فمنهم من تأخذ روحه بمُفْتَقَرٍ في نزعها، ومنهم من تأخذ روحه بسهولة وكأنها حُلَّتْ من نشاط، وهو قوله: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْاقًا﴾ قاله ابن عباس. وعنه: ﴿وَالنَّازِعَاتِ﴾: أنفس الكفار؛ تَنزِعُ ثم تُنْشَطُ، ثم تُفَرَّقُ في

النار. وقال مجاهد: الموت. والصحيح الأول، وعليه الأكثرون. ﴿وَالنَّازِعَاتِ سَبَّحًا﴾ قال ابن مسعود: هي الملائكة. وروى عن علي ومجاهد وسعيد بن جبير مثل ذلك. وعن مجاهد: ﴿وَالنَّازِعَاتِ سَبَّحًا﴾:

الموت. وقال قتادة: هي النجوم. وقال عطاء بن أبي رباح: هي السفن. ﴿وَالنَّازِعَاتِ سَبَّحًا﴾ روي عن علي ومسروق ومجاهد: الملائكة، قال الحسن: سبقت إلى الإيمان والتصديق به. وعن مجاهد: الموت. وقال قتادة: هي النجوم. وقال عطاء: هي الحيل في سبيل الله. وقوله: ﴿وَالنَّازِعَاتِ أَمْرًا﴾ قال علي ومجاهد وعطاء: هي الملائكة، زاد الحسن: نُذِيرُ الأمر من الساء إلى الأرض. يعني: بأمر ربها ﷻ. ولم يختلفوا في هذا، ولم يقطع ابن جرير بالمراد في شيء من ذلك، إلا أنه قال ﴿وَالنَّازِعَاتِ أَمْرًا﴾: الملائكة، ولا أثبت ولا نفى. ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ تَبْعُهَا الرَّادِفَةُ قال ابن عباس: هما الفختان الأولى والثانية. وهكذا قال مجاهد والحسن وقتادة وغير واحد. وعن مجاهد: أما الأولى -وهي «الرَّاجِفَةُ»- فبقوله جَلَّتْ عِظَمَتُهُ: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾ [الزلزال: ١٤]، والثانية -وهي «الرَّادِفَةُ»- فهي كقوله: ﴿وَجَلَّتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ ذُكَاكًا وَجِدَّةً﴾ [الحاقة: ١٤]. عن أبي بن كعب

قال: كان رسول الله ﷺ إذا ذهب بُرُحُ اللَّيْلِ قَامَ فقال: «يا أيها الناس! اذكروا الله، جاءتِ الرَّاجِفَةُ، تَبْعُهَا الرَّادِفَةُ، جاء الموتُ بما فيه، جاء الموتُ بما فيه» [رواه الترمذي وحسنه الألباني]. ﴿فَلَوْ تَوَيْدَ رَاجِفَةُ﴾ قال ابن عباس: يعني خائفة. وكذا قال مجاهد وقتادة. «أَبْصَرُهَا» أي: أبصار أصحابها. وإنما أضيف إليها للملائكة، «خَشِيعَةً» أي: ذليلة حقيرة مما عاينت من الأحوال. ﴿يَقُولُونَ أَوَ لَمْ نَكُنْ رَدُّوْنَ إِلَى الْخَافِرَةِ؟﴾ يعني: مشركي قريش ومن قال بقولهم في إنكار المعاد، يستبعدون وقوع البعث بعد المصير إلى الخافرة، وهي القبور، قاله مجاهد. وبعد تَرْجُفِ أجسادهم وَتَفَتُّ عِظَامِهِمْ وَتُخَوَّرُهَا، ولهذا قالوا: ﴿أَوَ لَمْ نَكُنْ عِظَمًا خَفِرَةً؟﴾ قال ابن عباس ومجاهد وقتادة: أي بالية. وعن ابن عباس: هو العظم إذا بلي ودخلت الريح فيه ﴿قَالُوا يَلَيْكَ إِذَا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾. وعن ابن عباس ومحمد بن كعب وعكرمة وسعيد بن جبير: «الْخَافِرَةُ»: الحياة بعد الموت. وقال ابن زيد: النار. وما أكثر أساءها! هي النار، والجحيم، وسقر، وجهنم، والهاوية، والخافرة، ولظى، والحطمة. وأما قولهم: ﴿يَلَيْكَ إِذَا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ فقال محمد بن كعب: قالت قريش: لئن أحيانا الله بعد أن نموت لَنَحْسُرَنَّ.

﴿فَلَمَّا هِيَ بَرْجَةٌ وَجِدَّةٌ﴾ أي: فلما هو أمر من الله لا مُتَوَيَّةٌ فيه ولا تأكيد، فإذا الناس قيام ينظرون، وهو أن يأمر تعالى إسرأيل فينفخ في الصور نفخة البعث، فإذا الأولون والآخرون قيام بين يدي الرب ﷻ ينظرون؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَنَفْخِ نَفْسٍ وَنَفْثٍ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [النحل: ٧٧]. ﴿فَلَمَّا هِيَ بِلَاسَةٍ﴾ قال ابن عباس: الأرض كلها. وكذا قال سعيد بن جبير وقتادة. وقال مجاهد: كانوا بأسفلها فأخرجوا إلى أعلاها. قال: والساهرة: المكان المستوي.

الآية (١٥-١٦): يُجَبِّرُ تعالى رسوله محمدا ﷺ عن عبده ورسوله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ ابْتَعَثَهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ، وَأَيَّدَهُ بِالْمَجْرَآتِ، وَمَعَ هَذَا اسْتَمَرَ عَلَىٰ كُفْرِهِ وَطُغْيَانِهِ، حَتَّىٰ أَخَذَهُ اللَّهُ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ. وكذلك عاقبة من خالفك وكذَّبَ بها جُنَّتْ به؛ ولهذا قال في آخر القصة: ﴿رَفَعْنَا فِي ذَلِكَ لَعْنَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾. فقوله: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ﴾ أي: هل سمعت بخبره؟! ﴿إِذْ دَاوُدُ رُفِعَ﴾ أي: كُلَّمَا نَدَا «يَا دَاوُدُ الْفَتَىٰ» أي: الْمُطَهَّر «مُتَوًى» وهو اسم الوادي على الصحيح.





## ● الوقفات التدريبية

﴿ قُلْ هَلْ لَكَ أَنْ تَرْكُ ﴾

خُتُّهُ على أن يستعد لتخليص نفسه من العقيدة الضالّة التي هي خبث مجازي في النفس، فيقبل إرشاد من يرشده إلى ما به زيادة الخير. ابن عاشور: ٧٧/٣٠.

السؤال: ما فائدة أمر موسى -عليه السلام- لفرعون بالتزكي في أول دعوته له؟

﴿ وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى ﴾

وتفريع (فتخشى) على (وأهديك) إشارة إلى أن خشية الله لا تكون إلا بالعرفّة: قال تعالى: (إنما يخشى الله من عباده العلماء) (فاطر: ٢٨) أي: العلماء به؛ أي: يخشاه خشية كاملة لا خطأ فيها ولا تقصير. ابن كثير: ٧٧/٣٠.

السؤال: لماذا جاءت الخشية بعد الهداية في الآية الكريمة؟

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَتَّقِ ﴾

فإن من يخشى الله هو الذي ينتفع بالآيات والعبر، فإذا رأى عقوبة فرعون عرف أن كل من تكبر وعصى وبارز الملك الأعلى عاقبه في الدنيا والآخرة، وأما من ترحلت خشية الله من قلبه فلو جاءته كل آية لم يؤمن بها. السعدي: ٩٩.

السؤال: من الذي ينتفع بالعظات القرآنية ومن لا ينتفع؟

﴿ مَا أَنْتُمْ أَشَدُّ غَلَاً أَمْ أَنْتُمْ بَيْنَهُمَا ﴾ ﴿ رَفَعَ سَمْعَهَا مَرْوَنَهَا ﴾ ﴿ وَأَغْطَشَ لَبِئَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴾ ﴿ وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾ ﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْوَنَهَا ﴾ ﴿ وَلَبَّالُ آبْسُهَا ﴾ ﴿ نَكَا لَهَا وَأَغْطَشَ لَهَا ﴾

يقول تعالى مبيناً دليلاً واضحاً لتكري البعث ومستعدي إعادة الله للأجساد: (الأنتم) أيها البشر (أشد خلقاً أم السماء) ... فالذي خلق السماوات العظام وما فيها من الأنوار والأجرام، والأرض الكثيفة الغبراء وما فيها من ضروريات الخلق ومنافعهم لا بد أن يبعث الخلق المكلفين، فيجازيهم على أعمالهم، فمن أحسن فله الحسن، ومن أساء فلا يلومن إلا نفسه؛ ولهذا ذكر بعد هذا قيام الساعة ثم الجزاء. السعدي: ٩٩.

السؤال: على ماذا تدل هذه الآيات العظام التي ذكرها سبحانه وتعالى؟ ولماذا أعقب بذكر الجزاء بعد ذكر هذه الآيات؟

﴿ وَبَرَزَتْ لَهَا بِرُؤُوسِهَا ﴾

الظاهر أن تبرز لكل راء؛ فأما المؤمن فيعرف برؤيتها قدر نعمة الله عليه بالسلامة منها، وأما الكافر فيزداد غماً إلى غمه وحسرة إلى حسرته. الشوكاني: ٣٨٠/٥.

السؤال: هل تبرز الجحيم للمؤمنين والكفار أو للكفار فقط؟ ولماذا؟

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَهَيَّ النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾ ﴿ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾

وأصل الهوى: مطلق الميل، وشاع في الميل إلى الشهوة، وسُمي بذلك على ما قال الراغب: لأنه يهوى بصاحبه في الدنيا إلى كل واهية، وفي الآخرة إلى الهواية؛ ولذلك مدح مخالفه. قال بعض الحكماء: إذا أردت الصواب فانظر هواك فخالفه. وقال الفضيل: أفضل الأعمال مخالفة الهوى. الألوسي: ٣٦/٣.

السؤال: لماذا سُمي الهوى بذلك؟

﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مِمَّنْ يَخْشَى ﴾

أي: إنما بعثت لتنذر بها، وليس عليك الإخبار بوقتها، وخص الإنذار بـ(من يخشاها)، لأنه هو الذي ينفعه الإنذار. ابن جزى: ٥٣٥/٢.

السؤال: من الذي ينفعه الإنذار؟

أَذْهَبَ إِلَىٰ رُءُوسِهِ إِلَهُهُ طَعْنٌ ﴿ قُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَرْكُ ﴾ ﴿ وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَى ﴾ ﴿ فَأَرَادَ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ ﴾ ﴿ فَكَذَّبَ وَعَصَى ﴾ ﴿ ثُمَّ أَذْبَرَ سَعْيَهُ ﴾ ﴿ فَحَسْرَةً فَادَىٰ ﴾ ﴿ فَقَالَ أَتَأْتِكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴾ ﴿ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ﴾ ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى ﴾ ﴿ أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَيْنَهُمَا ﴾ ﴿ رَفَعَ سَمْعَهَا فَسَوْفَهَا ﴾ ﴿ وَأَغْطَشَ لَبِئَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴾ ﴿ وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾ ﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْوَنَهَا ﴾ ﴿ وَلَبَّالُ آبْسُهَا ﴾ ﴿ مَتَاعًا لَكُمْ وَلَآئِكُمْ ﴾ ﴿ فَإِذَا جَاءَتْهُ الظَّامَةُ الْكُبْرَىٰ ﴾ ﴿ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَىٰ ﴾ ﴿ وَبَرَزَتْ لَهَا بِرُؤُوسِهَا ﴾ ﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ ﴾ ﴿ وَآثَرَ الْحَبْوَةَ الدُّنْيَا ﴾ ﴿ فَإِنَّ الْحَبْوَةَ الْمَأْوَىٰ ﴾ ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَهَيَّ النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾ ﴿ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ ﴿ يَتَذَكَّرُ لَكُمْ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مَرْسَهَا ﴾ ﴿ فِيمَا أَنْتَ مِنْ ذِكْرِنَهَا ﴾ ﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ مَتْنَهَا ﴾ ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مِمَّنْ يَخْشَى ﴾ ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ رُبُّوهُمْ لَا يَتَّبِعُونَ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴾

تفسير

سورة التوبة

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
تَرْكُ	تَنْطَهَرُ مِنَ الْكُفْرِ، وَتَخْلَى بِالْإِيمَانِ.
وَأَهْدِيكَ	أُرْشِدُكَ.
نَكَالٌ	عُقُوبَةٌ.
رَفَعَ سَمْعَهَا	أَعْلَى سَقْفَهَا.
وَأَغْطَشَ لَبِئَهَا	أَظْلَمَ لَبِئَهَا بِغُرُوبِ شَمْسِهَا.
وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا	أَبْرَزَ نَهَارَهَا بِشُرُوقِ شَمْسِهَا.
دَحَاهَا	بَسَطَهَا، وَأَوْدَعَ فِيهَا مَنَافِعَهَا.
الظَّامَةُ	الْقِيَامَةُ، وَهِيَ النَّفْخَةُ الثَّانِيَةُ.
وَبَرَزَتْ	أَظْهَرَتْ إِظْهَارًا بَيِّنًا.
أَيَّانَ مَرْسَاهَا	مَتَى وَقْتُ حُلُولِهَا؟
عَشِيَّةً	مَا بَيْنَ الظُّهْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ.

## ● العمل بالآيات

١. دعوة غير مسلم إلى الإسلام بأسلوب حكيم، ﴿ قُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَرْكُ ﴾.
٢. اعمل عملاً صالحاً تتمنى أن تتذكره يوم القيامة، ﴿ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى ﴾.
٣. حاسب نفسك قبل النوم، ﴿ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى ﴾.

## ● التوجيهات

١. حسن الأسلوب وليته في الدعوة، ﴿ قُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَرْكُ ﴾.
٢. دعوة أي شخص مهما بلغ طغيانه، ﴿ أَذْهَبَ إِلَىٰ رُءُوسِهِ إِلَهُهُ طَعْنٌ ﴾.
٣. عظم منزلة المراقبة، ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَهَيَّ النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

- ١ ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ١ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَمَّةُ رَبِّكَ ٣ ذُرِّيُّ ٤ أَوْ يُدْرِكُ ٥ فَنَنْعَمُ ٦ أَوْ نَنْعَمُ ٧ أَمَّا مَنْ أَسْتَفْتَى ٨ فَأَنْتَ لَهُ صَخْرٌ ٩ وَمَا عَلَيْكَ إِلَّا بَرَكٌ ١٠ وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ١١ وَهُوَ يَخْشَى ١٢ فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ١٣﴾

هذه فائدة كبيرة هي المقصودة من بعثة الرسل، ووعظ الوعاظ وتذكير المذكرين؛ فإقبالك على من جاء بنفسه مفتقراً لذلك منك هو الأليق الواجب، وأما تصديقك وتعرضك للغني المستغني الذي لا يسأل ولا يستفتي لعدم رغبته في الخير مع تركك من هو أهم منه، فإنه لا ينبغي لك؛ فإنه ليس عليك أن لا يزكى، فهو لم يترك فلست بمحاسب على ما عمله من الشر. فدل هذا على القاعدة: أنه لا يترك أمر معلوم لأمر موهوم، ولا مصلحة متحققة لمصلحة متوهمة. السعدي: ٩١١.

السؤال: في الآيات فائدة للداعية في مراعاة الأولويات في دعوته لله، وضع ذلك ﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ١١ وَهُوَ يَخْشَى ١٢ فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ١٣﴾

المنوع عنه في الحقيقة الإعراض عمن أسلم، لا الإقبال على غيره والاهتمام بأمره حرصاً على ﷺ وإسلامه. الألوسي: ٢٤٣/١٥.

السؤال: ما المنوع في قصص ابن أم مكتوم حينما أقبل على النبي ﷺ يريد الهداية؟

- ١ ﴿كَلَّا إِنَّمَا تَدْكُرُ ١١ فَرِشَاءَ دُكَّرٍ ١٢ فِي سُمُحٍ تَكْرُمُ ١٣ تَرْوَعُهُ طُهُرٌ ١٤ يَأْتِي سَفَرٌ ١٥ كَرِيمٌ ١٦﴾

(كلا إنها تذكره) يعني: القرآن. (بأيدي سفره) كرام بررة) أي: خلفهم كريم حسن شريف، وأخلاقهم وأفعالهم بارة طاهرة كاملة، ومن ههنا ينبغي لحامل القرآن أن يكون في أفعاله وأقواله على السداد والرشاد. ابن كثير: ٤٧٢/٤.

السؤال: وصف الله الملائكة الموكلة بصحف القرآن بأوصاف، كيف يستفيد حافظ القرآن وحامله من هذه الأوصاف؟

- ١ ﴿يَنْ أَيْ شَوْءٍ خَلَقَهُ ١٥ مِنْ طَلْعٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ١٦﴾

أي: من أي شيء خلق الله هذا الكافر فيتكبر؟ أي: اعجبوا لخلقهم. (من نطفة) أي: من ماء يسير مهين جماد خلقه، فلم يقلط في نفسه؟ قال الحسن: كيف يتكبر من خرج من سبيل البول مرتين؟ القرطبي: ٧٩/٢٢.

السؤال: لماذا لا يحق لابن آدم أن يتكبر؟

- ١ ﴿ثُمَّ أَمَّا لَهُ فَاقْهَرُ ١٧﴾

أي أكرمه بالدفن، ولم يجعله كسائر الحيوانات التي تكون جيفها على وجه الأرض. السعدي: ٩١١.

السؤال: كيف يكون الإقبال نعمته يمتن الله بها على عباده؟

- ١ ﴿يَنْ أَيْ شَوْءٍ خَلَقَهُ ١٥ مِنْ طَلْعٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ١٦ ثُمَّ أَمَّا لَهُ فَاقْهَرُ ١٧﴾

فقد عرف بهذا أن أول الإنسان نطفة مذرة، وآخره جيفة قدره، وهو فيما بين ذلك يحمل العذرة، فما شرهه بالعلم إلا الذي أبدعه وصوره، وذلك موجب لأن يشكره لا أن يكفره. البقاعي: ٣٦٢/٢١.

السؤال: بماذا يشرف الإنسان ويرتفع قدره؟

- ١ ﴿يَنْظُرُ الْإِنْسَانُ إِلَى طُلُوعِهِ ١٨﴾

أمر بالاعتبار في الطعام؛ كيف خلقه الله بقدرته، ويسره برحمته، فيجب على العبد طاعته وشكره، ويقبح معصيته والكفر به. ابن جزي: ٥٣٨/٢.

السؤال: ما العبرة التي يفيدها العبد عند النظر لمخلوقات الله؟

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَبَسَ وَتَوَلَّى ١ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَمَّةُ رَبِّكَ ٣ ذُرِّيُّ ٤ أَوْ يُدْرِكُ ٥ فَنَنْعَمُ ٦ أَوْ نَنْعَمُ ٧ أَمَّا مَنْ أَسْتَفْتَى ٨ فَأَنْتَ لَهُ صَخْرٌ ٩ وَمَا عَلَيْكَ إِلَّا بَرَكٌ ١٠ وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ١١ وَهُوَ يَخْشَى ١٢ فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ١٣ كَلَّا إِنَّمَا تَدْكُرُ ١٤ فَرِشَاءَ دُكَّرٍ ١٥ فِي سُمُحٍ تَكْرُمُ ١٦ تَرْوَعُهُ طُهُرٌ ١٧ يَأْتِي سَفَرٌ ١٨ كَرِيمٌ ١٩ قُلْ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُ ٢٠ مِنْ أَيْ شَيْءٍ خَلَقَهُ ٢١ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ٢٢ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرُهُ ٢٣ ثُمَّ أَمَّا لَهُ فَاقْهَرُ ٢٤ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ ٢٥ كَلَّا لَئِنْ أَيْقَضَ مَا أَمَرَهُ ٢٦ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طُلُوعِهِ ٢٧ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ٢٨ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ٢٩ فَأَلْبَسْنَا فِيهَا حَبًّا ٣٠ وَعَبَا وَقَضَبًا ٣١ وَزَيَّنَّاهَا أَلْوَانًا ٣٢ وَحَدَّيْنِ غَلْبًا ٣٣ وَفَكَهَرُ ٣٤ وَأَنَّا ٣٥ مَتَاعٌ لَكُمْ وَلَا تَعْمِكُمْ ٣٦ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاعَةُ ٣٧ يَوْمَ يَفُزُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ٣٨ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ٣٩ وَصَحْبِيهِ وَبَنِيهِ ٤٠ لِكُلِّ أَمْرٍ فِي نَفْسِهِ يَوْمَ يُنْفَخُ ٤١ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ٤٢ صَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ ٤٣ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ٤٤

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
سَفَرٌ	مَلَائِكَةٌ كَتَبَتْ يَقُومُونَ بِالسَّفَارَةِ بَيْنَ اللَّهِ وَخَلْقِهِ.
نُطْفَةٍ	مَاءٌ قَلِيلٌ مِهِينٌ؛ وَهُوَ الْمُنَى.
فَقَدَرُهُ	خَلَقَهُ أَطْوَارًا.
أَنْشَرُهُ	أَحْيَاهُ.
وَقَضَبًا	عَلَقًا لِلدَّوَابِّ.
غَلْبًا	عَظِيمَةً الْأَشْجَارِ.
وَأَنَّا	كَلًّا لِلْبَهَائِمِ.

## ● العمل بالآيات

١. رُز اليوم معوقاً أو ضعيفاً محاولاً إدخال الأنس على نفسه، ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ١ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَمَّةُ رَبِّكَ ٣﴾.
٢. حدد أحد أوقات الإجابة وأكثر من الدعاء بالهداية والمغفرة لأهل بيتك، ﴿يَوْمَ يَفُزُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ٣٨ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ٣٩ وَصَحْبِيهِ وَبَنِيهِ ٤٠﴾.
٣. اختر واحداً من أصناف طعامك اليوم وتامل خلق الله له من بدايته إلى أن وصلك، ثم احمده الله تعالى، ﴿يَنْظُرُ الْإِنْسَانُ إِلَى طُلُوعِهِ ٢٧﴾.

## ● التوجيهات

١. بقاء معاتبه الله تعالى لنبيه تتلى قرآناً هو من أعظم الأدلة على صدق النبي ﷺ وأن القرآن الكريم من عند الله، ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ١ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَمَّةُ رَبِّكَ ٣﴾.
٢. شكر الله تعالى على تنوع النعم، ﴿فَأَلْبَسْنَا فِيهَا حَبًّا ٣٠ وَعَبَا وَقَضَبًا ٣١ وَزَيَّنَّاهَا أَلْوَانًا ٣٢ وَحَدَّيْنِ غَلْبًا ٣٣﴾.
٣. الاستعداد ليوم القيامة، ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاعَةُ ٣٦﴾.

الآية (١-١٦): ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ ﴿١﴾ أَنْ جَاءَ

﴿ثُمَّ السَّيْلَ بَرَكَةً﴾ قال ابن عباس: ثم يسر عليه خروجه من بطن أمه، وقال مجاهد: هذه كقولوه: ﴿وَإِنَّا هَدَيْنَا السَّيْلَ﴾ إِنَّمَا شَاكِرًا وَإِنَّمَا كُفْرًا﴾ [الإنسان: ٣٠] أي: بَيِّنَات وأرضعناه وسَهَّلْنَا عليه عَمَلَهُ، وهكذا قال الحسن وابن زيد. وهذا هو الأرجح، والله أعلم. ﴿ثُمَّ﴾ أي: بعد

﴿رُؤُوسُهُمْ يَمُدُّهُمُ مِنْهُ﴾ أي: مستنيرة، ﴿حَاجَكُمُ شَيْئَةً﴾ مسرورة  
 فَرَحًا: من السرور في قلوبهم، قد ظَهَرَ البُشر على وجوههم، وهؤلاء  
 هُم أهل الجنة. ﴿وَرُؤُوسُهُمْ يَمُدُّهُمُ مِنْهَا نُورًا﴾ ﴿١٠﴾ تَعَفُّهَا قَدْرًا: أي: يعلوها  
 ويغشاها قدرًا: أي: سواد.



الآية (٤١-٤٢): ﴿رَفَعَهَا فَرْقَةٌ﴾ قال ابن عباس: أي: يغشاها سواد الوجوه. وقوله: ﴿أَوَّلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُ الْفَجَرُ﴾ أي: الكفرة ﴿الْفَجَرُ﴾ في أعمالهم.

### تفسير سورة التكوين

وهي مكية، [وعدد آياتها (٢٩) آية].

[فضل السورة]: عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ «من سرَّه أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين فليقرأ: ﴿وَإِذَا أَنْشَأَ كُورَتْ﴾، و﴿وَإِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾، و﴿وَإِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾» [رواه الترمذي، وصححه الألباني].

عن عمرو بن حُرَيْث قال: صَلَّيْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ الصَّحْبَ، فسمعتهم يقرأ: ﴿فَلَا أَقِيمُ بِالْحَسَنِ﴾ الآيات [رواه مسلم].

الآية (١-١٤): قال ابن عباس: ﴿وَإِذَا أَنْشَأَ كُورَتْ﴾ يعني: أظلمت. وقال مجاهد: اضمحلت وذهبت.

قال ابن جرير: والصواب عندنا أن التكوين: جمع الشيء بعضه إلى بعض، ومنه تكوين العمامة، بمعنى قوله: ﴿كُورَتْ﴾ جمع بعضها إلى بعض، ثم لُفَّت قُرْمِيهَا، وإذا فُعِلَ بها ذلك ذَهَبَ ضَوْوُهَا.

﴿وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ﴾ أي: انتشرت، وأصل الانكدار: الانصباب؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْكَوْكَبُ انْتَدَرَتْ﴾ [الانفطار: ٢٢].

﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ أي: زَالَتْ عن أماكنها ونُسِفَتْ، فَتَرَكَتْ الأرض قاعًا صَفْصَفًا. ﴿وَإِذَا الْأَشْجَارُ عُثِّلَتْ﴾ العشار من الإبل - وهي:

خيارها والحوامل منها التي قد وَصَلَتْ في حملها إلى الشهر العاشر، واحدا: عُثْرَاء، ولا يزال ذلك اسمها حتى تَضَع - قد اشتغل الناس عنها

وعن كَفَالَتِهَا والانتفاع بها، بعد ما كانوا أَرْعَبَ شيء فيها، بما دَهِمَّهم من الأمر العظيم المُفْظِعُ المائل، وهو أمرُ القيامة. [وقيل غير ذلك]، حكى

هذه الأقوال القرطبي ورجَّح أنها الإبل، وعزاها إلى أكثر الناس. قلت: بل لا يعرف عن السلف والأئمة سواء، والله أعلم. ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِيتْ﴾ أي:

مُجِيتٌ؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ دَابُّوهُ فِي الْأَرْضِ وَأَحْبَبَ بِطِيرٍ يَحْتَكِيهِ إِلَّا أَمَمٌ أَتَمَّا لَكُمْ مَا فَزَعَنَا يَوْمَ النَّارِ إِلَى السِّتْرِ يَوْمَئِذٍ وَنَحْنُ إِلَى رَبِّهِمْ يَشْهَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨]. قال ابن

عباس: يُشِيرُ كل شيء حتى الذباب. وكذا قال غير واحد. وعن ابن عباس قال: حُشِرَ البهائم موتها. قال ابن جرير: والأولى قول من قال:

مُجِيتٌ، قال الله تعالى: ﴿وَالطَّيْرُ مَحْشُورَةٌ﴾ [ص: ١٩]. أي: مجموعة. ﴿وَإِذَا أَلْبَحَارُ شُجِرَتْ﴾ قال ابن عباس وغير واحد: يُرْسِلُ الله عليها الدُّبُورَ فَتُسَمَّرُهَا، وتصير نارًا تَأْجِجُ. وقال الحسن: ييس.

﴿وَإِذَا السَّمَاءُ رُجَّتْ﴾ أي: يجمع كلُّ شَيْءٍ إلى نظره، كقوله: ﴿أَحْشَرُوا أَلَيْسَ لَكُمْ لُطْفًا وَأَرْوَجَهُمْ﴾ [الصافات: ٢٢]. واختاره ابن جرير، وهو الصحيح.

﴿وَإِذَا السَّمَاءُ دُجِيَّتْ﴾ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قِيلَتْ ﴿الْمُؤَدَّةُ﴾ هي التي كان أهل الجاهلية يَدُسُّونَهَا في التراب كراهية البنات، فيومُ القيامة تُسأل

على أي ذنب قُتِلَ ليكون ذلك عَذَابًا لِقَاتِلِهَا، فإذا سئل المظلوم فما ظَنُّ الظالم إذا؟! ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِيتْ﴾ قال الضحاك: أَعْطِي كل

إنسان صحيفته بيمينه أو بشماله. وقال قتادة: صَحِيفَتُكَ يَا ابْنَ آدَمَ، تُعْلَى فيها، ثم تُطَوَّى، ثم تُنْشَرُ عليك يوم القيامة. ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِيتْ﴾

قال مجاهد: اُجْتُذِبَتْ. وقال السُّدِّي: كُثِبَتْ. ﴿وَإِذَا الْجَبَبِمْ سُيِّرَتْ﴾ قال قتادة: أَوْدِقَتْ. وإنما يُسَمَّرُهَا غَضَبُ الله وَخَطَابُ بَنِي آدَمَ. ﴿وَإِذَا

الْجَبَةُ أُرْفِتْ﴾ قال الضحاك وأبو مالك وقاتدة والربيع بن خثيم أي: قُرِبَتْ إلى أهلها. ﴿عَمِلَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾ هذا هو الجواب، أي: إذا

وَقَعَتْ هذه الأمور حينئذٍ تعلم كل نفس ما عَمِلَتْ وَأَخْضَرَتْ ذلك لها. الآية (١٥-٢٩): ﴿فَلَا أَقِيمُ بِالْحَسَنِ﴾ عن عليٍّ قال: «الْحُسْنُ»:

هي النجوم تُحْسَنُ بالنهار، وتُظْهَرُ بالليل. وكذا رُوِيَ عن ابن عباس ومجاهد وغيرهم. وقال بعض الأئمة: إنها قيل للنجوم: «الْحُسْنُ»،

أي: في حال طلوعها، ثم هي «جَوَارٍ» في فَلَكِهَا، وفي حال غيوبتها. وقال ابن مسعود: يقر الوحش. وعن ابن عباس: الظباء. وتوقف ابن

جرير، وقال: ويحتمل أن يكون الجميع مرادًا. ﴿وَأَلَيْلٌ إِذَا عَسَسَ﴾ فيه قولان: أحدهما: إقباله بظلامه. قال

مجاهد: أظلم. وقال سعيد بن جبير: إذا نَشَأَ. وقال الحسن: إذا غَشِيَ الناس. وقال ابن عباس: إذا أَتَبَرَّ. وكذا قال مجاهد وقاتدة والضحاك.

واختار ابن جرير أن المراد: إذا أدبر. وعندي أن المراد: إذا أَقْبَلَ، وإن كان يَصِحُّ استعماله في الإدبار، لكن الإقبال ههنا أنسب؛ كأنه أَقْسَمَ

تعالى بالليل وظلامه إذا أَقْبَلَ، وبالفجر وضياؤه إذا أَشْرَقَ. ﴿وَالضُّحَىٰ إِذَا نَفَسَ﴾ قال الضحاك: إذا طَلَعَ. وقال قتادة: إذا أَضَاءَ

وَأَقْبَلَ. وقال سعيد بن جبير: إذا نَشَأَ. وهو المروي عن عليٍّ. وقال ابن جرير: يعني: وَضُوءَ النهار إذا أَقْبَلَ وَتَبَيَّنَ. ﴿فَإِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾

يعني: أن هذا القرآن لتبليغ رسول كريم، أي: مَلَكٌ شَرِيفٌ حَسَنُ الخلق، يَهْدِي السَّمْطَ، وهو جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ. قاله ابن عباس وغيره.

﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ أي: شديد الخلق، شديد البطش والفعْلُ ﴿عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ أي: له مكانة عند الله ﷻ ومنزلة رفيعة. ﴿طُمَاطُئُمْ﴾ أي: له

وجاهة، وهو مسموع القول طُمَاطُ في الملأ الأعلى. ﴿أَمِينٍ﴾ صفة لجبريل بالأمانة، وهذا عظيم جدًا أن الرب ﷻ يُزَكِّي عبده ورسوله الملوكي

جبريل كما زَكَّى عبده ورسوله البشري محمدًا ﷺ بقوله: ﴿وَمَا سَاجِدٌكُمْ يَسْجُدُونَ﴾. ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْئِثَةِ الْأَبْنَى﴾ يعني: ولقد رأى محمدٌ جبريلَ الذي

يأتيه بالرسالة عن الله ﷻ على الصورة التي خَلَقَهُ الله عليها - له ستائة جناح - ﴿بِالْأَفْئِثَةِ الْأَبْنَى﴾ أي: البَيْنَ، وهي الرؤية الأولى التي كانت

بالبطحاء، والظاهر - والله أعلم - أن هذه السورة نَزَلَتْ قبل ليلة الإسراء؛ لأنه لم يذكر فيها إلا هذه الرؤية وهي الأولى، وأما الثانية وهي المذكورة في

قوله: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ (١٦) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَى﴾ [النجم: ١٣-١٤]، فذلك إنما ذُكِرَتْ في سورة «النجم»، وقد نَزَلَتْ بعد سورة الإسراء.

﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِظَنٍّ﴾ (١٧) أي: وما محمد على ما أَنْزَلَهُ الله إليه ﴿بِظَنٍّ﴾ أي: بِمُتَمَّهِمْ. ومنهم من قرأ بالضاد، أي: ببخل، بل يَنْزِلُهُ

لكل أحد. والظَنُّ: السُّتْمُ، والظَنُّ: البخل. واختار ابنُ جرير قراءة الضاد. قلت: وكلاهما متواتر، ومعناه صحيح.

﴿وَمَا هُوَ﴾ أي: وما هذا القرآن ﴿بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيزٍ﴾، أي: لا يقدر على خله، ولا يريده، ولا ينبغي له. ﴿فَأَن تَذَهَبَ﴾؟! أي: فأين تذهب عقولكم

في تكذيبكم بهذا القرآن، مع ظهوره ووضوحه، وبيان كونه حقًا من عند الله عز وجل. ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ أي: هذا القرآن ذُكِرَ لجميع الناس،

يتذكرون به وَيَتَعَلَّوْنَ، ﴿لِمَنْ شَاءَ يَنْكَرُ أَنْ يَسْتَفِيمَ﴾ أي: من أراد الهداية فعليه هذا القرآن، فإنه مُنْجَاةٌ له وهداية، ولا هداية فيها سواء، ﴿وَمَا تَنصُرُونَ

إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ أي: ليست المشية موكولة إليكم، فمن شاء اهتدى ومن شاء ضلَّ، بل ذلك كله تابع لمشية الله تعالى ربِّ العالمين.

(١) اختار ابن كثير المفسر قراءة ابن كثير المكي وأبي عمرو والكسائي ورويس: «بظنين» بالظاء، وقرأ الباقون: «بضنين» بالضاد. [ينظر: الكنز في القراءات العشر: ٧٠٧/٢].



## ● الوقفات التدريبية

١ ﴿ وَذُكِّرُوا بِوَجْهِ عَلِيَا عَزَّ ١٤ رَفَعَهَا قَدْرُ ١٥ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُ الْعَصِيُّ ﴾

أي الذين خرجوا عن دائرة الشرع خروجاً فاحشاً حتى كانوا عريقين في ذلك الكفر والفجور، وهم في الأغلب المتفرون الذين يحملهم غناهم على التكبر والأشر والبطر؛ فلجمعهم بين الكفر والفجور جمع لهم بين الغبرة والفترة. البقاعي: ٢٧٣/٢١.

السؤال: لماذا جمع للكفرة الفجرة بين الغبرة والفترة؟

٢ ﴿ إِذَا النُّفُسُ كُتِرَتْ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴾

هذه الأوصاف التي وصف الله بها يوم القيامة من الأوصاف التي تنزع لها القلوب، وتشهد من أجلها الكرب، وترتعد الفرائص، وتعم المخاوف، وتحث أولي الأبواب للاستعداد لذلك اليوم، وترجمهم عن كل ما يوجب اللوم. السعدي: ٩١٢.

السؤال: ما الفائدة العملية التي تفيدها من قراءة هذه الآيات؟

٣ ﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾

قُرِنَ كل صاحب عمل بشكله ونظيره؛ فُقِرَ بين المتحابين في الله في الجنة، وقُرِنَ بين المتحابين في طاعة الشيطان في الجحيم، فالمرء مع من أحب شاء أو أبى. ابن القيم: ٢٥٧/٣.

السؤال: محبتك للآخرين لها آثار كبيرة يوم القيامة، وضع ذلك.

٤ ﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾

إشعار بأنه لا ذنب لها تقتل بسببه، بل الجرم على قاتلها؛ ولكن لعظم الجرم يتوجه السؤال إليها تبكيتاً لولائها. الشنقيطي: ٤٣٨/٨.

السؤال: المؤودة لا ذنب لها فكيف يوجه إليها السؤال؟

٥ ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ١٥ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ١٦ طَاعَ نَمَّ أَمِينٍ ١٧ ﴾

هذا كله يدل على شرف القرآن عند الله تعالى، بأنه بعث به هذا الملك الكريم، الموصوف بتلك الصفات الكاملة، والعادة أن الملوك لا ترسل الكريم عليها إلا في أهم المهمات وأشرف الرسائل. السعدي: ٩١٣.

السؤال: تدبر منزلة القرآن الكريم عند الله من خلال صفات الملك الذي أوحاه إلى نبيه.

٦ ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ١٨ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ١٩ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ٢٠ ﴾

فمن علم هذه الأوصاف للقرآن والرسولين الاتيين به؛ الملكي والبشري؛ أحبه وأحبهما، وبألف في السعي في كل ما يامر به والهرب مما ينهى عنه، ليحصل له الاستقامة رغبة في مرافقة من أتى به ورؤية من أتى من عنده. البقاعي: ٢٩٤/٢١.

السؤال: ما الذي تثمره معرفة أوصاف القرآن وأوصاف من بلغنا إياه؟

٧ ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ٢١ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ٢٢ ﴾

هذا القرآن ذكر لجميع الناس يتذكرون به ويتعظون: (إن هو إلا ذكر للعالمين) لمن شاء منكم أن يستقيم أي: من أراد الهداية فعليه بهذا القرآن؛ فإنه منجاة له وهداية، ولا هداية فيما سواه. ابن كثير: ٤٨١/٤.

السؤال: تحاول البشرية اليوم إيجاد طريق سوي ينقذها من تخبطاتها في ظلمات الضلالات والجهل، فما الطريق الوحيد للنجاة والهداية؟

تَرْهَقَهَا قَدْرُ ١٥ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُ الْعَصِيُّ ١٤

١٤

١٥

١٦

١٧

١٨

١٩

٢٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ١ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ٢ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ٣ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ٤ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ٥ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ٦ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ٧ وَالْمُوءَدَّةُ سُيِّتَتْ ٨ بَأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ٩ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ١٠ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ١١ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ ١٢ وَإِذَا الْجَنَّةُ أَزْلَقَتْ ١٣ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ١٤ فَلَا أَقِيمُ بِالْحَقِّيسِ ١٥ الْحَوَارِ الْكُنَيسِ ١٦ وَالْبَلِيلُ إِذَا عَسَسَ ١٧ وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ ١٨ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ١٩ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ٢٠ مَطَاعَ تَوَّامِينَ ٢١ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ٢٢ وَلَقَدْ رَءَا بِلَأْفِي الْمَلِيحِينَ ٢٣ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ٢٤ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ٢٥ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ٢٦ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ٢٧ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ٢٨ وَمَا تَشَاءُونَ ٢٩ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ٣٠

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
قَدْرُ	دَنَتْ، وَظَلَمَتْ.
انْكَدَرَتْ	تَنَافَرَتْ، وَذَهَبَ نُورُهَا.
العِشَارُ	النُّوقُ الْحَوَامِلُ.
عُطِّلَتْ	أُهْمِلَتْ، وَتَرِكَتْ.
سُجِّرَتْ	مُلِئَتْ حَتَّى فَاضَتْ، فَانْفَجَرَتْ، ثُمَّ اتَّقَدَّتْ نِيرَانًا.
الْمُوءَدَّةُ	الطُّفْلَةُ الْمُدْهُونَةُ حَيَّةٌ.
كُشِطَتْ	قُلِبَتْ، وَأَزِيلَتْ.
أَزْلَقَتْ	قُرِبَتْ مِنْ أَهْلِهَا.

## ● العمل بالآيات

١. اعطف على من هو اصغر منك، ﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ بَأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ.
٢. اعمل اليوم عملاً صالحاً تمنى ان تراه حاضراً امامك يوم القيامة، ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴾.
٣. سل الله الاستقامة، ﴿ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ.

## ● التوجيهات

١. تذكر يوم الحساب واستعد له، ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴾.
٢. تكريم الله للملائكة يدعو العبد لمحبتهم والإيمان بهم، ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ١٩ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ٢٠ ﴾.
٣. النبي لا يعلم الغيب، ومن كان دونه فمن باب أولى، ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ٢٤ ﴾.



القارئ  
الصوتي

## ● الوقفات التدريبية

﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾

التعبير بالرب مع دلالة على الإحسان يدل على الانتقام عند الإيمان في الإجماع؛ لأن ذلك شأن الرب، فكان ذلك مانعاً من الاعتراض لمن تأمل. البقاعي: ٣١/٢١.

السؤال: ما دلالة التعبير بالرب في الآية؟

﴿وَأَنَّ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ ۝ كِرَامًا كَثِيرِينَ ۝ يَمْشُونَ مَا نَحْمَلُونَ﴾

قد أقام الله عليكم ملائكة كراماً يكتبون أقوالكم وأفعالكم، ويعلمون أفعالكم، ... فاللائق بكم أن تكرمهم وتجلوهم وتحترمهم. السعدي: ٩٤.

السؤال: ما شعورك تجاه الملائكة الذين يسجلون أعمالك؟ وإلى ماذا يدفعك هذا الشعور؟

﴿وَإِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَجْمٍ﴾

فهؤلاء جزاؤهم النعيم في القلب والروح والبدن في دار الدنيا، وفي دار البرزخ، وفي دار القرار. السعدي: ٩٤.

السؤال: الطاعة ثورث النعيم والسعادة في ثلاث مراحل يمر بها الإنسان، فما هي؟

﴿وَإِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَجْمٍ ۝ وَإِنَّ الْفَجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾

لا تحسب أن الآية مقصورة على نعيم الآخرة وجميعها فقط، بل في دورهم؛ أعني: دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار؛ فهؤلاء في نعيم، وهؤلاء في جحيم، وهل النعيم إلا نعيم القلب؟ وهل العذاب إلا عذاب القلب؟ وأي عذاب أشد من الخوف والهلم والحزن، وضيق الصدر، وإعراضه عن الله والدار الآخرة، وتعلقه بغير الله، وانقطاعه عن الله؛ بكل وإد منه شعبة؟ وكل من تعلق به وأحببه من دون الله فإنه يسومه سوء العذاب. ابن القيم: ٣٦٧/٣.

السؤال: في أي دار يكون النعيم والجحيم المذكوران في الآية؟

﴿وَبَلِّغْ لِلْمُطَفِّينَ﴾

والتقديم في افتتاحية هذه السورة بالويل للمطففين يشعر بشدة خطر هذا العمل، وهو فعلاً خطير لأنه مقياس اقتصاد العالم وميزان التعامل، فإذا اختل أحدث خللاً في اقتصاده، وبالتالي اختلال في التعامل، وهو فساد كبير. الشنقيطي: ٤٥٤/٨.

السؤال: ما الفائدة في افتتاح هذه السورة بالويل للمطففين؟

﴿وَبَلِّغْ لِلْمُطَفِّينَ ۝ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝ وَإِذَا كَالَهُمْ أَوْ رَزَقُوهُمْ يَخْسِرُونَ﴾

وفي ذلك تنبيه على أن أصل الآفات الخلق السيء، وهو حب الدنيا الموقع في جميع الأموال من غير وجهها؛ ولو بأخس الوجوه: التطفيف الذي لا يرضاه ذو مروءة، وهم من يقاربون ملة الكيل وعدل الوزن ولا يملؤون ولا يعدلون. البقاعي: ٣١١/٢١.

السؤال: ما أصل الآفات وما علاقته بالتطفيف؟

﴿وَبَلِّغْ لِلْمُطَفِّينَ ۝ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝ وَإِذَا كَالَهُمْ أَوْ رَزَقُوهُمْ يَخْسِرُونَ﴾  
وفي هذا الإنكار والتعجب، وكلمة الظن، ووصف اليوم بالعظيم، وقيام الناس فيه لله خاضعين، ووصف ذاته برب العالمين؛ بيان بليغ لعظم الذنب وتفاقم الإثم في التطفيف. القرطبي: ١٣٦/٢٢.

السؤال: إلى أي حد عظم الله تعالى ذنب التطفيف؟

الحِزْبُ الثَّالِثُونَ

سُورَةُ الْاِنْشِقَاطِ

١٣٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ۝ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ ۝ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝ عَلِمْتَ نَفْسَ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝ يَأْتِيهَا الْإِنْسَنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ۝ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ۝ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ۝ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالذِّينِ ۝ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝ كَثِيرِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَقْعَلُونَ ۝ إِنْ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝ وَإِنَّ الْفَجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ۝ يَصَلُّونَهَا يَوْمَ الذِّينِ ۝ وَمَاهُ عَمَّا يُبَاطِينَ ۝ وَمَا أَذْرَكَ مَا يَوْمَ الذِّينِ ۝ ثُمَّ مَا أَذْرَكَ مَا يَوْمَ الذِّينِ ۝ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا ۝ وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ۝

سُورَةُ الْمُطَفِّينَ

١٣١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَبَلِّغْ لِلْمُطَفِّينَ ۝ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝ وَإِذَا كَالَهُمْ أَوْ رَزَقُوهُمْ يَخْسِرُونَ ۝ أَلَا لَظُنُّكَ أَنتَ لَمَنْ مَتَّبِعُوكَ ۝

٥٨٧

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
انْفَطَرَتْ	انْشَقَّتْ.
انْتَثَرَتْ	تَسَاقَطَتْ.
فُجِّرَتْ	امْتَلَأَتْ، وَفَاضَتْ، فَانْفَجَرَتْ، وَسَالَتْ مِيَاهُهَا.
بُعْثِرَتْ	قُلِبَتْ بَعَثَ مَنْ كَانَ مَقْبُورًا فِيهَا.
مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ	مَا خَدَعَكَ، وَجَرَّأَكَ عَلَى الْكُفْرِ بِهِ، وَعَصِيَانِهِ؟
فَسَوَّاكَ	جَعَلَكَ مُسَوِّيَ الْخَلْقِ سَالِمَ الْأَعْضَاءِ.
فَعَدَلَكَ	جَعَلَكَ مُعْتَدِلَ الْخَلْقِ مُتَنَاسِبَ الْأَعْضَاءِ.
لِحَافِظِينَ	لِلْمَلَائِكَةِ رُقَبَاءَ يَكْتُبُونَ أَعْمَالَكُمْ.
بِغَائِبِينَ	فَلَا يَخْرُجُونَ مِنْ جَهَنَّمَ، وَلَا يَمُوتُونَ.
لِلْمُطَفِّينَ	الَّذِينَ يَبْخَسُونَ الْمِكْيَالَ، وَالْمِيزَانَ.

## ● العمل بالآيات

- زُر القبور، ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾.
- اشكر الله تعالى على حسن خلقك، ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾.
- تذكر ذنبا فعلته واستغفر الله منه، ﴿عَلِمْتَ نَفْسَ مَا قَدَّمْتَ وَأَخَّرْتَ﴾.

## ● التوجيهات

- المبادرة بالأعمال الصالحة وعدم الاعتراض بكرم الله وحلمه، ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾.
- نعم الله على الإنسان إحسان خلقه، ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾.
- كل عمل عمله هو مسجل إما لك أو عليك، ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝ كِرَامًا كَثِيرِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَقْعَلُونَ﴾.

### تفسير سورة الانفطار

وهي مكية، [وعدد آياتها (١٩) آية].

[فضل السورة]: عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ «من سرّه أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين فليقرأ: ﴿إِذَا أَنشَأَ تُورَتْ﴾»، و﴿إِذَا السَّمَاءُ انفطرت﴾»، و﴿إِذَا السَّمَاءُ انشقت﴾» [رواه الترمذي، وصححه الألباني].

الآية (١-١٢): ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفطرت﴾ أي: انشقت؛ كما قال: ﴿السَّمَاءُ مُنْفِطِرَةٌ﴾ [الزلزل: ١٨].

﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انشَرت﴾ أي: تساقطت. ﴿وَإِذَا الْسَّحَابُ فُجِّرَتْ﴾ قال ابن عباس: فُجِّرَ الله بعضها في بعض. ﴿وَإِذَا الْغُيُورُ بُعِّرَتْ﴾ قال ابن عباس: بُحِّتْ. وقال السُّدِّي: بُعِّرَتْ: تُحْرَكُ فيخرج من فيها.

﴿وَعِلْمَتُ نَفْسٍ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ أي: إذا كان هذا حصل هذا.

﴿بَنَاتٍمُ الْإِنْسَانِ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ هذا تهديد، لا كما يتوهمه بعض الناس من أنه إرشاد إلى الجواب؛ حيث قال: ﴿الْكَرِيمِ﴾، حتى يقول قائلهم: غَرَّ كَرَمُهُ. بل المعنى في هذه الآية: ﴿مَا غَرَّكَ﴾ يا ابن آدم ﴿بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ أي: العظيم؛ حتى أقدمت على معصيته، وقابلته بها لا يليق! عن ابن عمر قال: غَرَّ -والله- جهله. ورؤي عن ابن عباس والحسن مثل ذلك. وقال قتادة: ما غرَّ ابن آدم غير هذا العدو: الشيطان. وقال الفضيل بن عياض: لو قال لي: «ما غرَّك بي»، لقلت: سُتُورُكَ السُّرْحَاةَ.

﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾ أي: جَعَلَكَ سَوِيًّا معتدل القامة متصبها، في أحسن الهيئات والأشكال. ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ قال مجاهد: في أي شبه أب أم أو خال أو عم؟! في الصحيحين عن أبي هريرة أن رجلا قال: يا رسول الله، إن امرأتي ولدت غلاما أسود؟ قال: «هل لك من إبل؟» قال: نعم. قال: «فما ألوانها؟» قال: حمر. قال: «فهل فيها من أورك؟» قال: نعم. قال: «فأني أراها ذلك؟» قال: عسى أن يكون نزع عرق. قال: «وهذا عسى أن يكون نزع عرق». وقد قال عكرمة: إن شاء في صورة فرد، وإن شاء في صورة خنزير. وكذا قال أبو صالح. وقال قتادة: قادر -والله- ربنا على ذلك. ومعنى هذا القول عند هؤلاء: أن الله ﷻ قادر على خَلْقِ النُّطْقَةِ على شَكْلِ قَبِيحٍ من الحيوانات المُنَكَّرَةِ الخلق، ولكن بقدرته ولطفه وحلمه يُخَلِّقُهُ على شَكْلِ حَسَنٍ مستقيم معتدل تام، حَسَنَ المَظَرِ والهيئة.

﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ﴾ أي: بل إنما يحلمكم على مواجهة الكريم ومقابلته بالمعاصي: تكذيب في قلوبكم بالمعاد والجزاء والحساب.

﴿وَإِن عَلَيكُم لَحُوزِينٌ﴾ ﴿١١﴾ كِرَامًا كَبِيرِينَ ﴿١٢﴾ يَتَلَوْنَ مَا قَالُوا عَلَى يَدَيْهِمْ. يعني: وإن عليكم للملائكة حَفَظَةٌ كِرَامًا فلا تقابلوهم بالقباح؛ فإنهم يكتبون عليكم جميع أعمالكم.

الآية (١٣-١٩): تَجْنِيزُ تَعَالَى عَمَّا يَصِيرُ الْأَبْرَارُ إِلَيْهِ مِنَ النِّعَمِ،

وهم الذين أطاعوا الله ﷻ، ولم يقابلوه بالمعاصي. ثم ذَكَرَ ما يَصِيرُ إِلَيْهِ الْفُجَّارُ مِنَ الْجَحِيمِ والعذاب المقيم، ولهذا قال: ﴿يَسْأَلُونَكَ أَيُّ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ أي: يوم الحساب والجزاء والقيامة، ﴿وَمَا عَنْهَا بِعَلِيلٌ﴾ أي: لا يغيبون عن العذاب ساعة واحدة، ولا يخفف عنهم من عذابها، ولا يجابون إلى ما يسألون من الموت أو الراحة، ولو يوما واحدا.

﴿وَمَا أَزِيدُكَ مَا يَوْمَ الْآزِلِ﴾ تعظيم لشأن يوم القيامة، ثم أَكَّده بقوله: ﴿ثُمَّ مَّا أَزِيدُكَ مَا يَوْمَ الْآزِلِ﴾، ثم فَسَّرَ بقوله: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ أي: لا يقدر أحد على نفع أحد ولا خلاصه مِمَّا هو فيه، إلا أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى.

ونذكر ههنا حديث: «يا بني هاشم، أنقلوا أنفسكم من النار، لا أملك لكم من الله شيئا» [رواه مسلم].

ولهذا قال: ﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ كقوله: ﴿لَمَّا لَمْ يَكُنِ الْيَمِ لِلَّهِ الْوَحِيدُ الْقَهَّارُ﴾ [غافر: ١٦]، وكقوله: ﴿الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ﴾ [الفرقان: ٢٦]. قال قتادة: ﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ والأمر -والله- اليوم لله، ولكنه لا يُتَارَعُهُ فيه يومئذ أحد.

### تفسير سورة المطففين

وهي مدنية، [وعدد آياتها (٣٦) آية].

الآية (١-٤): [سبب النزول]: عن ابن عباس قال: لَمَّا قِيمَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ المدينة كانوا من أَجْبَثِ النَّاسِ كَيْلًا، فأنزل الله: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ فحَسَّنُوا الْكَيْلَ بعد ذلك [رواه النسائي وابن ماجه، وصححه الألباني].

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ التطفيف: البُخْسُ في المكيال والميزان، إما بالازدياد إن اقتضى من الناس، وإما بالنقصان إن قَصَّاهم. ولهذا فَسَّرَ تعالى المطففين الذين وَعَدَهُم بِالْخُسَارِ والمُهْلَاكِ -وهو الويل- بقوله: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ﴾ أي: من الناس ﴿يَسْتَوْفُونَ﴾ أي: يأخذون حَقَّهُم بالوافي والزائد، ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ أي: يُنْقُصُونَ. وقد أمر تعالى بالوفاء في الكيل والميزان، فقال: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزَنُوا بِالْقِسْطِ أَلْتَسْقِيعِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٥]، وقال: ﴿وَأَقِيمُوا الزُّنُكَ وَالْقِسْطَ وَلَا تَغْيِرُوا الْيَمِينَ﴾ [الرحمن: ٩]. وَأَمَّلَكَ الله قوم شعيب ودَمَّرَهم على ما كانوا يَحْسُونُ الناس في المكيال والميزان.

ثم قال تعالى مُتَوَعِّدًا لهم: ﴿أَلَا يَطَّلُوا لَوْلِيكَ أَنَّهُمْ يَسْتَوْفُونَ﴾؟! أي: أما يخاف أولئك من البعث والقيام بين يَدَيِ من يعلم السرائر والضاير؟!

(١) الأورق الذي لونه بين السواد والعبرة قاله ابن الأعرابي الأورق ما كان لونه لون الرماد. [غريب الحديث لابن الجوزي، باب الواو مع الراء].





## الوقفات التدريبية

﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾

هو الذنب على الذنب حتى يسود القلب؛ قال مجاهد: هو الرجل يذنب الذنب فيحيط الذنب بقلبه، ثم يذنب الذنب فيحيط الذنب بقلبه؛ حتى تغشى الذنوب قلبه... قال بكر بن عبد الله: إن العبد إذا أذنب صار في قلبه كوخزة الإبرة، ثم إذا أذنب ثانياً صار كذلك، ثم إذا كثرت الذنوب صار القلب كالمنخل أو كالغريال؛ لا يمي خيراً ولا يثبت فيه صلاح. القرطبي: ١٤٣/٢٢.

السؤال: ما الران؟ وكيف يصل إلى قلب العبد؟

﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا أذنب العبد نكتة في قلبه نكتة سوداء، فإن تاب مقل منها، فإن عاد عادت حتى تعظم في قلبه؛ فذلك الران الذي قال الله: (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون). الطبري: ٢٨٦/٢٤.

السؤال: وضع اثر التوبة على الران الذي يصيب القلب.

﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحُورُونَ﴾

قال الحسين بن الفضل: كما حجبهم في الدنيا عن توحيد حبيبهم في الآخرة عن رؤيته. قال الزجاج: في هذه الآية دليل على أن الله عز وجل يرى في القيامة الشوكاني: ٤٠/٥.

السؤال: لماذا حُجب الصَّاحِب عن رؤية الله في الآخرة؟

﴿حَتَّمَهُمْ سِكَ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾

(المتنافسون) أي: الراغبون في المبادرة إلى طاعة الله تعالى. وأصل التنافس التغالب في الشيء النفيس، ومجاهدة النفس للتشبه بالأفاضل والالحوق بهم من غير إدخال ضرر على غيره. وهي بهذا المعنى من شرف النفس وعلو الهمة. الألويسي: ٢٨٣/١٥.

السؤال: ما التنافس المحمود المقصود في الآية؟

﴿حَتَّمَهُمْ سِكَ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾

وفي هذه الآية الكريمة لفت لأول السورة: إذا كان أولئك يسعون لجمع المال بالتطفيف فلهم الويل يوم القيامة. وإذا كان الأبرار لفي نعيم يوم القيامة، وهذا شرابهم، فهذا هو محل المنافسة، لا في التطفيف من الحب أو أي مكيل أو موزون. الشنقيطي: ٤٦٣/٨.

السؤال: ما المنافسة المحمودة والمذمومة في السورة؟

﴿وَمَرَّاهُمْ مِنْ تَنْبِيهِمْ﴾

والتسليم أعلى أشربة الجنة؛ فأخبر سبحانه أن مزاج شراب الأبرار من التسليم، وأن المقربين يشربون منه بلا مزاج... وهذا لأن الجزاء وفاق العمل، فكما خلصت أعمال المقربين كلها لله خلص شرابهم، وكما مزج الأبرار الطاعات بالمباحات مزج لهم شرابهم، فمن أخلص أخلص شرابه، ومن مزج مزج شرابه. ابن القيم: ٢٧٠/٣.

السؤال: لماذا كان شراب المقربين خالصاً من تسليم، وشراب الأبرار مزجاً بغيره؟

﴿وَإِذَا أَنْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ أَنْقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾

أي: مسرورين مغتبطين؛ وهذا من اعظم ما يكون من الاغترار: أنهم جمعوا بين غاية الإساءة والأمن في الدنيا، حتى كأنهم قد جاءهم كتاب من الله وعهد أنهم أهل السعادة، وقد حكموا لأنفسهم أنهم أهل الهدى، وأن المؤمنين ضالون؛ افتراء على الله، وتجروا على القول عليه بلا علم. السعدي: ٩١٦.

السؤال: بين وجه الإساءة العظيم الذي بينه الله من حال هؤلاء المشركين.

لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفَجَارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٣﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٤﴾ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴿٥﴾ وَنَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ يَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُكْفَرُونَ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧﴾ إِذَا نُفِثَ عَلَيْهِ إِثْمُهَا قَالَ أَطَافُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحُورُونَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١١﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهَذَا كَذِبُونَ ﴿١٢﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيَّينَ ﴿١٣﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيَّينَ ﴿١٤﴾ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴿١٥﴾ يَشْهَدُهُ الْمُرَقُّونَ ﴿١٦﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٧﴾ عَلَى الْأَرْشَادِ يَنْظُرُونَ ﴿١٨﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿١٩﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْمُومٍ ﴿٢٠﴾ حَتَّمَهُمْ مِسْكَ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢١﴾ وَمَرَّاهُمْ مِنْ تَنْبِيهِمْ ﴿٢٢﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُرَقُّونَ ﴿٢٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ أُجِرُوا بِهَا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ أَمُورُهُمْ كُفُورٌ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَرُونَ ﴿٢٥﴾ وَإِذَا أَنْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ أَنْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمُ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴿٢٧﴾ وَمَا أَرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ﴿٢٨﴾

## معاني الكلمات

المعنى	الكلمة
سجين، وضيق.	سِجِّينٌ
مكتوب كالزهر في الثوب لا يمحى.	مَرْقُومٌ
أباطيل.	أَسَاطِيرُ
زَانٌ	زَانٌ
الأسيرة المُرْتَبَة بالسُّنُورِ وَالْقِيَابِ.	الْأَرْشَادُ
خمر صافية.	رَحِيقٌ
خلطه.	وَمَرَّاهُمْ
عين في أعلى الجنة.	تَنْبِيهِمْ
يشربون متلذذين بها.	يَشْرَبُ بِهَا

## العمل بالآيات

١. قل: اللهم إني أسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة. ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحُورُونَ﴾.
٢. تصديق بسقاية مسلم، ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْمُومٍ﴾.
٣. انظر إلى رجل يبكر في الحضور إلى المسجد ونافسه في ذلك، ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾.

## التوجيهات

١. من أعظم العقوبات: الحرمان من النظر إلى الرب تبارك وتعالى في الآخرة، ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحُورُونَ﴾.
٢. الذنوب هي سبب الران على القلب، ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.
٣. من صفات المؤمنين التنافس في الطاعات، ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾.



## ● الوقفات التدريبية

﴿عَلَّ الْأَرْبَابُكَ يَنْظُرُونَ﴾

أي: إلى ما يشتهون من الجنان والأنهار والحدود والودان: ليس لهم شغل غير ذلك وما شابهه من المستلذات. وقال الإمام القشيري: أثبت النظر ولم يبين المنظور إليه لاختلافهم: منهم من ينظر إلى قصوره، ومنهم من ينظر إلى حوره، ومنهم، ومنهم، والخواص على دوام الأوقات إلى الله تعالى ينظرون، كما أن الفجار دائماً عن ربهم محجوبون. البقاعي: ٣٢٧/٢١.

السؤال: لماذا أخبر عن نظر المؤمنين في الجنة ولم يتكلم عن المنظور إليه؟

﴿يَتَأَمَّلُ الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدَسًا مُتْعَلِيهِ﴾

حث على الاجتهاد في الإحسان في العمل: لأن من أيقن بأنه لا بد له من العرض على الملك أفرغ جهده في العمل بما يحمده عليه عند لقائه. البقاعي: ٣٣٩/٢١.

السؤال: ما الواجب على العبد فعله إذا علم أنه ملاق ربه عز وجل؟

﴿وَيَقْلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾

فإنه كان في الدنيا في أهله مشفقاً من العرض على الله، مغموماً مضروباً، يحاسب نفسه بكرة وعشياً حساباً عسيراً، مع ما هو فيه من نكد الأهل وضيق العيش وشروط المخالفين. البقاعي: ٣٤١/٢١.

السؤال: لماذا جوزي المؤمن بالسور مع أهله في الجنة؟

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْقِيَتْ كِتَابُهُ وَرَأَتْ ظَهْرَهُ﴾

تمييز الكفرة بكون الإعطاء من وراء ظهورهم؛ ولعل ذلك لأن مؤتي الكتب لا يتحملون مشاهدة وجوههم؛ لكمال بشاعتها، أو لغاية بغضهم إياهم، أو لأنهم نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم. الألوسي: ٨١/٣٠.

السؤال: لماذا يعطى الكافر كتابه من وراء ظهره؟

﴿إِنَّكَ كَانَتْ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾

أي: فرحاً لا يفكر في العواقب، ولا يخاف مما أمامه، فأعقبه ذلك الفرح اليسير الحزن الطويل. ابن كثير: ٤٩٠/٤.

السؤال: متى يكون الفرح مذموماً؟

﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾

هذا الظن ... مما يشعر أن عدم الإيمان بالبعث، أو الشك فيه هو الدافع لكل سوء والمضيق لكل خير، وأن الإيمان باليوم الآخر هو المنطلق لكل خير والمانع لكل شر. والإيمان بالبعث هو منطلق جميع الأعمال الصالحة، كما في مستهل المصحف: (هدى للمتقين...)، الشنقيطي: ٤٧١/٨.

السؤال: كيف يكون عدم الإيمان بالبعث أو الشك فيه أصل كل شر؟

﴿يَنْ يَنْ رَبِّهِ كَأَن يَوْمَ يَجِيرُ﴾

أي: ناظرًا له وعالماً به أبغ نظر وأكمل علم؛ فتركه مهملاً مع العلم بأعماله مناف للحكمة والعدل والملك، فهو شيء لا يمكن في العقل بوجه. البقاعي: ٣٤٥/٢١.

السؤال: ما دلالة الإخبار بإبصار الله للعبد؟

فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿١٠٠﴾ عَلَى الْأَرْبَابِكِ يَنْظُرُونَ ﴿١٠١﴾ هَلْ تُؤِيبُ الْكَفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٠٢﴾

شبهة الالتفات ﴿١٠٠﴾ ﴿١٠١﴾ ﴿١٠٢﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴿١٠٠﴾ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿١٠١﴾ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿١٠٢﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿١٠٣﴾ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿١٠٤﴾ يَتَأَمَّلُ الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدَسًا قَامِلًا عَلَيْهِ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوْقِيَتْ كِتَابُهُ بِرَيْبِهِ ﴿١٠٦﴾ فَسَوْفَ يَحْاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقْلِبُ عَلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿١٠٨﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوْقِيَتْ كِتَابُهُ وَرَأَتْ ظَهْرَهُ ﴿١٠٩﴾ يَدْعُو ثُبُورًا ﴿١١٠﴾ وَصَلَّى سَعِيرًا ﴿١١١﴾ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿١١٢﴾ إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ ﴿١١٣﴾ بَلْ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴿١١٤﴾ فَلَا أَقْسَمُ بِالْشَفَقِ ﴿١١٥﴾ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١١٦﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴿١١٧﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١١٨﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١١٩﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ﴿١٢٠﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٢١﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿١٢٢﴾ فَيَنْزِلُهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٢٣﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
انْشَقَّتْ	تَصَدَّعَتْ، وَتَفْطَرَتْ بِالْفَتْحِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.
وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا	أَطَاعَتْ لِأَمْرِ رَبِّهَا.
مُدَّتْ	بُسِطَتْ، وَوُسِّعَتْ، وَدُكَّتْ جِبَالُهَا.
يَدْعُو ثُبُورًا	يَدْعُو بِالْهَلَاكِ قَائِلًا: وَأَثْبُورَاهُ!
لَنْ يَحُورَ	لَنْ يَرْجِعَ إِلَى اللَّهِ لِيُحَاسِبَهُ.
وَسَقَ	جَمَعَ.
اتَّسَقَ	تَكَامَلَ ثَوْرُهُ، وَأَبْدَرُ.
طَبَقًا عَن طَبَقٍ	أَطْوَارًا مُتَعَدَّةً، وَأَحْوَالًا مُتَبَايِنَةً، نُطْفَةً، ثُمَّ عِلْقَةً، وَهَكَذَا.

## ● العمل بالآيات

- استمع إلى قراءة القرآن بتدبر، ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ﴾.
- اسجد سجدة التلاوة عند موضع السجدة من السورة الكريمة، ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ﴾.
- أحرص على التيامن في أمورك الطيبة منذ اليوم، ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْقِيَتْ كِتَابُهُ بِرَيْبِهِ﴾.

## ● التوجهات

- بيان بعض أحوال يوم القيامة، ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴿١٠٠﴾ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿١٠١﴾ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿١٠٢﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿١٠٣﴾ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿١٠٤﴾
- أذعن لله كما تدعن المخلوقات، ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿١٠٢﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿١٠٣﴾ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿١٠٤﴾
- وعيد الكاذبين، ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٢١﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿١٢٢﴾ فَيَنْزِلُهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٢٣﴾

الآية (٣٤-٣٦): ﴿رُوي عن عليّ وابن عباس وغيرهم أنهم قالوا: الشَّقَقُ: الحُمْرَةُ. فالشَّقَقُ هو: حُمْرَةُ الْأَقْقِ إِذَا قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ - كما قاله مجاهد- وإما بعد غروبها - كما هو معروف عند أهل اللغة.

قال الخليل بن أحمد: الشَّقَقُ: الحمرة من غروب الشمس إلى وقت العشاء الآخرة، فإذا ذهب قيل: غاب الشَّقَقُ.

وصَحَّحَ عن مجاهد أنه قال: الشَّقَقُ: النهار كله. وعنه: الشَّقَقُ: الشمس. وإنما تحلَّه على هذا قُرْنُهُ بقوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ أي: يَجْمَعُ. كأنه أقسم بالضياء والظلام. وقال ابن جرير: أقسم الله بالنهار مُدْبِرًا، وبالليل مُقْبِلًا. وقال ابن جرير: وقال آخرون: الشَّقَقُ اسم للحمرة والبياض. وقالوا: هو من الأضداد.

﴿وَمَا وَسَقَ﴾ قال ابن عباس ومجاهد والحسن: وما يَجْمَعُ. قال قتادة: وما يَجْمَعُ من نَجْمٍ ودابة. وقال عكرمة: ﴿وَمَا وَسَقَ﴾: ما ساق من ظُلْمَةٍ، إذا كان الليل ذهب كل شيء إلى مأواه.

﴿وَالْقَمَرُ إِذَا أَتَقَى﴾ قال ابن عباس: إذا اجتمع واستوى. وكذا قال عكرمة ومجاهد وسعيد بن جبير وغيرهم. ومعنى كلامهم: أنه إذا تكامل نوره وأبدَرَ، جعله مقابلًا لليل وما وَسَقَ.

﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ قال ابن عباس: «حَالًا بعد حال» قال هذا نبيكم ﷺ [رواه البخاري]، وهو محتمل أن يكون ابن عباس أَسَنَدَ هذا التفسير عن النبي ﷺ، ويُحْتَمَلُ أن يكون المراد بهذا نبيكم ﷺ، والله أعلم. وعن ابن عباس: «لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ» قال: محمدٌ ﷺ. ويؤكد هذا المعنى قراءة عمر وابن مسعود وابن عباس وعامة أهل مكة والكوفة: «لَتَرْكَبُنَّ». وعن الشعبي قال: لَتَرْكَبُنَّ يا محمد ساءً بعد ساء. وهكذا رُوي عن ابن مسعود ومسروق وأبي العالية.

قلت: يعنون ليلة الإسرائ. وقال السُّدِّي: أحوال من قبلكم منزلًا بعد منزل. قلت: كأنه أراد معنى الحديث الصحيح: «لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ من كان قبلكم» [رواه الترمذي، وصححه الألباني] وهذا محتمل. [وقيل غير ذلك]. قال ابن جرير: والصواب من التأويل قول من قال لَتَرْكَبُنَّ أنت - يا محمد - حالًا بعد حال وأمرًا بعد أمر من السُّدَائِدِ. والمراد بذلك - وإن كان الخطاب إلى رسول الله ﷺ مُوجَّهًا - جميع الناس، وأنهم يلقون من شدائد يوم القيامة وأحواله أحوالًا.

﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٣٥﴾ ﴿إِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ﴾ أي: فإذا يمتنعون من الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر؟! وما لهم إذا قُرِئَتْ عليهم آيات الرحمن وكلامه - وهو هذا القرآن - لا يسجدون إعطائًا وإكرامًا واحترامًا؟! وقوله: ﴿يَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَكْذِبُوا﴾ أي: من سجيئتهم التكذيب والعناد والمخالفة للحق، ﴿وَأَنَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ قال مجاهد وقاتدة: يكتمون في صدورهم. ﴿فَيَنْتَرَهُمْ بَعْدَ آيٍ﴾ أي: فأخبرهم - يا محمد - بأن الله ﷻ قد أعد لهم عذابًا أليمًا.

الآية (٣٤-٣٦): ﴿فَأَنبِئْ﴾ يعني: يوم القيامة ﴿الَّذِينَ آمَنُوا مِن الْكُفَّارِ يَصْحَكُونَ﴾ أي: في مقابلة ما صَحَّكَ بهم أولئك.

﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾ أي: إلى الله ﷻ في مقابلة من رَعِمَ فيهم أنهم ضالُّون، ليسوا بضالِّين، بل هم من أولياء الله المقربين، ينظرون إلى ربهم في دار كرامته. قوله: ﴿هَلْ تُؤْبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾؟! أي: هل جُوزِي الكفار على ما كانوا يقابلون به المؤمنين من الاستهزاء والتنقيص أم لا؟! يعني: قد جُوزُوا وأُوفِرَ الجزاء وأُتِمَّتْ وأُكْمِلَتْ.

### تفسير سورة الانشقاق

وهي مكية، [وعدد آياتها (٢٥) آية]

[فضل السورة]: عن أبي هريرة قال: سَجَدْنَا مع رسول الله ﷺ في ﴿إِذَا انشَقَّتْ انشَقَّتْ﴾ و﴿أَفْرَأَيْتُمْ رِيكَ الَّتِي خَلَقَ﴾ [رواه مسلم].

الآية (١-١٥): ﴿إِذَا انشَقَّتْ انشَقَّتْ﴾ وذلك يوم القيامة، ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾ أي: استعانت لربها وأطاعت أمره فيها أمرًا به من الانشقاق، ﴿رَحَّتْ﴾ أي: وحَّتْ لها أن تطيع أمره، لأنه العظيم الذي لا يُنَالَعُ ولا يُغَالَبُ، بل قد قهر كل شيء، وذلك كل شيء.

﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ أي: بُسِطَتْ وفُرِشَتْ وَوُسِّمَتْ. ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ أي: ألْقَتْ ما في بطنها من الأموات، وَتَخَلَّتْ منهم. قاله مجاهد وسعيد وقاتدة. ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا رَحَّتْ﴾ كما تقدَّم.

﴿يَتَأَبَّأُ الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَاشٍ إِلَى رَبِّكَ كَذًّا﴾ أي: ساع إلى ربك سعيًا، وعامل عملًا ﴿فَمُتْلِقِيهِ﴾، ثم إنك ستلقى ما عملت من خير أو شر. ومن الناس من يُعِيد الضمير على قوله: ﴿رَبِّكَ﴾ أي: فملاقى ربِّك، ومعناه: فيجَازِيكَ بعَمَلِكَ ويَكافِيكَ على سَعَبِكَ. وعلى هذا فيكلا القولين متلازم. قال ابن عباس: يقول: تعمل عملًا تلقى الله به، خبرًا كان أو شرًا. وقال قتادة: إن كَذْحَكَ - يا ابن آدم - لضعيف، فمن استطاع أن يكون كَذْحُهُ في طاعة الله فليَفْعَلْ، ولا قوة إلا بالله.

﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كَيْفَهُ، يَسْمِينَهُ﴾ ﴿٧﴾ ﴿سَوَفَ يَحْصِبُ حَسَابًا يَبِيرًا﴾ أي: سهلاً بلا تعسير، أي: لا يُحَقِّقُ عليه جميع دقائق أحواله؛ فإن من حُوسِبَ كذلك يَنْهَلُ لا محالة. عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «من تَوَقَّضَ الحِسابَ عَذَّبَ». قالت: فقلت: أليس قال الله: ﴿سَوَفَ يَحْصِبُ حَسَابًا يَبِيرًا﴾؟! قال: «ليس ذاك بالحِساب، ولكن ذلك العَرَضُ، من تَوَقَّضَ الحِساب يوم القيامة عَذَّبَ» [متفق عليه].

﴿وَنَيْلُ﴾ أي: ويَرْجِعُ ﴿إِلَى أَهْلِهِ﴾ في الجنة. قاله قتادة والصحاح. ﴿مَسْرُورًا﴾ أي: فرحان مُغْتَبِطًا بما أعطاه الله ﷻ.

﴿وَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كَيْفَهُ، وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ أي: يشاله من وراء ظهره، تُنْشَى يده إلى ورائه ويُعْطَى كتابه بها كذلك، ﴿سَوَفَ يَدْعُوا بُرًّا﴾ خَسَارًا وهلاكًا، ﴿وَيَصِلُ سِيرًا﴾ ﴿١٣﴾ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿فَرِحًا لَا يُفَكِّرُ فِي الْعَوَاقِبِ، وَلَا يَخَافُ مِمَّا أَمَامَهُ، فَأَغْفِيهِ ذَلِكَ الْفَرْحُ السَّيْرُ الْحَزَنُ الطَوِيلُ﴾ ﴿١٤﴾ إِنَّهُ ظَنَّ أَنَّ لَنْ يَحُورَ﴾ أي: كان يعتقد أنه لا يرجع إلى الله ولا يُعِيدُهُ بعد موته. قاله ابن عباس وقاتدة وغيرهما. والْحَوْرُ: هو الرجوع. ﴿عَلَى رَنٍّ رَبِّكَ كَانَ يَدْعُو بِصَبْرٍ﴾ يعني: بلى سعيُّه الله كما بدأه، ويجَازِيهِ على أحواله خيرا وشرا؛ فإنه ﴿كَانَ يَدْعُو بِصَبْرٍ﴾ أي: عليًّا خبيرًا.



تفسير سورة البروج

عن صُهَيْب: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ، فَلَمَّا كَبِرَ السَّاحِرُ قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّي قَدْ كَثُرَتْ بَنِيَّ وَخَضِرَ أَجْلِي، فَادْفَعْ إِلَيَّ غُلَامًا لِأَعَلِّمَهُ السَّخْرَ. فَدَفَعَ إِلَيْهِ غُلَامًا فَكَانَ يُعَلِّمُهُ السَّخْرَ، وَكَانَ بَيْنَ السَّاحِرِ وَبَيْنَ الْمَلِكِ رَاهِبٌ، فَاتَى الْغُلَامُ عَلَى الرَّاهِبِ

وهذا تقرير لقوله: ﴿إِنَّا بَشَرٌ لِّدِكْ لَشَيْدٍ﴾ أي: إذا أَخَذَ الظالم أَخْذَهُ أَخْذًا أَلِيمًا شَدِيدًا، أَخَذَ عَزِيزٌ مُّقْتَدِرٌ. ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ﴾ أي: هم فِي سُكٍّ وَرَيْبٍ وَكُفْرٍ وَعِنَادٍ، ﴿وَاللَّهُ يَرَىٰ وَرَأْيَهُمْ حِطًّا﴾ أي: هو قَادِرٌ عَلَيْهِمْ، قَاهِرٌ لَا يَفْتُونُونَهُ وَلَا يَعْجِزُونَهُ، ﴿بَلْ هُمْ كَافِرُونَ أَجِيدٌ﴾ أي: عَظِيمٌ كَرِيمٌ، ﴿فِي تَرْجٍ مَّحْضُومٍ﴾ أي: هو فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى مَحْفُوظٌ مِنَ الزِّيَادَةِ وَالنَقْصِ وَالتَّحْرِيفِ وَالتَّبْدِيلِ.

(١) قرأها حمزة والكسائي وخلف بالجر، وقرأ الباقون بالرفع. [ينظر الكنز في القراءات العشر: ٧١٢/٢].



## ● الوقفات التدريبية

### ● ﴿وَسَاجِدٌ وَشَاهِدٌ﴾

من المخلوقات ما هو مشهود عليه، ولا يتم نظام العالم إلا بذلك، فكيف يكون المخلوق شاهداً رقيباً حفيظاً على غيره، ولا يكون الخالق تبارك وتعالى شاهداً على عباده مطلعاً عليهم رقيباً. ابن القيم: ٢٧٨/٣.

السؤال: ما الحكمة من الإخبار بأن الخلق فيهم (شاهد ومشهود)؟

### ● ﴿قِيلَ أَتَحِبُّ الْأَخْدُودَ﴾ (١) ﴿أَتَارِدَاتِ الْوُدُودِ﴾

قال علماؤنا: أعلم الله عز وجل المؤمنين من هذه الأمة في هذه الآية ما كان يلقيه من وخذ قبيلهم من الشدائد؛ يؤنسهم بذلك، وذكر لهم النبي قصة الغلام ليصبروا على ما يلاقون من الأذى والآلام والمشقات التي كانوا عليها، ليتأسوا بمثل هذا الغلام في صبره وتصلبه في الحق وتسكه به ويذله نفسه في حق إظهار دعوته ودخول الناس في الدين مع صغر سنه وعظيم صبره. القرطبي: ١٩٢/٢٢-١٩٣.

السؤال: لماذا قص الله علينا قصة أصحاب الأخدود؟

### ● ﴿الَّذِي لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾

(الذي له ملك السموات والأرض؛ خلقاً وعبداً؛ يتصرف فيهم تصرف المالك بملكه، (والله على كل شيء شهيد؛ علماً وسمعاً وبصراً؛ أفلا خاف هؤلاء المتمردون على الله أن يبطش بهم العزيز المقتدر؟) أوما علموا أنهم جميعهم ممالك لله؛ ليس لأحد على أحد سلطة من دون إذن المالك؟ أوخفي عليهم أن الله محيط بأعمالهم، مجاز لهم على فعالهم؟ كلا إن الكافر في غرور، والظالم في جهل وعمى عن سواء السبيل. السعدي: ٩٨.

السؤال: ما الحكمة من ذكر الله سبحانه وتعالى أن له ملك السموات والأرض بعد ذكر حال الطفلة أصحاب الأخدود؟

### ● ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَهُمْ فِي عَذَابِ الْحَرِيقِ﴾

قال الحسن البصري: انظروا إلى هذا الكرم والجود؛ قتلوا أوليائه وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة. ابن كثير: ٤/٤٩٧.

السؤال: من أين يستنبط كرم الله وجوده العظيم من خلال الآية؟

### ● ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ﴾

قالوا: اللودة هي المحبة الصافية، وفي هذا سر لطيف؛ حيث قرن الودود بالغفور ليدل ذلك على أن أهل الذنوب إذا تابوا إلى الله وأتابوا غفر لهم ذنوبهم وأحبهم. السعدي: ٩٩.

السؤال: ما السر في اقتران اسم الله تعالى (الودود) باسمه (الغفور)؟

### ● ﴿هَلْ أَنْتَ حَبِيبُ الْجُنُودِ﴾ (٧) ﴿فَرَعَوْنَ وَفُودَ﴾

تسليية له بالإشعار بأنه سيصيب كفرة قومه ما أصاب الجنود... والمعنى: قد أتاك حديثهم وعرفت ما فعلوا وما فعل بهم، فذكر قومك بإيام الله تعالى وشؤونه سبحانه، وانذرهم أن يصيبهم مثل ما أصاب أمثالهم. الألوسي: ٣٠/٣٩.

السؤال: في هذه الآية إنذار ووعد لكفار قريش، بين ذلك.

### ● ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾ (١) ﴿لَوْ كَانَ حَافِظٌ﴾

(في لوح محفوظ): من التغيير والزيادة والنقص، ومحفوظ من الشياطين؛ وهو اللوح المحفوظ الذي قد أثبت الله فيه كل شيء وهذا يدل على جلالة القرآن وجزالته، ورفعة قدره عند الله تعالى. السعدي: ٩٩.

السؤال: تحدث عن قدر القرآن الكريم عند الله تعالى من خلال الآيات.

إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٥﴾

سُورَةُ الْبُرُوجِ ﴿٥٩﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ مَشْهُودٍ ﴿٣﴾  
قِيلَ أَتَصَبُّوا الْأَخْدُودَ ﴿٤﴾ أَلَتَارِدَاتِ الْوُدُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ هُوَ يَتَذَكَّرُ الْمُعْتَدِ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَالٌ لَمَّا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَنْتَ حَبِيبُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فَرَعَوْنَ وَفُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
غَيْرُ مَمْنُونٍ	غَيْرُ مَقْطُوعٍ، وَلَا مَنْقُوصٍ.
ذَاتِ الْبُرُوجِ	ذَاتِ الْمَنَازِلِ الَّتِي تَمُرُّ بِهَا الشَّمْسُ، وَالْقَمَرُ.
وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ	هُوَ: يَوْمُ الْقِيَامَةِ.
وَشَاهِدٍ مَشْهُودٍ	أَقْسَمَ اللَّهُ بِكُلِّ شَahِدٍ يَشْهَدُ، وَيَكُلُّ مَنْ يُشْهَدُ عَلَيْهِ.
قِيلَ	لُعِنَ، وَعَذَّبَ، وَهَلَكَ.
أَصْحَابِ الْأَخْدُودِ	الَّذِينَ سُقُوا فِي الْأَرْضِ شَقًّا عَظِيمًا؛ لِإِحْرَاقِ الْمُؤْمِنِينَ.
عَذَابِ الْحَرِيقِ	العَذَابُ الْحَرِيقُ.
الْوُدُودُ	الْحُبُّ لِأَوْلِيَائِهِ، الْمَحْبُوبُ لَهُمْ.

## ● العمل بالآيات

١. ذكر مسلماً أو أكثر بالصبر على الأذى في سبيل الله، ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾.
٢. ساعد مسلماً مستضعفاً، ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾.
٣. ذكر مسلماً أو أكثر بأن الله غفور ودود، ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾.

## ● التوجيهات

١. الاعتبار بأحوال مؤمني الأمم السابقة وما قدموه من تضحية للثبات على الدين، ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾.
٢. انتقام الله تعالى لأوليائه من أعدائه، ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾.
٣. التوبة من إيذاء المؤمنين، ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾.

الحزب الثاني: القرآن سورة القاري سورة الأهل

سورة القاري ١٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ۝ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ۝  
 ١ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۝ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۝  
 ٢ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ۝ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ۝ إِنَّهُ عَلَى  
 رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ۝ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ۝ فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ۝  
 ٣ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ۝ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ۝ إِنَّهُ  
 لَقَوْلٌ فَصْلٌ ۝ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ۝ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝  
 ٤ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝ فَمَهْلُ الْكَافِرِينَ أَمْهَلُهُمْ رُوَيْدًا ۝

سورة الأهل ١٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ۝ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ۝ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ۝  
 ١ وَالَّذِي أَحْرَجَ الْمَرْعَى ۝ فَجَعَلَهُ رَعْدًا وَاحْوَى ۝ سَفَرُكَ  
 فَلَا تَنسَى ۝ إِنْ أَمَّا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ۝ وَيُبَشِّرُكَ  
 لِلْيُسْرَى ۝ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى ۝ سَيَذَكِّرْكَ مَنْ يُخَشَى ۝

٥٩١

## معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
الثَّاقِبُ	المُضِيءُ الْمُنَوَّجُ.
دَافِقٍ	مُنْصَبٍ بِسُرْعَةٍ فِي الرَّجْمِ.
الصُّلْبِ	الظُّهْرِ.
وَالْتَّرَائِبِ	عِظَامِ الصُّدْرِ.
تُبْلَى السَّرَائِرُ	تُخْتَبَرُ، وَتُكْشَفُ صُمَائِرُ الْقُلُوبِ.
رُوَيْدًا	قَلِيلًا.
الْمَرْعَى	الْكَلَأُ الْأَخْضَرُ.
رَعْدًا	هَشِيمًا جَافًا.
أَحْوَى	مُتَغَيِّرًا.

## العمل بالآيات

١. تذكر ذنبا فعلته ولم يطلع عليه بشر واستغفر الله منه، ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾.
٢. راجع سورة أو احفظها، ﴿سَفَرُكَ فَلَا تَنسَى﴾.
٣. أرسل رسالة تذكر فيها بتقوى الله عز وجل، ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى﴾.

## التوجيهات

١. حتى لا تكبر تذكر أنك خلقت من نطفة، ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾.
٢. الحذر من كيد الله وامهاله للمعرضين، ﴿فَمَهْلُ الْكَافِرِينَ أَمْهَلُهُمْ رُوَيْدًا﴾.
٣. على الإنسان أن يتنبه إلى أعمال قلبه وأعمال خلواته؛ فإله تعالى يعلم كل شيء، ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى﴾.

القاري  
الصوتي



## الوقفات التدبرية

﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾

أي: تخرج مخبأتها وتظهر؛ وهو كل ما كان استسره الإنسان من خير أو شر واضمره من إيمان أو كفر... قال ابن عمر رضي الله عنهما: يبدي الله يوم القيامة كل سر خفي فيكون زيناً في الوجوه وشيناً في الوجوه.  
القرطبي: ٢١٢/٢٢-٢١٤.

السؤال: كيف تبلى سرائر العبد يوم القيامة؟

﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾

وفي التعبير عن الأعمال بالسر لطيفة؛ وهو أن الأعمال نتائج السرائر الباطنة، فمن كانت سريرته صالحة كان عمله صالحاً، فتبدو سريرته على وجهه نوراً وإشراقاً وحياء، ومن كانت سريرته فاسدة كان عمله تابعاً لسريرته، لا اعتبار بصورته، فتبدو سريرته على وجهه سواداً وظلمةً وشيناً، وإن كان الذي يبدو عليه في الدنيا إنما هو عمله لا سريرته، فيوم القيامة تبدو عليه سريرته، ويكون الحكم والظهور لها. ابن القيم: ٢٨٨/٣-٢٨٩.

السؤال: ما أهمية إصلاح السرائر؟

﴿فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾

فما للإنسان الكافر يومئذ من قوة يتمتع بها من عذاب الله واليم نكاله، ولا ناصر ينصره فيستقذره ممن ناله بمكره، وقد كان في الدنيا يرجع إلى قوة من عشيرته يتمتع بهم ممن اراده بسوء، وناصر من حليف ينصره على من ظلمه واضطهده. الطبري: ٣٥٩/٢٤.

السؤال: وضع وجه نفي القوة والناصر للعبد في القيامة.

﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝﴾

ويعلم بهذا من الغالب؛ فإن الأدمي أضعف وأحق من أن يغالب القوي العليم. السعدي: ٩٢٠.

السؤال: يكيد أهل الكفر والضلال للإسلام والمسلمين في كل لحظة، فمن الغالب من خلال تدبرك لهذه الآية؟

﴿وَيُبَشِّرُكَ لِلْيُسْرَى﴾

أي: نسهل عليك أفعال الخير وأقواله، ونشرع لك شرعاً سهلاً سمحاً مستقيماً عدلاً؛ لا اعوجاج فيه ولا حرج ولا عسر. ابن كثير: ١٠٥/٤.

السؤال: استنبط سماحة الإسلام ويسره من خلال الآية الكريمة.

﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى﴾

أي: ذكر حيث تنفع التذكير، ومن هنا يؤخذ الأدب في نشر العلم؛ فلا يضعه عند غير أهله، كما قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: «ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة لبعضهم». وقال: «حدثوا الناس بما يعرفون، اتحبون أن يكذب الله ورسوله؟» ابن كثير: ٥١/٤.

السؤال: دل قوله تعالى (إن نفعك الذكرى) على أدب من آداب طالب العلم فما هو؟

﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى ۝ سَيَذَكِّرْكَ مَنْ يُخَشَى﴾

التذكر التام يستلزم التأثر بما تذكره؛ فإن تذكر محبوباً طلبه، وإن تذكر مرهوباً هرب منه. ابن تيمية: ٥٠٢/٦.

السؤال: لماذا ربط التذكر بالخشية؟

## تفسير سورة الطارق

وهي مكية، [وعدد آياتها (١٧) آية].

[فضل السورة]: عن جابر بن سمرة: «أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في الظهر والعصر ﴿وَالنَّجْمَ ذَاتَ الْوُجُوهِ﴾، ﴿وَالنَّهَارِ وَاللَّيْلِ﴾، وشبههما» [رواه الترمذي، وصححه الألباني].

الآية (١٠-١): يقسم تعالى بالسواء وما جعل فيها من الكواكب النيرة؛ ولهذا قال: ﴿وَالنَّجْمَ ذَاتَ الْوُجُوهِ﴾، ثم قال: ﴿وَمَا أَزِيدُ مَا الطَّارِقُ﴾، ثم فسره بقوله: ﴿النَّجْمَ ذَاتَ الْوُجُوهِ﴾. قال قتادة وغيره: إنما سمي النجم طارقاً لأنه إنما يرى بالليل ويختفي بالنهار.

﴿وَالنَّهَارِ﴾ قال ابن عباس: المضيء. وقال السدي: يثقب الشياطين إذا أرسل عليها. وقال عكرمة: هو مضيء ومحرق للشيطان.

﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيَّ حَافِظٌ﴾ أي: كل نفس عليها من الله حافظ يحرسها من الآفات؛ كما قال تعالى: ﴿لَهُ مَعِيقَتٌ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُهَا وَمَنْ أَمَرَ اللَّهُ﴾ الآية [الرعد: ١١].

قوله: ﴿فَتَنْظُرُ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ تنبيه للإنسان على ضعف أصله الذي خلق منه، وإرشاد له إلى الاعتراف بالمعاد؛ لأن من قدر على البداء فهو قادر على الإعادة بطريق الأولى. ﴿خُلِقَ مِنْ تَلَوِّ دَاقِقٍ﴾ يعني: السمي؛ يخرج دفقاً من الرجل ومن المرأة، فيولد منها الولد بإذن الله ﷻ؛ ولهذا قال: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ يعني: صلب الرجل وترايب المرأة، وهو صدرها. وعن ابن عباس: موضع القلادة.

﴿إِنَّهُ عَلَى رَجَبٍ لَقَادٍ﴾ فيه قولان: أحدهما: على رجع هذا الماء الدافق إلى مقره الذي خرج منه ﴿لَقَادٍ﴾ على ذلك. قاله مجاهد وعكرمة وغيرهما. والثاني: إنه على رجع هذا الإنسان المخلوق من ماء دافق؛ أي: إعادته وبعثه إلى الدار الآخرة ﴿لَقَادٍ﴾؛ لأن من قدر على البدء قدر على الإعادة. واختاره ابن جرير، ولهذا قال: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّرَائِرُ﴾ أي: يوم القيامة تبلى فيه السرائر، أي: تظهر وتبدو، ويبقى السر علانية والمكنون مشهوراً. ﴿قَالَ لَهُ﴾ أي: الإنسان يوم القيامة ﴿مِنْ قُوَّةٍ﴾ أي: في نفسه ﴿وَلَا تَأْمُرُ﴾ أي: من خارج منه، أي: لا يقدر على أن يُنفذ نفسه من عذاب الله، ولا يستطيع له أحد ذلك.

الآية (١١-١٧): ﴿وَالنَّهَارِ ذَاتِ الْوُجُوهِ﴾ قال ابن عباس: الرجوع: المطر. وعنه: هو السحاب فيه المطر. وعنه: تمطر ثم تمطر. وقال قتادة: ترجع رزق العباد كل عام، ولولا ذلك لهلكوا وهلكت مواشيهم. وقال ابن زيد: ترجع نجومها وشمسها وقمرها، يأتي من ههنا.

﴿وَاللَّيْلِ ذَاتِ الصَّعْدِ﴾ قال ابن عباس: هو انصداعها عن النبات. وكذا قال غير واحد. ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ فَضْلٍ﴾ قال ابن عباس: حق. وكذا قال قتادة. وقال آخر: حُكْمٌ عَدَلٌ. ﴿وَمَا مَوْجِدُ الْفَزْلِ﴾ أي: بل هو حقٌ جِدٌّ.

﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ أي: يمحرون بالناس في دعوتهم إلى خلاف القرآن. ثم قال: ﴿فَهَلْ يَكْفِیْهِمْ﴾ أي: أنظروهم ولا تستعجل لهم،

﴿أَنَّهُمْ رَوِيًّا﴾ أي: قليلاً. أي: وترى ماذا أحل بهم من العذاب والنكال والعقوبة والهلاك.

## تفسير سورة سبح

وهي مكية، [وعدد آياتها (١٩) آية].

[فضل السورة]: ثبت في الصحيحين: أن رسول الله ﷺ قال لمعاذ: «هلا صليت بـ ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، ﴿وَأَسْمِئْ وَصْنَهَا﴾، ﴿وَأَتْلُ إِذَا بَقِيَ؟»، وعن النعمان بن بشير: كان ﷺ يقرأ في العبدین ويوم الجمعة بـ ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، و﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْفَلَسِيَّةِ﴾، وربما اجتمعا في يوم واحد فقرأهما (رواه سلم). وعن أبي: أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في الوتر بـ ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، و﴿قُلْ يَتَّخِذُ الْكُفْرُوتُ﴾، و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [رواه النسائي، وصححه الألباني].

الآية (١٠-١): عن عبد خير قال: سمعت علياً قرأ ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ فقال: سبحان ربي الأعلى، وعن أبي إسحاق الهمداني أن ابن عباس كان إذا قرأ: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ قال: سبحان ربي الأعلى. وقوله: ﴿الَّذِي خَلَقَ مَسْئِنَ﴾ أي: خلق الخليفة وسوى كل مخلوق في أحسن الهيئات. ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ قال مجاهد: هدى الإنسان للشقاوة والسعادة، وهدى الأنعام لمراتها؛ كقوله: ﴿ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى﴾ [طه: ٥٠] أي: قدر قدره، وهدى الخلاق إليه. ﴿وَالَّذِي أخرجَ الْمَرْجَمَ﴾ أي: من جميع صنوف النباتات والزروع، ﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾ قال ابن عباس: هشيئاً متغيراً. وعن مجاهد وقاتة وابن زيد نحوه. قوله: ﴿سَتَرْتُكَ﴾ أي: يا محمد ﴿فَلَا تَنَسَّ﴾ وهذا إخبار من الله ﷻ ووعد منه له، بأنه سيفترقه قراءة لا ينساها. ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾. وهذا اختيار ابن جرير.

وقال قتادة: كان رسول الله ﷺ لا ينسى شيئا إلا ما شاء الله. ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى﴾ أي: يعلم ما يجر به العباد وما يخفونه من أقوالهم وأفعالهم، لا يخفى عليه من ذلك شيء. ﴿وَيَسِّرُ اللَّيْسَ﴾ أي: يسهل عليك أفعال الخير وأقواله، وتيسر لك شرعاً سهلاً سمحاً مستقيماً عدلاً، لا اعوجاج فيه ولا حرج ولا عسر.

﴿فَذَكِّرْ لَنْ نَعْبُدَ إِلَّاكَ﴾ أي: ذكر حيث تنفع التذكرة. ومن ههنا يؤخذ الأدب في نشر العلم، فلا يضمعه عند غير أهله؛ كما قال أمير المؤمنين علي: ما أنت بمحدث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة لبعضهم. وقال: حدث الناس بما يعرفون، آمبون أن يكذب الله ورسوله؟! ﴿سَيَذَكِّرْ مَنْ يَحْتَسِبُ﴾ أي: سيحفظ بما تبلغه -يا محمد- من قلبه يخشى الله ويعلم أنه ملاقيه.

ابن جبير: هو الزقوم. وعنه: أنها الحجارة. وقال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وأبو الجوزاء وقناة: هو الشَّرق. قال قتادة: قرش تسميه في الربيع: الشَّريق، وفي الصيف: الضريع. قال عكرمة: وهو شجرة ذات شوك لاطنة بالأرض. وقال البخاري: قال مجاهد: الضريع نبت يُقال له: الشَّريق، يسميه أهل الحجاز: الضريع إذا تيسر، وهو سُمٌّ. ﴿لَا يَسِينُ وَلَا يَنْفِي مِنْ حَرْجٍ﴾ لا يحصل به مقصود، ولا يندفع به محذور.

الآية (٨-١٦): ﴿لَمَّا ذَكَرَ حَالِ الْأَشْيَاءِ، نَتَى بِذِكْرِ السَّعَادَةِ فَقَالَ: «وَجُودٌ يُوْنِزُ» أَي: يوم القيامة «نَاعِمَةٌ» أَي: يُعْرَفُ النعيم فيها. وإِنَّمَا حَصَلَ لَهَا ذَلِكَ بِسَعْيِهَا. وقال سفيان: «لَسَعْيَا رَاضِيَةً» قد رَضِيتَ عملها. «فِي جَنَّةٍ عَلَاقَةٍ» أَي: رقيقة بهيئة، في الغرفات آمنون، «لَا تَسْمَعُ فِيهَا نَجِيَّةٌ» أَي: لا تسمع في الجنة التي هُمْ فيها كلمة لغو؛ كما قال: «لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا» [مرم: ٦٢]، وقال: «لَا لَغْوَ فِيهَا وَلَا تَأْتِي» [الطور: ٢٣]، وقال: «لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِي» ﴿٥٩﴾ «إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا» [الواقعة: ٢٥-٢٦]. «فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ» أَي: سارحة. وهذه نكرة في سياق الإثبات، وليس المراد بها عيناً واحدة، وإِنَّمَا هذا جنس، يعني: فيها عيون جاريات. «فِيهَا سُرُورٌ مُرْتَوِعَةٌ» أَي: عالية ناعمة كثيرة الفُرش، مرتفعة السَّمَك، عليها الحور العين. «وَأَكْوَابٌ مُرْشَوَعَةٌ» يعني: أواني الشرب معدة مُرْشَعَةً لمن أرادها من أربابها، «وَنَادَى مُصَوِّفَةٌ» قال ابن عباس: النازقة: الوسائد. وكذا قال عكرمة وقناة والضحاك والشَّدي والثوري وغيرهم.

﴿وَزَكَرَى﴾ قال ابن عباس: البُشْط. وكذا قال الضحاك وغير واحد. ومعنى «يَتَوَدَّعُ» أَي: ههنا وههنا لمن أراد الجلوس عليها.

الآية (١٧-٢٢): يقول تعالى أمراً عباده بالنظر في مخلوقاته الدالة على قدرته وعظمته: «أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ؟» إنها خلقت عجيب، وتركيبها غريب؛ فإنها في غاية القوة والشدة، وهي مع ذلك تلين للحمل الثقيل، وتتقاد للقائد الضعيف، وتؤكل، وينتفع بوبرها، ويُسْرَبُ لبنها. وتُسَبَّوْا بذلك لأن العرب غالب دوابهم كانت الإبل. «وَرَأَى الْإِبِلَ كَيْفَ صُبِّتَتْ» أَي: جعلت منصوبة قائمة ثابتة راسية لئلا تجيد الأرض بأهلها، وجعل فيها ما يجعل من المنافع والمعادن. «وَرَأَى الْأَرْضَ كَيْفَ سُطِحَتْ؟» أَي: كيف بُسِطَتْ ومُدَّتْ ومُتَّهَدَتْ، فنبه البدوي على الاستدلال بما يُشاهده من بعبه الذي هو راكب عليه، والساء التي فوق رأسه، والجبل الذي تجاهه، والأرض التي تحته على قدرة خالق ذلك وصانعه، وأنه الرب العظيم الخالق المُتَنَصَّرِفُ الملك، وأنه الإله الذي لا يستحقُّ العبادة سواه.

﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ ﴿٦٠﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ أَي: فذَكِّرْ يا محمد- الناس بما أُرْسِلْتَ به إليهم، فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب؛ ولهذا قال: «لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ» قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما: لست عليهم بجبار. وقال ابن زيد: لست بالذي تُكْرَهُهُمْ على الإيمان. وعن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «أُمرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِذَا قَالُوهَا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحَسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ ﷻ». ثم قرأ: «فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ ﴿٦١﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ [رواه مسلم].

الآية (١١-١٣): ﴿وَنَجِّنَهَا مِنَ الْغَمِّ﴾ ﴿٦٢﴾ الَّذِي صَلَّى النَّارَ الْكَثْرَى﴾ ﴿٦٣﴾ لَمْ لَا يَمُوتْ فِيهَا﴾ فيستريح ﴿وَلَا يَجِيءُ﴾ حياة تنفعه، بل هي مُضَرَّةٌ عليه؛ لأن بسببها يشعر ما يُعَاقَبُ به من آليم العذاب، وأنواع النكال. عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «أما أهل النار الذين هم أهلها، لا يموتون ولا يحيون، وأما أناس يُريد الله بهم الرحمة فيؤتيهم في النار فيدخل عليهم الشُّفَعَاءُ، [يَتَأَخَذُ الرَّجُلُ الصَّابِرَةَ فَيُشْفِيهِمْ] -أَوْ قَالَ: فَيُشْفِيهِمْ- عَلَى تَهْرِ الْحَيَاةِ -أَوْ قَالَ: الْحَيَوَانِ، أَوْ قَالَ: الْحَيَاةِ، أَوْ قَالَ: تَهْرِ الْجَنَّةِ- فَيُشْفَوْنَ بَنَاتِ الْحَيَةِ فِي حِمْلِ السَّيْلِ» [رواه أحمد وابن ماجه، وصححه الألباني].

الآية (١٤-١٥): ﴿فَدَأَى فَلَاحَ مِنَ زَنْكٍ﴾ أَي: طهر نفسه من الأخلاق الرذيلة، وتابع ما أنزل الله على الرسول ﷺ. ﴿وَذَكَرَ أَسْرَ زَيْدٍ﴾ فَصَلَ أَي: أقام الصلاة في أوقاتها؛ ابتغاءً لرضوان الله وطاعة لأمر الله وامتثالاً لشُرْعِ الله. وكذا قال ابن عباس: إن المراد الصلوات الخمس. واختاره ابن جرير. وقال قتادة: زَكَّى ماله وأرضى خالقه.

الآية (١٦-١٩): ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ أَي: تُقَدِّمُونَهَا على أمر الآخرة، وتُبَدِّلُونَهَا على ما فيه نفعكم وصلاحكم في معاشكم ومعادكم، «وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى» أَي: ثواب الله في الدار الآخرة خير من الدنيا وأبقى؛ فإن الدنيا دينية فانية، والآخرة شريفة باقية، فكيف يُؤْثِرُ عاقل ما يُفْنَى على ما يبقى، ويهتم بما يزول عنه قريباً، ويترك الاهتمام بدار البقاء والسُّلْد؟!

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَنِيَ الْفُشُوفِ الْأَوَّلَى﴾ ﴿٦٤﴾ صُفِّ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿صَحَّحَ أَسْرَ زَيْدٍ الْأَخْلَى﴾ قال: كلها في صحف إبراهيم وموسى. واختار ابن جرير أن المراد بقوله: ﴿إِنَّ هَذَا﴾ إشارة إلى قوله: ﴿فَدَأَى فَلَاحَ مِنَ زَنْكٍ﴾ إلى قوله: ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾، ثُمَّ قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا﴾ أَي: مضمون هذا الكلام «لَنِيَ الْفُشُوفِ الْأَوَّلَى﴾ ﴿٦٥﴾ صُفِّ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾. وهذا اختيار حسن قوي. وقد زُوي عن قتادة وابن زيد، نحوه. والله أعلم.

#### تفسير سورة الغاشية

وهي مكية، [وعدد آياتها (٢٦) آية].

[فضل السورة]: قد تقدم عن النعمان بن بشير: [كان ﷺ يقرأ في العيدين ويوم الجمعة بـ«صَحَّحَ أَسْرَ زَيْدٍ الْأَخْلَى»، وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ، وربما اجتمعاً في يوم واحد فقرأهما [رواه مسلم]].

الآية (١-٧): ﴿الْغَاشِيَةِ﴾ من أساء يوم القيامة. قاله ابن عباس وقناة وابن زيد؛ لأنها تَغْشَى الناس وتُعْصِمُهُمْ. ﴿وَجُودٌ يُوْنِزُ خَشِيعَةً﴾ أَي: ذليلة. قاله قتادة. وقال ابن عباس: تَخْفَعُ ولا ينفعها عملها. «عَالِمَةٌ نَاصِيَةٌ» أَي: قد عَمِلْتَ عملاً كثيراً، وَنَصَبْتَ فيه، وَصَلَيْتَ يوم القيامة نَارًا حامية. وقال ابن عباس: النصارى. وعن عكرمة والشَّدي: «عَالِمَةٌ» في الدنيا بالمعاصي «نَاصِيَةٌ» في النار بالعذاب والأغلال. قال ابن عباس والحسن وقناة: «نَصَلْنَا نَارًا حَامِيَةً» أَي: حارة شديدة الحر، «شَتَّى مِنْ عَيْنِ يَاسِيَةٍ» أَي: قد انتهى حرُّها وغليانها. قاله ابن عباس ومجاهد والحسن والشَّدي.

﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ صَرِيحٍ﴾ قال ابن عباس: شجر من نار. وقال



## ● الوقفات التدريبية

● ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّى﴾ (١١) و﴿ذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾

وقدّم التزكّي على ذكر الله والصلاة لأنه أصل العمل بذلك كله؛ فإنه إذا تطهرت النفس اشرفت فيها أنوار الهداية، فعلمت منافعها واكثرت من الإقبال عليها. ابن عاشور: ٢٨٨/٣٠.

السؤال: لماذا قدم التزكّي على ذكر الله والصلاة؟

● ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾

المрад بإيثار الحياة الدنيا هو الرضاء والاطمئنان بها، والإعراض عن الآخرة بالكلية. الألوسي: ٣٢٢/١٥.

السؤال: ما المراد بإيثار الحياة الدنيا؟

● ﴿وَجُورٌ يَوْمَئِذٍ خَنِيعَةٌ﴾ (١) عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ

(خاضعة): دليلية، ولم توصف بالذل ابتداء لما في وصفها بالخضوع من الإشارة إلى التهكم وأنها لم تخضع في وقت ينفع فيه الخضوع، وكذا حال وصفها بالعمل في قوله سبحانه عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ. الألوسي: ٣٢٥/١٥.

السؤال: ما المقصود من وصف وجوه العصاة يوم القيامة بأنها خاضعة وعاملة؟

● ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾

ووصف الجنة بـ(عالية) لزيادة الحسن؛ لأن أحسن الجنات ما كان في المرتفعات. ابن عاشور: ٢٩٩/٣٠.

السؤال: لماذا وصفت الجنة بأنها عالية؟

● ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَيَّةٌ﴾

بل المسموع فيها الذكر من: التحميد والتمجيد والتتزيه؛ لحمل ما يرى فيها من البدائع على ذلك، مع نزع الحظوظ الحاملة على غيره من القلوب بما كانوا يكرهون من لغو أهل الدنيا المنلي بالحكمة الباقية: ٩/٢٢.

السؤال: ما البديل في الجنة عن لغو الدنيا؟

● ﴿فِيهَا سُرُورٌ مُرْفُوعَةٌ﴾

وقوله: (فيها سرور مرفوعة): والسرور: جمع سرير، (مرفوعة) ليرى المؤمن إذا جلس عليها جميع ما خوّله ربه من النعيم والملك فيها، ويلحق جميع ذلك بصرو. الطبري: ٣٨٧/٢٤.

السؤال: لماذا جعل الله تعالى سرور الجنة مرفوعة؟

● ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾

حض على النظر في خلقتها لما فيها من العجائب: في قوتها وانقيادها مع ذلك لكل ضعيف، وصبرها على العطش، وكثرة المنافع التي فيها من الركوب والحمل عليها، واكل لحومها وشرب لبنائها، وأبوالها وغير ذلك. ابن جزي: ٥٦٦/٢.

السؤال: اذكر بعض العجائب في خلق الإبل.

وَيَجَنَّبُهَا الْأَتْفَى (١) الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى (٢) ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى (٣) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى (٥) بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٦) وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (٧) إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى (٨) صُحُفٍ ابْتَرَاهِمَ وَمُوسَى (٩)

سورة الفاتحة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْعَشِيَّةِ (١) وَجُورٌ يَوْمَئِذٍ خَنِيعَةٌ (٢) عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ (٣) تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً (٤) تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آيَةٍ (٥) لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ صَرِيحٍ (٦) لَا يُسَمِّنُ وَلَا نُفُي مِنْ جُوعٍ (٧) وَجُورٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمٌ (٨) لَسَعَهَا رَاضِيَةٌ (٩) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (١٠) لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَيَّةٌ (١١) فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ (١٢) فِيهَا سُرُورٌ مُرْفُوعٌ (١٣) وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ (١٤) وَنَارٌ مِصْرُوعَةٌ (١٥) وَزُرَابِي مَبْفُوحَةٌ (١٦) أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (٢٠) فَذَكِّرْ لَمَّا أَنْتَ مُذَكِّرٌ (٢١) لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ (٢٢)

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
يَصْلَى النَّارَ	يَدْخُلُهَا، وَيُقَابِسِي حَرَّهَا.
عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ	مُجَهَّدَةٌ بِالْعَمَلِ وَالتَّعَبِ فِي النَّارِ.
آيَةٍ	شِدِيدَةُ الْحَرَارَةِ.
صَرِيحٍ	نَبْتٌ خَبِيثٌ ذِي شَوْكٍ، لَا تَرَعَاهُ الدُّوَابُّ.
لَاغِيَةً	لَا كَلِمَةَ لَعَوْ وَاحِدَةً، وَلَا نَفْسًا تَلْعَوُ وَتَهْدِي.
مَوْضُوعَةٌ	مُعَدَّةٌ لِلشَّارِبِينَ.
وَنَمَارِقُ	وَسَائِدُ.
وَزُرَابِي مَبْفُوحَةٌ	بُسْطٌ كَثِيرَةٌ مَفْرُوشَةٌ.
سُطِحَتْ	بُسِطَتْ، وَمُهْدَتْ.

## ● العمل بالآيات

١. قل مثل ما يقول المؤذن، ثم اذكر الدعاء بعد الأذان، ثم اذهب إلى الصلاة مع الجماعة، ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾.
٢. انظر شيئاً تحبه من زينة الدنيا -ولو قليلاً- وتصديق به، ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٦) وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (٧)﴾.
٣. ذكر مسلماً بالله، ﴿فَذَكِّرْ لَمَّا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾.

## ● التوجيهات

١. إذا تعارض ما تحب مع ما يحبه الله، فأثر ما يحبه الله، ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٦) وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (٧)﴾.
٢. المقصد العظيم من الصلاة إقامة ذكر الله، فأحرص على ذلك، ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾.
٣. ليس المهم العمل فقط بل الأهم الإخلاص والقبول، ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ (٣) تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً﴾.



## ● الوقفات التدريبية

﴿ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرِ ﴾

أي: لنذي عقل ولب ودين وحجى، وإنما سمي العقل حجراً لأنه يمنع الإنسان من تعاطي ما لا يليق به من الأفعال والأقوال. ابن كثير: ٥٠٨/٤.

السؤال: ما أهمية العقل بالنسبة للمسلم؟

﴿ وَرَعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴾

أي الذي ثبت ملكه تثبت من يظن أنه لا يزول بالعاسكر والجنود، وغيرهم من كل ما يظن أنه يشد أمره، فصارت له اليد المبسوطة في الملكة البقاعي: ٣٠/٢٢.

السؤال: ما دلالة وصف فرعون بذى الأوتاد ثم إهلاكه؟

﴿ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴾

استعارة السوط للعذاب لأنه يقتضي من التكرار ما لا يقتضيه السيف وغيره. قاله ابن عطية، وقال الزمخشري: ذكر السوط إشارة إلى عذاب الدنيا؛ إذ هو أهون من عذاب الآخرة، كما أن السوط أهون من القتل. ابن جزي: ٥٦٩/٢.

السؤال: في استعارة السوط للعذاب في الآية وجهان بلاغيان، اذكرهما.

﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾

قال ابن عباس: يسمع ويرى، يعني: يرصد خلقه فيما يعملون، ويجازي كل ما يسعيه في الدنيا والآخرة، وسيعرض الخلاق كلهم فيحكم فيهم بعده، ويقابل كل ما يستحقه، وهو المنزه عن الظلم. ابن كثير: ٥١٠/٤.

السؤال: ما الموقف العملي الذي تتخذه من معرفة رصد الله لجميع الأعمال؟

﴿ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْنَلَهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴾

صفة الكافر الذي لا يؤمن بالبعث؛ إنما الكرامة عنده والهوان بكثرة الحظ في الدنيا وقلته، فأما المؤمن فالكرامة عنده أن يكرمه الله بطاعته وتوفيجه المؤدى إلى حظ الآخرة، وإن وسع عليه في الدنيا حمده وشكره. القرطبي: ٢٧٦/٢٢.

السؤال: هل كرامة العبد على الله تعالى بنيل حظوظ الدنيا؟

﴿ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْنَلَهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴾  
﴿ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْنَلَهُ فَقَدَّرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ﴾

يقول تعالى منكر على الإنسان في اعتقاده إذا وسع الله تعالى عليه في الرزق ليختبره بذلك فيعتقد أن ذلك من الله إكرام له، وليس كذلك بل هو ابتلاء وامتحان ... وكذلك في الجانب الآخر إذا ابتلاه وامتحناه وضيق عليه في الرزق يعتقد أن ذلك من الله إهانة له؛ كما قال الله تعالى: (كلا) أي: ليس الأمر كما زعم، لا في هذا ولا في هذا؛ فإن الله تعالى يعطي المال من يحب ومن لا يحب، ويضيق على من يحب ومن لا يحب، وإنما المدار في ذلك على طاعة الله في كل من الحالتين: إذا كان غنياً بأن يشكر الله على ذلك، وإذا كان فقيراً بأن يصبر. ابن كثير: ٥١٠/٤.

السؤال: الغنى والفقر قد يكونان نعمتين، وقد يكونان نعمتين، بين ذلك من خلال الآيات.

﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُودُ عَلَيْهِمْ ﴾

أي: لا يحض بعضكم بعضاً على طعام المحالوج من المساكين والفقراء؛ وذلك لأجل الشح على الدنيا ومحبتها الشديدة المتمكنة من القلوب. السعدي: ٩٢٤.

السؤال: ما الذي يمنع المرء من إطعام الفقراء والمساكين؟

﴿ لَا أَمْنٌ تَوَلَّى وَكَفَرَ ﴾

﴿ إِنَّ إِلَهَنَا إِيَّاهُمْ ﴾

﴿ ثُمَّ رَأَيْنَا أَصْبَحَهُمْ ﴾

﴿ وَنَبَأُ الْفَجْرِ ﴾

﴿ وَنَبَأُ الْفَجْرِ ﴾

﴿ وَنَبَأُ الْفَجْرِ ﴾

﴿ وَنَبَأُ الْفَجْرِ ﴾

﴿ وَنَبَأُ الْفَجْرِ ﴾

﴿ وَنَبَأُ الْفَجْرِ ﴾

﴿ وَنَبَأُ الْفَجْرِ ﴾

﴿ وَنَبَأُ الْفَجْرِ ﴾

﴿ وَنَبَأُ الْفَجْرِ ﴾

﴿ وَنَبَأُ الْفَجْرِ ﴾

﴿ وَنَبَأُ الْفَجْرِ ﴾

## ● معاني الكلمات

المعنى	الكلمة
مَرَجَعُهُمْ بَعْدَ الْمَوْتِ.	إِيَّاهُمْ
لِصَاحِبِ عَقْلٍ.	لِذِي حِجْرِ
قَبِيلَتِي إِزْمَ، بِسَبَبِي إِلَى جَدِّهِمْ.	إِزْمَ
صَاحِبَتِ الْقُوَّةِ، وَالْأَبْيَتِ الْمَرْفُوعَةِ عَلَى	ذَاتِ الْعِمَادِ
قَطَعُوا.	جَابُوا
صَاحِبِ الْجُنُودِ الَّذِينَ كُتِبُوا مَلَكُهُ.	ذِي الْأَوْتَادِ
ضَيِّقٌ.	فَقَدَّرَ
لَا يَحْتَاحُونَ	وَلَا تَحَاضُونَ
الْمِيرَاثِ.	التُّرَاثِ
مُضْطَرًا.	جَمًّا

## ● العمل بالآيات

١. صلِّ الوتر، ﴿ وَالشَّفْعَ وَالْوَتْرَ ﴾.
٢. أكرم يتيماً بهدية أو كلمة طيبة، ﴿ بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴾.
٣. تصدق بمال يخفف حبه في قلبك، ﴿ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾.

## ● التوجيهات

١. فضل العشر من ذي الحجة، ﴿ وَالْفَجْرِ ﴾ ١ ﴿ وَلَيْلِ عَشْرِ ﴾.
٢. الرضا بقضاء الله وقدره من صفات المؤمنين، ﴿ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْنَلَهُ فَقَدَّرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ﴾.
٣. أكرم الأيتام والمساكين، ﴿ بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴾.

الآية (٢٣-٢٦): ﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ﴾ أي: تَوَلَّى عن العمل بأركانه، وَكَفَرَ بالحق بجنانه ولسانه ﴿يَعِدُّهُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾، عن علي بن خالد أن أبا أمامة الباهلي [سُئِلَ] عن أَلَيْنَ كلمة سمعها من رسول الله ﷺ، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أَلَا كَلِمَةً يدخل الجنة، إلا من شَرَّدَ على الله شَرَادَ البعير على أهله» [رواه أحمد، وصححه الألباني]. ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ أي: مرجعهم ومقيلهم ﴿ثُمَّ لَنَا عِلِّيْنَا جِسَابُهُمْ﴾ أي: نحن نُحَاسِبُهُمْ على أعمالهم ونُجَازِيهِمْ بها، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر.

### تفسير سورة الفجر

وهي مكية، [وعدد آياتها (٣٠) آيةً].

الآية (١-١٤): أما الفجر فمعروف، وهو: الصبح. قاله عليّ وابن عباس ومجاهد وعكرمة والسُّدِّي. وعن مسروق ومجاهد وعبد بن كعب: فجر يوم النحر خاصة، وهو خاتمة الليالي العشر. وقيل: المراد بذلك الصلاة التي تُفعل عنده، كما قاله عكرمة. وقيل: المراد به جميع النهار. وهو رواية عن ابن عباس. والليالي العشر: المراد بها عشر ذي الحجة كما قاله ابن عباس وابن الزبير وغير واحد من السلف والخلف، وقد ثبت في صحيح البخاري، عن ابن عباس مرفوعاً: «ما من أيام العمل الصالح أحب إلى الله فيه من هذه الأيام» - يعني عشر ذي الحجة - قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: «ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجلاً خرج بنفسه وماله، ثم لم يرجع من ذلك بشيء». وقيل: المراد العشر الأول من المحرم. والصحيح القول الأول. «وَالشَّفْعُ وَالْوَتْرُ» قيل: الوتر يوم عرفة، لكونه التاسع، وأن الشفع يوم النحر لكونه العاشر. قاله ابن عباس وعكرمة والضحاك أيضاً. وقال الحسن وزيد بن أسلم: الخلق كلهم شفع، ووتر، أقسم تعالى بخلقه. وقال أبو العالية، والربيع بن أنس، وغيرهما: هي الصلاة، منها شفع كالرباعية والثنائية، ومنها وتر كالمغرب، فإنها ثلاث، وهي وتر النهار. وكذلك صلاة الوتر في آخر التهجد من الليل. ولم يجزم ابن جرير بشيء من هذه الأقوال.

﴿وَأَتْلَىٰ إِذَا يَتَرَّى﴾ قال: ابن عباس: أي إذا ذهب. وقال ابن الزبير: يُذهِبُ بعضُه بعضًا. وقال مجاهد وأبو العالية وقتادة وآخرون: ﴿وَأَتْلَىٰ إِذَا يَتَرَّى﴾ إذا سار. وهذا يمكن تخله على ما قاله ابن عباس، أي: ذهب. ويُحتمل أن يكون المراد إذا سار، أي: أقبل. وقد يُقال: إن هذا أنسب؛ لأنه في مقابلة قوله: «وَاللَّجَرُ»؛ فإن الفجر هو إقبال النهار وإدبار الليل، فإذا حُمِلَ قوله: ﴿وَأَتْلَىٰ إِذَا يَتَرَّى﴾ على إقباله كان قَسَمًا بِإقبال الليل وإدبار النهار وبالعكس. وقال الضحاك: «إِذَا يَتَرَّى» أي: يجري. وقال عكرمة: يعني ليلة جُنع. ﴿فَلْيَلِ لَيْلَةَ جُنعٍ﴾ أي: لذي عَقْلٍ وَلُبٍّ وَحِجَا وَوِين، وإنما سُمِّيَ العقل جُنعاً لأنه يمنع الإنسان من تعاطي ما لا يليق به من الأفعال والأقوال، وهذا القسم هو بأوقات العبادة، وبنفس العبادة من حَجٍّ وصلاة وغير ذلك.

ولَمَّا ذَكَرَ هؤلاء وعبادتهم وطاعتهم قال بعده: ﴿أَنْتَ رَبِّكَ فَمَلِّ رَبِّكَ بِمَاذَا﴾ وهؤلاء كانوا متبردين عتاة جبارين، خارجين عن طاعته مكذِّبين لرسله، جاحدين لكتبه، فذَكَرَ تعالى كيف أَهْلَكَهُمْ وَدَفَّرَهُمْ، وجعلهم أحاديث وعبراً، فقال: ﴿أَنْتَ رَبِّكَ فَمَلِّ رَبِّكَ بِمَاذَا﴾ ﴿إِنَّ مَذَابَ أَلِيمًا﴾ وهؤلاء عاد الأولى، وهم أولاد عاد بن إرم بن عوص بن سام

بن نوح، قاله ابن إسحاق. وهم الذين بَعَثَ الله فيهم رسوله هوداً عَلَيْهِ السَّلَامُ، فكَذَّبُوهُ وَخَالَفُوهُ، فَأَنجَاهُ الله من بين أظهرهم ومن آمن معه منهم، وأهلكهم بريح صرصر عاتية. فقله تعالى: ﴿إِرمَ﴾: عطف بيان؛ زيادة تعريف بهم. ﴿ذَاتِ أَلْمَادَ﴾ لأنهم كانوا يسكنون بيوت الشجر التي تُرْفَعُ بالأعمدة الشَّدَاد، وقد كانوا أَشَدَّ الناس في زمانهم خَلَقَةً وَأَقْوَامَ بَطْشًا. ﴿أَلَيْ لَمْ يَخْلُقْ يَتْلُهَا فِي أَلَيْلٍ﴾ أي: القبيلة التي لم يُخْلَقْ مثلها في بلادهم، لقَوَّعِهِمْ وشِدَّتِهِمْ وعِظَمَ تركيبيهم. قال مجاهد: إرم: أمة قديمة. يعني: عاداً الأولى، كما قال قتادة بن دعامه والسُّدِّي: إن إرم بيت ملكة عاد. وهذا قول حسن جيد قوي. وقال مجاهد وقتادة والكلبي في قوله: ﴿ذَاتِ أَلِيمًا﴾: كانوا أهل عمود لا يقيمون. وقال ابن عباس: إنها قيل لهم: ﴿ذَاتِ أَلِيمًا﴾ لطولهم. واختار الأول ابن جرير، وردَّ الثاني فاصاب. ﴿أَلَيْ لَمْ يَخْلُقْ يَتْلُهَا فِي أَلَيْلٍ﴾ أعاد قتادة وابن جرير الضمير على القبيلة، أي: لم يُخْلَقْ مثل تلك القبيلة في البلاد، يعني في زمانهم. وهذا القول هو الصواب. قلت: فعل كل قول سواء كانت العتاة أبنية بنوها، أو أعمدة بيوتهم للبدو، أو سلاخاً يقتلون به، أو طول الواحد منهم؛ فهم قبيلة وأمة من الأمم، وهم المذكورون في القرآن في غير ما موضع، المقرونون بشمود كما ههنا، والله أعلم. ﴿وَسَوَّى الَّذِينَ جَاءُوا الصَّخِرَ بِأَوَّلِهِ﴾ يعني يقطعون الصخر بالوادي، قال ابن عباس ينحتونها ويخرقونها، وكذا قال مجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد. وقال الله تعالى: ﴿وَتَتَجَلَّوْنَ مِنَ الْجِبَالِ يَتُوفَّاكُمُ فِيهَا﴾ [الشعراء: ١٤٩].

﴿وَتَرَىٰ زَيْدَ الْوَدَّاءِ﴾ قال ابن عباس: الوداد: الجنود الذين يُتْلُونَ له أمره. وقال مجاهد: كان يُؤْتَدُّ الناس بالوداد. وهكذا قال سعيد بن جبير والحسن والسُّدِّي. ﴿الَّذِينَ طَعَفُوا فِي أَلَيْلٍ﴾ ﴿فَأَكْرَأُوا فِيهَا الْفَسَادَ﴾ أي: تَسَرَّعُوا وَعَتَاوْا وَعَثَاوْا في الأرض بالفساد والأذية للناس، ﴿فَقَسَبَ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ أي: أنزل عليهم رجزاً من السماء، وأحلَّ بهم عقوبة لا يَرُدُّهَا عن القوم المجرمين. ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبَازِلٌ رَّسَادٍ﴾ قال ابن عباس: يسمع ويرى. أي: يَرُصُّ خَلْقَهُ فيها يعملون، ويُجَازِي كَلَامَ سَعِيهِ في الدنيا والآخرة.

الآية (١٥-٢٠): يقول تعالى منكراً على الإنسان في اعتقاده إذا وَسَّعَ الله عليه في الرزق ليختبره في ذلك، فيعتقد أن ذلك من الله إكرام له، وليس كذلك، بل هو ابتلاء وامتحان. وكذلك في الجانب الآخر إذا ابتلاء وامتحنه وَصَيَّقَ عليه في الرزق، يعتقد أن ذلك من الله إهانة له.

قال الله: ﴿كَلَّا﴾ أي: ليس الأمر كما زَعَمَ، لا في هذا ولا في هذا؛ فإن الله يُعْطِي المَالَ مَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لَا يُحِبُّ، وَيُضَيِّقُ عَلَى مَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لَا يُحِبُّ، وإنما المدار في ذلك على طاعة الله في كل من الحالين، إذا كان غنياً بأن يشكر الله على ذلك، وإذا كان فقيراً بأن يصبر.

﴿وَلَا تَكْرُمُونَ أَلَيْسَ﴾ فيه أمر بالإكرام له، ﴿وَلَا تَخْشَوْنَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ يعني: لا يأمرون بالإحسان إلى الفقراء والمساكين، وَتَحْتُ بعضهم على بعض في ذلك، ﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاكِي﴾ يعني: الميراث ﴿أَكْثَرًا لِّمَا﴾ أي: من أي جهة حَصَلَ لهم، من حلال أو حرام، ﴿وَتَحْتَسِبُونَ أَلَمْ آخِزْكُمْ فِيهَا﴾ أي: كثيراً، زاد بعضهم: فاحشاً. الآية (٢١-٢٢): ﴿كَلَّا﴾ أي: حقاً ﴿إِذَا ذُكِّرْتُمُ الْآرْضُ ذَكَّاكًا﴾ أي: وُطِّقَتْ وَمُهَّدَتْ وَشَوِّتْ الأَرْضَ والجبال، وقام الخلاق من قبورهم لرَبِّهِمْ، ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ لفضل القضاء بين خلقه، فيجيء الربُّ تعالى لفضل القضاء كما يشاء، والملائكة يجيئون بين يديه صفوفًا صفوفاً.



الآية (٢٣): ﴿وَيَأْتِيَهُمْ يَوْمَئِذٍ مِجَنَّةٌ﴾ عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «يُؤْتَى بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يُجْرُونَهَا» [رواه مسلم]. «يَوْمَئِذٍ يَنْذَكُرُ الْإِنْسَانُ أَيَّ عَمَلِهِ وَمَا كَانَ أَسْلَفُهُ فِي قَدِيمِ دَهْرِهِ وَحَدِيثِهِ. «وَأَنَّ لَهُ الدَّرَكَةَ» أَي: وكيف تنفعه الذكرى؟!»

الآية (٢٤-٣٠): ﴿يَقُولُ يَلَيْتَنِي فَدَنَّتْ لِي لَيَاتِي﴾ يعني: يندم على ما كان سَلَفَ منه من المعاصي إن كان عاصياً، وَيَوَدُّ لو كان ازداد من الطاعات إن كان طائعاً. «فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا» أَي: ليس أحد أشدَّ عذاباً من تعذيب الله مَنْ عَصَاهُ، «وَلَا يُؤْتِيهِمْ فَاكَةً أَحَدًا» أَي: وليس أحدٌ أشدَّ قَبْضًا وَوَقْفًا من الزبانية لمن كَفَرَ بِرَبِّهِمْ ﷻ.

هذا في حَقِّ المجرمين من الخلاق والظالمين، فأما النفس الرَكِيَّةُ المطمئنة وهي الساكنة الثابتة الدائرة مع الحق فيقال لها: «يَتَابَعُهَا النَّفْسُ النَّظْمِيَّةُ» (٧) الرَّجِيَّةُ إِلَى رَبِّكَ، إلى جواره وثوابه وما أعد لعباده في جَنَّتِهِ «رَاضِيَةً» في نفسها «نَهْنِيَةً» قد رَضِيَتْ عن الله وَرَضِيَ عنها وأرضاهَا، «فَادْخُلِي فِي عِزِّي» في جملتهم، «وَادْخُلِي جَنَّتِي». وهذا يقال لها عند الاحتضار، وفي يوم القيامة أيضاً، كما أن الملائكة يَشْرُونُ الْمُؤْمِنَ عند احتضاره وعند قيامه من قبره.

#### تفسير سورة البلد

وهي مكية، [وعدد آياتها (٢٠) آية].

الآية (١-١٠): هذا قَسَمٌ من الله تبارك وتعالى بمكة أم القرى في حال كون الساكن فيها حالاً، لِيَسْبَهُ على عِظَمَةِ قَدْرِهَا في حال إحرام أهلها. قال مجاهد: «لَا» رد عليهم «أَقْسَمُ بِهَذَا الْبَلَدِ». وقال ابن عباس: «بِهَذَا الْبَلَدِ» يعني: مكة، «وَأَنَّ جَلَّ بِهَذَا الْبَلَدِ» قال: أنت -يا محمد- يُحِلُّ لَكَ أَنْ تُقَاتِلَ بِهِ. وكذا زُوي عن سعيد بن جُبَيْرٍ وقتادة. وقال مجاهد: ما أصبت فيه فهو حلال لك. وقال قتادة: «وَأَنَّ جَلَّ بِهَذَا الْبَلَدِ» قال: أنت به من غير حَرَجٍ ولا إثم. وقال الحسن البصري: أحلها الله له ساعة من نهار. وهذا المعنى الذي قالوه قد وَرَدَ به الحديث المتفق على صحته: «إن هذا البلد حُرَّمَهُ اللهُ يومَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، لَا يُعْبَدُ شَجَرُهُ وَلَا يُحْتَنَى خَلَاهُ. وَإِنَّا أَجَلْتُ لِي سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، وَقَدْ عَادَتْ حُرْمَتُهَا الْيَوْمَ كَحُرْمَتِهَا بِالْأَمْسِ، أَلَا فليبلغ الشَّاهِدُ الشَّاهِدَ الْغَائِبَ» [متفق عليه].

﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدٌ﴾ عن ابن عباس: الوالد: الذي يلد، وما ولد: العاقر الذي لا يولد له. وقال مجاهد وقتادة وسعيد بن جبيرة والحسن البصري وغيرهم: يعني بالوالد آدم، «وَمَا وَلَدٌ»: ولده. وهذا الذي ذهب إليه مجاهد وأصحابه حَسَنٌ قَوِيٌّ؛ لَأنَّه تعالى لَمَّا أَقْسَمَ بِأَمِّ الْقُرَى وهي المساكن بعده بالسَّكَنِ، وهو آدم أبو البشر وولده. وقال أبو عمران الجوني: هو إبراهيم وذريته. واختار ابن جرير أنه عام في كل والد وولده. «لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَرٍ» عن ابن مسعود، وابن عباس: يعني منتصباً. والكبد: الاستواء والاستقامة. واختار ابن جرير أن المراد بذلك مكابدة الأمور ومشاقها.

﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ قال الحسن: يعني: «أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ» يأخذ ماله. وقال قتادة: ابن آدم يظُنُّ أَنْ لَنْ يُسْأَلَ عَنْ هَذَا الْمَالِ: من أين اكتسبه؟ وأين أنفق؟ وقال السُّدِّيُّ: «أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ» قال: الله ﷻ «يَقُولُ» ابن آدم: «أَهْلَكَتُ»: أنفقت «مَا لَا لَبَدًا» أَي: كثيراً. قاله مجاهد وقتادة والسُّدِّيُّ وغيرهم. «أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ» قال مجاهد: أَي أَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ اللهُ ﷻ. وكذا قال غيره من السلف. «أَلَا يَعْمَلُ لَهُ عَيْنَيْنِ» أَي: يُبَصِّرُ بهما، «وَلِسَانًا» أَي: ينطق به، فَيُعَبِّرُ عَمَّا فِي ضَمِيرِهِ، «وَسُفْنَيْنِ» يستعين بهما على الكلام وأكل الطعام، وجمالاً لوجهه وفمه.

﴿وَعَهْدِنَا السَّجْدَ﴾ أَي: الطريقين، عن ابن مسعود قال: الخير والشر. وكذا زُوي عن علي وابن عباس ومجاهد وعكرمة. ونظير هذه الآية قوله: «وَأَنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا» [الإنسان: ٣].

الآية (١١-١٨): عن ابن عمر في قوله: «فَلَا أَقْنَمُ الْقَبْعَ» قال: جبل في جهنم. وقال قتادة: إنها قَحْمَةٌ شديدة فاتححموها بطاعة الله ﷻ. وقال قتادة: ثم أخبر عن اقتحامها، فقال: «فَكَرَّ رَقَبَهُ» (١٢) أَوْ «إِطْمَعَهُ». وقال ابن زيد: «أَقْنَمُ الْقَبْعَ» أَي: أفلا سَلَكَ الطريق التي فيها النجاة والخير. ثم بيَّنها فقال: «فَكَرَّ رَقَبَهُ» (١٣) أَوْ «إِطْمَعَهُ فِي يَوْمِ ذِي مَسْجَةٍ». عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من أَعْتَقَ رَقَبَةً مؤمنةً أَعْتَقَ اللهُ بِكُلِّ إِرْزَبٍ مِنْهَا إِرْزَبًا مِنْهُ مِنَ النَّارِ، حَتَّى إِنَّهُ لَيُعْتِقُ بِالْيَدِ الْيَدَ، وَبِالرَّجْلِ الرَّجْلَ، وَبِالْفَرْجِ الْفَرْجَ» [متفق عليه].

﴿أَوْ إِطْمَعَهُ فِي يَوْمِ ذِي مَسْجَةٍ﴾ قال ابن عباس: ذي جماعة. وكذا قال عكرمة ومجاهد والضحاك وقتادة، وغير واحد. والسَّعْبُ: هو الجوع. «يَسِيًّا» أَي: اطعم في مثل هذا اليوم يتيًّا «ذَا مَرَبَرَةٍ» أَي: ذا قرابة منه. قاله ابن عباس وعكرمة والحسن والضحاك والسُّدِّيُّ. كما جاء في الحديث عن سليمان بن عامر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الصَّدَقَةُ عَلَى الْمَسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَعَلَى ذِي الرَّحِمِ اثْنَتَانِ، صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ» [رواه أحمد والترمذي والنسائي، وحسنه الألباني].

﴿أَوْ يَشْكِيَنَّ ذَا مَرَبَرَةٍ﴾ أَي: فقيراً مُذْقِماً لاصطاً بالتراب، وهو الذَّقْعَاءُ أيضاً. قال ابن عباس: «ذَا مَرَبَرَةٍ» هو المطروح في الطريق، الذي لا بيت له، ولا شيء يَبْقِيهِ مِنَ التراب، وفي رواية عنه: هو البعيد التربة. قال ابن أبي حاتم: يعني الغريب عن وطنه. وقال عكرمة: هو الفقير المدين المحتاج. وقال سعيد بن جبيرة: هو الذي لا أحد له. وقال ابن عباس وسعيد وقتادة ومقاتل بن حيان: هو ذو العيال. وكل هذه قريبة المعنى. «ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا» أَي: ثم هو مع هذه الأوصاف الجميلة الطاهرة، مؤمناً بقلبه، محتسباً ثواب ذلك عند الله عز وجل. «وَوَاصُوا بِالْغَيْرِ وَوَاصُوا بِلِرْحِمَتِهِ» أَي: كان من المؤمنين العاملين صالحاً، المتواصين بالصبر على أذى الناس، وعلى الرحمة بهم. «أَرْزَلَكُمْ أَحَبُّ إِلَيْنَا» : المتصفون بهذه الصفات من أصحاب البمين.



## ● الوقفات التدريبية

❶ ﴿يَقُولُ يَلَيْتَنِي فُتِّمْتُ لِيَقَاتِي﴾

يعني: يندم على كل ما سلف منه من المعاصي إن كان عاصياً، ويود لو كان ازداً من الطاعات إن كان طائعاً. ابن كثير: ٥١١/٤.

السؤال: هل الندم يوم القيامة خاص بالعاصي؟ وضع ذلك.

❷ ﴿يَتَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٧﴾ أَرْجِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مُّرِيدَةً﴾

أي الموقنة بيقينها قد اطمأنت به؛ بحيث لا يتطرق إليها شك في الإيمان، وقيل: المطمئنة التي لا تخاف حينئذ. ابن جزي: ٥٧٢/٢.

السؤال: ما الصفة التي تستحق النفس بها الرضى؟

❸ ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾

المراد بذلك ما يكابده ويقاسيه من الشدائد في الدنيا، وفي البرزخ، ويوم يقوم الأضهاد، وأنه ينبغي له أن يسعى في عمل يريحه من هذه الشدائد، ويوجب له الفرح والسرور الدائم، وإن لم يفعل فإنه لا يزال يكابد العذاب الشديد أبد الأبد. السعدي: ٩٢٥.

السؤال: هل كبد الإنسان وتعبه مقتصر على الحياة الدنيا؟ وكيف

يمكن أن ينجي نفسه من هذا الكبد؟

❹ ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا بَدَأَ﴾

وسمى الله تعالى الإنفاق في الشهوات والمعاصي إهلاكاً لأنه لا ينتفع بالنفق بما أنفق، ولا يعود عليه من إنفاقه إلا الندم والخسار والتعب والقلّة. السعدي: ٩٢٥.

السؤال: لماذا استخدمت لفظة (أهلك) بدلاً من «أنفقت»؟

❺ ﴿أَتَجَمَّلُ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلَسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدْيَةً تَجَلِيئِي﴾

فهذه المنن الجزيلة تقتضي من العبد أن يقوم بحقوق الله، ويشكر الله على نعمه، وأن لا يستعين بها على معاصيه. السعدي: ٩٢٥.

السؤال: إذا علمت أن الله هو الذي خلق عينيك، ولسانك، وشفتيك، وهو الذي بين لك طريق الخير من طريق الشر، فما موقفك العملي من هذه النعم؟

❻ ﴿فَلَا أَقْنَمُ الْعُقْبَةَ ﴿١٧﴾ وَمَا أَذْرُكَ مَا الْعُقْبَةُ﴾

والعقبة عبارة عن الأعمال، الصالحة المذكورة بعد، وجعلها عقبة استعارة من عقبة الجبل؛ لأنها تصعب ويشق صعودها على النفوس. ابن جزي: ٥٧٤/٢.

السؤال: ما السر في التعبير عن الأعمال الصالحة بـ (العقبة)؟

❼ ﴿يَسْأَلُ مَا مَقَرِّي﴾

(ذا مقربة) أي: قرابته، وحُصَّ به لأن الإطعام في حقه أفضل وأولى من غيره، وفيه الحديث: إن الصدقة على القريب صدقة وصلته،

وعلى البعيد صدقة فقط. الشنقيطي: ٥٣٣/٨.

السؤال: لم خص اليتيم القريب بالإطعام؟

وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ﴿١﴾ يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا ﴿٣﴾ وَلَا يُؤْفِقُ وِفَاقُهُ أَحَدًا ﴿٤﴾ يَتَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٥﴾ أَرْجِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مُّرِيدَةً ﴿٦﴾ فَأَدْخُلِي فِي عِبْدِي ﴿٧﴾ وَأَدْخُلِي جَنَّاتِي ﴿٨﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

سُورَةُ التَّكْوِيْنِ

الجزء الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَالْوَالِدُ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَحْسَبَ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا بَدَأَ ﴿٦﴾ أَحْسَبَ أَنْ لَمْ يَرَهِ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ تَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدْيَةً مِّنَ الْجَنَّتَيْنِ ﴿١٠﴾ فَلَا أَقْنَمُ الْعُقْبَةَ ﴿١١﴾ وَمَا أَذْرُكَ مَا الْعُقْبَةُ ﴿١٢﴾ فَكَمْ رَقِيبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ لَطْمَةٍ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْجَرٍ ﴿١٤﴾ يَتَسَاءَلُونَ مَقَرَّيْنِ ﴿١٥﴾ أَوْ مَسْكَنَيْنِ أَمْ مَقَرٍّ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾

## ● معاني الكلمات

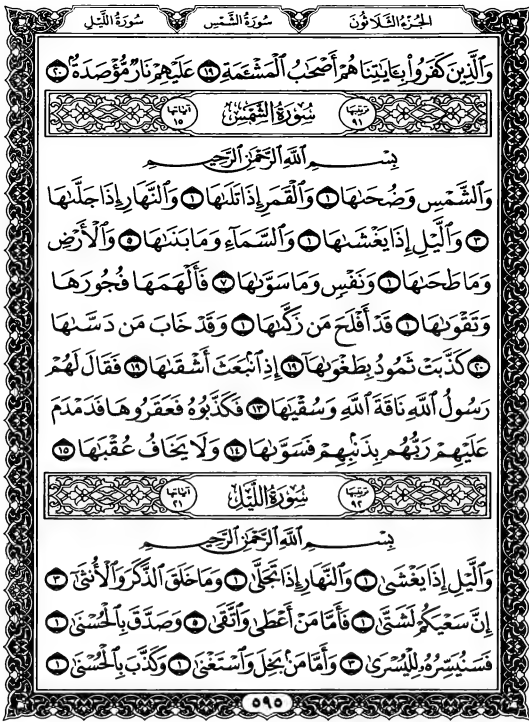
الكلمة	المعنى
وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى	لَا يَنْفَعُهُ التَّذَكُّرُ؛ فَقَدْ فَاتَ أَوَانُهُ.
وَلَا يُؤْفِقُ	لَا يَشُدُّ بِالسَّلَاسِلِ، وَالْأَغْلَالِ.
وِفَاقُهُ	مِثْلُ إِيَّاقِهِ.
لَا أُقْسِمُ	أُقْسِمُ، (وَلَا)؛ لِتَأْكِيدِ الْقَسَمِ.
كَبَدٍ	شِدَّةٌ وَعَنَاءٌ مِنْ مُكَابَدَةِ الدُّنْيَا.
لُبْدًا	كثِيرًا.
العُقْبَةُ	مَشَقَّةُ الْآخِرَةِ؛ يَنْفَاقُ الْمَالُ، وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ.
مَسْجَرٍ	مَجَاعَةٍ شَدِيدَةٍ.
ذَا مَقَرَّيْنِ	مُعْدِمًا لَأَمْرٍ عِنْدَهُ.

## ● العمل بالآيات

١. قل: «رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً رسولاً» ﴿يَتَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٥﴾ أَرْجِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مُّرِيدَةً ﴿٦﴾﴾.
٢. سل الله حسن الخاتمة، ﴿يَتَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٥﴾ أَرْجِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مُّرِيدَةً ﴿٦﴾﴾.
٣. اوص بعض من تعرف بالصبر على طاعة الله، أو الصبر عن معصية الله، أو الصبر على أقدار الله، وأوصهم برحمة الخلق، ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾﴾.

## ● التوجيهات

١. مراعاة الله في السر والعلن، ﴿أَحْسَبَ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ﴿٦﴾﴾.
٢. فضل مكة وما حباها الله من خصائص، ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿١﴾﴾.
٣. على العبد مجاهدة نفسه في هذه الدنيا، ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

١ ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّيْنَاهَا ﴾

النفس آية كبيرة من آياته التي هي حقيقة بالإقسام بها؛ فإنها في غاية اللطف والخفة، سريعة التنقل والحركة، والتغير والتأثر والانفعالات النفسية من: الهم، والإرادة، والقصد، والحب، والبغض، وهي التي لولاها لكان البدن مجرد تمثال لا فائدة فيه، وتسويتها على هذا الوجه آية من آيات الله العظيمة. السعدي: ٩٢٦.

السؤال: يقسم الله بمخلوقاته العظيمة، فما وجه العظمة في النفس التي أقسم بها؟

١ ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾

عن محمد بن كعب قال: إذا أراد الله عز وجل بعبد خيراً ألهمه الخير فعمل به، وإذا أراد به السوء ألهمه الشر فعمل به. القرطبي: ٣١٢/٢٢.

السؤال: ما علامة إرادة الله سبحانه وتعالى بعبد الخير أو السوء؟

١ ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَزَقْنَاهَا ١ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا ﴾

أي لقد فاز بكل مطلوب ونجا من كل مكروه من أنمي نفسه وأعلاها بالتقوى علماً وعملاً، ولقد خسر من نقصها وأخفاها بالفجور جهلاً وفسوقاً. الألوسي: ٣٦١/١٥.

السؤال: كيف تفلح النفس البشرية؟

١ ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا ﴾

أي عقرها الأضقى، وأضيف إلى الكل لأنهم رضوا بفعله. القرطبي: ٤١٢/٢٢.

السؤال: لماذا أضيف العقر للجميع مع أن الفاعل واحد؟

١ ﴿ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴾

قسم بخلقه للذكر والأنثى، وكمال حكمته في ذلك أن خلق من كل صنف من الحيوانات التي يريد بقاءها ذكراً وأنثى ليبقى النوع ولا يضمحل، وقاد كلاهما إلى الآخر بسلسلة الشهوة، وجعل كلاهما مناسباً للآخر. السعدي: ٩٢٧.

السؤال: ما وجه حكمته الله سبحانه وتعالى في جعل المخلوقات صنفين؟

١ ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ١ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ١ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى ١

أي نهيه للطريقة اليسرى؛ وهي فعل الخيرات وترك السيئات. وضد ذلك تيسيره لليسرى، ومنه قوله ﷺ: (اعملوا فكل ميسر لما خلق له) أي: يهيئه الله لما قدر له، ويسهل عليه فعل الخيرات أو الشر. ابن جزي: ٥٨٩/٢.

السؤال: بين قول النبي ﷺ: (اعملوا فكل ميسر لما خلق له) في ضوء هذه الآية.

١ ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ١ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ١ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى ١

قال بعض السلف: من ثواب الحسنة: الحسنة بعدها، ومن جزاء السيئة: السيئة بعدها. ابن كثير: ٥٢٠/٤.

السؤال: اشرح الوقفة السابقة في ضوء الآيات المذكورة.

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
مُؤَصَّدَةٌ	مُطَبَّقَةٌ مُغْلَقَةٌ.
طَحْنَهَا	بَسَطَهَا.
دَسَّهَا	أَخْفَى نَفْسَهُ، وَنَقَصَهَا بِالْعَاصِي.
فَعَقَرُوهَا	فَنَحَرُوهَا.
فَدَمْدَمَ	فَأَطْبَقَ عَلَيْهِمُ الْعُقُوبَةَ.
تَجَلَّى	اِنْكَشَفَ بَضَائِغِهِ.
لَشَتَّى	لِمُخْتَلِفٍ.

## ● العمل بالآيات

١. صل ركعتي الضحى، ﴿ وَالنَّفْسِ وَهْنَهَا ﴾.

٢. قل: «اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها».

﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ١ ﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَزَقْنَاهَا.

٣. قل: اللهم الهمني رشدي وقني شر نفسي، ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾.

## ● التوجيهات

١. شدة عقوبة الله لأهل الكفر المعادين، ﴿ فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَحَسَّوْنَهَا ﴾.

٢. ملازمة تركيبة النفس وتاديبها، ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّيْنَاهَا ١ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ١ ﴾.

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَزَقْنَاهَا ١ ﴾.

٣. من أسباب تيسير الأمور: البذل في سبيل الله مع تقوى الله تعالى، ﴿ فَأَمَّا مَنْ

أَعْطَى وَاتَّقَى ١ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ١ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى ١

الآية (١٩-٢٠): ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ أي: أصحاب الشمال، ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ﴾ أي: مُطَبَّعةٌ عليهم، فلا حَيْدَ لهم عنها، ولا خروج لهم منها. قال أبو هريرة وابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد: ﴿مُؤَصَّدَةٌ﴾ أي: مُطَبَّعةٌ، قال ابن عباس: مغلقة الأبواب. وقال الضحاك: حَيْطٌ لا باب له. وقال قتادة: مُطَبَّعةٌ فلا ضوء فيها ولا فَرْج، ولا خروج منها آخر الأبد.

#### تفسير سورة والشمس وضحاها

وهي مكية، [وعدد آياتها (١٥) آية].

[فضل السورة]: عن جابر أن رسول الله ﷺ قال لمعاذ: «هَلَّا صَلَّيْتَ بِـ «سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَكْبَرُ»، «وَالْتَمِمْ وَضْعَهَا»، «وَأَتَّيِلْ إِذَا يَتَنَّى؟» [متفق عليه].

الآية (١-١٠): «وَالْتَمِمْ وَضْعَهَا» قال مجاهد: وضوئها. وقال قتادة: النهار كله. قال ابن جرير: والصواب أن يقال: أقسم الله بالشمس ونهارها؛ لأن ضوء الشمس الظاهر هو النهار. «وَالْتَمِمْ إِذَا تَلَّنَهَا» قال مجاهد: تَبَّعَهَا. وقال ابن عباس: يتلو النهار. «وَأَتَّيِلْ إِذَا جَلَّهَا» قال مجاهد: أضاء. وقال قتادة: إِذَا غَشَّيَهَا النهار. وكان بعض أهل العربية يتأول ذلك بمعنى: والنهار إذا جلا الظلمة؛ لدلالة الكلام عليها. قلت: ولو أن هذا القائل تأول ذلك بمعنى: البسيطة لكان أولى ولصح تأويله في قوله تعالى: «وَأَتَّيِلْ إِذَا يَتَنَّى» فكان أجود وأقوى، والله أعلم. وأما ابن جرير فاختار عود الضمير في ذلك كله على الشمس لجريان ذكرها. وقالوا في قوله: «وَأَتَّيِلْ إِذَا يَتَنَّى» يعني: إذا غشي الشمس حين تغيب، فَتُظْلِمُ الْأَفَاقُ. «وَأَتَّيِلْ وَمَا بَنَنَهَا» يُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ «مَا» ههنا مصلدية، بمعنى: والسناء وبنائها. وهو قول قتادة. ويُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ بمعنى «مَنْ» يعني: والسناء وبائنها. وهو قول مجاهد وكلاهما متلازم. وهكذا قوله: «وَالْأَرْضُ وَمَا جُنَّهَا» قال مجاهد: «جُنَّهَا»: دَحَاها. وقال ابن عباس: أي: خَلَقَ فيها. وقال: قَسَمَهَا. وقال مجاهد وقاتدة وابن زيد: بَسَطَهَا. وهذا أشهر الأقوال، وعليه أكثر المفسرين، وهو المعروف عند أهل اللغة. «وَتَنَّى وَمَا سَوَّيْنَهَا» أي: خَلَقَهَا سويةً مستقيمةً على الفطرة القويمية. «فَالْمُهَاجِرُونَ تَقَوَّيْنَهَا» أي: فَأَرَسَدَهَا إِلَى فُجُورِهَا وَتَقَرَّاهَا، أي: بَيَّنَّ لَهَا ذَلِكَ، وَهَدَاهَا إِلَى مَا قَلَّزَ لَهَا. قال ابن عباس: «فَالْمُهَاجِرُونَ تَقَوَّيْنَهَا»: بَيَّنَّ لَهَا الْخَيْرَ وَالشَّرَّ. وكذا قال مجاهد وقاتدة والضحاك والثوري. «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَزَقْنَاهُ»: يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ المعنى: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَزَقْنَاهُ نَفْسَهُ بِطَاعَةِ اللَّهِ - كَمَا قَالَ قَتَادَةُ - وَطَهَّرَهَا مِنَ الْأَخْلَاقِ الدَّنِيَّةِ وَالرَّذَائِلِ. وَيُرْوَى نَحْوَهُ عَنْ مُجَاهِدٍ وَعَكْرَمَةَ وَسَعِيدِ بْنِ جَبْرِ. «وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا» أي: دَسَّسَهَا، أي: أَخْتَلَاهَا وَوَضَعَ مِنْهَا بَخْدَ لَا يَبْأُهَا عَنِ الْهَدْيِ، حَتَّى رَكِبَ الْمَعَاصِيَ وَتَرَكَ طَاعَةَ اللَّهِ ﷻ. وَقَدْ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ المعنى: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَزَقْنَاهُ نَفْسَهُ، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّيْنَاهُ نَفْسَهُ، كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ.

الآية (١١-١٥): يُخَيَّرُ تعالى عن ثمود أنهم كَذَّبُوا رَسُولَهُمْ، بسبب ما كانوا عليه من الطغيان والبني. وقال محمد بن كعب:

﴿يَطْفُونَهَا﴾ أي: يَأْتِمِرُهَا. والأول أولى، قاله مجاهد وقاتدة وغيرها. «إِذْ أُنْبِثَتْ أَشْقَفُهَا» أي: أَشَقَى الْقَبِيلَةَ، هُوَ قَدَارُ بْنُ سَالِفٍ عَاقِرُ النَّاقَةِ، وَهُوَ أَحْقَبُ ثَمُودَ. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زُرْعَةَ قَالَ: خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَذَكَرَ النَّاقَةَ، وَذَكَرَ الَّذِي عَقَرَهَا، فَقَالَ: «إِذْ أُنْبِثَتْ أَشْقَفُهَا»: أُنْبِثَتْ لَهَا رَجُلٌ عَارِمٌ <sup>(١)</sup> عَزِيزٌ مُنِيعٌ فِي رَهْطِهِ [متفق عليه]. «فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: صَالِحًا عَلَيْكَ السَّلَامُ»: نَاقَةَ اللَّهِ ﷻ، أي: احذروا ناقة الله أن تَمْسُوهَا بِسَوْءٍ. «وَسُقَيْنَا» أي: لَا تَعْتَدُوا عَلَيْهَا فِي سُقَيَّهَا؛ فَإِنَّ: «لَهَا شَرْبٌ وَلَكِنَّ شَرْبَ يَوْمٍ مَمْلُوءٍ» [الشعراء: ١٥٥]. «فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا» أي: كَذَّبُوهُ فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ فَأَعَقَبَهُمْ ذَلِكَ أَنْ عَقَرُوا النَّاقَةَ الَّتِي أَخْرَجَهَا اللَّهُ مِنَ الصَّخْرَةِ آيَةً لَهُمْ وَحِجَّةً عَلَيْهِمْ، «فَدَسَّسَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ» أي: غَضِبَ عَلَيْهِمْ، فَدَسَّسَ عَلَيْهِمْ، «فَسَوَّيْنَاهَا» أي: فَجَعَلَ الْمُتَقَوِّيةَ نَازِلَةً عَلَيْهِمْ عَلَى السَّوَاءِ. «وَلَا يَخَافُ عُقْبَتَهَا» قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَا يَخَافُ اللَّهُ مِنْ أَحَدٍ تَبَّعَهُ. وَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ وَالْحَسَنُ وَبُكَيْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمَزْنِيُّ وَغَيْرُهُمْ. وَقَالَ الضَّحَّاكُ وَالشَّاذِلِيُّ: «وَلَا يَخَافُ عُقْبَتَهَا» أي: لَمْ يَخَفْ الَّذِي عَقَرَهَا عَاقِبَةُ مَا صَنَعَ. وَالْقَوْلُ الْأَوَّلُ أَوْلَى؛ لدلالة السياق عليه، والله أعلم.

#### تفسير سورة الليل

وهي مكية، [وعدد آياتها (٢١) آية].

[فضل السورة]: تقدم قوله عليه الصلاة والسلام لمعاذ: «فَهَلَّا صَلَّيْتَ بِـ «سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَكْبَرُ»، «وَالْتَمِمْ وَضْعَهَا»، «وَأَتَّيِلْ إِذَا يَتَنَّى؟» [متفق عليه].

الآية (١-٩): «وَأَتَّيِلْ إِذَا يَتَنَّى» أي: إِذَا غَشَّى الْخَلِيقَةَ بِظُلَامِهِ، «وَالْتَمِمْ إِذَا جَلَّهَا» أي: بِضِيَائِهِ وَإِشْرَاقِهِ، «وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى»، كقولهم: «وَعَلَقْنَاهُ أَرْوَابًا» [الأنبياء: ٨٨]. وَلَمَّا كَانَ الْقَسَمُ بِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ الْمُتَضَادَّةِ كَانَ الْقَسَمُ عَلَيْهِ أَيْضًا مُتَضَادًّا؛ وَلِهَذَا قَالَ: «إِنْ سَبَّكَ لَتَنَّى» أي: أَعْمَلُ الْعِبَادَ الَّتِي اكْتَسَبُوهَا مُتَضَادَّةً أَيْضًا وَمُتَخَالِفَةً، فَمِنْ فَاعِلٍ خَيْرًا وَمِنْ فَاعِلٍ شَرًّا، قَالَ تَعَالَى: «وَأَمَّا مَنْ أَعْطَى» مَا أَمَرَ بِإِخْرَاجِهِ، «وَأَتَّقَى» اللَّهُ فِي أُمُورِهِ، «وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى» أي: بِالْمَجَازَةِ عَلَى ذَلِكَ، قَالَ قَتَادَةُ، وَقَالَ خَصِيفٌ: بِالثَّوَابِ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَعَكْرَمَةُ وَأَبُو صَالِحٍ وَزَيْدُ بْنُ أَسْلَمٍ: «بِالْحُسْنَى» أي: بِالْخُلُقِ. وَقَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّلْمِيُّ وَالضَّحَّاكُ: أي: بِمَا إِلَهُ إِلَّا اللَّهُ. وَفِي رِوَايَةٍ عَنْ عَكْرَمَةَ: أي: بِمَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ. وَفِي رِوَايَةٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمٍ: الصَّلَاةُ وَالزَّكَاةُ وَالصُّومُ. وَقَالَ مَرَّةً: وَصَدَقَةُ الْفَطْرِ. «فَنَسِيْرُهُ لِيَسْرِي» قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَعْنِي لِلْخَيْرِ. وَقَالَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمٍ: يَعْنِي لِلْبَعَةِ. وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: مِنْ ثَوَابِ الْحَسَنَةِ الْحَسَنَةِ بَعْدَهَا، وَمِنْ جَزَاءِ السَّيِّئَةِ السَّيِّئَةُ بَعْدَهَا؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: «وَأَمَّا مَنْ يَخْلُ» أي: بِمَا عِنْدَهُ، «وَأَسْتَفْنَى» قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَيَّ يَخْلُ بِأَلِهِ، وَاسْتَفْنَى عَنْ رَبِّهِ ﷻ. «وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى» أي: بِالْجُزْءِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ.

(١) عارمٌ: شديدُ شرسٍ. [ينظر: معجم مقاييس اللغة، والصحاح، مادة (عرم)].

الآية (١٠-١١): ﴿فَسَيَبْرُهُ لِمُسْرَى﴾ أي: لطريق الشَّرِّ كما قال تعالى: ﴿وَنَقَلَكْ أَقْدَهُمْ وَأَصْرَهُمْ سَكَارَ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوْ مَرَوْ وَنَذَرَهُمْ فِي طَفَيْهِمْ يَتَمَحَّوْنَ﴾ [الأنعام: ١١٠]؛ فالله ﷻ يُجَارِي من قَصَد الخير بالتوفيق له، ومن قَصَد الشَّرَّ بالخُذْلَان. وكلُّ ذلك بِقَدَر مُقَدَّر.

عن علي بن أبي طالب قال: كنا مع رسول الله ﷺ في بيع الغرقد في جنازة، فقال: «ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من الجنة ومقعده من النار». فقالوا: يا رسول الله، أفلا تنكل؟! فقال: «اعملوا، فكل ميسر لما خلق له». قال: ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿فَسَيَبْرُهُ لِمُسْرَى﴾ إلى قوله: ﴿لِلْمُسْرَى﴾ [رواه البخاري].

﴿وَيَاثِقِي عَنْهُ مَا لَمْ يَأْتِ رَدُّكَ﴾ قال مجاهد: أي إذا مات. وقال أبو صالح وزيد بن أسلم: إذا تردى في النار.

الآية (١٢-١٤): قال قتادة: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهَدَى﴾ أي: نُبَيِّنُ الحلال والحرام. وقال غيره: من سَلَكَ طريق الهدى وَصَلَ إلى الله. وجَعَلَهُ كَقوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ [النحل: ٩]. حكاه ابن جرير. ﴿وَلَنْ لَنَا لَلْخَيْرَةِ وَالْأُولَى﴾ أي: الجميع ملكنا وأنا الْمُتَصَرِّفُ فيها. ﴿فَأَنْذَرْتُكَ نَارًا تَلْتَظُّ﴾ قال مجاهد: أي تَوَلَّج. وعن النعمان بن بشير قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة رجلٌ توضع في أخمص قدميه جمرتان يَغْلِي منها دماغه» [رواه البخاري، ومسلم بنحوه]. الآية (١٥-٢١): ﴿لَا يَصْلَحُهَا﴾ أي: لا يدخلها دخولاً يُحِيطُ به من جميع جوانبها ﴿إِلَّا الْأَتَقَى﴾ ثم فَسَّرَهُ فقال: «الَّذِي كَذَّبَ» أي: بقلبه، ﴿وَتَوَلَّى﴾ أي: عن العمل بجوارحه وأركانه.

﴿وَسَيَجَنَّبُكَ الْأَتَقَى﴾ أي: وَسَيُزْجِرُكَ عَنِ النارِ النَّفْقَى النَّفْيِ الْأَتَقَى. ثم فَسَّرَهُ بِـ «الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى» أي: يَصْرِفُ ماله في طاعة ربه؛ لِيُزَكِّي نفسه وماله وما وَهَبَهُ الله من دين ودنيا، ﴿وَمَا لِأَخِي عِنْدَهُ مِنْ يَنْتَهَرُ جَزْئِي﴾ أي: ليس بذله ماله في مكافأة من أَسَدَى إليه معروفًا، فهو يُعْطِي في مقابلة ذلك، وإنما دَفَعَهُ ذلك ﴿إِنَّمَا وَجَّهَ إِلَيْكَ﴾ طمعًا في أن يحصل له رُوَيْتُهُ في الدار الآخرة في رَوْضَاتِ الجنات، قال الله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ أي: ولسوف يَرْضَى من أَنْصَفَ هذه الصفات.

وقد ذَكَرَ غير واحد من المفسرين أن هذه الآيات نَزَلَتْ في أبي بكر الصديق، حتى إن بعضهم حكى الإجماع من المفسرين على ذلك. ولا شك أنه داخل فيها، وأولى الأمة بعمومها؛ فإن لفظها لفظ العموم، ولكنه مُقَدَّمُ الأمة وسابِقُهُم في جميع هذه الأوصاف وسائر الأوصاف الحميدة؛ فإنه كان صِدِّيقًا نَقِيًّا كَرِيمًا جَوَادًا بِذَلِكَ لأمواله في طاعة مولاه، ونصرة رسول الله، فكم من دراهم ودنانير بَذَلَهَا ابتغاء وجهه الكريم، ولم يكن لأحد من الناس عنده مِثَّةٌ يَحْتَاجُ إلى أن يكافئه بها.

#### تفسير سورة الضحى

وهي مكية، [وعدد آياتها (١١) آية].

الآية (١-١١): [سبب النزول]: عن جندب قال: اشتكى النبي ﷺ فلم يَقُمْ لَيْلَةً أَوْ لَيْلَتَيْنِ، فَأَتَتْ امْرَأَةً فَقَالَتْ: يا محمد، ما أَرَى شيطانَكَ إِلَّا قد تَرَكَكَ. فانزل الله ﷻ: ﴿وَالضُّحَى﴾ [متفق عليه].

﴿وَالضُّحَى﴾ هذا قَسَمٌ منه تعالى بِالضُّحَى وما جَعَلَ فيه من الضياء، ﴿وَأَوَّلَ إِذَا سَأَلْتَهُ﴾ أي: سَكَنَ فَاطْلَمَ وادْلَهَمَ. قاله مجاهد وقاتدة وابن

زيد وغيرهم. وذلك دليل ظاهر على قدرة خالق هذا وهذا.

﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾ أي: ما تَرَكَكَ، ﴿وَمَا قَلَّ﴾ أي: وما أَبْعَضَكَ، ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى﴾ أي: والدار الآخرة خير لك من هذه الدار. ولهذا كان رسول الله ﷺ أَزْهَدَ النَّاسِ في الدنيا، وَأَعْظَمَهُمْ لها أَطْرَاحًا، كما هو معلوم من سيرته. وَلَمَّا خُبِرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ في آخر عُمره بين السُّخْلُ في الدنيا إلى آخرها ثُمَّ الْجَنَّةُ، وبين الصَّيرُورَةِ إلى الله ﷻ اختار ما عند الله على هذه الدُّنْيَا الدُّنْيَةِ.

﴿وَلَسَوْفَ يَعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ أي: في الدار الآخرة يُعْطِيهِ حتى يُرْضِيهِ في أَثَمِهِ، وفيها أَعَدَّ له من الكرامة، ومن مجلته نَهْرُ الكوثر الذي حافاه قباب اللؤلؤ المجوف، وطينه مسك أَذْفَرُ.

ثم قال تعالى يُعَذِّبُ نِعْمَةً على عبده ورسوله محمد ﷺ: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ وذلك أن أباه تُوْفِيَ وهو حُلٌّ في بطن أمه، وقيل: بعد أن وُلِدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثم تُوْفِيَتْ أمه أَمَنَةً بنت وهب وله من العمر ست سنين. ثم كان في كفالة جده عبد المطلب، إلى أن تُوْفِيَ وله من العمر ثلثي سنين، فَكَفَلَهُ عُمَةُ أَبُو طَالِبٍ.

﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ كقوله: ﴿وَوَجَدَكَ أَوْسَى﴾ [آية: الشورى: ٥٢].

﴿وَوَجَدَكَ غَالِيًا فَغَنَى﴾ أي: كنت فقيرًا ذا عيال، فَأَغْنَاكَ الله عَمَّن سواه، فَجَمَعَ له بين مقامي: الفقير الصابر والغني الشاكر، صلوات الله وسلامه عليه. وقال قتادة في قوله: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ ﴿١﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴿٢﴾ وَوَجَدَكَ غَالِيًا فَغَنَى ﴿٣﴾ قال: كانت هذه منازل الرسول ﷺ قبل أن يَنْبَغَةَ الله ﷻ.

﴿وَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَهْجُرْ﴾ أي: كما كُنْتَ يَتِيمًا فَأَوَّاكَ الله فَلَا تَهْجُرْ الْيَتِيمَ، أي: لَا تَذِلُّهُ وَتَهْجُرْهُ وَتُهِنِّهُ، ولكن أحسِّنْ إليه، وتَلَقَّفْ به. قال قتادة: كُنْ لِلْيَتِيمِ كَالأبِ الرَّحِيمِ. ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ أي: وكما كُنْتَ ضَالًّا فَهَدَاكَ الله، فلا تَنْهَرْ السَّائِلَ في العِلْمِ الْمُسْتَشْرِشِدِ. قال ابن إسحاق: أي: فلا تكن جَبَّارًا ولا مُتَكَبِّرًا ولا فَحَّاشًا، ولا قَطًّا على الضُّعَفَاءِ من عِبَادِ الله. وقال قتادة: يعني رُؤُوسَ المسكين برحمة ولين.

﴿وَأَمَّا يَنْفَعُكَ رَبُّكَ فَحَدِّثْ﴾ أي: وكما كُنْتَ عَائِلًا فَقَبِّرًا فَأَغْنَاكَ الله، فَحَدِّثْ نِعْمَةَ الله عليك. وعن أبي نضرة قال: كان المسلمون يرون أن من شَكَرَ النعم أن يُجَدَّتْ بها. وعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «لَا يَشْكُرُ الله من لا يَشْكُرُ النَّاسَ» [رواه أبو داود والترمذي، وصححه الألباني].

#### تفسير سورة ألم نشرح

وهي مكية، [وعدد آياتها (٨) آيات].

الآية (١-٢): ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ يعني: أما شَرَحْنَا لَكَ صَدْرَكَ، أي: نورناه وجعلناه قَبِيحًا رَجِيحًا وَاسِعًا، وكما شرح الله صدره كذلك جَعَلَ شَرُّهُ فسيحًا واسعًا سَمَحًا سَهْلًا لَا حَرَجَ فيه وَلَا إِضْرَ وَلَا ضِيقَ. وقيل: المراد شرح صدره ليلة الإسراء؛ فإن من جَلَّةِ شرح صدره: الذي فَعَلَ بصدره ليلة الإسراء، وما نَشَأَ عنه من الشَّرْحِ المعنوي أيضًا، والله أعلم.

﴿وَوَضَعْنَا عَنَّاكَ وَزَكَرَ﴾ بمعنى: ﴿لِيُفَوِّضَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢].

٣. انتظر الشباب من الله ولا تنتظر ثناء من المخلوقين، ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا أَتْيَاءٌ وَيُورِثُهُ الْوَعْدُ الْأَعْلَى﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

١ ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾

فالعسر وإن تكرر مرتين، فتكرر بلفظ المعرفة فهو واحد، والعسر تكرر بلفظ النكرة فهو يسران: فالعسر محضوف بيسرين: يسر قبله، ويسر بعده: فلن يغلب عسر يسرين. ابن القيم: ٣/٣٣٣.

السؤال: اليسر أوسع من العسر وضع ذلك في ضوء هاتين الآيتين.

٢ ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾

هو اعتداله واستواء شبابه... قال أبو بكر بن طاهر: «مزيّنًا بالعقل، مؤدبًا للأمر، مهديًا بالتمييز، مديد القامة، يتناول ما كوله بيده»... أحسن خلق الله باطنًا وظاهرًا: جمال هيئة، وبديع تركيب الرأس بما فيه، والصدر بما جمعه، والبطن بما حواه، والفرج بما طواه، واليدان وما بطشتاه، والرجلان وما احتملتاه. القرطبي: ٢٢/٣٦٨-٣٧٠.

السؤال: ما وجه الامتتان بحسن خلق الإنسان؟ وما مظاهر ذلك فيه؟

٣ ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾

المتبادر من السياق الإشارة إلى حال الكافر يوم القيامة، وأنه يكون على أقبح صورة وأبشعها بعد أن كان على أحسن صورة وأبدعها: لعدم شكره تلك النعمة. الألوسي: ٣٠/١٧٦.

السؤال: من المقصود بأنه يُرد أسفل سافلين؟

٤ ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعَزَّ لَلْحَكِيمِينَ﴾

أي: أما هو أحكم الحاكمين الذي لا يجوز ولا يظلم أحداً؟ ومن عدله أن يقيم القيامة، فينتصف للمظلوم في الدنيا ممن ظلمه. ابن كثير: ٤/٥٢٩.

السؤال: كيف تدل الآية على البعث والجزاء؟

٥ ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾

وخص من التعليمات الكتابية بالقلم لما فيها من تخليد العلوم ومصالح الدين والدنيا. ابن جزي: ٢/٥٩٠.

السؤال: ما سر تخصيص التعليم بالقلم في الآية؟

٦ ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾

من كرمه تعالى أن علم الإنسان ما لم يعلم، شرفه وكرمه بالعلم، وهو القدر الذي أمتاز به أبو البرية آدم على الملائكة. ابن كثير: ٤/٥٣٠.

السؤال: ما القدر الذي أمتاز به آدم وذريته على سائر المخلوقات؟

٧ ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ﴾

يخبر تعالى عن الإنسان أنه ذو فرح وافر وبطر وطغيان إذا رأى نفسه قد استغنى وكثر ماله. ثم تهدده وتوعده ووعظه فقال: (إن إلى ربك الرجعى) أي: إلى الله المصير والرجع، وسيحاسبك على مالك من أين جمعته وفيه صرفته. ابن كثير: ٤/٥٣١.

السؤال: ما الواجب على الإنسان في حال غناه؟

الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ۖ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۚ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۚ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۚ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۚ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ۚ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
وَالَّذِينَ وَالَّذِينَ ۖ وَطُورِ سِينِينَ ۖ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ۚ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۚ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ۖ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۚ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدَ الْبَٰلِدِينَ ۚ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعَزَّ لَلْحَكِيمِينَ ۚ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ۚ أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْبَٰرِقُونَ أَهْلًا ۚ فَأَنزَلْنَاهُ سَافِلِينَ ۚ أَفَلَا يَذَّكَّرُ ۚ إِنَّ أَعْيُنَ النَّاسِ عَلَىٰ عَنَاتِكُمْ مُنْقَرِفَةٌ ۚ أَفَلَا تُبْصَرُونَ ۚ

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
أَنْقَضَ	أَقْلَ.
فَرَعْتَ	مِنْ أَشْغَالِ الدُّنْيَا.
فَانصَبْ	فَجِدْ فِي الْعِبَادَةِ.
فَارْغَبْ	فَتَوَجَّهْ، وَاطْلُبْ، وَتَضَرَّعْ.
وَطُورِ سِينِينَ	جَبَلِ طُورِ سِينَاءَ الَّذِي كَلَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام.
وَهَٰذَا الْبَلَدِ	مَكَّةَ.
تَقْوِيمٍ	صُورَةٍ.
غَيْرُ مَمْنُونٍ	غَيْرُ مَقْطُوعٍ، وَلَا مَنْقُوصٍ.
عَلَقٍ	قِطْعَةٍ دَمٍ غَلِيظٍ.
الرُّجْعَى	الرُّجُوعُ، وَالْمَصِيرُ.

## ● العمل بالآيات

- أشغل أحد أوقات فراغك بعبادة، ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾.
- اقرأ صفحتين من كتاب علم شرعي، ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾.
- ادع الله أن يعلمك ما ينفعك وأن يزيدك علماً، ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾.

## ● التوجيهات

- الإيمان والعمل الصالح سبب في المحافظة على كرامة العبد عند الله، ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾.
- الحرص على التسليم والانقياد لأحكام الدين، ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعَزَّ لَلْحَكِيمِينَ﴾.
- أهمية القراءة في حياة المسلم، ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾.

﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ عَزِيزٌ تَوَنُّونَ﴾ أي: غير مقطوع. ثم قال: ﴿فَمَا يَكْذِبُكَ﴾ يعني: يا ابن آدم ﴿بَعْدَ الْبَلَدَيْنِ﴾؟! أي: بالجلاء في المعاد، وقد علمت البدأة، وعرفت أن من قَدَّرَ على البدأة، فهو قادر على الرجعة بطريق الأولى، فأَيُّ شَيْءٍ يَجْعَلُكَ على التكذيب بالمعاد وقد عرفت هذا؟! ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعَزَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي: أما هو أحكم الحاكمين، الذي لا يجوز ولا يظلم أحداً، ومن عدله أن يُقِيمَ القيامة فيُنصِفَ المظلوم في الدنيا مَن ظلمه.

### تفسير سورة اقرأ

وهي أول شيء نزل من القرآن، [وعدد آياتها (١٩) آية].  
[فضل السورة]: عن عائشة قالت: أول ما بُدِئَ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح. ثم حُبَّ إليه الخلاء، فكان يأتي حراء فيَتَحَنَّنُ فيه -وهو: التَّعَبُّدُ- الليالي ذوات العدد، ويتزوَّد لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزوَّد لملئها حتى فَجَأَهُ الحق وهو في غار حراء، فبجاءه الملك فيه فقال: اقرأ. قال رسول الله ﷺ: «فقلت: ما أنا بقارئ». قال: «فأخذني فغطَّنِي حتى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثم أرسلني، فقال: اقرأ. فقلت: ما أنا بقارئ. فغطَّنِي الثانية حتى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثم أرسلني فقال: اقرأ. فقلت: ما أنا بقارئ. فغطَّنِي الثالثة حتى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثم أرسلني فقال: «اقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ» حتى بلغ: ﴿مَّا رَءَيْتَ﴾ قال: فرجع بها تَرْجُفُ بؤاده حتى دخل على خديجة فقال: «زملوني زملوني» [متفق عليه].  
الآية (١-٥): هذه الآيات الكريمة المباركات فيها التنبيه على ابتداء خلق الإنسان من علقه، وأن من كَرَّمَهُ تعالى أن عَلمَ الإنسان ما لم يَعْلَمْ، فَشَرَّفَهُ وَكَرَّمَهُ بِالْعِلْمِ، وهو القَدَرُ الذي امتاز به أبو البرية آدم على الملائكة، والعِلْمُ تارة يكون في الأذهان، وتارة يكون في اللسان، وتارة يكون في الكتابة بالبنان، ذُفِنِي وَلَقِطِي وَرَسَمِي، والرَّسْمِيُّ يستلزمهما من غير عَكْسٍ، فلهذا قال: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ ٥ الَّذِي عَزَّرَ الْقَلَمَ ٦ عَزَّرَ الْإِنْسَانَ مَا تَرْتَبِعُ ٧. وفي الأثر: قِيدُوا الْعِلْمَ بِالْكِتَابَةِ.  
الآية (٦-١٢): يُخَبِّرُ تعالى عن الإنسان أنه ذو قَرَحٍ وَأَثَرٍ وَبَطَرٍ وطغيان إذا رأى نفسه قد استغنى وكَثُرَ ماله. ثم تَهْدِيهِ وَتَوَعَّدَهُ وَوَعَّظَهُ فقال: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْإِنْتِزَاعَ﴾ أي: إلى الله المصير والمرجع، وسيُحَاسِبُكَ على مالك: من أين جَمَعْتَهُ؟ وَفِيمَ صَرَفْتَهُ؟  
﴿أَرَبَيْتَ الَّذِي يَنْفَعُ﴾ ١ عِبَادًا إِذَا صَلَّوْا ٢ نَزَلَتْ فِي أَبِي جَهْلٍ لَعْنَهُ اللَّهُ؛ تَوَعَّدَ النَّبِيَّ ﷺ على الصلاة عند البيت، فَوَعَّظَهُ اللَّهُ تعالى بالتي هي أحسن أولاً، فقال: ﴿أَرَبَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْمَذْهَبِ ١٩؟﴾ أي: فما ظَنُّكَ إِنْ كَانَ هذا الذي تَنهَاهُ على الطريق المستقيمة في فعله؟! ﴿أَوْ أَمَرَ بِالْقَنَاقِ﴾ بقوله، وأنت تَزَجِرُهُ وَتَوَعَّدُهُ على صلاته؟! ولهذا قال: ﴿أَرَبَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَكَّبَ﴾ ١٣ أَتَرْتَبِعُ يَا اللَّهُ بَرِيٌّ.

الآية (٣-٨): ﴿الَّذِي أَنْفَضَ ظَهْرَكَ﴾ الإنفاض: الصوت. وقال غير واحد من السلف في قوله: ﴿الَّذِي أَنْفَضَ ظَهْرَكَ﴾ أي: أَنْفَلَكَ حُلَّةً. ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ قال مجاهد: لا أَذْكَرُ إِلَّا ذُكِّرْتَ معي: أَشْهَدُ أَنْ لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله. وقال قتادة: رَفَعَ اللَّهُ ذِكْرَهُ في الدنيا والآخرة، فليس خطيب ولا مُتَشَهِّد ولا صاحب صلاة إلا ينادي بها: أَشْهَدُ أَنْ لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله. وقال آخرون: رَفَعَ اللَّهُ ذِكْرَهُ في الأولين والآخرين، ونوه به، حين أخذ الميثاق على جميع النبيين أن يؤمنوا به، وأن يأمرُوا أَمَّهُمْ بالإيمان به، ثم شهر ذكروه في أمته فلا يَذْكُرُ الله إلا ذُكِرَ معه.

﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ ١٠ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ١١ أَخْبَرَ تعالى أن مع العُسْرِ يُوجَدُ الْيُسْرُ، ثم أَكَّدَ هذا الخبر. وقوله: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ أي: إذا فَرَغْتَ من أمور الدنيا وأشغالها وَقَطَعْتَ عِلَاقَتَهَا ﴿فَانصَبْ﴾ في العبادة، وَقُمْ إِلَيْهَا نَشِيطًا فارغ البال، وأخلص لربك النَّيَّةَ والرغبة. قال مجاهد: إذا فرغت من أمر الدنيا فقممت إلى الصلاة، فانصب لربك ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَانصَبْ﴾ قال الثوري: اجعل نيتك ورغبتك إلى الله ﷻ.

### تفسير سورة التين

وهي مكية، [وعدد آياتها (٨) آيات].  
[فضل السورة]: عن البراء بن عازب قال: سمعت النبي ﷺ يقرأ ﴿وَالْزَيْنَ وَالزَيْنُونَ﴾ في العشاء، وما سمعت أحداً أحسن صوتاً منه أو قراءةً [متفق عليه].  
الآية (١-٨): ﴿وَالْزَيْنَ﴾ اختلف المفسرون ههنا على أقوال كثيرة، فقل: المراد بالتين مسجد دمشق. وقيل: هي نفسها. وقيل: الجبل الذي عندها. وقال مجاهد: هو يَنْجُمُ هذا.  
﴿وَالزَيْنُونَ﴾ قال قتادة وابن زيد وغيرهم: هو مسجد بيت المقدس. وقال مجاهد وعكرمة: هو هذا الزيتون الذي تَغْصُرُون. ﴿زَمُرٌ سَنِينَ﴾ قال غير واحد: هو الجبل الذي كَلَّمَ الله عليه موسى. ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ يعني: مكة. قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة والحسن وإبراهيم النَّخَعِيُّ، ولا خلاف في ذلك.  
﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ هذا هو المقسم عليه، وهو أنه تعالى خَلَقَ الإنسان في أَحْسَنِ صورة وشَكْلٍ؛ مُنْتَصِبُ الْقَامَةِ، سَوِيٌّ الْأَعْضَاءُ حَسَنًا. ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ أي: إلى النار. قاله مجاهد وأبو العالية والحسن وابن زيد وغيرهم. ثم بعد هذا الْحُسْنِ والنَّضَارَةِ مصيره إلى النار إِنْ لم يُطِيعِ اللَّهَ وَتَبِعِ الرِّسْلَ؛ ولهذا قال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾. وقال بعضهم: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ أي: إلى أَرْدَلِ الْعَمْرِ. رُوِيَ هذا عن ابن عباس وعكرمة واختار ذلك ابن جرير. ولو كان هذا هو المراد لَمَا حَسُنَ استثناء المؤمنين من ذلك؛ لأن الْهَرَمَ قد يُصِيبُ بعضهم، وإنما المراد ما ذكرناه؛ كقوله: ﴿وَالْمَصْرُ﴾ ١٠ إِذَا الْإِنْسَانُ لَيْسَ خَيْرٍ ١١ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ١٢ [المصر: ١-٣].



تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٤].

﴿سَلَّمَ هِيَ حَتَّى تَطْلُعَ الْفَجْرُ﴾ عن الشعبي قال: تسليم الملائكة ليلة القدر على أهل المساجد، حتى يطلع الفجر. قال قتادة وابن زيد: ﴿سَلَّمَ هِيَ﴾ يعني: هي خير كلها، ليس فيها شرٌّ، إلى مطلع الفجر. اختلف العلماء: هل كانت ليلة القدر في الأمم السالفة، أو هي من خصائص هذه الأمة؟ على قولين، ثم قيل: ليلة إحدى وعشرين، وقيل: ليلة ثلاث وعشرين [وقيل غير ذلك]، وقيل: إنها تكون ليلة سبع وعشرين؛ لما رواه مسلم في صحيحه عن أبي بن كعب، عن رسول الله ﷺ: «أنا ليلة سبع وعشرين». وروي عن أبي قلابة أنه قال: ليلة القدر تنتقل في العشر الأواخر، ونص عليه مالك، والثوري، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وأبو ثور، والمزني، وأبو بكر بن خزيمة، وغيرهم، وهو الأشبه والله أعلم.

### تفسير سورة القدر لم يكن

وهي مدنية، [وعدد آياتها (٨) آيات].

[فضل السورة]: عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ لأبي بن كعب: «إن الله أمرني أن أقرأ عليك: ﴿لَوْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾»، قال: وسألتني لك؟ قال: «نعم» فبكي [منفق عليه].

وإنما قرأ عليه النبي ﷺ هذه السورة تنبيهاً له، وزيادة لإيمانه.

الآية (١-٥): ﴿لَوْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ﴾ أما أهل الكتاب فهم: اليهود والنصارى، والمشركون: عبدة الأوثان والبرهان، من العرب ومن العجم. وقال مجاهد: لم يكونوا ﴿مُفَكِّينَ﴾ يعني: مُتَّبِعِينَ حتى يَتَّبِعَ لهم الحق. وكذا قال قتادة. ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْآيَةُ﴾ أي: هذا القرآن؛ ولهذا قال تعالى: ﴿لَوْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْآيَةُ﴾ ثم فَسَّرَ البينة بقوله: ﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً﴾ يعني: محمداً ﷺ، وما يتلوه من القرآن العظيم، الذي هو مُكْتَسَبٌ في الملا الأعلى، في صُحُفٍ مُطَهَّرَةٍ؛ كقوله: ﴿مَرْفُوعَةً مُطَهَّرَةً﴾ [يأبى سفيان] كَأَمْرٍ بِرَسُولٍ [عس: ١٤-١٦].

﴿فِيهَا كُتِبَ قِسْمَةٌ﴾ قال ابن جرير: أي في الصُحُفِ المُطَهَّرَةِ كُتِبَ من الله قيمة عادلة مستقيمة، ليس فيها خطأ؛ لأنها من عند الله ﷻ. قال قتادة: ﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً﴾: يَذْكُرُ القرآن بأحسن الذِّكْرِ، وَيُنَبِّئُ عليه بأحسن النَّبَأِ. وقال ابن زيد: ﴿فِيهَا كُتِبَ قِسْمَةٌ﴾: مستقيمة معتدلة. ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْآيَةُ﴾ يعني بذلك: أهل الكتاب المنزلة على الأمم قبلنا، بعد ما أقام الله عليهم الحجج والبيات تفرقوا واختلَفوا في الذي أَرَادَهُ الله من كتبهم، واختلَفوا اختلافاً كثيراً. وقوله: ﴿وَمَا أَمَرُوا إِلَّا ليعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ كقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]؛ ولهذا قال: ﴿حُفَّتْ﴾ أي: مُتَحَفِّينَ عن الشرك إلى التوحيد. ﴿وَيُفَيْسُومُوا الصَّلَاةَ﴾ وهي أشرف عبادات البدن، ﴿وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ﴾ وهي الإحسان إلى الفقراء والمساكين، ﴿وَذَلِكَ دِينُ الْقِسْمَةِ﴾ أي: الملة القائمة العادلة، أو: الأمة المستقيمة المعتدلة. وقد استدلل كثير من الأئمة - كالزهري والشافعي - بهذه الآية الكريمة على أن الأعمال داخلية في الإيمان؛ ولهذا قال: ﴿وَمَا أَمَرُوا إِلَّا ليعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ حَقَّاهُ وَيُفَيْسُومُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِسْمَةِ.

الآية (١٣-١٩): ﴿أَوَلَيْتَ إِنَّ كَذِبَ وَكَوَلَهُ﴾ [الزُّمَرُ: ٢٥] أَرَبُّهُ بَالُ اللَّهِ رُبِّي أَي: أما عَلِمَ هذا الناهي هذا المهتدي أن الله يراه وَيَسْمَعُ كلامه، وَسَيَجَازِيهِ على فعله أَمَّ الْجَزَاءِ. ثم قال تعالى مُتَوَعِّدًا ومتهذِّبًا: ﴿لَا لِيَنْ لَزْبَتَهُ﴾ أي: لئن لم يرجع عما هو فيه من الشقاق والعناد لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ أَي: لَنَسْفَعُهَا سَوَادًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

ثم قال: ﴿نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَائِلَةٍ﴾ يعني: ناصية أبي جهل كاذبة في مقالها خائطة في فعالها. ﴿فَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مِنْ ذَلِكَ﴾ أي: قومه وعشيرته، أي: لَيُدْعُهُمْ يَسْتَنْصِرُ بِهِمْ، ﴿سَنَسْخَرُ الْأَرْبَابَةَ﴾ وهم ملائكة العذاب، حتى يَعْلَمَ من يَغْلِبُ: أَجْرُنَا أَوْ جَزَاءُنَا؟ قال ابن عباس: قال أبو جهل: لئن رأيت محمداً يصلي عند الكعبة لأطأ على عَقْبِهِ. فبلغ النبي ﷺ، فقال: [لو] <sup>(١)</sup> فَعَلَهُ لَأَخَذْتَهُ الْمَلَائِكَةُ [رواه البخاري].

﴿كَلَّا لَا تُلْظِمُهُ﴾ يعني: يا محمد، لا تُلْظِمُهُ فَيَهْكَ عَنْهُ مِنَ الدَّوامَةِ على العبادة وَكَثْرَتِهَا، وَصَلَّ حَيْثُ شِئْتَ وَلَا تَبْكَالْهُ، فَإِنَّ اللَّهَ حَافِظُكَ وَنَاصِرُكَ، وَهُوَ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ، ﴿وَأَنْتُمْ أَقْرَبُ﴾ كما بُتِّتَ عند مسلم عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء» وتقدم عن أبي هريرة قال: سَجَدْنَا مع رسول الله ﷺ في إِذَا أَسْمَاءُ انْشَقَّتْ وَ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [رواه مسلم].

### تفسير سورة القدر

وهي مكية، [وعدد آياتها (٥) آيات].

الآية (١-٥): ﴿تَجَرَّبَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ أَنْزَلَ الْقُرْآنَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ، وَهِيَ الْمَبَارَكَةُ الَّتِي قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾﴾ [الدخان: ٣]. وهي ليلة القدر، وهي من شهر رمضان، كما قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: ١٨٥]. قال ابن عباس وغيره: أنزل الله القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العِزَّة من السماء الدنيا، ثم نَزَلَ مَفْصَلًا بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة على رسول الله ﷺ.

ثم قال تعالى مُعْظِمًا لِشَأْنِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ، الَّتِي اخْتَصَّهَا بِإِنْزَالِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ فِيهَا، فقال: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ <sup>(٢)</sup> لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفٍ شَهْرٍ. قال مجاهد: ليلة القدر خير من ألف شهر، ليس في تلك الشهور ليلة القدر. وهكذا قال قتادة والشافعي وغير واحد. وقال عمرو بن قيس الملائي: عَمَلٌ فِيهَا خَيْرٌ مِنْ عَمَلِ أَلْفِ شَهْرٍ. وهذا القول بأنها أفضل من عبادة ألف شهر - وليس فيها ليلة القدر - هو اختيار ابن جرير. وهو الصواب لا ما عداه. وَلَيْتَ كَانَتْ لَيْلَةُ الْقَدْرِ تَعْدِلُ عِبَادَتَهَا عِبَادَةُ أَلْفِ شَهْرٍ، بُتِّتَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» [منفق عليه].

﴿نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ أي: يَكْثُرُ نَزْلُ الْمَلَائِكَةِ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ لِكَثْرَةِ بَرَكَتِهَا، وَالْمَلَائِكَةُ يَنْتَزِلُونَ مع نَزْلِ الْبَرَكَةِ وَالرَّحْمَةِ، كَمَا يَنْتَزِلُونَ عِنْدَ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَبِحِطْوَانِ بَجَلِّ الذِّكْرِ، وَيَضَعُونَ أَجْنَحَهُمْ لَطَالِبِ الْعِلْمِ بِصُنْقٍ مُعْظِيًا لَهُ. وَأَمَّا الرُّوحُ فَقِيلَ: المراد به ههنا جبريل عَلَيْهِ السَّلَام، فيكون من باب عطف الخاص على العام. وقيل: هم ضَرْبٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ. والله أعلم.

﴿مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ قال مجاهد: سلام هي من كل أمر. وقال: هي سالة، لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سُوءًا أَوْ يَعْمَلَ فِيهَا أَدَى. وقال قتادة وغيره: تُقْضَى فِيهَا الْأُمُورُ، وَتُقَدَّرُ الْأَجَالُ وَالْأَرْزَاقُ؛ كَمَا قَالَ



## ● الوقفات التدريبية

### ❶ ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾

كون إنزال القرآن هنا في الليل دون النهار مشعر بفضل اختصاص الليل. وقد أشار القرآن والسنة إلى نظائره، فمن القرآن قوله تعالى: (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً)، ومنه قوله: (ومن الليل فتهدى به نافلة لك)، (ومن الليل فسبحه وأدبار السجود)، (إن ناشئة الليل هي أشد وطناً وأقوم قيلاً)، وقوله: (كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون)، ومن السنة قوله: (إذا كان ثلث الليل الآخر ينزل ربنا إلى سماء الدنيا) الحديث. وهذا يدل على أن الليل أخص بالنفحات الإلهية، وتجليات الرب سبحانه لعباده؛ وذلك لخلو القلب وانقطاع الشواغل وسكون الليل، ورهبتة أقوى على استحضر القلب وصفائه. الشنقيطي: ٣٨/٩.

السؤال: بين سبب ذكر إنزال القرآن هنا في الليل دون النهار.

### ❷ ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾

الضمير في أنزاله للقرآن؛ دل على ذلك سياق الكلام، وفي ذلك تعظيم للقرآن من ثلاثة أوجه: أحدها أنه ذكر ضميره دون اسمه الظاهر دلالة على شهرته والاستغناء عن تسميته، الثاني أنه اختار لإنزاله أفضل الأوقات، والثالث أن الله أسند إنزاله إلى نفسه. ابن جزري: ٥٩٣/٢.

السؤال: دلت الآية على تعظيم القرآن من عدة أوجه، بينها.

❶ ﴿ لَوْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُتَفَكِّينَ ﴾  
دل ذلك على غاية العوج لأهل الكتاب؛ لأنهم كانوا لما عندهم من العلم أولى من المشركين بالاجتماع على الهدى، ودل ذلك على أن وقوع اللدود والعناد من العالم أكثر. البقاعي: ٩٢/٢٢.

السؤال: لماذا قدم أهل الكتاب على المشركين في اللوم؟

### ❷ ﴿ وَمَا نَفَرَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ ﴾

وإنما خص الذين أوتوا الكتاب بالذكر هنا بعد ذكرهم مع غيرهم في أول السورة؛ لأنهم كانوا يعلمون صحة نبوة سيدنا محمد بما يجنون في كتبهم من ذكرهم. ابن جزري: ٥٩٧/٢.

السؤال: لم خص الله أهل الكتاب بالذكر في هذه الآية، مع أنه ذكرهم في بداية السورة مع غيرهم؟

### ❶ ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ عَظِيمًا لَهُ الدِّينُ حُفَاءً وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾

(وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء) أي: متحفين عن الشرك إلى التوحيد. (ويقوموا الصلاة) وهي أشرف عبادات الدين، (ويؤتوا الزكاة) وهي الإحسان إلى الفقراء والمحتاجين. (وذلك دين القيمة) أي: الملة القائمة العادلة، أو الأمة للمستقيمة العادلة. وقد استدل كثير من الأئمة - كالزهري والشافعي - بهذه الآية الكريمة على أن الأعمال داخلية في الإيمان. ابن كثير: ٤٠/٤.

السؤال: كيف تدل الآية على مذهب أهل السنة والجماعة في أن الإيمان: تصديق بالجنان، وقول باللسان، وعمل بالأركان؟

### ❶ ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ عَظِيمًا لَهُ الدِّينُ حُفَاءً وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾

وخص الصلاة والزكاة بالذكر مع أنهما داخلان في قوله: (ليعبدوا الله مخلصين له الدين) لفضلهما وشرفهما، وكونهما العبادتين اللتين من قام بهما قام بجميع شرائع الدين. السعدي: ٩٣٢.

السؤال: لماذا خص الصلاة بالذكر مع أنهما داخلتان في العبادة؟

### ❶ ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ عَظِيمًا لَهُ الدِّينُ حُفَاءً ﴾

وفي هذا دليل على وجوب النية في العبادات؛ فإن الإخلاص من عمل القلب؛ وهو أن يراد به وجه الله تعالى لا غير. القرطبي: ٤١٢/٢٢.

السؤال: ما الأصل العظيم الذي تدل عليه الآية؟

أَرَدَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ۖ أَتَذْكُرُ الْمَوْلَى ۚ أَلَمْ يَعْلَمِ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ۚ كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ۖ نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۖ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ۚ سَنَكْفُرُ عَنْ رِيبَانِيَّةٍ ۖ كَلَّا لَا تَطْلُعُ وَلَا تَسْجُدُ ۖ وَاقْرَبِ ۖ

سُورَةُ الْقَدْرِ ۝ ١ ۝

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۖ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۖ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَرْجُ مِائَةِ أَلْفِ شَهْرٍ ۖ نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ۖ سَلَّمَ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ۖ

سُورَةُ الْبَقَرَةِ ۝ ١ ۝

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
لَوْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُتَفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ۖ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَقُولُ حَقًّا مَطْهُرَةً ۖ فِيهَا كُتِبَ قِيسَةٌ ۖ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ أَلْبَيِّنَةُ ۖ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ۖ

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
لَنَسْفَعًا	لَنَأْخُذَنَّهُ أَخْذًا عَنِيفًا فَتَطْرَحُهُ فِي النَّارِ.
نَادِيَهُ	أَهْلَ مَجْلِسِهِ مِنْ قَوْمِهِ، وَعَشِيرَتِهِ.
الرِّيبَانِيَّةُ	مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ.
مُتَفَكِّينَ	تَارِكِينَ كُفْرَهُمْ.
كُتِبَ قِيسَةٌ	أُخْبِرَ صَادِقَةً، وَأَوْمِرَ عَادِلَةً.

## ● العمل بالآيات

١. قل: اللهم خذ بناصيتي للبر والتقوى، ﴿ كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴾ ناصية كاذبة خاطئة.
٢. تقرب إلى الله بسجود عبادة من: شكر أو تلاوة أو صلاة، عند موجيها وسببها، ﴿ كَلَّا لَا تَطْلُعُ وَلَا تَسْجُدُ ۖ وَاقْرَبِ ﴾.
٣. ذكر من حولك بأهمية الإخلاص في العبادة، ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ عَظِيمًا لَهُ الدِّينُ حُفَاءً ﴾.

## ● التوجيهات

١. فضل ليلة القدر وما فيها من الخيرات، ﴿ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَرْجُ مِائَةِ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ۖ سَلَّمَ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ.
٢. الحرص على الاجتماع على كتاب الله وسنة رسوله ونبيذ الافتراق، ﴿ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ ﴾.
٣. من أفضل الأعمال بعد التوحيد: الصلاة التي هي حق لله، والزكاة التي هي حق للخلق، ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ عَظِيمًا لَهُ الدِّينُ حُفَاءً وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾

لأنهم لم يبق لهم أمنية إلا إعطاهموها، مع علمهم أنه متفضل في جميع ذلك، لا يجب عليه لأحد شيء، ولا يقدره أحد حق قدره؛ فلو اخذ الخلق بما يستحقونه أهلكتهم. وأعظم نعمه عليهم ما من عليهم به من متابعتهم رسول الله؛ فإن ذلك كان سبباً لكل خير. البقاعي: ١٩٨/٢٢.

السؤال: ما دلالة قوله: (ورضوا عنه)؟

﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٌ يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾

الخشية ملاك السعادة الحقيقية والفوز بالمراتب العلية؛ إذ نولها لم تترك المناهي والمعاصي، ولا استعد ليوم يؤخذ فيه بالأقدام والنواصي. الألوسي: ٤٣١/١٥.

السؤال: ما معنى الخشية؟

﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٌ يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾

فمن خاف ربه هذا الخوف انشق من جميع ما عنده مما لا يليق بجنابه سبحانه، ولم يقدح في البيعة ولا توقف فيها. وما فارق الخوف قلباً إلا خرب. البقاعي: ١٩٩/٢٢.

السؤال: ما علامة خشية العبد من ربه؟

﴿يَوْمَئِذٍ تُحَرِّثُ أَخْبَارَهَا﴾

تشهد على العاملين بما عملوا على ظهرها من خير وشر؛ فإن الأرض من جملة الشهود الذين يشهدون على العباد بأعمالهم. السعدي: ٩٣٢.

السؤال: ما السلوك العملي الذي تستفيد من هذه الآية؟

﴿يَوْمَئِذٍ يَصُدُّ أُنَاسٌ أُنَاسًا لِيُرَوُا أَعْمَالَهُمْ﴾

ما من أحد يوم القيامة إلا ويطلع نفسه؛ فإن كان محسناً فيقول: لم لا ازددت إحساناً؟ وإن كان غير ذلك يقول: لم لا نزعزت عن المعاصي؟ وهذا عند معاينة الشواب والعقاب. وكان ابن عباس يقول: اشتاقا: متفرقين على قدر أعمالهم. القرطبي: ٤٣٧/٢٢.

السؤال: ما الحكمة من رؤية الناس أعمالهم في هذا الموقف؟

﴿فَمَنْ يَمْلِكُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۖ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَمْلِكُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾

المنقال هو الوزن، والذرة هي النملة الصغيرة، والرؤية هنا ليست برؤية بصر، وإنما هي عبارة عن الجزاء. وذكر الله مثقال الذرة تنبيهاً على ما هو أكثر منه من طريق الأولى؛ كأنه قال: من يعمل قليلاً أو كثيراً. ابن جزي: ٦٠٠/٢.

السؤال: على أي شيء يدل ذكر مثقال الذرة في الآية؟

﴿فَمَنْ يَمْلِكُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۖ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَمْلِكُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾

عن أنس، أن رسول الله قال: (إن الله لا يظلم المؤمن حسنة، يثاب عليها الرزق في الدنيا، ويجزي بها في الآخرة وأما الكافر فيعطيها بها في الدنيا، فإذا كان يوم القيامة لم تكن له حسنة). الطبري: ٥٥٣/٢٤.

السؤال: إن الله عدل لا يظلم أحداً، ومع ذلك الكافر لا يجد يوم القيامة الخير الذي عمله في الدنيا، كيف ذلك؟

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي تَارِيحِهِمْ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿١﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٢﴾ جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٌ يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴿٣﴾

سُورَةُ الزُّلْفَةِ الْبَارِيَّةِ الْبَارِيَّةِ

يَسْمُوهُ اللَّهُ الرَّحْمَةَ الرَّحْمَةَ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۖ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَفْقَالَهَا ۖ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ۚ يَوْمَئِذٍ تُخْبِثُ أَخْبَارَهَا ۚ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۚ يَوْمَئِذٍ يَصُدُّ رُكُوسًا أَشْتَاتًا لِيُرَوُا أَعْمَالَهُمْ ۚ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۚ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۚ

سُورَةُ الصَّادَاتِ الْبَارِيَّةِ الْبَارِيَّةِ

يَسْمُوهُ اللَّهُ الرَّحْمَةَ الرَّحْمَةَ وَالْعَدِيدَاتِ صُبْحًا ۖ فَأَلْمُورِيكَ قَدَحًا ۖ فَأَلْمُغِيرَتِ صُبْحًا ۖ فَأَتَرْنَ بِهِ نَقْعًا ۖ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ۖ

## ● معاني الكلمات

المعنى	الكلمة
يَرْجِعُونَ عَنْ مَوْقِفِ الْحِسَابِ.	يَصُدُّ النَّاسُ
أَصْنَافًا مُتَفَرِّقِينَ.	أَشْتَاتًا
قَسَمَ بِالْخَيْلِ الْجَارِيَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، حِينَ يَظْهَرُ صَوْتُهَا مِنْ سُرْعَةِ عَدْوِهَا.	وَالْعَادِيَاتِ صُبْحًا
فَالْمُورِيَاتِ قَدَحًا	فَالْمُورِيَاتِ قَدَحًا
فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا	فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا
فَهَجْن.	فَأَتَرْنَ
غُبَارًا.	نَقْعًا
فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا	فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا

## ● العمل بالآيات

١. صل ركعتين في مكان تحب أن يشهد لك يوم القيامة، ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَرِّثُ أَخْبَارَهَا﴾.
٢. حاسب نفسك هذه الليلة على ما عملت من خير وشر، ﴿فَمَنْ يَمْلِكُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۖ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَمْلِكُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾.
٣. تبسم في وجه أخيك المسلم، وأمط الأذى عن طريق الناس؛ فإن هذه الأعمال لا تكلف شيئاً وأجرها كبير، ﴿فَمَنْ يَمْلِكُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾.

## ● التوجيهات

١. أهل الإيمان والعمل الصالح هم خير الخليقة، ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾.
٢. شدة أهوال يوم القيامة، ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾.
٣. الأصل في الموت المفاجأة، ﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾.

عنهم. وقوله: ﴿يَوْمَيزِ يَصْدُرُ النَّاسُ﴾ أي: يرجعون عن مواقف الحساب، ﴿أَشْنَأًا﴾ أي: أنواعًا وأصنافًا، ما بين شقي وسعيد، مأمور به إلى الجنة، ومأمور به إلى النار. قال ابن جريج: يتصدعون أشنأًا فلا يجتمعون آخر ما عليهم. وقال السدي: ﴿أَشْنَأًا﴾ قِرْقًا.

﴿يَسْرُوا أَعْمَلَهُمْ﴾ أي: ليُعلموا ويُجازوا بما عملوه في الدنيا، من خير وشر. ولهذا قال: ﴿فَمَنْ يَسْمَلْ يَشْفَكَلْ دَرَزُوا حَيْرًا يَرَهُ﴾ ٧ ﴿وَمَنْ يَسْمَلْ يَشْفَكَلْ دَرَزُوا شَرًّا يَرَهُ﴾.

عن أبي هريرة: سُئل رسول الله ﷺ عن الحُفَرِ، فقال: «ما أُنزلَ الله فيها شيئًا إلا هذه الآية الفاذة الجامعة: ﴿فَمَنْ يَسْمَلْ يَشْفَكَلْ دَرَزُوا حَيْرًا يَرَهُ﴾ ٧ ﴿وَمَنْ يَسْمَلْ يَشْفَكَلْ دَرَزُوا شَرًّا يَرَهُ﴾» [متفق عليه].

### تفسير سورة العاديات

وهي مكية، [وعدد آياتها (١١) آية].

الآية (٥-١): ﴿وَالْعَلَدِيَّتْ صَبَحًا﴾ يقسم تعالى بالخيّل إذا أُجريت في سبيله قَعَدَتْ وَصَبَحَتْ، وهو: الصوت الذي يُسمع من القُرس حين تَمْدُو. ﴿وَاللَّيْلِيَّتْ قَدَحًا﴾ يعني: اصطكاك نعلها للصحفر فتَقْدَح منه النار. ﴿وَاللَّيْلِيَّتْ صَبَحًا﴾ يعني: الإغارة وقت الصباح، كما كان رسول الله ﷺ يُغِيرُ صباحًا، ويستمع الأذان، فإن سمع أذانًا وإلا أغار، ﴿وَالنَّارُ يَوْمَ نَقَعًا﴾ يعني: غبارًا في مكان معترك الخيول، ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمًّا﴾ أي: تَوَسَّطْنَ ذلك المكان كُلُّهُنَّ مُجِع.

عن عليّ وابن مسعود: ﴿وَالْعَلَدِيَّتْ صَبَحًا﴾: الإبل. وقال ابن عباس: هي الخيل. فبلغ عليًّا قول ابن عباس، فقال: ما كانت لنا خيل يوم بدر. قال ابن عباس: إنها كان ذلك في سرية يُعَيِّثُ. وقد قال يقول علي: إنها الإبل جماعة. منهم: إبراهيم وعبيد بن عمير، ويقول ابن عباس آخرون، منهم: مجاهد وعكرمة وعطاء وقتادة والضحاك. واختاره ابن جرير.

وقال أكثر هؤلاء في قوله: ﴿وَاللَّيْلِيَّتْ قَدَحًا﴾ يعني: بحوافرها. وقيل: نيران القبائل. قال ابن جرير: والصواب أنها الخيل حين تقدح بحوافرها. وقوله ﴿وَاللَّيْلِيَّتْ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وقتادة: يعني إغارة الخيل «صَبَحًا» في سبيل الله. وقال من فسرّها بالإبل: هو الدَفْعُ صَبَحًا من المزدلفة إلى منى. وقالوا كلهم في قوله: ﴿وَالنَّارُ يَوْمَ نَقَعًا﴾ هو: المكان الذي إذا حُلَّتْ فيه أثارَت به الغبار، إما في حج أو غزو.

﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمًّا﴾ قال ابن عباس وعطاء وعكرمة وقتادة والضحاك: يعني جمع الكفار من العدو. ويُحْتَمَلُ أن يكون: فَوَسَطْنَ بذلك المكان جميعَهُنَّ، ويكون «جَمًّا» منصوبًا على الحال المؤكدة.

الآية (٦-٧): يُخْبِر تعالى عن مآل الفجار، من كفر أهل الكتاب، والمشرّكين المخالفين لكتُب الله المنزل وأنبياء الله المُرسَلَة: أنهم يوم القيامة ﴿فِي نَارٍ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أي: ماكثين، لا يُجَوِّلون عنها ولا يَزُولُون. ﴿أُولَئِكَ هُمُ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ أي: شَرُّ الخَلِيقَة التي يَرَاهَا الله وذُرَّاهَا. ثم أَخْبَرَ تعالى عن حال الأبرار -الذين آمنوا بقلوبهم، وَعَمِلُوا الصالحات بأبدانهم- بأنهم خير البرية. وقد استدل بهذه الآية أبو هريرة وطائفة من العلماء، على تفضيل المؤمنين من البرية على الملائكة، لقوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾.

الآية (٨): ﴿جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ أي: يوم القيامة ﴿جَنَّتْ عَنِّي نَبْرَى مِنْ نَحْيِ الْأَنْهَارِ خَلِيلِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ أي: بلا انفصال ولا انقضاء ولا فراغ، ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ ومقام رضاه عنهم أعلى ممّا أُوتوه من النعيم المُؤَقِّم، ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ فيها مَنَحَهُمْ من الفضل المميم، ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ أي: هذا الجزاء حاصل لمن خَشِيَ الله وأَتَقَاهُ حَقَّ تَقْوَاهُ، وَعَبَدَهُ كَأَنَّهُ يَرَاهُ، وقد عَلِمَ أنه إن لم يَرَهُ فإنه يَرَاهُ.

### تفسير سورة إذا زلزلت

وهي مكية، [وعدد آياتها (٨) آيات].

الآية (٨-١): ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ قال ابن عباس: أي: تحركت من أسفلها. ﴿وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ يعني: ألْقَتْ ما فيها من الموتى. قاله غير واحد من السلف. وهذه بقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَثْقَالًا رَبِّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ النَّاسِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١٦]، وكقوله: ﴿وَلِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ٢﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ [الانشقاق: ٣-٤]. وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «تَقِيءُ الأرضُ أَفْلاذَ كَيْدِهَا أَمْنَالِ الْأَسْطُوتَانِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، فَيُجِيءُ الْقَاتِلُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَتَلْتُ، وَيُجِيءُ الْقَاطِعُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَطَعْتُ رَجَمِي، وَيُجِيءُ السَّارِقُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَطِيعْتُ يَدِي، ثُمَّ يَدْعُوهُنَّ فَلَا يَأْخُذْنَ مِنْهُ شَيْئًا» [رواه مسلم].

﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا؟﴾ أي: استنكر أمرها بعدما كانت قارئة ساكنة ثابتة، وهو مُسْتَقَرٌّ على ظهرها، أي: تَقَلَّبَتْ الحال، فصارت متحركة مضطربة، قد جاءها من أمر الله ما قد أُعِدَّ لها من الزلزال الذي لا يُحِيدُ لها عنه، ثم أَلْقَتْ ما في بطنها من الأموات من الأولين والآخرين، وحيتنئذ استنكر الناس أمرها وتبدلت الأرض غير الأرض والسموات، وبرزوا لله الواحد القهار. ﴿يَوْمَيزِ يَحْدُثُ أَخْبَارًا﴾ أي: تُحْدِثُ بها عَمَلُ العاملون على ظهرها.

﴿إِنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾ قال البخاري: أَوْحَى لها وَأَوْحَى إليها، وَأَوْحَى لها وَأَوْحَى إليها: واحد. وكذا قال ابن عباس: ﴿أَوْحَى لَهَا﴾ أي: أَوْحَى إليها. والظاهر أن هذا مُضْمَنٌ بمعنى أَيْدَى لها. وقال ابن عباس: ﴿يَوْمَيزِ يَحْدُثُ أَخْبَارًا﴾ قال: قال لها ربها: قولي، فقالت. وقال مجاهد: ﴿أَوْحَى لَهَا﴾ أي: أَمَرَهَا. وقال الفُرطني: أَمَرَهَا أن تنشق

عن أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «نار بني آدم -التي تُوقدون- جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم» [رواه البخاري].

### تفسير سورة النكار

وهي مكية، [وعدد آياتها (٨) آيات].  
الآية (١-٨): ﴿الْهَلْكُمْ الْفَكَارُ﴾ يقول تعالى: [سَعَلَكُمْ] حُبُّ الدنيا ونعيمها وزهرتها عن طلب الآخرة وابتغائها، وتعماد بكم ذلك حتى جاءكم الموت ووزَّعتم المقابر، وصرَّتم من أهلها. وقال الحسن البصري: ﴿الْهَلْكُمْ الْفَكَارُ﴾ في الأموال والأولاد.

وعن مطرف بن عبد الله بن الشخير عن أبيه قال: انتهيتُ إلى رسول الله ﷺ وهو يقول: «﴿الْهَلْكُمْ الْفَكَارُ﴾ يقول ابن آدم: مالي! مالي! وهل لك من مالك إلا ما أَكَلْتَ فَأَقْتَرْتُ، أو لبستُ فأَبْلَيْتُ، أو تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتُ؟» [رواه مسلم]. «﴿وَزَّعْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ أي: صرَّتم إليها ودَفَنْتُمْ فيها.

كما جاء في الصحيح: أن رسول الله ﷺ دخل على رجل من الأعراب يعمده، فقال: «لا بأس، طهور إن شاء الله». فقال: قلت: طهور؟! بل هي حمى تغور، على شيخ كبير، تزيره القبور! قال: «نعم إذا» [رواه البخاري]. ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ قال الحسن البصري: هذا وعيد بعد وعيد. وقال الضحاك: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ يعني: الكفار، ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ يعني: أيها المؤمنون. ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ أي: لو علمتم حقَّ العلم، لَمَّا أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ عَنْ طَلَبِ الدَّارِ الْآخِرَةِ، حتى صرَّتم إلى المقابر. ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ هذا تفسير الوعيد المتقدم، وهو قوله: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ تَوَعَّدَهُمْ بهذا الحال، وهي رؤية النار، التي إذا زُفِرَتْ زَفْرَةً خَرَّ كُلُّ مَلَكٍ مُقَرَّبٍ، ونبى مُرْسَلٌ على ركبته، من المهابة والعظمة ومعابنة الأحوال. ﴿لَتُرَى لَئِنَّكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهَذَا النَّبِيِّ﴾ أي: ثم لَتَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنْ شُكْرٍ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْكُمْ، من الصحة والأمن والرزق وغير ذلك [وماذا] قائلتم به نعمه من شكره وعبادته؟

وعن أبي هريرة قال: بينا أبو بكر وعمر جالسان، إذ جاءهما النبي ﷺ فقال: «ما أجلسكما ههنا؟» قالا: والذي بعثك بالحق ما أخرجنا من بيوتنا إلا الجوع. قال: «والذي بعثني بالحق ما أخرجني غيره». فانطلقوا حتى أتوا بيت رجل من الأنصار... فَنَبَّحَ لَهُمْ يَوْمَئِذٍ، فأكلوا. فقال النبي ﷺ: «لَتَسْأَلَنَّ عَنْ هَذَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَخْرَجَكُمْ مِنْ بَيْتِكُمُ الْجُوعُ، فَلَمْ تَرْجِعُوا حَتَّى أَصَبْتُمْ هَذَا، فَهَذَا مِنَ النَّبِيِّ» [رواه مسلم].  
وقال الزبير: لَمَّا تَزَلَّتْ: ﴿لَتُرَى لَئِنَّكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهَذَا النَّبِيِّ﴾ قالوا: يا رسول الله، لأيِّ نعم تُسأل عنه، وإنا هما الأسودان التمر والماء؟ قال: «إن ذلك سيكون» [رواه أحمد والترمذي وابن ماجه، وصححه الألباني].  
وقال مجاهد: عن كل لذة من لذات الدنيا.

وقال الحسن: نعيم الغداء والعشاء. وقول مجاهد هذا أشمل هذه الأقوال. وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «نعمتان مغبون فيها كثير من الناس: الصحة والفراغ» [رواه البخاري]. ومعنى هذا: أنهم مُقَصَّرُونَ في شُكْرِ هَاتَيْنِ النعمتين، لا يقومون بواجبها، ومن لا يقوم بحق ما وَجَبَ عليه، فهو مغبون.

الآية (٦-١٠): ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾. هذا هو المقسم عليه، بمعنى: أنه نعم ربه لجحود كفور. قال ابن عباس ومجاهد وإبراهيم النخعي وسعيد بن جبير والحسن وقادة: الكنود: الكفور. قال الحسن: هو الذي يَعدُّ المصائب، وَيَسْتَيْسِرُ نِعَمَ ربه.

﴿وَأَنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ قال قتادة وسفيان الثوري: وإن الله على ذلك لشهيد. وَيَحْتَمِلُ أَنْ يعود الضمير على الإنسان، قاله محمد بن كعب القرظي، فيكون تقديره: وإن الإنسان على كونه كنوداً لشهيد، أي: بلسان حاله، أي: ظاهر ذلك عليه في أقواله وأفعاله.  
﴿وَأَنَّهُ لِحِبِّ الْآخِرِ﴾ وهو: المال «لَشَدِيدٌ». وفيه مذهبان: أحدهما: أن المعنى: وإنه لشديد المحبة للمال. والثاني: وإنه لحريص بخيل، من حبة المال. وكلاهما صحيح.

ثم قال تعالى مُرْهَدًا في الدنيا، وَمُرْعَبًا في الآخرة، وَمُنْهَبًا على ما هو كائن بعد هذه الحال، وما يَسْتَقْبِلُهُ الإنسان من الأحوال: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ رَمًا فِي الْقُبُورِ﴾ أي: أَخْرَجَ ما فيها من الأموات. ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ قال ابن عباس وغيره: يعني أَبْرَزَ وأَظْهَرَ ما كانوا يُبْشِرُونَ في نفوسهم.

الآية (١١): ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِمَا يَكُونُ لَكُمْ حِسْرَةً﴾ أي: العالم بجميع ما كانوا يصنعون ويعملون، ومجازهم عليه أوفر الجزاء، ولا يظلم مثقال ذرة.

### تفسير سورة القارعة

وهي مكية، [وعدد آياتها (١١) آية].  
الآية (١-١١): ﴿الْقَارِعَةُ﴾: من أساء يوم القيامة؛ كالحاقة، والطامة، والصَّاحَّةُ، والغاشية، وغير ذلك.  
ثم قال تعالى معظمًا أمرها ومهولًا لشأنها: ﴿وَمَا أَذْرَكَ مَا أَقَارِعُ﴾ ثم قَسَرَ ذلك بقوله: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُورِ﴾ في انتشارهم وتَفَرُّقهم، وذهابهم ومحيثهم، من حيرتهم مما هم فيه، كأنهم فَرَّاش مَبْثُورٌ، كما قال في الآية الأخرى: ﴿بَرْدًا شَدِيدٌ﴾ [الفر: ١٧]. وقوله: ﴿وَتَكُونُ أَلْجَاءُ كَالْهَيْبِ الْمَفْشُورِ﴾ قال مجاهد [وغيره]: «كَالْهَيْبِ»: الصوف. يعني: قد صَارَتْ كأنها الصُوفُ المَفْشُورُ، الذي قد شَرَعَ في الذهاب والتَفَرُّقِ.

ثم أخبر تعالى عما يُؤَوَّلُ إليه عمل العاملين، وما يصيرون إليه من الكرامة أو الإهانة، بحسب أعمالهم، فقال: ﴿فَأَمَّا مَنْ تَقَلَّتْ مُوزِنُهُ﴾ أي: رَجَحَتْ حسناته على سيئاته، ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ يعني: في الجنة. ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مُوزِنُهُ﴾ أي: رَجَحَتْ سيئاته على حسناته، ﴿فَأَمَّهُ هَكَايَةً﴾ قيل: معناه: فهو ساقط هارب بأم رأسه في نار جهنم. وَعَبَّرَ عنه بأمه -يعني دماغه- رُوي نحو هذا عن ابن عباس وعكرمة وقادة، قال قتادة: يهوي في النار على رأسه. وقيل: معناه: ﴿فَأَمَّهُ﴾ التي يرجع إليها، ويصير في المعاد إليها «هَكَايَةً»، وهي اسم من أساء النار. قال ابن جرير: وإنا قيل: للهاوية أمه؛ لأنه لا ماؤى له غيرها. وقال ابن زيد: الهاوية: النار، هي أمه وماؤاه التي يرجع إليها ويأوي إليها، وقرأ: ﴿وَمَا أَوْهِنُهُمْ أَكْثَرُ﴾ [قال عمران: ١٥١]. وعن قتادة أنه قال: هي النار، وهي ماؤاهم. ولهذا قال تعالى مُقَسِّرًا للهاوية: ﴿وَمَا أَذْرَكَ مَا هِيَ﴾ ﴿نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ أي: حارة شديدة الحر، قوية اللهب والسعير.



## ● الوقفات التدبيرية

﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴾

ذلك؛ إلا إذا عصمه الله تعالى بلطفه وتوفيقه. الألويسي: ٤٤٥/١٥.

**السؤال: ما موقفك بعد أن علمت أن أكثر الناس لا يشكرون الله سبحانه؟**

﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾

أي: كثير الحب للمال، وحبه ذلك هو الذي أوجب له ترك الحقوق الواجبة عليه؛ قدم شهوة نفسه على حق ربه؛ كل هذا لأنه قصر نظره على هذه الدار، وغفل عن الآخرة. السعدي: ٩٣.

**السؤال: ما تأثير شدة حب الإنسان للمال على سلوكه الأخلاقي؟**

﴿ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ رَمَا فِي الْقُبُورِ ۖ ﴾ ① وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴿

وَجَمَعَ سَبَاحَانَهُ بَيْنَ الْقُبُورِ وَالصُّدُورِ ... فَإِنَّ الْإِنْسَانَ يُوَارِي صَدْرَهُ مَا فِيهِ  
مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَيُوَارِي قَبْرَهُ جَسَمَهُ؛ فَيُخْرِجُ الرَّبُّ جَسَمَهُ مِنْ قَبْرِهِ،  
وَسُورَهُ مِنْ صَدْرِهِ؛ فَيُصَيِّرُ جَسَمَهُ بَارِزًا عَلَى الْأَرْضِ، وَسُورَهُ بَادِيًا عَلَى  
وَجْهِهِ. ابن القيم: ٣/٣٥٢-٣٥٣.

**السؤال: لماذا جمع بين الصدور والقبور في سياق واحد؟**

﴿الْمَكْمُؤُتِ الْكَائِرُ﴾

هذا خبر يراد به الوعد والتوبيخ، ومعنى (الهاكم): شغلهم، (والنكاش): المبلغة بكثرة المال والأولاد، وأن يقول هؤلاء: «نحن أكثر» ويقول هؤلاء: «نحن أكثر». ولما قرأها النبي قال: (يقول ابن آدم: مالي مالي. وليس لك من مالك إلا ما أكلت فأفانيت، أو لبست فألبيت، أو تصدقت فأفضيت). ابن جزى ٦٥٠/٢.

**السؤال: ما المراد بهذا الخبر؟ مع ذكر بعض صور التكاثر.**

● (الْمَكْمُوكُ الْكَائِرُ)

ولم يذكر التكاثر به؛ ليشمل ذلك كل ما يتكاثر به المتكاثرون، ويفتخر به المفتخرون من: التكاثر في الأموال، والأولاد، والأنصار، والجنود، والخدم، والجاه، وغير ذلك مما يقصد به مكاثرة كل واحد للآخر، وليس المقصود به الإخلاص لله تعالى. السعدي: ٩٣.

**السؤال: لماذا لم يذكر المتكاثرون؟**

﴿ حَقِّ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴾

عن قتادة قال: «كانوا يقولون: نحن أكثر من بني فلان، ونحن أعد من بني فلان، وهم كل يوم يتساقطون إلى آخرهم، والله ما زالوا كذلك حتى صاروا من أهل القبور كلهم». (القرطبي: ٢٢/ ٤٤٩-٤٥٠).

**السؤال: ما نهاية تفاخر بني آدم؟**

﴿ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾

أي: عن شكر النعيم؛ فيطالب العبد بأداء شكر نعمته الله على النعيم.

ابن قيمية: ١٧٨/٧.

**السؤال: كيف يسلم العبد من المحاسبة على النعم؟**

إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴿١﴾ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٢﴾ وَلَئِنَّهُ لَيَبْغِي الْخَيْرَ لَشَدِيدٌ ﴿٣﴾ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ إِلَى الْفُجُورِ ﴿٤﴾ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴿٥﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِمَا يَكْمُرُ الْخَيْرُ ﴿٦﴾

آپنا  
۱۱



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْقَارِعَةُ ۝ مَا الْقَارِعَةُ ۝ وَمَا أَذْرَكَ مَا الْقَارِعَةُ ۝ يَوْمَ  
يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ۝ وَتَكُونُ الْجِبَالُ  
كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ۝ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۝ فَهُوَ فِي  
عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ۝ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۝ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ  
۝ وَمَا أَذْرَكَ مَا هِيَ ۝ نَارُ حَامِيَةٍ ۝

ᐱᐱᐱ

益

اللَّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ

أَهْلَكُمْ الْكَافِرُ ۖ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۖ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ ثُمَّ  
 كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٨﴾  
 ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٩﴾ ثُمَّ لَتَنْتَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿١٠﴾

6.

## ● معاني الكلمات

المعنى	الكلمة
لَجَحَوْدٌ.	لَكَوُودٌ
لَمَرُّ عَلَى جُحُودِهِ.	لَشَهِيدٌ
الْمَالِ.	الْخَيْرِ
أَثِيرٌ، وَأُخْرِجَ.	بُعِثَرُ
الْمُنْتَشِرِ.	الْمُبْتَوِثُ
كَالْصُّوفِ الْمَصْبُوعِ بِالْوَانِ مُخْتَلِفَةٍ.	كَالْعِهِنِ
الَّذِي مَرَّقَ، وَنُقِشَ، فَتَفَرَّقَتْ أَجْزَاؤُهُ.	الْمَنْفُوشُ
مَأَوَاهُ إِلَى جَهَنَّمَ يَهْوِي عَلَى رَأْسِهِ.	فَأَمُّهُ هَاوِيَةٌ
حَقَّ الْعِلْمِ.	عِلْمَ الْيَقِينِ
لَتُبْصِرُنَّ جَهَنَّمَ يَقِينًا بَلَا رَيْبَ.	عَيْنَ الْيَقِينِ

## ● العمل بالآيات

١. تصدق بشيء تحبه، ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾.

٢. ثقل موازينك بعدة أعمال صالحة تقوم بها هذا اليوم، ﴿ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴾ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٧﴾

٣. اذهب لزيارة المقابر؛ فإنها تذكر الآخرة، ﴿الْهَيْكَلُ الْكَائِنُ﴾ ١ حَقٌّ  
رَزَمَ الْمَقَابِرَ ٢.

## ● التوجيهات

۱. احذر ان تجحد نعمۃ انعمها الله عليك، ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾

٢. العناية بأعمال القلوب، ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾.

٣. على العبد ألا تشغله الدنيا عن الدين، ﴿الْهَنَـمُ التَّكَاثُرُ﴾ ١ حَتَّى زُرِمَ الْمَقَابِرُ



## ● الوقفات التدريبية

﴿ وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ خَسِرٌ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣ ﴾

قال الشافعي رضي الله عنه: لو فكر الناس كلهم في هذه السورة لكففتهم. وبيان ذلك أن المراتب أربع، باستكمالها يحصل للشخص غاية كماله. إحداها: معرفة الحق. الثانية: عمله به. الثالثة: تعليمه من لا يحسنه. الرابعة: صبره على تعلمه والعمل به وتعليمه. فنذكر تعالى المراتب الأربع في هذه السورة. ابن القيم: ٣/٣٦٥.

السؤال: تضمنت هذه السورة جميع ما يحتاجه المرء لإصلاح نفسه، وضع ذلك ﴿ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ ال التعريف في قوله: (الصالحات) تعريف الجنس مراد به الاستغراق؛ أي عملوا جميع الأعمال الصالحة التي أمروا بعملها بأمر الدين. وعمل الصالحات يشمل ترك السيئات. ابن عاشور: ٣٠/٥٣٢.

السؤال: لماذا عرفت كلمة الصالحات بالألف واللام؟ ﴿ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ فيالأميرين الأولين يكمل الإنسان نفسه، وبالأميرين الآخرين يكمل غيره، ويتكامل الأمور الأربعة يكون الإنسان قد سلم من الخسار، وفاز بالربح العظيم. السعدي: ٩٣٤.

السؤال: ما وجه تخصيص هذه الأمور الأربعة بالذكر؟ ﴿ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ (وتواصوا بالصبر) أي: على المصائب والأقدار، وإذى من يؤدي ممن

يأمرونه بالمعروف وينهونه عن المنكر. ابن كثير: ٤/٥٥١. السؤال: لماذا عطف التواصي بالصبر على التواصي بالحق؟ بين العلاقة بينهما.

﴿ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ. ۝٤ ﴾ المقصود الذم على إمساك المال عن سبيل الطاعة. القرطبي: ٢٢/٤٧١.

السؤال: هل كل جمع للمال مذموم؟ ﴿ بِحَسَبِ أَنْ مَالَهُ أَخْلَدَهُ. ۝٥ ﴾ أي أوصله إلى رتبة الخلد في الدنيا، فأحب ذلك المال كما يحب الخلود،

واقبل على التوسع في الشهوات والأغراض الزائلة عمل من يظن أنه لا يموت. وفيه تعريض بأنه لا يفيد الخلد إلا الأعمال الصالحة المسعدة في الدار الآخرة. البقاعي: ٢٢/٢٤٥.

السؤال: التعلق بالمال له خطورته على مفاهيم الإنسان، وضع ذلك من الآية ﴿ أَلَمْ يَكُنْ عَلَى الْآفِنْدَةِ ۝٦ ﴾ وخص الآفندة مع كونها تغشى جميع أبدانهم لأنها محل العقائد

الزائفة، أو لكون الألم إذا وصل إليها مات صاحبها؛ أي إنهم في حال من يموت وهم لا يمتوتون. الشوكاني: ٥/٤٩٤.

السؤال: لماذا خص الآفندة بأن النار تطلع عليها مع أن النار تطلع على جميع أبدانهم؟

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
هُمَزَةٌ	مُغْتَابٌ لِلنَّاسِ.
لَمَزَةٌ	طَعْنٌ فِي النَّاسِ.
وَعَدَّدَهُ	أَحْصَاهُ.
لِيُنَبِّذَنَّ	لِيُطْرَحَنَّ.
الْحُطْمَةِ	النَّارِ الَّتِي تَهْتِمُ كُلُّ مَا يُلْقَى فِيهَا.
تَطْلُعُ عَلَى الْآفِنْدَةِ	تَنْفُذُ لِيُشَدِّتِهَا مِنْ أَجْسَامِهِمْ إِلَى قُلُوبِهِمْ.
مُؤَصَّدَةٌ	مُطَبَّقَةٌ.
فِي عَمَدٍ مَمْدُودَةٍ	يُعْبَدُونَ فِي أَعْمَدَةٍ طَوِيلَةٍ مِنَ النَّارِ، أَوْ أَنَّ أَبْوَابَهَا مُغْلَقَةٌ بِأَعْمَدَةٍ مَمْدُودَةٍ؛ لِئَلَّا يَخْرُجُوا مِنْهَا.
أَبَابِيبَ	جَمَاعَاتٍ مُتَتَابِعَةٍ.

## ● العمل بالآيات

١. تذكّر همزاً أو لمزاً فعلته ثم استغفر الله، ﴿ وَبَلِّغْ كَلِمَ هَمْزٍ لَمَزَةٍ ﴾.
٢. تصدّق بشيء من مالك، ﴿ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ. ﴾.
٣. بين لزوم ذلك أن الكافرين مهما تجبروا وطفوا فإن مكرهم منقلب عليهم، ﴿ أَلَمْ يَكُنْ كَلِمَةً فِي تَنْبِيلِ ﴾.

## ● التوجيهات

١. أهمية الزمن الذي هو مزرعة الآخرة، ﴿ وَالْعَصْرِ ﴾.
٢. من علامات الأخوة الصالحة التواصي بالحق والصبر، ﴿ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾.
٣. لا تغتر بلئال فيلهيك عن عبادة الله، ﴿ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ. ﴾.

تفسير سورة الفيل

وهي مكية، [وعدد آياتها (٥) آيات].

الآية (١-٥): هذه من النعم التي امتن الله بها على قريش، فيها صرّف عنهم من أصحاب الفيل، الذين كانوا قد غزّموا على هدم الكعبة ونحو أثرها من الوجود، فأبّأهم الله، وأزعم أنافهم، وخيّب سعيهم، وأصل علمهم، ورّدهم بشرّ خيئة. وكانوا نصارى، وكان دينهم إذ ذاك أقرب حالاً مما كان عليه قريش من عبادة الأوثان. ولكن كان هذا من باب الإرهاص والتوطئة لسبب رسول الله ﷺ؛ فإنه في ذلك العام وُلِدَ على أشهر الأقوال، ولسان حال القُدرة يقول: لم تنصركم - يا معشر قريش - على الحَيَّةِ لِخَيْرِ نَيْكَمِ عليهم، ولكن صَيَّاتٍ للبيت العتيق الذي شَسَّرَهُ وَنَعَّظَهُ وَنُوقِرَهُ بِعِثَّةِ النبي الأمي محمد ﷺ خاتم الأنبياء.

قال ابن هشام: الأبايل: الجماعات، ولم تتكلم العرب بواحدة. قال: وأما السجيل، فأخبرني يونس النحوي وأبو عبيدة أنه عند العرب: الشديد الصلب. قال: وذكر بعض المفسرين أنها كلمتان بالفارسية، جعلتها العرب كلمة واحدة، وإنها هو سَجٌّ وجِلٌ يعني بالسنج: الحجر، والجِلُّ: الطين. يقول: الحجارة من هذين الجنسيتين: الحجر والطين. قال: والعصف: ورق الزرع الذي لم يقضب، وحادته عصفه. انتهى ما ذكره. وقال ابن عباس والصحاك: أبايل يَنْبُتُ بعضها بعضاً. وقال الحسن وقتادة: الأبايل: الكثيرة. وقال مجاهد: أبايل: شتى متتابعة مجتمعة. وقال ابن زيد: الأبايل: المختلفة، تأتي من ههنا، ومن ههنا، أنتهم من كل مكان.

وعن ابن عباس: ﴿يَجْعَلُونَ مِنْ سِجِّيلٍ﴾ قال: طين في حجارة. ﴿يَجْعَلُهُمْ كَصَفِّ مَأْكُولٍ﴾ قال سعيد بن جبير: يعني الثَّبن الذي تُسمِّيه العامة: هبور. وفي رواية عن سعيد: وَرَقَ الْحِنْطَةِ. وعنه أيضاً: العَصْف: الثَّبن. والمأكول: القصيل يُجرُّ للدواب. وكذلك قال الحسن. وعن ابن عباس: العَصْف: القشرة التي على الحَبَّة، كالغلاف على الحِنْطَةِ. والمعنى: أن الله سبحانه وتعالى أهلكتهم ودمرتهم، ورّدهم بكيدهم وغيظهم لم ينالوا خيراً، وأهلك عائلتهم، ولم يرجع منهم غير إلا وهو جريح، كما جرى لِمَلِكِهِمْ أَبْرَهَةَ، فإنه انصدع صَدْرُهُ عن قلبه حين وَصَلَ إلى بلده صنعاء، وأخبرهم بما جرى لهم، ثم مات.

ولمّا أطل رسول الله ﷺ يوم الحديبية على الثنية - التي تهبط به على قريش - برَكَتْ ناقته، فَرَجَرُوهَا فَالَحَتْ، فقالوا: خَلَّاتِ القِصَواء، أي: خَرَّتْ. فقال رسول الله ﷺ: «ما خَلَّاتِ القِصَواء، وما ذاك لها بخلق، ولكن خَسَّسَهَا حابِسُ الفِيلِ». ثم قال: «والذي نفسي بيده، لا يسألوني اليوم خُطَّةٌ يُعْظَمُونَ فيها خُرُمَاتُ الله، إلا أَجَبْتُهُمْ إِلَيْهَا» ثم رَجَرَهَا فقامت [رواه البخاري].

وقال يوم فتح مكة: «إن الله حَسَبَ عن مكة الفيل، وسلَّطَ عليها رسوله والمؤمنين، وإنه قد عَادَتْ خُرْمَتُهَا اليوم كخُرْمَتِهَا بالأمس، ألا فليُبْلَغِ الشاهد الغائب» [متفق عليه].

تفسير سورة العصر

وهي مكية، [وعدد آياتها (٣) آيات].

وقال الشافعي: لو تَدَبَّرَ الناس هذه السورة؛ لَوَسَّعَتْهُمْ. الآية (١-٣): ﴿وَالْعَصْرُ﴾: الزمان الذي يقع فيه حركات بني آدم، من خير وشر. وقال زيد بن أسلم: هو العشي، والمشهور الأول. فأقسم تعالى بذلك على أن ﴿إِنسَنَ لِي خَيْرٌ﴾ أي: في خسارة وهلاك، ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ فاستثنى - من جنس الإنسان عن الخسران - الذين آمنوا بقلوبهم، وعملوا الصالحات بجوارحهم، ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ وهو أداء الطاعات، وترك المحرمات، ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ على المصائب والأقذار، وأذى من يؤذي من يأمرونه بالمعروف وينهونه عن المنكر.

تفسير سورة ويل لكل همزة لمزة

وهي مكية، [وعدد آياتها (٩) آيات].

الآية (١-٩): ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ الهماز بالقول، واللماز بالفعل. يعني: يزدرى الناس [ويستقصهم]. قال ابن عباس: ﴿هُمَزَةٌ لُّمَزَةٌ﴾: طعانٌ معيَّاب. وقال الربيع بن أنس: الهمزة: يهزء في وجهه، واللُّمزة من خلفه. وقال قتادة: يهزء ويلمزه بلسانه وعينه، ويأكل لحوم الناس، ويطعن عليهم. وقال مجاهد: الهمزة: باليد والعين، واللُّمزة: باللسان. وهكذا قال ابن زيد. ثم قال بعضهم: المراد بذلك الأخسن بن شريق. وقيل غيره. وقال مجاهد: هي عامة. ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾ أي: جمعه بعضه على بعض، وأحصى عدده؛ كقوله: ﴿جَمَعَ فَأَوْعَى﴾ [المارج: ١٨]. قاله السُّدِّي وابن جرير. وقال محمد بن كعب في قوله: ﴿جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾: ألهاه ماله بالنهار، هذا إلى هذا، فإذا كان الليل نام كأنه جيفة متنتة.

﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ أي: يظن أن جمعه المال يُجَلِّدُهُ في هذه الدار ﴿كَلَّا﴾ أي: ليس الأمر كما زعم ولا كما حَسِبَ. ثم قال تعالى: ﴿يَلْبُدُنَّ﴾ أي: ليُلْقَيْنَ هذا الذي جَمَعَ مَالًا فَعَدَّدَهُ ﴿فِي الْخَطِئَةِ﴾ وهي اسم من أسماء النار صفة؛ لأنها تَحْطُمُ مَنْ فيها. ولهذا قال: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْخَطِئَةُ﴾ تَأْتِي اللَّهُ أَلْوَقْدَةُ ﴿الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأَفِيدَةِ﴾ قال ثابت البناني: تُحْرِقُهُمْ إلى الأفئدة وهم أحياء، ثم يقول: لقد بَلَغَ منهم العذاب، ثم يبيِّن. وقال محمد بن كعب: تأكل كل شيء من جسده، حتى إذا بَلَغَتْ فَوَادَهُ خَذَوُ حَلْفِهِ ترجع على جسده. ﴿إِنَّمَا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ﴾ أي: مُطَبَّقَةٌ ﴿فِي عَذَابٍ مُّذْمَذَمٍ﴾ قال عطية العوفي: عَمَدٌ من حديد. وقال السُّدِّي: من نار. وعن ابن عباس: ﴿فِي عَذَابٍ مُّذْمَذَمٍ﴾ يعني: الأبواب هي الممدودة. وعن ابن عباس: أَدْخَلَهُمْ فِي عَمَدٍ فُئِدَتْ عليهم بعماد، وفي أعناقهم السلاسل فُئِدَتْ بها الأبواب. وقال قتادة: كنا نَتَحَدَّثُ أنهم يُعَذَّبُونَ بِعَمَدٍ في النار. واختاره ابن جرير. وقال أبو صالح: ﴿فِي عَذَابٍ مُّذْمَذَمٍ﴾ يعني القيود الطوال.



.. تفسير سورة لإيلاف قریش ..

وهي مكية، [وعدد آياتها (٤) آيات].

يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ۖ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ [النساء: ١٤٢]، وقال ههنا: ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾.

﴿وَيَتَمَنَّوْنَ أَلْأَمْوَالَ﴾ أي: لا أحسنوا عبادة ربهم، ولا أحسنوا إلى خلقه، حتى ولا بإعارة ما يَتَمَنَّ به ويُسْتَعَان به، مع بقاء عَيْنِهِ ورجوعه إليهم. فهو لا يمنع الزكاة وأنواع القُرْبَاتِ أبوي وأولي. قال عكرمة: رأس الماعون: زكاة المال، وأذناه: المُسْتَعْل، والدلو، والإبرة. وهذا الذي قاله عكرمة حَسَنٌ، ويرجع إلى شيء واحد. وهو ترك المعاونة ببال أو منفعة.

تفسير سورة الكوثر

وهي مدنية، وقيل: مكية، [وعدد آياتها (٣) آيات].

الآية (١-٣): قال ﷺ: «الكوثر نهر وعُدنيه ربي عز وجل عليه كثير، هو حوض تَرُدُّ عليه أمتي يوم القيامة، أتته عند النجوم» [رواه مسلم]. وقال: «دَخَلْتُ الجنة، فإذا أنا بِنَهَرٍ حافتاه خيام اللؤلؤ، فَصُرْبْتُ يدي إلى ما يجري فيه الماء، فإذا مِنِّيكَ أَذْفَر. قُلْتُ: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاكه الله عز وجل» [رواه البخاري]. وعن ابن عباس: الكوثر: هو الخير الذي أعطاه الله إياه. وقال سعيد بن جبير: النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه. وعن ابن عباس قال: الكوثر: الخير الكثير [رواه البخاري]. وهذا التفسير يعم النهر وغيره؛ لأن الكوثر من الكثير، وهو الخير الكثير، ومن ذلك النهر كما قال ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد، حتى قال مجاهد: هو الخير الكثير في الدنيا والآخرة. وقد صرح عن ابن عباس أنه فَسَّرَهُ بالنهر أيضًا. ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ أي: كما أعطيناك الخير الكثير في الدنيا والآخرة -ومن ذلك النهر الذي تقدم صفته- فأُخْلِصْ لربك صلاتك المكتوبة والنافلة وَانْحَرْ؛ فاعبده وحده لا شريك له، وانحر على اسمه وحده لا شريك له؛ كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ صَلَّيْتَ وَشُكِّرْتَ وَمَحَمَّاتٌ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشورى: ١٦] وَوَيْدَكَ الْأَمْرُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]. وقيل في المراد بقوله ﴿وَانْحَرْ﴾ أقوال، قال ابن جرير: والصواب قول من قال: معنى ذلك: فاجعل صلاتك كلها لربك خالصًا دون ما سواه من الأنداد والألهة، وكذلك تَحَرَّكْ اجعله له دون الأوثان؛ شُكْرًا له على ما أعطاك من الكرامة والخير، الذي لا كَيْفَاءَ له، وَخَصَّكَ به. وهذا الذي قاله في غاية الحسن، وقد سبقه إلى هذا: محمد بن كعب القرظي وعطاء. ﴿إِنَّكَ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ أي: إنِّي مُبْغِضٌ يَا مُحَمَّد، وَمُبْغِضٌ مَا جِئْتُ بِهِ مِنْ الْهُدَى وَالْحَقِّ وَالْبِرِّ هَانِ السَّاطِعِ وَالنَّورِ الْمُبِينِ، هُوَ الْأَبْتَرُ الْأَقْلُ الْأَذَلُّ الْمَنْقُوعُ ذِكْرُهُ. قال ابن عباس ومجاهد وسعيد ابن جبير وقتادة: نَزَلَتْ في العاص بن وائل. [سبب النزول]: عن ابن عباس قال: قدم كعب بن الأشرف مكة فقالت له قريش: أنت سيدهم ألا ترى إلى هذا الصَّخْبِ<sup>(١)</sup> المنبر من قومه يزعم أنه خير منا، ونحن أهل الحجج، وأهل السدانة وأهل السقاية؟! فقال: أنتم خير منه. قال: فنزلت: ﴿إِنَّكَ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾. رواه الزبار، وهو إسناد صحيح. وعن ابن عباس: ﴿شَانِئَكَ﴾ يعني: عدوك. وهذا يُمْمُ جَمِيعٌ مِنْ اتَّصَفَ بِذَلِكَ مِنْ ذِكْرِ وَغَيْرِهِمْ. تَوَّعُّوا لجهلهم أنه إذا مات بَوَّهْ ينقطع ذِكْرُهُ، وحاشا وكَلَّا، بل قد أَبْقَى الله ذِكْرَهُ على رؤوس الأشهاد، وَأَوْجَبَ شرعه على رقاب العباد، مستمرًا على دوام الأباد، إلى يوم الحشر والمعاد، صلوات الله وسلامه عليه دَائِمًا إلى يوم التناد.

(١) الصنبر: الضعيف الرقيق من كل شيء. [تهذيب اللغة، مادة (صنبر)].

الآية (١-٤): هذه السورة متعلقة بما قبلها، والمعنى: حبسنا عن مكة القليل وأهلكنا أهله ﴿إِلَيْكَ فَرَّشْتُ﴾ أي: لاثلافهم واجتماعهم في بلدهم آمنين. وقيل: المراد بذلك ما كانوا يالقونه من الرحلة في الشتاء إلى اليمن، وفي الصيف إلى الشام في المتاجر وغير ذلك، ثم يرجعون إلى بلدهم آمنين في أسفارهم؛ لعظمتهم عند الناس؛ لكونهم سكان حَرَمِ الله. وأما في حال إقامتهم في البلد فكما قال الله تعالى: ﴿وَأَوْزِرُوا أَتَّاجِعُنَا حَرَمًا مَازِينًا وَيَتَحَفَّلَ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [المنجوت: ٦٧].

﴿إِذْ أَنْفَخْنَا فِي نَافِثَتِهَا مِنْ الْإِلَافِ قَرِيضًا﴾ وقال ابن جرير: الصواب أن «اللام» للتعجب؛ كأنه يقول: اعجبوا لإيلاف قريش ونعمتي عليهم في ذلك. قال: وذلك لإجماع المسلمين على أنها سورتان منفصلتان مستقلتان. ثم أُرشدهم إلى شكر هذه النعمة العظيمة فقال: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ أي: فليؤدُّوه بالعبادة، كما جعل لهم حرماً آمناً وبيناً محمداً كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ أَنْ تَعْبُدُوا رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدِ الَّذِي فَرَسَ لَهُ آلَ اللَّهِ وَلِئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَكُم مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ أَنْ أُكُونَ مِنَ الْمُتَشَكِّكِينَ﴾ [النمل: ١٩].

﴿الَّذِينَ أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ﴾ أي: هو ربُّ البيت، وهو الذي أطعمهم من جوع، ﴿وَأَمَّنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ أي: تَقَضَّلَ عليهم بالأمن والخص، فليُفَرِّدوه بالعبادة وحده لا شريك له، ولا يعبدوا من دونه صمتاً ولا نداءً ولا وثناً.

تفسير السورة التي يُذكر فيها الماعون

وهي مكية، [وعدد آياتها (٧) آيات].

الآية (١-٧): يقول تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ﴾ يا محمد ﴿الَّذِي يَدْعُو بِاللَّيْلِ﴾ وهو: المعاد والحزاء والثواب، ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُو أَلَيْسَ﴾ أي: هو الذي يهجر اليتيم ويظلمه حقّه، ولا يطعمه ولا يحسن إليه، ﴿وَلَا يَحْصُ عَلَى طَعَامِ الْيَسْكِينِ﴾ يعني: الفقير الذي لا شيء له يقوم بألوفه وكفانيته. ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهَوْنَ﴾ قال ابن عباس وغيره: يعني المتأففين؛ الذين يُصَلُّون في العلةلية ولا يُصَلُّون في السر. ولهذا قال: ﴿لِلْمُصَلِّينَ﴾ أي: الذين هم من أهل الصلاة وقد التزموا بها، ثم هم عنها ﴿سَاهَوْنَ﴾: إما عن فعلها بالكليّة، كما قاله ابن عباس، وإما عن فعلها في الوقت المقرّر لها شرعاً، فيُخْرِجُها عن وقتها بالكليّة؛ كما قاله مسروق وأبو الضمّحى، وقال عطاء بن دينار: الحمد لله الذي قال: ﴿عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهَوْنَ﴾ ولم يقل: في صَلَاتِهِمْ ساهون، وإما عن وقتها الأول فيُخْرِطُونَهَا إلى آخره داتها أو غائلاً، وإما عن أدائها بأركانها وشروطها على الوجه المأمور به، وإما عن الخشوع فيها والتنبير لمعاتيها؛ فاللفظ يَشْمَلُ هذا كلّهُ، ولكل من اتَّصَفَ بشيء من ذلك قَسِطٌ من هذه الآية. ومن اتَّصَفَ بجميع ذلك فقد تَمَّ نصيبه منها، وكَمُلَ له النفاق العملي. كما ثبت أن رسول الله ﷺ قال: «تلك صلاة المنافق، تلك صلاة المنافق، تلك صلاة المنافق، يجلس يَرْغُبُ الشمس، حتى إذا كانت بين قُرُونِي الشيطان قام فَنَفَرُ أَرَبًا لا يذكر الله فيها إلا قليلاً» [رواه مسلم]. فهذا آخر صلاة العصر -التي هي الوسطى كما ثبت به النص- إلى آخر وقتها، وهو وقت كراهة، ثم قام إليها فَنَفَرَهَا نَفَرُ الغراب، لم يَطْمَئِنْ ولا خَنَعَ فيها أيضًا ولهذا قال: «لا يذكر الله فيها إلا قليلاً»، ولعله إنَّما حَمَلَهُ على القيام إليها امرأة الناس لا ابتغاء وجه الله، فهو كما إذا لم يُصَلِّ بالكليّة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ



## ● الوقفات التدريبية

١ ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۖ﴾ أَلَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴿﴾  
أهلك الله من أرادهم بسوء، وعظم أمر الحرم وأهله في قلوب العرب حتى  
احترموهم ولم يعترضوا لهم في أي سفر أرادوا؛ ولهذا أمرهم الله بالشكر فقال:  
(فليعبدوا رب هذا البيت) أي: ليوحده ويخلصوا له العبادة. السعدي: ٨٩٤.

السؤال: من شكر الله توحيداً بالعبادة، بين ذلك من السورة.

٢ ﴿أَلَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾  
في الجمع بين إطعامهم من جوع وامنهم من خوف نعمت عظمى؛ لأن  
الإنسان لا ينعم ولا يسعد إلا بتحصيل النعمتين هاتين معاً؛ إذ لا عيش مع  
الجوع، ولا أمن مع الخوف، وتكمل النعمة باجتماعهما. الشنقيطي: ١١٧/٩.

السؤال: ما وجه الجمع بين إطعام قريش من جوع وتأمينهم من خوف؟  
٣ ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ ۖ﴾ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ  
انظر الذي كذب بالدين تجد فيه هذه الأخلاق القبيحة والأعمال السيئة؛ وإنما  
ذلك لأن الدين يحمل صاحبه على فعل الحسنات وترك السيئات. ابن جزي: ٦١٤/٢.

السؤال: بين الله أن المكذب بالدين متصف بأخلاق قبيحة، لماذا؟

٤ ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ ١ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿﴾  
أي: الذين هم من أهل الصلاة، وقد التزموا بها، ثم هم عنها ساهون؛ إما عن فعلها بالكليّة  
- وإما عن فعلها في الوقت للقسر لها شرعاً فيخرجها عن وقتها بالكليّة. ابن كثير: ٥٨٨/٤.

السؤال: كيف يكون السهو عن الصلاة؟

١ ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنحَرْ﴾  
ولما قدم الله الصلاة على النحر في قوله: (فصل لربك وانحر)، وقدم  
التركيز على الصلاة في قوله: (قد افلح من تركي) ٢ وذكر اسم ربه  
فصلي، كانت السنة أن الصدقة قبل الصلاة في عيد الفطر، وأن الذبح بعد  
الصلاة في عيد النحر. ابن تيمية: ١٩٤/٧.

السؤال: لماذا كانت السنة أن الصدقة قبل الصلاة في عيد الفطر، وأن  
الذبح بعد الصلاة في عيد النحر؟

٢ ﴿إِنَّكَ شَانِئُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾  
وكل جرم استحق فاعله عقوبة من الله إذا أظهر ذلك الجرم عندنا وجب أن نعاقبه،  
ونقيم عليه حد الله، فيجب أن نبتز من أظهر شأنه، وأبدى علاوته ابن تيمية: ١٩٦/٧.

السؤال: ما الفرق بين من أظهر معصيته ومن أخفاها؟

٣ ﴿إِنَّكَ شَانِئُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾  
أهل السنة يموتون ويحيى ذكرهم، وأهل البدعة يموتون ويموت  
ذكرهم؛ لأن أهل السنة أحيوا ما جاء به الرسول فكان لهم نصيب من  
قوله: (ورفعنا لك ذكرك)، وأهل البدعة شنأوا ما جاء به الرسول ﷺ فكان  
لهم نصيب من قوله: (إن شانتك هو الأبتَر). ابن تيمية: ١٩٨/٧.

السؤال: ما سبب بقاء ذكر أهل السنة وزوال ذكر أهل البدعة؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
لَا إِلَهَ إِلَّا قُرَيْشٌ ۖ ١  
لِيَلْفِيَهُمْ رَحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۖ ٢  
فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۖ ٣  
الَّذِي أَطْعَمَهُمْ ۖ ٤  
مِنْ جُوعٍ ۖ ٥  
وَأَمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ۖ ٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ ۖ ١  
فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ ۖ ٢  
الْيَتِيمَ ۖ ٣  
وَلَا يُخْضِ عَلَ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ۖ ٤  
فَوَيْلٌ ۖ ٥  
لِلْمُصَلِّينَ ۖ ٦  
الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۖ ٧  
الَّذِينَ هُمْ يَرَاءُونَ ۖ ٨  
وَيَسْتَمْتُونَ الْمَاعُونَ ۖ ٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۖ ١  
فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنحَرْ ۖ ٢  
إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۖ ٣

## ● معاني الكلمات

الكلمة	المعنى
لَا إِلَهَ إِلَّا قُرَيْشٌ	عجبوا بقريش ما أقوه وأعانوه من الرحلتين، وتركهم عبادة الله، أو المعنى: لعبد قريش ربها؛ لإنعامه عليهم بإعتياد الرحلتين.
رَحْلَةَ الشِّتَاءِ	إلى اليمن.
يَدْعُ الْيَتِيمَ	يدفع اليتيم بغضب عن حقه.
سَاهُونَ	غير مباليين بها؛ يؤخرونها عن وقتها، ولا يُقيمونها على وجهها.
شَانِئُكَ	مُيْغَضُكَ.
الْأَبْتَرُ	الْمَنْقُطُ أَفْرُهُ، الْمَقْطُوعُ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ.

## ● العمل بالآيات

١. أحمد الله على توفر الطعام والشراب والأمن، ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾.
٢. انصح من حولك بإطعام المساكين، ﴿وَلَا يُخْضِ عَلَ طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾.
٣. اعر مسلماً ما يحتاجه مما تقدر عليه، ﴿وَيَسْتَمْتُونَ الْمَاعُونَ﴾.

## ● التوجيهات

١. الخالق الرزاق هو المستحق للعبادة، ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ ١ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴿﴾.
٢. احذر أن تكون من: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾.
٣. خطورة بغض النبي ﷺ أو شيء مما جاء به، ﴿إِنَّكَ شَانِئُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾.



## ● الوقفات التحذيرية

﴿وَلَا أَنْتُمْ عِبِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾

لعدم إخلاصكم لله في عبادته؛ فعبادتكم له المقترنة بالشرك لا تسمى عبادة. السعدي: ٩٣٦.

السؤال: من العلوم أن كفار قريش كانوا يعبدون الله، ويعبدون غيره، فما وجه نفي هذه الآية عبادتهم؟

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾

استدل الإمام أبو عبد الله الشافعي وغيره بهذه الآية الكريمة على أن الكفر كله ملته واحدة... لأن الأديان ما عدا الإسلام كلها كالشيء الواحد في البطالان. ابن كثير: ٤/ ٥٦٥.

السؤال: (الكفر ملته واحدة) اشرح هذه العبارة في ضوء هذه الآية.

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾

في هذه السورة منهج إصلاحي؛ وهو عدم قبول ولا صلاحية أنصاف الحلول، لأن ما عرضه عليه ﷺ من الشراكعة في العبادة يُعتبر في مقياس المنطق حلاً وسطاً؛ لاحتمال إصابة الحق في أحد الجانبين، فجاء الرُّدُّ حاسماً وزاجراً وبشدة، لأن فيه -أي فيما عرضه- مساواة للباطل بالحق، وفيه تعليق للمشككة، وفيه تقرير الباطل إن هو وافقهم ولو لحظته الشنقيطي: ٩/ ٣٣٦.

السؤال: هل تقبل أنصاف الحلول في أصول الدين؟

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ ۚ إِنَّكَ كَانَتْ تَوَّابًا ۝﴾

إشارة لأن يستمر النصر لهذا الدين، ويزداد عند حصول التسبيح بحمد الله واستغفاره من رسوله؛ فإن هذا من الشكر، والله تعالى يقول: (لئن شكرتم لأزيدنكم)، وقد وجد ذلك في زمن الخلفاء الراشدين، وبعدهم في هذه الأمة لم يزل نصر الله مستمراً حتى وصل الإسلام إلى ما لم يصل إليه دين من الأديان، ودخل فيه ما لم يدخل في غيره، حتى حدث من الأمة من مخالفة أمر الله ما حدث، فابتهلهم الله بتصرف الكلمة، وتشتت الأمر، فحصل ما حصل. السعدي: ٩٣٦.

السؤال: بين أهمية التسبيح والتحميد والاستغفار في نصرة الأمة والدين.

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ ۚ إِنَّكَ كَانَتْ تَوَّابًا ۝﴾

الأمور الفاضلة تختم بالاستغفار؛ كالصلاة والحج وغير ذلك، فأمر الله لرسوله بالحمد والاستغفار في هذه الحال إشارة إلى أن أجله قد انتهى، فليستعد وينتهي للقائه ربه، ويختم عمره بأفضل ما يجده صلوات

الله وسلامه عليه. السعدي: ٩٣٦.

السؤال: كيف تشير هذه السورة إلى قرب وفاة النبي ﷺ؟

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝﴾

عرف بهذا أن الانتماء إلى الصالحين لا يعني إلا أن وقع الاقتداء بهم في أفعالهم؛ لأنه عم النبي ﷺ. البقاعي: ٢٢/ ٣٣١.

السؤال: هل ينفع علو النسب إذا كان بلا عبادة؟ وضع ذلك من الآية.

﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۖ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسٍ ۝﴾

كانت زوجته... وكانت عوناً لزوجها على كضره وجحوده وعناده، فلها تكون يوم القيامة عوناً عليه في عذابه في نار جهنم، ولهذا قال: (حمالة الحطب ١٠) في جديها حبل من مسد) يعني: تحمل الحطب فتلقي على زوجها ليزداد في نار جهنم. ابن كثير: ٤/ ٥٩٩.

السؤال: بين أهمية اختيار الزوجة الصالحة من خلال هذه الآية.

سورة الكافرون ﴿يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝ لَا أَنْتُمْ عِبِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ۝ وَلَا أَنْتُمْ عِبِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝﴾

﴿يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝ لَا أَنْتُمْ عِبِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ۝ وَلَا أَنْتُمْ عِبِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝﴾

سورة النصر ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ ۚ إِنَّكَ كَانَتْ تَوَّابًا ۝﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ ۚ إِنَّكَ كَانَتْ تَوَّابًا ۝﴾

سورة البطلان ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسٍ ۝﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسٍ ۝﴾

## ● معاني الكلمات

المعنى	الكلمة
لَا أَعْبُدُ مُسْتَقْبَلًا مَا عِبَدْتُمْ مِنَ الْأَلِهَةِ الْبَاطِلَةِ.	وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عِبَدْتُمْ
لَكُمْ شِرْكُكُمْ، وَكُفْرُكُمْ.	لَكُمْ دِينُكُمْ
لِي إِخْلَاصِي، وَتَوْجِيدي الَّذِي لَا أَبْيِي غَيْرُهُ.	وَلِيَ دِينِ
فَتَحٌ مَّكَّتَ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي الْعَامِ الثَّامِنِ الْهَجْرِيِّ.	وَالْفَتْحُ
خَسِرْتَ، وَهَلَكْتَ، وَهَذَا دُعَاءٌ عَلَيْهِ.	تَبَّتْ
عُنُقُهَا.	جِيدِهَا

## ● العمل بالآيات

١. اقرأ سورة الكافرون في الركعة الأولى وسورة الإخلاص في الركعة الثانية من سنتي الفجر والمغرب، ﴿قُلْ يَأَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾.
٢. ادع كافرين إلى الإسلام بأي وسيلة تجيدها، ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾.
٣. قل: سبحان الله وبحمده مائة مرة، وأكثر من الاستغفار، ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّكَ كَانَتْ تَوَّابًا﴾.

## ● التوجيهات

١. خطورة تبعية مبادئ الدين، وتقديم التنازلات، ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾.
٢. أهمية تسبيح الله واستغفاره عند تمام العبادة، ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ﴾.
٣. الحذر من إيذاء عباد الله الصالحين، ﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۖ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسٍ﴾.

تفسير سورة قل يا أيها الكافرون

وهي مكية، [وعدد آياتها (٦) آيات].

[فضل السورة]: عن جابر: أن رسول الله ﷺ قرأ هذه السورة، وبـ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ في ركعتي الطواف [رواه مسلم].

وعن ابن عمر قال: رَمَقْتُ النَّبِيَّ ﷺ شَهْرَهُ، فَكَانَ يَقْرَأُ فِي الرِّكَعَتَيْنِ قَبْلَ الْفَجْرِ بـ﴿قُلْ يَتَّخِذُ الْكَافِرُونَ﴾، و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [رواه أحمد والترمذي وابن ماجه، وصححه الألباني].

الآية (١-٦): هذه السورة سورة البراءة من العمل الذي يعمله المشركون، وهي آمرة بالإخلاص فيه؛ بقوله: ﴿قُلْ يَتَّخِذُ الْكَافِرُونَ﴾ يشمل كل كافر على وجه الأرض، ولكن المواجهون بهذا الخطاب هم كفار قريش. وقيل: إنهم من جهلهم دعوا رسول الله ﷺ إلى عبادة أوثانهم سنة، ويعبدون معبوده سنة، فأنزل الله هذه السورة، وأمر رسوله ﷺ فيها أن يتبرأ من دينهم بالكُفَّة، فقال: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ يعني: من الأصنام والأنداد، ﴿وَلَا أَنْتُمْ عِبِدُونِ مَا أَعْبُدُ﴾ وهو الله وحده لا شريك له. فـ«ما» ههنا بمعنى «من». ثم قال: ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مُّاعَبِدُكُمْ﴾ ﴿وَلَا أَنْتُمْ عِبِدُونِ مَا أَعْبُدُ﴾ أي: ولا أعبد عبادتكم، أي: لا أسلكها ولا أقصدني بها، وإنما أعبد الله على الوجه الذي يحبه ويرضاه؛ ولهذا قال: ﴿وَلَا أَنْتُمْ عِبِدُونِ مَا أَعْبُدُ﴾ أي: لا تقتنون بأوامر الله وشريعته في عبادته، بل قد اخترعتم شيئاً من تلقاء أنفسكم. فترأى منهم في جميع ما هم فيه؛ فإن العابد لا بد له من معبود يعبد عبادته يسلكها إليه، فالرسول ﷺ وأتباعه يعبدون الله بها شرعه، ولهذا كان كلمة الإسلام: «لا إله إلا الله، محمد رسول الله» أي: لا معبود إلا الله، ولا طريق إليه إلا ما جاء به الرسول ﷺ. والمشركون يعبدون غير الله عبادته لم يأذن بها الله، ولهذا قال لهم الرسول ﷺ: ﴿لَكُمْ دِينُ كُرَيْشٍ﴾؛ كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ كُرَيْشَ كَفَرٌ وَعَدُوٌّ لِلَّهِ وَاللَّهُ يَهْدِي الْقَوْمَ الْقَائِلِينَ﴾ [يونس: ٤١].

[وقيل: معنى الآيات]: لا أعبد ما تعبدون الآن ولا أُجِيبُكم فيما بقي من عمري ﴿وَلَا أَنْتُمْ عِبِدُونِ مَا أَعْبُدُ﴾.

ونقل ابن جرير عن بعض أهل العربية أن ذلك من باب التاكيد؛ كقوله: ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشح: ٥-٦] وحكاها بعضهم -كابن الجوزي وغيره- عن ابن قتيبة.

وتم قول رابع، نصّره ابن تيمية؛ وهو أن المراد بقوله: ﴿لَا أَعْبُدُ﴾: نفى الفعل؛ لأنها جملة فعلية، ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ﴾: نفى قبوله لذلك بالكُفَّة؛ لأن النفي بالجملة الاسمية أكد، ومعناه: نفى الوقوع ونفي الإمكان الشرعي أيضاً. وهو قول حسن أيضاً، والله أعلم.

تفسير سورة إذا جاء نصر الله والفتح

وهي مدنية، [وعدد آياتها (٣) آيات].

[فضل السورة]: عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: تعدل ربع القرآن [رواه الترمذي، وصححه الألباني]. وعنه أنها آخر سورة من القرآن نزلت [رواه مسلم].

الآية (١-٣): عن ابن عباس قال: كان عمر يُدخلني مع أشياخ بدر، فقال: ما تقولون في قول الله ﷻ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾؟ فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا

وفتح علينا. وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً، فقال لي: أكن ذلك تقول يا ابن عباس! قلت: لا. فقال: ما تقول؟ فقلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له؛ قال: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ فذلك علامة أجلك، ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾. فقال عمر: لا أعلم منها إلا ما تقول [رواه البخاري]. وعن ابن عباس قال: لما نزلت: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ قال رسول الله ﷺ: «نُبِيتُ لِي نَفْسِي» بأنه مقبوض في تلك السنة. [رواه أحمد وصححه إسناده أحمد شاكر]. وقال مجاهد والضحاك وغير واحد: إنها أجل رسول الله ﷺ نبي إليه.

والذي كُتِبَ به بعض الصحابة من جلساء عمر معنى مليح صحيح، وقد ثبت له شاهد من صلاة النبي ﷺ يوم فتح مكة وقت الضحى ثاني ركعات. وعن عائشة قالت: كان ﷺ يُكَيِّرُ أن يقول في ركوعه وسجوده: «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي» يتأول القرآن [متفق عليه]. والمراد بالفتح ههنا فتح مكة قولاً واحداً.

تفسير سورة تبت

وهي مكية، [وعدد آياتها (٥) آيات].

الآية (١-٥): [سبب النزول]: عن ابن عباس: أن النبي ﷺ خرج إلى البطحاء، فصعد الجبل فنادى: «يا صباحاه». فاجتمعت إليه قريش، فقال: «أرايتن إن حدثتكم أن العدو مُصْبِحُكُمْ أو مُمَسِّمُكُمْ، أكنتم تصدقوني؟» قالوا: نعم. قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد». فقال أبو لهب: أهذا جمعتنا؟! تآ لك. فأنزل الله: ﴿تَبَّتْ يُدَىٰ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ إلى آخرها [رواه البخاري]. الأول دعاء عليه، والثاني خبر عنه.

أبو لهب هذا هو أحد أعمام رسول الله ﷺ واسمه: عبد العزى بن عبد المطلب، وكنيته أبو عتبة. وإنما سمي «أبا لهب» لإشراق وجهه، وكان كثير الأذى لرسول الله ﷺ والبُغْضَ له، والازدراء به، والتنقص له ولدينه. قوله: ﴿تَبَّتْ﴾ أي: خَبِرَتْ وخابَتْ، وَصَلَ عملُه وسعيه، ﴿وَتَبَّ﴾ أي: وقد تَبَّ: تحقَّق خسارته وهلاكه. ﴿وَمَا كَسَبَ﴾ قال ابن عباس وغيره: يعني: ولده. وَرَوَى عن عائشة ومجاهد وعطاء والحسن وابن سيرين مثله. وذكر عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ لَمَّا قَامَ قَوْمُهُ إِلَى الْإِيمَانِ، قَالَ أَبُو لَهَبٍ: إِذَا كَانَ مَا يَقُولُ ابْنُ أَخِي حَقًّا، فَإِنِّي أَفْتَدِي نَفْسِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْعَذَابِ بِبَالِي وَلَوْلِي، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾. وقوله: ﴿سَمِصَلًا نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ أي: ذات شرر ولباب وإحراق شديد. ﴿وَأَمْرًا تُهْدَىٰ حِمَاكَ الْخَطْبُ﴾ وكانت زوجته من سادات نساء قريش، وهي: أم جميل، واسمها أروى بنتُ حرب بن أمية، وهي أخت أبي سفيان. وكانت عونا لزوجها على كفره وجحوده وعناده؛ فلهاذا تكون يوم القيامة عوناً عليه في عذابه في نار جهنم. ولهذا قال: ﴿حِمَاكَ الْخَطْبُ﴾ يعني: تحمِلِ الخطب فتلقني على زوجها، ليزداد على ما هو فيه، وهي مُهَيَّاةٌ لذلك مستعدة له. ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ قال مجاهد وعروة: من مسد النار. قال سعيد بن المسيب: كانت لها قلادة فاخرة، فقالت: لأفثقتها في عداوة محمد، يعني: فأغصتها الله بها حَبْلًا في جِيدِهَا من مسد النار. وعن الشعبي قال: المسد: اللَّيْفُ. وقال مجاهد: طوق من حديد. وقال بعض أهل العلم: أي: في عنقها حبل في نار جهنم تُرْفَعُ به إلى شفيرها، ثم يُرْمَى بها إلى أسفلها، ثم كذلك داتها.

آخر التفسير، والله الحمد والمنة.

(١) انتهم سؤدده ای: کُتلاً و بلیغ متناه.



## ● الوقفات التدريبية

### ❶ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾

واختلف في معنى قوله ﷻ: «(قل هو الله أحد» تعدل ثلث القرآن) فقيل: إن ذلك في الثواب؛ أي لمن قرأها من الأجر مثل أجر من قرأ ثلث القرآن، وقيل: إن ذلك فيما تضمنته من المعاني والعلوم؛ وذلك أن علوم القرآن ثلاثية: توحيد وإحكام وقصص، وقد اشتملت هذه السورة على التوحيد؛ فهي ثلث القرآن بهذا الاعتبار، وهذا أظهر. ابن جزي: ٢/٢٦٤.

السؤال: علوم القرآن ثلاثة ما هي؟ ومن أيها سورة قل هو الله أحد؟

### ❷ ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾

(الصمد) قال ابن الأنباري: لا خلاف بين أهل اللغة أنه السيد الذي ليس فوقه أحد، الذي يصمد إليه الناس في حوائجهم وأمورهم. وقال الزجاج: هو الذي ينتهي إليه السؤدد، ويصمد إليه -أي يقصده- كل شيء. وعن أبي هريرة: «هو المستغنى عن كل أحد المحتاج إليه كل أحد». الألويسي: ٢٧٣-٢٧٤.

السؤال: ما معنى: الصمد؟

### ❸ ﴿وَمِنْ شَرِّ إِذَا حَسَدُ﴾

يدخل في الحاسد: العاين؛ لأنه لا تصدر العين إلا من حاسد شرير الطبع، خبيث النفس. السعدي: ٩٣٧.

السؤال: هل تضمنت السورة الكلام على العاين؟ وضح ذلك.

### ❹ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ ❶ ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ ❷ ﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾

في سورة الفلق جاء في الاستعاذة بصفة واحدة وهي «بِرَبِّ الْفَلَقِ». وفي سورة الناس جاء في الاستعاذة بثلاث صفات، مع أن المستعاذ منه في الأولى ثلاثة أمور؛ والمستعاذ منه في الثانية أمر واحد، فلخطر الأمر الواحد جاءت الصفات الثلاث. الشنقيطي: ١٨٣/٩.

السؤال: في سورة الفلق استعين بصفة واحدة من ثلاثة شرو، وفي سورة الناس استعين بثلاث صفات من شر واحد، فلماذا؟

### ❺ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ ❶ ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ ❷ ﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾

فإن قيل: لم قدم وصفه تعالى برب ثم بملك ثم بإله؟ فالجواب أن هذا على الترتيب في الارتفاع إلى الأعلى؛ وذلك أن الرب قد يطلق على كثير من الناس فيقال: فلان رب الدار، وشبه ذلك، فيدأ به لا لاشتراك معناه، وأما الملك فلا يوصف به إلا أحد من الناس -وهم الملوك- ولا شك أنهم أعلى من سائر الناس؛ فلذلك جاء به بعد الرب، وأما الإله فهو أعلى من الملك؛ ولذلك لا يدعي الملوك أنهم آلهة؛ فإنما الإله واحد لا شريك له ولا نظير؛ فلذلك ختم به. ابن جزي: ٢/٢٣١.

السؤال: ما وجه ترتيب وصف الله بالرب ثم الملك ثم الإله في هذه السورة؟

### ❻ ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾

وسوسة الشيطان في صدر الإنسان بأنواع كثيرة، منها: إفساد الإيمان والتشكيك في العقائد، فإن لم يقدر على ذلك أمره بالمعاصي، فإن لم يقدر على ذلك يُثبِّطه عن الطاعات، فإن لم يقدر على ذلك أدخل عليه الرياء في الطاعات ليحبطها، فإن سلم من ذلك أدخل عليه العُجب بنفسه واستكثار عمله، ومن ذلك أنه يوقد في القلب نار الحسد والحقد والغضب حتى يقود الإنسان إلى شر الأعمال والبيع الأخوال. ابن جزي: ٢/٢٣١.

السؤال: ما خطوات الشيطان في وسوسته لبني آدم؟

### ❼ ﴿مِنْ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾

أخبر أن الوسوس قد يكون من الناس. قال الحسن: هما شيطانان: أما شيطان الجن فيوسوس في صدور الناس، وأما شيطان الإنس فيأتي علانية. وقال قتادة: إن من الجن شياطين، وإن من الإنس شياطين؛ فتعوذ بالله من شياطين الإنس والجن. القرطبي: ٢٢/٥٨٣.

السؤال: هل من الإنس شياطين؟ وما واجب المؤمن تجاههم؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ❶ ❷ ❸ ❹ ❺ ❻ ❼ ❽ ❾ ❿ ⓫ ⓬ ⓭ ⓮ ⓯ ⓰ ⓱ ⓲ ⓳ ⓴ ⓵ ⓶ ⓷ ⓸ ⓹ ⓺ ⓻ ⓼ ⓽ ⓾ ⓿  
وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ

سورة الفلق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ❶ ❷ ❸ ❹ ❺ ❻ ❼ ❽ ❾ ❿ ⓫ ⓬ ⓭ ⓮ ⓯ ⓰ ⓱ ⓲ ⓳ ⓴ ⓵ ⓶ ⓷ ⓸ ⓹ ⓺ ⓻ ⓼ ⓽ ⓾ ⓿  
غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ❶ ❷ ❸ ❹ ❺ ❻ ❼ ❽ ❾ ❿ ⓫ ⓬ ⓭ ⓮ ⓯ ⓰ ⓱ ⓲ ⓳ ⓴ ⓵ ⓶ ⓷ ⓸ ⓹ ⓺ ⓻ ⓼ ⓽ ⓾ ⓿  
وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ

سورة الفلق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ❶ ❷ ❸ ❹ ❺ ❻ ❼ ❽ ❾ ❿ ⓫ ⓬ ⓭ ⓮ ⓯ ⓰ ⓱ ⓲ ⓳ ⓴ ⓵ ⓶ ⓷ ⓸ ⓹ ⓺ ⓻ ⓼ ⓽ ⓾ ⓿  
النَّاسِ ❶ ❷ ❸ ❹ ❺ ❻ ❼ ❽ ❾ ❿ ⓫ ⓬ ⓭ ⓮ ⓯ ⓰ ⓱ ⓲ ⓳ ⓴ ⓵ ⓶ ⓷ ⓸ ⓹ ⓺ ⓻ ⓼ ⓽ ⓾ ⓿  
يُوسُوسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ❶ ❷ ❸ ❹ ❺ ❻ ❼ ❽ ❾ ❿ ⓫ ⓬ ⓭ ⓮ ⓯ ⓰ ⓱ ⓲ ⓳ ⓴ ⓵ ⓶ ⓷ ⓸ ⓹ ⓺ ⓻ ⓼ ⓽ ⓾ ⓿  
مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ

## ● معاني الكلمات

المعنى	الكلمة
السَّيِّدُ الَّذِي كَمُلَ فِي سُؤْدِهِ وَغَنَاهُ، وَالَّذِي يُقْصَدُ فِي قَضَاءِ الْحَوَائِجِ.	الصَّمَدُ
مُكَافَأًا، وَمَمَاجِلًا، وَنَظِيرًا.	كُفُوًا
أَعْتَصَمْتُ، وَأَلْتَجَيْتُ.	أَعُوذُ
لَيْلٍ شَدِيدِ الظُّلْمَةِ.	غَاسِقٍ
إِذَا دَخَلَ ظُلَامُهُ، وَتَغَلَّغَ.	إِذَا وَقَبَ
السَّاجِرَاتِ الْوَلَوَاتِي يَنْفُخْنَ بِأَرْبَاقٍ فِي عَقْدِ الْخَيْطِ؛ بِقَصْدِ السَّحْرِ، سَوَاءٌ كُنَّ نِسَاءً، أَوْ أَنْفُسًا خَبِيثَةً.	النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ
الَّذِي يَخْتَفِي وَيَهْرُبُ عِنْدَ ذِكْرِ اللَّهِ.	الْخَنَّاسِ

## ● العمل بالآيات

- اقرأ المعوذات ثلاث مرات في الصباح والمساء، ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾.
- اقرأ المعوذات مرة واحدة دبر كل صلاة، ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾.
- أرق نفسك بالمعوذات، ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾.

## ● التوجيهات

- أهمية التوحيد والإخلاص لله سبحانه، ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾.
- أهمية الاستعاذة بالله من خطر العين والسحر، ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ ❶ ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾.
- أهمية الاستعاذة بالله من وساوس الشيطان فهي من أوسع أبواب الشر على الناس، ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾.

## فهرس أسماء السور وبيان المكي والمدني منها

السورة	رقمها	الصفحة	البيان
العنكبوت	٢٩	٣٩٦	مكية
الروم	٣٠	٤٠٤	مكية
لقمان	٣١	٤١١	مكية
السجدة	٣٢	٤١٥	مكية
الأحزاب	٣٣	٤١٨	مدنية
سبا	٣٤	٤٢٨	مكية
فاطر	٣٥	٤٣٤	مكية
يس	٣٦	٤٤٠	مكية
الصافات	٣٧	٤٤٦	مكية
ص	٣٨	٤٥٣	مكية
الزمر	٣٩	٤٥٨	مكية
غافر	٤٠	٤٦٧	مكية
فصلت	٤١	٤٧٧	مكية
الشورى	٤٢	٤٨٣	مكية
الزخرف	٤٣	٤٨٩	مكية
الدخان	٤٤	٤٩٦	مكية
الجاثية	٤٥	٤٩٩	مكية
الأحقاف	٤٦	٥٠٢	مكية
محمد	٤٧	٥٠٧	مدنية
الفتح	٤٨	٥١١	مدنية
الحجرات	٤٩	٥١٥	مدنية
ق	٥٠	٥١٨	مكية
الذاريات	٥١	٥٢٠	مكية
الطور	٥٢	٥٢٣	مكية
النجم	٥٣	٥٢٦	مكية
القمر	٥٤	٥٢٨	مكية
الرحمن	٥٥	٥٣١	مدنية
الواقعة	٥٦	٥٣٤	مكية

السورة	رقمها	الصفحة	البيان
الفاتحة	١	١	مكية
البقرة	٢	٢	مدنية
آل عمران	٣	٥٠	مدنية
النساء	٤	٧٧	مدنية
المائدة	٥	١٠٦	مدنية
الأنعام	٦	١٢٨	مكية
الأعراف	٧	١٥١	مكية
الأنفال	٨	١٧٧	مدنية
التوبة	٩	١٨٧	مدنية
يونس	١٠	٢٠٨	مكية
هود	١١	٢٢١	مكية
يوسف	١٢	٢٣٥	مكية
الرعد	١٣	٢٤٩	مدنية
إبراهيم	١٤	٢٥٥	مكية
الحجر	١٥	٢٦٢	مكية
النحل	١٦	٢٦٧	مكية
الإسراء	١٧	٢٨٢	مكية
الكهف	١٨	٢٩٣	مكية
مريم	١٩	٣٠٥	مكية
طه	٢٠	٣١٢	مكية
الأنبياء	٢١	٣٢٢	مكية
الحج	٢٢	٣٣٢	مدنية
المؤمنون	٢٣	٣٤٢	مكية
النور	٢٤	٣٥٠	مدنية
الفرقان	٢٥	٣٥٩	مكية
الشعراء	٢٦	٣٦٧	مكية
النمل	٢٧	٣٧٧	مكية
القصص	٢٨	٣٨٥	مكية

## فهرس أسماء السور وبيان المكي والمدني منها

السورة	رقمها	الصفحة	البيان
الطارق	٨٦	٥٩١	مكية
الأعلى	٨٧	٥٩١	مكية
الغاشية	٨٨	٥٩٢	مكية
الفجر	٨٩	٥٩٣	مكية
البلد	٩٠	٥٩٤	مكية
الشمس	٩١	٥٩٥	مكية
الليل	٩٢	٥٩٥	مكية
الضحى	٩٣	٥٩٦	مكية
الشرح	٩٤	٥٩٦	مكية
التين	٩٥	٥٩٧	مكية
العلق	٩٦	٥٩٧	مكية
القدر	٩٧	٥٩٨	مكية
البينة	٩٨	٥٩٨	مدنية
الزلزلة	٩٩	٥٩٩	مدنية
العاديات	١٠٠	٥٩٩	مكية
القارعة	١٠١	٦٠٠	مكية
التكاثر	١٠٢	٦٠٠	مكية
العصر	١٠٣	٦٠١	مكية
الهمزة	١٠٤	٦٠١	مكية
الفيل	١٠٥	٦٠١	مكية
قريش	١٠٦	٦٠٢	مكية
الماعون	١٠٧	٦٠٢	مكية
الكوثر	١٠٨	٦٠٢	مكية
الكافرون	١٠٩	٦٠٣	مكية
النصر	١١٠	٦٠٣	مدنية
المسد	١١١	٦٠٣	مكية
الإخلاص	١١٢	٦٠٤	مكية
الفلق	١١٣	٦٠٤	مكية
الناس	١١٤	٦٠٤	مكية

السورة	رقمها	الصفحة	البيان
الحديد	٥٧	٥٣٧	مدنية
المجادلة	٥٨	٥٤٢	مدنية
الحشر	٥٩	٥٤٥	مدنية
المتحنة	٦٠	٥٤٩	مدنية
الصف	٦١	٥٥١	مدنية
الجمعة	٦٢	٥٥٣	مدنية
المنافقون	٦٣	٥٥٤	مدنية
التغابن	٦٤	٥٥٦	مدنية
الطلاق	٦٥	٥٥٨	مدنية
التحريم	٦٦	٥٦٠	مدنية
الملك	٦٧	٥٦٢	مكية
القلم	٦٨	٥٦٤	مكية
الحاقة	٦٩	٥٦٦	مكية
المعارج	٧٠	٥٦٨	مكية
نوح	٧١	٥٧٠	مكية
الجن	٧٢	٥٧٢	مكية
المزمل	٧٣	٥٧٤	مكية
المدثر	٧٤	٥٧٥	مكية
القيامة	٧٥	٥٧٧	مكية
الإنسان	٧٦	٥٧٨	مدنية
المرسلات	٧٧	٥٨٠	مكية
النبأ	٧٨	٥٨٢	مكية
النازعات	٧٩	٥٨٣	مكية
عبس	٨٠	٥٨٥	مكية
التكوير	٨١	٥٨٦	مكية
الانفطار	٨٢	٥٨٧	مكية
المطففين	٨٣	٥٨٧	مكية
الإنشقاق	٨٤	٥٨٩	مكية
البروج	٨٥	٥٩٠	مكية



